

العِبَر  
وَهِيَ لَوْلَجُ الْمُسَدَّلِ وَلَوْلَجُ الْمُسَدَّرِ  
فِي أَوْتَامِ الْعَرَبِ وَالْعَوْمَ وَالْبَرَبَرِ  
وَسَنَقَ عَاقِرَ قَمَ مِنْ ذُوِي السُّلْطَانِ الْأَكْيَرِ

# تَارِيخُ ابْنِ خَلْدُونِ

الإمام المؤرخ عالم الاجتماع  
أبو زيد ولد الدين عبد الرحمن بن محمد أبو شبيب السوسي القاهري المالكي  
**الشهير بابن خلدون**  
(٧٣٢ - ٨٠٨)

طبعة مستديمة، استئنافياً ضارباً، أليون، بما في ذلك تذكرة سلطاديت للعومنيات

استئناف  
**أبو شبيب الكرمي**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# تاریخ ابن حملون

العبر

وَكَوَانُ الْمُبْتَدَأُ وَالْخَيْرُ  
فِي أَيَّامِ الْعَرَبِ وَالْجَمِيعِ وَالْبَرِّ  
وَفِي عَاصَمٍ مِنْ ذُرْقَى السَّلَاطَانِ الْكَبِيرِ

الإمام المؤرخ عام الاجتماع أبو زيد ولد الدين عبد الرحمن بن محمد الإشبيلي التونسي الفاسدي الحنفي المراكشي  
الشيشري بن خلدون

(732 - 808) هـ

طبعة صحيحة ، اعني بـ ابراجها ، ألم يه بـ حما فـ هـ رسـ لـ زـ يـات  
وـ لـ لـ مـ اـ دـ اـ بـ وـ لـ لـ سـ صـ وـ عـ اـ تـ .

اعني بـ

أبوصيـبـ الـ كـ رـ مـ

بـ يـ شـ لـ الـ فـ كـ الـ دـ وـ لـ لـ يـةـ



حقوق الطبع والترجمة والنشر محفوظة  
All Copyrights © Reserved

#### الرقم

هاتف 0201 6 566 0209  
فاكس 6 566 0209  
ص.ب 927435 عمان 11190 الأردن

#### العنوان

هاتف 1 404 2555  
فاكس 1 403 4238  
من.ب 220705 الرياض 11311 السعودية

#### المؤمن للتوزيع

هاتف 1 464 6688 / +966 1 404 2555  
فاكس 1 464 2919 / +966 1 403 4238  
من.ب 69786 الرياض 11557 السعودية

19416414	نَدَاء
2435423 / 2435421	مُسْتَوْدَع
02 5742532	مَكَّةُ الْمُكَرَّمَةُ
04 8344355	الْمَدِينَةُ الْمُنَورَةُ
06 3260350	الْعَصَمِيَّ
02 6873547	جَلَّة
03 8264282	الْدَّمَامُ
07 2296615	أَبْهَم

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

## مقدمة الطبعة

حقيقة الحوادث والأنباء، وتُعَبِّرُ عن حال الوجود، وتبين عن أصل كُلّ موجود بلفظٍ أبيه من الدر العظيم، والطف من الماء مرأة النسيم.

وقال غيره: حَوَّتْ مقدمة جَمِيعِ الْعِلْمَ، وَجَلَّتْ عَنْ مَحْجِّجَهَا السَّنَةُ الْفُصْحَاءُ، فَلَا تَرُوحُ وَلَا تَحُومُ، ولعمري إنّ هو إلّا من المصنفات التي سارت القابها بخلاف مضمونها كالاغانى للأصبهانى، سمّاه الأغاني، وفيه من كُلّ شيءٍ، والتاريخ للخطيب سمّاه تاريخ بغداد، وهو تاريخ العالم، وحلية الأولياء لأبي نعيم، سمّاه حلية الأولياء وفيه أشياءً جَمِيعَةً كثيرةً.

وقد ظهرت دراساتٌ كثيرةٌ في إظهار عبرية العلامة ابن خلدون في مقدمته، ذاك أنه أنشأ علم الاجتماع وال عمران، ونظر فيه، وأبان عن إهاطته في علوم كثيرة، ويظهر عن عزضه وأسلوبه والأجزاء التي اختص بها بالذكر مذكى ما وصل إليه المؤلف من المعرف. ومهما قيل في مثل هذه المقدمة فالقليل يعجز عن الوصف، لا سيما أنه المبتدئ ولم يكن مقلداً لغيره فيما كتب إلا في أجزاء يسيرة لا تذكر من المقدمة. لذا يُعد كتابه في بابه كالكتاب لسيبوه، والقانون لابن سينا.

وأمّا كتابه في التاريخ فيستفاد منه جدّاً في تاريخ المغرب والبربر، لا سيما الفترة المتأخرة منها التي تعتمد عليه في النظر والتحليل والمشاهدة، وبقية كتابه فيما يتعلق بالحديث عن أهلِ المشرق فليس فيه ذاك العُنُقُ، ولا ذاك التحليل التاريخي، بل هو كغيره ناقل لتلك المعلومات، وقد خلا كتابه من العزو إلى المصادر التي نقل منها أثناء حديثه عنهم إلّا قليلاً، وكان حديثه أقرب إلى السرد، ولم يَبنْ فيه عمق في النقد أو التقصي.

إن الحمد لله نَحْمَدُهُ ونَسْتَعِينُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ، ونَعُوذُ بالله من شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا، مَنْ يَهْدِي اللَّهُ فَلَا مُضِلٌّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلُ فَلَا هَادِي لَهُ.

وأشهدُ أَنَّ لِلَّهِ إِلَهٌ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَهُدَى لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهُدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقْوَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَيِّدِيَا يُصْلِحُ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيمًا﴾.

أمّا بعد:

فهذا كتاب قد ينقسم إلى ثلاثة أقسام، يُعدُّ كُلُّ منها كتاباً منفرداً لوفصيلٍ، هي: المقدمة، وكتابُ التاريخ، وترجمة المؤلف.

أمّا المقدمة فلم يقدم أحدٌ على مثالها وسواءها، وكان السابق إلى فكرتها ومواضعها، حتى عُدَّ كتاباً أساساً في بابه، بل كُلُّ منْ جاءَ بعده عالَةً عليه فيه.

قال المقريزي في وصفٍ تاريخ ابن خلدون: مقدمته لم يُعمل مثالها، وإنَّه لعزيزٌ أن ينال مجتهدة منها، إذ هي زيادةُ المعرفة والعلوم، ونتيجةُ العقول السليمة والفهم، تُوقَّفُ على كُنْهِ الأشياء، وتُعرَفُ

عصره... إلى غير ذلك مما يُكسبه أهمية كبيرةً وسبقاً في صورة هذه الترجمة الذاتية بهذا الأسلوب.

وأما تاريخ تأليف هذا الكتاب بأقسامه التي عرضناها في صورتها الأولية فقد كان في سنة (٧٧٦) لما قَصَدَ تلمسان حيثُ كان أخوه يحيى في خدمة أميرها أبي حُمُّو، ثم طَلَّبَ الأمير أبو حُمُّو من ابن خلدون أن يُسافر للدعوة بعض القبائل، فلم يُلْكِ الرفض، وكان مِيَالاً أن يعتزل السياسة، ويخلو للكتابة والتأليف، إلا أنه ظاهر بقبول السفارة للأمير أبي حُمُّو، فخرجَ من تلمسان إلى البحيرة إلى منداس، فاحسنتوا إكرامَه وأقامَ عندهم، وبعثوا اعتذاراً للأمير لعدم قيام ابن خلدون بالسفارة. فبقي ابن خلدون نحو أربعة أعوام، نِعِمَ فيها بكتابته كتابه «العبر» في صورته الأولى، وأخذت المقدمة منه وقتاً نحو خمسة أشهر في كتابتها قبل التنتيج والزيادة.. وكان ذلك كله في قلعة ابن سلامة. وعمل التاريخ، فاستغرق ذلك ما بين سنتي (٧٧٦ - ٧٨٠).

ولم يكن ابن خلدون يزعم أن يُؤرِّخ تاريخاً عاماً، بل تخصص بتاريخ المغرب ابتداءً، وقد صرَّح بذلك في مقدمته لكتابه فقال: «وأنا ذاكرٌ في كتابي هذا ما أمكنني منه في هذا القطر المغربي إما تصريحاً وإما مندرجًا في أخباره وتلوينها، لاختصاص قصدي في التأليف بالمغرب وأحوال أجياله وأمهه وذكر ممالكه ودوله دون ما سواه من الأخبار، لعدم اطلاعي على أحوال الشرق وأمه، وأن الأخبار المتناثلة لا تُوفي كثرة ما أُريدُه منها».

إلا أنه لم يلتزم ذلك، فأوردَ كثيراً من أخبار المشرق، ولم تغُد النقل، ولم يكن على اطلاعٍ بها، وهذا

وقد ذكر ابن حجر في كتابه «الإنباء» (٥/٣٣٢) كتابه هذا التاريخ فقال: وصنفَ التاريخ الكبير في سبع مجلدات ضخمة ظهرت فيه فضائله وأبان فيه عن براعته، ولم يكن مطلعًا على الأخبار على جليتها لا سيما أخبار المشرق، وهو بَيْنَ من نَظَرٍ في كلامه.

واعتمدَ في تاريخه على ما هو مكتوبٌ عندَ منْ قبله، ولم يظهر فيه إشاراته عن التاريخ وتدوينه الذي ذكره في مقدمته لكتابيه، إذ التنظيرُ للتاريخ عنده كان أقوى بكثير من كتابة التاريخ نفسه.

ولم نجد أحداً إلى الآن في السابقين واللاحقين منْ قام على خدمة التاريخ بأكثر من النقلِ المجرد والانتقاء وبعض الملاحظات التي قد يوردها المؤرخ بين الحين والأخر إذا صنفَ لغير ما شاهد ولغير عصره، وأمرَ التحقيق للتاريخ يطول ويحتاج وقتاً وهمةً نسأل الله تعالى أن نقوم به، أو يتقلَّل التفكير به إلى العملِ.

وتاريخ القرون الثلاثة الأولى منقولٌ من تاريخ الطبرى غالباً، وعليه العمدةُ عند ابن خلدون وابن الأثير وآخرين من الذين كتبوا في التاريخ. وقد سبق أن أشرنا في تاريخ الطبرى (طبعتنا) ما فيه من أشياء لا تستقيم، فيستحسنُ أن تُنظر هناك.

وأما التعريف بابن خلدون، وهي الترجمة الذاتية، فهي ملحقة بهذا التاريخ، وطبعت مفردةً أيضاً، وهو من القلائل القدماء الذين ترجموا لأنفسهم، ولم تكن ترجمُ غيره كترجمته. وقد قَدَّمَ ابن خلدون في ترجمته كثيراً من الوثائق التاريخية في عصره وبعضاً من رسائل أصدقائه وخطبه ورسائله وأشعاره، ووصفًا للحالة الاجتماعية السائدة في عصره وبعضاً من تراجم أهلِ

ما انتقد عليه في تاريخه، وأثنيَ على سائر ما كتبَ في المقدمة وتاريخ المغرب، بل كانَ مصدراً مُهماً في ذلك.

ثم ارتحل ابن خلدون إلى تونس، فعادَ إلى كتابِه مراجعاً ومتقدحاً ومهذباً بوجود الكتب الضرورية في إتمام كتابه وتوثيق بعض المعلومات التي كتبَ من الذاكرة علىظنّه. وقد استغرق هذا أيضاً منه سنتين أربعة وذلك ما بين (٧٨٠ - ٧٨٤).

هذا الكتاب الحافل نتركه بين يدي القارئ ماتعاً به، مخدوماً مراجعاً مقدماً له مفهراً، من باب تقريب المكتبة التاريخية، متظرين أن نضمّ إليه أمهات كتب التاريخ الأخرى، والله نسألُ أن تكونَ وفقنا في اختيارنا هذا، والحمدُ لله رب العالمين.

أبو صهيب الكرمي



## ترجمة المصنف

ونظمه في أهل مجلسه، وكان رسوله إلى عظيم الفرنج بإشبيلية، فعظمه وأكرمه وحمله وقام بالأمر الذي ندب إليه، ثم نزح إلى تلمسان باستدعاء صاحبها، وأقام بوادي العرب مدة، ثم توجه من بسكرة إلى فاس، فنهب في الطريق، ومات صاحبها قبل قدومه، ومع ذلك فأقام بها قدر ستين، ثم توجه إلى الأندلس، ثم رجع إلى تلمسان فأقام بها أربعة أعوام. ثم ارتحل في رجب سنة (٧٨٠) إلى تونس، فأقام بها من شعبانها إلى أن استأذن في الحجّ، فأذن له، فاجتاز البحر إلى الإسكندرية، ثم قدم الديار المصرية في ذي القعدة سنة (٧٨٤)، فحجّ، ثم عاد إليها وتلقاه أهلها وأكرمه وأكثروا ملازمته والتزدّى إليه، بل تصدر للقراءة بجامع الأزهر مدةً ولازم هو الطبعاً الجويابي، فاعتنى به إلى أن قررَه الظاهر بررقق في تدريس القمحة بمصر، ثم قضاء المالكية بالديار المصرية في جمادى الآخرة سنة (٧٨٦) فتذكر للناس بحيث لم يقم لأحدٍ من القضاة لما دخلوا للسلام عليه، مع اعتذاره لمن عتبه عليه في الجملة، وفتكت في كثيرٍ من أعيان الموقعين والشهدود وصار يُعزّز بالصفع ويسميه الزج، فإذا غضب على إنسان قال: زوجوه، فيُصفع حتى تحرّر رقبه. ويقال: إنَّ أهل المغرب لـما بلغهم ولـايته القضاة تعجبوا ونسبوا المصريين إلى قلة المعرفة، بحيث قال ابن عرفة: كـنا نـعـد خـطـة القـضـاء أـعـظـمـاـ النـاصـبـ فـلـمـاـ وـلـيـهاـ هـذـاـ عـدـدـنـاـهاـ بـالـضـدـ مـنـ ذـلـكـ، وـعـزـلـ ثـمـ أـعـيـدـ وـتـكـرـرـ لـهـ ذـلـكـ حـتـىـ مـاتـ قـاضـيـاـ فـجـأـةـ فـيـ يـوـمـ الـأـرـبـاعـ، لـأـرـبـيعـ بـقـيـنـ مـنـ رـمـضـانـ سـنـةـ (٨٠٨)ـ عـنـ سـتـ وـسـبـعـينـ سـنـةـ، وـدـفـنـ بـقـابرـ الصـوـقـيـةـ خـارـجـ بـابـ النـصـرـ.

- ١ - هو العلامة أبو زيد ولـي الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الرحيم الحضرمي، من ولد وائل بن حجر، الإشبيلي الأصل، التونسي، القاهري المالكي، المعروف بابن خلدون.
- ٢ - ولـدـ فيـ أـولـ رـمـضـانـ سـنـةـ ثـلـاثـينـ وـثـلـاثـينـ وـسـبـعـ مـئـةـ بتـونـسـ.

٣ - حفظ القرآن، والشاطبيتين، وختصر ابن الحاج الفرعسي، والتسهيل في النحو، والعلقات، وحسنة الأعلم، وشعر حبيب بن أوس، وقطعة من شعر النبي، وسقط الزند للمعري، وغيرها. وقرأ الكتب الكثيرة على مشايخ عصره، وقرأ القراءات السبع، وسمع الحديث وتفقهه، واعتنى بالأدب وأمور الكتابة والخط، وأخذ ذلك عن أبيه وغيره كأبي سعيد البراذعي، والوادياشي، وأبى البركات البليقيني، والحسائري، وابن بحر، وابن الشواص الزواوي، وابن القصار، والعلاء الإشبيلي، وعبد المهيمن الحضرمي، ومحمد بن إبراهيم الآبلي...

- ٤ - تعلق ابن خلدون بالخدم السلطانية، وولي كتابة العلامة عن صاحب تونس. ثم توجه في سنة (٧٥٣) إلى فاس، فوقع بين يدي سلطانها أبي عنان، ثم امتحن واعتقل نحو عامين، ثم ولي كتابة السر لـأـبـيـ سـالـمـ أـخـيـ أـبـيـ عـنـانـ، وـكـذـاـ النـظـرـ فـيـ الـمـظـالـمـ، ثـمـ دـخـلـ الـأـنـدـلـسـ، فـقـدـمـ غـرـنـاطـةـ فـيـ أـوـلـ رـبـيعـ الـأـوـلـ سـنـةـ (٧٦٤)، وتـلـقـاهـ سـلـطـانـهـ أـبـنـ الـأـحـمـرـ عـنـ قـدوـمـهـ،

١١- وسُئلَ عنه الركراكي فقال: عَرِيَ عن العلوم الشرعية، له معرفة بالعلوم العقلية من غير تقدم فيها، ولكن مخاضرته إِلَيْها المتهى، وهي أَمْتَنُ من مخاضرة الشمس الغماري.

١٢- وتكلَّمَ فيه آخرون وغضوا منه، كابن حجر، وأبي الحسن الهيثمي، ومدحه وأطرب عليه كثيراً المقرizi وغُرُّه.

١٣- وله من المؤلفات غير الإنشاءات التثريبة والشعرية التي هي كالسحر: *التاريخ العظيم المترجم* بالعبر في تاريخ الملوك والأمم والبرير. حوت مقدمته جميع العلوم، وجلت عن مَحَاجِّها السنة الفصحاء، فلا ترُوح ولا تَحُومُ.

١٤- انظر ترجمته في:

التعريف (ترجمة المؤلف لنفسه)، الضوء الامع للسحاوي ٤/١٤٩-١٤٥، وجيز الكلام للسحاوي ١/٣٨٥، إِبْنَ الْفَمِ ٥/٣٢٧-٣٢٢، البدر الطالع للشوكتاني ١/٣٣٧-٣٣٩.

٥- لازمَه كثيرون في بعض عزلاَتِه فحسَنَ حُلُّه معهم وباسطهم وما زَحَّهم، وترَدَّد هو للأكابر، وتواضعَ معهم، ومع ذلك لم يُغَيِّرْ زَيْه المغربي، ولم يلبِسْ زَيْه قضاة هذه البلاد، قيل: لمحبته المخالفَة في كُلِّ شيءٍ.

٦- واستكثَرَ في بعض مَرَأَتِه من النواب والعقاد والشهود عكس ما كانَ منه في أول ولاياته، وكان ذلك أحدَ ما شنَعَ عليه به.

٧- وطلَّبَ بعد انفصاله في المحرم سنة (٨٠٣) إلى الحاج الكبير، فأقامَه للخصوم وأساءَ عليه القول، وادعوا عليه بأمورٍ كثيرة، أكثرها لا حقيقةَ له، وحصلَ عليه من الإهانة مالاً مزيداً عليه.

٨- ويُذَكَّرُ أَنَّه في بعض ولاياته تبَسَّطَ بالسكن على البحرِ، وأكثر من سماع المطربات ومعاشرة الأحداث، وتزوجَ امرأةً لها أخُوْرَدَ يُنَسِّبُ للتخلصي، فكثُرت الشناعةُ عليه. قال: وكان مع ذلك أكثرَ من الازدراء بالناس.

٩- قال البشيشي: كانَ فصيحاً مفوهاً، جليل الصورة حسن العشرة إذا كان معزولاً فائضاً إذا ولَّى فلا يُعاشرُ، بل ينبغي أن لا يُرى.

١٠- وقال ابنُ الخطيب: رجلٌ فاضلٌ جمُ الفضائل، رفيعُ القدر، أصيلُ المحد، وقوَّ المجلس، عالي الملة، قويُّ الجأش، متقدمٌ في فنون عقلية ونقلية متعدد المزايا، شديد البحث، كثير الحفظ، صحيحُ التصور، بارع الخط، حسن المعاشرة، مفخرٌ من مفاخر العرب.



## فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والإلماع لما يعرض للمؤرخين من المغالط والأوهام وذكر شيء من أسبابها

ولقد كان ملك الفرس ودولتهم أعظم من ملك بني إسرائيل بكثير يشهد لذلك ما كان من غالب مختصر لهم والهامه بلاهم واستيلاه على أمرهم وتخربيت بيت المقدس قاعدة ملتهم وسلطانهم وهو من بعض عمال مملكة فارس. يقال: إنه كان مربزيان المغرب من نخومها. وكانت ممالكهم بالعراقين وخراسان وما وراء النهر والأبوب أوسع من مملك بني إسرائيل بكثير. ومع ذلك لم تبلغ جيوش الفرس قط مثل هذا العدد ولا قريباً منه. وأعظم ما كانت جويعهم بالقادسية مائة وعشرين ألفاً كلهم متبع على ما نقله سيف، قال: وكانوا في أتباعهم أكثر من مائتي ألف. وعن عائشة والزهرى: أن جور رستم التي زحف بها لسعد بالقادسية إنما كانوا ستين ألفاً كلهم متبع.

وأيضاً فلو بلغ بنو إسرائيل مثل هذا العدد لاتسع نطاق ملتهم وانفسح مدى دولتهم، فإن العمارات والممالك في الدول على نسبة الخامسة والقبيل القائمين بها في قلتها وكثتها حسبما نبين في فصل المالك من الكتاب الأول. والقرم لم تسع ممالكهم إلى غير الأردن وفلسطين من الشام وبلاط يترقب وخbir من الحجاز على ما هو المعروف.

وأيضاً فالذى بين موسى وإسرائيل إنما هو في أربعة آباء على ما ذكره المحققون فإنه موسى بن عمران بن يصهر بن قاهت - بفتح الهاء وكسرها - ابن لاوي - بكسر الواو وفتحها - ابن يعقوب وهو إسرائيل الله هكذا نسبه في التوراة.

والملدة بينهما على ما نقله المسعودي قال: دخل إسرائيل مصر مع ولده الأسباط وأولادهم حين أتوا إلى يوسف سبعين نفساً، وكان مقامهم بمصر إلى أن خرجوا مع موسى عليه السلام إلى آبائهم مائتين وعشرين سنة تداولهم ملوك القبط من الفراعنة. ويبعد أن يشعب النسل في أربعة آباء إلى مثل هذا العدد. وإن زعموا أن عدد تلك الجيوش إنما كان في زمن سليمان ومن بعده فبعيد أيضاً إذ ليس بين سليمان وإسرائيل إلا أحد عشر آباً.

فإنه سليمان بن داود بن إيشا بن عوفيد (ويقال ابن عوفد) بن باعزع (ويقال بوعز) بن سلمون بن خوشون بن عميتوذب (ويقال حيناذب) بن رم بن حصرتون (ويقال حسرون) بن بارس (ويقال بيرس) بن يهودا بن يعقوب.

ولا يشعب النسل في أحد عشر من الولد إلى مثل هذا العدد الذي زعموه اللهيم إلى المئتين والألاف فربما يكون، وأما إن يتتجاوز إلى ما بعدهما من عقود الأعداد بعيد. واعتبر ذلك في الحاضر المشاهد والقريب المعروف تجد زعمهم باطلأ ونقولهم

اعلم أن فن التاريخ فن عزيز المنصب، جم الفوائد شريف الغاية، إذ هو يوقتنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم. والأنباء في سيرهم. والملوك في دولهم وسياستهم. حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لن يرومته في أحوال الدين والدنيا. فهو يحتاج إلى مأخذ متعددة و المعارف متوعة وحسن نظر وثبت يفضي إلى بصاحبها إلى الحق وينكبان به عن المزارات والمغالط؛ لأن الأخبار إذا اعتمدت فيها على مجرد النقل ولم تحكم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الإنساني ولا قيس الغائب منها بالشاهد والحاضر بالذاهب، فربما لم يؤمن فيها من العثور ومزلة القدم والخديع عن جادة الصدق.

وكتيراً ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل من المغالط في الحكايات والواقع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غافلاً أو سبباً ولم يعرضوها على أصولها ولا قاسوها بأصولها ولا سبروها بعيار الحكم والرقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر وال بصيرة في الأخبار. فضلوا عن الحق وقاهموا في يباء الوهم والنلط ولا سبباً في إحصاء الأعداد من الأموال والعساكر إذا عرضت في الحكايات إذ هي مظلة الكذب ومحبة الهدى ولا بد من ردتها إلى الأصول وعرضها على القراء.

وهذا كما نقل المسعودي وكثير من المؤرخين في جيوش بني إسرائيل وأن موسى عليه السلام أحصاهم في آبائهم بعد أن أجاز من يطبق حل السلاح خاصة من ابن عشرين فما فوقها فكانوا ستمائة ألف أو يزيدون.

وينهل في ذلك عن تقدير مصر والشام واتساعهما لمثل هذا العدد من الجيوش لكل مملكة من المالك حصة من الخامسة تسع لها وترقى برواظائفها وتضيق بما فوقها تشهد بذلك العوائد المعروفة والأحوال المألوفة.

ثم إن مثل هذه الجيوش البالغة إلى مثل هذا العدد يبعد أن يقع بينها زحف أو قتال لضيق ساحة الأرض عنها ويعدها إذا اصطدمت عن مدى البصر مرتين أو ثلاثاً أو أزيد، فكيف يقتتل هذان الفريقان أو تكون غلبة أحد الصفين وشيء من جوانبه لا يشعر بالجانب الآخر. والحاضر يشهد لذلك، فالماضي أشبه بالآتي من الماء بالماء.

كاذباً.

يقولون في **تُبُغ الآخر** وهو أسعد أبو كرب وكان على عهد يستاسيف من ملوك الفرس الكيانية أنه ملك الموصل وأذربيجان ولقي الترك فهزهم وأثخن، ثم غزاهم ثانية وثالثة كذلك، وأنه بعد ذلك أغزى ثلاثة من بنيه بلاد فارس وإلى بلاد الصعد من بلاد أمم الترك وراء النهر وإلى بلاد الروم، فملك الأول البلاد إلى سمرقند وقطع المقابلة إلى الصين فوجد أخيه الشاني الذي غزا إلى سمرقند قد سبنته إليها فانخنا في بلاد الصين ورجعا جميعاً بالغنم وتركوا بلاد الصين قبائل من حمير فهم بها إلى هذا العهد وبلغ الثالث إلى قسطنطينية فدرسها ودوّن بلاد الروم ورجع.

وهذه الأخبار كلها بعيدة عن الصحة عريقة في الوهم والغلط وأشبه بأحاديث القصص الموضوعة. وذلك أن ملك التباعة إنما كان يجزيرة العرب وقرارهم وكرسيهم بصنعاء اليمن. وجزيرة العرب يحيط بها البحر من ثلاث جهاتها: فبحر الهند من الجنوب وبحر فارس الماءابط منه إلى البصرة من الشرق وبحر السويس الماءابط منه إلى السويس من أعمال مصر من جهة المغرب كما تراه في مصور الجغرافيا. فلا يجد السالكون من اليمن إلى المغرب طريقاً من غير السويس. والسلوك هناك ما بين بحر السويس والبحر الشامي قدر مرحلتين فما دونهما. ويعبد أن حمير بهذا السلك ملك عظيم في عساكر موفورة من غير أن تصير من أعماله؛ هذا تمعن في العادة. وقد كان بذلك الأعمال العمالقة وكانت بالشام والقطب بمصر ثم ملك العمالقة مصر، وملك بنو إسرائيل الشام، ولم ينقل قط أن التباعة حاربوا أحداً من هؤلاء الأمم ولا ملوكاً شيئاً من تلك الأعمال.

وأيضاً فالشقة من البحر إلى المغرب بعيدة والأزودة والعلوفة للعساكر كبيرة، فإذا ساروا في غير أعمالهم احتاجوا اتهاب الزرع والنعم واتهاب البلاد فيما يرون عليه ولا يكفي ذلك للأزودة وللعلوفة عادة، وإن نقلوا كفاليتهم من ذلك من أعمالهم فلا تفني لهم الرواحل بتقله فلا بد وأن يمرروا طريقهم كلها ب أعمال قد ملوكوها ودوّنوها لتكون الميرة منها. وإن قلنا إن تلك العساكر غير بهؤلاء الأمم من غير أن تهيجهم فتحصل لهم الميرة بالمسئلةة ذلك أبعد وأشد انتفاعاً فدل على أن هذه الأخبار واهية أو موضوعة.

وأما وادي الرمل الذي يعجز السالك فلم يسمع قط في ذكره في المغرب على كثرة سالكه ومن يقص طرقه من الركاب والقرى في كل عصر وكل جهة وهو على ما ذكروه من الغرابة توفر الدواعي على تقله.

وأما غزوهم بلاد الشرق وأرض الترك وإن كان طريقه

والذي ثبت في الإسرائييليات أن جنود سليمان كانت اثنى عشر ألفاً خاصة وأن مقرراته كانت الفاً واربعمائة فرس مرتبطة على أبوابه. هنا هو الصحيح من أخبارهم ولا ينفت إلى خرافات العامة منهم. وفي أيام سليمان عليه السلام وملكه كان عضوان دولتهم واسع ملوكهم.

هذا وقد نجد الكافة من أهل مصر إذا أضافوا في الحديث عن عساكر الدول التي لعدهم أو قرباً منه وتفاوضوا في الأسباب عن جيوش المسلمين أو النصارى أو أخذوا في إحصاء أموال الجبابات وخروج السلطان ونقاقات المترفين وبصائر الأغنياء الموسرين توغلوا في العدد وتجاوزوا حدود العوائد وطأعوا وساوس الإغراط.

فإذا استكشفت أصحاب الدواوين عن عساكرهم واستبطنت أحوال أهل الثروة في بضمائهم وفوائدهم واستجليت عوائد المترفين في ثقاتهم لم تجد معشار ما يدعونه. وما ذلك إلا لولع النفس بالغرائب وسهولة التجاوز على اللسان والغفلة على المتعقب والمتقد حتى لا يحاسب نفسه على خططاً ولا عمداً ولا يطالها في الخبر بتوسط ولا عدالة ولا يرجعها إلى بحث وتفتيش، فيرسل عنانه وسيم في مراتع الكذب لسانه ويتخذ آيات الله هزواً ويشتري له الحديث ليضل عن سبيل الله وحسبك بها صفة خاسرة.

ومن الأخبار الواهية للمؤرخين ما ينقلونه كافة في أخبار التباعة ملوك اليمن وجزيرة العرب أنهم كانوا يغزون من قراهم باليمن إلى إفريقيا والبربر من بلاد المغرب، وأن أفريقش بن قيس بن صيفي من أعيانهم ملوكهم الأول وكان لعهد موسى عليه السلام أو قبله بقليل. غزا إفريقيا وأثخن في البربر وأنه الذي سماهم بهذا الاسم حين سمع رطانتهم وقال: ما هذه البربرة، فأخذ هذا الاسم عنه ودعوا به من حيثش، وأنه لما انصرف من المغرب حجز هنالك قبائل من حمير فأتاهموها واحتلteroها بأهلها ومنهم صنهاجة وكتامة ومن هذا ذهب الطيري والجرجاني والمسعدي وابن الكلبي واليلبي إلى أن صنهاجة وكتامة من حمير وتباه نسابة البربر وهو الصحيح.

وذكر المسعودي أيضاً أن ذا الإذعار من ملوكهم قبل أفريقش وكان على عهد سليمان عليه السلام غزا المغرب ودوّنه وكذلك ذكر مثله عن ياسر ابنه من بعده، وإنه بلغ وادي الرمل في بلاد المغرب ولم يجد فيه مسلكاً لكثرة الرمل فرجع. وكذلك

وهذه المدينة لم يسمع لها خبر من يومئذ في شيء من يقان الأرض.

وصحارى عدن التي زعموا أنها بنيت فيها هي في وسط اليمن ومازال عمرانها متعاقباً والأدلة تقص طرقها من كل وجه ولم يقل عن هذه المدينة خبر ولا ذكرها أحد من الإخباريين ولا من الأئم. ولو قالوا: إنها درست فيما درس من الآثار لكان أشبه. إلا أن ظاهر كلامهم أنها مرجوحة. وبعضهم يقول: إنها دمشق بناء على أن قوم عاد ملوكها. وقد يتهمي المذهبان ببعضهم إلى أنها غابة وإنما يعثر عليها أهل الرياضة والসحر. مزاعم كلها أشبه بالخرافات.

والذي حل المفسرين على ذلك ما اقتضته صناعة الإعراب في لفظة «ذات العمام» أنها صفة إرم وحملوا «العماد» على الأساطين فتعين أن يكون بناء. ورشع لهم ذلك قراءة ابن الزبير (عاد إرم) على الإضافة من غير تنوين. ثم وقفوا على تلك الحكايات التي هي أشبه بالأقصاص الموضوعة والتي هي أقرب إلى الكذب المقول في عداد المضحكات. وإلا فـ«العماد» هي عmad الأخيبة بل الخيام. وإن أريد بها الأساطين فلا بد في وصفهم بأنهم أهل بناء وأساطين على العموم بما اشتهر من قوتهم لا أنه بناء خاص في مدينة معينة أو غيرها. وإن أضيفت كما في قراءة ابن الزبير فعلى إضافة الفصيلة إلى القبيلة كما تقول قريش كنانة، وبالإسن مضر وربيعة نزار. وأي ضرورة إلى هذا الحمل البعيد الذي تحملت لترجميه لأمثال هذه الحكايات الواهية التي ينجز كتاب الله عن مثلها بعدها عن الصحة.

ومن الحكايات المدخلة للمؤرخين ما يقللونه كافة في سبب نكبة الرشيد للبرامكة من قصة العباس أخته مع جعفر بن يحيى بن خالد مولاه وأنه لكتفه بــمــكــانــهــاــ من معاورته إياباً المحر آذن طما في عقد النكاح دون الخلوة حرضاً على اجتماعهما في مجلسه وأن العباس تحيل عليه في التماس الخلوة به لما شغفها من حبه حتى واقعها زعموا في حالة سكر فحملت ووسيء بذلك للرشيد فاستغضب.

وهيات ذلك من منصب العباسة في دينها وأبويتها وجلالها وأنها بنت عبد الله بن عباس ليس بينها وبينه إلا أربعة رجال هم أشراف الدين وعظماء الملة من بعده. والعباسة بنت محمد المهدى بن عبد الله أبي جعفر المنصور بن محمد السجاد بن علي أبي الحلفاء ابن عبد الله ترجمان القرآن ابن العباس عم النبي صلوات الله عليه وسلم، أبنة خليفة أخت خليفة، محفوظة بالملك العزيز والخلافة النبوية وصحبة الرسول وعمومته وإمامة الملة، ونور الروحى ومهبط الملائكة من

أوسع من ممالك السُّوَيْس إلا أن الشقة هنا أبعد وأمم فارس والروم معتبرون فيها دون الترك. ولم ينقل فقط أن البابعة ملكوا بلاد فارس ولا بلاد الروم وإنما كانوا يماربون أهل فارس على حدود بلاد العراق وما بين البحرين والخيرة والجزيرة بين دجلة والفرات وما بينهما في الأعمال وقد وقع ذلك بين ذي الإذعان منهم وكيكاووس من ملوك الكيانية وبين تبع الأصغر أبي كرب ويستأسف منهم أيضاً ومع ملوك الطوائف بعد الترك والثُّبُت من بعدهم بمجاوزة أرض فارس بالغزو إلى بلاد الترك والثُّبُت وهو متمنع عادة من أجل الأمم المعروضة منهم وال الحاجة إلى الأزوردة والعلوفات مع بعد الشقة كما هو. فالأخبار بذلك واهية مدحولة.

وهي لو كانت صحيحة التقل لكان ذلك قادحاً فيها تكيف وهي لم تقل من وجهه صحيح. وتقول ابن إسحاق في خبر يشرب والأوس والخزرج: إن تَبَعَا الآخر - سار إلى الشرق عموماً على العراق وبلاد فارس. وأما بلاد الترك والتبت فلا يصح غزوهم إليها بوجه لما تقرر. فلا تتفق بما يلقى إليك من ذلك وتأمل الأخبار واعرضها على القراءين الصحيحة يقع لك تمحيصها بأحسن وجه. والله الهادي إلى الصواب.

وأبعد من ذلك وأعترف في الوهم ما يتناقله المفسرون في تفسير سورة وَالْفَجْرِ في قوله تعالى: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ قَاتَلَ رَبُّكَ بِعَادَ إِرَمَ ذَاتَ الْعِمَادِ فيجعلون لفظة إرم اسمًا لمدينة وصفت بأنها ذات عmad أي أساطين. ويتلئم أنه كان لعاد بن عوص بن إرم ابناً هما شديد وشداد ملكاً من بعده وهلك شديد فخلص الملك لشداد ودانت له ملوكهم وسمع وصف الجنة فقال لأنبياء مثلها فبني مدينة إرم في صحاري عدن في مدة ثلاثة سنة وكان عمره تسعمائة سنة، وأنها مدينة عظيمة تصورها من الذهب وأساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها أصناف الشجر والأهار المطرودة. ولما تناولها سار إليها بأهل مملكته حتى إذا كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا كلهم.

ذكر ذلك الطبرى والشاعى والزنخشري وغيرهم من المفسرين وينقلون عن عبد الله بن قلابة من الصحابة أنه خرج في طلب إيله فوقع عليها وحمل منها ما قدر عليه وبلغ خبره إلى معاوية فأحضره وقص عليه فبحث عن كعب الأحجار وسأله عن ذلك فقال هي: وَلَرَمَ ذَاتَ الْعِمَادِ وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك أحمر أشرف قصير على حاجبه خال وعلى عنقه خال يخرج في طلب إيله، ثم التفت فأبصر ابن قلابة فقال: هذا والله ذلك الرجل.

عند مخدومهم نراشى الغيرة والاستكاف من الحجر والألفة  
وكامن الحقدود التي يعتها منهم صفات الدالة.

وانتهى بها الإصرار على شأنهم إلى كبار المخالفه كقصتهم  
في بخي بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب  
أخي محمد المهدي الملقب بالنفس الزكية الخارج على المنصور.  
ويحيى هذا هو الذي استنزله الفضل بن يحيى من بلاد الدليم على  
أمان الرشيد بخطه وينزل لهم فيه الف ألف درهم على ما ذكره  
الطبرى ودفعه الرشيد إلى جعفر وجعل اعتقاله بداره وإلى نظره.  
فحبسه مدة ثم حلته الدالة على تخلية سبيله والاستبداد بحمل عقاله  
حرماً للماء أهل البيت يزعمه ودالة على السلطان في حكمه.  
وسائل الرشيد عنه لما وشي به إليه فقطن وقال: أطلقته فأبدي له  
وجه الاستحسان وأسرها في نفسه. فاوجده السبيل بذلك على  
نفسه وقمه حتى ثل عرشه وألقيت عليهم سماوهن وخسفت  
الأرض بهم وبدارهم وذهب سلفاً ومثلاً للآخرين أيامهم. ومن  
تأمل أخبارهم واستقصى سير الدولة وسيرهم وجده ذلك محقق  
الأثر محمد الأسياس.

وانظر ما نقله ابن عبد ربه في مقاوضة الرشيد عمن جده داود بن علي في شأن نكتبهم وما ذكره في باب الشعراء من كتاب «العقد» في محاورة الأصمعي للرشيد وللفضل بن مجبي في سرورهم تفهم أنه إنما قتلتهم الغيرة والمنافسة في الاستبداد من الخليفة فمن دونه. وكذلك ما تخل به أعداؤهم من البطانة فيما دسوه للمغرين من الشعر احتيالاً على إسماعه للخلفية وتحريك حفاظه لهم وهو قوله:

لبيت هندا أغيزنا ماتعد وشفت أنفسنا مانجد  
واسبتئت مرة واحدة إنما العاجز من لا يسبد

وإن الرشيد لما سمعها قال: (أي والله إنني عاجز) حتى يغثوا بأمثال هذه كامن غيرته وسلطوا عليهم بأس انقاشه نعوذ بالله من غلة الرجال وسوء الحال.

وأما ما ت quoه به الحكاية من معاقرة الرشيد الخمر واقتراض سكره يسكن التدمان ففحاش، الله ع ما علمنا عليه من سوء ع.

وأين هذا من حال الرشيد وقيامه بما يجب لمنصب الخلافة  
من الدين والعدالة وما كان عليه من صحبة العلماء والأولياء  
ومعاوراته للفضل بن عياض وأبن السُّمَّاَكِ والعمري ومكتبه  
سفیان الثوری وبکائه من مواعظهم ودعائهما بکة في طرفة وما كان  
عليه من العبادة والمحافظة على أوقات الصلوات وشهود الصبح  
الأول وقها.

سائر جهاتها، قرية عهد ببداوة العربية وسذاجة الدين البعيدة عن عوائد الترف ومراتع الفواحش. فلَمَنْ يطلب الصون والعنفاف إذا ذهب عنها؟ أو أين ترجد الدهارة والزركاء إذا فقد من بيته؟ أو كيف تلحم نفسها بمعنف بن يحيى وتدنس شرفها العربي بمولى من موالي العجم بملكة جده من الفرس أو بولاء جدها من عمومة الرسول وأشراف قريش! وغايتها أن جنت دولتهم بضمه وبضع أبيه واستخلصتهم ورقهم إلى منازل الأشراف! وكيف يسرع من الرشيد أن يصهر إلى موالي الأعاجم على بعد همته وعظم آبائه؟ ولو نظر المتأمل في ذلك نظر المنصف وقاد العباسة يابنة ملك من عظامة ملوك زمانه لاستنكشف لها عن مثله مع مولى من موالي دولتها وفي سلطان قومها واستنكره ولج في تكذيبه وأين قدر العباسة والرشيد من الناس.

ولما نكب البرامكة ما كان من استبدادهم على الدولة  
واحتجافهم أموال الجباية حتى كان الرشيد يطلب اليسر من المال  
فلا يصل إليه فغلبوه على أمره وشاركوه في سلطانه ولم يكن له  
معهم تصرف في أمور ملكه. فعظمت آثارهم وبعد صيفهم  
وعمروا مراتب الدولة وخططوها بالرؤساء من ولدهم وصنانعهم  
واحذاروها عن سواهم من وزارة وكابة وقيادة وجحابة وسيف  
وقلم.

ويقال: إنه كان بدار الرشيد من ولد يحيى بن خالد خسه  
وعشرون رئيساً من بين صاحب سيف وصاحب قلم زاحموا فيها  
أهل الدولة بالناكب ودفعوهم عنها بالراح لكان أليهم يحيى من  
كفالة هارون ولـي عهد وخليفة حتى شب في حجره ودرج من  
عشه وغلب على أمره وكان يدعوه يا أبا. فترجمه الإيشار من  
السلطان إليهم وعظت الدالة منهم وابسط الجاه عندهم  
وانصرفت خورهم الوجوه وخضعت لهم الرقاب وقصرت عليهم  
الأمال وتحطت إليهم من أقصى التخوم هدايا الملوك وتحف  
الأمراء وسیرت إلى خزانتهم في سبيل التزلف والاستئتمال أموال  
الجبایة، وأفاضوا في رجال الشیعة وعظماء القرابة العطاء  
وطقوهم المنن وكسبوا من بيوتات الأشراف المعدم، وفكوا العاني  
ومدحروا بما يمدح به خليفتهم وأسروا لعفاظهم الجواز والصلات  
واستولوا على القرى والضياع من الضواحي والأمصار في سائر  
الممالك، حتى أسفروا البطلة وأحددوا الخاصة وأغضبو أهل  
الولاية فكشفت لهم وجوه المنافسة والحسد ودبـت إلى مهادهم  
الوثير من الدولة عقارب السعاية، حتى لقد كان بنو تحطبة آخرالـ  
جعفر من أعظم الساعين عليهم لم تعفهم لما وقر في نفوسهم من  
الحسد عواطف الرحمـ ولا وزعنـهم أوـاصر القرابة. وقارن ذلك

وأماع وتفتت ووجد الآخرين قد فسدا وتغيرت رائحتهما. فكانت له في ذلك مذنة.

وتبين من ذلك أن حال الرشيد في اجتناب الخمر كانت معروفة عند بطنه وأهل مائدته، ولقد ثبت عنده أنه عهد بحسب أبي نواس لما بلغه من انهماكه في المعاشرة حتى تاب وأقلع.

وإنما كان الرشيد يشرب نبيذ التمر على مذهب أهل العراق. وفتاويهم فيها معروفة وأما الخمر الصرف فلا سبيل إلى اتهامه بها ولا تقليل الأخبار الواهية فيها. فلم يكن الرجل حيث يواضع حرمًا من أكبر الكبائر عند أهل الملة. ولقد كان أولئك القوم كلهم يمنجاة من ارتکاب السرف والترف في ملابسهم وزفهم وسائر متناولاتهم لما كانوا عليه من خشونة البداءة وسذاجة الدين التي لم يفارقوها بعد. فما ظنك بما يخرج عن الإباحة إلى الظظر وعن الحلبة إلى الحرمة!!

ولقد اتفق المؤرخون الطبرى والمسعودى وغيرهم على أن جميع من سلف من خلقه نبى أمية ونبي العباس إنما كانوا يربكون بالحلبة الخفيفة من الفضة في المناطق والسيوف واللحجم والسرورج وأن أول خليفة أحدث الركوب بخلية الذهب هو المعز بن الم توكل ثانم الخلفاء بعد الرشيد. وهكذا كان حالهم أيضًا في ملابسهم فيما ظننك بمشاربهم؟ وتبين ذلك بات من هذا إذا فهمت طبيعة الدولة في أولها من البداءة والغضاضة كما نشرح في مسائل الكتاب الأول إن شاء الله. والله المحدى إلى الصواب.

ويناسب هذا أو قريب منه ما ينقلونه كافة عن يحيى بن أكثم قاضي المأمون وصحابه وأنه كان يعاصر الخمر وأنه سكر ليلة مع شربه فدفن في الريجان حتى أفاق وينشدون على لسانه: يا سيدى وأمير الناس كلهم قد جاز في حكمه من كان يسكنى لي غلبت عن الساقى فصبرنى كما تراهى سليب العقل والدين

وحال ابن أكثم والمأمون في ذلك من حال الرشيد. وشرابهم إنما كان النبيذ ولم يكن محظوراً عندهم. وأما السكر فليس من شأنهم وصحابته للمأمون إنما كانت خلطة في الدين. ولقد ثبت أنه كان ينام معه في البيت. وتقل من فضائل المأمون وحسن عشرته أنه اتباه ذات ليلة عطشان فقام يتحسس ويتلمس الإناء خفافة أن يوقظ يحيى بن أكثم. وثبت أنهما كانا يصليان الصبح جاعنة. فلابن هذا من المعاشرة؟!

وأيضاً فإن يحيى بن أكثم كان من علية أهل الحديث. وقد أتى عليه الإمام أحمد بن حنبل وإسماعيل القاضي وخرج عنه الترمذى كتابه «الجامع» وذكر المزنى الحافظ أن البخارى روى عنه

حكى الطبرى وغيره أنه كان يصلى في كل يوم مائة ركعة نافلة وكان يغزو عاماً ويحج عاماً. ولقد زجر ابن أبي مريم مضمحة في سمه حين تعرض له بمثل ذلك في الصلاة لما سمعه يقرأ «ومَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي» وقال: والله ما أدرى لم؟ فما تزال الرشيد أن ضحك ثم الثلتة إليه مغضباً وقال: يا ابن أبي مريم في الصلاة أيضاً؟! إياك إياك القرآن والدين ولدك ما شئت بدعهما.

وأيضاً فقد كان من العلم والسذاجة يمكن لقرب عهده من سلفه المتخلين بذلك ولم يكن بينه وبين جده أبي جعفر بعيد زمان إنما خلفه غلاماً. وقد كان أبو جعفر يمكن من العلم والدين قبل الخلافة وبعدها. وهو القائل لمالك حين أشار عليه بتأليف «الموطأ»: (يا أبا عبد الله إنه لم يبق على وجه الأرض أعلم مني ومنك وإنني قد شغلتني الخلافة، فقضى أنت للناس كتاباً يتبعون به، تنبئ فيه رخص ابن عباس وشداد ابن عمر ووطنه للناس توطنة) قال مالك: (فوالله لقد علمتني التصنيف يومئذ). ولقد أدركه ابنه المهدي أبو الرشيد هذا وهو يتворع عن كسوة الجديد لعياله من بيت المال. ودخل عليه يوماً وهو بمجلسه ياشر الخياطين في إرقاء الخلقان من ثياب عياله فاستكشف المهدي من ذلك وقال: يا أمير المؤمنين عليٌّ كسوة العيال عاصناً هذا من عطائي فقال له: لك ذلك ولم يصده عنه ولا سمع بالإنفاق من أموال المسلمين. فكيف يليق بالرشيد على قرب العهد من هذا الخليفة وأبوه وما رُوي عليه من أمثال هذه السير في أهل بيته والخلق بها أن يعاشر الخمر أو يجاهر بها. وقد كانت حالة الأشراف من العرب الجاهلية في اجتناب الخمر معلومة ولم يكن الكرم شجرتهم وكان شربها مذمة عند الكثير منهم، والرشيد وأباوه كانوا على ثيق من اجتناب المذمومات في دينهم ودنياهم والتخلى بالhammad وأوصاف الكمال وزنزعات العرب.

وانظر ما نقله الطبرى والمسعودى في قصة جبريل بن بختيشوع الطيب حين أحضر له السمك في مائدته فحمد الله عنه ثم أمر صاحب المائدة بحمله إلى منزله وفطن الرشيد وراتبه به ودس خادمه حتى يتناوله، فأعاد ابن بختيشوع للاعتذار ثلاث قطع من السمك في ثلاثة أقداح: خلط إحداها باللحام المعالج بالتوابل والبقول والبوارد والحلوى، وصب على الثانية ماءً مثلجاً وعلى الثالثة خرًّا صرفاً. وقال في الأول والثانى: هذا طعام أمير المؤمنين إن خلط السمك بغيره أو لم يخلطه، وقال في الثالث: هذا طعام ابن بختيشوع ودفعها إلى صاحب المائدة حتى إذا اتباه الرشيد وأحضره للتوبيخ، أحضر الثلاثة الأقداح فوجد صاحب الخمر قد اخترط

لكان خيراً لهم لو كانوا يعلمون.  
ولقد عذلت يوماً بعض الأمراء من أبناء الملك في كلفه  
بتعلم الغناء وولوعه بالأوتوار وقلت له: ليس هذا من شأنك ولا  
يليق بمنصبك! فقال لي: أفالاً ترى إلى إبراهيم بن الهادي كيف كان  
إمام هذه الصناعة ورئيس المغنين في زمانه؟ قلت له: يا سبعان  
الله! وهلا تأسست باليه أو باخيه؟ أو ما رأيت كيف قعد ذلك  
بابراهيم عن مناصبهم؟ ففصم عن علي وأعرض والله يهدى من  
يشاء.

ومن الأخبار الواهية ما يذهب إليه الكثير من المؤرخين  
والآباءات في العبيدين خلفاء الشيعة بالقيروان والقاهرة من نفيهم  
عن أهل البيت صلوات الله عليهم والطعن في نسبهم إلى  
إسماعيل الإمام ابن جعفر الصادق. يعتمدون في ذلك على  
أحاديث لفقت للمستضفين من خلفاءبني العباس تزلفاً إليهم  
بالقدح فيما ناصبهم وتنتفأ في الشمات بعدوهم حسبما ذكر  
بعض هذه الأحاديث في أخبارهم ويغفلون عن التفطن لشواهد  
الواقعات وأدلة الأحوال التي انتقضت خلاف ذلك من تكذيب  
دعواهم والرد عليهم. فإنهم متفرقون في حديثهم عن مبدأ دولة  
الشيعة أن آبا عبد الله المحتسب لما دعا بكتامة للرضى من آل محمد  
واشتهر خبره وعلم تخرّجه على عبد الله الهادي وابنه أبي القاسم  
خشياً على أنفسهما فهرباً من المشرق محل الخلافة واجتازا بمصر  
وأنهما خرجا من الإسكندرية في زي التجارة وتمي خبرهما إلى  
عيسي النوري عامل مصر والإسكندرية فسرح في طلبهما الخيالة  
حتى إذا أدركاه خفي حالهما على تابعهما بما لبسوا به من الشارة  
والزي فأفتقلا إلى المغرب. وإن المعتمد أوعز إلى الأغالبة أمراء  
إفريقية بالقيروان وبني مدار أو أمراء سجلماسة بأخذ الأفاق عليهما  
وإذقاء العيون في طلبهما، فمثُر إيسع صاحب سجلماسة من آل  
مدار على خفي مكانهما يبلده واعتقلهما مرضاة للخلفية.

هذا قبل أن تظهر الشيعة على الأغالبة بالقيروان. ثم كان  
بعد ذلك ما كان من ظهور دعوتهم بالمغرب وإفريقية ثم باليمن  
ثم بالإسكندرية ثم بمصر الشام والمحاجز. وقسموا بني العباس  
في ممالك الإسلام شق الإبلمة وكادوا يلجمون عليهم مواطنهم  
ويزايرون من أمرهم. ولقد أظهر دعوتهم ببغداد وعراقها الأمير  
البساسي من موالي الدليم المتغلبين على خلفاءبني العباس في  
مغاضبة جرت بينه وبين أمراء العجم وخطب لهم على مشاربها  
حولاً كاماً. وما زال بنو العباس يغضبون بمكانهم ودولتهم وملوك  
بني أمية وراء البحر ينادون بالولى والحرث منهم. وكيف يقع هنا  
كله لدعى في النسب يكتب في انتقال الأمر. واعتبر حال

في غير «الجامع» فالقدح فيه قدح في جميعهم. فضل علم التاريخ  
وتحقيق مذاهبه والإلماع لما يعرض للمؤرخين

وكذلك ما يتبجه المجان بالليل إلى الغلمان بهتاناً على الله  
وفربة على العلماء ويستدون في ذلك إلى أخبار القصاص الواهية  
التي لعلها من افتداء أعدائه فإنه كان محسوداً في كماله وخلته  
للسلطان وكان مقامه من العلم والدين متزاهاً عن مثل ذلك. ولقد  
ذكر لابن حنبل ما يرميه به الناس فقال: سبحان الله! سبحان الله!  
ومن يقول هذا؟! وأنكر ذلك إنكاراً شديداً. وأثنى عليه إسماعيل  
القاضي فقيل له: ما كان يقال فيه فقال: معاذ الله أن تزول عدالة  
مثله بتکذيب بغ وحاسد. وقال أيضاً: يحيى بن أكم أبراً إلى الله  
من أن يكون فيه شيء مما كان يرمى به من أمر الغلمان، ولقد  
كنت أقف على سراويله فأجاده شديد الخرف من الله لكنه كانت  
فيه دعابة وحسن خلق فرمي به. وذكره ابن جبان في النقائش  
وقال: لا يشتعل بما يمكى عنه لأن أكثرها لا يصح عنه.

ومن أمثل هذه الحكايات ما نقله ابن عبد ربه صاحب  
«العقد» من حديث الزنبيل في سبب إصهار المأمون إلى الحسن بن  
سهل في بنته بوران، وأنه عثر في بعض الليالي في تطاويفه بسكنى  
بغداد في زنبيل مدلل من بعض السطوح بمعالم وجذل مغارة القتل  
من الحرير فاقتده وتناول المعالق فاختزت وذهب صدعاً إلى مجلس  
شأنه كذا. ووصف من زينة فرشه وتضييد أبنائه وجمال رؤيته ما  
يستوقف الطرف ويملك النفس، وأن امرأة برزت له من خلل  
الستور في ذلك المجلس رائفة الجمال فنانة الحسان فجذبته ودعنته إلى  
الم Nadame فلم يزل يعاشرها الخبر حتى الصباح ورجع إلى أصحابه  
بمكانتهم من انتظاره وقد شفعته جبأ بعثه على الإصهار إلى أبيها.  
وأين هذا كله من حال المأمون المعروفة في دينه وعلمه وافتقاره  
سنن الخلفاء الراشدين من آبائه! وأخذه سير الخلفاء الأربع  
أركان الله ومناظرته للعلماء وحفظه لحدود الله تعالى في صلواته  
وأحكامه! فكيف تصح عنه أحوال الفساق المستهترين في التطاويف  
بالليل وطرق المنازل وعشيان السمر سبيل عشق الأعراب! وأين  
ذلك من منصب ابنة الحسن بن سهل وشرفها وما كان بدار أبيها  
من الصون والحفاف.

وأمثال هذه الحكايات كثيرة وفي كتب المؤرخين معروفة،  
إنما يبعث على وضعها والحديث بها الانهماك في اللذات المحرمة  
وهو تلك قناع المخدّرات ويعتللون بالتأسي بالقوم فيما يأتونه من  
طاعة لذاتهم، فلذلك تراهم كثيراً ما يلهجون بأشيه هذه الأخبار  
ويقررون عنها عند تصفحهم لأوراق الدواوين. ولو اتسوا بهم في  
غير هذا من أحواهم وصفات الكمال اللائقة بهم المشهورة عنهم

لقد أسجل القضاة ببغداد بفهمهم عن هذا النسب وشهد بذلك عددهم من أعلام الناس جماعة منهم الشريف الرضي وأخوه المرتضى وابن البطحاوي ومن العلماء أبو حامد الأسفرايني والقدوري والصميري وابن الأكفاني والأبيوردي وأبو عبد الله بن التعمان فقيه الشيعة وغيرهم من أعلام الأمة ببغداد في يوم مشهود وذلك سنة ستين وأربعين في أيام القادر، وكانت شهادتهم في ذلك على السماع لما اشتهر وعرف بين الناس ببغداد غالباً شيعة أبي العباس الطاعون في هذا النسب فنقول الإنجاريون كما سمعوه وروروه حسبيما وعوه والحق من ورائه.

وفي كتاب المتضد في شأن عبيد الله إلى ابن الأغلب بالقيروان وابن مدرار بسلجامة أصدق شاهد وأوضح دليل على صحة نسبهم. فالمتضد أقعد بحسبه بضائع العلوم والصنائع والدولة والسلطان سوق للعلم تجلب إليه بضائع العلوم والصنائع تلتئم فيه ضوال الحكم وتُحدِّي إليه ركائب الروايات والأحاديث وما نفق فيها نفقَ عند الكافرة. فإن تزهدت الدولة عن التعسف والميل والأفن والسففة وسلكت النهج الأثم ولم تجر عن قصد السبيل نفق في سوقها الإبريز المخالف واللجن المضفي وأن ذهبت مع الأغراض والمحقود وما جت بسماسرة البغي والباطل نفق البحرج والزائف. والناقد البصير قسطناس نظره وميزان مجده وملتمسه.

ومثل هذا وأبعد منه كثيراً ما يتاجي به الطاعون في نسب إدريس بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم أجمعين الإمام بعد أبيه بالمغرب الأقصى، ويُعرِّضون تعريض الحسد بالظنب في العمل المخالف عن إدريس الأكبر أنه لراشد مولاهم قبحهم الله وبعدهم ما أجهلهم! أما يعلمون أن إدريس الأكبر كان أصهاره في البرير وأنه منذ دخل المغرب إلى أن توفاه الله عز وجل عريق في البدو وأن حال البايدية في مثل ذلك غير خافية إذ لا مكان من لهم يتأتى فيها الريب وأحوال حرمهم أجمعين بمرأى من جاراتهن وسمع من جرائمهن لتصاقى الجدران وتطامن البنيان وعدم الفواصل بين المساكن! وقد كان راشد يتولى خدمة الحرث أجمع من بعد مولاهم بشهادة من أوليائهم وشيعتهم ومراقبة من كافتهم.

وقد اتفق ببرابة المغرب الأقصى عامنة على بيعة إدريس الأصغر من بعد أبيه وآتوه طاعتهم عن رضاً وإصفاق وبإيعوه على الموت الأحمر وخاضوا دونه بحار المسايا في حرثه وغزوته. ولو حدثوا أنفسهم بعث هذه الربية أو قرعت أسماعهم ولو من عدو كاشف أو منافق مرتاب لتختلف عن ذلك ولو بعضهم. كلا

القرمي إذ كان دعياً في انتسابه كيف تلاشت دعوته وتفرق أتباعه وظهر سرياً على خيالهم ومكرهم فساعمت عاقبهم وذاقوا وبال أمرهم. ولو كان أمر العبيدين كذلك لعرف ولو بعد مهلة: ومهما تكون عند أمرىء من خليقة وإن خالماً تخنى على الناس تعلم فقد اتصلت دولتهم نحواً من مائين وستين سنة وملكون مقام إبراهيم عليه السلام ومصلاه وموطن الرسول ﷺ ومدفعه وموقف الحجيج ومهبط الملائكة ثم انقض أمرهم وشيعتهم في ذلك كله على أتم ما كانوا عليه من الطاعة لهم والحب فيهم واعتقادهم بحسب الإمام إسماعيل بن جعفر الصادق. ولقد خرجوا مراراً بعد ذهاب الدولة ودورس أثرها داعين إلى بدھعهم هاتفين بأسماء صبيان من أعقابهم يزعمون استحقاقهم للخلافة وينذهبون إلى تعينهم بالوصية من سلف قبلهم من الأنمة، ولو ارتابوا في نسبهم لما ركبوا أعناق الأخطار في الاتصال لهم، فصاحب البدعة لا يلبس في أمره ولا يشبه في بدعته ولا يكذب نفسه فيما يتعلمه.

والعجب من القاضي أبي بكر الباقلاني شيخ الناظار من المتكلمين يجتمع إلى هذه المقالة المرجوحة ويرى هذا الرأي الضعيف. فإن كان ذلك لما كانوا عليه من الالحاد في الدين والتعمق في الرافضة، فليس ذلك بداع في صدر دعوته وليس إثباتاً متباهياً بالذي يعني عنهم من الله شيئاً في كفرهم، فقد قال تعالى لنوح عليه السلام في شأن ابنه: «إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلَ غَيْرَ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ» و قال **رسول الله** لفاطمة يعظها: «يا فاطمة، اعملي فلن أغنى عنك من الله شيئاً». وممتي عرف أمرؤ قضية أو استيقن أمراً وجب عليه أن يصدع به والله يقول الحق وهو يهدى السبيل والقوم كانوا في مجال لظهور الدول بهم وتحت رقبة من العطايا لtower شيعتهم وانتشارهم في القاصية بدعورتهم وتكرر خروجهم مرة بعد أخرى فلاذت رجالاتهم بالاختفاء ولم يكادوا يعرفون كما قيل:

فلو تأس الأيام ما أسمى ما درت وأين مكاني ما عرفت مكانها حتى لقد سمي محمد بن إسماعيل جد الإمام عيسى الله المهدي بالمكتوم سنته بذلك شيعتهم لما اتفقوا عليه من إخفائه حذراً من المغلقين عليهم. فتوسل شيعةبني العباس بذلك عند ظهورهم إلى الطعن في نسبهم. وازدلفوا بهذا الرأي الفاسد للمستضعفين من خلفائهم وأعجب به أولياؤهم وأمراء دولتهم المتولون لخروبهم مع الأعداء يدفعون به عن أنفسهم وسلطانهم معزة العجز عن المقاومة والمدافعة من غلوبهم على الشام ومصر واللحاجز من البرير الكتاين شيعة العبيدين وأهل دعوتهم حتى

وأفن عقول من خلف من صبيةبني العباس ومالكيهم العجم في القبول من كل فائل والسمع لكل ناعق. ولم يزل هذا دأبهم حتى انقضى أمر الأغالبة فقرعت هذه الكلمة الشنعاء أسماع الغواء وصر عليها بعض الطاعنين أذنه واعندها ذريعة إلى النيل من خلفهم عند الم næفة. وما لهم قبحهم الله والعدول عن مقاصد الشريعة فلا تعارض فيها بين المقطوع والمظنون وإدريس ولد على فراش أبيه والولد للفراش. على أن تزيره أهل البيت عن مثل هذا من عقائد أهل الإيمان، فالله سبحانه قد أذهب عنهم الرجس وظهرهم تطهيرًا. ففراش إدريس ظاهر من الدنس ومتزه عن الرجال حكم القرآن. ومن اعتقد خلاف هذا فقد به بإئمه وولج الكفر من بابه. وإنما أطببت في هذا الرد سداً لأبواب الريب ودفعاً في صدر الحاسد لما سمعته أذناني من قائله المعتمدي عليهم، القادح في نسيهم بفرجه ويقلله بزعمه عن بعض مؤرخي الغرب من الخرف عن أهل البيت وارتتاب في الإيمان بسلفهم. وإلا فالحمل متزه عن ذلك معصوم منه ونفي العيب حيث يستحبيل العيب عيب. لكنني جادلت عنهم في الحياة الدنيا وأرجو أن يجادلوا عني يوم القيمة. ولتعلم أن أكثر الطاعنين في نسيهم إنما هم الحسنة لأعقاب إدريس هذا من متهم إلى أهل البيت أو دخيل فيهم، فإن ادعاء هذا النسب الكريم دعوى شرف عريض على الأسم والأجيال من أهل الآفاق فتعرض النهاية فيه.

ولما كان نسببني إدريس هو لاءً بمواطفهم من فارس وسائر ديار المغرب قد بلغ من الشهرة والوضوح مبلغًا لا يكاد يلحق ولا يطبع أحد في دركه إذ هو نقل الأمة والجبل من الخلف عن الأمة والجبل من السلف، وبيت جدهم إدريس منتظر فاس ومؤسسها بين بيروتهم ومسجدها لصق محلتهم ودروبهم، وسيقه متضي برأس المثلثة العظمى من قرار بلدتهم، وغير ذلك من آثاره التي جاوزت أنجاراتها حبود التواتر مرات وكادت تلتحق بالعيان، فإذا نظر غيرهم من أهل هذا النسب إلى ما أنماهم الله من أمثالها وما عضد شرفهم النبوى من جلال الملك الذي كان لسلفهم بالمغرب واستيقن أنه يعزل عن ذلك، وأنه لا يليغ مُدّ أحدهم ولا نصيفه، وأن غاية أمر المتنميين إلى البيت الكريم من لم يحصل له أمثال هذه الشهادة أن يسلم لهم حالم؛ لأن الناس مصدقون في أنسابهم وبون ما بين العلم والظن واليقين والتسليم، فإذا علم ذلك من نفسه غص بريقه وود كثير منهم لو بردونهم عن شرفهم ذلك سوقه ووضعاء حسداً من عند أنفسهم، فيرجعون إلى العناد وارتکاب اللجاج والبهت بمثل هذا الطعن الفائل والقول المكذوب تعللاً بالمساواة في الظنة والمشابهة في تطرق الاحتمال وهيبات لهم

والله إنما صدرت هذه الكلمات من بنى العباس أقفالهم ومن بنى الأغلب عمالهم كانوا يافريقيه وولائهم. وذلك أنه لما فر إدريس الأكبر إلى المغرب من وقعة بلخ أوعز الهادي إلى الأغالبة أن يقعدوا له بالمراسد ويدركوا عليه العيون، فلم يظفروا به وخلص إلى المغرب فتم أمره وظهرت دعوه وظهر الرشيد من بعد ذلك على ما كان من واضح مولاهم وعاملهم على الإسكندرية من دسيسة التشيع للعلوية وإدھانه في نجاة إدريس إلى المغرب، فقتلته ودس الشمامخ من موالي المهدى أبيه للتجليل على قتل إدريس فاظهر اللھاق به والبراءة من بنى العباس مواليه. فاشتمل عليه إدريس وخلطه بنفسه وناوله الشمامخ في بعض خلواته سماً استهلكه به. ووقع خبر مهلكه من بنى العباس أحسن الواقع لما رجوره من قطع أسباب الدعاية العلوية بالمغرب واقتلاع جرثومتها. ولما تأدى إليهم خبر الحمل المخلف لإدريس فلم يكن لهم إلا كلام ولا. وإذا بالدعوة قد عادت والشيعة بالمغرب قد ظهرت ودولتهم بإدريس بن إدريس قد تجددت، فكان ذلك عليهم أنكى من وقع السهام، وكان الفشل والهرم قد نزلًا بدولة العرب عن أن يسموا إلى القافية. فلم يكن متىهى قدرة الرشيد على إدريس الأكبر بمكانته من قاصية المغرب واشتتمال البرير عليه إلا التجليل في إهلاكه بالسموم. فعند ذلك فزعوا إلى أوليائهم من الأغالبة بإفريقيه في سد تلك الفرجة من ناجيهم وحسن الداء المتوقع بالدولة من قبلهم واقتلاع تلك العروق قبل أن تشبع منهم يخاطبهم بذلك المأمون ومن بعده من خلفائهم. فكان الأغالبة عن برابرة المغرب الأقصى أعجز ولثلها من الزبون على ملوكيهم أحرج لساطر الخلافة من انتزاع مالك العجم على سدتها وامتلطائهم صهوة التغلب عليها وتصريفهم أحكامها طرع أغراضهم في رجاها وجبارتها، وأهل خططها وسائر تقضها وإبراهيم كما قال شاعرهم:

الخليفة في قفص بين وصيف وبها  
يقول ماقال له كما تقول اليها

فخشى هؤلاء الأمراء الأغالبة بوادر السعابات وتلوا بالمعاذير فطوراً باحتقار المغرب وأهله وطوراً بالإرهاب بشأن إدريس الخارج به ومن قام مقامه من أعقابه يخاطبونه بتتجاوزه حدود التخوم من عمله وينفذون سكته في تحفهم وهدايائهم ومرتفع جباراتهم تعريضاً باستفحاله وتهويلاً باشتداد شوكه وتعظيمها لما دفعوا إليه من مطالبته ومراسمه وتهديداً بقلب الدعاية إن الجئروا إليه وطوراً يطعنون في نسب إدريس بمثل ذلك الطعن الكاذب تخفيضاً ل شأنه لا يبالون بصدقه من كذبه؛ وبعد المسافة

واما إنكارهم نسبة في أهل البت فلا تعصده حجة لهم إن ثبت أنه ادعاه وانتسب إليه فلا دليل يقوم على بطلانه؛ لأنَّ الناس مصدرون في أنسابهم. وإن قالوا: إنَّ الرئاسة لا تكون على قوم في غير أهل جلدهم كما هو الصحيح حسبما يأتي في الفصل الأول من هذا الكتاب، والرجل قد رأس سائر المصامدة ودانوا بابياعه والانتقاد إليه وإلى عصابته من هرفة حتى تمَّ أمر الله في دعورته، فاعلم أنَّ هذا النسب الفاطمي لم يكن أمر المهدى يتوقف عليه ولا أتبَع الناس بسيبه وإنما كان أتبَعهم له بعصبية المفرغية والمصمودية ومكانه منها ورسوخ شجرته فيها. وكان ذلك النسب الفاطمي خفيًا قد درس عند الناس ويفق عنده وعند عشراته يتناقلونه بينهم. فيكون النسب الأول كأنَّه اسلخ منه ولبس جلدة هؤلاء وظهر فيها، فلا يضرُّه الاتساب الأول في عصبيته إذ هو مجاهول عند أهل العصابة. ومثل هذا واقع كثيراً إذ كان النسب الأول خفيأً.

وانتظر قصة عرفة وجرير في رئاسة بحيلة وكيف كان  
عرفة من الأزد ولبس جلدة بحيلة، حتى تنازع مع جرير رئاستهم  
عند عمر رضي الله عنه كما هو مذكور تفهّم منه وجه الحق.  
والله المهيّد للصواب.

وقد كدنا أن نخرج عن غرض الكتاب بالإطباب في هذه المغالط، فقد زلت أقدام كثير من الأثياث والمؤرخين الحفاظ في مثل هذه الأحاديث والآراء وعلقت بأفكارهم وتقللها عنهم الكافية من ضعفة النظر والغفلة عن القياس وتلقوها هم أيضاً كذلك من غير بحث ولا رؤية واندرجت في محفوظاتهم حتى صار فن التاريخ وهويا مختلطًا، ونظيره مرتباً وعده من مناحي العامة.

فإذا يمتحن صاحب هذا الفن إلى العلم بقواعد السياسة وطبيعت الموجودات و اختلاف الأمم والبقاء والأعصار في التأثير والأخلاق والعوائد والنخل والمذاهب وسائل الأحوال، والإهاطة بالحاضر من ذلك ومحاكاة ما بينه وبين الغائب من الرفاق أو بون ما بينهما من الخلاف وتعليل المتفق منها والمختلف، والقيام على أصول الدول والمملل ومبادئ ظهورها وأسباب حدوثها ودعاعي كونها وأحوال القائمين بها وأخبارهم، حتى يكون مستوعباً لأسباب كل حادث، وافقاً على أصول كل خبر. وحيثتدبر عرض خبر المقول على ما عنده من القراءات والأصول، فإن واقتها وجري على مقتضاهما كان صحيحاً وإلا رثئه واستثنى عنه.

وما استكبر القدماء علم التاريخ إلا لذلک، حتى اتھلے الطبیر والبخاری وابن إسحاق من قبلهما وأمثالهم من علماء الأئمۃ، وقد ذهل الكثير عن هذا السرّ فيه حتى صار انتقامه مجھله.

ذلك. فليس في المغرب فيما نعلم من أهل هذا البيت الكريم من يبلغ في صراحة نسبه ووضوحه مبالغ أعقاب إدريس هذا من آل الحسن. وكراؤهم لهذا العهد بنو عمران يفاس من ولد يحيى الحوطبي بن محمد يحيى العوام بن القاسم بن إدريس بن إدريس وهو نقابة أهل البيت هناك والساكنون بيت جدهم إدريس وهم السيادة على أهل المغرب كافة حسبما نذكرهم عند ذكر الأدarsة إن شاء الله تعالى.

ويتحقق بهذه المقالات الفاسدة والمذاهب الفائلة ما يتناوله ضعفة الرأي من فقهاء المغرب من القدح في الإمام المهدى صاحب دولة الموحدين ونسبته إلى الشعوذة والتلبيس فيما أثاره من القيام بالترحيد الحق والنعي على أهل البغي قبله، وتكتلهم جميع مدعياته في ذلك حتى فيما يزعم الموحدون أتباعه من انتسابه في أهل البيت. وإنما حل النكبة على تكتليه ما كمن في نفوسهم من حسده على شأنه. فإنهم لا رأوا من أنفسهم مناهضته في العلم والفتيا وفي الدين بزعمهم ثم امتاز عنهم بأنه متبع الرأي مسموع القول موظف العقب نفروا ذلك عليه وغضوا منه بالقدح في مذاهبها والتکذیب لمدعياته. وأيضاً فكانوا يؤنسون من ملوك لتوئنة أعدائه تجلّه وكراهة لم تكن لهم من غيرهم لا كانوا عليه من السذاجة وانتحال الديانة. فكان حملة العلم بدولتهم مكان من الرجاحة والاتصاف للشوري كل في بلده وعلى قدره في قومه. فأصبحوا بذلك شيبة لهم وحريراً لدعوه وقموا على المهدى ما جاء به من خلافهم والتشريب عليهم والمناصبة لهم، تشيعاً لمertonia وتعصباً لدولتهم. ومكان الرجل غير مكانهم وحاله على غير معتقداتهم. وما ظلت برج نقم على أهل الدولة ما نقم من أحواهم وخالفت اجتهاده فقهاؤهم فنادي في قومه ودعوا إلى جهادهم بنفسه فاقتلع الدولة من أصولها وجعل عاليها ساقلها أعظم ما كانت قوة وأشد شوكة وأعزّ أنصاراً وحامية، وتساقطت في ذلك من أتباعه نفوس لا يحيص بها إلا خالقها، وقد بايعوه على الموت ووقوه بأنفسهم من الملكة وتقربوا إلى الله تعالى بخلاف مهجهم في إظهار تلك الدعوة والتعصب لتلك الكلمة حتى علت على الكلم ودالت بالعدوين من الدول وهو حاللة من التكثيف والحصر والصبر على المكاره والقليل من الدنيا حتى قبضه الله، وليس على شيء من الخطأ وال蔓اع في دنياه، حتى الولد الذي ربها تجبح إليه النفوس وتخادع عن ثنيه. فليت شعرى ما الذي قصد بذلك إن لم يكن وجه الله وهو لم يحصل له حظ من الدنيا في عاجله. ومع هذا فلو كان قصده غير صالح لما تم أمره وافقه دعوته. سنة الله التي قد خلت في عباده.

حتى يتهمي إلى المباهنة بالجملة. فما دامت الأمم والأجيال تتسبّب في الملك والسلطان لا تزال المخالفة في العوائد والأحوال واقعة. والقياس والمحاكاة للإنسان طبيعة معروفة ومن الغلط غير مأمونة تفرّج مع النهو والغفلة عن قصده وتعرج به عن مرامه فربما يسمع الساعي كثيراً من أنجار الماضين ولا يتقطّن لما وقع من تغيير الأحوال وانقلابها فيجرّها لأول وهلة على ما عرف ويقيسها بما شهد، وقد يكون الفرق بينهما كثيراً فيقع في مهوة من الغلط.

فمن هذا الباب ما ينقله المؤرخون من أحوال الحجاج وأن آباء كان من المعلمين مع أن التعليم لهذا العهد من جملة الصنائع المعاشرية البعيدة من اعتزاز أهل العصبية، والمعلم مستضعف مسكن منقطع الجنون. فيتشوّف الكثير من المستضعفين أهل الحرف والصناعات المعاشرية إلى نيل الرُّتب التي ليسوا لها بأهل ويعدّونها من المكانتين لهم، فتذهب بهم وساوس المطامع وربما انقطع حبلها من أيديهم فسقطوا في مهوة الملكة والتلف ولا يعلمون استحالتها في حقّهم، وأنهم أهل حرف وصنائع للمعاش وأن التعليم صدر الإسلام والدولتين لم يكن كذلك ولم يكن العلم بالجملة صناعة، إنما كان نقلًا لما سمع من الشارع وتعلّمًا لما جهل من الدين على جهة البلاغ، فكان أهل الأنساب والعصبية الذين قاموا بالملة هم الذين يعلمون كتاب الله وسنة نبيه ﷺ على معنى التبليغ الشبّري لا على وجه التعليم الصناعي، إذ هو كتابهم المتزل على الرسول منهم وبه هدايتهم والإسلام دينهم، قاتلوا عليه وقتلوا واحتضروا به من بين الأمم وشرّفوا، فيحرّصون على تبليغ ذلك وفهمه للأئمة لا تصدمّ عنّه لائمة الكبر ولا يزعمون عاذل الأنفة. ويشهد لذلك بعث النبي ﷺ كبار أصحابه مع وفود العرب يتعلّمونهم حدود الإسلام وما جاء به من شرائع الدين. بعث في ذلك من أصحابه العشرة فمن بعدهم، فلما استقرّ الإسلام ووشّح عروق الملة حتى تناوّلها الأمم البعيدة من أيدي أهلها واستحالّت بمرور الأيام أحوالها وكثر استبطاط الأحكام الشرعية من النصوص، لتعدّد الواقع وتلاحقها فاحتاج ذلك لقason يحفظه من الخطأ وصار العلم ملكة يحتاج إلى التعلم فأصبح من حلة الصنائع والحرف كما يأتي ذكره في فصل العلم والتعليم.

وأشغل أهل العصبية بالقيام بالملك والسلطان فدفع لعلم من قام به من سواهم وأصبح حرف للمعاش وشمخّت أنوف المترفين وأهل السلطان عن التصدّي للتعليم واحتضن انتحاله بالمستضعفين وصار متخلّه محظياً عند أهل العصبية والملك. والحجّاج بن يوسف كان أبوه من سادات ثقيف وأشرافهم ومكانتهم من عصبية العرب ومناهضة قريش في الشرف ما

واستخفّ العوام ومن لا رسوخ له في المعارف مطالعته وحمله والخرس فيه والتطفّل عليه، فاختلط المرعى بالهم، والباب بالقشر، والصادق بالكاذب. وإلى الله عاقبة الأمور.

ومن الغلط الخفي في التاريخ الذهول عن تبدل الأحوال في الأمم والأجيال ببدل الأعصار ومرور الأيام، وهو داء دوي شديد الخفاء إذ لا يقع إلا بعد أحقاب متطاولة، فلا يكاد يتقطّن له إلا الأحادي من أهل الخلقة. وذلك أن أحوال العالم والأمم وعواوينهم ونخلّتهم لا تدوم على وتبّة واحدة ومنهاج مستقر، إنما هو اختلاف على الأيام والأزمات وانتقال من حال إلى حال وكما يكون ذلك في الأشخاص والأوقات والأمسّارات، فخذلك يقع في الآفاق والأقطار والأزمات والدول **﴿سُنَّةُ اللَّهِ الَّتِي تَذَلَّتْ فِي عِيَادَةٍ﴾**.

وقد كانت في العالم أمم الفرس الأولى والسرّيانيون والنبط والتبّاعة وبنو إسرائيل والقبط وكانتوا على أحوال خاصة بهم في دولهم وملكهم وسياستهم وصنائعهم ولغاتهم واصطلاحاتهم وسائر مشاركاتهم مع أبناء جنسهم وأحوال اعتمادهم للعالم تشهد بها آثارهم.

ثم جاء من بعدهم الفرس الثانية والروم والعرب فبدلّت تلك الأحوال وانقلبّت بها العوائد إلى ما يجازسها أو يشابهها وإلى ما يباينها أو يعادلها.

ثم جاء الإسلام بدولة مصر فانقلبّت تلك الأحوال وأجّعه انقلابه أخرى وصارت إلى ما أكثره فتّعارف لهذا العهد يأخذه الخلف عن السلف.

ثم درست دولة العرب وأيامهم وذهبت الأسلاف الذين شيدوا عزّهم ومهّدوا ملوكهم وصار الأمر في أيدي سواهم من العجم مثل الترك بالشرق والبربر بالغرب والفرجية بالشمال، فذهبت بذهابهم أمم وانقلبّت أحوال وعواوين سبي شأنها وأغفل أمرها.

والسبب الشائع في تبدل الأحوال والعواوين أن عوائد كل جيل تابعة لعوائد سلطانه كما يقال في الأمثال الحكمية: الناس على دين الملك. وأهل الملك والسلطان إذا استولوا على الدولة والأمر فلا بدّ وأن يفزوا إلى عوائد من قبلهم ويخذلّون الكثير منها ولا يغفلوا عوائد جيلهم مع ذلك. فيقع في عوائد الدولة بعض المخالفات لعوائد الجيل الأول. فإذا جاءت دولة أخرى من بعدهم ومزجت من عواوينهم وعواوينها خالفت أيضًا بعض الشيء وكانت للأولي أشدّ مخالفات. ثم لا يزال التدرج في المخالفات

من خلف دولتهم وتقليل الخطط والراتب لأبناء صنائعهم رذوبيهم. والقضاء أيضاً كانوا من أهل عصيّة الدولة وفي عداد الوزراء كما ذكرناه لك فيحتاجون إلى ذكر ذلك كله.

وأماماً حين تباينت الدول وتبعاً ما بين العصور ووقف التردد على معرفة الملوك بأنفسهم خاصة ونسب الدول بعدها من بعض في قرئتها وغلبتها ومن كان يناديهما من الأمم أو يقصّر عنهم، فما الفائدة للمصنف في هذا العهد في ذكر الأبناء والنساء ونقش الخاتم واللقب والقاضي والوزير وال الحاجب من دولة قدمة لا يعرف فيها أصولهم ولا أنسابهم ولا مقاماتهم؟ إنما حلهم على ذلك التقليد والغفلة عن مقاصد المؤلفين الأقدمين، والنهول عن تحري الأغراض من التاريخ، لهم إلا ذكر الوزراء الذين عظمت آثارهم وعفت على الملوك أخبارهم كالحجاج وبني المطلب والبرامكة وبني سهل بن نوحي وكافور الأخشيدى وابن أبي عامر وأمثالهم، فغير تكير الإلعام بآبائهم والإشارة إلى أحواهم لانتظامهم في عداد الملوك.

ولنذكر هنا فائدة نختتم كلامنا في هذا الفصل بها، وهي أن التاريخ إنما هو ذكر الأخبار الخاصة بعصر أو جيل. فاما ذكر الأحوال العامة للأفاق والأجيال والأحصار فهو أمرٌ للمؤرخ تبني عليه أكثر مقاصده وتبين به أخباره. وقد كان الناس يفردونه بالتأليف كما فعله المسعودي في كتاب «مروج الذهب» شرح فيه أحوال الأمم والأفاق لهده في عصر الثلاثين والتلائمة غرباً وشرقاً، وذكر مخلهم وعراوئهم ووصف البلدان والجبال والبحار والممالك والدول وفرق شعوب العرب والعجم، فصار إماماً للمؤرخين يرجعون إليه وأصلاً يعلوون في تحقيق الكثير من أخبارهم عليه.

ثم جاء البكري من بعده ففعل مثل ذلك في «المسالك والممالك» خاصة دون غيرها من الأحوال؛ لأن الأمم والأجيال لهده لم يقع فيها كثير انتقال ولا عظيم تغير. وأماماً لهذا العهد وهو آخر المائة الثامنة فقد اقبلت أحوال المغرب الذي خُن شاهدته وتبدل بالجملة واعتضض من أجيال البرير أهله على القدم بما طرأ فيه من لدن المائة الخامسة من أجيال العرب بما كسر وهم وغلوهم وانتزعاً منهم عامة الأوطان وشاركتهم فيما يبقى من البلدان لملوكيهم، هذا إلى ما نزل بالمران شرقاً وغرباً في متصرف هذه المائة الثامنة من الطاعون الجارف الذي تحيف الأمم وذهب بأهل الجيل وطوى كثيراً من مخاسن العمran ومحاجها وجاء للدول على حين هرمها ويبلغ الغاية من مداها، فقلص من ظلالها، وفلَّ من حلها، وأوهن من سلطانها، وتداعت إلى التلاشي والاضمحلال أحواهم،

علمـتـ ولم يكن تعليمه للقرآن على ما هو الأمر عليه لهذا العهد، من أنه حرفة للمعاش، وإنما كان على ما وصفناه من الأمر الأول في الإسلام.

ومن هذا الباب أيضاً ما يترهـهـ المتصفحـون لكتـبـ التاريخ إذا سمعوا أحـوالـ القـضاـةـ وماـ كانواـ عـلـيـهـ منـ الرـياـسـةـ فيـ الحـرـوبـ وـقـودـ العـساـكـرـ، فـتـرـامـيـ بهـمـ وـساـوسـهـمـ إـلـىـ مـثـلـ تـلـكـ الرـتـبـ يـحـسـبـونـ أـنـ الشـانـ فيـ خـطـةـ القـضاـةـ هـذـاـ العـهـدـ عـلـىـ ماـ كـانـ عـلـيـهـ منـ قـبـلـ، وـيـظـلـونـ بـابـنـ أـبـيـ عامـرـ صـاحـبـ هـشـامـ المـسـتـبـدـ عـلـيـهـ وـابـنـ عـبـادـ منـ مـلـوـكـ الطـوـافـنـ يـاشـيـلـيـةـ إـذـاـ سـمعـواـ أـنـ آـبـاهـمـ كـانـواـ قـضاـةـ أـنـهـمـ مـلـكـ القـضاـةـ هـذـاـ العـهـدـ، وـلـاـ يـفـطـلـونـ لـاـ وـقـعـ فيـ رـتـبـ القـضاـةـ مـنـ خـالـفـةـ العـوـادـ كـمـاـ نـيـبـهـ فيـ فـصـلـ القـضاـءـ مـنـ الـكـاـبـ الـأـوـلـ.

وابـنـ أـبـيـ عامـرـ وـابـنـ عـبـادـ كـانـاـ مـنـ قـبـائلـ العـرـبـ الـقـائـمـينـ بـالـدـوـلـةـ الـأـمـرـيـةـ بـالـأـنـدـلـسـ وـأـهـلـ عـصـيـيـهـ، وـكـانـ مـكـانـهـمـ فـيـهـ مـعـلـوـمـاـ، وـلـمـ يـكـنـ نـيـلـهـ لـاـ نـالـوـهـ مـنـ الرـيـاسـةـ وـالـمـلـكـ بـخـطـةـ القـضاـةـ كـمـاـ هيـ الـعـهـدـ، بـلـ إـنـماـ كـانـ القـضاـءـ فـيـ الـأـمـرـ الـقـدـيمـ لـأـهـلـ الـعـصـيـيـةـ مـنـ قـبـيلـ الدـوـلـةـ وـمـوـالـيـهـ كـمـاـ هيـ الـرـوـزـارـةـ لـعـهـدـنـاـ بـالـمـغـرـبـ.

وانظر خروجـهمـ بـالـعـسـاـكـرـ فـيـ الطـوـافـنـ وـتـقـلـيـدـهـمـ عـظـامـ الـأـمـرـ الـيـ لـاـ تـقـلـدـ إـلـاـ لـنـ لـهـ لـغـنـيـهـ فـيـهـ بـالـعـصـيـيـةـ فـيـ غـلـطـ السـامـ فـيـ ذـلـكـ وـيـحـمـلـ الـأـحـوالـ عـلـىـ غـيرـ مـاـ هـيـ. وـأـكـثـرـ مـاـ يـقـعـ فـيـ هـذـاـ الـغـلـطـ ضـعـفـاءـ الـبـصـائـرـ مـنـ أـهـلـ الـأـنـدـلـسـ هـذـاـ العـهـدـ لـقـدـانـ الـعـصـيـيـةـ فـيـ مـوـاطـنـهـمـ مـنـذـ أـعـصـارـ بـعـيـدـةـ لـقـاءـ الـعـرـبـ وـدـوـلـهـمـ بـخـرـوجـهـمـ عـنـ مـلـكـةـ أـهـلـ الـعـصـيـيـاتـ مـنـ الـبـرـيرـ، فـبـقـيـتـ أـنـسـابـهـمـ الـعـرـبـيـةـ مـحـفـوظـةـ وـذـرـيـعـةـ إـلـىـ لـغـزـ مـنـ الـعـصـيـيـةـ وـالـتـاـصـرـ مـفـقـدـةـ، بـلـ صـارـواـ مـنـ جـلـةـ الـرـعـاـيـاـ الـمـتـخـاـذـلـيـنـ تـبـلـهـمـ الـقـهـرـ وـرـئـمـواـ لـلـمـذـلـةـ يـحـسـبـونـ أـنـ أـنـسـابـهـمـ مـعـ خـالـطـةـ الدـوـلـةـ هـيـ الـيـ يـكـونـ لـهـ بـهـ الـغـلـبـ وـالـتـحـكـمـ، فـتـجـدـ أـهـلـ الـحـرـفـ وـالـصـنـاعـتـ مـنـهـمـ مـتـصـدـيـنـ لـذـلـكـ سـاعـيـنـ فـيـ نـيـلـهـ. فـأـمـاـ مـنـ باـشـرـ أـحـوالـ الـقـبـائلـ وـالـعـصـيـيـةـ وـدـوـلـهـمـ بـالـعـدـوـةـ الـغـرـبـيـةـ وـكـيـفـ يـكـونـ التـغـلـبـ بـيـنـ الـأـمـمـ وـالـعـشـائرـ، فـقـلـمـاـ يـنـظـلـونـ فـيـ ذـلـكـ وـيـخـطـلـونـ فـيـ اـعـتـارـهـ.

ومن هذا الباب أيضاً ما يسلكه المؤرخون عند ذكر الدول ونسل ملوكها، فيذكرون اسمه ونسبة وأباه وأمه ونساءه ولقبه وحاته وقضيه وحاجبه وزيره، كلُّ ذلك تقليد لمؤرخى الدولتين من غير تقطُّن لما يتصدّهم.

والمؤرخون لذلك العهد كانوا يضعون تواريختهم لأهل الدولة، وأبااؤها متشفّعون إلى سير أسلافهم ومعرفة أحواهم ليقتدوا أثارهم وينسجوا على منوالهم، حتى في اصطدام الرجال

الدلالة على حروفهم المسموعة بأوضاع حروف مكتوبة متباينةً باشخاصها كوضع الف وباء وجيم وراء وطاء إلى آخر الثمانية والعشرين، وإذا عرض لهم الحرف الذي ليس من حروف لغتهم بقى مهماً عن الدلالة الكتابية مفلاً عن البيان، وربما يرسمه بعض الكتاب بشكل الحرف الذي يكتفيه من لغتنا قبله أو بعده. وليس ذلك بكاف في الدلالة بل هو تغيير للحرف من أصله.

ولما كان كتابنا مشتملاً على أخبار البربر وبعض العجم وكانت تعرض لنا في أسماهم أو بعض كلماتهم حروف ليست من لغة كتابنا ولا اصطلاح أوضاعنا، اضطررتنا إلى بيانه ولم نكتف برسم الحرف الذي يليه كما قلناه، لأنَّه عندنا غير واف بالدلالة عليه. فاصطلحت في كتابي هذا على أن أضع ذلك الحرف العجمي بما يدلُّ على الحرفين اللذين يكتفيان به ليتوسِّط القارئ بالنُّطق بين مخرجي ذيَنَكَ الحرفين فتحصل تadiتة، وإنما اقتبست ذلك من رسم أهل المصحف حروف الإشمام كـ«الصراط» في قراءة خلف، فإنَّ النُّطق يصادف فيها معجم متوازٍ بين الصاد والزاي فوضعوا الصاد ورسموا في داخلها شكل الزاي ودلُّ ذلك عندهم على التوسيط بين الحرفين. فكذلك رسمت أنا كل حرف يتواز بين حرفين من حروفنا كالكاف المتوازية عند البربر بين الكاف الصريحة عندنا والجيم أو القاف، مثل اسم بلَكْين فأضعها كافاً وأنقطها بنقطة الجيم واحدة من أسفل أو بنقطة القاف واحدة من فوق أو اثنين، فيدلُّ ذلك على أنه متوازٌ بين الكاف والجيم أو القاف. وهذا الحرف أكثر ما يجيء في لغة البربر. وما جاء من غيره فعلى هذا القياس أضع الحرف المتواز بين حرفين من لغتنا بالحروفين معاً ليعلم القارئ أنه متوازٌ فينطبق به كذلك فنكون قد دللنا عليه. ولو وضعناه برسم الحرف الواحد عن جانبيه لكننا قد صرفاًه من مخرج إلى مخرج الحرف الذي من لغتنا وغيرنا لغة القوم. فاعلم ذلك، والله الموفق للصواب به وفضله.

وانتقض عمران الأرض بانتقاد البشر فخررت الأمصار والمصانع، ودرست السبل والمعالم، وخللت الديار والمنازل، وضعفت الدول والقبائل وتبدل الساكن. وكأنَّي بالشرق قد نزل به مثل ما نزل بالغرب لكن على نسبته ومقدار عرمانه. وكأنَّما نادي لسان الكرون في العالم بالخمول والانقباض فبادر بالإجابة. والله وارث الأرض ومن عليها. وإذا تبدَّلت الأحوال جلة فكائناً تبدل الخلق من أصله وتحولَ العالم بأسره، وكأنَّه خلق جديد ونشأ مستأصلةً وعلم محدث. فاحتاج لهذا العهد من يدونُ أحوال الخلقة والأفاق وأجيالها والعادات والتخلُّ التي تبدَّلت لأهلها ويقفوا مسلك المسعودي لعصره ليكون أصلاً يقتدي به من يأتي من المؤرخين من بعده.

وأنا ذاكر في كتابي هذا ما أمكنني منه في هذا القطر الغربي إما صريحاً أو مندرجًا في أخباره وتلوينها لاختصاص قصدي في التأليف بال المغرب، وأحوال أجياله وأعمره، وذكر مالكه ودوله دون ما سواه من الأقطار لعدم اطلاعِي على أحوال المشرق وأعمره، وإنَّ الأخبار المتنقلة لا توقيٍ كنه ما أريده منه. والمسعودي إنما استوفى ذلك بعد رحلته وتقليله في البلاد كما ذكر في كتابه، مع أنه لمَا ذكر المغرب قصر في استيفاء أحواله وفوق كل ذي علم عليم، ومردُ العلم كله إلى الله، والبشر عاجزٌ قادرٌ والاعتراف متعينٌ واجبٌ، ومن كان الله في عونه تيسَّرت عليه المذهب وأثبتت له المساعي والمطالب. ونحن آخونون بعون الله فيما من أغراض التأليف والله المسدد والمعين وعليه التكلان.

وقد بقي علينا أن نقدم مقدمة في كيفية وضع الحروف التي ليست من لغات العرب إذا عرضت في كتابنا هذا.

اعلم أنَّ الحروف في النُّطق كما يأتي شرحه بعد: هي كيَفِيَات الأصوات الخارجية من الحنجرة تعرض منقطع الصوت بقمع اللاهة وأطراف اللسان مع الحنك والحلق والأضراس، أو بقمع الشفتين أيضاً فتتغير كيَفِيَات الأصوات بتغير ذلك القرع وتجيء الحروف متمايزة في السمع وتترَكب منها الكلمات الدلالة على ما في الضمائر.

وليست الأمم كلُّها متساوية في النُّطق بتلك الحروف، فقد يكون لأمة من الحروف ما ليس لأمة أخرى. والحرف التي نطقت بها العرب هي ثمانية وعشرون حرفاً كما عرفت.

ونجد للعبرانيين حروفاً ليست في لغتنا، وفي لغتنا أيضاً حروف ليست في لغتهم، وكذلك الإفرنج والترك والبربر وغير هؤلاء من العجم. ثم إنَّ أهل الكتاب من العرب اصطلحوا في

براغبين في الفضائل ولا متنافسين في أهلهما.

ومن الأسباب المقتضية له أيضاً وهي سابقة على جميع ما تقدم: الجهل بطبع الأحوال في العمران، فإن كل حادث من الحوادث ذاتاً كان أو فعلًا لا بد له من طبيعة تخصه في ذاته وفيما يعرض له من أحواله، فإذا كان السامع عارفًا بطبع الحوادث والأحوال في الرجود ومتضيئاتها أعاده ذلك في تحصين الخبر على غیر الصدق من الكذب، وهذا أبلغ في التحصين من كل وجه يعرض.

وكثيراً ما يعرض للسامعين قبول الأخبار المستحيلة

وينقلونها وتؤثر عنهم. كما نقله المسعودي عن الإسكندر لما صدّته دوابُ البحر عن بناء الإسكندرية، وكيف اتّخذ تابوتَ الخشب وفي باطنه صندوق الزجاج وغاص فيه إلى قعر البحر حتى كتب صور تلك الدوابُ الشيطانية التي رأها وعمل مثاليتها من أجساد معدنية ونصبها حداءً للبنيان، ففرّت تلك الدوابُ حين خرجت وعاشرتها وتمَّ لها بناؤها في حكاية طويلة من أحاديث خرافية مستحيلة من قبل اتخاذِ التابوتِ الزجاجي ومصادمةِ البحر وأمواجه بحرمه، ومن قيل أنَّ الملوك لا تتحمل أنفسها على مثل هذا الغرر، ومن اعتمد منهُم فقد عُرض نفسه للهلاك وانتصار العقدة واجتماع الناس إلى غيره وفي ذلك إثلافه ولا يتظرون به رجوعه عن غروره ذلك طرفة عين، ومن قيل أنَّ الجنّ لا يعرف لها صور ولا تمايلٌ مختصٌ بها إنما هي قادرة على التشكُّل وما يذكره من كثرة الرؤوس لها، فإنما المراد به الشاعة والتهليل لا إنما

حقيقة.

وهذه كلُّها قادحة في تلك الحكاية. والقادح الحيل لها من طريق الرجود أبين من هذا كله. وهو أنَّ المتعمس في الماء ولو كان في الصندوق يضيق عليه الماء للتنفس الطبيعي وتسخن روحه بسرعة لقوله فيفقد صاحبه الماء المعدُّ لمزاج الرئة والروح القلبي وبذلك مكاهنة. وهذا هو السبب في هلاك أهل الحمامات إذا أطاحت عليهم عن الماء البارد والتالدين في الآبار والمطامير العميقه الهوى إذا سخن هراؤها بالغرفة ولم تدخلها الرياح فتخلخلها، فإنَّ التالدي فيها يهلك لحيته. وبهذا السبب يكون موت الحوت إذا فارق البحر، فإنَّ الماء لا يكفيه في تعديل رته إذ هو حار بغير افراط والماء الذي يعدُّه بارد وهو الماء الذي في خرج إليه حار، فيستولي الحار على روحه الحياني وبذلك دفعة ومنه هلاك المصعمقين وأمثال ذلك.

ومن الأخبار المستحيلة ما نقله المسعودي أيضًا في مثال الزرزور الذي يرمي برومة تجتمع إليه الزرازير في يوم معلوم من السنة

## الكتاب الأول

في طبيعة العمران في الخلقة وما يعرض فيها من البدو والحضر  
فيها من التغلب والكسب  
والعاش والصنائع والعلوم ونحوها وما  
لذلك من العلل والأسباب

اعلم أنه لما كانت حقيقة التاريخ أنه خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال مثل التوحش والتآنس والعصبيات وأصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها وما يتحلله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والعاش والعلوم والصنائع وسائر ما يحدث في ذلك العمران بطبيعته من الأحوال. ولئن كان الكذب متطرقاً للخبر بطبيعته وله أسباب تقتضيه. فمنها التشريعات للأراء والمذاهب، فإنَّ النفس إذا كانت على حال الاعتدال في قبول الخبر أعطته حقَّه من التحصين والنظر حتى تبيَّن صدقه من كتبه وإذا خامرها تشيعُ رأي أو يحللة قبلت ما يوافقها من الأخبار لأول وهلة. وكان ذلك الميل والتشيع عطاً على عين بصيرتها عن الاتقاد والتحصين فنفع في قبول الكذب ونقله.

ومن الأسباب المقتضية للكذب في الأخبار أيضًا القة بالناقلين وتحصين ذلك يرجع إلى التعديل والتجریح.

ومنها النهول عن المقاصد، فكثير من الناقلين لا يعرفقصد بما عاين أو سمع وينقل الخبر على ما في ظنه وتحصينه فيقع في الكذب.

ومنها توهُّم الصدق وهو كثير، وإنما يجيء في الأكثر من جهة الثقة بالناقلين.

ومنها الجهل بتطبيق الأحوال على الواقع لأجل ما يدخلها من التلبس والتصنيع، فينقلها المخبر كما رأها وهي بالتصنيع على غير الحق في نفسه.

ومنها تقرُّب الناس في الأكثر لأصحاب التجلُّ والمراتب بالثناء والملح وتحصين الأحوال وإشاعة الذكر بذلك، فتستفيض الأخبار بها على غير حقيقة، فالغلوس مولعة بحبِّ الثناء والناس متطلعون إلى الدنيا وأسبابها من جاه أو ثروة، وليسوا في الأكثر

ذلك لنا معياراً صحيحاً يتحرى به المؤرخون طريق الصدق والصواب فيما ينقلونه. وهذا هو غرض هذا الكتاب الأول من تاليفنا.

وكأنه هنا علم مستقل بنفسه، فإنه ذو موضوع وهو العمران البشري والمجتمع الإنساني ذو مسائل، وهي بيان ما يلحقه من العوارض والأحوال لذاته واحدة بعد أخرى. وهذا شأن كل علم من العلوم وضعياً كان أو عقلياً.

واعلم أن الكلام في هذا الغرض مستحدث الصنعة غريب الترعة عزيز الفائدة أثر عليه البحث وأدى إليه الغوص. وليس من علم الخطابة الذي هو أحد العلوم المنطقية، فإن موضوع الخطابة إنما هو الأقوال المقتنة النافعة في استمالة الجمهور إلى رأي أو صدّه عنه. ولا هو أيضاً من علم السياسة المدنية، إذ السياسة المدنية هي تدبیر المنزل أو المدينة بما يجب بهقضى الأخلاق والحكمة ليحمل الجمهور على منهاج يكون فيه حفظ النوع وبقاوه. فقد خالف موضوعه موضوع هذين الفئتين اللذين ربما يشبهانه.

وكانه علم مسبط النشأة. ولعمري لم أقف على الكلام في منحاج لأحد من الخليقة. ما أدرى الغفلتهم عن ذلك؟ وليس الظن بهم، أو لعلهم كتبوا في هذا الغرض واستوفوه ولم يصل إلينا فالعلوم كبيرة والحكماء في أمم النوع الإنساني متعددون وما لم يصل إلينا من العلوم أكثر مما وصل. فلابد أن علم الفرس التي أمر عمر رضي الله عنه بمحوها عند الفتح؟ وأين علم الكلدانين والسريانين وأهل بابل وما ظهر عليهم من آثارها ونتائجها؟ وأين علوم القبط ومن قبلهم؟ وإنما وصل إلينا علوم أمة واحدة وهم يونان خاصة لكلف المأمون بخراجها من لغتهم واقتداره على ذلك بكثرة المترجمين وبدل الأموال فيها، ولم تقف على شيءٍ من علوم غيرهم.

وإذا كانت كل حقيقة متعلقة طبيعة يصلح أن يبحث عنها يعرض لها من العوارض لذاتها وجب أن يكون باعتبار كل مفهوم وحقيقة علمٌ من العلوم يخصُّه. لكن الحكماء لعلهم إنما لاحظوا في ذلك العناية بالثمرات، وهذا إنما ثمرته في الأخبار فقط كما رأيت، وإن كانت مسائله في ذاتها وفي اختصاصها شريفة، لكن ثمرته تصحيح الأخبار وهي ضعيفة فلهذا هجروه والله أعلم (وَتَأْتِيَكُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا).

وهذا الفن الذي لا يلح لنا النظر فيه نجد منه مسائل تجري بالعرض لأهل العلوم في براغهن علومهم وهي من جنس مسائله

حاملة للزيتون ومنه يتخذون زيتهم. وانظر ما أبعد ذلك عن البحر الطبيعي في اختاذ الزيت.

ومنها ما نقله البكري في بناء المدينة المسماة ذات الأبواب تحيط بأكثر من ثلاثين مرحلة وتشتمل على عشرة آلاف باب. والمدن إنما اتخذت للتحصن والاعتصام كما يأتي، وهذه خرجت عن أن يحط بها، فلا يكون فيها حصن ولا معتصم.

وكما نقله المسعودي أيضاً في حديث مدينة النحاس، وأنها مدينة كل بنائها نحاس بصحراء سجلmasة ظفر بها موسى بن نصر في غروته إلى المغرب، وأنها مغلقة الأبواب، وأن الصاعد إليها من أسوارها إذا أشرف على الحاطن صفق ورمي بنفسه فلا يرجع آخر الدهر في حديث مستحيل عادةً من خرافات القصّاصين. وصحراء سجلmasة قد نقضها الركاب والأدلاع ولم يقفوا بهذه المدينة على خبر. ثم إن هذه الأحوال التي ذكرها عنها كلها مستحيل عادةً مناف للأمور الطبيعية في بناء المدن واحتياطها، وأن المعدان غالباً الموجود منها أن يصرف في الآنية والخرفي، وأما تشيد مدينة منها فكما تراه من الاستحالة والبعد.

وأمثال ذلك كثيرة وتتجهصه إنما هو بمعرفة طبائع العمران وهو أحسن الوجوه وأوثقها في تحصيص الأخبار وقيمة صدقها من كذبها وهو سابق على التمحيص بتعديل الرواة، ولا يرجع إلى تعديل الرواة حتى يعلم أن ذلك الخبر في نفسه ممكن أو ممتنع. وأما إذا كان مستحيلاً فلا فائدة للنظر في التعديل والتجریح. ولقد عذر أهل النظر من المطاعن في الخبر استحالة مدلول اللفظ وتاويله بما لا يقبله العقل. وإنما كان التعديل والتجریح هو المعترض في صحة الأخبار الشرعية؛ لأن معظمها تكاليف إنشائية أو جب الشارع العمل بها حتى حصل الظن بصدقها وسبيل صحة الظن القة بالرواية بالعدالة والضبط.

وأما الأخبار عن الواقعات فلا بد في صدقها وصحتها من اعتبار المطابقة؛ فلذلك وجب أن ينظر في إمكان وقوعه وصار فيها ذلك أهم من التعديل ومقتضاه عليه، إذ فائدة الإشارة مقتبسة منه فقط، وفائدة الخبر منه ومن الخارج بالطابقة. وإذا كان ذلك فالقانون في تمييز الحق من الباطل في الأخبار بالإمكان والاستحالة أن ننظر في الاجتماع البشري الذي هو العمران وغيره ما يلحقه من الأحوال لذاته ويعقضي طبعه وما يكون عارضاً لا يعتد به وما لا يمكن أن يعرض له. وإذا فعلنا ذلك لنا قانوناً في تمييز الحق من الباطل في الأخبار والصدق من الكذب بوجه برهاني لا مدخل للشك فيه. وحيثتذ فإذا سمعنا عن شيءٍ من الأحوال الواقعة في العمران علمنا ما حكم بقوله ما حكم بتزيفه. وكان

## بالموضوع والطلب:

وأصلت في دائرة لا يتعين طرفها فخر بعثوره عليها وعظم من فوائدها.

وانت إذا تأملت كلامنا في فصل الدول والمُلُك وأعطيته حقه من التصفح والتفهم عثرت في أثنائه على تفسير هذه الكلمات وتفصيل إيجابها مستوفى بيتاً بأربع بيات وأوضح دليلاً ويرهان، أطلعنا الله عليه من غير تعليم أسطرو ولا إفادة موبنان.

وكذلك تحد في كلام ابن القفع وما يستطرد في رسائله من ذكر السياسات الكبير من مسائل كتابنا هذا غير مبرهنة كما برهنناه، إنما يجيئها في الذكر على منحى الخطابة في أسلوب الترسل وبلاغة الكلام.

وكذلك حرم القاضي أبو بكر الطروشي في كتاب «سراج الملوك» وبوئه على أبواب تقرب من أبواب كتابنا هذا ومسائله، لكنه لم يصادف فيه الرمية ولا أصاب الشاكلة ولا استوفى المسائل ولا أوضح الأدلة، إنما يسوق الباب للمسألة ثم يستكثر من الأحداث والأثار وينقل كلمات متفرقة لحكماء الفرس مثل بزرجهر والمريذان وحكماء الهند والمأثور عن دانيال وهرمس وغيرهم من أكابر الخلقة، ولا يكشف عن التحقيق قناعاً ولا يرفع بالبراهين الطبيعية حجاباً، إنما هو نقل وتركيب شبيه بالموعظ وكأنه حرم على الغرض ولم يصادفه ولا تحقق قصده ولا استوفى مسائله.

ونحن ألمتنا الله إلى ذلك إنما وأشرنا على علم جعلنا سن يذكره وجهته خبره. فإن كنت قد استوفيت مسائله وميزت عن سائر الصنائع أنظاره وأنخاء فتويق من الله وهداية. وإن فاتني شيء في إحصائه واشتبعته بغierre مسائله، فلناظر المحقق إصلاحه وللفضل؛ لأنني نهجت له السبيل وأوضحت له الطريق. والله يهدى بنوره من يشاء.

ونحن الآن نبيّن في هذا الكتاب ما يعرض للبشر في اجتماعهم من أحوال العمran في الملك والكتب والعلوم والصنائع بوجوه برهانية، يتضح بها التحقيق في معارف الخاصة وال العامة، وتدفع بها الأوهام وترفع الشكوك وتقول:

لما كان الإنسان متميزاً عن سائر الحيوانات بخواص اختص بها. فمنها العلوم والصنائع التي هي نتيجة الفكر الذي تميز به عن الحيوانات وشرف بوصفه على المخلوقات.

ومنها الحاجة إلى الحكم الوازع والسلطان القاهر، إذ لا يمكن وجوده دون ذلك من بين الحيوانات كلها إلا ما يقال عن النحل والمراد وهذه - وإن كان لها مثل ذلك - فبطريق إلهامي لا

مثل ما يذكره الحكماء والعلماء في إثبات النبوة من أن البشر متعاونون في وجودهم فيحتاجون فيه إلى الحاكم والوارع. ومثل ما يذكر في أصول الفقه في باب إثبات اللغات أن الناس يحتاجون إلى العبارة عن المقاصد بطبيعة التعاون والاجتماع وبيان العبارات أخف.

ومثل ما يذكره الفقهاء في تعليل الأحكام الشرعية بالمقاصد في أن الزنا مخالط للأسباب مفسد للشرع، وأن القتل أيضاً مفسد لل النوع، وأن الظلم مؤذن بخراب العمran المفضي لفساد النوع وغير ذلك من سائر المقاصد الشرعية في الأحكام، فإنها كلها مبنية على الحافظة على العمran، فكان لها النظر فيما يعرض له وهو ظاهر من كلامنا هذا في هذه المسائل المثلة.

وكذلك أيضاً يقع إلينا القليل من مسائله في كلمات متفرقة لحكماء الخلقة لكنهم لم يستوفوه.

فمن كلام المريذان بهرام بن بهرام في حكاية ال يوم التي نقلها المسعودي: أيها الملك! إن الملك لا يتم عزه إلا بالشريعة والقيام الله بطاعته والتصرف تحت أمره ونهيه، ولا قوام للشريعة إلا بالملك، ولا عز للملك إلا بالرجال، ولا قوام للرجال إلا بالمال، ولا سهل إلى المال إلا بالعمارة، ولا سهل للعمارة إلا بالعدل، والعدل الميزان المنصوب بين الخلقة، نصبه الرب وجعل له قياماً وهو الملك.

ومن كلام أنوشروان في هذا المعنى يعنيه: الملك بالجند، والجند بالمال، والمال بالخارج، والخارج بالعمارة، والعمارة بالعدل، والعدل بإصلاح العمال، وإصلاح العمال باستقامة السوزراء، ورأس الكل باقتدار الملك حال رعيته بنفسه واقتداره على تاديها حتى يملكونها ولا تملكونه.

وفي الكتاب النسوب لأرسسطو في السياسة المداول بين الناس جزء صالح منه، إلا أنه غير مستوف ولا معطى حقه من البراهين ومحاط بغيره، وقد أشار في ذلك الكتاب إلى هذه الكلمات التي تقلناها عن المريذان وأنوشروان وجعلها فيدائرة القريبة التي أعظم القول فيها هو قوله: العالم بستان سياجه الدولة، الدولة سلطان تحيا به السنة، السنة سياسة يسوسها الملك. الملك نظام يعده الجندي، الجندي أعدوا يكتفون بالمال، المال رزق تجمعه الرعية، الرعية عيد يكتفهم العدل، العدل مألف ويه قوام العالم، العالم بستان. ثم ترجع إلى أول الكلام. بهذه نمان كلمات حكيمية سياسية ارتبط بعضها بعض وارتئت أعجازها على صدورها

بنكر ورؤية. ومنها السعي في العيش والاعتماد في تحصيله من جوهره واكتساب أسبابه لما جعل الله فيه من الافتقار إلى الغذاء في حياته وبقائه وهداه إلى التماس وطلبه فإن تعالى: ﴿أَعْطِيَ كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَةً ثُمَّ هَنَى﴾.

ومنهما العمران وهو الساكن والتنازل في مصر أو حلة للأنس بالعيش واقتضاء الحاجات لما في طباعهم من التعاون على العيش كما سينتهي.

ومن هذا العمران ما يكون بدويًا وهو الذي يكون في الضواحي وفي الجبال وفي الخلل المجتمع في القفار وأطراف الرمال، ومنه ما يكون حضريًا وهو الذي بالأمسار والقرى والمدن والملحق للاعتماد بها والتحصن بجدرانها. وله في كل هذه الأحوال أمور تعرض من حيث الاجتماع عروضاً ذاتياً له فلا جرم المحصر الكلام في هذا الكتاب في ستة فصول:

الأول- في العمران البشري على الجملة وأصنافه وقسسه من الأرض.

والثاني- في العمران البدوي وذكر القبائل والأمم الوحشية.

والثالث- في الدول والخلافة والملك وذكر المراتب السلطانية.

والرابع- في العمران الحضري والبلدان والأمسار.

والخامس- في الصنائع والعاش والكسب ووجوهه.

والسادس- في العلوم واكتسابها وتعلمها.

وقد قسمت العمران البدوي لأنه سابق على جميعها كما نبئ لك بعد، وكذا تقديم الملك على البلدان والأمسار، وأما تقديم العيش فلان العيش ضروري طبيعي وتعلم العلم كمالاً أو حاجي والطبيعي أقدم من الكمال، وجعلت الصنائع مع الكسب؛ لأنها منه بعض الوجه ومن حيث العمران كما نبئ لك بعد. والله الموفق للصواب والمعين عليه.

والتراس الناتبة عن البشرات الجاسية إلى غير ذلك مما ذكره جاليوس في كتاب «منافع الأعضاء».

فالواحد من البشر لا تقاوم قدرته قدرة واحد من الحيوانات العجم بينما المفترسة، فهو عاجز عن مدافعتها وحده بالجملة ولا تفي قدرته أيضاً باستعمال الآلات المعدة للمدافة لكنثرتها وكثرة الصنائع والمواعين المعدة لها، فلا بد في ذلك كله من التعاون عليه بابناء جنسه. وما لم يكن هذا التعاون فلا يحصل له قوت ولا غذاءاً ولا تم حياته لما ركبه الله تعالى عليه من الحاجة إلى الغذاء في حياته، ولا يصلح له أيضاً دفاع عن نفسه لفقدان السلاح، فيكون فريسة للحيوانات ويعاجله الملائكة عن مدى حياته ويبيطل نوع البشر. وإذا كان التعاون حصل له القوت للغذاء والسلاح للمدافة وتمت حكمة الله في بقاءه وحفظ نعمه. فإذا ذُرَّ هذا الاجتماع ضروري للتنوع الإنساني ولأنه يمكنه وجودهم وما أراده الله من اعتنام العالم بهم واستخلافه إياهم، وهذا هو معنى العمran الذي جعلناه موضوعاً لهذا العلم.

وفي هذا الكلام نوع إثبات للموضوع في فنه الذي هو موضوع له. وهذا وإن لم يكن واجباً على صاحب الفن لما تقرر في الصناعة المنطقية أنه ليس على صاحب علم إثبات الموضوع في ذلك العلم، فليس أيضاً من المنوعات عندهم فيكون إثباته من التبرعات، والله الموقق بفضلة.

ثم إن هذا الاجتماع إذا حصل للبشر كما قررناه وتم عمran العالم بهم، فلا بد من وازع يدفع بعضهم عن بعض لما في طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم. وليس آلة السلاح التي جعلت دافعة لعدوان الحيوانات العجم عليهم كافية في دفع العدوان عنهم لأنها موجودة لجميعهم، فلا بد من شيء آخر يدفع عدوان بعضهم عن بعض، ولا يكون من غيرهم لتصور جميع الحيوانات عن مداركم وإلهاماتهم، فيكون ذلك الوازع واحداً منهم يكون له عليهم الغلبة والسلطان واليد القاهرة حتى لا يصل أحد إلى غيره بعدوان، وهذا هو معنى الملك. وقد ثبت أن لك بهذا أنه خاصة للإنسان خاصة طبيعية ولا بد لهم منها. وقد يوجد في بعض الحيوانات العجم على ما ذكره الحكماء كما في التحل والجراد لما استقر، فيها من الحكم والاقياد والاتباع لرئيس من اشخاصها متميز عنهم في خلقه وجومنائه، إلا أن ذلك موجود لغير الإنسان يقتضى القطرة والمقدمة لا يقتضى الفكر والسياسة: «أعطي كل شيء خلقة ثم هندي».

وتزيد الفلسفة على هذا البرهان حيث يحاولون إثبات النبوة بالدليل العقلاني! وأنها خاصة طبيعية للإنسان فيقررون هذا

## الباب الأول

وفي مقدمات

### المقدمة الأولى

#### في أن الاجتماع الإنساني ضروري

ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم: الإنسان مدنبي بالطبع، أي لا بد له من الاجتماع الذي هو المدنية في اصطلاحهم وهو معنى العمران. وبينه أن الله سبحانه خلق الإنسان وركبه على صورة لا يصح حياتها ويقاوِها إلا بالغذاء وهذه إلى التماس بفطنته وعما ركب فيه من القدرة على تحصيله.

إلا أن قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من ذلك الغذاء غير مرغبة له بمادة حياته منه.

ولو فرضنا منه أقل ما يمكن فرضه وهو قوت يوم من الحنطة مثلاً فلا يصلح إلا بعلاج كثير من الطحن والعجن والطيخ. وكل واحد من هذه الأعمال الثلاثة يحتاج إلى مواعين وألات لا تسم إلا بصناعات متعددة من حداد ونجار وفخاري. هيئ أنه يأكله جنباً من غير علاج فهو أيضاً يحتاج في تحصيله جبأ إلى أعمال أخرى أكثر من هذه من الزراعة والمحاصد والدراس الذي يخرج الحب من غلاف السبيل. وبحتاج كل واحد من هذه إلى آلات متعددة وصناعات كثيرة أكثر من الأولى بكثير. ويستحيل أن توفي بذلك كله أو ببعضه قدرة الواحد. فلا بد من اجتماع القوى الكثيرة من أبناء جنسه ليحصل القوت له وطم فيحصل بالتعاون قدر الكفاية من الحاجة لأكثر منهم بإضعاف. وكذلك يحتاج كل واحد منهم أيضاً في الدفاع عن نفسه إلى الاستعاة بأبناء جنسه؛ لأن الله سبحانه لما ركب الطياع في الحيوانات كلها وقسم القدر بينها جعل حظوظ كثير من الحيوانات العجم من القدرة أشمل من حظ الإنسان، فقدرة الفرس مثلاً أعظم بكثير من قدرة الإنسان، وكذلك قدرة الحمار والنور وقدرة الأسد والفيل أضعاف من قدرته.

ولما كان العدوان طبيعياً في الحيوان جعل لكل واحد منها عضواً يختص بدافعته ما يصل إليه من عادية غيره. وجعل للإنسان عوضاً من ذلك كله الفكر واليد. فاليد مهنية للصناعات بخدمة الفكر، والصناعات تعصل له الآلات التي تตอบ له عن الجوارح المعدة في سائر الحيوانات للدفاع، مثل الرماح التي تตอบ عن القرون الناطحة، والسيوف الناتبة عن المخالب الجارحة،

شكل مسطّح كروي يتهي من جهة الجنوب إلى خط الاستواء، ومن جهة الشمال إلى خط كروي، ووراء الجبال الفاصلة بينه وبين الماء العنصري الذي بينهما سد ياجوج وماجوج. وهذه الجبال مائلة إلى جهة الشرق، ويتهي من الشرق والمغرب إلى عنصر الماء أيضاً بقطعين من الدائرة الخطيّة.

وهذا التكشّف من الأرض قالوا هو مقدار النصف من الكورة أو أقل والمعمور منه مقدار ربعه وهو المقسم بالأقاليم السبعة. وخط الاستواء يقسم الأرض بنصفين من المغرب إلى الشرق وهو طول الأرض وأكبر خط في كرتها، كما أن منطقة فلك البروج ودائرة معدل النهار أكبر خط في الفلك. ومنطقة البروج مقسمة بثلاثمائة وستين درجة، والدرجة من مسافة الأرض خمسة وعشرون فرسخاً، والفرسخ اثنا عشر ألف ذراع في ثلاثة أيام، لأن الميل أربعة آلاف ذراع، والذراع أربعة وعشرون إصبعاً، والإصبع ست جبات شعير مصفرة ملصق بعضها إلى بعض ظهراً لطنن، وبين دائرة معدل النهار التي تقسم الفلك بنصفين ونسمات خط الاستواء من الأرض وبين كل واحد من القطبين تسعون درجة. لكن العمارة في الجهة الشمالية من خط الاستواء أربع وستون درجة والباقي منها خلاء لا عمارة فيه لشدة البرد والجمود كما كانت الجهة الجنوبيّة خلاء كلها لشدة الحر كما نرين ذلك كله إن شاء الله تعالى.

ثم إن المخبرين عن هذا المعمور وحدوده وعما فيه من الأنصار والمدن والجبال والبحار والأنهار والقفار والرمال مثل: بطليموس في كتاب «الجغرافيا» وصاحب كتاب «روجار» من بعده قسموا هذا المعمور بسبعة أقسام يسمونها الأقاليم السبعة محدود وهمية بين الشرق والمغرب متباينة في العرض مختلفة في الطول، فالإقليم الأول أطول مما بعده وكذا الثاني إلى آخرها فيكون السابع أقصر لما اقتضاه وضع الدائرة الناشطة من الخسار الماء عن كرة الأرض. وكل واحد من هذه الأقاليم عددهم منقسم بعشرة أجزاء من المغرب إلى الشرق على التوالي. وفي كل جزء الخبر عن أحواله وأحوال عمرانه.

### البحار

وذكروا أن هذا البحر الخيط يخرج منه من جهة المغرب في الإقليم الرابع البحر الرومي المعروف. ويبدا في خليج متضائق في عرض اثني عشر ميلاً أو ثورها ما بين طنجه وطريف ويسمى أن الزقاق، ثم يذهب شرقاً وينفسح إلى عرض ستمائة ميل. ونهايته

بعد ذلك. وذلك الحكم يكون بشرع مفروض من عند الله يأتي به واحد من البشر، وأنه لا بد أن يكون متميزاً عنهم بما يوعد الله فيه من خواص هدايته ليقع التسلیم له والقبول منه، حتى يتم الحكم فيهم عليهم من غير إنكار ولا تزيف. وهذه القضية للحكماء غير برهانية كما تراه إذ الوجود وحياة البشر قد تم من دون ذلك بما يفرضه الحكم لنفسه أو بالعصبية التي يقتدر بها على قهرهم وحملهم على جاذتها. فأهل الكتاب والمعنوون للأنساب قليلون بالنسبة إلى المجروس الذين ليس لهم كتاب، فإنهم أكثر أهل العالم ومع ذلك فقد كانت لهم الدول والأثار فضلاً عن الحياة، وكذلك هي لهم لهذا العهد في الأقاليم المنحرفة في الشمال والجنوب. بمختلف حياة البشر فرضي دون وازع لهم البُتْة فإنه ينتع. وهذا يتبيّن لك غلطهم في وجوب التبروات وأنه ليس بعقلاني، وإنما مدركه الشرع كما هو مذهب السلف من الأمة. والله ولِي التوفيق والهدى.

### المقدمة الثانية

## في قسط العمران من الأرض والإشارة إلى بعض ما فيه من البحار والأنهار والأقاليم

اعلم أنه قد تبيّن في كتب الحكماء الناظرين في أحوال العالم أن شكل الأرض كروي وأنها محفوفة بعنصر الماء كأنها عنبة طافية عليه، فالمحسر الماء عن بعض جوانبها لما أراد الله من تكوين الحيوانات فيها وعمرانها بالنوع البشري الذي له الخلافة على سائرها. وقد يتوهم من ذلك أن الماء تحت الأرض وليس بصحيح، وإنما التحت الطبيعي قلب الأرض ووسط كرتها الذي هو مركزها والكل يطلبها بما فيه من التقل وما عدا ذلك من جوانبها. وأما الماء الخيط بها فهو فوق الأرض، وإن قيل في شيء منها إنه تحت الأرض فبالإضافة إلى جهة أخرى منه. وأما الذي المحسر عنه الماء من الأرض فهو الصف من سطح كرتها في دائرة أحاط العنصر المائي بها من جميع جهاتها مجرأً يسمى البحر الخيط ويسمى أيضاً لبلائه بتفخيم اللام الثانية، ويسمى أوقيانوس أسماء أعمجية ويقال له البحر الأخضر والأسود.

ثم إن هذا التكشّف من الأرض للعمران فيه القفار والخلافة أكثر من عمرانه والخلافي من جهة الجنوب منه أكثر من جهة الشمال، وإنما المعمور منه قطعة أميل إلى الجانب الشمالي على

ويسى بحر القلزم وبحر السويس، وبينه وبين فسطاط مصر من هنالك ثلاث مراحل، وعليه من جهة الشرق سواحل اليمن ثم الحجاز وجدة، ثم مدین وأيلة وفاران عند نهايته، ومن جهة الغرب سواحل الصعيد وعذاب وساواكن وزيلع، ثم بلاد الحبشة عند الخليج ثم الباذقة ثم روما ثم الإفرنجية ثم الأندلس إلى طريف عند الرقاق قبلة طنجة. ويسمى هذا البحر الرومي والشامي وفيه جزر كثيرة عاصمة كبار مثل أقريطش وقبص خرق ما بينهما ولم يتم ذلك.

والبحر الثاني من هذا البحر الحبشي ويسمى الخليج الأخضر يخرج ما بين بلاد السندي والأحافير من اليمن ويمتد إلى ناحية الشمال مغرياً قليلاً إلى أن يتنهى إلى الأبلة من سواحل البصرة في الجزء السادس من الإقليم الثاني على أربعينات فرسخ وأربعين فرسخاً من مبدئه ويسمى بحر فارس. وعليه من جهة الشرق سواحل السندي ومكرمان وكرمان وفارس والأبلة وبعد نهايتها ومن جهة الغرب سواحل البحرين والميامة وعمان والشّندر والأحافير عند مبدئه. وفيما بين بحر فارس والقلزم جزيرة العرب كأنها داخلة من البر في البحر يحيط بها البحر الحبشي من الجنوب وبحر القلزم من الغرب وبحر فارس من الشرق وتُفضي إلى العراق فيما بين الشام والبصرة على ألف وخمسينات ميل بينهما. وهنالك الكوفة والقادسية وبغداد ولبوان كسرى والخيرة. ووراء ذلك أسم الأعاجم من الترك والخزر وغيرهم. وفي جزيرة العرب بلاد الحجاز في جهة الغرب منها وببلاد الميامة والبحرين وعمان في جهة الشرق منها وببلاد اليمن في جهة الجنوب منها وسواحله على البحر الحبشي.

قالوا: وفي هذا المعهور بحر آخر متقطع من سائر البحار في ناحية الشمال بأرض الديلم يسمى بحر جرجان وطبرستان، طوله ألف ميل في عرض ستمائة ميل، في غربه أذربيجان والديلم، وفي شرقه أرض الترك وخوارزم، وفي جنوبه طبرستان، وفي شماله أرض الخزر واللان.

هذه جملة البحار المشهورة التي ذكرها أهل المخراقي.

## الأنهار

قالوا: وفي هذا الجزء المعهور أنهار كثيرة اعظمها اربعة أنهار

وهي النيل والفرات ودجلة ونهر بلخ المنسي ميجرون.

فاما النيل فبعده من جبل عظيم وراء خط الاستواء بست عشرة درجة على سمت الجزء الرابع من الإقليم الأول ويسمى

في آخر الجزء الرابع من الإقليم الرابع على ألف فرسخ ومائة وستين فرسخاً من مبدئه وعليه هنالك سواحل الشام، وعليه من جهة الجنوب سواحل المغرب أو لها طنجة عند الخليج ثم إفريقيا ثم برقة إلى الإسكندرية، ومن جهة الشمال سواحل القسطنطينية عند الخليج ثم الباذقة ثم روما ثم الإفرنجية ثم الأندلس إلى طريف عند الرقاق قبلة طنجة. ويسمى هذا البحر الرومي والشامي وفيه جزر كثيرة عاصمة كبار مثل أقريطش وقبص وصقلية وميرقة وسردانة ودانية.

قالوا: ويخرج منه في جهة الشمال بحران آخران من خليجين. أحدهما سامت للقسطنطينية يبدأ من هذا البحر متضيقاً في عرض رمية السهم ويزد ثلاثة بحار فيصل بالقسطنطينية ثم ينفع في عرض أربعة أميال، ويزد في جزءه ستين ميلاً ويسمى خليج القسطنطينية، ثم يخرج من فوهة عرضها ستة أميال فيمد بحر نيطش وهو بحر ينحرف من هنالك في مذهبته إلى ناحية الشرق، فيمر بأرض هرقلية، ويتهي إلى بلاد المزيرية على ألف وثلاثمائة ميل من فوته وعليه من الجانين أمم من الروم والترك وبرجان والروس. والبحر الثاني من خليجي هذا البحر الرومي وهو بحر الباذقة يخرج من بلاد الروم على سمت الشمال، فإذا انتهى إلى سمت الجبل المحرف في سمت المغرب إلى بلاد الباذقة ويتهي إلى بلاد إنكلالية على ألف ومائة ميل من مبدئه. وعلى حافتيه من الباذقة والروم وغيرهم أمم ويسمى خليج الباذقة.

قالوا: وينساح من هذا البحر المحيط أيضاً من الشرق وعلى ثلاثة عشرة درجة في الشمال من خط الاستواء بحر عظيم متسع يمتد إلى الجنوب قليلاً حتى يتنهى إلى الإقليم الأول ثم يمتد فيه مغرياً إلى أن يتنهى في الجزء الخامس منه إلى بلاد الحبشة والزنج، وإلى بلاد باب المدب منه على أربعة آلاف فرسخ وخمسينات فرسخ من مبدئه ويسمى البحر الصيفي والهندى والحبشى. وعليه من جهة الجنوب بلاد الزنج وببلاد بيرير التي ذكرها امرؤ القيس في شعره، وليسوا من البرير الذين هم قبائل المغرب، ثم بلد مقدشو ثم بلد سُفالة وأرض الرواق واق وأمم آخر ليس بعدهم إلا القفار والخلافة، وعليه من جهة الشمال الصين من عند مبدئه ثم الهند ثم السند ثم سواحل اليمن من الأحافير وزيد وغيرها ثم بلاد الزنج عند نهايته وبعدهم الحبشة.

قالوا: ويخرج من هذا البحر الحبشي بحران آخران، أحدهما يخرج من نهايته عند باب المدب، فيما متضيقاً ثم يمتد بحراً إلى ناحية الشمال ومغرياً قليلاً إلى أن يتنهى إلى القلزم في الجزء الخامس من الإقليم الثاني على ألف وأربعينات ميل من مبدئه،

تكملاً لهذه المقدمة الثانية: في أن الربع الشمالي من الأرض أكثر عمراناً من الربع الجنوبي وذكر السبب في ذلك:

ونحن نرى بالمشاهدة والأخبار المواترة أن الأول والثاني من الأقاليم العمورة أقل عمراناً مما بعدهما وما وجد من عمرانه، فيتخلله الخلاء والقطار والرمال والبحر الهندي الذي في الشرق منهم، وألم هذين الإقليمين وأناسهما ليست لهم الكثرة البالغة وأمصاره ومنه كذلك. والثالث والرابع وما بعدهما مختلف ذلك. فالقطار فيها قليلة والرمال كذلك أو معدومة، وأمها وأناسها تجوز الحد من الكثرة، وأمصارها ومنها تجاوز الحد عدداً، والعمران فيها متدرج ما بين الثالث والسادس، والجنوب خلاء كله. وقد ذكر كثير من الحكماء أن ذلك لإفراط الحر وقلة ميل الشمس فيها عن سمت الرؤوس. فلتوضّح ذلك ببرهانه ليتبين منه سبب كثرة العمارة فيما بين الثالث والرابع من جانب الشمال إلى الخامس والسابع فنقول:

إن قطبي الفلك الجنوبي والشمالي إذا كانا على الأفق فهو تلك دائرة عظيمة تقسّم الفلك بتصنيف هي أعظم الدوائر المارة من المشرق إلى المغرب وتسمى دائرة معدل النهار. وقد تبيّن في موضوعه من الهيئة أن الفلك الأعلى متّحرك من المشرق إلى المغرب حركة يومية يحرك بها سائر الأفلاك التي في جوفه قهراً وهذه الحركة محسوسة. وكذلك تبيّن أن للكواكب في أفلاكها حركة مختلفة لهذه الحركة وهي من المغرب إلى المشرق، وتختلف آمادها باختلاف حركة الكواكب في السرعة والبطء. وعمرات هذه الكواكب في أفلاكها توازيها كلها دائرة عظيمة من الفلك الأعلى تقسّم بتصنيف وهي دائرة فلك البروج منقسمة باثي عشر برجاً، وهي على ما تبيّن في موضوعه مقاطعة لدائرة معدل النهار على نقطتين متقابلتين من البروج، هما أول الحمل وأول الميزان، فتقسمهما دائرة معدل النهار بتصنيف: نصف مائل عن معدل النهار إلى الشمال وهو من أول الحمل إلى آخر السنة، ونصف مائل عنه إلى الجنوب وهو من أول الميزان إلى آخر السنة. وإذا وقع القطبان على الأفق في جميع نواحي الأرض كان على سطح الأرض خط واحد يسامّت دائرة معدل النهار بمن المغرب إلى المشرق ويسمى خط الاستواء. ووقع هذا الخط بالرصد على ما زعموا في مبدأ الإقليم الأول من الأقاليم السبعة، والعمران كله في الجهة الشمالية عنه.

والقطب الشمالي يرتفع عن أفق هذا العمور بالتدريج إلى أن يتّهي ارتفاعه إلى أربع وستين درجة وهنالك يقطع العمران

جل القمر، ولا يعلم في الأرض جبل أعلى منه تخرج منه عيون كثيرة، فيصب بعضها في محيرة هناك وبعضها في أخرى، ثم تخرج أنهار من البحيرتين فتصب كلها في محيرة واحدة عند خط الاستواء على عشر مراحل من الجبل. وينخر من هذه المحيرة نهران. يذهب أحدهما إلى ناحية الشمال على سنته وير ببلاد التربة شم بلاد مصر، فإذا جاوزها تشعب في شعب متقاربة يسمى كل واحد منها خليجاً وتصب كلها في البحر الرومي عند الإسكندرية، ويسمي نيل مصر وعليه الصبعد من شرقه والراحات من غربه. وينهض الآخر منعطافاً إلى المغرب ثم ير على سنته إلى أن يصب في البحر الحبيب وهو نهر السودان وأنهم كلهم على ضفتيه.

وأما الفرات فمبئوه من بلاد أرمينية في الجزء السادس من الإقليم الخامس، وير جنوباً في أرض الروم ومطيبة إلى منبع ثم يمر بصفين ثم بالرقة ثم بالكرفه إلى أن ينتهي إلى البطحاء التي بين البصرة وواسط، ومن هناك يصب في البحر الحبشي، وينجلب إليه في طريقه أنهار كثيرة وينخر منه أنهار أخرى تصب في دجلة.

وأما دجلة فمبئوه عين بيلاد خلاط من أرمينية أيضاً، وتمر على سمت الجنوب بـالموصـلـ وأذـربيـجانـ وـبغـدادـ إـلـيـ وـاسـطـ، فـتـفـرـقـ إـلـيـ خـلـجـانـ كـلـهـاـ تـصـبـ فـيـ محـيـرـةـ الـبـصـرـةـ وـتـفـضـيـ إـلـيـ محـرـ فـارـسـ وـهـوـ فـيـ الشـرـقـ عـلـىـ بـيـنـ الـفـرـاتـ وـيـنـجـلـبـ إـلـيـ أنهـارـ كـثـيرـةـ عـظـيمـةـ مـنـ كـلـ جـانـبـ، وـفـيـماـ بـيـنـ الـفـرـاتـ وـدـجـلـةـ مـنـ أـوـلـهـ جـزـيرـةـ المـوـصـلـ قـيـالـةـ الشـامـ مـنـ عـدـوـتـيـ الـفـرـاتـ وـقـبـالـةـ أـذـرـبيـجانـ مـنـ عـدـوـدـةـ دـجـلـةـ.

وأما نهر جيحون فمبئوه من بلخ في الجزء الثامن من الإقليم الثالث من عيون هناك كثيرة، وينجلب إليه أنهار عظام، وينهض من الجنوب إلى الشمال فيمر بـبلادـ خـراسـانـ، ثم ينخر منها إلى بلاد خوارزم في الجزء الثامن من الإقليم الخامس، فيصب في محيرة الجرجانية التي يأسفل مديتها وهي مسيرة شهر في مثله وإليها ينصب نهر فرغانة والشаш الآتي من بلاد الترك. وعلى غربى نهر جيحون بـبلادـ خـراسـانـ وـخـوارـزمـ، وـعـلـىـ شـرـقـهـ بـلـادـ بـخـارـىـ وـتـرـمـذـ وـسـمـرـقـندـ وـمـنـ هـنـالـكـ إـلـيـ ماـ وـرـاءـ بـلـادـ التـرـكـ وـفـرـغانـةـ وـالـخـرـزـجـيةـ وـأـمـ الأـعـاجـمـ.

وقد ذكر ذلك كله بطليموس في كتابه، والشريف في كتاب «روجر» وصوروا في الجغرافيا جميع ما في العمور من الجبال والبحار والأودية واستوفوا من ذلك ملا حاجة لنا به لطوله، ولأن عنايتنا في الأكثر إنما هي بالمغرب الذي هو وطن البربر وبالأوطان التي للعرب من المشرق والله الموفق.

أربع وعشرين، فإن الأشعة ملحة على الأفق في ذلك بقرب من إلاتها في خط الاستواء وإفراط الحر يفعل في الهواء جفيناً ويساً يمنع من التكثين؛ لأنه إذا أفرط الحر جفت المياه والرطوبات وفسد التكثين في المعدن والسيوان والنبات، إذ التكثين لا يكون إلا بالرطوبة. ثم إذا مال رأس السرطان عن سمت الرؤوس في عرض خمس وعشرين فما بعده نزلت الشمس عن المسامة فيصير الحر إلى الاعتدال أو ميل عنه ميلًا قليلاً، فيكون التكثين ويزيد على التدرج إلى أن يفترط البرد في شدته لقلة الضوء، وكون الأشعة منفرجة الزوايا فيتنقص التكثين وفسد. إلا أن فساد التكثين من جهة شدة الحر أعظم منه من جهة شدة البرد؛ لأن الحر أسرع تأثيراً في التجفيف من تأثير البرد في الجمد. فلذلك كان العمران فيإقليم الأول والثاني قليلاً، وفي الثالث والرابع والخامس متسطاً لاعتدال الحر بتصانع الضوء، وفي السادس والسابع كثيراً لتفصان الحر، وأن كيفية البرد لا تؤثر عند أولها في فساد التكثين كما يفعل الحر، إذ لا تجفيف فيها إلا عند الإفراط بما يعرض لها حيث من اليأس كما بعد السابعة. فلهذا كان العمران في الربع الشمالي أكثر وأوفر والله أعلم.

ومن هنا أحد الحكماء خلاء خط الاستواء وما وراءه. وأورد عليهم أنه معور بالمشاهدة والأخبار المتواترة، فكيف يتم البرهان على ذلك؟ والظاهر أنهم لم يربدوا امتناع العمران فيه بالكلية، إنما أذهم البرهان إلى أن فساد التكثين فيه قوي بإفراط الحر، والعمaran فيه إما ممتنع أو يمكن أقلي، وهو كذلك، فإن خط الاستواء الذي وراءه وإن كان فيه عمران كما نقل فهو قليل جداً.

وقد زعم ابن رشد أن خط الاستواء معتدل وأن ما وراءه في الجنوب بمثابة ما وراءه في الشمال، فيعمره منه ما عمر من هذا. والذي قاله غير ممتنع من جهة فساد التكثين، وإنما ممتنع فيما وراء خط الاستواء في الجنوب من جهة أن العنصر المائي غمر وجه الأرض هنالك إلى الحد الذي كان مقابلة من الجهة الشمالية قليلاً للتكتين، ولما ممتنع المعنى لغلبة الماء تبعه ما سواه؛ لأن العمران متدرج ويأخذ في التدرج من جهة الوجود لا من جهة الامتناع. وأما القول بامتناعه في خط الاستواء فيرده النقل المتواتر، والله أعلم.

ولنرسم بعد هذا الكلام صورة الجغرافيا كما رسمها صاحب كتاب «روجار» ثم نأخذ في تفصيل الكلام عليها.. إلخ.

وهو آخر الإقليم السابع، وإذا ارتفع على الأفق تسعم درجة وهي التي بين القطب دائرة معدل النهار صار القطب على سمت الرؤوس وصارت دائرة معدل النهار على الأفق وبقيت سمة من البروج فوق الأفق، وهي الشمالية وستة نحت الأفق وهي الجنوبية، والعمارة فيما بين الأربعية والستين إلى التسعين ممتنعة؛ لأن الحر والبرد حيث لا يحصلان ممترجين بعد الزمان بينهما فلا يحصل التكثين.

إذا الشمس تسامت الرؤوس على خط الاستواء في رأس الحمل والميزان، ثم تميل عن المسامة إلى رأس السرطان ورأس الجدي، ويكون نهاية ميلها عن دائرة معدل النهار أربعًا وعشرين درجة. ثم إذا ارتفع القطب الشمالي عن الأفق مالت دائرة معدل النهار عن سمت الرؤوس بمقدار ارتفاعه وانخفاض القطب الجنوبي كذلك بمقدار متساوٍ في الثلاثة وهو المسمى عند أهل المواقف عرض البلد. وإذا مالت دائرة معدل النهار عن سمت الرؤوس علىتها البروج الشمالية متدرجة في مقدار علوها إلى رأس السرطان، وانخفاض البروج الجنوبية من الأفق كثلك إلى رأس الجدي لآخرها إلى الجانبين في أفق الاستواء كما قلناه. فلا يزال الأفق الشمالي يرتفع حتى يصل بعد الشمالية وهو رأس السرطان في سمت الرؤوس، وذلك حيث يكون عرض البلد أربعًا وعشرين في المحاجز وما يليه. وهذا هو الميل الذي إذا مال رأس السرطان عن معدل النهار في أفق الاستواء ارتفع بارتفاع القطب الشمالي حتى صار مسامتاً. فإذا ارتفع القطب أكثر من أربع وعشرين نزلت الشمس عن المسامة ولا تزال في اخضاض إلى أن يكون ارتفاع القطب أربعًا وستين، ويكون انخفاض الشمس عن المسامة كذلك وانخفاض القطب الجنوبي عن الأفق مثلها، فيقطع التكثين لإفراط البرد والجمد وطول زمانه غير ممترج بالحر.

ثم إن الشمس عند المسامة وما يقاربها تبعث الأشعة على الأرض على زوايا قائمة وفيما دون المسامة على زوايا منفرجة واحدة. وإذا كانت زوايا الأشعة قائمة عظم الضوء وانتشر بخلافه في المنفرجة والحادية. فلهذا يكون الحر عند المسامة وما يقرب منها أكثر منه فيما بعد؛ لأن الضوء سبب الحر والتلخين.

ثم أن المسامة في خط الاستواء تكون مرتين في السنة عند نقطي الحمل والميزان، وإذا مالت فغير بعيد. ولا يكاد الحر يعتدل في آخر ميلها عند رأس السرطان والجدي إلا إن صعدت إلى المسامة فتبقي الأشعة القائمة الزوايا تلوك على ذلك الأفق ويطغى مكثها أو يدوم فيتشتعل الهواء حرارة ويفرط في شدتها. وكذلك ما دامت الشمس تسامت مرتين فيما بعد خط الاستواء إلى عرض

## تفصيل الكلام على بدء الجغرافيا:

والمتكلمون على هذه الجغرافيا قسموا كل واحد من هذه الأقاليم السبعة في طوله من المغرب إلى المشرق بعشرة أجزاء متساوية، ويدركون ما اشتمل عليه كل جزء منها من البلدان والأمصار والجبل والأنهار والمسافات بينها في المسالك، ومحن الآن نوجز القول في ذلك ونذكر مشاهير البلدان والأنهار والبحار في كل جزء منها، ونخذى بذلك ما وقع في كتاب «ترهة المشتاق» الذي الله العلوي الإدريسي الحموي لملك صقلية من الإفرنج وهو روجار بن روجار عندما كان نازلاً عليه بصفة بعد خروج صقلية من إمارة مالقة. وكان تأليفه لكتاب في متصرف المائة السادسة. وجع له كتبًا جمة للمسعودي وأبن خردابه والحرقلي والقدري وأبن إسحاق المنجم ويطlimوس وغيرهم ونبداً منها بالإقليم الأول إلى آخرها، والله سبحانه وتعالى يعصمنا بهنّه وفضله.

## الأقليم الأول:

وفيه من جهة غربه الجزائر الحالات التي منها بدأ بطليموس يأخذ أطوال البلاد. وليست في بسيط الإقليم وإنما هي في البحر المتوسط في جزر متكثرة أكبرها وأشهرها ثلاثة ويقال إنها معמורה. وقد بلغنا أن سفائن من الإفرنج مررت بها في أواسط هذه المائة وقاتلتهم فغنموا منهم وسبوا وباعوا بعض أساراهم بسواحل المغرب الأقصى وصاروا إلى خدمة السلطان. فلما تعلموا اللسان العربي أخبروا عن حال جزائرهم وأنهم يختلفون الأرض للزراعة بالقرعون، وأن الجديد مفترد بآراضهم وعيشهم من الشعير وما شيتهم المعز وقاتلهم بالحجارة يرمونها إلى خلف، وعبادتهم السجود للشمس إذا طلعت ولا يعرفون دينًا ولم يتلغهم دعوة، ولا يوقف على مكان هذه الجزائر إلا بالعثور لا بالقصد إليها، لأن سفر السفن في البحر إنما هو بالرياح ومعرفة جهات مهابها ولأنه يوصل إذا مرت على الاستقامة من البلاد التي في مر ذلك المهب. وإذا اختلف المهب وعلم حيث يوصل على الاستقامة حرمي به القلع معاذة يحمل السفينة بها على قوانين في ذلك محصلة عند التواتية والملاحين الذين هم رؤساء السفن في البحر.

والبلاد التي في حفارات البحر الرومي وفي عدوته مكتوبة

كلها في صحيفة على شكل ما هي عليه في الوجود، وفي وضعيتها في سواحل البحر على ترتيبها ومهاب الرياح ومراتها على اختلافها مرسوم فيها في تلك الصحيفة ويس揆ونها الكتاباص وعليها يعتمدون في أسفارهم. وهذا كله مفترد في البحر المتوسط. فلذلك لا تلح في السفن لأنها إن غابت عن مرأى السواحل فقل

اعلم أن الحكماء قسموا هذا العمور كما تقدم ذكره على سبعة أقسام من الشمال إلى الجنوب، يسمون كل قسم منها إقليماً. فانقسم العمور من الأرض كله على هذه السبعة الأقاليم كل واحد منها آخذ من الغرب إلى الشرق على طوله. فالأول منها مار من المغرب إلى المشرق مع خط الاستواء مجده من جهة الجنوب وليس وراء هنالك إلا القفار والرماد وبعض عمارة إن صحت فهي كلاً عمارة. ويليه من جهة شماله الإقليم الثاني ثم الثالث كذلك ثم الرابع الخامس السادس والسابع وهو آخر العمران من جهة الشمال. وليس وراء السابع إلا الخلاء والقتار إلى أن ينتهي إلى البحر المتوسط كالحال فيما وراء الإقليم الأول في جهة الجنوب. إلا أن الخلاء في جهة الشمالي أقل بكثير من الخلاء الذي في جهة الجنوب. ثم إن أزمنة الليل والنهار تختلف في هذه الأقاليم بسبب ميل الشمس عن دائرة معدل النهار وارتفاع القطب الشمالي عن آفاقها. فتقاوت قوس النهار والليل لذلك. وينتهي طول الليل والنهار في آخر الإقليم الأول، وذلك عند حلول الشمس برأس الجدي للليل وبرأس السرطان للنهار، كل واحد منها إلى ثلاث عشرة ساعة. وكذلك في آخر الإقليم الثاني مما يلي الشمال، فينتهي طول النهار فيه عند حلول الشمس برأس السرطان وهو متقبلها الصيفي إلى ثلاث عشرة ساعة ونصف ساعة. ومثله أطول الليل عند متقبلها الشتوي برأس الجدي. ويبقى للأقصر من الليل والنهار ما يبقى بعد الثلاث عشرة ونصف من جملة أربع وعشرين الساعات الزمانية لمجموع الليل والنهار وهي دورة الفلك الكاملة.

وكذلك في آخر الإقليم الثالث مما يلي الشمال أيضاً ينتهي إلى أربع عشرة ساعة، وفي آخر الرابع إلى أربع عشرة ساعة ونصف ساعة وفي آخر الخامس إلى خمس عشرة ساعة، وفي آخر السادس إلى خمس عشرة ساعة ونصف، وفي آخر السابع إلى ست عشرة ساعة، وهنالك ينقطع العمران فيكون تقاوت هذه الأقاليم في الأطول من ليتها ونهارها بنصف ساعة لكل إقليم، يتزايد من أوله في ناحية الجنوب إلى آخره في ناحية الشمال موزعة على أجزاء هذا المعدل.

وأما عرض البلدان في هذه الأقاليم فهو عبارة عن بعد ما بين سمّت رأس البلد ودائرة معدل النهار الذي هو سمّت رأس خط الاستواء، ويمثله سواء ينخفض القطب الجنبي عن أفق ذلك البلد. ويرتفع القطب الشمالي عنه وهو ثلاثة أبعاد متساوية تسمى عرض البلد كما مر ذلك قبل.

وفي كتاب «المشترك» لباتوت بضم القاف وسكون الميم نسبة إلى قوم من أهل المدن، وكذا ضيطة ابن سعيد. فيخرج من هذا الجبل عشر عيون تجتمع كل خمسة منها في محيرة وبينهما ستة أميال. ويخرج من كل واحدة من العيونين ثلاثة أنهار تجتمع كلها في بطحجة واحدة في أسفلها جبل معترض يشق البحيرة من ناحية الشمال. وينقسم ماواها بقسمين، فيمر الغربي منه إلى بلاد السودان مغرياً حتى يصل إلى البحر المتوسط، ويخرج الشرقي منه ذاهباً إلى الشمال على بلاد الجبشت والنوبة وفيما بينهما وينقسم في أعلى أرض مصر فيصب ثلاثة من جداوله في البحر الرومي عند الإسكندرية ورشيد ومدياط، ويصب واحد في محيرة ملحة قبل أن يتصل بالبحر في وسط هذا الإقليم الأول، وعلى هذا النيل به بلاد النوبة والجبشت وبعض بلاد الواحات إلى أسوان، وحاضرة بلاد النوبة مدينة دقلة وهي في غربى هذا النيل وبعدها علىوة ويلاق وبعدهما جبل الجنادل على ستة مراحل من يلاك في الشمال وهو جبل عال من جهة مصر ومنخفض من جهة النوبة فينفذ فيه النيل ويصب في مهوى بعيد صباً هائلاً، فلا يمكن أن تسلكه المراكب بل يحول الوست من مراكب السودان فيحمل على الظهر إلى بلد أسوان قاعدة الصعيد، وكذا وست مراكب الصعيد إلى فوق الجنادل. وبين الجنادل وأسوان اثنتا عشرة مرحلة. والواحات في غربتها عدوة النيل وهي الآن خراب وبها آثار العمارة القديمة.

وفي وسط هذا الإقليم في الجزء الخامس منه بلاد الجبشت على واد ي يأتي من وراء خط الاستواء ذاهباً إلى أرض النوبة فيصب هناك في النيل الماء الطيب إلى مصر. وقد وهم فيه كثير من الناس وزعموا أنه من نيل القمر. ويطليموس ذكره في كتاب الجغرافيا وذكر أنه ليس من هذا النيل، وإن وسط هذا الإقليم في الجزء الخامس يتبع بحر الهند الذي يدخل من ناحية الصين ويغمر عامة هذا الإقليم إلى هذا الجزء الخامس فلا يبقى فيه عمران إلا ما كان في الجزائر التي في داخله وهي متعددة، يقال تنتهي إلى الف جزيرة أو فيما على سواحله الجنوبية، وهي آخر المعمور في الجنوب، أو فيما على سواحله من جهة الشمال وليس منها في هذا الإقليم الأول إلا طرف من بلاد الصين في جهة الشرق وفي بلاد اليمن.

وفي الجزء السادس من هذا الإقليم فيما بين البحرين المابطين من هذا البحر الهندي إلى جهة الشمال وهو بحر قلزم وبحر فارس، وفيما بينهما جزيرة العرب، وتتشتمل على بلاد اليمن وببلاد الشحر في شرقها على ساحل هذا البحر الهندي وعلى بلاد الحجاز والميامدة وما إليها كما نذكره في الإقليم الثاني وما بعده.

أن تهتدى إلى الرجوع إليها مع ما يعتقد في جو هذا البحر وعلى سطح مائه من الأجرة المائعة للسفن في مسيرها وهي بعدها لا تدركها أصوات الشمس المعاكسة من سطح الأرض فتحللها؛ فلذلك عسر الاتداء إليها وصعب الوقوف على خبرها.

وأما الجزء الأول من هذا الإقليم فيه مصب النيل الآتي من مبدئه عند جبل القمر كما ذكرناه ويسمى نيل السودان. وينذهب إلى البحر المتوسط فيصب فيه عند جزيرة أوليك. وعلى هذا النيل مدينة سلا وتكتور وغاتة وكلها لهذا العهد في مملكة ملك مالي من أمم السودان. وإلى بلادهم تsofar تجبار المغرب الأقصى وبالقرب منها من شمالها بلاد لمونة وسائر طوائف الملوكين ومقابر يجرون فيها.

وفي جنوبى هذا النيل قوم من السودان يقال لهم (اللم) وهم كفار ويكترون في وجوههم وأصدائهم وأهل غاته والتكترون يغبون عليهم ويسبوهم ويعيرونهم للتجار فيجلبونهم إلى المغرب، وكلهم عامة رقيقهم، وليس وراءهم في الجنوب عمران يعتبر إلا ناسى أقرب إلى الحيوان العجم من الناطق يسكنون الفيافي والكهوف. ويسألكون العشب والحبوب غير مهية وربما يأكل بعضهم بعضاً. وليسوا في عداد البشر. وفواكه بلاد السودان كلها من قصور صحراء المغرب مثل توتات وتنكريان ووركلان. فكان في غاته فيما يقال ملك ودولة لقوم من العوليين يعرفون ببني صالح. وقال صاحب كتاب روجار إنه صالح بن عبد الله بن حسن بن الحسن ولا يعرف صالح هذا في ولد عبد الله بن حسن. وقد ذهبت هذه الدولة لهذا العهد وصارت غاتة لسلطان مالي.

وفي شرقى هذا البلد في الجزء الثالث من الإقليم بلد (كوكو) على نهر ينبع من بعض الجبال هناك. ويفرّ منها فيغوص في رمال الجزء الثاني. وكان ملك كوكو قائمًا بنفسه ثم استولى عليها سلطان مالي وأصبحت في مملكته وخررت لهذا المهد من أجل فتنة وقعت هناك ذكرها عند ذكر دولة مالي في عملها من تاريخ البرير. وفي جنوبى بلد كوكو بلاد كانت من أمم السودان. وبعدهم ونقاره على ضفة النيل من شماله.

وفي شرقى بلاد ونقاره وكانت بلاد زغاوة وتجارة المتصلة بأرض النوبة في الجزء الرابع من هذا الإقليم. وفيه يمر نيل مصر ذاهباً من مبدئه عند خط الاستواء إلى البحر الرومي في الشمال. ويخرج هذا النيل من جبل القمر الذي فوق خط الاستواء بست عشرة درجة. واختلفوا في ضبط هذه اللفظة. فقضبها بعضهم يفتح القاف والميم نسبة إلى قمر السماء لشدة ياضه وكثرة ضوءه.

بعدها قليل من الجزء التاسع وأكثر منه من العاشر فيه أعلى بلاد الصين، ومن هذه الشهيرة خانكور، وبقائها من جهة الشرق جزائر السيلان وقد تقدم ذكرها. وهذا آخر الكلام في الإقليم الأول، والله سبحانه وتعالى بليبي التوفيق عمه وفضله.

### الإقليم الثاني

وهو متصل بالأول من جهة الشمال، وبقائه المغرب منه في البحر المتوسط جزيرتان من الجزر الكندالات التي مر ذكرها، وفي الجزء الأول والثاني منه في الجانب الأعلى منها أرض قنورية وبعدها في جهة الشرق أعلى أرض غانة ثم مجالات البحيرة من السودان، وفي الجانب الأسفل منها صحراء نيستر متصلة من الغرب إلى الشرق ذات مقاوز تسلك فيها التجار ما بين بلاد المغرب وببلاد السودان وفيها مجالات الملثمين من صنهاجة وهي شعوب كثيرة ما بين كزولة ولتونة ومرساته وبلطة ووريكة.

وعلى سمت هذه المقاوز شرقاً أرض فزان ثم مجالات أزكار من قبائل البربر ذاهبة إلى أعلى الجزء الثالث على سمتها في الشرق، وبعدها من هذا الجزء بلاد كوار من أسم السودان ثم قطعة من أرض الباجوين. وفي أسفل هذا الجزء الثالث وهي جهة الشمال منه بقية أرض ودان، وعلى سمتها شرقاً أرض ستيرة وتسمى الواحات الداخلة.

وفي الجزء الرابع من أعلاه بقية أرض الباجوين. ثم يعترض في وسط هذا الجزء بلاد الصعيد حافات النيل الذاهب من مبدئه في الإقليم الأول إلى عصبه في البحر، فيمر في هذا الجزء بين الجبلين الحاجزين وهما جبل الواحات من غربه وجبل المقطم من شرقه وعليه من أعلاه بلاد أستانا وأرمنت، ويتصل كذلك حافاته إلى أسيروط وقوص ثم إلى صبور. ويفترق النيل هنالك على شعين ينتهي الأمرين بهما في هذا الجزء عند اللاهون والأيسر عند دلاص وفيمما بينهما أعلى ديار مصر.

وفي الشرق من جبل المقطم صحراء عيذاب ذاهبة في الجزء الخامس إلى أن تنتهي إلى بحر السويس وهو بحر القلزم الماء من البحر الهندي في الجنوب إلى جهة الشمال. وفي عدوته الشرقية من هذا الجزء أرض الحجاز من جبل يلتمس إلى بلاد يرب، وفي وسط الحجاز مكة شرفها الله، وفي ساحلها مدينة جدة تقابل بلاد عيذاب في العدوة الغربية من هذا البحر.

وفي الجزء السادس من غربه بلاد نجد أعلاها في الجنوب،

فاما الذي على ساحل هذا البحر من غربه بلاد زالع من أطراف بلاد الحبشة و المجالات البحيرة في شمال الحبشة ما بين جبل العلاقى في أعلى الصعيد وبين بحر القلزم الماء من البحر الهندي وتحت بلاد زالع من جهة الشمال في هذا الجزء خليج باب المندب، يضيق البحر الماء هنالك بمراحة جبل المندب الماء في وسط البحر الهندي متداً مع ساحل اليمن من الجنوب إلى الشمال في طول اثنى عشر ميلاً، فيضيق البحر بسبب ذلك إلى أن يصير في عرض ثلاثة أميال أو نحوها، ويسمى بباب المندب وعليه قريراً مراكب اليمن إلى ساحل السويس قريباً من مصر، وتحت باب المندب جزيرة سواكن وذهلك، وبقائهما من غربه مجالات البحيرة من أمم السودان كما ذكرناه. ومن شرقه في هذا الجزء تهائم اليمن، ومنها على ساحله بلد علي بن يعقوب. وفي جهة الجنوب من بلد زالع وعلى ساحل هذا البحر من غربه قريراً بربير يتلو بعضها بعضاً. وينعطف مع جنوبيه إلى آخر الجزء السادس.

وإليها هنالك من جهة شرقها بلاد الزنج ثم بلاد سفالة على ساحلها الجنوبي في الجزء السابع من هذا الإقليم. وفي شرقها بلاد سفالة من ساحلها الجنوبي بلاد الواق واق متصلة إلى آخر الجزء العاشر من هذا الإقليم عند مدخل هذا البحر من البحر المتوسط.

وأما جزائر هذا البحر فكثيرة، من أعظمها جزيرة سرندليب مدورة الشكل، وبها جبل المشهور يقال: ليس في الأرض أعلى منه وهي قبلة سفالة. ثم جزيرة القرم وهي جزيرة مستطيلة تبدأ من قبلة أرض سفالة وتذهب إلى الشرق منحرفة بكثير إلى الشمال إلى أن تقرب من سواحل أعلى الصين ويختف بها في هذا البحر من جنوبها جزائر الواق واق ومن شرقها جزائر السيلان إلى جزائر آخر في هذا البحر كثيرة العدد، وفيها أنواع الطيب والأقارب وفيها يقال معدن الذهب والزمرد، وعامة أهلها على دين المجرسي، وفيهم ملوك متعددون. وبهذه الجزر من أحوال العمران عجائب ذكرها أهل الجغرافيا.

وعلى الضفة الشمالية من هذا البحر في الجزء السادس من هذا الإقليم بلاد اليمن كلها، فمن جهة بحر القلزم بلاد زيد والمهرج وتهامه اليمن وبعدها بلاد صعدة مقر الإمامة الزيدية، وهي بعيدة عن البحر الجنوبي وعن البحر الشرقي، وفيما بعد ذلك مدينة عدن في شمالها صنعاء، وبعدهما إلى الشرق أرض الأحقاف وظفار، وبعدها أرض حضرموت ثم بلاد الشجر ما بين البحر الجنوبي وبحر فارس. وهذه القطعة من بقية السادس هي التي انكشف عنها البحر من أجزاء هذا الإقليم الوسطى وينكشف

البحر المحيط منها رباط ماسة ويتصل به شرقاً بلاد سوس ونول وعلى سمتها شرقاً بلاد درعة ثم بلاد سجلماسة ثم قطعة من صحراء نيسرت المفازة التي ذكرناها في الإقليم الثاني. وهذا الجبل مطل على هذه البلاد كلها في هذا الجزء وهو قليل الثنايا والمسالك في هذه الناحية الغربية إلى أن يُسamtat وادي ملوية فتكثر ثناياه ومسالكه إلى أن يتهمي. وفي هذه الناحية منه أمم المصامدة، ثم هشّاته ثم تَيَّمِّلُكَ ثم كذبيبة ثم مشكورة وهم آخر المصامدة فيه، ثم قبائل صنهاكة وهم صنهاجة. وفي آخر هذا الجزء منه بعض قبائل زناتة. ويتصل به هناك من جوفيه جبل أوراس وهو جبل كُتامة. وبعد ذلك أمم أخرى من البرابرة تذكرهم في أماكنهم.

ثم إن جبل دَرَنَ هذا من جهة غربه مطل على بلاد المغرب الأقصى وهي في جوفيه. ففي الناحية الجنوبيّة منها بلاد مراكش وأغامات وتاذلا. وعلى البحر المحيط منها رباط أسفى ومدينة سلا. وفي الجروف عن بلاد مراكش بلاد فاس ومتكلّسة وتازا وقصر كُتامة. وهذه هي التي تسمى المغرب الأقصى في عرف أهلها. وعلى ساحل البحر المحيط منها بلدان: أصيلاً والعرابيش. وفي سمت هذه البلاد شرقاً بلاد المغرب الأوسط وقاعدتها تيمسان وفي سواحلها على البحر الرومي بلد هَيْنَ ووهان والجزائر؛ لأن هذا البحر الرومي يخرج من البحر المحيط من خليج طنجة في الناحية الغربية من الإقليم الرابع وينهض شرقاً فيتهي إلى بلاد الشام، فإذا خرج من الخليج المتضائق غير بعيد انفسح جنوباً وشمالاً فتدخل في الإقليم الثالث والخامس؛ فلهذا كان على ساحله من هذا الإقليم الثالث الكثير من بلاده. ثم يتصل ببلاد الجزائر من شرقها بلاد بجاية في ساحل البحر ثم قُسْنَطِينَة في الشرق منها. وفي آخر الجزء الأول وعلى مرحلة من هذا البحر في جنوب هذه البلاد ومرتفعاً إلى جنوب المغرب الأوسط بلد أثيير ثم بلد القسيمة ثم الزاب وقاعدتها بسكتة تحت جبل أوراس المتصل بدرن كما مر. وذلك عند آخر هذا الجزء من جهة الشرق.

والجزء الثاني من هذا الإقليم على هيئة الجزء الأول ثم جبل درن على نحو الثالث من جنوبه ذاهباً فيه من غرب إلى شرق فيقسمه بقطعين. ويغمر البحر الرومي مسافة من شماله. فالقطعة الجنوبيّة عن جبل درن غربيها كله مفاوزة في الشرق منها بلد غدامس وفي سمتها شرقاً أرض وَدَانَ التي يقينها في الإقليم الثاني كما مر. والقطعة الجوفية عن جبل درن ما بينه وبين البحر الرومي في الغرب منها جبل أوراس وَيَسْتَة والأوپس. وعلى ساحل البحر بلد بونة. ثم في سمت هذه البلاد شرقاً بلاد إفريقية. فعلى ساحل

وتلة وجرش إلى عكاظ من الشمال. وتحت نجد من هذا الجزء بقية أرض الحجاز وعلى سمتها في الشرق بلاد نجران وخيبر وتحتها أرض اليمامة، وعلى سمت نجران في الشرق أرض سباً ومارب ثم أرض الشّعْر. وينتهي إلى بحر فارس وهو البحر الثاني المحيط من البحر الهندي إلى الشمال كما مر. وينهض في هذا الجزء بالخراف إلى الغرب فيمر ما بين شرقه وجوفيه قطعة متلّة عليها من أعلى مدينة قَلَّهَات وهي ساحل الشّعْر ثم تحتها على ساحل بلاد عُمان، ثم بلاد البحرين وهجر منها في آخر الجزء.

وفي الجزء السابع في الأعلى من غربه قطعة من بحر فارس تصل بالقطعة الأخرى في السادس. ويفتر بحر الهند جانبه الأعلى كله. وعليه هناك بلاد السندي إلى بلاد مكران ويفاصلها بلاد الطوران وهي من السندي أيضاً. فيحصل السندي كله في الجانب الغربي من هذا الجزء وتحول المفاوز بينه وبين أرض الهند وير في نهره الآتي من ناحية بلاد الهند، ويصب في البحر الهندي في الجنوب. وأول بلاد الهند على ساحل البحر الهندي، وفي سمتها شرقاً بلاد بَلْهَرَا وتحتها اللّهَانَ بلاد الصنم المظنم عندهم، ثم إلى أسفل من السندي، ثم إلى أعلى بلاد سجستان.

وفي الجزء الثامن من غربه بقية بلاد بَلْهَرَا من الهند، وعلى سمتها شرقاً بلاد القندهار ثم بلاد منيبار، وفي الجانب الأعلى على ساحل البحر الهندي وتحتها في الجانب الأسفل أرض كابل، وبعدها شرقاً إلى البحر المحيط بلاد الفنوج ما بين قشمير الداخلة وقشمير الخارجية عند آخر الإقليم.

وفي الجزء التاسع ثم في الجانب الغربي منه بلاد الهند الأقصى ويتصل فيه إلى الجانب الشرقي فيحصل من أعلى إلى العاشر وتبقى في أسفل ذلك الجانب قطعة من بلاد الصين فيها مدينة شِغُون، ثم تصل بلاد الصين في الجزء العاشر كله إلى البحر المحيط، والله ورسوله أعلم، وبه سبحانه التوفيق وهو ولِي الفضل والكرم.

### الإقليم الثالث

وهو متصل بالثاني من جهة الشمال.

ففي الجزء الأول منه وعلى نحو الثالث من أعلى جبل دَرَن معترض فيه من غربه عند البحر المحيط إلى الشرق عند آخره. ويسكن هذا الجبل من البرير أمم لا يخصهم إلا خالقهم حسبما يأتي ذكره. وفي القطعة التي بين هذا الجبل والإقليم الثاني وعلى

الشمال ينطعف آخذًا إلى جهة الغرب ف تكون قطعة من انتطاشه في هذا الجزء طرولة فيتهي في الطرف الغربي منه إلى السويس. وعلى هذه القطعة بعد السويس فاران ثم جبل الطور ثم آيلية مدين ثم الحوراء في آخرها. ومن هناك ينطعف ساحله إلى الجنوب في أرض الحجاز كما مر في الإقليم الثاني في الجزء الخامس منه.

وفي الناحية الشمالية من هذا الجزء قطعة من البحر الرومي غمرت كثيراً من غربه عليها الفرما والعريش وقارب طرفها بلد القلزم فيضان ما بينهما من هناك وبقي شبه الباب مفضياً إلى أرض الشام.

وفي غربى هذا الباب فحص التيه أرض جراداء لا تبت كانت مجالاً لبني إسرائيل بعد خروجهم من مصر وقبل دخولهم إلى الشام أربعين سنة كما قصه القرآن. وفي هذه القطعة من البحر الرومي في هذا الجزء طائفة من جزيرة قبرص وبقائها في الإقليم الرابع كما ذكرنا. وعلى ساحل هذه القطعة عند الطرف المتضاد لبحر السويس بلد العريش وهو آخر الديار المصرية وعسقلان وبينهما طرف هذا البحر، ثم تنحط هذه القطعة في انتطاشه من هناك إلى الإقليم الرابع عند طرابلس وغزة. وهناك يتهي البحر الرومي في جهة الشرق. وعلى هذه القطعة أكثر سواحل الشام.

ففي شرقه غزة ثم عسقلان بالخراف يسير عنها إلى الشمال بلد قيسارية. ثم كذلك بلد عكا ثم صور ثم صيدا، ثم ينطعف البحر إلى الشمال في الإقليم الرابع. ويقابل هذه البلاد الساحلية من هذه القطعة في هذا الجزء جبل عظيم يخرج من ساحل آيلية من بحر القلزم وينذهب في ناحية الشمال متعرضاً إلى الشرق إلى أن يجاور هذا الجزء ويسمى جبل اللُّكَام وكأنه حاجز بين أرض مصر والشام. ففي طرفه عند آيلية العقبة التي يمر عليها الحاجاج من مصر إلى مكة، ثم بعدها في ناحية الشمال مدفن الخليل عليه الصلاة والسلام عند جبل السَّرَّة يتصل من عند جبل اللُّكَام المذكور من شمال العقبة ذاهباً على سمت الشرق ثم ينطعف قليلاً.

وفي شرقه هناك بلد الحجر وديار ثمود وتيماء وذمة الجندي وهي أسافل الحجاز. وفوقها جبل رضوى ومحصون خير في جهة الجنوب عنها. وفيما بين جبل السرة وبحر القلزم صحراء تبوك. وفي شمال جبل السرة مدينة القدس عند جبل اللُّكَام ثم الأردن ثم طبرية. وفي شرقها بلاد الغور إلى أذرعات. وفي سمتها شرقاً دومة الجندي آخر هذا الجزء وهي آخر الحجاز. وعند منعطف جبل اللُّكَام إلى الشمال من آخر هذا الجزء مدينة دمشق مقابلة صيدا وبيروت من القطعة البحرية وجبل اللُّكَام يعترض

البحر مدينة تونس ثم سوسة ثم المهدية. وفي جنوب هذه البلاد تحت جبل درن بلاد الجريد. توزز وقصبة ونقراءة. وفيما بينها وبين السواحل مدينة القبروان وجبل وسلات وسيطة. وعلى سمت هذه البلاد كلها شرقاً بلد طرابلس على البحر الرومي. وبزااتها في الجنوب جبل ذمر ونقرة من قبائل هوازة متعلقة بجبل ذرن، وفي مقابلة غدايس التي مر في نهرها في آخر القطعة الجنوبية. وآخر هذا الجزء في الشرق سُوقَة ابن مشكورة على البحر. وفي جنوبها مجالات العرب في أرض ودان.

وفي الجزء الثالث من هذا الإقليم يمر أيضاً فيه جبل ذرن إلا أنه ينطعف عند آخره إلى الشمال وينذهب على سنته إلى أن يدخل في البحر الرومي ويسمى هناك طرف أوثان. والبحر الرومي من شماليه يغير طائفته منه إلى أن يضيق ما بينه وبين جبل درن. فالذى وراء الجبل في الجنوب وفي الغرب منه بقية أرض ودان و المجالات العربية فيها ثم زاوية ابن الخطاب، ثم رمال وفقار إلى آخر الجزء في الشرق. وفيما بين الجبل والبحر في الغرب منه بلد سُرت على البحر. ثم خلاء ومقار تجول فيها العرب. ثم أجداية ثم برقية عند منعطف الجبل، ثم طلمسة على البحر هناك، ثم في شرق المنعطف من الجبل مجالات هيب ورواحة إلى آخر الجزء.

وفي الجزء الرابع من هذا الإقليم وفي الأعلى من غربه صحاري برقيق وأقل منها بلاد هيب ورواحة. ثم يدخل البحر الرومي في هذا الجزء فيغير طائفته منه إلى الجنوب حتى يزاحم طرفه الأعلى وبقى بينه وبين آخر الجزء فيها قفار تجول فيها العرب. وعلى سمتها شرقاً بلاد الفِيُوم وهي على مصب أحد الشعين من النيل الذي يمر على اللاهون من بلاد الصعيد في الجزء الرابع من الإقليم الثاني، ويصب في محيرة قيُوم وعلى سنته شرقاً أرض مصر ومديتها الشهيرة على الشعب الثاني الذي يمر ببلاد الصعيد عند آخر الجزء الثاني. ويفترق هذا الشعب افتراقاً ثالثة من تحت مصر على شعين آخرین من شنطوف ورْفَقى. وينقسم الألين منها من قُرمط بشعين آخرین ويصب جميعها في البحر الرومي. فعلى مصب الغربى من هذا الشعب بلد الإسكندرية، وعلى مصب الوسط بلد رشيد، وعلى نصب الشرقي بلد دِمياط. وبين مصر والقاهرة وبين هذه السواحل البحرية أساساً الديار المصرية كلها محشوة عمراً وفلجاً.

وفي الجزء الخامس من هذا الإقليم بلاد الشام وأكثرها على ما أصف؛ وذلك لأن بحر القلزم يتهي من الجنوب وفي الغرب منه عند السويس؛ لأنه في عمره مبتدئ من البحر الهندي إلى

وفي الجزء الثامن من غربه وجنوبيه مجالات الجلخ من أمم الترك متصلة بأرض سجستان من غربها وبأرض كائل الهند من جنوبها. وفي الشمال عن هذه المجالات جبال الغور وبلاطها وقاعدتها غزنة فرضة الهند. وفي آخر الغور من الشمال بلاد أشتراباذ ثم في الشمال غرباً إلى آخر الجزء بلاد هررة أو سط خراسان. وبها أسفراين وقاشان وبوشنج ومقرُّ الروذ والطالقان والجوزجان. وتنتهي خراسان هنالك إلى نهر جيرون.

وعلى هذا النهر من بلاد خراسان من غربيه مدينة بلخ، وفي شرقيه مدينة ترمذ، ومدينة بلخ كانت كرسى مملكة الترك. وهذا النهر نهر جيرون. يخرج من بلاد وجار في حدود تندخشان مما يلي الهند. ويخرج من جنوب هذا الجزء عند آخره من الشرق فينقطع عن قرب مغرياً إلى وسط الجزء ويسى هنالك نهر خرناب، ثم ينبع إلى الشمال حتى يمر بخراسان وينذهب على سنته إلى أن يصب في محيرة خوارزم في الإقليم الخامس كما نذكره. ويمد عن انقطاعه في وسط الجزء من الجنوب إلى الشمال خمسة أنهار عظيمة من بلاد الختل والوخش من شرقه وأنهار أخرى من جبال البئس من شرقه أيضاً وجوفي الجبل حتى يتسع ويعظم ما لا كفاه له، ومن هذه الأنهار الخمسة المددة له نهر وختاب يخرج من بلاد البئس وهي بين الجنوب والشرق من هذا الجزء فيمر مغرياً بالغراف إلى الشمال إلى أن يخرج إلى الجزء التاسع قريباً من شمال هذا الجزء يعترضه في طريقه جبل عظيم يمر من وسط الجنوب في هذا الجزء وينذهب مشرقاً بالغراف إلى الشمال إلى أن يخرج إلى الجزء التاسع قريباً من شمال هذا الجزء فيجوز بلاد البئس إلى القطب الشرقي الجنوبي من هذا الجزء. ويعول بين الترك وبين بلاد الختل وليس فيه إلا مسلك واحد في وسط الشرق من هذا الجزء جعل فيه الفضل بن يحيى سداً وين فيه باباً كسد يأجوج وماجرج. فإذا خرج نهر وخشب من بلاد البئس واعترضه هذا الجبل فيمر تحته في مدى بعيد إلى أن يمر في بلاد الوخش وينصب في نهر جيرون عند حدود بلخ ثم يمر هابطاً إلى الترند في الشمال إلى بلاد الجوزجان. وفي الشرق عن بلاد الغور فيما بينها وبين نهر جيرون بلاد الناسان من خراسان. وفي العدوة الشرقية هنالك من النهر بلاد الختل وأكثرها جبال وبلاط الوخش، ويعدها من جهة الشمال جبال البئس تخرج من طرف خراسان غربي نهر جيرون وتنذهب مشرقةً إلى أن يتصطل طرفها بالجبل العظيم الذي خلقه بلاد البئس وعبر تحته نهر وخشب كما قلناه فيفصل به عند باب الفضل بن يحيى. وين نهر جيرون بين هذه الجبال وأنهار أخرى تصب فيه منها نهر بلاد الوخش يصب فيه

بينها وبينها. وعلى سمت دمشق في الشرق مدينة بعلبك ثم مدينة حمص في الجهة الشمالية آخر الجزء عند منقطع جبل اللكام. وفي الشرق عن بعلبك ومحص بلد تدمر ومجالات البايدية إلى آخر الجزء.

وفي الجزء السادس من أعلى مجالات الأعراب تحت بلاد نجد واليمامه ما بين جبل العرج والصمان إلى البحرين وهجر على بحر فارس. وفي أسفل هذا الجزء تحت المجالات بلد الحيرة والقادسية ومعايض الفرات. وفيما بعدها شرقاً مدينة البصرة. وفي هذا الجزء ينتهي بحر فارس عند عبادان والأبله من أسفل الجزء من شماله. ويصب فيه عند عبادان نهر دجلة بعد أن ينقسم بجدوايل كثيرة وتخالط به جدوايل أخرى من الفرات ثم تجتمع كلها عند عبادان وتصب في بحر فارس. وهذه القطعة من البحر متسعة في أعلى مضيق في آخره في شرقه وضيقه عند متهاته مضيق للحد الشمالي منه. وعلى عدوتها الغربية منه أسفل البحرين وهجر والحساء، وفي غربها أخطب والصمان ويفقد أرض اليمامه، وعلى عدوتها الشرقية سواحل فارس من أعلىها وهو من عند آخر الجزء من الشرق على طرف قد امتد من هذا البحر مشرقاً. ووراءه إلى الجنوب في هذا الجزء جبال القucus من كرمان وتحت هرمز على الساحل بلد سيراف ونجهيم على ساحل هذا البحر. وفي شرقه إلى آخر هذا الجزء وتحت هرمز بلاد فارس مثل سابرور ودار آبجرة ونسا واصطخر والشاهيجان وشيراز وهي قاعدتها كلها. وتحت بلاد فارس إلى الشمال عند طرف البحر بلاد خوزستان ومنها الأهواز وستر وصدى وسابور والسوس ورام هرمز وغيرها وأرجان وهي حد ما بين فارس وخرستان. وفي شرق بلاد خوزستان جبال الأكراد متصلة إلى نواحي أصبهان وبها مساكنهم و مجالاتهم ورامها في أرض فارس وتسمى الرسوم.

وفي الجزء السابع في الأعلى منه من المغرب بقية جبال القucus ويليها من الجنوب والشمال بلاد كرمان وتكان، ومن مدنهما الرودان والشيرانج وجيروف ويزدشير والبهرج. وتحت أرض كرمان إلى الشمال بقية بلاد فارس إلى حدود أصبهان، ومدينة أصبهان في طرف هذا الجزء ما بين غربه وشماله. ثم في المشرق عن بلاد كرمان وبلاط فارس أرض سجستان وكوهستان في الجنوب. وأرض كوهستان في الشمال عنها. ويتوسط بين كرمان وفارس وبين سجستان وكوهستان، في وسط هذا الجزء المفاوز العظيم القليلة المسالك لصعيتها. ومن مدن سجستان بستان والطاق. وأما كوهستان فهي من بلاد خراسان. ومن مشاهير بلادها سرخس وكوهستان آخر الجزء.

يتهي إلى وسط الجزء الخامس من هذا الإقليم، وينفسح في ذهابه بتدرج إلى أن يغمر الأربعة أجزاء وأكثر الخامس ويغمر عن جانبيه طرفاً من الإقليم الثالث والخامس كما سنتذكره. ويسمى هذا البحر البحر الشامي أيضاً. وفيه جزائر كثيرة أعطتها في جهة الغرب يابسة، ثم مازفة ثم مازفة ثم سرداية ثم صقلية وهي أعظمها، ثم بلونس ثم أقريطش ثم قبرص كما نذكرها كلها في أجزائها التي وقعت فيها.

ويخرج من هذا البحر الرومي عند آخر الجزء الثالث منه وفي الجزء الثالث من الإقليم الخامس خليج البندقة، يذهب إلى ناحية الشمال ثم ينطوف عند وسط الجزء من جوفيه ويرغباً إلى أن يتهي في الجزء الثاني من الخامس.

ويخرج منه أيضاً في آخر الجزء الرابع شرقاً من الإقليم الخامس خليج القسطنطينية يمتد في الشمال متضاعفاً في عرض رمية السهم إلى آخر الإقليم. ثم ينفصلي إلى الجزء الرابع من الإقليم السادس وينطوف إلى غرب نيطش ذاهباً إلى الشرق في الجزء الخامس كله ونصف السادس من الإقليم السادس كما ذكر ذلك في أماكنه.

وعندما يخرج هذا البحر الرومي من البحر المتوسط في خليج طنجة وينفسح إلى الإقليم الثالث يبقى في الجنوب عن الخليج قطعة صغيرة من هذا الجزء فيها مدينة طنجة على جمع البحرين، وبعدها مدينة سبتة على البحر الرومي، ثم قطاطون ثم باديس. ثم يغمر هذا البحر بقية هذا الجزء شرقاً وينخر إلى الثالث.

وأكثر العمارة في هذا الجزء في شماله وشمال الخليج منه وهي كلها بلاد الأندلس الغربية، ومنها ما بين البحر المتوسط والبحر الرومي أو لها طريق عند جمع البحرين وفي الشرق منها على ساحل البحر الرومي الجزيرة الخضراء ثم مالقة ثم المنكب ثم المرأة. وتحت هذه من لدن البحر المتوسط غرباً وعلى مقربة منه شريش ثم لبلة وقبالتها فيه جزيرة قادوس، وفي الشرق عن شريش ولبلة أشبيلية ثم استجة وقرطبة ومديلة، ثم غرناطة وجيان وأبونة، ثم واديash ويسقطة وتحت هذه شترميرة وشلبي على البحر المتوسط غرباً، وفي الشرق عنها بطليوس وماردة وبايرة ثم غافيك وبزجالة ثم قلعة رياح. وتحت هذه أشبورنة على البحر المتوسط غرباً وعلى نهر باجة، وفي الشرق عنها شتررين وموزئة على النهر المذكور ثم قنطرة السيف. ويسامت أشبورنة من جهة الشرق جبل الشارات يبدأ من المغرب هناك وينذهب شرقاً مع آخر الجزء من شماليه فيتهي إلى مدينة سالم فيما بعد النصف منه. وتحت هذا الجبل طلبرية في الشرق من فورنة ثم طلبيطلة ثم وادي الحجارة ثم مدينة

من الشرق تحت الترمذ إلى جهة الشمال ونهر بلخ يخرج من جبال اليم من مبدئه عند الجوزجان ويصب فيه من غريبه. وعلى هذا النهر من غريبه بلاد آميد من خراسان. وفي شرقى النهر من هناك أرض الصعد وأسرورشة من بلاد الترك، وفي شرقها أرض فرغانة أيضاً إلى آخر الجزء شرقاً. وكل بلاد الترك يحيطها جبال اليم إلى شماليها.

وفي الجزء التاسع من غريبه أرض التبت إلى وسط الجزء وفي جنوبها بلاد الهند وفي شرقها بلاد الصين إلى آخر الجزء. وفي أسفل هذا الجزء شمالاً عن بلاد التبت بلاد الخزرية من بلاد الترك إلى آخر الجزء شرقاً وشمالاً. وينصل بها من غريبه أرض فرغانة أيضاً إلى آخر الجزء شرقاً، ومن شرقها أرض التفرغر من الترك إلى آخر الجزء شرقاً وشمالاً.

وفي الجزء العاشر في الجنوب منه جميعاً بقية الصين وأسفله. وفي الشمال بقية بلاد التفرغر. ثم شرقاً عنهم بلاد خزرخير من الترك أيضاً إلى آخر الجزء شرقاً. وفي الشمال من أرض خزرخير بلاد كتمان من الترك. وقبالتها في البحر المتوسط جزيرة الياقوت في وسط جبل مستدير لا منفذ منه إليها ولا مسلك والصعود إلى أعلىه من خارجه صعب في الغابة. وفي الميزرية حيات قاتلة وحصى من الياقوت كثيرة فيحتال أهل تلك الناحية في استخراجها بما يلهمهم الله إليه.

وأهل هذه البلاد في هذا الجزء التاسع والعشر فيما وراء خراسان والجبال كلها مجالات للترك. أمم لا تختص لهم ظواعن رحالة أهل إيل وشاه وبقر وخيل للتساح والركوب والأكل وطوانthem كثيرة لا يخصهم إلا خالقهم، وفيهم مسلمون مما يلهمي بلاد النهر - نهر جيجون - ويعزون الكفار منهم الداثنين بالمجوسية فيسيعون رقيقهم لمن يلهمهم ويعزجون إلى بلاد خراسان والهند والعراق.

## الإقليم الرابع

يتصل بالثالث من جهة الشمال:

والجزء الأول منه في غريبه قطعة من البحر المتوسط مستطيلة من أوله جنوباً إلى آخره شمالاً، وعليها في الجنوب مدينة طنجة، ومن هذه القطعة تحت طنجة من البحر المتوسط إلى البحر الرومي في خليج متضائق يقدر اثنين عشر ميلاً ما بين طريق والجزيرة الخضراء شماليها وقصر المجاز وسبتة جنوباً وينذهب شرقاً إلى أن

وفي النصف الجنوبي منها أسفال الشام، ويرى في وسطها جبل اللّكام إلى أن ينتهي إلى آخر الشام في الشمال فينعطف من هناك ذاهباً إلى القطر الشرقي الشمالي ويسمى بعد انعطافه جبل السلسلة. ومن هناك يخرج إلى الإقليم الخامس. ويجوز من عند منعطفه قطعة من بلاد الجزيرة إلى جهة الشرق. ويقوم من عند منعطفه من جهة المغرب جبال متصلة بعضها بعض إلى أن ينتهي إلى طرف خارج من البحر الروسي متاخراً إلى آخر الجزء من الشمال. وبين هذه الجبال ثانياً تسمى الدروب وهي التي تفضي إلى بلاد الأرمن، وفي هذا الجزء قطعة منها بين هذه الجبال وبين جبل السلسلة. فاما الجهة الجنوية التي قدمنا أن فيها أسفال الشام وأن جبل اللّكام معترض فيها بين البحر الروسي وأخر الجزء من الجنوب إلى الشمال، فعلى ساحل البحر بلد أنططروس في أول الجزء من الجنوب متاخفة لغزة وطرايلس على ساحله من الإقليم الثالث، وفي شمال أنططروس جبلة ثم الادقية ثم إسكندرونة ثم سلوقية ويدعها شملاً بلاد الروم.

واما جبل اللّكام المعترض بين البحر وآخر الجزء بمحاذاته فيصافبه من بلاد الشام من أعلى الجزء جنوباً من غريبه حصن الحوانى وهو للحشيشة الإسماعيلية ويعروف لهذا العهد بالقداوة ويسمى الحصن «مصالف» وهو قبالة أنططروس. وقبالة هذا الحصن في شرق الجبل بلد سلمية في الشمال عن حمص. وفي الشمال عن مصياف بين الجبل والبحر بلد أطاكية. وقبالها في شرق الجبل الممورة وفي شرقها المراقة وفي شمال أطاكية المصيصة ثم أذنة ثم طرسوس آخر الشام. ومحاذيها من غرب الجبل قنسرين ثم عن زرية. وقبالة قنسرين في شرق الجبل حلب. ويقابل عن زرية مُتَبَعِّج آخر الشام. وأما الدروب فعن يمينها ما بينها وبين البحر الروسي بلاد الروم التي هي لهذا العهد للتركمان وسلطانها ابن عثمان. وفي ساحل البحر منها بلد أطاكية والعلايا.

واما بلاد الأرمن التي بين جبل الدروب وجبل السلسلة ففيها بلد مرعش وملطية والمعرة إلى آخر الجزء الشمالي. وينتزع من الجزء الخامس في بلاد الأرمن نهر جيحان ونهر سينحان في شرقه فيمر بها جيحان جنوباً حتى يتجاوز الدروب ثم يمر بطرسوس ثم بالصيصة ثم ينبع إلى الشمال ومغاراً حتى يصب في البحر الروسي جنوب سلوقية. ويرى نهر سينحان موازيًا لنهر جيحان فيحاذى المرة ومرعش ويتجاوز جبال الدروب إلى أرض الشام ثم يمر بعين زرية ويجوز عن نهر جيحان ثم ينبع إلى الشمال مغاراً فيختلط بنهر جيحان عند المصيصة ومن غربها. وأما بلاد الجزيرة التي يحيط بها منعطف جبل اللّكام إلى جبل السلسلة

سام. وعند أول هذا الجبل فيما يينه وبين أشبوة بلد قلنرية وهذه غربى الأندلس. وأما شرقى الأندلس فعلى ساحل البحر الروسي منها بعد المرة قرطاجنة ثم لقتة ثم دائنة ثم تلمسية إلى طرطوشة آخر الجزء في الشرق، وتحتها شملاً ليورقة وشقورة تاختان بستنة وقلعة رياح من غرب الأندلس. ثم مرسية شرقاً ثم شساطية تحت بلنسية شمالاً، ثم شقر ثم طركونة آخر الجزء. ثم تحت هذه شملاً أرض منجالة وبريدة متاخان لشقورة وطلبلطة من الغرب. ثم أفراحة شرقاً تحت طرطوشة وشملاً عنها. ثم في الشرق عن مدينة سالم قلعة أيبوب ثم سرقسطة ثم لاردة آخر الجزء شرقاً وشملاً.

والجزء الثاني من هذا الإقليم غمر الماء جميعه إلا قطعة من غريبه في الشمال فيها بقعة جبل البرنات ومعناه جبل الثابيا. والسايالك يخرج إليه من آخر الجزء الأول من الإقليم الخامس يبدأ من الطرف المتنهى، من البحر المتوسط عند آخر ذلك الجزء جنوباً وشرقاً، ويرى في الجنوب بالغراف إلى الشرق فيخرج في هذا الإقليم الرابع منحرفاً عن الجزء الأول منه إلى هذا الجزء الثاني فيقع فيه قطعة منه تفضي ثابريها إلى البر المتصل وتسمى أرض غشكونية وفيه مدينة خربلة وقرشونة. وعلى ساحل البحر الروسي من هذه القطعة مدينة برشلونة ثم أربونة. وفي هذا البحر الذي غمر الجزء جزائر كثيرة والكثير منها غير مسكن لصقرها. ففي غريبه جزيرة سردانية وفي شرقه جزيرة صقلية مسعة الأقطار يقال إن دورها سبعمائة ميل وبها مدن كثيرة من مشاهيرها سرقسطة ويلزم وطرايحة ومارز ومشيني، وهذه الجزيرة تقابل أرض إفريقياً وفيما بينهما جزيرة أعدوش ومالطة.

والجزء الثالث من هذا الإقليم مغمور أيضاً بالبحر إلا ثلاثة قطع من ناحية الشمال الغربي منها أرض قلورية والوسطى من أرض أبيكيردة والشرقية من بلاد البنادقة.

والجزء الرابع من هذا الإقليم مغمور أيضاً بالبحر كما مر وجزائره كبيرة وأكثرها غير مسكن كما في الثالث. والمعمور منها جزيرة بلؤنس في الناحية الغربية الشمالية وجزيرة أقريطيش مستطيلة من وسط الجزء إلى ما بين الجنوب والشرق منه.

والجزء الخامس من هذا الإقليم غمر البحر منه مثلثة كبيرة بين الجنوب والغرب ينتهي الصدع الغربي منها إلى آخر الجزء في الشمال، وينتهي الصدع الجنوبي منها إلى خوا الشثنين من الجزء، ويبقى في الجايل الشرقي من الجزء قطعة نحو الثالث يمر الشمالي منها إلى الغرب منعطفاً مع البحر كما قلناه.

الجهة الشرقية الشمالية منه وينتهي إلى بلاد النهروان قبالة بغداد شرقاً ثم ينطفئ جنوباً، ويختلط بدجلة قبل خروجه إلى الإقليم الثالث. وببقى ما بين هذا النهر وبين جبل العراق والأعاجم بلاد جلولاء وفي شرقها عند الجبل بلد حلوان وصبيحة، وأما القطعة الغربية من الجزء فيفترضها جبل يبدأ من جبل الأعاجم مشرقاً إلى آخر الجزء ويسمى جبل شهرزور ويقسمها بقطعين. وفي الجنوب من هذه القطعة الصغرى بلد خوتجان في الغرب والشمال عن أصبهان وتسمى هذه القطعة بلد الملوس، وفي وسطها بلد نهاوند، وفي شمالها بلد شهرزور غرباً عند ملتقى الجبلين والديبور شرقاً عند آخر الجزء. وفي القطعة الصغرى الثانية طرف من بلاد أرمينية قاعدتها المراغة والذي يقابلها من جبل العراق يسمى باريسا وهو مساكن للأكراد والزاب الكبير والصغرى الذي على دجلة من ورائه. وفي آخر هذه القطعة من جهة الشرق بلاد أذربيجان ومنها تبريز والبندقان. وفي الزاوية الشرقية الشمالية من هذا الجزء قطعة من بحر نيطش وهو بحر الخزر.

وفي الجزء السابع من هذا الإقليم من غربه وجنوبيه معظم بلاد الملوس، وفيها همدان وقرون وبقيتها في الإقليم الثالث، وفيها هنالك أصبهان ويحيط بها من الجنوب جبل يخرج من غربها ويمر بالإقليم الثالث ثم ينطفئ من الجزء السادس إلى الإقليم الرابع ويتصل بجبل العراق في شرقه الذي مر ذكره هنالك، وأنه يحيط ببلاد الملوس في القطعة الشرقية. وبهبط هذا الجبل الحيط بأصبهان من الإقليم الثالث إلى جهة الشمال ويخرج إلى هذا الجزء السابع عيطة ببلاد الملوس من شرقها وتحته هنالك قاشان، ثم قُمُّ وينطفئ في قرب النصف من طريقه مغرباً بعض الشيء ثم يرجع مستديراً فيذهب مشرقاً ومنحرفاً إلى الشمال حتى يخرج إلى الإقليم الخامس ويستعمل على منعطفه واستدارته على بلد الري في شرقه، وينبدأ من منعطفه جبل آخر يمر غرباً إلى آخر الجزء، ومن جنوبيه من هنالك قزوين، ومن جانبها الشمالي وجانب جبل الري المتصل معه ذاهباً إلى الشرق والشمال إلى وسط الجزء ثم إلى الإقليم الخامس بلاد طبرستان فيما بين هذه الجبال وبين قطعة من بحر طبرستان، ويدخل من الإقليم الخامس في هذا الجزء في نحو النصف من غربه إلى شرقه ويعترض عند جبل الري. وعند انعطافه إلى الغرب جبل متصل يمر على سنته مشرقاً وبآخراف قليل إلى الجنوب حتى يدخل في الجزء الثامن من غربه. وببقى بين جبل الري وهذا الجبل من عند مبدئهما بلاد جرجان فيما بين الجبلين ومنها بسطام، ووراء هذا الجبل قطعة من هذا الجزء فيها بقية المارة التي بين فارس وخراسان وهي في شرق قاشان وفي

في جنوبها بلد الرافضة والرق، ثم حزان ثم سروج والرها ثم تصييين ثم سميساط وأمد تحت جبل السلسلة. وأآخر الجزء من شماله وهو أيضاً آخر الجزء من شرقه وير في وسط هذه القطعة نهر الفرات ونهر دجلة يمرجان من الإقليم الخامس ويران في بلاد الأرمن جنوباً إلى أن يتجاوزها جبل السلسلة، فيمر نهر الفرات من غربه سميساط وسروج وينحر إلى الشرق فيمر بقرب الرافضة والرقه ويخرج إلى الجزء السادس. وير دجلة شرق أمد وينطفef قريباً إلى الشرق فيخرج قريباً إلى الجزء السادس.

وفي الجزء السادس من هذا الإقليم من غربه بلاد الجزيرة، وفي الشرق منها بلاد العراق متصلة بها تنتهي في الشرق إلى قرب آخر الجزء. ويعتبر من آخر العراق هنالك جبل أصبهان هابطاً من جنوب الجزء منحرفاً إلى الغرب، فإذا انتهى إلى وسط الجزء من آخره في الشمال يذهب مغرباً إلى أن يخرج من الجزء السادس ويتصل على سنته بجبل السلسلة في الجزء الخامس، فيتقطع هذا الجزء السادس بقطعين غربة وشرقية، ففي الغربية من جنوبها يخرج الفرات من الخامس، وفي شمالها يخرج دجلة منه.

أما الفرات فأول ما يخرج إلى السادس يمر بقرقيسيا ويخرج من هنالك جدول إلى الشمال ينساب في أرض الجزيرة ويفوض في نواحيها وير من قرقيسيا غير بعيد ثم ينطفئ إلى الجنوب فيمر بقرب الطابور إلى غرب الرحمة ويخرج منه جداول من هنالك، يمر جنوباً وبقي صفين في غربه. ثم ينطفئ شرقاً ويقسم بشعوب فيمر بعضها بالكورنة وبعضها يقصر ابن هبيرة وبالجامعين، وينحر جميعاً في جنوب الجزء إلى الإقليم الثالث، فيفوض هنالك في شرق الجزيرة والقادسية. ويخرج الفرات من الرحمة مشرقاً على سنته إلى هيست من شمالها يمر إلى الزاب والأتيار من جنوبهما ثم يصب في دجلة عند بغداد.

وأما نهر دجلة فإذا دخل من الجزء الخامس إلى هذا الجزء يمر مشرقاً على سنته ومحاذاً بجبل السلسلة المتصل بجبل العراق على سنته، فيمر بجزيرة ابن عمر على شمالها ثم بالوصل كذلك وتكررت، وينتهي إلى الحديدة فينطفئ جنوباً وتبقى الحديدة في شرقه والزاب الكبير والصغرى كذلك، وير على سنته جنوباً وفي غرب القادسية إلى أن ينتهي إلى بغداد ويختلط بالفرات، ثم يمر جنوباً على غرب جرجرايا إلى أن يخرج من الجزء إلى الإقليم الثالث فتشتت هنالك شعوبه وجداوله، ثم يجتمع ويصب هنالك في بحر فارس عند عبادان.

وفيما بين نهر دجلة والفرات قبل جمعهما ببغداد هي بلاد المجزرة. ويختلط بنهر دجلة بعد مفارقتها ببغداد نهر آخر يأتي من

### الإقليم الخامس

الجزء الأول منه أكثره مغمور بالماء إلا قليلاً من جنوبه شرقاً، لأن البحر الحيط بهذه الجهة الغربية دخل في الإقليم الخامس السادس والسابع عن الدائرة الحيطية بالإقليم.

فاما المكتشف من جنوبه فقطعة على شكل مثلث متصلة

من هنالك بالأندلس وعليها بقيتها، ويحيط بها البحر من جهتين كائهما ضلعان محيطان بزاوية الثالث، ففيها من بقية غرب الأندلس سعيور على البحر عند أول الجزء من الجنوب والغرب وسلسلة شرقاً عنها وفي جوفها سُمُورة وفي الشرق عن سلسلة آيلة آخر الجنوب وأرض تشتالة شرقاً عنها وفيها مدينة شُفُوريَّة. وفي شمالها أرض ليون وبرغشة ثم وراءها في الشمال أرض جليقية إلى زاوية القطعة، وفيها على البحر الحيط في آخر الضلع الغربي بلد سُتْيَاقو ومعناه يعقوب، وفيها من شرق بلاد الأندلس مدينة شطيطلية عند آخر الجزء في الجنوب وشرقاً عن قشتالة. وفي شمالها وشرقها وشقة وبنبلونة على سمتها شرقاً وشمالاً. وفي غرب بنبلونة تشتالة ثم ناجزة فيما بينها وبين برغشة. ويعتبر وسط هذه القطعة جبل عظيم محاذ للبحر وللضلوع الشمالي الشرقي منه وعلى قرب ويتصل به ويطرف البحر عند بنبلونة في جهة الشرق الذي ذكرنا من قبل أن يتصل في الجنوب بالبحر الرومي في الإقليم الرابع ويصير حجراً على بلاد الأندلس من جهة الشرق وثانية لها أبواب تقضي إلى بلاد غشكوبية من أمم الفرنج، فمنها من الإقليم الرابع برشلونة وأربونة على ساحل البحر الرومي، وخربدة وقرشونة وراءهما في الشمال. ومنها من الإقليم الخامس طلُوئنة شمالاً عن خربدة.

واما المكتشف في هذا الجزء من جهة الشرق فقطعة على شكل مثلث مستطيل زاويته الحادة وراء البرنات شرقاً، وفيها على البحر الحيط على رأس القطعة التي يتصل بها جبل البرنات بلاد كيونة. وفي آخر هذه القطعة في الناحية الشرقية الشمالية من الجزء أرض ينبع من الفرنج إلى آخر الجزء. وفي الجزء الثاني من الناحية الغربية منه أرض غشكوبية، وفي شمالها أرض ينبع ويرغشت وقد ذكرناهما. وفي شرق بلاد غشكوبية في شمالها قلعة أرض من البحر الرومي دخلت في هذا الجزء كالضرس مائلة إلى الشرق قليلاً وصارت بلاد غشكوبية في غربها داخلة في جون من البحر. وعلى رأس هذه القطعة شمالاً بلاد جنوة وعلى سمتها في الشمال جبل نبت جون. وفي شماله وعلى سمتها أرض برغونة. وفي الشرق عن طرف جنوة الخارج من البحر الرومي طرف آخر

آخرها عند الجبل بلد أستِرَباد، وحافات هذا الجبل من شرقه إلى آخر الجزء بلاد نيسابور من خراسان. ففي جنوب الجبل وشرق المفازة بلد نيسابور ثم مرو الشاهجان آخر الجزء. وفي شماله وشرقي جرجان بلد مهرجان وخائزرون وطوس آخر الجزء شرقاً. وكل هذه تحت الجبل. وفي الشمال عنها بلاد نسا ويحيط بها عند زاوية الجزأين الشمالي والشرقي مفاوز معطلة.

وفي الجزء الثامن من هذا الإقليم وفي غربه نهر جيجون ذاهباً من الجنوب إلى الشمال. ففي عدوته الغربية رم وأصل من بلاد خراسان والظاهرية والجرجانية من بلاد خوارزم. ويحيط بالزاوية الغربية الجنوبيَّة منه جبل أستِرَباد المعترض في الجزء السابع قبله ويخرج في هذا الجزء من غربه ويحيط بهذه الزاوية وفيها بقية بلاد هرَّة، ويرِ الجبل في الإقليم الثالث بين هرَّة والجلوجان حتى يتصل بجبل التسم كما ذكرناه هنالك.

وفي شرقى نهر جيجون من هذا الجزء وفي الجنوب منه بلاد بخارى ثم بلاد الصغد وقادتها سمرقند ثم بلاد أسرورشنة ومنها خجنة آخر الجزء شرقاً. وفي الشمال عن سمرقند وأسرورشنة أرض إيلاق، ثم في الشمال عن إيلاق أرض الشاش إلى آخر الجزء شرقاً ويأخذ قطعة من الجزء التاسع في جنوب تلك القطعة بقية أرض فرغانة، ويخرج من تلك القطعة التي في الجزء التاسع نهر الشاش يمر معرضاً في الجزء الثامن إلى أن ينصب في نهر جيجون عند خروجه من هذا الجزء الثامن في شماله إلى الإقليم الخامس. ويتناط معه في أرض إيلاق نهر يأتي من الجزء التاسع من الإقليم الثالث من تخوم بلاد التبت ويتناط معه قبل خروجه من الجزء التاسع نهر فرغانة. وعلى سمت نهر الشاش جبل جباراغون يبدأ من الإقليم الخامس وينعطف شرقاً ومنحرفاً إلى الجنوب حتى يخرج إلى الجزء التاسع محياً بأرض الشاش، ثم ينعطف في الجزء التاسع فيحيط بالشاش وفرغانة هنالك إلى جنوبه فيدخل في الإقليم الثالث. وبين نهر الشاش وطرف هذا الجبل في وسط هذا الجزء بلاد فاراب. وبينه وبين أرض بخارى وخوارزم مفاوز معطلة. وفي زاوية هذا الجزء من الشمال والشرق أرض خجنة وفيها بلد إسنيجاب وطراز.

وفي الجزء التاسع من هذا الإقليم في غربه بعد أرض فرغانة والشاش أرض المزججية في الجنوب وأرض الخليجية في الشمال. وفي شرق الجزء كله أرض الكيماكية. ويتصل في الجزء العاشر كله إلى جبل قوقيا آخر الجزء شرقاً وعلى قطعة من البحر الحيط هنالك وهو جبل يأجوج وأماجوج. وهذه الأسم كلها من شعوب الترك. انتهي.

الشمال. وهي المدينة العظيمة التي كانت كرسى القياصرة وبها من آثار البناء والضخامة ما كثُرت عنه الأحاديث. والقطعة التي ما بين البحر الرومي وخليج القسطنطينية من هذا الجزء وفيها بلاد مقدونية التي كانت لليونانيين ومنها ابتداء ملوكهم. وفي شرقى هذا الخليج إلى آخر الجزء قطعة من أرض باطروس وأظنهما لهذا العهد مجالات للتركمان، وبها ملك ابن عثمان وقاعدته بها بورصة وكانت من قبليم لهم للروم وغله لهم عليها الأمم إلى أن صارت للتركمان.

وفي الجزء السادس من هذا الإقليم من غربه وجنوبيه أرض باطروس، وفي الشمال عنها إلى آخر الجزء بلاد عمورية، وفي شرقى عمورية نهر قباقب الذي يمد الفرات بخرج من جبل هنالك وينهُب في الجنوب حتى يخالط الفرات قبل وصوله من هذا الجزء الثاني إلى نهره في الإقليم الرابع. وهنالك في غربه آخر الجزء في مبدأ نهر سيلان ثم نهر جحان غربيه الذاهبين على سنته وقد مر ذكرهما. وفي شرقه هنالك مبدأ نهر الدجلة الذاهب على سنته وفي موازاته حتى يخالطه عند بغداد. وفي الراوية التي بين الجنوب والشرق من هذا الجزء وراء الجبل الذي يبدأ منه نهر دجلة بلد إيفارقين. ونهر قباقب الذي ذكرناه يقسم هذا الجزء بقطعتين: إحداهما غربية جنوبية وفيها أرض باطروس كما قلناه وأسفلها إلى آخر الجزء شمالاً، ووراء الجبل الذي يبدأ منه نهر قباقب أرض عمورية كما قلناه، والقطعة الثانية شرقية شمالية على الثالث في الجنوب منها مبدأ الدجلة والفرات، وفي الشمال بلاد اليلاقان متصلة بارضي عمورية من وراء جبل قباقب، وهي عريضة وفي آخرها عند مبدأ الفرات بلد خرشنة. وفي الراوية الشرقية الشمالية قطعة من بحر نيطش الذي يمده خليج القسطنطينية.

وفي الجزء السادس من هذا الإقليم في جنوبه وغربه بلاد أرمينية متصلة إلى أن يتجاوز وسط الجزء إلى جانب الشرق. وفيها بلدان أردن في الجنوب والغرب، وفي شملها تلليس وديليل. وفي شرق أردن مدينة خلاط ثم بردعة، وفي جنوبيها ساخراف إلى الشرق مدينة أرمينية. ومن هنالك يخرج بلاد أرمينية إلى الإقليم الرابع. وفيها هنالك بلد المراحة في شرقى جبل الأكراد السمى بأرقم وقد مر ذكره في الجزء السادس منه. ويتأخر بلد أرمينية في هذا الجزء وفي الإقليم الرابع قبله من جهة الشرق فيها بلاد أذريجان وآخرها في هذا الجزء شرقاً بلاد أردىيل على قطعة من بحر طبرستان دخلت في الناحية الشرقية من الجزء السابع وسمى بحر طربسان. وعليه من شماله في هذا الجزء قطعة من بلاد الخزر وهم التركمان. وبدأ من عند آخر هذه القطعة البحرية في الشمال

خارج منه يقع بينهما جون داخل من البر في غربه نيس وفي شرقه مدينة رومه العظمى كرسى ملك الإفرنجة ومسكن البابا بطرس لهم الأعظم. وفيها من المباني الضخمة والهيكلات الكائنة العادلة ما هو معروف الأخبار. ومن عجائبها النهر الجاري في وسطها من المشرق إلى المغرب مفروشاً قاعه بيلات النحاس، وفيها كنيسة بطرس وبولس من الحواريين وما مدفونان بها. وفي الشمال عن بلاد رومه بلاد أفرنطيصة إلى آخر الجزء. وعلى هذا الطرف من البحر الذي في جنوبه رومه بلاد نابل في الجانب الشرقي منه متصلة بيلد قلورية من بلاد الفرنج. وفي شملها طرف من خليج البناطقة دخل في هذا الجزء من الجزء الثالث مغرباً ومحاذياً للشمال من هذا الجزء وانتهى إلى نحو الثلث منه وعليه كثير من بلاد البناطقة دخل في هذا الجزء من جنوبه فيما بينه وبين البحر المتوسط. وفي شماله بلاد إنكلالية في الإقليم السادس.

وفي الجزء الثالث من هذا الإقليم في غربه بلاد قلورية بين خليج البناطقة والبحر الرومي يحيط بها من شرقه يصل من بريها في الإقليم الرابع في البحر الرومي في جون بين طرفين خرجا من البحر على سمت الشمال إلى هذا الجزء. وفي شرقى بلاد قلورية بلاد إنكليردة في جون بين خليج البناطقة والبحر الرومي ويدخل طرف من هذا الجزء إلى الجنون في الإقليم الرابع وفي البحر الرومي. ويحيط به من شرقه خليج البناطقة من البحر الرومي ذاهباً إلى سمت الشمال ثم ينعط إلى الغرب محاذياً لآخر الجزء الشمالي. وينخرج على سنته من الإقليم الرابع جبل عظيم يوازيه وينهُب معه في الشمال ثم يغرب معه في الإقليم السادس إلى أن يتهى قبالة خليج في شماليه في بلاد إنكلالية من أمم اللمانين كما نذكر. وعلى هذا الخليج وبه إلى المغرب في بينهما بلاد حروايا ثم بلاد البناطقة، فإذا ذهبا إلى المغرب في بينهما بلاد حروايا ثم بلاد الألماين عند طرف الخليج.

وفي الجزء الرابع من هذا الإقليم قطعة من البحر الرومي خرجت إليه من الإقليم الرابع مُؤَرَّسَةً كلها بقطع من البحر. وينخرج منها إلى الشمال وبين كل ضررين منها طرف من البحر في الجنون بينهما وفي آخر الجزء شرقاً قطع من البحر. وينخرج منها إلى الشمال خليج القسطنطينية يخرج من هذا الطرف الجنوبي وينهُب على سمت الشمال إلى أن يدخل في الإقليم السادس وينعط من هنالك عن قرب مشرقاً إلى بحر نيطش في الجزء الخامس وبعض الرابع قبله والسادس بعدة من الإقليم السادس كما نذكر. ويلد القسطنطينية في شرقى هذا الخليج عند آخر الجزء من

فيها نهر جيرون دورها ثلاثة ميل ويصب فيها أنهار كثيرة من أرض هذه المجالات. وفي الجهة الشمالية الشرقية منه مجمرة عرّعون دورها أربع ميل وما زها حلو. وفي الناحية الشمالية من هذا الجزء جبل بيرغار. ومعه جبل الثلوج؛ لأنّه لا يذوب فيه وهو متصل بأخر الجزء. وفي الجنوب عن مجمرة عرّعون جبل من الحجر الصالد لا ينتهي شيئاً يسمى عرّعون وبه سميت البحيرة. وينجلب منه ومن جبل بيرغار شمالي البحيرة أنهار لا تنحصر عدتها فتصب فيها من الجانبين.

وفي الجزء التاسع من هذا الإقليم بلاد أركس من أمم الترك في غرب بلاد الغز وشرق بلاد الكيماكية. ويحلف به من جهة الشرق آخر الجزء جبل قرقما الحبيط يأجوج وساجوج يعترض هنالك من الجنوب إلى الشمال حتى ينطعف أول دخوله من الجزء العاشر، وقد كان دخل إليه من آخر الجزء العاشر من الإقليم الرابع قبله واحتض هنالك بالبحر الحبيط إلى آخر الجزء في الشمال، ثم انطعف مغرياً في الجزء العاشر من الإقليم الرابع إلى ما دون نصفه وأحاط من أوله إلى هنا بلاد الكيماكية، ثم خرج إلى الجزء العاشر من الإقليم الخامس فذهب فيه مغرياً إلى آخره ويفتت في جنوبه من هذا الجزء قطعة مستطيلة إلى الغرب قبل آخر بلاد الكيماكية، ثم خرج إلى الجزء التاسع في شرقه وفي الأعلى منه وانطعف قريباً إلى الشمال، وذهب على سنته إلى الجزء التاسع من الإقليم السادس. وفيه السد هنالك كما ذكره. ويفتت منه القطعة التي أحاط بها جبل قرقما حين مر فيه وما سوى ذلك فارض يأجوج وساجوج، والله سبحانه وتعالى أعلم.

وفي الجزء العاشر من هذا الإقليم أرض يأجوج وساجوج متصلة فيه كله إلا قطعة من البحر الحبيط غمرت طرفاً في شرقه من جنوبه إلى شماله وإلا القطعة التي يفصلها إلى جهة الجنوب والغرب جبل قرقما حين مر فيه وما سوى ذلك فارض يأجوج وساجوج، والله سبحانه وتعالى أعلم.

## الإقليم السادس

فالجزء الأول منه غمر البحر أكثر من نصفه واستدار شرقاً مع الناحية الشمالية ثم ذهب مع الناحية الشرقية إلى الجنوب وانتهى قريباً من الناحية الجنوبيّة فانكشفت قطعة من هذه الأرض في هذا الجزء داخلة بين الطرفين وفي الزاوية الجنوبيّة الشرقية من البحر الحبيط كالملون فيه وينفسح طولاً وعرضًا وهي كلها أرض بريطانية. وفي بايهما بين الطرفين وفي الزاوية الجنوبيّة الشرقية من

جبال يتصل بعضها بعض على سمت الغرب إلى الجزء الخامس فتمر فيه منقطة ومحبطة ببلد ميافارقين. وينخرج إلى الإقليم الرابع عند أمد، ويتصل بجبل السلسلة في أسافل الشام ومن هنالك يتصل بجبل اللّكم كما مر. وبين هذه الجبال الشمالية في هذا الجزء ثانياً كالآبوب تقضي من الجنانيين. فقي جنوبها بلاد الآبوب متصلة في الشرق إلى بحر طبرستان وعليه من هذه البلاد مدينة باب الآبوب. وتتصل بلاد الآبوب في الغرب من ناحية جنوبها ببلد أرمينية. وبينهما في الشرق وبين بلاد أذربيجان الجنوبيّة بلاد الزاب متصلة إلى بحر طبرستان. وفي شمال هذه الجبال قطعة من هذا الجزء في غربها مملكة السرير في الراوية الغربية الشمالية منها. وفي زاوية الجزء كله قطعة أيضاً من بحر نيطش الذي يمده خليج القسطنطينية وقد مر ذكره. ويحلف بهذه القطعة من بحر نيطش بلاد السرير وعليها منها بلد أطرابزية وتتصل بلاد السرير بين جبل الآبوب والجهة الشمالية من الجزء إلى أن يتهي شرقاً إلى جبل حاجز بينها وبين أرض المخز. وعند آخرها مدينة صول. ووراء هذا الجبل الحاجر قطعة من أرض المخز تنتهي إلى الراوية الشرقية الشمالية من هذا الجزء من بحر طبرستان وأخر الجزء شماليّاً.

والجزء السابع من هذا الإقليم غريب كله مغمور ببحر طبرستان، وخرج من جنوبه في الإقليم الرابعقطعة التي ذكرنا هنالك أن عليها بلاد طبرستان وجبل الدليل إلى قزوين. وفي غربى تلك القطعة متصلة بها القطعة التي في الجزء السادس من الإقليم الرابع. وتتصل بها من شمالها القطعة التي في الجزء السادس من شرقه أيضاً.

ويُنكشف من هذا الجزء قطعة عند زاوية الشمالية الغربية يصب فيها نهر أهل في هذا البحر. ويقع من هذا الجزء في ناحية الشرق قطعة منكشفة من البحر هي مجالات للغز من أمم الترك يحيط بها جبل من جهة الجنوب داخل في الجزء الثامن وينهض في الغرب إلى ما دون وسطه فينطعف إلى الشمال إلى أن يلاقى بحر طبرستان فيحتفظ به ذاهباً معه إلى بيته في الإقليم السادس، ثم ينطعف مع طرفة ويفارقه ويسمي هنالك جبل سياه وينهض مغرياً إلى الجزء السادس من الإقليم السادس ثم يرجع جنوباً إلى الجزء السادس من الإقليم الخامس. وهذا الطرف منه هو الذي اعترض في هذا الجزء بين أرض السرير وأرض المخز. واتصلت بأرض المخز في الجزء السادس والسابع حفارات هذا الجبل المسماة جبل سياه كما سُئلَّ.

والجزء الثامن من هذا الإقليم الخامس كله مجالات للغز من أمم الترك وفي الجهة الجنوبيّة الغربية منه مجمرة خوارزم التي يصب

شرقها في هذا الجزء من شماليها في الجزء الخامس من الإقليم السابع ومن غربها في الجزء الرابع من هذا الإقليم.

وفي الجزء السادس في غربه بقية بحر نيطش وينحرف قليلاً إلى الشمال ويقع بينه هنالك وبين آخر الجزء شعاباً بلاد قمائية، وفي جنوبه منسحراً إلى الشمال بما المعرف هو كذلك بقية بلاد اللاتية التي كانت آخر جنوبه في الجزء الخامس. وفي الناحية الشرقية من هذا الجزء متصل أرض الخزر. وفي شرقها أرض برياس وفى الزاوية الشرقية الشمالية أرض بلغار. وفي الزاوية الشرقية الجنوبيّة أرض ينبع يجوزها هنالك قطعة من جبل سياه كوه المنعطف مع بحر الخزر في الجزء السابع بعده، وينذهب بعد مفارقه مغرباً فيجوز في هذه القطعة ويدخل إلى الجزء السادس من الإقليم الخامس، فيحصل هنالك بجبل الأبواب وعليه من هنالك ناحية بلاد الخزر.

وفي الجزء السابع من هذا الإقليم في الناحية الجنوبيّة ما جازه جبل سياه بعد مفارقة بحر طبرستان. وهو قطعة من أرض الخزر إلى آخر الجزء غرباً. وفي شرقها القطعة من بحر طبرستان التي يجوزها هذا الجبل من شرقها وشماليها. ووراء جبل سياه في الناحية الغربية الشمالية أرض برياس. وفي الناحية الشرقية من الجزء أرض شخرب وبخناك وهم أمم الترك.

وفي الجزء الثامن والناحية الجنوبيّة منه كلها أرض الجولخ من الترك في الناحية الشمالية غرباً والأرض المتنة وشرق الأرض التي يقال: إن ياجوج وماجوج خرباها قبل بناء السد. وفي هذه الأرض المتنة مبدأ نهر الأتلن من أعظم أنهار العالم ومره في بلاد الترك ومصبه في بحر طبرستان في الإقليم الخامس في الجزء السابع منه. وهو كثير الانعطاف يخرج من جبل في الأرض المتنة من ثلاثة ينبع تجتمع في نهر واحد، وينه على سمت الغرب إلى آخر السابع من هذا الإقليم فينutfت شعاباً إلى الجزء السابع من الإقليم السابع فيمر في طرفه بين الجنوب والمغرب فيخرج في الجزء السادس من السابع وينذهب مغرباً غير بعيد ثم ينutf ثانية إلى الجنوب ويرجع إلى الجزء السادس من الإقليم السادس، وينخرج منه جدول ينذهب مغرباً ويصب في بحر نيطش في ذلك الجزء وينه هو في قطعة بين الشمال والشرق في بلاد بلغار، فيخرج في الجزء السابع من الإقليم السادس، ثم ينutf ثالثة إلى الجنوب وينفذ في جبل سياه وينه في بلاد الخزر، وينخرج إلى الإقليم الخامس في الجزء السابع منه، فيصب هنالك في بحر طبرستان في القطعة التي انكشفت من الجزء عند الزاوية الغربية الجنوبيّة.

والجزء التاسع من هذا الإقليم في الجانب الغربي منه بلاد

هذا الجزء بلاد صاقس متصلة ببلاد بظرو التي مر ذكرها في الجزء الأول والثاني من الإقليم الخامس.

والجزء الثاني من هذا الإقليم دخل البحر الحيط من غربه وشماله، فمن غربه قطعة مستطيلة أكبر من نصف الشمال من شرق أرض بريطانيا في الجزء الأول، واتصلت بها القطعة الأخرى في الشمال من غربه إلى شرقه وانفسحت في النصف الغربي منه بعض الشيء وفيه هنالك قطعة من جزيرة إنكلترة، وهي جزيرة عظيمة متسعة مشتملة على مدن وبها ملك ضخم وبقيتها في الإقليم السابع. وفي جنوب هذه القطعة وجزيرتها في النصف الغربي من هذا الجزء بلاد أرمنية وبلاد أفالاش متصلين بها ثم بلاد إفرنجية جنوباً وغرباً من هذا الجزء وبلاد برغونية شرقاً عنها وكلها لأمم الإفرنجية وبلاد المانين في النصف الشرقي من الجزء. فجنوبه بلاد انكلالية ثم بلاد برغونية شمالاً ثم أرض هروكية وشطرنجية. وعلى قطعة البحر الحيط في الزاوية الشمالية الشرقية أرض أفريز وكلها لأمم المانين. وفي الجزء الثالث من هذا الإقليم في الناحية الغربية بلاد مراثية في الجنوب وبلاد شطرنجية في الشمال. وفي الناحية الشرقية بلاد أنجوريا في الجنوب وبلاد بلجونية في الشمال يعرض بينهما جبل بلواط داخله من الجزء الرابع وينه مغرباً بالغراف إلى الشمال إلى أن يقف في بلاد شطرنجية آخر النصف الغربي.

وفي الجزء الرابع في ناحية الجنوب أرض جنولية. وتحتها في الشمال بلاد الروسية. ويفصل بينهما جبل بلواط من أول الجزء غرباً إلى أن يقف في النصف الشرقي. وفي شرق أرض جنولية بلاد جرمانية. وفي الزاوية الجنوبيّة الشرقية أرض القسطنطينية ومدينتها عند آخر الخليج الخارج من البحر الروسي وعند مدفنه في بحر نيطش، فيقع قطعة من بحر نيطش في أعلى الناحية الشرقية من هذا الجزء وينهذا الخليج وبينهما في الزاوية بلد مسيناه.

وفي الجزء الخامس من الإقليم السادس، ثم في الناحية الجنوبيّة عند بحر نيطش يتصل من الخليج في آخر الجزء الرابع وينخرج على سنته مشرقاً فيمر في هذا الجزء كله وفي بعض السادس على طول ألف وثلاثمائة ميل من مدينته في عرض ستمائة ميل. ويبقى وراء هذا البحر في الناحية الجنوبيّة من هذا الجزء في غربها إلى شرقها بر مستطيل في غربه هرقلية على ساحل بحر نيطش متصلة بأرض اليقان من الإقليم الخامس. وفي شرقه بلاد اللاتية وقاعدتها سوتلي على بحر نيطش. وفي شمال بحر نيطش في هذا الجزء غرباً أرض ترخان وشرقاً بلاد الروسية وكلها على ساحل هذا البحر. وبلاد الروسية محطة ببلاد ترخان من

الغربي منها مستديرةً فسيحةً وتتصل بالبر من باب في جنوبها يقضي إلى بلاد فلؤونية، وفي شماليها جزيرة برقاعة مستطيلة مع الشمال من المغرب إلى الشرق.

والجزء الرابع من هذا الإقليم شماله كله مغمور بالبحر المحيط من المغرب إلى المشرق وجنوبه منكشف، وفي غربه أرض قيمازك من الترك وفي شرقها بلاد طشت ثم أرض رسّلانة إلى آخر الجزء شرقاً وهي دائمة التلوج وعمرانها قليل. ويتصل بلاد الروسية في الإقليم السادس وفي الجزء الرابع والخامس منه.

وفي الجزء الخامس من هذا الإقليم في الناحية الغربية منه بلاد الروسية ويتهي في الشمال إلى قطعة من البحر المحيط التي يتصل بها جبل قوقيا كما ذكرناه من قبل. وفي الناحية الشرقية منه متصل أرض القمانية التي على قطعة بحر نيطش من الجزء السادس من الإقليم السادس ويتهي إلى محيرة طرمي من هذا الجزء وهي عذبة تتجلى إليها أنهار كبيرة من الجبال عن الجنوب والشمال. وفي شمال الناحية الشرقية من هذا الجزء أرض التارية من الترك من التركمان إلى آخره.

وفي الجزء السادس من الناحية الغربية الجنوبيّة متصل بلاد القumanية، وفي وسط الناحية محيرة غنور عذبة تتجلى إليها أنهار من الجبال في النواحي الشرقية وهي جامدة دائمًا لشدة البرد إلا قليلاً في زمن الصيف. وفي شرق بلاد القumanية بلاد الروسية التي كان مبدؤها في الإقليم السادس في الناحية الشرقية الشمالية من الجزء الخامس منه، وفي الراية الجنوبيّة الشرقية من هذا الجزء بقية أرض بلغار التي كان مبدؤها في الإقليم السادس. وفي الناحية الشرقية الشمالية من الجزء السادس منه وفي وسط هذه القطعة من أرض بلغار منعطف نهر أثلن القطعة الأولى إلى الجنوب كما مر. وفي آخر هذا الجزء السادس من شماله جبل قوقيا متصلة من غربه إلى شرقه.

وفي الجزء السابع من هذا الإقليم في غربه بقية أرض يخناك من أمم الترك. وكان مبدؤها من الناحية الشمالية الشرقية من الجزء السادس قبله وفي الناحية الجنوبيّة الغربية من هذا الجزء، وينتزع إلى الإقليم السادس من فوقه. وفي الناحية الشرقية بقية أرض سُخْرَب ثم بقية الأرض المتنة إلى آخر الجزء شرقاً. وفي آخر الجزء من جهة الشمال جبل قوقيا المحيط متصلةً من غربه إلى شرقه.

وفي الجزء الثامن من هذا الإقليم في الجنوبيّة الغربية منه متصل الأرض المتنة. وفي شرقها الأرض المحفورة وهي من

نفخاش من الترك وهم ققجاق وببلاد الشركس منهم أيضاً. وفي الشرق منه بلاد ياجوج يفصل بينهما جبل قوقيا المحيط وقد مر ذكره، يبدأ من البحر المحيط في شرق الإقليم الرابع وينصب معه إلى آخر الإقليم في الشمال ويفارقه مغرباً وبالنحراط إلى الشمال حتى يدخل في الجزء التاسع من الإقليم الخامس فيرجع إلى سنته الأول حتى يدخل في هذا الجزء التاسع من الإقليم من جنوبه إلى شماله بالنحراط إلى المغرب، وفي وسطه هنا السد الذي بناء الإسكندر، ثم يخرج على سنته إلى الإقليم السابع، وفي الجزء التاسع منه فيمر فيه إلى الجنوب إلى أن يلقى البحر المحيط في شماليه، ثم ينبعف معه من هنالك بقطعة من البحر المحيط في غربه. وفي وسط هذا الجزء التاسع هو السد الذي بناء الإسكندر كما قلناه. والصحيح من خبره في القرآن وقد ذكر عبد الله بن خزدانة في كتابه في الجغرافيا أن الوائش رأى في منامه كأن السد افتتح فانتبه فزعاً وبعث سلاماً الترجمان فوقف عليه وجاه مجده ووصفه في حكاية طوبيلة ليست من مقاصد كتابنا هذا.

وفي الجزء العاشر من هذا الإقليم بلاد ماجوج متصلة به إلى آخره على قطعة من هنالك من البحر المحيط، أحاطت به من شرقه وشماله مستطيلة في الشمال وعربيضة بعض الشيء في الشرق.

## الإقليم السابع

والبحر المحيط قد غمر عاتمه من جهة الشمال إلى وسط الجزء الخامس، حيث يتصل بجبل قوقيا المحيط يا ياجوج وما ياجوج. فالجزء الأول والثاني مغموران بالماء إلا ما انكشف من جزيرة إنكلترة التي معظمها في الثاني. وفي الأول منها طرف انعطف بالنحراط إلى الشمال وبقيتها مع قطعة من البحر مستديرة عليه في الجزء الثاني من الإقليم السادس وهي مذكورة هنالك. والجائز منها إلى البر في هذه القطعة سعة التي عشر ميلاً. ووراء هذه الجزيرة في شمال الجزء الثاني جزيرة رسّلانة مستطيلة من الغرب إلى الشرق.

والجزء الثالث من هذا الإقليم مغمور أكثره بالبحر إلا قطعة مستطيلة في جنوبه وتسع في شرقها وفيها هنالك متصل أرض فلؤونية التي مر ذكرها في الثالث من الإقليم السادس وأنها في شماله وفي القطعة من البحر التي تغمر هذا الجزء. ثم في الجانب

وأهل هذه الأقاليم أكمل لوجود الاعتدال هم فتجدهم على غاية من التوسط في مساكنهم وملابسهم وأقوافهم وصنائعهم، يتخذون البيوت المنجذبة بالحجارة المنقعة بالصناعة ويتساغرون في استجادة الآلات والمواعين، وينهبون في ذلك إلى الغاية. وتزجّد لديهم المعادن الطبيعية من الذهب والفضة والخدييد والنحاس والرصاص والقصدير. ويتصارفون في معاملاتهم بالتقدين العزيزين. ويعبدون عن الأخلاف في عامة أحواهم. وهؤلاء أهل المغرب والشام والخجاز واليمن والعرقين والهند والسندي والصين، وكذلك الأندلس ومن قرب منها من الفرغنة والجلالة والروم واليونانيين ومن كان مع هؤلاء أو قريباً منهم في هذه الأقاليم المعتدلة. وهذا كان العراق والشام أعدل هذه كلها؛ لأنها وسط من جميع الجهات. وأما الأقاليم البعيدة من الاعتدال مثل الأول والثاني والسادس والسابع فأهلها أبعد من الاعتدال في جميع أحواهم. فبناؤهم بالطين والقصب وأقوافهم من الذرة والعشب، وملابسهم من أوراق الشجر يخصونها عليهم أو الجلد وأكثرهم عرايا من اللباس، وفواكه بلادهم وأدمتها غريبة التكوين مائلة إلى الأخراف. ومعاملاتهم غير الحجرين الشريفين من نحاس أو حديد أو جلد يقدرونها للمعاملات. وأخلاقهم مع ذلك قريبة من خلق الحيوانات العجم. حتى ليتقل عن الكثير من السودان أهل الأقاليم الأول أنهم يسكنون الكهوف والغياض ويأكلون العشب، وأنهم متوجهون غير مستائين يأكل بعضهم بعضًا وكذا الصقالبة. والسبب في ذلك أنهم بعدهم عن الاعتدال يقرب عرض أمزاجهم وأخلاقهم من عرض الحيوانات العجم، ويعبدون عن الإنسانية بقدر ذلك.

وكذلك أحواهم في الديانة أيضاً فلا يعرفون نسبة ولا يدينون بشريعة إلا من قرب منهم من جانب الاعتدال وهو في الأقل النادر مثل الحبشة المجاورين لليمن الدائنين بالنصرانية فيما قبل الإسلام وما بعده لهذا العهد، ومثل أهل ملي وكوكو والكرور المجاورين لأرض المغرب الدائنين بالإسلام هذا العهد يقال: إنهم دانوا به في المائة السابعة، ومثل من دان بالنصرانية من أمم الصقالبة والإفرنجية والترك من الشمال. ومن سوى هؤلاء من أهل تلك الأقاليم المنحرفة جنوباً وشمالاً، فالذين مجاهول عندهم والعلم مفقود بينهم، وبجمع أحواهم بعيدة من أحوال الأناسي قريبة من أحوال البهائم: «ويخلُّ ما لا تَعْلَمُونَ» ولا يعرض على هذا القول بوجود اليمن وحضرموت والأحضاف وببلاد الحجاز واليمامه وما إليها من جزيرة العرب في الإقليم الأول والثاني، فإن جزيرة العرب كلها أحاطت بها البحار من الجهات

العجائب: خرق عظيم في الأرض بعيد المهوى فسيح الأقطار ممتنع الوصول إلى قعره، يستدل على عمرانه بالدخان في النهار والنهار في الليل تضيء وتختفي. وربما رأي فيها نهر يشقها من الجنوب إلى الشمال. وفي الناحية الشرقية من هذا الجزء البلاد الخراب المتاخة للسد. وفي آخر الشمال منه جبل قوقيا متصلًا من الشرق إلى الغرب.

وفي الجزء التاسع من هذا الإقليم في الجانب الغربي منه بلاد خفتاخ وهو فرج يجوزها جبل قوقيا حين ينعطف من شماله عند البحر المحيط وينهض في وسطه إلى الجنوب ينحراف إلى الشرق فيخرج في الجزء التاسع من الأقاليم السادس ويسير مترضاً فيه. وفي وسطه هناك سد ياجوج وماجوج وقد ذكرناه. وفي الناحية الشرقية من هذا الجزء أرض ياجوج وراء جبل قوقيا على البحر قليلة العرض مستطيلة أحاطت به من شرقه وشماله.

والجزء العاشر غرب البحر جميعه.

هذا آخر الكلام على الجغرافيا وأقاليمها السبعة. **﴿إِنَّ فِي  
خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْيَالِهِ لِيَتَّلَمَّ وَالْهَمَّ لِأَرْتَلِي  
الْأَلْبَابِ﴾.**

### المقدمة الثالثة

## في المعدل من الأقاليم والمعرف وتاثير الهواء في ألوان البشر والكثير في أحواهم

قد بينا أن المعمور من هذا المكتشف من الأرض إنما هو وسطه لإفراط الحر في الجنوب منه والبرد في الشمال. ولما كان الجابان من الشمال والجنوب متضادين في الحر والبرد، وجب أن تدرج الكيفية من كلهما إلى الوسط فيكون معتدلاً. فالإقليم الرابع أعدل العمran والذي حفاته من الثالث والخامس أقرب إلى الاعتدال، والذي يليهما من الثاني والسادس بعيدان من الاعتدال. والأول والسابع أبعد بكثير؛ فلهذا كانت العلوم والصناعات والمباني والملابس والأقواف والفراكه بل والحيوانات وجميع ما ينكون في هذه الأقاليم الثلاثة المتوسطة مخصوصة بالاعتدال. وسكانها من البشر أعدل أجساماً والواناً وأخلاقاً وأدياناً حتى النبوات فإنما توجد في الأكثر فهها. ولم تخف على خبر بعثة في الأقاليم الجنوبية ولا الشمالية. وذلك أن الأنبياء والرسل إنما يختص بهم أكمل النوع في خلقهم وأخلاقهم. قال تعالى: **«كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرَجْتُ  
لِلنَّاسِ﴾** وذلك ليتم القبرى لما يأتיהם به الأنبياء من عند الله.

بالجنوب تسودُ الوان أعقابهم. وفي ذلك دليل على أن اللون تابع لزجاج الهواء. قال ابن سينا في أرجوزته في الطب:  
بالزنج حر غير الأجداد حتى كسا جلودها سوادا  
والصقاب اكتسب البياض حتى غدت جلودها بضايا  
واما أهل الشمال فلم يسموا باعتبار الوانهم؛ لأن البياض  
كان لوناً لأهل تلك اللغة الواضحة للأسماء. فلم يكن فيه غرابة  
تحمل على اعتباره في التسمية لموافقته واعتیاده. ووجدنا سكانه من  
الترك والصقالبة والطفرغُر والخزر والبلان والكثير من الإفرنجية  
ويأجروج وماجرج أسماء متفرقة وأجيالاً متعددة مسمى باسماء  
متعددة. وأما أهل الأقاليم الثلاثة المتوسطة، أهل الاعتدال في  
خلقيهم وخلقيهم وسيرهم وكافة الأحوال الطبيعية للإعتمار لديهم  
من المعاش والمساكن والصنائع والعلوم والسياسات والملك فكانت  
فيهم البوّات والمُلُك والدول والشرايع والعلوم والبلدان  
والأمصار والمباني والقواسمة والصناعات الفاقنة وسائل الأحوال  
المتعدلة. وأهل هذه الأقاليم التي وقفت على أخبارهم مثل العرب  
والروم وفارس وبين إسرائيليونان وأهل السنديون والمند  
والصين.

ولما رأى الشّائرون اختلاف هذه الأمم بسمّاتها وشعاراتها حسّبوا ذلك لأجل الأسباب: فجعلوا أهل الجنوب كلهم السودان من ولد حام وارتبايرا في الوالنهم، فتكلّفوا نقل تلك الحكاية الراهية وجعلوا أهل الشمال كلهم أو أكثرهم من ولد يافث وأكثر الأمم المعتدلة وأهل الوسط المتخلّين للعلوم والصناعات والملل والشّرائع والسياسة والملك من ولد سام. وهذا الزعم إن صادف الحق في انتساب هؤلاء فليس ذلك بقياس مطرد، إنما هو إخبار عن الواقع لا أن تسمية أهل الجنوب بالسودان والحبشان من أجل انتسابهم إلى حام الأسود. وما أدّاهم إلى هذا الغلط إلا اعتقادهم أن التمييز بين الأمم إنما يقع بالأنساب فقط وليس كذلك: فإن التمييز للجيل أو الأمة يكون بالنسبة في بعضهم كما للعرب وبين إسرائيل والفرس، ويكون بالجهة والسمة كـاللزنج والجيشة والصقالبة والسودان ويكون بالعوائد والشعار والنسبة كما للعرب. ويكون بغير ذلك من أحوال الأمم وخواصهم ومميزاتهم. فتعميم القول في أهل جهة معينة من جنوب أو شمال بأنهم من ولد فلان المعروف لما شملهم من نزلة أو لون أو سمة وجدت لذلك الأسباب، إنما هو من الأغالط التي أوقع فيها الغفلة عن طبائع الأشكناز والجهات وإن هذه كلها تبئّل في الأعيب ولا يحب استمرارها: **«سَتَهُ اللَّهُ فِي عِبَادِهِ وَلَنْ تَجِدَ لِسْتَهُ اللَّهُ تَبَدِّلًا»**، والله ورسوله أعلم بغيته وأحکم، وهو المولى المنعم المرؤوف الرحيم.

الثلاث كما ذكرنا، فكان لرطوبتها أثر في رطوبة هواها فتقص ذلك من اليس والغراف الذي يقتضيه الحر وصار فيها بعض الاعتدال بسبب رطوبة البحر. وقد توهّم بعض النساين من لا علم لديه بطائع الكائنات أن السودان هم ولد حام بن نوح اختصوا بلون السواد للدعوة كانت عليه من أبيه ظهر أثرها في لونه وفيما جعل الله من الرق في عقبه، وينقلون في ذلك حكاية من خرافات القصاص. ودعاء نوح على ابنه حام قد وقع في التوراة وليس فيه ذكر السود، وإنما دعا عليه بأن يكون ولده عيذاً لولد إخوه لا غير. وفي القول بنسبة السود إلى حام غفلة من طبيعة الحر والبرد وأثرهما في الهواء وفيما يتكون فيه من الحيوانات. وذلك أن هذا اللون شمل أهل الأقاليم الأول والثاني من مزاج هواهم للحرارة المتضاعفة بالجنوب، فإن الشمس تسامت رفوسهم مرتين في كل سنة، قربة إحداهما من الأخرى، فنطوطل المسامة عامة الفصول فيذكر الضوء لأجلها. ويلمح التقطيط الشديد عليهم وتسود جلودهم لإفراط الحر. ونظير هذين الإقليمين ما يقابلهما من الشمال الإقليم السابع والسادس. شمل سكانهما أيضاً البياض من مزاج هواهم للبرد المفرط بالشمال، إذ الشمس لا تزال بأنقهم في دائرة مرني العين أو ما قرب منها ولا ترتفع إلى المسامة ولا ما قرب منها، فيضعف الحر فيها ويشتد البرد عامة الفصول فتبيض اللوان أهلها وتنتهي إلى الزبرقة. وتبعد ذلك ما يقتضيه مزاج البرد المفرط من زرقة العيون وبريش الجلود وصهريبة الشعور. وتتوسطت بينهما الأقاليم الثلاثة: الخامسة والرابع والثالث، فكان لها في الاعتدال الذي هو مزاج المتوسط حظ وافر.

والرابع أبلغها في الاعتدال غاية نهايته في التوسط كما قدمناه. فكان لأهله من الاعتدال في خلقهم وخلقهم ما اقتضاه مزاج أهوائهم. وتبعه من جانبيه الثالث والخامس وإن لم يبلغوا غاية التوسط لم يليل هذا قليلاً إلى الجنوب الحار وهذا قليلاً إلى الشمال البارد إلا أنهما لم يتهديا إلى الآخراف. وكانت الأقاليم الأربعية منحرفة وأهلها كذلك في خلقهم وخلقهم، فالأول والثاني للحر والسوداء، والسابع للبرد والبياض. ويسمى سكان الجنوب من الإقليمين الأول والثاني باسم الجبنة والزنج والسودان أسماء متراوحة على الأمم المتغيرة بالسوداء، وإن كان اسم الجبنةختصاً منهم بن تجاه مكة واليمن، والزنج بن تجاه بحر الهند. وليست هذه الأسماء هم من أجل انتسابهم إلى آدمي أسود لا حام ولا غيره. وقد نجد من السودان أهل الجنوب من يسكن الربع المعتدل أو السابع المنحرف إلى البياض، فتبيّن الوان أعقابهم على التدرج مع الأيام. وبالعكس فيمن يسكن من أهل الشمال أو الربع

## المقدمة الرابعة في أثر الهواء في أخلاق البشر

من أنه نقل عن جالينوس ويعقوب بن إسحق الكندي أن ذلك لضعف أدمعتهم وما نشأ عنه من ضعف عقولهم، وهذا كلام لا محل له ولا برهان فيه. **﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطِهِ﴾.**

### المقدمة الخامسة

#### في اختلاف أحوال العمران في الحصب والجوع وما ينشأ عن ذلك من الآثار في أبدان البشر وأخلاقهم

اعلم أن هذه الأقاليم المعتدلة ليس كلها يوجد بها الحصب ولا كل سكانها في رغد من العيش، بل فيها ما يوجد لأهله حصب العيش من الحبوب والأذم والخنطة والفواكه؛ لزكاء المتاب واعتدال الطبيعة ووفور العمaran، وفيها الأرض الخرة الترب لا تنبت زرعاً ولا عشاً بالجملة، فسكانها في شظف من العيش: مثل أهل الحاجز وجنوب اليمن ومثل الملثمين من صنهاجة الساكدين بصحراء المغرب واطراف الرمال فيما بين البربر والسودان، فإن هؤلاء يفقدون الحبوب والأدم جلةً، وإنما أغذتهم وأقوافهم الألبان واللحوم، ومثل العرب أيضاً الجاثلين في القفار، فإنهم وإن كانوا يأخذون الحبوب والأدم من التلول إلا أن ذلك في الأحيان وتحت رقبة من حاميتها وعلى الإقلال لقلة وجدهم، فلا يتوصلون منه إلى سد الخلة أو دونها فضلاً عن الرغد والخصب، وتجدهم يقتصرن في غالب أحوالهم على الألبان ومتغرضهم من الخنطة أحسن معاوض. وتجد مع ذلك هؤلاء الفاقدين للحبوب والأدم من أهل القفار أحسن حالاً في جسموهم وأخلاقهم من أهل التلول المتعمسين في العيش: فاللونهم أصفر، وأبدانهم أنقى، وأشكالهم أتم وأحسن، وأخلاقهم أبعد من الاحتراف، وأنهانهم انقض في المعارف والإدراكات. هذا أمر شهد له التجربة في كل جيل منهم. فكثير ما بين العرب والبربر فيما وصفناه وبين الملثمين وأهل التلول. يعرف ذلك من خبره. والسبب في ذلك والله أعلم أن كثرة الأغذية وكثرة الأخلاط الفاسدة المفتنة وروطياتها تولد في الجسم فضلات رديئة ينشأ عنها بعد أقطارها في غير نسبة ويتبعد ذلك اكتساف الألوان وقع الأشكال من كثرة اللحم كما قلناه، وتقطعي الروطيات على الأذهان والأذكار بما يصعب إلى الدماغ من آخرتها الردية، فتجيء البلادة والغفلة والاحتراف عن الاعتدال بالجملة. واعتبر ذلك في حيونان الفقر ومواطن الجدب من الغزال

قد رأينا من خلق السودان على العموم الخفة والطيش وكثرة الطرب فتجدهم مولعين بالرقص على كل توقيع، موصوفين بالحمر في كل قطر. والسبب الصحيح في ذلك أنه تقرر في موضعه من المحكمة أن طبيعة الفرح والسرور هي انتشار الروح الحيواني وتشييه طبيعة الحزن بالعكس وهو انتقاده وتکافنه. وتقرر أن الحرارة مفسحة للهباء والبخار مخللة له زائدة في كميته. وهذا يجد المتشي من الفرح والسرور مالا يعبر عنه، وذلك بما يدخل بخار الروح في القلب من الحرارة الغربية التي تعنها سورة الحمر في الروح من مزاج، فينشئ الروح وتجيء طبيعة الفرح. وكذلك نجد المتنعمين بالحمامات إذا تنفسوا في هوانها واتصلت حرارة الهواء في أرواحهم فتسخن بذلك حدث لهم فرح، وربما ابعت الكثير منهم بالغذاء الناشئ عن السرور. ولما كان السودان ساكين في الإقليم الحار واستولى الحر على أمزاجتهم وفي أصل تكوينهم كان في أرواحهم من الحرارة على نسبة أبدانهم وإليهم تكون أرواحهم بالقياس إلى أرواح أهل الإقليم الرابع أشد حرارة، فتكون أكثر تشيقاً، فتكون أسرع فرحاً وسروراً وأكثر ابساطاً، ويجيء الطيش على أثر هذه، وكذلك يلحق بهم قليلاً أهل البلاد البحرية لما كان هوازها متضاعف الحرارة بما يعكس عليه من أصوات بسيط البحر وأشعنته كانت حصنهم من توابع الحرارة في الفرح والخفة موجودة أكثر من بلاد التلول والجبال الباردة. وقد نجد يسيراً من ذلك في أهل البلاد الجزرية من الإقليم الثالث لتتوفر الحرارة فيها وفي هوانها؛ لأنها عريقة في الجنوب عن الأرياف والتلول. واعتبر ذلك أيضاً بأهل مصر فإنها مثل عرض البلاد الجزرية أو قريباً منها، كيف غلب الفرح عليهم والخفة والغفلة عن العواقب، حتى إنهم لا يذخرن أقوات سنتهم ولا شهرهم وعامة مأكلهم من أسواقهم. ولما كانت فاس من بلاد المغرب بالعكس منها في التلول الباردة كيف ترى أهلها مطربين إطراق الحزن وكيف افترطوا في نظر العواقب، حتى إن الرجل منهم ليذخر قوت ستين من حبوب الخنطة وبياكل الأسواق لشراء قوته ليومه خافة أن يرزا شيئاً من مذخره، وتبئع ذلك في الأقاليم والبلدان تجد في الأخلاق أثراً من كيافيات الهواء. والله المخلوق العليم.

وقد تعرّض المسعودي للبحث عن السبب في خفة السودان وطبيتهم وكثرة الطرب فيهم، وحاول تعليله فلم يأت بشيء أكثر

## اختلاف أحوال العمران في الخصب والجوع وما ينشأ عن

المغرب وأهل مدينة فاس ومصر فيما يلقتنا، لا مثل العرب أهل القفر والصحراء، ولا مثل أهل بلاد النخل الذين غالب عيشهم التمر، ولا مثل أهل إفريقيا لهذا العهد الذين غالب عيشهم الشعير والزيت، وأهل الأندلس الذين غالب عيشهم الذرة والزيست، فإن هؤلاء وإن أخذتهم السنون والجماعات فلا تزال منهم ما تزال من أولئك ولا يكثرون منهم الهلاك بالجوع بل ولا يندر. والسبب في ذلك والله أعلم أن المغمسين في الخصب المتعودين للأدم والسمن خصوصاً يكتسبون ذلك أملاوهم رطوبة فوق رطوبتها الأصلية الزجاجية حتى تجاوز حدتها، فإذا خولف بها العادة بقلة الأقواف وفقدان الأدم واستعمال الخشن غير المألوف من الغذاء أسرع إلى المغى الييس والانكماش، وهو ضعيف في الغاية، فيسرع إليه المرض وبهلك صاحبه دفعه؛ لأنه من المقايل. فالمالكون في الجماعات إنما تلتهم الشبع المتعدد السابق لا الجوع الحادث اللاحق. وأما المتعودون للطعمية وتترك الأدم والسمن فلا تزال رطوبتهم الأصلية واقفة عند حدتها من غير زيادة وهي قابلة لجميع الأغذية الطبيعية، فلا يقع في معاهم يتبدل الأغذية تيس ولا حرف، فيسلمون في الغالب من الهلاك الذي يعرض لغيرهم بالخصب وكثرة الأدم في المأكل.

وأصل هذا كله أن تعلم أن الأغذية وابتلاعها أو تركها إنما هو بالعادة، فمن عرّد نفسه غذاء ولا عمه تناوله كان له مالوفاً وصار الخروج عنه والتبدل به داء، ما لم يخرج عن غرض الغذاء بالجملة كالسموم والبيتون وما يفترط في الآخراف. فاما ما وجد فيه التغذى والملازمة فيصير غذاء مالوفاً بالعادة. فإذا أخذ الإنسان نفسه باستعمال اللبن والبقل عوضاً عن الخطة حتى صار له ذيئناً فقد حصل له ذلك غذاء واستغنى به عن الخطة والحبوب من غير شك. وكذا من عرّد نفسه الصبر على الجوع والاستغناء عن الطعام كما ينقل عن أهل الرياضيات، فإنما نسمع عنهم في ذلك انتشاراً غريباً يكاد ينكرها من لا يعرفها. والسبب في ذلك العادة، فإن النفس إذا افت شيناً صار من جبلىتها وطبيعتها؛ لأنها كثيرة التلزُّل، فإذا حصل لها اعتياد الجوع بالتدريج والرياضة فقد حصل ذلك عادة طبيعية لها. وما يتوهمه الأطباء من أن الجوع مهلك وليس على ما يتوجهونه إلا إذا حللت النفس عليه دفعه. وقطع عنها الغذاء بالكلية، فإنه حينئذ ينحسم الموى ويناليه المرض الذي يخشى معه الهلاك. وأما إذا كان ذلك القدر تدريجياً ورياضة بقلال الغذاء شيئاً فشيئاً كما يفعله المتصوفة فهو بمعدل عن الهلاك. وهذا التدريج ضروري حتى في الرجوع عن هذه الرياضة، فإنه إذا رجع به إلى الغذاء الأول دفعه خيف عليه الهلاك، وإنما يرجع به كما بدأ

والنعم والمأها والزرافة والحمير الوحشية والبقر مع أمثلها من حيوان التلول والأرياف والمراعي الخصبة كيف تجد بينها بيتاً بعيداً في صفاء أداتها وحسن رونقها وأشكالها وتناسب أعضائها وحدة مداركها. فالغزال آخر المعز والزرافة آخر البعير والحمار والبقر، آخر الحمار والبقر والبison بينها ما رأيت. وما ذلك إلا لأجل أن الخصب في التلول فعل في أبدان هذه من الفضلات الرديئة والأخلط الفاسدة ما ظهر عليها أثره، والجوع لحيوان القفر حسن في خلقها وأشكالها ما شاء. واعتبر ذلك في الأدميين أيضاً: فإنما تجد أهل الأقاليم المخصبة العيش الكثيرة الزرع والضرع والأدم والفاواكه يتصرفون أهلهما غالباً بالبلاد في أذهانهم والخشونة في أجسامهم. وهذا شأن البربر المغمسين في الأدم والخططة مع المتقشفين في عيشهم المقتصرين على الشعير أو الذرة، مثل المصامدة منهم وأهل غماره والسوس، فتجد هؤلاء أحسن حالاً في عقوفهم وجسموهم. وكذا أهل بلاد المغرب على الجملة المغمسون في الأدم والبر مع أهل الأندلس المفقود بأرضهم السمن جلة، وغالب عيشهم الذرة، تتجدد لأهل الأندلس من ذكاء العقول وخفة الأجسام وقبول التعليم مالا يوجد لغيرهم. وكذا أهل الضواحي من المغرب بالجملة مع أهل الخضر والأمصال. فإن أهل الأمصال وإن كانوا مكثرين منهم من الأدم ومحظبين في العيش إلا أن استعمالهم إياها بعد العلاج بالطبع والتلطيف بما يخالطون معها فيذهب لذلك غلظتها ويرق قوامها، وعامة مأكلهم لحوم الضأن والدجاج، ولا يغبطون السمن من بين الأدم لفاهته فتقلُّ الرطوبات لذلك في أغذيتها ويخف ما تؤديه إلى أجسامهم من الفضلات الرديئة؛ فلذلك تجد جسمو أهل الأمصال أطف من جسمو أهل البادية المختشين في العيش. وكذلك تجد المعoidين بالجوع من أهل البادية لا فضلات في جسمهم غليظة ولا لطيفة. وأعلم أن أثر هذا الخصب في البدن وأحواله يظهر حتى في حال الدين والعبادة، فتجد المتقشفين من أهل البادية أو الحاضرة من يأخذ نفسه بالجوع والتجافي عن الملاذ أحسن ديناً وإقبالاً على العبادة من أهل الترف والخصب. بل تجد أهل الدين قليلين في المدن والأمصال لما يعمها من القساوة والقفلة المتصلة بالإكثار من اللحمان والأدم ولباب البر. وينحصر وجود العباد والرهاد لذلك بالمتقشفين في غذائهم من أهل البوادي. وكذلك تجد حال أهل المدينة الواحدة في ذلك مختلفاً باختلاف حالها في الترف والخصب. وكذلك تجد هؤلاء المخصوصين في العيش المغمسين في طيائده من أهل البادية ومن أهل الحواضر والأمصال إذا نزلت بهم السنون وأخذتهم الجماعات يسرع إليهم الهلاك أكثر من غيرهم، مثل برابرة

## المقدمة السادسة

### في أصناف المدركين للغيب من البشر بالفطرة أو بالرياحنة ويقدمه الكلام في الوحي والرؤيا

اعلم أن الله سبحانه اصطفى من البشر أشخاصاً فضلهم بمنطابه وفطحهم على معرفته وجعلهم سائلين بينهم وبين عباده، يعرّفونهم بصالحهم وغيره دونهم على هدايتيهم، ويأخذون بمحاجاتهم عن النار، ويدلّونهم على طريق النجاة، وكان فيما يلقىهم الكائنات المغيبة عن البشر التي لا سبيل إلى معرفتها إلا من الله بوساطتهم، ولا يعلمونها إلا بتعليم الله إياهم. قال عليه السلام: «الله وإنني لا أعلم إلا ما علمتني الله». واعلم أن خبرهم في ذلك من خاصيته وضورته الصدق، لما يتبيّن لك عند بيان حقيقة النبوة.

وعلامة هذا الصنف من البشر أن توجد لهم في حال الوحي غيبة عن الحاضرين معهم مع غلطه كأنها غشى أو إغماء في رأي العين وليست منها في شيء، وإنما هي في الحقيقة استغراف في لقاء الملك الروحاني بإدراكهم المناسب لهم الخارج عن مدارك البشر بالكلية. ثم يتتبّل إلى المدارك البشرية: إما بسماع دوي من الكلام فيفهمه، أو يتمثّل له صورة شخص يخاطبه بما جاء به من عند الله. ثم تتجلى عنه تلك الحال وقد وعى ما القى إليه. قال عليه السلام وقد سئل عن الوحي: «أحياناً يأتيه مثل صلصلة الجرس وهو أشدُّ علىِّي، فيفصّم عني وقد وعيت ما قال، وأحياناً يتمثّل لي الملك رجلاً فيكلّماني فاعي ما يقول». ويدركه أثناء ذلك من الشدة والغطّ ما لا يعبر عنه. ففي الحديث: «كان مما يعالج من التزيل شدة». وقالت عائشة: كان يتزلّ على الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه، وإن جيئه ليفصّم عرقاً. وقال تعالى: «إِنَّ سَنْقُونِي عَلَيْكَ قَوْلًا نَّقِيلًا». ولأجل هذه الحالة في تزيل الوحي كان المشركون يرمون الأنبياء بالجبنون ويقولون: له رئي أو تابع من الجن. وإنما ليس عليهم بما شاهدوه من ظاهر تلك الأحوال: «وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادِي».

ومن علاماتهم أيضاً أنه يوجد لهم قبل الوحي، خلق الخير والزكاء ومحابية المذمومات والرجس أجمع. وهذا هو معنى العصمة. وكأنه مفترض على التزّة عن المذمومات والمنافرة لها، وكانت منافية لجيئه. وفي الصحيح أنه حل الحجارة وهو غلام مع عمه العباس لبناء الكعبة، فجعلها في إزاره فانكشف فسقط مغشياً عليه حتى استتر بإزاره، ودعى إلى مجتمع وليمة فيها عرس ولعب

في الرياضة بالتدريج. وقد شاهدنا من يصر على الجموع أربعين يوماً وصالأكثر. وحضر أشياخنا بمجلس السلطان أبي المحسن وقد رفع إليه أمرأان من أهل الجزيرة الخضراء ورندة حبستا أنفسهما عن الأكل جلة منذ سنين، وشاء أمرهما ووقع اختبارهما فصحّ شائهما واتصل على ذلك حاليهما إلى أن ماتا. ورأينا كثيراً من أصحابنا أيضاً من يتصرّ على حليب شاة من المعز يلتقم ثديها في بعض النهار أو عند الإفطار ويكون ذلك غذاءه، واستدام على ذلك خمس عشرة سنة وغيرهم كثير، ولا يستنكرون ذلك.

واعلم أن الجموع أصلح للبدن من إكثار الأغذية بكل وجہ لمقدر عليه أو على الإقلال منها، وأن له ثراً في الأجسام والعقول في صفاتها وصلاحها كما قلناه، واعتبر ذلك باشار الأغذية التي تحصل عنها في الجسم. فقد رأينا المتذمرين بلحوم الحيوانات الفاخرة العظيمة الجثمان تتشاءم أجسامهم كذلك. وهذا مشاهد في أهل الbadia مع أهل الحاضرة. وكذا المتذمرون بالبان والإبل ولحومها أيضاً، مع ما يؤثر في أخلاقهم من الصبر والاحتمال والتقدرة على حل الأقفال المرجود ذلك للإبل، وتنتشأ أمواههم أيضاً على نسبة أمعاء الإبل في الصحة والغلظ، فلا يطرّقها الرهن ولا الضعف، ولا ينالها من مضار الأغذية ما ينال غيرهم فيشربون اليتوعات لاستطلاق بطونهم غير محجوبة، كالحنظل قبل طبخه والذرّاس والقربيون ولا ينال أمواههم منها ضرر، وهي لو تناولها أهل الخضر الرقيقة أمواههم مما ثناه عليه من لطيف الأغذية لكنه الهاك أسرع إليهم من طرفة العين لما فيها من السمية. ومن تأثير الأغذية في الأبدان ما ذكره أهل الفلاحة وشاهده أهل التجربة أن الدجاج إذا غذيت بالحرب الطيرخنة في بعر الإبل واتخذ يضها ثم حضنت عليه جاء الدجاج منها أعظم ما يكون. وقد يستغنون عن تغذيتها وطبخ الحبوب بطرح ذلك البعر مع البيض المحسّن فيجيء دجاجها في غاية العظم. وأمثال ذلك كثيرة، فإذا رأينا هذه الآثار من الأغذية في الأبدان فلا شك أن للجوع أيضاً آثاراً في الأبدان؛ لأن الصدئ على نسبة واحدة في التأثير وعدمه، فيكون تأثير الجوع في تقاه الأبدان من الزيادات الفاسدة والرطوبات المختلطة المخلة بالجسم والعقل كلّ كما كان الغذاء مؤثراً في وجود ذلك الجسم. والله يحيط بعلمه.

المعزلة صادرة عنهم إلا أن العجزة لا تكون من جنس أفعالهم، وليس للنبي فيها عند سائر المتكلمين إلا التحدى بها بأذن الله، وهو أن يستدل بها النبي ﷺ قبل وقوعها على صدقه في مدعاه. فإذا وقعت تزئّلت منزلة القول الصريح من الله بأنه صادق، وتكون دلالتها حيثذا على الصدق قطعية. فالعجزة دالة بمجموع الخارج والتحدي، ولذلك كان التحدى جزءاً منها. وعبارة المتكلمين صفة نفسها، وهو واحد لأنّه معنى الذاتي عندهم.

والتحدي هو الفارق بينها وبين الكراهة والسحر، إذ لا حاجة فيما إلى التصديق، فلا وجود للتحدي إلا إن وجد اتفاقاً. وإن وقع التحدى في الكرامة عند من يحيّرها وكانت لها دلالة فإنما هي على الولاية وهي غير النبوة. ومن هنا من الأستاذ أبو إسحاق وغيره وقوع الخوارق كرامة فراراً من الالتباس بالنبوة عند التحدى بالولاية. وقد أربناك المغيرة بينهما وإنه يتحدى بغير ما يتحدى به النبي، فلا ليس على أن القول عن الأستاذ في ذلك ليس صريحاً وربما حمل على إنكار أن تقع خوارق الأنبياء لهم بناء على اختصاص كل من الفريقين بخوارقه.

وأما المعزلة فالمانع من وقوع الكرامة عندهم أن الخوارق ليست من أفعال العباد، وأفعالهم معتادة فلا فرق.

واما وقوعها على يد الكاذب تليساً فهو محال. أما عند الأشعرية فلان صفة نفس العجزة التصديق والمداية، فلو وقعت بخلاف ذلك انقلب الدليل شبيهه، والمداية ضلاله، والتصديق كذباً، واستحالت الحقائق، وانقلبت صفات النفس وما يلزم من فرض وقوع الحال لا يكون مكتناً. وأماماً عند المعزلة فلان وقوع الدليل شبيهه والمداية ضلاله قبيح فلا يقع من الله.

واما الحكماء فالخارق عندهم من فعل النبي، ولو كان في غير محل القدرة بناء على مذهبهم في الإيجاب الذاتي وقوع الخوارق ببعضها عن بعض متوقف عن الأسباب والشروط الحادثة مستندة أخيراً إلى الواجب الفاعل بالذات لا بالاختيار، وأن النفس النبوية عندهم لها خواص ذاتية، منها صدور هذه الخوارق بقدرتها وطاعة العناصر له في التكوين. والنبي عندهم مجبول على التصريح في الأكوناً مهمماً ترجئه إليها واستجتمع لها بما جعل الله له من ذلك. والخارق عندهم يقع للنبي سواء كان للتحدي أم لم يكن، وهو شاهد بصدقه من حيث دلالته على تصرف النبي في الأكوناً الذي هو من خواص النفس النبوية لا بأنه يتزئّل منزلة القول الصريح بالتصديق؛ فلذلك لا تكون دلالتها قطعية كما هي عند المتكلمين، ولا يكون التحدى جزءاً من العجزة، ولم يصح فارقاً لها عن السحر والكرامة. وفارقها عندهم عن السحر

فاصابه غشي النوم إلى أن طلعت الشمس ولم يحضر شيئاً من شأنهم، بل نزعه الله عن ذلك كله حتى إنه مجلىه يتزئّل عن المطعومات المستكرهة. فقد كان **ﷺ** لا يقرب البصل والثوم، فقيل له في ذلك فقال: «إني أناجي من لا تناجون».

وانظر لما أخبر النبي **ﷺ** خديجة رضي الله عنها مجال الوحي أول ما فوجأه وأرادت اختباره فقالت: أجعلني بينك وبين ثوبك؛ فلما فعل ذلك ذهب عنه فقالت: إنه ملك وليس بشيطان؛ ومعناه أنه لا يقرب النساء. وكذلك سالت عن أحب الثياب إليه أن يائيه فيها فقال: «البياض والحضرمة» فقالت: إنه **الملك**، يعني أن البياض والحضرمة من لوان الخير والملائكة، والسوداء من لوان الشر والشياطين وأمثال ذلك.

ومن علماتهم أيضاً دعاؤهم إلى الدين والعبادة من الصلاة والصدقة والعفاف. وقد استدلّت خديجة على صدقه **ﷺ** بذلك، وكذلك أبو بكر، ولم يحتاجا في أمره إلى دليل خارج عن حاله وحلقه. وفي الصحيح أن هرقل حين جاءه كتاب النبي **ﷺ** يدعوه إلى الإسلام أحضر من وجد بيده من قريش، وفيهم أبو سفيان ليس لهم عن حاله، فكان فيما سأله أن قال: بما يأمركم؟ فقال أبو سفيان: بالصلاحة والرकاة والصلة والعفاف إلى آخر ما سأله فأجابه فقال: إن يكن ما تقول حقاً فهو نبي وسيملّك ما تحت قدمي هاتين. والعفاف الذي أشار إليه هرقل هو العصمة. فانظر كيف أخذ من العصمة والدعاء إلى الدين والعبادة دليلاً على صحة نبوته، ولم يحتاج إلى معجزة. فدلّ على أن ذلك من علمات النبوة. ومن علماتهم أيضاً أن يكونوا ذوي حسب في قومهم. وفي الصحيح: «ما بعث الله نبياً إلا في ملة من قومه» وفي رواية أخرى «في ثروة من قومه»؛ استدركه الحاكم على «الصحيحين» وفي سائلة هرقل لأبي سفيان كما هو في «الصحيح» قال: كيف هو فيكم؟ فقال أبو سفيان: هو فيما ذو حسب؛ فقال هرقل: والرسل تبعث في أحساب قومها؛ ومعناه أن تكون له عصبة وشوكه تمنعه عن أذى الكفار حتى يبلغ رسالة ربّه ويتم مراد الله من إكمال دينه وملئه.

ومن علماتهم أيضاً وقوع الخوارق لهم شاهدة بصدقهم، وهي أفعال يعجز البشر عن مثلاها فسميت بذلك معجزةً وليس من جنس مقدور العباد، وإنما تقع في غير محل قدرتهم، وللناس في كيفية وقوعها ودلالتها على تصديق الأنبياء خلاف.

فالتكلمون بناء على القول بالفاعل المختار قائلون بأنها واقعة بقدرة الله لا بفعل النبي، وإن كانت أفعال العباد عند

الحركات فقط، وبها يهتدى بعضهم إلى معرفة مقاديرها وأوضاعها، وما بعد ذلك من وجود الذوات التي لها هذه الآثار فيها. ثم انظر إلى عالم التكربن كيف ابتدأ من المعادن ثم النبات ثم الحيوان على هيئة بدعة من التدريج. آخر أفق المعادن متصل بأول أفق النبات مثل الحشائش وما لا يذر له، وآخر أفق النبات مثل النخل والكرم متصل بأول أفق الحيوان مثل الحذرون والصدف، ولم يوجد لهما إلا قوة اللمس فقط. ومعنى الاتصال في هذه المكونات أن آخر أفق منها مستعد بالاستعداد الغريب؛ لأن يصير هؤلء أفق الذي بعده. واتسع عالم الحيوان وتعدد أنواعه وانتهى في تدريج التكربن إلى الإنسان صاحب الفكر والرؤية، ترتفع إليه من عالم القدرة الذي اجتمع فيه الحس والإدراك ولم ينته إلى الرؤية والفكر بالفعل، وكان ذلك أول أفق من الإنسان بعده. وهذا غاية شهدنا.

ثم إننا نجد في العالم على اختلافها آثاراً متفرعةً: ففي عالم الحس آثار من حركات الأفلاك والعناصر، وفي عالم التكربن آثار من حركة النمو والإدراك، تشهد كلها بأن لها مؤثراً مبايناً للأجسام. فهو روحاني ويتصل بالملائكة لوجود اتصال هذا العالم في وجودها، وذلك هو النفس المدركة والمرجحة. ولا بد فوقها من وجود آخر يعطيها قوى الإدراك والحركة ويتصل بها أيضاً، ويكون ذاته إدراكاً صرفاً وتعقلاً محضاً وهو عالم الملائكة. فوجب من ذلك أن يكون للنفس استعداد للاتسلاخ من البشرية إلى الملائكة تصير بالفعل من جنس الملائكة وتقاً من الأوقات في لحمة من اللمحات وذلك بعد أن تكمّل ذاتها الروحانية بالفعل كما ذكره بعد، ويكون لها اتصال بالأفق الذي بعدها، شأن الموجودات المرتبة كما قدمناه. فلها في الاتصال جهتا العلو والسفل: فهي متصلة بالبدن من أسفل منها ومكتسبة به المدارك الحسية التي تستعد بها للحصول على التعقل بالفعل، ومتصلة من جهة الأعلى منها بأفق الملائكة ومكتسبة به المدارك العلمية والغيبية، فإن عالم الحوادث موجود في تعقلاتهم من غير زمان. وهذا على ما قدمناه من الترتيب الحكم في الوجود باتصال ذاته وقواه بعضها بعض.

ثم إن هذه النفس الإنسانية غاية عن العيان وأثارها ظاهرة في البدن، فكانه وجميع أجزائه مجتمعةً ومفترقةً آلات للنفس ولقواها، أما الفاعلية فالبطش باليد والمشي بالقدم والكلام باللسان والحركة الكلية للبدن متدافعاً. وأما المدركة وإن كانت قوى الإدراك مرتبة ومرتبة إلى القوة العليا منها ومن المفكرة التي يعبر عنها بالناطق فقوى الحس الظاهرة بالاته من السمع والبصر وسائرها يرتفق إلى الباطن، وأوله الحس المشترك وهو قوة تدرك

أن النبي مجبول على أفعال الخير مصروف عن أفعال الشر فلا يُلزم الشر بخوارقه، والساخر على الضد، فأفعاله كلها شر، وفي مقاصد الشر. وفارقتها عن الكرامة أن خوارق النبي مخصوصة كالصعود إلى السماء، والنفرذ في الأجسام الكثيفة وإحياء الموتى وتتكليم الملائكة والطيران في الهواء، وخوارق الولي دون ذلك كتكثير القليل والحديث عن بعض المستقبل وأمثاله مما هو قاصر عن تصرف الآباء. وبائي النبي بجمع خوارقه، ولا يقدر هو على مثل خوارق الآباء. وقد قرر ذلك التصرفة فيما كتبوه في طريقتهم ولئنْه عن أخبارهم.

وإذا تقرر ذلك فاعلم أن أعظم العجزات وأشرفها وأوضحها دلالة القرآن الكريم المترتب على نبينا محمد ﷺ. فإن الخوارق في الغالب تقع مغابرةً للروحى الذي يتلقأه النبي وبائي بالمعجزة شاهدة بصدقه، والقرآن هو بنفسه الروحي المدعى وهو الخارق المعجز فشاهده في عينه ولا يفتقر إلى دليل مغاير له كسائر العجزات مع الروحي، فهو أوضح دلالة لاتحاد الدليل والمدلول فيه. وهذا معنى قوله ﷺ: «ما من نبي من الأنبياء إلا وأوتى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وجهاً أوحى إلي. فانا أرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيمة»؛ بشير إلى أن المعجزة متى كانت بهذه الثابة في الوضوح وقوة الدلالة وهو كونها نفس الروحي كان الصدق لها أكثر لوضوحها، فكثر المصدق المؤمن وهو التابع والأمة.

## تفسير حقيقة النبوة

ولنذكر الآن: تفسير حقيقة النبوة على ما شرحه كثير من المحققين ثم نذكر حقيقة الكهانة ثم الرؤيا ثم شأن العرافين وغير ذلك من مدارك الغيب فنقول:

اعلم أرشدنا الله وإليك، أنا شاهد هذا العالم بما فيه من المخلوقات كلها على هيئة من الترتيب والإحكام وربط الأسباب بالسميات، واتصال الأكون بالآكون واستحالة بعض الموجودات إلى بعض، لا تنتهي عجائبه في ذلك ولا تنتهي غاياته. وأبداً من ذلك بالعالم الحسوس الحساني. وأولاً عالم العناصر المشاهدة كيف تدرج صاعداً من الأرض إلى الماء ثم إلى الهواء ثم إلى النار متصلة بعضها بعض. وكل واحد منها مستعد إلى أن يستحيل إلى ما يليه صاعداً وهابطاً، ويستحيل بعض الأوقات. والصاعد منها الطف مما قبله إلى أن ينتهي إلى عالم الأفلاك وهو الطف من الكل على طبقات اتصل بعضها بعض على هيئة لا يدرك الحس منها إلا

مدارك العلماء الأولياء أهل العلوم اللذئنة والمعارف الريانية وهي الخاصة بعد الموت لأهل السعادة في البرزخ.

وصنف مقتضور على الانسلاخ من البشرية جلة جسمانيتها وروحانيتها إلى الملائكة من الأفق الأعلى ليصير في لحظة من اللمحات ملائكاً بالفعل، ويحصل له شهود الملايين على في أقفهم وسماع الكلام النفسي والخطاب الإلهي في تلك اللحظة.

## الوحى

وهؤلاء الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم جعل الله لهم الانسلاخ من البشرية في تلك اللحظة وهي حالة الوحي فطرة نظرهم الله عليها وجبلة صورهم فيها وزنّهم عن موانع البدن وعوائقه ما داموا ملابسين لها بالبشرية بما ركب في غرائزهم من القصد والاستقامة التي يجاذون بها تلك الروحية، وركب في طبائعهم رغبة في العبادة تكشف بذلك الوجهة وتسمى ثورها. فهم يتوجهون إلى ذلك الأفق بذلك النوع من الانسلاخ متى شاؤوا بذلك الفطرة التي فطروا عليها لا باكتساب ولا صناعة. فلذا توجهوا وانسلخوا عن بشريتهم وتلقوا في ذلك الملايين على ما يلتئنه، وعاجروا به على المدارك البشرية منزلًا في قواها الحكمة التبليغ للعباد. فتارةً يسمع أحدهم دويًّا كأنه رمز من الكلام يأخذ منه المعنى الذي القى إليه، فلا ينتقصي التأويلاً إلا وقد وعاه وفهمه. وتارةً يتمثل له الملك - الذي يلقى إليه - رجلاً فيكلمه ويعي ما يقوله. والتألمي من الملك والرجوع إلى المدارك البشرية وفهمه ما القى عليه كلّه كانه في لحظة واحدة بل أقرب من لمح البصر؛ لأنه ليس في زمان، بل كأنها تقع جميعاً فيظهر كأنها سريعة؛ ولذلك سميت وحياً لأن الوحي في اللغة الإسراع.

واعلم أن الأولى وهي حالة الدُّوَيْ هي رتبة الأنبياء غير المرسلين على ما حقوّوه، والثانية وهي حالة تُمثّلُ الملك رجلاً يخاطب هي رتبة الأنبياء المرسلين، ولذلك كانت أكمل من الأولى. وهذا معنى الحديث الذي فسر فيه النبي ﷺ الوحي لما سأله الحارث بن هشام وقال: كيف يأتيك الوحي؟ فقال: «أحياناً يأتيك مثل صلصلة الجرس وهو أشدُّ على فيفصّل عني وقد وعيت ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك فيكلمني فاعي ما يقول». وإنما كانت الأولى أشدّ لأنها مبدأ الخروج في ذلك الاتصال من القوة إلى الفعل فيغسر بعض العسر؛ ولذلك لما عاج فيها على المدارك البشرية اختصّت بالسمع وصعب ما سواه. وعندما يتكرّر الوحي ويكثر التلقي يسهل ذلك الاتصال فعندهما يعرج إلى المدارك البشرية

المحسوسات مبصرةً ومسموعةً وملمسةً وغيرها في حالة واحدة، وبذلك فارقت قوّة الحس الظاهر؛ لأن المحسوسات لا تزدحم عليها في الرقت الواحد. ثم يؤديه الحس المشترك إلى الخيال، وهي قوّة تمثّل الشيء المحسوس في النفس كما هو مجرّد عن المواد الخارجّة فقط. وألة هاتين القوتين في تصريحهما البطن الأول من الدماغ: مقئمه للأول ومؤخره للثانية. ثم يرتقي الخيال إلى الواهمة والحافظة. فالواهمة لإدراك المعاني المتعلقة بالشخصيات كعداوة زيد وصداقة عمرو ورحمة الأب وافتراض النسب. والحافظة لإيداع المدركات كلها متخيلةً وغير متخيلةً وهي لها كالخزانة تحفظها لوقت الحاجة إليها. وألة هاتين القوتين في تصريحهما البطن المؤخر من الدماغ: أوله للأول ومؤخره للأخرى. ثم ترتقي جميعها إلى قوّة الفكر. وأنه البطن الأوسط من الدماغ، وهي القوة التي يقع بها حركة الرؤية والتوجّه نحو التقلّل، فتحرّك النفس بها دائمًا لما ركب فيها من التزوّد للتخلّص من درك القوة والاستعداد الذي للبشرية، وتخرج إلى الفعل في تعقلها متشبّهةً بالملائكة الروحاني. وتصير في أول مراتب الروحانيات في إدراكاتها بغير الآلات الجسمانية. فهي متحرّكة دائمًا ومتوجّهة نحو ذلك. وقد تسلّح بالكلية من البشرية وروحانيتها إلى الملكية من الأفق الأعلى من غير اكتساب بل بما جعل الله فيها من الجبلة والفطرة الأولى في ذلك.

## أصناف النفوس البشرية

والنفوس البشرية على ثلاثة أصناف:

صنف عاجز بالطبع عن الوصول إلى الإدراك الروحاني فيقطع بالحركة إلى الجهة السفلية نحو المدارك الحسّية والخيالية وتركيب المعاني من الحافظة والواهمة على قوانين محصورة، وترتيب خاص يستفيدون به العلوم التصوريّة والتصديقية التي للتفكير في البدن وكلها خيالي منحصر نطاقه، إذ هو من جهة مبناته يتبع إلى الأوّليات ولا يتتجاوزها، وإن فسد ما بعدها. وهذا هو في الأغلب نطاق الإدراك البشري الجسماني. وإليه تتهيّي مدارك العلماء وفيه ترسّخ أقدامهم.

وصنف متوجّه ب بذلك الحركة الفكرية نحو العقل الروحاني والإدراك الذي لا يقتصر إلى الآلات البدنية بما جعل فيه من الاستعداد لذلك، فيتوسّع نطاق إدراكه عن الأوّليات التي هي نطاق الإدراك الأوّل البشري في ويسّر في فضاء المشاهدات الباطنية وهي وجدان كلها لا نطاق من مبناتها ولا من متهاها. وهذه

يأتي على جميعها وخصوصاً الأوضاع منها وهو إدراك البصر. وفي العبارة عن الوعي في الأولى بصيغة الماضي، وفي الثانية بصيغة المضارع لطيفة من البلاغة، وهي أن الكلام جاء عجيّه التمثيل لخالي الروح، فمثل الحال الأولى بالذوي الذي هو في المتعارف غير كلام، وأخبر أن الفهم والوعي يتبعه غبّ انقضائه فناسب عند تصوير انقضائه وانفصاله العبارة عن الوعي بال الماضي المطابق للانقضاء والانقطاع ومثل الملك في الحالة الثانية برجل يخاطب ويتكلّم، والكلام يساوّه الوعي، فناسب العبارة بالمضارع المقتضي للتجدّد.

وإذا كان كذلك، وكان ذلك الاستعداد موجوداً في الطبيعة البشرية فيعطي التقسيم العقلي وإن هنا صفاً آخر من البشر ناقصاً عن رتبة الصيف الأول نقصان الضد عن خذه الكامل؛ لأن عدم الاستعانتة في ذلك الإدراك ضد الاستعانتة فيه، وشتان ما بينهما. فإذا أعطي تقسيم الوجود إلى هنا صفاً آخر من البشر مقطوراً على أن تحرّك قوته العقلية حرّكها الفكرية بالإرادة عندما يعثّرها التزوع لذلك وهي ناقصة عنه بالجلبة فيكون لها بالجلبة عندما يعرّفها العجز عن ذلك تثبت بأمور جزئية محسوسة أو متخيلة للأجسام الشفافة وعظام الحيوانات وسعّج الكلام وما سمع من طير أو حروان، فيستديم ذلك الإحساس أو التخيّل مستعيناً به في ذلك الانسلاخ الذي يقصده ويكون كالمشيّع له. وهذه القسوة التي

فيهم مبدأ لذلك الإدراك هي الكهانة، ولكنون هذه النقوس مقطورة على النقص والقصور عن الكمال كان إدراكيها في الجزيئات أكثر من الكليات. ولذلك تكون المختلبة فيهم في غاية القرءة، لأنّها آلة الجزيئات تفتقد فيها نفوذاً تماماً في نوم أو يقظة وتكون عندها حاضرة عتيدة تحضرها المختلبة وتكون لها كالمراة تنظر فيها دائمًا. ولا يقوى الكاهن على الكمال في إدراك المعمولات لأنّ وحيه من وحي الشيطان. وأرفع أحوال هذا الصيف أن يستعين بالكلام الذي فيه السجع والموازنة ليشتعل به عن الحواسُ ويفرق بعض الشيء على ذلك الاتصال الناقص، فيهجس في قلبه عن تلك الحركة والذي يشيعها من ذلك الأجنبي ما يقدّره على لسانه، فربما صدق ووافقت الحقّ وربما كذب لأنّه يتّبع تقشه بأمر أجنبي عن ذاته المدركة ومبادرها غير ملائم، فيعرض له الصدق والكذب جيّعاً ولا يكون موثوقاً به. وربما يفرّغ إلى الظنون والتخيّلات حرصاً على الظفر بالإدراك بزعمه، وتعويها على السائلين. وأصحاب هذا السجع هم المخصوصون باسم الكهان لأنّهم أرفع سائر أصنافهم. وقد قال عليه السلام في مثله:

«هذا من سجع الكهان». فجعل السجع خصّاً بهم يمقتضى الإضافة. وقد قال ابن صياد حين سأله كائناً عن حاله بالأخبار: «كيف يأتيك هذا الأمر؟» قال: يأتيي صادقاً وكاذباً فقال: «خلط عليك الأمر» يعني أنّ النبوة خاصّتها الصدق فلا يعتريها الكذب بحال، لأنّها اتصال من ذات النبي بالملأ الأعلى من غير مشيّع ولا استعانتة بأجنبي. والكهانة لما احتاج صاحبها بسبب عجزه إلى

واعلم أن في حالة الروح كله صعوبة على الجملة وشدة قد أشار إليها القرآن قال تعالى: ﴿إِنَّ سَنَقِي عَلَيْكَ قَوْلًا تَقْبِلَا﴾ وقالت عائشة: كان ما يعني من التنزيل شدة وقالت: كان ينزل عليه الروح في اليوم الشديد البرد فيفصّم عنه، وإن جيئه ليفصّم عرقاً. ولذلك كان يحدث عنه في تلك الحالة من الغيبة والغطّيط ما هو معروف. وسبب ذلك أن الروح كما قرّرناه مفارقة البشرية إلى المدارك الملكية وتلقّي كلام النفس، فيحدث عنه شدة من مفارقة الذات ذاتها وانسلاخها عنها من أنها إلى ذلك الأفق الآخر.

وهذا هو معنى العَطَّ الذي عُرِّب به في مبدأ الروح في قوله: «افتلق حتى بلغ مي الجهاد، ثم أرسلني فقال: أقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ» وكذا ثانية وثالثة كما في الحديث. وقد يفضي الاعتياد بالتدرّيج فيه شيئاً فشيئاً إلى بعض السهولة بالقياس إلى ما قبله. ولذلك كان تنزل نجوم القرآن وسوره وأيه حين كان بمكة أقصر منها وهو بالمدينة. وانظر إلى ما نقل في نزول سورة براءة في غزوة تبوك، وأنّها تزلّت كله أو أكثرها عليه وهو يسر على ناقته بعد أن كان بمكة ينزل عليه بعض السورة من قصار المفصل في وقت وينزل البالقي في حين آخر. وكذلك كان آخر ما نزل بالمدينة آية الدين وهي ما هي في الطول بعد أن كانت الآية تُنزل بمكة مثل آيات الرحمن والذاريات والمدثر والضحى والفلق وأمثالها. واعتبر من ذلك علامة تميّز بها بين المكي والمدني من سور الآيات. والله المرشد للصواب. هذا محصل أمر النبوة.

## الكهانة

واما الكهانة فهي أيضاً من خواص النفس الإنسانية. وذلك أنه وقد تقدّم لنا في جميع ما مرّ أن للنفس الإنسانية استعداداً للانسلاخ من البشرية إلى الروحانة التي فوقها، وأنّه يحصل من ذلك لحة للبشر في صنف الآباء بما فطروا عليه من ذلك وتقرّر

منها أحسن إيمان، كما وقع لطليحة الأنصاري وسواه بن قارب  
وكان همما في الفتوحات الإسلامية من الآثار الشاهدة بحسن  
الإيمان.

الرواية

الاستعانة بالتصورات الأجنبية كانت داخلة في إدراكه والتبيّن  
بالإدراك الذي توجّه إليه فصار مختلطًا بها وطرقه الكاذب من هذه  
الجهة، فامتنع أن تكون نبوة، وإنما قلنا: إن أرفع مراتب الكهانة  
حالة السجع؛ لأن معنى السجع أخف من سائر المُثبات من  
المريئات والمسمرعات. وتدل خفة المعنى على قرب ذلك الاتصال  
والإدراك والبعد فيه عن العجز بعض الشيء.

وأثأ الرؤيا فحقيقةها مطالعة النفس الناطقة في ذاتها لروحانية لمح من صور الواقعات. فإنها عندما تكون روحانية تكون صور الواقعات فيها موجودة بالفعل كما هو شأن الذوات الروحانية كلها. وتصير روحانية بأن تتجزأ عن المواد الجسمانية والمدارك البدنية. وقد يقع لها ذلك لمح بسبب النوم كما نذكر ثقتيبيس بها علم ما تتشوّف إليه من الأمور المستقبلة وتعود به إلى مداركهها. فإن كان ذلك الاقتباس ضعيفاً وغير جليًّا بالمحاكاة والمثال في الخيال لتخالطه فيحتاج من أجل هذه المحاكاة إلى التعبير، وقد يكون الاقتباس قوياً يستغنى فيه عن المحاكاة فلا يحتاج إلى تغيير خلورصه من المثال والخيال. والسبب في وقوع هذه اللمحات للنفس أنها ذات روحانية بالقوة مستكملة بالبدن ومداركه، حتى تصير ذاتها تقدلاً حضاً وبكمel وجودها بالفعل، فتكون حيثـت ذاتها روحانية مدركة بغير شيءٍ من الآلات البدنية. إلا أن نوعها في الروحانيات دون نوع الملائكة أهل الأفق الأعلى على الذين لم يستكملوا ذاتهم بشيءٍ من مدارك البدن ولا غيره. فهذا الاستعداد حاصل لها ما دامت في البدن: ومنه خاص كالذى للأداء، ومنه عام للبشر علم، العموم وهو أمر الرقبة.

وقد زعم بعض الناس أن هذه الكهانة قد انقطعت منذ زمن النبوة بما وقع من شأن رجم الشياطين بالشعب بين يدي البعثة، وأن ذلك كان لمنعهم من خبر السماء كما وقع في القرآن، والكهان إنما يتعرّفون أخبار السماء من الشياطين فطلت الكهانة من يومنا. ولا يقوم من ذلك دليل؛ لأن علوم الكهان كثيرة تكون من الشياطين تكهن عن نفوسهم أيضاً كما قرئناه، وأيضاً فالآلية إنما دلت على منع الشياطين من نوع واحد من أخبار السماء وهو ما يتمثل بخبر البعثة ولم يُعنوا بما سوى ذلك. وأيضاً فإنما كان ذلك الانقطاع بين يدي النبوة فقط، ولعلها عادت بعد ذلك إلى ما كانت عليه وهذا هو الظاهر؛ لأن هذه المدارك كلها تخدم في زمن النبوة كما تخدم الكواكب والسرج عند وجود الشمس؛ لأن النبوة هي النور الأعظم الذي ينبع معه كل نور ويلهب.

وقد زعم بعض الحكماء أنها إنما توجد بين يدي النبوة ثم تقطع، وهكذا كل نبوة وقعت؛ لأن وجود النبوة لا بد له من وضع فلكي يقتضيه، وفي تمام ذلك الوضع تمام تلك النبوة التي تدل عليها وتنص - ذلك الوضع عن التمام يقتضي وجود طبيعة من ذلك النوع الذي يقتضيه - ناقصة، وهو معنى الكاهن على ما قرئناه. فقبل أن يتم ذلك الوضع الكامل يقع الوضع الناقص ويقتضي وجود الكاهن إنما واحداً أو متعددًا. فإذا تم ذلك الوضع تم وجود النبي بكماله وانقضت الأوضاع الدالة على مثل تلك الطبيعة، فلا يوجد منها شيء بعد. وهذا بناء على أن بعض الوضع الفلكي يقتضي بعض أثره وهو غير سليم. فلعل الوضع إنما يقتضي ذلك الأثر بهيته الخاصة، ولو نقص بعض أجزائه فلا يقتضي شيئاً، لا أنه يقتضي ذلك الأثر ناقصاً كما قالوه.

ثم إن هؤلاء الكهان إذا عاصروا زمن النبوة فإنهم عارفون بصدق النبي ودلالة معجزته؛ لأن لهم بعض الوجدان من أمر النبوة كما لكل إنسان من أمر النوم. ومعقولية تلك النسبة موجودة لل Kahn بأنشدا للنائم. ولا يصدّعُهم عن ذلك ويورقهم في التكذيب إلا قوة المطابع في أنها نبوة لهم فيقعون في العناد كما وقع الأمية بن أبي الصلت، فإنه كان يطمع أن يتبنّى وكذا وقع ابن صياد ولسمحة وغيرهم. فإذا غلب الإيمان وانقطعت تلك الأمانية

والتحليل صور خيالية وأكثر ما تكون معتادة؛ لأنها متزعة من المدركات المتعاهدة قریباً. ثم ينزلها الحس المشترك الذي هو جامع الحواس الظاهرة فiderكها على أنحاء الحواس الخمس الظاهرة. وربما الفتت النفس لفتة إلى ذاتها الروحانية مع منازعتها القوى الباطنية فتدرك بإدراكها الروحاني لأنها مفظورة عليه، وتقبس من صور الأشياء التي صارت متعلقة في ذاتها حيثنا. ثم يأخذ الخيال تلك الصور المدركة في Mishlaها بالحقيقة أو المحاكاة في القوالب المعهودة. والمحاكاة من هذه هي الحاجة للتعبير وتصرفها بالتركيب والتحليل في صور الحافظة قبل أن تدرك من تلك اللمحات ما تدركه هي أصناف أحلام. وفي «الصحيح» أن النبي ﷺ قال: «الرؤيا ثلاث: رؤيا من الله، ورؤيا من الملك، ورؤيا من الشيطان». وهذا التفصيل مطابق لما ذكرناه: فالجلجي من الله والمحاكاة الداعية إلى التعبير من الملك؛ وأصناف الأحلام من الشيطان لأنها كلها باطل والشيطان ينبع الباطل. هذه حقيقة الرؤيا وما يسبها ويشيعها من النوم وهي خواص للنفس الإنسانية موجودة في البشر على العموم لا يخلو عنها أحد منهم، بل كل واحد من الأناس يرأى في نومه ما صدر له في يقظه مراراً غير واحدة، وحصل له على القطع أن النفس مدركة للغيب في النوم ولا بد. وإذا جاز في ذلك في عالم النوم فلا يمتنع في غيره من الأحوال؛ لأن الذات المدركة واحدة وخواصها عامة في كل حال. والله أهادي إلى الحق بمنه وفضله.

### الإخبار باللغويات

وووقع ما يقع للبشر من ذلك غالباً إنما هو من غير قصد ولا قدرة عليه؛ وإنما تكون الفس مشروفة لذلك الشيء فيقع في تلك اللمحات في النوم لا أنها تقصد إلى ذلك فتراه. وقد وقع في كتاب الغایة وغير من كتب أهل الرياضيات ذكر أسماء تذكر عند النوم فتكون عنده الرؤيا فيما يتشرف إليه ويسمونها الحالمية. وذكر منها مسلمة في كتاب الغایة حالومة سمّاها «حالومة الطّياع النّام» وهو أن يقال عند النوم بعد فراغ السر وصححة الترجمة هذه الكلمات الأعمجية وهي «تاغس بعد أن يسوا وغداش نوفنا غادس» وينذكر حاجته، فإنه يرى الكشف عما يسأل عنه في النوم. وبحكي أن رجلاً فعل ذلك بعد رياضة ليال في مأكله وذكره، فتمثل له شخص يقول له: إن طباعك النائم، فسأله وأخبره بما كان يتشرف إليه. وقد وقع لي أنا بهذه الأسماء مرأة غريبة واطلعت بها على أمور كنت أتشوف عليها من أحوالى. وليس

زمن الرؤيا من زمن النبوة ولا يعطي نسبة حقيقتها من حقيقة النبوة. وإذا تبيّن لك هذا مما ذكرناه أولأ علمت أن معنى هنا الجزء نسبة الاستعداد الأول الشامل للبشر إلى الاستعداد القربي الخاص بصفة الأنبياء الفطري طم صلوات الله عليهم، إذ هو الاستعداد البعيد وإن كان عاماً في البشر ومعه عوائق وموانع كبيرة من حصوله بالفعل. ومن أعظم تلك الموانع الحواس الظاهرة فنطر الله البشر على ارتفاع حجاب الحواس بالنوم الذي هو جيلي لهم، فتتعرّض النفس عند ارتفاعه إلى معرفة ما تتشوف إليه في عالم الحق فتدرك في بعض الأحيان منه لمحه يكون فيها الظفر بالطلوب. ولذلك جعلها الشارع من المشرفات فقال: لم يبق من النبوة إلا المشرفات قالوا: وما المشرفات يا رسول الله؟ قال: «الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو تُرى له».

ولما سبب ارتفاع حجاب الحواس بالنوم فعلى ما أصفه لك، وذلك أن النفس الناطقة إنما إدراكها وأنعامها بالروح الحيواني الجسماني، وهو مخارط لطيف مركزه بالتجويف الأيسر من القلب على ما في كتب التشريح جاليونوس وغيره. وينبعث مع الدم في الشريانات والعروق فيعطي الحس والحركة، وسائر الأفعال البدنية. ويرتفع لطيفه إلى الدماغ فيعدّل من برده، وتمّ أفعال القوى التي في بطونه. فالنفس الناطقة إنما تدرك وتعقل بهذا الروح البخاري، وهي متعلقة به لما اقتضته حكمـة التكـرـين في أن اللطـيف لا يـؤـثر في الكـيفـ والمـلـطفـ هذا الروحـ الحـيـوـانـيـ منـ بينـ المـوـادـ الـبـدـنـيـةـ، صـارـ محلـ لأـثارـ الذـاتـ الـمـيـانـيـةـ لـهـ فيـ جـسـمانـيـتـهـ وهـيـ النـفـسـ النـاطـقـةـ وصارـتـ آثارـهاـ حـاـصـلـةـ فـيـ الـبـدـنـ بـرـاسـطـةـ. وقدـ كـانـ قدـمنـاـ أنـ إـدـراكـهاـ عـلـىـ نـوـعـيـنـ: إـدـراكـ بـالـظـاهـرـ وـهـيـ الـحسـ الـخـمـسـ، إـدـراكـ بـالـبـاطـنـ بـالـقـرـىـ الـدـمـاغـيـةـ. وـأـنـ هـذـاـ إـدـراكـ كـلـهـ صـارـفـ لـهـ عنـ إـدـراكـهاـ ماـ فوقـهاـ منـ ذـواـثـهاـ الـرـوحـانـيـةـ الـتيـ هيـ مـسـتـعـدـةـ لـهـ بالـفـطـرـةـ. وـلـمـ كـانـتـ الـحسـ الـظـاهـرـةـ جـسـمانـيـةـ كـانـتـ مـعـرـضـةـ لـلـوـسـنـ وـالـقـشـلـ بـمـاـ يـدـرـكـهاـ مـنـ التـعبـ وـالـكـلـالـ، وـتـقـشـيـ الـرـوـحـ بـكـثـرـةـ الـتـصـرـفـ. فـخـلـقـ اللـهـ لـهـ طـلـبـ الـاسـتـجـامـ لـتـجـرـدـ الإـدـراكـ عـلـىـ الصـورـ الـكـامـلـةـ. إـنـماـ يـكـونـ ذـلـكـ بـاـخـنـاسـ الـرـوـحـ الـحـيـوـانـيـ مـنـ الـحسـ الـظـاهـرـةـ كـلـهـ وـرـجـوعـهـ إـلـىـ الـحسـ الـبـاطـنـ. وـيـعـيـنـ عـلـىـ ذـلـكـ مـاـ يـغـشـيـ الـبـدـنـ مـنـ الـبـرـدـ الـلـلـيـلـ، فـتـنـطـلـ الـحـرـارـةـ الـغـرـيـزـيـةـ أـعـماـقـ الـبـدـنـ، وـتـدـهـبـ مـنـ ظـاهـرـهـ إـلـىـ بـاطـنـهـ، فـتـكـونـ مـشـيـعـةـ مـرـكـبـهـ وـهـيـ الـرـوـحـ الـحـيـوـانـيـ إـلـىـ الـبـاطـنـ. ولـذـلـكـ كـاـلـ النـوـمـ لـلـبـشـرـ فـيـ الـغـالـبـ إـنـماـ يـوـبـ الـلـيـلـ. فـإـذـاـ اـخـنـسـ الـرـوـحـ عـنـ الـحسـ الـظـاهـرـةـ وـرـجـعـ إـلـىـ الـقـوـىـ الـبـاطـنـ، وـخـفـتـ عـنـ الـفـسـ شـوـاغـلـ الـحـسـ وـمـوـانـعـهـ وـرـجـعـ إـلـىـ الصـورـ الـيـةـ الـيـةـ الـخـلـقـيـةـ تـمـلـ مـهـاـ بـالـتـركـيبـ

واحدة. ولذلك نجد الصي في أول نشأته لا يقدر على الإدراك الذي لها من ذاتها لا بنوم ولا بكشف ولا بغرهما. وذلك لأن صورتها التي هي عين ذاتها وهي الإدراك والتعقل لم تم بعد، بل لم يتم لها انتزاع الكليات. ثم إذا تمت ذاتها بالفعل حصل لها ما دامت مع البدن نوعان من الإدراك: إدراك بآلات الجسم تتجدد إليها المدارك البدنية وإدراك بذاتها من غير واسطة وهي محجوبة عنه بالانغماس في البدن والحواس ويشوغلها؛ لأن الحواس أبداً جاذبة لها إلى الظاهر بما فطرت عليه أولاً من الإدراك الجسماني. وربما تنغمس من الظاهر إلى الباطن فيرتفع حجاب البدن لحظة: إما بالخاصية التي هي للإنسان على الإطلاق مثل النوم، أو بالخاصية الموجودة لبعض البشر مثل الكهانة والطُّرق، أو بالرياضة مثل أهل الكشف من الصوفية. فتلتفت حيتند إلى الذوات التي فوقها من الملايين إن أنها وأفهنهم من الاتصال في الوجود كما قررناه قبل. وتلك الذوات روحانية وهي إدراك عرض وعقول بالفعل، وفيها صور الموجودات وحقائقها كما مر. فيتجلى فيها شيء من تلك الصور وتنتبس منها علوماً. وربما دفعت تلك الصور المدركة إلى الخيال فيصرفها في القوالب العتادة ثم يراجع الحسن ما أدركت إما مجرداً أو في قوله فتختبر به. هذا هو شرح استعداد النفس لهذا الإدراك الغبي. ولنرجع إلى ما وعدنا به من بيان أصناف.

فاما الناظرون في الأجسام الشفافة من المرايا وطبقات المياه وقلوب الحيوان وأكبادها وعظامها، وأهل الطرق بالمحصي والنوى فكلهم من قبيل الكهان، إلا أنهن أضعف رتبة فيه في أصل خلقيهم؛ لأن الكاهن لا يحتاج في رفع حجاب الحسن إلى كثير معاناة وهو لا يعانونه بالخصوص المدارك الحسية كلها في نوع واحد منها وأشرفها البصر، فيعكف على الرئيسي البسيط حتى يسلو له مدركه الذي يخبر به عنه. وربما يظن أن مشاهدة هؤلاء لما يرونهم هو في سطح المرأة وليس كذلك. بل لا يزالون يتظرون في سطح المرأة إلى أن يغيب عن البصر ويبدو فيما بينهم وبين سطح المرأة حجاب كائنة غمام يتمثل فيه صور هي مداركهم، فيشيرون إليه بالخصوص لما يتوجهون إلى معرفته من تفاصيل، فيخبرون بذلك على نحو ما أدركوه. وأما المرأة وما يدرك فيها من الصور فلا يدركونه في تلك الحال، وإنما ينشأ لهم بها هذا النوع الآخر من الإدراك وهو نفساني ليس من إدراك البصر بل يتشكل به المدرك النفسي للحسن كما هو معروف. ومثل ذلك ما يعرض للناظرين في قلوب الحيوانات وأكبادها وللناظرين في الماء والطاسن وأمثال ذلك. وقد شاهدنا من هؤلاء من يشغل الحسن بالبخور فقط ثم

ذلك بدليل على أن القصد للرؤيا يجدها، وإنما هذه الحالات تحدث استعداداً في النفس لوقوع الرؤيا، فإذا قوي الاستعداد كان أقرب إلى حصول ما يستعد له وللشخص أن يفعل من الاستعداد ما أحب ولا يكون دليلاً على إيقاع المستعد له. فالقدرة على الاستعداد غير القدرة على الشيء، فاعلم ذلك وتدبره فيما تجده من أمثاله. والله الحكيم الخير.

## فصل

### [الإخبار بالكائنات قبل وقوعها]

ثم إنما نجد في النوع الإنساني أشخاصاً يخبرون بالكائنات قبل وقوعها بطبيعة فيهم يتميز بها صنفهم عن سائر الناس ولا يرجعون في ذلك إلى صناعة ولا يستدللون عليه بأثر من النجوم ولا غيرها، إنما نجد مداركهم في ذلك بمقتضى نظرتهم التي فطرروا عليها، وذلك مثل العرافين والناظرين في الأجرام الشفافة كالمرايا وطبقات الماء والناظرين في قلوب الحيوانات وأكبادها وعظامها وأهل الزجر في الطير والسباع، وأهل الطرق بالمحصي والحبوب من الحنطة والنوى، وهذه كلها موجودة في عالم الإنسان لا يسع أحداً جحدها ولا إنكارها. وكذلك المجانين يلقى على استئتمهم كلمات من الغيب فيخبرون بها. وكذلك النائم والميت لأول موته أو نومه يتكلم بالغيب. وكذلك أهل الرياضيات من المتصورة لهم مدارك في الغيب على سبيل الكراهة. معروفة.

ونحن الآن نتكلم عن هذه الإدراكات كلها ونبتدىء منها بالكهانة ثم نأتي عليها واحدة واحدة إلى آخرها. ونقدم على ذلك مقدمة في أن النفس الإنسانية كيف تستعد لإدراك الغيب في جميع الأصناف التي ذكرناها. وذلك أنها ذات روحانية موجودة بالقوة من بين سائر الروحانيات كما ذكرناه قبل؛ وإنما تخرج من القوة إلى الفعل بالبدن وأحواله. وهذا أمر مدرك لكل أحد. وكل ما بالقوة فله مادة وصورة. وصورة هذه النفس التي بها يتم وجودها هو عين الإدراك والتعقل. فهي توجد أولاً بالقوة مستعدة للإدراك وقوiol الصور الكلية والجزئية. ثم يتم نشوئها ووجودها بالفعل بمصاحبة البدن وما يعودها بورود مدركاتها المحسسة عليها وما تتبع من تلك الإدراكات من المعانى الكلية تتعقل الصور مرة بعد أخرى، حتى يحصل لها الإدراك والتعقل بالفعل، فتست ذاتها وبقى النفس كالهليول والصور متعاقبة عليها بالإدراك واحدة بعد

الثوب ولا عظم في إلا الجمجمة. ومن مشهور الحكايات عنهم تأويل رؤيا ربيع بن مضر وما أخبره من ملك الحشة لليمون ومملوك مضر من بعدهم، وظهور النبأ المحمدية في قريش ورؤيا الموبدان التي أوطا سطح لما بعث إلى بها كسرى عبد المسيح فأخبره بشأن النبأ وخراب ملك فارس. وهذه كلها مشهورة. وكذلك العرافون كان في العرب منهم كثير وذكروهم في أشعارهم، قال:

قتلت لعرف اليمامة داوني فلأنك إن داونتني لطيف

وقال الآخر:

جعلت لعرف اليمامة حكمه وعرف نجد إن مما شفاني  
قالا شفاك الله والله مالنا بما حلت منك الضلوع يدان  
وعراف اليمامة هو رياح بن عجلة، وعرف نجد الأبلق  
الأحدسي.

ومن هذه المدارك الغيبة ما يصدر بعض الناس عند مفارقة البقيفة والتباسه بالنوم من الكلام على الشيء الذي يتشرف إليه بما يعطيه غير ذلك الأمر كما يريد. ولا يقع ذلك إلا في مبادئ النوم عند مفارقة البقيفة وذهاب الاختيار في الكلام فيتكلّم كأنه عجبور على النطق وغاية أن يسمعه ويفهمه. وكذلك يصدر عن المقتولين عند مفارقة رؤوسهم وأوساط أج丹هم كلام يمثل ذلك. ولقد بلغنا عن بعض الجبابرة الظالمين أنهم قتلوا من سجنهم أشخاصاً ليترفوا من كلامهم عند القتل عاقب أمرهم في أنفسهم فأعلمونهم بما يُستبعن. وذكر مسلمة في كتاب الغاية له في مثل ذلك أن آدمياً إذا جعل في دُنْ ملبوء بدهن السمسم ومكث فيه أربعين يوماً يغدو بالتين والجوز حتى يذهب لحمه ولا يبقى منه إلا العروق وشون رأسه، فيخرج من ذلك الدهن فحين يهتف عليه الماء يهرب عن كل شيء يسأل عنه من عاقب الأمور الخاصة والعامة. وهذا فعل من مناكير أفعال السحر لكون بفهم منه عجائب العالم الإنساني.

ومن الناس من يحاول حصول هذا المدرك الغيبي بالرياضة فيحاولون بالجاهدة موتاً صناعياً ياماً جميع القرى البدنية، ثم محو آثارها التي تلوّن بها النفس ثم تغذيتها بالذكر لتزداد قوتها في نشتها. ويحصل ذلك بجمع الفكر وكثرة الجرع، ومن المعلوم على القطع أنه إذا نزل الموت بالبدن ذهب الحس وحاجاته واطلعت النفس ذاتها وعملها. فيحاولون ذلك بالاكتساب لبعض لهم قبل الموت ما يقع لهم بعده وتطلع النفس على المغيبات. ومن هؤلاء أهل الرياضة السحرية يرتاضون بذلك ليحصل لهم الاطلاع على المغيبات والتصرفات في العالم. وأكثر هؤلاء في الأقاليم المنحرفة

بالعزائم للاستعداد ثم يخبر كما أدرك، ويزعمون أنهم يرون الصور مشخصة في الهواء تحكي لهم أحوال ما يتوجهون إلى إدراكه بالمشال والإشارة. وغيبة هؤلاء عن الحسن أخف من الأولين. والعالم أبو الغراب.

وأما الرجز وهو ما يحدث من بعض الناس من التكلم بالغيب عند سرح طائر أو حيوان. والتفكير فيه بعد مغيبه، وهي قوة في النفس تبعث على الحرص والتفكير فيما زجر فيه من مرئي أو مسموع. وتكون قوته المثلثة كما قدمناه قوية فيعيتها في البحث مستعيناً بما رأه أو سمعه فيؤديه ذلك إلى إدراك ما، كما تفعله القوة المتخلية في النوم وعند ركود الحواس إذ تتوسيط بين المحسوس المرئي في يقظته وتجمعه مع ما عقلته فيكون عنها الرؤيا. وأما المجنون ففوسفهم الناطقة ضعيفة التعلق بالبدن لفساد أمزاجتهم غالباً وضعف الروح الحيواني فيها، ف تكون نفسه غير مستقرة في الحواس ولا منفحة فيها بما شغلها في نفسها من ألم القصص ومرضه، وربما زاحها على التعلق به روحانية أخرى شيطانية تثبت به وتضعف هذه عن مانعتها، فيكون عنه التخطّط. فإذا أصابه ذلك التخطّط إما لفساد مزاجه من فساد في ذاتها أو لزاحة من النفوس الشيطانية في تعلقه، غاب عن حسه جملة فادرك لمحه من عالم نفسه وانطبع فيها بعض الصور وصرفها الخيال. وربما نطق عن لسانه في تلك الحال من غير إرادة النطق.

وإدراك هؤلاء كلهم مشوب فيه الحق بالباطل؛ لأنّه لا يحصل لهم الاتصال وإن فقدوا الحسن إلا بعد الاستعانت بالتصورات الأجنبية كما قررناه. ومن ذلك بغيه الكذب في هذه المدارك. وأما العرافون فهم المتعلّقون بهذا الإدراك وليس لهم ذلك الاتصال، فيسلطون الفكر على الأمر الذي يتوجهون إليه ويأخذون فيه بالظن والتخيّل بناء على ما يتّهمونه من مباديء ذلك الاتصال والإدراك، ويدّعون بذلك معرفة الغريب وليس منه على الحقيقة.

هذا تخييل هذه الأمور. وقد تكلّم عليها المسعودي في (مروج الذهب) فما صادف تحقيقاً ولا إصابة. ويهنّئ من كلام الرجل أنه كان بعيداً عن الرسوخ في المعرفة، فيقل ما سمع من أهله ومن غير أهله.

وهذه الإدراكات التي ذكرناها موجودة كلها في نوع البشر. فقد كان العرب ينزعون إلى الكهان في تعرّف الموادر ويتنافرون إليهم في الخصومات ليعرفون بالحق فيها من إدراك غيهم. وفي كتب أهل الأدب كثير من ذلك. واشتهر منهم في الجاهلية شق بن أنمار بن نزار وسطح بن مازن بن غسان، وكان يُدرّج كما يُدرج

حالة بمحضه النبي، حتى إنهم يقولون: إن المريد إذا جاء للمدينة النبوية يسلب حاله ما دام فيها حتى يفارقها. والله يرثنا الهداية ويرشدنا إلى الحق.

## فصل

### [إِخْبَارُ الْغَيْبِ عِنْدَ الْمُصْوَفَةِ]

ومن هؤلاء المربيين من المتصوفة قوم بهاليل معتوهون أشيه بالمجانين من العقلاء، وهم مع ذلك قد صحت لهم مقامات الولاية وأحوال الصديقين، وعلم ذلك من أحوالهم من يفهم منهم من أهل الذوق مع أنهم غير مكلفين. ويقع لهم من الإخبار عن المعيّنات عجائب؛ لأنهم لا يقدرون بشيء يطقون كلامهم في ذلك ويأتون منه بالعجبات. وربما ينكر الفقهاء أنهم على شيء من المقامات لما يرون من سقوط التكليف عنهم، والولاية لا تحصل إلا بالعبادة وهو غلط، فإن فضل الله يؤتى به من يشاء ولا يتوقف حصول الولاية على العبادة ولا غيرها. وإذا كانت النفس الإنسانية ثابتة الوجود فالله تعالى يخصها بما شاء من موهبة. وهو لاء القوم لم تعد نفوسهم الناطقة ولا فسدت كحال المجانين، وإنما فسد لهم العقل الذي ينطأ به التكليف وهي صفة خاصة للنفس، وهي علوم ضرورية للإنسان يستند إليها نظره ويعرف أحوال معيشته واستقامة منزله. وكأنه إذا ميز أحوال معيشته واستقامة منزله لم يبق له عنده في قبول التكاليف لإصلاح معاده. وليس من فقد هذه الصفة بعاقل لنفسه ولا ذاهل عن حقيقته فيكون موجوداً في ذاته.

الحقيقة معدوم العقل التكليفي الذي هو معرفة المعاش ولا استحالة في ذلك، ولا يتوقف اصطفاء الله عباده للمعرفة على شيء من التكاليف. وإذا صح ذلك فاعلم أنه ربما يتبس حال هؤلاء بالمجانين الذين تفسد نفوسهم الناطقة ويتحقون بالبهائم. ولذلك في تعميمهم علامات: منها أن هؤلاء البهاليل تجد لهم وجهة ماء، لا يخلون عنها أصلاً من ذكر وعبادة لكن على غير الشرط الشرعية لما قلناه من عدم التكليف؛ والمجانين لا تجد لهم وجهة أصلاً. ومنها أنهم يخلقون على البطل من أول نشائهم والمجانين يعرض لهم الجنون بعد مدة من العمر لعوارض بدنية طبيعية، فإذا عرض لهم ذلك وقدرت نفوسهم الناطقة ذهبوا بالخيبة. ومنها كثرة تصرُّفِهم في الناس بالخير والشر؛ لأنهم لا يتوقفون على إذن لعدم التكليف في حُقُولِهم، والمجانين لا تصرف لهم.

جنوباً وشمالاً خصوصاً بلاد الهند. ويسمون هنالك الحوكمة وظم كتاب في كيفية هذه الرياضة كبيرة، والأخبار عنهم في ذلك غريبة. وأما المتصوفة فربما يقصدون دينية وغربية عن هذه المقادير المذكورة، وإنما يقصدون جمع الهمة والإقبال على الله بالكلية ليحصل لهم أذواق أهل العرفان والتوجيد، ويزيدون في رياضتهم إلى الجمع والجوع التغذية بالذكر، فيها تم وجهتهم في هذه الرياضة؛ لأنه إذا نشأت النفس على الذكر كانت أقرب إلى العرفان بالله، وإذا عرّبت عن الذكر كانت شيطانية. وحصل ما يحصل من معرفة الغيب والنصرة لهؤلاء المتصوفة إنما هو بالغرض ولا يكون مقصوداً من أول الأمر؛ لأنه إذا قصد ذلك كانت الرجاه فيه لغير الله، وإنما هي لقصد الصرف والاطلاع على الغيب وأحياناً بها صفة، فإنها في الحقيقة شرك.

قال بعضهم: من أثر العرفان للعرفان فقد قال بالثاني، فهم يقصدون بوجهتهم المعبد لا لشيء سواه. وإذا حصل في أثناء ذلك ما يحصل في الغرض وغير مقصود لهم. وكثير منهم يفر منه إذا عرض له ولا يحفل به، وإنما يريد الله لذاته لا لغيره. وحصل ذلك لهم معروف. ويسمون ما يقع لهم من الغيب والحديث على الخواطر فراسة وكثراً وما يقع لهم من الصرف كرامة وليس شيء من ذلك ينكير في حقولهم. وقد ذهب إلى إنكاره الأستاذ أبو إسحق الإسفرياني وأبو محمد بن أبي زيد الملاكي في آخرین فراراً من التباس المعجزة بغيرها. والمعلول عليه عند التكلمين حصول التفرقة بالتجدد فهو كاف. وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهِ وَسَلَّمَ قال: «إن فيكم محدثين وإن منهم عمر».

وقد وقع للصحابية من ذلك وقائع معروفة تشهد بذلك في مثل قول عمر رضي الله عنه: يا سارية! الجبل. وهو سارية بن رئيم كان قائداً على بعض جيوش المسلمين بالعراق أيام الفتوحات وتورط مع المشركين في معركة وهم بالآخرة وكان بقربه جبل يتجه إليه، فرفع لعمر ذلك وهو ينطبط على المنبر بالمدينة فناداه: يا سارية! الجبل. وسمعه سارية وهو بمكانه ورأى شخصه هنالك والقصة معروفة. ووقع مثله أيضاً لأبي بكر في وصيته عائشة ابنته رضي الله عنها في شأن ما مخلفها من أوسق التمر من حديقه، ثم نبهها على جنادذه لتحوله عن الورثة. فقال في سياق كلامه: وإنما هما أخواك وأختاك. فقالت: إنما هي أسماء فمن الأخرى؟ فقال: إن ذا بطن بنت خارجة أراها جارية، فكانت جارية. وقع في «الموطأ» في باب ما لا يجوز من التحل. ومثل هذه الواقع كثيرة لهم ولمن بعدهم من الصالحين وأهل الاقتداء. إلا أن أهل التصوف يقولون: إنه يقل في زمن النبوة إذ لا يقتى للمزيد

فياتيه الوجه عند ذلك الخط ولا استحالة في أن يكون ذلك عادة البعض الأنبياء، فمن وافق خطه ذلك النبي فهو ذاك، أي فهو صحيح من بين الخط بما عرضه من الوجه لذلک النبي الذي كانت عادته أن يأتيه الوجه عند الخط. وأما إذا أخذ ذلك من الخط عرضاً من غير موافقة وحي فلا. وهذا معنى الحديث والله أعلم. فإذا أرادوا استخراج مغيب يزعمون عمداً إلى قرطاس أو رمل أو دقيق فوضعوا نقطاً سطوراً على عدد المرات الأربع ثم كرروا ذلك أربع مرات فتجيء ستة عشر سطراً. ثم يطرحون النقط أزواجاً ويضعون ما بقي من كل سطر زوجاً كان أو فرداً في مرتبة على الترتيب، فتجيء أربعة أشكال يضعونها في سطر متالية ثم يولدون منها أربعة أشكال أخرى من جانب العرض باعتبار كل مرتبة وما قبلها من الشكل الذي يازاته، وما يجتمع منها من زوج أو فرد فتكون ثمانية أشكال موضوعة في سطر ثم يولدون من كل شكلين شكلاً تختتما باعتبار ما يجتمع في كل مرتبة من مراتب الشكلين أيضاً من زوج أو فرد فتكون أربعة أخرى تختتما، ثم يولدون من الأربعة شكلين كذلك تختتما، ثم من الشكلين شكلاً كذلك تختتما، ثم من هذا الشكل الخامس عشر مع الشكل الأول شكلاً يكون آخر الستة عشر. ثم يحكمون على الخط كله بما انتهت إليه من السعادة والنجoscia بالذات، والنظر والخلل والامتزاج والدلالة على أصناف الموجودات وسائر ذلك تحكمًا غريباً. وكثرت هذه الصناعة في العمارة ووضعت فيها التأكيل واشتهر فيها الأعلام من المقدمين والمؤخررين وهي كما رأيت تحكم وهو. والتحقيق الذي ينبغي أن يكون نصب فكرك أن الغيوب لا تدرك بصناعة البهتان ولا سبيل إلى تعرفها إلا للخواص من البشر المفطوريين على الرجوع من عالم الحسن إلى عالم الروح. ولذلك يسمى المنجمون هذا الصنف كلامهم بالزهريين نسبة إلى ما تقتضيه دلالة الزهرة بزعمهم في أصل مواليهم على إدراك الغيب. فالخط وغيره من هذه إن كان الناظر فيه من أهل هذه الخاصية وقد صد بهذه الأمور التي ينظر فيها من النقط أو العظام أو غيرها إشغال الحسن لترجع النفس إلى عالم الروحانيات لحظة ما، فهو من باب الطريق بالحصى والنظر في قلوب الحيوانات والمرايا الشفافة كما ذكرناه. وإن لم يكن كذلك، وإنما قصد معرفة الغيب بهذه الصناعة وأنها تنيذه ذلك فهذا من القول والعمل. والله يهدى من يشاء. والعلامة هذه الفطرة التي فطر عليها أهل هذا الإدراك الغيبي أنهم عند توجهم إلى تعرف الكائنات يتعظهم خروج عن حالتهم الطبيعية كالتأذب والتمطط وبمادئه الغيبة عن الحسن، ويختلف ذلك بالقوة والضعف على

وهذا فصل انتهى بنا الكلام إليه والله المرشد للصواب.

## فصل

### [التجيم وخط الرمل]

وقد يزعم بعض الناس أن هنا مدارك للغيب من دون غيبة عن الحسن: فمنهم المنجمون القائلون بالدلائل النجمومية ومقتضى أوضاعها في الفلك، وأثارها في العناصر، وما يحصل من الامتزاج بين طباعها بالتأثر، ويتناذر من ذلك المزاج إلى الهواء. وهؤلاء المنجمون ليسوا من الغيب في شيء إنما هي ظنون حدسية وتحمينات مبنية على التأثير النجمومية وحصول المزاج منه للهباء مع مزيد حدس يقف به الناظر على تفصيله في الشخصيات في العالم كما قاله بطيموس. ونحن نبين بطلان ذلك في عمله إن شاء الله. وهو لو ثبت ففاته حدس وتحمين وليس مما ذكرناه في شيء.

ومن هؤلاء قوم من العامة استبطروا لاستخراج الغيب وتعرف الكائنات صناعة سموها خط الرمل نسبة إلى المادة التي يضعون فيها عملهم. ومحصول هذه الصناعة أنهما صيروا من النقط أشكالاً ذات أربع مراتب مختلف باختلاف مراتبها في الزوجية والفردية واستوانتها فيما، فكانت ستة عشر شكلاً لأنها إن كانت أزواجاً كلها أو أفراداً كلها فشكلاً، وإن كان الفرد فيما في مرتبة واحدة فقط فاربعة أشكال، وإن كان الفرد في مرتبتين فستة أشكال، وإن كان في ثلاثة مراتب فاربعة أشكال. جاءت ستة عشر شكلاً ميزوها كلها باسمائها وأنواعها إلى سعود ونحوه، شأن الكواكب وجعلوا لها ستة عشر بيتاً طبيعية يزعمونها وكانتها البروج الائنة عشر التي للفلك والأوتاد الأربع، وجعلوا لكل شكل منها بيتاً وخطروطاً، ودلالة على صنف من موجودات علم العناصر يختص به، واستبطروا من ذلك فتناً حاذوا به فن التنجيم ونوع قضائه. إلا أن أحكم التنجيم مستند إلى أوضاع طبيعية كما يزعم بطيموس، وهذه إنما مستندتها أوضاع تحكمية وأموراء اتفاقية ولا دليل يقوم على شيء منها. ويزعمون أن أصل ذلك من النبوات القدية في العالم وربما نسبوها إلى دانيال أو إلى إدريس صلوات الله عليهما، شأن الصنائع كلها. وربما يدعون مشروعيتها ويحتاجون بقوله عليه السلام: «كاننبي يحيط، فمن وافق خطه فذاك». وليس في الحديث دليل على مشروعية خط الرمل كما يزعمه بعض من لا تحصيل لديه؛ لأن معنى الحديث كاننبي يحيط

(يتش). ثم فعلوا ذلك بالحروف الداللة على اثنين في المراتب الثلاث وأسقطوا مرتبة الآلاف منها لأنها كانت آخر حروف أبجد، فكان مجموع حروف الائتين في المراتب الثلاث ثلاثة حروف: وهي (ب) الداللة على اثنين في الأحاد و(ك) الداللة على اثنين في العشرات وهي عشرون و(ر) الداللة على اثنين في المئتين وهي مائتان وصيروها كلمة واحدة ثلاثة على نسق المراتب وهي (بكر). ثم فعلوا ذلك بالحروف الداللة على ثلاثة فشرات عنها كلمة (جلس). وكذلك إلى آخر حروف أبجد. وصارت تسع كلمات نهاية عدد الأحاد وهي: (يتش، بكر جلس، دمت، هنث، وضخ، زغد، حفظ، طغض) مرتبة على توالٍ للأعداد، ولكن كلمة منها عددها الذي هي في مرتبته، فالواحد لكلمة يتش؛ والاثنان لكلمة بكر، والثلاثة لكلمة جلس، وكذلك إلى التاسعة التي هي طغض فتكون لها التسعة. فإذا أرادوا طرح الاسم بتسعة نظرلوا كل حرف منه في أي كلمة هو من هذه الكلمات، وأخذوا عددها مكانه، ثم جعوا الأعداد التي يأخذونها بدلاً من حروف الاسم، فإن كانت زائدة على التسعة أخذوا ما يفضل عنها وإلا أخذوه كما هو ثم يفعلون كذلك بالاسم الآخر وينظرون بين الخارجين بما قدمناه. والسر في هذا بين. وذلك أنباقي من كل عقد من عقود الأعداد بطرح تسعة إنما هو واحد، فكانه يجمع عدد العقود خاصة من كل مرتبة، فصارت أعداد العقود كأنها آحاد فلا فرق بين الائتين والعشرين والمائتين والألفين وكلها اثنان وكذلك الثلاثة والثلاثون والثلاثمائة والثلاثة الآلاف كلها ثلاثة ثلاثة. فوضعت الأعداد على التوالٍ دالة على أعداد العقود لا غير، وجعلت الحروف الداللة على أصناف العقود في كل كلمة من الأحاد والعشرات والمتين والألف، وصار عدد الكلمة الموضوع عليها ناتياً عن كل حرف فيها سواء دل على الأحاد أو العشرات أو المئين، فيؤخذ عدد كل كلمة عوضاً من الحروف التي فيها، وتجمع كلها إلى آخرها كما قلناه. هذا هو العمل المتداول بين الناس منذ الأمر القديم. وكان بعض من لقبيه من شيوخنا يرى أن الصحيح فيها كلمات أخرى تسعة مكان هذه ومتواالية كتواليها، وي فعلون بها في الطرح بتسعة مثل ما يفعلونه بالأخرى سواء؛ وهي هذه: أرب بسـك، جـزلـط، مـدوـص، هـفـ، تـهـذـنـ، عـشـ، خـغـ، تـضـظـ؛ تـسـعـ كلمـاتـ علىـ تـوـالـيـ العـدـدـ، ولـكـلـ كـلـمـةـ مـنـهـاـ عـدـدـهـ الـذـيـ فـيـ مرـتـبـتـهـ، فـيـهـ الـثـلـاثـيـ وـالـرـبـاعـيـ وـالـثـانـيـ. وـلـيـسـ جـارـيـةـ عـلـىـ أـصـلـ مـطـردـ كـمـاـ تـراهـ. لـكـنـ كـانـ شـيـوخـنـاـ يـقـلـلـنـهـاـ عـنـ شـيـخـ المـغـربـ فـيـ هـذـهـ الـمـعـارـفـ مـنـ السـيـمـيـاءـ وـأـسـرـارـ الـحـرـوفـ وـالـتـجـامـةـ وـهـرـ أبو العباس بن البناء ويقولون عنه: إن العمل بهذه الكلمات في طرح

اختلاف وجودها فيهم. فمن لم توجد له هذه العلامة فليس من إدراك الغيب في شيء وإنما هو سبب في تنفيذ كتبه.

## فصل

### [حساب الجمل والزايروجة]

ومنهم طوائف يضعون قوانين لاستخراج الغيب ليست من الطور الأول الذي هو من مدارك النفس الروحانية ولا من الحدس المبني على تأثيرات النجوم كما زعمه بطليموس ولا من الظن والتخيّل الذي يحاول عليه العرافون وإنما هي مغالط يتعلّقون بها كالصلاد لأهل العقول المستضعفة. ولست أذكر من ذلك إلا ما ذكره المصنفوون وولع به الخواص. فمن تلك القوانين الحساب الذي يسمونه حساب التّيّم وهو مذكور في آخر كتاب «السياسة» المنسوب لأرسطو يعرّف به الفالاب من المغلوب في المتحاربين من الملوك. وهو أن تُحسب الحروف التي في اسم أحدهما بحسب الجمل المصطلح عليه في حروف أبجد من الواحد إلى الألف آحاداً وعشراً وعشرين وعشرين وألفاً. فإذا حسبت الاسم وتصلّى لك منه عدد فاحسب اسم الآخر كذلك. ثم اطرح من كل واحد منها تسعة تسعة، واحفظ بقية هذا وبقية هذا. ثم انظر بين العديدين الباقيين من حساب الاسمين: فإن كان العددان مختلفين في الكمية وكانتا معاً زوجين أو فردان معاً فصاحب الأقل منها هو الغالب، وإن كان أحدهما زوجاً والأخر فرداً فصاحب الأكثر هو الغالب، وإن كانوا متساوين في الكمية وهما معاً زوجان فالمطلوب هو الغالب، وإن كانوا معاً فردين فالطالب هو الغالب. ويقال هنالك بيان في هذا العمل اشتهرنا بين الناس وهما: أرى الزوج والأفراد يسمى أقليها وأكثرها عند التخالف غالب ويغلب مطلوب إذا الزوج يستوي وعند استواء الفرد يتغلب طالب

ثم وضعوا المعرفة ما يبقى من الحروف بعد طرحها بتسعة قانوناً معروفاً عندهم في طرح تسعة، وذلك أنهما جمعوا الحروف الداللة على الواحد في المراتب الأربع وهي: ((ا)) الداللة على الواحد و((ي)) الداللة على العشرين وهي واحد في مرتبة العشرات و((ق)) الداللة على المائة لأنها واحد في مرتبة المئتين و((ش)) الداللة على الألف لأنها واحد في منزلة الآلاف. وليس بعد الألف عدد يبدل عليه بالحروف؛ لأن الشين هي آخر حروف أبجد. ثم ربّوا هذه الأحرف الأربع على نسق المراتب فكان منها كلمة رباعية وهي

المركز، ثم إلى محيط الدائرة قبلة الطالع. فيأخذون جميع المحرف المكتوبة عليه من أوله إلى آخره والأعداد المرسومة بينهما ويصيرونها حروفًا بحسب الجمل. وقد ينقلون أحاديث العشرات وعشراطها إلى المثنين وبالعكس فيما كما يتضمنه قانون العمل عندهم. وبضعونها مع حروف السؤال ويضيفون إلى ذلك جميع ما على الورت المكتتف بالبرج الثالث من الطالع من المحرف والأعداد من أوله إلى المركز فقط لا يتتجاوزونه إلى المحيط. ويفعلون بالأعداد ما فعلوه بالأول ويضيفونها إلى المحرف الأخرى. ثم يقطعنون حروف البيت الذي هو أصل العمل وقانونه عندهم وهو بيت مالك بن وهب المتقدم وبضعونها ناحية، ثم يضربون عدد درج الطالع في أنس البرج. وأنسُ عندهم هو بعد البرج عن آخر المراتب عكس ما عليه الأنس عند أهل صناعة الحساب، فإنه عندهم بعد عن أول المراتب. ثم يضربونه في عدد آخر يسمونه الأنس الأكبر والدُّور الأصلي. ويدخلون بما تجمعت لهم من ذلك في بحث الجدول على قوانين معروفة وأعمال مذكورة وأدوار معدودة. ويستخرجون منها حروفًا ويسقطون أخرى. ويفاقدون بما معهم في حروف البيت وينقلون منه ما ينقلون إلى حروف السؤال وما معها ثم يطرحون تلك الحروف بأعداد معلومة يسمونها الأدوار ويخرجون في كل دور الحرف الذي يتهمي عنده الدور، يعادون ذلك بعد الأدوار المعينة عندهم لذلك، فيخرج آخرها حروف مقطعة وتؤثر على التوالي فتصير كلمات منظومة في بيت واحد على وزن البيت الذي يقابل به العمل ورويه وهو بيت مالك بن وهب المتقدم حسبما ذكر ذلك كله في فصل العلم عند كيفية العمل بهذه الزايِرِجَة.

وقد رأينا كثيراً من المخواص يتهافتون على استخراج الغيب منها بتلك الأعمال ويسعون أن ما وقع من مطابقة الجواب للسؤال في توافق الخطاب دليل على مطابقة الواقع. وليس ذلك بصحيح؛ لأنه قد مر ذلك أن الغيب لا يدرك بأمر صناعي البئة، وإنما المطابقة التي فيها بين الجواب والسؤال من حيث الإفهام والتوافق في الخطاب حتى يكون الجواب مستقيماً أو موافقاً للسؤال. ووقع ذلك بهذه الصناعة في تكسير المحرف المجتمع من السؤال والأوتار. والدخول في الجدول بالأعداد المجتمعة من ضرب الأعداد المفروضة واستخراج المحرف من الجدول بذلك وطرح أخرى ومواهدة ذلك في الأدوار المعدودة ومقابلة ذلك كله بمحرف البيت على التوالي غير مستكتر. وقد يقع الاطلاع من بعض الأذكياء على تناسب بين هذه الأشياء فيقع له معرفة المجهول. فالتناسب بين الأشياء هو سبب الحصول على المجهول من

حساب النيم أصح من العمل بكلمات أيقش. والله يعلم كيف ذلك.

وهذه كلها مدارك للغيب غير مستندة إلى برهان ولا تحقيق. والكتاب الذي وجد فيه حساب النيم غير معزو إلى أسطر عند المحققين لما فيه من الآراء البعيدة عن التحقيق والبرهان، يشهد لك بذلك تصفحه إن كنت من أهل الرسوخ اهـ.

ومن هذه القوانين الصناعية لاستخراج الغيب فيما يزعمون الزايِرِجَة المسماة «زايِرِجَة العالم»، المزروءة إلى أبي العباس سيدي أحد السبطي من أعلام المتصوفة بالمغرب كان في آخر المائة السادسة ببراكنش ولعهد أبي عقبوب المتصور من ملوك الموحدين. وهي غربية العمل صناعة. وكثير من المخواص يولعون بإفاده الغيب منها بعملها المعروف الملغوز، فيحرضون بذلك على حل رمزه وكشف غامضه. وصورتها التي يقع العمل عندهم فيها دائرة عظيمة في داخلها دوائر متوازنة للأفلاك والعناصر والملائكة والروحانيات وغير ذلك من أصناف الكائنات والعلوم. وكل دائرة مقسمة بأقسام فلكها: إما البروج وإما العناصر أو غيرهما. وخطوط كل قسم مارة إلى المركز ويس揆ونها الأوتار. وعلى كل وتر حروف متابعة موضوعة، فمنها برسوم الرِّزْمَام التي هي أشكال الأعداد عند أهل الدواوين والحساب بالمغرب لهذا العهد، ومنها برسوم الغبار المتعارفة في داخل الزايِرِجَة. وبين الدوائر أسماء العلوم ومواضيع الأكونان. وعلى ظاهر الدوائر جدول متكرر البيوت المقاطعة طولاً وعرضًا يشتمل على خمسة وخمسين بيتاً في العرض، ومائة وواحد وثلاثين في الطول جوانب منه معمرة البيوت تارة بالعدد وأخرى بالحرروف وجوانب خالية البيوت. ولا تعلم نسبة تلك الأعداد في أوضاعها ولا القسمة التي عينت البيوت العاشرة من الخالية. وحافات الزايِرِجَة أيات من عروض الطويل على روبي اللام المصوبة تضمن صورة العمل في استخراج المطلوب من تلك الزايِرِجَة. إلا أنها من قبيل الألغاز في عدم الوضوح والجلاء. وفي بعض جوانب الزايِرِجَة بيت من الشعر منسوب لبعض أكابر أهل الحديث بالمغرب وهو مالك بن وهب من علماء أشبيلية كان في الدولة الممورية ونص البيت سؤال عظيم الخلق حرزت نفس إذن غائب شك ضبطه الجدا شلا وهو البيت المداول عندهم في العمل لاستخراج الجواب من السؤال في هذه الزايِرِجَة وغيرها. فإذا أرادوا استخراج الجواب عما يسأل عنه من المسائل كتبوا ذلك السؤال وقطعوه حروفًا ثم أخذوا الطالع لذلك الوقت من برج الفلك ودرجها وعمدوا إلى الزايِرِجَة ثم إلى الورت المكتتف فيها بالبرج الطالع من أوله مساراً إلى

الذى يخرج مجھوها من معلومها. وهذا إنما هو في الواقعات  
الحاصلة في الوجود أو العلم. وأما الكائنات المستقبلة إذا لم تعلم  
أسباب وقوعها ولا يثبت لها خبر صادق عنها فهو غيب لا يمكن  
معرفته. وإذا تبيّن ذلك فالأعمال الواقعه في الزيارة كلها إنما  
هي في استخراج الجواب من الفاظ السؤال؛ لأنها كما رأيت  
استبطاط حروف على ترتيب من تلك الحروف بعدها على ترتيب  
آخر. وسر ذلك إنما هو من تناسب بينهما يطلع عليه بعض دون  
بعض. فمن عرف ذلك التناسب تيسّر عليه استخراج ذلك  
الجواب بذلك القوانين. والجواب يدل في مقام آخر من حيث  
موضوع الفاظه وتراكييشه على وقوع أحد طرف السؤال من نفي أو  
إثبات. وليس هذا من المقام الأول، بل إنما يرجع لطابقة الكلام لما  
في الخارج. ولا سيل إلى معرفة ذلك من هذه الأعمال بل البشر  
محبوبون عنه، وقد استثاره الله بعلمه «وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا  
تَعْلَمُنَّ».

العلوم المعاصرة للنفس وطريق الحصول عليه، ولا سيما من أهل الرياضة، فإنها تفيد العقل قوة على القياس وزيادة في الفكر وقد مر تعليماً ذلك غير مرة.

ومن أجل هذا المعنى ينسبون هذه الزيارة في الغالب لأهل الرياضة فهي منسوبة للسببي. ولقد وقفت على أخرى منسوبة لسهل بن عبد الله. ولعمري إنها من الأعمال الغريبة والمعاناة العجيبة. والجواب الذي يخرج منها فالسر في خروجه منظوماً يظهر لي إنما هو المقابلة معروف ذلك البيت. وهذا يكون النظم على وزنه وروده. ويدل عليه أنا وجدنا أعمالاً أخرى لهم في مثل ذلك أسلقوها فيها المقابلة بالبيت فلم يخرج الجواب منظوماً كما تراه عند الكلام على ذلك في موضعه. وكثير من الناس تضيق مداركهم عن الصدق بهذه العمل وتفزوه إلى المطلوب فينكر صحتها ويحسب أنها من التخيّلات والإيمانات، وأن صاحب العمل بها يثبت حروف البيت الذي ينظم كما يريد بين أثناء حروف السؤال والأوامر، وي فعل تلك الصناعات على غير نسبة ولا قانون، ثم يجيء بالبيت ويوهم أن العمل جاء على طريقة منضبطة. وهذا الحسنان توهّم فاسد حمل عليه القصور من فهم التناقض بين الموجودات والمعدومات والافتراضات بين المدارك والعقول. ولكن من شأن كل مدرك إنكار ما ليس في طرقه إدراكه. وبكيفنا في رد ذلك مشاهدة العمل بهذه الصناعة والخدس القطعي، فإنها جاءت بعمل مطرد وقانون صحيح لا مرية فيه عند من يباشر ذلك من له ذكاء وحدس. وإذا كان كثير من المعاياير في العدد الذي هو أوضح الواضحات يعسر على الفهم إدراكه بعد النسبة فيه وخفائها، فما ثُنِكَ بمثل هذا مع خفاء النسبة فيه وغرابتها. فلنذكر مسألة من المعاياير يتضح لك بها شيء مما ذكرنا. مثال: لو قيل لك: خذ عدداً من الدرارم واجعل بيازاء كل درهم ثلاثة من الفلوس، ثم اجمع الفلوس التي أخذت واشتري بها طائر، ثم اشتري بالدرارم كلها طيوراً بسعر ذلك الطائر؛ فكم الطير المنشارة بالدرارم والفلوس؟ فجوابه أن تقول: هي تسعة، لأنك تعلم أن فلوس الدرارم أربعة وعشرون وأن الثلاثة تُئْنُها وإن عدّة أثمان الواحد ثمانية، فإذا جمعت الثمن من الدرارم إلى الثمن الآخر، فكان كله ثمان طائر فهي ثمانية طيور عدّة أثمان الواحد، وتزيد على العشرين طائراً آخر وهو المشترى بالفلوس المأخوذة أولاً، وعلى سعره اشتريت بالدرارم، ف تكون تسعة. فانت ترى كيف خرج لك الجواب المضرر بـ<sup>رس</sup> التناقض الذي بين أعداد المسألة. والوهم أول ما يلقى إليك هذه وأمثالها إنما يجعله من قبيل الغيب الذي لا يمكن معرفته. وظاهر أن المناسب بين الأمور هو

البدو؛ لأن أحواهم زائدة على الضروري ومعاشرهم على نسبة وجدتهم، فقد تبين أن أجيال البدو والحضر طبيعية لا بد منها كما قلناه.

## الفصل الثاني

### في أن جيل العرب في الحلقة طبيعي

في العمران البدوي والأمم الوحشية والقبائل وما

يعرض في ذلك من الأحوال

و فيه فصول و تمهيدات :

## الفصل الأول:

### في أن أجيال البدو والحضر طبيعية

قد قدمنا في الفصل قبله أن أهل البدو هم المتحلون للمعاش الطبيعي من الفلاح والقيام على الأنعام وأنهم متصررون على الضروري من الأقواء والملابس والمساكن وسائر الأحوال والعوائد ومتصررون عما فوق ذلك من حاجي أو كمال يتخذون البيوت من الشعر والوبر أو الشجر أو من الطين والحجارة غير منجدة، إنما هوقصد الاستقلال ولكن لا ما وراءه، وقد يأردون إلى الغiran والكهوف، وأما آثارتهم فيتناولون بها يسيراً بعلاج أو بغیر علاج البنت إلا ما مسنه النار، فمن كان معاشه منهم في الزراعة والقيام بالفلح كان المقام به أول من الظنن، وهؤلاء سكان المدر والقرى والجبال وهم عامة البربر والأعاجم، ومن كان معاشه في السائمة مثل الغنم والبقر فهم ظعن في الأغلب لارتياد المسارح والمياه لحيواناتهم فالنقلب في الأرض أصلح بهم ويسعون شاوية ومعناه القائمون على الشاه والبقر، ولا يبعدون في الفخر لفقدان المسارح الطيبة، وهؤلاء مثل البربر والترك وإخوانهم من التركمان والصقالبة، وأما من كان معاشرهم في الإبل فهم أكثر ظعنًا وأبعد في القرى مجالاً؛ لأن مسارح التلول وبنياتها وشجرها لا يستغني بها الإبل في قوام حياتها عن مراعي الشجر بالقرف وورود مياهه الملحة والنقلب فصل الشتاء في نواحيه فراراً من أذى البرد إلى دفاعة هواء وطلبًا لما يخشى الشتاج في رماله، إذ الإبل أصعب الحيوان فصالاً ومخاضاً وأحوجها في ذلك إلى الدفاعة، فاضطروا إلى إبعاد النجعة، وربما ذادتهم الخامنة عن التلول أيضاً فألوغلو في القفار نفرة عن الضعة منهم، فكانوا لذلك أشد الناس توحشاً وينزلون من أهل الحواضر منزلة الوحش غير المقدر عليه والفترس من الحيوان العجم، وهؤلاء هم العرب وفي معناهم طعون البربر وزَّانة بالغرب والأكراد والترك بالشرق، إلا أن العرب أبعد نجاعة وأشد بداوة؛ لأنهم مختصون بالقيام على الإبل فقط، وهؤلاء يقومون عليها وعلى الشاه والبقر معها فقد تبين لك أن جيل العرب طبيعي لا بد منه في العمران.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

اعلم أن اختلاف الأجيال في أحواهم إنما هو باختلاف خلتهم من المعاش، فإن اجتماعهم إنما هو للتعاون على تحصيله والإبداء بما هو ضروري منه ويسقط قبل الحاجي والكمالي، فمنهم من يستعمل الفلاح من الغراسة والزراعة، ومنهم من يتحل القيام على الحيوان من الغنم والبقر والمعز والتخل والبدود لتتاجها واستخراج فضلاتهما، وهؤلاء القائمون على الفلاح والحيوان تدعوهם الضرورة، ولا بد، إلى البدو لأنه متسع لما لا يتسع له الحواضر من المزارع والفنون والمسارح للحيوان وغير ذلك فكان اختصاص هؤلاء بالبدو أمراً ضرورياً لهم وكان حيذن اجتماعهم وتعاونهم في حاجاتهم ومعاشرهم وعمرانهم من القوت والكن و الدفاعة إنما هو بالمقدار الذي يحفظ الحياة ويحصل لغة العيش من غير مزيد عليه للعجز عما وراء ذلك.

ثم إذا اتسعت أحواles هؤلاء المتحلين للمعاش وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى والرفاه، دعاهم ذلك إلى السكون والدعة وتعاونوا في الزائد على الضرورة، واستثروا من الأقواء والملابس والتألق فيها وتوسيعة البيوت واحتاطوا المدن والأقصار للتحضر، ثم تزيد أحواles الرفاه والدعة فتجيء عوائد الترف البالغة وبالغها في التأق في علاج القوت واستجادة المطابخ وانتقاء الملابس الفاخرة في أنواعها من الحرير والديباج وغير ذلك ومعالاة البيوت والصروح وإحكام وضعها في تنجيدها والانتهاء في الصنائع في المتروج من القوة إلى الفعل إلى غاياتها، فيتحولون القصور والمنازل ويجرون فيها المياه ويعالون في صرحها ويبالغون في تنجيدها، ويمثلون في استجادة ما يتخذونه معاشرهم من ملبوس أو فراش أو آنية أو ماعون، وهؤلاء هم الحضر ومعناه الحاضرون أهل الأقصار والبلدان، ومن هؤلاء من يتحل في معاشه الصنائع ومنهم من يتحل التجارة وتكون مكاسبهم أعلى وأرقه من أهل

ويقدر ما سبق إليها من أحد الخلقين تبعد عن الآخر وصعب عليها اكتسابه، فصاحب الخير إذا سبقت إلى نفسه عوائد الخير وحصلت لها ملكته بعده عن الشر وصعب عليه طريقه، وكذا صاحب الشر إذا سبقت إليه أيضًا عوائده، وأهل الحضر لكثرة ما يعانون من فنون الملاذ وعوائد الترف والإقبال على الدنيا والمعروف على شهوراتهم منها، قد تلوثت أنفسهم بكثير من مذمومات الخلق والشر، وبعدت عليهم طرق الخير ومسالكه بقدر ما حصل لهم من ذلك، حتى لتفذبت عنهم مذاهب الحشمة في أحراهم، العاجزون عما فرقه، وأن الحضر المعتون بمحاجات الترف والكمال في أحراهم وعوائدهم، ولا شك أن الضروري أقدم من الحاجي والكمالي وسابق عليه؛ لأن الضروري أصل والكمالي فرع ناشئ عنه، فالبدو أصل للمدن والحضر، وسابق عليهم؛ لأن أول مطالب الإنسان الضروري ولا يتنهى إلى الكمال والترف إلا إذا كان الضروري حاصلاً، فخشونة البداءة قبل رقة الحضارة، ولهذا نجد التمدن غاية للبدوي بغيري إليها، ويتهمي بسعيه إلى مقتراحه منها، ومتى حصل على الرياش الذي يحصل له به أحوال الترف وعوائده عاج إلى الدعة، وأمكن نفسه إلى قياد المدينة، وهكذا شأن القبائل المتبدلة كلهم، والحضري لا يتشوف إلى أحراهم البادية إلا لضرورة تدعوه إليها أو لتقصير عن أحراهم أهل مدتيته.

وعما يشهد لنا أن البدو أصل للحضر ومتقدم عليه أنا إذا فتشنا أهل مصر من الأنصار وجدنا أولية أكثرهم من أهل البدو الذين بناحية ذلك المصر وفي قرابة، وأنهم أيسروا فسكتوا المصر وعدلوا إلى الدعة والترف الذي في الحضر، وذلك يدل على أن أحراهم الحضارة ناشئة عن أحراهم البداءة وأنها أصل لها ففهمه.

ثم إن كل واحد من البدو والحضر متواتر الأحوال من جنسه: غرب سبي أعلم من سبي، وقبيلة أعظم من وقبيلة، ومصر أوسط من مصر، ومدينة أكثر عمراناً من مدينة، فقد تبين أن وجود البدو متقدم على وجود المدن والأنصار وأصل لها، بما أن وجود المدن والأنصار من عوائد الترف والدعة التي هي متاخرة عن عوائد الضرورة المعاشية، والله أعلم.

ولا يعرض على ذلك بما ورد في «صحيح البخاري» من قول الحجاج لسلامة بن الأكوع وقد بلغه أنه خرج إلى سكنى البادية فقال له: ارتديت على عقيقك تعرست؟! قال: لا، ولكن رسول الله ﷺ أذن لي في البدو. فاعلم أن الهجرة افترضت أول الإسلام على أهل مكة ليكونوا مع النبي ﷺ حيث حل من المروانين ينصرونه وظاهرون على أمره ويحرسونه ولم تكن واجهة على الأعراب أهل البادية؛ لأن أهل مكة ي pemهم من عصبية النبي ﷺ في المظاهر والحراسة ما لا ي pem غيرهم من بادية الأعراب، وقد كان المهاجرون يستعيذون بالله من التعرّب وهو سكتى البادية حيث لا تغب المجرة، وقال ﷺ في حديث سعد بن أبي وقاص عند مرضه بمكة: «اللهم أمض لأصحابي هجرتهم ولا تردهم على أعقابهم» ومعنى أن يوفهم للإزمدة المدينة وعدم التحول عنها فلا يرجعوا عن هجرتهم التي ابتنوا بها، وهو من باب الرجوع على العقب في السعي إلى وجه من الوجوه، وقيل: إن فلذ كأن خاصاً بما قبل الفتح حين كانت الحاجة داعية إلى الهجرة لقلة المسلمين، وأما بعد الفتح وحين كثر المسلمون واعتزوا وتکفل الله

### الفصل الثالث

في أن البدو أقدم من الحضر وسابق عليه وأن  
البادية أصل العمran والأنصار مدد لها

قد ذكرنا أن البدو هم المقتصرون على الضروري في أحراهم، العاجزون عما فرقه، وأن الحضر المعتون بمحاجات الترف والكمال في أحراهم وعوائدهم، ولا شك أن الضروري أقدم من الحاجي والكمالي وسابق عليه؛ لأن الضروري أصل والكمالي فرع ناشئ عنه، فالبدو أصل للمدن والحضر، وسابق عليهم؛ لأن أول مطالب الإنسان الضروري ولا يتنهى إلى الكمال والترف إلا إذا كان الضروري حاصلاً، فخشونة البداءة قبل رقة الحضارة، ولهذا نجد التمدن غاية للبدوي بغيري إليها، ويتهمي بسعيه إلى مقتراحه منها، ومتى حصل على الرياش الذي يحصل له به أحوال الترف وعوائده عاج إلى الدعة، وأمكن نفسه إلى قياد المدينة، وهكذا شأن القبائل المتبدلة كلهم، والحضري لا يتشوف إلى أحراهم البادية إلا لضرورة تدعوه إليها أو لتقصير عن أحراهم أهل مدتيته.

وعما يشهد لنا أن البدو أصل للحضر ومتقدم عليه أنا إذا فتشنا أهل مصر من الأنصار وجدنا أولية أكثرهم من أهل البدو الذين بناحية ذلك المصر وفي قرابة، وأنهم أيسروا فسكتوا المصر وعدلوا إلى الدعة والترف الذي في الحضر، وذلك يدل على أن أحراهم الحضارة ناشئة عن أحراهم البداءة وأنها أصل لها ففهمه.

ثم إن كل واحد من البدو والحضر متواتر الأحوال من جنسه: غرب سبي أعلم من سبي، وقبيلة أعظم من وقبيلة، ومصر أوسط من مصر، ومدينة أكثر عمراناً من مدينة، فقد تبين أن وجود البدو متقدم على وجود المدن والأنصار وأصل لها، بما أن وجود المدن والأنصار من عوائد الترف والدعة التي هي متاخرة عن عوائد الضرورة المعاشية، والله أعلم.

### الفصل الرابع

في أن أهل البدو أقرب إلى الخير  
من أهل الحضر

وبسبه أن النفس إذا كانت على الفطرة الأولى كانت مهيضة لقبول ما يرد عليها وينطبع فيها من خير أو شر قال ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة، فأباوه يهوداته أو ينصرانه أو يمجسانه»

للبناوات والمبيعات ويتفردون في القفر والبيداء مدللين بآياتهم، واثقين بأنفسهم قد صار لهم الناس خلقاً والشجاعة سجية يرجعون إليها متى دعاهم داع، أو استفتروهم صارخ. وأهل الحضر مهما خالطوهن في البايدية أو صاحبوا في السفر عيال عليهم لا يملكون معهم شيئاً من أمر أنفسهم، وذلك مشاهد بالعيان حتى في معرفة التواحي والجهات وموارد المياه ومشاريع السبيل، وسبب ذلك ما شرحا، وأصله أن الإنسان ابن عوائده ومال قوله لا ابن طبيعته ومزاجه، فالذى الله في الأحوال حتى صار خلقاً وملكة وعدة تنزل منزلة الطبيعة والجلبة واعتبر ذلك في الأديميين مجده كثيراً صحيحاً، والله يخلق ما يشاء.

## الفصل السادس

### في أن معاناة أهل الحضر للأحكام مفسدة للباسفهم ذاتية بالمنعة منهم

وذلك أنه ليس كل أحد مالك أمر نفسه، إذ الرؤساء والأمراء المالكون لأمر الناس قليل بالنسبة إلى غيرهم، فمن الغالب أن يكون الإنسان في ملكة غيره، ولا بد فإن كانت الملكة رقيقة وعادلة، لا يعاني منها حكم ولا منع وصد كان من تحت يدها مدللين بما في أنفسهم من شجاعة أو جبن، واثقين بعدم الوازع حتى صار لهم الإذلال جبلة لا يعرفون سواها.

اما إذا كانت الملكة وأحكامها بالقهرا والسيطرة والإخافة فتكسر حيثذا من سورة باسمهم وتذهب المتعة عنهم لما يكون من التكاسل في التفوس المضطهدة كما نبيه وقد نهى عمر سعداً رضي الله عنهما عن مثلها وأخذ زهرة بن جوية سلبه الحالنس وكانت قيمته خمسة وسبعين ألفاً من الذهب وكان أتبع الحالنس يوم القادة فقتله وأخذ سلبه، فانتزعه منه سعد وقال له: هلا انتظرت في اتباعه إذني. وكتب إلى عمر يستأذنه، فكتب إليه عمر: تعمد إلى مثل زهرة وقد صلي بما صلي به وبقي عليك ما بقي من حررك وتكسر فوقه وتفسد قلبك! وأمضى له عمر سلبه.

وأما إذا كانت الأحكام بالعقاب فمذهبة للباس بالكلية؛ لأن وقوع العقاب به ولم يدافع عن نفسه يكسبه المذلة التي تكسر من سورة باسمه بلا شك، وأما إذا كانت الأحكام تأدبية وتلميحة واخذت من عند الصبا ثورت في ذلك بعض الشيء لمرياه على المخافة والانتقاد، فلا يكون مدللاً بآياته، ولهذا نجد المتشحين من العرب أهل البدو أشد باسماً من تأخذن الأحكام، ونجد أيضاً الذين

لنبيه بالعصمة من الناس، فإن المجرة ساقطة حيثذا لقوله ﷺ «لا هجرة بعد الفتح» وقيل: سقط إنشاؤها عنهم يسلم بعد الفتح، وقيل: سقط وجوبها عنهم أسلم وهو ماجر قبل الفتح، والكل مجمعون على أنها بعد الوفاة ساقطة، لأن الصحابة افترقا من يومئذ في الآفاق واتشروا ولم يبق إلا فضل السكنى بالمدينة وهو هجرة، فقول الحاجاج لسلمة حين سكن البايدية: ارتدت على عقيك تعرّبت: نهى عليه في ترك السكنى بالمدينة بالإشارة إلى الدعاء المثير الذي قدّمه وهو قوله: «لا تردهم على أعقابهم» وقوله: تعربت؛ إشارة إلى أنه صار من الأعراب الذين لا يهاجرون، وأجاب سلامة بإنكار ما الزمه من الأمرين، وأن النبي ﷺ أذن له في البدو ويكون ذلك خاصاً به كشهادة خزيمة وعنان أبي بردة ويكون الحاجاج إنما نهى عليه ترك السكنى بالمدينة فقط لعلمه بسقوط المجرة بعد الوفاة، وأجابه سلامة بأن اغتنامه لإذن النبي وأفضل، فيما آثره به واحتصره إلا المعنى علمه فيه وعلى كل تقدير، فليس دليلاً على مذمة البدو الذي عبر عنه بالعرب؛ لأن مشروعية الهجرة إنما كانت كما علمت لظاهرة النبي ﷺ وحراسته لا لمذمة البدو، فليس في النهي عليه ترك هذا الواجب دليلاً على مذمة العرب، والله سبحانه أعلم وبه التوفيق.

## الفصل الخامس

### في أن أهل البدو أقرب إلى الشجاعة من أهل الحضر

والسبب في ذلك أن أهل الحضر أثروا جنزيهم على مهاد الرحمة والدعة وانغمسو في التعبير والترف ووكلوا أمرهم في المدافعة عن أمواهم وانفسهم إلى واليهم والحاكم الذي يسوسهم والحاامية التي تولت حراستهم واستناموا إلى الأسوار التي تحوطهم والحرز الذي يحول دونهم فلا تهيجهم هيبة ولا ينفر لهم صيد، فهم غازون آمنون، قد أثروا السلاح وتوالت على ذلك منهم الأجيال وتخلوا منزلة النساء والولدان الذين هم عيال على أبي مثواهم، حتى صار ذلك خلقاً يتنزل منزلة الطبيعة وأهل البدو لغدرهم عن التجمع وتوحشهم في الضواحي وبعدهم عن الحامية وانتباذهم عن الأسوار والأبواب قائمون بالدافعة عن أنفسهم لا يتكلّنونها إلى سواهم، ولا يتفتون فيها بغیرهم، فهم دائمًا يحملون السلاح ويتلفتون عن كل جانب في الطريق، ويتجاذبون عن المجموع إلا غراراً في المجالس وعلى الرحال وفوق الأقواب ويتجرسون

## الفصل السابع

### في أن سكني البدو لا يكون إلا للقبائل أهل العصبية

إعلم أن الله سبحانه ركب في طياب البشر الخير والشر كما

قال تعالى ﴿وَمَنِيتُنَا هُنَجْدَيْنِ﴾ وقال: ﴿فَاللَّهُمَّ هَا فُجُورُهَا وَتَقْوَاهَا﴾ والشر أقرب الحال إليه إذا أهمل في مرعى عوائده ولم يهذبه الاقتداء بالدين. وعلى ذلك الجم الغفير إلا من وفقه الله، ومن أخلاق البشر فيهن الظلم والعدوان بعض على بعض، فمن امتدت عينه إلى متعة أخيه امتدت يده إلى أخيه إلا أن يصده وازع كما قال:

والظلم من شيم النقوس فإن تجد ذا عفة فلملة لا يظلم

فاما المدن والأماصار فعدوان بعضهم على بعض، تدفعه الحكام والدولة بما قبضوا على أيدي من تحفهم من الكافة أن يمتد بعضهم على بعض، أو يudo عليه، فإنهن مكبحون بمكمة القهـر والسلطان عن النظام، إلا إذا كان من الحاكم نفسه، وأما العدوان الذي من خارج المدينة فيدفعه سياج الأسوار عند الغفلة أو الغرة ليلاً أو العجز عن المقاومة نهاراً، أو يدفعه ازدياد الحامية من أعون الدولة عند الاستعداد والمقاومة، وأما أحياـء البدو فيزع بعضهم عن بعض مشـايـخـهم وكبارـهم بما وقر في نفوس الكافية

لهم من الرقار والتجلـة، وأما حـلـلـهـمـ فإـنـماـ يـذـودـ عـنـهاـ منـ خـارـجـ حـامـيـةـ الـحـيـ منـ أـخـيـادـهـ وـفـيـانـهـ الـمـعـرـوفـينـ بـالـشـجـاعـةـ فـيـهـمـ،ـ وـلـاـ يـصـدـقـ دـفـاعـهـمـ وـذـيـادـهـمـ إـلـاـ كـانـواـ عـصـيـةـ وـأـهـلـ نـسـبـ وـاحـدـ؛ـ لـأـنـهـمـ بـذـلـكـ تـشـتـدـ شـوـكـهـمـ وـيـتـشـيـ جـانـبـهـمـ،ـ إـذـ نـعـرـةـ كـلـ أـحـدـ عـلـىـ نـسـبـهـ وـعـصـيـتـهـ أـهـمـ،ـ وـمـاـ جـعـلـ اللـهـ فـيـ قـلـوبـ عـبـادـهـ مـنـ الشـفـقـةـ وـالـنـعـرـةـ عـلـىـ ذـوـيـ أـرـحـامـهـ وـقـرـائـهـمـ مـوـجـرـدـةـ فـيـ الطـبـائـعـ الـبـشـرـيةـ،ـ وـبـهـ يـكـونـ التـاعـاصـدـ وـالتـاـنـاصـرـ،ـ وـتـعـظـمـ رـهـبةـ الـعـدـوـ لـهـ وـاعـتـرـ ذلكـ فـيـماـ حـكـاـتـ الـقـرـآنـ عـنـ إـخـرـوةـ يـوـسـفـ عـلـيـهـ السـلـامـ حـيـنـ قـالـواـ لـأـيـهـ:ـ ﴿لـئـنـ أـكـلـ الـذـبـ وـتـأـخـرـ عـصـبـةـ إـنـاـ إـذـ لـخـاسـرـوـنـ﴾ـ وـالـعـنـىـ أـنـ لـاـ يـتـهـمـ الـعـدـوـ عـلـىـ أـحـدـ مـعـ وـجـرـدـ الـعـصـبـةـ لـهـ.

وـأـمـاـ المـتـفـدـوـنـ فـقـلـ أنـ تـصـيبـ أحـدـ مـنـهـمـ نـعـرةـ

عـلـىـ صـاحـبـهـ،ـ فـإـذـ أـظـلـمـ الـجـوـ بـالـشـرـ يـوـمـ الـحـربـ تـسلـلـ كـلـ وـاحـدـ مـنـهـ يـغـيـيـ النـجـاةـ لـنـفـسـهـ خـيـفـةـ وـاستـيـحـاشـاـ مـنـ التـخـاذـلـ،ـ فـلـاـ يـقـدـرـونـ مـنـ أـجـلـ ذـلـكـ عـلـىـ سـكـنـيـ الـقـفـرـ لـاـ أـنـهـ حـيـثـنـ طـعـةـ لـمـ يـلـتـهـمـ مـنـ الـأـمـ سـواـهـ.

وـإـذـ تـبـيـنـ ذـلـكـ فـيـ السـكـنـيـ الـقـيـادـةـ تـحـتـاجـ لـمـدـافـعـةـ وـالـحـمـاـيـةـ

يعانون الأحكام وملكتها من لدن مرياهـمـ فـيـ التـأـدـيـبـ وـالـتـعـلـيمـ فـيـ الصـنـاعـاتـ وـالـعـلـومـ وـالـدـيـانـاتـ يـنـقـصـ ذـلـكـ مـنـ باـسـهـمـ كـثـيرـاـ وـلـاـ يـكـادـونـ يـدـفـعـونـ عـنـ أـنـفـسـهـمـ عـادـيـةـ بـوـجـهـ مـنـ الـرـجـوـ،ـ وـهـذـاـ شـانـ طـلـبـةـ الـعـلـمـ الـمـتـحـلـلـنـ لـلـقـرـاءـةـ وـالـأـخـذـ عـنـ الـشـاـيخـ وـالـأـمـةـ الـمـارـسـينـ لـلـتـعـلـيمـ وـالـتـأـدـيـبـ فـيـ مـجـالـسـ الـوقـارـ وـالـهـمـيـةـ،ـ فـيـهـمـ هـذـهـ الـأـحـوـالـ وـذـهـابـهـاـ بـالـنـعـةـ وـالـبـاسـ.

وـلـاـ تـسـتـنـكـرـ ذـلـكـ بـاـ وـقـعـ فـيـ الصـحـابـةـ مـنـ أـخـنـعـمـ بـأـحـكـامـ الـدـيـنـ وـالـشـرـعـةـ،ـ وـلـمـ يـنـقـصـ ذـلـكـ مـنـ باـسـهـمـ بـلـ كـانـواـ أـشـدـ النـاسـ باـسـاـ،ـ لـأـنـ الشـارـعـ صـلـوـاتـ اللـهـ عـلـيـهـ لـاـ أـخـذـ الـمـسـلـمـونـ عـنـهـ دـيـنـهـ كـانـ وـازـعـهـمـ فـيـهـ مـنـ أـنـفـسـهـمـ لـاـ تـلـاـ عـلـيـهـمـ مـنـ الرـغـبـ وـالـتـهـبـ،ـ وـلـمـ يـكـنـ بـتـعـلـيمـ صـنـاعـيـ وـلـاـ تـأـدـيـبـ تـعـلـيمـيـ،ـ إـنـاـ هـيـ أـحـكـامـ الـدـيـنـ وـأـدـابـهـ الـمـلـقـاـةـ نـقـلـاـ يـاخـذـونـ أـنـفـسـهـمـ بـهـاـ بـاـ رـسـخـ فـيـهـمـ مـنـ عـقـائـدـ الـإـيمـانـ وـالـتـصـدـيقـ،ـ فـلـمـ تـرـلـ سـوـرـةـ باـسـهـمـ مـسـتـحـكـمـةـ كـمـاـ كـانـتـ وـلـمـ تـخـدـشـهـاـ أـطـفـالـ الـتـأـدـيـبـ وـالـحـكـمـ،ـ قـالـ عـمـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ:ـ «ـمـنـ لـمـ يـؤـدـيـهـ الشـرـ لـأـدـبـ اللـهـ»ـ،ـ حـرـصـاـ عـلـىـ أـنـ يـكـونـ الـراـزـعـ لـكـلـ أـحـدـ مـنـ نـفـسـهـ وـقـيـناـ بـاـنـ الشـارـعـ أـلـمـ بـصـالـحـ الـعـبـادـ.

وـلـاـ تـنـاقـصـ الـدـيـنـ فـيـ النـاسـ وـأـخـنـدـوـ بـالـأـحـكـامـ الـراـزـعـةـ ثـمـ صـارـ الشـرـ عـلـمـاـ وـصـنـاعـةـ يـؤـخـذـ بـالـتـعـلـيمـ وـالـتـأـدـيـبـ وـرـجـعـ النـاسـ إـلـىـ الـحـضـارـةـ وـخـلـقـ الـانـقـيـادـ إـلـىـ الـأـحـكـامـ تـقـصـتـ بـذـلـكـ سـوـرـةـ الـبـاسـ فـيـهـمـ.

فـقـدـ تـبـيـنـ أـنـ الـأـحـكـامـ الـسـلـطـانـيـةـ وـالـتـعـلـيمـيـةـ مـفـسـدـةـ لـلـبـاسـ؛ـ لـأـنـ الـراـزـعـ فـيـهـاـ أـجـنـيـ،ـ وـأـمـاـ الشـرـعـيـهـ فـيـهـ مـفـسـدـةـ؛ـ لـأـنـ الـراـزـعـ فـيـهـاـ ذـاتـيـ،ـ وـهـذـاـ كـانـتـ هـذـهـ الـأـحـكـامـ الـسـلـطـانـيـةـ وـالـتـعـلـيمـيـةـ مـاـ تـؤـثـرـ فـيـ أـهـلـ الـمـحـاـضـرـ فـيـ ضـعـفـ نـفـوسـهـمـ وـخـضـدـ الشـوـكـةـ مـنـهـمـ بـعـانـتـهـمـ فـيـ وـلـيـدـهـمـ وـكـهـوـلـهـمـ؛ـ وـالـبـدـوـ بـعـزـلـ عـنـ هـذـهـ الـتـرـلـةـ لـبـعـدـهـمـ عـنـ الـأـحـكـامـ الـسـلـطـانـيـةـ وـالـتـعـلـيمـ وـالـآـدـابـ؛ـ وـهـذـاـ قـالـ مـحـمـدـ بـنـ أـبـيـ زـيـدـ فـيـ كـابـيـهـ «ـفـيـ الـأـحـكـامـ الـمـلـمـيـنـ وـالـمـلـعـمـيـنـ»ـ:ـ أـنـهـ لـاـ بـنـفـيـ لـلـمـؤـدـبـ أـنـ يـضـرـبـ أـحـدـ مـنـ الصـيـانـيـنـ فـوـقـ ثـلـاثـةـ أـسـوـاطـ.ـ نـقـلـهـ فـيـ شـرـيعـ الـقـاضـيـ وـاحـتـجـ لـهـ بـعـضـهـمـ بـاـ وـقـعـ فـيـ حـدـيـثـ بـدـهـ الـرـحـيـ منـ شـانـ الـغـطـ،ـ وـأـنـهـ كـانـ ثـلـاثـ مـرـاتـ وـهـوـ ضـعـيفـ،ـ وـلـاـ يـصـلـحـ شـانـ الـغـطـ أـنـ يـكـونـ دـلـيـلـاـ عـلـىـ ذـلـكـ لـبـعـدـهـ عـنـ الـتـعـلـيمـ الـمـتـارـفـ،ـ وـالـلـهـ الـحـكـيمـ الـخـيـرـ.

## الفصل التاسع

في أن الصريح من النسب إنما يوجد  
للمترجحين في القفر من العرب  
ومن في معناهم

وذلك لما اختصوا به من نكد العيش وشظف الأحوال وسوء المواطن، حلتهم عليها الضرورة التي عينت لهم تلك القسمة، وهي لما كان معاشهم من القيام على الإيل وتاجها ورعايتها، والإيل تدعوه إلى التوحش في القفر لرعياها من شجره وتاجها في رماله كما تقدم، والقفر مكان الشظف والسلب، فصار لهم إنما وعدها وربت فيه أجيالهم حتى تحكت خلقاً وجبلة، فلا يتزع إليها أحد من الأمم أن يساهمهم في حالمهم، ولا يائس بهم أحد من الأجيال، بل لو وجد واحد منهم السبيل إلى الفرار من حاله وأمكنته ذلك لما تركه، ففيهم عليهم لأجل ذلك من اختلاط أنسابهم وفسادها، ولا تزال بينهم محفوظة، واعتبر ذلك في مصر من قريش وكتانة وثيف وبني أسد وهذيل ومن جاورهم من خزاعة، لما كانوا أهل شظف ومواطنن غير ذات زرع ولا ضرع، وبعدوا من أرياف الشام وال العراق ومعادن الأدم والحبوب كيف كانت أنسابهم صریحة محفوظة لم يدخلها اختلاط ولا عرف فيها شوب.

وأما العرب الذين كانوا بالتلوّل وفي معادن الخصب للمراعي والعيش من حمير وكهلان مثل لخم وجذام وغضان وطبيع وقضاعة وإياد فاختلطت أنسابهم وتدخلت شعوبهم، ففي كل واحد من بيوتهم من الخلاف عند الناس ما تعرف، وإنما جاههم ذلك من قبل العجم وخالفتهم وهم لا يعتبرون المحافظة على النسب في بيوتهم وشعوبهم، وإنما هذا للعرب فقط. قال عمر رضي الله تعالى عنه «تعلموا النسب ولا تكونوا كبط السوداء، إذا سئل أحدهم عن أصله قال: من قرية كذا. هذا إلى ما لحق هؤلاء العرب أهل الأرياف من الازدحام مع الناس على البلد الطيب والمراعي الخصيبة، فكثر الاختلاط وتدخلت الأنساب، وقد كان وقع في صدر الإسلام الاتمام إلى المواطن فيقال: جند قسرى، جند دمشق، جند العواصم، وانتقل ذلك إلى الأندلس ولم يكن لأطراح العرب أمر النسب، وإنما كان لاختصاصهم بالمواطن بعد الفتح حتى عرفوا بها وصارت لهم علامة زائدة على النسب يتميزون بها عند أمرائهم، ثم وقع الاختلاط في المواطن مع العجم وغيرهم، وفسدت الأنساب

فيمثله يتبين لك في كل أمر يحمل الناس عليه من نبوة أو إقامة ملك أو دعوة، إذ بلوغ الغرض من ذلك كله إنما يتم بالقتال عليه لما في طبائع البشر من الاستعصاء، ولا بد في القتال من العصبية كما ذكرناه آنفًا فاخذه إماماً تقدي به فيما نورده عليك بعد، والله الموفق للصواب.

## الفصل الثامن

في أن العصبية إنما تكون من الاتحام  
بالنسبة أو ما في معناه

وذلك أن صلة الرحم طبيعي في البشر إلا في الأقل، ومن صلتها النعمة على ذوي القربي وأهل الأرحام أن ينالهم ضيم أو تصييهم هلاكة، فإن القريب يجد في نفسه غضاضة من ظلم قريبه أو العداء عليه، ويجد لو يحول بيته وبين ما يصله من المعاطب والمهالك، نزعة طبيعية في البشر مذكوانة، فإذا كان النسب المتواصل بين المتصارعين قريباً جداً بحيث حصل به الاتحد والاتحام كانت الوصلة ظاهرة فاستدعت ذلك بمجردهما ووضوحها، وإذا بعد النسب بعض الشيء فربما تنوسي بعضها ويقي منها شهرة فتحمل على النعمة لذوي نسبه بالأمر المشهور منه، فراراً من الغضاضة التي يتوجهها في نفسه من ظلم من هو منسوب إليه بوجه.

ومن هذا الباب الولاء والخلف إذ نعنة كل أحد على أهل ولائه وخلفه للألفة التي تلحق النفس من اهتمام جارها أو قريبتها أو نسبتها بوجه من وجوه النسب؛ وذلك لأجل اللحمة الحاصلة من الولاء مثل لحمة النسب أو قريباً منها، ومن هنا تفهم معنى قوله عليكم «تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم» يعني أن النسب إنما فائدته هذا الاتحام الذي يجب صلة الأرحام حتى تقع المناصرة والنعمة وما فوق ذلك مستغنى عنه، إذ النسب أمر وهي لا حقيقة له، وتفقه إنما هو في هذه الوصلة والاتحام، فإذا كان ظاهراً واضحاً حمل النقوس على طبيعتها من النعمة كما قلناه، وإذا كان إنما يستفاد من الخير بعيد ضئُف فيه الوهم وذهب فائدته وصار الشغل به مجاناً، ومن أعمال اللهو المنهي عنه. ومن هذا الاعتبار معنى قوله النسب علم لا ينفع وجهلة لا تضر، يعني أن النسب إذا خرج عن الوضوح وصار من قبل العلوم ذهبت فائدة الوهم فيه عن النفس وانتفت النعمة التي تحمل عليها العصبية فلا منفعة فيه حيثنا، والله سبحانه وتعالى أعلم.

بيت واحد، أو إخوة بني أب واحد لا مثل بني العم الأقربين أو الأبعدين، فهو لاء أعد بنسفهم المخصوص وبشاركون من سواهم من العصائب في النسب العام، والنعرة تقع من أهل نسبهم المخصوص ومن أهل النسب العام، إلا أنها في النسب الخاص أشد لقرب اللحمة والرئاسة فيهم، إنما تكون في نصاب واحد منهم ولا تكون في الكل، ولما كانت الرئاسة إنما تكون بالغلب وجب أن تكون عصيبة ذلك النصاب أقوى من سائر العصائب ليقع الغلب بها وتم الرئاسة لأهلهما، فإذا وجب ذلك تعين أن الرئاسة عليهم لا تزال في ذلك النصاب المخصوص بأهل الغلب عليهم، إذ لو خرجت عنهم وصارت في العصائب الأخرى النازلة عن عصابتهم في الغلب لما تمت لهم الرئاسة، فلا تزال في ذلك النصاب متناقلة من فرع منهم إلى فرع، ولا تنتقل إلا إلى الأقوى من فروعه لما قلنه من سر الغلب، لأن الاجتماع والعصبية بثابة المزاج في التكرون، والمزاج في التكرون لا يصلح إذا تكافأت العناصر، فلا بد من غلبة أحدها وإلا لم يتم التكرون؛ فهذا هو سر اشتراط الغلب في العصبية، ومنه تعين استمرار الرئاسة في النصاب المخصوص بها كما قررناه.

## الفصل الثاني عشر

### في أن الرئاسة على أهل العصبية لا تكون في

غير نسبهم

وذلك أن الرئاسة لا تكون إلا بالغلب، والغلب إنما يكون بالعصبية كما قدمناه، فلا بد في الرئاسة على القرم أن تكون من عصبية غالبة لعصبياتهم واحدة واحدة، لأن كل عصبية منهم إذا أحيست بغلب عصبية الرئيس لهم أتوا بالإذعان والاتياع والساقط في نسبهم بالجملة لا تكون له عصبية فيهم بالنسبة، إنما هو ملخص لزريق، وغاية التنصب له بالولاء والخلاف وذلك لا يرجح له غالباً عليهم البتة، وإذا فرضنا أنه قد التزم بهم وانتقل وتوسيع عهده الأول من الالتصاق ولبس جلدهم ودعى بنسفهم، فكيف له الرئاسة قبل هذا الالتحام أو لأحد من سلفه، والرئاسة على القرم إنما تكون متناقلة في مثبت واحد تعين له الغلب بالعصبية، فالأخوية التي كانت لهذا الملخص قد عرف فيها التصاقه من غير شك ومنعة ذلك الالتصاق من الرئاسة حيث إنها، فكيف تنتقل عنه وهو على حال الإلتصاق؟ والرئاسة لا بد وأن تكون موروثة عن مستحقها لما قلناه من التغلب بالعصبية، وقد يتشفى كثير من الرؤساء على

بالجملة فقدت ثمرتها من العصبية فاطرحت، ثم تلاشت القبائل ودثرت فدثرت العصبية بدورها، وبقي ذلك في البدو كما كان، والله وارث الأرض ومن عليها.

## الفصل العاشر

### في اختلاط الأنساب كيف يقع

إعلم أنه من بين أن بعض من أهل الأنساب يسقط إلى أهل نسب آخر بقرابة إليهم أو حلف أو ولاء أو لفوار من قومه بجناية أصحابها، فيدعى بنسب هؤلاء وبعد منهم في ثماره من النعرة والقرد وحمل الديات وسائر الأحوال، وإذا وجدت ثمرات النسب فكانه وجد، لأنه لا يعني لكونه من هؤلاء ومن هؤلاء إلا جريان أحکامهم وأحوالهم عليه وكأنه التزم بهم، ثم أنه قد يتناسى النسب الأول بطول الزمان وينبع أهل العلم به فيختفى على الأكثر، وما زالت الأنساب تسقط من شعب إلى شعب ويختضم قوم بآخرين في المحايلية والإسلام والعرب والجم، وانظر خلاف الناس في نسب آل المنذر وغيرهم بتبيان لك شيء من ذلك، ومنه شأن مجيلة في عرفة بن هرثمة لما ولاه عمر عليهم فسألوه الإعفاء منه، وقولوا: هو فيما لزيق، أي: دخيل ولصيق، وطلبوا أن يولي عليهم جريداً، فسألهم عمر عن ذلك فقال عرفة: صدقوا يا أمير المؤمنين، أنا رجل من الأزد أصبت دماماً في قومي ولحقت بهم. وانظر منه كيف اختلط عرفة بمجيلة ولبس جلدهم ودعى بنسفهم حتى ترشح للرئاسة عليهم، لولا علم بعضهم بوشائجه ولو غفلوا عن ذلك وامتد الزمن لتتسري بالجملة وعددهم بكل وجه ومنذهب، فافهمه واعتبر سر الله في خليقه ومثل هذا كثير لهذا العهد ولما قبله من العهود، والله الموفق للصواب بهذه وفضله وكرمه.

## الفصل الحادي عشر

### في أن الرئاسة لا تزال في نسبتها المخصوص من أهل العصبية

إعلم أن كل حي أو بطن من القبائل وإن كانوا عصابة واحدة لنسفهم العام، ففيهم أيضاً عصبيات أخرى لأنساب خاصة هي أشد التحامًا من النسب العام لهم، مثل عشير واحد أو أهل

مانعة من ادعاء هذه الأنساب كما ذكرناه، بل تعين أن يكونوا من صريح ذلك النسب وأقوى عصبياته، فاعتبره واجتبه المغالط في، ولا تجعل من هذا الباب إلحاد مهدي الموحدين بحسب العلوية، فإن المهدى لم يكن من منبت الرياسة في هرثمة قومه، وإنما رأس عليهم بعد اشتهره بالعلم والدين ودخول قبائل المصادمة في دعورته، وكان مع ذلك من أهل الثابت المتوسطة فيهم، والله عالم الغيب والشهادة.

### الفصل الثالث عشر

#### في أن البيت والشرف بالأصلالة والحقيقة لأهل العصبية ويكون لغيرهم بالمجاز والشبه

وذلك أن الشرف والحسب إنما هو بالخلال ومعنى البيت أن بعد الرجل في آياته أشرافاً مذكورين تكون له بولادتهم إيه والأنساب إليهم تحلة في أهل جلدته، لما وقر في نقوسهم من تحلة سلفه وشرفهم بخلالهم، والناس في نشائهم وتناسلهم معادن قال، كليلة: «الناس معادن، خيارهم في الجاهليّة خيارهم في الإسلام إذا فقهوا» معنى الحسب راجع إلى الأنساب، وقد بينما أن ثمرة الأنساب وفائتها إنما هي العصبية للتعرّف والتناصر، فحيث تكون العصبية مرهوبة والمثبت فيها زكي محمي تكون فائدة السبب واضح وثمرتها أقوى، وتعدد الأشراف من الآباء زائد في فائدتها، فيكون الحسب والشرف أصليين في أهل العصبية لوجود ثمرة النسب. وتفاوت البيوت في هذا الشرف بتفاوت العصبية؛ لأن سرها ولا يكون للمنفردین من أهل الأمصار بيت إلا بالمجاز، وإن توهّمه فزخرف من الدعاوى، وإذا اعتبرت الحسب في أهل الأمصار وجدت معناه أن الرجل منهم يعد سلفاً في خلال الخير ومخالطة أهله مع الركون إلى العافية ما استطاع، وهذا معاير لسر العصبية التي هي ثمرة النسب وتعدد الآباء، لكنه يطلق عليه حسب وبيت بالمجاز، لعلامة ما فيه من تعدد الآباء المتعاقبين على طريقة واحدة من الخير ومسالكه، وليس حسباً بالحقيقة وعلى الإطلاق، وإن ثبت أنه حقيقة فيما بالوضع اللغوي فيكون من المشكك الذي هو في بعض مواضعه أول.

وقد يكون للبيت شرف أول بالعصبية والخلال ثم يسلخون منه للنهايتها بالحضرارة كما تقدم، ويتناطرون بالغمار وبقى في نقوسهم وسواس ذلك الحسب يعدون به أنفسهم من أشراف البيوتات أهل العصائب وليسوا منها في شيء؛ لذهب

القبائل والعصائب إلى أنساب يلهمون بها، إما لخصوصية فضيلة كانت في أهل ذلك النسب من شجاعة أو كرم أو ذكر كيف اتفق، فينتزعون إلى ذلك النسب ويتورطون بالدعوى في شعوبه، ولا يعلمون ما يروعنون فيه أنفسهم من القدر في رياستهم والطعن في شرفهم، وهذا كثير في الناس لهذا العهد.

فمن ذلك ما يدعنه زناتة جلةً أنهم من العرب، ومنه ادعاء أولاد رباب المعروفين بالمجازين من بني عامر أحد شعوب زغبة أنهم من بني سليم ثم من الشريد منهم، لحق جدهم ببني عامر خياراً يصنع الحرجان واختلط بهم والتجمّن بنسبيهم حتى رأس عليهم ويسموه الحجازي.

ومن ذلك ادعاء بني عبد القوي بن العباس بن توجين أنهم من ولد العباس بن عبد المطلب رغبة في هذا النسب الشريف وغلطاً باسم العباس بن عطية أبي عبد القوي ولم يعلم دخول أحد من العباسين إلى المغرب؛ لأنه كان منذ أول دولتهم على دعوة العلويين أعدائهم من الأدارسة والعبيدين، فكيف يكون من سبط العباس أحد من شيعة العلويين؟

وكل ذلك ما يدعنه أبناء زيان ملوك تلمسان من بني عبد الواحد أنهم من ولد القاسم بن إدريس ذهاباً إلى ما اشتهر في نسبهم أنهم من ولد القاسم، فيقولون ببيانهم الزناتي: أنت القاسم، أي بني القاسم ثم يدعون أن القاسم هذا هو القاسم بن إدريس أو القاسم بن محمد بن إدريس، ولو كان ذلك صحيحًا فغاية القاسم هذا أنه فر من مكان سلطانه مستجيرًا بهم، فكيف تم له الرئاسة عليهم في بادئتهم! وإنما هو غلط من قبل اسم القاسم، فإنه كثير الوجود في الأدارسة فتوهموا أن قاسمهم من ذلك النسب، وهو غير محتاجين لذلك، فإن مناطهم للملك والعزّة إنما كان بعصبيتهم ولم يكن بادعاء علوية ولا عباية ولا شيء من الأنساب، وإنما يحمل على هذا المترقيون إلى الملوك بمنازعهم ومذاهبهم ويشتهر حتى يبعد عن الرد، ولقد بلغني عن يغمراسن بن زيان مؤئل سلطانهم أنه لما قيل له ذلك أكرهه. وقال بلغته الزناتية ما معناه: أما الدنيا والملك فتلناهما بسيوفنا لا بهذا النسب، وأما نفعه في الآخرة فمردود إلى الله وأعرض عن التقرب إليه بذلك.

ومن هذا الباب ما يدعنه بني سعد شيخ بني يزيد من زغبة أنهم من ولد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وبنو سلامه شيخ بني يذللن من توجين أنهم من سليم؛ والزاوادة شيخ رياح أنه من أعقاب البرامكة، وكذا بني مهني أمراء طيء بالشرق يدعون فيما بلغنا أنهم من أعقابهم، وأمثال ذلك كبير ورياستهم في قومهم

كانها عصبتهم، وحصل لهم من الانتظام في العصبية مساهمة في نسبها كما قال صلي الله تعالى عليه وسلم: «مولى القوم منهم» سواء كالمولى رق أو مولى اصطناع وجلفي، وليس نسب ولادته بنافع له في تلك العصبية إذ هي مبaitة لذلك النسب،

عصبية ذلك النسب مفقودة للهاب سرها عند التحامه بهذا النسب الآخر، وقد اندها أهل عصبيتها، فيصير من هؤلاء ويندرج فيهم، فإذا تعددت له الآباء في هذه العصبية كان له بينهم شرف وبيت على نسبته في ولائهم واصطنانهم لا يتجاوزه إلى شرفهم، بل يكون أدون منهم على كل حال.

وهذا شأن المولى في الدول والخدمة كلهم، فإنهم إنما يشررون بالرسوخ في ولاء الدولة وخدمتها وتعدد الآباء في ولائهم، إلا ترى إلى موالى الأتراك في دولة بني العباس، وإلى بني برمك من قبليهم، وبني نوخت كيف أدركوا البيت والشرف وبنوا المجد والأصالة بالرسوخ في ولاء الدولة، فكان جعفر بن محيي بن خالد من أعظم الناس بيّناً وشريفاً بالاتساب إلى ولاء الرشيد وقومه، لا بالاتساب في الفرس، وكذلك موالى كل دولة وخدمها إنما يكون لهم البيت والحسب بالرسوخ في ولائهم والأصالة في اصطناعها ويضمرل نسبه الأقدم من غير نسبها وبقي ملغى لا عبرة به في أصالته ومجده، وإنما المعتبر نسبة ولائه واصطنانه إذ فيه سر العصبية التي بها البيت والشرف، فكان شرفه مشتقاً من شرف مواليه وبناؤه من بنائهم، فلم يفعنه نسب ولادته، وإنما بني مجده نسب الولاء في الدولة ولحمة الاصطناع فيها والتربية، وقد يكون نسبة الأول في لحمة عصبيته ودولته، فإذا ذهب وصار ولاؤه واصطنانه في أخرى لم تتفقه الأولى للهاب عصبيتها وانتفع بالثانية لوجودها، وهذا حال بني برمك، إذ المنقول أنهم كانوا أهل بيت في الفرس من سدنة بيوت النار عندهم، ولما صاروا إلى ولاء بني العباس لم يكن بالأول اعتبار، وإنما كان شرفهم من حيث ولائهم في الدولة واصطنانهم وما سوى هذا فورهم توسم به التفوس الجاعنة ولا حقيقة له، والوجود شاهد بما قلناه و<sup>إِنْ أَكْرَمْكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَأْمَنْ</sup> والله ورسوله أعلم.

## الفصل الخامس عشر

في أن نهاية الحسب في العقب  
الواحد أربعة آباء

يعلم أن العالم العنصري بما فيه كائن فاسد لا من ذواته ولا

العصبية جلة، وكثير من أهل الأمصار الناشئين في بيوت العرب أو العجم لأول عهدهم موسوسون بذلك، وأكثر ما رأى من العصبية الوسوس في ذلك لبني إسرائيل، فإنه كان لهم بيت من أعظم بيوت العالم بالنسبة.

أولاً لما تعدد في سلفهم من الأتباء والرسل من لدن إبراهيم عليه السلام إلى موسى صاحب ملتهم وشريعتهم ثم بالعصبية ثانياً وما أناهم الله بها من الملك الذي وعدهم به، ثم انسلخوا من ذلك أجمع وضررت عليهم الذلة والمسكينة وكُبُّ عليهم الجلاء في الأرض، وافتقدوا بالاستبعاد للكفر ألافاً من السنين، وما زال هذا الوسوس مصاحباً لهم فتجدهم يقولون: هنا هاروني؛ هنا من نسل يوشع؛ هنا من عقب كالب، هنا من سبط يهودا؛ مع ذهاب العصبية ورسوخ الذل فيهم منذ أحساب مقطاولة، وكثير من أهل الأمصار وغيرهم المقطعين في أنسابهم عن العصبية يذهب إلى هذا المذيان.

وقد غلط أبو الوليد بن رشد في هذا لما ذكر الحسب في كتاب الخطابة من تلخيص كتاب المعلم الأول: «والحسب هو أن يكون من قوم قد تم نزههم بالمدينة» ولم يتعرض لما ذكرناه، وليت شعرى ما الذي يدفعه قدم نزههم بالمدينة إنما لم تكن له عصابة يرهب بها جانبه وتحمّل غيرهم على القبول منه؟ فكانه أطلق الحسب على تعدد الآباء فقط مع أن الخطابة إنما هي استمالة من تؤثر استمالة وهم أهل الحل والعقد، وأما من لا قدرة له البتة فلا يلتفت إليه ولا يقدر على استمالة أحد ولا يستملاه هو، وأهل الأمصار من الحضر بهذه الشابة إلا أن ابن رشد ربي في جيله وبلد ولم يمارسوا العصبية ولا أنسوا أحوالها، فبقى في أمر البيت والحسب على الأمر المشهور من تعدد الآباء على الإطلاق، ولم يراجع فيه حقيقة العصبية وسرها في الخلقة، والله بكل شيء علیم.

## الفصل الرابع عشر

في أن البيت والشرف للمولي وأهل  
الاصطناع إنما هو بموالיהם لا بآنسابهم

وذلك أنا قدمنا أن الشرف بالأصالة، والحقيقة إنما هو لأهل العصبية، فإذا اصطنع أهل العصبية قرماً من غير نسبهم أو استقرروا العبدان والمولي والتحمروا بهم كما قلناه، ضرب معهم أولئك المولي والمصطمعون بنسبهم في تلك العصبية ولبسوا جلدتها

المجد. وفي التوراة ما معناه: أنا الله ربك طائق غيور مطالب بذنب الآباء للبنين على الثالث والرابع. وهذا يدل على أن الأربعة الأعقاب غاية في الأسباب والحسب.

وفي كتاب «الاغانى في أخبار عزيف الغوانى»، أن كسرى قال للنعمان: هل في العرب قبيلة تشرف على قبيلة؟ قال: نعم، قال: بأى شيء؟ قال: من كان له ثلاثة آباء متولى رؤسائهم، ثم اتصل ذلك بكمال الرابع، فالليت من قبيلته، وطلب ذلك فلم يجده إلا في آل حذيفة بن بدر الفزارى وهو بيت قيس، وأآل ذئب الجدين بيت شيبان، وأآل الأشعث بن قيس من كندة، وأآل حاجب بن زرار، وأآل قيس بن عاصم المنقري من بني غيم، فجمع هؤلاء الرهط ومنتبعهم من عشائرهم وأقاد لهم الحكم والمدول. فقام حذيفة بن بدر، ثم الأشعث بن زرار، ثم قيس لترابته من النعمان، ثم بسطام بن قيس بن شيبان، ثم حاجب بن زرار، ثم قيس بن عاصم، وخطبوا ونشروا فقال كسرى: كلهم سيد يصلح لموضعه. وكانت هذه البيوتات هي المذكورة في العرب بعد بني هاشم ومعهم بيت بني النبيان من بني الحمرث بن كعب اليمنى، وهذا كله يدل على أن الأربعة الآباء نهاية في الحسب، والله أعلم.

## الفصل السادس عشر

### في أن الأمم الوحشية أقدر على التغلب من سواها

علم أنه لما كانت البداوة سبباً في الشجاعة كما قلناه في المقدمة الثالثة، لا جرم كان هذا الجيل الوحشى أشد شجاعة من الجيل الآخر، فهم أقدر على التغلب وانتزاع ما في أيدي سواهم من الأمم، بل الجيل الواحد مختلف أحراله في ذلك باختلاف الأقصارات، فكلما نزلوا الأرياف وتنفسوا التبسم والفتوا عوائد الخصب في المعаш والليم، نقص من شجاعتهم بمقدار ما تقص من توحشهم وبداؤتهم واعتبر ذلك في الحيوانات العجم بداجن الظباء والبقر الوحشية والحمل إذا زال ترخشها بمخالطة الأدميين واعتسب عيشها، كيف يختلف حالها في الانهاض والشدة حتى في مشيتها وحسن أدتها، وكذلك الأدمي التوحش إذا أنس والف، وسيبه أن تكون السجايا والطبائع إنما هو عن المألفات والموائد، وإذا كان الغلب للأمم إنما يكون بالإقدام والبسالة فمن كان من هذه الأجيال أعرق في البداوة وأكثر ترحساً كان أقرب إلى التغلب على سواه إذا تقاربا في العدد وتكافأ في القوة والعصبية. وانظر في

من أحواله، فالملكونات من المعدن والنبات وجميع الحيوانات: الإنسان وغيره، كائنة فاسدة بالمعاينة، وكذلك ما يعرض لها من الأحوال وخصوصاً الإنسانية، فالعلوم تشأن تدرس وكذا الصنائع وأمثالها، والحسب من العوارض التي تعرض للأدميين فهو كائن فاسد لا محالة، وليس يوجد لأحد من أهل الخلقة شرف متصل في آبائه من لدن آدم إلها إلا ما كان من ذلك للنبي ﷺ كرامته به وحياطة على السرف فيه، وأول كل شرف خارجية كما قبل، وهي الخروج عن الرياسة والشرف إلى الفضة والابتذال وعدم الحسب، ومعناه أن كل شرف وحسب فعدمه سابق عليه شأن كل محدث.

ثم إن نهايته أربعة آباء وذلك أن باني المجد عالم بما عاناه في بناته وحافظ على الخلال التي هي أسباب كونه وبقائه، وابنه من بعده مباشرة لأبيه قد سمع منه ذلك واخذه عنه، إلا أنه مقرر في ذلك تقصير السامع بالشيء عن المعاین له، ثم إذا جاء الثالث كان حظه الافتقاء والتقليد خاصة، فقصر عن الثاني تقصير المقلد عن المبتهد، ثم إذا جاء الرابع قصر عن طريقتهم جملة وأضعاف الحال لحافظة لبناء مجدهم واحتقرها وتوهم أن ذلك البنيان لم يكن بمعاناته ولا تكفل، وإنما هو أمر وجوب لهم منذ أول النشأة بمجرد انتسابهم وليس بعصابة ولا بخلال لما يرى من التجلة بين الناس ولا يعلم كيف كان حدوثها ولا سببها ويتورّث ما رأى فيرياً بنفسه عن أهل عصيّة ويرى الفضل له عليهم وثيقاً بما رأى فيه من استبعادهم وجهلاً بما أوجب ذلك الاستبعاد من الحال التي منها التراخي والتخاذل خالياً من الأخذ بمجمع قلوبهم، فيحقّرهم بذلك فيغضون عليه ويعتقرّونه ويديلون منه سواه من أهل ذلك المبت

ومن فروعه في غير ذلك العقب للإذعان لعصيّتهم كما قلناه، بعد الوثيق بما يرضونه من خلاله فتمس فروع هذا وتذوي فروع الأول، وينهدم بناء بيته هذا في الملوك، وهكذا في بيوت القبائل والأمراء وأهل العصيّة أجمع، ثم في بيوت أهل الأمصار إذا امتحن بيت نشأت بيت آخر من ذلك النسب **«إن شاءَ يُلْهِيْكُمْ وَيَأْتِيْكُمْ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِغَيْرِهِ»**.

وأشتراك الأربعة في الأسباب إنما هو في الغالب والإلقاء يذكر البيت من دون الأربعة وبلاش وينهدم، وقد يتصل أمرها إلى الخامس والسادس إلا أنه في الخطاط وذهب. واعتبار الأربعة من قبل الأجيال الأربعة بان و مباشر له ومقلد وهادم، وهو أقل ما يمكن، وقد اعتبرت الأربعة في نهاية الحسب في باب المدح والثناء قال **«إِنَّا لِكَرِيمُ ابْنِ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ بِوَسْفِ بْنِ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ إِشَازَةَ إِلَى أَنَّهُ بَلَغَ الْغَايَةَ مِنْ**

واستبعتها التحempt بها أيضاً وزادت قوّة في التغلب إلى قوتها وطلبت غاية من التغلب والتحكم أعلى من الغاية الأولى وأبعد، وهكذا دائماً حتى تكافيء بقوتها قوة الدولة، فإن أدركت الدولة في هرمها ولم يكن لها مانع من أولياء الدولة أهل العصبيات استولت عليها وانتزعت الأمر من يدها وصار الملك أجمع لها، وإن انتهت قوتها ولم يقارن ذلك هرم الدولة، وإنما قارن حاجتها إلى الاستظهار بأهل العصبيات انتظمتها الدولة في أوليائها تستظهّر بها على ما يعنّ من مقاصدها، وذلك ملك آخر دون الملك المستبد، وهو كما وقع للترك في دولة بي العباس، ولصنهاجة وزنانة مع كاملة، ولبني حمدان مع ملوك الشيعة من العلوية والعباسية.

فقد ظهر أن الملك هو غاية العصبية، وأنها إذا بلغت إلى غايتها حصل للقبيلة الملك، إما بالاستبداد أو بالظاهر على حسب ما يسعه الوقت المقارن لذلك، وإن عاقها عن بلوغ الغاية عوائق كما نبئنا وفقت في مقامها إلى أن يقضى الله بأمره.

## الفصل الثامن عشر

### في أن من عوائق الملك حصول الترف وانغماس القبيل في التعميم

وبسبب ذلك أن القبيل إذا غلت بعضيتها بعض الغلب استولت على النعمه بمقداره وشاركت أهل التنم والخصب في نعمتهم وبصيهم، وضربت معهم في ذلك بسهم وحصة بمقدار غلبه واستظهار الدولة بها، فإن كانت الدولة من القوة بحيث لا يطمع أحد في انتزاع أمرها ولا مشاركتها فيه أذعن ذلك القبيل لولاتها، والقشروع بما يسوغون من نعمتها ويشركون فيه من جبارتها، ولم تسم آمامهم إلى شيء من منازع الملك ولا أسبابه إنما همهم التعميم والكب وخصب العيش والسكنون في ظل الدولة إلى الدعة والراحة والأخذ بمذاهب الملك في الباقي والملابس والاستكثار من ذلك والثائق فيه بمقدار ما حصل من الرياش والترف وما يدعوه إليه من تواضع ذلك، فتنذهب خشونة البداوة وتضعف العصبية والبسالة ويتعتمون فيما أثأهم الله من البسطة وتنشا بنورهم وأعياهم في مثل ذلك من الترفع عن خدمة أنفسهم وولاية حاجاتهم، ويستنكرون عن سائر الأمور الضرورية في العصبية حتى يصير ذلك خلقاً لهم وسجدة فتقتص عصبيتهم وبسالتهم في الأجيال بعدهم يتعاقبها إلى أن تفترض العصبية فإذا زانوا بالانفراط، وعلى قدر ترفهم ونعمتهم يكون إشرافهم

ذلك شأن مضر مع من قبلهم من حمير وكهلان السابقين إلى الملك والنعم ومع ريبة المطرطين أرباب العراق ونعمتهم، لما بقي مضر في بادواتهم وتقديمهم الآخرون إلى خصب العيش وغضارة النيم، كيف أرهفت البداوة حدهم في التغلب فغلبوا على ما في أيديهم وانتزعوا منهم، وهذا حال بني طيء وبني عامر بن صعصعة وبيني سليم بن منصور من بعدهم، لما تأخروا في بادياتهم عن سائر قبائل مصر واليمن ولم يتلمسوا بشيء من دينهم، كيف أمسكت حمال البداوة عليهم قوة عصبيتهم ولم تخلفها مذاهب الترف حتى صاروا أغلب على الأمر منهم. وكذا كل حي من العرب يلي نعيمأ وعيشاً خصباً دون الحي الآخر، فإن الحي المتداي، يكون أغلب له وأقدر عليه إذا تكافأ في القرفة والعدد، سنة الله في خلقه.

## الفصل السابع عشر

### في أن الغاية التي تجري إليها

#### العصبية هي الملك

وذلك لأننا قدمنا أن العصبية بها تكون الحماية والمدافعة والمطالبة وكل أمر يجتمع عليه، وقدمنا أن الأدميين بالطبيعة الإنسانية يحتاجون في كل اجتماع إلى وازع وحاكم يزعزع بعضهم عن بعض، فلا بد أن يكون متغلباً عليهم بتلك العصبية وإلا لم تتم قدرته على ذلك، وهذا التغلب هو الملك وهو أمر زائد على الرئاسة؛ لأن الرئاسة إنما هي سرود وصاحبها متبع وليس له عليهم قهر في حاكمه، وأما الملك فهو التغلب والحكم بالقهر، وصاحب العصبية إذا بلغ إلى رتبة طلب ما فوقها، فإذا بلغ رتبة المسؤول والتابع ووجد السبيل إلى التغلب والقهر لا يتركه؛ لأنه مطلوب للنفس، ولا يتم اقتدارها عليه إلا بالعصبية التي يكون بها متبرعاً، فالتأغل الملكي غاية للعصبية كما رأيت، ثم إن القبيل الواحد وإن كانت فيه بيوتات مفترقة وعصبيات متعددة فلا بد من عصبية تكون أقوى من جميعها تغلبها وتستبعها وتلتحم جميع العصبيات فيها، وتصرير كأنها عصبية واحدة كبرى، وإن وقع الانفراق المفضي إلى الاختلاف والتباين **﴿وَلَوْلَا دُفِعَ اللَّهُ النَّاسَ بِعَصَمِهِمْ يَعْصِي لِفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾**.

ثم إذا حصل التغلب بتلك العصبية على قومها طابت بطعها التغلب على أهل عصبية أخرى بعيدة عنها، فإن كافتها أو مانعها كانوا أقتلاً وأنظاراً، ولكن واحدة منها التغلب على حوزتها وقومها شأن القبائل والأمم المفترقة في العالم، وإن غلبتها

ويظهر لك من ذلك أن الأربعين سنة أقل ما يأتى فيها فناء جيل ونشأة جيل آخر، سبحان الحكيم العليم.

وفي هذا أوضح دليل على شأن العصبية وأنها هي التي تكون بها المدافة والمقاومة والحماية والمطالبة، وأن من فقدها عجز عن جميع ذلك كله، يلحق بها الفصل فيما يوجب المذلة للقبيل شأن المغارم والضرائب، فإن القبيل الغارمين ما أعطوا اليه من ذلك حتى رضوا بالمذلة فيه؛ لأن في المغارم والضرائب ضيماً ومذلة لا تتحملها الفوس الأبية إلا إذا استهونته عن القتل والتلف، وأن عصبيتها حيث أنها ضعيفة عن المدافة والحماية، ومن كانت عصبيته لا تدفع عنه الضييم فكيف له بالمقاومة والمطالبة وقد حصل له الانقياد للذل، والمذلة عادة كما قدمناه. ومنه قوله ﷺ في شأن المحرث لما رأى سكة المحراث في بعض دور الأنصار: «ما دخلت هذه دار قوم إلا دخلهم الذل» فهو دليل صريح على أن المغارم موجب للمذلة هذا إلى ما يصبح ذل المغارم من خلق المكر والخدية بسبب ملكة الظهر، فإذا رأيت القبيل بالغارم في رقة من الذل فلا تطمئن لها بملك آخر الدهر.

ومن هنا يتبيّن لك غلط من يزعم أن زناتة بالمنفج كانوا شاوية يؤدون المغارم لمن كان على عهدهم من الملك، وهو غلط فاحش كما رأيت، إذ لو وقع ذلك لما استب لهم ملك ولا نمت لهم دولة، وانتظر فيما قاله شهير باز ملك الباب لعبد الرحمن بن ربيعة لما أطل عليه وسال شهير باز أمانه على أن يكون له فقال: أنا اليوم منكم يدي في أيديكم وصوري معكم فمرحباً بكم، وببارك الله لنا ولكم وجزيتنا إليكم، النصر لكم والقيام بما تعبون، ولا تذلونا بالجزية فتوهوننا لعدوكم. فاعتبر هذا فيما قلناه فإنه كاف.

## الفصل العشرون

### في أن من علامات الملك التنافس في الخلال الحميدة وبالعكس

لما كان الملك طبيعياً للإنسان لما فيه من طبيعة الاجتماع كما قلناه، وكان الإنسان أقرب إلى خلال الخير من خلال الشر بسائل فطرته وقوته الناطقة العاقلة، لأن الشر إنما جاءه من قبل القوى الحيوانية التي فيه، وأما من حيث هو إنسان فهو إلى الخير وخلاله أقرب، والملك والسياسة إنما كانا له من حيث هو إنسان، لأنها خاصة للإنسان لا للحيوان، فإذاً خلال الخير فيه هي التي تناسب السياسة والملك، إذ خير هو المناسب للسياسة، وقد ذكرنا أن الجد

على الفناء فضلاً عن الملك، فإن عوارض الترف والغرق في التعميم كاسر من سورة العصبية التي بها التغلب، وإذا انقرضت العصبية فسر القبيل عن المدافة والحماية فضلاً عن المطالبة والتهمة للأمم سواهم، فقد تبيّن أن الترف من عوائق الملك، والله يؤتي ملكه من يشاء.

## الفصل التاسع عشر

### في أن من عوائق الملك المذلة للقبيل والانقياد إلى سواهم

وبسبب ذلك أن المذلة والانقياد كاسران لسوره العصبية وشدتها، فإن انقيادهم ومذلتهم دليل على فقدانها فما رثموا للمذلة حتى عجزوا عن المدافة، ومن عجز عن المدافة فأولى أن يكون عاجزاً عن المقاومة والمطالبة واعتبر ذلك في بي إسرائيل لما دعاهم موسى عليه السلام إلى ملك الشام، وأخبرهم بأن الله قد كتب لهم ملكها كيف عجزوا عن ذلك وقالوا: **﴿إِنَّ فِيهَا قُوَّةٌ جَبَارٌ وَإِنَّا لَنَذَلَّهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾** أي مغرهم الله تعالى منها بضرب من قدرته غير عصبيتها وتكون من معجزاتك يا موسى. ولما عزم عليهم جلوساً وارتکبوا العصيان وقالوا له: **﴿فَادْهُبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ قَقَاتِلًا﴾** وما ذلك إلا لما أنسوا من أنفسهم من العجز عن المقاومة والمطالبة كما تقتضيه الآية وما يؤشر في تفسيرها وذلك بما حصل منهم من خلق الانقياد وما رثموا من الذل للقطب أحقاباً حتى ذهبت العصبية منهم جلة، مع أنهم لم يؤمنوا حق الإيمان بما أخبرهم به موسى من أن الشام لهم وأن العمالة الذين كانوا بأيديهم فريستهم بمحكم من الله قدره لهم فانتصروا عن ذلك وعجزوا تعليلاً على ما علموا من أنفسهم من العجز عن المطالبة لما حصل لهم من خلق المذلة وطعنوا فيما أخبرهم به نبيهم من ذلك وما أمرهم به، فعادتهم الله بالبيه، وهو أنهم تاهوا في قفر من الأرض ما بين الشام ومصر أربعين سنة لم يأورو فيها لل عمران ولا نزلوا مصرًا ولا خالطوا بشراً كما قصه القرآن لخلطة العمالة بالشام والقطب بمصر عليهم، لعجزهم عن مقاومتهم كما زعموه، ويظهر من مساق الآية ومفهومها أن حكمة ذلك التي مقصودة وهي فناء الجيل الذين خرجوا من قبة الذل والظهر والقوة وتخلفوا به وأفسدوا من عصبيتهم حتى نشأ في ذلك التي جيل آخر عزيز لا يعرف الأحكام والظهر ولا يسامح بالذلة، فنشأت لهم بذلك عصبية أخرى اتقنوا بها على المطالبة والتغلب

يخرج الملك من أيديهم ويبدل به سواهم ليكون نبياً عليهم في سلب ما كان الله قد أنأه من الملك وجعل في أيديهم من الخير «وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ هَبَّكَ قَرَيْةً أَمْرَنَا مُتْرِفِهَا فَقَسَّمُوا فِيهَا فَحَقًّا عَلَيْهَا الْقَوْلَ تَذَمَّرُنَاهَا تَبَيِّنَأُ» واستقرىء ذلك وتبعه في الأمم السابقة تمجد كثيراً ما قلناه ورسمناه، والله يخلق ما يشاء ويختار.

واعلم أن من خلال الكمال الذي يتنافس فيها القبائل أولى العصبية - وتكون شاهدة لهم بالملك - إكرام العلماء والصالحين والأسراف وأهل الأحساب وأصناف التجار والغرباء وإتزال الناس منازلهم، وذلك أن إكرام القبائل وأهل العصبيات والعشائر لمن يناهضهم في الشرف ويجاذبهم حبل العشير والعصبية ويشاركونهم في اتساع الجاه أمر طبيعي يجعل عليه في الأكثر الرغبة في الجاه أو المخافة من المخافة من قوم المكر أو التماس مثلها منه. وأما أمثال هؤلاء من ليس لهم عصبية ترقى ولا جاه يرتخي فيندفع الشك في شأن كرامتهم ويتمضمض الفصد فيهم أنه لل Mage، واتصال الكمال في الحال والإقبال على السياسة بالكلية؛ لأن إكرام أقتاله وأمثاله ضروري في السياسة الخاصة بين قبيله ونظرياته، وإكرام الطارئين من أهل الفضائل والخصوصيات كمال في السياسة العامة. فالصالحون للدين والعلماء للجأ إليهم في إقامة مراسم الشريعة، والتجار للتزغيب حتى تعم المنفعة بما في أيديهم، والغرباء من مكارم الأخلاق، وإتزال الناس منازلهم من الإنفاق وهو من العدل. فيعلم بوجود ذلك من أهل عصبيته التمازهم للسياسة العامة وهي الملك، وأن الله قد تأذن بوجودها فيهم لوجود علاماتها، وهذا كان أول ما يذهب من القبيل أهل الملك إذا تأذن الله تعالى بسلب ملكهم وسلطانهم إكرام هذا الصنف من الحال، فإذا رأيته قد ذهب من أمة من الأمم فاعلم أن الفضائل قد أخذت في النهاية عنهم وارتقى زوال الملك منهم «وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ يَقْرُمُ سُوءًا فَلَا مَرْدَأَ لَهُ» والله تعالى أعلم.

## الفصل الحادي والعشرون

في أنه إذا كانت الأمة وحشية كان  
ملوكها أوسع

وذلك لأنهم أقدر على التغلب والاستبداد كما قلناه، واستعباد الطوائف لقدرتهم على حمارية الأمم سواهم، ولأنهم يتزلجون من الأهلين منزلة المفترس من الحيوانات العجم وهؤلاء مثل العرب وزنانة ومن في معناهم من الأكراد والتركمان وأهل

له أصل يبني عليه وتحقيقه هو العصبية والعشير، وفرع يتم وجوده ويكمله وهو الحال، وإذا كان الملك غاية للعصبية فهو غاية لفروعها ومتماماتها وهي الحال؛ لأن وجوده دون متماماته كوجود شخص مقطوع الأعضاء أو ظهوره عرياناً بين الناس، ولم إذا كان وجود العصبية فقط من غير اتحاد الحال الجديدة نفسها في أهل البيوت والأحساب، فما ظنك بأهل الملك الذي هو غاية لكل مجد ونهاية لكل حسب.

وأيضاً فالسياسة والملك هي كفالة للخلق وخلافة الله في العباد لتنفيذ أحكامه فيهم وأحكام الله في خلقه وعباده إنما هي بالخير ومراعاة المصالح كما تشهد به الشرائع؛ وأحكام البشر إنما هي من الجهل والشيطان بمخالفة قدرة الله سبحانه وقدره، فإنه فاعل للخير والشر معًا ومقدارهما، إذ لا فاعل سواه، فمن حصلت له العصبية الكفيلة بالقدرة وأوْنست منه خلال الخير المناسب لتنفيذ أحكام الله في خلقه فقد تهيا لخلافة في العباد وكفالة الخلق، ووجدت فيه الصلاحية لذلك.

وهذا البرهان أوثق من الأول وأصبح مبنياً فقد تبين أن خلال الخير شاهدة بوجود الملك لمن وجدت له العصبية، فإذا نظرنا في أهل العصبية ومن حصل لهم الغلب على كثير من النواحي والأمم فوجدا هم يتنافسون في الخير وخلاله من الكرم والعفو عن الزلات والاحتمال من غير القادر، والقري للفضيوف وحمل الكل وكتب المعلم والصبر على المكاره والوفاء بالعهد وبذل الأموال في صون الأعراض وتعظيم الشريعة وإجلال العلماء الحاملين لها والرقوف عندها بمح دونه لهم من فعل أو ترك وحسنظن بهم، واعتقاد أهل الدين والتبرك بهم ورغبة الدعاء منهم، والحياء من الأكابر والمشائخ وتوقيرهم وإجلالهم، والانتقاد إلى الحق مع الداعي إليه وإنفاق المستضعفين من أنفسهم والتبذل في أحوالهم، والانتقاد للحق والتواضع للمسكين، واستعمال شكوى المستغيثين، والذين بالشرعاني والعبادات والقيام عليها وعلى أساسها، والتجافي عن الغدر والمكر والخدعية ونقض العهد وأمثال ذلك، علمنا أن هذه خلق السياسة قد حصلت لديهم واستحقوا بها أن يكونوا ساسة لمن تحت أيديهم أو على العموم وأنه خير ساقه الله تعالى إليهم مناسب لعصبيتهم وغلبهم وليس ذلك سدىً فيهم ولا وجد عشاً منهم، والملك أنساب المراتب والخيرات لعصبيتهم؛ فعلمتنا بذلك أن الله تأذن لهم بالملك ساقه إليهم.

وبالعكس من ذلك إذا تأذن الله بانقراض الملك من أمة حملهم على ارتكاب المذمومات واتصال الرذائل وسلوك طرقها فتفقد الفضائل السياسية منهم جملة، ولا تزال في انتقام إلى أن

الإنساني والتغلب السياسي، شعر:

كبدو القز ينسج ثم يفني بمركز نسجه في الانعكاس  
كانت حيتند عصبية الآخرين موفورة وسورة غلتهم من  
الكارس محفوظة وشارتهم في الغلب معلومة فتسمو آمالهم إلى  
الملك الذي كانوا متربعين منه بالقوة الغالية من جنس عصبيتهم  
وتترفع المازعة لامارعف من غلتهم، فيستولون على الأمر ويصيرون  
إليهم، وكذا يتفق فيهم مع من بقي أيضاً متربعاً عنه من عشائر  
أمتهن، فلا يزال الملك ملحاً في الأمة إلى أن تنكسر سورة العصبية  
منها أو يفني سائر عشائرها سنة الله في الحياة الدنيا **﴿وَالآخرةُ**  
**عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾**.

واعتبر هذا بما وقع في العرب لما انقرض ملك عاد قام به  
من بعدهم إخوانهم من ثمود، ومن بعدهم إخوانهم العمالقة،  
ومن بعدهم إخوانهم من حمير، ومن بعدهم إخوانهم التابعة من  
حمير أيضاً، ومن بعدهم الأذواء كذلك، ثم جاءت الدولة لمصر،  
وكذا الفرس لما انقرض أمر الكينية ملوك من بعدهم الساسانية  
حتى تاذن الله بالتقراضهم أجمع بالإسلام، وكذا اليونانيون انقرضوا  
أمرهم وانتقل إلى إخوانهم من الروم، وكذا البربر بالمغرب لما  
انقرض أمر مغراوة وكانت الملك الأول منهم رجع إلى صنهاجة  
ثم المثنين من بعدهم، ثم المصاudeau ثم من بقي من شعوب زناتة  
وهكذا سنة الله في عاده وخلقه.

وأصل هذا كله إنما يكون بالعصبية وهي متفاوتة في  
الأجيال، والملك يخلقه الترف وينهيه كما ستدركه بعد، فإذا  
انقرضت دولة فإنما يتناول الأمر منهم من له عصبية مشاركة  
لعصبيتهم التي عرف لها التسليم والإنتقاد وأوئس منها الغلب،  
لجميع العصبيات، وذلك إنما يوجد في النسب القريب منهم؛ لأن  
تفاوت العصبية يحسب ما قرب من ذلك النسب التي هي فيه أو  
بعد، حتى إذا وقع في العالم تبدل كبير من تحويل ملة أو ذهاب  
عمران أو ما شاء الله من قدرته فحيثند يخرج عن ذلك الجيل إلى  
الجيل الذي ياذن الله بقيامه بذلك التبدل، كما وقع لمصر حين  
غ libero على الأمم والدول وأخذوا الأمر من أيدي أهل العالم بعد  
أن كانوا مكبوريين عنه أحقاباً.

اللثام من صنهاجة وأيضاً فهزلاء المتوجهون ليس لهم وطن  
يرتافون منه، ولا بلد يجتمعون إليه، فنسبة الأقطار والمواطن إليهم  
على السواء، فلهذا لا يقتصرن على مملكة قطرهم وما جاورهم  
من البلاد ولا يقفون عند حدود أقفهم، بل يطغون إلى الأقاليم  
البعيدة ويتغلبون على الأمم الثانية، وانظر ما يمكن في ذلك عن  
عمر رضي الله عنه لما بويع وقام بمرض الناس على العراق فقال:  
إن الحجاز ليس لكم بدار إلا على التنجمة ولا يقوى عليه أهله إلا  
 بذلك، أين القراء المهاجرون عن موعد الله، سيروا في الأرض التي  
 وعدكم الله في الكتاب أن يورثكموها قال: **﴿لِيُظْهِرُهُ عَلَى الدِّينِ**  
**كُلِّهِ وَتُؤْكِرَهُ الْمُشْرِكُونَ﴾** واعتبر ذلك أيضاً حال العرب السالفة  
من قبل مثل التابعة ومحير كيف كانوا يخطون من اليمن إلى  
المغرب مرة وإلى العراق والمدن أخرى، ولم يكن ذلك لغير العرب  
من الأمم، وكذا حال الملثمين من المغرب لما نزعوا إلى الملك  
طفروا من الإقليم الأول وجاءتهم منه في جوار السودان إلى  
الإقليم الرابع والخامس في ممالك الأندلس من غير واسطة، وهذا  
 شأن هذه الأمم الوحشية فلذلك تكون دولتهم أوسع نطاقاً وبعد  
من مراكتها نهاية، **﴿وَاللَّهُ يَقْدِرُ اللَّيلَ وَالنَّهَارَ﴾** وهو الواحد  
القهار لا شريك له.

## الفصل الثاني والعشرون

في أن الملك إذا ذهب عن بعض الشعوب من  
أمة فلا بد من عوده إلى شعب آخر منها ما  
دامت لهم العصبية

والسبب في ذلك أن الملك إنما حصل لهم بعد سورة الغلب  
والإذعان لهم من سائر الأمم سواهم فيتعين منهم المباشرون للأمر  
الحاملون لسرير الملك، ولا يكون ذلك لجميعهم لما هم عليه من  
الكثرة التي يضيق عنها نطاق المزاومة والغيرة التي تجده أنوف كثير  
من المطاولين للرتبة، فإذا تعين أولئك القائمون بالدولة انفسوا  
في التعييم وغرقوا في بحر الترف والخصب واستعبدوا إخوانهم من  
ذلك الجيل، وأنفقوا في وجوه الدولة ومنذهبها، وبقي الذين  
بعدوا عن الأمر وكبحوا عن المشاركة في ظل من عز الدولة التي  
شاركونها بنسائهم، ويعنجهة من الهرم بعدهم عن الترف وأسبابه،  
فإذا استولت على الأولين الأيام وأباد خضراءهم الهرم فطبطختهم  
الدولة وأكل الدهر عليهم وشرب بما أرهف التعييم من حدهم  
واشتاقت غريزة الترف من مائتهم وبلغوا غاياتهم من طبيعة التمدن

### الفصل الثالث والعشرون

في أن المغلوب مولع أبداً بالاقتداء بالغالب في  
شعاره وزيه وخلته وسائر أحواله وعوائده

عن جهة الأمل وما يحدث عنه من النشاط في القوى الحيوانية، فإذا ذهب الأمل بالتكاسل وذهب ما يدعوه إليه من الأحوال وكانت العصبية ذاهبة بال غالب الحال عليهم تناقص عمرانهم وتلاشت مكاسبهم ومساعيهم وعجزوا عن المدافعة عن أنفسهم بما خاضد الغلبُ من شوكتهم، فأصبحوا مغلوبين لكل مقلب وطعمه لكل أكل؛ وسواء كانوا حصلوا على غاياتهم من الملك أم لم يحصلوا.

وفي والله أعلم س آخر وهو أن الإنسان رئيس يطبعه بمقتضى الاستخلاف الذي خلق له، والرئيس إذا غلب على رئاسته وكبح عن غاية عزه تكاسل حتى عن شبع بطنه وري كبدته، وهذا موجود في أخلاق الأناسي. ولقد يقال مثله في الحيوانات المفترسة وإنها لا تسافد إلا إذا كانت في ملكة الآدميين، فلا يزال هذا القبيل المملوك عليه أمره في تناقص واضمحلال إلى أن ياختدهم الفناء، والبقاء الله وحده.

واعتبر ذلك في أمم الفرس كيف كانت قد ملأت العالم كثرة ولا فنت حاميهم في أيام العرب بقي منهم كثير وأكثر من الكثير، يقال: إن سعداً أحصى ما وراء المداين فكانوا مائة ألف وسبعين وثلاثين ألفاً، منهم سبعة وثلاثون ألفاً رب بيت، ولما تحصلوا في ملكة العرب وبقية الظهر لم يكن بقاوهم إلا قليلاً ودرعوا كأن لم يكونوا، ولا تخسّن أن ذلك لظلم نزل بهم أو طبيعة في الإنسان إذا غلب على أمر وصار آلة لغيره، وهذا إنما تذعن للرق في غالب أمم السودان لنقص الإنسانية فيهم وقوفهم من عرض الحيوانات العجم كما قلناه؛ أو من يرجو بانتظامه في رقة الرق حصول رتبة أو إفادة مال أو عز كما يقع لملك الترك بالشرق والغروب من الجلالقة والإفرنجية بالأندلس، فإن العادة جارية باستخلاص الدولة لهم، فلا يأنفون من الرق لما يأملونه من الجاه والرتبة باصطفاء الدولة، والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق.

والسبب في ذلك أن النفس أبداً تعتقد الكمال فيمن غلبها وإنقادت إليه، إما لنظره بالكمال بما وقر عندها من تعظيمه، أو لما تغاظط به من أن انتقادها ليس لقلب طبيعي إنما هو لكمال الغالب فإذا غاظط بذلك واتصال لها حصل اعتقداداً فانتحلت جميع مذاهب الغالب وتشبهت به وذلك هو الاقتداء أو لما تراه، والله أعلم، من أنَّ غلَبَ الغالبَ لها ليس بعصبية ولا قوة بأس وإنما هو بما انتحلته من العوائد والمذاهب تغاظط أيضاً بذلك عن الغالب وهذا راجع للأول، ولذلك ترى المغلوب يتشبه أبداً بالغالب في ملسيه ومركبه وسلامه في اختاذها وأشكالها، بل وفي سائر أحواله.

وانظر ذلك في الأبناء مع آبائهم كيف تجدهم متشبّهين بهم دائمًا وما ذلك إلا لاعتقادهم الكمال فيهم، وانظر إلى كل قطر من الأقطار كيف يغلب على أهله زعي المحمية وجند السلطان في الأكبر؛ لأنهم الغالبون لهم حتى إنه إذا كانت أمّة تجاور أخرى ولها الغلبة عليها فيسري إليهم من هذا التشبه والاقتداء حظ كبير كما هو في الأندلس لهذا العهد مع أمم الجلالقة، فإنك تجدهم متشبّهين بهم في ملasisهم وشاراتهم والكثير من عوائلهم وأحوالهم، حتى في رسم التماثيل في الجدران والصانع والبيوت، حتى لقد يستشعر من ذلك الناظر بعين الحكمة أنه من علامات الاستياء، والأمر لله.

وتأمل في هذا سر قوله: «العامة على دين الملك» فإنه من بابه، إذ الملك غالب لمن تحت يده والرعية متقدون به لاعتقاد الكمال فيه باعتقاد الأبناء بآبائهم والمتعلمين بعلميهم، والله العليم الحكيم وبه سبحانه وتعالى التوفيق.

### الفصل الرابع والعشرون

في أن الأمة إذا غلت وصارت في ملك غيرها  
أسرع إليها الفناء

وذلك أنهم بطبيعة التوحش الذي فيهن أهل انتهاب وعيث، يتهبون ما قدروا عليه من غير مقابلة ولا ركوب خطر ويفرّون إلى متجمعهم بالقفر، ولا ينهبون إلى المواجهة والمحاربة إلا إذا دفعوا بذلك عن أنفسهم، فكل معقل أو مستصعب عليهم فهو عالة عليهم، فينحصر الأمل ويضعف التراسل؛ والاعتمار إنما هو

والسبب في ذلك، والله أعلم، ما يحصل في النفوس من التكاسل إذا ملك أمرها عليها وصارت بالاستعباد آلة لسواماً وعالمة عليهم، فينحصر الأمل ويضعف التراسل؛ والاعتمار إنما هو

### الفصل الخامس والعشرون

في أن العرب لا يتغلبون إلا على اليسانط

المفاسد ودفع بعضهم عن بعض، إنما همهم ما يأخذونه من أموال الناس نهياً أو مغروماً، فإذا توصلوا إلى ذلك وحصلوا عليه أعرضوا عما بعده من تسديد أحوالهم والنظر في مصالحهم وقهير بعضهم عن أغراض المفاسد، وربما فرضوا العقوبات في الأموال حرضاً على تحصيل الفائدة والجباية والاستكثار منها كما هو شأنهم، وذلك ليس بمعنى في دفع المفاسد وجزر التعرض لها، بل يكون ذلك زاداً فيها لاستهلاك الغرم في جانب حصول الغرض، فتبقى الرعايا في ملكتهم كأنها فوضى دون حكم، والفرضى مملكة للبشر مفسدة للعمران بما ذكرناه من أن وجود الملك خاصة طبيعية للإنسان لا يستقيم وجودهم واجتماعهم إلا بها، وتقدم ذلك أول الفصل.

وأيضاً فهم متنافسون في الرئاسة وقل أن يسلم أحد منهم الأمر لغيره ولو كان أبوه أو أخيه أو كبير عشيرته إلا في الأقل وعلى كره من أجل الحياة فيتعدد الحكام منهم والأمراء، وتحتفل الأيدي على الرعية في الجباية والاحكام، فيفسد العمran ويتقضى.

قال الأعرابي الراوíd على عبد الملك - لما ساله عن الحجاج وأراد الثناء عليه عنده مجسن السياسة والعمran - فقال: تركته يظلم وحده. وانظر إلى ما ملكوه وتغلبوا عليه من الأوطان من لدن الخليقة كيف تقرض عمرانه واقفر ساكنه ويدخلُ الأرض فيه غير الأرض، فاليمين قرارهم خراب إلا قليلاً من الأنصار، وعراق العرب كذلك قد خرب عمرانه الذي كان للفرس أجمع، والشام لهذا العهد كذلك، وإفريقية والمغرب لما جاز إليها بنو هلال وبنو سليم منذ أول المائة الخامسة وعرسوا بها لثلاثمائة وخمسين من السنين قد لحق بها وعادت بساحتها خراباً كلها بعد أن كان ما بين السودان والبحر الرومي كله عمراناً، تشهد بذلك آثار العمran فيه من المعالم وتماثيل البناء وشواهد القرى والمدار، والله يبرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

## الفصل السابع والعشرون

في أن العرب لا يحصل لهم الملك إلا  
بصبغة دينية من نبوة أو ولادة أو أثر  
عظيم من الدين على الجملة

والسبب في ذلك أنهن خلقوا التوحش الذي فيهم أصعب الأمم انتقاماً بعضهم البعض للغلوطة والأنفة وبعد الملة والمنافسة في

تاركوه إلى ما يسهل عنه ولا يعرضون له، والقبائل الممتدة عليهم بأعوار الجبال بمناجة من عيئهم وفسادهم؛ لأنهم لا يتسمون، إلهم المضاب ولا يركبون الصعب ولا يحاولون الخطير. وأما البساطط متى اقتدوا عليها بفقدان الحامية وضعف الدولة فهي نهب لهم وطمعة لأكلهم، يرددون عليها الغارة والنهب والزحف لسهولتها عليهم، إلى أن يصبح أهلها مغلبين لهم ثم يتعاونونهم باختلاف الأيدي والخراف السياسة إلى أن يتعرض عمرانهم، والله قادر على خلقه وهو الواحد القهار لا رب غيره.

## الفصل السادس والعشرون

في أن العرب إذا تغلبوا على أوطان  
أسرع إليها الخراب

والسبب في ذلك أنهن أمة وحشية باستحكام عوائدهم التوحش وأسبابه فيهم، فصار لهم خلقاً وجبلة وكان عندهم ملدوذاً لما فيه من الخروج عن ريبة الحكم وعدم الانتقاد للسياسة، وهذه الطبيعة منافية للعمran ومناقضة له، فغاية الأحوال العادلة كلها عندهم الرحمة والتغلب وذلك منافق للسكنون الذي به العمran ومنافي له، فالحجر مثلاً إنما حاجتهم إليه لنصبه أثافيًّا للقذر، فيقلونه من المباني ومخربونها عليه ويعدونه لذلك، والخشب أيضاً إنما حاجتهم إليه ليعدموا به خيامهم ويتخذوا الأوتاد منه ليبروهم فيخربون السقف عليه لذلك، فصارت طبيعة وجودهم منافية للبناء الذي هو أصل العمran. هذا في حالهم على العموم.

وأيضاً فطبيعتهم اتهاب ما في أيدي الناس وأن رزقهم في ظلال رماحهم، وليس عندهم في أخذ أموال الناس حد يتهون إليه، بل كلما اندت أحدهم إلى مال أو متساع أو ماعون انتهبوه، فإذا تم اقتدارهم على ذلك بالتغلب والملك بطلت السياسة في حفظ أموال الناس وخراب العمran.

وأيضاً فلأنهم يتلفون على أهل الأعمال من الصنائع والحرف أعمالهم لا يرون لها قيمة ولا قسطاً من الأجر والثمن؛ والأعمال كما سنتذكره هي أصل المكاسب وحقيقةها وإذا فسدت الأعمال وصارت مجاناً ضفت الآمال في المكاسب وانقضت الأيدي عن العمل وابتذلوا الساكن وفسد العمran.

وأيضاً فإنهم ليست لهم عناية بالأحكام وجزر الناس عن

منهم، وتجعل الواقع لهم من أنفسهم وتحمّلهم على دفاع الناس بعضهم عن بعض كما ذكرناه، واعتبر ذلك بدولتهم في الملة لما شيد لهم الدين أمر السياسة بالشريعة وأحكامها المزاعنة لصالح العمران ظاهراً وباطناً، وتابع فيها الخلافاء عظم حيث تذمّر ملكهم وقوى سلطانهم.

كان رسم إذا رأى المسلمين يجتمعون للصلوة يقول: أكل عمر كبدى يعلم الكلاب الأداب.

ثم إنهم بعد ذلك انقطعت منهم عن الدولة أجيال نبذوا الذين فسوا السياسة ورجعوا إلى قفرهم وجهموا شأن عصبيتهم مع أهل الدولة ببعدهم عن الاقياد وإعطاء النصفة فتوحدوا كما كانوا ولم يبق لهم من اسم الملك إلا أنهم من جنس الخلفاء ومن جيلهم، وما ذهب أمر الخلافة وانحرى رسمها انقطع الأمر جملة من أيديهم وغلب عليهم العجم دونهم وأقاموا في بادية قفارهم لا يعرفون الملك ولا سياسته، بل قد يجهل الكثير منهم أنهم قد كان لهم ملك في القديم، وما كان في القديم لأحد من الأمم في الخليقة ما كان لأجيالهم من الملك. ودول عاد ونومود والعمالقة وحير والتبايعة شاهدة بذلك، ثم دولة مصر في الإسلام بني أمية وبني العباس، لكن بعدهم بالسياسة لما نسوا الدين فرجعوا إلى أصلهم من البداوة، وقد يحصل لهم في بعض الأحيان غالب على الدول المستضعفة كما في المغرب لهذا العهد، فلا يكون ماله وغايته إلا تخريب ما يستولون عليه من العمران كما قدمناه **«والله يُؤتِي مَنْ كُفِّرَ مَا يَشَاءُ»**.

## الفصل التاسع والعشرون

### في أن البواي من القبائل والعصائب مغلوبون لأهل الأمصار

قد تقدم لنا أن عمران البداية ناقص عن عمران المعاصر والأصار؛ لأن الأمور الضرورية في العمران ليس كلها موجودة لأهل البدو. وإنما توجد لديهم في مواطنهم أمور الفلاح وموادها معروفة ومعظمها الصنائع، فلا توجد لديهم بالكلية من ثمار وخطاط وحداد وأمثال ذلك مما يقيس لهم ضروريات معيشتهم في الفلاح وغيره، وكذا الدنانير والدرارهم مفقودة لديهم، وإنما بأيديهم أعراضها من مثل الزراعة وأعيان الحيوان أو فضلاته الباتاً وأوباراً وأشعاراً وإهاباً مما يحتاج إليه أهل الأمصار في عوض عنهم عنه بالльнانير والدرارهم، إلا أن حاجتهم إلى الأمصار في الضروري

الراسة، فقلما تجتمع أهواؤهم، فإذا كان الدين بالنبوة أو الولاية كان الواقع لهم من أنفسهم وذهب خلق الكبر والمنافسة منهم، فسهل انتقادهم واجتماعهم وذلك بما يشلّهم من الدين المذهب للغلوظة والأنفة الواقع عن التحسّد والتنافس، فإذا كان فيه النبي أو الرلي الذي يبعثهم على القيام بأمر الله يذهب عنهم مذمومات الأخلاق ويأخذهم بمحمودها ويولف كلمتهم لإظهار الحق، تم اجتماعهم وحصل لهم التغلب والملك، وهو مع ذلك أسرع الناس قبولاً للحق والمهدى لسلامة طباعهم من عرج الملوك وبراءتها من ذميم الأخلاق إلا ما كان من خلق التوحش القريب المعانة المتهي لقبول الخير ببقاءه على الفطرة الأولى ويعده عمما يتطبع في النفوس من قبح العوائد وسوء الملوك، فإن كل مولود يولد على الفطرة كما ورد في الحديث وقد تقدم.

## الفصل الثامن والعشرون

### في أن العرب أبعد الأمم عن سياسة الملك

والسبب في ذلك أنهما أكثر بذلة من سائر الأمم وأبعد مجالاً في الفقر وأغنى عن حاجات التلوك وحربها لاعتباذهما الشطئ وخشونة العيش فاستغنا عن غيرهم فصعب انتقاد بعضهم لبعض لإيلاتهم ذلك وللتوحش، ورئيسهم يحتاج إليهم غالباً للعصبية التي بها المدافعة، فكان مضطراً إلى إحسان ملكتهم وترك مراجعتهم؛ لثلا يختل عليه شأن عصبيته فيكون فيها هلاكه وهلاكهم وسياسة الملك والسلطان تقتضي أن يكون السائس وازعاً بالقهر والإلم تستقيم سياسته.

وأيضاً فإن من طبيعتهم كما قدمناه أخذ ما في أيدي الناس خاصة والتجافي عما سوى ذلك من الأحكام بينهم ودفع بعضهم عن بعض، فإذا ملكوا أمّة من الأمم جعلوا غاية ملكتهم الانتفاع بأخذ ما في أيديهم وتركوا ما سوى ذلك من الأحكام بينهم، وربما جعلوا العقوبات على المفاسد في الأموال حرضاً على تكثير الجبابات وتحصيل الغوائد، فلا يكون ذلك وازعاً، وربما يكون باعثاً بحسب الأغراض البعثة على المفاسد واستهانة ما يعطي من ماله في جانب غرضه، فتتم المفاسد بذلك وقع تخريب العمران فتبقى تلك الأمة كأنها فرضي مستطلة أيدي بعضها على بعض، فلا يستطيع لها عمران وتخريب سرياً شأن الفرضي كما قدمنا.

فبعدت طباع العرب لذلك كلّه عن سياسة الملك، وإنما يصيرون إليها بعد انقلاب طباعهم وتبدلها بصبغة دينية تحوّل ذلك

وحاجة أهل الأنصار إليهم في الحاجي، والكمالي فهم محتاجون إلى الأنصار بطبيعة وجودهم، فما داموا في البايدية ولم يحصل لهم ملك ولا استيلاء على الأنصار فهم محتاجون إلى أهلها ويتصرفون في مصالحهم وطاعتهم متى دعواهم إلى ذلك وطالبوهم به، وأن كان في المصر ملك كان خضوعهم وطاعتهم لغلب الملك وإن لم يكن على الباقين وإلا انقضى عمرانه، وذلك الرئيس يجعلهم على طاعته والسعي في مصالحة، إما طوعاً ببذل المال لهم ثم يبذل لهم ما يحتاجون إليه من الضروريات في مصراه فيستقيم عمرانهم، وإما كرهاً إن ثمت قدرته على ذلك ولو بالتفريق بينهم، حتى يحصل له جانب منهم يغاليب به الباقين فيضطر الباقون إلى طاعته بما يتزقرون لذلك من فساد عمرانهم، وربما لا يسعهم مفارقة تلك النواحي إلى جهات أخرى؛ لأن كل الجهات معمر بالبدو الذين غلبوا عليها ومنعوها من غيرها فلا يجد هؤلاء ملجاً إلا طاعة المصر، فهم بالضرورة مغلوبون لأهل الأنصار، والله قادر فوق عباده وهو الواحد الأحد القيهار.

يالغوا ملكها ولا اعتادوه، فإذا استقرت الرئاسة في أهل النصاب المخصوص بالملك في الدولة وتوارثه واحداً بعد آخر في أعقاب كثيرين ودول متعاقبة نسيت التفوس شأن الأولية واستحكمت لأهل ذلك النصاب صبغة الرئاسة ورسخ في العقائد دين الانتقاد لهم والتسليم، وقاتل الناس معهم على أمرهم قاتلهم على العقائد الإيمانية، فلم يحتاجوا حينئذ في أمرهم إلى كبير عصابة، بل كان طاعتها كتاب من الله لا يبدل ولا يعلم خلافه، وأمر ما يوضع الكلام في الإمامة آخر الكلام على العقائد الإيمانية كانه من جلة عقوبها، ويكون استظهارهم حينئذ على سلطانهم ودولتهم المخصوصة: إما بالموالي والمصطنعين الذين شنوا في ظل العصبية وغيرها، وإما بالعصائب الخارجيين عن نسيها الداخلين في ولائها.

ومثل هذا وقع لبني العباس، فإن عصبية العرب كانت فسدة لهد دولة المعتصم وبنته الواقع واستظهارهم بعد ذلك إنما كان بالموالي من العجم والتراك والديليم والسلجوقية وغيرهم، ثم تغلب العجم الأولياء على التراخي وتقلص ظل الدولة، فلم تكن تعدد أعمال بغداد حتى زحف إليها الديليم وملوكها وصار الحالات في حكمهم، ثم انقرض أمرهم وملك السلجوقية من بعدهم فصاروا في حكمهم، ثم انقرض أمرهم وزحف آخر التار فقتلوا الخليفة ومحروا رسم الدولة.

وكذا صهابة بالمغرب فسدت عصبيتهم منذ المائة الخامسة أو ما قبلها واستمرت لهم الدولة مقلصة الظل بالمدية وبجاية والقلعة وسائر ثغور إفريقية، ورعاها انتزى بذلك الغور من نازعهم الملك واعتضم فيها، والسلطان والملك مع ذلك مسلم لهم، حتى تاذن الله باقتراض الدولة وجاء الموحدون بقوة قوية من العصبية في الصامدة فمحروا آثارهم.

وكذا دولة بني أمية بالأندلس لما فسدت عصبيتها من العرب استولى ملوك الطوائف على أمرها واقتسموا خطتها وتنافسوا بينهم، وتوزعوا على مالك الدولة، وانتزى كل واحد منهم على ما كان في ولائه وشمخ بأفنه، وبلغهم شأن العجم مع الدولة العباسية فتقابلا باللقب الملك وليسوا شارته وأمنوا من ينقض ذلك عليهم أو يغيره؛ لأن الأندلس ليس بدار عصائب ولا

قبائل كما ستدكره، واستمر لهم ذلك كما قال ابن شرف.

عما يزهدمي في أرض أندلس أسماء معتصم فيها ومعضد القاب ملكة في غير موضعها كالمريكي انتفاخاً صورة الأسد

فاستظهروا على أمرهم بالموالي والمصطنعين والطراء على الأندلس من أهل العدو من قبائل البرير وزناته وغيرهم اقتداء بالدولة في آخر أمرها في الاستظهار بهم حين ضفت عصبية

### الباب الثالث

**في الدول العامة والملك والخلافة والراتب السلطانية وما يعرض في ذلك كله من الأحوال وفيه قواعد ومتمامات**

### الفصل الأول

**في أن الملك والدولة العامة إنما**

**يحصلان بالقبيل والعصبية**

وذلك أنا قررنا في الفصل الأول أن المغالبة والممانعة إنما تكون بالعصبية لما فيها من التعرة والتنامر واستعتماد كل واحد منهم دون صاحبه. ثم إن الملك منصب شريف ملذوذ يشتمل على جميع الخيرات الدنيوية والشهورات البدنية والملاذ الفسائية فيقع فيه التنافس غالباً، وقل أن يسلمه أحد لصاحبه إلا إذا غلب عليه، ففع المزايدة وتفضي إلى الحرب والقتال والمغالبة وهي منها لا يقع إلا بالعصبية كما ذكرناه آنفأ، وهذا الأمر بعيد عن أفهم الجمهر بالجملة ومتناsons له؛ لأنهم نسوا عهد تمهيد الدولة من ذteroها وطال أمد مرياه في الحضارة وتعاقبهم فيها جيلاً بعد جيل، فلا يعرفون ما فعل الله أول الدولة إنما يدركون أصحاب الدولة وقد استحكمت صبغتهم ووقع التسلیم لهم والاستعناء عن العصبية في تمهيد أمرهم، ولا يعرفون كيف كان الأمر من أوله وما لقي أولهم من المتابع دونه؛ وخصوصاً أهل الأندلس في نسيان هذه العصبية وأثراها لطول الأمد واستغاثتهم في الغالب عن قوة العصبية بما تلاشى وطنهم وخلا من العصائب، والله قادر على ما يشاء وهو بكل شيء عليم وهو حسبنا ونعم الوكيل.

### الفصل الثاني

**في أنه إذا استقرت الدولة وتعهدت**

**فقد تستغنى عن العصبية**

والسبب في ذلك أن الدول العامة في أوطاها يصعب على التفوس الانتقاد لها إلا بقوة قوية من الغلب للغرابة، وأن الناس لم

لصبيته، وإنقياداً لما استحكم له ولقومه من صبغة الغلب في العالم  
وعقيدة إيمانية استقرت في الإذعان لهم، فلو راموها معه أو دونه  
لنزللت الأرض زلماها.

وهذا كما وقع للأدارسة بالغرب الأقصى والعيديين  
بإفريقية ومصر لما اتَّبَعَ الطالبيون من المشرق إلى القاصية وابتعدوا  
عن مقر الخلافة وسمُّوا إلى طلبهما من أبي بن العباس، بعد أن  
استحكمت الصبغة لبني عبد مناف: لبني أمية أولاً، ثم لبني هاشم  
من بعدهم، فخرجوا بالقاصية من المغرب ودعوا لأنفسهم، وقام  
بأمرهم البرابرة مرةً بعد أخرى فأولئك ومعيلنة للأدارسة وكاملة  
وصنهاجة وهوارة للعيديين، فشيدوا دولتهم ومهدوا بعثائهم  
أمرهم واقطعوا من ممالك العباسين المغرب كلَّه ثم إفريقيَّة، ولم  
يزل ظل الدولة يتلاصق وظل العيديين يمتد إلى أن ملكوا مصر  
والشام والحجاز وقادسهم في الممالك الإسلامية شرقَ الأَبْلَمَةِ.  
وهوَلَاءُ الْبَرَابِرَةِ الْقَائِمُونَ بِالدُّولَةِ مَعَ ذَلِكَ كَلِّهُمْ مُسْلِمُونَ  
للعيديين أمرهم مذعنون لملكتهم، وإنما كانوا يتنافسون في الرتبة  
عندهم خاصة تسليماً لما حصل من صبغة الملك لبني هاشم ولما  
استحكم من الغلب لقويش ومضر على سائر الأمم، فلم يزل  
الملك في أعقابهم إلى أن انقرضت دولة العرب بأسرهَا ﴿وَاللَّهُ يَخْكُمُ لَا مُقْبَلٌ لِّخَمْوِيهِ﴾.

الفصل الرابع

في أن الدولة العامة الاستيلاء العظيمة الملك  
أصلها الدين إما من نبوة أو دعوة حق

وذلك لأن الملك إنما يحصل بالغلبة والتغلب وإنما يكون بالعصبية واتفاق الأهواء على المطلبة، وجمع القلوب وتاليها إنما يكون بمعرفة من الله في إقامة دينه، قال تعالى: **﴿لَوْلَا أَنْفَقْتَ مَا فِي**  
**الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَفْلَقْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾** وسيرة أن القلوب إذا تداعت إلى أهواء الباطل والميل إلى الدنيا حصل التنافس وفتا الخلاف، وإذا انصرفت إلى الحق ورفقت الدنيا والباطل وأقبلت على الله اندحت وجهتها فذهب التنافس وقل الخلاف وحسن التعاون والتعاضد واتسع نطاق الكلمة لذلك، فعظمت الدولة كما نحن لك بعد أن شاء الله سبحانه وتعالى وبه التوفيق لا رب سواه.

العرب، واستبد ا بن ابي عامر على الدولة، فكان لهم دول عظيمة استبدت كل واحدة منها بجانب من الأندلس وحظ كبير من الملك على نسبة الدولة التي اقتسموها، ولم يزالوا في سلطانهم ذلك حتى جاز إليهم البحر المحيطون أهل العصبية القرية من لتونة فاستبدلوا بهم وأزالوهם عن مراكزهم ومحوا آثارهم ولم يقدروا على مدافعتهم لفقدان العصبية لديهم.

الفصل الثالث

في أنه قد يحدث لبعض أهل النصاب الملكي  
دولة تستغنى عن العصبية

وذلك أنه إذا كان لعصية غالب كثير على الأمم والأجيال  
وفي نقوس القائمين بأمره من أهل القاصية إذungan لهم وانتقاد، فإذا  
نزع إليهم هذا الخارج وانتبذ عن مقر ملكه ومنبت عزه اشتملوا  
عليه وقاموا بأمره وظاهروه على شأنه وعنوا بتمهيد دولته يرجون  
استقراره في نصبه وتناوله الأمر من بدأ عياصه وجراه هم على  
ظهوره باصطفائهم لرتب الملك وخططه من وزارة أو قيادة أو  
ولاية فخر، ولا يطمعون في مشاركته في شيء من سلطاته تسليمها

## الفصل السادس

### في أن الدعوة الدينية من غير عصبية لا تم

وهذا لما قدمناه من أن كل أمر تحمل عليه الكافة فلا بد له من العصبية، وفي الحديث الصحيح كما مر: «ما بعث الله نبياً إلا في متنه من قومه» وإذا كان هذا في الأنبياء وهم أول الناس بمن يفرق العوائد، فما ظنك بغيرهم الأُخْرَق لـه العادة في الغلب بغير عصبية.

وقد وقع هذا لابن قسي شيخ الصوفية وصاحب كتاب «خلع التعلين في التصوف» ثار بالأندلس داعياً إلى الحق وسمى أصحابه بالمرابطين قيل دعوة المهدى، فاستتب له الأمر قليلاً لشغل لتوته بما دهمهم من أمر الموحدين، ولم تكن هناك عصائب ولا قبائل يدعونه عن شأنه، فلم يلبث حين استولى الموحدون على المغرب أن أذعن لهم ودخل في دعوتهم وتبعهم من معقله بمصنف أركش وأمكث من ثغره، وكان أول داعية لهم بالأندلس وكانت ثورته تسمى ثورة المرابطين.

ومن هذا الباب أححوال الشوار القائمين بتغيير المنكر من العامة والفقهاء، فإن كثيراً من المتحلين للعبادة وسلوك طرق الدين يذهبون إلى القيام على أهل الجور من الأمراء داعين إلى تغيير المنكر والنهي عنه، والأمر بالمعروف رجاءً في الشواب عليه من الله، فيذكر أتباعهم والتشبّهون بهم من الغوغاء والدھماء ويعرّضون أنفسهم في ذلك للمهالك وأكثرهم يهلكون في تلك السبيل مازورين غير مأجورين؛ لأن الله سبحانه لم يكتب ذلك عليهم وإنما أمر به حيث تكون القدرة عليه قال عليه السلام: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فقلبه»؛ وأحوال الملك والدول راسخة قوية لا يزحزحها وبهدم بناءها إلا المطالبة القرية التي من ورائها عصبية القبائل والعشائر كما قدمناه.

وهكذا كان حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في دعوتهم إلى الله بالعشائر والعصائب، وهم المؤيدون من الله بالكون كله لو شاء، لكنه إنما أجرى الأمور على مستقر العادة والله حكيم عليم. فإذا ذهب أحد من الناس هذا المنصب وكان فيه محققاً قصر به الانفراد عن العصبية فطاح في هرة الهاكل، وأما إن كان من الملتبسين بذلك في طلب الرئاسة فأجدل إن تعوقه العواقب وتقطع

## الفصل الخامس

### في أن الدعوة الدينية تزيد الدولة في أصلها قوة على قوة العصبية التي كانت لها من عددها

والسبب في ذلك كما قدمناه أن الصبغة الدينية تذهب بالاتفاق والتراضي الذي في أهل العصبية وتفرد الوجهة إلى الحق، فإذا حصل لهم الاستبصار في أمرهم لم يقف لهم شيء؛ لأن الوجهة واحدة والمطلوب متساوٍ عندهم، وهم مستميتون عليه، وأهل الدولة التي هم طالبوها وإن كانوا أضعافاً لهم فاغرائهم متابعة بالباطل ومخاذه لهم لنقاء الموت حاصل؛ فلا يقاومونهم وإن كانوا أكثر منهم، بل يغلبون عليهم ويعاجلهم الفناء بما فيهم من الترف والذلة كما قدمناه.

وهذا كما وقع للعرب صدر الإسلام في الفتوحات، فكانت جيوش المسلمين بالقادسية واليرموك بجموعةٍ وثلاثين ألفاً في كل معسكر وجموع فارس مائة وعشرين ألفاً بالقادسية، وجموع هرقل على ما قاله الواقدي أربعين ألف، فلم يقف للعرب أحد من الجانحين وهزموهم وغلبوا عليهم على ما بأيديهم.

واعتبر ذلك أيضاً في دولة لتوته ودولة الموحدين، فقد كان بالمغرب من القبائل كثير من يقاومهم في العدد والعصبية أو يشفّع عليهم إلا أن الاجتماع الديني ضاعف قوة عصبيتهم بالاستبصار والاستماتة كما قلنا، فلم يقف لهم شيء.

واعتبر ذلك إذا حالت صبغة الدين وفسدت، كيف يتوقف الأمر ويصير الغلب على نسبة العصبية وحلها دون زيادة الدين، فتغلب الدولة من كان تحت يدها من العصائب المكافحة لها أو الزائدة القوّة عليها الذين غلبواهم بعصبية الدين لقوتها، ولو كانوا أكثر عصبية منها وأشد بداعية.

واعتبر هذا في الموحدين مع زنانة، لما كانت زنانة أبدى من المصامدة وأشد توحشاً، وكان للصمادمة الدعوة الدينية باتباع المهدى فليسوا صبغتها وتضاعفت قوة عصبيتهم بها، فغلبوا على زنانة أولاً واستبصروهم، وإن كانوا من حيث العصبية والبداءة أشد منهم، فلما خلوا من تلك الصبغة الدينية انتقضت عليهم زنانة من كل جانب وغلبواهم على الأمر وانتزعوا منهم، والله غالب على أمره.

الآسیب البالغة بهم إلى ما يؤملونه من ذلك ولا يحسرون ما ينالهم  
به المالك؛ لأنه أمر الله لا يتم إلا برضاه وإعانته والإخلاص له  
والنصيحة للMuslimين، ولا يشك في ذلك مسلم ولا يرتاب فيه ذو  
فيه من الملكة، فيسرع إليهم القتل بما يحذثنه من الفتنة وتسوء  
عاقبة مكرهم.

وقد كان لأول هذه المائة خرج بالسوسن رجل من المتصوفة يدعى التوبيري، عمد إلى مسجد ماسة بساحل البحر هناك وزعم أنه الناطي المتضرر تليساً على العامة هنالك، بما ملا قلوبهم من الخدثان بانتظاره هنالك، وأن من ذلك المسجد يكون أصل دعوته فتهاافت عليه طوائف من عامة البرير تهافت الفراش، ثم خشي رؤساؤهم اتساع نطاق الفتنة فدمس إليه كبير المصاومة يومئذ عمر السكسيوي من قتلته في فراشه.

وكذلك خرج في غماره أيضاً لأول هذه المائة رجل يعرف بالعباس وادعى مثل هذه الدعوة واتبع نعيقه الأرذلون من سفهاء تلك القبائل وأغمارهم وزحف إلى بادس من أمصارهم ودخلها عنوة، ثم قتل لأربعين يوماً من ظهور دعوته ومضى في الحالين الأولين.

وأمثال ذلك كثير، والغلط فيه من الغفلة عن اعتبار العصبية في مثلها، وأما إن كان التلبيس فاحرى أن لا يتم له أمر وأن يرسه يائمه وذلك جزاء الظالمين، والله سبحانه وتعالى أعلم ويه التوفيق لا رب غيره ولا معبد سواه.

الفصل السابع

في أن كل دولة لها حصة من المالك والأوطان لا تزيد عليها

والسبب في ذلك أن عصابة الدولة وقورها القائمين بها المهددين لها لا بد من توزيعهم حصاناً على المالك والشغور التي تصرير إليهم، ويستلونون عليها حمايتها من العدو وإضفاء أحكمام الدولة فيها من جاهة وردع وغير ذلك، فإذا توزعت العصائب كلها على الشغور والمالك فلا بد من نشاد عددها، وقد بلغت الملك حيتند إلى حد يكون ثغرأً للدولة وتختماً لوطنهما ونطاقاً لمراكز ملكهما، فإن تكفلت الدولة بعد ذلك زيادةً على ما بيدها بقي دون حاميةً وكان موضعًا لاتهاز الفرصة من العدو والجاور، ويعود وبالذلك على الدولة بما يكون فيه من التجاسر وخرق سياج المحبة.

وما كانت العصابة موفورة ولم ينفد عددها في توزيع

به المالك؛ لأنَّه أَمْرَ اللَّهِ لَا يَتِمُ إِلَّا بِرْضَاهُ وَإِعْتَدَاهُ وَالْإِخْلَاصُ لَهُ  
وَالنَّصِيحةُ لِلْمُسْلِمِينَ، وَلَا يَشُكُ فِي ذَلِكَ مُسْلِمٌ وَلَا يَرْتَابُ فِيهِ ذُو  
بَصِيرَةٍ.

وأول ابتداء هذه النزعة في الملة ي بغداد حين وقعت فتنة  
ظاهر وقتل الأمين وأبطأ المؤمن بخراسان عن مقدم العراق، ثم  
عهد لعلي بن موسى الرضا من آل الحسين، فكشف بنو العباس  
عن وجه الكير عليه وتداعوا للقيام وخلع طاعة المأمون  
والاستبدال منه، وبوبير إبراهيم بن المهدى فوقن الفرج ببغداد  
وانطلقت أيدي الزعرا بها من الشطار والحرية على أهل العافية  
والصون وقطعوا السبيل، وامتلأت أيديهم من نهاب الناس  
ويanguoها علانية في الأسواق واستعدى أهلها الحكام فلم يعدوهم،  
فتواتر أهل الدين والصلاح على من الفساق وكف عاديهم، وقام  
بغداد رجل يعرف بخالد الدريوس ودعا الناس إلى الأمر بالمعروف  
والنهي عن المنكر، فأجابه خلق وقاتل أهل الزعارة غلبهم وأطلق  
يدهم بالضرب والتنكيل.

ثم قام من بعده رجل آخر من سواد أهل بغداد يُعرف  
بسهيل بن سلامة الأنصاري ويكتنى أبا حاتم، وعلق مصحفاً في  
عنقه ودعا الناس إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والعمل  
بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ؛ فاتبعه الناس كافة من بين شريف  
ووسيط من بني هاشم فمن دونهم، ونزل قصر طاهر والأخذ  
الديوان وطاف ببغداد ومنع كل من أخاف المارة ومنع الخفارة  
لأولئك الشطار. وقال له خالد الدربيوس. أنا لا أعيّب على  
السلطان، فقال له سهيل: لكنني أقاتل كل من خالف الكتاب  
والسنة كائناً من كان. وذلك سنة إحدى ومائتين. وجهر له إبراهيم  
بن المهدى العساكر فغلبه وأسره وأخْلَى أمره سريعاً وذهب وبجا  
نفسه.

ثم اقتدى بهذا العمل بعد كثير من الموسوسيين يأخذون  
أفسهم بإقامة الحق ولا يعرفون ما يحتاجون إليه في إقامته من  
العصبية ولا يشعرون بمحنة أمرهم ومال أحراهم، والذي يحتاج  
إليه في أمر هؤلاء إما المداواة إن كانوا من أهل الجنون، وإما  
التتكميل بالقتل أو الضرب إن أحدثوا هرجاً، وإما إذاعنة السخرية  
منهم وعدهم من جلة الصناعين.

وقد يتسبّب بعضهم إلى الفاطمي المتطرّف إما بأنه هو أو بأنه داع له، وليس مع ذلك على علم من أمر الفاطمي ولا ما هو. وأكثر المستحلبين مثل هذا تجدهم موسوين أو مجانين أو ملسين يطلبون بمثل هذه الدعوة رئاسة امتلأّت بها جوانحهم وعجزوا عن التوصل إليها بشيء من أسبابها العادلة، فيحسبون أن هذا من

## الفصل الثامن

### في أن عظم الدولة واتساع نطاقها وطول أمدتها على نسبة القائمين بها في القلة والكثرة

والسبب في ذلك أن الملك إنما يكون بالعصبية، وأهل العصبية هم الحامية الذين يتزلون بملك الدولة وأقطارها ويقتسمون عليها، فما كان من الدولة العامة قبيلها وأهل عصابتها أكثر كانت أقوى وأكثر مالك وأوطاناً وكان ملكها أوسع لذلك.

واعتبر ذلك بالدولة الإسلامية لما الف الله كلمة العرب على الإسلام وكان عدد المسلمين في غزة تبوك آخر غزوات النبي ص مائة ألف وعشرة آلاف من مصر وقحطان ما بين فارس وراجل إلى من أسلم منهم بعد ذلك إلى الرفاعة، فلما توجهوا لطلب ما في ليدي الأمم من الملك لم يكن دونه حمى ولا وزر فاستبيح حمى فارس والروم أهل الدولتين العظيمتين في العالم لعهدهم، والترك بالشرق والإفرنجية والبربر بالغرب والقوط بالأندلس، وخطروا من الحاجز إلى السوس الأقصى، ومن اليمن إلى الترك بأقصى الشمال واستولوا على الأقاليم السبعة.

ثم انظر بعد ذلك دولة صهابة والموحدين مع العباديين قبلهم، لما كان قبل كامة القائمون بدولة العباديين أكثر من صهابة ومن المصامدة كانت دولتهم أعظم فملوكها إفريقية والمغرب والشام ومصر والخجاز، ثم انظر بعد ذلك دولة زناتة لما كان عددهم أقل من المصامدة قصر ملوكهم عن ملك الموحدين لقصور عددهم عن عدد المصامدة منذ أول أمرهم ثم اعتبر بعد ذلك حال الدولتين لهذا العهد زناتة بنى مرین وبني الراد لما كان عدد بني مرین لأول ملوكهم أكثر من بني الراد كانت دولتهم أقوى منها وأوسع نطاقاً وكان لهم عليهم الغلب مرة بعد أخرى. يقال: إن عدد بني مرین لأول ملوكهم كان ثلاثة آلاف وإن بني عبد الراد كانوا ألفاً إلا أن الدولة بالرفه وكثرة التابع كثرت من أعدادهم.

وعلى هذه النسبة في أعداد المغلبين لأول الملك يكون اتساع الدولة وقوتها، وأما طول أمدها أيضاً فعلى تلك النسبة لأن عمر الحادث من قوة مزاجه، ومزاج الدول إنما هو بالعصبية، فإذا كانت العصبية قوية كان المزاج تابعاً لها وكان أمد العمر طويلاً والعصبية إنما هي بكثرة العدد ووفرة كما قلناه، والسبب

المحض على التغور والنواحي، بقي في الدولة قوة على تناول ما وراء الغاية حتى ينسحب نطاقها إلى غايتها. والصلة الطبيعية في ذلك هي قوة العصبية من سائر القرى الطبيعية، وكل قوة يصدر عنها فعل من الأفعال فشأنها ذلك في فعلها، والدولة في مركزها أشد ما يكون في الطرف والنطاق، وإذا انتهت إلى النطاق الذي هو الغاية عجزت وأقصرت عما وراءه، شأن الأشعة والأنسوار إذا ابعت من المرايا والدوائر المفسحة على سطح الماء من القرى عليه، ثم إذا أدركها المطر والضعف فإنما تأخذ في التناقض من جهة الأطراف ولا يزال المركز محظوظاً إلى أن تاذن الله بانقراض الأمر جملة، فحيثذا يكون انقراض المركز، وإذا غلب على الدولة من مركزها فلا ينفعهابقاء الأطراف والنطاق بل تض محل لوقتها، فإن المركز كالقلب الذي تتبعه الروح، فإذا غلب على القلب وملك أنهزم جميع الأطراف.

وانظر هنا في الدولة الفارسية، كان مركزها المدائ، فلما غلب المسلمين على المدائ انقض أمر فارس أجمع ولم ينفع بيزدجرد ما بقي بيده من أطراف مملكته.

وبالعكس من ذلك الدولة الرومية بالشام، لما كان مركزها الفلسطينية وعليهم المسلمون بالشام تحذروا إلى مركزهم بالفلسطينية ولم يضرهم انتزاع الشام من أيديهم، فلم يزل ملوكهم متصلأً بها إلى أن تاذن الله بانقراضها.

وانظر أيضاً شأن العرب أول الإسلام لما كانت عصابتهم موفورة، كيف غلبو على ما جاورهم من الشام والعراق ومصر لأسرع وقت، ثم تجاوزوا ذلك إلى ما وراءه من السندين والجيشة وإفريقية والمغرب ثم إلى الأندلس، فلما تفرقوا حصساً على الملك والتغور ونزلوها حامية ونفذ عددهم في تلك التوزيعات أقصروا عن الفترحات بعد، وانتهت أمر الإسلام ولم يتتجاوز تلك الحدود، ومنها تراجعت الدولة حتى تاذن الله بانقراضها.

وكذا كان حال الدول من بعد ذلك، كل دولة على نسبة القائمين بها في القلة والكثرة وعند تناد عددهم بالتوزيع ينقطع لهم الفتح والاستيلاء، ستة الله في خلقه.

أهل مدن وأمصار، فلما غلبهم المسلمون على الأمر واتزغوه من أيديهم لم يق فيها عائق ولا مشاق، والبرير قبائلهم بالغرب أكثر من أن تُحصى وكلهم بادية وأهل عصائب وعشائر، وكلما هلكت قبيلة عادت الأخرى مكانتها وإلى دينها من الخلاف والردة، فطال أمر العرب في تمييد الدولة بوطن إفريقيا والمغرب، وكذلك كان الأمر بالشام لعهدبني إسرائيل كان فيه من قبائل فلسطين وكعنان وبني عيسو وبني مدين وبني لوط والروم واليونان والعمالة وأكربكش، والنبط من جانب الجزيرة والموصل ما لا يحصى كثرة وتتنوعاً في العصبية، فصعب على بني إسرائيل تمييد دولتهم ورسوخ أمرهم واضطرب عليهم الملك مرة بعد أخرى، وسرى ذلك الخلاف إليهم فاختلوا على سلطانهم وخرجوا عليه ولم يكن لهم ملك موطد سائر أيامهم إلى أن غلبهم الفرس ثم يونان ثم الروم آخر أمرهم عند الجلاء، والله غالب على أمره.

ويعكس هذا أيضاً الأوطان الحالية من العصبيات يسهل تمييد الدولة فيها ويكون سلطانها وازعاً لقلة المهرج والانتقاض، ولا تحتاج الدولة فيها إلى كثير من العصبية كما هو الشأن في مصر والشام لهذا العهد، إذ هي خلور من القبائل والعصبيات كان لم يكن الشام معدناً لهم كما قلناه، فملك مصر في غاية الدعة والرسوخ لقلة الخارج وأهل العصائب إنما هو سلطان ورعيته، ودولتها قائمة بملوك الترك وعصائبهم يغلبون على الأمر واحداً بعد واحد ويستقل الأمر فيهم من متبت إلى متبت والخلافة مسماة للعباسي من أعقاب الخلقاء ببغداد.

وكذا شأن الأندلس لهذا العهد، فإن عصبية ابن الأحر سلطانها لم تكن لأول دولتهم بقوية ولا كانت كرارات، إنما يكون أهل بيته من بيوت العرب أهل الدولة الأموية يقروا من ذلك القلة وذلك أن أهل الأندلس لما انقرضت الدولة العربية منه وملوكيهم البرير من لتوة والموحدين ستموا ملوكهم وثقلوا وطأتهم عليهم، فاشترى القلوب بغضائهم وأمكّن الموحدون والصادفة في آخر الدولة كثيراً من الحصون للطاغية في سبيل الاستظهار به على شائمهم من ملوك الحضرة مراكش، فأجتمع من كان يقي بها من أهل العصبية القدية معادن من بيوت العرب تجاذب بهم المتبت عن الحاضرة والأمصار بعض الشيء ورسخوا في العصبية مثل ابن هود وابن الأحر وابن مردنس وأمثالهم، فقام ابن هود بالأمر ودعا بدعوة الخلافة العباسية بالشرق وحمل الناس على الخروج على الموحدين فنبذوا إليهم العهد وأخرجوهم واستقل ابن هود بالأمر في الأندلس ثم سما ابن الأحر للأمر وخالد ابن هود في دعوته، فدعا هؤلاء لابن أبي حفص صاحب إفريقيا من الموحدين

الصحيح في ذلك أن النقص إنما يجد في الدولة من الأطراف، فإذا كانت مالكها كثيرة كانت أطرافها بعيدة عن مركزها وكثيرة، وكل نقص يقع فلا بد له من زمن فتكثر أزمات النقص لكثرة المالك، واحتضان كل واحد منها يتضمن زمان فيكون أمدها أطول.

وانظر ذلك في دولة العرب الإسلامية كيف كان أمدها أطول الدول، لا بنو العباس أهل المركز ولا بنو أمية المستبدون بالأندلس، ولم ينقص أمر جيشه إلا بعد الأربعين سنة من الهجرة، ودولة العباديين كان أمدها قريباً من مائتين وثمانين سنة، ودولة صنهاجة دونهم من لدن تقليل معز الدولة أمر إفريقيا بل لكن بن زيري في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة إلى حين استيلاء الموحدين على القلعة وبجاية سنة سبع وخمسين وخمسة، ودولة الموحدين لهذا العهد تناهز مائتين وسبعين سنة، وهكذا نسب الدول في أمغارها على نسبة القائمين بها سنة الله التي قد خلت في عباده.

## الفصل التاسع

### في أن الأوطان الكثيرة القبائل والعصائب قل أن تستحكم فيها دولة

والسبب في ذلك اختلاف الآراء والأهواء وأن وراء كل رأي منها هوئ وعصبية تمنع دونها فيكثر الانتقاض على الدولة والخروج عليها في كل وقت وإن كانت ذات عصبية؛ لأن كل عصبية من تحت يدها تظن في نفسها منعة وقوة.

وانظر ما وقع من ذلك بإفريقيا والمغرب منذ أول الإسلام وهذا العهد، فإن ساكن هذه الأوطان من البرير أهل قبائل وعصبيات فلم يغرنهم الغلب الأول الذي كان لابن أبي سريح عليهم وعلى الإفرنجية شيئاً، وعاودوا بعد ذلك الثورة والردة مرة بعد أخرى، وعظم الإثخان من المسلمين فيهم، ولما استقر الدين عندهم عادوا إلى الثورة والخروج والأخذ بدين الخارج مرات عديدة.

قال ابن أبي زيد: ارتدت البربرية بالغرب اثنى عشرة مرة ولم تستقر كلمة الإسلام فيهم إلا لعهد ولاية موسى بن نصير فما بعده، وهذا معنى ما ينقل عن عمر أن إفريقيا مفرقة لقلوب أهلها إشارة إلى ما فيها من كثرة العصائب والقبائل المحاملة لهم على عدم الإذعان والانتقاض، ولم يكن العراق لذلك العهد بتلك الصفة ولا الشام، إنما كانت حاميتها من فارس والروم؛ والكافنة دهماء

إلا انه أمر لا بد منه في الدول «سُنَّةُ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَقَتْ فِي  
عِبَادَةٍ» وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

الفصل الحادي عشر

## في أن من طبيعة الملك التزف

وذلك أن الأمة إذا تغلبت وملكت ما بأيدي أهل الملك  
قبلها كث رياشها ونعمتها فتكثر عوائدهم ويتجاوزون ضرورات  
العيش وخشونته إلى نوافله ورقه وزينته، وينهبون إلى اتيا من  
قبلهم في عوائدهم وأحوالهم وتصير لتلك الترافل عوائد ضرورية  
في تحصيلها ويتزعون مع ذلك إلى رقة الأحوال في الطعام  
والملابس والفرش والأثاث، ويفاخرن في ذلك ويفاخرون فيه  
غيرهم من الأمم في أكل الطيب ولبس الأنبياء وركوب الفاراء،  
ويناغي خلفهم في ذلك سلفهم إلى آخر الدولة وعلى قدر ملتهم  
يكون حظهم من ذلك وترفهم فيه، إلى أن يبلغوا من ذلك الغاية  
التي للدولة أن تبلغها بحسب قوتها وعوائده من قبلها. سنة الله في  
خلفه والله تعالى أعلم.

الفصل الثاني عشر

في أن من طبيعة الملك الدعوة والسكنون

وذلك أن الأمة لا يحصل لها الملك إلا بالطلبة، والمطالب  
غايتها الغلب والملك، وإذا حصلت الغاية انقضى السعي إليها،  
قال الشاعر:  
عجبت لسعي الدهر بيبي وبينها فلما انقضى ما بيتنا سكن الدهر  
فإذا حصل الملك أقصروا عن المتابع التي كانوا يتکلفونها  
في طلبه وأثروا الراحة والسكنون والدعة ورجعوا إلى تحصيل  
ثمرات الملك من المباني والمساكن والملابس، فيینون القصور  
ويجرون المياه ويغرسون الرياض ويستمتعون بأحوال الدنيا  
ويؤثرون الراحة على المتابع ويتألقون في أحوال الملابس  
والطعام والأكنة والفرش ما استطاعوا، وبالغون ذلك وويرثونه  
من بعدهم من أجيالهم، ولا يزال ذلك يتزايد فيهم إلى أن يتآذن  
الله بأمره وهو خير الحاكمين والله تعالى أعلم.

وقام بالأمر وتناوله بعصابة قليلة من قرابةه كانوا يسمون الرؤساء  
ولم يحتاج لأكثر منهم لقلة العصابات بالأندلس، وألئها سلطان  
ورعية، ثم استظهر بعد ذلك على الطاغية عن يحيى إليه البحر من  
أعياص زنانة، فصاروا معه عصبة على المغاربة والرباط، ثم سما  
لصاحب المغرب من ملوك زنانة أمل في الاستيلاء على الأندلس،  
فصار أولئك الأعياص عصابة ابن الأخر على الانتفاع منه إلى أن  
تائل أمره ورسخ وفتنه التفوس وعجز الناس عن مطالبه وورثه  
أعقباه لهذا العهد، فلا تظن أنه بغیر عصابة، فليس كذلك وقد كان  
مبذئاً بعصابة إلا أنها قليلة، وعلى قدر الحاجة فإن قطر الأندلس  
قلة العصابات والقبائل فيه يغنى عن كثرة العصبية في التغلب  
عليهم؛ والله غني عن العالمين.

الفصل العاشر

في أن من طبيعة الملك الانفراد بالتجدد

وذلك أن الملك كما قدمناه إنما هو بالعصبية، والعصبية متألفة من عصبات كثيرة تكون واحدة منها أقوى من الأخرى كلها فتغلبها وتستولى عليها حتى تصيرها جميعاً في ضمنها، وبنفس ذلك يكون الاجتماع والغلب على الناس والدول، وسره أن العصبية العامة للقبيل هي مثل المزاج للمكتون، والمزاج إنما يكون عن العناصر، وقد تبين في موضعه أن العناصر إذا اجتمعت متكافئة فلا يقع منها مزاج أصلاً بل لا بد من أن تكون واحدة منها هي الغالبة على الكل حتى تجمعها وتؤلفها وتصيرها عصبية واحدة شاملة لجميع العصبات وهي موجودة في ضمنها، وتلك العصبية الكبرى إنما تكون لقوم أهل بيت ورئاسة فيهم، ولا بد أن يكون واحد منهم رئيساً لهم غالباً عليهم فيتعين رئيساً للعصبيات كلها لقلب منتهي لجميعها، وإذا تعين له ذلك فمن الطبيعة الحيوانية خلق الكبار والأنثى، فيائف حيثما من المساهمة والمشاركة في استباعهم والتحكم فيهم، ويجيئ خلق الثالث الذي في طباع البشر مع ما تقتضيه السياسة من انفراد الحاكم لفساد الكل باختلاف الحكام «لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدُوا» فتجد حيثما أنواع العصبيات وتقلع شكلائهم عن أن يسموا إلى مشاركته في التحكم وتترع عصبيتهم عن ذلك ويفسر به ما استطاع حتى لا يترك أحد منهم في الأمر لـ ناقفة ولا جلاً، فيفترض بذلك الجهد بكليته ويدفعهم عن مسامحته وقد يتم ذلك للأول من ملوك الدولة، وقد لا يتم إلا للثاني والثالث على قدر مانعة العصبيات وقوتها،

هو تحت يديها من القبائل والعصائب وياذن الله فيها بالفناء الذي كتبه على خليقه، وأيضاً فالترف مفسد للخلق بما يصل في النفس من الروان الشر والسففة وعوايدها كما يأتي في فصل المضاراة، فتنذهب منهم خلال التبر التي كانت علامه على الملك ودللاً عليه ويتصرفون بما يناقضها من خلال الشر ف تكون علامه على الإدبار والانقراض بما جعل من ذلك في خليقه وتأخذ الدولة مبادئ العطف وتتضاعف أحواها وتنزل بها أمراض مزمنة من المرض إلى أن يقضي عليها.

الوجه الثالث: أن طبيعة الملك تقتضي الدعوة كما ذكرناه، وإذا أخذوا الدعوة والراحة مالقاً وخلقأً صار لهم ذلك طبيعة وجبلة شأن العوائد كلها وإيلافها، فتربى أجيالهم الحادثة في غضارة العيش ومهاد الترف والدعوه، وينقلب خلق التوحش وينسون عوائد البداوة التي كان بها الملك من شدة الباس وتعود الافتراض وركوب البداء وهداية الفقر، فلا يفرق بينهم وبين السوقه من المضر إلا في الثقاقة والشاره فتضاعف حاليتهم وينذهب بأسمائهم وتختضد شوكتهم ويعود وبال ذلك على الدولة بما تلبيس من ثياب المرض، ثم لا يزالون يتلونون بعوايد الترف والحضارة والسكنون والدعوه ورقة الخاشية في جميع أحوالهم وينغمسون فيها وهم في ذلك يبعدون عن البداوة والخشونة وينسلخون عنها شيئاً فشيئاً وينسون خلق البساطة التي كانت بها الحماية والمدافعة حتى يعودوا عيالاً على حاميه أخرى أن كانت لهم، واعتبر ذلك في الدول التي أخبارها في الصحف لديك تجد ما قلته لك من ذلك صحيحاً من غير ريبة.

وربما يحدث في الدولة إذا طرقها هذا المرض بالترف والراحة أن يتخير صاحب الدولة أنصاراً وشيعة من غير جلدتهم من تعود الخشونة فيتخلذهم جنداً يكون أصبر على الحرب وأقدر على معاناة الشداد من الجروح والشظف، ويكون ذلك دواءً للدولة من المرض الذي عساه أن يطرقها حتى ياذن الله فيها بأمره، وهذا كما وقع في دولة الترك بالشرق فإن غالباً جندها الموالي من الترك فتختير ملوكهم من أولئك المالكين الجلوسين إليهم فرساناً وجندًا فيكونون أجرأ على الحرب وأصبر على الشظف من أبناء الملوك الذين كانوا قبلهم وربيراً في ماء العييم والسلطان وظله، وكذلك في دولة الموحدين بفاريقية، فإن صاحبها كثيراً ما يتخذ أجناده من زناته والعرب ويستكثر منهم ويترك أهل الدولة المتعودين للترف فستتجدد الدولة بذلك عمرًا آخر سالماً من المرض، والله وارث الأرض ومن عليها.

### الفصل الثالث عشر

في أنه إذا تحكمت طبيعة الملك من الانفراد بالجذب وحصل الترف وبيانه من وجوه:

الأول: أنها تقضي الانفراد بالجذب كما قلناه، وما كان الجذب مشتركاً بين العصابة وكان سعيهم له واحداً كانت هممهم في التغلب على الغير والذب عن الحوزة أسوة في طرحها وقرة شكانها ومرءاهم إلى العز جيعاً، وهو يستطيون الموت في بناء مجدهم ويزرعون الملكة على فساده، وإذا انفرد الواحد منهم بالجذب قرع عصبيتهم وكبح من اعتمهم واستثار بالأموال دونهم، فتكاسلوا عن الغزو وفشل رجحهم ورثموا المنلة والاستعباد، ثم ربي الجيل الثاني منهم على ذلك يحسبون ما ينالم من العطاء أجراً من السلطان لهم عن الحماية والعونه لا يجرئ في عقرهم سواء، وكل أن يستأجر أحد نفسه على الموت فيصير ذلك وهنا في الدولة وخضداً من الشوكه وتقبل به على مناحي الضعف والهرم لفساد العصبية بنهاب البأس من أهلها.

والوجه الثاني أن طبيعة الملك تقتضي الترف كما قدمناه، فتكثر عوائدهم وتزيد نفقاتهم على أعطياتهم ولا يفي دخلهم بمحرجهم، فالفقير منهم يهلك والترف يستغرق عطاه بترفة، ثم يزداد ذلك في أجيالهم المتأخرة إلى أن يقصر العطاء كله عن الترف وعوايدهم وتمسهم الحاجة وطال عليهم ملوكهم بمصر نفقاتهم في الغزو والحرروب، فلا يجدون ولجةً عنها فيوقعون بهم العقوبات ويترعنون ما في أيدي الكثير منهم يستثرون به عليهم، أو يؤثرون به أبناءهم وصنائع دولتهم فتضاعفونهم لذلك عن إقامة أحوالهم وبضعف صاحب الدولة بضعفهم، وأيضاً إذا كثر الترف في الدولة وصار عطاهم مقصراً عن حاجاتهم ونفقاتهم، احتاج صاحب الدولة الذي هو السلطان إلى الزيادة في أعطياتهم حتى يسد خللهم ويزدح عليهم، والجباية مقدارها معلوم ولا تزيد ولا تنقص، وأن زادت بما يستحدث من المكوس فيصير مقدارها بعد الزيادة محدوداً، فإذا وزعت الجباية على الأعطيات وقد حدثت فيها الزيادة لكل واحد بما حدث من ترههم وكثرة نفقاتهم نقص عدد الحماية حيث إنها كانت قبل زيادة الأعطيات، ثم يعظم الترف وتكثر مقادير الأعطيات لذلك فينقص عدد الحماية وثالثاً ورابعاً إلى أن يعود العسكر إلى أقل الأعداد فتضاعف الحماية لذلك وتسقط قوة الدولة ويتجاوزها من يجاورها من الدول أو من

## الفصل الرابع عشر

### في أن الدولة لها أعمار طبيعية كما للأشخاص

وأما الجيل الثالث فيسوقون عهد البداوة والخشونة كأن لم تكن ويفقدون حلاوة العز والعصبية بما هم فيه من ملوك القيصر، ويبلغون فيهم الترف غايتها بما ينفقوه من التعميم وغضارة العيش، فيسيرون عيالاً على الدولة ومن جملة النساء والولدان المحتاجين للدفاع عنهم، وتسقط العصبية بالجملة وينسون الحماية والمدافعة والطالبة، ويبلسوون على الناس في الشارة والسيسي وركوب الخيل وحسن الثقافة يموهون بها وهم في الأكثر أجبن من النساء على ظهورها، فإذا جاء الطالب لهم لم يقاوموا مدافعته فيحتاج صاحب الدولة حتى إلى الاستظهار بسواهم من أهل النجدة ويستكثر باللواز ويفضطئون من يغنى عن الدولة بعض الغناء حتى يتاذن الله بانفراطها فتنبع الدولة بما حلت، فهذه كما تراه ثلاثة أجيال فيها يكون هرم الدولة وتخلوها.

وهذا كان انحراف الحسب في الجيل الرابع كما مر في أن الجيد والحسب إنما هو في أربعة أيام وقد أتياك فيه برهان طبيعي كاف ظاهر مبني على ما مهدناه قبل من المتقدمات فتأمله، فلن تعلو وجه الحق إن كنت من أهل الإنفاق.

وهذه الأجيال الثلاثة عمرها مائة وعشرون سنة على ما مر، ولا تعدد الدول في الغالب هذا العمر بتقريب قبله أو بعده إلا أن عرض لها عارض آخر من فقدان الطالب، فيكون المسمى حاصلاً مستولياً والطالب لم يخترها، ولو قد جاء الطالب لما وجد مدافعاً **﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلَهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾**.

فهذا العمر للدولة بعثابة عمر الشخص من التزايد إلى سن الوقوف ثم إلى سن الرجوع، وهذا يجري على السنة الناس في المشهور أن عمر الدولة مائة سنة، وهذا معناه، فاعتبره واتخذ منه قانوناً يصحح لك عدد الآباء في عمود النسب الذي تريده من قبل معرفة السنين الماضية إذا كنت قد استترت في عددهم وكانت السنون الماضية منذ أوطم محصلة لديك، فعدّ لكل مائة من السنين ثلاثة من الآباء، فإن نقصت على هذا القياس مع تقدّم عددهم فهو صحيح، وإن نقصت عنه بيميل فقد غلط عددهم بزيادة واحد في عمود النسب وإن زادت بمثله فقد سقط واحد، وكذلك تأخذ عدد السنين من عددهم إذا كان حصصاً لديك، فتأمله تجده في الغالب صحيحًا **﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْأَيْنَ وَالْآتَارَ﴾**.

اعلم أن العمر الطبيعي للأشخاص على ما زعم الأطباء والمجمون مائة وعشرون سنة وهي سن القمر الكبدي عند المنجمين، ويختلف العمر في كل جيل بحسب القراءات فيزيد عن هذا وينقص منه، ف تكون أعمار بعض أهل القراءات مائة تامة وبعضهم خمسين أو ثمانين أو سبعين على ما تقتضيه أدلة القراءات عند الناظرين فيها، وأعمار هذه الملة ما بين الستين إلى السبعين كما في الحديث، ولا يزيد على العمر الطبيعي الذي هو مائة وعشرون إلا في الصور النادرة وعلى الأوضاع الغريبة من الفلك كما وقع في شأن نوح عليه السلام وقليل من قوم عاد وثمود. وأما أعمار الدول أيضاً، وإن كانت تختلف بحسب القراءات، إلا أن الدولة في الغالب لا تعدد أعمار ثلاثة أجيال، والجيل هو عمر شخص واحد من العمر الوسط، فيكون أربعين الذي هو انتهاء النمو والنشوء إلى غايته، قال تعالى: **«هُنَّ أَنَّا بَلَغَ أَشَدَهُ وَبَلَغَ أَرْبِيعَنَ سَنَةً»** وهذا قلنا: إن عمر الشخص الواحد هو عمر الجيل ويزيد ما ذكرناه في حكمته التي الذي وقع في بني إسرائيل وإن المقصود بالأربعين فيه فناء الجيل الأحياء ونشأة جيل آخر لم يهدوا الذل ولا عرفة، فدل على اعتبار الأربعين في عمر الجيل الذي هو عمر الشخص الواحد.

إنما قلنا: إن عمر الدولة لا يعدد في الغالب ثلاثة أجيال، لأن الجيل الأول لم يزالوا على خلق البداوة وخشونتها وتوحشها من شظف العيش والبسالة والافتراض والاشتراك في الجيد، فلا تزال بذلك سورة العصبية محفوظة فيهم، فحلهم مرهف وجانبيهم مرهوب، والناس لهم مغلوبون.

والجيل الثاني تحول حالمهم بالملك والترفة من البداوة إلى الحضارة، ومن الشظف إلى الترف والخصب، ومن الاشتراك في الجيد إلى انفراد الواحد به وكسل الباقين عن السعي فيه، ومن عز الاستطالة إلى ذل الاستكانتة فتنكسر سورة العصبية بعض الشيء وتؤنس منهم المهانة والخضوع وببقى لهم الكثير من ذلك بما أدركوا الجيل الأول وبما شروا أحواتهم وشاهدوا من اعتزازهم وسعفهم إلى الجيد وماراهم في المدافعة والحماية، فلا يسعهم ترك ذلك بالكلية وإن فعب منه ما ذهب ويكونون على رجاء من مراجعة الأحوال التي كانت للجيل الأول أو على ظن من وجوردها فيهم.

## الفصل الخامس عشر

### في انتقال الدولة من البداوة إلى الحضارة

حصلت في يده، يقع لكل واحد منهم ما أداه إليه الاتفاق والبحث، وفرق على الطبقة الثانية بدر الدناني في كل بذرة عشرة آلاف، وفرق على الطبقة الثالثة بدر الدرهم كذلك، بعد أن انفق على مقامة المأمون بداره أضعاف ذلك، ومنه أن المأمون أعطاها في مهرها ليلة زفافها ألف حصة من الياقوت وأوقد شموع العبر في كل واحدة مائة من وهو رطل وثلاثون ويسبط لها فرشاً كان الحصیر منها منسوجاً بالذهب مكلاً بالدر والياقوت، وقال المأمون حين رأه: قاتل الله أبا نواس، كأنه أبصر هذا حيث يقول في صفة الخمر:

كان صغرى وكبرى من فواعها حصباء در على أرض من الذهب وأعد بدار الطبخ من الخطب للليلة الوليمة نقل مائة وأربعين بغلًا مدة عام كامل ثلاث مرات كل يوم، وفني الخطب للليتين وأوقدوا الجرید بصبون عليه الزيت، وأوزع إلى التواتية بإحضار السفن لإجازة الخواص من الناس بدجلة من بغداد إلى قصور الملك بمدينة المأمون لحضور الوليمة، فكانت الحراقات المعدة لذلك ثلاثين ألفاً أجازوا الناس فيها آخريات نهارهم، وكثير من هذا وأمثاله، وكذلك عرس المأمون بن ذي التسون بطبلطلة؛ تقلة ابن بسام في كتاب «الذخيرة»، وابن حبان بعد أن كانوا كلهم في الطور الأول من البداوة عاجزين عن ذلك جلة لفقدان أسبابه والقائمين على صنائعه في غضاضتهم وسذاجتهم.

ويذكر أن الحاجاج أعلم في اختنان بعض ولده فاستحضر بعض الدهاقين يسأله عن ولائم الفرس وقال: أخبرني بأعظم صنيع شهادته فقال له: نعم أيها الأمير شهدت بعض مرازية كسرى وقد صنع لأهل فارس صنيعاً أحضر فيه صحاف الذهب على آخرنة الفضة، أربعاً على كل واحد وتحمله أربع وصائف ويجلس عليه أربعة من الناس، فإذا طعموا أتبعوا أربعيتهم المائدة بصحافتها ووصافتها، فقال الحاجاج: يا غلام انحر الجزر وأطعم الناس؛ وعلم أنه لا يستقل بهذه الأبهة، وكذلك كان.

ومن هذا الباب أعطيه بني أمية وجوارثهم، فإنما كان أكثرها الإبل أخذناً مذاهبين العرب وبداورتهم، ثم كانت الجوانز في دولة بنى العباس والعبيدين من بعدهم ما علمت من أحوال المال وتختوت الثياب وإعداد الخيل بمراكيها.

وهكذا كان شأن كاتمة مع الأغالبة يافريقيه وكذا بنو طفح مصر، وشأن لتونة مع ملوك الطوائف بالأندلس والموحدين كذلك، وشأن زناته مع الموحدين وهلم جراً، تنتقل الحضارة من الدول السالفة إلى الدول المختلفة، فانتقلت حضارة الفرس للعرب بني أمية وبني العباس، وانتقلت حضارة بني أمية بالأندلس إلى

يكون به الملك إنما هو بالعصبية وما يتبعها من شدة البأس وتعود الافتراض، ولا يمكن ذلك غالباً إلا مع البداوة، فطرور الدولة من أولها ببداوة، ثم إذا حصل الملك تبعه الرفه واتساع الأحوال، والحضارة إنما هي تفنن في الترف وإحكام الصنائع المستعملة في وجوهه ومنذاهيه من المطابخ والملابس والمباني والفرش والأبنية وسائل عوائد المنزل وأحواله، فلكل واحد منها صنائع في استجادته والتائق فيه تختص به ويتلو بعضها بعضاً، ويتكرر باختلاف ما تتنوع إليه النقوس من الشهوات والملاذ والتعمّل بأحوال الترف وما تتلون به من العوائد، فصار طور الحضارة في الملك يتبع طور البداوة ضرورة لضرورة تبعية الرفه للملك.

وأهل الدول أبدأ يقلدون في طور الحضارة وأحوالها للدولة السابقة قبلهم، فأحوالهم يشاهدون، ومنهم في الغالب يأخذون، ومثل هذا وقع للعرب لما كان الفتح وملوكها فارس والروم واستخدمو بناهم وأبناءهم، ولم يكونوا بذلك العهد في شيء من الحضارة، فقد حكى أنه قدم لهم المرقق فكانوا يحسبونه رقاعاً وعثروا على الكافور في خزان كسرى فاستعملوه في عجائبهم ملحاً وأمثال ذلك.

فلما استعبدوا أهل الدول قبلهم واستعملوهم في مهنهم وحاجات منازلهم واختاروا منهم المهرة في أشغال ذلك والقرمة عليهم أفادوهم علاج ذلك والقيام على عمله والتفنن فيه مع ما حصل لهم من اتساع العيش والتفنن في أحواله فبلغوا الغاية في ذلك وتطوروا بطور الحضارة والترف في الأحوال واستجادة المطاعم والمشارب والملابس والمباني والأسلحة والفرش والأبنية وسائر المأعون والخزيبي وكذلك أحوالهم في أيام الماهمة والولائم وليلي الأعراس فاتروا من ذلك وراء الغاية.

وانظر ما نقله المسعودي والطبراني وغيرهما في أعراس المأمون ببوران بنت الحسن بن سهل وما بذل أبوها حاشية المأمون حين وفاته في خطبتها إلى داره بضم الصبح وركب إليها في السفين وما انفق في إملاكها وما نخلها المأمون وأنفق في عرسها تتفق من ذلك على العجب، فمنه أن الحسن بن سهل ثر يوم الأملك في الصنيع الذي حضره حاشية المأمون فثر على الطبقة الأولى منهم بنادق المسك ملتوية على الرقاع بالضياع والعقار مسوقة لمن

## الفصل السابع عشر

### في أطوار الدولة واختلاف أحوالها وخلق أهلها باختلاف الأطوار

يعلم أن الدولة تنتقل في أطوار مختلفة وحالات متعددة ويكتسب القائمون بها في كل طور خلقاً من أحوال ذلك الطور لا يكون مثله في الطور الآخر؛ لأن الخلق تابع بالطبع لمزاج الحال الذي هو فيه. وحالات الدولة وأطوارها لا تعدد في الغالب خمسة أطوار:

**الطور الأول:** طور الظفر بالبغية وغلب المدافع والممانع والاستيلاء على الملك وانتزاعه من أيدي الدولة السالفة قبلها، فيكون صاحب الدولة في هذا الطور أسوة قومه في اكتساب الجد وجباية المال والمدافعة عن الحوزة والحماية لا ينفرد دونهم بشيء؛ لأن ذلك هو متضمن العصبية التي وقع بها الغلب وهي لم تزل بعد بحثها.

**الطور الثاني:** طور الاستبداد على قومه والانفراد دونهم بالملك وكبحهم عن التطاول للمساهمة والمشاركة ويكون صاحب الدولة في هذا الطور معيناً باصطدام الرجال وتخاذل الموالي والصنائع والاستكثار من ذلك لجذع أنوف أهل عصبيته وعشيرته المقاسمين له في نسبة الضاربين في الملك بمثل سهمه، فهو يدافعهم عن الأمر ويصلهم عن موارده ويردهم على أعقابهم، أن يخلصوا إليه حتى يقر الأمر في نصبه ويفرد أهل بيته بما يبني من مجده فيعاني من مدافعتهم ومحاباتهم مثل ما عاناه الأولون في طلب الأمر أو أشد؛ لأن الأولين دافعوا الأجانب فكان ظهراؤهم على مدافعتهم أهل العصبية بأجمعهم، وهذا يدفع الأقارب لا ظاهره على مدافعتهم إلا الأقل من الأبعد فيرتكب صعباً من الأمر.

**الطور الثالث:** طور الفراغ والدعة لتحصيل ثمرات الملك مما تنبع طباع البشر إليه من تحصيل المال وتخليد الآثار وبعد الصيت، فيستغرن وسعه في الجباية وضبط الدخل والخرج وإحصاء النفقات والقصد فيها وتشييد المانوي الحافظة والمصانع العظيمة والأمصار المتشعة والهيكل المرتفعة، وإجازة الرفود من أشراف الأسم ووجوه القبائل، وبث المعروف في أهلها، هذا مع التوسيع على صنائعه وحاشيته في أحواهم بماله وإيجاده واعتراض جنوده وإدار أرزاقهم وإنصافهم في أعطيائهم لكل هلال حتى يظهر أثر ذلك عليهم في ملابسهم وشكthem وشاراتهم يوم الزينة فييامي بهم الدول المسالمة ويرهب الدول المخارية، وهذا الطور آخر أطوار

ملوك المغرب من المرحدين وزنانة لهذا العهد، وانتقلت حضارةبني العباس إلى الدليم ثم إلى الترك ثم إلى السلاجوقية ثم إلى الترك المماليك بمصر والتر بالعرقين، وعلى قدر عظم الدولة يكون شأنها في الحضارة، إذ أمور الحضارة من توسيع الترف، والترف من توسيع الثروة والنعمة والثروة والنعمة من توسيع الملك ومقدار ما يستولي عليه أهل الدولة، فعلى نسبة الملك يكون ذلك كله فاعتبه وفهمه وتأمله تجده صحيحاً في العمran، والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

## الفصل السادس عشر

### في أن الترف يزيد الدولة في أهلها قوة إلى قوتها

والسبب في ذلك أن القبيل إذا حصل لهم الملك والتراث التناслед والرُّؤُل والعمومية فكثرت العصابة، واستكثروا أيضاً من المال والصنائع، وربت أجيالهم في جو ذلك النعيم والرفاه، فازدادوا به عدداً إلى عددهم وقوتها إلى قوتهم بسبب كثرة العصائب حيث بلغت العدد، فإذا ذهب الجيل الأول والثاني وأخذت الدولة في المرم لم تستقل أولئك الصنائع والموالى بأنفسهم في تأسيس الدولة وتعهد ملكها؛ لأنهم ليس لهم من الأمر شيء إنما كانوا عبلاً على أهلها ومعونة لها، فإذا ذهب الأصل لم يستقل الفرع بالرسوخ فيذهب ويتبلاشى، ولا تبقى الدولة على حالها من القرة.

واعتبر هذا بما وقع في الدولة العربية في الإسلام، كان عدد العرب كما قلت لهم النبوة والخلافة مائة وخمسين ألفاً أو ما يقاربها من مضر وقطحان، ولما بلغ الترف مبالغه في الدولة وتتوفر نعومه بتوفير النعمة واستكثار الخلفاء من المال والصنائع بلغ ذلك العدد إلى أضعافه؛ يقال: إن المعتصم نازل عمورية لما افتحها في تسعمائة ألف ولا يبعد مثل هذا العدد أن يكون صحيحاً إذا اعتبر حاميهن في الشعور الدانية والقصاصية شرقاً وغرباً إلى الجندي الحاملين سرير الملك والموالي والمصطنعين.

وقال المسعودي: أحصى بنو العباس بن عبد المطلب خاصة أيام المأمون للإنفاق عليهم فكانوا ثلاثة ألفاً بين ذكران وإناث فانتظر مبالغ هذا العدد لأقل من مائتي سنة، واعلم أن سيبة الرفة والنعيم الذي حصل للدولة وربى فيه أجيالهم وإلا فعدد العرب لأول الفتح لم يبلغ هذا ولا قريباً منه والله الخلاق العليم.

كيف تقدر دولة على بناء لا تستطيع أخرى على هدمه مع بون ما بين الهدم والبناء في السهولة. تعرف من ذلك بون ما بين الدولتين، وانظر إلى بلاط الوليد بدمشق وجامع بيبي أمية بقرطبة والقطدرة التي على واديهما، كذلك بناء المزابي بطلب الماء إلى قرطاجنة في القناة الراكيبة عليها وأثار شرشال بالغرب والأهرام بمصر وكثير من هذه الآثار المائة للعيان تعلم منه اختلاف الدول في القوة والضعف.

وعالمل أن تلك الأفعال للأقدمين إنما كانت بالهندام واجتماع الفعلة وكثرة الأيدي عليها، فبنكش شيد تلك الهياكل والمصانع ولا تورهم ما تورهم العامة أن ذلك لعظم أجسام الأقدمين عن أجسامنا في أطرافها وأقطارها، فليس بين البشر في ذلك كثير بون كما تجد بين الهياكل والأكواخ، وقد لوح الفcasars بذلك وتغلوا فيه وسطروا عن عاد وثمود والعمالقة في ذلك أحجاراً عريقة في الكذب، من أغبرها ما يحكون عن عوج بن عناق - رجل من العمالقة الذين قاتلهم بنو إسرائيل في الشام - زعموا أنه كان لطوله يتراوح السمك من البحر ويشويب إلى الشمس وزيدون إلى جهلهم بأحوال البشر الجهل بأحوال الكراكب لما اعتقدوا أن للشمس حرارة وأنها شديدة فيما قرب منها ولا يعلمون أن الحر هو الضوء، وأن الضوء فيما قرب من الأرض أكثر لانعكاس الأشعة من سطح الأرض مقابلة الأرض، فتضاعف الحرارة هنا لأجل ذلك، وإذا تجاوزت مطارات الأشعة المنكعة فلا حر هناك بل يكون فيه البرد حيث جاري السحاب، وأن الشمس في نفسها لا حارة ولا باردة وإنما هي جسم بسيط مضيء لا مزاج له.

وكذلك عوج بن عناق هو فيما ذكره من العمالقة أو من الكعنينيين الذين كانوا فرنسة بنى إسرائيل عند فتحهم الشام وأطروا بنى إسرائيل وجوائزهم لذلك العهد قريبة من هياكلنا يشهد بذلك أبواب بيت المقدس، فإنها وإن خربت وجدت لم تزل تحافظ على أشكالها ومقادير أبوابها، وكيف يكون التفاوت بين عوج وبين أهل عصره بهذا المقدار، وإنما مثار غلطهم في هذا أنه استعطاهم آثار الأسماء ولم يفهموا حال الدول في الاجتماع والتعاون وما يحصل بذلك وبالهندام من الآثار العظيمة فصرفوه إلى قوة الأجسام وشدتها بعظم هياكلها وليس الأمر كذلك.

وقد زعم المعودي ونقله عن الفلاسفة مزاعماً لا مستند له إلا التحكم، وهو أن الطبيعة التي هي جبل للأجسام لما برأ الله الخلق كانت في تمام المرأة ونهاية القوة والكمال وكانت الأعمار أطول والأجسام أقوى لكمال تلك الطبيعة، فإن طروع الموت إنما

الاستبداد من أصحاب الدولة؛ لأنهم في هذه الأطوار كلها مستقلون بآرائهم بانون لغيرهم موضعون الطرق لمن بعدهم.

الطور الرابع: طور القبوع والمسالة، ويكون صاحب الدولة في هذا قاتماً بما يرى أولوه سلماً لأنظاره من الملوك وأمثاله، مقلداً للماضين من سلفه فيتبع آثارهم حذو النعل بالتعل ويقتفي طرقهم بأحسن مناهج الاقتداء، ويرى أن في الخروج عن تقليدهم فساد أمره وأنهم أبصروا بما بثوا من مجده.

الطور الخامس: طور الإسراف والتبذير ويكون صاحب الدولة في هذا الطور متلماً لما جمع أولوه في سبيل الشهوات والملاذ والكرم على بطانته وفي مجالسه واصطدامه أخذان السوء وغضراء الدمن وتقليلهم عظيمات الأمور التي لا يستقلون بحملها ولا يعرفون ما يأتون بذرون منها مستنقذاً لكتاب الأولياء من قومه وصنائع سلفه حتى يضطغنو عليه ويختذلوا عن نصرته مضيئاً من جنده بما أنفق من أعطياته في شهراته وحجب عنهم وجهه مباشرة وتفقده فيكون مغرباً لما كان سلفه يؤسرون وهادماً لما كانوا يبنون، وفي هذا الطور تحصل في الدولة طبيعة المرم ويستولي عليها المرض الزمن الذي لا تکاد تخلص منه ولا يمكن لها معه براء إلى أن تفترض كما نبنته في الأحوال التي نسردها والله خير الوارثين.

## الفصل الثامن عشر

### في أن آثار الدولة كلها على نسبة قوتها في أصلها

والسبب في ذلك أن الآثار إنما تحدث عن القوة التي بها كانت أولاً وعلى قدرها يكون الأثر، فمن ذلك مباني الدولة وهيكلها العظيمة، فإنما تكون على نسبة قوة الدولة في أصلها لأنها لا تسم إلا بكرة الفعلة واجتماع الأيدي على العمل والتعاون فيه، فإذا كانت الدولة عظيمة فسيحة الجوانب كثيرة المالك والرعايا كان الفعلة كثرين جداً وخشروا من آفاق الدولة وأقطارها فتم العمل على أعظم هياكله.

الآن إلى مصانع قوم عاد وثمود وما قصه القرآن عنهم، وانظر بالمشاهدة إيوان كسرى وما اقتدر فيه الفرس حتى إنه عزم الرشيد على هدمه وتخربيه فتكأعاد عنه وشرع فيه ثم أدركه العجز، وقصة استشارته ليعين بن خالد في شأنه معروفة، فانظر

بن محمد بن عبد الحميد عمل بما يحمل إلى بيت المال ببغداد أيام المأمون من جميع التراخي تقلته من جراب الدولة: غلات السواد سبع وعشرون ألف الف درهم مرتين وثمانمائة ألف درهم، ومن الحال التجارنية مائتا حلقة، ومن طين الحنف مائتان وأربعون رطلاً كثكر أحد عشر ألف الف درهم مرتين وستمائة ألف درهم كور دجلة عشرون ألف الف درهم وثمانمائة درهم. (حلوان) أربعة آلاف الف درهم مرتين وثمانمائة ألف درهم. (الأهواز) خمسة وعشرون ألف الف درهم مرة ومن السكر ثلاثون ألف رطل. (فارس) سبعة وعشرون ألف الف درهم ومن ماء الورد ثلاثون ألف قارورة، ومن الزيت الأسود عشرون ألف رطل. (كرمان) أربعة آلاف الف درهم مرتين ومائتا ألف درهم، ومن الملح اليماني خمسمائة ثوب ومن التمر عشرون ألف رطل. (مكسران) أربعمائة ألف درهم مرة. (الستان وما يليه) أحد عشر ألف الف درهم مرتين وخمسمائة ألف درهم ومن العود المندي مائة وخمسون رطلاً. (سجستان) أربعة آلاف الف درهم مرتين ومن الثياب المعينة ثلاثة ثوب ومن الفانيد عشرون رطلاً. (خراسان) ثمانية وعشرون ألف الف درهم مرتين، ومن نقر الفضة ألفاً نحرة، ومن البراذين أربعة آلاف، ومن الرقيق ألف رأس، ومن الملح عشرة ألف ثوب، ومن الإلهليج ثلاثون ألف رطل. (جرجان) اثنا عشر ألف الف درهم مرتين، ومن الإبريسم ألف شقة. (قوسن) ألف الف درهم مرتين وخمسمائة ألف درهم. (طرستان والروسان ونهاروند) ستة آلاف ألف مرتين وثلاثمائة ألف ومن الفرش الطبرى ستمائة قطعة، ومن الأكسية مائتان، ومن الثياب خمسمائة ثوب، ومن المندلبل ثلاثة، ومن الجامات ثلاثة. (الري) اثنا عشر ألف الف درهم مرتين، ومن العسل عشرون ألف رطل. (عمدان) أحد عشر ألف الف درهم مرتين وثلاثمائة ألف، ومن رب الرمان ألف رطل، ومن العسل اثنا عشر ألف رطل. (ما بين البصرة والكوفة) عشرة آلاف ألف درهم مرتين وسبعمائة ألف درهم. (ما بين داران والدينار) أربعة آلاف ألف درهم مرتين. (شهر زور) ستة آلاف ألف الف درهم مرتين وسبعمائة ألف درهم. (الموصل) وما يليها أربعة وعشرون ألف الف درهم مرتين، ومن العسل الأبيض عشرون ألف الف رطل. (آذربيجان) أربعة آلاف الف درهم مرتين. (الجزيرة وما يليها من أعمال القرارات) أربعة وثلاثون ألف الف درهم مرتين، ومن الرقيق ألف رأس، ومن العسل اثنا عشر ألف ذق، ومن البزرة عشرة، ومن الأكسية عشرون. (أرمينية) ثلاثة عشر ألف الف درهم مرتين، ومن القسطنطيني عشرة وعشرون، ومن الزقم خمسمائة وثلاثون رطلاً، ومن المسابيع

هو بالحال القوى الطبيعية فإذا كانت قوية كانت الأعمار أزيد فكان العالم في أولية نشاته تمام الأعمار كامل الأجسام، ثم لم ينزل بتناقص لنقصان المادة إلى أن بلغ إلى هذه الحال التي هو عليها، ثم لا يزال بتناقص إلى وقت الأخلاص وإنقراض العالم، وهذا رأي لا وجہ له إلا الحكم كما تراه وليس له علة طبيعية ولا سبب برهاني، ولكن نشاهد مساكن الأولين وأبوابهم وطرقهم فيما أحذثوه من البناء والهيكل والديار والمساكن كديار تمود المنحوتة في الصلد من الصخر بيوتاً صغاراً وأبوابها ضيقة وقد أشار الكتاب إلى أنها ديارهم ونهى عن استعمال مياههم وطرح ما عجب به وأمرقه وقال: «لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين أن يصيكم ما أصابهم».

وكذلك أرض عاد ومصر والشام وسائر بقاع الأرض شرقاً وغرباً والحق ما قررناه.

ومن آثار الدول أيضاً حالها في الأعراس والولائم كما ذكرناه في وليمة بوران وصنع الحاج وابن ذي النون وقد مر ذلك كلـه.

ومن آثارها أيضاً عطايا الدول وأنها تكون على نسبتها وينظر ذلك فيها ولو أشرفت على المهر، فإن المهم التي لأهل الدولة تكون على نسبة قوة ملوكهم وغلبهم للناس، والمهم لا تزال مصاحبة لهم إلى انقراض الدولة واعتبر ذلك بجهازن ابن ذي يزن لوفد قريش كيف أعطاهم من أرطال الذهب والفضة والأعبد والوصائف عشرأً عشرأً ومن كوش العنبر واحدة وأضعف ذلك بعشرة أمثاله لعبد المطلب، وإنما ملكه يومئذ قرابة اليمن خاصة تحت استبداد فارس، وإنما حمله على ذلك همة نفسه بما كان لقومه التابعة من الملك في الأرض والتغلب على الأمم في العراقين والهند والمغرب؛ وكان الصنهاجيون بحقيقة أيضاً إذا أحازوا الوفد من أمراء زنانة الوافدين عليهم، فإنما يعطونهم المال أحصالاً والأكسية تحوتاً ملؤةً والحملان لمجائب عديدة.

وفي تاريخ ابن الرقيق من ذلك أخبار كثيرة، وكذلك كان عطاء البرامكة وجوازاتهم ونفائسهم وكانت إذا كسبوا معدماً فإنما هو الولاية والنعمة آخر الدهر لا العطاء الذي يستفاده يوم أو بعض يوم وأخبارهم في ذلك كثيرة مسطورة وهي كلها على نسبة الدول جارية، هذا جوهر الصقلي الكاتب قائد جيش العبيدين لما ارتحل إلى فتح مصر استعد من القيروان بالف حمل من المال ولا تنتهي اليوم دولة إلى مثل هذا.

موارد بيت المال ببغداد أيام المأمون، وكذلك وجد بخط أحد

إلى المغرب واتصل بالسلطان أبي عشنان، وكان يحدث عن شأن رحلته وما رأى من العجائب بملك الأرض، وأكثر ما كان يحدث عن دولة صاحب الهند وب يأتي من أحواله بما يستغره السامعون مثل أن ملك الهند إذا خرج إلى السفر أخصى أهل مدنته من الرجال والنساء والولدان وفرض لهم رزق ستة أشهر تدفع لهم من عطائه، وأنه عند رجوعه من سفره يدخل في يوم مشهود يبرز فيه الناس كافة إلى صحراء البلد ويطوفون به، وينصب أمامه في ذلك الحفل منجنقات على الظهر ترمي بها شكائر الدرهم والدنار على الناس إلى أن يدخل ليوانه، وأمثال هذه الحاليات فتاجي الناس بتكتيبه ولقيت أيامه وزير السلطان فارس بن وردار البعيد الصبي فقاوته في هذا الشأن وأريته إنكار أخبار ذلك الرجل لما استفاض في الناس من تكتيبه.

قال لي الوزير فارس: إياك أن تستذكر مثل هذا من أحوال الدول بما أنك لم تره فنكون كابن الوزير الناشيء في السجن، وذلك أن وزيراً اعتقله سلطانه ومكث في السجن سنتين ربي فيها ابنه في ذلك الحبس، فلما أدرك وعقل سال عن اللحم الذي كان يتغذى به فقال له أبوه: هذا حلم الغنم فقال: وما الغنم؟ فيصفها له أبوه بشياتها ونحوتها فيقول: يا أبا تراها مثل الفار فينكر عليه ويقول: ابن الغنم من الحيوانات إلا الفار فيحسبها كلها أبناء جنس الفار وهذا كثيراً ما يعتري الناس في الأخبار كما يعتريهم الروسوس في الزدادة عن قصد الإغراب كما قدمناه أول الكتاب. فليرجع الإنسان إلى أصوله ول يكن مهيناً على نفسه ومحيناً بين طيبة الممكن والممتنع بصرح عقله ومستقيم قدرته، فما دخل في نطاق الإمكاني قبله وما خرج عنه رفضه، وليس مرادنا الإمكان العقلي المطلق، فإن نطاقه أوسع شيء فلا يفرض حداً بين الواقعات، وإنما مرادنا الإمكان بحسب المادة التي للشيء، فإذا نظرنا أصل الشيء وجنسه وصيغته ومقدار عظمته وقوته أجرينا الحكم من نسبة ذلك على أحواله، وحكمنا بالامتناع على ما خرج من نطاقه **«وقل رب زدني علماء»** **«وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ»** والله سبحانه وتعالى أعلم.

السور ما هي عشرة آلاف رطل، ومن الصونج عشرة آلاف رطل، ومن البغال مائتان، ومن المهرة ثلاثون. (قسررين) أربعين ألف دينار، ومن الزيت ألف حل. (دمشق) أربعين ألف دينار وعشرون ألف دينار. (الأردن) سبعة وتسعون ألف دينار. (فلسطين) ثلاثة ألف دينار وعشرة آلاف دينار، ومن الزيت ثلاثة ألف رطل (مصر) ألف دينار وتسعمائة ألف دينار وعشرون ألف دينار. (برقة) ألف الف درهم مرتين. (أفريقية) ثلاثة عشر ألف درهم مرتين، ومن البسط مائة وعشرون. (اليمن) ثلاثة ألف دينار وسبعين ألف دينار سوى المئع. (الحجاج) ثلاثة ألف دينار انتهى.

وأما الأندلس فالذي ذكره الثقات من مؤرخيها أن عبد الرحمن الناصر خلف في بيته أمواله خمسة آلاف الف ألف دينار مكررة ثلاث مرات يكون جملتها بالقتاطير خمسة ألف قطار. ورأيت في بعض تواريخ الرشيد أن الحمول إلى بيت المال في أيامه سبعة آلاف قطار وخمسة قطار في كل سنة.

فاعتبر ذلك في نسب الدول بعضها من بعض ولا تتكرر ما ليس بهمود عنده ولا في عصرك شيء من أمثاله فتضيق حوصلتك عند ملقط المكنات، فكثير من الخواص إذا سمعوا أمثال هذه الأخبار عن الدول السالفة بادر بالإنكار وليس ذلك من الصواب، فإن أحوال الوجود وال عمران متفاوتة، ومن أمرك منها رتبة سفلية أو وسطى فلا يحصر المدارك كلها فيها ونحن إذا اعتبرنا ما ينقل لنا عن دولة بني العباس وبين أمية والعبيدين وناسينا الصحيح من ذلك الذي لا شك فيه بالذى شاهده من هذه الدول التي هي أقل بالنسبة إليها وجدنا بينها بونا وهو لما بينها من التفاوت في أصل قوتها وعمران مالكها، فالآثار كلها جارية على نسبة الأصل في القوة كما قدمناه، ولا يسعنا إنكار ذلك عنها، إذ كثير من هذه الأحوال في غاية الشهرة والوضوح، بل فيها ما يلحق بالمستفيض والتواتر وفيها المعابن والشاهد من آثار البناء وغيره، فخذ من الأحوال المقلولة مراتب الدول في قوتها أو ضعفها وضخامتها أو صغرتها واعتبر ذلك بما نقصه عليك من هذه الحكاية المستطرفة.

وذلك أنه ورد بالمغرب لعهد السلطان أبي عنان من ملوك بني مرين رجل من مشيخة طنجة يعرف بابن بطرطة كان رحل منذ عشرين سنة قبلها إلى الشرق وتقلب في بلاد العراق واليمن والمهد ودخل مدينة دهلي حاضرة ملك الهند وهو السلطان محمد شاه، واتصل بملكها لذلك العهد وهو فيروزوجه، وكان له منه مكان واستعمله في خطة القضاء بمنصب المالكية في عمله ثم انقلب

من مهدها والعز لغير من اجلبه، سنة الله في عباده والله تعالى  
أعلم.

## الفصل العشرون

### في أحوال الموالي والمصطنعين في الدول

أعلم أن المصطنعين في الدول يتفاوتون في الاتحام بصاحب الدولة بتفاوت قدرهم وحديثهم في الاتحام بصاحبها والسبب في ذلك أن المقصود في العصبية من المدافعة وال مقابلة إنما يتم بالنسبة لأجل التناصر في ذوي الأرحام والقربي والختال في الآجانب والبعداء كما قدمنا، والولاية والمخالطة بالررق أو بالحلف تتزلف منزلة ذلك؛ لأن أمر النسب، وإن كان طبيعياً، فإنما هو وهمي والمعنى الذي كان به الاتحام إنما هو العشرة والمدافعة وطول الممارسة والصحبة بالمربي والرضاع وسائر أحوال الموت والحياة، وإذا حصل الاتحام بذلك جاءت النعمة والتناصر وهذا مشاهد بين الناس، واعتبر مثله في الاصطناع، فإنه يحدث بين المصطنع ومن اصطمعته نسبة خاصة من الوصلة تتزلف هذه المنزلة وتزداد اللحمة وإن لم يكن نسب فثمرات النسب موجودة، فإذا كانت هذه الولاية بين القبيل وبين أوليائهم قبل حصول الملك لهم كانتعروقها أوضح وعقاتها أصح ونبتها أصرح لوجهين:

أحدهما: أنهم قبل الملك أسوة في حالمهم، فلا يتميز النسب عن الولاية إلا عند الأقل منهم فيتزلون منهم منزلة ذوي قرابتهم وأهل أرحامهم، وإذا اصطبغتهم بعد الملك كانت مرتبة الملك مميزة للسيد عن المولى. ولأهل القرابة عن أهل الولاية. والاصطناع لما تقتضيه أحوال الرئاسة والملك من غير الرتب وتفاوتها فتتميز حالهم ويترزلون منزلة الآجانب، ويكون الاتحام بينهم أضعف والتناصر لذلك أبعد وذلك انقص من الاصطناع قبل الملك.

الوجه الثاني: أن الاصطناع قبل الملك يبعد عهده عن أهل الدولة بطول الزمان ويخفي شأن تلك اللحمة ويطعن بها في الأكثر النسب فيقوى حال العصبية، وأما بعد الملك فيقرب العهد ويستوي في معرفته الأكثري فتبين اللحمة وتتميز عن النسب فتضعف العصبية بالنسبة إلى الولاية التي كانت قبل الدولة، واعتبر ذلك في الدول والسياسات تجده؛ فكل من كان اصطناعه قبل حصول الرئاسة والملك لصطبعه تجده أشد التحاماً به وأقرب قربة إليه ويترزل منه منزلة ابنيه وإخوانه وذوي رحمه، ومن كان اصطناعه بعد حصول الملك والرياسة لصطبعه لا يكرون له من

## الفصل التاسع عشر

### في استظهار صاحب الدولة على قومه وأهل

#### عصبيته بالموالي والمصطنعين

إعلم أن صاحب الدولة إنما يتم أمره كما قلناه بقومه فهو عصبياته وظاهراؤه على شأنه وبهم يشارع الخوارج على دولته ومنهم من يقلد أعمال مملكته ووزارة دولته وجباية أموله؛ لأنهم أعوانه على الغلب وشركاؤه في الأمر ومساهموه في سائر مهماته هذا ما دام الطور الأول للدولة كما قلناه، فإذا جاء الطور الثاني وظهر الاستبداد عنهم والانفراد بالمجد ودافعهم عنه بالراح صاروا في حقيقة الأمر من بعض أعدائه واحتاج في مدافعتهم عن الأمر وصلهم عن المشاركة إلى أولياء آخرين من غير جلدتهم يستظهرون بهم عليهم ويتولاهم دونهم، فيكونون أقرب إليه من سازرهم وأنحص به قرباً واصطبغاً وأولى بإشاراً وجهاً؛ لما أنهم يستميتون دونه في مدافعة قومه عن الأمر الذي كان لهم والرتبة التي الفوها في مشاركتهم فيستخلصهم صاحب الدولة حيثُنَّ وينصهم بمزيد التكريم والإيثار ويقسم لهم مثل ما للكثير من قومه وينقلهم جليل الأعمال والولايات من الوزارة والقيادة والجباية وما يختص به لنفسه وتكون خالصة له دون قومه من القاب الملكة؛ لأنهم حيثُنَّ أولياؤه الأقربون ونصحاوؤه المخلصون وذلك حيثُنَّ مؤذن باهضن الدولة وعلامة على المرض المزمن فيها لفساد العصبية التي كان بناء الغلب عليها. ومرض قلوب أهل الدولة حيثُنَّ من الامتنان وعداوة السلطان فيضطغون عليه ويتربيصون به الدواين ويعود وبال ذلك على الدولة ولا يطمع في برتها من هذا الداء؛ لأنه ما مضى يتأكد في الأعقاب إلى أن ذهب رسمها واعتبر ذلك في دولة بي أمية كيف كانوا إنما يستظهرون في حروفهم وولاية أعمامهم برجال العرب مثل عمر بن سعد بن أبي وقاص وعبيد الله بن زياد بن أبي سفيان والحجاج بن يوسف والمطلب بن أبي صفرة وخالد بن عبد الله القسري وأبن هبيرة وموسى بن نصير وبلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري ونصر بن سيار وأمثالهم من رجالات العرب، وكذا صدر من دولة بي العباس كان الاستظهار فيها أيضاً برجالات العرب، فلما صارت الدولة للانفراد بالمجد وكبح العرب عن النطاول للولايات صارت الوزارة للعجز والصنانع من البرامكة وفي سهل بن نوخن وبني طاهر ثم بني بريه وموالي الترك مثل بغا ووصيف وأئمتش وباكناك وأبن طرلون وأبنائهم وغير هؤلاء من موالي العجم ف تكون الدولة لغير

له صبغة الرئاسة والاستبداد ويتحول الملك إليه ويؤثر به عشيرته وأبناءه من بعده كما وقع لبني بويه والترك وكافور الأخشيدية وغيرهم بالشرق وللمتصور بن أبي عامر بالأندلس.

وقد يتضمن ذلك المخمور المغلب لشأنه فيحاول على الخروج من رقة الحجر والاستبداد ويرجع الملك إلى نصبه ويضرب على أيدي المغليين عليه إما بقتل أو برفع عن الرتبة فقط، إلا أن ذلك في النادر الأقل؛ لأن الدولة إذا أخذت في تغلب الوزراء والأولياء استمر لها ذلك وقل أن تخرج عنه؛ لأن ذلك إنما يوجد في الأكثر عن أحوال الترف ونشأة أبناء الملك منغميين في نعيمه قد سموا عهد الرجلة وألفوا أخلاق الدايات والاظار وربوا عليهما، فلا ينزعون إلى رئاسة ولا يعرفون استبداداً من تغلب إنما هم في القنوع بالأباهة والتفنن في اللذات وأنواع الترف، وهذا التغلب يكون للموالي والمصنوعين عند استبداد عشير الملك على قومهم وانفرادهم به دونهم وهو عارض للدولة ضروري كما قدمنا، وهذا مرضان لا براء للدولة منها إلا في الأقل النادر **«وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعُ الْعِلْمِ»**.

في القرابة واللحمة ما للأولين، وهذا مشاهد بالعيان حتى أن الدولة في آخر عمرها ترجع إلى استعمال الأجانب واصطنانهم ولا يبني لهم مجده كما بناه المصطرون قبل الدولة لقرب العهد حيث ذهبوا ليلهم ومشاركة الدولة على الاقتراف فيكونون منحطين في مهاري الضعف.

إنما يحمل صاحب الدولة على اصطنانهم والعدول إليهم عن أوليائهما الأقدمين وصناعتها الأولين ما يعتريهم في أنفسهم من العزة على صاحب الدولة وقلة الخضوع له ونظره بما ينظره به قبيله وأهل نسبه، لتأكيد اللحمة منذ العصور المطالولة بالربى والاتصال بآبائه وسلف قرمه والانتظام مع كبراء أهل بيته، فيحصل لهم بذلك دالة عليه واعتزاز فينافرهم بسيبها صاحب الدولة وبعدل عنهم إلى استعمال سواهم، ويكون عهده استخلاصهم واصطنانهم قريباً فلا يبلغون رتب الجد ويعقون على حالم من الخارجية، وهكذا شأن الدول في أواخرها، وأكثر ما يطلق اسم الصناع والأولياء على الأولين، وأما هؤلاء المحدثون فخدم وأعوان، والله وللمؤمنين وهو على كل شيء وكيل.

## الفصل الثاني والعشرون

في أن المغليين على السلطان لا يشاركونه في  
اللقب الخاص بالملك

وذلك أن الملك والسلطان حصل لأوليه منذ أول الدولة بعصبية قرمه وعصبيته التي استبعتهم حتى استحكمت له ولقومه صبغة الملك والغلب، وهي لم تزل باقية وبها المحفوظ رسم الدولة وبقاها، وهذا التغلب وإن كان صاحب عصبية من قبيل الملك أو المولى والصناعات فعصبيته متدرجة في عصبية أهل الملك وتتابعة لها وليس له صبغة في الملك، وهو لا يحاول في استبداده انتزاع الملك ظاهراً، وإنما يحاول انتزاع تعراته من الأمر والنهي والحل والعقد والإبرام والنقض، يوهم فيها أهل الدولة أنه متصرف عن سلطانه منفذ في ذلك من وراء الحجاب لأحكامه. فهو يتجلاني عن سمات الملك وشاراته وألقابه جهده ويبعد نفسه عن التهمة بذلك، وإن حصل له الاستبداد لأنه مستتر في استبداده ذلك بالحجاب الذي ضربه السلطان وأولوه على أنفسهم عن القبيل منذ أول الدولة ومغالط عنه بالبيبة، ولو تعرض لشيء من ذلك ل نفسه عليه أهل العصبية وقبيل الملك وحاولوا الاستثار به دونه؛ لأنه لم تستحكم له في ذلك صبغة تحملهم على التسلیم له والانتقاد فيهلك لأول

## الفصل الحادي والعشرون

فيما يعرض في الدول من حجر السلطان  
 والاستبداد عليه

إذا استقر الملك في نصاب معين ومنت واحت واحد من القبيلين القائمين بالدولة وانفردوا به ودفعوا سائر القبيل عنه وتناوله بناتهم واحداً بعد واحد بحسب الترشيح، فرعاً حدث التغلب على المنصب من وزرائهم وحاشياتهم وسيبها في الأكثر ولاية صبي صغير أو ضعيف من أهل المabit يترشح للولاية بعهد أبيه أو بترشيح ذويه وخوله، ويؤمن منه العجز عن القيام بالملك، فيقوم به كافله من وزراء أبيه وحاشيته ومواليه أو قبيله ويسري عن محفظ أمره عليه حتى يؤمن منه الاستبداد و يجعل ذلك ذريعة للملك فيحبب الصبي عن الناس ويعود اللذات التي يدعوه إليها ترف أحواله ويسمه في مراعيها متى أمكنه وينسية النظر في الأمور السلطانية حتى يستبدل عليه وهو بما عوره يعتقد أن حظ السلطان من الملك إنما هو جلوس السرير وإعطاء الصفة وخطاب التهobil والعمود مع النساء خلف الحجاب، وأن محل والربط والأمر والنهي ومبشرة الأحوال الملكية وفقدانها من النظر في الجيش والمال والغور إنما هو للوزير وسلم له في ذلك، إلى أن تستحكم

وكان فوق حكم غيره فهو أيضاً ملك ناقص لم تسم حقيقته، وهؤلاء مثل أمراء التواحي ورؤساء الجهات الذين تجمعهم دولة واحدة وكثيراً ما يوجد هذا في الدولة المتعدة النطاق، أعني توجد ملوك على قوتهم في التواحي القاصية يديرون بطاقة الدولة التي جمعتهم مثل صنهاجة مع العبيدين وزنانة مع الأمويين تارة والعبيدين تارة أخرى، ومثل ملوك العجم في دولة بني العباس، ومثل أمراء البربر وملوكهم مع الفرغنة قبل الإسلام، ومثل ملوك الطوائف من الفرس مع الإسكندر وقومه اليونانيين وكثير من هؤلاء، فاعتبره تجده والله القاهر فوق عباده.

وهلة وقد وقع مثل هذا لعبد الرحمن بن الناصر بن منصور بن أبي عامر حين سما إلى مشاركة هشام وأهل بيته في لقب الخليفة ولم يقنع بما قنع به أبوه وأخوه من الاستبداد بالخليل والعقد والمراسم المتابعة، فطلب من هشام خليفته أن يعهد له بالخلافة فنفس ذلك عليه بنو مروان وسائر قريش وبايعوا لابن عم الخليفة هشام محمد بن عبد الجبار بن الناصر وخرجوا عليه وكان في ذلك خراب دولة العاريين وهلاك المؤيد خليفتهم واستبدل منه سواه من أعيان الدولة إلى آخرها واختلت مراسيم ملوكهم، والله خير الوارثين.

### الفصل الثالث والعشرون

#### في حقيقة الملك وأصنافه

#### الفصل الرابع والعشرون

#### في أن إرهاف الحد مضر بالملك ومفسد له في الأكثـر

اعلم أن مصلحة الرعية في السلطان ليست في ذاته وجسمه من حسن شكله أو ملامحة وجهه أو عظم جثمانه أو اتساع علمه أو جودة خطه أو قرب ذئنه، وإنما مصلحتهم فيه من حيث إضافته إليهم، فإن الملك والسلطان من الأمور الإضافية وهي نسبة بين متسبين، فحقيقة السلطان أنه المالك للرعاية القائم في أمرهم عليهم، فالسلطان من له رعاية والرعاية من لها سلطان، والصفة التي له من حيث إضافته لهم هي التي تسمى الملكة وهي كرمه بكلهم، فإذا كانت هذه الملكة وتتابعها من الجودة يمكن حصل المقصود من السلطان على أتم الوجوه، فإنها إن كانت جليلة صالحة كان ذلك مصلحة لهم، وإن كانت سبطة متغيرة كان ذلك ضرراً عليهم وإهلاكاً لهم.

ويعود حسن الملكة إلى الرفق، فإن الملك إذا كان قاهراً باطنـاً بالعقوبات مقبلاً عن عورات الناس وتعذيب ذنوبهم شملهم الخوف والذلة ولادوا منه بالكذب وال欺ـر والخبيثة فتخلفوا بها وفسدت بصائرهم وانحلقاً، وربما خذلوا في مواطن الحرب والمدافعـات ففسدت الحماية بفساد النيات، وربما أجمعوا على قتلـه لذلك ففسدـت الدولة ويتربـضـنـ السياجـ، وإن دام أمرـه عليهم وقهرـه فسدـت العصيـة لما قـلـنـاهـ أولاًـ وفسـدـ السـياـجـ منـ أصلـهـ بالـعـجزـ عنـ الحـماـيـةـ،ـ وإـذـاـ كانـ رـفـيقـاـ بـهـمـ مـتـجـاـزاـ عـنـ سـيـانـهـ استـمـانـواـ إـلـيـهـ ولـادـواـ بـهـ وأـشـبـرواـ بـهـ وـاستـمـانـواـ دـوـنـهـ فـيـ عـارـيـةـ أـعـدـائـهـ فـاسـقـانـ الـأـمـرـ مـنـ كـلـ جـانـبـ.

وـأـمـاـ توـابـعـ حـسـنـ الـمـلـكـ فـيـ النـعـمـ عـلـيـهـ وـالـمـادـعـةـ عـنـهـ،

الملك منصب طبيعي للإنسان؛ لأنـاـ قدـ بـيـناـ أـنـ البـشـرـ لاـ يـكـنـ حـيـاتـهـ وـوـجـودـهـ إـلـاـ بـاجـتمـاعـهـ وـتـعـاوـنـهـ عـلـىـ تـحـصـيلـ قـوـتهمـ وـضـرـورـيـاتـهـ،ـ وـإـذـاـ اـجـتـمـعـواـ دـعـتـ الضـرـورةـ إـلـىـ الـعـامـلـةـ وـاقـضـاءـ الـحـاجـاتـ وـمـدـ كـلـ وـاحـدـ مـنـهـ يـدـهـ إـلـىـ حـاجـتـهـ يـاخـذـهـ مـنـ صـاحـبـهـ،ـ مـاـ فـيـ الطـبـيـعـةـ الـحـيـوانـيـةـ مـنـ الـظـلـمـ وـالـعـدـوـانـ بـعـضـهـ عـلـىـ بـعـضـ وـيـانـعـهـ الـأـخـرـ عـنـهـ بـمـقـضـيـ الغـضـبـ وـالـأـنـفـةـ وـمـقـضـيـ الـقـوـةـ الـبـشـرـيـةـ فـيـ ذـلـكـ،ـ فـيـقـعـ التـنـازـعـ الـمـقـضـيـ إـلـىـ الـمـقـاتـلـةـ وـهـيـ تـؤـديـ إـلـىـ الـهـرـجـ وـسـفـكـ الدـمـاءـ وـإـنـهـابـ الـفـوسـ الـمـقـضـيـ ذـلـكـ إـلـىـ اـنـقـاطـ الـتـوـرـ،ـ وـهـوـ مـاـ خـصـهـ الـبـارـيـ سـبـحـانـهـ بـالـحـافـظـةـ وـاسـتـحـالـ بـقـاؤـهـ فـوـضـيـ دونـ حـاكـمـ يـزـعـ بـعـضـهـ عـنـ بـعـضـ،ـ وـاحـتـاجـواـ مـنـ أـجـلـ ذـلـكـ إـلـىـ الـواـزـعـ وـهـوـ الـحـاكـمـ عـلـيـهـمـ وـهـوـ بـمـقـضـيـ الـطـبـيـعـةـ الـبـشـرـيـةـ الـمـلـكـ الـقـاهـرـ الـمـتـحـكـمـ،ـ وـلـاـ بـدـ فـيـ ذـلـكـ مـنـ الـعـصـيـةـ لـاـ قـدـنـاهـ مـنـ أـنـ الـمـطـالـبـ كـلـهـاـ وـالـمـدـافـعـاتـ لـاـ تـسـمـ إـلـاـ بـالـعـصـيـةـ،ـ وـهـذاـ الـمـلـكـ كـمـاـ تـرـاهـ مـنـصـبـ شـرـيفـ تـرـجـهـ غـرـفـهـ الـمـطـالـبـ وـيـخـالـ إـلـىـ الـمـدـافـعـاتـ،ـ وـلـاـ يـسـمـ شـيـءـ مـنـ ذـلـكـ إـلـاـ بـالـعـصـيـاتـ كـمـاـ مـرـ،ـ وـالـعـصـيـاتـ مـتـفـاـوـتـةـ،ـ وـكـلـ عـصـيـةـ فـلـهـ تـحـكـمـ وـتـنـلـبـ عـلـىـ مـنـ يـلـيـهـ مـنـ قـوـهـاـ وـعـشـرـهـاـ وـلـيـسـ الـمـلـكـ لـكـلـ عـصـيـةـ،ـ وـإـنـاـ الـمـلـكـ عـلـىـ الـحـقـيـقـةـ لـمـ يـسـتـعـدـ الـرـعـيـةـ وـجـيـبـ الـأـمـوـالـ وـيـبـعـثـ الـبـعـوثـ وـيـعـمـيـ الشـفـرـ وـلـاـ تـكـونـ فـوـقـ يـدـهـ يـدـ قـاهـرـ،ـ وـهـذاـ مـعـنـيـ الـمـلـكـ وـحـقـيـقـتـهـ فـيـ الـشـهـرـ،ـ فـمـنـ قـصـرـتـ بـهـ عـصـيـتـهـ عـنـ بـعـضـهـ مـثـلـ حـيـاةـ الـغـنـوـرـ أوـ جـيـاـيـةـ الـأـمـوـالـ وـأـبـعـثـ الـبـعـوثـ فـهـوـ مـلـكـ نـاقـصـ لـمـ تـمـ حـقـيـقـتـهـ كـمـاـ وـقـعـ لـكـثـيرـ مـنـ مـلـوـكـ الـبـرـ فـيـ دـوـلـةـ الـأـغـالـيـةـ بـالـقـيـرـانـ وـلـلـوـلـكـ الـعـجمـ صـدـرـ الـدـوـلـةـ الـبـاسـيـةـ،ـ وـمـنـ قـصـرـتـ بـهـ عـصـيـتـهـ أـيـضاـ عـنـ الـاسـتـعـاءـ عـلـىـ جـيـعـ الـعـصـيـاتـ،ـ وـالـضـرـبـ عـلـىـ سـاـئـرـ الـأـيـديـ

فالمدافعة بها تسمّي حقّيّة الملك، وأما النعمة علىهم والإحسان لهم  
فمن جلة الرفق بهم والنظر لهم في معاشهم وهي أصل كبير من  
التحجّب إلى الرعية، وأعلم أنه قلما تكون ملكة الرفق في من يكون  
يقطّعاً شديداً الذكاء من الناس وأكثر ما يوجد الرفق في الغفل  
والمتغفل، وأقل ما يكون في القيظ أنه يكلّف الرعية فوق طاقتهم  
لنفرذ نظره فيما وراء مداركههم واطلاعه على عواقب الأمور في  
مبادرتها بالمعيبة فيهلكون، لذلك قال ﷺ: «سيراً على سير  
أضيقكم». ومن هذا الباب اشترط الشارع في الحاكم قلة الإفراط  
في الذكاء، وما خذله من قصّة زياد ابن أبي سفيان لما عزله عمر عن  
العراق وقال: لم عزلتني يا أمير المؤمنين لعجز أم لخيانة فقال: عمر:  
لم أعزلك لواحدة منها، ولكنّي كرهت أن أحمل فضل عقلك على  
الناس؛ فأخذ من هذا أن الحاكم لا يكون مفترط الذكاء والكيس

فما كان منه بمقتضى الظهر والتغلب وإهمال القوة العصبية في مرعاها فجور وعدوان ومذموم عنده كما هو مقتضى الحكم السياسية، وما كان منه بمقتضى السياسة وأحكامها فمذموم أيضاً لأنَّه نظر بغير نور الله ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهَ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ لأن الشارع أعلم بمصالح الكافة فيما هو مغيب عنهم من أمور آخرتهم، وأعمال البشر كلها عائدة عليهم في معادهم من ملك أو غيره قال عليه السلام: «إنا هي أعمالكم ترد عليكم». وأحكام السياسة إيانا تطلع على مصالح الدنيا فقط يعلمون ظاهراً من حياة الدنيا، ومقصود الشارع بالناس صلاح آخرتهم فوجوب بمقتضى الشرائع حمل الكافة على الأحكام الشرعية في أحوال دنياهم وأخترتهم، وكان هذا الحكم لأهل الشريعة وهم الأنبياء ومن قام فيه مقامهم وهم الخلفاء.

فقد تبين لك من ذلك معنى الخلافة، وأن الملك الطبيعي هو حل الكافة على مقتضى الغرض والشهرة، والسياسي هو حل الكافة على مقتضى النظر العقلي في جلب المصالح الدينية ودفع المضار، والخلافة هي حل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدينية الراجعة إليها، إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة، فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به، فأنهم ذلك وأعتبره فيما نورده عليك من بعد والله الحكيم العليم.

فالنادعفة بها تسم حقيقة الملك، وأما النعمة عليهم والإحسان لهم  
فمن جملة الرفق بهم والنظر لهم في معاشهم وهي أصل كبير من  
التحبيب إلى الرعية، وأعلم أنه قلما تكون ملكة الرفق في من يكون  
يقطن شديد الذكاء من الناس وأكثر ما يوجد الرفق في الغفل  
والمتغفل، وأقل ما يكون في القيظ أنه يكلف الرعية فرق طاقتهم  
لتفوز نظره فيما وراء مداركم واطلاعه على عوائق الأمور في  
مبادئها بالمعية فيهلكون، لذلك قال عليه السلام «سيروا على سير  
أضعفكم». ومن هذا الباب اشتهر الشارع في الحاكم قلة الإفراط  
في الذكاء، وما خذله من قصة زياد ابن أبي سفيان لما عزله عمر عن  
العراق وقال: لم عزلتني يا أمير المؤمنين لعجز أم خليان فقال؟ عمر: لم  
أعزلك لواحدة منها، ولكن كرهت أن أحمل فضل عقلك على  
الناس، فأخذت من هذا أن الحاكم لا يكون مفترط الذكاء والكيس  
مثل زياد بن أبي سفيان وعمرو بن العاص لما يتبع ذلك من  
التفسف وسوء الملكة وحمل الرجود على ما ليس في طبعه، كما  
يأتي في آخر هذا الكتاب والله خير المالكين.

وتمرر من هذا أن الكيس والذكاء عيب في صاحب السياسة، لأنه إفراط في الفكر كما أن البلادة إفراط في الجمود، والطفران مذمومان من كل صفة إنسانية، والمحمود هو التوسط كما في الكرم مع التبذير والبخل، وكما في الشجاعة مع الهرج والجلب وغير ذلك من الصفات الإنسانية، وهذا يوصف الشديد الكيس بصفات الشيطان فيقال: شيطان ومتشيطن وأمثال ذلك، والله يخلق ما يشاء وهو العليم القدير.

الفصل الخامس والعشرون

في معنى الخلافة والإمامية

لما كانت حقيقة الملك أنه الاجتماع الضروري للبشر ومقتضاه التغلب والقهر اللذان هما من آثار الغضب والحيوانية، كانت أحكام صاحبه في الغالب جائزة عن الحق مجحفة ومن تحت يده من الخلق في أحوال دنياه لحمله إيمانه في الغالب على ما ليس في طرقهم من أغراضه وشهواته، ويتختلف في ذلك باختلاف المقاصد من الخلف والسلف منهم، فتعسر طاعته لذلك وتجبيه العصبية المفضية إلى المهرج والقتل، فوجب أن يرجع في ذلك إلى قوانين سياسية مفروضة يسلمها الكافة وينقادون إلى أحكامها كما كان ذلك للفرس وغيرهم من الأمم، وإذا خلت الدولة من مثل هذه السياسة لم يستتب أمرها ولم يتم استيلاؤها، سنة الله في الذين

رفع التنازع معرفة كل واحد بتحريض الظلم عليه بحكم العقل، فادعاؤهم أن ارتفاع التنازع إنما يكون بوجود الشرع هناك ونسب الإمام هنا غير صحيح، بل كما يكون بنصب الإمام يكون بوجود الرؤساء أهل الشوكة أو بامتناع الناس عن التنازع والتطالب، فلا ينفع دليلهم العقلي المبني على هذه المقدمة، فدل على أن مدرك وجوده إنما هو بالشرع وهو الإجماع الذي قدمته.

وقد شذ بعض الناس فقال بعدم وجوب هذا المنصب رأساً لا بالعقل ولا بالشرع، منهم الأصم من المعزلة وبعض المخواج وغيرهم، والواجب عند هؤلاء إنما هو إمضاء أحكام الشرع، فإذا توطأتم الأمة على العدل وتتنفيذ أحكام الله تعالى لم يتحقق إلى إمام ولا يجب نصبه وهو لاء محجورون بالإجماع. والذي حلهم على هذا المنصب إنما هو الفرار عن الملك ومذاهبه من الاستطالة والتغلب والاستمتاع بالدنيا لما رأوا الشريعة ممتلئة بذلك والتعي على أمله ومرغبة في رفضه.

واعلم أن الشيع لم يذم الملك لذاته ولا حظر القيام به؛ إنما ذم المفاسد الناشئة عنه من القهر والظلم والتمنع باللذات، ولا شك أن في هذه مفاسد محظورة وهي من توابعه كما أتى على العدل والتصفية وإقامة مراسم الدين والذب عنه وأوجب بإزائها الثواب وهي كلها من توابع الملك.

فإذا إنما وقع الذم للملك على صفة وحال دون حال أخرى، ولم يذمه لذاته ولا طلب تركه كما ذم الشهوة والغضب من المكلفين، وليس مراده تركهما بالكلية لدعایة الضرورة إليه، وإنما المراد تصريحهما على مقتضى الحق.

وقد كان لدادود وسلمييان صلوات الله وسلامه عليهمما الملك الذي لم يكن لغيرهما وهما من أئمّة الله تعالى وأكّرم الخلق عنده، ثم يقول لهم: إن هذا الفرار عن الملك بعدم وجوب هذا المنصب لا يغيبكم شيئاً، لأنكم موافقون على وجوب إقامة أحكام الشريعة وذلك لا يحصل إلا بالعصبية والشوكة، والعصبية مقتضية بطبيعتها للملك فيحصل الملك، وإن لم ينصب إمام وهو عين ما فررت منه.

وإذا تقرر أن هذا المنصب واجب بإجماع فهو من فرض الكفاية وراجع إلى اختيار أهل العقد والخل، فتعين عليهم نصبه ويجب على الخلق جميعاً طاعته لقوله تعالى (أَلِمْ يَرَوْا اللَّهُ وَأَلِمْ يَرَوْا الرَّسُولَ وَأُولَئِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ).

وأما شروط هذا المنصب فهي أربعة: العلم والعدالة والكتابية وسلامة المؤوس والأعضاء، مما يؤمن في الرأي والعمل.

## الفصل السادس والعشرون

### في اختلاف الأمة في حكم هذا المنصب وشروطه

وإذ قد بينا حقيقة هذا المنصب وأنه نيابة عن صاحب الشرعية في حفظ الدين وسياسة الدنيا به تسمى خلافة وإمامية والقائم بها خليفة وإماماً، فاما تسميتها إماماً فتشبيهاً أيام الصلة في اتباعه والاقداء به؛ وهذا يقال: الإمام الكبرى.

واما تسميتها خليفة فلكونه مختلف النبي في أمته فيقال: خليفة بإطلاق، وخليفة رسول الله، وختلف في تسميتها خليفة الله.

فاجازه بعضهم اقتباساً من الخلاوة العامة التي للأدميين في قوله تعالى (إِنَّمَا جَاءَكُلُّ فِي الْأَرْضِ خَلِيقَةً) وقوله (جَعَلَكُمْ خَلِيقَاتِ الْأَرْضِ).

ومن الجمود منه؛ لأن معنى الآية ليس عليه وقد نهى أبو بكر عنه لما دعي به وقال: لست خليفة الله ولكنني خليفة رسول الله ﷺ. ولأن الاستخلاف إنما هو في حق الغائب، وأما الحاضر فلا.

ثم إن نصب الإمام واجب قد عرف وجوبه في الشيع بإجماع الصحابة والتابعين؛ لأن أصحاب رسول الله ﷺ عند وفاته بادروا إلى بيعة أبي بكر رضي الله عنه وتسليم النظر إليه في أمرورهم وكذلك في كل عصر من بعد ذلك، ولم تترك الناس فرضي في عصر من الأعصار واستقر ذلك إجماعاً دالاً على وجوب نصب الإمام. وقد ذهب بعض الناس إلى أن مدرك وجوده العقل، وإن الإجماع الذي وقع إنما هو قضاء بحكم العقل فيه.

قالوا: وإنما وجب بالعقل لضرورة الاجتماع للبشر واستحسان حياتهم وجودهم مفتردين، ومن ضرورة الاجتماع التنازع لازدحام الأغراض. فما لم يكن الحاكم الوازع أفضى ذلك إلى المرج المأذن بهلاك البشر وانقطاعهم مع أن حفظ النوع من مقاصد الشرع الضرورية، وهذا المعنى يعنيه هو الذي لحظه الحكماء في وجوب النبوات في البشر وقد نبهنا على فساده، وإن إحدى مقدماته أن الواقع إنما يكون بشرع من الله تسلم له الكافة تسليم إيمان واعتقاد وهو غير مسلم؛ لأن الواقع قد يكون مسيطرة الملك وقهراً لأهل الشوكة، ولو لم يكن شرع كما في أسم المحبوس وغيرهم من ليس له كتاب أو لم تبلغ الدعوة أو نقول: يكفي في

الترف والتعيم وما أنفقتهم الدولة في سائر أقطار الأرض عجزوا بذلك عن حل الخلافة وتغلبت عليهم الأعاجم وصار الحال والعقد لهم، فاشتبه ذلك على كثير من المحققين حتى ذهبوا إلى نفي اشتراط القرشية وعلووا على ظواهر في ذلك مثل قوله عليه السلام: «اسمعوا وأطاعوا وإن ولي عليكم عبد جبشي ذو زبيبة». وهذا لا تقو به حجة في ذلك، فإنه خرج خرج التمثيل والفرض للعبارة في إيجاب السمع والطاعة، ومثل قول عمر: لو كان سالم مول حذيفة حياً لوليه. أو: لما دخلتني فيه الظنة. وهو أيضاً لا يفيد ذلك لما علمت أن منصب الصحابي ليس بمحنة، وأيضاً «فموى القروم منهم» وعصبية الولاء حاصلة لسالم في قريش وهي الفائدة في اشتراط النسب، ولما استعظم عمر أمر الخلافة ورأى شروطها كأنها مفقودة في ظنه، عدل إلى سالم لتتوفر شروط الخلافة عنده فيه حتى من النسب المقيد للعصبية كما ذكر، ولم يبق إلا صراحة النسب فرأه غير محتاج إليه، إذ الفائدة في النسب إنما هي للعصبية وهي حاصلة من الولاء، فكان ذلك حرصاً من عمر رضي الله عنه على النظر للمسلمين وتقليل أمرهم لمن لا تلحظه فيه لائمة ولا عليه فيه عهدة.

ومن القائلين بتفني اشتراط القرشية القاضي أبو بكر الباقلاني لما أدر ك عليه عصبية قريش من التلاشي والاضمحلال واستبداد ملوك العجم على الخلفاء فأسقط شرط القرشية، وإن كان موافقاً لرأي الخوارج لما رأى عليه حال الخلفاء لهؤلئة، وبقي الجمهور على القول باشتراطها وصحة الإمامة للقرشى، ولو كان عاجزاً عن القيام بأمور المسلمين ورُدّ عليهم سقوط شرط الكفاية التي يقوى بها على أمره؛ لأنه إذا ذهبت الشوكة بنعاب العصبية فقد ذهبت الكفاية، وإذا وقع الإخلال بشرط الكفاية تطرق ذلك أيضاً إلى العلم والدين وسقط اعتبار شرط هذا المنصب وهو خلاف الإجماع.

ولتكلم الآن في حكمة اشتراط النسب ليتحقق به الصواب في هذه المذهب يقولون: إن الأحكام الشرعية كلها لا بد لها من مقاصد وحكم تشمل عليها وتشرع لأجلها، ونحن إذا مختنا عن الحكمة في اشتراط النسب القرشى ومقصد الشارع منه لم يقتصر فيه على التبرك بوصلة النبي صلوات الله عليه وسلم كما هو في المشهور، وإن كانت تلك الوصلة موجودة والتبرك بها حاصلـاً، لكن التبرك ليس من المقاصد الشرعية كما علمت، فلا بد إذن من المصلحة في اشتراط النسب وهي المقصودة من مشروعيتها وإذا سررتنا وقسمنا لم نخدعها إلا اعتبار العصبية التي تكون بها الحماية والمطالبة، ويرتفع الخلاف والفرقة بوجودها لصاحب المنصب فسكن إليه الله وأهلها،

واختلف في شرط خامس وهو النسب القرشي.

فاما اشتراط العلم ظاهراً؛ لأنه إنما يكون منفذًا لأحكام الله تعالى إذا كان عالماً بها، وما لم يعلمه لا يصح تقديمها لها، ولا يكفي من العلم إلا أن يكون مجتهداً لأن التقليد نقص والإمامية تستدعي الكمال في الأوصاف والأحوال.

واما العدالة؛ فلأنه منصب ديني ينظر في سائر المناصب التي هي شرط فيها، فكان أولى باشتراطها فيه.

والخلاف في انتفاء العدالة فيه بفسق الجواز من ارتکاب المخطورات وأمثالها وفي انتفاءها بالبدع الاعتقادية خلاف.

واما الكفاية فهو أن يكون جزئياً على إقامة الحدود واقتحام الحروب بصيراً بها كفيلاً بحمل الناس عليها، عارفاً بالعصبية وأحوال الداهـاء، قوياً على معاناة السياسة ليصح له بذلك ما جعل إليه من حياة الدين وجihad العدو وإقامة الأحكام وتدير المصالح.

واما سلامـة الحواس والأعضاء من النقص والعلة كالجنون والعمى والصمم والغرس وما يؤثر فقدـه من الأعضاء في العمل كفقدـ الدين والرجلين والآثـيين فـشـلتـ السـلامـة منها كلـها لـتأثيرـ ذلكـ فيـ تمامـ عملـهـ وـقيـامـهـ بماـ جـعـلـ إـلـيـهـ،ـ وإنـ كانـ إـنـماـ يـشـينـ فيـ المـنظـرـ فـقطـ،ـ كـفـقـدـ إـحدـىـ هـذـهـ الأـعـضـاءـ،ـ فـشـرـطـ السـلامـةـ مـنـهـ شـرـطـ كـمـالـ،ـ وـيـلـحـقـ بـقـدـانـ الأـعـضـاءـ المـنـعـ منـ التـصـرـفـ،ـ وـهـوـ ضـرـبـ بـلـحـقـ بـهـذـهـ فـيـ اـشـتـراـطـ السـلامـةـ مـنـهـ شـرـطـ وـجـوبـ

وـهـوـ القـهـرـ وـالـعـزـ عنـ التـصـرـفـ جـلـةـ بـالـأـسـرـ وـشـيـهـ ضـرـبـ لـأـيـلـحـقـ بـهـذـهـ وـهـوـ الحـجـرـ بـاستـيـلاءـ بـعـضـ أـعـوـانـهـ عـلـيـهـ مـنـ غـيرـ عـصـيـانـ وـلـاـ مـشـافـةـ،ـ فـيـتـقـلـلـ التـظـرـ فـحـالـ هـذـاـ الـمـسـتـوـيـ،ـ فـإـنـ جـرـىـ عـلـىـ حـكـمـ الدـيـنـ وـالـعـدـلـ وـحـيـدـ السـيـاسـةـ جـازـ قـرـارـهـ وـإـلـاـ استـنـصـرـ السـلـمـونـ مـنـ يـقـبـضـ يـدـهـ عـنـ ذـلـكـ وـيـدـعـ عـلـهـ حتـىـ يـقـنـدـ فعلـ الـخـلـيقـةـ.

وـأـمـاـ النـسـبـ القرـشـيـ فـلـإـجـاعـ الصـاحـبـةـ بـيـومـ السـقـيـفـةـ عـلـىـ ذـلـكـ،ـ وـاحـتـجـتـ قـرـيـشـ عـلـىـ الـأـنـصـارـ لـاـ هـمـواـ يـوـمـذـ بـيـعـةـ سـعـدـ بـنـ عـبـادـةـ وـقـالـواـ:ـ هـنـاـ أـمـيرـ وـمـنـكـ أـمـيرـ.ـ بـقـولـهـ عليه السلام:ـ «ـالـأـئـمـةـ مـنـ قـرـيـشـ»ـ.ـ وـبـاـنـ النـبـيـ صلوات الله عليه وسلم أـوـصـانـاـ بـاـنـ تـحـسـنـ إـلـىـ مـحـسـنـكـ وـتـنـجـاـزـ عـنـ مـسـيـكـ،ـ وـلـوـ كـانـ الـإـمـارـةـ فـيـكـ لـمـ تـكـنـ الـرـوـضـيـةـ بـكـمـ،ـ فـجـعـلـواـ الـأـنـصـارـ وـرـجـعـواـ عـنـ قـوـهـ:ـ هـنـاـ أـمـيرـ وـمـنـكـ أـمـيرـ.ـ وـعـدـلـواـ عـلـىـ كـانـواـ هـمـواـ بـهـ مـنـ بـيـعـةـ سـعـدـ لـذـلـكـ.ـ وـبـتـ أـيـضـاـ فـيـ الصـحـيـحـ:ـ «ـلـاـ يـزـالـ هـذـاـ الـأـمـرـ فـيـ هـذـاـ الـحـيـ مـنـ قـرـيـشـ»ـ وـأـمـالـ هـذـهـ الـأـدـلـةـ كـبـرـةـ،ـ إـلـاـ أـنـهـ لـمـ لـأـضـعـفـ أـمـرـ قـرـيـشـ وـتـلـاـشـتـ عـصـيـتـهـمـ بـاـنـهـمـ مـنـ

لم يكن هن من الأمر شيء وكان الرجال قوامين عليهم، اللهم إلا في العبادات التي كل أحد فيها قائم على نفسه، فخطابهن فيها بالوضع لا بالقياس، ثم إن الوجود شاهد بذلك فإنه لا يقوم بأمر أمة أو جيل إلا من غالب عليهم وقل أن يكون الأمر الشرعي مخالفًا للأمر الوجودي، والله تعالى أعلم.

ويتضم حجل الألفة فيها وذلك أن قريشاً كانوا عصبة مصر وأصلهم وأهل الغلب منهم، وكان لهم على سائر ماضي العزة بالكثرة والعصبية والشرف، فكان سائر العرب يعترف لهم بذلك ويستكينون لغبتهم، فلو جعل الأمر في سواهم لتوقع افتراق الكلمة بمخالفتهم وعدم اتفاقهم، ولا يقدر غيرهم من قبائل مصر أن يردهم عن الخلاف ولا يحملهم على الكراهة فتفرق الجماعة وتختلف الكلمة.

## الفصل السابع والعشرون

### في مذاهب الشيعة في حكم الإمامة

اعلم أن الشيعة لغة: هم الصحابة والأتباع.

ويطلق في عرف الفقهاء والمتكلمين من الخلف والسلف على أتباع علي وبهيه رضي الله عنهما ومنهبيهم جميعاً متفقين عليه أن الإمام ليست من المصالح العامة التي تفرض إلى نظر الأمة ويعين القائم بها بتعيينهم، بل هي ركن الدين وقاعدة الإسلام، ولا يجوز لبني إغفاله ولا نفيوه إلى الأمة، بل يجب عليه تعين الإمام لهم ويكون معموصاً من الكبار والصفاقر، وأن علياً رضي الله عنه هو الذي عينه صلوات الله وسلامه عليه بنصوص ينقلونها ويؤولونها على مقتضى منهبيهم لا يعرفها جهابذة السنة ولا نقلة الشريعة بل أكثرها موضوع أو مطعون في طريقه، أو بعيد عن تأويلاتهم الفاسدة، وتنتسب هذه النصوص عندهم إلى جلي وخفى، فباختصار مثل قوله: «من كنت مولاً فعلي مولاً». قالوا: ولم تطرد هذه الولاية إلا في علي؛ وهذا قال له عمر: أصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة، ومنها قوله: «افتضاكم علي» ولا معنى للإمام إلا القضاء بحكم الله وهو المراد بأولي الأمر الواجبة طاعتهم بقوله: «أطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ يَنْهَاكُمْ». والمراد الحكم والقضاء، وهذا كان حكماً في قضية الإمامة يوم السقيفة دون غيره، ومنها قوله: «من يباعني على روحه وهو وصي وولي هذا الأمر من بعدي» فلم يباعه إلا علي.

ومن الحفي عندهم بعث النبي ﷺ علياً لقراءة سورة براءة في الموسم حين أنزلت، فإنه بعث بها أولًا أيها يكر ثم أوحى إليه ليبلغه رجل منك أو من قومك، فبعث علياً ليكون القارئ المبلغ قالوا: وهذا يدل على تقديم علي، وأيضاً فلم يعرف أنه قد أخذ على علي، وأما أبو بكر وعمر فقدم عليهما في غزاتين أسامة بن زيد مرة وعمرو بن العاص أخرى، وهذه كلها أدلة شاهدة بتعيين علي للخلافة دون غيره، فعندها ما هو غير معروف ومنها ما هو بعيد عن تأريفهم، ثم منهم من يرى أن هذه النصوص تدل على

والشارع خذر من ذلك حريص على اتفاقهم ورفع التنازع والشتات بينهم، لتحصل اللحمة والعصبية وتحسين الحماية بخلاف ما إذا كان الأمر في قريش؛ لأنهم قادرون على سوق الناس بعص الغلب إلى ما يراد منهم، فلا يخشى من أحد خلاف عليهم ولا فرقة؛ لأنهم كثيرون حيث يدفعها ومنع الناس منها، فاشترط نسبتهم القرشي في هذا المنصب وهو أهل العصبية القوية ليكون أبلغ في انتظام الملة واتفاق الكلمة، وإذا انتظمت كلمتهم انتظمت بانتظامها كلمة مصر أجمع، فإذا نزع لهم سائر العرب، وانقادت الأمم سواهم إلى أحكام الملة، ووطّنت جنودهم قاصية البلاد كما وقع في أيام الفتوحات واستمر بعدها في الدولتين إلى أن اضمر حل أمر الخلافة وتلاشت عصبية العرب، وتعلم ما كان لقريش من الكثرة والتغلب على بطون مصر من مارس أخبار العرب وسيرهم وتقطنهم لذلك في أحواضهم.

وقد ذكر ذلك ابن إسحاق في كتاب «السير» وغيره، فإذا ثبت أن اشتراط القرشية إنما هو لدفع التنازع بما كان لهم من العصبية والغلب، وعلمنا أن الشارع لا يخص الأحكام بجبل ولا عصر ولا أمة، علمنا أن ذلك إنما هو من الكفاية فردناه إليها وطردنا العلة المشتملة على المقصود من القرشية، وهي وجود العصبية، فاشترطنا في القائم بأمر المسلمين أن يكون من قوم أولى عصبية قوية غالبة على من معها لعصرها، ليسبعوا من سواهم ويختضم الكلمة على حسن الحماية، ولا يعلم ذلك في الأفظار والاتفاق كما كان في القرشية، إذ الدعوة الإسلامية التي كانت لهم كانت عامة، وعصبية العرب كانت وافية بها فغلبوا سائر الأمم، وإنما يخص لهذا العهد كل قطر من تكون له فيه العصبية الغالبة، وإذا نظرت سر الله في الخلافة لم تعد هذا، لأنه سبحانه إنما جعل الخليفة تابياً عنه في القيام بأمر عباده ليحملهم على مصالحهم ويردهم عن مضارهم وهو مخاطب بذلك ولا يخاطب بالأمر إلا من له قدرة عليه، الأترى ما ذكره الإمام ابن الخطيب في شأن النساء وأنهن في كثير من الأحكام الشرعية جعلن تبعاً للرجال ولم يدخلن في الخطاب بالوضع. وإنما دخلن عنده بالقياس، وذلك لما

بالتناصح

ومن هؤلاء الغلاة من يقف عند واحد من الأئمة لا يتجاوزه إلى غيره بحسب من يعين لذلك عندهم، وهؤلاء هم الواقعية،

فبعضهم يقول: هو حي لم يمت إلا أنه غائب عن أعين الناس ويستشهدون لذلك بقصة الخضر، قيل مثل ذلك في علي رضي الله عنه أنه في السحاب والرعد صوته والبرق في سوطه قالوا مثله في عبد بن الحفيظ، وإنه في جبل رضوى من أرض الحجاز.

وقال شاعرهم.

الا إن الأئمة من ترش  
ولادة الحق لريعة سراء  
علي والثلاثة من بنى  
هم الأساطير ليس بهم خفاء  
فسط سبط إيان وسر  
وسبط غيتيه كربلاء  
وبسط لا يذوق الموت حتى  
يقود الجيش يقدمه اللواء  
تفسب لا يرى فيهم زماناً  
برضوى عنده عمل وماء  
وقال مثله غلاة الإمامية وخصوصاً الآناء عشرية منهم  
يزعمون أن الثاني عشر من أئمتهم وهو محمد بن الحسن  
ال العسكري ويلقبونه المهدى دخل في سرداد بدارهم بالحللة وتغيب  
حين اعتقل مع أمه وغاب هنالك وهو يخرج آخر الزمال فيملاً  
الأرض عدلاً، يشرون بذلك إلى الحديث الواقع في كتاب الترمذى  
في المهدى، وهم إلى الآن يتظلونه ويسمونه المتظر لذلك، ويقولون  
في كل ليلة بعد صلاة المغرب يباب هذا السرداد وقد قوموا مركباً  
فيهتمون باسمه ويدعونه للخروج حتى تتشبك النجوم ثم  
ينقضون ويرجتون الأمر إلى الليلة الآتية وهم على ذلك لهذا  
العهد.

وبعض هؤلاء الواقعية يقول: إن الإمام الذي مات يرجع

إلى حياته الدنيا ويستشهدون لذلك بما وقع في القرآن الكريم من قصة أهل الكهف، والذي مر على قربة، وقتل بنى إسرائيل حين ضرب بعظام البقرة التي أمروا بنذيمها، ومثل ذلك من الخوارق التي وقعت على طريق المعجزة ولا يصح الاستشهاد بها في غير مواضعها، وكان من هؤلاء السيد الحميري، ومن شعره في ذلك:  
إذا ما المرء شاب له قذال وعلله الواشط بالخففاب  
فقد ذهب شاشته وأودى فقم يا صاح نبك على الشباب  
للي يوم تزوب الناس فيه إلى دنياهمو قبل الحساب  
فليس بعائد مافسات منه إلى أحد إلى يوم الإياب  
أبين بان ذلك دين حق وما أنا في التشور ببني ارتياش

تعيين علي وتشخيصه. وكذلك تنتقل منه إلى من بعده، وهؤلاء هم الإمامية ويتراؤن من الشيوخين، حيث لم يقدموا علياً وببساطه يقتضى هذه النصوص وينصون في إمامتهم، ولا ينفت إلى نقل القدح فيما من علامتهم فهو مردود عندهما وعندهم.

ومنهم من يقول: إن هذه الأدلة إنما اقتضت تعيين علي بالوصف لا بالشخص، والناس مقصرون حيث لم يضعوا الوصف موضعه، وهؤلاء هم الزيدية ولا يترأؤون من الشيوخين ولا ينصون في إمامتهم مع قولهم بأن علياً أفضل منها؛ لكنهم يجوزون إماماً المفضول مع وجود الأفضل.

ثم اختلفت تقول هؤلاء الشيعة في مساق الخلافة بعد علي: فمنهم من ساقها في ولد فاطمة بالنص عليهم واحداً بعد واحد على ما يذكر بعد، وهؤلاء يسمون الإمامية نسبة إلى مقابلتهم باشتراط معرفة الإمام وتعيينه في الإيمان، وهي أصل عندهم،

ومنهم من ساقها في ولد فاطمة لكن بالاختيار من الشيخ، ويشترط أن يكون الإمام منهم عملاً زاهداً جاداً شجاعاً داعياً إلى إمامته، وهؤلاء هم الزيدية نسبة إلى صاحب المذهب وهو زيد بن علي بن الحسين السبط، وقد كان يناظر آناءً محمداً الباقر على اشتراط الخروج في الإمام فيلزمهم الباقر أن لا يكون أبوهما زين العابدين إماماً لأنهم لم يخرج ولا تعرض للخروج وكان مع ذلك ينعني عليه مذهب المعتزلة وأخذه إليها عن واصل بن عطاء، ولما ناظر الإمامية زيداً في إمام الشيوخين ورأوه يقول بإمامتها ولا يتراً منها رضوه ولم يجعلوه من الأئمة، وبذلك سموا راضفة.

ومنهم من ساقها بعد علي وابنه السبطين على اختلافهم في ذلك إلى أحديهما محمد بن الحفيظ ثم إلى ولده، وهو الكيسانية نسبة إلى كيسان مولاً، وبين هذه الطوائف اختلافات كثيرة تركناها اختصاراً.

ومنهم طوائف يسمون الغلاة تجاوزوا حد العقل والإيمان في القول بالرؤية هؤلاء الأئمة. إما على أنهم يشرّبون بصفات الألوهية، أو أن الإله حل في ذاتهم البشرية وهو قول بالحلول يوافق مذهب النصارى في عيسى صلوات الله عليه، ولقد حرق علي رضي الله عنه بالنار من ذهب فيه إلى ذلك منهم وسخط محمد بن الحفيظ المختار بن أبي عبيد لما بلغه مثل ذلك عنه، فصرخ بلعنته والبراءة منه، وكذلك فعل جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه ممن بلغه مثل هذا عنه.

ومنهم من يقول: إن كمال الإمام لا يكون لغيره فإذا مات انتقلت روحه إلى إمام آخر ليكون فيه ذلك الكمال، وهو قول

إدريس واختط مدينة فاس وكان من بعده عقبة ملوكاً بالغرب إلى أن انقضوا كما ذكره في أخبارهم.

ويقى أمر الزيدية بعد ذلك غير منتظم وكان منه الداعي الذي ملك طبرستان وهو الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن علي بن الحسين السبط وأخوه محمد بن زيد، ثم قام بهذه الدعوة في الدليل الناصر الأطروش منهم، وأسلموا على يده وهو الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن عمر وعمر أخوه زيد بن علي، فكانت لبنيه بطرستان دولة، وتوصل الدليل من نسبهم إلى الملك والاستبداد على الخلفاء بعدهما كما ذكر في أخبارهم.

وأما الإمامية فساقوا الإمامة من علي الرضى إلى ابنه الحسن بالوصية، ثم إلى أخيه الحسين، ثم إلى ابنه علي زين العابدين، ثم إلى ابنه محمد الباقر، ثم إلى ابنه جعفر الصادق ومن هنا افتقروا فرقتين، فرقة ساقوها إلى ولده إسماعيل ويعروفونه بينهم بالإمام وهم الإسماعيلية، وفرقة ساقوها إلى ابنه موسى الكاظم وهم الاثنا عشرية لوقوفهم عند الثاني عشر من الأئمة وقوفهم بغيته إلى آخر الزمان كما مر.

فأما الإسماعيلية فقالوا بإمامنة إسماعيل الإمام بالنص من أخيه جعفر، وفائدة النص عليه عندهم وإن كان قد مات قبل أخيه إنما هوبقاء الإمام في عقبة كقصة هارون مع موسى صلوات الله عليهمما، قالوا: ثم انتقلت الإمامة من إسماعيل إلى ابنه محمد المكتوم وهو أول الأئمة المستورين؛ لأن الإمام عندهم قد لا يكون له شوكة فيستتر وتكون دعاته ظاهرين إقامة للحججة على الخلق، وإذا كانت له شوكة ظهر وأنه دعوته قالوا: وبعد محمد المكتوم ابنه جعفر الصادق وبعد ابنه محمد الحبيب وهو آخر المستورين، وبعد ابنه عبد الله المهدى الذي أظهر دعوته أبو عبد الله الشيعي في كتابة وتسابع الناس على دعوته ثم أخرجه من معتقله بسجله ماسة وملك القبور والمغرب وملك بنوه من بعده مصر كما هو معروف في أخبارهم.

ويسمى هؤلاء الإسماعيلية نسبة إلى القول بإمامنة إسماعيل ويسمون أيضاً بالباطنية نسبة إلى قولهم بالإمام الباطن، أي المستور، ويسمون أيضاً الملحدة لما في ضمن مقالتهم من الإلحاد لهم مقالات قديمة ومقالات جديدة دعا إليها الحسن بن محمد الصباح في آخر المائة الخامسة وملك حصنوا بالشام والعراق ولم تزل دعوته فيها إلى أن ترزعها الملائكة بين ملوك الترك بمصر وملوك التتر بالعراق فانفروت. ومقالة هذا الصباح في دعوته مذكورة في كتاب «الملل والنحل» للشهرستاني.

كذلك اللهم أخبر عن أنس حبوا من بعد درس في السراب وقد كفانا مؤونة هؤلاء الغلة أئمة الشيعة، فإنهم لا يقولون بها وبيطلون احتجاجاتهم عليها.

وأما الكيسانية فساقوا الإمامة من بعد محمد بن الحنفية إلى ابنه أبي هاشم، وهو لاء هم الهاشمية، ثم افترقوا، فمنهم من ساقها بعده إلى أخيه علي ثم إلى ابنه الحسن بن علي. وأخرون يزعمون أن أبي هاشم لما مات بأرض السراة منصراً من الشام أوصى إلى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، وأوصى محمد إلى ابنه إبراهيم المعروف بالإمام، وأوصى إبراهيم إلى أخيه عبد الله بن الحارثية الملقب بالسفاح، وأوصى هو إلى أخيه عبد الله أبي جعفر الملقب بالنصراني وانتقلت في ولده بالنص والمهد واحداً بعد واحد إلى آخرهم، وهذا مذهب الهاشمية القائمين بدولة بنى العباس، وكان منهم أبو سلم وسلامان بن كثير وأبو سلمة الخلال وغيرهم من شيعة العباسية، وربما يعஸدون ذلك بأن حقهم في هذا الأمر يصل إليهم من العباس؛ لأنه كان حياً وقت الوفاة وهو أول بالوراثة بعصبية العصومة.

وأما الزيدية فساقوا الإمامة على مذهبهم فيها وأنها باختيار أهل الخل والعقد لا بالنص، فقاتلا بإمامنة علي ثم ابنه الحسن ثم أخيه الحسين، ثم ابنه علي زين العابدين، ثم ابنه زيد بن علي وهو صاحب هذا المذهب، وخرج بالكوفة داعياً إلى الإمامة فقتل وصلب بالكتامة، وقال الزيدية بإمامنة ابنه يعني من بعده فمضى إلى خراسان وقتل بالجوزجان بعد أن أوصى إلى محمد بن عبد الله بن حسن بن الحسن السبط ويقال له النفس الزكية، فخرج بالحجاز وتلقب بالمهدي وجاءته عساكر المتصور فقتل وعهد إلى أخيه إبراهيم فقام بالبصرة ومعه عيسى بن زيد بن علي فوجه إليهم المتصور عساكره فهزם وقتل إبراهيم وعيسى، وكان حضر الصادق أخبرهم بذلك كله وهي معدودة في كراماته.

وذهب آخرون منهم إلى أن الإمام بعد محمد بن عبد الله النفس الزكية هو محمد بن القاسم بن علي بن عمر، وعمر هو آخر زيد بن علي، فخرج محمد بن القاسم بالطلاقان فقبض عليه وسيق إلى المعتصم فجسسه ومات في حبه، وقال آخرون من الزيدية أن الإمام بعد يحيى بن زيد هو أبو أنهو عيسى الذي حضر مع إبراهيم بن عبد الله في قتاله مع منصور وتقلوا الإمامة في عقبه وإليه انتسب دعي الزنج كما ذكره في أخبارهم.

وقال آخرون من الزيدية: إن الإمام بعد محمد بن عبد الله آخره إدريس الذي فر إلى المغرب ومات هناك وقام بأمر ابنه

ويطل الجهاد وإعلاء كلمة الله، وإنما يذم الغضب للشيطان وللأغراض النعيمية، فإذا كان الغصب لذلك كان مذموماً، وإذا كان الغصب في الله والله كان مدحوباً وهو من شمائله فَلَا

وكذا ذم الشهورات أيضاً ليس المراد إبطالها بالكلية، فإن من بطلت شهرته كان نقصاً في حقه، وإنما المراد تصريفها فيما أربع له باشتماله على المصالح ليكون الإنسان عبداً متصرفاً طرور الأوامر الإلهية، وكذا العصبية حيث ذمها الشارع وقال **﴿لَنْ تَفْعَلُمْ أَرْحَامَكُمْ وَلَا أَوْلَادَكُمْ﴾**، فإنما مراده حيث تكون العصبية على الباطل وأحواله كما كانت في الجاهلية، وأن يكون لأحد فخر بها أو حق على أحد لأن ذلك عجب من أفعال العقلاة وغير نافع في الآخرة التي هي دار القرار، فاما إذا كانت العصبية في الحق وإقامة أمر الله فامر مطلوب ولو بطل بطلت الشرائع إذ لا يتم قوامها إلا بالعصبية كما قلناه من قبل، وكذا الملك لما ذمه الشارع لم يذم منه الغلب بالحق وقه الكافة على الدين ومراعاة المصالح، وإنما ذمه لما فيه من التغلب بالباطل وتصرف الأدمنين طرور الأغراض والشهورات كما قلناه، فلو كان الملك خلصاً في غلبه للناس أنه الله وحملهم على عبادة الله وجهاد عدوه لم يكن ذلك مذموماً.

وقد قال سليمان صلوات الله عليه: **«رَبُّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَبْغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي»**. لما علم من نفسه أنه يعزل عن الباطل في النبوة والملك.

ولما تلقى معاوية عمر بن الخطاب رضي الله عنهما عند قدومه إلى الشام في أيام الملك وزيمه من العديد والعدة استنكر ذلك وقال: أكسروية يا معاوية! فقال: يا أمير المؤمنين إنما في ثغر تمياه العدو وينا إلى مأهاتهم بزينة الحرب والجهاد حاجة. فسكت ولم يحيطه لما احتاج عليه يقصد من مقاصد الحق والدين، فلو كان القصد رفض الملك من أصله لم يقنعه الجواب في تلك الكسرورية واتصالها، بل كان يعرض على خروجه عنها بالجملة، وإنما أراد عمر بالكسرورية ما كان عليه أهل فارس في ملكهم من ارتکاب الباطل والظلم والبني وسلوك سبله والغفلة عن الله، وأجابه معاوية بأن القصد بذلك ليس كسرورية فارس وباطلهم، وإنما قصده بها وجه الله فسكت، وهكذا كان شأن الصحابة في رفض الملك وأحواله ونسیان عوائده حذراً من التباسها بالباطل.

فلما استحضر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استختلف أبا بكر على الصلاة إذ هي أهم أمور الدين وارتضاه الناس للخلافة وهي حل الكافة على أحكام الشريعة ولم يجر للملك ذكر لما أنه مظنة للباطل وخلة يومئذ لأهل الكفر وأعداء الدين، فقام بذلك أبو بكر ما شاء الله متبعاً سنن صاحبه وقاتل أهل الردة حتى اجتمع العرب على

وأما الآيات عشرية خصوا باسم الإمامية عند المتأخرین منهم فقالوا بإمامية موسى الكاظم بن جعفر الصادق لوفاة أخيه الأكبر إسماعيل الإمام في حياة أبيهما جعفر فنص على إمامية موسى هذا ثم ابنه علي الرضا الذي عهد إليه المأمون ومات قبله فلم يتم له أمر، ثم ابنه محمد التقى، ثم ابنه علي الهادي، ثم ابنه محمد الحسن العسكري، ثم ابنه محمد المهدي المتظر الذي قدمناه قبل.

وفي كل واحدة من هذه المقالات للشيعة اختلاف كبير إلا أن هذه أشهر مذاهبهم، ومن أراد استيعابها ومعطالتها فعليه بكتاب أملل والنحل لابن حزم والشهرستاني وغيرهما، ففيهما بيان ذلك، والله يضل من يشاء ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم وهو العلي الكبير.

## الفصل الثامن والعشرون

### في انقلاب الخلافة إلى الملك

اعلم أن الملك غاية طبيعية للعصبية ليس وقوعه عنها باختيار، إنما هو بضرورة الوجود وترتيبه كما قلناه من قبل، وأن الشرائع والديانات وكل أمر يحمل عليه الجمهور فلا بد فيه من العصبية، إذ المطالبة لا تتم إلا بها كما قدمناه.

فالعصبية ضرورية للملة ويوجدها يتم أمر الله منها وفي الصحيح: **«مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا فِي مَنْعَةٍ مِّنْ قَوْمِهِ»** ثم وجدنا الشارع قد ذم العصبية وندب إلى إطراحها وتركها فقال: إن الله أذهب عنكم عبادة الجاهلية وفخرها بالأباء، أنت بسوادم وأدم من تراب»، وقال تعالى **«إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاءُكُمْ»** ووجدناه أيضاً قد ذم الملك وأهله ونعني على أهله أحوافهم من الاستمتاع بالأخلاق والإسراف في غير القصد والتلذب عن صراط الله، وإنما حض على الألفة في الدين وحذر من الخلاف والفرق، واعلم أن الدنيا كلها وأحوالها عند الشارع مطية للآخرة ومن فقد المطية فقد الوصول، وليس مراده فيما ينهى عنه أو يذمه من أفعال البشر أو يندب إلى تركه إهماله بالكلية أو اقتلاعه من أصله وتعطيل القوى التي ينشأ عليها بالكلية، إنما قصده تصريفها في أغراض الحق جهد الاستطاعة حتى تسير المقاصد كلها حقاً وتحدد الوجهة كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ كَانَ هَاجِرَةً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهُوَ مَهْجُورَهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَ هَاجِرَةً إِلَى دُنْيَا يَصْبِيَهَا أَوْ امْرَأَةً يَنْزَعُهَا فَهُوَ مَهْجُورَهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»**. فلم يذم الغصب وهو يقصد نزعه من الإنسان، فإنه لو زالت منه قوة الغصب لفقد منه الانتصار للحق

الإسلام.

متروكه بعد وفاته أربعة وثمانين ألفاً، وخلف زيد بن ثابت من  
البغضه والذهب ما كان يكسر بالفتوس غير ما خلف من الأموال  
والضياع بمائة ألف دينار، وبني الزبير داره بالبصرة وكذلك بني  
بيصر والكوفة والإسكندرية، وكذلك بني طلحة داره بالكوفة  
وشيد دارة بالمدينه وبنها بالجص والأجر والساج، وبني سعد بن  
أبي وقاص داره بالقيق ورفع سماكتها وأوسع فضاءها وجعل  
على أعلىها شرفات، وبني المقداد دارة بالمدينه وجعلها مخصصة  
للظاهر والباطن، وخلف يعلى بن منه حسين ألف دينار وعقاراً  
ويغور ذلك ما قيمته ثلاثةمائة ألف درهم اهـ. كلام المسعودي

فكانت مكاسب القرم كما تراه ولم يكن ذلك منعيّاً عليهم في دينهم، إذ هي أموال حلال لأنها غنائم وفيء ولم يكن تصرفهم فيها بآساف، إنما كانوا على قصد في أحوالهم كما قلناه، فلم يكن ذلك يقاد فيهم وإن كان الاستكثار من الدنيا مذموماً، فإنما يرجع إلى ما أشرنا إليه من الإسراف والخروج به عن القصد، وإذا كان حا لهم قصداً ونفقتهم في سبيل الحق ومناهيّه كان ذلك الاستكثار عوراناً لهم على طرق الحق واكتساب الدار الآخرة، فلما تدرجت لبداوة والغضائحة إلى نهايتها وجاءت طبيعة الملك التي هي تقتضي العصبية كما قلناه وحصل التغلب والقهْر كأن حكم ذلك الملك عندهم حكم ذلك الرفة والاستكثار من الأموال فلم يصرفوا ذلك التغلب في باطل ولا خرجوا به عن مقاصد الديانة مذهب الحق.

ولما وقعت الفتنة بين علي ومعاوية وهي مقتضي العصبية  
كان طريقهم فيها الحق والاجتهداد، ولم يكروا في محاربتهم لغرض  
ذنبوي أو لإثارة باطل أو لاستشعار حقد كما قد يتوهمه متهم  
ويترع إليه ملحد، وإنما اختلف اجتهادهم في الحق وسفه كل واحد  
نظر صاحبه باجتهاده في الحق فاقتلوه عليه، وإن كان المصيب عليه  
تلهم يكن معاوية قاتلها بقصد الباطل، إنما قصد الحق وأخطأه،  
والكل كانوا في مقاصدهم على حق.

ثم اقتضت طبيعة الملك الانفراد بالجed واستئثار الواحد به،  
ولم يكن لعاوينة أن يدفع ذلك عن نفسه وقومه فهو أمر طبيعي  
ساقته العصبية بطبيعتها واستشعرته بنو أمية، ومن لم يكن على  
طريقة معاوية في اقتداء الحق من أتباعهم فاعصوصبوا عليه  
واستمتوا دونه، ولو حملهم معاوية على غير تلك الطريقة  
وخلالفهم في الانفراد بالأمر لوقع في افتراق الكلمة التي كان جمعها  
وتاليتها أهم عليه من أمر ليس وراءه كبير خالفة، وقد كان عمر  
بن عبد العزيز رضي الله عنه يقول إذا رأى القاسم بن محمد بن  
أبي بكر: «لو كان لي من الأمر شيء لوليته الخلافة»، ولو أراد أن

ثم عهد إلى عمر فاقتفي أثره وقاتل الأسم فغليهم وأذن للعرب في انتزاع ما بآيديهم من الدنيا والملك فغلوهم عليه، وانتزعوه منهم، ثم صارت إلى عثمان بن عفان، ثم إلى علي رضي عنهما والكل متبرون من الملك متتكرون عن طرقه.

وأكمل ذلك لدليهم ما كانوا عليه من غضاضة الإسلام  
وبداوة العرب فقد كانوا أبعد الأمم عن أحوال الدنيا وترفها لا  
من حيث دينهم الذي يدعوه إلى الزهد في التغيم ولا من حيث  
بدارتهم ومواطنهم وما كانوا عليه من خشونة العيش وشظفه  
الذى الفرق.

فلم تكن أمة من الأمم أسبغ عيشاً من مصر لما كانوا بالحجاز في أرض غير ذات زرع ولا ضرع وكانتوا منزعين من الآرياف وحربوها لبعدها واحتتصاصها بين ولها من ربعة والي من قلم يكونوا يتطاولون إلى خصبهما، ولقد كانوا كثيراً ما يأكلون العقارب والخناقوس ويغحررون بأكل العلوز وهو وبر الإبل يهونه بالسجارة في الدم ويطيخونه، وقرباً من هذا كانت حال قريش في مطاعهم ومساكتهم.

حتى إذا اجتمعوا عصبية العرب على الدين بما أكرمههم  
الله من نبوة محمد ﷺ زحفوا إلى أمم فارس والروم وطلبوا ما  
كتب الله لهم من الأرض يبعد الصدق فابتزوا ملوكهم واستباحوا  
دنياهم فزاحت بخار الرفة لديهم حتى كان الفارس الواحد يقسم  
له في بعض الغزوات ثلاثون ألفاً من الذهب أو خورها فاستولوا  
من ذلك على ما لا يأخذن الحصر وهم مع ذلك على خشونة  
عيщهم، فكان عمر يرقص ثوبه بالجلد، وكان علي يقول: يا صفراء  
ويا بيضاء غري غيري، وكان أبو موسى يتجلاني عن أكل الدجاج  
لأنه لم يعدها للعرب لقلتها يومئذ وكانت المتأخر مفقودة عندهم  
بالجملة، وإنما كانوا يأكلون الحنطة بتناولها ومكاسبهم مع هذا أتم  
ما كانت لأحد من أهل العالم.

قال المسعودي: في أيام عثمان أتى الصحابة الضياع والمال  
فكأن له يوم قتل عند خازنه خسون ومائة ألف دينار والالف الف  
درهم وقيمة ضياعه بسوادي القرى وحنين وغيرهما مائة ألف  
دينار، وخلف إيلًا وخليلاً كثيرة. ويبلغ الثمن الواحد من متروك  
الزبير بعد وفاته خمسين ألف دينار وخلف ألف فرسان والالف امة؛  
وكان غلة طلحة من العراق ألف دينار كل يوم ومن ناحية  
السراة أكثر من ذلك، وكان على مربط عبد الرحمن بن عوف ألف  
فرس وله ألف بعير وعشرة آلاف من الغنم؛ ويبلغ الربع من

سليمان فكان همه بطنه وفرجه، وأما عمر فكان أعزور بن عميان، وكان رجل القوم هشام، قال: ولم يزل بنو أمية ضابطين لما مهد لهم من السلطان بمحظونه ويصونون ما وهب الله لهم منه مع تسلّمهم معايير الأمور ورفضهم دينها حتى أفضى الأمر إلى أن ينبع المترفين فكانت همتهم قصد الشهورات وركوب اللذات من معاصي الله جهلاً باستدراجه وأمناً لكرهه مع اطراحهم صيانة الخلافة واستخافتهم بحق الرياسة وضعفهم عن السياسة فسلبهم الله العز والبسهم الذل ونفي عنهم النعمة، ثم استحضر عبد الله بن مروان فقص عليه خبره مع ملك التربة لا دخل أرضهم فراراً أيام السفاح قال: أقمت ملائكة ثم أتاني ملوككم فقعد على الأرض وقد بسطت لي فرش ذات قيمة فقلت له: ما منعك من القعود على ثيابنا؟ فقال: إني ملك وحق لكل ملك أن يتواضع لعظمة الله إذ رفعه الله، ثم قال: لم تشربون الخمر وهي محمرة عليكم في كتابكم؟ فقلت: اجروا على ذلك عيينا وأتباعنا بجهلهم، قال: فلم تطعون الزرع بدوايكم والفساد عرم عليكم؟ قلت: فعل ذلك عيينا وأتباعنا بجهلهم قال: فلم تلبسون الديباج والذهب والحرير وهو حمر عليكم في كتابكم؟ قلت: ذهب منا الملك وانتصرنا بقومنا من العجم دخلوا في ديننا فليسوا ذلك على الكره منا؛ فأطرق ينكت بيده في الأرض ويقول: عيينا وأتباعنا وأعاجم دخلوا في ديننا، ثم رفع رأسه إلى وقال: ليس كما ذكرت بل أنتم قوم استحللتم ما حرم الله عليكم واتيتكم ما عنه نهيتكم، وظلمتم فيما ملكتكم فسلبكم الله العز والبسكم الذل بذنبكم والله نعمت لم تبلغ غايتها فيكم وأنا خائف أن يجعل بكم العذاب وأنتم بيلدي فينالي معكم، وإنما الضيافة ثلاثة فتزود ما احتجت إليه وارتحل عن أرضي؛ فتعجب المنصور وأطرق.

فقد تبين لك كيف انقلب الخلافة إلى الملك، وأن الأمر كان في أوله خلافة ووازع كل أحد فيها من نفسه وهو الدين وكانت بثروته على أمور دنياه وإن أفضى إلى هلاكهم وحدهم دون الكافرة.

فهذا عثمان لما حضر في الدار جاءه الحسن والحسين وعبد الله بن عمر وابن جعفر وأمثالهم يريدون المدافعة عنه فأبى ومنع من سل السيوف بين المسلمين خلافة الفرقـة وحفظاً للألفة التي بها حفظ الكلمة ولو أدى إلى هلاكه.

وهذا على أشار عليه المغيرة لأول ولاته باستبقاء الزبير ومعاوية وطلحة على أعمالهم حتى يجتمع الناس على بيته وتفق الكلمة ولو بعد ذلك ما شاء من أمره، وكان ذلك من سياسة الملك فأبى فراراً من الغش الذي ينافي الإسلام وغدا عليه المغيرة

يعهد إليه لفعل، ولكنه كان يخشى من بنى أمية أهل الخلل والعقد لما ذكرناه، فلا يقدر أن يحول الأمر عنهم لشأ نقع الفرقة. وهذا كله إنما حل عليه منازع الملك التي هي مقتضى العصبية، فالمملوك إذا حصل وفرضنا أن الواحد انفرد به وصرفه في مذاهب الحق ووجوهه لم يكن في ذلك نكير عليه، ولقد انفرد سليمان وأبوه داود صلوات الله عليهما ملوك بنى إسرائيل لما اقتضته طبيعة الملك منهم الانفراج به، وكانت ما علمت من النبيـة والحق، وكذلك عهد معاوية إلى يزيد خوفاً من افتراق الكلمة بما كانت بنو أمية لم يرضوا تسلیم الأمر إلى من سواهم. فلو قد عهد إلى غيره اختلفوا عليهـ مع أن ظنـهم كان به صالحاً ولا يرتـاب أحدـ في ذلك ولا يظنـ بمعاويةـ غيرـهـ، فـلمـ يكنـ لـيـعـهـدـ إـلـيـ وـهـوـ يـعـتـقـدـ مـاـ كـانـ عـلـيـهـ مـنـ

القسم حاشا الله معاويةـ منـ ذلكـ.

وكذلك كان مروان بن الحكم وابنه وإن كانوا ملوكاً لم يكنـ مذهبـهمـ فيـ الملكـ مذهبـ أهلـ البطـالةـ والـبغـيـ، إنـماـ كانواـ متـربـينـ لـمقـاصـدـ الـحقـ جـهـدـهـمـ إـلـاـ فيـ ضـرـورةـ تـحـمـلـهـمـ عـلـىـ بـعـضـهـاـ مـشـلـ خـشـيـةـ اـفـرـاقـ الـكـلـمـةـ الـذـيـ هوـ أـهـمـ لـدـيـهـمـ مـنـ كـلـ مـقـصـدـ، يـشـهـدـ لـذـكـ ماـ كـانـواـ عـلـيـهـ مـنـ الـاتـبـاعـ وـالـاقـدـاءـ وـماـ عـلـمـ السـلـفـ مـنـ أحـواـلـهـ وـمـقـاصـدـهـمـ فـقـدـ اـحـتـجـ مـالـكـ فـيـ الـمـوـطـأـ بـعـملـ عبدـ الملكـ.

وأما مروان فكان من الطبقة الأولى من التابعين وعدالهم معروفة ثم تدرج الأمر في ولد عبد الملك وكانوا من الدين بالمكان الذي كانوا عليه وتوسطهم عمر بن عبد العزيز فتنز إلى طريقة الخلفاء الأربعة والصحابية جهده ولهم يهمل. ثم جاء خلفهم واستعملوا طبيعة الملك في أغراضهم الدنيوية ومقاصدهم ونسوا ما كان عليه سلفهم من تحري القصد فيها واعتماد الحق في مذاهبها، فكان ذلك مما دعا الناس إلى أن نمو عليهم أفعالهم وأدالوا بالدعاية العباسية منهم وولي رجالها الأمر فكانوا من العدالة بمكان، وصرفوا الملك في وجه الحق ومذاهبه ما استطاعوا حتى جاء بنو الرشيد من بعده فكان منهم الصالح والطالع، ثم أفضى الأمر إلى بنיהם فأعطوا الملك والترف حقه وانغمسموا في الدنيا وباطلها وبندوا الدين وراءهم ظهرياً، فتاذن الله بمحرthem وانتزاع الأمر من أيدي العرب جملة وأمكن سواهم منه، والله لا يظلم مثقال ذرة.

ومن تأمل سير هؤلاء الخلفاء والملوك واحتلafهم في تحري الحق من الباطل علم صحة ما قلناه، وقد حكى المسعودي مثله في أحوال بنى أمية عن أبي جعفر المنصور وقد حضر عمومته وذكرها بيـ أمـةـ فـقاـلـ: أـمـاـ عـلـيـهـ الـمـلـكـ فـكـانـ جـيـارـاـ لـأـيـالـيـ مـاـ صـنـعـ، وـأـمـاـ

بيعة النبي ﷺ ليلة العقبة وعند الشجرة وحيثما ورد هذا فقط، ومنه بيعة الخلفاء، ومنه أيام البيعة، كان الخلفاء يستخلفون على العهد ويستوعبون الأيمان كلها لذلك فسمي هذا الاستيعاب أيام البيعة وكان الإكراه فيها أكثر وأغلب؛ وهذا لما أفتى مالك رضي الله عنه بسقوط إيمان الإكراه أنكرها الولاة عليه ورأواها قادحة في أيام البيعة، وووقيع ما وقع من عنة الإمام رضي الله عنه.

وأما البيعة المشهورة لهذا العهد فهي ثيبة الملوك الكسرورية من تقبيل الأرض أو اليد أو الرجل أو الذيل، أطلق عليها اسم البيعة التي هي العهد على الطاعة مجازاً لما كان هذا الخصوص في التحية والالتزام الآداب من لوازم الطاعة وتتابعها وغلب فيه حتى صارت حقيقة عرفية واستغنى بها عن مصافحة أيدي الناس التي هي الحقيقة في الأصل لما في المصافحة لكل أحد من التنزل والاتصال المنافين للرياسة وصون النصب الملكي، إلا في الأقل من يقصد التواضع من الملوك فيأخذ به نفسه مع خواصه ومشاهير أهل الدين من رعيته، ففهم معنى البيعة في العرف فإنه أكيد على الإنسان معرفته لما يلزم من حق سلطانه وإمامته، ولا تكون أفعاله عيناً ومجاناً واعتبر ذلك من أفعالك مع الملك، والله القوي العزيز.

## الفصل الثالثون

### في ولاية العهد

اعلم أنا قدمنا الكلام في الإمامة ومشروعتها لما فيها من المصلحة، وأن حقيقتها النظر في صالح الأمة لدينهم ودنياهم، فهو ولهم والأمين عليهم ينظر لهم ذلك في حياته ويتبعد ذلك أن ينظر لهم بعد مماته ويقيم لهم من يتول أمرهم كما كان هو يتولاها، ويتحققون بنظره لهم في ذلك كما وقروا به فيما قبل، وقد عرف ذلك من الشرع بإجماع الأمة على جوازه واعتقاده إذ وقوع بعهد أبي بكر رضي الله عنه لعمر بحضور من الصحابة وأجازوه وأوجبوا على أنفسهم به طاعة عمر رضي الله عنه وعنه.

وكذلك عهد عمر في الشورى إلى السنة بقيمة العشرة، وجعل لهم أن يختاروا لل المسلمين ففرض بعضهم إلى بعض حتى أفضى ذلك إلى عبد الرحمن بن عوف، فاجتهد وناظر المسلمين فوجدهم متفقين على عثمان وعلى علي، فاتأى عثمان بالبيعة على ذلك لموافقته إياه على لزوم الاقتداء بالشيوخين في كل ما يعن دون اجتهاده، فانعقد أمر عثمان لذلك وأوجبوا طاعته والملا من

من الغداة فقال: لقد أشرت عليك بالأمس بما أشرت ثم عدت إلى نظري فلعلت أنه ليس من الحق والصيحة وأن الحق فيما رأيته أنت، فقال علي: لا والله بل أعلم أنك نصحتني بالأمس وغضشتني اليوم، ولكن معنى مما أشرت به ذائق الحق؛ وهكذا كانت أحوالهم في إصلاح دينهم بفساد ديناهم ومحن: نرّفع ديناس بتعریق دینتسا فلا دینسا یقسى ولا ما نرّقع

فقد رأيت كيف صار الأمر إلى الملك وبقيت معاني الخلافة من تحري الدين ومناهبه والجري على منهاج الحق ولم يظهر التغير إلا في الرازح الذي كان ديننا ثم انقلب عصبية وسيفنا، وهكذا كان الأمر لمهد معاوية ومروان وابنه عبد الملك والصدر الأول من خلفاء بي العباس إلى الرشيد وبعضاً ولده، ثم ذهبت معاني الخلافة ولم يبق إلا اسمها، وصار الأمر ملكاً بحثاً وجرت طبيعة التغلب إلى غايتها واستعملت في أغراضها من القهر والتغلب في الشهورات والملاذ وهكذا كان الأمر لولد عبد الملك ولم جاء بعد الرشيد من بي العباس واسم الخلافة باقياً فيهم لبقاء عصبية العرب، والخلافة والملك في الطورين متibus بعضهما البعض، ثم ذهب رسم الخلافة وأثرها بذهاب عصبية العرب وفناء جيلهم وتلاشى أحوالهم ويفي الأمر ملكاً بحثاً كما كان الشأن في ملوك العجم بالشرق يدينون بطاعة الخليفة تبركاً والملك بجميع قابه ومناجيه لهم، وليس لل الخليفة منه شيء، وكذلك فعل ملوك زنطة بالغرب مثل صنهاجة مع العبيدين ومغاروة وهي يفرن أيضاً مع خلفاء بي أمية بالأندلس والعبيدين بالقيروان، فقد تبين أن الخلافة قد وجدت بدون الملك أولاً ثم التبس معانيها واختلطت ثم انفرد الملك حيث افترقت عصبيته من عصبية الخلافة، والله مقدر الليل والنهار وهو الواحد القهار.

## الفصل التاسع والعشرون

### في معنى البيعة

اعلم أن البيعة: هي العهد على الطاعة، كان المباعث يعاخذ أميره على أنه يسلّم له النظر في أمر نفسه وامور المسلمين لا ينزعه في شيء من ذلك، ويطبعه فيما يكلمه به من الأمر على المشط والكرة؛ وكانت إذا بايعوا الأمير وعقدوا عهده جعلوا أيديهم في يديه تأكيداً للعهد، فائتبه ذلك فعل البائع والمشترى فسمي بيعة، مصدر بع، وصارت البيعة مصافحة بالأيدي هذا مدلولاً في عرف اللغة ومعهود الشرع وهو المراد في الحديث في

غير من ترتب فيه العصبية لرد ذلك العهد وانتقض أمره سريعاً  
وصارت الجماعة إلى الفرقة والاختلاف.

سأله رجل علياً رضي الله عنه: ما بال المسلمين اختلفوا  
عليك ولم يختلفوا على أبي بكر وعمر؟ فقال: لأن أبي بكر وعمر  
كانا واليin على مثلي وأنا اليوم والال على مثلثك. يشير إلى وازع  
الدين، أفالاً ترى إلى المؤمنون لما عهد إلى علي بن موسى بن جعفر  
الصادق وسماه الرضا كيف أنكرت العباسية ذلك وتقطعوا بيته  
وبابوا لعمه إبراهيم بن المهدى وظهر من الفرج والخلاف وانقطاع  
السبيل وتعدد الثوار والمخواج ما كاد أن يصطدم الأمر حتى بادر  
المؤمنون من خراسان إلى بغداد ورد أمرهم لمعاهده، فلا بد من  
اعتبار ذلك في العهد، فالعصور مختلف باختلاف ما يحدث فيها من  
الأمور والتباين والخصائص وتختلف باختلاف المصالح ولكل  
واحد منها حكم ينحصه لطفاً من الله بعيادة.

واما أن يكون القصد بالعهد حفظ التراث على الأبناء  
فليس من المقادير الدينية، إذ هو أمر من الله يختص به من يشاء  
من عباده ينبغي أن تحسن فيه النية ما يمكن خوفاً من العبث  
بالمقدرات الدينية، والملك لله يؤتى من يشاء، وعرض هنا أمر  
تدعو الضرورة إلى بيان الحق فيها.

فالأول منها: ما حدث في يزيد من الفسق أيام خلافته،  
فإياك أن تظن بمعاودة رضي الله عنه أنه علم ذلك من يزيد، فإنه  
أعدل من ذلك وأفضل، بل كان يعذله أيام حياته في سماع الغاء  
وينهاء عنده وهو أقل من ذلك، وكانت مذاهبه فيه مختلفة، ولما  
حدث في يزيد ما حدث من الفسق اختلف الصحابة حيث تذر  
شأنه، فمنهم من رأى المخروج عليه ونقض بيته من أجل ذلك  
كما فعل الحسين وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ومن  
اتبعهما في ذلك، ومنهم من أباه لما فيه من إثارة الفتنة وكثرة القتل  
مع العجز عن الرفقاء به؛ لأن شوكة يزيد يومئذ هي عصابة بني  
أمية وجهور أهل الحل والعقد من قريش وتستطيع عصبية مصر  
أجمع، وهي أعظم من كل شوكة ولا تطاق مقاومتهم فاقتصرت عن  
يزيد بسبب ذلك وأقاموا على الدعاء بهدايته والراحة منه، وهذا  
كان شأن جهور المسلمين والكل مجتهدون ولا ينكر على أحد من  
الغريقين، فمقاصدهم في البر وتحري الحق معروفة وفقنا الله  
للاقتداء بهم.

والامر الثاني: هو شأن العهد مع النبي صلوات الله عليه وما تدعوه  
الشيعة من وصيته لعلي رضي الله عنه وهو أمر لم يصح ولا نقله  
أحد من آئمة النقل، والذي وقع في «الصحابي» من طلب الدواة  
والقرطاس ليكتب الوصية، وأن عمر منع من ذلك فدليل واضح

الصحابية حاضرون للأولى والثانية ولم ينكروا أحد منهم، فدل على  
أنهم متافقون على صحة هذا العهد عارفون بمشروعيته والإجماع  
حججة كما عرف.

ولايُنفي الإمام في هذا الأمر وأن عهد إلى أبيه أو ابنه؛ لأنه  
مأمون على النظر لهم في حياته فأولى أن لا يتحمل فيها تبعة بعد  
ماته خلافاً لمن قال باتهامه في الولد والوالد أو لمن خصص التهمة  
بالولد دون الوالد، فإنه بعيد عن الظنة في ذلك كله لا سيما إذا  
كانت هناك داعية تدعر إليه من إشار مصلحة أو توقيع مفسدة  
فتنتي الظنة عند ذلك رأساً كما وقع في عهد معاوية لابنه يزيد  
وإن كان فعل معاوية مع وفاق الناس له حجة في الباب، والذي  
دعا معاوية لإثارة ابنه يزيد بالعهد دون من سواه إنما هو مراعاة  
المصلحة في اجتماع الناس واتفاق أهوائهم باتفاق أهل الحال  
والعقد عليه حيث تذر من بني أمية، إذ بني أمية يومئذ لا يرضون  
سوهم وهم عصابة قريش وأهل الله أجمع وأهل الغلب منهم  
فأثاره بذلك دون غيره من يظن أنه أولى بها، وعدل عن الفاضل  
إلى الفضول حرضاً على الاتفاق واجتماع الأهواء الذي شأنه أهم  
عند الشارع.

وإن كان لا يظن بمعاودة غير هذا فعدالته وصحبته مانحة  
من سوى ذلك.

وحضور أكبر الصحابة لذلك وسكتوهم عنه دليل على  
انتفاء الريب فيه، فليسوا من يأخذهم في الحق هؤلاء وليس معاوية  
من تأخذذه العزة في قبول الحق، فإنهما كلهم أجيالٌ من ذلك  
 وعدالتهم مانعة منه، وفار عبد الله بن عسر من ذلك إنما هو  
محمول على تورعه من الدخول في شيءٍ من الأمور مباحاً كان أو  
محظوراً كما هو معروف عنه ولم يبق في المخالفه لهذا العهد الذي  
انفق عليه الجمهرة إلا ابن الزبير وندور المخالف معروف، ثم إنه  
وقع مثل ذلك من بعد معاودة من الخلفاء الذين كانوا يتحررون  
الحق ويعملون به، مثل عبد الملك وسليمان من بني أمية والسفاح  
والنصر والمهدي والرشيد من بني العباس وأمثالهم من عرفت  
عدالتهم وحسن رأيهم للMuslimين والنظر لهم ولا يعب عليهم  
إثارة ابنائهم وإخوانهم وخروجهم عن سنن الخلفاء الأربعه في  
ذلك، فشأنهم غير شأن أولئك الخلفاء فإنهم كانوا على حين لم  
تحدث طبيعة الملك، وكان الواقع دينياً فنجد كل أحد وازع من  
نفسه فنهدوا إلى من يرتكب العصبية فقط وأتوروه على غيره ووكلوا  
كل من يسمى إلى ذلك إلى وازعه، وأما من بعدهم من لدن معاوية  
فكانوا العصبية قد أشرفت على غایتها من الملك والساواز الديني  
قد ضعف واحتتج إلى الواقع السلطاني والمصباتي، فلو عهد إلى

والتخاذل ومنشأ الاجتماع والترافق الكفيل بمقاصد الشريعة وأحكامها.

والأمر الثالث: شأن الحروب الواقعة في الإسلام بين الصحابة والتابعين، فاعلم أن اختلافهم إنما يقع في الأمور الدينية ويشأ عن الإجهاض في الأدلة الصحيحة والمدارك المعتبرة والمجهودون إذا اختلفوا.

فإن قلنا: إن الحق في المسائل الاجتهادية واحد من الطرفين  
ومن لم يصادفه فهو مخطئ، فإن جهته لا تعيين بإجماع، فيبقى الكل  
على احتمال الإصابة ولا تعيين المخطئ منها، والتأييم مدفوع عن  
الكل، أجمعًا.

وإن قلنا: إن الكل على حق وإن كل مجتهد مصيّب، فآخرى بنفي الخطأ والثائمين وغاية الخلاف الذى بين الصحابة والتبعين أنه خلاف اجتهادى فى مسائل دينية ظنية وهذا حكمه.

والذي وقع من ذلك في الإسلام إنما هو واقعة علي مع  
معاوية ومع الزبير وعائشة وطلحة، وواقعة الحسين مع يزيد،  
وواقعة ابن الزبير مع عبد الملك.

فاما واقعة علي فإن الناس كانوا عند مقتل عثمان مفترقين في الأنصار فلم يشهدوا بيعة علي والذين شهدوا، فنهم من بايع ومنهم من توقف حتى يجتمع الناس ويتقدوا على إمام كسرى روسيد وابن عمر وأسامة بن زيد والمظيرة بن شعبة وعبد الله بن سلام وقدامة بن مطعون وأبي سعيد الخدري وكعب بن عجرة وكعب بن مالك والنعسان بن بشير وحسان بن ثابت وسلمة بن خلدون وفضلة بن عبد وأمثالهم من أكابر الصحابة والذين كانوا في الأنصار عدلوا عن بيته أيضاً إلى الطلب بدم عثمان، وتركتوا لأمر فوضى حتى يكون شورى بين المسلمين لمن يولونه، وظنوا علىي هوادة في السكوت عن نصر عثمان من قاتله لا في الملاة عليه فخاش الله من ذلك، ولقد كان معاوية إذا صرخ بلامته إنما يوجهها عليه في سكوته فقط، ثم اختلفوا بعد ذلك فرأى علي أن بيته قد انعقدت ولزمت من تأخر عنها باجتماع من اجتمع عليها بالمدينة دار النبي ص وموطن الصحابة وارجاً الأمر في المطالبة بدم

يُعْتَمِدُ إِلَى اجْتِمَاعِ النَّاسِ وَإِنْقَاصِ الْكَلْمَةِ فَيَمْكُنُ حِيتَنَدُ مِنْ ذَلِكِ،  
وَرَأَى الْآخَرُونَ أَنْ يَبْعَثَهُ مِنْ تَعْقِدِ لِانْفَرَاقِ الصَّحَابَةِ أَهْلَ الْحَلَلِ  
الْعَقْدِ بِالْأَفَاقِ وَلَمْ يَحْضُرْ إِلَّا قَلِيلٌ وَلَا تَكُونُ الْبِيَعَةُ إِلَّا بِإِنْقَاصِ أَهْلِ  
الْحَلَلِ وَالْعَقْدِ، وَلَا تَلْزِمُ بَعْدَ تَوْلِاهَا مِنْ غَيْرِهِمْ أَوْ مِنْ الْقَلِيلِ  
بَعْدَهُمْ، وَإِنَّ الْمُسْلِمِينَ حِيتَنَدُ فَرْضِيَّ فِي طَالِبَيْهِ أَوْ لَا بِدِيمَ عَثَمَانَ ثَمَّ  
يُجْتَمِعُونَ عَلَى إِمامٍ، وَذَهَبَ إِلَى هَذَا مَعْرَافَةٍ وَعَرَبُونَ بْنَ الْعَاصِ وَأَمْ

على أنه لم يقع وكذا قول عمر رضي الله عنه حين طعن وسئل في العهد فقال: إن أعهد فقد عهد من هو خير ممن - يعني أبا بكر - وإن أترك فقد ترك من هو خير ممن - يعني النبي ﷺ - لم يعهد؛ وكذلك قول علي للعباس رضي الله عنهما حين دعاه للدخول إلى النبي ﷺ يسألانه عن شأنهما في العهد، فأبا علي من ذلك وقال: إنه إن معنا منها فلا نطمئن فيها آخر الدهر؛ وهذا دليل على أن علياً علم أنه لم يوص ولا عهد إلى أحد وشهر الإمامية في ذلك، إما هي كون الإمامة من أركان الدين كما يزعمون وليس كذلك، وإنما هي من المصالح العامة المفروضة إلى نظر الخلق، ولو كانت من أركان الدين لكان شأنها شأن الصلاة، ولكن يختلف فيها كما استخلف أبا بكر في الصلاة، ولكن يشتهر كما استهل

واحتجاج الصحابة على خلافة أبي بكر بقياسها على الصلاة في قوله ارتضاه رسول الله ﷺ لدينا أفالاً نرضاه للدنيان، دليل على أن الرخصة لم تقع. ويدل ذلك أيضاً على أن أمر الإمامة والheed بها لم يكن مهماً كما هو اليوم، وشأن العصبية المراعاة في الاجتماع والافتراق في مجاري العادة لم يكن يومئذ بذلك الاعتبار؛ لأن أمر الدين والإسلام كان كله خوارق العادة من تأليف القلوب عليه واستمناثة الناس دونه، وذلك من أجل الأحوال التي كانوا يشاهدونها في حضور الملائكة لنصرتهم وتردد خبر السماء بينهم، وتجدد خطاب الله في كل حادثة تلتى عليهم، فلم يتحقق إلى مراعاة العصبية لما شمل الناس من صبغة الانقياد والإذعان وما يستفرهم من تتابع المعجزات الخارقة والأحوال الإلهية الراقة والملائكة المتربدة التي وجروا منها ودهشوا من تتابعها.

فكان أمر الخلافة والملك والمعهد والعصبية وسائر هذه الأنواع متدرجًا في ذلك القبيل كما وقع، فلما المحصر ذلك المدد بذهاب تلك المعجزات ثم بفباء القرون الذين شاهدوها فاستحال تلك الصيغة قليلاً قليلاً وذهبت الحوارق وصار الحكم للعادة كما كان، فاعتبر أمر العصبية ومجاري العوائد فيما ينشأ عنها منصالح والمفاسد، وأصبح الملك والخلافة والمعهد بهما مهمان من الهممات الأكيدة كما زعموا ولم يكن ذلك من قرار

فاظنر كيف كانت الخلافة لمهد النبي ﷺ غير مهمة فلم يعهد فيها، ثم تدرجت الأهمية زمان الخلافة بعض الشيء بما دعت الضرورة إليه في الحماية والجهاد وشأن الردة والفتورات، فكانوا بال الخيار في الفعل والتراك كما ذكرنا عن عمر رضي الله عنه ثم صارت اليوم من أهم الأمور للألفة على الحماية والقيام بالصالح فأعتبرت فيها العصبية التي هي سر الوازع عن الفرق

كما علموا، فلم يقطع الطعن من أهل الأمصار وما زالت الشناعات تمر، ورمي الوليد بن عقبة وهو على الكوفة بشرب الخمر وشهد عليه جماعة منهم وحده عثمان وعزله، ثم جاء إلى المدينة من أهل الأمصار يسألون عزل العمال وشكوا إلى عائشة وعلى والزبير وطلحة، وعزّل لهم عثمان بعض العمال، فلم يقطع بذلك استئنافهم بل وفدى سعيد بن العاصي وهو على الكوفة، فلما رجع اعتضوه بالطريق وردوه معزولاً، ثم انتقل الخلاف بين عثمان ومن معه من الصحابة بالمدينة ونقموا عليه امتناعه عن العزل، فأبى إلا أن يكون على جرحه، ثم نقلوا التكير إلى غير ذلك من أفعاله وهو منسق بالاجهاد وهو أيضاً كذلك، ثم تجمع قوم من الغوغاء وجاؤوا إلى المدينة يظهرون طلب النصفة من عثمان وهو يضمرون خلاف ذلك من قتله وفيهم من البصرة والكوفة ومصر، وقام معهم في ذلك علي وعائشة والزبير وطلحة وغيرهم بخالون تسكن الأمور ورجوع عثمان إلى رأيهم وعزل لهم عامل مصر فانصرفوا قليلاً، ثم رجعوا وقد لبسوا بكتاب مدلس يزعمون أنهم لقوا في يد حامله إلى عامل مصر بان يقتلهم، وحلف عثمان على ذلك فقالوا: مكنا من مرwan فإنه كاتبك، فحلف مروان فقال عثمان: ليس في الحكم أكثر من هنا فحاصروه بداره، ثم بيته على حين غفلة من الناس وقتلوه وانفتح باب الفتنة.

فكل من هؤلاء عنده فيما وقع وكلهم كانوا مهتمين بأمر الدين ولا يضيعون شيئاً من تعلقاته، ثم نظروا بعد هذا الواقع واجهدوا والله مطلع على أحوالهم وعالم بهم، ونحن لا نظن بهم إلا خيراً لما شهدت به أحواهم ومقالات الصادق فيهم.

### مقتل الحسين بن علي

واما الحسين فإنه لما ظهر فسق يزيد عند الكافية من أهل عصره بعثت شيعة أهل البيت بالكوفة للحسين أن ياتيهم فيقوموا بأمره، فرأى الحسين أن الخروج على يزيد متعين من أجل فسقه لاسيما من له القدرة على ذلك وظلتها من نفسه بأهليته وشركته، فاما الأهلية فكانت كما ظن وزبادة، وأما الشوكة فغفلت يرحمه الله فيها، لأن عصبية مضر كانت في قريش وعصبية قريش في عبد مناف وعصبية عبد مناف إنما كانت فيبني أمية، تعرف ذلك لهم قريش وسائر الناس ولا ينكرون، وإنما نسي ذلك أول الإسلام لما شغل الناس من الذهول بالخوارق وأمر الوحي وتردد الملائكة لنصرة المسلمين، فاغفلوا أمور عوائدهم وذهبت عصبية الجاهلية

وسعید والنعمان بن بشیر ومعاوية بن خديج ومن كان على رأيهم من الصحابة الذين تحالفوا عن بيعة علي بالمدينة كما ذكرنا، إلا أن أهل العصر الثاني من بعدهم اتفقا على انقاد بيعة علي ولزومها لل-Muslimين أجمعين وتصويب رأيه فيما ذهب إليه وتعيين الخطأ من جهة معاوية ومن كان على رأيه، وخصوصاً طلحه والزبير لانتقاضهما على علي بعد البيعة له فيما نقل مع دفع التأثير عن كل من الفريقين، كالشأن في المجهدين، وصار ذلك إجماعاً من أهل العصر الثاني على أحد قولي أهل العصر الأول كما هو معروف.

ولقد سئل علي رضي الله عنه عن قتلى الجمل وصفين فقال: والذي نفسي بيده لا يموت أحد من هؤلاء وقلبه نقى إلا دخل الجنة بشير إلى الفريقين؛ نقله الطبرى وغيره، فلا يقنع عنده ريب في عدالة أحد منهم ولا قدح في شيء من ذلك، فهو من علمت، وأقوالهم وأفعالهم إنما هي عن المستبدات، وعدائهم مفروغ منها عند أهل السنة إلا قولأ للمعتزلة فيمن قاتل علياً لم يلتفت إليه أحد من أهل الحق ولا عرج عليه.

وإذا نظرت بعين الإنفاق عذرت الناس أجمعين في شأن الاختلاف في عثمان واختلاف الصحابة من بعد، وعلمت أنها كانت فتنة ابْنَى اللَّهِ بِهَا الأُمَّةَ بينما المسلمين قد أذهبوا عدوهم وملوكهم أرضهم وديارهم ونزلوا الأمصار على حدودهم بالبصرة والكوفة والشام ومصر وكان أكثر العرب الذين نزلوا هذه الأمصار جفناً لم يستكروا من صحبة النبي ﷺ ولا هذبوا سيرته وأدابه ولا ارتابوا بخلقه مع ما كان فيهم من الجاهلية والعصبية والتباخر وبعد عن سكينة الإيمان، وإذا بهم عند استفحال الدولة قد أصبحوا في ملکة المهاجرين والأنصار من قريش وكنانة وثقيف وهذيل وأهل الحجاز ويشرب، السابعين الأولين إلى الإيمان فاستكفوا من ذلك وغضوا به لما يبرون لأنفسهم من التقدم بآسابهم وكثريتهم ومصادمة فارس والروم مثل قبائل بكر بن وائل وعبد القيس بن ربيعة وقبائل كندة والأزرد من اليمين وقين وقيس من مضر فصاروا إلى الغض من قريش والأئمة عليهم، والتبرير في طاعتهم والتغلب في ذلك بالظلم منهم والاستدعاء عليهم والطعن فيهم بالعجز عن السوية والعدل في القسم عن التسوية، وفشت المقالة بذلك وانتهت إلى المدينة وهم من علمت فاعظموه وأبلغوه عثمان ببعث إلى الأمصار من يكشف له الخبر.

بعث ابن عمر ومحمد بن مسلمة وأسامي بن زيد وأمثالهم فلم ينكروا على الأمراء شيئاً ولا رأوا عليهم طعناً، وأدوا ذلك

العادل، ومن أعدل من الحسين في زمانه في إمامته وعدالته في قتال  
أهل الآراء؟!

وأما ابن الزبير فإنه رأى في قيامه ما رأاه الحسين وظن كما  
ظن، وغلطه في أمر الشوكة أعظم؛ لأن بنى أسد لا يقاومون بني  
أمية في جاهلية ولا إسلام. والقول بتعمين الخطأ في جهة خلافة كما  
كان في جهة معاوية مع علي لا سبيل إليه؛ لأن الإجماع هناك  
قضى لنا به ولم نغدو ها هنا. وأما يزيد فعين خطأه فسقة. وبعد  
الملك صاحب ابن الزبير أعظم الناس عدالة وناهيك بعدالته  
احتجاج مالك بفعله وعدول ابن عباس وابن عمر إلى بيته عن  
ابن الزبير وهو معه بالحجاز، مع أن الكثير من الصحابة كانوا  
يررون أن بيعة ابن الزبير لم تتعقد؛ لأن لم يحضرها أهل العقد والخل  
كيمة مروان وابن الزبير على خلاف ذلك والكل مجتهدون  
محمولون على الحق في الظاهر وإن لم يتعين في جهة منها، والقتل  
الذى نزل به بعد تقرير ما قررتاه بغيره على قواعد الفقه وقوانينه  
مع أنه شهيد مثاب باعتبار قصده وتحريه الحق.

هذا هو الذي ينبغي أن تتحمل عليه أفعال السلف من  
الصحابة والتابعين لهم خيار الأمة، وإذا جعلناهم عرضة للقديح  
فمن الذي يختص بالعدالة والنبي ﷺ يقول: «خير الناس قرنى ثم  
الذين يلوئهم، مرتبن، أو ثلاثاً ثم يفسو الكذب» فجعل الخيرة  
وهي العدالة مختصة بالقرن الأول والنبي عليه، فإذاك أن تعود  
نفسك أو لسانك التعرض لأحد منهم ولا توش قلبك بالريب  
في شيء مما وقع منهم، والتمس لهم مذاهب الحق وطرقه ما  
استطعتمفهم أولى الناس بذلك، وما اختلفوا إلا عن بينة، وما  
قاتلوا أو قتلوا إلا في سبيل جهاد أو إظهار حق، واعتقد مع ذلك  
أن اختلافهم رحمة لم بعدهم من الأمة ليقتidi كل واحد من  
بناته منهم ويجعله إماماً وهاديه ودليله، فافهم ذلك وتبين حكمة  
الله في خلقه وأكرانه، وأعلم أنه على كل شيء قادر وإليه الملجأ  
والصبر والله تعالى أعلم.

## الفصل الحادي والثلاثون

### في الخطط الدينية الخلافية

لما تبين أن حقيقة الخلافة نهاية عن صاحب الشرع في حفظ  
الدين وسياسة الدنيا فصاحب الشرع متصرف في الأمرين:  
أما في الدين فمتتضى التكاليف الشرعية التي هو مأمور  
بتبلغيها وحمل الناس عليها.

ومنازعها ونسبت ولم يبق إلا العصبية الطبيعية في الحماية والدفاع  
يتنقح بها في إقامة الدين وجهاد المشركين، والذين فيها محكم  
والعادة معزولة حتى إذا انقطع أمر النبوة والخوارق المهمولة تراجع  
الحكم بعض الشيء للعواائد، فعادت العصبية كما كانت ولن  
كانت وأصبحت مضر أطوع لبني أمية من سواهم بما كان لهم من  
ذلك قبل.

فقد تبين لك خلط الحسين إلا أنه في أمر ديني لا يضره  
الغلط فيه، وأما الحكم الشرعي فلم يغلط فيه؛ لأنه منوط بظنه،  
وكان ظنه القدرة على ذلك، ولقد عذله ابن العباس وابن الزبير  
وابن عمر وابن الحنفية آخره وغيره في مسيره إلى الكوفة وعلموا  
غلطه في ذلك ولم يرجع عما هو بسبيله لما أراده الله.

وأما غير الحسين من الصحابة الذين كانوا بالحجاز ومع  
يزيد بالشام والعراق ومن التابعين لهم فرأوا أن الخروج على يزيد،  
 وإن كان فاسقاً، لا يجوز لما ينشأ عنه من المهرج والدماء فأقصروا  
عن ذلك ولم يتبعوا الحسين ولا أنكروا عليه ولا أثروا؛ لأنه  
مجتهد وهو أسوة المجتهدin.

ولا يذهب بك الغلط أن تقول بتائيم هؤلاء بمخالفة الحسين  
وقعودهم عن نصره، فإنهم أكثر الصحابة وكانوا مع يزيد ولم يروا  
الخروج عليه، وكان الحسين يستشهد بهم وهو يقاتل بكل فإله على  
فضله وحقه ويقول: سلوا جابر بن عبد الله وأبا سعيد الخدري  
 وأنس بن مالك وسهيل بن سعيد وزيد بن أرقم وأمثالهم ولم ينكروا  
عليهم قعودهم عن نصره ولا تعارض لذلك؛ لعلمه أنه عن  
اجتهد منهم كما كان فعله عن اجتهد منه، وكذلك لا يذهب  
بك الغلط أن تقول بتصوره قتله لما كان عن اجتهد وإن كان هو  
على اجتهد ويكون ذلك كما يجد الشافعى والمالكى والحنفى على  
شرب النبيذ، وأعلم أن الأمر ليس كذلك وقتله لم يكن عن  
اجتهد هؤلاء وإن كان خلافه عن اجتهدتهم وإنما انفرد بقتاله يزيد  
وأصحابه ولا تقولن: إن يزيد وإن كان فاسقاً ولم يجز هؤلاء  
الخروج عليه، فأفعاله عندهم صحيحة، وأعلم أنه إنما ينفذ من  
أعمال الفاسق ما كان مشروعًا وقتل البغاة عندهم من شرطه أن  
يكون مع الإمام العادل وهو متقود في مسالكتنا، فلا يجوز قتال  
الحسين مع يزيد ولا لزيد بل هي من فعلاته المؤكدة لفسقه  
والحسين فيها شهيد مثاب وهو على حق واجتهد، والصحابة  
الذين كانوا مع يزيد على حق أيضاً واجتهد.

وقد غلط القاضي أبو بكر بن العربي المالكى في هذا فقال  
في كتابه الذي سماه بـ«العواوص والقراءص» ما معناه أن الحسين  
قتل بشعر جده وهو غلط حمله عليه الغفلة عن اشتراط الإمام

وأما المساجد المختصة بقوم أو محله فامرها راجع إلى الجيران ولا تحتاج إلى نظر خليفة ولا سلطان، وأحكام هذه الولاية وشروطها والمول فيها معروفة في كتب الفقه ومبسوطة في كتب الأحكام السلطانية للماوردي وغيره فلا نطول بذكراها، ولقد كان الخلفاء الأولون لا يقلدونها لغيرهم من الناس. وانظر من طعن من الخلفاء في المسجد عند الأذان بالصلة وترصدhem لذلك في أوقاتها. يشهد لك ذلك ما يباشرتهم لها وأنهم لم يكونوا يستخلفون فيها. وكذا كان رجال الدولة الأموية من بعدهم استثماراً بها واستعظاماً لرتبتها.

يمكن عن عبد الملك أنه قال لحاجبه: قد جعلت لك حجاجة بابي إلا عن ثلاثة: صاحب الطعام، فإنه يفسد بالتأخير، والأذن بالصلة فإنه داع إلى الله، والبريد فإن في تأخيره فساد الفاصية.

فلما جاءت طيبة الملك وعارضه من الغلظة والترفع عن مساواة الناس في دينهم ودنياه استبايرا في الصلاة فكانوا يستأثرون بها في الأحيان وفي الصلوات العامة كالعيدين والجمعة إشادة وتزويجاً فعل ذلك كثير من خلفاء بنى العباس والعبيدين صدر دولتهم.

واما الفتيا فللخلافة تصفح أهل العلم والتدريس ورد الفتيا إلى من هو أهل لها وإناته على ذلك ومنع من ليس أهلاً لها رزجرة؛ لأنها من مصالح المسلمين في أيامهم فتحب عليه مراعاتها لئلا يتعرض لذلك من ليس له بأهل فيفضل الناس. وللمدرس الاتصاف لتعليم العلم وبشهادة والجلوس لذلك في المساجد، فإن كانت من المساجد العظام التي للسلطان الولاية عليها أو النظر في أمتها كما مر فلا بد من استدانته في ذلك، وإن كانت من مساجد العامة فلا يتوقف ذلك على إذن. على أنه ينبغي أن يكون لكل أحد من المفتين والمدرسين زاجر من نفسه يمنعه عن التصدي لما ليس له بأهل فيدل به المستهدي ويضل به المسترشد، وفي الآخر «أجزوكم على الفتيا أجزوكم على جرائم جهنم» فالسلطان فيهم لذلك من النظر ما توجه المصلحة من إجازة أو رد.

وأما القضاة فهو من الوظائف الداخلة تحت الخلافة؛ لأنه منصب الفصل بين الناس في الخصومات حسماً للتداعي وقطعاً للتنازع، إلا أنه بالأحكام الشرعية المتفقة من الكتاب والسنّة، فكان لذلك من وظائف الخلافة ومتدرجًا في عمومها، وكان الخلفاء في صدر الإسلام ياشرونها بأنفسهم ولا يجعلون القضاة إلى من سواهم. وأول من دفعه إلى غيره وفرضه فيه عمر رضي الله عنه فرلي أبي الدرداء في المدينة، وولي شريحاً بالبصرة، وولي أبي موسى

وأما سياسة الدنيا فبمقتضى رعايته لصالحهم في العمران البشري، وقد قدمنا أن هذا العمران ضروري للبشر، وأن رعاية مصالحه كذلك لئلا يفسد إن أهملت، وقدمنا أن الملك وسطوه كاف في حصول هذه المصالح، نعم إنما تكون أكمل إذا كانت بالأحكام الشرعية، لأنه أعلم بهذه المصالح فقد صار الملك يدرج تحت الخلافة إذا كان إسلامياً ويكون من توابعها، وقد يفرد إذا كان في غير الله، وله على كل حال مراتب خادمة ووظائف، فيفترم كل واحد بوظيفته حسبما يعينه الملك الذي تكون يده عالية عليهم فيستمد بذلك أمره ويعين قيامه بسلطان، وأما المنصب الخلفي وإن كان الملك يدرج تحته بهذا الاعتبار الذي ذكرناه فتصدره الدينية يختص بمخطط ومراتب لا تعرف إلا للخلفاء المسلمين، فلنذكر الآن الخطط الدينية المختصة بالخلافة ونرجع إلى الخطط المركبة السلطانية.

فأعلم أن الخطط الدينية الشرعية من الصلاة والفتيا والقضاء والجهاد والخمسة كلها مندرجة تحت الإمامة الكبرى التي هي الخلافة، فكانها الإمام الكبير والأصل الجامع، وهذه كلها متفرعة عنها وداخلة فيها لعموم نظر الخلافة وتصدرها في سائر أحوال الملة الدينية والدنيوية وتتنفيذ أحكام المشرع فيها على العموم.

فاما إماماً الصلاة فهي أرفع هذه الخطط كلها وأرفع من الملك بمخصوصه المدرج معها تحت الخلافة. ولقد يشهد لذلك استدلال الصحابة في شأن أبي بكر رضي الله عنه باستخلافه في الصلاة على استخلافه في السياسة في قوله ارتضاه رسول الله ﷺ لدينا أفالاً نرضاه لدينا؟ فلولا أن الصلاة أرفع من السياسة لما صح القياس وإذا ثبت ذلك فاعلم أن المساجد في المدينة صنفان:

مساجد عظيمة كبيرة الغاية معدة للصلوات المشهورة. وأخرى دونها مختصة بقوم أو محله وليس للصلوات العامة.

فاما المساجد العظيمة فامرها راجع إلى الخليفة أو من يفوض إليه من سلطان أو من وزير أو قاض فينصب لها الإمام في الصلوات الخمس وال الجمعة والعبيدين والخسوفين والاستسقاء وتعين ذلك إنما هو من طريق الأولى والاستحسان ولشأ يفتات الرعایا عليه في شيء من النظر في المصالح العامة، وقد يقول بالوجوب في ذلك من يقول بوجوب إقامة الجمعة، فيكون نصب الإمام لها عنده واجباً.

الأشعري بالකوفة، وكتب له في ذلك الكتاب المشهور الذي تدور عليه أحكام القضاة وهي مستوفاة فيه.

يقول: أما بعد فإن القضاة فريضة مكتملة وسنة متبعه، فانهم إذا أدل إليك، فإنه لا ينفع تكلم بهن لأن نفاذ له، وأس بين الناس في وجهك وجلسك وعدلك حتى لا يطمع شريف في حيفك، ولا يأس ضعيف من عدلك، البينة على من ادعى واليمين على من انكر. والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحًا أحل حراماً أو حرم حلالاً، ولا يمنعك قضاء قضيته أمس فراجعت اليوم فيه عقلتك وهديت فيه لرشدك أن ترجع إلى الحق، فإن الحق قد يم، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل، الفهم الفهم فيما تجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة، ثم اعرف الأمثال والأشباء وقسن الأمور بنظائرها، واجعل لن ادعى حقاً غابياً أو بينةً أمداً ينتهي إليه، فإن أحضر بيته أخذت له بمحنته وإلا استحللت القضية عليه، فإن ذلك أفسى للشك وأجلى للعمى. المسلمين عدول بعضهم على بعض إلا مجلوداً في حد أو مجرماً عليه شهادة زور أو ظنيناً في نسب أو ولاء، فإن الله سبحانه عفا عن الأيمان ودرأ بالبيانات. وإياك والقلق والضجر والتأسف بالخصوص، فإن استقرار الحق في مواطن الحق يعظم الله به الأجر ويحسن به الذكر والسلام. انتهى كتاب عمر.

وإنما كانوا يقلدون القضاة لغيرهم وإن كان مما يتعلّق بهم لقيامهم بالسياسة العامة وكثرة اشتغالها من الجهاد والفتورات وسد التغور وحماية البيضة، ولم يكن ذلك مما يقوم به غيرهم لعظيم العناية فاستحقوا القضاة في الواقعات بين الناس واستخلفوا فيه من يقوم به تخفيضاً على أنفسهم، وكانت مع ذلك إنما يتقدّمه أهل عصيّتهم بالنسبة أو الولاء ولا يقلدونه ملـن بعد عنهم في ذلك.

وأما أحكام هذا المنصب وشروطه فمعروفة في كتب الفقه وخصوصاً كتب الأحكام السلطانية. إلا أن القاضي إنما كان له في عصر الخلفاء الفصل بين الخصوم فقط، ثم دفع لهم بعد ذلك أمور أخرى على التدريج بحسب اشتغال الخلفاء والملوك بالسياسة الكبرى واستقر منصب القضاة آخر الأمر على أنه يجمع مع الفصل بين الخصوم استيفاء بعض الحقوق العامة للمسلمين بالنظر في أموال المحجور عليهم من الجانين واليتامى والمفلسين وأهل السنّة وفي وصايا المسلمين وأوقافهم وتزويج الأيتامى عند فقد الأولياء على رأي من رأء، والنظر في مصالح الطرقات والأبنية وتصفّح الشهود والأئمّة والنواب واستيفاء العلم والخبرة فيهم بالعدالة والجرح ليحصل له الوثيق بهم وصارت هذه كلها من تعليقات وظيفته وتتابع ولاته.

وقد كان الخلفاء من قبل يجعلون للقاضي النظر في المظالم وهي وظيفة متزوجة من سطوة السلطة ونصفة القضاء، وتحتاج إلى علو يد وعظيم رهبة تعم المظالم من الخصميين وتترجم التعذيب، وكأنه يمضي ما عجز القضاة أو غيرهم عن إمضاءه، ويكون نظره في البيانات والتقرير واعتماد الأمارات والقرائن وتأخير الحكم إلى استجلاء الحق وحمل الخصميين على الصلح واستخلاف الشهود وذلك أوسع من نظر القاضي.

وكان الخلفاء الأولون يباشرونها بأنفسهم إلى أيام الهمتي من بي العباس، وربما كانوا يجعلونها لقضائهم كما فعل عمر رضي الله عنه مع قاضيه أبي ادريس الخوارزمي، وكما فعله المأمون ليحيى بن أكثم، والمعتصم لأحمد بن أبي دواد وربما كانوا يجعلون للقاضي قيادة الجهاز في عساكر الطوائف، وكان يحيى بن أكثم يخرج أيام المأمون بالصافنة إلى أرض الروم، وكذلك مثغر بن سعيد قاضي عبد الرحمن الناصر من بي أبيه بالأندلس، فكانت توليه هذه الوظائف إنما تكون للخلفاء أو من يجعلون ذلك له من وزير موضوع أو سلطان متغلب.

وكان أيضاً النظر في الجرائم وإقامة الحدود في الدولة العباسية والأموية بالأندلس والعبيديين بمصر والمغرب راجعاً إلى صاحب الشرطة، وهي وظيفة أخرى دينية كانت من الوظائف الشرعية في تلك الدول توسيع النظر فيها عن أحكام القضاء قليلاً فيجعل للتهمة في الحكم مجالاً وفرض العقوبات الزائجة قبل ثبوت الجرائم ويقيم الحدود الثابتة في محالها ويعكم في القسود والقصاص ويفهم التعزير والتأديب في حق من لم ينته عن الجريمة.

ثم تنوسي شأن هاتين الوظيفتين في الدول التي توسي فيها أمر الخلافة، فصار أمر المظالم راجعاً إلى السلطان، كان له تفوّض من الخليفة أو لم يكن، وانقسمت وظيفة الشرطة قسمين: منها وظيفة التهمة على الجرائم وإقامة حدودها و مباشرة القطع والقصاص حيث يتعين، وتنصب لذلك في هذه الدول حاكم يعكم فيها بوجوب السياسة دون مراجعة الأحكام الشرعية، ويسمي تارة باسم السولي وتابة باسم الشرطة، وبقي قسم التعازير وإقامة الحدود في الجرائم الثابتة شرعاً، فجمع ذلك للقاضي مع ما تقدم وصار ذلك من توابع وظيفة ولايته واستقر الأمر هذا العهد على ذلك، وخرجت هذه الوظيفة عن أهل عصبية الدولة؛ لأن الأمر لما كان خلافة دينية وهذه الخطة من مراسيم الدين فكانوا لا يولون فيها إلا من أهل عصبيتهم من العرب مواليهم بالخلف أو بالرق أو بالاصطنان من يوثق بكتابته أو غناهه فيما يدفع إليه، ولما انقض شان الخلافة وطورها وصار الأمر كله ملكاً أو سلطاناً

في الدين وتعظيم من يتسبّب إليه بأي جهة انتسب.  
ولما قوله ﷺ: «العلماء ورثة الأنبياء» فاعلم أن الفقهاء في الأغلب لهذا المهد وما احتف به إنما حلوا الشريعة أولاً في كيفية الأعمال في العبادات وكيفية القضاء في المسائلات ينثثونها على من يحتاج إلى العمل بها، هذه غاية أكابرهم ولا يتصفون إلا بالأقل منها وفي بعض الأحوال. والسلف رضوان الله عليهم وأهل الدين والورع من المسلمين حلوا الشريعة اتصافاً بها وتحققاً بذاتها.

فمن حلّها اتصافاً وتحققـا دون نقل فهو من الوارثين، مثل أهل رسالة القشيري ومن اجتمع له الأمaran فهو العالم وهو الوارث على الحقيقة، مثل فقهاء التابعين والسلف والأئمة الأربعـة ومن اقتنى طريقـهم وجاء على أثرـهم، وإذا انفرد واحد من الأئمة بأحد الأمرين فالعبد أحق بالوراثة من الفقيـه الذي ليس بـعادـبـ، لأن العـابـدـ ورثـ بـصـفـةـ وـالـفـقـيـهـ الـذـيـ لـيـسـ بـعـادـبـ لم يـرـثـ شيئاً إنـما هو صاحـبـ أقوـالـ يـنـصـحـ عـلـيـنـاـ فيـ كـيـفـيـاتـ الـعـمـلـ، وـهـوـلـاءـ أـكـثـرـ فـقـهـاءـ عـصـرـنـاـ «إـلـاـ الـذـيـنـ آـتـيـنـاـ وـأـعـمـلـوـاـ الصـالـحـاتـ وـتـلـيـلـ مـاـ هـمـ». هـمـ».

#### العدالة:

وهي وظيفة دينية تابعة للقضاء ومن مواد تصريفه، وحقيقة هذه الوظيفة القيام عن إذن القاضي بالشهادة بين الناس فيما لهم وعليهم، تحـمـلاًـ عـنـ الإـشـاهـدـ وـأـدـاءـ عـنـ التـازـعـ وـكـتابـاـ فيـ السـجـلـاتـ تحـفـظـ بـهـ حـقـوقـ النـاسـ وـأـمـالـهـ وـدـيـونـهـ وـسـائـرـ معـاملـاتـهمـ وـشـرـطـ هـذـهـ الوـظـيـفـةـ الـاتـصـافـ بـالـعـدـالـةـ الشـرـعـيـةـ وـبـرـاءـةـ منـ الجـرـحـ، ثـمـ الـتـيـامـ بـكـتبـ السـجـلـاتـ وـالـعـقـودـ منـ جـهـةـ عـبـارـاتـهاـ وـانتـظـامـ فـصـولـهـ، وـمـنـ جـهـةـ إـحـكـامـ شـرـوطـهاـ الشـرـعـيـةـ وـعـقـودـهـ، فـيـحـاجـجـ حـيـتـنـاـ إـلـىـ ماـ يـتـعـلـقـ بـذـلـكـ مـنـ الفـقـهـ، وـلـأـجـلـ هـذـهـ الشـرـوـطـ وـمـاـ يـحـتـاجـ إـلـيـهـ مـنـ المـرـانـ عـلـىـ ذـلـكـ وـالـمـارـسـةـ لـهـ اـخـتـصـ ذـلـكـ بـعـضـ الـعـدـولـ، وـصـارـ الصـنـفـ الـقـائـمـونـ بـهـ كـائـنـهـ مـخـصـونـ بـالـعـدـالـةـ وـلـيـسـ كـذـلـكـ، إـنـماـ الـعـدـالـةـ مـنـ شـرـوطـ اـخـتـصـاصـهـ بـالـوـظـيـفـةـ.

ويجب على القاضي تصفح أحواهم والكشف عن سيرهم رعاية لشرط العدالة فيهم، وأن لا يهم ذلك لما تعيّن عليه من حفظ حقوق الناس، فالعهدة عليه في ذلك كله وهو ضامن ذرته، وإذا تعين هؤلاء بهذه الوظيفة عمّت الفائدـةـ في تعـيـينـ منـ تـعـيـينـ عـدـالـةـ علىـ القـضـاءـ بـسـبـبـ اـتـسـاعـ الـأـمـصـارـ وـاشـتـهـاءـ الـأـحـوـالـ واـضـطـرـارـ القـضـاءـ إـلـىـ الفـصـلـ بـيـنـ المـتـازـعـينـ بـالـيـنـياتـ المـرـوـقـةـ،

صارـتـ هـذـهـ الخـطـطـ الـدـيـنـيـةـ بـعـيـدةـ عـنـ بـعـضـ الشـيـءـ؛ لأنـهاـ لـيـستـ منـ الـقـاـبـ الـمـلـكـ وـلـاـ مـرـاسـمـ، ثـمـ خـرـجـ الـأـمـرـ جـلـةـ مـنـ الـعـربـ وـصـارـ الـمـلـكـ لـسـواـهـ مـنـ أـمـمـ الـتـرـكـ وـالـبـرـيرـ، فـازـدادـتـ هـذـهـ الخـطـطـ الـخـلـافـيـةـ بـعـدـاـ عـنـهـ بـمـنـحاـهـ وـعـصـبـيـتهاـ، وـذـلـكـ أـنـ الـعـربـ كـانـواـ يـرـوـنـهـ أـنـ الشـرـعـيـةـ دـيـنـهـ، وـأـنـ النـبـيـ ﷺـ مـهـمـ وـأـحـكـامـهـ وـشـرـائـعـهـ خـلـقـهـ بـيـنـ الـأـمـمـ وـطـرـيقـهـ، وـغـيـرـهـ لـاـ يـرـوـنـ ذـلـكـ إـنـماـ يـوـلـونـهـ جـانـبـاـ مـنـ الـتـعـظـيمـ لـاـ دـاـنـواـ بـالـلـلـهـ فـقـطـ، فـصـارـوـاـ يـقـلـدوـنـهـ مـنـ غـيـرـ عـصـابـهـمـ مـنـ كـانـ تـاهـلـ هـاـ فـيـ دـوـلـ الـخـلـفـاءـ السـالـفـةـ، وـكـانـ أـوـلـىـكـ الـتـاهـلـوـنـ لـاـ أـخـذـهـمـ تـرـفـ الدـوـلـ مـنـ مـذـتـيـنـ مـنـ السـيـنـ قـدـ نـسـواـ عـهـدـ الـبـداـوةـ وـخـشـوتـهـاـ وـتـبـسـوـاـ بـالـخـضـارـةـ فـيـ عـوـائـدـ تـرـفـهـمـ وـدـعـتـهـمـ، وـقـلـةـ الـمـانـعـةـ عـنـ أـنـفـسـهـمـ، وـصـارـتـ هـذـهـ الخـطـطـ فـيـ الدـوـلـ الـمـلـوـكـيـةـ مـنـ بـعـدـ الـخـلـفـاءـ مـخـصـصـةـ بـهـذـاـ الصـفـتـ مـنـ الـمـسـتـعـفـيـنـ فـيـ أـهـلـ الـأـمـصـارـ، وـنـزـلـ أـهـلـهـمـ عـنـ مـرـاتـبـ الـعـزـ لـفـقـدـ الـأـهـلـيـةـ بـأـسـابـيـبـهـمـ وـمـاـ هـمـ عـلـيـهـ مـنـ الـخـضـارـةـ، فـلـحـقـهـمـ مـنـ الـاحـتـارـ مـاـ لـهـنـىـ الـحـقـ الـحـضـرـ الـمـغـسـيـنـ فـيـ السـرـفـ وـالـدـاعـةـ، الـبـعـدـاءـ عـنـ عـصـيـةـ الـمـلـكـ الـذـيـنـ هـمـ عـيـالـ عـلـيـهـ الـحـامـيـةـ، وـصـارـ اـعـتـارـهـمـ فـيـ الدـوـلـ مـنـ أـجـلـ قـيـامـهـ بـالـمـلـلـةـ وـأـخـذـهـاـ بـأـحـكـامـ الـشـرـعـيـةـ، لـاـ مـنـهـمـ الـحـامـلـوـنـ لـأـحـكـامـ الـقـتـدونـ بـهـاـ، وـلـمـ يـكـنـ إـيـثارـهـمـ فـيـ الدـوـلـ حـيـتـنـاـ إـكـرـامـاـ لـذـوـاتـهـمـ، وـإـنـماـ هـوـ لـاـ يـتـلـمعـ مـنـ التـجـمـلـ بـمـكـانـهـمـ فـيـ مـجـالـسـ الـمـلـكـ لـتـعـظـيمـ الـرـتـبـ الـشـرـعـيـةـ، وـلـمـ يـكـنـ لـهـمـ فـيـهـاـ مـنـ الـحـلـ وـالـعـقـدـ شـيـءـ، وـإـنـ حـضـرـوهـ فـحـضـورـ رـسـمـيـ لـاـ حـقـيـقـةـ وـرـاءـ، إـذـ حـقـيـقـةـ الـحـلـ وـالـعـقـدـ إـنـماـ هـيـ أـهـلـ الـقـدرـةـ عـلـيـهـ، فـمـنـ لـاـ قـدـرـةـ لـهـ عـلـيـهـ فـلـاـ حـلـ لـهـ وـلـاـ عـقـدـ لـدـيـهـ. اللـهـمـ إـلـاـ أـخـذـ الـأـحـكـامـ الـشـرـعـيـةـ عـنـهـمـ، وـتـلـقـيـ الـفـتـاوـيـ مـنـهـمـ فـنـعـمـ، وـالـلـهـ الـمـوـقـقـ.

ورـبـماـ يـظـنـ بـعـضـ النـاسـ أـنـ الـحـقـ فـيـمـاـ وـرـاءـ ذـلـكـ، وـأـنـ فـعـلـ الـمـلـوـكـ فـيـمـاـ فـعـلـوهـ مـنـ إـخـرـاجـ الـفـقـهـاءـ وـالـقـضـاءـ مـنـ الشـورـىـ مـرـجـوحـ وقدـ قـالـ ﷺـ: «الـعـلـمـاءـ وـرـثـةـ الـأـنـبـيـاءـ»ـ فـاعـلـمـ أـنـ ذـلـكـ لـيـسـ كـمـاـ ظـنـهـ، وـحـكـمـ الـمـلـكـ وـالـسـلـطـانـ إـنـماـ يـمـرـيـ عـلـىـ مـاـ تـقـضـيـهـ طـبـيعـةـ الـعـمـرـانـ وـإـلـاـ كـانـ بـعـيـدـاـ عـنـ الـسـيـاسـةـ. فـلـيـعـةـ الـعـمـرـانـ فـيـ هـؤـلـاءـ لـاـ تـقـضـيـهـ لـهـ مـشـيـاـ مـنـ ذـلـكـ، لـأـنـ الشـورـىـ وـالـخـلـلـ وـالـعـقـدـ لـاـ تـكـونـ إـلـاـ لـصـاحـبـ عـصـيـةـ يـقـنـدـرـهـاـ عـلـىـ حـلـ وـأـعـقـدـ أوـ فـعـلـ أـوـ تـرـكـ، وـأـمـاـ مـنـ لـاـ عـصـيـةـ لـهـ وـلـاـ يـمـلـكـ مـنـ أـمـرـ نـسـهـ مـشـيـاـ وـلـاـ مـنـ حـائـتهاـ، وـإـنـماـ هـوـ عـيـالـ عـلـيـهـ فـأـيـ مـدـخـلـ لـهـ فـيـ الشـورـىـ أـوـ أـيـ مـعـنـ يـدـعـوـ إـلـىـ اـعـتـارـهـ فـيـهـ، اللـهـمـ إـلـاـ شـورـاهـ فـيـمـاـ يـلـمـهـ مـنـ الـأـحـكـامـ الـشـرـعـيـةـ فـمـوـجـودـةـ فـيـ الـاسـتـقـاءـ خـاصـةـ، وـأـمـاـ شـورـاهـ فـيـ الـسـيـاسـةـ فـهـوـ بـعـيدـ عـنـهـ لـقـدـانـهـ الـعـصـيـةـ وـالـقـيـامـ عـلـىـ مـعـرـفـةـ أـحـواـلـهـ وـأـحـكـامـهـ، وـإـنـماـ إـكـرـامـهـ مـنـ تـبـرـعـاتـ الـمـلـوـكـ وـالـأـمـرـاءـ الشـاهـدـهـ لـهـ لـجـمـيلـ الـاعـتـقادـ

حتى ترسم فيه تلك النقوش وتكون علامة على جودته بحسب الغاية التي وقف عندها السبک والتخلیص في معارف أهل القطر ومذاهب الدولة الحاكمة، فإن السبک والتخلیص في القواد لا يقف عند غایة، وإنما ترجع غایته إلى الاجتہاد، فإذا وقف أهل أفق أو قطر على غایة من التخلیص وقووا عندها وسموها إماماً وعياراً يعتبرون به نقودهم ويتقدونها بمماثلته، فإن نقص عن ذلك كان زيفاً.

والنظر في ذلك كله لصاحب هذه الوظيفة وهي دینیة بهذا الاعتبار فتدرج تحت الخلافة، وقد كانت تتدرج في عموم ولاية القاضي، ثم أفردت لهذا العهد كما وقع في المسبة.

هذا آخر الكلام في الوظائف الخلافية ويقيت منها وظائف ذهبت بذهاب ما ينظر فيه وأخیر صارت سلطانية، فوظيفة الإمارة والوزارة والمرأة والتراث صارت سلطانية تكلم عليها في أماكنها بعد وظيفة الجهاد، ووظيفة الإمام بطلت ببطلانه إلا في قليل من الدول يارسونه ويدرجنون أحکامه غالباً في السلطanيات. وكذا نقابة الأنساب التي يتوصل بها إلى الخلافة أو الحق في بیت المال قد بطلت لدثور الخلافة ورسومها، وبالجملة قد اندرجت رسوم الخلافة ووظائفها في رسوم الملك والسياسة في سائر الدول لهذا العهد، والله مصرف الأمور كيف يشاء.

## الفصل الثاني والثلاثون

في اللقب بأمير المؤمنين وإنه من سمات الخلافة

وهو محدث منذ عهد الخلفاء

وذلك أنه لما بُویع أبو بکر رضي الله عنه وكان الصحابة رضي الله عنهم وسائر المسلمين يسمونه خليفة رسول الله ﷺ ولم يزل الأمر على ذلك إلى أن هلك، فلما بُویع لعمر بعده إليه كانوا يدعونه خليفة خليفة رسول الله ﷺ. وكانت استقلوا هذا اللقب بكثرة وطول إضافته وأنه يتزايد فيما بعد دائماً إلى أن يتھي إلى المجهة، وينذهب منه التمييز بتعدد الإضافات وكثرتها فلا يُعرف، فكانوا يعدلون عن هذا اللقب إلى ما سواه مما يناسبه ويدعى به مثله، وكانتو يسمون قواد البعوث باسم الأمير وهو فعل من الإمارة، وقد كان الجاهلية يدعون النبي ﷺ أمير مكة وأمير الحجاز، وكان الصحابة أيضاً يدعون سعد بن أبي وقاص أمير المؤمنين لإمارته على جيش القاذسية وهم معظم المسلمين

فيقولون غالباً في الوثوق بها على هذا الصنف، وهم في سائر الأعصار دكاكين ومصاطب يختصون بالجلوس عليها فيتعاهدهم أصحاب المعاملات للإشهاد وتقييده بالكتاب. وصار مدلول هذه اللفظة مشتركاً بين هذه الوظيفة التي تبين مدلولها وبين العدالة الشرعية التي هي أخت الجرح، وقد يتواردان ويفتقران، والله تعالى أعلم.

## الحسنة والسلكة

أما الحسنة فهي وظيفة دینیة من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي هو فرض على القائم بأمور المسلمين يعين لذلك من يراه أهلاً له، فتعين فرضه عليه ويتخذ الأuron على ذلك، ويبحث عن المنكرات ويعزز ويوذب على قدرها، ويحمل الناس على المصالح العامة في المدينة، مثل المنع من المضايقة في الطرقات، ومنع الحمالين وأهل السفن من الإكثار في العمل، والحكم على أهل المباني المتداعية للسقوط بهدمها وإزالة ما يتوقع من ضررها على السابلة، والضرب على أيدي المعلمين في المكاتب وغيرها في الإبلاغ في ضررهم للصبيان المتعلمين، ولا يتوقف حكمه على تنازع أو استدعاء بل له النظر والحكم فيما يصل إلى علمه من ذلك ويرفع إليه، وليس له إضفاء الحكم في الدعاوى مطلقاً بل فيما يتعلق بالغش والتديليس في المعايش وغيرها في المكاييل والموازين، وله أيضاً حل المماطلين على الإنفاق وأمثال ذلك مما ليس فيه سماع بينة ولا إنفاذ حكم.

وكأنها أحكام ينزله القاضي عنها لعمومها وسهولة أغراضها، فتدفع إلى صاحب هذه الوظيفة ليقوم بها، ففرضها على ذلك أن تكون خادمة لنصب القضاء، وقد كانت في كثير من الدول الإسلامية مثل العبيدين بمصر والمغرب والأمويين بالأندلس داخلة في عموم ولاية القاضي يولي فيها باختياره، ثم لما انفردت وظيفة السلطان عن الخلافة وصار نظره عاماً في أمور السياسة اندرجت في وظائف الملك وأفردت بالولاية.

وأما السلكة فهي النظر في القواد التعامل بها بين الناس وحفظها مما يدخلها من الغش أو النقص إن كان يتعامل بها عدداً أو ما يتعلق بذلك ويوصل إليه من جميع الاعتبارات، ثم في وضع علامة السلطان على تلك القواد بالاستجادة والخلوص برسم تلك العلامة فيها من خاتم حديد أخذ لذلك ونقش فيه نقوش خاصة به، فيوضع على الدينار بعد أن يقدر ويضرب عليه بالملطقة

يورثه.

هي مركز العصبية، وأنهم إنما منعوا بإمساك القاصية أنفسهم من مهالك بني العباس، حتى إذا جاء عبد الرحمن (الداخل) الآخر منهم (وهو الناصر بن محمد بن الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الأوسط) لأول المائة الرابعة وانتهت ما نال الخلافة بالشرق من الحجر واستبداد المولى وعيتهم في الخلافة بالعزل والاستبدال والقتل والسلب، ذهب عبد الرحمن هذا إلى مثل مناهب الخلافة بالشرق وأفريقيا، وتسمى بأمير المؤمنين وتلقب بالناصر لدين الله، وأخذت من بعده عادة ومنهباً لقُنْ عنه ولم يكن لأبائه وسلف قومه.

واستمر الحال على ذلك إلى أن انقرضت عصبية العرب

أجمع وذهب رسم الخلافة وتغلب المولى من العجم على بني العباس، والصنائع على العبيدين بالقاهرة وصنهاجة على أمراء إفريقية، وزنانة على المغرب وملوك الطوائف بالأندلس على أمر بني أمية، واقتسموا، وافتقر أمر الإسلام فاختلت مذاهب الملوك بالغرب والشرق في الاختصاص بالألقاب بعد أن تسموا جميعاً باسم السلطان.

فاما ملوك المشرق من العجم فكان الخلفاء يخوضونهم بالألقب تشريفية حتى يستشعر منها انتقادهم وطاعتهم وحسن ولايتهم، مثل شرف الدولة وغض الدولة وركن الدولة ومعز الدولة ونصير الدولة ونظام الملك وبهاء الدولة وذخيرة الملك وأمثال هذه، وكان العبيدين أيضاً يخوضون بها أمراء صنهاجة، فلما استبدوا على الخلافة قنعوا بهذه الألقاب وتجاوزوا عن القاب الخلافة أبداً معها وعدلاً عن سمتها المختصة بها شأن المغلبين المستبددين كما قلناه قبل.

ونزع المتأخرن أعلام المشرق حين قوي استبدادهم على الملك وعلا كعبهم في الدولة والسلطان، وتلاشت عصبية الخلافة واضمحلت بالجملة إلى انتقال الألقاب الخاصة بالملك مثل الناصر والمتصور زيادة على ربة الراية والاصطدام بما أضافوها إلى الدين فقط فيقولون: صلاح الدين، أسد الدين، نور الدين.

وأما ملوك الطوائف بالأندلس فاقسموا القاب الخلافة وتوزعواها لقوة استبدادهم عليها بما كانوا من قبيلها وعصبتها فتقربوا بالناصر والمتصور والمعتمد والمظفر وأمثالها، كما قال ابن أبي شرف يعني عليهم:

ما يزهدني في أرض اندلس اسماء معتمد فيها ومنتسب  
القاب ملكرة في غير موضعها كالمرجعكي انتقاماً صورة الأسد

وانتفق أن دعا بعض الصحابة عمر رضي الله عنه يا أمير المؤمنين، فاستحسن الناس واستصوبوه ودعوه به، يقال: إن أول من دعا بذلك عبد الله بن جحش وقيل: عمرو بن العاصي والمغيرة بن شعبة، وهو يسأل عن عمر ويقول: أين أمير المؤمنين، ودخل المدينة وهو يسأل عن عمر ويقول: أصبت والله اسمه، إنه والله أمير المؤمنين حقاً، دفعوه بذلك وذهب لقباً له في الناس وتوارثه الخلفاء من بعده سمة لا يشار لهم فيها أحد سواهم سائر دوله بني أمية.

ثم إن الشيعة خصروا علينا باسم الإمام نعتاً له بالإمامية التي هي أخت الخلافة وتربيضاً مذهبهم في أنه أحق بإمامية الصلاة من أبي بكر لما هو مذهبهم ويدعوهم، فخصوصه بهذا اللقب ولمن يسوقون إليه منصب الخلافة من بعده، فكانوا كلهم يسمون بالإمام ما داموا يدعون لهم في الخفاء حتى إذا ستوهون على الدولة يحملون اللقب فيما يعله إلى أمير المؤمنين كما فعله شيعة بني العباس، فإنهم ما زالوا يدعون أنتمهم بالإمام إلى إبراهيم الذي جهروا بالدعاء له وعقدوا الribat للحرب على أمره، فلما هلك دعي آخر السفاح بأمير المؤمنين، وكذا الرافضة بأفريقيه فإنهم ما زالوا يدعون أنتمهم من ولد إسماعيل بالإمام حتى انتهى الأمر إلى عبد الله المهدي و كانوا أيضاً يدعونه بالإمام، ولابنه أبي القاسم من بعده، فلما استوثق لهم الأمر دعوا من بعدهما بأمير المؤمنين، وكذا الأدارسة بالمغرب كانوا يلقبون إدريس بالإمام وابنه إدريس الأصغر كذلك وهكذا شأنهم.

وتوارث الخلفاء هذا اللقب بأمير المؤمنين وجعلوه سمة لمن يملك الحجاز والشام والعراق: المواطن التي هي ديار العرب ومراكز الدولة وأهل الملة والفتح، وازداد لذلك في عفوان الدولة وبذخها لقب آخر للخلفاء يتميز به بعض لما في أمير المؤمنين من الاشتراك بينهم، فاستحدث لذلك بنو العباس حجاباً لأسمائهم الأعلام عن امهانها في السنة السورة وصوناً لها عن الابتدا، فلقيروا بالسفاح والمتصور والمهدى والهادى والرشيد إلى آخر الدولة، واقفي أثراهم في ذلك العبيدين بأفريقيه ومصر، وتجاذبوا بنو أمية عن ذلك في المشرق قبلهم مع الغضاضة والسداجة لأن العربية ومتنازعها لم تفارقهم حيث ذهبوا ويتحوال عنهم شعار البداوة إلى شعار الحضارة، وأما بالأندلس فلقيروا كسلفهم مع ما عملوه من أنفسهم من القصور عن ذلك بالقصور عن ملك الحجاز أصل العرب والملة وبعد عن دار الخلافة التي

لذاته وسماته والله غالب على أمره.

### الفصل الثالث والثلاثون

#### في شرح اسم البابا والبطرك في الملة النصرانية واسم الكومن عند اليهود

واما صنهاجة فاقصروا على الألقاب التي كان الخلفاء العبيدين يلقبون بها للتزييه مثل: نصير الدولة ومعز الدولة، واتصل لهم ذلك لما أدلوا من دعوة العبيدين بدعاة العباسين، ثم بعدت الشقة بينهم وبين الخلافة ونسراً عهدهما فتسوا هذه الألقاب واقتصرت على اسم السلطان، وكذا شأن ملوك مغارة بالغرب لم يتخلوا شيئاً من هذه الألقاب إلا اسم السلطان جرياً على مذهب البداءة والغضابة.

ولما حي رسم الخلافة وتعطل دستتها، وقام بالمغرب من بقائل البرير يوسف بن تاشفين ملك لشونة فملك العدوتين، وكان من أهل الخير والاقتداء، نزعت به همته إلى الدخول في طاعة الخليفة تكميلاً لمراسم دينه، فخاطب المستظر العباسي وأوفد عليه بيعته عبد الله بن العربي وابنه القاضي أبي بكر من مشيخة إشبيلية بطلبان توليه إياها على المغرب وتقليله ذلك، فانقلبوا إليه بعهد الخليفة له على المغرب واستشعار زبدهم في لبوسه ورتبه وخطابه فيه بأمير المؤمنين تشرفاً واحتصاصاً فاخذوها لقباً، ويقال: إنه كان دعى له بأمير المؤمنين من قبل أديباً مع رتبة الخلافة، لما كان عليه هو وقومه المرابطون من اتحال الدين وتابع السنة.

وجاء المهدي على أثرهم داعياً إلى الحق آخذًا بذاته الأشعرية ناعياً على أهل المغرب عدوهم عنها إلى تقليد السلف في ترك التأويل لظواهر الشريعة وما يؤول إليه ذلك من التجسيم كما هو معروف في مذهب الأشعرية، وسمي أتباعه الموحدين تعرضاً بذلك النكير، وكان يرى رأي أهل البيت في الإمام المعصوم وأنه لا بد منه في كل زمان يحفظ بوجوده نظام هذا العالم فسمى بالإمام لما قلناه أولًا من مذهب الشيعة في القاب خلفائهم، وأردف بالمعصوم إشارة إلى مذهبهم في عصمة الإمام، وتنزه عن أتباعه عن أمير المؤمنين آخذًا بذاته المتقدمين من الشيعة، ولما فيها من مشاركة الأغمار والولدان من أعقاب أهل الخلافة يومذ بالشرق، ثم اتحل عبد المؤمن ولي عهده اللقب بأمير المؤمنين وجرى عليه من بعده خلفاء يبني عبد المؤمن وآله أبي حفص من بعدهم استئثاراً به عن سواهم، لما دعا إليهشيخهم المهدي من ذلك، وأنه صاحب الأمر وأولياؤه من بعده كذلك دون كل أحد لانتقاء عصبية قريش وتلاشيهما فكان ذلك داهم.

ولما انقض الأمر بالمغرب وانتزعه زناته ذهب أولئم مذهب البداءة والسداجة وتابع لشونة في اتحال اللقب بأمير المؤمنين أبياً مع رتبة الخليفة التي كانوا على طاعتها لي عبد المؤمن أولًا ولبني أبي حفص من بعدهم، ثم نزع المتأخرون منهم إلى اللقب بأمير المؤمنين واتحلوا لهذا العهد استبلاغاً في منازع الملك وتماماً

اعلم أن الملة لا بد لها من قائم عند غيبة النبي يحملهم على حكمها وشرائعها ويكون كال الخليفة فيهم النبي فيما جاء به من التكاليف والنوع الإنساني أيضاً بما تقدم من ضرورة السياسة فيهم للاجتماع البشري، لا بد لهم من شخص يحملهم على مصالحهم ويرعى لهم عن مفاسدهم بالقهر وهو المسمى بالملك.

والملة الإسلامية لما كان الجهد فيها مشروعاً لعموم الدعوة وجعل الكافة على دين الإسلام طوعاً أو كرهاً اخذت فيها الخليفة والملك توجه الشوكة من القائين بها إليهما معاً.

وأما ما سوى الملة الإسلامية فلم تكن دعوتهم عامة ولا الجهاد عندهم مشروعاً إلا في المدافعة فقط، فضار القائم بأمر الدين فيها لا يعنيه شيء من سياسة الملك، وإنما وقع الملك لمن وقع منهم بالعرض والأمر غير ديني وهو ما اقتضته لهم العصبية لما فيها من الطلب للملك بالطبع لما قدمناه؛ لأنهم غير مكففين بالخلاف على الأمم كما في الملة الإسلامية، وإنما هم مطلوبون بإقامة دينهم في خاصتهم.

ولذلك بقي بنو إسرائيل من بعد موسى ويروشن صلوات الله عليهم خور أربعمائة سنة لا يعتنون بشيء من أمر الملك، إنما همهم إقامة دينهم فقط، وكان القائم به بينهم يسمى الكومن كأنه خليفة موسى. صلوات الله عليه يقيم لهم أمر الصلاة والقرآن، ويشرطون فيه أن يكون من ذرية هارون صلوات الله عليه، لأن موسى لم يعقب ثم اختاروا لإقامة السياسة التي هي للبشر بالطبع سبعين شيخاً كانوا يتلون أحكامهم العامة والكومن أعظم منهم رتبة في الدين وبعد عن شغب الأحكام، واتصل ذلك فيهم إلى أن استحكمت طبيعة العصبية وتحضرت الشوكة للملك فغلبوا الكعناعين على الأرض التي أورثتهم الله بيت المقدس وما جاورها كما بين لهم على لسان موسى صلوات الله عليه فحاربواهم الفلسطين والكتعناعيين والأرميين وأردن وعمان ومارب ورواناتهم في ذلك راجعة إلى شيوخهم، وأقاموا على ذلك خوراً من أربعمائة سنة، ولم تكن لهم صولة الملك وضجر بنو إسرائيل من مطالبة

ثم كتبوا الإنجيل الذي انزل على عيسى صلوات الله عليه في نسخ أربع على اختلاف روایاتهم: فكتب متى إنجيله في بيت المقدس بالعبرانية وتقله يوحنا بن زبدي منهم إلى اللسان اللاتيني، وكتب لوقا منهم إنجيله باللاتيني إلى بعض أكابر الروم، وكتب يوحنا بن زبدي منهم إنجيله برومة وكتب بطرس إنجيله باللاتيني ونسبة إلى مرقاص تلميذه، واختلفت هذه النسخ الأربع من الإنجيل مع أنها ليست كلها وحيا صرفاً بل مشوبة بكلام عيسى عليه السلام وبكلام الحواريين، وكلها مواعظ وقصص، والأحكام فيها قليلة جداً، واجتمع الحواريون الرسل لذلك العهد برومة، ووضعوا قوانين الملة النصرانية وصيرواها يد أقليمنطس تلميذ بطرس وكتبوا فيها عدد الكتب التي يجب قبولها والعمل بها.

فمن شريعة اليهود القدية التوراة وهي خمسة أسفار، وكتاب يوشع وكتاب الفضة وكتاب راسوت وكتاب يهوذا، وأسفار الملوك أربعة، وسفر بنiamin وكتب المقابين لا بن كريون ثلاثة، وكتاب عزرا الإمام، وكتاباً أوشير وقصة هامان، وكتاب أبو الصديق ومزامير داود عليه السلام، وكتب ابنه سليمان عليه السلام خمسة ونبوات الأنبياء الكبار والصغر ستة عشر، وكتاب بشوع بن شاروخ وزير سليمان.

ومن شريعة عيسى صلوات الله عليه المتلقاة من الحواريين نسخ الإنجيل الأربع وكتب القتالينون سبع رسائل وثامنتها الإبركسيس في قصص الرسل، وكتاب بولس أربع عشر رسالة وكتاب أقليمنطس وفيه الأحكام، وكتاب أبو غالسيس وفيه رؤيا يوحنا بن زبدي.

واختلف شأن القياصرة في الأخذ بهذه الشريعة تارة وتعظيم أهلها، ثم تركها أخرى والسلط عليهم بالقتل والبغى إلى أن جاء قسطنطين وأنخذ بها واستمروا عليها.

وكان صاحب هذا الدين والمقيم لمراميته يسمونه البطرك، وهو رئيس الملة عندهم وخليفة المسيح فيهم، يبعث توابه وخلفاءه إلى ما بعد عنده من أمم النصرانية ويسمونه الأسقف أي نائب البطرك، ويسمون الإمام الذي يقيم الصلوات ويفتيهم في الدين بالقسسين، ويسمون المقطوع الذي جلس نفسه في الخلوة للعبادة بالراهب، وأكثر خلواتهم في الصوماع، وكان بطرس الرسول رأس الحواريين وكبير التلاميذ برومة يقيمه بهما دين النصرانية إلى أن قتله نيرون خامس القياصرة، فimin قتل من البطارق والأساقفة ثم قام بخلافه في كرسى روما أريوس، وكان مرقس الإنجيلي بالإسكندرية ومصر والمغرب داعياً سبع سنين، فقام بعده حانياً وتسمى بالبطرك وهو أول البطاركة فيها، وجعل معه الثاني عشر

الأمم، فطلبوا على لسان شمربيل من أنيائهم أن ياذن الله لهم في تمليك رجال عليهم فول عليهم طالوت وغلب الأمم وقتل غالوت ملك الفلسطينيين، ثم ملك بعده داود ثم سليمان صلوات الله عليهما، واستفحلا ملكه وامتد إلى الحجاز ثم أطراف اليمن، ثم إلى أطراف بلاد الروم، ثم افترق الأسباط من بعد سليمان صلوات الله عليه بمقتضى العصبية في الدول كما قدمناه إلى دولتين كانت إحداهما بالجزيرة والموصى للأسباط العشرة، والأخرى بالقدس والشام لبني يهودا وبنiamin.

ثم غلبهم مختنصر ملك بابل على ما كان بأيديهم من الملك، أولاً الأسباط العشرة، ثم ثانياً بني يهودا وبيت المقدس بعد اتصال ملوكهم نحو الف سنة وخرب مسجدهم وأحرق توراتهم وأمات دينهم ونقلهم إلى أصبحان وببلاد العراق إلى أن ردهم بعض ملوك الكيانة من الفرس إلى بيت المقدس من بعد سبعين سنة من خروجهم، فبنوا المسجد وأقاموا أمر دينهم على الرسم الأول للكهنة فقط والملك للفرس، ثم غلب الإسكندر وبنو يوننان على الفرس وصار اليهود في ملوكهم، ثم فشل أمر اليونانيين فاعتزل اليهود عليهم بالعصبية الطبيعية ودفعوهم عن الاستيلاء عليهم، وقام بكلتهم الكهنة الذين كانوا فيهم من بني حشمناي وقاتلوا اليونان حتى انقرض أمرهم وغلبهم الروم فصاروا تحت أمرهم، ثم رجعوا إلى بيت المقدس وفهـا بنو هيرودس أصهار بني حشمناي، وبقيت دولتهم فحاصروهـم مدة ثم افتتحوها عنوة، وأفحشوا في القتل والهدم والتحريق، وخرسوا بيت المقدس وأجلوهم عنها إلى رومـة وما وراءها، وهو الخراب الثاني للمسجد وسيعـيه اليهود بالجلـوة الكـبرـى، فـلم يـقم لهم بعـدهـا مـلـكـ لـفـقـدانـ العـصـبـيـةـ مـنـهـمـ وـبـقـواـ بـعـدـ ذـلـكـ فـيـ مـلـكـ الرـوـمـ مـنـ بـعـدـهـمـ بـقـيمـ لـهـمـ أمرـ دـيـنـهـمـ الرـئـيـسـ عـلـيـهـمـ السـمـيـ بالـكـوـمـ.

ثم جاء المسيح صلوات الله وسلامة عليه بما جاءهم به من الدين والنسخ لبعض أحكام التوراة وظهرت على يديه الحوارق العجيبة من إبراء الأكمـهـ والأبرـصـ وإحياء المرـتـىـ واجتمع عليهـ كثيرـ منـ النـاسـ وـأـمـنـواـ بـهـ وـأـكـثـرـ الـحـوارـيـونـ مـنـ أـصـهـارـهـ وـكـانـواـ آـثـيـ عشرـ وـبـعـثـ مـنـهـ رسـلـاـ إـلـىـ الـآـفـاقـ دـاعـينـ إـلـىـ مـلـهـ وـذـلـكـ أـيـامـ أوـغـسـطـسـ أـوـلـ مـلـوكـ الـقـيـاصـرـةـ وـفـيـ مـدـةـ هـيرـودـسـ مـلـكـ الـيـهـودـ الـذـيـ اـنـتـزـعـ الـمـلـكـ مـنـ بـنـيـ حـشـمـنـايـ أـصـهـارـهـ،ـ فـحـسـدـهـ الـيـهـودـ وـكـنـبـهـ وـكـاتـبـ هـيرـودـسـ مـلـكـهـ مـلـكـ الـقـيـاصـرـةـ اوـغـسـطـسـ يـغـرـيـهـ بـهـ،ـ فـأـذـنـ لـهـ فـقـتـلـهـ وـوـقـعـ مـاـ تـلـاهـ الـقـرـآنـ مـنـ أـمـرـهـ،ـ وـافـتـرقـ الـحـوارـيـونـ شـيـعاـ وـدـخـلـ أـكـثـرـهـ بـلـادـ الرـوـمـ دـاعـينـ إـلـىـ دـينـ النـصـرـانـيـ،ـ وـكـانـ بـطـرـسـ كـبـيرـهـ فـنـزـلـ بـرـوـمـةـ دـارـ مـلـكـ الـقـيـاصـرـةـ،ـ

أوردناه من شرح هذين الاسمين اللذين هما البابا والكرohen «الله يُضيلُ مَنْ يَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ يَشَاءُ».

## الفصل الرابع والثلاثون

### في مراتب الملك والسلطان وألقابها

إعلم أن السلطان في نفسه ضعيف يحمل أمراً ثقيلاً، فلا بد له من الاستعانة ببناء جنسه، وإذا كان يستعين بهم في ضرورة معاشه وسائر مهنه فما ظنك بسياسة نوره ومن استرعاه الله من خلقه وعباده، وهو يحتاج إلى حماية الكافة من عدوهم بالدافعة عنهم، وإلى كف عدوan بعضهم على بعض في أفسوسهم بإمساك الأحكام الوازعة فيهم، وكف العداون عليهم في أمرهم بصلاح سبلتهم وإلى حملهم على مصالحهم، وما تعمهم به البلوى في معاشهم ومعاملتهم من تفقد المعايش والمكاليل والموازين حذراً من التطبيق وإلى النظر في السكة تحفظ التقدّم التي يتعاملون بها من النسخ، وإلى سياساتهم بما يريده منهم من الانقیاد له والرضا بما يقصده منهم وإنفراده بالجند دونهم، فيتحمل من ذلك فوق الغاية معاناة القلوب.

قال بعض الأشراف من الحكماء: «المعاناة نقل الجبال من أماكنها أهون على من معاناة قلوب الرجال» ثم إن الاستعانة إذا كانت بأولى القربي من أهل النسب أو التربية أو الاصطنان القديم للدولة كانت أكمل لما يقع في ذلك من مجاسنة خلقهم خلقه، فقسم المشاكلة في الاستعانة، قال تعالى «وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أهْلِي، هارُونَ أَخِي. اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي. وَأَنْزِرْ كَهْ فِي أَنْرِي».

وهو إما أن يستعين في ذلك بسيفه أو قلمه أو رايه أو معارفه أو مجاهبه عن الناس أن يزدحموا عليه فيشغلوه عن النظر في مهماته، أو يدفع النظر في الملك كله ويعول على كفائه في ذلك واضطلاعه، فلنذكر قد تردد في رجل واحد وقد تفرق في أشخاص، وقد يتفرع كل واحد منها إلى فروع كبيرة: كالقلم يتفرع إلى قلم الرسائل والمخاطبات وقلم الصكوك والإقطاعات، وإلى قلم الحاسبات وهو صاحب الجباية والعطاء وديوان الجيش؛ وكالسيف يتفرع إلى صاحب الحرب وصاحب الشرطة وصاحب البريد وولاية الشغور:

ثم اعلم أن الوظائف السلطانية في هذه الملة الإسلامية متدرجة تحت الحلافة لاشتمال منصب الحلافة على الدين والدنيا كما قدمناه، فالأحكام الشرعية متعلقة بجميعها ومحرومة لكل

قسماً على أنه إذا مات البطريرك يكون واحد من الآئمـة عشر مكانـه ويتـار من المؤمنـين واحدـاً مـكانـ ذـلـكـ الثـانـيـ عـشـرـ، فـكـانـ أـمـرـ الـبـطـارـكـ إـلـىـ القـسـوسـ، ثـمـ لـمـ وـقـعـ الاـخـلـافـ بـيـنـهـ فـيـ قـوـاعـدـ دـيـنـهـ وـعـقـائـدـهـ وـاجـتمـعـواـ بـنـيـقـةـ عـشـرـ مـنـ اـسـاقـفـهـ عـلـىـ رـأـيـ وـاحـدـ فـيـ الـدـيـنـ فـكـتـبـوـ وـسـمـوـ الـإـمـامـ وـصـيـرـوـ أـصـلـاـ يـرـجـعـونـ إـلـيـهـ، وـكـانـ فـيـمـاـ كـتـبـوـ أـنـ الـبـطـرـيـكـ الـقـائـمـ بـالـدـيـنـ لـاـ يـرـجـعـ فـيـ تـعـيـيـنـهـ إـلـىـ اـجـهـادـ الـأـقـسـةـ كـمـاـ قـرـرـهـ حـنـانـيـاـ تـلـمـيـدـ مـرـقـاسـ، وـأـبـطـلـوـ ذـلـكـ الرـأـيـ، إـنـماـ يـقـدـمـ عـنـ مـلـاـ وـاخـتـيـارـ مـنـ أـمـةـ الـمـؤـمـنـينـ وـرـؤـسـاـهـ، فـبـقـيـ الـأـمـرـ كـذـلـكـ، ثـمـ اـخـتـلـفـواـ بـعـدـ ذـلـكـ فـيـ تـقـرـيـرـ قـوـاعـدـ الـدـيـنـ وـكـانـ هـمـ بـجـمـعـمـاتـ فـيـ تـقـرـيـرـهـ، وـلـمـ يـخـتـلـفـواـ فـيـ هـذـهـ الـقـاعـدـةـ فـبـقـيـ الـأـمـرـ فـيـهـ عـلـىـ ذـلـكـ، وـاتـصـلـ فـيـمـاـ نـيـابةـ الـأـسـاقـفـةـ عـنـ الـبـطـارـكـ.

وـكـانـ الـأـسـاقـفـةـ يـدـعـونـ الـبـطـرـيـكـ بـالـأـبـ إـيـضاـ تـعـظـيمـاـ لـهـ فـاشـتـهـ الـأـسـمـ فـيـ أـعـصـارـ مـتـطاـولـةـ، يـقـالـ: آتـهـاـ بـطـرـيـكـ هـرـقـلـ بـالـإـسـكـنـدـرـيـةـ فـلـادـواـ أـنـ يـبـرـزـوـ الـبـطـرـيـكـ عـنـ الـأـسـقـفـةـ فـيـ الـعـظـيمـ فـدـعـوـهـ الـبـابـاـ، وـمـعـنـاهـ أـبـ الـأـبـاءـ، وـظـهـرـ هـذـاـ الـأـسـمـ أـوـلـ ظـهـورـهـ بـمـصـرـ عـلـىـ مـاـ زـعـمـ جـرجـيسـ بنـ العـمـيدـ فـيـ تـارـيـخـهـ، ثـمـ نـقـلـهـ إـلـىـ صـاحـبـ الـكـرـسـيـ الـأـعـظـمـ عـنـهـمـ وـهـوـ كـرـسـيـ رـوـمـةـ؛ لـأـنـ كـرـسـيـ بـطـرـسـ الرـسـوـلـ كـمـاـ قـدـمـنـاهـ، فـلـمـ يـزـلـ سـمـةـ عـلـيـهـ إـلـىـ الـآنـ.

ثـمـ اـخـلـفـ النـصـارـىـ فـيـ دـيـنـهـ بـعـدـ ذـلـكـ وـفـيـمـاـ يـعـتـقـدـونـهـ فـيـ الـمـسـيـحـ، وـصـارـوـ طـرـائـفـ وـفـرـقـاـ وـاسـطـهـرـوـاـ بـلـمـوكـ الـنـصـارـىـةـ كـلـ عـلـىـ صـاحـبـهـ، فـاـخـلـفـ الـحـالـ فـيـ الـصـورـ فـيـ ظـهـرـ فـرـقـةـ دـوـنـ فـرـقـةـ إـلـىـ أـنـ اـسـقـرـتـ هـمـ ثـلـاثـ طـرـائـفـ هـيـ فـرـقـهـمـ وـلـاـ يـلـتـقـنـوـ إـلـىـ غـيـرـهـاـ، وـهـمـ الـمـلـكـةـ وـالـيـعقوـبـيـةـ وـالـنـسـطـرـوـيـةـ.

ثـمـ اـخـصـتـ كـلـ فـرـقـةـ مـنـهـمـ بـيـطـرـكـ، فـبـطـرـكـ رـوـمـةـ الـبـرـومـ الـمـسـىـ بـالـبـابـاـ عـلـىـ رـأـيـ الـمـلـكـيـةـ وـرـوـمـةـ لـلـإـفـرـنجـةـ وـمـلـكـهـمـ قـائـمـ بـتـلـكـ النـاحـيـةـ، وـبـطـرـكـ الـمـاعـادـيـنـ بـمـصـرـ عـلـىـ رـأـيـ الـيـعقوـبـيـةـ وـهـوـ سـاـكـنـ بـيـنـ ظـهـرـانـيـهـ، وـالـجـبـشـةـ بـيـدـيـنـهـمـ، وـبـطـرـكـ مـصـرـ فـيـمـاـ اـسـاقـفـةـ بـيـوـبـوـنـ عـنـهـ فـيـ إـقـامـهـ هـنـالـكـ، وـاتـصـلـ اـسـمـ الـبـابـاـ بـيـطـرـكـ رـوـمـةـ هـذـاـ الـعـهـدـ، وـلـاـ تـسـمـيـ الـيـعـاقـبـيـةـ بـطـرـكـهـمـ بـهـذـاـ الـأـسـمـ، وـضـبـطـ هـذـهـ الـلـفـظـ بـيـاـمـيـنـ مـوـحدـيـنـ مـنـ أـسـفـلـ وـالـنـطـقـ بـهـاـ مـفـحـمـةـ وـالـثـانـيـةـ مـشـدـدـةـ، وـمـنـ مـذـاهـبـ الـبـابـاـ عـدـ الـإـفـرـنجـةـ أـنـ بـعـضـهـمـ عـلـىـ الـانـقـيـادـ لـلـكـ وـلـكـ وـلـمـ يـرـجـعـوـنـ إـلـيـهـ فـيـ اـخـتـلـافـهـمـ وـاجـتمـعـهـمـ تـغـرـيـاـ مـنـ اـفـرـاقـ الـكـلـمـةـ، وـيـتـحرـىـ بـهـ الـعـصـيـةـ الـتـيـ لـاـ فـرـقـهـاـ مـنـهـمـ، لـتـكـونـ بـهـ عـالـيـةـ عـلـىـ جـيـهـمـ وـيـسـمـونـهـ الـإـنـبـرـذـورـ وـحـرـفـ الـوـسـطـ بـيـنـ الـذـالـ وـالـظـاءـ الـمـعـجمـيـنـ وـمـبـاشـرـهـ يـضـعـ السـاجـ عـلـىـ رـأـيـهـ لـتـبـرـكـ فـيـسـيـ الـمـرـجـ، وـلـمـلـهـ مـعـنـىـ الـلـفـظـ الـإـنـبـرـذـورـ، وـهـذـاـ مـلـخـصـ مـاـ

ترجم. إلا أن الأرفع منها ما كانت الإعانة فيه عامة فيما تحت يد السلطان من ذلك الصنف، إذ هو يقتضي مباشر السلطان دائمًا ومشاركته في كل صنف من أحوال ملكه، وأما ما كان خاصاً ببعض الناس أو بعض الجهات فيكون دون الرتبة الأخرى كقيادة ثغر أو ولاية جبلية خاصة أو النظر في أمر خاص كحبة الطعام أو النظر في السكة، فإن هذه كلها نظر في أحوال خاصة فيكون صاحبها تبعاً لأهل النظر العام، وتكون رتبته مرؤوسه لأولئك.

وما زال الأمر في الدول قبل الإسلام هكذا حتى جاء الإسلام وصار الأمر خلافة، فذهب تلك الخطط كلها بناءً على رسم الملك إلى ما هو طبيعي من المعاونة بالرأي والخلافة فيه، فلم يكن زواله، إذ هو أمر لا بد منه، فكان <sup>للملك</sup> يشارر أصحابه ويفاوضهم في مهماته العامة والخاصة، وينص مع ذلك أبي بكر شخصيات أخرى، حتى كان العرب الذين عرفوا الدول وأحوالها في كسرى وقيصر والنجاشي يسمون أبا بكر وزيراً، ولم يكن لفظ الوزير يعرف بين المسلمين لنهاية رتبة الملك بسذاجة الإسلام. وكذا عمر مع أبي بكر علي وعثمان مع عمر، وأما حال الجبلية والإتفاق والحسban فلم يكن عندهم برتبة؛ لأن القوم كانوا عرباً أمنين لا يحمسنون الكتاب والحساب، فكانوا يستعملون في الحساب أهل الكتاب أو أفراداً من موالى العجم من يجيده، وكان قليلاً فيهم. وأما أشرافهم فلم يكونوا يجيدونه؛ لأن الأممية كانت صفةهم التي امتازوا بها وكذا حال المخاطبات وتنفيذ الأمور لم تكن عندهم رتبة خاصة للأمية التي كانت فيهم، والأمانة العامة في كشان القرول وناديه، ولم تخرج السياسة إلى اختياره لأن الخلافة إنما هي دين ليست من السياسة الملكية في شيء، وأيضاً فلم تكن الكتابة صناعة فيستجاد الخليفة أحسنها؛ لأن الكل كانوا يعبرون عن مقاصدهم بأبلغ العبارات ولم يبق إلا الخط، فكان الخليفة يستبيب في كتابته متى عن له من يحسن، وأما مدافعة ذوي الحاجات عن أبوابهم فكان محظوظاً بالشريعة فلم يفعلوه.

فلما انقلبت الخلافة إلى الملك وجاءت رسوم السلطان والقباه كان أول شيء بدأ به في الدولة شأن الباب وسده دون الجهور بما كانوا يخشنون على أنفسهم من اغتيال الخارج وغيرهم كما وقع بعمرو وعلى ومعاوية وعمرو بن العاص وغيرهم، مع ما في فتحه من ازدحام الناس عليهم وشغلهم بهم عن المهام، فاخذوا من يقوم لهم بذلك وسموه الحاجب، وقد جاء أن عبد الملك لما ولّ حاجبه قال له: قد ولّتك حاجة بابي إلا عن ثلاثة: المؤذن للصلوة فإنه داعي الله، وصاحب البريد فامر ما جاء به، وصاحب الطعام لثلا يفسد.

واحدة منها فيسائر وجوهها، لعموم تعلق الحكم الشرعية بجميع أعمال العباد، والفقية ينظر في مرتبة الملك والسلطان وشروط تقليدهما استبداداً على الخلافة وهو معنى السلطان أو تعويضاً منها وهو معنى الوزارة عندهم كما يأتي، وفي نظره في الأحكام والأموال وسائر السياسات مطلقاً أو مقيداً، وفي موجبات العزل إن عرضت وغير ذلك من معانى الملك والسلطان، وكذلك فيسائر الوظائف التي تحت الملك والسلطان من وزارة أو جبلية أو ولاية، لا بد للفقية من النظر في جميع ذلك كما قدمناه من اصحاب حكم الخلافة الشرعية في الملة الإسلامية على رتبة الملك والسلطان، إلا أن كلامنا في وظائف الملك والسلطان ورتبته إنما هو يقتضي طبيعة العمران وجود البشر لا بما يخصها من أحكام الشرع، وليس من غرض كتابنا كما علمت، فلا تحتاج إلى تفصيل أحكامها الشرعية مع أنها مستوفاة في كتب الأحكام السلطانية مثل كتاب القاضي أبي الحسن الماوردي وغيره من أعلام الفقهاء، فإن أردت استيفاءها فعليك بمطالعتها هنالك، وإنما تكلمنا في الوظائف الخلافية وأفردناها لنميز بينها وبين الوظائف السلطانية فقط، لا لتحقيق أحكامها الشرعية، وليس من غرض كتابنا، وإنما نتكلس في ذلك بما يقتضيه طبيعة العمران في الوجود الإنساني والله الموفق.

## الوزارة

وهي أم الخطط السلطانية والرتب الملوكية، لأن اسمها يدل على مطلق الإعانة، فإن الوزارة مأخوذة إنما من المعاونة وهي المعاونة، أو من الوزر وهو التقليل كأنه يحمل مع معاشه أو زاره وأتقائه، وهو راجع إلى المعاونة المطلقة، وقد كنا قدمنا في أول الفصل أن أحوال السلطان وتصرفاته لا تعدو أربعة؛ لأنها إنما تكون في أمور حياة الكافة وأسبابها من النظر في الجند والسلاح والخروب وسائر أمور الحياة والمطالب، وصاحب هذا هو الوزير المتعارف في الدول القديمة بالشرق، ولهذا العهد بال المغرب، وإنما تكون في أمور مخاطباته لم يبعد عنه في المكان أو في الزمان وتنفيذ الأوامر فيهن هو محجوب عنه وصاحب هذا هو الكاتب، وإنما تكون في أمور جبلية المال وإنفاقه وضبط ذلك من جميع وجوهه أن يكون بضيعة، وصاحب هذا هو صاحب المال والجبلية وهو المسئي بالوزير لهذا العهد بالشرق، وإنما أن يكون في مدافعة الناس ذوي الحاجات عنه أن يزدحروا عليه فيشغلوه عن فهمه، وهذا راجع لصاحب الباب الذي يمحجه. فلا تعدو أحواله هذه الأربعية بوجه، وكل خطة أو رتبة من رتب الملك والسلطان فإليها

عجم وليس تلك البلاغة هي المقصودة من لسانهم فتخير لها من سائر الطبقات واختصت به وصارت خادمة للوزير، واختص اسم الأمير بصاحب الحروب والجند وما يرجع إليها ويده مع ذلك عالية على أهل الرتب وأمره نافذ في الكل إما نيابة أو استبداداً واستمر الأمر على هذا.

ثم جاءت دولة الترك آخرأ بمصر فرأوا أن الوزارة قد ابنت بترفع أولئك عنها ودفعها لن يقوم بها الخليفة المظور، ونظره مع ذلك متعمقاً بنظر الأمير فصارت مسؤولة ناقصة فاستنكشف أهل هذه الرتبة العالية في الدولة عن اسم الوزارة وصار صاحب الأحكام والنظر في الجند يسمى عندهم بالنائب لهذا العهد، وبقي اسم الحاجب في مدلوله، واختص اسم الوزير عندهم بالنظر في الجباية.

وأما دولة بني أمية بالأندلس فأثروا اسم الوزير في مدلوله أول الدولة، ثم قسموا خطته أصنافاً وأندروا لكل صنف وزيراً، فجعلوا لحسان المال وزيراً، وللتسليل وزيراً، وللناظر في حواري المظلومين وزيراً، وللناظر في أحوال أهل التغور وزيراً، وجعل لهم بيت يجلسون فيه على فرش منضدة لهم، وينفذون أمر السلطان هناك كلًّا فيما جعل له، وأتferred للتردد بينهم وبين الخليفة واحد منهم ارتفع عنهم مباشرة السلطان في كل وقت، فارتفع مجلسه عن مجالسهم وخصوصه باسم الحاجب، ولم يزل الشأن هذا إلى آخر دولتهم، فارتعد خطبة الحاجب ومرتبته على سائر الرتب حتى صار ملوك الطوائف يتخلون لقبها فاكتحرا يومئذ يسمى الحاجب كما ذكره.

ثم جاءت دولة الشيعة بإفريقية والقيروان وكان للقائمين بها رسوخ في البداوة فأغفلوا أمر هذه الخطط أولاً وتنبيه أسمائها حتى أدركت دولتهم الحضارة فصاروا إلى تقليد الدولتين قبلهم في وضع أسمائها كما تراه في أخبار دولتهم.

ولما جاءت دولة المؤذخين من بعد ذلك أغفلت الأمر أولاً للبداوة ثم صارت إلى اتحال الأسماء والألقاب، وكان اسم الوزير في مدلوله، ثم اتبعوا دولة الأمراء وقلدوها في مذهب السلطان و اختاروا اسم الوزير لمن يمحض السلطان في مجلسه ويقف بالوفد والداخلين على السلطان عند الحدود في تحريم وخطابهم والأداب التي تلزم في الكرون بين يديه ورفعوا خطبة المحاجة عنه ما شاؤوا ولم يزل الشأن ذلك إلى هذا المهد.

وأما في دولة الترك بالشرق فيسمون هذا الذي يقف بالناس على حدود الأدب في اللقاء والتوجيه في مجالس السلطان والقدم

ثم استفحلا الملك بعد ذلك فظهر المشارور والمعين في أمر القبائل والعصائب واستلامهم وأطلق عليه اسم الوزير وبقي أمر الحسان في الموالي والذميين، وأخذ للسجلات كاتب مخصوص حرطة على أسرار السلطان أن تشهر فتفسد سياساته مع قومه، ولم يكن بمثابة الوزير؛ لأنه إنما احتاج له من حيث الخط والكتاب لا من حيث اللسان الذي هو الكلام، إذ اللسان لذلك العهد على حاله لم يفسد، فكانت الوزارة لذلك أرفع رتهم يومئذ؛ هذا في سائر دولة بني أمية فكان النظر للوزير عاماً في أحوال التدبير والمافوؤضات وسائر أمور الحمایات والمطالبات وما يتبعها من النظر في ديوان الجند وفرض العطايا بالأهله وغير ذلك.

فلما جاءت دولة بني العباس واستفحلا الملك وعظمت مراتبه وارتفعت، وعظم شأن الوزير وصارت إليه النيابة في إنفاذ العمل والعقد وتعيين مرتبته في الدولة وعنت لها الوجه وحضرت لها الرقاب وجعل لها النظر في ديوان الحسان لما تحتاج إليه خطته من قسم الأعطيات في الجند، فاحتاج إلى النظر في جميعه وتنريقه وأضيف إليه النظر فيه، ثم جعل له النظر في القلم والرسيل لصون أسرار السلطان وحفظ البلاغة لما كان اللسان قد فسد عند الجمهور، وجعل الخام لسجلات السلطان ليحفظها من الذباب والشیع ودفع إليها، فصار اسم الوزير جاماً لخططي السيف والقلم وسائر معانى الوزارة والمعاونة، حتى لقد دعي جعفر بن جعيس بالسلطان أيام الرشيد إشارة إلى عموم نظره وقيامه بالدولة، ولم يخرج عنه من الرتب السلطانية كلها إلا الحاجبة التي هي القيام على الباب فلم تكن له لاستكانه عن مثل ذلك.

ثم جاء في الدولة العباسية شأن الاستبداد على السلطان وتعاون فيها استبداد الوزارة مرة والسلطان أخرى، وصار الوزير إذا استبد معايناً إلى استثناء الخليفة وإيه لذلك لتصح الأحكام الشرعية وتحمي على حالها كما تقدم فاقسمت الوزارة حيثش إلى وزارة تنفيذ، وهي حال ما يكون السلطان قائماً على نفسه، وإلى وزارة تقويض وهي حال ما يكون الوزير مستبداً عليه، ثم استمر الاستبداد وصار الأمر لملك العجم وتعطل رسم الخلافة، ولم يكن لأولئك المغلوبين أن يتخلوا القاب الخلافة واستنكفوا من مشاركة الوزراء في اللقب؛ لأنهم خول لهم فقسموا بالإماراة والسلطان، وكان المستبد على الدولة يسمى أمير الأمراء أو بالسلطان إلى ما يجعله به الخليفة من القابه كما تراه في القابهم، وتركوا اسم الوزارة إلى من يتولاها للخلافة في خاصته، ولم يزل هذا الشأن عندهم إلى آخر دولتهم وفسد اللسان خلال ذلك كله وصارت صناعة بتحلها بعض الناس، فامتهنت وترفع الوزراء عنها لذلك، ولأنهم

والتقديم لوزير الرأي والمشورة، وكان يختص باسم شيخ الموحدين، وكان له النظر في الولايات والعزل وقود العساكر والخروب، وأخاص الحسبان والديوان برتبة أخرى، ويسمى متولتها بصاحب الأشغال ينظر فيها النظر المطلق في الدخل والمخرج وبمحاسب ويستخلص الأموال ويعاقب على التفريط، وكان من شرطه أن يكون من الموحدين، واحتضن عندهم القلم أيضاً بن عبد الترسيل ويرعن على الأسرار؛ لأن الكتابة لم تكن من متاحل القوم ولا الترسيل بلسانهم، فلم يشترط فيه النسب، واحتاج السلطان لاتساع ملكه وكثرة المرتقبين بداره إلى قهرمان خاص بداره في أحواله يجريها على قدرها وترتبيها من رزق وعطاء وكسرة ونفقة في الطابخ والاصطبلاط وغيرهما، وحصر الذخيرة وتفيذ ما يحتاج إليه في ذلك على أهل الجباية فخصوه باسم الحاجب، وربما أضافوا إليه كتابة العلامنة على السجلات إذا اتفق أنه يحسن صناعة الكتابة، وربما جعلوه لغيره.

واستمر الأمر على ذلك وحجب السلطان نفسه عن الناس فصار هذا الحاجب واسطة بين الناس وبين أهل الرتب كلهم، ثم جع له آخر الدولة السيف والحرب ثم الرأي والمشورة، فصارت الخطة أرفع الرتب وأرفعها للخطيب، ثم جاء الاستبداد والحجر مدة من بعد السلطان الثاني عشر منهم، ثم استبد بعد ذلك حفيده السلطان أبو العباس على نفسه وأذهب آثار الحجر والاستبداد بإذهاب خطة الحجابة التي كانت سُلْطَناً إليه، وبasher أمره كلها بنفسه من غير استعانته بأحد، والأمر على ذلك لهذا العهد.

واما دولة زناتة بالغرب: وأعظمها دولة بي مرين فلا أثر لاسم الحاجب عندهم، وأما رئاسة الحرب والعساكر في للوزير ورتبة القلم في الحسبان والرسائل راجعة إلى من يحيطها من أهلها، وإن اختصت بعض البيوت المصطنعين في دولتهم، وقد تجمع عندهم وقد تفرق، وأما باب السلطان وججه عن العامه فهي رتبة عندهم يسمى صاحبها بالملواز ومعناه المقدم على الجنادرة المتصرفين بباب السلطان في تنفيذ أوامره وتصريف عقوباته وإزاله سلطانه وحفظ المعتقلين في سجونه، والعرif عليهم في ذلك، فالباب له وأخذ الناس بالوقوف عند الحدود في دار العامة راجع إليه، فكانها وزارة صغرى.

واما دولة بي عبد الواد فلا أثر عندهم لشيء من هذه الألقاب ولا تميز الخطط لبداوة دولتهم وقصورها، وإنما يحيطون باسم الحاجب في بعض الأحوال منفذ الخاص بالسلطان في داره، كما كان في دولة بي أبي حفص وقد يحيطون له الحسبان والسجل

بالفرد بين يدي الدويدار ويضيفون إليه استبعاد كاتب السر وأصحاب البريد المتصرفين في حاجات السلطان بالقصاصية وبالحاضرة، وحاظهم على ذلك لهذا العهد، والله مولى الأمور لمن يشاء.

### الحجابة

قد قدمنا أن هذا اللقب كان مخصوصاً في الدولة الأموية والعباسية بن محجوب السلطان عن العامة ويغلق بابه دونهم أو يفتحه لهم على قدره في مواقته، وكانت هذه منزلة يومئذ عن الخطط مرؤوسه لها، إذ الوزير متصرف فيها بما يراه، وهكذا كانت سائر أيام بنى العباس وإلى هذا العهد، فهي مصر مرؤوسة لصاحب الخطة العليا المسمى بالنائب.

وأما في الدولة الأموية بالأندلس فكانت الحجابة لم يمحجوب السلطان عن الخاصة والعامة ويكون واسطة بينه وبين الوزراء فمن دونهم، فكانت في دولتهم رفيعة غاية كما تراه في أخبارهم كابن حميد وغيره من حجاجهم، ثم لما جاء الاستبداد على الدولة اختص المسيد باسم الحجابة لشرفها، فكان المنصور بن أبي عامر وأباياوه كذلك، ولا بدؤوا في مظاهر الملك وأطواره جاء من بعدهم من ملوك الطراف فلم يتركوا لقبها وكانتا يدعونها شرقاً لهم، وكان أعظمهم ملكاً بعد اتحال القاب الملك وأسمائه لا بد له من ذكر الحاجب وذوي الوزاراتين يعنون به السيف والقلم، وبدلون بالحجابة على حجابة السلطان عن العامة والخاصية، ويسري الوزارتين على جمعه لخطي السيف والقلم.

ثم لم يكن في دول المغرب وإن فرقية ذكر لهذا الاسم للبداوة التي كانت فيهم، وربما يوجد في دولة العبيدين مصر عند استعظامها وحضارتها إلا أنه قليل.

ولما جاءت دولة الموحدين لم تستتمكن فيها الخضارة الداعية إلى اتحال الألقاب وتعزيز الخطط وتعيينها بالأسماء إلا آخرها، فلهم يكن عندهم من الرتب إلا الوزير، فكانوا أولاً يحيطون بهذا الاسم الكاتب المتصرف المشارك للسلطان في خاص أمره كابن عطية وعبد السلام الكومي، وكان له مع ذلك النظر في الحساب والأشغال المالية، ثم صار بعد ذلك اسم الوزير لأهل نسب الدولة من الموحدين كابن جامع وغيره، ولم يكن اسم الحاجب معروفاً في دولتهم يومئذ.

واما بنو أبي حفص بفارقية فكانت الرئاسة في دولتهم أولاً

ويقال: إن أصل هذه التسمية أن كسرى نظر يوماً إلى كتاب ديوانه وهم يحسبون على أنفسهم كأنهم يجادلون فقال: ديوانه (أي مجانين) بلغة الفرس فسمي موضعهم بذلك وحذفت أماء لكثر الاستعمال تخفيفاً، فقيل: ديوان؛ ثم نقل هذا الاسم إلى كتاب هذه الأعمال المتضمن للقرآن والحسابات.

وقيل: إنه اسم للشياطين بالفارسية سمي الكتاب بذلك لسرعة نفوذهم في الأمور وقوفهم على الخلائق والخفي منها وجمعهم لما شد وفرق ثم نقل إلى مكان جلوسهم لتلك الأعمال، وعلى هذا فيتناول اسم الديوان كتاب الرسائل ومكان جلوسهم بباب السلطان على ما يأتي بعد وقد تفرد هذه الوظيفة بنا ظر واحد ينظر في سائر هذه الأعمال، وقد يفرد كل صنف منها بنا ظر كما يفرد في بعض الدول النظر في العساكر وإقطاعاتهم وحساب أعطيائهم وغير ذلك على حسب مصطلح الدولة وما قرره أولوها.

واعلم أن هذه الوظيفة إنما تحدث في الدول عند تمكن الغلب والاستيلاء والنظر في أعطاف الملك وفنون التمهيد.

وأول من وضع الديوان في الدولة الإسلامية عمر رضي الله عنه يقال: بسبب مال أتى به أبو هريرة رضي الله عنه من البحرين، فاستثنوه وتبubo في قسمه، فسماها إلى إحصاء الأموال وضبط العطا والحقوق، فأشار خالد بن الوليد بالديوان وقال: رأيت ملوك الشام يدونون، فقبل منه عمر.

وقيل: بل أشار عليه به الفرمزان لما رأه يبعث العوثر بغیر دیوان فقبل له: ومن يعلم بغيبة من غيب منهم؟ فإن من مختلف أهل مكانه وإنما يضبط ذلك الكتاب فأثبت لهم ديواناً وسال عمر عن اسم الديوان. فعبر له، ولما اجتمع ذلك أمر عقيل بن أبي طالب وخرمة بن نوبل وخبير بن مطعم وكأنوا من كتاب قريش، فكتبوا ديوان العساكر الإسلامية على ترتيب الأنساب متبدأ من قربة رسول الله ﷺ وما بعدها الأقرب فالأقرب؛ هكذا كان ابتداء ديوان الجيش.

وروى الزهري عن سعيد بن المسيب: أن ذلك كان في المحرم سنة عشرين.

وأما ديوان الخزاج والجبايات فبني بعد الإسلام على ما كان عليه من قبل ديوان العراق بالفارسية وديوان الشام بالرومية وكتاب النواوين من أهل العهد من الفريقيين، ولما جاء عبد الملك بن مروان واستحال الأمر ملكاً واتنقل القوم من غضاضة البداوة إلى روتق المضاربة، ومن سذاجة الأمية إلى حنق الكتابة، وظهر في

كما كان فيها حملهم على ذلك تقليد الدولة بما كانوا في تبعتها وقائين بدعونها منذ أول أمرهم.

وأما أهل الأندلس لهذا العهد فالمحصوص عندهم بالحساب وتنفيذ خاص السلطان وسائر الأمور المالية يسمونه بالوريكيل، وأما الوزير فكالوزير، إلا أنه قد يجمع له الترسيل، والسلطان عندهم يضع خطه على السجلات كلها، فليس هناك خطة العلامة كما لئنهم من الدول.

وأما دولة الترك بمصر فاسم الحاجب عندهم موضوع لحاكم من أهل الشوكة وهو الترك ينفذ الأحكام بين الناس في المدينة وهم متعددون، وهذه الوظيفة عندهم تحت وظيفة النيابة التي لها الحكم في أهل الدولة وفي العامة على الإطلاق، وللنيابة التولية والعزل في بعض الوظائف على الأحيان، ويقطع القليل من الأرزاق ويشتها وتتفقد أوامرها كما تتفقد المراسيم السلطانية وكان له النيابة المطلقة عن السلطان وللحجاج الحكم فقط في طبقات العامة والجند عند الترافع إليهم وإيجار من أبي الانقباد للحكم وطورهم تحت طور النيابة والوزير في دولة الترك هو صاحب جباية الأموال في الدولة على اختلاف أصنافها من خراج أو مكس أو جزية، ثم في تصريفها في الإنفاقات السلطانية أو الجرایات المقدرة، وله مع ذلك التولية والعزل في سائر العمال الملاشرين لهذه الجباية والتنفيذ على اختلاف مراتبهم وتبسيط أصنافهم، ومن عرائفهم أن يكون هذا الوزير من صنف القبط القائمين على ديوان الحساب والجباية لاختصاصهم بذلك في مصر منذ عصور قديمة، وقد يوليهما السلطان بعض الأحيان لأهل الشوكة من رجالات الترك أو أبنائهم على حسب الداعية لذلك، والله مدبر الأمور ومصرفها محكمته لا إله إلا هو رب الأولين والآخرين.

## ديوان الأعمال والجبايات

اعلم أن هذه الوظيفة من الوظائف الضرورية للملك، وهي القيام على أعمال الجبايات وحفظ حقوق الدولة في الدخل والخرج وأحصاء العساكر بأسنانهم وتقدير أرزاقهم وصرف أعطيائهم في إياناتها والرجوع في ذلك إلى القرآن التي يربتها قومة تلك الأعمال وقهرامة الدولة، وهي كلها مسطورة في كتاب شاهد بتفاصيل ذلك في الدخل والخرج مبني على جزء كبير من الحساب لا يقام به إلا المهرة من أهل تلك الأعمال ويسمي ذلك الكتاب بالديوان، وكذلك مكان جلوس العمال الملاشرين لها.

ثم استقل بها أهل الحسبان والكتاب وخرجت عن الموحدين، ثم لما استغله أمر الحاجب ونفذ أمره في كل شأن من شؤون الدولة تعطل هذا الرسم وصار صاحبه مسؤولاً للحاجب وأصبح من جلة الجهة وذهب تلك الرئاسة التي كانت له في الدولة.

وأما دولة بنى مرين لهذا العهد فحسبان العطاء والخارج جموع لواحد، وصاحب هذه الرتبة هو الذي يصحح الحسابات كلها ويرجع إلى ديوانه ونظره معقب بنظر السلطان أو الوزير، وخطه يعتبر في صحة الحسبان في الخراج والعطاء.

هذه أصول الرتب والمخطط السلطانية وهي الرتب العالية التي هي عامة النظر وبماشة للسلطان.

وأما هذه الرتبة في دولة الترك فمتعدة، وصاحب ديوان العطاء يعرف بناظر الجيش وصاحب المال مخصوص باسم الوزير وهو الناظر في ديوان الجباية العامة للدولة، وهو أعلى رتب الناظرين في الأموال؛ لأن النظر في الأموال عندهم يتبع إلى رتب كثيرة لافساح دولتهم وعظمتها سلطانهم واتساع الأموال والجبائيات عن أن يستقل بضبطها الواحد من الرجال ولو بلغ في الكفاية وبالغه تتعين للنظر العام منها هذا المخصوص باسم الوزير وهو مع ذلك رديف لدول من موالي السلطان وأهل عصيته وأرباب السيف في الدولة، يرجع نظر الوزير إلى نظره ويتجه جهده في متابعته ويسعى عندهم أستاذ الدولة وهو أحد الأمراء الأكابر في الدولة من الجندي وأرباب السيف، ويتبع هذه الخطة خطط عندهم أخرى كلها راجعة إلى الأموال والحسبان مقصورة النظر على أمور خاصة مثل ناظر الخاص، وهو المباشر لأموال السلطان الخاصة به من إقطاعه أو سهامه من أموال الخراج وبلاد الجباية مما ليس من أموال المسلمين العامة، وهو تحت يد الأمير أستاذ الدار.

وإن كان الوزير من الجندي فلا يكون لأستاذ الدار نظر عليه، ونظر الخاص تحت يد الخازن لأموال السلطان من ماله المسمى خازن الدار؛ لاحتصاصه وظيفتهما بحال السلطان الخاص.

هذا بيان هذه الخطة بدولة الترك بالشرق بعد ما قدمناه من أمرها بالغرب، والله مصرف الأمور لا رب غيره.

## ديوان الرسائل والكتابة

هذه الوظيفة غير ضرورية في الملك لاستغاثة كثير من الدول عنها رأساً كما في الدول العرقية في البداوة التي لم ياخذها

العرب ومرايه مهرة في الكتاب والحساب، فأمر عبد الملك سليمان بن سعيد وإلى الأردن لمهده أن ينقل ديوان الشام إلى العربية فاكمله لسنة من يوم ابتدائه، ووقف عليه سرجون كاتب عبد الملك فقال لكتاب الروم: اطلبوا العيش في غير هذه الصناعة فقد قطعوا الله عنكم.

وأما ديوان العراق فأمر الحاجاج كاته صالح بن عبد الرحمن وكان يكتب بالعربية والفارسية وللن ذلك عن زادان فروخ كاتب الحاجاج قبله، ولما قتل زادان في حرب عبد الرحمن بن الأشعث استخلف الحاجاج صالحأ هذا مكانه وأمره أن ينقل الديوان من الفارسية إلى العربية ففعل، ورغم لذلك كتاب الفرس، وكان عبد الحميد بن بحبي يقول: الله در صالح ما أعظم منه على الكتاب!.

ثم جعلت هذه الوظيفة في دولة بنى العباس مضافة إلى من كان له النظر فيه، كما كان شأن بنى برمك وبنى سهل بن نوخشت وغيرهم من وزراء الدولة.

وأما ما يتعلق بهذه الوظيفة من الأحكام الشرعية مما يختص بالجيش أو بيت المال في الدخل والخرج وتغيير التوازي بالصلح والعنزة وفي تقليد هذه الوظيفة لمن يكون وشروط الناظر فيها والكاتب وقوانين الحسابات، فأمر راجع إلى كتب الأحكام السلطانية وهي مسيطرة هنالك وليس من غرض كتابها وإنما تتلكل فيها من حيث طبيعة الملك الذي تحزن بصدق الكلام فيه.

وهذه الوظيفة جزء عظيم من الملك بل هي ثلاثة أركان؛ لأن الملك لا بد له من الجندي والمال والمخاطبة لمن غاب عنه، فاحتاج صاحب الملك إلى الأعون في أمر السيف وأمر القلم وأمر المال، فيفرد صاحبها لذلك بجزء من رئاسة الملك.

وكذلك كان الأمر في دولة بنى أئية بالأندلس والطرائف بعدهم.

وأما في دولة الموحدين فكان صاحبها إنما يكون من الموحدين يستقل بالنظر في استخراج الأموال وجمعها وضبطها وتعقب نظر الولاية والعمال فيها ثم تفيتها على قدرها وفي مواقيتها وكان يعرف بصاحب الأشغال، وكان ربما يليها في الجهات غير الموحدين من يحيطها.

ولما استبد بنو أبي حفص بإفريقية وكان شأن الجالية من الأنجلوس فقدم عليهم أهل البيوتات وفيم من كان يستعمل ذلك في الأنجلوس مثل بنى سعيد أصحاب القلعة جوار غربانة المعروفين ببني أبي الحسن، فاستنكروا بهم في ذلك وجعلوا لهم النظر في الأشغال كما كان لهم بالأندلس وداروا فيها بينهم وبين الموحدين،

الملوك ومقاصد حكامهم من أمثل ذلك، مع ما تدعو إليه عشرة الملوك من القيام على الآداب والتحلّق بالفضائل مع ما يضرّر به في الترسيل وتطبيق مقاصد الكلام من البلاغة وأسرارها.

وقد تكون الرتبة في بعض الدول مستندة إلى أرباب السيف لما يقتضيه طبع الدولة من بعد عن معاناة العلوم لأجل سذاجة العصبية، فيختصون السلطان أهل عصبيته بخبط دولته وسائر رتبه، فيقلد المال والسيف والكتابة فيضرر إلى ذلك فتستغني عن معاناة العلم، وأما المال والكتابة فيضرر إلى ذلك للبلاغة في هذه والحسين في الأخرى، فيختارون لها من هذه الطلبة ما دعت إلى الضرورة ونقلدونه، إلا أنه لا تكون يد آخر من أهل العصبية غالبة على يده ويكون نظره متصراً عن نظره كما هو في دولة الترك لهذا العهد بالشرق، فإن الكتابة عندهم وإن كانت لصاحب الإشارة إلا أنه تحت يد أمير من أهل عصبية السلطان يعرف بالدويدار وتعوييل السلطان ووثقه به، واستئامتها في غالب أحواله إليه وتعوييله على الآخر في أحوال البلاغة وتطبيق المقاصد وكتاب الأسرار وغير ذلك من توابعها.

وأما الشروط المعتبرة في صاحب هذه الرتبة التي يلاحظها السلطان في اختياره وانتقاءه من أصناف الناس فهي كثيرة، وأحسن من استوعبها عبد الحميد الكاتب في رسالته إلى الكتاب وهي:

رسالة عبد الحميد الكاتب إلى الكتاب:

أما بعد: حفظكم الله يا أهل صناعة الكتابة، وحاطكم ووقلكم وأرشدكم، فإن الله عز وجل جعل الناس بعد الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ومن بعد الملوك المكرمين أصنافاً، وإن كانوا في الحقيقة سواء وصرفهم في صنوف الصناعات وضروب المحاولات إلى أسباب معاشهم وأبواب أرزاقهم، فجعلكم عشر الكتاب في أشرف الجهات أهل الأدب والمرؤفات والعلم والرزانة، بكم يتنظم للخلافة محسنتها وتستقيم أمرها، وينصحها يصلح الله للخلق سلطانهم وتمرر بلدانهم، لا يستبني الملك عنكم، ولا يوجد كاف إلا منكم، فموقركم من الملك مرقوم أسماعهم التي بها يسمعون وأوصارهم التي بها يصررون واستئتم التي بها ينطبقون وأيديهم التي بها يطشون، فامتنكم الله بما خصكم من فضل صناعتكم ولا نزع عنكم ما أضفاه من النعم عليكم، وليس أحد من أهل الصناعات كلها أحرج إلى اجتماع خلل الخير المحمودة وحصل الفضل المذكورة المعدودة منكم.

أيها الكتاب: إذا كنت على ما يأتي في هذا الكتاب من صفاتكم، فإن الكاتب يحتاج من نفسه ويحتاج منه صاحبه الذي يتقن

تهذيب الحضارة ولا استحكام الصنائع، وإنما أكيد الحاجة إليها في الدولة الإسلامية شأن اللسان العربي والبلاغة في العبارة عن المقاصد، فصار الكتاب يؤدي كنه الحاجة بابلاع من العبارة السانية في الأكتر، وكان الكاتب للأمير يكون من أهل نسبة ومن عظامه قبيله كما كان للخلفاء وأمراء الصحابة بالشام والعراق لعظم أمرتهم وخلوص أسرارهم، فلما فسد اللسان وصار صناعة اختص من يحيى، وكانت عند بي العباس رفيعة، وكان الكاتب يصدر السجلات مطلقة ويكتب في آخرها اسمه ويختتم عليها بخاتم السلطان وهو طابع منقوش فيه اسم السلطان أو شارته، يغمس في طين أحمر مذاب بالماء ويسمى طين الختم ويطبع به على طرف السجل عند طيه وإلصاقه.

ثم صارت السجلات من بعدهم تصدر باسم السلطان ويضع الكاتب فيها علامته أولًا أو آخرًا على حسب الاختيار في علاتها وفي لفظها، ثم قد تنزل هذه الخطة بارتفاع المكان عند السلطان لغير صاحبها من أهل المراتب في الدولة أو استبداد وزير عليه، فقصير علامه هذا الكتاب ملغاً الحكم بعلامة الرئيس عليه يستدل بها، فيكتب صورة علامته المعهودة والحكم لعلامة ذلك الرئيس، كما وقع آخر الدولة الخصبة لما ارتفع شأن الحجاجية وصار أمرها إلى التفريض ثم الاستبداد، صار حكم العلامة التي للكاتب ملغي وصورتها ثابتة اتباعاً لما سلف من أمرها، فصار الحاجب يرسم للكاتب إمضاء كتابه ذلك بخط يضعه ويتخير له من صيغ الإنفاذ ما شاء فياتر الكاتب له ويضع العلامة المعتادة، وقد يختص السلطان بنفسه بوضع ذلك إذا كان مستبداً بأمره قائمًا على نفسه، فيرسم الأمر للكاتب ليضع علامته.

ومن خطط الكتابة الترقيع، وهو أن مجلس الكاتب بين يدي السلطان في مجالس حكمه وفصله ويوضع على القصص المرفوعة إليه أحکامها والفصل فيها متلقاء من السلطان باوجز لفظ وأبلغه: فاما أن تصير كذلك، وإنما أن يجنو الكاتب على مثلها في سجل يكون يد صاحب القصة، ويحتاج الموقع إلى عارضة من البلاغة يستقيم بها توقيعه، وقد كان جعفر بن يحيى يوقع في القصص بين يدي الرشيد ويرمي بالقصة إلى صاحبها، فكانت توقيعاته يتافقن البلاغة في تحصيلها للوقوف فيها على أساليب البلاغة وفنونها حتى قبل: إنها كانت تباع كل قصيدة منها بدينار، وهكذا كان شأن الدول.

واعلم أن صاحب هذه الخطة لا بد أن يتخير من أرفع طبقات الناس وأهل المروءة والخشمة منهم وزيادة العلم وعارضه البلاغة، فإنه معرض للنظر في أصول العلم لما يعرض في مجالس

وليكن على الضعيف رفيقاً وللمظلوم منصداً، فإن الخلق عباد الله وأحفهم إليه أرفقهم بعياله.

ثم ليكن بالعدل حاكماً وللإشراف مكرماً وللفقيه موفراً وللبلاد عامراً وللرعاية متالفاً وعن آذام متخلفاً، ول يكن في مجلسه متواضعاً حليناً وفي سجلات خارجه واستقضاء حقوقه رفيناً.

وإذا صحب أحدكم رجلاً فليختبر خلقه، فإذا عرف حسنها وقيتها أعنده على ما يواجهه من الحسن واحتال على صرفه مما يهواه من القبح بالطف حيلة وأجمل وسيلة، وقد علمت أن سائس البهيمة إذا كان بصيراً بسياستها التمس معرفة إخلاصها: فإن كانت رموحاً لم يهاجها إذا ركبها، وإن كانت شبوياً انتقاماً من بين يديها، وإن خساف منها شروداً توقاها من ناحية رأسها، وإن كانت حرونًا قمع برقق هواها في طرقها، فإن استمرت عطافها يسيراً فيسلس له قيادها، وفي هذا الوصف من السياسة دلائل لمن ساس الناس وعاملهم وجربهم وداخلهم، والكاتب لفضل أدبه وشريف صنعته ولطيف حيلته ومعاملته لمن يجاوره من الناس ويناظره ويفهم عنه أو يخاف سطورته أولى بالرقى لصاحبه ومداراته وتقويم أوده من سائس البهيمة التي لا تخير جواباً ولا تعرف صواباً ولا تفهم خطاياً، إلا بقدر ما يصيغها إليه صاحبها الراكب عليها، لا فارقونا رحمة الله في النظر واعملوا ما أمكنكم فيه من الروبة والفكير تأمنوا باذن الله من صحبتهم النبوة والاستقال والخلفوة وبصیرتكم إلى المراقبة وتصيروا منه إلى المزاواة والشفقة إن شاء الله.

ولا يجاوزن الرجل منكم في هيبة مجلسه وملبسه ومركته ومطعمه ومشريه وبنائه وخدمه وغير ذلك من فنون أمره قدر حقه، فإنكم مع ما فضلكم الله به من شرف صنعتكم خدمة لا تحملون في خدمتكم على التقصير حفظة لا تتحمل منكم أعمال التضييع والتبذير، واستعينوا على عفافكم بالقصد في كل ما ذكرته لكم وقصصته عليكم، واحذرموا متالل السرف وسوء عاقبة الترف فإنهم يعقبان الفقر ويدلان الرقاب ويفضحان أهلهما ولا سيما الكتاب وأرباب الأدب.

وللأمور أشباه وبعضاً دليل على بعض فاستدلوا على مؤتنف أعمالكم بما سبقت إليه تجربتكم، ثم اسلكوا من مسالك التدبير أو ضمها مجنة وأصدقها حجة وأحددوا عاقبة، واعلموا أن للتدبير آفة متالفة وهو الوصف الشاغل لصاحبه عن إيقاظ علمه ورويته، فليقصد الرجل منكم في مجلسه قصد الكافى من منطقه وليرجز في ابنداته وجوابه، وليخذل مجتمع حجاجه، فإن ذلك مصلحة لفنهle و مدفعة للشاشف عن إثارة وليسرى إلى الله في

به في مهمات أمره أن يكون حليماً في موضع الخصم، فهيمـا في موضع الحكم، مقداماً في موضع الإقدام، محجاً في موضع الإحجام، مؤثراً للعنف والعدل والإنصاف كتماً للأسرار وفيما عند الشدائـد عالماً بما يأتي من التوازـل، يضع الأمور مواضعها والطوارق في أماكنها، قد نظر في كل فن من فنون العلم فأحكمـه وإن لم يمكـمه أخذـه بمقدارـ ما يكـفيـ بهـ يـعرفـ بـغـرـيزـةـ عـقلـهـ وـحسـنـ أـبـهـ وـفـضـلـ تـجـربـتـهـ ماـ يـردـ عـلـيـهـ قـبـلـ وـرـوـدـهـ وـعـاقـبـةـ ماـ يـصـدـرـ عـنـ قـبـلـ صـدـورـهـ، فـيـعـدـ لـكـلـ أـمـرـ عـدـتـهـ وـعـتـادـهـ وـيـهـيـ لـكـلـ وـجـهـ هـيـتـهـ وـعـادـتـهـ، فـتـافـسـواـ يـاـ مـعـشـرـ الـكـتـابـ فـيـ صـنـوـفـ الـآـدـابـ وـتـقـهـمـهـ فـيـ الـدـيـنـ وـابـدـؤـواـ بـعـلـمـ كـتـابـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ وـالـفـرـانـضـ ثـمـ الـعـرـبـيـةـ، فـإـنـهاـ ثـقـافـ الـسـتـكـمـ، ثـمـ أـجـدـواـ الـحـظـ فـإـنـهـ حـلـيـةـ كـتـبـكـمـ، وـارـوـواـ الـأـشـعـارـ وـاعـرـفـاـ غـرـيـبـهـاـ وـمـعـانـيـهـاـ وـأـيـامـ الـعـرـبـ وـالـعـجمـ وـأـحـادـيـثـهـاـ وـسـيـرـهـاـ، فـإـنـ ذـلـكـ مـعـينـ لـكـمـ عـلـىـ مـاـ تـسـمـ إـلـيـهـ هـمـمـكـمـ، وـلـاـ تـضـيـعـواـ الـنـظـرـ فـيـ الـحـسـابـ فـإـنـهـ قـوـامـ كـتابـ الـخـرـاجـ.

وارـغـبـواـ بـأـنـفـسـكـمـ عـنـ الطـامـعـ سـنـيـهاـ وـدـنـيـهاـ وـسـفـافـ الأـمـرـ وـمـحـاـقـهـاـ، فـإـنـهاـ مـذـلـةـ لـلـرـقـابـ مـفـسـدـةـ لـلـكـتـابـ، وـنـزـهـواـ صـنـاعـتـكـمـ عـنـ الدـنـاءـ وـارـبـوـواـ بـأـنـفـسـكـمـ عـنـ السـعـيـةـ وـالـنـعـيـمـ وـمـاـ فـيـ أـهـلـ الـجـهـالـاتـ، وـلـيـاـكـمـ وـالـكـبـرـ وـالـسـخـفـ وـالـعـظـمـةـ فـإـنـهاـ عـدـاءـ مجـلـبـةـ مـنـ غـيرـ إـحـنـةـ، وـتـحـابـواـ فـيـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ فـيـ صـنـاعـتـكـمـ وـتـوـاصـواـ عـلـيـهـ بـالـذـيـ هـوـ الـيـقـنـ لـأـهـلـ الـفـضـلـ وـالـمـسـدـلـ وـالـتـبـلـ مـنـ سـلـفـكـمـ، وـإـنـ زـيـانـ بـرـجـلـ مـنـكـمـ فـاعـطـفـواـ عـلـيـهـ وـوـاسـوـهـ حـتـىـ يـرـجـعـ إـلـيـهـ حـالـهـ وـيـثـوبـ إـلـيـهـ أـمـرـهـ، وـإـنـ أـقـدـ أحـدـ مـنـكـمـ الـكـبـرـ عـنـ مـكـبـهـ وـلـقـاءـ إـخـرـانـهـ فـزـرـوـهـ وـعـظـمـوـهـ وـشـاـورـهـ وـاسـتـظـهـرـواـ بـفـضـلـ تـجـربـتـهـ وـقـدـيـمـ مـعـرـفـتـهـ، وـلـيـكـنـ الرـجـلـ مـنـكـمـ عـلـىـ مـنـ اـصـطـنـعـهـ وـاسـتـظـهـرـهـ بـلـيـوـمـ حاجـتـهـ إـلـيـهـ أـحـرـطـ مـنـهـ عـلـىـ وـلـدـهـ وـأـخـيـهـ، فـإـنـ عـرـضـتـ فـيـ الشـغـلـ حـمـدـةـ فـلـاـ يـصـرـفـهـ إـلـاـ إـلـىـ صـاحـبـهـ، وـإـنـ عـرـضـتـ مـذـمـةـ فـلـيـحـمـلـهـ هـوـ مـنـ دـوـنـهـ وـلـيـحـذـرـ السـقـطـةـ وـالـزـلـةـ وـالـمـلـلـ عـنـ تـغـيرـ الـحـالـ، فـإـنـ عـيـبـ إـلـيـكـمـ مـعـشـرـ الـكـتـابـ أـسـرـعـ مـنـهـ إـلـىـ الـقـراءـ وـهـوـ لـكـمـ أـنـسـدـ مـنـهـ لـهـ، فـقـدـ عـلـمـتـ أـنـ الرـجـلـ مـنـكـمـ إـذـا صـحـبـهـ مـنـ يـيـذـلـ لـهـ مـنـ نـفـسـهـ مـاـ يـجـبـ لـهـ عـلـيـهـ مـنـ حـقـهـ فـوـاجـبـ عـلـيـهـ أـنـ يـعـقـدـ لـهـ مـنـ وـقـائـهـ وـشـكـرـهـ وـاحـتـمالـهـ وـخـيرـهـ وـنـصـيـحـهـ وـكـتـمانـ سـرـهـ وـتـدـبـيرـ أـمـرـهـ مـاـ هـوـ جـزـاءـ لـهـ، وـيـصـدقـ ذـلـكـ بـفـعـالـهـ عـنـ الـحـاجـةـ إـلـيـهـ وـالـأـضـطـرـارـ إـلـيـ مـاـ لـدـيـهـ، فـاـسـتـشـعـرـواـ ذـلـكـ وـفـقـمـ اللـهـ مـنـ أـنـفـسـكـمـ فـيـ حـالـةـ الـرـخـاءـ وـالـشـدـةـ وـالـخـرـمانـ وـالـمـؤـاسـةـ وـالـإـحـسـانـ وـالـسـرـاءـ وـالـضـرـاءـ، فـتـعـمـتـ الشـيـمـةـ هـذـهـ مـنـ وـسـمـ بـهـاـ أـهـلـ هـذـهـ الصـنـاعـةـ الـشـرـيفـةـ، وـإـذـا وـلـيـ الرـجـلـ مـنـكـمـ أـوـ صـيرـ إـلـيـهـ مـنـ أـمـرـ خـلـقـ اللـهـ وـعـيـالـهـ أـمـرـ فـلـيـرـاقـبـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ وـلـيـؤـثـرـ طـاعـتـهـ

على أيديهم في الظلامات وعلى أيدي أقاربهم ومن اليهم من أهل الجاه، وجعل صاحب الصغرى خصوصاً بالعامة ونصب لصاحب الكبرى كرسي بباب دار السلطان ورجال يتبرؤون المقادير بين يديه، فلا يرون عنها إلا في تصريفه وكانت ولايتها للأكابر من رجالات الدولة حتى كانت ترشيحاً للوزارة والمحاجة.

وأما في دولة الموحدين بالمغرب فكان لها حظ من التزوير وإن لم يجعلوها عامة، وكان لا يليها إلا رجالات الموحدين وكبارهم، ولم يكن له التحكم على أهل المراتب السلطانية، ثم فسد اليوم منصبها وخرجت عن رجال الموحدين وصارت ولايتها لن قام بها من المصطعين.

وأما في دولةبني مرين لهذا العهد بالشرق فولاتها في بيروت من مواليهم وأهل اصطناعهم، وفي دولة الترك بالشرق في رجالات الترك أو أعقاب أهل الدولة قبلهم من الكرد يتخيرونهم هم في النظر بما يظهر منهم من الصلابة والمضاء في الأحكام؛ لقطع مواد الفساد وحسم أبواب الدعاية وتغريب مواطن الفسق وفرق جامعه مع إقامة الحدود الشرعية والسياسة كما تقضيه رعاية الصالح العامة في المدينة، والله مقلب الليل والنهار وهو العزيز الجبار والله تعالى أعلم.

### قيادة الأسطيل:

وهي من مراتب الدولة وخطتها في ملك المغرب وإفريقية ومرؤوسة لصاحب السيف وتحت حكمه في كثير من الأحوال، ويسمى أصحابها في عرفهم الملوك بتخيم اللام منقولاً من لغة الإفرنجية، فإنه اسمها في اصطلاح لغتهم، وإنما اختارت هذه المرتبة بملك إفريقية والمغرب؛ لأنهما جبعاً على ضفة البحر الرومي من جهة الجنوب وعلى عدوته الجنوبي بلاد البربر كلهم من سبطة إلى الإسكندرية إلى الشام، وعلى عدوته الشمالية بلاد الأنجلوس والإفرنجية والصقالبة والروم إلى بلاد الشام أيضاً، ويسمى البحر الرومي والبحر الشامي نسبة إلى أهل عدوته، والساكنون بسيف هذا البحر وسواحله من عدوته يعادون من أحواله ما لا تعيشه أمة من أمم البحار، فقد كانت الروم والإفرنجية والقوط بالعدوة الشمالية من هذا البحر الرومي، وكانت أكثر حروبهم ومتاجرهم في السفن، فكانوا مهراً في ركوبه وال الحرب في أسطوليه ولما أسف من أسفائهم إلى ملك العدوة الجنوبي مثل الروم إلى إفريقية والقوط إلى المغرب أجازوا في الأسطول وملكونها ونقلبوا على البرير بها وانتزعوا من أيديهم أمرها، وكان لهم بها المدن الخالية مثل قرطاجنة وسيطالة وجبلاء ومناق ورشاش وطنجة، وكان صاحب قرطاجنة من قبليهم يحارب صاحب روما ويعيث

صلة توفيقه وإمداده بتسديده خافة وقوعه في الغلط المضري به وعتله وأدبه، فإنه إن ظن منكم ظان أو قال قائلاً: إن الذي سرز من جليل صيته وقوة حركته إنما هو بفضل حيلته وحسن تدبيره فقد تعرض محسن بظنه أو مقالته إلى أن يكله الله عزوجل إلى نفسه فيصير منها إلى غير كاف، وذلك على من تأمله غير خاف، ولا يقول أحد منكم إنه أبصر بالأمور وأحمل لعبه التدبير من مراقبه في صناعته ومصاحبه في خدمته، فإن أعقل الرجالين عند ذوي الأباب من رمى بالعجب وراء ظهره ورأى أن أصحابه أعقل منه وأجل في طريقة، وعلى كل واحد من الفريقين أن يعرف فضل نعم الله جل ثناؤه من غير أغترار برأيه ولا تزكيه لنفسه، ولا يكثير على أخيه أو نظيره وصاحب وعشيرة، وحد الله واجب على الجميع وذلك بالتواضع لعظمته والتخلل لعزته والتحدث بعمته.

وأنا أقول في كتابي هذا ما سبق به المثل: (من تلزمه الصيحة يلزمه العمل) وهو جوهر هذا الكتاب وغرة كلامه بعد الذي فيه من ذكر الله عزوجل، فلذلك جعلته آخره وعمته به، تولانا الله وإياكم يا معاشر الطلبة والكتبة بما يتول به من سبق عليه بإسعاده وإرشاده، فإن ذلك إليه وبهذه السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. آه.

### الشرطة:

ويسمى أصحابها لهذا العهد بآفاقية الحكم وفي دولة أهل الأنجلوس صاحب المدينة وفي دولة الترك الراوي. وهي وظيفة مرؤوسة لصاحب السيف في الدولة وحكمه نافذ في أصحابها في بعض الأحيان، وكان أصل وضعها في الدولة العباسية لمن يقيم أحكام الجرائم في حال استبدانها أولأ ثم الحدود بعد استيفائها، فإن التهم التي تعرض في الجرائم لا نظر للشرع إلا في استيفاء حدودها، وللسياسة النظر في استيفاء موجباتها يقرار يكرهه عليه الحكم إذا احتفت به القرائن لما توجه المصلحة العامة في ذلك، فكان الذي يقوم بهذا الاستبداد وياستيفاء الحدود بعده إذا تزه عنه القاضي يسمى صاحب الشرطة، وربما جعلوا إليه النظر في الحدود والدهماء ياطلاق، وأفردوها من نظر القاضي ونزهوا هذه المرتبة وقلدوها كبار القواد وعظماء الخاصة من مواليهم، ولم تكن عامة التنفيذ في طبقات الناس إنما كان حكمهم على الدهماء وأهل الريب والضرب على أيدي الرعاع والفجرة.

ثم عظمت نبايتها في دولة بي أمية بالأأنجلوس ونوعت إلى شرطة كبرى وشرطة صغرى، وجعل حكم الكبرى على الخاصة والدهماء، وجعل له الحكم على أهل المراتب السلطانية والضرب

يختلف او غرض سلطاني مهم عسكرت بعرفها المعلوم و شحنتها  
السلطان برجاله والنجاد عساكرة ومواليه وجعلهم لنظر امير واحد  
من أعلى طبقات اهل مملكته يرجعون كلهم إليه، ثم يسرحهم  
لرجهم ويستظر اياهم بالفتح والغنممة.

الأساطيل لحربي مشحونة بالمساكر والمدد، فكانت هذه عادة لأهل هذا البحر الساكنين حفافيه معروفة في القديم والحديث.

ولما ملك المسلمين مصر كتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أن صفت لي البحر، فكتب إليه: (إن البحر خلق عظيم يركبه خلق ضعيف دود على عود) فأوعز حينئذ بمنع المسلمين من ركوبه ولم يركبه أحد من العرب إلا من افتات على عمر في ركبته ونال من عقابه، كما فعل بعرفجة بن هرثمة الأزدي سيد مجيلة لما أغرى عمان فبلغه غزو في البحر، فانكر عليه وعنده أنه ركب البحر للغزو، ولم يزل الشأن ذلك حتى إذا كان له عهد معاوية أذن للMuslimين في ركبته والجهاد على أعواذه، والسبب في ذلك أن العرب لما وادتهم لم يكونوا أول الأمر مهرة في تقافته وركبته والسرور والإفرخة لممارستهم أحواله ومرابطه في التقلب على أعواذه منروا عليه وأحكموا الدرابة بتفاقته.

فلم استقر الملك للعرب وشمخ سلطانهم وصارت أمم العرب خولاً لهم وتحت أيديهم وتقرب كل ذي صنعة إليهم بمبلغ صناعته، واستخدموها من النواة في حاجاتهم البحرية أهلاً، وتذكرت ممارساتهم للبحر وتفاقته استحدثوا بصراء بها فشرعوا إلى الجهاد فيه وأنشؤوا السفن فيه والشوانى، وشحذوا الأساطيل بالرجال والسلاح وأمطروا العساكر والمقاتلة لمن وراء البحر من أمم الكفر، واختصوا بذلك من مالكم وثغورهم ما كان أقرب لهذا البحر وعلى حافته مثل الشام وإفريقية والمغرب والأندلس، وأوزع الخليفة عبد الملك إلى حسان بن النعمان عامل إفريقية باتخاذ دار الصناعة بتونس لإنشاء الآلات البحرية حرصاً على مراسيم الجهاد ومنها كان فتح صقلية أيام زيادة الله الأول بن إبراهيم بن الأغلب على يد أسد بن الفرات شيخ الفتيا وفتح قورصرة أيضاً في أيامه، بعد أن كان معاوية بن حدبي أغزى صقلية أيام معاوية بن أبي سفيان فلم يفتح الله على يديه وفتحت على يد ابن الأغلب وقاده أسد بن الفرات، وكانت من بعد ذلك أساطيل إفريقية والأندلس في دولة العبيدين والأمويين تتعاقب إلى بلادهما في سبيل الفتنة فتجوس خلال السواحل بالإفساد والتخريب.

وانتهى أسطول الأنجلو-أمريكي إلى الناصر إلى مائتي مركب أو نحوها، وأسطول إفريقيا كذلك مثله أو قريباً منه، وكان قائد الأساطيل بالأنجليز ابن رسامس ومرفأها للحط والإقلاع بجهة والمرية، وكانت أساطيلها مجتمعة من سائر المالك من كل بلد ينحدر فيه السفن أسطول يرجع نظره إلى قائد من النواية يدبر أمر حربه وسلامه ومقاتلته ورئيس يدير أمر جنته بالربح أو بالخانع، وأمر إرسائه في مرافقه، فإذا اجتمعت الأساطيل لغزو

وكان المسلمون لهيد الدولة الإسلامية قد غلبوا على هذا البحر من جميع جوانبه وعظمت صوافتهم وسلطانهم فيه، فلم يكن للأمم النصرانية قيل بأساطيلهم بشيء من جوانبه وامتطوا ظهراً للفتح سائر أيامهم / فكانت لهم المقامات المعلومة من الفتح والغائم وملدوا سائر الجزائر المنقطعة عن السواحل فيه مثل مبورقة ومينورقة وبابسة وسردانية وصقلية وقرصرة ومالطة وأقريطش وقرص سائر مالك الروم والإفرنج، وكان أبو القاسم الشيعي وأبا ناؤه يغزوون أساطيلهم من المهدية جزيرة جنوة فتنقلب بالظفر والنتيمة، وافتتح عباد العامری صاحب دائنة من ملوك الطوائف جزيرة سردانية في أساطيله سنة خمس وأربعين وثمانمائة وارتعشوا الصارى لرقتها والمسلمون خلال ذلك كله قد تغلبوا على كثير من جله هذا البحر، وصارت أساطيلهم فيهم جائحة وذاهبة والعساكر الإسلامية تحيز البحر في الأساطيل من صقلية إلى البر الكبير المقابل لها من العدو الشمالية، فتوّق ملوك الإفرنج وتشن في ممالكهم كما وقع في أيام نبي الحسين ملوك صقلية القائمين فيها بدعاوة العبيد، والماهارت أسم النصرانية بأساطيلهم إلى الجانب الشمالي الشرقي منه من سواحل الإفرنجية والصقالبة وجائز رومانية لا يعدونها، وأساطيل المسلمين قد ضربت عليهم ضراء الأسد على فريسته وقد ملأت الأكثر من بيسيط هذا البحر عدة وعدداً، وانختلفت في طرقه سلماً وحرباً فلم تسجع للنصرانية فيه الواح.

حتى إذا أدرك الدولة العبيدية والأموية الفشل وال وهن  
وطرقتها الاعتلال، مد النصارى أيديهم إلى جزائر البحر الشرقي  
مثل صقلية وإقريطش ومالطة فملکلها ثم أخوا على سواحل  
الشام في تلك الفترة وملکوا طرابلس وعسقلان وصور وعكا  
واستولوا على جميع التغور بسواحل الشام، وغلبوا على بيت  
القدس وبنوا عليه كنيسة لإظهار دينهم وعبادتهم، وغلبوا بني  
خرزون على طرابلس ثم على قابس وصفاقس ووضعوا عليهم  
الجزية، ثم ملکوا المهدية مقراً ملوك العبيدين من يد أعقاب بلکين  
بن زيري وكانت لهم في المائة الخامسة الكرة بهذا البحر، وضفت  
شان الأساطيل في دولة مصر والشام إلى أن انقطع ولم يعتروا بشيء  
من أمره لهذا العهد بعد أن كان لهم به في الدولة العبيدية عناية  
تجاورت الحدود كما هو تجائز في أخبارهم فبطل رسم هذه

هذا البحر من الاستطالة وعدم عنابة الدول بمصر والشام لذلك العهد وما بعده بشأن الأساطيل البحرية والاستعداد منها للدولة، ولما هلك أبو يعقوب المنصور واعتلت دولة المرحدين واستولت أمم الجلالة على الأكثر من بلاد الأندلس وأخروا المسلمين إلى سيف البحر وملكوا الجزائر التي بالجانب الغربي من البحر الروسي قويت ريحهم في بسيط هذا البحر واشتد شوكتهم وكثرت فيه أساطيلهم، وتراجعت قوة المسلمين فيه إلى المساواة معهم، كما وقع لعهد السلطان أبي الحسن ملك زناتة بالغرب، فإن أساطيله كانت عند مرأمة الجهاد مثل عدة النصرانية وعددهم.

ثم تراجعت عن ذلك قوة المسلمين في الأساطيل لضعف الدولة ونسفان عوائد البحر بكثرة العرائد البدوية بالغرب وانقطاع العرائد الأندلسية، ورجع النصارى فيه إلى دينهم المعروف من الدرية فيه والمران عليه والبصر ياحواله وغلب الأمم في جهته وعلى أمراءه، وصار المسلمون فيه كالأجانب إلا قليلاً من أهل البلاد الساحلية لهم المران عليه لرو وجدوا كثرة من الأنصار والأغوان أو قوة من الدولة تستجيش لهم أمراً وترضح لهم في هذا الغرض مسلكاً، وبقيت الرتبة لهذا العهد في الدولة الغربية محفوظة والرسم في معاناة الأساطيل بالإنشاء والركوب معهوداً لما عسان أن تدعوه إليه الحاجة من الأغراض السلطانية في البلاد البحرية، والمسلمون يستهونون الريح على الكفر وأهله، فمن المشهور بين أهل المغرب عن كتب الجداث أن لا بد للMuslimين من الكفة على النصرانية وافتتاح ما وراء البحر من بلاد الإفرنجية، وأن ذلك يكون في الأساطيل، والله ولي المؤمنين وهو حسبنا ونعم الوكيل.

## الفصل الخامس والثلاثون

### في الفتاوت بين مراتب السيف والقلم في الدول

اعلم أن السيف والقلم كلامهما آلة لصاحب الدولة يستعين بهما على أمره، إلا أن الحاجة في أول الدولة إلى السيف ما دام أنها في تمييز أمرهم أشد من الحاجة إلى القلم، لأن القلم في تلك الحال خادم فقط متقد للحكم السلطاني والسيف شريك في المعركة، وكذلك في آخر الدولة حيث تتضاعف عصبيتها كما ذكرناه ويقل أمرها بما ينالهم من المرم الذي قدمناه، فتحتاج الدولة إلى الاستظهار بأرباب السيوف وتقوى الحاجة إليهم في حياة الدولة

الوظيفة هنالك وبقيت يافريقيا والمغرب فصارت مختصة بها، وكان الجانب الغربي من هذا البحر لهذا العهد مرفور الأساطيل ثابت القرفة لم يتخيّف العدو ولا كانت لهم به كرّة، فكان قائد الأسطول به له عهد لتوينة بي ميمون رئيس جزيرة قادس ومن أيديهم أخذها عبد المؤمن بتسلیمهم وطاعتهم وانتهى عدد أساطيلهم إلى المائة من بلاد العدوتين جميعاً.

ولا استفحلت دولة المرحدين في المائة السادسة وملوكها العدوتين أقاموا خطبة هذا الأسطول على أم ما عرف وأعظم ما عهد، وكان قائد أسطولهم أحد الصقلي، أصله من صديغار الموطنين بجزيرة جربة من سرويكيش أسرة النصارى من سواحلها وربى عندهم واستخلصه صاحب صقلية واستكفاء ثم هلك، وولي ابنه فاسخطه بعض التزعّمات وخشي على نفسه ولحق بتونس وزُل على السيد بها من بي عبد المؤمن وأجاز مراكش فتلقاء الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بالبرة والكرامة وأجزل له الصلة وقلده أمر أساطيله، فجلّ فيجهاد أمم النصرانية، وكانت له آثار وأخبار ومقامات مذكورة في دولة المرحدين. وانتهت أساطيل المسلمين على عهده في الكثرة والاستجادة إلى ما لم تبلغه من قبل ولا بعد فيما عهدهنا.

ولما قام صلاح الدين يوسف بن أبوب ملك مصر والشام لعهده باسترجاع ثغور الشام من يد أمم النصرانية وتطهير بيت المقدس تابعت أساطيلهم بالمد للذكث الثغور من كل ناحية قرية لبيت المقدس الذي كانوا قد استولوا عليه، فأتمدوهم بالعدد والأقوات ولم تقاومهم أساطيل الإسكندرية لاستمرار الغلب لهم في ذلك الجانب الشرقي من البحر وتعدد أساطيلهم فيه وضعف المسلمين منذ زمان طويل عن ممانعتهم هناك كما أشرنا إليه قبل، فاُؤفِد صلاح الدين على أبي يعقوب المنصور سلطان المغرب لعهده من المرحدين رسوله عبد الكريم بن متقن من بي متقن ملوك شizer، وكان ملكها من أيديهم وأبقى عليهم في دولته، فبعث عبد الكريم منهم هذا إلى ملك المغرب طالباً مدد الأساطيل ليحول في البحر بين أساطيل الأجانب وبين مرادهم من إمداد النصرانية بثغر الشام وأصحابه كتابه إليه في ذلك من إنشاء الفاضل البيساني يقول في افتتاحه: (فتح الله لسيادنا أبواب المناجع والميامن) حسبما نقله العmad الأصفهاني في كتاب «الفتح القدس» فنقم عليهم المنصور تحفيفهم عن خطابه بأمير المؤمنين وأسرها في نفسه وحملهم على مناهج البر والكرامة وردهم إلى مرسليمهم ولم يجيء إلى حاجته من ذلك، وفي هذا دليل على اختصاص ملك المغرب بالأساطيل وما حصل للنصرانية في الجانب الشرقي من

بانفعال الإبل بالحناء والخيل بالصفيرو والمصريخ كما علمت، ويزيد ذلك تأثيراً إذا كانت الأصوات متناسبة كما في الغناء وأنت تعلم ما يحدث لسامعه من مثل هذا المعنى؛ ولأجل ذلك تأخذ العجم في مواطن حرويهم الآلات الموسيقية لا طبلاً ولا برقاً فيحدق المغنون بالسلطان في موكيه بالآلة لهم ويعنون فيحركون نفوس الشجعان بضربيهم إلى الاستماتة، ولقد رأينا في حروب العرب من يتعني أمام المركب بالشعر ويطرد فتجيش همم الأبطال بما فيها ويسارعون إلى مجال الحرب وينبعث كل قرن إلى قرن، وكذلك زناثة من أمم المغرب يتقدم الشاعر عندهم أمام الصفوف ويتغنى فيحرك بعناته الجبال الرواسي ويعث على الاستماتة من لا يظن بها ويسمون ذلك الغناء تصوّراً كاً وأصله كلّه قرح يحدث في النفس فتبعث عنه الشجاعة كما تبّعث عن نشوة الخمر بما حدث عنها من الفرج والله أعلم.

وأما تكثير الرایات وتلويتها وإطالتها فالقصد به التهويل لا أكثر، وربما يحدث في النقوس من التهويل زيادة في الإقدام، وأحوال الفروس وتلويتها غريبة والله الخلاق العليم.

ثم إن الملوك والدول يختلفون في اتخاذ هذه الشارات: فعنهم مكثر ومنهم مقلل بحسب أتساع الدولة وعظمها، فاما الرایات فإنها شعار الحروب من عهد الخليقة، ولم تزل الأمم تعقدتها في مواطن الحروب والغزوات لعهد النبي ﷺ ومن بعده من الخلفاء.

واما قرع الطبول والنفع في الأبواق فكان المسلمون لأول الملة متاجفين عنه تنبعها عن غلطة الملك ورفضاً لأحواله واحتقاراً لأبهته التي ليست من الحق في شيء، حتى إذا انقلب الخلافة ملكاً وبيحروا بزهرة الدنيا ونعيها ولابهم الموالى من الفرس والروم أهل الدول السالفة وأرورهم ما كان أولئك يتحلونه من مذاهب البذخ والترف، فكان مما استحسنه اتخاذ الآلة فاخذوها وأنذروا لعمالهم في اتخاذها تنزيهاً بالمللوك وأهله، فكثيراً ما كان العامل صاحب الشغف أو قائد الجيش يعقد له الخليفة من العباسين أو العبيدين لواهه وخرج إلى بيته أو عمله من دار الخليفة أو داره في موكب من أصحاب الرایات والآلات، فلا يميز بين موكب العامل وال الخليفة إلا بكترة الألوية وقلتها أو بما اختص به الخليفة من الألوان لربّته، كالسوداد في رایات بني العباس، فإن رایاتهم كانت سوداء حزناً على شهدائهم من بني هاشم ونعياً على بني أمية في قتلهم ولذلك سموا المسودة.

ولما افترق أمر الهاشمين وخرج الطالبيون على العباسين في كل جهة وعصر ذلك سائر أيام العبيدين ومن خرج من الطالبيين وسموا المبيضة لذلك سائر أيام العبيدين

واللدافعة عنها كما كان الشأن أول الأمر في تميدها، فيكون للسيف مزية على القلم في الحالتين ويكون أرباب السيوف حيثذا أوسع جاهماً وأكثر نعمة وأسنى إقطاعاً، وأما في وسط الدولة فيستغني صاحبها بعض الشيء عن السيوف لأنه قد تمهد أمره ولم يبقَ منه إلا في تحصيل ثمرات الملك من الجباية والضبط وبمهابة الدول وتنفيذ الأحكام، والقلم هو المعين له في ذلك، فتعظم الحاجة إلى تصرفه، وتكون السيوف مهملاً في ماضجع أغmadها إلا إذا نابت ناثبة أو دعيت إلى سد فرجة وما سوى ذلك، فلا حاجة إليها فيكون أرباب الأقلام في هذه الحاجة أوسع جاهماً وأعلى رتبة وأعظم نعمة وثروة وأقرب من السلطان مجلساً وأكثر إليه ترددًا وفي خلواته نحياناً لأنه حيثذا أكمل التي بها يستظهر على تحصيل ثمرات ملكه والنظر في أعطافه وتنقيف أطرافه والمباهاة بأحواله، ويكون السوزراء حيثذا وأهل السيوف مستغلياً عنهم بمعددين عن باطن السلطان حذرين على أنفسهم من بوادره.

وفي معنى ذلك ما كتب به أبو مسلم للمنصور حين أمره بالقدوم: (اما بعد فإنه ما حفظناه من وصايا الفرس: أخروف ما يكون الوزراء إذا سكنت الدعاماء ستة الله في عباده والله سبحانه وتعالى أعلم).

## الفصل السادس والثلاثون

### في شارات الملك والسلطان الخاصة به

اعلم أن للسلطان شارات وأحراولاً تقتضيها الأبهة والبذخ فيختص بها و يتميز باتصالها عن الرعية والبطانة وسائر الرؤساء في دولته، فنذكر ما هو مشهور منها يبلغ المعرفة **«وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلَيْهِ»**.

**الآلة:** فمن شارات الملك اتخاذ الآلة من نشر الألوية والرایات وقرع الطبول والنفع في الأبواق والقرоون، وقد ذكر أرسطو في الكتاب المنسوب إليه في السياسة أن السر في ذلك إرهاب العدو في الحرب، فإن الأصوات المائلة لها تأثير في النفوس بالبروعة، ولعمري أنه أمر وجداً في مواطن الحرب يجده كل أحد من نفسه، وهذا السبب الذي ذكره أرسطو. إن كان ذكره فهو صحيح بعض الاعتبارات. وأما الحق في ذلك فهو أن النفس عند سماع النغم والأصوات يدركها الفرج والطرب بلا شك، فيصيب مزاج الروح نشوة يستهل بها الصعب ويستميت في ذلك الوجه الذي هو فيه، وهذا موجود حتى في المخلوقات العجم

مجلسه أن يسارفهم في الصعيد، ولم ينزل ذلك من سمن الملوك قبل الإسلام وفي دول العجم، وقد كانوا يجلسون على أسرة النهب، وكان لسليمان بن داود صلوات الله عليهما وسلامه كرسى سرير من عاج مغشى بالذهب، إلا أنه لا تأخذ به الدول إلا بعد الاستفحال والترف شأن الأبهة كلها كما قلناه، وأما في أول الدولة عند البداوة فلا يتشارفون إليه.

وأول من اتخذه في الإسلام معاوية واستاذن الناس فيه وقال لهم: إني قد بذلت؛ فأذنوا له، فأخذنه وأتبعه الملوك الإسلاميون فيه وصار من منازع الأبهة.

ولقد كان عمرو بن العاص يصر مجلس في قصره على الأرض مع العرب وبaitه المقوس إلى قصره ومعه سرير من الذهب محول على الأيدي جلوسه شأن الملك فيجلس عليه وهو أمامة ولا يغيرون عليه وفاءً له بما عقد مهم من الذمة واطرافاً لأبهة الملك، ثم كان بعد ذلك لبني العباس والعبيدين وسائر ملوك الإسلام شرقاً وغرباً من الأسرة والمنابر والتغوث ما عفا عن الأكاسرة والقياصرة، والله مقلب الليل والنهار.

السكة: وهي الختم على الدنانير والدرارم التعامل بها بين الناس بطريق حديد ينقش فيه صور أو كلمات مقلوبة ويضرب بها على الدينار أو الدرهم، فتخرج رسوم تلك النقش عليها ظاهرة مستقيمة بعد أن يعترب عيار النقد من ذلك الجنس في خلوصه بالسبك مرة بعد أخرى، وبعد تقدير أشخاص الدرارم والدنانير بوزن معين صحيح يصطليح عليه فيكون التعامل بها عدداً، وإن لم تقدر أشخاصها يكون التعامل بها وزناً.

ولفظ السكة كان اسماً للطابع وهي الجديدة المتخذة لذلك ثم نقل إلى أثراها، وهي النقش الثالثة على الدنانير والدرارم، ثم نقل إلى القيام على ذلك والنظر في استيفاء حاجاته وشروطه وهي الوضيفة، فصار علماً عليها في عرف الدول وهي وظيفة ضرورية للملك، إذ بها يتميز الحالص من المغشوش بين الناس في القرود عند المعاملات ويتقون في سلامتها الغش يختتم السلطان عليها بتلك النقش المعرفة وكان ملوك العجم يتذخرونها وينقشون فيها تماثيل تكون مخصوصة بها مثل تمثال السلطان لمدهما أو تمثيل حصن أو حيوان أو مصنوع أو غير ذلك، ولم ينزل هذا الشأن عند العجم إلى آخر أمرهم.

ولما جاء الإسلام ألغى ذلك لسذاجة الدين وبداؤه العرب وكانتا يتعاملون بالذهب والفضة وزناً، وكانت دنانير الفرس ودرارهم بين أيديهم يردونها في معاملتهم إلى الوزن ويتشارفون

في ذلك العهد بالشرق كالداعي بطرستان وداعي صعدة أو من دعا إلى بدعة الرافضة من غيرهم كالفرامطة، ولما نزع المأمون عن لبس السواد وشعاره في دولته عدل إلى لون الخضراء، فجعل رايته خضراء. وأما الاستكثار منها فلَا ينتهي إلى حد، وقد كانت آلة العبيدين لما خرج العزيز إلى فتح الشام خمسة من البنود وخمسة من الأبواب.

وأما ملوك البربر بالمغرب من صنهاجة وغيرها فلم يختصوا بلون واحد بل وشووها بالذهب واتخذوها من الحرير الحالص ملونة واستمروا على الإذن فيها لعمالهم، حتى إذا جاءت دولة الموحدين ومن بعدهم من زناتة قصروا الآلة من الطبول والبنود على السلطان وحظرواها على من سواه من عماله وجعلوا لها موكباً خاصاً يتبعد أثر السلطان في مسيره يسمى الساقية وهم فيه بين مكث ومقيل باختلاف مذاهب الدول في ذلك: فمتهם من يقتصر على سبع من العدد تبركاً بالسبعين كما هو في دولة الموحدين وفي الآخر بالأندلس، ومنهم من يبلغ العشرة والعشرين كما هو عند زناته، وقد بلغت في أيام السلطان أبي الحسن فيما أدركناه مائة من الطبول ومائة من البنود ملونة بالحرير منسوجة بالذهب ما بين كبير وصغير ويأتون للولاة والعمال والقواد في اتخاذ راية واحدة صغيرة من الكتان يمساه وطلب صغير أيام الحرب لا يتجاوزون ذلك.

وأما دولة الترك لهذا العهد بالشرق فيتخذون أولاً راية واحدة عظيمة وفي رأسها خصلة كبيرة من الشعر يسمونها الشالش والجتر، وهي شعار السلطان عندهم، ثم تعدد الرايات ويسونها السنابق واحدها سنجق وهي الراية بلسائهم. وأما الطبول فيبالغون في الاستكثار منها ويسونها الكوكسات ويسحبون لكل أمير أو قائده عسکر أن يتخذ من ذلك ما يشاء إلا الجتر فإنه خاص بالسلطان.

وأما الجلالة لهذا العهد من أمم الإفرنجية بالأندلس فأكثر شانتهم اتخاذ الألولية القليلة ذاهبة في الجو صعداً ومعها قرع الأوتاب من الطابير وفتح الغيطات يذهبون فيها منصب الغناء وطريقه في مواطن حروبهم، وهكذا يبلغنا عنهم وعن ورائهم من ملوك العجم «وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْيَالُ أَسْبَابِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِذَا فِي ذَلِكَ لَكَيَاتٌ لِلْعَالَمِينَ».

السرير: وأما السرير والمنبر والتخت والكرسي، فهو أعداء منصورية أو أرائك منضدة جلوس السلطان عليها مرتفعاً عن أهل

ولما جاءت دولة الموحدين كان ما سُنّ له المهدى اتخاذ سكّة الدرهم مربع الشكل وإن يرسم في دائرة الدينار شكل مربع في وسبيه وإنّا من أحد الجنانين تهليلاً وتحميداً، ومن الجانب الآخر كثيراً في السطور باسمه واسم الخلفاء من بعده، ففعل ذلك المروحيون وكانت سكتهم على هذا الشكل لهذا العهد، ولقد كان المهدى فيما ينقل ينعت قبل ظهوره بصاحب الدرهم المربع، نعمته بذلك التكلمون بالحدثان من قبله المخربون في ملامحهم عن دولته.

واما أهل المشرق لهذا العهد فسكنهم غير مقدرة، وإنما يتعاملون بالدنانير والدرارم وزناً بالصنجات المقدرة بعده منها، ولا يطبعون عليها بالسكة تقوش الكلمات بالتهليل والصلة واسم السلطان كما يفعله أهل المغرب **﴿ذَلِكَ تَقْبِيرُ الْغَرِيزِ الْعَلَيِّمِ﴾**.

ولنختم الكلام في السكة بذكر حقيقة الدرهم والدينار الشرعيين وبيان حقيقة مقدارهما.

### مقدار الدرهم والدينار الشرعيين

وذلك أن الدينار والدرهم مختلفاً السكة في المقدار والموازين بالأفاق والأمسكار وسائر الأعمال والشرع، قد تعرض لذكرهما وعلق كثيراً من الأحكام بهما في الزكاة والأنكحة والحدود وغيرها، فلا بدّ لها عند من حقيقة ومقدار معين في تقدير تجاري عليهم أحکامه دون غير الشرعي، منها.

فاعلم أن الإجماع منعقد منذ صدر الإسلام وعهد الصحابة والتابعين أن الدرهم الشرعي، هو الذي تزن العشرة منه سبعة مثاقيل من الذهب، والأوقية منه أربعين درهماً وهو على هذا سبعة عشر المقال، وزون المقال من الذهب اثنتان وسبعون جبة من الشعير، فالدرهم الذي هو سبعة عشره خمسون جبة وخمسة جبة.

وهذه المقادير كلها ثابتة بالإجماع، فإن الدرهم الجاهلي كان بينهم على أنواع أجودها الطبرى وهو أربعة دوائق وبالبلغى وهو ثمانية دوائق، فجعلوا الشرعي بينهما وهو ست دوائق، فكانوا يوجرون الزكاة في مائة درهم بغلية ومائة طبرية خمسة دراهم وبسطاً.

وقد اختلف الناس هل كان ذلك من وضع عبد الملك وإجماع الناس بعد عليه كما ذكرناه. ذكر ذلك الخطابي في كتاب

بها بينهم، إلى أن تفاحش الغش في الدنانير والدرارم لغفلة الدولة عن ذلك، وأمر عبد الملك الحجاج على ما نقل سعيد بن المسيب وأبو الزناد بضرب الدرارم وتغيير المغشوش من الحالص، وذلك سنة أربع وسبعين. وقال المدائني: سنة خمس وسبعين؛ ثم أمر بتصفيتها في سائر النواحي سنة ست وسبعين وكتب عليها **﴿الله أَحَدُ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾**

ثم ولد ابن هيبة العراق أيام يزيد بن عبد الملك فجود السكة؛ ثم بالغ خالد القسري في تجويفها، ثم يوسف بن عمر بعده.

وقيل: أول من ضرب الدنانير والدرارم مصعب بن الزير بالعراق سنة سبعين بأمر أخيه عبد الله لما ولّ الحجاج وكتب عليها في أحد الوجهين: **﴿بِرَّكَةِ اللَّهِ وَفِي الْآخِرَةِ (أَسْمَ اللَّهِ) ثُمَّ غَيْرُهَا﴾** الحجاج بعد ذلك بستة وكتب عليها اسم الحجاج وقدر وزنه على ما كانت استقرت أيام عمر، وذلك أن الدرهم كان وزنه أول الإسلام ستة دوائق والمقال وزنه درهم وثلاثة أسباع درهم، فتكون عشرة دراهم بسبعة مثاقيل، وكان السبب في ذلك أن أوزان الدرهم أيام الفرس كانت مختلفة وكان منها على وزن المقال عشرون قيراطاً ومنها اثنا عشر ومنها عشرة، فلما احتاج إلى تقديره في الزكاة أخذ الوسط وذلك اثنا عشر قيراطاً، فكان المقال درهماً وثلاثة أسباع درهم وقيل: كان منها البغلى بثمانية دوائق، والطبرى أربعة دوائق، والمغربي ثمانية دوائق، واليعنى ستة دوائق، فامر عمر أن ينظر للأغلب في التعامل، فكان البغلى والطبرى وهما اثنا عشر دوائق، وكان الدرهم ستة دوائق، وإن زدت ثلاثة أسباعه كان مثقالاً، وإذا انقصت ثلاثة عشر المقال كان درهماً.

فلما رأى عبد الملك اتخاذ السكة لصيانة التقديس الجاررين في معاملة المسلمين من الغش عن مقدارها على هذا الذي استقر له عهد عمر رضي الله عنه واتخذ طابع الحديد واتخذ فيه كلمات لا صوراً لأن العرب كان الكلام والبلاغة أقرب مناتهم وأظهرها مع أن الشرع ينهى عن الصور، فلما فعل ذلك استمر بين الناس في أيام الملة كلها، وكان الدينار والدرهم على شكلين مدورين والكتابية عليهم في دوائر متوازية يكتب فيها من أحد الوجهين أسماء الله تهليلاً وتحميداً وصلة على النبي وآلها، وفي الوجه الثاني التاريخ باسم الخليفة، وهكذا أيام العباسين والعبيدلين والأمويين.

واما صننها فلم يتخذوا سكة إلا آخر الأمر، اخذوها منصور صاحب مجاهدة ذكر ذلك ابن حاد في تاريخه.

وختم به وقال: «لا ينقش أحد مثله» قال: وختم به أبو بكر وعمر وعثمان، ثم سقط من يد عثمان في بتر أريس وكانت قليلة الماء فلم يدرك قعرها بعد، واغتم عثمان وتظير منه وصنع آخر على مثله.

وفي كيفية نقش الخاتم والختم به وجوهه، وذلك أن الخاتم يطلق على الآلة التي تجعل في الإصبع، ومنه تختم: إذا لبسه؛ ويطلق على النهاية والت تمام، ومنه: تختمت الأمور: إذا بلغت آخره، وختمت القرآن كذلك، ومنه: خاتم النبيين وخاتم الأمر، ويطلق على السداد الذي يسد به الأوانى والدنان ويتقال فيه: ختم ومنه قوله تعالى: «جَيَّثَاهُ مِنْكَ» وقد غلط من فسر هذا بالنهاية والت تمام، قال: لأن آخر ما يجدونه في شرابهم ربيع المسك وليس المعنى عليه، وإنما هو من الخاتم الذي هو السداد لأن الخمر يجعل لها في الدن سداد الطين أو القار يحفظها ويطيب عرفها وذوقها، فبогل في وصف خر الجنة بأن سدادها من المسك وهو أطيب عرفاً وذوقاً من القار والطين المعبودين في الدنيا.

فإذا صبح إطلاق الخاتم على هذه كلها صبح إطلاقه على أثيرها الناشئ عنها، وذلك أن الخاتم إذا نقش به كلمات أو اشكال ثم غمس في مذاق من الطين أو مداد ووضع على صفح القرطاس يبقى أكثر الكلمات في ذلك الصفح، وكذلك إذا طبع به على جسم لين كالشمع فإنه يبقى نقش ذلك المكتوب مرئياً فيه، وإذا كانت كلمات وارتسمت فقد يقرأ من الجهة اليسرى إذا كان النقش على الاستقامة من اليمنى، وقد يقرأ من الجهة اليمنى إذا كان النقش من الجهة اليسرى؛ لأن الخاتم يقلب جهة الخط في الصفح كما كان في النقش من يمين أو يسار، فيحتمل أن يكون الختم بهذا الخاتم بمحضه في المداد أو الطين ووضعه على الصفح فتنتفس الكلمات فيه ويكون هذا من معنى النهاية والت تمام بمعنى صحة ذلك المكتوب ونفوذه، كان الكتاب إنما يتم العمل به بهذه العلامات وهو من دونها ملغى ليس بتمام، وقد يكون هذا الختم بالخط آخر الكتاب أو أوله بكلمات متظاهرة من تمجيد أو تشبيح أو باسم السلطان أو الأمير أو صاحب الكتاب كائناً من كان أو شيء من نعمته، يكون ذلك الخط علامة على صحة الكتاب ونفوذه ويسمي ذلك في المتعارف علامه، ويسمى ختماً تشبيهاً له بأثر الخاتم الأصفي في النقش، ومن هذا خاتم القاضي الذي يبعث به للخصوم أي علامته وخطه الذي ينفذ بها أحکامه، ومنه خاتم السلطان أو الخليفة أي علامته.

قال الرشيد ليعيسى بن خالد لما أراد أن يستوزر جعفراً ويستبدل به من الفضل أخيه فقال لأبيهما يحيى: يا أبا إبي أردت

«معالم السنن» والمأوريدي في «الأحكام السلطانية» وأنكره المحققون من المؤخرين لا يلزم عليه أن يكون الدينار والدرهم الشرعيان مجهولين في عهد الصحابة ومن بعدهم مع تعلق الحقوق الشرعية بهما في الزكاة والأنكحة والحدود وغيرها كما ذكرناه.

والحق أنهما كانا معلومي المقدار في ذلك العصر جريراً للأحكام يومئذ بما يتعلق بهما من الحقوق، وكان مقدارهما غير مشخص في الخارج، وإنما كان معارفاً بينهم بالحكم الشرعي على المقدار في مقدارهما وزتهما حتى استحصل الإسلام وعظمت الدولة ودعت الحال إلى تشخيصهما في المقدار والوزن، كما هو عند الشرع ليستريحوا من كلفة التقدير، وقارن ذلك أيام عبد الملك فشخص مقدارهما وعينهما في الخارج كما هو في النهن ونقش عليهما السكة باسمه وتاريخه إثر الشهادتين الإماميتين، وطرح القدر الجاهلي رأساً حتى خلصت ونقش عليها سكة وتلاشى وجودها، فهذا هو الحق الذي لا يحيى عنه.

ومن بعد ذلك وقع اختيار أهل السكة في الدول على خلافة المقدار الشرعي في الدينار والدرهم واختلفت في كل الأقطار والأفاق ورجع الناس إلى تصور مقاديرهما الشرعية ذهناً، كما كان في الصدر الأول، وصار أهل كل أفق يستخرجون الحقوق الشرعية من سكتهم بمعرفة النسبة التي بينها وبين مقاديرها الشرعية.

وأما وزن الدينار باثنين وسبعين حبة من الشعير الوسط، فهو الذي نقله المحققون وعليه الإجماع إلا ابن حزم خالف ذلك، وزعم أن وزنه أربع وثمانون حبة. نقل ذلك عنه القاضي عبد الحق ورده المحققون وعدوه وهماً وغططاً، وهو الصحيح والله **«تَبَوَّجَ الْحَقُّ بِكَلِمَاتِهِ»**.

وكذلك تعلم أن الأوقية الشرعية ليست هي المتعارفة بين الناس؛ لأن المتعارفة مختلفة باختلاف الأقطار، والشرعية متعددة ذهناً لا اختلاف فيها والله **«خَلَقَ كُلُّ شَيْءٍ فَقَدْرَةً تَقْدِيرَأ»**.

### الخاتم:

وأما الخاتم فهو من الخطوط السلطانية والوظائف الملكية، والختم على الرسائل والصكوك معروفة للملوك قبل الإسلام وبعدة، وقد ثبت في «الصحيفتين» أن النبي ﷺ أراد أن يكتب إلى قيسر قيل له: «إن العجم لا يقبلون كتاباً إلا أن يكون مخوماً فاختذ خاتماً من فضة ونقش فيه: (محمد رسول الله)».

قال البخاري: جعل ثلاثة كلمات في ثلاثة جعل أسر

السلطان شارة في عرفهم كما كانت البردة والقضيب في الدولة العباسية والمظلة في الدولة العبيدية، والله مصرف الأمور بمحكمه.

### الطراز:

من أبهة الملك والسلطان ومناهب الدول أن ترسم أسماؤهم أو علامات تختص بهم في طراز أثوابهم المعدة للباسهم من الحرير أو الديساج أو الإبريس، تعتبر كتابة خطها في نسج الثوب الحاماً وأسداءً يحيط الذهب أو ما يخالف لون الثوب من الخيوط الملونة من غير الذهب على ما يحکمه الصناع في تقدير ذلك ووضعه في صناعة نسجهم، فتصير الثياب الملوكيّة معلمة بذلك الطراز قصد التزيه بلابسها من السلطان فمن دونه، أو التزيه بمن يختصه السلطان بلبسوه إذا قصد تشريفه بذلك أو ولاته لوظيفته من وظائف دولته.

وكان ملوك العجم من قبل الإسلام يتعلّمون ذلك الطراز بصور الملوك وأشكالهم أو أشكال وصور معينة لذلك، ثم اعتاد ملوك الإسلام عن ذلك بكتب أسمائهم مع كلمات أخرى تجري عرى الفال أو السجلات. وكان ذلك في الدولتين من أبهة الأمور وأفخم الأحوال، وكانت الدور المعدة لنسج أثوابهم في قصورهم تسمى دور الطراز لذلك، وكان القائم على النظر فيها يسمى صاحب الطراز، ينظر في أمور الصباغ والألة والحاكة فيها وإجراء أرزاقهم وتسهيل آلاتهم ومشاركة أعمالهم، وكانوا يقلدون ذلك لخواص دولتهم ونفات مواليهم، وكذلك كان الحال في دولة بني أمية بالأندلس والطراوف من بعدهم، وفي دولة العبيديين بمصر ومن كان على عهدهم من ملوك العجم بالشرق، ثم لما ضاق نطاق الدول عن الترف والتغنى فيه لضيق نطاقها في الاستيلاء وتعددت الدول تعطلت هذه الوظيفة والولاية عليها من أكثر الدول بالجملة.

ولما جاءت دولة الموحدين بالمغرب بعد بني أمية أول المائة السادسة لم يأخذوا بذلك أول دولتهم لما كانوا عليه من منازع الديانة والسدادة التي لقّرها عن إمامهم محمد بن تورت الهندي، وكانوا يتورعون عن لباس الحرير والذهب فسقطت هذه الوظيفة من دولتهم واستدركها منها أعيابهم آخر الدولة طرفاً لم يكن بذلك النهاية، وأما لهذا العهد، فادركتا بالمغرب في الدولة المرinية لعنفوانها وشمرخها رسمًا جليلاً لقنوه من دولة ابن الأهر معاصرهم بالأندلس واتبع هو في ذلك ملوك الطراوف فأئمته بلمحات شاهدة بالأثر.

وأما دولة الترك بمصر والشام لهذا العهد ففيها من الطراز

أن أحوال الخاتم من يمسي إلى شمالي، فكثي له بالخاتم عن الوزارة لما كانت العلامة على الرسائل والصكوك من وظائف الوزارة لمدهم.

ويشهد لصحة هذا الإطلاق ما نقله الطبرى: أن معاوية أرسل إلى الحسن عند مراودته إيه في الصلح صحيفه بيضاء ختم على أسفلها وكتب إليه: أن اشتربط في هذه الصحيفه التي ختمت أسفلها ما شئت فهو لك. ومعنى الختم هنا علامة في آخر الصحيفه يحيطه أو غيره، ويحمل أن يختتم به في جسم لين فتنتقش فيه حروفه و يجعل على موضع الحزم من الكتاب إذا حزم وعلى المدوعات وهو من السداد كما مر، وهو في الوجهين آثار الخاتم فيطلق عليه خاتم.

وأول من أطلق الختم على الكتاب - أي العلامة - معاوية؛ لأنه أمر لعمر بن الزبير عند زياد بالنكوة بمائة ألف فتح الكتاب وصیر المائة مائتين ورفع زياد حسابه فأنكرها معاوية وطلب بها عمر وجبيه حتى قضى الله عنه أخوه عبد الله، وانخدع معاوية عند ذلك ديوان الخاتم. ذكره الطبرى.

وقال آخرون: وحزم الكتب ولم تكن تحزم أى جعل لها السداد، وديوان الختم عبارة عن الكتاب القائمين على إنفاذ كتب السلطان والختم عليها إما بالعلامة أو بالحزم، وقد يطلق الديوان على مكان جلوس هؤلاء الكتاب كما ذكرناه في ديوان الأعمال.

والحزم للكتب يكون إما بدس الورق كما في عرف كتاب المغرب وإما ب sclerosis رأس الصحيفه على ما تتطوري عليه من الكتاب كما في عرف أهل الشرق، وقد يجعل على مكان الدس أو الإلصاق علامة يؤمن بها من فتحه والإطلاع على ما فيه، فأهل المغرب يجعلون على مكان الدس قطعة من الشمع وينحرمون عليها الخاتم نقشت فيه علامة لذلك فيرسنم النقش في الشمع، وكان في المشرق في الدول القديمة يختتم على مكان اللصق بخاتم منقوش أيضًا قد غمس في مذاق من الطين معد لذلك، صبّنه أحمر فيرسنم ذلك النقش عليه، وكان هذا الطين في الدولة العباسية يعرف بطنخاتم وكان يجيء من سيراف فيظهر أنه مخصوص بها.

فهذا الخاتم الذي هو العلامة المكتوبة أو النقش للسداد والحزام للكتب خاص بديوان الرسائل، وكان ذلك للوزير في الدولة العباسية، ثم اختلف العرف وصار لن إليه الترسيل وديوان الكتاب في الدولة، ثم صاروا في دول المغرب يدعون من علامات الملك وشاراته الخاتم للإصبغ فيستجدون صوغه من الذهب ويرصعنه بالقصوص من الياقوت والفيروزوج والزمرد ويلبسه

بلسان البرير الذي هو لسان أهله أفراد بالكاف التي بين الكاف والكاف ويختص به السلطان بذلك القطر لا يكون لغيره. وأما في المشرق فيتخذه كل أمير وإن كان دون السلطان، ثم جنحت الدعوة بالنساء والولدان إلى المقام بقصورهم ومتنازفهم فخف ذلك ظهرهم وتقارب الساج بين منازل العسكر واجتمع البيش والسلطان في معسكر واحد يمحصه البصر في بسيطة زهراً أنيقاً لاختلاف الوانه، واستمر الحال على ذلك في مذاهب الدول في بذخها وترفها.

وكذا كانت دولة الموحدين وزنانة التي أطلقتها، كان سفرهم أول أمرهم في بيوت سكانهم قبل الملك من الخiam والقياطن، حتى إذا اخذت الدولة في مذاهب الترف وسكنى القصور وعادوا إلى سكنى الأخيبة والفساطيط وبلغوا من ذلك فرق ما أرادوه وهو من الترف بمكان، إلا أن العسكر به تصير عرضة لليارات لاجتماعهم في مكان واحد تشملهم فيه الصيحة وخلفهم من الأهل والولد الذين تكون الاستئانة دونهم فيحتاج في ذلك إلى تحفظ آخر، والله القوي العزيز.

### المقصورة للصلة والدعاء في الخطبة

وهما من الأمور الخلافية ومن شارات الملك الإسلامي ولم يعرف في غير دول الإسلام.

فاما البيت المقصورة من المسجد لصلة السلطان فيتخذ سياجاً على المحراب فيحوزه وما يليه، فأول من اتخذها معاوية بن أبي سفيان حين طعنه الخارجي، والقصة معروفة. وقيل: أول من اتخذها مروان بن الحكم حين طعنه اليماني ثم اتخذها الخلفاء من بعدهما وصارت سنة في تميز السلطان عن الناس في الصلاة، وهي إنما تحدث عند حصول الترف في الدول والاستفحال شأن ححوال الأبهة كلها، وما زال الشأن ذلك في الدول الإسلامية كلها، وعند افتراق الدولة العباسية وعند الدول بالشرق وكذا بالأندلس عند انفراض الدولة الأموية وتعدد ملوك الطوائف.

واما المغرب فكان بنو الأغلب يتخذونها بالقيروان ثم الخلفاء العبيديون ثم ولاتهم على المغرب من صنهاجة بنو باديس بفاس وبين حاد بالقلعة ثم ملك الموحدون ساير المغرب والأندلس ومحروا ذلك الرسم على طريقة البداوة التي كانت شعارهم، ولما استفحلت الدولة وأخذت بمحظتها من الترف وجاء أبو يعقوب النصوري ثالث ملوكهم فاختذ هذه المقصورة وبقيت من بعده ستة

تخرير آخر على مقدار ملكهم وعمران بلا دهم، إلا أن ذلك لا يصح في دورهم وقصورهم وليس من وظائف دولتهم، وإنما ينسج ما تطلبها الدولة من ذلك عند صناعه من الحرير ومن النعم الخالص ويسمونه المزركش -لفظة أعممية-. ويرسم اسم السلطان أو الأمير عليه وبعده الصناع لهم فيما يدعونه للدولة من طرف الصناعة اللاقة بها، والله مقدر الليل والنهار والله خير الوارثين.

### الفساطيط والسياج

اعلم أن من شارات الملك وترفه اتخاذ الأخيبة والفساطيط والفالزات من ثياب الكتان والصوف والقطن بمدخل الكتاب والقطن، فياهي بها في الأسفار وتتنوع منها الألوان ما بين كبير وصغر على نسبة الدولة في الثروة واليسار، وإنما يكون الأمر في أول الدولة في بيتهم التي جرت عادتهم باختاذها قبل الملك، وكان العرب لعهد الخلفاء الأولين من بني أمية إنما يسكنون بيتهم التي كانت لهم خياماً من الوبر والصوف ولم تزل العرب لذلك العهد بادين إلا الأقل منهم، فكانت أسفارهم لغزوائهم وحربيهم بظعنهم وسائر حلتهم وأخيائهم من الأهل والولد كما هو شأن العرب لهذا العهد، وكانت عساكرهم لذلك كثيرة الحال بعيدة ما بين المنازل متفرقة الأحياء، يغيب كل واحد منها عن نظر صاحبه من الأخرى كثieran العرب؛ ولذلك كان عبد الملك يحتاج إلى ساقه تحشد الناس على أثره أن يقيموا إذا ظعن.

ونقل أنه استعمل في ذلك الحجاج حين أشار به روح بن زباع وقصتها في إحراق فساطيط روح وخيمات لأول ولاته حين وجلدهم مقيمين في يوم رحيل عبد الملك قصة مشهورة. ومن هذه الولاية تعرف رتبة الحجاج بين العرب، فإنه لا يتربى إرادتهم علىقطن إلا من يأمن بواحد السفهاء من أحيايهم علىه من المصيبة الحائلة دون ذلك؛ ولذلك اختص عبد الملك بهذه الرتبة نقاء بعنائه فيها بغضبيه وصرامته.

فلما تفتتت الدولة العربية في مذاهب الحضارة والبذخ وزلوا المدن والأمسار وانقلوا من سكنى الخiam إلى سكنى القصور ومن ظهر الخف إلى ظهر الحافر، اتخذوا للسكنى في أسفارهم ثياب الكتان يستعملون منها بيروتاً مختلفة الأشكال مقدرة الأمثال من القوراء والمستطيلة والمربعة، ويتقللون فيها بابلخ مذاهب الاحتفال والزينة، ويدير الأمير القائد للعسكر على فساططيه وفازاته من بينهم سياجاً من الكتان يسمى في المغرب

وكان ذلك سبباً لأنزعهم بعورته، وهكذا شأن الدول في بدايتها ومتى نجحتها في الغضاضة والبداؤة، فإذا انتبهت عيون سياستهم ونظرت إلى في اعطاف ملوكهم واستمرروا شياط الخصارة ومعانى البذخ والأبهة انتحلوا جميع هذه السمات وتغشوا فيها وتحماروا إلى غايتها وأنفروا من المشاركة فيها وجزعوا من افتقادها وخلو دولتهم من آثارها والعالم يستن، والله على كل شيءٍ رفيق.

الفصل السابع والثلاثون

## في الحروب ومذاهب الأمم في ترتيبها

علم أن الحروب وأنواع المقاتلة لم تزل واقعة في الخليقة منذ  
برأها الله، وأصلها إرادة انتقام بعض البشر من بعض ويتعرض  
لكل منها أهل عصبية، فإذا تذمروا لذلك وتراقبت الطائفتان:  
إدحاماً تتطلب الانتقام والآخر تدافع، كانت الحرب وهو أمر  
طبيعي في البشر لا يخلو عنه أمة ولا جيل.  
وبسبب هذا الانتقام في الأكثـر: إما غيره ومنافسه. وإما  
عدوان، وإما غضب الله ولدينه، وإما غضب للملك وسعى في  
تفبيده.

فال الأول أكثر ما يجري بين القبائل المجاورة والعشائر المتضادة.

والثاني وهو العدوان أكثر ما يكون من الأسم الوحوشية  
الساكنين بالقفر كالعرب والترك والتركمان والأكراد وأشباههم؛  
لأنهم جعلوا أرزاً لهم في رماحهم ومعاشرهم فيما بأيدي غيرهم،  
ومن دافعهم عن متعاه آذنوه بالحرب ولا بغية لهم فيما وراء ذلك  
من رتبة ولا ملك، وإنما همهم ونصب أعينهم غلب الناس على  
ما في أيديهم،

والثالث هو المسمى في الشريعة بالجهاد.

**الرابع: هو حروب الدول مع الخارجين عليها والمانعين لطاعتها.**

نهذه أربعة أصناف من الحروب: الصيفان الأولان منها حروب يعني وقتة، والصيفان الأخيران حروب جهاد وعدل. وصفة الحروب الواقعة بين الخليقة منذ أول وجودهم على نوعين: نوع بالزحف صفوياً وتبع بالكفر والفال، أما الذي بالزالحف فهو قتال العجم كلهم على تعاقب أجيالهم، وأما الذي بالكفر فهو قتال العرب والبربر من أهل المغرب. وقاتل الزحف أوثق وأشد

لملوك المغرب والأندلس، وهكذا كان الشأن فيسائر الدول سنة  
الله في عيادة.

واما الدعاء على المساير في الخطبة فكان الشأن أولاً عند الخلفاء ولادة الصلاة بأنفسهم، فكانوا يدعون لذلك بعد الصلاة بالصلاحة على النبي ﷺ والرضا عن أصحابه، وأول من أخذ المنبر عمرو بن العاص لما بني جامعه بمصر، وأول من دعا للخلفية على المنبر ابن عباس، دعا لعلسي رضي الله عنهما في خطبته، وهو بالبصرة عامل له عليها فقال: اللهم انصر علياً على الحق، وانصل العمل على ذلك فيما بعد، وبعدأخذ عمرو بن العاص المنبر بلغه عمر بن الخطاب ذلك فكتب إليه عمر بن الخطاب: «أما بعد فقد بلغني أنك أخذت منبراً ترقى به على رقاب المسلمين أو ما يكفيك أن تكون قائماً والمسلمون تحت عقبك، فزعمت عليك إلا ما كسرته» فلما حدثت الأبيه وحدث في الخلفاء المانع من الخطبة والصلاحة استنابوا فيهم، فكان الخطيب يشيد بذكر الخليفة على المنبر تزييناً باسمه ودعاء له بما جعل الله مصلحة العالم فيه؛ ولأن تلك الساعة مظنة للإجابة ولما ثبت عن السلف في قوله: من كانت له دعوة صالحة فليضعها في السلطان، وكان الخليفة يفرد بذلك.

فلمجاً الحجر والاستبداد صار المتغلبون على الدول كثيراً ما يشاركون الخليفة في ذلك ويشاد باسمهم عقب اسمه، وذهب ذلك بنعاب تلك الدول وصار الأمر إلى اختصاص السلطان بالدعاء له على المثير دون من سواه، وحضر أن يشاركه فيه أحد أو يسمى إليه؛ وكثيراً ما يغفل الماهدون من أهل الدول هذا الرسم عندما تكون الدولة في أسلوب الفضاعة ومناحي البداوة في التغافل والخشونة ويقتعن بالدعاء على الإبهام والإجمال لمن ول أمر المسلمين ويسمون مثل هذه الخطبة إذا كانت على هذا المنحى عباسية، يعنون بذلك أن الدعاء على الإجمال إنما يتناول العباسي تقليداً في ذلك لما سلف من الأمر ولا يغفلون بما وراء ذلك من تعنته والتصرّع باسمه.

يمكى أن يغمراسن بن زيان ماهد دولة ببني عبد الواد لما  
غلبه الأмир أبو زكريا يحيى بن أبي حفص على تلمسان ثم بدا له  
في إعادة الأمر إليه على شروط شرطها، كان فيها ذكر اسمه على  
منابر عمله فقال يغمراسن: تلك أعوادهم يذكرون عليها من  
شاوزوا، وكذلك يعقوب بن عبد الحق ماهد دولة بني مرين حضره  
رسول المستنصر الخليفة بتونس من بيته أبي حفص وثالث ملوكهم  
وتحتفل بعض أيامه عن شهود الجمعة فقيل له: لم يحضر هذا  
الرسول كراهة لخلو الخطة من ذكر سلطانه، فاذن في الدعاء له،

كيفما أعطاه حال العساكر في القلة والكثرة، فحيث يكون الزحف من بعد هذه التعبة.

وانظر ذلك في أخبار الفتوحات وأخبار الدولتين بالشرق وكيف كانت العساكر لعهد عبد الملك تختلف عن رحيله بعد المدى في التعبة، فاحتاج لمن يسوقها من خلفه وعين لذلك الحاج بن يوسف كما أشرنا إليه وكما هو معروف في أخباره، وكان في الدولة الأموية بالأندلس أيضًا كبير منه وهو مجاهد فيما لدينا؛ لأننا إنما أدركنا دولاً قليلة العساكر لا تنتهي في مجال الحرب إلى التناحر بل أكثر الجيوش من الطائفتين معاً يجمعهم لدينا حلة أو مدينة ويعرف كل واحد منهم قرنه وينادي في حومة الحرب باسمه ولقبه فاستغنى عن تلك التعبة.

### ضرب المصفاف وراء العسکر

ومن مذاهب أهل الكفر والفر في الحروب ضرب المصفاف

وراء عسكراهم من الجمادات والحيوانات العجم فيخدونها ملحاً للخيالة في كرهم وفرهم يطلبون به ثبات المقاتلة؛ ليكون أدوم للحرب وأقرب إلى الغلب، وقد يفعله أهل الزحف أيضًا لزيادة ثباتاً وشدة.

فقد كان الفرس وهم أهل الزحف يخذلون الفيلة في الحروب ويحملون عليها أبراجاً من الخشب أمثال الصروح مشحونة بالمقاتلة والسلاح والرياحات ويصفونها وراءهم في حومة الحرب كأنها حصون، فتفوي بذلك نفوسهم ويزداد وثوقهم.

وانظر ما وقع من ذلك في القادسية، وأن فارس في اليوم الثالث اشتدوا بهم على المسلمين حتى اشتدت رجاليات من العرب فخالطوهن ويعجوها بالسيوف على خراطيتها ففترت وتنكست على أعقابها إلى مرابطها بالمدائن فجفا معاشر فارس لذلك وانهزموا في اليوم الرابع.

وأما الروم وملوك القوط بالأندلس وأكثر العجم فكانوا يتخدون لذلك الأسرة ينصبون للملك سريره في حومة الحرب ويحف به من خدمة وحاشيته وجنوده من هو زعيم بالاستماتة دونه، وترفع الرياحات في أركان السرير ويصدق به سياج آخر من الرماة والرجالات فيعظم هيكل السرير ويصير فتة للمقاتلة وملجاً للكفر والفر، وجعل ذلك الفرس أيام القادسية، وكان رسم جالساً على سرير نصبه جلوسه حتى اختلفت صنوف فارس وخالطه العرب في سريره ذلك فتحتول عنه إلى الفرات وقتل.

من قتال الكفر والفر؛ وذلك لأن قتال الزحف ترتب فيه الصنوف وتسوى كما تسوى القداح أو صنوف الصلاة، ويسرون بصنوفهم إلى العدو قدماً، فلذلك تكون أثبت عند المصارع وأصدق في القتال وأرهب للعدو؛ لأنه كالحانط المتمدد والقصر المشيد لا يطبع في إزالته.

وفي التنزيل «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يَقْاتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفَّاً كَأَنَّهُمْ بَيْسَانٌ مَرْضُوصٌ» أي يشد بعضهم بعضاً بالثبات، وفي الحديث الكريم: «المؤمن للمؤمن كالبيان يشد بعضه بعضًا».

ومن هنا يظهر لك حكمة إيجاب الثبات وتحريم التولى في الزحف، فإن المقصود من الصنف في القتال حفظ النظام كما قلنا، فمن ول العدو ظهره فقد أخل بالمصفاف وراء بإلائم المزعة إن وقعت وصار كانه جرها على المسلمين وأمكن منهم عدوهم فعظم الذنب لعموم المفسدة وتعديها إلى الدين بخراق سياجه فعد من الكبار؛ ويظهر من هذه الأدلة أن قتال الزحف أشد عند الشارع.

وأما قتال الكفر والفر فليس فيه من الشدة والأمن من المزيعة ما في قتال الزحف، إلا أنهم قد يتخدون وراءهم في القتال مصفافاً ثابتًا يلتجاؤن إليه في الكفر والفر ويقوم لهم مقام قتال الزحف كما ذكره بعد.

ثم إن الدول القديمة الكثيرة الخسورة الممالك كانوا يقسمون الجيوش والعساكر أقساماً يسمونها كراديس ويسرون في كل كردوس صفوقة، وسبب ذلك أنه لما كثرت جنودهم الكثرة البالغة وحشدوا من قاصية النواحي استدعى ذلك أن يجعل بعضهم بعضاً إذا احتلطوا في مجال الحرب واعتبروا مع عدوهم الطعن والضرب فيخشى من تدافعهم فيما بينهم لأجل التكراه وجعل بعضهم يبعض؛ فلذلك كانوا يقسمون العساكر جوعاً ويسرون المتعارفين بعضهم البعض ويرتبونها قريباً من الترتيب الطبيعي في الجهات الأربع، ورئيس العساكر كلها من سلطان أو قائد في القلب، ويسمون هذا الترتيب التعبة وهو مذكور في أخبار فارس والروم والدولتين وصدر الإسلام، فيجعلون بين يدي الملك عسيراً متفرداً بصنوفه متميزاً بقلائه ورأيه وشعاره ويسمونه المقدمة، ثم عسيراً آخر من ناحية اليمين عن موقف الملك وعلى سمتة يسمونه الميمنة، ثم عسيراً آخر من ناحية الشمال كذلك يسمونه الميسرة، ثم عسيراً آخر من وراء العسكر يسمونه الساقفة، ويقف الملك وأصحابه في الوسط بين هذه الأربع ويسمون موقفه القلب، فإذا تم لهم هذا الترتيب الحكم إما في مدى واحد للبستان أو على مسافة بعيدة أكثرها اليوم واليومان بين كل عسكرين منها أو

والسلطان يتأكد في حقه ضرب المصادف ليكون ردًّا للمقاتلة أمامه، فلا بد من أن يكون أهل ذلك الصنف من قوم متعددين للثبات في الزحف وإلا أغلقوا على طريقة أهل الكر والفر، فأنهم السلطان والعساكر يلخصاهم، فاحتاج الملك بالغرب أن يتخلصوا جنداً من هذه الأمة المتعددة الثبات في الزحف وهو الإفرنج ويرتبون مصالحهم الخدق بهم منها، هذا على ما فيه من الاستعانت بأهل الكفر، وإنما استخروا ذلك للضرورة التي أربكها من تخوف الإجفال على مصادف السلطان، والإفرنج لا يعرفون غير الثبات في ذلك لأن عادتهم في القتال الزحف فكانوا أقرب بذلك من غيرهم مع أن الملك في المغرب إنما يفعلون ذلك عند الحرب مع أمم العرب والببر وقتلهم على الطاعة، وأما في الجهاد فلا يستعينون بهم حذراً من عيالاتهم على المسلمين هذا هو الواقع لهذا العهد، وقد أبدينا سبيه والله بكل شيء عليم.

#### فصل:

وينبغى أن أسم الترك لهذا العهد قاتلهم مناضلة بالسهام وأن تعينة الحرب عندهم بالمصادف، وأنهم يقسمون ثلاثة صنوف يضربون صفاً وراء صف، ويترجلون عن خيولهم ويفرغون سهامهم بين أيديهم ثم يتناقلون جلوساً، وكل صنف رده للذى أمامه أن يكسفهم العدو إلى أن يتهاصر لإحدى الطائفتين على الأخرى، وهي تعينة محكمة غريبة.

#### فصل:

وكان من مذاهب الأول في حروبهم حفر الخنادق على معسكم لهم عندما يتقابلون للزحف، حذراً من معمرة البيات والهجوم على العساكر بالليل لما في ظلمته ووحشته من مضاعفة الخوف فيلوذ الجيش بالفرار وتجدد التفوس في الظلمة ستراً من عاره، فإذا تساوروا في ذلك أرجف العساكر ووقعوا المزعجة، فكانوا لذلك يخرون الخنادق على معسكمهم إذا نزلوا وضرروا أيديهم ويدررون الحفارات نطاقة عليهم من جميع جهاتهم حرصاً أن يخالطهم العدو باليات فيتخاذلوا، وكانت للدول في أمثال هذا قرة وعليه اقتدار باحتشاد الرجال وجمع الأيدي عليه في كل منزل من منازلهم بما كانوا عليه من فبور العمran وضخامة الملك، فلما خرب العمran وتبعه ضعف الدول وقلة الجنود وعدم الفعلة نسي هذا الشأن جملة كائناً لم يكن، والله خير القادرین.

واما أهل الكر والفر من العرب وأكثر الأمم البدوية فالحالة فتصنون لذلك إيلهم والظاهر الذي يحمل ظاعنهم، فيكون فتنة لهم ويسموها المجربة، وليس أمة من الأمم إلا وهي تفعل ذلك في حروها وتراء أوقي في الجولة وأمن من الغرة والهزيمة؛ وهو أمر مشاهد.

وقد أغفلته الدول لعهدها بالجملة واعتراضوا عنه بالظهور الحامل للأثقال والفسطاط يعلنونها ساقةً من خلتهم ولا تغنى غناء الفيلة والإبل، فصارت العساكر بذلك عرضة للهزائم ومستشرعة للقرار في المواقف.

وكان الحرب أول الإسلام كله زحفاً، وكان العرب إنما يعرفون الكر والفر، لكن حملهم على ذلك أول الإسلام أمران: أحدهما أن عدوهم كانوا يقاتلون زحفاً فيضطرون إلى مقاتلتهم بمثل قاتلهم.

الثاني: أنهم كانوا مستميتين في جهادهم لا رغوا فيه من الصبر، ولما رسم فيهم من الإيمان والزحف إلى الاستماتة أقرب، وأول من أبطل الصنف في المزوب وصار إلى التعنة كراديس مروان بن الحكم في قتال الضحاك الخارجي والجيري بعده.

قال الطبرى لما ذكر قتال الجيري فوق الخوارج عليهم شيبان بن عبد العزيز اليشكري ويلقب أبو الذلفاء: قاتلهم مروان بعد ذلك بالكراديس وأبطل الصنف من يومئذ انتهى. فتوسي قتال الزحف بإبطال الصنف، ثم توسي الصنف وراء المقاتلة بما داخل الدول من الترف وذلك أنها حينما كانت بدوية وسكنها الخيام كانوا يستكثرون من الإبل وسكنى النساء والولدان معهم في الأحياء، فلما حصلوا على ترف الملك والفقوا سكنى القصور والحراضر وتركوا شأن الباية والقرن نسوا للملك عهد الإبل والقطعنان وصعب عليهم اتخاذها، فخلفو النساء في الأسفار وحملهم الملك والترف على اتخاذ الفساطيط والأختية فاقتصرت على الظاهر الحامل للأثقال والأبنية، وكان ذلك صنفهم في الحرب ولا يعني كل الغناء، لأنه لا يدعو إلى الاستماتة كما يدعوا إليها الأهل والمال فيخف الصبر من أجل ذلك وتصرفهم المحبات وتخرم صورهم.

#### فصل:

ولما ذكرناه من ضرب المصادف وراء العساكر وتأكده في قتال الكر والفر صار ملوك المغرب يتخلصون طائفنة من الإفرنج في جندهم واختصوا بذلك؛ لأن قتال أهل وطنهم كله بالكر والفر

والساد لا تعبره وانزل عنده بين العدو وبين جيشك يقطع ووراءك الصدق الذي هو أمنع واجعل مناجة الجيوش عشية فإذا تضايق الجيوش بمعرك ضنك فأطراف الرماح توسع وأصدمه أول وهلة لا تكرر شيئاً فاظهر النكول يضعف واجعل من الطلاع أهل شهامة للصدق فيه شيبة لا تخدع لا تسمع الكتاب جاءك مرجفاً لا رأي للكتاب فيما يصنع قوله: «أصدمه أول وهلة لا تكرر» البيت خالف لما عليه الناس في أمر الحرب، فقد قال عمر لأبي عبيد بن مسعود التقى لما لاه حرب فارس والعراق فقال له: اسمع وأطيع من أصحاب النبي ﷺ وأشاركم في الأمر ولا تحيجن مسرعاً حتى تبين، فإنها الحرب ولا يصلح لها إلا الرجل المكيث الذي يعرف الفرصة والكافر، وقال له في أخرى: إنه لن يعني أن أومر سليطاً إلا سرعته في الحرب، وفي التسرع في الحرب إلا عن بيان ضياع والله لو لا ذلك لأمرته، لكن الحرب لا يصلحها إلا الرجل المكيث.

هذا كلام عمر وهو شاهد بأن الشاقل في الحرب أول من الخنوف حتى يتبين حال تلك الحرب، وذلك عكس ما قاله الصيرفي إلا أن يريد أن الصدم بعد البيان، فله وجه والله تعالى أعلم.

ولا وثيق في الحرب بالظفر وإن حصلت أسبابه من العدة والمديد، وإنما الظفر فيها والغلب من قبيل البخت والاتفاق، وبيان ذلك أن أسباب الغلب في الأكثر مجتمعة من أمور ظاهرة وهي الجيوش ووفرها وكمال الأسلحة واستجادتها وكثرة الشجعان وترتيب المصفاف، ومنه صدق القتال وما جرى مجرى ذلك، ومن أمور خفية وهي إما من خidue البشر وحياتهم في الإرتجاف والتشابيع التي يقع بها التخذيل، وفي التقدم إلى الأماكن المرتفعة ليكون الحرب من أعلى فيتوهمون المتخفض لذلك، وفي الكمون في الغياض وطمئن الأرض والتواري بالكدرى عن العدو حتى يتداوهم العسكري دفعه، وقد تورطوا فيتقنون إلى التجاه وأمثال ذلك، وإما أن تكون تلك الأسباب الخفية أموراً سماوية لا قدرة للبشر على اكتسابها تلقى في القلوب، فيستولي الراهب عليهم لأجلها فتحتل مراكزهم فتعم الفزعية، وأكثر ما تقع المفازيم عن هذه الأسباب الخفية لكثرة ما يعتمل لكل واحد من الفريقين فيها حرضاً على الغلب، فلا بد من وقوع التأثير في ذلك لأحدهما ضرورة، ولذلك قال ﷺ: «الحرب خدعة».

ومن أمثال العرب: رب حيلة أفعى من قبile، فقد تبين أن وقوع الغلب في الحروب غالباً عن أسباب خفية غير ظاهرة،

## وصية علي رضي الله عنه وتحريضه لأصحابه يوم صفين

وانظر وصية علي رضي الله عنه وتحريضه لأصحابه يوم صفين، تجد كثيراً من علم الحرب ولم يكن أحد يبصر بها منه.

قال في كلام له: فسروا صفوكم كالبنيان المرصوص وقدمو الدارع وأخرروا الحاسر وغضروا على الأضراس، فإنه أبلى للسيوف عن الهاام، والتلروا على أطراف الرماح فإنه أصون للأسنة، وغضروا الأبصار فإنه أريط للجاثي وأسكن للقلوب، وأخفقوا الأصوات فإنه أطرد للفشل وأول بالوقار، واقيموا رياتكم فلا تغلوها ولا تجعلوها إلا بأيدي شجعانكم، واستعينوا بالصدق والصبر فإنه بقدر الصبر ينزل النصر.

وقال الأشتر يومئذ يحرص الأزد: عضوا على النواجه من الأضراس واستقبلوا القوم بهامكم، وشدوا شلة قوم موتورين يشارون بآبائهم وإخوانهم حنقاً على عدوهم وقد وطنوا على الموت أنفسهم؛ لثلا يسبقاً بوتر ولا يلحقهم في الدنيا عار.

وقد أشار إلى كثير من ذلك أبو بكر الصديقي شاعر لدونة وأهل الأندلس في كلمة يمدح بها تاشفين بن علي بن يوسف ويصف ثباته في حرب شهدتها ويدركه بأمر الحرب في وصايا ومخيرات تنبهك على معرفة كثير من سياسة الحرب يقول فيها:

بـا ايـها المـلاـذـي يـتـقـنـعـ	مـن مـنـكـمـ الـمـلـكـ الـمـامـ الـأـرـوـعـ
وـمـنـ الـذـي غـلـرـ العـدـوـ بـهـ دـجـىـ	فـالـفـلـقـ كـلـ وـهـ لـاـ يـتـزـعـزـعـ
تـضـيـ الفـوـارـسـ وـالـعـلـانـ يـصـدـهـاـ	عـنـ وـيـنـرـهـ الرـفـاهـ فـتـرـجـعـ
وـالـلـلـيـلـ مـنـ وـضـعـ التـرـائـكـ إـنـهـ	صـبـعـ عـلـىـ هـامـ الـجـيـوشـ يـلـمـعـ
أـنـيـ فـرـعـنـ يـبـيـ صـنـهـاجـةـ	وـالـيـكـمـ فـيـ الرـوـعـ كـانـ الـفـزـعـ
إـنـسـانـ عـيـنـ لـمـ يـصـبـهـ مـنـكـمـ	حـضـنـ وـقـلـبـ اـسـلـمـ الـأـضـلـعـ
وـصـدـدـتـمـ عـنـ تـاشـفـينـ وـإـنـهـ	لـقـابـهـ لـرـشـاءـ فـيـكـمـ مـوـضـعـ
مـاـ اـنـسـ إـلـاـ أـسـوـدـ خـفـيـةـ	كـلـ لـكـلـ كـرـبـةـ مـسـطـلـعـ
بـاـ تـاشـفـينـ أـقـمـ لـجـيـشـكـ عـنـهـ	بـالـلـلـيـلـ وـالـعـنـزـ الـذـيـ لـاـ يـدـنـعـ

ومنها في سياسة الحرب:

كـانـ مـلـوـكـ الـفـرـسـ قـبـلـكـ تـولـعـ	أـهـدـيـكـ مـنـ أـدـبـ الـسـيـاسـةـ مـاـ بـهـ
ذـكـرـيـ تـخـفـ المـؤـمـنـ وـتـفـعـ	لـاـ إـنـيـ أـدـرـيـ بـهـ لـكـهـاـ
وـصـىـ بـهـ صـنـعـ الـصـنـاعـةـ الـيـ	وـالـبـلـسـ مـنـ الـحـلـقـ الـضـاعـفـ الـيـ
سـيـانـ تـبـعـ ظـلـافـأـ وـتـبـعـ	وـالـمـنـدـوـانـيـ الرـقـيـقـ إـنـاـ
أـمـضـيـ عـلـىـ حـدـ الدـلـاـصـ وـأـنـطـعـ	وـارـكـ مـنـ الـحـلـيلـ السـوـابـنـ عـدـةـ
حـصـنـ حـصـنـاـ لـيـسـ فـيـهـ مـدـفـعـ	خـنـدـقـ عـلـيـكـ إـذـ ضـرـبـتـ مـحـلـةـ

موضعها وتكون طبقاً على صاحبها، والسبب في ذلك أن الشهرة والصيت إنما هما بالأخبار، والأخبار يدخلها الذهول عن المقادير عند التناقل ويدخلها التعجب والتشيع ويدخلها الأوهام ويدخلها الجهل بمطابقة الحكايات للأحوال لغافتها بالتلبيس والتصنع أو لجهل الناقل، ويدخلها التقرب لأصحاب التجلة والراتب الدنيوية بالثناء وال مدح وتحسين الأحوال وإشاعة الذكر بذلك، والنفس مولعة بحب الثناء والناس متظاولون إلى الدنيا وأسبابها من جاه أو ثروة وليسوا في الأكثر براغبين في الفضائل ولا متناسفين في أهلها، وإن مطابقة الحق مع هذه كلها؟ فتحتل الشهرة عن أسباب خفية من هذه وتكون غير مطابقة، وكل ما حصل بسبب خفي فهو الذي يعبر عنه بالبخث كما تقرر، والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق.

## الفصل الثامن والثلاثون

### في الجباية وسبب قلتها وكثرتها

اعلم أن الجباية أول الدولة تكون قليلة الوزائع كثيرة الجملة، وأخر الدولة تكون كبيرة الوزائع قليلة الجملة، والسبب في ذلك أن الدولة: إن كانت على سنن الدين فليست تقتصي إلا المغارم الشرعية من الصدقات والخارج والجزية وهي قليلة الوزائع؛ لأن مقدار الزكاة من المال قليل كما علمت، وكذا زكاة الحبوب والماشية، وكذا الجزية والخارج وجميع المغارم الشرعية، وهي حدود لا تتعدي، وإن كانت على سنن التغلب والعصبية فلا بد من البداوة في أنها كما تقدم، والبداوة تقتصي المساعة والمكارمة وخفض الجناح والتجمّع عن أموال الناس والغفلة عن تحصيل ذلك إلا في النادر، فيقل لذلك مقدار الوظيفة الواحدة والوزيعة التي تجمع الأموال من جمعوها، وإذا قلت الوزائع والوظائف على الرعایا نشطوا للعمل ورغبو فيه، فيكثر الاعتمار ويتراءيد محصول الاغتابات بقلة المغرم، وإذا كثر الاعتمار كثُرَتْ أعداد تلك الوظائف والوزائع فكثُرَتْ الجباية التي هي جملتها، فإذا استمرت الدولة واتصلت وتعاقب ملوكها واحداً بعد واحد واتصروا بالكبس وذهب شر البداوة والسنادحة وخلقها من الإغضباء والتجمّع، وجاء الملك العضوض والمحضارة الداعية إلى الكيس وتخلق أهل الدولة حيث تخلق التحدّث وتكتثر عرائدهم وحواجتهم بسبب ما انفسوا فيه من التعيم والتزف، فيكثرون الوظائف والوزائع حيث تعلق على الرعایا والأكراة والفلاحين وسائر

وقوع الأشياء عن الأسباب الخفية هو معنى البخت كما تقرر في موضعه فاعتبره وتفهم من وقوع الغلب عن الأمور السماوية كما شرحته معنى قوله تعالى: «نصرت بالرعب مسيرة شهر» وما وقع من غلبه للمشركيـن في حيـاته بالعدد القليل وغلـب المسلمين من بعده كذلك في الفتوحـات، فإن الله سبحانه وتعالى تكفل لبنيه بالقاء الرعب في قلوب الكافـرين حتى يستولي على قلوبـهم فيـنهـمـوا مـعـجزـةـ رـسـولـهـ عليهـ السـلامـ، فـكانـ الرـعبـ فيـ قـلـوبـهـمـ سـيـباـ للهزـائمـ فيـ الفـتوـحـاتـ الإـسـلامـيـةـ كـلـهـاـ إـلاـ أـنـ خـفـيـ عنـ العـيـونـ.

وقد ذكر الطروشي: أن من أسباب الغلب في الحروب أن تنفصل عدة الفرسان المشاهير من الشجعان في أحد الجانين على عدتهم في الجانب الآخر، مثل أن يكون أحد الجنان في عشرة أو عشرون من الشجعان المشاهير وفي الجانب الآخر ثمانية أو ستة عشر، فالجانب الزائد ولو بوحد يكون له الغلب وأعاد في ذلك وأبدى، وهو راجع إلى الأسباب الظاهرة التي قدمـنا ولـيس بصحيح.

إنما الصحيح المعتبر في الغلب حال العصبية أن يكون في أحد الجنان عصبية واحدة جامعة لكـلـهـمـ، وفي الجانب الآخر عصـابـ متـعدـدةـ؛ لأنـ العـصـابـ إـذـ كـانـ مـتـعـدـدةـ يـقـعـ بـيـنـهـاـ مـنـ التـخـاذـلـ ماـ يـقـعـ فـيـ الـوحـدـانـ الـمـتـفـرـقـينـ الـفـاقـدـينـ لـلـعـصـبـيـةـ، إـذـ تـنـزـلـ كـلـ عـصـابـ مـنـهـمـ مـنـزلـةـ الـواـحـدـ وـيـكـونـ الجـانـبـ الـذـيـ عـصـابـهـ مـتـعـدـدةـ لـاـ يـقـاـومـ الجـانـبـ الـذـيـ عـصـبـتـهـ وـاـعـصـبـهـ، إـذـ تـنـهـمـهـ، وـاـعـلـمـ أـنـ أـصـحـ فـيـ الـاعـتـارـ ماـ ذـهـبـ إـلـيـهـ الطـرـوـشـيـ، وـلـمـ يـعـمـلـهـ عـلـىـ ذـلـكـ إـلـاـ نـسـيـانـ شـأـنـ الـعـصـبـيـةـ فـيـ حـلـتـهـ وـبـلـدـهـ، وـأـنـهـ إـنـماـ يـرـدـونـ ذـلـكـ الدـافـعـ وـالـحـمـاـيـةـ وـالـمـطـالـبـةـ إـلـىـ الـوـحـدـانـ وـالـجـمـاعـةـ النـاشـةـ عـنـهـمـ، لـاـ يـعـتـرـونـ فـيـ ذـلـكـ عـصـبـيـةـ وـلـاـ نـسـبـاـ وـقـدـ بـيـنـاـ ذـلـكـ أـوـلـ الـكـتـابـ، مـعـ أـنـ هـذـاـ وـأـمـثالـهـ عـلـىـ تـقـدـيرـ صـحـتهـ إـنـماـ هـوـ مـنـ الـأـسـبـابـ الـظـاهـرـةـ مـثـلـ اـنـقـاقـ الـجـيـشـ الـعـلـدـ وـصـدـقـ الـقـاتـلـ وـكـثـرـ الـأـسـلـاحـ وـمـاـ أـشـبـهـهـ، فـكـيفـ يـعـلـمـ ذـلـكـ كـفـيـلـاـ بـالـغـلـبـ؟ـ وـنـفـنـ قدـ قـرـرـنـاـ لـكـ الـآنـ أـنـ شـيـئـاـ مـنـهـاـ لـاـ يـعـارـضـ الـأـسـبـابـ الـخـفـيـةـ مـنـ الـحـيـلـ وـالـخـدـاعـ وـلـاـ الـأـمـورـ السـمـاوـيـةـ مـنـ الرـعبـ وـالـخـذـلـانـ الـإـلهـيـ، فـأـفـهـمـهـ وـتـفـهـمـهـ أـحـوالـ الـكـوـنـ، وـالـلـهـ مـقـدرـ الـلـيـلـ وـالـنـهـارـ.

### فصل:

ويلحق بمعنى الغلب في الحروب وأن أسبابه خفية وغير طبيعية حال الشهرة والصيت، فقل أن تصادف موضعها في أحد طبقات الناس من الملوك والعلماء والصالحين والمتخلجين للفضائل على العموم، وكثير من اشتهر بالشر وهو مختلفه، وكثير من تجاوزـتـ عنـ الشـهـرـ وـهـوـ أـحـقـ بـهـاـ وـأـهـلـهـاـ، وـقـدـ تـصـادـفـ

ويدرك الدولة المرم وتصعبها عن جباية الأموال من الأعمال والقاصية، فتقل الجباية وتكثر العوائد، ويكثر بكثتها أرزاق الجنود وعطاوهم فيستحدث صاحب الدولة أنواعاً من الجباية يضرها على البيعات ويفرض لها قدرأً معلوماً على الأثمان في الأسواق، وعلى أعيان السلع في أموال المدينة. وهو مع هذا مضطرب لذلك بما دعا إليه ترف الناس من كثرة الطعام مع زيادة الجيوش والحرامية، وربما يزيد ذلك في أواخر الدولة زيادة بالغة فتكسر الأسواق لفساد الأموال، ويؤذن ذلك باختلال العمran ويعود على الدولة، ولا يزال ذلك يترايد إلى أن تصبحل.

وقد كان وقع منه بأمسار المشرق في آخريات الدولة العباسية والعبيدية كثير، وفرضت المغارم حتى على الحاج في الموسم، وأسقط صلاح الدين أيوب تلك الرسوم جملة وأعادها بآثار الخير. وكذلك وقع بالأندلس لمهد الطوائف حتى حما رسمه يوسف بن تاشفين أمير المرابطين، وكذلك وقع بأمسار الجريد بإفريقية لهذا المهد حين استبد بها رؤساوها والله تعالى أعلم.

## الفصل الأربعون

### في أن التجارة من السلطان مضره بالرعايا ومفسدة للجباية

اعلم أن الدولة إذا ضاقت جبايتها بما قدمناه من الترف وكثرة العوائد والنفقات وقصر الحصول من جبايتها على الوفاء بحاجاتها ونفقاتها، واحتاجت إلى مزيد المال والجباية، فتارة توضع المكروس على بياعات الرعايا وأسواقهم كما قدمنا ذلك في الفصل قبل، وتارة بالزيادة في القتاب المكروس إن كان قد استحدث من قبل، وتارة بمقاسمة العمال والجباية وامتياز عظامهم، لما يرون أنهم قد حصلوا على شيء طائل من أموال الجباية لا يظهره الحسنان، وتارة باستحداث التجارة والفلاحة للسلطان على تسمية الجباية لما يرون التجار وال فلاحين يحصلون على الفوائد والغلبات مع بسارة أمرائهم، وأن الأرباح تكون على نسبة رؤوس الأموال، فيأخذون في اكتساب الحيوان والنبات لاستغلاله في شراء البضائع والتعرض بها لحالة الأسواق ويسحبون ذلك من إدارات الجباية وتكميل الفوائد. وهو غلط عظيم وإدخالضرر على الرعايا من وجوده متعددة.

فأولاً مضائقة الفلاحين والتجار في شراء الحيوان والبضائع، وتبسيط أسباب ذلك، فإن الرعايا متكونون في اليسار متقاربون

أهل المغارم، ويزيدون في كل وظيفة ووزيعة مقداراً عظيماً لتكلف لهم الجباية، ويضعون المكروس على المبايعات، وفي الأبواب كما ذكر بعد، ثم تدرج الزيادات فيها بمقدار بعد مقدار لتدرج عوائد الدولة في الترف وكثرة الحاجات والإتفاق بسيه، حتى تقل المغارم على الرعايا وتهضم وتصير عادة مفروضة؛ لأن تلك الزيادة تدرجت قليلاً قليلاً، ولم يشعر أحد من زادها على التعين ولا من هو واضعها إنما تبنت على الرعايا كأنها عادة مفروضة. ثم تزيد إلى الخروج عن حد الاعتدال، فتنهب غبطة الرعايا في الاعتمار للذهب الأمل من نفوسهم بقلة النفع، إذا قابل بين نفعه ومقارنه وبين ثمرته وفائتها فتنقبض كثير من الأيدي عن الاعتمار جملة، فتنقص جلة الجباية حيث تدقن تلك الزيادة منها، وربما يزيدون في مقدار الوظائف إذا رأوا ذلك التنص في الجباية ومحبسونه جبراً لما نقص، حتى تنتهي كل وظيفة ووزيعة إلى غاية ليس وراءها نفع ولا فائدة لكتلة الإنفاق حيث في الاعتمار وكثرة المغارم وعدم وفاء الفائدة المرجوة به، فلا تزال الجملة في تقص وفقدان الزيادة والوظائف في زيادة لما يعتقدونه من جبر الجملة بها إلى أن يتقص العمران بذهاب الأموال من الاعتمار ويعود وبالأذى على الدولة؛ لأن فائدة الاعتمار عائد إليها، وإذا فهمت ذلك علمت أن أقوى الأسباب في الاعتمار تقليل مقدار الوظائف على المعتمرين ما أمكن، ف بذلك تبسيط التفوس إليه لقتتها بإدراك المنفعة فيه، والله سبحانه وتعالى مالك الأمور كلها وبيده **«ملکوت كل شيء»**.

## الفصل التاسع والثلاثون

### في ضرب المكروس أواخر الدولة

اعلم أن الدولة تكون في أوطاها بدوية كما قلنا، فتكون لذلك قليلة الحاجات لعدم الترف وعوائده، فيكون خرجها وإنفاقها قليلاً فيكون في الجباية حيث وفاء بأزيد منها، بل يفضل منها كثير عن حاجاتهم ثم لا تثبت أن تأخذ بدين الحضارة في الترف وعوائده، وتحبى على نهج الدول السابقة قبلها، فيكثر لذلك خراج أهل الدولة، ويكثر خراج السلطان خصوصاً كثرة بالغة بفتحه في خاصته وكثرة عطائه، ولا تفي بذلك الجباية فتحتاج الدولة إلى الزيادة في الجباية لما تحتاج إليه الخامنة من الطعام، والسلطان من النفقة، فيزيد في مقدار الوظائف والزيادة أولاً كما قلناه، ثم يزيد الخراج وال الحاجات والتدرج في عوائد الترف وفي الطعام للحماية،

واعلم أن السلطان لا ينمي ماله ولا يدر مرجوده إلا الجباية وإدارتها إنما يكون بالعدل في أهل الأموال، والنظر لهم بذلك، فبنذلك تبسط آمامهم، وتشرح صدورهم للأخذ في تمير الأموال وتنميتها، فتعظم منها جباية السلطان وأما غير ذلك من تجارة أو فلاح فإنما هو مضررة عاجلة للرعايا وفساد للجباية وتقصص للعمراء. وقد يتدهي الحال بهؤلاء المسلمين للت التجارة والفلاحة من الأمراء والملقبين في البلدان، إنهم يتعرضون لشراء الغلات والسلع من أربابها الواردين على بلدتهم، ويفرضون لذلك من الشمن ما يشاورون، ويعيونها في وقتها من تحت أيديهم من الرعايا بما يفرضون من الشمن. وهذه أشد من الأولى وأقرب إلى فساد الرعاية واحتلال أحوازهم. وربما يحمل السلطان على ذلك من يداخله من هذه الأصناف، أعني التجار وال فلاحين لما هي صناعته التي نشأ عليها، فيحمل السلطان على ذلك ويضرب معه بسهم لنفسه ليحصل على غرضه من جمع المال سريعاً، سيما مع ما يحصل له من التجارة بلا مغنم ولا مكس، فإنها أجدر بنحو الأموال وأسرع في تميره، ولا يفهم ما يدخل على السلطان من الضرر بتقصص جبايتها، فينبغي للسلطان أن يحذر من هؤلاء ويعرض عن سعيتهم المضرة بجياباته وسلطانه، والله يلهمنا رشد أنفسنا وينفعنا بصالح الأعمال، والله تعالى أعلم.

## الفصل الحادي والأربعون

### في أن ثروة السلطان وحاشيته إنما تكون في وسط الدولة

والسبب في ذلك أن الجباية في أول الدولة توزع على أهل القبيل والعصبية بقدر غناهم وعصبيتهم، ولأن الحاجة إليهم في تمييد الدولة كما قلناه من قبل. فرئيسهم في ذلك متاجف لهم عما يسمون إليه من الجباية متاضر عن ذلك بما هو يبروم من الاستبداد عليهم، فله عليهم عزة وله إليهم حاجة، فلا يطير في سهمائه من الجباية إلا الأقل من حاجته. فتجدد حاشيته لذلك وأذلاه من الوزراء والكتاب والموالي ملقيين في العالب، وجاههم متلاصص لأنه من جاءه خدومهم، ونطاقه قد ضاق عن يزاحمه فيه من أهل عصبيته.

فإذا استفحلت طبيعة الملك، وحصل لصاحب الدولة الاستبداد على قوله، قبض أيديهم عن الجبايات إلا ما يطير لهم بين الناس في سهمائهم، وتقل حظوظهم إذ ذلك لقلة غناهم في

ومزاجة بعضهم بعضاً تنتهي إلى غاية موجودهم أو تقرب، وإذا رافقهم السلطان في ذلك وماه أعظم كثيراً منهم، فلا يكاد أحد منهم يحصل على غرضه في شيء من حاجاته، ويدخل على الفوس من ذلك غم ونكد. ثم إن السلطان قد يتزع الكثير من ذلك إذا تعرض له غضاً أو بايسر ثمن، إذ لا يجد من يนาشه في شرائه فيخس ثمنه على بائنه.

ثم إذا حصل فوائد الفلاحة ومتلها كله من زرع أو حبوب أو عسل أو سكر أو غير ذلك من أنواع الغلات، وحصلت بضائع التجارة من سائر الأنوع، فلا يتذمرون به حالة الأسواق ولا نفاق البيعات لما يدعوه إليهم تكاليف الدولة، فيكلفون أهل تلك الأصناف من تاجر أو فلاح بشراء تلك البضائع، ولا يرثون في أيامها إلا القسم وأزيد، فيستوعبون في ذلك ناضر، أموالهم وتبقى تلك البضائع بأيديهم عروضاً جامدة، ويمكثون عطلاً من الإداره التي فيها كسبهم ومعاشهم. وربما تدعوههم الضرورة إلى شيء من المال فيبيعون تلك السلع على كсад من الأسواق بأسعار ثمن. وربما يتذكر ذلك على التاجر والفلاح منهم بما يذهب رأس ماله، فينعد عن سوقه ويتعدد ذلك ويتذكر، ويدخل به على الرعايا من العنت والمضايقه وفساد الأرباح، يقبض أمالهم عن السعي في ذلك جلة ويسود إلى فساد الجباية، فإن معظم الجباية إنما هي من الفلاحين والتجار لا سيما بعد وضع المكوس ونمو الجباية بها فإذا انقضى الفلاحون عن الفلاحة وفقد التجار عن التجارة ذهبوا الجباية جلة أو دخلها التقصص المفاحش.

وإذا قايس السلطان بين ما يحصل له من الجباية وبين هذه الأرباح القليلة وجدتها بالنسبة إلى الجباية أقل من القليل، ثم إنه ولو كان مفيداً فيذهب له بمقدار عظيم من الجباية فيما يعانيه من شراء أو بيع، فإنه من بعيد أن يوجد فيه من المكس ولو كان غيره في تلك الصفقات لكان تكبّها كلها حاصلاً من جهة الجباية. ثم فيه التعرض لأهل عمرانه واحتلال الدولة بفسادهم ونقصه؛ فإن الرعايا إذا قعدوا عن تمير أموالهم بالفلاحة والتجارة تقصت وتلاشت بالتفقات وكان فيها تلاف أحوازهم، فافهم ذلك. وكان الفرس لا يملكون عليهم إلا من أهل بيت الملكة، ثم يختارونه من أهل الفضل والدين والأدب والمسخاء والشجاعة والكرم، ثم يشرطون عليه مع ذلك العدل وأن لا يتخذ صنعة فيضر بغيره ولا يتاجر فيحب غلاء الأسعار في البضائع وأن لا يستخدم العبيد فإنهم لا يشترون بغير ولا مصلحة.

فإن صاحب هذا الغرض إذا كان هو الملك نفسه، فلا تمكنه الرعية من ذلك طرفة عين، ولا أهل المصيبة المزاحرون له، بل في ظهور ذلك منه هدم لملكه وإتلاف لنفسه بمجاري العادة بذلك؛ لأن رقة الملك يعسر الخلاص منها، بينما عند استحال الدولة وضيق نطاقها وما يعرض فيها من البعد عن الجد والخلال والتخلق بالشر، وأما إذا كان صاحب هذا الغرض من بطانة السلطان وحاشيته وأهل الرتب في دولته، فقل أن يخلو بينه وبين ذلك. أما

أولاً فلما يراه الملك أن ذويهم وحاشيهم بل وسائر رعاياهم مالكين لهم، مطلعون على ذات صدورهم، فلا يسمحون بحمل رقتهم من الخدمة ضئلاً بأسراهم وأحوالهم أن يطلع عليها أحد. وغيره من خدمته لسواهم، ولقد كان بنو أمية بالأندلس يعنون أهل دولتهم من السفر لغريضة الحج لما يتوهونه من وقوعهم بآيدي بي العباس؛ فلم يجح سائر أيامهم أحد من أهل دولتهم، وما أتيح الحج لأهل الدول من الأندلس إلا بعد فراغ شأن الأمورة ورجوعها إلى الطرافات. وأما ثانياً فلأنهم وإن سمحوا بحمل رقتهم فلا يسمحون بالتجافي عن ذلك المال لما يرون أنه جزء من مالهم كما يرون أنه جزء من دولتهم، إذ لم يكتب إلا بها وفي ظل جاهها، فتحرم نفوسهم على انتزاع ذلك المال والتقامه كما هو جزء من الدولة يتبعون به. ثم إذا توهمنا أنه خلص بذلك المال إلى قطر آخر، وهو في النادر الأقل، فتعمد إليه أعين الملك بذلك القطر ويترعون بالإرهاب والتخييف تعريضاً أو بال فهو ظاهراً، لما يرون أنه مال الجباية والدول، وأنه مستحق للإتفاق في المصالح وإذا كانت أعينهم تمنى إلى أهل الثروة واليسار التكتسين من وجود المعاش فأحرى بها أن تمنى إلى أموال الجباية والدول التي تجد السبيل إليه بالشرع والعادة، ولقد حاول السلطان أبو يحيى زكريا بن أحد الليجاني تاسع أو عاشر ملوك الحفصيين بأمرية الخروج عن عهدة الملك واللحاق بحصر فراراً من طلب صاحب الثغر الغربية لا استجمعت لغزو تونس، فاستعمل الليجاني الرحلة إلى تغر طرابلس يوري بتمهيد، وركب السفين من هناك، وخلص إلى الإسكندرية بعد أن حل جميع ما وجده ببيت المال من الصامت والذخيرة، وباع كل ما كان يخزنه من المتع والعقار والجواهر، حتى الكتب، واحتمل ذلك كله إلى مصر ونزل على الملك الناصر محمد بن قلاون سنة سبع عشرة من المائة الثامنة، فاكرم نزله ورفع مجلسه ولم ينزل يستخلص ذخيرته شيئاً فشيئاً بالتعريض إلى أن حصل عليها ولم يبق معاش ابن الليجاني إلا في جرابته التي فرست له، إلى أن هلك ستة ثمان وعشرين حسبما نذكره في أخباره. فهذا وأمثاله من جملة الوسواس الذي يعتري

الدولة بما انكبح من أعتهم، وصار المواري والصنائع مساهمين لهم في القيام بالدولة وتمهيد الأمر؛ فيفرد صاحب الدولة حيث لا يجلبها أو معظمها، ويحتوي على الأموال ويختلجها للنفقات في مهمات الأحوال، فتكثر ثروته وغتل خزاناته ويتسع نطاق جاهه ويمتز على سائز قوته، فيعظم حال حاشيته وذويه من وزير وكاتب وحاجب ومول وشططي ويتسع جاههم، ويقتلون الأموال ويتاثلونها.

ثم إذا أخذت الدولة في المرم بتلاشي العصبية وفناء القبيل المأهدين للدولة احتاج صاحب الأمر حيث لا الأعواان والأنصار، ولكلثرة الخوارج والمسازعين والشوار وتوهم الانتهاض، فصار خواجه لظهرائه وأعوانه وهم أرباب السيف وأهل العصبيات، وانقذ خزاناته وحاصله في مهمات الدولة، وقتل مع ذلك الجباية لما قدمناه من كثرة العطاء والإتفاق، فيقل الخراج وتشتد حاجة الدولة إلى المال، فيتغلص ظلل النعمة والترف عن الخواص والمحجوب والكتاب بتقلص الجاه عنهم، وضيق نطاقه على صاحب الدولة ثم تشتد حاجة صاحب الدولة إلى المال وتتفق أبناء بطانة وحاشيته ما تائله آباءهم من الأموال في غير سبيلها من إعانته صاحب الدولة، ويقبلون على غير ما كان عليه آباءهم وسلفهم من المناصحة ويرى صاحب الدولة أنه أحق بذلك الأموال التي اكتسبت في دولة سلفه ومجاههم، فيصطليها ويترعنها منهم لنفسه شيئاً فشيئاً رواحداً بعد واحد على نسبة ربهم وتنكر الدولة لهم، ويعود وبالذلك على الدولة بفتاء حاشيته ورجالاتها وأهل الثروة والنعمة من بطانتها، ويقترون بذلك كثير من مباني الجد بعد أن يدعمه أهله ويرفعوه.

وانظر ما وقع من ذلك لوزراء الدولة العباسية فيبني قحطبة وبني برمل وبني سهل وبني طاهر وأمثالهم، ثم في الدولة الأموية بالأندلس عند اغلاقها أيام الطرافات فيبني شهيد وبني أبي عبدة وبني حديرة وبني بُرد وأمثالهم، وكذلك في الدولة التي أدركناها لمهدنا. سنته الله التي قد خلت في عباده.

### فصل:

ولما يتحقق أهل الدولة من أمثال هذه المعاطب صار الكثير منهم يتزععون إلى الفرار عن الرتب والتخلص من رقة السلطان، بما حصل في أيديهم من مال الدولة إلى قطر آخر، ويررون أنه أهنا لهم وأسلم في إتفاقه وحصول ثمرته. وهو من الأغلالات الفاحشة والأوهام المفسدة لأحوالهم وذرياتهم.

واعلم أن الخلاص من ذلك بعد الحصول فيه عسير ممتنع.

انتهاك الرعایا عن السعي في الاتّساع، فإذا كان الاعتداء كثيراً عاماً في جميع أبواب المعاش كان القعود عن الكسب كذلك للنهابه بالأعمال جلة بدخوله من جميع أبوابها، وإن كان الاعتداء يسيراً كان الانتهاك عن الكسب على نسبة، والعمaran وفروره وتفاق أسواقه إنما هو بالأعمال وسعى الناس في المصالح والمكاسب ذاهلين وجائين، فإذا قعد الناس عن المعاش وانتهت أيديهم عن المكاسب كسدت أسواق العمaran وانتهت الأحوال وابذعن الناس في الآفاق من غير تلك الإيالة في طلب الرزق فيما خرج عن نطاقها، فخف ساكن القطر وخلت دياره وخربت أمصاره واخلل باختلاله حال الدولة والسلطان لما أنها صورة للعمaran تفسد بفساد مادتها ضرورة.

وانظر في ذلك ما حكاه المسعودي في أخبار الفرس عن المريذان صاحب الدين عندهم أيام بهرام بن بهرام وما عرض به للملك في إنكار ما كان عليه من الظلم والغفلة عن عائدته على الدولة بضرب المثال في ذلك على لسان البيوم حين سمع الملك أصواتها وسألها عن فهم كلامها فقال له: إن يوماً ذكرنا يروم تکاح يوم أثني، وإنها شرطت عليه عشرين قرية من الخراب في أيام بهرام قبل شرطها، وقال لها: إن دامت أيام الملك أنقطعك الف قرية وهذا أهل مرام. فتبه الملك من غفلته وخلا بالموذان وسأله عن مراده فقال له:

أيها الملك إن الملك لا يتسم عزه إلا بالشرعية والقيام الله بطاعته والنصرة تحت أمره ونهيءه، ولا قوام للشرعية إلا بالملك، ولا عز للملك إلا بالرجال، ولا قوام للرجال إلا بالمال، ولا سبيل إلى المال إلا بالعمارة، ولا سبيل للعمارة إلا بالعدل، والعدل الميزان المتصوب بين الخلقة نصبه الرب وجعل له قيمة وهو الملك، وأنت أيها الملك عمدت إلى الضياع فانتزعتها من أربابها وعمارتها، وهم أرباب الخراج ومن توخد منهم الأموال، وأقطعتها الحاشية والخدم وأهل البطالة فتركتوا العمارة والنظر في العاقب وما يصلح الضياع، وسوسخوا في الخراج لقربهم من الملك، ووقع الحيف على من بقي من أرباب الخراج وعمار الضياع فالمجلووا عن ضياعهم وخلوا ديارهم وأتوا إلى ما تذر من الضياع فسكنوها، فقللت العمارة وخربت الضياع وقللت الأموال وملكت الجنود والرعية وطمع في ملك فارس من جاورهم من الملوك لعلمهم بانقطاع المواد التي لا تستقيم دعائم الملك إلا بها.

فلمَا سمع الملك ذلك أقبل على النظر في ملكه وانتزعت الضياع من أيدي الخاصة ورددت على أربابها وحلوا على رسومهم السالفة، وأخلوا في العمارة وقوى من ضعف منهم،

أهل الدول لما يتوقفونه من ملوكهم من المعاطب، وإنما يخلصون إن اتفق لهم الخلاص بأنفسهم، وما يتوفونه من الحاجة ففلط وورهم، والذي حصل لهم من الشهرة بخدمة الدول كاف في وجдан المعاش لهم بالجرایات السلطانية أو بالجاه في اتحاد طرق الكسب من التجارة وال فلاحة والدول انساب؛ لكن: النفس راغبة إذا رغبها وإذا تردد إلى قبل تقنع والله سبحانه هو الرزاق وهو الموفق عنه وفضله والله أعلم.

## الفصل الثاني والأربعون

في أن نقص العطاء من السلطان نقص في الجباية

والسبب في ذلك أن الدولة والسلطان هي السوق الأعظم للعام، ومنه مادة العمran. فإذا احتاجَ السلطان الأموال أو الجبايات، أو فقدت فلم يصرفها في مصارفها قل حيثذا ما بأيدي الحاشية والحاامية، وانتقطع أيضاً ما كان يصل منهم لخاشيتهم وذويهم وقلت نفقاتهم جلة وهم معظم السواد، ونفقاتهم أكثر مادة للأسوق من سوادهم فيقع الكساد حيثذا في الأسواق وتضعف الأرباح في الملاجئ الخارج لذلك؛ لأن الخراج والجباية إنما تكون من الاعتمار والمعاملات ونفق الأسواق وطلب الناس للفوائد والأرباح، وربما ذلك عائد على الدولة بالنقص لقلة أموال السلطان حيثذا بقلة الخارج. فإن الدولة كما قلناها هي السوق الأعظم، أم الأسواق كلها، وأصلها ومادتها في الدخول والخارج، فإن كسدت وقلت مصارفها فاجدر بما بعدها من الأسواق أن يلحقها مثل ذلك وأشد منه، وأيضاً فالمال إنما هو السلطان عنده فقدته الرعية، ومنه إليه، فإذا جبست الرعية والسلطان منها إليه، ومنه إليه، فإذا جبست السلطان عنده فقدته الرعية. سنة الله في عباده.

## الفصل الثالث والأربعون

في أن الظلم مؤذن بخراب العمran

اعلم أن العدوان على الناس في أمرالمـسـ ذاهـبـ بـآـمـالـهـ في تحصيلها واكتسابها لما يرونـهـ حيثـذاـ منـ أنـ غـائـبـهاـ ومـصـيرـهاـ اـنـتهاـهاـ منـ أـيـديـهـمـ،ـ وإـذـاـ ذـهـبـتـ آـمـالـهـ فيـ اـكـسـابـهاـ وـتـحـصـيلـهاـ اـنـتـهـيـتـ أـيـديـهـمـ عنـ السـعـيـ فيـ ذـلـكـ،ـ وـعـلـىـ قـدـرـ الـاعـتـداءـ وـنـسـبـةـ يـكـونـ

عليه إلا من يقدر عليه؛ لأن إما يقع من أهل القدرة والسلطان فبогاع في ذمه وتكرير الوعيد فيه، عسى أن يكون الواقع فيه للقادر عليه في نفسه «ومَا رُكِّبَ بِظُلْمٍ لِتُنْبَدِي».

ولا تقولن إن العقوبة قد وضعت بإزاء الحرابة في الشر وهي من ظلم القادر؛ لأن المحارب زمن حرابته قادر، فإن في الجواب عن ذلك طريقين:

أحدما أن تقول العقوبة على ما يقترفه من الجنايات في نفس أو مال على ما ذهب إليه كثير، وذلك إنما يكون بعد القدرة عليه والمطالبة بمحنتها، وأما نفس الحرابة فهي خلو من العقوبة. الطريق الثاني أن تقول: المحارب لا يوصف بالقدرة؛ لأننا إنما نعني بقدرة الظالم اليد المسوطة التي لا تعارضها قدرة، فهي المؤذنة بالحراب، وأما قدرة المحارب فإنما هي إخافة يجعلها ذريعة لأخذ الأموال والمدافعة عنها بيد الكل موجودة شرعاً وسياسة، فليست من القدر المؤذن بالحراب، والله قادر على ما يشاء.

#### فصل:

ومن أشد الظلamas وأعظمها في إفساد العمران تكليف الأعمال وتسخير الرعایا بغير حق، وذلك أن الأعمال من قبل التملولات كما سنتين في باب الرزق؛ لأن الرزق والكسب إنما هو قيم أعمال أهل العمران.

فإذا مساعيهم وأعمالهم كلها متملولات ومكاسب لهم، بل لا مكاسب لهم سواها، فإن الرعاية المتعملين في العمارة إنما معاشهم ومكاسبهم من اعتمالهم ذلك، فإذا كثروا العمل في غير شأنهم واتخذوا سخراً في معاشهم بطل كسبهم واغتصبوا قيمة عملهم ذلك، وهو متمولهم فدخل عليهمضرر، وذهب لهم حظ كبير من معاشهم، بل هو معاشهم بالجملة، وإن تكرر ذلك عليهم أنسد آمالهم في العمارة وفقدوا عن السعي فيها جلة فادي إلى انتقام العمران وتغريبه، والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق.

#### الاحتياط:

وأعظم من ذلك في الظلم وإفساد العمران والدولة السلطان على أموال الناس بشراء ما بين أيديهم بأنفس الأثمان، ثم فرض البضائع عليهم بأرفع الأثمان على وجه الغصب والإكراه في الشراء والبيع، وربما تفرض عليهم تلك الأثمان على التراخي والتأجيل، فيتعللون في تلك الخسارة التي تلحقهم بما تحدثهم المطامع من جر ذلك بمحالة الأسواق في تلك البضائع التي فرضت عليهم بالغلاء إلى بيعها بأنفس الأثمان، وتعد خسارة ما بين الصفتين على رؤوس أموالهم. وقد يعم ذلك أصناف التجار

فعمرت الأرض وأخصبت البلاد وكثرت الأموال عند جهة الخارج، وقويت الجند وقطعت مواد الأعداء وشحنت الشور، وأقبل الملك على مباشرة أموره بنفسه فحسنت أيامه واتظم ملوكه، فتقهم من هذه الحكاية أن الظلم مخرب للعمران وأن عائدة الحراب في العمران على الدولة بالفساد والانتقام.

ولا تنظر في ذلك إلى أن الاعداء قد يوجد بالأمسار العظيمة من الدول التي بها ولم يقع فيها خراب، واعلم أن ذلك إنما جاء من قبل المناسبة بين الاعداء وأحوال أهل مصر، فلما كان المصر كيراً وعمرانه كيراً وأحواله متعدة بما لا ينحصر، كان وقع النقص فيه بالاعداء والظلم يسير، لأن النقص إنما يقع بالتاريخ، فإذا خفي بكثرة الأحوال واتساع الأعمال في المصر لم يظهر أثره إلا بعد حين، وقد تذهب تلك الدولة المتدينة من أصلها قبل خراب المصر وتحمي الدولة الأخرى فترفعه بجهتها وتجبر النقص الذي كان خفياً فيه، فلا يكاد يشعر به إلا أن ذلك في الأقل النادر.

والمراد من هذا أن حصول النقص في العمران عن الظلم والعدوان أمر واقع لا بد منه لما قدمناه، ووبالله عائد على الدول. ولا تحسن الظلم إنما هو أخذ المال أو الملك من يد مالكه من غير عرض ولا سبب كما هو المشهور، بل الظلم أعم من ذلك، وكل من أخذ ملك أحد أو غضبه في عمله أو طالبه بغير حق أو فرض عليه حقاً لم يفرضه الشريع فقد ظلمه، فجاهة الأموال بغير حقها ظلمة، والمعتدون عليها ظلمة، والمتهمون لها ظلمة، والمتغرون لحقوق الناس ظلمة، وغاصب الأموال على العموم ظلمة، ووبالذلك كله عائد على الدولة بخراب العمران الذي هو مادتها لإذهاه الآمال من أهلها.

واعلم أن هذه هي الحكمة المقصودة للشارع في تحرير الظلم، وهو ما ينشأ عنه من فساد العمران وخرابه، وذلك مؤذن بانقطاع النوع البشري، وهي الحكمة العامة المراقبة للشرع في جميع مقتضاه الضرورية الخمسة، من حفظ الدين والنفس والعقل والسلل والمال. فلما كان الظلم كما رأيت مؤذناً بانقطاع النوع لما أدى إليه من تحرير العمران، كانت حكمة المحظر فيه موجودة، فكان تحريره مهمـاً، وأداته من القرآن والسنة كبيرة، أكثر من أن يأخذها قانون الضبط والمحصر.

ولو كان كل واحد قادرًا عليه لوضع إزاءه من العقوبات الزاجرة ما وضع إزاء غيره من المفسدات لل النوع، التي يقدر كل أحد على اقترافها من الزنا والقتل والسكر، إلا أن الظلم لا يقدر

استيلاؤها والبداوـة هي شعار العصبية والدولة إن كان قيامها بالذين، فإنه بعيد عن منازع الملك، وإن كان قيامها بعز الغلب فقط فالبداوـة التي بها يحصل الغلب بعيداً أيضاً عن منازع الملك ومذاهـبه، فإذا كانت الدولة في أول أمرها بدويـة كان صاحبـها على حال الغضـاضة والبداوـة والقرب من الناس وسهولة الإذن.

فإذا رسمـ عزـه وصارـ إلى الانفـراد بالمـجد واحتـاجـ إلى الانـفـراد بـنفسـه عنـ النـاسـ للـحدـيثـ معـ أولـيـاهـ فيـ خـواـصـ شـوـونـهـ لماـ يـكـثـرـ حـيـنـتـهـ مـنـ مـحـاشـيـهـ فـيـطـلـبـ الانـفـرادـ عنـ العـامـةـ ماـ اـسـطـاعـ وـيـتـخـذـ الإـذـنـ بـيـابـهـ عـلـىـ مـنـ لـاـ يـأـمـنـهـ مـنـ أولـيـاهـ وأـهـلـ دـولـتـهـ وـيـتـخـذـ حاجـجاـ لـهـ عـنـ النـاسـ يـقـيمـهـ بـيـابـهـ هـذـهـ الـوظـيـنةـ.

ثم إذا استـفـحلـ المـلـكـ وجـاءـهـ مـذـاهـبـهـ وـمـنـازـعـهـ استـحـالتـ خـلـقـ صـاحـبـ الدـوـلـةـ إـلـىـ خـلـقـ الـمـلـكـ، وهـيـ خـلـقـ غـرـبـيـةـ مـخـصـوصـةـ يـتـجـاهـ مـباـشـرـهـ إـلـىـ مـدارـاتـهـ وـمـعـاملـهـ بـاـيـعـبـ طـاهـ، وـرـبـاـ جـهـلـ تـلـكـ الـخـلـقـ مـنـهـ بـعـضـ مـنـ يـاـشـرـهـمـ فـوـقـ فـيـماـ لـاـ يـرـضـيـهـمـ فـسـخـطـوهـ وـصـارـواـ إـلـىـ حـالـةـ الـانـتـقامـ مـنـهـ، فـانـفـرـدـ بـمـغـرـفـهـ هـذـهـ الـآـدـابـ الـخـواـصـ مـنـ أولـيـاهـمـ وـحـجـبـواـ غـيرـ أولـيـكـ الـخـاصـةـ عـنـ لـقـائـهـمـ فـيـ كـلـ وـقـتـ حـفـظـاـ عـلـىـ أـنـشـهـمـ مـنـ مـعـاـيـنـهـ مـاـ يـسـخـطـهـمـ وـعـلـىـ النـاسـ مـنـ التـعـرـضـ لـعـقـابـهـمـ، فـصـارـ لـهـ حـجـابـ آـخـرـ أـخـصـ مـنـ الـحـجـابـ الـأـوـلـ يـفـضـيـهـ إـلـىـ مـنـ خـواـصـهـ مـنـ الـأـوـلـيـاهـ وـيـحـبـ دـونـهـ مـنـ سـوـاهـ مـنـ الـعـامـةـ. وـالـحـجـابـ الثـانـيـ يـفـضـيـهـ إـلـىـ مـجـالـسـ الـأـوـلـيـاهـ وـيـحـبـ دـونـهـ مـنـ سـوـاهـ مـنـ الـعـامـةـ. وـالـحـجـابـ الـأـوـلـ يـكـوـنـ فـيـ أـوـلـ الـدـوـلـةـ كـمـ ذـكـرـنـاـ كـمـ حدـثـ لـأـيـامـ مـعـاوـيـةـ وـعـدـ الـمـلـكـ وـخـلـفـاءـ بـنـيـ أمـيـةـ، وـكـانـ الـقـائـمـ عـلـىـ ذـلـكـ الـحـجـابـ يـسـمـيـهـ عـنـهـمـ الـحـاجـبـ جـرـياـ عـلـىـ مـنـهـ الـاشـتـاقـقـ الصـحـيـحـ.

ثم لما جاءـتـ دـوـلـةـ بـنـيـ العـبـاسـ وـجـدتـ الدـوـلـةـ مـنـ التـرـفـ وـالـعـزـ ماـ هوـ مـعـرـوفـ وـكـمـلتـ خـلـقـ الـمـلـكـ عـلـىـ مـاـ يـحـبـ فـيهـ، فـدـعـاـ ذـلـكـ إـلـىـ الـحـجـابـ الثـانـيـ، وـصـارـ اـسـمـ الـحـاجـبـ أـخـصـ بـهـ، وـصـارـ بـيـابـ الـخـلـفـاءـ دـارـانـ لـلـعـبـاسـيـةـ: دـارـ الـخـاصـةـ وـدارـ الـعـامـةـ كـمـ هـوـ مـسـطـرـ فـيـ أـنـجـارـهـ.

ثم حدـثـ فـيـ الدـوـلـةـ حـجـابـ ثـالـثـ أـخـصـ مـنـ الـأـوـلـيـنـ وـهـوـ عـنـ مـحاـولـةـ الـحـجـرـ عـلـىـ صـاحـبـ الدـوـلـةـ، وـذـلـكـ أـهـلـ الدـوـلـةـ وـخـواـصـ الـمـلـكـ إـذـاـ نـصـبـواـ الـأـبـنـاءـ مـنـ الـأـعـقـابـ وـحاـولـواـ الـاسـتـبـادـ عـلـيـهـمـ، فـأـوـلـ ماـ يـبـدـأـ بـهـ ذـلـكـ الـمـسـتـبـدـ أـنـ يـحـبـ عـنـهـ بـطـانـةـ أـيـهـ وـخـواـصـ الـأـوـلـيـاهـ يـوـهـمـهـ أـنـ فـيـ مـاـ يـبـشـرـهـ إـلـيـهـ خـرـقـ حـجـابـ الـهـيـةـ وـفـسـادـ قـانـونـ الـأـدـبـ، لـيـقطـعـ بـذـلـكـ لـقـاءـ الـقـيـرـ وـيـسـودـهـ مـلـابـسـةـ أـخـلـاقـهـ هـوـ، حـتـىـ لـاـ يـبـدـلـ بـهـ سـوـاهـ إـلـىـ أـنـ يـسـتـحـكـمـ الـاسـتـيـلاءـ عـلـيـهـ، فـيـكـونـ هـذـهـ الـحـجـابـ مـنـ دـوـاعـيـهـ، وـهـذـهـ الـحـجـابـ لـاـ يـقـعـ فـيـ

المـقـيـمـ بـالـمـدـيـنـةـ وـالـوـارـدـيـنـ مـنـ الـأـنـاقـ فـيـ الـبـضـائـعـ وـسـائـرـ السـوقـ وـأـهـلـ الـدـكـاكـينـ فـيـ الـمـاـكـنـ وـالـفـواـكهـ وـأـهـلـ الصـنـاعـ فـيـمـاـ يـتـخـذـ مـنـ الـآـلـاتـ وـالـمـوـاعـينـ، فـتـشـمـلـ الـخـسـارـةـ سـائـرـ الـأـصـنـافـ وـالـطـبـقـاتـ وـتـتوـالـ عـلـىـ السـاعـاتـ وـتـجـفـفـ بـرـؤـوسـ الـأـموـالـ، وـلـاـ يـجـدـونـ عـنـهـ وـلـيـجـاهـ إـلـىـ الـقـعـودـ عـنـ الـأـسـوـاقـ لـنـهـابـ رـوـوسـ الـأـموـالـ فـيـ جـبـرـهـاـ بـالـأـرـيـاحـ، وـيـتـقـاـلـ الـوـارـدـوـنـ مـنـ الـأـنـاقـ لـشـراءـ الـبـضـائـعـ وـيـبـعـهـ مـنـ أـجـلـ ذـلـكـ، فـتـكـسـدـ الـأـسـوـاقـ وـيـطـلـ بـعـاـصـ الرـعـاـيـاـ لـأـنـ عـاـمـتـهـ مـنـ الـبـيعـ وـالـشـراءـ، وـإـذـاـ كـانـ الـأـسـوـاقـ عـطـلـاـ مـنـهـ بـطـلـ مـاعـاشـهـمـ وـتـقـنـصـ جـبـاـيـةـ الـسـلـطـانـ أوـ تـفـسـدـ؛ لـأـنـ مـعـظـمـهـمـ مـنـ اـوـاسـطـ الـدـوـلـةـ وـمـاـ بـعـدـهـ إـنـاـ هـوـ مـنـ الـمـكـوسـ عـلـىـ الـبـيـعـاتـ كـمـ قـدـمـنـاهـ وـيـؤـولـ ذـلـكـ إـلـىـ تـلـاـشـيـ الـدـوـلـةـ وـفـسـادـ عـرـمـانـ الـمـدـيـنـةـ وـيـتـطـرقـ هـذـاـ الـخـلـلـ عـلـىـ التـدـريـجـ وـلـاـ يـشـعـرـ بـهـ.

هـذـاـ مـاـ كـانـ بـاـمـثـالـ هـذـهـ الـذـرـائـعـ وـالـأـسـبـابـ إـلـىـ أـخـذـ الـأـموـالـ، وـأـمـاـ خـذـنـاهـ بـجـانـاـ وـالـعـدـوـانـ عـلـىـ النـاسـ فـيـ أـمـوـالـهـمـ وـحـرـمـهـمـ وـدـمـانـهـمـ وـأـسـرـاـهـمـ وـأـعـارـضـهـمـ فـهـوـ يـفـضـيـهـ إـلـىـ الـخـلـلـ وـالـفـسـادـ دـفـعـةـ، وـتـتـقـنـصـ الـدـوـلـةـ سـرـعـاـ بـمـاـ يـنـشـأـ عـنـهـ مـنـ الـهـرجـ الـفـضـيـ الـأـنـقـاضـ.

وـمـنـ أـجـلـ هـذـهـ الـمـفـاسـدـ حـظـرـ الشـرـعـ ذـلـكـ كـلـهـ وـشـرـعـ الـمـكـايـسـةـ فـيـ الـبـيعـ وـالـشـراءـ، وـحـظـرـ أـكـلـ أـمـوـالـ النـاسـ بـالـبـاطـلـ سـدـاـ لـأـبـوابـ الـمـفـاسـدـ الـمـفـضـيـةـ إـلـىـ اـنـتـقـاضـ الـعـرـمـانـ بـالـهـرجـ أـوـ بـطـلـانـ الـمـاعـاشـ.

وـاعـلـمـ أـنـ الدـاعـيـ لـذـلـكـ كـلـهـ إـنـاـ هـوـ حـاجـةـ الـدـوـلـةـ وـالـسـلـطـانـ إـلـىـ الـإـكـتـارـ مـنـ الـمـالـ بـاـيـعـرـضـ لـهـمـ مـنـ التـرـفـ فـيـ الـأـحـوـالـ، فـتـكـثـرـ نـفـقـاهـمـ وـيـعـطـمـ الـخـرـجـ وـلـاـ يـفـيـ بـهـ الـدـخـلـ عـلـىـ الـقـوـانـيـنـ الـمـعـادـةـ، فـيـسـتـجـدـثـونـ القـابـاـ وـجـوـهـراـ يـوـسـعـونـ بـهـاـ الـجـبـاـيـةـ لـيـفـيـ لـهـمـ الـدـخـلـ بـالـخـرـجـ، ثـمـ لـاـ يـزـالـ التـرـفـ بـيـزـيدـ وـالـخـرـجـ بـسـبـبـهـ يـكـثـرـ وـالـحـاجـةـ إـلـىـ أـمـوـالـ النـاسـ تـشـتـدـ وـنـطـاقـ الـدـوـلـةـ بـذـلـكـ يـزـيدـ إـلـىـ أـنـ تـنـمـيـ دـاـئـرـتـهـ وـيـذـهـبـ رـسـمـهـاـ وـيـغـلـبـهـ طـالـبـهـاـ، وـالـلـهـ أـعـلـمـ.

## الفصل الرابع والأربعون

### في الحجاب كيف يقع في الدول

وـأـنـهـ يـعـظـمـ عـنـ الـهـرـمـ

أـلـعـمـ أـنـ الـدـوـلـةـ فـيـ أـوـلـ اـمـرـهـ تـكـوـنـ بـعـدـهـ مـنـ مـنـازـعـ الـمـلـكـ كـمـ قـدـمـنـاهـ؛ لـأـنـ لـاـ بـدـ هـاـ مـنـ الـعـصـيـةـ الـيـهـيـةـ بـهـاـ يـسـمـ اـمـرـهـ وـيـمـسـلـ

العربية ثلاثة دول: دولة بني العباس بمركز العرب وأصلهم ومادتهم الإسلام. دولة بني أمية الجدد في الأندلس ملوكهم القديم وخلافتهم بالشرق. دولة العبيدين بإفريقية ومصر والشام والمحجاز، ولم تزل هذه الدول إلى أن كان انقراضها متقارباً أو جيماً.

وكل ذلك انقسمت دولة بني العباس بدول أخرى: وكان بالقاسمية بنو سامان فيما وراء النهر وخراسان، والعلوية في الديلم وطيرستان، وأك ذلك إلى استيلاء الديلم على العراقيين وعلى بغداد والخلفاء، ثم جاء السلاجوقية فملكوا جميع ذلك ثم انقسمت دولتهم أيضاً بعد الاستفحال كما هو معروف في أخبارهم.

وكل ذلك اعتبره في دولة صنهاجة بالغرب وإفريقية لما بلغت إلى غايتها أيام باديس بن المنصور، خرج عليه عمّه حماد واقتطع مالك الغرب لنفسه ما بين جبل أوراس إلى تلمسان وملوبي، واحتل القلعة بجبل كاتمة حيال المسيلة ونزلها واستولى على مركزهم أشير بجبل تيطري، واستحدث ملكاً آخر قسماً للملك آل باديس وبقي آل باديس بالقبروان وما إليها ولم يزل ذلك إلى أن انقرض أمرهما جيماً.

وكل ذلك دولة الموحدين، لما تقلص ظلها ثار بإفريقية بن أبي حفص فاستقروا بها واستحدثوا ملكاً لأعقابهم بنواحيها، ثم لما استفحلا أمرهم واستولى على الغاية خرج على المالك الغربية من أعقابهم الأمير أبو زكريا يحيى ابن السلطان أبي إسحاق إبراهيم رابع خلفائهم واستحدث ملكاً بيجاية وقسنطينة وما إليها، أورثه بنيه وقسموا به الدولة قسمين ثم استولوا على كرسى الحضرة بتونس، ثم انقسم الملك ما بين أعقابهم ثم عاد الاستيلاء فيها.

وقد ينتهي الانقسام إلى أكثر من دولتين وثلاث وفي غير أعياص الملك من قومه كما وقع في ملوك الطرافات بالأندلس وملوك العجم بالشرق، وفي ملك صنهاجة بإفريقية، فقد كان لآخر دولتهم في كل حصن من حصون إفريقية ثائر مستقل بأمره كما تقدم ذكره، وكذا حال المجريد والزاب من إفريقية قبيل هذا العهد كما ذكره.

وهكذا شأن كل دولة لا بد وأن يعرض فيها عوارض المرض بالترف والدعة وتقلص ظل الغلب، فينقسم أعياصها أو من يغلب من رجال دولتها الأمر وتتعدد فيها الدول، والله وارث الأرض ومن عليها.

التالي إلا أواخر الدولة كما قدمناه في الحجر، ويكون دليلاً على هرم الدولة وفقد قوتها وهو ما ينشأ أهل الدول على أنفسهم؛ لأن القائمين بالدولة يحاولون ذلك بطبعهم عند هرم الدولة وذئاب الاستبداد من اعتقاد ملوكهم لما ركب في التفوس من عبة الاستبداد بالملك، وخصوصاً مع الترشيع لذلك وحصول دواعيه ومبادئه.

## الفصل الخامس والأربعون

### في انقسام الدولة الواحدة بدولتين

اعلم أن أول ما يقع من آثار هرم في الدولة انقسامها، وذلك أن الملك عندما يستفحلاً ويبلغ من أحوال الترف والنعيم إلى غايتها ويستبدل صاحب الدولة بالمجد وينفرد به، يائف حيتند عن المشاركة ويسير إلى قطع أسبابها ما استطاع بإهلاك من استراب به من ذوي قرابته المرشحين لمنصبه، فرماها ارتات المساعمون له في ذلك بأنفسهم وتزعوا إلى القاسمية واجتمع إليهم من يلحق بهم مثل حالم من الاعتراض والاسترابة ويكون نطاق الدولة قد اخذ في التضليل ورجع عن القاسمية، فيستبدل ذلك النازع من القرابة فيها ولا يزال أمره يعظم بتراجع نطاق الدولة حتى يقاسم الدولة أو يكاد.

وانظر ذلك في الدولة الإسلامية العربية حين كان أمرها حريزاً مجتمعاً، ونطاقها عتمداً في الاتساع وعصبية بني عبد مناف واحدة غالبة علىسائر مصر، فلم يبنض عرق من الخلاف سائر أيامه إلا ما كان من بدعة الخارج المستمرين في شأن بدعهم، لم يكن ذلك لزعنة ملك ولا رئاسة ولم يتم أمرهم لزاحتهم العصبية القوية.

ثم لما خرج الأمر من بني أمية واستقل بنو العباس بالأمر، وكانت الدولة العربية قد بلغت الغاية من التغلب والتطرف وآمنت بالقلص عن القاسمية، نزع عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس قاسمية دولة الإسلام، فاستحدث بها ملكاً واقتطعها عن دولتهم وصیر الدولة دولتين، ثم نزع إدريس إلى المغرب وخرج به وقام بأمره وأقر ابنه من بعده البربرة من أوربة ومغليلة وزناته، واستولى على ناحية المغاربة، ثم ازدادت الدولة تقلصاً فاضطرب الأغالبة في الامتناع عليهم، ثم خرج الشيعة وقام بأمرهم كاتمة وصنهاجة واستولوا على إفريقية والمغرب ثم مصر والشام والمحجاز وغ libero على الأدارسة وقسموا الدولة دولتين آخرتين، وصارت الدولة

الشوكه والعصبية، وهو المعب عنه بالجند، والثاني المال الذي هو قوام أولئك الجند وإقامة ما يحتاج إليه الملك من الأحوال. والخلل إذا طرق الدولة طرقها في هذين الأساسين، فلنذكر أولاً طرق الخلل في الشوكه والعصبية ثم نرجع إلى طرقوه في المال والجباية.

وعالجنا أن تمهد الدولة وتأسيسها كما قلناه إنما يكون بالعصبية، وأنه لابد من عصبية كبرى جامدة للعصائب مستبعة لها، وهي عصبية صاحب الدولة الخاصة من عشرة وقبيلة، فإذا جامت الدولة طبيعة الملك من الترف وجدع أنوف أهل العصبية كان أول ما يجدع أنوف عشرته ذوي قرباه المقادسين له في اسم الملك فيستبدل في جدع أنوفهم بما بلغ من سوادهم ويأخذهم الترف أيضاً أكثر من سواهم، لما كانهم من الملك والعز والغلب فيحيط بهم هادمان وما الترف والقهر، ثم يصير القهر آخرًا إلى القتل لما يحصل من مرض قلوبهم عند رسوخ الملك لصاحب الأمر، فيقلب غيرته منهم إلى الخروف على ملكه فيأخذهم بالقتل والإهانة وسلب النعمه والترف الذي تعودوا الكثير منه فيهلكون ويقلون وتفسد عصبية صاحب الدولة منهم، وهي العصبية الكبرى التي كانت تجمعت بها العصائب وتستبعها، فتتحل عروتها وتضعف شكيتها وتستبدل عنها بالبطالة من موالي النعمه وصنائع الإحسان، ويتخذ منهم عصبية إلا أنها ليست مثل تلك الشدة الشكيمية لفقدان الرحم والقرابة منها، وقد كنا قدمنا أن شأن العصبية وقوتها إنما هي بالقرابة والرحم؛ لما جعل الله في ذلك فيفرد صاحب الدولة عن العشير والأنصار الطبيعية ومحى بذلك أهل العصائب الأخرى فيتجاوزون عليه وعلى بطانته تجاسراً طبيعياً. فينهلكهم صاحب الدولة ويتبعهم بالقتل واحداً بعد واحد ويقتله الآخر من أهل الدولة في ذلك الأول، مع ما يكون قد نزل بهم من مهلكة الترف الذي قدمنا فيستولي عليهم الملوك بالترف والقتل حتى يخرجوا عن صبغة تلك العصبية ويسروا نفرتها و سورتها وبصيراً بأجزاء على الحماية ويقلون لذلك، فتقتل الحماية التي تنزل بالأطراف والغور فيتجاوز الرعايا على تقضي الدعوة في الأطراف ويبارد الخوارج على الدولة من الأبعاص وغيرهم إلى تلك الأطراف لما يرجون حيتند من حصول غرضهم بمعايعة أهل القاصية لهم وأمهem من وصول الحماية إليهم، ولا يزال يتدرج ونطاق الدولة يتضليل حتى تصير الخوارج في أقرب الأماكن إلى مركز الدولة، وربما انقسمت الدولة عند ذلك بدولتين أو ثلاثة على قدر قوتها في الأصل كما قلناه، ويقوم بأمرها غير أهل عصيتها لكن إذاعاناً لأهل عصيتها ولغلبهم المعهود.

## الفصل السادس والأربعون

### في أن الهرم إذا نزل بالدولة لا يرتفع

قد قدمنا ذكر العوارض المؤذنة بالهرم وأسبابه واحداً بعد واحد، وبيننا أنها تحدث للدولة بالطبع، وأنها كلها أمور طبيعية لها، وإذا كان الهرم طبيعياً في الدولة كان حدوثه بمثابة حدوث الأمور الطبيعية كما يحدث الهرم في المزاج الحياني، والهرم من الأمراض المزمنة التي لا يمكن دواواها ولا ارتفاعها لما أنه طبيعي، والأمور الطبيعية لا تتبدل، وقد تتبّعه كثير من أهل الدول من له يقظة في السياسة فيرى ما نزل بدولتهم من عوارض الهرم، ويظن أنه يمكن الارتفاع فباختذال نفسه بتلافي الدولة وإصلاح مزاجها عن ذلك الهرم ويعتبه أنه لحقها بتقصير من قبله من أهل الدولة وغفلتهم، وليس كذلك فإنها أمور طبيعية للدولة، والعوائد هي المانعة له من تلافتها، والعوائد متزلة طبيعية أخرى، فإن من أدرك مثلاً آباء وأكثر أهل بيته يلبسون الحرير والديباج ويتحلون بالذهب في السلاح والراكب ويحتجبون عن الناس في المجالس والصلوات، فلا يمكنه خالفة سلفه في ذلك إلى الخشونة في اللباس والزي والاختلاط بالناس، إذ العوائد حيثتد تمنعه وت排斥 عليه مرتكبه، ولو فعله لرمي بالجنون والوسواس في الخروج عن العوائد دفعه، وخشي عليه عائدة ذلك وعاقبته في سلطانه.

وانظر شأن الأنبياء في إنكار العوائد ومخالفتها لولا التأيد الإلهي والنصر السماوي، وربما تكون العصبية قد ذابت فتكون الأبهة تعرض عن موقعها من التفوس، فإذا أزيلت تلك الأبهة مع ضعف العصبية تجاوزت الرعايا على الدولة بنعاب أوهام الأبهة فتترعرع الدولة بذلك الأبهة ما أمكنها حتى ينتهي الأمر.

وريما يحدث عند آخر الدولة قوة توهם أن الهرم قد ارتفع عنها ويومض ذبابها إياضه المحمد، كما يقع في النبال المشتعل فإنه عند مقاربة انطفائه يومض إياضه توهם أنها اشتعال وهي انطفاء، فاعتبر ذلك ولا تغفل سر الله تعالى وحكمته في اطراح وجوده على ما قدر فيه و «إِلَّا أَجْلٌ كِتَابٌ».

## الفصل السابع والأربعون

### في كيفية طرق الخلل للدولة

اعلم أن مبني الملك على أساسين لا بد منهما فال الأول

يحصل الاستيلاء ويعظم ويستفحـل الملك فيـدـعـوـ إلىـ التـرفـ ويـكـثـرـ الإنـفـاقـ بـسـبـبـهـ، فـتـعـظـمـ نـفـقـاتـ السـلـطـانـ وـأـهـلـ الدـوـلـةـ عـلـىـ الـعـمـوـمـ، بلـ يـتـعـدـ ذـلـكـ إـلـىـ أـهـلـ الـصـرـ وـيـدـعـوـ ذـلـكـ إـلـىـ الـزـيـادـةـ فـيـ اـعـطـيـاتـ الـجـنـدـ وـأـرـزـاقـ أـهـلـ الدـوـلـةـ، ثـمـ يـعـظـمـ التـرفـ فـيـكـثـرـ الإـسـرـافـ فـيـ النـفـقـاتـ وـيـتـشـرـ ذـلـكـ فـيـ الرـعـيـاـ؛ لأنـ النـاسـ عـلـىـ دـيـنـ مـلـوكـهـ وـعـوـائـدـهـ، وـيـخـتـاجـ السـلـطـانـ إـلـىـ ضـرـبـ المـكـوسـ عـلـىـ أـنـسـانـ الـسـيـاعـاتـ فـيـ الـأـسـوـاقـ لـادـارـ الـجـبـاـيـةـ لـاـ يـرـاهـ مـنـ تـرـفـ الـمـديـنـةـ الشـاهـدـ عـلـىـهـمـ بـالـرـفـ، وـلـاـ يـخـتـاجـ هـوـ إـلـيـهـ مـنـ نـفـقـاتـ سـلـطـانـهـ وـأـرـزـاقـ جـنـدهـ، ثـمـ تـرـيدـ عـوـائـدـ التـرفـ فـلـاـ تـفـيـهـ بـهـاـ الـمـكـوسـ وـتـكـونـ الدـوـلـةـ قـدـ استـحـلـتـ فـيـ الـإـسـطـالـةـ وـالـقـهـرـ لـمـ تـحـتـ يـدـهـاـ مـنـ الرـعـيـاـ، فـتـمـتـ اـيـدـيـهـمـ إـلـىـ جـمـعـ الـمـالـ مـنـ أـمـوـالـ الرـعـيـاـ مـنـ مـكـسـ أوـ تـجـارـةـ أوـ نـقـدـ فـيـ بـعـضـ الـأـسـوـالـ بـشـبـهـةـ أـوـ بـغـيرـ شـبـهـةـ، وـيـكـوـنـ الـجـنـدـ فـيـ ذـلـكـ الطـرـورـ قـدـ تـخـاسـرـ عـلـىـ الدـوـلـةـ بـمـاـ لـقـهـاـ مـنـ الفـشـلـ وـالـهـرـمـ فـيـ الـعـصـيـةـ فـتـوـعـ ذـلـكـ مـنـهـمـ وـتـداـوـيـ بـسـكـيـنـةـ الـعـطـابـ وـكـثـرـةـ الـإـنـفـاقـ فـيـهـمـ، وـلـاـ تـجـدـ عـنـ ذـلـكـ وـلـيـجـةـ، وـيـكـوـنـ جـبـاـ الـأـمـوـالـ فـيـ الدـوـلـةـ قـدـ عـظـمـتـ ثـرـوـتـهـمـ فـيـ هـذـاـ الطـرـورـ بـكـثـرـةـ الـجـبـاـيـةـ وـكـوـنـهـمـ بـأـيـدـيـهـمـ وـعـاـ اـتـسـعـ لـذـلـكـ مـنـ جـاهـهـمـ، فـيـتـرـجـهـ إـلـيـهـمـ باـحـجـانـ الـأـمـوـالـ مـنـ الـجـبـاـيـةـ وـتـفـشـوـ السـعـيـاـ فـيـهـمـ، بـعـضـهـمـ عـنـ بـعـضـ لـمـنـافـسـةـ وـالـحـقـدـ، فـتـعـهـمـ النـكـباتـ وـالـمـصـادـرـاتـ وـاحـدـاـ وـاحـدـاـ إـلـىـ أـنـ تـذـهـبـ ثـرـوـتـهـمـ وـتـلـاشـيـ أـحـواـلـهـمـ وـيـقـدـ ماـ كـانـ لـلـدـوـلـةـ مـنـ الـأـبـهـةـ وـالـجـمـالـ بـهـمـ، فـإـذـاـ اـصـطـلـمـتـ نـعـمـتـهـمـ تـجـاـوزـهـمـ الدـوـلـةـ إـلـىـ أـهـلـ الـثـرـوـةـ مـنـ الرـعـيـاـ سـوـاهـمـ وـيـكـوـنـ الـوـهـنـ فـيـ هـذـاـ الطـرـورـ قـدـ لـخـ الشـوـكـةـ وـضـعـفـتـ عـنـ الـإـسـطـالـةـ وـالـقـهـرـ، فـتـنـصـرـفـ سـيـاسـةـ صـاحـبـ الدـوـلـةـ حـيـثـتـذـ إـلـىـ مـدـارـةـ الـأـمـوـالـ بـيـذـلـ المـالـ وـيـرـاهـ أـرـفـعـ مـنـ السـيفـ لـقـلـةـ غـنـاءـ، فـتـنـظـمـ حـاجـتـهـ إـلـىـ الـأـمـوـالـ زـيـادـةـ عـلـىـ النـفـقـاتـ وـأـرـزـاقـ الـجـنـدـ وـلـاـ يـغـيـرـ فـيـهـ بـرـيدـ، وـيـعـظـمـ الـهـرـمـ بـالـدـوـلـةـ وـيـتـجـاسـرـ عـلـيـهـاـ أـهـلـ النـوـاحـيـ، وـالـدـوـلـةـ تـنـحلـ عـرـاـهـاـ فـيـ كـلـ طـورـ مـنـ هـذـهـ إـلـىـ أـنـ تـنـضـيـ إـلـىـ الـهـلـكـ وـتـعـرـضـ لـاـسـتـيـلـاءـ الـطـلـابـ، فـإـنـ قـصـدـهـاـ طـالـ اـنـتـزـعـهـاـ مـنـ أـيـدـيـ القـائـمـينـ بـهـاـ وـلـاـ يـقـيـتـ وـهـيـ تـلـاشـيـ إـلـىـ أـنـ تـضـمـحـ كـالـنـبـالـ فـيـ السـرـاجـ إـذـاـ فـيـ زـيـتـهـ وـطـفـيـ، وـالـلـهـ مـالـكـ الـأـمـوـالـ وـمـدـبـرـ الـأـكـوـانـ لـاـ إـلـهـ إـلـهـ هـوـ.

وـاعـتـبـرـ هـذـاـ فـيـ دـوـلـةـ الـعـربـ فـيـ الـإـسـلـامـ اـنـتـهـتـ أـلـاـ إـلـىـ الـأـنـدـلـسـ وـأـهـلـ الـوـلـاـيـةـ وـالـصـينـ، وـكـانـ أـمـرـ بـنـ أـمـيـةـ نـافـذـاـ فـيـ جـيـعـ الـعـربـ بـعـصـيـةـ بـنـ عـبـدـ مـنـافـ، حـتـىـ لـقـدـ أـمـرـ سـلـيـمـانـ بـنـ عـبـدـ الـمـلـكـ مـنـ دـمـشـقـ بـقـتـلـ عـبـدـ الـعـزـيزـ بـنـ مـوـسـىـ بـنـ نـصـيرـ بـقـرـطـبـةـ فـقـتـلـ وـلـمـ يـرـدـ أـمـرـهـ. ثـمـ تـلـاثـتـ عـصـيـةـ بـنـ أـمـيـةـ بـاـصـابـهـمـ مـنـ التـرفـ فـانـقـرـضـواـ. وـجـاءـ بـنـوـ الـعـباسـ فـضـلـوـاـ مـنـ أـعـنـةـ بـنـ هـاشـمـ وـقـتـلـواـ الـطـالـبـيـنـ وـشـرـدـوـهـمـ، فـانـحـلتـ عـصـيـةـ بـنـ مـنـافـ وـتـلـاثـتـ وـتـجـاسـرـ الـعـربـ عـلـيـهـمـ، فـاستـبـدـ عـلـيـهـمـ أـهـلـ الـقـاصـيـةـ مـثـلـ بـنـ الـأـغلـبـ بـيـافـرـيـقـيـةـ وـأـهـلـ الـأـنـدـلـسـ وـغـيرـهـمـ وـانـقـسـمـ الـدـوـلـةـ، ثـمـ خـرـجـ بـنـوـ إـدـرـيسـ بـالـمـغـرـبـ وـقـامـ الـبـرـيرـ بـأـمـرـهـ إـذـعـانـاـ لـلـعـصـيـةـ الـقـيـيـةـ لـهـ مـمـ وـأـمـاـ انـ تـصـلـهـمـ مـقـاتـلـةـ اوـ حـامـيـةـ لـلـدـوـلـةـ.

فـإـذـاـ خـرـجـ الدـعـاةـ أـخـرـاـ فـيـتـغـلـبـونـ عـلـىـ الـأـطـرـافـ وـالـقـاصـيـةـ وـتـحـصـلـ هـمـ هـنـاكـ دـعـوةـ وـمـلـكـ، تـنـقـسـ بـهـ الـدـوـلـةـ، وـرـبـعـاـ يـزـيدـ ذـلـكـ مـتـىـ زـادـتـ الـدـوـلـةـ تـنـلـاصـاـ إـلـىـ أـنـ يـتـهـيـ إـلـىـ الـمـرـكـزـ وـتـضـعـفـ الـبـطـانـةـ بـعـدـ ذـلـكـ بـاـ أـخـذـ مـنـهـاـ التـرفـ، فـتـهـلـكـ وـتـضـمـحـ وـتـضـعـفـ الـدـوـلـةـ المـقـسـمـ كـلـهاـ.

وـرـبـعـاـ طـالـ أـمـدـهـ بـعـدـ ذـلـكـ فـتـسـتـغـيـ عنـ الـعـصـيـةـ بـاـ حـصـلـ هـاـ مـنـ الصـبـغـةـ فـيـ نـفـوـسـ أـهـلـ إـيـالـهـاـ، وـهـيـ صـبـغـةـ الـأـنـقـيـادـ وـالـتـسـلـيمـ مـنـذـ الـسـنـينـ الطـوـلـيـةـ الـتـيـ لـاـ يـعـقـلـ أـحـدـ مـنـ الـأـجيـالـ مـبـدـأـهـاـ وـأـولـيـاهـ، فـلـاـ يـعـقـلـونـ إـلـاـ التـسـلـيمـ لـصـاحـبـ الـدـوـلـةـ فـيـسـتـغـيـ بـذـلـكـ عـنـ قـوـةـ الـعـصـابـ وـيـكـفـيـ صـاحـبـهـ بـاـ حـصـلـ هـاـ فـيـ عـهـدـ أـمـرـهـ الـأـجـرـاءـ عـلـىـ الـحـامـيـةـ مـنـ جـنـديـهـ وـمـرـتـقـهـ وـيـعـضـدـ ذـلـكـ مـاـ وـقـعـ فـيـ الـنـفـوـسـ عـامـةـ مـنـ التـسـلـيمـ، فـلـاـ يـكـادـ أـحـدـ يـتـصـورـ عـصـيـانـاـ اوـ خـرـوجـاـ إـلـاـ وـالـجـمـهـورـ مـنـكـرـوـنـ عـلـيـهـ مـخـالـفـونـ لـهـ، فـلـاـ يـقـدـرـ عـلـىـ الـصـدـيـ لـذـلـكـ وـلـوـ جـهـ جـهـهـ، وـرـبـعـاـ كـانـ الـدـوـلـةـ فـيـ هـذـاـ الـحـالـ أـسـلـمـ مـنـ الـخـوارـجـ وـالـمـنـازـعـةـ لـاستـحـكـامـ صـبـغـةـ التـسـلـيمـ وـالـأـنـقـيـادـ هـمـ، فـلـاـ تـكـادـ الـنـفـوـسـ تـحـدـ سـرـهـاـ بـمـخـالـفـةـ وـلـاـ يـخـلـجـ فـيـ ضـمـيرـهـ الـأـغـرـافـ عـنـ الـطـاعـةـ فـيـكـونـ أـسـلـمـ مـنـ الـهـرـمـ وـالـأـنـقـاضـ الـذـيـ يـحـدـ مـنـ الـعـصـابـ وـالـعـشـائـرـ، ثـمـ لـاـ يـزـالـ أـمـرـ الـدـوـلـةـ كـذـلـكـ وـهـيـ تـلـاشـيـ فـيـ ذـاتـهـاـ شـانـ الـحـرـارـةـ الـغـرـيـزـيـةـ فـيـ الـبـدـنـ السـادـمـ لـلـغـنـاءـ إـلـىـ أـنـ تـتـهـيـ إـلـىـ وـقـتـهـ المـقـدـورـ (لـكـلـ أـجـلـ كـيـبـ)ـ وـلـكـلـ دـوـلـةـ أـمـدـ (وـالـلـهـ يـعـذـرـ الـلـيـلـ وـالـنـهـارـ)ـ (وـهـوـ أـجـلـ الـقـهـرـ).

وـأـمـاـ الـخـللـ الـذـيـ يـنـطـرـقـ مـنـ جـهـةـ الـمـالـ، فـاعـلـمـ أـنـ الـدـوـلـةـ فـيـ أـرـلـاـ تـكـوـنـ بـدـوـيـةـ كـمـاـ مـرـ فـيـكـونـ خـلـقـ الـرـفـقـ بـالـرـعـيـاـ وـالـقـصـدـ فـيـ الـنـفـقـاتـ وـالـتـحـذـلـنـ وـالـكـيـسـ فـيـ جـمـعـ الـأـمـوـالـ وـحـسـبـانـ الـعـمـالـ وـلـاـ دـاعـيـةـ جـيـتـذـ إـلـىـ الـإـسـرـافـ فـيـ الـنـفـقـةـ فـلـاـ تـحـاجـ الـدـوـلـةـ إـلـىـ كـثـرـ الـمـالـ، ثـمـ

الجند والمال والولايات، ليجري حالما على استقامة بتكافف الدخل والخروج والخامية والعمالات وتوزيع الجباية على الأرزاق، ومقاييس ذلك بأول الدولة في سائر الأحوال.

والمفاسد مع ذلك متوقفة من كل جهة. فيحدث في هذا الطور من بعد ما حدث في الأول من قبل. ويعتبر صاحب الدولة ما اعتبره الأول، ويقايس بالوزان الأول أحراها الثانية، بروم دفع مفاسد الخلل الذي يتتجدد في كل طور وبأخذ من كل طرف حتى يضيق نطاقها الآخر إلى نطاق دونه كذلك، ويقع فيه ما وقع في الأول. فكل واحد من هؤلاء المغيرين للقوانين قبلهم كائناً مشتبئون دولة أخرى، وعجدون ملكاً حتى تفرض الدولة، وتتطاول الأمم حولها إلى التغلب عليها وإنشاء دولة أخرى لهم، فيقع من ذلك ما قدر الله وقوته.

واعتبر ذلك في الدولة الإسلامية كيف اتسع نطاقها بالفترحات والتغلب على الأمم، ثم تزايد الحامية وتکاثر عددهم بما تغولوه من النعم والأرزاق، إلى أن انقرض أمر بيبي أمية وغلب بنو العباس. ثم تزايد الترف. ونشأت الحضارة وطرق الخلل، فتضاق النطاق من الأندلس والمغرب بمحدود الدولة الأمريكية الرومانية والعروبة، واقتعوا بذلك التغرين عن نطاقها، إلى أن وقع الخلاف بين بيبي الرشيد، وظهر دعاة العلوية من كل جانب، وعهدت لهم دول، ثم قتل الترکل، واستبد الأمراء على الخلفاء ومحجروهم، واستقل الرولاة بالعمالات في الأطراف. وانقطع الخراج منها، وتزايد الترف. وجاء المتضدد فغير قوانين الدولة إلى قانون آخر من السياسة أقطع فيه ولاة الأطراف ما غلبوا عليه، مثل بيبي سامان وراء النهر وبيني طاهر العراق وخراسان، وبيني الصفار السندي وفارس، وبيني طلوبون مصر، وبيني الأغلب إفرقيبة، إلى أن انقرض أمر العرب وغلب العجم، واستبد بنو بوبيه والديلم بدولة الإسلام وحاجروا الخلافة، ويفي بنو سامان في استبدادهم وراء النهر وتطاول الفاطميون من المغرب إلى مصر والشام فملوكه.

ثم قامت الدولة السلجوقية من الترك فاستولوا على مالك الإسلام وأبقو الخلفاء في حجرهم، إلى أن تلاشت دولتهم. واستبد الخلفاء منذ عهد الناصر في نطاق أضيق من هالة القمر وهو عراق العرب إلى أصبهان وفارس والبحرين. وأقامت الدولة كذلك بعض الشيء إلى أن انقرض أمر الخلفاء على يد هو لاكر بن طولى بن دوشي خان ملك التتر والمملل حين غلبتها السلجوقية وملكوا ما كان بأيديهم من ممالك الإسلام. وهكذا يتضيق نطاق كل دولة على نسبة نطاقها الأول. ولا يزال طوراً بعد طور إلى أن تفترض

## الفصل الثامن والأربعين

في اتساع نطاق الدولة أولاً إلى نهاية تم تضييقه طوراً بعد طور إلى فناء الدولة  
واضمحلالها

قد كان تقدم لنا في فصل الخلافة والملك، وهو الثالث من هذه المقدمة أن كل دولة لها حصة من المالك والعمالات لا تزيد عليها. واعتبر ذلك بتوزيع عصابة الدولة على حماية أنظارها وجهاتها. فحيث تقدر عددهم فالطرف الذي انتهت عنده هو الثغر، ويجيب بالدولة من سائر جهاتها كالنطاق. وقد تكون النهاية هي نطاق الدولة الأولى. وقد يكون أوسع منه إذا كان عدد العصابة أوفر من الدولة قبلها. وهذا كله عندما تكون الدولة في شعار البداوة وخشورتها الباس. فإذا استفحلا العز والغلب وتوفرت النعم والأرزاق بدور الرجيابيات، وزخر بحر الترف والحضارة ونشأت الأجيال على اعتبار ذلك لطفت أخلاق الحامية ورقت حواشيهم، وعاد من ذلك إلى نفوسهم هيئات الجن والكليل، بما يعلوّنه من خنث الحضارة المؤذى إلى الانسلاخ من شعار الباس والرجلية بمفارقة البداوة وخسواتها، وباحتذمه العز بالتطاول إلى الرياسة والتسارع عليها، فيفضي إلى قتل بعضهم ببعض، ويكبحهم السلطان عن ذلك بما يؤدي إلى قتل أكبابهم وإهلاك رؤسائهم، فتفقد الأماء والكراء، ويكثر التايب والمرؤوس، فيقبل ذلك من حد الدولة، ويكسر من شوكها. ويقع الخلل الأول في الدولة وهو الذي من جهة الجند والجامحة كما تقدم. ويساوق ذلك السرف في النفاقات بما يعتريهم من أبهة العز. وتجاوز الحدود بالبذخ. بالمتاغة في الطعام والملابس وتشديد القصور واستجادة السلاح وارتباط الخيول، فيقصر دخل الدولة حيث تنزع عن خرجها ويطرق الخلل الثاني في الدولة وهو الذي من جهة المال والجباية. ويحصل العجز والانتقام بوجود الخللتين. وربما تأثر رؤساؤهم فتسازعوا

وعجزوا عن مغابلة المجاورين والمتاخعين ومدافعتهم. وربما اعتر أهل التغور والأطراف بما يحسون من ضعف الدولة ورهاهم، فيصيرون إلى الاستقلال والاستبداد بما في أيديهم من العمالات، ويعجز صاحب الدولة عن حلهم على الجادة فيضيق نطاق الدولة بما كانت انتهت إليه في أولها، وترجم العناية في تدبيرها ب نطاق دونه، إلى أن يحدث في النطاق الثاني ما حدث في الأول بعينه من العجز والكليل في العصابة وقلة الأموال والجباية. فيذهب القائم بالدولة إلى تغيير القوانين التي كانت عليها سياسة الدولة من قبل

## الفصل التاسع والأربعون

### في أن الدولة المستجدة إنما تستولي على الدولة المستقرة بالطأولة لا بالمناجزة

قد ذكرنا أن الدول الحادثة التجددية نوعان:

نوع من ولادة الأطراف إذا تخلص ظل الدولة عنهم والمسر  
تيارها، وهؤلاء لا يقع منهم مطالبة للدولة في الأكثر كما قدمناه؛  
لأن قصاراً هم الفنون بما في أيديهم وهو نهاية قوتهم.

والنوع الثاني نوع الدعاة والمخواج على الدولة وهؤلاء  
لابد لهم من المطالبة؛ لأن قوتهم وافية بها، فإن ذلك إنما يكون في  
نصارى يكرون له من العصبية والاعتراض ما هو كفاه ذلك وواف به  
فيقع بينهم وبين الدولة المستقرة حروب سجال تكرر وتصل إلى  
أن يقع لهم الاستيلاء والظفر بالمطلوب ولا يحصل لهم في غالب  
ظفر بالمناجزة، والسبب في ذلك أن الظفر في المزروع إنما يقع كما  
قدمناه بأمور نفسانية وهمية، وإن كان العدد والسلاح وصدق  
القتال كفيلاً به لكنه قاصر مع تلك الأمور الوهمية كما مر،  
ولذلك كان المذاع من أفع ما يستعمل في الحروب وأكثر ما يقع  
الظفر به، وفي الحديث «الحرب خدعة».

والدولة المستقرة قد صارت العوائد المألوفة طاعتها ضرورية  
واجدة كما تقدم في غير موضع فتكثر بذلك العوائق لصاحب  
الدولة المستقرة ويكسر من هم أتباعه وأهل شوكته، وإن كان  
الأقويون من بطانته على بصيرة في طاعته ومؤازرته، إلا أن  
الآخرين أكثر وقد داخلهم الفشل بتلك العقائد في التسليم للدولة  
المستقرة فيحصل بعض القصور منهم، ولا يكاد صاحب الدولة  
المستجدة يقاوم صاحب الدولة المستقرة فيرجع إلى الصبر والطأولة  
حتى يتضخم هرم الدولة المستقرة، فتضخم محل عقاد التسليم لها من  
قومه وتبعث منهم المسم لصدق المطالبة معه فيقع الظفر  
والاستيلاء.

وأيضاً فالدولة المستقرة كبيرة الرزق بما استحكم لهم من  
الملك وتوسيع من النعم واللذات وachsenوا به دون غيرهم من  
أموال الجلبية، فيكثر عندهم ارتباط الخيول واستجاده الأسلحة  
وتعظم فيهم الأبهة الملكية ويفيض العطاء بينهم من ملوكهم  
اختياراً واضطراراً، فيرهبون بذلك كله عدوهم، وأهل الدولة  
المستجدة يعزل عن ذلك لما هم فيه من البداؤة وأحوال الفقر  
والخصاصة فيسبق إلى قلوبهم أوهام الرعب بما يلغفهم من أح韶.

الدولة. واعتبر ذلك في كل دولة عظمت أو صغرت. فهكذا سنة  
الله في الدول إلى أن يأتي ما قدر الله من الفناء على خلقه.  
و«كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهُهُ».

## الفصل الثامن والأربعون

### في حدوث الدولة وتجدها كيف يقع

اعلم أن نشأة الدول وبدايتها إذا أخذت الدولة المستقرة في  
الهرم والانتصارات يكون على نوعين:

إما بأن يستبدل ولاة الأعمال في الدولة بالقاصية عندما  
يتخلص ظلها عنهم، فتكون لكل واحد منهم دولة يستجد لها لقومه  
وما يستقر في نصابه يرثه عنه أبناؤه أو مواليه ويستحفل لهم الملك  
بالتدريج، وربما يزدحمون على ذلك الملك ويتقارعون عليه  
ويتنازعون في الاستئثار به ويعتلب منهم من يكرون له فضل قوة  
على صاحبه ويترع ما في يده، كما وقع في دولةبني العباس حين  
أخذت دولتهم في الهرم وتخلص ظلها عن القاصية واستبدل بمنو  
سامان بما وراء النهر وبنو حمдан بالموصل والشام وبنو طلوبون  
 بمصر، وكما وقع بالدولة الأمريكية بالأندلس وافتراق ملوكها في  
الطرفين الذين كانوا ولاتها في الأعمال وانقسمت دولاً وملوكاً  
أورثوها من بعدهم من قرائهم أو موالיהם، وهذا النوع لا يكون  
بيئهم وبين الدولة المستقرة حرب؛ لأنهم مستترون في رئاستهم ولا  
يطمعون في الاستيلاء على الدولة المستقرة بموجب، وإنما الدولة  
ادركتها الهرم وتخلص ظلها عن القاصية وعجزت عن الوصول  
إليها.

والنوع الثاني بأن يخرج على الدولة خارج من يختارها  
من الأمم والقبائل، إما بدعة يحمل الناس عليها كما أشرنا إليه أو  
يكون صاحب شوكة وعصبية كبيرة في قومه قد استحفل أمره  
فيسمو بهم إلى الملك وقد حدثوا به أنفسهم بما حصل لهم من  
الاعتراض على الدولة المستقرة وما نزل بها من الهرم، فيتعين له  
ولقومه الاستيلاء عليها ويعارسونها بالطالبية إلى أن يظفروا بها  
وزنون أمرها كما يبين، والله سبحانه وتعالى أعلم.

وأجازوا من وراء النهر مكتوا نحواً من ثلاثين سنة يطألون بني سبكتكين بخراسان حتى استولوا على دولته. ثم زحفوا إلى بغداد فاستولوا عليها وعلى الخليفة بها بعد أيام من الدهر. وكذا التتر من بعدهم خرجوا من المغاربة عام سبعة عشر وستمائة فلم يتم الاستيلاء إلا بعد أربعين سنة.

وكذا أهل المغرب خرج به المرابطون من لتوة على ملوكه من مغراوة فطاولوهم سنتين ثم استولوا عليه. ثم خرج الموحدون بدعوتهم على لتوة فمكتوا نحواً من ثلاثين سنة يحاربونهم حتى استولوا على كرسיהם بمراكنش.

وكذا بنو مرين من زناتة خرجوا على الموحدين فمكتوا بطاولونهم نحواً من ثلاثين سنة واستولوا على فاس واقتطعواها وأعمالها من ملوكهم، ثم أقاموا في مغاربهم ثلاثين أخرى حتى استولوا على كرسיהם بمراكنش.

حسيناً نذكر ذلك كله في تاريخ هذه الدول، فهكذا حال الدول المستجدة مع المستقرة في المطالبة والمطاولة، سنة الله في عباده ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

ولا يعارض ذلك مما وقع في الفتوحات الإسلامية وكيف كان استيلاؤهم على فارس والروم لثلاث أو أربع من وفاة النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه، وأعلم أن ذلك إنما كان معجزة من معجزات نبينا صلوات الله عليه وآله وسلامه سرها استماتة المسلمين فيجهاد عدوهم استصاراً بالإيمان وما أوقع الله في قلوب عدوهم من الرعب والتذذل، فكان ذلك كله خارقاً للعادة المقررة في مطاولة الدول المستجدة للمستقرة، وإذا كان ذلك خارقاً فهو من معجزات نبينا صلوات الله عليه المتعرف ظهورها في الملة الإسلامية والمعجزات، لا يقاس عليها الأمور العادية ولا يعترض بها، والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق.

## الفصل الخمسون

### في وفور العمران آخر الدولة وما يقع فيها من كثرة الموتان والجماعات

اعلم أنه قد تقرر لك فيما سلف أن الدولة في أول أمرها لابد لها من الرفق في ملكتها والاعتدال في إيتائها، إما من الدين إن كانت الدعوة دينية، أو من المكارمة والمحاسنة التي تتضمنها البداوة الطبيعية للدول، وإذا كانت الملكة رقيقة محسنة انبسطت آمال الرعايا وانتشرت للعمان وأسبابه فتتوفر ويكثر التناسل وإذا كان

الدولة المستقرة ويخجمون عن قتالهم من أجل ذلك، فيصير أمرهم إلى المطاولة حتى تأخذ المستقرة مأخذها من الهرم ويستحكم الحال فيها في العصبية والجباية فيتهزء حيتند صاحب الدولة المستجدة فرصرصته في الاستيلاء عليها بعد حين منذ المطالبة، سنة الله في عباده.

وإيضاً فأهل الدولة المستجدة كلهم مباينون للدولة المستقرة بأساليبهم وعاداتهم وفي سائر مناقبهم ثم هم مفاخرون لهم ومنابذون بما وقع من هذه المطالبة ويطمعون في الاستيلاء عليها، فتمكّن المباعدة بين أهل الدولتين سرّاً وجهراً، ولا يصل إلى أهل الدولة المستجدة خبر عن أهل الدولة المستقرة يصيّبون منه غرة باطننا وظاهراً لانقطاع المداخلة بين الدولتين، فيقيّمون على المطالبة وهم في إحجام، وينكلون عن المناجزة حتى ياذن الله بزوال الدولة المستقرة وفداء عمرها ووفور الحال في جميع جهاتها، وينقض لأهل الدولة المستجدة مع الأيام ما كان يخفى منهم من هرمها وتلاشياها وقد عظمت قوتهم بما اقتطعوه من أعمالها وتنصّره من أطرافها، فتبعدت هممهم بذراً واحدة للمناجزة، وينصب ما كان يفت في عزائمهم من الترهّمات وتنتهي المطاولة إلى حدها ويقع الاستيلاء آخرًا بالمعالجة.

واعتبر ذلك في دولة بنى العباس حين ظهرها حين قام الشيعة بخراسان بعد انعقاد الدعوة واجتماعهم على المطالبة عشر سنتين أو تزيد، وحيثند ثم هم الظفر واستولوا على الدولة الأموية. وكذا العلوية بطرستان عند ظهور دعوتهم في الدليل كيف كانت مطاولتهم حتى استولوا على تلك الناحية، ثم لما انقضى أمر العلوية وسما الدليل إلى ملك فارس والعراقين فمكتوا سنتين كبيرة بطاولون حتى اقتطعوا أصبهان ثم استولوا على الخليفة ببغداد.

وكذا العبيديون أقام داعيّهم بالغرب أبو عبد الله الشيعي ببني كتامة من قبائل البربر عشر سنتين ويزيد، يطأول ببني الأغلب بإفريقية حتى ظفر بهم واستولوا على المغرب كله وسموا إلى ملك مصر فمكتوا ثلاثين سنة أو نحوها في طلبها يجهزون إليها العساكر والأسطبل في كل وقت وينجيء المدد لدفعهم برأ وجرحاً من بغداد والشام وملكون الإسكندرية والنفيوم والصعيد، وقطّعت دعوتهم من هناك إلى الحجاز وأقيمت بالحرمين ثم نازل قائدتهم جوهر الكاتب بعساكره مدينة مصر واستول على عليها واقتلع دولة بني طفح من أصولها واحتل القاهرة، ف جاء الخليفة بعد المعز لدين الله فنزلها سنتين سنة أو نحوها منذ استيلائهم على الإسكندرية.

وكذا السلاجقية ملوك الترك لما استولوا على بني سامان

## الفصل الحادي والخمسون

### في أن العمران البشري لا بد له من سياسة ينظم بها أمره

اعلم أنه قد تقدم لنا في غير موضع أن الاجتماع للبشر ضروري وهو معنى العمران الذي نتكلم فيه، وأنه لا بد هن في الاجتماع من وائع حاكم يرجعون إليه وحكمه فيهم تارة يكون مستندًا إلى شرع متزل من عند الله يوجب انتقادهم إليه إيمانهم بالثواب والعقاب عليه الذي جاء به مبلغه، وتارة إلى سياسة عقلية يوجب انتقادهم إليها ما يتوقعونه من ثواب ذلك الحاكم بعد معرفته بصالحهم. فالأول يحصل نفعها في الدنيا والأخرة لعلم الشارع بالصالح في العاقبة ولرعااته نجاة العباد في الآخرة، والثانية إنما يحصل نفعها في الدنيا فقط.

وما تسمعه من السياسة المدنية فليس من هذا الباب وإنما معناه عند الحكام ما يجب أن يكون عليه كل واحد من أهل ذلك المجتمع في نفسه وخلقه حتى يستغثوا عن الحكم رأساً، ويسمون المجتمع الذي يحصل فيه ما يسمى من ذلك بالمدينة الفاضلة، والقراءين المراوعة في ذلك بالسياسة المدنية وليس مرادهم السياسة التي يحمل عليها أهل الاجتماع بالصالح العامة، فإن هذه غير تلك، وهذه المدينة الفاضلة عندهم نادرة أو بعيدة الوقع وإنما يتكلمون عليها على جهة الفرض والتقدير.

ثم إن السياسة العقلية التي قدمتها تكون على وجهين:

أحدهما يراعى فيها المصالح على العموم ومصالح السلطان في استقامة ملكه على الخصوص، وهذه كانت سياسة الفرس وهي على جهة الحكمة. وقد أغناتنا الله تعالى عنها في الملة ولهمد الخلافة؛ لأن الأحكام الشرعية مغنية عنها في المصالح العامة والخاصة والأداب وأحكام الملك متدرجة فيها.

الوجه الثاني أن يراعى فيها مصلحة السلطان وكيف يستقيم له الملك مع القهر والاستطالة وتكون المصالح العامة في هذه تبعاً، وهذه السياسة التي يحمل عليها أهل الاجتماع التي لسائر الملوك في العالم من مسلم وكافر إلا أن ملوك المسلمين يجرون منها على ما تقتضيه الشريعة الإسلامية بحسب جهدهم، فقوانينها إذاً مجتمعة من أحكام شرعية وأداب خلقية وقوانين في الاجتماع طبيعية، وأشياء من مراعاة الشروكة والعصبية ضرورية والاقتداء فيها بالشرع أولأ ثم الحكماء في آدابهم والملوك في سيرهم، ومن

ذلك كله بالتدرج فإنما يظهر أثره بعد جيل أو جيلين في الأقل وفي انقضاء الجيلين تشرف الدولة على نهاية عمرها الطبيعي، فيكون حيثذا العمران في غاية الرفور والنماء، ولا تقولن: إنه قد مر لك أن أواخر الدولة يكون فيها الإجحاف بالرعايا وسوء الملكة، فذلك صحيح ولا يعارض ما قلناه؛ لأن الإجحاف وإن حدث حيثذا وقتل الجبابات، فإنما يظهر أثره في تناقص العمران بعد حين من أجل التدريج في الأمور الطبيعية، ثم إن الجماعات والملوتان تذكر عند ذلك في أواخر الدول والسبب فيه:

إما الجماعات فلقبض الناس أيديهم عن الفلاح في الأكثر بسبب ما يقع في آخر الدولة من العدوان في الأموال والجبابات، أو الفتن الواقعة في انتهاص الرعايا وكثرة التسواج ل Harm الدولة، فيقبل احتكار الزرع غالباً وليس صلاح الزرع وثمرته بمستمر الوجود ولا على وتبيرة واحدة، فظيعة العالم في كثرة الأمطار وقلتها مختلفة والمطر يقوى ويضعف ويقل ويكثر، والزرع والثمار والضرع على نسبته إلا أن الناس واقعون في أقواهم بالاحتقار، فإذا قدر الاحتقار عظم توقع الناس للمجاعات فغالب الزرع وعجز عنه أولى المخصصات فهلكوا وكان بعض السنوات، والاحتقار مفقود فشمل الناس الجوع.

وأما كثرة الملوتان فلها أسباب من كثرة الجماعات كما ذكرناه أو كثرة الفتن لاحتلال الدولة فيكثر المرج والتل أو وقوع الوباء، وسيبي في الغالب فساد الماء بكثرة العمران لكثرة ما يخالطه من العفن والطربات الفاسدة، وإذا فسد الماء وهو غذاء الروح الحيواني وملابسه دائمًا فيسري الفساد إلى مزاجه، فإن كان الفساد قريباً وقع المرض في الرئة وهذه هي الطراعين وأمراضها مخصوصة بالرئنة، وإن كان الفساد دون القسوة والكثير فيكثر العفن ويتضاعف فتكثر الحُميات في الأمزجة وقرpus الأبدان وتهلك، وسبب كثرة العفن والطربات الفاسدة في هذا كله كثرة العمران ووفره آخر الدولة لما كان في أولاتها من حسن الملكة ورفقاها وقلة المفرم وهو ظاهر، ولمن تبين في موضعه من الحكمة أن تخلل الخلاء والقفر بين العمران ضروري ليكون عوج الماء يذهب بما يحصل في الماء من الفساد والعفن بمخالطة الحيوانات وبائي الماء الصحيحة، وهذا أيضاً فإن الملوتان يكونن في المدن المفورة العمران أكثر من غيرها بكثير كمصر بالشرق وفاس بالغرب، والله يقدر ما يشاء.

على الخبر كله والقائد إليه والأمر والناهي عن المعاصي والموبقات كلها، ومع توفيق الله عز وجل بزيادة المرء معرفة وإجلاله ودركاً للدرجات العلى في العاد مع ما في ظهوره للناس من التوفير لأمرك والهيبة لسلطانك والأسنة بك والثقة بعدلك.

وعليك بالاقتصاد في الأمور كلها، فليس شيء أبين نفعاً ولا أحسن منها ولا أجمع فضلاً منها، والقصد داعية إلى الرشد، والرشد دليل على التوفيق، والتوفيق قائد إلى السعادة وقوام الدين والسنن الهادية بالاقتصاد فائزه في دنياك كلها.

ولا تقتصر في طلب الآخرة والأجر والأعمال الصالحة والسنن المعروفة ومعامل الرشد والإعانة والاستكثار من البر والسعى له إذا كان يطلب به وجه الله تعالى ومرضاته ومرافقة أولياء الله في دار كرامته.

واعلم أن القصد في شأن الدنيا يورث العز ويحصن من الذرر، وأنك لن تحوط نفسك من قائل ولا تصلح أمورك بأفضل منه، فاته واعتد به ثم أمروك وتزد مقدرتك وتصلح عامتك وخاصةك، وأحسن ظنك بالله عز وجل تستقم لك رعيتك، والتمس الوسيلة إليه في الأمور كلها تستدين به النعمة عليك.

ولا تهمن أحداً من الناس فيما توليه من عملك قبل أن تكشف أمره، فإن ليقاع التهم بالبراء والظنون السيئة بهم آثم. فاجعل من شأنك حسن الظن باصحابك واطرد عنك سوء الظن بهم، وارفعه فيهم يعنك ذلك على استطاعتهم ورياضتهم. ولا تخدن عدو الله الشيطان في أمرك معمداً، فإنه إنما يكتفي بالقليل من وهنك ويدخل عليك من الغم بسوء الظن بهم ما ينقص لذادة عيشك.

واعلم أنك تجد حسن الظن قوة وراحة، وتكتفي به ما أحبت كفایته من أمروك وتدعوه به الناس إلى محبتك والاستقامة في الأمور كلها، ولا يمنعك حسن الظن باصحابك والرأفة برعيتك أن تستعمل المسالة والبحث عن أمروك وال مباشرة لأمور الأولياء وحياطة الرعية والنظر في حوانجهم وحمل مؤوناتهم أيسر عندك مما سوى ذلك، فإنه أقرب للدين وأحيا للسنة.

وأخلص نيتك في جميع هذا وتفند بتقويم نفسك تفرد من يعلم أنه مسؤوال عما صنع ومجزي بما أحسن ومؤاخذ بما أساء، فإن الله عز وجل جعل الدين حرزاً وعزراً ورفع من اتباهه وعزره. وأسلك بن تسوسه وترغاه نهج الدين وطريقه الأهدى. واقم حدود الله تعالى في أصحاب الجرائم على قدر منازلهم وما

احسن ما كتب في ذلك وأودع كتاب طاهر بن الحسين لابنه عبد الله بن طاهر لا ولاه المأمون الرقة ومصر وما بينهما، فكتب إليه أبوه طاهر كتابه المشهور عهد إليه فيه ووصاته بجميع ما يحتاج إليه في دولته وسلطانه من الآداب الدينية والخلقية والسياسة الشرعية والملوكية، وحثه على مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم مما لا يستغني عنه ملك ولا سoteca. ونص الكتاب:

نص كتاب طاهر بن الحسين لابنه عبد الله:

بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد فعليك بتوسيع الله وحده لا شريك له وخشيته ومراتبه عز وجل ومواطنة سخطه، واحفظ رعيتك في الليل والنهار والزم ما ألسنك الله من العافية بالذكر لمعاذك وما أنت صائر إليه ومحوقف عليه ومسؤول عنه، والعمل في ذلك كله بما يعصمك الله عز وجل وينجيك يوم القيمة من عقابه واليم عذابه، فإن الله سبحانه قد أحسن إليك وأوجب الرأفة عليك من استرعاك أمراهم من عباده والزمك العدل فيهم والقيام بهم وحدوده عليهم والذب عنهم والدفع عن حرمهم ومنصبيهم والحقن لدمائهم والأمن لسريرهم، وإدخال الراحة عليهم، ومؤاخذك بما فرض عليك ومحققك عليه وسائلك عنه ومبشرك عليه بما قدمت وأخرت، ففرغ بذلك فهمك وعقلك وبشرك ولا يشغلك عنه شاغل، وأنه رأس أمرك وملوك شأنك، وأول ما يوقيقك الله عليه، ولكن أول ما تلزم به نفسك وتنسب إليه فعلك المراقبة على ما فرض الله عز وجل عليك من الصلوات الخمس والجماعة عليها بالناس قبلك وتقعها على سنتها من إيساغ الوضوء لها وافتتاح ذكر الله عز وجل فيها، ورتب في قراءتك وتمكن في ركوعك وسجودك وشهادك، ولتصرف فيه رأيك ونبتك وأحضرض عليه جماعة من معك وتحت يدك وآداب عليها، فإنها كما قال الله عز وجل **«تنتهي عن الفحشاء والمنكر»**.

ثم أتبع ذلك بالأخذ ب السنن رسول الله ﷺ والاشارة على خلقه واقفأه أثر السلف الصالح من بعده، وإذا ورد عليك أمر فاستعن عليه باستخاره الله عز وجل وتقواه، وبلغه ما أنزل الله عز وجل في كتابه من أمره ونبيه وحلله وحرمهه واتمام ما جاءت به الآثار عن رسول الله ﷺ، ثم قسم فيه بالحق الله عز وجل ولا تميل عن العدل فيما أحبت أو كرهت لقربك من الناس أو بعيد.

وأثر الفقه وأهله والدين وحلته وكتاب الله عز وجل والعاملين به، فإن أفضل ما يتزين به المرء الفقه في الدين والطلب له والحدث عليه والمعرفة بما يتقارب به إلى الله عز وجل، فإنه الدليل

واستوجبت المزيد من الله تعالى وكانت بذلك على جباهه أموال رعيتك وخرابك أقدر، وكان الجميع لما شملهم من عدوك وإحسانك أسلس لطاعتك، وطب نفساً بكل ما أردت. وأجهد نفسك فيما حددت لك في هذا الباب وليعظم حقك فيه، وإنما يبقى من المال ما أتفق في سبيل الله وفي سبيل حقه، وأتعرف للشاكرين حفهم وأثيbum عليه، وإياك أن تسيسك الدنيا وغورها هول الآخرة فتهاون بما يحق عليك، فإن التهاون بورث التفريط، والتفرط يورث البار، ول يكن عملك الله عز وجل وفيه، وارج الشواب منه، فإن الله سبحانه قد أسيغ فضله. واعتضم بالشكر وعلىه فاعتمد يزدك الله خيراً وإحساناً، فإن الله عز وجل يثيب بقدر شكر الشاكرين وإحسان المحسنين.

ولا تخترن ذنباً ولا تعاشر حاسداً ولا ترجمن فاجراً ولا تصلن كفوراً ولا تداهنن عدواً ولا تتصدقن غاماً ولا تأمنن غداراً ولا توالين فاسقاً ولا تتبعن غاوياً ولا تحمدن مراهياً ولا تخترن إنساناً ولا تردن سائلاً فقيراً ولا تخشن باطلاً ولا تلاحظن مضحكاً ولا تخلفن وعداً ولا تزهون فخراً ولا تظهرن غضباً ولا تباينن رجاءً ولا تمشين مرحأً ولا تزكين سفينها ولا تقرطن في طلب الآخرة ولا ترفعن للنمام عيناً ولا تغمضن عن ظالم رهبة منه أو محابةً ولا تطلبن ثواب الآخرة في الدنيا.

وأكثر مشاركة الفقهاء واستعمل نفسك بالحلم، وخذ عن أهل التجارب وذوي العقل والرأي والحكمة. ولا تدخلن في مشورتك أهل الرفة والبخل ولا تسمعن لهم قولاً، فإن ضررهم أكثر من نفعهم.

وليس شيء أسرع فساداً مما استقبلت فيه أمر رعيتك من الشبح. واعلم أنك إذا كنت حريصاً كنت كثير الأخذ قليل العطية، وإذا كنت كذلك لم يستقم أمرك إلا قليلاً، فإن رعيتك إنما تعتقد على محبتك بالكف عن أموالهم وترك الجور عليهم. وووال من صافاك من أولياتك بالإفضل عليهم وحسن العطية لهم. واجتب الشبح وأعلم أنه أول ما عصى الإنسان به ربه وأن العاصي ينزلة الخزي وهو قول الله عز وجل «وَمَنْ يُوقَ شَحَّ نَفْيِهِ فَأُرْثَيَ هُمَّ الْمُنْلَبِحُونَ» فسهل طريق الجود بالحق واجعل للمسلمين كلهم من فينك حظاً ونصيباً، وأيقن أن الجود أفضل أعمال العباد فاعده لنفسك خلقاً وارض به عملاً ومنهباً. وتفقد الجندي في دواوينهم ومكانتهم وأدّر عليهم أرزاقهم ووسع عليهم في معاشهم بذهب الله عز وجل بذلك فاقتهم فيقوى لك أمرهم وتزيد قلوبهم في طاعتك وأمرك خلوصاً وانتشاراً. وحسب ذي السلطان من السعادة أن يكون على جنده ورعايته ذراً حمة في عدله وعطيته

استحققه ولا تعطل ذلك ولا تهاؤن به ولا تؤخر عقوبة أهل المقروبة، فإن في تفريطك في ذلك ما يفسد عليك حسن ظنك، واعتنم على أمرك في ذلك بالسن المعرفة وجانب البدع والشبهات يسلم لك دينك وتم لك مرؤوتك.

وإذا عاهدت عهداً فأوف به وإذا وعدت الخير فانجزه، واقبل الحسنة ودفع بها، وأغضض عن عيب كل ذي عيب من رعيتك، وأشدد لسانك عن قول الكذب والزور، وأبغض أهل النسمة، فإن أول فساد أمرك في عاجلها وأجلها، تفريط الكلوب، والجراء على الكذب، لأن الكذب رأس المأثم، والزور والنسمة خاتمتها، لأن النسمة لا يسلم صاحبها، وقالتها لا يسلم له صاحب ولا يستقيم له أمر. وأحب أهل الصلاح والصدق، وأعز الأشراف بالحق، وأعن الضعفاء، وصل الرحيم، وابتغ بذلك وجه الله تعالى وإعزاز أمره، والتمس فيه ثوابه والدار الآخرة. واجتب سوء الأهواء والجحور، واصرف عنهم رأيك وأظهر برامتك من ذلك لرميتك، وأنعم بالعدل سياستهم وقم بالحق فيهم، وبالمعونة التي تنتهي بك إلى سبيل الهدى. وأملك نفسك عند الغضب، وأثر الحلم والرقار، وإياك والحدة والطيش والغرور فيما أنت بسيله.

وإياك أن تقول: أنا مسلط أفعل ما أشاء، فإن ذلك سريع إلى نقص الرأي وقلة اليقين لله عز وجل، وأنخلص الله وحده اليه في واليقينه به.

واعلم أن الملك لله سبحانه وتعالى يؤتيه من يشاء ويترزعه من يشاء. ولن تجد تغير النعمة وحلول النقم إلى أحد أسرع منه إلى جهله النعمة من أصحاب السلطان والمبوسط لهم في الدولة إذا كفروا نعم الله وإحسانه واستطالوا بما أعطاه لهم الله عز وجل من فضلاته.

ودع عنك شره نفسك، ولتكن ذخائرك وكبوزك التي تدخر وتكتنز البر والتقوى واستصلاح الرعية وعمارة بلادهم والتفقد لأمورهم والحفظ لدمائهم والإغاثة للهوفهم.

واعلم أن الأموال إذا اكتنلت وادخرت في المخازن لا تنمو، وإذا كانت في صلاح الرعية وإعطاء حقوقهم وكف الأذية عنهم نمت وزكت وصلحت بها العامة وترتبت بها الولاية وطاب بها الزمان واعتقد فيها العز والمنعة. فليكن كنز ذخائرك تفريح الأموال في عمارة الإسلام وأهله. ووفر منه على أولياء أمير المؤمنين قبلك حقوقهم وأوف من ذلك حرصهم وتعهد ما يصلح أمرهم ومعاشهم، فإياك إذا فعلت ذلك قرت النعمة لك

نفسك، وكانت محمود السياسة مرضي العدل في ذلك عند عدوه، وكانت في أمرك كلها ذا عدل وألة وقحة وعدة. فتنافس فيها ولا تقدم عليها شيئاً تحمد عاقبة أمرك إن شاء الله تعالى.

وأجعل في كل كورة من عملك أميناً يخبرك خبر عمالك ويكتب إليك بسيرهم وأعمالهم حتى كانك مع كل عامل في عمله معابداً لأمره كلها. وإذا أردت أن تأمرهم بأمر فانتظر في عواقب ما أردت من ذلك، فإن رأيت السلامة فيه والعافية ورجوت فيه حسن الدفاع والصنف فأمضه وإلا فترتفق عنه وراجع أهل البصر والعلم به ثم خذ في عدته، فإنه ربما نظر الرجل في أمره وقد أتاه على ما يهوى فأغواه ذلك وأعجبه، فإن لم ينظر في عواقبه أهلكه ونقض عليه أمره. فاستعمل الخزم في كل ما أردت وبشره <sup>بتقد</sup> بعد عنون الله عز وجل بالغفرة. وأكثر من استخارتك في جميع أمورك. وافغ من عمل يومك ولا تؤخره لغدك وأكثر مباشرته بنفسك فإن لغد أموراً وحوادث تلهيك عن عمل يومك الذي أخرىت. وأعلم أن اليوم إذا مضى ذهب بما فيه، فإذا أخرت عمله اجتمع عليك عمل يومين فيشغلك ذلك حتى تمرض منه. وإذا أضيئت لكل يوم عمله أرحت بدنك ونفسك وجمعت أمر سلطانك.

وانظر أحرار الناس وذوي الفضل منهم من بلوغ صفاء  
طريقهم وشهدت مودتهم لك ومظاهرتهم بالصحيح والمحافظة على  
مرتكب فاستخلصهم وأحسن إليهم، وتعاهد أهل البيوتات منك تقد  
دخلت عليهم الحاجة واحتمل موزونتهم وأصلاح حالم حتى لا  
يجدوا لهم منافرًا، وافتدى نسرك بالنظر في أمر الفقراء والمساكين  
ومن لا يقدر على رفع مظلمته إليك والمحترر الذي لا علم له  
بتطلب حقه فسل عنه أحلى مسألة وكل بامتالله أهل الصلاح في  
رجعيتك ومرهم برفع حرواجتهم وخلامهم إليك لتنظر فيما يصلح  
لله به أمرهم وتعاهد ذوي اليساءة ويتهمهم وأ Ramirez them واجعل لهم  
ازلاقاً من بيت المال اقتداء بأمير المؤمنين أعزه الله تعالى في العطف  
عليهم والصلة لهم ليصلح الله بذلك عيشهم ويرزقك به بركة  
وزيادة. وأجر للأضراء من بيت المال وقدم حلة القرآن منهم  
والحافظين لأكثره في الجريمة على غيرهم، وانصب لمرضى المسلمين  
دوراً تأويهم وقواماً يرفقون بهم وأطباء يعالجون اسقامهم  
وأسعفهم شهء اتهمه مالم يؤذ ذلك إلٰى سرف في بيت المال.

واعلم أن الناس إذا أعطوا حقوقهم وأفضل أماناتهم لم يرضهم ذلك ولم تطب أنفسهم دون رفع حواجزهم إلى لاتهم طمعاً في نيل الزيادة وفضل الرفق بهم. وربما تبرم المتصفح لأمور الناس لكنثرة ما يرد عليه ويشغل ذكره وفكرة منها ما يناله به من

وإنصافه وعانته وشفقته وبيره وتوسيعه فزابل مكروه أحد البالىن  
باستشعار فضل الباب الآخر ولزوم العمل به، تلقى إن شاء الله تعالى به نجاحاً وصلاحاً وفلاحاً.

واعلم أن القضاء من الله تعالى بالمكان الذى ليس فوقه شيء من الأمور؛ لأنه ميزان الله الذى تعدل عليه أحوال الناس في الأرض. ويأقامة العدل في القضاء والعمل تصلح أحوال الرعية وتؤمن السبيل ويتصف المظلوم وتسأخذ الناس حقوقهم وتحسن المعيشة ويرد حق الطاعة، ويرزق الله العافية والسلامة ويقيم الدين ويجري السنن والشائع في مجاريها. واشتدى في أمر الله عز وجل وتورع عن النطف وأمض لإقامة الحدود. وأقلل العجلة وأبعد عن الضجر والقلق واقع بالقسم واتفع بتجريتك واتتبه في صحتك واسدد في منطقك وأنصف الخصم وقف عند الشبهة وأبلغ في الحجة ولا يأخذك في أحد من رعيتك مخابرة ولا جاملة ولا لومة لائم، وثبتت وتأن وراقب وانظر وتفكر وتبصر واعتبر وتواضع لربك وارفق بجميع الرعية وسلط الحق على نفسك ولا تسرعن إلى سفك دم، فإن الدماء من الله عز وجل بمكان عظيم فلا تبغى انتهاء لها بغير حقها.

وانظر هذا الخراج الذي استقامت عليه الرعية وجعله الله  
للإسلام عزاً ورفعةً، والأهل توسيعةً ومنعةً، ولعدوه كبتاً وغيظاً  
والأهل الكفر من معاديهم ذلاً وصغاراً، فوزعه بين أصحابه بالحق  
والعدل والتسوية والعموم، ولا تدفعن شيئاً منه عن شريف لشرفه  
ولا عن غني لغناه ولا عن كاتب لك ولا عن أحد من خاصتك  
ولا حاشيتك ولا تأخذن منه فوق الاشتغال له. ولا تتكلف امراً  
فيه شطط. واحمل الناس كلهم على أمر الحق فإن ذلك أجمع  
لأنكم ولزم لرضا العامة.

واعلم أنك جعلت بولايتك خازناً وحافظاً ورعاياً وإنما سعي أهل عملك رعيتك لأنك راعيهم وقيمهم. فخذ منهم ما أعطوك من عفوهم ونفعه في قرار أمرهم وصلاحهم وتقويم أودهم. واستعمل عليهم أولى الرأي والتدبیر والتجربة والخبرة بالعلم والعدل بالسياسة والغفاف. ووسع عليهم في الرزق فإن ذلك من الحقوق الالزمة لك فيما تقلدت وأسند إليك، فلا يشغلك عنه شاغل ولا يصرفك عنه صارف، فإليك متى أترته وقمت فيه بالواجب استدعيت به زيادة النعمه من ربك وحسن الأحdonة في عملك واستجررت به الحجه من رعيتك وأعنت على الصلاح فدرت الخيرات بيده وفشت العمارة بناحتوك وظهرت الخصب في كورك وكثير خراجك وتوفرت أموالك وقويت بذلك على ارتياض جندك وإرضاe العامة بإفاضة العطاء فيهم من

أعجب به الناس واتصل بالمأمون، فلما قرئ عليه قال: ما أبقي أبو الطيب - يعني طهراً - شيئاً من أمور الدنيا والدين والتذكرة والرأي والسياسة وصلاح الملك والرعاية وحفظ السلطان وطاعة الخلفاء وتقويم الخلافة إلا وقد أحكمه وأوصى به؛ ثم أمر المأمون فكتب به إلى جميع العمال في النواحي ليقدروا به ويعملوا بما فيه، هذا أحسن ما وقفت عليه في هذه السياسة، والله أعلم.

## الفصل الثاني والخمسون

### في أمر الفاطمي وما يذهب إليه الناس في شأنه وكشف الغطاء عن ذلك

اعلم أن المشهور بين الكافية من أهل الإسلام على مر الأعصار أنه لا بد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت يؤيد الدين ويظهر العدل وينبع المسلمون ويستولى على المالك الإسلامية ويسمى بالمهدي، ويكون خروج الدجال وما بعده من أشراط الساعة الثابتة في «الصحيح» على أثره، وأن عيسى ينزل من بعده فيقتل الدجال أو ينزل معه فيساعده على قتله ويأتى بالمهدي في صلاته ويختجون في هذا الشأن بأحاديث خرجها الآئمة وتكلم فيها المكررون لذلك وربما عارضوها بعض الأخبار، وللمتصورة المتأخررين في أمر هذا الفاطمي طريقة أخرى ونوع من الاستدلال وربما يعتمدون في ذلك على الكشف الذي هو أصل طرائفهم.

ونحن الآن نذكر هنا الأحاديث الواردة في هذا الشأن وما للمتركتين فيها من الطاعن وما لهم في إنكارهم من المستند ثم تبعه ذكر كلام المتصوفة ورأيهم لبيان لك الصحيح من ذلك إن شاء الله تعالى فنقول:

إن جماعة من الآئمة خرجنوا أحاديث المهدي منهم الترمذى وأبو داود والبزار وأبن ماجه والحاكم والطبراني وأبو يعلى الموصلى وأسندوها إلى جماعة من الصحابة: مثل علي وأبن عباس وأبن عمر وطلحة وأبن سعد وابن هريرة وأنس وأبى سعيد الخدري وأم حبيبة وأم سلمة وثوبان وقرة بن إياس وعلى المسلاوى وعبد الله بن الحارث بن جزءة بأسانيد ربما يعرض لها المكررون كما نذكره، إلا أن المعروف عند أهل الحديث أن المخرج مقدم على التعديل، فإذا وجدنا طعنًا في بعض رجال الأسنان بفضلة أو بسوء حفظ أو ضعف أو سوء رأي طرق ذلك إلى صحة الحديث وأوهن منها ولا تقولن مثل ذلك ربما ينطرب إلى رجال

مؤونة ومشقة. وليس من يرغب في العدل ويعرف حساسن أمره في العاجل وفضل ثواب الآجل كالذى يستقل ما يقربه من الله تعالى وتلتمس به رحته.

وأكثر الإذن للناس عليك وأرحم وجهك وسكن لهم حواسك واخفض لهم جناحك وأظهر لهم بشرك ولن لهم في المسألة والنطق واعطف عليهم بمودتك وفضلك. وإذا أعطيت فأعطي بسماحة وطيب نفس والتلامس للصنعة والأجر من غير تكبر ولا امتنان، فإن العطية على ذلك تجارة مربحة إن شاء الله تعالى.

واعتبر بما ترى من أمور الدنيا ومن مضى قبلك من أهل السلطان والرئاسة في القرون الخالية والأمم الباكرة.

ثم اعتض في أحوالك كلها بالله سبحانه وتعالى والوقوف عند محنته والعمل بشرعيته وسته وإقامته دينه وكتابه، واجتب ما فارق ذلك وخالقه ودعا إلى سخط الله عز وجل.

واعرف ما يجمع عمالك من الأموال وما ينفقون منها ولا تجمعني حراماً ولا تنفق إسرافاً.

وأكثر مجالسة العلماء ومشاورتهم وخالفتهم، وليكن هواك اتباع السنن وإقامتها وإثمار مكارم الأخلاق ومعاليها، وليكن أكرم دخلاتك وخاصتك عليك من إذا رأى عيّاً لم تمنعه هيتك من إنهاء ذلك إليك في ستر وإعلامك بما فيه من التقص، فإن أولئك أنصح أولياتك ومظاهرتك.

وانظر عمالك الذين يحضرتك وكتابك فورقت لكل رجل منهم في كل يوم وقتاً يدخل فيه عليك بكتبه ومؤامرته وما عنده من حراج عمالك وأمور الدولة ورعيتك، ثم فرغ لما يورد عليك من ذلك سمعك وبصرك وفهمك وعقلك وكرر النظر فيه والتذكرة له، فما كان موافقاً للحق والخزم فأقضيه واستخر الله عز وجل فيه وما كان خالقاً لذلك فاقصره إلى المسألة عنه والتثبت منه، ولا تمن على رعيتك ولا غيرهم بمعرفة توبته إليهم. ولا تقبل من أحد إلا الرفاء والاستقامة والعون في أمور المسلمين، ولا تضعن المعروف إلا على ذلك. وتفهم كتابي إليك وأمعن النظر فيه والعمل به واستعن بالله على جميع أمورك واستخره، فإن الله عز وجل مع الصلاح وأهله وليكن أعظم سيرتك وأفضل رغبتك ما كان الله عز وجل رضاً ولدينه نظاماً وأهله عزاً وتمكيناً ولملمة والذمة عدلاً وصلاحاً وأنا أسأل الله - عز وجل - أن يحسن عنك و توفيقك ورشدك وكلماتك والسلام.

وحدث الإنجاريون أن هذا الكتاب لما ظهر وشاء أمره

وقال الدارقطني: في حفظه شيء، وقال بحبي القطان: ما وجدت رجلاً أسمه عاصم إلا وجدته رديءاً لحفظه، وقال أيضاً: سمعت شعبة يقول: حدثنا عاصم بن أبي النجود وفي الناس ما فيها! وقال النهي: ثبت في القراءة وهو في الحديث دون التثبت صدوق فهم وهو حسن الحديث.

ولأن اختج أحد بان الشيدين أخرج له فنقول: أخرج له مقووناً بغيره لا أصلأ، والله أعلم.

وخرج أبو داود في الباب عن علي رضي الله عنه من رواية فطر بن خليفة، عن القاسم بن أبي مرة، عن أبي الطفيلي، عن علي، عن النبي ﷺ قال: «لَوْلَمْ يَقِنْ مِنَ الظُّرُورِ إِلَّا يَرْبَعَ اللَّهُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ يَمْلُؤُهَا عَدْلًا كَمَا مَلَأَتْ جَوَارًا»؛ وفطر بن خليفة وإن اختج بهم بحبي القطان وابن معن والنسائي وغيرهم إلا أن العجمي قال: حسن الحديث وفيه تشيع قليل، وقال ابن معين مرة: ثقة شيء. وقال أحمد بن عبد الله بن يونس: كنا نمر على فطر وهو متروح لا نكتب عنه. وقال مرة: كنت أمر به وأدعيه مثل الكلب. وقال الدارقطني: لا يختج به. وقال أبو بكر بن عياش: ما تركت الرواية عنه إلا لسوء منهبه. وقال الجرجاني: زائف غير ثقة انتهى.

وخرج أبو داود أيضاً بستنه إلى علي رضي الله عنه عن هارون بن المغيرة، عن عمر بن أبي قيس، عن شعيب بن أبي خالد، عن أبي إسحاق السعدي قال: قال علي ونظر إلى ابنه الحسين: إن ابني هذا سيد كما سماه رسول الله ﷺ. سيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم يشبهه في الخلق ولا يشبهه فيخلق بمنلا الأرض عدلاً.

وقال هارون: حدثنا عمر بن أبي قيس عن مطرف بن طريف، عن أبي المحسن، عن هلال بن عمر: سمعت علياً يقول: قال النبي ﷺ: «يخرج رجل من وراء النهر يقال له الحارث على مقدمته رجل يقال له منصور بوطئه أو يمكن لأن محمد كما مكنت قريش لرسول الله ﷺ وجب على كل مؤمن نصره أو قال: إيجابته.

سكت أبو داود عليه. وقال في موضع آخر في هارون: هو من ولد الشيعة. وقال السليماني: فيه نظر. وقال أبو داود في عمر بن أبي قيس: لا باس به في حديثه خطأ. وقال النهي: صدوق له أوهام. وأما أبو إسحاق السعدي وإن خرج عنه في «الصحابيين» فقد ثبت أنه اختلط آخر عمره وروايته عن علي مقطعة، وكذلك رواية أبي داود عن هارون بن المغيرة.

«الصحابيين» فإن الإجماع قد اتصل في الأمة على تلقهما بالقبول والعمل بما فيهما، وفي الإجماع أعظم حماية وأحسن دفع وليس غير «الصحابيين» بمثابتهم في ذلك، فقد نجد مجالاً للكلام في أسانيدها بما نقل عن آئمه الحديث في ذلك.

ولقد توغل أبو بكر بن أبي خيمية على ما نقل السهيلي عنه في جمعه للأحاديث الواردة في المهدي فقال: ومن أغربها إسناداً ما ذكره أبو بكر الإسكاف في «فرائد الأخبار» مستنداً إلى مالك بن أنس عن محمد بن المنكدر، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «من كذب بالمهدي فقد كفر، ومن كذب بالدجال فقد كذب». وقال في طلوع الشمس من مغربها مثل ذلك فيما أحسب، وحسبك هذا غلوة. والله أعلم بصححة طريقه إلى مالك بن أنس على أن أبو بكر الإسكاف عندهم متهم وضعاه.

وأما الترمذى فخرج هو وأبو داود بستنهما إلى ابن عباس. من طريق عاصم بن أبي النجود - أحد القراء السبعة - إلى زر بن حبيش، عن عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ: «لَوْلَمْ يَقِنْ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَرْبَعَ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَعْثُثَ اللَّهُ فِيهِ رَجُلًا مِنِّي أَوْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يَوْاطِئُ اسْمِي وَاسْمِ أَبِيهِ اسْمِ أَبِيهِ»، وهذا لفظ أبي داود وسكت عليه وقال في رسالته المشهورة: «إِنْ مَا سَكَتَ عَلَيْهِ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ صَالِحٌ». ولفظ الترمذى: «لَا تَذَهَّبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَمْلِكَ الْعَرَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي» وكلاهما حديث حسن صحيح، ورواه أيضاً من طريق موقرفاً على أبي هريرة وقال الحاكم: رواه الثوري وشعبة وزاده وغيرهم من آئمه المسلمين عن عاصم قال: وطرق عاصم عن زر عن عبد الله كلها صحيحة على ما أصلته من الاحتجاج بأخبار عاصم إذ هو إمام من آئمه المسلمين انتهى.

إلا أن عاصماً قال فيه أحمد بن حنبل: كان رجلاً صالحاً قارناً للقرآن خيراً ثقة والأعمش أحفظ منه وكان شعبة يختار الأعمش عليه في ثبّت الحديث، وقال العجمي: كان يختلف عليه في زر وأبي وائل، يشير بذلك إلى ضعف روایته عنهم، وقال محمد بن سعد: كان ثقة إلا أنه كثير الخطأ في حديثه، وقال يعقوب بن سفيان: في حديثه اضطراب، وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم: قلت لأبي: إن ابا زرعة يقول: عاصم ثقة، فقال: ليس عمله هذا وقد تكلم فيه ابن علية فقال: كل من اسمه عاصم سمع الحفظ، وقال أبو حاتم: عمله عندي محل الصدق صالح الحديث ولم يكن بذلك الحافظ، واختلف فيه قول النسائي، وقال ابن حراش: في حديثه نكرة، وقال أبو جعفر العقيلي: لم يكن فيه إلا سوء الحفظ،

البخاري استشهاداً لا أصلاً، وكان يحيى القطان لا يجدت عنه، وقال يحيى بن معين: ليس بالقوى وقال مرة: ليس بشيء. وقال أحد بن حنبل: أرجو أن يكون صالح الحديث، وقال يزيد بن زريع: كان حرورياً وكان يرى السيف على أهل القبلة، وقال السائني: ضعيف، وقال أبو عبيد الأجري: سأله أبا داود عنه. فقال: من أصحاب الحسن وما سمعت إلا خيراً. وسمعته مرة أخرى ذكره فقال: ضعيف أتفى في إبراهيم بن عبد الله بن حسن يفتوي شديدة فيها سفك الدماء.

وخرج الترمذى وابن ماجه والحاکم عن أبي سعيد الخدري  
من طريق زيد العمى، عن أبي صدیق الناجي، عن أبي سعيد  
الخدري قال: خشيناً أن يكون بعض شيءٍ حدث فسألنا النبي ﷺ  
<sup>رسول الله</sup> فقال: «إن في أمتي المهدى يخرج ويعيش خمساً أو سبعاً أو  
تسعاً» زيد الشاك قال: قلنا: وما ذاك؟ قال: سينين! قال: «فيجيء  
إليه الرجل فيقول: يا مهدى أعطني» قال: «فيخشوا له في ثوبه ما  
استطاع أن يحمله». لفظ الترمذى قال: هذا حديث حسن وقد  
روي من غير وجه عن أبي سعيد عن النبي ﷺ.

ولفظ ابن ماجه والحاكم: «يكون في أمي المهدى إن قصر  
فسيع ولا فنسخ فتعم أمي فيه نعمة لم يعنوا بمثلها قط تؤتى  
الأرض أكلها ولا يدخل منه شيء»، والمال يؤمن بذلك كدوس فقوم  
الرجل فيقول: يا مهدى أعطنى! فيقول خذ! انتهى.

روى عنه ولعل شعبة لم يرو عن أضعف منه.  
عدي: عامة ما يرويه ومن يروي عنهم ضعفاء على أن شعبة قد  
بذلاك وقد حدث عنه شعبة. وقال النسائي: ضعيف وقال ابن  
زعرة: ليس بقوى واهي الحديث ضعيف وقال أبو حاتم: ليس  
به. وقال يحيى بن معين في رواية أخرى: لا شيء. وقال مرة:  
يعكتب حديثه وهو ضعيف. وقال الجوزياني: متamasك وقال أبو  
بن معين: إنه صالح وزاد أحد: إنه فوق بزيد الرقاشي وفضل بن  
وأحد بن حنبل وبخيبي وزيد العمى وإن قال فيه الدارقطني وأحد بن حنبل وبخيبي

وقد يقال: إن حديث الترمذى وقع تفسيرًا لما رواه مسلم في «صحىحة» من حديث جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «يكون في آخر أئمتك، خليفة يحيى المال حثراً لا يبعد عدّاً» ومن حديث أبي سعيد قال: من خلفاكم خليفة يحيى المال حثراً» ومن طريق أخرى عنهما قال: «يكون في آخر الزمان خليفة يقسم المال ولا يعده» التمهي.

وأحاديث مسلم لم يقع فيها ذكر المهدى ولا دليل يقوم على

وأما السندي الثاني فأبي الحسن فيه وهلال بن عمر مجهو لأن  
ولم يعرف أبو الحسن إلا من رواية مطرف بن طريف عنه انتهى.

وخرج أبو داود أيضاً عن أم سلمة وكذا ابن ماجه والحاكم في «المستدرك» من طريق علي بن نفيل، عن سعيد بن المسيب، عن أم سلمة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الهادي من ولد فاطمة» ولنفط الحاكم: سمعت رسول الله ﷺ يذكر المهدى فقال: «نعم هو حق وهو من بني فاطمة»

ولم يتكلم عليه بتصحيح ولا غيره، وقد ضعفه أبو جعفر العقيلي وقال: لا يتابع على بن نفيل عليه ولا يعرف إلا به.

وخرج أبو داود أيضاً عن أم سلمة من رواية صالح بن الخطيل، عن صاحب له، عن أم سلمة قالت: يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل من أهل المدينة هارباً إلى مكة فما يهبه ناس من أهل مكة، فيخرجونه وهو كاره، فيباعونه بين الركين والمقام، فيبعث إليه بعث من الشام فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة، فإذا رأى الناس ذلك أثاروا إبدال أهل الشام وعصابات أهل العراق، فيباعونه ثم ينشأ رجل من قريش أخوه له كلب فيبعث إليهم بعثاً فيظهورون عليهم، وذلك بعث كلب والختة لم يشهد غنيمة كلب، فيقسم المال ويعمل في الناس بستة نبיהם عليهم السلام ويلقي الإسلام بجرانه على الأرض، فيلبث سبع سنين، وقتل بعضهم: تسم سنين.

ثم رواه أبو داود من رواية أبي الحليل عن عبد الله بن الحارث عن أم سلمة، ففيين بذلك المهم في الإسناد الأول ورجاله رجال الصحيحين لا مطعن فيهم ولا مغمس وقد يقال: إنه من رواية قتادة عن أبي الحليل وقتادة مدلس وقد عننه، والمدلس لا يقبل من حديثه إلا ما صرخ فيه بالسماع. مع أن الحديث ليس فيه تصريح بذكر المهدى؛ نعم ذكره أبو داود في أوربة.

وخرج أبو داود أيضاً وتابعة الحاكم عن أبي سعيد الخدري من طريق عمران القطان عن قنادة، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «المهدي مني أجيال الجبهة أقصى الأنف يعلا الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، يملأ سبع سينين» هذا لفظ أبي داود وسكت عليه ولفظ الحاكم: «المهدي من أهل البيت أشمس الأنف، أقصى أجيال، يعلا الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، يعيش هكذا» ويسقط يساره وأصحابه من يمينه السباية والإيهام وعقد ثلاثة. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرج في جاه. اهـ.

وعمران القطان مختلف في الاحتجاج به إنما أخرج له

أحد منهم بيته وبين أبي سعيد أحداً إلا أبو الوائل فلأنه رواه عن الحسن بن يزيد عن أبي سعيد انتهى.

وهذا الحسن بن يزيد ذكره ابن أبي حاتم ولم يعرفه بأكثر مما في هذا الإسناد من روایته عن أبي سعيد، ورواية أبي الصديق عنه وقال الذهي في «الميزان»: إنه مجھول. لكن ذكره ابن حبان في الثقات. وأما أبو الوائل الذي رواه عن أبي الصديق فلم يخرج له أحد من السنة. وذكره ابن حبان في الثقات في الطبقة الثانية وقال فيه: يروي عن أنس وروي عنه شعبة وعتاب بن بشر.

وخرج ابن ماجه في كتاب السنن عن عبد الله بن مسعود من طريق يزيد بن أبي زياد، عن إبراهيم، عن علقة، عن عبد الله قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ أقبل فتية من بني هاشم فلما رأهم رسول الله ﷺ ذرفت عيناه وتغير لونه قال: فقلت: ما نزال نرى في وجهك شيئاً تذكره؟ فقال: إنما أهل البيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وإن أهل بيتي سيلقون بعدى بلاء وتشريداً وتطريراً، حتى يأتي قوم من قبل المشرق معهم رايات سود فيسألون الخبر فلا يعطونه فيقاتلون وينصرون، فيعطون ما سألوا فلا يقبلونه حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتي فیملأها قسطاً كما ملأوها جوراً، فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم ولر جروا على الثلوج» انتهى.

وهذا الحديث يعرف عند المحدثين بمحدث الرايات. ويزيد بن أبي زياد راويه قال فيه شعبة: كان رفاعاً - يعني يرفع الأحاديث التي لا تعرف مرفوعة. وقال محمد بن الفضيل: كان من كبار أئمة الشيعة. وقال أحمد بن حنبل: لم يكن بالحافظ وقال مرة: حديثه ليس بذلك. وقال يحيى بن معن: ضعيف. وقال العجلي: جائز الحديث، وكان بآخره يلقن. وقال أبو زرعة: لين يكتب حديثه ولا يمتحن به. وقال أبو حاتم: ليس بالقوى. وقال الجوزجاني: سمعتهم يضعفون حديثه. وقال أبو داود: لا أعلم أحداً ترك حديثه وغيره أحب إلى منه. وقال ابن عدي: هو من شيعة أهل الكوفة ومع ضعفه يكتب حديثه. وروى له مسلم لكن مقررتنا بغرنر. وبالجملة فالاكترون على ضعفه. وقد صرخ الأئمة بتضييع هذا الحديث الذي رواه عن إبراهيم عن علقة، عن عبد الله وهو حديث الرايات. وقال وكيع بن الجراح فيه: ليس بشيء. وكذلك قال أحمد بن حنبل وقال أبو قدامة: سمعت إبا أسمة يقول في حديث يزيد عن إبراهيم في الرايات: لو حلف عندي حسين يميناً قسامة ما صدقته، لهذا منهيب إبراهيم؟ لهذا منهيب علقة؟ لهذا منهيب عبد الله؟ وأورد العقيلي هذا الحديث في الضعفاء وقال الذهي: ليس ب صحيح.

أنه المراد منها. ورواه الحاكم أيضاً من طريق عوف الأعرابي عن أبي الصديق الناجي، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: لا تقرن الساعة حتى تملأ الأرض جوراً وظلمة وعدواناً ثم يخرج من أهل بيبي رجل يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وعدواناً.

وقال فيه الحاكم: هذا صحيح على شرط الشيختين ولم يخرجاه. ورواه الحاكم أيضاً من طريق سليمان بن عبد، عن أبي الصديق الناجي، عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله ﷺ قال: «يخرج في آخر أمي المهدى يسبّه الله الغيث ويخرج الأرض نباتها ويعطي المال صالحها، وتكثُر الماشية وتنظم الأمة، يعيش سبعاً أو ثمانى» يعني حجاجاً، وقال فيه: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. مع أن سليمان بن عبد لم يخرج له أحد من السنة لكن ذكره ابن حبان في الثقات لم يرد أن أحداً تكلم فيه، ثم رواه الحاكم أيضاً من طريق أسد بن موسى عن حماد بن سلمة، عن مطر الوراق وأبي هارون العبدى، عن أبي الصديق الناجي، عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال: «تملاً الأرض جوراً وظلمة فيخرج رجل من عترتي فيملك سبعاً أو تسعًا فيملأ الأرض عدلاً وقطضاً كما ملئت جوراً وظلمة».

وقال الحاكم فيه: هذا حديث صحيح على شرط مسلم وإنما جعله على شرط المسلم لأنه أخرج عن حماد بن سلمة وعن شيخه مطر الوراق. وأما شيخه الآخر وهو أبو هارون العبدى فلم يخرج له. وهو ضعيف جداً منهم بالكذب ولا حاجة إلى بسط أقوال الأئمة في تضييفه.

وأما الراوى له عن حماد بن سلمة وهو أسد بن موسى وبلقب أسد السنة وإن قال البخاري: مشهور الحديث واستشهد به في «صحيحه». واحتج به أبو داود والنمساني إلا أنه قال مرة أخرى: ثقة لور لم يصنف كان خيراً له. وقال فيه محمد بن حزم: منكر الحديث.

ورواه الطبراني في «معجميه الأوسط» من روایة أبي الوائل عبد الحميد بن واصل، عن أبي الصديق الناجي، عن الحسن بن يزيد السعدي أحد بنى بهده، عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يخرج رجل من أمي يقول بستي يتزل الله عز وجل له القطر من السماء وتخرب الأرض بركتها وتملاً الأرض منه قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلمة، يعمل على هذه الأمة سبع سنين ويتزل على بيت المقدس».

وقال الطبراني فيه: رواة جماعة عن أبي الصديق ولم يدخل

رواية أبي الطفيلي عن محمد بن الحنفية قال: كنا عند علي رضي الله عنه فسأله رجل عن المهدى فقال علي: هيهات ثم عقد بيده سبعاً فقال: ذلك يخرج في آخر الزمان إذا قال الرجل: الله الله قتل، ويجمع الله له قوماً قرعاً، فترعن السحاب يؤلّف الله بين قلوبهم فلا يستوحشون إلى أحد ولا يفرّحون بأخذ دخل فيهم، عذتهم على عدة أهل بدر لم يسبقهم الأولون ولا يدركهم الآخرون، وعلى عدد أصحاب طالوت الذين جاؤوا معه النهر. قال أبو الطفيلي: قال ابن الحنفية: أتريده؟ قلت: نعم! قال: فإنه يخرج من بين هذين الأحسينين قلت: لا جرم والله ولا أدعها حتى الموت. ومات بها يعني مكة، قال الحكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيدين. انتهى.

إنما هو على شرط مسلم فقط، فإن فيه عمراً للنبي ويوس بن أبي إسحاق ولم يخرج لهما البخاري وفيه عمرو بن محمد العتزي ولم يخرج له البخاري احتجاجاً بل استشهاداً مع ما ينص إلى ذلك من تشيع عمار الثعبي وهو وإن وثقه أحد وابن معين وأبو حاتم النسائي وغيرهم، فقد قال علي بن المديني عن سفيان: أن بشر بن مروان قطع عرقه، قلت: في أي شيء؟ قال: في التشيع.

وخرج ابن ماجه عن أنس بن مالك رضي الله عنه في رواية سعد بن عبد الحميد بن جعفر، عن علي بن زياد اليمامي عن عكرمة بن عامر، عن إسحاق بن عبد الله، عن أنس قال: سمعت رسول الله يقول: «خن ولد عبد المطلب سادات أهل الجنة أنا وحزة وعلي وجعفر والحسن والحسين والمهدى». انتهى.

وعكرمة بن عامر وإن أخرج له مسلم فإنما أخرج له متابعة. وقد ضعفه بعض ووثقه آخرون، وقال أبو حاتم الرازى: هو مدلس فلا يقبل إلى أن يصرح بالسماع وعلى بن زياد قال: النهي في «الميزان»: لا ندرى من هو، ثم قال: الصواب فيه عبد الله بن زياد، وسعد بن عبد الحميد - وإن وثقه يعقوب بن أبي شيبة وقال فيه يحيى بن معين: ليس به بأس - فقد تكلم فيه الثوري قالوا: لأنه رآه يفتى في مسائل ويخطئ فيها. وقال ابن حبان: كان من فحش غلطه فلا يجتمع فيه. وقال أ Ahmad بن حنبل: سعد بن عبد الحميد يدعي أنه سمع عرض كتب مالك والناس يتذكرون عليه ذلك وهو هنـا يـغـداـ لـمـ يـجـعـ فـكـيفـ سـمـعـهاـ؟ وجعله النـهـيـ مـنـ لـمـ يـقـدـحـ فـيـ كـلـامـ مـنـ تـكـلـمـ فـيـهـ.

وخرج الحكم في «مستدرك» من رواية مجاهد عن ابن عباس موقفاً عليه، قال مجاهد: قال لي ابن عباس: لم أسمع

وخرج ابن ماجه عن علي رضي الله عنه من رواية ياسين العجلـيـ، عن إبراهـيمـ بنـ مـحمدـ بنـ الحـنـفـيـ، عنـ أـلـيـ، عنـ جـدـهـ قـالـ: قـالـ رـسـولـ اللـهـ: «الـمـهـدـىـ مـنـ أـهـلـ الـبـيـتـ يـصـلـحـ اللـهـ بـهـ فـيـ لـيـلـةـ».

وياسين العجلـيـ وإنـ قـالـ فـيـ إـبـنـ مـعـيـنـ: لـيـسـ بـهـ بـأـسـ فـقـدـ قـالـ الـبـخـارـيـ: فـيـهـ نـظـرـ. وـهـذـهـ الـلـفـظـةـ مـنـ اـصـطـلاـحـ قـرـيـةـ فـيـ التـضـعـفـ جـدـاـ. وـأـورـدـ لـهـ إـبـنـ عـدـيـ فـيـ «الـكـامـلـ»ـ وـالـنـهـيـ فـيـ «الـمـيـزـانـ»ـ هـذـاـ الـحـدـيـثـ عـلـىـ وـجـهـ الـاستـنـكـارـ لـهـ وـقـالـ: هـوـ مـعـرـوفـ بـهـ.

وخرج الطبراني في «معجم الأوسط» عن علي رضي الله عنه أنه قال للنبي: «أنت المهدى أم من غيرنا يا رسول الله؟» فقال: «بل منا، بـنـ يـخـتـمـ اللـهـ كـمـاـ بـنـ فـاتـحـ، وـبـنـ يـسـتـقـدـنـ مـنـ الشـرـكـ وـبـنـ يـؤـلـفـ اللـهـ بـيـنـ قـلـوبـهـ بـعـدـ عـدـاـوـةـ بـيـنـةـ، كـمـاـ بـنـ الـفـرـشـاتـ بـيـنـ قـلـوبـهـ بـعـدـ عـدـاـوـةـ الشـرـكـ». قال علي: «أـمـؤـمـنـونـ أـمـ كـافـرـونـ؟» قال: «مـقـنـونـ وـكـافـرـ» انتهى.

وفـيـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ هـبـيـةـ وـهـ ضـعـيفـ مـعـرـوفـ الـحـالـ. وـفـيـ عـمـرـوـ بـنـ جـابـرـ الـحـضـرـمـيـ وـهـ أـصـعـفـ مـنـهـ. قـالـ أـحـدـ بـنـ حـنـبـلـ: رـوـىـ عـنـ جـابـرـ مـنـاكـيرـ وـبـلـغـيـ أـنـ كـانـ يـكـذـبـ، وـقـالـ النـسـائـيـ: لـيـسـ بـثـقـةـ وـقـالـ: كـانـ بـنـ هـبـيـةـ شـيـخـاـ أـحـقـ ضـعـيفـ الـعـقـلـ وـكـانـ يـقـولـ: عـلـيـ فـيـ السـحـابـ، وـكـانـ مـجـلسـ مـعـنـاـ فـيـصـرـ سـحـابـةـ فـيـقـولـ: هـذـاـ عـلـيـ قـدـ مـرـ فـيـ السـحـابـ.

وخرج الطبراني عن علي رضي الله تعالى عنه أن رسول الله قال: «يكون في آخر الزمان فتنة يحصل الناس فيها كما يحصل الذهب في المدن، فلا تسيراً أهل الشام ولكن سبوا أشرارهم، فإن فيهم الأبدال يوشك أن يرسل على أهل الشام صيب من السماء فيفرق جماعتهم حتى لو قاتلتهم الشعاليـ غـلـبـتـهـمـ، فـعـنـدـ ذـلـكـ يـخـرـجـ خـارـجـ مـنـ أـهـلـ بـيـقـيـ فـيـ ثـلـاثـ رـاـيـاتـ - الـكـثـرـ يـقـولـ هـمـ خـمـسـ عـشـرـ الـفـاـ وـالـمـقـلـ يـقـولـ: هـمـ اـثـاـ عـشـرـ الـفـاـ وـأـمـارـتـهـمـ أـمـتـ أـمـتـ»ـ يـلـقـونـ سـبـعـ رـاـيـاتـ تـحـتـ كلـ رـاـيـةـ مـنـهـاـ رـجـلـ يـطـلـبـ الـمـلـكـ فـيـقـتـلـهـ اللـهـ جـيـعـاـ وـيـرـدـ اللـهـ إـلـىـ الـمـسـلـمـينـ الـفـتـهـمـ وـنـعـمـتـهـمـ وـقـاصـيـتـهـمـ وـرـاـيـتـهـمـ». اـهـ

وفـيـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ هـبـيـةـ وـهـ ضـعـيفـ مـعـرـوفـ الـحـالـ. وـرـوـاهـ الحـاـكـمـ فـيـ «الـمـسـتـدـرـكـ»ـ وـقـالـ صـحـيـحـ الـإـسـنـادـ لـمـ يـخـرـجـهـ فـيـ رـوـاـيـتـهـ ثـمـ يـظـهـرـ الـهـاشـمـيـ فـيـرـدـ اللـهـ النـاسـ إـلـىـ الـفـتـهـمـ...ـالـخـ»ـ وـلـيـسـ فـيـ طـرـيقـهـ بـنـ هـبـيـةـ وـهـ مـسـنـدـ صـحـيـحـ كـمـاـ ذـكـرـ.

وخرج الحكم في «المستدرك» عن علي رضي الله عنه من

أمي المهدى إن قصر فسيح وإلا فشمان وإن افتسع، تعم فيها أمري  
نعة لم ينعموا بمنتها، ترسل السماء عليهم مدراراً ولا تدخل  
الأرض شيئاً من النبات، والمال كدوس يقوم الرجل يقول: يا  
مهدى أعطنى فقرول: خذ».

قال الطبراني والبزار: تفرد به محمد بن مروان العجلبي زاد  
البزار: ولا نعلم أنه تابع عليه أحد وهو وإن وفته أبو داود وابن  
جيان أيضاً بما ذكره في الثقات، قال فيه يحيى بن معين: صالح  
وقال مرة: ليس به باس فقد اختلفوا فيه. قال أبو زرعة: ليس  
عندى بذلك، وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: رأيت محمد بن  
مروان العجلبي حدث بأحاديث وأنا شاهد لم نكتبها تركتها على  
عمد وكتب بعض أصحابنا عنه كأنه ضعفه.

وخرج أبو يعلى الموصلى في «مسنده» عن أبي هريرة قال:  
حدثني خليلي أبو القاسم عليه السلام قال: «لا تقوم الساعة حتى يخرج  
عليهم رجال من أهل بيتي فيضرهم حتى يرجعوا إلى الحق» قال:  
قلت وكم يملك؟ قال: خساً واثنتين قال: قلت وما خساً واثنتين؟  
قال: لا أدرى.

وهذا السندي وإن كان فيه بشير بن نهيك قال فيه أبو حاتم:  
لا يمتحن به فقد احتاج به الشيخان ووفته الناس ولم يلتفتوا إلى قول  
أبي حاتم: لا يمتحن به إلا أن فيه رجاء ابن أبي رحاء اليشكري  
وهو مختلف فيه: قال أبو زرعة: ثقة وقال يحيى بن معين: ضعيف.  
وقال أبو داود: ضعيف. وقال مرة: صالح. وعلق له البخاري في  
«صحيحه» حدثاً واحداً.

وخرج أبو بكر البراز في «مسنده» والطبراني في «معجمه الكبير» و«الأوسط» عن قرة بن إبراس قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «التملان الأرض جوراً وظلمماً، فإذا ملئت جوراً وظلماً بعث  
الله رجلاً من أهلي اسمه أسمى واسم أبيه اسم أبي يملأها عدلاً  
وقططاً كما ملئت جوراً وظلماً، فلا تقع السماء من قطراها شيئاً  
ولا تدخل الأرض شيئاً من بناتها، بل يثبت فيكم سبعاً أو ثمانيناً أو  
تسعاً يعني سنتين». اهـ.

وفيه داود بن الجبار بن قحدم عن أبيه وهما ضعيفان جداً.

وخرج الطبراني في «معجمه الأوسط» عن ابن عمر قال:  
كان رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه في نفر من المهاجرين والأنصار وعلي بن أبي  
طالب عن يساره والعباس عن يمينه إذ تلاه العباس ورجل من  
الأنصار فأغاظل الأنصار للعباس، فأخذ النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه بيد العباس  
ويبيه على وقال: «سيخرج من صلب هذا فتى يملأ الأرض قسطاً وعدلاً،  
وظلمماً وسيخرج من صلب هذا فتى يملأ الأرض قسطاً وعدلاً،

أنك مثل أهل البيت ما حدثتك بهذا الحديث قال: فقال مجاهد:  
فإنه في ستر لا أذكره لمن يكره! قال فقال ابن عباس: منا أهل  
البيت أربعة! منا السفاح ومنا المنذر ومنا المنصور ومنا المهدى،  
قال: فقال مجاهد: بين لي هؤلاء الأربعه. فقال ابن عباس: أما  
السفاح فربما قتل أنصاره وعفا عن عدوه، وأما المنذر أراه قال:  
فإنه يعطي المال الكثير ولا يتظاهر في نفسه ويمسك القليل من  
حقه، وأما المنصور فإنه يعطي النصر على عدوه الشرط مما كان  
يعطي رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه ويرهب منه عدوه على مسيرة شهرين  
والمنصور يرهب منه عدوه على مسيرة شهر، وأما المهدى فإنه  
الذي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، وتؤمن بهائم السباع  
وتلقي الأرض أفالذ كبدتها. قال: قلت: وما أفالذ كبدتها؟ قال:  
أمثال الإسطوانة من النهب والفضة.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجه وهو  
من روایة إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر عن أبيه؛ وإسماعيل  
ضعيف، وإبراهيم أبوه وإن خرج له مسلم فالاكترون على  
تضعيقه. اهـ.

وخرج ابن ماجه عن ثوبان قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه:  
«يقتل عند كتزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة ثم لا يصير إلى واحد  
منهم، ثم تطلع الربات السود من قبل المشرق فيقتلونهم قتلاً لم  
يقتله قوم» ثم ذكر شيئاً لا أحفظه قال: «إذا رأيتموه فبايعوه ولو  
جبوا على الثلوج، فإنه خليفة الله المهدى». اهـ

ورجاله رجال الصالحين إلا أن فيه أبا قلابة الجرمي.  
وذكر النهي وغيره أنه مدلس وفيه سفيان الشوري وهو مشهور  
بالتدليس، وكل واحد منها عنعن ولم يصرخ بالسمع فلا يقبل؛  
وفيه عبد الرزاق بن همام وكان مشهوراً بالتشيع وعمي في آخر  
وقته فخلط. قال ابن عدي: حدث بأحاديث في الفضائل لم يوافقه  
عليها أحد، ونسبوه إلى التشيع. اتهـ.

وخرج ابن ماجه عن عبد الله بن الحارث بن جابر الخضرمي، عن  
من طريق ابن هبطة، عن أبي زرعة عمرو بن جابر الخضرمي، عن  
عبد الله بن الحارث بن جابر قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «يخرج  
ناس من المشرق فيوطّون للمهدى». يعني سلطانه. قال الطبراني:  
تفرد به ابن هبطة وقد تقدم لنا في حديث علي الذي خرجه  
الطبراني في «معجمه الأوسط» أن ابن هبطة ضعيف وأن شيخه  
عمر بن جابر أضعف منه.

وخرج البزار في «مسنده» والطبراني في «معجمه الأوسط»  
واللقط للطبراني عن أبي هريرة عن النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: «يكون في

منهم، وأخرون متظرون عود الأمر في أهل البيت مستدلين على ذلك بما قدمناه من الأحاديث في المهدى وغيرها.

ثم حدث أيضاً عند المؤخرین من الصوفية الكلام في الكشف وفيما وراء الحسن، وظهر من كثير منهم القول على الإطلاق بالحلول والوحدة فشارکوا فيها الإمامية والرافضة لقولهم بالوهبة الأئمة وحلول الإله فيهم.

وظهر منهم أيضاً القول بالقطب والأبدال وكأنه يحاكي مذهب الرافضة في الإمام والبقاء، وأشاروا أقوال الشيعة وتغلوا في الديانة بذاتهم، حتى لقد جعلوا مستند طريقهم في ليس الخرقة أن علياً رضي الله عنه ألبسها الحسن البصري وأخذ عليه العهد بالتزام الطريقة. واتصل ذلك عنهم بالجندى من شيوخهم، ولا يعلم هذا عن علي من وجه صحيح. ولم تكن هذه الطريقة خاصة بعلي كرم الله وجهه بل الصحابة كلهما أسوة في طرق المدى وفي تخصيص هذا بعلي دونهم رائحة من التشيع قوية يفهم منها ومن غيرها ما تقدم دخولهم في التشيع واخراطهم في سلوكه.

وظهر منهم أيضاً القول بالقطب وامتدادات كتب الإسماعيلية من الرافضة وكتب المؤخرین من التصوفة بمثل ذلك في الفاطمي المتظر، وكان بعضهم عليه على بعض وبلقنه بعضهم من بعض، وكانت مبني على أصول واهية من الفريقين، وربما يستدل بعضهم بكلام المنجمين في القرارات وهو من نوع الكلام في الملائم و يأتي الكلام عليها في الباب الذي يلي هذا.

وأكثر من تكلم من هؤلاء المتصوفة المؤخرین في شأن الفاطمي، ابن العربي الحاتمي في كتاب «اعتقاد مغرب» وابن قسي في كتاب «خلع النعلين» وعبد الحق بن سبعين وابن أبي واطيل تلميذه في شرحه لكتاب «خلع النعلين». وأكثر كلماتهم في شأن الغاز وأمثاله وربما يصرحون في الأقل أو يصرح مفسرو كلامهم.

وحاصل من هبهم فيه على ما ذكر ابن أبي واطيل أن النبوة بها ظهر الحق والمهدى بعد الضلال والعمى وأنها تعقبها الخلافة ثم يعقب الخلافة الملك ثم يعود ثقيراً وتكتراً وياطلاً.

قالوا: وما كان في المهدى من ستة الله رجوع الأمور إلى ما كانت وجب أن يجيأ أمر النبوة والحق بالرواية ثم بخلافتها ثم يعقبها الدجل مكان الملك والسلط ثم يعود الكفر بحاله يشيرون بهذا لما وقع من شأن النبوة والخلافة بعدهما والملك بعد الخلافة هذه ثلاثة مراتب. وكذلك الرواية التي هي لهذا الفاطمي والدجل بعدهما كنایة عن خروج الدجال على أثره والكفر من بعد ذلك، فهي ثلاثة مراتب على نسبة الثلاث المراتب الأولى. قالوا: وما

إذا رأيتم ذلك فعليكم بالفتوى التميي، فإنه يقبل من قبل المشرق وهو صاحب رأية المهدى» انتهى. اهـ

وفي عبد الله بن عمر العمري وعبد الله بن همزة وهما ضعيفان. اهـ

وخرج الطبراني في «معجمة الأوسط» عن طلحة بن عبد الله عن النبي ﷺ قال: «ستكون فتنة لا يسكن منها جانب إلا شاجر جانب حتى ينادي مناد من السماء أن أميركم فلان». اهـ

وفي الشئى بن الصباح وهو ضعيف جداً. وليس في الحديث تصريح بذلك المهدى وإنما ذكره في أبوابه وترجمته استتساساً.

فهذه جملة الأحاديث التي خرجها الأئمة في شأن المهدى وخروجه آخر الزمان. وهي كما رأيت لم يخلص منها من التقد إلا القليل أو الأقل منه.

وربما تمسك المنكرون لشأنه بما رواه محمد بن خالد الجندى عن أبيان بن صالح بن أبي عياش (م)، عن الحسن البصري، عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ قال: «لا مهدى إلا عيسى بن مريم» وقال مجبي بن معين في محمد بن خالد الجندى: إنه ثقة. وقال البيهقي: تفرد به محمد بن خالد. وقال الحاكم فيه: إنه رجل مجهول واختلف عليه في إسناده: فمرة يروي كما تقدم وينسب ذلك لمحمد بن إدريس الشافعى، ومرة يروي عن محمد بن خالد عن أبيان عن الحسن عن النبي ﷺ مرسلاً. قال البيهقي: فرجع إلى رواية محمد بن خالد وهو مجهول عن أبيان بن أبي عياش وهو متوك عن الحسن عن النبي ﷺ وهو منقطع؛ وبالجملة فالحديث ضعيف مضطرب.

وقد قيل في: «أن لا مهدى إلا عيسى» أي لا يتكلّم في المهدى إلا عيسى بمحاولون بهذا التأويل رد الاحتجاج به أو الجمع بينه وبين الأحاديث وهو مدفوع بحديث جريج ومثله من الخوارق.

وأما المتصوفة فلم يكن المقدّمون منهم يخوضون في شيء من هذا، وإنما كان كلامهم في المجاهدة بالأعمال وما يحصل عنها من نتائج المراجدة والأحوال وكان كلام الإمامية والرافضة من الشيعة في تفضيل علي رضي الله تعالى عنه والقول بإمامته وادعاء الرؤصية له بذلك من النبي ﷺ والتبرير من الشيدين كما ذكرناه في مذاهبهم، ثم حدث فيهم بعد ذلك القول بالإمام المقصوم وكثرت التأكيد في مذاهبهم. وجاء الإمامية منهم يدعون الوهبة الإمام بنزع من الحلول وآخرون يدعون رجعة من مات من الأئمة بنزع التناسخ، وآخرون متظرون عيّ من يقطع بموته

أمي كائينه بني إسرائيل» ولم تزل البشرى تتبع به من أول اليوم الحمدى إلى قبيل الخميساته نصف اليوم وتأكيد وتضاعفت بتباشير المشايخ بتقريب وقته وازدلاف زمانه منذ انقضت إلى هلم جراً.

قال: وذكر الكندي: أن هذا الرولى هو الذي يصلى الناس صلاة الظهر وبجدد الإسلام ويظهر العدل ويفتح جزيرة الأندلس ويصل إلى رومية فتحها ويسيء إلى المشرق ففتحه وفتح القسطنطينية ويصير له ملك الأرض فيقوى المسلمين ويعلو الإسلام ويظهر دين الختنية، فإن من صلاة الظهر إلى صلاة العصر وقت صلاة، قال عليه الصلاة والسلام: «ما بين هذين وقت».

وقال الكندي أيضاً: الحروف العربية غير المعجمة يعني المفتح بها سور القرآن جلة عددها سبعمائة وثلاث وأربعون وسبعين دجالية ثم ينزل عيسى في وقت صلاة العصر، فيصلح الدنيا وتتشي الشاة مع الذنب ثم يبقى ملك العجم بعد إسلامهم مع عيسى مائة وستون عاماً عدد حروف المعجم وهي (ق ي ن) دولة العدل منها أربعون عاماً.

قال ابن أبي واطيل: وما ورد من قوله «لا مهدى إلا عيسى» فمعناه: لا مهدى تساوى هدايته ولايته، وقيل: لا يتكلّم في المهد إلا عيسى، وهذا مدفوع بمحدث جريج وغيره. وقد جاء في الصحيح أنه قال: «لا يزال هذا الأمر قائماً حتى تقوم الساعة أو يكون عليهم اثنا عشر خليفة يعي قرشياً».

وقد أعطى الروحود أن منهم من كان في أول الإسلام ومنهم من سيكون في آخره. وقال: الخلافة بعدي ثلاثة أو إحدى وثلاثة أو ست وثلاثة وانقضاؤها في خلافة الحسن وأول أمر معاوية، فيكون أول أمر معاوية خلافة أخذنا بأواخر الأسماء فهو السادس للخلفاء، وأما سابع الخلفاء فنصر بن عبد العزيز. والباقيون خمسة من أهل البيت من ذرية علي يؤيده قوله: «إنك لذو قرنها» يريد الأمة أي إنك خليفة في أوطانها وذريتك في آخرها. وربما استدل بهذا الحديث القائلون بالرجعة. فالأخير هو المشار إليه عندهم بطلوع الشمس من مغربها.

وقد قال **البيهقي**: «إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيسار فلا قيسار بعده، والذي نفسي بيده لتفتقن كنوزهما في سبيل الله» وقد ألقى عمر بن الخطاب كنوز كسرى في سبيل الله والذي يهلك قيسار وينفق كنوزه في سبيل الله هو هذا المنظر حين فتح القسطنطينية: فنعم الأمير أميرها ونعم الجيش ذلك الجيش.

كان أمر الخلافة لقريش حكمًا شرعاً بالإجماع الذي لا يوهنه إنكار من لم يزاول علمه وجب أن تكون الإمامة فيمن هو أخص من قريش والتي **البيهقي** إما ظاهراً كبني عبد المطلب وإما باطنًا من كان من حقيقة الآل، والأل من إذا حضر لم يغب من هو آله.

وابن العربي الحاتمي سماه في كتابه «عتقاء مغرب» من تأليفه: خاتم الأولياء وكتنى عنه بلبة الفضة إشارة إلى حديث البخاري في باب خاتم النبئين قال **البيهقي**: «مثلي فيمن قيل من الأنبياء كمثل رجل ابنتي بيتاً وأكمله حتى إذا لم يبق منه إلا موضع لبنة فإنما تلك اللبنة» فيفسرون خاتم النبئين باللبيبة حتى أكملت البناء ومعناته النبي الذي حصلت له النبوة الكاملة. ويمثلون الولاية في ثقاتها مراتبها بالتبية و يجعلون صاحب الكمال فيها خاتم الأولياء أي حائز الرتبة التي هي خاتمة الولاية، كما كان خاتم الأنبياء حائزًا للمرتبة التي هي خاتمة النبوة. فكتنى الشارع عن تلك المرتبة الخاتمة بلبنة النبي في الحديث المذكور. وعما على نسبة واحدة فيها. فهي لبنة واحدة في التمثيل. ففي النبوة لبنة ذهب وفي الولاية لبنة فضة للتفاوت بين الرتبتين كما بين النسب والفضة. فيجعلون لبنة الذهب كنابة عن النبي **البيهقي** ولبنة الفضة كنابة عن هذا الرولى الفاطمي المتظر وذلك خاتم الأنبياء وهذا خاتم الأولياء.

وقال ابن العربي فيما نقل ابن أبي واطيل عنه: وهذا الإمام المتظر وهو من أهل البيت من ولد فاطمة وظهوره يكون من بعد مضي (خ ف ج) من المجرة ورسم حروفاً ثلاثة يزيد عددها بمحاسب الجمل وهو الحاء المعجمة بواحدة من فوق ستمائة، والفاء أخت القاف بثمانين، والجيم المعجمة بواحدة من أسفل ثلاثة، وذلك ستمائة وثلاثة وثمانون سنة وهي في آخر القرن السابع، ولما انصرم هذا العصر ولم يظهر، حمل ذلك بعض المقلدين هم على أن المراد بذلك المدة مولده وعبر بظهوره عن مولده وأن خروجه يكون بعد العشر السبعمائة فإنه الإمام الناجم من ناحية المغرب.

قال: وإذا كان مولده كما زعم ابن العربي سنة ثلاثة وثمانين ستمائة فيكون عمره عند خروجه ستًا وعشرين سنة قال: رزعموا أن خروج الدجال يكون سنة ثلاثة وأربعين وسبعينة من اليوم الحمدي وابتداء اليوم الحمدي عندهم من يوم وفاة النبي **البيهقي** إلى تمام ألف سنة قال ابن أبي واطيل في شرحه كتاب «خلع النعلين» الرول المتظر القائم بأمر الله المشار إليه بمحمد المهدي وخاتم الأولياء وليس هو ببني إلها هو ولـ ابـ شـ رـ وـ رـ وـ حـ بـ يـ سـ . قال **البيهقي**: «العالم في قومه كالنبي في أمنه». وقال: «علماء

أبو يحيى زكرياء عن أبيه أبي محمد عبد الله عن أبيه الولي أبي يعقوب المذكور.

هذا آخر ما اطلعنا عليه أو بلغنا من كلام هزلاء المتصوفة وما أورده أهل الحديث من أخبار المهدى قد استوفينا جميعه مبلغ طاقتنا.

والحق الذي ينبغي أن يتقرر لديك أنه لا تتم دعوة من الدين والملك إلا بوجود شوكة عصبية تظهره وتندفع عنه من يدفعه حتى يتم أمر الله فيه. وقد قررنا ذلك من قبل بالبراهين القاطعية التي أربناك هناك وعصبية الفاطميين بل وقرיש أجمع قد تلاشت من جميع الأفاق ووجد أمم آخرون قد استعملت عصبيتهم على عصبية قريش إلا ما بقي بالحجاز في مكة وينبع بالمدينة من الطالبين من بي حسن وبني حسين وبني جعفر وهو متشرعون في تلك البلاد وغالبون عليها وهم عصائب بدوية متفرقون في مواطنهم وإمارتهم وأرائهم يلغون ألافاً من الكثرة، فإن صبح ظهور هذا المهدى فلا وجه لظهور دعوته إلا بأن يكون منهم ويولف الله بين قلوبهم في اتباعه حتى تتم له شوكة عصبية وافية ياظهار كلته وحمل الناس عليها، وأما على غير هذا الوجه مثل أن يدعوا فاطمي منهم إلى مثل هذا الأمر في أقل من الأفاق من غير عصبية ولا شوكة إلا مجرد نسبة في أهل البيت فلا يتم ذلك ولا يكن لآسلفنا من البراهين الصحيحة.

وأما ما تدعى العامة والأغمار من النعماء من لا يرجع في ذلك إلى عقل يهديه ولا علم يقيده فيتحجرون ذلك على غير نسبة وفي غير مكان تقليداً لما اشتهر من ظهور فاطمي ولا يعلمونحقيقة الأمر كما بيانها، وأكثر ما يتحجرون في ذلك القاصية من المالك وأطراط العمران مثل الزاب بإفريقية والسوس من المغرب. ونجد الكثير من ضعفاء البصائر يقصدون رباطاً بحسبة لما كان ذلك الرباط بال المغرب من الملثمين من كذالة واعتقادهم أنه منهم أو قائمون بدعورته زعماً لا مستند لهم إلا غرابة تلك الأمس وبعدهم عن يقين المعرفة بأحوالها من كثرة أو قلة أو ضعف أو قوة، ولبعد القاصية عن متناول الدولة وخروجهما عن نطاقها، فنقوى عندهم الأوهام في ظهوره هناك بمزروجه عن ريقة الدولة ومنال الأحكام والقهر ولا محصول لديهم في ذلك إلا هذا. وقد يقصد ذلك الموضع كثير من ضعفاء العقول للتلبيس بدعوة يمية عامها وسواساً وحققاً وقتل كثير منهم.

أخبرني شيخنا محمد بن إبراهيم الآيلى قال: خرج برباط ماسة لأول المائة الثامنة وعصر السلطان يوسف بن يعقوب رجل من متاحلي التصوف يعرف بالتوizeri نسبة إلى توزر مصرياً

كذا قال **البلقى**: «ومدة حكمه بضع» والبعض من ثلاثة إلى تسعة وقيل إلى عشر، وجاء ذكر أربعين وفي بعض الروايات سبعين. فاما الأربعون فإنها مدة الخلفاء الأربعة الباقين من أهلة القائمين بأمره من بعده على جميعهم السلام قال: «وذكر أصحاب النجوم والقرارات أن مدة بقاء أمره وأهل بيته من بعده مائة وتسعة وأربعين أو سبعين، ثم تختلف الأحوال فتكون ملكاً» انتهى كلام ابن أبي واطيل.

وقال في موضع آخر: نزول عيسى يكون في وقت صلاة العصر من اليوم الحمدى حين تمضى ثلاثة أرباعه قال: وذكر الكلدى يعقوب بن إسحاق في كتاب «الجفر» الذي ذكر فيه القرارات: أنه إذا وصل القرآن إلى الثور على رأس (ضاح) مجرفين الصاد المجمعة والخاء المهملة يريد ثمانية وسبعين وستمائة من المجرة ينزل المسيح فيحكم في الأرض ما شاء الله تعالى. قال: وقد ورد في الحديث أن عيسى «يتزل عند المارة البيضاء شرقى دمشق ينزل بين مهودتين يعني حلتين مزغرتين صفراوين مصرتين وأضعاً كفيه على أجنحة الملكين له لما كائنا خرج من ديارنا، إذا طاطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدى منه جحان كاللؤلؤ كثير خيلان الروجه» وفي حديث آخر: «أربعون الخلق وإلى البياض والحرمة». وفي آخر: «أنه يتزوج في الغرب». والغرب دلو البايدية يريد أنه يتزوج منها وتلد زوجته. وذكر وفاته بعد أربعين عاماً. وجاء أن عيسى يموت بالمدينة ويدفن إلى جانب عمر بن الخطاب. وجاء أن أبا بكر وعمر يمشران بين نبين. قال ابن أبي واطيل: (والشيعة تقول إنه هو المسيح مسيح المسائح من آل محمد).

قلت: وعلى حمل بعض المتصوفة حديث لا مهدي إلا عيسى أي لا يكون مهدي إلا المهدى الذي نسبه إلى الشريعة الحمدية نسبة عيسى إلى الشريعة الموسوية في الاتباع وعدم النسخ إلى كلام من أمثال هذا يعيثون فيه الرقت والرجل والمكان بادلة واهية وتحكمات مختلفة فينتقضى الزمان ولا أثر لشيء من ذلك فيرجعون إلى تجديد رأي آخر متخل كما تراه من مفهومات لغوية وأشياء تخيلية وأحكام خجومية في هذا انقضت أعمار الأول منهم والآخر.

وأما المتصوفة الذين عاصرناهم فأكثراهم يشيرون إلى ظهور رجل محمد لأحكام الله ومراسم الحق ويتحجرون ظهوره لـما قرب من عصرنا، فبعضهم يقول: من ولد فاطمة، وبعضهم يطلق القول فيه: سمعناه من جماعة أكبرهم أبو يعقوب البايدى كبير الأولياء بالغرب كان في أول هذه المائة الثامنة وأخبرني عنه حافظه صاحبنا

ولا يكمل لهم نزوع عن الباطل على الجملة ولا يكترون.  
وينتظر حال صاحب الدعوة معهم في استحکام دینه  
ولولایته في نفسه دون تابعه، فإذا هلك الخل أمرهم وتلاشت  
عصیتهم، وقد وقع ذلك باتفاقية لرجل من کعب من سليم  
یسمی قاسم بن مرة بن أحد في المائة السابعة ثم من بعده لرجل  
آخر من بادیة ریاح من بطن منهم یعرفون بمسلم، وكان یسمی  
سعادة وكان أشد دیناً من الأول وأقوم طریقة في نفسه ومع ذلك  
فلم يستتب أمر تابعه كما ذكرناه حسبما یأتي ذکر ذلك في موضعه  
عند ذکر قبائل سليم وریاح؛ وبعد ذلك ظهر ناس بهذه الدعوة  
یتشبهون بمثل ذلك ویلبسون فيها ویتحللون اسم السنة ولیسوا  
عليها إلا الأقل فلا يتم لهم ولا لمن بعدهم شيء من أمرهم.  
انتهى.

الفصل الثالث والخمسون

في حدثان الدول والأمم وفيه الكلام على  
الملامح والكشف عن مسمى الجفر

اعلم أن من خواص النقوس البشرية التشوف إلى عواقب أمرهم وعلم ما يحدث لهم من حياة وموت وخير وشر سبباً للحوادث العامة كمعرفة ما بقي من الدنيا ومعرفة مدد الدول، أو تفاوتها والتطلع إلى هذا طبيعة للبشر محبولون عليها ولذلك نجد الكثير من الناس يتشوّرون إلى الوقوف على ذلك في النّاس والأخبار من الكهان لِنَقصدهم بِمَثَل ذلك من الملك والسوقة معروفة، ولقد نجد في المدن صنفًا من الناس يتحلّون المعاش من ذلك لعلّهم بحرص الناس عليه فيتصبّون لهم في الطرقات والدكاكين يتعرضون لمن يساهمون بهم فتندو عليهم وتروح نسوان المدينة وصيانتها وكثير من ضعفاء العقول يستكشفون عواقب أمرهم في الكسب والجاه والمعاش والمعاشرة والعداوة، وأمثال ذلك ما بين خط في الرمل ويسمونه المنجم، وطرق بالحصى والجربوب ويسمونه الحاسب، ونظر في المرايا والمياه ويسمونه ضارب المثلث وهو من المكرات الفاشية في الأمصار لما تقرر في الشريعة من ذم ذلك، وأن البشر محظيون عن التنبّب إلا من أطّلعوا الله عليه من عنده في نرم أو ولاية.

وأكثر ما يعني بذلك ويتطبع إليه الأمراء والملوك في آماد دولتهم؛ ولذلك انصرفت العناية من أهل العلم إليه، وكل أمة من الأمم يوجدهم كلام من كاهن أو منجم أو ولی في مثل ذلك من

وادعى أنه الفاطمي المتظاهر واتبعه الكثير من أهل السوس من ضالة وكزولة وعظم أمره وخافة رؤساء المصامدة على أمرهم، فدس عليه السكوسى من قتلة بياناً وأخلي أمره.

وكذلك ظهر في غماره في آخر المائة السابعة وعشرين التسعين منها رجل يعرف بالعباس وادعى أنه الفاطمي واتبعه الدهماء من غماره ودخل مدينة فاس عنوة وحرق أسراقها وارتحل إلى بلد الملة، فقتل بها غلة ولم يتم أمره. وكثير من هذا النط.

وأخبرني شيخنا المذكور بغربيه في مثل هذا وهو أنه صحب في حجه في رباط العباد وهو مدفن الشيخ أبي مدين في جبل تلمسان المطل عليها رجالاً من أهل البيت من سكان كربلاه كان متى يوماً عظيماً كثير التلميذ والخادم. قال: وكان الرجال من موطنه يتلقنها بالتفقات في أكثر اللستان. قال: وتأكدت الصحة بتنا في

يكتفونه بالتفاهات في أكثر الأبدان. قال ونادت الصحبة يسألاه  
ذلك الطريق فاكتشف لي أمرهم وأنهم إنما جاؤوا من موطنهم  
بكريلاء لطلب هذا الأمر واتحالف دعوة الفاطمي بالغرب. فلما  
عاين دوله بنى مرين ويوفس بن يعقوب يومئذ متازل لتمسان  
قال لأصحابه: ارجعوا فقد أزري بنا الغلط وليس هذا الوقت  
وقتنا. ويدل هذا القول من هذا الرجل على أنه مستبصر في أن  
الامر لا يتم إلا بالعصبية المكافحة لأهل الوقت، فلما علم أنه  
غريب في ذلك الوطن ولا شوكة له وأن عصبية بنى مرين لذلك  
العهد لا يقاومها أحد من أهل المغرب استكان ورجع إلى الحق  
وأقصر عن مطامعه. وبقي عليه أن يستيقن أن عصبية الفواطم  
وقريش أجمع قد ذهبت لا سيما في المغرب إلا أن التccb لشأنه  
لم يتركه هذا القول، والله يعلم واتسم لا تعلمون.

وقد كانت بال المغرب هذه العصور القرية نزعة من الدعاة إلى الحق والقيام بالسنة لا يتحولون فيها دعوة فاطمي ولا غيره، وإنما ينزع منهم في بعض الأحيان الواحد فالواحد إلى إقامة السنة وتغيير المكر ويعتني بذلك ويكثر تابعه، وأكثر ما يعنون بإصلاح السابقة لما أن أكثر فساد الأعراب فيها لما قدمناه من طبيعة معيشتهم فيأخذون في تغيير المكر بما استطاعوا إلا أن الصبغة الدينية فيها لم تستحكم، لذا أن تربة العرب ورجوهم إلى الدين إنما يقصدون بها الإقصار عن النار والهبة لا يعقلون في توبتهم واقبلاهم إلى مناحي الدنيا غير ذلك؛ لأنها المعصية التي كانوا عليها قبل المقربة ومنها توبتهم. فتجد تابع ذلك المتحل للدعوة القائم بزعمه بالسنة غير متعمقين في فروع الاقتداء والاتباع إنما دينهم الإعراض عن الهبة والبغى وإفساد السابقة ثم الإقبال على طلب الدنيا والمعاش بأقصى جهدهم. وشنان بين طلب هذا الأجر في صلاح الخلق وبين طلب الدنيا، فاتقا همما ممتنع لا تستحكم لهم صبغة في الدين

الملة خمسة سنة ونpector ذلك بظهور كتبه ومستند الطبرى في ذلك أنه نقل عن ابن عباس أن الدنيا جمدة من جم الأخراء ولم يذكر لذلك دليلاً. وسره والله أعلم تقدير الدنيا بأيام خلق السماوات والأرض وهي سبعة ثم اليوم بالف سنة لقوله: **﴿وَإِنْ يَرْمَأْ عَنْدَ رِزْكَ كَافَرْ سَبْتَهُ مَا تَعْذُّلُونَ﴾** قال: وقد ثبت في **«الصحيحين»**: أن رسول الله ﷺ قال: «أجلكم في أجل من كان قبلهم من صلاة العصر إلى غروب الشمس» وقال: «بعثت أنا والساعة كهاتين» وأشار بالسبابة والوسطى وقدر ما بين صلاة العصر وغروب الشمس حين صبرورة ظل كل شيء مثلية يكون على التقرير نصف سبع، وكذلك وصل الوسطى على السبابة تكون هذه الملة نصف سبع الجمعة كلها وهو خمسة سنة.

ويؤيد قوله **ﷺ**: **«النَّعْجَزُ اللَّهُ أَنْ يُؤْخِرَ هَذِهِ الْأُمَّةَ نَصْفَ يَوْمٍ** فدل ذلك على أن مدة الدنيا قبل الملة خمسة آلاف وخمسة سنة.

وعن وهب بن منبه أنها خمسة آلاف وستمائة سنة أعني الماضي، وعن كعب أن مدة الدنيا كلها ستة آلاف سنة.

قال السهيلي: وليس في الحديثين ما يشهد لشيء مما ذكره مع وقوع الوجود بخلافه.

فاما قوله: **«النَّعْجَزُ اللَّهُ أَنْ يُؤْخِرَ هَذِهِ الْأُمَّةَ نَصْفَ يَوْمٍ**

فلا يقتضي نفي الزيادة على النصف، وأما قوله: «بعثت أنا والساعة كهاتين» فإما فيه الإشارة إلى القرب، وأنه ليس بينه وبين الساعة نبي غيره ولا شرع غير شرعي.

ثم رجع السهيلي إلى تعين أحد الملة من مدرك آخر لواسعه التحقيق، وهو أنه جمع الحروف المقطعة في أوائل السور بعد حذف المكرر قال: وهي أربعة عشر حرفاً يجمعها قوله **«الْمَ يَسْطُعُ نَصْحَقَ كُرْهَةً**

فأخذ عددها بحسب الجمل فكان سبعمائة وثلاثة أضافه إلى المتفضي من الألف الآخر قبل بعثه، فهذه هي مدة الملة قال: ولا يبعد ذلك أن يكون من متفضيات هذه الحروف وفوارتها.

قلت: وكونه لا يعد لا يقتضي ظهوره ولا التعويل عليه.

والذي حل السهيلي على ذلك إنما هو ما وقع في كتاب **«السير»** لابن إسحاق في حديث أبي أخطب من أحبكار اليهود وهو أبو ياسر وأخوه حي حين سمعا من الأحرف المقطعة **«الْمَ وَتَأْلِهَا عَلَى بَيْانِ الْمَدَةِ بِهَذَا الْحَسَابِ فَبَلَغَتْ إِحْدَى وَسِعْيَنَ فَاسْتَقْلَلَا الْمَدَةَ وَجَاءَ حَيٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُهُ: هَلْ مَعَ هَذَا غَيْرُهُ؟**

**قَالَ «الصَّنْ» ثُمَّ اسْتَرَادَ «الْمَلَرُ» ثُمَّ اسْتَرَادَ «الْمَرُ»** فكانت إحدى

ملك يرتقبونه أو دولة يحيثون أنفسهم بها وما يحيث لهم من الحرب والملاحم ومدة بقاء الدولة وعدد الملوك فيها والتعرض لأسمائهم ويسمى مثل ذلك الحدثان.

وكان في العرب الكهان والعرافون يرجعون إليهم في ذلك وقد أخبروا بما سيكون للعرب من الملك والدولة كما وقع لشقيق وسيطح في تأويل رؤيا ربيعة بن نصر من ملوك اليمن، أخبرهم بذلك الحبيبة بلا دهم ثم رجعوا إليها ثم ظهر الملك والدولة للعرب من بعد ذلك، وكذا تأويل وسيطح لرؤيا الميزان حيث بعث إليه كسرى بها مع عبد المسيح وأخبارهم بظهور دولة العرب. وكذا كان في جيل البرير كهان من أشهرهم موسى بن صالح من بني يفرن ويقال: من غمرة له كلمات حداثية على طريقة الشعر بروطاتهم، وفيها حدثان كثير ومعظمها فيما يكون لزнатة من الملك والدولة بالمغرب وهي متداولة بين أهل الجليل وهم يزعمون تارة أنه ول ومتاراة أنه كاهن، وقد يزعم بعض مزاعهم أنه كان نبياً لأن تاريته عندهم قبل المحرجة بكثير، والله أعلم.

وقد يستند الجليل في ذلك إلى خبر الأنبياء إن كان لهدهم كما وقع لبني إسرائيل، فإن أنبياءهم المتعاقبين فيهم كانوا يخبرونهم بمثله عندما يعنونهم في السؤال عنه.

وأما في الدولة الإسلامية فوق منه كثير فيما يرجع إلى بقاء الدنيا ومدتها على العموم وفيما يرجع إلى الدولة وأعمارها على الخصوص، وكان المعتمد في ذلك في صدر الإسلام آثار متقدمة عن الصحابة وخصوصاً مسلمة بني إسرائيل مثل كعب الأحجار وورهيب بن منبه وأمثالهما، وربما اقتبسوا بعض ذلك من ظواهر مأثوره وتأويلات محتملة.

ووقع لجعفر وأمثاله من أهل البيت كثير من ذلك مستندهم فيه والله أعلم الكشف بما كانوا عليه من الولاية، وإذا كان مثله لا ينكر من غيرهم من الأولياء في ذويهم وأعقابهم وقد قال ﷺ: **«إِنْ فِي كُمْ حَدَثَيْنِ** فهم أول الناس بهذه الرتب الشريفة والكرامات الملوية. وأما بعد صدر الملة وحين علق الناس على العلوم والاصطلاحات وتترجمت كتب الحكماء إلى اللسان العربي، فأكثر معتمدهم في ذلك كلام التمجين في الملك والدول وسائر الأمور العامة من القراءات وفي المرايد والمسائل وسائر الأمور الخاصة من الطرائع لها وهي شكل الفلك عند حدوثها، فلنذكر الآن ما وقع لأهل الأثر في ذلك ثم نرجع إلى كلام التمجين. أما أهل الأثر فلهم في مدة الملل وبقاء الدنيا على ما وقع في كتاب السهيلي فإنه نقل عن الطبرى ما يقتضي أن مدة بقاء الدنيا منذ

التي تفرد بها أبو داود في هذا الطريق شادة متكررة مع أن الأئمة اختلفوا في رجاله فقال ابن أبي مريم في ابن فروخ: أحاديثه مناكير. وقال البخاري: يعرف منه وينكر، وقال ابن عدي: أحاديثه غير محفوظة وأسامة بن زيد وإن خرج له في الصحيحين ونفه ابن معين، فإنما خرج له البخاري استشهاداً وضعفه يحيى بن سعيد وأحمد بن حنبل وقال أبو حاتم: يكتب حدثه ولا يمحى به. وأبو قبيصة بن ذؤيب مجاهد. فتضعف هذه الزيادة التي وقعت لأبي داود في هذا الحديث من هذه الجهات مع شذوفها كما مر.

وقد يستندون في حدثان الدول على الخصوص إلى كتاب «الجلفر» ويزعمون أن فيه علم ذلك كله من طريق الآثار والتلور لا يزيدون على ذلك ولا يعرفون أصل ذلك ولا مستنته.

واعلم أن كتاب الجلفر كان أصله أن هارون بن سعيد العجلي - وهو رأس الزيدية - كان له كتاب يرويه عن جعفر الصادق وفيه علم ما سبق لأهل البيت على العموم ولبعض الأشخاص منهم على الخصوص، وقع ذلك لجهل ونظرائه من رجالاتهم على طريق الكراهة والكشف الذي يقع لملتهم من الأولياء، وكان مكتوباً عند جعفر في جلد ثور صغير فرأوه عنه هارون العجلي وكتبه وسماه الجلفر باسم الجلد الذي كتب عليه؛ لأن الجلفر في اللغة هو الصغير وصار هذا الاسم عملاً على هذا الكتاب عندهم وكان فيه تفسير القرآن وما في باطنته من غرائب المعاني مروية عن جعفر الصادق. وهذا الكتاب لم تصل روایته ولا عرف عينه، وإنما يظهر منه شواد من الكلمات لا يصحها دليل ولو صح السندي إلى جعفر الصادق لكن فيه نعم المستند من نفسه أو من رجال قومه لهم أهل الكرامات، وقد صرح عنه أنه كان يخدر بعض قرائته بوقائع تكون لهم فتصح كما يقول، وقد حذر يحيى ابن عم زيد من مصريعه وعصمه فخرج وقتل بالجزاجان كما هو معروف. وإذا كانت الكراهة تقع لغيرهم فما ظنك بهم عملاً ودينًا وآثاراً من النبوة وعناية من الله بالأصل الكريم تشهد لفروعه الطيبة، وقد ينقل بين أهل البيت كثير من هذا الكلام غير منسوب إلى أحد وفي أخبار دولته العبيديين كثير منه، وانتظر ما حكاه ابن الرقيق في لقاء أبي عبد الله الشيعي لعيده الله الهدي مع ابنه محمد الحبيب وما حدثه به وكيف يتعاه إلى ابن حوشب داعيهم باليمن فأمره بالخروج إلى المغرب وبث الدعاية فيه على علم لقنه أن دعورته تسمى هناك، وأن عبد الله لما بني المهدية بعد استفحال دولتهم بفارقية قال: بنيتها ليتعرض بها الفراط ساعة من نهار. وأبراهيم موقف صاحب الحمار بساحتها، ويبلغ هذا الخبر حافظه إسماعيل المنصور؛ فلما حاصره صاحب

وسبعين وما تبن فاستطال المدة وقال: قد لبس علينا أمرك يا محمد! حتى لا ندري أقليلًا أعطيت أم كثيرة، ثم ذهبوا عنه وقال لهم أبو ياسر: ما يدرككم لعله أعطى عددها كلها تسعمائة وأربعين سنتين؛ قال ابن إسحاق: فنزل قوله تعالى: **﴿مِنْهُ أَيَّاتٌ مُّكَثَّرٌ مِّنْ أُمٍّ الْكِتَابِ وَأَخْرُجَتْ مُشَاهِدَاتٍ﴾**. اهـ

ولا يقوم من القصة دليل على تقدير الملة بهذا العدد؛ لأن دلالة هذه الحروف على تلك الأعداد ليست طبيعية ولا عقلية وإنما هي بالتواضع والاصطلاح الذي يسمونه حساب الجمل، نعم إنه قديم مشهور وقدم الاصطلاح لا يصير حجة وليس أبو ياسر وأخوه حبي من يؤخذ رأيه في ذلك دليلاً ولا من علماء اليهود، لأنهم كانوا بادية بالحجارة غالباً من الصنائع والعلوم حتى عن علم شريعتهم وفقه كتابهم وملتهم، وإنما يتلقفون مثل هذا الحساب كما تتلقفه العوام في كل ملة فلا ينفع للسياسي دليل على ما ادعاه من ذلك.

ووقع في الملة في حدثان دولتها على الخصوص مستند من الأثر إجمالي في حديث خرجه أبو داود عن حذيفة بن حذيفة بن اليمان من طريق شيخه محمد بن يحيى الذهلي، عن سعيد بن أبي مريم، عن عبد الله بن فروخ، عن أسامة بن زيد الليثي، عن أبي قبيصة بن ذؤيب، عن أبيه قال: قال حذيفة بن اليمان: والله ما ترك رسول الله ﷺ من قائد فتاوى أن تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلاثة فصاعدًا إلا قد سماه لنا باسمه وأسامي أبيه وقبيلته. وسكت عليه أبو داود، وقد تقدم أنه قال في «رسالته» ما سكت عليه في كتابه فهو صالح وهذا الحديث إذا كان صحيحاً فهو جمل ويفترق في بيان إيجالي وتعين مهماته إلى آثار أخرى يعود أصلها. وقد وقع إسناد هذا الحديث في غير كتاب السنن على غيره هذا الروجه فوقع في «الصحابيين» من حديث حذيفة أيضاً قال: قام رسول الله ﷺ فينا خطيباً فما ترك شيئاً يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدث عنه، حفظه من ونسبيه من نسيه قد علمه أصحابه هؤلاء. اهـ

ولفظ البخاري: ما ترك شيئاً إلى قيام الساعة إلا ذكره. وفي كتاب الترمذى من حديث أبي سعيد الخدري قال: صلى بنا رسول الله ﷺ يوماً صلاة المصري بهار ثم قام خطيباً فلم يدع شيئاً يكون إلى قيام الساعة إلا أخبرنا به، حفظه من حفظه ونسبيه من نسيه. اهـ

وهذه الأحاديث كلها محولة على ما ثبت في الصحيحين من أحاديث الفتن والاشتراك لا غير؛ لأن المهدى من الشارع صلوات الله وسلامه عليه في أمثال هذه العمومات. وهذه الزيادة

وقت قرائهما على قدر تيسير الدليل فيه.

قال جراس بن أحد الحاسب في الكتاب الذي ألفه لنظام الملك. ورجوع المrix إلى العقرب له أثر عظيم في الملة الإسلامية، لأنَّه كان دليلاً، فالمولد النبيوي كان عند قرآن العلوين برج العقرب، فلما رجع هنالك حدث التشويش على الخلفاء وكثير المرض في أهل العلم والدين ونقصت أحواهم ورعاً انهم بعض بيوت العبادة وقد يقال: إنه كان عند قتله علي رضي الله عنه ومرwan من بنى أمية والمتوكل من بنى العباس، فإذا روعيت هذه الأحكام مع أحكام القراءات كانت في غاية الإحكام.

وذكر شاذان البلخي: أنَّ الملة تنتهي إلى ثلاثة وعشرين. وقد ظهر كذب هذا القول. وقال أبو معشر: يظهر بعد المائة والخمسين منها اختلاف كثير؛ ولم يصح ذلك. وقال جراس: رأيت في كتب القدماء أنَّ المنجمين أخبروا كسرى عن ملك العرب وظهور النبوة فيه. وأنَّ دليهم الزهرة وكانت في شرفها فيبقى الملك لهم أربعين سنة، وقال أبو معشر في كتاب القراءات: القسمة إذا انتهت إلى السابعة والعشرين من الحوت فيها شرف الزهرة ووقع القرأن مع ذلك ببرج العقرب وهو دليل العرب ظهرت حيتنة دولة العرب وكان منهم نبي ويكون قوة ملوكه ومدنه على ما يبقى من درجات شرف الزهرة وهي إحدى عشرة درجة بتقريب من برج الحوت، ومدة ذلك ستمائة وعشرون سنة، وكان ظهور أبي مسلم عند انتقال الزهرة ووقوع القسمة أول الحمل وصاحب الجد المشترى.

وقال يعقوب بن إسحاق الكندي: إن مدة الملة تنتهي إلى ستة وثلاثة وستين سنة. قال: لأنَّ الزهرة كانت عند قرآن الملة في ثمان وعشرين درجة وثلاثين دقيقة من الحوت، فالباقي إحدى عشرة درجة وثمان عشرة دقيقة ودقائقها ستون فيكون ستة وثلاثة وستين سنة. قال: وهذه مدة الملة باتفاق الحكماء؛ وبغضده الحروف الواقعية في أول السور بمذف المكرر واعتباره بحسب الجمل.

قلت: وهذا هو الذي ذكره السهيلي والغالب أنَّ الأول هو مستند السهيلي فيما نقلناه عنه.

قال جراس: سأله هرمز إفرييد الحكيم عن مدة أردشير وولده وملوك السياسية فقال: دليل ملوكه المشترى وكان في شرفه فيعطي أطول السنتين وأجوها أربعمائة وسبعين وعشرين سنة، ثم تزيد الزهرة وتكون في شرفها وهي دليل العرب فيملكون؛ لأنَّ طالع القرآن الميزان وصاحبها الزهرة وكانت عند القرأن في شرفها،

الحمار أبو يزيد بالمهدية كان يسأل عن متهى موقفه حتى جاءه الخبر بيلوغه إلى المكان الذي عليه جده عبيد الله، فلما يقين بالظفر وierz من البلد فهزمه واتبعه إلى ناحية الزاب فظفر به وقتلته؛ ومثل هذه الأخبار عندهم كثيرة.

### الترجميم:

وأما المنجمون فيستندون في حدثان الدول إلى الأحكام التنجومية، أما في الأمور العامة مثل الملك والدول فمن القراءات وخصوصاً بين العلوين، وذلك أنَّ العلوين زحل والمشتري يقتربان في كل عشرين سنة ثم يعود القرأن إلى برج آخر في تلك المثلثة من التلثيث الأربع ثم بعده إلى آخر كذلك إلى أن يتكرر في المثلثة الواحدة التي عشرة مرة تستوي بروجه الثلاثة في ستين سنة، ثم يعود فيستوي بها في ستين سنة ثم يعود ثالثة ثم رابعة فيستوي في المثلثة باثنتي عشرة مرة وأربع عودات في مائتين وأربعين سنة ويكون انتقاله في كل برج على التلثيث الأربع وينتقل من المثلثة إلى المثلثة التي تليها، أعني البرج الذي يلي البرج الأخير من القرأن الذي قبلة في المثلثة، وهذا القرأن الذي هو قرأن العلوين ينقسم إلى كبير وصغير ووسط، فالكبير هو اجتماع العلوين في درجة واحدة من الفلك إلى أن يعود إليها بعد تسعمائة وستين سنة مرة واحدة والوسط هو اقتران العلوين في كل مثلثة اثنى عشرة مرة وبعد مائتين وأربعين سنة ينتقل إلى مثلثة أخرى، والصغير هو اقتران العلوين في درجة برج وبعد عشرين سنة يقتربان في برج آخر على تلثيث الأربع في مثل درجه أو دقائقه.

مثال ذلك وقع القرأن أول دقيقة من الحمل وبعد عشرين يكون في أول دقيقة من القوس وبعد عشرين يكون في أول دقيقة من الأسد وهذه كلها نارية، وهذا كله قرأن صغير، ثم يعود إلى أول الحمل بعد ستين سنة ويسمى دور القرأن، وعود القرأن وبعد مائتين وأربعين ينتقل من النارية إلى الترابية لأنَّها بعدها وهذا قرأن وسط ثم ينتقل إلى المواريثة ثم المائية ثم يرجع إلى أول الحمل في ستمائة وستين سنة وهو الكبير، والقرأن الكبير يدل على عظام الأمور مثل تغيير الملك والدولة وانتقال الملك من قوم إلى قوم، والوسط على ظهور المغلبين والطلابين للملك، والصغير على ظهور الخارج والدعاة وخراب المدن أو عمرانها، ويقع أثناء هذه القراءات قرآن النحسين في برج السرطان في كل ثلاثين سنة مرة ويسمى الرابع، وبرج السرطان هو طالع العالم وفيه وبالزحل وهو يحيط المrix فتعظم دلالة هذا القرأن في الفتن والحروب وسفك الدماء وظهور الخارج وحركة المساكير وعصيان الجنادل والروابط والقطح ويذوم ذلك أو يتهي على قدر السعادة والنجومة في

واما مستند النججين في دولة على المخصوص فمن القراء الأوست وهيبة الفلك عند وقوعه؛ لأن له دلالة عندهم على حدوث الدولة وجهاتها من العمران القائمين بها من الأمم وعدد ملوكيهم وأسمائهم وأعمارهم وغلوهم وأديانهم وعوانتهم وحروبيهم كما ذكر أبو معشر في كتابه في القراءات، وقد توجد هذه الدلالة من القرآن الأصغر إذا كان الأوسط دالاً عليه، فمن هذا يوجد الكلام في الدول.

وقد كان يعقوب بن إسحاق الكندي منجم الرشيد والمأمور وضع في القراءات الكائنة في الملة كتاباً سماه الشيعة بالجفر باسم كتابهم المتسبب إلى جعفر الصادق وذكر فيه فيما يقال حدثان دولة بي العباس وأنها نهايتها، وأشار إلى انتراضها والحادية على بغداد أنها تقع في انتصاف المائة السابعة وأنه بانتراضها يكون انتراض الملة، ولم تتفق على شيء من خبر هذا الكتاب ولا رأينا من وقف عليه ولعله غرق في كتبهم التي طرحها هلاكو ملك التتر في مجلة عند استيلائهم على بغداد وقتل المستنصر آخر الخلفاء، وقد وقع بال المغرب جزء متسبب إلى هذا الكتاب يسمونه الجفر الصغير، والظاهر أنه وضع لبني عبد المؤمن لذكر الأولين من ملوك الموحدين فيه على التفصيل ومطابقة من تقدم عن ذلك من حدثان وكذب ما بعده.

وكان في دولة بي العباس من بعد الكندي منجمون وكتب في الحدثان، وانظر ما نقله الطبرى في أخبار المهدي عن أبي بدبل من أصحاب صنائع الدولة، قال: بعث إلى الريبع والحسن في غزاتهم مع الرشيد أيام آية فجتئهما جوف الليل فإذا عندهما كتاب من كتب الدولة يعني الحدثان، وإذا مدة المهدي فيه عشر سينين قلت: هذا الكتاب لا يخفى على المهدي وقد مضى من دولته ما مضى فإذا وقف عليه كتم قد نعيت إليه نفسه. قالا: فما الحيلة؟ فاستدعيت عبنة الوراق مولى آل بدبل وقلت له: انسخ هذه الورقة واكتب مكان عشر أربعين ففعلا، فوالله لولا أني رأيت العشرة في تلك الورقة والأربعين في هذه ما كنت أشك أنها، هي ثم كتب الناس من بعد ذلك في حدثان الدول منظوماً ومتشورةً ورجزاً ما شاء الله أن يكتبهه وبإيدي الناس متفرقة كثيرة منها وتسمى الملامح، وبعضها في حدثان الملة على العموم وبعضها في دولة على المخصوص وكلها منسوبة إلى مشاهير من أهل الخليقة وليس منها أصل يعتمد على روایته عن واضعه المتسبب إليه.

### الملامح:

فمن هذه الملامح بال المغرب قصيدة ابن مرانة من بحر الطويل

فدل أنهم يملكون ألف سنة وستين سنة.

وسأل كسرى أنورشوان وزيره بزرجهر الحكيم عن خروج الملك من فارس إلى العرب فأخبره أن القائم منهم يولد لخمس وأربعين من دولته ويملك المشرق والمغرب، والمشتري يخوض إلى الزهرة ويتعلق القرآن من الهواية إلى العقرب وهو مائي وهو دليل العرب، فهذه الأدلة تفضي للملة بمنة دور الزهرة وهي الف وستون سنة.

وسأل كسرى أبروزيز أليس الحكيم عن ذلك فقال مثل قول بزرجهر، وقال توفيق الرومي المنجم في أيام بي أمية: إن ملة الإسلام تبقى مدة القرآن الكبير تسعمائة وستين سنة، فإذا عاد القرآن إلى برج العقرب كما كان في ابتداء الملة وتغير وضع الكواكب عن هيبتها في قرآن الملة فحيث إنما أن يفتر العمل به أو يتجدد من الأحكام ما يجب خلاف الفتن.

قال جراس: واتفقوا على أن خراب العالم يكون باستيلاء الماء والنار حتى تهلك سائر المكونات، وذلك عندما يقطع قلب الأسد أربعاً وعشرين درجة التي هي حد المريخ، وذلك بعد مضي تسعمائة وستين سنة.

وذكر جراس: أن ملك زابلستان بعث إلى المؤمن بمكيمه ذبيان المخفة به في هدية وأنه تصرف للمؤمن في الاختبارات بحروب أخيه وبعقد اللواء لظاهر، وأن المأمور أعظم حكمته فساله عن مدة ملكهم فأخبره بانقطاع الملك من عقبه واتصاله في ولد أخيه، وأن العجم يتغلبون على الخلافة من الدليم في دولة سنة خمسين، ويكون ما يريده الله ثم يسوه حالمهم، ثم تظهر الترك من شمال الشرق فيملكونه إلى الشام والقرارات وسيحرون وسيملكون بلاد الروم ويكون ما يريده الله، فقال له المؤمن: من أين لك هذا؟ فقال: من كتب الحكماء ومن أحكام صحة بن داهر الهمدي الذي وضع الشطرينج.

قلت: والترك الذين أشار إلى ظهورهم بعد الدليم هم السلاجقة وقد انقضت دولتهم أول القرن السابع.

قال جراس: وانتقال القرآن إلى المثلثة المائية من برج الحوت يكون سنة ثلاثة وثلاثين وثمانمائة ليزدجرد وبعدها إلى برج العقرب حيث كان قرآن الملة سنة ثلاثة وثلاثين وخمسين. قال: والذي في الحوت هو أول الانتقال والذي في العقرب يستخرج منه دلائل الملة. قال: وتحوّل السنة الأولى من القرآن الأولى في المثلثات المائية في ثاني رجب سنة ثمان وستين وثمانمائة ولم يستوف الكلام على ذلك.

ويظهر من عدله سيرة وتلك سياسة مستجلب  
ومنها في ذكر أحوال تونس على العموم:

فاما رأيت الرسم المخت  
فخذ في الترحل عن تونس  
فسوف تكون بها فتنة

ووقفت بالغرب على ملحمة أخرى في دولة أبي بن حفص هؤلاء بتونس فيها بعد السلطان أبي يحيى الشهير عاشر ملوكهم ذكر محمد أخيه من بعده يقول فيها: وبعد أبي عبد الله شقيقه، ويعرف بالوثاب في نسخة الأصل. إلا أن هذا الرجل لم يملأها بعد أخيه وكان يعنى بذلك نفسه إلى أن هلك

ومن الملاحن في المغرب أيضاً الملعبة المنسوبة إلى الهوشني

على لغة العامة في عروض البلد التي ألوها:  
 دعى بدمجي المتن  
 فترت الأمطار ولم تفتر  
 وأستقت كلها الريان  
 وأنى تلك وتنفرد  
 البلاد كلها ترثي  
 فأولى ما ميل ما تلدي  
 ما بين الصيف والشتوي  
 والعاصم والريسم ثميري  
 قال حين صحت الدعوى  
 دعني نبكي ومن عنذر  
 أنا دادي من ذي الأزمـان  
 ذا القرن اشتد وغمرـي

وهي طبولة ومحفوظة بين عامة المغرب الأقصى والغالب عليها الرفع؛ لأنَّه لم يصح منها قول إلا على تأويل تحرف العامة أو المحرف فيه من يتحلها من الخاصة.

ووقد بالشرق على ملحة منسوبة لابن العربي الحاتمي  
في كلام طويل شبه الغاز لا يعلم تأويله إلا الله لتخلله أفق  
عددية ورموز ملغوza وأشكال حيوانات تامة ورؤوس مقطعة  
ومقاييس من حيوانات غريبة، وفي آخرها قصيدة على روى اللام  
والغالب أنها كلها غير صحيحة لأنها لم تنسا عن أصل علمي من  
نحوها ولا غيرها.

وسمعت أيضاً أن هناك ملاحم أخرى منسوبة لابن سيناء وأiben عقب وليس في شيء منها دليل على الصحة؛ لأن ذلك إنما يؤخذ من القراءات.

ووقفت بالشرق أيضاً على ملحمة من حدثان دولة الترك  
منسوية إلى رجل من الصوفية يسمى الياجرقي وكلها الغاز  
بالحروف أولها:

ن شئت تكشف سر الجفر يا سائلي من علم جفر وصي والد الحسن  
لأفهم وكن واعياً حرفًا وجلته والوصف فافهم ك فعل الحاذق الفطن  
ما الذي قيل في عصرى لست أذكراً لكنه أذكر الآتي، من المزمن

على روى الراء وهي متداولة بين الناس، وتحسب العامة أنها من الحدثان العام فيطلقون الكثير منها على الحاضر والمستقبل، والذي معناه من شيوخنا أنها مخصوصة بدولة تونس؛ لأن الرجل كان قبيل دولتهم وذكر فيها استيلادهم على سبعة من يد موالي بين حمرود وملتهم لعدوة الأندلس، ومن الملائم يد أهل المغرب أيضاً قصيدة تسمى **الثعنة أوها**:

ومن الملاحم بالغرب أيضاً ملعبة من الشعر الجلي منسوية لبعض اليهود، ذكر فيها أحكام القرارات لعصره المُلُوّين والحسين وغيرهما وذكر ميته قتيلاً بفاس وكان كذلك فيما زعموه وأوله:

في صبيح ذا الأزرق لشرفه خيارا  
فافهموا يا قوم هندي الإشارا  
نجم زحل أخبر بذى العلاما  
وبدل الشكلا وهى سلاما  
شاشة زرقا بدل العماما  
وشاش، أزرق بدل الغارا

يقول في آخره: **قد تم ذالت التجنیس لانسان يهودي يصلب ببلدة فاس في يوم عيد حتى يجیء الناس من البوادي وقتلهم بما قوم على الفراد وأیاته نحو الخمسينات وهي في القراءات التي دلت على دولة المحدّبين.**

ومن ملاحم المغرب أيضاً قصيدة من عروض المغاربة على روい البناء في حدثان دولية بين أبي حفص بتونس من المحدثين منسوبة لابن الأبيات.

وقال لي قاضي قسطنطينة الخطيب الكبير أبو علي بن باديس وكان بصيراً بما يقوله، وله قدم في التجسيم فقال لي: إن هذا ابن الأبارليس هو الحافظ الأندلسي الكاتب مقتول المستنصر، وإنما هو رجل خياط من أهل تونس تواطأ شهرته مع شهرة الحافظ، وكان والدي رحمة الله تعالى ينشد هذه الأبيات من هذه الملحة وبقي بعضها في حفظي مطلها:

عذيري من زمان قلب يغرس بيارقه الأثنيب  
ومنها: ويبعث من جيشه قائدًا ويقى هناك على مرقب  
فأطأب إلى الشيخ أحباره فقام بالخطيب الأحب



وأما بعد انقراض الدولة المشيدة للمدينة: فاما أن يكون لضواحي تلك المدينة وما قاربها من الجبال والبساط باديه يمدها العمران دائماً، فيكون ذلك حافظاً لوجودها ويستمر عمرها بعد الدولة كما تراه بفاس وبجاية من المغرب وبعرق العجم من الشرق الموجود لها العمران من الجبال؛ لأن أهل البداوة إذا انتهت أحوالهم إلى غاياتها من الرفه والكسب تدعي إلى الدعة والسكنى الذي في طبيعة البشر فينزلون المدن والأصار ويتاصلون، وأما إذا لم يكن لتلك المدينة المؤسسة مادة تفيدها العمران بترادف الساكن من بدوها فيكون انقراض الدولة خرقاً لسياجها، فينزل حفظها ويتناقض عمرانها شيئاً فشيئاً إلى أن يذعر ساكنها وتخرّب كما وقع بمصر وبغداد والكرفنة بالشرق والقيروان والمهدية وقلعةبني حماد بالمغرب وأمثالها فتفهمه، وربما ينزل المدينة بعد انقراض خطيبها الأولين ملك آخر ودولة ثانية يتخلّها قراراً وكرسياً يستنفي بها عن اختطاط مدينة ينزلها فتحفظ تلك الدولة سياجها وتزيد مبانيها ومصانعها بترابيّ أحوال الدولة الثانية وترتها وتستجد بعمرانها عمراً آخر، كما وقع بفاس والقاهرة لهذا العهد، والله سبحانه وتعالى أعلم وله التوفيق.

## الفصل الثاني

### في أن الملك يدعو إلى نزول الأ MCSAR

وذلك أن القبائل والعصابات إذا حصل لهم الملك اضطروا للاستيلاء على الأصار لأمرين:

أحدهما: ما يدعو إليه الملك من الدعة والراحة وحط الآثار واستكمال ما كان ناقصاً من أمور العمران في البدو.  
والثاني: دفع ما يتوقع على الملك من أمر المنازعين والشاغلين؛ لأن مصر الذي يكون في نواحيهم ربما يكون ملحاً لمن يروم منازعاتهم والخروج عليهم واتزان ذلك الملك الذي سموا إليه من أيديهم، فيعتصم بذلك الملك وبغالبهم. ومخالبة مصر على نهاية من الصعورة والمشقة، والمصر يقوم مقام العساكر المتعددة لما فيه من الامتناع ونكبة الحرب من وراء الجدران من غير حاجة إلى كثير عدد ولا عظيم شوكة؛ لأن الشوكه والعصابة إنما احتاجت إليها في الحرب للثبات لما يقع من بعد كررة القسم بعضهم على بعض عند الجملة وثبات هؤلاء بالجدران فلا يضطرون إلى كبير عصابة ولا عدد، فيكون حال هذا الحصن ومن يعتزم به من المنازعين مما يفت في عضد الأمة التي تروم الاستيلاء

## الباب الرابع

في البلدان والأصار وسائر العمران وما يعرض في ذلك من الأحوال وفيه سوابق ولو حاصل

## الفصل الأول

في أن الدول أقدم من المدن والأصار  
 وأنها إنما توجد ثانية عن الملك

وي بيانه أن البناء واحتطاط المنازل إنما من منازع الحضارة التي يدعو إليها الترف والدعة كما قدمناه وذلك متاخر عن البداوة ومنازعها، وأيضاً فالمدن والأصار ذات هيكل وأجرام عظيمة وبناء كبير، وهي موضوعة للعموم لا للخصوص، فتحتاج إلى اجتماع الأيدي وكثرة التعاون وليس من الأمور الضرورية للناس التي تعم بها البلوى حتى يكون نزوعهم إليها اضطراراً، بل لا بد من إكراههم على ذلك وسوقهم إليه مضطهدين بعضاً الملك أو مرغبين في الشواب والأجر الذي لا يفي بكثرة إلا الملك والدولة. فلا بد في تنصير الأصار واحتطاط المدن من الدولة والملك.

ثم إذا بنيت المدينة وكل شيدتها محسب نظر من شيدها وما اقتضته الأحوال السماوية والأرضية فيها فعمر الدولة حيث تولد لها، فإن كان عمر الدولة قصيراً وقف الحال فيها عند انتهاء الدولة وتراجع عمرانها وخربت، وإن كان أمد الدولة طويلاً ومدتها منفسحة فلا تزال المصانع فيها تنشاد والمنازل الرحيبة تكثر وتتعدد ونطاق الأسواق يتبااعد وينفسح إلى أن تسع الخطة وتبعد المسافة وينفسح ذرع المساحة كما وقع ببغداد وأمثالها.

ذكر الخطيب في «تاریخه» أن الحمامات بلغ عددها بيفداد لعهد المؤمن خمسة وستين ألف حمام، وكانت مشتملة على مدن وأصار ملائفة ومتقاربة تتجاوز الأربعين ولم تكن مدينة وحدها يجمعها سور واحد لإفراط العمران، وكذلك حال القيروان وقرطبة والمهدية في الملة الإسلامية وحال مصر القاهرة بعدها فيما يليها لهذا العهد.

وبعداً وبيتناً أنهم لم يكونوا يفراط في مقدار أجسامهم، وإنما هذا رأي ولع به القصاص عن قوم عاد وتمود والعمالقة. ونجد بيوت ثمود في الحجر منحوتة إلى هذا العهد وقد ثبت في الحديث الصحيح أنها بيوتهم يمر بها الركب الحجازي أكثر السنين ويشاهدونها لا تزيد في جوهرها ومساحتها وسماحتها على المعاهد، وإنهم لياليقون فيما يعتقدون من ذلك حتى أنهم ليزعمون أن عوج بن عناق من جبل العملاقة كان يتناول السمك من البحر طريراً فشيئه في الشمس، يزعمون بذلك أن الشمس حارة فيما قرب منها ولا يعلمون أن الحر فيما لدينا هو الضوء لانعكاس الشاعر بمقابلة سطح الأرض والسماء، وأما الشمس في نفسها فغير حارة ولا باردة وإنما هي كركب مضيء لا مزاج له، وقد تقدم شيء من هذا في الفصل الثاني حيث ذكرنا أن آثار الدولة على نسبة قوتها في أصلها. والله يخلق ما يشاء ويحكم ما يريد.

#### الفصل الرابع

### في أن الهياكل العظيمة جداً لا تستقل ببنائها الدولة الواحدة

والسبب في ذلك ما ذكرناه من حاجة البناء إلى التعاون ومساعدة القدر البشرية، وقد تكون المبني في عظمها أكثر من القدر مفردة أو ممساعدة بالمندام كما قلنا، فيحتاج إلى معاودة قدر أخرى مثلها في أزمة متعاقبة إلى أن تم.

فيتبدى الأول منهم بالبناء، وبعقبه الثاني والثالث، وكل واحد منهم قد استكمل شأنه في حشر الفعلة وجمع الأيدي، حتى يتم القصد من ذلك ويكمل ويكون مائلاً للعيان يظنه من يراه من الآخرين أنه بناء دولة واحدة.

وانظر في ذلك ما نقله المؤرخون في بناء سد مارب، وأن الذي بناه سباً بن يشجب وساق إليه سبعين وادياً، وعاقه الموت عن إتمامه فاتمه ملوك حمير من بعده.

ومثل هذا ما نقل في بناء قرطاجنة وقتها الرايبة على الحنابي العادلة، وأكبر المبني العظيمة في الغالب هذا شأنها، ويشهد لذلك أن المبني العظيمة لعهدنا نجد الملك الواحد يشرع في اختطاطها وتأسيسها، فإذا لم يتبع أثره من بعده من الملوك في إقامها بقيت جهازاً ولم يكمل القصد فيها. ويشهد لذلك أيضاً نجد آثاراً كثيرة من المبني العظيمة تعجز الدول عن هدمها وتغريها مع أن

وتحضد شوكة استيلائهم، فإذا كانت بين أجنابهم أمصار انتظاموها في استيلائهم للأمن من مثل هذا الضرر، وإن لم يكن هناك مصر استحدثوه ضرورة لتمكيل عمرانهم أو لأحط أنقاضهم وليكون شجاعاً في حلقة من يروم العزة والامتاع عليهم من طرائفهم وعصابتهم، فتعين أن الملك يدعوا إلى نزول الأمصار والاستيلاء عليهما، والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق لا رب سواه.

#### الفصل الثالث

### في أن المدن العظيمة والهيكل المترفة إنما يشيدها الملك الكبير

قد قدمنا ذلك في آثار الدولة من المبني وغيرها وأنها تكون على نسبتها، وذلك أن تشيد المدن إنما يحصل باجتماع الفعلة وكثرة وتعاونهم، فإذا كانت الدولة عظيمة متعدة المالك حشر الفعلة من أقطارها وجعلت أيديهم على عملها، وربما استعين في ذلك في أكثر الأمر بالمندام الذي يضاعف القوى والقدرة في حمل أثقال البناء لعجز القوة البشرية وضعفها عن ذلك كالمخال وغيرة، وربما يتورهم كثير من الناس إذا نظر إلى آثار الأقدمين ومصانعهم العظيمة مثل إيوان كسرى وأهرام مصر وحنابي المثلقة وشرشال بالغرب إنما كانت بقدراتهم متفرقين أو مجتمعين فيتخيل لهم أجساماً تاسب ذلك أعظم من هذه بكثير في طرها وقدرها لتتناسب بينها وبين القدرة التي صدرت تلك المبني عنها ويففل عن شأن المندام والمصالح وما اقتضته في ذلك الصناعة الهندسية.

وكثير من المتخيلين في البلاد يعاين في شأن البناء واستعمال الخيل في نقل الأجرام عند أهل الدولة المعتن بذلك من العجم ما يشهد له بما قلناه عياناً، وأكثر آثار الأقدمين لهذا العهد تسمى بها العامة عادلة نسبة إلى قوم عاد لتوهمهم أن مبني عاد ومصانعهم إنما عظمت لعظم أجسامهم وتضاعف قدرهم. وليس كذلك، فقد نجد آثاراً كثيرة من آثار الذين تعرف مقدار أجسامهم من الأمم وهي في مثل ذلك العظم أو أعظم كإيوان كسرى ومبني العبيدين من الشيعة بآفريقيا والصهاجيين وأثراً لهم باد إلى اليوم في صومعة قلعة بني حماد، وكذلك بناء الأغالبة في جامع القبروان وبناء المرحدين في رباط الفتح ورباط السلطان أبي سعيد لعهد أربعين سنة في المنصرة يزاره تلمسان، وكذلك الحنابي التي جلب إليها أهل قرطاجنة الماء في الفتنة الرايبة عليها مائلة أيضاً لهذا العهد، وغير ذلك من المبني والهيكل التي نقلت إلينا أخبار أهلها قرابة

الأسوار وأن يكون وضع ذلك في متنع من الأمكنة، إما على هضبة متعرجة من الجبل، وإما باستداره بحير أو نهر بها حتى لا يوصل إليها إلا بعد العبور على جسر أو قطارة فصعب منها على العدو ويتضاعف امتناعها وحصتها.

وما يراعي في ذلك للحماية من الآفات السماوية طيب الهواء للسلامة من الأمراض، فإن الهواء إذا كان راكداً خبيئاً أو مجاوراً للمياه الفاسدة أو لمنطقة متعفنة أو لروج خبيثة أسرع إليها العفن من مجاورتها، فأسرع المرض للحيوان الكائن فيه لا حالته وهذا مشاهد، والمدن التي لم يراع فيها طيب الهواء كثيرة الأمراض في الغالب، وقد اشتهر بذلك في قطر المغرب بلد قابس من بلاد الجرذين بأفريقية، فلا يكاد ساكنها أو طارقها يخلص من حمى العفن بوجهه، ولقد يقال إن ذلك حدث فيها ولم تكن كذلك من قبل، وتقليل البكري في سبب حدوثه أنه وقع فيها حفر ظهر فيه إثناء من خناس مختوم بالرصاص، فلما فض خثاره صعد منه دخان إلى الجو وانقطع، وكان ذلك مبدأً أمراض الحمييات فيه وأراد بذلك أن الإناء كان مشتملاً على بعض أعمال الظلمات لوبائه، وأنه ذهب سره بنعاهده فرجع إليها العفن والوباء.

وهذه الحكاية من مذاهب العامة وبما يحملهم الركيكة، والبكري لم يكن من نباهة العلم واستماراة البصيرة بحيث يدفع مثل هذا أو يتبنّى خرقه فنقوله كما سمعه.

والذي يكشف لك الحق في ذلك أن هذه الأهوية العفنة أكثر ما يهيئها لتفعين الأجسام وأمراض الحمييات روكدها، فإذا تخللتها الريح وتفشت وذهبت بها ميناً وشمالاً خف شأن العفن والمرض البادي منها للحيوانات.

والبلد إذا كان كثير الساكن وكثرت حركات أهله فيتموج الهواء ضرورة وتحديث الريح المتخللة للهباء الراكد، ويكون ذلك معيناً له على الحركة والتموج، وإذا خف الساكن لم يجد الهواء معيناً على حركه وتوجهه وبقي ساكناً راكداً وعظم عفنه وكثرة ضرره، ولذلك قابس هذه كانت عندما كانت إفريقية مستجدة العمران كبيرة الساكن تموح بأهلها موجاً، فكان ذلك معيناً على تموح الهواء واضطرابه وتخفيف الأذى منه فلم يكن فيها كثير عفن ولا مرض، وعندما خفت ساكنها ركده هواؤها المتعفن بفساد مياهها فكثر العفن والمرض، فهذا وجهه لا غير.

وقد رأينا عكس ذلك في بلاد وضعت لم يراع فيها طيب الهواء وكانت أولاً قليلة الساكن، فكانت أمراضها كبيرة فلما كثر سكانها انتقل حالها عن ذلك، وهذا مثل دار الملك بفاس لهذا

الهدم أيسر من البناء بكثير؛ لأن الهدم رجوع إلى الأصل الذي هو العدم، والبناء على خلاف الأصل.

فإذا وجدنا بناء تضعف قوتنا البشرية عن هدمه مع سهولة الهدم علمنا أن القدرة التي أسلسته مفرطة القسوة وأنها ليست أثر دولة واحدة، وهذا مثل ما وقع للعرب في إيوان كسرى لما اعتزم الرشيد على هدمه ويعث إلى يحيى بن خالد وهو في مجلسه يستشيره في ذلك فقال: يا أمير المؤمنين لا تفعل واتركه ما يائلاً يستدل به على عظم ملك آبائك الذين سلبا الملك لأهله ذلك الطيكل فاتهمه في الصريحة وقال: أخذته التغرة للعمجم والله لا يصرعنك، وشرع في هدمه وجع الأيدي عليه وانخذل له التزوس وحاء بالنار وصب عليه الخل حتى إذا أدركه العجز بعد ذلك كله وخاف الفضيحة بعث إلى يحيى يستشيره ثانية في التجافي عن الهدم فقال: يا أمير المؤمنين لا تتعلّم واستمر على ذلك لثلاً فقال: عجز أمير المؤمنين وملك العرب عن هدم مصنع من مصانع العجم؛ فعرفها الرشيد وأقصر عن هدمه.

وكذلك اتفق للمؤمنون في هدم الأهرام التي يحصر وجع الفعلة هدمها فلم يحل بطاول وشرعوا في تقبيلها إلى جسم بين الحائط والظاهر وما بعده من الحيطان، وهنالك كان متبع هدمهم وهو إلى اليوم فيما يقال منفذ ظاهر ويزعم الزاعمون أنه وجد ركازاً بين تلك الحيطان، والله أعلم.

وكذلك حانيا العلاقة إلى هذا العهد تحتاج أهل مدينة تونس إلى انتخاب الحجارة لبنيهم وستجید الصناع حجارة تلك الحنایا، فيحاولون على هدمها الأيام العديدة ولا يسقط الصغير من جدرانها إلا بعد عصب الريق، وتجمعت له الحافل المشهورة شهدت منها في أيام صبای كثيراً «وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ».

## الفصل الخامس

### فيما يجب مراعاته في أوضاع المدن وما يحدث إذا غفل عنها

اعلم أن المدن قرار تتخذه الأمم عند حصول الغاية المطلوبة من الترف ودعائمه، فتوثّر الدعة والسكنون وتتجه إلى اتخاذ المنازل للقرار، ولما كان ذلك القرار والملأوي وجب أن يراعي فيه دفع المضار بالحماية من طارقها وجلب المنافع وتسهيل المرافق لها، فاما الحماية من المضار فيراعي لها أن يدار على منازلها جميعاً سياج

الصريخ والنعيير وكانت متوعرة المسالك على من يرورها باختطافها في هضاب الجبال وعلى أنسنتها، كان لها بذلك منعة من العدو ويشوا من طرقها لما يكابدونه من وعراها وما يتوقعونه من إجابة صريحها كما في سبة وبجية وبلد القل على صغرها، فافهم ذلك واعترف في اختصاص الإسكندرية باسم التغر من لدن الدولة العباسية، مع أن الدعوة من ورائها ببرقة وإفريقية، وإنما اعتبر في ذلك المخافة المتوقعة فيها من البحر لسهولة وضعها ولذلك - والله أعلم - كان طروق العدو للإسكندرية وطرابلس في الملة مرات متعددة، والله تعالى أعلم.

العهد المسمى بالبلد الجديد وكثير من ذلك في العالم، ففهمه تجد ما قلته لك.

وأما جلب المنافع والمرافق للبلد فيراعى فيه أمور:

منها الماء بأن يكون البلد على نهر أو بزيانها عيون عذبة ثرة، فإن وجود الماء قريباً من البلد يسهل على الساكن حاجة الماء وهي ضرورية، فيكون لهم في وجوده مرفة عظيمة عامة.

وما يراعى من المرافق في المدن طيب المراعي لسايتمهم إذ صاحب كل قرار لا بد له من دواجن الحيوان للتجار والضرع والركوب ولا بد لها من المراعي، فإذا كان قريباً طيباً كان ذلك أرفق بحالم ما يعنون من المشقة في بعده.

وما يراعى أيضاً الزراعة، فإن الزروع هي الأقوات. فإذا كانت مزارع البلد بالقرب منها كان ذلك أسهل في الحصول وأقرب في تحصيله ومن ذلك الشجر للحطب والبناء، فإن الحطب مما تعم البلوى في اتخاذه لوقود النيران للاصطلاء والطبع. والخشب أيضاً ضروري لسفرهم وكثير ما يستعمل فيه الخشب من ضرورياتهم.

وقد يراعى أيضاً قربها من البحر لتسهيل الحاجات القاصية من البلاد الثانية إلا أن ذلك ليس بمثابة الأول، وهذه كلها متفاوتة بتفاوت الحاجات وما تدعو إليه ضرورة الساكن. وقد يكون الواضح غالباً عن حسن الاختيار الطبيعي أو إنما يراعى ما هو أهم على نفسه وقومه، ولا يذكر حاجة غيرهم كما فعله العرب لأول الإسلام في المدن التي اخترتها بالعراق وإفريقية فإنهن لم يراعوا فيها إلا الأهم عندهم من مراجع الإبل وما يصلح لها من الشجر والماء الملحي، ولم يراعوا الماء ولا الزراعة ولا الحطب ولا مراجعى السائمة من ذوات الظلل ولا غير ذلك كالقيروان والكرفه والبصرة وأمثالها، وهذا كانت أقرب إلى الخراب لما تزاع فيها الأمور الطبيعية.

وما يراعى في البلاد الساحلية التي على البحر أن تكون في جبل أو تكون بين أمم من الأمم موفورة العدد تكون صريحة للمدينة متى طرقها طارق من العدو، والسبب في ذلك أن المدينة إذا كانت حاضرة البحر ولم يكن ساحتها عمران للقبائل أهل العصبيات ولا مرضعها متواز من الجبل كانت في غرة للبيات وسهل طرقوها في الأساطيل البحريه على عدوها وتحقيقه لها لما يأمن من وجود الصريح لها. وأن الحضر المتودين للدعة قد صاروا عيالاً وخرجوا عن حكم المقاتلة. وهذه كالإسكندرية من الشرق وطرابلس من المغرب وبونة وسلا.

ومتي كانت القبائل والعصائب مواطنين بقربها بحيث يبلغهم

## الفصل السادس

### في المساجد والبيوت العظيمة في العالم

اعلم أن الله سبحانه وتعالى فضل من الأرض بقاعاً اختصها بشرعيته وجعلها مواطن لعباداته يضاعف فيها الشواب وينهي بها الأجور، وأخبرنا بذلك على السن رسله ونبيائه لطفاً بعباده وتسيهلاً لطرق السعادة لهم.

وكانت المساجد الثلاثة هي أفضل بقاع الأرض حسبما ثبت في «الصححين» وهي مكة والمدينة وبيت المقدس.

أما البيت الحرام الذي يمكّنه فهو بيت إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه. أمره الله ببنائه وأن يؤذن في الناس بالحج إليه فبناء هو وابنه إسماعيل كما نصه القرآن وقام بما أمره الله فيه، وسكن إسماعيل به مع هاجر ومن نزل معهم من جرمهم إلى أن قضيوا الله ودفنا بالحجر منه.

وبيت المقدس بناء داود وسلمان عليهما السلام. أمرهما الله ببناء مسجده ونصب هيكله ودفن كثير من الأنبياء من ولد إسحاق عليه السلام حواليه.

والمدينة مهاجر نبأها محمد صلوات الله وسلامة عليه أمره الله تعالى بالهجرة إليها وإقامة دين الإسلام بها، فبني مسجده الحرام بها وكان ملحده الشريف في تربيتها.

وهذه المساجد الثلاثة قرة عين المسلمين ومهوى أفئدتهم وعظمة دينهم، وفي الآثار من فضلها ومضاعفة الشواب في جاورتها والصلة فيها كبير معروف، فنشر إلى شيء من الخبر عن أولية هذه المساجد الثلاثة وكيف تدرج أحواها إلى أن كمل ظهورها في العالم.

وستين فاصابه حريق، يقال من النسط الذي رموا به على ابن الزبير فتصدعت حيطانه فهدمه ابن الزبير وأعاد بناء أحسن ما كان بعد أن اختلفت عليه الصحابة في بنائه. واحتاج عليهم بقول رسول الله ﷺ لما شارطه رضي الله عنها: «لولا قومك حديثك عهد بكفر لرددت البيت على قواعده إبراهيم وجعلت له بابين شرقاً وغرباً» فهدمه وكشف عن أساس إبراهيم عليه السلام وجمع الوجه والأكابر حتى عاينوه، وأشار عليه ابن عباس بالحرفي في حفظ القبلة على الناس، فأدار على الأساس الخشب ونصب من فوقها الأستار حفظاً للقبلة، وبعث إلى صناع في النesse والكلنس فحملوها. وسال عن قطع الحجارة الأولى فجمع منها ما احتاج إليه ثم شرع في البناء على أساس إبراهيم عليه السلام ورفع جدرانها سبعاً وعشرين ذراعاً وجعل لها بابين لا صفين بالأرض كما روي في حديثه وجعل فرشتها وأزرهما بالرخام وصاغ لها المقاييس وصفائح الأبواب من الذهب.

ثم جاء الحاجاج لحصاره أيام عبد الملك ورمى على المسجد بالنجينيات إلى أن تصدعت حيطانه. ثم لما ظفر بابن الزبير شاور عبد الملك فيما بناء وزاده في البيت فأمره بهدمه ورد البيت على قواعده قريش كما هي اليوم. ويقال: إنه ندم على ذلك حين علم صحة رواية ابن الزبير لحديث عائشة، وقال: وددت أني كنت حملت أبا حبيب من أمر البيت وبناته ما تحمل. فهدم الحاجاج منها ستة أذرع وشبراً مكان الحجر وبناتها على أساس قريش وسد الباب الغربي وما تحت عتبة بابها اليوم من الباب الشرقي. وترك سائرها لم يغير منه شيئاً، فكل البناء الذي فيه اليوم بناء ابن الزبير وبين بنائه وبين الحاجاج في الحاطن صلة ظاهرة للعيان لحمة ظاهرة بين البناءين. والبناء متميز عن البناء بقدر إصبع شبه الصدع وقد لحم.

ويعرض هنا إشكال قوي لمنافاته لما يقوله الفقهاء في أمر الطراف ويعذر الطائف أن يميل على الشاذروان الدائر على أساس الجدر من أسفلها فيقع طرافقه داخل البيت، بناء على أن الجدار إنما قام على بعض الأساس وترك بعضه وهو مكان الشاذروان، وكذا قالوا في تقبيل الحجر السود لا بد من رجوع الطائف من التقبيل حتى يستوي قائمًا لثلا يقع بعض طرافقه داخل البيت، وإذا كانت الجدران كلها من بناء ابن الزبير وهو إنما يبني على أساس إبراهيم فكيف يقع هذا الذي قالوه؟ ولا مخلص من هذا إلا بأحد أمرين: إما أن يكون الحاجاج هدم جميعه وأعاده، وقد نقل ذلك جماعة إلا أن العيان في شوادر البناء بالتحام ما بين البناءين وغيّر أحد الشقين من أعلىه عن الآخر في الصناعة برد ذلك.

فاما مكة فأوليتها - فيما يقال - أن آدم صلوات الله عليه بناتها قبلة البيت المعمور ثم هدمها الطوفان بعد ذلك، وليس فيه خبر صحيح يحوال عليه. وإنما اقتبسه من مجمل الآية في قوله ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمَ التَّوْأَمَيْدَ مِنَ الْبَيْتِ إِسْمَاعِيلَ﴾ ثم بعث الله إبراهيم وكان من شأنه وشأن زوجته سارة وغيرتها من هاجر ما هو معروف، وأوحى الله إليه أن يترك ابنه إسماعيل وأمه هاجر بالغلاة فوضعهما في مكان البيت وسار عنهما، وكيف جعل الله هما من اللطف في نبع ماء زمزم ومرور الرقة من جرمهم بهما حتى احتملوهما وسكنوا إليهما، كما ونزلوا معهما حوالي زمزم كما عرف في موضعه، فأخذ إسماعيل بموضع الكعبة بينما يأوي إليه وأدار عليه سباجاً من الردم وجعله زرياً لغشه، وجاء إبراهيم صلوات الله عليه مراراً لزيارة من الشام أمر في آخرها بناء الكعبة مكان ذلك الزرب فبناء واستعلن فيه إسماعيل ودعا الناس إلى حجه، وبقي إسماعيل ساكتاً به، ولا قبضت أمه هاجر وقام بنوه من بعده بأمر البيت مع أخواه من جرمهم ثم العمالق من بعدهم، واستمر الحال على ذلك والناس يهرعون إليها من كل أفق من جميع أهل الخليقة لا من بيتي إسماعيل ولا من غيرهم من دنا أو ناي، فقد نقل أن النبي كانت تخرج البيوت وتعظمها وأن تبعاً كساها الملاء والوسائل وأمر بتطهيرها وجعل لها مفتاحاً.

ونقل أيضاً أن الفرس كانت تتجه وتقرب إليه وأن غزالاً الذهب اللذين وجدهما عبد الطلب حين احتضر زمزم كانوا من قرابينهم. ولم يزل جرمهم الولاية عليه من بعد ولد إسماعيل من قبل خرولتهم حتى إذا خرجت خزانة وأقاموا بها بعدهم ما شاء الله. ثم كثر ولد إسماعيل وانتشروا وتشعبوا إلى كثافة ثم كثافة إلى قريش وغيرهم وساعت ولادة خزانة، فغلبهم قريش على أمره وأخرجوهم من البيت وملکوا عليهم يومئذ قصي بن كلاب فبني البيت وسفنه بخشب الدوم وجريدة النخل وقال الأعشى:

خلفت بشري راہب الدور والی بناها قصي والملاضي بن جرم ثم أصحاب البيت سيل ويقال حريق ونهدم وأعادوا بناء وجعلوا النفقة لذلك من أموالهم، وانكسرت سفينة ساحل جدة فاشترروا خشبها للسفف، وكانت جدرانه فوق القامة فجعلوها ثمانية عشر ذراعاً، وكان الباب لاصقاً بالأرض فجعلوه فوق القامة لثلا تدخله السيل وقصرت بهم النفقة عن إقامه فقصروا عن قواعده وتركوا منه ستة أذرع وشبراً أداروها بجدار قصير يطاف من ورائه وهو الحجر، وبقي البيت على هذا البناء إلى أن تحصن ابن الزبير بمكة حين دعا لنفسه ورخت إليه جيوش يزيد بن معاوية مع الحسين بن علي السكوني. ورمى البيت سنة أربع

لأبي بكر فلم يحركه. هكذا قال الأزرقي.

وفي البخاري يستند إلى أبي وائل قال: جلست إلى شيبة بن عثمان وقال: جلس إلى عمر بن الخطاب فقال: هممت أن لا أدع فيها صفاء ولا يضاهي إلا قستها بين المسلمين، قلت: ما أنت بفاعل؟ قال: ولم؟ قلت: فلم يفعله أصحابك فقال: هما اللذان يقتدي بهما.

وخرج أبو داود وابن ماجه وأقام ذلك المال إلى أن كانت فتنة الأفطس وهو الحسن بن الحسين بن علي بن علي زين العابدين سنة تسع وتسعين ومائة حين غالب على مكة عمد إلى الكعبة فأخذ ماني خزانتها وقال: ما تصنع الكعبة بهذا المال موضوعاً فيها لا يتفع به؟ نحن أحق به نستعين به على حربنا؛ وأخرجه وتصرف فيه وطلت الذخيرة من الكعبة من يومئذ.

واما بيت المقدس وهو المسجد الأقصى فكان أول أمره أيام الصابئة موضعًا لم يكل الزهرة، وكانت يقربون إليه الزيت فيما يقربونه بصبونه على الصخرة التي هناك، ثم ذثر ذلك الميكل واتخذها بنو إسرائيل حين ملکوها قبلة لصلاتهم. وذلك أن موسى صلوات الله عليه لما خرج ببني إسرائيل من مصر لتملكهم بيت المقدس كما وعد الله أباهم إسرائيل وأباء إسحق ويعقوب من قبله وأقاموا بارض التي أمره الله باختاذ قبة من خشب السطع عين باللوحي مقدارها وصفتها وهيأكلها وعاتيلها، وأن يكون فيها التابتور ومايادة بصحافها ومنارة بقاديدها، وأن يصنع مذبحاً للقريان وصف ذلك كله في التوراة أكملاً وصف، فচنع القبة ووضع فيها تابتور العهد وهو التابتور الذي فيه الألواح المصنوعة عوضاً عن الألواح المزلقة بالكلمات العشر لما تكسرت ووضع المذبح عندها. وعهد الله إلى موسى بأن يكون هارون صاحب القريان، ونصبوا تلك القبة بين خيامهم في التيه يصلون إليها ويقربون في المذبح أمامها ويعرضون للوحي عندها.

ولما ملکوا أرض الشام أنزلوها (بكلكال) من بلاد الأرض المقدسة ما بين قسم بي يامين وبني أفرايم. وبقيت هنالك أربع عشرة سنة سبعاً مدة الحرب، وسبعاً بعد الفتح أيام قسمة البلاد. ولما توفي يوشع عليه السلام نقلوها إلى بلد شيلو قريباً من كلكال، وأداروا عليها الحيطان. وأقامت على ذلك ثمانية سنة، حتى ملکها بنو فلسطين من أبنائهم كما مر، وتغلبوا عليهم. ثم ردوا عليهم القبة ونقلوها بعد وفاة علي الكورهن إلى نوف. ثم نقلت أيام طالوت إلى كتعان في بلاد بي يامين. ولما ملک داود عليه السلام نقل القبة والتابتور إلى بيت المقدس وجعل عليها خباء خاصاً ووضعها على الصخرة.

ولما أن يكون ابن الزبير لم يرَدَّ البيت على أساس إبراهيم من جميع جهاته، وإنما فعل ذلك في الحجر فقط ليدخله، فهي الآن مع كونها من بناء ابن الزبير ليست على قواعد إبراهيم وهذا بعيد، ولا يحصى من هذين والله تعالى أعلم.

ثم إن ساحة البيت وهو المسجد كان فضاء للطائفين ولم يكن عليه جدار أيام النبي ﷺ وأبي بكر من بعده. ثم كثر الناس فاشترى عمر رضي الله عنه دوراً هدمها وزادها في المسجد وأدار عليها جداراً دون القامة، وفعل مثل ذلك عثمان ثم ابن الزبير ثم الرolid بن عبد الملك، وبناه بعمد الرخام، ثم زاد فيه المنصور وابنه المهدى من بعده ووقفت الزيارة واستقرت على ذلك لمهدنا.

وتشريف الله لهذا البيت وعانته به أكثر من أن يحاط به، وكفى من ذلك أن جعله مهبطاً للوحى والملائكة ومكاناً للعبادة وفرض شعائر الحجج ومناسكه وأوجب لحرمه من سائر نواحيه من حقوق التقليم والحق مالم يوجه لغيره، فمعن كل من خالف دين الإسلام من دخول ذلك الحرم وأوجب على داخله أن يتجرد من المحيط إلا إزاراً يستره، وهي العائلة به والرائع في مسارحه من مواقع الآفات، فلا يراع فيه خائف ولا يصاد له وحش ولا يحتطب له شجر.

وحل الحرم الذي يختص بهذه الحرمة من طريق المدينة ثلاثة أميال إلى التعميم، ومن طريق العراق سبعة أميال إلى الشيبة من جبل المنقطع ومن طريق الجعرانة تسعة أميال إلى الشعب، ومن طريق الطائف سبعة أميال إلى بطن غرة، ومن طريق جدة سبعة أميال إلى منقطع العشار.

هذا شأن مكة وخبرها وتسمى أم القرى وتسمى الكعبة لعلوها من اسم الكعب. ويقال لها أيضاً بكرة. قال الأصمسي: لأن الناس ينكرون بعضهم بعضاً إليها أي يدنع. وقال مجاهد: إنما هي باء بكرة أبدلها ميناً كما قالوا: لازب ولازم لقرب المخرجين. وقال النخعي: بالياء لليت وباليم للبلد. وقال الزهرى بالياء للمسجد كله وباليم للحرم؛ وقد كانت الأسم منذ عهد الجاهلية تعظمه والملوك تبعث إليه بالأموال والذخائر مثل كسرى وغيره.

وقصة الأسياf وغزالى النهب اللذين وجدهما عبد المطلب حين احتر زمم معروفة، وقد وجد رسول الله ﷺ حين افتتح مكة في الجب الذي كان فيها سبعين ألف أوقية من النهب مما كان الملوك يهدون للبيت قيمتها ألف ألف دينار مكررة مرتين يمني قطان، وزنة وقال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه: يا رسول الله! لو استعنت بهذا المال على حربك. فلم يفعل ثم ذكر

بعظيمه، ثم اختلف حال ملوك الروم في الأخذ بدين النصرانية تارةً وتركه أخرى إلى أن جاء قسطنطين وتصرت أمره هيلانة وارتحلت إلى القدس في طلب الخشبة التي صلب عليها المسيح بزعمهم، فأخبرها القمامصه بأنه رمي بخشبته على الأرض والقسي عليها القمامات والقادورات، فاستخرجت الخشبة وبنست مكان تلك القمامات كنيسة القمامه كانها على قبره بزعمهم وخرجت ما وجدت من عمارة البيت وأمرت بطرح الزيل والقمامات على الصخرة حتى غطاما وخفى مكانها جزءا بزعمها عما فعلوه بقبر المسيح.

ثم بناوا بإزاء القمامه بيت لحم وهو البيت الذي ولد فيه عيسى عليه السلام ويقي الأمر كذلك إلى أن جاء الإسلام والفتح وحضر عمر لفتح بيت المقدس، وسأل عن الصخرة فاري مكانها وقد علاها الزيل والتراب فكشف عنها وبين عليها مسجداً على طريق البداوة وعظم من شأنه ما أذن الله من تعظيمه وما سبق من أم الكتاب في فضله حسبما ثبت.

ثم احتفل الوليد بن عبد الملك في تشييد مسجده على سنن مساجد الإسلام بما شاء الله من الاحتفال، كما فعل في المسجد الحرام وفي مسجد النبي صلوات الله عليه بالمدينة وفي مسجد دمشق، وكانت العرب تسميه بلاط الوليد والزم ملك الروم أن يبعث الفعلة والمثال لبناء هذه المساجد، وأن ينمورها بالفسيفساء فاطئاً لذلك وتم بناؤها على ما اقترحه.

ثم لما ضعف أمر الخلافة أعدوا أعياماً خمسة من المجرة في آخرها وكانت في مملكة العبيدين خلفاء القاهرة من الشيعة واحتل أمرهم، زحف الفرنجة إلى بيت المقدس فملكونه وملكون معه عامة ثغور الشام وبنوا على الصخرة المقدسة منه كنيسة كانوا يعظمونها وفتخرون بينها، حتى إذا استقل صلاح الدين بن أيوب الكردي بملك مصر والشام وخا ثائر العبيدين وبدعمهم زحف إلى الشام وجاهد من كان به من الفرنجة حتى غلبهم على بيت المقدس وعلى ما كانوا ملكونه من ثغور الشام، وذلك نحو ثمانين وخمسة من المجرة وهدم تلك الكنيسة وأظهر الصخرة وبنى المسجد على النحو الذي هو عليه اليوم لهذا العهد.

ولا يعرض لك الإشكال المعروف في الحديث الصحيح أن النبي صلوات الله عليه سئل عن أول بيت وضع فقال: «مكة»، قيل: ثم أي؟ قال: «بيت المقدس»، قيل: فكم بينهما؟ قال: «أربعون سنة» فإن المدة بين بناء مكة وبين بناء بيت المقدس يقدر ما بين إبراهيم وسلمان؛ لأن سليمان بانيه وهو ينفي على الآلف بكثير.

ويقيت تلك القبة قبلتهم ووضعوها على الصخرة بسبت المقدس، وأراد داود عليه السلام بناء مسجده على الصخرة مكانها فلم يتم له ذلك وعهد به إلى ابنه سليمان، فبناء لأربع سنتين من ملكه وخمسة سنتين من وفاة موسى عليه السلام.

وأخذ عمه من الصفر وجعل به صرح الزجاج وغشى أبوابه وحيطانه بالذهب وصاغ هيكله وعائبله وأوعيته ومارته ومفتاحه من الذهب، وجعل في ظهره قبراً ليضع فيه تابوت العهد وهو التابوت الذي فيه الأنوار وجاء به من صهيون بلد أبيه داود نقله إليه أيام عماره المسجد، فجيء به تحمله الأساطيل والكهنوتيه حتى وضعه في القبر ووضع القبة والأوعية والمنابع كل واحد حيث أعد له من المسجد. وأقام كذلك ما شاء الله. ثم خربه مختصر بعد ثمانمائة سنة من بنائه وأحرق التوراة والعصا وصاغ الهياكل ونثر الأحجار.

ثم لما أعادهم ملوك الفرس بناء عزيز نبي إسرائيل لعهده باعاته بهمن ملك الفرس الذي كانت الولادة لبني إسرائيل عليه من بي مختصر وحد لهم في بنائه حدوداً دون بناء سليمان بن داود عليهم السلام فلم يتتجاوزوها.

وأما الأوائل التي تحت المسجد، يركب بعضها بعضاً عمود الأعلى منها على قوس الأسفل في طبقتين. ويتواه كثير من الناس أنها إصطبات سليمان عليه السلام، وليس كذلك. وإنما بناها تزييها لليبيت المقدس عما يتوهم من التجasse، لأن التجasse في شريعتهم وإن كانت في باطن الأرض وكان ما بينها وبين ظاهر الأرض محشراً بالتراب، بحيث يصل ما بينها وبين الظاهر خط مستقيم ينجز ذلك الظاهر بالتواه، والتواه عندهم كالمحقق.

فبنوا هذه الأوائل على هذه الصورة بعمود الأوائل السفلية تتنهى إلى أقواسها وينقطع خطه، فلا تتصل التجasse بالأعلى على خط مستقيم. وتزه البيت عن هذه التجasse المتوجهة ليكون ذلك أبلغ في الطهارة والتقديس.

ثم تداولتهم ملوك يونان والفرس والروم واستفحـل الملك لبني إسرائيل في هذه المدة، لبني حشمناي من كهفهم ثم لصهرهم هيرودوس ولبنيه من بعده.

وبني هيرودوس بيت المقدس على بناء سليمان عليه السلام وتألق فيه حتى أكمله في ست سنتين، فلما جاء طيطش من ملوك الروم وغلبهم وأمرهم خرب بيت المقدس ومسجدها وأمر أن يزرع مكانه، ثم أخذ الروم بدين المسيح عليه السلام ودانوا

الديانة بزعمهم، منها بيوت النار للفرس وهم يأكلون يونان ويبيوت العرب بالحجاز التي أمر النبي صلوات الله عليه وسلم بهدمها في غزواته، وقد ذكر المسعودي منها بيوتاً لستاً من ذكرها في شيء إذ هي غير مشروعة ولا هي على طريق ديني ولا يلتفت إليها ولا إلى الخبر عنها، ويكتفي في ذلك ما وقع في التاريخ، فمن أراد معرفة الأخبار فعليه بها، والله يهدى من يشاء سبحانه.

## الفصل السابع

### في أن المدن والأمسكار يا فريقيه والمغرب قليلة

والسبب في ذلك أن هذه الأقطار كانت للبرير منذ آلاف من السنين قبل الإسلام، وكان عمرانها كله بدويًا ولم تستمر فيها الحضارة حتى تتكامل أحواها، والدول التي ملكتهم من الإفرنجية والعرب لم يطل أمد ملكتهم فيهم حتى ترسخ الحضارة منها، فلم تزل عوائد البداوة وشؤونها فكانتوا إليها أقرب فلم تكن مبنائهم، وأيضاً فالصناعات بعيدة عن البرير لأنهم أعرق في البدو، والصناعات من توابع الحضارة وإنما تسمى المباني بها فلا بد من المدى في تعلمها، فلما لم يكن للبرير اتحال لها لم يكن لهم تشرف إلى المباني فضلاً عن المدن. وأيضاً نهم أهل عصبيات وأنساب لا يخلو عن ذلك جمع منهم والأنساب والعصبية أجيج إلى البدو.

إنما يدعون إلى المدن الدعة والسكنى وبصير ساكنها عيالاً على حاميتها، فتجد أهل البدو لذلك يستخفون عن سكى المدينة أو الإقامة بها ولا يدعونهم إلى ذلك إلا الترف والغنى وقليل ما هو في الناس؛ فلذلك كان عمران إفريقيه والمغرب كله أو أكثره بدويًا أهل خيام وظواعن وقباطن وكنن في الجبال، وكان عمران بلاد العجم كله أو أكثره قرى وأمسكاراً ورسانيق من بلاد الأندلس والشام ومصر وعراق العجم وأمثالها؛ لأن العجم في الغالب ليسوا بأهل أنساب يحافظون عليها ويستاغرون في صراحتها والتحامها إلا في الأقل، وأكثر ما يكون سكى البدو لأهل الأنساب؛ لأن لحمة النسب أقرب وأشد ف تكون عصبيته كذلك وتتنوع بصحابتها إلى سكنى البدو والتتجافي عن المصر الذي يذهب بالبسالة وبصيره عيالاً على غيره، فاتهمه وقس عليه، والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق.

واعلم أن المراد بالربيع في الحديث ليس البناء، وإنما المراد أول بيت عن للعبادة ولا يبعد أن يكون بيت المقدس عن للعبادة قبل بناء سليمان بمثل هذه المدة، وقد تقل أن الصابات بنوا على الصخرة هيكل الزهرة فلعل ذلك، لأنها كانت مكاناً للعبادة كما كانت الجاملية تضع الأصنام والتماثيل حوالي الكعبة وفي جوفها، والصابات الذين بنوا هيكل الزهرة كانوا على عهد إبراهيم عليه السلام فلا تبعد مدة الأربعين سنة بين وضع مكة للعبادة ووضع بيت المقدس، وإن لم يكن هناك بناء كما هو المعروف، وأن أول من بنى بيت المقدس سليمان عليه السلام، ففهمه فيه حل هذا الإشكال.

وأما المدينة المنورة وبه سميت وهي المسماة بيترب، فهي من بناء يثرب بن مهلاط من العملاقة وبه سميت وملوكها بنو إسرائيل من أيديهم فيما ملكوه من أرض الحجاز، ثم جاورهم بنو قيلة من غسان وغلبهم عليها وعلى حصونها. ثم أمر النبي صلوات الله عليه وسلم بالهجرة إليها لما سبق من عنابة الله بها، فهاجر إليها ومعه أبو بكر وتبعه أصحابه ونزل بها وبنى مسجده وبيوته في الموضع الذي كان الله قد أعده لذلك وشرفه في سابق أزله، وأواه أبناء قيلة ونصره فلذلك سموا الأنصار، وعُتَّ كلمة الإسلام من المدينة حتى علت على الكلمات وغلب على قومه وفتح مكة وملوكها، وظن الأنصار أنه يتحول عنهم إلى بلد فاهمهم ذلك، فخطبهم رسول الله صلوات الله عليه وسلم وأخبرهم أنه غير متتحول حتى إذا قبض صلوات الله عليه وسلم كان ملحده الشريف بها.

وجاء في فضلها من الأحاديث الصحيحة مالا خفاء به ووقع الخلاف بين العلماء في تفصيلها على مكة وبه قال مالك رحمه الله لما ثبت عنده في ذلك من النص الصريح عن رافع بن خديج أن النبي صلوات الله عليه وسلم قال: «المدينة خير من مكة» تقل ذلك عبد الرهاب في «المعونة» إلى أحاديث أخرى تدل بظاهرها على ذلك وخالف أبو حنيفة والشافعي.

وأصبحت على كل حال ثانية المسجد الحرام وجنة إليها الأمم باقتنتهم من كل أوب، فانتظر كيف تدرجت الفضيلة في هذه المساجد المعظمة لما سبق من عنابة الله لها، وفهم سر الله في الكون وتدرجه على ترتيب محكم في أمور الدين والدنيا.

واما غير هذه المساجد الثلاثة فلا نعلم في الأرض إلا ما يقال من شأن مسجد آدم عليه السلام بسرنديب من جزائر الهند لكنه لم يثبت فيه شيء يعود عليه.

وقد كانت للأمم في القديم مساجد يعظمونها على جهة

والمراعي، فإنه بالتفاوت في هذه تفاوت جودة المصر ورداهته من حيث العمran الطبيعي والعرب يعيشون عن هذا، وإنما يراعون مراعي إيلهم خاصة لا يبالون بالماء طاب أو خبيث ولا قل أو كثراً ولا يسألون عن زكاء المزارع والمنابت والأهوية لاتصالهم في الأرض ونقلهم الحروب من البلد البعيد.

وأما الرياح فالريح مختلف للمهاب كلها والظعن كفيل لهم طبيتها، لأن الرياح إنما تحيث مع القار والسكنى وكثرة الفضلات؛ وانظر لما اختطوا الكوفة والبصرة والقيروان كيف لم يرافقوا في اختلطاتها إلى مراعي إيلهم وما يقرب من القفر ومسالك الظعن فكانت بعيدة عن الرضع الطبيعي للمدن، ولم تكن لها مادة تحد عمرانها من بعدهم كما قدمنا بأنه يحتاج إليه في حفظ العمran، فقد كانت مواطنها غير طبيعية للقرار ولم تكن في وسط الأمم فيعمرها الناس؛ فلاإلول وهلة من اخلال أمرهم وذهاب عصيبيتهم التي كانت سباجاً لها أئى عليها الخراب والانحلال كان لم تكن، **فوالله تعالى لا مُعْنَى لِحَكْمِيَّةِ**.

الفصل العاشر

في مبادئ الخراب في الأمصار

الفصل الثامن

في أن المباني والمصانع في الملة الإسلامية قليلة بالنسبة  
إلى قدرتها وإلى من كان قبلها من الدول

والسبب في ذلك ما ذكرنا مثله في البرير بعينه إذ العرب أيضاً أعرق في البدو وأبعد عن الصنائع، وأيضاً فكانوا أجانب من المالك التي استولوا عليها قبل الإسلام، ولما تملکوها لم يفسح الأمد حتى تستوفى رسوم الحضارة مع أنهم استغثوا بها وجدوا من مبانٍ غيرهم، وأيضاً فكان الدين أول الأمر مانعاً من المغalaة في البيان والإسراف فيه في غير القصد كما عهد لهم عمر حين استأذنوه في بناء الكوفة بالحجارة، وقد وقع الحريق في القصب الذي كانوا بنوا به من قبل فقال: أفعلوا ولا يزيدن أحد على ثلاثة أ庇ات ولا طاولوا في البيان، والزموا السنة تلزمكم الدولة. وعهد إلى الرفد وتقدم إلى الناس أن لا يرتفعوا ببنائنا فوق القدر، قالوا: وما القدر؟ قال: ما لا يقربكم من السرف ولا يخرجكم عن القصد؛ فلما بعد العهد بالدين والتحرّج في أمثل هذه المقاصد وغلبت طبيعة الملك والترف واستخدم العرب أمة الفرس وأخذلوا عنهم الصنائع والمباني ودعّتهم إليها أحوال الدعوة والترف، فحيثند شيدوا المباني والمصانع وكان عهد ذلك قريباً بانتراض الدولة ولم يفسح الأمد لكترة البناء واحتطاط المدن والأ蚊مار إلا قليلاً، وليس كذلك غيرهم من الأمم، فالفرس طالت مدتهن آلاماً من السينين، وكذلك القبط والنبط والروم، وكذلك العرب الأولى من عاد وثمود والعمالقة والتتابعة طالت آمادهم ورسخت الصنائع فيهم، فكانت مبانיהם وهيكلهم أكثر عدداً وأبقى على الأيام أثراً، واستبصروا في هذا مجده كما قلت لك، والله وارث الأرض ومن عليها.

الفصل التاسع

في أن المباني التي كانت تخنطها العرب يسرع  
إليها الضرر إلا في الأقل

والسبب في ذلك شأن البداوة والبعد عن الصنائع كما  
قدمناه، فلا تكون المباني وثيقة في تشييدها، وهو والله أعلم وجه  
آخر وهو أمس به: وذلك قلة مراعاتهم لحسن الاختبار في  
احتياط المدن كما قلناه من المكان وطيب الهواء والمياه والمزارع

فما كان عمرانه من الأ MCSAR أكثر وأوفر كان حال أهله في السفر أبلغ من حال المصر الذي دونه على وثيره واحدة في الأصناف: القاضي مع القاضي والتاجر مع التاجر والصانع مع الصانع والسوقى مع السوقى والأمير مع الأمير والشرطى مع الشرطى. واعتبر ذلك في المترتب مثلاً حال فاس مع غيرها من أ MCSAR الأخرى مثل مجاهة وتلمسان وسبتاً، تجد بينهما بوناً كبيراً على الجملة، ثم على الخصوصيات، فحال القاضي بفاس أوسع من حال القاضي بتلمسان وكذا كل صنف مع أهل صنفه. وكذا أيضاً حال تلمسان مع وهران والجزائر وحال وهران والجزائر مع ما دونهما إلى أن تنتهي إلى المدر الذين اعتمدهم في ضروريات معيشهم فقط أو يقترون عنها. وما ذلك إلا لتفاوت الأعمال فيها فكانها كلها أسواق للأعمال. والخرج في كل سوق على نسبته، فالقاضي بفاس دخله كفاه خرجه، وكذا القاضي بتلمسان وحيث الدخل والخرج أكثر تكون الأحوال أعظم وهم بما يفاس أكثر لتفاق سوق الأعمال مما يدعوه إليه الترف فأحوال أضخم. ثم هكذا حال وهران وقسنطينة والجزائر وبسكتة حتى تنتهي كما قلناه إلى الأ MCSAR التي لا توفر أعمالها بضروراتها ولا تند في الأ MCSAR إذ هي من قبيل القرى والمدر. فلذلك تجد أهل هذه الأ MCSAR الصغيرة ضعفاء الأحوال مقاربين في الفقر والخاصة لما أن أعمالهم لا تفي بضروراتهم ولا يفضل ما يتأثرون كسباً فلا تمو مكاسبهم. وهم لذلك مساكين مخواجع إلا في الأقل النادر. واعتبر ذلك حتى في أحوال القراء والسؤال، فإن السائل بفاس أحسن حالاً من السائل بتلمسان أو وهران. ولقد شاهدت بفاس السؤال يسألون أيام الأضاحي أئمان ضحاياهم ورأيهم يسألون كثيراً من أحوال الترف واقتراح المأكل مثل سؤال اللحم والسمن وعلاج الطبخ والملابس والماعون كالغريال والأكية. ولو سأل السائل مثل هذا بتلمسان أو وهران لاستذكر وعنف وزجر.

ويبلغنا لهذا العهد عن أحوال أهل القاهرة ومصر من الترف والغنى في عوائدهم ما تقضي منه العجب حتى إن كثيراً من القراء بالغرب ينزعون إلى النقلة إلى مصر لذلك ولما يلغفهم من أن شأن الرفه بمصر أعظم من غيرها. وتعتقد العامة من الناس أن ذلك لزيادة إثارة في أهل تلك الآفاق على غيرهم أو أموال مختزنة لديهم. وأنهم أكثر صدقة وإثارةً من جميع أهل الأ MCSAR وليس كذلك، وإنما هو لما تعرفه من أن عمران مصر والقاهرة أكثر من عمران هذه الأ MCSAR التي لديك فنظمت لذلك أحوالهم. وأما حال الدخل والخرج فمتكافئ في جميع الأ MCSAR. ومنى عظم الدخل، عظم الخرج وبالعكس. ومنى عظم الدخل والخرج،

## الفصل الحادي عشر

في أن تفاصل الأ MCSAR والمدن في كثرة الرفه لأهلها ونفاق الأسواق إنما هو في تفاصل عمرانها في الكثرة والقلة

والسبب في ذلك أنه قد عرف وثبت أن الواحد من البشر غير مستقل بتحصيل حاجاته في معاشه، وإنهم متعاونون جميعاً في عمرانهم على ذلك، وال الحاجة التي تحصل بتعاون طافة منهم تسد ضرورة الأكثر من عددهم أضعافاً. فالقررت من الخطبة مثلاً لا يستقل الواحد بتحصيل حصته منه. وإذا انتدب لتحصيله الستة أو العشرة من حداد ونجار للآلات وقائم على البقر وإشارة الأرض وحصاد السنبل وسائر مزون الفلاح وتوزعوا على تلك الأعمال أو اجتمعوا وحصل بعملهم ذلك مقدار من القراء، فإنه حينئذ قوت لأضعافهم مرات. فالأعمال بعد الاجتماع زائدة على حاجات العاملين وضروراتهم.

وأهل مدينة أو مصر إذا وزعت أعمالهم كلها على مقدار ضروراتهم وحاجاتهم أكفي فيها بالأقل من تلك الأعمال وبقيت الأعمال كلها زائدة على الضرورات، فتصرف في حالات الترف وعوائده و ما يحتاج إليه غيرهم من أهل الأ MCSAR ويستجلبون منهم بأعراضه وقيمه، فيكون لهم بذلك حظ من الغنى، وقد تبين لك في الفصل الخامس في باب الكسب والرزق أن المكاسب إنما هي قيم الأعمال، فإذا كثرت الأعمال كثرت قيمة بينهم فكانت مكاسبهم ضرورة ودعتهم أحوال الرفه والغنى إلى الترف وحاجاته من التائق في المساكن والملابس واستجادة الآنية والماعون واتخاذ الخدم والراكب، وهذه كلها أعمال تستدعي بقيتها وبختار المهرة في صناعتها والقيام عليها فتنتفق أسواق الأعمال والصناعات ويكسر دخل مصر وخرجه ويجعله يصار لاحتلالي ذلك من قبل أعمالهم.

ومتى زاد العمران زادت الأعمال ثانية ثم زاد الترف تابعاً للكسب وزادت عوائده وحاجاته. واستبسطت الصناعات لتحصيلها فزادت قيمة وتضاعف الكسب في المدينة لذلك ثانية ونفت سوق الأعمال بها أكثر من الأول. وكذا في الزيادة الثانية والثالثة لأن الأعمال الزائدة كلها تختص بالترف والغنى بخلاف الأعمال الأصلية التي تختص بالمعاش. فالمقص إذا فضل بعمران واحد ففضل له بزيادة كسب ورفه ويعوائد من الترف لا توجد في الآخر،

اتسعت أحوال الساكن ووسع المصر.

ولولا احتكار الناس لها لما يتوقع من تلك الآفات لبدلت دون ثمن ولا عوض لكثرتها بكثرة العمران.

وأما سائر المرافق من الأدم والفواكه وما إليها فإنها لا تعم فيها البلوى ولا يستترن الخاذلها أعمال أهل المصر أجمعين ولا الكثير منهم، ثم إن المصر إذا كان مستحيراً موفور العمران كثير حاجات الترف توفرت حيثذاك الدواعي على طلب تلك المرافق والاستكثار منها كل بحسب حاله، فيقتصر الموجود منها على الحاجات قصوراً بالغاً ويكثر المستامون لها وهي قليلة في نفسها فتزدحم أهل الأغراض وبين أهل الرفه والترف أثمانها ياسراف في الغلاء حاجتهم إليها أكثر من غيرهم، فيقع فيها الغلاء كما تراه.

وأما الصنائع والأعمال أيضاً في الأمسار المفورة العمران فسبب الغلاء فيه أمور ثلاثة: الأول: كثرة الحاجة لمكان الترف في مصر بكثرة عمرانه.

والثاني: اعتزاز أهل الأعمال بخدمتهم وامتهان أنفسهم لسهولة المعاش في المدينة بكثرة أقوانها.

والثالث: كثرة المترفين وكثرة حاجتهم إلى امتهان غيرهم وإلى استعمال الصناع في مهنة، فينزلون في ذلك لأهل الأعمال أكثر من قيمة أعمالهم مزاجحة ومنافسة في الاستئثار بها، فيعزز العمال والصناع وأهل الحرف وتغلب أعمالهم وتكتثر نفقات أهل مصر في ذلك.

وأما الأمسار الصغيرة والقليلة الساكن فآفواههم قليلة لقلة العمل فيها وما يتوقعونه لصغر مصرهم من عدم القوت، فيتمسكون بما يحصل منه في أيديهم ويختكرون فيه وزوجوه لديهم ويغلو ثمنه على مستامه. وأما مراقبتهم فلا تدع إليها أيضاً حاجة لقلة الساكن وضعف الأحوال فلا تتفق لديهم سوقه فيختص بالرخيص في سعره.

وقد يدخل أيضاً في قيمة الأقواء قيمة ما يفرض عليها من المكوس والمغارم للسلطان في الأسواق وأبواب المصر وللمجاهة في منافع يفرضونها على البياعات لأنفسهم. وبذلك كانت الأسعار في الأمسار أغلى من الأسعار في البايدية إذ المكوس والمغارم والفرائض قليلة لديهم أو معدهمة. وبالعكس كبيرة في الأمسار لا سيما في آخر الدولة، وقد تدخل أيضاً في قيمة الأقواء قيمة علاجها في الفلح وبمحافظ على ذلك في أسعارها كما وقع بالأندلس لهذا العهد. وذلك أنهما لما أجلاهم النصارى إلى سيف البحر وببلاده المترعنة الخليفة الرازعة النكبة النبات وملکوا عليهم

وكل شيء يبلغك من مثل هذا فلا تذكره واعتبره بكلة العمران وما يكون عنه من كثرة المكاسب التي يسهل بسيتها البذل والإيثار على مبتغه ومثله بشأن الحيوانات العجم مع بيوت المدينة الواحدة، وكيف مختلف أحوالها في هجرانها أو غشيانها، فإن بيوت أهل النعم والثروة والموائد الخاصة منها تكثر بساحتها وأنبتها تشير الحبوب وساقط الففات فيزدحم عليها غواشي التمل والخشاش، ويكثر في سربها الجرذان وتلوي إليه السنانير وتخلق فوقها عصائب الطيور حتى تروح بطاناً وتنتعل شيئاً ورياً، وبيوت أهل الخاصة والقر الكاسدة أرزاقهم لا يسري بساحتها دبيب ولا يملأ بيومها طاير ولا تلوي إلى زوابيا بيوبthem فارة ولا هرة كما قال الشاعر: يسقط الطير حيث يتشرّح الحب وتحشى منازل الكرماء فتأمل سر الله تعالى في ذلك واعتبر غاشية الأناسي بغاشية العجم من الحيوانات وفتات الموائد بفضلات الرزق والترف وسهولتها على من يبذلها؛ لاستغاثتهم عنها في الأكثر بوجود أمثالها لديهم، وأعلم أن اتساع الأحوال وكثرة النعم في العمران تابع لكثرته، والله سبحانه وتعالى أعلم وهو غني عن العالمين.

## الفصل الثاني عشر

### في أسعار المدن

اعلم أن الأسواق كلها تشتمل على حاجات الناس، فمنها الضروري وهي الأقواء من الخطة وما معناها كالباقلا والحمص والجلبان وسائر حبوب الأقواء ومصلحاتها كالبصل والشوم وأنشائه، ومنها الحاجي والكمالي مثل الأدم والفواكه والملابس والماعون والراكب وسائر المصانع والمباني، فإذا استبحر المصر وكثر ساكنه رخصت أسعار الضروري من القوت و MAVI معناه وغلت أسعار الكمالى من الأدم والفواكه وما يتبعها، وإذا قل ساكن المصر وضعف عمرانه كان الأمر بالعكس من ذلك. والسبب في ذلك أن الحبوب من ضرورات القوت فتتوفر الدواعي على الخاذلها، إذ كل أحد لا يهمل قوت نفسه ولا قوت منزله لشهره أو سنته فيعم الخاذلها أهل المصر أجمع أو الأكثر منهم في ذلك المصر أو فيما قرب منه لا بد من ذلك. وكل متخد لقوته تفضل عنه وعن أهل بيته فضلة كبيرة تسد خلة كثرين من أهل ذلك المصر، فتفضل الأقواء عن أهل المصر من غير شك فترخيص أسعارها في الغالب إلا ما يصيبها في بعض السنين من الآفات السماوية،

ويقتضي في استيطانه إلا من تقدم منهم تأثير المال ويحصل له منه فوق الحاجة ويجري إلى النهاية الطبيعية لأهل العمران من الدعة والترف، فحيثما يتقلل إلى المصروف يتضخم حاله مع أحوال أهله في عوائدهم وترفهم. وهكذا شأن بداية عمران الأنصار. والله بكل شيء يحيط.

الأرض الزاكية والبلد الطيب، فاحتاجوا إلى علاج المزارع والفنادن لصلاح نباتها وفلحها، وكان ذلك العلاج بأعمال ذات قيم ومواد من الزيل وغيره لها مؤونة، وصارت في فلاحهم نفقات لها خطر فاعتبروها في سعرهم. واختص قطر الأندلس بالغلام منذ اضطرتهم النصارى إلى هذا العمور بالإسلام مع سواحلها لأجل ذلك.

### الفصل الرابع عشر

#### في أن الأقطار في اختلاف أحوالها بالرفة والفقر مثل الأنصار

اعلم أن ما تتوفر عمرانه من الأقطار وتعدد الأمم في جهاته وكثير ساكنه، اتسعت أحوال أهله وكثرة مواههم وأمصارهم، وعظمت دولتهم ومالكمهم. والسبب في ذلك كله ما ذكرناه من كثرة الأعمال وما يأتي ذكره من أنها سبب للشدة بما يفضل عنها بعد الوفاء بالضروريات في حاجات الساكن من الفضلة البالغة على مقدار العمران وكثنته، فيعود على الناس كسباً يتأثر به حسبما ذكر ذلك في فصل المعاش وبيان الرزق والكسب، فيزيد الرفة لنزلة وتسع الأحوال ويجيء الترف والفن وتكثر الجباية للدولة بتفاق الأسواق، فيكثر مالها ويشمخ سلطانها ويتنفس في اتخاذ المعاقل والمحصون واحتياط المدن وتشيد الأنصار.

واعتبر ذلك باقطار المشرق مثل مصر والشام وعرق العجم والمهد والصين وناحية الشمال كلها وأقطارها وراء البحر الروسي لما كثر عمرانها كيف كثر المال فيه وعظمت دولتهم وتعددت مدنهم وحواضرهم وعظمت متاجرهم وأحوالهم. فالذى نشاهد له هذا العهد من أحوال تجارة الأمم النصرانية الوارددين على المسلمين بالقرب في رفههم واتساع أحوالهم أكثر من أن يحيط به الرصف. وكذا تجارة أهل المشرق وما يلتفنا عن أحوالهم وأبلغ منها أحوال أهل المشرق الأقصى من عراق العجم والمهد والصين، فإنه يلتفنا عنهم في باب الغنى والرفة غرائب تسير الركبان مجدهما وربما تلقى بالإنكار في غالب الأمر. ويعجب من يسمعها من العامة أن ذلك لزيادة في مواههم أو لأن المعادن النهبية والفضية أكثر بآرائهم؛ أو لأن ذهب الأقدمين من الأمم استأثروا به دون غيرهم وليس كذلك، فمعدن الذهب الذي تعرفه في هذه الأقطار إنما هو ببلاد السودان وهي إلى المغرب أقرب. وجميع ما في أراضهم من البضااعة فلما يجلبونه إلى غير بلادهم للتجارة. فلو كان المال عتيداً موفراً لديهم لما جلبوا بضائعهم إلى سواهم يبتغون بها

ويحسب الناس إذا سمعوا بفلح الأسعار في قطرهم أنها لقلة الأقوات والحبوب في أرضهم وليس كذلك، فهو أكثر أهل العمور فلحاً فيما علمناه وأقرهم عليه وقل أن يخلو منهم سلطان أو سرقة عن فدان أو مزرعة أو فلاح إلا قليلاً من أهل الصناعات والمهن أو الطراء على الوطن من الغزاة المجاهدين. ولهذا يختصهم السلطان في عطائهم بالغولنة وهي أغواتهم وعلوهاتهم من الزرع. وإنما السبب في غلاء سعر الحبوب عندهم ما ذكرناه.

ولما كانت بلاد البربر بالعكس من ذلك في زكاء منابتهم وطيب أرضهم ارتفعت عنهم المؤن جملة في الفلاح مع كثرته وعمومه، فصار ذلك سبباً لرخص الأقوات بيلدهم، والله مقدر الليل والنهار وهو الواحد القهار لا رب سواه.

### الفصل الثالث عشر

#### في قصور أهل الباية عن سكني مصر الكثیر العمران

والسبب في ذلك أن مصر الكثیر العمران بكثير ترفة كما قدمناه وتكثر حاجات ساكنه من أجل الترف. وتعتاد تلك الحاجات لما يدعى إليها فتتقلب ضرورات وتصير الأعمال فيه كلها مع ذلك عزيمة والمرافق غالبة بازدحام الأغراض عليها من أجل الترف، وبالغارم السلطانية التي تتوضع على الأسواق والبياعات وتعتبر في قيم المبيعات، ويعظم فيها الغلاء في المرافق والأقوات والأعمال، فتتكرر لذلك نفقات ساكنه كثرة باللغة على نسبة عمرانه. ويعظم خرجه فيحتاج حيتان إلى المال الكثير للنفقة على نفسه وعليه في ضرورات عيشهم وسائر مؤئمه.

والبدوي لم يكن دخله كثيراً إذ كان ساكنًا بمكان كاسد الأسواق في الأعمال التي هي سبب الكسب، فلم يتأمل كسباً ولا مالاً فيتعد عليه من أجل ذلك سكني مصر الكبير لغلاء مرافقه وعزه حاجاته. وهو في بيده يسد خلته باقل الأعمال؛ لأنه قليل عوائد الترف في معاشه وسائر مؤئمه فلا يضطر إلى المال؛ وكل من ينشوف إلى مصر وسكناه من الباية فسريراً ما يظهر عجزه

## الفصل الخامس عشر

### في تأثيل العقار والضياع في الأ MCSAR وحال فوائدها ومستغلاتها

اعلم أن تأثيل العقار والضياع الكثيرة لأهل الأ MCSAR والمدن لا يكون دفعه واحدة ولا في عصر واحد، إذ ليس يكون لأحد منهم من الثروة ما يملك به الأموال التي تخرج قيمتها عن الحد ولو بلغت أحوازهم في الرفه ما عسى أن تبلغ. وإنما يكون ملتهم وثائهم لها تدريجياً إما بالوراثة من آبائه وذوي رحمه حتى تأتي أموال الكثرين منهم إلى الواحد وأكثر كذلك، أو أن يكون جهولة الأسواق فإن العقار في أواخر الدولة وأول الأخرى عند فناء الخامسة وخرق السياج وتداعي مصر إلى الخراب تقل الغبطة به لقلة المنفعة فيها بلالشى الأحوال فترخص قيمها وتسلك بالأثمان البسيرة وتختلط باليراث إلى ملك الآخر وقد استجد المهر شابه باستفحال الدولة الثانية وانتظمت له أحواز راقفة حسنة تحصل معها الغبطة في العقار والضياع لكن الغبطة في العقار والضياع لكثرة منافعها حيث، فتعظم قيمها ويكون لها خطراً لم يكن في الأول. وهذا معنى الحرالة فيها ويصبح مالكها من أغنى أهل مصر، وليس ذلك بسعية واكتسابه إذ قدرته تعجز عن مثل ذلك.

وأما فوائد العقار والضياع فهي غير كافية لمالكها في حاجات معاشه إذ هي لا تفي بعوائد الترف وأسبابه، وإنما هي في الغالب لسد الخلة وضرورة المعاش. والذي سمعناه من مشيخة البلدان أن القصد باقتناه الملك من العقار والضياع، إنما هو الخشية على من يترك خلفه من الذرية الضعفاء ليكون مرياحم به ورثتهم فيه ونشؤهم بفائدة ما داموا عاجزين عن الاكتساب، فإذا اقتدوا على تحصيل المكاسب سعوا فيها بأنفسهم وربما يكون من الرلد من يعجز عن التكسب لضعف في بدنـه أو آفة في عقلـه المعاشي، فيكون ذلك العقار قواماً حالـه. هنا قصد المترفين في اقتناـه. وأما التمـول منه وإجراء أحـواز المترـفين فلاـ. وقد يحصل ذلك منه للقلـيل أو النـادر جهـولة الأسـواق وحـصول الكـثرة البـالـفة منه والـعـالي في جـنسـه وقيـمةـه في مصرـ، إلاـ أنـ ذلكـ إذاـ حـصلـ فـربـماـ اـنتـدـتـ إـلـيـهـ أـعـينـ الـأـمـرـاءـ وـالـوـلاـةـ وـاغـتصـبـوهـ فيـ الشـالـبـ أوـ أـرـادـهـ عـلـىـ بـيعـهـ مـنـهـ وـنـالتـ أـصـحـابـهـ مـنـهـ مـضـارـ وـمـعـاطـبـ، وـالـلـهـ غـالـبـ عـلـىـ أمرـهـ وـهـوـ رـبـ العـرـشـ العـظـيمـ.

الأموال ولاستغـلـاـتها عنـ أـموـالـ النـاسـ بـالـجـمـلةـ.

ولقد ذهب المنجمون لما رأوا مثل ذلك واستغـلـوا ما في المـشـرقـ منـ كـثـرةـ الـأـحـوالـ وـاتـسـاعـهـ وـوـفـورـ أـمـوـالـهاـ، فـقـالـواـ بـأنـ عـطـياـ الـكـواـكـبـ وـالـسـهـامـ فيـ موـالـيدـ أـهـلـ المـشـرقـ أـكـثـرـ مـنـهـ حـصـصـاـ فيـ موـالـيدـ أـهـلـ الـمـغـرـبـ، وـذـلـكـ صـحـيـحـ مـنـ جـهـةـ المـطـابـقـةـ بـيـنـ الـأـحـكـامـ الـنـجـوـمـيـةـ وـالـأـحـوـالـ الـأـرـضـيـةـ كـمـاـ قـلـناـهـ، وـهـمـ إـنـماـ أـعـطـواـ فـيـ ذـلـكـ السـبـبـ الـنـجـوـمـيـ وـيـقـيـ عـلـيـهـمـ أـنـ يـعـطـواـ السـبـبـ الـأـرـضـيـ وـهـوـ مـاـ ذـكـرـناـهـ مـنـ كـثـرةـ الـعـمـرـانـ وـاـخـتـصـاصـهـ بـأـرـضـ الـمـشـرقـ وـأـقـطـارـهـ.

وـكـثـرةـ الـعـمـرـانـ تـفـيدـ كـثـرةـ الـكـسـبـ بـكـثـرةـ الـأـعـمـالـ الـتـيـ هـيـ سـبـبـهـ، فـلـذـلـكـ اـخـصـ الـمـشـرقـ بـالـرـفـهـ مـنـ بـيـنـ الـأـفـاقـ لـأـنـ ذـلـكـ طـبـرـ الـأـثـرـ الـنـجـوـمـيـ. فـقـدـ فـهـمـ مـاـ أـشـرـنـاـ لـكـ أـلـأـهـ لـأـنـ لـيـسـ تـسـقـلـ بـذـلـكـ؛ فـإـنـ الـمـطـابـقـةـ بـيـنـ حـكـمـهـ وـعـمـرـانـ الـأـرـضـ وـطـبـيـعـتـهـ أـمـرـ لـأـ بـدـ مـنـهـ.

وـاعـتـرـفـ حالـ هـذـاـ الرـفـهـ مـنـ الـعـمـرـانـ فـقـطـ إـفـرـيقـيـةـ وـبـرـقـةـ لـمـ خـفـ سـاكـنـهـ وـتـنـاقـصـ عـمـرـانـهـ كـيـفـ تـلـاشـتـ أـحـواـلـ أـهـلـهـ وـاتـهـرواـ إـلـىـ الـفـقـرـ وـالـخـصـاصـهـ. وـضـعـفـ جـيـاـيـاتـهـ فـقـلـتـ أـمـوـالـ دـوـلـاـهـ بـعـدـ أـنـ كـانـتـ دـوـلـ دـوـلـ وـكـثـرةـ جـيـاـيـاتـ وـاتـسـاعـ الـأـحـواـلـ فـيـ نـفـقـاتـهـ وـأـعـطـيـاتـهـ. حتـىـ لـقـدـ كـانـتـ الـأـمـوـالـ تـرـفـعـ مـنـ الـقـيـرـوـانـ إـلـىـ صـاحـبـ مـصـرـ لـحـاجـاتـ وـمـهـمـاتـهـ فـيـ غالـبـ الـأـوـقـاتـ، وـكـانـتـ أـمـوـالـ الـدـوـلـ بـجـيـبـ حـلـ جـوـهـرـ الـكـاتـبـ فـيـ سـفـرـهـ إـلـىـ فـتحـ مـصـرـ الـفـلـفـلـ حلـ مـنـ الـمـالـ يـسـتـعـدـهـ لـأـرـزـاقـ الـجـنـودـ وـأـعـطـيـاتـهـ وـنـفـقـاتـ الـغـذاـ. وـقـطـرـ الـمـغـرـبـ - وـإـنـ كـانـ فـيـ الـقـدـيمـ دـوـنـ إـفـرـيقـيـةـ - فـلـمـ يـكـنـ بـالـقـلـيلـ فـيـ ذـلـكـ وـكـانـ أـحـواـلـهـ فـيـ دـوـلـ الـمـوـحـدـيـنـ مـسـعـةـ وـجـيـاـيـاتـهـ مـوـفـرـةـ، وـهـوـ هـذـاـ الـعـهـدـ قـدـ اـقـصـرـ عـنـ ذـلـكـ لـقـصـورـ الـعـمـرـانـ فـيـ وـتـنـاقـصـهـ، فـقـدـ ذـهـبـ مـنـ الـعـمـرـانـ الـبـرـيرـ فـيـ أـكـثـرـهـ وـنـقـصـ عـنـ مـعـهـودـهـ تـقـصـاـ ظـاهـرـاـ عـسـوسـاـ، وـكـادـ أـنـ يـلـحقـ فـيـ أـحـواـلـ بـعـثـلـ أـحـواـلـ إـفـرـيقـيـةـ بـعـدـ أـنـ كـانـ عـمـرـانـ مـتـصـلـاـ مـنـ الـبـرـ الـرـومـيـ إـلـىـ بـلـادـ السـوـدـانـ فـيـ طـولـ مـاـ بـيـنـ السـوـسـ الـأـقـصـيـ وـبـرـقـةـ. وـهـيـ الـيـوـمـ كـلـهـ أـوـ أـكـثـرـهـ قـفـارـ وـخـلـاءـ وـصـحـارـيـ إـلـاـ مـاـ هـوـ مـنـهـ بـسـيفـ الـبـحـرـ أـوـ مـاـ يـقـارـبـهـ مـنـ التـلـوـلـ، وـالـلـهـ وـارـثـ الـأـرـضـ وـمـنـ عـلـيـهـ وـهـوـ خـيـرـ الـوارـثـينـ.

## الفصل السادس عشر

### في حاجات المتمويلين من أهل الأمصار إلى الجاه والمدافعة

دخل تلك الأموال من الرعایا وخرجها في أهل الدولة ثم فیمن تعلق بهم من أهل مصر وهم الأثیر، فتعظم لذلك ثروتهم ويکثر غناهم وتزيد عوائد الترف ومذاهبه وتستحکم لديهم الصناع في سائر فنونه وهذه هي الحضارة. ولهذا نجد الأمصار التي في القاصية ولو كانت موفورة العمراً تغلب عليها أحوال البداءة وتبعد عن الحضارة في جميع مذاهبيها بخلاف المدن المتوسطة في الأقطار التي هي مركز الدولة ومقرها، وما ذاك إلا بجاورة السلطان لهم وفيض أمواله فيهم كالماء يخضر ما قرب منه مما قرب من الأرض إلى أن يتنهى إلى الجفوة على البعد.

وقد قدمنا أن السلطان والدولة سوق للعلم، فالبصائر كلها موجودة في السوق وما قرب منه، وإذا بعثت عن السوق افتقدت البصائر جملة، ثم إنه إذا اتصلت تلك الدولة وتعاقب ملوكها في ذلك مصر واحداً بعد واحد استحکمت الحضارة فيهم وزادت رسوخاً، واعتبر ذلك في اليهود لما طال ملكهم بالشام نحوً من ألف وأربعين سنة رسخت حضارتهم وحققوا في أحوال المعاش وعوائده والتفنن في صناعاته من المطاعم والملابس وسائر أحوال المنزل حتى إنها تؤخذ عنهم في الغالب إلى اليوم. ورسخت الحضارة أيضاً وعوائدها في الشام منهم ومن دولة الروم بعدهم ستمائة سنة فكانوا في غاية الحضارة.

وكذلك أيضاً القبط دام ملوكهم في الخليقة ثلاثة آلاف من السنين، فرسخت عوائد الحضارة في بلدهم مصر، وأعقولهم بها ملك اليونان والروم ثم ملك الإسلام الناسخ للكل. فلم تزل عوائد الحضارة بها متصلة، وكذلك أيضاً رسخت عوائد الحضارة باليمين لاتصال دولة العرب بها منذ عهد العمالقة والتتابعة لآلافاً من السنين وأعقولهم ملوك مصر.

وكذلك الحضارة بالعراق لاتصال دولة النبط والفرس بها من لدن الكلدانيين والكينية والكسرية والعرب بعدهم لآلافاً من السنين، فلم يكن على وجه الأرض لهذا العهد أحضر من أهل الشام وال伊拉克 ومصر.

وكذا أيضاً رسخت عوائد الحضارة واستحکمت بالأندلس لاتصال الدولة العظيمة فيها للقرط ثم ما أعقبها من ملوك بني آية - لآلافاً من السنين، وكانت الدولتين عظيمتين فاتصلت فيها عوائد الحضارة واستحکمت.

واما إفريقية والمغرب فلم يكن بها قبل الإسلام ملوك ضخم، إنما قطع الروم والإفرنجية إلى إفريقية البحر وملكوا الساحل وكانت طاعة البربر أهل الضاحية لهم طاعة غير مستحکمة، فكانوا

وذلك أن الحضري إذا عظم قوله وكثير للعقار والضياع تأله وأصبح أغنى أهل مصر ورمقته العيون بذلك وإنفسحت أحواله في الترف والمعائد، زاحم عليها الأمراء والملوك وغضروا به، ولما في طبع البشر من العداون تندع عليهم إلى ذلك ما يبيده وينافسونه فيه وتحجلون على ذلك بكل مكن حتى يحصلونه في ريبة حكم سلطاني، وسبب من المؤاخذة ظاهر ينتزع به ماله وأكثر الأحكام السلطانية جائرة في الغالب إذ العدل الحضري إنما هو في الخلافة الشرعية وهي قليلة اللبس، قال تعالى: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تعود ملكاً عضوضاً». فلا بد حينئذ لصاحب المال والثروة الشهرة في العمران من حامية تزدود عنه وجاه ينسحب عليه من ذي قرابة للملك أو خالصته له أو عصبية يتحملاها السلطان فيستظل هو بظلها ويرتع في أنها من طوارق التعدي. وإن لم يكن له ذلك أصبح نهباً بوجوه التحيّلات وأسباب الحكم. والله يحكم لا معقب لحكمه.

## الفصل السابع عشر

### في أن الحضارة في الأمصار من قبل الدول وإنما ترسخ باتصال الدولة ورسوخها

والسبب في ذلك أن الحضارة هي أحوال عادية زائدة على الضروري من أحوال العمران زيادة تفاوت بتفاوت الرفة وتفاوت الأمم في القلة والكثرة تفاوتاً غير منحصر وقع فيها عند كثرة التفنن في أنواعها وأصنافها ف تكون بمثابة الصناع، وبخات كل صنف منها إلى القومة عليه المهرة فيه، ويكدر ما يتزد من أصنافها تتزد أهل صناعتها ويتلون ذلك الجيل بها، ومتى اتصلت الأيام وتحاقدت تلك الصناعات حذق أولئك الصناع في صناعتهم ومهروا في معرفتها، والأعصار بطيولها وانفساح أمدها وتكرر أمثلها تزدها استحکاماً ورسوخاً، وأكثر ما يقع ذلك في الأمصار لاستبحار العمران وكثرة الرفة في أهلها. وذلك كله إنما يجيء من قبل الدولة؛ لأن الدولة تجمع أموال الرعية وتفقها في بطانتها ورجالها وتسع أحوالهم بالجاه أكثر من اتساعها بالمال، فيكون

النمة واليسار، وذلك أن الدولة والملك صورة الأخلاقية والعمان وكلها مادة لها من الرعايا والأصارح وسائر الأحوال، وأحوال الجباية عائدة عليهم ويسارهم في الغالب من أسواقهم ومتاجرهم، وإذا أفضى السلطان عطاءه وأمواله في أهلها ابنت فيهم ورجعت إليه ثم إليهم منه، فهي ذاهبة عنهم في الجباية والخرج عائدة عليهم في العطاء، فعلى نسبة حال الدولة يكون يسار الرعايا وعلى نسبة يسار الرعايا وكثرة ي تكون مال الدولة، وأصله كله العمران وكثره، فاعتبره وتأمله في الدول تجده، والله سبحانه وتعالى يحكم ولا معقب لحكمه.

## الفصل الثامن عشر

### في أن الحضارة غاية العمران ونهاية عمره وأنها مؤذنة بفساده

قد بينا لك فيما سلف أن الملك والدول غاية للعصبية، وأن الحضارة غاية للبداوة، وأن العمران كله من بدأوة وحضارة وملك وسقفة له عمر محسوس كما أن الشخص الواحد من أشخاص المكونات عمرًا محسوساً، وتبيّن في المعمول والمقبول أن الأربعين للإنسان غاية في تزايد قرواه وغورها، وأنه إذا بلغ سن الأربعين وفقت الطبيعة عن أثر الشوء والتقو بره ثم تأخذ بعد ذلك في الانحطاط. فلتعلم أن الحضارة في العمران أيضاً كذلك؛ لأنه غاية لازيد وراءها، وذلك أن الترف والنعمة إذا حصل لأهل العمران داعهم بطريق إلى مذاهب الحضارة والتخلق بعوائدها، والحضارة كما علمت هي التفنن في الترف واستجادة أحواله والكلف بالصناعات التي تونق من أصنافه وسائر فنونه كالصناعات المهيّة للمطابخ أو الملابس أو المباني أو الفرش أو الآية ولسائر أحوال المنزل. وللتائق في كل واحد من هذه صنائع كثيرة لا يحتاج إليها عند البداوة وعدم التائق فيها. وإذا بلغ التائق في هذه الأحوال المتزيلة الغاية تبعه طاعة الشهورات فتتلون النفس من تلك العوائد بألوان كثيرة لا يستقيم حالها معها في دينها ولا دينها:

أما دينها فلاستحكام صبغة العوائد التي يعسر نزعها.

واما دينها فالكثرة الحاجات والمؤونات التي تطالب بها العوائد ويعجز الكسب عن الوفاء بها.

وي بيانه أن المصر بالتفنن في الحضارة تعظم ثقفات أهله، والحضارة تتفاوت بتفاوت العمران، فمعنى كان العمران أكثر كانت

على قلعة أوفاز وأهل المغرب لم تجاورهم دولة وإنما كانوا يعيشون بطاعتهم إلى القوط من وراء البحر، ولما جاء الله بالإسلام وملك العرب إفريقياً والمغرب لم يبلغ فيهم ملك العرب إلا قليلاً أول الإسلام، وكانوا لذلك العهد في طور البداوة ومن استقر منهم بأفريقيا والمغرب لم يجد بهم من الحضارة ما يقلد فيه من سلفه، إذ كانوا برابر منغمسين في البداوة ثم انتقم برابرة المغرب الأقصى لأقرب العهود على يد ميسرة المظفر أيام هشام بن عبد الملك ولم يراجعوا أمر العرب بعد واستقلوا بأمر أنفسهم وإن بايعوا لإدريس، فلا تعد دولته فيهم عربية؛ لأن البرابر هم الذين توأموا ولم يكن من العرب، فكان لهم من الحضارة بعض الشيء بما حصل إليهم من العرب، لكن لهم من الحضارة بعض الشيء بما حصل لهم من ترف الملك ونعيمه وكثرة عمران القبروان، وورث ذلك عنهم كثامة ثم صنهاجة من بعدهم، وذلك كله قليل لم يبلغ أربعين سنة وانصرمت دولتهم واستحالات صبغة الحضارة بما كانت غير مستحكمية، وتغلب بدو العرب الملايين عليها وخربوها وبقي أثر خفي من حضارة العمران فيها، ولل هذا العهد يؤنس فيمن سلف له بالقلعة أو القبروان أو المهدية سلف، فتجدد له من أحوال الحضارة في شؤون منزله وعوائده أحواله آثاراً متباينة بغيرها يميزها الحضري البصیر بها، وكذلك في أكثر أمصار إفريقيا وليس ذلك في المغرب وأمساكه لرسوخ الدولة بأفريقيا أكثر أبداً منذ عهد الأغالبة والشيعة وصنهاجة.

وأما المغرب فانتقل إليه منذ دولة المرحدين من الأندلس حظ كبير من الحضارة واستحكمت به عوائدها بما كان لدى هم من الاستيلاء على بلاد الأندلس، وانتقل الكبير من أهلها إلى طرعاً وكرهاً وكانت من اتساع النطاق ما علمت، فكان فيها حظ صالح من الحضارة واستحکامها ومعظمها من أهل الأندلس، ثم انتقل أهل شرق الأندلس عند جالية التنصاري إلى إفريقيا فابتقوا فيها وبأمساكها من الحضارة آثاراً معظمهما بتونس امتنجت بمحضارة مصر وما يقله المسافرون من عوائدها، فكان بذلك للمغرب وأفريقيا حظ صالح من الحضارة عني عليه الخفا ورجع على أعقابه وعاد البربر بالمغرب إلى أديانهم من البداوة والخشونة، وعلى كل حال فآثار الحضارة بأفريقيا أكثر منها بال المغرب وأمساكه لما تداول فيها من الدول السالفة أكثر من المغرب ولقرب عوائدهم من عوائد أهل مصر بكثرة المتزدرين بينهم. ففطن لهذا السر فإنه خفي عن الناس.

واعلم أنها أمور متناسبة وهي حال الدولة في القوة والضعف وكثرة الأمة أو الجبل وعظم المدينة أو مصر وكثرة

في معاشهم بما فسد من أخلاقهم وما تلورنا به من صبغة الشر والسففة، وإذا كثر ذلك في المدينة أو الأمة تاذن الله بمحابيها وانقراضها، وهو معنى قوله تعالى: «وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَهْلِكَ قَرْيَةً أَمْرَنَا مُرْتَفِعَهَا فَقَسَّوْهَا فَحَقَّ عَيْنَاهَا الْقَوْلُ فَدَمْرَنَاهَا تَدَمِرًا».

ووجهه أن مكاسبهم حيثذا لا تغى مجاهاتهم لكثرة العوائد ومطالبة النفس بها فلا تستقيم أحوالهم. وإذا فسدت أحوال الأشخاص واحداً واحداً اختل نظام المدينة وخررت، وهذا معنى ما يقوله بعض أهل الخواص:

إن المدينة إذا كثر فيها غرس التارنج تاذنت بالخراب، حتى إن كثيراً من العامة يتحامى غرس التارنج بالدور طيرياً به. وليس المراد ذلك ولا أنه خاصة في التارنج وإنما معناه أن البساتين وإجراء المياه هو من توسيع الحضارة. ثم إن التارنج والليم والسرور وأمثال ذلك مما لا طعم فيه ولا منفعة هو من غيايات الحضارة، إذ لا يقصد بها في البساتين إلا إشكالها فقط ولا تفرس إلا بعد التفنن في مذاهب الترف. وهذا هو الطور الذي يخشى منه هلاك مصر وخرابه كما قلناه. ولقد قيل مثل ذلك في الدفلة وهو من هذا الباب، إذ الدفلة لا يقصد بها إلا تلور البساتين بنورها ما بين آخر وأبىض وهو من مذاهب الترف.

ومن مفاسد الحضارة أيضاً الإنهماك في الشهوات والاسترسال فيها لكترة الترف، فيقع الفتن في شهورات البطن من المأكولات والملاذ والمشارب وطيتها. ويبيح ذلك الفتن في شهورات الفرج بتنوع المذاهب من الزنا واللوساطة، فيفضي ذلك إلى فساد النوع: إما بواسطة اختلاط الأنساب كما في الزنا، فيجهل كل واحد ابنه، إذ هو لغير رشد، لأن المياه مختلطة في الأرحام، فتفقد الشفقة الطبيعية على البنين والقيام عليهم فيهم فيلهلكون، ويؤدي ذلك إلى انقطاع النوع، أو يكون فساد النوع بغیر واسطة، كما في اللواط إلى انقطاع النوع أو يكون فساد النوع بغیر واسطة كما في اللواط المؤدي إلى عدم النسل رأساً وهو أشد في فساد النوع إذ هو يؤدي إلى أن لا يوجد النوع. والزنا يؤدي إلى عدم ما يوجد منه. ولذلك كان منعه مالك رحمه الله في اللواط أظهر من مذهب غيره، ودل على أنه أبصر بمقاصد الشريعة واعتبارها للمصالح.

فأفهم ذلك واعتبر به أن غاية العمران هي الحضارة والترف، وأنه إذا بلغ غايته اقلبه إلى الفساد وأخذ في المحرر كالأعمال الطبيعية للحيوانات. بل نقول: إن الأخلاق الحاصلة من الحضارة والترف هي عين الفساد؛ لأن الإنسان إنما هو إنسان باقتداره على جلب مكافعه ودفع مضاره واستقامة خلقه للسعى في ذلك. والمضري لا يقدر على مباشرة حاجاته إنما عجزاً لما حصل

بالحضارة أكمل. وقد كنا قدمنا أن المصر الكثير العمران يختص بالغلاء في أسواقه وأسعار حاجاته. ثم تزيدها المكسوس غلاء لأن كمال الحضارة إنما تكون عند نهاية الدولة في استفحالها وهو زمن وضع المكسوس في الدول لكثرة خرجها حيثذا كما تقدم. والمكسوس تعود على البياعات بالغلاء لأن السوقه والتجار كلهم يحتسبون على سلعهم وبضائعهم جميع ما ينفقونه حتى في مؤونة أنفسهم فيكون المكسوس لذلك داخلاً في قيمة المعينات وأثمانها. فتعظم نفقات أهل الحاضرة وتخرج عن القصد إلى الإسراف. ولا يجدون ولجمة عن ذلك لما ملوكهم من أثر العوائد وطاعتها، وتنذهب مكاسبهم كلها في النفقات ويتبعون في الاملاقي والخصوصية ويغلب عليهم الفقر ويقل المستامون للبساطع فتكسر الأسواق وتفسد حال المدينة، وداعية ذلك كله إفراط الحضارة والترف. وهذه مفسدتها في المدينة على العموم في الأسواق والعران.

وأما فساد أهلها في ذاتهم واحداً واحداً على الحصوص، فمن الكد والتعب في حاجات العوائد والتلذون بالآتون الشر في تحصيلها وما يعود على النفس منضرر بعد تحصيلها بمصروف لون آخر من الرانها؛ فلذلك يكثر منهم الفسق والشر والسففة والتحليل على تحصيل المعاش من وجهه ومن غير وجهه. وتصرف النفس إلى الفكر في ذلك والغوص عليه واستجمام الحيلة له فتجدهم أجرياء على الكذب والمقامرة والغش والخلابة والسرقة والفجور في الأعماق والريا في البياعات، ثم تخدمهم -لكترة الشهورات والملاذ الناشطة عن الترف - أبصار بطرق الفسق ومذاهبه والمجاهرة به وبداعيه واطراح الحشمة في المعرض فيه حتى بين الأقارب وذوي الأرحام والمارم الذين تنتهي البداوة الحياة منهم في الإنقاذ بذلك. وتجدهم أيضاً أبصار بال欺ك والخدعية يدفعون بذلك ما عساهم ينالهم من القهوة وما يتقوصونه من العقاب على تلك القبائح، حتى يصير ذلك عادة وخلقاً لا يكرثهم إلا من عصمه الله.

ويموج مجر المدينة بالسفالة من أهل الأخلاق النميمة ويجاريهم فيها كثير من ناشئة الدولة وولدائهم من أهمل عن التأدب وأهملته الدولة من عدادها وغلب عليه خلق الجوار والصحابة وإن كانوا أ أصحابه أهل أنساب وبيوتات، وذلك أن الناس بشر متماثلون، وإنما تقاضلوا وتمايزوا بالخلق واكتساب الفضائل واجتناب الرذائل. فمن استحكمت فيه صبغة الرذيلة بأي وجه كان، وفسد خلق الخير فيه، لم ينفعه زكاء نسبه ولا طيب منيته. ولهذا تجد كثيراً من أعقاب البيوت وذوي الأحساب والأصالة وأهل الدول منظرجين في العمارة متخللين للحرف الدينية

منافاة بين أهل الدولتين وتكثر إحداهما على الأخرى في العوائد والأحوال. وغلب أحد المتأففين يذهب بالباقي الآخر فتكون أحوال الدولة السابقة منكرة عند أهل الدولة الجديدة ومستبشرة وقيمة. وخصوصاً أحوال الترف فقد في عرفهم بنكير الدولة لها حتى تنشأ لهم بالتدريج عوائد أخرى من الترف ف تكون عنها حضارة مستأنفة. فيما بين ذلك قصور الحضارة الأولى ونقصها وهو معنى احتلال العمran في مصر.

**الأمر الثالث:** أن كل أمّة لا بد لها من وطن وهو مشاهم ومنه أولية ملكهم. وإذا ملكوا وطنًا آخر تبعاً للأول، وأمصاله تابعة لأمصال الأول. واتساع نطاق الملك عليهم. ولا بد من توسط الكرسي بين نجوم المالك التي للدولة؛ لأنّه شبه المركز للنطاق فيبعد مكانة عن مكان الكرسي الأول وتهوي أفتدة الناس إليه من أجل الدولة والسلطان فينتقل إليه العمran وينجف من مصر الكرسي الأول. والحضارة إنما هي يوفر العمran كما قدمنا فتقتصر حضارته وتقده. وهو معنى احتلاله. وهذا كما وقع للسلجوقية في عدوهم بكرسيهم عن بغداد إلى أصبهان وللعرب قبلهم في العدول عن المدائن إلى الكوفة والبصرة، ولبني العباس في العدول عن دمشق إلى بغداد، ولبني مرiven بالغرب في العدول عن مراكش إلى فاس. وبالجملة فالخاتمة للدولة الكرسي في مصر بخل بعمان الكرسي الأول.

**الأمر الرابع:** أن الدولة المتتجدة إذا غابت على الدولة السابقة لا بد فيها من تتبع أهل الدولة السابقة وأشياعها بتحولاتهم إلى قطر آخر تومن فيه غالائتهم على الدولة وأكثر أهل مصر الكرسي أشياعيّة الدولة. إما من الحامية الذين نزلوا به أهل الدولة أو من أعيان مصر؛ لأنّهم في الغالب مخالطة للدولة على طبقاتهم وتنوع أصنافهم. بل أكثرهم ناشئ في الدولة فهم شيعة لها. وإن لم يكونوا بالشكوة والمصيبة فهم بالليل والغيبة والعقيدة. وطبيعة الدولة المتتجدة محور آثار الدولة السابقة فتقائهم من مصر الكرسي إلى وطنها المستمكن في مملكتها. بعضهم على نوع التغريب والحبس وبعضهم على نوع الكرامة والتلطيف بحيث لا يؤدي إلى التغرة حتى لا يبقى في مصر الكرسي إلا الباعة والمفلس من أهل الفلاح والعبارة وسراد العامة، وينزل مكانتهم في حامتها وأشياعها من يشتده به مصر، وإذا ذهب من مصر أعيانه على طبقاتهم نقص ساكنه وهو معنى احتلال عمراه. ثم لا بد أن يستجد عمran آخر في ظل الدولة الجديدة وتحصل فيه حضارة أخرى على قدر الدولة. وإنما ذلك بثباته من يملك يثبت داخله البلى والكثير من أوضاعه في بيته ومرافقه لا توافق مقترحه وله قبرة على أوصاف

له من الدعوة أو ترفعاً لما حصل له من المرمى في النعيم والترف وكلا الأمرین ذمیم. وكذلك لا يقدر على دفع المضار واستقامة خلقه للسعی في ذلك. والمحضري بما قد فقد من خلق الباس بالترف والمرمى في قهر التأديب التعليم فهو لذلك عيال على الحامية التي تداعي عنه. ثم هو فاسد أيضاً في دينه غالباً بما أفسد منه العوائد وطاعتھا وما تلوّن به النفس من ملکاتها كما فرناه إلا في الأقل النادر. وإذا فسد الإنسان في قدرته ثم في أخلاقه ودينه فقد فسدت إنسانيته وصار مسخاً على الحقيقة. وبهذا الاعتبار كان الذين يتقدرون من جند السلطان إلى البداؤة والخشونة أنفع من الذين يتربون على الحضارة وخلقها.

هذا موجود في كل دولة. فقد تبين أن الحضارة هي سن الوقوف لعمر العالم من العمran والدول؛ والله سبحانه وتعالى كل يوم هو في شأن لا يشغلنـه شأن عن شأن.

## الفصل التاسع عشر

### في أن الأمصال التي تكون كراسى للملك تحرب بخراب الدولة وانتقامتها

قد استقرينا في العمran أن الدولة إذا اختلت وانتقضت، فإن مصر الذي يكون كرسياً لسلطانها ينتقض عمراه وربما يتباهي في انتقامته إلى الخراب ولا يكاد ذلك يتختلف. والسبب فيه أمرور:

**الأول:** أن الدولة لا بد في أواها من البداوة المقتضية للتجلّي عن أموال الناس وبعد عن التحلّق. ويدعو ذلك إلى تخفيف الجباهة والمغارم. التي منها مادة الدولة فتقتل النفقات ويفسر الترف فإذا صار مصر الذي كان كرسياً للملك في ملکة هذه الدولة المتتجدة ونقصت أحوال الترف فيها نقص الترف فيمن تحت أيديها من أهل مصر؛ لأن العرايا تتبع الدولة فيرجعون إلى خلق الدولة: إما طوعاً لما في طابع البشر من تقليد متبعهم أو كرهاً لما يدعوه إليه خلق الدولة من الانقباض عن الترف في جميع الأحوال وقلة الفوائد التي هي مادة العوائد؛ فقصور لذلك حضارة مصر وينهض منه كثير من عوائد الترف. وهي معنى ما نقول في خراب مصر.

**الأمر الثاني:** أن الدولة إنما يحصل لها الملك والاستيلاء بالغلب، وإنما يكون بعد العداوة والحروب. والعداوة تقتضي

الزجاج والصائغ والدهان والطباخ والصفار والسفاج والفرش والذبائح وأمثال هذه وهي متفاوتة. وبقدر ما تزيد عوائد المضاربة وتستدعي أحوال الترف تحدث صنائع لذلك النوع فتوجد بذلك مصر دون غيره، ومن هذا الباب الحمامات لأنها إنما توجد في الأوصاف المستحضرية المستبرحة العمran لما يدعو إليه الترف والغنى من التنعم؛ ولذلك لا يكون في المدن المتوسطة. وإن نزع بعض الملوك والرؤساء إليها فيختطفها ويجري أحوالها. إلا أنها إذا لم تكن لها داعية من كافة الناس فسرعان ما تهجر وتخرُّب وتقرَّ عنها القومَة؛ لقلة فائدتهم ومعاشهم منها. والله يقْبِضُ ويسط.

## الفصل الحادي والعشرون

### في وجود العصبية في الأوصاف وتقلب بعضهم على بعض

من بين أن الالتحام أو الاتصال موجود في طباع البشر وإن لم يكونوا أهل نسب واحد إلا أنه كما قدمناه أضعف مما يكون بالنسبة، وأنه تحصل به العصبية بعضاً مما تحصل بالنسبة. وأهل الأوصاف كثير منهم متلهمون بالشهر يجذب بعضهم بعضاً إلى أن يكونوا حماماً حاماً وقربة قربة، وتمجد بهم من العداوة والصدقة ما يكون بين القبائل والعشائر مثله ففترقون شيئاً وعصائب، فإذا نزل المهرم بالدولة وتقلص ظل الدولة عن القاصية احتاج أهل أوصافها إلى القيام على أمرهم والنظر في حياة بلدتهم ورجعوا إلى الشورى وغيَّرَ العلية عن السفلة، والنفوس بطابعها متطاولة على القلب والرئاسة قطمطم المشيخة. خلاء الجو من السلطان والدولة القاهرة. إلى الاستبداد وينازع كل صاحبه، ويستوصلون بالأتباع من المولى والشيع والأحلاف وبينلُون ما في أيديهم للأوغاد والأوشاب، فيعرضون كل لصاحبه ويتعنون الغلب لبعضهم، فيعطي على أكفائه ليغضن من أعتهم ويتعهم بالقتل أو التغريب حتى يخضد منهم الشوكات النافذة ويقطم الأظفار الخادشة ويستبدل بمصره أجمع، ويرى أنه قد استحدث ملكاً يورثه عقبه، فيحدث في ذلك الملك الأصفر ما يحدث في الملك الأعظم من عوارض الجلة والمهرم.

وربما يسمو بعض هؤلاء إلى منازع الملك الأعظم أصحاب القبائل والعشائر والفصيات والزحوف والحروب والأقطار والممالك فيتحولون بها من الجلوس على السرير واتخاذ الآلة وإعداد المراكب للسير في أقطار البلد والتختيم والتخييم والخطاب

محصوصة. على تغير تلك الأوضاع وإعادة بنائها على ما يختاره ويقتربه فيخرب ذلك البيت ثم يعيد بناءه ثانية.

وقد وقع من ذلك كثير في الأوصاف التي هي كراسى لذلك وشاهدهنا. وعلمناه «وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْأَئْمَاءَ وَالْهَمَارِ».

والسبب الطبيعي الأول في ذلك على الجملة أن الدولة والملك للعمran بمنابعه الصورة للمادة وهو الشكل الحافظ بنوعه لوجردها. وقد تقرر في علوم الحكمة أنه لا يمكن انفكاك أحدهما عن الآخر. فالدولة دون العمran لا تتصور والعمran دون الدولة والملك متعدد بما في طباع البشر من العدواة الداعي إلى الوازع فتعين السياسة لذلك. أما الشريعة أو الملكية وهو معنى الدولة وإذا كانا لا ينفكان فاحتلال أحدهما مؤثر في احتلال الآخر كما كان عدمه مؤثراً في عدمه، والخلل العظيم إنما يكون من خلال الدولة الكلية مثل دولة الروم أو الفرس أو العرب على العموم أو بني أمية أو بني العباس كذلك. وأما الدولة الشخصية مثل دولة أنورشوان أو هرقل أو عبد الملك بن مروان أو الرشيد فأشخاصها متعاقبة على العمran حافظة لوجوده وبقائه وقريبة الشبه بعضها من بعض، فلا تؤثر كثير احتلال؛ لأن الدولة بالحقيقة الفاعلة في مادة العمran إنما هي العصبية والشوكة وهي مستمرة مع أشخاص الدولة، فإذا ذهبت تلك العصبية ودفعتها عصبية أخرى مؤثرة في العمran فذهبت أهل الشوكة بأجمعهم عظم الخليل كما قررناه أولاً، والله قادر على ما يشاء. «إِنْ يَشَاءُ يَذْهِبُكُمْ وَتَأْتِي بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ».

## الفصل العشرون

### في اختصاص بعض الأوصاف ببعض الصنائع دون بعض

وذلك أنه من بين أن أعمال أهل مصر يستدعي بعضها بعضاً، لما في طبيعة العمran من التعاون وما يستدعي من الأعمال يختص بعض أهل مصر، فيقومون عليه ويستبررون في صناعته ويختصون بوظيفته ويعملون معها في ورثتهم منه لعموم البلوي به في مصر وال حاجة إليه. وما لا يستدعي في مصر يكون غفلاً إذ لا فائدة لمتاحله في الاحتراف به. وما يستدعي من ذلك لضرورة المعاش فيوجد في كل مصر كالطباط والحداد والنجار وأمثالها، وما يستدعي لعوائد الترف وأحواله فإنما يوجد في المدن المستبرحة في العمارة الآخذنة في عوائد الترف والحضارة، مثل

المادة، والذين إنما يستفاد من الشريعة وهي بلسان العرب لما أن الذي تلقيه عربي فوجب هجر ما سوى اللسان العربي من الألسن في جميع مالكها.

واعتبر ذلك في نهي عمر رضي الله عنه عن رطانة الأعاجم وقال: إنها خب، أي مكر وخديعة. فلما هجر الدين اللغات الأعجمية وكان لسان القائمين بالدولة الإسلامية عربياً هجرت كلها في جميع مالكها، لأن الناس تبع للسلطان وعلى دينه، فصار استعمال اللسان العربي من شعائر الإسلام وطاعة العرب. وهجر الأمم لغاتهم واستهم في جميع الأمصار والممالك. وصار اللسان العربي لسانهم حتى رسخ ذلك لغة في جميع أمصارهم ومدنهم وصارت الألسنة العجمية دخلة فيها وغريبة. ثم فسد اللسان العربي بمخالطتها في بعض أحكامه وتغير أو اخره، وإن كان يقى في الدلالات على أصله وسمى لساناً حضرياً في جميع أمصار الإسلام.

وأيضاً فاكثر أهل الأمصار في الملة لهذا العهد من أعقاب العرب المالكين لها، المالكين في ترتفعها بما كانوا العجم الذين كانوا بها وورثوا أرضهم وديارهم، واللغات متوارثة، ففيتلت لغة الأعقاب على حيال لغة الآباء وإن فسدت أحکامها بمخالطة الأعجم شيئاً فشيئاً. وسميت لغتهم حضورية منسوبة إلى أهل الحواضر والأمصار مختلف لغة البدو من العرب، فإنها كانت أعرق فيعروبية، ولما تملك العجم من الدليل والسلجوقة بعدهم بالشرق، وزناته البربر بالمغرب، وصار لهم الملك والاستيلاء على جميع المالك الإسلامية فسد اللسان العربي لنفسه وكاد يذهب لولا ما حفظه من عنابة المسلمين بالكتاب والستة الذين بهما حفظ الدين وصار ذلك مرجحاً لبقاء اللغة العربية المصرية من الشعر والكلام إلا قليلاً بالأمصار عربية، فلما ملك التتر والمغول بالشرق ولم يكونوا على دين الإسلام ذهب ذلك المرجع وفسدت اللغة العربية على الإطلاق ولم يبق لها رسم في المالك الإسلامية بالعراق وخراسان وببلاد فارس وأرض الهند والستان وما وراء النهر وببلاد الشمال وببلاد الروم وذهبت أساليب اللغة العربية من الشعر والكلام إلا قليلاً يقع تعليمها صناعياً بالقوانين المدارسة من علوم العرب وحفظ كلامهم لمن يسره الله تعالى لذلك. وربما بقيت اللغة العربية المصرية بمصر والشام والأندلس والمغرب بقاء الذين طلبوا لها فانخفضت بعض الشيء، وأما في مالك العراق وما وراءه فلم يبق له أثر ولا عين حتى إن كتب العلوم صارت تكتب

بالتهويل وما يسخر منه من يشاهد أحوالهم لما اتحلوه من شارات الملك التي ليسوا لها بأهل، إنما دفعهم إلى ذلك تخلص الدولة والتحام بعض القرابات حتى صارت عصبية. وقد ينتهز بعضهم عن ذلك ويجري على منذهب السذاقة فراراً من العريض بنفسه للسخرية والعبث. وقد وقع هذا باتفاقية لهذا المهد في آخر الدولة الحفصية لأهل بلاد الجريد من طرابلس وقباس وتوزر وقطنة وقصبة ويسكرة والزاب وما إلى ذلك. سموا إلى مثلاها عند تخلص ظل الدولة عنهم منذ عقود من السنين فاستغلوا على أمصارهم واستبدوا بأمرها على الدولة في الأحكام والجباية. وأعطوا طاعة معروفة وصفقة مرضية وأقطعوها جانبًا من الملاينة والملائفة والانقياد وهم يعزلون عنه. وأورثوا ذلك أعقابهم لهذا العهد. وحدث في خلقهم من الغلظة والتتجبر ما يحدث لأعقاب الملوك وخلفهم، ونظموا أنفسهم في عداد السلاطين على قرب عهدهم بالسوقة حتى حا ذلك مولانا أمير المؤمنين أبو العباس وانتزع ما كان يأيديهم من ذلك كما نذكره في أخبار الدولة. وقد كان مثل ذلك وقع في آخر الدولة الصنهاجية. واستقل بأمصار الجريد أهلها واستبدوا على الدولة حتى انتزع ذلك منهم شيخ المرحدين وملكيهم عبد المؤمن بن علي وقلهم كلهم من إماراتهم بها إلى المغرب وما من تلك البلاد آثارهم كما نذكر في أخباره. وكذا وقع بسبعة لآخر دولة بي عبد المؤمن.

وهذا التغلب يكون غالباً في أهل السروات والبيوت المرشحين للمشيخة والرئاسة في مصر، وقد حدث التغلب لم بعض السفلة من الغوغاء والدهماء. وإذا حصلت له المصيبة والالتحام بالأوغاد لأسباب يجرها له المقدار فيغلب على المشيخة والعالية إذا كانوا فاقدين للعصابة، والله سبحانه وتعالى غالب على أمره.

## الفصل الثاني والعشرون

### في لغات أهل الأمصار

اعلم أن لغات أهل الأمصار إنما تكون بلسان الأمة أو الجيل التالين عليها أو المختطبين لها؛ ولذلك كانت لغات أهل الأمصار الإسلامية كلها بالشرق والمغرب لهذا العهد عربية وإن كان اللسان العربي المضري قد فسدت ملكته وتغير إعرابه؛ والسبب في ذلك ما وقع للدولة الإسلامية من الغلبة على الأمم والدين والملة صورة للوجود وللملك. وكلها مواد له الصورة مقدمة على

باللسان العجمي وكذا تدریسه في المجالس والله أعلم بالصواب.  
والله مقدر الليل والنهار. صلى الله على سيدنا محمد وآله  
وصحبه وسلم تسليماً كثيراً دائماً أبداً إلى يوم الدين والحمد لله  
رب العالمين.

به متفع، وبالنسبة إلى الوارثين متى انتفعوا به يسمى رزقاً. هنا حقيقة مسمى الرزق عند أهل السنة، وقد اشترط المعتزلة في تسميتها رزقاً أن يكون بحيث يصح تلوكه وما لا يملك عنده فلا يسمى رزقاً، وأخرجوا الفضوليات والحرام كله عن أن يسمى شيء منها رزقاً، والله تعالى يرزق الغاصب والظالم والمؤمن والكافر وبخاصة برحمته وهدايته من يشاء. ولم يم في ذلك حجج ليس هذا موضع بسطها.

ثم أعلم أن الكسب إنما يكون بالسعى في الاقتناء والقصد إلى التحصيل، فلا بد في الرزق من سعي وعمل ولو في تناوله وابتغائه من وجوهه. قال تعالى: **﴿فَأَبْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾** والمعنى إليه إنما يكون بأقدار الله تعالى وإلهامه، فالكل من عند الله. فلا بد من الأعمال الإنسانية في كل مكسب ومتمول: لأنه إن كان عملاً بنفسه مثل الصنائع ظاهرة، وإن كان مقتني من الحيوان أو النبات أو المعدن فلا بد فيه من العمل الإنساني كما تراه ولا لم يحصل ولم يقع به انتفاع.

ثم إن الله تعالى خلق الحجرين المعديين من الذهب والفضة قيمة لكل متمول، وهذا الذخيرة والفتنة لأهل العالم في الغالب. وإن اقتني سوادها في بعض الأحيان فائضاً هو لقصد تحصيلهما بما يقع في غيرهما من حوالات الأسواق التي مما عنها يعزل فيما أصل المكاسب والفتنة والذخيرة. وإذا تقرر هذا كله فاعلم أن ما يفيده الإنسان ويقتنيه من التمولاًات إن كان من الصنائع، فالمقاد المقتني منه وهو قيمة عمله وهو القصد بالفتنة، إذ ليس هناك إلا العمل وليس يقصد بنفسه للفتنة. وقد يكون مع الصنائع في بعضها غيرها مثل التجارة والخيالة معهمما الخشب والغزل إلا أن العمل فيها أكثر، قيمتها أكثر، وإن كان من غير الصنائع فلا بد من قيمة ذلك المقاد والفتنة من دخول قيمة العمل الذي حصلت به، إذ لو لا العمل لم تحصل قيمتها. وقد تكون ملاحظة العمل ظاهرة في الكبير منها فتجعل له حصة من القيمة عظمت أو صغرت. وقد تختفي ملاحظة العمل كما في أسعار الأقواس بين الناس، فإن اعتبار الأعمال والنفقات فيها ملاحظة في أسعار الحبوب كما قدمناه، لكنه خفي في الأقطار التي علاج الفلح فيها ومؤونته سيرة، فلا يشعر به إلا القليل من أهل الفلح. فقد تبين أن المقادات والمكتسبات كلها أو أكثرها إنما هي قيم الأعمال الإنسانية وتبيّن مسمى الرزق وأنه المتفع به. فقد بان معنى الكسب والرزق وشرح مساعها.

واعلم أنه إذا قدرت الأعمال أو قلت باتفاق الصارعان تاذن الله برفع الكسب، إلا ترى إلى أمصار القليلة الساكن كيف

## الباب الخامس

### في المعاش ووجهه من الكسب والصناعات وما

يعرض في ذلك كله من الأحوال

وفي مسائل

## الفصل الأول

### في حقيقة الرزق والكسب وشرحها وأن الكسب هو قيمة الأعمال البشرية

اعلم أن الإنسان مفتقر بالطبع إلى ما يقوته ويمرنه في حالاته وأطواره من لدن نشوئه إلى أشدده إلى كبره **﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفَقَرَاءُ﴾** والله سبحانه خلق جميع ما في العالم للإنسان وأهداه عليه في غير ما آية من كتابه فقال: **﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا تَأْتِي فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ﴾** و**﴿سَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْجَرَ﴾** **﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ﴾** وسخر لكم الأعماء وكثير من شواهده. ويد الإنسان مبسوطة على العالم وما فيه مما جعل الله له من الاستخلاف. وأيدي البشر منتشرة فهي مشتركة في ذلك. وما حصل عليه يد هذا امتنع عن الآخر إلا بعوض. فالإنسان متى اقتدر على نفسه وتجاوز طور الضعف سعى في اقتناء المكاسب ليتفق ما آتاه الله منها في تحصيل حاجاته وضروراته بدفع الأعواض عنها. قال الله تعالى: **﴿فَأَبْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾**.

وقد يحصل له ذلك بغير سعي كالملط المصلح للزراعة وأمثاله. إلا أنها إنما تكون معيبة ولا بد من سعيها كما يأتي فتكون له. تلك المكاسب معافياً إن كانت بقدر الضرورة وال الحاجة ورياشاً ومتمولأً إن زادت على ذلك. ثم إن ذلك الحال على المقتني إن عادت مفعته على العبد وحصلت له ثمرة من إتفاقه في مصالحه وحاجاته سمى ذلك رزقاً. قال تعالى: **﴿إِنَّا لِكَ مِنْ مَالِكَ مَا أَكَلْتَ فَأَنْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَلَبِلْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ﴾** وإن لم يتفع به في شيء من مصالحه ولا حاجاته فلا يسمى بالنسبة إلى المالك رزقاً والمتملك منه حيث يتدبر العبد وقدرته يسمى كسباً. وهذا مثل الترات فإنه يسمى بالنسبة إلى المالك رزقاً، والمتملك منه حيث يتدبر العبد وقدرته يسمى كسباً. وهذا مثل الترات، فإنه يسمى إلى الحال كسباً ولا يسمى رزقاً إذ لم يحصل له

إلى ذكرها، وقد تقدم شيء من أحوال الجبابارات السلطانية وأهلها في الفصل الثاني.

وأما الفلاحة والصناعة والتجارة فهي وجوه طبيعية للمعاش، أما الفلاحة فهي متقدمة عليها كلها بالذات إذ هي بسيطة وطبيعية فطرية لا تحتاج إلى نظر ولا علم؛ وهذا تسبب في الخلقة إلى آدم أبي البشر وأنه معلمها والقائم عليها إشارة إلى أنها أقدم وجوه المعاش وأنسابها إلى الطبيعة.

وأما الصنائع فهي ثانيتها ومتاخرة عنها لأنها مركبة وعلمية تصرف فيها الأفكار والأنظار؛ وهذا لا يوجد غالباً إلا في أهل الحضر الذي هو متاخر عن البدو وثان عنه. ومن هذا المعنى نسبت إلى إدريس الألب الثاني للخلقة فإنه مستبطها لمن بعده من البشر بالروحى من الله تعالى.

وأما التجارة وإن كانت طبيعية في الكسب فالأكثر من طرقها ومذاهبها، إنما هي تحيلات في الحصول على ما بين القيمتين في الشراء والبيع لتحصل فائدة الكسب من تلك الفضلة. ولذلك أباح الشرع فيه المكافحة لما من باب المقارنة إلا أنه ليس أخذنا للمال الغير مجاناً لهلذا اختص بالشرعية. والله أعلم.

### الفصل الثالث

#### في أن الخدمة ليست من المعاش الطبيعي

اعلم أن السلطان لا بد له من اتخاذ الخدمة في سائر أبواب الإمارة والملك الذي هو بسيطه من الجندي والشرطي والكاتب. ويستكفي في كل باب من يعلم غناه فيه، ويتکفل بآرائهم من بيت ماله. وهذا كله مندرج في الإمارة ومعاشها إذ كلهم ينسحب عليهم حكم الإمارة، والملك الأعظم هو ينبع جداولهم. وأما ما دون ذلك من الخدمة، فسببها أن أكثر المترفين يترفع عن مباشرة حاجاته، أو يكون عاجزاً عنها، لما ربي عليه من خلق التعمق والترف؛ فيتخد من يتول ذلك له، ويقطنه عليه أجرأ من ماله. وهذه الحالة غير محض الرجولية الطبيعية للإنسان، إذ الثقة بكل أحد عجز، ولأنها تزيد في الوظائف والخرج وتدل على العجز والذئب اللذين ينبغي في مذاهب الرجولية التزه عنهما. إلا أن العوائد تقلب طباع الإنسان إلى مألفها، فهو ابن عوائه لا ابن نسبة، ومع ذلك فالخديم الذي يستكفي ويرثى بعثاته كالملقبون، إذ الخديم القائم بذلك لا يعدو أربع حالات: إما مضططع بأمره ولا موثوق فيما يحصل بيده؛ إما بالعكس فيهما،

يقل الرزق والكسب فيها أو يفقد لقلة الأعمال الإنسانية، وكذلك الأنصار التي يكون عمرانها أكثر يكون أهلها أوسع أحوالاً وأشد رفاهية كما قدمتها قبل، ومن هذا الباب تقول العامة في البلاد إذا تنقص عمرانها إنها قد ذهب رزقها حتى أن الآثار والعيون ينقطع جريها في الفقر لما أن فور العيون إنما يكون بالأنبات والامراء الذي هو بالعمل الإنساني كالحال في ضرورة الأنعام، فما لم يكن إنبات ولا امراه نضبت وغارت بالجملة كما ييفضرع إذا ترك امراه. وانظر في البلاد التي تعهد فيها العيون لأيام عمرانها ثم يأتي عليها الخراب كيف تغير مياهاها جلة كأنها لم تكون **«وَاللَّهُ يُفَرِّطُ اللَّيلَ وَالنَّهَارَ»**.

### الفصل الثاني

#### في وجوه المعاش وأصنافه ومذاهبه

اعلم أن المعاش هو عبارة عن انتقاء الرزق والسعى في تحصيله وهو مفعول من العيش. كانه لما كان العيش الذي هو الحياة لا يحصل إلا بهذه جعلت موضعها على طريق المبالغة ثم إن تحصيل الرزق وكسبه: إما أن يكون بأذنه من يد الغير وانتزاعه بالاقتدار عليه على قانون متعارف ويسرى مغرماً وجباراً.

واما أن يكون من الحيوان الوحشي باقتناصه وأذنه برميه من البر أو البحر ويسرى اصطياداً.

واما أن يكون من الحيوان الداجن باستخراج فضوله المتصرفة بين الناس في مนาفهم، كالذئب من الأنعام والحرير من دوده والعمل من محله، أو يكون من النبات في الزرع والشجر بالقيام عليه وإعداده لاستخراج ثمرته ويسرى هذا كله فلحراً.

واما أن يكون الكسب من الأفعال الإنسانية: إما في مسود بعضها ويسرى الصنائع من كتابة وتجارة وخياطة وحباكة وفروسيه وأمثال ذلك، أو في مواد غير معينة وهي جميع الامتهانات والتصحرفات، وإما أن يكون الكسب من البضائع وإعدادها للأغراض، إما بالنقلب بها في البلاد أو احتكارها وارتفاع حواله الأسواق فيها. ويسرى هذا تجارة.

فهذه وجوه المعاش وأصنافه وهي معنى ما ذكره المحققون من أهل الأدب والحكمة كالحريري وغيره، فلأنهم قالوا: المعاش إمارة وتجارة وفلاحة وصناعة.

فاما الإمارة فليست بمذهب طبيعي للمعاش فلا حاجة بنا

أو معموراً بالدينار، أو يشارف الأموال والجواهر موضوعة والحرس دونها متضيّن سيرفهم، أو تميد به الأرض حتى يظنه خسفاً أو مثل ذلك من المفتر.

ونجد كثيراً من طلبة البرير بالغرب العاجزين عن المعاش الطبيعي وأسبابه يتقدرون إلى أهل الدنيا بالأوراق المخربة الحواشى إما بخطوط عجمية أو بما ترجم بزعمهم منها من خطوط أهل الدفائن بإعطاء الأمارات عليها في أماكنها يتغدون بذلك الرزق منهم بما يعيشونهم على الخفر والطلب، ويجهرون عليهم بأنهم إنما حملهم على الاستعانت بهم طلب الجاه في مثل هذا من مثال الحكم والعقوبات. وربما تكون عند بعضهم نادرة أو غريبة من الأعمال السحرية يموه بها على تصديق ما يقى من دعواه وهو بمعرض عن السحر وطرقه، فتولع كثير من ضعفاء العقول بجمع الأيدي على الاحتقار والستر فيه بظلمات الليل خفافة الرقباء وعيون أهل الدول، فإذا لم يعشروا على شيء ردوا ذلك إلى الجهل بالطلسم الذي ختم به على ذلك المال يخدعون به أنفسهم عن إخفاق مطامعهم. والذي يجعل على ذلك في الغالب زيادة على ضعف العقل، إنما هو العجز عن طلب المعاش بالوجه الطبيعية للكسب من التجارة والفلح والصناعة فيطلبون بالوجه المترافق وعلى غير المجرى الطبيعي من هذا وأمثاله؛ عجزاً عن السعي في المكاسب وركونا إلى تناول الرزق من غير تعب ولا نصب في تحصيله واكتسابه ولا يعلمون أنهم يرعون أنفسهم بابتغاء ذلك من غير وجهه في نصب ومتاعب وجهد شديد أشد من الأول ويعرضون أنفسهم مع ذلك لمن العقوبات.

وربما يحمل على ذلك في الأكثر زيادة الترف وعوانده وخرجوها عن حد النهاية حتى تقصّر عنها وجوه الكسب ومذاهبه ولا تفي بمعطاليها. فإذا عجز عن الكسب بالمرجع الطبيعي لم يجد ولجة في نفسه إلا التغى لوجود المال العظيم دفعة من غير كلفة ليجيء له ذلك بالعوائد التي حصل في أسرها فيحرص على ابتغاء ذلك ويسعى فيه جهده؛ وهذا فاكثر من تراهم يحرصون على ذلك هم المتوفون من أهل الدولة ومن سكان الأنصار الكثيرة الترف المتسعة الأحوال مثل مصر وما في معناها، فنجد الكثير منهم مغرين بابتغاء ذلك وتقصيله ومسامة الركبان عن شواذة كما يحرصون على الكيمياء، هكذا يلقتنا عن أهل مصر في مفاوضة من يلقونه من طلبة المغاربة لعلهم يعشرون منه على دفين أو كنز ويزيدون على ذلك البحث عن تغور المياه لما يرون أن غالباً هذه الأموال الدفينة كلها في مجاري النيل، وأنه أعظم ما يستر دفيناً أو مختزناً في تلك الآفاق ويسوه عليهم أصحاب تلك

وهو أن يكون غير مضططع بأمره وموثوق فيما يحصل بيده، وإنما بالعكس في إحداهما فقط، مثل أن يكون مضططعاً غير موثوق أو موثقاً غير مضططع.

فاما الأول: وهو المضططع الموثوق، فلا يمكن أحد استعماله برجه، إذ هو باضطلاعه وفتحه غي عن أهل الرتب الذئبة ومحتر لمنال الأجر من الخدمة، لقدرته على أكثر من ذلك، فلا يستعمله إلا الأمراء أهل الجاه العربيض، لعموم الحاجة إلى الجاه.

واما الصنف الثاني: وهو ليس بمضططع ولا موثوق، فلا ينبغي لعاقل استعماله، لأنّه يجحف بمحظوظه في الأمرين معاً، فضيّع عليه لعدم الاصطناع تارة، وينهض ماله بالحياة أخرى، فهو على كل حال كل على مولاً.

فهذا الصنفان لا يطبع أحد في استعمالهما. ولم يبق إلا استعمال الصنفين الآخرين: موثوق غير مضططع، ومضططع غير موثوق. وللناس في الترجيح بينهما مذهبان، وكل من الترجيحين وجه. إلا أن المضططع، ولو كان غير موثوق أرجح لأنه يؤمّن من تضييعه، ويحاول على التحرز عن خيانته جهد الاستطاعه. وأما المضيّع ولو كان مأموناً، فضرره بالتضييع أكثر من نفعه. فاعلم ذلك واتخذه قاترنا في الاستكفاء بالخدمة. والله سبحانه وتعالى قادر على ما يشاء.

## الفصل الرابع

### في أن ابتغاء الأموال من الدفائن والكتوز ليس بمعاش طبيعي

اعلم أن كثيراً من ضعفاء العقول في الأنصار يحرصون على استخراج الأموال من تحت الأرض ويغدون الكسب من ذلك. ويعتقدون أن أموال الأمم السالفة مختزنة كلها تحت الأرض ختوم عليها كلها بطلاسم سحرية. لا يفضّل خاتمامها ذلك إلا من عثر على علمه واستحضر ما يحمله من البخور والدعاء والقريان.

فأهل الأنصار بافريقية يرون أن الإفرنجية الذين كانوا قبل الإسلام بها دفنتوا أموالهم كذلك وأودعوها في الصحف بالكتاب إلى أن يجدوا السبيل إلى استخراجها. وأهل الأنصار بالشرق يرون مثل ذلك في أصم القبط والروم والفرس. ويتناقلون في ذلك أحاديث تشبه حديث خرافة من انتهاء بعض الطالبين لذلك إلى حفر موضع المال من لم يعرف طلسمه ولا خبره، فيجدونه خالياً

الدفاتر المقلعة في الاعتدار عن الوصول إليها بغيرية الليل تستراً خبراً.

واعلم أن الكتوز وإن كانت توجد لكنها في حكم النادر على وجه الاتفاق لا على وجه القصد إليها. وليس ذلك بأمر تعم به البلوى حتى يدخل الناس غالباً أمرأهم تحت الأرض ويختسون عليها بالطلاسم لا في القديم ولا في الحديث.

والراكاز الذي ورد في الحديث وفرضه الفقهاء وهو دفين الجاهلية إنما يوجد بالعثور والاتفاق لا بالقصد والطلب، وأيضاً فمن اختزن ماله وختم عليه بالأعمال السحرية فقد بالغ في إخفائه، فكيف ينصب عليه الأدلة والأamarات لمن يتبنّيه! ويكتب ذلك في الصحف حتى يطلع على ذخيرته أهل الأمصار والأفاق؟! هذا ينافق قصد الإخفاء. وأيضاً فأعمال العلاء لا بد وأن تكون لغرض مقصود في الانتفاع. ومن اختزن المال فإنه يختزنه لولده أو قريبه أو من يوثره. وأما أن يقصد إخفاءه بالكلية عن كل أحد وإنما هو للبلاء والهلاك أو لمن لا يعرفه بالكلية من سينائي من الأمم فهذا ليس من مقاصد العلاء بوجه.

وأما قوله: أين أموال الأمم من قبلنا وما علم فيها من الكثرة والوفر؟ فاعلم أن الأموال من الذهب والفضة والجواهر والألمعنة إنما هي معادن ومكاسب مثل الحديد والنحاس والرصاص وسائر العقارات والمعادن. والعمران يظهرها بالأعمال الإنسانية ويزيد فيها أو ينقصها، وما يوجد منها بآيدي الناس فهو متناقل متواتر، وربما انتقل من قطر إلى قطر ومن دولة إلى أخرى محسب أغراضه. والعمران الذي يستدعى فيه نقص المال في المغرب وإفريقيا فلم ينقص بلاد الصقالبة والإفرنج، وإن نقص في مصر والشام فلم ينقص في الهند والصين. وإنما هي الآلات والمكاسب والعمران يوفرها أو ينقصها، مع أن المعادن يدركها البلاء كما يدرك سائر الموجودات ويسرع إلى اللذلؤ والجرهر أعظم مما يسرع إلى غيره. وكذا الذهب والفضة والنحاس والجديد والرصاص والقصدير ينالها من البلاء والفناء ما يذهب بأعيانها لأقرب وقت.

واما ما وقع في مصر من أمر المطالب والكتوز فسيبه أن مصر كانت في ملكة القبط منذ آلاف أو يزيد من السنين، وكان موتاهم يدفنون بموجودهم من الذهب والفضة والجواهر والآلئ على مذهب من تقدم من أهل الدول، فلما انقضت دولة القبط على ملوك الفرس بلادهم نفروا على ذلك في قبورهم وكشفوا عنه فأنخلوا من قبورهم ما لا يوصف: كالأهرام من قبور الملك وغيرها. وكذا فعل اليونانيون من بعدهم وصارت قبورهم مظنة لذلك لهذا العهد. ويُعثر على الدفائن فيها في كثير من الأوقات. أما

بذلك من الكذب حتى يحصل على معاشه فيحرص سامي ذلك منهم على نضوب الماء بالأعمال السحرية لتحصيل مبتغاهم من هذه كلّها بشأن السحر، متوارثًا في ذلك القطر عن أوليه، فعلمونهم السحرية وأثارها باقية بارضهم في البراري وغيرها. وقصة سحرة فرعون شاهدة باختصاصهم بذلك، وقد تناقل أهل المغرب قصيدة ينسبونها إلى حكماء المشرق تعطي فيها كيفية العمل بالتفجير بصناعة سحرية حسبما تراه فيها وهي هذه:

يسا طالباً للسر في التغوير اسمع كلام الصدق من خبر  
دع عنك ما قد صنعوا في كتهم من قول بهتان ولفظ غرور  
واسمع لصدق مقاتلي ونصحيتي إن كنت من لا يرى بالزور  
فإذا أردت تغور البذر السي حارت لها الأوهام في التدبير  
صور كصورتك التي أوقفتها والراس الشبل في التغوير  
في الدلر يتشل من قرار البير عدد الطلاق أحذر من التكثير  
ويصلوه هاء كما عايتهاها ويطا على الطاءات غير ملامس  
مشي الليب الكيس التغوير  
ويكون حول الكل خط دائري  
وأقصده عقب النبع بالتبخير  
والقطط والبسه بشوب حرير  
لا انحضر فيه ولا تكثير  
او انحر او اصر لا ازرق  
ويشده خيطان صوف ايض  
والطالع الأسد الذي قد ينسوا  
ويكون بهذه الشهير غير منير  
والبلدر متصل بسعد عطارد في يوم سبت ساعة التدبير

يعني أن تكون الطاءات بين قدميه كأنه يعشى عليها، وعندى أن هذه القصيدة من غوريهات المتخرفين، فلهما في ذلك أحوال غريبة واصطلاحات عجيبة وتنتهي التخرفة والكذب بهم إلى أن يسكنوا المنازل المتهورة والدور المعروفة بتشل هذه ويخفرون بها الحفر ويضعون فيها المطابق والشواهد التي يكتبوها في صحائف كذبهم، ثم يقصدون ضعفاء العقول بامثال هذه الصحف ويعثرون على اكتراء ذلك المنزل وسكناه ويروهمون أن به دفينا من المال لا يعبر عن كثرته ويطالبونه بماله لأشتاء العاقير والبخورات لحل الطلاسم، ويدعونه بظهور الشواهد التي قد أعدوها هنا لك بأنفسهم ومن فعلهم، فينبغي لما يراه من ذلك وهو قد خدع وليس عليه من حيث لا يشعر، وبينهم في ذلك اصطلاح في كلامهم يلبسون به عليهم ليخفى عند حماورتهم فيما يتناولونه من حفر وبخور، وذبح حيوان وأمثال ذلك.

واما الكلام في ذلك على الحقيقة فلا أصل له في علم ولا

والمدن. وفي البدو يسعى لهم الناس في الفلاح والنجس وكل قاعد يمتهله لا يبرح من مكانه فينتمي ماله ويعظم كسبه ويتأمل الغنى من غير سعي، ويعجب من لا يفطن لهذا السر في حال ثروته وأسباب غناه ويساره، والله سبحانه وتعالى يرزق من يشاء بغير حساب.

## الفصل السادس

### في أن السعادة والكسب إنما يحصل غالباً لأهل الخصوص والتسلق وإن هذا الخلق من أسباب السعادة

قد سبق لنا فيما سلف أن الكسب الذي يستفيده البشر إنما هو قيم أعمالهم، ولو قدر أحد عطل عن العمل جلة لكان فاقد الكسب بالكلية. وعلى قدر عمله وشرفه بين الأعمال وحاجة الناس إليه يكون قدر قيمةه. وعلى نسبة ذلك إلى كسبه أو نقصانه. وقد بينا آنما أن الجاه يفيد المال لما يحصل لصاحب من تقرب الناس إليه بأعمالهم وأموالهم في دفع المضار وجلب النافع. وكان ما يتقررون به من عمل أو مال عوضاً عما يحصلون عليه بسبب الجاه من الأغراض في صالح أو طالع. وتصير تلك الأعمال في كسبه وقيمة أموال وثروة له، فيستفيد الغنى واليسار لأقرب وقت. ثم إن الجاه متوزع في الناس ومتربط بهم طبقة بعد طبقة يتهمي في العلو إلى الملوك الذين ليس فوقهم يد عالية وفي السفل إلى من لا يملك ضراً ولا نفعاً بين أبناء جنسه وبين ذلك طبقات متعددة حكمة الله في خلقه مما يتضمن معاشهم وتثير مصالحهم ويتم بقاوئهم؛ لأن النوع الإنساني لما كان لا يتم وجوده وبقاوئه إلا بتعاون أبنائه على مصالحهم، لأنه قد تقرر أن الواحد منهم لا يتم وجوده وأنه وإن ندر ذلك في صورة مفروضة لا يصح بقاوئه. ثم إن هذا التعاون لا يحصل إلا بالإكراه عليه بجهلهم في الأكثر بمصالح النوع وما جعل لهم من الاختيار، وأن أفعالهم إنما تصدر بالتفكير والرواية لا بالطبع. وقد يمتنع من المعاونة فيتعين حمله عليها فلا بد من حامل يكره أبناء النوع على مصالحهم لسم الحكمة الإلهية فيبقاء هذا النوع. وهذا معنى قوله تعالى: **﴿وَرَعَتْنَا بَعْضُهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ ذَرَجَاتٍ لِتَتَسْلُجَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةً رَيْكَ خَيْرٌ مَا يَجْتَمِعُونَ﴾**.

فقد تبين أن الجاه هو القدرة الحاملة للبشر على التصرف فيمن تحت أيديهم من أبناء جنسهم بالإذن والمنع والتسلط بالقهر والغلبة، ليحملهم على دفع مصالحهم وجلب مناقفهم في العدل بالحكام الشرائع والسياسة وعلى أغراضه فيما سوى ذلك، ولكن

ما يدفونه من أموالهم أو ما يكرمون به متواهم في الدفن من أوعية وتوابيت من الذهب والفضة معدة لذلك فصارت قبور القبط منذ آلاف من السنين مظنة لوجود ذلك فيها. فلذلك عني أهل مصر بالبحث عن المطالب لوجود ذلك فيها واستخراجها. حتى إنهم حين ضربت المكوس على الأصناف آخر الدولة ضربت على أهل المطالب. وصارت ضريبة على من يشتغل بذلك من الحمقى والمهوسين فوجد بذلك المتعاطون من أهل الأطماع الذريعة إلى الكشف عنه والنزع باستخراجه وما حصلوا إلا على الخيبة في جميع مسامعهم نعوذ بالله من الخسارة، فيحتاج من وقع له شيء من هذا الوسواس أو ابالي به أن يتغدو بالله من العجز والكسل في طلب معاشة كما تغدو رسول الله ﷺ من ذلك وينصرف عن طرق الشيطان ووسواسه ولا يشغل نفسه بالحالات والمكاذب من الحكایات **﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾**.

## الفصل الخامس

### في أن الجاه مفيد للمال

وذلك أنا نجد صاحب المال والمظورة في جميع أصناف المعاش أكثر يسراً وثروة من فاقد الجاه. والسبب في ذلك أن صاحب الجاه متذوق بالأعمال يقترب بها إليه في سبيل التزلف وال حاجة إلى جاهه، فالناس معينون له بأعمالهم في جميع حاجاته من ضروري أو حاجي أو كمال، فتحصل قيم تلك الأعمال كلها من كسبه وجميع ما شأنه أن تبذل فيه الأعواض من العمل يستعمل فيها الناس من غير عوض، فتتوفر قيم تلك الأعمال عليه. فهو بين قيم للأعمال يكتسبها وقيم أخرى تدعوه الضرورة إلى إخراجها فتتوفر عليه. والأعمال لصاحب الجاه كثيرة فتفيد الغنى لأقرب وقت ويزداد مع الأيام يسراً وثروة. ولهذا المعنى كانت الإمارة أحد أسباب المعاش كما قدمناه وفاقد الجاه بالكلية ولو كان صاحب مال فلا يكون يساره إلا بمقدار ماله وعلى نسبة سعيه وهو لا هم أكثر التجار. ولهذا تجد أهل الجاه منهم يكتسون أيسر بكثير. وما يشهد لذلك أنا نجد كثيراً من الفقهاء وأهل الدين والعبادة إذا اشتهروا حسنظن بهم واعتقد الجمهور معاملة الله في إرفادهم فأخلص الناس في إعطائهم على أحوال دنياهم والإعتماد في مصالحهم، أسرعت إليهم الشروة وأصبحوا ميسير من غير مال مقتني إلا ما يحصل لهم من قيم الأعمال التي وقعت المعونة بها من الناس لهم. رأينا من ذلك أعداداً في الأمصار

بعضهم كمالاً في نفسه بذلك واحتياجاً إليه.

وتحد هؤلاء الأصناف كلهم متوفين لا يخضعون لصاحب الجاه ولا يتملّقون لن هو أعلى منهم ويستصرفون من سواهم لاعتقادهم الفضل على الناس، فيستكف أحدهم عن الخضوع ولو كان للملك وبعده مذلة وهواناً وسفهاً. وبمحاسب الناس في معاملتهم إيه بمقدار ما يتورّم في نفسه ويحقد على من قصر له في شيء عما يترهمه من ذلك، وربما يدخل على نفسه المسموم والأحزان من تقصيرهم فيه ويستمر في عناء عظيم من إيجاب الحق لنفسه أو إيابه الناس له من ذلك. ويحصل له المقت من الناس لما في طبع البشر من التاله. وقل أن يسلم أحد منهم لأحد في الكمال والترفع عليه إلا أن يكون ذلك بنوع من القهر والغلبة والاستطالة. وهذا كله في ضمن الجاه. فإذا فقد صاحب هذا الخلق الجاه وهو مفقود له كما تبين لك مقته الناس بهذه الترفع ولم يحصل له حظ من إحسانهم وقد الجاه لذلك من أهل الطبقة التي هي أعلى منه لأجل المقت، وما يحصل له بذلك من القعود من تعاهدهم وغشيان منازلم فقدس معاشه وبقي في خصاصة وفقر أو فوق ذلك بقليل. وأما الثروة فلا تحصل له أصلاً.

ومن هذا اشتهر بين الناس أن الكامل في المعرفة محروم من الحظ وأنه قد حوسّب بما رزق من المعرفة واقتطع له ذلك من الحظ وهذا معناه. ومن خلق شيء يسر له. والله المقدر لا رب سواه.

ولقد يقع في الدول أضراب في المراتب من أهل هذا الخلق ويرتفع فيها كثير من السفلة ويتزلّك كثير من العلية بسبب ذلك، وذلك أن الدول إذا بلغت نهايتها من التغلب والاستيلاء انفرد منها نبت الملك بكلّهم وسلطائهم ويش من سواهم من ذلك، وإنما صاروا في مراتب دون مرتبة الملك، وتحت يد السلطان وكأنهم خول له. فإذا استمرت الدولة وشمخ الملك تساوى حيثن في المنزلة عند السلطان كل من انتمى إلى خدمته وتقرب إليه بتصيحيه واصطنعه السلطان لغناه في كثير من مهماته. فتجد كثيراً من السوق يسعى في التقرب من السلطان بجهه ونصحه ويتزلّف إليه برجوه خدمته ويستعين على ذلك بعظيم من الخصوص والتملّق له ولخاشيته وأهل نسبه. حتى يرسخ قدمه معهم وينظمه السلطان في جلته فيحصل له بذلك حظ عظيم من السعادة ويتنظم في عدد أهل الدولة ونشأة الدولة حيثن من أبناء قومها الذين ذللوا صعباها ومهدوا أكتافها، مفترين بما كان لأبائهم في ذلك من الآثار وتشمخ به نفوسيهم على السلطان ويعدون بأثاره ويجرون في مضمار الذلة بسببيه، فيقتهم السلطان لذلك ويعادهم. ويصل إلى

الأول مقصود في العناية الربانية بالذات، والثاني داخل فيها بالعرض كسائر الشرور الداخلة في القضاء الإلهي، لأنّه قد لا يتسم وجود الخير الكثير إلا بوجود شر يسير من أجل الماء، فلا يفوت الخير بذلك بل يقع على ما ينظري عليه من الشر البسيط. وهذا معنى وقوع الظلم في الخليقة فتفهم.

ثم إن كل طبقة من طباق أهل العمزان من مدينة أو إقليم لها قدرة على من دونها من الطلاق، وكل واحد من الطبقة السفلية يستمد هذا الجاه من أهل الطبقة التي فوقه، ويزداد كسبه تصرفاً فيما تحت يده على قدر ما يستفيد منه، والجاه على ذلك داخل على الناس في جميع أبواب المعاش ويسع ويفضي بحسب الطبقة والطهر الذي فيه صاحبه. فإن كان الجاه متسعًا كان الكسب الناشئ عنه كذلك وإن كان ضيقاً وقليلاً فمثله. وفائد الجاه وإن كان له مال فلا يكون يساره إلا بمقدار عمله أو ماله وعلى نسبة سعيه ذاهباً وأيّاً في تمنيه كأكثر التجار، وأهل الفلاحة في الغالب وأهل الصنائع كذلك، إذا فقدوا الجاه واقتصرّوا على فوائد صنائعهم فإنهم يصيرون إلى الفقر والخصاصة في الأكبر ولا تسرع إليهم ثروة، وإنما يرمون العيش ترميًّا ويدافعون ضرورة الفقر مدافعة. وإذا تصرّر ذلك وأن الجاه متفرّج وأن السعادة والخير مفترضان بمحضه علمت إن بذلك وإفاداته من أعظم النعم وأجلها وأن باذلة من أجل المنعمين، وإنما يبذل له من تحت يديه فيكون بذلك بيد عالية وعن عزة، فيحتاج طالبه ومبتغيه إلى خضوع وغلق كما يسأل أهل العز والملوك ولا فيبعد حصوله. فذلك قلت: إن الخصوص والتملّق من أسباب حصول هذا الجاه المحصل للسعادة والكسب، وإن أكثر أهل الثروة والسعادة بهذا الخلق لهذا نجد الكثير من يتخالق بالترفع والشمم لا يحصل لهم غرض من الجاه فيقتصرُون في التكسب على أعمالهم ويصيرون إلى الفقر والخصاصة.

واعلم أن هذا الكبر والترفع من الأخلاق المذمومة إنما يحصل من توهّم الكمال، وأن الناس يحتاجون إلى بضايعه من علم أو صناعة، كالعلم المتاجر في علمه أو الكاتب الجيد في كتابته أو الشاعر ال比利خ في شعره، وكل حسن في صناعته يتوهّم أن الناس يحتاجون لما يبيده فيحدث له ترفع عليهم بذلك، وكذا يترهّم أهل الأنساب من كان في آبائه ملك أو عالم مشهور أو كامل في طور يعبرون به بما رأوه أو سمعوه من حال آبائهم في المدينة، ويترهّمون أنهم استحقوا مثل ذلك بقربهم إليهم ووراثتهم عنهم. فهم متسلكون في الحاضر بالأمر المدعوم إذ الكمال لا يورث، وكذلك أهل الحيلة والبصر والتجار بالأمور قد يتوهّم

وعلم منه صحة ما قلته ورجع إليه وقضينا العجب من أسرار الله في خليقه وحكمته في عالمه، والله الخالق القادر لا رب سواه.

## الفصل الثامن

### في أن الفلاحة من معاش المستضعفين وأهل العافية من البدو

وذلك لأنه أصل في الطبيعة ويسقط في منحاه؛ ولذلك لا تجده يتحله أحد من أهل الحضر في الغالب ولا من المترفين. ويختص متاحله بالذلة، قال تعالى: وقد رأى السكة بعض دور الأنصار: «ما دخلت هذه دار قوم إلا دخلته الذل»، وحمله البخاري على الاستكتار منه. وترجم عليه (باب ما يحذر من عواقب الاشتغال بالآلة الزرع أو تجاوز الحد الذي أمر به).

والسبب فيه والله أعلم ما يتبعها من المفرم المفضي إلى التحكم واليد العالية، فيكون الغارم ذليلًا باشًأ بما تناوله أيدي التهرب والاستطالة. قال تعالى: «لا تقوم الساعة حتى تعود الزكاة مغروماً»، إشارة إلى الملك العضوض الفاجر للناس الذي معه السلطان والجلور ونسيان حقوق الله تعالى في التمورات واعتبار الحقوق كلها مغروماً للملوك والدول. والله قادر على ما يشاء. والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق.

## الفصل التاسع

### في معنى التجارة ومذاهبها وأصنافها

اعلم أن التجارة حاولة الكسب بتنمية المال بشراء السلع بالرخص وبيعها بالغلاء آثياً ما كانت السلعة من دقيق أو زعف أو حيوان أو قماش. وذلك القدر النامي يسمى رحمة. فالمحاول لذلك الربح: إما أن يخترن السلعة ويتبعين بها حركة الأسواق من الرخص إلى الغلاء فيعظم ربحه، وإما بأن ينقله إلى بلد آخر تتفق فيه تلك السلعة أكثر من بلده الذي اشتراها فيه فيعظم ربحه. ولذلك قال بعض الشيخوخ من التجار لطالب الكشف عن حقيقة التجارة: أنا أعلمها لك في كلمتين: اشتراء الرخيص وبيع الغالي. فقد حصلت التجارة إشارة منه بذلك إلى المعنى الذي قرناه. والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق لا رب سواه.

هؤلاء المصطنعين الذين لا يعتدون بقدميه ولا ينعبون إلى دالة ولا ترفع، إنما دأبهم الخضوع له والتسلق والاعتماد في غرضه متى ذهب إليه فيسع جاههم وتعلو منازلهم وتصرف إليهم الرجوه والخواص ما يحصل لهم من ميل السلطان والمكانة عنده، وبقي ناشئة الدولة فيما هم فيه من الترفع والاعتداد بالقديم لا يزددهم ذلك إلا بعداً من السلطان ومقتاً وإنما هؤلاء المصطنعين عليهم إلى أن تقرض الدولة. وهذا أمر طبيعي في الدول، ومنه جاء شأن المصطنعين في الغالب، والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق لا رب سواه.

## الفصل السابع

### في أن القائمين بأمور الدين من القضاء والفتيا والتدريس والإمامية والخطابة والأذان ونحو ذلك لا تعظم ثروتهم في الغالب

والسبب لذلك أن الكسب كما قدمته قيمة الأعمال وأنها متفاوتة بحسب الحاجة إليها. فإذا كانت الأعمال ضرورية في العمران عامة البلوى فيه كانت قيمتها أعظم وكانت الحاجة إليها أشد. وأهل هذه الصنائع الدينية لا تضطر إليهم عامة الخلائق وإنما يحتاج إلى ما عندهم الخواص من قبل على دينه. وإن احتاج إلى الفتيا والقضاء في المخصوصات فليس على وجه الإضطرار والعموم فيقع الاستغناء عن هؤلاء في الأكثر. وإنما يهتم بهم وبإقامة مراسيمهم صاحب الدولة بما له من النظر في المصالح فيقسم لهم حظاً من الرزق على نسبة الحاجة إليهم على النحو الذي قرناه. لا يساويهم بأهل الشورة ولا بأهل الصنائع الضرورية، وإن كانت بصنائعهم أشرف من حيث الدين والمراسيم الشرعية، لكنه يقسم بحسب عموم الحاجة وضرورة أهل العمران فلا يصح في قسمتهم إلا القليل. وهم أيضاً لشرف صنائعهم أعزوة على الخلق وعند نفوسهم فلا يخضعون لأهل الجاه حتى ينالوا منه حظاً يستدركون به الرزق بل ولا ينزع أوقاتهم لذلك لما هم فيه من الشغل بهذه الصنائع الشريفة المشتملة على أعمال الفكر والتدبر. بل ولا يسعهم ابتدال أنفسهم لأهل الدنيا لشرف صنائعهم فهم معزز عن ذلك، فلذلك لا تعظم ثروتهم في الغالب. ولقد باحثت بعض الفضلاء فأذكر ذلك على فرق بيدي أوراق خرقنة من حسابات الدواوين بدار المأمون تشمل على كثير من الدخل والخرج يومئذ، وكان فيما طالعت فيه أرذاق القضاة والأئمة والمؤذنون فرقته عليه

## الفصل العاشر

في أي أصناف الناس ينفع بالتجارة وأيهم  
ينبغي له اجتناب حرفها

## الفصل الحادي عشر

في أن خلق التجار نازلة عن خلق  
الأشراف والملوك

وذلك أن التجار في غالب أحوالهم إنما يعانون اليع  
والشراء، ولا بد فيه من المكاييسة ضرورة فإن انتصر عليها  
اقصرت به على خلقها، وهي - أعني خلق المكاييسة - بعيدة عن  
المرودة التي تخلق بها الملوك والأشراف. وأما إن استرذل خلقه بما  
يتبع ذلك في أهل الطبقة السفلية منهم من المحاكمة والخش  
والخلابة وتعاهد الأيمان الكاذبة على الأثمان رداً وقبولاً فأاجر  
 بذلك الخلق أن يكون في غاية المذلة لما هو معروف. ولذلك تجد  
 أهل الرئاسة يتحامون الاحتراز بهذه الحرفة لأجل ما يكسب من  
 هذا الخلق. وقد يوجد منهم من يسلم من هذا الخلق ويتحامه  
 لشرف نفسه وكرم جلاله إلا أنه في النادر بين الوجود، والله  
 يهدى من يشاء بفضله وكرمه وهو رب الأولين والآخرين.

## الفصل الثاني عشر

### في نقل الناجر للسلع

التاجر البصير بالتجارة لا ينقل من السلع إلا ما تعم الحاجة  
إليه من الغنى والفقير والسلطان والسوق، إذ في ذلك نفاق سلعته.  
وأما إذا احتج قلبه بما يحتاج إليه البعض فقط، فقد يتذرع نفاق  
سلعته حيث يستأثر الشراء من ذلك البعض لعارض من  
العارضين فتكسر سوقه وتفسد أرباحه. وكذلك إذا نقل السلعة  
المحتاج إليها إنما ينقل الوسط من صفتها، فإن الغالي من كل صنف  
من السلع إنما يختص به أهل الثروة وحاشية الدولة وهم الأقل.  
وإنما يكون الناس أسوة في الحاجة إلى الوسط من كل صنف  
فليتحرر ذلك جده ففيه نفاق سلعة أو كсадها، وكذلك نقل  
السلع من البلد البعيد المسافة أو في شدة الخطير في الطرقات يكون  
أكثر فائدة للتجار وأعظم أرباحاً وأكفل بحراولة الأسواق؛ لأن  
السلعة المنقوله حيث ت تكون قليلة معروزة بعد مكانها أو شدة الغرر  
في طريقها فيقل حاملوها ويزع وجودها، وإذا قلت وعزت غلت  
أثمانها. وأما إذا كان البلد قريباً المسافة والطريق سهل بالأمن  
فإنه حيث يتذكر ناقلها فكثر وترخص أثمانها؛ ولهذا تجد التجار  
الذين يولون بالدخول إلى بلاد السودان أرفع الناس وأكثراهم

قد تقدم أن معنى التجارة تنمية المال بشراء البضائع ومحاولة  
بيعها بأعلى من ثمن الشراء إما بانتظار حركة الأسواق أو نقلها  
إلى بلد هي فيه أفق وأعلى، أو بيعها بالغلاء على الأجال. وهذا  
الربح بالنسبة إلى أصل المال نزر يسير؛ لأن المال إن كان كثيراً  
عظم الربح؛ لأن القليل في الكبير كثير.

ثم لا بد في محاولة هذه التنمية الذي هو الربح من حصول  
هذا المال بأيدي الباعة في شراء البضائع وبيعها. ومعاملتهم في  
تضاعي أثمانها. وأهل النصفة قليل، فلا بد من الفسح والتطهيف  
المجحف بالبضائع ومن المطل في الأثمان المجنف بالربح. كتعطيل  
المحاولة في تلك المادة وبها غاوة. ومن المجنح والإيكار المستحب  
لرأس المال إن لم يقييد بالكتاب والشهادة، وغناء الحكم في ذلك  
قليل؛ لأن الحكم إنما هو على الظاهر، فيعاني الناجر من ذلك  
أحوالاً صعبة. ولا يكاد يحصل على ذلك النافع من الربح إلا  
بعظم العناء والمشقة، أو لا يحصل أو يتلاشى رأس ماله. فإن كان  
جرياناً على الخصومة بصيراً بالحسبان شديد المحاكمة مقداماً على  
الحكم كان ذلك أقرب له إلى النصفة بغيره ومحنته، وإلا فلا  
بد له من جاه يذرع به، فيوقع له الهيبة عند الباعة ويعمل الحكم  
على إنصافه من غراماته فيحصل له بذلك النصفة واستخلاص  
ماله طوعاً في الأول وكرهاً في الثاني، وأما من كان فاقداً للجرأة  
والإقدام من نفسه وفقد الجاه من الحكم فينبغي له أن يتجنب  
الاحتراز بالتجارة؛ لأنه يعرض ماله للضياع والذهاب وبصیر  
ماكلاة للباعة ولا يكاد يتصف منهم؛ لأن الغالب في الناس  
وخصوصاً الرعاع والباعة شرهون إلى ما في أيدي الناس سواهم  
متربثون عليه. ولولا وارع الأحكام لأصبحت أموال الناس نهباً  
﴿ولولا دفع اللُّؤلُؤَ النَّاسَ بِعَصْمَهُمْ يَعْصِي لِفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ  
اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.

الفصل الرابع عشر

في أن رخص الأسعار مضر بالمحترفين بالرخص

وذلك أن الكسب والمعاش كما قدمناه إنما هو بالصناعات أو التجارة. والتجارة هي شراء البضائع والسلع وادخارها. يتحقق بها حركة الأسواق بزيادة في أثمانها ويسمى ربحاً. ويحصل منه الكسب والمعاش للمحترفين بالتجارة دائماً، فإذا استديم الشخص في سلعة أو عرض من مأكل أو ملبوس أو متمول على الجملة ولم يحصل للناجر حركة الأسواق فيه فسد الربح والنماء بطول تلك المدة وكستد سوق ذلك الصنف ولم يحصل الناجر إلا على العنان، فقعد التجار عن السعي فيها وفسدت رؤوس أمورهم.

واعتبر ذلك أولاً بالزرع فإنه إذا استديم رخصه كيف تفسد  
أحوال المحترفين به بسائر أطواره من الفلاح والزراعة لقلة الربح فيه  
وزيارته أو فقده. فيفقدون النماء في أموالهم أو يجدونه على قلة  
ويعرفون بالإتفاق على رؤوس أموالهم وتفسد أحواهم،  
ويصيرون إلى الفقر والمحاصصة. ويتبع ذلك فساد حال المحترفين  
أيضاً بالطعن واللبيز وسائر ما يتعلق بالزراعة من الحرف من لدن  
زراعته إلى صرورته ماكولاً.

وكذا يفسد حال الجند إذا كانت أرزاقهم من السلطان على أهل الفلاح زرعاً، فإنها تقل جيابتهم من ذلك ويعجزون عن إقامة الجندية التي هم بسببيها، ويرتزقون من السلطان عليها ويقطع عنهم الرزق فتفسد أحوالهم، وكذا إذا استديم الرخص في العسل والسكر فسد جميع ما يتعلق به وقعد المخترفون به عن التجارة فيه، وكذا حال الملبوسات إذا استديم فيها الشخص أيضاً، فإذا الشخص المفرط بمعاش المخترفين بذلك الصنف الرخيص، وكذا الغلاء المفرط أيضاً. وربما يكون في النادر سبباً لنماء المال بسبب احتكاره وعظم فائدته. وإنما معاش الناس وكسبهم في التوسط من ذلك وسرعة حالة الأسواق، وعلم ذلك يرجع إلى العوائد المتقررة بين أهل العمran. وإنما يحمد الشخص في الزرع من بين المبيعات لمعرفة الحاجة إليه واضطرار الناس إلى الأقواء من بين الغني والفقير. والعالة من الخلق هم الأكثر في العمran فيعم الرفق بذلك ويرجع جانب القراء على جانب التجارة في هذا الصنف الخاص و «الله هو الرزاق ذو الفتوة المبين» والله سبحانه وتعالى

أموالاً بعد طريقهم ومشقته واعتراض المفازة الصعبة المختبرة بالخروف والعطش. لا يوجد فيها الماء إلا في أماكن معلومة يهتدى إليها أدلة الركبان فلا يربك خطر هذا الطريق ويعده إلا الأقل من الناس فتجد سلع ببلاد السودان قليلة لدينا فتختص بالغلاء وكذلك سلعتنا لديهم. تعمظ بضائع التجار من تناقلها ويسرع إليهم الغنى والثروة من أجل ذلك. وكذلك المسافرون من بلادنا إلى الشرق لبعد الشقة أيضاً. وأما المتزدرون في الأفق الواحد ما بين أمصاره وبيلدانه فقاتلتهم قليلة وأرباحهم تافهة لكثرة السلع وكثرة تناقلها و«الله هو الرزاق ذو الفلق المتبصر».

الفصل الثالث عشر

في الاحتكار

وما اشتهر عند ذوي البصر والتجربة في الأنصار أن احتكار الزرع لتحين أوقات الغلاء مشهود. وأنه يعود على فائدته بالتألف والخسران. وسيبيه - والله أعلم - أن الناس طاجتهم إلى الآقواء مضطرون إلى ما ينزلون فيها من المال اضطراراً، فتبقى النفوس متعلقة به، وفي تعلق النفوس بها سر كبير في وباله على من يأخذها مجاناً ولعله الذي اعتبره الشارع في أحد أحوال الناس بالباطل، وهذا - وإن لم يكن مجاناً - فالنفوس متعلقة به لإعطائه ضرورة من غير سعة في العذر فهو كالمكره وما عدا الآقواء والمأكولات من المبيعات لا اضطرار للناس إليها وإنما يبعثهم عليها التفنن في الشهوات، فلا يذلون أموالهم فيها إلا باختيار وحرص. ولا يبقى لهم تعلق بما أعطوه فلهذا يكون من عرف بالاحتياط تجتمع القرى النمسانية على متابعته لما يأخذه من أموالهم فيفسد ربحه. والله تعالى أعلم.

وسمعت فيما يناسب هذا حكاية طرفة عن بعض مشيخة المغرب. أخبرني شيخنا أبو عبد الله الألباني قال: حضرت عند القاضي يقاس لعهد السلطان أبي سعيد وهو الفقيه أبو الحسن الملبي، وقد عرض عليه أن يختار بعض الألقاب المخزنية لبرايته قال: فأطريق ملائلا ثم قال لهم: من مكس الخمر. فاستضحك الحاضرون من أصحابه وعجبوا وسائلوه عن حكمة ذلك. فقال: إذا كانت الجبابير كلها حراماً فاختار منها مالاً تتابعه نفس معطيه والخمر قل أن ينزل فيها أحد ماله إلا وهو طرب مسرور بوجданه غير ألف عليه ولا متلقة به نفسه؛ وهذه ملاحظة غريبة والله سبحانه وتعالى يعلم ما تكن الصدور.

## الفصل السادس عشر

### في أن الصنائع لا بد لها من العلم

اعلم أن الصناعة هي ملكرة في أمر عملني فكري ويكونه عملياً هو جسماني محسوس. والأحوال الجسمانية المحسوسة تقللها بال المباشرة أوعب لها وأكمل، لأن المباشرة في الأحوال الجسمانية المحسوسة أم فائدة، والملكرة صفة راسخة تحصل عن استعمال ذلك الفعل وتكرره مرة بعد أخرى حتى ترسخ صورته. وعلى نسبة الأصل تكون الملكة. ونقل المعاينة أو عب وائم من نقل الخبر والعلم. فالملكرة الحاصلة عنه أكمل وأراسخ من الملكه الحاصله على الخبر. وعلى قدر جوده التعليم وملكرة المعلم يكون حذق المعلم في الصناعة وحضور ملكته. ثم إن الصنائع منها البسيط ومنها المركب. والبسيط هو الذي يختص بالضروريات والمركب هو الذي يكون للكماليات. والمتقدم منها في التعليم هو البسيط لبساطته أولاً، وأنه يختص بالضروري الذي توفر الدواعي على نقله فيكون سابقاً في التعليم ويكون تعليمه لذلك ناتضاً. ولا يزال الفكر يخرج أصنافها ومركباتها من القوة إلى الفعل بالاستبطاط شيئاً فشيئاً على التدريج حتى تكمل. ولا يحصل ذلك دفعة وإنما يحصل في أزمان وأجيال، إذ خروج الأشياء من القوة إلى الفعل لا يمكن دفعة لا سيما في الأمور الصناعية فلا بد له إذن من زمان. ولهذا تجد الصنائع في الأنصار الصغيرة ناقصة ولا يوجد منها إلا البسيط، فإذا تزايدت حضارتها ودعت أمور الترف فيها إلى استعمال الصنائع خرجت من القوة إلى الفعل. وتقسم الصنائع أيضاً إلى ما يختص بأمر المعاش ضرورياً كان أو غير ضروري، وإلى ما يختص بالأفكار التي هي خاصية الإنسان من العلوم والصناعات والسياسة. ومن الأول الحياكة والجزارة والتجارة والخداده وأمثالها. ومن الثاني الوراقة وهي معاناة الكتب بالاتساح والتجليد والفناء والشعر وتعليم العلم وأمثال ذلك. ومن الثالث الجندية وأمثالها. والله أعلم.

## الفصل الخامس عشر

### في أن خلق التجارة نازلة عن خلق الرؤساء

#### وبعيدة من المروءة

قد قدمنا في الفصل قبله أن التاجر مدفوع إلى معاناة البيع والشراء وجلب الفوائد والأرباح، ولا بد في ذلك من المكابسة والمحاكمة والتحذق ومارسة الخصومات واللجاج وهي عوارض هذه الحرفة.

وهذه الأوصاف تنقضُّ من الذكاء والمروءة وتحتج فيها لأن الأفعال لا بد من عود آثارها على النفس. فأفعال الخبر تعود بآثار الخبر والذكاء، وأفعال الشر والسفوفة تعود بقصد ذلك فتمكّن وترسخ إن سبقت وتكررت وتتفصّل خلال الخبر إن تأخرت عنها بما ينطبع من آثارها المذمومة في النفس شأن الملوك الناشئة عن الأفعال. وتتفاوت هذه الآثار بتفاوت أصناف التجار في أطوارهم، فمن كان منهم سافل الطور مختلفاً لشرار الباعة أهل الغش والخلابة والخداع والفسور في الأيمان على البياعات والأثمان إقراراً وإنكاراً. كانت رداءة تلك الخلائق عنده أشد وغلبت عليه السفوفة وبعد عن المروءة واكتسابها بالجملة. وإلا فلا بد له من تأثير المكابسة والمحاكمة في مروءته، وقد ان ذلك فيهم في الجملة.

ووجود الصنف الثاني منهم الذي قدمناه في الفصل قبله أنهم يدرعون بالجاه ويعوض لهم من مباشرة ذلك، فيهم نادر وأقل من النادر. وذلك أن يكون المال قد توفر عنده دفعه بتنوع غريب أو ورثه عن أحد من أهل بيته فحصلت له ثروة تعينه على الاتصال بأهل الدولة وتكتسبه ظهوراً وشهرة بين أهل عصره، فيترفع عن مباشرة ذلك بنفسه ويدفعه إلى من يقوم له به من ولايه وحشمه. ويسهل له الحكم النصفة في حقوقهم بما يؤمنونه من بره وإنحافه، فيعودونه عن تلك الخلائق بالبعد عن معاناة الأفعال المقتضية لها كما مر. فتكون مروءتهم أراسخ وأبعد عن المحرجات إلا ما يسري من آثار تلك الأفعال من وراء الحجاب، فإنهم يضطرون إلى مشارقة أحوال أولئك الركلاه ووفاقهم أو خلافهم فيما يأتون أو يذرون من ذلك إلا أنه قليل ولا يكاد يظهر أثره **﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَنْتَمُونَ﴾**.

## الفصل السابع عشر

### في أن الصنائع إنما تكمل بكمال العمران

#### الحضري وكشرته

والسبب في ذلك أن الناس ومال يستوف العمran الحضري

## الفصل الثامن عشر

### في أن رسوخ الصنائع في الأ MCSارات إنما هو

#### برسوخ الحضارة وطول أمده

والسبب في ذلك ظاهر وهو أن هذه كلها عوائد للعمان والوام، والعوائد إنما ترسب بكثره التكرار وطول الأمد فتستحكم صبغة ذلك وتترسخ في الأجيال. وإذا استحكمت الصبغة عسر نزعها. وهذا فإنما يجدى في الأ MCSارات التي كانت استبهرت في الحضارة لما تراجع عمرانها وتناقص بقيت فيها آثار من هذه الصنائع ليست في غيرها من الأ MCSارات المستحدثة العمران، ولو بلغت مبالغها في الوفور والكثرة، وما ذلك إلا لأن أحوال تلك القديمة العمران مستحکمة راسخة بطول الأحقاب وتناول الأحوال وتكررها وهذه لم تبلغ الغاية بعد. وهذا الحال في الأندلس لهذا العهد، فإنما يجدى فيها رسوم الصنائع قائمة وأحوالها مستحکمة راسخة في جميع ما تدعى إليه عوائد MCSاراتها كالمباني والطبيخ وأصناف الغاء واللهو من الآلات والأوتار والرقص وتنضيد الفرش في القصور، وحسن الترتيب والأوضاع في البناء وصوغ الآنية من المعادن والخزف وجع الموعين وإقامة الولائم والأعراس وسائر الصنائع التي يدعو إليها الترف وعوائده. فتجدهم أقوم عليها وأبصر بها. وتجد صنائعها مستحکمة لديهم، فهم على حصة موفورة من ذلك وحظ متيمز بين جميع الأ MCSارات. وإن كان عمرانها قد تناقص. والكثير منه لا يساوي عمران غيرها من بلاد العدو. وما ذلك إلا لما قدمناه من رسوخ الحضارة فيهم برسوخ الدولة الأموية وما قبلها من دولة القرط وما بعدها من دولة الطوائف وهلم جرا. فبلغت الحضارة فيها مبلغاً لم يتبلغه في قطر إلا ما يقل عن العراق والشام ومصر أيضاً لطول أمد الدول فيها، فاستحکمت فيها الصنائع وكلت جميع أصنافها على الاستجادة والتسيق. وبقيت صبغتها ثابتة في ذلك العمران لا تفارقه إلى أن يتقضى بالكلية حال الصيف إذا رسخ في الثوب. وكذا أيضاً حال تونس فيما حصل فيها من الحضارة من الدول الصناعية والملوحيدين من بعدهم، وما استكمل لها في ذلك من الصنائع في سائر الأحوال، وإن كان ذلك دون الأندلس، إلا أنه متضاعف برسوم منها تنقل إليها من مصر لقرب المسافة بينهما. وتعدد المسافرين من قطرها إلى قطر مصر في كل سنة، وربما سكن أهلها هناك عصراً فينقلون من عوائد ترفهم ومحكم صنائعهم ما يقع لديهم موقع الاستحسان. فصارت أحوالها في ذلك متشابهة من أحوال مصر لما ذكرناه ومن

وتسمدن المدينة إنما همهم في الضروري من المعاش وهو تحصيل الأقوات من الخطة وغيرها. فإذا تدنت المدينة وتزايدت فيها الأعمال ووفت بالضروري وزادت عليه صرف الزائد حيثذا إلى الكمالات من المعاش.

ثم إن الصنائع والعلوم إنما هي للإنسان من حيث فكره الذي يتميز به عن الحيوانات والقوت له من حيث الحيوانية والغذائية فهو مقدم لضرورته على العلوم والصناعات، وهي متأخرة عن الضروري. وعلى مقدار عمران البلد تكون جودة الصنائع للتأثير فيها حيثذا واستجادة ما يطلب منها بحيث توفر دواعي الترف والثروة. وأما العمran البدوي أو القليل فلا يحتاج من الصنائع إلا البسيط خاصة المستعمل في الضروريات من ثمار أو حداد أو خياط أو حاثك أو جزار. وإذا وجدت هذه بعد فلا ترجد فيه كاملة ولا مستجادة، وإنما يوجد منها بمقدار الضرورة إذ هي كلها وسائل إلى غيرها وليس مقصودة لذاتها.

وإذا زخر بمنطقة العمran وطلبت فيه الكمالات كان من جلتها التأثر في الصنائع واستجادتها، فكملت بجميع متمماتها وتزايدت صنائع أخرى منها مما تدعى إليه عوائد الترف وأحواله من جزار ودباغ وخراز وصانع وأمثال ذلك. وقد تنتهي هذه الأصناف إذا استبهر العمران إلى أن يوجد فيها كثير من الكمالات ويتأثر فيها في الغاية وتكون من وجوه المعاش في المثلثة. بل تكون فائدتها من أعظم فوائد الأعمال لما يدعسو إليه الترف في المدينة مثل الدهان والصفار والحمامي والطبخ والسفاج والمeras وعلم الغاء والرقص وترع الطبول على التوقيع. ومثل الوراقين الذين يعانون صناعة اتساخ الكتب وتجليدها وتصحيحها، فإن هذه الصناعة إنما يدعو إليها الترف في المدينة من الاشتغال بالأمور الفكرية وأمثال ذلك. وقد تخرج عن الحد إذا كان العمran خارجاً عن الحد، كما بلغنا عن أهل مصر أن فيهم من يعلم الطيور العجم والحمير الإنسانية ويتخيل أشياء من العجائب بإيهام قلب الأعيان وتعليم الحداء والرقص والمشي على الم gioipot في الهواء ورفع الأنفال من الحيوان والحجارة وغير ذلك من الصنائع التي لا ترجد عندنا بالغرب؛ لأن عمران MCSاراته لم يبلغ عمران مصر والقاهرة. أداه الله عمرانها بال المسلمين. والله الخكيم العليم.

أحوال الأندلس لما أن أكثر ساكنها من شرق الأندلس حين الجلاء لعهد المائة السابعة، ورسخ فيها من ذلك أحوال، وإن كان عمرانها ليس مناسب لذلك لهذا العهد، إلا أن الصبغة إذا استحكمت فقليلًا ما تحول إلا بزوال علها. وكذلك نجد بالقيروان ومرakesh وقلعة ابن حماد أثراً باقياً من ذلك، وإن كانت هذه كلها اليوم خراباً أو في حكم الغبار. ولا يفطن لها إلا البصیر من الناس فيجد من هذه الصناعات آثاراً تدل على ما كان بها كثُر الخط الممحو في الكتاب والله **«الخلاق القليم»**.

## الفصل الحادي والعشرون

### في أن العرب أبعد الناس عن الصنائع

والسبب في ذلك أنهم أعرق في البدو وأبعد عن العمران الحضري وما يدعون إليه من الصنائع وغيرها. والعجز من أهل الشرق وأئم النصرانية عدو البحر الرومي أقرؤم الناس عليه؛ لأنهم أعرق في العمران الحضري وأبعد عن البدو وعمرانه. حتى إن الإبل التي أعانت العرب على الترويض وفي الفقر، والإغراق في البدو، مفقودة لديهم بالجملة، ومفقودة مرعاييها، والرمال المهيبة لتجاهها؛ وهذا نجد أبوطان العرب وما ملكوه في الإسلام قليل الصناعات بالجملة، حتى تخلب إليه من قطر آخر. وانظر بلاد العجم من الصين والهند وأرض الترك وأئم النصرانية، كيف استكثروا فيهم الصنائع واستجلبوا الأمم من عندهم. وعجم المغرب من البربر مثل العرب في ذلك لرسوخهم في البداوة منذ أحقاب من السنين. ويشهد لك بذلك قلة الأ MCS بقطرهم كما قدمناه.. فالصناعات بالغرب لذلك قليلة وغير مستحکمة إلا ما كان من صناعة الصوف في نسجه، والجلد في خرزه ودبنه. فإنهم لما استحضروا بلغوا فيها المبالغ لعموم البلوى بها و تكون هذين أغلب السلع في قطرهم، لما هم عليه من حال البداوة. وأما المشرق فقد رسخت الصناعات فيه منذ ملوك الأمم الأقدمين من الفرس والنبط والقبط وفي إسرائيل وبونان والروم أحقاباً متطلولة، فرسخت فيهم أحوال الحضارة. ومن جلتها الصنائع كما قدمناه، فلم يبح رسمها. وأما اليمن والبحرين وعمان والجزيرية، وإن ملوك العرب، إلا أنهم تداولوا ملوكه آلاناً من السنين في أمم كثيرة منهم. واحتظروا أمصاره ومدنه وبلغوا الغاية من الحضارة والترف مثل عاد وثمرد والعمالقة وغيره من بعدهم. والتبايعة والأدواء فطال

## الفصل التاسع عشر

### في أن الصنائع إنما تستجاد وتكتثر

#### إذا كثُر طالبها

والسبب في ذلك ظاهر وهو أن الإنسان لا يسمح بعمله أن يقع مجاناً، لأنه كسبه ومنه معاشة. إذ لا فائدة له في جميع عمره في شيء مما سواه فلا يصرفه إلا فيما له قيمة في مصره ليعود عليه بالفع. وإن كانت الصناعة مطلوبة وتوجه إليها النفاق كانت حبيبة الصناعة بمثابة السلعة التي تتفق سوقها وتخلب للبيع. فيجتهد الناس في المدينة لتعلم تلك الصناعة ليكون منها معاشهم. وإذا لم تكن الصناعة مطلوبة لم تتفق سوقها ولا يوجه قصد إلى تعلمها، فاختصت بالترك وقدرت للإهمال. وهذا يقال عن علي رضي الله عنه: قيمة كل أمرىء ما يحسن. يعني أن صناعته هي قيمة أي قيمة عمله الذي هو معاشة. وأيضاً فهنا سر آخر وهو أن الصنائع وإجادتها إنما تطلبها الدولة فهي التي تتفق سوقها وتوجه الطلبات إليها. وما لم تطلبها الدولة وإنما يطلبها غيرها من أهل مصر وليس على نسبتها؛ لأن الدولة هي السوق الأعظم وفيها نفاق كل شيء، والقليل والكثير فيها على نسبة واحدة. فما نفاق فيها كان أكثرها ضرورة. والسوق وإن طلبوا الصناعة فليس طلبهم بعام ولا سوهم بناقة. والله سبحانه وتعالى قادر على ما يشاء.

## الفصل العشرون

### في أن الأمصار إذا قاربت الحزاب انتقصت

#### منها الصنائع

وذلك لما بينه من أن الصنائع إنما تستجاد إذا احتج إليها

أمد الملك والحضارة واستحکمت صبغتها وتوفرت الصنائع والكتابة والوراقه والغناه والطب.  
فاما التوليد فإنها ضروريه في العمran وعامة البلوي إذ بها تحصل حیاة المولود ويتم غالباً. موضوعها مع ذلك المولودون وأمهاتهم.

واما الطب فهو حفظ الصحة للإنسان ودفع المرض عنه ويتفرع عن علم الطبيعة، موضوعه مع ذلك بدن الإنسان.

واما الكتابة وما يتبعها من الوراقه فهي حافظة على الإنسان حاجته ومقيدة لها عن النسيان وبلغة ضمائر النفس إلى البعيد الغائب، وخلدة نتائج الأفكار والعلوم في الصحف ورافقه رتب الوجود للمعنى.

واما الغناه فهو نسب الأصوات ومظهر جمالها للأسماء، وكل هذه الصنائع الثلاث داع إلى خالطة الملوك الأعظم في خلوائهم ومجالس أنفسهم، فلها بذلك شرف ليس لغيرها. وما سوى ذلك من الصنائع فتابعة ومتنهنة في الغالب. وقد يختلف ذلك باختلاف الأغراض والدواعي. والله أعلم بالصواب.

## الفصل الرابع والعشرون

### في صناعة الفلاحة

هذه الصناعة ثمرتها اتخاذ الآقواء والحبوب بالقيام على إثارة الأرض لها وادراعها وعلاج نباتها وتعهد بالستقي والتربية إلى بلوغ غايتها ثم حصاد سنبليه واستخراج حبه من غلاته ولحكام الأعمال لذلك. وتحصيل أسبابه ودعائمه. وهي أقدم الصنائع لما أنها محصلة للقوت المكمل لحياة الإنسان غالباً، إذ يمكن وجوده من دون جميع الأشياء إلا من دون القوت. وهذا اختصت هذه الصناعة بالبلدو. إذ قدمتنا أنه أقدم من الحضر وسابق عليه، فكانت هذه الصناعة لذلك بدوية لا يقوم عليها الحضر ولا يعرفونها؛ لأن أحواهم كلها ثانية عن البداؤة، فصنائعهم ثانية عن صنائعها وتابعة لها. والله سبحانه وتعالى مقيم العباد فيما أراد.

## الفصل الخامس والعشرون

### في صناعة البناء

هذه الصناعة أول صنائع العمran المضري وأقدمها، وهي معرفة العمل في اتخاذ البيوت والمنازل للكن والمأوى للأبدان في

ورسخت، فلم تبلى الدولة كما قدمناه. فبقيت مستجلة حتى الآن. واختصت بذلك للوطن، كصناعة الوشي والعصب وما يستجاد من حزوك الثياب والحرير فيها، والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

## الفصل الثاني والعشرون

### في أن من حصلت له ملکة في صناعة فقل أن يجید بعدها ملکة في أخرى

ومثال ذلك الخياط إذا أجاد ملکة الخياطة وأحكمها ورسخت في نفسه فلا يجید من بعدها ملکة التجارة أو البناء إلا أن تكون الأولى لم تستحکم بعد ولم ترسخ صبغتها. والسبب في ذلك أن الملکات صفات للنفس والوان فلا تزدحم دفعه. ومن كان على الفطرة كان أسهل لقبول الملکات وأحسن استعداداً لحصولها. فإذا تلونت النفس بالملکة الأخرى وخرجت عن الفطرة ضعف فيها الاستعداد باللون الحاصل من هذه الملکة، فكان قبولاً للملکة الأخرى أضعف. وهذا بين يشهد له الوجود. فقل أن تجد صاحب صناعة يجكمها ثم يجكم من بعدها أخرى ويكون فيهما معاً على رتبة واحدة من الإجاده. حتى إن أهل العلم الذين ملکتهم فكرية فهم بهذه المثابة. ومن حصل منهم على ملکة علم من العلوم وأجادها في الغاية فقل أن يجید ملکة علم آخر على نسبة، بل يكون مقصراً فيه إن طلبه إلا في الأقل النادر من الأحوال. ومني سيه على ما ذكرناه من الاستعداد وتلوينه بلون الملکة الحاصلة في النفس. والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق لا رب سواه.

## الفصل الثالث والعشرون

### في الإشارة إلى أمهات الصنائع

اعلم أن الصنائع في النوع الإنساني كثيرة لكثرة الأعمال المتداولة في العمran. فهي بحيث تشد عن الحصر ولا يأخذها العد. إلا أن منها ما هو ضروري في العمran أو شريف بال الموضوع فنخصها بالذكر ونترك ما سواها. فاما الضروري فكالفلاحة والبناء والخياطة والتجارة والحياة، وأما الشرفة بالموضوع فكالتوليد

فيتحمّل كأنها جسم واحد، ومنها البناء بالتراب خاصة تقام منه حيطان بان يتخد لها لوحان من الخشب مقدّران طولاً وعرضًا باختلاف العادات في التقدير. وأوسطه أربع أذرع في ذراعين فينصاص على أساس وقد يواعد ما بينهما على ما يراه صاحب البناء في عرض الأساس ويوصل بينهما باذرع من الخشب يربط عليها بالجبل والجدر. ويسد الجهتان الباقيتان من ذلك الخلاء بينهما بلوحين آخرين صغيرين ثم يوضع فيه التراب مختلطًا بالكلس ويركيز بالراكيز المعدة لذلك حتى ينعم ركته ويختلط أجزاؤه بالكلس، ثم يزاد التراب ثانيةً وثالثاً إلى أن يمتليء ذلك الخلاء بين اللوحين وقد تداخلت أجزاء الكلس والتراب وصارت جسمًا واحدًا. ثم يعاد نصب اللوحين على الصورة الأولى ويركيز كذلك إلى أن يتم وتنظم الألواح كلها سطراً فوق سطراً إلى أن يتنظم الخاطئ كله ملتحماً كأنه قطعة واحدة ويسمى الطابية وصانعه الطواب. ومن صنائع البناء أيضًا أن تمثيل الحيطان موصولة بالدساتر ويصب عليها التراب والكلس ويلط بالراكيز حتى تتدخل أجزاؤها وتلتتحم ويعالج عليها الكلس كما يعالج على الخاطئ. ومن صناعة البناء ما يرجع إلى التمييز والتزيين كما يصنع من فوق الحيطان الأشكال المجمعة من الجص يخمر بالماء ثم يرجع جسداً وفيه بقية البلى، فيشكل على التنساب تحريراً يثاقب الحديد إلى أن يبقى له رونق رواه. وربما عولى على الحيطان بقطع الرخام أو الأجر أو الخزف أو بالصدف أو السجع يفصل أجزاء متاجستة أو مختلفة وتوضع في الكلس على نسب وأوضاع مقدرة عندهم ييدو به الخاطئ للعيان، كأنه قطع الرياض المنتمة. إلى غير ذلك من بناء الجباب والصهاريج لسيع الماء بعد أن تعدد في البيوت قصاع الرخام القواراء المحكمة الخرط بالغرهات في وسطها لتبعد الماء الجاري إلى الصرف يجلب إليها من خارج في القرارات المفضية به إلى البيوت وأمثال ذلك من أنواع البناء.

وتفتّل الصناع في جميع ذلك باختلاف الخذق والبصر ويعظم عمران المدينة ويتسع فيكترون. وربما يرجع الحكم إلى نظر هؤلاء فيما هم أبصّر به من أحوال البناء. وذلك أن الناس في المدن الكثيرة الازدحام والعمران يتشاركون حتى في الفضاء والهواء للأعلى والأسفل في الاتفاف بظاهر البناء مما يتوقع معه حصول

المدن. وذلك أن الإنسان لما جبل عليها من الفكر في عوائق أحواله، لا بد أن يفكّر فيما يدفع عنه الأذى من الحر والبرد كاختذال البيوت المكتنفة بالسقف والحيطان من سائر جهاتها، والبشر مختلفون في هذه الجملة الفكرية التي هي معنى الإنسانية، فال昧دون فيها ولو على التفاوت يتخذون ذلك باعتدال كأهل الأقليم الثاني والثالث والرابع والخامس والسادس. وأما أهل البدو فيبعدون عن اتخاذ ذلك لقصور أفكارهم عن إدراك الصناع البشرية فيدارون للغيران والكهوف المعدة من غير علاج. ثم المعتدلون والمتخذون البيوت للمأوى قد يتكلّرون فتكثّر بيروتهم في البسيط الواحد بحيث يتكلّرون ولا يتعارفون فيخشون من طرور بعضهم بعضاً يباتاً فيحتاجون إلى حفظ مجتمعهم بإدارة سياج الأسوار التي تحرّطهم ويصير جيّعاً مدينة واحدة ومصرًا واحداً يحوطهم فيها الحكام بدفع بعضهم عن بعض، وقد يحتاجون إلى الاعتصام من العدو ويتخذون العاقل والمحضون لهم وللن حتّى أيديهم، وهؤلاء مثل الملوك ومن في معناهم من الأمراء وكبار القبائل. ثم يختلف أحوال البناء في المدن كل مدينة على ما يتعارفون ويصطلحون عليه ويناسب مزاج هؤالهم واختلاف أحوالهم في الفنى والفقر.

وكذا حال أهل المدينة الواحدة، فمنهم من يتخذ القصور والمصانع العظيمة الساحة المشتملة على عدة الدور والبيوت والغرف الكبيرة لكثرّة ولده وحشمه وعياله وتابعه ويوسّس جدرانها بالحجارة ويحلّم بينها بالكلس ويعالي عليها بالأصبعنة والجص ويبالغ في كل ذلك بالتجديد والتنمية إظهاراً للبساطة بالعناء في شأن المأوى. وبهذا مع ذلك الأسرايب والطامير لاختزان آثراته والإسطبلات لربط مقرباته إذا كان من أهل الجند وكترة التابع والخاشبة كالأمراء ومن في معناهم، منهم من يبني الدويرة والبيوت لنفسه وسكنه وولده لا يتغيّر ما وراء ذلك لقصور حاله عنه واقتصره عن الكن الطبيعي للبشر وبين ذلك مراتب غير منحصرة.

وقد يحتاج هذه الصناعة أيضًا عند تأسيس الملوك وأهل الدول المدن العظيمة والهيكل المركّعة وببالعون في إتقان الأوضاع وعلى الأجرام مع الإحكام لتبلغ الصناعة مبالغها. وهذه الصناعة هي التي تحصل الدواعي لذلك كلّه، وأكثر ما تكون هذه الصناعة في الأقاليم المعتمدة من الرابع وما حواليه، إذ الأقاليم المحرفة لا بناء فيها. وإنما يتخذون البيوت حظائر من القصب والطين أو ياؤون إلى الكهوف والغيران. وأهل هذه الصناعة القائمون عليها متفاوتون: فمنهم البصیر الماهر ومنهم القاصر. ثم هي تتبع أنواعاً كثيرة: فمنها البناء بالحجارة المنجددة أو بالأجر يقام بها الجدران ملصقاً بعضها إلى بعض بالطين والكلس الذي يعقد معها

## الفصل السادس والعشرون

### في صناعة التجارة

هذه الصناعة من ضروريات العمران ومادتها الخشب، وذلك أن الله سبحانه وتعالى جعل للأدمي في كل مكون من المكونات منافع تكمل بها ضروراته أو حاجاته وكان منها الشجر، فإن له فيه من المنافع ما لا ينحصر بما هو معروف لكل أحد. ومن منافعها اتخاذها خشباً إذا بحثت، وأول منافع الخشب أن يكون وقوداً للنيران في معاشهم وعصياً للاحتكاء والذود وغيرهما من ضرورياتهم ودعائم لما يخشى ميله من انقلاب. ثم بعد ذلك منافع أخرى لأهل البدو والحضر:

فأما أهل البدو فيتذخرون منها العمد والأوتاد لخيمتهم والخدوج لطعاتهم، والرماح والقسي والسهام لسلاحهم.

وأما أهل الحضر فالسقف لبيوتهم والأغلاق لأبوابهم والكراسي بللوسهم. وكل واحدة من هذه فالخشبة مادة لها ولا تسير إلى الصورة الخاصة بها إلا بالصناعة. والصناعة المتكللة بذلك الحصلة لكل واحد من صورها هي التجارة على اختلاف ربها. فيحتاج صاحبها إلى تفصيل الخشب أولاً: إما يختبأ أصغر منه أو الراوح. ثم تركب تلك الفصائل بمحسب الصور المطلوبة. فهو في كل ذلك يحاول بصنعه إعداد تلك الفصائل بالانتظام إلى أن تصدر أعضاء لذلك الشكل المخصوص. والقائم على هذه الصناعة هو النجار وهو ضروري في العمران.

ثم إذا عظمت الحضارة وجاء الترف وتألق الناس فيما يتخذونه من كل صنف من سقف أو باب أو كرسي أو ماعون، حدث التألق في صناعة ذلك واستجاده بغرائب من الصناعة كمالية ليست من الضروري في شيء مثل التخطيط في الأبواب والكراسي ومثل تهيئة القطع من الخشب بصناعة الخرط يمكّن بريها وتشكيلاً لها ثم تزلف على نسب مقدرة وتلتحم بالدستائر فبدوا لرأي العين ملتحمة وقد أخذ منها اختلاف الأشكال على تناسب. يصنع هذا في كل شيء يتذبذب من الخشب فيجيء أنيق ما يمكن. وكذلك في جميع ما يحتاج إليه من الآلات المتخذة من الخشب من أي نوع كان.

وكذلك قد يحتاج إلى هذه الصناعة في إنشاء المراكب البحرية ذات الألواح والدس وهي أجرام هندسية صنعت على قالب الحوت واعتبار سبحة في الماء بقوادمه وكلكله؛ ليكون ذلك الشكل أعنوان لها على مصادمة الماء وجعل لها عرض الحركة

الضرر في الهيكل. فيمنع جاره من ذلك إلا ما كان له فيه حق. ويختلفون أيضاً في استحقاق الطرق والمساذا للمياه الجارية والفضلات المسرية في القنوات وربما يدعى بعضهم حق بعض في حائطه أو علوه أو قناته لتضيق الجوار، أو يدعى بعضهم على جاره اعتلال حائطه وخثبية سقوطه ويتوجه إلى الحكم عليه بهده ودفع ضرره عن جاره عند من يراه أو يحتاج إلى قسمة دار أو عرصه بين شريكين، بحيث لا يقع بها فساد في الدار ولا إهمال لمفعتها، وأمثال ذلك. ويخفي جميع ذلك إلا على أهل البصر بالبناء العارفين بأحوال المستدلين عليها بالعقد والمقطع ومراسيم الخشب وميل الحيطان واعتدالها وقسم الساكن على نسبة أوضاعها. ومنها وتسريب المياه في القنوات مجلوبة ومروفة بحيث لا تضر بما مررت عليه من البيوت والحيطان وغير ذلك. فلهم بهذا كله البصر والخبرة التي ليست لغيرهم. وهم مع ذلك يختلفون بالجودة والقصور في الأجيال باعتبار الدول وقوتها.

فإنما قدمتنا أن الصنائع وكاملها، إنما هو بكمال الحضارة، وكثيرتها بكثرة الطالب لها. فلنلنك عندما تكون الدولة بدوية في أول أمرها تفتقر في أمر البناء إلى غير قطرها. كما وقع للوليد بن عبد الملك حين أجمع على بناء مسجد المدينة والقدس ومسجده بالشام. فبعث إلى ملك الروم بالقضطانية في الفعلة المهرة في البناء فبعث إليه منهم من حصل له غرضه من تلك المساجد.

وقد يعرف صاحب هذه الصناعة أشياء من الهندسة مثل تسوية الحيطان بالوزن وإجراء المياه بأخذ الارتفاع وأمثال ذلك فتحاج إلى البصر بشيء من مسائله. وكذلك في جر الأنتقال بالهندام، فإن الأجرام العظيمة إذا شيدت بالحجارة الكبيرة تعجز قدر الفعلة عن رفعها إلى مكانها من الحائط فتحيل لذلك مضايقة قوة الحبل بإدخاله في العالق من ألقاب مقدرة على نسب هندسية قوية الثقل عند معاناة الرفع خفيفاً وتسمى آلة لذلك بالمخال، فيتم المراد من ذلك بغير كلفة، وهذا إنما يتم بأصول هندسية معروفة متداولين بين البشر ويمثلها كان بناء المساكن المثلثة لهذا العهد التي يحب أنها من بناء الجاهليه. وأن أبدانهم كانت على نسبتها في العظم الجسماني وليس كذلك، وإنما لم ذلك بالحيل الهندسية كما ذكرناه. ففهم ذلك. والله يخلق ما يشاء سبحانه.

بالخياطة المحكمة وصلاً أو جبكاً أو تبيتاً أو تفتيحاً على حسب نوع الصناعة.

وهذه الثانية خصصة بالعمران الحضري لما أن أهل البدو يستغثون عنها وإنما يشتملون الأنوار اشتتمالاً. وإنما تفصيل الثياب وتقديرها وإلعامها بالخياطة للباس من مناهب الحضارة وفنونها. وتفهم هذه في سر تحرير المختلط في الحج لما أن مشروعية الحج مستمدّة على نبذ العلاقة الدينية كلها والرجوع إلى الله تعالى «كَمَا حَلَقْتُكُمْ أَوْلَ مَرَّة»، حتى لا يعلق العبد قلبه بشيء من عوائد ترفة، لا طيباً ولا نسأة ولا محيطاً ولا خفأً، ولا يتعرض لصيده ولا لشيء من عوائده التي تكونت بها نفسه وخلقه، مع أنه يفقدها بالمرور ضرورة. وإنما يجيء كأنه وارد على المشر ضارعاً بقلبه مخلصاً لربه. وكان جزاؤه إن تم له إخلاصه في ذلك أن يخرج من ذوبه كيوم ولدته أمه. سبحانك ما أرقتك بعبادك وأرحك بهم في طلب هدايتم إليك.

وهاتان الصنعتان قد يمتنان في الخليقة لما أن الدفء ضروري للبشر في العمران المعتمد. وأما المنحرف إلى الحر فلا يحتاج أهله إلى دفء. وهذا يليقنا عن أهل الإقليم الأول من السودان أنهم عراة في الغالب. ولقدمن هذه الصنائع ينسبها العامة إلى إدريس عليه السلام وهو أقدم الأباء. وربما ينسوونها إلى هرمس وقد يقال: إن هرمس هو إدريس. والله سبحانه وتعالى هو الخالق العظيم.

الخيالية التي للسمك تحرير الرياح. وربما أعينت محركة المجاذيف كما في الأساطيل. وهذه الصناعة من أصلها محتاجة إلى جزء كبير من الهندسة في جميع أصنافها؛ لأن إخراج الصور من القوة إلى الفعل على وجه الإحكام تحتاج إلى معرفة المناسب في المقادير، إما عموماً أو خصوصاً، وتتناسب المقادير لا بد فيه من الرجوع إلى المهندس.

وهذا كان أئمة الهندسة اليونانيون كلهم أئمة في هذه الصناعة، فكان أوقليدوس صاحب كتاب «الأصول في الهندسة» نجارة وبها كان يعرف. وكذلك أبلينيوس صاحب كتاب «المخروطات» وميلاوش وغيرهم. وفيما يقال: إن معلم هذه الصناعة في الخليقة هو نوح عليه السلام وبها أنشأ سفينة النجاة التي كانت بها معجزته عند الطوفان. وهذا الخبر وإن كان مكتوباً أعني كونه نجارة إلا أن كونه أول من علمها أو تعلمها لا يقوم دليلاً من التقليل عليه بعد الآماد. وإنما معناه والله أعلم الإشارة إلى قدم التجارة؛ لأنه لم تصح حكاية عنها قبل خبر نوح عليه السلام فجعل كأنه أول من تعلمها. ففهم أسرار الصنائع في الخليقة. والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق.

## الفصل السابع والعشرون

### في صناعة الحياة والخياطة

#### الفصل الثامن والعشرون

##### في صناعة التوليد

وهي صناعة يعرف بها العمل في استخراج المولود الأدمي من بطن أمه من الرفق في إخراجه من رحها وتنبيتها أسباب ذلك. ثم ما يصلحه بعد الخروج على ما ذكر. وهي خصصة بالنساء في غالب الأمر لما أنهن الظاهرات بعضهن على عورات بعض. وتسمى القائمة على ذلك منهن القابلة. استغير فيها معنى الإعطاء والقبول كأن النساء تعطّلها الجنين وكأنها تقبله. وذلك أن الجنين إذا استكمل خلقه في الرحم وأطواره ويبلغ إلى غايته والمدة التي قدر الله لكته وهي تسعه أشهر في الغالب فيطلب الخروج بما جعل الله في المولود من التزوع لذلك وينبغي عليه المفتد فيسر. وربما مزق بعض جوانب الفرج بالضغط وربما انقطع بعض ما كان من الأغشية من الالتصاق والالتحام بالرحم. وهذه كلها ألام يشدّ لها الرجع وهو معنى العطّل، فتكون القابلة معينة في ذلك

اعلم أن المعتدلين من البشر في معنى الإنسانية لا بد لهم من الفكر في الدفء كالتفكير في الكن. ويمثل الدفء باشتمال المنسوج للرقابة من الحر والبرد. ولا بد لذلك من إلعام الغزل حتى يصير ثرياً واحداً، وهو النسج والخياطة. فإن كانوا باديّة اقتصروا عليه، وإن مالوا إلى الحضارة فصلوا تلك المنسوجة قطعاً يقدرون منها ثرياً على البدن بشكله وتعدد أعضائه واختلاف نواحيها. ثم يلائمون بين تلك القطع بالوصلات حتى تصير ثرياً واحداً على البدن ويلبسونها. والصناعة المحصلة لهذه الملاعة هي الخياطة.

وهاتان الصنعتان ضروريتان في العمران لما يحتاج إليه البشر من الرف، فالأخيرة لنسج الغزل من الصوف والكتان والقطن إسداء في الطول واللحام في المرض وإحكاماً لذلك النسج بالالتحام الشديد، فيتم منها قطع مقدرة: فمنها الأكبية من الصوف للاشتمال، ومنها الثياب من القطن والكتان للباس. والصناعة الثانية لتقدير المسروقات على اختلاف الأشكال والعوائد، تفصل أولاً بالمتراخيص قطعاً مناسبة للأعضاء البدينة ثم تلجم تلك القطع

شأن المعجزة من ذلك فقد وقع كثيراً، ومنه ما روى أن النبي ﷺ ولد مسروراً ختناً وأضعاً يديه على الأرض شائخاً يبصره إلى السماء، وكذلك شأن عيسى في المهد وغير ذلك، وأما شأن الإللام فلا ينكر، وإذا كانت الحيوانات العجم تختص بغرائب الإللامات كالنجعل وغيرها مما ظنك بالإنسان الفضل عليها، وخصوصاً من اختص بكرامة الله.

ثم الإللام العام للمولودين في الإقبال على الشדי أوضح شاهد على وجود الإللام العام لهم، فشأن العناية الإلهية أعظم من أن يحيط به، ومن هنا يفهم بطلان رأي الفارابي وحكماء الأندلس فيما احتجروا به لعدم انقطاع الانبعاث واستحاله انقطاع المكونات، وخصوصاً في النوع الإنساني، وقالوا: لو انقطعت إشخاصه لاستحال وجودها بعد ذلك لتوقفه على وجود هذه الصناعة التي لا يتم كون الإنسان إلا بها، إذ لو قدرنا مولوداً دون هذه الصناعة وكانتها إلى حين الفصال لم يتم بقاؤه أصلاً، وجود الصنائع دون الفكر ممتنع لأنها ثمرة وتابعة له، وتتكلف ابن سينا في الرد على هذا الرأي لخالفته إيه وذهابه إلى إمكان انقطاع الأنبعاث وخراب عالم التكوير ثم عوده ثانيةً لاقتضاءات فلكية وأوضاع غربية تسفر في الأحكاب بزعمه، فتفتضي تخيير طيبة مناسبة لزواجه بحرارة مناسبة فيتم كونه إنساناً ثم يقيس له حيوان يخلق فيه إماماً لتربيته والآخر عليه إلى أن يتم وجوده وفالله، وأنطب في بيان ذلك في الرسالة التي سماها رسالة حي بين يقطان، وهذا الاستدلال غير صحيح وإن كان توافقه على انقطاع الأنبعاث لكن من غير ما استدل به، فإن دليلاً مبني على إسناد الأفعال إلى العلة الموجبة، ودليل القول بالفاعل المختار يرد عليه ولا واسطة على القول بالفاعل المختار بين الأفعال والقدرة القدية ولا حاجة إلى هذا التكليف.

ثم لو سلمناه جدلاً فقاية ما يبني عليه اطراد وجود هذا الشخص يخلق الإللام لتربيته في الحيوان الأعمجم، وما الضرورة الداعية لذلك؟ وإذا كان الإللام يخلق في الحيوان الأعمجم بما المانع من خلقه للمولود نفسه كما قررناه أولاً، وخلق الإللام في شخص لصالح نفسه أقرب من خلقه فيه لصالح غيره، فكلا المذهبين شاهدان على أنفسهما بالبطلان في مناحيهما لما قررته لك والله تعالى أعلم.

بعض الشيء بغمز الظهر والوركين وما يحيطى الرحم من الأسافل تساوق بذلك فعل الدافعة في إخراج الجنين وتسهيل ما يصعب منه بما يمكنها وعلى ما تهتدي إلى معرفة عسره، ثم إذا خرج الجنين بقيت بينه وبين الرحم الوصلة عضو فضلي لتغذية المولود متصلة من سرتها بمعاه، وتلك الوصلة عضو فضلي لتغذية المولود خاصة فتقطعها القابلة من حيث لا تتعذرى مكان الفضيلة ولا تضر بمعاه ولا برحم أمه ثم تدخل مكان الجراحة منه بالكى أو بما تراه من وجوه الاندماج.

ثم إن الجنين عند خروجه من ذلك المففذ الضيق وهو رطب العظام سهل الانعطاف والانثناء فربما تغير أشكال أعضائه وأوضاعها لقرب التكوير ورطوبة المرواد فتناوله القابلة بالغمز والإصلاح حتى يرجع كل عضو إلى شكله الطبيعي ووضعه المقدر له ويرتد خلقه سرياً، ثم بعد ذلك تراجع النساء ومحاذيبها بالغمز والملاينة لخروج أغشية الجنين؛ لأنها ربما تتأخر عن خروجه قليلاً، وينتشى عند ذلك أن تراجع المساكنة حالتها الطبيعية قبل استكمال خروج الأغشية وهي فضلات فتفعن ويسري عفتها إلى الرحم فيقع الملاك فتحاير القابلة هنا وتحاول في إعانته النفع إلى أن تخرج تلك الأغشية إن كانت قد تأخرت ثم ترجع إلى المولود فتمرخ أعضاء بالأدهان والذرورات القابضة لتشده وتجفف رطوبات الرحم وتحنكه لرفع هاته وتسطعه لاستفراغ نظرف دماغه وتغيره باللعلق لدفع السدد من معاه وتحويلها عن الالتصاق، ثم تداوي النساء بعد ذلك من الوهن الذي أصابها بالطلق وما لحق رحمها من آلم الانقضاض، إذ المولود وإن لم يكن عضواً طبيعياً فحاله التكوير في الرحم صيرته بالاتحام كالعضو المتصل؛ فلذلك كان في انصفاله لم يقرب من آلم القطع، وتداوي مع ذلك ما يلحق الفرج من آلم من جراحة التمزيق عند الضغط في الخروج، وهذه كلها أدوات نجد هولاء القوابيل أبصر بدواهنا، وكذلك ما يعرض للمولود مدة الرضاع من أدواته في بدنه إلى حين الفصال ثم يذهب بأصربها من الطبيب الماهر، وما ذلك إلا لأن بدن الإنسان في تلك الحالة إنما هو بدن إنساني بالقوية فقط، فإذا جاوز الفصال صار بدن إنسانياً بالفعل، فكانت حاجته حيثذا إلى الطبيب أشد، وهذه الصناعة -كما تراه- ضرورية في العمران لنوع الإنساني، لا يتم كون إشخاصه في الغالب دونها.

وقد يعرض بعض أشخاص النوع الاستغناء عن هذه الصناعة، إما يخلق الله ذلك لهم معجزة وخرقاً للعادة كما في حق الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أو بإهانة وهداية يلهم لها المولود ويفطر عليها فيتم وجودهم من دون هذه الصناعة، فاما

فضولات مختلفة من العرق واللعاب والمخاط والدموع. هذه صورة الغذاء وخروجه من القوة إلى الفعل حماً.

ثم إن أصل الأمراض ومعظمها هي الحميّات. وسيبها أن الحار الغريزي قد يضعف عن إتمام النضج في طبخه في كل طور من هذه، فيقي ذلك الغذاء دون نضج، وسيبيه غالباً كثرة الغذاء في المعدة حتى يكون أغلب على الحار الغريزي أو إدخال الطعام إلى المعدة قبل أن تستوفى طبخ الأول، فيشتغل به الحار الغريزي ويترك الأول مجالاً أو يتوزع عليهما فيقصر عن تمام الطبخ والنضج. وترسل المعدة كذلك إلى الكبد فلا تقوى حرارة الكبد أيضاً على إتضاجه. وربما يبقى في الكبد من الغذاء الأول فضلة غير ناضجة. وترسل الكبد جميع ذلك إلى العروق غير ناضج كما هو، فإذا أخذ البدن حاجته الملائمة أرسله مع الفضلات الأخرى من العرق والدموع واللعاب إن اقتدر على ذلك. وربما يعجز عن الكثير منه فيقي في العروق والكبد والمعدة وتتزايد مع الأيام. وكل ذي رطوبة من الممتزجات إذا لم يأخذن الطبخ والنضج يعفن، فيتعفن ذلك الغذاء غير الناضج وهو المسمى بالختل. وكل متعرّف فيه حرارة غريبة وتلك هي المسماة في بدن الإنسان بالحمى.

واعتبر ذلك بالطعام إذا ترك حتى يتعرّف وفي الزيل إذا تعفن أيضاً، كيف تبعث فيه الحرارة وتأخذ مأخذها. وهذا معنى الحميّات في الأبدان وهي رأس الأمراض وأصلها كما وقع في الحديث. وهذه الحميّات علاجات بقطع الطعام عن الريض أساساً معلومة ثم تناوله الأغذية الملائمة حتى يتم بروءه. وكذلك في حال الصحة له علاج في التحفظ من هذا المرض وغيره، وأصله كما وقع في الحديث، وقد يكون ذلك العفن في عضو مخصوص، فيتحول عنه مرض في ذلك العضو أو تحدث جراحات في البدن: إما في الأعضاء الرئيسية أو في غيرها. وقد يمرض العضو ويموت عنه مرض القوى الموجودة له. هذه كلها جماع الأمراض، وأصلها في الغالب من الأغذية وهذا كله مرفوع إلى الطبيب.

ووقوع هذه الأمراض في أهل الحضر والأمصار أكثر. لخص عيشهم وكثرة مأكلهم وقلة اقتفارهم على نوع واحد من الأغذية وعدم توقيتهم لتناولها. وكثيراً ما يخلطون بالأغذية من التوابل والبقرول والفاواكه، رطباً ويباساً في سبيل العلاج بالطبخ ولا يقتصرُون في ذلك على نوع أو أنواع. فربما عدتنا في اللون الواحد من الوان الطبخ أربعين نوعاً من النبات والخيوان فيصير للغذاء مزاج غريب. وربما يكون بعيداً عن ملامحة البدن وأجزاءه. ثم إن الأهوية في الأمصار تنسد بمخالطة الأخيرة الغفنة من كثرة الفضلات. والأهوية منشطة للأرواح ومقوية بنشاطها لأثر الحرار

## الفصل التاسع والعشرون

### في صناعة الطب وأنها تحتاج إليها في الحواضر والأمصار دون الbadia

هذه الصناعة ضرورية في المدن والأمصار لما عرف من فائدتها، فإن ثمرتها حفظ الصحة للأصحاء ودفع المرض عن المرضى بالدواء حتى يحصل لهم البرء من أمراضهم. واعلم أن أصل الأمراض كلها إنما هو من الأغذية كما قال عليه السلام في الحديث الجامع للطب كما ينقل بين أهل الصناعة وإن طعن في العلماء وهو قوله: «المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء وأصل كل داء البردة».

فاما قوله: «المعدة بيت الداء» فهو ظاهر.

وأما قوله «الحمية رأس الدواء» فالحمية الجروح وهو الاحتماء من الطعام. ولله تعالى أن الجروح هو الدواء العظيم الذي هو أصل الأدوية.

وأما قوله «أصل كل داء البردة» فمعنى البردة إدخال الطعام على الطعام في المعدة قبل أن يتم هضم الأول.

وشرح هذا أن الله سبحانه خلق الإنسان وحفظ حياته بالغذاء يستعمله بالأكل وينفذ في القوى الماضمة والغاذية إلى أن يصير دماً ملائماً لأجزاء البدن من اللحم والعظم، ثم تأخذه النامية فيتقلب حماً وعظماً. ومني المضم طبخ الغذاء بالحرارة الغريزية طوراً بعد طور حتى يصير جزءاً بالفعل من البدن، وتفسيره أن الغذاء إذا حصل في الفم ولاكته الأشداد أثّرت فيه حرارة الفم طبخاً سيراً وقلبت مزاجه بعض الشيء، كما تراه في اللقمة إذا تناولتها طعاماً ثم أجدتها مفصّعاً فترى مزاجها غير مزاج الطعام ثم يحصل في المعدة فتطبخ حرارة المعدة إلى أن يصير كيموساً وهو صفو ذلك المطبوخ وترسله إلى الكبد وترسل ما رسب منه في الماء ثقلاً ثم ينفذ إلى المخرجين. ثم تطبخ حرارة الكبد ذلك الكيموس إلى أن يصير دماً عيطاً وتطفو عليه رغوة من الطبخ هي الصفراء. وترسب منه أجزاء باسته هي السوداء ويقصر الحار الغريزي بعض الشيء عن طبخ الغليظ منه فهو البلغم. ثم ترسلها الكبد كلها في العروق والجداول، وينأخذها طبخ الحار الغريزي هناك، فيكون عن الدم الحالص مخار حار رطب بعد الروح الحيواني وتأخذ النامية مأخذها في الدم فيكون حماً ثم غليظه عظاماً. ثم يرسل البدن ما يفضل عن حاجاته من ذلك

فيكون خطه قاصراً وقراءته غير نافذة. ونجد تعليم الخط في الأ MCSars لأهل الأ MCSars إذ هم في الغربizi في المضم. ثم الرياضة مفقودة لأهل الأ MCSars وهم في الغالب وادعون ساكنون لا تأخذ منهم الرياضة شيئاً ولا تؤثر عليهم أثراً، فكان وقع الأمراض كثيراً في المدن والأ MCSars وعلى لاستحكام الصنعة فيها. كما يمكن لنا عن مصر لهذا المهد وأن بها معلمين متخصصين لتعليم الخط يلقون على المتعلم قوانين وأحكاماً في وضع كل حرف ويزيدون إلى ذلك المباشرة بتعليم وضعه فتعتضد لديه رتبة العلم والحسن في التعليم وتتأتي ملكته على أم الوجوه.

وإنما أتى هذا من كمال الصنائع ووفرها بكثرة العمارة وانساح الأعمال، وليس الشأن في تعليم الخط بالأندلس والمغرب كذلك في تعلم كل حرف بتفصيده، على قوانين يلقىها المعلم للمتعلم، وإنما يتعلم بمحاكاة الخط من كتابة الكلمات جلة. ويكون ذلك من المتعلم ومطالعة المعلم له، إلى أن يصل له الإجاده ويتمكن في بنائه الملكة؛ فيسمى مجداً. وقد كان الخط العربي بالغاً مبالغه من الإحكام والإتقان والجردة في دولة التابعة لما بلغت من الحضارة والترف وهو المسمي بالخط الحميري، وانتقل منها إلى الحيرة لما كان بها من دولة آل المنذر نسبة التابعة في العصبية والمجددين ملوك العرب بارض العراق. ولم يكن الخط عندهم من الإجاده كما كان عند التابعة لقصور ما بين الدولتين. فكانت الحضارة وتواجدها من الصنائع وغيرها قاصرة عن ذلك. ومن الحيرة لقنه أهل الطائف وقريش فيما ذكر. ويقال: إن الذي تعلم الكتابة من الحيرة هو سفيان بن أمية ويقال: حرب بن أمية وأنذها من أسلم بن سدرة. وهو قول ممكن وأقرب من ذهب إلى أنهن تعلموها من إياد أهل العراق لقول شاعرهم:

قوم لهم ساحة العراق إذا ساروا جميعاً والخط والقلم

وهو قول بعيد؛ لأن إياداً وإن نزلوا ساحة العراق فلم يزالوا على شأنهم من البداءة والخط من الصنائع الحضارية. وإنما معنى قول الشاعر أنهم أقرب إلى الخط والقلم من غيرهم من العرب لقربهم من ساحة الأ MCSars وضواحيها، فالقول بأن أهل الحجاز إنما لقنتها من الحيرة ولقنتها أهل الحيرة من التابعة وحير هو الآليق من الأقوال، ورأيت في كتاب «التكلمية» لابن الأبار عند التعريف ببابن فروخ القميرواني الفاسي الأندلسي من أصحاب مالك رضي الله عنه واسمه عبد الله بن فروخ بن عبد الرحمن بن زياد بن أتمع، عن أبيه قال: قلت لعبد الله بن عباس: يا معشر قريش! خبروني عن هذا الكتاب العربي، هل كتبتونه قبل أن يبعث الله محمداً عليه السلام تجتمعون منه ما اجتمع وتفرقون منه ما افترق مثل الألف واللام واليم والتون؟ قال: نعم. قلت: ومن أخذته؟ قال: من حرب بن أمية. قلت: ومن أخذه حرب؟ قال:

الغربي في المضم. ثم الرياضة مفقودة لأهل الأ MCSars إذ هم في الغالب وادعون ساكنون لا تأخذ منهم الرياضة شيئاً ولا تؤثر عليهم أثراً، فكان وقع الأمراض كثيراً في المدن والأ MCSars وعلى قدر وقرره كانت حاجتهم إلى هذه الصناعة.

وأما أهل البدو فما يكتبون قليل في الغالب والجروح أغلب عليهم لقلة الحبوب حتى صار لهم ذلك عادة. وربما يظن أنها جلة لاستمرارها. ثم الأدم قليلة لديهم أو مفقودة بالجملة. وعلاج الطبع بالتوابل والفاواكه إنما يدعى إليه ترف الحضارة الذين هم بمعرض عنه فيتناولون أغذتهم بسيطة بعيدة عما يخالفها ويقرب مزاجها من ملاممة البدن. وأما أهميتها فقليلة العفن لقلة الرطوبات والغفونات إن كانوا أهلين، أو لاختلاف الأهوية إن كانوا ظاغعين.

ثم إن الرياضة موجودة فيهم من كثرة الحركة في ركض الخيل أو الصيد أو طلب الحاجات أو مهنة أنفسهم في حاجاتهم، فيحسن بذلك كله المضم ويجدون وفقد إدخال الطعام على الطعام فتكون أمزاجتهم أصلح وأبعد عن الأمراض، فتقل حاجتهم إلى الطلب. وهذا لا يوجد الطبيب في البداية بوجهه. وما ذاك إلا للاستغاثة عنه إذ لو احتاج إلى لوجد، لأنه يكون له بذلك في البدو معاش يدعوه إلى سكانه سنة الله التي قد دخلت في عباده وكل تجذب لستة الله تبليلاً.

## الفصل الثالثون

### في أن الخط والكتابة من عداد الصنائع الإنسانية

وهو رسوم وأشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس. فهو ثانية رتبة عن الدالة اللغوية، وهو صناعة شريفة إذ الكتابة من خواص الإنسان التي يميز بها عن الحيوان. وأيضاً فهي تطلع على ما في الضمائر وتسأدى بها الأغراض إلى البلد البعيد فتقتضي الحاجات وقد دفت مؤونة المباشرة لها ويطبع بها على العلوم والمعارف وصحف الأولين وما كبره في علومهم وأخبارهم، فهي شريفة بجميع هذه الرجوه والمنافع. وخروجهما في الإنسان من القوة إلى الفعل إنما يكون بالتعليم وعلى قدر الاجتماع وال عمران والتناغي في الكلمات والطلب لذلك تكون جودة الخط في المدينة. إذ هو من جملة الصنائع. وقد قدمتنا أن هذا شأنها وأنها تابعة للعمارة وهذا نجد أكثر البدو أهلاً للكتابة ولا يقرأون، ومن قرأ منهم أو كتب

زيادة الألف في: لا أذمحه: إنه تنبئه على أن النجع لم يقع؛ وفي زيادة الياء في بآيده إنه تنبئه على كمال القدرة الربانية، وأمثال ذلك ما لا أصل له إلا التحكم المحس. وما حلمهم على ذلك إلا اعتقادهم أن في ذلك تنبئها للصحاببة عن توهم الفحص في قلة إجاده الخط. وحسبوا أن الخط كمال فزوههم عن نفسه ونسبوا إليهم الكمال بإجادته وطلبو تعليل ما خالف الإجاده من رسمه وذلك ليس بصحيح.

واعلم أن الخط ليس بكمال في حقهم إذ الخط من جملة الصنائع المدنية المعاشرة كما رأيته فيما مر. والكمال في الصنائع إضافي وليس بكمال مطلق إذ لا يعود تقنه على الذات في الدين ولا في الخلال، وإنما يعود على أسباب المعاش ومحسب العمran والتعاون عليه لأجل دلاته على ما في النقوس. وقد كان النبي ﷺ أمياً وكان ذلك كاماً في حقه وبالنسبة إلى مقامه لشرفه وتزهه عن الصنائع العملية التي هي أسباب المعاش والعمران كلها. وليست الأمية كاماً في حقنا نحن إذ هو منقطع إلى ربه ونحن متعاونون على الحياة الدنيا شأن الصنائع كلها حتى العلوم الاصطلاحية، فإن الكمال في حقه وتزهه عنها جملة بخلافنا.

ثم جاء الملك للعرب وفتحوا الأمصار وملكوا المالك وزلوا البصرة والكرفنة واحتاجت الدولة إلى الكتابة استعملوا الخط وطلبوا صناعته وتعلمواه وتداولوه، فترفت الإجاده فيه واستحکم وبلغ في الكوفة والبصرة رتبة من الإتقان إلا أنها كانت دون الغاية. والخط الكوفي معروف الرسم لهذا العهد.

ثم انتشرت العرب في الأقطار والممالك وافتتحوا إفريقياً والأندلس واختلط بنو العباس ببغداد وتركت الخطوط فيها إلى الغاية لما استبحرت في العمран وكانت دار الإسلام ومركز الدولة العربية، وخالفت أوضاع الخط ببغداد أو ضاعه بالكرفنة إلى إجاده وجال الرونق وحسن الرواء. واستحکمت هذه المخالفة في الأمصار إلى أن رفع رايتها ببغداد علي بن مقلة الوزير. ثم تلاه في ذلك علي بن هلال، الكاتب الشهير بابن الباب. ووقف ستد تعليمها عليه في المائة الثالثة وما بعدها.

ويعدت رسوم الخط البغدادي وأوضاعه عن الكوفة حتى انتهى إلى الميلاد. ثم ازدادت المخالفة بعد تلك العصور بفن الجهادنة في إحكام رسومه وأوضاعه، حتى انتهت إلى المتأخرین مثل ياقوت والولي على العجمي. ووقف ستد تعليم الخط عليهم وانتقل ذلك إلى مصر، وخالفت طريقة العراق بعض الشيء ولقتها العجم هناك، فظهرت مخالفة خط أهل مصر أو مبادئه.

من عبد الله بن جدعان. قلت: ومن أخذه عبد الله بن جدعان؟ قال: من أهل الأنبار. قلت: ومن أخذه أهل الأنبار؟ قال: من طارئ طرأ عليه من أهل اليمن. قلت: ومن أخذه ذلك الطارئ؟ قال: من الخلجان بن القسم كاتب الوجه هود النبي عليه السلام. وهو الذي يقول: أفي كل عام سنة محدثونا ورأي على غير الطريق بغير والمرور خير من حياة تسبنا بها جرم فيم بسب وحيه انتهى ما نقله ابن الأنبار في كتاب التكملة.

وزاد في آخره: حدثني بذلك أبو بكر بن أبي حمير في كتابه عن أبي حمير بن العاص عن أبي الوليد الوتشي، عن أبي عمر الطلمنكي ابن أبي عبد الله بن مفرج. ومن خطه نقلته عن أبي سعيد بن يونس عن محمد بن موسى بن التعمان، عن مجبي بن محمد بن حشيش بن عمر بن أبيوب المغاربي التونسي، عن بهلول بن عبيدة المعى، عن عبد الله بن فروخ. انتهى.

وكان حمير كتابة تسمى المسند حرفيها منفصلة وكانوا يمنعون من تعلمها إلا بذاتهم. ومن حمير تعلم مضر الكتابة العربية إلا أنهم لم يكتنوا بعديدين لها شأن الصناعه إذا وقعت بالبدو، فلا تكون عكمة المذاهب ولا مائلة إلى الإنقاذ والتنمية لبون ما بين البدو والصناعة واستغناء البدو عنها في الأكثر. فكانت كتابة العرب بدويه مثل كتابتهم أو قريباً من كتابتهم لهذا العهد أو تقول: إن كتابتهم لهذا العهد أحسن صناعة؛ لأن هؤلاء أقرب إلى الحضارة ومخالطة الأمصار والدول. وأما مضر فكانوا أعرق في البدو وأبعد عن الحضرة من أهل اليمن وأهل العراق وأهل الشام ومصر، فكان الخط العربي لأول الإسلام غير بالغ إلى الغاية من الإحكام والإتقان والإجاده ولا إلى التوسط لكان العرب من البداؤ والتلوش وبعدهم عن الصناعه، وانظر ما وقع لأجل ذلك في رسومهم المصحف حيث رسسه الصحابة بخطفهم وكانت غير مستحکمة في الإجاده، فخالف الكثير من رسومهم ما اقتضته أقيمة رسوم صناعة الخط عند أهلها ثم اتفق التابعون من السلف رسومهم فيها تبركاً بما رسسه أصحاب رسول الله ﷺ وخيرخلق من بعده التلقون لوجهه من كتاب الله وكلامه. كما يتفى هذا العهد خط ملي أو عالم تبركاً ويتبع رسسه خطأ أو صواباً. وإن نسبة ذلك من الصحابة فيما كتبوا، فاتبع ذلك وأثبت رسماً ونبه العلماء بالرسم على موضعه.

ولا تختلف في ذلك إلى ما يزعمه بعض المقلدين من أنهم كانوا محظيين لصناعة الخط وأن ما يتخيّل من مخالفة خطفهم لأصول الرسم ليس كما يتخيّل بل لكلها وجه. ويقولون في مثل

الفساد والتصحيف وتغيير الأشكال الخطية عن الجودة حتى لا تكاد تقرأ إلا بعد عشر، ووقع فيه ما وقع في سائر الصنائع بتنقص الحضارة وفساد الدول، والله يحكم لا معقب لحكمه.

وللأستاذ أبي الحسن علي بن هلال الكاتب البغدادي الشهير ببابن الباب قصيدة من بحر البسيط على روي الراء يذكر فيها صناعة الخط وموادها من أحسن ما كتب في ذلك. رأيت إياتها في هذا الكتاب من هذا الباب ليتتبع بها من يريد تعلم هذه الصناعة. وأولها:

يسا من يريد إجاده التحرير  
ويروم حسن الخط والتصوير  
فارغب إلى مولاك في التيسير  
إن كان عزتك في الكتابة صادقاً  
صلب يصرع صناعة التجمير  
أعدد من الأفلام كل متفق  
وإذا عمدت لبرة فتوخه  
عند القياس بأوسط التقدير  
من جانب التدقير والتخصير  
اظظر إلى طرقه فاجعل بريه  
وأجعل بلطفه قواماً عادلاً  
والشق وسُطْه ليقيس بريه  
فالقط فيه جلة التبشير  
حتى إذا اقفت ذلك كله  
لا نطمئن في أن أبوج بسره  
لكن جلة ما أقول بانه  
والآن دواتك بالدخان مدبراً  
واضاف إليه مفرة قد صولت  
حتى إذا ما خرت فاعدم إلى  
فاكبه بعد القطع بالمحصار كي  
بنائي عن الشعيم والتثمير  
ثم أجعل التمثيل دابك صابرًا  
ما أدرك السائل مثل صبور  
عزمًا مجرده عن الشعير  
إيداً به في اللوح متضليله  
في أول التمثيل والتسطير  
لا تخجل من الردى منتظره  
فالامر يصعب ثم يرجع هيئاً  
حتى إذا أدرك ما ألمته  
فأشكر إملك واتبع روضاته  
إن الإله يحيي كل شكر  
وارغب لكفك أن تخطب بناها  
خيراً مختلفه بسلام غرور  
فجميع فعل المرء يلقاه غالباً  
عند الشقاء كتابه المشور  
واعلم بأن الخط بيان عن القول والكلام، كما أن القول  
والكلام بيان عما في النفس والضمير من المعاني فلا بد لكل  
منهما أن يكون واضح الدلالة.

قال الله تعالى: «خلقَ النَّاسَ عَلَمَةً لِّيَأْتُ» وهو يشتمل  
بيان الأدلة كلها. فالخط المجرد كماله أن تكون دلاته واضحة،  
بياناته حروفه المتواتعة وإجاده وضعها ورسمها كل واحد على  
حدة متميز عن الآخر. إلا ما اصطلاح عليه الكتاب من إيصال

وكان الخط الإفريقي المعروف رسمه القديم لهذا العهد. يقرب من أوضاع الخط المشرقي وتميز ملك الأندلس بالأمررين فتميزوا بأحوالهم من الحضارة والصنائع والخطوط فتميز صنف خطهم الأندلسي كما هو معروف الرسم لهذا العهد. وطما بحر العمران والحضارة في الدول الإسلامية في كل قطر. وعظم الملك ونفت أسواق العلوم واتسخت الكتب وأجيد كتبها وتحليلها وملئت بها القصور والخزائن الملكية بما لا كفاه له، وتسافن أهل الأقطار في ذلك وتتاغروا فيه.

ثم لما انخل نظام الدولة الإسلامية وتساقطت تنافق ذلك أجمع ودرست عالم بغداد بدوروس الخلافة فانتقل شأنها من الخط والكتابة بل والعلم إلى مصر والقاهرة، فلم تزل أسوأه بها ناقفة لهذا العهد وللخط بها معلمون يرسمون للمتعلم المحرف بقوانيين في وضعها، وأشكالها مترابطة بينهم فلا يثبت المتعلّم أن يحكم أشكال تلك المحرف على تلك الأوضاع وقد لقناها حسناً وحذق فيها دريةً وكابةً وأنخذها قوانين علمية فتجمع أحسن ما يكون.

وأما أهل الأندلس فافتقدوا في الأقطار عند تلاشي ملك العرب بها ومن خلفهم من البربر، وتغلبت عليهم أسم النصارى فانشروا في عدو المغرب وإفريقية من لدن الدولة المتنامية إلى هذا العهد. وشاركوا أهل العمران بما لديهم من الصنائع وتعلموا بأيديال الدولة، فتغلب خطهم على الخط الإفريقي وعفى عليه ونسى خط القبروان والمهدية بنسبيان عوائدهما وصناعتهما. وصارت خطوط أهل إفريقية كلها على الرسم الأندلسي بتونس وما إليها لتتوفر أهل الأندلس بها عند الجالية من شرق الأندلس. وبقي منه رسم بيلاج العريض الذين لم يخالفوا كتاب الأندلس ولا ترسوا بجوارهم. إنما كانوا يقدون على دار الملك بتونس فصار خط أهل إفريقية من أحسن خطوط أهل الأندلس حتى إذا تخلص ظل الدولة الموحدية بعض الشيء وترابع أمر الحضارة والترف بتراجع العمران، نقص حيث حال الخط وفسدت رسومه وجهل فيه وجه التعليم بفساد الحضارة وتنافق العمران. وبقيت فيه آثار الخط الأندلسي تشهد بما كان لهم من ذلك لما قدمناه من أن الصنائع إذا رستخ بالحضارة فيعسر محراها، وحصل في دولة بني مرين من بعد ذلك بالغرب الأقصى لون من الخط الأندلسي لقرب جوارهم وسفره من خرج منهم إلى فاس قريباً واستعمالهم إياهم سائر الدولة. ونسى عهد الخط فيما بعد عن سدة الملك وداره. كأنه لم يعرف. فصارت الخطوط يافرقة والمغاربة مائلاً إلى الرداءة بعيدة عن الجودة وصارت الكتب إذا اتسخت فلا فائدة تحصل لتصفحها منها إلا العنااء والمشقة لكثرة ما يقع فيها من

الرقوق المهمة بالصناعة من الجلد لكترة الرفة وقلة التأكيف صدر الملة كما نذكره. وقلة الرسائل السلطانية والصكوك مع ذلك فاقتصرت على الكتاب في الرق تشريفاً للمكتوبات وميلاً بها إلى الصحة والإتقان.

ثم طما بحر التأكيف والتدوين وكثرة ترسيل السلطان وصكوكه وضيق الرق عن ذلك. فشارف الفضل بن يحيى بصناعة الكاغد وصنه وكتب فيه رسائل السلطان وصكوكه. وأخذته الناس من بعده صحفاً لمكتوباتهم السلطانية والعلمية. وبلغت الإجادة في صناعته ما شاءت. ثم وقفت عناية أهل العلوم وهم أهل الدول على ضبط الدواوين العلمية وتصحیحها بالرواية المسندة إلى مؤلفيها وواضعيها؛ لأنه الشأن الأهم من التصحیح والضبط فذلك تسد الأقوال إلى قائلها والفتيا إلى الحاكم بها الجمهد في طريق استباقها. وما لم يكن تصحیح المtron بإسنادها إلى مدونها فلا يصح إسناد قول لهم ولا فتيا. وهكذا كان شأن أهل العلم وحملته في الصدور والأجيال والأفاق.

حتى لقد قصرت فائدة الصناعة الحديثة في الرواية على هذه فقط، إذ ثمرتها الكبرى من معرفة صحيحة الأحاديث وحسنها ومسندها ومرسلها ومقطوعها وموقوفها من موضوعها قد ذهبت وغخت زبدة في تلك الأمهات المتلقة بالقبول عند الأمة. وصار القصد إلى ذلك لغواً من العمل. ولم تبق ثمرة الرواية والاشتغال بها إلا في تصحیح تلك الأمهات الحديثة سوها من كتب الفقه للفتيا، وغير ذلك من الدواوين والتأكيف العلمية. واتصال ستدتها بمؤلفيها ليصح النقل عنهم، والإسناد إليهم. وكانت هذه الرسوم بالشرق والأندلس معبدة الطرق واضحة المسالك. وهذا نجد الدواوين المنسخة لذلك العهد في أقطارهم على غایة من الإتقان والإحكام والصحة. ومنها هذا العهد بأيدي الناس في العالم أصول عتيقة تشهد بيلوغ الغایة لهم في ذلك. وأهل الأفاق يتلقونها إلى الآن ويشدون عليها يد الضمانة، وقد ذهبت هذه الرسوم لهذا العهد جملة بالغرب وأهلة لانقطاع صناعة الخط والضبط والرواية منه باتفاق عمرانه وبادارة أهله وصارت الأمهات والدواوين تنسخ بالخطوط اليدوية ينسخها طبة البرير صحائف مستعجمة برداة الخط وكثرة الفساد والتصحیح، فستغلق على متصفحها ولا يحصل منها فائدة إلا في الأقل النادر.

وإيضاً فقد دخل الخلل من ذلك في الفتيا فإن غالباً الأقوال المعزوة غير مرورية عن أئمة المذاهب، وإنما تلقى من تلك الدواوين على ما هي عليه. وطبع ذلك أيضاً ما يتصدى إليه بعض أنتمهم من التأكيف لقلة بصرهم بصناعته وعدم الصنائع الواقية

حرف الكلمة الواحدة ببعضها ببعض. سوى حروف اصطلاحوا على قطعها، مثل الألف المتقدمة في الكلمة، وكذلك الراء والزاي والدال والذال وغيرها، مختلف ما إذا كانت متأخرة. وهكذا إلى آخرها. ثم إن المتأخرین من الكتاب اصطلاحوا على وصل كلمات، بعضها بعض، وحذف حروف معروفة عندهم، لا يعرفها إلا أهل مصطلحهم فتستجم على غيرهم وهؤلاء كتاب الدواوين السلطان وسجلات القضاة، كأنهم انفردوا بهذه الاصطلاح عن غيرهم لكترة موارد الكتابة عليهم، وشهرة كتابتهم وإحاطة كثير من دونهم بمصطلحهم؛ فإن كتبوا ذلك لمن لا خبرة له بمصطلحهم فينبغي أن يعدلوا عن ذلك إلى البيان ما استطاعوه، وإنما كان بمثابة الخط الأعمى، لأنهما متنزلة واحدة من عدم التواضع عليه. وليس بغير في هذا القدر، إلا كتاب الأعمال السلطانية في الأموال والجيوش، لأنهم مطربيون يكتمان ذلك عن الناس فإنه من الأسرار السلطانية التي يجب إخفاؤها، في الغنون في رسم اصطلاح خاص بهم. ويصير بمثابة المعنى. وهو الاصطلاح على العبارة عن الحروف بكلمات من أسماء الطيب والفاكه والطير والأزاهري، ووضع أشكال أخرى غير أشكال المروف المتعارفة بصطلاح على المخاطبون لتأدية ما في ضمائرهم بالكتاب. وربما وضع الكتاب لل Thur على ذلك، وإن لم يضعه أولاً، قوانين مقاييس استخرجوها لذلك بدارتهم يسمونها فك المعنى. وللناس في ذلك دواوين مشهورة. والله العليم الحكيم.

## الفصل الحادي والثلاثون

### في صناعة الوراق

كانت العناية قدّها بالدواوين العلمية والسجلات في نسخها وتجليدها وتصحیحها بالرواية والضبط. وكان سبب ذلك ما وقع من ضخامة الدولة وتتابع الحضارة. وقد ذهب ذلك لهذا العهد بذهب الدولة وتناقص العمران بعد أن كان منه في الملة الإسلامية بحر رازح بالعراق والأندلس، إذ هو كله من توابع العمران واتساع نطاق الدولة ونفاذ أسواق ذلك لدولهما. فكثرت التأكيف العلمية والدواوين وحرصن الناس على تناقلهما في الأفاق والأعصار فاتسخت وجلت. وجاءت صناعة الوراقين المعانين للاتساع والتصحیح والتجليد وسائر الأمور الكتبية والدواوين، وانحصرت بالأمسار العظيمة العمران. وكانت السجلات أولاً لاتساع العلوم وكتب الرسائل السلطانية والإقطاعات، والصكوك في

بنغمة حادة ويعري فيها من تقطيع الأصوات من تلك الأبهاش بالأصابع مثل ما يجري في الشابة.

ومن أحسن آلات الزمر لهذا العهد السروق وهو بوق من نحاس أجوف في مقدار النزاع. يتسع إلى أن يكون انفراج خرجه في مقدار دور الكف في شكل بري القلم. ويفتح فيه بقصبة صغيرة تؤدي الربيع من الفم إليه فيخرج الصوت ثخيناً دوياً وفيه أبهاش أيضاً معدودة. وتقطع نسمة منها كذلك بالأصابع على التناوب فيكون ملدوذاً.

ومنها آلات الأوتار وهي جوفاء كلها: إما على شكل

قطعة من الكرة مثل البريط والرباب أو على شكل مربع كالقانون توضع الأوتار على بسانطها مشدودة في رأسها إلى دسر جائلة ليتائى شد الأوتار ورخوها عند الحاجة إليه بإدارتها. ثم تقرع الأوتار إما بعد آخر أو بوتر مشدود بين طرف قوس يمر عليها بعد أن يطلي بالشمع والكتندر. ويقطع الصوت فيه بتخفيف اليد في إماراه أو نقله من وتر إلى وتر. واليد اليسرى مع ذلك في جميع آلات الأوتار توقع بأصابعها على أطراف الأوتار فيما يقع أو يحرك بالوتر فتحدث الأصوات متاسبة ملدوذة. وقد يكون القرع في الطسوت بالقضبان أو في الأعود بعضها بعض على توقيع متاسب يحدث عنه التذاذ بالمسووع.

ولينين لك السبب في اللذة الناشئة عن الغناء. وذلك أن اللذة كما تقرر في موضعه هي إدراك الملامن، والمحسوس إنما تدرك منه كيفية. فإذا كانت مناسبة للمدرك وملائمة كانت ملدوذة، وإذا كانت منافية له منافرة كانت مؤلة. فالملامن من الطعمون ما ناسبت كيبيته حسنة النوق في مواجهها، وكذا الملامن من الملموسات، وفي الروائح ما ناسب مزاج الروح القلي البخاري لأنه المدرك وإليه تؤديه الحاسة. وهذا كانت الرصاصين والأزهار العطريات أحسن رائحة وأشد ملاممة لتروح لغبة الحرارة فيها التي هي مزاج الروح القلي.

وأما المرئيات والسموعات فاللامن فيها تناسب الأوضاع في أشكالها وكيفياتها فهو أنساب عند النفس وأشد ملاممة لها. فإذا كان المرئي مناسبأً في أشكاله وتحاطبته التي له بحسب مادته بحيث لا يخرج عما تقتضيه مادته الخاصة من كمال المناسبة والوضع، وذلك هو معنى الجمال والحسن في كل مدرك. كان ذلك حيث مناسبأً للنفس المدركة فلتلتز بادراك ملامتها، وهذا تجدد العاشقين المستهرين في الحبة يعبرون عن غاية عبئهم وعشاقهم بامتزاج أرواحهم بروح الحبوب. وفي هذا سر تفهمه إن كنت من أهله وهو اتخاذ المبدأ وإن كان ما سواك إذا نظرته وتأملته رأيت يبنك

بعقادسه. ولم يبق من هذا الرسم بالأندلس إلا إثارة خفية بالألحان وهي على الأضمحلال فقد كاد العلم ينقطع بالكلية من المغرب. والله غالب على أمره. وليلغنا لهذا العهد أن صناعة الرواية قائمة بالشرق وتصحيح الدواوين لن يروم بذلك سهل على مبتغيه لمناق أسواق العلوم والصنائع كما ذكره بعد. إلا أن الخط الذي بقي من الإجادة في الاتساح هنالك إنما هو للعجم وفي خطوطهم. وأما النسخ بمصر ففسد كما فسد بالمغرب وأشد. والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق.

## الفصل الثاني والثلاثون

### في صناعة الغناء

هذه الصناعة هي تلحين الأشعار الموزونة بتقطيع الأصوات على نسب متتظمة معروفة يقع على كل صوت منها توقيعاً عند قطعه فيكون نسمة. ثم تزلف تلك النسم بعضها إلى بعض على نسب متعارفة فيلذ سمعها لأجل ذلك التناوب وما يحدث عنه من الكيفية في تلك الأصوات. وذلك أنه تبين في علم الموسيقى أن الأصوات تناسب، فيكون: صوت نصف صوت وربع آخر وخمس آخر وجزء من أحد عشر من آخر. واختلاف هذه النسب عند تأديتها إلى السمع يخرجها من البساطة إلى الترکيب وليس كل ترکيب منها ملدوذاً عند السمع بل للمنوذ تراکيب خاصة هي التي حصرها أهل علم الموسيقى وتكلموا عليها كما هو مذكور في موضعه، وقد يسارق ذلك التلحين في التغمات الغنائية بتقطيع أصوات أخرى من الجمادات إما بالقرع أو بالفتح في آلات تخدم لذلك فتزیدها اللذة عند السمع.

فمنها لهذا العهد بالغرب أصناف منها المزمار ويسموه الشابة وهي قصبة جوفاء بأبهاش في جوانبها معدودة يفتح فيها فتصوت. ويخرج الصوت من جوفها على سداده من تلك الأبهاش ويقطع الصوت بوضع الأصابع من اليدين جميعاً على تلك الأبهاش وضعاً متعارضاً حتى تحدث النسب بين الأصوات فيه وتتصل كذلك مناسبة فيلذ السمع بإدراكيها للتناسب الذي ذكرناه.

ومن جنس هذه الآلة المزمار الذي يسمى الزلامي وهو شكل القصبة منحوتة الجانين من الحشب جوفاء من غير تدوير لأجل اتلانها في قطعتين منفرذتين كذلك بأبهاش معدودة يفتح فيها بقصبة صغيرة توصل، فينفذ الفتح بواسطتها إليها وتصوت

أحدهما قد يخل بالآخر إذا تعارضاً. وتقديم التلاوة متعين فراراً من تغيير الرواية المقولة في القرآن، فلا يمكن اجتماع التلحين والأداء المعتبر في القرآن بوجهه، وإنما المراد من اختلافهم التلحين البسيط الذي يهتدي إليه صاحب المضمار بطريقه كما قدمناه، فيردد أصواته ترديداً على نسب يدركها العالم بالغناه وغيره ولا ينفع ذلك بوجهه كما قاله مالك. هذا هو محل الخلاف. والظاهر تزيره القرآن عن هذا كله كما ذهب إليه الإمام رحمه الله تعالى؛ لأن القرآن هو محل خشوع بذكر الموت وما بعده وليس مقام التذاذ يadarak الحسن من الأصوات. وهكذا كانت قراءة الصحابة رضي الله عنهم كما في أخبارهم.

واما قوله عليه السلام: «لقد أوتني مزماراً من مزامير آل داود» فليس المراد به الترديد والتلحين، إنما معناه حسن الصوت وأداء القراءة والإبانة في خارج الحروف والنطق بها.

وإذا قد ذكرنا معنى الغناء فاعلم أنه يحدث في العمران إذا توفر وتجاوز حد الضروري إلى الحاجي، ثم إلى الكمال، وفتنتوا فيه، فتحدث هذه الصناعة، لأنه لا يستدعياها إلا من فرغ من جميع حاجاته الضرورية والمهمة من المعاش والمنزل وغيره فلا يطلبها إلا الفارغون عن سائر أحوالهم تفتناً في مذاهب الملاذات. وكان في سلطان العجم قبل الملة منها بحر زاخر في أمصارهم ومدنهم. وكان ملوكهم يتذلون ذلك ويولعون به، حتى لقد كان للملك الفرس اهتمام بأهل هذه الصناعة، ولم مكان في دولتهم، وكانتوا يحضرون مشاهدتهم وبمجاهمهم ويغفون فيها. وهذا شأن العجم لهذا العهد في كل أفق من آفاقهم. وملكة من مالكهم.

واما العرب فكان لهم أولاً فن الشعر يلألئون فيه الكلام أجزاء متساوية على تناوب بينها في عدة حروفها المتحركة والساكنة. ويفصلون الكلام في تلك الأجزاء تفصيلاً يكون كل جزء منها مستقلاً بالإدادة، لا ينططف على الآخر. ويسموهون البيت. فيلائم الطبع بالتجزئة أولاً ثم بتناوب الأجزاء في المقاطع والمبدىء، ثم بنائية المعنى المقصد وتطبيق الكلام عليها. فلهجوا به فامتناز من بين كلامهم محظ من الشرف ليس لغيره لأجل اختصاصه بهذا التناوب. يجعلوه ديواناً لأخبارهم وحكمهم وشرفهم وعكاً لقرائهم في إصابة المعانى وإجاده الأساليب. واستمروا على ذلك.

وهذا التناوب الذي من أجل الأجزاء والمحرك والساكن من الحروف قطرة من بحر من تناوب الأصوات كما هو معروف في كتب الموسيقى. إلا أنهم لم يشعروا بما سواه؛ لأنهم حيثذل يتخللوا علمًا ولا عرفوا صناعة. وكانت البداوة أغلب خالقهم. ثم

وبينه أحداً في البداية. يشهد لك به اتحادكم في الكون ومعناه من وجه آخر أن الوجود يشرك بين الموجودات كما تقوله الحكماء. فتود أن تخرج مما شاهدت فيه الكمال لتشهد به بل تروم النفس حيثذل الخروج عن الوهم إلى الحقيقة التي هي اتحاد المبدأ والكون. ولما كان أنساب الأصياء إلى الإنسان واقرها إلى مدرك الكمال في تناوب موضوعها هو شكله الإنساني، فكان إدراكه للجمال والحسن في مخاططيه وأصواته من المدارك التي هي أقرب إلى فطرته، فيليه كل إنسان بالحسن في الرؤى أو المسموع بمقتضى الفطرة. والحسن في المسموع أن تكون الأصوات متناسبة لا متنافرة. وذلك أن الأصوات لها كيفيات من الممss والجهش والرخاوة والشدة والقلقة والضغط وغير ذلك. والتناوب فيها هو الذي يوجب لها الحسن.

فأولاً: أن لا يخرج من الصوت إلى مدة دفعة بل بتدرج. ثم يرجع كذلك، وهكذا إلى المثل، بل لا بد من توسط المغاير بين الصوتين. وتأمل هنا من استباحة أهل اللسان التراكيب من الحروف المتنافرة أو المتقاربة الخارج فإنه من بابه.

وثانياً: تناوبها في الأجزاء كما مر أول الباب فيخرج من الصوت إلى نفسه أو ثالثه أو جزء من كذا منه، على حسب ما يكون التنقل متناسبًا على ما حصره أهل صناعة الموسيقى. فإذا كانت الأصوات على تناوب في الكيفيات كما ذكره أهل تلك الصناعة كانت ملائمة ملائفة. ومن هذا التناوب ما يكون بسيطاً ويكون الكثير من الناس مطربعين عليه لا يحتاجون فيه إلى تعليم ولا صناعة كما نجد المطبععين على المؤذين الشعرية وترقيع الرقص وأمثال ذلك. وتسمى العامة هذه القابلية بالمضمار. وكثير من القراء بهذه المتابعة يقرأون القرآن فيجيدون في تلحين أصواتهم أنها المزامير نيطربون بحسن مساقتهم وتناسب نغماتهم. ومن هنا التناوب ما يحدث بالتركيب وليس كل الناس يستوي في معرفته ولا كل الطبائع توافق صاحبها في العمل به إذا علم.

وهذا هو التلحين الذي يتكلف به علم الموسيقى كما نشرحه بعد عند ذكر العلوم. وقد انكر مالك رحمه الله تعالى القراءة بالتلحين وأجازها الشافعي رضي الله تعالى عنه. وليس المراد تلحين الموسيقى الصناعي فإنه لا ينبغي أن يختلف في حظره إذ صناعة الغناء مبادئ للقرآن بكل وجه؛ لأن القراءة والأداء تحتاج إلى مقدار من الصوت لتعيين أداء الحروف من حيث إتباع الحركات في مواضعها ومقدار المد عند من يطلقه أو يقتصره وأمثال ذلك. والتلحين أيضاً يتبع له مقدار من الصوت لا يتم إلا به من أجل التناوب الذي قلناه في حقيقة التلحين، فاعتبار

فصرفوه إلى المغرب غيره منه، فلحق بالحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل أمير الأندلس. فبالغ في تكرمه وركب لقائه وأسني له الجوائز والإقطاعات والجزرارات وأحله من دولته ونديمه بمكان. فأورث بالأندلس من صناعة الغناء ما تناقلوه إلى أزمان الطراف. وطما منها ياشيلية بحر رازخ وتساقل منها بعد ذهاب غضارتها إلى بلاد العدوة يافيقية والمغرب. وانقسم على أصحابها وبها الآن منها صيابة على تراجع عمرانها وتناقص دوتها. وهذه الصناعة آخر ما يحصل في العمارة من الصنائع؛ لأنها كمالية في غير وظيفة من الوظائف إلا وظيفة الفراغ والفرح. وهو أيضاً أول ما ينقطع من العمارة عند اختلاله وتراجعه. والله أعلم.

### الفصل الثالث والثلاثون

#### في أن الصنائع تكسب صاحبها عقلاً وخصوصاً الكتابة والحساب

قد ذكرنا في الكتاب أن النفس الناطقة للإنسان إنما ترجم فيه بالقراءة، وأن خروجها من القوة إلى الفعل إنما هو بتجدد العلوم والأدراكات عن المحسوسات أولاً، ثم ما يكتسب بعدها بالقدرة النظرية إلى أن يصير إدراكاً بالفعل وعقلاً عصياً فتكون ذاتاً روحانية وتستكمل حيئتها وجودها. فوجب لذلك أن يكون كل نوع من العلم والنظر يفيدها عقلاً فريداً.

والصنائع أبداً يحصل عنها وعن ملكتها قانون علمي مستفاد من تلك الملكة. فلهذا كانت الحنكة في التجربة تقييد عقلاً والملكات الصناعية تقييد عقلاً والحضارة الكاملة تقييد عقلاً؛ لأنها مجتمعة من صنائع في شأن تدبير المترزل ومعاشرة أبناء الجنس وتحصيل الآداب في مخالطتهم ثم القيام بأمور الدين واعتبار آدابها وشرائطها. وهذه كلها قوانين تتنظم علوماً فيحصل منها زيادة عقل.

والكتابة من بين الصنائع أكثر إفادة لذلك؛ لأنها تشتمل على العلوم والانتظار بخلاف الصنائع. وبيانه أن في الكتابة انتقالاً من الحروف الخطية إلى الكلمات اللغوية في الخيال، ومن الكلمات اللغوية في الخيال إلى المعاني التي في النفس، فهو يتقلب أبداً من دليل إلى دليل، ما دام متبعاً بالكتابه ويتعدو النفس ذلك دائماً. فيحصل لها ملكرة الانتقال من الأدلة إلى المدلولات وهو معنى النظر العقلي الذي يكتسب به العلوم المجهولة فتكتسب بذلك ملكة من التعقل تكون زيادة عقل ويحصل به مزيد فطنة وكيس في

معنى الحياة منهم في حداء إيمهم والفتيان في قضاء خلواتهم فرجعوا للأصوات وترغوا. وكانوا يسمون الترم إذا كان بالشعر غنا، وإذا كان بالهليل أو نوع القراءة تغيراً بالفنون المعجمة والباء الموحدة. وعللها أبو إسحاق الزجاج بأنها تذكر بالغابر وهو الباقى أي بأحوال الآخرة. وربما ناسبو في غناهم بين التغمات مناسبة بسيطة كما ذكره ابن رشيق آخر كتاب العملة وغيره. وكانوا يسمونه السناد. وكان أكثر ما يكون منهم، في الخفيف الذي يرقض عليه ويمشي بالدلف والم Zimmerman فيطرد ويستخف الحلوم. وكانوا يسمون هذا المفرج وهذا البسيط كله من التلاجين هو من أوائلها ولا يبعد أن تقطن له الطبع من غير تعليم شأن البساطة كلها من الصنائع. ولم يزل هذا شأن العرب في بداوتهم وجاهليتهم.

فلما جاء الإسلام واستولوا على مالك الدنيا وحازوا سلطان العجم وغلوهم عليه وكانتوا من البداؤة والغضاة على الحال التي عرفت لهم مع غضارة الدين وشدة في ترك أحراج الفراغ وما ليس بنافع في دين ولا معاش فهجروا ذلك شيئاً ما. ولم يكن المندوز عندهم إلا ترجيع القراءة والتزم بالشعر الذي كان دينهم ومنعهم. فلما جاءهم الترف وغلب عليهم الرفة بما حصل لهم من غنائم الأمم صاروا إلى نضارة العيش ورقة الحاشية واستحلاله الفراغ. وافتلق المتنون من الفرس والروم فوقعوا إلى الحجاز وصاروا موالياً للعرب وغنوا جميعاً بالعيadan والطابير والمعاذف والمزمامير وسمع العرب تلحينهم للأصوات ولحنوا عليها أشعارهم.

وظهر بالمدينة نشيط الفارسي وطويش وسائب وحائز مول عبد الله بن جعفر فسمعوا شعر العرب ولحنوه وأجادوا فيه وطار لهم ذكر. ثم أخذ عنهم معب وطبقه وابن سريح وأنظاره. وما زالت صناعة الغناء تدرج إلى أن كملت أيام بني العباس عند إبراهيم بن الهادي وإبراهيم المرتضى وابنه إسحاق وابنه حاد. وكان من ذلك في دولتهم بغداد ما تبعه الحديث بعده به ويعجالسه بهذا العهد وأمعنوا في اللهو واللعب وانخدت آلات الرقص في الملبس والقضبان والأشعار التي يترنم بها عليه. وجعل صنفاً وحده، وانخدت آلات أخرى للرقص تسمى بالكرج وهي مثيل خسل مسرحة من الخشب معلقة بطاراف أقبية يلبسها النساء وimitation بها امتطاء الخيل فيكرون ويفرون ويشاقون، وأمثال ذلك من اللعب المعد للولائم والأعراس وأيام الأعياد وب مجالس الفراغ واللهو.

وكثير ذلك في بغداد وأمساك العراق وانتشر منها إلى غيرها. وكان للموصليين غلام اسمه زريب أخذ عنهم الغناء فأجاد

الأمور لما تعودوه من ذلك الانتقال. ولذلك قال كسرى في كتابه لما رأهم بتلك الفطنة والكيس فقال: ديرانه، أي: شياطين أو جنون. قالوا: وذلك أصل اشتقاد الديوان لأهل الكتابة ويلحق بذلك الحساب؛ فإن في صناعة الحساب نوع تصرف في العدد بالضم والتفرقة يحتاج فيه إلى استدلال كثير فيقى متعوداً للاستدلال والنظر وهو معنى العقل. والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً، وجعل لكم السمع والأبصار والأفهام، قليلاً ما تشکرون.

الفصل الثاني

## في أن تعلم العلم من جملة الصنائع

وذلك أن الحذق في العلم والفنون فيه والاستيلاء عليه إثما  
هو بخسول ملكة في الإحاطة بعبادته وقواعده والوقوف على  
مسائله واستبطاط فروعه من أصوله. وما لم تحصل هذه الملكة لم  
يكن الحذق في ذلك الفن المتداول حاصلاً. وهذه الملكة هي في غير  
الفهم والوعي. لأننا نجد فهم المسألة الواحدة من الفن الواحد  
ووعيها مشتركاً بين من شدأ في ذلك الفن وبين من هو متبدئ  
فيه، وبين العامي الذي لم يحصل علمًا وبين العالم التحرير.

والملكة إنما هي للعالم أو الشادي في الفنون دون من  
سوها مما قدر على أن هذه الملكة غير الفهم والوعي. والملكات  
كلنها جسمانية سواء كانت في البدن أو في الدماغ من الفكر وغيره  
كالحساب. والجسمانيات كلها محسوسة فتفتقر إلى التعليم. وهذا  
كان السندي في التعليم في كل علم أو صناعة يفتقر إلى مشاهير  
المعلمين فيها معتبراً عند كل أهل أفق وجيء. ويبدل أيضاً على أن  
تعليم العلم صناعة اختلاف الاصطلاحات فيه. فلكل إمام من  
الأئمة المشاهير اصطلاح في التعليم يختص به شأن الصناعات كلها،  
فتدلل على أن ذلك الاصطلاح ليس من العلم، إذ لو كان من  
العلم لكان واحداً عند جميعهم.

الا ترى الى علم الكلام كيف مختلف في تعليمه اصطلاح  
للمقدمين والمؤخرين، وكذا اصول الفقه وكذا العربية وكذا كل  
علم يتوجه الى مطالعته نحو مطالعات في تعليمه متخالفة فدل  
على أنها صناعات في التعليم. والعلم واحد في نفسه. وإذا تقرر  
ذلك فاعلم أن سند تعليم العلم هذا العهد قد كاد أن ينقطع عن  
هل المغرب باختلال عمرانه وتناقص الدول فيه. وما يمده عن  
ذلك من نقص الصنائع وفقدانها كما مر. وذلك أن القبروان  
وقرطبة كانتا حاضرتين المغرب والأندلس واستبمر عمرانهما،  
 وكان فيما للعلوم والصناعات أسوق ناقفة وبخور زاخرة. ورسخ  
فيهما التعليم لامتداد عصورهما وما كان فيما من الخضارة. فلما  
خررتنا انقطع التعليم من المغرب إلا قليلاً كان في دولة الموحدين  
براكيش مستناداً منها. ولم ترسخ الحضارة براكيش لبداوة الدولة  
الموحدية في أولها وقرب عهد انقراضها بيدتها فلم تصل أحوال  
الحضارة فيها إلا في الأقا...

وبعد انقضاض الدولة بمراكش ارتحل إلى الشرق من إفريقيا  
للقاضي أبو القاسم بن زيتون لعهد أواسط المائة السابعة، فأدرك

الباب السادس

في العلوم وأصنافها والتعليم وطرقه وسائل  
ووجهه وما يعرض في ذلك كله من الأحوال

وفيء مقدمة ولو احق

فالنقدمة في الفكر الإنساني الذي تميز به البشر عن الحيوانات واحتدى به لتحصيل معاشه والتعاون عليه بأبناء جنسه والنظر في معروده. وما جاءت به الرسل من عنده، فصار جميع الحيوانات في طاعته وملك قدرته وفضله به على، كثير خلقه.

الفصل الأول

## في أن العلم والتعليم طبيعي في العمران البشري

وذلك أن الإنسان قد شاركه جميع الحيوانات في حيوانيته من الحس والحركة والعناء والكلن وغير ذلك، وإنما تميز عنها بالفكر الذي يهتمي به تحصيل معاشه والتعاون عليه بابناء جنسه والمجتمع المهيمن لذلك التعاون وقبول ما جاءت به الآسياء عن الله تعالى والعمل به واتباع صلاح آخراء. فهو مفكراً في ذلك كله دائمًا لا يفتر عن الفكر فيه طرفة عين بل اخلاط الفكر أسرع من لمح البصر. وعن هذا الفكر تنشأ العلوم وما قدمناه من الصنائع. ثم لأجل هذا الفكر وما جبل عليه الإنسان بل الحيوان من تحصيل ما تستدعيه الطبيعة فيكون الفكر راغبًا في تحصيل ما ليس عنده من الإدراكات، فيرجع إلى من سبقه بعلم أو زاد عليه بمعرفة أو إدراك، أو أخذنه من تقدمه من الآسياء الذين يبلغونه من تلقاه فيلقن ذلك عنهم ويحرص على أحدهذه وعلمه. ثم إن فكره ونظره يتوجه إلى واحد واحد من المحققات وينظر ما يعرض له لذاته واحداً بعد آخر ويترعرن على ذلك حتى يصير إلحاد العوارض بتلك الحقيقة ملكرة له، فيكون حيثذا علمه بما يعرض لتلك الحقيقة عملاً مخصوصاً. وتشوف نفوس أهل الجليل الناشئ إلى تحصيل ذلك فيفرغون إلى أهل معرفته ويجيء التعليم من هنا. فقد تبين بذلك أن العلم والتعليم طبيعي في البشر. والله أعلم.

لتناقص عمران المسلمين بها منذ مئتين من السنين. ولم يبق من رسم العلم عندهم إلا في العربية والأدب. اقتصروا عليه والمحفظ سند تعليميه بينهم فاخفظ محفظه. وأما الفقه بينهم فرسم خلو وأثر بعد عين. وأما العقليات فلا أثر ولا عين. وما ذلك إلا لانقطاع سند التعليم فيها بتناقص العمran وتغلب العدو على عامتها إلا قليلاً بسيف البحر شغلهم بمعايشهم أكثر من شغفهم بما بعدها. والله غالب على أمره.

وأما المشرق فلم يقطع سند التعليم فيه بل أسوأه ناقفة ومحوره زاخرة لاتصال العمran المفبور واتصال السند فيه. وإن كانت الأنصار العظيمة التي كانت معادن العلم قد خربت مثل بغداد والبصرة والكوفة إلا أن الله تعالى قد أداد منها بأنصار أعظم من تلك. وانتقل العلم منها إلى عراق العجم بخرسان، وما وراء النهر من المشرق، ثم إلى القاهرة وما إليها من المغرب، فلم تزل موقورة وعمرانها متصلةً وسند التعليم بها قائماً. فأهل المشرق على الجملة أرسخ في صناعة تعليم العلم بل وفيسائر الصنائع. حتى إنه ليظن كثير من رجال المغارب إلى المشرق في طلب العلم أن عقولهم على الجملة أكمل من عقول أهل المغرب وأنهم أشد نباهة وأعظم كيساً بفطرتهم الأولى. وأن نقوسهم الناطقة أكمل بفطرتها من نقوس أهل المغرب. ويعتقدون التفاوت بيننا وبينهم في حقيقة الإنسانية ويتشعرون لذلك ويرسلون به لما يرون من كيسهم في العلوم والصناعات وليس كذلك.

وليس بين قطر المشرق والمغرب تفاوت بهذا المقدار الذي هو تفاوت في الحقيقة الواحدة للهُم إِلَّا الأقاليم المنحرفة مثل الأول والسابع، فإن الأمزجة فيها منحرفة والتفسوس على نسبة كما مر، وإنما الذي فضل به أهل المشرق أهل المغرب هو ما يحصل في النفس من آثار الحضارة من العقل الزائد كما تقدم في الصنائع، وزينيه الآن شرحاً وتفصيماً. وذلك أن المحضر لهم آداب في أحواهم في المعاش والمسكن والبناء وأمور الدين والدنيا وكذا سائر أعمالهم وعاداتهم ومعاملاتهم وجميع تصرفاتهم. فلهم في ذلك كله آداب يوقف عندها في جميع ما يتتناولونه ويتلبسون به من أخذ وترك حتى كأنها حدود لا تتعدي. وهي مع ذلك صنائع يتلقاها الآخر عن الأول منهم. ولا شك أن كل صناعة مرتبة يرجع منها إلى النفس أثر يكسبها عقلاً جديداً تستعد به لقبول صناعة أخرى وتهيأ بها العقل بسرعة الإدراك للمعارف.

ولقد بلغنا في تعليم الصنائع عن أهل مصر غايات لا تدرك مثل أنهem يعلمون الحمر الإنسية والحيوانات العجم من الماشي، والطائر مفردات من الكلام والأفعال يستغرب ندورها، ويعجز

تلמיד الإمام ابن الخطيب فأخذ عنهم ولقن تعليمهم. وحذق في العقليات والنقلات ورجع إلى تونس يعلم كثيراً وتعليم حسن. وجاء على أثره من المشرق أبو عبد الله بن شعيب الدكالي. كان ارتحل إليه من المغرب فأخذ عنهم مشيخة مصر ورجع إلى تونس واستقر بها وكان تعليميه مفيداً فأخذ عنهم أهل تونس. واتصل سند تعليمهما في تلاميذهما جيلاً بعد جيل حتى انتهى إلى القاضي محمد بن عبد السلام. شارج بن الحاجب وتلميذه، وانتقل من تونس إلى تلمسان في ابن الإمام وتلميذه. فإنه قرأ مع ابن عبد السلام على مشيخة واحدة وفي مجالس بأعيانها وتلميذه ابن عبد السلام بتونس وابن الإمام بتلمسان لهذا العهد إلا أنهم من القلة بحيث يخشى انقطاع سندهم.

ثم ارتحل من زواوة في آخر المائة السابعة أبو علي ناصر الدين المشد إلى المشرق وأدرك تلميذه أبي عمرو بن الحاجب وأخذ عنهم ولقن تعليمهم. وقرأ مع شهاب الدين القرافي في مجالس واحدة وحذق في العقليات والنقلات. ورجع إلى المغرب بعلم كبير وتعليم مفيد. ونزل بجاية واتصل سند تعليميه في طلبها. وربما انتقل إلى تلمسان عمران المشد إلى تلميذه وأوطنهها ويث طريقة فيها. وتلميذه لهذا العهد بجاية وتلمسان قليل أو أقل من القليل.

ويقيت فاس وسائر أقطار المغرب خلواً من حسن التعليم من لدن انفراض تعليم قرطبة والقشرونان ولم يصل سند التعليم فيهم فسر عليهم حصول الملكة والحنق في المسائل العلمية فهو هذه الملكة قرة اللسان بالمحاورة والمناقشة في المسائل العلمية فهو الذي يقرب شأنها ويحصل مرامها. فتجد طالب العلم منهم بعد ذهاب الكبير من أعمالهم في ملازمته المجالس العلمية سكتوناً لا ينطقون ولا يفاؤضون وعنائهم بالحفظ أكثر من الحاجة. فلا يحصلون على طائل من ملكة التصرف في العلم والتعليم ثم بعد تحصيل من يرى منهم أنه قد حصل تجد ملكته قاصرة في علمه إن فاوض أو ناظر أو علم وما أتساهم القصور إلا من قبل التعليم وانقطاع سنته. وإلا حفظهم أبلغ من حفظ من سواهم لشدة عنائهم به، وظفهم أنه المقصود من الملكة العلمية وليس كذلك. وما يشهد بذلك في المغرب أن المدة المعنية لسكنى طلبة العلم بالمدارس عندهم ست عشرة سنة، وهي بتونس خمس سنين، وهذه المدة بالمدارس على التعارف هي أقل ما يتأتي فيها لطالب العلم حصول مبتغاهم من الملكة العلمية أو البأس من تحصيلها فطال أمدها في المغرب هذه العصور لأجل عسرها من قلة الجودة في التعليم خاصة لا مما سوى ذلك. وأما أهل الأندلس.

فذهب رسم التعليم من بينهم وذهب عنائهم بالعلوم

واعتبر ما قررناه بمحال بغداد وقرطبة والقيروان والبصرة

أهل المغرب عن فهمها فضلاً عن تعليمها.

والكفرة لما كثر عمرانها صدر الإسلام واستوت فيها الحضارة. كيف زخرت فيها بحار العلم ونفتوا في اصطلاحات التعليم وأصناف العلوم واستبatement المسائل والفنون حتى أربوا على المقددين وفاتها المتأخرين. ولما تناقص عمرانها وابذاع سكانها انطوى ذلك البساط بما عليه جلة، فقد العلم بها والتعليم. وانتقل إلى غيرها من أمصار الإسلام. ونحن لهذا العهد نرى أن العلم والتعليم إنما هو بالقاهرة من بلاد مصر لما أن عمرانها مستبشر وحضارتها مستحکمة منذ آلاف من السنين، فاستحقكت فيها الصنائع ونفت ومن جلتها تعليم العلم. وأكد ذلك فيها وحظظه ما وقع هذه العصور بها منذ مائتين من السنين في دولة الترك من أيام صلاح الدين بن أيوب وهلم جرا. وذلك أن أمراء الترك في دولتهم يخشوون عافية سلطانهم على من يتخلفوهم من ذريتهم لما لهم من الرق أو الولاء ولما يخشى من معاطب الملك ونكباته. فاستكروا من بناء المدارس والزروابا والربط ووقفوا عليها الأوقاف المثلة يجعلون فيها شركاً لولدهم ينظر إليها أو ي慈悲 منها مع ما فيهم غالباً من الجنوح إلى الخير والصلاح والتماس الأجرور في المقاصد والأفعال. فكثرت الأوقاف لذلك وعظمت الغلات والتواريد وكثیر طالب العلم ومعلمه بكثرة جرایتهم منها، وارتحل إليها الناس في طلب العلم من العراق والمغرب ونفت بها أسواق العلوم وزخرت بمحارها. والله يخلق ما

يشاء.

وحسن الملکات في التعليم والصناعات وسائر الأحوال العادلة تزيد الإنسان ذكاء في عقله وإضاءة في فكره بكرة الملکات الحاصلة للنفس. إذ قدمنا أن النفس إنما تنشأ بالإدراكات وما يرجع إليها من الملکات فيزدادون بذلك كيساً لا يرجع إلى النفس من الآثار العلمية فيظنه العامي تفاوتاً في الحقيقة الإنسانية وليس كذلك. إلا ترى إلى أهل الحضر مع أهل البدو كيف تمد الحضري محلينا بالذكاء مثلك من الكيس حتى إن البدوي ليظنه أنه قد فاته في حقيقة إنسانيته وعقله وليس كذلك. وما ذلك إلا لإجادته من ملکات الصنائع والأداب في العوائد والأحوال الحضرية ما لا يعرف البدوي. فلما امتلاك الحضري من الصنائع وملکاتها وحسن تعليمها ظن كل من قصر عن تلك الملکات أنها لكمال في عقله وأن نفوس أهل البدو قاصرة بفطرتها وجيئتها عن فطرته وليس كذلك. فإنما نجد من أهل البدو من هو في أعلى رتبة من الفهم والكمال في عقله وفطرته وإنما الذي ظهر على أهل الحضر من ذلك فهو رونق الصنائع والتعليم، فإن لها آثاراً ترجع إلى النفس كما قدمناه. وكذا أهل المشرق لما كانوا في التعليم والصناعات أرسخ رتبة وأعلى قدماء، وكان أهل المغرب أقرب إلى البداءة لما قدمناه في الفصل قبل هذه، ظن المغفلون في بادئ الرأي أنه لكمال في حقيقة الإنسانية اختصروا به عن أهل المغرب وليس ذلك بصحيح، ففهمهم، والله يزيد في الخلق ما يشاء وهو إلى السموات والأرض.

## الفصل الرابع

### في أصناف العلوم الواقعة في العمran هذا العهد

اعلم أن العلوم التي يخوض فيها البشر ويتداولونها في الأمصار تحصيلاً وتعلیماً هي على صفين:

صنف طبیعی للإنسان يهتدى إليه بفکرہ، وصنف نقلی يأخذه عن وضعه.

وال الأول: هي العلوم الحکمیة الفلسفیة، وهي التي يمكن أن يقف عليها الإنسان بطبيعة فکرہ ويهتدى بعذارکه البشریة إلى موضوعاتها ومسائلها وأخاء براهنیها ووجوه تعليمها حتى يقفه نظره وبمحض على الصواب من الخطأ فيها من حيث هو إنسان ذو فکرہ.

والثاني: هي العلوم النقلیة الروضیة وهي كلها مستندة إلى

## الفصل الثالث

### في أن العلوم إنما تکثر حيث يکثر العمran وتعظم الحضارة

والسبب في ذلك أن تعليم العلم كما قدمناه من جلة الصنائع. وقد قدمنا أن الصنائع إنما تکثر في الأمصار. وعلى نسبة عمرانها في الكثرة والقلة والحضارة والترف تكون نسبة الصنائع في الجودة والکثرة؛ لأنها أمر زائد على المعاش. فمعنى فضللت أعمال أهل العمran عن معاشهم انصرفت إلى ما وراء المعاش من التصرف في خاصية الإنسان وهي العلوم والصناعات. ومن تشوف بفطرته إلى العلم من نشأ في القرى والأمصار غير المتقدمة فلا يجد فيها التعليم الذي هو صناعي لفقدان الصنائع في أهل البدو، كما قدمناه، ولا بد له من الرحالة في طلبه إلى الأمصار المستبرحة شأن الصنائع في أهل البدو.

ورقة من التوراة ففضب حتى تبين الغضب في وجهه ثم قال: «ألم أتكم بها يضاهي نقية؟ والله لو كان موسى حياً ما وسعه إلا أتباعي».

ثم إن هذه العلوم الشرعية التقليدية قد نفت أصولها في هذه الملة بما لا مزيد عليه وانتهت فيها مدارك الناظرين إلى الغاية التي لا شيء فوقها وهذب الاصطلاحات ورتبت الفنون، فجاءت من وراء الغاية في الحسن والتمييز. وكان لكل فن رجال يرجع إليهم فيه وأوضاع يستفاد منها التعليم. واحتضن المشرق من ذلك والمغارب بما هو مشهور منها حسبما ذكره الآن عند تعريف هذه الفنون. وقد كسدت لهذا العهد أسواق العلم بال المغرب لتناقض العمران فيه وانقطاع سند العلم والتعليم كما قدمناه في الفصل قبله. وما أدرى ما فعل الله بالشرق والظن به نفاق العلم فيه واتصال التعليم في العلوم وفي سائر الصناعات الضرورية والكمالية لكثرة عمرانه والحضارة وجود الإعانة لطالب العلم بالجرأة من الأوقاف التي اسعت بها أرزاقهم. والله سبحانه وتعالى هو الفعال لما يريد وبهذه التوفيق والإعانة.

## الفصل الخامس

### في علوم القرآن من التفسير والقراءات

القرآن هو كلام الله المنزل على نبيه المقرب بين دفتي المصحف. وهو متواتر بين الأمة إلا أن الصحابة رواوه عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على طرق مختلفة في بعض الفاظه وكيفيات المعرفة أدانها. وتتوغل ذلك واثير إلى أن استقرت منها سبع طرق معينة متواتر تنقلها أيضاً بادئها واحتضنت بالاتساع إلى من اشتهر بروايتها من الجم الغفير فصارت هذه القراءات السبع أصولاً للقراءة. وربما زيد بعد ذلك قراءات آخر لحقت بالسبعين إلا أنها عند آئمة القراءة لا تقوى قوتها في التقليل. وهذه القراءات السبع معروفة في كتبها. وقد خالفت بعض الناس في توافق طرقها لأنها عندهم كيفيات للأداء وهو غير منضبط. وليس ذلك عندهم بقادح في توافر القرآن. وأباه الأكابر وقالوا، بتواترها وقول آخرين بتواتر غير الأداء منها، كالمدد والتسهيل لعدم الوقوف على كيفية بالسمع وهو الصحيح.

ولم يزل القراء يتداولون هذه القراءات وروايتها إلى أن كتبت العلوم ودونت، فكتبت فيما كتب من العلوم وصارت صناعة خصوصة وعلمًا منفردًا وتناقله الناس بالشرق والأندلس

الخبر عن الواضع الشرعي. ولا مجال فيها للعقل إلا في إلحاد الفروع من مسائلها بالأصول؛ لأن الجزئيات الحادثة المتباقة لا تدرج تحت النقل الكلي مجرد وضعه فتحاج إلى الإلحاد بوجه قياسي. إلا أن هذا القياس يتشرع عن الخبر بشبهة الحكم في الأصل وهو نقله فرجع هذا القياس إلى النقل لفرعه عنه.

وأصل هذه العلوم التقليدية كلها هي الشريعيات من الكتاب والسنّة التي هي مشروعة لنا من الله ورسوله وما يتعلّق بذلك من العلوم التي تهياً لها للإفادة. ثم يستتبع ذلك علوم اللسان العربي الذي هو لسان الله وبيه نزل القرآن. وأصناف هذه العلوم التقليدية كثيرة؛ لأن المكلف يجب عليه أن يعرف أحكام الله تعالى المفروضة عليه وعلى أبناء جنسه وهي مأخوذة من الكتاب والسنّة بالنص أو بالإجماع أو بالأخلاق فلا بد من النظر في الكتاب: بيان الفاظه أولاً، وهذا هو علم التفسير ثم بإسناد تنقله وروايته إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي جاء به من عند الله واحتلاله روايات القراء في قراءاته، وهذا هو علم القراءات، ثم بإسناد السنّة إلى أصحابها والكلام في الرواية الناقلين لها ومعرفة أحواههم وعدهم ليقمع الوثائق بأنجابهم ويعمل ما يجب العمل بمقتضاه من ذلك، وهذه هي علوم الحديث. ثم لا بد في استبطاط هذه الأحكام من أصولها من جهة قانوني يفيدها العلم بكيفية هذا الاستبطاط، وهذا هو أصول الفقه. وبعد هذا تحصل الشمرة بمعرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين وهذا هو الفقه.

ثم إن التكاليف: منها بدنني، ومنها قلبي، وهو المختص بالإيمان وما يجب أن يعتقد ما لا يعتقد. وهذه هي العقائد الإمامية في الذات والصفات وأمور البشر والتعيم والعقاب والقدر. والحجاج عن هذه بالأدلة العقلية هو علم الكلام.

ثم النظر في القرآن والحديث لا بد أن تقدمه العلوم اللسانية لأنه متوقف عليها وهي أصناف: فمنها علم اللغة وعلم النحو وعلم البيان وعلم الأدب حسبما تتكلّم عليها.

وهذه العلوم التقليدية كلها خصصة بالملة الإسلامية وأهلها، وإن كانت كل ملة على الجملة لا بد فيها من مثل ذلك فهي مشاركة لها في الجنس بعيد من حيث إنها علوم الشرعية المترفة من عند الله تعالى على صاحب الشرعية المبلغ لها. وأما على المخصوص فمبينة لجميع الملل لأنها ناسخة لها. وكل ما قبلها من علوم الملل فمهجورة والنظر فيها محظوظ. فقد نهى الشرع عن النظر في الكتب المترفة غير القرآن. قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تصدقاً أهل الكتاب ولا تكتذبوا وقولوا: آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إلينا وإننا وإلهم واحد» ورأى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في يد عمر رضي الله عنه

وأما التفسير فاعلم أن القرآن نزل بلغة العرب وعلى أساليب بلاغتهم، فكانوا كلهم يفهمونه ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيمه. وكان يتزلج جملًا جملًا وأيات آيات لبيان التوحيد والفروض الدينية بحسب الواقع. ومنها ما هو في العقائد الإمامية، ومنها ما هو في أحكام الجراح، ومنها ما يتقدم منها ما يتاخر ويكون ناسخاً له. وكان النبي ﷺ هو المبين لذلك كما قال تعالى: **﴿تَبَيَّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمْ﴾** فكان النبي ﷺ يبين الجمل ويميز الناسخ من المنسوخ ويعرفه أصحابه فعرفوه وعرفوا سبب نزول الآيات ومتضمن الحال منها متقولاً عنه. كما علم من قوله تعالى: **﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾** أنها نعي النبي ﷺ وأمثال ذلك ونقل ذلك عن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين. وتناول ذلك التابعون من بعدهم ونقل ذلك عنهم. ولم يزل ذلك متضاللاً بين الصدر الأول والسلف حتى صارت المغارف علوراًً ودونت الكتب فكتب الكثير من ذلك ونقلت الآثار الواردة فيه عن الصحابة والتابعين واتهى ذلك إلى الطبرى والراقدى والتعالى وأمثالهم من المفسرين، فكتبوا فيه ما شاء الله أن يكتبوا من الآثار.

ثم صارت علوم اللسان صناعية من الكلام في موضوعات اللغة وأحكام الإعراب والبلاغة في التركيب فوضعت الدوافين في ذلك بعد أن كانت ملكات للعرب لا يرجع فيها إلى نقل ولا كتاب فتوسي ذلك وصارت تلقى من كتب أهل اللسان. فاحتاج إلى ذلك في تفسير القرآن؛ لأنه بلسان العرب وعلى منهاج بلاغتهم. وصار التفسير على صفين:

تفسير تلقي مستند إلى الآثار المقلولة عن السلف وهي معرفة الناسخ والمنسوخ، وأسباب التزول ومقاصد الآي. وكل ذلك لا يعرف إلا بالنقل عن الصحابة والتابعين. وقد جمع المقدمون في ذلك وأوغروا، إلا أن كثيرون ومتقولاتهم تشتمل على الغث والسمين والمقبول والمردود. والسبب في ذلك أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم وإنما غلبوا عليهم البداعة والأمية. فإذا شرقو إلى معرفة شيء مما تستشوق إليه الفوس البشرية في أسباب المكونات وبيده الخلقة وأسرار الوجود، فإنما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم ويستفيدونه منهم وهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى. وأهل التوراة الذين بين العرب يؤمنون بادية مثلهم ولا يعرفون من ذلك إلا ما تعرفه العامة من أهل الكتاب ومعظهم من حبر الدين أخذوا بدين اليهودية. فلما أسلموا يقروا على ما كان عندهم ما لا تتعلق له بالأحكام الشرعية التي يحيطون بها مثل أخبار بدء الخلقة وما يرجح إلى الحديث والملاحم وأمثال ذلك. وهؤلاء مثل كعب الأ江北 و وهب بن منبه

في جيل بعد جيل، إلى أن ملك بشرق الأندلس مجاهد من موالي العاريين وكان معتمداً بهذا الفن من بين فنون القرآن لما أخذته به مولاه المنصور بن أبي عامر واجتهد في تعليمه وعرضه على من كان من آئمة القراء بمحضرته، فكان سهنه في ذلك وافراً. وانحصر مجاهد بعد ذلك بإمارة دانية والجزائر الشرقية فنفت بها سوق القراءة لما كان هو من أئمتها وبما كان له من الاعتناء بسائر العلوم عموماً وبالقراءات خصوصاً. ظهر له معله أبو عمرو الداني وبلغ الغاية فيها ووقفت عليه معرفتها. وانتهت إلى روایته أسانيدها وتعددوا من بينها كتاب **«التيسير»** له. ثم ظهر بعد ذلك فيما يليه من العصور والأجيال أبو القاسم بن فирه من أهل شاطبة، فعمد إلى تهذيب ما دونه أبو عمرو وتلخيصه فنظم ذلك كله في قصيدة لغز فيها أسماء القراء مخروف **«أبا جد»** ترتيباً أحكمه ليتيسير عليه ما قصدته من الاختصار وليكون أسهله للحفظ لأجل نظمها. فاستوعب فيها الفن استيعاباً حسناً وعني الناس بحفظها وتلذذها للولدان المتعلمين، وجرى العمل على ذلك في أمصار المغرب والأندلس.

وريماً أضيف إلى فن القراءات فن الرسم أيضاً، وهي أوضاع حروف القرآن في المصحف ورسموه الخطية، لأن فيه حروفاً كثيرة وقع رسماً على غير المعرفة من قياس الخط كزجاجة الياء في **«بابايد»** وزجاجة الألف في **«لا أذهمه»** و **«لا أوضعوا»** والواو في **«جزاؤ الظالمين»** وحذف الألفات في مواضع دون أخرى وما رسم فيه سن التاءات ممدوداً. والأصل فيه من بساط على شكل الهاء وغير ذلك، وقد مر تعليل هذا الرسم المصخفى عند الكلام في الخط. فلما جاءت هذه مخالفة لأوضاع الخط وقانونه احتاج إلى حصرها، فكتب الناس فيها أيضاً عن كثيهم في العلوم. وانتهت بالغرب إلى أبي عمرو الداني المذكور فكتب فيها كتاباً من أشهرها: كتاب **«المقنع»** وأخذ به الناس وعلموا عليه. ونظمه أبو القاسم الشاطبي في قصيدة المشهورة على روى الراء وولع الناس بحفظها. ثم كثر الخلاف في الرسم في كلمات حروف أخرى، ذكرها أبو داود سليمان بن نحاج من موالي مجاهد في كتابه وهو من تلاميذ أبي عمرو الداني والمشهور بمحمل علومه ورواية كتابه، ثم نقل بعده خلاف آخر فنظم الخراز من المؤخرین بالغرب أرجوزة أخرى زاد فيها على **«المقنع»** خلافاً كبيراً، وعزاه لنقليه. وانشرت بالغرب، واقتصر الناس على حفظها. وهجروا بها كتاب أبي ... داود وأبي عمرو والشاطبي في الرسم.

التفسير:

## الفصل السادس

### في علوم الحديث

وأما علوم الحديث فهي كبيرة ومتعددة، لأن منها ما ينظر في ناسخه ومنسوخه وذلك بما ثبت في شريعتنا من جواز النسخ ووقوعه لطفاً من الله بعيده وتخفيفاً عنهم باعتبار مصالحهم التي تكفل الله لهم بها. قال تعالى «ما نَسَخْ مِنْ آيَةٍ أُوْتَى نَسَخَهُ بَخْرَهُ أُوتَى بَخْرَهَا»<sup>١</sup> ومعرفة الناسخ والنسوخ وإن كان عاماً للقرآن والحديث إلا أن الذي في القرآن منه اندراج في تفاسيره ويقي ما كان خاصاً بالحديث راجعاً إلى علومه. فإذا تعارض الحبران باللفي والإيات وتعذر الجمع بينهما ببعض التأويل وعلم تقدم أحدهما تعين أن المتأخر ناسخ. وهو من أهم علوم الحديث وأصعبها. قال الزهرى: أعيا الفقهاء وأعجزهم أن يعرفوا ناسخ حديث رسول الله ﷺ من منسوخه. وكان للشافعى رضى الله عنه فيه قدم راسخة.

ومن علوم الحديث النظر في الأسانيد ومعرفة ما يجب العمل به من الأحاديث بوقوعه على السنن الكامل الشروط؛ لأن العمل إنما وجب بما يغلب علىظن صدقه من أخبار رسول الله ﷺ فيجهد في الطريق التي تحصل ذلك الظن وهو بمعرفة رواة الحديث بالعدالة والضبط. وإنما يثبت ذلك بالنقل عن أعلام الدين لتعديلهم وبراءتهم من الجرح والغفلة ويكون لنا ذلك دليلاً على القبول أو الترك.

وكذلك مراتب هؤلاء النقلة من الصحابة والتابعين وتفاوتهم في ذلك وتميزهم فيه واحداً واحداً. وكذلك الأسانيد تفاوت باتصالها وانقطاعها بآن يكون الرواى لم يلق الرواى الذي نقل عنه وبسلامتها من العلل الموبأة لها وتنتهي بالتفاوت إلى طرفين، فحكم بقبول الأعلى ورد الأسفل. ويتختلف في المتوسط بحسب المنقل عن آئمة الشأن. ولهم في ذلك، الفاظ اصطلاحوا على وضعها لهذه المراتب المربطة. مثل الصحيح والحسن والضعيف والمسلل والمقطوع والمفضل والشاذ والغريب، وغير ذلك من القابه المتداولة بينهم. ويبووا على كل واحد منها ونقلوا ما فيه من الخلاف لأنئمة اللسان أو الوقف. ثم النظر في كيفيةأخذ الرواية بعضهم عن بعض بقراءة أو كتابة أو مناولة أو إجازة، وتفاوت ربها وما للعلماء في ذلك من الخلاف بالقيود والرد.

ثم أتبعوا ذلك بكلام في الفاظ تقع في متون الحديث من غريب أو مشكل أو تصحيف أو مفترق منها أو مختلف وما

وعبد الله بن سلام وأمثالهم. فامتلاك التفاسير من المقولات عندهم في أمثال هذه الأغراض أخباراً مرفقة عليهم، وليس مما يرجع إلى الأحكام فيتهاجرى في الصحة التي يجب بها العمل. وتساهل المفسرون في مثل ذلك وملئوا كتب التفسير بهذه المقولات. وأصلها كما قلناه عن أهل التوراة الذين يسكنون البادية، ولا تتحقق عندهم معرفة ما يقللونه من ذلك إلا أنهم بعد صيفهم وعظمت أقدارهم. لما كانوا عليه من المقامات في الدين واللة، فتلقيت بالقبول من يومئذ. فلما رجع الناس إلى التحقيق والتتحقق و جاء أبو محمد بن عطيه من المتأخرین بال المغرب فلتحق تلك التفاسير كلها ومحى ما هو أقرب إلى الصحة منها، ووضع ذلك في كتاب متداول بين أهل المغرب والأندلس حسن التحلى. وتبعد القرطبي في تلك الطريقة على منهاج واحد في كتاب آخر مشهور بالشرق.

والنصف الآخر من التفسير وهو ما يرجع إلى اللسان من معرفة اللغة والإعراب والبلاغة في تأدية المعنى بحسب المقاصد والأساليب. وهذا الصنف من التفسير قل أن ينفرد عن الأول إذ الأول هو المقصود بالذات. وإنما جاء هذا بعد أن صار اللسان وعلومه صناعات. نعم قد يكون في بعض التفاسير غالباً.

ومن أحسن ما اشتتم عليه هذا الفن من التفسير كتاب «الكشف» للزمخشري من أهل خوارزم العراق إلا أن مؤلفه من أهل الاعتزال في العقائد فيأتي بالحجاج على مذهبهم الفاسدة حيث تعرض له في آي القرآن من طرق البلاغة. فصار بذلك للمحققين من أهل السنة الخراف عنه وتحذير للجمهور من مكانته مع إقرارهم برسوخ قدمه فيما يتعلق باللسان والبلاغة. وإذا كان الناظر فيه وافقاً مع ذلك على المذاهب السنية حمساً للحجاج عنها فلا جرم أنه مأمون من غواصاته فلينتم مطالعته لغراية فتوته في اللسان.

ولقد وصل إلينا في هذه العصور تأليف لبعض العراقيين وهو شرف الدين الطببي من أهل توريز من عراق العجم شرح فيه كتاب الزمخشري هذا وتبعد الفاظه وتعرض لمناهبه في الاعتزال بأدلة تزييفها، وبين أن البلاغة إنما تقع في الآية على ما يراه أهل السنة لا على ما يراه المعتزلة، فأحسن في ذلك ما شاء مع إمتعاضه في سائر فنون البلاغة، وفرق كل ذي علم عليم.

ليكون ذلك إماماً للسنة والعمل.

يناسب ذلك، هنا معظم ما ينظر فيه أهل الحديث وغالبه.

وهذه هي المسانيد المشهورة في الملة وهي أمهات كتب الحديث في السنة فإنها، وإن تعددت ترجع إلى هذه في الأغلب، ومعرفة هذه الشروط والاصطلاحات كلها هي علم الحديث وربما يفرد عنها الناسخ والمنسوخ فيجعل فناً برأسه وكذا الغريب، وللناس فيه تأكيل مشهورة ثم المؤتلف والمختلف.

وقد ألف الناس في علوم الحديث وأكثروا. ومن فحول علمائه وأئمتهم أبو عبد الله الحكم وتأكيله فيه مشهورة وهو الذي هذب وأظهر حسانه. وأشهر كتاب للمتأخرین فيه كتاب أبي عمرو بن الصلاح كان لهد أواىل المائة السابعة، وتلاه عبي الدين التوسي بمثل ذلك. والنون شريف في مغازه لأنه معرفة ما تحفظ به السن المقلولة عن صاحب الشريعة. وقد انقطع لهذا العهد تحرير شيء من الأحاديث واستدراكها على المقدمين إذ العادة تشهد بـهؤلاء الأنتم على تعددـهم وتلاحقـ عصورـهم وكفاياتـهم واجتهادـهم لم يكونـوا ليـقـلـلـوا شيئاًـ منـ الـسـنـ أوـ يـزـكـوهـ حتـىـ يـعـثـرـ علىـ المـتأـخـرـ هـذـاـ بـعـدـ عـنـهـ، وـإـنـ تـصـرـفـ العـنـيـةـ هـذـاـ الـعـهـدـ إـلـىـ تـصـحـيـحـ الـأـمـهـاتـ الـمـكـتـوـبـةـ وـضـيـطـهـ بـالـرـوـاـيـةـ عـنـ مـصـنـفـهـاـ وـالـنـظـرـ فـيـ أـسـانـيدـهـ إـلـىـ مـوـلـفـهـ وـعـرـضـ ذـلـكـ عـلـىـ مـاـ تـقـرـرـ فـيـ عـلـمـ الـحـدـيـثـ مـنـ الـشـرـوـطـ وـالـأـحـكـامـ لـتـصـلـ الـأـسـانـيدـ حـكـمـةـ إـلـىـ مـتـهـاـهـاـ. وـلـمـ يـزـدـوـاـ فـيـ ذـلـكـ عـلـىـ الـعـنـيـةـ بـأـكـثـرـ مـنـ هـذـهـ الـأـمـهـاتـ الـخـمـسـ إـلـاـ فـيـ الـقـلـيلـ.

فأما البخاري وهو أعلاها رتبة فاستصعب الناس شرحه واستغلقوا منحـاهـ منـ أجلـ ماـ يـحـتـاجـ إـلـيـهـ منـ مـعـرـفـةـ الـطـرـقـ الـمـتـعـدـدةـ وـرـجـالـهـ مـنـ أـهـلـ الـحـجـازـ وـالـشـامـ وـالـعـرـاقـ وـمـعـرـفـةـ أـمـوـالـهـ وـاخـتـلـافـ النـاسـ فـيـهـمـ. وـلـذـلـكـ يـحـتـاجـ إـلـىـ إـمـانـ النـظـرـ فـيـ التـقـهـ فـيـ تـرـاجـهـ؛ لـأـنـهـ يـتـرـجـمـ الـتـرـجـةـ وـيـوـرـدـ فـيـهـ الـحـدـيـثـ بـسـنـدـ أوـ طـرـيقـ ثـمـ يـتـرـجـمـ أـخـرـىـ وـيـوـرـدـ فـيـهـ ذـلـكـ الـحـدـيـثـ بـعـيـنـهـ لـمـ تـضـمـنـ مـنـ الـعـنـىـ الـذـيـ تـرـجـمـ بـهـ الـبـابـ. وـكـذـلـكـ فـيـ تـرـجـمـةـ وـتـرـجـمـةـ إـلـىـ أـنـ يـتـكـرـرـ الـحـدـيـثـ فـيـ أـبـوـابـ كـثـيرـ بـحـسـبـ مـعـانـيـهـ وـاـخـتـلـافـهـ وـمـنـ شـرـحـهـ وـلـمـ يـسـتـوـفـ هـذـاـ فـيـ فـلـمـ يـوـفـ حقـ الشرـحـ كـاـبـنـ بطـالـ وـابـنـ المـهـلـبـ وـابـنـ التـيـنـ وـخـوـهـمـ. وـلـقـدـ سـمـعـتـ كـثـيرـاـ مـنـ شـبـيـخـناـ رـحـمـهـ اللـهـ يـقـلـوـنـ: شـرـحـ كـتـابـ الـبـخـارـيـ دـيـنـ عـلـىـ الـأـمـةـ يـعـنـونـ أـنـ أـحـدـ مـنـ عـلـمـاءـ الـأـمـةـ. لـمـ يـوـفـ مـاـ يـحـبـ لـهـ مـنـ الشـرـحـ بـهـذـاـ الـاعـتـارـ.

واما «صحیح مسلم» فکثرت عنایة علماء المغرب به وأکبوا عليه وأجمعوا على تفضیله على كتاب البخاري من غير الصحيح عما لم يكن على شرطه، وأکثر ما وقع له في التراجم. وأملأ الإمام المازري من فقهاء المالکية عليه شرعاً وسماء العلّم

وكانت أحوال نقلة الحديث في عصور السلف من الصحابة والتابعين معروفة عند أهل بلده فمنهم بالحجاج ومنهم بالبصرة والكرفة من العراق ومنهم بالشام ومصر، والجميع معروفون مشهورون في أعيادهم، وكانت طریقة أهل الحجاج في أعيادهم في الأسنان أعلى من سواهم وأدنى في الصحة لاشتداهم في شرط التقليل من العدالة والضبط، وتجافيهم عن قبول المجهول الحال في ذلك وسيد الطریقة الحجازية بعد السلف الإمام مالك عالم المدينة رضي الله تعالى عنه، ثم أصحابه مثل الإمام أبي عبدالله محمد بن إدريس الشافعی رضي الله عنه، وابن وهب وابن بکیر والقعنی ومحمد بن الحسن ومن بعدهم الإمام احمد بن حنبل وفي آخرين من أمثالهم.

وكان علم الشريعة في مبدأ هذا الأمر تقلاً صرفاً شمر لها السلف وتحروا الصريح حتى أكملوها.

وكتب مالك رحمه الله كتاب «الموطأ» أودعه أصول الأحكام من الصحيح المتلقى عليه ورتبه على أبواب الفقه. ثم عني الحفاظ بمعرفة طرق الأحاديث وأسانيدها المختلفة. وربما يقع إسناد الحديث من طرق متعددة عن رواة مختلفين، وقد يقع الحديث أيضاً في أبواب متعددة باختلاف المعاني التي اشتمل عليها.

وجاء محمد بن إسماعيل البخاري إمام المحدثين في عصره فخرج أحاديث السنة على أبوابها في «مسنده الصحيح» بمجموع الطرق التي للحجاجيين والعراقيين والشاميين. واعتمد منها ما أجمعوا عليه دون ما اختلفوا فيه وذكر الأحاديث يسوقها في كل باب يعني ذلك الباب الذي تضمنه الحديث فتكررت لذلك أحاديثه حتى يقال: إنه اشتمل على تسعة آلاف حديث ومائتين. منها ثلاثة آلاف متكررة وفرق الطرق والأسانيد عليها مختلفة في كل باب.

ثم جاء الإمام مسلم بن الحجاج القشيري رحمه الله تعالى فالف «مسنده الصحيح». حذف في حذف البخاري. في نقل الجمع عليه وحذف التكرر منها وجمع الطرق والأسانيد وبوشه على أبواب الفقه وترجمه. ومع ذلك فلم يستوعبا الصحيح كله. وقد استدرك الناس عليهما في ذلك.

ثم كتب أبو داود السجستاني وأبو عيسى الترمذى وأبو عبد الرحمن النسائي في السنن بأوسـعـ مـنـ الصـحـيـحـ وـقـصـدـواـ مـاـ تـوـفـرـتـ فـيـ شـرـوـطـ الـعـلـمـ، إـمـاـ مـنـ الرـتـبـةـ الـعـالـيـةـ فـيـ الـأـسـانـيدـ وـهـوـ الصـحـيـحـ كـمـاـ هـوـ مـعـرـفـ، إـمـاـ مـنـ الـذـيـ دـوـنـهـ مـنـ الـحـسـنـ وـغـيـرـهـ

روايته لما شدد في شروط الرواية والتحمل وضعف رواية الحديث البقني إذا عارضها الفعل النفسي. وقللت من أجلها روایته فقبل حديثه. لا أنه ترك رواية الحديث متعمداً فحاشاه من ذلك. ويدل على أنه من كبار المجهدين في علم الحديث اعتماد مذهبة بينهم والتعريض عليه واعتباره رداً وقولاً. وأما غيره من المحدثين وهم الجمورو فتوسعوا في الشروط وكثروا حديثهم والكل عن اجتهاد، وقد توسع أصحابه من بعده في الشروط وكثروا روایتهم.

وروى الطحاوي فأكثر وكتب «مسنده» وهو جليل القدر إلا أنه لا يعدل الصحاحين؛ لأن الشروط التي اعتمدتها البخاري ومسلم في كتبهما مجمع عليهما بين الأمة كما قالوه. وشروط الطحاوي غير متفق عليها كالرواية عن المستور الحال وغيره، فلهذا قدم «الصحيحان» بل وكتب السنن المعروفة قدمت عليه تأثير شرطه عن شرطوطهم. ومن أجل هذا قيل في «الصحاحين» بالإجماع على قولهما من جهة الإجماع على صحة ما فيهما من الشروط المتفق عليها. فلا تأخذك ريبة في ذلك، فالقوم أحق الناس بالظن الجميل بهم والتماس المخارج الصحيحة لهم. والله سبحانه وتعالى أعلم بما في حقائق الأمور.

بفوائد مسلم» اشتمل على عيون من علم الحديث وفتون من الفقه ثم أكمله القاضي عياض من بعده وتممه وسماه «إكمال المعلم» وتلاها محيي الدين التزوبي بشرح استوفى ما في الكتابين وزاد عليهما فجاء شرحاً وافياً.

وأما كتب السنن الأخرى وفيها معظم مأخذ الفقهاء فاكثراً شرحها في كتب الفقه إلا ما يختص بعلم الحديث، فكتب الناس عليها واستوفوا من ذلك ما يحتاج إليه من علم الحديث وموضوعاتها وأسانيده التي اشتملت على الأحاديث المعول بها من السنة.

واعلم أن الأحاديث قد تغيرت مراتبها لهذا العهد بين صحيح وحسن وضعييف ومعلول وغيرها، تنزلها آئمة الحديث وجهاً بذاته وعرفوها. ولم يبق طريق في تصحيح ما يصبح من قبل. ولقد كان الآئمة في الحديث يعرفون الأحاديث بطرقها وأسانيدها بحيث لو روى حديث بغير سنته وطريقه يفطنون إلى أنه قد قلب عن وضعه، ولقد وقع مثل ذلك للإمام محمد بن إسماعيل البخاري حين ورد على بغداد، وقصد المحدثون امتحانه فسألوه عن أحاديث قبلوا أسانيدها فقال: «لا أعرف هذه، ولكن حديثي فلان». ثم أتى بجميع تلك الأحاديث على الوضع الصحيح ورد كل متن إلى سنته وأقروا له بالإماماة.

واعلم أيضاً أن الآئمة المجهدين تناولوا في الإثار من هذه الصناعة والإقلال، فأبا حنيفة رضي الله تعالى عنه يقال: بلغت روایته إلى سبعة عشر حديثاً أو نحوها، ومالك رحمه الله إنما صاح عنه ما في كتاب «الموطأ» وغيتها ثلاثة حديث أو نحوها. وأحد بن حنبل رحمه الله تعالى في مسنده خمسون ألف حديث ولكل ما أداه إليه اجتهاده في ذلك. وقد تقول بعض المبغضين المتعسفين إلى أن منهم من كان قليل البصارة في الحديث فلهذا قلت روایته. ولا سبيل إلى هذا المعتقد في كبار الآئمة لأن الشريعة إنما تؤخذ من الكتاب والسنة. ومن كان قليل البصارة في الحديث فيتعين عليه طلبه وروايته والجد والتشرير في ذلك ليأخذ الدين عن أصول صحيحة ويتلقى الأحكام عن صاحبها المبلغ لها. وإنما قلل منهم من قليل الرواية لأجل المطاعن التي تعرضه فيها والعلل التي تعرض في طرقها سبما والجرح مقدم عند الأكثر فيؤديه الاجتهاد إلى ترك الأخذ بما يعرض مثل ذلك فيه من الأحاديث وطرق الأسانيد ويكثر ذلك فنقل روایته لضعف في الطرق.

هذا مع أن أهل الحجاز أكثر رواية للحديث من أهل العراق؛ لأن المدينة دار المهرجة وأماوى الصحابة ومن انتقل منهم إلى العراق كان شغلهم بالجهاد أكثر. والإمام أبو حنيفة إنما قلت

## الفصل السابع

### في علم الفقه وما يتبعه من الفرائض

الفقه هو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والหظر والندب والكرامة والإباحة، وهي متلقاة من الكتاب والسنة وما نسبه الشارع لمعرفتها من الأدلة، فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه. وكان السلف يستخرجنها من تلك الأدلة على اختلاف فيما بينهم. ولا بد من وقوعه ضرورة. فإن الأدلة من النصوص وهي بلغة العرب وفي اقتضاءات الفاظها بكثير من معانيها - وخصوصاً الأحكام الشرعية - اختلاف بينهم معروف.

وأيضاً فالستة مختلفة الطرق في الثبوت وتعارض في الأكثر أحكامها فتحتاج إلى الترجيح وهو مختلف أيضاً. فالأدلة من غير النصوص مختلف فيها وأيضاً، فالوقائع المتعددة لا تتوافق بها النصوص. وما كان منها غير ظاهر في النصوص فيُحمل على منصوص لشيء بينهما، وهذه كلها مشارات للخلاف ضرورية الورق. ومن هنا وقع الخلاف بين السلف والأئمة من بعدهم. ثم إن الصحابة كلهم أهل فتاوا ولا كان الدين يؤخذ عن جميعهم.

كتبه بالإغفال والترك حتى إنها يحظر بيعها بالأسواق، وربما تمزق في بعض الأحيان. ولم يبق إلا مذهب أهل الرأي من العراق وأهل الحديث من الحجاز.

فاما أهل العراق فلما ماتهم الذي استقرت عنده مذاهبهم أبو حنيفة التعمان بن ثابت ومقامه في الفقه لا يلحق، شهد له بذلك أهل جلدته وخصوصاً مالك والشافعي.

ولما أهل الحجاز فكان إمامهم مالك بن أنس الأصحابي إمام دار المجرة رحمه الله تعالى واختص بزيارة مدرسته آخر للأحكام غير المدارك المعتبرة عند غيره وهو عمل أهل المدينة؛ لأنه رأى أنهم فيما يتقدرون عليه من فعل أو ترك متبعون لمن قبلهم ضرورة لدينهم واقتدائهم. وهكذا إلى الجيل المباشرين لفعل النبي صلوات الله عليه وسلم الآخرين ذلك عنه، وصار ذلك عنده من أصول الأدلة الشرعية. وظن كثير أن ذلك من مسائل الإجماع فأنكروه؛ لأن دليل الإجماع لا يخص أهل المدينة من سواهم بل هو شامل للأمة.

واعلم أن الإجماع إنما هو الإتفاق على الأمر الذي يعنى اجتهاده. ومالك رحمه الله تعالى لم يعتبر عمل أهل المدينة من هذا المعنى، وإنما اعتبره من حيث اتباع الجيل بالمشاهدة للجيل إلى أن ينتهي إلى الشارع صلوات الله عليه وسلم عليه. وضروره اقتدائهم بعين ذلك يعم الملة ذكرت في باب الإجماع لأنها ألقى الأبواب بها من حيث ما فيها من الاتفاق الجامع بينها وبين الإجماع. إلا أن اتفاق أهل الإجماع عن نظر واجتهاد في الأدلة واتفاق هؤلاء في فعل أو ترك مستدين إلى مشاهدة من قبلهم. ولو ذكرت المسألة في باب فعل النبي صلوات الله عليه وسلم وتقريره، أو مع الأدلة المختلفة فيها مثل مذهب الصحافي وشريعة من قبلنا والاستصحاب لكان أليق بها.

ثم كان من بعد مالك بن أنس محمد بن إدريس الطاطي الشافعي رحهما الله تعالى. رحل إلى العراق من بعد مالك ولقي أصحاب الإمام أبي حنيفة وأخذ عنهم ومزج طريقة أهل الحجاز بطريقة أهل العراق وخصوصاً مذهب، وخالف مالكا رحمه الله تعالى في كثير من مذهبها. وجاء من بعدهما أحمد بن حنبل رحمه الله. وكان من عليه المحدثين وقرأ أصحابه على أصحاب الإمام أبي حنيفة مع وفور بضاعتهم من الحديث فاختصوا بمذهب آخر. ووقف التقليد في الأمصار عند هؤلاء الأربعه ودرس المقلدون من سواهم. وسد الناس بباب الخلاف وطرقه لما كثر تشعب الاصطلاحات في العلم. ولما عان عن الوصول إلى رتبة الاجتهاد ولما خشي من إسناد ذلك إلى غير أهله ومن لا يوثق برأيه ولا بيده فصرحوا بالعجز والإعواز، وردوا الناس إلى تقليد هؤلاء كل من اختص به من المقلدين. وحظروا أن يتداول تقليدهم لما فيه من

إنما كان ذلك خصوصاً بالحاملين للقرآن العارفين بناسخه ومنسوخه ومتباينه ومحكمه وسائر دلالاته بما تلقوه من النبي صلوات الله عليه وسلم أو من سمعه منهم من عليهم. وكانوا يسمون لذلك القراء، أي الذين يقرأون الكتاب؛ لأن العرب كانوا أمّة أمّة. فاختص من كان منهم قارئاً للكتاب بهذا الاسم لغرايته يومئذ. وبقي الأمر كذلك صدر الملة. ثم عظمت أمصار الإسلام وذهبت الأممية من العرب بممارسة الكتاب، وتعذر الاستبطاط وكمل الفقه وأصبح صناعة وعلمأً فبدلاً باسم الفقهاء والعلماء من القراء. وانقسم الفقه فيه إلى طريقتين: طريقة أهل الرأي والقياس وهم أهل العراق، وطريقة أهل الحديث وهم أهل الحجاز. وكان الحديث قليلاً في أهل العراق لما قدمناه فاستكثروا من القياس ومهروا فيه، فلذلك قبل أهل الرأي. ومقدم جماعتهم الذي استتر المذهب فيه وفي أصحابه أبو حنيفة وإمام أهل الحجاز مالك بن أنس والشافعي من بعده.

ثم انكر القياس طائفة من العلماء وأبطلوا العمل به وهم الظاهريه. وجعلوا مدارك كلها منحصرة في النصوص والإجماع وردوا القياس الجلي والعلة المنصوصة إلى النص، لأن النص على العلة نص على الحكم في جميع محلها. وكان إمام هذا المذهب داود بن علي وابنه وأصحابهما. وكانت هذه المذاهب الثلاثة هي مذهب الجمهور المشهور بين الأمّة. وشدّ أهل البيت بمذاهب ابتدعواه وفقه انفردوا به وبنوه على مذهبهم في تناول بعض الصحابة بالقدح، وعلى قولهم بعصمة الأنبياء ورفع الخلاف عن أقوالهم، وهي كلها أصول واهية وشدّ بمثل ذلك الموارج ولم يختلف الجمهور بمذاهبهم بل أوسعوها جانب الإنكار والقدح. فلا نعرف شيئاً من مذاهبهم ولا نروي كتبهم ولا أثر بشيء منها إلا في مواطنهم. فكتب الشيعة في بلادهم وحيث كانت دولتهم قائمة في المغرب والشرق واليمين والخوارج كذلك. ولكل منهم كتب وتأليف وآراء في الفقه الغربية. ثم درس مذهب أهل الظاهر اليوم بدرس أئمته وإنكار الجمهور على متاحله ولم يبق إلا في الكتب المجلدة، وربما يعكف كثير من الطالبين من تكليف باتحالف مذهبهم على تلك الكتب برومأخذ فقههم منها ومنهم، فلا يخلو بطائل ويصير إلى مخلافة الجمهور وإنكارهم عليه، وربما عد بهذه التحجة من أهل البدع بتلقيه العلم من الكتب من غير مفتاح العلمين.

وقد فعل ذلك ابن حزم بالأندلس على علو رتبته في حفظ الحديث وصار إلى مذهب أهل الظاهر وهو فيه باجتهاد زعمه في أقوالهم. وخالف إمامهم داود و تعرض لل كثير من أئمة المسلمين، فتقى الناس ذلك عليه وأوسعوا منهيه استهجاناً وإنكاراً، وتلقوا

إلى الظهور بينهم ورجع إليهم فقه الشافعى وأصحابه من أهل العراق والشام، فعاد إلى أحسن ما كان ونفت سوة، واشتهر فيما يحيى الدين النورى من الخلبة التي ربيت في ظل الدولة الأيووبية بالشام وزع الدين بن عبد السلام أيضاً. ثم ابن الرفعة بصر وتقى الدين بن دقيق العيد، ثم تقى الدين السبكي بعدهما إلى أن انتهى ذلك إلى شيخ الإسلام ينصر لهذا العهد وهو سراج الدين البلقى، فهو اليوم كثير الشافعية بمصر، لا بل كبير العلماء من أهل مصر.

وأما مالك رحمه الله تعالى فاختص مذهبة أهل المغرب والأندلس. وإن كان يوجد في غيرهم، إلا أنهم لم يقلدوا غيره إلا في القليل لما أن رحلتهم كانت غالباً إلى الحجاز وهو متى سفرهم. والمدينة يومئذ دار العلم، ومنها خرج إلى العراق ولم يكن العراق في طريقهم، فاقتصرت على الأخذ عن علماء المدينة. وشيخهم يومئذ وإمامهم مالك وشيوخه من قبله وتلميذه من بعده. فرجع إليه أهل المغرب والأندلس وقلدوه دون غيره من لم تصل إليهم طريقه. وأيضاً فالبداوة كانت غالبة على أهل المغرب والأندلس ولم يكونوا يعانون الحضارة التي لأهل العراق، فكانوا إلى أهل الحجاز أميل لمناسبة البداوة، وهذا لم يزل المذهب المالكى غضاً عندهم، ولم يأخذه تقيح الحضارة وتهذيبها كما وقع في غيره من المذاهب. ولما صار مذهب كل إمام عملاً مخصوصاً عند أهل مذهبة ولم يكن لهم سبيل إلى الاجتهد والقياس فاحتاجوا إلى تنظير المسائل في الإلحاد وتقرها عند الاشتباه بعد الاستناد إلى الأصول المقررة من مذاهب إمامهم. وصار ذلك كلما يحتاج إلى ملكرة راسخة يقتدر بها على ذلك النوع من التغطية أو التفرقة واتباع مذهب إمامهم فيما ما استطاعوا.

وهذه الملكة هي علم الفقه لهذا العهد. وأهل المغرب جميعاً مقلدون لمالك رحمه الله. وقد كان تلاميذه افترقوا بمصر والعراق. فكان بالعراق منهم القاضى إسماعيل وطبقته مثل ابن خوزيَّة مدد وابن اللبان والقاضى أبو بكر الأبهري والقاضى أبو الحسين بن القصار والقاضى عبد الوهاب ومن بعدهم. وكان بمصر ابن القاسم وأشهر وابن عبد الحكم والحارث بن مسكين وطبقته، ورحل من الأندلس يحيى بن يحيى الليثى، ولقب مالكاً. وروى عنه كتاب الموطأ، وكان من جملة أصحابه. ورحل بعده عبد الملك بن حبيب، فأخذ عن ابن القاسم وطبقته ويت مذهب مالك في الأندلس ودون فيه كتاب الواضحه. ثم دون العتبى من تلاميذه كتاب العتبية. ورحل من إفريقية أسد بن الفرات فكتب عن أصحاب أبي حنيفة أولاً. ثم انتقل إلى منصب مالك. وكتب على

التلاعب ولم يبق إلا نقل مذاهبهم. وعمل كل مقلد مذهب من تلده منهم بعد تصحيح الأصول واتصال سنته بالرواية، لا محصول اليوم لفقهه غير هذا.

ومدعي الاجتهد لهذا العهد مردود منكوص على عقبه مهجور تقليده، وقد صار أهل الإسلام اليوم على تقليد هؤلاء الأئمة الأربع. فاما أحمد بن حنبل فمقلدوه قليل بعد مذهبة عن الاجتهد وأصالته في معاضدة الرواية، وللأخبار بعضها بعض. وأكثرهم بالشام وال伊拉克 من بغداد ونواحيها وهم أكثر الناس حفظاً للسنة ورواية الحديث وميلاً بالاستبطاط إليه عن القياس ما يمكن. وكان لهم بغداد صولة وكثرة حتى كانوا يتوافقون مع الشيعة في نواحيها. وعظمت الفتنة من أجل ذلك، ثم انقطع ذلك عند استيلاء التتر عليها. ولم يراجع وصارت كثراً بالشام. وأما أبو حنيفة فقلده اليوم أهل العراق وسلمة المندى والصين وما وراء النهر وبالبلاد العجم كلها. ولما كان مذهبة أحسن بالعراق ودار السلام وكان تلميذه صاحبة الخلافاء من بني العباس فكثرت تأليفهم ومناظرهم مع الشافعية وحسنت مباحثهم في الخلافيات. وجاؤوا منها بعلم مستظرف وأنظار غريبة وهي بين أيدي الناس. وبالمغرب منها شيء قليل نقله إليه القاضى بن العربي وأبو الوليد الباقي في رحلتهم.

وأما الشافعى فمقلدوه بمصر أكثر مما سواها، وقد كان انتشر مذهب بالعراق وخراسان وما وراء النهر وقادسوا الحنفية في الفتوى والتدرис في جميع الأنصار. وعظمت مجالس المناظرات بينهم وشحنت كتب الخلافيات بأنواع استدلالاتهم. ثم درس ذلك كله بدروس المشرق وأقطاره. وكان الإمام محمد بن إدريس الشافعى لما نزل على بي عبد الحكم بمصر أخذ عنه جماعة منهم. وكان من تلميذه بها: البوطي والمزنى وغيرهم، وكان بها من المالكية جماعة من بني عبد الحكم وأشهر وابن القاسم وابن المرزاق وغيرهم، ثم الحارس بن مسكن وبنوه، ثم القاضى أبو إسحق بن شعبان وأصحابه.

ثم انقرض فقه أهل السنة من مصر بظهور دولة الراضة وتداول بها فقه أهل البيت، وكان من سواهم يتلاشوا وينهبوها، وارتحل إليها القاضى عبد الوهاب من بغداد. آخر المائة الرابعة على ما أعلم، من الحاجة والتقليل في المعاش. فتأذن خلفاء العبيدين بإكرامه، وإظهار فضلاته نعيًا على بني العباس في اطراح مثل هذا الإمام، والاغتسال به. فنفت سوق المالكية بمصر قليلاً، إلى أن ذهبت دولة العبيدين من الراضة على يد صلاح الدين يوسف بن أيوب، فذهب منها فقه أهل البيت وعاد فقه الجماعة

ناصر الدين من الترغيب فيه. وقد شرحه جماعة من شيوخهم: كابن عبد السلام وأبن رشد وأبن هارون، وكلهم من مشيخة أهل تونس وسابق حلبهم في الإجادة في ذلك ابن عبد السلام وهو مع ذلك يتعاهدون كتاب التهذيب في دروسهم. والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم.

## الفصل الثامن

### في علم الفرائض

وأما علم الفرائض وهو معرفة فروض الوراثة وتصحيح سهام الفريضة، من كم تصح، باعتبار فروضها الأصول أو مناسختها. وذلك إذا هلك أحد الورثة وانكرت سهامه على فروض ورثته، فإنه حينئذ يحتاج إلى حسبان يصحح الفريضة الأولى حتى يصل أهل الفروض جميعاً في الفريضتين إلى فرضهم من غير تخيّلة. وقد تكون هذه المناسخات أكثر من واحد واثنين، وتعدد كذلك بعدد أكثر. وقد يقدر ما تعددحتاج إلى الحساب، وكذلك إذا كانت فريضة ذات وجهين مثل أن يقر بعض الورثة بوارث وينكره الآخر فتصحح على الوجهين حيثما. وينظر مبلغ السهام، ثم تقسم التركة على نسب سهام الوراثة من أصل الفريضة. وكل ذلك يحتاج إلى الحساب، فأفادوا هذا الباب من أبواب الفقه لما اجتمع فيه الفقه من الحساب وكان غالباً فيه وجعلوه فناً مفرداً. وللناس فيه تأكيد كثيرة أشهرها عند المالكية من متأخري الأندلس كتاب ابن ثابت وختصر القاضي أبي القاسم الحوفي ثم الجعدي، ومن متأخري إفريقية ابن النمر الطرابلسي وأمثالهم.

وأما الشافعية والحنفية والحنابلة فلهم فيه تأكيد كبيرة وأعمال عظيمة صعبة، شاهدة لهم باتساع الباب في الفقه والحساب وخصوصاً أبا المعالى رضي الله تعالى عنه وأمثاله من أهل المذهب، وهو فن شريف جمعه بين العقول والمنقول والوصول به إلى المحقق في الوراثات بوجوه صحيحة يقينية عندما تجهل المظروف وتشكل على القاسمين. وللعلماء من أهل المصار بها عنابة. ومن المصنفين من يحتاج فيها إلى الغلو في الحساب وفرض المسائل التي تحتاج إلى استخراج المجهولات من فنون الحساب كالجبر والمقابلة والتصرف في الجذور وأمثال ذلك فيملؤون بها تأكيفهم. وهو وإن لم يكن متداولاً بين الناس ولا يفيد فيما يتداولونه من وراثتهم لغراحته وقلة وقوعه، فهو يفيد المران وتحصيل الملكة في التداول على أكمل الرجوه.

ابن القاسم في سائر أبواب الفقه وجاء إلى القبوران بكتابه وسمي الأسدية نسبة إلى أسد بن الفرات، فقرأ بها سخنون على أسد نم ارتحل إلى المشرق ولقي ابن القاسم وأخذ عنه وعارضه بمسائل الأسدية، فرجع عن كثير منها. وكتب سخنون مسائلها دونها وأثبت ما رجع عنه منها، وكتب معه ابن القاسم إلى أسد أن يمحو من أسلطيه ما رجع عنه، وأن يأخذ بكتاب سخنون فائف من ذلك، فترك الناس كتابه واتبعوا مدونة سخنون على ما كان فيها من اختلاط المسائل في الأبواب، فكانت تسمى المدونة والمختلطة. وعكف أهل القبوران على هذه المدونة وأهل الأندلس على الواضحة والعتيبة.

ثم اختصر ابن أبي زيد المدونة والمختلطة في كتابه المسمى بالختصر ولخصه أيضاً أبو سعيد البرادعي من فقهاء القبوران في كتابه المسمى بالتهذيب وأعتمدته المشيخة من أهل إفريقية وأخذوا به وتركوا ما سواه. وكذلك اعتمد أهل الأندلس كتاب العتبة وهجروا الواضحة وما سواها. ولم يزل علماء المذهب يتعاهدون هذه الأمهات بالشرح والإيضاح والجمع، فكتب أهل إفريقية على المدونة ما شاء الله أن يكتبوا مثل ابن يونس واللخمي وأبن حمرز والتونسي وأبن بشير وأمثالهم. وكتب أهل الأندلس على العتبة ما شاء الله أن يكتبوا مثل ابن رشد وأمثاله. وبجمع ابن أبي زيد جميع ما في الأمهات من المسائل والخلاف والأقوال في كتاب النسادر فاشتمل على جميع أقوال المذاهب، وفرع الأمهات كلها في هذا الكتاب، ونقل ابن يونس معظمه في كتابه على المدونة، وزخرت بحار المذهب المالكي في الأقوال إلى انقراض دولة قرطبة والقبوران. ثم غسلت بهما أهل المغرب بعد ذلك إلى أن جاء كتاب أبي عمرو بن الحاجب لخص فيه طرق أهل المذهب في كل باب وتعديل أقوالهم في كل مسألة، فجاء كالبرنامج للمذهب. وكانت الطريقة المالكية بقيت في مصر من لدن الحارث بن مسكون وأبن البشر وأبن اللهميث وأبن رشيق وأبن شاس. وكانت بالإسكندرية في بني عوف وبني سند وأبن عطاء الله. ولم أدر عن من أخذها أبو عمرو بن الحاجب، لكنه جاء بعد انقراض دولة العبيدين وذهاب فقه أهل البيت وظهور فقهاء السنة من الشافعية والمالكية، ولما جاء كتابه إلى المغرب آخر المائة السابعة عكف عليه الكثير من طلبة المغرب، وخصوصاً أهل مجاهة لما كان كبير مشيختهم أبو علي ناصر الدين الزواوي هو الذي جلبه إلى المغرب. فإنه كان قرأ على أصحابه بمصر ونسخ مختصره ذلك، فجاء به وانتشر بقطر مجاهة في تلميذه، ومنهم انتقل إلى سائر الأنصار المغاربية وطلبة الفقه بالمغرب لهذا العهد يتداولون قراءته ويتدارسوه لما يؤثر عن الشيخ

نم نظرنا في طرق استدلال الصحابة والسلف بالكتاب والسنة، فإذا هم يقيسون الأشياء منها بالأشياء، ويناظرون الأمثال بالأمثال بجماع منهم وتسليم بعضهم لبعض في ذلك. فإن كثيراً من الواقعات بعده صلوات الله وسلامه عليه لم تُتدرّج في الصوصن الثابتة فتقاسموها بما ثبت وألقوها بما نص عليه بشروط في ذلك الإلحاد. تصحّح تلك المساواة بين الشبيهين أو المثلين. حتى يغلب على الظن أن حكم الله تعالى فيهما واحد وصار ذلك دليلاً شرعاً بجماعهم عليه. وهو القياس وهو رابع الأدلة.

وانتقد جهور العلماء على أن هذه هي أصول الأدلة وإن خالف بعضهم في الإجماع والقياس، إلا أنه شذوذ والحق بعضهم بهذه الأدلة الأربعية آلة أخرى لا حاجة بنا إلى ذكرها. لضعف مداركها وشذوذ القول فيها. فكان من أول مباحث هذا الفن النظر في كون هذه آلة.

فاما الكتاب فدليله المعجزة القاطعة في متنه والتواتر في نقله. فلم يبق فيه مجال للاحتمال.

وأما السنة وما نقل إلينا منها، فالإجماع على وجوب العمل بما يصح منها كما قلناه. معتصداً بما كان عليه العمل في حياته صلوات الله وسلامه عليه من إفاذ الكتب والرسائل إلى التراحي بالأحكام والشرائع آمراً ونهاية.

واما الإجماع فلا تفاصيهم رضوان الله تعالى عليهم على إنكار خلافتهم مع المقصدة الثابتة للأمة.

واما القياس في جماع الصحابة رضي الله عنهم عليه كما قدمناه. هذه أصول الأدلة، ثم إن المقول من السنة يحتاج إلى تصحّح الخبر بالنظر في طرق النقل وعدالة الناقلين لتميز الحالة المصلحة للظن بصدقه، الذي هو مناط وجوب العمل بالخبر. وهذه أيضاً من قواعد الفن.

ويتحق بذلك عند التعارض بين الخبرين وطلب المقدم منهما معرفة الناسخ والمنسوخ وهي من فصوله أيضاً وأبوابه. ثم بعد ذلك يتعمّن النظر في دلالات الألفاظ، وذلك أن استفادة المعاني على الإطلاق من تراكيب الكلام على الإطلاق يتوقف على معرفة الدلالات الوضعية مفردة ومركبة. والقوانين اللسانية في ذلك هي علوم النحو والتصريف والبيان، وحين كان الكلام ملكة لأهلها لم تكن هذه علوماً ولا قوانين، ولم يكن الفقه حيث يتطلّب إليها، لأنها جملة وملكة. فلما فسدت الملكة في لسان العرب قدّها الجهابذة المتجردون لذلك ينقل صحيح ومقاييس مستبطة صحيحة وصارت علوماً يحتاج إليها الفقيه في معرفة أحكام الله

وقد يحتاج الأكثر من أهل هذا الفن على فضله بالحديث المنقول عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن الفرائض ثلت العلم وأنها أول ما ينسى، وفي رواية: نصف العلم؛ خرجه أبو نعيم الحافظ واحتاج به أهل الفرائض بناء على أن المراد بالفرائض فروض الوراثة. والذي يظهر أن هذا المحمل بعيد وأن المراد بالفرائض إنما هي الفرائض التكليفية في العبادات والعادات والمواريث وغيرها، وبهذا المعنى يصبح فهها الصافية والثلاثية.

وأما فروض الوراثة فهي أقل من ذلك كله بالنسبة إلى علم الشريعة كلها، ويعني هنا المراد أن حل لفظ الفرائض على هذا الفن المخصوص أو تحضيره بفروض الوراثة، إنما هو اصطلاح ناشئ للفقهاء عند حدوث الفنون والاصطلاحات. ولم يكن صدر الإسلام يطلق هذا اللفظ إلا على عمومه مشتقاً من الفرض الذي هو لغة التقدير أو القطع. وما كان المراد به في إطلاقه إلا جميع الفروض كما قلناه وهي حقيقة الشرعية، فلا ينبغي أن يحمل إلا على ما كان يحمل في عصرهم، فهو أبىق بمرادهم منه. والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق.

## الفصل التاسع

### أصول الفقه وما يتعلّق به من الجدل والخلافيات

اعلم أن أصول الفقه من أعظم العلوم الشرعية وأجلها قدرًا وأكثرها فائدة وهو النظر في الأدلة الشرعية من حيث تؤخذ منها الأحكام والنكاليف. وأصول الأدلة الشرعية هي الكتاب الذي هو القرآن ثم السنة الميبة له. فعلى عهد النبي ﷺ كانت الأحكام تلقى منه بما يوحى إليه من القرآن وبينه بقوله وفعله خطاب شفاهي لا يحتاج إلى نقل ولا إلى نظر وقياس. ومن بعده صلوات الله وسلامه عليه تعدد الخطاب الشفاهي والحفظ القرآن بالتواتر. وأما السنة فأجمع الصحابة رضوان الله تعالى عليهم على وجوب العمل بما يصل إلينا منها قولاً أو فعلًا بالنقل الصحيح الذي يغلب على الظن صدقه. وتبينت دلالة الشرع في الكتاب والسنة بهذا الاعتبار ثم تنزل الإجماع متزلفهما لإجماع الصحابة على التكبير على خلافهم. ولا يكون ذلك إلا عن مستند؛ لأن مثلهم لا يتفقون من غير دليل ثابت مع شهادة الأدلة بعصمة الجماعة، فصار الإجماع دليلاً ثابتاً في الشرعيات.

تعالى. ثم إن هناك استفادات أخرى خاصة من تراكيب الكلام وهي استفادة الأحكام الشرعية بين المعاني من أدلةها الخاصة بين تراكيب الكلام وهو الفقه.

وأوسع من جميعهم وعم الأبحاث والشروط التي يحتاج إليها فيه، وكملت صناعة أصول الفقه بكماله وتهبّت مسأله وتمهدت قواعده وعني الناس بطريقة المتكلمين فيه. وكان من أحسن ما كتب فيه المتكلمون كتابه البرهان لإمام الحرمين والمستضفي للغزالى وهما من الأشعرية وكتاب العهد لعبد الجبار وشرحه المعتمد لأبي الحسين البصري وهما من المعتزلة. وكانت الأربعة قواعد هذا الفن وأركانه. ثم لخص هذه الكتب الأربع فحلّان من المتكلمين المتأخرین، وهما الإمام فخر الدين بن الخطيب في كتاب الحصول وسيف الدين الأمدي في كتاب الإحکام. وانختلفت طرائقهما في الفن بين التحقیق والمحاجة. فابن الخطيب أميل إلى الاستكثار من الأدلة والاحتجاج، والأمدي مولع بتحقيق المذاهب وتفسير المسائل.

وأما كتاب الحصول فاختصره تلميذ الإمام مثل سراج الدين الأموي في كتاب التحصيل وتابع الدين الأرمسي في كتاب الحصول، واقتطف شهاب الدين القرافي منهـا مقدمات وقواعد في كتاب صغير سمـاه التحقیقات. وكذلك فعل البيضاوي في كتاب المنهـاج. وعني المبدئون بهـدين الكتابـين وشرحـهما كثيرـاً من الناس. وأما كتاب الإحکام للأمـدي وهو أكثر تـحقيقـاً في المسائل فلـخـصـة أبو عمرو بن الحاجـب في كتابـه المعـروف بالـمخـصـرـ الكبيرـ. ثم اـخـصـرـهـ في كتابـ آخرـ تـداوـلهـ طـلـبةـ الـعـلـمـ وـعـنـيـ أـهـلـ الـشـرـقـ والمـغـرـبـ بـهـ وـعـمـالـتـهـ وـشـرـحـهـ وـحـصـلـتـ زـيـدةـ طـرـيقـةـ المـتـكـلـمـينـ فيـ هـذـهـ الفـنـ فيـ هـذـهـ الـمـخـصـرـاتـ.

وأما طـرـيقـةـ الـخـفـيـةـ فـكـتـبـواـ فـيـهاـ كـثـيرـاـ وـكانـ منـ أـحـسـنـ كـتابـةـ المـتـدـمـرـينـ فـيـهاـ تـالـيـفـ أبيـ زـيدـ الـدـبـوـسـيـ، وـأـحـسـنـ كـتابـةـ المـأـخـرـينـ فـيـهاـ تـالـيـفـ سـيفـ الـإـسـلـامـ الـبـرـزـدـوـيـ منـ أـثـمـهـ وـهـوـ مـسـتـوـعـبـ، وـجـاءـ ابنـ السـاعـاتـيـ منـ فـقـهـاءـ الـخـفـيـةـ فـجـمـعـ بـيـنـ كـتابـ الـأـحـکـامـ وـكـتابـ الـبـرـزـدـوـيـ فـيـ الـطـرـيقـيـنـ وـسـمـيـ كـتابـهـ بـالـبـالـدـائـعـ، فـجـاءـ مـنـ أـحـسـنـ الـأـوـاضـعـ وـأـبـدـعـهـ وـأـئـمـةـ الـعـلـمـ هـذـاـ الـعـهـدـ يـتـداـلـوـنـهـ قـرـاءـةـ وـجـمـاـناـ. وـأـوـلـعـ كـثـيرـ منـ عـلـمـاءـ الـعـجـمـ بـشـرـحـهـ. وـالـحـالـ عـلـىـ ذـلـكـ هـذـاـ الـعـهـدـ.

هـذـهـ حـقـيـقـةـ هـذـهـ الفـنـ وـتـعـيـنـ مـوـضـعـاتـهـ وـتـعـدـيـدـ التـالـيـفـ المشـهـورـ هـذـاـ الـعـهـدـ فـيـهـ. وـالـلـهـ يـنـفـعـنـاـ بـالـعـلـمـ وـيـجـلـنـاـ مـنـ أـهـلـهـ عـنـهـ وـكـرـمـهـ إـنـهـ عـلـىـ كـلـ شـيـءـ قـدـيرـ.

الخلافيات:

النـكـتـ الـفـقـهـيـةـ وـالـقـاطـاطـ هـذـهـ القـوـانـينـ مـنـ مـسـائـلـ الـفـقـهـ ماـ أـمـكـنـ. ولاـ يـكـنـيـ فـيـ مـعـرـفـةـ الدـلـالـاتـ الـرـضـعـيـةـ عـلـىـ الإـلـاطـاقـ بـلـ لاـ بـدـ مـنـ مـعـرـفـةـ أـمـورـ آخـرـ تـوقـفـ عـلـيـهـ تـلـكـ الدـلـالـاتـ الـخـاصـةـ، وـبـهـاـ تـسـفـادـ الـأـحـکـامـ بـجـسـبـ مـاـ أـصـلـ أـهـلـ الشـرـعـ وـجـهـابـذـةـ الـعـلـمـ مـنـ ذـلـكـ وـجـلـعـلـهـ قـوـانـينـ هـذـهـ الـاسـتـفـادـةـ. مـثـلـ أـنـ اللـغـةـ لـاـ ثـبـتـ قـيـاسـاـ وـالـمـشـترـكـ لـاـ يـرـادـ بـهـ مـعـنـيـاهـ مـعـاـ، وـالـرـاوـ لـاـ فـقـضـيـ التـرـتـيبـ، وـالـعـامـ إـذـاـ أـخـرـجـتـ أـفـرـادـ الـخـاصـ مـنـ هـذـهـ الـاسـتـفـادـةـ؟ وـالـأـمـرـ لـلـوـجـوبـ أـوـ النـدـبـ أـوـ الـلـفـورـ أـوـ الـتـرـاثـيـ، وـالـنـهـيـ يـقـضـيـ الـفـسـادـ أـوـ الـصـحـةـ، وـالـمـطـلـقـ هـلـ يـحـمـلـ عـلـىـ الـقـيـدـ وـالـنـصـ عـلـىـ الـعـلـةـ كـافـ فيـ التـعـدـ أـمـ لـاـ؟ وـأـمـالـ هـذـهـ. فـكـاتـ كـلـهـاـ مـنـ قـوـاعـدـ هـذـهـ الـفـنـ. وـلـكـرـنـهـاـ مـنـ مـبـاحـثـ الـدـلـالـةـ كـاتـ لـغـوـيـةـ. ثـمـ إـنـ الـنـظـرـ فـيـ الـقـيـاسـ مـنـ أـعـظـمـ قـوـاعـدـ هـذـهـ الـفـنـ؛ لـأـنـ فـيـ تـحـقـيقـ الـأـصـلـ وـالـفـرعـ فـيـماـ يـقـاسـ وـعـيـالـ مـنـ الـأـحـکـامـ وـتـقـيـعـ الـوـصـفـ الـذـي يـغـلـبـ عـلـىـ الـظـنـ أـنـ الـحـكـمـ عـلـىـ بـهـ فـيـ الـأـصـلـ مـنـ تـبـيـنـ أـوـصـافـ ذـلـكـ الـحـلـلـ أـوـ وـجـودـ ذـلـكـ الـوـصـفـ فـيـ الـفـرعـ مـنـ غـيرـ مـعـارـضـ يـمـنـعـ مـنـ تـرـتـيبـ الـحـكـمـ عـلـىـ بـهـ إـلـىـ مـسـائـلـ أـخـرـيـ مـنـ تـوـابـعـ ذـلـكـ كـلـهـ قـوـاعـدـ هـذـهـ الـفـنـ.

وـأـلـعـمـ أـنـ هـذـهـ الـفـنـ مـنـ الـفـنـوـنـ الـمـسـجـدـةـ فـيـ الـمـلـةـ وـكـانـ السـلـفـ فـيـ غـنـيـةـ عـنـ بـاـنـ أـنـ استـفـادـةـ الـمـعـانـيـ مـنـ الـأـلـفـاظـ لـاـ يـتـحـاجـ فـيـهـاـ إـلـىـ أـزـيدـ مـاـ عـنـهـمـ مـنـ الـمـلـكـةـ الـلـسـانـيـةـ. وـأـمـاـ الـقـوـانـينـ الـيـةـ يـتـحـاجـ إـلـيـهاـ فـيـ استـفـادـةـ الـأـحـکـامـ خـصـوـصـاـ فـعـنـهـمـ أـخـذـ مـعـظـمـهــ. وـأـمـاـ الـأـسـانـيدـ فـلـمـ يـكـوـنـواـ يـحـتـاجـونـ إـلـىـ الـنـظـرـ فـيـهـاـ قـرـبـ الـعـصـرـ وـعـارـسـةـ الـنـقلـةـ وـخـبـرـتـهـمـ بـهـمـ. فـلـمـ يـنـقـرـضـ السـلـفـ وـذـهـبـ الـصـدرـ الـأـوـلـ وـانـقـلـبـتـ الـعـلـومـ كـلـهـاـ صـنـاعـةـ كـمـاـ قـرـنـاهـ مـنـ قـبـلـ، اـحـتـاجـ الـفـقـهـاءـ وـالـجـهـدـهـنـ إـلـىـ تـحـصـيلـ هـذـهـ الـقـوـانـينـ وـالـقـوـاعـدـ لـاـسـتـفـادـةـ الـأـحـکـامـ مـنـ الـأـدـلـةـ فـكـتـبـهـاـ فـنـاـ قـائـمـاـ بـرـأـسـهـ سـمـوـهـ أـصـوـلـ الـفـقـهـ. وـكـانـ أـوـلـ مـنـ كـتـبـ فـيـ الشـافـعـيـ رـضـيـ اللـهـ تـعـالـعـ عـنـهـ. أـمـلـ فـيـ رـسـالـتـهـ الـمـشـهـورـ، تـكـلـمـ فـيـهـاـ فـيـ الـأـوـامـرـ وـالـنـزـاهـيـ وـالـبـلـاغـيـ وـالـبـلـاغـ وـالـنـسـخـ وـحـكـمـ الـعـلـةـ الـمـنـصـوـرـةـ مـنـ الـقـيـاسـ. ثـمـ كـتـبـ فـقـهـاءـ الـخـفـيـةـ فـيـهـ وـحـقـمـواـ تـلـكـ الـقـوـاعـدـ وـأـوـسـعـواـ الـقـوـلـ فـيـهـ. وـكـتـبـ الـمـتـكـلـمـونـ أـيـضـاـ كـذـلـكـ إـلـاـ أـنـ كـتـابـ الـفـقـهـاءـ فـيـهـاـ أـمـسـ بـالـفـقـهـ وـأـلـيـقـ بـالـفـرـوعـ لـكـرـةـ الـأـمـلـةـ مـنـهـاـ وـالـشـرـادـهـ وـبـنـاءـ الـمـسـائـلـ فـيـهـاـ عـلـىـ الـنـكـتـ الـفـقـهـيـةـ. وـالـمـتـكـلـمـونـ يـجـرـدونـ صـرـورـ تـلـكـ الـسـائـلـ عـنـ الـفـقـهـ وـيـجـلـسـونـ إـلـىـ الـأـسـتـدـلـالـ الـعـقـليـ مـاـ أـمـكـنـ؛ لـأـنـهـ غـالـبـ فـوـتـهـمـ وـمـقـضـيـ طـرـيقـهـمـ، فـكـانـ لـفـقـهـاءـ الـخـفـيـةـ فـيـهـاـ الـيدـ الطـولـ مـنـ الـغـوـصـ عـلـىـ

وأما الخلافيات فاعلم أن هذا الفقه المستبطن من الأدلة

### الجدل

وأما الجدل وهو معرفة آداب المنازرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم، فإنه لما كان باب المنازرة في الرد والقبول متسعًا وكل واحد من المتساظررين في الاستدلال والجواب يرسل عنده في الاحتجاج. ومنه ما يكون صواباً ومنه ما يكون خطأ، فاحتاج الأئمة إلى أن يضعوا آداباً وأحكاماً يقف المتساظرران عند حدودها في الرد والقبول وكيف يكون حال المستدل والجبيب وحيث يسوغ له أن يكون مستدلاً، وكيف يكون مخصوصاً منقطعاً وجعل اعتراضه أو معارضته، وأن يجرب عليه السكوت لخصمه الكلام والاستدلال.

ولذلك قيل فيه: إنه معرفة بالقواعد من الحدود والأداب في الاستدلال التي يتوصل بها إلى حفظ رأي أو هدمه، كان ذلك الرأي من الفقه أو غيره.

وهي طريقتان طريقة البزدوي وهي خاصة بالأدلة الشرعية من النص والإجماع والاستدلال. وطريقة العمدي: وهي عامة في كل دليل يستدل به من أي علم كان وأكثره استدلالاً. وهو من المتأخر الحسنة، والمغالطات فيه في نفس الأمر كثيرة. وإذا اعتبرنا النظر المنطقى كان في الغالب أشبه بالقياس المغسططي والسوسيطاني. إلا أن صور الأدلة والأقوسة فيه محفوظة مراعاة يتحرى فيها طرق الاستدلال كما ينبغي. وهذا العمدي هو أول من كتب فيها ونسبت الطريقة إليه. وضع الكتاب المسمى بالإرشاد مختصرًا وبعده من بعده من المتأخرين كالسفى وغيره، جاؤوا على أثره وسلكوا مسلكه وكثروا في الطريقة التأكيد. وهي لهذا العهد مهجورة لنقص العلم والتعليم في الأمصار الإسلامية. وهي مع ذلك كمالية وليس ضرورية، والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق.

### الفصل العاشر

## علم الكلام

هو علم يتضمن المحاجج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبدعة المترجفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة. وسر هذه العقائد الإيمانية هو التوحيد. فلنقدم هنا طبيعة في برهان عقلي يكشف لنا عن التوحيد على أقرب الطرق

الشرعية كثُر فيه الخلاف بين المجتهدين باختلاف مداركهم وأنظارهم خلافاً لا بد من وقوعه لما قدمناه. واتسع ذلك في الملة اتساعاً غظياً وكان للمقلدين أن يقلدوا من شاوراً منهم، ثم لما انتهى ذلك إلى الأئمة الأربعية من علماء الأمصار و كانوا بمكان من حسنظن بهم اقتصر الناس على تقليدهم ومنعوا من تقليد سواهم؛ للنهاج الاجتهد لصعوبته وشعب العلوم التي هي مواده باتصال الزمان وافتقاد من يقوم على سوى هذه المذاهب الأربعية. فاقيمت هذه المذاهب الأربعية أصول الملة وأجري الخلاف بين التمسكين بها والآخرين بأحكامها مجرّى الخلاف في التصوص الشرعية والأصول الفقهية.

وجرت بينهم المنشارات في تصحيح كل منهم مذهب إمامه تبرى على أصول صحيحة وطريق قوية، يخرج بها كل على صحة مذهب الذي قلده وتمسك به وأجريت في مسائل الشرعية كلها وفي كل باب من أبواب الفقه، فتارة يكون الخلاف بين الشافعى ومالك وأبى حنيفة يوافق أحدهما، وتارة يكون مالك وأبى حنيفة والشافعى يوافق أحدهما، وتارة بين الشافعى وأبى حنيفة ومالك يوافق أحدهما، وكان في هذه المنشارات بيان مأخذ مؤلاء الأئمة ومشارات اختلافهم وموضع اجتهدتهم. كان هذا الصنف من العلم يسمى بالخلافيات، ولابد لصاحبها من معرفة القواعد التي يتوصل بها إلى استبطاط الأحكام كما يحتاج إليها المجتهد، إلا أن المجتهد يحتاج إليها للاستبطاط وصاحب الخلافيات يحتاج إليها لحفظ تلك المسائل المستبطة من أن يهدوها الخالق بادلته.

وهو لعمري علم جليل الفائدة في معرفة مأخذ الأئمة وأدلهم ومران المطالعين له على الاستدلال فيما يرومون من الاستدلال عليه.

وتأكيد الحنفية والشافعية فيه أكثر من تأكيد المالكية؛ لأن القیاس عند الحنفية أصل للكثير من فروع مذهبهم كما عرفت لهم لذلك أهل النظر والبحث.

وأما المالكية فالتأثير أكثر معتمدهم وليسوا بأهل نظر وايضاً فاكثراً هم أهل المغرب وهم بادية غفل من الصنائع إلا في الأقل. وللجزائري رحمة الله تعالى فيه كتاب المأخذ وأبى بكر الريسي من المالكية كتاب التلخيص جلبه من الشرق، وأبى زيد الديرسى كتاب التعليقة، ولابن القصار من شيخ المالكية عيون الأدلة، وقد جمع ابن الساعاتى في مختصره في أصول الفقه جميع ما ينبغي عليه من الفقه الخالق مدرجاً في كل مسألة منه ما ينبغي عليها من

التأثير وكيفيته مجهرة. **﴿وَمَا أُوتِيْتُ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾**. فلذلك أمرنا بقطع النظر عنها وإلغائها جملة والتوجه إلى مسبب الأسباب كلها وفاعليها وموجدها؛ لترسخ صبغة التوحيد في النفس على ما علمنا الشارع الذي هو أعرف بمصالح ديننا وطرق سعادتنا لا طلاعه على ما وراء الحسن.

قال **البيهقي**: «من مات يشهد أن لا إله إلا الله دخل الجنة». فإن وقف عند تلك الأسباب فقد انقطع وحقت عليه كلمة الكفر واحداً بعد واحد، فأنما الضامن له أن لا يعود إلا بالخيئة. فلذلك نهانا الشارع عن النظر في الأسباب وأمرنا بالتوحيد المطلق **﴿فَلَنْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَكُنْ لَّمْ يُوَلِّنَ وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾**.

ولا تقنن بما يزعم لك الفكر من أنه مقتدر على الإحاطة بالكائنات وأسبابها والوقوف على تفصيل الوجود كله ومسنه رأيه في ذلك.

وعالمن أن الوجود عند كل مدرك في بادئ رأيه أنه منحصر في مداركه لا يدعوها والأمر في نفسه مختلف ذلك والحق من وراءه.

الآتى الأصم كيف ينحصر الوجود عنده في المحسوسات الأربع والمعقولات، ويسقط من الوجود عنده صنف المسموعات. وكذلك الأعمى أيضاً يسقط من الوجود عنده صنف المرعيات ولو لا ما يردهم إلى ذلك فتليد الآباء والمشيخة من أهل عصرهم والكافحة لما أثروا به، لكنهم يتبعون الكافحة في إثبات هذه الأصناف لا يقتضى فطرتهم وطبيعة إدراهم، ولو سئل الحيوان الأعمى ونطق لوجنهاء منكراً للمعقولات وساقطة لديه بالكلية، فإذا علمت هذا فعلل هناك ضرورة من الإدراك غير مدركينها، لأن إدراكاتها خلولة محدثة وخلق الله أكبر من خلق الناس. والمحصر مجھول والوجود أوسع نطاقاً من ذلك والله من وراءهم محيط.

فأثتم إدراكك ومدركك في الحصر واتبع ما أمرك الشارع به في اعتقادك وعملك، فهو أحقر على سعادتك وأعلم بما ينفعك؛ لأنه من طور فوق إدراكك ومن نطاق أوسع من نطاق عقلك، وليس ذلك بقادح في العقل ومداركه بل العقل ميزان صحيح، فاحكامه يقينية لا كذب فيها. غير أنك لا تطمئن أن تزن به أمور التوحيد والآخرة وحقيقة النبوة وحقائق الصفات الإلهية، وكل ما وراء طوره فإن ذلك طمع في حمال.

ومثال ذلك مثال رجل رأى الميزان الذي يوزن به الذهب

والماخذ، ثم نرجع إلى تحقيق علم الكلام وفيما ينظر ونشير إلى حدوثه في الملة وما دعا إلى وضعه:

فتقول: أعلم أن الحوادث في عالم الكائنات سواء كانت من النوات أو من الأفعال البشرية أو الحيوانية، فلا بد لها من أسباب متقدمة عليها بها تقع في مستقر العادة وعنها يتم كونها. وكل واحد من تلك الأسباب حادث أيضاً فلابد له من أسباب أخرى ولا تزال تلك الأسباب مرتبة حتى تنتهي إلى مسبب الأسباب وموجدها وخالقها لا إله إلا هو سبحانه.

وتلك الأسباب في ارتقائها وتضاعف فتنفسح طولاً وعرضًا، ويحار العقل في إدراكتها وتعديدها. فإذا لا يحصرها إلا العلم الخفي سيما الأفعال البشرية والحيوانية، فإن من جملة أسبابها في الشاهد القصود والإرادات إذ لا يتم كون الفعل إلا بارادته والقصد إليه.

والقصودات والراديات أمور نفسانية ناشئة في الغالب عن تصورات سابقة يتلو بعضها بعضاً. وتلك التصورات هي أسباب قصد الفعل، وقد تكون أسباب تلك التصورات تصورات أخرى، وكل ما يقع في النفس من التصورات فمجھول مسيبه. إذ لا يطلع أحد على مباديء الأمور النفسانية ولا على ترتيبها. إنما هي أشياء يليق بها في الفكر يتبع بعضها بعضاً، والإنسان عاجز عن معرفة مبادئها وغاياتها. وإنما يحيط علماً في الغالب بالأسباب التي هي طبيعة ظاهرة وقوع في مداركها على نظام وترتيب؛ لأن الطبيعة محصورة للنفس وتحت طورها.

وأما التصورات فتطاها أوسع من النفس؛ لأنها للعقل الذي هو فوق طور النفس فلا تكاد النفس تدرك الكثير منها فضلاً عن الإحاطة. وتأمل من ذلك حكم الشارع في نهيه عن النظر إلى الأسباب والوقوف منها، فإنه واد يهيم فيه الفكر ولا يخلو منه بطائل ولا يظفر بحقيقة: **﴿فَلَنْ هُوَ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْبِهِمْ يَلْبَعُونَ﴾**. وربما انقطع في وقوفه عن الارتفاع إلى ما فوقه، فزلت قدمه وأصبح من الضالين الماكفين، نعموز بالله من الحرمان والخسران المبين.

ولا تحسين أن هذا الوقف أو الرجوع عنه في قدرتك أو اختيارك، بل هو لون يحصل للنفس وصبغة تستحكم من المخوض في الأسباب على نسبة لا نعلمها. إذ لو علمتها لتحررنا منها. فلتتحرز من ذلك بقطع النظر عنها جملة. وأيضاً وجفه تأثير هذه الأسباب في الكثير من مسبباتها مجھول؛ لأنها إنما يوقف عليها بالعادة، وقضية الاقتزان الشاهد بالاستناد إلى الظاهر. وحقيقة

واعلم أن الكمال عند الشارع في كل ما كلف به إثنا هو في هذا، فما طلب اعتقاده فالكمال فيه في العلم الثاني الحاصل عن الاتصال، وما طلب عمله من العبادات فالكمال فيها في حصول الاتصال والتحقق بها. ثم إن الإقبال على العبادات والمواظبة عليها هو الحصول لهذه الثمرة الشرفية. قال عليه السلام في رأس: «العبادات جعلت قرة عيني في الصلاة» فإن الصلاة صارت له صفة وحالاً يجد فيها متنهي للذلة وقرة عينه وأين هنا من صلاة الناس ومن لم بها؟ «تُؤْتِنَ لِلْمُصَلِّيَنَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاةِهِمْ سَاهُرُونَ» اللهم وفقنا و «أهْدِنَا الصُّرُطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرَ المُغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ»

فقد تبين لك من جميع ما قررناه أن المطلوب في التكاليف كلها حصول ملكة راسخة في النفس ينشأ عنها علم اضطراري للنفس هو التوحيد وهو العقيدة الإيمانية، وهو الذي تحصل به السعادة وأن ذلك سواء في التكاليف القلبية والبدنية. ويتفهم منه أن الإيمان الذي هو أصل التكاليف كلها وينبع عنها هو بهذه المثابة وأنه ذو مراتب:

أولاً التصديق القلبي المافق للسان، وأعلاها حصول كيفية من ذلك الاعتقاد القلبي وما يتبعه من العمل مستولية على القلب فيستبع الجراح. وتدرج في طاعتها جميع التصرفات حتى تختلط الأفعال كلها في طاعة ذلك التصديق الإيماني. وهذا أرفع مراتب الإيمان وهو الإيمان الكامل الذي لا يقارف المؤمن معه صغيرة ولا كبيرة، إذ حصول الملكة ورسوخها مانع من الالخارف عن مهاجمه طرفة عين قال عليه السلام: «لا يزني الزاني حين يزنني وهو مؤمن» وفي حديث هرقل لما سأله أبا سفيان بن حرب عن النبي عليه السلام وأحواله فقال في أصحابه: «هل يرتد أحد منهم سخطه لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قال: لا! قال: وكذلك الإيمان حين خالط بشاشة القلوب». ومعناه أن ملكة الإيمان إذا استقرت سر على النفس مخالفتها شأن الملائكة إذا استقرت فإنها تحصل بمثابة الجبلة والقطرة، وهذه هي المرتبة العالية من الإيمان وهي في المرتبة الثانية من العصمة؛ لأن العصمة واجبة للأنبياء وجوباً سابقاً وهذه حاصلة للمؤمنين حصولاً تابعاً لأعمالهم وتصديقهم، فبهذه الملكة ورسوخها يقع التفاوت في الإيمان كالذي يتلى عليك من آفوايل السلف.

وفي تراجم المخاري رضي الله عنه في باب الإيمان كثير منه. مثل: أن الإيمان قول وعمل وأنه يزيد وينقص وأن الصلاة والصوم من الإيمان، وأن تطوع رمضان من الإيمان، والحياة من الإيمان. والمراد بهذا كله الإيمان الكامل الذي أشرنا إليه وإلى ملكته وهو فعل.

فطماع أن يزن به المجال وهذا لا يدرك. على أن الميزان في أحکامه غير صادق، لكن للعقل حد يقف عنده ولا يتعدى طوره حتى يكون له أن يحيط بالله وبصفاته، فإنه ذرة من ذرات الوجود الحاصل منه. وتفطن من هذا الغلط من يقدم العقل على السمع في أمثال هذه القضايا وقصور فهمه واضمحلال رأيه، فقد تبين لك الحق من ذلك وإذا تبين ذلك فلعل الأسباب إذا تجاوزت في الارتفاع نطاق إدراكنا ووجودنا خرجت عن أن تكون مدركة، فيفضل العقل في يباء الأوهام ويحار ويقطع. فإذاً التوحيد هو العجز عن إدراك الأسباب وكيفيات تأثيراتها وتقويض ذلك إلى خالقها الخيط بها، إذ لا فاعل غيره وكلها ترقى إليه وترجع إلى قدرته، وعلمنا به إثنا هو من حيث صدورنا عنه لا غير.

وهذا هو معنى ما نقل عن بعض الصدقيين: العجز عن الإدراك إدراك. ثم إن المعتبر في هذا التوحيد ليس هو الإيمان فقط الذي هو تصديق حكمي، فإن ذلك من حديث النفس وإنما الكمال في حصول صفة منه تكفي بها النفس كما أن المطلوب من الأفعال والعبادات أيضاً حصول ملكة الطاعة والانتقاد وتفریغ القلب عن شواغل ما سوى المعبدود، حتى ينقلب المريد السالك ربانياً.

والفرق بين الحال والعلم في العقائد فرق ما بين القول والاتصال. وشرحه أن كثيراً من الناس يعلم أن رحمة البitemy والمسكين قربة إلى الله تعالى مندوب إليها ويقول بذلك ويعترف به ويدرك مأخذة من الشريعة، وهو لو رأى يتيمأ أو مسكيناً من أبناء المستضعفين لفر عنه واستنكشف أن يباشره فضلاً عن التسبيح عليه للرحمة وما بعد ذلك من مقامات العطف والحنف والصدقة. فهذا إنما حصل له من رحمة البitemy مقام العلم ولم يحصل له مقام الحال والاتصال. ومن الناس من يحصل له مع مقام العلم والاعتراض بأن رحمة المسكين قربة إلى الله تعالى مقام آخر أعلى من الأول وهو الاتصال بالرحمة وحصول ملكتها. فمتى رأى يتيمأ أو مسكيناً بادر إليه ومسح عليه والتمس الشواب في الشفقة عليه لا يكاد يصر عن ذلك ولو دفع عنه. ثم يتصدق عليه بما حضره من ذات يده؛ وكذلك علمك بالتوحيد مع اتصافك به والعلم الحاصل عن الاتصال ضرورة هو أوثق مبني من العلم الحاصل قبل الاتصال. وليس الاتصال بحاصل عن مجرد العلم حتى يقع العمل وينتظر مراراً غير منحصرة فراسخ الملكة ويجعل الاتصال والتحقيق، ويحيي العلم الثاني النافع في الآخرة. فإن العلم الأول المجرد عن الاتصال قليل الجدوى والفعل؛ وهذا علم أكثر النظار، والمطلوب إثنا هو العلم الحالى الناشئ عن العادة.

## المجمل:

وذلك أن القرآن ورد فيه وصف المعبود بالتنزيه المطلق الظاهر الدلالة من غير تأويل في أي كثيرة وهي سلوب كلها وصريمحة في بابها فوجب الإيمان بها. ووقع في كلام الشارع صلوات الله عليه وكلام الصحابة والتابعين تفسيرها على ظاهرها. ثم وردت في القرآن أي أخرى قليلة توهم التشبيه مرة في الذات وأخرى في الصفات.

فأما السلف فغلبوا أدلة التنزيه لكتتها ووضوح دلالتها، وعلموا استحالة التشبيه. وقضوا بأن الآيات من كلام الله فآمنوا بها ولم يتعرضوا لمعناها بحث ولا تأويل. وهذا معنى قول الكثير منهم: أقرأوها كما جاءت، أي آمنوا بأنها من عند الله. ولا تتعرضوا لتأويلها ولا تفسيرها جواز أن تكون ابتلاء. فيجب الوقف والإذعان له. وشدّ عصرهم مبتدعة اتبعوا ما تشابه من الآيات وتغلبوا في التشبيه: ففريق شبهوا في الذات باعتماد اليد والقدم والوجه عملاً بظواهر وردت بذلك فوقوا في التجسيم الصريح ومخالفة أي التنزيه المطلق؛ لأن معقولة الجسم تقتضي التقص والانتقام. وتغلبوا أدلة السلوب في التنزيه المطلق التي هي أكثر موارد وأوضح دلالة أولى من التعلق بظواهر هذه التي لـها عنها غيبة، وجمع بين الدليلين بتأويلها ثم يفرون من شناعة ذلك بقولهم: جسم لا كالأجسام. وليس ذلك بداعع عنهم لأنه قول متناقض وجمع بين تبني ونفي إثبات: إن كانوا معقولة واحدة من الجسم، وإن خالفوا بينهما وتفوا المعقولة المتعارفة فقد وافقونا في التنزيه ولم يبق إلا جعلهم لفظ الجسم اسمًا من أسمائه. ويترافق مثله على الأذن. وفريق منهم ذهبوا إلى التشبيه في الصفات كإثبات الجهة والاستواء والتزول والصوت والحرف وأمثال ذلك. وإن قولهم إلى التجسيم فنزعوا مثل الأولين إلى قولهم: صوت لا كالأصوات جهة لا كالجهات نزول لا كالنزول يعنيون من الأجسام.

واندفع ذلك بما اندفع به الأول، ولم يبق في هذه الطواهر إلا اعتقادات السلف ومناهيم والإيمان بها كما هي؛ لذا يكرر التبني على معانيها ببنيها مع أنها صحيحة ثابتة من القرآن. وهذا تنظر ما تراه في عقيدة الرسالة لابن أبي زيد وكتاب المختصر له وفي كتاب الحافظ ابن عبد البر وغيرهم، فإنهم يحومون على هذا المعنى. ولا تغمس عينك عن القرآن الدالة على ذلك في غضون كلامهم. ثم لما كثرت العلوم والصناعات وولع الناس بالتدوين والبحث في سائر الأئم وألف المتكلمون في التنزيه حدثت بدعة المعتزلة في تعيمم هذا التنزيه في أي السلوب، فقضوا ببني صفات المعاني من العلم

وأما التصديق الذي هو أول مرتبة فلا تفاوت فيه. فمن اعتبر أوائل الأسماء وحمله على التصديق منع من التفاوت كما قال أئمة المتكلمين، ومن اعتبر أواخر الأسماء وحمله على هذه الملكة التي هي الإيمان الكامل ظهر له التفاوت. وليس ذلك بقابح في اتحاد حقيقته الأولى التي هي التصديق، إذ التصديق موجود في جميع رتبه؛ لأنَّ أقل ما يطلق عليه اسم الإيمان وهو المخلص من عهدة الكفر والفیصل بين الكافر والمؤمن فلا يميزي أقل منه. وهو في نفسه حقيقة واحدة لا تفاوت وإنما التفاوت في الحال الحاصلة عن الأفعال كما قلناه فافهم.

واعلم أن الشارع وصف لنا هذا الإيمان الذي في المرتبة الأولى الذي هو تصدق وعيٌ أموراً مخصوصة كلفنا التصديق بها بقلوبنا واعتقادها في أنفسنا مع الإقرار بها بالستنا وهي المقائد التي تقررت في الدين. قال تعالى حين سُئل عن الإيمان فقال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره». وهذه هي العقائد الإيمانية المقررة في علم الكلام. ولنشر إليها بجملة لتبين لك حقيقة هذا الفن وكيفية حدوثه فنتول:

اعلم أن الشارع لما أمرنا بالإيمان بهذا الحال الذي ردّ الأفعال كلها إليه وأفرده بها كما قدمناه وعرفنا أن في هذا الإيمان محاجات عند الموت إذا حضرنا لم يعرفنا بكنه حقيقة هذا الحال المعبود إذ ذلك متعدٌ على إدراكتنا ومن فوق طورنا. فكذلكنا أولاً: اعتقاد تنزيهه في ذاته عن مشابهة المخلوقين وإلا لما صاح أنه خالق لهم لعدم الفارق على هذا التقدير، ثم تنزيهه عن صفات التقص وإلا لشابه المخلوقين، ثم توحيده بالاتحاد وإلا لم يتمخلق للتمام، ثم اعتقاد أنه عالم قادر فبذلك تم الأفعال شاهد قضيته لكمال الإيمان والخلق ومريد، وإلا لم يخصص شيء من المخلوقات، ومقدار لكل كائن وإلا فالإرادة حادثة. وأنه يعيدها بعد الموت تكميلًا لعناته، بالإيجاد، ولو كان للقضاء الصرف كان عيناً فهو للبقاء السرمدي بعد الموت. ثم اعتقاد بعثة الرسل للنجاة من شقاء هذا المعاد لاختلاف أحواله بالشقاء والسعادة وعدم معرفتنا بذلك و تمام لطفه بنا في الإيمان بذلك وبيان الطريقين. وأن الجنة للنجاة وجهن للعذاب. هذه أهميات المقائد الإيمانية معللة بأدلةها العقلية وأدلةها من الكتاب والسنة كثيرة. وعن تلك الأدلة أخذها السلف وأرشد إليها العلماء وحقّقها الأئمة إلا أنَّه عرض بعد ذلك خلاف في تفاصيل هذه المقائد أكثر مثارها من الآي المشابهة، فدعوا ذلك إلى الخصم والتناظر والاستدلال بالعقل زيادة إلى النقل. فحدث بذلك علم الكلام. ولتبين لك تفصيل هذا

و جاءت من أحسن الفنون النظرية والعلوم الدينية. إلا أن صور الأدلة فيها بعض الأحيان. على غير الوجه الصناعي لسذاجة القوم؛ لأن صناعة المنطق التي تسير بها الأدلة وتعتبر بها الأقىسة لم تكن حينئذ ظاهرة في الملة، ولو ظهر منها بعض الشيء فلم يأخذ به التكلمون للاستفادة للعلوم الفلسفية المبaitة للعacائد الشرعية بالجملة فكانت مهجورة عندهم لذلك.

ثم جاء بعد القاضي أبي بكر الباقلاني من أئمة الأشعرية إمام الحرمين أبو المعالي فاملئ في الطريقة كتاب الشامل وأوسع القول فيه. ثم لخصه في كتاب الإرشاد واتخذه الناس إماماً لعacائدهم. ثم انتشر من بعد ذلك علم المنطق في الملة وقرأه الناس وفرقوا بينه وبين العلوم الفلسفية بأنه قانون ومعيار للأدلة فقط يسر به الأدلة منها كما يسر من سواها. ثم نظروا في تلك القواعد والمقدمات في فن الكلام للأقدmine فخالفوا الكثير منها بالبراهين التي أدتهم إلى ذلك، وربما أن كثيراً منها مقتبس من كلام الفلسفية في الطبيعيات والإلهيات. فلما سبواها بعميال المنطق ردهم إلى ذلك فيها ولم يعتقدوا بطلان الدليل من بطلان دليله كما صار إليه القاضي، فصارت هذه الطريقة في مصطلحهم مبaitة للطريقة الأولى وتسمى طرقة المتأخررين، وربما أدخلوا فيها الرد على الفلسفية فيما خالفوا فيه من عacائده الإمامية وجعلوه من خصوم العacائد لتناسب الكثير من مذاهب المبتدعة ومذاهبيهم. وأول من كتب في طريقة الكلام على هذا المحنـى الغزالـي رحمـه اللهـ وتبعـه الإمام ابنـ الخطـيب وجـمـاعة قـفـوا أثـرـهم واعـتمـدوا تقـليـدـهم، ثم توـغلـ المـتأـخـرـونـ منـ بـعـدـهـ فيـ خـالـطـةـ كـتـبـ الـفـلـسـفـةـ وـالـتـبـسـ عليهمـ شـأنـ المـوـضـعـ فيـ الـعـلـمـينـ فـحـسـبـوهـ فـيهـماـ وـاحـدـاـ منـ اـشـتـاءـ المسـائلـ فـيهـماـ.

واعلم أن المتكلمين لما كانوا يستدللون في أكثر أحواهم بالكتابات وأحواها على وجود البارئ وصفاته وهو نوع استدلالهم غالباً. فالجسم الطبيعي الذي ينظر فيه الفيلسوف في الطبيعيات هو بعض من هذه الكتابات. إلا أن نظره فيها مختلف لنظر المتكلم وهو ينظر في الجسم من حيث يتحرّك ويسكن، والمتكلم ينظر فيه من حيث يدل على الفاعل. وكذا نظر الفيلسوف في الإلهيات إنما هو نظر في الوجود المطلق وما يقتضيه ذاته، ونظر المتكلم في الوجود من حيث أنه يدل على الموجـدـ.

وبالجملة فموضع علم الكلام عند أهلـهـ إنـماـ هوـ العـقـائـدـ الإمامـيةـ بعدـ فـروـضـهاـ صـحـيـحةـ منـ الشـرـعـ منـ حيثـ يـكـنـ أنـ يـسـتـدـلـ عـلـيـهاـ بـالـأـدـلـةـ الـعـقـلـيـةـ فـتـرـفـعـ الـدـعـوـةـ وـتـزـالـ الشـكـوكـ وـالـشـبـهـ عنـ تـلـكـ العـقـائـدـ،ـ وإـذـ تـأـمـلـتـ حـالـ الـفـنـ فيـ حدـوـهـ وـكـيـفـ تـلـرـجـ.

والقدرة والإرادة والحياة زائدة على أحـكامـهاـ لـماـ يـلـزـمـ ذـلـكـ من تعدد القديـمـ بـزـعـمـهـ،ـ وـهـوـ مـرـدـدـ بـأـنـ الصـفـاتـ لـيـسـ عـنـ الذـاتـ وـلـاـ غـيرـهـ وـقـضـواـ بـنـفيـ صـفـةـ الـإـرـادـةـ فـلـزـمـهـ نـفـيـ الـقـدـرـ،ـ لـأـنـ معـناـهـ سـيـقـ الـإـرـادـةـ لـلـكـاتـبـاتـ وـقـضـواـ بـنـفيـ السـمـعـ وـالـبـصـرـ لـكـونـهـماـ منـ عـوـارـضـ الـأـجـسـامـ.ـ وـهـوـ مـرـدـدـ لـعـدـمـ اـشـرـاطـ الـبـنـيـةـ فيـ مـدـلـولـ هـذـاـ الـلـفـظـ،ـ إـنـماـ هوـ إـدـرـاكـ لـلـمـسـمـوـ أوـ الـبـصـرـ.ـ وـقـضـواـ بـنـفيـ الـكـلـامـ لـشـبـهـ ماـ فـيـ السـمـعـ وـالـبـصـرـ وـلـمـ يـقـلـلـواـ حـصـفـةـ الـكـلـامـ الـيـ تـقـومـ بـالـفـنـ،ـ فـقـضـواـ بـأـنـ الـقـرـآنـ مـخـلـوقـ وـذـلـكـ بـدـعـةـ صـرـحـ السـلـفـ بـخـالـقـهـاـ.ـ وـعـظـمـ ضـرـرـ هـذـهـ الـبـدـعـةـ وـلـقـنـهـ بـعـضـ الـخـلـافـاءـ عـنـ أـنـتـهـمـ فـحـمـلـ النـاسـ عـلـيـهـاـ وـخـالـفـهـمـ أـئـمـةـ السـلـفـ فـاستـحلـ خـلـافـهـمـ إـيـسـارـ كـثـيرـهـمـ وـدـمـاؤـهـمـ.

وـكـانـ ذـلـكـ سـبـبـاـ لـاـتـهـاضـ أـهـلـ السـنـةـ بـالـأـدـلـةـ الـعـقـلـيـةـ عـلـىـ هـذـهـ عـقـائـدـ دـفـعـاـ فـيـ صـدـورـ هـذـهـ الـبـدـعـةـ وـقـامـ بـذـلـكـ الشـيـخـ أـبـوـ الـحـسـنـ الـأـشـعـرـيـ إـمـامـ الـمـتـكـلـمـينـ،ـ فـتـرـسـطـ بـيـنـ الـطـرـقـ وـقـنـيـ الشـبـهـ وـأـثـبـتـ الصـفـاتـ الـمـعـنـيـةـ وـقـصـرـ التـزـيـهـ عـلـىـ مـاـ قـصـرـهـ عـلـىـ السـلـفـ.ـ وـشـهـدـتـ لـهـ الـأـدـلـةـ الـمـخـصـصـةـ لـعـوـمـهـ فـأـثـبـتـ الصـفـاتـ الـأـرـبـعـ الـمـعـنـيـةـ وـالـسـمـعـ وـالـبـصـرـ وـالـكـلـامـ الـقـاتـمـ بـالـفـنـ بـطـرـيقـ الـعـقـلـ وـالـقـلـقـ.ـ وـرـدـ عـلـىـ الـبـدـعـةـ فـيـ ذـلـكـ كـلـهـ وـتـكـلـمـ مـهـدوـهـ هـذـهـ الـبـدـعـةـ مـنـ القـوـلـ بـالـصـلـاحـ وـالـأـصـلـحـ وـالـتـحـسـينـ وـالـتـقـيـعـ وـكـمـلـ الـعـقـائـدـ فـيـ الـبـيـثـةـ وـأـحـوـالـ الـمـعـادـ وـالـجـنـةـ وـالـنـارـ وـالـشـوـابـ وـالـعـقـابـ.

وـأـلـقـ بـذـلـكـ الـكـلـامـ فـيـ الـإـمـامـةـ لـمـ ظـهـرـ حـيـثـنـ مـنـ بـدـعـةـ الـإـمـامـيـةـ مـنـ قـوـهـ:ـ إـنـهـ مـنـ عـقـائـدـ الـإـيمـانـ،ـ إـنـهـ يـجـبـ عـلـىـ النـبـيـ تعـيـنـهـاـ وـالـخـرـوجـ عـنـ الـعـهـدـ فـيـهـ لـهـ،ـ وـذـلـكـ عـلـىـ الـأـمـةـ وـقـصـارـيـ أمرـ الـإـمـامـةـ آنـهـ قـضـيـةـ مـصـلـحـةـ إـجـمـاعـيـةـ وـلـاـ تـلـحقـ بـالـعـقـائـدـ؛ـ فـلـذـلـكـ الـخـوـرـهـاـ مـسـائـلـ هـذـاـ الـفـنـ وـسـمـواـ جـمـعـةـ عـلـمـ الـكـلـامـ:ـ إـمـاـ لـمـ فـيـهـ مـنـ الـمـنـاظـرـ عـلـىـ الـبـدـعـ وـهـيـ كـلـامـ صـرـفـ وـلـيـسـ بـرـاجـعـةـ إـلـىـ عـلـمـ،ـ إـمـاـ لـأـنـ سـبـبـ وضعـهـ وـالـخـوضـ فـيـهـ هـوـ تـنـازـعـهـمـ فـيـ إـيـاثـ الـكـلـامـ الـفـنـيـ.

وـكـثـرـ أـبـيـاتـ الشـيـخـ أـبـيـ الـحـسـنـ الـأـشـعـرـيـ وـأـقـنـىـ طـرـيقـهـ مـنـ بـعـدـ تـلـيـدـهـ كـانـ بـجـاهـدـ وـغـيرـهـ.ـ وـأـخـذـ عـنـهـمـ القـاضـيـ أـبـوـ بـكـرـ الـبـاقـلـانـيـ فـتـصـدـرـ لـلـإـمـامـةـ فـيـ طـرـيقـهـ وـهـذـبـهـاـ وـوـضـعـ الـمـقـدـمـاتـ الـعـقـلـيـةـ الـتـيـ تـرـقـفـ عـلـيـهـاـ الـأـدـلـةـ وـالـأـنـظـارـ وـذـلـكـ مـثـلـ:ـ إـيـاثـ الـجـوـهـرـ الـفـردـ وـالـخـلـاءـ.ـ وـأـنـ عـرـضـ لـاـ يـقـرـمـ بـالـعـرـضـ وـأـنـ لـاـ يـقـسـ زـمـانـيـنـ.ـ وـأـمـالـ ذـلـكـ مـاـ تـرـقـفـ عـلـيـهـ أـدـلـهـمـ.ـ وـجـعـلـ هـذـهـ الـقـوـاءـ تـبـعـاـ لـلـعـقـائـدـ الـإـيمـانـيـةـ فـيـ وـجـبـ اـعـتـقـادـهـاـ لـتـرـقـفـ تـلـكـ الـأـدـلـةـ عـلـيـهـاـ،ـ وـأـنـ بـطـلـانـ الدـلـلـ يـؤـذـنـ بـيـطـلـانـ الدـلـلـ.ـ فـكـمـلـتـ هـذـهـ الـطـرـيقـ

يدرك الترتيب بين الحوادث بالطبع أو بالوضع، فإذا قصد إيجاد شيء من الأشياء، فالأجل الترتيب بين الحوادث لأبد من القطن بسيبه أو علته أو شرطه، وهي على الجملة مبادئه، إذ لا يوجد إلا ثانياً عنها ولا يمكن إيقاع المقدم متاخرها، ولا المتاخر متقدماً. وذلك المبدأ قد يكون له مبدأ آخر من تلك المبادئ لا يوجد إلا متاخرأ عنه، وقد يرتقي ذلك أو يتهي. فإذا انتهى إلى آخر المبادئ في مرتبين أو ثلاثة أو أزيد، وشرع في العمل الذي يوجد به ذلك الشيء بدأ بالمبادأ الأخير الذي انتهى إليه الفكر، فكان أول عمله ثم تابع ما بعده إلى آخر المسيرات التي كانت أول فكرته. مثلاً: لو فكر في إيجاد سقف يمكنه انقل بنعنه إلى الحاطن الذي يدعمه، ثم إلى الأساس الذي يقف عليه الحاطن فهو آخر الفكر. ثم يبدأ في العمل بالأساس، ثم بالحاطن، ثم بالسقف، وهو آخر العمل.

وهذا معنى قوله: أول العمل آخر الفكر، وأول الفكرة آخر العمل، فلا يتم فعل الإنسان في الخارج إلا بالتفكير في هذه المرتبات لتوقف بعضها على بعض. ثم يشرع في فعلها. وأول هذا الفكر هو المسبب الأخير، وهو آخرها في العمل. وأولها في العمل هو المسبب الأول وهو آخرها في الفكر. ولأجل العثور على هذا الترتيب يحصل الانتظام في الأفعال البشرية.

وأما الأفعال الحيوانية لغير البشر فليس فيها انتظام لعدم الفكر الذي يعثر به الفاعل على الترتيب فيما يفعل. إذ الحيوانات إنما تدرك بالحواس ومدركتها متفرقة خالية من الربط؛ لأنه لا يكون إلا بالتفكير. ولما كانت الحواس المعتبرة في عالم الكائنات هي المت ormطة وغير المتormطة، إنما هي تبع لها. اندرجت حيتنة أفعال الحيوانات فيها، وكانت مسخرة للبشر. واستولت أفعال البشر على عالم الحوادث بما فيه، فكان كله في طاعته وتسخره. وهذا معنى الاستخلاف المشار إليه في قوله تعالى: **﴿إِنَّمَا جَاءُوا فِي الْأَرْضِ خَلِيقَةً﴾** فهذا الفكر هو الخاصة البشرية التي تميز بها البشر عن غيره من الحيوان. وعلى قدر حصول الأسباب والمسيرات في الفكر مرتبة تكون إنسانيته. فمن الناس من تتوال له السمية في مرتبين أو ثلاثة، ومنهم من لا يتتجاوزها، ومنهم من يتهي إلى خس أو ست فتكون إنسانيته أعلى. واعتبر ذلك بلاعث الشطرنج: فإن في اللاعبين من يتصور الثلاث حرّكات والخمس الذي ترتبيها وضعى، ومنهم من يقصر عن ذلك لتصور ذهنه. وإن كان هذا المثال غير مطابق؛ لأن لعب الشطرنج بالملكة، ومعرفة الأسباب والمسيرات بالطبع. لكنه مثال يختذل به الناظر في تقليل ما يورد عليه من القواعد. والله خلق الإنسان وفضله على كثير من خلق تقضيأ.

كلام الناس فيه صدراً بعد صدر وكلهم يفرض العقائد صحيحة ويستهضن الموجب والأدلة، علمت حيتنة ما قررناه لك في موضوع الفن وأنه لا يعدوه.

ولقد اختلطت الطريقتان عند هؤلاء المتأخررين والتبت مسائل الكلام بسائل الفلسفة بحيث لا يتميز أحد الفتنين عن الآخر. ولا يحصل عليه طالبه من كتبهم كما فعله اليضاوي في الطوالع، ومن جاء بعده من علماء العجم في جميع تأكيفهم، إلا أن هذه الطريقة قد يعني بها بعض طلبة العلم للأطلاع على المذهب والإغراق في معرفة الحاجاج لوفور ذلك فيها. وأما عادة طريقة السلف بعقائد علم الكلام فإنما هو في الطريقة القديمة للمتكلمين وأصلها كتاب الإرشاد وما حذا حذوه.

ومن أراد إدخال الرد على الفلسفة في عقائده فعليه بكتب الغزالي والإمام ابن الخطيب، فإنها وإن وقع فيها مخالفة للأصطلاح القديم فليس فيها من الاختلاط في المسائل والاتباس في الموضوع ما في طريقة هؤلاء المتأخررين من بعدهم، وعلى الجملة فيبني أن يعلم أن هذا العلم الذي هو علم الكلام غير ضروري لهذا العهد على طالب العلم، إذ المحدثة والمبدعة قد اتفقا وأئمة من أهل السنة كفروا شانهم فيما كتبوا دونها، والأدلة العقلية إنما احتاجوا إليها حين دافعوا ونصروها. وأما الآن فلم يبق منها إلا كلام تنزيه الباري عن الكثير من المتكلمين وإطلاقاته ولقد سئل الجيد رحمه الله عن قوم من بهم من المتكلمين يفicionون فيه فقال: ما هؤلاء؟ فقيل: قوم يترهون الله بالأدلة عن صفات الحدوث وسمات النقص. فقال: نفي العيب حيث يستحب العيب عيب. لكن فائدته في آحاد الناس وطلبة العلم فائدة معتبرة إذ لا يحسن محامل السنة الجهل بالحجج النظرية على عقائدها. والله ولـ المؤمنين.

## الفصل الحادي عشر

### في أن علم الحوادث الفعلية إنما يتم بالفکر

اعلم أن عالم الكائنات بشتمل على ذات عضة، كالعناصر وأثارها والمكونات الثلاثة عنها. التي هي المعدن والنبات والحيوان. وهذه كلها متعلقات القدرة الإلهية وعلى أفعال صادرة عن الحيوانات، واقعة بقصدودها، متعلقة بالقدرة التي جعل الله لها عليها: فمنها متنظم مرتب، وهي الأفعال البشرية، ومنها غير متنظم ولا مرتب، وهي أفعال الحيوانات غير البشر. وذلك الفكر

## الفصل الثاني عشر

### في العقل التجاربي وكيفية حدوثه

من لم يوده والده أدبه الزمان. أي من لم يلقن الآداب في معاملة البشر من والديه وفي سمعاعها المشيخة والأكابر. ويتعلم ذلك منهم رجع إلى تعلمه بالطبع من الواقعات على توالي الأيام، فيكون الزمان معلمه ومؤدبه لضرورة ذلك بضرورة المعاونة التي في طبعه.

وهذا هو العقل التجاربي، وهو يحصل بعد العقل التمييزي الذي تقع به الأفعال كما يتباهى. وبعد هذين مرتبة العقل النظري الذي تكفل بتفسيره أهل المعلوم، فلا يحتاج إلى تفسيره في هذا الكتاب. والله **﴿جَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئَةَ قَلِيلًا مَا شَكُرُونَ﴾**.

## الفصل الثالث عشر

### في علوم البشر وعلوم الملائكة

إننا نشهد في أنفسنا بالرجدان الصحيح وجود ثلاثة عوالم: أوها: عالم الحس ونعتبره بدارك الحس الذي شاركتنا فيه الحيوانات بالإدراك. ثم نعتبر الفكر الذي اختص به البشر فتعلم منه وجود النفس الإنسانية عملاً ضرورياً بما بين جنبينا من مدارك العلمية التي هي فوق مدارك الحس، فتراه عالماً آخر فوق عالم الحس. ثم تستدل على عالم ثالث فرقنا بما نجد فيها من آثاره التي تلقى في أندتنا كالإرادات والوجهات، نحو الحركات الفعلية، فتعلم أن هناك فاعلاً يبعثنا عليها من عالم فوق عالمنا وهو عالم الأرواح والملائكة. وفيه ذوات مدركة لوجود آثارها فيما بيننا وبينها من المغایرة. وربما يستدل على هذا العالم الأعلى الروحاني وذواته بالرؤيا وما نجد في النوم، ويلقى إلينا فيه من الأمور التي تختبئ غفلة عنها في القيظة، وتتطابق الواقع في الصحقيقة منها، فتعلم أنها حق ومن عالم الحق. وأما أضفافات الأحلام فصور خيالية يخنزها الإدراك في الباطن ويجول فيها الفكر بعد الفحية عن الحس. ولا نجد على هذا العالم الروحاني برهاناً أوضح من هذا، فتعلم أنه كذلك على الجملة ولا ندرك له تفصيلاً.

وما يزعمه الحكماء الإلهيون في تفصيل ذواته وترتيبها، المسماة عندهم بالقول ليس شيء من ذلك يقيني لاختلال شرط البرهان النظري فيه. كما هو مقرر في كلامهم في المنطق. لأن من شرطه أن تكون قضياء أولية ذاتية. وهذه الذوات الروحانية مجهرة الذاتيات فلا سبيل للبرهان فيها. ولا يقين لنا مدرك في تفصيل هذه العالم إلا ما نقتبسه من الشرعيات التي يرضحها

إنك تسع في كتاب الحكماء قوله: إن الإنسان هو مدنى الطبيع، يذكرونه في إثبات الثبوتات وغيرها. والسبة فيه إلى المدينة، وهي عندهم كتابة عن الاجتماع البشري. ومعنى هذا القول، أنه لا يمكن حياة المنفرد من البشر، ولا يتم وجوده إلا مع أبناء جنسه. وذلك لما هو عليه من العجز عن استكمال وجوده وحياته، فهو يحتاج إلى المعاونة في جميع حاجاته أبداً بطبيعة. وتلك المعاونة لابد فيها من المقاومة أولاً، ثم المشاركة وما بعدها. وربما تفضي المعاونة عند اتخاذ الأعراض إلى المنازعات والمشاجرة فتشا المعاونة والمؤاشرة. والصادقة والعداوة. ويؤول إلى الحرب والسلم بين الأمم والقبائل. وليس ذلك على أي وجه اتفق، كما بين المعلم من الحيوانات، بل للبشر بما جعل الله فيهم من انتظام الأفعال وترتيبها بالتفكير كما تقدم. جعل متطرضاً فيهم ويسرهم لإيقاعه على وجوهه سياسية وقوانين حكمية. ينكرون فيها عن المفاسد إلى المصالح، وعن الحسن إلى القبيح، بعد أن يميزوا القبائح والمفاسدة، بما ينشأ عن الفعل من ذلك عن تجربة صحيحة، وعوايد معروفة بينهم، فيفارقون المعلم من الحيوان. وظهور عليهم نتيجة الفكر في انتظام الأفعال وبعدها عن المفاسد.

هذه المعانى التي يحصل بها ذلك لا تبعد عن الحس كل البعد ولا يتعقد فيها النظر، بل كلها تدرك بالتجربة وبها يستفاد. لأنها معانٍ جزئية تتعلق بالمحسوسات وصدقها وكذبها، يظهر قريباً في الواقع، فيستفيد طالبها حصول العلم بها من ذلك. ويستفيد كل واحد من البشر القدر الذي يسر له منها مقتضى له بالتجربة بين الواقع في معاملة أبناء جنسه. حتى يتعين له ما يجب وينبغي، فعلاً وتركاً. وتحصل في ملائسة الملكة في معاملة أبناء جنسه. ومن تبع ذلك سائر عمره حصل له العثور على كل قضية قضية. ولابد بما تسع التجربة من الزمن. وقد يسهل الله على كثير من البشر تحصيل ذلك في أقرب زمان التجربة، إذ قلد فيها الآباء والمشيخة والأكابر، ولقن عنهم ووعي تعليمهم، فيستغني عن طول المعاناة في تبع الواقع واقتناص هذا المعنى من بينها. ومن ذاته العلم في ذلك والتقليد فيه أو اعتراض عن حسن استعماله واتباعه، طال غناوة في التأديب بذلك، فيجري في غير مالوف ويدركها على غير نسبة، فتوجد أدابه ومعاملاته سينة الأوضاع بادية الحال، ويفسد حاله في معاهده بين أبناء جنسه. وهذا معنى القول المشهور:

الذوات التي في آخر كل أفق من العوالم مستعدة لأن تقلب إلى الذات التي تجاورها من الأسفل والأعلى. استعداداً طبيعياً. كما في العناصر الجسمانية البسيطة. وكما في التخل والكرم من آخر أفق النبات مع الحلزون والصدف من أفق الحيوان، وكما في القردة التي استجمعت فيها الكيس والإدراك مع الإنسان صاحب الفكر والروية. وهذا الاستعداد الذي في جانبي كل أفق من العوالم هو معنى الاتصال فيها.

وفوق العالم البشري عالم روحاني، شهدت لنا به الآثار التي فيها منه، بما يعطينا من قوى الإدراك والإرادة، فذوات العلم العالم إدراك صرف وعقل مغضّن، وهو عالم الملائكة، فوجب من ذلك كله أن يكون للنفس الإنسانية استعداد للاسلام من البشرية إلى الملكية. لتصير بالفعل من جنس الملائكة وقتاً من الأوقات. وفي لحظة من المحاجات. ثم تراجع بشرتها وقد ثلتقت في عالم الملكية ما كلفت بتبيينه إلى أبناء جنسها من البشر. وهذا هو معنى الوحي وخطاب الملائكة. والأنبياء كلهم مفطوروون عليه. كأنه جبلة لهم وبعالجو في ذلك الانسلاخ من الشدة والغطيط ما هو معروف عنهم. وعلومهم في تلك الحالة علم شهادة وعيان، لا يلحظه الخطأ والزلل، ولا يقع فيه الغلط والوهم، بل المطابقة فيه ذاتية لزوال حجاب الغيب وحصول الشهادة الواضحة، عند مفارقة هذه الحالة إلى البشرية، لا يفارق علمهم الوضوح. استصحاباً له من تلك الحالة الأولى، وما هم عليه من الذكاء المفضي بهم إليها، يتزدد ذلك فيهم دائماً إلى أن تكمل هداية الأمة التي بعثوا لها كما في قوله تعالى: «إِنَّمَا آتَيْنَا شَرِيكَنَا مُلْكُمْ بُوْحَى إِلَيْيَنَا إِنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَأَسْتَقْبِلُمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ». فافهم ذلك وراجح ما قدمناه لك أول الكتاب، في أصناف المدركين للغيب، يتضح لك شرحه وبيانه، فقد بسطناه هنا لك بسطاً شافياً. والله الموفق.

## الفصل الخامس عشر

### في أن الإنسان جاهل بالذات عالم بالكتب

قد بينا أول هذه الفصول أن الإنسان من جنس الحيوانات، وأن الله تعالى ميزه عنها بالفكر الذي جعل له، يوقع به أفعاله على انتظام وهو العقل التميزي أو يقتضي به العلم بالأراء والمصالح والمقاصد من أبناء جنسه، وهو العقل التجربى، أو يحصل به في تصور الموجودات غالباً وشاهداً، على ما هي عليه، وهو العقل النظري، وهذا الفكر إنما يحصل له بعد كمال الحيوانية فيه.

الإيمان ويخكمها. وأعقد هذه العوالم في مدركنا عالم البشر، لأنه وجذاني مشهود في مداركنا الجسمانية والروحانية. ويشترك في عالم الحسن مع الحيوانات وفي عالم العقل والأرواح مع الملائكة الذين ذواتهم من جنس ذواته، وهي ذوات مجردة عن الجسمانية والمادة، وعقل صرف يتحد فيه العقل والعاقل والمقبول، وكانه ذات حقيقتها الإدراك والعقل، فعلومهم حاصلة دائماً مطابقة بالطبع لعلوماتهم لا يقع فيها خلل البتة.

وعلم البشر هو حصول صورة المعلوم في ذواتهم بعد أن لا تكون حاصلة. فهو كله مكتسب، والذات التي يحصل فيها صور المعلومات وهي النفس مادة هيولانية تليس صور الوجود بتصور المعلومات الحاصلة فيها شيئاً فشيئاً، حتى تستكمل، ويصبح وجودها بالموت في مادتها وصورتها. فالطلوبات فيها متعددة بين النفي والإثبات دائماً، بطلب أحدهما بالوسط الرابط بين الطرفين. فإذا حصل وصار معلوماً افتقر إلى بيان المطابقة، وربما أوضحها البرهان الصناعي، لكنه من وراء الحجاب. وليس كالمعاينة التي في علوم الملائكة. وقد يكتشف ذلك الحجاب فيصير إلى المطابقة بالعيان الإدراكي. فقد تبين أن البشر جاهل بالطبع للتعدد الذي في علمه، وعلم بالكتب والصناعة لتحقيله المطلوب بفكرة الشروط الصناعية. وكشف الحجاب الذي أشرنا إليه إنما هو بالرياضة بالأدكار التي أفضلها صلة تنهي عن الفحشاء والمنكر. وبالتنزه عن المتناولات المهمة ورأسها الصوم، وبالوجهة إلى الله بجميع قواه. والله علم الإنسان ما لم يعلم.

## الفصل الرابع عشر

### في علوم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

إننا نجد هذا الصنف من البشر تعترفهم حالة إلهية خارجة عن منازع البشر وأحوالهم، فتغلب الرجفة الربانية فيهم على البشرية في القوى الإدراكية والتوزعية من الشهوة والغضب وسائر الأحوال البدنية. فتجدهم متزهدين عن الأحوال الربانية، من العبادة والذكر لله بما يقتضي معرفتهم به، مخربين عنه بما يوحى إليهم في تلك الحالة، من هداية الأمة على طريقة واحدة وسفن معهود منهم لا يتبدل فيهم كأنه جبلة فطرهم الله عليها. وقد تقدم لنا الكلام في الوحي أول الكتاب في فصل المدركين للتبذيب. وبينما هناك أن الوجود كله في عوالمه البسيطة والمركبة على تركيب طبيعي من أعلىها وأسفلها متصلة كلها اتصالاً لا ينخرم. وأن

الأحكام. ولذا قال الفقهاء في اصطلاحهم: الحكم المضung المعنى. وأما المشابهات فلهم فيها عبارات. فقيل: هي التي تفتقر إلى نظر وتفسير يصح معناها، لتعارضها مع آية أخرى أو مع العقل، فتخفي دلالتها وتشتبه.

وعلى هذا قال ابن عباس: المشابه يؤمن به ولا يعمل به. وقال مجاهد وعكرمة: كل ما سوى آيات الأحكام والقصص مشابه. وعليه القاضي أبو بكر وإمام الحرمين. وقال الشوري والشعي وجاءة من علماء السلف: المشابه، ما لم يكن سبباً إلى علمه، كشروط الساعة وأوقات الإنذارات وحرروف الهجاء في أوائل السور، وقوله في الآية **«هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ»** أي معظمه وغالبه والمشابه أله، وقد يرد إلى الحكم. ثم ذم التبعين للمتشابه بالتأويل أو جعلها على معانٍ لا تفهم منها في لسان العرب الذي خوطبنا به. وسمّاهم أهل زبغ، أي ميل عن الحق من الكفار والزنادقة وجهمة أهل البدع. وأن قulum ذلك قصد الفتنة التي هي الشرك أو اللبس على المؤمنين أو قصداً لتلويتها بما يشنونه فيقتدون به في بدعهم.

ثم أخبر سبحانه بأنه استثار بتلويتها ولا يعلم إلا هو فقال: **«وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَةً إِلَّا اللَّهُ»**. ثم أثني على العلماء بالإيمان بها فقط. فقال: **«وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ أَمْنًا بِهِ»**. وهذا جعل السلف والراسخون مستأنفاً ورجحوه على العطف؛ لأن الإمام بالغيب أبلغ في الثناء، ومع عطفه إنما يكون إعانتاً بالشاهد. لأنهم يعلمون التأويل حيثتد فلا يكون غبياً. وبغض ذلك قوله **«كُلُّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا»** ويدل على أن التأويل فيها غير معلوم للبشر أن الألفاظ اللغوية إنما يفهم منها المعاني التي وضعها العرب لها، فإذا استحال إسناد الخبر إلى مخبر عنه جهلهنا مدلول الكلام حيثتد، وإن جاءتنا من عند الله توضينا عليه إليه ولا نشغل أنفسنا بمدلول نلتسمسه، فلا سبب لنا إلى ذلك. وقد قالت عائشة رضي الله عنها: إذا رأيتُ الذين يجادلون في القرآن، فهم الذين عنى الله، فأخذتهم. هذا مذهب السلف في الآيات المشابهة. وجاء في السنة الفاظ مثل ذلك محلها عندهم حمل الآيات لأن المطبع واحد.

وإذا تقررت أصناف المشابهات على ما قلناه، فلنرجع إلى اختلاف الناس فيها. فاما ما يرجع منها على ما ذكره إلى الساعة وأشارتها وأوقات الإنذارات وعدد الزيانة وأمثال ذلك، فليس هذا والله أعلم من المشابه، لأنه لم يرد فيه لفظ بجمل ولا غيره وإنما هي أذمة لحداثات استثار الله بعلمهها بنصه في كتابه وعلى لسان نبيه. وقال: **«إِنَّمَا عِلْمُهُمَا عِنْدَ اللَّهِ»**. والعجب من عدها من

وبيداً من التميز، فهو قبل التميز خلو من العلم بالجملة، معدود من الحيوانات، لاحق بمدنه في التكربين، من الطفة والعلقة والمضعة. وما حصل له بعد ذلك فهو بما جعل الله له من مدارك الحسن والأفضلية التي هي الفكر. قال تعالى في الامتنان علينا: **«وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ»** فهو في الحالة الأولى قبل التميز هيولاً فقط. بجهله بجميع المعارف. ثم تستكمel صورته بالعلم الذي يكتسبه بالآلات، تكميل ذاته الإنسانية في وجودها. وانظر إلى قوله تعالى مبدأ الوحي على نبيه **«إِنَّمَا يَأْتِي رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ إِنَّمَا يَرِيَكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلِمَ بِالْقُلُمِ عَلِمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ»** أي أكسبه من العلم ما يمكن حاصلاً له بعد أن كان علةة ومضعة، فقد كشفت لنا طبيعته وذاته ما هو عليه من الجهل الذاتي والعلم الكسيبي وأشارت إليه الآية الكريمة تقرر فيه الامتنان عليه بأول مراتب وجوده. وهي الإنسانية وحالاته الفطرية والكسيبة في أول التزير وبداً الوحي. وكان الله عليهما حكيمًا.

## الفصل السادس عشر

في كشف الغطاء عن المشابه من الكتاب  
والسنة وما حديث لأجل ذلك من طوائف  
السننية والمتبدعة في الاعتقادات

اعلم أن الله سبحانه بعث إلينا نبينا محمدًا صلوات الله عليه وآله وسلامه يدعونا إلى النجاة والفوز بالنعم، وأنزل عليه الكتاب الكريم باللسان العربي المبين. يخاطبنا فيه بالتكاليف المقضية بنا إلى ذلك. وكان في خلال هذا الخطاب، ومن ضروراته، ذكر صفاته سبحانه وأسمائه، ليعرفنا بذلك، وذكر الروح المتعلقة بنا، وذكر الوحي والملائكة، الوسائط بينه وبين رسليه إلينا. وذكر لنا يوم البعث وإنذاراته ولم يعن لنا الوقت في شيء منه. وثبت في هذا القرآن الكريم حروفًا من الهجاء مقطعة في أوائل بعض سوره، لا سبب لنا إلى فهم المراد بها. وسمى هذه الأنواع كلها من الكتاب مشابهًا. ودم على أتباعها فقال تعالى: **«هُنَّ الَّذِي أَنْزَلُوا عَلَيْكُمُ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ هُمْ حَكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأَخْرُ مُشَابِهَاتٍ فَأَنَّ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَغَّ فَيَقْبَعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ أَيْنَمَا قَتَّشَهُ وَإِنْجَاهَهُ تَأْوِيلَهُ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ أَمْنًا بِهِ كُلُّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَدْكُرُ إِلَّا أُولَوَالْأَلْبَابِ»**. وحمل العلماء من سلف الصحابة والتبعين هذه الآية على أن المحكمات هي المبنات الثابتة

الله تعالى، سينا الشرور والمعاصي منها، إذ يمتنع على الحكيم فعلها. وجعلوا مراعاة الأصلح للعباد وجاهة عليه. وسموا ذلك عدلاً، بعد أن كانوا أولاً يقولون بتفويت القدر، وأن الأمر كله مستأنف بعلم حادث وقدرة وإرادة كذلك، كما ورد في الصحيح. وأن عبد الله بن عمر تبرأ من معبد الجهنمي وأصحابه القائلين بذلك. واتنهى نفي القدر إلى واصل بن عطاء الغزالي، منهم، تلميذ الحسن الصرسري، لعبد الله بن مروان. ثم آخرًا إلى معمر السلمي ورجعوا عن القول به. وكان منهم أبو المظيل العلاف، وهو شيخ المعتزلة. أخذ الطريقة عن عثمان بن خالد الطوسي عن واصل. وكان من فناة القدر، واتبع رأي الفلسفه في نفي الصفات الوجودية لظهور مذهبهم يومئذ.

ثم جاء إبراهيم النظام، وقال بالقدر، واتبعه. وطالع كتب الفلسفه وشدد في نفي الصفات وقرر قواعد الاعتزال. ثم جاء الباحث والكتبي والجذامي. وكانت طريقتهم تسمى علم الكلام: إما لما فيها من الحاجج والجدال. وهو الذي يسمى كلاماً، وإما أن أصل طريقتهم نفي صفة الكلام. فلها كان الشافعي يقول: حقهم أن يصرروا بالجريدة ويطاف بهم. وقرر هؤلاء طريقتهم وأثبتوا منها وردوا، إلى أن ظهر الشيخ أبو الحسن الأشعري وناظر بعض مشيختهم في مسائل الصلاح والأصلح، فرفض طريقتهم، وكان على رأي عبد الله بن سعيد بن كلاب وأبي العباس القلاطي والحارث بن أسد المخاسي من أتباع السلف وعلى طريقة السنة. فايد مقالاتهم بالحجج الكلامية وأثبتت الصفات القائمه بذات الله تعالى، من العلم والقدرة والإرادة التي يتم بها دليل التمام وتصح المعجزات للأنياء. وكان من مذهبهم إثبات الكلام والسمع والبصر لأنها وإن أوهم ظاهراً النقص بالصوت والحرف الجسminiين، فقد وجد للكلام عند العرب مدلول آخر غير الحروف والصوت، وهو ما يدور في الخلد. والكلام حقيقة فيه دون الأول، فأثبتوها الله تعالى وانتهى إيهما النقص. وأثبتوا هذه الصفة قديمة عامة التعلق بشأن الصفات الأخرى. وصار القرآن اسمًا مشتركًا بين القديم بذات الله تعالى. وهو الكلام التفسيري والمحدث الذي هو الحروف المؤلفة المقووسة بالأصوات. فإذا قيل: قديم، فالراد الأول، وإذا قيل: مقرروء، مسموع، فدلالة القراءة والكتابة عليه.

وتورع الإمام أحمد بن حنبل من إطلاق لفظ المحدث عليه، لأنه لم يسمع من السلف قبله: لا أنه يقول إن المصاحف المكتوبة قديمة، ولا أن القراءة الجارية على السنة قديمة. وهو شاهدها محدثة. وإنما منعه من ذلك الروع الذي كان عليه. وأما

وأما الحروف المقطعة في أوائل السور فحقيقةها حروف الهجاء وليس بعيد أن تكون مراءة. وقد قال الزمخشري: فيها إشارة إلى بعد الغاية في الإعجاز، لأن القرآن المنزل مؤلف منها، والبشر فيها سواء، والتفاوت موجود في دلالتها بعد التاليف. وإن عدل عن هذا الوجه الذي يتضمن الدلالة على الحقيقة فإنما يكون بنقل صحيح، كقولهم في طه، إنه نداء من طاهر وهادي وأمثال ذلك. والتقلص صحيح متعدد، فيجيء المشابه فيها من هذا الوجه. وأما الوحي والملائكة والروح والجن، فاشتبها من خفاء دلالتها الحقيقة لأنها غير متعارفة، فجاء المشابه فيها من أجل ذلك. وقد أطلق بعض الناس بها كل ما في معناها من أحوال القيمة والجنة والدجال والفتنة والشروط، وما هو مختلف العروائد المألوفة، وهو غير بعيد، إلا أن الجمورو لا يوافقونهم عليه. وسيما المتكلمون فقد عيزوا محاملها على ما تراه في كفهم، ولم يبق من المشابه إلا الصفات التي وصف الله بها نفسه في كتابه وعلى لسان نبيه، مما يوهم ظاهره نقصاً أو تعجيزاً.

وقد اختلف الناس في هذه الظواهر من بعد السلف الذين قررنا مذهبهم. وتنازعوا وتطرقت البدع إلى العقائد. فلنشر إلى بيان مذهبهم وإثمار الصحيح منه على الفاسد فنقول، «ومَا تَرَقِيقِي إِلَّا بِاللَّوَّبِ»:

اعلم أن الله سبحانه وصف نفسه في كتابه بأنه عالم، قادر، مريد، حي، سميع، بصير. متكلم، جليل، كريم، جواد، منعم، عزيز، عظيم. وكذا أثبت لنفسه الديين والعينين والوجه والقدم واللسان، إلى غير ذلك من الصفات: فمنها ما يقتضي صحة الروايه. مثل العلم والقدرة والإرادة. ثم الحياة التي هي شرط جميعها، ومنها ما هي صفة كمال، كالسمع والبصر والكلام، ومنها ما يوهم النقص كالاستواء والنزول والمجيء، وكالوجه والدينين والعينين التي هي صفات المحدثات. ثم أخبر الشارع أنا نرى ربنا يوم القيمة كالقمر ليلة البدر، لا نضام في رؤيته كما ثبت في الصحيح.

فأما السلف من الصحابة والتابعين فأثبتوا له صفات الألوهية والكمال وفرضوا إليه ما يوهم النقص ساكتين عن مدلوله.

ثم اختلف الناس من بعدهم وجاء المعتزلة فأثبتوا هذه الصفات أحکاماً ذهنية مجردة، ولم يثبتوا صفة تقوم بذاته. وسموا ذلك توحيداً، وجعلوا الإنسان خالقاً لأفعاله. ولا تتعلق بها قدرة

مكاني، فليست في هذا للمكان قطعاً، والمراد غيره. ثم طردوا ذلك العمل الذي ابتدعوه في ظواهر الوجه والعينين واليدين، والتزول والكلام بالحرف والصور يعلمون لها مدلولات أعم من الجسمانية ويزهرون عن مدلول الجسماني منها. وهذا شيء لا يعرف في اللغة. وقد درج على ذلك الأول والآخر منهم ونافرهم أهل السنّة من التكلميين الأشعرية والخفية. ورفضوا عقائدهم في ذلك، ووقيع بين متكلمي الخفية بيخاري وبين الإمام محمد بن إسماعيل البخاري ما هو معروف.

واما الجمسمة فعلموا مثل ذلك في إثبات الجسمية. وأنها لا كال أجسام. ولقطع الجسم له يثبت في منقول الشرعيات. وإنما جرائمهم عليه إثبات هذه الظواهر، فلم يقتصروا عليه، بل توغلوا وأثبتو الجسمية. يزعمون فيها مثل ذلك ويزهرون به بقول متنافق سفساف، وهو قوله: جسم لا كال أجسام. والجسم في لغة العرب هو العميق المحدود وغير هذا التفسير من أنه القائم بالذات أو المركب من الجواهر وغير ذلك، فاصطلاحات للتتكلمين يرسدون بها غير المدلول اللغوي. فلهذا كان الجسمة أو غل في البدعة بل والكفر. حيث أثبتو الله وصفاً موهماً يوهم التقصص لم يرد في كلامه. ولا كلام نبيه.

فقد تبين لك الفرق بين مذهب السلف والتكلميين السنّة والمحدثين والمبتدعين من المعتزلة والجمسمة بما أطلعناك عليه. وفي الحديثين غلاة يسمون المشبه لتصريحهم بالتشبيه، حتى إنه يمحى عن بعضهم أنه قال: أغفوني من اللحمة والفرج وسلوا عما بذاك من سواهما. وإن لم يتأول ذلك لهم، بأنهم يرسدون حصر ما ورد من هذه الظواهر الموجهة. وحملها على ذلك العمل الذي لأنتمهم، وإلا فهو كفر صريح والعياذ بالله. وكتب أهل السنّة مشحونة بالحجاج على هذه البدع. وبسط الرد عليهم بالأدلة الصحيحة. وإنما أمانا إلى ذلك إيماء يتميز به فصول المقالات وجملها. والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لننهدي لولا أن هدانا الله.

واما الظواهر الخفية الأدلة والدلالة، كالوحى والملائكة والروح والجن والبرىخ وأحوال القيامة والدجسال والفتنة والشروط. وسائر ما هو متذر على الفهم أو مخالف للعادات، فإن حلتنا على ما يذهب إليه الأشعرية في تفاصيله، وهم أهل السنّة. فلا تشابة، وإن ثقنا فيه بالتشابه، فلنوضح القول فيه بكشف الحجاب عنه فنقول: أعلم أن العالم البشري أشرف العالم من الموجودات، وأرفعها. وهو وإن احتجت حقيقة الإنسانية فيه فله إطاراً يختلف كل واحد منها الآخر بأحوال تختص به حتى كان الحقائق فيها مختلفة.

غير ذلك فإنكار للضروريات، وحاشاه منه.

واما السمع والبصر، وإن كان يوهم إدراك الممارحة، فهو يدل أيضاً لغة على إدراك المسموع والبصر ويتفى لإيهام التقصص حيث أنه حقيقة لغوية فيها.

واما لفظ الاستواء والمجيء والنزول والوجه واليدين والعينين وأمثال ذلك، فعدلوا عن حقائقها اللغوية فيما فيها من إيهام التقصص بالتشبيه إلى مجازاتها، على طريقة العرب، حيث تتعدد حقائق الأنفاظ، فيرجعون إلى المجاز. كما في قوله تعالى: **﴿بِرِّيْدُ أَنْ يَنْقُضُ﴾** وأمثاله، طريقة معروفة لهم غير منكرة ولا مبتدعة. وحملهم على هذا التأويل، وإن كان خالفاً لذهب السلف في التفريض أن جماعة من أتباع السلف وهم المحدثون والمتاخرون من الخنبالية ارتكبوا في حمل هذه الصفات فحملوها على صفات ثانية الله تعالى، مجھولة الكيفية. فيقولون في **﴿إِسْتَوَى عَلَى الْقَرْشِ﴾** تثبت له استواء، بحيث مدلول اللفظة. فراراً من تعطيله. ولا نقول بكيفيته فراراً من القول بالتشبيه الذي تفيه آيات السلوب، من قوله **﴿لَا يَسْبِيْلُهُ شَيْءٌ﴾** **﴿سَبَّحَ اللَّهُ عَمَّا يَصِفُّونَ﴾** **﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشَرِّكُونَ﴾** **﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ﴾** ولا يعلمون مع ذلك أنهم وجلوا من باب التشبيه في قوله بثواب إثبات الاستواء، والاستواء عند أهل اللغة إنما موضوع الاستقرار والتمكن. وهو جسماني.

واما التعطيل الذي يشنعون باليزمه، وهو تعطيل اللفظ، فلا مذكور فيه. وإنما المذكور في تعطيل الآلة. وكذلك يشنعون بالزام التكليف بما لا يطاق وهو غوريه. لأن الشابه لم يقع في التكاليف، ثم يدعون أن هذا مذهب السلف، وحاشاه الله من ذلك. وإنما مذهب السلف ما قررناه أولاً من تقويض المراد بها إلى الله، والمسكرت عن فهمها. وقد يحتاجون لإثبات الاستواء الله بقول مالك: إن الاستواء معلوم الثبوت لله. وحاشاه من ذلك، لأنة يعلم مدلول الاستواء. وإنما أراد أن الاستواء معلوم من اللغة، وهو جسماني. وكيفيته أي حقيقته. لأن حقائق الصفات كلها كيفيات، وهي مجھولة الثبوت لله. وكذلك يحتاجون على إثبات المكان بحديث السوداء. وأنها لما قال لها النبي ﷺ: **«أَيْنَ اللَّهُ؟»** وقالت: في السماء، فقال: **«أَعْتَقْهَا فَإِنَّهَا مَوْمَةٌ»**. والنبي ﷺ لم يثبت لها الإيمان بإثباتها المكان لله، بل لأنها آمنت بما جاءه به من ظواهر، أن الله في السماء، فدخلت في جملة الراسخين الذين يؤمنون بالتشابه من غير كشف عن معناه. والقطع ببني المكان حاصل من دليل العقل النافي للاتفاق. ومن أدلة السلوب المذكورة بالترزيه مثل **﴿لَا يَسْبِيْلُهُ شَيْءٌ﴾**، وأشباهه. ومن قوله: **﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾**، إذ الموجود لا يكون في

حقيقة هذه الحال فريقان: الحكماء، ويزعمون أن الصور الخيالية يدفعها الخيال بحركة الفكر إلى الحس المشترك الذي هو الفصل المشترك بين الحس الظاهر والحس الباطن. فتصور محسوسه بالظاهر في الحواس كلها. ويشكل عليهم هذا بأن المرائي الصادقة التي هي من الله تعالى أو من الملك أثبت وأرسخ في الإدراك من المرائي الخيالية الشيطانية، مع أن الخيال فيها على ما قرروه واحد.

الفريق الثاني: المتكلمون. أجلوا فيها القول. وقالوا: هو إدراك يخلقه الله في الحاسة فيقع كما يقع في البصيرة. وهذا اليقظة وإن كان لا تتصور كيفيته. وهذا الإدراك التومي أوضح شاهد على ما يقع بعده من المدارك الحسية في الأطوار.

وأما الطور الثالث، وهو طور الأنبياء: فالمدارك الحسية فيها مجهولة الكيفية. عند وجداهها عندهم بأوضاع من اليقين. فيري النبي الله والملائكة. ويسمع كلام الله منه أو من الملائكة. ويرى الجنة والنار، والعرش والكرسي، وبخترق السموات السبع في إسرائه ويركب البراق فيها، ويلقى النبيين هناك. و يصلى بهم، ويدرك أنواع المدارك الحسية كما يدرك في طوره الجسمني والتومي، بعلم ضروري يخلقه الله له، لا بالإدراك العادي للبشر في الجوارح. ولا يلتفت في ذلك إلى ما يقوله ابن سينا من ترتيله أمر النبوة على أمر النوم في دفع الخيال صورة إلى الحس المشترك. فإن الكلام عليهم هنا أشد من الكلام في النوم، لأن هذا الترتيل طبعة واحدة كما قررناه، فيكون على هذا حقيقة الوحي والرؤيا من النبي واحدة في يقينها وحقيقة. وليس كذلك على ما علمت من رؤيا النبي عليه السلام قبل الرؤيا ستة أشهر وأنها كانت مدة الوحي ومقدمته. ويشعر ذلك بأنه رؤيا في الحقيقة. وكذلك حال الوحي في نفسه فقد كان يصعب عليه ويفاسي منه شدة كما هي في الصحيح. حتى كان القرآن يتزل على آيات مقطعات. وبعد ذلك نزل عليه براءة في غزوة تبوك جلة واحدة، وهو يسير على ناقته. فلو كان ذلك من ترتيل الفكر إلى الخيال فقط، ومن الخيال إلى الحس المشترك، لم يكن بين هذه الحالات فرق.

وأما الطور الرابع، وهو طور الأموات في بزوهم الذي أوله القبر. وهم مجردون عن البدن. أو في بعضهم عندما يرجعون إلى الأجسام. فمداركهم الحسية موجودة، فيرى الميت في قبره المكان يسألاته. ويري مقعده من الجنة أو النار يعني رأسه، ويري شهود الجنائزه ويسمع كلامهم وخفق تعالم في الانصراف عنه، ويسمع ما يذكرون به من التوحيد أو من تقرير الشهادتين، وغير ذلك. وفي الصحيح: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ وقف على قليب بدر وفيه قتل المشركين من قريش، وناداهم بأسمائهم، فقال عمر: يا

فالطور الأول: عالم الجسماني يحسه الظاهر وفكرة المعاishi وسائر تصرفاته التي أعطاها إليها وجوده الحاضر.

الطور الثاني: عالم النوم، وهو تصور الخيال بإنفاذ تصوراته جائلاً في باطن، فيدرك منها بمحاسنه الظاهرة مجردة عن الأرمنة والأمكنة وسائر الأحوال الجسمانية، ويشاهدها في مكان ليس هو فيه. ويحدث للصالح منها البشرى بما يترقب من مسراته الدنيوية والأخروية، كما وعد به الصادق صلوات الله عليه. وهذه الطوران عامان في جميع أشخاص البشر، وهو مختلفان في المدارك كما تراه.

الطور الثالث: طور النبوة، وهو خاص بإشراف صنف البشر بما خصهم الله به من معرفته وتوجيهه. وتنزل ملائكته عليهم برحمة. وتتكلفهم بإصلاح البشر في أحوال كلها معايرة للأحوال البشرية الظاهرة.

الطور الرابع: طور الموت الذي تفارق أشخاص البشر فيه حياتهم الظاهرة إلى وجود قبل القيمة يسمى البرزخ يتعمرون فيه ويعذبون على حسب أعمالهم ثم يتضعون إلى يوم القيمة الكبرى، وهي دار الجزاء الأكبر نعيمًا وعذابًا في الجنة أو في النار.

والطوران الأولان شاهدهما وجداهني. والطور الثالث النبوى شاهده المعجزة والأحوال المختصة بالأنبياء، والطور الرابع شاهده ما تنزل على الأنبياء من وحي الله تعالى في المعاد وأحوال البرزخ والقيمة، مع أن العقل يقتضي به، كما نبهنا الله عليه، في كثير من آيات البعثة. ومن أوضح الدلالات على صحتها أن أشخاص الإنسان لو لم يكن لهم وجود آخر بعد الموت غير هذه المشاهد يتلقى فيه أحوالًا تليق به. لكان إيجاده الأول عبأً. إذ الموت إذا كان عدماً كان مآل الشخص إلى العدم. فلا يكون لوجوده الأول حكمة. والعبر على الحكيم حال. وإذا تقرر هذه الأحوال الأربع، فالنأخذ في بيان مدارك الإنسان فيها كيف تختلف اختلافاً يبيناً يكشف لك غور المتشابه. فاما مداركه في الطور الأول فواضحة جلية. قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْجَبَكُمْ مِنْ طُورٍ أَمْهَاكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾. ف بهذه المدارك يستولي على ملوكات المعارف ويستكملي حقيقة إنسانيته ويرتقي حق العبادة المفضية به إلى النجاة.

واما مداركه في الطور الثاني. وهو طور النوم. فهي المدارك التي في الحس الظاهر بعينها. لكن ليست في الجوارح كما هي في البصيرة. لكن الرأي يتquin كل شيء أدركه في نومه لا يشك فيه ولا يرتاب. مع خلو الجوارح عن الاستعمال العادي لها. والناس في

والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة، وكان ذلك عاماً في الصحابة والسلف. فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقربون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة. وقال القشيري رحمه الله: ولا يشهد لهذا الاسم أشتقاق من جهة العربية ولا قياس. والظاهر أنه لقب. ومن قال: أشتقاته من الصفة أو من الصفة بعيد من جهة القياس اللغوي، قال: وكذلك من الصوف لأنهم لم يختصوا بلبسه.

قلت: والأظهر أن قيل بالاشتقاق أنه من الصوف وهو في الغالب مختصون بلبسه لما كانوا عليه من خالفة الناس في لبس فآخر الثياب إلى لبس الصوف، فلما اختص هؤلاء عنهم الزهد والانفراد عن الخلق والإقبال على العبادة اختصوا بأخذ مدركة لهم، وذلك أن الإنسان بما هو إنسان إنما يتميز عن سائر الحيوان بالإدراك وإدراكه نوعان: إدراك للعلوم والمعارف من اليقين والظن والشك والوهم، وإدراك للأحوال القائمة من الفرج والحزن والقبض والرضا والغضب والصبر والشكر وأمثال ذلك. فالروح العاقل والمتصف في البدن تنشأ من إدراكات وإرادات

وأحوال وهي التي يتميز بها الإنسان. وبعضاً ينشأ من بعض كما ينشأ العلم عن الأدلة والفرح والحزن عن إدراك المؤلم أو المتلذذ به والنشاط عن الحمام والكسل عن الإعياء. وكذلك المريد في مجاهدته وعبادته لابد وأن ينشأ له عن كل مجاهدة حال نتيجة تلك المجاهدة. وتلك الحالة إما أن تكون نوع عبادة فترسخ وتصير مقداماً للمربي، وما أن لا تكون عبادة وإنما تكون صفة حاصلة للنفس من حزن أو سرور أو نشاط أو كسل أو غير ذلك من المقامات. ولا يزال المريد يترقى من مقام إلى مقام إلى أن يتهمي إلى التوحيد والمعرفة التي هي الغاية المطلوبة للسعادة. قال الله: «من مات يشهد أن لا إله إلا الله دخل الجنة» فالمربي لابد له من الترقى في هذه الأطوار وأصلها كلها الطاعة والإخلاص ويتقدمها الإيمان وبصاحبها، وتنشأ عن الأحوال والصفات نتائج وثمرات. ثم تنشأ عنها أخرى وأخرى إلى مقام التوحيد والعرفان. وإذا وقع، تقصير في النتيجة أو خلل فتعلم أنه إنما أتي من قبل التقصير في الذي قبله. وكذلك في المخاطر الفنسانية والواردات القليلة. فلهذا يحتاج المربي إلى محسبة نفسه في سائر أعماله وينظر في حقائقها، لأن حصول النتائج عن الأفعال ضروري وتصورها من الخلل فيها كذلك. والمربي يجد ذلك بذوقه ويحاسب نفسه على أسبابه. ولا يشاركونه في ذلك إلا القليل من الناس لأن الغفلة عن هذا كأنها شاملة.

وغاية أهل العبادات إذا لم يتهوا إلى هذا النوع أنهم يأتون

رسول الله! أتكلم هؤلاء الجيف؟ فقال عليه السلام: «والذي نفسى بيده، ما أنت باسم منهن لما أقول».

ثم فيبعثة يوم القيمة يعاينون بأسمائهم وأوصارهم كما كانوا يعاينون في الحياة من نعيم الجنة على مرأته وعذاب النار على مرأته، ويرون الملائكة ويرهون ريهم، كما ورد في الصحيح: «إنكم ترون ربكم يوم القيمة، كالقمر ليلاً البدر لا تضامون في رؤيته». وهذه المدارك لم تكن لهم في الحياة الدنيا وهي حسية مثلها. وتقع في الجواهر بالعلم الضروري الذي يخلقه الله كما قلناه. وسر هذا أن تعلم أن النفس الإنسانية هي تنشأ بالبدن ومداركه، فإذا فارقت البدن بنيوم أو بموت أو صار النبي حالة الوحي من المدارك البشرية إلى المدارك الملكية، فقد استصاحت ما كان معها من المدارك البشرية مجرد عن الجواهر، فيدرك بها في ذلك الطور أي إدراك شاعت منها، أرفع من إدراكتها، وهي في الجسد. قاله الغزالى رحمة الله، وزاد على ذلك أن النفس الإنسانية صورة تبقى لها بعد المفارقة فيها العينان والأذنان وسائر الجواهر المدركة أمثالاً لها، كان في البدن وصراها.

وأنا أقول: إنما يشير بذلك إلى الملوك الحاصلة من تصرف هذه الجواح في بدنها زيادة على الإدراك. فإذا تقطعت لهذا كله علمت أن هذه المدارك موجودة في الأطوار الأربع، لكن ليس على ما كانت في الحياة الدنيا، وإنما هي مختلفة بالقونة والضعف بحسب ما يعرض لها من الأحوال. ويشير المتكلمون إلى ذلك إشارة مجملة بأن الله يخلق فيها علمًا ضروريًا بذلك المدارك. أي مدرك كان، ويعنون به هذا القدر الذي أوضحناه. وهذه نبذة أوماناً بها إلى ما يوضع القول في المشابهة. ولو أوسعنا الكلام فيه لقصرت المدارك عنه. فلنرفع إلى الله سبحانه في المدياة والفهم عن أبياته وكتابه، بما يحصل به الحق في توحيدنا. والظفر بنجاتنا والله يهدى من يشاء.

## الفصل السابع عشر

هذا العلم من العلوم الشرعية المحدثة في الملة وأصله أن طريقة هؤلاء القبور لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والهدى وأصلها المعروف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمورو من لذة ومال وجاه

الحس، ويتم وجود النفس التي لها من ذاتها. وهو عين الإدراك. فيتعرض حيـثـنـدـلـلـمـوـاهـبـالـرـبـانـيـةـوـالـعـلـمـوـنـالـلـذـنـيـةـوـالـفـتـحـالـإـلـهـيـ وـتـقـرـبـذـاـتـهـفـيـعـقـلـحـقـيقـتـهـاـمـنـالـأـقـنـأـعـلـىـأـنـقـالـمـلـاـكـةـ.ـ وـهـذـاـ الكـشـفـكـثـيرـاـمـاـيـعـرـضـلـأـهـلـالـجـاهـةـفـيـدـرـكـونـمـنـحـقـاتـ الـوـجـودـمـالـاـيـدـرـكـسـوـاهـمـوـكـذـلـكـيـدـرـكـونـكـثـيرـاـمـنـالـوـاقـعـاتـ قـبـلـوـقـعـهـاـيـتـصـرـفـوـنـبـهـمـهـمـوـقـوـيـنـفـوـسـهـمـفـيـالـمـرـجـودـاتـ السـفـلـيـةـوـتـصـيـرـطـوـعـإـرـادـتـهـمـ.ـ فـالـعـظـمـاءـمـنـهـمـلـاـيـعـتـرـفـونـهـذـاـ الكـشـفـوـلـاـيـتـصـرـفـوـنـوـلـاـيـخـبـرـوـنـعـنـحـقـيقـةـشـيـءـلـمـيـؤـمـرـوـاـ بـالـتـكـلـمـفـيـهـبـلـيـعـدـوـنـمـاـيـقـعـلـهـمـمـنـذـلـكـمـحـنـةـوـيـتـعـرـفـوـنـمـنـهـإـذـاـ هـاجـبـهـمـ.

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم على مثل هذه المجاهدة وكان حظهم من هذه الكرامات أوف المطرظ لكتهم لم يقع لهم بها عناية. وفي فضائل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم كثير منها. وتبعدهم في ذلك أهل الطريقة من اشتغلت رسالة القشيري على ذكرهم ومن تبع طريقتهم من بعدهم. ثم إن قوماً من المتأخرین انصرفت عنائهم إلى كشف الحجاب والكلام في المدارك التي وراءه واختلفت طرق الرياضة عنهم في ذلك باختلاف تعليمهم في إمامة القوى الحسية وتغذية الروح العاقل بالذكر حتى يصل إلى النفس إدراکها الذي لها من ذاتها بتمام نشوتها وتغذيتها، فإذا حصل ذلك زعموا أن الوجود قد انحصر في مداركها حيثـنـدـلـلـمـوـاهـبـالـرـبـانـيـةـوـالـعـلـمـوـنـالـلـذـنـيـةـوـالـفـتـحـالـإـلـهـيـ وإنـهـمـكـشـفـواـذـوـاتـالـوـجـودـوـتـصـرـفـوـنـحـقـانـهـمـكـلـهـاـمـنـالـعـرـشـ ثـمـإـلـطـشـ.ـ هـكـذـاـقـالـالـغـزـالـيـرـحـمـهـالـلـهـفـيـكـاتـالـإـحـيـاءـبـعـدـأـنـ ذـكـرـصـورـةـالـرـيـاضـةـ.

ثم إن هذا الكشف لا يكون صحيحاً كاملاً عندهم إلا إذا كان ناشئاً عن الاستقامة؛ لأن الكشف قد يحصل لصاحب الجوع والخلوة وإن لم يكن هناك استقامة كالسحره وغيرهم من المرتاضين. وليس مرادنا إلا الكشف الناشئ عن الاستقامة ومثاله أن المرأة الصقيقة إذا كانت محبدة أو مقعرة وحروفي بها جهة المرئ فإنه يتشكل فيه معوجاً على غير صورته. وإن كانت مسطحة تشكل فيها المرئ صحيحاً. فالاستقامة للنفس كالانبساط للمرأة فيما ينطبع فيها من الأحوال. ولما عني المتأخرون بهذا النوع من الكشف تكلموا في حفائق الوجودات العلوية والسفلى وحقائق الملك والروح والعرش والكرسي وأمثال ذلك. وقصرت مدارك من لم يشاركون في طريقهم عن فهم آذواقهم ومواجدهم في ذلك. وأهل الفتيا بين منكر عليهم وسلم لهم. وليس البرهان والدليل بناءً في هذه الطريق رداً وقبولاً إذ هي من قبيل الرجدانيات.

**تفصيل وتحقيق:** يقع كثيراً في كلام أهل العقائد من علماء

بالطاعات ملخصة من نظر الفقه في الأجزاء والامتثال. وهؤلاء يبحثون عن نتائجها بالأذواق والماجد ليطلعوا على أنها خالصة من التقصير أولاً، فظهور أن أصل طريقتهم كلها محاسبة النفس على الأفعال والتروك والكلام في هذه الأذواق والماجد التي تحصل عن المجاهدات ثم تستقر للمريد مقاماً وترقي منها إلى غيرها ثم مع ذلك آداب مخصوصة بهم واصطلاحات في الفاظ تدور بينهم إذ الأوضاع اللغوية إنما هي للمعنى المتعارف. فإذا عرض من المعاني ما هو غير متعارف اصطلحنا عن التعبير عنه بلفظ يثير فمه منه. فلهذا اختص هؤلاء بهذه النوع من العلم الذي ليس لواحد غيرهم من أهل الشريعة الكلام فيه.

وصار علم الشريعة على صفين:

صنف مخصوص بالفقهاء وأهل الفتيا، وهي الأحكام العامة في العبادات والعادات والمعاملات.

وصنف مخصوص بالقوم في القيام بهذه المجاهدة ومحاسبة النفس عليها والكلام في الأذواق والماجد العارضة في طريقها وكيفية الترقى منها من ذوق إلى ذوق وشرح الاصطلاحات التي تدور بينهم في ذلك.

فلما كتبت العلوم ودونت وألف الفقهاء في الفقه وأصوله والكلام والتفسير وغير ذلك. كتب رجال من أهل هذه الطريقة في طريقتهم، فمنهم من كتب في الروع ومحاسبة النفس على الاقداء في الأخذ والترك كما فعله الحاسبي في كتاب الرعاية له، ومنهم من كتب في آداب الطريقة وأذواق أهلها ومواجدهم في الأحوال كما فعله القشيري في كتاب الرسالة والشهوردي في كتاب عوارف المعرف وأمثالهم. وجع الغزالى رحمه الله بين الأمرين في كتاب الإحياء فدون فيه أحكام الروع والاقداء ثم بين آداب القوم وستتهم وشرح اصطلاحاتهم في عباراتهم وصار علم التصوف في الملة علمًا مدوناً بعد أن كانت الطريقة عبادة فقط، وكانت أحكامها إنما تلقى من صدور الرجال كما وقع في سائر العلوم التي دونت بالكتاب من التفسير والحديث والفقه والأصول وغير ذلك.

ثم إن هذه المجاهدة والخلوة والذكر يتعها غالباً كشف حجاب الحس والاطلاع على عالم من أمر الله ليس لصاحب الحس إدراك شيء منها. والروح من تلك العوالم. وسبب هذا الكشف أن الروح إذا رجع عن الحس الظاهر إلى الباطن ضعفت أحوال الحس وقويت أحوال الروح وغلب سلطانه وتجدد نشاؤه وأعان على ذلك الذكر، فإنه كالغذاء لتنمية الروح ولا يزال في ثبوته إلى أن يصير شهوداً بعد أن كان علمًا. ويكشف حجاب

الأئمة. وتقرير هذا الاتخاد في كلامهم على طريقين:

**الأولى:** أن ذات القديس كانتة في المحدثات عمسوها ومقررها، متعددة بها في التصورين، وهي كلها مظاهر له، وهو القائم عليها، أي المفهوم لوجودها يعني لواه كانت عدماً وهو رأي أهل الحلول.

**الثانية:** طريق أهل الوحدة المطلقة وكأنهم استشعروا من تقرير أهل الحلول الغيرية المنافية لمعنى الاتخاد، فنفروا بين القديم وبين المخلوقات في الذات والوجود والصفات. وغالبوا في غيرية المظاهر المدركة بالحس والعقل بأن ذلك من المدارك البشرية، وهي أوهام. ولا يريدون الوهم الذي هو قسم العلم والظن والشك، وإنما يريدون أنها كلها عدم في الحقيقة، وجود في المدرك البشري فقط. ولا وجود بالحقيقة إلا للقديم، لا في الظاهر ولا في الباطن كما تقرره بعد، بحسب الإمكان. والتعميل في تعقل ذلك على النظر والاستدلال، كما في المدارك البشرية، غير مفيد، لأن ذلك إنما ينقل من المدارك الملكية، وإنما هي حاصلة للأئمة بالنظرة ومن بعدهم للأولئك بهدفهم. وقد من يقصد الحصول عليها بالطريقة العلمية ضلال. وربما قصد بعض الصنفين ذلك في كشف الموجودات وترتيب حقائقه على طريق أهل المظاهر فائتى بالأغمض فالأخض.

وربما قصد بعض الصنفين بيان ملهمهم في كشف الوجود وترتيب حقائقه، فائتى بالأغمض فالأخض بالنسبة إلى أهل النظر والاصطلاحات والعلوم كما فعل الفراتي شارح قصيدة ابن الفارض في الديبياجة التي كتبها في صدر ذلك الشرح، فإنه ذكر في صدور الوجود عن الفاعل وترتيبه أن الوجود كله صادر عن صفة الوحدانية التي هي مظهر الأحادية وهذا معنى صادران عن الذات الكريمة التي هي عين الوحدة لا غير. ويسمون هذا الصدور بالتجلي. وأول مراتب التجليات عندهم تجلي الذات على نفسه وهو يتضمن الكمال بإفاضة الإيجاد والظهور لقوله في الحديث الذي يتناولونه: «كنت كنتاً مخفياً فاحببت أن أعرف، فخلقت الخلق ليعرفوني» وهذا الكمال في الإيجاد المتزل في الوجود وتفصيل الحقائق وهو عندهم عالم المعاني والحضررة الكمالية والحقيقة الحمدية، وفيها حقائق الصفات واللروح والقلم وحقائق الأنبياء والرسل أجمعين، والكميل من أهل الملة الحمدية. وهذا كله تفصيل الحقيقة الحمدية. ويسصر عن هذه الحقائق حقائق أخرى في الحضرة البابية وهي مرتبة المثال ثم عنها العرش ثم الكرسي ثم الأفلاك، ثم عالم العناصر، ثم عالم التركيب. هذا في عالم الرتق فإذا تجلت فهي في عالم الفتن. انتهى.

الحديث والفقه أن الله تعالى مبادر مخلوقاته. ويقع للمتكلمين أنه لا مبادر ولا متصل. ويقع للفلسفه أنه لا داخل العالم ولا خارجه. ويقع للمتأخرین من المتصوفة أنه متصل بالمخلوقات: إما يعني الحلول فيها، أو يعني أنه هو عينها. وليس هناك غيره جملة ولا تفصيلاً، فلتبيان تفصيل هذه المذاهب ونشرح حقيقة كل واحد منها، حتى توضح معاناتها فنقول: إن المبادرة تقال لمعنىين:

**أحد هما:** المبادرة في الجيز والجهة، وبقيابله الاتصال. وتشعر هذه المقابلة على هذه التقيد بالمكان: إما صريحاً وهو تخييم، أو لزوماً وهو تشيه من قبل القول بالجهة. وقد نقل مثله عن بعض علماء السلف من التصريح بهذه المبادرة، فيحتمل غير هذا المعنى. من أجل ذلك انكر المتكلمون هذه المبادرة وقالوا: لا يقال في الباري أنه مبادر مخلوقاته، ولا متصل بها، لأن ذلك إنما يكون للمتحيزات. وما يقال من أن الحال لا يخلو عن الاتصال بالمعنى وضده. فهو مشروط بصحبة الاتصال أولاً، وأما مع امتاعه فلا، بل يجوز الخلو عن المعنى وضده. كما يقال في الجماد، لا عالم ولا جاهل، ولا قادر ولا عاجز ولا كاتب ولا أمي. وصحبة الاتصال بهذه المبادرة مشروط بالحصول في الجهة على ما تقرر من مدلولها. والباري سبحانه منه عنه ذلك. ذكره ابن التلمساني في شرح اللمع لإمام الحرمين وقال: ولا يقال في الباري: مبادر للعلم ولا متصل به، ولا داخل فيه ولا خارج عنه. وهو معنى ما يقوله الفلاسفة أنه لا داخل العالم ولا خارجه، بناء على وجود الجواهر غير المتحيز. وأنكرها المتكلمون لما يلزم من مساواتها للباري في أخص الصفات. وهو مبسط في علم الكلام.

**وأما المعنى الآخر للمبادرة، فهو المعايرة والمخالفة فيقال:** الباري مبادر مخلوقاته في ذاته وهويته وجوده وصفاته. وبقيابله الاتخاد والإمتزاج والاختلاط. وهذه المبادرة هي منصب أهل الحق كلهم من جمهور السلف وعلماء الشرائع والمتكلمين والمتصوفة الأقدمين كأهل الرسالة ومن نجا من حاهم.

وذهب جماعة من المتصوفة المتأخرین الذين صيروا المدارك الوجدانة عملية نظرية، إلى أن الباري تعالى متصل بمخلوقاته في هويته وجوده وصفاته. وربما زعموا أنهم مذهب الفلسفه قبل أرسطو، مثل أفلاطون وسقراط، وهو الذي يعني المتكلمون حيث يقللونه في علم الكلام عن المتصوفة ويخاولون الرد عليه لأنه ذاتان، تنتفي إحداهما، أو تدرج اندراج الجزء. فإن تلك مغايرة صريحة. ولا يقولون بذلك. وهذا الاتخاد هو الحلول الذي تدعوه النصارى في المسيح عليه السلام وهو أغرب؛ لأنه حلول قدیم في حدث أو اتخاذ به. وهو أيضاً عين ما تقوله الإمامية من الشيعة في

محسوس، وهو في تلك الحال إلا ما يفصله له الخيال. قالوا: فكذا يقظان إنما يعتبر تلك المدركات كلها على التفصيل بنوع مدركه البشري ولو قدر فقد مدركه فـ«فـيـة التفصـيـل»، وهذا هو معنى قوله: الوهم لا الوهم الذي هو من جملة المدارك البشرية.

هذا ملخص رأيهما على ما يفهم من كلام ابن دهقان وهو في غاية السقوط؛ لأنما تقطع بوجود البلد الذي نحن مسافرون إليه يقيناً مع غيته عن أعيننا ووجود السماء المظللة والكراسي وسائر الأشياء الغائبة عنها. والإنسان قاطع بذلك ولا يكابر أحد نفسه في اليقين مع أن المحققين من المتصوفة المتأخرین يقولون: إن المرید عند الكشف رعاً يعرض له توهّم هذه الوجدة ويسمى ذلك عدّهم مقام الجمع، ثم يترقى عنه إلى التمييز بين الموجودات ويعبرون عن ذلك بمقام الفرق وهو مقام العارف المحقّق ولا يلي للمرید عدّهم من عقبة الجمع وهي عقبة صعبة؛ لأنه يخشى على المرید من وقوفه عندها فتخسر صفتته، فقد تبيّنت مراتب أهل هذه الطريقة.

ثم إن هؤلاء المتأخرین من المتصوفة المتكلمين في الكشف وفيما وراء الحس توغلوا في ذلك فذهب الكثيرون منهم إلى الحلول والوحدة، كما أشرنا إليه وملاوياً الصحف منه مثل المفروي في كتاب القمامات له وغيره. وبعدهم ابن العربي وأبن سبعين وتلميذهما ابن العفيف وأبن الفارض والنجم الإسماعيلي في قصائدتهم. وكان سلفهم مخالفين للإسماعيلية المتأخرین من الرافضة الدائرين أيضاً بالحلول وإلهية الأئمة مذهبـاً لم يعرف لأوّلهم فأشرب كل واحد من الفريقين مذهب الآخر. واختلط كلامهم وتشابهت عقائدهم. وظهر في كلام المتصوفة القول بالقطب ومعناه وقد أشار إلى ذلك ابن سينا في كتاب الإشارات في فصول التصور منها فقال: جل جناب الحق أن يكون شرعة لكل وارد أو يطلع عليه إلا الواحد بعد الواحد. وهذا كلام لا تقوم عليه حجّة عقلية، ولا دليل شرعي، وإنما هو من أنواع الخطابة وهو بعينه ما تقوله الرافضة في توارث الأئمة عندهم، فانتظر كيف سرت طباع هؤلاء القوم هذا الرأي من الرافضة ودانوا به. ثم قالوا بترتيب وجود الأبدال بعد هذا القطب كما قاله الشيعة في النقاء. حتى إنهم لما أستدلاً على لباس خرقة التصور ليجعلوه أصلًا لطريقتهم وخلّهم رفعوه إلى علي رضي الله عنه وهو من هذا المعنى أيضاً. وإنما فعلي رضي الله عنه لم يختص من بين الصحابة بتحلية ولا طرفة في لباس ولا حال. بل كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما أزهد الناس بعد رسول الله صلوات الله عليه وسلم وأكثرهم عبادة. ولم

وسمى هذا المذهب مذهب أهل التجلي والمظاهر والحضرات وهو كلام لا يقدر أهل النظر على تحصيل مقتضاه لغموضه وانغلاقه وبعد ما بين كلام صاحب المشاهدة والرجدان وصاحب الدليل. وربما أنكر بظاهر الشرع. هذا الترتيب فإنه لا يعرف في شيء من مناحيه، وكذلك ذهب آخرون منهم إلى القول بالوحدة المطلقة وهورأي أغرب من الأول في تعقله وتفاريقه. يزعمون فيه أن الوجود له قوى في تفاصيله، بها كانت حقائق الموجودات وصورها ومواهها.

والعناصر إنما كانت بما فيها من القوى وكذلك مادتها لها في نفسها قوة بها كان وجودها. ثم إن المركبات فيها تلك القوى متضمنة في القوة التي كان بها التركيب، كالقوة المعدنية فيها قوى العناصر بهيولاها، وزيادة القوة المعدنية ثم القوة الحيوانية تتضمن القوة المعدنية، وزيادة قوتها في نفسها وكذا القوة الإنسانية مع الحيوانية، ثم الفلك يتضمن القوة الإنسانية وزيادة. وكذا الذوات الروحانية والقوة الجامعية للكل من غير تفصيل هي القوة الإلهية التي انبثت في جميع الموجودات كلية وجزئية وجعلتها وأحاطت بها من كل وجه. لا من جهة الظهور ولا من جهة الخفاء ولا من جهة الصورة ولا من جهة المادة، فالكل واحد وهو نفس الذات الإلهية، وهي في الحقيقة واحدة بسيطة، والاعتبار هو المفضل لها كالإنسانية مع الحيوانية. إلا ترى أنها مندرجة فيها وكانته بكونها. فنارة يمثلونها بالجنس مع النوع في كل موجود كما ذكرناه، ونارة بالكل مع الجزء على طريقة المثال. وهم في هذا كله يفررون من التركيب والكثرة بوجه من الوجه وإنما أوجهها عندهم الوهم والخيال. والذي يظهر من كلام ابن دهقان في تقرير هذا المذهب أن حقيقة ما يقولونه في الوحدة شيء بما يقوله الحكماء في الآلوان من أن وجودها مشروط بالضوء، فإذا عدم الضوء لم تكن الآلوان موجودة بوجه.

وكذا عندهم الموجودات المحسوسة كلها مشروطة بوجود المدرك الحسي، بل وال الموجودات المعقولة والمتورمة أيضًا مشروطة بوجود المدرك العقلي، فإذا الوجود المفضل كله مشروط بوجود المدرك البشري. فلو فرضنا عدم المدرك البشري جملة لم يكن هناك تفصيل في الوجود بل هو بسيط واحد، فالحر والبرد والصلابة واللين، بل والأرض والماء والنار والسماء والكراسي، إنما وجدت لوجود الحواس المدركة لها لما جعل في المدرك من التفصيل الذي ليس في الوجود، وإنما هو في المدارك فقط، فإذا فقدت المدارك المفصلة فلا تفصيل إنما هو إدراك واحد وهو أنا لا غيره. ويعتبرون ذلك مجال النائم فإنه إذا نام فقد الحس الظاهر فقد كل

وَحْدَ وَنَعْتَ، فَقَدْ قَالَ مُوجِدُ مُحدثٍ. هُوَ نَفْسُهُ، وَتَوْحِيدُ مُحدثٍ هُوَ فَعْلُهُ، مُوجِدٌ قَدِيمٌ، هُوَ مُعبُودٌ.

وَقَدْ تَقْدِمُ مَعْنَى التَّوْحِيدِ اِتْنَافَ عَيْنِ الْخَدْوَثِ، وَعِينِ الْخَدْوَثِ، الْآَنَ ثَابَتْ بِلَ مُتَعَدَّدَةُ، وَالْتَّوْحِيدُ مُجَمُودُ وَالْدَّعْوَى كَادِبَةُ. كَمْ يَقُولُ لِغَيْرِكَ؟ وَهُمَا مَعًا فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ: لِيْسَ فِي الْبَيْتِ غَيْرِكَ! فَيَقُولُ الْأَخْرَى بِلْسَانِ حَالَهُ: لَا يَصْحُ هَذَا إِلَّا لَوْ عَدَمْتَ أَنْتَ! وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْمُحَقِّقِينَ فِي قَوْطَمْ: خَلَقَ اللَّهُ الزَّمَانَ، هَذِهِ الْفَاظُ تَنَاقَصُ أَصْرُهَا لَأَنَّ خَلَقَ الزَّمَانَ مُقْدَمٌ عَلَى الزَّمَانِ وَهُوَ فَعْلٌ لَابِدٌ مِنْ وَقْرَعِهِ فِي الزَّمَانِ. وَإِنَّمَا حَلَّ ذَلِكَ ضَيْقَ الْعِبَارَةِ عَنِ الْحَقَّاتِ وَعَجَزَ الْلِّغَاتُ عَنِ تَأْدِيَةِ الْحَقِّ فِيهَا وَبِهَا. فَإِذَا تَحَقَّقَ أَنَّ الْمَوْحِدُ هُوَ الْمَوْحِدُ، وَعَدَمُ مَا سَوَاهُ جَلَّهُ صَحُّ التَّوْحِيدُ حَقِيقَةً. وَهَذَا مَعْنَى قَوْطَمْ: لَا يَعْرِفُ اللَّهُ إِلَّا اللَّهُ وَلَا حَرْجٌ عَلَى مَنْ وَحَدَ الْحَقَّ مَعَ يَقِاءِ الرُّسُومِ وَالْأَتَارِ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ بَابِ: حَسَنَاتِ الْأَبْرَارِ سَيِّنَاتِ الْمُرْبِينِ. لَأَنَّ ذَلِكَ لَازِمُ التَّقْيِيدِ وَالْعِبُودِيَّةِ وَالشَّفَعِيَّةِ. وَمِنْ تَرْقِيِ الْمَقَامِ الْجَمِيعِ كَانَ فِي حَقِّهِ نَقْصًا، مَعَ عَلَمِهِ بِمَرْبِتِهِ، وَأَنَّ تَلِيسَ تَسْتَلِزِمُهُ الْعِبُودِيَّةُ وَيَرْفَعُهُ الشَّهُودُ وَيَطْهُرُهُ مِنْ دُنْسِ حَدُوثِهِ عَنِ الْجَمِيعِ. وَأَعْرَقَ الْأَصْنَافِ فِي هَذَا الزَّعْمِ الْقَاتِلُونَ بِالْوَحْدَةِ الْمُطْلَقَةِ. وَمَدَارُ الْمَعْرِفَةِ بِكُلِّ اِعْتِبَارٍ عَلَى الْاِتْهَاءِ إِلَى الْوَاحِدِ، وَإِنَّمَا صَدَرَ هَذَا القَوْلُ مِنَ النَّاظِمِ عَلَى سَبِيلِ التَّحْرِيفِ وَالتَّبَيِّنِ وَالْفَطْنِ لِمَقَامِ أَعْلَى تَرْفَعٍ فِي الشَّفَعِيَّةِ وَيَحْصُلُ التَّوْحِيدُ الْمُطْلَقُ عَيْنًا لَا طَبَابًا. وَعِبارَة: «كَنْتَ سَمِعْتَ وَبَصَرْتَ».

إِسْتَرَاحَ وَمِنْ نَازِعَهُ حَقِيقَةُ أَنْسٍ بَقْرَلَهُ: «كَنْتَ سَمِعْتَ وَبَصَرْتَ». وَإِذَا عَرَفَتِ الْمَعْانِي لَا مَشَاحَةٌ فِي الْأَفْلَاظِ، وَالَّذِي يَفْيِدُهُ هَذَا كُلُّهُ تَحْقِيقُ أَمْرٍ فَوْقُ هَذَا الطَّرَورِ، لَا نَطْقٌ فِيهِ وَلَا خَرْبٌ عَنْهُ، وَهَذَا الْمَدَارُ مِنَ الإِشَارَةِ كَافٍ، وَالتَّعْمُقُ فِي مَثَلِ هَذَا حَجَابٍ، وَهُوَ الَّذِي أَوْقَعَ فِي الْمَقَالَاتِ الْمُعْرُوفَةِ. اِتَّهَى كَلَامُ الشَّيْخِ أَبْيَ مُهَدِّيِ الْزَّيَّاتِ، وَنَقَلَهُ مِنْ كِتَابِ الْوَزِيرِ أَبْنِ الْحَطِيبِ الَّذِي أَنْتَهَ فِي الْجَبَّةِ، وَسَمَاهُ التَّعْرِيفُ بِالْحَبْ الشَّرِيفِ. وَقَدْ سَمِعْتَهُ مِنْ شَيْخِنَا أَبْيَ مُهَدِّي مَرَارًا إِلَّا أَنِّي رَأَيْتُ رُسُومَ الْكِتَابِ أَوْعِي لَهُ، لِطَرْوَلِ عَهْدِي بِهِ، وَاللَّهُ الْمُوْقِنُ.

ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْفَقِهَاءِ وَأَهْلِ الْمَجَاهِدَاتِ وَمَا يَحْصُلُ مِنَ الْأَذْوَاقِ الْمُتَأْخِرِينَ فِي هَذِهِ الْمَقَالَاتِ وَأَمْتَلَاهَا وَشَمَلُوا بِالنَّكِيرِ سَائِرَ مَا وَقَعَ هُمْ فِي الْطَّرِيقَةِ. وَالْحَقُّ أَنَّ كَلَامَهُمْ مَعْهُمْ فِيهِ تَفْصِيلٌ فَيَانَ كَلَامَهُمْ فِي أَرْبَعَةِ مَوَاضِعٍ:

أَحَدُهَا الْكِلَامُ عَلَى الْمَجَاهِدَاتِ وَمَا يَحْصُلُ مِنَ الْأَذْوَاقِ وَالْمَوَاجِدِ وَحِمَاسَةِ النَّفْسِ عَلَى الْأَعْمَالِ لِتَحْصُلُ تَلَكَّ الأَذْوَاقِ الَّتِي تَصْبِرُ مَقَامًا وَيَرْتَقِي مِنْهُ إِلَى غَيْرِهِ كَمَا قَلَنَاهُ.

وَثَانِيَهَا الْكِلَامُ فِي الْكَشْفِ وَالْحَقِيقَةِ الْمُدْرَكَةِ مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ مِثْلِ الصَّفَاتِ الْرِّيَانِيَّةِ وَالْعَرْشِ وَالْكَرْسِيِّ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْوَحْيِيِّ وَالنَّبِيَّةِ

يَخْتَصُّ أَحَدُهُمْ فِي الدِّينِ بِشَيْءٍ يُؤْثِرُ عَنْهُ عَلَى الْمُخْصُوصِ بِلَ كَانَ الصَّحَابَةُ كَلِمَهُ أَسْوَهُ فِي الدِّينِ وَالْزَّهْدِ وَالْمُجَاهَدَةِ.

تَشَهُّدُ بِذَلِكَ سَيِّرَهُمْ وَأَخْبَارَهُمْ، نَعَمْ إِنَّ الشِّعَيْهَ يَخْلِسُونَ بِمَا يَقْلُلُونَ مِنْ ذَلِكَ اِخْتِصَاصِهِ عَلَيْهِ بِالْفَضَالَيِّ دُونَ مِنْ سَوَاءِ مِنَ الصَّحَابَةِ ذَهَابًا مَعَ عَقَائِدِ التَّشْيِيعِ الْمُعْرُوفَةِ طَمْ. وَالَّذِي يَظْهُرُ أَنَّ الْمُتَصَوِّفَ بِالْعَرَقِ، لَمَّا ظَهَرَتِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةُ مِنَ الشِّعَيْهِ، وَظَهَرَ كَلَامُهُمْ فِي الْإِمَامَةِ وَمَا يَرْجِعُ إِلَيْهَا مَا هُوَ مَعْرُوفٌ، فَاقْتَسَبُوا مِنْ ذَلِكَ الْمَوْزَانَةِ بَيْنَ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ وَجَعَلُوا الْإِمَامَةَ لِسِيَاسَةِ الْخَلْقِ فِي الْإِنْتِيَادِ إِلَى الشَّرِعِ، وَأَفْرَدُوهُ بِذَلِكَ أَنَّ لَا يَقْعُدُ اِخْتِلَافُ كَمَا تَقْرَرَ فِي الشَّرِعِ. ثُمَّ جَعَلُوا الْقَطْبَ لِتَعْلِيمِ الْمَرْفَعِ بِاللَّهِ لِأَنَّهُ رَأْسُ الْعَارِفِينَ، وَأَفْرَدُوهُ بِذَلِكَ تَشْيِيْبَهُ بِالْإِلَامِ فِي الظَّاهِرِ وَأَنَّ يَكُونَ عَلَى وَزَانِهِ فِي الْبَاطِنِ وَسَمْوَهُ قَطْبًا لِمَدَارِ الْمَرْفَعِ عَلَيْهِ، وَجَعَلُوا الْأَبْدَالَ كَالْقِبَاءِ مِبَالَغَةً فِي التَّشْيِيْبِ؛ فَتَأْمَلُ ذَلِكَ!!

يَشَهُدُ بِذَلِكَ كَلَامُ هَؤُلَاءِ الْمُتَصَوِّفَةِ فِي أَمْرِ الْفَاطِمِيِّ وَمَا شَحَنُوا بِهِ كَبِيْهِمْ فِي ذَلِكَ مَا لَيْسَ لِسَلْفِ الْمُتَصَوِّفَةِ فِي كَلَامِ بَنِيْنِيِّ أوِّلَيَّاتِ، وَإِنَّمَا هُوَ مَأْخُوذُ مِنْ كَلَامِ الشِّعَيْهِ وَالرَّافِضَةِ وَمَذَاهِبِهِمْ كَبِيْهِمْ. وَاللَّهُ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ.

تَذَلِّيلٌ: وَقَدْ رَأَيْتَ أَنَّ أَجْلَبَ هَذَا فَصْلًا مِنْ كَلَامِ شَيْخِنَا الْعَارِفِ كَبِيرِ الْأُولَيَّاتِ بِالْأَنْدَلُسِ، أَبِي مُهَدِّي عَيْسَى بْنِ الْزَّيَّاتِ كَانَ يَقْعُدُ لَهُ أَكْثَرُ الْأَوْقَاتِ عَلَى أَبِيَّاتِ الْمُرْوَى الَّتِي وَقَعَتْ لَهُ فِي كِتَابِ الْمَقَامَاتِ، تَوْهِمُ الْقَوْلُ بِالْوَحْدَةِ الْمُطْلَقَةِ أَوْ يَكَادُ يَصْرُحُ بِهَا وَهِيَ قَوْلُهُ:

مَا وَحَدَ الْوَاحِدَ مِنْ وَاحِدٍ إِذْ كُلَّ مِنْ وَحْدَهُ جَاهَدَ تَوْحِيدَ مِنْ يَنْطَقُ عَنْ نَعْتِهِ تَشْيِيْبَهُ اِبْطَلَهُ الْوَاحِدَ تَوْحِيدَهُ إِيَّاهُ تَوْحِيدَهُ وَنَعْتَهُ لَمْ يَنْعَتْهُ لَاهَدَ

فَيَقُولُ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَى سَبِيلِ الْعَذْرِ عَنْهُ: اِسْتَشَكَلَ النَّاسُ إِطْلَاقُ لَفْظِ الْمَجْهُودِ عَلَى كُلِّ مَا وَحَدَ الْوَاحِدَ وَلَفْظُ الْإِلْهَادِ عَلَى مِنْ نَعْتِهِ وَوَصْفِهِ. وَكُلُّنَا نَقْوُلُ عَلَى رَأْيِ هَذِهِ الْطَّافَّةِ أَنَّ مَعْنَى التَّوْحِيدِ عِنْهُمْ اِتْنَافَ عَيْنِ الْخَدْوَثِ بِثَبَوتِ عَيْنِ الْقَدْمِ وَأَنَّ الرَّجُودَ كَلِهِ حَقِيقَةً وَاحِدَةً وَاتِّيَّةً وَاحِدَةً. وَقَدْ قَالَ أَبُو سَعِيدُ الْجَزَارُ مِنْ كَبَارِ الْقَوْمِ: الْحَقُّ عَيْنِ مَا ظَهَرَ وَعَيْنِ مَا بَطَنَ. وَيَرِدُونَ أَنَّ قَوْعَ الدُّعَادَ في تَلْكَ الْحَقِيقَةِ وَجَرْدِ الْأَثَيْنِيَّةِ. وَهُمْ بِاعْتِبَارِ حَضَرَاتِ الْحَسَنِ بْنِ مِنْزَلَةِ صُورِ الْفَضَالِ وَالصَّدَا وَالْمَرَايِ. وَأَنَّ كُلَّ مَا سَوَى عَيْنِ الْقَدْمِ، إِذَا اسْتَبَعَهُ فَهُوَ دَمْ. وَهَذَا مَعْنَى: كَانَ اللَّهُ، وَلَا شَيْءٌ مَعَهُ، وَهُوَ الْآنُ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ كَانَ عَنْهُمْ. وَمَعْنَى قَوْلِ لَيْدِ الذِّي صَدَقَهُ رَسُولُ اللَّهِ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ: «إِلَّا كُلَّ شَيْءٍ، مَا خَلَ اللَّهُ بِاطِّلُ». قَالُوا: فَمَنْ

كلامه. وأما من تكلم بمثلها وهو حاضر في حسه ولم يملكه الحال فمواحد أيضاً. وهذا أفتى الفقهاء وأكابر المتصوفة بقتل الحلاج لأنه تكلم في حضور وهو مالك حاله. والله أعلم.

وسلف المتصوفة من أهل الرسالة أعلام الملة الذين أشرنا إليهم من قبل لم يكن لهم حرص على كشف الحجاب ولا هذا النوع من الإدراك، إنما همهم الاتباع والاقتداء ما استطاعوا، ومن عرض له شيء من ذلك أعرض عنه ولم يحفل به، بل يفرون منه ويزرون أنه من العروق والحنن، وأنه إدراك من إدراكات النفس خلوق حادث، وأن الموجودات لا تتحقق في مدارك الإنسان. وعلم الله أوسّع وخلقه أكبر وشريعته بالهدية أملك، فلا ينطقوها بشيء مما يدركون. بل حظروا الخوض في ذلك ومنعوا من يكشف له الحجاب من أصحابهم من الخروض فيه وال الوقوف عنده، بل ويذمون طريقتهم كما كانوا في عالم الحس قبل الكشف من الاتباع والاقتداء ويأمرون أصحابهم بالتزامها. وهكذا ينبغي أن يكون حال المريد، والله الموفق للصواب.

## الفصل الثامن عشر

### في علم تعبير الرؤيا

هذا العلم من العلوم الشرعية وهو حادث في الملة عندما صارت العلوم صنائع وكتب الناس فيها. وأما الرؤيا والتعبير لها فقد كان موجوداً في السلف كما هو في الخلف. وربما كان في الملوك والأمم من قبل، إلا أنه يصل إلىنا للاكتفاء فيه بكلام المعتبرين من أهل الإسلام. وإلا فالرؤيا موجودة في صنف البشر على الإطلاق ولا بد من تعبيرها. فلقد كان يوسف الصديق صلوات الله عليه يعبر الرؤيا كما وقع في القرآن. وكذلك ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ وعن أبي بكر رضي الله عنه «والرؤيا مدرك من مدارك الغيب». وقال تعالى: «الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة». وقال: «لم يبق من المبشرات إلا الرؤيا الصالحة برها الرجل الصالح أو ترى له».

وأول ما بدئ به النبي ﷺ من الرؤيا، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح». «وكان النبي ﷺ إذا اقتل من صلاة الغداة يقول لأصحابه: هل رأى أحد منكم الليلة رؤيا؟» يسألهم عن ذلك ليستبشر بما وقع من ذلك، مما فيه ظهور الدين وإنجازه.

وأما السبب في كون الرؤيا مدركاً للغريب فهو أن الروح

والروح وحقائق كل موجود غائب أو شاهد وتركيب الأكون في صدورها عن موجدها ومكونها كما مر. وثالثها: التصرفات في العالم والأكون بأنواع الكرامات.

رابعها: الفاظ موهمة الظاهر صدرت من الكثير من أئمة القوم يعبرون عنها في اصطلاحهم بالشطحات تستشكل ظواهرها، فمنكر وحسن ومتاول.

فاما الكلام في المجاهدات والمقامات وما يحصل من الأذواق والماوجد في نتائجها ومحاسبة النفس على التقصير في أسبابها فأمر لا مدح فيه لأحد وأذواقهم فيه صحيحة والتحقق بها هو عن السعادة.

واما الكلام في كرامات القوم وإخبارهم باللغبيات وتصرفهم في الكائنات. فأمر صحيح غير منكر. وإن مال بعض العلماء إلى إنكارها فليس ذلك من الحق. وما احتاج به الأستاذ أبو إسحاق الأسفرياني من آئمه الأشعرية على إنكارها لاتباسها بالمعجزة، فقد فرق المحققون من أهل السنة بينهما بالتحدي وهو دعوى وقوع المعجزة على وفق ما جاء به. قالوا: ثم إن وقوعها على وفق دعوى الكاذب غير مقدور؛ لأن دلالة المعجزة على الصدق عقلية فإن صفة نفسها التصديق. فلو وقعت مع الكاذب لتبدل صفة نفسها وهو محال. هذا مع أن الوجود شاهد بواقع الكثير من هذه الكرامات وإنكارها نوع مكابرة.

وقد وقع للضاحية وأكابر السلف كثير من ذلك وهو معلوم مشهور. وأما الكلام في الكشف وإعطاء حقائق العلويات وترتيب صدور الكائنات فأكثر كلامهم فيه نوع من التشابة، لما أنه وجوداني عندهم وفائد الرجدان عندهم يعزل عن أدواههم فيه. واللغات لا تطلي له دلالة على مرادهم منه؛ لأنها لم توضع إلا للمتطرف وأكثره من المحسوسات. فينبغي أن لا تتعرض لكلامهم في ذلك وتنتركه فيما تركاه من التشابة، ومن رزقة الله فهم شيء من هذه الكلمات على الوجه الواقع لظاهر الشريعة فأكirm بها سعادة. وأما الألفاظ الموهمة التي يعبرون عنها بالشطحات وبواحدتهم بها أهل الشرع، فاعلم أن الإنفاق في شأن القوم أنهم أهل غيبة عن الحس والوارادات تملكتهم حتى ينطقوها عنها بما لا يقصدونه، وصاحب الغيبة غير مخاطب والمجبور معذور.

فمن علم منهم فضله واقتداه حمل على القصد الجميل من هذا وأمثاله، وإن العبارة عن الموجد صعبة لفقدان الوضع لها كما وقع لأبي يزيد البسطامي وأمثاله. ومن لم يعلم فضله ولا اشتهر بمواهذ بما صدر عنه من ذلك إذا لم يتبيّن لنا ما يحملنا على تأويل

النفس فيها منغمسة بالبدن وعوارضه، ومنها ثبوت ذلك الإدراك ودومه بانطباع تلك الرؤيا بتفاصيلها في حفظه، فلا يتخاللها سهو ولا نسيان. ولا يحتاج إلى إحضارها بالذكر والذكر، بل تبقى متصرفة في ذهنه إذا انته. ولا يغرب عنه شيء منها، لأن الإدراك النفسي ليس بزمني ولا يلحقه ترتيب، بل يدركه دفعة في زمن فرد. وأضفت الأحلام زمانية، لأنها في القوى الدماغية يستخرجها الخيال من الحافظة إلى الحس المشترك كما قلناه. وأنفال البدن كلها زمانية فيلحقها الترتيب في الإدراك والتقدير والتأخر. ويعرض النسان العارض للقوى الدماغية. وليس كذلك مدارك النفس الطاغية إذ ليست بزمانية، ولا ترتيب فيها. وما ينطبع فيها من الإدراكات فينطوي دفعة واحدة في أقرب من لمح البصر. وقد تبقى الرؤيا بعد الانتهاء حاضرة في الحفظ أيام من العمر. لا تنسى بالغة عن الفكر بوجه إذا كان الإدراك الأول قوياً، وإذا كان إنما يتذكر الرؤيا بعد الانتهاء من النوم باعتبار الفكر والوجه إليها، وينسى الكثير من تفاصيلها حتى يتذكرها فليست الرؤيا بصادقة، وإنما هي من أضفت الأحلام. وهذه العلامات من خواص الرؤيا. قال الله تعالى نبأه **عليه السلام**: «لَا تُخَرِّجْ بِهِ لِسَانَكَ لِتُعْجَلَ بِهِ إِنْ عَلِيَّاً جَمْعَةً وَرَفَاهَةً فَإِذَا قَرَأَهَا فَأَتَيْ فِرَاثَةً ثُمَّ إِنْ عَلِيَّاً بَيَّانَهُ» والرؤيا لها نسبة من النبوة والوحى كما في الصحيح. قال **عليه السلام**: «الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة» فلخواصها أيضاً نسبة إلى خواص النبوة. وبذلك القدر، فلا تستبعد ذلك، فهذا وجه الحق. والله الخالق لما يشاء.

وأما معنى التعبير، فاعلم أن الروح العقلي إذا أدرك مدركه وألقاه إلى الخيال فصوره، فإنما يصوره في الصور المناسبة لذلك المعنى بعض الشيء كما يدرك معنى السلطان الأعظم في صورة الخيال بصورة البحر أو يدرك العداوة في صورة الخيال في صورة الحياة. فإذا استيقظ وهو لم يعلم من أمره إلا أنه رأى البحر أو الحياة فينظر المعتبر بقوه التشبيه بعد أن يتيقن أن البحر صورة محسوسة وأن المدرك وراءها وهو يهتدى بقرائش أخرى تعين له المدرك فيقول مثلاً: هو السلطان لأن البحر خلق عظيم يناسب أن يشبه بها السلطان وكذلك الحياة يناسب أن تشبه بالعدو لعظم ضررها، وكذا الأوانى تشبه بالسلاط لأنهن أوعية؛ وأنثال ذلك. ومن المرئى ما يكون صرحاً لا ينفتر إلى تعبير بخلافها ووضوحها أو لقرب النسبة فيها بين المدرك وشبيهه. وهذا وقع في الصحيح: «الرؤيا ثلاثة: رؤيا من الله، ورؤيا من الملك، ورؤيا من الشيطان». فالرؤيا التي من الله هي الصريحة التي لا تنفتر إلى تأويل والتي من الملك هي الرؤيا الصادقة تنفتر إلى التعبير، والرؤيا

القلبي وهو البخار اللطيف المنبعث من تجويف القلب اللحمي يتشر في الشريانات ومع الدم في سائر البدن، وبه تكمل أفعال القوى الحيوانية وإحساسها. فإذا أدركه الملال بكثرة التصرف في الإحساس بالحواس الخمس وتصريف القوى الظاهرة وغضي سطح البدن ما يغشا من برد الليل الخنس الروح من سائر أقطار البدن إلى مركزه القلبي، فيستجم بذلك لمعاودة فعله فتعطلت الحواس الظاهرة كلها، وذلك هو معنى النوم كما تقدم في أول الكتاب.

ثم إن هذا الروح القلبي هو مطية للروح العاقل من الإنسان، والروح العاقل مدرك لجميع ما في عالم الأمر بذاته، إذ حقيقته وذاته عن الإدراك. وإنما يمنع من تعلمه للمدارك الغبية ما هو فيه من حجاب الاشتغال بالبدن وقواه وحواسه. فلو قد خلا من هذا الحجاب وتحجد عنه لرجع إلى حقيقته وهو عن الإدراك فيعقل كل مدرك. فإذا تجرد عن بعضها خفت شواغله، فلابد له من إدراك طة من عالمه بقدر ما تجرد له وهو في هذه الحالة قد خفت شواغل الحس الظاهر كلها، وهي الشاغل الأعظم فاستعد لقبول ما هنالك من المدارك اللاحقة به من عالمه. وإذا أدرك ما يدرك من عالمه رجع به إلى بذاته. إذ هو ما دام في بذنه جسماني لا يمكنه التصرف إلا بالمدارك الجسمانية، والمدارك الجسمانية للعلم إنما هي الدماغية، والتصرف منها هو الخيال. فإنه يتسع من الصور المحسوسة صوراً خيالية ثم يدفعها إلى الحافظة تحفظها له إلى وقت الحاجة إليها عند النظر والاستدلال. وكذلك تجرد النفس منها صوراً أخرى نفسانية عقلية فيترقى التجريد من المحسوس إلى المعمول والخيال واسطة بينهما. وكذلك إذا أدرك النفس من عالمها ما تدركه الفته إلى الخيال فيصوّره بالصورة المناسبة له ويدفعه إلى الحس المشترك فيه النائم كأنه محسوس فينزل المدرك من الروح العقلي إلى الحسي. والخيال أيضاً واسطة. هذه حقيقة الرؤيا. ومن هذا التقرير يظهر لك الفرق بين الرؤيا الصادقة وأضفت الأحلام الكاذبة، فإنها كلها صور في الخيال حالة النوم. ولكن إن كانت تلك الصور متزلة من الروح العقلي المدرك فهي رؤيا. وإن كانت مأخوذة من الصور التي في الحافظة التي كان الخيال أودعها إليها منذ اليقظة فهي أضغاث أحلام.

واعلم أن للرؤيا الصادقة علامات تؤذن بصدقها وتشهد بصحتها فيتشعر الرائي البشرة من الله بما القى إليه في نومه: فمنها سرعة انتباه الرائي عندما يدرك الرؤيا، كأنه يعاجل الرجوع إلى الحس باليقظة ولو كان مستغرقاً في نومه، لقل ما القى عليه من ذلك الإدراك، فيفر من تلك الحالة إلى حالة الحس التي تبقى

الي من الشيطان هي الأضئات.

**الأول: علم المنطق:** وهو علم يচمم الذهن عن الخطأ في

اقتناص المطالب المجهولة من الأمور الحاصلة المعلومة، وفائدته: تمييز الخطأ من الصواب، فيما يتسم الناظر في الموجدات وعوارضها ليقف على تحقيق الحق في الكائنات نفيًا وثبوتًا بهتهى تکره. ثم النظر بعد ذلك عندهم إما في المحسوسات من الأجسام المعنصرية والمكونة عنها من المعدن والنبات والحيوان والأجسام الفلكية والحركات الطبيعية، أو النفس التي تتبع عنها الحركات وغير ذلك. ويسمى هذا الفن بالعلم الطبيعي وهو العلم الثاني منها. وإنما أن يكون النظر في الأمور التي وراء الطبيعة من الروحانيات ويسمونه العلم الإلهي وهو الثالث منها. والعلم الرابع وهو الناظر في المقادير ويشتمل على أربعة علوم وهي تسمى التعاليم.

**أولها: علم الهندسة** وهو النظر في المقادير على الإطلاق. إما المفصلة من حيث كونها معدودة أو المتصلة، وهي إما ذو بعد واحد وهو الخط ذو بعدين وهو السطح، أو ذو بعدين ثلاثة وهو الجسم التعليمي. ينظر في هذه المقادير وما يعرض لها، إما من حيث ذاتها أو من حيث نسبة بعضها إلى بعض.

**وثانيها: علم الأرثماطيقي**: وهو معرفة ما يعرض للكم المفصل الذي هو العدد ويؤخذ له من الخواص والعوارض اللاحقة.

**ثالثها: علم الموسيقى** وهو معرفة نسب الأصوات والذبذبات بعضها من بعض وتقديرها بالعدد، وثمرته معرفة تلحين الغناء.  
**رابعها: علم الهيئة**: وهو تعين الأشكال للأفلاك وحصر أوضاعها وتعدداتها لكل كوكب من السفارة والثابتة والقيام على معرفة ذلك من قبل الحركات السماوية المشاهدة الموجودة لكل واحد منها ومن رجوعها واستقامتها وإقبالها وإدارتها.

فهذه أصول العلوم الفلسفية وهي سبعة: المنطق وهو المقدم منها وبعده التعاليم، فالأرثماطيقي أولًا ثم الهندسة، ثُم الهيئة، ثُم الموسيقى، ثُم الطبيعيات، ثُم الإليات؛ ولكن واحد منها فروع تتفرع عنه. فمن فروع الطبيعيات الطب، ومن فروع علم العدد علم الحساب والفرائض والمعاملات، ومن فروع الهيئة الأزياج وهي قوانين لحسابات حركات الكواكب وتعديلها للوقوف على مواضعها حتى قصد ذلك. ومن فروع النظر في التنجوم علم الأحكام النجومية ونحو ذلك. وهي موجودة في النوع الإنساني منذ كان عمران الخلقة. وتسمى هذه العلوم علوم الفلسفة والحكمة وهي مشتملة على أربعة علوم:

واعلم أيضًا أن الخيال إذا أقسى إليه الروح مدركه. فإنما يتصور في القوالب المعتادة للحس وما لم يكن الحس قادره فقط من القوالب فلا يتصور فيه شيئاً، فلا يمكن من ولد أعمى أكمه أن يتصور له السلطان بالبحر ولا العدو بالجنة ولا النساء بالأراضي؛ لأنه لم يدرك شيئاً من هذه، وإنما يتصور له الخيال أمثال هذه في شبهاها ومناسبها من جنس مداركه التي هي المسموعات والمشمومات. ولتحفظ المعتبر من مثل هذا، فزعمًا اختلط به التعبير وفسد قانونه.

ثم إن علم التعبير علم بقوانين كلية يبني عليها المعتبر عبارة ما يقص عليه. وتأويله كما يقولون: البحر يدل على السلطان، وفي موضع آخر يقولون: البحر يدل على الغيط، وفي موضع آخر على الهم والأمر الفادح. ومثل ما يقولون: الحياة تدل على العدو، وفي موضع آخر يقولون: تدل على الحياة وفي موضع آخر: هي كاتم سر، وأمثال ذلك. فيحفظ المعتبر هذه القوانين الكلية، ويعبر في كل موضع بما تقتضيه القرائن التي تعين من هذه القوانين ما هو أليق بالرؤيا. وتلك القرائن، منها في اليقطة ومنها في النسوم، ومنها ما يندرج في نفس المعتبر بالخاصية التي حلقت فيه، وكل ميسر لما خلق له. ولم يزل هذا العلم متبايناً بين السلف. وكان محمد بن سيرين فيه من أشهر العلماء وكتب عنه في ذلك قوانين وتقاليها الناس لهذا العهد. والفقيراني فيه من بعده. ثم الف المتكلمون المتأخرون وأكثروا. والتداول بين أهل المقرب لهذا العهد كتب ابن أبي طالب القيروني من علماء القيروان مثل «المتبع» وغيره وكتاب «الإشارة» للسلامي من أفعى الكتب فيه وأحضرها. وكذلك كتاب «المرقبة العليا» لابن راشد من مشيختنا بتونس. وهو علم مضيء بنور النبوة للمناسبة التي بينهما ولكونها كانت من مدارك الرؤيا كما وقع في الصحيح، والله علام الغيب.

## الفصل التاسع عشر

### في العلوم العقلية وأصنافها

وأما العلوم العقلية التي هي طبيعية للإنسان من حيث إنه ذو فكر فهي غير مختصة بملة، بل يوجد النظر فيها لأهل المل كلهم ويستورون في مداركها ومباحتها. وهي موجودة في النوع الإنساني منذ كان عمران الخلقة. وتسمى هذه العلوم علوم الفلسفة والحكمة وهي مشتملة على أربعة علوم:

وابتروا الروم ملوكهم فيما ابتهوا للأمم. وابتداً أمرهم بالسذاجة والغفلة عن الصنائع حتى إذا تبحّج السلطان والدولة وأخذوا من الحضارة بالخط الذي لم يكن لغيرهم من الأمم وفتقوا في الصنائع والعلوم. تشرفوا إلى الاطلاع على هذه العلوم الحكيمية بما سمعوا من الأسفاق والأقساة المعاهدين بعض ذكر منها وبما تسمى إليه أفكار الإنسان فيها. فبعث أبو جعفر المنصور إلى ملك الروم أن يبعث إليه بكتب التعاليم مترجمة، فبعث إليه بكتاب أوقليدس وبعض كتب الطبيعيات. فقرأها المسلمين واطلعوا على ما فيها وازدادوا حرصاً على الظفر بما بقي منها. وجاء المأمورون بعد ذلك وكانت له في العلم رغبة بما كان يتطلعه فابتعدت هذه العلوم حرصاً وأوفد الرسل على ملوك الروم في استخراج علوم اليونانيين واتساحها بالخط العربي، وبعث المترجمين لذلك فأواعي منه واستوعب. وعكف عليها الناظر من أهل الإسلام وحذقوها في فنونها وانتهت إلى الغاية انتظارهم فيها. وخالفوا كثيراً من آراء المعلم الأول، واختصوه بالرد والقول لوقوف الشهرة عنده. ودونوا في ذلك الدواوين وأربوا على من تقدمهم في هذه العلوم وكان من أكابرهم في الملة أبو نصر الفارابي وأبو علي بن سينا بالشرق والقاضي أبو الوليد بن رشد والوزير أبو بكر بن الصانع بالأندلس إلى آخرين بلغوا الغاية في هذه العلوم. واحتضن هؤلاء بالشهرة والذكر، واقتصر كثيرون على اتحال التعليم وما ينضاف إليها من علوم النجامة والسحر والطلسمات. ووقفت الشهرة في هذا التحول على جابر بن حيان من أهل المشرق ومسلمة بن أحد المجريطي من أهل الأندلس وتلميذه. ودخل على الملة من هذه العلوم وأهلها داخلة، واستهورت الكثير من الناس بما جنحوا إليها وقلدوا آرائها والنسب في ذلك لمن ارتكبه. ولو شاء ربكم ما فعلوه.

ثم إن المغرب والأندلس لما ركبت ريح العمران بهما وتناقشت العلوم بتناقصه أضحم حل ذلك منهم إلا قليلاً من رسومه تجدوها في تفاريق من الناس وتحت رقبة من علماء السنة. وبلغنا عن أهل المشرق أن بضائع هذه العلوم لم تزل عندهم موفورة وخصوصاً في عراق العجم وما بعده فيما وراء النهر؛ وأنهم على ثبع من العلوم المقلية والتقلية توفر عمرانهم واستحكام الحضارة فيهم. ولقد وقفت مصر على تأكيل في المعمول متعددة لرجل من عظماء هرارة من بلاد خراسان يشتهر بسعد الدين الفتاتاني منها في علم الكلام وأصول الفقه والبيان تشهد بأن له ملكرة راسخة في هذه العلوم. وفي أثنائها ما يدل له على أن له اطلاعاً على العلوم الحكيمية وتضلعاً بها وقدماً عالية

والروم، فكانت أسواق العلوم نافقة لديهم على ما بلغنا لما كان العمران موفراً فيهم والدولة والسلطان قبل الإسلام وعصره لهم، فكان لهذه العلوم محور زاخرة في آفاقهم وأمصارهم. وكان للكلدانين ومن قبلهم من السريانين ومن عاصرهم من القبط عنابة بالسحر والنجامة وما يتعهدا من الطلاسم، وأخذ ذلك عنهم الأمم من فارس ويونان فاختص بها القبط وطعن بمحرها فيهم كما وقع في المثلو من خبر هاروت وماروت وشأن السحرة وما نقله أهل العلم من شأن البرابي بصعيد مصر. ثم تسبعت الملل محظوظ ذلك وتحريمه فدرست علومه ويطبلت كان لم تكن إلا بقايا يتناقلها متخلو هذه الصنائع. الله أعلم بصحتها. مع أن سيف الشرع قائمة على ظهورها مائعة من أخبارها.

وأما الفرس فكان شأن هذه العلوم المقلية عندهم عظيماً ونطاقها متسعـاً لما كانت عليه دولتهم من الضخامة واتصال الملك. ولقد يقال: إن هذه العلوم إنما وصلت إلى يونان منهم حين قتل الإسكندر داراً وغلب على مملكة الكيكلية، فاستولى على كبيتهم وعلومهم. إلا أن المسلمين لما افتحوا بلاد فارس، وأصابوا من كبيتهم وصهائف علومهم ما لا يأخذه الحصر كتب سعد بن أبي وفاصل إلى عمر بن الخطاب يستاذنه في شأنها وتنقلها للمسلمين. فكتب إليه عمر أن اطروحها في الماء. فإن يكن ما فيها هدى فقد هدا الله بأهدي منه، وإن يكن ضلالاً فقد كفانا الله. فطروحها في الماء أو في النار وذهبت علوم الفرس فيها عن أن تصل إلينا.

وأما الروم فكانت الدولة منهم ليونان أولاً، وكان لهذه العلوم يفهم مجال رحب وحملها مشاهير من رجالهم مثل أسطلين الحكمة وغيرهم. واحتضن فيها المشايخون منهم أصحاب الرواق بطريقة حسنة في التعليم كانوا يقرأون في رواق يظلمهم من الشمس والبرد على ما زعموا. واتصل فيها سند تعليمهم على ما يزعمون من لدن لقمان الحكيم في تلميذه إلى سقراط الدين، ثم إلى تلميذه أنفاطون ثم إلى تلميذه أرسطو ثم إلى تلميذه الإسكندر الأنطروسي، وتأمسيطروس وغيرهم. وكان أرسطو معلماً للإسكندر ملکهم الذي غلب الفرس على ملکهم واتزع الملك من أيديهم. وكان أرسطون في هذه العلوم قدماً وأبعدهم فيه صيتاً وشهرة. وكان يسمى المعلم الأول فطار له في العالم ذكر.

ولما انقرض أمر اليونان وصار الأمر للقياصرة وأخذوا بدین النصرانية هجروا تلك العلوم كما تقتضيه الملل والشرائع فيها. وبقيت في صحفها ودواوينها مخلدة باقية في خزاناتهم، ثم ملکوا الشام وكتب هذه العلوم باقية فيهم.

ثم جاء الله بالإسلام وكان لأهله الظهور الذي لا كفاه له

الحساب. وللمحكماء المتقدمين والمؤخرین فیه تأکیف، وأکثراهم يدرجونه فی التعلیم ولا يفردوه بالتأکیف. فعل ذلك ابن سینا فی كتاب الشفاء والنّجاة وغيره من المتقدمين. وأما المؤخرین فهو عندهم مهجور إذ هو غير متداول ومتفعته فی البراهین لا فی الحساب فهجروه لذلك بعد أن استخلصوا زیدته فی البراهین الحسابیة كما فعله ابن البناء فی كتاب رفع الحجاب وغيره، والله سبحانه وتعالى أعلم.

### علم الحساب

ومن فروع علم العدد صناعة الحساب. وهي صناعة علیة فی حساب الأعداد بالضم والتفریق. فالضم يكون فی الأعداد بالأفراد وهو الجمع. وبالتضعیف أي يضاعف عدد بأحاد عدد آخر وهذا هو الضرب، والتفریق أيضاً يكون فی الأعداد إما بالإفراد مثل إزالة عدد من عدد ومعرفة الباقی وهو الطرح، أو تفصیل عدد بجزء متساوية تكون عدتها محصلة وهو القسمة. وسواء كان هذا الضم والتفریق فی الصحيح من العدد أو الكسر. ومعنى الكسر نسبة عدد إلی عدد وتلك النسبة تسمی كسرأ. وكذلك يكون الضم والتفریق فی الجذور ومعناها العدد الذي يضرب فی مثله فيكون منه العدد الرابع، والعدد الذي يكون مصراحاً به يسمی المطلق، ومریعه كذلك، ولا يحتاج فی إلی تکلف عمل بالحساب. والذي لا يكون مصراحاً به يسمی الأصم ومریعه: إما مطلق مثل جذر ثلاثة الذي مریعه ثلاثة، وإما أصم مثل جذر ثلاثة الذي مریعه جذر ثلاثة، وهو أصم ويحتاج إلی عمل من الحساب. فإن تلك الجذور أيضاً يدخلها الضم والتفریق، وهذه الصناعة الحسابیة حادثة احتجاج إلیها للحساب فی المعاملات، والذ الناس فيها كثيراً وتدارلها فی الأمصار بالتعليم للولدان.

ومن أحسن التعليم عندهم الابتداء بها لأنها معارف متضحة وبراهین متنظمة، فينشأ عنها فی الغالب عقل مضيء درب على الصواب. وقد يقال: من أخذ نفسه بتعليم الحساب أول أمره إنه يغلب عليه الصدق لما فی الحساب من صحة المبني ومناقشة النفس، فيصير ذلك له خلقاً ويتبع الصدق ويلازمه مذهبـاً. ومن أحسن التأکیف المبوسطة فيها لهذا العهد بالغرب كتاب الحصار الصغیر. ولابن البناء المراكشی فیه تلخيص ضابط لقوانين أعماله مفید ثم شرحه بكتاب سماه رفع الحجاب وهو مستغلق على المبتدئ بما فيه من البراهین الرئیفة المبني. وهو كتاب جلیل القدر أدركنا المشیحة تعظیمه وهو كتاب جدیر بذلك. وساوق فیه المؤلف رحمة الله كتاب فقه الحساب، لابن منعم والکامل للأحدب، ولخص برایهـا وغیرها عن اصطلاح الحروف فیها إلی علل

في سائر الفنون العقلیة، والله يؤيد بنصره من يشاء.

وكذلك بلغنا لهذا العهد أن هذه العلوم الفلسفیة ببلاد الإفرنج من أرض رومة وما إليها من العدوة الشماليـة نافقة الأسواق، وأن رسومها هناك متقدمة وبمالـس تعليمها متعددة ودواوینها جامعة وحملتها متوفرون وطلبـها متکثرون والله أعلم بما هنالك وهو يخلق ما يشاء وينتـار.

### الفصل العشرون

#### في العلوم العددية

وأوها الأرثاطیقی: وهو معرفة خواص الأعداد من حيث التالیف، إما على التوالی أو بالتضعیف، مثل أن الأعداد إذا توالت متباينة بعد واحد فإن جمع الطرفین منها مساو لجمع كل عددين بعدهما من الطرفین بعد واحد، ومثل ضعف الواسطة إن كانت عدة تلك الأعداد فرداً مثل الأعداد على تواليها والأزواج على تواليها والأفراد على تواليها، ومثل أن الأعداد إذا توالت على نسبة واحدة بأن يكون أوها نصف ثانیها وثانيها نصف ثالثها الخ، أو يكون أوها ثلث ثانیها وثانيها ثلث ثالثها الخ، فیإن ضرب الطرفین أحدهما في الآخر كضرب كل عددين بعدهما من الطرفین بعد واحد أحدهما في الآخر. ومثل ضعف الواسطة إن كانت العدة فرداً وذلك مثل أعداد زوج الزوج التوالیة من اثنين فاریعة فثمانیة فستة عشر، ومثل ما يحدث من الخواص العددیة في وضع المثلثات العددیة والمربعات والمخمسات والمسدسات إذا وضعت متالية في سطورها بأن تجتمع من الواحد إلى العدد الأخير فت تكون مثلثة. وتتوالى المثلثات هكذا في سطر تخت الأضلاع ثم تزيد على كل مثلث مثل الضلع الذي قبله فتكون مربعة. وتزيد على كل مربع مثلث الضلع الذي قبله فتكون خمسة وhelm جرا. وتتوالى الأشكال على توالي الأضلاع ويحدث جدول ذو طول وعرض. ففي عرضه الأعداد على تواليها، ثم المثلثات على تواليها، ثم المربعات ثم المخمسات الخ، وفي طوله كل عدد واشكاله بالغاً ما بلغ ويحدث في جمعها وقسمة بعضها على بعض طولاً وعرضًا خواص غریبة استقررت منها وتقررت في دواوینهم مسائلها، وكذلك ما يحدث للزوج والفرد وزوج الزوج وزوج الفرد وزوج الزوج والفرد، فإن لكل منها خواص مختصة به تضمنها هذا الفن وليسـت في غيره.

وهذا الفن أول أجزاء التعالیم وأثبتها ويدخل في برایـن

معاملات المدن في البياعات والمساحات والزكوات وسائر ما يعرض فيه العدد من المعاملات تصرف في ذلك صناعتى الحساب في المجهول والمعلوم والكسر والصحيح والجذور وغيرها. والغرض من تكثير المسائل المفروضة فيها حصول المران والدرية بتكرار العمل حتى ترسخ الملكة في صناعة الحساب. ولأهل الصناعة الحسالية من أهل الأندلس تأكيل فيها متعددة من أشهرها معاملات الزهراوي وأبا السمع وأبي مسلم بن خلدون من

تلמיד مسلمة الجريطي وأمثالهم. ومن فروعه أيضاً الفرائض. وهي صناعة حسالية في تصحيح السهام لنبوى الفروض في الوراثات إذا تعددت وهلك بعض الوارثين وانتكست سهامه على ورثته أو زادت الفروض عند اجتماعها وتراوحها على المال كله أو كان في الفريضة إقرار وإنكار من بعض الورثة دون بعض، فيحتاج في ذلك كله إلى عمل يعين به سهام الفريضة إلى كم تصح وسهام الورثة من كل بطن مصححاً حتى تكون حظوظ الوارثين من المال على نسبة سهامهم من جلة سهام الفريضة. فيدخلها من صناعة الحساب جزء كبير من صحيحه وكسره وجذوره ومعلماته ومجهوله وترتبط على ترتيب أبواب الفرائض الفقهية ومسائلها. فتشتمل حيثذاك هذه الصناعة على جزء من الفقه وهو أحکام الوراثات في الفروض والعلو والإقرار والإنكار والوصايا والتبرير وغير ذلك من مسائلها وعلى جزء من الحساب في تصحيح السهمان باعتبار الحكم الفقهي وهي من أجل العلوم. وقد يورد أهلها أحاديث نبوية تشهد بفضلها مثل: الفراغن ثلث العلم وإنها أول ما يرفع من العلوم وغير ذلك. وعندى أن ظواهر تلك الأحاديث كلها إنما هي في الفرائض العينية كما تقدم لا فرائض الوراثات، فإنها أقل من أن تكون في كميتها ثلث العلم.

وأما الفرائض العينية فكثيرة وقد ألف الناس في هذا الفن قدیماً وحديثاً، وأوعبوا ومن أحسن التأكيل فيه على منهب مالك رحمه الله تعالى كتاب ابن ثابت وختنصر القاضي أبي القاسم الحوفي وكتاب ابن المنذر والجعدي والصردي وغيرهم. لكن الفضل للحوفي فكتابه مقدم على جيمها. وقد شرحه من شيوخنا أبو عبد الله محمد بن سليمان الشطبي كبير مشيخة فاس فأوضح وأوعب. ولإمام الحرمين فيها تأكيل على منهب الشافعي تشهد باتساع باعه في العلوم، ورسوخ قدمه، وكذا للحفيفية والحنابلة. ومقامات الناس في العلوم مختلفة. والله يهدى من يشاء منه وكرمه لا رب سواه.

معنى ظاهرة، هي سر الإشارة بالحروف وزبدها. وهي كلها مستغلقة وإنما جاءها الاستغلاق من طريق البرهان شأن علوم التعاليم؛ لأن مسائلها وأعمالها واضحة كلها. وإذا قصد شرحها فإنما هو إعطاء العلل في تلك الأعمال. وفي ذلك من العسر على الفهم ما لا يوجد في أعمال المسائل قاتمه. والله يهدي بنوره من يشاء وهو القوي المتن.

### علم الجبر:

ومن فروعه الجبر والمقابلة. وهي صناعة يستخرج بها العدد المجهول من قبل المعلوم المفروض إذا كان بينهما نسبة تقضي بذلك. فاضطلاعوا فيها على أن جعلوا للمجهولات مراتب من طريق التضييف بالضرب: أو لها العدد لأنه به يتعين المطلوب المجهول باستخراجها من نسبة المجهول إليه.

وثانيها: الشيء لأن كل مجهول فهو من جهة إيهامه شيء وهو أيضاً جذر لما يلزم من تضييفه في المرتبة الثانية.

وثالثها: المال وهو أمر مهم وما بعد ذلك فعلى نسبة الأسن من المضروبين. ثم يقع العمل المفروض في المسألة فيخرج إلى معادلة بين مختلفين أو أكثر من هذه الأجناس فيقابلون بعضها البعض ويجدون ما فيها من الكسر حتى يصير صحيحاً. ويحطرون المراقب إلى أقل الأسود إن أمكن حتى يصير إلى الثلاثة التي عليها مدار الجبر عندهم وهي العدد والشيء والمال. فإن كانت المعادلة بين واحد وواحد تعين فالمال والجذور يزول إيهامه بمعادلة العدد ويتعين. والمال إن عادل الجذور فيتعين بعدهما. وإن كانت المعادلة بين واحد واثنين آخرجه العمل المتنسى من طريق تفصيل الضرب في الاثنين وهي بمهمة فيعيتها ذلك الضرب المفصل. ولا يمكن المعادلة بين اثنين واثنين. وأكثر ما انتهت المعادلة عندهم إلى ست مسائل؛ لأن المعادلة بين عدد وجذر ومال مفردة أو مركبة تحيى ستة. وأول من كتب في هذا الفن أبو عبد الله الخوارزمي وبعده أبو كامل شجاع بن أسلم، وجاء الناس على أثره فيه. وكتابه في مسائله السادس من أحسن الكتب الموضوعة فيه. وشرحه كثير من أهل الأندلس فأجادوا، ومن أحسن شروحاته كتاب القرشي. وقد بلغنا أن بعض أئمة التعاليم من أهل المشرق أنهى المعادلات إلى أكثر من هذه السبعة الأجناس، وبليغها إلى فوق العشرين واستخرج لها كلها أعمالاً وثيقاً وأتبها برهانين هندسيتين. والله يزيد في الخلق ما يشاء سبحانه وتعالى.

### المعاملات والفرائض:

ومن فروعه أيضاً المعاملات. وهو تصريف الحساب في

## الفصل الحادي والعشرون

### في العلوم الهندسية

السمارية وما يعرض فيها من القطوع والدواائر بأسباب الحركات كما نذكره فقد يتوقف على معرفة أحكام الأشكال الكربية سطوحها وقطرها.

وأما المخروطات فهو من فروع الهندسة أيضاً. وهو علم ينظر فيما يقع في الأجسام المخروطة من الأشكال والقطوع ويرهن على ما يعرض لذلك من العوارض ببراهين هندسية متوقفة على التعليم الأول. وفائتها تظهر في الصنائع العلمية التي مادها الأجسام مثل التجارة والبناء وكيف تصنع التماثيل الغربية والهيكل النادر وكيف يتحيل على جر الأنتقال ونقل الهيكل بالهندام والمخل وأنماط ذلك. وقد أفرد بعض المؤلفين في هذا الفن كتاباً في الخيل العلمية يتضمن من الصناعات الغربية والخيل المستقرفة كل عجيبة. وربما استغلت على الفهوم لصعوبة براهين الهندسية وهو موجود بأيدي الناس ينسبونه إلىبني شاكر. والله تعالى أعلم.

#### المساحة:

ومن فروع الهندسة المساحة وهو فن يحتاج إليه في مسح الأرض، ومعنى استخراج مقدار الأرض المعلومة بنسبة شبر أو ذراع أو غيرهما، أو نسبة أرض من أرض إذ قويست بمثل ذلك. ويحتاج إلى ذلك في توظيف الخرائط على المزارع والفنان ويساتين الغراءة وفي قسمة الحراشط والأراضي بين الشركاء أو الورثة وأمثال ذلك. وللناس فيها موضوعات حسنة وكثيرة والله الموفق للصواب منه وكرمه.

المناظرة من فروع الهندسة وهو علم يتبع به أسباب الغلط في الإدراك البصري بمعرفة كيفية وقوعها بناء على أن إدراك البصر يكون بمخروط شعاعي رأسه نقطة الباطن وقاعدته المرئي. ثم يقع الغلط كثيراً في رؤية القريب كبراً والبعد صغيراً. وكذا رؤية الأشياء الصغيرة تحت الماء ووراء الأجسام الشفافة كبيرة، ورؤى القط النازلة من المطر خطأ مستقيماً والسلقة دائرة وأمثال ذلك. فيتبين في هذا العلم أسباب ذلك وكيفياته ببراهين الهندسية، ويتبين به أيضاً اختلاف النظر في القمر باختلاف العروض الذي يبني عليه معرفة رؤية الأهلة وحصول الكسوفات وكثير من أمثال هذا. وقد ألف في هذا الفن كثير من اليونانيين. وأشهر من الف فيه من الإسلاميين ابن الهيثم. ولغierre فيه أيضاً تأليف وهو من هذه العلوم الرياضية وتفارييعها.

هذا العلم هو النظر في المقادير: إما المصلة كالخط والسطح والجسم، وإما المفصلة كالأعداد فيما يعرض لها من العوارض الذاتية. مثل أن كل مثلث فزاوياه مثل قائمتين. ومثل أن كل خطين متوازيين لا يلتقيان في جهة ولو خرجا إلى غير نهاية. ومثل أن كل خطين متقاطعين، فالزاوياتان المقابلتان منها متساويتان. ومثل أن الأربع مقادير المتناسبة ضرب الأول منها في الثالث كضرب الثاني في الرابع وأمثال ذلك. والكتاب المترجم لليونانيين في هذه الصناعة كتاب أوقليدس ويسمى كتاب الأصول الأربع وهو أبسط ما وضع فيها للمتعلمين وأول ما ترجم من كتاب اليونانيين في الملة أيام أبي جعفر المنصور ونسخه مختلفة باختلاف المترجمين. فعنها لحنين بن إسحاق ولثابت بن قرة ولإيوف بن الحجاج ويشتمل على خمس عشرة مقالة. أربعة في السطوح واحدة في الأقدار المتناسبة وواحدة في نسبة السطوح بعضها إلى بعض، وثلاثة في العدد والعناشرة في المناطق والقوى على المناطقات ومعناه الجذور وخمس في الجسمات. وقد اختصره الناس بختصارات كثيرة كما فعله ابن سينا في تعاليم الشفاء. أفرد له جزءاً منها اختصبه به. وكذلك ابن أبي الصلت في كتاب الاقتصاد وغيرهم. وشرحه آخرون شرحاً كثيرة وهو مبدأ العلوم الهندسية بطلاق.

واعلم أن الهندسة تفيد أصحابها إضاءة في عقله، استقامة في فكره؛ لأن براهينها كلها بينة الانظام جلية الترتيب لا يكاد الغلط يدخل أقيستها لنرتيبها وانتظامها، فيبعد الفكر بممارستها عن الخطأ وينشأ لصاحها عقل على ذلك المهيّع، وقد زعموا أنه كان مكتوباً على باب أفلاطون: من لم يكن مهندساً فلا يدخلن منزلتنا؛ وكان شيوخنا رحهم الله يقولون: ممارسة علم الهندسة للتفكير بمثابة الصابون للثوب الذي يغسل منه الأقدار وينقيه من الأوضار والأدران، وإنما ذلك لما أشرنا إليه من ترتيبه وانتظامه.

ومن فروع هذا الفن الهندسة المخصصة بالأشكال الكربية والمخروطات، أما الأشكال الكربية ففيها كتاب من كتب اليونانيين ثاؤدوسيوس وميلاوش في سطوحها وقطرها وكتاب ثاؤدوسيوس مقدم في التعليم على كتاب ميلاوش لترفق كثير من براهينه عليه. ولابد منها لمن يريد الخوض في علم الهيئة؛ لأن براهينها متوقفة عليهم. فالكلام في الهيئة كله كلام في الكرات

## الفصل الثاني والعشرون

### في علم الهيئة

رشد أيضاً من حكماء الأنجلوين وابن السمع وابن أبي الصلت في كتاب الاتصال. ولابن الفرغاني هيئة ملخصة قرها وحذف براهنها الهندسية. والله علم الإنسان ما لم يعلم. سبحانه لا إله إلا هو رب العالمين.

#### علم الأزياج:

ومن فروعه علم الأزياج. وهي صناعة حسابية على قوانين عديدة فيما يخص كل كوكب من طريق حركته وما أدى إليه برهان الهيئة في وضعه من سرعة وبسطه واستقامة ورجوع وغير ذلك يعرف به مواضع الكواكب في أفلاتها لأي وقت فرض من قبل حسان حراثتها على تلك القوانين المستخرجية من كتب الهيئة. وهذه الصناعة قوانين كالخدمات والأصول لها في معرفة الشهور والأيام والتاريخ الماضية، وأصول متقررة من معرفة الأوج والخصيص والمليول وأصناف الحركات واستخراج بعضها من بعض، يضعونها في جداول مرتبة تسهيلاً على المتعلمين وتسمى الأزياج. ويسمى استخراج مواضع الكواكب للوقت المفروض لهذه الصناعة تعديلاً وتقوياً. وللناس فيه تأكيل كثيرة للمتقدمين والمتاخرين مثل الباتني وابن الكمام.

وقد عول المتأخرون لهذا العهد بالغرب على زيج منسوب لابن إسحاق من منجمي تونس في أول المائة السابعة. ويزعمون أن ابن إسحاق عول فيه على الرصد. وأن يهودياً كان بصلة ماهراً في الهيئة والتعاليم وكان قد عني بالرصد وكان يبعث إليه بما يقع في ذلك من أحوال الكواكب وحركاتها، فكان أهل المغرب لذلك عنوا به لوثقة مبناه على ما يزعمون. ولخص ابن البناء في آخر سماء النهاج قوله به الناس لما سهل من الأعمال فيه، وإنما يحتاج إلى مواضع الكواكب من الفلك لتبني عليها الأحكام النجومية، وهو معرفة الآثار التي تحدث عنها بأوضاعها في عالم الإنسان من الملك والدول والمواليد البشرية والكرائن الحادثة كما نيسنه بعد ونوضح فيه أدتهم إن شاء الله تعالى. والله الموفق لما يحبه ويرضاه لا يعبد سواه.

## الفصل الثالث والعشرون

### في علم المنطق

وهو قوانين يعرف بها الصحيح من الفاسد في الحدود المعروفة للماهيات والمحاجج المقيدة للتتصديقات، وذلك لأن الأصل في الإدراك إنما هو المحسوسات بالحواس الخمس. وبجمع الحيوانات

وهو علم ينظر في حركات الكواكب الثابتة والمحركة والمحيرة. ويستدل بكيفيات تلك الحركات على أشكال وأوضاع للأفلال لزالت عنها هذه الحركات المحسوسة بطرق هندسية. كما يبرهن على أن مركز الأرض مبيناً لمركز فلك الشمس بوجود حركة الإقبال والإدار، وكما يستدل بالرجوع والاستقامة للكواكب على وجود أفلال صغيرة حاملة لها متحركة داخل فلكها الأعظم، وكما يبرهن على وجود الفلك الثامن بحركة الكواكب الثابتة، وكما يبرهن على تعدد الأفلال للكوكب الواحد ببعد الميلول له وأمثال ذلك. وإدراك الموجود من الحركات وكيفياتها وأجناسها إنما هو بالرصد، فإنما إنما علمنا حركات الإقبال والإدار به. وكذا تركيب الأفلال في طبقاتها، وكذا الرجوع والاستقامة وأمثال ذلك.

وكان اليونانيون يعتمدون بالرصد كثيراً ويتخذون له الآلات التي تتعرض ليرصد بها حركة الكوكب المعين. وكانت تسمى عندهم ذات الحلق وصناعة عملها والبراهين عليه في مطابقة حركتها بحركة الفلك منقول بأيدي الناس.

وأما في الإسلام فلم تقع به عناية إلا في القليل. وكان في أيام المؤمن شيء منه، وصنع لهذه الآلة المعروفة للرصد المسماة ذات الحلق. وشرع في ذلك فلم يتم. ولما مات ذهب رسمه وأغفل واعتمد من بعده على الأرصاد القديمة وليس بعنفية الاختلاف الحركات باتصال الأحقاب. وإن مطابقة حركة الآلة لرصد حركة الأفلال والكواكب إنما هو بالتقريب ولا يعطي التحقيق، فإذا طال الوzman ظهر تناول ذلك التقريب. وهذه الهيئة صناعة شريفة وليس على ما يفهم في المشهور أنها تعطي صورة السماوات وترتيب الأفلال والكواكب بالحقيقة، بل إنما تعطى أن هذه الصور والآيات للأفلال لزالت عن هذه الحركات. وانت تعلم أنه لا يبعد أن يكون الشيء الواحد لازماً ل المختلفين، وإن قلنا: إن الحركات لازمة فهو استدلال باللازم على وجود المزوم ولا يعطي الحقيقة بوجه على أنه علم جليل وهو أحد أركان التعاليم. ومن أحسن التأكيل فيه كتاب الجسطي منسرياً بطليموس. وليس من ملوك اليونان الذين أسماؤهم بطليموس على ما حققه شراح الكتاب. وقد اختصره الأئمة من حكماء الإسلام كما فعله ابن سينا وأدرجه في تعاليم الشفاء. ولخصه ابن

المتجة للمطلوب المخصوص من يقين أو ظن، ويقال للنظر الثاني: إنه من حيث الصورة وإتاحة القياس على الإطلاق، وكانت لذلك كتب المطلق ثمانية:

الأول في الأجناس العالية التي يتهيأ إليها تحرير المحسوسات في الذهن وهي التي ليس فوقها جنس ويسمى كتاب المقولات.

والثاني: في القضايا التصديقية وأصنافها ويسمى كتاب العماره.

**والثالث:** في القياس وصورة إنتاجه على الإطلاق ويسمى كتاب القياس وهذا آخر النظر من حيث الصورة.

ثم الرابع كتاب البرهان وهو النظر في القياس المتبع للبيقين، وكيف يجب أن تكون مقدماته يقينية. ويتخصص بشروط أخرى لإفادة البيقين مذكورة فيه مثل كونها ذاتية وأولية وغير ذلك. وفي هذا الكتاب الكلام في المعرفات والحدود إذ المطلوب فيها إنما هو اليقين لوجوب المطابقة بين الحد والمحدود لا يحتمل غيرها، فلذلك اختصت عند المقدمين بهذا الكتاب.

**الخامس:** كتاب الجدل وهو القياس المفید قطع المشاغب وإفحام الخصم وما يجب أن يستعمل فيه من المشهورات ويفصل أيضاً من جهة إفادته لهذا الغرض بشروط أخرى وهي مذكورة هناك. وفي هذا الكتاب يذكر الموضع الذي يستتبعه منها صاحب القياس قياسه بتميز الجامع بين طرفي المطلوب المسمى بالوسط وفيه عکوس القضايا.

**والسادس:** كتاب السفسطة وهو القياس الذي يفيد خلاف الحق ويعالط به المناظر صاحبه وهو فاسد، وهذا إنما كتب ليعرف به القياس، المغالط، فيحذر منه.

**والسابع:** كتاب الخطابة وهو القياس المقيد ترغيب الجمهور وحملهم على المراد منهم وما يجب أن يستعمل في ذلك من المقالات.

والثامن: كتاب الشعر وهو القياس الذي يفيد التمثيل والتشبيه خاصة للإقبال على الشيء أو الفرة عنه وما يجب أن يستعمل، فهو من القضايا التخلية.

هذه هي كتب المنطق الشعانية عند المقدمين. ثم إن حكماء ليونانيين بعد أن تهذبت الصناعة ورتبوا رأوا أنه لابد من الكلام في الكليات الخمس المقيدة للتصور المطابق للماهيات في الخارج، أو لجزائتها أو عوارضها وهي الجنس والفصل والتنوع والخاص والعرض العام، فاستدركوا فيها مقالة تختص بها مقدمة بين يدي

يشتركت في هذا الإدراك من الناطق وغيره وإنما يتميز الإنسان عنها بإدراك الكليات وهي مجردة من المحسوسات. وذلك بأن يحصل في الخيال من الأشخاص المتفقة صورة منطقة على جميع تلك الأشخاص المحسوسة وهي الكلية. ثم ينظر الذهن بين تلك الأشخاص المتفقة وأشخاص أخرى توافقها في بعض. فيحصل له صورة تتطابق أيضاً عليهم باعتبار ما اتفقا فيه. ولا يزال يرتفع في التجريد إلى الكلية الذي لا يجد كلياً آخر معه يوافقه، فيكون لأجل ذلك بسيطاً. وهذا مثل ما ي مجرد من أشخاص الإنسان صورة النوع المنطبق عليها. ثم ينظر بينه وبين الحيوان ويجرد صورة الجنس المنطبق عليهما. ثم ينظر بينهما وبين النبات إلى أن يتهي إلى الجنس العالى وهو الجوهر فلا يجد كلياً يوافقه في شيء فيقف العقل هنالك عن التجريد. ثم إن الإنسان لما خلق الله له الفكر الذي به يدرك العلوم والصناعات وكان العلم: إما تصوراً للماهيات ويعنى به إدراك ساذج من غير حكم معه، وإما تصديقاً أي حكماً بشيرت أمر لأمر، فصار سعي الفكر في تحصيل المطلوبات إما بأن تجمع تلك الكليات بعضها إلى بعض على جهة التاليف فتحصل صورة في الذهن كلية منطقية على أفراد في الخارج تكون تلك الصورة الذهنية مفيدة لمعرفة ماهية تلك الأشخاص، وإما بأن يحكم بأمر فيشت له ويكون ذلك تصديقاً. وغايتها في الحقيقة راجعة إلى التصور؛ لأن فائدة ذلك إذا حصل فإذا هي معرفة حقائق الأشياء التي هي مقتضى العلم الحكمي. وهذا السعي من الفكر قد يكون بطريق صحيح وقد يكون بطريق فاسد، فافتراضي ذلك تحيز الطريق الذي يسعى به الفكر في تحصيل المطالب العلمية ليتميز فيها الصحيح من الفاسد فكان ذلك قانون المطلق. وتكلم فيه المتقدمون أول ما تكلموا به جلاً جلاً ومتفرقاً متفرقاً. ولم تهذب طرقه ولم تجمع مسائله حتى ظهر في يونان أرسطو، فهذب مباحثه ورتب مسائله وفسرها وجعله أول العلوم الحكيمية وفاختها. ولذلك يسمى بالمعلم الأول وكتابه المخصوص بالمنطق يسمى النص وهو يشتمل على ثمانية كتب أربعة منها في صورة القياس وأربعة في مادته. وذلك أن المطالب التصديقية على الخامناء.

فمنها ما يكون المطلوب فيه اليقين بطبعه ومنها ما يكون المطلوب فيه الظن وهو على مراتب، فينظر في القياس من حيث المطلوب الذي يفيده وما ينبغي أن تكون مقدماته بذلك الاعتبار ومن أي جنس يكون من العلم أو من الظن. وقد ينظر في القياس لا باعتبار مطلوب مخصوص بل، من جهة إنتاجه خاصة.

ويقال للنظر الأول: إنه من حيث المادة ونعني به المادة

الفرد والزمن الفرد والخلاء بين الأجسام ونفي الطبيعة والتركيب العقلي للماهيات. وأن العرض لا يقى زمنين، ولثبات الحال، وهي صفة لموجود، لا موجودة ولا معدومة، وغير ذلك من قواعدهم التي بنوا عليها أدلةهم الخاصة. ثم ذهب الشيخ أبو الحسن، والقاضي أبو بكر والأستاذ أبو إسحاق إلا أن أدلة العقائد منعكسة بمعنى أنها إذا بطلت بطل مدلولها. وهذا رأى القاضي أبو بكر أنها بمثابة العقائد والقديح فيها قدح في العقائد لابتهاجها عليها. وإذا تأملت المنطق وجده كله يدور على الترکيب العقلي، وإثبات الكلي الطبيعي في الخارج لينطبق عليه الكلي الذهني المقسم إلى الكليات الخمس، التي هي الجنس والنوع والفصل والخاصية والعرض العام، وهذا باطل عند المتكلمين. والكللي والذاتي عندهم إنما اعتبار ذهني ليس في الخارج ما يطابقه. أو حال عند من يقول بها فبطل الكليات الخمس والتعریف المبني عليها. والمقولات العشر، ويطبل العرض الذاتي، فبطل بطلاته القضايا الضرورية الذاتية المشروطة في البرهان وتبطل الموضع التي هي لباب كتاب الجدل. وهي التي يرتجد منها الوسط الجامع بين الطرفين في التقياس، ولا يقى إلا القياس الصوري، ومن التعريفات المساوية في الصادقة على إفراد المحمود، لا يكون أعم منها، فيدخل غيرها، ولا أخص فيخرج بعضها، وهو الذي يعبر عنه النحو بالجمع والمنسخ والتتكلمون بالطرد والعكس، وتهدم أركان المنطق جملة. وإن أثبتنا هذه كما في علم المنطق بطلاناً كثيراً من مقدمات المتكلمين فيؤدي إلى إبطال أدلةهم على العقائد كما مر. فلهذا بالغ المقدمون من المتكلمين في التكير على انتحال المنطق وعدهو بدعة أو كفراً على نسبة الدليل الذي يبطل. والمتاخرون من لدن الغزالي لما انكروا انعكاس الأدلة، ولم يلزم عندهم من بطلان الدليل بطلان مدلوله، وصح عندهم رأي أهل المنطق في التركيب العقلي وجود الماهيات الطبيعية وكلياتها في الخارج، قصوا بأن المنطق غير مناف للعقائد الإيمانية. وإن كان منافياً لبعض أدلةها، بل قد يستدللون على إبطال كثير من تلك المقدمات الكلامية، كنفي الجرهر الفرد والخلاء وبقاء الأعراض وغيرها، ويستبدلون من أدلة المتكلمين على العقائد بأدلة أخرى يصححونها بالنظر والقياس العقلي. ولم يقدح ذلك عندهم في العقائد السنّية بوجهه. وهذا رأي الإمام الغزالى وتابعهـا لهذا العهد، فتأمل ذلك وأعرف مدارك العلماء وما خذلـهم فيما يذهبون إليه. والله المادي والموفق للصواب.

الفن نصارى مقالاته تسعـاً وترجمـت كلـها في الملة الإسلامية. وبكتـها وتناولـها فلاـسفة الإسلام بالشرح والتلخيص كما فعلـه الفارابـي وابن سينا ثم ابن رشد من فلاـسفة الأنـدلـس. ولابن سينا كتاب الشفاء استوـعـب فيه عـلوم الفلـسـفة السـبعـة كلـها.

ثم جاء المـتأخرـون فـغيـرـوا اـصطـلاحـ المـنـطقـ وـالـخـفـرـاـ بالـنظـرـ فيـ الـكـلـيـاتـ الخـمـسـ ثـمـرـتهـ وـهـيـ الـكـلـامـ فـيـ الـحـدـودـ وـالـرـسـومـ نـقـلـهـ مـنـ كـابـ البرـهـانـ. وـحـلـفـرـاـ كـابـ المـقـرـلاتـ؛ لأنـ نـظـرـ المـنـطقـ فـيـ بـالـعـرـضـ لـاـ بـالـذـاتـ. وـالـخـفـرـاـ فـيـ كـابـ الـعـبـارـةـ الـكـلـامـ فـيـ الـعـكـسـ. وإنـ كانـ مـنـ كـابـ الجـدـلـ فـيـ كـتبـ المـتـقـدـمـينـ لـكـنهـ مـنـ تـوابـ الـكـلـامـ فـيـ الـقـضـاياـ بـعـضـ الـوـجـوهـ، ثـمـ تـكـلـمـوـاـ فـيـ الـتـقـيـاسـ مـنـ حـيـثـ إـنـتـاجـهـ لـلـمـطـالـبـ عـلـىـ الـعـرـومـ لـاـ بـحـسـبـ مـادـةـ، وـحـلـفـرـاـ نـظـرـ فـيـ هـيـ مـادـةـ وـهـيـ الـكـتـبـ الـخـمـسـ: الـبـرـهـانـ وـالـجـدـلـ وـالـخـطـابـ وـالـشـعـرـ وـالـسـفـسـطـةـ. وـرـبـاـ يـلـمـ بـعـضـهـ بـالـسـيـرـ مـنـهـ إـلـاـمـاـ وـأـغـلـوـهـاـ كـانـ لـمـ تـكـنـ وـهـيـ الـمـهـمـ الـمـعـتـدـدـ فـيـ الـقـنـ. ثـمـ تـكـلـمـوـاـ فـيـمـاـ وـضـعـهـ مـنـ ذـلـكـ كـلـاماـ مـسـتـحـرـاـ وـنـظـرـوـاـ فـيـهـ مـنـ حـيـثـ إـنـهـ فـيـ برـأـهـ لـاـ مـنـ حـيـثـ إـنـهـ آـلـهـ لـلـعـلـمـ فـطـالـ الـكـلـامـ فـيـ وـاتـسـعـ. وـأـوـلـ مـنـ فـعـلـ ذـلـكـ الـإـمـامـ فـخـرـ الـدـيـنـ بـنـ الـخـطـبـ وـمـنـ بـعـدـهـ أـفـضـلـ الـدـيـنـ الـخـرـنـيـ وـعـلـىـ كـبـهـ مـعـتـدـدـ الـمـاـشـرـقـةـ لـهـ الـعـهـدـ. وـلـهـ فـيـ هـذـهـ الصـنـاعـةـ كـاتـبـ كـثـفـ الـأـسـرـاـرـ وـهـوـ طـرـيلـ مـخـنـصـ الـمـرـجـ وـهـوـ حـسـنـ فـيـ الـتـعـلـيمـ ثـمـ مـخـنـصـ الـجـمـلـ فـيـ قـدـرـ أـرـبـعـةـ أـورـاقـ أـخـذـ بـجـمـاجـ الـفـنـ وـأـصـوـلـهـ يـتـداـولـهـ الـمـعـلـمـوـنـ لـهـذـاـ الـعـهـدـ فـيـتـقـعـمـوـنـ بـهـ. وـهـجـرـتـ كـتبـ المـتـقـدـمـينـ وـطـرـقـهـمـ كـانـ لـمـ تـكـنـ وـهـيـ مـعـتـلـةـ مـنـ ثـمـرـةـ الـمـنـطقـ وـفـانـدـهـ كـمـاـ قـلـنـاـ. وـالـلـهـ الـمـاـدـيـ لـلـصـوـابـ.

اعلم أن هذا الفن قد اشتـدـ النـكـيرـ عـلـىـ اـنـتـحـالـهـ مـنـ مـقـدـمـيـ السـلـفـ وـالـتـكـلـمـيـنـ. وـبـالـغـوـرـ فـيـ الطـعـنـ عـلـىـ وـالـتـحـذـيرـ مـنـ وـحـظـرـوـرـاـ تـعـلـمـ وـتـعـلـيمـهـ. وـجـاءـ الـمـاـتـخـرـوـنـ مـنـ بـعـدـهـمـ مـنـ لـدـنـ الغـزـالـيـ وـالـإـمـامـ الـبـرـهـانـ فـسـاحـمـوـرـاـ فـيـ ذـلـكـ بـعـضـ الشـيـءـ. وـأـكـبـ النـاسـ عـلـىـ اـنـتـحـالـهـ مـنـ بـوـمـذـ إـلـاـ قـلـيلـاـ، يـمـحـونـ فـيـهـ إـلـاـ رـأـيـ المـتـقـدـمـينـ. فـيـنـفـرـوـنـ عـنـهـ وـبـالـغـوـرـ فـيـ إـنـكـارـهـ. فـلـيـنـ لـكـ تـكـتـقـ الـقـبـولـ وـالـرـدـ فـيـ ذـلـكـ، لـتـعـلـمـ مـقـاصـدـ الـعـلـمـ فـيـ مـذـاهـبـهـمـ، وـذـلـكـ أـنـ الـمـتـكـلـمـيـنـ لـمـ وـضـعـوـاـ عـلـمـ الـكـلـامـ لـنـصـ الـعـقـادـ الـإـيمـانـيـ بـالـحـجـجـ الـعـقـلـيـةـ، كـانـ طـرـيقـهـمـ فـيـ ذـلـكـ بـادـلـهـ خـاصـةـ وـذـكـرـهـاـ فـيـ كـبـهـمـ كـالـدـلـلـ عـلـىـ حـدـثـ الـعـالـمـ بـإـثـبـاتـ الـأـعـرـاضـ وـحـدـوـثـهـاـ. وـأـمـتـاعـ خـلـوـ الـأـجـسـامـ عـنـهـ، وـمـاـ لـمـ يـخـلـوـ عـنـ الـحـوـادـثـ حـادـثـ. وـكـإـثـبـاتـ الـتـوـحـيدـ بـدـلـلـ التـعـانـ. وـإـثـبـاتـ الصـفـاتـ الـقـدـيـمةـ بـالـجـوـامـعـ الـأـرـبـعـةـ إـلـاـقـاـ لـلـغـائبـ بـالـشـاهـدـ. وـغـيـرـ ذـلـكـ مـنـ أـدـلـهـمـ الـمـذـكـرـةـ فـيـ كـبـهـمـ. ثـمـ قـرـرـوـاـ تـلـكـ الـأـدـلـةـ بـتـهـيـدـ قـوـاعـدـ وـأـصـوـلـهـ مـنـ كـالـمـقـدـمـاتـ هـاـ مـلـئـ إـثـبـاتـ الـجـوـهـرـ

## الفصل الرابع والعشرون

### في الطبيعتيات

الطبيعة، فإنها المدبرة في حالتي الصحة والمرض. وإنما الطبيب يخاذلها ويعينها بعض الشيء محسب ما تقتضيه طبيعة المادة والفصل والسن ويسمى العلم الجامع لهذا كله علم الطب. وربما أفردوا بعض الأعضاء بالكلام وجعلوه علمًا خاصًا، كالعين والعلها وأحكاماً. وكذلك المخوا بالفن منافع الأعضاء ومعناه المفعة التي خلق لأجلها كل عضو من أعضاء البدن الحيواني. وإن لم يكن ذلك من موضوع علم الطب إلا أنهم جعلوه من لواحقة وتوابعه.

وجالينوس في هذا الفن كتاب جليل عظيم المفعة، وهو إمام هذه الصناعة التي ترجمت كتبها من الأقدمين وجالينوس في هذا الفن كتاب قليل عظيم المفعة، يقال: إنه كان معاصرًا ليعسى عليه السلام، ويقال: إنه مات بصفلية في سبيل تغلب ومتلازمة اغتراب. وتلكيف فيها هي الأمهات التي اقتنى بها جميع الأطباء بعده. وكان في الإسلام في هذه الصناعة أئمة جاؤوا من وراء الغاية مثل الرازى والمجوسى وابن سينا، ومن أهل الأندلس أيضًا كثير وأشهرهم ابن زهر. وهي لهذا العهد في المدن الإسلامية كائنة تستدعيها إلا الخضارة والترف كما نبيه بعد.

وللبادية من أهل العمran طب يبنونه في غالب الأمر على تجربة قاصرة على بعض الأشخاص ويتداولونه متواترًا عن مشابع الحي وعجائزه، وربما يصح منه البعض إلا أنه ليس على قانون طبيعى ولا عن موافقة المزاج. وكان عند العرب من هذا الطب كثير، وكان فيه أطباء معروفون كالحارث بن كلدة وغيره. والطب المقول في الشرعيات من هذا القبيل وليس من الوحي في شيء، وإنما هو أمر كان عاديًا للعرب. ووقع في ذكر أحوال النبي ﷺ من نوع ذكر أحواله التي هي عادة وجبلة، لا من جهة أن ذلك مشروع على ذلك النحو من العمل. فإنه <sup>يذكر</sup> إنما بعث ليعلمنا الشرائع ولم يبعث لتعريف الطب ولا غيره من العادات. وقد وقع له في شأن تلقيح النخل ما وقع فقال: «أنت أعلم بأمور دنياكم». فلا ينبغي أن يحمل شيء من الذي وقع من الطب الذي وقع في الأحاديث الصحيحة المترولة على أنه مشروع، فليس هناك ما يدل عليه اللهم إلا إذا استعمل على جهة التبرك وصدق العقد الإيمانى فيكون له أثر عظيم في النفع. وليس ذلك من الطب المزاجي وإنما هو من آثار الكلمة الإيمانية كما وقع في مداواة المطرد بالعسل ونحوه، والله المادي إلى الصواب لا رب سواه.

وهو علم يبحث عن الجسم من جهة ما يلحقه من الحركة والسكنون فينظر في الأجسام السماوية والعنصرية وما يتولد عنها من إنسان وحيوان ونبات ومعدن وما يتكون في الأرض من العيون والرلازل وفي الجو من السحاب والبخار والرعد والبرق والصوات وغيرها ذلك. وفي مبدأ الحركة للأجسام وهو النفس على تنوعها في الإنسان والحيوان والنبات. وكتب أرسطو فيه موجودة بين أيدي الناس ترجمت مع ما ترجم من علوم الفلسفة أيام المأمون، والنف الناس على حذوها مستبعدين لها بالبيان والشرح، وأواعب من الف في ذلك ابن سينا في كتاب الشفاء، جمع فيه العلوم السبعة للفلاسفة كما قدمنا، ثم تلخصه في كتاب النجاة وفي كتاب الإشارات، وكانته يخالف أرسطو في الكثير من مسائلها ويقول برأيه فيها.

وأما ابن رشد فلخص كتب أرسطو وشرحها متبعاً له غيره مختلف. والنف الناس بعده في ذلك كثيراً لكن هذه هي المشهورة لهذا المهد والمعتبرة في الصناعة. ولأهل المشرق عناية بكتاب الإشارات لابن سينا ولإمام ابن الخطيب عليه شرح حسن وكذا الأكمدي، وشرحه أيضاً نصير الدين الطوسي المعروف بمراججه من أهل المشرق ومحث مع الإمام في كثير من مسائله فأنا في على أنظاره ومحوره؛ وفرق كل ذي علم عليم والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

## الفصل الخامس والعشرون

### في علم الطب

ومن فروع الطبيعتيات صناعة الطب وهي صناعة تنظر في بدن الإنسان من حيث يمرض ويصح فيحاول صاحبها حفظ الصحة وبرء المرض بالأدوية والأغذية بعد أن يبين المرض الذي يختص كل عضو من أعضاء البدن وأسباب تلك الأمراض التي تنشأ عنها، وما لكل مرض من الأدوية مستدين على ذلك بامزجة الأدوية وقوتها وعلى المرض بالعلامات المؤذنة بنضجه وقبوله للدواء.

أولاً: في السجية والفضلات والنبع محاذين لذلك قرة

والنجاة، وكذلك لخصها ابن رشد من حكماء الأندلس.

ولما وضع المتأخرون في علوم القوم ودونوا فيها ورد عليهم الغزالي ما رده منها، ثم خلط المتأخرون من المتكلمين مسائل علم الكلام بمسائل الفلسفة لاشتراكهما في المباحث، وتشابه موضوع علم الكلام بموضوع الإلهيات ومسائلها فصارت كأنها فن واحد، ثم غيروا ترتيب الحكماء في مسائل الطبيعيات والإلهيات وخلطوهما فناً واحداً قدمو فيه الكلام في الأمور العامة ثم أتبعوه بالجسمانيات وتتابعها ثم بالروحانيات وتتابعها إلى آخر العلم، كما فعله الإمام ابن الخطيب في المباحث المشرقية وجمع من بعده من علماء الكلام، وصار علم الكلام مختلطًا بمسائل الحكمة وكتبه محشوة بها، لأن الغرض من موضوعهما ومسائلهما واحد. وبالتالي ذلك على الناس وهو صواب؛ لأن مسائل علم الكلام إنما هي عقائد متلقة من الشرعية كما تلقاها السلف من غير رجوع فيها إلى العقل ولا تعویل عليه، يعني أنها لا تثبت إلا به، فإن العقل معزول عن الشرع وأنظاره، وما ثحدث فيه المتكلمون من إقامة الحاجة فليس بمحاجة عن الحق فيها ليعلم بالدليل بعد أن لم يكن معلوماً هو شأن الفلسفة، بل إنما هو التماس حجة عقلية تعضد عقائد الإيمان ومذاهب السلف فيها وتدفع شبه أهل البدع عنها الذين زعموا أن مداركهم فيها عقلية. وذلك بعد أن تفرض صحيحة بالأدلة التقليدية كما تلقاها السلف واعتقدوها وكثير ما بين المقامين. وذلك أن مدارك صاحب الشرعية أوسع لاتساع نطاقها عن مدارك الأنظار العقلية فهي فوقها ويعطيها بما استمدادها من الأنوار الإلهية، فلا تدخل تحت قانون النظر الضعيف والمدارك المخاطب بها. فإذا هدانا الشارع إلى مدرك فيبنيني أن تقدمه على مداركتنا ونثق به دونها ولا ننظر في تصحيحه بمدارك العقل ولر عارضه، بل نعتقد ما أمرنا به اعتقاداً وعلمًا ونسكت عمّا لم نفهم من ذلك ونفوضه إلى الشارع وننزل العقل عنه.

والمتكلمون إنما دعاهم إلى ذلك كلام أهل الإلحاد في معارضات العقائد السلفية بالبدع النظرية، فاحتاجوا إلى الرد عليهم من جنس معارضتهم واستدعى ذلك الحاجج النظرية ومحاذاة العقائد السلفية بها، وأما النظر في مسائل الطبيعيات والإلهيات بالتصحيح والطلakan فليس من موضوع علم الكلام ولا من جنس انتشار المتكلمين. فاعلم ذلك لتميز به بين الفتن فلنهم مخنطان عند المتأخرین في الرفع والتاليف، والحق مغايرة كلٌّ منها لصاحب بالموضوع والسائل، وإنما جاء الالتباس من اتحاد المطالب عند الاستدلال وصار احتجاج أهل الكلام كأنه إنشاء لطلب الاعتقاد بالدليل وليس كذلك، بل إنما هو رد على الملحدين

## الفصل السادس والعشرون

### في الفلاحة

هذه الصناعة من فروع الطبيعيات وهي النظر في النبات من حيث تتميّته ونشؤه بالسوق والعلاج واستجاده المتبت وصلاحه الفصل وتماهده بما يصلحه ويتمه من ذلك كله، وكان للمتقدمين بها عنابة كبيرة وكان النظر فيها عندهم عاماً في النبات من جهة غرسه وتنميته ومن جهة خواصه وروحاناته ومشاكلتها لروحانيات الكراكب والطياكل المستعمل ذلك كله في باب السحر، فعظمت عنائهم به لأجل ذلك. وترجم من كتب اليونانيين كتاب الفلاحة البطيبة منسوبة لعلماء النبط مشتملة من ذلك على علم كبير. ولما نظر أهل الملة فيما اشتمل عليه هذا الكتاب وكان باب السحر مسدوداً والنظر فيه محظوراً، فاقتصروا منه على الكلام في النبات من جهة غرسه وعلاجه وما يعرض له في ذلك، وحدفوا الكلام في الفن الآخر منه جملة. واختصر ابن العوام كتاب الفلاحة البطيبة على هذا المنهاج وبقي الفن الآخر منه مغفلًا، تقل منه مسلمة في كتب السحرية أمهات من مسائله كما نذكره عند الكلام على السحر إن شاء الله تعالى.

وكتب المتأخرین في الفلاحة كثيرة ولا يعدون فيها الكلام في الغراس والعلاج وحفظ النبات من حوانجه وعوانشه وما يعرض في ذلك كله وهي موجودة.

## الفصل السابع والعشرون

### في علم الإلهيات

وهو علم ينظر في الوجود المطلق:

فأولاً في الأمور العامة للجسمانيات والروحانيات من الماهيات والوحدة والكثرة والوجوب والإمكان وغير ذلك، ثم ينظر في مبادئ الموجودات وأنها روحانيات، ثم في كيفية صدور الموجودات عنها ومراتها، ثم في أحوال النفس بعد مفارقة الأجسام وعدوها إلى المبدأ. وهو عندهم علم شريف يزعمون أنه يرقفهم على معرفة الوجود على ما هو عليه، وأن ذلك عين السعادة في زعمهم. وسيأتي الرد عليهم بعد. وهو تال للطبيعتيات في ترتيبهم؛ ولذلك يسمونه علم ما وراء الطبيعة. وكتب المعلم الأول فيه موجودة بين أيدي الناس. ولخصها ابن سينا في كتاب الشفاء

العلم بعده.

ولنقدم هنا مقدمة يتبين منها حقيقة السحر، وذلك أن النفوس البشرية وإن كانت واحدة بال النوع فهي مختلفة بالخصوص وهي أصناف كل صنف متخصص بخاصية واحدة بال النوع لا توجد في الصنف الآخر. وصارت تلك الخواص فطرة وجبلة لصفتها، ففروس الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لها خاصية تستعد بها للإسلام من الروحانية البشرية إلى الروحانية الملكية حتى يصير ملكاً في تلك اللحمة التي اسلخت فيها، وهذا هو معنى الرحمي كما مر في موضعه، وهي في تلك الحالة محل للمعرفة الربانية ومخاطبة الملائكة عليهم السلام عن الله سبحانه وتعالى كما مر. وما يتبع ذلك من التأثير في الأشكان ونفوس السحرة لها خاصية التأثير في الأشكان واستجلاب روحانية الكواكب للتصرف فيها والتأثير بقية ننسانية أو شيطانية. فاما تأثير الأنبياء فمدد إلهي وخاصية ربانية، ونفوس الكهنة لها خاصية الاطلاع على الغيبات بقوى شيطانية. وهكذا كل صنف متخصص بخاصية لا توجد في الآخر.

والفروس الساحرة على مراتب ثلاثة يأتي شرحها:  
فأوله المؤثرة بالهمة فقط من غير الله ولا معين، وهذا هو الذي تسميه الفلاسفة السحر.

والثاني: معين من مزاج الأفلاك أو العناصر أو خواص الأعداد، ويسمونه الطلسمات وهو أضعف رتبة من الأول.

والثالث: تأثير في القرى المتخيلة. يعمد صاحب هذا التأثير إلى القرى المتخيلة فيتصرف فيها بنوع من التصرف ويلقى فيها أنواعاً من الخيالات والمحاكاة وصوراً مما يقصده من ذلك ثم يتزلفا إلى الحس من الرائيين بقدرة نفسه المؤثرة فيه، فينظرونها الراؤون كأنها في الخارج وليس هناك شيء من ذلك، كما يمكن عن بعضهم أنه يرى البسانين والأنهار والقصور وليس هناك شيء من ذلك ويسمي هذا عند الفلاسفة الشعرودة أو الشعيبة.

هذا تفصيل مراتبه ثم هذه الخاصية تكون في الساحر بالقوة شأن القرى البشرية كلها، وإنما تخرج إلى الفعل باليقظة، وربما يتضمن السحر كلها إنما تكون بالتجهيز إلى الأفلاك والكواكب والمعالم العلوية والشياطين بأنواع التعظيم والعبادة والخضوع والتذلل، فهي لذلك وجهة إلى غير الله وسجود له. والوجهة إلى غير الله كفر فلهذا كان السحر كفراً، والكافر من مواده وأسبابه كما رأيت.

ولهذا اختلف الفقهاء في قتل الساحر هل هو لكافره السابق على فعله أو لتصরفه بالإفساد وما ينشأ عنه من الفساد في الأشكان

والمطلوب مفروض الصدق معلومه. وكذا جاء المتأخرون من غلة التصوفة التكلمين بالواجد أيضاً فخلطوا مسائل الفنانين بهم وجعلوا الكلام واحداً فيها كلها مثل كلامهم في النبات والاتحاد والخلول والوحدة وغير ذلك. والمدارك في هذه الفنون الثلاثة متغيرة مختلفة وأبعدها من جنس الفنون والعلوم مدارك المتصوفة؛ لأنهم يدعون فيها الرجادان ويفرقون عن الدليل، والرجادان بعيد عن المدارك العلمية وأصحابها كما يبينه وينبئه. والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم والله أعلم بالصواب.

## الفصل الثامن والعشرون

### في علوم السحر والطلسمات

وهي علوم بكيفية استعدادات تقتدر النفوس البشرية بها على التأثيرات في عالم العناصر، إما بغير معين أو معين من الأمور السماوية، والأول: هو السحر، والثاني: هو الطلسمات.

وما كانت هذه العلوم مهجورة عند الشرائع لما فيها من الشرر وما يشرط فيها من الوجهة إلى غير الله من كوكب أو غيره، كانت كيتها كالملفوقة بين الناس. إلا ما وجد في كتب الأمم الأقدمين فيما قبل نبوة موسى عليه السلام مثل النبط والكلدانين، فإن جميع من تقدسه من الأنبياء لم يشرعوا الشرائع ولا جاؤوا بالأحكام إنما كانت كتبهم مواعظ وتوحيداً لله وتذكيراً بالجنة والنار، وكانت هذه العلوم في أهل بابل من السريانيين والكلدانين وفي أهل مصر من القبط وغيرهم. وكان لهم فيها التأكيد والآثار ولم يترجم لنا من كتبهم فيها إلا القليل مثل الفلاحة البطية لابن وحشية من أوضاع أهل بابل فأخذ الناس منها هذا العلم ونتفروا فيه، ووُضعت بعد ذلك الأوضاع مثل مصاحف الكواكب السبعة وكتاب طمطم الهندي في صور الدرج والكواكب وغيرها.

ثم ظهر بالشرق جابر بن حيان كبير السحرة في هذه الملة، فتصفح كتب القوم واستخرج الصناعة وغاص في زبدتها واستخرجها ووضع فيها عدة من التأكيد وأكثر الكلام فيها وفي صناعة السيماء، لأنها من توابعها ولأن إحالة الأجسام النوعية من صورة إلى أخرى إنما يكون بالقدرة النفسية لا بالصناعة العملية، فهو من قبيل السحر كما نذكره في موضعه.

ثم جاء مسلمة بن أحمد الجرجي إمام أهل الأندلس في التعاليم والمحاجيات، فلخص جميع تلك الكتب وهنها وجمع طرقها في كتابه الذي سماه غالباً الحكيم ولم يكتب أحد في هذا

والكل حاصل منه. ولما كانت المرتبان الأوليان من السحر لها حقيقة في الخارج والمرتبة الأخيرة الثالثة لا حقيقة لها اختلف العلماء في السحر هل هو حقيقة، أو إنما هو تخيل؟ فالقائلون بأن له حقيقة نظروا إلى المرتبين الأوليين، والقائلون بأن لا حقيقة له نظروا إلى المرتبة الثالثة الأخيرة. فليس بينهم اختلاف في نفس الأمر، بل إنما جاء من قبل اشتباه هذه المراتب والله أعلم.

واعلم أن وجود السحر لا مرية فيه بين العقلاة من أجل التأثير الذي ذكرناه وقد نطق به القرآن. قال الله تعالى: **(وَتَكَبَّنَ الْشَّيَاطِينُ كَفَرُوا يَعْلَمُونَ النَّاسَ السُّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكِينَ بِيَابِلٍ هَارِبُوتْ وَمَارُوتْ وَمَا يَعْلَمُانَ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا تَحْسَنَ فَتَتَّهَ فَلَا تَكْفُرُ يَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرَّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءَ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِمَا أَخْدُوا إِلَّا يَذَّمِنُ اللَّهُ)**.

و Encyclopedia Britannica أشارت إلى أن السحر في الإسلام هو فعل إرتكابه بغير إذن، وهو فعل غير شرعي، ويجب العقوبة عليه، وإن كان السحر مباحاً في بعض الحالات، مثل السحر المباح لغرض الخير.

وتقى أصحاب الطسلمات أن تلك الأعداد أثراً في الإلفة بين المتحابين واجتمعهما إذا وضع لها عثاثان أحدهما بطاع الزهرة وهي في بيتها أو شرفها ناظرة إلى القمر نظر مودة وقبول، ويجعل طالع الثاني ساقط الأول ويوضع على أحد التمثالين أحد العددان والأخر على الآخر. ويقصد بالأكثر الذي يراد اتلافه إنما المحبوب ما أدرى الأكثر كمية أو الأكثر أجزاء، فيكون لذلك من التأثير العظيم بين المتحابين ما لا يكاد ينفك أحدهما عن الآخر. قاله صاحب الغاية وغيره من أئمة هذا الشأن وشهدت له التجربة.

وكذا طاب الأسد ويسى أيضاً طاب الحصى وهو أن يرسم في قالب هند إصبع صورة أسد شائلاً ذنبه عاصياً على حصانة قد قسمها بتصفين وبين يديه صورة حية مناسبة من رجليه إلى قبالة وجهه فاغرفة نافها إلى فيه وعلى ظهره صورة عقرب تدب. وتحين برسمه حلول الشمس بالوجه الأول أو الثالث من الأسد بشرط صلاح التينين وسلماتهم من النحوين. فإذا وجد ذلك وثر عليه طبع في ذلك الوقت في مقدار المثقال فما دونه من الذهب وغمض بعد في الزغفران محلولاً بماء الورد ورفع في خرقة حرير صفراً، فإنهم يزعمون أن لم يمسكه من العز على المسلمين في مباشرتهم وخدمتهم وتسخيرهم له ما لا يعبر عنه. وكذلك للسلطان فيمن القوة والعزم على من تحت أيديهم. ذكر ذلك للشريفة، ويرفع في خرقة حرير صفراً بعد أن يغمس في الطيب. فزعموا أن له أثراً في صحابة الملوك وخدمتهم ومعاشرتهم. وأمثال ذلك كثير.

وفي «الصحيح» أن رسول الله ﷺ سحر، حتى كان يخبل إليه أنه يفعله وجعل سحره في مشط ومشaque وجف طلة ودفع في بثر ذروان، فأنزل الله عز وجل عليه في المودتين: **(وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ) قالت عائشة رضي الله عنها: فكان لا يقرأ على عقدة من تلك العقد التي سحر فيها إلا اخللت.**

وأما وجود السحر في أهل بابل وهم الكلدانيون من البيط والسريانين فكثير ونطقت به القرآن وجاءت به الأخبار، وكان للسحر في بابل ومصر أزمان بعثة موسى عليه السلام أسوأ ناقفة. ولهذا كانت معجزة موسى من جنس ما يدعون ويتنازعون فيه وبقي من آثار ذلك في البرابي بصعيد مصر شواهد دالة على ذلك، ورأينا بالعين من يصور صورة الشخص المسحور بخواص أشياء مقابلة لـأناوه وحاوله موجودة بالمسحور، وأمثال ذلك المعاني من أسماء وصفات في التأليف والتفرقة. ثم يتكلم على تلك الصورة التي أقامها مقام الشخص المسحور علينا أو معنى شم ينفتح من ريقه بعد اجتماعه في فيه بتكرير مخارج تلك الحروف من الكلام السوء، ويعقد على ذلك المعنى في سبب أعده لذلك تقليلاً بالعقد واللزام وأخذ العهد على من أشرك به من الجن في نفسه في فعله ذلك استشعاراً للعزيمة بالعزم. وتلك البنية والأسماء السببية روح خبيثة تخرج منه مع النفح متعلقة برقه الخارج من فيه بالفتن فتنزل عنها أرواح خبيثة وقع عن ذلك بالمسحور ما يحاوله الساحر.

وشاهدنا أيضاً من المتحابين للسحر وعمله من يشير إلى كساء أو جلد ويتكلم عليه في سره فإذا هو مقطوع متخرق. ويشير إلى بطون الغنم كذلك في مراعيها بالبعض، فإذا أمعاها ساقطة من بطونها إلى الأرض. وسمعنا أن بأرض الهند لهذا العهد من يشير

وأما التفرقة عندهم بين السحر والطلسمات فهو أن السحر لا يحتاج الساحر فيه إلى معين، وصاحب الطلسمات يستعين بروحانيات الكراكب وأسرار الأعداد وخواص المروجودات وأوضاع الفلك المؤثرة في عالم العناصر كما يقرره المنجمون ويقولون: السحر اخحاد روح بروح، والطلسم اخحاد روح بجسم ومعناه عندهم ربط الطبائع العلوية السماوية بالطبائع السفلية، والطبائع العلوية هي روحانيات الكراكب؛ لذلك يستعين صاحبه في غالب الأمر بالجامعة. والساخر عندهم غير مكتسب لسحره بل هو مفطور عندهم على تلك الجلبة المختصة بذلك النوع من التأثير.

والفرق عندهم بين المعجزة والسحر أن المعجزة قوة إلهية تبعث في النفس ذلك التأثير فهو مؤيد بروح الله على فعله ذلك. والساخر إنما يفعل ذلك من عند نفسه وبقوته النفسانية وبإمداد الشياطين في بعض الأحوال، فيماهما الفرق في المعقولة والحقيقة والذات في نفس الأمر، وإنما تستدل نحن على التفرقة بالعلماء الظاهرة وهي وجود المعجزة لصاحب الخير وفي مقاصد الخير وللنفوس المتخصصة للخير والتحدي بها على دعوى النبوة. والساخر إنما يوجد لصاحب الشر، وفي أفعال الشر في الغالب من التفريق بين الزوجين وضرر الأعداء وأمثال ذلك. وللنفوس المتخصصة للشر. هذا هو الفرق بينهما عند الحكماء الإلهيين.

وقد يوجد بعض المتصورة وأصحاب الكرامات تأثير أيضاً في أحوال العالم وليس معدوداً من جنس السحر، وإنما هو بالإمداد الإلهي، لأن طريقتهم وخلتهم من آثار النبوة وتتابعها وفهم في المدد الإلهي حظ عظيم على قدر حالمهم وإيمانهم وغموكهم بكلمة الله، وإذا اقتدر أحد منهم على أعمال الشر فلا يائتها؛ لأنه متقيد فيما يائتها وينذره للأمر الإلهي. فما لا يقع لهم فيه إلا إذن لا يأتونه بوجه ومن آثاره منهم فقد عدل عن طريق الحق ورموا سلب حالة. ولما كانت المعجزة بإمداد روح الله والقوى الإلهية؛ فلذلك لا يعارضها شيء من السحر.

وانظر شأن سحرة فرعون مع موسى في معجزة العصا كيف تلتفت ما كانوا يأنكون وذهب سحرهم واضح محل كان لم يكن. وكذلك لما أنزل على النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه في المعرذتين ومن شر النفات في العقد. قالت عاشة رضي الله عنها: فكان لا يقرؤها على عقدة من العقد التي سحر فيها إلا أخلت. فالسحر لا يثبت مع اسم الله وذكره بالشدة الإلهية؛ وقد نقل المؤرخون أن زركش كارياني وهي راية كسرى كان فيها الرفق المثيري العددي منسوجاً بالذهب في أوضاع فلكية رصدت لذلك الرفق. ووُجدت الراية

وكتاب الغایة لسلمة بن أحمد المجريطي هو مدونة هذه الصناعة وفيه استيفاؤها وكمال مسائلها وذكر لنا: أن الإمام الفخر بن الحظيب وضع كتاباً في ذلك وسماه بالسر المكتوم وأنه بالشرق يتناوله أهلها ونحن لم نقف عليه. والإمام لم يكن من أئمة الشافعية فيما نظن ولعل الأمر مختلف ذلك. وبالغرب صنف من مؤلّاه المتخلين بهذه الأعمال السحرية يعرفون بالبعاجين وهم الذين ذكرت أولاً أنهم يشيرون إلى الكساد أو الجلد فيتخرق، ويشيرون إلى بطون الغنم بالبعج تتبع. وسيأتي لهم لهذا العهد باسم البعاج؛ لأن أكثر ما يتخلل من السحر بعد الأعوام يرهب بذلك أهلها ليطره من فضلها وهم مستترون بذلك في الغایة خوفاً على أنفسهم من الحكماء، لقيت منهم جماعة وشاهدت من أفعالهم هذه بذلك، وأخبروني أن لهم وجهة ورياضة خاصة بدعوات كفرية وإشراك لروحانية الجن والكراكب، سطرت فيها صحيحة عنهم تسمى الخزيرية يتدارسونها، وأن بهذه الرياضة والوجهة يصلون إلى حصول هذه الأفعال لهم، وأن التأثير الذي لهم إنما هو فيما سوى الإنسان آخر من المتع والحيوان والرقيق ويعبرون عن ذلك بقولهم: إنما نفعل فيما يمشي فيه الدرهم، أي ما يملك وبساع ويشترى من سائر الممتلكات؛ وهذا ما زعموه. وسألت بعضهم فأخربني به، وأما أفعالهم فظاهرة موجودة وفتنا على الكثير منها وعاليتها من غير ريبة في ذلك.

هذا شأن السحر والطلسمات وأثارهما في العالم، فاما الفلسفه ففرقوا بين السحر والطلسمات بعد أن أثبتوا أنها جميعاً آثر للنفس الإنسانية واستدلوا على وجود الأثر للنفس الإنسانية بأن لها آثاراً في بدنها على غير المجرى الطبيعي وأسبابه الجسمانية بل آثار عارضة من كيفيات الأرواح تارة كالسخونة الحادثة عن الفرح والسرور، ومن جهة النصوات النفسانية أخرى، كالذى يقع من قبل التوهם. فإن الماشي على حرف الحاطن أو جبل متتصب إذا قرئ عنه توهם السقوط سقط بلا شك. وهذا تحدى كثيراً من الناس يعودون أنفسهم ذلك بالدرية عليه حتى يذهبون عنهم هذا الوهم، فتجدهم يمشون على حرف الحاطن والمجلب المتتصب ولا يخافون السقوط.

فثبت أن ذلك من آثار النفس الإنسانية وتصورها للسقوط من أجل الوهم. وإذا كان ذلك آثراً للنفس في بدنها من غير الأسباب الجسمانية الطبيعية، فجاز أن يكون لها مثل هذا الأثر في غير بدنها إذ نسبتها إلى الأبدان في ذلك النوع من التأثير واحدة، لأنها غير حالة في البدن ولا منطبعة فيه، فثبت أنها مؤثرة في سائر الأجسام.

التأثيرات الفسائية أن صدوره فطري جلي لا يختلف ولا يرجع اختيار صاحبه ولا يكتسبه. وسائر التأثيرات وإن كان منها ما لا يكتسب فصدورها راجع إلى اختيار فاعلها والنظرى منها قوة صدورها لا نفس صدورها وهذا قالوا: القائل بالسحر أو بالكرامة يقتل، والقاتل بالعين لا يقتل، وما ذلك إلا لأنه ليس مما يربده ويقصده أو يتركه وإنما هو مجبور في صدوره عنه. والله أعلم بما في النبوب ومطلع على ما في السرائر.

## الفصل التاسع والعشرون

### علم أسرار الحروف

وهو المسمى لهذا العهد بالسيميا. نقل وضعه من الظلامات إليه في اصطلاح أهل التصرف من المتصوفة، فاستعمل استعمال العام في الخاص. وحدث هذا العلم في الملة بعد صدر منها، وعند ظهور الغلاة من المتصوفة وجذورهم إلى كشف حجاب الحسن، وظهور الخوارق على أيديهم والنصرفات في عالم العناصر، وتدوين الكتب والاصطلاحات، ومزاعمهم في تنزيل الوجود عن الواحد وتربيته. وزعموا أن الكمال الأسماي مظاهره أرواح الأفلاك والكواكب، وأن طبائع الحروف وأسرارها سارية في الأسماء، فهي سارية في الأشكان على هذا النظام، والأكوان من لدن الإبداع الأول تنتقل في أطواره وتتعرّب عن أسراره، فحدث لذلك علم أسرار الحروف، وهو من تفاريق علم السيميا لا يوقف على موضوعه ولا يخاطب بالعدد مسائله. تعددت فيه تأكيف البوني وابن العربي وغيرهما من أئمّة آثارهما. وحصله عندهم وثمرته تصرف التفوس الربانية في عالم الطبيعة بالأسماء الحسنى والكلمات الإلهية الناشئة عن الحروف الخيطية بالأسرار السارية في الأكوان.

ثم اختلفوا في سر التصرف الذي في الحروف بما هو: فعنهم من جعله للمزاج الذي فيه، وقسم الحروف بقسمة الطبائع إلى أربعة أصناف كما للعناصر. واحتضنت كل طبيعة بصنف من الحروف يقع التصرف في طبيعتها فعلاً وانفعالاً بذلك الصنف، فتنوعت الحروف بقانون صناعي يسمونه التكسير إلى ناريه وهوائية ومامية وترابية على حسب توسيع العناصر، فالآلف للنار والباء للهواء والجيم للماء والدال للتراب. ثم ترجع كذلك على التراكم من الحروف والعناصر إلى أن تتفقد. فتعين لعنصر النار حروف سبعة: الألف والماء والطاء والميم والفاء والسين والدال،

يوم قتل رستم بالقادسية واقعة على الأرض بعد انهزام أهل فارس وشنائهم.

وهو فيما يزعم أهل الظلامات والأوقاف مخصوص بالغلب في الحروب، وأن الرأبة التي يكون فيها أو معها لا تهزم أصلاً. إلا أن هذه عارضها المدد الإلهي من إيجان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعكسهم بكلمة الله، فانخل معها كل عقد سحري ولم يثبت وبطل ما كانوا يعملون.

وأما الشريعة فلم تفرق بين السحر والظلامات والشعبنة وجعلته كله باباً واحداً محظورةً. لأن الأفعال إنما أباح لها الشارع منها ما يهمنا في ديننا الذي فيه صلاح آخرنا أو في معاشنا الذي فيه صلاح دنيانا، وما لا يهمنا في شيء منها، فإن كان فيه ضرر أو نوع ضرر كالسحر الخاصل ضرره بالواقع ويلحق به الظلامات؛ لأن أثرهما واحد وكالنجامة التي فيها نوع ضرر باعتماد التأثير فتفسد العقيدة الإيمانية برد الأمور إلى غير الله فيكون حيثذاك الفعل محظورة على نسبة في الضرر. وإن لم يكن مهما علينا ولا فيه ضرر فلا أقل من تركه قربة إلى الله فإن من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه. فجعلت الشريعة بباب السحر والظلامات والشعبنة باباً واحداً لما فيها من الضرر وخصلة بالحظر والتحريم.

وأما الفرق عندهم بين المعجزة والسحر، فالذى ذكره المتكلمون أنه راجع إلى التحدى وهو دعوى وقوعها على وفق ما أدعاه. قالوا: والساحر مصروف عن مثل هذا التحدى فلا يقع منه. ووقوع المعجزة على وفق دعوى الكاذب غير مقدور؛ لأن دلالة المعجزة على الصدق عقلية، لأن صفة نفسها التصديق، فلو وقعت مع الكذب لاستحال الصادق كاذباً وهو محال، فإذاً لا تقع المعجزة مع الكاذب بإطلاق.

وأما الحكماء فالفرق بينهما عندهم كما ذكرناه فرق ما بين الخير والشر في نهاية الطرفين. فالساحر لا يصدر منه الخير ولا يستعمل في أسباب الخير، وصاحب المعجزة لا يصدر منه الشر ولا يستعمل في أسباب الشر، وكائنهما على طرف التقى في أصل فطرتهما. والله يهدي من يشاء وهو القوي العزيز لا رب سواه.

ومن قبيل هذه التأثيرات الفسائية الإصابة بالعين وهو تأثير من نفس المعيان عندما يستحسن بعينه مدركاً من الذوات أو الأحوال ويفرط في استحسانه ويشأ عن ذلك الاستحسان حسد يروم معه سلب ذلك الشيء ومن اتصف به فيؤثر فساده. وهو جبلة فطرية، أعني هذه الإصابة بالعين. والفرق بينها وبين

بالإحالة، ولذلك يقلدون موضوع الكيماء جسد في جسده؛ لأن الإكابر أجزاءه كلها جسدانية. ويقلدون: موضوع الطلسم روح في جسد لأنه ربط الطبائع العلوية بالطبائع السفلية، والطبائع السفلية جسد والطبائع العلوية روحانية.

وتحقيق الفرق بين تصرف أهل الطلسمات وأهل الأسماء، بعد أن تعلم أن التصرف في عالم الطبيعة كله إنما هو للنفس الإنسانية والمهم البشرية أن النفس الإنسانية محطة بالطبيعة وحاكمة عليها بالذات، إلا أن تصرف أهل الطلسمات إنما هو في استنزل روحانية الأفلاك وربطها بالصور أو بالنسب العددية، حتى يحصل من ذلك نوع مزاج يفعل الإحالة والقلب بطبيعته، فعل الخمرة فيما حصلت فيه. وتصرف أصحاب الأسماء إنما هو بما حصل لهم بالمجاهدة والكشف من النور الإلهي والإمداد الرباني، فيسخر الطبيعة لذلك طائعة غير مستعصية، ولا يحتاج إلى مدد من القوى الفلكية ولا غيرها، لأن مدد أعلى منها.

ويحتاج أهل الطرسمات إلى قليل من الرياضة تفيد النفس قوة على استنزل روحانية الأفلاك. وأهون بها وجهة ورياضة. بخلاف أهل الأسماء فإن رياضتهم هي الرياضة الكبرى، وليس لقصد التصرف في الأكونان إذ هو حجاب. وإنما التصرف حاصل لهم بالعرض، كرامة من كرامات الله لهم. فإن خلا صاحب الأسماء عن معرفة أسرار الله وحقائق الملوك، الذي هو نتيجة المشاهدة والكشف، واقتصر على مناسبات الأسماء وطبائع الحروف والكلمات. وتصرف بها من هذه الحية وهو لا يهم أهل السياسية في المشهور كان إذا لا فرق بينه وبين صاحب الطرسمات، بل صاحب الطرسمات أولئك منه لأنه يرجع إلى أصول طبيعة علمية وقوانين مرتبة. وأما صاحب أسرار الأسماء إذا فاته الكشف الذي يطلع به على حقائق الكلمات وأثار المناسبات بقوات الخلوص في الرجهة، وليس له في العلوم الاصطلاحية قانون برهاني يعول عليه يكون حاله أضعف رتبة. وقد يمزج صاحب الأسماء قوى الكلمات والأسماء بقوى الكواكب، فيعين لذكر الأسماء الحسني، أو ما يرسم من أوقافها، بل ولسائر الأسماء أوقافاً تكون من حظوظ الكواكب الذي يناسب ذلك الاسم، كما فعله البوسي في كتابه الذي سماه الأنطاط. وهذه المناسبة عندهم هي من لدن الحضرة العماية. وهي بروزخية الكمال الأسمائي. وإنما تنزل تفصيلها في الحقائق على ما هي عليه من المناسبة. وإنبات هذه المناسبة عندهم إنما هو بحكم المشاهدة. فإذا خلا صاحب الأسماء عن تلك المشاهدة، وتلقى تلك المناسبة تقليداً، كان عمله بمثابة عمل صاحب الطرسم، بل هوأوثق منه

وتعين لعنصر الهواء سبعة أيضاً: الباء والواو والياء والنون والضاد والباء والظاء، وتعين لعنصر الماء أيضاً سبعة: الجيم والزاي والكاف والصاد والقاف والياء والغين، وتعين لعنصر الزراب أيضاً سبعة: الدال والخاء واللام والعين والراء والخاء والشين.

والحروف النارية لدفع الأمراض الباردة ولضاغفة قوة الحرارة حيث تطلب مضاعفتها، إما حساً أو حكمـاً. كما في تصعيف قوى المريض في الحروب والقتل والفتـك. والمائية أيضاً لدفع الأمراض الحارة من حـيات وغيرها ولتضـعيف القوى الباردة حيث تطلب مضاعفتها حـساً أو حـكمـاً، كـتضـعيف قوى القمر وأمثال ذلك.

ومنهم من جعل سر التصرف الذي في الحروف للسبة العددية: فإن حروف أجدد دالة على أعدادها المعاشرة وضـعاً وطبعـاً فيها من أجل تـناسب الأعداد تـناسب في نفسها أيضاً، كما بين الباء والكاف والراء للدلـالـتها كلـها على الـاثـين كلـ في مرتبـته، فالباء على الـاثـين في مرتبـة الأـحادـ، والـكافـ على الـاثـين في مرتبـة العـشرـاتـ، والـراءـ على الـاثـينـ في مرتبـةـ الـشـينـ. وكـالـذـيـ بيـنـهاـ وـبـيـنـ الدـالـ وـالـمـيمـ وـالـيـاءـ لـدـلـالـتهاـ عـلـىـ الـأـرـبـعـةـ، وـبـيـنـ الـأـرـبـعـةـ وـالـاثـينـ نـسـبةـ الـضـعـفـ. وـخـرـجـ لـلـأـسـمـاءـ أـوـفـاقـ كـمـاـ لـلـأـعـدـادـ مـنـخـصـ كـلـ صـنـفـ منـ الـحـرـوفـ بـصـنـفـ منـ الـأـوـفـاقـ الـذـيـ يـنـاسـبـ مـنـ حـيـثـ عـدـدـ الشـكـلـ أوـعـدـدـ الـحـرـوفـ، وـأـمـتـرـجـ التـصـرـفـ مـنـ الـسـرـ الـحـرـفـيـ وـالـسـرـ الـعـدـديـ لـأـجـلـ التـنـاسـبـ الـذـيـ يـبـهـمـاـ.

فاما سر التـنـاسـبـ الـذـيـ بيـنـ هـذـهـ الـحـرـوفـ وـأـمـزـجـةـ الـطـبـائـعـ، أوـ بيـنـ الـحـرـوفـ وـالـأـعـدـادـ، فـأـمـرـ عـسـيرـ عـلـىـ الـفـهـمـ، إـذـ لـيـسـ مـنـ قـبـيلـ الـعـلـمـ وـالـقـيـاسـ، إـلـاـ مـسـتـدـلـهـ فـيـ الذـوقـ وـالـكـشـفـ. قال الـبـوـنـيـ: وـلـاـ تـظـنـ أـنـ سـرـ الـحـرـوفـ مـاـ يـتـوـصـلـ إـلـيـهـ بـالـقـيـاسـ الـعـقـليـ، إـلـاـ هـوـ بـطـرـيقـ الـمـاشـاهـدـةـ وـالـتـرـفـقـ الـإـلهـيـ.

وـأـمـاـ التـصـرـفـ فيـ عـالـمـ الطـبـائـعـ بـهـذـهـ الـحـرـوفـ وـالـأـسـمـاءـ الـمـرـكـبةـ فـيـهاـ وـتـأـثـرـ الـأـكـوـانـ عـنـ ذـلـكـ فـأـمـرـ لـاـ يـنـكـرـ لـثـبـوتـهـ عـنـ كـثـيرـ مـنـهـ تـوـاتـرـاـ، وـقـدـ يـظـنـ أـنـ تـصـرـفـ هـوـلـاءـ وـتـصـرـفـ اـصـحـابـ الـطـلـسـمـ وـاحـدـ، وـلـيـسـ كـذـلـكـ، فـإـنـ حـقـيـقـةـ الـطـلـسـمـ وـتـأـثـرـهـ عـلـىـ مـاـ حـقـقـهـ أـهـلـهـ أـنـ قـوىـ روـحـانـيـةـ مـنـ جـوـهـرـ الـقـهـرـ، تـفـعـلـ فـيـمـاـ رـكـبـ فـلـعـةـ وـقـهـرـ. باـسـرـارـ فـلـكـيـةـ وـسـبـعـدـدـيـةـ وـمـخـورـاتـ جـالـبـاتـ لـرـوـحـانـيـةـ ذـلـكـ الـطـلـسـمـ، مـشـدـدـوـدـ فـيـهـ بـالـحـمـةـ، فـائـدـهـاـ وـبـطـ الـطـبـائـعـ الـعـلـوـيـةـ بـالـطـبـائـعـ السـفـلـيـةـ، وـهـوـ عـنـدـهـ كـالـخـمـرـةـ الـمـرـكـبةـ مـنـ هـوـائـيـةـ وـأـرـضـيـةـ وـمـائـيـةـ وـنـارـيـةـ حـاـصـلـةـ فـيـ جـلـهـاـ، تـحـيلـ وـتـصـرـفـ مـاـ حـصـلـتـ فـيـهـ إـلـيـ ذـاتـهـاـ وـتـقـلـبـهـ إـلـيـ صـورـتـهاـ. وـكـذـلـكـ الإـكـابرـ لـلـأـجـسـامـ الـمـعـدـنـيـةـ كـالـخـمـرـةـ تـقـلـبـ المـعـدـنـ الـذـيـ تـسـرـيـ فـيـهـ إـلـيـ نـسـهـاـ

وفي عالم الأمر تراه عجقاً وهذا مقام من بالأذكار كملاً فهذا سرائر عليكم بكتها أنها دوائر وللحاء عدلاً فطاء لها عرش وفيظ نقوشاً بنظم ونشر قد تراه مجدولاً ونسب دوائر كتبة فلكها ورسم كواكب لأدرجها العلا وأخرج لأوتار ورسم حروفها وكور بمثله على حد من خلاً أقم شكل زيرهم وسر بيته وحقن بهامهم ونورهم جلاً وحصل علوماً للطبع مهندساً وعلماً لموسيقى والأرباع مثلاً وسو لموسيقى وعلم بآلات فحقق وحصل على قيامات الكواكب السبعة، ثم وقفت على الغالية، وتصفحت

وسائل دوائرها ونسب حروفها وعلماً اطلق والإلتيم جدولها أمير لشافعه نهاية دوله زناتية آيت وحكم لها خلاً وقطر لأندلس فابن طورهم وجاه بنو نصر وظفرهم تلاً ملوك وفرسان وأهل الحكمة فإن شئت نصبهم وقطفهم حلاً ومهدى توحيد بتونس حكمهم ملوك وبالشرق بالأوفاق نزلاً واقسم على القطر وكن متفقناً فإن شئت للروم فالحر شكلاً ففنش وبرشنون الراء حرفهم وإفرنسهم دال وبالطاء كملاً ملوك كنادة دلوا لفافهم وإعراب قومنا بترقى أعلاً فنهذ جاشي وستد فهرمس وفرس ططاري وما بعدهم طلاً فقيصرهم جاء ويزدجردهم لكاف وقبطيهم بلامه طولاً وعباس كلامهم شريف معظم ولكن تركي بما الفعل عطلاً فإن شئت تدقق الملوك وكلهم فتحن بيوتاً ثم نسب وجدولاً على حكم قانون المزروع وعلمها وعلم طبائعها وكله مثلاً فمن علم العلوم تعلم علينا ويعلم أسرار الوجود وأكملنا فيرسخ علمه ويعرف ربه وعلم ملاحيم محاميم فصلاً وحيث آتي اسم والعروض يشقه تحكم الحكيم فيه قطعاً ليقتلاً وتسأليك أحرف فسو لفريها وأحرف سبيوه تائيك فيصلها فمكِن بتكيير وقابل وعرضن بتزييمك الشالي للأجزاء خلخلاً وفي العقد والجزور يعرف غالباً وزد لمح وصفه في العقل فعلاً واختزل لطلع وسوه رتبة واعكس بمنزبه وبالدور عدلاً؟ ويدركها المرء فيلخ قصده وتعطي حروفها وفي نظمها الجلا إذا كان سعد والكواكب أسدت فحسبك في الملك ونبيل اسمه العلا وإيقاع دالهم برموز ثمة فنسب دنادينا مجده فيه منهلاً وأوتار زيرهم فللحساء بهم ومتناهم المثلث بحيمه قد جلاً وادخل بالفلاك وعدل بجدول ورسم أباجاد وباقه جلاً وجوز شذوذ النو تجري ومثله آتي في عروض الشعر عن جلة ملاً فاصل لديتنا واصل لفقهنا وعلم لنجونا فحافظ وحصل فادخل لفسطاط على الوقت جذرها وسبح باسمه وكبر وهلاً فتخرج آياتاً وفي كل مطلب بنظم طبيعي وسر من العلا وتنهى بمحضرها كذا حكم عدم فلم الغواتيح ترى فيه منهلاً

كما قلناه. وكذلك قد يمزج أيضاً صاحب الظلسمات عمله وقوى كواكب بقوى الدعوات المؤلفة من الكلمات المخصوصة لمناسبة بين الكلمات والكواكب، إلا أن مناسبة الكلمات عندهم ليست كما هي عند أصحاب الأسماء من الاطلاع في حال المشاهدة، وإنما يرجع إلى ما اقتضته أصول طريقتهم السحرية. من اقسام الكواكب جمجمة ما في عالم المكونات، من جواهر وأعراض وذوات ومعان، والمحروف والأسماء من جملة ما فيه.

فلكل واحد من الكواكب قسم منها يخصه، وبينون على ذلك مبني غريبة منكرة من تقسيم سور القرآن وآيه على هذا النحو، كما فعله مسلمة المجريطي في الغاية. والظاهر من حال البوني في أحاديثه أنه اعتبر طريقتهم. فإن تلك الأحاديث إذا تصفحتها، وتصفحت الدعوات التي تضمنتها، وتقسيمها على ساعات الكواكب السبعة، ثم وقفت على الغالية، وتصفحت

قيامات الكواكب التي فيها، وهي الدعوات التي تختص بكل كوكب، ويسمونها قيامات الكواكب، أي الدعوة التي يقام له بها، شهد له ذلك: إما بأنه من مادتها، أو بأن التناسب الذي كان في أصل الإبداع ويرزخ العلم قضى بذلك كله. **«وَمَا أُوتِيْشُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا»**. وليس كل ما حرمه الشارع من العلوم منكر الثبوت، فقد ثبت أن السحر حق مع حظره. لكن حسبنا من العلم ما علمنا.

ومن فروع علم السيمياه عندهم استخراج الأجوبة من الأسئلة، بارتباطات بين الكلمات حرفيه، يوهمون أنها أصل في معرفة ما يحاولون علمه من الكائنات الاستقبلية، وإنما هي شبه المعاية والسائلة. ولهن في ذلك كلام كثير من أدعية وأوراد، وأعجبه زايرجه العالم للنبي وقد تقدم ذكرها. ونبين هنا ما ذكره في كيفية العمل بتلك الزايرحة بدائرتها وجدوها المكتوب حولها، ثم تكشف عن الحق فيها وأنها ليست من الغيب. وإنما هي مطابقة بين مسألة وجوابها في الإفاده فقط، وقد أشرنا إلى ذلك من قبل. وليس عندنا رواية يحول عليها في صحة هذه القصيدة، إلا أنها تحررنا أصح النسخ منها في ظاهر الأمر. والله الموفق بمنه. وهي هذه:

يقول سبيبي وعمدريه مصل على هاد إلى الناس أرسله عمد المعروث خاتم الأنبياء ويرضى عن الصحب ومن لم تم تلاه هذه زايرحة العالم الذي تراه محكم وبالعقل قد حلا فمن حكم الوضع فيحكم جسمه ويدرك أحكاماً تثيرها العلا ومن حكم الريط فيدرك قرءة ويدرك للتفويلى ولكل حصل ومن حكم التصريف يحكم سره ويعقل نفسه وصح له السلا

الواجب التام في الاتصالات  
إقامة الأنوار  
الجزر الجيد في العمل  
إقامة السوال عن الملوك  
مقام الأول نوره ي مقام بها ٥ حج لا

### الانفعال الروحاني والا نقیاد الرباني:

أيا طالب السر لتهليل ربه لدى أسمائه الحسنى تصادف منها  
تطييك أخبار الأنعام بقلبيه كذلك رسهم وفي الشمس أعملها  
ترى عامه الناس إليك تقدوا وما قلته حقا وفي الغير أهلا  
طريقك هذا السبيل والسبيل الذي أقوله غيركم ونصركموا أجلى  
إذا شئت تحيا في الوجود مع التقى ودينما ميتنا أو تكون متوصلا  
كنى النون والجنيد مع سر صنعة وفي سر بسطام أراك مسريلا  
وفي العالم العلوى تكون عدنا كثنا قالت الهند وصوفية الملا  
طريق رسول الله بالحق ساطع وما حكم صنع مثل جبريل انزا  
فتشنك تهليل وقوسك مطلع يوم الخميس الده والأحد الجلى  
وفي جمعة ايسضا بالأسماء مثله وفي اثنين للحسنى تكون مكملا  
وفي طائے سرف هائے إذا أراك بها مع نسبة الكل أعظملا  
واسعة سعد شرطهم في تقرشها وعود ومضطركى تجور تحصلا  
وتتلر عليها آخر الحشر دعوة والإخلاص والسبعين الثاني مرتلا  
(اتصال أنسوار الكواكب) بلسانى لامي لا ظغ لدعس فصح سف  
وفي يدك اليمنى حديد وخاتم وكل برأسك وفي دعوة فلا  
واية حشر فاجعل القلب وجهها واتلسو إذا نام الأنعام ورتلا  
هي السر في الأكون لا شيء غيرها هي الآية العظمى فحقق وحصل  
تكون بها قطبها إذا جدت خدمة وتدرك أسرارا من العالم الملا  
سري بها ناجي ومعرفت قبله وساح بها الحالج جهرا فاعلما  
وكان بها الشبل يسأب دائمًا إلى أن رقى فرق المريدين واعتلى  
صف من الأدنساس قلبك جاهدا ولازم لأذكار وصم وتقالا  
فمانال سر القوم إلا محققت عليم بأسرار العلوم ححصل  
مقامات الجبة وميل النفوس والجماعة والطاعة والعبادة  
وحب وتعشق وفقاء الفنان وتووجه ومراقبة وخلة وأئمه:

### الانفعال الطبيعي:

لبرجين في الجبة الوفق صرفوا بقزدير أو غناس الخلط أكملوا  
وقيل بفضة صحيحا رأيته فجعلك طالعا خطوطه ما علا  
توك بـ زيادة النور للتمر وجعلك للقبول شمسه أصلها  
ويومه والبخور عود لهندهم وقت لساعه ودعورته الا  
ودعورته بغایة فھي اعملت وعن طسيمان دعوه وطا جلا

فتخرج آياتا وعشرون ضفت من الألف طبعاً في صالح جدول  
ترك صنانعا من الضرب أكملت فصح لك النوى وصح لك العلا  
وسجع بزيرهم وأثني بقدرة أقها دواشر الزير وحصل  
أقها باوناق واصل لعدها من أسرار أحفرهم فعنده سلسل  
٤٣ ك ١ ك وثح واه ع لم رلا سع كط ١ م ن ح  
ع ف ول منافرة

الكلام على استخراج نسبة الأوزان وكيفيتها ومقادير  
المقابل منها وقوة الدرجة المتميزة بالنسبة إلى موضع المعلق من  
امتزاج طبائع وعلم طب أو صناعة الكيمياء:  
أيا طالبا للطلب مع علم جابر وعلم مقدار المقادير بالولا  
إذا شئت علم الطب لابد نسبة لأحكام ميزان تصادف منها  
فيشفى عليككم والأكسير حكم وامراج وضعكم بتصحيح النجا

### الطب الروحاني:

وشت إيلوش ٥٦٥ ودهنه بعلا لبهرام برجيس وسبعة أكملوا  
لتحليل أوجاع البارود صبحوا كذلك والتراكيب حيث تنقال  
كـ منع مهم ٣٥٥ وهـ ٦ صـ حـ هـ ١١ وـ ١٠ وهـ  
وى سكره لا لـ حـ مهمـ هـ ٤٤٢ عـ مـ سـ حـ ٢٢٤٢ لـ كـ  
عاـ عـ.

### مطارات الشعاعات في مواليد الملوك وبنיהם

وعلم مطارات الشعاعات مشكل وطلع قسيها بمنطقة جلا  
ولكن في حجـ مقام إيمانا وبيدو إذا عرض الكواكب عدلا  
بدال مراكز بين طول وعرضها فمن أدرك المعنى علام فوضلا  
ما وقع تزييع وسهـ مسقط لتسديهم تلثيث بيت التي تلا  
يزداد تزييع وهذا قياسه يقيناً وجذرـ وبالعين أعمالـ  
ومن نسبة الأربعين ركب شعاعـ بصاد وضعـه وتربيـه المـجاـلا  
اختصـ صـ حـ عـ ٨ سـ وـ هـ هذا العمل هنا للملـوكـ  
والقانونـ مطرـد عملـهـ ولمـ يـرـ أـعـجـبـ منهـ.

### مقامات الملك المقام الأول ٥ المقام الثاني

عـ والمـقامـ الرابعـ للـحـ المـقامـ الخامسـ لـ ايـ المـقامـ السادسـ  
بيرـ المـقامـ السابعـ عـ

### خط الاتصال والانفصال

#### خط الاتصال

#### خط الانفصال

#### الربر للجميع وتابع الجرر التام

#### الاتصال والانفصال

**كيفية العمل في استخراج أجوبة المسائل من زايرجة العالم بحول الله منقولاً عن لقيناه من القائمين عليها**

السؤال له ثلاثة وستون جواباً عدة الدرج، وتختلف الأجوبة عن سؤال واحد في طالع مخصوص باختلاف الأسئلة المضافة إلى حروف الأوتار. وتناسب العمل من استخراج الأحرف من بيت القصيدة.

(تبيه): تركيب حروف الأوتار والجدول على ثلاثة أصول: حروف عربية تنقل على هياتها، وحروف برسم الغبار. وهذه تبدل: فمنها ما ينقل على هيته متى لم تزد الأدوار عن أربعة، فإن زادت عن أربعة نقلت إلى المرتبة الثانية من مرتبة العشرات وكذلك لمرتبة الشين على حسب العمل كما سببته، ومنها حروف برسم الزمام كذلك، غير أن رسم الزمام يعطي نسبة ثانية، فهي بمثابة واحد ألف ومتصلة عشرة، وهذا نسبة من خمسة بالعربي. فاستحق البنت من الجدول أن توضع فيه ثلاثة حروف في هذا الرسم وحرفان في الرسم، فاختصرنا من الجدول بورتاً خالية. فتى كانت أصول الأدوار زائدة على أربعة حسبت في العدد في طول الجدول وإن لم تزد على أربعة لم يحسب إلا العامر منها.

والعمل في السؤال يقتصر إلى سبعة أصول: عدة حروف الأوتار وحفظ أدوارها بعد طرحها، التي عشر التي عشر، وهي ثمانية أدوار في الكامل وستة في الناقص أبداً. ومعرفة درج الطالع وسلطان البرج، والأدور الأكبر الأصلي، وهو واحد أبداً. وما يخرج من إضافة الطالع للدور الأصلي، وما يخرج من ضرب الطالع والأدور في سلطان البرج. وإضافة سلطان البرج للطالع والعمل جيده يتبع عن ثلاثة أدوار مضروبة في أربعة، تكون التي عشر دوراً. ونسبة هذه الثلاثة الأدوار التي هي كل دور من أربعة نشأة وثلاثة، كل نشأة لها ابتداء. ثم إنها تضرب أدواراً رباعية أيضاً ثلاثة. ثم إنها من ضرب ستة في اثنين، فكان لها نشأة، يظهر ذلك في العمل. ويتيح هذه الأدوار التي عشر نتائج. وهي في الأدوار، إما أن تكون نتيجة أو أكثر إلى ستة.

فأول ذلك نفرض سؤالاً عن الزايرجة، هل هي علم قديم، أو حدث بطالع أول درجة من القوس أثناء حروف الأوتار؟ ثم حروف السؤال. ففرضنا حروف وتر رأس القوس ونظيره من رأس الجزء. وثالثه وتر رأس الدلو إلى حد المركز، وأضفنا إليه

بعض هواء أو مطابل أملاً تقتضي أحراضاً بدل ولامها وذلك وقت للمريخ حصلاً فإذا لم يكن يهوى هواك دلاماً فحسن لبانه وبائهم إذا وما زدت أنسنة لفعلمك عدلاً ونقش مشاكل بشرط لوضفهم فبورى وبسطامي بسورتها تسلاً ومقنح مریسم فعلهمها سساً وجعلك بالقصد وكن متقدماً فباطتها سر وف سرها الجلاً فصل في المقامات للنهاية:

لك الغيب صورة من العالم العلا وتجدها دار أو ملبسها الحالاً ويوسف في الحسن وهذا شيه بشر وترتيل حقيقة آنزاً وفي يده طول وفي النسب ناطق فيحكي إلى عود بمحارب بلا بلا وقد جن بهلول بعشق جاماً وعد تحليها لبساطم أخذلاً وناسات أجلبه واشرب جهاً جنيد وبصرى والجسم أهملأ فتطلب في التهليل غايتها ومن باسماته الحسني بلا نسبة خلاً ومن صاحب الحسني له الفوز بالمني ويسهم بالزالقى لدى جيرة العلا ومخبر بالغيب إذا جدت خدمة تزيك عجائبها من كان مويلاً لهذا هو الفوز وحسن تاله ومنها زيادات لتفسيرها تلاً

**الوصية والتختم والإيمان والتحرير والإلهية:**  
فهذا صيادنا وتسعون عدنه وما زاد خطبة وختماً وجدولاً عجبت لأبيات وتسعن عدها تولد أبياتاً وما حصرها الجلاً فمن فهم السر فيهم نفسه وما زاد خطبة وختماً وجدولاً فسألت نفسياً تشابه أشكلاً لناس وإن خصوا وكان الشاهلاً فإن شئت أهلية فتلاحظ بيئتهم وفهم برحلاً ودين تظروا لا لملك أن تجو وسامع سرهم فنجل لعياس لسره كسام من القطع والافتخار فترأس بالعالاً فمن يراس عرشاً ذذلك أكملاً وقام رسول الله في الناس خاطباً وقد ركب الأرواح أجساد مظهر فسائل لقتلهم بذلك تطروا لا وبليس أثواب الوجود على الولا إلى العالم العلوي يفتش فناونا على خاتم الرسل صلاة بها العلاً فقد تم نظمنا وصلسى إلمنا على سيد ساد الأئم وكملاً و أصحابه أهل المكارم والعلاً محمد الهادي الشفيع إمامنا

يتهي للواحد من آخر البيت المنظوم. ولا تقف على أربعة وعشرين لطرح ذلك الواحد أولاً. ثم ضع الدور الثاني وأضف حروف الدور الأول إلى ثمانية الخارج من ضرب الطالع والدور في السلطان تكون سبعة عشر الباقى خمسة. فاصعد في ضلع ثمانية خمسة من حيث انتهت في الدور الأول وعلم عليه، وأدخل في صدر الجدول بسبعة عشر، ثم خمسة. ولا تعد الحالى، والدور عشرون، فوجدنا حرف ثاء خمسة، وإنما هو نون لأن دورنا في

مرتبة العشرات، فكانت الخمسة خمسين لأن دورها سبعة عشر فلو لم تكون سبعة عشر وكانت مئين. فأثبتت نونا ثم أدخل خمسة أيضاً من أوله. وانظر ما حاذى ذلك من السطح تجد واحداً، فقهير العدد واحداً يقع على خمسة، أضف لها واحداً لسطح تكن ستة. أثبتت واواً وعلم عليها من بيت القصيدة أربعة، وأضفها للثمانية الخارج من ضرب الطالع مع الدور في السلطان تبلغ اثنتي عشر، أضف لها الباقى من الدور الثاني وهو خمسة تبلغ سبعة عشر، وهو ما للدور الثاني. فدخلنا بسبعة عشر في حروف الأوتار، فوق العدد على واحد. أثبتت الألف وعلم عليها من بيت القصيدة وأسقطت من حروف الأوتار ثلاثة حروف عدة الخارج من الدور الثاني. وضع الدور الثالث وأضف خمسة إلى ثمانية تكون ثلاثة عشر، الباقى واحد. أقل الدور في ضلع ثمانية بواحد وأدخل في بيت القصيدة بثلاثة عشر، وخذ ما وقع عليه العدد وهو (ق) وعلم عليه. وأدخل بثلاثة عشر في حروف الأوتار وأثبت ما خرج، وهو سين، وعلم عليه من بيت القصيدة، ثم أدخل مما يلي السين الخارج بالباقي من دور ثلاثة عشر وهو واحد، فخذ مما يلي حرف سين من الأوتار فكان (ب) أثبتها وعلم عليها من بيت القصيدة. وهذا يقال له: الدور المعطوف، وميزانه صحيح. وهو أن تضعف ثلاثة عشر بمثلها، وتضيف إليها الواحد الباقى من الدور. تبلغ سبعة وعشرين. وهو حرف ثاء المستخرج من الأوتار من بيت القصيدة. وأدخل في صدر الجدول بثلاثة عشر، وانظر ما قبله من السطح وأضعنه بمثله، وزد عليه الواحد الباقى من ثلاثة عشر، فكان حرف جيم، وكانت للجملة سبعة، فذلك حرف زاي فأثبتناه وعلمنا عليه من بيت القصيدة. وميزانه أن تضعف السبعة بمثلها وزد عليه الواحد الباقى من ثلاثة عشر يكن خمسة عشر، وهو الخامس عشر من بيت القصيدة وهذا آخر أدوار الثلاثيات وضع الدور الرابع وله من العدد تسعة بإضافة الباقى من الدور السابق، فاضرب الطالع مع الدور في السلطان، وهذا الدور آخر العمل في البيت الأول من الرباعيات.

فاضرب على حرفين من الأوتار واصعد بتسعة في ضلع

حرروف السؤال، ونظرنا عدتها وأقل ما تكون ثمانية وثمانين، وأكثر ما تكون سبة وسبعين، وهي جملة الدور الصحيح، فكانت في سؤالنا ثلاثة وسبعين. وبختصر السؤال إن زاد عن سبة وسبعين، بأن يسقط جميع أدواره الاثنى عشرية، ويحفظ ما خرج منها وما بقي، فكانت في سؤالنا سبعة أدوار، الباقى تسعة، أثبتها في الحروف ما لم يبلغ الطالع اثنى عشرة درجة، فإن بلغها لم تثبت لها علة ولا دور.

ثم ثبتت أعدادها أيضاً إن زاد الطالع عن أربعة وعشرين في الوجه الثالث، ثم ثبت الطالع وهو واحد، وسلطان الطالع وهو أربعة، والدور الأكبر وهو واحد، واجمع ما بين الطالع والدور وهو إثنان في هذا السؤال، واضرب ما خرج منها في سلطان البرج يبلغ ثمانية، وأضف السلطان للطالع فيكون خمسة، وهذه سبعة أصول. فيما خرج من ضرب الطالع والدور الأكبر في سلطان القوس، مما لم يبلغ اثنى عشر فيه تدخل في ضلع ثمانية من أسفل الجدول صاعداً، وإن زاد على اثنى عشر طرح أدوار، وتدخل بالباقي في ضلع ثمانية، وتعلم على متنه العدد والخمسة المستخرجة من السلطان والطالع، يكون الطالع في ضلع السطح المبسط الأعلى من الجدول، وتعد متواياً خسات أدوار، وتحفظها إلى أن يقف العدد على حرف من أربعة، وهي الف أوباء أو جيم أو زاي. فوق العدد في عدتنا على حرف الألف وخلف ثلاثة أدوار، فضررنا ثلاثة في ثلاثة كانت تسعة. وهو عدد الدور الأول. فأثبتت واجع ما بين الضعفين: القائم والمبسط يسكن في بيت ثمانية في مقابلة البيوت العاشرة بالعدد من الجدول، وإن وقف في مقابلة الحالى من بيت الجدول على أحدهما. فلا يعتبر وتستمر على أدوارك. وأدخل بعدد ما في الدور الأول، وذلك تسعة في صدر الجدول مما يلي البيت الذي اجتمعا فيه. وهي ثمانية، مارأى حرف مركب. وإنما هو إذن حرف ثاء أربعينات برسم الزمام، فعلم عليها بعد نقلها من بيت القصيدة، واجع عدد الدور للسلطان يبلغ ثلاثة عشر، ادخل بها في حروف الأوتار، وأثبتت ما وقع عليه العدد وعلم عليه من بيت القصيدة. ومن هذا القانون تدرى كم تدور الحروف في النظم الطبيعي، وذلك أن تجمع حروف الدور الأول وهو تسعة لسلطان البرج وهو أربعة تبلغ ثلاثة عشر، أضعفها بمثلها تكون سبة وعشرين، أسقط منها درج الطالع وهو واحد في هذا السؤال الباقى خمسة وعشرون.

فعلى ذلك يكون نظم الحروف الأول، ثم ثلاثة وعشرون مرتين، ثم إثنان وعشرون مرتين، على حسب هذا الطرح إلى أن

الأوتار تقف على حرف راء، أبنته وعلم عليه من بيت القصيد، ستة وتسعين وهو نهاية الدور في الحرف الوتري. فاضرب على حرفين من الأوتار وضع الدور السابع. وهو ابتداء لمخرج ثان ينشأ من الاختزاعين. وهذا الدور من العدد تسعة، تضيف لها واحداً تكونون ألف وهو الثاني من حرف الراء من بيت القصيد فابته وعلم عليه. وعدما يلي الثاني تسعة يكون الف أيضاً أبنته وعلم عليه وأضرب على حرف من الأوتار، وأضعف تسعة بمنتها تبلغ ثمانية عشر، أدخل بها في حروف الأوتار تقف على حرف راء، أبتها وعلم عليها من بيت القصيد ثمانية وأربعين. وأدخل ثمانية عشر تقابلها من السطح الف أبتها وعلم عليها ستة، وضع الدور الخامس وعدمه سبعة عشر الباقى خمسة. اصعد بخمسة في ضلع ثمانية وأضرب على حرفين من الأوتار وأضعف خمسة بمنتها، وأضفها إلى سبعة عشر عدد دورها الجملة سبعة وعشرون، أدخل بها في حروف الأوتار تقع على (ب) أبتها وعلم عليها اثنين وتلذين واطرح من سبعة عشر اثنين التي هي في ألس اثنين وتلذين الباقى خمسة عشر. أدخل في حروف الأوتار تقف على ق أبتها وعلم عليها ستة وعشرين. وأدخل في صدر الجدول بست وعشرين تقف على اثنين بالغبار وذلك حرف ب أبته وعلم عليه أربعة وخمسين، وأضرب على حرفين من الأوتار وضع الدور السادس، وعدمه ثلاثة عشر. الباقى منه واحد، فتبيّن إذ ذاك أن دور النظم من خمسة وعشرين، فإن الأدوار خمسة وعشرون وسبعة عشر وخمسة وثلاثة عشر وواحد، فأضرب بخمسة في خمسة تكون خمسة وعشرين، وهو الدور في نظم البيت، فانقل الدور في ضلع ثمانية بواحد. ولكن لم يدخل في بيت القصيد بثلاثة عشر كما قدمناه، لأنه دور ثان من نشأة تركيبة ثانية، بل أضفنا الأربعية التي من أربعة وخمسين الخارجية على حروف ب من بيت القصيد إلى الواحد تكون خمسة، تضيف خمسة إلى ثلاثة عشر التي للدور تبلغ ثمانية عشر. أدخل بها في صدر الجدول وخذ ما قبلها من السطح وهو ألف أبته وعلم عليه من بيت القصيد عشر وأضرب على حرفين من الأوتار. ومن هذا الجدول تنظر آخر السؤال، فما خرج منها زده مع بيت القصيد من آخره وعلم عليه من حروف السؤال ليكون داخلاً في العدد في بيت القصيد. وكذلك تفعل بكل حرف بعد ذلك مناسباً لحروف السؤال، فما خرج منها زده على بيت القصيد من آخره وعلم عليه. ثم أضاف إلى ثمانية عشر ما علمته على حرف الألف من الأحاد، فكان اثنين تبلغ الجملة عشرين. أدخل بها في حروف

تبلغ عشرة، أثبتت (ى) وعلم عليها، وانظر في أي المراتب وقعت: وجذناها في الرابعة. دخلنا بسبعة في حروف الأوتار، وهذا المدخل يسمى التوليد الحرفي مكانت (ف)، أثبتها وأضفت إلى سبعة واحد الدور، الجملة ثمانية. أدخل بها في الأوتار تبلغ (س) أثبتها وعلم عليها ثمانية، وأضرب ثمانية في ثلاثة الزائدة على عشرة الدور، فإنها آخر مربعات الأدوار بالثلاثيات تبلغ أربعة وعشرين، أدخل بها في بيت القصيدة وعلم على ما يخرج منها وهو مائتان وعامتها ستة وتسعون. وهو نهاية الدور الثاني في الأدوار الحرفية، وأضرب على حروفين من الأوتار وضع التبيبة الأولى لها تسعة. وهذا العدد يناسب أبداًباقي من حروف الأوتار بعد طرحها أدواراً وذلك تسعة، فاضرب تسعة في ثلاثة التي هي زائدة على تسعين من حروف الأوتار، وأضفت لها واحداًباقي من الدور الثاني عشر تبلغ الف، أثبته وعلم عليه ستة وتسعين. وإن ضربت سبعة التي هي أدوار الحروف التسعينية في أربعة وهي ثلاثة الزائدة على تسعين. والواحد الباقي من الدور الثاني عشر كان كذلك، وأضعد في ضلع ثمانية بسبعة وعشرين، فأدخل بها في حروف الأوتار تبلغ (الثانية) أثبته وعلم عليه ستة وتسعين، وإن ضربت سبعة التي هي الواحد عشر ولها سبعة عشر الباقي خمسة، ولو دخلت في صدر الجدول بسبعة وعشرين بضربيها في ثلاثة لوقفت على عشرة زمانية، والعمل واحد. ثم أدخل بسبعة في بيت القصيدة وأثبت ما خرج وهو الف، ثم أضرب تسعة في ثلاثة التي هي مركب تسعة الماضية وأسقط واحداً وأدخل في صدر الجدول بستة وعشرين، وأثبت ما خرج وهو مائتان بمعرف راء وعلم عليه من بيت القصيدة ستة وتسعين. وأضرب على حروفين من الأوتار وضع الدور الحادي عشر ولها سبعة عشر الباقي خمسة، إضعد في ضلع ثمانيةخمسة وتحسب ما تكرر عليه المتشي في الدور الأول، وأدخل في صدر الجدول بخمسة تقف على خال، فخذ ما قبله من السطح وهو واحد، فأدخل بواحد في بيت القصيدة تكن سين، أثبته وعلم عليه أربعة. ولو يكون الوقف في الجدول على بيت عامر لأثبتنا الواحد ثلاثة. وأضعف سبعة عشر بمثلها وأسقط واحداً وأضعفها بمثلها وزدها أربعة تبلغ سبعة وثلاثين، أدخل بها في الأوتار تقف على ستة أثبتها وعلم عليها، وأضعف خمسة بمثلها. وأدخل في البيت تقف على لام أثبتها وعلم عليها عشرين، وأضرب على حروفين من الأوتار. وضع الدور الثاني عشر ولها ثلاثة عشر الباقي واحد، أضعد في ضلع ثمانية بواحد، وهذا الدور آخر الأدوار وأآخر الاختزاعين وأآخر المربعات الثلاثية وأآخر المثلثات الرباعية. والواحد في صدر الجدول يقع على ثمانين زمانية، وإنما هي أحد ثمانية، وليس معنا من الأدوار إلا واحد، فلو زاد عن أربعة من مربعات التي عشر أو ثلاثة من مثلثات التي عشر لكتات (ج)، وإنما هي (د)، فأثبتها وعلم عليها من بيت القصيدة أربعة وسبعين، ثم انظر ما ناسبها من السطح تكون خمسة، أضعفها بمثلها للاس الأوتار تكن لاماًأثبتها بهذا آخر العمل.

وعشرين، واطرح من أربعة عشر سبعة يبقى سبعة أضرب على حروفين من الأوتار، وأدخل بسبعة تقف على حرف لام، أثبته وعلم عليه من البيت. وضع الدور العاشر وعدده تسعة، وهذا ابتداء المثلثة الرابعة، وأضعد في ضلع ثمانية بسبعة، تكون خلا، فاصعد بستة وثلاثين تقف على أربعة زمانية وهي عشرية، فاختذناها أحادية لقلة الأدوار. فأثبتت حرف دال، وإن أضفت إلى ستة وثلاثين واحداً منس كأن حدها من بيت القصيدة. فعلم عليهما، ولو دخلت بالتسعة لا غير من ضرب في صدر الجدول لوقف على ثمانية. فاطرح من ثمانية أربعة الباقي أربعة وهو المقصود. ولو دخلت في صدر الجدول بثمانية عشر التي هي تسعة في اثنين لوقف على واحد زمامي وهو عشري. فاطرح منه اثنين تكرار التسعة، الباقي ثمانية نصفها المطلوب. ولو دخلت في صدر الجدول بسبعة وعشرين بضربيها في ثلاثة لوقفت على عشرة زمانية، والعمل واحد. ثم أدخل بسبعة في بيت القصيدة وأثبت ما خرج وهو الف، ثم أضرب تسعة في ثلاثة التي هي مركب تسعة الماضية وأسقط واحداً وأدخل في صدر الجدول بستة وعشرين، وأثبت ما خرج وهو مائتان بمعرف راء وعلم عليه من بيت القصيدة ستة وتسعين. وأضرب على حروفين من الأوتار وضع الدور الحادي عشر ولها سبعة عشر الباقي خمسة، إضعد في ضلع ثمانيةخمسة وتحسب ما تكرر عليه المتشي في الدور الأول، وأدخل في صدر الجدول بخمسة تقف على خال، فخذ ما قبله من السطح وهو واحد، فأدخل بواحد في بيت القصيدة تكن سين، أثبته وعلم عليه أربعة. ولو يكون الوقف في الجدول على بيت عامر لأثبتنا الواحد ثلاثة. وأضعف سبعة عشر بمثلها وأسقط واحداً وأضعفها بمثلها وزدها أربعة تبلغ سبعة وثلاثين، أدخل بها في الأوتار تقف على ستة أثبتها وعلم عليها، وأضعف خمسة بمثلها. وأدخل في البيت تقف على لام أثبتها وعلم عليها عشرين، وأضرب على حروفين من الأوتار. وضع الدور الثاني عشر ولها ثلاثة عشر الباقي واحد، أضعد في ضلع ثمانية بواحد، وهذا الدور آخر الأدوار وأآخر الاختزاعين وأآخر المربعات الثلاثية وأآخر المثلثات الرباعية. والواحد في صدر الجدول يقع على ثمانين زمانية، وإنما هي أحد ثمانية، وليس معنا من الأدوار إلا واحد، فلو زاد عن أربعة من مربعات التي عشر أو ثلاثة من مثلثات التي عشر لكتات (ج)، وإنما هي (د)، فأثبتها وعلم عليها من بيت القصيدة أربعة وسبعين، ثم انظر ما ناسبها من السطح تكون خمسة، أضعفها بمثلها للاس الأوتار تكن لاماًأثبتها بهذا آخر العمل.

كل قضية، وإنما تستتبع الأجوبة على تجزئته بالكلية، وهي ثلاثة وأربعون حرفًا كما ترى والله علام الغيب أول اع ظ س ا ل م خ ئ دل ز ق ت ا ر ذ ص ف ن غ ش ا ك ئ ب م ض ب ح ط ل ج ه د ن ل ل ث .

وقد نظمها بعض الفضلاء في بيت جعل فيه كل حرف مشدد من حروف وسماء القطب فقال:

سؤال عظيم الخلق حزت فصن إذن غراب شك ضبطه الجسد مثلا فإذا أردت استنتاج المسألة فاحذف ما تكرر من حروفها

وأثبت ما أفضل منه. ثم احذف من الأصل وهو القطب لكل حرف فضل من المسألة حرفًا يماثله، وأثبت ما أفضل منه. ثم امزج النضلين في سطر واحد تبدأ بالأول من فضله. والثاني من فضل المسألة. وهكذا إلى أن يتم الفضلان أو ينفد أحدهما قبل الآخر، فتضيع البقية على ترتيبها. فإذا كان عدد المزروع الخارج بعد المزج مافقاً لعدد حروف الأصل قبل الحذف فالعمل صحيح، فحيثند تضيف إليها حسن نونات تعديل بها المازين الموسيقية وتكميل الحروف ثمانية وأربعين حرفًا. فتعمر بها جدولًا مربعاً يكون آخر ما في السطر الأول أول ما في السطر الثاني. وتنقل القبة على حملها. وعكضاً إلى أن تتم عمارة الجدول. ويعود السطر الأول بعينه وتوالى المزروع في القطر على نسبة الحركة، ثم تخرج وتر كل حرف بقسمة مربعة على أعظم جزء يوجد له، وتضيع الوتر مقابلًا لحرفه. ثم تستخرج النسب العنصرية للمزروع الجدولية، وتعرف قوتها الطبيعية وموازيتها الروحانية وغرائزها الفسائية وأوسوسها الأصلية من الجدول الموضوع لذلك، وهذه صورته:

ثم تأخذ وتر كل حرف بعد ضريه في أوسوس أوتاد الفلك الأربعية، وأخذدر ما يلي الأوّلاد وكذلك السواقي لأنّ نسبتها مضطربة. وهذا الخارج هو أول رتب السريان. ثم تأخذ جموع العناصر وتحط منها أوسوس المولدات، يبقى أنس عالم الخلق بعد عروضه للمعد الكونية، فتحمل عليه بعض المجردات عن المواد وهي عناصر الأمداد، يخرج أفق النفس الأوسط، وتطرح أول رتب السريان من جموع العناصر يبقى عالم التوسط. وهذا مخصوص بعوالم الأكوناون البسيطة لا المركبة. ثم تضرب عالم التوسط في أفق النفس الأوسط يخرج الأفق الأعلى، فتحمل عليه أول رتب السريان، ثم تطرح من الرابع أول عناصر الأمداد الأصلية يبقى ثالث رتبة السريان، فتضرب جموع أجزاء العناصر الأربعية أبداً في رابع مرتبة السريان، يخرج أول عالم التفصيل، والثاني في الثاني يخرج ثالثي عالم التفصيل، والثالث في الثالث يخرج

والمثال في هذا السؤال السابق: أردنا أن نعلم أن هذه الزايرجة علم محدث أو قديم، بطائع أول درجة من القوس، أثبتنا حروف الأولاد، ثم حروف المسؤول. ثم الأصول، وهي عدة حروف ثلاثة وتسعون أدوارها سبعة الباقى منها تسعة، الطالع واحد، سلطان القوس أربعة، الدور الأكبر واحد، درج الطالع مع الدور الثانى، ضرب الطالع مع الدور في السلطان ثمانية، إضافة السلطان للطالع خمسة بيت القصيدة.

سؤال عظيم الخلق حزت فصن إذن غراب شك ضبطه الجسد مثلا

حروف الأولاد: ص ط ه ر ث ك ه م ص ص و ن ب ه س ا ن ل م ن ص ص ف ص و ر س ك ل م ن ص ص ف ض ق ر س ت ث خ ذ ظ غ ش ط ي ع ح ص ر و ح ر و ح ل ص ك ل م ن ص ا ب ج د ه و ز ح ط ي .

(حروف المسؤول) ال ز ا ي ر ج ة ع ل م م ح د ث ا م ق د ي م الدور الأول ٩ الدور الثاني ١٧ الباقى ٥ الدور الثالث ١٣ الباقى ١ الدور الرابع ٩ الدور الخامس ١٧ الباقى ٥ الدور السادس ١٣ الباقى ١ الدور السابع ٩ الدور الثامن ١٧ الباقى ٥ الدور العاشر ١٣ الدور الحادى عشر ١٧ الباقى ٥ الدور الثاني عشر ١٣ الباقى ١ التسعة الأولى ٩ التسعة الثانية ١٧ الباقى ٥ التسعة الثالثة ١٣ الباقى ١ دورها على خمسة وعشرين ثم على ثلاثة وعشرين مرتين ثم على واحد وعشرين مرتين إلى أن تنتهي إلى الواحد من آخر البيت وتنتقل الحروف جميعاً والله أعلم ن ف ر و ح ر و ح ال و د س ا د ر ر س ر ه ال د ر ي س و ا ن س د ر و ا ب ل ا م ر ب و ا ل ع ل ل .

هذا آخر الكلام في استخراج الأجوبة من زايرجة العالم منظومة. وللقوم طرائق أخرى من غير الزايرجة يستخرجون بها أجوبة المسائل غير منتظمة. وعندهم أن السر في استخراج الجواب منظوماً من الزايرجة، إنما هو مزجمهم بيت مالك بن وهب وهو: سؤال عظيم الخلق البيت، ولذلك يخرج الجواب على رويه. وأما الطرق الأخرى فيخرج الجواب غير منظوم. فمن طرائقهم في استخراج الأجوبة ما نقله عن بعض المحققين منهم.

الأجسام.

الثاني قوتها في الهيئة الفكرية وذلك ما يصدر عن تصريف الروحانيات لها، فهي قوة في الروحانيات العلميات، وقوة شكلية في عالم الجسمانيات.

الثالث وهو يجمع الباطن، أعني القوة النسانية على تكوينه، ف تكون قبل النطق به صورة في النفس، بعد النطق به صورة في الحروف وقوة في النطق.

وأما طبائعها فهي الطبيعتين المنسوبة للمتولّدات في الحروف وهي الحرارة والبيوسة، والحرارة والرطوبة والبرودة والبيوسة والبرودة والرطوبة، فهذا سر العدد اليماني، والحرارة جامعة للهواء والنار وهما: (ا) هـ ط م ف ش ذ ج ز ك س ق ث ظ)، والبرودة جامعة للهواء والماء(ب وى ن ص ت ض د ح ل ع ر خ غ)، والبيوسة جامعة للنار والأرض(ا) هـ ط م ف ش ذ ب وى ن ص ت ض)، فهذه نسبة حروف الطياع وتدخل أجزاء بعضها في بعض. وتدخل أجزاء العالم فيها علويات وسفليات بأسباب الأمهات الأول، أعني الطياع الأربع المفردة، فمتي أردت استخراج مجهرول من مسألة ما، فتحقق طالع السائل أو طالع مسألة واستنتق حروف أو توارها الأربع: الأولى والرابع والسابع والعشر مستوية مرتبة، واستخرج أعداد القوى والأوتار كما سنين، وأحمل وانسب واستخرج الجواب يخرج لك المطلوب، إما بصريح اللفظ أو بالمعنى. وكذلك في كل مسألة تقع لك، بيان:

إذا أردت أن تستخرج قوى حروف الطالع. مع اسم السائل وال الحاجة. فاجمع أعدادها بالجمل الكبير، فكان الطالع الحمل رابعه السرطان سابعه الميزان عاشره الجدي. وهو أقوى هذه الأوتاد. فاسقط من كل برج حرف التعريف. وانظر ما يختص كل برج من الأعداد المنطقية الموضوعة في دائريتها، واحذف أجزاء الكسر في النسب الاستطاقية كلها وأثبت تحت كل حرف ما يخصه من ذلك، ثم أعداد حروف العناصر الأربع وما يخصها بالأول. وارسم ذلك كله أحراضاً ورتّب الأوتاد والقوى والقوائين سطراً ممتجاً. وكسر واضرب ما يضرّب لاستخراج الموازين. وابعد واستخرج الجواب يخرج لك الضمير وجوابه.

مثاله: افرض أن الطالع الحمل كما تقدم. ترسم (ح م ل): فللحملاء من العدد ثمانية لها النصف والربع والثمن (د ب) الميم لها من العدد أربعون. لها النصف والربع والثمن والعشر، ونصف العشرين إذا أردت التدقيق (م ك ه د ب)، اللام لها من العدد ثلاثون، لها النصف والثنان والثلث والخمس والسادس والعاشر

ثالث عالم التفصيل، والرابع في الرابع يخرج رابع عالم التفصيل. فتجمع عالم التفصيل وتحط من عالم الكل. تبقى العوالم المجردة، فتقسم على الأفق الأعلى يخرج الجزء الأول. ويقسم المكسر على الأفق الأوسط يخرج الجزء الثاني، وما انكسر فهو الثالث. ويتبعين الرابع هذا في الرباعي. وإن شئت أكثر من الرباعي فستكتثر من عوالم التفصيل ومن رتب السريان ومن الأوفاق بعد الحروف. والله يرشدنا وإليك.

وكذلك إذا قسم عالم التجريد على أول رتب السريان خرج الجزء الأول من عالم التركيب، وكذلك إلى نهاية الرتبة الأخيرة من عالم الكرون. ففهم وتدرك والله المرشد المعين.

ومن طريقهم أيضاً في استخراج الجواب، قال بعض المحققين منهم:

اعلم أيدينا الله وإليك بروح منه، أن علم الحروف جليل يتوصّل العالم به لما لا يتوصّل بغيره من العلوم المتداولة بين العالم. وللعمل به شرائط تلتزم. وقد يستخرج العالم أسرار أسرار الخلقة وسرائر الطبيعة، فيطلع بذلك على نتائجي الفلسفة، أعني السيميا وأنختها. ويرفع له حجاب المجهولات ويطلع بذلك على مكنون خبايا القلوب. وقد شهدت جماعة بأرض المغرب من اتصل بذلك، ظاهر الغرائب وخرق العوائد وتصرف في الوجود بتائيد الله.

واعلم أن ملاك كل فضيلة الاجتهد وحسن الملكة مع الصبر. مفتاح كل خير، كما أن المخرق والعجلة رأس المرمان، فاقول: إذا أردت أن تعلم قوة كل حرف من حروف الفاييطروس أعني أبعد إلى آخر العدد، وهذا أول مدخل من علم الحروف، فانتظر ما لذلك الحرف من الأعداد، فتلك الدرجة التي هي مناسبة للحرف هي قوته في الجسمانيات. ثم اضرب العدد في مثله تخرج لك قوته في الروحانيات وهي وتره. وهذا في الحروف المنقوطة لا يتم بل يتم لغير المنقوطة، لأن المنقوطة منها مراتب لمعان يأتي عليها البيان فيما بعد.

واعلم أن لكل شكل من أشكال الحروف شكلاً في العالم العلوي أعني الكرسي، ومنها المتحرك والساكن والعلوي والسفلي كما هو مرقوم في أماكنه من الجداول الموضوعة في الزيارج.

واعلم أن قوى الحروف ثلاثة أقسام:

الأول وهو أقلها قوة تظهر بعد كتابتها، فتكون كتابته لعلم روحي مخصوص بذلك الحرف المرسوم، فمتي خرج ذلك الحرف بقوة نفسانية وجمع همة كانت قوى الحروف مؤثرة في عالم

الأربعة على ترتيب الفلك، يخرج لك ما في كل عنصر من الحروف والعدد. ومثاله:

فتجد أقوى هذه العناصر من هذا الاسم المذكور عنصر الماء، لأن عدد حروفه عشرون حرفًا، فجعلت له الغلبة على بقية عناصر الاسم المذكور، وهكذا يفعل بجميع الأسماء. حيث تضاف إلى أوتارها، أو للوتر التسلب للطالع في التأثيرية، أو لوتر البيت التسلب لمالك بن وهب، الذي جعله قاعدة لزوج الأسئلة وهو هذا:

سؤال عظيم الخلق حزت فحسن إذن غرائب شك ضبطه الجد مثلاً وهو وتر مشهور لاستخراج الجهرولات، وعليه كان يعتمد ابن الرقم وأصحابه. وهو عمل تام قائم بنفسه في المثالات الرصعية. وصفة العمل بهذا الوتر المذكور أن ترسمه مقطعاً متزجاً بالفاظ السؤال على قانون صنعة التكبير. وعدة حروف هذا الوتر يعني البيت ثلاثة وأربعون حرفًا، لأن كل حرف مشدد من حروفين.

ثم تجذف ما تكرر عند المزج من الحروف ومن الأصل. لكل حرف فضل من المسألة حرف يائله، وتثبت الفضليين سطراً متزجاً بعضه ببعض الحروف. الأول من فضلة القطب والثاني من فضلة السؤال، حتى تم الفضلات جميعاً فتكون ثلاثة وأربعين، فتضيق إليها خمس نوادرات ليكون ثمانية وأربعين، لتعدل بها الموازين الموسيقية. ثم تضع الفضلة على ترتيبها فإن كان عدد الحروف الخارجية بعد المزج يوافق العدد الأصلي قبل الحذف فالعمل صحيح، ثم عمر بما مزجت جدولًا مربعاً يكون آخر ما في السطر الأول أول ما في السطر الثاني.

وعلى هذا النسق حتى يعود السطر الأول بعينه، وتسأى الحروف في القطر على نسبة المركبة. ثم تخرج وتر كل حرف كما تقدم تضمه مقبلاً لحروفه، ثم تستخرج النسب العنصرية للحروف الجدولية، لتعرف قوتها الطبيعية وموازيتها الروحانية وغرائزها الفياسانية وأسوسها الأصلية من الجدول الموضوع للذلك. وصفة استخراج النسب العنصرية هو أن تنظر الحرف الأول من الجدول ما طبيعته وطبيعة البيت الذي حل فيه، فإن اتفقت فحسن، وإنما فاستخرج بين الحرفين نسبة. ويسعى هذا القانون في جميع الحروف الجدولية. وتحقيق ذلك سهل على من عرف قوانينه كما هو مقرر في دواوينها الموسيقية. ثم تأخذ وتر كل حرف بعد ضربه في أوسوس أو تاد الفلك الأربعية كما تقدم. واحذر ما يلي الأوتاد. وكذلك السواقي لأن نسبتها مضطربة. وهذا الذي يخرج لك هو أول مراتب السريان. ثم تأخذ بمجموع العناصر وتحطف منها أوسوس

(كى وـ حـ). وهكذا تفعل بسائر حروف المسألة والاسم من كل لفظ يقع لك.

وأما استخراج الأوتار فهو أن تقسم مربع كل حرف على أعظم جزء يوجد له.

مثال: حرف (د) له من الأعداد أربعة مربعاً ستة عشر. أقسمها على أعظم جزء يوجد لها وهو اثنان يخرج وترًا لدال ثمانية. ثم توضع كل وتر مقابلًا لحروفه. ثم تستخرج النسبة العنصرية، كما تقدم في شرح الاستطاق. ولها قاعدة تطرد في استخراجها من طبع الحروف وطبع البيت الذي يحل فيه من الجدول كما ذكر الشيخ من عرف الاصطلاح. والله أعلم.

## فصل في الاستدلال على ما في الضمائر الخفية بالقوانيين الحرفية

وذلك لو سألا سائل عن عيل لم يعرف مرضه ما عانبه. وما المواقف لبرئه منه، فقر السائل أن يسمى ما شاء من الأشياء على اسم العلة المجهولة، لتجعل ذلك الاسم قاعدة لك. ثم استنطق الاسم مع اسم الطالع والعنصر والسائل واليوم والساعة إن أردت التدقير في المسألة، وإلا اقتصرت على الاسم الذي سماه السائل. و فعلت به كما نبين. فاقرأ مثلاً: سمي السائل فرساً فثبتت الحروف الثلاثة مع أعدادها المنطقية. بيانه: أن للفاء من العدد ثمانين لها (م ك ي ح ب)، ثم الراء لها من العدد مائتان (ق ن ك ي) ثم السين لها من العدد ستوين لها (م ل ك) فالواو عدد تام له (د ج ب)، والسين مثله لها (م ل ك). فإذا بسطت حروف الأسماء وجدت عنصرين متساوين، فاحكم لأكثرهما حروفاً بالغلبة على الآخر، ثم احمل عدد حروف عنصر اسم المطلوب وحرفوه دون بسط. وكذلك اسم الطالب واحكم للأكثر والأقوى بالغلبة.

### وصفة قوى استخراج العناصر

فتكون الغلبة هنا للتراب وطبعه البرودة. والبيوسة طبع السوداء، فتحكم على الريض بالسوداء. فإذا أفت من حروف الاستطاق كلاماً على نسبة تقريبية خرج موضع الوجه في الحلقة، ويوافقه من الأدوية حفنة ومن الأشربة شراب الليمون. هذا ما خرج من قوى أعداد حروف اسم فرس وهو مثال تقريبي مختصر. وأما استخراج قوى العناصر من الأسماء العلمية فهو أن تسمى مثلاً محمدًا، فترسم أحقره مقطعة. ثم توضع أسماء العناصر

والفضة هو علم الكيمياء. وما زال الناس يؤلفون فيها قديماً وحديثاً. وربما يعزى الكلام فيها إلى من ليس من أهلها. وإن المدونين فيها جابر بن حيان حتى إنهم يخصونها به فيسمونها: علم جابر وله فيها سبعون رسالة كلها شبيهة بالألغاز. وزعموا أنه لا يفتح مقلتها إلا من أحاط علماً بجميع ما فيها. والطغرائي من حكماء الشرق المتأخرين له فيها دواين ومناظرات مع أهلها وغيرهم من الحكماء. وكتب فيها مسلمة المغربي من حكماء الأندلس كتابه الذي سماه رتبة الحكيم وجعله قريباً لكتابه الآخر في السحر والطلسمات الذي سماه غاية الحكيم. وزعم أن هاتين الصناعتين هما تتجانسان للحكمة وثمرتان للعلوم ومن لم يقف عليهما فهو فاقد ثمرة العلم والحكمة أجمع.

وكلامه في ذلك الكتاب وكلامهم أجمع في تأكيدهم هي الغاز يتذرع فهمها على من لم يعان اصطلاحاتهم في ذلك. ونحن نذكر سبب عدو لهم إلى هذه الرموز والألغاز. ولابن المغربي من أئمة هذا الشأن كلمات شعرية على حروف المعجم من أبدع ما يجيء في الشعر ملغوفة كلها لغز الأحاجي والمعایة فلا تقاد تفهم. وقد ينسبون للغزالى رحمة الله بعض التأكيد فيها وليس بصحيح لأن الرجل لم تكن مداركه العالية لتتفق عن خطأ ما يذهبون إليه حتى يتحققه. وربما نسبوا بعض المذاهب والأقوال فيها خالد بن يزيد بن معاوية ربيب مروان بن الحكم ومن المعلوم البيان أن خالداً من الجيل العربي والبداوة إليه أقرب، فهو بعيد عن العلوم والصناعات بالجملة فكيف له بصناعة غريبة المنحى مبنية على معرفة طبائع المركبات وأمزجتها؟! وكيف الناظرين في ذلك من الطبيعيات والطب لم تظهر بعد ولم تترجم، اللهم إلا أن يكون خالد بن يزيد آخر من أهل المدارك الصناعية تشهي باسمه فممكن. وأنا أنقل لك هنا رسالة أبي بكر بن بشرون لأبسي السمع في هذه الصناعة وكلامها من تلاميذ مسلمة فيستدل من كلامه فيها على ما ذهب إليه في شأنها إذا أعطيته حقه من التأمل، قال ابن بشرون بعد صدر من الرسالة خارج عن الغرض: والمقدمات التي هذه الصناعة الكريمة قد ذكرها الأولون واقتصر جميعها أهل الفلسفة من معرفة تكون المعادن وتخلق الأحجار والجواهر وطبع البقاع والأماكن فمنمننا اشتهرها من ذكرها، ولكن أبين لك من هذه الصنعة ما يحتاج إليه، فتبدأ بمعرفته فقد قالوا: ينبغي لطلاب هذا العلم أن يعلموا أولاً ثلاثة خصال: أوطا هل تكون؟ والثانية من أي تكون؟ والثالثة من أي كيف تكون؟ فإذا عرف هذه الثلاثة وأحكمها فقد ظفر بطلويه وبلغ نهايته من هذا العلم، فاما البحث

المولادات يبقى أنس علم الخلق بعد عروضه للمدد الكونية. فتحمل عليه بعض المجردات عن المراد وهي عناصر الإمداد، يخرج أفق النفس الأوسط. ونطرح أول رتب السريان من مجموع العناصر يبقى عالم التوسط. وهذا مخصوص بعوالم الأكونات البسيطة لا المركبة. ثم تضرب عالم التوسط في أفق النفس الأوسط يخرج الأفق أعلى. فتحمل عليه أول رتب السريان. ثم تطرّح من الرابع أول عناصر الإمداد الأصلي يبقى ثالث رتبة السريان. ثم تضرب مجموع أجزاء العناصر الأربع أبداً في رابع رتب السريان يخرج أول عالم التفصيل، والثاني في الشانى يخرج ثانى عالم التفصيل، وكذلك الثالث والرابع، فتجمع عوالم التفصيل وتحظى من عالم الكل، تبقى العوالم المجردة، فتقسم على الأفق أعلى يخرج الجزء الأول. ومن هنا يطرد العمل في التامة. وله مقامات في كتب ابن وحشية والبني وغيرهما. وهذا التدبر يجري على القانون الطبيعي الحكمي في هذا الفن وغيره من فنون الحكمة الإلهية، وعلىه مدار وضع الزياجر الحرفيه والصنعة الإلهية والنيرجات الفلسفية. والله المعلم وبه المستعان وعليه التكلان، وحسينا الله ونعم الوكيل.

## الفصل الثلاثون

### في علم الكيمياء

وهو علم ينظر في المادة التي يتم بها كون الذهب والفضة بالصناعة وشرح العمل الذي يوصل إلى ذلك فيتصفحون المكونات كلها بعد معرفة أمجزتها وقواها لعلهم يعثرون على المادة المستعدة لذلك حتى من الفضلات الحيوانية كالعظام والريش والبيض والعذرات فضلاً عن المعادن. ثم يشرح الأعمال التي تخرج بها تلك المادة من القوة إلى الفعل مثل حل الأجسام إلى أجزائها الطبيعية بالتصعيد والتقطير وجذ الذائب منها بالتكليس وإقامه الصلب بالقهقر والصلابة وأمثال ذلك. وفي زعمهم أنه يخرج بهذه الصناعات كلها جسم طبيعي يسمونه الإكسير. وأنه يلقي منه على الجسم المعدني المستعد لقبول صورة الذهب أو الفضة بالاستعداد القريب من الفعل مثل الرصاص والقصدير والنحاس بعد أن يحمى بالنار فيعود ذهباً إبريزاً. ويكون عن ذلك الإكسير إذا الغزوا اصطلاحاتهم بالروح وعن الجسم الذي يلقي عليه بالجسد. فشرح هذه الاصطلاحات وصورة هذا العمل الصناعي الذي يقلب هذه الأجساد المستعدة إلى صورة الذهب

للضعف الذي يقوى على تفصيل الأشياء وتركيبها وعماها؛ فلذلك قلت: قوى وضعيف. وإنما وقع التغير والفناء في التركيب الأول لاختلاف وعدم ذلك في الثاني للاتفاق.

وقد قال بعض الأولين: التفصيل والتقطيع في هذا العمل حياة وبقاء، والتركيب موت وفناء. وهذا الكلام دقيق المعنى لأن الحكيم أراد بقوله: حياة وبقاء خروجه من العدم إلى الوجود؛ لأنه ما دام على تركيه الأول فهو فان لا محالة، فإذا ركب التركيب الثاني عدم الفنانة. والتركيب الثاني لا يمكن إلا بعد التفصيل والتقطيع؛ فإذا التفصيل والتقطيع في هذا العمل خاصة، فإذا بقي الجسد الحالون انبسط فيه لعدم الصورة؛ لأنه قد صار في الجسد بمثابة النفس التي لا صورة لها وذلك أنه لا وزن له فيه وستري ذلك إن شاء الله تعالى.

وقد ينبغي لك أن تعلم أن اختلاط اللطيف باللطف أهون من اختلاط الغليظ بالغليظ؛ وإنما أريد بذلك التشاكل في الأرواح والأجساد؛ لأن الأشياء تصلب باشكالها. وذكرت لك ذلك لتعلم أن العمل أوفق وأيسر من الطياب الطائف الروحانية منها من الغليظة الجسمانية. وقد يتصور في العقل أن الأحجار أقوى وأصبر على النار من الأرواح، كما ترى أن الذهب والحديد والتحاس أصبر على النار من الكبريت والزئبق وغيرهما من الأرواح، فاقرول: إن الأجساد قد كانت أرواحاً في بدنها فلما أصابها حر الكيان قلبها أجساداً لزجة غليظة فلم تقدر النار على إكثارها لإفراط غلظتها وتتزوجهها. فإذا أفرطت النار عليها صيرتها أرواحاً كما كانت أول خلقها. وإن تلك الأرواح اللطيفة إذا أصابتها النار أبقيت ولم تقدر على البقاء عليها، فيبنيغي لك أن تعلم ما صير الأجساد في هذه الحالة وصير الأرواح في هذا الحال فهو أجل ما تعرفه.

اقرول: إنما أبقيت تلك الأرواح لاشتمالها ولطافتها. وإنما اشتعلت لكترة رطوبتها ولأن النار إذا أحست بالرطوبة تعلقت بها لأنها هوائية تشاكل النار ولا تزال تختندي بها إلى أن تفني. وكذلك الأجساد إذا أحست بوصول النار إليها لقلة تلزجها وغلظتها، وإنما صارت تلك الأجساد لا تشتعل لأنها مركبة من أرض وماء صابر على النار، فلطفتها متهد بكتيفه لطول الطريق اللين المازج للأشياء. وذلك أن كل متلاش إنما يتلاشى بالنار لفارقته لطيفه من كييفه ودخوله بعضه في بعض على غير التحليل والموافقة، فصار ذلك الانقسام والتدخل مجاورة لا مازحة فسهل بذلك افتراضها كالماء والدهن وما أشبههما. وإنما وصفت ذلك ل تستدل به على تركيب الطياب وتقابلهما، فإذا علمت ذلك عملاً شانياً فقد أخذت حظك منها.

عن وجودها والاستدلال عن تكوينها فقد كفيتك بما بعثنا به إليك من الإكسير. وأما من أي شيء تكون، فإما يربدون بذلك البحث عن الحجر الذي يمكنه العمل وإن كان العمل موجوداً من كل شيء بالقوة لأنها من الطياب الأربع منها تركبت ابتداء وإليها ترجع الانتهاء، ولكن من الأشياء ما يكون فيه بالقرفة ولا يكون بالفعل، وذلك أن منها ما يمكن تفصيلها ومنها لا يمكن تفصيلها والتي يمكن تفصيلها تعالج وتثير وهي التي تخرج من القوة إلى الفعل والتي لا يمكن تفصيلها لا تعالج ولا تثير؛ لأنها فيها بالقرفة فقط، وإنما لم يمكن تفصيلها لاستغراب بعض طبائعها في بعض وفضل قوة الكبير منها على الصغير. فيبنيغي لك وفقك الله أن تعرف أفق الأحجار المنشطة التي يمكن فيها العمل وجنسه وقوته وعمله وما يدير من الحل والعقد والتتفقة والتکلیس والتتشیف والقلیب، فإن من لم يعرف هذه الأصول التي هي عمد هذه الصنعة لم ينجح ولم يظفر بخير أبداً.

ويبنيغي لك أن تعلم هل يمكن أن يستعان عليه بغيره أو يكتفي به وحده؟ وهل هو واحد في الابتداء أو شاركه غيره فصار في التدبير واحداً فسمى حرجاً. وينبغي لك أن تعلم كيفية عمله وكيفية أوزانه وأزمانه، وكيف تركيب الروح فيه وإدخال النفس عليه؟ وهل تقدر النار على تفصيلها منه بعد تركيبها؟ فإن لم تقدر فلأي علة؟ وما السبب الموجب لذلك؟ فإن هذا هو المطلوب ففهم.

واعلم أن الفلسفه كلها مدحت النفس وزعمت أنها المدبرة للجسد والحاصلة له والداعمة عنه والفاعلة فيه. وذلك أن الجسد إذا خرجت النفس منه مات وبرد فليس يقدر على الحركة والامتناع من غيره؛ لأنه لا حياة فيه ولا نور. وإنما ذكرت الجسد والنفس؛ لأن هذه الصفات شبيهة بجسده الإنسان الذي تركبها على الغذاء والعشاء وقوامه ونمامه بالنفس الحية التورانية التي بها يفعل العظام والأشياء المقابلة التي لا يقدر عليها غيرها بالقرفة الحية التي فيها. وإنما انفلع الإنسان لاختلاف تركيب طبائعه؛ ولو انفقت طبائعه لسلمت من الأعراض والتضاد ولم تقدر النفس على الخروج من بدنها ولكن خالداً باقياً. فسبحان مدبر الأشياء تعالى.

واعلم أن الطياب التي يحدث عنها هذا العمل كيفية دافعة في الابتداء فيضية محتاجة إلى الانتهاء، وليس لها إذا صارت في هذا الحال أن تستحصل إلى ما منه تركبت كما قلنا آنفاً في الإنسان؛ لأن طيابها هذا الجوهر قد لزم بعضها بعضًا وصارت شيئاً واحداً شبيهاً بالنفس في قوتها و فعلها، وبالجسد في تركبها ومجسته بعد أن كانت طياباً منفردة بعيانها. فما عجبنا من أناعيل الطياب أن القرفة

تردد الأرواح على الأجساد مراراً ليكون الزم إليها وأقوى على قتال النار إذا هي باشرتها عند الألفة، أعني بذلك النار العنصرية فاعلما.

ولنقل الآن على الحجر الذي يمكن منه العمل على ما ذكرته الفلسفه فقد اختلوا فيه، فمنهم من زعم أنه في الحيوان، ومنهم من زعم أنه في النبات، ومنهم من زعم أنه في المعادن، ومنهم من زعم أنه في الجميع. وهذه الدعاوى ليست بنا حاجة إلى استقصائهما ومتنازلاً عنها عليهما؛ لأن الكلام يطول جداً وقد قلت فيما تقدم: إن العمل يكون في كل شيء بالقوة؛ لأن الطبائع موجودة في كل شيء فهو كذلك، فنريد أن نعلم من أي شيء يكون العمل بالقدرة والفعل فنقتصر إلى ما قاله الحراني: إن الصبيع كله أحد صبغين: إما صبغ جسد كالزغفران في الشوب الأبيض حتى يحول فيه وهو مض محل متضمن التركيب، والصبيع الثاني تقلب الجوهر من جوهر نفسه إلى جوهر غيره ولو أنه تقلب الشجر بل التراب إلى نفسه وقلب الحيوان والنبات إلى نفسه حتى يصير التراب نباتاً والنبات حيواناً، ولا يكون إلا بالروح الحي والكيان الفاعل الذي له توليد الأجرام وقلب الأعيان. فإذا كان هذا هكذا فنقول: إن العمل لا بد أن يكون إما في الحيوان وإما في النبات ويرهان ذلك أنهما مطبوعان على الغذاء وبه قواهما وتماماًهما. فاما النبات فليس فيه ما في الحيوان من اللطافة والقدرة ولذلك قل خوض الحكماء فيه. وأما الحيوان فهو آخر الاستحالات الثلاث ونهايتها، وذلك أن المعدن يستحيل نباتاً والنبات يستحيل حيواناً، والحيوان لا يستحيل إلى شيء هو الطف منه إلا أن ينعكس راجعاً إلى الغلظ، وأنه أيضاً لا يوجد في العالم شيء تتعلق به الروح الحية غيره، والروح الطف ما في العالم ولم تتعلق الروح بالحيوان إلا بمشاكنه إياها. فاما الروح التي في النبات فإنها يسيرة فيها غلظ وكثافة وهي مع ذلك مستغرقة كامنة فيه لغلوظها ولغلوظ جسد النبات فلم يقدر على الحركة لغلظه ولغلوظ روحه. والروح المترددة الطف من الروح الكامنة كبيرة، وذلك أن المترددة لها قبول الغذاء والتقليل والتنفس وليس للكامنة غير قبول الغذاء وحده. ولا تجري إذا قيست بالروح الحية إلا كالأرض عند الماء. كذلك النبات عند الحيوان، فالعمل في الحيوان أعلى وأرفع وأهون وأيسر. فينبغي للعامل إذا عرف ذلك أن يجرب ما كان سهلاً ويترك ما يخشى فيه عرضاً.

واعلم أن الحيوان عند الحكماء ينقسم أقساماً من الأهمات التي هي الطبائع والحداثة التي هي المواليد وهذا معروف متيسر الفهم، فلذلك قسمت الحكماء العناصر والمواليد أقساماً حية

وينبني لك أن تعلم أن الأخلاط التي هي طبائع هذه الصناعة موافقة بعضها لبعض مفصلة من جوهر واحد يجمعها نظام واحد بتدير واحد لا يدخل عليه غريب في الجزء منه ولا في الكل كما قال الفيلسوف: إنك إذا أحكمت تدبير الطبائع وتاليتها ولم تدخل عليها غريباً، فقد أحكمت ما أردت إحكامه وقوامه، إذ الطبيعة واحدة لا غريب فيها، فمن دخل عليها غريباً فقد زاغ عنها ووقع في الخطأ.

واعلم أن هذه الطبيعة إذا حل لها جسد من قرائتها على ما ينبغي في الحل حتى يشاكلها في الرقة واللطافة انسقطت فيه وجرت معه حياماً جري، لأن الأجسام ما دامت غلظة جافية لا تتسلط ولا تتراءج، وحلُّ الأجسام لا يكون بغیر الأرواح؛ فاقسم هداك الله هذا القول.

واعلم هداك الله أن هذا الحل في جسد الحيوان هو الحق الذي لا يضمحل ولا يتقضى، وهو الذي يقلب الطبائع ويمسكها ويظهر لها الواناً وأزهاراً عجيبة. وليس كل جسد يصلح خلاف هذا هو الحل التام لأنه مخالف للحياة، وإنما حلمه بما يوافقه ويدفع عنه حرق النار، حتى يزول عن الغلظ وتنقلب الطبائع عن حالاتها إلى ما لها أن تقلب من اللطافة والغلظ. فإذا بلغت الأجسام نهايتها من التحليل والتلطف ظهرت لها هناك قوة تمسك وتغرس وتنقلب وتتفند وكل عمل لا يبرى له مصدق في أوله فلا خير فيه.

واعلم أن البارد من الطبائع هو يسّر الأشياء ويعقد رطوبتها، والحار منها يظهر رطوبتها ويعقد سبها وإنما أفردت الحر والبرد لأنهما فاعلان والرطوبة واليس من فعلان وعلى افتعال كل واحد منها لصاحب تحدث الأجسام وت تكون، وإن كان الحر أكثر فعلًا في ذلك من البرد؛ لأن البر ليس له نقل الأشياء ولا تحرّكها والحر هو علة الحرارة. ومني ضعفت علة الكون وهو الحرارة لم يتم منها شيء إبداً كما أنه إذا أفرطت الحرارة على شيء ولم يكن ثم برد أحقرته وأهلكته. فمن أجل هذه العلة احتاج إلى البارد في هذه الأعمال ليقوى به كل ضد على ضده ويدفع عنه حر النار. ولم يحد الفلسفه أكثر شيء إلا من التبران المطرقة. وأمرت بتطهير الطبائع والأنفاس وإخراج دنسها ورطوبتها ونفي آفاتها وأرساخها عنها وعلى ذلك استقام أيامهم وتدبرهم، فإنما عملهم إنما هو مع النار أولاً وإليها يصير آخرًا فلذلك قالوا: إياكم والثبران المطرقات. وإنما أرادوا بذلك نفي الآفات التي معها تجمعت على الجسد آفات تكون أسرع هلاكاً. وكذلك كل شيء إنما يتلاشى ويفسد من ذاته لتضاد طبائعه واختلافه فيتوسط بين شئين فلم يجد ما يقويه ويعينه إلا قهرته الآفة وأهلكته. واعلم أن الحكماء كلها ذكرت

فهو التمشية والسباحة حتى يختلط بعضه وبصير شيئاً واحداً لا اختلاف فيه ولا نقصان منزلة الامتزاج بالماء. فعند ذلك يتقوى الغليظ على إمساك اللطيف وتقوى الروح على مقابلة النار وتصير عليها وتقوى النفس على الغوص في الأجسام والديب فيها. وإنما وجد ذلك بعد التركيب لأن الجسد المخلول لما ازدوج بالروح مازجه جميع أجزائه ودخل بعضها في بعض لتشاكلها فصار شيئاً واحداً ووجب من ذلك أن يعرض للروح من الصلاح والفساد والبقاء والثبوت ما يعرض للجسد لموضع الامتزاج.

وكذلك النفس إذا امتحن بها ودخلت فيما خدمة التدبير اختلطت أجزاؤها جميع أجزاء الآخرين - أغنى الروح - والجسد وصارت هي وهما شيئاً واحداً لا اختلاف فيه بمنزلة الجزء الكلي الذي سلمت طبائعه وانتقت أجزاؤه، فإذا لقي هذا المركب الجسد المخلول والروح عليه النار وأظهر ما فيه من الروبوة على وجهه ذاب في الجسد المخلول. ومن شأن الروبوة الاشتغال وتعلق النار بها، فإذا أرادت النار التعلق بها منها من الاختلاط بالنفس مازجة الماء لها. فإن النار لا تتحدد بالدهن حتى يكون خالصاً. وكذلك الماء من شأنه التفوار من النار. فإذا أحتلت عليه النار وأرادت تطيره حبسه الجسد اليابس المازج له في جوفه فمنعه من الطيران، فكان الجسد علة لإمساك الماء، والماء علة لبقاء الدهن، والدهن علة لثبات الصبغ، والصبغ علة لظهور الدهن، وإظهار الدهنية في الأشياء المظلمة التي لا نور لها ولا حياة فيها. وهذا هو الجسد المستقيم وهكذا يكون العمل. وهذه التصفية التي سالت عنها وهي التي سمتها الحكمة بيضة وإياها يعنون لا بيضة الدجاج. وأعلم أن الحكماء لم تسموها بهذا الاسم لغير معنى بل شبّهتها. ولقد سالت مسلمة عن ذلك يوماً وليس عنده غيري فقلت له: أيها الحكيم الفاضل أخبرني لأي شيء سمت الحكماء مركب الحيوان بيضة؟ أخيراً منهم لذلك ألم تعنى دعائم إليه؟ فقال: بل لمعنى غامض! فقلت: أيها الحكيم وما ظهر لهم من ذلك من المنفعة والاستدلال على الصناعة حتى شبهوها وسموها بيضة؟ فقال: لشبهها وقرابتها من المركب ففكر فيه، فإنه سيظهر لك معناه. فبقيت بين يديه مفكراً لا أقدر على الوصول إلى معناه. فلما رأى ما بي من الفكر وأن نفسي قد مضت فيها أخذ بعضاً وهزني هزة خفيفة وقال لي: يا أبا بكر ذلك للنسبة التي بينهما في كمية الألوان عند امتزاج الطبائع وتاليتها. فلما قال ذلك أخجلت عني الظلمة وأضاء لي نور قلبي وقوي عقلي على فهمه فهضت شاكراً الله عليه إلى متزلي وأقمت على ذلك شكلاً هندسياً يبرهن به على صحة ما قاله مسلمة. وأنا واسعه لك في هذا الكتاب.

وأقساماً ميتة، فجعلوا كل متحرك فاعلاً حياً، وكل ساكن مفعولاً ميتاً. وقسموا ذلك في جميع الأشياء وفي الأجسام الذائبة وفي العقاقير المعدنية فسموا كل شيء يذوب في النار ويطرير ويشتعل حياً، وما كان على خلاف ذلك سموه ميتاً، فاما الحيوان والنبات فسموا كل ما انفصل منها طبائع أربعها حياً، وما لم ينفصل سموه ميتاً، ثم إنهم طلبوا جميع الأقسام الحية.

فلم يجدوا لوقن هذه الصناعة مما ينفصل فصولاً أربعة ظاهرة للبيان، ولم يجدوا غير الحجر الذي في الحيوان فبحثوا عن جنسه حتى عرفوه وأخذوه ودببوه، فتكلف لهم منه الذي أرادوا. وقد يتكلف مثل هذا في المعادن والنبات. بعد جمع العقاقير وخلطها ثم انفصل بعد ذلك. فاما النبات فمهما ما ينفصل بعض هذه الفصول مثل الأسنان، وأما المعادن ففيها أجساد وأرواح وأفاسس، إذا مزجت ودبرت كان منها ما له تأثير. وقد دبرنا كل ذلك فكان الحيوان منها أعلى وأرفع وتدبره أسهل وأيسر. فيبني على ذلك أن تعلم ما هو الحجر الموجود في الحيوان وطريق وجوده. إنما يبين أن الحيوان أرفع الموليد وكذا ما ترتكب منه فهو الطف منه كالنباتات من الأرض. وإنما كان النبات الطف من الأرض لأنه إنما يكون من جوهره الصافي وجسمه اللطيف، فرجب له بذلك اللطافة والرقابة. وكذا هذا الحجر الحيواني بمنزلة النبات في التراب. وبالجملة فإنه ليس في الحيوان شيء ينفصل طبائع أربعه غيره فافهم هذا القول، فإنه لا يكاد يخفى إلا على جاهل بين الجهلة ومن لا عقل له. فقد أخبرتك ماهية هذا الحجر وأعلمتك جنسه وأنا أبين لك وجوه تدابيره حتى يكمل الذي شرطناه على أنفسنا من الإنصاف إن شاء الله سبحانه.

التدبر على بركة الله خذ الحجر الكريم فأورد عليه القرعة والإبتيء وفصل طبائع الأربع التي هي النار والهواء والأرض والماء وهي الجسد والروح والنفس والصبغ، فإذا عزلت الماء عن التراب والهواء عن النار فارفع كل واحد في إيانه على حدة وخذ الماء أسفل الإناء وهو الثقل فاغسله بالنار الحارة حتى تذهب النار عنه سواده وزرول غلاظه وجفاوه وبيضه تبيضاً محاماً وطير عنه فضول الرطوبات المستجنة فيه، فإنه يصير عند ذلك ماء أبيض لا ظلمة فيه ولا وسخ ولا تضاد. ثم اعمد إلى تلك الطبائع الأولى الصاعدة منه فظهورها أيضاً من السواد والتضاد وكرر عليها الغسل والتعبيء حتى تلطف وترق وتصفو. فإذا فعلت ذلك فقد فتح الله عليك فتابعاً بالتركيب الذي عليه مدار العمل. وذلك أن التركيب لا يكون إلا بالتزويع والتعفين.

فاما التزويع فهو اختلاط اللطيف بالغليظ، وأما التعفين

بصناعة طبيعية. والذي يجب أن يعتقد في أمر الكيمياه وهو الحق الذي يعضده الواقع أنها من جنس آثار الفنون الروحانية وتصرفها في عالم الطبيعة: إما من نوع الكراامة إن كانت الفنون خيرة أو من نوع السحر إن كانت الفنون شريرة فاجرة. فاما الكراامة ظاهرة، وأما السحر فلان الساحر كما ثبت في مكان تتحققه يقلب الأعيان المادية بقوته السحرية. ولابد له مع ذلك عندهم من مادة يقع فعله الساحري فيها كتليلي بعض المحيانات من مادة التراب أو الشجر والنبات، وبالجملة من غير مادتها المخصوصة بها، كما وقع لسحرة فرعون في الحال والعصي وكما ينقل عن سحرة السودان والهندو في قاصية الجنوب والترك في قاصية الشمال أنهم يسخرون الجر للأمطار وغير ذلك.

ولما كانت هذه تخليلًا للذهب في غير مادته الخاصة به كان من قبيل السحر، والتكلمون فيه من أعلام الحكماء مثل جابر ومسلمة. ومن كان قبلهم من حكماء الأمم إنما غوا هذا المنحى وهذا كان كلامهم فيه الغازاً حذراً عليهما من إنكار الشرائع على السحر وأنواعه، لا أن ذلك يرجع إلى الضمانة بها كما هو رأي من لم يذهب إلى التحقيق في ذلك. وانظر كيف سمي مسلمة كتابه فيها رثية الحكيم وسمى كتابه في السحر والطلسمات غایة الحكيم إشارة إلى عموم موضوع الغایة وخصوص موضوع هذه؛ لأن الغایة أعلى من الرتبة فكان مسائل الرتبة بعض من مسائل الغایة ومشاركة في الموضوعات. ومن كلامه في الفتن يتبين ما قلناه ونحن نبين فيما بعد غلط من يزعم أن مدارك هذا الأمر بالصناعة الطبيعية. والله العليم الخير.

## الفصل الحادي والثلاثون

### في إبطال الفلسفة وفساد محتلها

هذا الفصل وما بعده مهم؛ لأن هذه العلوم عارضة في العمران كثيرة في المدن. وضررها في الدين كثير، فوجب أن يصدع بشأنها ويكشف عن المعتقد الحق فيها. وذلك أن قوماً من عقلاه النوع الإنساني زعموا أن الوجود كله الحسي منه وما وراء الحسي تدرك ذواته وأحواله بأساليبها وعللها بالأظفار الفكرية والأقيسة العقلية، وأن تصحيح العقائد الإيمانية من قبل النظر لا من جهة السمع، فإنها بعض من مدارك العقل. وهؤلاء يسمون فلاسفة جمع فيلسوف، وهو باللسان اليوناني: محب الحكمة. فبحثوا عن ذلك وشرعوا له وحوموا على إصابة الغرض منه ووضعوا قانوناً

مثال ذلك أن المركب إذا تم وكم كل ما فيه من طبيعة الهواء إلى ما في البيضة من طبيعة الهواء كنسبة ما في المركب من طبيعة النار إلى ما في البيضة من طبيعة النار. وكذلك الطبيعتان الآخريتان، الأرض والماء، فاقول: إن كل شيئين متاثسين على هذه الصفة هما متشابهان. ومثال ذلك أن يجعل لسطح البيضة هزوج فإذا أردنا ذلك، فإننا نأخذ أقل طباع المركب وهي طبيعة البيضة ونضيف إليها مثلها من طبيعة الرطوبة وتذررها حتى تنشف طبيعة البيضة طبيعة الرطوبة وتقبل قوتها. وكان في هذا الكلام رمزاً ولكنه لا يخفى عليك. ثم تحمل عليهما جميعاً مثلهما من الروح وهو الماء فيكون الجميع ستة أمثال. ثم تحمل على الجميع بعد التدبير مثلاً من طبيعة الهواء التي هي النفس وذلك ثلاثة أجزاء فيكون الجميع تسعه أمثال البيضة بالقروة. وتجعل تحت كل ضلعين من المركب الذي طبيعته محطة لسطح المركب طبيعتين فتجعل أولاً الضلعين المحيطين بسطحه طبيعة الماء وطبيعة الهواء وعما ضلعاً (أح د) وسطح أجد، وكذلك الضلعان المحيطان بسطح البيضة اللذان هما الماء والهواء ضلعاً هزوج، فاقول: إن سطح أجد يشبه سطح هزوج طبيعة الهواء التي تسمى نفساً وكذلك (بج) من سطح المركب. والحكماء لم تسم شيئاً باسم شيء إلا لتشبيهه به. والكلمات التي سالت عن شرحها الأرض المقدسة وهي المعقودة من الطياع العلوية والسفلى. والتحاس هو الذي أخرج سواده وقطع حتى صار بباء ثم حر بالزاج حتى صار نحاسياً والمغنيسيا حجرهم الذي تمجده الأرواح وتخوجه الطبيعة العلوية التي تستجن فيها الأرواح لتقابل عليها النار والفرقة لون أحمر يخدنه الكيان. والرصاص حجر له ثلاث قوى مختلفة الشخص ولكنها متشاكلة ومتجلسة. فالواحدة روحانية نيرة صافية وهي الفاعلة، والثانية نفسانية وهي متحركة حساسة غير أنها أغلظ من الأولى ومركزها دون مركز الأولى. والثالثة قرة أرضية حاسة قابضة معكسة إلى مركز الأرض لتقلها وهي الماسكة الروحانية والنفسانية جميعاً والمحيطة بهما. وأما سائر الباقية فمبتدعة ومحترقة. إليأساً على الجاهل، ومن عرف المقدمات استثنى عن غيرها. فهذا جميع ما سألتني عنه وقد بعثت به إليك مفسراً ونرجو بتوفيق الله أن تبلغ أملك والسلام.

انتهى كلام ابن بشرون وهو من كبار تلاميذ مسلمة المجريطي شيخ الأندلس في علوم الكيمياء والسيميات والسحر في القرن الثالث وما بعده.

وأنت ترى كيف صرف الفاظهم كلها في الصناعة إلى الرمز والألغاز التي لا تقاد تبيّن ولا تعرف، وذلك دليل على أنها ليست

وميله إلى المحمد منها واجتنابه للمذموم بفطرته، وأن ذلك إذا حصل للنفس حصلت لها البهجة واللذة وأن الجهل بذلك هو الشقاء السرمدي وهذا عندهم هو معنى النعيم والعقاب في الآخرة إلى خطب لهم في تفاصيل ذلك معروض من كلماتهم.

وإمام هذه المذاهب الذي حصل مسائلها دون علمها وسطر حاجتها فيما بلغنا في هذه الأحتساب هو أرسطور المقدوني من أهل مقدونية من بلاد الروم من تلاميذ فلاطون وهو معلم الإسكندر ويسمهونه المعلم الأول على الإطلاق يعنون معلم صناعة المنطق، إذ لم تكن قبله مهذبة، وهو أول من رتب قانونها واستوفى مسائلها، وأحسن بسطها ولقد أحسن في ذلك القانون ما شاء، لو تكفل له بقصدتهم في الإلبيات، ثم كان من بعده في الإسلام من أخذ بذلك المذاهب واتبع فيها رأيه حتى التعل بالتعل إلا في القليل. وذلك أن كتب أولئك المقدمين لما ترجموا الخلافاء من بي العباس من اللسان اليوناني إلى اللسان العربي تصفحها كثير من أهل الملة وأخذ من مذاهبهم من أضل الله من متخللي العلوم وجادلوا عنها واختلفوا في مسائل من تفاصيدها، وكان من أشهرهم أبو نصر الفارابي في المائة الرابعة لعهد سيف الدولة وأبو علي بن سينا في المائة الخامسة لهد نظام الملك من بي بوه باصبهان وغيرهما.

واعلم أن هذا الرأي الذي ذهبوا إليه باطل بجمعه وجوهه. فاما إسنادهم المرجودات كلها إلى العقل الأول واكتفاؤهم به في الترقى إلى الواجب فهو قصور عما وراء ذلك من رتب خلق الله، فالوجود أوسع نطاقاً من ذلك **﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾** وكأنهم في اقتصارهم على إثبات العقل فقط والفضلة عما وراءه بمنتهى الطبيعين المتصررين على إثبات الأجسام خاصة المعرضين عن النقل والعقل المعتقدين أنه ليس وراء الجسم في حكم الله شيء.

واما البراهين التي يزعمونها على مدعياتهم في المرجودات ويعرضونها على معيار المنطق وقانونه فهي قاصرة وغير وافية بالفرض.

اما ما كان منها في المرجودات الجسمانية ويسمهونه العلم الطبيعي فوجه قصوره أن المطابقة بين تلك التائج الذهنية التي تستخرج بالحدود والأقيمة كما في زعمهم وبين ما في الخارج غير يقيني؛ لأن تلك أحكام ذهنية كلية عامة والمرجودات الخارجية مشخصة بمدادها. ولعل في المواد ما يمنع من مطابقة الذهني الكلي للخارجي الشخصي، اللهم إلا ما يشهد له الحس من ذلك، فدليله شهوده لا تلك البراهين، فإن اليقين الذي يجدونه فيها؟ وربما يكون تصرف النهن أياً في المقولات الأولى المطابقة

يهتدى به العقل في نظره إلى التمييز بين الحق والباطل وسموه بالمنطق. وحصل ذلك أن النظر الذي يفيد تغيير الحق من الباطل إنما هو للنهن في المعاني المترعة من الموجودات الشخصية فيجرد منها أولاً صوراً منطبقة على جميع الأشخاص كما ينطبق الطابع على جميع النقاش التي ترسمها في طين أو شمع. وهذه المجردة من المحسوسات تسمى المقولات الأولي. ثم تجرد من تلك المعاني الكلية إذا كانت مشتركة مع معان آخر وهي التي اشتهرت بها. ثم تجرد النهن فتجرد منها معان آخر وهي التي اشتهرت بها. ثم ثالثاً إن شاركتها غيرها وثالثاً إلى أن يتغير التجريد إلى المعاني البسيطة الكلية المنطبقة على جميع المعاني والأشخاص، ولا يكون منها تجريد بعد هذا وهي الأجناس العالمية.

وهذه المجردات كلها من غير المحسوسات هي من حيث تاليف بعضها مع بعض. لتحصيل العلم منها تسمى المقولات الثاني. فإذا نظر الفكر في هذه المقولات المجردة وطلب تصور الوجود. كما هو فلا بد للنهن من إضافة بعضها إلى بعض ونبي بعضها عن بعض بالبرهان العقلي اليقيني ليحصل تصور الوجود تصوراً صحيحاً مطابقاً إذا كان ذلك بقانون صحيح كما مر. وصنف التصديق الذي هو تلك الإضافة والحكم متقدم عندهم على صنف التصور في النهاية والتصور متقدم عليه في البداية والتعليم، لأن التصور الثامن عندهم هو غایة الطلب الإدراكي وإنما التصديق وسيلة له وما تسمعه في كتب المتكلمين من تقدم التصور وتوقف التصديق عليه فمعنى الشعور لا يعني العلم الثامن، وهذا هو مذهب كبيرهم أرسطو، ثم يزعمون أن السعادة في إدراك المرجودات كلها ما في الحس وما وراء الحس بهذا النظر وتلك البراهين.

وحاصل مداركهم في الوجود على الجملة وما آلت إليه وهو الذي فرعوا عليه قضايا انتظارهم أنهم عثروا أولاً على الجسم السفلي بحكم الشهود والحس، ثم ترقى إدراكهم قليلاً فشعروا بوجود النفس من قبل الحركة والحس بالحيوانات، ثم أحسوا من قوى النفس سلطان العقل. ووقف إدراكهم فقضوا على الجسم العالى السماوى بتحوله من القضاء على أمر الذات الإنسانية. ووجب عليهم أن يكون للفلك نفس وعقل كما للإنسان، ثم أنهوا ذلك نهاية عدد الأحاداد وهي العشر، تسع مفصلة ذاتها جمل واحد أول مفرد وهو العاشر. ويزعمون أن السعادة في إدراك الوجود على هذا التحول من القضاء مع تهذيب النفس وتخليقها بالفضائل، وأن ذلك ممكن للإنسان ولو لم يرد شرع تمييزه بين الفضيلة والرذيلة من الأفعال بمقتضى عقله ونظره

ولا علم وإنما يحصل بكشف حجاب الحسن ونسيان المدارك الجسمانية بالجملة.

والمتصوفة كثيراً ما يعنون بمصروف هذا الإدراك للنفس بمصروف هذه البهجة، فيحاولون بالرياضية إماتة القوى الجسمانية ومداركها حتى الفكر من الدماغ، وليحصل للنفس إدراها الذي لها من ذاتها عند زوال الشواغب والموائع الجسمانية يحصل لمن بهة ولذة لا يعبر عنها. وهذا الذي يعممه بتقدير صحته مسلم لهم وهو مع ذلك غير واف بمقدورهم.

فاما قوله: إن البراهين والأدلة العقلية محصلة لهذا النوع من الإدراك والإبهاج عنه فباطل كما رأيته، إذ البراهين والأدلة من جملة المدارك الجسمانية؛ لأنها بالقوى الدماغية من الخيال والفكر والذكر. ونحن نقول: إن أول شيء نعني به في تحصيل هذا الإدراك إماتة هذه القوى الدماغية كلها لأنها مازعة له قادحة فيه وتعد الماهر منهم عاكفاً على كتاب الشفاء والإشادات والنجاة وتخلص ابن رشد للقص من تاليف أرسسطو وغيره يعثر أوراقها ويتوثق من براهينها ويلتمس هذا القسط من السعادة فيها، ولا يعلم أنه يستثني بذلك من المواتع عنها. ومستندهم في ذلك ما يقللونه عن أرسسطو والفارابي وابن سينا أن من حصل له إدراك العقل الفعال واتصل به في حياته فقد حصلحظة من هذه السعادة.

والعقل الفعال عندهم عبارة عن أول رتبة ينكشف عنها الحسن من رتب الروحانيات ويحملون الاتصال بالعقل الفعال على الإدراك العلمي، وقد رأيت فساده، وإنما يعني أرسسطو وأصحابه بذلك الاتصال والإدراك إدراك النفس الذي لها من ذاتها وبغير واسطة وهو لا يحصل إلا بكشف حجاب الحسن.

وأما قوله: إن البهجة الناشئة عن هذا الإدراك هي عين السعادة الملعود بها فباطل أيضاً؛ لأننا تبين لنا بما قررروره أن وراء الحسن مدركاً آخر للنفس من غير واسطة وأنها تbhج بإدراها ذلك ابتهاجاً شديداً، وذلك لا يعن لنا أنه عين السعادة الأخرى ولا بد، بل هي من جملة الملاذ التي لتلك السعادة.

وأما قوله: إن السعادة في إدراك هذه الموجودات على ما هي عليه فقول باطل مبني على ما كنا قدمناه في أصل الترجيد من الأوهام والأغلال في أن الوجود عند كل مدرك منحصر في مداركه. وبينما فساد ذلك وأن الوجود أوسي من أن يحيط به أو يستوفي إدراكه بجملته روحانياً أو جسمانياً. والذي يحصل من جميع ما قررناه من مذاهبهم أن الجزء الروحاني إذا فارق القوى

للشخصيات بالصور الخيالية لا في المقولات الثانية التي تجريدها في الرتبة الثانية، فيكون الحكم حيئاً بكتابة المحسوسات إذ المقولات الأولى أقرب إلى مطابقة الخارج لكمال الانطباق فيها فسلم لهم حيئاً دعوا بهم في ذلك. إلا أنه ينبغي لنا الاعراض عن النظر فيها إذ هو من ترك المسلم لما لا يعنيه، فإن مسائل الطبيعتيات لا تهمنا في ديننا ولا معاشرنا فوجب علينا تركها.

وأما ما كان منها في الموجودات التي وراء الحسن وهي الروحانيات ويسموه العلم الإلهي وعلم ما بعد الطبيعة، فإن ذواتها مجهرة رأساً ولا يمكن التوصل إليها ولا البرهان عليها؛ لأن تجريد المقولات من الموجودات الخارجية الشخصية إنما هو ممكن فيما هو مدرك لنا. ونحن لا ندرك الذوات الروحانية حتى نجد منها ماهيات أخرى بمحاجة الحسن بينما وبينها، فلا يتأنى لنا برهان عليها ولا مدرك لنا في إثبات وجودها على الجملة إلا ما نجده بين جنبينا من أمر النفس الإنسانية وأحوال مداركها وخصوصاً في الرويا التي هي وجданية لكل أحد وما وراء ذلك من حقيقتها وصفاتها فأمر غامض لا سبيل إلى الوقوف عليه. وقد صرخ بذلك محققorum حيث ذهبوا إلى أن ما لا مادة له لا يمكن البرهان عليه لأن مقدمات البرهان من شرطها أن تكون ذاتية.

وقال كبيرهم أفلاطون: إن الإلهيات لا يوصل فيها إلى يقين، وإنما يقال فيها بالأحق والأول - يعني الظن - وإذا كانت إثباتاً محصل بعد التعب والتضليل على الظن فقط فيكتسب الظن الذي كان أولاً فاي فائدة لهذه العلوم والاشتغال بها ونحن إنما عنايتها بتحصيل اليقين فيما وراء الحسن من الموجودات، وهذه هي غاية الأفكار الإنسانية عندهم.

وأما قوله إن السعادة في إدراك الموجودات على ما هي عليه بتلك البراهين فقول مزيف مردود، وتفسيره أن الإنسان مركب من جزأين، أحدهما: جسماني، والآخر: روحياني مسترج به، ولكن واحد من الجزأين مدارك إدراكه مخصصة به والمدرك فيما واحد وهو الجزء الروحياني يدرك تارة مدارك روحيانية وتارة مدارك جسمانية إلا أن المدارك الروحانية يدركها بذاته بغير واسطة، والمدارك الجسمانية بواسطة آلات الجسم من الدماغ والحواس. وكل مدرك فعله ابتهاج بما يدركه. واعتبره مجال الصبي في أول مداركه الجسمانية التي هي بواسطة، كيف يbhج بما يبصره من الضوء وما يسمعه من الأصوات فلا شك أن الابتهاج بالإدراك الذي للنفس من ذاتها بغير واسطة يكون أشد وأذل. فالنفس الروحانية إذا شعرت بإدراها الذي لها من ذاتها بغير واسطة حصل لها ابتهاج ولذة لا يعبر عنها، وهذا الإدراك لا يحصل بنظر

وهو خلو من علوم الله، فقلَّ أن يسلم لذلك من معاطبها. والله الموفق للصواب وللحق والهادي إليه. وما كان له تهدي لولا أن هدانا الله.

الجسمانية إدراك إدراكاً ذاتياً له مختصاً بصنف من المدارك وهي الموجودات التي أحاط بها علمنا وليس عام الإدراك في الموجودات كلها إذ لم تتحصر، وأنه ينتهي بذلك التحول من الإدراك ابتهاجاً شديداً كما ينتهي الصبي بمداركه الحسية في أول نشوءه، ومن لنا بعد ذلك يدارك جميع الموجودات أو بحصول السعادة التي وعدها بها الشارع إن لم نعمل لها، (هيئات هيئات لما توعدون).

## الفصل الثاني والثلاثون

### في إبطال صناعة النجوم وضعف مداركها وفساد غايتها

هذه الصناعة يزعم أصحابها أنهم يعرفون بها الكائنات في عالم العناصر قبل حدوثها من قبل معرفة قوى الكواكب وتاثيرها في المولدات العنصرية مفردة ومجتمعية، ف تكون لذلك أوضاع الأفلاك والكواكب دالة على ما سيحدث من نوع من أنواع الكائنات الكلية والشخصية. فالمتقدمون منهم يرون أن معرفة قوى الكواكب وتاثيراتها بالتجربة وهو أمر تصر الأعمار كلها لو اجتمع عن تحصيله، إذ التجربة إنما تحصل في المرات المتعددة بالتكرار ليحصل عنها العلم والظن. وأدوار الكواكب منها ما هو طويل الزمن فيحتاج تكرره إلى آماد وأحقاب متطاولة يتراص عندها ما هو طويل من أعمار العالم. وربما ذهب ضعفاء منهم إلى أن معرفة قوى الكواكب وتاثيراتها كانت بالوحى وهو رأي فائل وقد كفنا مؤونة إبطاله.

ومن أوضح الأدلة فيه أن تعلم أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أبعد الناس عن الصنائع وأنهم لا يتعرضون للإنذار عن الغيب إلا أن يكون عن الله، فكيف يدعون استبطانه بالصناعة ويشرون بذلك لتابعهم من الخلق! وأما بطليموس ومن تبعه من المؤاخرين فيرون أن دالة الكواكب على ذلك دلالة طبيعية من قبل مزاج يحصل للكواكب في الكائنات العنصرية، قال: لأن فعل النبرين وأثرهما في العنصريات ظاهر لا يسع أحداً حجمه مثل فعل الشمس في تبدل الفصول وأمزجتها ونضج الشار والزرع وغير ذلك، وفعل القمر في الرطوبات والماء وإنضاج المواد المتعلقة وفواكه القناء وسائر أنواعه.

ثم قال: ولنا فيما بعدهما من الكواكب طريقان:  
الأول: التقليد لمن نقل ذلك عنه من أئمة الصناعة إلا أنه غير مقنع للنفس.

والثانية: المحسوس والتجربة بقياس كل واحد منها إلى النير الأعظم الذي عرفنا طبيعته وأثره معرفة ظاهرة فتنظر هل يزيد

وأما قوله: إن الإنسان مستقل بتهليق نفسه وإصلاحها بمحاباة المحمود من الخلق ومجانبة المنموم، فأمر مني على أن ابتهاج النفس يداركها الذي لها من ذاتها هو عين السعادة الموعود بها، لأن الرذائل عائقه للنفس عن تمام إدراكها ذلك بما يحصل لها من الملكات الجسمانية والوانها.

وقد بينا أن أثر السعادة والشقاوة ومن وراء الإدراكات الجسمانية والروحانية، فهذا التهذيب الذي توصلوا إلى معرفته إنما تفعه في البهجة الناشطة عن الإدراك الروحاني فقط الذي هو على مقاييس وقوانين. وأما ما وراء ذلك من السعادة التي وعدها بها الشارع على امثال ما أمر به من الأعمال والأخلاق فأمر لا يحيط به مدارك المدركون. وقد تبه لذلك زعيمهم أبو علي بن سينا فقال في كتاب (المبدأ والماء) ما معناه: إن المعاد الروحاني وأحواله هو مما يتوصل إليه بالبراهين العقلية والمقاييس؛ لأنه على نسبية طبيعية محضرة ووترة واحدة فلتا في البراهين عليه سعة. وأما المعاد الجسماني وأحواله فلا يمكن إدراكه بالبرهان لأنه ليس على نسبة واحدة، وقد سلطته لنا الشريعة الحقة الحمدية فلينظر فيها وليرجع في أحواله إليها.

فهذا العلم كما رأيته غير واف بمقاصدهم التي حرموا عليها مع ما فيه من مخالفة الشرائع وظواهرها. وليس له فيما علمنا إلا ثمرة واحدة وهي شحذ الذهن في ترتيب الأدلة والحجاج لتحصيل ملامة الجودة والصواب في البراهين. وذلك أن نظم المقاييس وتركيبها على وجه الأحكام والإتقان هو كما شرطوه في صناعتهم المتفقية وقولهم بذلك في علومهم الطبيعية وهم كثيراً ما يستعملونها في علومهم الحكمية من الطبيعيات والتعاليم وما بعدها، فيستولي الناظر فيها بكلة استعمال البراهين بشروطها على ملامة الإنقاذ والصواب في الحاجاج والاستدلالات لأنها وإن كانت غير وافية بمقاصدهم فهي أصح ما علمناه من قوانين الأنوار. هذه هي ثمرة هذه الصناعة مع الاطلاع على مذاهب أهل العلم وأرائهم ومضارها ما علمت. فليكن الناظر فيها متحرزاً جهده من معاطبها، ول يكن نظر من ينظر فيها بعد الامتلاء من الشعريات والاطلاع على التفسير والفقه ولا يكن أحد عليها

فاعل إلا الله بطريق استدلالي كما رأيته، واحتج له أهل علم الكلام بما هو غني عن البيان من أن إسناد الأسباب إلى المسميات مجحول الكيفية، والعقل متهم على ما يقضى به فيما يظهر بادئ الرأي من التأثير، فلعل استداتها على غير صورة التأثير المترافق. والقدرة الإلهية رابطة بينهما كما ربطت جميع الكائنات علوًّا وسفلاً سيما والشرع يرد المحوادث كلها إلى قدرة الله تعالى وبرأ ما سوى ذلك.

والنبوات أيضاً منكرة لشأن النجوم وتأثيراتها. واستقراء الشرعيات شاهد بذلك في مثل قوله: «إن الشمس والقمر لا يخسنان لوت أحد ولا لحياته» وفي قوله: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب، وأما من قال: مطرنا بنوه كذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب» الحديث الصحيح.

فقد بان لك بطلان هذه الصناعة من طريق الشرع وضعف مداركها مع ذلك من طريق العقل مع ما لها من المضار في العمران الإنساني بما تبعث من عقائد العوام من الفساد، إذا اتفق الصدق من أحكامها في بعض الأحيان اتفاقاً لا يرجع إلى تعليل ولا تحقيق، فيليه بذلك من لا معرفة له ويظن اطراد الصدق في سائر أحكامها وليس كذلك. فيقع في رد الأشياء إلى غير خالقها. ثم ما ينشأ عنها كثيراً في الدول من توقع القوارط وما يبعث عليه ذلك التوقع من تطاول الأعداء المتربصين بالدولة إلى الفتكت والشوربة. وقد شاهدنا من ذلك كثيراً، فيبغي أن تحظر هذه الصناعة على جميع أهل العمران لما ينشأ عنها من المضار في الدين والدول، ولا يقتدح في ذلك كون وجودها طبيعياً للبشر بمقتضى مداركهم وعلومهم. فالخير والشر طبيعتان موجودتان في العالم لا يمكن نزع عنهما، وإنما يتعلق التكليف بأسباب حصولهما فتعين السعي في اكتساب الخير بأسبابه ودفع أسباب الشر والمضار.

هذا هو الواجب على من عرف مفاسد هذا العلم ومضاره. ولابد من ذلك أنها، وإن كانت صحيحة في نفسها، فلا يمكن لأحد من أهل الملة تحصيل علمها ولا ملكتها، بل إن نظر فيها ناظر وظن الإحاطة بها فهو في غاية القصور في نفس الأمر. فلن الشريعة لما حظرت النظر فيها فقد الاجتماع من أهل العمران لقراءتها والتخلق لتعليمها وصار المرلع بها من الناس وهم الأقل وأقل من الأقل إنما يطالع كتبها ومقالاتتها في كسر بيته متسراً عن الناس وتحت ريبة الجمهور مع تشعب الصناعة وكثرة فروعها واعتراضها على الفهم، فكيف يحصل منها على طائل؟

ونحن نجد الفقه الذي عم نفعه ديناً ودنياً وسهلت مآخذه

ذلك الكوكب عند القرآن في قوله ومزاجه فتعرف موافقته له في الطبيعة أو ينقص عنها فتعرف مضادته. ثم إذا عرفنا قواها مفردة عرفناها مركبة، وذلك عند تناظرها بأشكال التثليث والتربع وغيرهما، ومعرفة ذلك من قبل طابع البروج بالقياس أيضاً إلى التبر الأعظم.

ولذا عرفنا قوى الكواكب كلها فهي مؤثرة في الماء وذلك ظاهر، والمزاج الذي يحصل منها للهواء يحصل لما تمتها من المولدات وتخالق به النطف والبزر فتصير حالاً للبدن المكون عنها وللنفس المتعلقة به الفائضة عليه المكتسبة لما لها منه وما يتبع النفس والبدن من الأحوال؛ لأن كيفيات البرزة والنطفة كيفيات لما يتولد عنها وينشاً منها. قال: وهو مع ذلك ظني وليس من اليقين في شيء وليس هو أيضاً من القضاء الإلهي - يعني القدر - إنما هو من جملة الأسباب الطبيعية للكائن والقضاء الإلهي سابق على كل شيء. هذا يحصل كلام بطليموس وأصحابه وهو منصوص في كتابه الأربع وغيرها. ومنه يتبين ضعف مدرك هذه الصناعة وذلك أن العلم الكائن أو الظن به إنما يحصل عن العلم بجملة أسبابه من الفاعل والقابل والمقدمة والغاية على ما تبين في موضعه. والقوى النجموية على ما قرروه إنما هي فاعلة فقط والجزء العنصري هو القابل، ثم إن القوى النجموية ليست هي الفاعل بجملتها بل هناك قوى أخرى فاعلة معها في الجزء المادي مثل قوة التوليد للأب والنوع إلى في النطفة، وقوى الخاصة التي تميز بها صنفٌ صنفٌ من النوع وغير ذلك.

فالقوى النجموية إذا حصل كمالها وحصل العلم فيها إنما هي فاعل واحد من جملة الأسباب الفاعلة للكائن. ثم إنه يشترط مع العلم بقوى النجوم وتأثيراتها مزيد حدس وتخمين، وحيث أنه يحصل عنده الظن بوقوع الكائن. والحدس والتخمين قوى للناظر في فكره وليس من عمل الكائن ولا من أصول الصناعة، فإذا فقد هذا الحدس والتخمين رجعت أدراجها عن الظن إلى الشك. هذا إذا حصل العلم بالقوى النجموية على سداده ولم تعرضه آفة وهذا معوز لما فيه من معرفة حسبات الكواكب في سيرها للتعرف به أو ضاعها، ولما أن اختصاص كل كوكب بقوته لا دليل عليه.

ومدرك بطليموس في إثبات القوى للكواكب الخمسة بقياسها إلى الشمس مدرك ضعيف؛ لأن قوة الشمس غالبة لجميع القوى من الكواكب ومسئولة عليها، فقل أن يشعر بالزيادة فيها أو التقصان منها عند المقارنة كما قال، وهذه كلها قادحة في تعريف الكائنات الواقعة في عالم العناصر بهذه الصناعة. ثم إنتأثير الكواكب فيما تحتها باطن، إذ قد تبين في باب التوحيد أن لا

وائماً مذهبـي وديـني ما كان والنـاس أولـيـاء  
إذ لا فـضـول ولا أصـول ولا جـنـدـال ولا رـسـاء  
ما تـبـعـ الصـدرـ واقتـفـيـنا يا جـنـداـ كـانـ الـاقـفـاءـ  
كـانـواـ كـمـاـ يـعـلـمـونـ مـنـهـمـ وـلـمـ بـكـنـ ذـلـكـ الـهـنـاءـ  
يـاـ اـشـعـرـيـ الصـيـفـ والـشـتـاءـ  
أـنـاـ اـجـزـيـ بالـشـرـ شـرـاـ والـخـيـرـ عـنـ مـثـلـهـ جـزـاءـ  
وـلـانـيـ إـنـ أـكـنـ مـطـيـماـ فـلـتـ اـعـصـيـ وـلـيـ رـجـاءـ  
وـلـانـيـ تـحـتـ حـكـمـ بـارـ اـطـاعـهـ العـرـشـ وـالـشـرـاءـ  
لـيـسـ اـنـصـارـ لـكـمـ وـلـكـنـ اـتـاحـهـ الـحـكـمـ وـالـقـضـاءـ  
لـوـ حدـثـ الـأـشـعـرـيـ عـمـنـ لـهـ إـلـىـ رـأـيـهـ اـنـتـهـاءـ  
لـقـالـ أـخـبـرـهـ بـلـيـ مـسـاـيـقـلـونـهـ بـرـاءـ

من الكتاب والستة وعكف الجمهور على قراءته وتعلمه ثم بعد التحقين والتجميع وطول المدارسة وكثرة المجالس وتعددتها إنما يحذق فيه الواحد بعد الواحد في الأعصار والأجيال. فكيف يعلم مهجور للشريعة مضروب دونه سد المظفر والتحريم مكتوم عن الجمهور صعب المأخذ تحتاج بعد الممارسة والتحصيل لأصوله وفروعه إلى مزيد حدس وتخمين يكتفان به من الناظر، فain التحصيل والخلق فيه مع هذه كلها. ومدعى ذلك من الناس مردود على عقبه ولا شاهد له يقوم بذلك لغراوة الفن بين أهل الملة وقلة حلمه، فاعتبر ذلك يتين لك صحة ما ذهنا إليه. والله أعلم بالغيب فلا يظهر على غيره أحداً.

وما وقع في هذا المعنى لبعض أصحابنا من أهل العصر عندما غلب العرب عساكر السلطان أبي الحسن وحاصروه بالقيروان وكثر إرجاف الفريقين الأولياء والأعداء، وقال في ذلك أبو القاسم الروحي من شعراء أهل تونس:

استغرق اللـهـ كـلـ حـيـنـ قد ذـهـبـ العـيشـ وـالـهـنـاءـ  
اصـبـحـ فـيـ تـونـسـ وـأـمـسـيـ وـالـصـبـحـ شـهـ وـالـسـاءـ  
خـلـوفـ وـالـجـنـوـعـ وـالـمـاـيـاـ يـعـدـهـاـ الـهـرـجـ وـالـوـبـاءـ  
وـالـنـاسـ فـيـ مـرـيـةـ وـحـرـبـ وـمـاعـسـىـ يـنـفـعـ الـرـاءـ  
فـسـاحـمـيـ يـسـرـيـ عـلـيـاـ حلـ بـهـ الـمـلـكـ وـالـتـسـوـاءـ  
وـآخـرـ قـالـ سـوـفـ يـسـأـيـ بـهـ إـلـيـكـمـ صـبـأـ رـخـاءـ  
يـقـضـيـ لـعـبـيـهـ مـاـيـشـهـ وـالـلـهـ مـنـ فـوـقـ ذـاـ وـهـنـاـ  
مـاـفـلـتـ هـذـهـ السـمـاءـ يـاـ رـاصـدـ الـخـنـسـ الـجـوـارـيـ  
أـنـكـمـ الـيـوـمـ أـمـلـيـاءـ مـطـلـمـونـ وـقـدـ زـعـمـتـ  
مـرـخـيـسـ عـلـىـ خـيـسـ وـجـاءـ سـبـتـ وـارـبـاءـ  
وـنـصـفـ شـهـرـ وـعـشـرـ شـانـ وـذـاكـ جـهـ لـلـمـ اـزـدـاءـ  
وـلـأـنـرـىـ غـيـرـ زـورـ قـوـلـ إـنـاـ إـلـىـ اللـهـ قـدـ عـلـمـنـاـ  
رـضـيـتـ بـالـلـهـ لـيـ إـلـهـ أـنـ لـيـسـ يـسـتـنـدـعـنـ القـضـاءـ  
إـلـاـ عـادـيدـ أـوـ إـمـاءـ مـاـهـنـهـ الـأـخـنـمـ السـوارـيـ  
يـقـضـيـ عـلـيـهـاـ وـلـيـسـ تـقـضـيـ  
ضـلـتـ عـقـولـ تـرـىـ قـدـيـاـ مـاـشـأـهـ الـجـرـمـ وـالـفـنـاءـ  
وـحـكـمـتـ فـيـ الـوـجـودـ طـبـاـ يـعـدـهـ الـسـاءـ وـالـهـنـاءـ  
لـمـ تـرـ حـلـواـ إـزـاءـ مـرـ تـغـدوـهـمـ وـتـرـبـةـ وـمـاءـ  
الـلـهـ رـبـيـ وـلـسـتـ اـدـريـ مـاـ الـجـوـهـرـ الـفـرـدـ وـالـخـلـاءـ  
وـلـأـمـيـوـلـ الـسـيـيـ تـسـاديـ مـاـلـيـ عـنـ صـورـةـ عـرـاءـ  
وـلـأـجـودـ وـلـأـعـنـدـامـ لـلـبـوتـ وـلـأـنـفـاءـ  
وـلـسـتـ اـدـريـ مـاـ الـكـبـ إـلـاـ مـاـ جـلـبـ الـيـعـ وـالـشـرـاءـ

### الفصل الثالث والثلاثون

#### في إنكار ثورة الكيمايا واستحالة وجودها وما

#### ينشا من المفاسد عن انتحالها

اعلم أن كثيراً من العاجزين عن معاشهم تحملهم المطاعم على انتقال هذه الصنائع ويررون أنها أحد مذاهب المعاش ووجوهه، وأن اقتناه المال منها أيسر وأسهل على متبعيه فيرتكبون فيها من المتعاب والمماشي ومعاناة الصعاب وعسف الحكم وخشارة الأموال في النفقات زيادة على التيل من غرضه والخطب آخرأ إذا ظهر على خيبة، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً. وإنما أطعمهم في ذلك رؤية أن المعادن تستحيل ويinctلب بعضها إلى بعض للمادة المشتركة، فيحاولون بالعلاج صيرورة الفضة ذهباً والنحاس والقصدير فضة، ويعسبون أنها من مifikات عالم الطبيعة وطم في علاج ذلك طرق مختلفة لاختلاف مذاهبهم في التدبير وصورته وفي المادة الموضوعة عندهم للعلاج المسماة عندهم بالحجر المكرم، هل هي العذرة أو الدم أو الشعر أو البيض أو كذا أو كذا مما سوى ذلك.

وجلة التدبير عندهم بعد تعين المادة أن تهـىـ بالـفـهـرـ علىـ حـجـرـ صـلـدـ أـمـلـسـ وـتـسـقـيـ اـثـنـاءـ إـمـهـاـنـهاـ بـلـاءـ وـيـعـدـ بـأـنـ يـصـافـ إـلـيـهـاـ منـ العـقـاـقـيرـ وـالـأـدـوـيـةـ ماـ يـنـسـبـ الـقـصـدـ مـنـهـاـ وـيـوـشـرـ فـيـ اـنـقـلـابـهاـ إـلـىـ الـمـدـنـ الـطـلـبـ.ـ ثـمـ تـجـفـ بالـشـمـسـ مـنـ بـعـدـ السـقـيـ أوـ تـطـبـخـ بـالـنـارـ أوـ تـصـدـعـ أوـ تـكـلـسـ لـاـسـتـخـارـاجـ ماـنـهـاـ أوـ تـرـابـهاـ،ـ فـإـذـ رـضـيـ بـذـلـكـ كـلـهـ مـنـ عـلـاجـهاـ وـتـدـبـيرـهاـ عـلـىـ مـاـ اـقـضـهـ أـصـرـولـ صـنـعـتـهـ حـصـلـ منـ ذـلـكـ كـلـهـ تـرـابـ أوـ مـاءـ يـسـمـونـ الـأـكـسـيرـ وـيـزـعـمـونـ أـنـهـ إـذـ

فيما لديهم. ولا يزالون كذلك في ابتغاء معاشهم وهذا الصنف لا كلام مهم؛ لأنهم بلغوا النهاية في الجهل والبردادة والاحتراف بالسرقة ولا حاسم لعلتهم إلا اشتداد الحكام عليهم وتساولهم من حيث كانوا وقطع أيديهم متى ظهروا على شانهم؛ لأن فيه إفساداً للسلكة التي تعم بها البلوى وهي متغول الناس كافة. والسلطان مكلف بإصلاحها والاحتياط عليها والاشتداد على مفسديها.

وأما من انتحل هذه الصناعة ولم يرض بحال الدلسه بل استكفت عنها وتنزه نفسه عن إفساد سكة المسلمين وتقودهم، وإنما يطلب إحالة الفضة للذهب والرصاص والنحاس والقصدير إلى الفضة بذلك التحو مع العلاج، وبالإكسير الماصل عنده قلتنا مع هؤلاء متكلمين وبمحض في مداركم لذلك. مع أنا لا نعلم أن أحداً من أهل العلم تم له هذا الفرض أو حصل منه على بغية، إنما تذهب أعمالهم في التدبیر والفالهر والصلابة والتتصيد والتكتيس واعتبام الأخطار بجمع العقاقير والبحث عنها. ويتناقلون في ذلك حكایات وقتلت غيرهم من مم تم له الفرض منها أو وقف إلى الرصوص يقتعون باستعمالها والقاوضة فيها ولا يستريون في تصديقها شأن الكلفين المغرمين بوسائل الأخبار فيما يكلفون به، فإذا سئلوا عن تحقيق ذلك بالمعاينة انكروه وقالوا: إنما سمعنا ولم نر. هكذا شأنهم في كل عصر وجيل.

واعلم أن انتحال هذه الصناعة قديس في العالم وقد تكلم الناس فيها من المقدمين والمؤخرين، فلننقل مذاهفهم في ذلك شم تللوه بما يظهر فيها من التحقيق الذي عليه الأمر في نفسه، فنقول: إن مبني الكلام في هذه الصناعة عند الحكام على حال المعادن السبعة المنطرقة وهي الذهب والفضة والرصاص والنحاس والقصدير والنحاس والخديد والخارصين، هل هي مختلافات بالقصور وكلها أنواع قائمة بأنفسها أو إنها مختلفة بخواص من الكيفيات وهي كلها أصناف لنوع واحد؟

فالذى ذهب إليه أبو نصر الفارابي وتابعه عليه حكماء الأندلس أنها نوع واحد وأن اختلافها إنما هو بالكيفيات من الرطوبة والبيروسة واللين والصلابة والألوان من الصفرة والبياض والسوداء، وهي كلها أصناف لذلك النوع الواحد والذي ذهب إليه ابن سينا وتابعه عليه حكماء المشرق أنها مختلفة بالقصور، وأنها أنواع متباعدة كل واحد منها قائم بنفسه متحقق محققت، له فصل وجنس شأن الأنواع. وبين أبو نصر الفارابي على مذهبه في اتفاقها بالنوع إمكان اقلال بعضها إلى بعض لإمكان تبدل الأغراض حيثنى وعلاجهما بالصنعة. فمن هذا الوجه كانت صناعة الكيميا عنده مكنته سهلة المأخذ. وبين أبو علي بن سينا على

القي على الفضة المجمعة بال النار عادت ذهباً أو النحاس المحمى بالنار عاد فضة على حسب ما قصد به في عمله.

ويزعم المحققون منهم أن ذلك الإكسير مادة مركبة من العناصر الأربع حصل فيها بذلك العلاج الخاص والتدبیر مراج ذو قوى طبيعية تصرف ما حصلت فيه إليها وتقلبها إلى صورتها ومزاجها وتبث فيه ما حصل فيها من الكيفيات والقوى، كاللحيرة للجزر تقلب العجذب إلى ذاتها، وتعمل فيه ما حصل لها من الانتشاش والهشاشة ليحسن هضمه في المعدة ويستحيل سريعاً إلى الغذاء. وكذا إكسير الذهب والفضة فيما يحصل فيه من المعان بصارفه إليهما ويقلبها إلى صورتهما.

هذا عحصل زعيمهم على الجملة فتجدهم عاكفين على هذا العلاج يتغرون الرزق والمعاش فيه ويتناقلون أحکامه وقواعدة من كتب لأئمة الصناعة من قبلهم يتداولونها بينهم، ويتناطرون في فهم لغزها وكشف أسرارها إذ هي في الأكثر تشبه المعنى. كاكيف جابر بن حيان في رسائله السبعين ومسلمة الجرجطي في كتابه رتبة الحكيم والطغرائي والمثيري في قصائد العرقية في إجاده النظم وأمثالها ولا يخلون من بعد هذا كله بطالن منها.

فأوخرت يوماً شيخنا أبا البركات التليفي كبر مشيخة الأندلس في مثل ذلك ووقفته على بعض التأكيف فيها فتصفحه طويلاً ثم رده إلى وقال لي: وأنا الضامن له أن لا يعود إلى بيته إلا بالحقيقة. ثم منهم من يقتصر في ذلك على الدلسه فقط. إنما الظاهرة كتمويه الفضة بالذهب أو النحاس بالفضة أو خلطهم على نسبة جزء أو جزأين أو ثلاثة أو الخفية كإلقاء الشبه بين المعادن لصناعة، مثل تبييض النحاس وتلينه بالرثوة المصعد فيجيء جسمًا معدنياً شبيهاً بالفضة ويفنى إلا على التقاذ المهرة فيقدر أصحاب هذه الدلس مع دلستهم هذه سكة يسربونها في الناس ويطبعونها بطابع السلطان عمرها على الجمهور بالخلاص. وهو لؤلؤ أحسن الناس حرفة وأسوأهم عاقبة لتلبسهم بسرقة أموال الناس، فإن صاحب هذه الدلسه إنما هو يدفع ثمناً في الفضة وفضة في الذهب ليستخلصها لنفسه، فهو سارق وأشر من السارق.

ومعظم هذا الصنف لدينا بالغرب من طلبة البربر المتبذلين بأطراف البقاع ومساكن الأغمار يأدون إلى مساجد البداره ويجهون على الأغنياء منهم بأن بآيديهم صناعة الذهب والفضة والتفوس مولعة بجههما والاستهلاك في طلبها فيحصلون من ذلك على معاش. ثم يقع ذلك عندهم تحت الخوف والرقبة إلى أن يظهر العجز وتقع الفضيحة فيفرون إلى موضع آخر ويستجدون حالاً أخرى في استهواه بعض أهل الدنيا بأطماعهم

أطواره وانتقاله في زمن التكوين من طور إلى طور حتى يتهي إلى غايته. وانظر شأن الإنسان في طور النطفة ثم العلقة ثم المضعة ثم التصوير ثم الجنين ثم المولود ثم الرضيع ثم إلى نهايته. ونسب الأجزاء في كل طور مختلف في مقاديرها وكيفياتها وإلا لكان الطور يعني الأول هو الآخر، وكذا الحرارة الغريزية في كل طور مختلفة لها في الطور الآخر. فانظر إلى الذهب ما يكون له في معده من الأطوار منذ ألف سنة وثمانين، وما يتنقل فيه من الأحوال فيحتاج صاحب الكيمياء إلى أن يساوئ فعل الطبيعة في المعden ويحاذه بتدبره وعلاجه إلى أن يتم.

ومن شرط الصناعة أنها تصور ما يقصد إليه بالصنعة، فمن الأمثال السائرة للحكماء: أول العمل آخر الفكرة وأخر الفكرة أول العمل. فلابد من تصور هذه الحالات للذهب في أحواله المتعددة ونسبيها التفاوتة في كل طور واختلاف الماء الغرزي عند اختلافها ومقدار الزمان في كل طور وما يترب عنده من مقدار القوى المضاعفة ويقوم مقامه حتى يجازي بذلك كله فعل الطبيعة في المعden أو تعد لبعض المواد صورة مزاجية تكون كصورة الخميره للخبز وتفعل في هذه المادة المناسبة لقوها ومقاديرها. وهذه كلها إنما يصرها العلم الحفيظ والعلوم البشرية قاصرة عن ذلك، وإنما حال من يدعى حصوله على الذهب بهذه الصنعة. بمثابة من يدعى بالصنعة تخلق إنسان من المني. ونحن إذا سلمنا له الإحاطة بأجزاءه ونسته وأطواره وكيفية تخلقه في رحمه وعلم ذلك علمًا محصلًا بتفاصيله حتى لا يشذ منه شيء عن علمه سالنا له تخلق هذا الإنسان وأنى له ذلك !!.

ولنقرب هذا البرهان بالاختصار ليسهل فهمه فنقول: حاصل صناعة الكيمايا وما يدعونه بهذا التدبير أنه مساواة الطبيعة المعdenية بالفعل الصناعي ومحاذاتها به إلى أن يتم كون الجسم المعdenي أو تخلق مادة بدقة وأفعال وصورة مزاجية تفعل في الجسم فعلاً طبيعياً فتصيره وتقلبه إلى صورتها. والفعل الصناعي مسبوق بتصورات أحوال الطبيعة المعdenية التي يقصد مساواتها أو عاذاتها أو فعل المادة ذات القرى فيها تصوراً مفصلاً واحدة بعد أخرى. وتلك الأحوال لا نهاية لها والعلم البشري عاجز عن الإحاطة بما دونها وهو بمثابة من يقصد تخلق إنسان أو جيون أو بنات.

هذا يحصل هذا البرهان وهو أوثق ما علمته ولست الاستحالة فيه من جهة الفضول كما رأيته ولا من الطبيعة، إنما هو من تعذر الإحاطة وقصور البشر عنها. وما ذكره ابن سينا بمعرض عن ذلك قوله وجه آخر في الاستحالة من جهة غايته. وذلك أن

منهبه في اختلافها بال النوع إنكار هذه الصنعة واستحالة وجودها بناء على أن الفصل لا سبيل بالصناعة إليه، وإنما يخلقه خالق الأشياء ومقدرها وهو الله عز وجل. والفضول مجهرة الحقائق رأساً بالتصور، فكيف يحاول انقلابها بالصنعة. وغلطه الغرائي من أكابر أهل هذه الصناعة في هذا القول. ورد عليه بأن التدبير والعلاج ليس في تخلق الفصل وإيداعه إنما هو إعداد المادة لقبوله خاصة. والفصل يأتي من بعد الإعداد من لدن خالقه وبوارئه كما يفيض النور على الأجسام بالصقل والإمهاء. ولا حاجة بنا في ذلك إلى تصوره ومعرفته.

قال: وإذا كنا قد عثرنا على تخلق بعض الحيوانات مع الجهل بفضولها مثل العقرب من التراب والنتن، ومثل الحيات المكونة من الشعر ومثل ما ذكره أصحاب الفلاحة من تكوين النحل إذا فقدت من عجاجيل البقر. وتكون القصب من قرون ذات الظللف وتصيره سكرًا يمشي القرون بالعمل بين يدي ذلك الفلاح للقرون، مما المانع إذا من العثور على مثل ذلك في الذهب والفضة. فتتخذ مادة تضيقها للتدبّر بعد أن يكون فيها استعداد أول لقبول صورة الذهب والفضة. ثم تحوّلها بالعلاج إلى أن يتم فيها الاستعداد لقبول فصلها. انتهى كلام الغرائي بعناته. وهو الذي ذكره في الرد على ابن سينا صحيح. لكن لنا في الرد على أهل هذه الصناعة مأخذًا آخر يبين منه استحالة وجودها وبيان مزعمهم أجمعين لا الغرائي ولا ابن سينا. وذلك أن حاصل علاجهم أنهم بعد الوقوف على المادة المستعدة بالاستعداد الأول يمدونها موضعًا ويعادون في تدبّرها وعلاجها تدبّر الطبيعة في الجسم المعdenي حتى أحالته ذهباً أو فضة ويضاغون القرى الفاعلة والمفعولة ليتم في زمان أقصر؛ لأنّة تبين في موضعه أن مضايقة قوة الفاعل تنقص من زمن فعله وتبين أن الذهب إنما يتم كونه في معده بعد ألف وثمانين من السنين دوره الشمس الكبّرى، فإذا تضاعفت القرى والكيفيات في العلاج كان زمن كونه أقصر من ذلك ضرورة على ما قلناه أو يتحرون بعلاجهم ذلك حصول صورة مزاجية لتلك المادة تصيرها كالخميره فتفعل في الجسم المعالج الأفاعيل المطلوبة في إحالته وذلك هو الإكسير على ما تقدم.

واعلم أن كل متكون من المولدات العنصرية فلا بد فيه من اجتماع العناصر الأربع على نسبة متفاوتة، إذ لو كانت متكافئة في النسبة لما تم امتزاجها، فلابد من الجزء الغائب على الكل. ولابد في كل مترج من المولدات من حرارة غرزيّة هي الفاعلة لتكوين الحافظة لصورته، ثم كل متكون في زمان فلابد من اختلاف

وامتطاء الهواء والغفرة في كثائف الأجساد ونحو ذلك من كرامات الأولياء الخارقة للعادة، أو مثل تخلق الطير وغورها من معجزات الأنبياء. قال تعالى: «وَإِذْ تَحْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهْيَةً الطِّينِ بِإِذْنِي فَتَفَطَّنَ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا يَأْذُنِي» وعلى ذلك فسيل تيسيرها مختلف بحسب حال من يؤتها. فرعاً أويتها الصالح ويؤتها غيره فتكون عنده معاشرة. ورعاً أوتها الصالح ولا يملك إيتامها فلا تسم في يد غيره.

ومن هذا الباب يكون عملها سحرياً فقد تبين أنها إنما تقع بتأثيرات النفوس وخرافات العادة إما معجزة أو كرامة أو سحراً. ولهذا كان كلام الحكماء كلهم فيها الغازاً لا يظفر بحقيقة إلا من خاص جلة من علم السحر واطلع على تصرفات النفس في عالم الطبيعة. وأمور خرق العادة غير منحصرة ولا يقصد أحد إلى تحصيلها. والله بما يعلمون حيط.

وأكثر ما يحمل على التماس هذه الصناعة واتحالها هو كما قلنا العجز عن الطرق الطبيعية للمعاش وابتغاوه من غير وجهه الطبيعية كالفالحة والتجارة والصناعة، فيستصعب العاجز ابتغاوه من هذه ويروم الحصول على الكثير من المال دفعه بوجوه غير طبيعية من الكيميات وغيرها. وأكثر من يعني بذلك الفقراء من أهل العمran وللناس أقوال كثيرة - حتى في الحكماء المتكلمين - في إنكارها واستحالتها. فإن ابن سينا القائل باستحالتها كان عليه الوزراء فكان من أهل الغنى والثروة، والفارابي القائل بإمكانها كان من أهل الفقر الذين يعوزهم أدنى بلغة من المعاش وأسبابه. وهذه تهمة ظاهرة في أنظار النفوس المولعة بطرقها واتحالها. والله الرزاق ذو القوة المتين لا رب سواه.

## الفصل الرابع والثلاثون

### في أن كثرة التأليف في العلوم عائقة عن التحصل

اعلم أنه مما أصر الناس في تحصيل العلم والوقوف على غاياته كثرة التأليف واختلاف الاصطلاحات في التعليم وتعدد طرقها ثم مطالبة المعلم والتلميذ باستحضار ذلك. وحيثندس سلم له منصب التحصل فيحتاج المتعلم إلى حفظها كلها أو أكثرها ومراعاة طرقها. ولا يفي عمره بما كتب في صناعة واحدة إذا تجرد لها فيقع القصور ولابد دون رتبة التحصل. ويمثل ذلك من شأن الفقه في المذهب المالكي بالكتب المدونة مثلًا وما كتب عليها من الشروحات الفقهية مثل كتاب ابن يونس واللخمي وابن بشير.

حكمة الله في الحجرين وندورهما أنها قيم لكراسيب الناس وشمولاياتهم. فلو حصل عليهم بالصنعة لبطلت حكمة الله في ذلك وكثير وجودهما حتى لا يحصل أحد من اقتناهما على شيء. وله وجه آخر من الاستحالة أيضاً وهو أن الطبيعة لا ترك أقرب الطرق في أعمالها وترتکب الأعراض والأبعد. فلو كان هذا الطريق الصناعي الذي يزعمون أنه صحيح وأنه أقرب من طريق الطبيعة في معدنها أو أقل زماناً لما تركه الطبيعة إلى طريقها الذي سلكته في كون الفضة والذهب وتخلقاها، وأما تشيه الظرفائي هذا التدبير بما عثر عليه من مفردات لأمثاله في الطبيعة كالعقب والنحل واللحية وتخلقاها فامر صحيح في هذه أدى إليه العثور كما زعم.

وأما الكيمياء فلم ينقل عن أحد من أهل العلم أنه عثر عليها ولا على طريقها وما زال متخلوها بخبطون فيها خبط عناء إلى هلم جرا ولا يظفرون إلا بالحكايات الكافية. ولو صبح ذلك لأحد منهم لحفظه عنه أولاده أو تلميذه وأصحابه وتنقل في الأصدقاء وضمن تصديقه صحة العمل بعده إلى أن يتشر وبلغ إلينا وإلى غيرنا.

وأما قولهم: إن الإكسير بمثابة الخميرة. وأنه مركب يحيل ما يحصل فيه ويقبله إلى ذلك، فاعلم أن الخميرة إنما تقلب العجين وتتعده للهضم وهو فساد، والفساد في المواد سهل يقع بأيسر شيء من الأفعال والطائع. والمطلوب بالإكسير قلب المعدن إلى ما هو أشرف منه وأعلى فهو تكوين وصلاح والتكون أصعب من الفساد، فلا يقاد الإكسير بالخميرة. وتحقيق الأمر في ذلك أن الكيمياء إن صبح وجودها كما تزعم الحكماء المتكلمون فيها مثل جابر بن حيان وسلمة بن أحد الجريطي وأمثالهم، فليست من باب الصنائع الطبيعية ولا تم بأمر صناعي. وليس كلامهم فيها من منحى الطبيعتيات إنما هو من منحى كلامهم في الأمور السحرية وسائر الخوارق وما كان من ذلك لللاحاج وغيره، وقد ذكر مسلمة في كتاب الغاية ما يشبه ذلك. وكلامه فيها في كتاب رتبة الحكم من هذا المنحس وهذا الكلام جابر في رسائله ونحو كلامهم فيه معروف ولا حاجة بنا إلى شرحه وبالجملة فامرها عندهم من كليات المواد الخارجية عن حكم الصنائع فكما لا يتدار ما منه الخشب والجحروان في يوم أو شهر خشباً أو حيواناً فيما عدا محري تخليقه كذلك لا يتدار ذهب من مادة الذهب في يوم ولا شهر ولا يتغير طريق عادته إلا بارفاد ما وراء عالم الطبائع وعمل الصنائع فكذلك من طلب الكيمياء طلباً صناعياً ضيع ماله وعمله ويفساد لهذا التدبير الصناعي التدبير العقيم، لأن نيله إن كان صحيحاً فهو وراء الطبائع والصناعات فهو كالمشي على الماء

على وجه المقاومة، تصل الأفكار في تصحيحها. وذلك البيان إنما يكون بالعبارة، وهي الكلام المركب من الألفاظ النطقية التي خلقها الله في عضو اللسان مركبة من المحرف، وهي كيفيات الأصوات المقطعة بعطلة اللهاة واللسان ليتبين بها ضمائر المتكلمين بعضهم بعض في مخاطبائهم، وهذه رتبة أولى في البيان عمما في الضمائر، وإن كان معظمها وأشرفها العلوم، فهي شاملة لكل ما يتدرج في الضمير من خبر أو إنشاء على العموم.

وبعد هذه الرتبة الأولى من البيان رتبة ثانية يؤودي بها ما في الضمير، لمن توارى أو غاب شخصه وبعد، أو لم يأتِ بعد ولم يعاصره ولا تلقه. وهذا البيان منحصر في الكتابة، وهي رقم باليد تدل أشكالها وصورها بالاتربيع على الألفاظ النطقية حروفًا معروفة وكلمات بكلمات، فصار البيان فيها على ما في الضمير بواسطة الكلام المنطقي، فلهذا كانت في الرتبة الثانية واحدة، فسمى هذا البيان. يدل على ما في الضمائر من العلوم والمعارف، فهو أشرفها. وأهل الفنون متعرفون بإيداع ما يحصل في ضمائرهم من ذلك في بطون الأوراق بهذه الكتابة، لتعلم الفائدة في حصوله للغائب والمتاخر وهو لا هم المؤلفون.

والتأليف بين العالم البشري والأمم الإنسانية كثير، ومنتقلة في الأجيال والأعصار وتختلف باختلاف الشارع والملل والأخبار عن الأمم والدول. وأما العلوم الفلسفية، فلا اختلاف فيها، لأنها إنما تأتي على نهج واحد، فيما تقضيه الطبيعة الفكرية، في تصور الموجودات على ما هي عليه، جسمانيتها وروحانيتها وفكيرها وعنصريها ومجدها ومادتها. فإن هذه العلوم لا تختلف، وإنما يقع الاختلاف في العلوم الشرعية لاختلاف الملل، أو التاريخية لاختلاف خارج الخبر. ثم الكتابة مختلفة باصطلاحات البشر في رسومها وأشكالها، ويسمى ذلك قلماً وخطاً. فمنها الخط الحميري، ويسمى المستند، وهو كتابة حمير وأهل اليمن الأقدمين، وهو يخالف كتابة العرب المتاخرين من مصر، كما يخالف لغتهم. وإن الكل عربياً. إلا أن ملكة هؤلاء في اللسان والعبارة غير ملكة أولئك. ولكل منها قوانين كلية مستقرة من عبارتهم غير قوانين الآخرين. وربما يغلط في ذلك من لا يعرف ملكات العبارة. ومنها الخط السرياني، وهو كتابة النبط والكلدانين. وربما يزعم بعض أهل الجهل أنه الخط الطبيعي لقدمه فإنهم كانوا أقدم الأمم، وهذا وهم، ومنذهب عامي. لأن الأفعال الاختيارية كلها ليس شيء منها بالطبع، وإنما هو يستمر بالقديم والمران حتى يصير ملكة راسخة، فيظنها المشاهد طبيعية كما هو رأي كثير من البلداء في اللغة العربية، فقولون: العرب كانت تعرب بالطبع وتنطق بالطبع. وهذا

والتبنيات والمقولات والبيان والتحصيل على العتبة وكذلك كتاب ابن الحاجب وما كتب عليه. ثم إنه يحتاج إلى تبييز الطريقة التبريرانية من القرطبية والبغدادية والمصرية وطرق المتاخرين عنهم والإحاطة بذلك كله، وحيثنة يسلم له منصب الفتيا وهي كلها متكررة والمعنى واحد. والتعلم مطالب باستحضار جمجمتها وتبييز ما بينها والعمر ينقض في واحد منها.

ولو اتتصر المعلمون بالتعلمين على المسائل المذهبية فقط لكان الأمر دون ذلك بكثير وكان التعليم سهلاً وما ذكرناه قريباً، ولكنه داء لا يرتفع لاستقرار العوائد عليه فصارت كالطبيعة التي لا يمكن نقلها ولا تحويلها ويمثل أيضاً علم العربية من كتاب سيسيويه وجميع ما كتب عليه وطرق البصريين والكرفيين والبغداديين والأندلسيين من بعدهم وطرق المتقدمين والمتاخرين، مثل ابن الحاجب وابن مالك وجميع ما كتب في ذلك، وكيف يطالب به المتعلم ويقتضي عمره دونه ولا يطعم أحد في الغاية منه إلا في القليل؟! النادر مثل ما وصل إلينا بالغرب لهذا المهد من تأليف رجل من أهل صناعة العربية من أهل مصر يعرض بابن هشام ظهر من كلامه فيها أنه استولى على غاية من ملكة تلك الصناعة لم تحصل إلا لسيسيويه وابن جني وأهل طبقتهم لعظم ملكته وما أحاط به من أصول ذلك الفن وتقاربه وحسن تصرفه فيه. ودل ذلك على أن الفضل ليس منحصراً في المتقدمين سيمما مع ما قدمته من كثرة الشواغب بتعدد المذاهب والطرق والتأليفات ولكن فضل الله يؤتيه من يشاء. وهذا نادر من نوادر الرجود وإلا فالظاهر أن المتعلم ولو قطع عمره في هذا كله فلا يفي له بتحصيل علم العربية مثلاً، الذي هو آلة من الآلات ووسيلة فكيف يكون في المقصود الذي هو الشمرة؟ ولكن الله يهدى من يشاء.

## الفصل الخامس والثلاثون

### في المقصود التي ينفي اعتمادها بالتأليف وإلغاء ما سواها

اعلم أن العلوم البشرية خزانتها النفس الإنسانية بما جعل الله فيها من الإدراك الذي يفيدها ذلك الفكر الحصول لها بذلك بالتصور للحقائق أولاً، ثم بإثبات المعارض الذاتية لها أو نفيها عنها ثانياً، إما بغير وسط أو بوسط، حتى يستتجع الفكر بذلك مطالبه التي يعني بإثباتها أو نفيها. فإذا استقرت من ذلك صورة علمية في الضمير فلابد من بيانها لآخر: إما على وجه التعليم، أو

**وخامسها:** أن تكون مسائل العلم قد وقعت غير مرتبة في أبوابها ولا منتظمة، فيقصد المطلع على ذلك أن يرتبتها ويهذبها، ويجعل كل مسألة في بابها، كما وقع في المدونة من رواية سخنون عن ابن القاسم، وفي العتيبة من رواية العتبي عن أصحاب مالك، فإن مسائل كثيرة من أبواب الفقه منها قد وقعت في غير بابها، فهذب ابن أبي زيد المدونة وبقيت العتيبة غير مهذبة. فنجد في كل باب مسائل من غيره. واستغناوا بالمدونة وما فعله ابن أبي زيد فيها والبرادي من بعده.

**وسادسها:** أن تكون مسائل العلم مفرقة في أبوابها من علوم أخرى فتبني بعض الفضلاء إلى موضوع ذلك الفن ويجعل مسائله، فيفعل ذلك، ويظهر به فن ينظمه في جملة العلوم التي يتحلها البشر بافكارهم، كما وقع في علم البيان. فإن عبد القاهر الجرجاني وأبا يوسف السكاكى وجدا مسائله مستقرفة في كتب التحور وقد جمع منها الجاحظ في كتاب البيان والتين مسائل كثيرة، تنبه الناس فيها لموضوع ذلك العلم وانفراده عن سائر العلوم، فكتب في ذلك تأليفهم المشهور، وصارت أصولاً لفن البيان، ولقنها المتأخرن فأربوا فيها على كل مقدم.

**سابعها:** أن يكون الشيء من التأليف التي هي أمهات للفنون مطولاً مسهباً، فيقصد بالتاليف تلخيص ذلك بالاختصار والإيجاز وحذف التكرر، إن وقع، مع الحذر من حذف الضروري لثلا جل بمقصد المؤلف الأول.

فهذه جماع المقاصد التي ينبغي اعتمادها بالتاليف ومراعاتها. وما سوى ذلك ففعل غير محتاج إليه وخطأ عن الجادة التي يتبعن سلوكها في نظر القلاء، مثل انتهاك ما تقدم لعنيه من التأليف أن ينسبة إلى نفسه ببعض تلبيس، من تبديل الألفاظ وتقديم المتأخر وعكسه، أو يحذف ما يحتاج إليه في الفن أو يأتي بما لا يحتاج إليه، أو يبدل الصواب بالخطأ، أو يأتي بما لا فائدة فيه. فهذا شأن الجهل والقحة. ولذا قال أرسطو، لما عدد هذه المقاصد، وانتهى إلى آخرها، فقال: وما سوى ذلك ففصل أو شره، يعني بذلك الجهل والتضليل. نعم والله من العمل في ما لا ينبغي للعامل سلوكه. والله يهدى للي هي أقوم.

## الفصل السادس والثلاثون

في أن كثرة الاختصارات المؤلفة في العلوم مختلة بالتعليم ذهب كثير من المتأخرین إلى اختصار الطرق والأسماء في

وهم. ومنها الخط العبراني الذي هو كتابة بني عابر بن شالع من بني إسرائيل وغيرهم، ومنها الخط اللطيني، خط اللطبيين من الروم، ولم يُطبّع أيضاً لسان مختص بهم. ولكل أمة من الأمم اصطلاح في الكتاب يعزى إليها ويختص بها. مثل الترك والفرنج والمنود وغيرهم. وإنما وقعت العتيبة بالأقلام الثلاثة الأولى. أما السرياني فقد قدمه كما ذكرنا، وأما العربي والعبراني فلتزول القرآن والتوراة بهما بلسانهما. وكان هذان الخطان بياناً لتلوههما، فوقع العتيبة بمنظومهما أو لا، وانبسطت قوانين لاطراد العبارة في تلك اللغة على أسلوبها لفهم الشرائع التكليفية من ذلك الكلام الرياني. وأما اللطيني فكان الروم، وهو أهل ذلك اللسان، لما أخذوا بدين النصرانية، وهو كله من التوراة، كما سبق في أول الكتاب، ترجموا التوراة وكتب الأنبياء الإسرائييليين إلى لغتهم، ليقتصروا منها الأحكام على أسهل الطرق. وصارت عنایتهم بلغتهم وكتابتهم أكدر من سواها. وأما الخطوط الأخرى فلم تقع بها عتيبة، وإنما هي لكل أمة محسب اصطلاحها. ثم إن الناس حصرروا مقاصد التاليف التي ينبغي اعتمادها وإلغاء ما سواها، فعدوها سبعة:

**أولاً:** استبطاط العلم بموضوعه وتقسيم أبوابه وفصوله وتنبع مسائله، أو استبطاط مسائل ومباحث تعرض للعالم المحقق وبحرص على إصاله بغيره، لتم المعرفة به فيود ذلك بالكتاب في المصحف، لعمل المتأخر يظهر على تلك الفائدة، كما وقع في الأصول في الفقه. تكلم الشافعى أولاً في الأدلة الشرعية اللغوية ولخصها، ثم جاء الحنفية فاستبططوا مسائل القياس واستوعبوا، وانفع بذلك من بعدهم إلى الآن.

**وثانياً:** أن يقف على كلام الأولين وتأليفهم فيجدها مستغلقة على الأفهام، ويفتح الله له في فهمها فيحرص على إيانة ذلك لغيره من عساه يستغلق عليه، لتصل الفائدة لمستحقها. وهذه طريقة البيان لكتب المعمول والمقبول، وهو فضل شريف.

**ثالثها:** أن يعثر المتأخر على غلط أو خطأ في كلام المقدمين من أشهر فضله وبعد في الإفادة صيحة، ويستوثق في ذلك بالبرهان الواضح الذي لا مدخل للشك فيه، فيحرص على إصال ذلك لمن بعده، إذ قد تذرع محروه وزرعه بانتشار التاليف في الأفاق والأعصار، وشهرة المؤلف ووثوق الناس بمعارفه، فيعود ذلك الكتاب ليقف على بيان ذلك.

**رابعها:** أن يكون الفن الواحد قد نقصت منه مسائل أو فصول محسب اقسام موضوعه، فيقصد المطلع على ذلك أن يتم ما نقص من تلك المسائل ليكمل الفن بكمال مسائله وفصوله، ولا يبقى للنقص فيه مجال.

وقد استولى على ملكته، هذا وجه التعليم المقيد وهو كما رأيت إنما يحصل في ثلاث تكرارات. وقد يحصل للبعض في أقل من ذلك بحسب ما يملئ له ويتيسر عليه، وقد شاهدنا كثيراً من المعلمين لهذا العهد الذي أدركنا بجهلون طرق التعليم وإفاداته ويحضرون للمتعلم في أول تعليمه المسائل المقللة من العلم ويطالبونه بإحضار ذهنه في حلها ويسعون ذلك مراناً على التعليم وصواباً فيه، ويكلفوه رعي ذلك وتخصيله فيخاطرون عليه بما يلقون له من غaiيات الغنون في مبادتها وقبل أن يستعد لفهمها، فإن قبول العلم والاستعدادات لفهمه تنشأ تدريجياً ويكون المتعلم أول الأمر عاجزاً عن الفهم بالجملة إلا في الأقل وعلى سبيل التقريب والإجمال وبالآمثال الحسية. ثم لا يزال الاستعداد فيه يتدرج قليلاً قليلاً بمخالطة مسائل ذلك الفن وتكرارها عليه والانتقال فيها من التقرير إلى الاستيعاب الذي فوقه، حتى تتم الملكة في الاستعداد ثم في التحصيل ويجعل هو بمسائل الفن، وإذا أقيمت عليه الغaiيات في البدائيات وهو حيتنذ عاجزاً عن الفهم والوعي ويعيد عن الاستعداد له كل ذهنه عنها وحسب ذلك من صعوبة العلم في نفسه، فتكتاسل عنه وأخرف عن قبوله وعادى في هجرانه. وإنما أتي ذلك من سوء التعليم. ولا ينبغي للمعلم أن يزيد متعلمه على فهم كتاب الذي أكب على التعليم منه بحسب طاقته وعلى نسبة قبوله للتعليم مبتداً كان أو متهاً ولا يخلط مسائل الكتاب بغیرها حتى يعيه من أوله إلى آخره ويحصل أغراضه ويستولي منه على ملكة بها ينفذ في غيره. لأن المتعلم إذا حصل ملكة ما في علم من العلوم استعد بها لقبول ما بقي وحصل له نشاط في طلب المزيد والنهوض إلى ما فوق حتى يستولي على غaiيات العلم، وإذا خلط عليه الأمر عجز عن الفهم وأدركه الكلال وانطمس فكره ويشن من التحصيل وهجر العلم والتعليم. والله يهدي من يشاء.

و كذلك يبني لك أن لا تطول على المتعلم في الفن الواحد والكتاب الواحد بقطع المجالس وتفرق ما بينها؛ لأنه ذريعة إلى النسيان وانقطاع مسائل الفن بعضها من بعض فيفسر حصول الملكة بتفريقها. وإذا كانت أوائل العلم وأواخره حاضرة عند الفكرة مجانية للنسوان كانت الملكة أيسراً حصراً وأحکم ارتباطاً وأقرب صغراً؛ لأن الملائكة إنما تحصل بتتابع الفعل وتكراره وإذا توسي الفعل توسيت الملكة الناشئة عنه. والله علّمكم ما لم تكونوا تعلمون.

ومن المذاهب الجميلة والطرق الواجبة في التعليم أن لا يخلط على المتعلم علمان معًا، فإنه حيتنذ قبل أن يظفر بواحد منها لما فيه من تقسيم البال وانصرافه عن كل واحد منها إلى فهم

العلوم بولعون بها ويدونون منها برنامجاً مختصرأً في كل علم يشتغل على حصر مسائله وأدتها باختصار في الألفاظ وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفن. وصار ذلك مخالباً بالبلاغة وعسراً على الفهم. وررعاً عمداً إلى الكتب الأمهات المطلولة في الفنون للتفسير والبيان فاختصروها تقريراً للحفظ كما فعله ابن الحاجب في الفقه وأصول الفقه وابن مالك في العربية والخزنجي في المطق وأمثالهم. وهو فساد في التعليم وفيه إخلال بالتحصيل؛ وذلك لأن فيه تخليطاً على المبتدئ بالغaiيات من العلم عليه وهو لم يستعد لقبولها بعد وهو من سوء التعليم كما سيأتي. ثم فيه مع ذلك شغل كبير على المتعلم بتبع الفاظ الاختصار العريضة لفهم المعاني عليها وصعوبة استخراج المسائل من بينها. لأن الفاظ المختصرات تجدها لأجل ذلك صعبة عريضة فتقطع في فهمها حظ صالح من الوقت. ثم بعد ذلك كله فالملائكة المحاصلة من التعليم في تلك المختصرات إذا تم على سداده ولم تعقب آفة فهي ملكة قاصرة عن الملائكة التي تحصل من المرضوعات البسيطة المطلولة لكتراة ما يقع في تلك من التكرار والإحالات المفیدين لحصول الملكة النامية. وإذا اقتصر على التكرار قصرت الملكة لقلة كثأن هذه الموضوعات المختصرة، فقصدوا إلى تسهيل الحفظ على المتعلمين فازكيتهم صعباً يقطعنهم عن تحصيل الملائكة النافعة وعيمتها. ومن يهد الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له. والله سبحانه وتعالى أعلم.

## الفصل السابع والثلاثون

### في وجه الصواب في تعليم العلوم وطريق إفادته

اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيداً إذا كان على التدريج شيئاً فشيئاً قليلاً قليلاً يلقى عليه أولاً مسائل من كل باب من الفن هي أصول ذلك الباب. ويفرب له في شرحها على سبيل الإجمال ويراعي في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يورده عليه حتى ينتهي إلى آخر الفن وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم إلا أنها جزئية وضعيفة. وغايتها أنها هيائة لفهم الفن وتحصيل مسائله. ثم يرجع به إلى الفن ثانية فيرفقه في التلقين عن تلك الرتبة إلى أعلى منها ويستوفى الشرح والبيان ويخرج عن الإجمال ويدرك له ما هنالك من الخلاف ووجهه إلى أن ينتهي إلى آخر الفن فتجود ملكته. ثم يرجع به وقد شدا فلا يترك عريضاً ولا ميئماً ولا منغلاً إلا ووضحه وفتح له مقلنه فيخلاص من الفن

بسهولة، بل ربما وقف النهن في حجب الألفاظ بالمناقشات أو عشر في اشتراك الأدلة بشغب الجمال والشبهات، فقد عن تحصيل المطلوب. ولم يكاد يتخلص من تلك الغمرة إلا قليلاً من هداه الله.

الأخر فيستغلان معًا ويستصعبان ويعود منها بالخيبة. وإذا تفرغ الفكر لتعليم ما هو بسبيله مقتراً عليه، فربما كان ذلك أجرد بتحصيله، والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب.

### الفكر الإنساني:

فإذا ابتيت بمثل ذلك وعرض لك ارتباك في فهمك أو تشغيب بالشبهات في ذهنك فاطرح ذلك وابتذل حجب الألفاظ وعواون الشبهات واترك الأمر الصناعي جملة، واخلص إلى فضاء الفكر الطبيعي الذي فطرت عليه. وسرح نظرك فيه وفرغ ذهنك فيه للغوص على مرامك منه واضعاً قدمك حيث وضعها أكابر النظار بذلك متعرضاً للفتح من الله كما فتح عليهم من رحمته وعلمه ما لم يكتورنا يعلمون. فإذا فعلت ذلك أشرقت عليك أنوار الفتح من الله بالظفر بمحظويك وحصل الإمام الوسط الذي جعله الله من مقتضيات هذا الفكر ونظرك عليه كما قلنا، وحيثذا فارجع به إلى قوله الأدلة وصورها فأففرغ فيها ووفه حقه من القانون الصناعي ثم اكسه صور الألفاظ وأبرزه إلى عالم الخطاب والمشافهة وثيق البرى صحيح البناء.

واما إن وقفت عند المناقشة في الألفاظ والشبهة في الأدلة الصناعية وتحميس صوابها من خطتها، وهذه أمور صناعية وضعية تستوي جهاتها المتعددة وتشابه لأجل الوضع والاصطلاح فلا تميز جهة الحق منها، إذ جهة الحق إنما تستبين إذا كانت بالطبع فيستمر ما حصل من الشك والاراتيا وتسدل الحجب على المطلوب وتقدد بالتأثر عن تحصيله. وهذا شأن الأكثر من النظار والتأثرين سيماء من سبق له عجمة في لسانه فربط على ذهنه أو من حصل له شغف بالقانون المنطقي تعصب له فاعتهد أنه الذريعة إلى إدراك الحق بالطبع فيقع في الحيرة بين شبه الأدلة وشكوكها ولا يكاد يتملص منها. والذرية إلى إدراك الحق بالطبع إنما هو الفكر الطبيعي كما قلناه، إذا جرد عن جميع الأوهام وترضى الناظر فيه إلى رحمة الله تعالى، وأما المنطق فإنه هو واصف لفعل هذا الفكر فيساقه لذلك في الأكثر. فاعتبر ذلك واستطرد رحمة الله تعالى مني أعزك فهم المسائل، تشرق عليك أنواره بالإلهام إلى الصواب. والله الماهي إلى رحمة وما العلم إلا من عند الله.

واعلم أيها المتعلّم أنّي أخفّك بفائدة في تعلمك فإن تلقيتها بالقبول وأمسكتها بيد الصناعة ظفرت بكتير عظيم وذخيرة شريفة، وأقدم لك مقدمة تعينك في فهمها: وذلك أنّ الفكر الإنساني طبيعة مخصوصة فطرها الله كما فطر سائر مبتداعاته وهو وجдан حرقة للنفس في البطن الأوسط من الدماغ. تارة يكون مبدئاً للأفعال الإنسانية على نظام وترتيب، وتارة يكون مبدئاً لعلم ما لم يكن حاصلاً بأن يترجم إلى المطلب. وقد يصور طرفه ويروم نفيه أو إيهاته فيلرج له الوسط الذي يجمع بينهما أسرع من لمح البصر إن كان واحداً. وينتقل إلى تحصيل وسط آخر إن كان متعددًا ويسير إلى الظفر بمحظويه، هذا شأن هذه الطبيعة الفكرية التي تميز بها البشر من بين سائر الحيوانات. ثم الصناعة المنطقية هي كيفية فعل هذه الطبيعة الفكرية النظرية تصفه ليعلم سداده من خطبه؛ لأنها وإن كان الصواب لها ذاتياً إلا أنه قد يعرض لها الخطأ في الأقل من تصور الطرفين على غير صورتهما من اشتباه المعيقات في نظم القضايا وترتبيها للنتائج فتعين المنطق على التخلص من ورطة هذا الفساد إذا عرض. فالمطلق إذا أمر صناعي مساوق للطبيعة الفكرية ومنطبق على صورة فعلها؛ ولكنّه أمرًا صناعيًا استغنى عنه في الأكثر. ولذلك تجد كثيراً من فحول النظار في الخلية يحصلون على المطالب في العلوم دون صناعة علم المنطق ولا سيما مع صدق النية والتعرض لرحمة الله تعالى، فإن ذلك أعظم معنى. ويسلكون بالطبيعة الفكرية على سدادها فتفضي بهم بالطبع إلى حصول الوسط والعلم بالمطلوب كما فطرها الله عليه.

ثم من دون هذا الأمر الصناعي الذي هو المنطق مقدمة أخرى من التعلم وهي معرفة الألفاظ ودلائلها على المعاني الذهنية تردها من مشافهة الرسوم بالكتاب ومشافهة اللسان بالخطاب. فلا بد أيها المتعلّم من مجاوزتك هذه الحجب كلها إلى الفكر في مطلوبك.

فأولاً: دلالة الكتابة المرسومة على الألفاظ المقوله وهي أخفاها، ثم دلالة الألفاظ المقوله على المعاني المطلوبة ثم القرآن في ترتيب المعاني للاستدلال في قوله المعروفة في صناعة المنطق. ثم تلك المعاني مجردة في الفكر اشتراكاً يقتضي بها المطلوب بالطبيعة الفكرية بالتعرض لرحمة الله ومواهبه. وليس كل أحد يتتجاوز هذه المراتب بسرعة ولا يقطع هذه الحجب في التعليم

## الفصل الثامن والثلاثون

في أن العلوم الآلية لا توسع فيها الأنظار ولا  
تفرع المسائل

## الفصل التاسع والثلاثون

في تعليم الولدان واختلاف مذاهب الأمصار  
الإسلامية في طرقه

اعلم أن تعليم الولدان للقرآن شعار من شعائر الدين أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائد من آيات القرآن ويعض متون الأحاديث. وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبغي عليه ما يحصل بعده من الملكات. وسبب ذلك أن التعليم الصغير أشد رسوخاً وهو أصل لما بعده؛ لأن السابق الأول للقلوب كالأساس للملكات. وعلى حسب الأساس وأساليبه يكون حال ما ينبغي عليه، وانختلفت طرقهم في تعليم القرآن للولدان باختلافهم باعتبار ما ينشأ عن ذلك التعليم من الملكات.

فاما أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاتصال على تعليم القرآن فقط، وأخذتهم أثناء المدارسة بالرسم ومسائله واختلاف حملة القرآن فيه، لا يخلطون ذلك بسواء في شيء من مجالس تعليمهم لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب إلى أن يجذب فيهم أو يتقطع دونه فيكون انقطاعه في الغالب انقطاعاً عن العلم بالجملة.

وهذا مذهب أهل الأمصار بالمغرب ومنتبعهم من قرري البربر، أمم المغرب في ولداتهم إلى أن يجاوزوا حد البلوغ إلى الشبيهة. وكذا في الكبير إذا راجع مدارسة القرآن بعد طائفة من عمره، فهم لذلك أقوم على رسم القرآن وحفظه من سواهم. وأما أهل الأندلس فمذهبهم تعليم القرآن والكتاب من حيث هو، وهذا هو الذي يراعونه في التعليم. إلا أنه لما كان القرآن أصل ذلك وأساسه ومنبع الدين والعلوم جعلوه أساساً في التعليم. فلا يقتصرون لذلك عليه فقط بل يخلطون في تعليمهم للولدان رواية الشعر في الغالب والترسل وأخذهم بقوانيين العربية وحفظها وتحويد الخط والكتاب.

ولا تخصل عناتهم في التعليم بالقرآن دون هذه، بل عناتهم فيه بالخط أكثر من جيعبها إلى أن يخرج الولد من عمر البلوغ إلى الشبيهة وقد شدأ بعض الشيء في العربية والشعر والبصر بما ويز في الخط والكتاب وتعلق بأذياك العلم على الجملة لو كان فيها سند لتعليم العلم. لكنهم ينقطعون عند ذلك لانقطاع سند التعليم في آفاقهم ولا يحصل بآيديهم إلا ما حصل من ذلك التعليم الأول. وفيه كفاية لمن أرشده الله تعالى واستعداد إذا وجد

اعلم أن العلوم المتعارفة بين أهل العمران على صفين: علوم مقصودة بالذات كالشرعيات من التفسير والحديث والفقه وعلم الكلام، وكالطبيعتيات والإلهيات من الفلسفة، وعلوم هي آلة ووسيلة لهذه العلوم كالعربة والحساب وغيرهما للشرعيات والملحق للفلسفة. وربما كان آلة علم الكلام والأصول الفقه على طريقة المتأخرین.

فاما العلوم التي هي مقاصد فلا حرج في توسيعة الكلام فيها وتغريب المسائل واستكشاف الأدلة والأنظار فإن ذلك يزيد طالبها تمكنًا في ملكته وإيضاحاً لعانياها المقصودة. وأما العلوم التي هي آلة لغيرها مثل العربية والملحق وأمثالهما فلا ينبغي أن ينظر فيها إلا من حيث هي آلة لذلك الغير فقط. ولا يوسع فيها الكلام ولا تفرع المسائل؛ لأن ذلك يخرج بها عن المقصود إذ المقصود منها ما هي آلة له لا غير. فكلما خرجم عن ذلك خرجم في المقصود وصار الاشتغال بها لغوًّا مع ما فيه من صعوبة الحصول على ملكتها بطرتها وكثرة فروعها. وربما يكون ذلك عائقاً عن تحصيل العلوم المقصودة بالذات لطول وسائلها مع أن شأنها أهم والعمري يقصر عن تحصيل الجميع على هذه الصورة فيكون الاشتغال بهذه العلوم الآلية تضييعاً للعمر وشغلًا بما لا يغنى.

وี้ كما فعله المتأخرون في صناعة التحمر وصناعة الملح لا بل وأصول الفقه؛ لأنهم أوسعوا دائرة الكلام فيها نقلًا واستدلالًا وأكثروا من التفاريق والمسائل بما أخرجها عن كونها آلة وصيغها مقصودة بذاتها، وربما يقع فيها لذلك نظرار وسائل لا حاجة بها في العلوم المقصودة بالذات فتكون لأجل ذلك من نوع اللغو وهي أيضاً مضررة بالتعلمين على الإطلاق؛ لأن المتعلمين اهتمامهم بالعلوم المقصودة أكثر من اهتمامهم بهذه الآلات والوسائل؛ فإذا قطعوا العمر في تحصيل الوسائل فمتى يظفرون بالمقاصد؟ فلهذا يجب على المعلمين هذه العلوم الآلية أن لا يستجحروها في شأنها ولا يستنكروا من مسائلها وينبهوا المتعلمين على الغرض منها ويفتوا به عنده. فمن نزعت به همة بعد ذلك إلى شيء من التوغل ورأى من نفسه قياماً بذلك وكفاية به، فليختر لنفسه ما شاء من المراقي صعباً أو سهلاً؛ وكل ميسر لما خلق له.

العربية والشعر علىسائر العلوم كما هو مذهب أهل الأندلس. قال: لأن الشعر ديوان العرب ويدعو إلى تقاديه وتقديم العربية في التعليم ضرورةً فساداً للغة، ثم يتغلل منه إلى الحساب فيتمرن فيه حتى يرى القوانين ثم يتغلل إلى دروس القرآن، فإنه يتيسر عليه بهذه المقدمة. ثم قال: ويا غفلة أهل بلادنا في أن يؤخذ الصيبي بكتاب الله في أول عمره يقرأ مالاً يفهم ويتصبّب في أمر غيره أهم ما عليه منه. قال: ثم ينظر في أصول الدين ثم أصول الفقه ثم الجدل ثم الحديث وعلومه، ونهى مع ذلك أن يخالط في التعليم علماً إلا أن يكون المتعلّم قابلاً لذلك بجهوده الفهم والنشاط. هذا ما أشار إليه القاضي أبو بكر رحمه الله وهو لعمري منصب حسن إلا أن العوائد لا تساعد عليه وهي أمثل بالأحوال ووجه ما اختصت به العوائد من تقديم دراسة القرآن إيثاراً للتبرك والثواب، وخشية ما يعرض للولد في جنون الصبا من الآفات والقراطع عن العلم فيفوته القرآن، لأنه ما دام في الحجر منقاد للحكم. فإذا تجاوز البلوغ وأدخل من ريبة الظهر فرعاً عصفت به رياح الشيشة فألقته ساحل البطة فيقتلونه في زمان الحجر وريبة الحكم تحصيل القرآن له ثلثاً يذهب خلواً منه. ولو حصل اليقين باستمراره في طلب العلم وقبوله التعليم لكان هنا المنصب الذي ذكره القاضي أول ما أخذ به أهل المغرب والمشرق. ولكن الله يحكم ما يشاء لا معقب لحكمه سبحانه.

## الفصل الأربعون

### في أن الشدة على المتعلمين مضره بهم

وذلك أن إرهاف الحد في التعليم مضر بالتعلم سيماماً أصغر الولد لأنه من سوء الملكة. ومن كان مرياه بالضعف والقهقهة من المتعلمين أو المالك أو الخدم سطا به القهر وضيق على النفس في انبساطها وذهب بنشاطها ودعاه إلى الكسل وحمل على الكذب والخبث وهو التظاهر بغیر ما في ضميره خوفاً من انبساط الأيدي بالقهقحة عليه وعلمه المكر والخدعة لذلك، وصارت له هذه عادة وخلقاً وفسدت معانى الإنسانية التي له من حيث الاجتماع. والتدين وهي الحمية والمدافعة عن نفسه ومنزلة. وصار عيالاً على غيره في ذلك، بل وكسلت النفس عن اكتساب الفضائل والخلق الجميل فانقضت عن غايتها ومدى إنسانيتها فارتكس وعاد في أسفل السافلين.

وهكذا وقع لكل أمة حصلت في قبضة الظهر ونال منها

العلم.

وأما أهل إفريقيا فيخلطون في تعليمهم للولدان القرآن بالحديث في الغالب ومدارسة قوانين العلوم وتلقين بعض مسائلها إلا أن عنيتهم بالقرآن واستئثاره باللسان إياه ووقفهم على اختلاف روایاتهم وقراءاته أكثر مما سواه وعنيتهم بالخطتبع لذلك. وبالجملة فطريقتهم في تعليم القرآن أقرب إلى طريقة أهل الأندلس؛ لأن سند طريقتهم في ذلك متصل بشيشة الأندلس الذين أجازوا عند تغلب النصارى على شرق الأندلس، واستقروا بتونس وعنهم أخذ ولدانهم بعد ذلك.

وأما أهل المشرق فيخلطون في التعليم كذلك على ما يليقنا ولا أدرى بم عنيتهم منها. والذي يقلل لنا أن عنيتهم بدراسة القرآن وصحف العلم وقوانينه في زمن الشيشة ولا يخالطونه بتعليم الخطبل لتعليم الخط عندهم قانون ومعلمون له على انفراده كما تعلم سائر الصنائع ولا يتناولونها في مكاتب الصبيان. وإذا كتبوا لهم الألواح فبغبط قاصر عن الإجاده، ومن أراد تعلم الخط فعلى قدر ما يسعن له بعد ذلك من الهمة في طلبه ويتبعه من أهل صنته.

فاما أهل إفريقيا والمغرب فأفادهم الاتصال على القرآن القصور عن ملكة اللسان جلة، وذلك أن القرآن لا ينشأ عنه في الغالب ملكة لما أن البشر مصروفون عن الإتيان بمثله، فهم مصروفون بذلك عن الاستعمال على أساليبه والاحتداء بها. وليس لهم ملكة في غير أساليبه فلا يحصل لصاحبه ملكة في اللسان العربي وحظه الجمود في العبارات وقلة التصرف في الكلام. وربما كان أهل إفريقيا في ذلك أخف من أهل المغرب لما يخالطون في تعليمهم القرآن بعبارات العلوم في قوانينها كما قلناه، فيقتدرؤون على شيء من التصرف ومحاذاة المثل بالمثل إلا أن ملكتهم في ذلك قاصرة عن البلاغة لما أن أكثر محفوظهم عبارات العلوم النازلة عن البلاغة كما سيأتي في فصله.

واما أهل الأندلس فأفادهم التفنن في التعليم وكثرة روایة الشعر والترسل ومدارسة العربية من أول العمر، حصول ملكة صاروا بها أعرف في اللسان العربي. وقصروا في سائر العلوم بعدهم عن مدارسة القرآن والحديث الذي هو أصل العلوم وأساسها. فكانوا لذلك أهل خط وأدب بارع أو مقصر على حسب ما يكون التعليم الثاني من بعد تعليم الصبا.

ولقد ذهب القاضي أبو بكر بن العربي في كتاب رحلته إلى طريقة غريبة في وجه التعليم وأعاد في ذلك وابداً وقدم تعليم

ويعلم أنها أنباء تعليم وطرق توصيل وتهض قواه إلى الرسوخ والاستحكام في الملوكات وتصحح معارفه وتميزها عن سواها مع تقوية ملكته بال المباشرة والتلقين وكترتها من المشيخة عند تعددتهم وتتنوعهم. وهذا لمن يسر الله عليه طرق العلم والمداية. فالرحلة لا بد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ وبماشة الرجال. والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

## الفصل الثاني والأربعون

### في أن العلماء من بين البشر أبعد عن السياسة ومذاهبها

والسبب في ذلك أنهم معتادون النظر الفكري والغوص على المعانى وانتزاعها من المحسوسات وتحريدها في الذهن، أموراً كلية عامة ليحكم عليها بأمر على العموم لا بخصوص مادة ولا شخص ولا جبل ولا أمة ولا صنف من الناس. ويطبقون من بعد ذلك الكلي على الخارجيات. وأيضاً يقيسون الأمور على أشباهها وأمثالها بما اعتادوه من القياس الفقهي. فلا تزال أحکامهم وأنظارهم كلها في النعن ولا تصرير إلى المطابقة إلا بعد الفراغ من البحث والنظر. ولا تصرير بالجملة إلى المطابقة وإنما يتفرغ ما في الخارج بما في النعن من ذلك كالأحكام الشرعية، فإنها قروء بما في المحفوظ من أدلة الكتاب والسنة فتطلب مطابقة ما في الخارج لها عكس الأنظار في العلوم العقلية. التي يطلب في صحتها مطابقتها لما في الخارج. فهم متعددون في سائر أنظارهم الأمور الذهنية والأنظار الفكرية لا يعرفون سواها. والسياسة يحيى صاحبها إلى مراعاة ما في الخارج وما يلحقها من الأحوال ويتبعها فإنها خفية. ولعل أن يكون فيها ما يمنع من إلحاچها بشبه أو مثال وبنافي الكلي الذي يحاول تطبيقه عليها.

ولما يقال شيء من أحوال العمران على الآخر، إذ كما اشتباها في أمر واحد فلعلهما اختلفا في أمور، فتكون العلماء لأجل ما متعددو من تعليم الأحكام وقياس الأمور بعضها على بعض إذا نظروا في السياسة أفرغوا ذلك في قالب أنظارهم ونوع استدلالاتهم فيقولون في الغلط كثيراً ولا يؤمن عليهم. ويلحق بهم أهل الذكاء والكيس من أهل العمران لأنهم يتزرون بشفوب آذانهم إلى مثل شأن الفقهاء من الغوص على المعانى والقياس والمحاكاة فيقعون في الغلط. والعامي السليم الطبع المتوسط الكيس لقصور فكره عن ذلك وعدم اعتماده إيه يقتصر لكل مادة على

العسف واعتبره في كل من يملك أمره عليه. ولا تكون الملكة الكافلة له رفيقة به. وتجد ذلك فيهم استقراء وانظره في اليهود وما حصل بذلك فيهم من خلق السوء حتى إنهم يوصفون في كل أفق. وعصر بالخرج ومعناه في الاصطلاح المشهور التخافت والكيد وسيبي ما قلناه. فنبني على المعلم في متعلمه والوالد في ولده أن لا يستبدوا عليهم في التأديب. وقد قال محمد بن أبي زيد في كتابه الذي الفه في حكم المعلمين وال المتعلمين: لا ينبغي لمؤدب الصبيان أن يزيد في ضررهم إذا احتاجوا إليه على ثلاثة أسواط شيئاً. ومن كلام عمر رضي الله عنه: «من لم يؤدب الشرع لا أدب له». حرصاً على صون الفروس عن مذلة التأديب وعلمًا بأن المقدار الذي عينه الشرع لذلك أملك له فإنه أعلم بمصلحته.

ومن أحسن مذاهب التعليم ما تقدم به الرشيد لمعلم ولده. قال خلف الأحر: بعث إلى الرشيد في تأديب ولده محمد الأمين فقال: يا أحر إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه وثمرة قلبه فنصير بذلك عليه مبسوطة وطاعته لك واجبة، فكن له مجىث وضبك أمير المؤمنين، أقرنه القرآن وعلمه الأخبار وروه الأشعار وعلمه السنن وبصره موقع الكلام وبدئه وامتنعه من الضحك إلا في أوقاته، وخذنه بتعظيم مشايخ بي هاشم إذا دخلوا عليه ورفع مجالس القواد إذا حضروا مجلسه. ولا غرر بك ساعة إلا وتأتى مقتنص فائدة تقيده إليها من غير أن تخزنه فتみて ذهنك. ولا تمعن في مساحته فست Hollow الفراغ ويفلفه. وقرمه ما استطعت بالقرب والملاينة، فإن أباها فعليك بالشدة والغلظة. انتهى.

## الفصل الحادي والأربعون

### في أن الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعلم

والسبب في ذلك أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما يتعلمون به من المذاهب والفضائل: تارة علمًا وتعليمًا وإلقاء، وتارة حماكة وتلقينا بال المباشرة. إلا أن حصول الملوكات عن المباشرة وأشد استحكاماً وأقوى رسوخاً. فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملوكات ورسوخها. والاصطلاحات أيضًا في تعليم العلوم مخلطة على المتعلم، حتى لقد يظن كثير منهم أنها جزء من العلم. ولا يدفع عنه ذلك إلا مباشرة لاختلاف الطرق فيها من المتعلمين. فلقاء أهل العلوم وتعدد المشايخ يفيده تمييز الاصطلاحات بما يراه من اختلاف طرقهم فيها فيجرد العلم عنها

كتاب الله ونبيه». فلما بعد التقل من لدن دولة الرشيد فما بعد، احتاج إلى وضع التفاسير القرآنية وتقييد الحديث خاتمة ضياعه ثم احتاج إلى معرفة الأسانيد وتعديل الناقلين للتمييز بين الصحيح من الأسانيد وما دونه ثم كثرة استخراج أحكام الواقع من الكتاب والستة، وفسد مع ذلك اللسان فاحتاج إلى وضع القراءين التحوية وصارت العلوم الشرعية كلها ملكات في الاستباط والاستخراج والتنظير والقياس واحتاجت إلى علوم أخرى هي الوسائل لها من معرفة قوانين العربية وقوانين ذلك الاستباط والقياس والذب عن العقائد الإيمانية بالأدلة لكترة البدع والإلحاد، فصارت هذه العلوم كلها علوماً ذات ملكات محتاجة إلى التعليم فاندرجت في جملة الصنائع.

وقد كنا قدمنا أن الصنائع من متاحل الحضر وأن العرب أبعد الناس عنها فصارت العلوم لذلك حضرة وبعد عنها العرب وعن سوقها. والحضر لذلك العهد هم العجم أو من في معنام من المولى وأهل الحواضر الذين هم يومئذ تبع للعجم في الحضارة وأحوالها من الصنائع والحرف، لأنهم أقرب على ذلك للحضارة الراسخة فيهم منذ دولة الفرس، فكان صاحب صناعة التحويليه والفارسي من بعده والزجاج من بعدهما وكلهم عجم في أنسابهم. وإنما ربو في اللسان العربي فاكتسبوه بالمربي ومخالطة العرب وصيروه قوانين وفتاوى لم يدعهم.

وكذا حملة الحديث الذين حفظوا على أهل الإسلام أكثرهم عجم أو مستعجمون باللغة والمربي لاتساع الفن بالعراق. وكان علماء أصول الفقه كلهم عجمًا كما يعرف، وكذا حملة علم الكلام وكذا أكثر المفسرين. ولم يقم محفظ العلم وتدوينه إلا الأعاجم. وظهر مصدق قوله تعالى: «لَوْ تَعْلَمُ الْعِلْمَ بِأَكْافَفِ السَّمَاءِ لَنَالَهُ قَوْمٌ مِّنْ أَهْلِ فَارَسٍ».

وأما العرب الذين أدركوا هذه الحضارة وسوقها وخرجوا إليها عن البداوة فشغلتهم الرئاسة في الدولة العباسية وما دفعوا إليها من القيام بالملك عن القيام بالعلم والنظر فيه، فإنهم كانوا أهل الدولة وحاميتها وأولى سياستها مع ما يلحقهم من الآفة عن انتقال العلم حيثذا ما صار من جملة الصنائع. والرؤساء أبدأ يستنكرون عن الصنائع والمهن وما يغير إليها ودفعوا ذلك إلى من قام به من العجم والملولين. وما زالوا يرون لهم حق القيام به، فإنه دينهم وعلومهم ولا يجتقرون حلتها كل الاحتقار. حتى إذا خرج الأمر من العرب جملة وصار للعجم صارت العلوم الشرعية غريبة النسبة عند أهل الملك بما هم عليه من البعد عن نسبتها وامتهن حلتها بما يرون أنهم بعدهم مشتغلين بما لا يغنى ولا

يغماها، وفي كل صنف من الأحوال والأشخاص على ما اختص به ولا يغدى الحكم بقياس ولا تعيس ولا يفارق في أكثر نظره المواد المحسوسة ولا يجاوزها في ذهنك كالسابع لا يفارق البر عند المرج. قال الشاعر: *فلا توغلن إذا ما سبحت فإن السلامة في الساحل* فيكون مأموناً من النظر في سياسته مستقيم النظر في معاملة أبناء جنسه، فيحسن معاشه وتندفع آفاته ومضاره باستقامة نظره. *و فوق كل ذي علم عليم.*

ومن هنا يتبيّن أن صناعة المنطق غير مأمونة الغلط لكثرة ما فيها من الازتعان، وبعدها عن الحسوس فإنها نظر في المقولات الثاني. ولعل المواد فيها ما يماثل تلك الأحكام وبنافيها عند مراعاة التطبيق اليقيني. وأما النظر في المقولات الأول وهي التي تجري بها قريب فليس كذلك، لأنها خيالية وصور المحسوسة حافظة مؤذنة بتصديق انتطاقه. والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق.

### الفصل الثالث والأربعون

#### في أن حملة العلم في الإسلام أكثرهم العجم

من الغريب الواقع أن حملة العلم في الملة الإسلامية أكثرهم العجم وليس في العرب حملة علم لا في العلوم الشرعية ولا في العلوم العقلية إلا في القليل النادر. وإن كان منهم العربي في نسبة فهو أعمجي في لغته ومربياه ومشيخته، مع أن الملة عربية وصاحب شريعتها عربي. والسبب في ذلك أن الملة في أولها لم يكن فيها علم ولا صناعة لقتضي أحوال السذاجة والبداؤة، وإنما أحكام الشرعية التي هي أوامر الله ونواهيه كان الرجال يقلدونها في صدورهم وقد عرفوا مأخذها من الكتاب والسنة بما تلقواه من صاحب الشرع وأصحابه. والقوم يومئذ عرب لم يعرفوا أمر التعليم والتأليف والتذوين ولا دفعوا إليه ولا دعهم إليه حاجة.

وجرى الأمر على ذلك زمن الصحابة والتابعين وكانوا يسمون المختصين بحمل ذلك. ونقله القراء أي الذين يقرأون الكتاب وليسوا أميين لأن الأمية يومئذ صفة عامة في الصحابة بما كانوا عرباً قتيل حملة القرآن يومئذ: قراء إشارة إلى هذا. فهم قراء لكتاب الله والسنة المأثورة عن الله لأنهم لم يعرفوا الأحكام الشرعية إلا منه ومن الحديث الذي هو في غالب موارده تفسير له وشرح. قال تعالى: *إِنَّمَا تُرْكِتُ فِيمَا أَمْرَيْتُمْ لَنْ تَضْلُلُوا مَا تَسْكُنُتُمْ بِهِمَا*

اللغوية عليها، وجودة الملكة للناظر فيها، وإنما يقتضى ذلك انتهاها زيادة على ما يكون في مباحثها الذهنية من الأعيبات. وإذا كانت ملكتها في تلك الدلالات راسخة، بحيث يتبارد المعاني إلى ذهنها من تلك الألفاظ عن استعمالها، شأن البديهي والجلبي، زال ذاك الحجاب بالجملة بين المعاني والفهم أو خف، ولم يبق إلا معاناة ما في المعاني من المباحث فقط. هذا كله إذا كان التعليم تلقينا وبالخطاب والعبارة.

وأما إن احتاج المتعلم إلى الدراسة والتقييد بالكتاب ومشافهة الرسوم الخطية من الدواوين بمسائل العلوم، كان هناك حجاب آخر بين الخط ورسومه في الكتاب، وبين الألفاظ المقرولة في الخيال. لأن رسوم الكتابة لها دلالة خاصة على الألفاظ المقرولة. وما لم تعرف تلك الدلالة تغدرت معرفة العبارة. وإن عرفت بملكة قاصرة كانت معرفتها أيضاً قاصرة، ويزداد على الناظر والمتعلم بذلك حجاب آخر بينه وبين مطلوبه، من تحصيل ملوكات العلوم أو عرض من الحجاب الأول. وإذا كانت ملكتها في الدلالة اللغافية والخطية مستحکمة ارتفعت الحجب بينه وبين المعاني. وصار إنما يعني فهم مباحثها فقط. هنا شأن المعاني مع الألفاظ والخط بالنسبة إلى كل لغة. وال المتعلمون لذلك في الصغر أشد استحکاماً لملوكاتهم، ثم إن اللغة الإسلامية لما اتسع ملوكها واندرجت الأمم في طيها ودرست علوم الأولين بنبوتها وكتابها، وكانت أمية التزعة والشعار، فأخذ الملك والعزّة وسخرية الأمم لهم بالحضارة والنهذب، وصبروا على علومهم الشرعية صناعة، بعد أن كانت نقاءً، فحدثت فيهم الملوك، وكثرت الدواوين والتلکيف، وتشوّفوا إلى علوم الأمم فنقلوها بالترجمة إلى علومهم وأفرغوها في قالب أنظارهم، وجردوها من تلك اللغات الأعمجية إلى لسانهم وأربوا فيها على مداركهم، وبقيت تلك الدفاتر التي بلغتهم الأعمجية نسياناً منسياً وطللاً مهجوراً وهباءً مثواراً. وأصبحت العلوم كلها بلغة العرب، ودواوينها المسطرة يخنطهم، واحتاج القائمون بالعلوم إلى معرفة الدلالات اللغافية والخطية في لسانهم دون ما سواه من الألسن، لدروسها وذهاب العناية بها. وقد تقدم لنا أن اللغة ملكة في اللسان، وكذا الخط صناعة ملكتها في اليد، فإذا تقدمت في اللسان ملكة العجمة، صار مقصراً في اللغة العربية، لما قدمناه من أن الملكة إذا تقدمت في صناعة محل، فقل أن يجيد صاحبها ملكة في صناعة أخرى، وهو ظاهر. وإذا كان مقصراً في اللغة العربية ودلائلها اللغافية والخطية اعتراض عليه فهو المعاني منها كما مر. إلا أن تكون ملكة العجمة السابقة لم تستحکم حين انتقل منها إلى العربية، كاصغر أبناء العجم الذين يربون مع العرب قبل أن

يجدي عليهم في الملك والسياسة كما ذكرناه في فصل المراتب الذهنية. فهذا الذي قررناه هو السبب في أن حلقة الشريعة أو عامتهم من العجم.

وأما العلوم العقلية أيضاً فلم تظهر في الملة إلا بعد أن تجز حلقة العلم ومؤلفوه. واستقر العلم كله صناعة فاختصت بالعجز وتركها العرب وانصرفو عن انتهاها فلم يجعلها إلا المعرضون من العجم شأن الصنائع كما قلناه أولاً. فلم يزل ذلك في الأمصار الإسلامية ما دامت الحضارة في العجم وببلادهم من العراق وخراسان وما وراء النهر. فلما خربت تلك الأمصار وذهب منها الحضارة التي هي سر الله في حصول العلم والصنائع ذهب العلم من العجم جلة لما شملهم من البداءة واختصاص العلم بالأمصار المفورة الحضارة. ولا أوفر اليوم في الحضارة من مصر فهي أم العالم وإيوان الإسلام وينبع العلم والصنائع. وفي بعض الحضارة في ما وراء النهر لما هناك من الحضارة بالدولة التي فيها، فلهم بذلك حصة من العلوم والصنائع لا تذكر. وقد دلنا على ذلك كلام بعض علمائهم في تأكيد وصلت إلينا إلى هذه البلاد وهو سعد الدين التفتازاني. وأما غيره من العجم فلم نر لهم من بعد الإمام ابن الخطيب ونصر الدين الطرسوي كلاماً يعود على نهايته في الإصابة. فاعتبر ذلك وتأمله تر عجباً في أحوال الخليقة. والله يخلق ما يشاء لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك له الحمد وهو على كل شيء قادر وحسبنا الله ونعم الوكيل والحمد لله.

## الفصل الرابع والأربعون

في أن العجمة إذا سبقت إلى اللسان قصرت  
بصاحبها في تحصيل العلوم عن أهل اللسان العربي

والسر في ذلك أن مباحث العلوم كلها إنما هي في المعاني الذهنية والخيالية، من بين العلوم الشرعية، التي هي أكثر مباحثها في الألفاظ وموادرها من الأحكام المتلقاة من الكتاب والسنة ولغاتها المؤدية لها، وهي كلها في الخيال، وبين العلوم العقلية، وهي في الذهن. واللغات إنما هي ترجمان عما في الضمائر من تلك المعاني، يزددها بعض إلى بعض بالمشافهة في المعاشرة والتعليم، ومارسة البحث بالعلوم لتحقیل ملوكتها بطول المران على ذلك. والألفاظ واللغات وسائل وجحب بين الضمائر، وروابط وختام عن المعاني. ولابد في اقتناص تلك المعاني من الفاظها لمعرفة دلالاتها

به يتبيّن أصول المقصود بالدلالة فيعرف الفاعل من المفعول والمبتدأ من الخبر، ولو لاه بجهل أصل الإفاده. وكان من حق علم اللغة التقدّم، لو لا أن أكثر الأوضاع باقية في موضوعاتها لم تغيّر بخلاف الإعراب الدال على الإسناد والمستند إليه، فإنه تغيّر بالجملة ولم يبق له أثر. فلذلك كان علم النحو أهم من اللغة، إذ في جهله الإخلال بالتفاهم جلة وليس كذلك اللغة، والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق.

## علم النحو

اعلم أن اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلّم عن مقصوده. وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفاده الكلام فلا بد أن تصير ملحة مقررة في الضوء الفاعل لها وهو اللسان، وهو في كلّ أمة بحسب اصطلاحاتهم. وكانت الملكة الحاصلة للعرب من ذلك أحسن الملوك وأوضحتها إياته عن المقصود؛ لدلالة غير الكلمات فيها على كثير من المعاني. مثل الحركات التي تعين الفاعل من المفعول من الجرور، أعني المضاف، ومثل الحروف التي تنضي بالأفعال أي الحركات إلى الذوات من غير تكليف الفاظ أخرى. وليس يوجد ذلك إلا في لغة العرب. وأما غيرها من اللغات فكلّ معنى أو حال لأبد له من الفاظ تخصه بالدلالة؛ ولذلك نجد كلام العجم من مخاطبائهم أطرولاً مما تقدّره بكلام العرب. وهذا هو معنى قوله تعالى: «أوتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصاراً». فضار للحروف في لغتهم. والحركات والهبات، أي الأوضاع، اعتبار في الدلالة على المقصود غير متکلفين فيه لصناعة يستفيدون ذلك منها. إنما هي ملحة في السתום يأخذها الآخر عن الأول كما تأخذ صيانتها لهذا العهد لغاتها.

فلما جاء الإسلام وفارقا المجاز لطلب الملك الذي كان في أيدي الأمم والدول، وخالفوا العجم تغيرت تلك الملكة بما ألقى إليها السمع من المخالفات التي للمتعربين من العجم. والسمع أبو الملوك اللسانية ففسدت بما ألقى إليها مما يغايرها بجنوحها إليه باعتماد السمع. وخشي أهل العلوم منهم أن تفسد تلك الملكة رأساً ويطرول المهد بها، فينغلق القرآن والحديث على المفهوم، فاستبطوا من مجاري كلامهم قوانين لتلك الملكة مطردة شبه الكلمات والقواعد، يقيسون عليها سائر أنواع الكلام ويلحقون الأشباه بالأشباء، مثل أن الفاعل مرفوع والمفعول منصوب والمبتدأ مرفوع. ثم رأوا تغيير الدلالة بتغيير حركات هذه الكلمات، فاصطلحوا على تسميتها إعراباً وتسمية الموجب لذلك

تستحكم عجمتهم. ف تكون اللغة العربية كأنها السابقة لهم، ولا يكون عندهم تقصير في فهم المعاني من العربية. وكذا أيضاً شأن من سبق له تعلم الخط الأعجمي قبل العربي. وهذا نجد الكبير من علماء الأعجم في دروسهم ومحالس تعليمهم يعدلون عن نقل التفاسير من الكتب إلى قراءتها ظاهراً يخفون بذلك عن أنفسهم مسوقة بعض الحجب ليقرب عليهم تناول المعاني. وصاحب الملكة في العبارة والخط مستغن عن ذلك، يتمام ملكته، وإنه صار له فهم الأقوال من الخط، والمعاني من الأقوال كالجلبة الراسخة، وارتقت الحجب بينه وبين المعاني. وربما يكون الدلوب على التعليم والرمان على اللغة، ومارسة الخط يفضي لصاحبها إلى تحمل الملكة، كما نجد في الكثير من علماء الأعجم، إلا أنه في النادر. وإذا قرر بنظره من علماء العرب وأهل طبته منهم، كان باع العرب أطرولاً وملكته أقوى، لما عند المستعجم من الفتور بالعجمة السابقة التي يؤثر القصور بالضرورة ولا يعترض ذلك بما تقدم بأن علماء الإسلام أكثرهم العجم، لأن المراد بالعجم هناك عجم السبب لتناول الحضارة فيهم التي قررنا أنها سبب لاتصال الصنائع والملوكات ومن جملتها العلوم. وأما عجمة اللغة فليس من ذلك وهي المرادة هنا. ولا يعترض ذلك أيضاً مما كان للبيزنطيين في علومهم من رسوخ القدم فإنهم إنما تعلموها من لغتهم السابقة لهم وخطفهم المتعارف بهم. والأعجمي المتعلّم للعلم في الملة الإسلامية يأخذ العلم بغير لسانه الذي سبق إليه، ومن غير خطه الذي يعرف ملكته. فلهذا يكون له ذلك حجاباً كما قلناه. وهذا عام في جميع أصناف أهل اللسان الأعجمي من الفرس والروم والترك والبربر والفرنج. وسائر من ليس من أهل اللسان العربي. وفي ذلك آيات للمتّسّمين.

## الفصل الخامس والأربعون

### في علوم اللسان العربي

أركانه أربعة: وهي اللغة والنحو والبيان والأدب ومعرفتها ضرورية على أهل الشريعة، إذ مأخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة وهي بلغة العرب ونقلتها من الصحابة والتابعين عرب، وشرح مشكلاتها من لغتهم فلا بد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة. وتنصّلت في التأكيد بتقاويم مراتبها في التوفيق بمفهود الكلام، حسبما يتبيّن في الكلام عليهما فتاً، والذي يحصل أن الأهم المقدم منها هو النحو، إذ

يزيد في الخلق ما يشاء.

## علم اللغة

هذا العلم هو بيان الموضوعات اللغوية، وذلك أنه لما فسدت ملحة اللسان العربي في الحركات المسماة عند أهل النحو بالإعراب واستبسطت القوانين لحفظها كما قلناه. ثم استمر ذلك الفساد بلاستيجة العجم ومخالطتهم حتى تأدى الفساد إلى موضوعات الألفاظ، فاستعمل كثير من كلام العرب في غير موضوعه عندهم ميلًا مع هجنه التعبيرين في اصطلاحاتهم المخالفة لصرح العربية فاحتاج إلى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتاب والتدوين خشية الدروس وما ينشأ عنه من الجهل بالقرآن والحديث، فنشر كثير من آئمه اللسان لذلك وأملوا فيه الدواين. وكان سابق الحلبة في ذلك الخليل بن أحمد الفراهيدي. الف فيها كتاب العين فحصر فيه مرکبات حروف المعجم كلها من الثنائي والثلاثي والرباعي والخمساني، وهو غاية ما يتهمي إليه التركيب في اللسان العربي.

وتأتي له حصر ذلك بوجوه عديدة حاصرة، وذلك أن جملة الكلمات الثنائية تخرج من جميع الأعداد على التوالى من واحد إلى سبعة وعشرين وهو دون نهاية حروف المعجم بواحد؛ لأن الحرف الواحد منها يؤخذ مع كل واحد من السبعة والعشرين فتكون سبعة وعشرين كلمة ثنائية. ثم يؤخذ الثاني مع الستة والعشرين كذلك. ثم الثالث والرابع. ثم يؤخذ السابع والعشرون مع الشامن والعشرين فيكون واحداً، فتكون كلها أعداداً على توالى العدد من واحد إلى سبعة وعشرين، فتجمع كما هي بالعمل المعروف عند أهل الحساب، وهو أن تجمع الأول مع الأخير وتضرب المجموع في نصف العدة. ثم تضاعف لأجل قلب الثنائي؛ لأن التقديم والتأخير بين الحروف متغير في التركيب فيكون الخارج جملة الثنائيات.

وتخرج الثلاثيات من ضرب عدد الثنائيات فيما يجتمع من واحد إلى ستة وعشرين على توالى العدد؛ لأن كل ثنائية يزيد عليها حرفًا، فتكون الثنائية بمنزلة الحرف الواحد مع كل واحد من الحروف الباقية وهي ستة وعشرون حرفاً بعد الثنائي، فتجمع من واحد إلى ستة وعشرين على توالى العدد ويضرب فيه جملة الثنائيات. ثم تضرب الخارج في ستة، جملة مقلوبات الكلمة الثلاثية، فيخرج جموع تراكيبها من حروف المعجم. وكذلك في الرباعي والخمساني. فالمختصر له التراكيب

التغير عاملاً وأمثال ذلك. وصارت كلها اصطلاحات خاصة بهم فقيدوها بالكتاب وجعلوها صناعة لهم مخصوصة. واصطلحوا على تسميتها بعلم النحو. وأول من كتب فيها أبو الأسود الدؤلي من بي كنانة ويقال: بإشارة على رضي الله عنه؛ لأنه رأى تغير الملكة فأشار عليه بمحفظها، فقزع إلى ضبطها بالقوانين الحاضرة المستقرة. ثم كتب فيها الناس من بعده إلى أن انتهت إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي أيام الرشيد أخرج ما كان الناس إليها للنهاب تلك الملكة من العرب. فهذب الصناعة وكمل أبوابها. وأخذها عنه سفيويه فكمل تفارييعها واستكثر من أداتها وشهادتها ووضع فيها كتابه المشهور الذي صار إماماً لكل ما كتب فيها من بعده. ثم وضع أبو علي الفارسي وأبو القاسم الزجاج كتاباً مختصراً للمتعلمين يعنون فيها حذو الإمام في كتابه.

ثم طال الكلام في هذه الصناعة وحدث الخلاف بين أهلها في الكوفة والبصرة: المصريين القدميين للعرب. وكثرت الأدلة والحجاج بينهم وتباهيت الطرق في التعليم وكثير الاختلاف في إعراب كثير من آي القرآن باختلافهم في تلك القراءات وطال ذلك على المتعلمين. وجاء المتأخرین بمذاهبهم في الاختصار، فاختصروا كثيراً من ذلك الطول مع استيعابهم لجميع ما نقل كما فعله ابن مالك في كتاب التسهيل وأمثاله، أو اقتصارهم على المبادئ للمتعلمين، كما فعله الزخيري في المفصل وابن الحاجب في المقدمة له. وربما ظنوا ذلك ظنماً مثل ابن مالك في الأرجوزتين الكبير والصغرى وابن معطي في الأرجوزة الأنفية. وبالجملة فالتأليف في هذا الفن أكثر من أن تمحصى أو يحيط بها وطرق التعليم فيها مختلفة، فطريقة المقدمين مغایرة لطريقة المتأخرین. والكرفيون والبصريون والبغداديون والأندلسيون مختلفة طرقهم كذلك.

وقد كانت هذه الصناعة أن تؤذن بالنهاب لما رأينا من النقص في سائر العلوم والصناعات بتناقض العمران، ووصل إلينا بالغرب هذه العصور ديوان من مصر، منسوب إلى جمال الدين بن هشام من علمائها استوفى فيه أحكام الإعراب بجملة ومنفصلة. وتكلم على الحروف والمفردات والجمل وحذف ما في الصناعة من المتكرر في أكثر أبوابها وسماته باللغوي في الإعراب. وأشار إلى نكت إعراب القرآن كلها وضبطها بابواب وفصول وقواعد انتظام سائرها، فوققنا منه على علم جم يشهد بعلو قدره في هذه الصناعة ووفر بضاعنه منها، وكأنه ينحو في طريقته منحى غنة أهل المواصل الذين اتفقا أثر ابن جني واتبعوا مصطلح تعليميه، فاتى من ذلك بشيء عجيب دال على قوة ملكته واطلاعه. والله

ثم لما كانت العرب تضع الشيء لمعنى على العموم ثم تستعمل في الأمور الخاصة الفاظاً أخرى خاصة بها، فرق ذلك عندنا، بين الوضع والاستعمال واحتاج الناس إلى فقه في اللغة عزيز المأخذ، كما وضع الأبيض بالوضع العام لكل ما فيه يباض، ثم اخْتَصَّ ما فيه يباض من الخليل بالأشهر ومن الإسان بالأزهر ومن الغنم بالأملح حتى صار استعمال الأبيض في هذه كلها لخناً وخرجاً عن لسان العرب. واختُصَّ بالتأليف في هذا المنحى الشعالي، وأفرده في كتاب له سماه فقه اللغة وهو من أكيد ما يأخذ به اللغوي نفسه أن يحرف استعمال العرب عن مواضعه. فليس معرفة الوضع الأول بكاف في التركيب حتى يشهد له استعمال العرب لذلك. وأكثر ما يحتاج إلى ذلك الأديب في في نظمه ونثره حذراً من أن يكثُر لخنه في الموضوعات اللغوية في مفرادها وتراتيبيها وهو أشر من اللحن في الإعراب وأفحت. وكذلك الف بعض المتأخررين في الألفاظ المشتركة وتکفل بمحصرها وإن لم يبلغ إلى النهاية في ذلك فهو مسترعب للأكثر. وأما المختصرات الموجودة في هذا الفن المخصوصة بالتداول من اللغة الكثير الاستعمال تسهيلاً لحفظها على الطالب فكثيرة مثل الألفاظ لابن السكري والفصيح لعلب وغيرهما. وبعضها أقل لغة من بعض لا خلاف نظرهم في الأهم على الطالب للحفظ. والله الخلاق العليم لا رب سواه.

### فصل:

واعلم أن النقل الذي ثبت به اللغة، إنما هو النقل عن العرب أنهم استعملوا هذه الألفاظ بهذه المعانى، لا نقل: إنهم وضعوها؛ لأنَّه متذرع وبعيد. ولم يعرف لأحد منهم. وكذلك لا ثبت اللغات بقياس ما لم نعلم استعماله. على ما عرف استعماله في ماء العنبر، باعتبار الإسكار الجامع. لأن شهادة الاعتبار في باب القياس إنما يدركها الشرع الدال على صحة القياس من أصله. وليس لنا مثله في اللغة إلا بالعقل، وهو محكم، وعلى هذا جمهور الأئمة. وإن مال إلى القياس فيها القاضي وابن سريج وغيرهم. لكن القرول بنيه أرجع. ولا تتوهم أن إثبات اللغة في باب الحدود اللغوية، لأنَّ المخد راجع إلى المعانى. بيان أن مدلول اللفظ المجهول الخفي هو مدلول الواضح المشهور، ولغة إثبات أن اللفظ كذلك، لمعنى كذلك، والفرق في غاية الظهور.

### علم البيان

هذا العلم حادث في الملة بعد علم العربية واللغة، وهو من

بعدها الوجه، ورتب أبوابه على حروف العجم بالترتيب المتعارف. واعتمد فيه ترتيب المخارج، فبدأ بمحروف الحلق ثم ما بعده من حروف الحنك ثم الأضراس، ثم الشفة، وجعل حروف العلة آخرًا وهي الحروف الهوائية. وبدأ من حروف الحلق بالعين؛ لأنَّ الأقصى منها؛ فلذلك سمى كتابه بالعين؛ لأنَّ المقددين كانوا يذهبون في تسمية دواوينهم إلى مثل هذا، وهو تسميت بأول ما يقع فيه من الكلمات والألفاظ. ثم بين المهمل منها من المستعمل وكان المهمل في الرياعي والخامسي أكثر لقلة استعمال العرب له لشقائه، ولحق به الثاني لقلة دورانه وكان الاستعمال في الثلاثي أغلب، فكانت أوضاعه أكثر لدورانه. وضمن الخليل ذلك كله في كتاب العين واسترعبه أحسن استباب وأوفاه.

وجاء أبو بكر الزبيدي وكتب لهشام المؤيد بالأندلس في المائة الرابعة، فاختصره مع المحافظة على الاستيعاب وحذف منه المهمل كله، وكثيراً من شواهد المستعمل وخصه للحفظ أحسن تلخيص.

والفجروري من المشارقة كتاب الصلاح على الترتيب المتعارف لحروف العجم، فجعل البداءة منها بالهزمة وجعل الترجمة بالحرف الأخير من الكلمة لاضطرار الناس في الأكتر إلى أواخر الكلم فيجعل ذلك باباً. ثم يأتي بالحروف أول الكلمة على ترتيب حروف المعجم أيضاً ويترجم عليها بالفصول إلى آخرها. وحصر اللغة اقتداء بمحصر الخليل.

ثم ألف فيها من الأندلسيين ابن سيده من أهل دائية في دولة علي بن مجاهد كتاب الحكم على ذلك المنحى من الاستيعاب، وعلى نحو ترتيب كتاب العين. وزاد فيه التعرض لاستقاتات الكلم وتصارييفها، فجاء من أحسن الدواوين. وخصه محمد بن أبي الحسين صاحب المستنصر من ملوك الدولة المفضية بتونس. وقلب ترتيبه إلى ترتيب كتاب الصلاح في اعتبار أواخر الكلم وبناء التراجم عليها، فكان توأم رحم وسليلي أبوة

ولكراع من أئمة اللغة كتاب المنجد، ولابن دريد كتاب الجمهورية ولابن الأباري كتاب الزاهر

هذه أصول كتاب اللغة فيما علمناه. وهناك مختصرات أخرى مختصة بصنف من الكلم ومستوعبة لبعض الأبواب أو لكلها. إلا أن وجه الحصر فيها خفي ووجه المحصر في تلك جلي من قبل التراكيبي كما رأيت. ومن الكتب الم موضوعة أيضاً في اللغة كتاب الرمخري في المجاز وسماء أساس البلاغة يُعنَّ فيه كل ما تحوزت به العرب من الألفاظ فيما تحيوزت به من المدلولات وهو كتاب شريف الإفادة.

كلها دلالة زائدة على دلالة الألفاظ من المفرد والمركب، وإنما هي هيئات وأحوال للواقعات جعلت للدلالة عليها أحوال وهبات في الألفاظ كل بحسب ما يتضمنه مقامه، فاشتمل هذا العلم المسمى بالبيان على البحث عن هذه الدلالات التي للهيئات والأحوال والقامات وجعل على ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: يبحث فيه عن هذه الميّات والأحوال التي تطابق باللفظ جميع مقتضيات الحال ويسمى علم البلاغة.  
والصنف الثاني: يبحث فيه عن الدلالة على اللازم اللغطي وملزمته وهي الاستعارة والكتابية كما قلناه، ويسمى علم البيان.

والحقوا بهما صنفاً آخر: وهو النظر في ترتيب الكلام وتحسيسه بنوع من الترتيب: إما بسجع يفصله أو تحبس بشابه بين القاظه أو ترصيع يقطع أوزانه أو توربة عن المعنى المقصود بإليهام معنى أخني منه لاشراك اللفظ بهما أو طباق بالقابل بين الأضداد وأمثال ذلك ويسمى عندهم علم البديع.

وأطلق على الأصناف الثلاثة عند المحدثين اسم البيان وهو اسم الصنف الثاني؛ لأن الأقدمين أول ما تكلموا فيه ثم تلاحت مسائل الفن واحدة بعد أخرى وكتب فيها جعفر بن جعبي والباحثون وقدامة وأمثالهم إملاءات غير وافية فيها. ثم لم تزل مسائل الفن تكمل شيئاً فشيئاً إلى أن خص السكاكي زيدته وهذب مسائله ورتب أبوابه على نحو ما ذكرناه أنفأاً من الترتيب والف كتابة المسمى بالفتاح في النحو والتصريف والبيان، فجعل هذا الفن من بعض أجزاءه. وأنذه المتأخرون من كتابه ولخصوا منه أمهات هي المداولة لهذا العهد كما فعله السكاكي في كتاب البيان وأبن مالك في كتاب المصباح وجلال الدين القرزي في كتاب الإيضاح والتلخيص وهو أصغر حجماً من الإيضاح والعنابة به هذا العهد عند أهل المشرق في الشرح والتعليم منه أكثر من غيره.

وي بالجملة فالإشارة على هذا الفن أقرب من المغاربة وسيبه والله أعلم أنه كمال في العلوم اللسانية، والصنانع الكمالية توجد في وفور العمran. والشرق أوفر عمراً من المغرب كما ذكرناه. أو تقول: لعنابة العجم وهم معظم أهل المشرق كفسير الزمخشري، وهو كله مبني على هذا الفن وهو أصله. وإنما اختص بأهل المغرب من أصنافه علم البديع خاصة، وجعلوه من جلة علوم الأدب الشعرية، وفرعوا له القباباً وعددوا أبواباً وتنوعوا أنواعاً. وزعموا أنهم أحصواها من لسان العرب وإنما حلهم على ذلك الولوع بترتيب الألفاظ، وأن علم البديع سهل المأخذ. وصعبت

العلوم اللسانية لأنها متعلقة بالألفاظ وما تفيده. ويقصد بها الدلالة عليه من المعاني، وذلك أن الأمور التي يقصد المتكلم بها إفاده السامي من كلامه هي: إما تصور مفردات تستند ويستند إليها ويفضي بعضها إلى بعض. والدلالة على هذه هي المفردات من الأسماء والأفعال والمحروف، وأما تمييز المستدات من المستند إليها والأزمنة. وبدل عليها بتغير الحركات وهو الإعراب وأبنية الكلمات. وهذه كلها هي صناعة النحو. وبقي من الأمور المكتفة بالواقعات المحتاجة للدلالة أحوال المخاطبين أو الفاعلين وما يتضمنه حال الفعل وهو محتاج إلى الدلالة عليه؛ لأنه من ثمام الإفاده، وإذا حصلت للمتكلم فقد بلغ غاية الإفاده من كلامه. وإذا لم يشتمل على شيء منها فليس من جنس كلام العرب، فإنه كلامهم واسع ولكل مقام عندهم مقال يختص به بعد كمال الإعراب والإيانة.

الا ترى أن قوله: (زيد جاعني) مغاير لقوله (جاعني زيد) من قبل أن المتقدم منها هو الأهم عند المتكلم، فمن قال: جاعني زيد، أفاد أن اهتمامه بالمجيء قبل الشخص المستد إليه، ومن قال: زيد جاعني، أفاد أن اهتمامه بالشخص قبل المجيء المستد. وكذا التعبير عن أجزاء الجملة بما يناسب المقام من موصول أو مبهم أو معرفة. وكذا تأكيد الإسناد على الجملة كقوله: زيد قائم وإن زيداً قائم وإن زيداً لقائم متفايرة كلها في الدلالة وإن استوت من طريق الإعراب، فإن الأول العاري عن التأكيد إنما يفيد الحالي الذهن والثاني المؤكد بـ(إن) يفيد المتردد، والثالث يفيد المذكر فهي مختلفة.

وكذلك تقول: جاعني الرجل ثم تقول مكانه يعني: جاعني رجل إذا قصدت بذلك التكثير تعظيمه وأنه رجل لا يعادله أحد من الرجال. ثم الجملة الإسادية تكون خبرية وهي التي لها خارج تطابقه أولاً، وإن شائنة وهي التي لا خارج لها. كالطلب وأنواعه. ثم قد يتغير ترك العاطف بين الجملتين إذا كان للثانية محل من الإعراب: فينزل بذلك منزلة التابع المفرد نعتاً أو توكيداً أو بدلاً بلا عطف، أو يتعين العطف إذا لم يكن للثانية محل من الإعراب. ثم يتضمن الحال الإطباق أو الإيجاز فيرد الكلام عليهم. ثم قد يدل باللفظ ولا يراد منطقه ويراد لازمه إن كان مفرداً كما تقول: زيد أسد فلا تزيد حقيقة الأسد لمطروقة، وإنما تزيد شجاعته الالزمة وتنسدها إلى زيد وتسمى هذه استعارة.

وقد تزيد باللفظ المركب الدلالة على ملزمته كما تقول: زيد كثير رماد القدور وترید ما لزم ذلك عنه من الجود وقرى الضيف؛ لأن كثرة الرماد ناشطة عندهما فهي دالة عليهم. وهذه

والمقصود بذلك كله أن لا يخفي على الناظر فيه شيء من كلام العرب وأساليبهم ومناجي بلاختهsem إذا تصفحه؛ لأنه لا تحصل الملكة من حفظه إلا بعد فهمه فيحتاج إلى تقديم جميع ما يتوقف عليه فهمه.

ثم إنهم إذا أرادوا حد هذا الفن قالوا: الأدب هو حفظ

أشعار العرب وأخبارها والأخذ من كل علم بطرف - يريدون من علوم اللسان أو العلوم الشرعية من حيث مت nonzeroها فقط وهي القرآن والحديث - إذ لا مدخل غير ذلك من العلوم في كلام العرب إلا ما ذهب إليه المتأخرون عند كلامهم بصناعة البديع من التورية في أشعارهم وترسلهم بالاصطلاحات العلمية، فاحتاج صاحب هذا الفن حيثذاك إلى معرفة اصطلاحات العلوم ليكون قائماً على فهمها. وسمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن واركانه أربعة دوافعين: وهي أدب الكتاب لابن قتيبة، وكتاب الكامل للمبرد، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ، وكتاب التوادر لأبي علي القالي البغدادي. وما سوى هذه الأربعة فتتبع لها فروع عنها. وكتب الحديثين في ذلك كثيرة.

وكان الثناء في الصدر الأول من أجزاء هذا الفن لما هو تابع للشعر، إذ الثناء إنما هو تلحينه. وكان الكتاب والفضلاء من الخواص في الدولة العباسية يأخذون أنفسهم به حرصاً على تحصيل أساليب الشعر وفنونه، فلم يكن انتقاله قادحاً في العدالة والمرودة. وقد ألف القاضي أبو الفرج الأصبهاني، وهو ما هر، كتابه في الأغاني، جمع فيه أخبار العرب وأشعارهم وأنسابهم وأياتهم ودولتهم. وجعل مبناه على الثناء في المائة صوت التي اختارها المغنون للرشيد فاستوعب فيه ذلك أتم استيعاب وأوافه. ولعمري إنه ديوان العرب وجامع أشنات الحسان التي سلفت لهم في كل فن من فنون الشعر والتاريخ والغناء وسائل الأحوال ولا يعدل به كتاب في ذلك فيما نعلمه، وهو الغاية التي يسمو إليها الأديب ويقف عندها وأنى له بها. ونحن الآن نرجع بالتحقيق على الإجمال فيما تكلمنا عليه من علوم اللسان. والله المادي للصواب.

## الفصل السادس والأربعون

### في أن اللغة مملكة صناعية

أعلم أن اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة، إذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعانى وجردتها وصورها محسب تمام الملكة أو نقصانها. وليس ذلك بالنظر إلى المفردات وإنما هو

عليهم مأخذ البلاغة والبيان لدقّة أنظارهما وغموض معانيهما فتج Glover عنهم.

ومن الف في البديع من أهل إفريقية ابن رشيق وكتاب العمدة له مشهور. وجرى كثير من أهل إفريقية والأندلس على منحاه.

وأعلم أن ثمرة هذا الفن إنما هي في فهم الإعجاز من القرآن؛ لأن إعجازه في وفاء الدلالة منه بجمع مقتضيات الأحوال منطقية ومفهومه، وهي أعلى مراتب الكمال مع الكلام فيما يختص بالألفاظ في انتقامها وجبردة رصتها وتركيبها. وهذا هو الإعجاز الذي تنصر الأفهام عن إدراكه. وإنما يدرك بعض الشيء منه من كان له ذوق بمخالطة اللسان العربي وحصول ملكته فيدرك من إعجازه على قدر ذوقه. فلهذا كانت مدارك العرب الذين سمعوه من مبلغه أعلى مقاماً في ذلك؛ لأنهم فرسان الكلام وجهابذنه والذوق عندهم موجود بأوفر ما يكون وأصحه.

وأرجوا ما يكون إلى هذا الفن المفسرون وأكثر تفاسير المتقدمين غفل عنه، حتى ظهر جار الله الزمخشري ووضع كتابه في التفسير وتبع آي القرآن باحكام هذا الفن بما يindi البعض من إعجازه فانفرد بهذا الفضل على جميع التفاسير؛ ولو لا أنه يؤيد عقائد أهل البدع عند اقتباسها من القرآن بوجوهه البلاغية. ولأجل هذا يتحمّله كثير من أهل السنة مع وفور بضاعته من البلاغة. فمن أحکم عقائد السنة وشارك في هذا الفن بعض المشاركة حتى يقتدر على الرد عليه من جنس كلامه أو يعلم أنها بدعة فيعرض عنها ولا تضره في معتقده، فإنه يتبع عليه النظر في هذا الكتاب للقفز بشيء من الإعجاز مع السلامة من البدع والأهواء. والله المادي من يشاء إلى سواء السبيل.

## علم الأدب

هذا العلم لا موضوع له ينظري في إثبات عوارضه أو نفيها. وإنما المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته، وهي الإجاداة في فني المنظوم والمشعر، على أساليب العرب ومناجيهم، فيجمعون لذلك من كلام العرب ما عساه تحصل به الكلمة. من شعر على الطبقية، وسجع متساو في الإجاداة، ومسائل من اللغة والنحو مثبتة أثناء ذلك، متفرقة، يستقرى منها الناظر في الغالب معظم قوانين العربية، مع ذكر بعض من أيام العرب يفهم به ما يقع في أشعارهم منها. وكذلك ذكر المهم من الأنساب الشهيرة والأخبار العامة.

## الفصل السابع والأربعون

### في أن لغة العرب لهذا العهد مستقلة مغایرة للغة ماضر وحير

وذلك أنا نجدهما في بيان المقاصد والروفاء بالدلالة على سennn اللسان الضري، ولم يفقد منها إلا دلالة الحركات على تعين الفاعل من المفعول، فاعتراضوا منها بالتقديم والتأخير ويقران تدل على خصوصيات المقاصد. إلا أن البيان والبلاغة في اللسان الضري أكثر وأعرق، لأن الألفاظ بغايتها دالة على المعاني بغايتها. وبمعنى ما تقتضيه الأحوال - ويسمى بساط الحال - محتاجاً إلى ما يدل عليه. وكل معنى لا بد وأن تكتفه أحوال تخصه، فيجب أن تعتبر تلك الأحوال في تادية المقصود لأنها صفات، وتلك الأحوال في جميع الألسن أكثر ما يدل عليها بالفاظ تخصها بالوضع. وأما في اللسان العربي فإنما يدل عليها بأحوال وكيفيات في تراكيب الألفاظ وتاليتها من تقديم أو تأخير أو حذف أو حركة أعراب. وقد يدل عليها بالحروف غير المستقلة. ولذلك تفاوت طبقات الكلام في اللسان العربي بحسب تفاوت الدلالة على تلك الكيفيات كما قدمناه، فكان الكلام العربي لذلك أوجز وأقل الفاظاً وعبارة من جميع الألسن.

وهذا معنى قوله تعالى: «أولت جرام الكلم واختصر لي الكلام اختصاراً». واعتبر ذلك بما يمكن عن عيسى بن عمر وقد قال له بعض النحاة: «إنني أجد في كلام العرب تكراراً في قوله: زيد قائم، وإن زيداً قائم، وإن زيداً لقائم والمعنى واحد». فقال له: إن معانيها مختلفة. فال الأول: لإفاده الحالى للنهن من قيام زيد. والثانى: لم سمعه فتردد فيه، والثالث لم عرف بالإصرار على إنكاره فاختلت الدلالة باختلاف الأحوال.

وما زالت هذه البلاغة والبيان يدين العرب ومنهفهم هذا العهد. ولا تختلف في ذلك إلى خرقشة النحاة أهل صناعة الإعراب القاصرة مداركهم عن التحقيق، حيث يزعمون أن البلاغة لهذا العهد ذهبت، وأن اللسان العربي فسد اعتباراً بما وقع في أواخر الكلم من نساد الإعراب الذي يتدارسون قوانينه. وهي مقالة دسها التشيع في طباعهم وألقاماً الفصور في أفنائهم، وإلا فنحن نجد اليوم الكثير من الفاظ العرب لم تزل في موضوعاتها الأولى والتعبير عن المقاصد والتعاون فيه بتفاوت الإبانة موجود في كلامهم لهذا العهد، وأساليب اللسان وفنونه من النظم والنشر موجودة في مخاطباتهم وفيهم الخطيب المقصع في مخافهم وجماعتهم

بالنظر إلى التراكيب. فإذا حصلت الملكة التامة في تركيب الألفاظ المفردة للتعبير بها عن المعاني المقصودة ومراعاة التأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال، بلغ المتكلم حيثد الغاية من إفادته مقصوده للسامع وهذا هو معنى البلاغة. والملكات لا تحصل إلا بتكرار الأفعال؛ لأن الفعل يقع أولاً وتعود منه للذات صفة ثم تتكرر تكون حالاً. ومعنى الحال أنها صفة غير راسخة ثم يزيد التكرار فتكون ملكة أي: صفة راسخة.

فالملكم من العرب حين كانت ملكته اللغة العربية موجودة فيهم يسمع كلام أهل جيله وأساليبهم في مخاطباتهم وكيفية تبصيرهم عن مقاصدهم كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها فيلقنها أولاً ثم يسمع التراكيب بعدها فيلقنها كذلك. ثم لا يزال سمعاً لهم لذلك يتجدد في كل لحظة ومن كل متكلم واستعماله يتكرر إلى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة ويكون كاحدهم.

هكذا تصير الألسن واللغات من جبل إلى جبل وتعلمهما العجم والأطفال. وهذا هو معنى ما تقوله العامة من أن اللغة للعرب بالطبع، أي بالملكة الأولى التي أخذت عنهم ولم يأخذوها عن غيرهم. ثم فسدت هذه الملكة لغير بمحالاتهم الأعاجم، وسيب فسادها أن النائئ من الجيل صار يسمع في العبرة عن المقاصد كيفيات أخرى غير الكيفيات التي كانت للعرب فيعبر بها عن مقصوده لكثرة المخالفين للعرب من غيرهم ويسمع كيفيات العرب أيضاً، فاحتلظ عليه الأمر وأخذ من هذه وهذه، فاستحدث ملكة وكانت ناقصة عن الأولى. وهذا معنى فساد اللسان العربي.

ولهذا كانت لغة قريش أفضح اللغات العربية وأصرحها بعدهم عن بلاد العجم من جميع جهاتهم. ثم من اكتفهم من ثقيف وهذيل وخزاعة وبني كنانة وغطفان وبني أسد وبني عيم، وأما من بعدهم من ربيعة ولخم وجذام وغضان وإياد وقضاعة وعرب المجاورين لأمم الفرس والروم والحبشة، فلم تكن لغتهم تامة الملكة بمحالطة الأعاجم. وعلى نسبة بعدهم من قريش كان الاحتجاج بلفاظهم في الصحة والفساد عند أهل الصناعة العربية. والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق.

حتى صار ذلك علامة عليهم من بين الأمم والأجيال ومتخصصاً بهم لا يشاركون فيها غيرهم. حتى إن من يريد التعرُّف والاتساق إلى الجيل والدخول فيه يحاكيهم في النطق بها. وعندئم أنه إنما يتميز العربي الصريح من الدخيل في العروبية والمحضرى بالنطق بهذه القافية. ويظهر بذلك أنها لغة مصر بعينها، فإن هذا الجيل الباقين معظمهم ورؤوساؤهم شرقاً وغرباً في ولد منصور بن عكرمة بن حصنة بن قيس بن عيلان من سليم بن منصور ومن بنى عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور. وهم هؤلاء العهد أكثر الأمم في المعمور وأغلبهم لهم من أعقاب مصر وسائر الجيل معهم من بنى كهلان في النطق بهذه القافية أسوة.

وهذه اللغة لم يتبعها هذا الجيل بل هي متوارثة فيهم متعاقبة ويظهر من ذلك أنها لغة مصر الأولين ولعلها لغة النبي ﷺ بعينها، وقد أدعى ذلك فقهاء أهل البيت وزعموا أن من قرأ في أم القرآن «اهدنا الصراط المستقيم»<sup>١</sup> غير القاف التي لهذا الجيل فقد لحن وأقدس صلاته، ولم أدر من أين جاء هذا؟ فإن لغة أهل الأمصار أيضاً لم يستحدثوها وإنما تناقلوها من لدن سلفهم وكان أكثرهم من مصر لما نزلوا الأمصار من لدن الفتح. وأعمل الجيل أيضاً لم يستحدثوها إلا أنهم أبعد من مخالطة الأعاجم من أهل الأمصار. فهذا يرجح فيما يوجد من اللغة لديهم أنه من لغة سلفهم. هذا مع اتفاق أهل الجيل كلهم شرقاً وغرباً في النطق بها وأنها الخاصة التي يتميز بها العربي من المجنين والمحضرى.

والظاهر أن هذه القافية التي ينطق بها أهل الجيل العربي البدوى هو من خرج القاف عند أو لهم من أهل اللغة، وأن خرج القاف متسع، فأوله من أعلى الحنك وأخره مما يلي الكاف. فالنطق بها من أعلى الحنك هو لغة الأمصار، والنطق بها مما يلي الكاف هي لغة هذا الجيل البدوى. وبهذا يندفع ما قاله أهل البيت من فساد الصلاة بتراكها في أم القرآن، فإن فقهاء الأمصار كلهم على خلاف ذلك. ويعيد أن يكونوا أعملوا ذلك، فوجهه ما قبلناه. نعم نقول إن الأرجح والأولى ما ينطق به أهل الجيل البدوى؛ لأن تواترها فيهم كما قدمناه شاهد بأنها لغة الجيل الأول من سلفهم، وأنها لغة النبي ﷺ. ويرجح ذلك أيضاً إدغامهم لها في الكاف لتقارب المخرجين. ولو كانت كما ينطق بها أهل الأمصار من أصل الحنك، لما كانت قريبة المخرج من الكاف، ولم تندغم. ثم إن أهل العربية قد ذكروا هذه القافية من الكاف، وجهي التي ينطق بها أهل الجيل البدوى من العرب لهذا العهد، وجعلها متوسطة بين مخرجى القاف والكاف. على أنها حرف مستقل، وهو بعيد. والظاهر أنها من آخر مخرج القاف لاتساعه كما قلناه. ثم

والشاعر الملقى على أساليب لغتهم. والذوق الصحيح والطبع السليم شاهدان بذلك. ولم يفقد من أحوال اللسان المدون إلا حرकات الإعراب في أواخر الكلم فقط، الذي لزم في لسان مصر طريقة واحدة وهي معرفة وهو الإعراب. وهو بعض من حكماء اللسان. وإنما وقعت العناية ببيان مصر لما فسد بمخالفتهم الأعاجم حين استولوا على ممالك العراق والشام ومصر والمغرب وصارت ملكته على غير الصورة التي كانت أولًا فانتقلب لغة أخرى.

وكان القرآن متزلاً به والحديث النبوى متقولاً بلغته وهما أصلاً الذين والملة، فخشى تناسعهما وانغلاق الأفهام عندهما بفقدان اللسان الذي تنزل به، فاحتياج إلى تدوين حكماته ووضع مقاييسه واستبطاط قوانينه. وصار علمًا ذا فصول وأبواب ومقدمات ومسائل سماه أهله بعلم التحرر وصناعة العربية، فاصبح فناً محظوظاً وعلمًا مكتوباً وسلماً إلى فهم كتاب الله وستة رسوله ﷺ راقياً. ولعلنا لو اعتنينا بهذا اللسان العربي لهذا العهد واستقررتنا حكماته نتاض عن المركبات الإعرابية التي فسّدت في دلالتها بأمور أخرى وكيفيات موجودة فيه ف تكون لها قوانين تخصها. ولعلها تكون في أواخره على غير المنهاج الأول في لغة مصر فليست اللغات ولملكتها مجاناً.

ولقد كان اللسان المصري مع اللسان الحميري بهذه المتابة وتغيرت عند مصر كثير من موضوعات اللسان الحميري وتصارييف كلماته. تشهد بذلك الأنقاض الموجودة لدينا خلافاً لمن يحمله القصور على أنهما لغة واحدة ويلتمس إجراء اللغة الحميرية على مقاييس اللغة المصرية وقوانيتها كما يزعم بعضهم في اشتراق (القبل) في اللسان الحميري أنه من القول وكثير من أشباه هذا وليس ذلك بصحيح. ولنـة حبر لغة أخرى مغايرة للغة مصر في الكثير من أوضاعها وتصارييفها وحرمات إعرابها كما هي لغة العرب لهـنـا مع لغة مصر، إلا أن العناية ببيان مصر من أجل الشريعة كما قلناه حل ذلك على الاستبطاط والاستقراء، وليس عندنا لهذا العهد ما يجعلنا على مثل ذلك ويدعونـا إليه.

وما وقع في لغة هذا الجيل العربي لهذا العهد حيث كانوا من الأقطار شأنهم في النطق بالقاف، فإنهـنـ لا ينتظرونـها من خرج القاف عند أهل الأمصار كما هو مذكور في كتب العربية أنهـنـ من أقصى اللسان وما فرقـةـ منـ الحـنـكـ الأـعـلـىـ. وما يـنـظـقـونـهاـ أيضاًـ منـ خـرـجـ الكـافـ وإنـ كانـ أـسـفـلـ منـ مـوـضـعـ القـافـ وما يـلـيهـ منـ الحـنـكـ الأـعـلـىـ كماـ هـيـ، بلـ يـجـيـءـونـهاـ مـوـسـطـةـ بـيـنـ الكـافـ والـقـافـ وهو موجود للـجـيلـ أـجـمـعـ حيثـ كانواـ مـنـ غـربـ أوـ شـرقـ

غلب العرب على أمه من فارس والترك فخالطوهم وتداولت بينهم لغاتهم في الأكرة والفلاحين والسي الذين امتحنوه خولاً ودابيات وأظاراً ومراضع، ففسدت لغتهم بفساد الملكة حتى انقلب لغة أخرى. وكذا أهل الأندلس مع عجم الجلالة والافرنجة. وصار أهل الأمصار كلهم من هذه الأقاليم أهل لغة أخرى مخصوصة بهم تختلف لغة مصر ويختلف أيضاً بعضها بعضًا كما نذكره وكانتها لغة أخرى لاستحکام ملكتها في أجسامهم. والله يخلق ما يشاء ويدر.

إنهم يصرحون باستهجانه واستقباحه كأنهم لم يصح عندهم أنها لغة الجيل الأول. وفيما ذكرناه من اتصال نطقهم بها، لأنهم إنما ورثوها من سلفهم جيلاً بعد جيل، وأنها شعارهم الخاص بهم؛ دليل على أنها لغة ذلك الجيل الأول، ولغة النبي ﷺ كما تقدم ذلك كله. وقد يزعم زاعم أن هذه القافية التي ينطق بها أهل الأمصار ليست من هذا الحرف، وأنها إنما جاءت من مخالطتهم للعجم، وإنهم ينطقون بها كذلك، فليست من لغة العرب، ولكن الآقىس كما قدمناه من أنها حرف واحد متسع المخرج ففهم ذلك. والله المادي المبين.

## الفصل التاسع والأربعون

### في تعليم اللسان المصري

اعلم أن ملكة اللسان المصري لهذا العهد قد ذهبت وفسدت ولغة أهل الجيل كلهم معايرة للغة مصر التي نزل بها القرآن، وإنما هي لغة أخرى من امتزاج العجمة بها كما قدمناه. إلا أن اللغات لما كانت ملكات كما مر كان تعلمها يمكن شأن سائر الملوك. ووجه التعليم من يتبعي هذه الملكة ويروم تحصيلها أن يأخذ نفسه بمحض كلامهم القديم الجاري على أساليبهم من القرآن والحديث وكلام السلف وخطابات فحول العرب في أسلاجهم وأشعارهم وكلمات المربيين أيضاً في سائر فنونهم، حتى يتنزل لكثرة حفظه لكلامهم من النظروم والمشور متزلة من نشأ بينهم ولقن العبارة عن المقاصد منهم. ثم يتصرف بعد ذلك في التعبير بما في ضميره على حسب عباراتهم وتاليف كلماتهم وما وعاه وحفظه من أساليبهم وترتيب الفاظهم، فتحصل له هذه الملكة بهذا المحفظ والاستعمال ويزداد بكتثرتها رسوحاً وقرة ويعتاش مع ذلك إلى سلامة الطبع والتفهم الحسن لمنازع العرب وأساليبهم في التراكيب ومراعاة التطييق بينهما وبين مقتضيات الأحوال. والذوق يشهد بذلك وهو ينشأ ما بين هذه الملكة والطبع السليم فيما كما يذكر بعد. وعلى قدر المحفظ وكتلة الاستعمال تكون جودة المقول المصروع نظماً ونثراً، ومن حصل على هذه الملوكات فقد حصل على لغة مصر وهو الناقد البصير بالبلاغة فيها، وهكذا يتبعي أن يكون تعلمها. والله يهدي من يشاء بفضله وكرمه.

## الفصل الثامن والأربعون

### في أن لغة أهل الحضر والأمصار لغة قائمة

#### بنفسها لغة مصر

اعلم أن عرف التخاطب في الأمصار وبين الحضر ليس بلغة مصر القديمة ولا بلغة أهل الجيل، بل هي لغة أخرى قائمة بنفسها بعيدة عن لغة مصر وعن لغة هذا الجيل العربي الذي لعهدنا وهي عن لغة مصر أبعد.

فاما أنها لغة قائمة بنفسها فهو ظاهر يشهد له ما فيها من التغير الذي بعد عن صناعة أهل التحوّل حتّا. وهي مع ذلك تختلف باختلاف الأمصار في اصطلاحاتهم، فلغة أهل الشرق معاينة بعض الشيء للغة أهل المغرب وكذا أهل الأندلس معهم وكل منهم متوصل بلغته إلى تادية مقصوده والإيابة عما في نفسه. وهذا معنى اللسان واللغة. وقد ان الإعراب ليس بسائر لهم كما قلناه في لغة العرب لهذا العهد.

وأما أنها أبعد عن اللسان الأول من لغة هذا الجيل؛ فلان البعـد عن اللسان إنما هو بمخالطة العجمة. فمن خالط العجم أكثر كانت لغته عن ذلك اللسان الأصلي أبعد؛ لأن الملكة إنما تحصل بالتعليم كما قلناه. وهذه ملكة متزجة من الملكة الأولى التي كانت للعرب ومن الملكة الثانية التي للعجم. فعلى مقدار ما يسمعونه من العجمة ويربون عليه يعودون عن الملكة الأولى. واعتبر ذلك في أمصار إفريقيـة والمغرب والأندلس والشرقـ. أما إفريقيـة والمغرب فخالطـت العرب فيها البرـبةـ من العجم لوفرـ عـرـانـهاـ بهـمـ ولم يـكـدـ يـخـلـوـ عـنـهـمـ مـصـرـ ولاـ جـيلـ، فـغـلـبـتـ العـجمـةـ فـيـهاـ عـلـىـ الـلـانـسـانـ الـعـربـيـ الـذـيـ كـانـ هـمـ وـصـارتـ لـغـةـ آخـرـيـ مـتـزـجـةـ. وـالـعـجمـةـ فـيـهاـ أـغـلـبـ لـمـاـ ذـكـرـنـاهـ فـيـهـ عـنـ الـلـانـسـانـ الـأـوـلـ أـبـعـدـ. وـكـذاـ الشـرقـ لـمـ

## الفصل الخمسون

### في أن ملكة هذا اللسان غير صناعة العربية ومستغنية عنها في التعليم

والمحصل له قد حصل على خط من كلام العرب واندرج في مخزنه في أماكنه ومفاصل حاجاته. وتتبه به لشأن الملكة فاستوفى تعليمها فكان أبلغ في الإفادة.

ومن هؤلاء المخالفين لكتاب سيبويه يغفل عن التفطن لهذا فيحصل على علم اللسان صناعة ولا يحصل عليه ملكة. وأما المخالفون لكتب المتأخرین العاریة من ذلك إلا من القرانين التجویرة مجردة عن اشعار العرب وكلامهم، فقلما يشعرون لذلك بأمر هذه الملكة أو يتبعون لشأنها فتجدهم يحسّنون أنهم قد حصلوا على رتبة في لسان العرب وهم أبعد الناس عنه. وأهل صناعة العربية بالأندلس وعلمومها أقرب إلى تفصيل هذه الملكة وتعليمها من سواهم لقياهم فيها على شواهد العرب وأمثالهم والتلقف في الكثير من التراكيب في مجالس تعليمهم فيسبق إلى المبدئ كغير من الملكة أثناء التعليم فتقطيع النفس بها و تستعد إلى تحصيلها وقوتها.

وأما من سواهم من أهل المذهب وإفريقية وغيرهم فأجرروا صناعة العربية مجرى العلوم بعثاً وقطعوا النظر في التفقة في تراكيب كلام العرب إلا إن أجريوا شاهدًا أو رجحوا مذهبًا من جهة الاقضاء النهنى لا من جهة حامل اللسان وتراسيه. فاصبحت صناعة العربية كائناً من جملة قوانين المنطق العقلية أو الجدل وبعدت عن مناحي اللسان وملكته، وأفاد ذلك حلتها في الأمصار هذه وأفاقتها البعد عن الملكة بالكلية، وكانهم لا ينظرون في كلام العرب. وما ذلك إلا لعدوهم عن البحث في شواهد اللسان وتراسيه وتعيز أساليبه وغفلتهم عن المران في ذلك للمتعلم فهو أحسن ما تقدّمه الملكة في اللسان. وتلك القرانين إنما هي وسائل للتعليم لكنهم أجزروها على غير ما قصد بها وأصاروها علمًا بعثاً ويعدوا عن ثمرتها.

وتعلم ما قررناه في هذا الباب أن حصول ملكة اللسان العربي إنما هو بكلة الحفظ من كلام العرب، حتى يرتسن في خياله المثال الذي نسجوا عليه تراكبيهم فنسج هو عليه ويتزلج بذلك منزلة من نشأ معهم وحافظ عباراتهم في كلامهم حتى حصلت له الملكة المستقرة في العبارة عن المقاصد على نحو كلامهم. والله مقد الأمور كلها والله أعلم بالغريب.

والسبب في ذلك أن صناعة العربية إنما هي معرفة قوانين هذه الملكة ومقاييسها خاصة. فهو علم بكيفية لا نفس كافية. فليست نفس الملكة، وإنما هي بمثابة من يعرف صناعة من الصنائع علمًا ولا يملكها عملاً. مثل أن يقول بصير بالخياطة غير عالم لملكتها في التعبير عن بعض أنواعها: الخياطة هي أن تدخل الخيط في خرت الإبرة ثم تغزّرها في لفقي الثوب مجتمعين وتخرجها من الجانب الآخر بقدر كذا ثم تردها إلى حيث ابتدأت وخرجتها قدام منفذها الأول بمطروح ما بين الثقبين الأولين؛ ثم يتمادي على وصفه إلى آخر العمل، ويعطي صورة الجبك والتثبيت والتثبيح وسائر أنواع الخياطة وأعمالها. وهو إذا طرول أن يعمل ذلك بيده لا يعجم منه شيئاً.

وكذا لو سئل عالم بالتجارة عن تفصيل الخشب فيقول: هو أن تضع المشار على رأس الخشب وتمسك بطرفه وأآخر بقابله مisk بطرفه الآخر وتعاقبانيه بينكما وأطرافه المضرسة المحددة تقطع ما مررت عليه ذاهبة وجائحة إلى أن يتهي إلى آخر الخشب. وهو لو طرول بهذا العمل أو شيء منه لم يعجم.

وهكذا العلم بقوانين الإعراب مع هذه الملكة في نفسها، فإن العلم بقوانين الإعراب إنما هو علم بكيفية العمل وليس هو نفس العمل. وكذلك نجد كثيراً من جهابذة النحو والمهرة في صناعة العربية المحبيطين علمًا بتلك القرانين إذا سئل في كتابة سطرين إلى أخيه أو ذي مودته أو شكرى ظلامة أو قصد من قصوده أخطأ فيها عن الصواب وأكثر من اللحن ولم يجد تاليف الكلام لذلك والعبارة عن المقصود فيه على أساليب اللسان العربي، وكذلك نجد كثيراً عن يحسن هذه الملكة ويجيد الفتن في المنظوم والمشور وهو لا يحسن إعراب الفاعل من المفعول ولا المرفوع من المجرور ولا شيئاً من قوانين صناعة العربية.

فمن هنا يعلم أن تلك الملكة هي غير صناعة العربية وأنها مستغنية عنها بالجملة، وقد نجد بعض المهرة في صناعة الإعراب بصيراً بحال هذه الملكة وهو قليل واتفاق، وأكثر ما يقع للمخالفين لكتاب سيبويه. فإنه لم يقتصر على قوانين الإعراب فقط بل ملاً كتابه من أمثال العرب وشواهد اشعارهم وعباراتهم نكان فيه جزء صالح من تعليم هذه الملكة فتجد العاكس عليه

## الفصل الواحد والخمسون

في تفسير لفظة الذوق في مصطلح أهل البيان

وتحقيق معناه وبيان أنها لا تحصل غالباً

للمستعربين من العجم

ومثالاً: لو فرضنا صبياً من صبيانهم نشاً وربى في جيلهم فإنه يتعلم لغتهم ويعكم شأن الإعراب والبلاغة فيها حتى يستولي على غايتها. وليس من العلم القانوني في شيء وإنما هو محصول هذه الملكة في لسانه ونطقه. وكذلك تحصل هذه الملكة لمن بعد ذلك الجيل بحفظ كلامهم وأشعارهم وخطبهم والمداومة على ذلك بحيث يحصل الملكة وبصير كواحد من نشاً في جيلهم وربى بين أحيانهم. والقوانيں يعزل عن هذا واستغير لهذه الملكة عندما ترسخ وتستقر اسم الذوق الذي اصطلاح عليه أهل صناعة البيان، والذوق وإنما هو موضوع لإدراك الطعم. لكن لما كان محل هذه الملكة في اللسان من حيث النطق بالكلام كما هو محل لإدراك الطعم استغير لها اسمه. وأيضاً فهو وجذاني اللسان كما أن الطعم حسوسه له قليل له ذوق. وإذا تبين لك ذلك علمت منه أن الأعاجم الداخلين في اللسان العربي الطارئين عليه المصطرين إلى النطق به لمحاكطة أهله كالفرس والروم والترك بالشرق وكالبربر بالغرب، فإنه لا يحصل لهم هذا الذوق لقصور حظهم في هذه الملكة التي قررنا أمرها؛ لأن قصاراً لهم بعد طائفته من العمر وسبق ملكة أخرى إلى اللسان وهي لغاتهم أن يعتنوا بما يتناوله أهل مصر بينهم في المحاوره من مجرد ومركب لما يضطرون إليه من ذلك. وهذه الملكة قد ذهبت لأهل الأمصار وبدعوا عنها كما تقدم. وإنما لهم في ذلك ملكة أخرى وليس هذه ملكة اللسان المطلوبة. ومن عرف أحكام تلك الملكة من القرانيں المسطرة في الكتب فليس من تحصيل الملكة في شيء. إنما حصل أحكامها كما عرفت. وإنما تحصل هذه الملكة بالمارسة والاعتياد والتكرر لكلام العرب. فإن عرض لك ما تسمعه من أن سيبويه والفارسي والزمخري وأمثالهم من فرسان الكلام كانوا أعمجاماً مع حصول هذه الملكة لهم، فاعلم أن أولئك القوم الذين نسمع عنهم إنما كانوا عجماً في تفهمهم فقط. أما المري والشاة فكانت بين أهل هذه الملكة من العرب ومن تعليمها منهم فاستولوا بذلك من الكلام على غاية لا وراءها وكانتهم في أول نشائهم بمنزلة الأصغر من العرب الذين نشأوا في أجيالهم حتى أدركوا كنه اللغة وصاروا من أهلها، فهم وإن كانوا عجماً في النسب فليسوا بآعاجم في اللغة والكلام؛ لأنهم أدركوا الملكة في عنفوانها ولغة في شبابها ولم تذهب أثار الملكة منها ولا من أهل الأمصار ثم عكفوا على الممارسة والمدارسة لكلام العرب حتى استولوا على غايته.

واليوم الواحد من العجم إذا خالط أهل اللسان العربي بالأمصار فأول ما يجد تلك الملكة المقصدودة من اللسان العربي متحية الآثار. ويجد ملكتهم الخاصة بهم ملكة أخرى مختلفة لملك

اعلم أن لفظة الذوق يتناولها المعتبرون بفنون البيان ومعناها حصول ملكة البلاغة للسان. وقد مر تفسير البلاغة وأنها مطابقة الكلام للمعنى من جميع وجوهه بخواص تقع للتراتيب في إفادته ذلك. فالكلام بلسان العرب والبلجع فيه يتحرى الميزة المقيدة لذلك على أساليب العرب وأغاء مخاطبائهم وينظم الكلام على ذلك الوجه جده، فإذا اتصلت معاناته لذلك بمحاكطة كلام العرب حصلت له الملكة في نظم الكلام على ذلك الوجه وسهل عليه أمر التركيب حيث لا يكاد ينحو فيه غير منحى البلاغة التي للعرب وإن سمع تركيباً غير جار على ذلك المنحى مجده وبهذا عنه سمعه بأدني فكر، بل وبغير فكر، إلا بما استفاده من حصول هذه الملكة. فإن الملكات إذا استقرت ورسخت في حالها ظهرت كأنها طبيعة وجبلة لذلك الحال. ولذلك يظن كثير من المقلفين من لم يعرف شأن الملكات أن الصواب للعرب في لغتهم إعراباً وبلاغة أمر طبيعي. ويقول: كانت العرب تنطق بالطبع وليس كذلك، وإنما هي ملكة لسانية في نظم الكلام تunctت ورسخت فظهرت في بادئ الرأي أنها جبلة وطبع.

وهذه الملكة كما تقدم إنما تحصل بممارسة كلام العرب وتكرره على السمع والتقطن لخواص تراكيبه وليس تحصل بمعرفة القرانيں العلمية في ذلك التي استبطنها أهل صناعة البيان، فإن هذه القرانيں إنما تقييد علمًا بذلك اللسان ولا تقييد حصول الملكة بالفعل في محلها وقد مر ذلك. وإذا تقرر ذلك فملكة البلاغة في اللسان تهدى البلجع إلى وجود النظم وحسن التركيب المواتي لراتيب العرب في لغتهم ونظم كلامهم. ولو رام صاحب هذه الملكة حيداً عن هذه السبيل المعينة والتراتيب المخصوصة لما قدر عليه ولا وافقه عليه لسانه؛ لأنه لا يعتاده ولا تهديه إليه ملكته الراسخة عنده. وإذا عرض عليه الكلام حائداً عن أسلوب العرب وبلاغتهم في نظم كلامهم أعرض عنه وجده وعلم أنه ليس من كلام العرب الذين مارس كلامهم. وإنما يعجز عن الاحتجاج بذلك كما تصنع أهل القرانيں التحورية والبيانية، فإن ذلك استدللاً بما حصل من القرانيں المفادة بالاستقراء. وهذا أمر وجذاني حاصل بممارسة كلام العرب حتى بصير كواحد منهم.

ذكراً. وكذلك أشعارهم كانت بعيدة عن الملكة نازلة عن الطبقة، ولم تزل كذلك لهذا العهد، ولهذا ما كان يافريقيه من مشاهير الشعراء إلا ابن رشيق وابن شرف، وأكثر ما يكون فيها شعراء طارئين عليها ولم تزل طبقتهم في البلاغة حتى الآن ماثلة إلى القصر.

وأهل الأندلس أقرب منهم إلى تحصيل هذه الملكة بكثرة معاناتهم وأمثالهم من المخفيات اللغوية نظماً ونشرأ. وكان فيهم ابن حيان المؤرخ إمام أهل الصناعة في هذه الملكة ورافع الرأية لهم فيها وابن عبد الرحيم والقططي وأمثالهم من شعراء ملوك الطوائف لما زخرت فيها بمحار اللسان والأدب وتداول ذلك فيهم مئين من السنين حتى كان الانفصاص والجلاء أيام تغلب التنصريات. وشغلاً عن تعلم ذلك وتناقص العمran فتناقصت لذلك شأن الصنائع كلها فقصرت الملكة فيهم عن شأنها حتى بلغت الحضيض.

وكان من آخرهم صالح بن شريف ومالك بن المرحل من تلاميذ الطبقة الإشبيليين بسبته وكانت دولة بني الأحرar في أوها. والتقت الأندلس أفالذ كبدها من أهل تلك الملكة بالجلاء إلى العدوة من عدوة إشبيلية إلى سبتة، ومن شرق الأندلس إلى إفريقيه. ولم يلتفتوا إلى أن انقرضوا وانقطع سند تعليمهم في هذه الصناعة لعسر قبول العدوة لها وصعوبتها عليهم بعوج الستهم ورسوخهم في العجمة البربرية وهي متافية لما قبلها.

ثم عادت الملكة من بعد ذلك إلى الأندلس كما كانت ونجم بها ابن سيرين وابن جابر وابن الجياب وطبقتهم. ثم إبراهيم الساحلي الطريحين وطبقته وقفام ابن الخطيب من بعدهم المسالك لهذا العهد شهيداً بسعاية أعدائه. وكان له في اللسان ملكة لا تدركه واتبع أثره تلميذه من بعده. وباجملة فشان هذه الملكة بالأندلس أكثر وتعليمها أيسر وأسهل بما هي عليه لهذا العهد كما قدمناه من معاناة علوم اللسان وحافظتهم عليها وعلى علوم الأدب وسند تعليمها. وأن أهل اللسان العجمي الذين نقدس ملكتهم إنما هم طارئون عليهم. وليس عجمتهم أصلًا للغة أهل الأندلس والبربر في هذه العدوة وهو أهلها ولسانهم لسانها إلا في الأمصار فقط. وهم فيها منغمسون في بحر عجمتهم وروطائهم البربرية فصعب عليهم تحصيل الملكة اللسانية بالتعليم بخلاف أهل الأندلس. واعتبر ذلك مجال أهل المشرق لهد الدولة الأمورية والعباسية، فكان شأنهم شأن أهل الأندلس في تمام هذه الملكة وجادتها بعدهم لذلك العهد عن الأعاجم ومخالفتهم إلا في القليل. فكان أمر هذه الملكة في ذلك العهد أقrom، وكان فحول الشعراً والكتاب

اللسان العربي. ثم إذا فرضنا أنه أقبل على الممارسة لكلام العرب وأشعارهم بالدراسة والحفظ ليستفيد تحصيلها فقل أن يصل له ما قدمناه من أن الملكة إذا سبقتها ملكة أخرى في المثل فلا تحصل إلا ناقصة مخدوشة. وإن فرضنا أعمجياً في النسب سلم من مخالطة اللسان العمجمي بالكلية وذهب إلى تعلم هذه الملكة بالحفظ والمدارسة فربما يصل له ذلك، لكنه من التدور بحيث لا يخفى عليك بما تقرر. وربما يدعى كثير من ينظر في هذه القوانين اليابانية حصول هذا النزول له بها وهو غلط أو مغالطة، وإنما حصلت له الملكة إن حصلت في تلك القوانين اليابانية وليس من ملكة العبارة في شيء. والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم.

## الفصل الثاني والخمسون

في أن أهل الأمصار على الإطلاق قاصرون في  
تحصيل هذه الملكة اللسانية التي تستفاد بالتعليم  
ومن كان منهم أبعد عن اللسان العربي كان  
حصوها له أصعب وأعسر

والسبب في ذلك ما يسبق إلى التعلم من حصول ملكة منافية للملكه المطلوبة بما سبق إليه من اللسان المضري الذي أفادته العجمة حتى نزل بها اللسان عن ملكته الأولى إلى ملكة أخرى هي لغة الحضر لهذا العهد. ولهذا نجد المعلمين يلمزون إلى المسابقة بتعليم اللسان للوليدان. وتعتقد النحاة أن هذه المسابقة بصناعتهم وليس كذلك، وإنما هي بتعليم هذه الملكة بمخالطة اللسان وكلام العرب. نعم صناعة النحو أقرب إلى مخالطة ذلك وما كان من لغات أهل الأمصار أعرق في العجمة وأبعد عن لسان مصر قصر بصاحبها عن تعلم اللغة المصرية وحصل ملكتها لتمكن المنافاة حيث. واعتبر ذلك في أهل الأمصار.

فأهل إفريقيه والمغرب لما كانوا أعرق في العجمة وأبعد عن اللسان الأول كان لهم قصور تام في تحصيل ملكته بالتعليم. ولقد نقل ابن الرقيق أن بعض كتاب القبروان كتب إلى صاحب له: يا أخي ومن لا عدلت فقدمه أعلمكني أبو سعيد كلاماً أنت كنت ذكرت أنت تكون مع الذين تأتي وعاقتالي اليوم فلم يتهمها لنا الخروج. وأما أهل المنزل الكلاب من أمر الذين فقد كذبوا هذا باطلًا ليس من هذا حرفًا واحدًا. وكتابي إليك وأنا مشتاق إليك إن شاء الله. وهكذا كانت ملكتهم في اللسان المصري وسيبه ما

أسجاعاً ولا التزم فيها ما يلتزم في السجع ولا هي أيضاً قرواف. وأطلق اسم الثاني على آيات القرآن كلها على العموم لما ذكرناه واختصت أيام القرآن للغيبة فيها كالنجم للثريا ولهذا سميت السبع الثانية.

وانظر لهذا ما قاله المفسرون في تعليل تسميتها بالثانية يشهد لك الحق برجحان ما قلناه.

واعلم أن لكل واحد من هذه الفترن أساليب تختص به عند أهله لا تصلح للفن الآخر ولا تستعمل فيه مثل النسب المختص بالشعر والحمد والدعاء المختص بالخطب والدعاء المختص بالمخاطبات وأمثال ذلك. وقد استعمل المتأخرن أساليب الشعر وموازيته في المشور من كثرة الأسجاع والتزام التقافية وتقديم النسب بين يدي الأغراض. وصار هذا المشور إذا تأمله من باب الشعر وفنه ولم يفترقا إلا في الوزن. واستمر المتأخرن من الكتاب على هذه الطريقة واستعملوها في المخاطبات السلطانية وقصروا الاستعمال في المشور كله على هذا الفن الذي ارتبوه وخلطوا الأساليب فيه وهجروا المرسل وتناسوه، وخصوصاً أهل الشرق. وصارت المخاطبات السلطانية لهذا العهد عند الكتاب الغفل جارية على هذا الأسلوب الذي أشرنا إليه، وهو غير صواب من جهة البلاغة لما يلاحظ في تطبيق الكلام على مقتضى الحال من أحوال المخاطب والمخاطب.

وهذا الفن المشور المقفى أدخل المتأخرن فيه أساليب الشعر، فوجب أن تنزع المخاطبات السلطانية عنه، إذ أساليب الشعر تباح فيها اللوذعة وخلط الجد بالمزلل والإطاب في الأوصاف وضرب الأمثال وكثرة التشبيهات والاستعارات حيث لا تدعى لذلك كله ضرورة في الخطاب. والتزام التقافية أيضاً من اللوذعة والتزيين وجلال الملك والسلطان وخطاب الجمهور عن الملوك بالترغيب والترهيب ينافي ذلك وبيانيه. والمحمود في المخاطبات السلطانية الترسل وهو إطلاق الكلام وإرساله من غير تسجيح إلا في الأقل التادر. وحيث ترسّل الملكة إرسالاً من غير تكلف له ثم إعطاء الكلام حقه في مطابقته لمقتضى الحال، فإن القمامات مختلفة ولكل مقام أسلوب يخصه من إطناب أو إيجاز أو حذف أو إيات أو تصريح أو إشارة وكالية واستعارة.

وأما إجراء المخاطبات السلطانية على هذا النحو الذي هو على أساليب الشعر فمدحوم، وما حمل عليه أهل العصر إلا استيلاء العجمة على الستهم وقصورهم لذلك عن إعطاء الكلام حقه في مطابقته لمقتضى الحال، فنجزوا عن الكلام المرسل بعد أنه في البلاغة وانساح خطوطه. وولئنما بهذا السجع يلفظون به

لعهدهم أوفر لتوفر العرب وأبنائهم بالشرق.

وانظر ما اشتمل عليه كتاب الأغاني من نظمهم ونشرهم، فإن ذلك الكتاب هو كتاب العرب وديوانهم وفيه لغتهم وأخبارهم وأباهم وملتهم العربية وسر نبיהם كذلك وأثار خلفائهم وملوكهم وأشعارهم وغناؤهم وسائر مفانيهم له فلا كتاب أوعب منه لأحوال العرب. وبقي أمر هذه الملكة مستحكماً في المشرق في الدولتين، وربما كانت فيها أبلغ من سواهم من كان في الجاهلية كما نذكره بعد. حتى تلاشى أمر العرب ودرست لغتهم وفسد كلامهم وانقضى أمرهم ودولتهم، وصار الأمر للأعاجم والملك في أيديهم والتغلب لهم. وذلك في دولة الديلم والسلجوقيه. وخالطوا أهل الأمصار وكثروهم فامتلات الأرض بلغاتهم. واستولت العجمة على أهل الأمصار والمحاضر حتى بعدوا عن اللسان العربي وملكته وصار متعلماً منهم مقسراً عن تحصيلها. وعلى ذلك نجد لسانهم لهذا العهد في في المظروم والمشور وإن كانوا مكثرين منه. والله يخلق ما يشاء وينختار والله سيدحاته وتعالى أعلم وبه التوفيق لا رب سواه.

### الفصل الثالث والخمسون

#### في أنقسام الكلام إلى في النظم والثر

اعلم أن لسان العرب وكلامهم على فئن في الشعر المنظوم وهو الكلام المرزون المقفى، ومعناه الذي تكون أوزانه كلها على روى واحد وهو القافية. وفي الثر وهو الكلام غير المرزون. وكل واحد من الفئن يشتمل على فئن ومنذهب في الكلام. فاما الشعر ف منه المدح والمجاه والرثاء وأما النثر ف منه السجع الذي يؤتى به قطعاً ويلتزم في كل كلامتن منه قافية واحدة يسمى سجعاً ومنه المرسل وهو الذي يطلق فيه الكلام إطلاقاً ولا يقطع أجزاء بل يرسل إرسالاً من غير تقييد بقافية ولا غيرها. ويستعمل في الخطاب والدعاء وترغيب الجمهور وترهيبهم.

واما القرآن وإن كان من المشور إلا أنه خارج عن الوصفين وليس يسمى مرسلاً مطلقاً ولا مسجعاً. بل تفصيل آيات يتهي إلى مقاطع يشهد النزق بانتهاء الكلام عندها. ثم يعاد الكلام في الآية الأخرى بعدها وينتفي من غير التزام حرف يكون سجعاً ولا قافية وهو معنى قوله تعالى: «اللَّهُ تَعَالَى أَخْسَنُ الْخَرَبِيَّتِ كَيْبَابًا مُشَابِهًا ثَمَانِيَّ تَقْسِيرٌ مِنْهُ جُلُودُ الْذِينَ تَخْشَوْنَ رَيْهُمْ». وقال: «فَقَدْ فَصَلَّتِ الْآيَاتِ». وتسمى آخر الآيات فيه فواصل، إذ ليست

## الفصل الخامس والخمسون

### في صناعة الشعر ووجه تعلمه

هذا الفن من فنون كلام العرب وهو المسمى بالشعر عندهم ويوجده في سائر اللغات، إلا أن إيماناً تتكلّم في الشعر الذي للعرب. فإن أمكن أن يجد فيه أهل الألسن الأخرى مقصودهم من كلامهم، وإلا فالكل لسان أحكام في البلاغة خاصة. وهو في لسان العرب غريب الترجمة عزيز المنحى إذ هو كلام مفصل قطعاً قطعاً متساوية في الوزن متحدة في الحرف الأخير من كل قطعة، وتسمى كل قطعة من هذه القطعات عندهم بيتاً ويسمى الحرف الأخير الذي تتفق فيه روياً وفافية، ويسمى جملة الكلام إلى آخره قصيدة وكلمة. وينفرد كل بيت منه بإفادته في تراكيبيه حتى كأنه كلام وحده مستقلّ عما قبله وما بعده. وإذا أفرد كان تاماً في بابه في مدح أو نسب أو رثاء، فيحرص الشاعر على إعطاء ذلك البيت ما يستقلّ في إفادته. ثم يستأنف في البيت الآخر كلاماً آخر كذلك ويستطرد للخروج من فن إلى فن ومن مقصود إلى مقصود، بأن يوطّن المقصود الأول ومعانيه إلى أن يناسب المقصود الثاني ويبعد الكلام عن التناقض. كما يستطرد من الشتيب إلى المدح، ومن وصف اليداء والطلول إلى وصف الركاب أو الخيل أو الطيف، ومن وصف المدح إلى وصف قومه وعساكره ومن التفجع والعزاء في الرثاء إلى الثناء وأمثال ذلك.

ويراعي فيه اتفاق القصيدة كلها في الوزن الواحد حذراً من أن يتضليل الطبع في الخروج من وزن إلى وزن يقاربه. فقد يخفي ذلك من أجل المقاربة على كثير من الناس. وهذه الموارizin شروط وأحكام تضمنها علم العروض. وليس كل وزن ينفق في الطبع استعملته العرب في هذا الفن، وإنما هي أوزان مخصوصة تسمى بها أهل تلك الصناعة البحور. وقد حصروها في خمسة عشر بحراً يمعنّ لهم لم يجدوا للعرب في غيرها من المواريز الطبيعية نظماً.

واعلم أن فن الشعر من بين الكلام كان شريطاً عند العرب. ولذلك جعلوه ديواناً علومهم وأخبارهم وشاهد صوابهم وخطفهم وأصلاً يرجعون إليه في الكثير من علومهم وحكمهم. وكانت ملكته مستحکمة فيهم شأن ملکاتهن كلها. والملکات اللسانية كلها إنما تکسب بالصناعة والارتياض في كلامهم حتى يحصل شبة في تلك الملكة. والشعر من بين فنون الكلام صعب المأخذ على من يريد اكتساب ملكته بالصناعة من المتأخرین لاستقلال كل بيت منه بأنه كلام تام في مقصوده ويصلح أن ينفرد

ما ناقصهم من تطبيق الكلام على المقصود ومقتضى الحال فيه. ويجربونه بذلك القدر من التزرين بالإسجاع والألقاب البدعية ويفغلوون عما سوى ذلك. وأكثر من أخذ بهذا الفن وبالغ فيه في سائر أنحاء كلامهم كتاب المشرق وشراوئه لهذا العهد، حتى إنهم ليخلون بالإعراب في الكلمات والتصريف إذا دخلت لهم في تمثيس أو مطابقة لا يجتمعان معها فيرجحون ذلك الصنف من التجنيس. ويدعون الإعراب ويفسدون بنية الكلمة عساها تصادف ذكرناه. والله الموفق للصواب به وكرمه والله تعالى أعلم.

## الفصل الرابع والخمسون

### في أنه لا تتفق الإجادة في فن المنظوم والمشور معاً إلا للأقل

والسبب في ذلك أنه كما بنياه مملكة في اللسان، فإذا سبقت إلى عمله مملكة أخرى فحصرت بالعمل عن تمام الملكة اللاحقة. لأن قبل الملکات وحصوها للطبات التي على الفطرة الأولى أسهل وأيسر. وإذا تقدمتها مملكة أخرى كانت متازعة لها في المدة القابلة وعاقنة عن سرعة القبول، فرقت المثافة وتبتذر التمام في الملكة وهذا موجود في الملکات الصناعية كلها على الإطلاق. وقد برهنا عليه في موضعه بمحاجة من هذا البرهان. فاعتبر مثله في اللغات، فإنها مملکات اللسان وهي بمثابة الصناعة. وانظر من تقدم له شيء من العجمة كيف يكون فاقداً في اللسان العربي أبداً. فالأعمجي الذي سبقت له اللغة الفارسية لا يستوي على مملكة اللسان العربي ولا يزال فاقداً فيه ولو تعلم وعلمه. وكذلك البربرى والرومسي والإفرنجي قد أثبتوا أن تمجيد أحداً منهم ممكناً لملكه اللسان العربي. وما ذلك إلا لما سبق إلى المستهم من مملكة اللسان الآخر، حتى إن طالب العلم من أهل هذه الألسن إذا طلبه بين أهل اللسان العربي ومن كتبهم جاء مقصراً في معارفه عن الغاية والتحصيل وما أتي إلا من قبل اللسان. وقد تقدم لك من قبل أن الألسن واللغات شبيهة بالصناعات. وقد تقدم لك أن الصنائع وملکاتها لا تزدحم. وإن من سبقت له إجادة في صناعة فقل أن يجد أخرى أو يستوي فيها على الغاية. والله خلقكم وما تعملون.

اسفي طلورهم اجش هنديم وغدت عليهم نضرة ونعم  
أو بسؤال السقيا لها من البرق كقوله:  
يا برق طالع متزلاً بالأبرق واحد السحاب لها حداء الآيق  
أو مثل التفجع في الرثاء باستدعاء البكاء ك قوله:  
كذا فليجل الخطب وليفتح الأمر فليس لعين لم يفظ ما ذهبت عنر  
أو باستعظام الحادث ك قوله:  
ارأيت من حلوا على الأعواد أرأيت كيف خبا ضياء النادي  
أو بالتسجيل على الأكوران بالمية لنقدة ك قوله:  
منابت الشعب لا حام ولا راع مضى الردى بطرير الرمح والباع  
أو بالإنكار على من لم يتفعج له من الجمادات ك قوله:  
الخارجية:  
ايا شجر الخبرور مالك موزقا كأنك لم تخزع على ابن طريف  
أو بتنهية قريعيه بالراحة من نقل وطاته ك قوله:  
الآن الرماح ربعة بن نزار اودى الردى بقربيك المفسوار  
وأمثال ذلك كثير من سائر فنون الكلام ومنذهبة. وتتظم  
التراتيب فيه بالجمل وغير الجمل إنشائية وخبرية، اسمية أو فعلية،  
متقدمة وغير متقدمة، مفصولة وموصلة، على ما هو شأن التراتيب  
في الكلام العربي في مكان كل كلمة من الأخرى. يعرفك فيه ما  
 تستفيده بالاتي انص في أشعار العرب من القالب الكلمي المجرد في  
الذهب من التراتيب المعينة التي ينطبق ذلك القالب على جميعها.  
فإن مؤلف الكلام هو كالبناء أو النساج، والصورة النهنية المنطبقة  
كقالب الذي يبني فيه أو المنسوج الذي ينسج عليه. فإن خرج عن  
ال قالب في بنائه أو على المنسوج في نسجه كان فاسداً. ولا تقولن:  
إن معروفة قوانين البلاغة كافية في ذلك؛ لأننا نقول: قوانين البلاغة  
إنما هي قواعد علمية وقياسية تفيد جواز استعمال التراتيب على  
هيئتها الخاصة بالقياس. وهو قياس علمي صحيح مطرد كما هو  
قياس القراءتين الإعرابية.

وهذه الأساليب التي نحن نقررها ليست من القياس في شيء إنما هي هيئة ترسخ في النفس من تبع التراتيب في شعر العرب  
لجريانها على اللسان حتى تستحكم صورتها فيستفيد بها العمل  
على مثالها والاحتذاء بها في كل تركيب من الشعر كما قدمنا ذلك  
في الكلام بإطلاق.

وإن القراءتين العلمية من العربية والبيان لا يفيد تعليمه  
بووجه. وليس كل ما يصبح في قياس كلام العرب وقوائمه العلمية  
استعمله. وإنما المستعمل عندهم من ذلك أحياء معروفة بطلع  
عليها الحافظون لكتلتهم تندرج صورتها تحت تلك القراءتين

دون ما سواه، فيحتاج من أجل ذلك إلى نوع تلطف في تلك الملة حتى يفرغ الكلام الشعري في قوله التي عرفت له في ذلك المنحي من شعر العرب ويزره مستقلًا بنفسه. ثم يأتي بيت آخر كذلك ثم يأتي آخر ويستكملاً الفنون الروافية بمقصوده. ثم يناسب بين البيوت في موالاة بعضها مع بعض بحسب اختلاف الفنون التي في القصيدة. ولصعوبة منحه وغرابة فنه كان محكمًا للقراص في استجاده أساسه وشحد الأفكار في ترتيب الكلام في قوله. ولا تكفي فيه ملكة الكلام العربي على الإطلاق بل يحتاج بمخصوصه إلى تلطف ومحاولة في رعاية الأساليب التي اختصت بهما العرب بها باستعمالها فيه.

ولنذكر هنا مدلول لفظه الأسلوب عند أهل هذه الصناعة وما يريدون بها في إطلاقهم. فاعلم أنها عبارة عنهم عن المنساج الذي تنسج فيه التراكيب أو القالب الذي يفرغ فيه. ولا يرجع إلى الكلام باعتبار إفادته كمال المعنى الذي هو وظيفة الإعراب، ولا باعتبار إفادته أصل المعنى من خواص التراكيب الذي هو وظيفة البلاغة والبيان، ولا باعتبار الوزن كما استعمله العرب فيه الذي هو وظيفة العروض. فهذه العلوم الثلاثة خارجة عن هذه الصناعة الشعرية وإنما ترجع إلى صورة ذهنية للتراكيب المتقطمة كلية باعتبار انطباقها على تركيب خاص. وتلك الصورة يتزعها الذهب من أعيان التراكيب وأشخاصها وصياراتها في الخيال كال قالب أو المنساج ثم ينتهي التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الإعراب والبيان في رسالتها فيه رصانًا كما يفعله البناء في القالب أو النساج في المنساج حتى يتسع القالب بمجموع التراكيب الروافية بمقصد الكلام ويقع على الصورة الصحيحة باعتبار ملكة اللسان العربي فيه، كان لكل فن من الكلام أساليب تختص به وتوجد فيه على أحياء مختلفة، فسؤال الطلول في الشعر يكون بمثابة الطلول كقوله:

يا دار مية بالعليماء فالست

ويكون باستدعاء الصحب للمرفوق والسؤال ك قوله:

قنا نسأل الدار إلى خف أهلها

أو باستدعاء الصحب على الطلول ك قوله:

قنا نبك من في ذكري حبيب ومتزل

أو بالاستفهام عن الجواب لمخاطب غير معين ك قوله:

ألم تسأل فتخررك الرسوم

ومثل تحية الطلول بالأمر لمخاطب غير معين بتحيتها ك قوله:

حى الديار بجانب الغزل

أو بالدعاء لها بالستيا ك قوله:

للحقيقة لأن الشعر لا تكون أبياته إلا كذلك ولم يفصل به شيء». وقولنا: «الجاري على الأساليب المخصوصة به» فصل له عالم يغير منه على أساليب المعروفة، فإنه حيث لا يكون شعراً إنما هو كلام منظوم؛ لأن الشعر له أساليب تخصه لا تكون للمثير. وكذا أساليب المثير لا تكون للشعر، فما كان من الكلام منظوماً وليس على تلك الأساليب فلا يسمى شعراً. وبهذا الاعتبار كان الكثير من لقيناه من شيوخنا في هذه الصناعة الأدبية بروء أن نظم المتنبي والمعربي ليس هو من الشعر في شيء؛ لأنهما لم يغيرا على أساليب العرب فيه، وقولنا «في الحد الجاري على أساليب العرب» فصل له عن شعر غير العرب من الأسم عند من يرى أن الشعر يوجد للعرب لغيرهم. ومن يرى أنه لا يوجد لغيرهم، فلا يحتاج إلى ذلك ويقول مكانه الجاري على الأساليب المخصوصة.

وإذا قد فرغنا من الكلام على حقيقة الشعر فلنجيء إلى الكلام في كيفية عمله فنقول:

اعلم أن لعمل الشعر وإحكام صناعته شرطاً أوها: الحفظ من جنسه، أي من جنس شعر العرب حتى تنشأ في النفس ملكة ينسج على منواها ويتخير المحفوظ من الحر النقي الكبير الأساليب. وهذا المحفوظ المختار أقل ما يكفي فيه شعر شاعر من الفحول الإسلاميين، مثل ابن أبي ربيعة وكثير وذي الرمة وجرير وأبي نواس وحبيب والبحتري والرضي وأبي فراس. وأكثره شعر كتاب الأغاني؛ لأنه جمع شعر أهل الطبقة الإسلامية كله والمختار من شعر الجاهليه. ومن كان حالياً من المحفوظ فنظمه قاصر رديء ولا يعطيه الرونق والخلوة إلا كثرة المحفوظ. فمن قل حفظه أو عدم لم يكن له محفوظ. ثم بعد الاملاة من الحفظ وشحد القريمه للنسج على المنوال يقبل على النظم وبالإكثار منه تستحكم ملكته وترسخ. وربما يقال: إن من شرطه نسيان ذلك المحفوظ تتحمى رسومه المحرفة الظاهرة، إذ هي صادمة عن استعمالها بعينها. فإذا نسيها وقد تكيفت النفس بها انتقض الأسلوب فيها كأنه منوال يؤخذ بالنسج عليه بامتثالها من كلمات أخرى ضرورة. ثم لا بد له من الخلورة واستجادة المكان المنظور فيه من المية والأزهار وكذا من السموع لاستئارة القريمه باستجماعها وتتشيطها بملاذ السرور. ثم مع هذا كله فشرطه أن يكون على جم ونشاط، فذلك أجمع له وأنشط للقريمه أن تأتي بمثل ذلك المنوال الذي في حفظه.

قالوا: وخير الأوقات لذلك أوقات البارحة عند المبسوط من النوم وفراغ المدة ونشاط الفكر وفي هواء الجمام. وربما قالوا: إن من بواعته العشق والانتشاء ذكر ذلك ابن رشيق في كتاب العمدة

القياسية. فإذا نظر في شعر العرب على هذا النحو وبهذه الأساليب الذهنية التي تصير كالقوالب كان نظراً في المستعمل من تركيبهم لا فيما يقتضيه القياس. وهذا قلنا: إن المحصل بهذه القوالب في الذهن إنما هو حفظ أشعار العرب وكلامهم. وهذه القوالب كما تكون في المظروم تكون في المثير، فإن العرب استعملوا كلامهم في كلام الفين وجاوا به مفصلاً في النوعين. ففي الشعر بالقطع الموزونة والقارفي المقيدة واستقلال الكلام في كل قطعة؛ وفي المثير يعتبرون الموازنة والتشابه بين القطع غالباً، وقد يقيدونه بالأسجاع، وقد يرسلونه. وكل واحد في من هذه معروفة في لسان العرب. والمستعمل منها عندهم هو الذي يبني مؤلى الكلام عليه تأليفه ولا يعرف إلا من حفظ كلامهم حتى يتجرد في ذهنه من القوالب المعينة الشخصية قالب كلي مطلق يجدون حذوه في التاليف كما يعنون البناء على القوالب والنساج على المنوال. فلهذا كان من تاليف الكلام متفرداً عن نظر النحو والبياني والعروضي. نعم إن مراعاة قوانين هذه العلوم شرط فيه لا يتم بدونها، فإذا تحصلت هذه الصفات كلها في الكلام اختص بنوع من النظر لطيف في هذه القوالب التي يسمونها أساليب. ولا يفيده إلا حفظ كلام العرب نظماً وثراً. وإذا تقرر معنى الأسلوب ما هو فلنذكر بعده حذاً أو رسمًا للشعر يفهمنا حقيقته على صعوبة هذا الغرض. فإنما لم تقف عليه لأحد من المتقدمين فيما رأينا.

وقول العروضيين في حده: إنه الكلام الموزون المقفى ليس بحد هذا الشعر الذي نحن بصدده ولا رسم له. وصناعتهم إنما تنظر في الشعر من حيث اتفاق أبياته في عدد المترات والساواكن على التوالي، وعائلة عروض أبيات الشعر لصفيتها. وذلك نظر في وزن مجرد عن الأنفاظ ودلائلها. فناسب أن يكون حذاً عندهم، ونحن هنا ننظر في الشعر باعتبار ما فيه من الإعراب والبلاغة. والوزن والقوالب الخاصة. فلا جرم أن حلزم ذلك لا يصلح له عندنا، فلا بد من تعريف يعطينا حقيقته من هذه الحيثية فنقول: الشعر هو الكلام البليغ المبني على الاستعاره والأوصاف، المفصل بأجزاء متفقة في الوزن والروي مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عمما قبله وبعده، الجاري على أساليب العرب المخصوصة به.

قولنا: «الكلام البليغ» جنس وقولنا: «المبني على الاستعاره والأوصاف» فصل له عما يخلو من هذه، فإنه في الغالب ليس بشعر وقولنا «المفصل بأجزاء متفقة السوزن والروي» فصل له عن الكلام المثير الذي ليس بشعر عند الكل، وقولنا: «مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عمما قبله وبعده» بيان

وبالجملة فهذه الصناعة وتعلمها مستوفى في كتاب العمدة لابن رشيق وقد ذكرنا منها ما حضرنا بحسب الجهد. ومن أراد استيفاء ذلك فعليه بذلك الكتاب فيه البغية من ذلك. وهذه نبذة كافية والله المعين. وقد نظم الناس في أمر هذه الصناعة الشعرية ما يجب فيها. ومن أحسن ما قيل في ذلك وأطلقه ابن رشيق:

لعن الله صنعة الشعر ماذا  
من صرف الجهال فيها لقينا  
يثرثرون الغريب منه على ما  
ويرون الحال معنى صحجاً  
يمهلون الصواب منه ولا يد  
فهم عند من سوانا بلا ملامو  
إما الشعر ما يناسب في النظ  
فأيما بعضه يشاكلي بعضًا  
كل معنى آثارك منه على ما  
فتاهي من اليسان إلى أن  
فكان الألفاظ منه وجوه  
قائمة في المرام حسب الأسماني  
يتخلّس حمسه المشدونا  
رمت فيه منذهب المشتهينا  
وجعلت المديح صدقًا مينا  
وإن كان لفظه مزوننا  
وتذكّرت ما نهجان في السمع  
إذا ما قرسته بهجاء  
وإذا ما قرسته بهجاء  
فجعلت التصريح منه دواء  
وإذا ما بكيت فيه على الغا  
حلت دون الآسى وذلت ما كا  
ثم إن كنت عاتبًا جئت بالرعد  
فتركت الذي عتب عليه  
واضح الفريض ما فات في النظم  
فإذا قيل أطمع الناس طرا

ومن ذلك أيضًا قول بعضهم وهو الناثي:

الشعر ما قومت زينة صدوره وشدّدت بالنهيب أنس متونه  
ورأيت بالأطباب شعب صدوعه وفتحت بالإيجاز عور عيونه  
ووصلت بين مجده وعبيده وجعلت بين قريبه وعيده  
شبهاً به فقربيه بقربيه وعمدت منه سحد أمر يقتضي  
وإذا مدحت به جوداً ماجداً وقضيته بالشكير حق ديونه  
وخصته بخطيئه ورصفته وبكون سهلاً في مسام صنوفه  
فيكون جزاً في مسام صنوفه وإذا بكيت به الديار وأهلها  
أجريت للمحزون ماء شزوونه وإذا أردت كنایة عن ريبة  
بایشت بين ظهوره ويطونه

وهو الكتاب الذي انفرد بهذه الصناعة وإعطاء حقها ولم يكتب فيها أحد قبله ولا بعده مثله.

قالوا: فإن استصعب عليه بعد هذا كله فليتركه إلى وقت آخر ولا يذكره نفسه عليه. ولكن بناء البيت على القافية من أول صوغه ونسجه يصعبها ويفيد الكلام عليها إلى آخره؛ لأنه إن غفل عن بناء البيت على القافية صعب عليه وضعها في محلها. فربما تجيء نافرة قلقة وإذا سمح الخاطر بالبيت ولم يناسب الذي عنده فليتركه إلى موضعه الأليق به، فإن كل بيت مستقل بنفسه ولم تبق إلا المناسبة، فليختبر فيها ما يشاء وليراجع شعره بعد الخالص منه بالتحقق والقدح ولا يضن به على الترك إذا لم يبلغ الإجادة. فإن الإنسان مفتون بشعره إذ هو نبات فكره واختراع قرعيته ولا يستعمل فيه من الكلام إلا الأفضل من التراكيب، والخلاص من الضرورات اللسانية فليهجرها، فإنها تنزل بالكلام عن طبة البلاغة.

وقد حظر أئمة اللسان على المولد ارتكاب الضرورة إذ هو في سعة منها بالعدول عنها إلى الطريقة المثلث من الملكة. ويجترب أيضًا المعد من التراكيب جهده. وإنما يقصد منها ما كانت معانيه سابق الفاظه إلى الفهم. وكذلك كثرة المعاني في البيت الواحد فإن فيه نوع تعقيد على الفهم. وإنما المختار منه ما كانت الفاظه طبقاً على معانيه أو أوفي منها. فإن كانت المعاني كثيرة كان حشوها واستغلال النهن بالغوص عليها فمنع الذوق عن استيفاء مدركه من البلاغة. ولا يكون الشعر سهلاً إلا إذا كانت معانيه سابق الفاظه إلى الذهن. ولهذا كان شيوخنا رحمة الله يعييون شعر أبي بكر بن خفاجة شاعر شرق الأندلس لكترة معانيه وازدهارها في البيت الواحد كما كانوا يعييون شعر النبي والمurai بعدم السجع على الأساليب العربية كما مر، فكان شعرهما كلاماً منظوماً نازلاً عن طبقة الشعر والحاكم بذلك هو الذوق.

وليجترب الشاعر أيضًا الحروشي من الألفاظ والمقعر وكذلك السوقى المبتذل بالتداول بالاستعمال، فإنه يتزل بالكلام عن طبة البلاغة وكذلك المعانى المبتذلة بالشهرة، فإن الكلام يتزل بها عن البلاغة أيضًا فيصير مبتداً ويقرب من عدم الإلادة كقولهم: النار حارة والسماء فرقنا. ويعتذر ما يقرب من طبة عدم الإلادة يبعد عن رتبة البلاغة إذ هما طرفان. ولهذا كان الشعر في الربانيات والنبويات قليل الإجادة في الغالب ولا يصدق فيه إلا الفحول وفي القليل على العسر؛ لأن معانيها متداولة بين الجمهور فتصير مبتذلة لذلك. وإذا تغير الشعر بعد هذا كله فليراوضه ويعاوده، فإن القرحة مثل الضرع يدر بالامراء ويحيف ويغير بالترك والإهمال.

## الفصل السابع والخمسون

### في أن حصول هذه الملكة بكثرة الحفظ وجودتها بجودة المحفوظ

قد قدمنا أنه لا بد من كثرة الحفظ لمن يروم تعلم اللسان العربي، وعلى قدر جودة المحفوظ وطبقته في جسمه وكثرته من قلته تكون جودة الملكة الحاصلة عنه للحافظ. فمن كان محفوظه من أشعار العرب الإسلاميين شعر حبيب أو العتبي أو ابن المعتر أو ابن هانئ أو الشريف الرضي أو رسائل ابن المقفع أو سهل بن هارون أو ابن الزيارات أو البديع أو الصابي، تكون ملكته أجود وأعلى مقاماً ورتبة في البلاغة من يحفظ أشعار المتأخرین مثل شعر ابن سهل أو ابن النبي، أو ترسل اليسياني أو العماد الأصبهاني لنزول طبقة هولاء عن أرائك، يظهر ذلك لل بصير الناقد صاحب الذوق. وعلى مقدار جودة المحفوظ أو المسنون تكون جودة الاستعمال من بعده ثم إجاده الملكة من بعدهما. فبارقاء المحفوظ في طبقته من الكلام ترقى الملكة الحاصلة، لأن الطبع إنما ينسج على متوهاها وتنمو قوى الملكة بتغذيتها. وذلك أن النفس وإن كانت في جبلها واحدة بال النوع فهي تختلف في البشر بالقدرة والضعف في الإدراكات. واحتلاطفها إنما هو باختلاف ما يرد عليها من الإدراكات والملكات والألوان التي تكيفها من خارج. ف بهذه يتم وجودها وتخرج من القوة إلى الفعل صورتها، والملكات التي تحصل لها إنما تحصل على التدرج كما قدمناه.

forallka الشعرية تنشأ بحفظ الشعر وملكة الكتابة بحفظ الأنساج والرسائل، والعلمية بمخالطة العلوم والإدراكات والأيمات والأنظار، والفقهية بمخالطة الفقه وتنظير المسائل وتغريتها وتحريج الفروع على الأصول، والتصوفية الربانية بالعبدات والأذكار وتعطيل الحواس الظاهرة بالخلوة والانفراد عن الخلق ما استطاع حتى تحصل له ملكة الرجوع إلى حسه الباطن وروحه وينقلب ربانياً وكذا سائرها.

وللنفس في كل واحد منها لون تكيف به وعلى حسب ما نشأت الملكة عليه من جودة أو رداءة تكون تلك الملكة في نفسها، فملكة البلاغة العالية الطبقية في جنسها إنما تحصل بحفظ العالي في طبقته من الكلام، وهذا كان الفقهاء وأهل العلوم كلهم قاصرين في البلاغة وما ذلك إلا لما يسبق إلى محفوظهم ويتعلق به من القوانين العلمية والعبارات الفقهية الخارجية عن أسلوب البلاغة والنازلة عن الطبقية، لأن العبارات عن القوانين والعلوم لا حظ لها

فجعلت سامعه يشوب شكركه بشائے وظننته يقينه  
وإذا عتبت على أخي في زلة ادجت شدته له في لينه  
فتركته مستائساً بدماثة مساماناً لوعشه وحزونه  
وإذا نبذت إلى الذي علقها إذ صارتتك بفاتنات شؤونه  
تيهتها بلطفه ورقته وشفقتها تحيّنه وكفينه  
وإذا اعتذر لسقطة اسقطتها واشكك بين خليله ومبنه  
في حول ذنبك عند من يعتذر عتبأ عليه مطالباً بيمينه

## الفصل السادس والخمسون

### في أن صناعة النظم والنشر إنما هي في الألفاظ لا في المعاني

اعلم أن صناعة الكلام نظماً وثراً إنما هي في الألفاظ لا في المعاني، وإنما المعاني تبع لها وهي أصل. فالصانع الذي يحاول ملكة الكلام في النظم والنشر إنما يحاولها في الألفاظ بمحظ أمثالها من الكلام العربي ليكثر استعماله وجريه على لسانه حتى تستقر له الملكة في لسان مصر ويختلص من العجمة التي ربي عليها في جيله ويفرض نفسه مثل وليد ينشأ في جيل العرب ويقلن لغتهم كما يلقنها الصبي حتى يصير كأنه واحد منهم في لسانهم. وذلك إنما قدمناه للسان ملكة من الملوك في النطق يحاول تحصيلها على اللسان حتى تحصل شأن الملوك، والذي في اللسان والنطق إنما هو الألفاظ وأما المعاني فهي في الضمائر.

وأيضاً فالمعاني موجودة عند كل واحد وفي طبع كل فكر منها ما يشاء ويرضى، فلا تحتاج إلى تكلف صناعة في تأليفها، وتتأليف الكلام للعبارة عنها هو الحاجة للصناعة كما قلناه وهو بثابة القوالب للمعنى. فكما أن الأواني التي ينعرف بها الماء من البحر منها آنية الذهب والفضة والصدف والزجاج والخزف والماء واحد في نفسه. وتحتفظ الجودة في الأواني الملوونة بالماء باختلاف جنسها لا باختلاف الماء. كذلك جودة اللغة وبلاعتها في الاستعمال تختلف باختلاف طبقات الكلام في تأليفه باعتبار تطبيقه على المقاصد.

والمعاني واحدة في نفسها وإنما الجاهم بتأليف الكلام وأساليبه على مقتضى ملكة اللسان، إذا حاول العبارة عن مقصوده ولم يحسن بثابة المعد الذي يروم الظهور ولا يستطيعه فقدان القدرة عليه. والله يعلمكم ما لم تكونوا تعلمون.

في خطبهم وترسل لهم ومحاوراتهم للملوك أرفع طبقة في البلاغة بكثير من شعر النابغة وعترة وابن كلثوم وزهير وعلقمة بن عبدة وطرفة بن العبد ومن كلام الجاهلية في مشورهم ومحاوراتهم والطبع السليم والذوق الصحيح شاهدان بذلك للناقد البصير بالبلاغة.

والسبب في ذلك أن هؤلاء الذين أدركوا الإسلام سمعوا الطبقة العالية من الكلام في القرآن والحديث اللذين عجز البشر عن الإتيان بهما، لكنهما ولجت في قلوبهم ونشأت على ألساليها نفوسهم فنهض طباعهم وارتقت ملكتهم في البلاغة عن ملكات من قبلهم من أهل الجاهلية من لم يسمع هذه الطبقة ولا نشأ عليها، فكان كلامهم في نظمهم ونثرهم أحسن دياجاية وأصفى رونقاً من أولئك، وأرفصف مبني وأعدل ثقيناً بما استفادوه من الكلام العالى الطبقة. وتأمل ذلك يشهد لك به ذوقك إن كنت من أهل الذوق والتبصر بالبلاغة.

ولقد سالت يوماً شيخنا الشريف أبي القاسم قاضي غرناطة لعهدها وكان شيخ هذه الصناعة أخذ بسبعة عن جماعة من مشيختها من تلاميذ الشلوبيين واستبحر في علم اللسان وجاء من وراء الغاية فيه فسألته يوماً: ما بال العرب الإسلامية أعلى طبقة في البلاغة من الجاهليين؟ ولم يكن ليستذكر ذلك بذوقه فسكت طويلاً ثم قال لي: والله ما أدرى! فقلت له: أعرض عليك شيئاً ظهر لي في ذلك ولعله السبب فيه. وذكرت له هذا الذي كتب فسكت معجباً ثم قال لي: يا فقيه، هذا كلام من حقه أن يكتب بالذهب. وكان من بعدها يؤثر علي ويصيغ في مجالس التعليم إلى قوله ويشهد لي بالباءة في العلوم، والله خلق الإنسان وعلمه البيان.

## الفصل الثامن والخمسون

### في بيان المطبوع من الكلام والمصنوع وكيف جودة المصنوع أو قصوره

اعلم أن الكلام الذي هو العبارة والخطاب، إثنا سره وروجه في إفادة المعنى. وأما إذا كان مهملاً فهو كالمواطن الذي لا عبرة به. وكمال الإفادة هو البلاغة على ما عرفت من حدها عند أهل البيان؛ لأنهم يقولون: هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال، ومعرفة الشروط والأحكام التي بها تطابق التراكيب اللغوية متضمني الحال، هو فن البلاغة.

في البلاغة، فإذا سبق ذلك المحفوظ إلى الفكر وكثير وتلوى به النفس جاءت الملكة الناشئة عنه في غاية القصور والخافت عباراته عن أساليب العرب في كلامهم. وهكذا نجد شعر الفقهاء والنحاة والتكلمين والنظراء وغيرهم من لم يكتن من حفظ التقى الحر من كلام العرب.

أخبرني صاحبنا الفاضل أبو القاسم بن رضوان كاتب العلامة بالدولة المربيبة قال: ذكرت يوماً صاحبنا أبي العباس بن شعيب كاتب السلطان أبي الحسن وكان المقدم في البصر باللسان لعهده فأنشدته مطلع قصيدة ابن التحوري ولم انسها له وهو هنا: لم ادرِ حزن وقتست بـالأطلال ما الفرق بين جديدها والبسالي فقال لي على البديهة: هذا شعر فقيه، فقلت له: ومن أين لك ذلك؟ فقال: من قوله ما الفرق؟ إذ هي من عبارات الفقهاء وليس من أساليب كلام العرب، فقلت له: الله أبوك إنه ابن التحوري.

وأما الكتاب والشعراء فليسوا كذلك لتخيرون في محفوظهم ومخالطتهم كلام العرب وأساليبهم في الترسل وانتقامهم لهم الجيد من الكلام.

ذكرت يوماً صاحبنا أبي عبد الله الخطيب وزير الملك بالأندلس من بي الأحرار، وكان الصدر المقدم في الشعر والكتابة فقلت له: أجد استصعباً على في نظم الشعر متى رمته مع بصرى به وحفظي للجيد من الكلام من القرآن والحديث وفنون من كلام العرب وإن كان محفوظي قليلاً. وإنما أتيت والله أعلم بمقدمة الحال من قبل ما حصل في حفظي من الأشعار العلمية والقرآن التالية. فإني حفظت قصيدة الشاطي الكبير والصغرى في القراءات والرسم واستظرتها وتدارست كتابي ابن الحاجب في الفقه والأصول وجمل الحونجي في المطق وبعض كتاب التسهيل وكثيراً من قوانين التعليم في المجالس فامتلا محفوظي من ذلك وخدش وجه الملكة التي استدعيت لها بالمحفوظ الجيد من القرآن والحديث وكلام العرب، فعاق القرية عن بلوغها. فنظر إلى ساعة متعجبأ ثم قال: الله أنت وهل ينزل هذا إلا مثلك؟

ويظهر لك من هذا الفصل وما تقرر فيه سر آخر وهو إعطاء السبب في أن كلام المسلمين من العرب أعلى طبقة في البلاغة وأذواقها من كلام الجاهلية في مشورهم ومنظومهم. فإننا نجد شعر حسان بن ثابت وعمر بن أبي ربيعة والخطيبة وجرير والفرزدق ونصيب وغيلان ذي الرمة والأحوص وبشار ثم كلام السلف من العرب في الدولة الأموية وصدرأ من الدولة العباسية

التجانس بين الألفاظ والمعاني. فيحصل للكلام رونق ولذة في الأسماء وحلوة وجمال كلها زائدة على الإفادة.

وهذه الصنعة موجودة في الكلام العجز في مواضيع متعددة مثل: «والليل إذا يغشى، والنهار إذا تجلّى»، ومثل: «فَأَئْمَانُ أَعْظَمِي وَأَنْقَسِي، وَصَدَقَ بِالْحُسْنَى»، إلى آخر التقسيم في الآية. وكذلك: «فَأَمَّا مَنْ طَغَى، وَأَتَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا» إلى آخر الآية. وكذلك: «وَهُمْ يَخْسُونَ أَهْلَمْ يُخْسِنُونَ صُنْعَاهُ». وأمثاله كثيرون. وذلك بعد كمال الإفادة في أصل هذه التراكيب قبل وقوع هذا البديع فيها. وكذلك وقع في كلام الجاهلية منه، لكن عفواً من غير قصد ولا تعمد. ويقال: إنه وقع في شعر زهير.

وأما المسلمين فوقع لهم عفواً وقدداً، واتسوا منه بالعجبائب. وأول من حكم طريقته حبيب بن أوس والبحري ومسلم بن الوليد، فقد كانوا مولعين بالصنعة. وياتوون منها بالعجب. وقيل: إن أول من ذهب إلى معاناتها بشار بن برد وإبن هرمة، وكانت آخر من يستشهد بشعره في اللسان العربي. ثم اتبعهما عمرو بن كلثوم والعتابي ومنصور النميري ومسلم بن الوليد وأبر نواس. وجاء على آثارهم حبيب والبحري. ثم ظهر ابن المعتر فاختتم على البديع والصناعة أجمع. ولنذكر مثلاً من المطبع الحالى من الصناعة. مثل قول قيس بن ذريع:

وأخرج من بين البيوت لعلني أحدث عنك الشس فى السر خاليا  
وقول كثير:

وإني ونهاي بعزة بعدما تخليت عما يتسا وتحلت  
لكالرتعي ظل العمامه كلها تبرا منها للمقيبل اضمحلت  
فتأنمل هذا المطبع، الفقيد الصنعة، في إحكام تأليفه وثقافة  
تركيبة. فلو جاءت فيه الصنعة من بعد هذا الأصل زادته حسناً.

وأما المصنوع فكثير من لدن بشار، ثم حبيب وطبقهـما، ثم ابن المعتر خاتم الصنعة الذي جرى المتأخرـون بعدهـم في ميدانـهم، ونسجوا على منواهمـ. وقد تعددت أصنافـ هذهـ الصنـعةـ عندـ أهـلـهاـ، واختـلـفتـ اصطـلاحـهـمـ فيـ القـابـهاـ. وكـثـيرـ مـنهـمـ يـجعلـهاـ منـدرـجةـ فيـ الـبـلـاغـةـ عـلـىـ أـنـهـ غـيرـ دـاخـلـةـ فـيـ الإـفـادـةـ، وـأـنـهـ هـيـ تعـطـيـ الـتـحـسـينـ وـالـرـوـنـقـ. وـأـمـاـ المتـقدـمـونـ مـنـ أـهـلـ الـبـدـيـعـ، فـهـيـ عـنـهـمـ خـارـجـةـ عـنـ الـبـلـاغـةـ. ولـذـلـكـ يـذـكـرـونـهـاـ فـيـ الـفـنـونـ الـأـدـيـةـ الـتـيـ لـهـ لـمـ يـرـجـعـهـ مـاـ يـقـدـمـهـ فـيـ الـفـنـونـ الـأـدـيـةـ لـهـ، وـأـدـيـاءـ الـأـنـدـلسـ.

وذكروا في استعمال هذه الصنعة شروطاً منها: أن تقع من غير تكلف ولا اكتراث في ما يقصد منها. وأما العفو فلا كلام

وتلك الشروط والأحكام للتراكيب في المطابقة استترت من لغة العرب وصارت كالقوانين. فالتراكيب بوضعها تفيد الإسناد بين المستدين، بشروط وأحكام هي جمل قوانين العربية. وأحوال هذه التراكيب من تقديم وتأخير، وتعريف وتنكير، وإضمار وإظهار. وتقيد وإطلاق وغيرها، يفيد الأحكام المختلفة من خارج الإسناد وبالمخاطبين حال التخاطب بشروط وأحكام هي قوانين لفن، يسمونه علم المعاني من فنون البلاغة. فتشدرج قوانين العربية لذلك في قوانين علم المعاني لأن إفادتها الإسناد جزء من إفادتها للأحوال المختلفة بالإسناد. وما قصر من هذه التراكيب عن إفادة متضمن الحال خلل في قوانين الإعراب أو قوانين المعاني كان قاصراً عن المطابقة لمتضمن الحال، ولحق بالمهمل الذي هو في عداد الموات.

ثم يتبع هذه الإفادة لمتضمن الحال التفنن في انتقال التركيب بين المعاني بأصناف الدلالات؛ لأن التركيب يبدل بالوضع على معنى ثم يتقلل النهان إلى لازمه أو ملزمـهـ أو شبهـهـ، فيكونـ فيهاـ مجازـاـ إـمـاـ باـسـتـعـارـةـ أوـ كـنـايـةـ كـمـاـ هوـ مـقـرـرـ فـيـ مـرـضـعـهـ، وـيـعـصـلـ لـلـفـكـرـ بـذـلـكـ الـانتـقـالـ لـذـهـ كـمـاـ تـحـصـلـ فـيـ الإـفـادـةـ وـأـشـدـ. لأنـ فـيـ جـيـعـهـ ظـلـفـ بـالـمـدـلـولـ مـنـ دـلـيلـهـ. وـالـظـفـرـ مـنـ أـسـابـ الـلـذـةـ كـمـاـ عـلـمـتـ. ثمـ هـذـهـ الـانتـقـالـاتـ أـيـضاـ شـرـوطـ وـأـحـكـامـ كـالـقـوـانـينـ صـيـرـوـهـاـ صـنـاعـةـ، وـسـمـوـهـاـ بـالـبـلـاغـةـ. وهـيـ شـقـيقـةـ عـلـمـ المعـانـيـ المقـيدـ لـمـتـضـمـنـ الـحـالـ، لأنـهاـ رـاجـعـةـ إـلـىـ معـانـيـ التـرـاكـيبـ وـمـدـلـولـاهـ.

وقوانين علم المعاني راجعة إلى أحوال التراكيب نفسها من حيث الدلالة. واللفظ والمعنى متلازمان متضاديان كما علمت. فإذا علم المعاني وعلم البيان هنا جزء البلاغة، وبهما كمال الإفادة، فهو مقصـرـ عـنـ الـبـلـاغـةـ وـيـلـتـحـقـ عـنـ الـبـلـاغـةـ بـأـصـوـاتـ الـحـيـوانـاتـ الـعـجـمـ وأـجـدـرـ بـهـ أـنـ لـيـكـونـ عـرـبـاـ، لأنـ الـعـرـبـ هـوـ الـذـيـ يـطـابـقـ بـإـفـادـتـهـ مـقـضـيـ الـحـالـ. فالـبـلـاغـةـ عـلـىـ هـذـاـ هـيـ أـصـلـ الـكـلـامـ الـعـرـبـيـ وـسـجـيـتـهـ وـرـوحـهـ وـطـيـعـتـهـ.

ثم أعلم أنـهمـ إـذـ قـالـواـ الـكـلـامـ الـمـطـبـعـ؛ فـإـنـهـ يـعنـونـ بـهـ الـكـلـامـ الـذـيـ كـمـلـتـ طـبـيـعـتـهـ وـسـجـيـتـهـ مـنـ إـفـادـةـ مـدـلـولـهـ الـمـقصـودـ مـنـهـ، لأنـ عـبـارـةـ وـخـطـابـ، لـيـسـ المـقصـودـ مـنـهـ الـنـطقـ فـقـطـ. بلـ الـتـكـلمـ يـقـصـدـ بـهـ أـنـ يـفـيدـ سـاعـعـهـ مـاـ فـيـ ضـمـيرـهـ إـفـادـةـ تـامـةـ، وـيـدلـ بـهـ عـلـيـهـ دـلـالـةـ وـثـيقـةـ. ثمـ يتـبـعـ تـرـاكـيبـ الـكـلـامـ فـيـ هـذـهـ السـجـيـةـ الـتـيـ لـهـ بـالـأـصـالـةـ ضـرـوبـ مـنـ الـتـحسـينـ وـالـتـزـينـ، بـعـدـ كـمـالـ الـإـفـادـةـ وـكـانـهـ تـعـطـيـهـ رـونـقـ الـفـصـاحـةـ مـنـ تـمـيـزـ الـأـسـجـاجـ، وـالـواـزـانـةـ بـالـلـفـظـ الـكـلـامـ وـتـقـسـيمـهـ بـالـأـقـسـامـ الـمـخـلـفـةـ الـأـحـكـامـ وـالـتـورـيـةـ بـالـلـفـظـ الـمـشـرـكـ عـنـ الـخـفـيـ مـنـ مـعـانـيـهـ، وـالـمـطـابـقـةـ بـيـنـ الـمـضـادـاتـ، لـيـقـعـ

## الفصل التاسع والخمسون

### في ترفع أهل المراتب عن انتقال الشعر

اعلم أن الشعر كان ديواناً للعرب، فيه علومهم وأخبارهم وحكمهم. وكان رؤساء العرب متتسفين فيه و كانوا يقفون بسوق عكاظ لانتشاده وعرض كل واحد منهم ديباجته على فحول الشأن وأهل البصر لتميز حوكه. حتى انتها إلى المناغة في تعليق أشعارهم باركان البيت الحرام موضع حجهم وبيت أبيهم إبراهيم كما فعل أمروُ القيس بن حجر والنابغة النياني و زهير بن أبي سلمي وعنترة بن شداد وطرفة بن العبد وعلقمة بن عبدة والأعشى وغيرهم من أصحاب المعلقات السبع. فإنه إنما كان يتوصل إلى تعليق الشعر بها من كان له قدرة على ذلك بقومه وعصبيته ومكانه في مصر على ما قيل في سبب تسميتها بالمعلقات. ثم انصرف العرب عن ذلك أول الإسلام بما شغلهم من أمر الدين والنبوة والوحى وما أدهشهم من أسلوب القرآن ونظمه، فأخرسوا عن ذلك وسكتوا عن الخوض في النظم والنشر زماناً. ثم استقر ذلك وأؤنس الرشد من الملة. ولم ينزل الوحي في تحرير الشعر وحظره وسمعه النبي ﷺ وأثاب عليه، فرجعوا حيثند إلى دينهم منه. وكان لعمر بن أبي ربيعة كبير قريش لذلك المهد مقامات فيه عالية وطيبة مرتفعة، وكان كثيراً ما يعرض شعره على ابن عباس فيقف لاستماعه معجباً به.

ثم جاء من بعد ذلك الملك الفحل والدولة العزيزة وتقرب إليهم العرب بأشعارهم يتدحرجون بها. ويجيزهم الخلفاء بأعظم الجوانيز على نسبة الجودة في أشعارهم ومكانهم من قومهم ويحرضون على استهداه أشعارهم يطلعون منها على الآثار والأخبار واللغة وشرف اللسان. والعرب يطالبون ولدهم بمحفظتها. ولم يزل الشأن هذا أيام بي أمية وصدرأً من دولة بنى العباس. وانظر ما نقله صاحب العقد في مسامرة الرشيد للأصمعي في باب الشعر والشعراء تجد ما كان عليه الرشيد من المعرفة بذلك والرسوخ فيه والعنابة بانتفاله والتبصر بجيد الكلام وردبيه وكثرة عحفظه منه.

ثم جاء خلق من بعدهم لم يكن اللسان لسانهم من أجل العجمة وتقصيرها باللسان، وإنما تعلموه صناعة ثم مدحروا بأشعارهم أمراء العجم الذين ليس اللسان لهم طالبين معروفة فقط لا سوى ذلك من الأغراض كما فعله حبيب والبحيري والتنبي وابن هانئ ومن بعدهم إلى هلم جراً. فصار غرض الشعر

فيه؛ لأنها إذا برئت من التكلف سلم الكلام من عيب الاستهجان، لأن تكلفتها ومعاناتها يصير إلى الغفلة عن التراكيب الأصلية للكلام، فتخل بالإفادة من أصلها، وتذهب بالبلاغة رأساً. ولا يبقى في الكلام إلا تلك التحسينات، وهذا هو الغالب اليوم على أهل العصر. وأصحاب الأدوات في البلاغة يسخرون من كلامهم بهذه الفنون، ويعدون ذلك من القصور عن سواه.

وسمعت شيئاً الأستاذ أبو البركات البليفي، وكان من أهل البصر في اللسان والقريبة. في ذوقه يقول: إن من أشهى ما تقرحه علىّ نفسي أن أناهد في بعض الأيام من يتحلل فتون هذا البديع في نظمه أو ثراه، وقد عقب بأشد العقوبة، وسودي عليه. يحدُر بذلك تلميذه أن يتعاطوا هذه الصنعة، فيتكلفون بها، ويتناسون البلاغة.

ثم من شروط استعمالها عندهم: الإقلال منها وأن تكون في بيتين أو ثلاثة من القصيدة، فتكفي في زينة الشعر ورونقه. والإكثار منها عيب، قاله ابن رشيق وغيره.

وكان شيئاً أبو القاسم الشريف السجبي منفق اللسان العربي بالأندلس لوقته يقول: هذه الفنون البدعية إذا وقعت للشاعر أو للكاتب فيصبح أن يستكثر منها، لأنها من محسنات الكلام وزيناته، فهي بمثابة الخيلان في الوجه يحسن بالواحد والاثنين منها، ويصبح بتعدادها. وعلى نسبة الكلام المنظوم هو الكلام المنشور في الجاهلية والإسلام. وكان أولاً مرسلًا معتبراً الموازنة بين جله وتراثيه، شاهدة موازنته بفراصله من غير التزام سجع ولا اكتراث بصنعة. حتى نسبه إبراهيم بن هلال الصابي كاتب بي بويه، فتعاطى الصنعة والتفنقة وأتى بذلك وبالعجب. وعاب الناس عليه كلفه بذلك في المخاطبات السلطانية. وإنما حلَّ عليه ما كان في ملوكه من العجمة وبعد عن صورة الخلقة المفقة لسوق البلاغة. ثم انتشرت الصناعة بعده في مشور المؤذرين ونبي عهد الترسيل وتشابهات السلطانيات والأخوانيات والعربيات بالسوقيات. واحتلَّت المرعى بالحمل. وهذا كله بذلك على أن الكلام المصنوع بالمعاناة والتکليل، فاصل عن الكلام المطبع، لقلة الإكثار فيه بأسهل البلاغة، والحاكم في ذلك الذوق. والله خلقكم وعلمكم ما لم تكونوا تعلمون.

يسمون هذه القصائد بالأصمعيات نسبة إلى الأصمعي راوية العرب في أشعارهم، وأهل الشرق من العرب يسمون هذا النوع من الشعر بالبدوي والخواراني والتبيسي. وربما يلحظون فيه الحال بساطة لا على طريقة الصناعة الموسيقية. ثم يغثرون به ويسمون الغاء به باسم الخواراني نسبة إلى حوران من أطراف العراق والشام، وهي من منازل العرب البدية ومساكنهم إلى هذا العهد.

ولهم فن آخر كثير التداوُل في نظمهم يحيطون به مختصاً على أربعة أجزاء يختلف آخرها الثلاثة في رويه ويلتزمون القافية الرابعة في كل بيت إلى آخر القصيدة شبيهَا بالربيع والمخمس الذي أحدهه المتأخر من المولدين. ولؤلؤة العرب في هذا الشعر بلاغة فاتقة وفيهم الفحول والمتأخرون عن ذلك والكثير من المتعلين للعلوم لهذا العهد وخصوصاً علم اللسان يستذكر هذه الفنون التي لم يسمعوا بها ويعجب نظمهم إذا أشد ويعتقد أن ذوقه إنما نجا عنها لاستهجانها وقدان الإعراب منها. وهذا إنما إنما من فقدان الملكة في لغتهم، فلو حصلت له ملكة من ملكتهم لشهد له طبعه وذوقه بيلغوا إن كان سليماً من الآفات في فطرته ونظره، والإعراب لا مدخل له في البلاغة إنما البلاغة مطابقة الكلام للمقصود ولقتضي الحال من الوجود فيه، سواء كان الرفع دالاً على الفاعل والنصب دالاً على المفعول أو بالعكس، وإنما يدل على ذلك قرائن الكلمة كما هو في لغتهم هذه. فالدلالة محسب ما يصطلاح عليه أهل الملكة: فإذا عرف اصطلاح في ملكة واشتهر صحت، الدلالة وإذا طابت تلك الدلالة المقصود ومتضمن الحال صحت البلاغة ولا عبرة بقوانيين النحو في ذلك. وأساليب الشعر وفونه موجودة في أشعارهم هذه ما عدا حركات الإعراب في أواخر الكلم، فإن غالباً كلماتهم موقفة الآخر. ويتميز عندهم الفاعل من المفعول والبندأ من الخبر بقرائن الكلام لا بحركات الإعراب.

فمن أشعارهم على لسان الشريف بن هاشم يكي الجازية بنت سرحان، ويدرك ظعنها مع قومها إلى المغرب: قال الشريف ابن هاشم على ترى كبدي حرى شكت من زفيرها يفر للأعلام ابن مارات خاطري يريد غلام البدو يلسو عصيرها وماذا شكرة الروح مما ظرا لها غداة وزائع تلف الله خيرها يمس إن قطاع عامر ضميرها طسو وهند جافي ذكرها وعادت كما خوارة في يد غاسل على مثل شوك الطلع عقدوا يسيراها تجلدوها ثالثين والستز ينهض على شوك لعه والبقايا جريراها وباتت درع العين ذارفات لشانها شبيه دوار السوانى يديرها تدارك منها النجم حنراً وزادها مرون يجي متراكباً من صيرها

في الغالب إنما هو للكبرية والاستجداء لذهب المنافع التي كانت فيه للأولين كما ذكرناه آنفاً. وائف منه لذلك أهل الحكم والراتب من المتأخرین، وتغير الحال فيه وأصبح تعاطيه هجنة في الرئاسة ومذمة لأهل المناصب الكبيرة. والله مقلب الليل والنهار.

## الفصل السادس

### في أشعار العرب وأهل الأمصار لهذا العهد

اعلم أن الشعر لا يختص باللسان العربي فقط، بل هو موجود في كل لغة سواء كانت عربية أو عجمية، وقد كان في الفرس شعراء وفي يونان كذلك، وذكر منهم أرسسطور في كتاب المقطنق: أميروس الشاعر وأنثى عليه. وكان في غير أيضاً شعراء متقدمون. ولما فسد لسان مصر ولغتهم التي دونت مقاييسها وقوانين إعرابها وفسدت اللغات من بعد محسب ما خالطها ومازجها من العجمة، فكان جيل العرب بأنفسهم لغة خالفت لغة سلفهم من مصر في الإعراب جملة وفي كثير من الموضوعات اللغوية وبناء الكلمات. وكذلك الحضر أهل الأمصار نشأت فيهم لغة أخرى خالفت لسان مصر في الإعراب وأكثر الأوضاع والتصاريف خالفت أيضاً لغة الجيل من العرب لهذا العهد. وانختلفت هي في نفسها محسب اصطلاحات أهل الآفاق، فلأهل المشرق وأمصاره لغة غير لغة أهل المغرب وأمصاره ومخالفهم أيضاً لغة أهل الأندرس وأمصاره.

ثم لما كان الشعر موجوداً بالطبع في أهل كل لسان؛ لأن الموزين على نسبة واحدة في إعداد التحريرات والسوائل وتقابلهما، موجودة في طبع البشر فلم يهجر الشعر بفقدان لغة واحدة وهي لغة مصر الذين كانوا فحولة وفرسان ميدانه حسبما اشتهر بين أهل الخلقة. بل كل جيل وأهل كل لغة من العرب المستعجمين والحضر أهل الأمصار يتعاطون منه ما يطاعهم في اتحاله ووصف بنائه على مهيع كلامهم.

فأما العرب أهل هذا الجيل المستعجمون عن لغة سلفهم من مصر فيقرضون الشعر لهذا العهد في سائر الأعراض على ما كان عليه سلفهم المستعجمون ويأتون منه بالطورات مشتملة على مذاهب الشعر وأغراضه من النسيب والمدح والرثاء والهجاء ويستطرون في الخروج من فن إلى فن في الكلام. وربما مجموعاً على المقصود لأول كلامهم وأكثر ابتدائهم في قصائدهم باسم الشاعر ثم بعد ذلك ينسبون. فأهل أمصار المغرب من العرب

يصب من القيمان من جانب الصفا عيون ولخاز البرق في غزيرها  
هذا الغنى حتى تسايت غرفة ناصت من بغداد حتى قبرها  
نطل على حداب الثابا نوازي بظل الجرى فرق النضا ونصبها  
ومن شعر سلطان بن مظفر بن يحيى من الزواودة أحد  
بطون رياح وأهل الرياسة فيه، يقولها وهو معتقل بالمهديه في  
سجن الأمير أبي زكريا بن أبي حفص أول ملوك إفريقية من  
الموحدين:

يقول وفي بروح الدجا بعد وفته حرام على اجفان عيني منهما  
يامن لقلب حالف الوجه والأسى وروح هبامي طال ما في سقامها  
حجازية بدورة عربة عذابية ولها بعيد مرآتها  
حرام على باب بغداد وأرضها داخل ولا عائد ركيزه من نغيرها  
تصدف روحى عن بلاد ابن هاشم على الشمس أو حول الغظاء من  
غبات ومشاتها بها كل شتوة محونة فيها وبها صحيح غرامها  
ومريها عشب الأراضي من الحبا يواتي من الخسور الخلايا جسامها  
تشوق شوق العين عانتاركت عليها من السحب السواري غمامها  
وماذا بكت بالما وماذا تاحطت عيون غزار المزن عنباً حمامها  
كان عروس البكر لاحت ثيابها عليها ومن نور الأنساح خزامها  
أيا سالي عن قبر الزناتي خليفة خذ التعت من لا تكون هييل  
فلاة ودهناً واتساع ومنة ومرعى سوى ما في مراجعى نعامها  
تراءه يمالى وادى ران وفرقه من الربط عيساوي بناء طبيل  
ومشروعها من غض البان شووها غريم ومن لحم الجلواري طعامها  
ثبات عن الأبرواب والموقف الذي يثبت الفنى مما يقادى زحامها  
سقى الله ذا الوادي المشجر بالحبا وبلا ويحيى ما بلبي من رمامها  
قتيل فتى الميجا ديباب بن غام جراحه كافراه المزاد تسيل  
أيا جائزات الزناتي خليفة لاترحل إلا أن يزيد رحيل  
لالي أقواس الصباني سواعدى إذا قمت لم تحظ من أيدي سهامها  
وفرسى عليد تحتح سرجي مشaque زمان الصبا سرجاً ويدى جامها  
وكسم من رداخ أسرهوري ولم أرى من الخلائق أبهى من نظام ابتسامها  
وكم غيرها من كاعب مرجنحة مطرزة الأجهان بسامي وشاماها  
وصفت من وجدى علينا طرجمة بكفى ولم ينسى جناتها ذمامها  
ونار يخطب الوجه توجه في الحشا وتوجه لا يطفأ من الماء ضرامها  
أيا من وعنتى الوعد هذا إلى متى ففي العمر في دار عصانى ظلامها  
ولكن رأيت الشمس تكشف ساعة ويفسّر عليها ثم يبدأ غامها  
بنود ورايات من السعد أقبلت إليها بعون الله بهفو علامها  
أرى في الفلا بالعين أطمأن عزوتي ورعى على كفني وسرى أيامها  
يمير عاتق الشوق من فوق شامس أحب بلاد الله عندي حشامها  
إلى مستزل بالجغرافية للوى مقيم بهما ماله عندي مقامها  
ونلقى سرة من هلال بن عامر يزيل الصدا والغفل عني سلامها  
بهم تضرب الأمثال شرقاً ومغارباً إذا قاتلوا قوماً سريع انهزامها  
عليهم ومن هو في حمام نحبة مدى الدهر ما غنى بفن حامها  
فعذ لا تائف على سالف مضى فندي الدنيا ما دامت لأحد دوامها  
ومن أشعار المتأخرین منهم قول خالد بن حمزة بن عمر.

قدنا سبعة أيام محبوس نجينا والبدو ماترتفع عمود يقلها  
نطل على حداب الثابا نوازي بظل الجرى فرق النضا ونصبها  
ونادي المسنادي بالرحيل وشدوا وخرج عاريهما على مستعبدها  
وشد لها الأدهم ديباب بن غام على أيدين ماضي وليد مقرب ميرها  
وقال لهم حسن بن سرحان غربوا وسوقوا النجوع إن كان أنا هو غفيرها  
ويركض وبهذه شهامة بالتسامع وباليمن لا يجدوا في مغيرها  
غدرني زيـان السـبعـ من عـابـسـ وما كان يـرضـي زـينـ حـبـرـ وـميرـهاـ  
غـدرـنـيـ وـهـوـ زـعـماـ صـدـيقـيـ وـصـاحـبـيـ وـأـنـالـيـ ماـ منـ درـقـيـ ماـ يـدـيرـهاـ  
وـرـجـعـ يـقـولـ لـمـ بـلـلـ بـنـ هـاشـمـ بـحـرـ الـبـلـادـ الـعـطـشـيـ مـاـ بـعـدـ مـاـ يـخـيرـهاـ  
حرـامـ عـلـىـ بـابـ بـغـلـادـ وـأـرـضـهاـ دـاخـلـ وـلـأـعـادـ رـكـيزـهـ مـنـ نـيـرـهاـ  
تصـدـفـ روـحـيـ عـنـ بـلـادـ بـنـ هـاشـمـ عـلـىـ الشـمـسـ أـوـ حـوـلـ الغـظـاءـ مـنـ  
وـبـاتـ نـيـرـانـ العـذـارـىـ قـوـادـ يـلـزـوـدـ وـبـيـرـجـانـ يـشـدـواـ أـسـيرـهاـ  
وـمـنـ قـوـلـهـ فـيـ رـثـاءـ أـمـيرـ زـنـاثـةـ أـبـيـ سـعـدـيـ الـيـفـرـنـيـ مـقـارـعـهـمـ  
يـافـرـيقـيـةـ وـأـرـضـ الزـابـ وـرـثـؤـهـمـ لـهـ عـلـىـ جـهـةـ الـتـهـكـمـ:

تقـولـ فـتـاةـ الـحـيـ سـعـدـيـ وـهـاـضـهـاـ لـهـ فـيـ ظـمـنـ الـبـاكـرـينـ عـوـيلـ  
أـيـاـ سـالـيـ عـنـ قـبـرـ الزـنـاتـيـ خـلـيـفـةـ خـذـ التـعـتـ مـنـ لـاـ تـكـونـ هيـيلـ  
فـلـةـ وـدـهـنـاـ وـاتـسـاعـ وـمـنـةـ وـمـرـعـىـ سـوـىـ مـاـ فـيـ مـارـاعـيـ نـعـامـهـاـ  
تـرـاهـ يـمـالـىـ وـادـىـ رـانـ وـفـرقـهـ مـنـ الـرـبـطـ عـيـسـاـويـ بـنـاءـ طـبـيلـ  
أـرـاهـ يـمـيلـ الشـورـ مـنـ شـارـعـ النـقاـ بـهـ الـوـادـ شـرقـاـ وـالـبـرـادـ دـبـيلـ  
أـيـاـ لـفـ كـبـيـدـ عـلـىـ الزـنـاتـيـ خـلـيـفـةـ قـدـ كـانـ لـأـعـقـابـ الـجـيـادـ سـلـيلـ  
قـتـيلـ فـتـىـ الـمـيـجاـ دـيبـابـ بـنـ غـامـ جـرـاحـ كـافـرـاهـ المـزادـ تـسـيلـ  
أـيـاـ جـائزـاتـ الزـنـاتـيـ خـلـيـفـةـ لـاتـرـحـلـ إـلـاـ أـنـ يـرـيدـ رـحـيلـ  
أـلـاـ وـاشـ رـحـلـنـاـ لـلـاثـيـنـ مـرـةـ وـعـشـرـاـ وـسـتـاـ فيـ النـهـارـ قـبـيلـ  
وـمـنـ قـوـلـهـ عـلـىـ لـسـانـ الشـرـيفـ بـنـ هـاشـمـ يـذـكـرـ عـتـابـ وـقـعـ  
يـبـهـ وـبـينـ مـاضـيـ بـنـ مـقـربـ:

تـبـدـيـ مـاضـيـ الـجـيـارـ وـقـالـ لـيـ أـشـكـرـ مـاـ لـخـنـاـ عـلـيـكـ رـضـائـ  
وـرـانـ عـرـبـ عـرـبـاـ لـأـبـسـينـ شـائـشـ أـشـكـرـ أـعـدـ مـاـ بـقـيـ وـدـيـتـاـ  
عـنـ غـبـيـنـ تـصـدـفـرـ مـاـ قـضـىـ لـنـاـ كـمـاـ صـادـفـ طـعـمـ الـزـيـادـ طـشـاشـ  
أـشـكـرـ أـعـدـ إـلـىـ بـرـيـدـ مـلـامـهـ لـيـحـدـوـ وـمـنـ عـمـرـ بـلـادـ عـاشـ  
إـنـ كـانـ بـنـتـ الشـوـكـ يـلـعـبـ بـارـضـكـ هـنـاـ عـرـبـ مـاـ زـدـنـاـ لـهـنـ صـيـاشـ

وـمـنـ قـوـلـهـ فـيـ ذـكـرـ رـحـلـتـمـ إـلـىـ الـغـربـ وـغـلـبـهـمـ زـنـاثـةـ عـلـيـهـ:  
وـأـيـ جـيلـ ضـاعـ لـيـ فـيـ الشـرـيفـ بـنـ هـاشـمـ وـأـيـ رـجـالـ ضـاعـ قـبـليـ جـيلـهـ  
لـقـدـ كـتـ أـنـاـ وـسـاهـ فـيـ زـهـرـيـتـاـ عـنـانـ بـحـجـةـ وـأـغـانـيـ دـلـيلـهـ  
وـعـدـتـ كـانـيـ شـارـبـ مـنـ مـدـامـةـ مـنـ الـخـمـرـ فـهـوـ مـاـ قـدـرـ مـنـ يـلـهـ  
أـوـ مـشـطـامـاتـ مـظـنـونـ كـبـدـهـ غـرـبـاـ وـهـيـ مـدـوـخـهـ عـنـ قـبـيلـهـ  
أـنـاـهـ زـمـانـ السـوـهـ حـتـىـ تـوـحـتـ وـهـيـ بـيـنـ عـرـبـاـ غـافـلـاـ عـنـ نـزـيلـهـ  
كـذـلـكـ أـنـاـ مـاـ لـحـانـيـ مـنـ الـرـجـىـ شـاكـيـ بـكـبـدـ بـادـيـهـاـ زـعـيلـهـ  
وـأـسـرـتـ قـوـمـيـ بـالـرـحـيلـ وـبـكـرـواـ وـشـدـادـ الـحـواـيـاـ حـيلـهـ

شيخ الكعوب. من أولاد أبي الليل. يعاتب أقفالهم أولاد مهلهل عصراً: وبحسب شاعرهم شبل بن سكينة بن مهلهل. عن أبيات فخر يقول بلا جهل فتنجح خالد مقالة قروال و قال صواب  
مقالة حبر ذات ذهن ولم يكن هريراً ولا فيما يقول ذهاب عليهم فيها ب قوله: يقول وذا قول المصاب الذي نشا قوارع قيغان يعاني صعابها تهجمت معنا نابها لاحاجة ولا هرج يقاد منه مهاب  
يربع بها حادي المصاب إذا سعى فتوأ من إنشاد التوانى عذابها وكت بها كبدى وهي نعم صابة حزنة ذكر والخرين يصاب  
محيرة ختارة من نشادها تحدى بهاتام الوشا ملتها بها تفوهت بادي شرحها عن منارب جرت من رجال في القيل قراب  
مغربية عن ناقدي غضونها حكمت القيان دابي وذابها بني كعب أدنى الأقربي للمنا بني عم منهم شايب وشباب  
وهيض بتذكاري لها يا ذري الندى قوارع من شبل وهذي جوابها جرى عند فتح الوطن من البعضهم مصاداة ودواتساع جناب  
أشيل جنباً من حبال طرافاً فراح يربح الموجين الفتاهما وبعدهم ملتهما عن خصيمه كما يعلموا قولي بفتحه صواب  
فخرت ولم تصر ولا أنت عادم سوى قلت في جهورها ما أعادها وبعدهم مرهوب من بعض ملكتنا جزاً وفي جو الضمير كتاب  
لقولك في أم المتنين بين حزنة وحامي حاماً عادياً في حراها وبعدهم جانتا جربعاً سمحت خواطر منها للتريل وهاب  
أما تعلم أنه قامها بعلمه القبي رصاص بني يحيى وغلقاً ذابها وبعدهم نظار فينسابرة تنهاء حتى ماعناها سب  
شهاباً من أهل الأمر يا شبل خارق وهل ريت من جاللرغى واصطلي بها رجع بتهي ما سفتها قيحة مراراً وفي بعض المرار يهاب  
سوها طفاتها أضرمت بعد طفيه وأثنى طفاتها جاسراً لا يهابها وبعدهم شاكي من أوغاد قادر غلق عنه في أحكام السقاف بباب  
وأشرمت بعد الطفطين ألن صحت لفاس إلى بيت المتنى يقتدى بها فصمتاه عنه واقتضي منه سوره على كره مولى البالقى ودباب  
وبيان لسوالي الأمر في ذاشحابها فصار وهي عن كبر الأستة تهابها وخف على ذافي المدى نطلب العلا لهم ما خططنا للفجور تقاب  
كم كان هو يطلب على ذاتجنت رجل بني كعب الذي يتعقى بها وحزناً حمى وطن بترثيش بعدهما نفناً عليهما سبقاً ورقباً  
ومهد من الأملال ما كان خارجاً على أحكام وإلى أمره الله ناب منها في العتاب:

وليدأ تعاتبنا أنا أغنى لأنني غييت بعلاق الشا واغتصابها برفع قرور من قرور قيلنا بني كعب لا واهما الغريم وطاب  
علي ونا ندفع بها كل مبضع بسياف نشاش العدا من رقابها جربنا بضم عن كل تأليف في العدا وقمنا لم عن كل قيد مناب  
فإن كانت الأملاك بفت عربليس علينا بأطراق الفتا اختصاصها للي أن عاد من لا كان فيه بهمة ريهما وغيرها عليه نصاب  
وركبوا السبايا المئتان من أهمها وليسوا من أنواع الحرير ثياب ورزق كالسنة الخناش انسلاها ولا بعدهما الأرماف وذبل  
وساقوا المطايا بالشرا لانسواه جاهير ما يفلو بها محلاً تسير السبايا والمطايا ركابها  
وكسبوا من أصناف السعايا ذخائر ضخام لحرثات الزمان تصاب بلا شك والدنيا سريع انقلابها وهي عالماً بآن المايا تيلها

ومنها في وصف الطعام:

قطعن قطع اليد لا تخشي العدا فسوق محربات غروف جنابها وكل مهأة عظيمها ربها ترى العين فيها قل لشبل عرائف بكل حلوب الجرف ما سد بابها ترى أهلها غب الصباح ان يفلها ورا الفاجر المزوج غفو ربابها لما كل يوم في الأرامي قتائل

ومن قوطم في الأمثال الحكيمية:

وطلبك في المتنوع منك سفاعة وصدق عنك صد عنك صواب إذا رأيت أنساً يغلقوا عنك بابهم ظهور المطابا يفتح الله باب

ومن قول شبل يذكر اتساب الكعوب إلى برجم:

الشيب وشبان من أولاد برجم جميع البرايا تشتكى من ضمادها ومن قول خالد يعاتب إخوانه في موالاة شيخ الموحدين أبي محمد بن تافراكن المستبد بمحاجبة السلطان بتونس على سلطانها مكفولة أبي إسحاق ابن السلطان أبي يحيى وذلك فيما قرب من

وعن فاتنات الطرف يبض غوانج ريوا خلف أستار وخلف حجاب وكل مسافة كالسد إيه عابر عليهما من أولاد الكرام غلام يتبه إذا تاهوا وبصروا إذا صبوا بحسن قوانيين وصوت رباب وكل كيت يكتص عض ناب يظل بصارع في العنان لسام يضلوه عن عدم اليمين ورعسا يطارح حتى ما كانه شاب وعميل بنا الأرض العقبة مدة وتولدننا من كل ضيق كظام بهم حازله زمه وطروع أوامر ولسنة ماكول وطيب شراب بالأبطال والقرد المجان وبالقنا لها وقت وجنت البدور زحام حرام على ابن تافرkin ما ماضى من الرود إلا ما ببدل بحراب التمجذنى وأنا عقيدة تودها وفي سن رمحى للحروب علام وإن كان له عقل رجيع وفطنة يلتج في اليم الغريق غراب وحن كاضراس الموافي بتعجمكم حتى يقاضوا من ديون غرام وأما البلا لا بدعا من فياعل كبار إلى أن تبقى الرجال كباب متى كان يوم القحط يا أمير أبو علي يلقى سعيا صابرين قلداً ويعمى بها سوق علينا سلاعه ويمار موصوف القتا وجعاب كذلك بو حمو إلى اليسر ابته وخلى الجياد العاليات تسام وعسى غلام طالب ريح ملكنا نورما ولا يمسى صحيح بناب وخل رجالا لا يرى الفيسم جارهم ولا يجمعوا بهم العلوز فلام آيا واكلين الحبز تبغوا إدامه غلطتو ادمتوا في السعوم لياب الا يقسوها واعقد بوسهم وهو عنز عنه دائمأ ودوم وكم شعر علي بن عمر بن إبراهيم من رؤساء بي عامر

فتى ثار قطار الصوى يومنا على لئا رارض ترك القلاعين زمام  
هذا العهد أحد بطرن زغبة يعاتب بي عمه المطاولين إلى رياسته:  
محبرة كمال في يد صانع إذا كان في سلك الحرير نظم  
اباحها منها فيه أسباب ماضى وشاء تبارك والضعون تسام  
غدا منه لأم الحي حين واثبتت عصاها ولا صبا عليه حكام  
ولكن ضميري يوم بان بهم إلينا ترم على شرك القتاد برام

وإلا كأبراص التهامي قسادح وبين عواج الكائفات ضرام  
فبعثت إلى أحلافه من قيس تغريهم بطلب ثاره تقول:  
تقول فتاة الحي أم سلامه بين اربع الله من لا رئي لها  
ولا لكان القلب في يد قابض أشاعه بانتشار القطب غثام  
ما قلت سما من شقا بين زارني إذا كان ينادي بالفرق وخم  
تيت بطول الليل ما تألف الكري موجعة كان الشقا في جالمها  
الايا ربع كان بالأمس عامر يحيى وحله والقطين لسام على ما جرى في دارها وبو عيالها بلحظة عين بين غير حالمها  
وغيت ندائى للحظا في ملاعب دجي الليل فهم ساهر ونبيام  
فقدنا شهاب الدين با قيس كلكم وغترو عنأخذ الشار ماذا مقامها  
ونعم بشوف الناظرين التحامها لئاما بندام مهرق وكظام أنا قلت إذا ورد الكتاب بسرني ويرد من نيران قلبي ذيالها  
وعرود باسمها يدعولسرتها وإطلاق من شرب المها ونعام آيا حين تسرع النواب واللحى وبغض العذارى ما حبتو جالمها  
والب يوم ما فيها سوى اليوم حرها بنوح على أطلال لها وخيام

وقدنا بها طوراً طريلانسالما بعين سخينا والدمون سجام  
ولا صبح لي منها سوى وحش خاطري وستقى من أسباب ان عرفت او هام  
ومن بعد ذاتى للنصر بوعلى سلام ومن بعد السلام سلام  
وقولوا له يا بولوفا كلح رايكم دخلتكم بحور غامقات دهمام  
زواخر ماتقياس بالعود إنما لها سبلات على الفضا وآكام  
ولا قستمو فيها قياساً بذلكم وليس البحر الطاميات تعام  
وعانروا على هلكساتكم في ورودها من الناس عدمان العقول لشام  
آيا عزوة ركبوا الضلاله ولا لهم قرار ولا دنيا لهمن دوام  
الا عنهم ولو ترى كيف زايمهم مثل سراب فلة ما لهن تمام  
خلو القنا يبغون في مرقب العلا مواضع ماهياس المهم عقام  
وحق النبي والبيت وأركانه العلى ومن زارها في كل دهر وعاص  
لبر الليالي فيه إن طالب الحبا يذوقون من خط الكساع مدام  
ولا يرها تبقى البرادي عراكف بكل رديني مطرب وحسام

## الموشحات والأزجال للأندلس

واما أهل الأندلس فلما كثر الشعر في قطرهم وتهذبت مناجيه وفتحه وبلغ التمييز فيه الغاية، استحدث المتأخرون منهم فناً منه سموه بالموشح وبنظمهه اسماطاً وأغصاناً، يكتبون منها ومن أغصاناً المختلفة. ويسمون المتعدد منها بيتاً واحداً ويلترمون عند قرافي تلك الأغصان وأوزانها متاليا فيما بعد إلى آخر القطة، وأكثر ما تنهى عندهم إلى سبعة أبيات. ويشتمل كل بيت على أغصان عددها بحسب الأغراض والمذاهب وينسبون فيها ويدعون كما يفعل في القصائد. وتجاروا في ذلك إلى الغاية واستنقرفة الناس جملة الخاصة والكافحة لسهولة تناوله وقرب طرقه. وكان المخرج لها بجزيرة الأندلس مقدم بن معافى القبريري من شعراء الأمير عبد الله بن محمد المرواني. وأخذ ذلك عنه أبو

فطرب المدوح لذلك لما ختمها بقوله:  
عقد الله راية النصر لأمير العسلا أبي بكر  
وطرق ذلك التلحين سمع ابن تيفوليست صاحب: واطربوا  
وشق ثيابه وقال: ما أحسن ما بدأت وختمت وحلف بالأيمان  
المغاظة لا يمشي ابن باجة إلى داره إلا على الذهب، فخاف الحكيم  
سوء العاقبة فاحتال يأن جعل ذعياً في نعله ومشي عليه.

وذكر أبو الخطاب بن زهر أنه جرى في مجلس أبي بكر بن زهير ذكر أبي بكر الأبيض الوشاح المتقدم الذكر غمض منه أحد الحاضرين فقال كف تغضي مم يقول:

مالذي راح  
على رياض الأقام  
لولا هضيم الوشاح

إذا انشئ في الصباح

أو في الأصل  
أصحى يقول  
ما للشمول

لطفت خسدي؟

وَلِلشَّهْرِ مَالٌ  
مَلٌ فَمَالٌ  
غَصَنٌ اعْتَدَالٌ

ضمہ بندی

ما أباد القلوب  
يُشي لنا مستر يا  
يا لحظة رد نوبا!

ویالساه الثانیا

فيه عن العهد

ولا يزال  
في كل حال  
يرجوا الوصال

وهو في الصدد

وأشهر بعد هؤلاء في صدر دولة الموحدين محمد بن أبي الفضل بن شرف. قال الحسن بن دويرية: رأيت حاتم بن سعيد على هذا الافتتاح:

شمس قاريٰت بسرا راج وندي  
وابن هرودس الذي له:

وابن هرودس الذي له:

عبد الله أحمد بن عبد ربه صاحب كتاب العقد ولم يظهر لهما مع  
الآخرين ذكر وكسرت موساحتهم. فكان أول من برع في هذا  
الشأن بعدهما عبادة القرزاز شاعر المتصنم بن صمادح صاحب  
المربة. وقد ذكر الأعلم البطليوسي أنه سمع أبي بكر بن زهير  
يقول: كل الوشاحين عيال على عبادة القرزاز فيما اتفق له من

العود قد ترم بألباع تلحين وسقت المذانب رياض البستان وفي انتهاءه حيث يقول:

ختصر ولا تسلم عساك المأمون مروع الكتاب يحيى بن ذي النون

ثم جاءت الحلبة التي كانت في دولة الملثمين فظهرت لهم البدائع، وسابق فرسان حلبيهم الأعمى الطليطلسي، ثم يجيء بن يقي، وللطليطلسي، من المشحات المهدية قوله:

كيف السبيل إلى صبرٍ وفي العالم اشجان  
والراكب وسط الفلا بالفرد الناعم قد بان

وذكر غير واحد من المشايخ أن أهل هذا الشأن بالأندلس يذكرون أن جماعة من الوشاحين اجتمعوا في مجلس ياشيلية، وكان كل واحد منهم أصطنع موشحة وتألق فيها فتقدم الأعمى الطليطلطي للإرشاد، فلما افتتح مورثته المشهورة بقوله:

حرق ابن بقي موسحته وتبعه الباقون. وذكر الأعلم  
البطليوسى أنه سمع ابن زهر يقول: ما حسنت فقط وشاحا على  
قول إلا ابن بقي حين وقع له:

وكان في عصرهما من المطربعين أبو بكر الأبيض. وكان في عصرهما أيضاً الحكيم أبو بكر بن باجة صاحب اللالجين المعروفة، ومن الحكايات المشهورة أنه حضر مجلس مخدومه ابن تيفلوبت صاحب سرقسطة فألقى على بعض قيائمه موشحته التي أوطاها:

جرر الذيل أيها جر وصل الشكر منك بالشكر

ما ليلة الوصل والسعود بالليلة عـودي	وابن مؤهل الذي له:
ما العيد في حلقة وطاق وشـم طـبـ	ما العيد في التلاقي سـعـمـ الحـيـبـ
وابـر إسـحـاقـ الرـديـنيـ قالـ ابنـ سـعـيدـ: سـمعـتـ أـباـ الحـسـنـ	أـبـرـ إـسـحـاقـ الرـديـنيـ قالـ ابنـ سـعـيدـ: سـمعـتـ أـباـ الحـسـنـ
سـهـلـ بـنـ مـالـكـ يـقـولـ: إـنـ دـخـلـ عـلـىـ اـبـنـ زـهـرـ وـقـدـ أـسـنـ وـعـلـىـ زـيـ	سـهـلـ بـنـ مـالـكـ يـقـولـ: إـنـ دـخـلـ عـلـىـ اـبـنـ زـهـرـ وـقـدـ أـسـنـ وـعـلـىـ زـيـ
الـبـادـيـهـ إـذـ كـانـ يـسـكـنـ بـخـصـنـ اـسـتـبـهـ فـلـمـ يـعـرـفـهـ فـجـلـسـ حـيـثـ اـنـتـهـيـ	الـبـادـيـهـ إـذـ كـانـ يـسـكـنـ بـخـصـنـ اـسـتـبـهـ فـلـمـ يـعـرـفـهـ فـجـلـسـ حـيـثـ اـنـتـهـيـ
بـهـلـ بـنـ مـالـكـ يـقـولـ: بـهـلـ بـنـ مـالـكـ يـقـولـ: إـنـ دـخـلـ عـلـىـ اـبـنـ زـهـرـ وـقـدـ أـسـنـ وـعـلـىـ زـيـ	بـهـلـ بـنـ مـالـكـ يـقـولـ: بـهـلـ بـنـ مـالـكـ يـقـولـ: إـنـ دـخـلـ عـلـىـ اـبـنـ زـهـرـ وـقـدـ أـسـنـ وـعـلـىـ زـيـ
بـهـلـ بـنـ مـالـكـ يـقـولـ: بـهـلـ بـنـ مـالـكـ يـقـولـ: إـنـ دـخـلـ عـلـىـ اـبـنـ زـهـرـ وـقـدـ أـسـنـ وـعـلـىـ زـيـ	بـهـلـ بـنـ مـالـكـ يـقـولـ: بـهـلـ بـنـ مـالـكـ يـقـولـ: إـنـ دـخـلـ عـلـىـ اـبـنـ زـهـرـ وـقـدـ أـسـنـ وـعـلـىـ زـيـ
كـحـلـ الـدـجـىـ يـجـرـىـ مـنـ مـقـلـةـ الـفـجـسـ عـلـىـ الصـبـاحـ	كـحـلـ الـدـجـىـ يـجـرـىـ مـنـ مـقـلـةـ الـفـجـسـ عـلـىـ الصـبـاحـ
وـعـصـمـ الـنـهـرـ فـيـ حـلـلـ خـضـرـ مـسـنـ الـبـطـاطـ	وـعـصـمـ الـنـهـرـ فـيـ حـلـلـ خـضـرـ مـسـنـ الـبـطـاطـ
فـتـحـرـكـ اـبـنـ زـهـيرـ وـقـالـ: أـتـ تـقـولـ هـذـاـ؟ـ قـالـ: أـخـبـرـ!ـ قـالـ:	فـتـحـرـكـ اـبـنـ زـهـيرـ وـقـالـ: أـتـ تـقـولـ هـذـاـ؟ـ قـالـ: أـخـبـرـ!ـ قـالـ:
وـمـنـ تـكـرـنـ؟ـ فـقـالـ: اـرـفـقـ!ـ فـوـالـلـهـ مـاـ عـرـفـتـ،ـ قـالـ اـبـنـ	وـمـنـ تـكـرـنـ؟ـ فـقـالـ: اـرـفـقـ!ـ فـوـالـلـهـ مـاـ عـرـفـتـ،ـ قـالـ اـبـنـ
سـعـيدـ:ـ وـسـابـقـ الـحـلـبـةـ الـقـيـ أـدـرـكـ هـؤـلـاءـ أـبـوـ بـكـرـ بـنـ زـهـرـ وـقدـ	سـعـيدـ:ـ وـسـابـقـ الـحـلـبـةـ الـقـيـ أـدـرـكـ هـؤـلـاءـ أـبـوـ بـكـرـ بـنـ زـهـرـ وـقدـ
شـرـقـ مـوـشـحـاتـهـ وـغـربـ.	شـرـقـ مـوـشـحـاتـهـ وـغـربـ.
قـالـ:ـ وـسـمـعـتـ أـبـاـ الحـسـنـ سـهـلـ بـنـ مـالـكـ يـقـولـ:ـ قـيلـ لـابـنـ	قـالـ:ـ وـسـمـعـتـ أـبـاـ الحـسـنـ سـهـلـ بـنـ مـالـكـ يـقـولـ:ـ قـيلـ لـابـنـ
زـهـرـ لـوـ قـيلـ لـكـ:ـ مـاـ أـبـدـعـ وـأـرـفـعـ مـاـ وـقـعـ لـكـ فـيـ التـوـشـيـحـ قـالـ:ـ مـاـ	زـهـرـ لـوـ قـيلـ لـكـ:ـ مـاـ أـبـدـعـ وـأـرـفـعـ مـاـ وـقـعـ لـكـ فـيـ التـوـشـيـحـ قـالـ:ـ مـاـ
كـنـتـ تـقـولـ:ـ قـالـ كـنـتـ أـقـولـ:	كـنـتـ تـقـولـ:ـ قـالـ كـنـتـ أـقـولـ:
ـمـاـ لـلـمـوـلـيـ؟ـ	ـمـاـ لـلـمـوـلـيـ؟ـ
ـمـنـ سـكـرـهـ لـاـ يـفـسـقـ	ـمـنـ سـكـرـهـ لـاـ يـفـسـقـ
ـيـالـهـ سـكـرـانـ	ـيـالـهـ سـكـرـانـ
ـمـنـ غـيرـ خـسـرـ	ـمـنـ غـيرـ خـسـرـ
ـمـاـ لـلـكـنـبـ الشـوـقـ	ـمـاـ لـلـكـنـبـ الشـوـقـ
ـيـنـدـبـ الـأـوـطـانـ؟ـ	ـيـنـدـبـ الـأـوـطـانـ؟ـ
ـهـلـ تـسـتـعـادـ	ـهـلـ تـسـتـعـادـ
ـأـيـامـاـ بـالـخـلـيـجـ	ـأـيـامـاـ بـالـخـلـيـجـ
ـوـلـيـلـيـنـ؟ـ	ـوـلـيـلـيـنـ؟ـ
ـأـوـ يـسـنـادـ	ـأـوـ يـسـنـادـ
ـمـنـ النـسـيمـ الـأـرـيـجـ	ـمـنـ النـسـيمـ الـأـرـيـجـ
ـمـسـكـ دـارـيـنـاـ	ـمـسـكـ دـارـيـنـاـ
ـأـوـ هـلـ يـكـادـ	ـأـوـ هـلـ يـكـادـ
ـحـسـنـ الـمـكـانـ الـهـيـجـ	ـحـسـنـ الـمـكـانـ الـهـيـجـ
ـأـنـ بـحـيـنـ؟ـ	ـأـنـ بـحـيـنـ؟ـ
ـرـوـضـ أـظـلـلـ	ـرـوـضـ أـظـلـلـ
ـدـوـحـ عـلـىـ أـيـقـنـ	ـدـوـحـ عـلـىـ أـيـقـنـ
ـمـوـرـقـ الـأـفـانـ	ـمـوـرـقـ الـأـفـانـ
ـوـالـلـاءـ يـجـرـىـ	ـوـالـلـاءـ يـجـرـىـ
ـوـعـائـمـ وـغـيـرـ	ـوـعـائـمـ وـغـيـرـ
ـمـنـ جـنـىـ الـرـيـحانـ	ـمـنـ جـنـىـ الـرـيـحانـ

بالدجى لو لا شموس القدر  
مال نجم الكائن فيها وهوى  
مستقيم السير سعد الأثر  
وطرّ ما فيه من عيب سوى  
أنه مر كل معن البصر

\*\*\*\*

حين لذ النوم شيئاً أو كما  
هجم الصبح هجوم الحرس  
غارت الشهب بنا أو ر بما  
أثرت فينا عيون السرّاجين

\*\*\*\*

أي شيء لامرئ قد خلصا  
فيكون الروض قد كُن فيه  
تهب الأزهار فيه الفرضا  
أمنت من مكره ما تقبه  
فإذا الماء تاجي والحمد  
وخلا كل خليل يأخذه

\*\*\*\*

تبصر الورد غيوراً بربما  
يكسي من غطيه ما يكتسي  
وترى الأَسْ لي بما فهمها  
يسرق السمع بأذني فرس

\*\*\*\*

يا أهل الحمى من وادي الغضا!  
ويقلي مسكن أنتم به!  
ضاق عن وجدي بكم رحب الغضا  
لا إبالي شرقة من غربه  
فاعبدوا عهد أنس قد مضى  
تعتقوا عبدكم من كربه  
وانتقوا الله واحيوا معرفة  
يتلاشى نفسي في نفس  
جس القلب عليكم كرمها  
أفترضون خراب الجبس

\*\*\*\*

ويقلي منكم مقترب  
بأحاديث الندى وهو بعيد  
قمر أطلشع منه المغرب  
شقرة المفنى به وهو سعيد

قصاً بالموى الذي حجر ما لليل المشرق من فجر  
جد الصبح ليس بطرد ما لليلي فيما أظن غد  
اصبح يسائل إنك الأبد  
او ققصت قوادم النسر فنجوم السماء لا تسرى

ومن مخاسن موشحات ابن الصابوني قوله:

ما حال صب ذي ضنى واكتتاب أمرضه يا ولاته الطيب  
عامله عمبوسه باجتناب ثم أقدى فيه الكري بالحبيب  
جضا جفوني النروم لكنى لم أبكي إلا لفقد الحبيب  
وذرا الرصال البروم قد غرني منه كما شاء وشاء الرصال  
فلست باللائم من صلنى بصورة الحق ولا بالمحال

واشتهر ببرأ أهل العدوة ابن خلف الجزيري صاحب  
الموشحة المشهورة:

يد الأصحاب قد حلت زنداد الأنوار في جحافر الزهر

وابن خرز البجائي وله من موشحة:

نهر الزمان موافق جبال منه باتسام  
ومن مخاسن الموشحات للמתاخرين موشحة ابن سهل شاعر  
إشبيلية وبستة من بعدها فعنها قوله:

هل درى ظي الحمى أن قد حمى قلب صب حله عن مكتس  
 فهو في نار وخفق مثل ما لعبت ريح الصبا بالقبس  
وقد نسج على منواله فيها صاحبنا الوزير أبو عبد الله بن

الخطيب شاعر الأندلس والمغرب لعصره وقد ذكره فقال:

جادك الغيث إذا الغيث همسى

يا زمان الوصل بالأندلس!

لم يكن وصلك إلا حلمًا

في الكري أو خلسة المختلس!

إذ يقود الدهر أشتات الندى

تنقل الخطو على ما ترسم

زمرة بين فسراً داد وثناً

مثل ما يدعى الحبيج الموسى

والحياد قد جعل الروض سناً

فسنا الأزهار فيه ترسم

وروى التعمان عن ماء السما

كيف يروي مالك عن أنس؟

فكاه الحسن ثواباً معلماً

\*\*\*\*

يزدهسي منه بآبهي ملبي  
في ليالٍ كتمت سر الموى

يُنزل الوحي بروح القدس

وأما المشارقة فالتكلف ظاهر على ما عانوه من الموشحات.  
ومن أحسن ما وقع لهم في ذلك موشحة ابن سناء الملك التي  
اشتهرت شيئاً وغريباً وألها:

حيبي ارفع حجاب النور  
تنتظر المسك على كافور  
كللي يا سحب نيجان الرى  
سوارها منتفط الجدول

ولما شاع فن التوشيح في أهل الأندلس، وأخذ به الجمهور. لسلامته وتميز كلامه وترصيع أجزائه، نسجت العامة من أهل الأهمصار على مزواله. ونظموا في طريقه لغتهم الحضرية من غير أن يلتزموا فيها إعراباً. واستحدثوا فناً سموه بالرجل، والتزموا النظم فيه على مناجيهم لهذا العهد، فجاؤوا فيه بالغرائب، واتسع في للبلاغة مجال بحسب لغتهم المستعجمة.

وأول من أبدع في هذه الطريقة الزجلية أبو بكر بن قزمان. وإن كانت قيلت قبله بالأندلس، لكن لم يظهر حلامها، ولا تسبكت معانها واشتهرت رشاقتها إلا في زمانه. وكان تعهد للثمين، وهو إمام الرجالين على الإطلاق.

قال ابن سعيد: ورأيت أزجاله مروية ببغداد أكثر مما رأيتها  
بحواضر المغرب. قال: وسمعت أبا الحسن بن جحدر الأشبيلي،  
إمام الرجال في عصرنا يقول: ما وقع لأحد من أئمة هذا الشأن  
مثيل ما وقع لابن قرمان شيخ الصناعة، وقد خرج إلى منتهه مع  
بعض أصحابه، فجلسوا تحت عريش وأمامهم متثال أسد من رخام  
اللؤلؤ، فلما حملوا له ذلك، قال:

وأطلق من ثم على الصفاح	والقى الصفاح	وأنطلق من ثم على الصفاح
يسمى الفراق	يسمى الفراق	ويسمى الفراق
من غلظ ساق	من غلظ ساق	واسد قد ابتلع ثعبان

وكان ابن قزمان، مع أنه قرطبي الدار. كثيراً ما يتعدد إلى  
شيشيلية ونيتاب نهروها، فاتفاق أن اجتمع ذات يوم جماعة من أعلام  
هذا الشأن. وقد ركبوا في النهر للنزهة. ومعهم غلام جليل الصورة  
من سروات أهل البلد ويتوتهم. وكانوا مجتمعين في زورق للصيد،

نظموا في وصف الحال، وبدأ منهم عيسى البليدي فقال:  
 يطمع بالخلاص قلي وقد فاتور وقد ضمني عشر قر لشهماتر  
 شراه قد حصل مسكنين ملاتسو يبنق وكذاك أمر عظيم صاباتو  
 نزوح الجفرون الكحول إن غابر وذيك الجفرون الكحول أيلاتسو

قد تساوى محسن أو مذنب  
في هواه بين وعد ووعيد  
ساحر المقلة ممسوٰل اللهم  
جال في الناس مجال النفس  
سدد السهم وسمى ورمي

إن يكن جار ونحاب الأمل  
وفؤاد الصب بالشوق يذوب  
فهو للنفس حبيب أول  
ليس في المحب لم يحب ذنوب  
أمراه معتمل ممثل  
في ضلوع قد براها وقلوب  
حكم اللحظة بها فاحتكمها  
لم يراقب في ضعاف الأنفس  
تنصف المظلوم من ظلما  
ويجاري البر منها والمسبي

ما لقلبي كلما هبت صبا  
عاده عيد من الشوق جديداً  
جلب المهم له والوصبا  
 فهو للأشجان في جهد جهيد  
كان في اللروح له مكتباً  
قوله إن عذابي لشديداً  
لاعج من أضلعي قد أصر ما  
فهي ناري هشيم الييس  
لم تدع في مهجتي إلا ذمها  
بكفاء الصبح بعد الغلمس

سلمي يا نفس في حكم القضا  
واعمري الورقت برجعي ومتاب  
ودعوي ذكر زمان قد مضى  
بين عتبى قد تقضت وعتاب  
واسرفي القول إلى المولى الرضى  
ملهم التوفيق في أم الكتاب  
الكرييم المتهنى والشتمى  
أسد السرج ويذر المجلس  
يتزل النصر عليه مثل ما

يا ليتني إن رأيت حبيبي أفل أذنـو بالرسـلا  
ليـش أحـذ عنـق الغـرـيل وـسرـق فـمـيـلاـ  
ثم جاءـ من بـعـدهـمـ أـبـوـ الحـسـنـ سـهـلـ بـنـ مـالـكـ إـسـامـ الأـدـبـ

ثم من بعدهم هذه العصور صاحبنا الوزير أبو عبد الله بن الخطيب إمام النظم والنشر في الملة الإسلامية غير مدافع، فمن محاسنه في هذه الطريقة:

امزج الأكواوس وأملاقي تجدد مالخلق المال إلا أن يسد  
ومن قوله على طريقة الصوفية وينحو منحى الششتري  
منهم:

ومن حامسته أيضاً قوله في ذلك المعنى:  
ومضى من لم يكن وبقي من لم ينزلوا  
بين طلوع وبين نزول اختلطت الفوضى

بعد عنك يا بني أعظم مصايبٍ وحين حصل لي قريرك سببَتْ قاربي  
وكان لعصر الوزير ابن الخطيب بالأندلس محمد بن عبد  
العظيم من أهل وادي آش، وكان إماماً في هذه الطريقة وله من  
رجل يعارض به مدغليس في قوله:

يقدّمه: د. علي بن سالم

حل المجنون يا أهل الشطارا  
نجددوا كل يوم خلاعا  
لهمها يخلعوا في شنبيل  
رحل بغداد واجتاز النيل  
وطاقتها أصلح من اربعين ميل  
تم تلقت الغبار أمسارا  
وكيف ولاش فيه موضع رقاعا  
إلا ونسرج فيه النحل  
وهذه الطريقة الزجلية لهذا العهد هي فن العامة بالأندلس  
من الشعر. وفيها نظمهم حتى أنهم لينظمون بها في سائر البحور  
الخمسة عشر، لكن بلغتهم العامة ويسمونه الشعر الزجلي مثل  
ول شاعر همه:

وكان من المجيدين بهذه الطريقة لأول هذه المائة الأديب أبو عبد الله اللوش، وله فيها قصيدة عذر فيها السلطان ابن الأحرم: حلق اللّه الصارى للفزو وأنت تفزو قلوب العاشقين  
للمسمى ترشش والسار تنهب والطارق من شمال ومن عين حتى ترى قلي من أجلك كيف رجع صنة السكة بين الحاديين  
دهر لي نشت جفونك وسنين وأنت لا شفة ولا قلب يلين

طل الصباح قم باندئي نشربو وتفتحكو ومن بعد ما انتظري

ثم قال أبو عمرو بن الزاهر الأشبيلي: نشب والهوى من لع فيه ينشب ترى إيش دعاه يشقى وينذب مع المثنت قام في باليوان يلعب وخلق كثير من ذا اللعب ماتوا

ثم قال أبو الحسن المقرى الدانى: نهار مليح يعجن أوصافو شراب وملاح من حولى قد طافوا والملين يقول من فوق صنفاصو والبروي اخمرى قفلاتسو

ثم قال أبو بكر بن مرتبين: الحق تزيد حديث بقالي عاد في الود التزمه والبوري والصياد لسنا هيئان ذيك الذي يصطاد قلوب الورى هي في شبكياتو

ثم قال أبو بكر بن قzman: إذا شمر كمامو برميها ترى البواري يرشق لذاك الجيهـا وليس مسرادو أن يقع فيها إلا أن يقبـل بديـاتـو

وكان في عصرهم بشرق الأندلس حلف الأسود، وله  
محاسن من الرجل منها قوله:  
قد كنت مثبوراً واحتسبت الشب وردني ذا العشق لأمر صعب  
حتى تنظر الخد الشريق البهي تنهي في الحمر إلما تهسي

طباطب الكيمياء في عبيدي هي نظر بها الفضة وترجع دهب

العجائب في هذه الطريقة، فمن قوله في زجله المشهور:  
ورذاذ دق ينزل وشاع الشمس يضرب  
فترى الواحد يفضض وترى الآخر يذهب  
والنبات يشرب ويسكر والفنرون ترقص وتطرب  
النسمات تحيط بهن

وَهُوَ يَأْتِي مَعَهُ الْمُنْكَرُ وَالْمُؤْمَنُ بِهِ يَأْتِي مَعَهُ الْمُسْكُرُ  
وَرَأَتْ لَهُ سَرَّاً أَنَّهُ لِلْحَجَّ وَالزِّيَارَةِ وَدَعَنِي فِي الشَّرْبِ مِنْهُمْ  
أَنَّهُ لِمَنْ لَيْسَ لَهُ قُدْرَةٌ وَلَا إِسْطَاعَةَ إِلَّا بِلِغَةِ الْعَمَلِ  
وَظَهَرَ بَعْدَ هُؤُلَاءِ يَأْشِيَلَةُ ابْنُ جَحْدَرَ الَّذِي فَضَلَ عَلَى  
لِزَجَالِينَ فِي فَتْحِ مِيَرَقَةِ الْبَرْجَلِ الَّذِي أَوْلَهُ هَذَا:  
أَنَّهُ لِمَنْ عَانِدَ التَّرْحِيدَ بِالسَّيفِ بِعَهْنَقِهِ أَنَّهُ بَرِيٌّ مَنْ يَعْسَانِدُ الْحَقَّ

**لشهر الذي أوله:** قال ابن سعيد. لقيه ولقيت تلميذه المعمع صاحب الزجل

سيكية الفجر أحكت شفق في ميلق الليل فقسم قلبو قد أظهر الحق وكان في حجاب لاش يقدر الباطل بعدها يمحجو ترى عبارها خالص أيض تقى فضة هو لكن الشفق ذهبو وقد بنى بالسر ركن القوى من بعد ما كان الزمان خربوا فتفتق سكتوا عنـد البشر نور الجفون من نورها يكبو تحاف حين تلقاء كما ترخيه فمع سماحة وجهـومـا أسيـو فهو النهار يا صاحبـي للـمـعاـش عـيشـ الغـنـيـ فـيهـ بالـلـهـ ماـ أـطـيوـ يـلقـيـ الـحـرـوبـ ضـاحـكاـ وهـيـ عـابـسـةـ غـلـابـ هوـ لاـ شـيءـ فيـ الـنـيـاـ يـغـلـبـوـ والـلـيـلـ إـيـضاـ لـلـقـبـلـ وـالـعـنـاقـ عـلـىـ سـرـيرـ الـوـصـلـ يـتـقـلـبـ إـذـ جـبـ سـيـهـ ماـ بـيـنـ الرـدـودـ فـلـيـسـ شـيءـ يـغـنـيـ مـنـ يـضـرـبـوـ جـادـ الزـمـانـ مـنـ بـعـدـ ماـ كـانـ بـخـيلـ ولـشـ لـفـلـتـ مـنـ بـيـدـهـ عـقـرـبـوـ وـهـوـ سـمـيـ الـصـطـفـيـ وـالـإـلهـ لـلـسـلـطـةـ اـخـتـارـ وـاسـتـخـبـرـوـ كـمـاـ جـرـعـ مـرـوـ فـمـاـ قـدـمـيـ يـشـرـبـ يـتـشـوـ وـيـأـكـلـ طـيـبـوـ تـرـاهـ خـلـيـفـةـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ يـقـسـودـ جـوـشـوـ وـبـيـزـنـ مـوـكـبـوـ قالـ الرـتـيبـ يـاـ أـدـيـاـ إـيـشـ ذـاـ فـيـ الشـرـبـ وـالـعـشـقـ تـرـىـ نـجـوـ لـذـيـ الـإـمـارـةـ تـخـصـصـ الـرـؤـوسـ نـعـمـ وـفـيـ تـقـيـلـ بـيـدـهـ يـرـغـبـوـ وـتـعـجـبـوـ عـنـذـالـيـ مـنـ ذـاـ خـبـرـ قـلـتـ يـاقـومـ مـنـ ذـاـ تـعـجـبـوـ بـيـهـ بـقـيـ بـلـدـ الزـمـانـ يـطـلـبـوـ فـيـ الـجـنـدـ وـلـاـ يـغـرـبـوـ نـعـشـ مـلـيـعـ الـأـرـقـ الطـبـاعـ عـلـاـشـ تـكـفـرـوـ بـالـلـهـ اوـ تـكـبـوـ وـفـيـ الـتـواـضـعـ وـالـحـبـيـاـ يـقـرـبـوـ لـيـشـ بـرـيـحـ الـحـسـنـ إـلاـ شـاعـرـ اـدـيـبـ يـفـضـ بـكـرـوـ وـيـدـعـ ثـيـوـ وـالـلـهـ يـقـيـهـ مـاـ دـارـ الـفـلـكـ وـاـشـرـقـ شـمـسـ وـلـاـ جـوـكـبـوـ اـمـاـ الـكـاـلـسـ فـعـرـامـ نـعـمـ هـوـ حـرـامـ عـلـىـ الـذـيـ مـاـ يـدـرـيـ كـيـفـ يـشـرـبـ وـمـاـ يـغـنـيـ ذـاـ قـصـيدـ فـيـ عـرـوـضـ يـاـ شـامـ خـلـدـ مـاـلـهـ مـغـرـبـوـ وـيـدـ الـذـيـ يـجـسـنـ حـسـابـ وـلـمـ يـقـلـرـ يـجـسـنـ الـفـاظـ اـنـ يـجـلـبـوـ ثـمـ اـسـتـحـدـتـ أـهـلـ الـأـمـصـارـ بـالـغـرـبـ فـنـاـ آخـرـ مـنـ الشـعـرـ،ـ فـيـ اـعـارـيـضـ مـزـدـوـجـةـ كـالـمـوـشـحـ،ـ نـظـمـوـاـ فـيـ بـلـقـتـهـمـ الـخـضـرـيـةـ اـيـضاـ وـسـمـوـهـ عـرـوـضـ الـبـلـدـ،ـ وـكـانـ اـوـلـ مـنـ اـسـتـحـدـهـ فـيـهـ رـجـلـ مـنـ اـهـلـ الـأـنـدـلـسـ نـزـلـ بـفـاسـ يـعـرـفـ بـاـبـنـ عـمـيرـ.ـ فـنـظـمـ قـطـعـةـ عـلـىـ طـرـيقـ الـمـوـشـحـ وـلـمـ يـخـرـجـ فـيـهـاـ عـنـ مـذـاهـبـ الـإـعـرـابـ إـلـاـ قـلـيلاـ مـطـلـعـهـاـ

ابـكـانـيـ شـاطـيـلـ الـنـهـرـ نـوـحـ الـحـمـامـ عـلـىـ الغـصـنـ فـيـ الـبـلـانـ قـرـبـ الصـبـاحـ وـكـفـ السـحـرـ يـمـحـوـ مـنـدـادـ الـظـلـامـ وـمـاءـ الـنـدـيـ يـمـرـيـ بـثـفـرـ الـأـتـاحـ باـكـرـ الـرـياـضـ وـالـطـلـلـ فـيـهـاـ اـنـتـرـاقـ كـبـيرـ الـجـواـهـرـ فـيـ خـسـورـ الـجـسـوارـ وـدـمـعـ التـواـسـيـرـ يـهـرـقـ اـنـهـرـاقـ يـمـاـكـيـ ثـمـائـيـ حـلـقـتـ بـالـثـمـارـ لـوـرـاـ بـالـفـصـونـ خـلـخـالـ عـلـىـ كـلـ سـاقـ وـدارـ الـجـمـيعـ بـالـلـوـرـ وـدـورـ الـسـوـارـ وـأـلـيـ الـنـدـيـ تـخـرـقـ جـيـوبـ الـكـامـ وـيـحـلـ نـسـمـ الـمـلـكـ عـنـهـاـ رـيـاحـ مـطـلـعـهـاـ

جوـهـرـ وـمـرـجـانـ أـيـ عـقـدـ يـاـ فـلـانـ قـدـ صـفـقـهـ السـاـطـمـ وـلـمـ يـقـبـوـ وـشـارـبـ أـخـضـرـ يـرـيدـ لـاـشـ يـرـيدـ مـنـ شـبـهـ بـالـمـلـكـ قـدـ عـيـوـ يـسـلـ دـلـالـ مـلـلـ جـنـاحـ الـفـرـابـ لـيـالـيـ هـجـرـيـ مـنـهـ يـسـتـغـبـرـوـ غـرـالـ بـهـيـاـ يـطـقـيـ الـجـمـرـ وـقـلـقـيـ فـيـ جـرـ النـفـسـ يـلـهـيـوـ ثـمـ بـهـيـمـ إـذـ اـبـتـسـمـ يـضـحـكـوـ وـيـفـرـحـوـ مـنـ بـلـدـمـاـ يـنـدـبـوـ فـيـمـ كـالـخـاتـمـ وـنـفـرـ نـقـيـ خـطـيـبـ الـأـمـةـ لـلـقـبـلـ مـنـطـبـوـ

جـوـهـرـ وـمـرـجـانـ أـيـ عـقـدـ يـاـ فـلـانـ قـدـ صـفـقـهـ السـاـطـمـ وـلـمـ يـقـبـوـ وـشـارـبـ أـخـضـرـ يـرـيدـ لـاـشـ يـرـيدـ مـنـ شـبـهـ بـالـمـلـكـ قـدـ عـيـوـ يـسـلـ دـلـالـ مـلـلـ جـنـاحـ الـفـرـابـ لـيـالـيـ هـجـرـيـ مـنـهـ يـسـتـغـبـرـوـ علىـ بـلـدـ اـيـضـ بـلـوـنـ الـحـلـيـبـ مـاـقـطـ رـاعـيـ لـلـغـنـمـ يـمـلـبـوـ زـوـجـ هـنـدـلـاتـ مـاـعـلـمـتـ قـبـلـهـاـ دـيـكـ الـصـلـاـيـاـ رـيـتـ مـاـ أـصـلـبـوـ نـحـتـ الـعـكـاـنـ مـنـهـاـ خـصـرـقـيـ مـنـ رـقـوـ يـغـنـيـ إـذـ تـطـلـبـوـ اـرـقـ هـوـ مـنـ دـيـنـ دـيـنـ فـيـماـ تـقـولـ جـدـيدـ عـتـبـكـ حـقـ مـاـ أـكـبـرـ أـيـ دـيـنـ بـقـالـيـ مـعـكـ وـأـيـ عـقـلـ مـنـ بـتـعـكـ مـنـ ذـاـ وـذـاـ تـسـلـواـ تـحـمـلـ اـرـدـافـ ثـقـالـ كـالـرـقـبـ حـينـ يـنـظـرـ الـعـاشـقـ وـحـيـنـ يـرـقـبـوـ إـنـ لـمـ يـفـسـرـ غـلـرـأـوـ يـقـشـعـ فـيـ طـرـفـ دـيـسـاـ وـالـبـشـرـ تـطـلـبـوـ وـلـكـنـ بـاـهـرـ وـسـاقـوـ خـضـبـ يـنظـمـ سـلـوكـ جـوـهـرـ وـيـقـلـلـاـنـ بـصـرـ إـلـيـكـ الـمـكـانـ حـينـ تـحـيـيـ جـلـسـ بـيـنـ الـأـغـصـانـ جـلـسـ الـمـسـتـهـامـ جـانـاحـ تـوـسـدـ وـالـتـسـوـ فـيـ جـنـاحـ حـامـسـكـ مـثـلـ خـصـالـ الـأـمـيرـ اوـ الرـمـلـ مـنـهـوـ الـذـيـ يـمـسـوـ وـصـارـ بـشـكـيـ مـاـ فـيـ الـفـوـادـ مـنـ غـرـامـ مـنـهـاـ خـمـسـ مـقـارـهـ لـصـلـهـ وـصـاحـ عـمـادـ الـأـصـارـ وـفـصـيـعـ الـعـرـبـ مـنـ فـصـاحـةـ لـفـظـهـ يـقـرـبـوـ قـلـتـ يـاـ حـامـ اـحـرـمـ عـيـنـ الـمـجـوعـ اـرـاكـ مـاـ تـزـالـ تـكـيـ بـدـمـعـ سـفـرـ تـحـمـلـ الـعـلـمـ اـنـفـرـدـ وـالـعـمـلـ وـمـعـ بـدـيـعـ الـشـعـرـ مـاـ أـكـبـرـ قـالـ لـيـ بـكـتـ حـتـيـ صـفتـ فـيـ الـنـمـرـ بـلـادـمـ بـقـيـ طـولـ جـيـاتـيـ نـسـوحـ فـيـ الـصـدـورـ بـالـرـمـعـ مـاـ أـطـعـهـ وـفـيـ الـرـقـابـ بـالـسـيفـ مـاـ أـخـرـيـوـ عـلـىـ فـرـحـ طـارـلـيـ لـمـ يـكـنـ لـوـرـجـوـ الـفـتـ الـبـكـاـ وـالـحـزـنـ مـنـ عـهـدـ نـسـوحـ كـذـاـ الـوـفـاـ وـكـذـاـ هـوـ الـزـمـامـ اـنـظـرـ جـفـونـ صـارـتـ بـهـالـ الـجـرـاجـ وـأـنـشـ مـنـ بـكـسـ مـنـكـمـ إـنـاـمـ عـامـ يـقـولـ عـنـانـيـ ذـاـ الـبـكـاـ وـالـسـوـاحـ يـرـكـبـ جـوـادـ الـجـرـودـ وـطـلـقـ عـانـ الـأـغـنـيـاـ وـالـجـنـدـ حـينـ يـرـكـبـوـ مـنـ خـلـمـتوـ بـلـسـ كـلـ يـوـمـ بـطـبـبـ مـنـهـ بـنـاتـ الـمـالـيـ طـيـراـ وـنـعـمـتـ ظـهـرـ عـلـىـ كـلـ مـنـ يـجـيـهـ قـاصـدـ وـوـارـدـ قـطـ مـاـ خـيـراـ

حتى أتى على آخرها.  
وكان منهم علي بن المؤذن بتلمسان، وكان لهذه العصورة  
القريبة من فحولهم بزرهون من ضواحي مكناسة رجل يعرف  
الكافيف. أبدع في مذاهب هذا الفن. ومن أحسن ما علق له  
محفظطي قوله في رحلة السلطان أبي الحسن وبني مرین إلى  
أفريقية يصف هزيتهم بالقيروان. ويعزبهم عنها ويؤنسهم بما وقع  
غيرهم بعد أن عيدهم على غزاتهم إلى أفريقية في ملحمة من فنون  
هذه الطريقة يقول في مقتتها. وهو من أبدع مذاهب البلاغة في  
الأشعار بالقصد في مطلع الكلام وافتتاحه ويسمى براعة  
الاستهلال:

سبحان مالك خواطر الأمرا  
ونراصيها في كل حين وzman  
إن عصيـناه عـاقـب بـكـل هـوان  
إن طـعنـاه أـعـظـم لـنـا نـصـرا

إلى أن يقول في السؤال عن جيوش المغرب بعد التخلص:  
كن مرعى قل ولا تكن راعي فالراعي عن رعيته مسؤول  
واسفتحت بالصلة على الناعي للإسلام والرضا السني المكمول  
على الخلفاء الراشدين والأتباع واذكر بعدهم إذا تحب وقول  
حجاجاً خللاوا الصحراء ودوا سرح البلاد مع السكان  
مسكر فاس النسيرة الغمرا حجاج بالياني الذي زرم  
عن جيش الفرنج حين يسألكم من كان بالعطاباً يزوركم  
ومن قل للسد صاد الحجزرا يوم قلن دوم تهب في الغبرا  
سو كان ما بين تونس الغرباً ببني من شرقها إلى غربها  
أبد الطير أن تحيب بما أعراضها من أمور وما شرها  
غيرت بالسلام وانتصار حجرها تربى بعقلك الفحاس  
ن كان تعلم حمام ولا رقاص ظهر عند اليمين التصاوس  
لا قسم عارين فلا سترما يلدروا كيف يصوروا كسرها  
رسولي أبو الحسن خطينا الباب نتنا كنا على الجريد والزراب  
ما بلغك من عمر فتي الخطاب ذلك الشام والجزائر وتابع كسرى

اليوم تقاضي المحرك من سنا حتى لا سبيل جلة تراني البيسون  
وماكسا جسمى التحول والسلام اخفاقي خبولي عن عيون اللواح  
لو جئني المانيا كان بموت في المقام ومن مات بعد ما قرم لقد استراح  
قال لي لورقدت لأوراق الرياش من خوفى عليه وذا الشفوس للرؤاد  
وتحضت من دمعي وذاك البياس طرق العهد في عنقي ليسون التناد  
اما طرف متقاري حبيثو استفاض باطراق البلد والجسم صار في الرماد  
فاستحسنه أهل فاس ولوعوا به ونظموا على طريقته.  
وترکوا الاعراب الذي ليس من شأنهم، وكثير سماعه بينهم  
واستفحلا فيه كثير منهم ونوعوه أصنافاً إلى المزدوج والكاري  
والملعبة والغزل. واختلفت أسماؤها باختلاف ازدواجها  
وملاحظاتهم فيها. فمن المزدوج ما قاله ابن شجاع من فصوصهم  
وهو من أهل تازا:

المال زينة الدنيا وعز الفروس يهوي وجوهاً ليس هي باميا  
فها كل من هو كثير الفلوس ولوه الكلام والرتبة العالية  
يكتب من كثر ماله ولو كان صغير ويصفر عزيز القوم اذ يفتر  
من ذا ينطبق صلبي ومن ذا تغير وكاد يقفع لسولا الرجوع للقدر  
حتى يتلجمي من هرم في قومه كبير لمن لا اصل عنده ولا سلطنة  
لذا ينبغي محزن على ذي المكوس وبصيغة عليه ثوب فراش صافيا  
اللي صارت الأكتاب أسام الرؤوس وصار يستفيد الواد من الساقات  
ضعف الناس على ذا فسد ذا الزمان ما يلبروا على من يكثروا ذا العتاب  
اللي صار فلان يصبح بوفلان ولو رايست كيف يزيد الجحوب  
عشنا والسلام حتى رأينا عيان اتفاس المسلمين في جلوس الكلاب  
كباز الفوس جداً ضعاف الأسوس هم ناجحاً والمجدد في ناججاً  
يرأونهم والناس يروهم تيوس وجوه البد والمعلمدة الراسيا

ومن مذاهبهم قول ابن شجاع منهم في بعض مزدوجاته:  
تعب من تبع قلبو ملاح ذا الزمان أعمل يا فلان لا يلعب الحسن فيك  
ما منهم مليح عاصد إلا وخشان قليل من عليه تحبس وبمحبس عليك  
يهبوا على الشاق ويتمنعوا ويستعملوا تقطيع قلوب الرجال  
وان واصلوا من حيئهم يقطعوا وان عاهدوا خاترنا على كل حال  
مليح كان هوشتو وشت قلبي معرو وصيروت من خدي لقاموا نمال  
ومهدت لو من وسط قلبي مكان وقلت لقلبي اكرم لمن حل فيك  
وهون عليك ما يعترشك من هوان فلا بد من هول المسوى يعترشك  
حكتروا على وارنقيشت بسو امير فلو كان يرى حالى إذا يصررو  
يرجع مثل در حولي بوجه الغدير مرديه وينتعطس بهال المحررو  
وتلعلت من ساعا بسيق الضمير ويفهم مرادو قبل أن يذكرو  
ويخل في مطلولو أن كان عصر في الربع أو في الليالي يربك  
وعشي بسوق كان ولو باصهاهان وليش ما يقل يحتاج لسو بيك

وقاتلي يا أخي رح في الفلاي  
قالوا ونأخذ بشارك قللت ذا أقرب ح  
إلى جرحي بي بداوي بي يكرن أصلح ح

طرقت باب الخبا قالـت من الطارق فقلـت مفتونـن لا ناهـب ولا سـارـق  
بـسـمـتـ لـاحـ لـيـ مـنـ نـفـرـهـاـ بـارـقـ رـجـعـتـ حـيـرـانـ فيـ بـحـرـ اـدـمـعـيـ غـارـقـ  
ولـغـرـهـ:

عهدي بها وهي لا تأمن علي البين وإن شكوت الموى قال فليتك العين  
لمن يعاين لها غيري غلام الزين ذكرتها العهد قال لك علي دين  
ولغيره في وصف الحشيش:

دي خر صرف الي عهدي بها باقي تغنى عن الحمر والخمار والساقي  
فجبا ومن قحبها تعمل على إحرافي خيبيها في الحشى طلت من أحداقى  
ولغيره:

يا من وصالو لأطفال المحبة بـ حـ كـم تـوجـ القـلـبـ بـالـمـهـرـانـ أـوهـ أحـ  
أـودـعـتـ قـلـبيـ حـوـحـوـ وـالـتـصـبـرـ بـ حـ كـلـ الـورـىـ كـخـ فـيـ عـيـنـيـ وـشـخـصـكـ دـحـ

ناديتها ومشيبي قد طوانسي طي جودي علي بقلة في الموى يا مي  
قالت وقد كرت داخل فزادي كي ما ظن ذا القطن يعني فم من هو حي ولغيره:

والغيره:

أُسلِّمْ دُجَى الشُّعُرَتَاهُ الْقَلْبَ فِي طَرْفَهِ رَجَعَ هَدَانَا بِخَيْطِ الصَّبْحِ مِنْ فَرْقَهِ  
ولغره:

يا حاجي العيس ازجر بالطلايا زجر وقف على متزل أحبابي قبيل الفجر  
وصفي في حيهم يا من يربد الأجر ينهض يصلى على ميت قتيل المجر

عني التي كنت ارعاكم بها بات  
ترعى النجوم وبالشهيد اقاتات  
وأسهم البين صابني ولا فات  
ولسوتي عظم الله أجركم مات

ولغيره: هربت في قطرتكم يا ملاح المكر غزال يلى الأسود الضاربا بالتفكير

ومن الذي يسمونه دويت:

قد أقسم من أحبه بالباري أن يبعث طيفه مع الأصحاب

واعلم أن الأذواق كلها في معرفة البلاغة إنما تحصل لمن خالط تلك اللغة، وكثير استعمالها، ومحاطته بين أصحابها حتى

ردولدت لوكه ذكرى  
هذا الفاروق مردي الأعوان  
صراح في إفريقيا بهذا التصریح  
ويقت حمى إلى زمن عثمان  
ونقل فيها تفرق الإخوان

من دخلت غانمهما الديوان  
مات عثمان وانقلب علينا الريح  
وافتقر الناس على ثلاثة أمرا  
ويقي ما هو للسكوت عنوان  
إذا كان ذا في مدة السرارا  
إيش نعمل في توآخر الأزمان

وأصحاب الحضور في مكاسبها  
تذكرة في صحتها أيامها  
إن مرين إنما تكشف برياتها  
قد ذكرنا ما قبل سيد العذا  
عمر بن الخطاب: الفرم الشأن

قال لي رئيس وأنا بسنا أمري  
و يقول لك ما دهش المرينيا  
أراد المولى بحث ابن محبسي  
لكن إذا جاء القبر عميت الأعيان  
من حضرة فاس إلى عرب ديباب  
سلطان تونس وصاحب الأبواب

ثم أخذ في ترحيل السلطان وجوشه، إلى آخر رحلته  
ومنته أمره، مع اعتراض إفريقية. واتى فيها بكل غريبة من  
الابداع، وأما أهل تونس فاستحدثوا في اللغة أيضاً على لغتهم  
الحضرية، إلا أن أكثره رديء ولم يلتفت بهم حفظي منه شيء  
لـ داعته.

الموشحات والأزجال في المشرق

وكان لعامة بغداد أيضاً من الشعر يسمونه المواليا، وتحت فنون كثيرة يسمون منها القurma، وكان وكان، ومنه مفرد ومنه في بيتن، ويسمونه دوبيت على الاختلافات المعتبرة عندهم في كل واحد منها، وغالبها مزدوجة من أربعة أغصان. وتبعهم في ذلك أهل مصر القاهرة وأتوا فيها بالغرائب. وتبجروا فيها في أساليب البلاغة بقتضى لغتهم الحضرية، فجأوا بالعجبات. ورأيت في ديوان الصفي الحلبي من كلامه أن المواليا من بحر البسيط، وهو ذو أربعة أغصان وأربع قواف، ويسمى صوتاً وبيتن. وأنه من مختزليات أهل واسط، وإن كان وكان فهو قافية واحدة وأوزان مختلفة في انشطاره: الشطر الأول من البيت أطول من الشطر الثاني ولا تكون قافية إلا مردفة بحرف الللة وأنه من مختزليات العقاديات. وأنشئ فيه لانا:

بغمز المواجب حديث تفسير ومنو أويس، وأم الآخرين  
تعرف بلغة المحسان». انتهى كلام الصفي.

ومن أعجب ما علق بمحفظي منه قول شاعرهم:  
هندى جراحه، طربا والدماتض

يحصل ملكتها كما قلناه في اللغة العربية. فلا يشعر الأندلسي بالبلاغة التي في شعر أهل المغرب، ولا المغربي بالبلاغة التي في شعر أهل الأندلس والشرق، ولا الشرقي بالبلاغة التي في شعر أهل الأندلس والمغرب. لأن اللسان الحضري وتراثيه مختلفة بينهم. وكل واحد منهم مدرك لبلاغة لغته وذائق حسان الشعر من أهل جلدته «وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَآخْتَلَافُ أَسْبَابَكُمْ وَأَلْوَانَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لِيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ»

#### خاتمة

وقد كدنا أن نخرج عن الغرض

ولذلك عزمنا أن نقف العنان عن القول في هذا الكتاب الأول الذي هو طبيعة العمran وما يعرض فيه، وقد استوفينا من مسائله ما حسبناه كفاء له. ولعل من يأتي بعدها من يؤيده الله بذكر صحيح وعلم مبين يغوص من مسائله على أكثر مما كتبنا، فليس على مستبط الفن إحصاء مسائله، وإنما عليه تعين موضوع العلم وتثريغ فصوله وما يتكلم فيه، والمتاخرون يلحقون المسائل من بعده شيئاً فشيئاً إلى أن يكمل. والله يعلم وأنتم لا تعلمون.

قال مؤلف الكتاب عفا الله عنه: أتمت هذا الجزء الأول المشتمل على المقدمة بالوضع والتاليف قبل التقيق والتهذيب في مدة خمسة أشهر آخرها متتصف عام تسعه وسبعين وسبعمائة. ثم نفتحته بعد ذلك وهذبته وألحقت به تواريخ الأمم كما ذكرت في أوله وشرطته. وما العلم إلا من عند الله العزيز الحكيم.



## الكتاب الثاني

### في أخبار العرب وأجيالهم ودفهم منذ بدء الخليقة إلى هذا العهد

إذا اتصلت مع الأيام وتشعبت بطرورها على الأحتقاب، كما وقع في نسب كثير من أهل العالم مثل اليونانيين والفرس والبربر وقططان من العرب. فإذا اختلفت الأنساب واحتللت فيها المذاهب وتباينت الدعاوى استظر كل ناسب على صحة ما ادعاه بشواهد الأحوال والمعارف من المقارنات في الزمان والمكان وما يرجع إلى ذلك من خصائص القبائل وسمات الشعوب والفرق التي تكون فيهم متقللة متغيرة في بنיהם.

وسئل مالك رحمة الله تعالى عن الرجل يرفع نسبه إلى آدم، فكره ذلك وقال من أين يعلم ذلك؟ فقيل له قيل إسماعيل فأنكر ذلك وكره أيضاً أن يرفع في أنساب الأنبياء مثل أن يقال: إبراهيم بن فلان بن فلان، وقال من يخبره به. وكان بعضهم إذا سلا قوله تعالى: «وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَتَلَمَّسُهُمْ إِلَّا اللَّهُ» قال: كذب النسابون.

واحتاجوا أيضاً محدث ابن عباس أنه  $\text{ﷺ}$  لما بلغ نسبه الكريم إلى عدنان قال: «من هننا كذب النسابون».

واحتاجوا أيضاً بما ثبت فيه أنه «علم لا ينفع وجهاته لا تضر» إلى غير ذلك من الاستدلالات.

وذهب كثير من أئمة المحدثين والفقهاء مثل ابن إسحاق والطبرى والبخارى إلى جواز الرفع في الأنساب ولم يكرهوه، معتبرين بعمل السلف فقد كان أبو بكر رضي الله عنه أنساب قريش لقريش ومضر، بل ولسائر العرب وكذا ابن عباس وجبير بن مطعم وعقيل بن أبي طالب وكان من بعدهم ابن شهاب والزهرى وأبن سيرين، وكثير من التابعين. قالوا وتدعى الحاجة إليه في كثير من المسائل الشرعية مثل تعصيب الوراثة وولاية النكاح والعاقلة في الديات والعلم بحسب النبي  $\text{ﷺ}$  وأنه القرشي الماشى الذى كان بمكة وهاجر إلى المدينة فـإن هذا من فروض الإيمان ولا يعذر الجاهل به. وكذا الخلافة عند من يشرط النسب فيها. فهذا كله يدعو إلى معرفة الأنساب ويرؤكد فضل هذا العلم وشرفه فلا ينبغي أن يكون منزوعاً.

وأما حديث ابن عباس أنه  $\text{ﷺ}$  لما بلغ نسبه إلى عدنان قال: «من هننا كذب النسابون» يعني من عدنان. فقد أنكر السهيلي روایته من طريق ابن عباس مرفوعاً وقال: الأصح أنه موقوف على ابن مسعود. وخرج السهيلي عن أم سلمة أن النبي  $\text{ﷺ}$  قال: «معدن بن عدنان بن أدد بن زيد بن البرى بن أعراف الشرى». قال وفسرت أم سلمة زيداً بأنه الميسع، والبرى بأنه نبت أو نبات، وأعراف الشرى بأنه إسماعيل، وإسماعيل هو ابن إبراهيم، وإبراهيم

وفي ذكر معاصرهم من الأمم المشاهير، مثل السريانيين والنبط والكلدانين والفرس والقبط وبني إسرائيل وبني يونان والروم، والإسلام بأخبار دفهم. ويقدم الكلام في ذلك مقدמתان: إحداهما في أمم العالم وأنسابهم على الجملة، الثانية في كيفية أوضاع الأنساب في هذا الكتاب.

### المقدمة الأولى

### في أمم العالم واختلاف أجيالهم والكلام على الجملة في أنسابهم

اعلم أن الله سبحانه وتعالى اعتبر هذا العالم مختلفه وكرم بي آدم باستخلافهم في أرضه، وبتهم في نواحيها ل تمام حكمته، وخالف بين أعمهم وأجيالهم إظهاراً لأياته فيتعارفون بالأنساب، ويختلفون باللغات والألوان، ويتمايزون بالسير والمذاهب والأخلاق، ويفترقون بالتحل والأديان والأقليات والمجاهدات. فمنهم العرب والفرس والروم وبني إسرائيل والبربر، ومنهم الصقالبة والحبش والزنج، ومنهم أهل الهند وأهل بابل وأهل الصين وأهل اليمن وأهل مصر وأهل المغرب. ومنهم المسلمين والنصارى واليهود والصابئة والمجوس، ومنهم أهل الورب وهو أصحاب الخيان والخلل وأهل المدر وهو أصحاب المجاشر والقرى والأطم، ومنهم البدو الظواهر والحضر الأهلون. ومنهم العرب أهل البيان والفصاحة والعدم وأهل الرطانة بالعربية والفارسية والإغريقية واللطينية والبربرية. خالف أجناسهم وأحوالهم واستهنهم والوانهم ليتم أمر الله في اعتبار أرضه بما يتوزعونه من وظائف الرزق و حاجات المعاش بحسب خصوصياتهم وملائمهم فظهور آثار القدرة وعجائب الصنعة وآيات الوحدانية إن في ذلك لآيات للعالمين.

واعلم أن الامتياز بالنسب أضعف المميزات هذه الأجيال والأمم، لخفائه واندثاره بدرس الزمان وذهابه. ولهذا كان الاختلاف كثيراً ما يقع في نسب الجيل الواحد أو الأمة الواحدة

مشهورون بالتحل مثل الكلدانيين ومعناه الموحدين، ومثل السريانين وهم المشركون. وزعموا أن أسم الصابئة منهم وأنهم من ولد صابع بن للك بن أخنون، وكان مخلتهم في الكراكب والقيام لها واستنزلوا روحانيتها وأن من حزبهم الكلدانيين أي الموحدين. وقد الف أبو إسحاق الصابي الكاتب مقالة في أنسابهم وخلتهم. وذكر أخبارهم أيضاً داهر مؤرخ السريانين والبابا الصابي الخراني وذكرروا استيلاهم على العالم وجاء من نواميهم. وقد اندرسوا وانقطع أثرهم. وقد يقال أن السريانين من أهل تلك الأجيال، وكذلك التمود والازدهاق، وهو المسمى بالضحاك من ملوك الفرس وليس ذلك ب الصحيح عند المحققين.

وانتقدوا على أن الطوفان الذي كان في زمن نوح وبدعوته ذهب بعمان الأرض أجمع بما كان من خراب العمور ومهلك الذين ركبوا معه في السفينة ولم يعقبوا فصار أهل الأرض كلهم من نسله وعاد أباً ثانياً للخلية وهو نوح بن لامك ويقال: للك بن متولشيخ بفتح اللام وسكنها ابن خرون، ويقال: أخنون، ويقال: أشنون وهو إدريس النبي فيما قاله ابن إسحاق بن أشنون، ويقال: بيرد بن مهلايل ويقال: ماهيلاب بن قابن ويقال: قفين بيرد ويقال: بيرد بن شيشون ويقال: ياش بن شيشون آدم، ومعنى شيش عطية الله بن أتوش ويقال: ياش بن شيش بن آدم، وروي عنه تلميذ أنه قال: «تعلموا من أسبابكم ما تصلون به أرحامكم». وهذا كله ظاهر في النسب القريب، وأما الأنساب البعيدة العسرة المدرك التي لا يوقف عليها إلا بالشواهد والمقارنات بعد الزمان وطول الأحقبة أو لا يوقف عليها رأساً للدروس الأجيال فهذا قد ينبغي أن يكون له وجه في الكراهة كما ذهب إليه من ذهب من أهل العلم مثل مالك وغيره، لأنه شغل الإنسان بما لا يعينه. وهذا وجه قوله تعالى فيما بعد عدنان من ه هنا كذب النسابون لأنها أحقبات متاظلة ومعالم دراسة لا تتلخص الصدور بالبيتين في شيء منها مع أن علمها يدفع وجهها لا يضر كما نقل والله المادي إلى الصواب.

واعلم أن الخلاف الذي في ضبط هذه الأسماء إنما عرض في خارج الحروف فإن هذه الأسماء إنما أخذها العرب من أهل التوراة وخارج الحروف في لقفهم غير مخارجها في لغة العرب، فإذا وقع الحرف متواسطاً بين حرفين من لغة العرب، فترده العرب تارة إلى هذا وتارة إلى هذا. وكذلك إشباع الحركات قد تحدث في العرب إذا نقلت كلام العجم، فمن هنا اختلف الضبط في هذه الأسماء.

واعلم أن الفرس والمند لا يعرفون الطوفان وبعض الفرس يقولون كان يبابل فقط. واعلم أن آدم هو كيوربرث وهو نهاية نسيهم فيما يزعمون، وأن أفریدون الملك في آبائهم هو نوح، وأنه يُعن لازدهاق وهو الضحاك فليس الملك وقله كما يذكر بعد في

لم تأكله النار كما لا تأكل الشري. ورد السهيلي تفسير أم سلمة وهو الصحيح، وقال إنما معناه يعني قوله عليه السلام «كلكم بنو آدم وأدم من تراب» لا يريد أن المسيح ومن دونه ابن لإسماعيل لصلبه وغض ذلك بالاتفاق الأخبار على بعد المدة بين عدنان وإسماعيل التي تستحلب في العادة أن يكون فيها بينهما أربعة آباء، أو سبعة أو عشرة أو عشرون لأن المدة المطرول من هذا كله كما ذكره في نسب عدنان فلم يبق في الحديث متترك لأحد من الفريقين. وأما ما روجه من أن النسب علم لا يدفع وجهة لا تضر فقد ضعف الأئمة رفعه إلى النبي عليه السلام مثل البرجاني وأبي محمد بن حزم وأبي عمر بن عبد البر. والحق في الباب أن كل واحد من المتعين ليس على إطلاقه فإن الأنساب القريبة التي يمكن التوصل إلى معرفتها لا يضر الاشتغال بها للدعوى الحاجة إليها في الأمور الشرعية من التعصيب والولاية والعاقلة وفرض الإيمان بمعرفة النبي عليه السلام، ونسب الخلافة والتفرقة بين العرب والجم في الحرية والاسترقاق عند من يشترط ذلك كما مر كله وفي الأمور العادلة أيضاً ثبتت به اللحمة الطبيعية التي تكون بها المدافعة والمطالبة. ومنفعة ذلك في إقامة الملك والدين ظاهرة. وقد كان عليه وأصحابه يتسبون إلى مصر ويتسللون عن ذلك. وروي عنه تلميذ أنه قال: «تعلموا من أسبابكم ما تصلون به أرحامكم». وهذا كله ظاهر في النسب القريب، وأما الأنساب البعيدة العسرة المدرك التي لا يوقف عليها إلا بالشواهد والمقارنات بعد الزمان وطول الأحقبة أو لا يوقف عليها رأساً للدروس الأجيال فهذا قد ينبغي أن يكون له وجه في الكراهة كما ذهب إليه من ذهب من أهل العلم مثل مالك وغيره، لأنه شغل الإنسان بما لا يعينه. وهذا وجه قوله تعالى فيما بعد عدنان من هنا كذب النسابون لأنها أحقبات متاظلة ومعالم دراسة لا تتلخص الصدور بالبيتين في شيء منها مع أن علمها يدفع وجهها لا يضر كما نقل والله المادي إلى الصواب.

ولنأخذ الآن في الكلام في أنساب العالم على الجملة ونترك تفصيل كل واحد منها إلى مكانه فنقول: إن النساين كلهم اتفقوا على أن الأب الأول للخلية هو آدم عليه السلام كما وقع في التنزيل إلا ما يذكره ضعفاء الإنجيليين من أن الحن والطم أمتان كانتا فيما زعموا من قبل آدم، وهو ضعيف متزوك وليس لدينا من أخبار آدم وذراته إلا ما وقع في المصحف الكريم وهو معروف بين الأئمة. وانتقدوا على أن الأرض عمرت بنسليه أحقباً وأجيالاً بعد أجيال إلى عصر نوع عليه السلام، وأنه كان فيه أنبياء مثل شيش وإدريس وملوك في تلك الأجيال معدودون وطوابق

باتفاق النسائيين. والخلاف بينهم إنما هو في تفاصيل ذلك أو في نسب غير العرب إلى سام.

فالذى نقله ابن إسحاق: أن سام بن نوح كان له من الولد خمسة وهم: أرفخشد ولاوذ وإرام وأشود وغليم. وكذا وقع ذكر هذه الخمسة في التوراة وأن بني أشود هم أهل الموصى، وبني غليم أهل خوزستان ومنها الأهواز. ولم يذكر في التوراة ولد لاوذ. وقال ابن إسحاق: وكان للاوذ أربعة من الولد: وهو طسم وعمليق وجرجان وفارس قال: ومن العمالق أمة جاسم فنمهم بنو لف وبني هزان وبني مطر وبني الأزرق ومنهم بديل وراحل وظفار، ومنهم الكعنانيون وبرابرة الشام وفراعنة مصر. وعن غير ابن إسحاق أن عبد بن ضخم وأمير من ولد لاوذ. قال ابن إسحاق: وكانت طسم والعمالق وأمير وجسم يتكلمون بالعربية وفارس يجاورونهم إلى الشرق ويتكلمون بالفارسية.

قال ولد إرم: عوص وكاثر وعييل ومن ولد عوص عاد ومتزلم بالرمال والأحقاف إلى حضرموت. ومن ولد كاثر ثمود وجديس ومتزل ثمود بالحجر بين الشام والخجاز.

وقال هشام بن الكلبي: عيبل بن عوس آخر عاد. وقال ابن حزم عن قدماء النسائيين: أن لاوذ هو ابن إرم بن سام آخر عاص وكاثر. قال: فعلى هذا يكون جديس وتمود آخرين، وطسم وعمالق آخرين أبناء عم لحام وكلهم بنو عم عاد. قال: وينذرون أن عبد بن ضخم بن إرم وأن أمير بن لاوذ بن إرم. قال الطبرى: وفهم الله لسان العربية عاداً وتمود وعييل وطسم وجديس وأمير وعليق وهم العرب العاربة. وربما يقال: إن من العرب العاربة يقطن أيضاً، ويسمون أيضاً العرب البائدة ولم يبق على وجه الأرض منهم أحد. قال: وكان يقال عاد إرم فلما هلكوا قيل ثمود إرم ثم هلكوا قبل لساثر ولد إرم أرمان وهم البيط. وقال هشام بن محمد الكلبي: إن النبط بنو نبيط بن ماش بن إرم والسريان بنو سريان بن نبط.

وذكر أيضاً أن فارس من ولد أشود بن سام وقال فيه فارس بن طبراش بن أشود، وقيل: إنهم من أمير بن لاوذ وقيل: ابن غليم.

وفي التوراة: ذكر ملك الأهواز واسمه كرداً عمرو من بني غليم والأهواز متصلة ببلاد فارس. فلعل هذا القائل ظن أن أهل أهواز هم فارس وال الصحيح أنه من ولد يافت كما يذكر. وقال أيضاً إن البرير من ولد عمليق بن لاوذ وأنهم بنو تميلة من مأرب بن قاران بن عمر بن عمليق وال الصحيح أنهم من كمعان بن حام

أخبارهم. وقد ترجع صحة هذه الأنساب من التوراة وكذلك تensus الأنباء الأقدمين إذ أخذت عن مسلمي يهوداً ومن نسخ صحيحة من التوراة يغلب علىظن صحتها وقد وقعت العناية في التوراة بحسب موسى عليه السلام وإسرائيل وشعوب الأساطيل ونسب ما بينهم وبين آدم صلوات الله عليه. والنسب والقصص أمر لا يدخله النسخ فلم يبق إلا تحرير النسخ الصحيحة والنفل المعتبر. وأما ما يقال من أن علمائهم بدلوا مواضع من التوراة بحسب أغراضهم في دياتهم. فقد قال ابن عباس على ما نقل عنه البخاري في صحيحه: أن ذلك بعيد، وقال معاذ الله أن تعمد أمة من الأمم إلى كتابها المتزل على نبها بدلله أو ما في معناه، قال وإنما بدلوه وحرقوه بالتأويل ويشهد لذلك قوله تعالى: **«وَعِنْهُمُ التُّرْوَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ»** ولو بدلوا من التوراة الفاظها لم يكن عندهم التوراة التي فيها حكم الله وما وقع في القرآن الكريم من نسبة التحرير والتبدل فيها وإنما المعنى به التأويل اللهم إلا أن يطرقها التبدل في الكلمات على طريق الغفلة وعدم الضبط. وتغريف من لا يحسن الكتابة بنسخها بذلك يمكن في العادة لا سيما وملتهم قد ذهب، وجاءتهم انتشرت في الآفاق واستوى الضابط منهم وغير الضابط، العالم والجاهل، ولم يكن وازع يحفظ لهم ذلك لنهاب القدرة بذهاب الملك فطرق من أجل ذلك إلى صحف التوراة في الغالب تبدل وتغريف غير متعد من علمائهم وأجارهم. ويمكن مع ذلك الوقوف على الصحيح منها إذ تحرى القاصد لذلك بالبحث عنه.

ثم اتفق النسابون ونقلت المفسرين على أن ولد نوح اللذين تفرعت الأمم منهم ثلاثة: سام وحام ويايث وقد وقع ذكرهم في التوراة، وأن يافت أكبرهم وحام الأصغر وسام الأوسط. وخرج الطبرى في الباب أحاديث مرفوعة بمثل ذلك وأن سام أبو العرب، ويايث أبو الروم، وحام أبو الحبش والزنج وفي بعضها السودان. وفي بعضها سام أبو العرب وفارس الروم، ويايث أبو الترك والصقالبة وياجوج وماجوج، وحام أبو القبط والسودان والبرير، ومثله عن ابن المسمى ووهب بن منبه. وهذه الأحاديث وإن صحت فإنما الأنساب فيها مجملة ولا بد من نقل ما ذكره المحققون في تفريغ أنساب الأمم من هؤلاء الثلاثة واحداً واحداً. وكذلك نقل الطبرى أنه كان لنوح ولد اسمه كمعان وهو الذي هلك في الطوفان، قال وتسميته العرب يام، وآخر مات قبل الطوفان اسمه عابر. وقال هشام كان له ولد اسمه بوناطر والعقب إنما هو في الثلاثة على ما أجمع عليه الناس وصحت به الأخبار فلما سام فمن ولد العرب على اختلافهم وإبراهيم وبشره صلوات الله عليهم

والهياطلة الذي كان منهم الخالج، ويقال للهياطلة الصعد أيضًا. ومن أجناس الترك الغور والخزر والقفقاج، ويقال المفشاخ، ومنهم يك والعلان، ويقال الأزو، منهم الشركس وأذكش. ومن ماغر غ عند الإسرائييلين يأجوج وماجوج. وقال ابن إسحاق: إنهم من كومر ومن مازاي الدليم ويسمون في اللسان العبراني ماهان. ومنهم أيضًا همدان وجعلهم بعض الإسرائييلين من بي همدان بن يافث وعد همدان ثامناً للسبعة المذكورون من ولده.

وأما ياروان واسميه بونان فعند الإسرائييلين أنه كان له من الولد أربعة وهم داود بن واليشا وكتيم وترشيش، وإن كيتسم من هؤلاء الأربع هو أبو الروم والباقي بونان، وأن ترشيش أهل طرسوس.

وأما قطريبال فهم أهل الصين من المشرق والليمان من المغرب.

ويقال أن أهل إفريقيا قبل البرير منهم وأن الإفرنج أيضًا منهم. ويقال أيضًا أن أهل الأندلس قدئاً منهم وأما ماشخ فكان ولده عند الإسرائييلين مغراسان وقد انقرضوا لهذا العهد فيما يظهر وعند بعض النساين أن الأشيان منهم.

وأما طيراش فهم الفرس عند الإسرائييلين وربما قال غيرهم إنهم من كومر وأن الخزر والترك من طيراش وأن الصقالبة ويرجان والأشيان من ياروان وأن يأجوج من كومر وهي كلها مزاعم بعيدة عن الصواب.

وقال أهروشيوش مؤرخ الروم إن القوط واللطين من ماغوغ. وهذا آخر الكلام في أنساب يافث.

وأما حام فمن ولده السودان والهند. والستن والقبط وكعنان باتفاق. وفي آخرين خلاف ذكره وكان له على ما وقع في التوراة أربعة من الولد وهم: مصر ويقول بعضهم مصراتيم وكوش وقوط. فمن ولد مصر عند الإسرائييلين فتروسيم وكلسوحيم ووقع في التوراة فلتشين منها معاً. ولم يتغير من أحدهما وبنو فلتشين الذين كان منهم جالوت. ومن ولد مصر عندهم كفتورع، ويقولون هم أهل ديماط ووقع الانقلوس ابن أخت قيطش الذي خرب القدس في الجلولة الكبرى على اليهود. قال أن كفتورع هو قبطي ويظهر من هذه الصيغة أنهم القبط لما بين الأسمين من الشبه.

ومن ولد مصر كعنانيم وكان لهم نواحي إسكندرية وهم أيضًا بفترحيم ولوديم ولطايم. ولم يقع علينا تفسير هذه الأسماء. وأما كعنان بن حام فذكر من ولده في التوراة أحد عشر منهم

كما يذكر. وذكر في التوراة ولد إرم أربعة عوص وكثير وماش شيء إلا أن الجرامقة من ولد كاثر. وقد قيل أن الكرف والدليم من العرب. وهو قول مرغوب عنه.

وقال ابن سعيد كان لأنشوز أربعة من الولد إيران ونبيط وجرموق وباسل. فمن إيران الفرس والكرد والخزر، ومن نبيط النبط والسريان، ومن جرموق الجرامقة وأهل المرصل، ومن باسل الدليم وأهل الجبل. قال الطبرى: ومن ولد أرفخشذ العبرانيون وبنو عابر بن شالخ بن أرفخشذ، وهكذا نسبة في التوراة. وفي غيره أن شالخ بن قفين بن أرفخشذ وإنما لم يذكر قفين في التوراة لأنه كان ساحراً وادعى الألوهية.

وعند بعضهم أن التمزود من ولد أرفخشذ وهو ضعيف وفي التوراة أن عابر ولد اثنين من الولد هما فالغ وبقطن، وعند المحققين من النسبة أن يقطن هو قحطان عربه العرب هكذا. ومن فالغ إبراهيم عليه السلام وشعريه وباني ذكرهم. ومن يقطن شعوب كثيرة ففي التوراة ذكر ثلاثة من الولد له وهم: المرذاذ ومعربيه ومصاصن وهم جرهم ولارم وهم حضور وسالف وهم أهل السلفات وسبا وهم أهل اليمن من حمير والتتابعة وكهلان وهدرماوات وهم حضرموت. هؤلاء، خمسة، وثمانية أخرى تنقل أسماءهم وهي عبرانية ولم تتفق على تفسير شيء منها ولا يعلم من أي البطرون هم، وهم: بياراح وأوزال ودفال وعوثال وأفيماسيل وأيوفير وحويلا ويرفاف، وعند النساين أن جرهم من ولد يقطن فلا ذري من أيهم، وقال هشام بن الكلبي إن الهند والسن من نورفير بن يقطن والله أعلم.

وأما يافث فمن ولده الترك والصين والصقالبة وياجوج وماجوج باتفاق من النساين. وفي آخرين خلاف كما يذكر. وكان له من الولد على ما وقع في التوراة سبعة: وهو كومر وياروان وماذاي وмагوغ وقطريبال وماشخ وطيراش وعدهم ابن إسحاق هكذا وحذف ماذاي ولم يذكر كومر وتغروا ما وأشيان وريغاث هكذا في نص التوراة. ووقع في الإسرائييليات أن توغرما هم الخزر، وأن أشيان هم الصقالبة، وأن ريعاث هم الإفرنج ويقال لهم برنسوس والخزر هم التركمان وشعوب الترك كالهم من بي كومز، ولم يذكروا من أي الثلاثة هم. والظاهر أنه من توغرما ونسبيهم ابن سعيد إلى الترك بن عامور بن سوبل بن يافث، والظاهر أنه غلط، وأن عامور هو كومر صحف عليه.

وهم أجناس كثيرة منهم الطفريغر وهم التتر والخطاء، وكانوا بأرض طنساج والخزلاقية والخز الذين كان منهم السلجوقة

## المقدمة الثانية

### في كيفية وضع الأنساب في كتابنا لأهل الدول وغيرهم

أعلم أن الأنساب تشعب دائمًا وذلك أن الرجل قد يكون له من الولد ثلاثة أو أربعة أو أكثر، ويكون لكل واحد منها كذلك، وكل واحد منهم فرع ناشئ عن أصل أو فرع أو عن فرع فرع فصارت بذاته الأغصان للشجرة وتكون قائمة على ساق واحدة هي أصلها والفرع عن جانبه، ولكل واحد من الفروع فروع أخرى إلى أن تنتهي إلى الغاية. فلذلك اخترنا بعد الكلام على الأنساب للأمة وشعرها أن نضع ذلك على شكل شجرة يجتمع أصلها وعمود نسبها باسم الأعظم من أولئك الشعوب ومن له التقدم عليهم فيجعل عمود نسبة أصلًا لها وفروع الشعوب الأخرى عن جانبيه من كل جهة، كأنها فروع لتلك الشجرة حتى تصل تلك الأنساب عمودًا وفروعًا بأصلها الجامع لها ظاهرة للعيان في صفحة واحدة، فترسم في الخيال دقة ويكون ذلك أعنوان على تصور الأنساب وتشعبها فإن الصور الحسية أقرب إلى الارتسام في الخيال من المعاني المتعلقة. ثم لما كانت هذه الأمم كلها لها دول وسلطان، اعتمدنا بالقصد الأول ذكر الملوك منهم في تلك الشجرات متصلة أنسابهم إلى الجد الذي يجمعهم، بعد أن نرسم على كل واحد منهم رتبته في تعاقبهم واحدًا بعد واحد بمروفًا بـ د فالآلف للأول، والباء للثاني، والجيم للثالث، والدال للرابع، والماء للخامس، وهلم جرا، ونهاية الأجداد لأهل تلك الدولة في الآخر منهم، ويكون للأول غصون وفروع في كل جهة عنه، فإذا نظرت في الشجرة علمت أنساب الملوك في كل دولة وترتيبهم بتلك الحروف واحدًا بعد واحد والله أعلم بالصواب.

### القول في أجيال العرب وأوليائهما واختلاف طبقاتهم وتعاقبها وأنساب كل طبقة منها

أعلم أن العرب منهم الأمة الراحلة الناجمة، أهل الخيام لسكنائهم والخيل لركوبهم، والأئم لكتابهم، يقرونون عليهما، ويقتاتون من ألبانها، ويتخذون الدفة والأثاث من أوبارها وأشعارها، ويحملون أنقاضهم على ظهورها. يتازلون حلاً مترفة، ويتغزون الرزق في غالب أحراهم من القنص، ويختطف الناس من السبل، وينقلبون دائمًا في الحالات فراراً من حرارة القبط تارة،

صيدون ولم نلح ناحية صيدا وإيسوري وكراساش، وكانوا بالشام وانتقلوا عندما غلبهم عليه يوشع إلى إفريقيا فأقاموا بها. ومن كانع أيضًا يووسا وكانوا بيت المقدس وهو بوا أمام داود عليه السلام حين غلبهم عليه إلى إفريقيا والمغرب وأقاموا بها. والظاهر أن البرير من هؤلاء المتكلمين أولاً وآخرًا إلا أن المحققين من نسبتهم على أنهم من ولد مازن بن كانع فعلل مازن ينسب إلى هؤلاء. ومن كانع أيضًا حيث الذين كان ملكهم عوج بن عناق.

ومنهم عرفان وأروادي وخوي وهم نابلس وسبا وهم طرابلس وضمارى وهم حمص وحا وهم أنطاكية وكانت تسمى بما باسمهم، وأما كوش بن حام فذكر له في التوراة خمسة من الولد وهم سفنا وسبا وجويلا ورعمما وسفحًا ومن ولد رعما شاو وهم السندي ودادان وهم الهند. وفيها أن التمزود من ولد كوش ولم يعينه وفي تفاصيرها أن جويلا زوجة وهم أهل برقة. وأما أهل اليمين فمن ولد سبا. وأما قوط فعنده أكثر الإسرائييلين أن القبط منهم. ونقل الطبرى عن ابن إسحاق أن الهند والسندي والحبشة من بني السودان من ولد كوش. وأن التربية وفزان وزغاوة والزننج منهم من كانع. وقال ابن سعيد: أجناس السودان كلهم من ولد حام ونسبة ثلاثة منهم إلى ثلاثة سماهم من ولده غير هؤلاء الحبشة إلى جيش، والتربة إلى نوبة أو نوى، والزننج إلى زنج، ولم يسم أحدًا من آباء الأجناس الباقية ومؤلاء الثلاثة الذين ذكرولا لم يعرفوا من ولد حام فعللهم من أعقابهم، أو لعلها أسماء أجناس. وقال هشام بن محمد الكلبي إن التمزود هو ابن كوش بن كانع. أهروشيوش موزوخ الروم: إن سبا وأهل إفريقيا يعني البرير من جويلا بن كوش ويسمى بضول. وهذا والله أعلم غلط لأنه من أن يضول في التوراة من ولد يافت ولذلك ذكر أن جشة المغرب من دادان بن رعما من ولد مصر بن حسام بنو قبط بن لاب بن مصر. انتهى الكلام في بني حام. وهذا آخر الكلام في أنساب أمم العالم على الجملة والخلاف الذي في تفاصيلها يذكر في أماكنه والله ولـي العون وال توفيق.

كان معاشهم منها. فالعرب أهل هذه الشعارات من أجيال الأدباء. كما أن الشاوية أهل القيام على الشاة والبقر لما كان معاشهم فيها فلهذا لا يختصون بحسب واحد بيته إلا بالعرض ولذلك كان النسب في بعضهم مجهولاً عند الأكثر وفي بعضهم خفياً على الجمهور. وربما تكون هذه السمات والشعارات في أهل نسب آخر فيدعون باسم العرب إلا أنهم في الغالب يكونون أقرب إلى الآخرين من غيرهم. وهذا الانتحال لا يكون إلا في أذمة مطالعة وأحقيات متداولة. ولذلك يعرض في الأنساب ما يعرض من الجهل والخفاء.

واعلم أن جيل العرب بعد الطوفان وعصر نوح عليه السلام كان في عاد الأولى ثم تأسى العمالقة وطسم وجديس وأمير وجهم وحضرموت ومن يتبعهم من العرب العاربة من أبناء سام بن نوح. ثم لما انقرضت تلك العصورة وذهب أولئك الأسماء وأباهم الله بما شاء من قدرته وصار هذا الجيل في آخرين من قرب من نسبهم من حمير وكهلان وأعتابهم من التابعة ومن أبناء من العرب المستعرة من أبناء عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام. ثم لما تطاولت تلك العصورة وتعاقبت وكان بنو فالغ بن عابر أعلم من بين ولده واحتلص الله بالبيبة منهم إبراهيم بن تاروخ وهو آزر بن ناحور بن ساروخ بن أرغو بن فالغ وكان من شأنه مع ثمرود ما قصه القرآن. ثم كان من هجرته إلى الحجاز ما هو مذكور.

و مختلف ابنه إسماعيل مع أمه هاجر بالحجر قريناً لله، ومررت بها رفقة من جرمهم في تلك المفارزة فخاطلوا ونشأ إسماعيل بينهم، وربى في أحياائهم، وتعلم لغتهم العربية بعد أن كان أبوه أعمجياً. ثم كان بناء البيت كما قصه القرآن ثم بعثه الله إلى جرمهم والعمالقة الذين كانوا بالحجاز، فآمن كثير منهم وابعوه، ثم عظم نسله وكثير وصار بالجيل آخر من ربعة ومضى ومن إليهم من إيساد وعك وشعوب نزار وعدنان وسائر ولد إسماعيل وهو العرب التابعة للعرب. ثم انقرض أولئك الشعوب في أحقاب طويلة وانقرض ما كان لهم من الدولة في الإسلام. وخالفوا العجم بما كان لهم من التغلب عليهم ففسدت لغة أعقابهم في آماد مطالعة ويفي خلفهم أحياه بادين في الفقار والرمال والخلاء من الأرض تارة والعمران تارة. وقبائل بالشرق والمغرب والجاز والعجم واليمن وبلاط الصعيد والتوبة والحبشة وببلاد الشام والعراق والبحرين وبلاط فارس والسندي وكرمان وخراسان، أمم لا يأخذها الحصر والضبط، قد كانوا أمة الأرض لهذا العهد شرقاً وغرباً، واعتزوا عليهم فهم اليوم أكثر أهل العالم وأملأوك لأمرهم من جميع الأمم.

وصبارة البرد أخرى، واتجاعاً لمراعي غنائمهم، وارتياضاً لصالح إبلهم الكفيلة بمعاشهم، وحمل أثقلهم ودقهم ومتاعهم، فاختصوا بذلك بسكن الإقليم الثالث ما بين البحر المحيط من المغرب إلى أقصى اليمن وحدود الهند من المشرق. فعمروا اليمن والجاز ونجداً وتهامة وما وراء ذلك مما دخلوا إليه في المائة الخامسة كما ذكره من مصر وصحراري برقة وتلوها وقسطنطية وإفريقية وزاغاً والمغرب الأقصى والسود، لاختصاص هذه البلاد بالرمال والقفار الخجولة بالأرياف والتلول والأرياف الأهلة من سواهم من الأمم في فصل الربع وزخرف الأرض لرعى الكلأ والعشب في منابتها، والتقلل في نواحيها إلى فصل الصيف لمدة الأقواس في سنته من جوبها.

وربما يلحق أهل العمزان أثناء ذلك معرات من أضرارهم بآفاساد السableلة، ورعي الزرع غضراً، واتهابه قائمًا وحصيناً إلا ما حاطته الدولة، وزادت عنه الحامية في المالك التي للسلطان عليهم فيها. ثم ينحدرون في فصل الخريف إلى الفقار لرعى شجرها، ونتاج إبلهم في رمالها، وما أحاط به عملهم من مصالحها، وفراراً بأنفسهم وظعناتهم من آذى البرد إلى دفء مشاتيهما، فلا يزالون في كل عام متددلين بين الريف والصحراء ما بين الإقليم الثالث والرابع صادعين ومنحدرين على مر الأيام، شعارهم ليس المحيط في الغالب، وليس العمامات تيجاناً على رؤوسهم يرسلون من أطرافها عنابيات يتلثم قوم منهم بفضلها وهم عرب الشرق، وقوم يلفون منها الليث والأدخن قبل لبسها ثم يتلثمون بما تحت أذقائهم من فضلها وهم عرب المغرب حاكوا بها عمامات زناثة من أمم آذقائهم من فضلها وهم عرب المغرب، حاكوا بها عمامات زناثة من أمم زناثة من أمم البربر. وكذلك لقناها منهم في حل السلاح اعتقال الرماح الخجولة، وهجروا تكب القسي. وكان المعروف لأولئك ومن بالشرق لهذا العهد منهم استعمال الأمراء.

ثم إن العرب لم يزالوا موسومين بين الأمم بالبيان في الكلام والفصاحة في المنطق والذلاقة في اللسان ولذلك سموا بهذا الاسم فإنه مشتق من الابانة لقولهم أعراب الرجل عمما في ضميره إذا أبان عنه. ومنه قوله تعالى: «الثيب ترب عن نفسه». والبيان سمعتهم بين الأمم منذ كانوا. وانتظروا قصة كسرى لما طلب من خليفة على العرب التعمان بن المنذر. أن يوفد عليه من كبارائهم وخطيبائهم من رضي لذلك، فاختار منهم وقد أوفده عليه وكان من خبره واستقرار ما جاؤوا به من البيان ما هو معروف. فهذه كلها شعائرهم وسمائهم وأغلبها عليهم اختاذ الإبل والقيام على نتاجها وطلب الاتجاع بها لارتياض مراعيها ومفاخص توليدها بما

من الإسماعيلية بالقيروان ومصر، ثم القرامطة بالبحرين، ثم دعوة طبرستان والديلم، ثم ما كان من هؤلاء العلوية بالحجاز ثم ذكر بني أمية المازعين لبني العباس بالأندلس، وما كان لهم من الدولة هنالك، والطراون من بعدهم.

ثم نرجع إلى ذكر المستبددين بالدعوة العباسية بالغرب والنواحي، وهم بنو الأغلب بفارسية وبنو حدان بالشام، وبنو المقلد بالموصل، وبنو صالح بن كلاب محلب، وبنو مروان بديار بكر، وبنو أسد بالخلدة، وبنو زياد باليمين، وبنو هود بالأندلس. ثم نرجع إلى القائمين بالدعوة العبيدية بالنواحي وهم الصلحيون باليمين، وبنو أبي الحسن الكلي بচقلية وصنهاجة بالغرب. ثم نرجع إلى المستبددين بالدعوة العباسية من العجم في النواحي، وهم بنو طرلون بمصر ومن بعدهم بنو طفج، وبنو الصفار بفارس وسجستان، وبنو سامان فيما وراء النهر، وبنو سبكتكين في غزنة وخراسان، وغورية في غزنة والهند، وبنو حسنيه من الكرد في خراسان.

ثم نرجع إلى ذكر المستبددين على الخلفاء ببغداد من العجم، وهم أهل الدولتين العظيمتين القائمتين على إسلام من بعد العرب، وهم بنو بويه من الدليم والسلجوقية من الترك. ثم نرجع إلى ملوك السلجوقية المستبددين بالنواحي وهم بنو طفتكن بالشام، وبنو قلطميش ببلاد الروم، وبنو خوارزم شاه ببلاد العجم وما وراء النهر، وبنو سقمان بخلط وأرمانيا، وبنو أرتق بمادرين، وبنو زنكي بالشام، وبنو أيوب بمصر والشام. ثم الترك الذي ورثوا ملوكهم هنالك، وبنو رسول باليمين ثم نرجع إلى ذكر التتر من الترك القائمين على دولة الإسلام والمصلحين للخلافة العباسية، ثم ما كان من دخلوهم في دين الإسلام وقياهم بالملك البدوي في آل النعمان بالخيرة والعراق ومن زاحهم فيها من ملوك كندة بني حجر آكل المرار. ثم ما كان لهم أيضاً من الملك البدوي بالشام في بني جفنة بالبلقاء والأوس والخرج بالمدينة النبوية.

ثم عثمان من التركمان ببلاد الروم وما وراءها. ثم نرجع إلى الطبقه الرابعة من المغرب وهو المستعجمة ومن له ملك بدوي منهم بالغرب والشرق. ثم نخرج بعد ذكر ذلك إلى ذكر البربر ودولهم بالغرب والشرق. ثم نخرج بعد ذلك إلى ذكر البربر ودولهم بالغرب لأنهم كانوا من شرط كتابنا. وهنالك ذكر برنامج دولهم والله سبحانه أعلم.

ولما كانت لغتهم مستعجمة على اللسان المصري الذي نزل به القرآن، وهو لسان سلفهم، سمي باسمهم لذلك العرب المستعجمة فهذه أجيال العرب منذ مبدأ الخليقة وهذا العهد في أربع طبقات متتابعة، كان طبقة منها عصور وأجيال ودول وأحياء وقع العناية بها دون من سواهم من الأمم لكثرة أجيالهم واتساع نطاق من ملوكهم. فلتذكر لكل طبقة أحوال جيلها وبعض أيامهم ودولهم، ومن كان عهدهم من ملوك الأمم ودولهم ليتبين لك بذلك مراتب الأجيال في الخليقة كيف تعاقبت، والله سبحانه وتعالى ولي العون.

### برنامج بما تضمنه الكتاب من الدول في هذه الطبقات الأربع على ترتيبها والدول المعاصرین من العجم في كل خليقة منها

فنبأ أولاً ذكر الطبقة الأولى وهم العرب العاربة ونذكر أنسابهم ومواطنهم وما كان لهم من الملك والدولة. ثم الطبقة الثانية وهم العرب المستعجمة من بني حمير بن سبا ونذكر أنسابهم وما كان لهم من الملك باليمين في التابعية وأعقابهم. ثم نرجع إلى ذكر معاصرهم من العجم وهم ملوك بابل من السريانين، ثم ملوك الموصل وبنوی من الجرامقة، ثم القبط وملوكهم بمصر، ثم إسرائيل ودولهم ببيت المقدس قبل تحريره بختنصر وبعده وبالص McBride، ثم الفرس ودولهم الأولى والثانية، ثم بونان ودولهم الإسكندر وقومه، ثم الروم ودولهم في القياصرة وغيرهم.

ثم نرجع إلى ذكر الطبقة الثالثة وهم العرب التابعة للعرب من قضاعة وقططان وعدنان وشعيبها العظيمين ربيعة ومضر. فنبأ بقضاعة وأنسابهم وما كان لهم من الملك البدوي في آل النعمان بالخيرة والعراق ومن زاحهم فيها من ملوك كندة بني حجر آكل المرار. ثم ما كان لهم أيضاً من الملك البدوي بالشام في بني جفنة بالبلقاء والأوس والخرج بالمدينة النبوية.

ثم عدنان وأنسابهم وما كان لهم من الملك بركة في قريش ثم ما شرفهم الله به وجبل الأدميين أجمع من النبوة، وذكر المجرة والسير النبوية، ثم نذكر ما أكرمه الله به من الخلافة والملك، فترجم للخلفاء الأربع وما كان على عصرهم من الردة والفترحات والفتنة. ثم نذكر خلفاء الشيعة وما كان لهم من لهم من أمر الخارج. ثم نذكر خلفاء الشيعة وما كان لهم من الدول في الإسلام. والأولى الدولة العظيمة لبني العباس التي انتشرت في أكثر ممالك الإسلام، ثم دول العلوية المزاحمين لها بعد صدر منها وهي دولة الأدارسة بالقرب الأقصى، ثم دولة العبيدية

للعروبية والمبتدعة لها بما كانت أول أجيالها. وقد تسمى البائدة أيضاً بمعنى الملكة، لأنها لم يبق على وجه الأرض أحد من نسلهم. فاما عاد وهم بنو عاد بن عورص بن ارم بن سام، فكانت مواطنهم الأولى باحتراف الرمل بين اليمن وعمان إلى حضرموت والشحر.

وكان أبوهم عاد فيما يقال أول من ملك من العرب، وطال عمره وكثير ولده، وفي التاريخ ولد له أربعة آلاف ولد ذكر لصلبه، وتزوج ألف امرأة، وعاش ألف سنة وما يائي سنة. وقال البيهقي: إنه عاش ثلثمائة سنة، وملك بعده بنوه الثلاثة شديد وبعده شداد وبعده إرم. وذكر المسعودي: إن الذي ملك من بعد عاد وشداد منهم، هو الذي سار في المالك، واستولى على كثير من بلاد الشام والهند والعراق. وقال الزخيري: إن شداد هو الذي بنى مدينة إرم في صحاري عدن، وشيدها بصخور الذهب وأساطين الياقوت والزيرجد، يحاكي بها الجنة لما سمع وصفها طفلياً منه وعتراؤه. ويقال: إن باني إرم هذه هو إرم بن عاد. وذكر ابن سعيد عن البيهقي: أن باني إرم هو إرم بن شداد بن عاد الأكبر، وال الصحيح أنه ليس هناك مدينة اسمها إرم وإنما هنا من خرافات القصاصن، وإنما يقلل ضعفاء المفسرين. وإنما المذكورة في قوله تعالى: «إِرَمَ دَّاتِ الْيَمَادِ» القليلة لا البلد.

وذكر المسعودي أن ملك عورص كان ثلثمائة وأن الذي ملك من بعده ابنه عاد بن عورص، وأن جيرون بن سعد بن عاد كان من ملوكهم وأنه الذي اخترط مدينة دمشق ومصرها، وجع عمد الرخام والمرمر إليها وسمها إرم. ومن أبواب مدينة دمشق إلى هذا العهد بباب جيرون، وذكره الشعراء في معاهدها قال الشاعر:

النخل فالقصر فالحمامات بينهما أشهى إلى القلب من أبواب جيرون وهذا البيت في الصوت الأول من كتاب الأغاني. وذكر ابن عساكر في تاريخ دمشق: جيرون وزيد أخوان هما أبناء سعد بن لقمان بن عاد، وبهما عرف جيرون ونهر زيد. وال الصحيح أن باب جيرون إنما سمي باسم مولى من موالي سليمان عليه السلام في دولة بي إسرائيل، جيرون كان ظاهراً في دولتهم.

وذكر ابن سعيد في أخبار القبط أن شداد بن بداد بن هداد بن شداد بن عاد حارب بعضاً من القبط وغلب على أسافل مصر، ونزل الإسكندرية وبنى فيها حيثنـ مدينة مذكورة في التوراة يقال لها أون، ثم هلك في حروبيهم، وجع القبط إخوتهم من البرير والسودان، وأخرجوا العرب من ملك مصر.

ثم لما اتصل ملك عاد وعظم طغيانهم وعترهم اتحلوا عبادة الصناع والأوثان من الحجارة والخشب ويقال: إن ذلك

## الطبقة الأولى من العرب وهم العرب العاربة وذكر نسبهم والإسلام على كلهم ودوهم على الجملة

هذه الأمة أقدم الأمم من بعد قوم نوح وأعظمهم قدرة وأشدهم قوة وأثاراً في الأرض، وأول أجيال العرب من الخليقة فيما سمعناه. لأن أخبار القرون الماضية من قبلهم يتبع اطلاعنا عليها التطاول الأحقاب ودروسها، إلا ما يقصه علينا الكتاب ويؤثر عن الأنبياء بمحى الله إليهم، وما سوى ذلك من الأخبار الأزلية فمقطوع الإسناد. ولذلك كان المعتمد عند الإثبات في أخبارهم ما تتعلق به آية القرآن في قصص الأنبياء الأقدمين، أو ما ينقله زعماء المفسرين في تفسيرها من أخبارهم وذكر دولهم وحروبيهم، يقللون ذلك عن السلف من التابعين الذين أخذوا عن الصحابة، أو سمعوه من هاجر إلى الإسلام من أصحاب الهدى وعلمائهم أهل التراثة أقدم الصحف المترلة فيما علمنا، وما سرى ذلك من حطام المفسرين وأساطير القصص وكتب بدء الخليقة فلا نقول على شيء منه. وإن وجد لمشاهير العلماء تاليف مثل كتاب الياقوت للطبراني، والبله للكسائي، فإنما تخرجا فيها منحي القصاصن وجرروا على أساسياتهم، ولم يلتزموا فيها منحي القصاصن والوثيق بها، فلا ينفي التعميل عليها وتترك و شأنها.

وأخبار هذا الجيل من العرب وإن لم يقع لها ذكر في التوراة، إلا أن بني إسرائيل من بين أهل الكتاب أقرب إليهم عصراً، وأوسع لأخبارهم، فلذلك يعتمد نقل المهاجرة منهم لأخبار هذا الجيل، ثم إن هذه الأمم على ما نقل كان لهم ملوك ودول، فملوك جزيرة العرب، وهي الأرض التي أحاط بها بحر الهند من جنوبها، وخليج الحبشة من غربها، وخليج فارس من شرقها، وفيها اليمن والجaz والشحر وحضرموت. وامتد ملوكهم فيها إلى الشام ومصر في شعوب منهم على ما يذكر ويقال: إنهم انتقلوا إلى جزيرة العرب من بابل لما زارتهم فيها بنو حام، فسكنوا جزيرة العرب باديـة مخيمين، ثم كان لكل فرقـة منهم ملوك وآكام وقصور حسبـما ذكرـه، إلى أن غـلب عليهم بنو يـعرب بن قـحطـان. وهـؤلاء العرب العـارـبة شـعـوبـ كـثـيرـة وـهـمـ عـادـ وـثـمـودـ وـطـسـمـ وـجـديـسـ وأـمـيمـ وـعـيـيلـ وـعـبـدـ ضـخمـ وـجـرـهـمـ وـحـضـرـمـوـتـ وـحـضـرـوـرـاـ وـالـسـلـفـاتـ.

وسـمـيـ أـهـلـ هـذـاـ الجـيلـ العـربـ العـارـبةـ، إـمـاـ بـعـنـىـ الرـاسـاخـةـ فـيـ العـرـوـبـةـ كـمـاـ يـقـالـ: لـيلـ وـصـوـمـ صـائـمـ. أـوـ بـعـنـىـ الفـاعـلـةـ

حاذن الخلجان الذي اعتصم آخرهم بجبل حضرموت. وخبر البخاري مقدم، وقال علي بن العزيز الجرجاني: وكان من ملوك عاد يعمر بن شداد، وعبد أبهر بن معيديكرب بن شمد بن شداد بن عاد، وحناد بن مياد بن شمد بن شداد، وملوك آخرون أبادهم الله والبقاء لله وحده.

فاما عيل وهو إخوان عاد بن عوص فيما قاله الكلبي، وإخوان عوص بن إرم فيما قاله الطبرى، وكانت ديارهم بالجحضة بين مكة والمدينة وأهلتهم السيل. وكان الذي احتطى يثرب منهم، هكذا قال المسعودى، وقال هو يثرب بن بائله بن مهلهل بن عيل. وقال الشهيلى: إن الذي احتطى يثرب من العمالق وهو يثرب بن مهلايل بن عوص بن عمليق. وأما عبد ضخم بن إرم فقال الطبرى: كانوا يسكنون الطائف وهلكوا فيمن هلك من ذلك الجبل. وقال غيره: إنهم أول من كتب بالخط العربى.

واما ثمود وهو بنو ثمود بن كاثر بن إرم فكانت ديارهم بالحجر ووادي القرى، فيما بين الحجاز والشام، وكانتون يوطهم في الجبال، ويقال: لأن أعمالهم كان تطور، ف يأتي البلاء والخراب على يوطهم، فتحتها لذلک في الصخر، وهي لهذا العهد، وقد مر بها النبي ﷺ في غزوة تبوك، وهي عن دخوها كما في الصحيح، وفي إشارة إلى أنها بيت ثمود أهل ذلك الجبل، ويشهد ذلك بيطلان ما يذهب إليه القصاص. ووقع مثله للمسعودى من أن أهل تلك الأجيال كانت أحجامهم مفرطة في الطول والعظم، وهذه البيوت المشاهدة التسوية إليهم بكلام الصادق صلوات الله عليه، يشهد بأنهم في طولهم وعظم حجراتهم مثلنا سواء، فلا أقدم من عاد وأهل أجيالهم فيما بلغنا. ويقال: إن أول ملوكهم كان عابر بن إرم بن ثمود، ملك عليهم مائة سنة. ثم كان من بعده جندع بن عمرو بن الدibil بن إرم بن ثمود. ويقال: ملك نحواً من ثمانة سنة.

وفي أيامه كانت بعثة صالح عليه السلام، وهو صالح بن عيل بن أسف بن شالخ بن عيل بن كاثر بن ثمود، وكانت أهل كفر وبغي رعبادة أوثان، فدعاهم صالح إلى الدين والتوحيد. قال الطبرى: لما جاءهم بذلك كفروا وطلبو الآيات، فخرج بهم إلى هضبة من الأرض فتخضفت عن الناقة، ونهام أن يتعرضوا لها بعقر أو هلكة. وأخبرهم مع ذلك أنهما عاقروها ولا بد، ورأس عليهم قدار بن سالف، وكان صالح وصف لهم عاقر الناقة بصفة قدار هذا، ولما طال النذير عليهم من صالح ستمره وهما يقتله، وكان يأوي إلى مسجد خارج ملائتهم، فكمن له رهط منهم تحت صخرة في طريقه ليقتلوه، فانطبقت عليهم وهلكوا وحققا ومضوا

لانتقامهم دين الصابية، فبعث الله إليهم أحائم هوداً، وهو فيما ذكر المسعودي والطبرى هود بن عبد الله بن رياح بن الخلود بن عاد، وفي كتاب البدء لابن حبيب: رياح بن حرب بن عاد، وبعضهم يقول هود بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ. فوعظمهم وكان ملوكهم لعهده الخلجان، ولقمان بن عاد بن عاديا بن صدا بن عاد فأمن به لقمان وقومه وكفر الخلجان، وامتنع هود بعشيرته من عاد. وحبس الله عنهم المطر ثلاث سنين، ويعثروا الوفود من قومهم إلى مكة يستقون لهم، وكان في الوفد على ما قاله الطبرى نعيم بن هزال بن هزيل بن عيل بن صدا بن عاد. وقيل ابن عتز منهم، وحلقمة بن الحسرى ومرثد بن سعد بن عتز. وكان من آمن بهود واتبعه، وكان بيكه من عاد هؤلاء: معاوية بن بكر وقومه، وكانت هزيلة أخت معاوية عند نعيم بن هزال، وولدت له عيضاً وعمراً وعاماً، فلما وصل الوفد إلى مكة سروا بمعاوية بن بكر وابنه بكر ونزل الوفد عليه. ثم تبعهم لقمان بن عاد، وأcameوا عند معاوية وقومه شهرًا لما ينتهي من الحزرة، ومكثوا بشربون وتغثتهم الجراداتان، فيتنا معاوية بن بكر وابنه بكر. ثم غثتهم شعرًا تذكرهم بأسمائهم، فانبعثوا ومضوا إلى الاستسقاء، وتغلّف عهم لقمان بن عاد ومرثد بن سعد، فدععوا في استسقاهم وتصرعوا وأثأوا الله السحب، ونردو بهم أن اختاروا فاختاروا سوداء من السحب، وأندرعوا بعذابها فمضت إلى قومهم وهلكوا كما قصه القرآن.

وفي خبر الطبرى أن الوفد لما راجعوا إلى معاوية بن بكر لقيهم خبر مهلك قومهم هنالك وأن هوداً بساحل البحر، وأن الخلجان ملوكهم قد هلك بالريح فيمن هلك، وأن الريح كانت تدخل تحت الرجل فتحمله، حتى تقطعوا في الجبال، وتقلع الشجر وترفع البيوت حتى هلكوا أجمعون. انتهى كلام الطبرى.

ثم ملك لقمان ورهطه من قوم عاد، واتصل لهم الملك فيما يقال الف سنة أو يزيد، واتقل ملوكه إلى ولده لقمان، وذكر البخاري في تاریخه: أن الذي كان يأخذ كل سفينة غصباً هو هدد بن بدد بن الخلجان بن عاد بن رقيم بن عابر بن عاد الأكبر، وأن المدينة بساحل برقه أه. ولم يزل ملوكهم متصلةً إلى أن غلبهم عليه يعرب بن قحطان، واعتصموا بجبل حضرموت إلى أن انقضوا. وقال صاحب زجار أن ملوكهم عاد بن رقيم بن عابر بن عاد الأكبر هو الذي حارب يعرب بن قحطان، وكان كافراً بعد القمر، وأنه كان على عهد نوح وهذا بعيد، لأن بعثة هود كانت عند استفحال دولتهم أو عند مبتداها، وغلب يعرب كان عند صحرائها. وكذلك هدد الذي ذكر البخاري أنه ملك برقه إما هو

غشوماً لا ينهاه شيء عن هواه، ويقال له: عملوق وكان مضرأً  
لجديس مستذلاً لهم حتى كانت البكر من جديس لا تهدى إلى  
زوجها حتى تدخل عليه فيفترعها.

وكان السبب في ذلك أن امرأة منهم كان اسمها هزيلة  
طلقها زوجها وأخذ ولده منها، فامر عملوق ببيعها، وأخذ زوجها  
الخمس من ثمنها فقالت شرعاً تظلم منه، فأمر أن لا تزوج منهم  
امرأة حتى يفترعها. قاما كذلك حتى تزوجت الشمس وهي  
عفيرة ابنة غفار بن جديس اخت الأسود فاقتضها عملوق، فقال  
الأسود بن غفار لرؤساء جديس: قد ترون ما نحن فيه من الذل  
والعار الذي ينافي للكلاب أن تعاوه، فأطليونني أدعكم إلى عز  
الدهر، فقالوا: وما ذاك؟ قال: أصنع للملك وقومه دعوة فإذا  
جاوزوا، يعني طسمًا، نهضنا بهم بأسيانا فقتلهم. فاجعوا على  
ذلك ودقنوا سيفهم في الرمل، ودعوا عملوقاً وقومه. فلما  
حضروا قتلتهم، فاقتضهم وقتل الأسود عملوقاً وأفلت رياح بن  
مرة بن طسم، فاتى حسان بن تبع مستعيناً، فنهض حسان في حير  
لإغاثته، حتى كان من اليمامة على ثلاثة مراحل. قال رياح:  
إن لي اختاً مزوجة في جديس اسمها اليمامة ليس على وجه  
الأرض أبصراً منها، وإنها لتبصر الراكب على ثلاثة مراحل،  
وأخذ أن تنظر القرم. فامر كل رجل أن يقلع شجرة فيجعلها في  
يده، ويسير كأنه خلفها فقلعوا، وبصرت بهم اليمامة فقالت  
لجديس: لقد سارت إليكم حير، وإنني أرى رجالاً من وراء شجرة  
بيده كتف يتعرقاها أو نعل يخصفها، فاستبعدوا ذلك ولم يعثروا به،  
وصبحهم حسان وجندوه من حير فآبادهم وخرب حصونهم  
وبلادهم، وهرب الأسود بن غفار إلى جبل طيء فأتى بهما،  
ودعا تبع اليمامة اخت رياح التي أبصرتهم فقلع عينها. ويقال: إنه  
وجد بها عروقاً سوداً زعمت أن ذلك من اكتحالها بالإعتماد،  
وكانت تلك البلد تسمى جو فسميت باليمامة اسم تلك المرأة.

قال أبو الفرج الأصفهاني: وكانت طيء تسكن الجرف من  
أرض اليمن، وهي اليوم محلة مراد وهمدان، وسيدهم يومئذ سامة  
بن لؤي بن الغوث بن طيء، وكان الوادي مسبعة، وهو قليل  
عددهم، وكان يمتاز بهم البعير في زمن الخريف وينذهب ثم يجيء  
من قابل ولا يعرفون مقره، وكان الأزد قد خرجت أيام سيل  
العام واستوحشت طيء فظفروا على أثرهم، وقالوا لسامة: هذا  
البعير إنما يأتي من الريف والخصب، لأن في بصره النوى، فلما  
جاءهم زمن الخريف اتبعوه يسرون لسيره حتى هبط عن الجبلين،  
وهجموا على النخل في الشعاب وعلى الماشي، وإذا هم بالأسود  
بن غفار، في بعض تلك الشعاب، فهاظم خلقه ومخوفوه، وزلوا

إلى الناقة، ورمها قدار بسهم في ضرعها وقتلها، وجلأ فصيلها إلى  
الجبل فلم يدركوه.

وأقبل صالح وقد تخوف عليهم العذاب، فلما رأه الفصيل  
أقبل إليه ورعاً ثلاثة رغات، فأنذرهم صالح ثلاثة، وفي صبح  
الرابعة صعقوا بصيحة من السماء تقطعت بها قلوبهم فاصبحوا  
جائدين، وهلك جميعهم حيث كانوا من الأرض، إلا رجلًا كان في  
الحرم معه الله من العذاب. قيل: من هو يا رسول الله؟ قال:  
«أبو رغال». ويقال: إن صالح أقام عشرين سنة ينذرهم، وتوفي  
ابن ثمان وخمسين سنة، وفي الصحيح: أن رسول الله ﷺ «مر في  
غزوة تبوك بقرى نمود، فنهى عن استعمال مياهم و قال: «لا  
تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا وأتيتم باكون أن يصيكم  
ما أصابهم»». اهـ. كلام الطيري.

وقال الجرجاني: كان من ملوكهم دوبان بن يمنع ملك  
الإسكندرية وموهب بن مرة بن رحيب، وكان عظيم الملك.  
وآخره هوبيل بن مرة كذلك. وفيما ذكره المفسرون أنهم أول من  
فتح الجبال والصخور، وأنهم بنو الفَا وسبعونة مدينة، وفي هذا  
ما فيه. ثم ذهبوا بما كسبوا ودرجوا في الغاربين وهلوكوا. ويقال:  
إن من بقائهم أهل الرس الذين كان نبيهم حنظلة بن صفوان،  
وليس ذلك ب صحيح. وأهل الرس هم حضور وياتي ذكرهم في  
بني فالع بن عابر، وكذلك يزعم بعض النسبة أن تقيينا من بقائيا  
ثمود هؤلاء وهو مردود. وكان الحجاج بن يوسف إذا سمع ذلك  
يقول: كذبوا. وقال والله جل من قائل يقول: وشمود فما أبقى،  
أي أهلهم فما أبقى أحداً منهم. وأهل التوراة لا يعرفون شيئاً  
من أخبار عاد ولا ثمود، لأنهم لم يقع لهم ذكر في التوراة، ولا  
لهود ولا لصالح عليهما السلام، بل ولا لأحد من العرب العاربة،  
لأن سياق الأخبار في التوراة عن أولئك الأمم إنما هو من كان في  
عمود النسب ما بين موسى وأدم صلوات الله عليهم، وليس  
لأحد من آباء هؤلاء الأجيال ذكر في عمود ذلك النسب فلم  
يذكروا فيها.

وأما جديس وطسم فعن ابن الكلبي أن جديساً لارم بن  
سام، وديارهم اليمامة وهو إخوان لشمود بن كاثر، ولذلك ذكرهم  
بعدهم، وأن طسماً للاوذن بن سام وديارهم بالبحرين. وعند  
الطبرى أنهما معاً للاوذن، وديارهم باليمامة. ولذين الاثنين خبر  
مشهور ينفي سياقه عند ذكرهم. قال الطبرى عن هشام بن محمد  
الكلبي يسنه إلى ابن إسحاق وغيره من علماء العرب: أن طسماً  
وجديساً كانوا من ساكني اليمامة وهي إذ ذاك من أخصب البلاد  
واعمرها وأكثرها خيراً وثماراً وحدائق وقصوراً. وكان ملك طسم

ناحية ونفضوا الطريق فلم يروا أحداً، فأمر سامة ابنه الغوث بقتل الأسود، فجاء إليه فعجب من صغر خلقه، وقال: من أين أقبلت؟ قال: من اليمن، وأخبره خبر البعير ثم رماه فقتله، وأقامت طيء بالجلبين بعده.

وذكر الطبرى عن غير ابن إسحاق أن تبع الذي أوقع بجيسم هو والد حسان هذا، وهو ثان أسد أبو كرب بن ملكى كرب، ويأتى ذكره في ملوك اليمن إن شاء الله تعالى، انتهى كلام الطبرى. وقال غيره أن حسان بن تبع لما سار محير إلى طسم بعث على مقدمته إليهم عبد كلال بن متوب بن حجر بن ذي رعين من أقيال حمير، فسلك بهم رياح بن مرة الرمل، وكانت الزرقاء اخت رياح ناكحة في طسم، وتسمى عنزة واليمامة، وكانت تصر على بعد فأذنر لهم فلم يقبلوا وصيغ عبد بن كلال جديساً إلى آخر القصة، وبقيت اليمامة بعد طسم بياضاً لا يأكل ثمارها إلا عوانى الطير والسباع، حتى نزلها بنو حنيفة، وكانوا يعنوا رائدهم عبيد بن ثعلبة الحنفي يرتاد لهم في البلاد فلما أكل من ذلك الشمر، قال: إن هذا لطعم! وحجر بعصاه على موضع قصبة اليمامة، فسميت حجراء، واستوطنها بنو حنيفة وبها صبحهم الإسلام كما يأتي في أخبارهم إن شاء الله تعالى.

وأما العمالة فهم بنو عمليق بن لاوذ، وبهم بضرب المثل في الطول والجثمان. قال الطبرى: عمليق أبو العمالة كالهم أم تفرق في البلاد، فكان أهل المشرق وأهل عمان والبحرين وأهل الحجاز منهم، وكانت الفراعنة بصر منهم، وكانت الجبارية بالشام الذين يقال لهم الكتاعيون منهم، وكان الذين بالبحرين وعمان والمدينة يسمون جاسم، وكان بالمدينة من جاسم هؤلاء بنو لف وبنو سعد بن هزالف وبنو مطر وبنو الأزرق، وكان بنجد منهم بدبل وراحيل وغفار، وبالحجاز منهم إلى تيما بنو الأرقام، ويسكنون مع ذلك نجداً وكان ملكهم يسمى الأرقام قال: وكان بالطائف بنو عبد ضخم بن عاد الأول انتهى.

وقال ابن سعيد فيما نقله عن كتب التواريختي اطلع عليها في خزانة الكتب، بدار المخلافة من بغداد قال: كانت مواطن العمالة تهامة من أرض الحجاز فنزلوها أيام خروجهم من العراق أمام النماردة من بني حام، ولم يزالوا كذلك إلى أن جاء إسماعيل صلوات الله عليه، وأمن به من آمن منهم. وتطرد لهم الملك إلى أن كان منهم السميدع بن لاوذ بن عمليق، وفي أيامه خرجت العمالة من الحرم، أخرجتهم جرهم من قبائل قحطان، ففرقوا ونزل بمكان المدينة منهم بنو عبيل بن مهلايل بن عوص بن عمليق عرفت به، ونزل أرضن أيلة ابن هورم بن عمليق، واتصل ملكها

في ولده. وكان السميدع سمة من ملك منهم إلى أن كان آخرهم السميدع بن هورم، الذي قتله يوشع لما زحف بنو إسرائيل إلى الشام بعد موسى صلوات الله عليه، فكان معظم حروبهم مع هؤلاء العمالة هنالك، فغلبه يوشع وأسره وملك أريحا قاعدة الشام، وهي قرب بيت المقدس، ومكانتها معروفة لهذا المعهد. ثم بعث من بني إسرائيل بعثاً إلى الحجاز فملكوه وانتزعاوه من أيدي العمالة ملوكه ونزعوا ثرب وبلادها وخبيث. ومن بقاياهم يهود قريظة وبنو التضير وبنو قينقاع وسائر يهود الحجاز على ما ذكره. ثم كان لهم ملك بعد ذلك في دولة الروم، وملكونا أذينة بن السميدع على مشارف الشام والجزيرة من ثورهم، وأنزلوهم في التخوم ما بينهم وبين فارس، وهذا الملك أذينة بن السميدع هو الذي ذكره الشاعر في قوله:

أراك أذينة عن ملوكه وأخرج عن أهله ذا يزن  
وكان من بعده حسان بن أذينة، ومن بعده طرف بن حسان  
بن يدياه نسبة إلى أمها، وبعده عمرو بن طرف، وكان بينه وبين جذبة الأبرش حروب، وقتله جذبة واستولى على ملوكهم. وكان آخرًا من العمالة كما ذكر ذلك في موضعه. ومن هؤلاء العمالة فيما يزعمون عمالة مصر وأن بعض ملوك القبط استنصر بذلك العمالة بالشام لمعهده، واسمه الويلد بن دومع، ويقال ثوران بن أراشة بن فادان بن عمرو بن عملاق، فجاء معه ملك مصر واستبعد القبط.

قال البرجاني: ومن ثم ملك العماليق مصر ويقال: إن منهم فرعون إبراهيم وهو سنان بن الأشل بن عبيد بن عمليق، وفرعون يوسف أيضًا منهم وهو الريان بن الويلد بن فوران، وفرعون موسى كذلك وهو الويلد بن مصعب بن أبي أهون بن الملوان، ويقال إنه قابوس بن مصعب بن معاوية بن غمير بن السلواس بن فاران، وكان الذي ملك مصر بعد الريان بن الويلد طاشم بن معدان اهـ. كلام البرجاني.

وقال غيره: الريان فرعون يوسف؛ وهو الذي تسميه القبط تقاوش، وأن وزيره كان أقفيه وهو العزيز، وأنه آمن بيوسف، وأن أرض الفيوم كانت مغايض للماء فدببرها يوسف بالوحى والحكمة حتى صارت أعز الديار المصرية، وملك بعده ابنه دارم بن الريان، وبعده ابنه معدانوس فاستبعد بني إسرائيل.

قال الكلبي: ويذكر القبط أنه فرعون موسى، وذكر أهل الآثار أنه الويلد بن مصعب وأنه كان مختاراً من غير بيت الملك، فاستولى إلى أن ول حرس السلطان، ثم غلب عليه ثم استبد بعده، وعليه انقضى أمر العمالة. ولما غرق في اتباع موسى صلوات الله

وأما حضرموت فمعدودون في العرب العاربة لقرب أزمانهم وليسوا من العرب البايدة لأنهم باقون في الأجيال المتأخرة، إلا أن يقال: أن جهورهم قد ذهب من بعد عصورهم الأولى واندروجا في كندة، وصاروا من عدادهم، فهم بهذا الاعتبار قد هلكوا وبادروا والله أعلم. وقال علي بن عبد العزيز: أنه كان فيما ملوك التابعة في علو الصيت ونهاية الذكر. قال وذكر جماعة من العلماء أن أول من انبسط ملكه منهم، وارتفاع ذكره عمرو الأشتب بن ربيعة بن يرام بن حضرموت. ثم خلفه ابنه ثغر الأزرق، فملك مائة سنة وقاتل العمالقة، ثم ملك كريب ذو كراب، ثم ثغر الأزرق مائة وثلاثين سنة، وهلك إخوته في ملكه. ثم ملك مرثد ذو مروان بن كريب مائة وأربعين سنة، وكان يسكن مأرب ثم تحول إلى حضرموت.

ثم ملك عالمقة ذو قيغان بن مرثد ذي مروان بحضرموت ثلاثين سنة، ثم ملك ذو عيل بن ذي قيغان عشر سنين، وسكن صنعاء وغزا الصين، فقتل ملكها وأخذ سيفه ذا التور، ثم ملك ذو عيل بن ذي عيل بحضرموت عشر سنين، ولما شخص سنان ذو اللم لغزو الصين تحول ذو عيل إلى صنعاء واشتدت وطأته، وكان أول من غزا الروم من ملوك اليمن، وأول من أدخل الحرير والديساج إلى اليمن. ثم ملك بدعات بن ذي عيل بحضرموت أربع سنين، ثم ملك بدعليل بن بدعات وبني حصونا وخلف آثاراً، ثم ملك بديع ذو عيل، ثم ملك حاد بن بدعليل بحضرموت، فأنشا حصنه المقرب، وغزا فارس في عهد سابور ذي الأكتاف، وخرج وسيء، ودام ملكه ثمانين سنة. وكان أول من اخند الحجاج من ملوكهم. ثم ملك يشرح ذو الملك بن ودب بن ذي حاد بن عاد من بلاد حضرموت مائة سنة، وكان أول من رتب الرواتب، وأقام الحرس والروابط. ثم ملك منعم بن ذي الملك دثار بن جذيمة بن منعم، ثم يشرح بن جذيمة بن منعم، ثم ثغر بن بشرح، ثم ساجن المسمى ابن ثغر وفي أيامه تغلبت الجشة على اليمن.

هذه قبائل هذا الجبل من العرب العاربة وما كانوا عليه من الكثرة والملك، إلى أن انقرضوا وأدار الله من أمرهم بالقططانية كما نحن ذاكرون. ولم نغفل منهم إلا من لم يصلنا ذكره من خبره، والله وارث الأرض ومن عليها.

وأما جرهم فقال له ابن سعيد إنهم أمتان: أمة على عهد عاد وأمة من ولد جرهم بن قحطان، ولما ملك يعرب بن قحطان اليمن، ملك أخوه جرهم بن الحجاج. ثم ملك من بعده ابنه عبد باليل، ثم بعده ابنه عبد المدان بن جرهم، ثم ابنه نفيلة بن عبد المدان، ثم ابنته عبد المسيح بن نفيلة، ثم ابنه مضاض بن عبد

عليه، رجع الملك إلى القبط فولوا من بيت ملوكهم دلوكة العجوز كما نذكره في أخبارهم إن شاء الله تعالى، وأما بنو إسرائيل فليس عندهم ذكر لعمالقة الحجاز، وعندتهم أن عمالقة الشام من ولد عملق بن اليقاد بتغريم الفاء ابن عيسو أو عيساب أو العيس بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام. وفراغنة مصر منهم على الرأيين.

واما الكتاعانيون الذين ذكر الطبرى أنهم من العمالقة، فهم عند الإسرائيليين من كعبان بن حام، وكانتوا قد انتشروا ببلاد الشام وملوكها، وكان معهم فيها بنو عيسو المذكورون، ويقال لهم بنو يدوم ومن أيديهم جيعاً ابترها بنو إسرائيل عند الجبي أيام يوشع بن نون. ولذلك تزعم زناته المغرب أنهما من هؤلاء العمالقة وليس بصحيح.

واما أميم فهم إخوان عمالق بن لاوذ. قال السهيلي: يقال بفتح المزة وكسر الميم وبضم الممزة وفتح الميم وهو أكثر وووجدت خط بعض المشاهير أميم بشد الميم. ويدرك أنهم أول من بنى البنيان، وأخذ البيوت والأطام من الحجاز، وسفقوا بالخشب. وكانت ديارهم فيما يقال: أرض فارس، ولذلك زعم بعض نسبة الفرس أنهم من أميم وأن كيورث الذين ينسبون إليه هو ابن أميم بن لاوذ وليس بصحيح وكان من شعوبهم وبمار بن أميم، نزلوا رمل عالي بين اليمامة والشجر وسالت عليهم الريح فهلكوا.

واما العرب البايدة من بني أرفخش بن عابر بن صالح بن أرفخشذ فهم جرهم وحضرموا وحضرموت والسلف. فاما حضورا فكانت ديارهم بالرس وكانتوا أهل كفر وعبادة أوثان، وبعث إليهم نبي منهم اسمه شعيب بن ذي مهرع فكذبوه وهلكوا كما هلك غيرهم من الأمم. وأما جرهم فكانت ديارهم باليم، وكانتا يتكلمون بالعبرانية، وقال البيهقي: إن يعرب بن قحطان لما غالب عاداً على اليمن، وملكه من أيديهم ولسى إخوته على الأقلheim، وولي جرهم على الحجاز، وولي بلاد عاد الأولى، وهي الشحر، عاد بن قحطان، فعرفت به، وولي جرهم على الحجاز، وولي بلاد عاد الأولى وهي الشحر، عاد بن قحطان فعرفت به، وولي عمان يقطن بن قحطان. انتهى كلام البيهقي. وقيل إنما نزلت جرهم الحجاز، ثم بني قطور بن كركر بن عمالق لقطط أصحاب اليمن، فلم يزالوا عبكة إلى أن كان شأن شأن إسماعيل عليه السلام ونبيه، فأمنوا به وقاموا بأمره، وورثوا ولاية البيت عنه، حتى غلبتهم عليه خزانة وكناثة فخرجت جرهم من مكانة ورجعوا إلى ديارهم باليم إلى أن هلكوا.

المسيح، ثم ابنه الحرث. ثم ملك من بعده جرهم بن عبد ياليل، ثم بعده ابنه عمرو بن الحرث، ثم أخوه بشير بن الحرث، ثم مضاض بن عمرو بن مضاض. قال وهذه الأمة الثانية هم الذين بعث إليهم إسماعيل عليه السلام وتزوج فيهم. انتهى.

وأما بنو سبا بن يقطن فلم يبيدوا، وكان لهم بعد تلك الأجيال البائدة أجيال باليمين، منهم حير وكملان وملوك التابعة، وهم أهل الطبقة الثانية. وفي مسند الإمام أحمد: أن رجلاً سال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قيل هو فروة بن ميسق المرادي عن سبا أرجل هو أو امرأة أم أرض؟ فقال بل رجل ولد عشرة، فسكن اليمين منهم ستة، والشام أربعة. فاما اليمانيون فمذحج وكبدة والأزد والأشعر وأثار وحير. وأما الشاميون فلخم وجذام وعاملة وغسان. وثبتت أن إبراهيم قحطان كان يتكلم بالعربية، ولقها عن الأجيال قبله، فكانت لغة بنيه. ولذلك سموا العرب المستعربة، ولم يكن في آباء قحطان من لدن نوح عليه السلام إليه من يتكلم بالعربية، وكذلك كان أخوه فالغ وبنوه إنما يتكلمون بالعجمية إلى أن جاء إسماعيل بن إبراهيم صلوات الله عليهما، فتعلم العربية من جرمهم ذلك لغة بنيه، وهو أهل الطبقة الثالثة المسماون بالعرب التابعة للعرب. فلذكر هذا النسب ليتنظر أجياله مع الأجيال السابقة واللاحقة، ونستوفى أنساب الأمم منها.

### الخبر عن إبراهيم أبي الأنبياء عليهم السلام ونسبه إلى فالغ بن عابر وذكر أولاده صلوات الله عليهم وأحوالهم

ولذكر الآن أهل هذا النسب ما بين إسماعيل ونوح عليهما السلام، ومن كان منهم أو من إخوانهم أو أبناءهم من الأنبياء والشعوب والملوك، وما كان لإسماعيل صلوات الله عليه من الولد، ونختم هذه الطبقة الأولى بذكرهم، وإن كانوا عجماً في لغتهم، إلا أنهما أصتون الخلقة في أنسابهما، وكل البشر على بعض الآراء من أعقابهم، وهو مع ذلك معاصرؤن لهذه الطبقة، فيتسق الكلام فيما على شرط كتابنا، ويتميز بذكر أخبارهم أحوال الطبقات التي بعدهم على الوفاء والكمال. فنبدأ أولاً بذكر عمود هذا النسب على التوالي ثم نرجع إلى أخبارهم.

وإسماعيل صلوات الله عليه هو ابن إبراهيم بن آزر، وهو تارح وآزر اسم لصنمه لقب به ابن ناحور بن ساروخ بالخاء أو

بالغين ابن عابر أو عنبر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح. وهذه الأسماء الأعجمية كلها مقلولة من التوراة ولقتها عبرانية، وخارج حروفها في الغالب مغايرة لخارج الحروف العربية. وقد يجيء الحرف منها بين حرفين من العربية، فترده العرب إلى أحد ذيئن الحرفين، وفي مخرجه فيتغير عن أصله، ولذلك تكون فيها إمالة متوسطة أو محضة، فيصير إلى حرف العلة التي بعده من ياء أو واء، فلذلك تنقل الكلمة منها على اختلاف. وإلا فشأن الأعلام أن لا تختلف. وقال الطبرى أن بين شالخ وأرفخشذ أباً آخر اسمه قين، وسقط ذكره من التوراة لأنه كان ساحراً وادعى الألوهية.

وقال ابن حزم: في كتب النصارى أن بين فالغ وعاiper أباً آخر اسمه ملكيصدق وهو أبو فالغ.

واعلم أن نوحًا صلوات الله عليه بلغ عمره يوم الطوفان ستمائة سنة، عاشر بعد الطوفان ثلثمائة وخمسين سنة، فكانت جملة ذلك تسعمائة وخمسين سنة، ألف سنة إلا خمسين. وهذا نص المصحف الكريم، وكذا وقع في التوراة بعينه. ومن الغريب الواقع في التوراة أن عمر إبراهيم كان يوم وفاة نوح ثلاثاً وخمسين سنة، لأنه قال أن أرفخشذ ولد سام بعد سنتين من الطوفان، ولما بلغ خمساً وثلاثين سنة ولد له ابنه شالخ، وبعد ثلاثين سنة ولد ابنه عابر، وبلغ عابر أربعين وثلاثين سنة فولد ابنه فالغ، وبلغ فالغ ثلاثين سنة فولد له أرغو، وبلغ أرغو أنتين وثلاثين سنة فولد شاروغ، وبلغ شاروغ ثلاثين سنة فولد ناحور، وبلغ ناحور تسعًا وعشرين سنة فولد تارح، وبلغ تارح خمساً وسبعين سنة فولد إبراهيم، وجملة هذه السنتين من الطوفان إلى ولادة إبراهيم ماتتان وسبعين وسبعين سنة، وعمر نوح بعد الطوفان ثلثمائة وخمسون سنة، فيكون إبراهيم بعد وفاة نوح ابن ثلاثة وخمسين سنة، فيكون لقى نوحًا صلوات الله عليهما، وخالطه وأخذ عنه، وهو على رأي بعضهم أب جميع الشعب من بعده، فلذلك كان الأب الثالث للخلية من بعد آدم ونوح صلوات الله عليهم أجمعين إه.

وفي كتاب البدء ونقله ابن سعيد أن أول من ملك الأرض من ولد نوح كعنان بن كوش بن حام، فسار من أرض كعنان بالشام إلى أرض بابل، فبني مدينة بابل التي عشر فرسخاً في مثليها، وورث ملكه ابنه التمروذ بن كعنان، وعظم سلطانه في الأرض، وطال عمره وغلب على أكثر المعمور، وأخذ بدين الصابئة وخالقه الكلدانين منهم في التوحيد وأسمائه، وما معلم بنو سام، وكان سام قد نزل بشرقى الدجلة، وكان وصيًّاً آيه في الدين والتوحيد، وورث ذلك ابنه أرفخشذ، ومعنى أرفخشذ مصبح مضيء».

أرض الكلدانيين إلى حران فتزوجها، وقيل: إنها بنت هاران بن ناحور، وهاران عم إبراهيم قاله السهيلي، فأقاموا بحران ومات بها أبوه تارح وعمره مائتا سنة وخمس سنين. ثم أمر بالخروج إلى أرض الكنعانيين ووعده الله بأن تكون أثراً لبنيه، وأنهم يكثرون مثل حصى الأرض.

نزل بعكان بيت المقدس وهو ابن خمس وسبعين سنة، ثم أصاب بلد الكنعانيين مجاعة، فخرج إبراهيم في أهل بيته وقدم مصر، ووصف لفرعون ملك القبط جمال امرأته سارة فأحضرها عنه، ولما هم بها يسبت يده على صدره، فطلب منها الإقالة فدعت له الله فانطلقت يده. ويقال عاشر ذلك ثالثاً يصاب في كلها وتدعوه له فردها إلى إبراهيم واستخدمها هاجر.

قال الطبرى: والملك الذي أراد سارة هو سنان بن علوان، وهو آخر الصهاiks، والظاهر أنه من ملوك القبط. ثم ساروا إلى أرض كنعان بالشام. ويقال: إن هاجر أهدتها ملك الأردن لسارة وكان اسمه فيما قال الضبي صلاوة، وأنه انتزع سارة من إبراهيم، ولما هم بها صرع مكانه، وسألهما في الدعاء، فدعت له، فأنافق فردها إلى إبراهيم، وأخدمنها هاجر أمة كانت بعض ملوك القبط. ولما عاد إبراهيم إلى أرض كنعان، نزل جيرون وهو مدفنه المسمى بالخليل، وكانت معظمة تعظمها الصابية، وتسكب عليها الزيت للقريان، وتزعم أنها هيكل المشتري والزهرة، فسمها العبرانيون إيليا ومعناه بيت الله. ثم أن لوطاً نافق إبراهيم عليه السلام لكثرة مواشيهمَا وتابعهما وضيق المرعى، فنزل المؤت肯ة بناحية فلسطين وهي بلاد العدور المعروفة بعدور صقر، وكانت هناك على ما نقله المحققون خس قرى سدوم. ووجدهم على ارتکاب الفواحش فدعهم إلى الدين، ونهاهم عن المخالفات، فكتبوه وعثوا وأقام فيها داعياً إلى الله إلى أن هلكوا كما نصه القرآن.

وخرج لوط مع عساكر كنعان وفلسطين للقاء ملوك الشرق حين زحفوا إلى أرض الشام، وكانوا أربعة ملوك: ملك الأهواز من بي غليم بن سام واسميه كرزلاً عامر، وملك بابل واسمه في التوراة شنعا واسميه أمر أتيل، ويقال هو غزو، وملك الأستار - وما أدرى معنى هذه اللفظة - واسميه أريوح، وملك كوت ومعناه ملك أمم أو جماعة واسميه تزعال. وكان ملوك كنعان الذين خرجوا إليهم خمسة على عدد القرى الخمسة، وذلك أن ملك الأهواز كان استعبدتهم أثني عشرة سنة ثم عصوا، فزحف إليهم واستجاش بالملوك المذكورين معه، فأصابوا من أهل جبال يسعين إلى فاران التي في البرية، وكان بها يومئذ الجريون من شعوب كنعان أيضاً.

فاستغل بالعبادة ودعاه الكلدانيون إلى القيام بالتوحيد فامتنع. ثم قام من بعده ابنه شالخ وعاش طويلاً، وقام من بعده ابنه عابر كذلك، وخرج مع الكلدانيين على التمزود متكرراً لعبادة الهيائل، فغليه تمزود وأخرجه من كوثا، فلحق هو ومن معه من الحلفاء بالجزيرة، وهي مدينة الجدل بين الفرات ودجلة. وعبر هذا هو أبو العبرانيين الذين تكلموا بالعبرانية، واستفحلا ملكه بالجدل. قال ابن سعيد: وورث من بعده ابنه فالغ، وهو الذي قسم الأرض بين ولد نوح، وفي زمانه بنى التمزود الصرح ببابل، وكان من أمره ما نصه القرآن، وقام بأمر فالغ من بعد ابنه ملakan فيما زعموا وغلبه الجرامقة والنبط على ملوكه، وقام بالجدل في ملوكهم إلى أن هلك وخلف ابنه آتياً ويقال له الخضر وأما أرغو بن فالغ فعبر إلى كلوازاً، ودخل في دين النبط، وهي بدعة الصابية، وولد له من هم ابنه شاروخ، ثم بعده ناحور بن شاروخ، ثم بعده تارح بن ناحور الذي سمي آزر، واستخلص التمزود آزر وقدمه على بيت الأصنام، والتمزود من ملوك الجرامقة وأسمه هاصد بن كوش. انتهى كلام ابن سعيد.

وولد تارح وهو آزر على ما وقع في التوراة ثلاثة من الولد إبراهيم وناحور وهاران، ومات هاران في حياة أبيه تارح وترك ابنه لوطاً فهو ابن أخي إبراهيم. قال الطبرى: ولد إبراهيم الخليل قبل بناحية كوتا من السواد وهو قول ابن إسحاق، وقيل بحران وقيل ببابل، وعامة السلف أنه ولد على عهد غزو، وبنان بن كوش بن سام. وكان الكهان يتحدثون بولاده رجل مختلف الدين ويكسر الأصنام والأوثان، فأمر بذبح الرولدان فولدتته أمه وتركته بمغاربة في فللة من الأرض حتى كبر وشب، ورأى في الكواكب ما رأه وكملت نبوته، فأخذته إلى أبيه ودعاه إلى التوحيد، فامتنع وكسر إبراهيم الأصنام وأحضر عند غزو، وقفز في النار، فصارت بردًا وسلامًا، وخرج منها ولم تعد عليه كما نص ذلك القرآن.

ثم تدبّر التمزود في أمره، وطلب من إبراهيم أن يقرب قرباناً يفتدي ما دعاه إليه، فقال له إبراهيم: لن يقبل منك إلا الإيمان، فقال: لا أستطيع. وترك إبراهيم شأنه. ثم أمر الله إبراهيم بالخروج من أرض الكلدانيين ببابل، فخرج به أبوه تارح ومعهما على ما في التوراة ابنه ناحور بن تارح، وزوجته ملكاً بنت أخيه هاران، وحافده لوط بن هاران، قال في التوراة: وكته سارة يعني زوج إبراهيم، فقيل إنها اخت ملكاً بنت هاران بن تارح، وقيل بنت ملك حران، طعنت على قومها في الدين، فتزوجها إبراهيم على أن لا يضرها. ويرد هذا ما في التوراة أنها خرجت معهم من

الملاك لها ياسحق وابنه يعقوب ما قصه القرآن، وكانت الشارة ياسحق وإبراهيم ابن مائة سنة وسارة بنت تسعين. وفي التوراة أنه أمر أن يحرر ولده إسماعيل لثلاث عشرة سنة من عمره، ولكل من في بيته من الأحرار فكان ذلك لتسعة وتسعين من عمر إبراهيم، وقال له: ذلك عهدبني وبينك وذرتك.

ثم أملك الله المؤتکفة وخجي لوطاً إلى أرض الشام، فكان بها مع عمه إبراهيم صلوات الله عليهما. وولدت سارة إسحاق، وأمر الله إبراهيم بعد ولادة إسماعيل وإسحاق بناء بيت يعبد فيه ويدرك، ولم يعرف مكانه فجعل له علامات تسير معه حتى وقفت به على الموضع، يقال أنها ريح لينة لها رأسان تسير معه حتى تكون بالموضع، ويقال بل بعث معه جبريل لذلك حتى أراه الموضع.

وكان إبراهيم يعتاد إسماعيل لزيارتة، ويقال أنه كان يستأذن سارة في ذلك، وأنها شرطت عليه أن لا يقيم عندهم، وأن إبراهيم وجده امرأة لإسماعيل في غيبة منه وكانت من العمالق، وهي عمارة بنت سعيد بن أسامة بن أكيل، فرأها فظلة غلظة فأوصاها لإسماعيل بأن يحول عنبة بابه، فلما قصت عليه الخبر والوصية قال: ذاك أبي يأمرني أن أطلقك فطلقتها وتزوج بعدها السيدة بنت مضاض بن عمرو الجرمي، وخالفه إبراهيم إلى بيته فسهلت له بالإذن وأحسنت التحية وقررت الوضوء والطعام، فأوصاها لإسماعيل بأنني قد رضيتك عنبة ببابك، ولما قصت عليه الوصية قال: ذلك أبي يأمرني بإمساكك فامسكتها. ثم جاء إبراهيم مرة ثالثة وقد أمره الله بناء البيت وأمر إسماعيل بياعاته، فرفعوها من القواعد وتم بناؤها وأذن في الناس بالحج. ثم زوج لوط ابنته من مدين بن إبراهيم عليهما السلام، وجعل الله في نسلها البركة. فكان منه أهل مدين الأمة المعروفة.

ثم اتلى الله إبراهيم بنجح ابنه في رؤيا رأها وهي وحي، وكانت الفدية وخجي الله ذلك الولد، كما قص في القرآن. واختلف في ذلك النبیع من ولديه فقيل إسماعيل وقيل إسحاق. وذهب إلى كلا القولين جماعة من الصحابة والتابعين. فالقول يласع إسماعيل لابن عباس وابن عمر والشعبي وعاصد والحسن ومحمد بن كعب القرظي. وقد يختلفون له بقوله عليه السلام: أنا ابن الذبحين، ولا تقوى الحجة به لأن عم الرجل قد يجعل أباً يضرب من التجوز لا سيما في مثل هذا الفخر. ويختلفون أيضاً بقوله تعالى: **﴿فَقُسْرَتْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ تَعْقُوبَ﴾**، ولو كان ذيحاً في زمن الصبا لم تصعد الشارة بأبن يكون له، لأن النبیع في الصبا ينافي وجود الولد، ولا تقوى من ذلك حجة، لأن الشارة إنما وقعت على وفق العلم بأنه لا ينجح، وإنما كان ابتلاء لإبراهيم.

وخرج ملك سدوم وأصحابه لمدافعتهم، فانهزم هو والملوك الذين معه من أهل سدوم، وبسامهم ملك الأهواز ومن معه من الملوك، وأسروا لوطاً وسيروا أهله، وغنموا ماشيته. وبلغ الخبر إبراهيم عليه السلام فاتبعهم في ولده ومواليه نحواً من ثمانية وثمانية عشر، وخلفهم بظاهر دمشق فانقضوا وخلص لوطاً في تلك الواقعة، وجاء باهله ومواشيه، وتلقاهم ملك سدوم، واستعظم فعلتهم.

ثم أوحى الله إلى إبراهيم أن هذه الأرض: أرض الكعنانيين التي أنت بها، ملكتها لك ولذرتك وأكثرهم مثل حصى الأرض، وأن ذريتك يسكنون في أرض ليست لهم أربعين سنة ويرجع الحقب الرابع إلى هنا. ثم إن سارة وهب ملوكها هاجر القبطية لإبراهيم عليه السلام لعشر سنين من مصر وقالت لعل الله يرزقك منها ولداً، وكان إبراهيم قد سأله أن يهب له ولداً فوعده به. وكانت سارة قد كبرت وعمقت عن الولد، فولدت هاجر لإبراهيم إسماعيل عليهما السلام لست وثمانين من عمره، وأوحى الله إليه أنى قد باركت عليه وكثيره و يولده لاثنا عشر ولداً، ويكون رئيساً لشعب عظيم. وأدركت سارة الغيرة من هاجر وطلبته منه إخراجها، وأمره الله أن يطيف سارة في أمرها، فهاجر بها إلى مكة ووضعها وابنها بمكان زمزم عند دوحة هنالك وانطلق. فقالت له هاجر: الله أسرك؟ قال: نعم. فقالت: إذا لا يضيعنا. وانطلق إبراهيم وعطش إسماعيل بعد ذلك عطشاً شديداً، وأقام هاجر تردد بين الصفا والمروة، إلى أن صعدت عليها سبع مرات لعلها تجد شيئاً، ثم أتته وهو يفحص برجليه فنبعت زمرة.

وعن السدي: أنه تركه في مكان الحجر، واتخذ فيه عريشاً وأن جبريل هو الذي همز له الماء بعقبه، وأخبر هاجر أنها عين يشرب بها ضيافان الله، وأن أبا هذا الغلام سيجيء ويبناني بيته هذا مكانه. ثم مرت رفقة من جرهم أو أهل بيته من جرهم أقبلوا من كداء، ونزلوا أسفل مكة، فرأوا الطير حائنة، فقالوا: لا نعلم بهذا الوادي ماء، ثم أشرفوا فرأوا المرأة ونزلوا معها هنالك. وعن ابن عباس: كانت أحياها قريباً من ذلك المكان، فلما رأوا الطير تحرّم عليه أقبلوا إليه فوجدوهما فنزلوا معهما حتى كان بها أهل آيات منهم، وشب إسماعيل بينهم وتعلم اللغة العربية منهم، وأعجبهم وزوجوه امرأة منهم، وماتت أمه هاجر فدفنتها في الحجر. ولما رجع إبراهيم وأقام في أهلة بالشام، وبالغ أهل المؤتفكة في العصيان والفالحنة، ودعاهم لوط فنكبوه وأقام على ذلك. قال الطبرى: فأرسل الله رسوله من الملائكة لإهلاكم، ومرروا بإبراهيم فأفاصفهم وخدمتهم، وكان من ضحك سارة وبشارة

بتوريل بن ناحور بن آزر بنته رفqa فزوجها أبوها واحتلماها ومن معها من المحراري وجاء بها إلى إسحاق في حياة أبيه وعمره يومئذ أربعون سنة فتزوجها، ولدت له يعقوب ويعصى توأمين وستذرkr خبرهما. ثم قبض الله عليه إبراهيم صلوات الله عليه يمكن هجرته من أرض كنعان وهو ابن مائة وخمس وسبعين سنة، ودفن مع سارة في مقابر عفرون الحبيبي، وعرف بالخليل لهذا العهد، ثم جعل الله في ذريته النبوة والكتاب آخر النهر.

إسماعيل: فإسماعيل سكن مع جرهم بمكة وتزوج فيهم وتعلم لغتهم وتكلم بها وصار أباً لمن بعده من أجيال العرب، وبعثه الله إلى جرهم والعمالقة الذين كانوا بمكة، وإلى أهل اليمن فآمن بعض وكفر بعض. ثم قبضه الله إليه وخلف ولده بين جرهم، وكانتا على ما ذكر في التوراة اثني عشر أكابرهم بناءً و هو الذي تقوله العرب ثابت ونبت، ثم قيذار وأدييل ويسام ومشمع وذوماً ومساً وحراء وقىماً ويطرور ونافس وقدماً.

قال ابن إسحاق: وعاش فيما ذكر مائة وثلاثين سنة، ودفن في الحجر مع أمه هاجر، ويقال آجر. وفي التوراة أنه قبض ابن مائة وسبعين وثلاثين سنة، وأن شيعته سكنتها من حويلا إلى شور قبالة مصر من مدخل أثور، وسكنوا على حذر شبيب إخوتة. وحويلا عند أهل التوراة هي جنوب برقة واللواء منها قرية من الياء، وشور هي أرض المحاجز، وأثور بلاد الموصل والجزرية. ثم ولـ أمر البيت من بعد إسماعيل ابنه ثابت، وأقام ولده مكة مع أنواعهم جرهم حتى تشعروا وكثر نسلهم وتعددت بطونهم من عدنان في عدد معد، ثم بطنون معد في ربعة ومضر ولـ يـاد وأـثارـ بيـنـ زـارـ بنـ مـعـدـ، فـضـاقتـ بـهـمـ مـكـةـ عـلـىـ مـاـ نـذـكـرـهـ عـنـ ذـكـرـ قـرـيشـ وأـخـبـارـ مـلـكـهـ مـكـةـ، فـكـانـتـ بـطـوـنـ عـدـنـانـ هـذـهـ كـلـهـ مـنـ وـلـدـ إـسـمـاعـيلـ لـابـنـ ثـابـتـ، وـقـيلـ لـقـيـذـارـ، وـلـمـ يـذـكـرـ السـابـقـونـ نـسـلـاـنـ مـنـ وـلـدـ الـآـخـرـينـ، وـتـشـعـبـتـ مـنـ إـسـمـاعـيلـ أـيـضاـ عـنـ جـمـاعـةـ مـنـ أـهـلـ الـعـلـمـ بـالـسـبـبـ بـطـوـنـ قـطـطـانـ كـلـهـ فـيـكـونـ عـلـىـ هـذـاـ أـبـاـ جـمـيعـ الـعـربـ بـعـدـهـ.

إسحاق: وأما إسحاق فاتقام بمكانه في فلسطين، وعمره وعمي بعد الكثير من عمره وبارك على ولده يعقوب فغضب بذلك أخيه عيسى، وهم يقتله فأشارت عليه رفقاً بنت بتوريل بالسير إلى حران عند خاله لابان بن بتوريل، فاتقام عنده وزوجه بيته، فزوجه أولاً الكبرى واسمها ليا وأخدمنها جاريتها زلفة، ثم من بعدها أختها الصغرى واسمها راحيل وأخدمنها جاريتها بلهما. وأول من ولد منها ليا ولدت له روبيل، ثم شمعون، ثم لاوي، ثم يهوذا. وكانت راحيل لا تخيل فرهبت جاريتها بلهما ليتعترب

والقول ياسحق للعباس وعمر علي وابن مسعود وكعب الأخبار وزيد بن أسلم ومسروق وعكرمة وسعيد بن جبير وعطاء والزهرى ومكحول والسدى وقادة.

وقال الطبرى: والراجح أنه إسحاق لأن نص القرآن يقتضى أن النبیع هو المبشر به، ولم يبشر إبراهيم بولد إلا من زوجته سارة مع أن البشرة وقعت إجابة للدعائے عند مهاجره من أرض بابل. وقوله إبني ذاہب إلى ربي سبیدین، ثم قال عقبة: رب هب لي من الصالحين، ثم قال عقبة: فبشرناه بغلام حليم. وذلك كله كان قبل هاجر، لأن هاجر إنما ملكتها سارة بمصر، وملكتها لإبراهيم بعد ذلك بعشر سنين، فالبشر به قبل ذلك كله إنما هو ابن سارة، فهو النبیع بهذه الدلالـةـ القاطـعـةـ. وبـشـارـةـ المـلـاـثـةـ لـسـارـةـ بـعـدـ ذـكـرـ حـيـنـ كـانـواـ ضـيـوفـاـ عـنـ إـبـراهـيمـ فـيـ مـسـيرـهـ لـهـ لـهـ لـاـلـاـكـ سـدـوـمـ، إـنـماـ كـانـ تـجـهـيدـاـ لـلـبـشـارـةـ الـمـتـقـدـمـةـ اـهـ.

ثم توفيت مائة وسبعين من عمرها، وذلك في قرية جيرون من بلاد بني حبيب الكعنانيين، فطلب إبراهيم منهم مقبرة لها، فوهبه عفرون بن صخر مقابرة كانت في مزرعته، فامتنع من قبولها إلا بالشمن، فأجاب إلى ذلك، وأعطاه إبراهيم أربعمائة مثقال فضة ودفن فيها سارة. وتزوج إبراهيم من بعلها قطروا بنت يقطان من الكعنانيين. وقال السهيلي: قطروا بزيادة ثون بين القاف والطاء، وهذا الاسم أجمعي وطاوه قرية من الثاء، فولدت له كما هو مذكور في التوراة ستة من الولد وهم: زمان، يقشان، مدان، مدبن، أشيق، شوخ.

ثم وقع في التوراة ذكر أولادهم فولد يقشان سبا وددان، وولد ددان أشور ثم ولطوسين ولايم. وولد مدبن عيماً وعيفين وحنوخ وأفيداع والزارع. هذا آخر ولده من قطروا في التوراة. وقال السهيلي: كان لإبراهيم عليه السلام أولاد آخرون: خمسة من امرأة اسمها حجين أو حجون بنت أهيب، وهـمـ كـبـسانـ وـفـرـوخـ وأـمـيمـ وـلـوـطـانـ وـنـافـسـ. ولـاـ ذـكـرـ الطـبـرـيـ بـنـيـ قـطـطـرـاـ الـسـتـةـ وـسـمـيـ مـنـهـ يـقـشـانـ، قالـ بـعـدـهـ: وـسـائـرـهـ مـنـ الـأـخـرـيـ وهـيـ رـعـوةـ. ثم قال: ومن يقشان جيل البربر اه.

فولد إبراهيم على هذا ثلاثة عشر: فإسماعيل من هاجر، وإسحاق من سارة، وستة من قطروا كما ذكر في التوراة، والخمسة بنت حجين عند السهيلي، أو رعوة عند الطبرى.

وكان إبراهيم عليه السلام قد عهد لابنه إسحاق أن لا يتزوج في الكعنانيين، وأكـدـ العـهـدـ وـالـوـصـيـةـ بذلكـ لـوـلـاـهـ لـقـائـمـ عـلـىـ أـمـرـهـ، ثم بـعـثـ إـلـىـ حرـانـ مـهـاجـرـهـ الـأـوـلـ، فـخـطـبـ مـنـ اـبـنـ أـخـيـهـ

وطالبهم بحضور أخيهم فكان ذلك كله سبباً لاجتماعه بهم  
يعقوب بعد أن كبر وعمي.

قال ابن إسحاق: كان ذلك لعشرين سنة من مغيبه، ولما  
وصل يعقوب إلى بلليس قريباً من مصر، خرج يوسف ليلقاءه،  
ويقال خرج فرعون معه، وأطلق لهم أرض بلليس يسكنون بها  
ويستشعرون. وكان وصول يعقوب صلوات الله عليه في سبعين راكباً  
من بنيه، ومعه أبواب النبي من بيته عيسو، وهو أبواب بن برحان  
زيرج بن رعوبيل بن عيسو، واستقروا جميعاً بمصر ثم قبض  
يعقوب صلوات الله عليه لسبعين سنة من مقدمه ولائحة وأربعين  
من عمره، وحمله يوسف صلوات الله عليه إلى أرض فلسطين،  
وخرج معه أكابر مصر وشيوخها بإذن من فرعون. واعتراضهم  
بعض الكنتنيين في طريقهم، فألقعوا بهم، واتهوا إلى مقبرة  
إبراهيم وإسحاق عليهم السلام دفنته في المغاربة عندهما، وانتقلوا  
إلى مصر، وأقام يوسف صلوات الله عليه بعد موته أيامه ومعه  
إخوته إلى أن أدركه الوفاة فقبض مائة وعشرين سنة من عمره،  
واردج في ثابوت وختم عليه، ودفن في بعض مباري البيل. وكان  
يوسف أوصى أن يحمله عند خروجه بيني إسرائيل من مصر. ولما قبض  
في مدفن هنالك ولم تزل وصيته محفوظة عندهم إلى أن حل موسى  
صلوات الله عليه عند خروجه بيني إسرائيل من مصر. ولما قبض  
يوسف صلوات الله عليه وبقي من بيته من الأسباط إخوه وبينيه  
تحت سلطان الفراعنة مصر، تشعب نسلهم وتعددوا إلى أن كثروا  
أهل الدولة وارتباوا بهم فاستعبدوهم.

قال المسعودي: دخل يعقوب إلى مصر مع ولده الأسباط  
وأولادهم حين أتوا إلى يوسف في سبعين راكباً، وكان مفاجئهم  
بحصره إلى أن خرجموا مع موسى صلوات الله عليه نحو مائتين  
وعشر سنين، فتدواهم ملوك القبط والعمالقة بعصر، ثم أحصاهم  
موسى في بيته، وعد من يطبق حل السلاح من ابن عشرين فما  
فوقها فكانوا ستمائة ألف ويزيدون. وقد ذكرنا ما في هذا العدد  
من الوهم والغلط في مقدمة الكتاب، فلا نطول به. ووقوعه في  
نص التوراة لا يقضى بتحقيق هذا العدد لأن المقام للبالفة، فلا  
تكون إعداده نصوصاً. وكان ليوسف صلوات الله عليه من الولد  
كثير، إلا أن المعروف منهم اثنان: أفراداً ومنشى وهما معدودان  
في الأسباط، لأن يعقوب صلوات الله عليه أدركهما وبارك عليهما  
وجعلهما من جلة ولده.

وقد يزعم بعض من لا تتحقق عنده أن يوسف صلوات الله  
عليه استقل آخرأً بذلك مصر. وينسب لبعض ضعفة المفسرين  
ويعتمدتهم في ذلك قول يوسف عليه السلام في دعاته: رب قد

لتلد منه، فولدت له دان ثم نفتالي. ولما فعلت ذلك راحيل وهبت  
أختها لها ليعقوب عليه السلام جاريتها زلفة فولدت له كاد وأشر،  
ثم ولدت لها من بعد ذلك يساخر، ثم زبولون، فكملاً له بذلك  
عشرة من الولد. ثم دعت راحيل الله عز وجل أن يهب لها ولداً  
من يعقوب فولدت يوسف، وقد كملت له مجران عشرون سنة،  
ثم أمر بالرحيل إلى أرض كنعان التي وعدوا بذلكها. فارحل وخرج  
لابان في اتباعه وعزم له في المقام عنده فألي، فودعه وانصرف إلى  
حران وسار يعقوب لوجهه حتى إذا قرب من بلد عيسو، وهو  
جبل يسعين بأرض الكرك والشوبك لهذا العهد، اعترضه عيسو  
لتلقيه وكرامته، فأهدي إليه يعقوب من ما شنته هدية احتفل فيها،  
وتعدد إليه بالحضور والتضرع، فذهب ما كان عند عيسو وألوحى  
الله إليه بأن يكون اسمه إسرائيل، ومر على أرشاليم وهي بيت  
المقدس فاشترى هنالك مزرعة ضرب فيها فساططه وأمر بناء  
مرجع سماه إيل في مكان الصخرة.

يوسف: ثم حلت راحيل هنالك فولدت له بنيامين، وماتت  
من نفاسه ودفنتها في بيت لحم. ثم جاء إلى أبيه إسحاق بقرية  
جيرون من أرض كنعان فاقام عنده.

ومات إسحاق عليه السلام مائة وثمانين سنة من عمره  
ودفن مع أبيه في المغاربة، وأقام يعقوب بمكانه وولده عنده، وشب  
يوسف عليه السلام على غير حالم من كرامة الله به، وقص  
عليهم رؤياه التي بشّر فيها بأمره فغضروا به وخرجوه معه إلى  
الصيد، فالقروه في الجب واستخرجه السيارة الذين مروا به بعد  
ذلك وباعوه للعرب بعشرين مثقالاً.

ويقال: إن الذي تولى بيعه هو مالك بن دعر بن واين بن  
عييناً بن مدين. وأشتراه من العرب عزيز مصر وهو وزيرها أو  
صاحب شرطتها. قال ابن إسحاق واسمه أطفيه بن رجب وقيل  
قوطيه. وكان ملكها يومئذ من العمالق، الريان بن الوليد بن  
دومع، وربى يوسف عليه السلام في بيت العزيز فكان من شأنه  
مع امرأه زليخا، ومكثه في السجن، وتعبره الرؤيا للمحبوبين  
من أصحاب الملك ما هو مذكور في الكتاب الكريم. ثم استعمله  
ملك مصر عندما خشي السنة والغلاء على خزانة الرزق في سائر  
ملكته، يقدر جعلها وتصريف الأرزاق منها وأطلق يده بذلك في  
جميع أعماله، وألبسه خاتمه وحمله على مركبته، ويوسف لذلك  
العهد ابن ثلاثين سنة. فقيل عزل أطفيه العزيز ووالاه، وقيل بل  
مات أطفيه فتزوج زليخا وتولى عمله وكان ذلك سبباً لانتظام  
شمله بأبيه وإخوته لما أصابتهم السنة بارض كنعان وجاء بعضهم  
للميرية، وكال لهم يوسف عليه السلام، ورد عليهم بضاعتهم

الجبل الأخر الذي لا نبات به. وقد يقع لبعض المؤرخين أن القياصرة ملوك الروم من ولد عيسو، وقال الطبرى: أن الروم وفارس من ولد رعوبيل بن باسمت. وليس ذلك كله بصحيح ورأيته في كتاب يوسف بن كرمون: مؤرخ العمارة الثانية بيت المقدس قبل الجلوة الكبرى، وكان من كهنتينا اليهود وهو قريب من الغلط.

قال ابن حزم في كتاب الجمهرة: وكان لإسحاق عليه السلام ابن آخر غير يعقوب اسمه عيصاب أو عيسو، كان بنوه يسكنون جبال الشراة بين الشام والهزار، وقد بادروا جلة، إلا أن قوماً يذكرون أن الروم من ولده وهذا خطأ. وإنما وقع لهم هذا الغلط لأن موضعهم كان يقال له أدوم فظنوا أن الروم من ذلك الموضع، وليس كذلك لأن الروم إنما نسبوا إلى رُّسُس باني روما، فإن ظن ظان أن قول النبي ﷺ للحر بن قيس: هل لك في بلاد بي الأصفر العام، وذلك في غزوة تبوك، يدل على أن السروم من بي الأصفر وهو عيصاب المذكور وليس كما ظن. وقول النبي ﷺ حق، وإنما عن عليه السلام بني عيصاب على الحقيقة لا الروم، لأن مغزاه عليه الصلاة والسلام في تلك الغزوة كان إلى ناحية الشراة مسكن القوم المذكورين أه. كلام ابن حزم.

وزعم أهروشيوس مؤرخ الروم أن أم الفيتان وهاؤا وعالوم وقدوح الأربعية من بنات كاتيم بن يوان بن يافث، والأول أصح لأنه نص التوراة. ثم كثر نسل بي عيصاب بأرض يسعين وغلبوا الحربين على تلك البلاد وغلبوا بي مدين أيضاً على بلادهم إلى آيله. وتناولوا منهم ملوك وعظماء كان منهم فالغ بن ساعور، وبعده بودب بن زيدح، ثم كان منهم هداد بن مداد الذي أخرج بي مدين عن مواطنهم، ثم كان فيهم بعده ملوك إلى أن زحف يوشع إلى الشام وفتح أرجعاً وما بعدهما وانتزع الملك من جميع الأمم الذين كانوا هناك، ثم استحلهم حتى تنصر عندما ملك أرض القدس، ولحق بعضهم بأرض يونان، وبعضهم بإفريقية. وأما عمالق بن اليافاز فمن عقبه عند الإسرائييلين عمالة الشام، وفي قول فراعنة مصر من القبط ونساب العرب يتأبون من ذلك ونسبوهم إلى عمالق بن لاوذ كما مر. ثم بنو يروم وكتعان ولم يبق منهم عن تطرف والله الباقى بعد فناء خلقه.

مدين: وأما مدين بن إبراهيم فتزوج بابنة لوط وجعل الله في نسلها البركة، وكان له من الولد خمسة: عيضاً وعيفين وحنوخ وأندياغ والزاعا. وقد تقدم ذكرهم في ولد إبراهيم من قطورة، فكان منهم مدين أمة كبيرة ذات بطن وشعبون، وكانتوا من أكبر قبائل الشام وأكثراهم عدداً، وكانت مواطنهم تجاور أرض معان

آتيتني من الملك. ولا دليل لهم في ذلك لأن كل من ملك شيئاً ولو في خاصة نفسه فاستيلاؤه يسمى ملكاً حتى البيوت والقرى والخادم، فكيف من ملك التصرف ولو كان في شعب واحد منها فهو ملك، وقد كان العرب يسمون أهل القرى والمداشر ملوكاً، مثل هجر ومعان ودومة الجندي، فيما ظلت بوزير مصر لنملك العهد وفي تلك الدولة، وقد كان في الخلافة العباسية تسمى ولاة الأطراف وعمالها ملوكاً، فلا استدلال لهم في هذه الصيغة، وأخرى أيضاً فيما يستدللون به من قوله تعالى: «وَكَذَلِكَ مَكَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ» أن لا يكون لهم فيه مستند لأن التمكين يكون بغير الملك. ونص القرآن إنما هو بولايته على أمور الزرع في جمه وتفريقه كما قال تعالى: «إِجْعَلْنِي عَلَى خَرَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِظْتُ عَلَيْمَ». ومساق القصة كالماء أنه مرؤوس في تلك الدولة بجرائم الحال كلها لا ما يتوهم من تلك اللحظة الواقعة في دعائه، فلا نعدل من النص المحرف بالقرائن إلى هذا التوهم الضعيف، وأيضاً فالقصة في التوراة قد وضعت صريحة في أنه لم يكن ملكاً ولا صار إليه ملك. وأيضاً فالأمر الطبيعي من الشوكة والقطامة له يدفع أن يكون حصل له ملك، لأنه إنما كان في تلك الدولة قبل أن يأتي إليه إخوهه منفرداً لا يملك إلا نفسه ولا يتأنى الملك في هذا الحال وقد تقدم ذلك في مقدمة الكتاب والله أعلم.

عيصو: وأما عيصو بن إسحاق فسكن جبال بي يسعين من بي جوى، إحدى شعوب كنعان، وهي جبال الشراة بين تبوك وفلسطين وتعرف اليوم ببلاد كرك والشوبك، وكان من شعوبهم هناك على ما في التوراة بنو لوطان وبنو شوبال وبنو سقرون وبنو عنا وبنو ديشوق وبنو يصد وبنو ديسان سبعة شعوب. ومن بي ديشون الأشبان، فسكن عيصو بينهم بذلك البلاد، وتزوج منهم من بنات عنا بن يسعين من جوى، وهي أهل قياماً، وتزوج أيضاً من بنات حي من الكعناعيين عاذًا بنت أيلول، وباست بنت إسماعيل عليه السلام. وكان له من الولد خمسة مذكورون في التوراة وأكبرهم اليافاز، بالفاء المفخمة وإشباع حركتها وزاي مجعمة من بعدها من عاذًا بنت أيلول، ثم رعوبيل من بحسبت بنت إسماعيل، ثم يعيش ويعلام وقرور من أهل قياماً بنت عنا. وولد اليافاز ستة من الولد ثيمال وأومار وصفرو وكعاتم وقتلت وعملت السادس، لسرية اسمها متعاج وهي شقيقة لوطان بن يسعين. وولد رعوبيل بن عيصو أربعة من الولد ناحة وزيد وشتماً ومراً. هكذا وقع ذكر ولد العيص وولدهم في التوراة. وفيها أن العيص اسمه أدوم، فلذلك قبل لهم بنو أدوم، ولبعض الإسرائييلين أن أدوم اسم لذلك الجبل ومعناه بالعبرانية

وبلدات ويثنيل. وكان له من سرية اسمها أدواماً أربعة من الولد وهم: طالع وكاحم وناخش وناعخاً. هؤلاء ولد ناحور أخي إبراهيم كلهم مذكورون في التوراة وهم اثنا عشر ولداً، وهؤلاء كلهم بادروا وانقرضوا، ولم يبق منهم إلا الأرمن من قومييل بن ناحور أخي إبراهيم عليه السلام ابن آزر وهو لهذا العهد على دين النصرانية ومواطنهما في أرمénia شرقى القسطنطينية، والله وارت الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين. وهذا آخر الكلام في الطبقة الأولى من العرب ومن عاصرهم من الأسماء، ولترجع إلى أهل الطبقة الثانية وهم العرب المستعيرية، والله سبحانه وتعالى الكفل بالإعنة.

## الطبقة الثانية من العرب وهم العرب المستعيرية وذكر أنسابهم وأيامهم وملوكهم والإمام بعض الدول التي كانت على عهدهم

إنما سمي أهل هذه الطبقة بهذا الاسم لأن السمات والشاعر العربية لما انتقلت إليهم من قبلهم، اعتبرت فيها الصيرورة، يعني أنهم صاروا إلى حال لم يكن عليها أهل نسبهم، وهي اللغة العربية التي تكلموا بها، فهو من استعمل يعني الصيرورة من قوتهم: استتوّق الجمل، واستتجّر الطين. وأهل الطبقة الأولى لما كانوا أقدم الأسماء فيما يعلم جيلاً كانت اللغة العربية لهم بالأصلّة وقبل العاربة.

واعلم أن أهل هذا الجيل من العرب يعرفون باليمينية والسيانية، وقد تقدم أن نسبة بين إسرائيل يزعمون أن أباهم سبا من ولد كوش بن كعنان، ونسبة العرب يابون ذلك ويدفعونه، والصحيح الذي عليه كافتهم أنهم من قحطان، وأن سبا هو ابن يشجب بن يعرب بن قحطان. وقال ابن إسحاق: يعرب بن يشجب قدم وأخر. وقال ابن ماكولا على ما نقل عن عنه السهيلي: اسم قحطان مهزّم. وبين النسبة خلاف في نسب قحطان: ققيل هو ابن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام أبوه فالغ ويقطن، ولم يقع له ذكر في التوراة، وإنما ذكر فالغ ويقطن. وقيل هو معرّب يقطن لأنّه اسم أعمجي والعرب تتصرّف في الأسماء الأعمجية بتبديل حروفها وتغييرها وتقديم بعضها على بعض. وقيل: إن قحطان بن يبن بن قيدار، وقيل: إن قحطان من ولد إسماعيل. وأصبح ما قيل في هذا أنه قحطان بن يبن بن قيدار، ويقال الميسع

من أطراف الشام مما يلي الحجاز قريباً من مجيرة قوم لوط، وكان لم ينغلب بذلك الأرض فغتوا وغدوا وعبدوا الآلهة، وكانتوا يقطعون السبل ويبخسون في المكيال. وبعث الله فيهم شعيباً نبياً منهم، وهو ابن نوبل بن رعييل بن عيا بن مدین. قال المسعودي: مدین هؤلاء من ولد الحضر بن جندل بن يعصب بن مدین، وأن شعيباً آخرهم في النسب، وكانتوا ملوكاً عدة يسمون بكلمات أجده إلى آخرها وفيه نظر. وقال ابن حبيب في كتاب البدء: هو شعيب بن نوبل بن أحزم بن مدین.

وقال السهيلي: شعيب بن عيفاً، ويقال ابن صيفون، وشعيب هذا هو شعيب موسى الذي هاجر إليه من مصر أيام القبط واستاجره على إنكاح ابنته إيه على أن يخدمه ثمانين سنين، وأخذ عند آداب الكتاب والنبوة حسبما يأتي عند ذكر موسى صلوات الله عليهما وأخبار بي إسرائيل. وقال الصimirي: الذي استأجر موسى وزوجه: هو بشر بن رعييل، ووقع في التوراة أن اسمه بشر وأن رعييل أبيه أو عمه هو الذي تولى عقد النكاح. وكان للدين هؤلاء مع بني إسرائيل حروب بالشام، ثم تغلب عليهم بني إسرائيل وانقرضوا جميعاً.

لوط: وأما لوط بن هاران أخي إبراهيم عليهم السلام فقد تقدم من خبره مع قومه ما ذكرناه هنالك، ولما نجا بعد هلاكهم لحق بارض فلسطين، فكان بها مع إبراهيم إلى أن قبضه الله، وكان له من الولد على ما ذكر في التوراة عصرون بشديد اليمس وإشباع حركتها بالضم ونون بعدهما، وموأئي بإشباع ضمة اليمس وإشباع فتح المزة بعدهما وباء تحنيّة وبعدها ياء ساكنة هوانية، وجعل الله في سلالمها البركة، حتى كانوا من أكثر قبائل الشام، وكانت مساكنهم بأرض البلقاء ومداتها في بلد موآئي ومعان وما والأهـما، وكانت لهم مع بني إسرائيل حروب ذكرها في أخبارهم، وكان منهم بلعام بن بساعور بن رسيم بن موآئي، وقصته مع ملك كعنان حين طلبه في الدعاء على بني إسرائيل أيام موسى صلوات الله عليه وان دعاءه صرف إلى الكعنانيين، مذكورة في التوراة ونوردها في موضعها.

وأما ناحور آخر إبراهيم عليه السلام فقد تقدم ذكره أنه هاجر مع إبراهيم عليه السلام من بابل إلى حران، ثم إلى الأرض المقدسة، فكان معه هنالك، وكانت زوجته ملكاً بنت أخيه هاران، وملكها هذه هي اخت سارة زوج إبراهيم عليه السلام وأم إسحاق، وكان لناحور من ملكاً على ما وقع في نص التوراة ثمانية من الولد: عوص وبوص وعموب وهو أبو الأرمن، وكاس ومنه الكلدانيون الذين كان منه يختنصر وملوك بابل، وحذو وبلدادس

يعقب منهم أحد، ثم ذكر ابنيين منهم دخلوا في حمير، ثم ذكر الحروث بن قحطان، وقال: فولد فيما يقال له لاسور، وهم رهط حنظلة بن صفوان نبي الرس، والرس ما بين نجران إلى اليمن ومن حضرموت إلى اليمامة، ثم ذكر يعرب بن قحطان وقال: فيهم الحميرية والعداد انتهى.

قال ابن سعيد: وملك بعد يعرب ابنه يشجب وقيل اسمه بن واستبد أعمامه بما في أيديهم من المالك، وملك بعده ابنه عبد شمس وقيل عابر ويسمى سبا لأنه قبل إنه أول من سن النبي، وبني مدينة سبا وسد مأرب. وقال صاحب التيجان إنه غزا الأقطار وبني مدينة عين شمس بالقليم مصر وولى عليها ابنه بابليون. وكان لسبا من الولد كثير وأشهرهم حمير وكهلان اللذان منها الأمان العظيمتان من اليمنية أهل الكثرة والملك والعز وملك حمير منهم أعظمهم. وكان منهم التابعة كما يذكر في أخبارهم، وعد ابن حزم في ولده زيدان وابنه نجران بن زيدان ويه سميت البلد.

ولا هلك سبا قام بالملك بعده ابنه حمير ويعرف بالعرنخج، وقيل: هو أول من تزوج بالذهب ويقال إنه ملك خمسين سنة، وكان له من الولد ستة فيما قال السهيلي: وائل ومالك وزيد وعامر وعرف وسعد. وقال أبو محمد بن حزم: الميسع ومالك وزيد ووائل ومشروع ومعديكرب وأوس ومرة. عاش فيما قال السهيلي ثلثمائة سنة، وملك بعده ابنه وائل وتغلب أخوه مالك بن حمير على عمان، فكانت بينهما حروب. وقال ابن سعيد: إن الذي ملك بعد حمير على عمان، فكان بينهما حروب. وقال ابن سعيد: إن الذي ملك بعد حمير آخره كهلان، ومن بعده وائل بن حمير، ثم من بعد وائل السكك بن وائل، وكانت مالك بن حمير قد هلك وغلب على عمان بعده ابنه قضاة فحاريه السكك وأخرجها عنها، وملك بعده ابنه يغفر بن السكك، وخرجت عليه الشوارج، وحاربه مالك بن الحاف بن قضاة، وطالت الفتنة بينهما، وهلك يغفر وخلف ابنه النعمان حلاً ويعرف بالمعاف، واستبدل عليه من بي حمير ماران بن عوف بن حمير ويعرف بذري رياش وكان صاحب البحرين، فنزل نجران واشتغل بحرب مالك بن الحاف بن قضاة.

ولا كبر النعمان حبس ذاريash واستبدل بأمره وطال عمره وملك بعده ابنه أسجم بن المعاف، فاضطربت أحوال حمير، وصار ملكهم طوائف إلى أن استقر في الرايش وبني التابعة كما ذكره. ويقال إن بي كهلان تداولوا الملك مع حمير هؤلاء، وملك منهم جبار بن غالب بن كهلان، وملك أيضاً من شعوب قحطان

بن مين بن قيدار، وأن مين هذا سميت به اليمن. وقال ابن هشام: أن يعرب بن قحطان كان يسمى بمنا وبه سميت اليمن. فعلى القول بأن قحطان من ولد إسماعيل تكون العرب كلهم من ولده لأن عدنان وقططان يستوعبان شعوب العرب كلها.

وقد احتاج لذلك من ذهب إليه بأن النبي ﷺ قال لرماء الأنصار: «ارموا يا بني إسماعيل فإن أبيكم كان راما». والأنصار من ولد سبا وهو ابن قحطان، وقيل: إنما قال ذلك لقوم من أسلم من أقصى إخوة خزاعة بن حارثة بناء على أن نسبهم في سبا. وقال السهيلي: ولا حجة في شيءٍ منها لأنه إذا كانت العرب كلها من ولد إسماعيل، فهذا من السهيلي جنوح إلى القول بغيره من اللقب وهو ضعيف. ثم قال: وال الصحيح أن هذا القول إنما كان منه لله لأسلام كما قدمناه وإنما أراد أن خزاعة من معد بن إلياس بن مضر وليسوا من سبا، ولا من قحطان كما هو الصحيح في نسبهم على ما يأتي. واحتاجوا أيضاً لذلك بأن قحطان لم يقع له ذكر في التوراة كما تقدم، فدل على أنه ليس من ولد عابر فترجح القول بأنه من إسماعيل، وهذا مردود بما تقدم أن قحطان مغرب يقطن وهو الصحيح، وليس بين الناس خلاف في أن قحطان أبو اليمن كلام.

ويقال: إنه أول من تكلم بالعربية ومعنىه من أهل هذا الجبل الذين هم العرب المستعربة من اليمنية، وإلا فقد كان للعرب جبل آخر وهو العرب العاربة، ومنهم تعلم قحطان تلك اللغة العربية ضرورة ولا يمكن أن يتكلم بها من ذات نفسه. وكان بنو قحطان هؤلاء معاصرین لإخوانهم من العرب العاربة ومظاهرين لهم على أمرهم، ولم يزالوا مجتمعين في مجالات الbadia مبعدين عن رتبة الملك وترفه الذي كان لأولئك فأصبحوا منتجة من المرم الذي يسوق إلى الترف والضارة، فتشعبت في أرض الفضاء فصالهم، وتعدد في جو الفقر أناخاذهم وعشائرهم ونما عددهم، وكثرت إخوانهم من العمالة في آخر ذلك الجبل، وزاحموهم مناكمهم، واستجدوا خلق الدولة بما استألفوه من عزهم، وكانت الدولة لبني قحطان متصلة فيهم، وكان يعرب بن قحطان من أعلام ملوك العرب. يقال: إنه أول من حيَّ قومه بتحية الملك. قال ابن سعيد: وهو الذي ملك بلاد اليمن وغلب عليها قوم عاد، وغلب العمالة على الحجاز، وولى إخوته على جميع أعمالهم، فولى جرهما على الحجاز، وعاد بن قحطان على الشحر، وحضرموت بن قحطان على جبال الشحر، وعمان بن قحطان على بلاد عُمان. هكذا ذكر البيهقي.

وقال ابن حزم: وعد لقحطان عشرة من الولد وأنه لم

أي السد ويقال إن الذي بني السد هو حمير أبو القبائل اليمنية كلها قال الأعشى:

فسي ذلك للمؤتسي أسوة مأرب غطى عليه العرم رخام بناء هسم حمير إذا جاءه من رامه لم يرم وقيل بناء لقمان الأكبر ابن عاد كما قاله المسعودي، وقال: جعله فرسخاً في فرسخ، وجعل له ثلاثين شعباً. وقيل: وهو الآيق والأصوب أنه من بناء سبا بن يشجب، وأنه ساق إليه سبعين واديًّا، ومات قبل إقامته، فاتمه حمير من بعده. وإنما رجحناه لأن المبني العظيمة، والمحاياكل الشاغفة، لا يستقل بها الواحد كما قدمنا في الكتاب الأول، فاقاموا في جناته عن اليمين والشمال كما وصف القرآن. ودولتهم يومئذ في جناته عن اليمين والشمال كما وصف القرآن ودولتهم يومئذ أوفرما كانت، وأترف وأبذخ وأعلى يداً وأظهر، فلما طغوا وأعرضوا سلطان الله عليهم الخلد، وهو الجرذ فتقبه من أسفله فأسحقوهم السيل، وأغرق جناتهم، وخربت أرضهم، وتعرق ملوكهم، وصاروا أحاديث.

وكان هؤلاء التابعة ملوكاً عدة في عصور متعددة في عصور متعددة، وأحثاب متطاولة، ولم يضطههم الحصر، ولا تقييدت منهم الشوارد، وررعا كانوا يتتجاوزون ملك اليمن إلى ما بعد عنهم من العراق والمند المغرب تارة، ويقترون على ينهم أخرى، فاختللت أحواضهم ودولهم، فلنات بما صبح منها مترياً جهد الاستطاعة عن طموس من النكر، واقتقاء التقاليد المرجوع إليها والأصول المعتمد على نقلها، وعدم الوقوف على أخبارهم مدونة في كتاب واحد والله المستعان.

قال السهيلي: معنى تبع الملك المتبع. وقال صاحب المكمن: التابعة ملوك اليمن وأحددهم تبع لأنهم يتبع بعضهم بعضاً كلما هلك واحد قام آخر تابعاً له في سيرته، وزادوا البناء في التابعة لإرادة النسب. قال الزخري: قيل للملك اليمن التابعة لأنهم يتبعون، كما قيل للأقبائل لأنهم يتقلدون. قال المسعودي: ولم يكونوا يسمون الملك منهم تبعاً حتى يملأ اليمن والشحر وحضرموت، وقيل حتى يتبعه بنو جشم بن عبد شمس، ومن لم يكن له شيء من الأمراء فيسمى ملكاً ولا يقال له تبع.

وأول ملوك التابعة باتفاق من المؤرخين، الحرش الرائش، وإنما سمي للرائش لأنه راشر الناس بالعطاء. واختلف الناس في نسبة بعد اتفاقهم على أنه من ولد واثل بن الغوث بن حيران بن قطن بن عريب بن زهير بن أبيين بن المسيب بن حمير. فقال ابن إسحاق وأبو المنذر بن الكلبي أن قيساً بن معاوية بن جشم، فابن إسحاق يقول في نسبة إلى سبا: الحرش بن عدي بن صيفي، وابن

محران بن زيد بن عرب بن قحطان، وملك من حمير هؤلاء ثم من بني المسيب بن حمير أبيين بن زهير بن الغوث بن أبيين بن المسيب، واليه نسب عرب أبيين من بلاد اليمن، وملك منهم أيضاً عبد شمس بن واثل بن الغوث بن حيران بن قطن بن عريب بن زهير بن أبيين بن المسيب بن حمير، ثم ملك من أعقابه شداد بن المطاط بن عمرو بن ذي هرم بن الصوان بن عبد شمس، وبعده أخوه لقمان، ثم أخوهما ذو شدد وهداد ومداشر، وبعده أبنه الصعب ويقال إنه ذو القرنين.

وبعده أخوه الحرش بن ذي شدد، وهو الرائش جد الملوك التابعة. وملك في حمير أيضاً من بني المسيب من بني عبد شمس هؤلاء حسان بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس.

قال أبو المنذر هشام بن الكلبي في كتاب الأنساب ونقله من أصل عتيق بخط القاضي المحدث أبي القاسم بن عبد الرحمن بن حبيش قال: ذكر الكلبي عن رجل من ذي الكلاع قال: أقبل قيس يحرق موضعًا باليمن، فلابد عن أزوج، فدخل فيه، فوجد سريراً عليه رجل ميت وعليه جباب وشيء منهبة، في رأسه تاج، وبين يديه مجحن من ذهب، وفي رأسه ياقوتة حمراء، وإذا لوح مكتوب فيه: بسم الله رب حمير أنا حسان بن عمرو والقيل مات في زمان هيد وما هيد هلك فيها اثنا عشر ألف قيل فكنت آخرهم قبيلًا فابتلاه ذا شعيب ليجيرني من الموت فاخترنني أه كلامه. وقال الطبرى: وقيل أن أول من ملك من اليمن من حمير شمر بن الأملوك كان له عهد موسى عليه السلام وبني طفار وأخرج منها العمالة، ويقال كان من عمال الفرس على اليمن. انتهى الكلام في أخبار حمير الأولى والله سبحانه وتعالى وللي العون.

### الخبر عن ملوك التابعة من حمير وأولياتهم باليمن ومصادر أمورهم

هؤلاء الملوك من ولد عبد شمس بن واثل بن الغوث باتفاق من النسابين، وقد مر نسبه إلى حمير، وكانت مداشر ملوكهم صنعاً، ومارب على ثلاثة مراحل منها، وكان بها السد، ضربته بلقيس مملكة من ملوكهم سداً ما بين جبلين بالصخر والقار، فحققت به ماء العيون والأمطار، وتركت فيه خروقاً على قدر ما يحتاجون إليه في سقيهم، وهو الذي يسمى العرم والسكر وهو جمع لا واحد له من لفظه قال الجعدي:

من سبا الحاضرين مأرب إذ يشنون من دون سيله العرما

استنقذه بعد حين من يده وزيره رستم زحف إليه بمجموع فارس إلى اليمن وحارب ذا الأذعار فغلبه واستخلص كيقاووس من أسره كما نذكره في أخبار ملوك فارس. وقال الطبرى أن ذا الأذعار اسمه عمرو بن أربعة ذي المنار بن الحرث الرائش بن قيس بن صيفي بن سبا الأصغر انتهى. وكان مهلك ذي الأذعار فيما ذكر ابن هشام مسموماً على يد الملكة بلقيس. وملك من بعده المدهاد بن شرحبيل بن عمرو بن ذي الأذعار وهو ذو الصرح وملك ستة عشرأً فيما قال المسعودي. ولملكت بعده ابنته بلقيس سبع سنين. وقال الطبرى: إن اسم بلقيس بنت البشر بن الحرث بن قيس انتهى.

ثم غلبهم سليمان عليه السلام على اليمن كما وقع في القرآن فيقال تزوجها، ويقال بل عزها في الثاني، فتزوجت سدد بن زرعة بن سبا، وأقاموا في ملك سليمان وإبنته أربعاً وعشرين سنة. ثم قام بكلكم ناشر بن عمرو ذي الأذعار، ويعرف بناشر النعم، لفظين مركبين جعلا اسمَا واحداً كذا ضبطه الجرجاني. وقال السهيلي: ناشر بن عمرو، ثم قال: ويقال ناشر النعم. وفي كتاب المسعودي ناقص بن عمرو، ولعله تصحيف ونسبه إلى عمرو ذي الأذعار وليس يتحقق في هذه الأساطير كلها أنها للصلب، فإن الآماد طويلة والآحقاق بعيدة، وقد يكون بين اثنين منها عدد من الآباء، وقد يكون ملصلاً به. وقال هشام بن الكلبي: أن ملك اليمن صار بعد بلقيس إلى ناشر بن عمرو بن يعفر الذي يقال له ياسر نعم، لإنعامه عليهم بما جمع من أمرهم وقوتهم من ملوكهم. وزعم أهل اليمن أنه سار غازياً إلى المغرب، فبلغ وادي الرمل ولم يبلغ أحد ولم يجد فيه ججازاً لكثرته الرمل، وعبر بعض أصحابه فلم يرجعوا فأمر بصنم من خاس نصب على شفير الوادي، وكتب في صدره بالخط المستند: هذا الصنم لياسر نعم الحميري ليس وراءه منه ولا يتكلف أحد ذلك فيعطيه انتهى.

ثم ملك بعد ياسر هذا ابنه شمر مرعشن، سمي بذلك لارتفاعه كان به. ويقال أنه وطى أرض العراق وفارس وخراسان وافتتح مدنهما وخرب مدينة الصعدة وراء جيرون، فقالت الجم: «شمر كندي» شمر خرب. وبين مدينة هنالك فسميت باسمه هذه، وعرerte العرب فصار سمرقند. ويقال أنه الذي قاتل قباد ملك الفرس وأسره، وأنه الذي حير الخيرة. وكان ملكه مائة وستين سنة، وذكر بعض الإخباريين أنه ملك بلاد الروم، وأنه الذي استعمل عليهم ماهان قيسر فهلك، وملك بعده ابنه دقيوس. وقال السهيلي في شمر مرعشن الذي سميت به سمرقند أنه شمر بن مالك ومالك هو الأملوك الذي قبل فيه:

الكلبي يقول: الحرث بن قيس بن صيفي. وقال السهيلي: هو الحرث بن همال بن ذي سدد بن الملطاط بن عمرو بن ذي يقدم بن الصوار بن عبد شمس بن ذي سداد بن الملطاط بن عمرو بن ذي يقدم بن الصوار بن عبد شمس بن وائل وجسم جد سبا هو ابن عبد شمس، هذا عند المسعودي. وعند بعضهم أنه أخوه وأنهما معاً ابناً وائل. وذكر المسعودي عن عبيد بن شريدة الجرهمي، وقد سأله معاوية عن ملوك اليمن في خبر طويل ونسب الحرث منهم، فقال: هو الحرث بن شدد بن الملطاط بن عمرو. وأما عند الطبرى فالختلف نسبة في نسب الحرث، فمرة قال: وبيت ملك التباعة في سبا الأصغر ونسبه كما مر. وقال في موضع آخر: والحرث بن ذي شدد هو الرائش جد الملوك التباعية، فجعله إلى شدد ولم ينسبة إلى قيس ولا عدي من ولد سبا. وكذلك اضطررت أباً محمد بن حزم في نسبة في الجمهرة مرة إلى الملطاط ومرة إلى سبا الأصغر، والظاهر أنه تبع في ذلك الطبرى والله أعلم.

وملك الحرث الرائش فيما قالوا مائة وخمساً وعشرين سنة وكان يسمى تبعاً، وكان مؤمناً فيما قال السهيلي. ثم ملك بعده ابنه أربعة ذو المنار مائة وثمانين سنة. قال المسعودي: وقال ابن هشام: أربعة ذو المنار هو ابن الصعب بن ذي ماذير بن الملطاط، وسمي ذا المنار لأنه رفع المنار ليهتدى به، ثم ملك من بعده أفريقش بن أربعة مائة وستين سنة. وقال ابن حزم: هو أفريقش بن قيس بن صيفي أخو الحرث الرائش، وهو الذي ذهب بقبائل العرب إلى أفريقيا، ويه سميت وساق البربر إليها من أرض كنعان، من بها عندما غلبهم يوشق وقتلهم، فاحتل الفيل منهم، وساقهم إلى أفريقيا، فأنزلهم بها، وقتل ملوكها جرجير. ويقال إنه الذي سمي البربر بهذا الاسم لأنه لما افتتح المغرب وسمع رطانthem قال: ما أكثر بربرتهم فسموا البربرة. والبربرة في لغة العرب هي اختلاط أصوات غير مفهومة، ومنه بربرة الأسد.

ولما رجع من غزو المغرب ترك هنالك من قبائل حمير صنهاجة وكتامة فهم إلى الآن بها، وليسوا من نسب البربر، قاله الطبرى والجرجاني والمسعودي وابن الكلبي والسهيلي وجميع النساء.

ثم ملك من بعد أفريقش آخره العبد بن أربعة، وهو ذو الأذعار عند المسعودي قال: سمي بذلك لكثرة ذعر الناس من جوره. وملك خمساً وعشرين سنة، وكان على عهد سليمان بن داود وقبله بقليل، وغزا ديار المغرب، وسار إليه كيقاووس بن كنعان ملك فارس فبارزه وانهزم كيقاووس وأسره ذو الأذعار، حتى

عمرو ذي الأذغار، وبيان أسعد هو حسان تيم وهو فيما يقال أول من كسا الكعبة، وذكر ابن إسحاق الملاه والوصلات، وأوصى ولاته من جرم بتطهيرها وجعل لها باباً ومنتاحاً، وذكر ابن إسحاق أنه أخذ بدين اليهودية، وذكر في سبب تهوده أنه لما غزا إلى الشرق من بالمدينة يثرب فملكتها، وخلف ابنه فيهم، فعدوا عليه وقتلوه غيلة ورئيسهم يومئذ عمرو بن الطلة من بني النجار، فلما أقبل من الشرق وجعل طريقه على المدينة جمعاً على خرابها فجمع هذا الحي من أبناء قيلة لقتاله فقاتلهم، وبينما هم على ذلك جاءه حبران من أخبار يهود من بني قريظة، وقالا له: لا تفعل فإنك لن تقدر وأنها مهاجر نبي قرشي يخرج آخر الزمان فتكون قراراً له، وأنه أعجب بهما واتبعهما على دينهما، ثم مضى لوجهه.

ولقيه دون مكة نفر من هذيل، وأغروره بمال الكعبة وما فيها من الجواهر والكنوز، فنهاه الحبران عن ذلك وقالا له: إنما أراد هؤلاء هلاكك، فقتل النفر من الهذيلين وقدم مكة فأنهرا الحبران بالطراف بها والخضوع، ثم كساها كما تقدم، وأمر ولاتها من جرم بتطهيرها من الدماء والحيض وسائر النجاسات، وجعل لها باباً ومنتاحاً، ثم سار إلى اليمن. وقد ذكر قرمه ما أخذ به من دين اليهودية، وكانتوا يعبدون الأوثان، فتعرضوا لمنه ثم حاكموه إلى النار التي كانوا يحاكمون إليها، فتأكل الظالم وتدع المظلوم، وجاؤوا بأوثانهم، وخرج الحبران متقددان المصاحف، ودخل الحميريون فأكلتهم وأوثانهم، وخرجوا منها ترشح وجوههم وجماهم عرقاً، فآمنت حير عند ذلك، وأجمعوا على اتباع اليهودية.

وأقول السهيلي عن ابن قيبة في هذه الحكاية: أن غزارة تبع هذه إنما هي استصراخة أبناء قيلة على اليهود، فإنهما كانوا نزلاوا مع اليهود حين أخرجوهم من اليمن على شروطه، فنقضت عليهم اليهود فاستغاثوا بتبع فعند ذلك قدمها. وقد قيل: إن الذي استصرخه أبناء قيلة على اليهود إنما هو أبو جبلة من ملوك غسان بالشام، جاء به مالك بن عجلان، فقتل اليهود بالمدينة، وكان من الخزرج كما ذكر بعد. وبعده هذا أن مالك بن عجلان بعيد عن عهد تبع بكثير، يقال أنه كان قبل الإسلام بسبعين سنة ذكره ابن قيبة. وحكي المسعودي في أخبار تبع هذا أن أسد أبو كرب سار في الأرض، ووطأ المالك وذلها ووطئ أرض العراق في ملك الطراف، وعميد الطراف يومئذ خرداد بن مسابور، فلقي ملكاً من ملوك الطراف اسمه قباد، وليس قباد بن فيروز، فأنهزم قباد وملك أبو كرب العراق والشام والنجاشي في ذلك يقول تبع أبو كرب:

نقب عن الأملوك واهتف بذكره، وعش دار عز لا يطالبه النهر وهذا غلط من السهيلي فإنهم مجتمعون على أن الأملوك كان لعهد موسى صلوات الله عليه وشر من أعقاب ذي الأذغار كان على عهد سليمان، فلا يصح ذلك إلا أن يكون شمر أبرهة، ويكون أول دولة التابعة. ثم ملك على التابعة بعد شمر مرعش تبع الأقرن واسم زيد.

قال السهيلي: وهو ابن شمر مرعش وقال الطبري إنه ابن عمرو ذي الأذغار. وقال السهيلي: إنما الأقرن لشامة كانت في قرنه، وملك ثلاثة وخمسين سنة. وقال المسعودي: ثلاثة وستين. ثم ملك من بعده ابنه كاكيكرب وكان مضيقاً ولم يغزقط إلى أن مات. وملك بعده ابنه تبان أسد أبو كرب، ويقال هو تبع الآخر وهو المشهور من ملوك التابعة. عند الطبري أن الذي بعد ياسر ينعم بن عمرو ذي الأذغار تبع الأقرن أخوه، ثم بعد تبع الأقرن شمر مرعش بن ياسر ينعم، ثم من بعده تبع الأصغر وهو تبان أسد أبو كرب هذا هو تبع الآخر وهو المشهور من ملوك التابعة. وقال الطبري: ويقال له الرائد وكان على عهد يستاسب وحافده أردىشير بن ابن ابنه أسفنديار من ملوك الفرس.

وأنه شخص من اليمن غازياً وسر بالحيرة فتحير عسكره هنالك فسميت الحيرة. وخلف قوماً من الأزرد وحشم وجذام وعاملة وقضاءعة فأقاموا هنالك وبين الأطام، واجتمع إليهم ناس من طيرة وكلب والسكنون وإياد والحرث بن كعب. ثم توجه الأنبار ثم الموصى ثم أذربيجان، ولقي الترك فهزمه وقتل وسي، ثم رجع إلى اليمن، وهابته الملك وهادنه ملوك الهند. ثم رجع لغزو الترك، ويعث ابنه حسان إلى الصند، وابنه يعفر إلى الروم، وابن أخيه شمر ذي الجناح إلى الفرس. وإن شمر لقي كيقباذ ملك الفرس فهزمه، وملك سمرقند وقتل، وجاز إلى الصين فوجد أخاه حسان قد سببه إليها، فاختنا في القتل والسي، وانصرفا بما معهم من الغنائم إلى أبيهما.

وبعث ابنه يعفر إلى القسطنطينية فلقيه الجزية والأتاوة، فسار إلى رومة وحصراها، ووقع الطاعون في عسكره، فاستضعفهم الروم ووبأوا عليهم فقتلهم، ولم يفلت منهم أحد. ثم رجع إلى اليمن، ويعث أنه ترك بيلاط الصين قوماً من حير وأنهم بها لهذا العهد، وأنه ترك ضعفاء الناس بظاهر الكوفة فتحيروا هنالك وأقاموا معهم من كل قبائل العرب.

وقال ابن إسحاق: إن الذي سار إلى المشرق من التابعة تبع الآخر، وهو تبان أسد أبو كرب بن ملکيکرب بن زید الأقرن بن

رعين يريم وهو ابن زيد الجمhour، وقد من نسبه إلى سبا الأصغر، وقال السهيلي: في أيام حسان تبع كان خروج عمرو بن مزيقيا من اليمن بالأزرد، وهو غلط من السهيلي لأن أبي كرب أبا إثنا غزوا المدينة فيما قال هو صريحاً للأوس والخزرج على اليهود وهو من غسان ونسبة إلى مزيقيا، فعلى هذا يكون الذي استنصره الأوس

والخزرج على اليهود إنما هو من ملوك غسان كما يأتي في أخبارهم. قال ابن إسحاق: ولما ملك حسان بن تبع بن تبان أسعد سار بأهل اليمن يريد أن يطأ بهم أرض العرب والجمع كما كانت التابعة تفعل، فكرهت حمير وقبائل اليمن السير معه وأرادوا الرجوع إلى بلادهم، فتكلموا أحنا له كان معهم في العسكر يقال له عمرو، وقالوا له أقتل أخيك ثم لك وترجع إلينا إلى بلادنا. قاتلهم على ذلك وخالقه ذو رعين في ذلك ونهى عمراً عن ذلك، فلم يقبل وكتب في صحيفة وأودعها عنده:

الآمن يشتري سهراً بنوم سعيد من بيت قرير عن فاما حمير غدرت وخانت فمعذرة الإله لذى رعين

ثم قتل عمرو أخيه بعرصته ثم، وهي رحبة مالك بن طرق، ورجع حمير إلى اليمن فمنع النوم عليه السهر، وأجهده ذلك فشكى إلى الأطباء عدم نومه والكمان والعرافين، فقالوا ما قتل رجل أخيه إلا سلط عليه السهر. فجعل يقتل كل من أشار عليه بقتل أخيه ولم يغنه ذلك شيئاً، وهم بدبي رعين ذكره شعره فكانت فيه معذرتة وخاجنة. وكان عمرو هذا يسمى موثيان، قال الطبرى: لوثيون على أخيه، وقال ابن تبية: لقلة غزوته ولزومه الوثب على الفراش. وهلك عمرو هذا لثلاث وستين سنة من ملكه. قال البرجاني والطبرى: ثم مرج أمر حمير من بعده وترقوء، وكان ولد حسان تبع صغاراً لا يصلحون للملك وكان أكبرهم قد استهواه الجن، فوثب على ملك التابعة عبد كلال موئلاً فملك عليهم أربعاً وستين سنة، وكان يدين بالصرافية، ثم رجع ابن حسان تبع من استهواه الجن فملك على التابعة. قال البرجاني: ملك ثلاثة وسبعين سنة وهو تبع الأصغر ذو المغاري والأثار البعيدة.

قال الطبرى: وكان أبوه حسان تبع قد زوج بنته من عمرو بن حجر آكل المرار ابن عمرو بن معاوية من ملوك كندة، فولدت له ابنه الحرش بن عمرو، فكان ابن تبع بن حسان هذا، فبعثه على بلاد معد، وملك على العرب بالحيرة مكان آل نصر بن ربيعة. قال وانعقد الصلح بينه وبين كيقباد ملك فارس على أن يكون الفرات حدّاً بينهما، ثم أغارت العرب بشرقى الفرات، فعاتبه على ذلك، فقال لا أقدر على ضبط العرب إلا بالمال والجند، فأقطعه

إذا حسينا جيادنا من دماء نسم سرنا بها سيراً بعضاً واستباحتا بالخليل خيل قيادة وإن إقليد جامنا مصفوداً وكمسنا البت الذي حرم الله ملاء منضداً وبسرودا وأقمنا به من الشهر عشرة وجعلنا لبابه إقليداً

وقال أيضاً

لست بتابع اليماني إن لم ترکض الخيل في سواد العراق أو توؤدي ربيعة الخرج قسراً لم يتعها عائق العساو

وقد كانت لكتنة معه وقائع وحروب، حتى غلبهم حجر بن عمرو بن معاوية بن ثور بن مرتع بن معاوية بن كندة بن ملوك كهلان، فدانوا له وجع أبو كرب إلى اليمن، فقتله حمير، وكان ملكه ثلاثمائة وعشرين سنة. ثم ملك من بعد أبي كرب هذا فيما قال ابن إسحاق ربيعة بن نصر بن الحرش بن غارة بن خشم وخدم آخره جذام. وقال ابن هشام: ويقال ربيعة بن نصر بن أبي حارثة بن عمرو بن عامر. كان أبو حارثة مختلفاً باليمين بعد خروج أبيه، وأقام ربيعة بن نصر ملكاً على اليمين بعد هؤلاء التابعة الذين تقدم ذكرهم، ووقع له شأن الرؤيا المشهورة. قال الطبرى عن ابن إسحاق عن بعض أهل العلم أن ربيعة بن نصر رأى رؤيا هاته وفظع بها، ويعث في أهل ملكته في الكهنة والسحر والمنجمين وأهل العيادة، فأشاروا عليه باستحضار الكاهنين المشهورين لذلك العهد في إياه وغضان وهمما شق وسطيح.

قال الطبرى: شق هو أبو صعب شكر بن وهب بن أمول بن يزيد بن قيس عقر بن أثمار، وسطيح هو ربيعة بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذيب بن عدي بن مازن بن غسان، ولو قوع اسم ذيب في نسبة كان يعرف بالذيبى، فأحضرهما وقص عليهم رؤياه وأخبراه بتاؤيلها، أن الحبشة يملكون بلاد اليمن من بعد ربيعة وقطحان بسبعين سنة، ثم يخرج عليهم ابن ذي يزن من عدن فيخرجهم، ويلك عليهم اليمن، ثم تكون النبوة في قريش في بيتي غالب بن فهر. ووقع في نفس ربيعة أن الذي حدعه الكاهنان من أمر الحبشة كان، فجهز بيته وأهل بيته إلى العراق بما يصلحهم، وكتب إلى ملك من ملوك فارس يقال له سابور بن خرداد فاسكهم الحيرة.

ومن بيت ربيعة بن نصر كان النعمان ملك الحيرة، وهو النعمان بن المنذر بن عمرو بن عدي بن ربيعة بن نصر. قال ابن إسحاق ولما هلك ربيعة بن نصر اجتمع ملك اليمن لحسان بن تبان أسعد بن كرب. قال السهيلي: وهو الذي استباح طسماً كما ذكرناه، ويعث على المقدمة عبد كهلان بن يثرب بن ذي حرب بن حارث بن ملك بن عبدان بن حجر بن ذي رعين. وأسم ذي

أبرهة ذي المثار بن الرايش بن قيس بن صيفي بن سباء، وهو أبو كرب، ثم ملك حسان ابنه فقتلته عمرو آخره ووقع الاختلاف في حمير، ووُثب على عمرو لخيتة ينوف ذو الشاتر وملك. ثم قتله ذو نواس بن تبع وملك. اهـ. كلام الجرجاني.

وزعم ابن سعيد وتقله من كتب مؤرخي المشرق: أن واستقدمه إلى الحيرة، فبعث عساكره مع ولده الثلاثة إلى الصندوقين والروم، وقد تقدم ذكر ذلك.

قال الجرجاني: ثم ملك بعد تبع بن حسان تبع آخره لأمه وهو مدثر بن عبد كلآل، فملك إحدى وأربعين سنة. ثم ملك من بعده ابنه وليعة بن مدثر سبعاً وثلاثين سنة. ثم ملك من بعده أبرهة بن الصباح بن لميضة بن شيبة بن مدثر قيلف بن يعلق بن معدليكرب بن عبد الله بن عمرو بن ذي أصبح الحروب بن مالك، آخر ذي رعين، وكعب أبو سبا الأصغر. قال الجرجاني: وبعض الناس يزعم أن أبرهة بن الصباح إنما ملك تهامة فقط. قال: ثم ملك من بعده حسان بن عمرو بن تبع بن كاكيكرب سبعاً وخمسين سنة، ثم ملك لخيتة لم يكن من أهل بيت المملكة. قال ابن إسحاق: ولما ملك لخيتة غلب عليهم، وقتل خيارهم، وعشت برجالات بيوت المملكة منهم، قيل إنه كان ينكح ولدان حمير، يريد بذلك أن لا يملكون عليهم، وكانت لا يملكون عليهم من نكح، نقله ابن إسحاق. وقال أقام عليهم مملكاً سبعاً وعشرين سنة، ثم وشب عليه ذو نواس زرعة تبع بن تبان أسعد أبي كرب، وهو حسان أبي ذي معاهر فيما قال ابن إسحاق، وكان صبياً حين قتل حسان ثم شب غلاماً جيلاً ذا هيبة وفضل ووضاء ففتله بلخيتة في خلرة أراده فيها على مثل فعلاته القبيحة، وعلمت به حمير وقبائل اليمن فملكونه واجتمعوا عليه، وجدد ملك التابعة، وتسمى يوسف وتعصب لدين اليهودية، فكانت مدة فيها قال ابن إسحاق ثمانية وستين سنة.

إلى هنا اهـ ترتيب أبي الحسن الجرجاني. ثم قال: وقال آخرون ملك بعد أفريقش بن أبرهة قيس بن صيفي، وبعد الحمر بن قيس بن مياس، ثم ماه السماء بن حارثة امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد وكان كاهناً، ولما احتضر عهد إلى أخيه عمرو بن عامر المعروف بمزيقاً وأعلمته بخراب سد مارب وهلاك اليمن بالأسيل، فخرج من اليمن بقومه وأصحاب اليمن سيل العم فلم يتنظم لبني قحطان بيته، واستولى على قصر مارب من بعده ربعة بن نصر. ثم رأى رؤيا ونذر بملك الجبسة وبعث ولده إلى العراق وكتب إلى سابور الأشخاعاني فأسكنهم الحيرة وكثرت الخوارج باليمن، فاجتمع حمير على أن تكون لأبي كرب أسعد بن عدي بن المثلم بن جهيم، ثم الصعب بن قربن بن الهمال بن المثلم، ثم زيد بن الهمال، ثم ياسر بن الحمر بن عمرو بن يعفر، ثم زهير بن عبد شمس أحد بنى صيفي بن سبا الأصغر وكان فاسقاً جرمـاً يقتضـن إبـكارـ حـميرـ حتىـ نـشـأتـ بلـقـيـسـ بـنـ الـيـشـرـحـ بـنـ ذـيـ جـدنـ بـنـ الـحـمرـ بـنـ الـحـرـثـ بـنـ قـيسـ بـنـ صـيفـيـ فـقـتـلـهـ غـيـلةـ ثـمـ مـلـكـتـ. ولـاـ أـخـلـهـ سـلـيـمـانـ مـلـكـ مـلـكـ لـكـ بـنـ شـرـحـيـلـ، ثـمـ مـلـكـ ذـوـ دـاعـ فـقـتـلـهـ مـلـكـيـكـرـبـ بـنـ تـبـنـ الـأـقـرـنـ وـهـوـ أـبـوـ مـلـكـ، ثـمـ هـلـكـ. فـمـلـكـ أـسـدـ بـنـ قـيسـ بـنـ زـيدـ بـنـ عـمـرـوـ ذـيـ الـأـذـعـارـ بـنـ

على ملك آبائه التابعة، تسمى يوسف وتعصب لدين اليهودية، وحمل عليه قبائل اليمن، وأراد أهل نجران عليها، وكانتوا من بين العرب يدينون بالنصرانية ولم ينفصل في الدين واستقامة. وكان رئيسهم في ذلك يسمى عبد الله بن الثامر، وكان هذا الدين وقع إليهم قدماً من بقية أصحاب الحواريين من رجال سقط لهم من ملوكهم. وعند المسعودي: أنه لما هلك كليكرب بن تبع المعروف بالأقرن، قال هو الذي سار قومه نحو خراسان والصفد والصين، وولى بعد حسان بن تبع، فاستقام له الأمر خسأً وعشرين سنة، ثم قتلته آخره عمرو بن تبع، وملك أربعاً وستين سنة، ثم تبع أبو كرب وهو الذي غزا يثرب وكسا الكعبة بعد أن أراد هدمها، ومنه الحبران من اليهود، وتهدى وملك مائة سنة. ثم بعده عمرو بن تبع أبي كرب وخليع، وملوكه مرثد بن عبد كلال، واتصلت الفتن باليمن أربعين سنة. ومن بعده وليعة بن مرثد تسعًا وتلائين سنة. ومن بعده أبرهة بن الصباح بن وليعة بن مرثد، ويدعى شيبة الحمد ثلاثة وستين سنة، وكانت له سير وقصص. ومن بعده عمرو ذو قيفان تسع عشرة سنة. ومن بعده لخبيعة ذو شناتر ومن بعده ذو نواس.

ميمون فارسل الله رجماً فجعف النخلة من أصلها، وأطبق أهل نجران على أتباع دين عيسى صلوات الله عليه. ومن روایة ابن إسحاق أن ميمون نزل بقرية من قرى نجران، وكان يمر به غلامان أهل نجران، يتعلمون من ساحر كان بتلك القرية، وفي أولئك الغلامان عبد الله بن الثامر، فكان يجلس إلى ميمون، ويسمع منه فامن به واتبعه، وحصل على معرفة اسم الله الأعظم، فكان مجاب الدعوة لذلك، واتبعه الناس على دينه، وأنكر عليه ملك نجران وهم بقتله. فقال له: لن تطبق حتى تؤمن وتوحد فأمن ثم قتل، فهلك ذلك الملك مكانه. واجتمع أهل نجران على دين عبد الله بن الثامر، وأقام أهل نجران على دين عيسى صلوات الله عليه حتى دخلت عليهم في دينهم الأحداث. ودعاهم ذو نواس إلى دين اليهودية، فأبوا. فسار إليهم في أهل اليمن وعرض عليهم القتل فلم يزدهم إلا جحاحاً، فخذل لهم الأحاديد، وقتل وحرق حتى هلك منهم فيما قال ابن إسحاق عشرين ألفاً أو يزيدون، وأفلت منهم رجل من سبا يقال له دوس ذو ثعلبان فسلك الرمل على فرسه وأعجزهم.

### ملك الحبشة اليمن

قال هشام بن محمد الكلبي في سبب غزو ذي نواس أهل نجران: إن يهودياً كان بنجران فعداً أهلها على ابنين له فقتلوا هما ظلماً، فرق أمره إلى ذي نواس، وتوصل له باليهودية واستنصره على أهل نجران وهم نصارى، فحمى له ولدينه وغراهم. ولما

وملك بعده مرثد بن عبد كلال. ثم ابنه وليعة وكثترت الغواص عليه، وغلب أبرهة الصباح على تهامة اليمن، وكان في ظفار ذو شناتر، وقتله ذو نواس كما مر، هذا ترتيب ابن سعيد في ملوكهم. وعند المسعودي: أنه لما هلك كليكرب بن تبع المعروف بالأقرن، قال هو الذي سار قومه نحو خراسان والصفد والصين، وولى بعد حسان بن تبع، فاستقام له الأمر خسأً وعشرين سنة، ثم قتلته آخره عمرو بن تبع، وملك أربعاً وستين سنة، ثم تبع أبو كرب وهو الذي غزا يثرب وكسا الكعبة بعد أن أراد هدمها، ومنه الحبران من اليهود، وتهدى وملك مائة سنة. ثم بعده عمرو بن تبع أبي كرب وخليع، وملوكه مرثد بن عبد كلال، واتصلت الفتن باليمن أربعين سنة. ومن بعده وليعة بن مرثد تسعًا وتلائين سنة. ومن بعده أبرهة بن الصباح بن وليعة بن مرثد، ويدعى شيبة الحمد ثلاثة وستين سنة، وكانت له سير وقصص. ومن بعده عمرو ذو قيفان تسع عشرة سنة. ومن بعده لخبيعة ذو شناتر ومن بعده ذو نواس.

وأما ابن الكلبي والطبراني وأبن حزم فعندهم أن تبع أسد أبي كرب هو ابن كليكرب ابن زيد الأقرن بن عمرو بن ذي الأذعار بن أبرهة ذي المثار الرايش بن قيس بن صيفي بن سبا الأصغر. وقال السهيلي: أنه أسقط أسماء كثيرة وملوكاً. وقال ابن الكلبي وأبن حزم: ومن ملوك التابعة أفريق بن صيفي، ومنهم شمر يرعش بن ذي جدن بن الشريح بن الحرش الرايش بن قيس ابن صيفي. ثم قال ابن حزم بعد ذكر هؤلاء من التابعة: وفي أسبابهم اختلاف وتخلط وتقدير وتأخير ونقصان وزيادة، ولا يصح من كتبأخبار التابعة وأسبابهم إلا طرف يسير لاختلاف رواتهم وبعد المهد اهـ.

وقال الطبراني: لم يكن ملوك اليمن نظام وإنما كان الرئيس منهم يكون ملكاً على مخلافه لا يتجاوزه، وإن تجاوز بعضهم عن مخلافه مسافة سيرة من غير أن يرث ذلك الملك عن آبائه ولا يرثه أبناءه عنه إنما هو شأن شداد الملوكية يغيرون على التواحي باستغفال أهلها، فإذا قصدتهم الطلب لم يكن لهم ثبات، وكذلك كان أمر ملوك اليمن يخرج أحدهم من مخلافه بعض الأحيان وبعد في الغزو والإغارة فيصيب ما يرث به، ثم يتشرم عند خوف الطلب زاحفاً إلى مكانه من غير أن يدرين له أحد من غير مخلافه بالطاعة أو يؤدي إليه خراجاًـ.

واما الخبر عن ذي نواس وما بعده فاتفاق أهل الأخبار كلهم أن ذا نواس هو ابن بيان أسد واسم زرعة، وأنه لما تغلب

واستبد أبرهة بملك اليمن.  
ويقال أن الجشة لما ملكوا اليمن أمر أبرهة بن الصباح،  
وأقاموا في خدمته. قاله ابن سلام وقيل: إن ملك حبر لما انقرض  
أمر التابعة صار متفرقًا في الأذواء من ولد زيد الجمھور، وقام  
بملك اليمن منهم ذو يزن من ولد مالك بن زيد. قال ابن حزم:  
واسمه علّى بن زيد بن الحرث بن زيد الجمھور.

وقال ابن الكلبي وأبو الفرج الأصبهاني: هو عَلَّسْ بن الحمرث بن زيد بن الغوث بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد الجمهوري. قالوا كلهم: وما ملك ذُو يَزِنَ بعد مهلك ذي نواس واستبد أمر الحبشه على أهل اليمن، طالبواهم بدم النصارى الذين في أهل نهران، فساروا إليه وعليهم أرباط، ولقيهم فimen معه فانهزم واعتبرض البحر، فاقتحم فرسنه وغرق فهلك بعد ذي نواس، وولى ابنه مرثد بن ذي يزن مكانه، وهو الذي استجاشه امرؤ القيس علىبني أسد، وكان من عقب ذي يزن أيضاً من هؤلاء الأدواء علقة ذو قيفال بن شراحيل بن ذي يزن، وملك مدینة المون فقتلها أهلها من همدان.

ولما استقر أبرهه في ملك اليمن أساء السير في حمير ورؤسائهم، وبعث في ريحانة بنت علقمة بن مالك بن زيد بن كهلان فائزتها من زوجها أبيي مرة بن ذي يزن، وقد كانت ولدت منه ابنه معديكرب، وهب أبو مرة، ولحق بأطلاف اليمن وأصطفى أبرهه ريحانة فولدت له مسروق بن أبرهه واحتهن بسباسة. وكان لأبرهه غلام يسمى عمدة، وكان قد ولد الكثير من أمراء، فكان يفعل الأفاعيل حتى عدا عليه رجال من حمير أو خصم قتله، وكان حليماً فأمده دمه.

غزو الحبشة والكبعة

ثم إن أبرهه بنى كنيسة بصنعاء تسمى القليس لم يبر مثلها وكتب إلى الشجاشي بذلك، وإلى قيسر في الصناع والرخام والسفيساء، وقال لست بمته حتى أصرف إليها حج العرب. وتحدث العرب بذلك فغضب رجل من السادة، أحد بنى ققيم، ثم أحد بنى مالك، وخرج حتى أتى القليس فقعد فيها، وطلق بارضه، ويبلغ أبرهه وقبل له الرجل من البيت الذي يبح إلى العرب، فحلل ليسرين إليه يهدمه. ثم بعث في الناس يدعوهم إلى حج القليس، فضرب الداعي في بلاد كنانة بهم قتل. وأجمع أبرهه على غزو البت ودهنه، فخرج سائرا بالجيشة ومعه الفيل. فلقيه ذو نفر الحميري وقاتلته نهزمه وأسره، واستيقاه دليلاً في أرض

افتلت دوس ذو ثعلبان فقدم على قيسر صاحب السروم يستنصره على ذي نواس، وأعلميه بما ركب منهم وأراه الإنجليل قد احترق بعضه بال النار، فكتب له إلى النجاشي يأمره بنصره، وطلب بشاره، وبعث معه النجاشي سبعين الفاً من الجبهة. وقيل: أن صريخ دوس كان أولاً للنجاشي، وأنه اعتذر إليه بقلة السفن لرکوب البحر، وكتب إلى قيسر وبعث إليه بالإنجليل المحرق، فجاءته السفن وأجاز فيها العساكر من الجبهة، وأمر عليهم أرباطاً رجلاً منهم، وعهد إليه بقتلهم وسيتهم وخراب بلاهم فخرج أرباط لذلك ومعه أربعة الأشرم فركبوا البحر، ونزلوا ساحل اليمن وجمع ذو نواس حير ومن أطاعه من أهل اليمن على افتراق واختلاف في الأهواء، فلم يكن كبير حرب، وانهزموا. فلما رأى ذو نواس ما نزل به وبقوته وجه بقوس إلى البحر، ثم ضربه فدخل فيه وخاض ضحضاح البحر، ثم أنسى به إلى غمرة فاتحمه فيه، فكان آخر العهد به، ووطئ أرباط اليمن بالحبشة، وبعث إلى النجاشي بثلث السي كما عهد له، ثم أقام بها فقضطها وأذل رجالات حير، وهدم حصون الملك بها مثل سلجيق وسرون وغمدان، وقال ذو يزن برثي حير وقصور الملك باليمن:

هُوَنْكَ لِيْس بِرَد الدَّمْعُ مَا فَاتَاهُ لَا تَهْلِكُنْ أَسْفًا فِي إِثْرِ مَنْ مَاتَاهُ  
أَبْعَدْ سُونْ فَلَا عَيْنٌ وَلَا أَثْرٌ وَبَعْدَ سُلْجِيقَ يَبْيَنِ النَّاسَ أَيَّاً تَأَبَّلُ  
وَفِي رَوَايَةِ هَشَامِ بْنِ مُحَمَّدِ الْكَلَبِيِّ أَنَّ السُّفُنَ قَدِمَتْ عَلَى  
النَّجَاشِيِّ مِنْ قِيسَرِ، فَحَمَلَ فِيهَا الْحَبْشَ وَنَزَلُوا بِسَاحِلِ الْيَمَنِ،  
وَاسْتَجَاهُنَّ ذُو نَوَاسَ بِأَقْيَالِ حَمِيرٍ فَامْتَعَنُوا مِنْ صَرْبِيَّهُ وَقَالُوهُ: كُلُّ  
أَحَدٍ يُقَاتَلُ عَنْ نَاحِيَتِهِ فَالَّقَى ذُو نَوَاسَ بِالْيَدِ وَلَمْ يَكُنْ قَتَالٌ، وَانْهَى  
سَارُ بَهْمَلِيِّ إِلَى صَنْعَاءَ، وَبَعْثَ عَمَالَهُ فِي التَّرَاجِيِّ لِتَبْضُ الأَمْوَالِ،  
وَعَهَدَ بِقَتْلِهِمْ فِي كُلِّ تَارِيْخِهِ فَقَتَلُوْهُ. وَبَلَغَ ذَلِكَ النَّجَاشِيَّ فَجَهَزَ إِلَى  
الْيَمَنِ سَبْعِينَ الْفَلَانَ، وَعَلَيْهِمْ أَبْرَهَةٌ فَبَلَغُوْرَا صَنْعَاءَ، وَهَرَبَ ذُو نَوَاسَ  
وَاعْتَرَضَ الْبَحْرَ، فَكَانَ آخِرُ الْعَهْدِ بِهِ وَمَلَكَ أَبْرَهَةَ الْيَمَنِ وَلَمْ  
يَبْعَثْ إِلَى النَّجَاشِيِّ بِشَيْءٍ، وَذَكَرَ لَهُ أَنَّ خَلْطَ طَاعَتْهُ فَوَجَهَ جِيشًا  
مِنْ أَصْحَابِهِ عَلَيْهِمْ أَرْبَاطٌ. وَلَا حلَّ بِسَاحِتِهِ دُعَاءٌ إِلَى النَّصْفَةِ  
وَالنَّزَالِ فَتَبَارَزَا وَخَدَعَهُ أَبْرَهَةُ، وَأَكْمَنَ عَبْدًا لَهُ فِي مَوْضِعِ الْمَارِزَةِ،  
فَلَمَّا تَقَبَّلَ ضَرِيْهُ أَرْبَاطَ فَتَرَمَ أَنْفَهُ، وَسَمِيَ الْأَشْرَمُ وَخَالَفَهُ الْعَبْدُ  
مِنَ الْكَمِينِ، فَضَرَبَ أَرْبَاطًا فَانْهَذَهُ، وَبَلَغَ النَّجَاشِيَّ خَبْرَ أَرْبَاطِ  
فَحَلَّ لِرِيقَنَ دَمَهُ، ثُمَّ كَتَبَ إِلَيْهِ أَبْرَهَةُ وَاسْتَرْضَاهُ فَرَضَيْهِ عَلَيْهِ  
وَاقْرَأَهُ عَلَى عَمْلِهِ.

وقال ابن إسحاق إن أرباط هو الذي قدم اليمن أولًا وملكه، وانتقض عليه أربعة من بعد ذلك، فكان ما ذكرنا من الحرب بينهما وقتل أرباط، وغضب النجاشي لذلك ثم أرضاه

العرب.

ووطتهم الحبشه، فقتلوا رجالهم وتکحروا نسائهم واستخدموها ابناءهم، ثم هلك يکسوم بن ابرهه فملك مكانه اخوه مسروق، وساعت سيرته وکثر عسف الحبشه باليمن، فخرج ابن ذي يزن واستجاش عليهم بکسرى، وقدم اليمن بعساکر الفرس، وقتل مسروقاً وذهب امر الحبشه بعد أن توارث ملك اليمن منهم أربعة في اثنين وسبعين سنة أولهم ارباط، ثم ابرهه، ثم ابنه يکسوم، ثم اخوه مسروق بن ابرهه.

### قصة سيف بن ذي يزن وملك الفرس على اليمن

ولما طال البلاء من الحبشه على أهل اليمن، خرج سيف بن ذي يزن الحميري من الأدواء بقية ذلك السلف، وعقب أوشك الملكون، وديال الدولة المفروض للخهود. وقد كان ابرهه استزع منه زوجته ريحانة وبعد أن ولدت منه ابنة معيكرب كما مر، ونسبة فيما قال الكلبي: سيف بن ذي يزن بن عافر بن اسلم بن زيد بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد الجمهور، هكذا نسبة ابن الكلبي، ومالك بن زيد هو أبو الأدواء. فخرج سيف وقدم على قيصر ملك الروم وشكى إليه أمر الحبشه، وطلب أن يخرجهم ويعث على اليمن من شاء من الروم، فلم يسعه عن الحبشه، وقال: الحبشه على دين النصارى، فرجع إلى کسرى وقدم الحبشه على التعمان بن المنذر عامل فارس على الحيرة وما يليها من أرض العرب، فشكى إليه واستهله التعمان إلى حين وقادته على کسرى، وأوفد معه وساله النصر على الحبشه وان يكون ملك اليمن له. فقال: بعدت أرضك عن أرضنا، أو هي قليلة الخير إنما هي شاء ويعير ولا حاجة لنا بذلك. ثم كسراء وأجازه، فنشر دنانير الإجازة ونبهها الناس يوهم الفئيضاً بما في أرضه. فأنكر عليه کسرى ذلك. فقال: جبال أرضي ذهب وفضة، وإنما جئت لمعنى من الظلم. فرغب في کسرى في ذلك، وأمهله للنظر في أمره، وشاور أهل دولته، فقالوا في سجونك رجال جبستهم للقتل ابتعهم معه فإن ملوكاً كان الذي أردت بهم، وإن ملوكاً كان ملوكاً إزداته إلى ملوكه. وأحصوا ثمانمائة وقدم عليهم أفالهم وأعظمهم بيتاً وأکبرهم ستة وكان وهز الديلمي.

وعند المسعودي وہشام بن محمد السهيلي أن کسرى وعده بالنصر ولم ينصره وشغل بحرب الروم، وهلك سيف بن ذي يزن عنده، وكبر ابنه ابن ريحانة، وهو معيكرب وعرفته أمه باليه، فخرج ووفد على کسرى يستتجزه في النصرة التي وعد بها أباه، يکسوم وبه كان يكتنی واستفحلاً ملکه وأذل حیر وقبائل اليمن

قال ابن إسحاق: ولما مر بالطائف خرج إليه مسعود بن معتب في رجال تقىف فاتوه بالطاعة ويعثروا معه أبا رغال دليلاً، فائزه المغمس بين الطائف ومكة فهلك هنالك ورجحت العرب قبره من بعد ذلك قال جرير:

إذا مات الفرزدق فارجهو كما ترمن قبر أبي رغال

ثم بعث ابرهه خيلاً من الحبشه، فانتهوا إلى مكة، واستقاوا أموال أهلها، وفيها ماتا بغير لميد المطلب وهو يومذ سيد قريش، فهموا بقتاله ثم عملوا أن لا طاقة لهم به فاقتروا. وبعث ابرهه حنطة الحميري إلى مكة يعلمهم بمقدسه من هدم البيت، ويؤذنهما بالحرب إن اعتضوا دون ذلك، وأنجر عبد المطلب بذلك عن ابرهه، فقال له: والله ما تزيد حربه، وهذا بيت الله فإن يمنعه فهو بيته وإن يغلب عنه فما لنا نحن من دافع. ثم انطلق به إلى ابرهه، ومر بذى نفر وهو أسرى، فبعث معه إلى سائس الفيل، وكان صديقاً لذى نفر، فاستاذن له على ابرهه، فلما رأه أجله ونزل عن سريره، فجلس معه على بساطه. وسأله عبد المطلب في الإبل. فقال له ابرهه هل سالت في البيت الذي هو دينك ودين آبائك وتركت البعير، فقال عبد المطلب: أنا رب الإبل ولليست رب سيمتعه. فرد عليه إبله. وقال الطبرى: وكان فيما زعموا قد ذهب مع عبد المطلب عمرو بن لعابة بن عدي بن الرمل سيد كنانة، وخوبيل بن وائلة سيد مدبل، وعرضوا على ابرهه ثلاثة ثلات أموال تهامة ويرجع عن هدم البيت، فأبى عليهم، فانصرفوا. وجاء عبد المطلب وأمر قريشاً بالخروج من مكة إلى الجبال والشعوب للتحرر فيها، ثم قام عند الكعبه مسکاً بحملة الباب ومعه نفر من قريش يدعون الله ويستترونه، وعبد المطلب ينشد ويقول:

لا هم إن العبد معنی رحله فسامع رحالك  
لا يغلبن صليبه ————— ومحالهم أبداً حمالك  
وانصر على آن الصليب وعابديه اليوم آنك

في أبيات معروفة. ثم أرسل الله عليهم الطير الأباءيل من البحر، ترميم بالحجارة فلا تصيب أحداً منهم إلا هلك مكانه، وأصابه في موضع الحجر من جسده كالجلدري والخصبة فهلك، وأصيب ابرهه في جسده بمثل ذلك، وسقطت أعضاؤه عضواً عضواً، ويعثروا بالفيل ليقدم على مكة فريض ولم يتمحرك فنجا. وأندم قيل آخر فحصب وبعث الله سيلًا مجفأً فذهب بهم، والقام في البحر. ورجع ابرهه إلى صنعاء وهو مثل فرش الطائر، فانتصدع صدره عن قلبه ومات. ولما هلك ابرهه ملك مكانه ابنه يکسوم وبه كان يكتنی واستفحلاً ملکه وأذل حیر وقبائل اليمن

الإبلاغ في القيام عليه، والتحفظ به من اليهود وغيرهم، وأسر إليه البشري بنبوته وظهور قريش فوهم على جميع العرب. وأسني جواز هذا الوفد بما يدل على شرف الدولة وعظمتها بعد غايتها في الملة، وعلو نظرها في كرامة الوفد، ويقاء آثار الترف في الصباية شاهد لشرف الحال في الأول. ذكر صاحب الأعلام وغيره أنه أجاز سائر الوفد مائة من الإبل وعشرة أبعض وصائف وعشرة أرطال من الورق والذهب وكرش مليء من العنبر وأضعاف ذلك عشرة أمثاله لعبد المطلب.

قال ابن إسحاق: ولا انتصرف وهزر إلى كسرى غزا سيف على الحبشة وجعل يقتل ويقر بطن النساء، حتى إذا لم يبق إلا القليل جعلهم خلولاً واتخذ منهم طوابير يسعون بين يديه بالحراب، وعظم خوفهم منه، فخرج يوماً وهم يسعون بين يديه، فلما توسطهم وقد انفردوا به عن الناس، رموه بالحراب قتلوا، ووُثب رجل منهم على الملك. وقيل: ركب خليفة وهزر فيما معه من المساحة، واستلجم الحبشة وبلغ ذلك كسرى، فبعث وهزر في أربعة آلاف من الفرس، وأمره بقتل كل أسود أو متسب إلى أسود ولو جداً قططاً ففعل، وقتل الحبشة حيث كانوا، وكتب بذلك إلى كسرى، فأمره على اليمن نكان يبيه له حتى هلك. واستضافت حشابة ملك الحميرين بعد مهلك ابن ذي يزن وأهل بيته إلى الفرس، وورثوا ملك العرب وسلطان حمير باليمن بعد أن كانوا يزاحونهم بالناكب في عراقيهم، وبجوسونهم بالغزو خلال ديارهم. ولم يبق للعرب في الملك رسم ولا طلل، إلا أقبلا من حمير وقططان رؤساء في أحياائهم بالبدو لا تعرف لهم طاعة، ولا ينفذ لهم في غير ذاتهم أمر، إلا ما كان للكهلان إخوتهم بأرض العرب من ملك آل المنذر من خم على الحيرة والعراق بتولية فارس، وملك آل جفنة من غسان على الشام بتولية آل قيسر كما يأتي في أخبارهم.

وقال الطبرى: لما كانت اليمن لكسرى بعث إلى سرنديب من الهند قائداً من قرادة، ركب البحر إليها في جند كثيف، فقتل ملوكها واستولى عليها، وحمل إلى كسرى منها أموالاً عظيمة وجوائز. وكان وهزر يبعث العبر إلى كسرى بالأموال والطيبوب، فتم على طريق البحرين تارة وعلى أرض الحجاز أخرى. وعدا بنو تميم في بعض الأيام على عيره بطريق البحرين، فكتب إلى عامله بالانتقام منهم، فقتل منهم خلقاً كما يأتي في أخبار كسرى. وعدا بنو كناثة على عيره بطريق الحجاز حين مرت بهم وكان في جوار رجل من أشراف العرب من قيس، فكانت حرب الفجار بين قيس وكناثة بسبب ذلك وشهدها النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه وكان بنبيل فيها

وقال له: أنا ابن الشيخ اليمني الذي وعدته. فوهبه الدنانير وترها إلى آخر النقصة. وقيل: إن الذي وفده على كسرى وأباد الحبشة هو النعمان بن قيس بن عبد بن سيف بن ذي يزن. قالوا ولما كتب الفرس مع وهزر و كانوا ثماقة، وقال ابن قيبة: كانوا سبعة آلاف وخمسة.

وقال ابن حزم: كان وهزر من عقب جاماسب عم أبو شروان، فأمره على أصحابه وركبوا البحر ثمان سفائن فغرقت منها سفينتان وخُلصت ست إلى ساحل عدن. فلما نزلوا ببارض اليمن، قال وهزر لسيف: ما عندك؟ قال: ما شئت من قوس عربي ورجلي مع رجلك حتى نظر أو غوث. قال أنسفت. وجمع ابن ذي يزن من استطاع من قوته، وسار إليه مسروق بن أبيه في مائة ألف من الحبشة وأوياش اليمن، فتوافقوا للحرب، وأمر وهزر ابنه أن يناوشهم القتال قتلوه، وأحْفَظَه ذلك. وقال: أروني ملكتكم. فأرمه إيه على القيل عليه تاج وبين عينيه ياقوتة حراء ثم نزل عن القيل إلى الفرس، ثم إلى البلدة. فقال وهزر، ركب بنت الحمار، ذل وذل ملكه، ثم رماه بهم فصطاد ياقوتة بن عينيه، وتغلغل في دماغه، وتنكس على دابته وداروا به، فحمل القوم عليهم وانهزم الحبشة في كل وجه وأقبل وهزر إلى صنعاء، ولما أتى بابها قال: لا تدخل رايني منكوسنة. فهدم الباب، ودخل بذلك إلى كسرى رايه فملك اليمن ونقى عنها الحبشة وكتب بذلك إلى كسرى وبعث إليه بالأموال. فكتب إليه أن يملك سيف بن ذي يزن على اليمن على فريضة يؤديها كل عام ففعل، وانتصرف وهزر إلى كسرى. وملك سيف اليمن، وكان أبوه من ملوكها وخلف وهزر نابيا على اليمن في جماعة من الفرس ضمهم إليه وجعله لنظر ابن ذي يزن وأنزله بصنعاء. وانفرد ابن ذي يزن بسلطانه، ونزل قصر الملك وهو رأس غمدان، يقال إن الضحاك بناء على اسم الزهرة وهو أحد البيوت السبعة الم موضوعة على أسماء الكواكب وروحياتها، خرب في خلافة عثمان قاله المسعودي. وقال السهيلي: كانت صناعه تسمى أوال، وصناعه اسم بانيها صناعه بن أوال بن عمير بن عابر بن شالخ. ولما استقل ابن ذي يزن بملك اليمن وفدت العرب عليه يهنهه بالملك، لما رجع من سلطان قوته وأباد من عدوهم، وكان فيمن وفده عليه مشيخة قريش وعظاماء العرب لهدهم من أبناء إسماعيل وأهل بيته المنصب لجهنم، فوفدوا في عشرة من رؤسائهم فيهم عبد المطلب، فاعظمهم سيف وأجلهم وأوجب لهم حقهم ووفر من ذلك قسم عبد المطلب من بينهم. وسأله عن بنيه حتى ذكر له شأن النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه وكفالته إيه بعد موته عبد الله أخيه عاشر ولد عبد المطلب، فأوصاه به وحضره على

لكعنان بن كوش بن حام، ثم لابنه التمروذ من بعده، وأنه كان على بدعة الصابئة، وأن بني سام كانوا حنفاء يتحللون للتوحيد الذي عليه الكلدانيون من قبلهم. قال ابن سعيد: ومعنى الكلدانيون الموحدين. ووقيع ذكر التمروذ في التوراة منسوباً إلى كوش بن حام، ولم يقع فيها ذكر لكعنان بن كوش، فالله أعلم بذلك. وقال ابن سعيد أيضاً: وخرج عابر بن شالخ بن أرفخشذ فتلبه وسار من كورنا إلى أرض الجزيرة والموصل، فبني مدينة مجده هناك، وأقام بها إلى أن ملك، وورث أمره ابنه فالغ من بعده، وأصحاب التمروذ وقومه على عهد سيدنا إبراهيم عليه السلام ما أصابهم في الصرح وكانت البللة وهي المشهورة. وقد وقع ذكرها في التوراة ولا أدرى معناها.

والقول بأن الناس أجمعين كانوا على لغة واحدة فباتوا عليهما، ثم أصبحوا وقد افترقت لغاتهم قول بعيد في العادة، إلا أن يكون من خوارق الأسماء فهو معجزة حيث لم يتخلوه كذلك. والذي يظهر أنه إشارة إلى التقدير الإلهي في خرق العادة وافتراقها وكونها من آياته كما في القرآن الكريم، ولا يعقل في أمر البللة غير ذلك.

وقال ابن سعيد: سوريا بن نبيط ولأ فالغ على بابل، فانتقض عليه وحاري، وما هلك فالغ قاتل بأمره بعده ابنه ملكان، فقبله سوريا على الجزيرة، وملكها هؤلاء الجرامقة إخوانه في النسب بنو جرموق بن أشود بن سام، وكانت مواطنهم بالجزيرة وكانت ابن أخت سوريا منهم الموصى بن جرموق، فلواه سوريا على الجزيرة وأخرج بي عابر منها، ولحق ملكان منها بالجبل فأقام هناك، ويقال: إن الخضر من عقبه، واستبد الموصى على خاله سوريا بن نبيط ملك بابل، وامتازت مملكة الجرامقة من مملكة النبط. وملك بعد الموصى ابنه راتق وكانت له حروب مع النبط، وملك من بعده ابنه أشور ويقي ملكها في عقبه وهو مذكور في التوراة، وملك بعده ابنه نينوى وبني المدينة المقابلة للموصى من عدة دجلة المعروفة باسمه.

ثم كان من عقبه سنحاريف بن أشور بن نينوى بن أشور وهو الذي بنى مدينة سنحاريف وزغا ببني إسرائيل فصلبوا على بيت المقدس. وقال البيهقي: إن الجزيرة ملكها بعد مقتل سنحاريف آخره ساطرون، وهو الذي بنى مدينة الخضر في برية سنحاريف على نهر التigris ترلعله بصيد الأسود في غيضاتها. وملك من بعده ابنه زان وكان يدين بالصابة، ويقال: إن يونس بن متى بعث إليه ويونس من الجرامقة من سبط بنiamين بن إسرائيل من ابنه، فآمن به زان بن ساطرون بعد الذي قصه القرآن من شأنه معهم، ثم إن

على أعمامه أي يجمع لهم البَلْ.

قال الطبري: وما هلك وهز أفراد كسرى من بعده على اليمن ابنه المزريان، ثم هلك فأمر حافده خرشزو بن التيجان بن المزريان، ثم سخط إليه وحمل عليه مقيداً، ثم أحاره ابن كسرى وخلي سبيله، فهزله كسرى وولى باذان فلم يزل إلى أن كانت البعثة وأسلم باذان وفتشا الإسلام باليمن كما نذكره عند ذكر المجرة وأعيار الإسلام باليمن. هذا آخر الخبر عن ملوك التابعة من اليمن ومن ملك بعدهم من الفرس، وكان عدد ملوكهم فيما قال المسعودي سبعة وثلاثين ملكاً في مدة ثلاثة آلاف ومائة سنة إلا عشرة، وقيل: أقل من ذلك فكانوا يستنزلون مدينة ظفار. قال السهيلي: زمار وظفار اسمان لمدينة واحدة، يقال: بناما مالك بن أبرهة وهو الأملوك ويسمى مالك وهو ابن ذي المنار، وكان على يابها مكتوب بالقلم الأول في حجر أسود:

يوم شيدت ظفار قبيل لمن أنت فقلت لخير الأخيار  
ثم سيلت من بعد ذلك قالت إن ملكي أحاسيش الأشجار  
ثم سيلت من بعد ذلك قالت إن ملكي لفارس الأحرار  
ثم سيلت من بعد ذلك قالت إن ملكي لقريش التجار  
ثم سيلت من بعد ذلك قالت إن ملكي لخير سنجار  
وقليلاً ما يلبت القوم فيها غير تشيدها لحمامي البوار  
من أسود يليهم البحر فيها تشعل النار في أعلى الجدار  
ولم تزل مدينة ظفار هذه ممراً للملوك، وكذلك في الإسلام  
صدر الدولتين، وكانت اليمن من أرفع الولايات عندهم، بما كانت منازل العرب العارية، ودار للملوك العظام من التابعة والأقبال  
والعباولة. ولم انقضى الكلام ذكر ملوكهم باليمن من العرب، استدعي الكلام في أخبار حمير وملوكهم باليمن من  
كتابنا لاستعراض أخبار الخلية، وفي حال هذا الجيل العربي من  
جميع جهاته، والأمم الشاهير من العجم الذين كانت لهم الدول  
العظيمة لهؤلء الطبقة الأولى والثانية من العرب وهي النبط  
والسريانيون أهل بابل، ثم الجرامقة أهل الموصى، ثم القبط، ثم بنو إسرائيل والفرس ويونان والروم فلنأت الآن بما كان لهم من الملك  
والدولة وبعض أخبارهم على اختصار، والله ولبي العون والتوفيق،  
لأرب غيره ولا مأمول إلا خيره.

## الخير عن ملوك بابل من القبط والسريانين وملوك الموصى ونينوى من الجرامقة

قد تقدم لنا أن ملك الأرض من بعد نوح عليه السلام كان

حيثند أرغو إلى كوتا، ودخل مع التماردة في دين الصابئة، وتوارنها بنوه إلى آزر بن ناحور، فاصطفاه هاجر بن كوش وقدمه على بيت الأصنام، ولد له إبراهيم عليه السلام، وكان من أمره ما ذكرناه فيما نصه التنزيل وتقله الثقات.

ثم تولت ملوك التماردة ببابل وكان منهم مختنصر على ما ذهب إليه بعضهم، ويقال إن الجرامقة، وهم أهل نينوى غلبوا على بابل وملكتها سنجاريف منهم واستعمل فيها مختنصر من ملوكها، ثم انتقض عليه بالجزأ والطاعة، وغزا بي إسرائيل بيت المقدس، فاقتتحمها عليهم بعد الحصار، وأدخن فيهم بالقتل والأسر، وقتل ملوكهم وخرب مساجدهم وتحاولتهم إلى مصر فلم يفلتوا. ولما هلك مختنصر ملك من بعده فيما ذكره ابنه ثابت نصر، ثم من بعده بنصر وغاية أرتاق مريزان كسرى من ملوك الكينية فقتله وملك بابل وأعمالها وصار النبط والجرامقة رعية للفرس، وانقرضت دولة التماردة ببابل، هكذا ذكر ابن سعيد وتقله عن داهر مؤرخ دولة الفرس، وجعل السريانين والنبط أمة واحدة، وهما دولة واحدة. وأما المسعودي فجعلهما دولتين.

وأما السريانيون فقال لهم أول ملوك بعد الأرض الطرفان، وسمى من ملوكهم تسعة متعاقبين في مائة سنة أو فرقها بأسماء أعمجية لا فالة في نقلها لقلة الوثيق بالأصول التي بآيدينا من كتبه وكثرة التغيير في الأسماء الأعمجية. نعم ذكر أن شوشان بشينين معجمتين، وأنه أول من وضع الناتج على رأسه. والرابع منهم أنه الذي كور الكور ومدن المدن وأن ملك الهند لعهده كان اسمه ربيل وأنه استولى على ملوكه واستولى على السريانين، وأن بعض ملوك المغرب ظاهراً عليهم وانتزع لهم ملوكهم منه ورده عليهم. وسمى الثامن منهم ماروت وأشار في آخر كلامه إلى أنهم كانوا مستولين على بابل وعلى الموصى، وأن ملوك اليمن راما غلبوهم على أمرهم بعض الأحيان. وذكر في التاسع أنه كان غير مستقل بأمره، وأن أخاه كان مفاسمه في سلطانه، وأن أول من أخذ الخمر فلان وأول من ملك فلان، وأول من لعب بالصقر والشطرنج فلان، مزاعم كلها بعيدة من الصحة. إثنا وجده أن السريانين لما كانوا أقدم في الخليفة نسب إليهم كل قديم من الأشياء، أو طبيعي كالحط واللهجة والسحر والله أعلم.

وأما النبط فنعت المسعودي أنهم من أهل بابل لقوله في ترجمتهم ذكر ملوك بابل والنبط وغيرهم المعروفيين بالكلدانين، وذكر أن أوطنه غزوذ المبارج ونسبه إلى ماش بن إرم بن سام، وذكر أنه الذي بنى الصرح ببابل، واحتضر نهر الكوفة. ونسب التمزود في موضع آخر إلى كوش بن حام لا أدرى هو أو غيره. ثم عد

وشرط له أن يقيمه في ملكه فأجاب. ولم ينزل على الجزيرة حتى زحف إليه جيوش الفرس مع أرتاق، فضم القيام بالمجوسية على أن يبقاء في ملكه، وكتب بذلك أرتاق إلى بهمن ليضمّن له، فاجابه بأن هذا رجل متلاعب بالأديان فاقتل، فقتل أرتاق وانقرض ملكه بعد ألف وثلاثمائة سنة فيما قال اليهسي. وفي أربعين ملكاً منهم، وصارت الجزيرة لملوك الفرس.

والذي عند الإسرائيليين سنجاريف من ملوك نينوى وهم أولاد موصى بن أشود بن سام، وأنه كان قبله بالموصى ملوك منهم وهم قوم وبنقفات وبنصاص، وأنهم ملکروا بلد الأسباط العشرة، وهي شورون المعروفة بالسامرة، وأنه غرب الأسباط الذين كانوا فيها إلى نواحي أصبهان وخراسان، وأسكن أهل كومة وهي الكوفة في شمورون هذه، فسلط الله عليهم السبع يفترسونهم في كل ناحية. فشكوا ذلك إلى سنجاريف وسالوه أن يخرجهم عن بلد شمورون في قسمة أي كوكب هي كي يتوجهوا إليه، ويسترزوا روحانيته على طريق الصابئة، فاعتراض عن ذلك وبعث كاهنان إليهم من اليهود فعلمونهم دين اليهودية، وأخذوا به. وهؤلاء عند اليهود هم الشمرة نسبة إلى شهر وهي شمورون، وليس الشمرة عندهم من بني إسرائيل، ولا دينهم صحيح في اليهودية.

وزحف سنجاريف عندهم إلى بيت المقدس بعد استيلائه على شمورون فحاصرها وداخله العجب بكثرة عساكرة، فقال لبني إسرائيل: من الذي خلصه الله من يدي حتى يخلصكم إلهكم، وفزع ملاك بي إسرائيل إلى نبيهم مدليلاً، وسأله الدعاء فدعاه له وأمنه من شر سنجاريف، ونزلت بعسركره في بعض لياليهم آلة سماوية، فاصبحوا كلهم قتلى. يقال أحسن قتلاهم فكانوا مائة وخمسة وثمانين ألفاً، ورجع سنجاريف إلى نينوى، ثم قتله أولاده في سجوده لمعبدوه من الكواكب، وولي ابنه أيسحدون، ثم استولى عليهم بعد ذلك مختنصر كما سذكره في خبره.

وأما ملوك بابل فهم النبط بنو نبيط بن أشود بن سام. وقال المسعودي: نبيط بن ماش بن إرم، وكانوا موطنين بأرض بابل وملك منهم سوريان بن نبيط، وقال المسعودي: هو أحد نبيط بن ماش ملك أرض بابل بولاية من فالغ، فلما مات فالغ أظهر بدعة الصابئة، واتحللها بعده ابنه كعنان ويلقب بالنمرود، وملك بعده ابنه كوش وهو غزوذ إبراهيم عليه السلام، وهو الذي قدم أيام آزر فاصطفاه هاجر على بيت الأصنام لأن أرعنون فالغ لما هلك أبوه فالغ وكان على دين التوحيد الذي دعا إليه أبوه عابر، ورجع

وملك بعده ابنه أول مردد ثلاثاً وعشرين سنة، وبعده ابنه بلينصر ثلاث سنين ثم زحف إليه دارا من ملوك الفرس وصهره كورش فحاصروه بمدينة بابل، وقال بعض الإسرائيلىين: أن مختنصر وملوك بابل من كسىم، وكىدىم من عيلام بن سام وهو آخر أشور، ومن أشود ملوك الموصى، انتهى الكلام في ملوك الموصى وملوك بابل وهذا غاية ما أدى إليه البحث من أخبارهم وأناسهم، وكان من هؤلاء والكلدانين دين الصابئة وهو عبادة الكراكب واستجلاب روحانيتها، ويدرك أنهما كانوا لذلك أهل عنابة بأرصاد الكراكب، ومعرفة طبائعها، وخلاص المولدات، وما يشابه ذلك من علوم النجوم والظلمات والسحر، وأنهم نهجروا ذلك لأهل الرابع الغربي من الأرض.

وقد يشهد لذلك قراءة من قرأ: وما أتزل على الملائكة، بكسر اللام، مشيراً إلى أن هاروت وماروت من ملوك السريانين، وهم أول ملوك بابل، وعلى القراءة المشهورة وأنهما من الملائكة، فيكون اختصاص هذه الفتنة والابلاء ببابل من بين أقطار الأرض دليلاً على وفور قسطهما من صناعة السحر الذي وقع الابلاء به، وما يشهد لاحتلالهم السحر وفنونه من النجوم وغيرها، أن هذه العلوم وجذنها من متصل أهل مصر المجاورين لهم، وكان ملوكها عنابة شديدة بذلك، حتى كان من مبعاثتهم موسى بذلك وحشر السحرة له ما كان، وبقايا الآثار السحرية في برابي أحنيم من صعيد مصر ما يشهد لذلك أيضاً والله أعلم.

## الخبر عن القبط وأولية ملكهم ودوفهم وتصاريف أحواهم والإلام بنسبيهم

هذه الأمة أقدم أمم العالم وأطولهم أمداً في الملك، وانتصروا بملك مصر وما إليها، ملوكها من لدن الخلقة إلى أن صبحهم الإسلام بها، فانتزعا المسلمون من أيديهم، ولعنهما كان الفتح، وربما غلب عليهم جميع ما عاصرهم من الأمم حين يستفحل أمرهم مثل العمالقة والفرس والروم واليونان، فيستولون على مصر من أيديهم، ثم يتخلص ظلهم، فراجع القبط ملوكهم هكذا إلى أن انقرضوا في مملكة الإسلام، وكانت يسمون الفراعنة سمة للمرؤك مصر في اللغة القديمة، ثم تغيرت اللغة وبقي هذا الاسم مجھول المعنى، كما تغيرت الحميرية إلى المضيرية، والسريانية إلى الرومية، ونسبيهم في المشهور إلى حام بن نوح، وعند المسعودي إلى بنصر بن حام، وليس في التوراة ذكر لبنصر بن حام وإنما ذكر مصرايم وكوش وكتنان وقوط. وقال السهيلي: إنهم من ولد كنعان بن

ملوكهم بعد التمزود ستة وأربعين أو خورها في ألف وأربعمائة من السنين باسماء أعمجية متعدد ضبطها فتركت تقلتها. إلا أنه ذكر في المروى منهم عدد العشرين وبعد السمعانة من سنينهم أنه الذي غزت فارس لهذه مدينة بابل، وذكر في المروى عدد ثلاثة وثلاثين منهم وعدن الألف والأربعمائة من سنينهم أنه سنجاريف الذي حارب بني إسرائيل وحاصرهم بيت المقدس حتى أخذ الجزيرة منهم، وأن آخر ملوكهم دارينوش، وهو دار الذي قتل الإسكندر لما ملك بابل. هذا ما ذكره المسعودي ولم يذكر منه مزروذ الخليل عليه السلام، وذكر أن مديتها بابل وأن الذي اخْتَطَّها اسمه نيز واسم إمراته شمرأ ملوك السريانين اسمان أعمجيان لا وثيق لنا بضبطها. وقال الطبرى: مزروذ بن كوش بن كنعان بن حام صاحب إبراهيم الخليل عليه السلام. وكان يقال عاد إرم، فلما هلكوا قبل ثمود إرم، فلما هلكوا قبل مزروذ إرم، فلما هلك قبل لسائر ولد إرم إرمان فهم النبط، وكانتوا على الإسلام ببابل حتى ملوكهم مزروذ قد دعاهم إلى عبادة الأوثان فبدواها. انتهى كلام الطبرى.

وقال هروشيوش مؤرخ الروم: إنه مزروذ الجسيم، وأن بابل كانت مربعة الشكل، وكان سورها في دور ثمانين ميلاً، وارتقاءه مائتا ذراع وعرضه خمسون ذراعاً، وهو كله مبني بالأجر والرصاص، وفيه مائة باب من النحاس، وفي أعلىه مساكن الحراس والمقلائل تبت على الجانين في سائر دوره الطريق بينهما. وحول هذا السور خندق بعيد المهوى، أجري فيه الماء، وأن الفرس هدموه، ولا تغلبوا على ملك بابل تول ذلك منه جيرش وهو كسرى الأول. انتهى كلام هروشيوش.

ويظهر من كلام هؤلاء أن اسم التمزود سمة لكل من ملك بابل لوقوعه في أهل أنساب مختلفة مرة إلى سام ومرة إلى حام. وزعم بعض المؤرخين أن مزروذ الخليل عليه السلام هو التمزود بن كنعان بن سنجاريف بن التمزود الأكبر، وأن مختنصر من عقبه وهو ابن بزداد بن سنجاريف بن التمزود، وأن الفرس الكينية غلبوا مختنصر على بابل، ثم أبقره واستعملوه عليها، وأن كسرى الأول من بي ساسان خرب مدينة بابل. وعند الإسرائيلىين وينقلونه عن كتاب دانياel وأرميا من أنبيائهم وضبط هذا الاسم يرميا: أن مختنصر من عقب كاسد بن حاور وهو أبو إبراهيم الخليل، وبنو كاسد هؤلاء من ملوك بابل ويعرفون بالكسدانيين نسبة إليه، وأن مختنصر منهم ملك أكثر العمور، وغلب على بي إسرائيل وأزال دولتهم، وخرب بيت المقدس، وانتهى ملكه إلى مصر وما وراءها، وكان ملكه خمساً وأربعين.

حام لأنه لما نسب مصر قال فيه: مصر بن النبيط أو ابن قبط بن النبيط من ولد كوش بن كنعان. وقال أهروشيوش: أن القبط من ولد قبط بن لايق بن مصر. عند الإسرائيليين أنهم من قوط بن حام. وعن بعضهم أنهم من كفتوريين قبطاين ومعناه القبط.

وقال المسعودي: اختص بنصر بن حام أيام النمرود ابن أخيه كنعان بولاية أرض مصر، واستبد بها وأوصى بالملك لابنه مصر، فاستغل ملكه ما بين أسوان واليمن والعريش وإبليه وفرسية، فسميت كلها أرض مصر نسبة إليه، وفي قبليها التوبه وفي شرقها الشام وفي شمالها بحر الزقاق وفي غربها برقه والتيل من دونها. وطال عمر مصر وكير ولده وأوصى بالملك لأكيرهم وهو قبط بن مصر أبو الأقباط، فطال أمد ملكه وكان له بنون أربع: قبط بن مصر وأن مصر هو الذي قسم الأرض وعهد إلى أكيرهم بالملك وهو قبط، فغلب عليهم فأضيقوا إليه مكان الملك والسن، وملك بعد قبط بن مصر أشمون بن مصر، ثم من بعده صائم آخرهما أتريب.

ثم عد ملوكاً بأسماء أعمجية بعيدة عن القبط لعجمتها وفساد الأصول التي بين أيدينا من كتبه، ثم لما ذكر ستة منهم بعد أتريب قال: فكثرا ولد بنصر بن حام وتشاغبوا وملك عليهم النساء، فسار بهم ملك الشام من العمالقة الوليد بن دومع فملكون وانقادوا إليه. وأما ابن سعيد فيما نقل من كتب المغارقة فقال: ملك مصر ابنه قبط، ثم من بعده أخوه أتريب. قال: وفي أيام قبط زحف شداد بن مداد بن شداد بن عاد إلى مصر وغلب على أسلافها، ومات قبط في حربه، ثم جمع أتريب قومه واستقر به بالبر والسودان على العرب حتى أخرجهم إلى الشام، واستبدل أتريب بملك مصر وبني المدينة المنورة إليه، ومدينة عين شمس. وملك بعده ابن أخيه البوذير بن قبط وهو الذي بعث هرمساً المصري إلى جبل القمر حتى ركب جريبة الليل من هنالك، وعدل بطبيعة الكجرى التي تنصب إليها عيون النيل، وعمر بلاد الراحات وحول إليها جمعاً من أهل بيته. ثم ملك من بعده عدیس بن البوذير، ثم ابنه شداد بن عدیس، ثم ابنه مندوش بن شداد وجد مدينة عين شمس. وكان لهم في السحر آثار عجيبة. ثم ملك بعده ابنه مقلادوش بن مقناوش وعبد البقر وصورها من الذهب، ثم هلك وخلف بعد ابنه مرقيش فغلب عليه عمه أشمون بن قبط، وبني مدينة الأشمون. وملك بعده ابنه أشاد بن أشمون، ثم من بعده عمه صابن قبط وبني مدينة باسمه، وملك بعده ابنه ندراس وكان حكيمًا وهو الذي بنى هيكل الزهرة الذي هدمه بختنصر. وملك بعده ابنه ماليق بن ندراس فرفض الصابنة

ودان بالتوحيد، ودخل بلاد البربر والأندلس، وحارب الإفرنج، وملك بعده ابنه حربيا بن ماليق فرجع عن التوحيد إلى الصابنة، وغزا بلاد الهند والسودان والشام. وملك بعده ابنه كلكي بن حربيا، وهو الذي تسمى القبط حكيم الملوك، وأخذ ميكيل زحل وعهد إلى أخيه ماليا بن حربيا، واشتغل باللهور فقتلته ابنه خرتيش وكان سفاكاً للدماء.

والقطب ترجم أنه فرعون الخليل عليه السلام، وأنه أول الفراعنة. ولما تدعى بالقتل إلى أقاربه سمعه ابنته حوريا، وملكت القبط من بعده فتازعها أبرا حس من ولد عمها أتريب، وحاربته فكان لها الغلب، وأنهزم أبرا حس إلى الشام، فاستقر به بالكمانيين وبعث ملوكهم قائده جيرون فلما قرب مصر استقبلته حوريا وأطعمته في زواجهما على أن يقتل أبرا حس ويبني مدينة الإسكندرية فعل، ثم قتلته آخرأ مسوماً واستقام لها الأمر، وبنت منارة الإسكندرية، وعهدت بأمرها للديقية ابنة عمها باقون، فخرج عليها أئمن من نسل أتريب طالباً بشار قريه أبرا حس، ولحقت تلك العمالة يومئذ وهو الوليد بن دومع الذي ذكرناه عند ذكر العمالة فاستنصر به وجاه معه وملك ديار مصر.

واستبدل القبط نقاوس فاشتغل باللذات، واستكفى من بنية أطغير وهو العزيز فكافاه، وقام بأمره ودبر له يوسف الفيوم بالرحي والهندسة، وكانت أرضها مغايض للماء فاخترجه وعمر القرى مكانه على عدد أيام السنة، فجعله على خزانته. وملك بعده دارم بن الريان وسمته القبط ويوصى. وكان يوسف مدبر أمره بوصية أخيه، ومات لعنهه فأسوء السيرة وهلك غريقاً في النيل. وملك بعده ابنه معدانوس بن دارم فترهب واستخلف ابنه كاشم فاستبعد بنى إسرائيل للقطب، وقتله حاجبه ونصب بعده ابنه لاطش، فاشتغل باللهور فخلمه، ونصب آخر من نسل نداروس اسمه هروب فتجبر، وتذكر القبط أنه فرعون موسى عليه السلام. وأهل الآخر يقولون: إنه الوليد بن مصعب وأنه كان نجاشاً تقلب حاله إلى عرافة الحرس، ثم تطور إلى الوزارة، ثم إلى الاستبداد. وهذا بعيد لما قدمناه في الكتاب الأول.

وقال المسعودي: بل كان فرعون موسى من الأقباط. ثم هلك فرعون موسى، وخشي القبط من ملوك الشام، فملکروا عليهم دلوكة من بيت الملك وهي التي بنت الحائط على أرض مصر، ويعرف بمحاط العجوز لأنها طال عمرها حتى كبرت وانخذلت البرابي ومقاييس النيل. ثم سمي المسعودي من بعد دلوكة ثمانية من ملوكهم على ذلك النحو من عجمة الأسماء، وقال في الثامن أنه فرعون الأعرج الذي اعتمد به بنو إسرائيل

حاطب بن أبي بلعنة، وجبر مولى أبي رهم الغفاري، فقارب الإسلام وأهدى إلى رسول الله ﷺ هديته المعروفة ذكرها أهل السير كان فيها البغة التي كان رسول الله ﷺ يركبها وتسمى دلدل، والحمار الذي يسمى بعفور، ومارية القبطية أم ولده إبراهيم وأمها وأختها سيرين وهبها رسول الله ﷺ لحسان بن ثابت، فولدت له عبد الرحمن، وقدح من قوارير كان رسول الله ﷺ يشرب فيه، وعسل استقرفة له من بها إحدى قرى مصر معروفة بالعسل الطيب. ويقال: إن هرقل لما بلغه شأن هذه الهدية اتهمه بالليل إلى الإسلام فعزله عن رئاسة القبط.

وخرج مسلم في صحيحه من رواية أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال: إذا افتحتم مصر أو إنكم مستفتحون مصر فاستوصوا بأهلها خيراً، فإن لمم ذمة ورحماً أو صهراً. ورواه ابن إسحاق عن الزهري وقال: قلت للزهري ما الرحم التي ذكر؟ قال: كانت هاجر أم إسماعيل منهم. ولبعض رواة الحديث في تفسير الصرmer أن مارية أم إبراهيم منهم، أهداها له المقويس، وكانت من كورة حفن من عمل أصنام. وقال الطبرى: إن عمرو بن العاص لما ملك مصر أخبرهم بوصية النبي ﷺ بهم، فقال: هذا نسب لا يحفظ حقه إلا بي لأنه نسب بعید، وذكروا له أن هاجر كانت امرأة ملك من ملوكنا ووقتها بينا وبين أهل عين شمس حروب كانت لهم في بعضها دولة فقتلوا الملك وسيوفها.

ومن هناك تسرت إلى أبيكم إبراهيم. ولما كمل فتح مصر والإسكندرية وارتعل الروم إلى القسطنطينية، أقام المقويس والقبط على الصلح الذي عقده لهم عمرو بن العاص وعلى الجزء، وأبقوه على رئاسة قومه، وكانوا يشاورونه فيما ينزل من المهمات إلى أن هلك، وكان ينزل الإسكندرية وفي بعض الأوقات ينزل منف من أعمال مصر. واحتل عمرو بن العاص الفسطاط بموضع خيامه التي كان يحاصر منها مصر، فنزل بها المسلمين وهجروا المدينة التي كان بها المقويس، إلى أن خربت. وكان في خرابها ومهلك المقويس انقراض أمرهم. ويفى أعقابهم إلى هذا الزمان يستعملهم أهل الدول الإسلامية في حسابات الخراج، وجباريات الأموال لقياهم عليها، وغناهم فيها، وكفافاتهم في ضبطها وتنميتها.

وقد يهاجر بعضهم إلى الإسلام فترتفع رتبتهم عند السلطان في الوظائف المالية التي أعلاها في الديار المصرية رتبة الوزارة، فيقلدونهم إياها ليحصل لهم بذلك قرب من السلطان وحظ عظيم في الدولة وبيضة يد في الجاه، تعددت منهم في ذلك رجال، وتعينت لهم بيوت قصر السلطان نظره على الاختيار منها لهذا

من مختصر، فدخل عليه مصر وقتله وهم هيأكل الصابة ووضع بيوت النيران له ولولده. وذكر في تواريختهم قال: قال ابن عبد الحكيم: وهذه العجوز دركة هي التي جددت البراري بمصر، أرسلت إلى امرأة ساحرة كانت لها مهدها اسمها ترورة، وكانت السحرة تعظمها، فعملت بربى من حجارة وسط مدينة منف، وصورت فيها صور الحيوانات من ناطق وأعجم، فلا يقع شيء بذلك الصورة إلا وقع ميتاً في الخارج. وكان لهم بذلك امتناع عن يقصدهم من الأمم لأنهم كانوا أعلم الناس بالسحر، وأقامت عليهم عشرين سنة حتى بلغ صبي من أبنائهم اسمه دركون بطروس فملكته، وأقامت معه على ذلك أربعين سنة، ثم مات فولوا ابنه يريديس بن دركون، ومن بعده أخاه نقاس بن نقراس، ومن بعده مرينا بن مرينيوس، ثم ابنه استمارس بن مرينا فطشي عليهم وخلعوه وقتلوه، وولوا عليهم من أشرافهم بلوطيس بن مناكيل أربعين سنة، ثم استخلف مالرس بن بلوطيس ومات، فاستخلف أخاه مناكيل بن بلوطيس ثم توفى، فاستخلف ابنه بركة بن مناكيل فملكته مائة وعشرين سنة، وهو فرعون الأعرج الذي سبى أهل بيته المقدس، ويقال أنه خلي.

وقال ابن عبد الحكم: ولد من بعده ابنه مرينيوس بن بركة، فاستخلف أبنته فرقون بن مرينيوس فملكته ستين سنة ثم هلك، واستخلف أخاه نقاس بن مرينيوس، وكانت البراري كلها إذا فسد منها شيء لا يصلحه إلا رجل من ذريعة تلك العجوز الساحرة التي وضعتها، ثم انقطعت ذريتها ف Cassidy البراري أيام نقاس هذه، وتجاسر الناس على طلب الملك الذي في أيديهم، وهلك نقاس واستخلف ابنه قومس بن نقاس، فملكته دهراً ثم ملك مختصر بيت المقدس، واستلهم بني إسرائيل وفرقوهم وقتل وخرب وخلفوا مصر، فأغارهم قومس ملكها ويعيث فيهم مختصر فنهمهم رزحف إليه وغلب عليه فقتله وخرب مدينة منف. وبقيت مصر أربعين سنة خراباً. وسكنها أرميا مدة ثم بعث إليه مختصر فلحق به ثم رد أهل مصر إلى موضعهم، وأقاموا كذلك ما شاء الله إلى أن غلب الفرس والروم على الأمم، وقاتل أهل مصر إلى أن وضعوا عليهم الجزء، ثم تقاسمها قارس والروم.

ثم تداولوا ملوكها توالياً عليها نواب الفرس. ثم ملكها الإسكندر اليوناني وجدد الإسكندرية، والأثار التي خارجها مثل عمود السواري ورواق الحكم. ثم غلب الروم على مصر والشام وأبقوها القبط في ملوكها وصرفوهم في الولاية بمصر إلى أن جاء الله بالإسلام، وصاحب القبط مصر والإسكندرية المقويس، واسمه جريج بن مينا فيما نقله السهيلي، فأرسل إليه رسول الله ﷺ

كلمة مرادفة لعبد وما قبلها من أسماء الله عز وجل وصفاته والمضاف أبداً متاخر في لسان العجم، فلذلك كان ليل هو آخر الكلمة وهو المضاف. ثم قبض الله نبيه يعقوب بمصر لمائة وسبعين سنة من عمره، وأوصى أن يدفن عند أبيه، فطلب يوسف من فرعون أن يطلقه لذلك، فأذن له. وأمر أهل دولته بالانطلاق معه، فانطلقا وحملوه إلى فلسطين فدفنه بمقدمة آبائه، وهي التي اشتراها إبراهيم من الكهبانين. ورجع يوسف إلى مصر وأقام بها إلى أن توفي لائحة وعشرين سنة من عمره، ودفن بمصر وأوصى أن يحملوا شلوه معهم إذا خرجوا إلى أرض المياد، وهي الأرض المقدسة.

وأقام الأسباط بمصر وتناسلوا وكثروا حتى ارتقى القبط بكثتهم واستعبدوهم، وفي التوراة أن ملكاً من الفراعنة جاء بعد يوسف لم يعرف شأنه ولا مقامه في دولة آبائه، فاسترق بني إسرائيل واستعبدهم. ثم تحدث الكهان من أهل دولتهم بأن نبوة تظاهر في بني إسرائيل، وأن ملكك كائن لهم مع ما كان معلوماً من بشارة آبائهم لهم بالملوك، فعمد الفراعنة إلى قطع نسلهم بنبيع الذكور من ذريتهم. فلم يزالوا على ذلك مدة من الزمان حتى ولد موسى. وهو موسى بن عمران بن قاheet بن لاوى بن يعقوب. وأمه يوحانند بنت لاوى عممة عمران. وكان قاheet بن لاوى من القادمين إلى مصر مع يعقوب عليه السلام ووليد عمران بمصر وولد هارون ثلاثة وسبعين من عمره، وموسى لثمانين، فجعلته أمه في تابوت والقتها في ضحاض اليم، وأرصدت آخره على بعد لتنظر من يلتقطه فترعرفه. وقلت: هذا من جواريه فرأته واستخرجه من التابوت فرحمته. وقالت: أنا آتكم بها! وجاءت بأمه فاسترضعتها له ابنة فرعون، إلى أن فصل. فأتت به إلى ابنة فرعون وسمته موسى وأسلمته لها. ونشأ عندها ثم شب، وخرج يوماً يمشي في الناس وله صولة بما كان له في بيت فرعون من الرسى والرضاخ فهم بذلك أخواله، فرأى عربانياً يضرره مصري فقتل المصري الذي ضربه ودفنه، وخرج يوماً آخر فإذا هو برجلين من بني إسرائيل وقد سطا أحدهما على الآخر فزجره، فقال له: ومن جعل لك هذا؟ أتريد أن تنتقم كما قتلت الآخر بالأمس؟ وهي الخبر إلى فرعون فطلبها، وهرب موسى إلى أرض مدين عند عقبة أيلة. وبني مدين أمة عظيمة من بني إبراهيم عليه السلام، كانوا ساكنين هناك وكان ذلك لأربعين سنة من عمره، فلقي عند مانهم بتين لعطيهم من عظامهم فنسقى لهم، وجاءتا به إلى ليهاما فزوجه بإحداهما، كما وقع في القرآن الكريم، وأكثر

العهد. وعامتهم يقيم على دين النصرانية الذين كانوا عليها لهذا العهد. وأكثراهم بتواحي الصعيد وسائر الأعمال متصرفون بالفلح والله غالب على أمره.

وأما إقليم مصر فكان في أيام القبط والفراعنة جسراً كله بتقدير وتدير يحيى عليه ويرسلونه كيف شاؤوا، والجذبات حفاف النيل من أعلىه إلى أسفله ما بين أسوان ورشيد، وكانت مدينة منف وعين شمس يجري الماء تحت منازلها وأقيمتها بتقدير معلوم، ذكر ذلك كله عبد الرحمن بن شمسة، وهو من خيار التابعين، يرويه عن أشياخ مصر قالوا: ومدينة عين شمس كانت هيكل الشمس، وكان فيها من الآبنته والأعمدة واللاعب ما ليس في بلد. قلت: وفي مكانها لهذا العهد ضيعة متصلة بالقاهرة يسكنها نصارى من القبط وتسمى المطرية. قالوا: ومدينة منف مدينة الملوك قبل الفراعنة وبعدهم إلى أن خربها مختنصر كما تقدم في دولة قومس بن نواس، وكان فرعون ينزل مدينة منف، وكان لها سبعون باباً وبنى حيطانها بالحديد والصفر، وكانت أربعة أنهار تجري تحت سريره، ذكره أبو القاسم بن خردابه في كتاب المسالك والممالك قال: وكان طرها اثنى عشر ميلاً، وكانت جبة مصر تسعن ألف ألف دينار مكررة مرتين بالدينار الفرعوني وهو ثلاثة مثاقيل، وإنما سميت مصر بن يصر بن حام، ويقال إنه كان مع نوح في السفينة فدعاه له فاسكه الله هذه الأرض الطيبة، وجعل البركة في ولده، وحدها طولاً من برقة إلى أيلة، وعرضها من أسوان إلى رشيد، وكان أهلها صابنة، ثم حلهم الروم لما ملکوها بعد قسطنطين على النصرانية، عندما حلوا على الأمم المجاورة لهم من الجلالقة والصالابة ويرجان والروس والقبط والحبشة والتوبية، فدانوا كلامه بذلك ورجعوا عن دين الصابنة في تعظيم المباكل وعبادة الأوثان، والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

## الخبر عن بني إسرائيل وما كان لهم من النبوة والملك وتغلبهم على الأرض المقدسة بالشام وكيف تجددت دولتهم بعد الانقراض وما اكتفت ذلك من الأحوال

قد ذكرنا عند ذكر إبراهيم وبينه صلوات الله عليه وسلمه عليهم ما كان من شأن يعقوب بن إسحاق واستقراره بمصر مع بنيه الأسباط، وفي التوراة أن الله سماه إسرائيل. وليل عندهم

على موتاهم، وأخرجوا معهم تابوت يوسف عليه السلام، استخرجه موسى صلوات الله عليه من المدفن الذي كان به يلتمس من الله تعالى، وساروا لوجههم حتى انتهوا إلى ساحل البحر بجانب الطور.

وأدركهم فرعون وجندوه، وأمر موسى بأن يضرب البحر بعصاه ويقتله، فضربه فانقلب طرقة. وسار فيه بنو إسرائيل وفرعون وجندوه في اتباعه، ونزل بنو إسرائيل بجانب الطور، وسبحوا مع موسى بالتسبيح المنقول عندهم وهو: نسبح لله البهي، الذي قهر الجنود، ونبذ فرسانها في البحر المتبع المحمود إلى آخره. قالوا: وكانت مريم اخت موسى وهارون صلوات الله عليهم تأخذ الدف بيدها، ونساء بني إسرائيل في أثرها بالدفوف والطلول، وهي ترتل هن التسبيح سبحان الله القهار الذي قهر الخيل وركابها القاتلها في البحر وهو المعنى الأول. ثم كانت المناجاة على جبل الطور وكلام الله لموسى والمعجزات التالية، ونزول الألواح، ويزعم بنو إسرائيل أنها كانت لوحين فيها الكلمات العشرة وهي: كلمة التوحيد، والمحافظة على السبت بترك الأعمال فيه، وير الوالدين ليطول العمر، والنهي عن القتل والزنا والسرقة وشهادة الزور، ولا تندعن إلى بيت صاحبه أو أمراته، أو لشيء من متاعه. هذه الكلمات العشرة التي تضمنتها الألواح. وكان سبب نزول الألواح أن النبي إسرائيل لما سبحوا ونزلوا حول طور سيناء صعد موسى إلى الجبل، فكلمه ربه وأمره أن يذكر بني إسرائيل بالنعمانية عليهم في نجاتهم من فرعون وأن يتظهروا ويعسلوا ثيابهم ثلاثة أيام، ويجتمعوا في اليوم الثالث حول الجبل من بعد، ففعلوا.

وظلت الجبل غماماً عظيمة ذات بروق ورعد ففزعوا، وقاموا في سفح الجبل دهشين، ثم غشى الجبل دخان في وسطه عمود نور وتزلزل له الجبل زلزلة عظيمة شديدة، واشتد صوت الرعد الذي كانوا يسمعونه، وأمر موسى صلوات الله عليه بأن يقرب بني إسرائيل لسماع الوصايا والتکاليف، قال فلم يطيقوا فامر بحضور هارون وتكون العلماء غير بعيده ففعل، وجاءهم بالألواح.

ثم سار بعد ذلك إلى ميعاد الله بعد أربعين ليلة، فكلمه ربه وسأله الرؤية فمنعها، فكان الصدق وساح الجبل، وتلقى كثيراً من أحكام التوراة في الماء العاذر والتحليل والتحريم. وكان حين سار إلى الميعاد استخلف أخاه هارون على بني إسرائيل، واستبطأوا موسى، وكان هارون قد أخبرهم بأن الحلبي الذي أحذوه للقطب محروم عليهم، فأرادوا حرقه وأوقفوا عليه النار.

المفسرين على أنه شعيب بن نوفل بن عيقا بن مدين وهو النبي عليه السلام.

وقال الطبرى: الذي استأجر موسى وزوجه بنته رعوبيل وهو بيت حبر مدين أى عاملهم، وأن رعوبيل هو الذي زوجه البنت وأن اسمه يبت. وعن الحسن البصري أنه شعيب زوجه رئيس بني مدين. وقيل إنه ابن أخي شعيب. وقيل ابن عمه. فاقام عند شعيب صهره مقللاً على عبادة ربه، إلى أن جاءه الوحي وهو ابن ثمانين سنة، وأوحى إلى أخيه هارون وهو ابن ثلاث وثمانين سنة، فاوحى الله إليهما بأن يأتيها فرعون ليبعث معهما بني إسرائيل فيستنقذانهم من مملكة القبط وجور الفراعنة، وينحرجون إلى الأرض المقدسة التي وعدهم الله بذلكها على لسان إبراهيم وإسحاق وبعثه.

فخرجوا إليه وبليغاً ببني إسرائيل الرسالة فآمنوا به واتبعوه، ثم حضرا إلى فرعون وبليغاه أمره الله له بأن يبعث معهما بني إسرائيل وأراه موسى عليه السلام معجزة العصا، فكان من تكذيبه وامتناعه وإحضار السحرة لما رأى من موسى في معجزته ثم إسلامهم ما نصه القرآن العظيم. ثم تماidi فرعون في تكذيبه ومناصبته، واشتد جوره على بني إسرائيل واستعبادهم وانتقادهم سخرياً في مهنة الأعمال، فأصابت فرعون وقومه الجلوائح العشرة واحدة بعد أخرى يسالمهم عند وقوعها، ويتصدر إلى موسى في الدعاء بالجلال لها، إلى أن أوحى الله إلى موسى بمفروض بني إسرائيل من مصر.

وفي التوراة أنهم أمروا عند خروجهم أن يذبح أهل كل بيت حلاً من الغنم إن كان كفاياتهم، أو يشترون مع جيرائهم إن كان أكثر، وأن ينضحو ردمه على أبوائهم لتكون علامة، وأن يأكلوه سواء برأسه وأطرافه، وعنه لا يكسرون له عظاماً ولا يدعون شيئاً خارج البيوت، ول يكن خبزهم فطيراً ذلك اليوم وسبعة أيام بعده، وذلك في اليوم الرابع عشر من نصل الربع، وليأكلوا بسرعة وأواساطهم مشدودة، وخفافتهم في أرجلهم، وعصيهم في أيديهم، وينحرجوا ليلًاً وما فضل من عشائهم ذلك يحرقوه بالشار، وشرع هذا عيناً لهم والأعقاب لهم ويسمي عبد النصص.

وفي التوراة أيضاً أنه قتل في تلك الليلة أبكار النساء من القبط ودواهم ومواشيهم ليكون لهم بذلك ثقل عن بني إسرائيل. وأنهم أمروا أن يستمير منهم حلياً كثيراً ينحرجون به، فاستعاروه وخرجوا في تلك الليلة بما معهم من الدواب والأنعام، وكانتوا ستمائة ألف أو يزيدون. وشنلل القبط عنهم باللائم التي كانوا فيها

وجاه السامری في شیعة له من بنی إسرائیل، والقى عليه شيئاً كان عنده من أثر الرسول، فصار عجلًا وقيل عجلًا حیواناً، وعبده بنو إسرائیل، وسكت عنهم هارون خوفاً من افترائهم. وجاه موسى صلوات الله عليه من المناجة وقد أخرب بذلك في مناجاته، فلما رأهم على ذلك ألقى الألواح، ويقال كسرها، وأبدل غيرها من الحجارة، وعند بنی إسرائیل إنما اثنان، وظاهر القرآن أنها أكثر مع أنه لا يبعد استعمال الجمع في الاثنين، ثم أخذ برأس أخيه ووجهه واعتذر له بما اعتذر ثم حرق العجل، وقيل برد بالمرید والقام في البحر.

وكان موسى صلوات الله عليه لما نجا بيني إسرائیل إلى الضرر بلغ خبره إلى بشر صهره من بنی مدین، فجاءه ومعه بيته صفروا زوجة موسى عليه السلام التي زوجها به أبوها رعييل كما تقدم، ومعها ابناها من موسى وهما جرشون وعازر، فلتلقاها موسى صلوات الله عليه بالبر والكرامة وعظمته بنو إسرائیل، ورأى كثرة المخصوصات على موسى، فأشار عليه بأن يتخذ النقاب على كل مائة أو خمسين أو عشرة فيفصلوا بين الناس، وتفصل أنت فيما أهم وأشكل، ففعل ذلك.

ثم أمر الله موسى ببناء قبة للعبادة والرحى من خشب الشمشاد، ويقال هو السنط وجلود الأنعام وشعر الأغنام، وأمر بتزيتها بالحرير والمصبع والذهب والفضة على أركانها صور منها صور الملائكة الكروبيين على كيفيات مفصلة في التوراة في ذلك كله، وهذا عشر سرادقات مقدرة الطول والعرض، وأربعة أبواب وأطناب من حزير منقوش مصبع، وفيها دفوف وصفائح من ذهب وفضة، وفي كل زاوية بابان وأبراب وستور من حزير، وغير ذلك مما هو مشروح في التوراة. وبعمل تابوت من خشب الشمشاد طول ذراعين ونصف في عرض ذراعين في ارتفاع ذراع ونصف مصفحاً بالذهب الخالص من داخل وخارج، ولو أربع ملوك بأجنحة ويكونان متقابلين، وأن يصنع ذلك كله فلان شخص معروف من بنی إسرائیل.

وأن يعمل مائدة من خشب الشمشاد طول ذراعين في عرض ذراع ونصف بطناب ذهب، وإكليل ذهب، بمدافة مرتفعة بإكليل ذهب، وأربع حلقات ذهب في أربع نواحيها مغروزة في مثل الرمانة من خشب ملبس ذهب، وصحافاً وصصاف وقصاص على المائدة كلها من ذهب.

وأن يعمل منارة من ذهب، بست قصبات من كل جانب ثلاث وعلى كل قصبة ثلاثة سرج، ول يكن في المنارة أربعة قناديل،

ولتكن هي وجيع آلاتها من قنطرة من ذهب. وأن يعمل منها للقربان، ووصف ذلك كله في التوراة بآتم وصف، ونصبت هذه القبة أول يوم من فصل الربيع ونصب فيها تابوت الشهادة وتضمن هذا الفصل في التوراة من الأحكام والشرع في القربان والنحو وأحوال هذه القبة كبيرة، وفيها أن قبة القربان كانت موجودة قبل عبادة أهل العجل، وأنها كانت كالكعبة يصلون إليها وفها، ويقربون عندها، وأن أحوال القربان كانت كلها راجعة إلى هارون عليه السلام بعهد الله إلى موسى بذلك، وأن موسى صلوات الله عليه كان إذا دخلها يقفون حولها وينزل عمود الغمام على بابها، فيخرون عند ذلك سجداً لله عن وجمل، ويكلم الله موسى عليه السلام من ذلك العمود الغمام الذي هو نور وبخاطبه وبناجيه وبنها، وهو واقف عند التابوت صائم لما بين ذيئن الكروبيين. فإذا فصل الخطاب يخبر بنی إسرائیل بما أوحاه إليه من الأوامر والتواهي، وإذا تحاكموا إليه في شيء ليس عنده من الله فيه بشيء، يهوي إلى قبة القربان، ويقف عند التابوت ويصمد لما بين ذيئن الكروبيين فيأتيه الخطاب بما في فصل تلك المخصوصة.

ولما نجا بنو إسرائیل ودخلوا البرية عند سينا أول المصيف لثلاثة أشهر من خروجهم من مصر، وواجهوا جبال الشام وبلاد بيت المقدس التي وعدوا بها أن تكون ملكاً لهم على لسان إبراهيم وإسحاق وبعقوب صلوات الله عليهم بمسيرهم إليها، وأتواه بياضه بنى إسرائیل من بطريق حل السلاح منهم من ابن عشرين فما فرقها فكانوا ستمائة ألف أوزيدون، وضرب عليهم الفزو ورتب المصال واليمونة والميسرة، وعين مكان كل سبط في التعبية وجعل فيه التابوت والذبح في القلب، وعين خدمتها بنى لاوى من أسباطهم، وأسقط عنهم القتال خدمة القبة، وسار على التعبية سالكاً على بريه فاران، ويعشاوا منهم اثنى عشر تقريباً من جميع الأسباط فأتوهم بالخبر عن الجبارين.

كان منهم كالب بن يوفنا بن حصرون بن بارص بن يهوذا بن يعقوب، ويوشع بن نون بن الشامع بن عميهون بن بارص بن لعدان بن تاحن بن تالح بن أراشف بن رافع بن بريعا بن أفراسيم بن يوسف بن يعقوب، فاستطابوا البلاد واستعظموا العدو من الكعنين والعمالقة، ورجعوا إلى قومهم يخبرونهم الخبر وختلوا بهم، إلا يوشع وكالب فقا لا لهم ما قالا وما الرجال اللذان أئتم الله عليهما. وخامر بنو إسرائیل عن اللقاء، وأدوا من السير إلى عدوهم، والأرض التي ملكهم الله، إلى أن يهلك الله عدوهم على غير أيديهم. فسخط الله ذلك منهم وعاقبهم بأن لا يدخل الأرض المقدسة أحد من ذلك الجيل إلا كالبأ ويوشع. وإنما

ثم تخرج أمة من أرض الروم فيغلبون عليهم، فغصب الملك وانصرف بلعام إلى بلاده.

وفشا في بني إسرائيل الزنا بينات مؤاب ومدين فأصابهم المروقان، فهلكت منهم أربعة وعشرون ألفاً. ودخل فتحاصل بن لعزرا على رجل من بني إسرائيل في خيمته ومعه امرأة من بني مدين قد دخلها للزنا برأي من بني إسرائيل، فطعنها برمحه وانتظها وارتفع المروقان عن بني إسرائيل. ثم أمر الله موسى والعزيز بن هارون بإحصاء بني إسرائيل بعد فناء الجبل الذي أحصاهم موسى وهارون ببرية سينا، وانقضاء الأربعين سنة التي حرم الله عليهم فيها دخول تلك الأرض، وأن يبعث بعثاً من بني إسرائيل إلى مدين الذين أعنوا ببني مؤاب، فبعث أثني عشر ألفاً من بني إسرائيل عليهم فتحاصل بن العزيز بن العزر بن هارون، فحاربوا بني مدين وقتلوا ملوكهم وسيروا نسائهم وملكونا أمواهم، وقسم ذلك في بني إسرائيل بعد أن أخذ منه الله، وكان فيمن قتل بلعام بن باعورا.

ثم قسم الأرض التي ملك من بني مدين والعموريين وبني عمون وبني مؤاب، ثم ارتحل بنو إسرائيل ونزلوا شاطئ الأردن، وقال الله قد ملككم ما بين الأردن والفترات كما وعدت أباكم. ونهوا عن قتال عيسو الساكين ساعير وبني عمون وعن أرضهم. وغنموا عن قتال عيسو الساكين ساعير وبني عمون وعن أرضهم. وأكمل الله الشريعة والأحكام والوصايا لموسى عليه السلام، وقبضه إليه مائة وعشرين سنة من عمره، بعد أن عهد إلى فتاه يوشع أن يدخل ببني إسرائيل إلى الأرض المقدسة ليسكنوها، ويعملوا بالشريعة التي فرضت عليهم فيها، ودفن بالوادي في أرض مؤاب ولم يعرف قبره لهذا العهد.

وقال الطبرى: مدة عمر موسى صلوات الله عليه مائة وعشرون سنة، منها في أيام أفريدون عشرون، ومنها في أيام منوجهر مائة. قال: ثم سار يوشع من بعد موسى إلى أريحا، فهزم الجبارين ودخلها عليهم. وقال النبي: إن يوشع تنبأ بعد موسى، وسار إلى أريحا فهزم الجبارين، ودخلها عليهم، وأن بلعام بن باعورا كان مع الجبارين يدعى على يوشع، فلم يستجب له، وصرف دعاؤه على الجبارين. وكان بلعام من قرى البلقاء، وكان عنده الاسم الأعظم، فطلب الكهنة في الدعاء على بني إسرائيل فامتنع، وألحوا عليه فاجاب، ودعا فصرف دعاؤه، وكان قياسه للدعاء على جبل حسان مطلأ على عسكر بني إسرائيل، هذا خبر النبي في أن دعاء بلعام كان لعهد يوشع. والذى في التوراة أنه كان لعهد موسى، وأن بلعام قتل لعهد موسى كما مر في خبر الطبرى.

يدخلها أبناؤهم والجيل الذي بعدهم.

فأقاموا كذلك أربعين سنة في برية سينا وفاران، يتددون حوالي جبال السراة، وأرض ساعير، وأرض بلاد الكرك والشوبك، وموسى صلوات الله عليه بين ظهرانيهم يسأل الله لطفه بهم ومغفرته ويدفع عنهم مهالك سخطه، وشكوا الجوع، فبعث الله لهم من حبات ييش متشرة على الأرض مثل ذرير الكثيرة، فكانوا يطحونه ويختذلون منه المخبز لأكلهم. ثم قرموا إلى اللحم فبعث لهم السلوى طيراً يخرج من البحر، وهو طير السماني، فياكلون منه ويدخررون، ثم طلبوا الماء، فأمر أن يضرس بعصا الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً، وأقاموا على ذلك ثم ارتتاب واحد منهم اسمه فودح بن إيهشر بن قاheet، وهو ابن عم موسى بن عمران بن قاheet، فارتتاب هو وجماعة منهم من بني إسرائيل بشأن موسى، واعتمدوا مناصبته فأصابتهم قارعة وخسفت بهم وبه الأرض وأصبحوا عبرة للمعتبرين. واعترض بنو إسرائيل على الاستقالة مما فعلوه والزحف إلى العدو، ونهام موسى عن ذلك فلم يتهاوا وصدعوا جبل العمالة فحارباه أهل ذلك الجبل فهزموهم وقتلواهم في كل وجه. فامسكوا وأقام موسى على الاستفار لهم، فأرسل إلى ملك أدوم يطلب الجنواز عليه إلى الأرض المقدسة فعندهم، وحال دون ذلك. ثم قضى هارون صلوات الله عليه مائة وثلاثة وعشرين سنة من عمره، ولأربعين سنة من يوم خروجهم من مصر، وحزن له بنو إسرائيل لأنه كان شديد الشفقة عليهم، وقام بأمره الذي كان يقوم به ابنه العزيز، ثم زحف بنو إسرائيل إلى بعض ملوك كنعان، فهزموهم وقتلواهم وغنموا ما أصابوا معهم، ويعثروا إلى سيفون ملك العموريين من كنعان في الجزاير في أرضه إلى الأرض المقدسة فعندهم وجعل قرمه وغزا بنى إسرائيل في البرية، فحاربوا وهزموه وملكونا بلاده إلى حد بي عمون، ونزلوا مديتها وكانت لبني مؤاب. وتغلب عليها سيفون.

ثم قاتلوا عوجاً وقومه من كنعان وهو المشهور بعرج بن عوق، وكان شديد البأس فهزموه وقاتلوا وينيه وأثخنا في أرضه، وورثوا أرضهم إلى الأردن بناحية أريحا وخشي ملك بني مؤاب من بني إسرائيل، واستجاش من يجاوره من بني مدين وجمعهم، ثم أرسل إلى بلعام بن باعورا وكان ينزل في التخم بين بلاد بني عمون وبني مؤاب، وكان عياب الدعوة معبراً للأحلام. واستدعاهم ليستعين بدعائه، وأناه الوحي بالنهي عن الدعاء، واللح عليه ذلك الملك وأصعده إلى الأماكن الشاهقة، وأراه معسكس بني إسرائيل منها، فدعا لهم وأنطقه الله بظهورهم وأنهم يملكون إلى الموصل.

السلام، واليهود لا يعرفون هذه القصة وبعضهم يقول كان ذلك لعد طالوت والله أعلم.

### آخر عن حكام بني إسرائيل بعد يوشع إلى أن صار أمرهم إلى الملك وملك عليهم طالوت

ولما قبض يوشع صلوات الله عليه بعد استكمال الفتح، وقييد الأمر، ضيغ بنو إسرائيل الشريعة، وما أوصاهم به وحذرهم من خلافه، فاستطالت عليهم الأمم الذين كانوا بالشام، وطمعوا فيهم من كل ناحية. وكان أمرهم شوري فيختارون للحكم في عامتهم من شاؤوا، ويدفعون للحرب من يقوم بها من أسباطهم، ولم يختار مع ذلك على من يلي شيئاً من أمرهم، وتارة يكون نبياً يديبرهم بالوحى، وأقاموا على ذلك خمراً من ثلاثة عشر سنة لم يكن لهم فيها ملك مستقل، والمملوك تناوشهم من كل جهة، إلى أن طلبوا من نبيهم شمويل أن يبعث عليهم ملكاً، فكان طالوت، ومن بعده داود، فاستفحلا ملوكهم يومئذ وقهروا أعداءهم، على ما ياتي ذكره بعد. وتسمى هذه المدة بين يوشع وطالوت مدة الحكام وملة الشيرخ.

وإذا الآن ذكر من كان فيها من الحكام على التابع معتمداً على الصحيح منه، على ما وقع في كتاب الطبرى والمسعودى، ومقابلاً به ما نقله صاحب حماة من نبى أبوب فى تاريخه عن سفر الحكام والملوك من الإسرائيلىات، وما نقله أيضاً هروشيوش مؤرخ الروم فى كتابه الذى ترجم للحكم المستنصر من نبى أمية قاضى النصارى وتراجانهم بقرطبة وقادس بن أصبع. قالوا كلهم: لما فتح يوشع مدينة أريحا سار إلى نابلس فملكتها ودفن هنالك شلو بوسف عليه السلام، وكانت محلة مهم عنده خروجه من مصر. وقد ذكرنا أنه كان أوصى بذلك عند موته.

وقال الطبرى: أنه بعد فتح أريحا نهض إلى بلد عايى من ملوك كنعان، فقتل الملك وأحرق المدينة، وتلقاه خيقون ملك عماد، وبارق ملك أورشليم بالجزى واستندوا بأمانه فأسلمهم، وزحف إلى خيقون ملك الأرمن إلى حرمان واستحلهم وصلب ملوكهم، وتنعى الملوك بالشام فاستباح منهم واحداً وثلاثين ملوكاً. وملك قيسارية، وقسم الأرض التي ملكها بين بني إسرائيل، وأعطى جبل المقدس لكالب بن يوفنا فسكن مدينة أورشليم، وأقام مع بني يهودا، ووضع القبة التي فيها تابوت العهد والمذبح

وقال السدى: إن يوشع بعد وفاة موسى صلوات الله عليه أمر أن يعبر، فسار ومه التابوت ثابت المياق، حتى عبر الأردن، وقاتل الكعناعيين فهزهم، وأن الشمس جنحت للغرروب يوم قتالهم ودعا الله يوشع فوققت الشمس حتى تمت عليهم الهزيمة، ثم نازل أريحا ستة أشهر، وفي السابع نفحوا في القرون، وضع الشعب ضجة واحدة، فسقط سور المدينة فاستباحوها وأحرقوها. وكل الفتح واقسموا بلاد الكعناعيين كما أمرهم الله. هذا مسامق الخبر عن سيرة موسى صلوات الله عليه وبني إسرائيل أيام حياته وبعد مماته حتى ملكوا أريحا.

وفي كتب الاخباريين: أن العمالقة الذين كانوا بالشام قاتلهم يوشع فهزهم وقتل آخر ملوكهم وهو السميدع بن هوبير بن مالك، وكان لقاوئهم إيه مع بني مدين في أرضهم وفي ذلك يقول عوف بن سعد الجرمي: الم تر أن العلقمي بن هوبير باليلة أمسى لحمه قد تمزعاً ترامت عليه من يهود جحافل ثمانون ألفاً حاسرين ودرعاً ذكره المسعودي وقد تقدم لنا خلاف النسبة في هؤلاء العمالقة وأنهم لعلميق بن لاوذ أو لعمالقة بن اليغاز بن عصرو الثاني، لنسبة بني إسرائيل سار إليه علماء العرب. وأما الأمم الذين كانوا بالشام لذلك العهد، فاكترهم لبني كنعان وقد تقدمت شعوبهم، وبنوا أرواه أبناء عمرون، وبنوا مواب أبناء لوط، وثلاثتهم أهل يسغir وجبار الشرة وهي بلاد الكرك والشريك والبلقا، ثم بنو فلسطين من بني حام وسيم ملوكهم جالوت وهو من الكعناعيين منهم، ثم بنوا مدين ثم العمالقة. ولم يؤذن لبني إسرائيل في غير بلاد الكعناعيين فهي التي اقسموا مملوكها وصارت لهم تراثاً، وأما غيرهم فلم يكن لهم فيها إلا الطاعة والمغارم الشرعية من صدقة وغيرها.

وفي كتب الاخباريين: أن بني إسرائيل بعد ملوكهم الشام بعثوا بعوئهم إلى الحجاز، وهناك يومئذ أمة من العمالقة يسمون جاسم، وكان اسم ملوكهم الإبر بن الأرق، وكان أوصاهم أن لا يستبقوا منهم من بلغ الحلم فلما ظهروا على العمالقة وقتلوا الأرق، استبقوا ابنه وضموا به عن القتل لوضاعته. ولما رجعوا من بعد الفتح وبعدهم إخوانهم ومنعوهم دخول الشام وأرجعواهم إلى الحجاز، وما تملکوا من أرض يربب، فنزلوها واستسلم لهم فتح في نواحيها، ومن بقائهم يهود خيبر وقريطة والتضير. قال ابن إسحاق: قريطة والتضير والتحام وعمرو هُوَّمْزَل من الخزرج. وقال ابن الصريج بن التومان بن السبط بن إليسع بن سعد بن لاوى بن النعام بن يتحوم بن عازر بن عزر بن هارون عليه

فاستعبدتهم ثمانية عشرة سنة. ثم قام بتدييرهم أيهود بن كارا من سبط أفراديم، وقال ابن حزم: من بنيامين، وضبطه بهمزة ماللة تحجب ياء ثم هاء مضسومة تحجب واوا ثم ذال معجمة فاتقذفهم من يد بني مؤاب، وقتل ملوكهم عفلون محللة قتلت لهم في ذلك.

وهو أنه جاء رسولًا عن بني إسرائيل متکراً بهدايا وتحف منهم حتى إذا خلا به طعنه فانقضه ولحق به مكانه من جبل أفراديم، ثم اجتمعوا وزملوا فقتلوا من الحرس نحوه من عشرة آلاف، وغلب بني إسرائيل بني مؤاب واستلهمهم وهلك لثمانين سنة من دولته.

وقام بتدييرهم بعده شمكار بن عناث من سبط كاد، وضبطه بفتح الشين الثالثة بعدها ميم ساكتة وكاف تقارب من خرج الجيم ويلج فتحها الفاء وبعدها راء مهملة، ومات لستة من ولاته وبني إسرائيل على حيالهم من المخالفة، فسلط الله عليهم ملك كعنان وأسمه يافين، بفاء شفوية تقارب من الباء، فسرح إليهم قائده سميرًا فملك عليهم أمرهم واستعبدتهم عشرين سنة. وكانت فدهم كوهنة امرأة متباينة اسمها دافورا، بفاء هواتية تقارب من الباء، وهي من سبط نفتالي، وقيل: من سبط أفراديم، وقيل: كان زوجها بارق ابن أبي نو عم من سبط نفتالي وأسمه اليادوق، فدعنته إلى حرب سميرًا فابى إلا أن تكون معه فخرجت ببني إسرائيل، وهزموا الكعنانيين، وقتل قائدتهم سميرًا وقادت بتدييرهم

أربعين سنة يرافقها زوجها بارق بن أبي نو عم. قال هروشيوش: وعلى عهدها كان أول ملوك الروم الكنعانيين بانتاكية ينقش بين شطرونن وهو أبو القياصرة. ثم ترفيت دافورا وبقي بني إسرائيل فرضي وعادوا إلى كفرهم فسلط الله عليهم أهل مدین والعمالقة.

قال الطبری: وبني لوط الذي بتخوم الحاجز قهروهم سبع سنین، ثم تبا فدهم من سبط منشي بن يوسف كدعون بن يواش، وضبطه بفتح الكاف القرية من الجيم وسكن الدال المهملة بعدها وعين مهملة مضسومة تحجب واوا بعدها نون، فقام بتدييرهم. وقد كان لمدين ملکان أحدهما اسمه رابح والآخر صلمناع، فبعث إلى بني إسرائيل عساکره مع قاذين عربيف وزديف، وأهم ببني إسرائيل شائهم، فخرج بهم كدعون فهزموا بني مدین، وغنموا منهم أمواجًا، ومكثوا أيام كدعون هذا على استقامته في دينهم،

وغلب لأعدائهم أربعين سنة، وكان له من الولد سبعون ولدًا، وعلى عهده بنت مدينة طرسوس. وقال جرجيس بن العميد: وملطية أيضًا. ولا هلك قام بتدييرهم ولده أبو مليخ، وكانت أمه من بني سخام بن منشي بن يوسف من أهل نابلس، فأنجذبه بالمال وقتل بني أبيب كلهم ثم نازعوه بنو سخام آخره الأسر، وطالت حروبهم معهم، وهلك حاصراً البعض حصونهم بمجر طرحته عليه

والمائة والمنارة على الصخرة التي في بيت المقدس. وأما بني أفراديم فكانوا يأخذون الجزية من الكنعانيين، ثم قبض يوشع في سفر الحكام أنه قبض لثمان وعشرين سنة من ملکه، وهو ابن مائة وعشرين سنة.

وقال الطبری: ابن مائة وستة وعشرين سنة. والأول أصح. قال: وكان تديير يوشع لبني إسرائيل في زمن من شهر عشرين سنة، وفي زمن أفراديم سبع سنین. وقال أيضًا أن ملك اليمن شمر بن الأملوک من حمير كان له عهد موسى وبني أظفار وأخرج منها العمالقة. ويقال أيضاً كان من عمال الفرس على اليمن. وزعم هشام بن محمد الكلبي أن الفيل من الكنعانيين بعد يوشع احتلهم أفراديم بن قيس بن صيفي من صيفي من سواحل الشام في غزاته إلى المغرب التي قتل فيها جرجيس الملك، وأنه انزعج باقرقيبة، فمنهم البرير وترك معهم صنهاجة وكتامة من قبائل حمير انتهى. وقام بأمر بني إسرائيل بعد يوشع كالب بن يوفنا بن حصرون بن بارص بن يهودا وقد مر نسبه، وكان فخخاص بن العيزر بن هارون كوهناً يتولى أمر صلاتهم وقربانهم، ثم تبا أبوه العيزر وكان كالب مضمضاً فأقاما كذلك سبع عشرة سنة. وقال الطبری كان مع كالب في تدييرهم حزقيل بن يودي، ويقال له ولد العجوز، لأنه ولد بعد أن كبرت أمه وعمقت.

وحدث عن وهب بن منبه أن حزقيل هذا دربهم بعد كالب ولم يقع لهذا ذكر في سفر الحكام. ثم بعد يوشع اجتمع بني يهودا وبنو شمعون لحرب الكنعانيين، فغلبوا عليهم وقتلوا هم، وفتحوا غزنة وعسقلان وملکوا الجليل كلهم، ولم يقتلوا الغور. وأما سبط بنيامين فكان في قسمهم بلد اليونانيين في أرضهم، وأخذوا منهم الخراج واختلطوا بهم، وعبدوا آلهتهم فسلط الله عليهم ملك الجزيرة وأسمه كوشان شقات، ومعناه أظلم الظالمين. ويقال: إنه ملك الأرمون في الجزيرة ودمشق وملك حوران وصيادة وحران ويقال: والبحرين ويقال: أنه من أدون.

وقال الطبری: من نسل لوط فاستعبد بني إسرائيل ثمان سنین بعد وفاة كالب بن يوفنا، ثم ول الحکم فيها عثيثان ابن أخيه قناث ابن يوفنا فحاربهم كوشان هذا، وأزال ملکته عن بني إسرائيل، ثم حاربه فقتلته وكان له بعد ذلك حروب سائر أيامه مع بني مؤاب وبني عمون أسباط لوط ومع العمالقة إلى أن هلك لأربعين سنة من دولته. ثم عبد بني إسرائيل الأوثان من بعده فسلط الله عليهم ملك بني مؤاب وأسمه عفلون، بعين مهملة ومعجمة ساكتة ولا مضمومة تحجب واوا ساكتة ونون بعدها،

ذلك، فلغيرهم عبدون بن هلال بن سبط أفراديس ثمان سنين. وقال ابن العميد اسمه عكررون بن هيليان وكان له أربعون ابنًا وثلاثون حافداً. قال هروشيوش: وفي أيامه خربت مدينة طرونة قاعدة الروم اللطبيين خربها الروم الغربيون في فتنة بينهم. ولما ذلك دفن بأرض أفراديس في جبال العمالة.

واختلف بنو إسرائيل بعده وعبدوا الأصنام وسلط الله عليهم بني فلسطين فقهروهم لأربعين سنة، ثم تخلصهم من أيديهم شمشون بن مانوح من سبط دان، ويعرف بشمشون القوي لفضل قوته كانت في يده ويعرف أيضًا بالجبار وكان عظيم سبطه، ودبر بني إسرائيل عشر سنين ببل عشرين سنة، وكثarta حروريه مع بني فلسطين، وأتخرن فيهم وأتيح لهم عليه في بعض الأيام فأسروه ثم حلوا وحبسوه. واستدعاهم ملكهم بعض الأيام إلى بيته ألهتهم ليكلمه فامسك عمود البيت، وهزه بيده فسقط البيت على من فيه وماتوا جميعاً. ولما ذلك اضطربت بنو إسرائيل وافتقرت كل ملكهم وأنفرد كل سبط بمحاكم بولونه منهم، والكهنوتبة فيهم جميعاً في عقب العزيزار بن هارون من لدن وفاة هارون عليه السلام بتوليه موسى صلوات الله عليه بالروح، ومعنى الكهنوتبة إقامة القرابين من الذبح والبخور على شروطها وأحكامها الشرعية عندهم.

وقال ابن العميد: إنه ولد تدبيرهم بعد شمشون حاكم آخر اسمه ميخائيل بن راعيل، دبرهم ثمان سنين، ولم تكن طاعته فيهم مستحکمة، وأن الفتنة وقعت بين بني إسرائيل ففني فيها سبط بنiamin عن آخرهم.

ثم سكنت الفتنة وكان الكوهرن فيهم لذلك العهد علي بن ييطات بن حاصاب بن إليان بن فتحاصاب بن العزيزار بن هارون، وقيل من ولد ايتامار بن هارون، وضبيطه بعين مهملة مفتتحة تجلب الفا ثم لام مكسورة تجلب باء مختانية. فلما سكنت الفتنة كانوا يرجعون إليه في أحکامهم وحروريهم. وكان له ابنان عاصيان، فدفعهما إلى ذلك، وكثر لعنهما قتال بني فلسطين، وفشا المنكر من ولديه، وأمر بذبحهم عن ذلك فلم يزدادوا إلا اعوا وطغياناً، وأندر الآثياء بذهب الأمور عنه وعن ولديه، ثم هزمهم بنو فلسطين في بعض أيامهم وأصابوا بهم، فتناصر بنو إسرائيل، واحتشدوا وحلوا معهم تابوت العهد، ولقيهم بنو فلسطين، فانهزم بنو إسرائيل أمامهم وقتلوا أبناء عالي كرهن كما انذر به أبوهما وشميريل.

وبلغ أباهم الكوهرن خبر مقتلهما فمات أسفًا لأربعين سنة من دولته، وغنم بنو فلسطين التابوت فيما غنمته، واحتملوه إلى بلادهم بعسقلان وغزة، وضربوا الجزية على بني إسرائيل، ولما

أمّة من السور فشذخه. فقال لصاحب سلاحه أجهز علي لثلا قال ثالثة امرأة، وذلك لثلاث سنين من ولايته.

ثم دبر أمرهم بعده طولاع بن فروا بن داود من سبط يساخر، وضبيطه بطاء قريبة من الناء تجلب ضمتهما واوا ثم لام الف ثم عين. وقال الطبري: هو ابن خال أبي مليخ وابن عمه.

قلت: والظاهر أنه ابن خاله لأن سبط هذا غير سبط هذا غير ذاك. وقال ابن العميد: هو من سبط يساخر إلا أنه كان نازلا في سائر من جبل أفراديس. فمن هنا والله أعلم وقع اللبس في نسبة، ودبرهم ثلاثة وعشرين سنة. قال هروشيوش: وعلى عهده كان بمدينة طرونة من ملوك الروم اللطبيين براماش بن بتش. وملك ثلاثة سنين وقد مضى ذكره. ولما ذلك طولاع قام بتدبيرهم بعده يائير بن كلعاد من سبط منشي بن يوسف وضبيطه بيعاه مثابة تحية مفتتحة والـف ثم همزة مكسورة بعدها باء آخرى ثم راء مهملة، وقام في تدبيرهم اثنين وعشرين سنة، ونصب أولاده كلهم حكامًا في بني إسرائيل وكانتوا خيراً من ثلاثة، فلما ذلك طغوا وعبدوا الأصنام، فسلط الله عليهم بني فلسطين وبني عمون فقههم ثمانى عشرة سنة. وقام بتدبيرهم يفتح من سبط منشي، وضبيطه بيعاه مثابة تحية وفاء ساكتة وباء مثابة من فوق بفتحة تجلب ألفاء ثم حاء مهملة، فلما قام بأمرهم طلب ضريبة التحل من بني عمون فامتنعوا من إعطائهم، وكانتوا ملوكاً منذ ثلاثة سنين، فقاتلهم وغلبهم عليها وعلى اثنين وعشرين قرية منها، ثم حارب سبط أفراديس وكانتوا مستبددين وحدهم عن بني إسرائيل، فثاراهم على اتفاق الكلمة والدخول في الجماعة حتى استقاموا على ذلك، وأقام في تدبيرهم ست سنين. وعلى عهده أصابت بلاد اليونان الجماعة العظيمة التي هلك فيها أكثرهم. ولما ذلك قام بتدبيرهم أبصان من سبط يهودا من بيت لحم، وضبيطه بهمزة مفتتحة وباء موحدة ساكتة وصاد مهملة بفتحة تجلب الفا وبعدها نون، ويفقال: أنه جد داود عليه السلام، بوعز بن سليمون بن نحشون بن عيبياذاب بن رم بن حصرورن بن بارص بن يهودا. وحصرورن هذا هو جد كالب بن يوفنا الذي دبرهم بعد يوشع. ونحشون كان سيد بني يهود المهد خروجهم من مصر مع موسى عليه السلام، وهلك في التيه، ودخل ابنه سليمون أريحا مع يوشع ونزل بيت لحم على أربعة أميال من بيت المقدس. قال هروشيوش في أيام أبصان هذا كان انقضاض ملك السريانيين، وخروج القوط وحروريهم مع النبط، وأقام أبصان في تدبير بني إسرائيل سبع سنين ثم هلك. فقام بتدبيرهم إيليون من سبط زبولون وضبيطه بهمزة مكسورة تجلب باء ثم لام مضمومة تجلب واوا ثم نون، فدبرهم عشر سنين ثم

وملكىشوع وتشبهات وأنبياداف. وقام طالوت بملك بني إسرائيل، وحارب أعداءهم من بني فلسطين وعمون ومواب والعمالقة ومدين فقلب جميعهم، ونصر بنو إسرائيل نصراً لا كفاه له.

وأول من زحف إليهم ملك بني عمون ونازل قرية بلقاء فهجم عليهم طالوت، وهو في ثلثمائة ألف من بني إسرائيل فهزهم واستلهمهم، ثم أغزى ابنيه في عساكر بني إسرائيل إلى فلسطين ف قال منهم، واجتمعوا لحرب بني إسرائيل فزحف إليهم طالوت وشمرويل فانهزموا واستلهمهم بنو إسرائيل، وأمر شمرويل أن يسرى إلى العمالقة وأن يقتلهم ودوا بهم فعل، واستتبقي ملكهم أاعاع مع بعض الأنماط، فجاء الوحي إلى شمرويل بأن الله قد سخطه وسلبه الملك فخبره بذلك، وهجره شمرويل فلم يره بعد. وأمر شمرويل أن يقدس داود، وبعث له بعلمه فسار إلى بني يهودا في بيت لم، وجاء به أبوه إيشا فمسحه شمرويل، وسلب طالوت روح الجسد، وحزن لذلك ثم قبض شمرويل وزحف جالوت وينو فلسطين إلى بني إسرائيل فierz إليهم طالوت في العساكر وفيهم داود بن إيشا من سبط يهودا، وكان صغيراً يرعى الغنم لأبيه، وكان يقذف بالحجارة في خلااته فلا تكاد تختفي.

قال الطبرى: وكان شمرويل قد أخرب طالوت بقتل جالوت، وأعطاه علامه قاتله، فاعتراض بني إسرائيل حتى رأى العلامة فيه فسلحه وأقام في الصاف. وقد احتمل الحجارة في خلااته، فلما عاين جالوت فندنها بمجارة فصكه في رأسه ومات، وانهزم بنو فلسطين، وحصل النصر. فاستخلص طالوت حيثذا داود وزوجه ابنته، وجعله صاحب سلاحه، ثم ولاه على الحروب فاستكفى به. وكان عمره حيثذا فيما قال الطبرى ثلاثة سنّة. وأحبه بنو إسرائيل، واشتملوا عليه، وابتلي طالوت وبنوه بالغيرة منه، وهو بقتله وفندن ذلك مراراً، ثم حل ابنه يهوننان على قته فلم يفعل خلة ومصافة كانت بينهما، ودس إلى داود بدخيلة أبيه فيه، فلحق بفلسطين وأقام فيها أياماً، ثم إلى بني مواب كذلك، ثم رجع إلى سبطه يهودا بنواحي بيت المقدس، فأقام فيهم يقاتل معهم ببني فلسطين في سائر حروبهم، حتى إذا شعر به طالوت طلب ببني يهودا بإسلامه إليه، فألبوا فزحف إليهم فآخرجوه عنهم، ولحق ببني فلسطين وقاتلهم طالوت في بعض الأيام فهزموه، واتبعوه وأولاده يقاتلون دونه حتى قتل يهوننان ومشوى وملكىشوع، وينو فلسطين في اتباعه حتى إذا ألقن بالطامة قتل نفسه بنفسه. وذكر فيما قال الطبرى لأربعين سنّة من ملوكه.

ثم جاء داود إلى بني يهودا فملكوه عليهم، وهو داود بن إيشا بن عوفن، بالفاء الهوائية، بن بوغر واسمها أفصان بالفاء

مضى القوم بالتابوت فيما حكم الطبرى، وضعوه عند آهتهم فقلّاها مراها فآخرجوه إلى ناحية من القرية، فأصيروا فتبا دروا ياخراجه وحملوه على بقرتين هما تبیان ووضعته عند أرض بني إسرائيل، ورجعتا إلى ولديهما وأقبل عليهما بنو إسرائيل فكان لا يدّنوا منه أحد إلا مات حتى أذن شمرويل لرجلين منهم حملاه إلى بيت أمهما وهي أرمّلة فكان هناك حتى ملك طالوت أه. وكان ردهم التابوت لسبعة أشهر من يوم حلوه، وكان على الكرون قد كفل ابن عمه شمرويل بن الكتابن بن يسّام بن إياهد بن ياؤ بن سرف وسوف هو آخر حاصب بن البلى بن يمحاص. وقيل إن شمرويل من عقب فورح وهو قارون بن يصهار بن قاهاث بن لاوى. ونسبه إليه شمرويل بن القنا بن يروحام بن اليهود بن يوحنا بن صوب بن إلقانا بن يوبل بن عزيز ابن ضيعبينا بن تاحث بن أسر بن القانا بن النشاشيات بن قاونون. وكانت أمه ندرت أن تجعله خادماً في المسجد، وألقته هناك فكلّه عالي وأوصى له بالكهنوتي، ثم أكرمه الله بالنبوة، وولاه بنو إسرائيل أحکامهم فذيرهم عشر سنين. وقال جرجيس بن العميد عشررين سنة ونهام عن عبادة الأوثان فانتهوا وحاربوا أهل فلسطين واستردوا ما كانوا أخذوا لهم من القرى والبلاد، واستقام أمرهم ثم دفع الأمر إلى ابنيه يوّال وأبيا، وكانت سيرتهم سبعة. فاجتمع بنو إسرائيل إلى شمرويل، وطلبه أن يسّال الله في ولاية ملك عليهم؛ فجاء الوحي بولاية طالوت. فولاه وصار أمر بني إسرائيل ملكاً بعد أن كان مشيخة، والله معقب الأمر بحكمته لا رب غيره.

### الخبر عن ملوك بني إسرائيل بعد الحكم ثم الفراق أمرهم والخبر عن دولة بني سليمان بن داود على السبطين يهودا وبنiamin بالقدس إلى انفراضاها

لما نقم بنو إسرائيل على يوال وأبيا ابني شمرويل مما نقموا من أمرهم، واجتمعوا إلى شمرويل، وسألوه من الله أن يبعث لهم ملكاً يقاتلون معه أعداءهم ويجمع شرهم ويندفع الذل عنهم، فجاء الوحي بإن يرلي الله طالوت ويدعنه بلهن القدس، فألبوا بعد أن أمر شمرويل بإن يستهموا عليه، فاستهموا على بني آبانهم، فخرج السهم على طالوت وكان أعظمهم جسمًا فلولوه، واسمه عند بني إسرائيل شاول بن قيس بن أفييل، بالفاء الهوائية القرية من الباء، ابن صار وابن نحورت بن أبيا، فقام بملكهم، واستوزر أفيين ابن عمه نير بن أفييل. وكان لطالوت من الولد يهوننان

مبغيّر وما إليها من بلاد الحجاز، ثم تراجع للحرب فهزمه داود وأدركه مُؤاب وزير داود وقد تعلق بشجرة قتله، وقتل في المعركة عشرون ألفاً من بني إسرائيل، وسيق رأس قشلوط لولي أبيه داود في كني عليه وحزن طريراً، واستالف الأسباط ورضي عنهم ورضوا عنه. ثم أحسى بني إسرائيل فكانوا ألف الف ومائة ألف، وسبط يهودا أزيد من أربعين ألف. وعوتب في الوحي لأنّه أحصاهم بغير إذن، وأنّه بذلك بعض الأنبياء لعنهما.

وأقام داود صلوات الله عليه في مملكته والروح يتبع عليه، وسرّ الزبور تنزل. وكان يسبح بالأوتار والمزامير، وأكثر المزمير النسوية إليه في ذكر التسبيح شأنه. وفرض على الكهنوتية سبط لاوى التسبيح بالمزامير قدام تابت العهد اثنى عشر كوهناً لكل ساعة. ثم عهد عند تمام أربعين سنة من دولته لابنه سليمان صلوات الله عليهم، ومسحه مباب النبي وصادوق الخبر مسحة التقديس، وأوصى ببناء بيت المقدس. ثم قبض صلوات الله عليه ودفن في بيت حلم، وكان لعنه من الأنبياء نامان وكاد وآصف. وكان الكهنوت الأعظم أفيشار بن أحليج من عقبة عالي الكرهن الذي ذكرناه في الحكم، وكان من بعده صادوق.

ثم قام بالملك من بعده من بني إسرائيل ابنه سليمان صلوات الله عليه وهو ابن اثنين وعشرين سنة، فاستفحل مملكته وغالب الأمم، وضرب الجزية على جميع ملوك الشام مثل فلسطين وعمون وكعناع ومؤاب وادوم والأرمن، وأصهر إليه الملوك من كل ناحية بينائهم، وكان من تزوج بنت فرعون مصر. وكان وزيره يوّاب بن نيثر وهو ابن أخت داود اسمها صوريا، وكان وزيراً لداود فلما ولّ سليمان استوزره ققام بدولته ثم قتله بعد ذلك واستوزر يشوع بن شيداح.

ولأربع سنين من مملكته شرع في بيت المقدس بمهد أبيه إلى بذلك، فلم يزل إلى آخر دولته بعد أن هدم مدينة أنطاكيه وبنى مدينة تدمر في البرية وبعث إلى ملك صور ليعينه في قطع الخشب من لبنان، وأجرى على الفعلة فيه في كل عام عشرين ألف كر من الطعام ومثلها من الزيت ومثلها من الحمر. وكان الفعلة في لبنان سبعين ألفاً ولتحت التجارة ثمانين ألفاً وخدمة المأواة سبعون ألفاً، وكان الوكلاء والعرفاء على ذلك العمل ثلاثة آلاف وتلثمانة رجال. ثم بنى الميكيل وجعل ارتقاءه مائة ذراع في طول ستين وعرض عشرين. وجعل بدائره كله أروقة وفرقها مناظر، وجعل بدائر البيت ابرياً من خارج، ومقهى وجعل الظهر مقرراً ليودع فيه تابت العهد. وصفح البيت من داخله وسقفه بالذهب، وصنع في البيت كروبيين من الخشب مصطفتين بالذهب وهما تمثالان

المواية والصاد المشمة. وقد قدمتنا ذكره في حكم بني إسرائيل بن سلمون الذي نزل بيت حلم لأول الفتح، ابن نخشون سيد بني يهودا عند الخروج من مصر ابن عمياذاوب بن إرم بن حصرورن بن بارص بن يهودا، هكذا نسبة في كتاب اليهود والنصارى، وأنكره ابن حزم قال: لأنّ نخشون مات باليه وإنما دخل القدس ابنه سلمون، وبين خروج بني إسرائيل من مصر وملك داود ستمائة سنة باتفاق منهم، والذي بين داود ونخشون أربعة أيام، فإذا قسمت المستمائة عليهم يكون كل واحد منهم إنما ولد له بعد المائة والثلاثين سنة وهو بعيد.

ولما ملك داود على بني يهودا نزل مدتيتهم حضرون بالفاء المواية، وهي قرية الخليل عليه السلام لهذا العهد، واجتمع الأسباط كلّهم إلى يشوشتات بن طالوت، فملكه في أورشليم وقام بأمره وزير أبيه أفيشد وقد مرّت نسبة.

وفي كتاب أسفار الملوك من الإسرائييليات: أن رجلاً جاء لداود بعد وفاة طالوت، فأخبره بمجبه وملك أولاده في هزيمتهم أمام بني فلسطين، وأمر هذا الرجل أن يقتله لما أدركوه، فقتله وجاء بتجاهه ودخله إلى داود، واتّسب إلى العمالقة، فقتله داود بقتله، وبكي على طالوت، وذهب إلى سبط يهودا بأرض حضرون بالفاء القريبة من الباء، وهي قرية الخليل لهذا العهد، وأقام شيوشيات بن طالوت في أورشليم، والأسباط كلّهم مجتمعون عليه، وأقامت الحرب بينهم وبين داود أكثر من ستين، ثم قع الصلح بينهم والهدنة، وأذعن الأسباط إلى داود وتركوه، ثم اغتاله بعض قروده وجاء برأسه إلى داود فقتله به. وأظهر عليه الحزن والأسف وكفل آخراته وبيه أحسن كفالة. واستبد داود بملك بني إسرائيل لثلاثين سنة من عمره وقاتل بني كعنان وغلبهم، ثم طالت حروبه مع بني فلسطين، واستولى على كثير من بلادهم، ورتب عليهم الخارج.

ثم حارب أهل مُؤاب وعمون وأهل أدوم وظفر بهم وضرب عليهم الجزية، ثم خرب بلادهم بعد ذلك، وضرب الجزية على الأرمن بدمشق وحلب، وبعث العمال لقبضها. وصانعه ملك أنطاكيه بالمدابا والتلحف، واحتضن مدينة صهيون وسكنها واعتم على بناء مسجد في مكان القبة التي كانوا يضعون بها تابت العهد ويصلون إليها. فأوحى الله إلى دانيال نبی على عهده أن داود لا يبني وإنما يبنيه ابنه ويدعم ملكه فسر داود بذلك.

ثم انتقض عليه ابنه أبلشوم، وقتل أخاه أمون غيره منه على شقيقه بامان و Herb. ثم استحاله داود ورده، وأهدر دم أخيه وصیر له الحكم بين الناس. ثم رجع ثانيةً لأربع سنين بعدها وخرج معه سائر الأسباط، ولحق داود بأطراف الشام وقيل لحق

ودخلت في دينه وطاعته وملكته أمرها ووافته مملكة اليمن، وأمرها بأن تتزوج فنكرت ذلك لمكان الملك فقال: لا بد في الدين من ذلك. قالت: زوجني ذات يوم ملك همدان فزوجها إيه وملكته على اليمن واستعملها فيه ورجع إلى الشام. وقبل تزوجها وأمر الجن فبنوا لها سليمان وغسان. وكان يزورها في الشهر مرة يقيم عندها ثلاثة، وعلماء بني إسرائيل ينكرون وصوله إلى الحجاز واليمن، وإنما ملك اليمن عندهم مراسلة ملكرة سبا، وأنها وفدت عليه في يروشالم، وأهدت إليه مائة وعشرين قطاراً من الذهب، ولولواً وجهاً وأصنافاً من الطيب والمسلك والعنبر فأجازها وأحسن إليها. وانصرفت، هكذا في كتاب الأنساب من كتبهم. ثم انقضى على سليمان آخر أيامه هدرور ملك الأرمن بدمشق، وهدأ ملك أردم، وكان قد ول على ضواحي بيت المقدس وجميع أعماله يربغان بن نباط من سبط أفراد، واستكفي به في ذلك، وكان جباراً فعوبت بالوحى على لسان أخيه النبي في توليه فاراد قتله، وشعر بذلك يربغان فهرب إلى مصر، وقبض سليمان صلوات الله عليه لأربعين سنة من ملكه، وقيل لاثتين وخمسين، ودفن عند أبيه داود صلوات الله عليهم. وافتقر ملك بني إسرائيل من بعده كما ذكره إن شاء الله تعالى.

### الخبر عن الفراق بني إسرائيل منهم بيت المقدس على سبط يهودا وبنiamin إلى انفراضه

لما قبض سليمان صلوات الله عليه وسلم، ولـ ابنه رحيم، وضيـطـه بـراءـ مـهـمـلـةـ وـهـاءـ مـهـمـلـةـ مـضـمـوـنـةـ وـيـاءـ مـوـحـدـةـ سـاـكـنـةـ وـعـيـنـ مـهـمـلـةـ مـضـمـوـنـةـ وـيـمـ، فـقـامـ بـأـمـرـهـ وـزـادـ فـيـ عـمـارـةـ بـيـتـ لـهـ وـغـزـةـ وـصـورـ وـأـيـلـةـ، وـاشـتـدـ عـلـىـ بـنـيـ إـسـرـاـئـيلـ وـطـلـبـواـ مـنـهـ تـخفـيفـ الضـرـائبـ، فـأـمـتـعـ طـالـبـهـ بـالـظـلـافـ، وـأـخـذـ فـيـهـ بـرـأـيـ الغـواـةـ مـنـ بـطـانـتـهـ، فـنـقـمـواـ عـلـيـهـ ذـلـكـ وـأـنـقـضـواـ. وـجـاهـهـ بـرـعـمـ بـنـ نـبـاطـ مـنـ مـصـرـ، فـبـايـعـهـ وـوـلـوهـ عـلـيـهـمـ، وـاجـتـمـعـ عـلـيـهـ سـاـئـرـ الـأـسـبـاطـ الـعـشـرـةـ مـنـ بـنـيـ إـسـرـاـئـيلـ، مـاـ عـدـ سـبـطـ يـهـودـاـ وـبـنـيـامـينـ، وـتـرـاحـفـواـ لـلـحـرـبـ. ثـمـ دـعـاهـمـ بـعـضـ أـنـيـائـهـمـ لـلـصـلـحـ فـتـوـاضـعـواـ وـاصـطـلـحـواـ. وـفـيـ السـنـةـ الـخـامـسـةـ مـنـ مـلـكـ رـحـيمـ زـحـفـ شـيشـاقـ وـرـجـعـ وـضـرـبـ عـلـيـهـمـ الـجـزـيـةـ، ثـمـ دـفـعـوهـ وـمـنـعـوهـ. فـأـقـامـ بـنـوـ دـاـودـ فـيـ سـلـطـانـهـ عـلـىـ بـنـيـ يـهـودـاـ وـبـنـيـامـينـ بـيـتـ

للملائكة الكروبيين، وجعل للبيت أبواباً من خشب الصنوبر، ونقش عليها عائلات من الكروبيين والترجس والنخل والسوسة وغضها كلها بالذهب. وأتم بناء الميكل في سبع سنين، وجعل لها باباً من ذهب، ثم بنى بيتاً لسلامه أقامه على أربعة صنوف من العمد من خشب الصنوبر في كل صفة سبعة عشر عموداً، ووضع فيه مائتي ترس من الذهب، في كل درجة سبعة عشر من حجر الجوز والزمر، وثلاثة درجة من الذهب، في كل درجة ثلاثة من حجر الياقوت، وسمى هذا البيت غيضة لبنان. وصنع منها جلوسه تحت رواق وكراسي كثيرة كلها من العاج ملبسة من الذهب.

ثم بنى من فوق هذا البناء بيتاً لابنة فرعون التي تزوج بها، وصنع بها أوعية النحاس لسائر ما يحتاج إليه في البيت، واسترضي الصناع لذلك من مدينة صور. وعمل منبج القريان باليت من الذهب، ومائدة الخبز الوجه من الذهب، وخمس منابر عن يمين الميكل، وخمساً عن يساره يجمع لأنها من الذهب، ومجامر من الذهب. وأحضر موروث أبيه من الذهب والفضة والأوعية الحسنة فادخلها إلى البيت، وبعث إلى تابوت العهد من صهيبون قرية داود إلى الذي بناه له، فحمله رؤساء الأساطيل والكهنة على كواهلهم حتى وضعوه تحت أجنبحة التمثالين للكروبيين بالمسجد. وكان في التابوت اللوحان من الحجارة اللذان صنهم موسى عليه السلام بدل الألواح المتكسرة، وحلوا مع تابوت العهد قبة القريان وأوعيتها إلى المسجد. وأقام سليمان أسام المنج يدعا في يوم مشهور، اتخذ فيه وليمة لذلك ذبح فيها اثنين وعشرين ألفاً من البقر، ثم كان يقرب ثلاث مرات من السنة قطاراً من الذهب، غير المدايا والقريان إلى بيت المقدس.

وكانت له سفن بحر الهند تحمل الذهب والفضة والبضائع والقبة والقرود والطلاويس، وكانت له خيل مرتبة كثيرة تحمل من مصر وغيرها تبلغ ألفاً وستمائة فرس معدة كلها للحرب. وكانت له ألف امرأة لفراشه ما بين حرمة وسرية منها ثمانمائة سرية. وفي الأخبار للمورخين أنه تجهز للحج فوافي الحرم وأقام فيه ما شاء الله، وكان يقرب كل يوم خمسة آلاف بذنة وخمسة آلاف بقرة وعشرين ألف شاة. ثم سما إلى مملكة اليمن وسار إليه فوافي صناعه من يومه، وطلب المدد لاتمام الوضوء، وكان قناته أي ملمس الوضوء له في الأرض فاقتده، ورجع إليه بخبر بلقيس كما قصه القرآن. ودافعته بالمدية فلم يقبلها، فلاذت بطااعته

الأسباط بالسامرة، فكانت بينه وبينهم حروب كما ذكره وقال ابن العميد: كانت على بني مذاب جزية ضرورية لبي بهودا مائتان من الغنم كل سنة، فمنعوها، واجتمع ملوك القدس والسامرة لحريمهم وحاصروه سبعة أيام، وقدروا الماء فاستسقى لهم إليسع وجري الوادي. فخرج أهل مذاب فظنوه ماء، فقتلهم بنو إسرائيل وأخروا فيهم.

وفي أيام يهورام رفع إيليا النبي واتقل سره إلى إليسع، وكان على عهده من الأنبياء أيضاً عبدانيا. ثم هلك يهورام لثمان سنين من ملكته، ودفن عند جده داود، وولي بعده ابنه أحزيماهو، بهمزة مفتوحة وحاء مهملة مضمة وزاي معجمة ساكنة ثم ياء مثناة متشدة والف، وكانت على مثل سيرة أبيه. وكان عابداً صواباً، وكانت أيامها كلها حرباً مع بريم بن نباط وبني إسرائيل، وهلك لثلاث سنين. وولي بعده ابنه أسا، بضم الممزة وفتح السين المهملة واللف بعدها، ابن أنيا. وطال أمد ملكته، وكان رجلاً صالحاً، وكان على مثل سيرة جده داود صلوات الله عليه، وتعددت الأنبياء في بني إسرائيل على عهده، ومات بريم بن نباط لستين من ملكته، وملك بعده ابنه ناداب وقتله يعشما بن أنيا كما نذكر في أخبارهم. ثم وقعت بينه وبين أسا حروب، واستبد أسا بملك دمشق فزحف معه، وكان يعشما ملك السامرة في ناحية يثرب لبنيها،

وقال ابن العميد: إن يهورام بن أخاب ملك السامرة خرج للحرب أدونم، في رواية كلعاد وخرج معه أحزيماهو فقتلوا في تلك الحرب. قال: وقيل أن ياهوششا رسى بهم فأصاب يهورام بن أخاب، وكان لعصره من الأنبياء إليسع وعامور وفتحاء. ثم ملك بعد أحزيماهو أمه عثليا بنت عمري كذا وقع اسمها في كتاب الطبرى، وفي كتاب الإسرائيلىيات اسمها أختالية. ويقال كانت من جواري سليمان، ثم استتحول ملكها بالقدر وقتلت بنى داود كلهم، وأغفلت ابنها رضيعاً من ولد أبائها أحزيماهو اسمه يواش، بضم الياء الشابة التحتية ثم همزة مفتوحة تحجب الفاء ثم شين معجمة، أخافته عمهت يهوشيع بنت يهورام في بعض زوايا القدس، وعلم بمكانه زوجها يهوديادع وهو يومئذ الكohen الأعظم. حتى إذا كملت له سبع سنين، وتقى بنو يهودا سيرة عثليا، اجتمعوا إلى يهوديادع الكohen فاخترع لهم يواش بن أحزيماهو من مكانه، واستحلفهم فبايعوا له وقتلوا جدته عثليا ومن معها لسبعين سنة.

وقام يواش علىكه في تدبير يهوديادع الكohen، ثم أراد عبادة الأصنام، فمنعه زكريا النبي فقتله. وكان لعهده من الأنبياء إليسع وعفريا وزكريا بن يهوديادع. وهلك يهوديادع لثلاث وعشرين سنة من ملوك يواش بعد أن جدد يواش بيت المقدس، ولثمان وثلاثين من ملوكه قبض إليسع النبي صلوات الله عليه، وعلى

المقدس وعستان وغزة ودمشق وحلب وحمص وحماة وما إلى ذلك من أرض الحجاز، وملك الأسباط العشرة بتوابعه نابلس وفلسطين، ثم نزلوا مدينة شومرون وهي شعر وسامرة في الناحية الشرقية الشمالية من الشام مما يلي الفرات والجزيره، وأخذوها كرسياً لملوكهم ذلك، وأقاموا على هذا الافتراق إلى حين انقضاض أمرهم، ووقعوا في الجلاء الذي كتب الله عليهم كما ذكره.

ثم هلك رجعهم لسبعين عشرة سنة من دولته، وولي بعده على سبط يهودا وبينamins بارض القدس ابنه أنيا، وضبطه بهمزة مفتوحة ومتوسطة بين الفاء والذال من لغتهم وباء مثناة من تحت مشددة والف، وكانت على مثل سيرة أبيه. وكان عابداً صواباً، وكانت أيامها كلها حرباً مع بريم بن نباط وبني إسرائيل، وهلك لثلاث سنين. وولي بعده ابنه أسا، بضم الممزة وفتح السين المهملة واللف بعدها، ابن أنيا. وطال أمد ملكته، وكان رجلاً صالحاً، وكان على مثل سيرة جده داود صلوات الله عليه، وتعددت الأنبياء في بني إسرائيل على عهده، ومات بريم بن نباط لستين من ملكته، وملك بعده ابنه ناداب وقتله يعشما بن أنيا كما نذكر في أخبارهم.

ثم وقعت بينه وبين أسا حروب، واستبد أسا بملك دمشق فزحف معه، وكان يعشما ملك السامرة في ناحية يثرب لبنيها، فهرب وترك آلات البناء، فقل لها أسا ملك القدس ويني بها الحصون. ثم خرج عليهم زادح ملك الكوش في ألف ألف مقاتل، ولقيهم أسا فهزمه وأثخن فيهم. ولم تزل الحرب قائمة بين أسا وبين الأسباط بالسامرة سائر أيامه، وعلى عهده اختطفت السامرة كما نذكر بعد. ثم هلك أسا بن أنيا لإحدى وأربعين سنة من ملكته، وولي بعده ابنه يهوشفاظ، باء مفتوحة مثناة تختالية وهاء مضومة وواو ساكنة وشين معجمة بعدهما الف ثم فاء بعدهما الف وطاء، فكان على مثل سيرة أبيه، وكانت أيامه مع أهل السامرة وملوكهم سلماً.

واجتمع ملوك العمالقة، ويقال أدونم، وخرج لحريمهم فهزهم وغنم أمراهم. وكان لعهده من الأنبياء إلياس بن شويق، وإليسع بن شوبوات. وقال ابن العميد: إيليا ومنحيا وعبدانيا. وكانت له سفن في البحر يجلب له فيها بضائع الهند فأصابها قاصف الريح فنكسرت وغرقت. ثم هلك خمسة وعشرين سنة من ملكته، وولي ابنه يهورام، بفتح المثناة التحتانية ثم هاء مضومة تحجب واوا ثم راء مفتوحة تحجب الفاً وبعدها ميم، وانتقض عليه أدونم، وولوا عليهم ملكاً لهم، فزحف إليهم ووقع بهم في سفيراً أو سط بلادهم، وأثخن فيهم بالسيي والقتل. ثم رجع عنهم، وأقاموا في عصيائهم. وعلى عهده زحف ملك الموصل إلى

الكلدانيين على يد قادته أرباط بن المادس، واستبد ملك بابل وأصاره إلى قرمه بعد حروب طوبية، ثم زحف إلى القوط والعرب من قصاعة فحاربهم طويلاً وانصرف عنهم. ثم هلك عزيماهو لثلاث وخمسين سنة من ملكه، وملك بعده ابنه يواه و كان صالحًا نقياً، وكان لعهده من الآباء هوسع وأشيعاً ويوئيل وعوفد. وفي أيامه استبد أغلب ملوك الجزيرة على اليهود وكثروا يعرفون بالسوريانين. ثم هلك يواه لست عشرة من ملكه، وملك ابنه أحاز، بهمزة مفترحة مالة وحاء مهملة تجلب الفاء وزاي معجمة، فخالف ستة آبائه، وبعد بنو إسرائيل الأواثن في أيامه، وحارب الأرمن واستجاش عليهم ملك الموصى، فزحف معه وحاصر دمشق ولملكتها منهم واستباحها، ورجع إلى بلاده. ثم خرج أحاز لحربيهم فهزمه وقتلوا من اليهود مائة وعشرين ألفاً وخمسمائة، وارجعوا أحاز إلى دمشق أسرى.

قال هروشيوش: وعلى عهد أحاز كان انتراض ملك الملاريس على يد كيرش ملك الفرس، ورجعت أعمالهم إليه ويقال: إن آخر ملوكهم هو أشتانيش، وكان جد كيرش لأمه، وكفله صغيراً فلما شب وملك حارب جده فقتله وانتزع ملكه. وقال ابن العميد عن السبحي: ولذلك العهد ملك على الروم الفرغية غير اليونان، الأخوان روملس وروماس، واحتضن مدينة رومه. وقال هروشيوش: ولعهده ملك على الروم اللطبيين بأرض أنطاكيه روملس، ثم مركة ويني مدينة رومه.

ثم هلك أحاز لست عشرة من ملكه، وولى ابنه حزقيماهو، بماء مهملة مكسورة وزاي معجمة ساكنة وقف مكسورة وباء ستة تختانية مشددة تجلب الفاء وحاء مهملة تجلب واواً، فقطع عبادة الأواثن وسار سيرة جده داود، ولم يكن في ملوك بني يهودا مثله. وعصى على ملك الموصى بابل وتوريش وهزم فلسطين وخرب قراهم. وفي أيامه وأيام أبيه سار شليسار ملك الجزيرة والموصى إلى الأسباط بالسامرة فضرب عليهم الجزية، ثم سار في أيامه فازال ملوكهم. ولأربع من ملكه زحف إليه رضين ملك دمشق ورجع عنه من غير قتال. ولأربع عشرة من ملكه زحف إليه سنحاريف ملك الموصى بعد فتح السامرية، فافتتح أكثر مداينيه بهروا وحاصرهم بيت المقدس. وصانعه حزقيماهو بثلاثمائة قطار من الفضة وثلاثين من الذهب أخرج فيها ما كان في الهيكل وبيت الملك من المال ونثر الذهب من أبواب المسجد، دفع ذلك له ورجع عنه. ثم فسد ما بينهما وزحف إليه سنحاريف ثانية وحاصره وامتنع من قبول مصالحته، وقال: من ذا الذي خلصه إلهه من يدي حتى يخلصكم أنتم إلهكم؟ فخافوا منه وفرعوا إلى النبي

عهده زحف شريال ملك الكسديانين ببابل إلى بيت المقدس، ويقال ملك نينوى والموصى. وقال ابن العميد: ملك الشام فأطعاه الجميع ما في خزانة الملك وبيت المقدس من الأموال، ودخل في طاعتهم إلى أن قتله وزراؤه وأهل دولته لأربعين سنة من ملكه، وولوا مكانه ابنه أمصياهو، بفتح المزة والميم وسكن الصاد المشمة بالزاي بعدها ياء مشنة تختانية بفتحة تجلب الفاء ثم هاء مضمومة تجلب واواً، واستبدوا عليه ثم شار عليهم بأمه وقتلهم أجمعين. وسار إلى أدوم فظفر بهم، وقتل منهم نحواً من عشرين ألفاً، ثم زحف إليه ملك الأسباط بالسامرة ولقيه فهزمه وحصل في أسره.

وسار إلى بيت المقدس فحاصرها، وهدم من سورها نحواً من أربعينات ذراع، واتحتمها فقتلها فتنس ما في خزانة بيت السلطان وبيت الهيكل من الأموال والأوابي والذخائر ورجع إلى السامرية، فاطلق أمصياهو ملك القدس، فرجع إلى قرمه ورم ما تلثم من سورها. ولم ينزل ملكاً حتى نفموا عليه أفعاله فقتلوه ليسع وعشرين سنة من ملكه. وكان لعهده من الآباء يونان وناحوم، وتبلاً لعصره عاموص. ولا قتلوا أمصياهو ولو ابنه عزيماهو، بعين مهملة مضمومة وزاي معجمة مكسورة مشددة وباء مشنة تختانية تجلب الفاء وحاء تجلب واواً، وطالت مدته ثلاثة وخمسين سنة، واختلفت فيها أحواله.

قال ابن العميد: وخلص من ملكه كان ابتداء وضع سفي الكبس التي هي ستة بعد أربع تزيد يوماً على الماضية بحسب ربع يوم في كل ستة الذي اقضاه حساب مسير الشمس عندهم. قال: ولبيت من ملكه انقض ملك الأرمانيين من الموصى وصارت إلى بابل، ولثلاثين وعشرين من ملكه غزا ملك بابل باسمه فول مدينة السامرية فاقتحماها، وأعطاه ملوكها بدرة من المال فرجع عنه. قال: ولعهده ملك على بابل رينوس ويلقب قطب الملك، ولعهده ملك على اليونانيين ملوكهم الأول من مدينة أنتياس لثلاث وعشرين سنة من ملوك عزيماهو. قال: ولإحدى وخمسين من ملكه ملك ببابل بختنصر الأول. قال: ولعهده أيضأً كان الملك الأول من الروم المقدوسي ويسمى فروس. ولعهده كان من الآباء يوشع وغوزيا وأموص وأشيعاً ويونس بن متى.

قال ابن العميد: وانتهت عساكر عزيماهو إلى ثلاثة ألف، وأصابه البرص بدعاه الكohen لما أراد أن يخالف التسورة في استعمال البخور وهو حرم على سبط لاوي، فبرص ولزم بيته ستة وصار ابنه يؤام ينظر في أمر الملك إلى أن تغلب على أبيه. قال هروشيوش: وعلى عهده أيضأً قتل شريال آخر ملوك بابل من

وفي أيامه ملك الموس بابل، ولإحدى وثلاثين من دولته ملك فرعون الأعرج مصر وزحف لقتال مسيح بالفترات، فخرج يوشيا لحربه وانهزم يوشيا فهلك باسم أصحابه لاثتين وثلاثين من دولته، وولي بعده ابنه يوآش، ويقال اسمه يهويا حاز فطلل أحكام التوراة، وأسأله السيرة، فزحف إليه فرعون الأعرج، وأخذه ورجع به إلى مصر فمات هنالك. وضرب على أرضهم الخراج مائة قنطرار فضة و عشرة ذهباً، وكانت ولايته ثلاثة أشهر. وولوا مكانه آخاه الياقيم بن يوشيا، بهمزة مفتوحة ولا مسافة وباء مائة تختانية يجلب فتحها الفأ وقاف مكسورة تجلب ياه ثم ميم، وكان عاصيَا كافراً، وكان يأخذ الخراج لفرعون من بني يهودا على قدر أحواهم.

ثم زحف إليه مختصر ملك بابل لسبعين من ولاية الياقيم فملك الجزيرة وسار إلى بيت المقدس فضرب عليهم الجزية أولاً، ودخل الياقيم في طاعته ثلاثة سنتين، وسلط الله عليه أدوم (وعمون) ومؤاب والكلدانيين، ثم انتقض عليه فسرح الجيوش إليه، فقبضوا عليه واحتلوا إلى بابل، فهلك في طريقه لإحدى عشرة سنة من ملكه. وولي مختصر مكانه ابنه يخنيبو، بفتح الياء المثناة التحتانية بعدها خاء معجمة مضمة ثم نون مسكونة ثم نون مفتوحة وشين عاصيَا ياه تختانية تجلب ضممتها واواً، فأقام ثلاثة أشهر، ثم زحف إليه وحاصره، وأخرج إليه أمه وأشرف ملوكه فأشخاصهم إلى بلده. وجمع أهله ورجال دولته وسائر بني إسرائيل خوا من عشرة آلاف، واحتلهم أسرارى إلى بابل. وغنم جميع ما كان في الهيكل والخزائن من الأموال وجميع الأوانى التي صنعتها سليمان للمسجد، ولم يترك بمدينة القدس إلا القفراه والضفاعة وبقي يخنيبو ملك بني إسرائيل محبوساً سبعاً وثلاثين سنة. وقال ابن العميد: إن مختصر سار إلى القدس في الثالثة من مملكة الياقيم، وسيط طائفة منها، وانتهب جميع ما في بيت الهيكل. وكان في سنة دانيا وخانيا وزاريما وميصال، وإن في السنة الخامسة من ملكه قاتل مختصر فرعون الأعرج ملك مصر، وفي الثانية من ملوك الياقيم غزا مختصر القدس ووضع عليهم الخراج وأبقى الياقيم في ملوكه وهلك لثلاث سنتين بعد ذلك وملك ابنه يخنيبو. وكان لهذه من الآتيا إرميا وأوريا بن شعيا وموريي والله حزقيا. وفي أيامه تبا دانيا، ثم سار مختصر ليخنيبو فأشخاصه إلى بابل كما مر.

وقال الطبرى وواقفه تقل هروشيوش: إن مختصر ول مكان يخنيبو بن الياقيم عم متبا، يحب مفتوحة وباء مائة فرقانة مفتوحة مشددة ونون ساكنة وباء مائة تختانية تجلب الفاء، ويسمى صدقابا، وكان عاصيَا قيسح السيرة، ولتسع سنتين من ولايته ذلك.

شيء في الدعاء فأنهم منه ودعا عليه فوق الطاعون في عسكره، ثم توافقوا في بعض الليل، فبلغ قتلاهم مائة وعشرين ألفاً، ورجع سنجاريف إلى نينوى والموصى، فقتله أبناؤه وهرروا إلى بيت المقدس وملك ابنه السرعون.

وقال الطبرى: إن ملك بني إسرائيل أسر سنجاريف وأوحى الله إلى شعيب أن يطلقه فاطلقه. قال: وقيل إن الذي سار إليه سنجاريف من ملوك بني إسرائيل كان أعرج، وأن سنجاريف لمهد ملك أذربيجان، وكان يدعى سليمان الأعسر، فلما نزل بيت المقدس صار بينهما أحقاد كامنة، فتقاعدا ولهك عامة عسكراهم، وصار ما معهم غينة لبني إسرائيل، وبعث ملك بابل إلى حزقيا ملك الفرس بالهدايا والتحف، فاعظم موصلها، وبالغ في كرامة الرولد وفخر عليهم مخزنته وطوفهم عليها، فنكر ذلك عليه شعيب النبي وأنذره بأن ملوك بابل يغتصبون جميع هذه المخازن، ويكون من أبنائه خصيابان في قصرهم. ثم هلك حزقياهو لتسع وعشرين سنة من ملكه، وولي ابنه منشاً، يحب مكسورة ونون مفتوحة وشين معجمة مشددة والفاء، وكان عاصيَا قيسح السيرة، وكانت آثاره في الدين شديدة، وأنكر عليه شعيب النبي أفعاله، فقتلته نمراً بالمناشير من رأسه إلى مفرق ساقيه، وقتل جماعة من الصالحين معه. وفي تاسعة وثلاثين من ملكه، ملك سنجاريف الصغير ملكته الموصى قاله ابن العميد. وفي الثانية والخمسين بنيت بوزنطية بناها بورس الملك، وهي التي جددتها قسطنطين وسمعاها باسمه. وفي أيامه ملك برومقة قنقرسوس الملك، وفي الحادية والخمسين من ملكه زحف سنجاريف ملك الموصى إلى القدس فحاصرها ثلاث سنتين، وافتتحها في الرابعة والخمسين من ملكه. وولي بعده ابنه أمون، بهمزة قربة من العين والميم مضمة تجلب واواً ثم نون، وكانت حالة مثل حال أبيه فملك سنتين، وقيل اثنى عشرة، ثم اغتاله عبيده قاتلته.

واجتمع بنو يهودا فقتلوا أولئك العبيد، وأقاموا ابنه يوشيا مكانه، وضبطوه باء مائة تختانية مضمة تجلب واواً بعدها شين معجمة مكسورة ثم ياه مائة تختانية بفتحة تجلب الفاء. فلما ملك أحسن السيرة وهم الأولان وكان صالح الطريقه مستقيم الدين، وقتل كهنة الأصنام وهم البيوت والمذابح التي بناها يريمون بن نبات بالبرابرة. وكان في أيامه من الأنبياء صفونا وكلدي امرأة شالوم وناحوم. وتبا لعهده أرميا بن الجيا من نسل هارون، وأخبرهم بالخلاء إلى بابل سبعين سنة، فأخذ يوشيا قبة القرمان وتابتوا العهد وأطبق عليهم في مغاره قلم يعرف مكانهما من بعد ذلك.

قال الطبرى: وافتقرت جالية بني إسرائيل في نواحي العراق إلى أن ردهم ملوك الفرس إلى القدس فعمروه وبنو مسجده. وكان لهم فيه ملك في دولتين متصلتين إلى أن وقع بهم الحرب الثاني والخلوة الكبرى على يد طبطش من ملوك القياصرة كما نذكر بعد ولنذكر هنا ما وقع من الخلاف في نسب مختصر هذا، ولل من يرجع من الأمم، فقد ذهب قوم إلى أنه من عقب سنماريف ملك الموصى الذي كان يقال بني إسرائيل والسamarita بالقدس.

قال هشام بن محمد الكلبى فيما نقل الطبرى: هو مختصر بن نبوزراذون بن سنماريف، ثم نسب سنماريف إلى نمرود بن كوش بن حام الذى وقع ذكره في التوراة في ولد كوش وعد بن سنماريف والنمرود ستة عشر أباً أو نحوها أو لهم داريوش بن فالغ وعاص بن نمرود، أسماء غير مضبوطة يغلب على الظن تصحيفها لعدم دراية الأصول وقلة الوثيق بضبطها. وقيل إن مختصر من نسل أشود بن سام، ولم يقع إلينا رفع هذا النسب ولعله أصح من الأول لأنه قد تقدم نسب سنماريف في الجرامقة ثم في الموصى منهم وهم من ولد أشود باتفاق من أهل فارس، نقله أيضاً الطبرى عن ابن الكلبى، وأن اسمه مختصره فسمى مختصر، وكان يملأ ما بين الأهواء والرور من غربى دجلة أيام هراسب ويستاسب وبهمن من ملوك الفرس.

وأنه افتتح ما يليه من بلاد بابل والشام ثم سار إلى القدس فافتتحها كما تقدم، وقيل إن بهمن بعث رسلاً إلى القدس في طلب الطاعة منهم فقتلوه، فبعث بهمن أصحابه للناجية القريبة من مملكته، وبعث معه داريوس من ملوك مارى بن نابت، وكيرش بن كيروس من ملوك بني غليم بن سام، وأخشوارش بن كيرش بن جاماهن من قرينته. وسار معهم مختصر بن نبوزراذون بن سنماريف صاحب الموصى الذي لقومه البرات في أهل القدس فكان ما وقع من الفتح. وقيل كان مختصر صاحب الموصى في مقدمتهم وكان الفتح على يده. وأما بنو إسرائيل فيزعمون أن مختصر من الكلدائين، وهو ولد ناحور بن آزر أبي إبراهيم عليه السلام، وكان لهم الملك ببابل وكان مختصر هذا من أعقابهم، وكان مدة دولته خمساً وأربعين سنة، وكان فتح القدس لثمانية عشر من دولته، وملك بعده أولى مروماخ ثلاثة وعشرين سنة، ثم بعده ابنه فيلسندر بن أولى ثلاث سين، ثم غالب عليهم كوروش وأزال ملوكهم، وهو الذي رد بني إسرائيل إلى بيت المقدس فعمروه وجدوا به ملكاً كما نذكره وقد اختلف في كيرش الذي رد بني إسرائيل إلى القدس من هو بعد اتفاقهم على أنه من الفرس، فقيل: هو يستاسب ولم يكن ملكاً وإنما كان ملكاً على

انتقض على مختصر، فزحف إليه في العساكر وحاصر بيت المقدس وبين عليها المدر للحصار، وأقام ثالث سين واشتد الحصار بهم، فخرجوا هاربين منها إلى الصحراء واتبعهم العساكر من الكلدائين وأدركوه في أريحا، فقبض على ملوكهم صدقواهرو واتي به أسرى فسلم عينيه. وقال الطبرى: وذبح ولده هرائى منه، ثم اعتقله ببابل إلى أن مات. ولحق بعض من بني إسرائيل بالحجاز فاقاموا مع العرب، وكان لهم من الأنبياء إرميا وحبيرون وباروخ. وبعث مختصر قائدته نبوزراذون، بنون مفتوحة وباء موحدة مضمومة تحجب وأوا بعدها زاي وراء مفتوحة تحجب الفاء وذال مضمومة تحجب وأوا بعدها نون، بعثه إلى مدينة القدس، وكانتوا يدعونها مدينة أورشليم، فخرتها وخرب الهيكل وكسر عمد الصفر التي نصبها سليمان في المسجد طول كل عمود منها ثمانية عشر ذراعاً وطول روؤسها ثلاثة أذرع، وكسر صرح الرجاج وسائر ما كان بها من آثار الدين والملك، واحتفل بقية الأوانى وما كان وجده من المتعاع، وسي الكوهن سارية والخبر منشا وخدمة الهيكل إلى ببابل.

قال هروشيوش: وأبقى صدقواهرو محبوساً ببابل إلى أن أطلقه بزاق قائد بهمن ملك الفرس حين غلبو على ببابل فأطلقه ووصله وأقطعه. وقال مؤرخ حماة وواقفه المسعودي: إن مختصر بعد تخريب القدس هرب منه بعض ملوك بني إسرائيل إلى مصر وبها فرعون الأعرج، وطلب مختصر فأجراه فرعون وسار إليه مختصر قاتله وملك مصر. وافتتح من المغرب مداين ويث فيها دعاته، وكان إرميا نبى بني إسرائيل من سبط لاوي، ويقال اسمه إرميا بن خلقيا، وكان على عهده صدقواهرو وووجه مختصر في محبسهم فأطلقه واحتله معه في السبي إلى ببابل، وقيل: إنه مات في محبسه ولم يدركه مختصر. وكذلك احتله معهم دانيا بن حزقييل من أنبيائهم.

وقال ابن العميد: وولي جدبلا بن أححان على من يقي من ضعفاء اليهود بالقدس، ولسبعة أشهر من ولايته قام إسماعيل بن متبنياً بن إسماعيل من بيت الملك فقتل جدبلا واليهود والكلدائين الذي معهم، ثم هرب إلى مصر وهرب معه إرميا، وهو هرب حبقون إلى الحجاز فمات وكان قياماً ولحقهم بمصر، وتبعاً إرميا في مصر وببابل وأورشليم وصور وصيدنا وعمون ثمانية وتلائين سنة، ورجه أهل الحجاز فمات. وكان فيما أخبرهم به مسیر مختصر إلى مصر وخربيه هيأكلها وقتلها أهلها. ولا دخل مختصر مصر نقل جسده إلى الإسكندرية ودفنه بها، وقيل دفن بالقدس لوصيته. وأما حزقيال فهو قاتله اليهود في السبي.

من سبط أفراديم كان والياً لسليمان على جميع نواحي يورشليم وهي بيت المقدس، وقيل إنما كان والياً على عملبني يوسف بنابليس وما إليها، وكان جباراً وأن سليمان عورت على ولايته من الله وانتقض ولحق مصر، فلما قبض سليمان وولى ابنه رجعهم واختلف عليه بنو إسرائيل بما بلوا من سوء ملكته والزيادة في الضرائب عليهم، واجتمع الأسباط العشرة ما عدا يهودا وبنiamين فاستقدموا بريعام بن نبات من مصر فبايعوا له وولوه الملك عليهم، وحارروا رجعهم ومن في طاعته وهم سبط يهودا وبنiamين، فامتنعوا عليهم بمدينة يروشليم، ثم اخازوا إلى جهة فلسطين في عملبني يوسف. ونزل بريعام مدينة نابلس علىك الأسباط العشرة ومنهم من الدخول إلى بيت المقدس والقرىان فيه، وكان عاصيًّا مسخوط السيرة.

ولم يزل الحرب بينه وبين رجعهم بن سليمان وابنه أبيا من بعده واثنين من ملك أسا بن أبيا، وكان أبيا ظاهراً عليه في حربه، ثم هلك بريعام بن نبات لستين من ملك أبيا ولثلاث وعشرين من ملكه، فولي مكانه على الأسباط بونادات وكان على مثل سيرة أبيه من الجبور وعبادة الأصنام، فسلط الله عليه بعشا بن أحيا فقتله وجبع أهل بيته لستين من ملكه. وقام علىك الأسباط فلم يزل يحارب أسا بن أبيا وأهل القدس سائر أيامه. وكان أسا يستمد عليه بملك دمشق من الأرمن. وسار معه إلى مرأة، وكان أушا بن أحيا يترتب، فأغفل أماهم وترك الآلات فاختنها أسا وبنى بها الحصون وهلك أушا بن أحيا لأربع وعشرين سنة من ملكه ودفن في برصا مدينة ملكهم بعد أن اندره بالملائكة نيهم فاهو.

ولما هلك ولد بعده ابنه إيليا، ويقال إنه ولد في السادسة والعشرين من ملك أسا فاقام سنتين ثم بعث عساكر بني إسرائيل إلى محاصرة بعض المدن بفلسطين، فوثب عليه سبط من الأسباط من عقب كان يعرف زمري صاحب المراكب، ويقال ابن إيليا، فقتله وجبع أهل بيته وقام بالملك ومكث أيامًا يسيرة خلال ما بلغ الخبر لبني إسرائيل بملكهم من حصار فلسطين، فلم يرضوه وملدوا عليهم صبي بن كسسات من سبطه ورجعوا إلى زمري الترتب على الملك فحاصروه، فلما أحبط به دخل مجلس الملك وأ وقد نارًا لحرقة فالحرق فيه لسبعة أيام من فورتهم.

وكان عمري بن ناداب من سبط أفراديم وبلقب صاحب الحرية يرافق صبي في الملك فقتلته واستبد، وذلك في الحادية والثلاثين من ملك أسا. ثم اختلف عليه بنو إسرائيل ونصب بعضهم بنiamين فتالم من سبك يساخر، وحاربه عمري فقتلهم. وكان يتزلم مدينة برصا، ولست سنتين من ملكه اختط مدينة

خوزستان وأعمالها من قبل كيقوس وبنجسون بن سياوش وطراسب من بعدهما، وكان عظيم الشأن ولم يكن ملكاً. وقيل: إن كيرش هو ابن أحشوارش بن جاماسب بن هراسب، وأبوه أحشوارش هذا الذي بعث بهمن. ولما رجع من ذلك الفتح بعثه من سبي بني إسرائيل ابنة أبي حاوبل الرحأ وأخت مردخاي من الرضاع، وهو من أنبياء بني إسرائيل. فتزعم النصارى أنها ولدت عند حيرا حوارس إلى بابل ابنه كيرش هذا فحضره مردخاي ولقيه دين اليهودية، ولزم سائر أنبيائهم مثل متينا وعزريا وميثائيل وزيز. وولي دانيايل أحكام دولته، وجعل إليه أمره وأذن له أن يخرج ما في الخزان من السي والذخائر والأية ويرده إلى مكانه ويقوم في بناء القدس فعمره. وراجعه بنو إسرائيل وسأله هؤلاء الأنبياء أن يرجعوا إلى بيت المقدس فمنعهم اغتاباً بمكانهم. وقيل:

إن كيرش هو كيرش بن كيكر بن غليم بن سام، وهو الذي كان قدمنا أن بهمن بعثه مع قائدته بختنصر إلى فتح بيت المقدس، وأن مختنصر ملكه بهمن على بابل، وكان يسمى مختنرسى كما ذكرنا، فملكها وملك ابنه من بعده ثلاثة وعشرين سنة، ثم ابنه بختنصر سنة واحدة، ثم بلغ بهمن سوء سيرته فعزله وولي على بابل داريوش المادة بن مادي، ثم عزله وولي كيرش بن كيكو، وكتب إليه بهمن بأن يرق ببني إسرائيل ويسعن ملكتهم، وأن يردهم إلى أرضهم ويرلي عليهم من يختارونه، ففعل، فاختاروا دانيايل من أنبيائهم فولاه. وقيل: وهو لعلمه ببني إسرائيل أن بختنصر حاقد بختنصر وهو ملك بابل والكلدانين، وأن دارا ويسعن داريوش ملك مازي، وكورش وهو كيرش ملك فارس، كان في طاعته فانتقضوا عليه وخرج إليهم في العساكر فانهزم أولاً، ثم بعث عساكره وقاده إليهم فهزمه ثم قتل خادمه على فراشه. ولحق بداريوش وكورش وزحضا إلى بابل فغلبا الكلدانين عليها، وانقض دارا وقومه مادي وأظنهم الدليم ببابل ونواحيها. وانقض كورش وقومه فارس سائر الأعمال والكور، وكان كورش نذر ببناء بيت المقدس وإطلاق الجالية ورد الآية، ثم هلك دارا وانفرد كورش بالملك على فارس ومادي ووفى بذاته هذا محصل الخلاف في بختنصر وكيرش والله أعلم.

## الخبر عن دولة الأسباط العشرة وملوكيهم إلى حين انفراط أمرهم

قد تقدم لنا في دولة سليمان عليه السلام أن بريعام بن نبات

وقتل. ولما هلك ملك من بعده ابنته أحزيما ويقال أمشيا وكان عاصيَا سبيء السيرة قتل عاموس النبي وعبد بعلا الصنم وهلك لستين، فملك آخره يوآم وقيل أنه لسع عشرة من ملك يهوشافاط ملك الفرس، فملك يوآم على الأسباط الثاني عشرة سنة زحف فيها أولى إلى موآب لما منعوه الجزية التي كانت عليهم للأسباط مائتين من الغنم في كل سنة، واستنجد ملك يهودا طربهم فحاصرهم سبعة أيام وفتقوا الماء، فاستنقى لهم إليسع وجري الوادي وخرج أهل موآب يظلونه دماء، فقتلتهم بنو إسرائيل. وجمع هداد ملك أدون لحصار سامرة ونزلها ثلاثة سنتين، ثم دعا عليهم إليسع فاجفلوا ورجعوا إلى بلادهم.

وفي الثانية عشر من ملك يوأم ملك الأسباط ثار عليه  
يهوشافاط بن يشا من سبط منشا بن يوسف، وذلك عند منصرفة  
من محاربة ملوك الجزيرة وأدوم مع أخزيا بن يهورام ملك القدس،  
وكان جريحاً فعاه أحزيما و كان هذا الفتى ياهو يتزصد قتل يوأم  
فأمكنته الفرصة فيه تلك الساعة قتله، وقتل معه أحزيما ملك  
القدس وفي يهودا وملك على الأسباط. وقال ابن العميد: خرج  
يوأم بن أحباب ملك الأسباط لحرب أدوم ومعه أحزيما ملك  
القدس فقتلا جميعاً في تلك الحرب.

وقيل: إن ياهو بن منثرا رمى بسهم فاصاب يوم بن أحباب  
فمات. ولما ملك ياهو على الأسباط قتلبني أحباب كلهم كما  
أمره إليسع، وهلك خمس وثلاثين من ملكه، وولى ابنه يواص،  
وقيل: يهودا، ولثمان وعشرين من دولة يواص بن أحريا ملك  
يهودا القدس وكان قبيح السيرة عباداً للأصنام وعمل مذبحاً  
بسامة وهلك لسيع عشرة من ملكه، وولى بعده ابنه يواش لسيع  
وثلاثين من دولة يواص بالقدس وزحف إلى القدس فملكها من  
يد أوصيا ملك يهودا، وhelm من سورها أربعوناية ذراع، وسبى  
أهل القدس وسبى أهل عزريا الكرون، وأخذ جميع ما في المسجد  
ورجع إلى سامرة. ومرض إليسع فعاده يواش فوعده بأنه يهلك  
أدوم ويفظ بهم ثلث مرات، فكان كذلك وهلك ثلاث عشرة  
سنة من ملكه. وولى من بعده ابنه يربعام وكان سيء السيرة  
وزحف إلى أوصيا ملك يهودا.

وقيل: إن الذي زحف إلى أمصيا إنما هو يؤاشر أبوه، فهزمه وأخذته أسيراً وسار به إلى القدس فاقتصرها عنزة وغمد جميع ما في خزانتها وسمى بني عزيزا الكورهن. ورمح إلى السامرة فأطلق أمصيا، ثم لإحدى وأربعين سنة من ملكه، ولبسه وعشرين من ملك عزيزا هو بن أمصيا ملك القدس. قال ابن العميد: وبقي بنو إسرائيل بالسامرة عشرة سنة، ثم ملوكوا ابنه زكريا

السامرية ابْنَاعَ هَلْ جِيلْ شَرَانْ مِنْ رَجُلْ أَسْمَهُ سَامِرْ بِقَنْطَارْ فَصَّفَةَ،  
وَبَنِي فِيهِ قَصْرُهُ وَسَمِيتْ سَبَطَتِيَّةً، ثُمَّ غَلَبَتْ عَلَيْهَا النَّسْبَةَ إِلَى  
الْبَائِعَ. وَيَقُولُ أَنَّ الْاسْمَ كَانَ شَوْمُرُونَ فَعَرَبْ سَامِرَةً وَأَهْمَلَتْ  
شَيْنِهَا الْمُلْثَلَّةَ، وَكَانَتْ هَذِهِ الْمَدِينَةُ مَلْكُهُمْ إِلَى اِنْقَرَاضِ أَمْرَهُمْ.  
ثُمَّ هَلْكَ عَمْرِي لَانْتَسِي عَشْرَةَ سَنَةَ مِنْ وَلَائِتَهِ وَدُفِنَ فِي  
نَابِلِسْ، وَقَامَ بِهِ مَلْكُ الْأَسْبَاطِ مِنْ بَعْدِهِ أَحَبَّ، وَكَانَ عَلَى مَنْهُهِ  
وَمَنْهُبِهِ سَلْفُهُ مِنْهُمْ مِنَ الْكُفَّرِ وَالْعَصَيَانِ، وَتَزَوَّجَ بِنْتَ مَلْكٍ  
صَيْداً، وَبَنِي هِيكَلَّا سَامِرَةً وَجَعَلَ فِيهِ صَنْمَأً يَسْجُدُ لَهُ وَأَفْحَشَ فِي  
قَتْلِ الْأَبْيَاءِ، وَبَنِي قَرْيَةَ أَرْيَاءَ وَدَعَا عَلَيْهِ إِلِيَّا النَّبِيَّ فَقَطَّهُرَا ثَلَاثَ  
سَيِّنَ خَرَجَ فِيهَا إِلِيَّا إِلَى الْبَرِّيَّةِ فَسَكَنَهَا، ثُمَّ رَجَعَ فَدَعَا وَأَنْزَلَ اللَّهَ  
الْمَطَرَ وَذَبَحَ الَّذِينَ حَلَوْا أَحَبَّ إِلَيْهِ عَبَادَةَ الْأَصْنَامِ هَكُذا قَالَ أَبْنَ  
الْمُعْدِيدِ. وَالَّذِي قَالَهُ الطَّبْرِيُّ: إِنَّ هَذَا النَّبِيُّ الَّذِي دَعَا عَلَيْهِمْ هُوَ  
الْيَاسِ بْنُ سَيِّنَ، وَقَيْلِ بْنُ يَاسِينَ مِنْ نَسْلِ فَنْحَاصَ بْنِ الْعَازَارِ.  
وَكَانَ بَعْثَ إِلَى أَهْلِ بَلْكَ وَإِلَى أَحَبَّ وَقَوْمَهُ.

وقال الطبرى: فنكثبوا فأصابهم القحط ثلاثة، ففزعوا إليه في الدعاء وباهلهم فى أصنامهم فلم تغن شيئاً، فدعوا لهم فمطرروا، ثم أنهم أقاموا على ما كانوا عليه من الكفر والعصيان. وكان أحباب شديداً ودعا عليه إلياس ثم طلب من الله أن يتوفاه بعد أن اندر الناس بهلاكه وهلاك قومه بن عقبة. وتتبأ بعده إليس بن الخطوب من سبط أثرياء، وقيل ابن عم إلياس. وقال ابن عساكر: اسمه أسباط بن عدي بن شوليم بن أثرياء.

قال الطبرى: كان مستخفياً مع الياس بجبل قاسيون من ملك بعلبك، ثم خلقة في قريته، انتهى كلام الطبرى. وقال ابن العميد: في أيام أحباب أوحى الله إلى ليليا أن يبارك على الياس بن بعسا ففعل ذلك، وأن يبارك على أدوم بدمشق، وعلى ياهو ملكاً على بني إسرائيل ففعل ذلك. وهو أيضاً على عهد أحباب فجاء سنداب ملك سوريا فحاصر أحباب بن عمري والأسباط العشرة في السامورة، وخرجوا إليه فهزمه واستسلحوه عامة عسکرها، ثم رجع إليهم من العام القابل فخرجوا إليه وهزموه ثانيةً وقتلوا من عسكره نحوَ من مائة ألف، ومرروا في أيديهم، وامتنع سنداب في بعض حصونه وأحاطوا به فخرج إليهم ملقياً بنفسه على ملتهم أحباب، فنفأ عنه ورده إلى ملكته، وسخط ذلك النبي من فعله وأنذرته بعذاب يصيب ولده عقوبة من الله تعالى على إيقائه عليهم. ثم خرج أحباب من ملك الأسپاط مع يهوشافاط ملك يهودا المقدس مخاربة ملك سوريا، فأصابه سهم هلك فيه ودفن بسامرة لاثنتين وعشرين سنة من ملكته. قال ابن العميد: وقيل لثمان عشرة. وقال إما خرج لحرب كلعاد ملك أدوم فانهزم

## الخبر عن عمارة بيت المقدس بعد الحراب الأول وما كان الأول وما كان لبني إسرائيل فيها من الملك في الدولتين لبني حشمناوي وبني هيرودوس إلى حين الحراب الثاني والجلوسة الكبرى

هذه الأخبار التي كانت لليهود بيت المقدس والملك الذي  
لهم في العمارة بعد جلاء مختصر وأمر الدولتين اللتين كانوا لهم في  
تلك الملة، لم يكتب فيها أحد من الأنمة ولا وقفت في كتب  
التاريخ مع كثرتها واتساعها على ما يلم بشيء من ذلك. ووقع  
بيدي أنا مصر تأليف بعض علماءبني إسرائيل من أهل ذلك  
العصر في أخبار البيت والدولتين اللتين كانوا بها ما بين خراب  
مختصر الأول وخراب طيطس الثاني الذي كانت عنده الجلوسة  
الكبرى، استوفى فيها أخبار تلك المدة بزعمه، ومؤلف الكتاب  
يسمى يوسف بن كريون وزعم أنه كان من عظماء اليهود  
وقادهم عند زحف الروم إليهم، وأنه على صولة فحاصره  
أسييانوس أبو طيطس واتحتمها عليه عنزة، وفر يوسف إلى بعض  
الشعب وكمن فيها ثم حصل في قبضته بعد ذلك، واستبقاء ومن  
عليه ويقي في جلته، وكانت له تلك وسيلة إلى ابنه طيطش عندما  
أجلى بني إسرائيل عن البيت فتركه بها للعبادة كما يأتي في  
أخباره. هذا هو التعريف بالمؤلف.

وأما الكتاب فاستوعب فيه أخبار البيت واليهود بتلك المدة  
وأخبار الدولتين اللتين كانت بها لبني حشمناوي وبني هيرودوس من  
اليهود، وما حدث في ذلك من الأحداث فلخصتها هنا كما  
وجدتها في لأنني لم أقف على شيء فيها لسوء، والقوم أعلم  
بأخبارهم إذا لم يعارضها ما يقدم عليها. وكما قال عليه: «لا  
تصدقوا أهل الكتاب». فقد قال «ولا تكذبواهم». مع أن ذلك إنما  
هو راجع إلى أخبار اليهود وقصص الأنبياء التي كان فيها التنزيل  
من عند الله لقوله بعد ذلك: «وَقُولُوا أَتَمَا بِالذِّي أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ». وأما الخبر عن الواقعات المستندة إلى الحسن فخبر الواحد  
كاف فيه إذا غلب على الظن صحته، فينبغي أن نلحظ هذه  
الأخبار بما تقدم من أخبارهم لتتكامل لنا أحوالهم من أول أمرهم  
إلى آخره والله أعلم. ولم يتم صدقه من كتبه والله المستعان.

قال الطبرى وغيره من الأنمة: كان يرميا ويقال: أرميا بن  
خلقى من أنبياء بني إسرائيل ومن سبط لاوى وكان لعهد صدقى  
هو آخر ملوك بني يهودا بيت المقدس، ولما توغلوا في الكفر  
والعصيان اندرهم بالملائكة على يد مختصر وسأله عنه وأطلقه

في الثامنة والثلاثين من ملك عزيماهو فملك ستة أشهر، وقال ابن  
العميد: شهراً، ثم وتب به مناخيم بن كاد من سبط زيلون من  
أهل برصا قتله، وملك مكانه اثنى عشرة سنة. وقال ابن العميد:  
عشر سنين. قال وفي التاسعة والثلاثين من ملك عزيماهو خرج إلى  
مدينة برصا ففتحها عنوة واستباها، وزحف إليه فول ملك  
الموصل فصانعه بالف قطار من الفضة ورجع عنه، وكانت سيرته  
ردية، ولما هلك مناخيم ملك ابنه بقحيا لأربعين من دولة عزما  
ملك القدس فقام فيهم اثنى عشرة سنة، وقال ابن العميد: ستين.  
ثم ثار عليه من عماله باح بن رسليا وكان على طريقة من  
تقدمه في الضلال فقام ملكاً على الأسباط بالسامرة عشر سنين،  
وعلق لدولته عزما بن أوصيا ملك يهودا بالقدس، وأقام باح بن  
رسليا على سوء السيرة وعبادة الأصنام إلى أن قتله هوبيش بن  
إيليا من سبط جاد في الثالثة من ملك بواب ملك القدس، وبقي  
الأسباط بعده فرضى عشر سنين، ثم ملكوا قاتله هوبيش بن إيليا  
المذكور، فأقام ملكاً عليهم سبع سنين وفي أيامه زحف إليه ملك  
اثور والموصل فصier الأسباط في دولته وأدوا إليه الخراج، ثم إن  
هوبيش رأس ملك مصر في الاستعنة به والرجوع إلى طاعته،  
فلما بلغ ذلك إلى ملك الموصـل زحف إليه وحاصره في مدينة  
السامرة ثلاثة سنين واقتصرها في الرابعة.

وتقبض على هوبيش لست سنين من ملكه ونقله مع  
الأسباط كلهم إلى الموصـل، ثم بعثهم إلى قرى أصبهان وأنزلهم بها،  
وقطع ملك بني إسرائيل من السامرة وبقي ملك يهودا وبينما  
بالقدس، وكان ذلك لعهد أحريا بن أحاز من ملوكهم لستة من  
دولته، وتعاقبت ملوكهم بعد ذلك بالقدس إلى أن انقضوا، وجمع  
ملك الموصـل من كورة شاراً وهـة وصـرارـام، ويقال: ومركتـا  
وأسكتـهم بالسامرة. قال ابن العميد: وتفسيرها حفـيـطة ويوـأـطـرـ.  
قالـوا: وسلط الله عليهم السـيـاعـ يـفـتـرـسـونـهمـ فـبـعـثـواـ إـلـىـ مـلـكـ  
الموصـلـ أـنـ يـعـرـفـهـ بـصـاحـبـ قـسـمـةـ السـامـرـةـ مـنـ الكـواـكـبـ  
لـيـتـرـجـهـ إـلـيـ عـاـيـاـ يـنـاسـبـ عـلـىـ طـرـيقـةـ الصـابـةـ،ـ فـقـيـلـ:ـ إـنـ العـشـرـةـ  
الـيـقـيـنـ رـسـخـتـ فـيـهـ وـهـيـ دـيـنـ الـيـهـوـدـيـةـ تـعـنـىـ مـنـ ذـلـكـ وـمـنـ ظـهـورـ  
أـثـرـهـ،ـ فـبـعـثـ إـلـيـهـ كـوـهـنـيـنـ مـنـ عـاـمـةـ الـيـهـوـدـ يـلـعـمـانـهـ الـيـهـوـدـيـةـ  
فـتـلـقـوـهـاـ عـنـهـمـ،ـ فـهـذـاـ أـصـلـ السـامـرـةـ فـرـقـ الـيـهـوـدـ وـلـيـسـوـ مـنـهـمـ  
عـنـ أـهـلـ مـلـمـهـ لـاـ فـيـ نـسـبـهـ وـلـاـ فـيـ دـيـنـهـ،ـ وـالـلـهـ مـالـكـ الـأـمـرـ لـاـ  
رـبـ غـيرـهـ وـلـاـ مـعـبـودـ سـوـاهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـ.

والكلمات عبرانية، وهي أحصى وزن نفذ، فارتدى لذلك هو والحاضرون وفرز إلى دانيال النبي في تفسيرها.

قال وهب بن منه وهو من أعقاب حزقييل الأصغر وكان خلفاً من دانيال الأكبر، فقال له دانيال: هذا الكلمات تنذر بزوال ملكك ومعناتها أن الله أحصى مدة ملكك، وزون أعمالك، ونفذ قضاوه بزوال ملكك عنك وعن قومك. وقتل تلك الليلة بلتنصر، وكان ما قدمته من استقلال كورش وقومه فارس بالملك ورد الجالية إلى بيت المقدس، وأطلق لهم المال لعماراتها شكرأ على الظفر بالكلدانيين ومضى بنو إسرائيل ومعهم عزرا الكاهن ونجميا ومردخاي وجميع رؤساء الجالية يبنون البيت والمذبح على حدودها وقربها القربانين. وكان كورش بعد ذلك يطلق لهم في كل سنة من الحنطة والزيت والبقر والغنم والخمر ما يحتاجون إليه في خدمة البيت ويطلق لهم جرابة واسعة.

وجريدة ملوك الفرس بعده على سنته في ذلك إلا قليلاً في أيام أخششيوش منهم، كان وزيره هامان وكان من العمالقة، وكان طالوت قد استخلفهم بأمر الله، فكان هامان يعاديهم لذلك وعظمت ساعيهم عليهم وحمله على قتلهم. وكان مردخاي من رؤسائهم قد زوج اخته من الرضاع لأخششيوش، فدس إليها مردخاي أن تشنع إلى الملك في قومها فقبلها واعطف عليهم وأعادهم إلى أن انقرضت دولة الفرس بهلك دارا، واستولى بنو يونان بهلك دارا على ملك فارس.

وملك الإسكندر بن فيليوس ودخول الأرض، وفتح سواحل الشام، وسار إلى بيت المقدس لأنها من طاعة دارا، وخف الكهنة من وصوله إليهم، ورأى في بعض تمثال رجالاً فقال: أنا رجل أرسلت لمعونتك. ونهاه عن ذيته القدس، وأوصاه بامتثال إشارتهم. فلما وصل إلى الليت لقبه الكohen، فبلغ في تعظيمه ودخل معه إلى الميكل، وببارك عليه، ورحب إليه الإسكندر أن يضع هناك تمثاله من الذهب ليذكر به، فقال هذا حرام لكن تصرف همتك في صالح الكهنة والمصلين ويجعل لك من الذكر دعاؤهم لك، وأن يسمى كل مولود لبني إسرائيل في هذه السنة بالإسكندر، فرضي الإسكندر وحمل لهم المال وأجزل عطية الكohen، وسأله أن يستخير الله في حرب دارا، فقال له: امض والله مظفرك. وحضر دانيال وقص عليه الإسكندر رؤيا رأها فاولها له بأنه يظفر بدارا.

ثم انتصر الإسكندر وسار في نواحي بيت المقدس، ومر ببابل ولقبه سبطلاط السامراري، وكان أهل القدس أخرجوه عليهم، فاضافه وأهدى له أموالاً وأستعنه في بناء هيكل في

واحتمله معه في السي، وكان فيما يقوله أرميا إنهم يرجعون إلى بيت المقدس بعد سبعين سنة يملك فيها مختنصر وابنه وابن ابنه وبهلكون وإذا فرغت مملكة الكلدانيين بعد السبعين يفتقدكم. يخاطب بذلكبني إسرائيل في نص آخر له عند كتاب سبعين خراب المقدس. وكان شعيا بن أمسيا من أنياثهم أخبرهم بأنهم يرجعون إلى بيت المقدس على يد كورش من ملوك الفرس، ولم يكن وجد لذلك العهد، فلما استولى كورش على بابل وأزال مملكة الكلدانيين أذن لبني إسرائيل في الرجوع إلى بيت المقدس وعمارة مسجدها، ونادى في الناس أن الله أوصاني أن أبي بيّا فمن كان الله وسعيه الله فليمض إلى بناته. فمضى بنو إسرائيل فياثنين وأربعين ألفاً وعليهم زيريافيل - بالفاء المواتية - بن شالهيل بن يوخنا آخر ملوكهم بالقدس الذي حبسه مختنصر وقد مركبه. وقد مضى معهم عزير من عقب أشيوس بن فحاصس ابن العازر بن هارون وبينه وبين أشيوس ستة آباء. لم أثق بنقلها لغيبة الظن بأنها مصحفة، ورد عليهم كورش الأواني وكانت لا يعبر عنها من الكثرة.

قال ابن العميد: كانت خمسة آلاف وأربعمائة قصعة ذهباً وفضة. فمضوا إلى بيت المقدس وشرعوا في العمارة وشرع كورش وسعى عليهم في إبطال ذلك بعض أعدائهم من السامرة، ولم يكن أحد السبعين التي وعدهم بها انتقض، لأن الخراب كان لثمان عشرة من ملك مختنصر وكانت دولته خمسة وأربعين ومائة ابنه وأبنه خمس وعشرون، فبقيت من السبعين ثمانية عشر التي تقصدت من ملك مختنصر قبل الخراب، فمنعوا من العمارة بسعاية السامرية إلى أن انقضت الثمان عشرة. وجاءت دولة دارا من ملوك الفرس فاذن لهم في العمارة وعاد السامرية لسعایتهم في إبطال ذلك عند دارا، فأخبره أهل دولته أن كورش أذن لهم في ذلك فخلى سبيلهم وعمروا بيت المقدس في الثانية من ملك دارا الأول، وهو أرفخند وال Cohen يومئذ عزير، وجدد لهم التوراة بعد ستين من رجوعهم إلى البيت. ثم هلك زيريافيل وخلفه فيهم بهشمياس، وقبض العزير وخلقه شمعون الصفا من بني هارون أيضاً.

وقال يوسف بن كريون: إن مختنصر لما رجع إلى بابل أقام ملكاً سبعاً وعشرين سنة، وملك بعده ابنه باتنصر ثلاثة سنين، وانتقض عليه داريوش ملك مازني، وأنظمهم الدليم وكيرش ملك فارس، وهزمتهم عساكره كما مر، فعمل في بعض أيامه صنيعاً لقواده سروراً بالواقع، وسقاهم في أواني بيت المقدس التي احتملها جده من الميكل، فسخط الله لذلك ورأى تلك الساعة كأن يبدأ خرجت من الحائط ترمي بكتابه كلمات بالخط الكلداني

فليقوس، وأمره أن يحملهم على بيت المقدس قائد فليقوس، وأمره أن يحملهم على السجود لأصنامه وعلى أكل الخنزير وترك السبت والختان، ويقتل من يخالفه. فعل ذلك أشد ما يكون، ويسلط على اليهود أيدي أولئك الأشرار الساعين، وقتل العازر وال珂ohen الذي ترجم لهم التوراة لما امتنع من السجود لصنه وأكل قرينه.

وكان فيمن هرب إلى الجبال والباراري متيبا بن يوحنا بن شمعون الكohen الأعظم ويعرف بمحشمناي بن حونيا منبني نوذاب من نسل هارون عليه السلام، وكان رجلاً صالحًا خيراً شجاعاً، وأقام بالبرية وحزن لما نزل بقومه. فلما بعد أنطيخوس الرحلة عن القدس، بعث متيبا إلى اليهود يعرفهم بمكانته، وينعرض لهم ويعرضهم على الثورة على اليونانيين، فأجابوه وتراسلوا في ذلك، وبلغ الخبر - فليقوس قائد أنطيخوس، فسار في عسكره إلى البرية طالباً متيباً وأصحابه، فلما وصل إليهم حاربهم فغلبوا وانهزم في عساكره، وقوى اليهود على الخلاف، وهلك متيبا خلال ذلك وقام بأمره ابنه يهودا فهزم عساكر فليقوس ثانية. وشغل أنطيخوس بحروب الفرس فزحف إليهم من مقدونية، واستخلف عليهم ابنه أنظر، وضم إليه عظيماً من قومه اسمه لشاوش، وأمرهم أن يبعثوا العساكر إلى اليهود، فبعثوا ثلاثة من قوادهم whom يقانور وتلمياس وصردوس، وعهد إليهم بإيادة اليهود حيث كانوا فسارت العساكر، واستثروا سائر الأرمن من نواحي دمشق وحلب، وأعداء اليهود من فلسطين وغيرهم. وزحف يهودا بن متيبا مقدم اليهود للقايم بعد أن تضرعوا إلى الله وطافوا بالبيت وتمسحوا به، ولقيهم عسكر يقانور فهزموه، وأنهضوا فيه بالقتل، وغنموا ما معهم، ثم لقيهم عسكر القائد ابن تلمياس وهيرودوس ثانياً فهزموهما كذلك، وبقضوا على فليقوس القائد الأول لأنطيخوس فاخرقوه بالثار، ورجع يقانور إلى مقدونية فدخلها وخبر لشاوش وأفطر ابن الملك بالهرمة، فجزعوا لها.

ثم جاءهم الخبر بهزيمة أنطيخوس أمام الفرس، ثم وصل إلى مقدونية واحتشد غيطه على اليهود، وجع لغزوهم فهلك دون ذلك بطاعون في جسده، ودفن في طريقه، وملك أنظر وسموه أنطيخوس باسم أبيه ورجع يهودا بن متيبا إلى القدس، فهدم جميع ما بناه أنطيخوس من المدايم وأزال ما نصبه من الأصنام، وظهر المسجد، وبنى منهما جديداً للقبrian، فوضع فيه الخطب ودعا الله أن يرحم آية في اشتغاله من غير نار، فاشتعل كذلك ولم ينطف إلى الحزب الثاني أيام الجلوة، واندنسوا ذلك اليوم عيداً سمه عيد

طوب بريد فأذن له، فبناء وأقام صهوة منشأ كرهنا فيه، وزعم أنه المراد بقوله في التوراة أجعل البركة على جيل كريم. فقصده اليهود في الأعياد، وحلوا إليه القرابين وعظم أمره، وغضب شأنه أهل بيت المقدس، إلى أن خربه هرميوس بن شمعون أول ملوك بني حشمناي كما يأتي ذكره.

ثم هلك الإسكندر ببابل بعد استيفاء مدة لا تثنين وثلاثين من مملكه وقد كان قسم مملكه بين عظامه دولته، فكان سليقوس بعد الإسكندر وكان عظيم أصحابه، فأكرم اليهود وحمل المال إلى فقراء البيت، ثم سعى عنده بأن في الهيكل أموالاً وذخائر نفيسة ورغبه في ذلك، فبعث عظيماً من قواه اسمه أردوس ليقبض ذلك المال فحضر بيته، وأنكر الكاهن حينئذ أن يكون باليه إلا بقية الصدقات من فارس ويونان وما أعطاهم سليقوس آنفه، فلم يقبل، ووكل بهم في الهيكل فتوجهوا بالدعاء. وجاء أردوس ليقبض المال فتصدع في طريقه، وجاء أصحابه إلى الكohen حينئذ وجاءه الكهنة يسألون الإقالة والدعاء لأردوس، فدعوا له وعوفى وارتحل وأزاد الملك سليقوس إعظاماً لبيته وحمل ما كان يحمل إليهم ماضعاً.

قال ابن كريون: ثم ترجحت التوراة لليونانيين وكان من خبرها أن تلاميي ملك مصر من اليونانيين بعد الإسكندر، وكان من من أهل مقدونية، وكان محباً للعلوم ومشغولاً بالحكمة والكتب الإلامية. وذكرت له كتب اليهود الأربع والعشرون سفراً فتاقت نفسه للوقوف عليها، وكتب إلى كهنة القدس في ذلك وأهدى له، فاختار سبعين من أحجار اليهود وعلمانهم، وفيهم كرهن عظيم اسمه العازر، ويعتهم إليه ومعهم الأسفار فتقاسموا بالكرة، وأواسع لهم التزول ورتب مع كل واحد كتاباً يملئ عليه ما يترجم له، حتى ترجم الأسفار من العبرانية إلى اليونانية وصححها وأجاز الأخبار وأطلق لهم من كان بمصر من سبي اليهود نحواً من مائة ألف، وصنع مائة من الذهب نقشت عليها صورة أرض مصر والنيل ورصعها بالجواهر والفضوص وبعث بها إلى القدس فادوادعت في الهيكل.

ثم هلك تلاميي صاحب مصر، واستولى بعده أنطيخوس صاحب مقدونية على أنطاكية ثم على مصر، وأطاعه ملوك الطوائف بارض العراق، واستفحمل ملكه وعظم طغيانه، وأمر الأمم بعبادة الأصنام. وعمل أصناماً على صورته، فامتثل اليهود من قبولاً وسعى بهم عند بعض شرارهم، وكانت أهل نجدة وشوكة، فسار أنطيخوس إليهم وأثخن فيهم بالقتل والسي، وفروا إلى الجبال والباراري، فرجع واستخلف على بيت المقدس قائد

المقدس، وفروا عن ملتهم بهودا وافتقدوا في الشعب، وأقام منهم فل قليل، واتبعهم يعروس فلقه بهودا وأكمم له فانهزم اليهود، وخرج عليهم كمين الروم فقتل بهودا في كثير من ولايته ودفن إلى جانب أبيه متينا. ولحق آخره بوناثال فيما يجيء من اليهود، بنوا حي الأردن وتحصنوا بيت سيع، فحاصرهم يعروس هنالك أيام، ثم بيته فهزمه.

وخرج بوناثال واليهود في اتباعه فقبضوا عليه، ثم أطلقوه على مسللة اليهود وأن لا يسير إلى حربيهم. فهلك بوناثال إثر ذلك وقام بأمر اليهود آخرهما الثالث شمعون، فاجتمع إليه اليهود من كل نهاية وعظمت عساكره، وزعوا جميع أعدائهم ومن ظاهر عليهم من سائر الأمم، وزحف إليه دمترياس قائد الروم بإنطاكية فهزمه شمعون وقتل غالب عساكرةه.

ولم تعاودهم الروم بعدهما بالحرب إلى أن هلك شمعون. وثبت عليه صهره تلميسي زوج اخته فقتله وتقبض على بنيه وأمراته، وهرب ابنه الأكبر قانونس بن شمعون إلى غزة فامتنع بها، وكان اسمه يوحان وكان شجاعاً قتل في بعض الحروب شجاعاً. اسمه هرقانونس فسماه أبوه باسمه.

ثم اجتمع عليه اليهود وملكته وسار إلى بيت المقدس، وفر تلميسي التوبي على أبيه إلى حصن داخرون فامتنع به، وسار هرقانونس إلى حماريته وضيق عليه، وأشرف تلميسي في بعض الأيام من فوق السور بأم هرقانونس وأخته يهدهما بقتلها، فكشف عن الحرب، وانصرف لحضور عيد المظال بيت المقدس فقتل تلميسي اخته وأمه وفر من الحصن، قال ابن كريون: ثم زحف دمترياس بن سلياقوس قائد الروم إلى القدس وحاصر اليهود فامتنعوا، وثلث السور، وراسلوه في تأخير الحرب إلى انتفاء عيدهم، ففعل على أن يكون له نصيب في الغربان. ووقعت في نفسه صاغية إليهم، وأهدى تماثيل لليبيت فحسن موقعها عنهم، وراسلوه في الصلح على مسللة والمظاهر لبعض فأجاب، وخرج إليه هرقانونس ملك اليهود وأعطاه ثلثمائة بدرا من الذهب استخرجها من بعض قبور داود.

ورحل عنهم الروم، وشغل هرقانونس في رم ما ثلم من السور، وحدث خلال ذلك فتنة بين الفرس والروم فسار إليهم دمترياس في جوع الروم، وبينما أبطأ هرقانونس ملك اليهود لحضور عيدهم إذ جاءه الخبر بأن الفرس هزموا دمترياس، فنهز الفرصة وزحف إلى أعاداته من أهل الشام وفتح نابلس وحصون أدرم التي يحيط الشارة، وقتل منهم خلقاً، ووضع عليهم الجزية وأخذهم بالختان والتزام أحكام التوراة، وخرب الهيكل الذي بناء

العساكر، ونازل ليشاوش فزحف إليه بهودا بن متينا في عسكر اليهود وثبت عسكر ليشاوش فانهزموا، ولجأ إلى بعض المحسوبين وطلب التزول على الأمان على أن لا يعود إلى حربيهم، فأجابه بهودا على أن يدخل أنظر معه في العقد وكان ذلك. وتم الصلح وعاهد أنظر اليهود على أن لا يسير إليهم، وشغل بهودا بالنظر في صالح قومه.

قال ابن كريون: وكان لذلك العهد ابتداء أمر الكتيم وهو الروم، وكان بروميا وكان أمرهم شوري بين ثلثمائة وعشرين رئيساً، ورئيس واحد عليهم يسمونه الشيخ يدبر أمرهم، ويدعون للحرب من يثقو ببناته وكفایته منهم أو من سواهم. هكذا كان شائمهم لذلك العهد، وكانت قد غلبو اليونانيين واستولوا على ملتهم، وجازوا البحر إلى إفريقيا فملکوها كما يأتي في أخبارهم، فأذعوا السير إلى أنطيخوس أنظر وابن عمه ليشاوش بقية ملوك بونان بإنطاكية، وكانتها بهودا ملكبني إسرائيل بالقدس يستميلونهم عن طاعة أنطيخوس واليونانيين فأجابوه إلى ذلك.

وبلغ ذلك أنطيخوس فبذ إلى اليهود عهدهم وسار إلى حربيهم فهزمه ونانوا منه. ثم راسلهم في الصلح وأن يقimsوا من على عهدهم معه ويحمل ليبيت المقدس بما كان يحمله من المال، وأن يقتل من عنده من شرار اليهود الساعين عليهم، فتم العهد بينهم على ذلك وقتل شملاؤش من الساعين على اليهود، ثم جهز أهل رومة قائد حربهم دمترياس بن سلياقوس إلى إنطاكية، ولقيه أنطيخوس أفسر فانهزم أنطيخوس وقتل هو وابن عمه ليشاوش، وملك الروم إنطاكية. ونزلها قائدتهم دمترياس وكان القيسوس الكوهر من شرار اليهود عند أنطيخوس، فلما ملك دمترياس قائد الروم فسعى عنده في اليهود ورغبه في ملك القدس والاستيلاء على أمواله، فبعث قائدته نيقانور لذلك وخرج بهودا ملك القدس لتلقية وطاعته، وقدم بين يديه المدايا والتحف، فمال نيقانور إلى مسللة اليهود وحسن رأيه وأكده بينه وبينهم العهد. ورجع وبادر القيسوس الكوهر إلى دمترياس وأخبره بميل قائدته نيقانور إلى اليهود، وزاد في إغرائه فبعث إلى قائدته ينكر عليه ويستحنه لإنفاذ أمره وأن يحمل بهودا مقيداً، وبلغ ذلك بهودا فلحق بمدينة السامرية صبصطية، واتبعه نيقانور في العساكر فكسر عليه بهودا وهزمها وقتل أكثر عساكر الروم الذين معه. ثم ظفر به فصلبه على الهيكل ببيت المقدس، وانقض اليهود ذلك اليوم عبداً وهو ثالث عشر آذار.

ثم بعث قائد الروم دمترياس من قabil الآخر يعروس في ثلاثة من الروم لخمارية اليهود، وخرجت عساكرهم من

وعلم أرستبلوس أن قد خدع في أخيه، فندم واغتسل ولطم صدره حتى قذف الدم من فيه، وأقام عليه حولاً كاملاً ثم هلك. فأفرجوا عن أخيه الإسكندر من محبه، وبايعوا له بالملك واستقام له الأمر، ثم انتقض عليه أهل عكا وأهل صيدا وأهل غزة بعنوا إلى قصره، وسار الإسكندر إلى عكا فحاصرها وكانت كلوبطرا ملكة من بقية اليونان قد انتقض عليها ابنها واسمه الظير وأجاز البحر إلى جزيرة قبرص فملكها، فبعث أهل عكا أنهם يملكونه وجاز إليهم في ثلثين ألف مقاتل، حتى إذا أفرج الإسكندر عن حصارهم راجعوا أمرهم ومنعوا الظير ومنعوا الدخول إليهم، فسار في بلاد الإسكندر ونزل على جبل الخليل فقتل منه خلقاً، ونزل على الأردن.

وفي خلال ذلك زحف الإسكندر إلى صيدا ففتحها عنوة واستباحها، وعاد إلى القدس وأطاعته البلاد وحسن داء المتضصن عليه، ثم تجددت الفتنة بين اليهود بالقدس وذلك أنهم اجتمعوا في عيد المظال بالمسجد، وحضر الإسكندر معهم فتلعبروا بين يديه مرأمة بما عندهم من مشروم وماكول، وأصحاب الإسكندر رمية من الريانين فغصب لها، وشاتهم القراؤن بما كانوا من شيعته، فشتموا الإسكندر وقتلوا الشام وأصحابه فلم يغن عنهم، وعظم فيهم الفتك وانتفاض الجموع، وعهد الإسكندر أن يستد المطبع والكهنة بمحاط عن الناس، ونفذ أمره بذلك.

ووصلت الفتنة بين اليهود ست سنين قبل من الريانين نحو من خمسين ألفاً، والإسكندر يعين القرائين عليهم، وبعشوا إلى دمتريوس المسمى أنطيوخوس وبنزوا له المال، فسار معهم إلى نابلس ولقي الإسكندر فهزمه وقتل عامدة أصحابه ورجع. فخرج الإسكندر إلى الريانين وأثخن فيهم وظفر منهم بجماعة تزيد على ثلثمائة قتلتهم صرفاً وقهروا سائر اليهود. وسار إلى دمتريوس ففتح الخليل، فلما ملك أرستبلوس أخذ من إعزونه بنعيبائهم وقبض على الإسكندر وأمه واستخلص أنطيوخوس وقدمه على العساكر، وهلك هرقاوس لاحدي وثلاثين سنة من دولته، وملك بعده ابنه أرستبلوس وكان كبيرهم، وكان له ولدان آخران وهما أنطيوخوس ويحب الملك له وبيغض الإسكندر فأباه إلى جبل الخليل، فلما ملك أرستبلوس أخذ من إعزونه بنعيبائهم وقبض على الإسكندر وأمه واستخلص أنطيوخوس وقدمه على العساكر، واكتفى به في الحروب، وترفع عن تاج الكهنة ولبس تاج الملك.

فاستقام أمره وعظم سلطانه ثم طرقه المرض فقام عليه ثلاثة آخرين، وخرج بعدها لخصار بعض الحصون وانتقضوا عليه فمات هنالك، وأوصى أمراته الإسكندرة بكتمان موته حتى يفتح الحصن وتسرير بشلوه إلى القدس فتدفعه فيه، وتصانع الريانين على ولديها فتملكه، لأن العامة إليهم أميل. ففعلت ذلك واستدعت من كان نافراً من الريانين، وجمعتهم وقدمتهم للشوري، واستبدت بالملك.

وكان لما ابناه من الإسكندر بن هرقاوس، اسم الأكبر منها هرقاوس، والأخر أرستبلوس، وكانتا صغيرتين عند موته

سبيلاط السامراني في طول بريد ياذن الإسكندر، وقهر جميع الأمم المجاورين لهم، ثم بعث وجوه اليهود وأعيانهم إلى الأشياخ والمدبرين برومة يسأل تجديد العهد، وأن يردوا على اليهود ما أخذ أنطيوخوس ويونان من يلادهم التي صارت في مملكة الروم، فاجابوا وكثروا له العهد بذلك وخطابوه بملك اليهود. وإنما كان يسمى من سلف قبله من آباءه بالكرهن فسمى نفسه من يومئذ بالملك، وجمع بين منزلة الكهنة ومتزلة الملك، وكان أول ملوكبني حشمناي. ثم سار إلى مدينة السامرة صبصطية ففتحها وخربها وقتل أهلها. قال ابن كريون: وكان اليهود في دينهم يومئذ ثلاث فرق: فرقة الفقهاء وأهل القيافة ويسموهم الفروشيم وهم الريانين، وفرقة الظاهرية المتعلقين بظواهر الألقاظ من كتابهم ويسموهم الصدقية وهم القراؤن، وفرقة العباد المنقطعين إلى العبادة والتسبيح والزهاد فيما سوى ذلك ويسموهم الحسيد.

وكان هرقاوس وأباوه من الريانين، ففارق مذهبهم إلى القرائين لأنه جمع اليهود يوماً عندما تهدى أمره، وأخذ بمذهب الملك، ولقي به في صنع احفل به وألان لهم جانب وحضر في قوله وقال: أريد منكم التصيحة. فطبع بعض الريانين فيه وقال: إن النصيحة أن تنزل عن الكهنة وتنتصر على الملك، وقد فاتك شرطها لأن أملك كانت سيبة من أيام أنطيوخوس. فغضب لذلك وقال للريانين: قد حكمتكم في صاحبكم فأخذوا في تادييه بالضرر فتتمر لهم من أجل ذلك، وفارقوا مذهبهم إلى منصب القرائين، وقتل من الريانين خلقاً كثيراً، ونشأت الفتنة بين هاتين الطائفتين من اليهود واتصلت بينهم الحرب إلى هذا العهد.

وهلك هرقاوس لإحدى وثلاثين سنة من دولته، وملك بعده ابنه أرستبلوس وكان كبيرهم، وكان له ولدان آخران وهما أنطيوخوس ويحب الملك له وبيغض الإسكندر فأباه إلى جبل الخليل، فلما ملك أرستبلوس أخذ من إعزونه بنعيبائهم وقبض على الإسكندر وأمه واستخلص أنطيوخوس وقدمه على العساكر، واكتفى به في الحروب، وترفع عن تاج الكهنة ولبس تاج الملك. وخرج أنطقوس إلى الأمم المجاورين الخارجين عن طاعتهم فردهم إلى الطاعة، وكتب السعاية فيه عند أخيه من البطانة وأغرروه به، فلما قدم أنطقوس من غمبيه وافق عيد المظال، وكان آخره متزماً بيته لمرض طرقه، فعدل أنطقوس عن بيته إلى الميكل للتبرك، فاوهموا الملك أنه إنما فعل ذلك لاستمالة الكهنة وال العامة وأنه يوم قتل أخيه، وعلامة ذلك أنه جاء بسلامه.

فعهد أرستبلوس إلى حشمانه وغلمان قصره إن جاء متسلحاً أن يقتله و كان ذلك، وقت حيلة البطانة وسعایتهم عليه،

أرستيلوس فأجايهم بعد مراوغة، وتزاحفوا ونزع الكثير من عسكر أرستيلوس إلى هرقلانوس، فرجع هارباً إلى القدس، ونازلهم هرقلانوس وهرثمة واتصلت الحرب وطال الحصار.

وحضر عيد الفطير واقتصر اليهود القرابين فبعثوا إلى أصحاب هرقلانوس فيها فاشتبوا في الشمن، ثم أخذوه ولم يعطوه شيئاً، وقتلوا بعض النساء طلبوه في الدعاء على أرستيلوس وأصحابه، وامتنع قتلوا، ووقع فيهم الرباء فمات منهم أم.

قال ابن كريون: وكان الأرمن ببلاد دمشق وحمص وحلب، وكانت في طاعة الروم، فانتقضوا عليهم في هذه المدة وحدث عندهم صاغية إلى الفرس، فبعث الروم قاتلهم فمقىوس فخرج لذلك من رومية، وقدم بين يديه قائده سكانوس فقطع الأرمن ولحق دمشق، ثم لحقه فمقىوس وتسلل بها. وتوجهت إليه وجوه اليهود في أثرهم، وبعث إليه أرستيلوس من القدس وهرقلانوس من كان حصاره، كل واحد منها يستجدده على أخيه، ويعثروا إليه بالأموال والمدايا فأعرض عنها، وبعث إلى هرثمة يهاه عن الدخول بينهما فرحل عن القدس، ورحل معه هرقلانوس وأنظفت، وأعاد أرستيلوس رسلاً وهدايا من بيت المقدس، وألح في الطلب وجاء أنظفترة إلى فمقىوس بغير مال ولا هدية، فذك عنه فمقىوس، فرجع إلى رغبته ومسح أعطافه وضمن له طاعة هرقلانوس الذي هو الكهنة الأعظم. وبمحصلة بعد ذلك إضعاف أرستيلوس فأجاييه فمقىوس على أن يتخلله في الباطن ويكون ظاهره مع أرستيلوس حتى يتم الأمر.

وعلى أن يملأوا الخراج عند حصول أمرهم، فضمن أنظفترة ذلك، وحضر هرقلانوس وأرستيلوس عند فمقىوس القائد يتظلم كل واحد من صاحبه، فوعدهم بالنظر بينهم إذا حل بالقدس وبعث أنظفترة في جميع الرعايا فجاؤوا شاكين من أرستيلوس، فأمره فمقىوس من إنصافهم فغضض للذلك واسترحوش وهو رب من معسرك فمقىوس ومحصن في القدس، وسار فمقىوس في أثره فنزل أريحا ثم القدس وخرج أرستيلوس واستقال فاقفاله، وبدل له الأموال على أن يعيشه على أخيه ويحمل له ما في الميكل من الأموال والجرواه، وبعث معه قائده لذلك، فمنعهم الكهنة وثارت بهم العامة وقتلوا بعض أصحاب القائد وأخرجوه، فغضض فمقىوس وتقبض عليه على أرستيلوس، وركب ليقتصر البلد فامتنع عليه، وقتل جماعة من أصحابه فرجع، وأقام عليهم.

ووقد انتصر العرب بالمدينة بين شعب أرستيلوس وهرقلانوس، وفتح بعض اليهود الباب لفمقىوس فدخل البلد وملك القصر وامتنع الهيكل عليه، فقام يحاصره أيام، وصنع آلة الحصار

أليهما فلما كبروا عينت هرقلانوس للكهنة وقدمت أرستيلوس على العساكر والحروب، وضمت إليه الريانين، وأخذت الرهن من جميع الأمم وسأله الريانين في الأخذ بشارهم من القرائن خلقاً كثيراً، وجاء القرائون إلى ابنها الكهنة ينكرون ذلك وأنه إذا فعل بهم ذلك، وقد كانوا شيئاً لأبيه الإسكندر، فقد تحدث الفرة من الناس، وسأله أن يتلمس لهم إذتها في الخروج عن القدس وبعد عن الريانين، فأذنت لهم رغبة في انقطاع الفتنة.

وخرج معهم وجوه العسكر. ثم ماتت خلال ذلك لتسع سنين من دولتها، ويقال إن ظهور عيسى صلوات الله عليه كان في أيامها. وكان ابنها أرستيلوس قائد العسكر لما شعر موتها خرج إلى القرائن يستدعيمهم إلى نصرته فأجازوه، وتقبضت هي على ابنها وأمرائه، واجتمعت عليه العساكر من النواحي وضرب السوق وزحف لحرب أخيه هرقلانوس والريانين، وحاصرهم أرستيلوس بيت المقدس، وعزم على هدم الحصن فخرج إليه أعيان اليهود والكهنة ساعين في الصلح بينهما، وأجاب على أن يكون ملكاً وببقى هرقلانوس على الكهنة، فتم ذلك واستقر عليه أمره.

## ابتداء أمر أنظفترة أبو هيردوس

ثم سعى في الفتنة بينهما أنظفترة أبو هيردوس، وكان من عظماء بني إسرائيل من الذين جعوا مع العزير من بابل، وكان ذا شجاعة وراس، وله يسار وقنية من الضياع والماشي. وكان الإسكندر قد ولأه على بلاد أدوم وهي جبال الشراة، فقام في ولايتها سنين، وكثر ماله وأنحروه منهم، فكان له منها أربعة من الآباء وهم: فسيلو وهيردوس وفرودا ويوسف، وبنت اسمها سلومت. وقيل أن أنظفترة لم يكن من بني إسرائيل، وإنما كان من أدوم وربى في جلة بني حشمني وبيوتهم. فلما مات الإسكندر ملكت زوجته الإسكندرية عزلته عن جبال الشراة، فقام بالقدس. حتى إذا استبد بالأمر أرستيلوس، وكان بين هرقلانوس وأنظفترة مودة وصحبة، فضل أرستيلوس بمكانه من أخيه لما يعلم من مكر أنظفترة وهو يقتل، فانقض عنه وأخذ في التدبير على أرستيلوس.

وفشا في الناس تبغضه إليهم وينكر تغلبه، وينذر لهم أن هرقلانوس أحق بالملك منه، ثم حذر هرقلانوس من أخيه وخبل إليه أنه يريد قتله، وبعث لشيعة هرقلانوس المال على تحريمه من ذلك حتى تذكر منه الخوف، ثم أشار عليه بالخروج إلى ملك العرب هرثمة، وكان يحب هرقلانوس، فقد معه عهداً على ذلك، ولحق هرقلانوس بهرثمة ومعه أنظفترة، ثم دعوا هرثمة إلى حرب

ملكيهم تلميسي وطربوه وامتنعوا من حمل الخراج إلى الروم، فسار إليهم واستنفر معه أنظفرو فغلبهم وقتلهم، ورد تلميسي إلى ملكه واستقام أمر مصر. ورجع كينانوس إلى بيت المقدس فجسده الملك هرقلانوس، وقد أنتظفه مدير المملكة وسار إلى رومية.

قال ابن كريون: ثم غضبت الفرس على الروم فندبوا إلى ذلك قائدًا منهم يسمى عربوس، وبعثوه لحربيهم، فمر بالقدس ودخل إلى الميكل وطالب الكهنة بما فيه من المال، وكان يسمى العازر من صلحاء اليهود وفضلائهم، فقال له: إن كينانوس وفقيوس لم يفعلوا ذلك بتلك. فاشتد عليه. فقال: أعطيك ثلثة من الذهب وتجافي عن الميكل. ودفع إليه سبيكة ذهب على صورة خشبة كانت تلقى عليها الصور التي تنزل من الميكل الذي تجدد، وكان وزنها ثلثة ثمانية فاخذها ونقض القول وتعدى على الميكل، وأخذ جميع ما فيه منذ عمارتها من المدابا والغائيم وقرىات الملوك والأمم وجميع آلات القدس، وسار إلى لقاء الفرس فحارباه وهزموه وأخذوا جميع ما كان معه، وقتل واستولت الفرس على بلاد الأرمن: دمشق وحصون وحلب وما إليها.

وبلغ الخبر إلى الروم فجهزوا قائدًا عظيمًا في عساكر جمة اسمه كستا، فدخل بلاد الأرمن الذين كانوا غالباً عليهما، وساروا إلى القدس فوجد اليهود يحاربون هرقلانوس وأنظفروا فأغاروا حتى استقام ملك هرقلانوس ثم سار إلى الفرس في عساكره فغلبهم وحملهم على طاعة الروم، ورد الملك الذين كانوا عصوا عليهم إلى الطاعة، وكانت اثنين وعشرين ملكاً من الفرس كان فقيوس قائد الروم هزمه، فلما سار عنهم انقضوا.

قال ابن كريون: ثم ابتدأ أمر القياصرة وملك على الروم بوليس ولقبه قيسار لأن أمه ماتت حاملاً به عند مخاضها فشق بطنهما عنه فذلك سمي قيسار، ومنه بلغتهم القاطع. ويسمى أيضاً بوليس باسم الشهر الذي ولد فيه وهو بوليس الخامس شهورهم ومعنى هذه اللحظة عندهم الخامس، وكان الثلاثاء والعشرون المدبرون أمر الروم والشيخ الذي عليهم قد أحكموا أمرهم مع جماعة الروم على أن لا يقدموا عليهم ملكاً، وأنهم يعيثون للحروب في الجهات قائداً بعد آخر. هذا ما اتفقا عليه النقلة في الحكاية عن أمر الروم وابتداء ملك القياصرة.

قالوا: وما رأى قيسار هذا الشيخ الذي كان لذلك العهد كبير وشب على غاية من الشجاعة والإقدام، فكانوا يعنونه قائداً على العساكر إلى التواحي، فأنخرجه مرة إلى المغرب فدخول البلاد ورجع، فسمت نفسه إلى الملك فامتنعوا له وأخبروه أن هذا سنة

فهم بعض أبناءه واقتصره عنوة، ووُجد الكهنة على عبادتهم وقربائهم مع تلك الحرب، ووقف على الهيكل فاستعظمه ولم يجد يده إلى شيء من ذخائره، وملك عليهم هرقلانوس، وضرب عليهم الخراج يحمله كل سنة. ورفع يد اليهود عن جميع الأمم الذين كانوا في طاعتهم، ورد عليهم البلدان التي ملكها بنو حشمني، ورجع إلى رومية.

واستخلف هرقلانوس وأنظفه على المقدس وأنزل معهما قائده سكانوس الذي قدمه لفتح دمشق وبلاد الأرمن عندما خرج من رومية، وحمل أرستيلوس وابنه مقيدين معه، وهرب الثالث من بنيه وكان يسمى الإسكندر ولحقه فلم يظر به.

ولما بعد فقيوس عن الشام ذاهباً إلى مكانه خرج هرقلانوس وأنظفه إلى العرب ليحملوه على طاعة الروم، فخالفهم الإسكندر بن أرستيلوس إلى المقدس وكان متغيباً بذلك التواحي منذ مغيب أبيه لم ير، فدخل إلى المقدس وملكه اليهود عليهم وبين ما هدمه فقيوس من سور الميكل، واجتمع إليه خلق كثير ورجع هرقلانوس وأنظفه فشار إلهم الإسكندر وهزمهم وأنهض في عساكرهم، وكان قائد الروم كينانوس قد جاء إلى بلاد الأرمن من بعد فقيوس، فلتحق به واستنصره على الإسكندر فسار معه إلى القدس، وخرج إلهم الإسكندر فهزمه، ومضى إلى حصن له يسمى الإسكندرونة واعتصم به.

وسار هرقلانوس إلى القدس فاستولى على ملكه، وسار كينانوس قائد الروم إلى الإسكندر فحاصره بمصنه واستأنف إليه قبله وعفا عنه وأحسن إليه. وفي أثناء ذلك هرب أرستيلوس نحو هرقلانوس من مجده بروميا، وابنه أنطقوس واجتمع إليه، فحاربه كينانوس وهزمه وحصل في أمره فرده إلى مجده بروميا، ولم ينزل هناك إلى أن تغلب قيسار على رومية، واستحدث الملك في الروم.

وخرج فقيوس من رومية إلى نواحي عمله وجمع العساكر لمحاربة قيسار، فطلق أرستيلوس من مجده، وأطلق معه قائدان في اثنى عشر ألف مقاتل، وسرجهم إلى الأرمن واليهود ليروعهم عن طاعة فقيوس، وكتب فقيوس إلى أنظفه بيت المقدس أن يكتفيه أمر أرستيلوس، فبعث قوماً من اليهود لقوله في بلاد الأرمن ودساوا له سماً في بعض شرابه كان فيه حتفه.

وقد كان كينانوس كاتب الشيخ صاحب رومية في إطلاق من بقي من ولد أرستيلوس فطلقهم.

قال ابن كريون: وكان أهل مصر لذلك العهد انتقضوا على

فتكروا ذلك على هرقلانوس، ولحق هيردوس ببلاد الأرمن فقدمه سفيروس على عمله ثم أرسل هرقلانوس إلى قيصر يسأل تجديد عهود الروم لهم، فكتب له بذلك، وأمر بأن يحمل أهل الساحل خراجهم إلى بيت المقدس ما بين صيدا وغزة، ويحمل أهل صيدا إليها في كل سنة عشرين ألف وستمائة من التمتع، وأن يرد على اليهودسائر ما كان بأيديهم إلى الفرات واللاذقية وأعمالها وما كان بنو حشمني فتحوه عنوة من عداوات الفرات، لأن فمقيوس كان يتعدى عليهم في ذلك، وكتب العهد بذلك في الواح من مخاس بلسان الروم وبونان، وعلقت في أسوار صور وصيدا واستقام أمر هرقلانوس.

قال ابن كريون: ثم قتل قيصر ملك الروم، وأنظفته وزیر هرقلانوس المستبد عليه. أما قيصر فثبت عليه كيساوس من قواد فمقيوس فقتله وملك وجمع العساكر وعبر البحر إلى بلاد أشيت ففتحها، ثم سار إلى القدس وطالبهم بسلعة من الذهب، فجمع له أنظفته وبنوه من اليهود، ثم رجع كيساوس إلى مقدونية فاقام بها. وأما أنظفته فإنه اليهود داخلوا القائد ملكيا الذي كان بين أظهرهم من قبل كيساوس في قتل أنظفته وزیر هرقلانوس، فأجابهم إلى ذلك، فدسوا إلى ساقيه سماً فقتلته، وجاء ابنه هيردوس إلى القدس مجتمعًا قتل هرقلانوس، فتكه فسيلو عن ذلك، وجاء كيساوس من مقدونية إلى صور، ولقي هرقلانوس وهيردوس وشكرا إليه ما فعله قائده ملكيا من مداخلة اليهود في قتل أنظفته، فاذن لهم في قتلهم. ثم زحف كينانوس ابن أخيه قيصر وقائده أنطونيوس في العساكر لحرب كيساوس المتوب على عمه قيصر، فلقيهم قريباً من مقدونية فظفرا به وقتلاه، وملك كينانوس مكان عمه وسمى أوغسطس قيصر باسم عمه. فأرسل إليه هرقلانوس ملك اليهود بهدية وفيها تاج من الذهب مرصع بالجواهر وسال تجديد العهد لهم، وأن يطلق السبي الذي سي منهم أيام كيساوس، وأن يرد اليهود إلى بلاد بونان وأئنة، وأن يجري لهم ما كان رسم به عمه قيصر، فأجابه إلى ذلك كله وسار أنطونيوس وأوغسطس إلى بلاد الأرمن بدمشق وحمص، فلقته هناك كبلطرة ملكة مصر وكانت ساحرة فاستأتمته وتزوجها، وحضر عنده هرقلانوس ملك اليهود.

وجاء جماعة من اليهود فشكرا من هيردوس وأخيه فسيلو وتنظموا منها، وأكذبهم ملكهم هرقلانوس وأبى عليها، وأمر أنطانيوس بالقبض على أولئك الشاكرين وقتل منهم، ورجع هيردوس وأخوه فسارا إلى مكانهما ومكان أبيهما من تدبر مملكة هرقلانوس، وسار أنطانيوس إلى بلاد الفرس فدخلها وعاد في

آبائهم منذ أحباب، وحدثه بالسبب الذي فعلوا ذلك لأجله، وهو أمر كريوس وأنه عهد لأولئك لا ينقض، وقد دوخ فمقيوس الشرق، وطوع اليهود ولم يطبع في هذا فوثب عليهم قيصر وقلهم واستولى على ملك الروم متقدراً به وسمى قيصر، وسار إلى فمقيوس مصر فظفر به وقتلته، ورجع فوجد بذلك الجهات قرداد فمقيوس فسار إليهم يوليانوس قيصر ومر ببلاد الأرمن فأطاعوه، وكان عليهم ملك اسمه متداد فبعثه قيصر إلى حريم.

فار في الأرمن ولقي هرقلانوس ملك اليهود بعسقلان ونفر معه إلى مصر هو وأنظفته ليمحوا بعض ما عرف منهم من موالاة فمقيوس، وساروا جميعاً إلى مصر ولقتهم عساكرها وأشتاد الحرب فحصر بلادهم، وكادت الأرمن أن ينهزوا، فثبت أنظفته وعساكر اليهود وكان لهم الظفر واستولوا على مصر، وبلغ الخبر إلى قيصر فشكرا لأنظفته حسن بلائه واستدعاءه فسار إليه مع ملك الأرمن متداد فقبله وأحسن وعده. وكان أنظفتوس بن أرستيلوس قد اتصل بقيصر وشكرا بأن هرقلانوس قتل آباء حين بعثه أهل روما لحرب فمقيوس، فتحيل عليه هرقلانوس وأنظفته وقتلاه مسموماً، فاحسن أنظفته العذر لقيصر بأنه إنما فعل ذلك في خدمة من ملك علينا من الروم وإنما كانت ناصحاً لقائدهم فمقيوس بالأمس، وإنما اليوم أنها الملك لك أنسح وأحب، فحسن موقع كلامه من قيصر ورفع منزلته وقدمه على عساكره لحرب الفرس، فسار إليه أنظفته وأبلى في تلك الحروب ومناصحة قيصر، فلما انقلبوا من بلاد الفرس أعادهم قيصر إلى ملك بيت المقدس على ما كانوا عليه.

واستقام الملك هرقلانوس وكان خيراً، إلا أنه كان ضعيفاً عن لقاء الحروب فتقلب عليه أنظفته، واستبدل على الدولة، وقدم ابنه فسيلو ناظراً في بيت المقدس، وابنه هيردوس عاملأ على جبل الخليل. وكان كما بلغ الحلم واحتازوا الملك من أطرافه وامتلا أهل الدولة منهم حسداً وكررت السعاية فيهم، وكان في أطراف عملهم شائر من اليهود يسمى حزقياً وكان شجاعاً صعلىكاً واجتمع إليه أمثاله فكانوا يغيرون على الأرمن وبنالون منهم. وعظمت نكباتهم فيهن فشكرا عامل بلاد الأرمن وهو سفيروس ابن عم قيصر إلى هيردوس وهو مجبل الخليل ما فعله حزقياً وأصحابه في بلادهم، فبعث هيردوس إليه سرية فكتسوهم، وقتل حزقياً وغيره منهم، وكتب بذلك إلى سفيروس فشكرا وأهدى إليه. ونكر اليهود ذلك من فعل هيردوس ونظلمسوا عند هرقلانوس وطلبوه في القصاص منه، فاحضاروه في مجلس الأحكام وأحضر السبعين شيئاً من اليهود، وجاء هيردوس متسلحاً ودافع عن نفسه، وعلم هرقلانوس بفرض الأشياع، ففصلوا المجلس

جاءه الخبر عن أنطليتوس قائد قيسار أنه ظفر بملك القدس وقتله ودخل بلادهم، وإنه عاد ونزل الفرات، فترك هيردوس أخاه يوسف على حصار القدس مع قائد الروم سيساوس، ومن تبعهم من الأرمن، وسار للقاء أنطليتوس، وبلغه وهو بم دمشق أن أخاه يوسف قُتل في حصار القدس على يد قائد أنطقوس، وأن العساكر انقضت ورجعوا إلى دمشق، وجاء سيساوس منهزمًا قائد أنطليتوس بالعساكر. وتقدم هيردوس وقد خرج أنطقوس للقاء فهزمه، وقتل عامة عسكره واتبعه إلى القدس. ووافاه سيساوس قائد الروم فحاصروا القدس أيامًا، ثم اقتحموا البلد وتسللوا صاعدين إلى السور، وقتلوا الحرس وملوكها المدينة، وأفبحوا سيساوس في قتل اليهود، فرغب إليه هيردوس في الإبقاء. وقال له: إذا قتلت قومي فعلى من تملكت؟ فرفع القتل عنهم ورد ما نبه وقرب إلى البيت تاجًا من الذهب وضع فيه، وهل إليه هيردوس أموالًا. ثم عثروا على إلى أنطليتوس، وقد كان سار من الشام إلى مصر، فجاءه بأنطقوس هنالك، ولحق بهم هيردوس وسائل من أنطليتوس قتل أنطقوس قتيلاً. واستبد هيردوس بملك اليهود وانقرض ملك بني حشمني والبقاء الله وحده.

### القراصنة ملك بني حشمني وابتداء ملك

هيردوس وبنيه

وكان أول ما افتح به ملكه أن بعث إلى هرقلانوس الذي احتمله الفرس وقطعوا أذنه يستقدمه ليأمن على ملكه من تاحته، ورحبه في الكهنة التي كان عليها، فرغب وحذره ملك الفرس من هيردوس، وزعله اليهود الذين معه، وأراه أنها خديعة وأنه العيب الذي به يعن الكهنة، فلم يقبل شيئاً من ذلك. وصفعى إلى هيردوس وحسن ظنه به وسار إليه وتلقاه بالكرامة والإعطاء وكان يخاطبه بآبي في الجمع والخلوة.

وكانت الإسكندرية بنت هرقلانوس تحت الإسكندر وابن أخيه أرستيلوس، وكانت بيتها منه مريم تحت هيردوس، فاطلعتنا على ضمير هيردوس من محاولة قتلها، فخبرتاه بذلك وأشارتا عليه باللحاق بملك العرب ليكون في جواره، فخاطبه هرقلانوس في ذلك وأن يبعث إليه من رجالاته من يخرج به إلى أحياائهم، وكان حامل الكتاب من اليهود ضبطنا على هرقلانوس، لأنه قتل أخاه وسلب ماله، فوضع الكتاب في يد هيردوس، فلما قرأه رده إليه وقال: أبلغه إلى ملك العرب وأرجع الجواب إلى فجاجة، وبالجواب من ملك العرب إلى هرقلانوس وأنه أسف ويعت الرجال فالقائم

نواحيها وقهر ملوكهم وقتل إلى روما.

قال ابن كريون: وفي خلال ذلك لحق أنطقوس وجاءه من اليهود بالفرس، وضموا لملوكهم أن يحملوا إليه بدرة من الذهب وثمانمائة جارية من بنات اليهود ورؤسائهم يسيئهم له، على أن يملأ مكان عمده هرقلانوس ويسلمه إليه، ويقتل هيردوس وأخاه فسييلو، فأجابهم ملك الفرس إلى ذلك، وسار في العساكر وفتح بلاد الأرمن وقتل من وجد بها من قواد الروم ومقاتلتهم، ويعت قائد بعسكر من القدس مع أنطقوس موريًا بالصلوة في بيت المقدس والتبرك بالميكل، حتى إذا توسط المدينة ثار بها وأفحش في القتل، وياذر هيردوس إلى قصر هرقلانوس ليحفظه، ومضى فسييلو إلى الحصن يضبطه، وتورط من كان بالمدينة من الفرس قتلهم اليهود عن آخرهم، وامتعوا على القائد، وفسد ما كان دبره في أمر أنطقوس.

فرجع إلى استمالة هرقلانوس وهيردوس، وطلب الطاعة منهم للفرس وأنه يتلطف لهم عند الملك في إصلاح حالم، نصفي هرقلانوس وفسييلو إلى قوله وخرجا إليه وارتبا هيردوس وامتنع، فارتحل بهما قائد الفرس حتى إذا بلغ الملك بيلاد الأرمن تقبض عليهم فمات فسييلو من ليلته، و Vick هرقلانوس واحتله إلى بلاده، وأشار أنطقوس بقطع أذنه ليمنعه من الكهنة، ولما وصل ملك الفرس إلى بلاده أطلق هرقلانوس من الاعتقال، وأحسن إليه إلى أن استدعاء هيردوس كما يأتي بعد، ويعت ملك الفرس قائد إلى اليهود مع أنطقوس ليملك، فخرج هيردوس عن القدس إلى جبل الشارة فترك عياله بالحصن عند أخيه يوسف، وسار إلى مصر يريد فحصراً، فأكرمهتة كالبطرة ملكة مصر، وأركبته السفن إلى رومية، فدخل بها أنطليتوس إلى أوغسطس قيسار، وخبره الخبر عن الفرس والقدس، فملكه أوغسطس وبالبسه الناج وأركبه في رومية في زي الملك، والهاتف بين يديه بأن أوغسطس ملكه.

واحتفل أنطليتوس في صنيع له حضره الملك أوغسطس قيسار وشيوخ رومية، وكتبوا له العهد في الواح من نحاس، ووضعوا ذلك اليوم التاريخ، وهو أول ملك هيردوس.

وسار أنطليتوس بالعساكر إلى الفرس ومعه هيردوس، وفارقه من أنطاكية وركب البحر إلى القدس لحرب أنطقوس، فخرج أنطقوس إلى جبال الشارة للاستيلاء على عيال هيردوس، وأقام على حصار الحصن، وجاء هيردوس فحاربه وخرج يوسف من الحصن من وراءه، فانهزم أنطقوس إلى القدس، وهلك أكثر عساكره، وحاصره هيردوس ويعت أنطقوس بالأموال إلى قواد العسكرية من الروم فلم يحييه، وأقام هيردوس على حصاره حتى

وتاکدت البغضاء بين الإسكندرة وابتها مريم زوج هيردوس أخت هذا الغريق، وبين أم هيردوس وأخته، وكثرت شكوكهما إليه فلم يشكهما لكان زوجته مريم وأمها منه، قال ابن كريون: ثم انتقض أنطليتوس على أوغسطس قيصر وذلك أنه تزوج كلوبطروه وملك مصر، وكانت ساحرة فسحرته واستمالته، وحملته على قتل ملوك كانوا في طاعة الروم، وأخذ بلادهم وأموالهم، وسي نسائهم وأموالهم، وكان من جملتهم هيردوس وتوقف فيه خشية من أوغسطس قيصر، لأنه كان يكرمه بسبب ما صنع في الآخرين، فعمله على الانتقام العصبيان، ففعل وجمع العسكر واستدعى هيردوس فجاهه وبعثه إلى قتال العرب، وكانت خالفوا عليه، فقضى هيردوس لذلك ومعه أئياثون قائد كلوبطروة، وقد دست له أن يجر المزمعة على هيردوس ليقتل فعل. ثبت هيردوس وتخلص من المترك بعد حروب صعبة هلك فيها بين الفريقين خلق كثير.

ورجع هيردوس إلى بيت المقدس فصالح جميع الملوك والأمم المجاورين له، وامتنع العرب من ذلك فسار إليهم وحاربهم، ثم استباحهم بعد أيام ومواقوف بذلك وجعلوا له الأموال وفرض عليهم الخراج في كل سنة ورجعوا. وكان أنطليتوس لما بعثه إلى العرب سار هو إلى روما وكانت بيته وبين أوغسطس قيصر حروب هزمه قيصر في آخرها وقتلها، وسار إلى مصر فخافه هيردوس على نفسه لما كان منه في طاعة أنطليتوس وأموالاته، ولم يمكنه التخلص عن لقائه. فأخرج خدمه من القدس فبعث بأمه وأخته إلى قلعة الشراة لنظر أخيه فردا، وبعث بزوجة مريم وأمه الإسكندرة إلى حصن الإسكندرية لنظر زوج اخته يوسف ورجل آخر من خالصته من أهل صور اسمه سوما وعهد إليها بقتل زوجته وأمها إن قتله قيصر.

ثم حل معه المدايا وسار إلى قيصر أوغسطس وكانت تحقد له صحبة أنطليتوس، فلما حضر بين يديه عندهه وأزاح الناج عن رأسه وهم بعقابه، فلطفف هيردوس في الاعتدار، وأن موالاته لأنطليتوس إنما كان لما أولى من الجميل في السعاية عند الملك وهي أعظم أيامه عندي، ولم تكن موالاته له في عداوتك ولا في حربك ولو كان ذلك وأهلكت نفسى دونك كنت غير ملوك، فلن الوفاء شأن الكرام. فلن أزلت عني الناج فما أزلت عقلى ولا نظري، وإن أبقيتني فلما عمل الصناعة والشكرا. فانبسط أوغسطس لكلامه وتوجه كما كان، وبعثه على مقدمته إلى مصر، فلما ملك مصر وقتل كلوبطروه وهب لهيردوس جميع ما كان أنطليتوس أعطاها إيه ونقل. فأعاد هيردوس إلى ملوكه بيت المقدس وسار

بوصولك إلى، فبعث هيردوس من يقبض على الرجال بالمكان الذي عينه، وأحضرهم وأحضر حكام البلاد اليهود والسبعين شيئاً.

وأحضر هرقلانوس وقرأ عليه الكتاب بخطه، فلم يجر جواباً وقامت عليه الحجة، وقتل هيردوس لوفته لثمانين سنة من عمره وأربعين من ملكه، وهو آخر ملوك بني حشمني وكان للإسكندر بن أرستيلوس ابن يسمى أرستيلوس، وكان من أجمل الناس صورة، وكان في كفالة أمه الإسكندر، وأخته يومئذ تحت هيردوس كما قلناه. وكان هيردوس يغض به وكانت اخته وأمهما يؤملاً أن يكون كورها باليت مكان جده هرقلانوس، وهيرودوس يريد نقل الكهنة عن بني حشمني، وقدم لها رجلاً من عوام الكهنة، وجعله كبير الكهنة، فشق ذلك على الإسكندرة بنت هرقلانوس وبيتها مريم زوج هيردوس.

وكان بين الإسكندرة وكلوبطروه ملكة مصر مواصلة ومهاداة، وطلبت منها أن تشفع زوجها أنطليتوس في ذلك إلى هيردوس، فاعتذر له هيردوس بأن الكرواهن لا تعزل، ولو أردنا ذلك فلا يمكننا أهل الدين من عزله، فبعثت بذلك إلى الإسكندرة. ودست الإسكندرة إلى الرسول الذي جاء من عند أنطليتوس، وأغفتها بحال فضمن لهم أن أنطليتوس يعز على هيردوس في بعث أرستيلوس إليه، ورجع إلى أنطليتوس فرغبه في ذلك ووصف له من جاهه وأغراه باستدامه، فبعث فيه أنطليتوس إلى هيردوس وهدده بالوحشة إن منعه، فعلم أنه يريد منه القبيح، فقدمه كهنة وعزل الأول، واعتذر لأنطليتوس بأن الكرواهن لا يمكن سفره، واليهود تنكر ذلك. فاغفل أنطليتوس الأمر ولم يعود فيه.

ووكل هيردوس بالإسكندرة بنت هرقلانوس عهده من براعي انعاماً، فاطلع على كتبها إلى كلوبطروه أن تبعث إليها السفن والرجال يوصلنها إليها، وأن السفن وصلت إلى ساحل يافا، وأن الإسكندرة صنعت تابوتين لخرج فهمها هي وابتها على هيئة الموتى. فارصد هيردوس من جاء بهما من المقابر في تابوتיהם فرميهم ثم عفا عنهم. ثم بلغه أن أرستيلوس حضر في عيد المظال، فصعد على المنذبح وقد لبس ثياب القدس وازدحم الناس عليه وظهر من ملهم إليه ومحبهم ما لا يعبر عنه، فغضض بذلك وأعمل التدبير في قتله. فخرج في متزه له باريجاه في نيسان، واستدعى أصحابه وأحضر أرستيلوس، فطعموا ولعبوا وانغمسو في البرك يسبحون وعمد غلام هيردوس إلى أرستيلوس فقمسوا في الماء حتى شرق وفاض، فاغتم الناس لموته وبكي عليه هيردوس ودفعه، وكان موته لسبع عشرة سنة من عمره.

إلى رومية.

وأجرى على الشيوخ والأيتام والأرامل والمعتدين كفایتهم من الخبز، وعلى القراء والمساكين كفایتهم من الخبطة، وفرق على خسین الفاً قصده من غير ملته، فرفعت الجماعة وارتفع له الذكر والثناء الجميل.

قال ابن كريون: ولما استفحمل ملکه وعظم سلطانه أراد بناء البيت ما بناه سليمان بن داود، لأنهم لما رجعوا إلى القدس يلذن كورش عنهم لهم مقدار البيت لا يتتجاوزونه، فلم يتم على حدود سليمان، ولما اعتم على ذلك ابتدأ أولاً بإحضار الآلات مستوفيات خشية أن يحصل المدم وتتطول المدة وتعرض القواطع والملوانع. فأعاد الآلات وأتم جعلها في ست سنين، ثم جمع الصناع للبناء وما يتعلق به فكانوا عشرة آلاف، وعین الفاً من الكهنة يتولون القدس الأقدس الذي لا يدخله غيرهم ولما تم له ذلك شرع في المدم فحصل لأقرب وقت، ثم بني البيت على حدوده وهیته أيام سليمان وزاد في بعض الموضع على ما اختاره ووقف عليه نظره، فكمل في ثمان سنين. ثم شرع في الشكر لله تعالى على ما هيأ له من ذلك قرب القربان واحتفل في الولائم وإطعام الطعام، وتبعه الناس في ذلك أيامًا فكانت من مخاسن دولته.

قال ابن كريون: ثم ابتلاه الله بقتل أولاده وكان له ولدان من مریم بنت الإسكندر قتيلة السم، أحدهما الإسكندر والأخر أرستيلوس، وكانت عند قتل أحدهما غائبة برومیة يتعلمأن خط الروم، فلما وصلا وقد قتل أحدهما حصلت بينه وبينهما الوحشة، وكان له ولد آخر اسمه أنظفتر على اسم جده، وكان قد أبعد أنه رئيس لمكان مریم، فلما هلكت واستوحش من ولدها طلب محل رئيس منه، قدم ابنها أنظفتر وجعله ولی عهده، وأخذ في السعاية على إخواته خشية منها بأنهما يرمواه قاتل أيهما فاغر فعنهم. واتفق أن سار إلى أوغسطس قيصر ومعه ابنه إسكندر، فشكاه عنده وتبأ الإسكندر وحلف على براءاته، فاصلح بينهما قيصر ورجع إلى القدس. وقسم القدس بين ولده الثلاثة، ووصاهم ووصى الناس بهم، وعهد أن لا يخالطوهم خشية مما يحدث عن ذلك، وأنظفتر مع ذلك متمند على سعايته بهما وقد دخل في ذلك عمه قدوذا وعمته سسلومنت، فأغاروا أبايه بأخويه المذكورين حتى اعتقلهما.

وبلغ الخبر أرسلاؤش ملك كفتور، وكانت بنته تحت الإسكندر، منها فجاء إلى هيردوس مظهراً السخط على الإسكندر والآخراف عنه وتخيل في إظهار جراءتهما، وأطلعه على جلية الحال وسعایة أخيه وأخته، فانكشف له الأمر وصدقه

قال ابن كريون: ولما عاد هيردوس إلى بيت المقدس أعاد حرمته من أماكنهن، فعادت زوجته مریم وأمها من حصن الإسكندرية وفي خدمتها يوسف زوج أخته وسموا الصوري، وقد كانا حديثاً المرأة وأمها بما أسر إليهما هيردوس، وقد كان سلف منه قتل هرقانوس وأرستيلوس فشكروا له. وبينما هو آخذ في استمالة زوجته إذ رمتها أخته بالفاحشة مع سوما الصوري في ملاحات جرت بينهما، ولم يصدق ذلك هيردوس للعداوة والثقة بعفة الزوجة. ثم جرى منها في بعض الأيام وهو في سبيل استمالتها عتاب فيما أسر إلى سوما و الزوج أخته، فقويت عنده الظنة بهم جميعاً وإن مثل هذا السر لم يكن إلا لأمر مريب، وأخذ في إخافتها وإقصائها ودست عليه أخته بعض النساء تحدثه بأن زوجته داخته في أن تستحضر السم وأحضره فجرب وصح وقتل للحين صهره يوسف وصاحب سوما، واعتقل زوجته ثم قتلتها وندم على ذلك ثم بلغه عن أمها الإسكندرية مثل ذلك فقتلتها وهي على أدموم مكان صهره رجلاً منها اسمه كرسوس وزوجه أخته، فسار إلى عمله واخرج عن دين التوراة والإحسان الذي حلهم عليه هرقانوس، وأباح لهم عبادة صنفهم وأجمع الخلاف، وطلق أخت هيردوس فسعت به إلى أخيها وخبرته بأحواله وأنه آوى جماعة من بي حشمناى المرشحين للملك منذ اثنتي عشر سنة.

فقام هيردوس في ركبائه، وبحث عنه فحضر وطالبه بيبي حشمناى الذي عنده، فأخضرهم فقتله وقتلهم، وأرهف حده وقتل جماعة من كبار اليهود ومقتلهم اتهمهم بالإنتكارة عليه عليه. فاذعن له الناس واستفحمل ملکه وأهمل المراجعة لوصايا التوراة وعمل في بيت المقدس سيراً وانخذل متزه لعب، وأطلق فيه السباع ويحمل بعض الجهلة على مقابلتها فتقرسهم، فذكر الناس ذلك وأعمل أهل الدولة الحيلة في قتله فلم تتم له، وكان يمشي متتكراً للتجسس على أحوال الناس، فعظمت ميته في الفوس.

وكان أعظم طوائف اليهود عنده الرياتيون بما تقدم لهم في ولاته، وكان لطافة العباد من اليهود المسنى بالحسيد مكانة عنده أيضاً، كان شيخهم مناحيم لذلك العهد محدثاً وكان حديثه وهو غلام يبصر الملك له، وأخriه وهو ملك بطول مدته في الملك فدعا له ولقومه. وكان كلناً ببناء المدن والمحصون، ومدينة قيسارية من بنائه. ولما حدثت في أيامه الجماعة شمر لها وأخرج الزرع للناس وبشه فيها بيعاً وهبة وصدقة، وأرسل في الميرة من سائر النواحي، وأمر قيصر في سائر تغوره وفي مصر ورومية أن يحملوا الميرة إلى بيت المقدس، فوصلت السفن بالزرع إلى ساحلها من كل جهة.

ثم هلك بعده خمسة أيام ولسبعين سنة من عمره وحسن ثلثين من ملكه وعهد بالملك لابن أركلاوش وخرج كاتبه نيكالوس فجمع الناس وقرأ عليهم العهد وأبراهيم خاتم هيردوس عليه، فباعوا له وحمل أيام إلى قبره على سرير من الذهب مرصع بالجراهر والياقوت وعليه ستور الديباج منسوجة بالذهب، وأجلس مسندًا ظهره إلى الأرائك والناس أمامه من الأشراف والرؤساء، ومن خلفه الخدم والعلماني، وحواليه الجواري بأنواع الطيب إلى أن اندرج في قبره.

وقام أركلاوش بملكه وتقرب إلى الناس بإطلاق المجنونين، فاستقام أمره وانطلقت الألسنة بدم هيردوس والطعن عليه. ثم انتضوا على أركلاوش بملكه بما وقع منه من القتل فيهم، فساروا إلى قصر شاكين بذلك وعايشه عنده بأنه ول من غير أمره، وحضر أركلاوش وكاتبه نيكالوس يخصهم دفع دعاويمهم، وأشار عظامه الروم بإيقائه فملكه قيسر وأعاده إلى القدس. وأسأله السيرة في اليهود وتزوج امرأة أخيه الإسكندر وكان له أولاد منها فماتت لوفتها. ووصلت شكایة اليهود بذلك كله إلى قيسر فبعث قائداً من الروم إلى القدس، فقيد أركلاوش وحله إلى رومية لسبعين سنين من دولته، وولى على اليهود بالقدس أخيه أنطيفوس، وكان شرّاً منه واغتصب امرأة أخيه فيلقروس وله منها ولدان، ونكر ذلك عليه علماء اليهود والكتهونية. وكان لذلك العهد يوحنا بن زكريا فقتلته في جماعة منهم، وهذا هو المعروف عند النصارى بالمعلم단 الذي عمّد عيسى أي ظهره جاء العمودية بزعمهم وفي دولة أنطيفوس هذا ما تقيسراً أوغسطس، فملك بعده طربيانوس وكان قبيح السيرة، وبعث قائده بعيال من بضم من ذهب على صورته ليسجد له اليهود فامتعوا، فقتل منهم جماعة، فاذدوا بحره وقاتلوه وهزموا. وبعث طربيانوس العساكر مع قائده إلى القدس فقبض على أنطيفوس وحلمه مقيداً. ثم عزله طربيانوس إلى الأنجلس فمات بها وملك بعده على اليهود أغرياس ابن أخيه أرستبلوس المقتول، وهلك في أيامه طربيانوس قيسر وملك نيرون، وكان أشر من جميع من تقدمه وأمر أن يسمى لا اله، وبنى المذبح للقرىان وقرب وأطاعته الناس إلا اليهود، وبعشروا إليه في ذلك أثيلو الحكيم في جماعة فشتمهم وحبسهم وسخط اليهود. ثم قبحت أحواله وساحت أفعاله وشارت عليه دولته فقتلوا ورموا شلوه في الطريق فأكلته الكلاب. ثم ملك بعده قليوبوس قيسر وأطلق أفنلو والذين معه إلى بيت المقدس، وهدم المذايق التي كان نيرون بنهاها وكان أغرياس حسن السيرة معظمًا عند القياصرة وهلك لثلاث وعشرين سنة من دولته. وملك بعده ابنه أغرياس

وغضب على أخيه قدوداً، فجاء إلى أرسلوش وأحضره عند هيردوس حتى أخبره بمصداقية الحال، ثم شفعه فيه وأطلق ولديه ورضي عنهما، وشكر لأرسلوش من تلطقه في تلقي هذا الأمر وانصرف إلى بلدته ولم ينف ذلك أنظفه عن تدبيره عليهم.

وما زال يغري أيام ويدرس له من يغريه حتى أسطخه عليهما ثانية واعتقلهما، وأمضى بهما في بعض أسفاره مقيدين، ونكر ذلك بعض أهل الدولة فدس أنظفه إلى أبيه: المنكر على من المدبرين عليك، وقد ضمن لجامك الإسكندر مالاً على قتلك. فأنزل هيردوس بهما العقاب ليكتشف الخبر، وما بان ذلك الرجل معه ولذع العقاب وأقر على نفسه وقتل هو وأبوه والجحام، ثم قتل هيردوس ولديه وصلبهم على مصطبة. وكان لابنه الإسكندر ولدان من بنت أرسلوش ملك كفتور وهو كوبان والإسكندر، ولابنته أرستبلوس ثلاثة من الولد: أغرياس وهيردوس وأستروبلوس.

ثم ندم هيردوس على قتل ولديه، وعطف على أولادهما فزوج كوبان بن الإسكندر بابنته أخيه قدوداً وزوج ابنته ابنة أرستبلوس من ابن ابنته أنظفه، وأمر أخاه قدوداً وابنه أنظفه بكفالتهما والإحسان إليهم، فكرها ذلك واتفقا على فسخه وقتل هيردوس مت أمكن، وبعث هيردوس ابنته أنظفه إلى أوغسطس قيسار، وغا الخبر إليه بأن أخيه قدوداً يريد قتله، فخطه وأبعده وألزمته بيته. ثم مرض قدوداً واستعد أخيه هيردوس ليعوده فعاده ثم مات، فحزن عليه ثم حزن باستكشاف ما جاء إليه، فعاقب جواريه، فأقرت إحداهما بأن أنظفه وقدوداً كانا يجتمعان عند رئيس أم أنظفه يدبران على قتل هيردوس على يد خازن أنظفه، فأقر بقتل ذلك وإنه بعث على السم من مصر وهو عند امرأة قدوداً، فأحضرت فأقرت بأن قدوداً أمرها عند موته بيارقت، وأنها أبقيت منه قليلاً يشهد لها إن ملت، فكتب هيردوس إلى ابنته أنظفه بالقدوم، فقدم مستريراً بعد أن أجمع على الهروب، فمنعه خدم أخيه. ولما حضر جمع له الناس في مشهد وحضر رسول أغسطس وقدم كاته نيكالوس.

وكان يحب أولاد هيردوس المقتولين ويعيل بهما عن أنظفه، فدفع بخاصمه حتى قامت عليه الحجة وأحضر بقية السم وجرب في بعض الحيوانات فصدق فعله، فجنس هيردوس ابنته أنظفه حتى مرض وأشرف على الموت، وأسف على ما كان منه لأولاده فهو بقتل نفسه، فمنعه جلساؤه وأهله، وسمع من القصر البكاء والصراخ لذلك، فهم أنظفه بالخروج من محبه ومنعه، وأخبر هيردوس بذلك وأمر بقتله في الرقة فقتل.

ملك اليهود إلى القدس، فجمع العساكر وسار وخرب كل ما مر عليه. ولقيه العازار الثائر بالقدس فانهزم ورجع، ونزل كسينيا وقاد الروم فائخن فيهم، وارتحل كسينيا إلى قيسارية، وخرج اليهود في أتباعهم فهزموهم، ولحق كسينيا وأغرياس بقىصر قيرش، فوافقوه وصول قاتله الأعظم أسبانيوس عن بلاد الغرب، وقد فتح الأنجلس ودخل أقطارها فعهد إليه قيرش قيصر بالمسير إلى بلاد اليهود وأمره أن يستأصلهم ويهدم حصونهم. فسار ومعه ابنه طبيوش وأغرياس ملك اليهود، وانتهوا إلى أنطاكية، وتأهب اليهود لحربيهم، وانقسموا ثلاثة فرق في ثلاثة نواحي مع كل فرقة كهنوت، فكان عنانى الكهنة الأعظم في دمشق ونواحيها، وكان ابنه العازار كهنوت في بلاد أدوم وما يليها إلى أيله، وكان يوسف بن كريون كهنوت طبرية وجبل الخليل وما يتصل به، وجعلوا فيما يقي من البلاد من الأغوار إلى حدود مصر من يحفظها من بقية الكهنة.

وعمر كل منهم أسوار حصونه ورتب مقاتلته وسار أسبانيوس بالعساكر من أنطاكية فتوسط في بلاد الأرمن وأقام، وخرج يوسف بن كريون من طبرية فحاصر بعض الحصون بناحية الأغرياس ففتحه واستولى عليه، وبعث أهل طبرية من ورائه إلى الروم فاستأتموا عليهم، فزحف يوسف مبادراً وقتل من وجده فيها من الروم، وقبل معركة أهل طبرية. وبلغه مثل ذلك عن جبل الخليل فسار عليهم وفعل فيهم فعله في طبرية. فزحف إليه أسبانيوس من عكا في أربعين ألف مقاتل من الروم ومعه أغرياس ملك اليهود سارت معهم الأمم من الأرمن وغيرهم، إلا أدوم فإنهم كانوا حلفاء لليهود منذ أيام هرقلانوس. ونزل أسبانيوس بعساكره على يوسف بن كريون ومن معه بطبرية فدعاهم إلى الصلح، فسألوا الإمام إلى مشاوره الجماعة بالقدس، ثم امتنعوا وقاتلهم أسبانيوس بظاهر الحصن، فاستلحهم حتى قل عددهم، وأغلقوا الحصن فقطع عنهم الماء خمسين ليلة، ثم يقتلون الروم فاتحروا عليهم الحصن فاستلهموه، واقتلت يوسف بن كريون ومن معه من الغل فامتنعوا بطن الأعراب، وأعطتهم أسبانيوس الأمان، فمال إليه يوسف وأبنى القوم إلا أن يقتلوا أنفسهم وهو يقتله، فوافقهم على رأيه إلا أن قتل بعضهم بعضاً ولم يبق من يخشأه، فخرج إلى أسبانيوس مطارحاً عليه، وحرضه اليهود على قتلها فأبى واعتقله وخرب أعمال طبرية وقتل أهلها ورجع إلى قيسارية.

قال ابن كريون: وفي خلال ذلك حدثت الفتنة في القدس بين اليهود داخل المدينة، وذلك أنه كان في جبل الخليل بمدينة

بأمر اليهود وملك عشرين سنة، وكثرت الحروب والفتنة في أيامه في بلاد اليهود والأرمن، وظهرت المخواج والم Gonzobon، وانقطعت السبل وكثر المرح داخل المدينة في القدس. وكان الناس يقتل بعضهم بعضاً في الطرقات يحملون سكاكين صغاراً محدين لها فإذا ازدحم مع صاحبه في الطريق طعنه فما هو إلا حتى صاروا يلبسون الدروع لذلك، وخرج كثير من الناس عن المدينة فراراً من القتل.

وذلك ولد طبيوس قيصر ونيرون من بعده، وملك على الروم فليقوس قيصر فسعي بعض الشرار عنده بأن هؤلاء الذين خرجوا من القدس يذمون على الروم، فبعث إليهم من قتلهم وأسرهم.

واشتغل اليهود على طلاق الفتنة فيهم، وكان الكهنة الكبير فيهم في ذلك العهد عنانى، وكان له ابن اسمه العازار وكان من خرج من القدس وكان فاتكاً مصلوكاً، وانضم إليه جماعة من الأشرار، وأقاموا بغيرون على بلاد اليهود والأرمن ونيرون ويتلرون، وشكتم الأرمن إلى فيليقوس قيصر، فبعث من قيده وحمله وأصحابه إلى روما، فلم يرجع إلى القدس إلا بعد حين.

واشتغل قائد الروم بيت المقدس على اليهود وكثير ظلمه فيهم، فآخر جهود عنهم بعد أن قتلوا جماعة من أصحابه، ولحق بضرر فلقي هنالك أغرياس ملك اليهود راجعاً من رومية ومعه قائدان من الروم، فشكى إليه فيليقوس بما وقع من اليهود، ومفضى إلى بيت المقدس فشكى إليه اليهود بما فعل فيليقوس وأنهم عازمون على الخلاف، وتلطّف لهم في الإمساك عن ذلك حتى تبلغ شكيمهم إلى قيصر ويعذر منه، فامتنع العازار بن عنانى وأبنى إلا المخلافة، وأخرج القرىان الذي كان بعثه معه نيرون قيصر من البيت، ثم عمد إلى الروم الذين جاءوا مع أغرياس قتلهم حيث وجدوا، وقتل القائدين. وذكر ذلك أشياخ اليهود واجتمعوا لحرب العازار ويعثروا إلى أغرياس، وكان خارج القدس، فبعث إليهم بثلاثة آلاف مقاتل، فكانت الحرب بينهم وبين العازار سجالاً، ثم هزمهم وأخرجهم من المدينة، وعادت في البلد وخرب قصور الملك ونبهها وأموالها وذخائرها، وبقي أغرياس والكهنة والعلماء والشيخ خارج القدس. وبلغهم أن الأرمن قتلوا من وجوده من اليهود بدمشق ونواحيها وقيسارية، فساروا إلى بلادهم وقتلوا من وجوده بناحية دمشق من الأرمن. ثم سار أغرياس إلى قيرش قيصر وخبر الخبر فامتنع لذلك، وبعث إلى كسينيا وقادته على الأرمن، وقد كان مضى إلى حرب الفرس فدخولها وقهراهم، وعاد إلى بلاد الأرمن فنزل دمشق فجاء عهد قيصر بالمسير مع أغرياس

وسار اسبييانوس إلى إسكندرية وركب البحر منها.

ورجع طيطش إلى قيسارية إلى أن يسلخ فصل الشتاء وزريح العلل وعظمت الفتن والحروب بين اليهود داخل القدس وكثرة القتل حتى سالت الدماء في الطرقات، وقتل الكهنة على المنبئ وهم لا يقربون الصلاة في المسجد لكتلة الدماء، وتعدد المشي في الطرقات من سقوط حجارة الرمي ومواقد النيران بالليل، وكان يوحنا أخبيت القوم وأشرهم لما اسلخ الشتاء زحف طيطش في عساكر الروم إلى أن نزل على القدس وركب إلى باب البلد يختبر المكان لمسكه ويدعوهم إلى السلم، فصموا عنه وأكمنوا له بعض الخوارج في الطريق فقاتلوه، وخلص منهم بشدته، ففي عسکره من الغد ونزل بجبل الزيتون شرق المدينة ورتب الساکر والآلات للحصار.

وأتفق اليهود داخل المدينة ورفعوا الحرب بينهم، ويزروا إلى الروم فانهزموا، ثم عاودوا ظهروا، ثم انتفضوا بينهم ومحاربوا ودخل يوحنا إلى القدس يوم النطر فقتل جماعة من الكهنة وقتل جماعة أخرى خارج المسجد. وزحف طيطش ويزروا إليه فردوه إلى قرب معسکره، وبعث إليه قاتله نيقانور في الصلح فاصابه سهم فقتله، فقضى طيطش وصنع كسباً وإبراجاً من الحديد توازي السور وشحذها بالمقاتلة، فأحرق اليهود تلك الآلات ودفعوها وعادوا إلى الحرب بينهم وكان يوحنا قد ملك القدس ومعه ستة آلاف أو يزيدون من المقاتلة، ومع شمعون عشرة آلاف من اليهود وخمسة آلاف من أدوم، وبقية اليهود بالمدينة مع العازر وأعاد طيطش الزحف بالآلات وتسلم السور الأول وملكه إلى الثاني، فاصطلم اليهود بينهم وتذامروا واشتد الحرب، وبما شرها طيطش بنفسه ثم زحف بالآلات إلى سور الثاني فشلّمه، وتذامر اليهود فنهزهم عنه ومكثوا كذلك أربعة أيام.

وجاء المدد من الجهات إلى طيطش ولاذ اليهود بالأسرار وأغلقوا الأبواب، ورفع طيطش الحرب ودعاهم إلى المقابلة، فامتنعوا، فجاء بنفسه في اليوم الخامس وخاطبهم ودعاهم وجاه معه يوسف بن كريون فروعتهم ورغبهم في أمنة الروم ووعدهم، وأطلق طيطش أسرارهم فجذب الكثير من اليهود إلى المقابلة ومنعهم هؤلاء الرؤساء الخوارج، وقتلوا من يروم، الخروج إلى الروم، ولم يبق من المدينة ما يعصمهم إلا السور الثالث.

وطال الحصار واشتد الجوع عليهم والقتل، ومن وجد خارج المدينة لرعى العشب قتله الروم وصلبوه، حتى راحهم طيطش ورفع القتل عن بخرج في ابتغاء العشب.

كوشالة يهودي اسمه يوحنا، وكان مرتكباً للعظام واجتمع إليه أشرار منهم فقوى بهم على قطع السابلة والنهب والقتل، فلما استولى الروم على كوشالة لحق بالقدس وتآلف عليه أشرار اليهود من كل البلاد التي اشتراكها الروم، فتحكم على أهل القدس وأخذ الأموال وزاحم عناني الكهنة الأعظم، ثم عزله واستبدل به رجالاً من غواتهم وحمل الشبيخ على طاعته، فامتعوا فتغلب عليهم قتلهم، فاجتمع اليهود إلى عناني الكهنة وحاربهم يوحنا ومحاربوا وتمضيوا في القدس، وراسله عناني في الصلح فلبي، وبعث إلى أدوم يستجيب لهم فبعثوا إليه بعشرين ألفاً منهم، فاغلق عناني أبواب المدينة دونهم، وحاط بهم من الأسوار، ثم استغلوه وكبسوا المدينة، واجتمع معهم يوحنا فقتلوا من وجوه اليهود نحوها من خمسة آلاف وصادروا أهل النعم على أمرائهم، ويعذبوا يوحنا إلى المدن الذين استأتموا إلى الروم فغنمت أمرائهم وقتل من وجد منهم.

وبعث أهل القدس في استدعاء اسبييانوس وعساكرة فزحف من قيسارية حتى إذا توسط الطريق خرج يوحنا من القدس وامتنع بعض الشعب، فمال إليه اسبييانوس العسکر وظفر بالكثير منهم قتلهم. ثم سار إلى بلاد أدوم ففتحها، وسيسطية بلاد السamerة ففتحها أيضاً، وعمر جميع ما فتح من البلاد، ورجع إلى قيسارية لزيح علله ويسير إلى القدس. ورجع يوحنا أثناء ذلك من الشعب، فقلب على المدينة، وعاث فيهم بالقتل، وتحكم في أمرائهم، وأفسد حريتهم.

قال ابن كريون: وقد كان ثار بالمدينة في مغيب يوحنا ثائراً آخر اسمه شمعون، واجتمع إليه اللصوص والشارار حتى كثر جمه وبلغوا نحو من عشرين ألفاً، وبعث إليه أهل أدوم عسکراً فهزهم واستولى على الضياع ونهب الغلال، وبعث إلى أمراته من المدينة فردها يوحنا من طريقها وقطع من وجد معها، ثم أسفوه بأمراته وسار إلى أدوم فحاربهم وهزمهم، وعاد إلى القدس فحاصرها وعظم الضرر على أهلها شمعون خارج المدينة ويوحنا دخلها، وبلغوا إلى الميكل وحاربوا يوحنا فغلبهم وقتل منهم خلقاً، فاستدعا شمعون لينصرهم من يوحنا فدخل ونقض العهد و فعل أشر من يوحنا.

قال ابن كريون: ثم ورد الخبر إلى اسبييانوس وهو ي مكانه من قيسارية بموت قيروش قيصر وأن الروم ملکوا عليهم مضطضاً اسمه نطاوس فقضى طيطش البارقة الذين مع اسبييانوس وملكوه وسار إلى روما وخاف نصف العسکر مع ابنه طيطش، وقدم بين يديه قاتلين إلى روما لخاربة نطاوس الذي ملکه الروم فهزم وقتل،

قال ابن كريون: فكان عدد الموتى الذين خرجوا على الباب للدفن بأخبار مناجيم الموكيل به مائة وخمسة وعشرون ألفاً وثمانمائة. وقال غير مناجيم كانت عدتهم ستمائة ألف دون من التي في الآبار، أو طرح إلى خارج الحصن وقتل في الطرقات ولم يدفن. وقال غيره كان الذي أحصي من الموتى والقتلى ألف الف ومائة ألف والسبي والأسرى مائة ألف، كان طيطش في كل منزلة يلقي منهم إلى السبع إلى أن فرغوا. وكان فيمن هلك شمعون أحد الخارج الثلاثة وأما الفرار بن عفان فقد كان خرج من القدس عندما قتل شمعون أمتاي الكوهرن كما ذكرنا، فلما رحل طيطش عن القدس نزل في بعض القرى وحصنتها واجتمع إليه قل اليهود، واتصل الخبر بطيطش وهو في أنطاكية، فبعث إليه عسكراً من الروم مع قائده سليمان فحاصرهم أيام، ثم نهض الكهنوة وأولادهم وخرجوا إلى الروم مستعينين، فقاتلوا إلى أن قتلوا عن آخرهم. وأما يوسف بن كريون فافتقد أهله وولده في هذه الرقانع ولم يقف لهم بعدها على خبر وأراده طيطش على السكنى عنده بروم، فتضرس عليه في البقاء بارض القدس، فأجابه إلى ذلك وتركته، وانقرضت دولة اليهود أجمع، والبقاء لله وحده سبحانه وتعالى لا انقضاء لملكه..

### الخبر عن شأن عيسى بن مريم صلوات الله عليه في ولادته وبعثه ورفعه من الأرض واللام ب شأن الحواريين بعده وكتبهم الأنجليل الأربعة وديانة النصارى علىه واجتماع الأقصى على تدوين شريعته

كان بنو مائتان من ولد داود صلوات الله عليه كهنوته بيت المقدس، وهو مائان بن العازر بن اليهود بن أخسن بن رادوق بن عازور بن الياقيم بن إلود بن زورقابل بن سالات بن يوحنا بن يوشيا السادس عشر من ملوكبني إسرائيل بن أمنون بن عمون ابن منشا بن حزقيا بن أحاز بن يوآش بن أحزيما بن يورام بن يهوشافاط بن أسا بن رحيم بن سليمان بن داود صلوات الله عليهما. ويوحنا بن يوشيا السادس عشر من ملوكبني سليمان ولد في جلاء بابل وهذا النسب نقلته من الخليل متى.

وكانت الكهنوته العظمى من بعدبني حشمناي لهم، وكان كبيرهم قبل عصر هيرودوس عمران أبو مريم، ونسبه ابن إسحاق إلى أمنون بن منشا الخامس عشر من ملوك بيت المقدس من لدن

شم زحف طيطش إلى السور الثالث من أربعة جهاته ونصب الآلات، وصبر اليهود على الحرب وتذمر اليهود وصعب الحرب وبلغ الجميع في الشدة غايتها، واستأمن متاي الكوهرن إلى الروم وهو الذي خرج في استدعاء شمعون، فقتله شمعون وقتل بيته وقتل جماعة من الكهنوته والعلماء والأئمة من حذر منه أن يستأمن. ونكر ذلك العازر بن عناني ولم يقدر على أكثر من الخروج عن بيت القدس. وعظمت الجماعة فمات أكثر اليهود، وأكلوا الجلود والخشاش والمليئة، ثم أكل بعضهم بعضاً، وعثر على امرأة تأكل ابنها، فأصابت رؤساؤهم لذلك رحمة، وأنذروا في الناس بالخروج، فخرجت منهم أمم وهلك أكثرهم حين أكلوا الطعام.

وابتلع بعضهم في خروجه ما كان له من ذهب أو جواهر ضسته به، وشعر بهم الروم فكانتوا يقتلونهم ويشقون عنهم بطونهم، وشاع ذلك في توابع العسكر من العرب والأرمن فطردهم طيطش وطبع الروم في فتح المدينة وزحفوا إلى سورها الثالث بالألات ولم يكن لليهود طاقة بدفعها وإحرارها ثملموا السور، وبين اليهود خلف التلعة فأصبحت منسدة، وصدتها الروم بالكبش فسقطت من الحدة، واستسلموا في تلك الحال إلى الليل. ثم بيت الروم المدينة وملكون الأسور عليهم وقاتلتهم من الغد فانهزمو إلى المسجد، وقاتلوا في الحصن، وهدم طيطش البناء ما بين الأسوار إلى المسجد ليتسع المجال.

وقف ابن كريون يدعوهם إلى الطاعة فلم يجيبوا، وخرج جماعة من الكهنوته فأنهم ومنع الرؤساء بقيتهم، ثم باكراهم طيطش بالثال من الغد فانهزموا الأقدس وملك الروم المسجد وصحنه واتصلت الحرب أيام وهدمت الأسوار كلها وثلس سور الميكل، وأحاط العسكر بالمدينة حتى مات أكثرهم وفر كثير. ثم اقتحم عليهم الحصن فملكه ونصب الأصنام في الميكل ومنع من تحريره. ونكر رؤساء الروم ذلك ودسوا من أضرم النار في أبوابه وسقفه، وألقى الكهنوته أنفسهم جزعاً على دينهم وحزنوا، واختنقوا شمعون ويوحنان في جبل صهيون، ويعث إليهم طيطش بالأمان فامتنعوا وطرقوا القدس في بعض الليالي، فقتلوا قائداً من قواد العسكر ورجعوا إلى مكان اختفائهم.

ثم هرب منهم أرباعهم وجاء يوحنا ملقياً يده إلى طيطش فقيده، وخرج إليه يوشع الكوهرن بالآلات من النهب الخالص من الآلات المسجد فيها مازراتان ومائذنان، ثم قبض على فتحاس خازن الميكل، فاطلبه على خزانة كبيرة مملوقة ذاتي ودرارهم وطيباً فامتلأت يده منها، ورحل عن بيت المقدس بالغناائم والأموال والأسرى، وأحصى الموتى في هذه الوفعة.

عاداتهم في نذر مثله، فلما حلت ووضعنها لفتها في خرتها وجاءت بها إلى المسجد فدفعتها إلى عباده وهي ابنة إمامهم وكهنتهم، فتنازعوا في كفالتها، وأراد زكريا أن يستبد بها لأن زوجة إنشاع خالتها، ونائزه في ذلك لكان أليها من إمامهم، فاقتربوا فخرجت قرعة زكريا عليها ففكفلها ووضعنها في مكان شريف من المسجد لا يدخله سواها وهو الحراب فيما قبل. والظاهر أنها دفعتها إليهم بعد مدة إرضاعها، فاقامت في المسجد تعبد الله وتقوم بسداة البيت في نوبتها حتى كان يضرب بها المثل في عبادتها، وظهرت عليها الأحوال الشريفة والكرامات كما قصه القرآن.

وكانت خالتها إنشاع زوج زكريا أيضاً عاقراً، وطلب زكريا من الله ولدأ، فبشره بيعيني نبياً كما طلب، لأنه قال يربني ويرث من آل يعقوب وهو أيامه فكان كذلك. وكان حاله في نشوء صباحاً عجباً ولد في دولة هيردوس ملك بني إسرائيل، وكان يسكن القفار ويتناول الجراد ويلبس الصوف من وبر الإبل، وولاه اليهود الكهنتية بيت المقدس، ثم أكرمه الله بالنبوة كما قصه القرآن.

وكان لعده على اليهود بالقدس أنطقيس بن هيردوس وكان يسمى هيردوس باسم أبيه، وكان شريراً فاسقاً واغتصب امرأة أخيه وتزوجها ولها ولدان منه، ولم يكن ذلك في شرعهم مباحاً، فتكر ذلك عليه العلماء والكهنتية وفيهم يحيى بن زكريا، المعروف بيوحنا وبعرفه النصارى بالمعلماني، فقتل جميع من تكر عليه ذلك وقتل فيهم يحيى صلوات الله عليه. وقد ذكر في قتلهم أسباب كثيرة وهذا أقربها إلى الصحة، وقد اختلف الناس هل كان أبوه حياً عند قتلهم فقيل إنه لما قتل يحيى طلبه بنو إسرائيل ليقتلوه، فقر أماهم ودخل في بطن شجرة كرامة له فلطم عليه طرف رداءه خارجاً منها، فشققها بالنشرار وشق زكريا فيها نصفين. وقيل: بل مات زكريا قبل هذا والمتفق في الشجرة إنما هو شعبان النبي وقد مر ذكره. وكذلك اختلف في دفنه فقيل دفن بيت المقدس وهو الصحيح.

وقال أبو عبيد بن سنه إلى سعيد بن المسيب أن يختنصر لما قدم دمشق وجد دم يحيى بن زكريا يغلي، فقتل على دمه سبعين ألفاً فسكن دمه. ويشكل أن يحيى كان مع المسيح في عصر واحد باتفاق وأن ذلك كان بعد يختنصر بأصحاب مطاولة وفي هذا ما فيه. وفي الإسرائييليات من تأليف يعقوب بن يوسف النجار أن هيردوس قتل زكريا عندما جاء الم gioس للبحث عن إنشاع والإذار به، وأنه طلب ابنه يوحنا ليقتلها مع من قتل من صبيان

سليمان أبיהם، وقال فيه عمران بن ياشم بن أمنون، وهذا بعيد لأن الزمان بين عمون وعمران أبعد من أن يكون بينهما أب واحد، فإن أمنون كان قبل الحراب الأول وعمران كان في دولة هيردوس قبل الحراب الثاني، وبينهما قرب من أربعين سنة.

ونقل ابن عساكر، والظاهر أنه ينقل عن مستند، أنه من ولد زريافيل الذي ول في علىبني إسرائيل عند رجوعهم إلى بيت المقدس، وهو ابن يخنيا آخر ملوكهم الذي جلسه يختنصر وولى عمه صديقاً هو بعده كما مر. وقال فيه: عمران بن ماثان بن فلان بن فلان إلى زريافيل، وعد خيراً من ثمانية آباء باسماء عبرانية لا وثيق بضبطها، وهو أقرب من الأول وفيه ذكر ماثان الذي هو شهرتهم، ولم يذكره ابن إسحاق، وكان عمران أبو مريم كهنوتاً في عصره، وكانت محبته حنة بنت فاقد بن فيل وكانت من العابدات، وكانت أختها إنشاع، ويقال: خالتها تحت زكريا بن يوحنا، ونسبه ابن عساكر إلى يهوشافاط خامس ملوك المقدس من عهد سليمان أبיהם وعد ما بينه وبين يهوشافاط اثنى عشر أبوه يوحنا باسماء عبرانية، كما فعل في نسب عمران، ثم قال وهو أبو يحيى صلوات الله عليهما، ويقال بالله والتقصير من غير الف، وكان نبياً من نبي إسرائيل صلوات الله عليه اه.

ونقلت من كتاب يعقوب بن يوسف النجار مثان يعني مثان من سبط داود، وكان له ولدان يعقوب وبذاقيم، ومات فتزوج أمهما بعده مطنان، ومطنان بن لاوي من سبط سليمان بن داود وسمي مثان فولدت هالي من مطنان. ثم تزوج ومات ولم يعقب فتزوج امرأه لأمه يعقوب بن مثان فولدت منه يوسف خطيب مريم ونسب إلى هالي، لأن من حكمات التوراة إن مات من غير عقب فامرأته لأنجيه وأول ولد منها ينسب إلى الأول، فلهذا قيل فيه يوسف بن هالي بن مطنان، وإنما هو يوسف بن يعقوب بن مثان، وهو ابن عم مريم لها وكان ليوسف من البنين خمسة بنين وبنت وهم يعقوب وبريشا ويلسوت وشمعون وبهودا واحتتهم مريم، كانوا يسكنون بيت لحم. فارتحل بأهله ونزل ناصرة وسكن بها وتعلم التجارة حتى صار يلقب بالنجار.

وتزوج بذاقيم حنة أخت إنشاع العاقر امرأة زكريا بن يوحنا المعلماني، وأقامت ثلاثين سنة لا يولد لها، فدعوا الله ولد لها مريم فهي بنت بذاقيم موثان وهو مثان. ولدت إنشاع العاقر من زكريا ابنه يحيى. قلت في الترتيل مريم ابنة عمران فليعلم أن معنى عمران بالعبرانية بذاقيم وكان له اسمان اه.

وعن الطريبي: وكانت حنة أم مريم لا تحبل، فنذر الله إن حلت لتجعلن ولدتها حيساً بيت المقدس على خدمته على

الماء. فمضت مريم يوماً وتختلف عنها يوسف، ودخلت المغارة التي كانت تهدى إليها للورد، فتمثل لها جبريل بشرأ، فذهبت لتجزع، فقال لها: **«إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكَ لَأَهْبَطَ لَكَ غُلَامًا زَيْكَأَ»** فاستقاما.

وعن وهب بن منبه أنه نفع في جيب درعها فوصلت النفعة إلى الرحم، فاشتملت على عيسى، فكان معها ذو قرابة يسمى يوسف التجار، وكان في مسجد بجبل صهيون، وكان خدمته عندهم فضل، وكانت يحمرانه ويقمانه، وكانت صالحين مجتهدين في العبادة، ولما رأى ما بها من العمل استعظموه وعجب منه لما يعلم من صلاحها وأنها لم تنب قط عنه، ثم سألاها فرددت الأمر إلى قدرة الله، فسكت وقام بما ينويها من الخدمة. فلما بان حملها افضت بذلك إلى خالتها لإشاع، وكانت أيضاً حبلى بيسوع، فقالت لها: أيها أرى ما في بطلي يسجد لها في بطنك.

ثم أمرت بالخروج من بيتها خشية أن يعيدها قومها ويقتلوا ما في بطنها، فاحتلمها يوسف إلى مصر وأخذها المخاض في طريقها، فوضعها كما قصه القرآن، واحتلمته على الحمار، وأقامت تكمي أمراها من الناس وتحفظ به، حتى بلغ الثني عشرة سنة وظهرت على الكرامات وشاع خبره، فأمرت أن ترجع به إلى إيلياه فرجعت. وتابعت عنده العجزات واثال الناس عليه يستشفون ويسألون عن الغيب.

قال الطبرى: وفي خبر السدى أنها إنما خرجت من المسجد ليحيض أصابها، فكان نفع الملائكة، وإن لإشاع خالتها التي سالتها عن الحمل وناظرتها فيه ففتحتها بالقدرة، وأن الوضع كان في شرقى بيت لحم قريباً من بيت المقدس وهو الذي بنى عليه بعض ملوك الروم البناء الهائل لهذا المهد قال ابن العميد مؤرخ النصارى: ولد ثلاثة أشهر من ولادة يحيى بن زكريا، ولآخرى وثلاثين من دولة هيرودوس الأكبر، ولاثنتين وأربعين من ملك أوغسطس قيصر.

وفي الإنجيل أن يوسف تزوجها ومضى بها ليكتب أمرها في بيت لحم، فوضعه هناك ووضعه في مذود لأنها لم يكن لها موضع نزل. وأن جماعة من المجروس بعنهم ملك الفرس يسألون أين ولد الملك العظيم؟ وجاؤوا إلى هيرودوس يسائلونه وقالوا جتنا لنسجد له.

وحدثهونا أخبار الكهان وعلماء النجوم من شأن ظهوره، وأنه يولد بيت لحم. وسمع أوغسطس قيصر مخبر المجروس فكتب إلى هيرودوس يسأله، فكتب له بمصداقية خبره وأنه قتل فيمن قتل

بيت لحم، فهربت به أمه إلى الشقراء واختفت. فطالب به أباه زكريا وهو كهنة في الهيكل، فقال لا علم لي هو مع أمه فنهده وقتلها. ثم قال بعد قتل زكريا بستة تولى الكهنة يعقوب بن يوسف إلى أن مات هيرودوس.

وأما مرريم سلام الله عليها ذكانت بالمسجد على حالها من العبادة إلى أن أكرمه الله بالزيارة وبين الناس في بيتهما خلاف من أجل خطاب الملائكة لها. وعند أهل السنة أن التبرة مخصصة بالرجل، قاله أبو الحسن الأشعري وغيره وأدلة الفريقين في أماكنها. وبشرت الملائكة باصطفاء الله لها، وأنها تلد ولدأ من غير أب يكون نبياً، فعجبت من ذلك فأخبرتها الملائكة أن الله قادر على ما يشاء، فاستكانت وعملت أنها عنده بما تلقاه من كلام الناس فاحتبست.

وفي كتاب يعقوب بن يوسف النجار أن أمها حنة توفيت لثمان سنين من عمر مرريم، وكان من ستتهم أنها إن لم تقبل التزويج يفرض لها من أرزاق الهيكل، فألوحى الله إليه أن يجمع أولاد هارون ويردها إليهم، فمن ظهرت في عصاه آية تدفعها إليه تكون له شبه زوجة ولا يقربها، وحضر الجموع يوسف النجار فخرج من عصاه حامة يضيء ووقف على رأسه، فقال له زكريا: هذه عذراء الرب تكون لك شبه زوجة ولا تردها. فاحتلمها متكرهاً بنتت اثنتي عشرة سنة إلى ناصرة فآمنت معه، إلى أن خرجت يوماً تستقي من العين فعرض لها الملائكة أولاً وكلمتها ثم عاودها وبشرها بولادة عيسى كما نص القرآن. فحملت وذهبت إلى زكريا بيت المقدس فوجده على الموت وهو يحيى بنفسه، فرجعت إلى ناصرة، ورأى يوسف الحمل فلطم وجهه وخشي الفضيحة مع الكهنة فيما شرطوا عليه، فأخبرته بقول الملك، فلم يصدق.

وعرض له الملائكة في نومه وأخبره أن الذي بها من روح القدس، فاستيقظ وجاء إلى مرريم فسجد لها وردها إلى بيتها. ويقال: إن زكريا حضر لذلك وأقام فيها سنة اللعان الذي أوصى به موسى، فلم يصبهما شيء ويرأهما الله. ووقع في إنجيل متى أن يوسف خطب مرريم ووجدها حاملأ قبل أن يجتمعوا، فعزز على فراقها خوفاً من الفضيحة، فامر في نومه أن يقبلها وأخبره الملائكة بأن المولود من روح القدس، وكان يوسف صديقاً ولد على فراشه بإشعاع انتهى.

وقال الطبرى: كانت مرريم ويوسف بن يعقوب ابن عمها، وفي رواية عنه أنه ابن خالتها، وكانوا سدنة في بيت المقدس لا ينحرجان منه إلا حاجة الإنسان، وإذا نفذ ما ذهبا فيملاان من أقرب

يبلاغ الأمر إلى قيسر فأمر بقتله، وكان عيسى قد أبلغ الحواريين بأنه يشبه على اليهود في شأنه فقتل ذلك الشبه وصلب، وأقام سبعاً، وجاءت أمه تبكي عند الحشبة فجاءها عيسى وقال: مالك تبكي؟ قالت: عليك! قال: إن الله رفيقي ولم يصني إلا خير وهذا شيء شبه لهم، وقولي للحواريين يلقوني مكان كذا. فانطلقوا إليه وأمرهم بتلقيع رسالته في النواحي، كما عين لهم من قبل. وعند علماء النصارى أن الذي بعث من الحواريين إلى رومة بطرس ومعه بولس من الأتباع ولم يكن حوارياً، وإلى أرض السودان والحبشة - ويعبرون عن هذه الناحية بالأرض التي تأكل أهلها والناس - متى العشار، وأندراوس إلى أرض بابل، والشرقية توماس، وإلى أرض أفريقية فيليب، وإلى أفسوس قرية أصحاب الكهف يوحنا، وإلى أورشليم وهي بيت المقدس يوحنا، وإلى أرض العرب والخجاز برتولوماوس، وإلى أرض برقة والبربر شمعون القناني.

قال ابن إسحاق: ثم وُئِبَ اليهود على بقية الحواريين بعدبئونهم وبقتلونهم، وسمع القيسر بذلك وكتب إليه فلاطش النبيطي قاتله بأخباره ومعجزاته، وبغي اليهود عليه وعلى يوحنا قبله، فأمرهم بالاكتف عن ذلك، ويقال قتل بعضهم، وانطلقوا إلى الجهات التي بعضهم إليها عيسى فأنما به بعض الحواريون إلى الجهات التي بعضهم إليها عيسى فأنما به بعض وكذب بعض. ودخل يعقوب آخره يوحنا إلى رومة فقتله غاليوس قيسر وحبس شمعون، ثم خلص وسار إلى أطاكية ثم رجع إلى رومة أيام قلربيش قيسر بعد غاليوس، واتبعه كثير من الناس وأمن به بعض نساء القياصرة وأخبرها بخبر الصليب، فدخلت إلى القدس وأخرجته من تحت الرمل والقمامات بمكان الصليب وغشته بالحرير والنذهب وجاءت به إلى رومة.

وأما بطرس كبر الحواريين ووصل اللذان بعثهما عيسى صلوات الله عليه إلى رومة فإنهما مكثا هنالك يقيمان دين النصرانية، ثم كتب بطرس الإنجيل بالرومية ونسبه إلى مرقص تلميذه، وكتب متى إنجيله بالعبرانية في بيت المقدس ونقله من بعد ذلك يوحنا بن زيدى إلى رومة، وكتب لوقا إنجيله بالرومية وبعثه إلى بعض أكابر الروم، وكتب يوحنا بن زيدى إنجيله برومدة. ثم اجتمع الرسل الحواريون برومدة ووضعوا القوانين الشرعية لدينهم وصيروها بيد إقليمنطس تلميذ بطرس، وكتبوا فيها عد الكتب التي يجب قبولها، فمن القديمة التوراة خمسة أسفار، وكتاب يوشع بن نون، وكتاب القضاة، وكتاب راعوث، وكتاب يهوذا، وأسفار الملوك أربعة كتب، وسفر بنiamin، وسفر المقابلين ثلاثة كتب، وكتاب عزرا الإمام، وكتاب أثير، وكتاب قصة هامان، وكتاب

من الصبيان من ابن ستين فما دونها، وكان يوسف النجار قدر أمر أن يخرج به إلى مصر، فأقام هنالك اثنى عشرة سنة، وظهرت عليه الكنرامات، وهلك هيردوس الذي كان يطلبها وأمر بالرجوع إلى إيليا، فرجعوا، وظهر صدق شيئاً النبي في قوله عنه: من مصر دعوتكم.

وفي كتاب يعقوب بن يوسف النجار حذراً من أن يكتب كما أمر أوغسطس في بعض أيامه فاجاهها المخاض وهي في طريقها على حمار، فصابرته إلى قرية بيت لحم وولدت في غار وسماء إيشوع، وأنه لما بلغ ستين، وكان من أمر المجرمين ما قدمه، حذر هيردوس من شأنه وأمر أن يقتل الصبيان بيت لحم، فخرج يوسف به وبأمه إلى مصر، أمر بذلك في نومه وأقام مصر ستين حتى مات هيردوس، ثم أمر بالرجوع إلى ناصرة، وظهرت عليه الخوارق من إحياء الموتى وإبراء المعteen وخلق الطير وغير ذلك من خوارقه، حتى إذا بلغ ثمانين سنتين كف عن ذلك ثم جاء يوحنا المعمدان من البرية، وهو يحيى بن زكريا، ونادي بالtorah والدعاء إلى الدين، وقد كان شيئاً أخبار أنه يخرج أيام المسيح.

وجاء المسيح من الناصرة ولقيه بالأردن فعمده يوحنا وهو ابن ثلاثين سنة، ثم خرج إلى البرية واجه في العبادة والصلة والرهبانية واختار تلاميذه الاثني عشر: سمعان بطرس وأخوه أندراوس ويعقوب بن زيدى وأخوه يوحنا وفيليب وبرتولوماوس وتوما ومتى العشار ويعقوب بن حلفا وتداوس وسمعان القناني وبهودا الإسخريوطى. وشرع في إظهار المعجزات. ثم قبض هيردوس الصغير على يوحنا وهو يحيى بن زكريا لنكره عليه في زوجة أخيه، فقتله ودفن بنبالس.

ثم شرع المسيح الشرائع من الصلاة والصوم وسائل القيبات، وحلل وحرم واتزل عليه الإنجيل، وظهرت على يديه الخوارق والعجائب، وشاع ذكره في النواحي، واتبعه الكثير من بني إسرائيل، وخاصة رؤساه اليهود على دينهم، وتأمروا في قتله، وجمع عيسى الحواريين فباتوا عنده ليتبن يطعهم ويبالغ في خدمتهم بما استعظموه، قال: وإنما فعلته لتائسو به، وقال يعظهم: ليكفرن بي بعضكم قبل أن يصبح الدليلك ثلاثة ويبعيوني أحدكم بشمن مجس وتأكلوا ثمني، ثم افترقا. وكان اليهود قد بعشوا العيون عليهم، فأخذدوا شمعون من الحواريين فتبرأ منهم وتركوه، وجاء بهودا الإسخريوطى وبإيعهم على الدلالة عليه بثلاثين درهماً، وأراهم مكانه الذي كان بيت فيه، وأصبغوا به إلى فلاطش النبيطي قائد قيسار على اليهود. وحضر جماعة الكنهنية وقالوا: هذا يفسد ديننا ويحمل نسامينا ويدعى الملك قاتلنا! وتوقف فصالحوا به وتوعدوه

سنة من ملك قسطنطين ابنها، وجاءت إلى مكان الصليب فوققت عليه وترحمت وسالت عن الخشبة التي صلب عليها بزعمهم، فأخبرت بما فعل اليهود فيها وأنهم دفونها وجعلوا مكانها مطرحاً للقمامدة والنجاسة والجحيف والقاذورات، فاستعظمت ذلك واستخرجت تلك الخشبة التي صلب عليها بزعمهم، وقيل من علامتها أن يمسها ذو العاهة فيعافي لرقة، فظهرتها وطبيتها وغضتها بالذهب والحرير، ورفعتها عندها للتبرك بها، وأمرت بناء كنيسة هائلة يمكن الخشبة تزعم أنها قبره وهي التي تسمى لهذا المهد قمامة، وخرست مسجد بني إسرائيل وأمرت بأن تلقى القاذورات والكتناس على الصخرة التي كانت عليها القبة التي هي قبلة اليهود، إلى أن أزال ذلك عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه عند فتح بيت المقدس كما نذكره هنا.

وكان من ميلاد المسيح إلى وجود الصليب ثلاثة وثمانون  
وعشرون سنة، وأقام هؤلاء النصرانيين بطاركتهم وأساقفهم على  
إقامة دين المسيح على ما وضعه الحواريون من القوانين والعقائد  
والأحكام، ثم حدث بينهم اختلاف في العقائد وسائر ما ذهبوا إليه  
من الإيمان بالله وصفاته، وحاش الله وللمسيح وللحواريين أن  
ينذهبوا إليه، وهو معتقدهم الشليط. وإنما حلهم عليه ظواهر من  
كلام المسيح في الإنجيل لما يهتدوا إلى تأويلها، ولا وقوفا على فهم  
معانيها، مثل قول المسيح حين صلب يزعمهم: أذهب إلى أبيي  
رأيكم. وقال: انفعوا كذا وكذا من البر لتكونوا أبناء أبيكم في  
السماء وتكونوا تامين، كما أن آباءكم الذي في السماء تام. وقال له  
في الإنجيل: إنك أنت الابن الوحيد. وقال شمعون الصفنا: إنك  
بن الله حقاً. فلما أتبتوا هذه الآية من ظاهر هذا الفظ زعموا  
أن عيسى ابن مریم من أب قديم، وكان اتصاله بمریم مجسداً كلمة  
نه ما زارت جسد المسيح وتدرعت به، فكان مجسراً الكلمة  
والجسد ابناً، وهو ناسوق كلبي قايم أزلي، وولدت مریم إلهًا أزلياً،  
والقتل والصلب وقع على الجسد والكلمة، ويعبرون عنهم  
الناسوت واللاهوت.

وأقاموا على هذه العقبة وقع بينهم فيها اختلاف، وظهرت مبتدعة من التصريانية اختلفت أقاوم الكنفية، كان من شدتهم ابن دنسان، ودافعهم هؤلاء الأساقفة والطاركة عن معتقدهم الذين كانوا يزعمونه حقيقة، وظهر بونس الشميساتي طرفاً أنطاكية بعد حين أيام أفلوديس قيسرو، فقال بالراحدانية ونفي الكلمة والروح، وبعه جماعة على ذلك، ثم مات فرد الأساقفة مقالته وهجروها ولم يزالوا على ذلك إلى أيام قسطنطين بن قسطنطين، فتنصر ودخل في دينهم، وكان ياسكندري

أيوب الصديق، ومزامير داود النبي، وكتب ولده سليمان خمسة،  
ونبوات الأنبياء الصغار والكبار ستة عشر كتاباً، وكتاب يشوع بن  
شارخ. ومن الحديثة: كتب الإنجيل الأربع، وكتب القتالينون سبع  
رسائل، وكتاب بولس أربع عشرة رسالة، والإبركسيس وهو  
قصص الرسل ويسمى أفليميد ثمانية كتب تشمل على كلام  
الرسل وما أمروا به ونهوا عنه، وكتاب النصارى الكبار إلى  
أساقفهم الذين يسمون البطارقة ببلاد معينة يعلمون بها دين  
النصارى، فكان: بروم بطرس الرسول الذي بعثه عيسى صلوات  
الله عليه، وكان بيت المقدس يعقوب النجار، وكان بالإسكندرية  
مرقص تلميذ بطرس، وكان بيزنطية وهي قسطنطينية أندراوس  
الشيخ، وكان بانتاكاه.

وكان صاحب هذا الدين عندهم والمقيم لمراسمه يسمونه البطرك وهو رئيس الملة وخليفة المسيح فيهم، ويعيش نوابه وخلفاءه إلى من بعدهم من أمم الصرانة ويسمونه الأسقف أي نائب البطرك، ويسمون القرا بالتقسيس، وصاحب الصلاة بالجالاتيق، وقومة المسجد بالشمامسة، والمنتقطع الذي جلس نفسه في الخلوة للعبادة بالراهب، والقاضي بالطيران، ولم يكن يصر لذللك العهد أسفف إلى أن جاء دهشن الحادي عشر من أساقفة إسكندرية وكان بطرك أساقفة مصر، وكان الأساقفة يسمون البطرك أباً، والقسوس يسمون الأساقفة أباً، فوقع الاشتراك في اسم الأب، فاختبر اسماً البابا لبطرك الإسكندرية ليتميز عن الأسقف في اصطلاح القسوس، ومنه أبو الآباء فاشتهر هذا الاسم، ثم انتقل إلى بطرك رومة لأنه صاحب كرسى بطرس كبير الخوارين ورسول المسيح، وأقام على ذلك لهذا العهد يسمى البابا.

ثم جاء بعد قلوديش قيسر نيرون فقتل بطرس كبير  
الخواريين ويولص اللذين ينتميوا عيسى صلوات الله عليه إلى  
رومة، وجعل مكان بطرس أرتوس بروم، وقتل مرضق الأخيلي  
تلعيب بطرس وكان بالإسكندرية يدعو إلى الدين سبع مئتين ويعشه  
في نواحي مصر وبرقة والمغرب، وقتلته نيرون وولى بعده حنيبا  
وهو أول البطاركة عليها بعد الخواريين، وثار اليهود في دولته على  
أسقف بيت المقدس وهو يعقوب النجار وهدموا البيعة ودفعوا  
الصلب إلى أن ظهرته هيلاة أم قسطنطين كما ذكره بعد، وجعل  
نيرون مكان يعقوب النجار ابن عمه شمعون بن كيافا ثم اختلفت  
حال القياصرة من بعد ذلك في الأخذ بهذا الدين وتركه كما يأتي  
في أخبارهم، إلى أن جاء قسطنطين بن قسطنطين ب寰ى المدينة  
المشهورة، وكانت في مكانها قبله مدينة صغيرة تسمى بيزنطية.  
وكانت أمه هيلاة صالحة فأخذت بدين المسيح لاثنين وعشرين

إسكندروس البطريرك وكان لعهده أريوس من الأساقفة، وكان يذهب إلى حدوث الابن وأنه إنما خلق الخلق بتقويض الأب إليه في ذلك، فمنعه إسكندروس الدخول إلى الكنيسة وأعلم أن إيمانه فاسد، وكتب بذلك إلى سائر الأساقفة والبطراركة في التواحي، وفعل ذلك باسقفيين آخرين على مثل رأي أريوس، فدفعوا أمرهم إلى قسطنطين وأحضرهم جميعاً لنسخ عشرة من دولته، وتنتظروا. ولما قال أريوس: إن الابن حادث وإن الأب فرض إليه بالخلق، وقال الإسكندروس: بالخلق استحق الألوهية، فاستحسن قسطنطين قوله وأذن له أن يشيد بکفر أريوس وطلب الإسكندروس باجتماع الصرامة لتحرير المعتقد الإيماني، فجمعهم قسطنطين وكانوا ألفين وثلاثمائة وأربعين أسقفاً وذلك في مدينة نيقيا، فسمى المجتمع مجتمع نيقيا، وكان رئيسهم الإسكندروس بطريرك إسكندرية، وأساطين بطريرك أنطاكيه، ومقاريوس أسقف بيت المقدس، وبعث سلطوس بطريرك روما بقياس حضر مهم لذلك زيارة عنه، فتفاوضوا وانتظروا واتفقوا عنهم، بعد الاختلاف الكبير، على ثلاثة عشر أسقفاً على رأي واحد، فصار قسطنطين إلى قرهم، وأعطى سيفه وخاتمه وباركته عليه ووضعوا له قوانين الدين والملك، ونفي أريوس وأشيد بکفره وكروا العقيدة التي اتفق عليها أهل ذلك الجمع، وتصها عندهم على ما نقله ابن العميد من مزركش والمشرستاني في كتاب الملل والنحل وهو: نؤمن بالله الواحد الأحد الأب مالك كل شيء وصانع ما يُرى وما لا يُرى، وبالابن الوحيد يشوع المسيح ابن الله ذكر الملائكة كلها وليس بمصنوع إلا حق من جوهر أبيه الذي بيده أفتنت العالم وكل شيء الذي من أجلنا ومن أجل خلاصنا بعث العوالم وكل شيء، الذي نزل من السماء وقدس من روح القدس، وولد من مريم البتول وصلب أيام فيلاطروس ودفن ثم قام في اليوم الثالث وصعد إلى السماء وجلس على يمين أبيه، وهو مستعد للمجيء تارة أخرى بالقضاء بين الأحياء والأموات، ونؤمن بروح الواحد روح الحق الذي يخرج من أبيه ويمعمودية واحدة لغفران الخطايا وبجماعة قدسية مسيحية جاثلية ويقيام أبدانا بالحياة الدائمة أبد الأبدية انتهى.

فكتب إليه كيراش أسقف بيت المقدس يخذه من مقالة أريوس قبيل ورجوعه. واختلف حال ملوك القياصرة بعد قسطنطين في الأخذ بالأمانة أو مقالة أريوس، وظهور إحدى الطائفتين متى كان الملك على دينهم، فأقال له بعض العلماء والحكماء: لا تنكر المخالف على خالقه، فقال له بعض العلماء والحكماء: لا تنكر المخالف فالخائفين مختلفون أيضاً وإنما هم الخلق يحمدون الله ويصفونه بالصفات الكثيرة والله يحب ذلك، فسكن بعض الشيء وكان بعضهم يعرض عن الطائفتين ويخلص كل أحد ودينه. ثم كان الجميع الثاني بقسطنطينية بعد جمعيّة مائتين وخمسين سنة اجتمعوا للنظر في مقالة مقدونيوس وسليوس، بأن جسد المسيح بغير ناسوت وأن اللاهوت أغناه عنها، مستدللين بما وقع في الإنجيل أن الكلمة صار لحماً ولم يقل صار إنساناً، وجعلوا من الإله

الثالث وصعد إلى السماء وجلس على يمين أبيه، وهو مستعد للمجيء تارة أخرى بالقضاء بين الأحياء والأموات، ونؤمن بروح الواحد روح الحق الذي يخرج من أبيه ويمعمودية واحدة لغفران الخطايا وبجماعة قدسية مسيحية جاثلية ويقيام أبدانا بالحياة الدائمة أبد الأبدية انتهى.

هذا هو اتفاق الجميع الأول الذي هو مجتمع نيقيا وفيه إشارة إلى حشر الأبدان ولا يتفق النصارى عليه، وإنما يتقدرون على حشر الأرواح ويسعون هذه العقيدة الأمانة.

ووضعوا معها قوانين الشرائع ويسمونها الميماليون، وتتوافق الإسكندروس البطريرك بعد هذا الجمع بخمسة أشهر، ولما عمرت هلانة أم قسطنطين الكنائس وأحب الملك أن يقدسها ويجمع

وخطبته زوج الملك فاساه الرد فلطمته بيدها، وتناوله الحاضرون بالضرب، وكتب مرقيان قبض إلى أهل مملكته في جميع التواحي بأن جموع خلق دونية هو الحق ومن لا يقبله يقتل. ومر ديسقورس بالقدس وأرض فلسطين وهو مضروب منفي فاتبعوا رأيه، وكذلك اتبعه أهل مصر والإسكندرية، وولى وهو في الفي أساقفة كثيرة كلهم يعقوبية، قال ابن العميد: وإنما سمي أهل مذهب ديسقورس يعقوبية لأن اسمه كان في التلمذانية يعقوب، وكان يكتب إلى المؤمنين من المسكين المنفي يعقوب. وقيل بل كان له تلميذ اسمه يعقوب فنسبوا إليه. وقيل بل كان شاوريش بطرك أنطاكيه على رأي ديسقورس وكان له تلميذ اسمه يعقوب، فكان شاوريش يبعث يعقوب إلى المؤمنين ليثبتوا على أمانته ديسقورس فنسبوا إليه قال: ومن جموع خلق دونية افترقت الكنائس والأساقفة إلى يعقوبية وملكية ونسطورية، فاليعقوبية أهل مذهب ديسقورس الذي قررناه آنفاً.

والملكية أهل الأمانة التي قررها جماعة نيقية وجامعة خلق دونية بعدهم وعليها جهور النصرانية، والنسطورية أهل الجميع الثالث وأكثراهم بالشرق. وبقي الملكية واليعقوبية يتعاقبون في الرياسة على الكراسي محسب من يريدهم من القباصرة وما يختارونه من المنهيين.

ثم كان بعد ذلك بمائة وثلاثين سنة أو ثلاث وستين سنة الجمجم الخامس بقسطنطينية في أيام يوسيطانيوس فيصر، للنظر في مقالة أقفسح لأنه نقل عنه أنه يقول بالتأسخ وينكر البعث. وتقل عن أساقفة أنثرا والمصيصة والرها أنهم يقولون: إن جسد المسيح فنطابساً. فأحضر قيسر جعهم بالقسطنطينية ليناظرهم بطرك بها، فقال بطرك: إن كان جسد المسيح في ق قوله و فعله كذلك. وقال الأسقف أقفسح: إنما قام المسيح من بين الأموات ليحقق البعث والقيمة، فكيف تنكر ذلك أنت؟ وجع لهم مائة وعشرين أسقفاً فاشدوا بهم وأوجبوا لعنتهم ولعنة من يقول بقولهم. واستقرت فرق النصارى على هذه الثلاثة.

## الطبقة الأولى من الفرس وذكر ملوكهم وما صار إليه في الخلقة أحواهم

الفرس كلهم متافقون على أن كيورث هو آدم الذي هو أول الخلقة، وكان له ابن اسمه منشا ولنشا سيماك ولسيامك أفروال وعمره أربعة بنين وأربع بنات، ومن أفروال كان نسل كيورث، والباقيون انقضوا فلا يعرف لهم عقب. قالوا وولد

عظيماً وأعظم منه والأب أفضل عظماً. وقال: إن الأب غير محدود في القراءة وفي الجهر. فابتلاوا هذه المقالة ولعنوها وأشاروا بكلفهما وزادوا في الأمانة التي قررها جماعة نيقية ما نصه: ونؤمن بروح القدس المتقى من الأب. ولعنوا من يزيد بعد ذلك على كلمة الأمانة أو يتقص منها.

ثم كان لهم بعد ذلك باربعين سنة الجمجم الثالث على نسطوريوس البطرك بالقسطنطينية لأنه كان يقول: إن مريم لم تلد إلهًا وإنما ولدت إنساناً، وإنما تحد به في المشينة لا في النات وليس هو إلهًا حقيقة بل بالملوحة والكرامة. ويقول جوهريين وأقتومن، وهذا الرأي الذي أظهره نسطوريوس كان رأي تادوس وديودرس الأسفين، وكان من مقالتهما أن المولود من مريم هو المسيح والمولود من الأب هو ابن الأزلي والابن الأزلي حل في المسيح الحديث فسمى المسيح ابن الله بالملوحة والكرامة.

وإنما الاتحاد بالمشينة والإبرادة، فثبتوا الله ولدين أحدهما بالجهر والثاني بالنعمه. وبلغت مقالة نسطوريوس إلى كرس بطرك إسكندرية، فكتب إلى بطرك رومة وهو أكليمس، وإلى يوحنا وهو بطرك أنطاكيه، وإلى يونالوس أسقف بيت المقدس، فكتبوا إلى نسطوريوس ليذنعواه عن ذلك بالحججة فلزم يرجع ولا ثفت إلى قوله.

فاجتمعوا في مدينة أفسيس في ماتين أسفافا للنظر في مقالته، فقرروا إبطالها ولعنوه وأشاروا بكلفه، ووجد عليهم يوحنا بطرك أنطاكيه حيث لم يتذروا حضوره فخالفتهم ووافق نسطوريوس، ثم أصلح بينهم باوداسوس من بعد مدة واتفقوا على نسطوريوس. وكتب أساقفة المشارقة أماناتهم ويعثروا بها إلى كرس قبلها ونفس نسطوريوس إلى صعيد مصر، فنزل أخيراً ومات بها لسبعين سنة من نزولها، وظهرت مقالته في نصارى الشرق وبفارس والعراق والجزيرة والموصل إلى الفرات.

وكان بعد ذلك بإحدى وعشرين سنة الجمجم الرابع بمدينة خلق دونية، اجتمع فيه ستمائة وأربعمائة وثلاثون أسقفاً من فتیان قيسر للنظر في مقالة ديسقورس بطرك الإسكندرية لأنه كان يقول: المسيح جوهر من جوهريين وأقتومن وطبيعة من طبيعتين ومشينة من مشيتين. وكانت الأساقفة والبطاركة لذلك العهد يقولون جوهريين وطبيعتين ومشيتين وأقتومن واحد، فخالفتهم ديسقورس في بعض الأساقفة وكتب خطه بذلك ولعن من يخالفه. فارد مرقيان قيسر قتلها، فأشارت البطارقة بإحضاره وجمع الأساقفة لمناظرته، فحضر مجلس مرقيان قيسر واتفض في خطابتهم ومناظرتهم.

أهل اليمن في نسبة: الصحاك بن علوان بن عبيدة بن عويج، وأنه  
بعث على مصر أخاه سنان بن علوان ملكاً وهو فرعون إبراهيم،  
قاله ابن الكلبي، وأما الفرس فينسبونه هكذا: بيوراسب بن رتيكان  
بن ويدوشتك بن فارس بن آفرواد، ومنهم من خالف في هذا.

ويزعمون أنه ملك الأقاليم كلها، وكان ساحراً كافراً وقتل  
باء، وكان أكثر إقامته ببابل وقال هشام: ملك الفسحاك وهو غرور  
خليل بعد جهشيد وأنه الناسع منهم، وكان مولده بدبناوند، وأن  
لفسحاك سار إلى الهند فخالقه أفريدون إلى بلاده فملكتها، ورجع  
لفسحاك فظفر به أفريدون وحبسه ببابل دبناوند، وأخذني يوم ظفر  
معاً.

وَعِنْ الْفَرَسِ أَنَّ الْمَلِكَ إِنَّمَا كَانَ لِلْبَيْتِ الَّذِي وَطَنَهُ أَوْشَهْنَكْ  
وَجِشِيدْ وَأَنَّ الْضِحَّاكَ هُوَ بَيْرَاسِبْ خَرَجْ عَلَيْهِمْ وَبَنِي بَابَلْ،  
وَرَجَعَ الْبَطْ جَنَدْهُ. وَغَلَبَ أَهْلَ الْأَرْضِ بِسَحْرِهِ، وَخَرَجْ عَلَيْهِ  
رَجُلٌ مِنْ عَامَةِ أَصْبَاهَانَ اسْمُهُ عَالِيٌّ، وَبِيَدِهِ عَصَمٌ عَلَقَ فِيهَا جَرَابِاً  
وَأَخْتَنَدَهَا رَايَةً، وَدَعَا النَّاسَ إِلَى حَرَبِهِ فَأَجَابُوا، وَغَلَبَهُ فَلَمْ يَدْعُ الْمَلِكَ  
وَأَشَارَ بِتَوْلِيَّةِ بَنِي جِشِيدْ لِأَنَّهُ مِنْ عَقْبِ أَوْشَهْنَكْ مَلَكُوهُمُ الْأَوَّلُ ابْنُ  
فَرِوَالْ، فَاسْتَخْرَجُوا أَفْرِيدُونَ مِنْ مَكَانِ اخْتِفَائِهِ فَمَلَكُوهُ وَاتَّبَعُ  
ضِحَّاكَ قَتْلَهُ، وَقَيْلَ أَسْرَهُ بِدَنْبَاوَنْدَ. وَيَقَالُ كَانَ عَلَى عَهْدِ نُوحٍ  
إِلَيْهِ بَعْثٌ. وَهَذَا يَقَالُ: إِنَّ أَفْرِيدُونَ هُوَ نُوحٌ.

والتحقيق عند نسبة الفرس على ما نقل هشام بن الكلبي  
ن أفريدون من ولد جحشيد بينهما سعة آباء . وملك مائتي سنة  
رد غصوب الفحاحاً ومظالمه . وكان له ثلاثة بنين الأكبر سرم  
الثاني طرح والثالث إيرج ، وإنه قسم الأرض بينهم ، فكانت  
بروم وناحية المغرب لسرم ، والترك والصين والعراق لإيرج وأثره  
الناتج والسرير ، ولما مات قتلته أخواه واقتسموا الأرض بينهم  
شمامنة سنة

ويزعمون أن أفريدون وأباءه العشرة يلقبون كلهم أشكىيان  
وقيل في قسمته الأرض بين ولده غير هذا، وأن يابل كانت لإيرج  
لأصغر وكان يسمى خبارث ويقال كان لإيرج ابنان: وندان  
واسطربة وبنت اسمها خورك، وقتل الابنان مع أبيهما بعد مهلك  
فريدون، وأن أفريدون ملك خمسة ستة وأنه هو الذي حما آثار  
بمود من النبط بالسوداد، وأنه أول من تسمى بكتي، فقيل كي  
فريدون ومعناه التزيه أي مخلص متصل بالروحانيات. وقيل معناه  
أبهاء لأنه ينشئ نور من يوم قتل الضحاك، وقيل معناه مدرك

وكان من شهر الملك ابن منصور بن إبراج من نسل

لأفروال أو شهنهك يشدد، فاللفظة الأولى حرفيها الأخير بين الكاف والكاف والجيم واللفظة الأخرى معناها بالغتهم التور، قاله السهيلي وقال الطبرى: أول حاكم بالعدل، وكان أفروال وارث ملك كيورمرث وملك الأقاليم السبعة. قال الطبرى عن ابن الكلبى: إنه أوشهنك بن عابر بن شالخ، قال: والفرس تدعى وتنزع عنده أقدم بعانتي سنة، قال: وإنما كان نوح بعد آدم بعانتي سنة فصيره بعد آدم. وأنكره الطبرى لأن شهرة أوشهنك تمنع من مثل هذا الغلط فيه، ويزعم بعض الفرس أن أوشهنك يشدد هو مهلايل وأن آباء أفروال هر قينن وأن سياملك هو أنوش وأن منشا هو شيث وأن كيورمرث هو آدم.

قال: وزعمت الفرس أن ملك أوشنهك كان أربعين سنة  
فلا يبعد أن يكون بعد آدم مئتي سنة. وقال بعض علماء الفرس:  
إن كيورمرث هو كومر بن يافث بن نوح، وأنه كان معمراً ونزل  
جبل دنباوند من جبال طبرستان وملكتها، ثم ملك فارس وعظم  
أمره وأمر بنيه حتى ملکوا بابل. وأن كيورمرث هو الذي بني المدن  
والمحصون والخذل الخيل وتسمى بآدم وحمل الناس على دعائه  
بذلك، وأن الفرس من عقب ولده ماداير، ولم يزل الملك في  
عقبيهم في الكبانية والكسرية إلى آخر أيامهم.

وتقول الفرس أن أوشهنك وهو مهاليل ملك الهند، قالوا  
وملك بعد أوشهنك طهمورث بن أنجوان بن أشكهد بن أسكهد  
بن أوشهنك. وقيل مكان أشكهد فيشاد، وكلها أسماء أجمجمية لا  
عهدة علينا في نقلها لعمتها وانقطاع الرواية في الأصول التي  
نقلت منها. قال ابن الكلبي: إن طهمورث أول ملوك بابل وأنه  
ملك الأقاليم كلها وكان عموداً في ملكه وفي أول سنة من ملكه  
ظهر بيوراسب ودعا إلى ملة الصابئة. وقال علماء الفرس: ملك  
بعد طهمورث جشيد ومنه الشجاع بلجامعة وهو جم بن نوجهان  
آخر طهمورث، وملك الأرض واستقام أمره، ثم بطر الجمعة  
واسطأ أحواله فخرج عليه قبل موته سنة بيوراسب وظفر به  
فنشره بمشار وأكله وشرط أمعاهه. وقيل إنه ادعى الريوبية فخرج  
عليه أولاً آخره استير فالختني. ثم خرج بيوراسب فانتزع الأمر  
من يده وملك سبعمائة سنة. وقال ابن الكلبي مثل ذلك قال  
الطبرى: بيوراسب هو الأردهاك والعرب تسميه الضحاك، وهو  
بصاد بين السنين والزای وحاج قریب من الماء وكاف قریبة من  
القاف، وهو الذي، عنه، أبو نواس. بقوله:

وكان منا الضحاك تبعده الـ جامل والجسن في عماريه لأن اليمن ندعه. قال: وتقول العجم: إن جشيد زوج أخته من بعض أهل بيته وملك على اليمن فولدت الضحاك. وتقول

## الطبقة الثانية من الفرس وهم الكينية وذكر ملوكهم وأيامهم إلى حين انقراضهم

هذه الطبقة الثانية من الفرس وملوكهم يعرفون بالكينية لأن اسم كل واحد مضيق إلى كي وقد تقدم معناه، والمضاف عند العجم متاخر عن المضاف إليه وأولهم فيما قالوا كيقيباذ من عقب منوشهر بينما أربعة آباء، وكان متزوجاً بامرأة من رؤوس الترك ولدت له خمسة من البنين: كي وانيا وكيكاوس وكي أرش وكي

نية وكي فاسمن، وهؤلاء هم الجبارية وأباء الجبارية.

قال الطبرى: وقيل إن الملك الكينية وأولادهم من نسله جرت بيته وبين الترك حروب، وكان مقيناً بهنر بلخ يمانع الترك من طروق بلاده وملك مائة سنة انتهى وملك بعده ابنه كيكاوس بن كينية وطالت حروبه مع أفراسيات ملك الترك، وهلك فيها ابنه سياوخش، ويقال كان على عهد داود، وأن عمراً ذا الأذعار من ملوك التباعية غزاه في بلاده فظفر به وجسه عنده باليمين، وسار وزيره رستم بن دستان بجند فارس إلى غزو ذي الأذعار فقتله وتخلص كيكاوس إلى ملكه.

وقال الطبرى: كان كيكاوس عظيم السلطان والحماية، ولد له ابنه سياوخش فدفعه إلى رستم الشديد ابن دستان، وكان أصهر بسجستان حتى إذا كملت تربيته وفصاله رده إلى أبيه، فرضيه وكفلت به امرأة أبيه فسخطه، وبعثه لحراب أفراسيات وأمره بالمناهضة، فراوده أفراسيات في الصلح، وامتنع أبوه كيكاوس فخشى منه على نفسه، ولحق بأفراسيات فزوجه ابنته أم كي خسرو، ثم خشي أفراسيات على نفسه وأشار على ابنته بقتله فقتلته، وترك ابنته أفراسيات حاملةً مخسرو وولدها هناك.

وأعمل كيكاوس الحيلة في إخراجها فلحق به ويقال إنه لما بلغه قتل ابنه، بعث عساكره مع قواده فوطروا بلاد الترك وألتحروا فيها وقتلوا بني أفراسيات فيمن قتلوا. قال الطبرى: وإنما غزا بلاد اليمن ولقيه ذو الأذعار في حمير وقططان، فظفر به وأسره وجسه في بتر وأطبق عليهما، وإن رستم سار من سجستان فحارب ذا الأذعار ثم اصطلاحاً على أن يسلم إليه كيكاوس فاخذه ورجع إلى بابل، وكفأه كيكاوس على ذلك بالعنق من عبودية الملك، وتنصب جلوسه سريراً من فضة بقوائم من ذهب وتوجه بالذهب، وأنطعه سجستان وأبابستان، وهلك مائة وخمسين من دولته، وملك بعده فيما قال الطبرى والمسمودي والبيهقي وجاءة من المؤرخين حافظه كي خسرو ابن ابنه سياوخش.

أفريدون، وكانت أمه من ولد إسحاق عليه السلام فكتلته حتى كبر، فملك وثار باليه ليرجع من عمه بعد حروب كانت له معهم، ثم استبد ونزل بابل وحمل الفرس على دين إبراهيم عليه السلام، وثار عليه أفراسيات ملك الترك فغلبه على بابل وملكها. ثم اتبعه إلى غياض طبرستان فجهز العساكر لحصاره وسار إلى العراق فملكه. ويقال أفراسيات هذا من عقب طروج بن أفريدون، ولحق بلاد الترك عندما قتل منوشهر جد طروج فشاً عندهم وظهر من بلادهم فلهذا نسب إليهم.

وقال الطبرى: لما هلك منوشهر بن منوشهر، غلب أفراسيات بن أشكى بن رستم بن ترك على خيارات، وهي بابل، وأنسد مملكة فارس وحيرها، فشار عليه زومر بن طهمارست. ويقال راسب بن طهمارست. وينسب إلى منوشهر في تسعة آباء، وأن منوشهر غصب على طهمارست وكتانوا بماريون أفراسيات فهم بقتله وشفع فيه أهل الدولة فنفاه إلى بلاد الترك، وتزوج منهم ثم عاد إلى أبيه وأعمل الحيلة في إخراج أمراته من بلاد الترك وكانت ابنة وأمان ملك الترك، فولدت له زومر ابنه. وقام بالملك بعد منوشهر وطرد أفراسيات عن مملكة فارس وقتل جده وأمان في حرروه مع الترك.

ولحق أفراسيات بتركستان وانحدر يوم ذلك الغلب بعيداً ومهرجاناً وكان ثالث أعيادهم. وكان غلبه على بلاد فارس لاشتى عشرة سنة من وفاة منوشهر جده، وكان زومر بن طهمارست هذا محموداً في سيرته وأصلاح ما أنسد أفراسيات بن خيارات من مملكة بابل، وهو الذي حفر نهر الزاب بالسوداء، وبنى على حافته المدينة العتيقة وسمها الزواهي، وعمل فيها البساتين وحمل إليها بزور الأشجار والرياحين. وكان معه في الملك كرشاسب من ولد طروج بن أفريدون وقيل من ولد منوشهر، ويقال إنما كان رديفاً له وكان عظيم الشأن في أهل فارس، ولم يملك وإنما كان الملك لزومر بن طهمارست، وهلك لثلاث سنين من دولته. وفي أيامه خرج بنو إسرائيل من التيه وفتح يوشع مدينة أريجاء ودار الملك من بعده للكينية حسبما يذكر وأولهم كيقيباذ ويقال: إن مدة الملك هذه الطبقة كانت ألفين وأربعمائة وسبعين سنة فيما قال البيهقي والأصبهاني، ولم يذكر من ملوكهم إلا هؤلاء التسعة الذين ذكرهم الطبرى والله وارث الأرض ومن عليها.

مختصر أن يفرق العرب الذين لا أخلاق ليوتهم ويستبيحهم بالقتل، ويعملهم بكفرهم بالرسل والتغاذهم الآلهة وفي كتاب الإسرائيلىين: والرحي بذلك كان إلى يرميا بن خليا وقد مر ذكره، وإنه أمر أن يستخرج معد بن عدنان من بينهم ويكتله إلى انقضاء أمر الله فيهما انتهى. قال: فوثب مختصر على من وجده ببلاده من العرب للميرية، فحبسهم ونادى بالغزو وجماعات منهم طائف مستسلمين فقلهم وأنزلهم بالأستان والخبرة.

وقال غير هشام: إن مختصر غزا العرب بالجزيرة وما بين  
آيله والأبلة، وملأها عليهم خيلاً ورجالاً، ولقيه بنو عدنان فهزهم  
إلى حضورنا واستلهمهم أجمعين. وإن الله أرحب إلى أرميا ويوحنا  
أن يستخرجا معد بن عدنان الذي من ولده محمد أختم به النبيين  
آخر الزمان، وهو ابن اثنين عشرة سنة، وردده يوحنا على البراق  
وجاء به إلى حران، وربى بين أنبياء بني إسرائيل.

ورجع مختنصر إلى بابل وأنزل النبي بالأنبار فقيل أيام  
العرب سميت بهم، وخالفتهم النبوة بعد ذلك. ولما هلك مختنصر  
خرج معد بن عدنان مع أئمّة بني إسرائيل إلى الحج فحجوا، وبقي  
هناك مع قومه وتزوج بعنة بنت الحارث بن مضاض الجرهمي،  
فولدت له نزار بن معد وأما كهراسف فكان يحارب الترك عامه  
أيامه، وهلك في حربهم لاثة وعشرين سنة من ملكه، وكان  
عمود السيرة وكانت الملوك شرقاً وغرباً يحملون إليه الأتاوة  
وعظمه، وقيل: إنه ول ابنه كيتساسب على الملك وانقطع  
للعبادة. ولما ملك ابنه كيتساسب شغل بقتال الترك عامه أيامه،  
ودفع حربهم ابنه أسفنديار فعظم عناده فيهم.

وظهر في أيام زرادشت الذي يزعم المجنوس نبوته، وكان فيما زعم أهل الكتاب من أهل فلسطين خادماً لبعض تلامذة أرميا النبي خالصه عنده، فخانه في بعض أموره فدعاه الله عليه فبرص وخلق بأذربيجان وشرع بها دين المجنosisة. وتوجه إلى كيستاسف فعرض عليه دينه فأعاجبه وحل الناس على الدخول فيه، وقتل من امتنع. وعند علماء الفرس أن زرادشت من نسل من شهر الملك، وأن نبياً من بني إسرائيل بعث إلى كيستاسف وهو يبلغ، فكان زرادشت وجاماسب العالم، وهو من نسل من شهر أيضاً يكتسب بالفارسية ما يقول ذلك النبي بالعبرانية، وكان جاماسب يعرف اللسان العربي ويترجم له زرادشت، وأن ذلك كان ثالثاً: سنة من دولة كهافسف.

وقال علماء الفرس: إن زرادشت جاء بكتاب أدعاه وحياً،  
كتب في اثني عشر ألف بعده نقشاً بالنسب، وأن كيستاسف وضع  
ذلك في هيكل باصطخر ووكل به المرايةة ومتن من تعليمه العامة.

وقال السهيلي: إنه ملك كي خسرو بعد ثلاثة آخرين ينه  
ويبن كيكاروس فأولهم بعده كي كينة، ثم من بعده ابنه أجو ابن كي  
كينة، ثم عممه سباوخش بن كيكاروس، ثم بعد الثلاثة كي خسرو  
بن سباوخش اه. وهو غريب فإنهم متقدون على أن سباوخش  
مات في حياة أبيه في حروب الترك قال الطبرى: وقد كان  
كيكاروس بن كي كينة بن كيقياذ ملك كي خسرو حين جاءه من  
بلاد الترك مع أمه وأسفاقدين بنت أفراسيات. قالوا ولما ملك  
بعث العساكر مع أجو إلى أصحابه لحرب أفراسيات ملك الترك  
للحطلب بشار أبيه سباوخش، فزحفوا إلى الترك وكانت بينهم  
حروب شديدة انهزمت فيها عساكر الفرس، فنهض كي خسرو  
بنفسه إلى بلخ وقدم عساكره وقاده فقصدوا بلاد الترك من سائر  
النواحي وهزموا عساكرهم وقتلوا قرادهم.

وكان قاتل سباوخش بن كي خسرو فيمن قتل منه، وبعد افراسيات ابنه وكان ساحراً إلى كيخسرو يستميله، فحمد إلى القرواد بمنه وقتاله، وقاتل فقتل، وزحف افراسيات فلقه كي خسرو وكانت بينهما حروب شديدة اخجلت عن هزيمة افراسيات والترك، واتبعه كي خسرو فظفر به في أذربيجان فذبحه وانصرف ظافراً.

وكان فيمن حضر معه لهذا الفتح ملك فارس وهو كي  
أوجن بن حينوش بن كيكاووس بن كينية بن كيقباذ، وهو عند  
الطبرى أبو كيهراسف الذى ملك بعد كيحسرو على ما نذكر  
وملك على الترك بعد أفراسيات جوراسف ابن أخيه شرافش. ثم  
أن كي خسرو ترهب وتزهد في الملك واستخلف مكانه كيهراسف  
بن كي أوجن الذى قدمته أنه أبوه عند الطبرى ولد كيحسرو  
فقيلغا، غاب في البرية، وقام، مات، وذلك لستين سنة من ملکه.

ولما ملك كيهراسف اشتدت شوكة الترك فسكن لقتالهم  
مدينة بلغ على نهر سنجون، وأقام في حروبيهم عامه أيامه.

وكان أصبهن ما بين الأهواز والروم من غربى دجلة في أيامه بمختarsi المشهور بختنصر، وأضاف إليه كهراسف ملكاً عندما سار إليه وأنذن له في فتح ما عليه، وسار إلى الشام معه ملوك الفرس وبختنصر ملك الموصل وله سنماريف ففتح بيت المقدس، وكان له الظهور على اليهود واستأصلهم كما مر في أخبارهم، وبختنصر هذا الذي غزا العرب وقاتلهم واستباهم، ويقال إن ذلك كان في أيام كي بهمن حافظ كستانس بن كهراسف.

قال هشام بن عبد الرحمن: أوحى الله إلى أرميا النبي عليه السلام، وكان حاقد زريافيل الذي رجعبني إسرائيل إلى بيت المقدس، بأمر

قال المسعودي: ويسمى ذلك الكتاب نسنه وهو كتاب الزمرة، ويدور على سين حرفًا من حروف المعجم. وفسره زرادشت بهم وسمى تفسيره زند، ثم فسر التفسير ثانيةً وسماه زنديه، وهذه اللقطة هي التي عربتها العرب زنديق. وأقسام هذا الكتاب عندم ثلاثة: قسم في أخبار الأمم الماضية، وقسم في حدثان المستقبل، وقسم في نراميهم وشرائعهم مثل أن المشرق قبلة وأن الصلوات في الطلوع والزوال والغروب وأنها ذات سجادات ودعوات. وجدد لهم زرادشت بيت النيران التي كان من شهر أخدما، ورتب لهم عيدين: النيزو في الاعتدال الربيعي والمهرجان في الاعتدال الخريفي، وأمثال ذلك من نواميسهم. ولما انقرض ملك الفرس الأول أحرق الإسكندر هذه الكتب، ولما جاء أردشير جمع الفرس على قراءة سورة منها تسمى أسبا. قال المسعودي: وأخذ كيستاسف بدين الجوسية من زرادشت لخمس وثلاثين سنة من بيته فيما زعموا، ونصب كيستاسف مكانه جاماسب العالم من أهل آذربيجان، وهو أول موبنان كان في الفرس انتهى.

قال هشام بن محمد: فبعثه إلى رستم ملك سجستان الذي كان يستفره كيقاد جدهم من ملوك اليمن، وأقطعه تلك المالك جزاءً لفعله. فسار إليه أسفنديار وقاتلته رستم وهلك كيستاسف لاثة وعشرين سنة. ويقال أنه الذي رد بني إسرائيل إلى بلادهم وأن أمه كانت من بني طالوت. ويقال أن ذلك هو حافظ بهمن. وقيل أن الذي ردهم هو كورش من ملوك بابل أيام بهمن بأمره ثم ملك بعد كيستاسف حافظه كي بهمن ويقال أردشير بهمن.

قال الطبرى: ويعرف بالطربيل الباع لاستيلاته على المالك والأقاليم. قال هشام بن محمد: لما ملك سار إلى سجستان طالباً بشار أبيه فكانت بينهما حروب فقتل فيها رستم بن دستان وأبوه وإنحصاره وأباها. ثم غزا الروم وفرض عليهم الآتاوة وكان من أعظم ملوك الفرس، وبيني مدنًا بالسوداد، وكانت أمه من نسل طالوت لأربعة آباء من لدنه وكانت له أم ولد من سبي بني إسرائيل اسمها راسف وهي اخت زريافيل الذي ملكه على اليهود ببيت المقدس وجعل له رئاسة الجالوت وملك الشام، وملك ثمانين سنة، فملكت حمای ملوكها الفرس بحملها ولحسن أدتها وكمال معرفتها وفروسيتها، وكانت بلغت شهر أزاد. وقيل إنها ملوكها لأنها لما حللت من أبيها بدار الأكبر سالتها أن يعقد له الناج في بطنها ففعل ذلك. وكان ابنه ساسان مرشحاً للملك فغضبت، ولحق ببابل إصطخر زادها يتول ماشيته بنفسه، فلما مات أبوه فقدوا ذكرًا من أولاده فولوا حمای هذه وكانت مظفرة على الأعداء. ولما بلغ ابنها دارا الأشد، سلمت إليه الملك وسارت إلى فارس واختطف مدينة دار الجردد، وردد الغزو إلى بلاد الروم، وأعطيت الظرف فكثر سبيهم عندها، وملكت ثلاثين سنة. ولما ملك ابنها دارا نزل ببابل وضبط ملوكه وغزوا الملوك وأدوا الخراج إليه، ويقال إنه الذي رتب دواب البرد.

وكان معجبًا بابنه دارا حتى سماه باسمه وولاه عهده وملك لاثني عشرة سنة وملك بعده ابنه دارا بهمن، وكان له

قال الطبرى: وكان كيستاسف مهادناً أرجاماسب ملك الترك وقد اشترط عليه أن تكون دابة كيستاسف موقعة على بابه ينزلة دواب الرؤساء عند أبواب الملك، فمنعه من ذلك زرادشت وأشار عليه بفتنة الترك، فبعث إلى الدابة والموكل بها وصرفهم إليها. وببلغ الخبر إلى ملك الترك فبعث إليه بالعتاب والتهديد وأن يبعث بزرادشت إليه وإلا فيعزره. وأغلظ كيستاسف في الجواب وأذنه بالحرب، وسار بعضها إلى بعض واقتتلوا وقتل رزين بن كيستاسف وإنهم الترك وأثخن فيهن الفرس، وقتل ساحر الترك قيدوشق ورجع كيستاسف إلى بلخ. ثم سعى عنده بابنه أسفنديار فحبسه وقيمه وسار إلى جبل بناحية كرمان وسجستان فانقطع به للعبادة دراسة الدين.

وخلف ابنه كهراسف في بلخ شيئاً قد أبطله الكبر وترك خزانته وأمواله فيها مع أمرائه، فهزأهم بها خدراسف وقدم أخاه جورا في جموع الترك وكان مرشحاً للملك فأثخن واستباح واستولى على بلخ، وقتل كهراسف أباهم وغمروا الأموال وهدموا بيت النيران وسموا حمای بنت كستاسف وأختها، وكان فيما غنموه العلم الأكبر الذي كانوا يسمونه زركش كاویان وهي راية الحداد الذي خرج على الضحاك وقتلها. وولى أفريدون فسموا بذلك الراية ورصوها بالجلوامر ووضعوها في ذخائرهم بيسطوها في الحروب العظام، وكان لها ذكر في دولتهم وغمروا المسلمين يوم القادسية.

ثم مضى خدراسف ملك الترك في جموعه إلى كيستاسف

عهد الإسكندر ملك اليونانيين وهو خال الإسكندر الأعظم، وهلك لعهده، فولى أبو الإسكندر الأعظم بيلد مقدونية وهو ملك فيليب.

وذلك أرتشخار أوغشن لست وعشرين من دولته وولي من بعده ابنه سخشار أربع سنين، وفي أيامه ولـي على مقدونية واليونانيين وسائر الروم الغريقيين الإسكندر بن فيليب. ثم ولـي بعده شخاردارا وعلى عهده تغلب الإسكندر على يهود بيت المقدس وعلى جميع الروم الغريقيين، ثم حدثت الفتنة بينه وبين دارا وتزاحفوا مرات انهزم في كلها، وكان للإسكندر الظهور عليه، ومضى إلى الشام ومصر فملكمـا وبني الإسكندرية، وانصرف فلقـيه دارا أنطوس فهزمه وغلـب على مالـك الفرس واستولـى على مدـيـتهم وخرج في اتباع دارا فوجـده في بعض طـريقـه جـريحاـ، وـلم يـلبـثـ أنـ هـلـكـ منـ تلكـ الجـراـحةـ، فـأـظـهـرـ الإـسـكـنـدـرـ الحـزـنـ عـلـيـهـ وأـمـرـ بـدـفـنـهـ فـيـ مقـابـلـ المـلـوـكـ، وـذـلـكـ لـأـلـفـ سـنـةـ وـخـمـوـ منـ ثـمـانـينـ سـنـةـ مـنـذـ اـبـتـادـ دـوـلـتـهـ كـمـاـ قـلـاهـ اـنـتـهـيـ كـلـامـ هـرـوـشـيوـشـ وـقـالـ السـهـيـليـ: وـجـدـهـ مـشـخـاـ فـيـ المـرـكـةـ فـوـرـضـ رـأـسـهـ عـلـيـهـ فـخـذـهـ وـقـالـ: يـاـ سـيـدـ النـاسـ لـمـ أـرـدـ قـتـلـكـ وـلـاـ رـضـيـتـهـ فـهـلـ مـنـ حـاجـةـ؟ فـقـالـ: تـزـوـجـ بـأـبـنـيـ إـسـرـائـيلـ إـلـىـ الشـامـ، وـعـلـىـ عـهـدـ عـثـيـثـاـ بـنـ قـنـازـ بـنـ يـوـفـنـاـ، وـهـوـ أـبـنـ أـخـيـ كـالـبـ بـنـ يـوـفـنـاـ الـذـيـ دـبـرـ أـمـرـ بـنـيـ إـسـرـائـيلـ بـعـدـ يـوـشعـ. قـالـ: وـفـيـ ذـلـكـ الزـمـانـ خـرـجـ أـبـوـ الفـرسـ مـنـ أـرـضـ الرـوـمـ الـغـرـيـقـيـنـ فـنـزـلـ بـأـهـلـ بـيـتـهـ فـيـ نـاحـيـةـ وـتـغـلـبـ عـلـىـ أـهـلـ ذـلـكـ المـوـضـعـ فـسـبـتـ إـلـيـهـ تـلـكـ الـأـمـةـ، وـاشـقـ اـسـهـمـاـ مـنـ اـسـمـ، وـمـاـ زـالـ أـمـرـهـ يـنـمـرـ إـلـىـ دـوـلـةـ كـيـرـشـ الـذـيـ يـقـتـالـ فـيـ إـنـهـ كـسـرـىـ الـأـوـلـ، فـتـغـلـبـ عـلـىـ القـضـاعـيـنـ، ثـمـ زـحـفـ إـلـىـ مـدـيـنـةـ بـاـبـلـ وـعـرـضـ لـهـ دـوـنـهـ الـنـهـرـ الثـانـيـ بـعـدـ الـفـرـاتـ وـهـوـ نـهـرـ دـجـلـةـ، فـاحـتـفـرـ لـهـ الـجـداـولـ وـقـسـمـهـ فـيـهـ، ثـمـ زـحـفـ إـلـىـ الـمـدـيـنـةـ وـتـغـلـبـ عـلـيـهـ وـهـدـمـهـ.

قال ابن العميد: في ترتيب هؤلاء الملوك الفرس من بعد كيرش إلى دارا آخرهم يقال: إنه ملك من بعد كورش ابنه قمبسيوس ثمانين وقيل تسعين وقيل اثنين وعشرين سنة، وقيل أنه غزا مصر واستولى عليها وتسمى بمنتصر الثاني، وملك بعده أريوش بن كستاسف خمساً وعشرين سنة وهو أول الملوك الأربع الذين عناهم دانيال بقوله ثلاثة ملوك يقـمون بفارس والرابع يـكـثـرـ مـالـهـ وـعـظـمـ عـلـىـ مـنـ قـبـلـهـ. فـأـلـهـمـ دـارـاـ بـنـ كـسـتـاسـ وـهـرـ مـذـكـورـ فـيـ الـجـسـطـيـ، وـالـثـانـيـ دـارـاـ بـنـ الـأـمـةـ، وـالـثـالـثـ الـذـيـ قـتـلـ الإـسـكـنـدـرـ، وـقـيـلـ بـلـ هوـ الـرـابـعـ الـذـيـ عـنـهـ دـانـيـالـ لـأـنـ جـعـلـ أـلـوـلـ الـأـرـبـعـ الـذـيـ دـارـيـوشـ وـأـخـشـورـشـ الـعـادـيـ وـسـرـكـورـشـ وـرـدـيفـهـ فـيـ الـمـلـكـ، ثـمـ عـدـ الـثـلـاثـةـ بـعـدـهـ. وـفـيـ الـثـانـيـ مـنـ مـلـكـهـ دـارـيـوشـ بـنـ كـسـتـاسـفـ لـبـابـلـ تـمـ سـبـعينـ سـنـةـ خـرـابـ الـقـدـسـ، وـفـيـ الـثـالـثـةـ كـمـلـ بـنـاءـ الـبـيـتـ، ثـمـ مـلـكـ بـعـدـ دـارـيـوشـ بـنـ كـسـتـاسـفـ هـذـاـ أـسـمـرـدـيـوـسـ الـجـوـسـيـ سـنـةـ وـاحـدـةـ وـقـيـلـ ثـلـاثـ عـشـرـ سـنـةـ وـسـمـيـ بـجـوـسـيـاـ لـظـهـورـ زـرـادـشـ بـدـيـنـ الـجـوـسـيـ فـيـ اـيـامـهـ.

ثم مـلـكـ بـنـ أـخـشـورـشـ بـنـ دـارـيـوشـ عـشـرـينـ سـنـةـ وـكـانـ وزـيرـ هـامـانـ الـعـلـيـقـيـ، وـقـدـ مـرـ قـصـتـهـ مـعـ الـجـارـيـةـ مـنـ بـنـيـ إـسـرـائـيلـ. ثـمـ مـلـكـ مـنـ بـعـدـ اـبـنـ أـرـطـحـاشـاشـ بـنـ أـخـشـورـشـ وـيـلـقـبـ بـطـوـيلـ

مرـبـ اـسـمـ بـيـلـيـ قـتـلـهـ أـبـرـهـ دـارـاـ بـسـعـاـيـةـ وـزـيـرـهـ أـرـشـيشـ حـمـودـ، وـنـدـمـ عـلـىـ قـتـلـهـ. فـلـمـ وـلـيـ دـارـاـ جـعـلـ عـلـىـ كـاتـبـهـ أـخـاـ بـيـلـيـ ثـمـ اـسـتـوزـرـهـ رـعـيـاـ لـمـ رـيـاهـ مـعـ أـخـيـهـ، فـاسـتـفـسـدـهـ عـلـىـ أـرـشـيشـ وـزـيـرـهـ وـوـزـيرـ أـيـهـ وـعـلـىـ سـاـئـرـ أـهـلـ الدـوـلـةـ اـسـتـوـحـشـوـهـ مـنـهـ. وـقـالـ هـشـامـ بـنـ مـحـمـدـ، وـمـلـكـ دـارـاـ بـنـ دـارـاـ أـرـبعـ عـشـرـ سـنـةـ فـأـسـاءـ السـيـرـةـ وـقـتـلـ الرـؤـسـاءـ وـأـهـلـكـ الرـعـيـةـ وـغـزـاهـ الإـسـكـنـدـرـ بـنـ فـيـلـيـسـ مـلـكـ بـنـ يـوـنـانـ. وـقـدـ كـانـواـ يـسـمـونـهـ... فـوـشـبـ عـلـيـهـ بـعـضـهـ وـقـتـلـهـ، وـلـقـ بـالـإـسـكـنـدـرـ وـقـرـبـ بـذـلـكـ إـلـيـهـ فـقـتـلـهـ الإـسـكـنـدـرـ وـقـالـ هـذـاـ جـزـءـ مـنـ اـجـراـ عـلـىـ سـلـطـانـهـ، وـتـزـوـجـ بـتـهـ رـوـشـنـكـ كـمـاـ نـذـكـرـهـ فـيـ أـخـبـارـ الإـسـكـنـدـرـ.

وقـالـ الطـبـريـ: قـالـ بـعـضـ أـهـلـ الـعـلـمـ بـأـخـبـارـ الـمـاـضـيـ كـانـ لـدـارـاـ مـنـ الـوـلـدـ يـوـمـ قـتـلـ أـرـبعـ بـنـينـ أـسـسـكـ وـبـنـوـدـارـ وـأـرـدـشـيرـ وـبـنـتـ اـسـمـهـ رـوـشـنـكـ وـهـيـ الـقـيـةـ تـزـوـجـهـ الإـسـكـنـدـرـ. قـالـ وـمـلـكـ أـرـبعـ عـشـرـ سـنـةـ، هـذـهـ هـيـ الـأـخـبـارـ الـمـشـهـورـةـ لـلـفـرـسـ الـأـوـلـ إـلـىـ مـلـكـهـ الـأـخـرـ دـارـاـ قـالـ هـرـوـشـيوـشـ مـؤـرـخـ الرـوـمـ فـيـ مـبـدـأـ دـوـلـةـ الـفـرـسـ هـؤـلـاءـ إـلـاـ كـانـتـ بـعـدـ دـخـولـ بـنـيـ إـسـرـائـيلـ إـلـىـ الشـامـ، وـعـلـىـ عـهـدـ عـثـيـثـاـ بـنـ قـنـازـ بـنـ يـوـفـنـاـ، وـهـوـ أـبـنـ أـخـيـ كـالـبـ بـنـ يـوـفـنـاـ الـذـيـ دـبـرـ أـمـرـ بـنـيـ إـسـرـائـيلـ بـعـدـ يـوـشعـ. قـالـ: وـفـيـ ذـلـكـ الزـمـانـ خـرـجـ أـبـوـ الـفـرـسـ مـنـ أـرـضـ الرـوـمـ الـغـرـيـقـيـنـ فـنـزـلـ بـأـهـلـ بـيـتـهـ فـيـ نـاحـيـةـ وـتـغـلـبـ عـلـىـ أـهـلـ ذـلـكـ المـوـضـعـ فـسـبـتـ إـلـيـهـ تـلـكـ الـأـمـةـ، وـاشـقـ اـسـهـمـاـ مـنـ اـسـمـ، وـمـاـ زـالـ أـمـرـهـ يـنـمـرـ إـلـىـ دـوـلـةـ كـيـرـشـ الـذـيـ يـقـتـالـ فـيـ إـنـهـ كـسـرـىـ الـأـوـلـ، فـتـغـلـبـ عـلـىـ القـضـاعـيـنـ، ثـمـ زـحـفـ إـلـىـ مـدـيـنـةـ بـاـبـلـ وـعـرـضـ لـهـ دـوـنـهـ الـنـهـرـ الثـانـيـ بـعـدـ الـفـرـاتـ وـهـوـ نـهـرـ دـجـلـةـ، فـاحـتـفـرـ لـهـ الـجـداـولـ وـقـسـمـهـ فـيـهـ، ثـمـ زـحـفـ إـلـىـ الـمـدـيـنـةـ وـتـغـلـبـ عـلـيـهـ وـهـدـمـهـ.

ثـمـ حـارـبـ السـرـيـانـيـنـ فـهـلـكـ فـيـ حـرـوـبـهـ بـبـلـادـ شـيـتـ. وـوـلـيـ اـبـنـ قـيـشـاشـ بـنـ كـيـرـشـ فـتـارـ مـنـهـ بـأـيـهـ، وـعـقـطـاهـمـ إـلـىـ أـرـضـ مـصـرـ فـهـدـمـ أـرـثـانـهـ وـتـقـضـ شـرـانـهـ، فـقـتـلـهـ السـحـرـةـ وـذـلـكـ لـأـلـفـ سـنـةـ مـنـ اـبـتـادـ دـوـلـتـهـ فـوـلـيـ أـمـرـ الـفـرـسـ دـارـاـ وـقـتـلـ السـحـرـةـ بـمـصـرـ وـرـدـ عـمـالـةـ السـرـيـانـيـنـ إـلـيـهـ، وـرـجـعـ بـنـيـ إـسـرـائـيلـ إـلـىـ الشـامـ فـيـ الـثـانـيـ مـنـ اـيـامـهـ، وـرـزـحـ فـيـ بـلـادـ الـرـوـمـ الـغـرـيـقـيـنـ طـالـبـاـ ثـارـ كـيـرـشـ، وـلـمـ يـزـلـ فـيـ حـرـوـبـهـ إـلـىـ أـنـ هـلـكـ لـثـلـاثـةـ وـعـشـرـينـ سـنـةـ ثـارـ عـلـيـهـ أـحـدـ قـوـادـهـ فـقـتـلـهـ، وـوـلـيـ بـعـدـ اـبـنـ أـرـشـيشـارـ أـرـبعـ سـنـةـ، وـوـلـيـ بـعـدـ اـبـنـ دـارـاـ أـنـبـطـوـسـ بـعـضـ عـشـرـ سـنـةـ ثـمـ وـلـيـ بـعـدـ اـبـنـ أـرـشـيشـارـ بـعـدـ أـنـ زـارـهـ كـيـرـشـ بـنـ نـوـطـوـ فـقـتـلـهـ أـرـشـيشـارـ وـاستـولـىـ عـلـىـ الـأـمـرـ وـسـالـمـ الـرـوـمـ الـغـرـيـقـيـنـ، ثـمـ اـنـقـضـواـ عـلـيـهـ وـاسـتـعـانـواـ بـأـهـلـ مـصـرـ، فـطـالـتـ الـحـربـ ثـمـ اـصـطـلـحـواـ وـوـقـعـتـ الـمـدـنـةـ، وـهـلـكـ أـرـشـيشـارـ وـذـلـكـ عـلـىـ

عليهم لآبائه وملوكهم يومند الإسكندر بن فيليب وكان عمره ست عشرة سنة، فطمع فيه دارا وطلب الضرورة فمنع وأجاب بالإغاظة ورثف إليه فقاتله وقتلته واستولى الإسكندر على ملك فارس وما وراءه انتهى كلام ابن العميد.

### الطبقة الثالثة من الفرس وهم الأشكانية ملوك الطوائف وذكر دولهم ومصادر أمورهم إلى نهايتها

هذه الطبقة من ملوك الفرس يعرفون بالأشكانية، وكافها أقرب إلى الغين، من ولد أشكان بن دارا الأكبر، وقد مر ذكره، وكانت من أعظم ملوك الطوائف عند افتراق أمر الفرس، وذلك أن الإسكندر لما قتل دارا الأصغر استشار معلميه أرسسطو في أمر الفرس، فأشار عليه أن يفرق رياستهم في أهل البيوت منهم ففترق كلمتهم ويخلص لك أمرهم، فول الإسكندر عظامه التواحي من الفرس والعرب والبط والجرامقة كلاً على عمله واستبدل كل بناحية واستقام له ملك فارس والمشرق. ولما مات الإسكندر قسم ملكه بين أربعة من أمرائه: فكان ملك مقدونية وأنطاكية وما إليها من ممالك الروم لفيليب من قواده، وكانت الإسكندرية ومصر والمغرب لفيلادافس ولقبه بطليموس، وكان الشام وبيت المقدس وما إلى ذلك للدمطوس، وكان السوداد إلى الجبال والأهواز وفارس ليلاً لشقيقه سيلقيس ولقبه أنطيخس وأقام السوداد في ملكته أربعاً وخمسين سنة.

قال الطبرى: وكان أشك بن دارا الأكبر خلفه أبوه بالري فتشا بها فلما كبر وهلك الإسكندر جمع العساكر وسار يريد أنطيخس، والتقتا بالموصل فانهزم أنطيخس وقتل، وغلب أشك على السوداد من الموصل إلى الري وأصبهان، وعظمته سائر ملوك الطوائف لشرفه ونبله وأهدوا إليه من غير أن يكون له عليهم إيتاء في عزل ولا تولية، بل إنما كانوا يعظمهونه ويبداون باسمه في المخاطبات وهو مع ذلك متعدون، مختلف حالاتهم بعضهم مع بعض في الحرب والمهادنة. وقال بعضهم: كان رجل من نسل الملك من فارس علّكَ على الجبال وأصبهان والسوداد لقواته الإسكندر ثم غالب بعد ذلك ولده على السوداد وجعه إلى الجبال وأصبهان وصار كالرئيس على سائر ملوك الطوائف، ولذلك قصر ذكر هؤلاء الملوك دون غيرهم من الطوائف، فمنهم من قال: أنه أشك بن دارا، كما قدمه وهو قول الفرس. وقيل هو أشك عقب أسفنديار بن كستاسب بينماهما ستة آباء. وقيل هو أشك بن أشكان

اليدين، وكانت أمه من اليهود بنت اخت مردخاي، وكانت حطبة عند أبيه، وعلى يدها تخلص اليهود من سعاية وزيره فيهم عنده، وكان العزيز في خدمته، ولعشرين من دولته أمر بهدم أسوار القدس ثم رغب إليه العزيز في تجديدها فبناها في اثنى عشرة سنة.

قال ابن العميد عن الجسطي: إن العزيز هذا ويسمى عزرا هو الرابع عشر من الكهنة من لدن هارون عليه السلام، وأنه كتب لنبي إسرائيل التوراة وكتب الآباء من حفظه بعد عوردهم من الجلاء الأول، لأن مختصر كان أحقرها، وقيل أن الذي كتب لهم ذلك هو بشوش بن أبو صادوق. ثم ملك من بعده أرطحاشاش الثاني خمس سنين وقيل إحدى وتلتين وقيل ست عشرة وقيل شهرين، ورجح ابن العميد الخمس لموافقتها سيادة التوارييخ، وكان لعهده أبقراط وسفراط في مدينة أشيش، ولعهده كتب التراميس الثاني عشر. ثم ملك بعده صغريتوس ثلاث سنين وقيل سنة واحدة وقيل سبعة أشهر، ولم يزل محققاً لمرض كان به إلى أن هلك.

ثم ملك من بعده دارا ابن الأمة ويلقب الناكيش، وقيل داريوس الباريروس، ملك سبع عشرة سنة وكان على عهده من حكماء يونان سفراط وفيشاغرس وأقلبيوس، وفي الخامسة من دولته انتقض أهل مصر على يونان واستبدوا بملكهم بعد مائة وأربعين سنة، كانوا فيها في ملكتهم، ثم ملك من بعده أرطحاشاش ابن أخي كورش داريوش إحدى عشرة سنة وقيل اثنين وعشرين سنة وقيل أربعين وقيل إحدى وعشرين، وكان لعهده ألياقيم الكورهن الذي داهن الكهنة ستة وأربعين سنة. ثم ملك من بعده أرطحاشاش وتسمى أخوش، ويقال أوغض، عشرين سنة وقيل خمساً وعشرين وقيل تسعًا وعشرين، وزحف إلى مصر فملكتها وهرب منها فرعون ساتانق إلى مقدونية وأسمه قصطرا.

وبني أرطحاشاش قصر الشمع وجعل فيه هيكلًا وهو الذي حاصره عمرو بن العاص وملكه. ثم ملك من بعده ابنه أرشيش بن أرطحاشاش، وقيل اسمه فارس، أربع سنين وقيل إحدى عشرة، وكان لعهده من حكماء يونان بقراط وأفلاطون وديمقراطس، ولعهده قتل بقراط على القول بالتناسخ وقيل لم يكن منهبه وإنما ألممه به بعض تلامذته ثم شهدوا عليه وقتل مسموماً قتله القضاة بمدينة أثينا. ثم ملك من بعده ابنه دارا بن أرشيش عشرين سنة وقيل ست عشرة. وقال ابن العميد عن أبي الراحب: إنه دارا الرابع الذي أشار إليه دانيال كما مر، وكان هذا الملك عظيماً فيهم وتغلب على يونان، وألزمهم الوظائف التي كانت

## الطبقة الرابعة من الفرس وهم الساسانية والخمر عن ملوكهم الأكاسرة إلى حين الفتح الإسلامي

هذه الدولة كانت من أعظم الدول في الخليقة وأشدتها قوة وهي إحدى الدولتين اللتين صبّحهما الإسلام في العالم وهو دولة فارس والروم. وكان مبدأ أمرها من توثب أردشير بن بابك شاه ملك مرو، وهو سasan الأصغر ابن بابك بن سامان بن بابك بن هرمز بن سasan الأكاسرة ابن كي بهمن. وقد تقدم لنا ذكر كي بهمن وأن ابنه سasan غضب لاتوجه للملك أخوه دارا وهو في بطنه أمه، ولحق ببابل إصطخر فأقام هناك وتناضل ولده بها إلى أن كان سasan الأصغر منها، فكان قياماً على بيت النار لإصطخر، وكان شجاعاً، وكانت امرأته من بيت الملك فولدت له ابنه بابك، وولد لبابك أردشير وضبطه الدارقطني: بالراء المهملة.

وكان على إصطخر يومئذ ملك من ملوك الطوائف وله عامل على دارابجرد خصي اسمه سري، فلما أتت لأردشير سبع سنين جاء به جده سasan إلى ملك إصطخر وسأله أن يضممه إلى عامل دارابجرد الخصي يكتفه إلى أن تم تربيته، ولما هلك عامل دارابجرد فأقام بأمره فيها أردشير هذا وملكتها، وكان له علم من التنجيمين بأن الملك سيصير إليه، فوثب على كثیر من ملوك الطوائف بارض فارس فاستولى عليهم، وكتب إلى أبيه بذلك، ثم وتب على عامل إصطخر فقتلبه على ما بيده وملك إصطخر وكثيراً من أعمال فارس.

وكان زعيم الطوائف يومئذ أردوان ملك الأشكانيين فكتب إليه يسأله أن يتوجه فعنده، وكتب إليه بالشخصون فامتنع، وخرج بالعساكر من إصطخر وقدم موبذان روزرين فتوجه ثم فتح كرمان وبها ملك من ملوك الطوائف، وولى عليها ابنه، وكتب إلى أردوان يهدده وأمر ملك الأهاواز من الطوائف أن يسير إليه فرجع مغلوبياً. ثم سار أردشير إلى أصبهان فقتل ملكتها واستولى عليها، ثم إلى الأهاواز فقتل ملكتها كذلك، ثم زحف إلى أردوان عميد الطوائف فهزمه أردشير وقتله وملك موبذان والجبل وأذربیجان وأرمینية والموصل ثم السواد. وبنى مدينة على شاطئ دجلة شرقى المدائن.

ثم رجع إلى إصطخر ففتح سجستان ثم جرجان ثم مرو ويلخ وخوارزم إلى تخوم خراسان، ويعث بكثير من الرقوس إلى بيت اليران، ثم رجع إلى فارس ونزل صول وأطاعه ملك كوشان

الأكبر من ولد كينية بن كيقيباذ، ويقال: إنه كان أعظم الأشكانية وفهر ملوك الطوائف واستولى على إصطخر لاتصالها بأصبهان وخططاها إلى ما يناخها من بلاد فارس فغلب عليه واتصل ملكه عشرين سنة. وملك بعده جورا بن أشك وغزا بني إسرائيل بسب قتلهم يحيى بن زكريا.

وقال المسعودي: ملك أشك بن دارا بن أشكان الأول منهم عشر سنين، ثم سابور ابنه سنتين سنة وغزا بني إسرائيل بالشام ونهب أموالهم، والإحدى وأربعين من ملكه ظهر عيسى صلوات الله عليه بأرض فلسطين. ثم ملك عمه جور عشر سنين، ثم نيزو بن سابور إحدى وعشرين سنة وفي أيامه غلب طبطش قيصر على بيت المقدس وخربها وأجلى منها اليهود كما مر. ثم جور بن نيزو تسع عشرة سنة. ثم جرسى آخره أربعين سنة، ثم هرمز آخرهما أربعين سنة، ثم ابنه أردوان بن هرمس خمس عشرة سنة، ثم ابنه كسرى بن أردوان أربعين سنة. ثم ابنه يلاوش بن كسرى أربعين وعشرين سنة.

وفي أيامه غزت الروم السواد مع قيصر بطلوبن بشار أنطليخش ملك أنطاكية من اليونان الذي قتله أشك جد يلاوش هذا، فجمع يلاوش العساكر واستغرق ملوك الطوائف بفارس والعراق فوجهوا له باللدد واجتمع له أربعون ألف من المقاتلة، وولي عليهم صاحب الحصر وكان من ملوك الطوائف على السواد، فزحف إلى قيصر فقتله واستباح عسكر الروم وقتل وفتح أنطاكية وانتهى إلى الخليج. وولي من بعد يلاوش ابنه أردوان بن يلاوش ثلاثة عشرة سنة. ثم خرج عليه أردشير بن بابك بن سasan وجع ملك فارس من أيدي ملوك الطوائف وجدد الدولة الساسانية كما ذكر في أخبارهم.

قال الطبرى: وفي أيام الطوائف كانت ولادة عيسى صلوات الله عليه لخمس وستين من غلب الإسكندر على بابل والإحدى وخمسين من ملوك الأشكانية، والنصارى يزعمون أن ذلك كان لضي ثلثمائة وثلاثة وستين من غلب الإسكندر على بابل. قال الطبرى: وجميع سبي الطوائف من لدن الإسكندر إلى ظهور أردشير بن بابك واستوانه على الأمر ماتسان وستون سنة، وبعضهم يقول خمسة وثلاثة وعشرون سنة. وقال بعضهم: ملك في هذه المدة منهم سبعون ملكاً على تسعين طائفة كلهم يعظ ملوك المدائن منهم وهم الأشكانيون.

الملوك أرياتوس فاقتحمها عليه وأسره وحمله إلى جنديسابور فحبسه  
بها إلى أن فاداه على أموال عظيمة ويقال: على بناء شاذروان تستر  
ويقال جدع أنهه وأطلقه ويقال بل قتلته، وكان يحبال تكريست بين  
دجلة والفرات مدينة يقال لها الحضر وبها ملك من الجرامقة يقال  
له الساطرون من ملوك الطوائف وهو الذي يقول فيه الشاعر:

وارى الموت قد تدلل من المضر على رب اهلته الساطرون  
ولقد كان آمنا للدواهي ذا ثسراه وجهر مكتسون  
وقال المسعودي: وهو الساطرون بن إسطرون من ملوك  
السريانيين. قال الطبرى: وتسميه العرب الضيizen. وقال هشام بن  
محمد الكلبى: من قضاة وهو الضيizen بن معاوية بن العميد بن  
الأجذم بن عمرو بن النخع بن سليم، وستذكر نسب سليم في  
قضايا. وكان بأرض الجزيرة وكان معه من قبائل قضاعة ما لا  
يمحصى وكان ملكه قد بلغ الشام، فخلف سابور في غزاته إلى  
خراسان وعاث في أرض السواد، فشخص إليه سابور عند انتقامه  
غزاته حتى، أباخ على، حصنه وحاصره أربعين سنتين قال الأعشى :

ثم إن ابنة ساطرطون واسمها النضيرة وخرجت إلى ريفن  
المدينة وكانت من أجمل النساء، وسابور كان جيلاً، فأثيرت عليه  
فتشغلت به وشفق بها، ودخلته في أمر الحصن ودلته على عورته  
فدخله عنوة وقتل الضيرون وأباد قضاة الذين كانوا معه وأكثراهم  
بنو حلوان فانقضوا، وخراب حصن الحضر. وقال عدي بن زيد  
في رثائه:

أآخر الحضر إذ بناء وإذ دجلة  
شاده مرمرةً وجلد كلساً  
لم يبهه ريح المثون فبا د الملك عنه فباء مهجور  
ثم أعرض بالتضيرة بعين النمر وباتت ليها تتضور في  
فراشها وكان من الحرير محشواً بالقز والقصي فإذا ورقة آس بينها  
وبين الفراش وتؤديها، فقال: ويحك! ما كان أبوك يعذنيك؟ قالت:  
والزيد والمح والشهد وصفو الخمر، فقال: وأليك لأننا أحدهم عهداً  
وابعد وداً من أليك الذي غذاك بمثل هذا. وأمر رجلاً ركب فرساً  
وجوهاً وعصب غدائرها بذنبه ولم يزل يركض حتى تقطعت  
أصالها.

و عند ابن إسحاق: أن الذي فتح حصن الخضر و خربه  
وقتل الساطرون هو سابرور ذو الأكتاف. وقال السهيلي: لا يصح  
لأن الساطرون من ملوك الطوائف والذى أزال ملتهم هو أردشير  
وابنه سابرور، وسابرور ذو الأكتاف بعدهم بكثير وهو التاسع من

ومكران ثم ملك البحرين بعد أن حاصرها مدة، والقى ملكها بنفسه في البحر. ثم رجع فنزل المدائن وتوجه ابنه سابور ولم يزل ظفراً وقف الملوك حوله وأتخن في الأرض، ومدن المدن واستكثر العمارة وهلك لأربع عشرة سنة من ملكه بأصطخر بعد مقتل أردوان.

وقال هشام بن الكلبي: قام أردشير في أهل فارس يريد الملك الذي كان لأبائه قبل الطوائف وأن يجمعه ملك واحد، وكان أردونا ملكاً على الأردوانيين وهم أبناء السواد، وكان باباً ملكاً على الأرمانيين وهم أبناء الشام، وبينهما حرب وفتنة فاجتمعوا على قتال أردشير فحاربه مناورة. ثم بعث أردشير إلى بابا في الصلح على أن يدعه في الملك ويخلص بابا بيته وبين أردونا، فلم يلبث أن قتل أردونا واستول على السواد فأعطاه بابا الطاعة بالشام ودانت له سائر الملوك وقهرهم. ثم رجع إلى أمر العرب وكانت بيوتهم على ريف العراق يتزلون الحيرة، وكانوا ثلاث فرق: الأولى تnox ومنهم قضاة الذين كنا قدمنا أنهم كانوا اقتلوا مع ملك من التابعة وأثنى بهم وكانتو يسكنون بيوت الشعر والبر ويعضعونها غربي الفرات بين الأنبار والحيرة وما فوقها فانفروا من الإقامة في مملكة أردشير وخرجوا إلى البرية، والثانية العباد الذين كانوا يسكنون الحيرة وأوطنهما، والثالثة الأحلاف الذين نزلا بهم من غير نسبهم ولم يكونوا من تnox الناكرين عن طاعة الفرس ولا من العباد الذين دانوا بهم. فملك هؤلاء الأحلاف الحيرة والأنبار وكان منهم عمرو بن عدي وقومه، فعمروا الحيرة والأنبار ونزلوا وخربوها وكانتا من بناء العرب أيام مختصر، ثم عمرها بنو عمرو بن عدي لما أصاروها نزلاً لملكتهم إلى أن صبحهم الإسلام، وانتظر العرب الإسلامية مدينة الكوفة فدبرت الحيرة وكان أردشير لما أسرف في قتل الأشكانية حتى أفادهم لوصية جده، ووجد بقصر أردونا جارية استعملتها ودفعت عن نفسها القتل بإنكار نفسها فيه، فقالت أنا مولاً وبكر، فرأقها وحلت وظنت الأمان على نفسها، فأخبرته بنسابها فتذكر ودفعها إلى بعض موازيه ليقتلها، فاستقاما ذلك المربزيان إلى أن شكا إليه أردشير قلة الولد والخروف على مملكه من الانقطاع وندم على ما سلف منه من قتل الجارية وإتلاف الحمل، فأخبره محباتها وأنها ولدت ولداً ذكراً وأنه سماه سابور وأنه قد كملت خصاله وأدابه، فاستحضره أردشير واحتبره فرضيه وعقد له التاج ثم هلك أردشير فملك سابور من بعده فأفاض الطعام في أهل الدولة وتغیر العمال، ثم شخص إلى خراسان فمهد أمرها، ثم رجع فشخص إلى نصيبين فملكتها عنزة فقتل وسبي، وافتتح من الشام مدنًا وحاصر أنطاكية وبها من

وتلقب شاه، وكان مملكاً على سجستان وهلك لأربع سنين من دولته. وملك بعده أخوه قرسين بن بهرام تسع سنين أخرى، وكان عادلاً حسن السيرة. وملك بعده ابنه هرمز بن قرسين فوجل منه الناس لفظاظته، ثم أبدل من خلقه الشر بالخير وسار فيهم بالعدل والرفق والعمارة وهلك لسبعين سنين من ولاته. وكان هؤلاء كلهم يتزلون جنديسابر من خراسان. وما هلك ولم يترك ولداً شق ذلك على أهل علكته ليتهم إليه ووجدوا بعض نسائه حلاً نتوجه وانتظروا إقامته، وقيل بل كان هرمز أبوه أوصى بالملك لذلك الحمل فقام أهل الدولة بتدبير الملك يتظلون عام الولد.

وشرع في أطراف المملكة أنهم يتلومون صياماً في المهد فطبع فيهم الترك والروم، وكانت بلاد العرب أدنى إلى بلادهم وهم أحوج إلى تناول الحبوب من البلاد حاجتهم إليها مما هم فيه من الشطف وسوء العيش، فسار منهم جمع من ناحية البحرين وببلاد القيس وواحذة فانخرعوا على بلاد فارس من ناحيتهم وغلبوا أهلها على الماشية والحرث والماعيش، وأكثروا الفساد ومكثوا في ذلك حيناً ولم يغزهم أحد من فارس ولا دافعهم لصفر الملك، حتى إذا كبر وعرضوا عليه الأمر فأحسن فيها الفصل وبلغ ست عشرة سنة من عمره، ثم أطاق حل السلاح نهض حينئذ للاستبداد بملكه.

وكان أول شيء ابتدأ به شأن العرب، فجهز إليهم العساكر وعهد إليهم أن لا يقروا على أحد من لقوا منهم، ثم شخص بنفسه إليهم وغزاهم وهم غازون ببلاد فارس فقتلهم أ炳ح القتل، وهردوا أمامه وأجاز البحر في طلبهم إلى الخط وتعدى إلى بلاد البحرين قتلاً وتخربياً. ثم غزا بعدها رؤوس العرب من تميم وبكر وعبد القيس فانخرن فيهم وأباد عبد القيس ولحق فلهم بالرمال ثم أتى الإمامة فقتل وأسر وخرب ثم عطف إلى بلاد بكر وتغلب، ما بين مملكة فارس ومناظر الروم بالشام، فقتل من وجده هناك من العرب وطم مياهم وأسكن من رجع إليه من بيتي تغلب دارين من البحرين والخط ومن بيتي غيم هجروا من بكر بن وائل كرمان ويدعون بكر وإياد ومن بيتي حنظلة الأهواز، وبني مدينة الأنبار والكرخ والسوس.

وفيمما قاله غيره إن إياداً كانت تشتت بالجزيرة وتصيف بالعراق وتشن الغارة. وكانت تسمى طماً لأنطبقها على البلاد، وسابور يرمي صغير حتى إذا بلغ القيام على ملكه شرع في غزوهم ورئيسهم يرمي الحرث بن الأغر الأيسادي، وكتب إليهم بالنذر بذلك رجل من إياد كان بين ظهريني الفرس، فلم يقبلوا حتى واقتتهم العساكر فاستلهمهم وخرجوا إلى أرض الجزيرة

ملوك أردشير. قال السهيلي: وأول من ملك الحيرة من ملوك الساسانية سابور بن أردشير، والحيرة وسط بلاد السواد وحاضرة العرب، ولم يكن لأحد قبله من آل ساسان حتى استقام العرب على طاعته، وولى عليهم عمرو بن عدي جد آل النذر بعده وأنزله الحيرة، فجيئ خراجمهم وإتاوتهم واستبعدهم لسلطانه وقبض أيديهم عن الفساد باقطار ملكه وما كانوا يرمونه بسواد العراق من نواحي ملكته. وولى بعده ابنه أمرأ القيس بن عمرو عدي وصار ذلك ملكاً لآل النذر بالحيرة توارثه حسبما ذكر بعد.

وهلk سابور لثلاثين سنة من ملکه وولي بعده ابنه هرمز ويعرف بالبطل فملك ستة واحده، وولي بعده ابنه بهرام بن هرمز وكان عامله على مذبح من ربعة ومضر وسائر بادية العراق والجزيرة والجزاج أمرأ القيس بن عمرو بن عدي وهو أول من تنصر من ملوك الحيرة وطال أمد ملکه.

قال هشام بن الكلبي: ملك مائة وأربع عشرة سنة من لدن أيام سابور اهـ.

وكان بهرام بن هرمز حليماً وقوراً وأحسن السيرة واقتدى بآبائه، وكان ماتي الشوي الزنديق صاحب القبول بالنور والظلمة قد ظهر في أيام جده سابور فاتبعه قليلاً ثم رجع إلى الجروسية دين أبيه، ولما ولي بهرام بن هرمز جمع الناس لامتحانه، فأشاردوها بكفره وقتلها وقالوا زنديق. قال المسعودي: ومعناه أن من عدل عن ظاهر إلى تأويله ينسقه إلى تفسير كتاب زرادشت الذي قدمنا أن اسمه زندة فيقولون زنديم، فعزّته العرب فقالوا زنديق، ودخل فيه كل من خالف الظاهر إلى الباطن المكر، ثم اختص في عرف الشعوب من يظهر الإسلام ويبطن الكفر.

ثم هلك بهرام بن هرمز لثلاث سنين وثلاثة أشهر من دولته، وولي ابنه بهرام ثمانى عشرة سنة عكف أولاً على اللذات، وامتدت أيدي بطانته إلى الرعايا بالجلور والظلم فخرست الضياع والقرى حتى نبهه الميدان لذلك مثل ضربه له، وذلك أنه سامر في ليلة فمر راجعاً من الصيد فسمعاً بومين يتحدثان في خراب، فقال بهرام: ليت شعرى هل أحد فهم لغات الطير؟ فقال له الميدان: نعم إنما تعرف ذلك أنها المثل! وإنهما يتحاوران في عقد نكاح وإن الآثى اشتطرت عليه إقطاع عشرين ضياعة من الخراب فقبل الذكر وقال: إذا دامت أيام بهرام أقطعتك الغا. فتقطن بهرام لذلك وأفاق من غفاته وأشرف على أحوال ملکه مباشرةً بنفسه وقادياً أيدي البطانة عن الرعية وحسنت أيامه إلى أن هلك.

ولي بعده بهرام بن بهرام ثلثة أسماء متشابهة

تشهد العادة بكلتها.

ثم هلك ساپور لاتنين وسبعين سنة من ملكه وهو الذي بنى مدينة نيسابور وسجستان وبني الإيزيان المشهور لقعد ملوكهم، وملك لعهده أمرق القيس بن عدي، وأوصى بالملك لأخيه أردشير بن هرمز، وفتك في أشراف فارس وعظمائهم فخلعوه لأربين سنة من دولته. وملکوا ساپور بن ذي الأكاف فاستبشر الناس برجوع ملك أبيه إليه، وأحسن السيرة ورفق بالرعية وحمل على ذلك العمال والوزراء والخاشية ولم يزل عادلاً، وخصوص له عمه أردشير المخلوع، وكانت له حروب مع إيساد وفي ذلك يقول شاعرهم:

على رغم ساپور بن ساپور أصبحت قباب إيساد حوالها الخيل والنعم  
وأقول إن هذا الشعر إنما قيل في ساپور ذي الأكاف. ثم هلك ساپور لخمس سبعين سنة من دولته، وملك آخره بهرام ويلقب كرمان شاه وكان حسن السياسة وهلك لإحدى عشرة سنة من دولته راه بعض الرماة بهم في القتال قتيلاً. وملك بعده ابنه يزدجرد الأثيم، وبغض نسبه الفرس يقول إنه أخوه وليس ابنه وإنما هو ابن ذي الأكاف. وقال هشام بن محمد: كان ظطاً غليضاً كبير المكر والخدع يفرغ في ذلك عقله وقرنه معرفته وكان معجباً برأسه سيء الخلق كثير الحدة يستعظم الزلة الصغيرة ويرد الشفاعة من أهل بطانته متهمًا للناس قليل المكافأة. وبالجملة فهو سيء الأحوال مذمومها، واستوزر لأول ولاته يرسى الحكيم ويسمى فهربرشي ومهرمسة، وكان متقدماً في الحكم والفضائل وأهل أهل المملكة أن تهرب من يزدجرد الأثيم، فلم يكن ذلك واشتد أمره على الأشراف بالإهانة وعلى من دونهم بالقتل. وبينما هو جالس في مجلسه يوماً إذا بفرس عابر لم يطع أحد إمساكه قد وقف بياباه، فقام إليه ليتول إمساكه بنفسه فرمي فمات لوقته لإحدى وعشرين سنة من ملكه وملك بعده ابنه بهرام بن يزدجرد ويلقب بهرام جور، وكان نشروه ببلاد الحيرة مع العرب أسلمه أبوه إليهم فربى بينهم وتكلم بلغتهم ولما مات أبوه قدم أهل فارس رجالاً من نسل أردشير، ثم زحف بهرام جور بالعرب فاستولى على ملكه كما ذكر في أشعار آل المندر.

وفي أيام بهرام جور سار خاقان ملك الترك إلى بلاد الصنف من عالكه فهزمه بهرام وقتلها، ثم غزا الهند وتزوج ابنة ملوكهم فهابته ملوك الأرض، وحمل إلى الروم الأموال على سبيل المهاينة، وهلك لسبعين من دولته وملك ابنه يزدجرد بن بهرام جور واستوزر مهربرسي الحكيم الذي كان أبوه استوزره، وجرى في ملكه بأحسن سيرة من العدل والإحسان، وهو الذي شرع في بناء

الموصل إجلاء ولم يعاودوا العراق. ولما كان الفتح طلبهم المسلمين بالجزية مع تغلب وغيرهم فأنفوا وحلقوا بأرض الروم.

وقال السهيلي عند ذكر ساپور بن هرمز: إنه كان يخلع أكتاف العرب ولذلك لقبه العرب ذو الأكتاف، وإنه أخذ عمرو بن نمير بارضهم بالبحرين وله يومند ثلاثة سنة وإنه قال إنما أتقلكم معاشر العرب لأنكم تزعمون أن لكم دولة. فقال له عمرو بن نمير: ليس هذا من الحزم أنها الملك! فإن يكن حقاً فليس قتلك إياهم بداعمه وقد تكون قد اخترت بدأً عندهم يتفع بها ولدك وأعقاب قومك. فيقال إنه استبقاء ورحم كبره ثم غزا ساپور بلاد الروم وتوغل فيها ونازل حصونهم.

وكان ملوك الروم على عصره قسطنطين وهو أول من تنصر من ملوكهم وهلك قسطنطين وملك بعده إليانوس من أهل بيته وأغار على دين الصرانية وقتل الأساقفة وهدم البيع وجع الروم والمخر لقتال ساپور. واجتمعت العرب معهم لتأثرهم عند ساپور من قتل منهم وسار قائد إليانوس واسمي يوسانوس في مائة وسبعين ألفاً من المقاتلة، حتى دخل أرض فارس، وبلغ خبره وكثرة جموعه إلى ساپور فأحجم عن اللقاء وأجفل وصبه العرب، فقضوا جموعه وهرب في فل من عسكره، واحتوى إليانوس على خزاناته وأمواله واستولى على مدينة طبسون من مداين ملوكه. ثم استقر أهل التواحي واجتمعت إليه فارس وارتاح مدینة طبسون وأقاما متناظرين.

وهلك إليانوس بهم أصحابه، فبقي الروم فوضى وفزعوا إلى يوسانوس القائد أن يملكونه، فشرط عليهم الرجوع إلى دين الصرانية كما كان قسطنطين قبلها. وبعث إليه ساپور في القديوم عليه، فسار إليه في ثمانين من أشراف الروم، وتلقاه ساپور وعانته وبالغ في إكرامه وعقد معه الصلح على أن يعطي الروم قيمة ما أفسدوه من بلاده فارس وأعطوا بدلاً عن ذلك نصبين فرضي بها أهل فارس، وكانت مما أخذته الروم من أيديهم فملكتها ساپور وشرد عنها أهلها خوفاً من سلطنته، فقتل إليها من أهل إصطخر وأصحابه وغیرهم.

وانصرف يوسانوس بالروم وهلك عن قريب ورجع ساپور إلى بلاده وفيما نقله بعض الإخباريين أن ساپور دخل بلاد الروم متذكرًا وعشر عليه فأخذ وحبس في جلد ثور وزحف ملك الروم بعساكره إلى جنديساپور فحاصرها، وإن ساپور هرب من حبسه ودخل جنديساپور المدينة ثم خرج إلى الروم فهزمه وأسر ملوكهم قيصر، وأخذه بعمارة ما خرب من بلاده ونقل التراب والغرورس إليها ثم قطع أنهه ويعث به على حمار إلى قرمه، وهي قصة وافية

إليه دون قباد واستبد عليه. فلما كبر وبلغ سن الاستبداد بأمره أُنف من استبداد سرحد عليه، فبعث إلى أصبهذ البلاد وهو سابور مهران فقدم عليه وبغض على سرحد وجسه ثم قتله ولعشرين من دولته حبس وخلع ثم عاد إلى الملك وصورة الخبر عن ذلك أن مزدك الزنديق كان إياحيَا، وكان يقول باستباحة أموال الناس وأنها فيء، وأنه ليس لأحد ملك شيء ولا حجرة، والأشياء كلها ملك الله مثاعن بين الناس لا يختص به أحد دون أحد وهو لمن اختاره، فغثر الناس منه على متابعة مزدك في هذا الاعتقاد واجتمع أهل الدولة فخلعوه وجسوه، وملکوا جاماسات آخاه.

وخرج رزمه شاكياً داعيَا لقباذ وقرب إلى الناس بقتل المزدكية، وأعاد قباد إلى ملکه، ثم سعت المزدكية عنده في رزمه بإنكار ما أتى قبلهم فقبله، واتهمه الناس برأي مزدك فانتقضت الأطراف وفسد الملك وخلعوه وجسوه وأعادوا جاماسات.

وفر قباد من مجسه ولحق قباد بالميطلة وهم الصند مستجيحاً لهم، ومر في طريقه بآبوا شهر فتروج بنت ملکها وولدت له أنوشروان، ثم أمده ملك الميطلة، فزحف إلى المدائن لست سين من مغييه وغلب أخاه جاماسات واستولى على الملك. ثم غزا بلاد الروم وفتح آمد وسيى أهلها وطالت مدته وابتلى المدن العظيمة منها مدينة أراجان بين الأمواز وفارس، ثم هلك ثلاث واربعين سنة من ملکه في الكوة الأولى وملك ابنه أنوشروان بن قباد بن فیروز بن يزدجرد، وكان يلي الأصبهذ وهي الرياسة على الجنود.

ولما ملك فرق أصبهذ البلاد على أربعة: فجعل أصبهذ المشرق بخراسان والمغرب بأذربيجان وببلاد الخزر واسترد البلاد التي تغلب عليها جيران الأطراف من الملوك مثل السندي وبيش الرخج وزابلستان وطخارستان ودهستان، وأتَخن في أمّة البازار وأجلس بيتهم، ثم أدهنوا واستعانا بهم في حروبهم. وأتَخن في أمّة صول واستحلّهم، وكذلك الجرامقة وبلنجر واللان وكأنوا يجهازون أرمينية ويتمازوون على غزوها فبعث إليهم العساكر واستحلّهم وأنزل بيتهم أذربيجان.

واحکم بناء الحصون التي كان بناها قباد وفيروز بناية صول واللان لتحصين البلاد، وأكمل بناء الأبواب والسور الذي بناه جده بمجل الفتح، بنوه على الأزماق المنفوخة تغوص في الماء كلما ارتفع البناء إلى أن استقرت بقعر البحر وشققت بالختانجر فتمكن الحاطط من الأرض ثم وصل السور في البر ما بين جبل الفتح والبحر، وفتحت فيه الأبواب ثم وصلوه في شعب الجبل

الحاطط بناية الباب والأبواب، وجعل جبل الفتح سداً بين بلاده وما وراءها من أمم الأعاجم، وهلك لعشرين سنة من دولته وملك من بعده ابنه هرمز وكان ملكاً على سجستان فقلب على الدولة ولحق أخيه فيروز بملك الصند بمزدك.

وهذه الأسم هم المعروفون قدماً بالميطلة و كانوا بين خوارزم وفرغانة، فامر فيروز بالعساكر وقاتل أخيه هرمز فقلبه وجسه. وكانت الروم قد امتنعت عن حل الخراج فحمل اليهم العساكر مع وزيره مهربرسي، فاثغرن في بلادهم حتى حلوا ما كانوا يحملونه واستقام أمره وأظهر العدل. وأصحابهم القحط في دولته سبع سين فاحسن تدبير الناس فيها وكف عن الجباية وقسم الأموال، ولم يهلك في تلك السين أحد إللافاً. وقيل إنه استبقى لرعايته من ذلك القحط فسقوا وعادت البلاد إلى أحسن ما كانت عليه.

وكان لأول ما ملك أحسن إلى الميطلة جزاء بما أعنوه على أمره، فقوى ملوكهم أمره وزحفوا إلى أطراف ملکه وملکوا طخارستان وكثيراً من بلاد خراسان وزحف هو إلى قاتالم فهزمه وقتلوه وأربعة بنين له وأربعة إخوة واستولوا على خراسان بأسرها. وسار إليهم رجل من عظاماء الفرس من أهل شيراز فغلبهم على خراسان وأخرجهم منها حتى القروا بجميع ما أخذوه من عسكر فيروز من الأسرى والسبي، وكان مهلكه لسبعين وعشرين من دولته. وبني المدن بالاري وجرجان وأذربيجان.

وقال بعضهم: إن ملك الميطلة الذي سار إلى فيروز اسمه خشتوا، والرجل الذي استرجع خراسان من يده هو خرسوس من نسل من شهر، وأن فيروز استخلفه لما سار إلى خشتوا والميطلة على مدينتي الملك وما طبسون ونهرشیر، فكان من أمره مع الميطلة بعد فيروز ما تقدم وملک بعد فيروز بن يزدجرد ابنه يلاوش بن فيروز وتازعه أخيه قباد الملك فغلبه يلاوش ولحق قباد بخاقان ملك الترك يستتجده. وأحسن يلاوش الولاية والعدل وحل أهل المدن على عمارة ما خرب من مدنهم، وبني مدينة ساباط بقرب المدائن.

وذلك لأربع سين من دولته. وملك من بعده أخيه قباد بن فيروز وكان قد سار بعساكر الترك أمه بها خاقان، فبلغه الخبر بهلك أخيه وهو بنسابور من طريقه، وقد لقي بها ابنًا كان له هنالك حللت به أمه منه عند مروره ذلك إلى خاقان، فلما أحل بنسابور ومعه العساكر سأله عن المرأة، فأحضرت ومعها المخبر وجاء الخبر هنالك بهلك أخيه يلاوش فتيمن بالملوود وسار إلى سرحد الذي كان أبوه فيروز استخلفه على المدائن، ومال الناس

والقصة معروفة.

ويقى فيه إلى أن كمل.

وكان فيما قاله سطحي إنه يملك من آن كسرى أربعة عشرة ملكاً فاستطال كسرى المدة وملكتوا كلهم في عشرين سنة أو نحوها. وبعث عامل اليمن وهو ز بهدبة وأموال وطرف من اليمن إلى كسرى، فأغار عليها بنو يربوع من تميم وأخذوها، وجاء أصحاب العير إلى هودة بن علي ملك اليamente من بي حنيفة، فسار معهم إلى كسرى فاكتمه وترجح بعقد من لولو ومن ثم قيل له ذر الناج، وكتب إلى عامله بالبحرين في شأنهم، وكان كثيراً ما يوقع بيني تميم ويقطعهم حتى سموه الكفر فتحيل عليهم بالير، ونادي مناديه في أحياهم: إن الأمير يقسم فيكم بمحض الشعر ميرة، فتسابلوا إليه ودخلوا الحصن، فقتل الرجال وخصي الصبيان. وجاءت هدية أخرى من اليمن على أرض الحجاز أجازها رجل من بي كنانة فعدت عليه قيس وقتلوا وأخذوا المدينة، فنشأت الفتنة بين كنانة وقيس لأجل ذلك وكانت بينهم حرب الغمار عشرين سنة وشهدتها رسول الله ﷺ صغيراً كان ينزل على أعمامه. ثم هلك أنوشروان لشمان وأربعين من دولته وملك ابنه هرمز.

قال هشام: وكان عادلاً حتى لقد أتصف من نفسه خصيّاً كان له، وكانت له خلوة في الترك وكان مع ذلك يقتل الأشراف والعلماء، وزحف إليه ملك الترك شابة في ثلثة عشرة ألف مقاتل، فصار هرمز إلى هراة وبإذن حربهم، وخالقه ملك الروم إلى ضواحي العراق، وملك الخزر إلى الباب والأبواب، وجوع العرب إلى شاطئ الفرات. فعاشوا في البلاد ونهبوا واقتتلوا الأعداء من كل جانب، وبعث قائدته بهرام صاحب الري إلى لقاء الترك، وأقام هرميكانه من خراسان بيت هراة وبإذن، وقاتل بهرام الترك وقتل ملوكهم شابة بسهم أصابه واستباح معسركه وأقام بمكانه.

فزحف إليه برمومة بن شابة بالترك فهزمه بهرام وحاصره في بعض المحسون حتى استسلم وبعث به إلى هرمز أسيراً، وبعث معه بالأموال والجواهر والآلات والسلاح وسائر الأعتمدة يقال في ماتين وخمسين ألفاً من الأحصال، فرقع ذلك من هرمز أحسن الواقع. وغضّ أهل الدولة بهرام وفعله فاكثروا فيه السعاية وبلغ الخبر إلى بهرام فخشى عليه نفسه فذهله بيته من المرازية وخلعوا هرمز، ودعوا لابنه أبوريز وداخلهم ذلك في أهل الدولة، فلحق أبوريز بأذريجان خائفًا على نفسه، واجتمع إليه المرازية والأصبهانيون فملوكه.

فوثب بالمداňن الأشراف والعلماء وتفدوهه ويسقطهم خال

قال المسعودي: إنه كان باقياً لعصره. والظن أن التتر خربوه بعد لما استولوا على مالك الإسلام في المائة السابعة، ومكانه اليوم في مملكة بني ذو شيخان ملوك الشمال منهم. وكان لكسرى أنوشروان في بناته خبر مع ملوك الخزر ثم استفحلاً ملك الترك وزحف خاقان سيمور وقتل ملك المياطلة واستول على بلادهم واطاعه أهل بلنجر وزحف إلى بلاد صول في عشرة آلاف مقاتل، وبعث إلى أنوشروان يطلب منه ما أعطاهم أهل بلنجر في النساء، وضبط أنوشروان أرمينية بالعساكر، وانتهت صول بملكها أنوشروان والناحية الأخرى بسور الأبواب، فرجع خاقان خابياً وأخذ أنوشروان في إصلاح السابلة والأحدب بالعدل وتقدّم أهل المملكة وتغيير الولاة والعمال مقتنياً بسيرة أردشير بن بابك جده.

ثم سار إلى بلاد الروم وافتتح حلب وقبرص وحمص وأنطاكية ومدينة هرقل ثم الإسكندرية، وضرب الجزية على ملوك القبط، وحمل إليه ملك الروم الفدية، وملك الصين والتبت الهدايا. ثم غزا بلاد الخزر وأدرك فيهم بثاره وما فعلوه ببلاده.

ثم وفد عليه ابن ذي يزن من نسل الملوك التابعة يستجيشه على الحبشة بفتح معه قائدًا من قواده في جند من الدليم فقتلوا مسروقاً ملك الحبشة باليمن وملوكها، وملك عليهم سيف بن ذي يزن. وأمره أن يبعث عساكره إلى الهند بفتح قائدًا من قواده فقتل ملوكها واستول علىها وحمل إلى كسرى أمولاً جمة. وملك على العرب في مدينة الحيرة. ثم سار نحو المياطلة مطالبًا بثار جده فিروز فقتل ملوكهم واستحصل أهل بيته.

وتجاوز بلخ وما وراءها، وأنزل عساكره فرغانة وأثخن في بلاد الروم وضرب عليهم الجزية. وكان مكرماً للعلماء محباً للعلم وفي أيامه ترجم كتاب كليلة وترجمه من لسان اليهود وحله بضربي الأمثال ويحتاج إلى فهم دقيق. وعلى عهده ولد رسول الله ﷺ لإثنين وأربعين سنة من ملكه وذلك عام الفيل. وكذلك ولد أبوه عبد الله بن عبد المطلب لأربع وعشرين سنة من ملكه.

قال الطبرى: وفي أيامه رأى الميدان الإبل الصعب تقدّد الخيل العرب وقد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها فاذفعه ذلك، وغضّ الرؤيا على من يعبرها، فقال: حادث يكون من العرب. فكتب كسرى إلى النعمان أن يبعث إليه من يسأله عما يريده فبعث إليه بعد المسيح بن عمرو بن حسان بن نفيلة الغساني وغضّ عليه الرؤيا فدلله على سطحي، وقال له إنّه أنت فشار إليه وغضّ عليه الرؤيا فأخبره بتاريelaها وأن ملك العرب سيظهر

ملكاً اسمه قوفاً قيسير، ولحق ابنه أبوريز فبعث العساكر على ثلاثة من القواد وسار أحدهم ودخلوا الشام إلى فلسطين، ووصلوا إلى بيت المقدس فأخذوا أساقتها ومن كان بها من الأئمة وطالبوهم مجتبة الصليب فاستخرجوها من الدفن وبعثوا بها إلى كسرى.

وسار منهم قائداً آخر إلى مصر وإسكندرية وبلاط النوبة فملدوا ذلك كل، وقصد الثالث قسطنطينية وخيم على الخليج وعادت في عالم الروم ولم يجب أحد إلى طاعة ابن موريق وقتل الروم قوفاً الذي كانوا ملوكه لما ظهر من فجوره، وملدوا عليهم هرقل فانفتح أمره بنزول بلاد كسرى وبلغ نصبيين، فبعث كسرى قائداً من أساورته فبلغ الموصى وأقام عليها يمنع الروم المجاورة، وجاز هرقل من مكان آخر إلى جند فارس، فامر كسرى قائداً بقتاله فانهزم وقتل وظفر هرقل بمصر كسرى وبالمدائن، ووصل هرقل قريباً منها ثم رجع. وأولع كسرى العقوبة بالجند المنهزمين وكتب إلى سخراش بالقدوم من خراسان ويعنه بالعساكر، وبعث هرقل عساكره والتقيا بأذرعات وبصري فغلبتهم عساكر فارس، وسار سخراش في أرض الروم يخرب ويقتل وسي حتي بلغ القسطنطينية، ورجع وزعله أبوريز عن خراسان وولى أخاه.

وفي مناوية هذا التغلب بين فارس والروم نزلت الآيات من أول سورة الروم.

قال الطبرى: وأدنى الأرض التي أشارت إليها الآية هي أذرعات وبصري التي كانت بها هذه الحرب. ثم غلت الروم سبع سنين من ذلك العهد وأخرب المسلمون بذلك الوعد الكريم لما أهتمهم من غالب فارس الروم، لأن قريشاً كانوا يتشيرون لفارس لأنهم غير ذاتين بكتاب، والمسلمون يسودون غالب الروم لأنهم أهل كتاب، وفي كتب التفسير بسط ما وقع في ذلك بهم وأبوريز هذا هو الذي قتل النعمان بن المنذر ملك العرب وعامله على الحيرة سخطه بسعاية عدي بن زيد العبادي وزير النعمان، وكان قد قتل أباه ويعنه إلى كسرى ليكون عنده ترجأنا للعرب كما كان أبوه قد فعل بسعاته في النعمان وحمله على أن يخطب إليه ابنته، وبعث إليه رسوله بذلك عدي بن زيد فترجم له عنه في ذلك مقالة قبيحة أحفظت كسرى أبوريز مع ما كان تقدم له في منعة الفرس يوم بهرام كما تقدم.

فاستدعاه أبوريز وجسده بساط، ثم أمر به فطرح للفيلة، وولى على العرب بعده أياس بن قيصمة الطائني جزاء بوفاء ابن عمه حسان يوم بهرام كما تقدم. ثم كان على عهده وقعة ذي قار لبكير بن وائل ومن معهم من عبس وقيمه على الباهوت مسلحة

أبوريز فخلعوا هرمز وجسده وتحرزوا من قتله وأقبل أبوريز من معه إلى المدائن فاستولى على الملك، ثم نظر في أمر بهرام وتحرز منه سار إليه وتوافقاً بشط النهروان، ودعاه أبوريز إلى الدخول في أمره ويشترط ما أحب، فلم يقبل ذلك وناجذه الحرب فهزمه. ثم عاود الحرب مراراً وأحسن أبوريز بالقتل من أصحابه فرجع إلى المدائن منهزماً، وعرض على النعمان أن يركبه فرسه فنجا عليها. وكان أبوه محبوباً بطبيعته فأخبره الخبر وشاوره فشار عليه بقصد مريم ملك الروم يستجيشه، فمضى لذلك ونزل المدائن لاثنتي عشرة سنة من ملوكه.

وفي بعض طرق هذا الخبر أن أبوريز لما استوحش من أبيه هرمز لحق بأذربيجان واجتمع عليه مع من اجتمع ولم يحدث شيئاً. وبعث هرمز مخاربة بهرام قائداً من مرازيته فانهزم وقتل ورجع فلهم إلى المدائن ويهراهم في اتباعهم، واخضرط هرمز وكتب إليه أخت المزرييان المهزوم من بهرام تستحثه للملك فسار إلى المدائن وملك، وأنه أبوه فتراضع له أبوريز وتبرأ له من فعل الناس وأنه إنما حلله على ذلك الخوف، وسأله أن يتقم له من فعل به ذلك وأن يؤنسه ثلاثة من أهل النسب والحكمة يخادعهم في كل يوم فاجابه، واستأنده في قتل بهرام جوين فشار به. وأقبل بهرام حيثما ويعث خاليه ندوته ويسطام يستدعاه للطاعة فرد أسوأ رد وقاتل أبوريز واشتدت الحرب بينهما، ولما رأى أبوريز فشل أصحابه شاور أباه ولحق بملك الروم، وقال له حالاً عند فضولهم من المدائن: تخشى أن يدخل بهرام المدائن ويملك أباك ويعث فيها إلى ملك الروم. وانطلقوا إلى المدائن فقتلوا هرمز ثم ساروا مع أبوريز وقطعوا القرارات، واتبعتهم عساكر بهرام وقد وصلوا إلى تهوم الروم وقاتلوهم وأسروا ندوته خال أبوريز ورجعوا عنهم. ولحق أبوريز ومن معه بأنظمة وعيه وعيت إلى قبص موريق يستجلده فأجابه وأكرمه وزوجه ابنته مريم، وعيت إليه أخاه بناطروس بستين ألف مقاتل وقادتهم، واشتطر عليه الآتاوية التي كان الروم يحملونها، فقبل وسار بالعساكر إلى أذربيجان وواجه هناك خاله ندوته هارباً من الأسر الذي كانوا أسروه.

ثم بعث العساكر من أذربيجان مع أصحابه الناحية، فانهزم بهرام جوين ولحق بالترك وسار أبوريز إلى المدائن ثداخها وفرق في الروم عشرين ألف دينار وأطلقهم إلى قيسير وأقام بهرام عند ملك الترك وصانع أبوريز عليه ملك الترك وزوجته حتى دست عليه من قتله، وأغتصب لذلك ملك الترك وطلقاها من أجله، وعيت إلى أخت بهرام أن يتزوجها فامتنعت، ثم أخذ أبوريز في مهادة قيسير والطاف، وخلعه الروم وقتلوا وملدوا عليهم

ستين لم يجدوا من بيت الملك سواه لأن أبوزيز كان قتل المرشحين كلهم من بنيه وبني أخيه، فملك عظاماء فارس هذا الطفل أردشير وكفله بهادرخشنش صاحب المائدة في الدولة، فأحسن سياسة ملكه وكان شهرiran بتخوم الروم في جند ضمهم إليه أبوزيز وهو حكمهم هناك وصاحب الشورى في دولتهم، ولما لم يشاوروه في ذلك غضب ويسط يده في القتل، وطبع في الملك وأطاعه من كان معه من العساكر. وأقبل إلى المدائن.

وتحصن بهادرخشنش بمدينة طبسون دار الملك، ونقل إليها الأموال والذخائر وأبناء الملك، وحاصرها شهرiran فامتنعت، ثم دخل بعض العرسن فقتلوه الباب فاتحهمها وقتل العظاماء واستصفى الأموال وفضح النساء وبعث أردشير الطفل الملك من قته لستة ونصف من ملكه، وملك شهرiran على التخت ولم يكن من بيت الملك، وامتنع لقتل أردشير جماعة من عظاماء الدولة وفيهم زادان فروخ وشهرiran ووهب مودب الأسارة، وأجعوا على قتل شهرiran.

وداخلوا في ذلك بعض حرس الملك فتقاقدوا على قتله، وكانتوا يعملون قدام الملك في الأيام المشاهد سماتين، ومر بهم شهرiran بعض أيام بين السماتين وهو مسلحون فلما حاذهم طعنوه فقتلوه وقتلوه العظاماء بعد قتل أردشير الطفل ثم ملکوا بوران بنت أبوزيز ودفعت أمر الدولة إلى قبائل شهرiran من حرس الملك وهو فروخ بن ماحديشراز من أهل إصطخر، ورفعت رتبته، وأسقطت الخراج عن الناس، وأمرت برم القنطر والجسور وضرب الرق، ورددت خشبة الصليب على الجاثيليق ملك الروم، وهلاكت لستة واربعة أشهر.

وملکوا بعدها خشيشة من عمومة أبوزيز عشرین يوماً فملك أقل من شهر. ثم ملك أزرميدخت بنت أبوزيز وكانت من أجل نسائهم، وكان عظيم فارس يؤمن فروخ هرمز أصبهن خراسان فأرسل إليها في التزویج، فقالت هو حرام على الملكة ودعته ليلة كذا، فجاء وقد عهدت إلى صاحب حرسها أن يقتله ففعل، فأصبح بدار الملك قليلاً وأخفى أثره.

وكان لما سار إلى أزرميدخت استخلف على خراسان ابنه رستم، فلما سمع بخبر أخيه أقبل في جند عظيم حتى نزل المدائن وملکها، وسمل أزرميدخت وقتلها، وقيل سمها فماتت بذلك لستة أشهر من ملکها، وملکوا بعدها رجالاً من نسل أردشير بن بايك وقتل لأيام قلائل، وقيل بل هو من ولد أبوزيز اسمه فروخ زاد بن خسرو وجدوه محصن الحجارة قریب نصیین، فجاموا به إلى المدائن وملکوه ثم عصوا عليه فقتلوه.

كسرى بالجزيرة ومن معه من طيء، وكان سببها أن النعمان بن المنذر أودع سلاحه عند هاني بن مسعود الشيباني وكانت شكة ألف فارس، وطلبتها كسرى منه، فلبي إلا أن يردها إلى بيته، فاذنه كسرى بالحرب وأذنه بها. وبعث كسرى إلى أيام أن يزحف إليه بالمسالح التي كانت ببلاد العرب بأن يوافوا أيامه، واقتتلوا بذري قار وانهزمت الفرس ومن معهم. وفيها قال النبي ﷺ: «ال يوم اتصف العرب من العجم وبني نصروراً أوحى إليه بذلك أو نفث في روعه، قيل إن ذلك كان بمة وقيل بالمدينة بعد وقعة بدر باشهر.

وفي أيام أبوزيز كانت البعثة لعشرين من ملكه وقيل لاثنين وثلاثين حكاها الطبرى، وبعث إليه رسول الله ﷺ بكتابه يدعوه إلى الإسلام، كما تقدم في أخبار اليمين وكما يأتي في أخبار المجرة ولما طال ملك أبوزيز بطر وأشر وخسر الناس في أموالهم وولى عليهم الظلمة وضيق عليهم المعاش وبغض عليهم ملكه.

وقال هشام: جمع أبوزيز من المال ما لم يجمعه أحد، وبلغت عساكره القسطنطينية وإفريقية، وكان يشتهر بالمدائن ويفصف بهمدان، وكان له اثنا عشرة ألف امرأة، وألف قيل وخمسون ألف دابة. وبين بيوت اليران وأقام فيها اثني عشر ألف هرذ وأحصى جبایته لثمان عشرة سنة من ملكه فكان أربعينماة ألف الف مكورة مرتين وعشرون ألف مثلاها فحمل إلى بيت المال بمدينة طبسون، وكانت هنالك أموال أخرى من ضرب فروز بن يزدجرد منها اثنا عشر ألف بدرة في كل بدرة من الورق مصارفة أربعة آلاف مثقال تكون جلتها ثمانية وأربعين ألف الف مثقال مكورة مرتين في صنوف من الجواهر والطيبوب والأعتمة والأكسي لا يحصيها إلا الله تعالى.

ثم بلغ من عزوه واستخفافه بالناس أنه أمر بقتل المقيدين في سجونه وكانت ستة وثلاثين النساء، فتقى ذلك عليه أهل الدولة وأطلقوا ابنه شيرويه واسمها قباذ وكان عبوساً مع أولاده كلهم لإذنار بعض المنجيين له بأن بعض ولده يختاله فحبسهم، وأطلق أهل الدولة شيرويه وجعلا إليه المقيدين الذين أمر بقتلهم، ونهض إلى قصور الملك بمدينة نهشیر فملکها وجنس أبوزيز وبعث إلى ابنه شيرويه يعتقه، فلم يرض ذلك أهل الدولة وحملوه على قتله.

وقتل لثمان وثلاثين سنة من ملكه، وجاءاته أخته بوران وأزرميدخت فأسمعته وأغلظتنا له فيما فعل فبكى ورمى الناج عن رأسه، وهلك لثمانية أشهر من مقتل أبيه في طاعون هلك فيه نصف الناس أو ثلثهم، وكان مهلكه ليسع من المجرة فيما قال السهيلي ثم ولـي ملك الفرس من بعده ابن أردشير طفلاً ابن سبع

يافت باتفاق من المحققين، إلا ما ينقل عن الكتبي في نسب يونان إلى عابر بن فالغ وأنه خرج من اليمن بأهله وولده مغاضباً لأنخيه قحطان فنزل ما بين الأفرنجية والروم فاختلط نسبه بهم، وقد رد عليه أبو العباس الناشيء في ذلك يقول:

خلطت يونان بقططان خلطة لمعري لقد باعدت بينهما جدأ  
ولذلك يقال: إن الإسكندر من تيع، وليس شيء من ذلك  
ب صحيح، وإنما الصحيح نسبهم إلى يافث، ثم إن المحققين ينسبون الروم جميعاً إلى يونان الأغريقيون منهم واللطبيين. ويونان معدود في التوراة من ولد يافت لصلبه، واسمها يافان بفباء  
تقرب من الواو، فغيرته العرب إلى يونان وأما هروشبوش فجعل الغريقيين خس طوائف متسبين إلى خمسة من أبناء يونان وهم:  
كيتيم وحجلة وترشوش وددام وإيشايم، وجعل من شعوب إيشايم سجينة وأئاش وشمالاً وطشاال وجلدون. ونسب الروم اللطبيين فيهم ولم يعن نسبهم في أحد من الخمسة، ونسب الإفرنج إلى غطروا بن عمر بن يافث، وقال: إن الصقالبة إخوانهم في نسبة، وقال: إن الملك كان في هذه الطوائف لبني أشكان بن غورم والملوك منهم هؤلاء الغريقيون قبل يونان وغيرهم. ونسب القوط إلى ماداين بن يافت وجعل من إخوانهم الأرمن، ثم نسب القوط مرة أخرى إلى ماغوغ بن يافت وجعل اللطبيين من إخوانهم في ذلك النسب. ونسب القاتلين منهم إلى رفنا بن غرماء، ونسب إلى طوبال بن يافت الأندلسي والإيطاليين والأركاديين، ونسب إلى طبراش بن يافت أجناس الترك. واسم الغريقيين عنده يشمل أبناء يونان كلهم كما ذكره، وبنوع الروم إلى الشمال من غير الترك، وإن الشعوب الثلاثة من ولد يونان، فالإغريقون من ولد أغريقيش بن يونان والروم من ولد رومي بن يورمان واللطبيون من ولد لطين بن يونان، وإن الإسكندر من الروم منهم والله أعلم. ونخن الآن نذكر أخبار الدولتين الشهيرتين منهم مبلغ علمتنا والله الموفق للصواب سبحانه وتعالى.

### الخبر عن دولة يونان والإسكندر منهم وما كان لهم من الملك والسلطان إلى انقراض أمرهم

هؤلاء اليونانيون المشعوبون إلى الغريقيين واللطبيين كما

وقيل لما قتل كسرى بن مهرخشش طلب عظاماء فارس من بولونه الملك ولو من قبل النساء، فأتى برجل وجده بيسان اسمه فيروز بن مهرخشش ويسمى أيضاً خششدة أمه صهاريجخت بنت يرادقران بن أنوشران فملكوه كرهاً، ثم قتلوه بعد أيام قلائل. ثم شخص رجال من عظاماء المرادي وهو رئيس الخول إلى ناحية الغرب، فاستخرج من حصن الحجارة قرب نصيبين ابنًا لكسرى كان جاء إلى طبسون فملكوه، ثم خلوعه وقتلوه لستة أشهر من ملكه.

وقال بعضهم: كان أهل إصطخر قد ظفروا بيزدرجرد بن شهريار بن أبوريز فلما بلغتهم أن أهل المدائن عصرا على خسرو فروخ زاد أتوا بيزدرجرد من بيت النار الذي عندهم ويدعى أردشير، فملكوه بإصطخر وأقبلوا به إلى المدائن، وقتلوا فروخ زاد خسرو لستة من ملكه. واستقل بيزدرجرد بالملك وكان أعظم وزرائه رئيس الموالي الذي جاء بفرخزاد خسرو من حصن الحجارة. وضعف مملكة فارس، وتغلب الأعداء على الأطراف من كل جانب، فزحف إليهم العرب المسلمين بعد ستين من ملكه، وقيل بعد أربع، فكانت أخبار دولته كلها هي أخبار الفتح نذكرها هنا تلك إلى أن قتل بيزدرجرد بعد بنيف وعشرين سنة من ملكه.

هذه هي سيادة الخبر عن دولة هؤلاء الأكاسرة الساسانية عند الطبرى. ثم قال آخرها: فجميع سبي العالم من آدم إلى المجرة على ما يزعمه اليهود أربعة آلاف سنة وستمائة واثنان وأربعين سنة، وعلى ما يدعى النصارى في توراة اليونانيين ستة آلاف سنة غير ثمان سنين، وعلى ما يقوله الفرس إلى مقتل بيزدرجرد أربعة آلاف ومائة وثمانون سنة ومقتل بيزدرجرد عندهم ثلاثة من المجرة، وأما عند أهل الإسلام فيبين آدم ونوح عشرة قرون والقرن مائة سنة وبين نوح وإبراهيم كذلك وبين إبراهيم وموسى كذلك ونقله الطبرى عن ابن عباس وعن محمد بن عمرو بن واقد الإسلامي عن جماعة من أهل العلم وقال: إن الفترة بين عيسى وبين محمد صلوات الله عليه ستمائة سنة ورواها عن سلمان الفارسي وكعب الأ江北 والله أعلم بالحق في ذلك وبالبقاء لله الواحد القهار.

### الخبر عن دولة يونان والروم وأنسابهم ومصادرهم

كان هؤلاء الأسم من أعظم أسم العالم وأوسعهم ملكاً وسلطاناً، وكانت لهم الدولتان العظيمتان للإسكندر والقياصرة من بعده الذين صبحهم الإسلام وهم ملوك بالشام، ونسبهم جميعاً إلى

واليه تسب الأمة الياقية وهي الآن باقية على بحر سودان. واتصل الملك في عقب يلاقى أن ظهر إخوانهم الروم واستبدوا بالملك، وكان أولهم هرودس بن منطرون بن رومي بن يونان فملك الأمم الثلاثة وصار اسمه لقباً لكل من ملك بعده، وسمت به يهود الشام كل من قام بأمرها منهم.

ثم ملك بعده ابنة هرميس، وكانت له حروب مع الفرس إلى أن تهروه وضربوا عليه الآثار، فاضطراب حيثذا أمر اليونانيين وصاروا دولاً وملوكاً. وانفرد الإغريقيون برئاسة لهم، وصنع مثل ذلك للطبيتين، إلا أن اللقب يملك الملك كان لملك الروم، ثم ملك بعده ابنة مطريوش فحمل الآثارة لملك الفرس لاشتغاله بحرب الطبيتين والإغريقين. وملك بعده ابنة فيليوش وكانت أمها من ولد أفريدون الذي ملكه أبوه على اليونان، فظهر وهدم مدينة أغريفية وبيني مدينة مقدونية في وسط المالك بالجانب الغربي من الخليج. وكان حباً للحكمة فلذلك كثُر الحكماء في دولته.

ثم ملك من بعده ابنة الإسكندر وكان معلمه من الحكماء أرسطو وقال هروشيوش: إن أباء فيليوش إنما ملك بعد الإسكندر بن تراوش أحد ملوكهم العظام، وكان فيليوش صهراً له على اخته ليبيادة بنت تراوش، وكان له منها الإسكندر الأعظم. قال: وكان ملك الإسكندر بن تراوش لعهد أربعة آلاف وثمانمائة من عهد الخليفة ولعهد أربعمائة أو خورها من بناء رومة، وهلك وهو محاصر لرومة قتله الطبيتين عليها لسبعين سنين من دولته.

فولى أمر الغريقين والروم من بعده صهره على اخته ليبيادة فيليوش ابن أمته بن هركلش، واختلفوا عليه فافتراق أمرهم وحاربهم إلى أن انقادوا وغلبهم على سائر أوطانهم. وأراد بناء القسطنطينية فمنعه الجرمانيون بما كانت لهم، فقتلتهم حتى استلهمهم، واجتمع إليه سائر الروم والغريقين منبني يونان، وملك ما بين المانيا وجبال أرممنية. وكان الفرس لذلك المهد قد استولوا على الشام ومصر فاعتزم فيليوش على غزو الشام فاغتاله في طريقه بعض الطبيتين وقتله بثار كان له عنده.

وولى من بعده ابنته الإسكندر فاستمر على مطالبة بلاد الشام، وبعث إليه ملوك فارس في الخراج على الرسم الذي كان لهديه فيليوش، فبعث إليه الإسكندر إنني قد ذهبت تلك الدجاجة التي كانت تبيض التصب وأكلتها. ثم زحف إلى بلاد الشام واستولى عليها وفتح بيت المقدس وقرب فيه القريان وذلك لعهد ماتين وخسین من فتح مختنصر لياهاء، وامتنع أهل فارس لاتزاعه إياها من ملوكهم، فزحف إليه دارا في ستين ألفاً من الفرس ولقيه الإسكندر في ستةألف من قومه فقتلهم وفتح

قلناه اختصوا بسكنى الناحية الشمالية من العمور مع إخوانهم من سائر بيبي يافث كلهم كالصقالبة والترك والإفرنج من ورائهم وغيرهم من شعوب يافث، وطم منها الوسط ما بين جزيرة الأندلس إلى بلاد الترك بالشرق طولاً وما بين البحر الحيط والبحر الرومي عرضًا، فموطن الطبيتين منهم في الجانب الغربي ومواطن الغريقين منهم في الجانب الشرقي والبحر بينهما خليج القسطنطينية، وكان لكل واحد من شعبي الغريقين والطبيتين منهم دولة عظيمة مشهورة في العالم واختص الغريقيون باسم اليونانيين، وكان منهم الإسكندر المشهور الذكر أحد ملوك العالم، وكانت ديارهم كما قلناه بالناحية الشرقية من خليج القسطنطينية بين بلاد الترك ودروب الشام.

ثم استولى على ما وراء ذلك من بلاد الترك والعراق والمند، ثم جال أرممنية وما وراءها من بلاد الشام وببلاد مقدونية ومصر والإسكندرية، وكان ملوكهم يعرفون بملوك مقدونية وذكر هروشيوش مؤرخ الروم من شعوب هؤلاء الغريقين نحو جلدمن وبنز انتاش، قال: وإليهم ينسب الحكماء الاتشيون وهم ينسبون لمدينتهم أجدة انتاش، قال: ومن شعوبهم أيضاً بنو طمان وجلدمنو كلهم بنو شمالاً بن إيشاكي، وقال في موضع آخر: جلدمنو أشو شمالاً وكانت شعوب هذه الأمة قبل الفرس والقبط وبنو إسرائيل متفرقة بافتراق شعوبها، وكان بينهم وبين إخوانهم الطبيتين فتن وحروب، ولما استفحلا ملوك فارس لمهد الكنيسة أرادوهم على الطاعة لهم، فامتنعوا وغزتهم فارس، فاستصرخوا عليهم بالقطب فسائلوهم إلى محاربة الغريقين حتى أذلواهم وأخذوا الجزء منهم وولوا عليهم. ويقال: أن أفريدون ولـ عليهم ابنته، وأن جده الإسكندر لأبيه من أعقابه. ويقال: إن مختنصر لما ملك مصر والمغرب أشرف بالطاعة وكانتوا يحملون خراجهم إلى ملك فارس عدداً من كرات النهب أمثال البيض ضرية معلومة عليهم في كل سنة، ولما فرغوا من شأن أهل فارس وأثروا ملوكهم بالجزء والطاعة صرفوا وجوههم إلى حرب الطبيتين، ثم استفحلا أمر الإشانين من الغريقين ولم يكن قوامهم إلا الجرمونيون، فغلبوا عليهم سائر شعوب الغريقين واعتزل سلطانهم وصار لهم الملك والدولة.

وقال ابن سعيد: إن الملك استقر بعد يونان في ابنه أغريقش في الجانب الشرقي من خليج قسطنطينية، وتولى الملك في ولده وقهروا الطبيتين والروم ودار ملوكهم في أرممنية، وكان من أعظمهم هرقل الجبار بن ملكان بن سلقوس بن أغريقش، يقال: إنه ضرب الآثار على الأقاليم السبعة. وملك بعده ابنه يلاق

بطليموس قال المسعودي: ثم صارت هذه التسمية لكل من يملك منهم و مدینتهم مقدونية و يتزلون الإسكندرية، وملك منهم أربعة عشر ملکاً في ثلاثة سنة.

وقال ابن العميد: كان قسم الملك في حياته بين أربعة من أمرائه: بطليموس فلدلفوس كان على الإسكندرية ومصر والمغرب، وفيليپوس بمقدونية وما إليها من مالك الروم وهو الذي سُمِّي الإسكندر، ودمطرس بالشام، وسلفوس بفارس والشرق. فلما مات استبد كل واحد بناحية وكتب أسطورة شرح كتاب هرمس وترجمه من اللسان المصري إلى اليوناني، وشرح ما فيه من العلوم والحكمة والطلسمات. وكتاب الأسطماخيس يحتوي على عادة الأول، وذكر فيه أن أهل الأقاليم السبعة كانوا يعبدون الكواكب السيارة. كل إقليم للكوكب، ويسجدون له ويبخرون ويقررون وينذرون، وروحانية ذلك الكوكب تدبرهم بزعمهم. وكتاب الأستماطس يحتوي على فتح المدن والمحصون بالطلسمات والحكم، ومنها طلسمات لازالت المطر وجلب المياه. وكتب الأشطرطاش في الاختبارات على سرى القمر في المسازل والاتصالات، وكتب آخرى في منافع وخصائص الأعضاء الحيوانيات والأحجار والأشجار والخاششات.

وقال هروشيوش: إن الذي ملك بعد الإسكندر صاحب عскره بطليموس بن لاوى، فقام بأمرهم ونزل الإسكندرية واتخذها داراً لملوكيهم. ونهض كلسن بن الإسكندر وأمه بنت دارا ولبيادة أم الإسكندر وساروا إلى صاحب أطاكية واسمه فمشاندر فقتلهم. واختلف الغريقيون على بطليموس وافتلق أمره وحارب كل واحد منهم ناحيته، إلى أن غلبهم جميعاً واستقام أمره، ثم زحف إلى فلسطين وتغلب على اليهود واثنخ فيهم بالقتل والسي والأسر. ونقل رؤسائهم إلى مصر.

ثم هلك لأربعين سنة من ملكه وولى بعده ابنه فلديغيش، وأطلق أسرى اليهود من مصر، ورد الأواني إلى البيت وجباهم بآية من الذهب وأمرهم بتعليقها في مسجد القدس، وجمع سبعين من أحجار اليهود ترجموا له التوراة من اللسان العبراني إلى اللسان الرومي واللطيني. ثم هلك فلديغيش لثمان وثلاثين سنة من ملكه وولي بعده ابنه أنطريوس ويلقب أيضاً بطليموس لقائم المخصوص بهم إلى آخر دولتهم، فانعقدت السلم بينه وبين أهل إفريقيا على مدعين ملك قرطاجنة، ووفد عليه وعقد معه الصلح عن قومه، وزحف قواد روما إلى الغريقين ونالوا منهم.

ثم هلك أنطريوس لست وعشرين سنة من ملكه، وولي بعده آخره فلوبادي فزحف إليه قواد روما فهزمهم وجال في عمالوكيهم.

كثيراً من مدن الشام ورجع إلى طرسوس، فزحف إلى دارا ولقبه عليها فهزمه الإسكندر واقتصر طرسوس. ومضى وبنى الإسكندرية ثم تزاحف مع دارا وهزمها وقتلها وخطى إلى فارس فملك بلادها وهدم مدينة الملك بها وسبى أهلها، وأشار عليه معلمه أرسطو بأن يجعل الملك في أساقفتهم لتفرق كل ملتهم وبخلص إليه أمرهم، فاكتتب الإسكندر ملوك كل ناحية من الفرس والنبط والعرب وملك على كل ناحية وترجمه فصاروا طرائف في ملوكهم، واستبدل كل واحد منهم مجده كان ملكها لعقبة.

وعلمته أرسطو هذا من اليونانيين وكان مسكنه أثينا وكان كبير حكماء الخليفة غير منازع، أخذ الحكم عن أفلاطون اليوناني، كان يعلم الحكم وهو ما شئت الرواق المظلل له من حر الشمس فسمي تلاميذه بالملائين. وأخذ أفلاطون عن سقراط ويعرف بسقراط الدين بسكناه في دن من الخزف أخذته لرهبانيته، وقتلته قومه أهل يونان مسموماً لاما نهاهم عن عبادة الأوثان، وكان هو أخذ الحكم عن فيثاغورس منهم، ويقال: إن فيثاغورس أخذ عن تاليس حكيم ملطي، وأخذ تاليس عن لقمان. ومن حكماء اليونانيين ديمقراطيس، وأنكسيثاغورس كان مع حكمته مبرزاً في علم الطب ويعتني بهم ملك الفرس إلى يونان فامتنع من إيقاده عليه ضئانه به.

وكان من تلاميذه جاليوس لعهد عيسى عليه السلام ومات بصلة ودفن بها.

ولما استول الإسكندر على بلاد فارس خطأها إلى بلاد السندي فملكها وبني بها مدينة سماها الإسكندرية، ثم زحف إلى بلاد الهند فغلب على أكثرها وحاربه فور ملك الهند فانهزم وأخذه الإسكندر أخيراً بعد حروب طويلة، وغلب على جميع طرائف الهند وملك بلاد الصين والسندي وذلت إليه الملوك وحملت إليه المدايا والخارج من كل ناحية، وراسله ملوك الأرض من إفريقيا والمغرب والإفرنجية والصقالبة والسودان.

ثم ملك بلاد خراسان والترك، وانتظر مدينة الإسكندرية عند مصب النيل في البحر الرومي، واستول على الملوك يقال: على خمسة وثلاثين ملكاً. وعاد إلى بايل فمات بها، يقال مسموماً سمه عامله على مقدونية لأن أمه شكته إلى الإسكندر فتعرده فاهدى له سما وتناوله فمات لاثنين وأربعين سنة من عمره، بعد أن ملك اثنين عشرة سنة: سبعاً منها قبل مقتل دارا وخمساً بعده.

قال الطبرى: ولما مات عرض الملك على ابنه إسكندر ورسخ فاختار الرهبانية، فملك يونان عليهم لوغوس من بيت الملك ولقبه

وذكر اليهقي: إن كلاطبره زحفت إلى أرض اللطبيين وقهرتهم، وأرادت العبور إلى الأنجلوس فحال دونها الجبل الحاجز بين الأنجلوس والإفرنج فاستعملت في فتحه الجبل والنار حتى نفذت الأنجلوس، وإن مهلكتها كان على يد أوغسطس بوليوس ثاني القياصرة. وكذا ذكر المسعودي وأنها ملكت إثنين وعشرين سنة، وكان زوجها أنطونيوس مشاركاً لها في ملك مقدونية ومصر، وأن قيصر وأوغسطس زحف إليهم فهلك زوجها أنطونيوس في حربه، ثم أراد التحكم في كلاطبره لستري على حكمتها إذ كانت بقية الحكام من آل يونان، فخطبها وتخيلت في إملاكه وإهلاك نفسها بعد أن اخترت بعض الحياة القاتلة التي بين الشام والجاجز وأطلقتها مجلسها بين رياحين نصيتها هنالك، ولست بالحياة فهلكت لحيتها وأقامت بمكانها كأنها جالسة، ودخل أوغسطس لا يشعر بذلك حتى تناول من تلك الرياحين ليشمها فأصابته الحية وهلك لحيته ومت حيلتها عليه.

وأنقرض ملك اليونانيين بهلاكها، وذهبت علومهم إلا ما يبقى بآيدي حكمائهم في كتب خزانتهم حتى مجث عنها المأمون وأمر باستخراجها فترجت له من هروشيوش وأما ابن العميد فعد ملوك مصر والإسكندرية بعد الإسكندر أربعة عشر آخر ملوك طليوس كالمملوك بطيموس كما قال المسعودي. ولم يذكر ملوك الشرق منهم بعد الإسكندر ولا ملوك الشام ولا ملوك مقدونية الذين قسم الملك فيهم كما ذكرناه إلا بذكر ملك إنطاكية من اليونانيين ويسميه أنطويونس كما ذكرناه الآن.

وذكر في أسماء ملوك مصر هؤلاء وفي عددهم خلافاً كثيراً إلا أنه سمي كل واحد منهم بطيموس، فقال في بطيموس الأول: إنه آخر الإسكندر أو مولاه اسمه فلاقادنس أو أرنداؤس أو لوغس أو فيليبس ملك سبعاً وقيل: أربعين، قال: وفي عصره بنى سليموس وأظنه ملك الشرق منهم قعامة وحلب وقسرىن وسلوقية واللاذقية، قال: ومنها كان الكومن الأعظم بالقدس سمعان بن خونينا وبعده آخره العازر، قال: وفي التاسعة من ملك لوغش جاء أنطويونس المظيم إلى بلاد اليهود واستعبدهم.

وفي الحادية عشر حارب الروم فغلبوا وأسروه وأخذوا منه ابنه أتفاقس رهينة، وفي الثالثة عشر تزوج أنطويونس كلاطبره بنت لوغس زوجها له أبوها وأخذ سوريا بلاد المقدس في مهرها، وفي التاسعة عشر وثبت أهل فارس والشرق على ملوكهم فخلعواه وولوا ابنه ثم هلك لوغس.

قال ابن العميد: بعد مائة وإحدى وثلاثين سنة لليونان ملك بطيموس بن الإسكندر ورس ويلقب غالب أشور، وملك

ثم كانت حروبه معهم بعدها سجالاً. وزحف إلى اليهود فملك الشام عليهم وول الولاية من قبله فيهم وأتختن بالقتل والسي فيهم، يقال: إنه قتل منهم نحواً من ستين ألفاً، وهلك لسبعين سنة من ملكه. وولي بعده ابنه إيفاناش وعلى عهده كانت فتنة أهل روما وأهل إفريقيا التي اتصلت نحواً من عشرين سنة، وانتفع أهل روما صقلية وأجاز قوادهم إلى إفريقيا وافتتحوا قرطاجنة، كما ذكر في أخبارهم، وهلك إيفاناش لأربع وعشرين سنة من دولته.

وولي بعده بالإسكندرية ابنه فلوماطر فزحف الغريقيون إلى روما، وكان فدهم صاحب مقدونية وأهل أرمينية والعراق وظاهرهم ملك النوبة واجتمعوا لذلك، فغلبهم الرومانيون وأسروا صاحب مقدونية، وهلك فلوماطر لخمس وثلاثين سنة من ملكه. وولي بعده ابنه إيرياتس وعلى عهده استفحلاً ملك أهل روما واستولوا على الأنجلوس وجازوا البحر إلى قرطاجنة بافريقيا فملوكها وقتلو ملوكها أشدريال وخرابوا مديتها بعد أن عمرت تسعمائة سنة من بناها كما ذكر في أخبارها. وزحف أيضاً أهل روما إلى الغريقيين فغلبوا عليهم مديتها قرنطة من أعظم مدنهم، يقال: إنها كانت ثانية قرطاجنة. ثم هلك إيرياتش لسبعين وعشرين سنة من ملكه وولي بعده ابنه شوطار سبع عشرة سنة وعلى عهده استفحلاً ملك أهل روما ومهدوا الأنجلوس، وملك بعده آخره الإسكندر عشر مائين، ثم ابنه ديونيشيس مائة وثلاثين سنة وعلى عهده استولى الرومانيون على بيت المقدس ووضعوا الجزية على اليهود، وزحف قيصر بوليوس من قوادهم إلى الإفرنجية ولياش أيضاً من قوادهم إلى الفرس فغلبوا عليهم جيعاً وما حوصل إلى أنطاكية واستولوا على ما كان لهم من ذلك. وخرج الترك من بلادهم فغاروا على مقدونية فردهم هامس قائد الرومانيين بالشرق على أعقابهم.

وذلك ديونيشيس فوليت بعده ابنه كلاطبرة ستين فيما قال هروشيوش لخمسة آلاف ونيف من مبدأ الخلقة ولسبعمائة سنة من بناء روما، وعلى عهدها استبد قيصر بوليوس بملك روما وغلب عليها القواد أجمع وحا دولتهم منها وذلك بعد مرجعه من حرب الإفرنج، ثم سار إلى الشرق فملك إلى أرمينية وناعشه مبانش هنالك فهزمه قيصر، وفر مبانش إلى مصر مستجداً بملكها وهي يومئذ كلاطبره، فبعثت برأسه إلى قيصر خوفاً منه، فلم يغنمها ذلك وزحف قيصر إليها فملك مصر والإسكندرية من كلاطبره هذه وانقرض ملك اليونانيين، وولي قيصر على مصر والإسكندرية وبيت المقدس من قبله وذلك لسبعمائة أو نحوها من بناء روما وخمسة آلاف من مبدأ الخلقة.

اليهود الخارج الذي كانوا يعطونه الملوك سوريه من أيام فيليوس ملك المشرق . وملك بعده بطليموس أرغادي أبي الفاضل وقيل بطليموس الصايغ وقيل: ساتيطر ملك عشرين وقيل: ثلاثة وعشرين وقيل: ثلاثة عشر.

ولعهده جدد أنطيخوس بناء أنطاكيه وسماها باسمه، ولعهده كان ملك هرقلانوس على القدس وبنيه الثلاثة وخرب مدينة السامرة سيسطيه، ولعهده أيضاً رحفل أنطيخوس إلى القدس وحاصرها، فصانعه هرقلانوس بثلاثمائة كره من الذهب استخرجها من قبر داود عليه السلام ثم ملك على مصر والإسكندرية بطليموس المخلص وقيل: مفروطون وقيل: شعري ملك ثمان عشرة وقيل: عشرين وقيل: سبعاً وعشرين، ولعهده كان الإسكندروس تلميذ بن هرقلانوس سابع بي حشمني بالقدس، وكانت فرق اليهود عندهم ثلاثة: الربانيون ثم القراؤون وهم في الأنجلين زنادقة وهم في الإنجيل الكتبة. ثم على مصر بطليموس محب أمة وقيل: الإسكندروس وقيل: قيقتس وقيل: الإسكندر وقيل: ابن المخلص ملك عشر سنين لا غير، ولعهده بطلت مملكة سوريا لاثنين وسبعين عشرة سنة من ملك يونان.

وقتل بطليموس هذا قته أهل إهراقية وأحرقوه. ثم ملك على مصر بطليموس فنياس وقيل: إيزيس وقيل: المنفي، لأن كلامبرة الملكو نفته عن الملك وملك ثمان سنين وقيل: ثلاثة وعشرين يوماً وقيل: ثمانية عشر يوماً، وبعدهم أستقطعه من البطالسة ولم يذكره. ثم ملك على مصر بطليموس يوناشيش إحدى وعشرين سنة وقيل: إحدى وثلاثين وقيل ثلاثة، ولعهده كان أرسنيلوس وأخوه هرقلانوس على القدس.

ثم ملك على مصر كلامبرة بنت يوناشيش ومعنى هذا الاسم الساكنة على الصخرة ملكت ثلاثة وقيل: اثنين وعشرين وكانت حاذقة، وفي الثالثة من ملكها حضرت خليج الإسكندرية وجرى فيه الماء وبنت ياسكندريه هيكل زحل والغاروص وبنت مقىاساً بأعيين آخر مدينة أصنقاء، وفي الرابعة من ملكها ملك برومأ غانيوس أول القياصرة ملك أربعين ثم بطليموس بعده ثلاثة، ثم أغسطس بن مونوجس فاستولى على الممالك والتواحي وبلغ خبره إليها فحضرت بلادها وبنت حافظاً من الفرماء إلى التوبية شرق في النيل وحافظاً آخر من إسكندرية إلى التوبية غربي النيل وهو حافظ العجوز لهذا العهد.

وبعث أغسطس العساكر إلى مصر مع قائده أنطريوس ومعه متزدات ملك الأرميين، فخادعت كلامبرة أنطريوس وأوعده

مصر والإسكندرية والبلاد الغربية إحدى وعشرين سنة وقيل: ثمانين وثلاثين سنة أيضاً فيلادلفوس أي محب أخيه، وهو الذي استدعى أخبار اليهود وعلماءهم الاثنين وسبعين يترجموا له التوراة وكتب الأنبياء من العبرانية إلى اليونانية وقابلوها بنسخهم فصحت، وكان من هؤلاء الأخبار سمعان المذكور أولاً وعاش إلى أن حل على ذراعيه في الهيكل ومات ابن ثمانة وخمسين.

وكان منهم العازر الذي قتل أنطيخوس على امتناعه عن السجود لصنه وقتل ابن سبعين سنة. ويظهر من هذا أن بطليموس هو تلميذ وإنه من ملوك مقدونية وملك مصر لأن ابن كريون قال: في ذلك الزمان كان تلميذ من أهل مقدونية ملك مصر وكان محب العلم، فاستدعى من اليهود سبعين من أجيادهم وترجموا له التوراة وكتب الأنبياء، وكان في عصره صادق الكohen انتهى. وملك خمساً وأربعين سنة وملك بعده بطليموس الأربعين وقيل: اسمه رغادي وقيل: راكب الأنبار ملك أربعين وعشرين، وقيل: سبعاً وعشرين، وهو الذي بني ملعب الخيل بإسكندرية الذي أحرق في عصر زينون قيسر. وملك بعده بطليموس محب أخيه وقيل: أوغسطس ويقال فيلادلفس ملك سنت عشرة سنة، وكان في عصره أخيه الكohen، وملك بعده بطليموس الصانع، وقيل: أخيه ملك خمس سبعين وقيل: خمساً وعشرين، وعلى عهده كان اليهود الكohen وكان ضالاً غشوماً وقتله بعض خدمه خنقأ.

وملك بعده بطليموس محب أخيه، وقيل: اسمه فيلوباطر ملك سبع عشرة سنة وأخذ الجزية من اليهود. وملك بعده بطليموس المظفر وقيل: الغالب وقيل: محب أمه ملك عشرين وقيل: أربعين وعشرين، وفي التاسع عشرة من ملكه خرج متينا بن يوحنا بن شمعون الكohen الأعظم ويعرف بحشمني من بني يوناداب من نسل هارون، بعث أنطيخوس ملك أنطاكيه ابنه الغايش بالعساكر إلى القدس فأعمل الخليفة في ملكتها وقتل العازر الكohen وحمل بني إسرائيل على السجود لأمهاته، فهو رب متيبة في جماعة من اليهود إلى الجبال، حتى إذا خرجت عساكر يونان رجع إلى القدس ومر بالمنبع فوجد يهودياً يذبح خنزيراً عليه، وثار باليونانيين فقتل قائدتهم وأخراجهم واستبد ملك القدس كم ذكرناه في أخباره.

ثم ملك بطليموس فيلوباطر أي محب أخيه خمساً وعشرين سنة وقيل: عشرين، وكان في أيامه بالقدس يهوداً ابن متينا وبعده آخره يوحنا ويعده آخره شمعون وبعده آخره هرقلانوس واسمه يوحنا بالعساكر لقتال قيدونوس قائد أنطيخوس غالباً، وارتفع عن

أناس وهو الذي بني مدينة أبا. ثم اتصل الملك فيهم إلى أن افترق أمرهم.

ثم كان من أعقابهم برقاش أيام انقراض ملك الكلدانين، وصار للمازنين والقضاعين على عهد عزيما بن أصبيا من ملوكبني إسرائيل ولعهد أربعة آلاف ومائة وعشرين سنة من مبدأ الخليقة، فصار الأمر في اللبنانيين لبرقاش هذا بتولية ملك المازنين ما كان لهم وللسريانين قلتهم من الصيت في العالم والتفوق على الملوك بحسبهم وعصيthem. ثم اتصل الملك لابنه وخافيده روملوس داموس وهم اللذان اختطا مدينة رومة وذلك لعهد أربعة آلاف وخمسة عشر سنة من مبدأ الخليقة وعلى عهد حزقيا بن آحاز ملكبني إسرائيل، ولأربعمائة ونيف من خراب مدينة طروية. وكان طول مدينة رومة من الشمال إلى الجنوب عشرين ميلًا في عرض لاثي عشر ميلاً، وارتفاع سورها ثمانية وأربعون ذراعاً في عرض عشرة أذرع، وكانت من أخلف مدن العالم، ولم تزل دار مملكة اللبنانيين والقياصرة منهم حتى صبحهم الإسلام وهي في ملكهم.

وكان اللبنانيون بعد روملوس داموس وانقراض عقبهم قد ستموا ولاية الملوك عليهم فعزلوهم وصار أمرهم شوري بين الوزراء وكانوا يسمونهم القتاش ومعناه الوزراء بلغتهم، وكان عددهم سبعين على ما ذكر هروشيوش. ولم يزل أمرهم على ذلك مدة سبعمائة سنة إلى أن استبد عليهم قيسار بوليبوس بن غايش أول ملوك القياصرة كما نذكر بعد وكانت لهم حروب مع الأمم المجاورة لهم من كل جهة فحاربوا اليونانيين ثم حاربوا الفرس من بعدهم، واستولوا على الشام ومصر ثم ملكوا جزيرة الأندلس ثم جزيرة صقلية ثم أجازوا إلى إفريقيا فتكلوها وخرابوا قرطاجنة، وأجاز أهل إفريقية إليهم وحاصرروا رومة واتصلت الفتنة بينهم عشرين سنة أو نحوها على ما نذكر. وذهب جماعة من الإخباريين إلى أن الروم من ولد عيسو بن إسحاق عليه السلام.

قال ابن كثير: كان لليافاز بن عيسو ولد اسمه صفو وله خرج يوسف من مصر ليدفن أباه يعقوب في مدينة الخليل عليه السلام اعترضه بنو عيسو وقاتلوه، فهزمهم وأسر منهم صفو بن اليافاز وبعثه إلى إفريقية، فصار عند ملوكها، وأشتهر بالشجاعة. وحدثت الفتنة بين أغنياس وبين الكيتم وراء البحر فأجاز إليهم أغنياس في أهل إفريقية وأثخن فيهم، وظهرت شجاعة صفو بن اليافاز، ثم هرب صفو إلى الكيتم وعظم بينهم وحسن أثره في أهل إفريقية وفي الأمم المجاورة لكيتم من أموال وغيرها فزوجوه بملكة عليهم، قال: وهو أول من ملك في بلاد أسپانيا، وقام

بتزويجها فقتل رفيقة متزدادات وتزوجها وعصى أوغسطس، فسار أوغسطس إليها وملك مصر وقتل كلابطرة وولديها وقاتلته بطریوس الذي تزوجها. ويقال: إنها وضعت له سماً في مجلسها وإن أوغسطس تناوله ومات، والله أعلم. وانقرضت مملكة يونان من مصر والإسكندرية والمغرب بملوكها وصارت هذه الملك للروم إلى حين الفتح الإسلامي، وانتهى كلام ابن العميد والخلاف الذي يقتله عن جماعة مؤرخيهم بذكر منهم سعيد بن بطريق ويورحنا فم الذهب والنرجي وابن الراهب وإيفانيوس. والظاهر أنهم من مؤرخي النصارى والبقاء لله الواحد القهار سبحانه لا إله غيره ولا عبد سواه.

## الخبر عن اللبنانيين وهم الكيتم المعروف بالروم من أمم يونان وأشياعهم وشعوبهم وما كان لهم من الملك والغلب وذكر الدولة التي فيهم للقياصرة وأولية ذلك ومصايره

هذه الأمة من أشهر أمم العالم وهي ثانية الغربيين عند هروشيوش ويعيشون في نسب يونان، وثالثتهم عند البيهقي ويعيشون في نسب يونان بن علجان بن يافث، واسم الروم يشملهم ثلاثة لما كان الروم أهل المملكة العظمى منهم، ومواطن هؤلاء اللبنانيين بالنسبة الغربية من خليج القسطنطينية إلى بلاد الأفرغنة فيما بين البحر الخريط والبحر الرومي من شماله، وملك هذه الأمة قديماً كانت لهم مدينة اسمها طروبية، وذكر هروشيوش أن أول من ملك من اللبنانيين الفنس بن شطرنش بن أيوب وذلك بعد دائرةبني إسرائيل وقد مر ذكرها وفي آخر الألف الرابع من مبدأ الخليقة. وملك من بعده ابنه بريامش واتصل الملك في عقب الفنس هذا وإخوانه وكان منهم كرمنس بن مرسية بن شيبن بن مزكدة الذي ألف حروف اللسان اللبناني وأثنتها ولم تكن قبله، وذلك على عهد يواين بن كلعاد من حكام بي إسرائيل بعد أربعة آلاف وخمسين من مبدأ الخليقة.

وكان بين هؤلاء اللبنانيين وبين الغربيين وإخوانهم فتن طويلة، وعلى يدעם خربت طروبة مدينة اللبنانيين لعهد أربعة آلاف ومائة وعشرين من مبدأ الخليقة أيام عبدون ملك بني إسرائيل وقد مر ذكره، وكان ملكهم يومنذ أنساش من عقب بريامش بن الفنس بن شطرنش، وولي بعده ابنه أشكانيش بن

ملكاً خسأ وخمسين سنة.

وافتتحوا مدينة جردا. وخرج آخرون من قواد رومية إلى الأندلس فهزموا أشדרياً واتبعوه إلى أن قتلوه. وفر آخره أنييل عن بلادهم بعد ثلاث عشرة سنة من إجازته إليهم، وبعد أن حاصر رومية وأثخن في نواحيها فلحق بإنفريقيا ولقيه قواد أهل رومية الذين أجازوا إلى إنفريقيا فهزموه وحاصروه بقرطاجنة، حتى سال الصلح على أن يغنم لهم ثلاثة آلاف قنطار من الفضة فأجابوا إليه.

وسكت الحرب بينهم ثم ظهر بعد ذلك أنييل صاحب إنفريقيا ملوك السريانيين على حرب أهل رومية فهلك في حربهم مسماً. وبعد أن تخلص أهل رومية من تلك الحروب رجعوا إلى الأندلس فملوكها، ثم أجازوا البحر إلى قرطاجنة ففتحوها وقتلوا ملوكها يومئذ أنييل وخرابوها لستة عشرة سنة من بنائها وسبعين سنة لبناء رومية.

ثم دارت الحرب بين أهل رومية وأهل التوبية، واستظهر ملك التوبية بالبربر بعد أن هزم أهل رومية واتبعوه إلى قصبة فملوكها واستولوا على ذخيرتها، وهي من بناء أركلش الجبار ملك الروم، وهزمهم أهل رومية فخافهم ملك البربر من ملوك التوبية إلى أن هلك في أسره. وكانت هذه الحروب لهدم بطليموس الإسكندر بعد أن كان قواد رومية اجتمعوا على بناء قرطاجنة وتجديدها لاثنتين وعشرين سنة من خرابها فأمرت واتصل بها لأهل رومية ملك على ما ذكره بعد إن شاء الله تعالى.

### الخبر عن ملوك القياصرة من الكيتم وهم اللطينيون ومبدأ أمورهم ومصاير أحواهم

لم يزل أمر هؤلاء الكيتم وهم اللطينيون راجعاً إلى الوزراء منذ سبعين سنة، كما قتلوا من عهد بناء رومية أو قبلها بقليل كما قال هروشيوش، تقرر الوزراء في كل سنة فيخرج قائد منهم إلى كل ناحية كما توجه القرعة فيحاربون أسم الطوائف ويفتحون الممالك. وكانتوا أولاً يعطون إخوانهم من الروم اليونانيين طاعة معرفة بعد الفتن والخارية حتى إذا هلك الإسكندر وافترق أمر اليونانيين والروم وفشل ريجهم وقعت فتنة هؤلاء اللطينيون وهم الكيتم مع أهل إنفريقيا، واستولوا عليها مارا وخرابوا قرطاجنة ثم بنوها كما ذكرناه. وملكوا الأندلس وملكوا الشام وأرض الحجاز وقهروا العرب بالحجاز وافتتحوا بيت المقدس وأسرروا ملوكها يومئذ من اليهود وهو أرسليس ابن الإسكندر ثامن ملوكبني حشمنادي وغربوه إلى رومية وولوا قائدتهم على الشام.

ثم عد ابن كريون بعد ستة عشر ملكاً من أعقابه آخرهم روملس باني رومية، وكان لعهد داود عليه السلام، وخف منه فوضع مدينة رومية وبنى على جميعها هيكله ونسبت المدينة إليه وسميت باسمه وسمى أهلها الروم نسبة إليها.

ثم عد بعد روملس خمسة من الملوك اغتصب خامسهم رجلاً في زوجه فقتل نفسها، وقتل زوجها في الهيكل. وأجمع أهل رومية أن لا يولوا عليهم ملكاً وقدموا شبيخاً ثلثمائة وعشرين يدربون ملوكهم، فاستقام أمرهم كما يجب، إلى أن تقلب قصر وسمى نفسه ملكاً، فصاروا من بعده يسمون ملوكاً انتهى كلام ابن كريون. وهو منافق لما قاله هروشيوش، فإنه زعم أن بناء رومية كان لعهد داود عليه السلام وهو شبيخ قال: إنه كان لعهد حزقياً رابع عشر ملوك بني يهودا من لدن داود عليه السلام، وبين المدينتين تقواوت، وخير هروشيوش مقدم لأن واضعيه مسلمان كانوا يترجمان خلافاء الإسلام بقرطبة وهما معروفان وورعا الكتاب. فالله أعلم بحقيقة الأمر في ذلك.

### الخبر عن فتنة الكيتم مع أهل إنفريقيا وتخريب قرطاجنة ثم بناؤها على الكيتم وهم اللطينيون

كان بناء قرطاجنة هذه قبل بناء رومية بـ سبعين سنة قال هروشيوش على يدي ديدن بن أليشا من نسل عيسو بن إسحاق. وكان بها أمير يسمى ملكون وهو الذي بعث إلى الإسكندرية بطاعته عند استيلائه على طرسوس، ثم صار ملك إنفريقيا إلى أملقا من ملوكهم فافتتح صقلية وهاجت الحرب بينه وبين الرومانيين وأهل الإسكندرية بسبب أهل سردانية وذلك لخمسين سنة من بناء رومية، ثم وقعت السلب بينهم وهي السلب التي وفدها عتون من ملوك إنفريقيا على أنطريطش ملك مقدونية واسكندرية وهو ملك الروم الأعظم.

ثم ول بقرطاجنة أملقا ابنه أنييل فأجاز إلى بلاد الإنرج وغلبهم على بلادهم، وزحف إليه قواد رومية فوالى عليهم المزائيم وبعث أخيه أشدريا إلى الأندلس فملوكها، وخالقه قواد الرومانيين إلى إنفريقيا بعد أن ملکوا من حصون صقلية أربعين أو خمسة، ثم أجازوا إلى إنفريقيا فملوكها وقتلوا غشوش خليفة أنييل فيها

واستولى على ناحية الشرق. وسير عساكره إلى فتح مصر مع قائد من قوادها هما أنطونيوس ومتزداد ملك الأرمن بدمشق، فترجعها إلى مصر وبها يوماً كلاطيره الملكة من بقية البطالسة ملوك يونان بالإسكندرية ومصر، فحصنت بلادها وبنست بعديتي الليل حانطين مبذؤهما من التوبية إلى الإسكندرية غرباً وإلى الفرما شرقاً وهو حائط العجز لهذا العهد. ثم دخلت القائد أنطونيوس وخداعته بالترويج فتزوجها وقتل رفيقه متزداد وعصى على أوغسطس، فزحف إليه وقتله وملك مصر وقتل كلاطيره ولديها وكانت يسميان الشمس والقمر، وملك مصر والإسكندرية وذلك لإثني عشرة سنة من ملوكه، قال والإثنين وأربعين سنة من ملك أوغسطس ولد المسيح بعد مولد يحيى بثلاثة أشهر. وذلك ل تمام خمسة آلاف وخمسة سنة من سني العالم والإثنين وثلاثين من ملك هيردوس بالقدس، وقيل: خمس وثلاثين من ملوكه، والكل متقوون على أنها لإثنين وأربعين من ملك أوغسطس.

قال: وسياقه التاريخ تقتضي أنها خمسة آلاف وخمسة شمسية من مبدأ العالم لأن من آدم إلى نوح ألفاً وستمائة، ومن نوح إلى الطوفان ستمائة، ومن الطوفان إلى إبراهيم ألفاً واثنتين وسبعين سنة، ومن إبراهيم إلى موسى أربعمائة وخمساً وعشرين، ومن موسى إلى داود عليهما السلام سبعمائة وستين، ومن داود إلى الإسكندر سبعمائة وستين سنة، ومن الإسكندر إلى مولد المسيح ثلاثة وثمانين وتعشة سنة.

هكذا ذكر ابن العميد وأنها تواريخت النصارى وفيها نظر، ويظهر من كلامه أن قيصر الذي سماه أوغسطس، وذكر أن المسيح ولد لإثنين وأربعين من ملوكه هو الذي سماه هيردوس قيصر أكتيبيان وجعل مملكته لخمسة آلاف ومائتين من مبدأ الخلقة. وعند ابن العميد أن مملكته لخمسة آلاف وخمسة عشرة والله أعلم بالحق من ذلك، ثم ولد طباريش قيصر وكان واحداً منهم ويسمونه الشيخ، وانتهى تدبيرهم في ذلك الزمان إلى أغانيوس فنبرهم أربع سنين، وهو الذي سمي قيصر لأن أمة ماتت وهو جنин في بطنهما فتقروا بطنهما وأخرجوه، ولما كبر انتهت إليه رياضة هؤلاء الشيخ برومة أربع سنين.

ثم ولد من بعده يوليوبس قيصر ثلاث سنين، ثم ولد من بعده أوغسطس قيصر بن مرنوخس، قال: ويقال إن أوغسطس قيصر كان أحد قواد الشيخ مدبر روما، وتوجه بالعساكر لفتح المغرب والأندلس ففتحهما وعاد إلى روما فملك عليهم، وطرد الشيخ من رياسته بها وتديره ووافقته الناس على ذلك. وكان للشيخ نائب بناحية المشرق يقال له: فمقيوس، فلما بلغه ذلك زحف بعساكره إلى روما فخرج إليه أوغسطس فهزمه وقتله

ثم حاربوا الغساس نكانت حربهم معهم سجالاً، إلى أن خرج يوليوبس بن غايش ومعه ابن عميه لوجبار بن مركه إلى جهة الأندلس، وحارب من كان بها من الإفرنج والجلالة إلى أن ملك بريطانيا واشبونة ورجع إلى روما، واستخلف على الأندلس أكتيبيان ابن أخيه يونان. فلما وصل إلى روما وشعر الرذراء أنه يروم الاستبداد عليهم فقتلوه، فزحف أكتيبيان ابن أخيه من الأندلس بشارة وملك روما واستولى على أرض قسطنطينية وفارس وإفريقية والأندلس، وعمه يوليوبس هو الذي تسمى قيصر فصار سمه للملوك من بعده. وأصل هذا الاسم جاشر فعرته العرب إلى قيصر، ولفظ جاشر مشترك عندهم فيقال جاشر للشعر وزعموا أن يوليوبس ولد شعره نام يبلغ عينيه، ويقال أيضاً للمشرق جاشر.

وزعموا أن قيصر ماتت أمه وهي مقرب بقر بطنها واستخرج يوليوبس، والأول أصح وأقرب إلى الصواب، وكانت مدة يوليوبس قيصر خمس سنين، ولما ول قيصر أكتيبيان ابن أخيه مملوك الناحية الشمالية من الأرض، ووفد عليه رسول الملوك بالشرق يرغبون في ولاته ويضرعون إليه في السلم فاسمعهم، ودانت له أقطار الأرض، وضرب الآثار على أهل الآفاق من الصغر. وكان العامل على اليهود بالشام من قبله هيردوس بن أنظفتر، وعلى مصر ابنه غايش. وولد المسيح لإثنين وأربعين سنة خلت من ملوكه. وهكذا قيصر أكتيبيان لست وخمسين من ملوكه بعد سبعمائة وخمسين سنة لبناء روما وخمسة آلاف ومائتين لمبدأ الخلقة انتهت كلام هروشيوش.

وأما ابن العميد مؤرخ النصارى فذكر عن مبدأ هؤلاء القياصرة أن أسر روما كان راجعاً إلى الشيوخ الذين يديرون أمرهم، وكانوا ثلثمائة وعشرين رجالاً لأنهم كانوا حلفوا أن لا يولوا عليهم ملكاً، فكان تدبيرهم يرجع إلى هؤلاء وكانتا يقدمون واحداً منهم ويسمونه الشيخ، وانتهى تدبيرهم في ذلك الزمان إلى أغانيوس فنبرهم أربع سنين، وهو الذي سمي قيصر لأن أمة ماتت وهو جنин في بطنهما فتقروا بطنهما وأخرجوه، ولما كبر انتهت إليه رياضة هؤلاء الشيخ برومة أربع سنين.

ثم ولد من بعده يوليوبس قيصر ثلاث سنين، ثم ولد من بعده أوغسطس قيصر بن مرنوخس، قال: ويقال إن أوغسطس قيصر كان أحد قواد الشيخ مدبر روما، وتوجه بالعساكر لفتح المغرب والأندلس ففتحهما وعاد إلى روما فملك عليهم، وطرد الشيخ من رياسته بها وتديره ووافقته الناس على ذلك. وكان للشيخ نائب بناحية المشرق يقال له: فمقيوس، فلما بلغه ذلك زحف بعساكره إلى روما فخرج إليه أوغسطس فهزمه وقتله

كرسيها وهو رأس الخوارين ورسول المسيح إلى روما، وقتل مرقص الإغيلي بالإسكندرية لاثني عشرة من ملوكه وكان هنالك منذ سبع سنين بها مساعدًا إلى التصراتية بالإسكندرية ومصر وبيرقة والمغرب، وولي مكانه حانيا ويسمى بالقطبية جبار وهو أول البطارقة بها وأخذ معه الأقبية الاثني عشر.

قال ابن العميد عن المسيحي: وفي الثانية من ملك نيرون عزل بلخن القاضي، كان على اليهود من جهة الروم، وعلى مكانه قسطنطين القاضي، وقتل بوثار رئيس الكهنة بالقدس، ومات القاضي قسطنطين ثار اليهود على من كان بالقدس من النصارى وقتلوا أسقفهم هنالك وهو يعقوب بن يوسف النجار، وهدموا اليعادة وأخذدوا الصليب والخشبتين ودفنتها إلى أن استخرجتها هلاة أم قسطنطين كما ذكر بعد. وولي مكان يعقوب النجار ابن عم شمعون بن كتابا، ثم ثار بهم اليهود وأخرجوهم من القدس لعشر من ملك نيرون فأجروا الأردن وأقاموا هنالك. ويعث نيرون قائده أسباشيانس، وأمر بقتل اليهود وخراب القدس وغضن اليهود منه وبنوا عليهم ثلاثة حصون، وحاصرهم أسباشيانس وخراب جميع حصونهم وأحرقوا وأقام عليهم سنة كاملة. وقال هروشيوش: إن نيرون قيسار انتقض عليه أهل مملكته فخرج عن طاعته أهل بريطانيا من أرض الجوف، ورجع أهل آرمينيا والشام إلى طاعة الفرس. فبعث صهره على أخيه وهو يشبيان بن لوجيه فسار إليهم في العساكر وغلبهم على أمرهم.

ثم زحف إلى اليهود بالشام وكانت قد انتقضوا فحاصرهم بالقدس، وبينما هو في حصاره إذ بلغه موته نيرون لأربع عشرة سنة من ملوكه، ثار به جماعة من قرادي قتلوه، وكان قد بعث قاتلًا إلى جهة الجروف والأندلس، فافتتح بريطانيا ورجع إلى روما بعد مهلك نيرون قيسار فملكه الروم عليهم، وأنه قتل أخيه يشبيان فأشار عليه أصحابه بالاصرار إلى روما. وبشره رئيس اليهود وكان أخيراً عنده بالملك، ويظهر أنه يوسف بن كريون الذي مر ذكره، فانطلق إلى روما وخلف ابنه طيطشن على حصار القدس فافتتحها وخراب مساجدها وعمانها كما مر ذكره.

وقال: وقتل منهم نحوًا من ستمائة ألف ألف مرتين وهلك في حصارها جوعاً نحو هذا العدد، ويعض من سراويلهم في الآفاق نحوًا من تسعين ألفاً، وحمل منهم إلى روما نحوًا من مائة ألف استيقاظهم لفتياً الروم يتعلمون المقاتلة فيهم ضرباً بالسيوف وطعنًا بالرماح، وهي الجلدة الكبرى كانت لليهود بعد ألف ومائة وستين سنة من بناء بيت المقدس وخمسة آلاف ومائتين وثلاثين من مبدأ الخليفة والثمانمائة وعشرين من بناء روما. فكان معه إلى أن افتحها

قتل طباريش قيسار أغرياس ملك اليهود إلى أشر من حالم وقتلوا أتباع الخوارين من الروم، ومات طباريش لثلاث وعشرين من ملوكه بعد أن جدد مدينة طبرية، فيما قال ابن العميد، واشتقت اسمها من اسمه وملك من بعده غاينس فليفة من أكتيبيان، هروشيوش: هو آخر طباريش وسماه غاينس فليفة من أكتيبيان، وقال: هو رابع القياصرة وأشدتهم وأراد اليهود على نصب وثنه بيت المقدس فمنعوه.

وقال ابن العميد: ووقيعت في أيامه شدة على النصارى وقتل يعقوب أخيه يوحنا من الخوارين وحبس بطرس رئيسهم ثم هرب إلى أنطاكية فآقام بها، وقدم هراديوس بطركاً عليها وهو أول البطاركة فيها. ثم توجه إلى روما لستين من ملك غاينس فديبرها خمساً وعشرين سنة ونصب فيها الأساقفة وتصررت امرأة من بيت الملك فحضرت النصارى الذين بالقدس شدائده من اليهود وكان الأسقف عليهم يرمي يعقوب بن يوسف الخطيب.

وقال ابن العميد عن المسيحي: إن فيليس ملك مصر غزا اليهود لأول سنة من ملك غاينس واستعبدتهم سبع سنين، قال وفي الرابعة من ملوكه أمر عامله على اليهود بسورية وهي أورشليم. وهي بيت المقدس أن ينصب الأصنام في محاريب اليهود، ووثب عليه بعض قواه فقتله وملك من بعده قلوديش قيسار، قال هروشيوش: هو ابن طباريش وعلى عهده كتب متى الحواري إنجيله في بيت المقدس بالعبرانية، قال ابن العميد: وقتله يوحنا بن زبدي إلى الرومية، قال: وفي أيامه كتب بطرس رأس الخوارين إنجيله بالروميه وبعث به إلى مرقص تلميذه، وكتب لوقا من الخوارين إنجيله بالروميه وبعث به إلى بعض الأكابر من الروم وكان لوقا طبيباً. ثم عظم الفساد بين اليهود ولحق ملوكهم أغرياش بروميه فبعث معه أفلوديش عساكر الروم فقتلوا من اليهود خلقاً، وحملوا إلى أنطاكية ورومة منهم سبعة عظيمًا وخررت القدس وإنجلترا أهلها فلم يول عليهم القياصرة أحدًا لخرابها، وافتقرت اليهود على فرق كثيرة أعظمها سبعة.

قال: ولسبعين من ملك أفلوديش دخلت بطريقه من الروم في دين النصارى على يد شمعون الصفا، وسمعت منه بالصلب، فجاءت إلى القدس لإظهاره، ورجعت إلى روما، وهلك أفلوديش قيسار لأربع عشرة سنة من ملوكه وملك من بعده ابنه نيرون. قال هروشيوش: هو سادس القياصرة، وكان غشوماً فاسقاً، وبلغه أن كثيراً من أهل روما أخذوا بدين المسيح فنكر ذلك وقتلهم حيث وجوده، وقتل بطرس رأس الخوارين، وأقام أريوس بطركاً بروميه مكان بطرس من بعد خمس وعشرين سنة مضت لبطرس في

قال ابن العميد عن المسبحي: والعهده كان أمر ليونيوس صاحب الطلعات برومة، فتى ذوسيطاليوس جميع الفلاسفة والمنجمين من رومه وأمر أن لا يغرس بها كرم، ثم هلك ذوسيطاليوس، وهو الذي سماه هروشيوش دومريان، وقال: هلك في حروب الإفرنج، وملك بعده بrama ابن أخيه طيطشن نحوأ من ستين وسماه ابن العميد تاوداس، وقال: إن المسبحي سماه قارون، قال: ويسمى أيضاً برسطوس، وقال ملك على الروم سنة أو سنة ونصفاً وأحسن السيرة وأمر برد من كان منهياً من النصارى وخلالهم ودينهم ورجع يوحنا الإنجيلي إلى أنفس بعد ست سنين.

وقال هروشيوش: أطلقه من السجن. وقال: ولم يكن له ولد فعهد بالملك إلى طريانس من عظاماء قواه وكان من أهل مالقة فولى بعده وتسمى قيصر. قال ابن العميد: واسمي آندريانوس، وسماه المسيحي طرينس وملك على الروم باتفاق المؤرخين سبع عشرة سنة، وقتل سمعان بن كلاروا أسقف بيت المقدس وأغناطيوس بطرق أنطاكية. ولقي النصارى في أيامه شدة وتبع أثنتهم بالقتل واستبعد عامتهم، وهو ثالث القياصرة بعد نيرون في هذه الدولة. والعهده كتب يوحنا أخيه برومته في بعض الجائز لсадسة من ملكه وكان قد رجع اليهود إلى بيت المقدس فكثروا بها وعزموا على الانتقام، فبعث عساكره وقتل منهم خلقاً كثيراً. وقال هروشيوش: إن الحرب طالت بينه وبين اليهود، فخرابوا كثيراً من المدن إلى عسقلان ثم إلى مصر والإسكندرية فانهزموا هناك وقتلوا وزحفوا بعدها إلى الكوفة، فائخن فيهم بالقتل وخضد من شوكهم.

قال ابن العميد: وفي تاسعة من ملكه مات كوبيانو بطرق الإسكندرية لإحدى عشرة سنة من ولايته، وولي مكانه أمر غزو عشر سنوات أخرى. وقال بطيموس صاحب كتاب الجسطي: إن شيلوش الحكم رصد برومته في السنة الأولى من ملك طرينس وهو آندريانوس لأربعين سنة وإحدى وعشرين للإسكندر والثمانية وخمس وأربعين لبعضه. وقال ابن العميد: خرج عليه خارجي ببابن هيلك في حربه لتسعة عشرة سنة من ولايته كما قلناه، فولى من بعد آندريانوس إحدى وعشرين سنة، وقال ابن العميد عن ابن بطريق عشرين سنة. وقال هروشيوش: إنه أئخن في اليهود، ثم بنى مدينة القدس وسمها إيليا.

وقال ابن العميد: كان شديداً على النصارى وقتل منهم خلقاً، وأخذ الناس بعبادة الأوثان، وفي ثامنة ملكه خرب بيت المقدس وقتل عامة أهلها وبني على باب المدينة عموداً وعليه لوح

وكان المستبد بها بعد مهلك نيرون قيصر، وانقطع ملك آن بولس قيصر لمائة وست عشرة سنة من مبدأ دولتهم، واستقام ملك يشيشيان في جميع ممالك الروم وتسمى قيصر كما كان من قبل اهـ كلام هروشيوش.

وقال ابن العميد: إن أسباشيانس لما بلغه وهو محاصر للقدس أن نيرون هلك، ذهب بالعساكر الذين معه، ويسره يوسف بن كريتون كهانون طربية من اليهود بأن مصر ملك القياصرة إليه، ثم بلغه أن الروم بعد مهلك نيرون ملكوا غليان بن قيصر فأقام عليهم تسعة أشهر، وكان رديءاً السيرة، وقتله بعض خدمه غليلة، وقدمرا عوضه أنون ثلاثة أشهر ثم خلعوه، وملكوا أبطالس ثمانية أشهر، فبعث أسباشيانس وهو الذي سماه هروشيوش بشيشيان قاتلين إلى رومه فحاربوا أبطالش وقتلوا. وسار أسباشيانس إلى رومه وبعث إليه طيطشن الحاصل للقدس بالأموال والغنائم والسي، قال: وكانت عدة القتلى ألف الف والسي تسعمائة ألف، واحتل المخواج الذين كانوا في نواحي القدس مع الأسرى، وكان يلقي منهم كل يوم للسباع فرائس إلى أن فروا. قال: ولما ملك طيطشن بيت المقدس رجع النصارى الذين كانوا عبروا إلى الأردن فبنوا كنيسة بالقدس وسكنوا، وكان الأسقف فيهم سمعان بن كلاروا ابن عم يوسف التجار وهو الثاني من أساقفة القدس.

ثم هلك أسباشيانس وهو بشيشيان لتسع سنتين من ملكه وملك بعده ابنه طيطشن قيصر ستين وقيل ثلاثة. قال ابن العميد: لأربعين سنة من ملك الإسكندر. وقال هيروشيوش: كان مفتتاً في العلوم ملتزماً للخبر عارفاً باللسان الغربي والطيني، وولي بعده آخره دومريان خمس عشرة سنة، قال هيروشيوش: وهو ابن اخت نيرون قيصر، قال: وكان غشوماً كافراً وأمر بقتل النصارى فعل خاله نيرون، وحبس يوحنا المواري، وأمر بقتل اليهود من نسل داود حذراً أن يملكون، وهلك في حروب الإفرنج وسماه ابن العميد دانسيطيانوس.

وقال: ملك ست عشرة سنة وقيل تسعاً، وكان شديداً على اليهود وقتل أبناء ملوكهم، وقيل له إن النصارى يزعمون أن المسيح يأتي وملك فامر بقتلهم، وبعث عن أولاد يهودا بن يوسف من المواريين وحملهم إلى رومه مقيدين، وسلمهم عن شأن المسيح، فقالوا: إنما يأتي عند انقضاء العالم فخلق سبيهم. وفي الثالثة من دولته طرد بطرق إسكندرية لسبعين وثمانين سنة لل المسيح، وقد مكاهن ملموا فأقام ثلاثة عشرة سنة ومات فول مكانه كراماهـ.

خلقاً، وهي الشدة الرابعة من بعد نيرون:

قال ابن العميد: وفي السابعة من ملكه قدم على الإسكندرية البطريرك أغريبيوس، فلبت اثنى عشر سنة ومات في تاسعة عشر من ملك أنطونيوس الأصغر، قال وفي أيامه ظهرت مبتدعة من النصارى واختلفت أقوالهم وكان منهم ابن ديسان وغيره، فجادلهم أهل الحق من الأساقفة وأبطلوا بدعهم، وهلك أنطونيوس هذا لتسعة عشرة من ملكه. وفيعاشرة ملكه ظهر أرداشير بن بايك أول ملوك السasanية واستولى على ملك الفرس، وكان صاحب الحضرة متسلكاً على السواد فغلبه وملك السواد وقتله وقصته معروفة.

وكان لعهده جاليتوس المشهور بالطب وكان ربي معه، فلما بلغه أنه ملك على الروم قدم عليه من بلاد اليونان وأقام عنده، وكان لعهده أيضاً ديفراطس الحكيم، ولأول سنة من ملكه قدم بيليانوس بطركاً على إسكندرية وهو الحادي عشر من بطاركتها فلبت عشر سنين ومات.

وولي مكانه ديتيريوس فلبت فيه ثم ثلثاً وثلاثين سنة ومات كمودة قصر ثلاثة عشر كما قلناه. فولي من بعده ورميلوش ثلاثة أشهر. قال ابن العميد: وسماه ابن بطريق فرطوش. وقال: وملك ثلاثة أشهر وسماه غيره فرطيخوس. وسماه الصعيديون برطانوس ومرة ملكه باتفاقهم شهران. وقال هروشيوش: اسمه الليبس بن طيجليس وهو عم كمودة قيس، قال وولي سنة واحدة وقتله بعض قراده وأقام في الملك ستة أشهر وقتل.

قال ابن العميد: وملك بعده يوليانيوس قصر شهرين ومات، ثم ولي سوريانوس قيسر وسماه بعضهم سوريوس وسماه هروشيوش طباريش بن أرنت بن أنطونيوس، واختلفوا في مدة، فقال ابن العميد عن ابن بطريق: سبع عشرة سنة، وقال المسبحي: ثمان عشرة، وعن أبي فانيوس ستة عشرة، وعن ابن الراهب ثلاثة عشرة، وعن الصعيديين ستين. قال وملك في رابعة من ملك أرداشير واشتد على النصارى وفتك بهم وسار إلى مصر والإسكندرية فقتلهم وهم كانوا كل مشرد، وبني بالإسكندرية هيكل سماه هيكل الإله. قال هروشيوش: هي الشدة الخامسة من بعد شدة نيرون. قال: ثم انقضى عليه اللطينيون ولم يزل محصوراً إلى أن هلك.

وملك من بعده أنطونيوس. قال ابن العميد عن ابن بطريق: ست سنين، وعن المسبحي: سبع سنين. وسماه أنطونيوس قسطنطين. قال: وكان ابتداء ملكه عندهم خمس وعشرين وخمسة من

نقش فيه مدينة إيليا، ثم زحف إلى الخارجي الذي خرج على طرنبيوس قبله فهزمه إلى مصر وألزم أهل مصر حفر خليج من بحر القلزم وأجرى فيه الحلو، ثم أرتم بعده ذلك، وجاء الفتح والدولة الإسلامية فائلاً بهم عمرو بن العاص حفده حتى جرى فيه الماء ثم انسد لهذا العهد، وكان أندرياتوس هذا قد بنى مدينة القدس ورجع إليها اليهود وبلغه أنهم يرمون من الانقضاض، وأنهم ملوك عليهم زكريا من أبناء الملوك، فبعث إليهم العساكر وتبعهم بالقتل وخراب المدينة حتى عادت صحراء، وأمر أن لا يسكنها يهودي، وأسكن اليونان يمت المقدس، وكان هذا الخراب لثلاث وخمسين سنة من خراب طيطش الذي هو الجلوة الكبرى. وأمتلاً القدس من اليونان وكانت النصارى يتربدون إلى مرضع القبر والصلب يصلون فيه، وكانت اليهود يرمون عليه الزيل والكناسات، فمنهم اليونان من الصلاة فيه وبنوا هنالك هيكلًا على اسم الزهرة.

وقال ابن العميد عن المسبحي: وفي الرابعة من ملك أندرياتوس بطل الملك من الرها وتداولتها القضاة من قبل السروم، وبنى أندرياتوس مدينة أثينوس بيتأ ورتب فيه جماعة من الحكماء لمدارسة العلوم، قال: وفي خامسة ملكه قدم نسطرس بطركاً على إسكندرية وكان حكيمًا فاضلاً فلبت إحدى عشرة سنة ثم مات، وقدم مكانه أمانيق في سادسة عشر من ملك أندرياتوس فلبت إحدى عشرة سنة وهو سايب البطارقة، ثم مات أندرياتوس لإحدى وعشرين من ملكه كما مر، وولي ابنه أنطونيوس.

قال هروشيوش: ويسمى قيس الرحيم. وقال ابن العميد: ملك اثنين وعشرين. وقال الصعيديون إحدى وعشرين. قال: وفي خامسة ملكه قدم مرتانو بطركاً بإسكندرية وهو الثامن منهم، فلبت سبع سنين ومات، وكان فاضل السيرة. وقدم بعده كلوريانو فلبت أربع عشرة سنة، ومات في سابعة ملكه أو روايانوس بعده وكان محبوها. وقال بطليموس صاحب المخططي: إنه رصد الاعتدال الخريفي في ثلاثة ملك أنطونيوس، فكان لأربعينات وثلاث وستين بعد الإسكندر.

ثم هلك أنطونيوس لاثتين وعشرين كما مر، فملك من بعده أورايانوس. قال هروشيوش: وهو أخوه أنطونيوس وسماه أورالش وأنطونيوس الأصغر، وقال: كانت له حروب مع أهل فارس وبعد أن غلبوا على أرمينية وسورية من مالكه فدفعهم عنهم وأغلبهم في حروب طويلة، وأصاب الأرض على عهده وباء عظيم، وقطعت الناس ستين، واستنسق لهم النصارى فأنهضروا وارتفع الوباء والقطط بعد أن كان اشتقد على النصارى وقتل منهم

كان ملكه لإحدى وخمسين وخمسة من ملك الإسكندر. وقال هروشيوش: غرديار بن بليسان. قال: وملك سبع سنين وطال حربه مع الفرس وكان ظافراً عليهم وقتله أصحابه على نهر الفرات، قال وولي بعده فيليس بن أولياق بن أنطونيش سبع سنين وهو ابن عم الإسكندر الملك قبله وأول من تنصر من ملوك الروم. وقال ابن العميد عن الصعيدين: ملك ست سنين وقيل تسعة سنين، وكان ملكه لخمس وخمسين وخمسة من ملك الإسكندر وأمن بال المسيح.

وفي أول سنة من ملكه قدم دنوشيوش بطركاً بالإسكندرية وهو رابع عشر البطاركة بها فلبث تسع عشرة سنة، ولعهد فيليس هذا قدم غرديانوس أسفقاً على بيت المقدس بعد هروب مركيوس ثم عاد من هربه فقام شريكاً معه سنة واحدة، ومات غرديانوس فأنفرد مركيوس أسفقاً بيت المقدس عشر سنين، قال: وقتل فيليس قيسار قائد من قواده يقال له دافيس وملك مكانه خمس سنين. وقال عن المسيح ابن الراهب: ثلاط سنين، وعن المسيحاني قال: وكان يعبد الأصنام ولقي النصارى منه شدة، وكان من أولاد الملك، وقتل بترك روما وأجاز من مدينة قرطاجنة إلى مدينة أفسس وبني بها هيكلًا وحل النصارى على السجود له.

قال: وفي أيامه كانت قصة فتية أهل الكهف وظهرروا بعده في أيام تاودسيوس. وأما هروشيوش فسماه داجية بن خشيميان، وقال: ملك ستة واحدة، وكانت على النصارى في أيامه الشدة السابعة، وقتل بترك روما منهم وولي من بعده غالاش قيسار ستين واستباح في قتل النصارى وباء عظيم أفلت له المدن. وقال هروشيوش: هو غالاش بن يولياش، وقال ابن بطريق: إن يولياش كان شريكاً له في ملكه ومات قبله. قال ابن العميد: إحدى عشرة سنة لسبعين وخمسة من ملك الإسكندر. وقال هروشيوش ابن بطريق: ملك خمس عشرة سنة واسمه غاليوش، وقال المسيحي: خمس عشرة سنة، وسماه داقيوس وغاليوش ابنه. وقال آخر عن اسمه أورليوش وملك خمس سنين. وقال أبو فانيوس: اسمه غاليوس وملك أربع عشرة سنة. وقال الصعيدين ملك كذلك واسمه أراليونوس.

قال ابن العميد: وكان يعبد الأصنام ولقي النصارى منه شدة في أول سنة من ملكه قدم مكسيموس بطركاً بالإسكندرية وهو الخامس عشر من بطاركتها فلبث اثنى عشرة سنة ومات، وهو خامسة ملكه قدم إسكندروس أسفقاً بيت المقدس ثم قتله بعد سبع سنين وبعث ابنه في عساكر الروم لغزو الفرس، فانهزم وحل أسرى إلى كسرى بهرام فقتله. وقال هروشيوش: ولـ غلينوس

ملك الإسكندر، ولعهد سار أردشير ملك الفرس إلى نصبيين فحاصرها وبنى عليها حصناً، ثم بلغه أن خارجاً خرج عليه بخسان، فأجلف عنهم بعد المصالحة على أن لا يتعرضوا لحصنه، فلما رحل بنوا من وراء الحصن وأدخلوه في مدنه، ورجع أردشير فنازهم وامتنعوا عليه، فشار بعض الحكام بـ أن يجمع أهل العلم فيدعون الله دعوة رجل واحد، ففعلوا فملك الحصن لوقته. وقال هروشيوش: لما ولـ أنطونيش ضعف عن مقاومة الفرس فغلبوا على أكثر مدن الشام ونواحي أرميبيا وهلك في حربهم وولي بعده مفرق بن مركة وقتله قواد روما لستة من ملكه وكذا قال ابن العميد، وسماه ابن بطريق بـ قرونثوش، والمسجى هرقليانوس. قالوا جميعاً: وملك من بعده أنطونيش. قال ابن العميد عن ابن بطريق وابن الراهب: ثلاط سنين، وعن المسيحاني والصعيدين: أربع سنين، قال: وفي أول سنة من ملكه بنت مدينة عمان بأرض فلسطين، وملك سابور بن أردشير مدنـاً كثيرة من الشام. ومات أنطونيش فملك من بعده إسكندروس لثلاثة عشر سنين من ملك سابور بن أردشير فملك على الروم لثلاثة عشر سنين وكانت أمـة محـبة في النصارى. وقال هروشيوش: ملك عشرين سنة وكانت أمـة نـصرـانـيـة وكانت النصارى معـه في سـعـةـ من أمرـهـ.

قال ابن العميد: وفي سابعة ملكه قدم تاوكلا بـ طـرـكـاـ بالإسكندرية وهو الثالث عشر من البطاركة فيهم فلبث ست عشر سنة ومات. قال هروشيوش: ولـ عشر من ملكه غـزاـ فـارـسـ فـقـتـلـ سـابـورـ بـنـ أـرـدـشـيرـ وـاـنـصـرـ فـظـافـرـ فـتـارـ عـلـيـهـ أـهـلـ رـوـمـ وـقـتـلـهـ.

وملك من بعده خشيميان بن لوجية ثلاثة سنين، ولم يكن من بيت الملك وإنما ولـه لأجل حـربـ الإـفـرـنجـ واـشـتـدـ عـلـىـ النـصـارـىـ الشـدـةـ السـادـسـةـ منـ بـعـدـ نـيـرونـ. وأـمـاـ بـنـ العمـيدـ فـسـمـاهـ قـيـمـوسـ وـوـافـقـ عـلـىـ الشـلـاثـ سـنـينـ فـيـ مـدـتـهـ وـعـلـىـ مـاـ لـقـيـ النـصـارـىـ مـنـهـ، وـأـنـهـ قـتـلـ مـنـهـ سـرـجـبوـسـ فـيـ سـلـمـيـةـ وـوـاجـوـسـ فـيـ بـالـسـ عـلـىـ الـفـرـاتـ، وـقـتـلـ بـطـرـكـ إـنـطـاكـيـةـ فـسـمـعـ أـسـقـفـ بـيـتـ المـقـدـسـ بـقـتـلـهـ فـهـرـبـ وـتـرـكـ الـكـرـسـيـ. قال: وفي ثالثة ملكه ملك سابور بن أردشير خلاف ما زعم هروشيوش من أنه قتله. ثم هلك فـقـيمـوسـ أـرـشـمـيـانـ وـوـليـ مـنـ بـعـدـ بـوـنـيـوسـ لـلـاثـةـ أـشـهـرـ وـقـتـلـ فـيـمـاـ قـالـ بـنـ العمـيدـ، وـقـالـ سـمـاهـ أـبـوـ فـانـيـوسـ لـوـكـسـ قـيـسـرـ وـابـنـ بـطـرـيـقـ بـلـيـنـاـيـوـسـ وـلـمـ يـذـكـرـهـ هـرـوـشـيـوـشـ.

ثم مـلـكـ عـرـدـيـانـوـسـ قـيـسـرـ، قـالـ بـنـ العمـيدـ عـنـ بـنـ بـطـرـيـقـ وـابـنـ الـراهـبـ: أـرـبعـ سـنـينـ، وـعـنـ الـمـسـجـىـ وـالـصـعـيـدـيـنـ: سـتـ سـنـينـ، وـسـمـاهـ أـبـوـ فـانـيـوسـ فـوـدـيـنـوـسـ وـالـصـعـيـدـيـوـنـ قـرـطـانـوـسـ. قال:

وتحمساته واثنتين وتسعين من ملك الإسكندر، وكان شديداً على النصارى وقتل منهم خلقاً كثيراً وهلك هو وأبناءه في الحرب. وقال هروشيوش: ولما هلك فاروش ولد من بعده ابنه مثاريان وقتل عليه، ولم يذكره ابن العميد.

ثم ملك بقلاديتوش إحدى وعشرين سنة، وقال المسيحي:

عشرين سنة، وقال غيره: ثمانى عشرة سنة، وملك لخمسة وخمس وتسعين للإسكندر، وقال غيرهم: كان اسمه عريطاً وارتقى في أطوار الخدمة عند القياصرة إلى أن استخلصه فاريوش وجعله على خيله وكان حسن المزمار. ويقال إن الخيل كانت ترقص طرباً لزاميبر، وعشقه بنت فاريوش الملك، ولما مات أبوها وإخواتها ملكها الروم عليهم فتزوجته وسلمت له في الملك، فاستولى على جميع مالك الروم وما والاهما، وقطنطنش ابن عمه على بلاد أشيا وبيزنطية، وأقام هو بأنطاكية وله الشام ومصر إلى أقصى الغرب. وفي تاسعة عشر من ملكه انتقض أهل مصر والإسكندرية فقتل منهم خلقاً ورجع إلى عبادة الأصنام وأمر بغلق الكنائس، ولقي النصارى منه شدة وقتل القيسين مارجرس وكان من أكبر أبناء البطارقة، وقتل ملقوس منه أيضاً. وفي عاشرة ملكه قدم ماريطرس بطركاً بالإسكندرية فلبت عشر سنين وقتله، وجعل مكانه تلميذه إسكندروس، وكان كبير تلامذته أريوش كثيراً لخالفة له فسخطه وطرده، ولما مات ماريطرس رجع أريوش عن المخالفة فدخله إسكندروس إلى الكنيسة وصبه قساً.

قال ابن العميد: وفي أيام ديكلايديانوس خرج قسطنطش ابن عمه وناته على بيرنطيا وأشيا ورأى هلانة، وكانت تصرت على يد أسقف الرها، فأعجبته وتزوجها وولدت له قسطنطين، وحضر المجمون لولادته فأخبروا بملكه، فأجمع ديكلايديانوس على قتله فهرب إلى الرها وشم جاء بعد موته ديكلايديانوس فرجد أباه قسطنطين قد ملك على الروم فسلم الملك من يده على ما ذكر، وهلك ديكلايديانوس لعشرين سنة من ملكه ولستمائة وستة عشرة سنة من ملك الإسكندر وملك من بعده ابنه مقسيمانوس.

قال ابن بطريق: سبع سنين، وقال المسيحي وابن الراهب: ستة واحدة. قالوا وكان شريكه في الملك مقطوس، وكان أشد كفراً من ديكلايديانوس، ولقي النصارى منها شدة وقتلاً خلقاً كثيراً، وفي أول ستة من ملكه قدم الإسكندروس تلميذ مار بطرس الشهير بطركاً بالإسكندرية، فلبت فيهم ثلاثة وعشرين سنة وعلى عهد مقسيمانوس تذكر تلك الخراقة بين المؤرخين من أن سابور ملك الغرس دخل أرض الروم متكتراً، وحضر مكان مقسيمانوس وسجنه في جلد بقرة وسار إلى عملكة فارس وسابور في ذلك الجلد

خمسة عشر سنة فاشتد على النصارى الأمر وقتلهم وقتل معهم بطرك بيت المقدس، وكانت له حروب مع الفرس أسره في بعضها ملكهم سابور ثم من عليه وأطلقه، ووقع في أيامه برومدة وباء عظيم فرق طبله عن النصارى بسيبه، وفي أيامه خرج القوط من بلادهم وتغلبوا على بلاد الغريقين ومقدونية وبلاد النبط.

وكان هؤلاء القوط يعرفون بالنسبيين وكانت مواطنهم في ناحية بلاد السريانيين، فخرجوا لهج غلينوس هذا وغلبوا كما قلناه على بلاد الغريقين ومقدونية وعلى مرية. وهلك غلينوس قتيلاً على يد قرداد رومدة، ثم ملك أقاويدوش قيسر سنة واحدة، وقال ابن العميد عن المسيحي سنة وتسعة أشهر لثمانين وخمسة للإسكندر. وفي أول سنة من ملكه قدم بونس السبياني بطركاً بأنطاكية فلبت ثمان سنين وكان يقول بالروحانية وبجحد الكلمة بالروح، ولما مات اجتمع الأسفاقه بأنطاكية ورددوا مقالته. وقال هروشيوش: ولد بعد غلينوس فلدويش بن يلاريان بن موكله فنسبه هكذا، وقال فيه من عظامه القراد ولم يكن من بيت الملك ودفع القوط المغلقين عن مقدونية من منذ خمس عشرة سنة عليها، ومات لستين من ملكه وهذا كما قال المسيحي، وقال هروشيوش: ولد بعد آخره نظيل سبع عشرة يوماً وقتل بعض القواد، ولم يذكر ذلك ابن العميد.

ثم ملك بعده أوريليانس سنتين وسماه ابن بطريق أوراليوس والمسيحي أريوس وأبوفانيوس أوليوش وهرشيوش أوريليان بن بلنسيان. وقال: ملك خمس سنين، قال ابن العميد: وفي الرابعة من ملكه قدم تاونا بطركاً بالإسكندرية سادس عشر البطاركة فلبت عشر سنين. وكان النصارى يقيمون الدين خفية، فلما صار بطركاً قابل الروم ولاطفهم بالهدايا فاذروا له في بناء كنيسة مريم وأعلنوا فيها بالصلوة، قال: وفي سادسة ملكه ولد قسطنطين. وقال هروشيوش: إن أوريليان بن بلنسيان هذا حارب القوط فظفر بهم وجدد بناء رومدة واستند على النصارى تاسعة بعد نيرون ثم قتل.

فريقي بعده طانيش بن إلياس وملك قريباً من ستة. وقال ابن العميد: اسمه طافسوس وملك ستة أشهر. وقال ابن بطريق: اسمه طافسوس وملك تسعه أشهر، ثم ملك فروفش قيسر خمس سنين، وقال أبو فانيوس: اسمه فروش، وقال ابن بطريق وابن الراهب والصعيديون سنتين، وقال المسيحي سبع سنين وسماه الأكيوس وأرفيون، وسماه ابن بطريق بروش، وسماه هروشيوش فاروش بن أنطوريش. قال: وتغلب على كثير من بلاد الفرس، وقال ابن العميد: كان ملكه لسبعين من ملك سابور ذي الأكتاف

**الخبر عن القياصرة المتصرفة من  
اللطبيين وهم الكitem واستفعال ملوكهم  
بقطنطينية ثم بالشام بعدها إلى حين  
الفتح الإسلامي ثم بعده إلى انفراض  
أمرهم**

هؤلاء الملوك القياصرة المتصرفة من أعظم ملوك العالم وأشهرهم وكان لهم الاستيلاء على جانب البحر الرومي من الأندلس إلى رومية إلى القسطنطينية إلى الشام إلى مصر والإسكندرية إلى أفريقيا والغرب، وحاربوا الترك والفرس بالشرق والسودان بالغرب من التوره فمن وراءهم، وكانوا أولًا على دين الجبوسيه، ثم بعد ظهور الحراريين ونشر دين النصرانية بأرضهم وتسلطهم عليهم بأرضهم مرة بعد أخرى أخذوا بيديهم. وكان أول من أخذ به قسطنطين بن قسطنطين بن وليتروس وأمه هلاتة بنت خشميان قيسار خليفة ديوقاريان قيسار الثالث والثلاثون من القياصرة، وقد مر ذكره آنفًا.

إنما سمي هذا الدين دين النصرانية نسبة إلى ناصرة القرية التي كان فيها مسكن عيسى عليه السلام عندما رجع من مصر مع أمها. وأما نسبة إلى نصران فهو من أبنية المبالغة ومعناه أن هذا الدين في غير أهل عصابة فهو دين من ينصره من أتباعه، ويعرف هؤلاء القياصرة ببني الأصفهري وي بعض الناس ينسبهم إلى عيسو بن إسحاق وقد انكر ذلك المحققون وأبوه.

وقال أبو محمد بن حزم عند ذكر إسرائيل عليه السلام كان لإسحاق عليه السلام ابن آخر غير يعقوب واسميه عيصاب، وكان بنوه يسكنون جبال السراة من الشام إلى المخجاز، وقد بادروا جلة إلا أن قوماً يذكرون أن الروم من ولده وهو خطأ وإنما وقع لهم هذا الغلط لأن موضعهم كان يقال له أروم فظنوا أن الروم من ذلك الموضع وليس كذلك، لأن الروم إنما نسبوا إلى روملس باني رومية وربما يتجدون بأن النبي ﷺ قال في غزوة تبوك للحرث بن قيس: هل لك في جلاد بني الأصفهري؟ ولا حجة فيه لاحتمال أن يزيد بني عيصاب على الحقيقة لأن قصده كان إلى ناحية السراة وهو مسكن بني عيصاب.

قلت: مسكن عيسو هؤلاء كان يقال له أيدنوم، بالذال المعجمة إلى الإطاء أقرب فعريتها العرب راء، ومن هنا جاء الغلط والله تعالى أعلم. وهذا الموضع يقال له يسعون أيضًا والاسمان له في التوراة، قال ابن العميد: خرج قسطنطين المؤمن على

وهرب منه، ولحق بفارس وهزم الروم، في حكاية مستحبة وكلها أحاديث خرافية. وال الصحيح منه أن سابور سار إلى مملكة الروم فخرج إليه مقتسمانوس واستولى على ملوكه كما ذكر بعد.

وأما هروشيوش فلما ذكر مثاريان قيسار بن قاريروس وأنه ملك بعد أبيه وقتله، ثم قال: وقام بملكهم ديوقاريان وثار من قاتله، ثم خرج عليه أغير بن قاريروس فقتلته، ديوقاريان بعد حروب طويلة، ثم انتقض عليه أهل مملكته وثار الشوار ببلاد الإفرنجية والأندلس وأفريقيا ومصر، وسار إليه سابور ذو الأكتاف فدفع ديوقاريان إلى هذه الحروب كلها خشميان هركوريش وصيده قيسار، فبدأ أولًا ببلاد الإفرنجية فغلب الثوار بها وأصلاحها و كان التاجر الذي بالأندلس قد ملك بريطانيا سبع سنين فقتله بعض أصحابه ورجعت بريطانيا إلى ملك ديوقاريان، ثم استعمل خشميان خليفة ديوقاريان صهره قسطنطش وأخاه خشممس أخي وليتروس، فمضى إلى أفريقيا وقهر الشوار بها وردها إلى طاعة الرومانين.

وزحف ديوقاريان قيسار الأعظم إلى مصر والإسكندرية فحصر الشائر بها إلى أن ظفر به وقتلته، ومضى قسطنطش إلى المانين في ناحية بلاد الإفرنج فظفر بهم بعد حروب طويلة. وزحف خشميان خليفة ديوقاريان إلى سابور ملك الفرس فكانت حروبه معه سجالاً حتى غلبه وأصابه منه، واستأصل مدينة غورة والكونفة من بلاده سبياً وقتلها ورجع إلى رومية. ثم سرحة ديوقاريان قيسار إلى حروب أهل غالش من الإفرنجية، فأئخن فيهم قتلاً وسبباً، ثم اشتد ديوقاريان على النصارى الشدة العاشرة بعد نيرون وأئخن فيهم بالقتل ودام ذلك عليهم عشر سنين.

ثم اعتزل ديوقاريان وخليفة خشميان الملك ورفضه ودفعه إلى قسطنطش بن وليتروس وأخيه خشممس وسمي غلاريس، فاقتسموا ملك الرومانين، فكان لخشميان غلاريس ناحية الشرق وكان لقسطنطش ناحية المغرب وكانت أفريقيا وببلاد الأندلس وببلاد الإفرنج في ملكته. وهلك ديوقاريان وخمسيان معتزلي عن الملك بناحية الشام وأقام قسطنطش في الملك، ثم هلك ببريطانيا وأقام ملك الطبيين من بعده ابنه قسطنطين. انتهى كلام هروشيوش، وظاهر أن هذا الملك الذي سماه ابن العميد ديلاديانيوس هو الذي سماه هروشيوش ديوقاريان، والخبر من بعد ذلك متشابه والأسماء مختلفة ولا يخفى عليك وضع كل اسم في مكانه من الآخر والله سبحانه وتعالى أعلم.

وتنصر بعضهم، فرعموا أن أحبار اليهود نقصوا من سني مواليـد الآباء نحوـا من الف وخمسـة سـنة ليـطلـلـوا بـعـيـهـ المـسـيحـ في السـاوـيـعـ الـيـ ذـكـرـ دـانـيـأـلـ أـنـ المـسـيحـ يـظـهـرـ عـنـهـ، وـأـنـهـ لـمـ يـجـعـنـ وـقـتـهـ وـأـنـ التـورـةـ الصـحـيـحـ هـيـ الـيـ قـرـرـهـ السـبـعـونـ مـنـ أحـبـارـ الـيـهـودـ مـلـكـ مـصـرـ. وـزـعـمـ اـبـنـ العـمـيدـ أـنـ قـسـطـنـطـيـنـ حـضـرـهـاـ وـاطـلـعـ مـنـهـاـ عـلـىـ النـقـصـ الـذـيـ قـالـهـ، قـالـ: وـهـيـ التـورـةـ الـيـ بـدـ النـصـارـىـ الـآنـ.

قال: ثم أمر قسطنطين بتجديـدـ مدـيـنـةـ بـيزـنـطـيـةـ وـسـمـاـهاـ

قـسـطـنـطـيـنـيـةـ باـسـمـ وـقـسـمـ مـالـكـ بـيـنـ أـوـلـادـهـ، فـجـعـلـ لـقـسـطـنـطـيـنـ قـسـطـنـطـيـنـيـةـ وـماـ الـاهـ، وـلـقـسـطـنـطـيـنـ الـآـخـرـ بـلـادـ الشـامـ إـلـىـ أـنـصـىـ المـشـرـقـ، وـلـقـسـطـوـسـ ثـالـثـ رـوـمـةـ وـماـ الـاهـ. قال: وـمـلـكـ خـسـينـ سـنـةـ مـنـهـاـ سـتـ وـعـشـرـونـ بـيزـنـطـيـةـ قـبـلـ غـلـبـةـ مـقـسـيـانـوـسـ وـمـنـهـاـ أـربعـ وـعـشـرـونـ بـعـدـ اـسـتـيـلـاـتـهـ عـلـىـ الرـوـمـ، وـتـنـصـرـ فـيـ اـثـنـيـ عـشـرـةـ مـنـ آـخـرـ مـلـكـ، وـهـلـكـ لـسـيـمـانـةـ وـخـسـينـ لـإـسـكـنـدـرـ.

قال هروشيوـشـ: كان قـسـطـنـطـيـنـ بـنـ قـسـطـنـطـيـشـ عـلـىـ دـيـنـ الـجـوسـيـةـ، وـكـانـ شـدـيـداـ عـلـىـ النـصـارـىـ، وـنـفـيـ بـطـرـكـ رـوـمـةـ فـدـعـاـ عـلـيـهـ وـابـتـلـيـ بـالـجـذـامـ، وـوـصـفـ لـهـ فـيـ مـداـوـاتـهـ أـنـ يـنـغـمـسـ فـيـ دـمـاءـ الـأـطـالـ، فـجـمـعـ مـهـمـ لـذـلـكـ عـدـدـاـ ثـمـ اـدـرـكـهـ الرـقـةـ عـلـيـهـمـ فـاطـلـهـمـ، فـرـأـيـ فـيـ مـنـامـهـ مـنـ يـخـصـهـ عـلـىـ الـاقـنـاءـ بـالـبـطـرـكـ فـرـهـدـ إـلـىـ رـوـمـةـ وـبـرـئـ مـنـ الـجـذـامـ، وـجـنـحـ مـنـ حـيـثـدـ إـلـىـ دـيـنـ الـنـصـارـيـةـ، ثـمـ خـشـيـ خـلـافـ قـوـمـ فـيـ ذـالـكـ، فـأـرـعـلـ إـلـىـ قـسـطـنـطـيـنـيـةـ وـنـزـلـهـ وـشـيدـ بـنـاءـهـ وـأـظـهـرـ دـيـانـةـ الـمـسـيحـ، وـخـالـفـ أـهـلـ رـوـمـةـ فـرـجـعـ إـلـيـهـ وـغـلـبـهـمـ عـلـىـ أـمـرـهـمـ وـأـظـهـرـ دـيـنـ الـنـصـارـيـةـ، ثـمـ جـاهـدـ الـفـرـسـ حـتـىـ غـلـبـهـمـ عـلـىـ كـثـيرـ مـنـ مـالـكـهـ. وـلـشـرـبـنـ سـنـةـ مـنـ مـلـكـهـ خـرـجـتـ طـائـفـةـ مـنـ الـقـوطـ إـلـىـ بـلـادـهـ فـاغـارـوـاـ وـسـبـواـ فـزـحـفـ إـلـيـهـمـ وـأـخـرـجـهـمـ مـنـ بـلـادـهـ. ثـمـ رـأـيـ فـيـ مـنـامـ عـرـبـاـ وـبـنـوـاـ عـلـىـ عـمـالـ الـصـلـبـانـ وـقـائـلـاـ يـقـولـ هـذـهـ عـلـامـةـ الـظـفـرـ لـكـ، فـخـرـجـتـ أـمـهـ هـلـانـةـ إـلـىـ بـيـتـ الـقـدـسـ لـتـلـبـ أـكـارـ الـمـسـيحـ وـبـنـتـ الـكـنـائـسـ فـيـ الـبـلـدـانـ وـرـجـعـتـ ثـمـ هـلـكـ قـسـطـنـطـيـنـ لـإـحدـىـ وـثـلـاثـيـنـ سـنـمـنـ مـلـكـهـ اـهـ. كـلامـ هـروـشـيوـشـ

ثـمـ وـلـيـ قـسـطـنـطـيـنـ الصـغـيرـ بـنـ قـسـطـنـطـيـنـ وـسـمـاـهـ هـروـشـيوـشـ قـسـطـنـطـشـ. قال اـبـنـ العـمـيدـ: مـلـكـ أـربعـاـ وـعـشـرـينـ سـنـةـ وـكـانـ أـخـرـهـ قـسـطـوـسـ بـرـوـمـةـ بـوـلـاـيـةـ أـيـهـمـاـ فـقـيـ خـامـسـةـ مـنـ مـلـكـ قـسـطـنـطـيـنـ بـعـثـ العـساـكـرـ فـقـتـ مـقـبـطـوـسـ وـأـبـاعـهـ وـوـلـيـ عـلـىـ رـوـمـةـ مـنـ جـهـتـهـ فـكـانـتـ لـهـ صـاغـيـةـ إـلـىـ أـرـيـوـسـ فـاخـذـ بـعـذـبـهـ، وـغـلـبـتـ تـلـكـ الـمـقـاـلـةـ عـلـىـ أـهـلـ قـسـطـنـطـيـنـيـةـ وـأـنـطـاـكـيـةـ وـمـصـرـ وـإـسـكـنـدـرـيـةـ، وـغـلـبـ أـبـاعـهـ أـرـيـوـسـ عـلـىـ الـكـنـائـسـ وـوـثـبـواـ عـلـىـ بـطـرـكـ إـسـكـنـدـرـيـةـ لـيـقـتـلـهـ فـهـرـبـ كـمـاـ مـرـ، ثـمـ هـلـكـ لـأـربعـاـ وـعـشـرـينـ سـنـةـ مـنـ مـلـكـهـ.

مـقـسـيـانـوـسـ فـهـزـمـ، وـرـجـعـ إـلـىـ رـوـمـةـ وـازـدـحـمـ العـسـكـرـ عـلـىـ الجـسـرـ فـرـقـ بـهـمـ فـيـ الـبـحـرـ وـغـرـقـ مـقـسـيـانـوـسـ مـعـ مـنـ غـرـقـ، وـدـخـلـ قـسـطـنـطـيـنـ رـوـمـةـ وـمـلـكـهـ بـعـدـ أـقـامـ مـلـكـاـ عـلـىـ بـيزـنـطـيـةـ مـنـ بـعـدـ أـيـهـ سـنـةـ وـعـشـرـينـ سـنـةـ، فـبـطـسـ العـدـلـ وـرـفـعـ الـجـوـرـ. وـخـرـجـ قـائـدـهـ يـسـكـنـ نـاحـيـةـ قـسـطـنـطـيـنـيـةـ، وـوـلـاـهـ عـلـىـ رـوـمـةـ وـأـعـمـالـهـ وـالـزـمـهـ بـإـكـرـامـ الـنـصـارـىـ، ثـمـ اـنـتـفـضـ عـلـيـهـ وـقـتـلـ الصـارـىـ وـعـبـدـ الـأـصـنـامـ، وـكـانـ فـيـمـ قـتـلـ مـارـيـادـسـ بـطـرـكـ بـطـارـقـةـ، فـبـعـثـ قـسـطـنـطـيـنـ الـعـسـكـرـ إـلـىـ رـوـمـةـ لـخـرـبـ فـسـاقـهـ أـسـيـراـ وـقـتـلـهـ.

ثم تـنـصـرـ قـسـطـنـطـيـنـ فـيـ مـدـيـنـةـ بـيـقـيـهـ لـاثـنـيـ عـشـرـ مـنـ مـلـكـهـ وـهـدـمـ بـيـوتـ الأـصـنـامـ وـبـنـيـ الـكـنـائـسـ، وـلـلتـاسـعـةـ عـشـرـةـ مـنـ مـلـكـهـ كـانـ جـمـعـ الـأـسـاقـفـ بـمـدـيـنـةـ نـقـيـةـ وـنـفـيـ أـرـيـوـسـ، كـماـ ذـكـرـناـ ذـلـكـ كـلـهـ مـنـ قـبـلـ وـأـنـ رـئـيـسـ هـذـاـ الجـمـعـ كـانـ إـسـكـنـدـرـوـسـ بـطـرـكـ الـإـسـكـنـدـرـيـةـ، وـفـيـ الـخـامـسـةـ عـشـرـةـ مـنـ رـيـاستـهـ تـوـفـيـ بـعـدـ الـجـمـعـ بـخـمـسـةـ أـشـهـرـ. وـقـالـ اـبـنـ بـطـرـيقـ: كـانـتـ لـاـيـةـ إـسـكـنـدـرـوـسـ فـيـ الـخـامـسـةـ مـنـ مـلـكـ قـسـطـنـطـيـنـ وـبـيـقـيـهـ سـتـ عـشـرـةـ سـنـةـ وـقـتـلـ فـيـ السـادـسـةـ وـالـعـشـرـينـ مـنـ مـلـكـ دـيـقـلـادـيـانـوـسـ وـأـنـ كـانـ عـلـىـ عـهـدـ أـرـسـيـانـوـسـ أـسـقـفـ قـيـسـارـيـةـ. قـالـ مـسـحـيـ: مـكـثـ بـطـرـكـاـ ثـلـاثـاـ وـعـشـرـينـ وـكـسـرـ صـنـمـ الـنـحـاسـ الـذـيـ هـوـ هـيـكـلـ زـحـلـ بـإـسـكـنـدـرـيـةـ، وـجـعـلـ مـكـانـهـ كـيـسـةـ فـهـدـمـهـاـ الـعـبـدـيـوـنـ عـنـ مـلـكـهـمـ إـسـكـنـدـرـيـةـ.

وقـالـ اـبـنـ الـرـاهـبـ: إـنـ إـسـكـنـدـرـوـسـ الـبـطـرـكـ وـلـيـ أـولـ سـنـةـ مـنـ مـلـكـ قـسـطـنـطـيـنـ فـمـكـثـ ثـلـاثـيـنـ وـعـشـرـينـ سـنـةـ وـعـلـىـ عـهـدـهـ جـاءـتـ جـاءـتـ هـلـانـةـ أـمـ قـسـطـنـطـيـنـ لـزـيـارـةـ بـيـتـ الـقـدـسـ وـبـنـتـ الـكـنـائـسـ وـسـأـلـتـ عـنـ مـوـضـعـ الـصـلـبـ فـأـخـبـرـهـاـ مـقـارـيـوـسـ الـأـسـقـفـ: إـنـ الـيـهـودـ أـهـلـالـواـ عـلـىـ الـسـرـابـ وـالـزـبـلـ فـأـخـضـرـتـ الـكـهـنـوـنـيـةـ وـسـأـلـتـهـمـ عـنـ مـوـضـعـ الـصـلـبـ وـسـأـلـتـهـمـ رـفـعـ مـاـ هـنـالـكـ مـنـ الزـبـلـ ثـمـ اـسـتـخـرـتـ ثـلـاثـةـ مـنـ الـخـشـبـ وـسـأـلـتـ أـيـهـاـ خـشـبـ الـمـسـيحـ؟ فـقـالـ لـهـ أـلـأـسـقـفـ: عـلـامـهـاـ أـنـ الـمـيـتـ يـحـيـاـ بـمـيـسـيـهـاـ، فـصـدـقـتـ ذـلـكـ بـتـجـرـيـهـاـ، وـاتـخـذـوـاـ ذـلـكـ الـيـوـمـ عـدـاـ لـرـجـوـ الـصـلـبـ، وـبـنـتـ عـلـىـ الـمـوـضـعـ كـيـسـةـ الـقـعـامـةـ، وـأـمـرـتـ مـقـارـيـوـسـ الـأـسـقـفـ بـبـيـانـ الـكـنـائـسـ وـكـانـ ذـلـكـ لـثـلـاثـيـنـ وـثـمـانـ وـعـشـرـينـ مـنـ مـوـلـدـ الـمـسـيحـ عـلـىـ الـسـلـامـ.

وـفـيـ حـادـيـةـ وـعـشـرـينـ مـنـ مـلـكـ قـسـطـنـطـيـنـ كـانـ مـهـلـكـ إـسـكـنـدـرـوـسـ الـبـطـرـكـ، وـلـيـ مـكـانـهـ تـلـمـيـذـهـ أـنـتـسـيـوـسـ كـانـتـ أـمـهـ تـنـصـرـتـ عـلـىـ يـدـهـ فـرـيـيـهـاـ عـنـدـهـ وـعـلـمـهـ وـلـيـ بـطـرـكـاـ مـكـانـهـ وـسـعـيـ بـهـ أـصـحـابـ أـرـيـوـسـ إـلـىـ الـلـكـ بـعـدـهـ مـرـتـيـنـ بـقـيـهـاـ عـلـىـ كـرـسـيـهـ ثـمـ رـجـعـ. وـحـلـ قـسـطـنـطـيـنـ الـيـهـودـ بـالـقـدـسـ عـلـىـ الـنـصـارـيـةـ فـأـنـهـرـوـهـاـ وـأـنـتـحـرـاـ فـيـ الـامـتـاعـ مـنـ أـكـلـ الـخـزـيرـ، فـقـتـلـ مـنـهـمـ خـلـقاـ.

بطرس ومات لستة من رجعته ولقي من داريانوس قيصر ومن أصحاب أريوس شدائد وعنة.

وقال المسيحي: كان واليبيوس يدين بالأمانة، وأخره واليبيس يدين بمنصب أريوس أخذه عن ثاودكسيس أسقف القدسية، وعاشه على إظهاره، فلما ملك نفس جميع أساقفة الأمانة وسار أريوس أسفف أنطاكيه باذنه إلى الإسكندرية، فحبس بطرس الطرك وأقام مكانه أريوس من أهل سمياساط، وهرب بطرس من السجن وأقام برومدة، وكانت بين واليبيوس قبض وبين سابور كسرى فتنة وحروب وهلك في بعض حروبه معهم، وولي بعده آخره واليبيس. قال ابن العميد عن ابن الراهن: ستين، وعن أبي فانيوس ثلاث ستين وسماء والاس. وقال: هو أبو الملكين اللذين تركا الملسن وترهبا وسمى مكسيموس ودوقدايوس، قال: وفي الثانية من ملكه بعث طيماناوس أخاه بطرس بطركاً على إسكندرية فلبت فيهم سبع سنين ومات، وفي سادسة ملكه كان الجمع الثاني بقدسية وقد مر ذكره. وفي أيام أثانياوس بطركاً بطرك قدسية فبعث أغريوس أسقف يزنانروا وولاه مكانه فوليه أربع سنين ومات. ثم خرج على واليبيس خارج من العرب فخرج إليه فقتل في حربه ثم ول أغراديانوس قبض، قال ابن العميد: وهو آخره واليبيس وكان والتطور بن واليبيس شريكًا له في الملك وملك ستة واحدة، وقال عن أبي فانيوس ستين، وعن ابن بطريق ثلاثة سنين.

وذكر عن ابن المسيحي وابن الراهن: أن تاوداسيوس الكبير كان شريكًا لهما وأن ابتداء ملكهم لستمائة وتسعين من ملك الإسكندر، وأنه رد جميع ما نفاه واليبيس قبله من الأساقفة إلى كرسيه وخلق كل واحد مكانه ومات أغراديانوس وابن أخيه في ستة واحدة، قال ابن العميد: وملك بعدهما تاوداسيوس سبع عشرة سنة باتفاق لستمائة وتسعين من ملك الإسكندر والإحدى وثلاثين من ملك سابور كسرى، وفي سادسة ملكه مات أثانياوس، بطرك إسكندرية فولى مكانه كاتبه تاوفيلا، وكان بطرك القدسية يوحنا فم الذهب، وأسقف قبرس أبوفانيوس كان يهودياً وتنصر.

قال: وكان تاوداسيوس ولدان أرقاديوس ويرياريوس، قال: وفي خامسة عشر من ملكه ظهر الفتية السبعة أهل الكهف الذين قاما أيام دقيانوس ولبشا في نومهم لثمانية سنة وتسعة سنين كما قصه القرآن، ووجد معهم صندوق النحاس والصفيحة التي أودع الطريق فيها خبرهم، وبلغ الأمر إلى قيصر تاوداسيوس فبعث في طلبهم فوجدهم قد ماتوا، فأمر أن يبني عليهم كنيسة ويتخذ يوم

ولي ابن عمه بولياش. وقال هروشيوش: ابن من خشم مش قال: وملك ستة واحدة. وقال ابن العميد: ملك ستين باتفاق ثلاثة من ملك سابور وكان كافراً وقتل النصارى وعزفهم عن الكنائس وأطروحهم من الديوان وسار لقتل الفرس فمات من سهم أصحابه. وقال هروشيوش: تورط في طريقه في مفازة ضل فيها عن سبيله فتقبض عليه أعداؤه وقتلوه، قال هروشيوش: وولي بعده بليان بن قسطنطي سنة أخرى، وزحف إلى الفرس وملكهم يومئذ سابور، فحجم عن لقائهم، فصالحهم ورجع وهلك في طريقه. ولم يذكر ابن العميد بليان هذا وإنما قال: ملك من بعد بوليانوس الملك بوشانوش سنة واحدة باتفاق في السادسة عشر من ملك سابور، وكان مقدم عساكر بوليانوس، فلما قتل اجتمعوا إليه وبايعوه واشترط عليهم الدخول في الصرانية فغلبوا.

وأشار سابور بتوليه ونصب له صليباً في العسكر، ولما ول نزل على نصبين للفرس ونقل الروم الذي بها إلى آمد ورجع إلى كرسى مملكتهم، فرد الأساقفة إلى الكنائس، ورجع فيما رجع أثانياوس بطركاً إسكندرية، وطلب منه أن يكتب له أمانة هلك جمع نيقية، فجمع الأساقفة وكتبوها وأشار عليه بلزمها. ولم يذكر هروشيوش بوشانوش هذا وذكر مكانه آخر قال: وسماه بلسيان بن قسطنطس. قال: وقاتل أمّا من القوط والإفرنج وغيرهم، قال: وافتقر القوط في أيامه فرقين على منهي أريوس وأمانة نيقية، قال: وفي أيامه ول داش بطريق كبرة ثم هلك بالفالج، وملك بعده آخره واليبيس أربع سنين وعمل على منصب أريوس واشتد على أهل الأمانة وقتلهم. وثار عليه بأهل أفريقيا بعض النصارى مع البربر فاجاز إليهم البحر وحاربهم فظفر بالثان وقتلهم بقرطاجنة، ورجع إلى قسطنطسية فحارب القرط والأمم من ورائهم وهلك في حربهم.

وقال ابن العميد في قيصر الذي قتل واليبيس وسماه واليبيوس: أنه ملك اثنى عشرة سنة فيما حكمه ابن بطريق وابن الراهن، وحکى عن المسيحي خمسة عشر سنة، وأن أخاه واليبيس كان شريكه في الملك وأنه كان مبائساً وأنه ملك لستمائة وست وسبعين للإسكندر وسبعين عشرة لسابور كسرى. قال: وفي أيامه وثبت أهل إسكندرية على أثانياوس بطركاً ليقتلوه فهرب وقدموا مكانه لوقيس و كان على رأي أريوس، ثم اجتمع أهل الأمانة بعد خمسة أشهر ورجعوا إلى كرسيه وطردوا لوقيسوس، وأقام أثانياوس بطركاً إلى أن مات، فولوا بعده تلميذه بطرس ستين، وثبت به أصحاب لوقيسوس فهرب ورجع لوقيسوس إلى الكرسي فقام ثلاثة سنين. ثم وثبت به أهل الأمانة ورجعوا

وهلك، فولي من بعده طودوشيش ابن أخيه أركاديش ولم يذكر ابن العميد أنوريش وإنما ذكر بعد أركاديش ابنه طودوشيش وسماه الأصغر.

قال: وملك اثنين وأربعين سنة باتفاق في خامسة ملك يزدجرد، وكانت بينه وبين الفرس حروب كثيرة. قال: وفي أول سنة من ملكه مات تاوفيلا بترك إسكندرية فولي مكانه كيرلوس ابن أخيه، في السابعة عشر من ملكه قدم نسطوريش بتركاً بالقسطنطينية فأقام أربع سنين وظهرت عنه العقبة التي دان بها وقد تقدمت، وبلغت مقالته إلى كيرلس بترك الإسكندرية، فخاطب في ذلك بترك رومة وأنطاكية وبيت المقدس، ثم اجتمعوا بمدينة أفسيس في مائتي أصفف وأجمعوا على كفر نسطوريش ونفوذه، فنزل أخيه من صعيد مصر وأقام بها سبع سنين، وأخذ مقالته نصارى الجزيرة والموصى إلى الغرات ثم العراق وفارس إلى الشرق، وولى طودوشيش بالقسطنطينية مقسيوس عوضاً عن نسطوريش فأقام بها ثلاثة سنين. وفي ثامنة وتلتين من ملك طودوشيش الأصغر مات كيرلس بترك الإسكندرية وولي مكانه ديسقرس، ولقي شدائد من مرقيان الملك بعده. وفي السادسة عشرة من ملك طودوشيش الأصغر مات يزدجرد كسرى وولي ابنه بهرام جور، وكانت بينه وبين خاقان ملك الترك وقائع ثم عدل عن حربهم ودخل إلى أرض الروم ففهمه طودوشيش وملك ابنه يزدجرد.

قال هروشيوش: وفي أيام طودوشيش الأصغر تغلب القوط على روما وملوكها وهلك ملوكهم بطيشك كما نذكر في أخبارهم، ثم صاحروا الروم على أن يكون لهم الأندرس فانقلبوا إليها وترکوا روما انتهى قال ابن العميد: ثم ملك مركيان بعده ست سنين باتفاق وتزوج اخت طودوشيش وسماه هروشيوش مركيان بن مليكة. قالوا: وكان في أيامه الجمع الرابع بقدونية وقد تقدم ذكره، وإنه كان بسبب ديسقرس بترك إسكندرية وما أحدث من البدعة في الأمانة، فأجمعوا على ثنيه وجعلوا مكانه برتارس، وافتقرت النصارى إلى ملكية وهم أهل الأمانة فنسبوا إلى مركيان قيسار الملك الذي جعلهم وعهد بأن لا يقبل ما اتفق عليه أهل الجميع الخلقوني، ولليعقوبية وهم أهل منهب ديسقرس وتقديم الكلام في تسميتهم بيعقوبية، وإلى نسطورية وهم نصارى المشرق. وفي أيام مركيان سكن شمعون الحيس الصومعة بأنطاكية وترهب وهو أول من فعل ذلك من النصارى، وعلى عهده مات يزدجرد كسرى ومات مركيان قيسر لست ستين من ملكه وملك بعده لalon الكبير.

ظهورهم عيداً. قال المسيحي: وكان أصحاب أريوس قد استولوا على الكنائس منذ أربعين سنة فازالمون عنها ونفاه وأسقط من عساكره كل من يدين بذلك المقالة، وعقد الجمع الثاني بقسطنطينية لاتين وخمسين سنة من جمع نيقية، وقرر فيه الأمانة الأولى بحقيقة وعهدوا أن لا يزيد فيها ولا يتقصى. وفي الخامسة عشر من ملكه مات سابور بن سابور وملك بعده بهرام. ثم هلك تاوداسيوس لسبع عشرة سنة من ملكه.

وأما هروشيوش فقال بعد ذكر واليس: وملك بعده وليطانش ابن أخيه فلنسيان ست سنين وهو المؤمن أربعين عدداً من ملوك القياصرة، قال واستعمل طودوشيش بن أنطيلونش بن لرخيان على ناحية المشرق فملك الكثير منها، ثم هجم أهل رومة على قائلهم فقتلوه وخلعوا وخلعوا وليطانش الملك، فلحق بطردوشيش بالشرق فسلم إليه في الملك، فأقبل طودوشيش إلى رومة وقتل الثائر بها واستقل بملك القياصرة، هلك لأربعمائة عشرة سنة من ولاته، فولي ابنه كاديكس. وظهر من كلام هروشيوش أن طدوشيش هو تاوداسيوس الذي ذكره ابن العميد، لأنهما متفقان في أن ابنه أركاديس ومتقاربان في المدة، فلعل وليطانش الذي ذكره هروشيوش هو أغرايانوس الذي ذكره ابن العميد اهـ.

قال ابن العميد: وملك أركاديش ولد تاوداسيوس الأكبر ثلاث عشرة سنة باتفاق في ثلاثة ملوك بهرام بن سابور وكان مقيناً بالقسطنطينية، وولي أخيه أنوريش على رومة، قال: وولد لأركاديش ابن سماه طدوشيش باسم أبيه، ولما كبر طلب معلمه أغرايانوس ليعلم ولده، فهرب إلى مصر وترهب، ورغبه المال ثأبى وأقام في مغاربة بالجليل المقطم على قرية طرا ثلاثة سنين، ومات بفنى الملك على قبره كنيسة ودير يسمى دير القصرين، ويقال: دير البغل. وفي أيامه غرق أبو فانيوس بمرجعه إلى قبرص، ومات يوحنا فم الذهب بترك القسطنطينية وكان نفاه أركاديش بمعرفة أبي فانيوس، ودعا كل منهما على صاحبه فهلكا. وفي التاسعة من ملك أركاديش مات بهرام بن سابور وملك ابنه يزدجرد.

ثم هلك أركاديش وملك من بعده طدوشيش الأصغر ابن أركاديش ثلاثة عشرة سنة وولي أخيه أنوريش على رومة، فاقتسم ملك الطبيعين، وانتقض لعهديهما قوم أفريقية وخالقه إلى طاعة القياصرة فحدثت بأفريقية فتنة لذلك. ثم غلب القومس أخيه فلحق بقبرص وترهب بها، ثم زحف القوط إلى رومة وفر عنها أنوريش فحاربوا ودخلوها عنوة واستباحوها ثلاثة وسبعين عنها أمراء الكنائس. قال: ولما هلك أركاديش قيسر استبد آخره أنوريش بالملك خمس عشرة سنة وأحسن في دفاع القوط عن رومة

ثالثة ملكه أمر ببناء مدينة في المكان الذي قتل فيه دارا فوق نصبيين. ثم وقعت الحرب بينه وبين الأكاسرة و Herbipos خرب قياد مدينة آمد ونازلت عساكر الفرس إسكندرية وأحرقوا ما حولها من البساتين والمحصون، وقتل بين الأمتين خلق كثير. وفي سادسة ملكه مات أناسيوس بترك الإسكندرية فصيير مكانه يوحنا وكان عقريباً ومات لشمع سنين، فصيير بعده يوحنا الحسن ومات بعد إحدى عشرة. وفي أيام نسطناس قدم ساريوس بتركاً بانطاكيه وكان كلاهما على أمة ديسقوس. وفي سابعة وعشرين من ملوك نسطناس قدم ساريوس بتركاً بانطاكيه ومات يوحنا بترك إسكندرية فوق مكانه ديسقوس الجديـد ومات لستين ونصف.

وقال سعيد بن بطريق: إن إيليا بترك القدس كتب إلى نسطناس قيصر يسألـه الرجـوع إلى الملكـية ويوضحـ له الحقـ في منهـبـهمـ، وصـباـ إلـيـهـ فيـ ذـلـكـ جـمـاعـةـ منـ الـرـهـابـانـ، فـأـخـضـرـهـمـ وـسـعـ كـلـاهـمـ وـبـعـثـ إلـيـهـمـ بـالـأـمـوـالـ لـالـصـدـقـاتـ وـعـمـارـةـ الـكـنـائـسـ. وـكـانـ بـقـسـطـنـطـيـنـيـةـ رـجـلـ عـلـىـ رـأـيـ دـيسـقـوـسـ فـمـضـىـ إـلـىـ نـشـطـانـشـ قـيـصـرـ وـمـضـىـ وـأـشـارـ عـلـيـهـ بـاـتـبـاعـ مـنـهـبـ دـيسـقـوـسـ وـأـنـ يـرـفـضـ اـجـمـعـ الـخـلـقـدـونـيـ. فـقـبـلـ ذـلـكـ مـنـهـ وـبـعـثـ إـلـىـ جـمـيعـ أـهـلـ مـلـكـهـ، وـبـلـغـ ذـلـكـ بـطـرـكـ أـنـطاـكـيـةـ فـكـبـ إـلـىـ نـشـطـانـشـ قـيـصـرـ بـالـلـامـةـ عـلـىـ ذـلـكـ فـنـضـبـ وـنـفـاءـ، فـجـمـعـ الـرـهـابـانـ وـرـوـسـاءـ الـدـيـورـ فـيـ ثـمـوـ عـشـرـ أـلـافـ وـلـعـنـاـ سـوـرـيوـسـ وـأـجـرـمـوـهـ وـالـمـلـكـ نـشـطـانـشـ مـعـهـ. فـنـفـاهـ نـشـطـانـشـ إـلـىـ إـيلـياـ وـذـلـكـ فـيـ ثـالـثـةـ وـعـشـرـينـ مـنـ مـلـكـهـ، فـاجـتـمـعـ جـمـيعـ الـبـارـكـةـ وـالـأـسـاقـفةـ فـنـاظـرـوـهـ وـنـفـوهـ. وـفـيـ سـابـعـةـ مـلـكـ زـيـنـونـ مـاتـ طـيـمانـوـسـ بـطـرـكـ إـسـكـنـدـرـيـةـ فـوـلـيـ مـكـانـ بـطـرـسـ وـهـلـكـ بـعـدـ ثـمـانـ سـنـينـ، فـوـلـيـ مـكـانـهـ أـنـاسـيـوـسـ وـهـلـكـ لـسـبـعـ سـنـينـ وـكـانـ قـيـمـاـ بـعـضـ الـبـيـعـ فـيـ بـطـرـكـيـةـ. وـقـالـ الـمـسـبـحـيـ: وـفـيـ أـيـامـ زـيـنـونـ اـحـتـرـقـ مـلـعـبـ الـخـيلـ الـذـيـ بـنـاهـ بـطـلـيـمـوـسـ الـأـرـبـاـ بـالـإـسـكـنـدـرـيـةـ.

قال ابن العميد: لسبعمائة وسبعين من ملك الإسكندر، ولثانية من ملك نيرون، ملك مت عشرة سنة. ووافقه هروشيوش على ملته، وقال فيه ليون بن شمحلية. قال ابن العميد: وكان على منصب الملكية ولا سمع أهل إسكندرية بموت مركيان وبئسا على بطرارس البطرارق قاتلته بعد ست سنين من ولايته وأقاموا مكانه طيماوس، وكان يعقوبياً فجاء قائد من قسطنطينية بعد ثلاثة سنين من ولايته ففاته، وأبدل عنه سورس من الملكية وأقام تسع سنين. ثم عاد طيماوس بالأمر لاون قيصر، ويقال: أنه بقي بتركاً اثنين وعشرين سنة. ولثانية عشر من ملك لاون زحف الفرس إلى مدينة آمد وحاصروها وانتعمت عليهم، وفي أيامه مات شمعون الحبيس صاحب العمود ثم هلك لاون قيصر لست عشرة سنة من ملته. قال ابن العميد: وولي من بعده لاون الصغير وهو أبو زينون الملك بعده. وقال ابن بطريق: وهو ابن سينون وكان يعقوبياً وملك سنة واحدة.

ولم يذكره هروشيوش وإنما ذكر زينون الملك بعده، وسماه سينون بالسيني المهملة. وقال: ملك سبع عشرة سنة. وقال ابن العميد مثله ولثمانية عشر من ملك نيرون ولسبعمائة وسبعين وثمانين للإسكندر، قال: وكان يعقوبياً وخرج عليه ولده ورجل من قرابته وحاربهما عشرين شهراً ثم قتلهما وأباهما وأباهمـا ودخل قسطنطينية ووجد بطركتـهاـ وـكـانـ رـدـيـ العـقـيـلـةـ قدـ غـيـرـ كـبـ الـكـيـسـةـ فـزـادـ وـقـصـ، فـكـتـ زـيـنـونـ قـيـصـرـ إـلـىـ بـطـرـكـ رـوـمـةـ وـجـمـعـ الـأـسـاقـفةـ فـنـاظـرـوـهـ وـنـفـوهـ. وـفـيـ سـابـعـةـ مـلـكـ زـيـنـونـ مـاتـ طـيـمانـوـسـ بـطـرـكـ إـسـكـنـدـرـيـةـ فـوـلـيـ مـكـانـ بـطـرـسـ وـهـلـكـ بـعـدـ ثـمـانـ سـنـينـ، فـوـلـيـ مـكـانـهـ أـنـاسـيـوـسـ وـهـلـكـ لـسـبـعـ سـنـينـ وـكـانـ قـيـمـاـ بـعـضـ الـبـيـعـ فـيـ بـطـرـكـيـةـ. وـقـالـ الـمـسـبـحـيـ: وـفـيـ أـيـامـ زـيـنـونـ اـحـتـرـقـ مـلـعـبـ الـخـيلـ الـذـيـ بـنـاهـ بـطـلـيـمـوـسـ الـأـرـبـاـ بـالـإـسـكـنـدـرـيـةـ.

وقال ابن بطريق: وفي أيام زينون هاجـتـ الحـربـ بـيـنـ نـيـرـونـ وـالـمـاـيـاطـلـةـ وـهـزـمـوـهـ فـيـ بـعـضـ حـرـوبـهـ، وـرـدـ الـكـرـةـ عـلـيـهـ بـعـضـ قـوـادـهـ كـمـاـ فـيـ أـخـبـارـهـ، وـمـاتـ نـيـرـونـ وـتـنـازـعـ الـمـلـكـ اـبـاهـ قـيـادـ وـبـلـاشـ. وـفـيـ عـشـرـةـ مـنـ مـلـكـ زـيـنـونـ غـلـبـ يـلـاشـ أـخـاهـ وـاستـقـلـ بـالـمـلـكـ وـلـخـقـ آخرـهـ قـيـادـ بـخـاقـانـ مـلـكـ التـرـكـ، ثـمـ هـلـكـ يـلـاشـ لـأـربعـ سـنـينـ وـرـجـعـ قـيـادـ وـاستـولـ عـلـىـ مـلـكـةـ فـارـسـ وـهـلـكـ فـيـ أـربـعـةـ عـشـرـ مـنـ مـلـكـ زـيـنـونـ فـاقـمـ ثـلـاثـاـ وـأـرـبـعـ سـنـةـ.

وـهـلـكـ زـيـنـونـ لـسـبـعـ عـشـرـةـ مـنـ لـاـيـةـ، فـمـلـكـ بـعـدـ نـسـطـنـاسـ سـبـعـاـ وـعـشـرـينـ سـنـةـ فـيـ أـرـبـعـةـ مـنـ مـلـكـ قـيـادـ وـلـثـمـانـةـ وـلـثـلـاثـ للـإـسـكـنـدـرـ، وـكـانـ يـعـقـوبـيـاـ وـسـكـنـ حـمـةـ وـلـذـلـكـ أـمـرـ أـنـ تـشـيدـ وـتـخـصـنـ فـيـ بـنـيـتـ فـيـ سـيـنـ. وـعـهـدـ لـأـولـ مـلـكـ أـنـ يـقـتـلـ كـلـ اـمـرـأـ كـاتـبـةـ، وـفـيـ

وـالـرـوـمـ حـرـوبـ كـثـيرـةـ، وـزـحـفـ كـسـرـىـ فـيـ آخـرـهـ ثـمـانـيـةـ مـنـ مـلـكـ يـشـطـيـانـشـ وـمـعـهـ الشـنـدـرـ مـلـكـ الـعـربـ، فـبـلـغـ الـرـهـاـ وـغـلـبـ الـرـوـمـ وـغـرـقـ مـنـ الـفـرـيقـيـنـ فـيـ الـفـرـاتـ خـلـقـ كـثـيرـ وـحـلـ الـفـرـسـ أـسـارـيـ الـرـوـمـ وـسـبـاـيـاهـ، ثـمـ وـقـعـ الـصـلـحـ بـيـنـهـمـ بـعـدـ مـوـتـ قـيـصـرـ. وـفـيـ تـاسـعـةـ مـلـكـهـ أـجـازـ الـبـرـيرـ مـنـ الـمـغـرـبـ إـلـىـ رـوـمـةـ وـغـلـبـواـ عـلـيـهـاـ. قـالـ

وعشرين من ملك يشطيانش وقد مر ذكر ذلك.

وفي عهد قيصر هذا مات أبوليناريوس القائد الذي جعل بطركاً بإسكندرية لسبع عشرة سنة من ولادته، وهو كان رئيس هذا الجمع، وجعل مكانه يوحنا وكان أمانياً وهلك لثلاث سنين، وانفرد اليعاقبة بالإسكندرية وكان أكثرهم القبط وقدموا عليهم طردوشيوش بطركاً لبض فهم اثنين وثلاثين سنة، وجعل الملكية بطرركهم داقيانوس وطردوا طردوشيوش من كرسيه ستة أشهر، ثم أمر يشطيانش قيصر بأن يعاد فأعيد وطلب منه المغامسة أن يقدم دقيانوس بطرك الملكية على الشمامسة فأجابهم.

ثم كتب يشطيانش إلى طردوشيوش البطرك باجتماع الجمع الخلقدوني أو يترك الطركية، فتركها ونفاه وجعل مكانه بولس التسي فلم يقبله أهل إسكندرية ولا ما جاء به. ثم مات وغلقت كنائس القبط اليعقوبية ولقوا شدائده من الملكية ومات طردوشيوش البطرك في سابعة وثلاثين من ملكة يشطيانش وجعل مكانه بإسكندرية بطرس ومات بعد سنتين.

قال ابن العميد: وسار كسرى أنورشوان في مملكة يشطيانش قيصر إلى بلاد الروم وحاصر أنطاكيه وفتحها وبينى قبالتها مدينة سماها رومة ونقل إليها أهل أنطاكيه. ثم هلك يشطيانش وملك بعده يوشطونش قيصر لست وثلاثين من ملك آنورشوان ولشمامائة وثمانين للإسكندر فملك ثلاثة عشر سنة. وقال هروشيوش: إحدى عشرة سنة. ولثانية من ملكه مات بطرس ملك إسكندرية فجعل مكانه داميانو فمكث ستة وثلاثين سنة وخربت الدبور على عهده، وفي الثانية عشرة من ملكه مات كسرى أنورشوان بعد أن كان بعث العساكر من الدليم مع سيف بن ذي يزن من التابعة ففتحوا اليمن وصارت للأكسرة.

ثم هلك بوشطونش قيصر لإحدى عشرة أو ثلاثة عشرة من ملكه. وملك بعده طياريوس قيصر لثالثة من ملك هرمز بن آنورشوان ولشمامائة واثنتين وتسعين للإسكندر، فملك ثلاثة سنين عند ابن بطريق وابن الراهب، وأربعًا عند المسيح. ولمهده انتقض الصلح بين الروم وفارس واتصلت الحرب، وانتهت عساكر الفرس إلى رأس عين الخبر، فشار إليهم موريق من بطراكة الروم فهزمه، ثم جاء طباريش قيصر على أثره فعظمت الهزيمة واستحر القتل في الفرس وأسر الروم منهم نحوًا من أربعة آلاف غربيهم إلى جزيرة قبرص.

ثم انقض بهرام مربان هرمز كسرى وطردته عن الملك منجع من تحوم بلاد الروم وبعث بالصريح إلى طباريش قيصر،

ابن بطريق: وكان يشطيانش على دين الملكية فرد كل من نفاه نشطيانش قبله منهم، وصبر طيماناوس بطركاً بالإسكندرية وكان يعقوبياً فلبت ثلاث سنين، وقيل سبع عشرة سنة.

وقال ابن الراهب: كان يشطيانش خلقدونياً ونفسى طيماناوس البطرك عن إسكندرية وجعل مكانه أبوليناريوس وكان ملكياً، وعقد مجمعًا بالقدسية بيريد جمع الناس على رأى الطلقونية منهبه، وأحضر شاوريش بطرك أنطاكيه وأساقفة المشرق فلم يوافقوه، فاعتقل بطرك أنطاكيه سنين ثم أطلقه فسار إلى مصر ويفي مختفيًا في الديور. ثم وصل أبوليناريوس بطرك إسكندرية ومعه كتاب الأمانة الطلقونية، فقبل الناس منه ويتبعوا مذهبها فيها وصاروا إليه وهلك يشطيانش لسبعين من ملكه ثم ملك يشطيانش قيصر لإحدى وأربعين من ملك قياد ولشمامائة وأربعين للإسكندر وكان ملكياً وهو ابن عم يشطيانش الملك قبله.

وقال المسيحي: بل كان شريكه كما مر وملك أربعين سنة باتفاق. وقال أبو فانيوس: ثلاثة وثلاثين. وفي سابعة ملكه غزا كسرى بلاد الروم وأحرق إيليا وأخذ الصليب الذي كان فيها، وفي حاديه عشر من ملكه عصت السامرية عليه فغزاهم وخرب بلادهم، وفي سادسة عشر من ملكه غزا الحارث بن جبلة أمير غسان والعرب ببرية الشام وغزا بلاد الأكسارة وهزم عساكرهم وخرب بلادهم ولقيه بعض مرازية كسرى فهزمه ورد السجي منهم، ثم وقع الصلح بين فارس والروم وتتوادعا. وفي خمس وثلاثين من ملك يشطيانش عهد بأن يتخذ عيد الميلاد في أربع وعشرين من كانون الأول، وعيد الغطاس في سنت منه، وكانت من قبل ذلك جميعاً في السادس كانون. وقال المسيحي: أراد يشطيانش حل الناس على رأى الملكية طيماناوس بطرك إسكندرية وكان يعقوبياً، وأراده على ذلك فامتنع فهم يقتله، ثم أطلقه فرجع إلى مصر مختفيًا ثم نفاه بعد ذلك وجعل مكانه بولس، وكان ملكياً فلم يقبله اليعاقبة وأنقام على ذلك سنين.

قال سعيد بن بطريق: ثم بعث قيصر قائداً من قرادة اسمه بوليناريوس وجعله بطرك إسكندرية فدخل الكنيسة بزي الجندي شم لبس زي البطاركة وقدس. فهموا به فصار إلى سياتهم فأقصدوا ثم حلهم على رأى اليعقوبية وقتل من امتنع وكانوا مائتين. وفي أيام يشطيانش هذا ثار السامرية بأرض فلسطين وقتلوا النصارى وهدموا كنائسهم فبعث العساكر وأثخنوا فيهم وأمر بناء الكنائس كما كانت، وكانت كنيسة بيت لم صغيرة فامر بأن يوضع فيها فبنيت كما هي لهذا المهد. وفي عهده كان الجمجم الخامس بقدسية بعد مائة وثلاثة وستين من الجمجم الخلقدوني ولناسعة

وهدموا الكنائس خارج صور والبطرك يقتل المقدين ويرمي برؤوسهم إلى أن فتروا، وارتحل كسرى عن القسطنطينية جائياً فأجلل اليهود عن صور وانهزموا.

وقال ابن العميد: وفي رابعة من فرقة قيسار قدم يوحنا الرحوم بطركاً على الملكية ياسكنتدرية ومصر، وإنما سمي الرحوم لكرته رحنته وصدقته، وهو الذي عمل اليمارستان للمرضى ياسكنتدرية، ولما سمع بمسير الفرس هرب مع الطريق الوالي ياسكنتدرية إلى قبرص فمات بها للعشر سنين من ولايته، وخلال كرسي الملكية ياسكنتدرية سبع سنين. وكان العقاقة ياسكنتدرية قدموها عليهم في أيام فرقان قيسار بطركاً اسمه أسطانيوس مكتث فيهم اثنى عشرة سنة، واسترد ما كانت الملكية استولت عليه من الكنائس العقوبية، وجاء أثانيايوس بطرك أنطاكيه بالمديا سروراً بولاته، فتلقاء هو بالأساقفة والرهبان، وأخذت الكنيسة بمصر والشام وأقام عنده أربعين يوماً ورجع إلى مكانه.

ومات أسطانيوس بعد اثنى عشرة من ولايته لثلاثمائة وثلاثين من ملك دقلاديائوس ولما انتهى أبرویز في حصار القسطنطينية نهايته وضيق عليها وعدموا الأقوات، واجتمع البارقة بعلقها ويعثروا السفن مشحونة بالأقوات مع هرقل أحد بطراكة الروم، ففرحوا به، ومالوا إليه ودخلتهم في الملك، وأن فرقان سبب هذه الفتنة، فشاروا عليه وقتلوا وملوكوا هرقل، وذلك لتعصمه واثنين وعشرين للإسكندر، فارتحل أبرویز عن القسطنطينية راجعاً إلى بلاده، وملك هرقل بعد ذلك إحدى وثلاثين سنة ونصف عند المسيح ابن الراهب، واثنين وثلاثين عند ابن بطريق، وكانت ملكته أول سنة من المجرة. وقال هروشيوش: لنسع وسماء هرقل بن هرقل بن أنطونيوس.

ولما تملك هرقل بعث أبرویز بالصلح بوسيلة قاتلهم موريكش فأجابهم على تقرير الضريبة عليهم فامتنعوا فحاصرهم ست سنين أخرى إلى الشمان التي تقدمت، وجهدهم الجزع فخادعهم هرقل بتقرير الضريبة على أن يفرج عنهم حتى يجمعوا له الأموال. وضرروا الموعد معه ستة أشهر، ونقض هرقل فخالف كسرى إلى بلاده، واستخلف أخاه قسطنطين على قسطنطينية، وسار في خمسة آلاف من عساكر الروم إلى بلاد فارس فخرب وقتل وسي وأخذ ابني أبرویز كسرى من مريم بنت موريكش وهما قباد وشيرويه. ومر مخلوان وشهزادور إلى المدائن ودجلة ورجع إلى أرممنية، ولما قرب من القسطنطينية، وارتحل أبرویز كسرى إلى بلاده فوجدها خراباً وكان ذلك مما أضعف من ملحة الفرس وأوهنتها.

بعث إليه المدد من الفرسان والأموال. يقال كان عسكر المدد أربعين ألفاً فسراً هرمز ولقيه بهرام بين المدائن وواسط فانهزم واستبيح، وعاد هرمز إلى ملكه وبعث إلى طباريش بالأموال والمديا أضعاف ما أعطاهم، ورد إليه ما كانت الفرس أخذته من بلادهم وسالمهم... وغيرها، ونقل من كان فيها من الفرس إلى بلاده. وسأله طباريش بأن يبني هيكلين للنصارى بالمدائن وواسط فأجابه إلى ذلك.

ثم هلك طباريش قيسار وملك من بعده موريكش قيسار في السادسة هرمز ولشمالها وخمسة وستين للإسكندر وملك عشرين سنة باتفاق الموزخين فاحسن السيرة. وفي حادية عشر من ملكه بلغه عن بعض اليهود باتفاقية أنهم بالروا على صورة المسيح، فامر بقتلهم ونهبهم. ولم يهدى انتقض على هرمز كسرى قريبه بهرام وتخلعه واستولى على ملكه وقتلته، وسار ابنه أبرویز إلى موريكش قيسار صريراً بعث معه العساكر ورد أبرویز إلى ملكه، وقتل بهرام الخارج عليه وبعث إليه بالمديا والتحف كما فعل أبوه من قبله مع القياصرة، وخطب أبرویز من موريكش قيسار ابنته مريم فزوجه إليها وبعث معها من الجهاز والأمتنة والأقمصة ما يضيق عنه الحصر.

ثم وُئْبَ على موريكش بعض مالكه بداخلة قريبه بالطريق قرقا فدسه عليه فقتله وملك على الروم وتسمى قيسار وذلك لتعصمه وأربع عشرة للإسكندر وخمس عشرة لأبرویز.

فملك ثمانى سنين وقتل أولاد موريكش وأفلت صغير منهم فلحق بطور سينا وترهب ومات هنالك. وبلغ أبرویز كسرى ما جرى على موريكش وأولاده فجمع عساكره وقصد بلاد الروم ليأخذ ثار صهره، وبعث عساكره مع مربزيانه خزوبيه إلى القدس وعده إليه بقتل اليهود وخراب البلد. وبعث مربزيان آخر إلى مصر والإسكندرية، وجاء بنفسه في عساكر الفرس إلى القسطنطينية وحاصرها وضيق عليها، وأما خزوبيه المربزيان فسار إلى الشام وأعلنوا الفرس على قتل النصارى وخراب الكنائس، فنهبوا الأموال وأخذوا قطعة من الصليب، وعادوا إلى كسرى بالسي وفيم زخريا بطرك القدس، فاستوهبته مريم بنت موريكش من زوجها أبرویز فوهبه إليها مع قطعة الصليب. ولما خلت الشام من الروم واجتمع الفرس على القسطنطينية، تراسل اليهود من القدس والخليل وطبرية ودمشق وقبرص، واجتمعوا في عشرين ألفاً وجاموا إلى صور ليملكوها، وكان فيها من اليهود نحو من أربعة آلاف فتقبض بطركها عليهم وقيدهم، وحاصرهم عساكر اليهود

الإسكندر إليها تسعمائة ونيف وعشرين سنة، ومنه إلى مولد عيسى ثلاثة وثلاثين سنة، وعمره إلى رفعه إثنا عشر وثلاثون سنة، ومن رفعه إلى الهجرة خمسة وخمسين وثمانين سنة. وقال هروشيوس: إن ملك هرقل كانت الهجرة في تاسعه وسبعين هرقل بن هرقل بن أنطونيوس لستمائة وإحدى عشرة من تاريخ المسيح، ولألف ومائة من بناء روما والله تعالى أعلم.

## الخبر عن ملوك القياصرة من لدن هرقل والدولة الإسلامية إلى حين انقراض أمرهم وتلاشي أحواهم

قال ابن العميد: وفي الثانية من الهجرة بعث أبوريز عساكره إلى الشام والجزيرة فملكتها، وأتى في بلاد الروم، وهدم كنائس النصارى واحتلما ما فيها من الذهب والفضة والأئمة، حتى نقل الرخام الذي كان بالمانى، وحمل أهل الراها على رأي العقوبة بإغراق طيب منهم كان عنده فرجعوا إليه وكانتوا ملكية. وفي سابعة الهجرة بعث عساكر الفرس ومقدتهم مربزيانة شهريلار فدخل بلاد الروم وحاصر القسطنطينية، ثم تغير له فكتب إلى المرازية معه بالقبض عليه، واتفق وقوع الكتاب بيد هرقل فبعث به إلى شهريلار فانتقض ومن معه، وطلبوها هرقل في المدد فخرج معهم بنفسه في ثلاثة وalf من الروم وأربعين ألفاً من الخرز الذين هم التركمان.

وسار إلى بلاد الشام والجزيرة وافتتح مدنهما التي كان ملكها كسرى من قبل وفيما افتتح أرميبيا، ثم سار إلى الموصل فلقيه جموع الفرس وقائمه المرزيان فأنهزموا وقتل. وأجل أبوريز عن المدائن واستولى هرقل على ذخائر ملوكهم، وكان شيرويه بن كسرى محبوباً فاخترجه شهريلار وأصحابه وملوكه وعقدوا مع هرقل الصلح، ورجع هرقل إلى آمد بعد أن ول أخاه تداوس على الجزيرة والشام، ثم سار إلى الراها ورد النصارى للعقاب إلى مذهبهم الذي أكرهوا على تركه وأقام بها سنة كاملة.

وعن غير ابن العميد: وفي آخر سنة ست من الهجرة كتب النبي ص إلى هرقل كتابه من المدينة مع دحية الكلبي يدعوه إلى الإسلام، ونصه على ما وقع في صحيح البخاري:  
بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم  
سلام على من أتيع المدى أما بعد فلياني أدعوك بدعاية  
الإسلام أسلم وسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك

وخرج هرقل لتسعة من ملكه لجمع الأموال، وطلب عامل دمشق منصور بن سرحون فاعتذر بأنه كان يحمل الأموال إلى كسرى، فعاقبه واستخلص منه مائة ألف دينار وأبقاء على عمله. ثم سار إلى بيت المقدس وأهدى إلى اليهود فائتهم أولًا ثم عرفه الأساقفة والرهبان بما فعلوه في الكنائس، ورأواها خراباً وأجبروه من قتلوا من النصارى، فأمر هرقل بقتلهم فلما ينج منهم إلا من اختفى أو أبعد المفر إلى الجبال والباردي، وأمر بالكنائس فنبت.

وفي العاشرة من ملكه قدم اندرسكون بطركاً للعقابية ياسكندرية فقام ست سنين خربت فيها الديور، ثم مات فجعل مكانه بنيامين فمكث سبعاً وثلاثين سنة ومات والفرس يومئذ قد ملكوا مصر والإسكندرية.

وأما هرقل فسار من بيت المقدس إلى مصر وملكها وقتل الفرس، وولى على الإسكندرية فرس وكان أمانياً وجمع له بين البطرك والولاية. ورأى بنيامين البطرك في نومه شخصاً يقول قسم فاختف إلى أن يجوز غضب الرب فاختفى، وتقبض هرقل على أخيه مينا وأراده على الأخذ بالأمانة الخلقدونية فامتنع فأحرقه بالنار ورمي مجته في البحر. ثم عاد هرقل إلى قسطنطينية بعد أن جمع الأموال من دمشق وحص وحاجة وحلب وعمر البلاد، إلى أن ملك مصر عمرو بن العاص وفتحها لثلاثمائة وسبعين وخمسين لـ ديكلاديانوس، وكتب بنيامين البطرك بالأمان فرجع إلى إسكندرية بعد أن غاب عن كرسيه ثلاثة عشرة سنة.

قال ابن العميد: وانتقل التاريخ إلى الهجرة لأحدى عشرة من ملك هرقل وذلك لتسعمائة وثلاث وثلاثين للإسكندر وستمائة وأربع عشرة للمسيح.

قال المسعودي: وقيل إن مولده عليه السلام كان لعهد نি�شطيانس الثاني الذي ذكر أنه نوسيطيونس الذي بنى كنيسة الراها وأن ملكه كان عشرين سنة. ثم ملك هرقل بن نوسيطيونس خمس عشرة سنة وهو الذي ضرب السكة المرقلية، وبعده مورق بن هرقل، قال: والمشهور بين الناس أن الهجرة وأيام الشیخین كان ملك الروم هرقل. قال: وفي كتاب السير أن الهجرة كانت على عهد قيسر بن مورق، ثم كان بعده ابنه قيسر بن قيسر أيام أبي بكر، ثم هرقل بن قيسر أيام عمر وعليه كان الفتح وهو المخرج من الشام، قال: ومدة ملوكهم إلى الهجرة مائة وخمسة وسبعون سنة.

قال الطبرى: مدة ما بين عمارة القدس بعد تحريره حتى تنصر إلى الهجرة على قول النصارى ألف سنة وترى، ومن ملك

وجاؤوا به إلى النبي ﷺ فحقن دمه وصالحه على الجزية ورده إلى قريته. وأقام تبوك بضم عشرة ليلة وليلة ووقف إلى المدينة وبلغ خبر يوحنا إلى هرقل فامر بقتله وصلبه عند قريته اهـ عن غير ابن العميد.

ورجعنا إلى كلامه قال: وفي الثالثة عشرة من المجرة جهز أبو بكر الساكن من المسلمين من العرب لفتح الشام: عمرو بن العاص لفلسطين، ويزيد بن أبي سفيان لحمص، وشريحيل بن حسنة للبلقاء، وقادتهم أبو عبيدة بن الجراح. وبعث خالد بن سعيد بن العاصي إلى سماوة فلقيه ماهاب البطريق في جموع الروم؛ فهزهم خالد إلى دمشق ونزل موضع الصفراء، ثم أخذوا عليه الطريق ونازلوه ثانية فتجهز إلى جهة المسلمين وقتل ابنه. وبعث أبو بكر خالد بن الوليد بالعراق يسير إلى الشام أميراً على المسلمين فسار ونزل معهم دمشق وفتحوها كما ذكر في الفتوحات. وزحف عمرو بن العاص إلى غيره ولقيته الروم هناك فهزهم وتحصنوا بيت المقدس وقىمارية ثم زحف عساكر الروم من كل جانب في مائتين وأربعين ألفاً والمسلمون في بضم وتلتين ألفاً، والتقدوا باليرموك فانهزم الروم وقتل منهم من لا يخصى وذلك في الخامسة عشر من المجرة. ثم تتابعت عليهم المزائم ونازل أبو عبيدة وخالد بن الوليد حصن فصالحوه على الجزية.

ثم سار خالد إلى قنسرين فلقيه مهناس البطريق في جموع الروم فهزهم، وقتل منهم خلق كثير وفتح قنسرين ودخل البلاد، ثم سار عمرو بن العاص وشريحيل بن حسنة فحاصروا مدينة الرملة وجاء عمر بن الخطاب إلى الشام فعقد لأهل الرملة الصلح على الجزية وبعث عمراً وشريحيل لخصار بيت المقدس فحاصروها، وما أجهدهم البلاء طلبوا الصلح على أن يكون أمانهم من عمر نفسه، فحضر عندهم وكتب أمانهم ونصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عمر بن الخطاب لأهل إيلياه أنهم آمنون على دمائهم وأولادهم ونسائهم وجميع كنائسهم لا تسكن ولا تهدم اهـ

ودخل عمر بن الخطاب بيت المقدس وجاء كنيسة القامة فجلس في صحنها، وحان وقت الصلاة فقال للبرك: أريد الصلاة، فقال له صل موضعك، فامتنع وصل على الدرجة التي على باب الكنيسة منفرداً، فلما قضى صلاته قال للبرك لو صليت داخل الكنيسة أخذها المسلمون بعدى و قالوا هنا صلى عمر، وكتب لهم أن لا يجمع على الدرجة للصلوة ولا يؤذن عليها. ثم قال للبرك أرني موضع أبي فيه مسجداً فقال: على

اثم الأرسين. «وَيَا أَهْلَ الْكِتَابَ تَعَالَوْا إِلَى كَلْمَةٍ سَوَاءٍ يَتَسَاءَلُكُمْ أَأَنْتُمْ أَنْتَمْ إِلَّا اللَّهُ وَلَا يُشْرِكُكُمْ بِهِ شَيْئاً وَلَا تَجْدُنَّ بَعْضَكُمْ بَعْضًا أَرِيَابَاً مَنْ دُونَ اللَّهِ فَإِنْ تَرَوُا قَوْلُوا أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ».

فلما بلغه الكتاب جمع من كان بأرضه من قريش وسالم عن أقربهم نسباً منه فأشاروا إلى أبي سفيان بن حرب، فقال لهم: أتني سائله عن شأن هذا الرجل فاستمعوا ما يقوله. ثم سأله أبا سفيان عن أحوال تجنب أن تكون للنبي ﷺ أو ينزله عنها، وكان هرقل عارفاً بذلك، فأجابه أبو سفيان عن جميع ما سأله من ذلك. فرأى هرقل أنه نبي لا محالة مع أنه كان حزءاً ينظر في علم التحوم، وكان عنده علم من القرآن الكائن قبل الملة بظهور الملة والعرب، فاستيقن بنبوته وصحة ما يدعو إليه حسبما ذكره البخاري في صحيحه.

وكتب النبي ﷺ إلى الحبيب بن أبي شمر الغساني ملك غسان بالبلقاء من أرض الشام وعامل قيسار على العرب مع شجاع بن وهب الأسدي يدعوه إلى الإسلام، قال شجاع: فأتيته وهو بغزارة دمشق يهين التزل لقيصر حين جاء من حصن إلى إيليا، فشغلعني إلى أن دعاني ذات يوم وقرأ كتابي وقال: من يتزعزع مني ملكي؟ أنا سائر إليه ولو كان باليمين. ثم أمر بالخيول تتعل، وكتب بالخبر إلى قيسار، فنهاه عن المسير ثم أمرني بالانصراف وزودني بمائة دينار.

ثم بعث رسول الله ﷺ في الثامنة من المجرة جيشه إلى الشام وهي غزوة مؤتة كان المسلمين فيها ثلاثة آلاف وأمر عليهم زيد بن حارثة وقال: إن أصيبح فجعل فعبد الله بن رواحة. فانتهوا إلى معان من أرض الشام، ونزل هرقل صاحب من أرض البلقا في مائة ألف من الروم. وانضمت إليه جماد والنيد وبهرام وبلي، وعلى بلي مالك بن زافلة، ثم زحف المسلمون إلى البلقا ولقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب على مؤتة فكان التمجيص والشهادة، واستشهد زيد ثم جعفر ثم عبد الله، وانصرف خالد بن الوليد بالناس فقدموا المدينة. ووجد النبي ﷺ على من قتل من المسلمين ولا كرجمه على جعفر بن أبي طالب لأنه كان تلاده.

ثم أمر بالناس في السنة التاسعة بعد الفتح وحنين والطائف أن يهياوا لغزو الروم فكانت غزوة تبوك، فبلغ تبوك وأثناء صاحب أيله وجرباء وأذرح وأعطوا الجزية وصاحب أيله يومئذ يوحنا بن رؤبة بن نفافة أحد بطون جذام وأهدى له بغلة بيضاء، وبعث خالد بن الوليد إلى دومة الجندي وكان بها أكيلدر بن عبد الملك فاصابوه بضواحيها في ليلة مقمرة فأسروه وقتلوا أخاه

الصخرة التي كلام الله عليها يعقوب، وووجه عليها ردمًا كثيرةً فشرع في إزالته وتناوله بيده يرفعه في ثوبه، واقتدى به المسلمين كافة فزال حفيته، وأمر ببناء المسجد. ثم بعث عمرو بن العاص إلى مصر فحاصرها وأمده بالزبير بن العوام في أربعة آلاف من المسلمين فصالحهم الموقوس على الجزية، ثم سار إلى الإسكندرية فحاصرها وافتتحها.

وفي السابعة عشر من الهجرة جاء ملك الروم إلى حصن في جنوب النصرانية وبها أبو عبيدة فهزمه واستحلّ عليهم، ورجع هرقل إلى أنطاكية وقد استكمل المسلمين فتح فلسطين وطبرية والساحل كلّه. واستنصر العرب التنصريّة من غسان وخم وجذام وقدم عليهم ماهاب البطريرق وبعثه للقاء العرب، وكتب إلى عامله على دمشق منصور بن سرحون أن يمده بالأموال، وكان يعتقد عليه تكبته من قبل، واستصفى ماله حين أفرج الفرج عن حصاره بالقدسية في الأول ولاته، فاعتذر العامل للبطريرق عن المال وهوون عليه أمر العرب.

فسار من دمشق للقائهم ونازّلهم بجایة الخسولة، ثم أتبعه العامل ببعض مال جهزه العساكر، وجاء العسكر ليلاً وألقد المشاعل وضرب الطبلول ونفخ البوقات، فظّلهم الروم عسكر العرب جاؤوا من خلفهم وأنهم أحبط بهم، فأجفلوا وتساقطوا في الوادي وذهبوا طرائف إلى دمشق وغيرها من ممالك الروم، واحتلّ ماهاب بطور سيناء وترهب إلى أن هلك. وأتّبع المسلمين الفل مع منصور إلى دمشق وحاصروها ستة أشهر فرقوا على أبوابها. ثم طلب منصور العامل الأمان للروم من خالد فأمنه، ودخل المدينة من الباب الشرقي، وتسامع الروم الذين بسائر الأبواب فهربوا وتركوه، ودخل منها الأمراء الآخرون عنوة ومنصور ينادي بأمان خالد، فاختطف المسلمين قليلاً ثم انطلقوا على أمان الروم الذين كانوا بالإسكندرية بعد أن افتحها عمرو بن العاص ركبوا إليه البحر وواقوه بها.

ثم هلك هرقل لإحدى وعشرين من الهجرة والإحدى وثلاثين من ملوكه، فملك على الروم بقسطنطينية قسطنطين وتُلْه بعض نساء أبيه لستة أشهر من ملوكه، وملك آخره هرقل بن هرقل، ثم تشاءم به الروم فخلعوه وقتلوا وملکوا عليهم قسطنطين بن قسطنطين، فملك ستة عشرة سنة ومات لسابعة وثلاثين من الهجرة. وفي أيامه غزا معاوية بلاد الروم ستة أربع وعشرين وهو يومئذ أمير على الشام في خلافة عمر بن الخطاب، فدُوخَتِيَّة وفتح منها مدنًا كثيرةً وقتل، ثم أغزي عساكر المسلمين إلى قبرص في البحر ففتح منها حصوناً وضرب الجزية

على أهلها وذلك سنة سبع وعشرين.

وكان عمرو بن العاص لما فتح الإسكندرية كتب لبنيامين بطرق العيادة بالأمان، فرجم بعد ثلاث عشرة من مغيبه، وكان ولاه هرقل في أول الهجرة كما قدمنا. وملك الفرس مصر والإسكندرية عشر سنين عند حصار قسطنطينية أيام هرقل، ثم غاب عن الكرسي عندما ملك الفرس وقدموا الملكية، وبقي غالبًا ثلاثة عشرة سنة أيام الفرس عشرة وثلاث من ملوك المسلمين، ثم أنه عمرو بن العاص فعاد ثم مات في تاسعة وثلاثين من الهجرة، وخلفه في مكانه أغاثوا فملك سبع عشرة سنة.

ولما هلك قسطنطينوس بن قسطنطين في سابعة وثلاثين من الهجرة كما قتلناه ملك على الروم في القسطنطينية ابنه يوطيانوس فمكثت التي عشرة سنة وتوفي سنة حسين، فملك بعده طيباريوس ومكث سبع سنين، وفي أيامه غزا يزيد بن معاوية القسطنطينية في عساكر المسلمين وحاصرها مدة ثم أفرج عنها، واستشهد أبو أيوب الأنباري في حصارها ودفن في ساحتها، ولما قفل عنها توعدتهم بتعطيل كنائسهم بالشام إن تعرضوا لقتبه.

نم قتل طيباريوس قيصر سنة ثمان وخمسين وملك أوغسطس قيصر، وفي أيام ولاته مات أغاثوا بطرق العيادة القبط بإسكندرية وقدم مكانه يوحنا. ثم قتل أوغسطس قيصر ذبحه بعشر عبيده سنة، وملك ابنه أسطفانيوس وكان لهـ عبد الملك بن مروان. وفي سنة خمس وستين من الهجرة زاد عبد الملك في المسجد الأقصى وأدخل الصخرة في الحرم. ثم خلع أسطفانيوس ثم ملك بعده لأون ومات سنة ثمان وسبعين، وملك طيباريوس سبع سنين ومات سنة ست وثمانين.

فملك سطيانيوس وذلك في أيام الوليد بن عبد الملك، وهو الذي بني مسجد بيـي أمية بدمشق، يقال إنه أفق فيه أربعون صندوق في كل صندوق أربعون ألف دينار، وكان فيه من جملة الفعلة أثنا عشر ألف مرمخ، ويقال كانت فيه ستمائة سلسلة من الذهب لتعليق القناديل فكانت تغشى عيون الناظرين وفتـن المسلمين فـازـاـهـاـ عـمـرـ بـنـ عـبـدـ الـعـيـزـ وـرـدـهـ إـلـيـ بـيـتـ الـمـالـ.

وكان الوليد لما اعتزم على الزيادة في المسجد أمر بهدم كنيسة النصارى وكانت ملاصقة للمسجد فادخلها فيه، وهي معروفة عندهم بكنيسة مار يوحنا، ويقال إن عبد الملك طلبهم في ذلك فامتعوا، وإن الوليد بذل لهم فيها أربعين ألف دينار فلم يقولوا، فهدّمها ولم يعطهم شيئاً، وشكروا أمرها إلى عمر بن عبد العزيز وجاؤوا بكتاب خالد بن الوليد وعده أن لا تخرب

نفور في خلافة الأمين وولي ابنه أستبران قيصر، وغزا المأمون سنة خمس عشرة ومائتين إلى بلاد الروم ففتح حصنًا عدة ورجع إلى دمشق. ثم بلغه أن ملك الروم غزا طرسوس والمصيصة وقتل منها نحوًا من ألف وستمائة رجل، فرجع وأناخ على أنطواخوا حتى فتحها صلحًا، وبعث المعتضم ففتح ثلاثين من حصون الروم، وبعث يحيى بن أكثم بالعساكر فدوخ أرضهم، ورجع المأمون إلى دمشق. ثم دخل بلاد الروم وأناخ على مدينة تولزة مائة يوم وجهز إليها العساكر مع عجيف مولاً، ورجع ملك الروم فنازل عجيفاً، فامده المأمون بالعساكر فرحل عنه ملك الروم وافتتح تولزة صلحًا.

ثم سار المأمون إلى بلاد الروم ففتح سلعوس والبروة وبعث ابنه العباس بالعساcker فدوخ أرضهم وبين مدينة الطولية ميلًا في ميل وجعل لها أربعة أبواب. ثم دخل غازياً بلاد الروم ومات في غزاته سنة ثمان عشرة ومائتين. وفي أيامه غلب قسطنطين على مملكة الروم وطرد ابن نفور عنها، وفي سنة ثلاثة وعشرين ومائتين فتح المعتضم عمورية وقصتها معروفة في أخباره. أهـ كلام ابن العميد. وأغلقتنا من كلامه أخبار البطاركة من لدن فتح الإسكندرية لأنها رأيناها مستغنی عنه وقد صارت بطيئتهم الكبیري التي كانت بالإسكندرية بمدينة روما، وهي هناك للملكية ويس nomine البابا ومعناه أبو الآباء، ويقي بيلاج مصر بترك العاقدة على الماهدين من النصارى بتلك الجهات وعلى ملوك التوبة والحبشة.

وأما المسعودي فذكر ترتيب هؤلاء القياصرة من بعد المجرة والفتح كما ذكره ابن العميد، قال: والمشهور بين الناس أن المجرة وأيام الشيixin كان ملك الروم فيها هرقل، قال: وفي كتب أهل السير أن المجرة كانت على عهد قصر بن مورق، ثم كان بعده ابنه قبص بن قيصر أيام أبي بكر، ثم هرقل بن قبص أيام عمر، وعليه كان الفتح وهو المخرج من الشام أيام أبي عبيدة وخالد بن الوليد وبزيذ بن أبي سفيان فاستقر بالقسطنطينية. وبعده مورق بن هرقل أيام عثمان، وبعده مورق بن مورق أيام علي ومعاوية، وبعد قلفط بن مورق آخر أيام معاوية وأيام بزيد ومروان بن الحكيم وكان معاوية يراسله ويراسل أبوه مورق، وكانت تختلف إليه علامة نياق وبشره مورق بالملك وأخبره أن عثمان يقتل وأن الأمر يرجع إلى معاوية، وهادي ابنه قلفط حين سار إلى حرب علي رضي الله عنه، ثم نزلت جيوش معاوية مع ابنه بزيد القسطنطينية وهلك عليهما في حصاره أبو أيوب الأنصاري.

ثم ملك من بعد قلفط بن مورق لاؤن بن تلفظ أيام عبد

كتائبهم ولا تسكن، فراودهم على أحد الأربعين ألفاً التي بذلت لهم الوليد فأبوا، فأمر أن ترد عليهم فعظم ذلك على الناس، وكان قاضيه أبو إدريس الخواراني فقال لهم: تتركون هذه الكنيسة في الكنائس التي في العنة في المدينة وإلا هدمتها، فأذعنوا وكتب لهم عمر الأمان على ما يقي من كتائبهم.

وفي سنة ست وسبعين بعث كاتب الخراج إلى سليمان بن عبد الملك بأن مقاييس حلوان بطل فامر ببناء مقاييس في الجزيرة بين الفسطاط والجزيرة فهو لهذا العهد وفي سنة إحدى ومائة من المجرة ملك تداوس على الروم سنة ونصفاً، ثم ملك بعده لاؤن أربعاً وعشرين سنة، وبعده ابنه قسطنطين. وفي سنة ثلاثة عشرة وماة غزا هشام بن عبد الملك الصائفة اليسرى، وأخوه سليمان الصائفة اليمنى، ولقيهم قسطنطين في جموع الروم فانهزما وأخذوا أسيراً ثم أطلقوا بعد.

وفي أيام مروان بن محمد وولاية موسى بن نصير لقى النصارى بالإسكندرية ومصر شدة وأخذوا بغارة المال واعتقل بطرك الإسكندرية أبي ميخائيل، وطلب بجملة من المال بفنلوا موجودهم وانطلقوا يستعنون ما يحصل لهم من الصدق، وبلغ ملك التوبة ما حل بهم فرحف في مائة ألف من العساكر إلى مصر، فخرج إليه عامل مصر، فرجع من غير قتال. وفي أيام هشام ردت كتائب الملكة من أيدي العاقدة، وولي عليهم بطرك قريباً من مائة سنة، كانت رياضة البطرك فيها للعباقدة وكانوا يعيشون الأساقفة للتوحبي، ثم صارت التوبة من ورائهم للحجية عاقدة.

ثم ملك بالقسطنطينية رجل من غير بيت الملك اسمه جرجس، فبقي أيام السفاح والمتصور وأمره مضطرب، ثم مات وملك بعده قسطنطين بن لاؤن وبيني المدن وأسكنها أهل أرمينية وغيرها. ثم مات قسطنطين بن لاؤن وملك ابنه لاؤن، ثم هلك لاؤن وملك بعده نفور وفى سنة سبع وثمانين وماة غزا الرشيد هرقلة ودوخ جهاتها، وصالحة نفور ملك الروم على الجزيرة فرجع إلى الرقة وأقام شاشياً وقد كلب البرد، وأمن نفور من رجوعهم فانتقض، فعاد إليه الرشيد وأناخ عليه حتى قرر المواجهة والجزيرة عليه ورجع. ودخلت عساكر الصائفة بعدها من درب الصفاك فدواخوا أرض الروم، وجمع نفور ولقيهم فكانت عليه هزيمة شنعاء قتل فيها أربعون ألفاً ونجا نفور جريحاً.

وفي سنة تسعين وماة دخل الرشيد بالصائفة إلى بلاد الروم في مائة وخمسة وثلاثين ألفاً سوى المطوعة، وبث السرايا في الجهات، وأناخ على هرقلة ففتحها، وبلغ سيفها ستة عشر ألفاً. وبعث نفور بالجزيرة فقبل وشرط عليهم أن لا يعبر هرقلة وهلك

على من يلي شرقى الخليج حيث ملك ابن عثمان لهذا العهد، فاقام نقورة دمستنا.

وذلك أرمانوس وترك ولدين صغيرين، وكان نقورة غالباً في بلاد المسلمين فلما رجع اجتمع إليه زعماء الروم وقدموه لتدبر أمر الولدين والبسوة الناج، وسار إلى بلاد المسلمين سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة إلى حلب فهزمه سيف الدولة وملك البلد وحاصر القلعة فامتنعت عليه، وقتل ابن أخت الملك في حصارها فقتل جميع الأسرى الذين عنده ثم بنى سنة ست وخمسين مدينة بقيسارية ليجلب منها على بلاد الإسلام، فخافه أهل طرسوس واستمنوا إليه فسار إليهم وملكتها بالأمان وملك المصيصة عنده. ثم بعث أخيه في العساكر سنة تسع وخمسين إلى حلب فملكها، وهرب أبو المعالي بن سيف الدولة إلى البرية، وصالحه مرجعيه بعد أن امتنع بالقلعة ورجع.

ثم إن أم الملكين أبي أرمانوس اللذين كانوا مكفولين له، استوحشت منه ودخلت في قتل ابن الشميشق قتله سنة ستين. وقام ابن أرمانوس الأكبر وهو بسيط بتدبر ملكه، وجعل ابن الشميشق دمستنا وقام على الأورق أخيه نقورة، وعلى ابنه ورديس بن لاؤن واعتقلهما. وسار إلى الراها وميافارقين، وعاد في نواحيهما، وصانعه أبو تغلب بن حدان صاحب الموصل بالمال فرجع. ثم خرج سنة اثنين وستين، فبعث أبو تغلب ابن عمه أبي عبد الله بن حدان فهزمه وأسره وأطلقه. وكان لأم بسيط أخ قام بوزارتها فتحيل في قتل ابن الشميشق بالسم. ثم ول بسيط بن أرمانوس سقلاروس دمستنا، فعصى عليه سنة خمس وستين وطلب الملك لنفسه، وغله بسيط.

ثم خرج على بسيط ورد بن منير من عظاماء البطاركة، واستجاش بابي تغلب بن حدان وملكتها الأطراف، وهزم عساكر بسيط مرة بعد مرة، فاطلق ورديس لاؤن وهو ابن أخيه نقورة من معقله وبعثه في العساكر لقتاله فهزمه ورديس، ولحق ورد بن منير بميافارقين صريعاً بع ضد الدولة، وراسله بسيط في شأنه فجنه ضد الدولة إلى بسيط وبقضى على ورديس واعتقله ببغداد، ثم أطلقه ابنه صمام الدولة لخمس سنين من اعتقاله، وشرط عليه إطلاق أسرى المسلمين، والتزول عن حصنون عدة من معاقل الروم، وأن لا يغير على بلاد الإسلام. وسار فاستول على ملطية ومضى إلى القسطنطينية فحاصرها وقتل ورديس بن لاؤن، واستتجد بسيط بملك الروم وزوجه أخيه ثم صالح ورداً على ما بيده.

ثم هلك ورد بعد ذلك بقليل واستول بسيط على أمره وسار إلى قتال البلغار فهزمهم وملك بلادهم وعاث فيها أربعين

الملك بن مروان، وبعده جيرون بن لاؤن أيام الوليد وسلامان وعمر بن عبد العزيز. ثم غشيم المسلمون في ديارهم وغزوهم في البر والبحر، ونازل مسلمة القسطنطينية، واضطرب ملك الروم وملك عليهم جرجيس بن مرعش وملك تسع عشرة سنة ولم يكن من بيت الملك. ولم ينزل أمرهم مضطرباً إلى أن ملك عليهم قسطنطين بن اليون وكانت أمه مستبدة عليه لمكان صغره، ومن بعده نقورة بن استيراق أيام الرشيد وكانت له معه حروب وغزوه الرشيد فأعطيه الانقيادة ودفع إليه الجزية، ثم تقضي العهد فتجهز الرشيد إلى غزوه ونزل هرقلة وافتتحها سنة تسعين ومائة وكانت من أعظم مدنان الروم، وانقاد نقورة بعد ذلك وحل الشروط.

وملك بعده استيراق بن نقورة أيام الأمين، وغلب عليه قسطنطين بن قلفط وملك أيام المؤمن، وبعده توافق أيام العتصم واسترد زبطة ونازل عمورية وافتتحها وقتل من كان بها من أمر النصرانية. ثم ملك ميخائيل بن توفيق أيام الواثق والمتوكل والمتصر والمستعين، ثم تنازع الروم وملكتها عليهم توفيق بن ميخائيل، ثم غلب على الملك بسيط الصقلبي ولم يكن من بيت الملك وكان ملكه أيام المعتز والمهدى وبعضاً من أيام المعتمد، ومن بعده اليون بن بسيط بقية أيام المعتمد وصدرأً من أيام العتصى. ومن بعده الإسكندروس وتقموا سيرته فخلموه وملكتوا أخيه لاوي بن اليون بقية أيام العتصى والمكتفي وصدرأً من أيام المقترن.

ثم هلك وملك ابنه قسطنطين صغيراً وقام بأمره أرمنوس بطريق البحر وزوجه ابنته ويسمى الدمستن وهو الذي كان يحارب سيف الدولة ملك الشام من بي حدان، واتصل ذلك أيام المقترن والقاهر والراضي والمتقي. وافتقر أمر الروم وأقام بعض بطارقهم ويعرف أستقانوس في بعض النواحي وخرطب بالملك أرمنوس بطركاً بكرسي القسطنطينية. إلى هنا انتهى كلام المسعودي. وقال عقبه: فجميع سني الروم المنتصرة من أيام قسطنطين بن هلانة إلى عصرنا وهو حدود الثلثمائة والثلاثين للهجرة خمسة سنين وسبعين، وعدد ملوكهم أحد وأربعون ملكاً، قال: فيكون ملوكهم إلى الهجرة مائة وخمسين سنة. أهـ كلام المسعودي.

وفي تاريخ ابن الأثير: إن أرمانوس لما مات ترك ولدين صغيرين، وكان الدمستن على عهده قرقاش وملك ملطية من يد المسلمين بالأمان سنة اثنين وعشرين وثلاثمائة وكانت أمر الشغور لسيف الدولة بن حدان، وملك قرقاش مرعش وعزربة وحصونهما وأوقع بجيشه طرسوس مواراً، وسار سيف الدولة في بلادهم بلغ خرشنة وصارخة ودوخ البلاد وفتح حصوناً عدة ثم رجع. ثم ول أرمانوس نقورة دمستنا. وأسس الدمستن عندهم

وذلك سنة أربع وثلاثين وأربعين. ثم توفي قسطنطين سنة ست وأربعين، وملك على الروم أرماتوس وقارن ذلك بظهور الدولة السلجوقية واستيلاء طغرليك على بغداد، فردد الفزو إليهم من ناحية آذربيجان، ثم سار ابنه الملك البارسلان وملك مدنًا من بلاد الكرج منها مدينة آي واثخن في بلادهم. ثم سار ملك الروم إلى منبج وهزم ابن مرداش وابن حسان وجحوج العرب، فسار البارسلان إليه سنة ثلاث وستين وخرج أرماتوس في مائتي ألف من الروم والدوس والكرج ونزل على نواحي أرمينية، فزحف إليه البارسلان من آذربيجان فهزمه وحصل في أسره ثم فاداه على مال يعطيه وأجروه عليه وعقد معه صلحًا. وكان أرماتوس لما انهزم وثبت ميخائيل بعده على عرش الروم، فلما انطلق من الأسر ورجع دفعه ميخائيل عن الملك والتزم أحكام الصلح الذي عقده مع البارسلان وترهب أرماتوس إلى هنا انتهى كلام ابن الأثير.

ثم استفحلا ملك الإفرنج بعد ذلك واستبدوا بملك رومة وما وراءها، وكان الروم لما أخذوا بدين الصرانية حلوا عليه الأمم المجاورين لهم طرفاً وكراهاً، فدخل فيه طوائف من الأمم منهم الأرمن وقد تقدم نسبهم إلى ناحور أخي إبراهيم عليه السلام وبلدهم أرمينية وقادتها خلاط، ومنهم الكرج وهسم من شعوب الروم وبلادهم المخزr ما بين أرمينية والقسطنطينية شمالاً في جبال ممتدة، ومنه الجركس في جبال بالعدوة والشرقية من مصر نيطش وهو من شعوب الترك، ومنهم الروس في جزائر بحر نيطش وفي عدوته الشمالية ومنهم البلغار نسبة إلى مدينة لهم في العدوة الشمالية أيضاً من مجر نيطش، ومنهم البرجان أمّة كبيرة متغلبون في الشمال لا تعرف أخبارهم بعدها.

وهؤلاء كلهم من شعوب الترك وأعظم من أخذ به من الأمم الإفرنج وقادعة بلادهم فرنجة، ويقولون فرنسة بالسين ولملوكيهم الفرنسيس، وهو في سلطنة على عدوة البحر الرومي من شماله وجزيرة الأندلس من ورائهم في المغرب ففصل بينهم وبينها جبال متعرجة ذات مسالك ضيقة يسمونها البرون وساكنها الجلالقة من شعوب الإفرنج، وهؤلاء فرنسة أعظم ملوك الإفرنجية بالعدوة الشمالية من هذا البحر، واستولوا على الجزيرة البحريّة منه على صقلية وقبرص وأقريطش وجنة، واستولوا أيضاً على قطعة من بلاد الأندلس إلى برشلونة، واستفحلا ملوكهم بعد القياصرة الأول، ومن أمم الإفرنجية البتاقدة وبلادهم حفافي خليج يخرج من بحر الروم متضيّقاً إلى ناحية الشمال، ومغرياً بعض الشيء على سبعـة ميل من البحر وهذا الخليج مقابل خطيج القسطنطينية.

سنة. واستمدّه صاحب حلب أبو الفضائل بن سيف الدولة، فلما زحف إليه منجوتكين صاحب دمشق من قبل الخليفة بمصر سنة إحدى وثمانين، فجاء بسيل للده وهزمه منجوتكين ورجع مهزوماً ورجع منجوتكين إلى دمشق، ثم عاودوا المصارف جاء بسيل صريناً لأبي الفضل فأجلف منجوتكين من مكانه على حلب، وسار إلى حص وشير فملكها وحاصر طرابلس، وصالحة ابن مروان على ديار بكر. ثم بعث الدوقس الدمشقي إلى أمّة فبعث إليه صاحب مصر أبا عبد الله بن ناصر الدولة بن حمدان في العساكر فهزمه وقتلها.

ثم هلك بسيل سنة عشر وأربعين ليف وسبعين من ملكه وملك بعده آخره قسطنطين وأقام تسعًا ثم هلك عن ثلاث بنيات، فملك الروم عليهم الكبرى منهان وأقام بأمرها ابن خالها أرماتوس وتزوجت به فاستولى على مملكة الروم. وكان خاله ميخائيل متحكماً في دولته ومداخلاً لأهله فمالت إليه الملكة وحملته على قتل أرماتوس، فقتله واستولى على الأمر. ثم أصابه الصرع وأداء فحمد لابن أخيه واسمه ميخائيل أيضاً وكان أرماتوس قد خرج سنة إحدى وعشرين إلى حلب في ثلاثة آلاف مقاتل، ثم خار عن اللقاء فاضطرب ورجع واتبه العرب فهويا عساكرة، وكان معه ابن الدوقس من عظامه البطارقة فارتبا وقبض عليه. وخرج سنة ثنتين وعشرين وأربعين في جحود الروم فملك الرها وسرrog وهو عساكرة ابن مروان.

ولما ملك ميخائيل سار إلى بلاد الإسلام فلقيه الدريري صاحب الشام من قبل العلوية فهزمه واقتصر الروم بعدها عن الخروج إلى بلاد الإسلام. وملك ميخائيل ابن أخيه كما قلناه وبعض على أنحواله وقرابتهم وأحسن السيرة في المملكة، ثم طلب زوجته في الخليج فآتت، فتلقاها إلى بعض الجزاير واستولى على المملكة سنة ثلاث وثلاثين وأربعين. ونكر عليه البارك ما وقع فيه فهم بقتله ودخل بعض حاشيته في ذلك، وغنى الخبر إلى البارك فنادي في الصرانية بخلعه وحاصره في قصره واستدعي الملكة التي خلّعها ميخائيل من مكانها وأعادوها إلى الملك فافتت ميخائيل كما تقروا أولاً.

ثم اتفق البارك والروم على خلع الملكة بنت قسطنطين وملوكها أختها الأخرى تودورة وسلموا ميخائيل لها، ثم وقعت الفتنة بين شيعة تودورة وشيعة ميخائيل واتصلت، وطلب الروم أن يملأوا عليهم من يمحو هذه الفتنة وأقرعوا على المرشحين فخرجت القرعة على قسطنطين منهم فملكوه أمرهم، وتزوج بالملكة الصغيرة تودورة وجعلت أختها الكبرى على ما بذلته لها

وعظمت الفتن في تلك الآفاق ودامت الحال على ذلك نحواً من مائة سنة وملك الروم بالقسطنطينية في تناقض وأضاحلال. وكان روجيه صاحب صقلية يغزو القسطنطينية من البحر ويأخذ ما يجد في مرساها من سفن التجار وشوانى المدينة، ولقد دخل جرجي بن ميخائيل صاحب أسطوله إلى ميناء القسطنطينية سنة أربع وأربعين وخمسة ورمت قصر الملك بالسهام، فكانت تلك أنكى على الروم من كل ناحية.

ثم كان استيلاء الإفرنج على القسطنطينية آخر المائة السادسة وكان من خبرها أن ملك الروم بالقسطنطينية أصهر إلى الفرنسيين عظيم ملوك الإفرنج في أخته فزوجها له الفرنسيس وكان له منها ابن ذكر، ثم وثب بملك الروم آخره فسمله وملك القسطنطينية مكانه. ولحق الإنجاله الفرنسيين صريحاً به على عمه فوجده قد جهز الأساطيل لارتفاع بيت المقدس، واجتمع فيها ثلاثة من ملوك الإفرنجية بعساكرهم: دوقس البناقة صاحب المراكب البحريّة وفي مراكبها كان ركوبهم، وكان شيئاً أعمى تقاداً ذا ركب والمركس مقدم الفرنسيس وكيفليد وهو أكبرهم، فامر الفرنسيس بالجواز على القسطنطينية ليصلحوا بين ابن اخته وبين عمه ملك الروم، فلما وصلوا إلى مرسى القسطنطينية، خرج عمه وحاربهم فهزموه ودخلوا البلد وهرب إلى أطراف البلد وقتل حاضروه وأضرموا النار في البلد، فاشتغل الناس بها وأدخل الصبي بشيّعته، فدخل الإفرنج معه وملکوا البلد وأجلسوا الصبي في ملكه وسامأ ثرهم في البلد، صادروا أهل النعم وأخذوا أموال الكائنات، وثقلت وطانتهم على الروم فمقلاوا الصبي وأخرجوهم واستعدوا ملوكهم عم الصبي من مكان مقره وملكته عليهم.

وحاصرهم الإفرنج فاستجذب سليمان بن قليع أرسلان صاحب قونية وبلاط الروم شرقى الخليج، وكان في البلد خلق من الإفرنج، فقبل أن يصل سليمان ثاروا فيها وأضرموا النيران حتى شغل بها الناس، وفتحوا الأبواب فدخل الإفرنج واستباحوا ثمانية أيام حتى افترت، واعتصم الروم بالكنيسة العظمى منها وهي صوفيا. ثم خرجت جماعة القسيسين والأساقفة والرهبان، في أيديهم الإخْيَل والصلبان فقتلوهم أجمعين، ولم يراعوا لهم ذمة ولا عهداً، ثم خلعوا الصبي واقتربوا ثلاثتهم على الملك فخرجت القرعة على كيفليد كبيرهم فملکوه على القسطنطينية وما يجاورها، وجعلوا لدوقس البناقة الجزائر البحريّة مثل أقريطش ورودس وغيرهما، وللمركس مقدم الفرنسيس البلاد التي في شرقى الخليج. ثم تغلب عليهم بطريق من بطارقة الروم اسمه لسكري ودفع عنها الإفرنج وفقيت بيده واستولى بعدها على

وفي القرب منه وعلى ثمان مراحل من بلاده جنوة، ومن ورائها مدينة روما حاضرة الإفرنجية ومدينة ملوكهم وبها كرسى البطريرك الأكبر الذي يسمونه البابا. ومن أمم الإفرنجية الجلالقة وبلادهم الأنجلوس وهؤلاء كلهم دخلوا في دين النصارى تبعاً للروم إلى من دخل منهم من أمم السودان والحبشة والنوبة، ومن كان على ملكة الروم من برابرة العدوة بالغرب مثل نغزاوة وهوارة بأفريقية والمصادمة بالغرب الأقصى، واستفحّل ملك الروم ودين النصارى.

ولما جاء الله بالإسلام وغلب دينه على الأديان وكانت مملكة الروم قد انتشرت في حفافي البحر الرومي من علوته، فانتزعوا منها لأول مره عدوته الجنوية كلها من الشام ومصر وأفريقية والغرب وإجازوا من خليج طنجة فملکوا الأنجلوس كلها من يد القرطاج والجلالقة وضعف أمر الروم وملوكهم بعد الانتهاء إلى غايتها شأن كل أمّة. ثم شغل الإفرنجية بما دهمهم من العرب في الأنجلوس والجزائر بما كانوا يتخيّلنهم ويرددون الصوائف إلى بساطتهم أيام عبد الرحمن الداخل وبنيه بالأأنجلوس، وعبد الله الشيعي وبنيه بأفريقية. وملکوا عليهم جزائر البحر الرومي التي كانت لهم صقلية وموريقة ودانية وأخواتها، إلى أن فشل ريح الدولتين وضعف ملك العرب، فاستفحّل الإفرنجية ورجعت لهم واسترجعوا ما ملکه المسلمون إلا قليلاً بسيف البحر الرومي مضائق العرض في طول أربع عشرة مرحلة واستولوا على جزائر البحر كلها.

ثم سموا إلى ملك الشام وبيت المقدس مسجد أنبيائهم ومطلع دينهم فسرروا إليه آخر المائة الخامسة، وتوابوا على الأمصار والمحصون وسواحله. ويقال: إن المستنصر العيدي هو الذي دعاهم لذلك وحضرهم عليه لما رجا فيه من اشتغال ملك السلاجوقية بأمرهم، وإنما هم سداً بينه وبينهم عندما سموا إلى ملك الشام ومصر. وكان ملك الإفرنجية يومئذ اسمه بردويل وصهره روجيه ملك صقلية من أهل طاعته، فظاهروا على ذلك وساروا إلى القسطنطينية سنة إحدى وستين ليجعلوها طريقاً إلى الشام، فمنعهم ملك الروم يومئذ ثم أجازهم على أن يعطوه ملطية إذا ملکوها فقبلوا شرطه. ثم ساروا إلى بلاد ابن قططمش، وقد استولى يومئذ على مرية وأعمالها وأرزن الروم وأنصر وسيواس.

افتتح تلك الأعمال كلها عند هبوب ريح قومه على السلاجوقية، ثم حدثت الفتنة بينهم وبين الروم بالقسطنطينية، واستجذب كل منهم بملوك المسلمين في ثخور الشام والجزيرة،

## الخبر عن القوط وما كان لهم من الملك بالأندلس إلى

القسطنطينية، وكان اسمه ميخائيل.

برومة منهم مكان سمة قيسار، فاختل了一 عليه أصحابه في ذلك فرج عنـه.

ثم صالح الرومانيين على أن يكون له ما يفتح من بلاد الأندلس لما كان أمر الرومانيين قد ضعف عن الأندلس ولحق بها ثلات طوائف من الغريقيين فاقسموا ملكها وهم الأيوس والشوانيون والفتالسيـن وباسم فتالس سميت الأندلس، وكان بالأندلـس من قبلهم الأربـاريين من ولد طوال بن يافـث وهم أخوة الأنطاليـس، سكـنـوها من بعد الطوفـان وصارـوا إـلـى طـاعـة أـهـل رـومـة، حتى دـخـلـوا هـؤـلـاء الـطـوـالـعـ منـ الغـرـيـقـيـنـ عـنـدـمـاـ اـقـتـحـمـواـ القـوـطـ مـدـيـنـةـ رـومـةـ وـغـلـبـواـ الـأـمـمـ الـذـيـنـ كـانـواـ بـهـاـ مـنـ وـلـدـ طـوـالـ.

وقد يقال: إن هـؤـلـاء الـطـوـالـعـ كـلـهـمـ منـ ولـدـ طـوـالـ بنـ يـافـثـ وـلـيـسـواـ مـنـ الـغـرـيـقـيـنـ، وـاقـتـسـمـ هـؤـلـاءـ الـطـوـالـعـ مـلـكـهاـ وـكـانـ جـلـقـيـةـ لـفـتـالـسـ وـلـشـوـانـيـةـ وـمـارـدـةـ وـطـلـيـطـلـةـ وـمـرـسـيـةـ لـشـوـانـشـ وـكـانـواـ أـشـرـافـهـمـ. وـكـانـ إـشـبـيلـيـةـ وـقـرـطـبـةـ وـجـيـانـ وـطـالـعـةـ لـلـأـثـيـقـ وـأـمـيرـهـمـ عـنـدـ رـيـقـشـ أـخـوـ لـشـيـشـ أـربعـينـ سـنـةـ حـينـ زـحـفـ إـلـيـهـمـ الـقـوـطـ مـنـ رـومـةـ، وـكـانـ قـدـ ولـىـ عـلـيـهـمـ بـعـدـ اـطـفـانـشـ مـلـكـ آخـرـ مـنـهـمـ طـشـرـيـكـ وـقـتـلـهـ الـرـوـم~انـيـونـ، وـولـيـ مـكـانـهـ مـنـهـمـ مـاـسـتـهـ ثـلـاثـ سـنـينـ وـزـوـجـ أـخـتـهـ مـنـ طـوـدـوـسـيـوسـ مـلـكـ الـرـوـم~انـيـونـ وـصـالـحـهـ عـلـىـ أـنـ يـكـونـ لـهـ مـاـ يـفـتـحـهـ مـنـ الـأـنـدـلـسـ.

ثـمـ مـاتـ وـلـيـ مـكـانـهـ لـزـرـيقـ ثـلـاثـ عـشـرـ سـنـةـ وـهـوـ الـذـيـ زـحـفـ إـلـىـ الـأـنـدـلـسـ وـقـتـلـ مـلـوكـهـ وـطـرـدـ طـوـافـهـ الـذـيـنـ كـانـواـ بـهـاـ فـأـجـازـواـ إـلـىـ طـنـجـةـ وـتـغـلـبـواـ عـلـىـ بـلـادـ الـبـيـرـ وـصـرـفـواـ الـبـرـيـرـ الـذـيـنـ كـانـواـ بـالـدـعـوـةـ عـنـ طـاعـةـ الـقـسـطـنـطـيـنـ إـلـىـ طـاعـهـمـ، فـلـمـ يـزـلـ السـوـاـ عـلـىـ ذـلـكـ إـلـىـ دـوـلـةـ يـسـتـيـانـوـسـ خـرـوـاـ مـنـ ثـلـاثـ سـنـةـ، ثـمـ هـلـكـ طـرـيقـ مـلـكـ الـقـوـطـ بـالـأـنـدـلـسـ وـلـيـ مـكـانـهـ (.....) سـبـعـ عـشـرـ سـنـةـ، وـأـنـقـضـ عـلـيـهـ الـبـيـسـكـتـ إـحـدـيـ طـوـافـهـ الـقـوـطـ فـزـحـفـ إـلـيـهـمـ وـرـدـهـمـ إـلـىـ طـاعـهـمـ ثـمـ هـلـكـ وـلـيـ بـعـدـ الـدـيـكـ ثـلـاثـاـ وـعـشـرـ سـنـةـ، وـكـانـ الـإـفـرـنجـ قـدـ لـعـهـدـهـ قـدـ طـمـعـواـ فـيـ مـلـكـ الـأـنـدـلـسـ وـأـنـ يـغـلـبـواـ عـلـيـهـمـ الـقـوـطـ، فـجـمـعـواـ لـهـ وـمـلـكـواـ عـلـىـ أـنـفـسـهـمـ مـنـهـمـ، فـزـحـفـ إـلـيـهـمـ الـدـيـكـ فـيـ أـمـ الـقـوـطـ إـلـىـ أـنـ تـوـغـلـ فـيـ بـلـادـ الـإـفـرـنجـ فـغـلـبـوهـ وـقـتـلـوهـ وـعـامـةـ أـصـحـابـهـ.

وـكـانـ الـقـوـطـ قـبـلـ دـخـوـلـهـ إـلـىـ الـأـنـدـلـسـ فـرـقـيـنـ كـمـاـ ذـكـرـناـ فـيـ دـوـلـةـ بـلـنـسـيـانـ بـنـ قـسـطـنـطـيـنـ مـنـ الـقـيـاصـرـةـ، وـكـانـ إـحـدـيـ الـفـرـقـيـنـ قـدـ أـنـاقـتـ بـمـكـانـهـ مـنـ نـوـاحـيـ رـومـةـ فـلـمـ بـلـنـهـمـ خـبـرـ الـدـيـكـ صـاحـبـ الـأـنـدـلـسـ مـنـهـمـ اـمـتـضـواـ لـذـلـكـ، وـكـانـ أـمـيرـهـمـ طـوـرـدـيـكـ مـنـهـمـ، فـزـحـفـ إـلـىـ الـإـفـرـنجـ وـغـلـبـهـمـ عـلـىـ مـاـ كـانـواـ يـلـكـونـهـ مـنـ الـأـنـدـلـسـ، وـدـخـلـ الـقـوـطـ الـذـيـنـ كـانـواـ بـالـأـنـدـلـسـ فـيـ طـاعـهـ فـوـلـيـ

وـفـيـ كـاتـبـ الـمـزـيدـ صـاحـبـ حـمـةـ أـقـامـ بـعـضـ الـمـصـوـنـ ثـمـ بـنـيـتـ الـقـسـطـنـطـيـنـيـةـ وـمـلـكـهـاـ وـفـرـ الإـفـرـنجـ فـيـ مـارـاـبـهـمـ وـمـلـكـ الـرـومـ وـقـتـلـ الـذـيـ كـانـ مـلـكـاـ قـبـلـهـ، وـتـوـقـيـتـ سـنـةـ إـحـدـيـ وـثـمـانـيـنـ وـسـتـمـائـةـ وـعـقـدـ مـعـ الصـلـحـ الـمـنـصـورـ قـلـاـوـنـ صـاحـبـ مـصـرـ وـشـامـ لـذـلـكـ الـعـهـدـ، قـالـ: وـمـلـكـ بـعـدـ اـبـنـهـ مـاـنـدـ وـيـلـقـبـ الدـوـقـ وـشـهـرـتـهـمـ جـيـعاـ الـلـسـكـرـيـ ثـمـ اـنـقـرـضـتـ دـوـلـةـ بـنـيـ قـلـيـجـ أـرـسـلـانـ، وـمـلـكـ أـعـمـالـهـ التـرـ كـماـ نـذـكـرـ فـيـ أـخـبـارـهـ، وـبـقـيـ بـنـيـ الـلـسـكـرـيـ مـلـوكـاـ عـلـىـ الـقـسـطـنـطـيـنـيـةـ إـلـىـ هـذـاـ الـعـهـدـ، وـمـلـكـ شـرـقـيـ الـخـلـيـجـ بـعـدـ اـنـقـضـاءـ دـوـلـةـ التـرـ مـنـ بـلـادـ الـرـومـ اـبـنـ عـثـمـانـ جـنـقـ أمـيرـ الـرـكـمـانـ، وـهـوـ الـآنـ مـتـحـكـمـ عـلـىـ صـاحـبـ الـقـسـطـنـطـيـنـيـةـ وـمـتـغـلـبـ عـلـىـ نـوـاحـيـهـ مـنـ سـائـرـ جـهـاتـهـ. وـهـذـاـ مـاـ بـلـغـنـاـ مـنـ أـخـبـارـ الـرـومـ مـنـ أـوـلـ دـوـلـهـمـ مـنـذـ يـوـنـانـ وـالـقـيـاصـرـةـ هـذـاـ الـعـهـدـ. وـالـلـهـ وـارـثـ الـأـرـضـ وـمـنـ عـلـيـهـ وـهـوـ خـيرـ الـوـارـثـيـنـ.

## الـخـبـرـ عـنـ الـقـوـطـ وـمـاـ كـانـ لـهـ مـنـ الـمـلـكـ بـالـأـنـدـلـسـ إـلـىـ حـينـ الـفـتـحـ الـإـسـلـامـيـ وـأـوـلـيـةـ ذـلـكـ وـمـصـايـرـهـ

هـذـهـ أـمـمـ اـهـلـ الـدـوـلـةـ الـعـظـيمـةـ الـمـعـاـصـرـةـ لـدـوـلـ الـطـبـقـةـ الثـانـيـةـ مـنـ الـعـرـبـ وـقـدـ ذـكـرـنـاهـ عـقـبـ الـطـبـيـنـ لـأـنـ الـمـلـكـ صـارـ إـلـيـهـمـ مـنـ بـيـنـهـمـ كـمـاـ ذـكـرـنـاهـ، وـسـيـاقـهـ الـخـبـرـ عـنـهـمـ أـنـهـمـ كـانـواـ يـعـرـفـونـ فـيـ الزـمـنـ الـقـدـيـمـ بـالـسـيـسـيـنـ نـسـبـةـ إـلـىـ الـأـرـضـ الـقـيـاصـرـيـةـ كـانـواـ يـعـمـرـونـهـاـ بـالـمـشـرقـ فـيـمـاـ بـيـنـ الـفـرـسـ وـالـيـونـانـ، وـهـمـ فـيـ نـسـبـهـمـ إـخـرـوـةـ الـصـينـ مـنـ وـلـدـ مـاغـوـغـ بـنـ يـافـثـ، وـكـانـ لـهـمـ مـعـ الـمـلـوـكـ الـسـرـيـانـيـنـ حـرـوبـ مـوـصـوفـةـ زـحـفـ إـلـيـهـمـ فـيـهـاـ مـوـمـنـ مـالـيـ مـلـكـ سـرـيـانـ فـدـافـعـهـ لـعـهـدـ إـبـرـاهـيـمـ الـخـلـيلـ عـلـيـهـ السـلـامـ، ثـمـ كـانـ لـهـمـ حـرـوبـ مـعـ الـفـرـسـ عـنـدـ خـرـبـ بـيـتـ الـقـدـسـ وـبـنـاءـ رـومـةـ.

ثـمـ غـلـبـهـمـ الـإـسـكـنـدـرـ وـصـارـواـ فـيـ مـلـكـهـ وـانـدـرـجـواـ فـيـ قـبـائلـ الـرـومـ وـيـوـنـانـ. ثـمـ لـمـ ضـعـفـ أـمـرـ الـرـومـ بـعـدـ الـإـسـكـنـدـرـ وـتـغـلـبـواـ عـلـىـ بـلـادـ الـغـرـيـقـيـنـ وـمـقـدـونـيـةـ وـبـنـيـةـ لـيـامـ غـلـيـونـ بـنـ بـارـيـانـ مـنـ مـلـوـكـ الـقـيـاصـرـةـ وـكـانـتـ قـبـيلـهـ مـنـ بـيـنـهـمـ حـرـوبـ سـجـالـ، ثـمـ غـلـبـهـمـ الـقـيـاصـرـةـ مـنـ بـعـدهـ وـظـفـرـواـ بـهـمـ، حـتـىـ إـذـ اـنـتـقـلـ الـقـيـاصـرـةـ إـلـىـ الـقـسـطـنـطـيـنـيـةـ وـفـشـلـ أـمـرـهـمـ بـرـوـمـةـ زـحـفـ إـلـيـهـاـ هـؤـلـاءـ الـقـوـطـ وـاقـتـحـمـهـاـ عـنـوـةـ فـاسـتـبـاحـهـاـ. ثـمـ خـرـجـواـ عـنـهـاـ لـيـامـ طـوـدـوـسـيـوسـ بـنـ أـرـكـادـيـوسـ بـعـدـ حـرـوبـ كـثـيرـةـ، وـكـانـ أـمـيرـهـمـ لـذـلـكـ الـعـهـدـ أـنـظـرـكـ كـمـاـ ذـكـرـنـاهـ، وـمـاتـ لـعـهـدـ طـوـدـوـسـيـوسـ وـأـرـادـواـ أـنـ يـجـعـلـ اـسـمـهـ مـسـمـةـ الـمـلـوـكـ

تارة ويتهى إليهم العز والغلبة بالكثرة فيظفرون بالملك ويغلبون على الأقاليم والمدن والأمصار، ثم يهلكهم الترفة وال tumult وينقلبون عليهم ويقتلون ويرجعون إلى بادتهم، وقد هلك المتصدرون منهم للرياسة بما باشروا من الترف ونضارة العيش وتقصير الأمر لغيرهم من أولئك المبعدين عنهم بعد عصور أخرى. هكذا سنة الله في خلقه وللبادية منهم مع من يجاورهم من الأمم حروب ووقائع في كل عصر وجيل بما ترکوا من طلب المعاش، وجعلوا طلب المعاش رزقهم في معاشهم بترصد السبيل واتهاب متاع الناس، ولا استفحلا الملك للعرب في الطبقة الأولى للعمالقة، وفي الثانية للتباعدة، وكان ذلك عن كثتهم فكانوا متشردين لذلك العهد باليمين والخجاز ثم بالعراق والشام، فلما تقلص ملوكهم و كانوا بالعراق منهم بقية أقاموا ضاحين من ظل الملك. يقال في مبدأ كونهم هنالك أن مختنصر لما سلطه الله على العرب وعلى بي إسرائيل بما كانوا من بغتهم وقتلهم الأنبياء، قتل أهل الورب بناحية عدن اليعن نبيهم شعيب بن ذي مهدم على ما وقع في تفسير قوله تعالى: «فَلَمَّا أَخْسَرُوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مُنْهَا يُرْكَضُونَ». فاوحي الله إلى إرميا بن حرقا ويزخيا أن يسيرا مختنصر إلى العرب الذين لا أغلاق لبيوتهم أن يقتل ولا يستحي ويستلهمهم الجماعين ولا يقي منهم أثر، وقال مختنصر: أنا رأيت مثل ذلك. وسار إلى العرب، وقد نظم ما بين آيلة والأبلة خيلاً ورجلاً، وتسامع العرب باقطار جزيرتهم واجتمعوا للقاء، فهزم عدنان أولاً ثم استلحם الباقين ورجع إلى بابل، وجع السبابا فائزهم بالأبار ثم خالطهم بعد ذلك النبطة.

وقال ابن الكلبي: إن مختنصر لما نادى بغزو العرب افتح أمره بالقبض على من كان في بلاده من تجارهم للميري وأنزلهم الحرية، ثم خرج إليهم في الساكن فرجعت قبائل منهم إليه آثروا الإذعان والمسالمة، وأنزلهم بالسواد على شاطئ الفرات، وابتزوا موضع عسکرهم وسموه الآبار، ثم انزلهم الحرية فسكنوها سائر أيامه ورجعوا إلى الآبار بعد مهلكة.

قال الطبرى: إن تبعاً أبا كرب لما غزا العراق أيام أردشير بهمن كانت طريقه على جبل طيء ومنه إلى الآبار، وانتهى إلى موضع الحرية ليلاً، فتغير وأقام فسمى المكان الحرية. ثم سار لوجهه وخلف هنالك قوماً من الأزد وخلم وجذام وعاملة وقضاعة، وطنوا وبنوا ولحق بهم ناس من طيء وكلب والسكنون وإلياد والحرث بن كعب فكانوا معهم، وقيل وهو قريب من الأول: خرج تبع في العرب حتى تحرروا بظاهر الكوفة فنزل بها ضعفاء الناس فسميت الحرية، ولما رجع ووجدهم قد استطردوا

عليهم ابنه أشتريك ورجع إلى مكانه من نواحي رومة، فزحف إلى الفرنج إلى محاربة أشتريك حتى غلبه على طلوسة من ناحيتهم. وهلك أشتريك بعد خس سنتين من ملكه وولى عليهم بعده بشقيق أربع سنتين، ثم بعده طورديق إحدى وستين سنة وقتلته بعض أصحابه بأشبيلية، وولى بعده أبريليق خس سنتين، وبعد طودس ثلاث عشرة سنة، وبعده طودشكيل سنتين، وبعد إيلة خس سنتين وانتقض عليه أهل قربطبة فحاربهم وتغلب عليهم. وبعده طنجاد خس عشرة سنة، وبعد ليلة ستة واحدة، وبعده لوبليدة ثمانى عشرة سنة وانتقضت عليه الأطراف فحاربهم وسكنهم وتكر عليه النصارى تثليث أريش وراودوه على الأخذ بتوحيدهم الذين يزعمونه قابلي وحاربهم قتل. وولى ابنه زدرىق ست عشرة سنة ورجع إلى توحيد النصارى بزعمه وهو الذي بنى البلاد المسوية إليه بقربطبة.

ولما هلك ولـيـ بـعـدـهـ علىـ القـوطـ لـيـوـنـ سـتـيـنـ،ـ وبـعـدـهـ تـبـدـيـقـاـ عـنـ دـمـارـ سـتـيـنـ،ـ وبـعـدـهـ شـيـشـوـطـ ثـمـانـيـ سـتـيـنـ وـ عـلـىـ عـهـدـهـ كـانـ هـرـقـلـ مـلـكـ قـسـطـنـطـيـنـيـةـ وـ الشـامـ،ـ وـ لـهـدـهـ كـانـ الـمـجـرـةـ،ـ وهـلـكـ شـيـشـوـطـ مـلـكـ الـقـوطـ وـ لـوـيـ بـعـدـهـ زـدـرـيـقـ آـخـرـ مـنـهـ ثـلـاثـةـ أـشـهـرـ،ـ وبـعـدـهـ شـتـلـهـ ثـلـاثـ سـيـنـ،ـ وبـعـدـهـ سـتـشـادـشـ خـسـ سـيـنـ،ـ وبـعـدـهـ خـشـونـدـ سـيـنـ،ـ سـيـنـ،ـ وبـعـدـهـ جـشـونـدـ ثـلـاثـاـ وـعـشـرـيـنـ سـيـنـ،ـ وـهـذـهـ الـعـصـورـ اـبـتـداـ ضـعـفـ الـأـحـكـامـ لـلـقـوطـ.ـ وـبـعـدـهـ مـاـيـهـ ثـمـانـ سـيـنـ،ـ وبـعـدـهـ لـوـرـيـ ثـمـانـ سـيـنـ،ـ وبـعـدـهـ إـلـيـقـهـ سـتـ عـشـرـةـ سـيـنـ،ـ وبـعـدـهـ غـطـسـةـ أـرـبـعـ شـرـةـ سـيـنـ،ـ وـهـوـ الـذـيـ قـعـ مـنـ قـصـتـهـ مـعـ اـبـيـ يـلـيـانـ عـاـمـ طـنـجـةـ مـاـ وـقـعـ.ـ ثـمـ بـعـدـهـ زـدـرـيـقـ سـتـيـنـ وـهـوـ الـذـيـ دـخـلـ عـلـىـ الـمـسـلـمـوـنـ وـغـلـبـوـهـ عـلـىـ مـلـكـ الـقـوطـ وـمـلـكـوـ الـأـنـدـلـسـ،ـ وـلـذـلـكـ الـمـهـدـ كـانـ الـوـلـيدـ بـنـ عـبـدـ الـمـلـكـ حـسـبـاـ نـذـكـرـهـ عـنـ فـتـحـ الـأـنـدـلـسـ إـنـ شـاءـ اللـهـ تـعـالـىـ،ـ هـذـهـ سـيـاقـةـ الـخـيـرـ عـنـ هـؤـلـاءـ الـقـوطـ نـقـلـهـ مـنـ كـلـامـ هـرـوـشـيوـشـ وـهـوـ أـصـحـ مـاـ رـأـيـاهـ فـيـ ذـلـكـ وـالـلـهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـ مـوـفـقـ الـمـعـينـ بـفـضـلـهـ وـكـرـمـهـ لـاـ ربـ غـيرـهـ وـلـاـ مـأـمـولـ إـلـاـ خـيـرـهـ.

## الطبقة الثالثة من العرب وهم العرب التابعة للعرب وذكر أفاريقهم وأنسابهم وملوكهم وما كان لهم من الدول على اختلافها والبادية والرحالة منهم وملوكها

هذه الأمة من العرب البادية أهل الخيام الذين لا أغلاق لهم لم يزالوا من أعظم أسم العالم وأكثر أجيال المخلقة، يكتشرون الأسم

ونزل كثير من تنوخ ما بين الحرية والأنبار بادين في الخيام لا يأولون إلى المدن ولا يختالطون أهلها، وكانوا يسمون عرب الصاجية، وأول من ملك منهم أزمان الطوائف مالك بن فهم، وبعده آخره عمرو، وبعده ابن أخيه جذبة الأبرش كما يأتي ذكر ذلك كل، وكان أيضاً ولد عمرو مزيقياه بعد خروجه من اليمن بالأزد قومه عند خروجه اندرهم بسيل العرم في القصة المشهورة، وقد انتشروا بالشام وال العراق وتختلف من مختلف منهم بالحجاز وهم خزاعة، فنزلوا من الظهران وقاتلوا جرهمما يمكثة فغلبوا عليهم، ونزل نصر بن الأزد عمان، ونزلت غسان جبال الشراة، وكانت لهم حروب مع بني معد إلى أن استقروا هنالك في التخوم بين الحجاز والشام.

هذا شأن من أوطان العراق والشام من قبائل سبا، تسامم منهم أربعة وبقي باليعن ستة وهم: مذحج وكبدة والأشعريون وحمير وأئمار وهو أبو خثعم وبجبلة، فكان الملك هرؤاء باليعن في حمير ثم التابعة منهم، ويظهر من هذا أن خروج مزيقياه والأزد كان لأول ملك التابعة أو قبله بيسير، وأما بني معد بن عدنان فكان إرميا ويرخياما أو حي إليهما يغزو مختنصر العرب، أمرهما الله أن يستخرجا معد بن عدنان لأن من ولده عمداً الله، آخر جه آخر الزمان أختم به النبيين وأرفع به من الضعف، فآخر جه على البراق وهو ابن الثنبي عشرة سنّة، وذهبوا به إلى حران فربى عندهما، وغرا مختنصر العرب واستلهمهم وهلك عدنان وبقيت بلاد العرب خرابة، ثم هلك مختنصر فخرج معد بن عدنان مع أئماء بني إسرائيل، فهجروا جميعاً وطفق يسأل عنهم بقى من ولد الحمرث بن مصاض الجرمي. وكانت قبائل دوس (.....) أكثر جرهم على يده فقيل له بقى جرهم بن جلهة، فتزوج ابنته معانة وولدت له نزار بن معد.

قال السهيلي: وكان رجوع معد إلى الحجاز بعدما رفع الله بأسه عن العرب، ورجعت بقاياهم التي كانت بالشواهد إلى مجالتهم بعد أن دوخ مختنصر بلاهيم وخراب معورهم واستأصل حضورها وأهل الرس التي كانت سطوة الله بالعرب من أجلهما. أهـ. كلام السهيلي، ثم كثر نسل معد في ربيعة ومضر ولإياد، وتدافعوا إلى العراق والشام، وتقدم منهم أشلاء قفص كما ذكرنا وجاؤوا على آثرهم، فنزلوا مع أحياه اليمنية الذين ذكرناهم قبل، وكانت لهم معتبع حروب وهو الذي يقول:

لست بساليفيالي إني لم تركض الخيل في سواد العراق أو تؤدي ربيعة الخرج قسراً لم تعتمها موانع العوائق ثم كان بالعراق والشام والجاز أيام الطوائف ومن بعدهم

تركهم هنالك وفيهم من كل قبائل العرب من هذيل وخشم وجعنى وطيء وكلب وبنى لحيان من جرمهم.

قال هشام بن محمد: مات مختنصر انتقل الذين أسكنهم بالحرية إلى الأنبار ومعهم من انسن إليهم من بني إسماعيل وبني معد وانقطعت طرائع العرب من اليمن عنهم، ثم كثر أولاد معد وفرقهم العرب، وخرجوا يطلبون النشع والريف فيما يليهم من بلاد اليمن ومشارف الشام، وزلت قبائل منهم البحرين وبها يومئذ قوم من الأزد نزلوها أيام خروج مزيقياه من اليمن، وكان الذين أقبلوا من تهامة من العرب مالك وعمرو ابنا فهم بن تيم الله بن أسد بن وبرة بن قضاعة وإبن أخيهما مالك بن زهير وابن عمرو بن فهم في جماعة من قومهم والختار بن الحسين بن عمرو بن معد بن عدنان في ققص كلها ولحق بهم غطفان بن عمرو بن لطمان بن عبد مناف بن بعدم بن دعى بن أبياد بن أرقص بن صبيح بن الحارث بن أقصى بن دعى وزهير بن الحمرث بن أليل بن زهير بن أيداد.

واجتمعوا بالبحرين وتحالفوا على المقام والتناصر وأنهم يد واحدة، وكان هذا الاجتماع والتحالف أزمان الطوائف، وكان ملكهم قليلاً ومتفرقأً وكان كل واحد منهم يغير على صاحبه ويرجع على أكثر من ذلك. فتطلعت نفوس العرب بالبحرين إلى ريف العراق، وطمعوا في غالب الأعاجم عليه أو مشاركتهم فيه، وأقبلوا الخلاف الذي كان بين الطوائف وأجمع رؤساًوهم المسير إلى العراق. فسار منهم الأول الختار بن الحسين في أشلاء ققص بن معد ومن معهم من أخلاق الناس، فوجدوا بأرض بابل إلى الموصل بني إرم بن سام الذين كانوا ملوكاً بدمشق، وقيل لها من أجلهم دمشق إرم وهم من بقايا العرب الأولى، فوجدوهم يقاتلون ملوك الطوائف، فدفعوهم عن سواد العراق، فارتفعوا عنه إلى أشلاء ققص، هؤلاً ينسرون إلى عمرو بن عدي بن ربيعة جد بني المندر عند نسبة مصر، وفي قول حاد الرواية كما يأتي ذكره.

ثم طلع مالك وعمرو ابنا فهم وابن مالك بن زهير من قضاعة وغطفان بن عمرو وصبيح بن دعى وزهير بن الحمرث من إياد فيما معهم من غسان وحلقائهم بالأنبار، وكلهم تنوخ كما قدمنا، فغلبوا بني إرم ودفعوهم عن جهات السواد، وجاء على آثرهم ثماره بن قيس وثماره بن خشم مجدة من قبائل كبدة، فنزلوا الحرية وأوطنوها، وأقامت طالعة الأنبار وطالعة الحرية لا يدبون للأعاجم ولا تدين لهم حتى سر بهم تبع وترك فيهم ضعفة عساكره كما تقدم، وأوطنوا فيهم من كل القبائل كما ذكرنا جعف وطيء، وغيم وبنى لحيان من جرمهم.

وكانت هذه مع نزار ونسبها يومئذ كندة بن جنادة بن معد،  
وغيرائهم يومئذ أجا بن عمرو بن أدد بن أخي عدنان بن أدد.  
وكانت قضاعة تتسبّب إلى معد ومعد إلى عدنان، والأشعريون إلى  
الأشعري بن أدد أخي عدنان، وكانوا يظنون من تهامة إلى الشام  
ومنازهم بالصفاع. وكانت عسقلان من ولد ربعة، وكانت قضاعة  
ما بين مكة والطائف، وكانت من العمدة إلى ذات عرق، ومنازل  
أجا والأشعري ومعد ما بين جدة والبحر. فلما اقتلوا هزمت نزار  
قضاعة وقتل حزبة رفيدة منهم وفرقة من الأشعريين نحو البحرين،  
ونزلوا هجر وأجلوا من كان بها من النبط وملوكها. وكانت  
الزرقاء بنت زهير كاهنة منهم فتكهنت لهم بتزول ذلك المكان  
والخوج عن تهامة وقالت في شعرها:

وَدُعْ تَهَامِسَةً لَا وَدَاعَ مُخَالَفٍ بِنَمَامِهِ لَكُنْ قَلْسَىٰ وَمُسَلَّمٌ  
لَا تَنْكِرِي هُجْرًا مَقْامَ غَرِيبَةٍ لَنْ تَعْدِمِي مِنْ ظَاعِنِي تَهَامِ  
ثُمَّ تَكْهُنْتِ هُمْ فِي سَجْعِ بَانِيهِمْ يَقِيمُونَ بِهِجْرٍ حَتَّىٰ يَنْتَهِ  
غَرَابُ أَبْعَقَ عَلَيْهِ خَلْخَالَ ذَهَبًا وَبَعْقَ عَلَىٰ مُخْلَلَةٍ وَصَفْتَهَا فِي سِيرَوْنِ  
إِلَى الْحَيْرَةِ، وَكَانَ فِي سَجْعِهَا مَقْامٌ وَتَنْوِيَّ فَسَمِيتَ تَلَكَ الْقَبَائِلِ  
تَنْوِيَّ مِنْ أَجْلِ هَذِهِ الْلَّفَظَةِ. وَلَقَنْ بَهِمْ قَوْمٌ مِنَ الْأَزْدَ فَدَخَلُوا فِي  
تَنْوِيَّ وَأَصَابَ بِقِيَةَ قَضَاعَةِ الْمُوتَانِ، وَسَارَتْ فَرْقَةٌ مِنْ بَنِي حَلَوانَ  
فَتَرَلَوْا عَبْرَةً مِنْ أَرْضِ الْجَزِيرَةِ وَنَسَجُ نَسَاؤُهُمُ الْبَرُودُ الْعَبْرِيَّةُ مِنْ  
الصَّوْفِ وَالْبَرُودِ التَّرِيَّدِيَّةِ إِلَيْهِمْ لَأَنَّهُمْ بَنُو تَرِيدٍ، وَأَغَارتْ عَلَيْهِمْ  
الْتُّرْكُ فَأَصَابُوهُمْ، وَأَفْيَلَ الْحَرْثُ بْنُ قَرَادَ الْبَهْرَانِيَّ لِيَسْتَجِيَّشَ بَنِي  
حَلَوانَ فَعَرَضَ لَهُ أَبَانَ بْنَ سَلِيْحٍ صَاحِبِ الْعَينِ فَقَتَلَهُ الْحَرْثُ  
وَلَخَتَ بَهْرَا بِالْتُّرْكِ، فَاسْتَقْدَمُوا مَا أَخْذُوهُ مِنْ بَنِي تَرِيدٍ وَهُمْ مُوْهَمُونَ  
وَقَالَ الْحَرْثُ:

كان الدمر جمع في ليال  
ثلاث بينهن بشـهـر زور  
صفقاً بالجزيرـة كالـسـعـير

وسائل سليم بن عمرو بن الحاف وعليهم المدرجان بن مسلمة، حتى نزلوا فلسطين على بني أذينة بن السعيد بن عاملة، وسارت أسلم بن الحاف وهي عنزة ونهد وحربة وجهينة حتى نزلوا بين الحجر ووادي القرى، وأقامت ترخ بالبحرين سنتين. ثم أقبل الغراب بملائقي النهب ووقع على النخلة ونعش كما قال الشاعر: فذكروا قوها وارغلوا إلى الحيرة فنزلوها وهم أول من اختطها، وكان رئيسهم مالك بن زهير واجتمع إليه ناس كثيرة من بسانت القرى، وبنوا بها المنازل وأقاموا زماناً ثم أغار عليهم سابور الأكبر وقاتلوه، وكان شعارهم يا لعياد الله فسموا العياد، وهزمهم سابور فافتقرتا، وسار أهل المهبط منهم مع الصزيزن بن معاوية

في أعقاب ملك التباعية اليمنية والعدنانية ملك ودول بعد أن درست الأجيال قبلهم وتبدل الأحوال السابقة لصهرهم، فاستحق بذلك أن يكون جيلاً مفرداً عن الأول، وطقة مبنية للطريق السالفه. ولما يكن لهم أثر في إنشاء العروبة كما للعرب العاربة، ولا في لغتها عنهم كما في المستعرية، وكانوا تبعاً لمن تبعهم في سائر أحوالهم استحقوا التسمية بالعرب التابعة للعرب. واستمرت الرياسة والملك في هذه الطبقة اليمنية أزمنةً وأماداً بما كانت صيغتها لهم من قيل وأحياء مصر وريبيعة تبعاً لهم.

فنات الآن بذكر قبائل هذه الطبقة من قحطان وعدنان  
وقضاءعة، وما كان لكل واحدة منها من الملك قبل الإسلام وبعده:  
ومن كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني في أخبار خزيمة بن نهد  
بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة قال: كان يد  
تفرق بي إسماعيل من تهامة ونزوهم عنها إلى الأفاق وخروج  
من خرج منهم عن نسيه، أن قضاعة كانوا مجاورين لزار وكان  
خرزية بن نهد فاسقاً متعرضًا للنساء، فشبب بفاطمة بنت يذكر  
وهو عامر بن عتبة، وذكرها في شعره حيث يقول:

إذا الجوزاء أردفت الرياح  
ظلت بالفاطمة الظنون  
وحلت دون ذلك من هموم  
هموم تخرج الشجر الرياح  
أرى ابنة يذكر ظعننت فعلت  
جنوب الحزن يا شحطاً مينا  
وسخط ذلك يذكر خشية حزينة على نفسه فاغتاله وقتلته،  
وانطففت نار يذكر ولم يصح على خزينة شيء حتى تتوجه به  
المطالبة على قضاة حتى قال في شعره:  
فاه كان عند رضاب العصير ففيها يعل به الزنجيل  
قتلت اباها على جها فتبخل إن بخلت أو تقبل  
فلما سمعت نزار شعر حزينة بن نهد وقتلته يذكر بن عززة،  
ثاروا مع قضاة وتساندوا مع أحياه العرب الذين كانوا معهم،

وفي كتب الحكماء الأقدمين من يونان مثل بطليموس وهو بشوش ذكر القضايعين والخبر عن حروفهم، فلا يعلم أهم أوائل قضاة هؤلاء وأسلافهم أو غيرهم، وربما يشهد للقول بأنهم من عدنان وأن بلادهم لا تصل ببلاد اليمن وإنما هي ببلاد الشام وببلادبني عدنان. والنسب البعيد يحيل الظنو ولا يرجع فيه إلى يقين.

ولنبدأ بقططان وبطونها: لما أن الملك الأقدم للعرب كان في نسب سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان ومنه تشعب بطون حمير بن سبا وكهلان بن سبا وينفرد بنو حمير بالملك وكان منهم التابعة أهل الدولة المشهورة وغيرهم كما ذكر. فلنبدأ بذكر حمير أولاً من القحطانية، ونذكر بعدهم قضاة لاتسابهم في المشهور إلى حمير، ثم تتبعهم بذكر كهلان إخوان حمير من القضايعية، ثم نرجع إلى ذكر عدنان.

### الخبر عن حمير من القحطانية وبطونها وتفرع شعوبها

قد تقدم لنا ذكر الشعوب من حمير الذين كان لهم الملك قبل التابعة فلا حاجة لنا إلى إعادة ذكرهم. وتقدم لنا أن حمير بن سبا كان له من الولد سبعة وهم: الهميص ومالك وزيد وعرب ووالل ومشروع ومعديكرب وأوس ومرة، فبنوا مرة دخلوا إلى حضرموت، وكان من حمير أبين بن زهير بن الغوث بن أبين بن الهميص بن حمير وإليهم تنسب عدن أبين، ومنهم بنو الأملوك وبني عبد شمس وهما أبنا وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير، وعرب وأبين أخوان. ومن بني عبد شمس بنو شرعب بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس، وقد تقدم قول من ذهب إلى أن جشم وعبد شمس أخوان وهما أبنا وائل، وال الصحيح ما ذكرناه هنا فلتراجع.

وبني خيران وشعبان وهما أبنا عمرو أخي شرعب بن قيس وزيد الجهمور بن سهل أخي خيران وشعبان، ورابعهم حسان القيل بن عمرو وقد مر ذكره، ومن زيد الجهمور ذو رعين واسمه يريم بن زيد بن سهل وإليه يتسب عبد كلآل الذي تقدم ذكره في ملوك التابعة. والحارث وعرب أبنا عبد كلآل بن عريب بن يشرح بن مدان بن ذي رعين وهما اللذان كتب لهم النبي عليه السلام كعب بن زيد الجهمور ويلقب كعب الظلّم وأبناء سبا الأصغر بن كعب وإليه يتنهى نسب ملوك التابعة. ومن زيد الجهمور بن حضور بن عدي بن مالك بن زيد وقد مر ذكرهم.

التاريخي فنزل بالحضر الذي بناه الساطرون الجرمقاني، فأقاموا عليه. وأغارت حمير على قضاة فأجلوهم وهم كلب. وخرج بنو زيان بن غلب بن حلوان فلحقوا بالشام، ثم أغارت عليهم كانة بعد ذلك مجبن واستباحوهم فلحقوا بالسماء وهي إلى اليوم متازهم. أهـ كلام صاحب الأغاني قلت: وأحياء جدهم لهذا العهد ما بين عترة وقلعة وفلسطين إلى معان من أرض الحجاز.

### الخبر عن أنساب العرب من هذه الطبقات الثالثة واحدة وذكر مواطنهم ومن كان له الملك منهم

إعلم أن جميع العرب يرجعون إلى ثلاثة أنساب وهي: عدنان وقططان وقضايا: فاما عدنان فهو من ولد إسماعيل بالاتفاق، إلا ذكر الآباء الذين بيته وبين إسماعيل فليس فيه شيء يرجع إلى بيته، وغير عدنان من ولد إسماعيل قد انقرضا فليس على وجه الأرض منهم أحد وأما قحطان فقبل من ولد إسماعيل وهو ظاهر كلام البخاري في قوله: باب نسبة اليمن إلى إسماعيل، وساق في الباب قوله عليه السلام لقوم من أسلم بيتاً لهم: ارموا يا بني إسماعيل فإن أبيكم كان راماً. ثم قال: وأسلم بن أقصى بن حارثة بن عمرو بن عامر من خزاعة يعني وخزاعة من سبا والأوس والخزرج منهم، وأصحاب هذا المذهب على أن قحطان ابن الهميص بن أبين بن قينار بن بنت بن إسماعيل. والجمهور على أن قحطان هو يقطن المذكور في التوراة في ولد عابر وأن حضرموت من شعوب قحطان، وأما قضاة فقبل أنها حمير قاله ابن إسحاق والكتبي وطائفة. وقد يتحقق لذلك بما رواه ابن طيبة عن عقبة بن عامر الجهمي قال: يا رسول الله من نحن؟ قال: أنت من قضاة بن مالك. وقال عمرو بن مرة وهو من الصحابة: نحن بنو الشيخ العجاج الأزهري. قضاة بن مالك بن حمير النسب المعروف غير المذكر

وقال زهير: قضاية وأنتهيا مضرية، فجعلهما أخرين. وقال: أنهما من حمير بن معد بن عدنان. وقال ابن عبد البر: وعليه الأكترون، وبروي عن ابن عباس وابن عمرو و Gibir بن مطعم وهو اختيار الزبير بن بكار وابن مصعب الزبير وابن هشام. قال السهيلي: وال الصحيح أن أم قضاة وهي عبكرة مات عنها مالك بن حمير وهي حامل بقضايا فتزوجها معد وولدت قضاعة فتكنى به ونسب إليه وهو قول الزبير. أهـ كلام السهيلي.

وقول اليمن أن منهم كان شعيب بن ذي مهدم النبي الذي قتلته قومه، فغزاهم محتصر فقتلهم. وقيل بل هو من حضور بن قحطان الذي اسمه في التوراة يقطن. ومنهم أيضاً بنو ميشم وبني حالة ابنى سعد بن عوف بن عدي بن مالك أخي ذي رعين، وعوف هذا أخو حضور وأخوه أحاطة وميشم بنت حراز بن سعد، فمن ميشم كعب الأصحاب وقد مر ذكره، وهو كعب بن ماتع بن هلسوع بن ذي هجري بن ميشم، ومن أحاطة رهط ذي الكلاع وهو السميق بن ناكور بن عمرو بن يعفر بن زيد وهو ذو الكلاع الأكبر بن النعمان بن أحاطة.

قال: ومن هؤلاء التابعة شمر يرعش بن ياسر ينعم بن عمرو ذي الأذعار، وأفريقيش بن قيس بن صيفي، وبليقش بنت إيلي أشرح بن ذي جدن بن إيلي أشرح بن الحرش بن قيس بن صيفي. قال: وفي أنساب التابعة مخلط واختلاف ولا يصح منها ومن أخبارهم إلا القليل. اهـ ومن زيد الجمهوري ذو يزن بن عامر بن أسلم بن زيد. وقال ابن حزم: إن عامر هو ذو يزن، قال ومن ولده سيف بن النعمان بن عفري بن زرعة بن عفرين بن الحرش بن النعمان بن قيس بن عبيد بن سيف بن ذي يزن، الذي استجاش كسرى على الحبشة وأدخل الفرس إلى اليمن. هذه بطون حمير وأنسابها وديارهم باليمن من صنعاء إلى ظفار إلى عدن، وأنباء دوهم قد تقدمت والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

ونلحق بالكلام في أنساب حمير بن سبا أنساب حضرموت وجرهم وما ذكره النسابون من شعوبهما: فإنهم يذكرونها مع حمير لأن حضرموت وجرهم إخوة سبا كما وقع في التوراة وقد ذكرناه ولم يبق من ولد قحطان بعد سبا معروف العقب غير هذين.

فاما حضرموت فقد تقدم ذكرهم في العرب البائدة ومن كان منهم من الملوك يومئذ، ونبتها هنالك أن منهم بقية في الأجيال المتأخرة اندرجوا في غيرهم فذلك ذكرناهم في هذه الطبقة الثالثة. قال ابن حزم: ويقال إن حضرموت هو ابن يقطن أخي قحطان والله أعلم. وكان فهم رياضة إلى الإسلام، منهم وائل بن حجر له صحبة وهو وائل بن حجر بن سعيد بن مسروق بن وائل بن النعمان بن ربيعة بن الحارث بن عوف بن سعد بن عوف بن عدي بن شربيل بن الحرش بن مالك بن مرة بن حمير بن زيد بن لابي مالك بن قدامة بن أعجم بن مالك بن لابي بن قحطان، وابنه علقمة بن وائل. وسقط عنده بين حجر أبي وائل وسعيد بن مسروق أب اسمه سعد وهو ابن سعيد.

ثم قال ابن حزم: ويدرك بنو خلدون الأشيليون فيقال إنهم من ولد الجبار بن علقمة بن وائل منهم علي المنذر بن محمد وابنه بقرمونة وأشيلية، اللذين قتلهم إبراهيم بن حجاج اللخمي غيلة، وهما ابنا عثمان أبي بكر بن خالد بن عثمان أبي بكر بن مخلوف المعروف بخلدون الداخل المشرق. وقال غيره في خلدون الأول: إنه ابن عمرو بن خلدون. وقال ابن حزم في خلدون: أنه ابن عثمان بن هاني بن الخطاب بن كريب بن معيذ كرب بن العباس الذي تهود وهو أبو عبد الله، ويسى يوسف، وقتل أهل نجران من النصارى. وعمرو بن سعد

ومن عمرو بن سعد الخبائر والسعول بنت سوادة بن عمرو بن الغوث بن سعد يخصب، ذو أصبح أبرهة بن الصباح، وكان من ملوك اليمن لعهد الإسلام وقد مر ذكره ونسبه، ومنهم مالك بن أنس إمام دار الهجرة وكبير فقهاء السلف وهو مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر وهو نافع بن عمرو بن الحرش بن عثمان بن خليل بن عمرو بن الحارث وهو ذو أصبح وأبناء يحيى ومحمد وأعمامه أوس، وأبو سهل والرابي، وكانتوا حلفاء لبني تيس من قريش: ومن زيد الجمهوري مرئذ بن عيسى بن ذي جدن بن الحرش ابن زيد وهو الذي استجاشه أمرؤ القيس علىبني أسد قاتلي أبيه. ومن بي سبا الأصغر الأوزاع وهم بنو شدد بن زيد بن شدد بن زرعة بن سبا الأصغر، ومن إخوان هؤلاء الأوزاع بنو يعفر الذين استبدوا بملك اليمن كما يأتي عند ذكر ملوك اليمن في الدولة العباسية، وهو يعفر بن عبد الرحمن بن كريب بن عثمان بن الوضاح بن إبراهيم بن ماتع بن عون بن تدرص بن عامر بن ذي مغار البطين بن ذي مرياش بن مالك بن زيد بن غوث بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن شدد بن زرعة.

وكان آخر ملوك بي يعفر هؤلاء باليمن أبو حسان أسد بن أبي يعفر إبراهيم بن محمد بن يعفر ملك أبو إبراهيم صنعاء وبنى قلعة كحلان باليمن، وورث ملكه بنوه من بعده إلى أن غالب عليهم الصليحيون من همدان بدعوة العبيديين من الشيعة كما تذكر في أخبارهم. ومن زيد الجمهوري ملوك التابعة وملوك حمير من ولد صيفي بن سبا الأصغر بن كعب بن زيد.

قال ابن حزم: فمن ولد صيفي هذا تبع وهو تبان وهو أيضاً أسد أبو كرب بن كليرب وهو تبع بن زيد وهو تبع بن عمرو وهو تبع ذو الأذعار بن أبرهة وهو تبع ذو المنار بن الرايش بن قيس بن صيفي، قال: فولدت تبع أسد أبو كرب حسان ذو معاهر وتبع زرعة وهو ذو نواس الذي تهود وهو دأهيل اليمن، ويسمى يوسف، وقتل أهل نجران من النصارى. وعمرو بن سعد

على أن قضاة لم يكن له من الولد إلا الحاف ومنه سائر بطونهم وللحاف ثلاثة من الولد: عمر وعمران وأسلم بضم اللام قاله ابن حزم.

فمن عمرو بن الحاف حيدان وبلي وبهرا، فمن حيدان مهرة، ومن بلي جماعة من مشاهير الصحابة: منهم كعب بن عجرة وخديج بن سلامة وسهيل بن رافع وأبو بردة ابن نيار، ومن بهرا جماعة من الصحابة أيضاً منهم: المقداد بن عمرو وينسب إلى الأسود بن عبد يغوث بن وهب خال رسول الله عليه أخي أنه وبناته فنسب إليه. ويقال: إن خالد بن برمك مولى بني بهرا.

ومن أسلم سعد هذيم وجبيحة ونهد بنت زيد بن ليث بن سود بن أسلم، فجهينة ما بين البينع ويرب إلى الآن في متسع من بربة الحجاز وفي شمالاهم إلى عقبة إيلاء مواطن على وكلاهما على العدوة الشرقية من بحر القلزم وأجاز منهم أمم إلى العدوة الغربية وانتشروا ما بين صعيد مصر وببلاد الحبشة وكثروا هناك سائر الأمم وغلبوا على بلاد النوبة وفرقوا كل منهم وأزالوا ملوكهم وحاربوا الحبشة فأرافقهم إلى هذا العهد. ومن سعد هذيم بنت عنزة المشهورون بين العرب في الجبة، كان منهم جيل بن عبد الله بن حزم وصاحبته بنت حبابا. قال ابن حزم: كان لأبيها صحة ومنهم عروة بن حزام وصاحبته عفرا. ومن بني عنزة كان رزاح بن ربيعة آخر قصي بن كلاب لأمه وهو الذي استظهر قصي به ويقومه على بني سعد بن زيد بن مناة ابن عم قيم فغلبهم على الإجازة بالناس من عرقه، وكانت مفتاح رياسته في قريش.

ومن عمران بن الحافي بني سليم وهو عمرو بن حلوان بن عمران، ومن بني سليم الضجاعم بني ضجمع بن سعد بن سليم كانوا ملوكاً بالشام للروم قبل غسان. ومن بني عمران بن الحاف بني حرم بن زيان بن عمران بطن كبير وفيهم كثير من الصحابة ومواطنهم ما بين غزة وجبال الشارة من الشام، وجبال الشارة من جبال الكرك. ومن تغلب بن حلوان بتو أسد وبني النمر وبنو كلب قبائل ضخمة كلهم بتو وبرة بن تغلب، فمن التمر خشين بن النمر ومن بني أسد بن وبرة ترخ وهم فهم بن تيم اللات بن أسد منهم مالك بن زهير بن عمرو بن عمرو بن فهم وعليه تخت ترخ، وعلى عهد أبيه مالك بن فهم كما مر و كانوا حلفاء لبني حزم. فترث على ثلاثة أبطن بطن اسمه فهم وهم هؤلاء، وبطن اسمه نزار وهم ليس نزار لهم بوالد لكنهم من بطون قضاة كلها ومن بني تيم اللات ومن غيرهم بطون ثلاثة يقال لهم: الأحلاف من جميع قبائل العرب من كندة وخدم وجذام وعبد

هاتي بن كريب بن معيذ كرب بن الحرف بن وايل. قال ابن حزم: والصفد من بني حضرموت وهو الصحف بن أسلم بن زيد بن مالك بن زيد بن حضرموت الأكبر، قال: ومن حضرموت العلاء بن الحضري الذي ولد رسول الله عليه البحرين وأبو بكر وعمر من بعده إلى أن توفي سنة إحدى وعشرين، وهو العلاء بن عبد الله بن عبدة بن حماد بن مالك حليف بني أمية بن عبد شمس وأخوه ميمون بن الحضري ابن الصحف، فيقال عبد الله بن حماد بن أكبر بن ربيعة بن مالك بن أكبر بن عريب بن مالك بن الخزرج بن الصحف، قال: وأخت العلاء الصعبة بنت الحضري أم طلحة بن عبد الله أهـ.

وأما جرهم فقال ابن سعيد: إنهم أمتان أمة على عهد عاد وأمة من ولد جرهم بن قحطان، ولما ملك يعرب بن قحطان اليمن ملك أخوه جرهم الحجاز، ثم ملك من بعده ابنه عبد باليلى بن جرهم، ثم ابنه جرشم بن عبد باليلى، ثم ملك من بعده ابنه عبد المدان بن جرشم، ثم ابنه نفيلة بن عبد المدان، ثم ابنه عبد المسيح بن نفيلة، ثم ابنه مضاض بن عبد المسيح، ثم ابنه عمرو بن مضاض، ثم أخوه الحرف بن مضاض، ثم ابنه عمرو بن الحرف، ثم أخوه بشر بن الحرف، ثم مضاض بن عمرو بن مضاض. قال وهذه الأمة الثانية هم الذين بعث إليهم إسماعيل وتزوج فيهم أهـ.

## الخبر عن قضاة وبطونها والإلام بعض الملك الذي كان فيها

قد تقدم آنفاً ذكر الخلاف الذي في قضاة هل هم حمير أو لعدنان ونقلنا الحاجاج لكلا المذهبين وأتينا بذلك أنسابهم تالية حمير ترجحاً للقول بأنهم منهم، وعلى هذا فقبل هو قضاة بن مالك بن حمير. وقال ابن الكلبي: قضاة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير. وكان قضاة فيما قال ابن سعيد ملكاً على بلاد الشرح، وصارت بعده لابنه الحاف ثم لابنه مالك. ولم يذكر ابن حزم في ولد الحاف مالكاً. قال ابن سعيد وكانت بين قضاة وبين وايل بن حمير حروب، ثم استقل ببلاد الشرح مهرة بن حيدان بن الحاف بن قضاة وعرفت به، قال وملك بنو قضاة أيضاً مهراً ثم غلبهم عليها بنو الحرف بن كعب بن الأزرد وساروا إلى الحجاز فدخلوا في قبائل معد، ومن هنا غلط من نسبهم إلى معد أهـ.

ولذكراً الآن تشعب البطون من قضاة: اتفق السابقون

القيس اهـ كلام ابن حزم.

ومن بيـ أسد بن وبرة بنـ القين واسمـ النعمـان بن جـسرـ بنـ شـيعـ الـلاتـ بنـ أـسدـ وـمنـ بيـ كلـبـ بنـ وـبرـةـ بنـ تـغلـبـ بنـ حلـوانـ بنـ كـثـانـةـ بنـ بـكـرـ بنـ عـورـفـ بنـ عـذـرـةـ بنـ زـيدـ الـلاتـ بنـ رـفـيـدةـ بنـ ثـورـ بنـ كلـبـ، قـبـيلـةـ ضـخـمـةـ فـيهـ ثـلـاثـةـ بـطـونـ بنـ عـدـيـ وـبـنـ زـهـيرـ وـبـنـ عـلـيمـ وـبـنـ جـنـابـ بنـ هـبـيلـ شـاعـرـ قـدـيمـ وـقـولـ فـيـ بـعـضـ بـطـونـ ضـخـمـةـ وـمـنـهـ عـيـدةـ بنـ هـبـيلـ شـاعـرـ قـدـيمـ وـقـولـ فـيـ بـعـضـ النـاسـ اـبـنـ حـرامـ، وـهـوـ الـذـيـ عـنـ اـمـرـقـ الـقـيـسـ بـقـولـهـ:

نيـكيـ الـديـارـ كـماـ بـكـيـ اـبـنـ حـرامـ

وـقـدـ قـيـلـ: إـنـهـ مـنـ بـكـرـ بنـ وـائـلـ، وـقـالـ هـشـامـ بنـ السـائبـ الـكـلـيـ: إـذـاـ سـلـلـواـ مـ بـكـيـ اـبـنـ حـرامـ الـدـيـارـ أـشـدـلـواـ خـمـسـةـ آـيـاتـ مـنـ كـلـمـاتـ اـمـرـقـ الـقـيـسـ الشـهـرـةـ:

قـفـاـ بـنـكـ منـ ذـكـرـيـ حـيـبـ وـمـنـزلـ

وـقـيـرـلـونـ إـنـ بـقـيـتـاـ لـأـمـرـقـ الـقـيـسـ بـنـ حـجـرـ، وـهـذـاـ اـمـرـقـ الـقـيـسـ بـنـ حـرامـ شـاعـرـ قـدـيمـ دـثـرـ شـعـرـهـ لـأـنـهـ لـمـ يـكـنـ لـلـعـربـ كـتـابـ لـبـدـأـهـ، إـلـاـ بـقـيـ مـنـ أـشـعـارـهـ مـاـ ذـكـرـهـ رـوـاهـ إـلـاـسـلـامـ وـقـيـدـهـ مـنـ رـوـاـيـةـ الـكـتـابـ مـنـ مـخـفـوظـ الـرـجـالـ وـمـنـ بـنـ عـدـيـ بـنـ حـصـينـ بـنـ ضـمـضـ بـنـ عـدـيـ كـانـتـ مـنـهـمـ نـاثـلـةـ بـنـ قـرـافـصـةـ بـنـ الأـحـوـصـ بـنـ عـمـروـ بـنـ ثـلـبةـ بـنـ حـرـثـ بـنـ حـصـنـ اـمـرـأـ عـشـمـانـ بـنـ عـفـانـ، وـمـنـهـمـ أـبـرـ الـخـطاـرـ الـحـسـامـ بـنـ ضـرـارـ بـنـ سـلـامـانـ بـنـ جـشـمـ بـنـ رـبـعـةـ بـنـ حـصـنـ أـمـيرـ الـأـنـدـلـسـ، وـمـنـسـبـهـ بـنـ شـحـيمـ بـنـ مـنـجـاشـ بـنـ مـزـغـورـ بـنـ مـنـجـاشـ بـنـ هـذـيمـ بـنـ عـدـيـ بـنـ زـهـيرـ، وـابـنـ اـبـهـ حـسـانـ بـنـ مـالـكـ بـنـ مـهـدـلـ الـذـيـ قـامـ بـرـوـانـ يـوـمـ مـرـجـ رـاهـطـ وـكـانـتـ رـيـاسـةـ الـإـسـلـامـ فـيـ كـلـبـ لـبـنـ بـهـدـلـ هـؤـلـاءـ وـمـنـ عـقـبـهـمـ بـنـ مـنـقـذـ مـلـوكـ شـيـزـرـ، وـمـنـ بـنـ زـهـيرـ بـنـ جـنـابـ حـنـظـلـةـ بـنـ صـفـوانـ بـنـ توـبـلـ بـنـ بـشـرـ بـنـ حـنـظـلـةـ بـنـ عـلـقـةـ بـنـ شـرـاحـيلـ بـنـ هـرـيرـ بـنـ أـبـيـ جـابـرـ بـنـ زـهـيرـ وـلـيـ إـفـرـيقـيـةـ لـهـشـامـ.

وـمـنـ عـلـيمـ بـنـ جـنـابـ بـنـ مـعـقـلـ وـرـبـاـ يـقـالـ إـنـ عـربـ الـمـعـقـلـ الـذـينـ بـالـمـلـفـرـ الـأـقـصـىـ هـذـاـ الـعـهـدـ وـفـيـ زـمـانـهـ يـتـسـبـبـونـ فـيـهـمـ، وـمـنـ بـطـونـ كـلـبـ بـنـ عـورـ بـنـ بـكـرـ بـنـ عـورـفـ بـنـ كـعـبـ بـنـ عـورـ بـنـ عـامـرـ بـنـ دـجـيـةـ بـنـ خـلـيـةـ بـنـ فـروـةـ بـنـ زـيدـ اـمـرـقـ الـقـيـسـ بـنـ المـزـرـجـ بـنـ عـامـرـ بـنـ بـكـرـ بـنـ عـامـرـ بـنـ عـورـ بـنـ صـاحـبـ رـسـولـ اللـهـ تـعـالـىـ الـذـيـ أـنـاهـ جـبـرـيلـ عـلـيـهـ السـلـامـ فـيـ صـورـتـهـ. وـمـنـصـورـ بـنـ جـهـورـ بـنـ حـفـرـ بـنـ عـمـروـ بـنـ خـالـدـ بـنـ حـارـثـةـ بـنـ العـيـدـ بـنـ عـامـرـ بـنـ عـورـفـ بـنـ قـاتـمـ معـ بـيـزـيدـ بـنـ الـوـلـيدـ وـلـاهـ الـكـرـفـةـ، وـحـبـ رـسـولـ اللـهـ تـعـالـىـ أـسـمـاءـ بـنـ زـيدـ بـنـ حـارـثـةـ بـنـ شـرـاحـيلـ بـنـ

عبدـ العـزـىـ بـنـ عـامـرـ بـنـ النـعـمـانـ بـنـ عـامـرـ بـنـ عـبـدـودـ بـنـ عـورـفـ سـيـ أـبـوـ زـيدـ فـيـ الـجـاهـلـيـةـ وـصـارـ إـلـىـ خـدـيـجـةـ فـوـهـيـتـ إـلـىـ الـنـبـيـ تـعـالـىـ، وـجـاءـ أـبـوـ وـخـيـرـ الـنـبـيـ تـعـالـىـ فـاـخـتـارـهـ عـلـىـ أـبـيـ وـأـهـلـهـ وـاقـامـ فـيـ كـفـالـةـ الـنـبـيـ تـعـالـىـ ثـمـ أـعـتـقـهـ، وـرـبـيـ أـبـنـهـ أـسـمـاءـ فـيـ بـيـتهـ وـمـعـ مـوـالـيـهـ وـأـخـبـارـهـ مـشـهـورـةـ.

وـمـنـ بـنـ بـيـ كـلـبـ ثـمـ مـنـ بـنـ بـكـرـ بـنـ عـورـفـ النـسـابـةـ أـبـنـ الـكـلـيـ وـهـوـ أـبـوـ الـمـذـرـ هـشـامـ بـنـ مـحـمـدـ بـنـ السـائبـ بـنـ بـشـرـ بـنـ عـمـروـ بـنـ حـرـثـ بـنـ عـبدـ الـعـزـىـ بـنـ اـمـرـيـ الـقـيـسـ. قـالـ اـبـنـ حـزمـ: هـكـذـاـ ذـكـرـهـ اـبـنـ الـكـلـيـ فـيـ نـسـبـهـ وـأـرـىـ اـمـرـقـ الـقـيـسـ هـذـاـ هوـ عـامـرـ بـنـ النـعـمـانـ بـنـ عـامـرـ بـنـ عـبـدـودـ بـنـ عـورـفـ بـنـ بـكـرـ بـنـ عـذـرـةـ وـقـدـ مـرـ بـقـيـةـ نـسـبـهـ، وـكـانـ لـقـضـاعـةـ هـؤـلـاءـ مـلـكـ مـاـ بـيـنـ الشـامـ وـالـحـجازـ إـلـىـ الـعـرـاقـ فـيـ أـيـلـةـ وـجـالـ الـكـرـكـ إـلـىـ مـشـارـفـ الشـامـ وـاستـعـلـمـهـ الرـوـمـ عـلـىـ بـادـيـةـ الـعـربـ هـنـالـكـ.

وـكـانـ أـوـلـ الـمـلـكـ فـيـهـمـ فـيـ تـسـوـخـ وـتـابـعـتـ فـيـهـمـ فـيـمـاـ ذـكـرـ المـسـعـودـيـ ثـلـاثـةـ مـلـوكـ: النـعـمـانـ بـنـ عـمـروـ، ثـمـ اـبـهـ عـمـروـ بـنـ النـعـمـانـ، ثـمـ اـبـهـ الـحـوارـيـ بـنـ عـمـروـ، ثـمـ غـلـبـهـمـ عـلـىـ اـمـرـهـمـ سـلـيـعـ مـنـ بـطـونـ قـضـاعـةـ وـكـانـتـ رـيـاسـتـهـمـ فـيـ ضـجـعـمـ بـنـ مـعـدـهـمـ. وـقـارـنـ ذـكـرـهـ اـسـتـيـلاءـ طـبـيـشـ مـنـ الـقـيـاصـرـةـ عـلـىـ الشـامـ فـوـلـاهـمـ مـلـوـكـ عـلـىـ الـعـربـ مـنـ قـبـلـهـ يـمـيـيـوـنـ لـهـ مـنـ سـاحـتـهـمـ إـلـىـ أـنـ وـلـيـ مـلـوـكـ زـيـادـهـ بـنـ هـبـولـهـ بـنـ عـمـروـ بـنـ عـورـفـ بـنـ ضـجـعـمـ. وـخـرـجـتـ غـسـانـ مـنـ الـيـمـنـ فـلـغـيـوـهـمـ عـلـىـ اـمـرـهـمـ وـصـارـ مـلـكـ الـعـربـ بـالـشـامـ لـبـيـ جـفـنـةـ وـانـقـرـضـ مـلـكـ الـضـجـاعـمـ حـسـبـمـاـ ذـكـرـ.

وـقـالـ اـبـنـ سـعـيدـ: سـارـ زـيـادـهـ بـنـ هـبـولـهـ بـنـ اـبـنـ السـيفـ مـنـهـ بـعـدـ غـسـانـ إـلـىـ الـحـجازـ فـقـتـلـهـ حـجـرـ أـكـلـ الـمـرـارـ الـكـنـدـيـ، كـانـ عـلـىـ الـحـجازـ مـنـ قـبـلـ التـابـعـةـ، وـأـنـقـيـتـهـمـ فـلـمـ يـنـجـعـهـمـ إـلـاـ الـقـلـيلـ. قـالـ: وـمـنـ الـلـاـسـ مـنـ يـطـلـقـ تـوـرـخـ عـلـىـ الـضـجـاعـمـ وـدـوـسـ الـذـينـ تـنـخـوـ بـالـبـحـرـيـنـ أـيـ أـقـمـواـ، قـالـ وـكـانـ لـبـنـ الـعـيـدـ بـنـ الـأـبـرـصـ بـنـ عـمـرـ بـنـ أـشـعـيـعـ بـنـ سـلـيـعـ مـلـكـ يـتـارـثـونـ بـالـحـضـرـ أـثـارـهـ بـاقـيـةـ فـيـ بـرـيـةـ سـنـجـارـ وـكـانـ أـخـرـهـ الـضـيـرـيـنـ بـنـ مـعاـوـيـةـ بـنـ الـعـيـدـ الـمـعـرـوفـ عـنـ الـجـراـمـةـ بـالـسـاطـرـوـنـ وـقـصـتـهـ مـعـ سـابـورـ ذـيـ الـجـنـوـدـ مـنـ الـأـكـاسـرـ مـعـرـوفـةـ.

قـالـ: وـكـانـ لـقـضـاعـةـ مـلـكـ آخـرـ فـيـ كـلـبـ بـنـ وـبـرـةـ بـنـ قـاتـمـهـ مـعـ السـكـونـ مـنـ كـنـدـةـ، فـكـانـتـ لـكـلـبـ دـوـمـةـ الـجـنـدـلـ وـتـبـوـكـ وـدـخـلـواـ فـيـ دـيـنـ الـنـصـرـيـةـ وـجـاهـ الـإـسـلـامـ وـجـاهـ الـدـوـلـةـ فـيـ دـوـمـةـ الـجـنـدـلـ لـأـكـيـدـرـ بـنـ عـبـدـ الـمـلـكـ بـنـ السـكـونـ، وـيـقـالـ أـنـهـ كـنـدـيـ مـنـ ذـرـيـةـ الـمـلـوـكـ الـذـيـنـ وـلـاهـ الـتـابـعـةـ عـلـىـ كـلـبـ، فـاـسـرـهـ خـالـدـ بـنـ الـوـلـيدـ وـجـاهـهـ إـلـىـ الـنـبـيـ تـعـالـىـ فـصـالـحـ عـلـىـ دـوـمـةـ، وـكـانـ فـيـ أـوـلـ مـلـكـهـ دـيـاجـانـ بـنـ قـاتـمـهـ

همدان. ومن شعوب حاشد بنو يام بن أصنى بن مانع بن مالك بن جشم بن حاشد ومنهم طحة بن مصرف. ولما جاء الله بالإسلام افترق كثير من همدان في مالكه، وبقي منهم من يقي باليمين، وكانتوا شيعة لعلي كرم الله وجهه ورضي عنه عندما شجور بين الصحابة وهو المشد فيه ممتلاً: فلو كنت بواباً على باب جنة لقلت همدان ادخلوا سلام ولم يزل التشيع دينهم أيام الإسلام كلها، ومنهم كان علي بن محمد الصليحي من بيي يام القائم بدعاوة العبيدين باليمين في حصن حرار من بيي يام وهو من بطونهم وهو من بيي يام من بطون حاشد، فاستولى عليه وورث ملكته لبنيه حسماً ذكره في أخبارهم. وكانت بعد ذلك وقبله دولة بيي الرسي أيام الزيدية بتصدّعه فكانت على يدهم ويظهرتهم، ولم يزل التشيع دينهم لهذا العهد.

وقال البيهقي: ونفروا في الإسلام فلم تبق لهم قبيلة وبرية إلا باليمين وهم أعظم قبائله وهم عصبة المعطي من الزيدية القائين بدعوته باليمين، وملكون جلة من حصون اليمين باليمين، وطم بها إقليم بكيل وإقليم حاشد من بطونهم، قال ابن سعيد: ومن همدان بنو الزريع وهم أصحاب الدعوة والملك في عدن والخيرة وهم زيدية وإنحصار همدان المان بن مالك بن زيد بن أوسلة ومن مالك بن زيد أيضاً الأزد وهو أزد بن الغوث بن نبت بن مالك وخثعم وبجيلة ابناً ثمار بن أراش أخي الأزد بن الغوث.

وقد يقال ثمار هو ابن نزار بن معذ وليس ب صحيح، فاما الأزد فبطون عظيم متسع وشعوب كثيرة، فمنهم بنو دوس من بيي نصر بن الأزد وهو دوس بن عدثان بالثاء المثلثة ابن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحرث بن كعب بن مالك بن نصر بن الأزد بطن كبير، و منهم كان جذيبة بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس وديارهم بناوحي عمان، وكان بعد دوس وجديمة ملك بعمان في إخوانهم بيي نصر بن زهران بن كعب، كان منهم قيل الإسلام المستكبر بن مسعود بن الجرار بن عبد الله بن مغفرة بن شمس بن عمرو بن غنم بن غالب بن عثمان بن نصر بن زهران، والذي أدرك الإسلام منهم جيفر بن الجلندي بن كركر بن المستكبر وأنه عبد الله ملك عمان، كتب إليهما النبي ﷺ فأسلموا، واستعمل على نواحيهما عمرو بن العاص.

ومن الأزد من بيي مازن بن الأزد بنو عمرو مزيقياً بن عامر وبلقب ماء السماء بن حارثة الغطريف بن أمرى القيس البهلواني ثعلبة بن مازن بن الأزد، وعمرو هذا وأباوه كانوا ملوكاً على بادية كهلان باليمين مع حمير واستعمل لهم الملك من بعدهم.

بن عدي بن زهير بن جناب، قال: وبقيت بني كلب الآن في خلق عظيم على خليج القسطنطينية منهم مسلمون ومنهم متنصرون. اه الكلام في أنساب قضاعة.

قال ابن حزم: وجميع قبائل العرب راجعة إلى أب واحد حاش شراث قبائل: وهي تنوخ والعنقى وغسان، فاما تنوخ فقد ذكرناهم، وأما العنقى فهم من حجر حمير ومن حجر من ذي رعين ومن سعد العشيرية ومن كنانة بن خزيمة ومنهم زيد بن الحرت العنقى من حجر حمير وهو مول عبد الرحمن بن القاسم وخالد بن جنادة المصري صاحب مالك بن أنس، وهو مول زيد لاحظ الشكل المذكور من أسفل، وأما غسان فإنهم من بيي أب لا يدخل بعضهم في هذا النسب ويدخل فيهم من غيرهم. سمووا العتقا لأنهم اجتمعوا ليتقروا برسول الله ﷺ فظنوا بهم فاعتقهم، وكانتوا جماعة من بطون شتى. سمووا تنوخ لأن التنوخ الإقامة فتحالفوا على الإقامة بموضعهم بالشام وهم من بطون شتى. وأما غسان فإنهم أيضاً طائف نزلوا بماء يقال له: غسان فنسبوا إليه اه كلام ابن حزم.

## الخبر عن بطون كهلان من القحطانية وشعوبهم واتصال بعضها مع بعض وأنقضائها

هؤلاء بني كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان إخوة بني حمير بن سبا، وتدأروا معهم الملك أول أمرهم، ثم انفرد بنو حمير به وبقيت بطون بني كهلان تحت ملوكهم باليمين. ثم لما تخلص ملك حمير بقيت الرياسة على العرب البدية لبني كهلان لما كانوا بادين لم يأخذ ترف الحضارة منهم ولا ادر ك THEM الهرم الذي أودى بمحير، إنما كانوا أجياء ناجعة في البدية والرؤساء والأمراء في العرب إنما كانوا منهم. وكان لكثرة من بطونهم ملك باليمين واللحجاز، ثم خرجت الأزد من شعوبهم أيضاً من اليمين مع مزيقياً وافترقا بالشام، وكان لهم ملك بالشام في بيي جفنة، وملك يثرب في الأوس والخزرج، وملك بالعراق في بيي فهم. ثم خرجت خم وطيء من شعوبهم أيضاً من اليمين، وكان لهم ملك بالخيرة في آن المنذر حسبما ذكر ذلك كله.

واما شعوبهم فهي كلها تسعه من زيد بن كهلان في مالك بن زيد وعرب بن زيد، فمن مالك بطون همدان وديارهم لم تزل باليمين في شرقية، وهم بنو أوسلة، وهو همدان بن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة بن الجبار بن مالك بن زيد بن نوف بن

وأما مجيلة فبلادهم في سروات البحرين والمحاجز إلى تبالة وقد افترقوا على الآفاق أيام الفتح فلم يبق منهم مواطنهم إلا القليل، ويقدم الحاج منهم على مكة في كل عام عليهم أثر الشطف ويعرفون من أهل الموسم بالسرور، وأما حا لهم لأول الفتح الإسلامي فمعروف وجراحاتهم مذكورة، فمن بطون مجيلة قسر وهو مالك بن عقر بن آثار وبني أحس بن الغوث بن آثار.

وأما بني عريب بن زيد بن كهلان على أرضهم طيء والأشعريون ومدحنج وبني مرة وأربعتهم بني أدد بن زيد بن يشجب بن عريب، فاما الأشعريون فهم بني أشعر وهو نسب بن أدد وبالدهم في ناحية الشمال من زبيدة وكان لهم ظهور أول الإسلام ثم افترقا في الفتوحات وكان لمن بقي منهم باليمن حروب مع ابن زياد لأول إمارته عليها أيام المؤمن ثم ضغفوا عن ذلك وصاروا في عدد الرعايا.

واما بني طيء بن أدد فكانوا باليمن وخرجوا منه على أثر الأزد إلى المحاجز وتزلوا سميوا وفيدي في جوار بني أسد، ثم غلبوهم على أجأ وسلمي وهما جبلان من بلادهم فاستقروا بهما وافترقوا لأول الإسلام في الفتوحات. قال ابن سعيد: ومنهم في بلادهم الآن أمم كثيرة ملأوا السهل والجبل حجاً وشاماً وعرقاً يعني قبائل طيء هؤلاء وهم أصحاب الدولة في العرب لهذا العهد في العراق والشام وبصر منهم سنبس والشمال بطنان مشهوران، فسبس بن معاوية بن شبل بن عمرو بن الغوث بن طيء ومعهم مجتر بن ثعل.

قال ابن سعيد ومنهم زبيد بن معن بن عمرو بن عس بن سلامان بن ثعل وهم في بريدة سنجار، والشمال بني ثعلبة بن رومان بن جندب بن خارجة بن سعد بن قطرة بن طيء، وثعلبة بن جدعا بن ذهل بن رومان. قال ابن سعيد: ومنهم لام بن ثعلبة منازلهم من المدينة إلى الجبلين وينزلون في أكثر أوقاتهم مدينة يثرب، والشمال الذين بصعيد مصر من ثعلب بن عمرو بن الغوث بن طيء.

قال ابن حزم: لام بن طريف بن عمرو بن ثعامة بن مالك بن جدعا ومن الشعالب بني ثعلبة بن ذهل بن رومان، وبجهة بنيامين والشام بني صخر ومن بطونهم غزية المراهوب صولتهم بالشام والعراق. وهو بني غزية بن أفلث بن معبد بن عمرو بن عس بن سلامان بن ثعل وبنو غزية كثيرون وهو في طريق الحاج بين العراق ونجد، وكانت الرياسة على طيء في الجاهلية لبني هي بن عمرو بن الغوث بن طيء وهم رمليون وإخوتهم جيليون، ومن ولده إيس بن قبيصة الذي أدار به كسرى أبو ريز النعمان

وكان أرض سباً باليمن لذلك العهد من أرفع البلاد وأخصبها وكانت مدافع للسيول المنحدرة بين جبلين هناك فتصرب بينهما سد بالصخر والقار محبس سيول العيون والأمطار حتى يصرفوه من خروق في ذلك السد على مقدار ما يحتاجون إليه في سقيهم، ومكث كذلك ما شاء الله أيام حير، فلما تخلص ملوكهم وأخل نظام دولتهم وتغلب باديه كهلان على أرض سباً وانطلقت عليها الأيدي بالاعتدال والفساد وذهب الحفظة القائمون بأمر السد ندرها مغرباً، وكان الذي نذر به عمرو مزيقاً ملوكهم لما رأى من اختلال أحواله. ويقال أن أحداً عمران الكاهن أخبره، ويقال طريقة الكاهنة. وقال السهيلي: طريقة الكاهنة امرأة عمرو بن عامر وهي طريقة بنت الخير الحميرية لعهده.

وقال ابن هشام: عن أبي زيد الانصاري أنه رأى جرذاً تixer السد فعلم أنه لا بقاء للسد مع ذلك فاجمع القلة من اليمن وكاد قومه بأن أمر أصغر منه أن يلطميه إذا أغفله ففعل فقال لا أقيس في بلد يلطمفي فيها أصغر ولدي وعرض أمواله فقال أشرفاف اليمن اغتنموا غصبة عمرو فاشترعوا أمواله وانتقل في ولده وولد له فقال الأزد لا تختلف عن عمرو فتجشموا للرحلة ويعاونوا أموالهم وخرجوا معه وكان رؤساءهم في رحلتهم بني عمرو مزيقاً ومن إليهم من بني مازن ففصل الأزد من بلادهم باليمن إلى الحجاز.

قال السهيلي: كان فصوصهم على عهد حسان بن ثان أسعد من ملوك التابعة ولهذه كان خراب السد. ولما فصل الأزد من اليمن كان أول نزولهم بلاد عك ما بين زبيد وزمع، وقتلوا ملك عك من الأزد ثم افترقوا إلى البلاد، ونزل بني نصر بن الأزد بالشراة وعمان، ونزل بني ثعلبة بن عمرو مزيقاً يثرب، وأقام بنسو حراثة بن عمرو بمهر الظهران بمكة وهم فيما يقال خزاعة، ومرروا على ماء يقال له: غسان بين زبيد وزمع فكل من شرب منه من بني مزيقاً سمي به، والذين شربوا منه بني مالك وبني الحمرث وبني جفنة وبني كعب فكلهم يسمون غسان، وبني ثعلبة العتقاء لم يشربوا منه فلم يسموا به.

فمن ولد جفنة ملوك الشام الذين يأتي ذكرهم ودولتهم بالشام. ومن ولد ثعلبة العتقاء الأوس والخزرج ملوك يشرب في الجاهلية وسنذكرهم، ومن بطون عمرو مزيقاً بني أقصى بن حراثة بن عمرو ويقال أنه أقصى بن عاصي بن قمعة بلا شك ابن إلياس بن مصر. قال ابن حزم: فإن كان أسلم بن أقصى منهم فمن بني أسلم بلا شك وبني أبان وهو سعد بن عدي بن حراثة بن عمرو، وبني العتيك من الأزد عمران بن عمرو.

من أقام في جوارهم من بني نصر بن الأزد وبني ذهل بن مزقياً على العرب من إيلاساً هذا، وهو إيلاس بن قبيصة بن أبي يعفر بن النعمان بن حبيب بن الحرث بن الحويرث بن ربيعة بن مالك بن سعد بن هني، فكانت لهم الرياسة إلى حين انفراط ملك الفرس.

ومن عقب إيلاس هذا بنو ربيعة بن علي بن مفرج بن بدر بن سالم بن قصة بن بدر بن سميح، ومن ربيعة شعب آن مراد وشعب آن فضل، وأل فضل شعبان آن علي وأل منها فعلي ومها إينا فضل، وفضل مراد ابنا ربيعة وسميع الذين يتسبون إليه من عقب قبيصة بن أبي يعفر، ويزعم كثير من جهله البدائية أنه الذي

جاءت به العباسة أخت الرشيد من جعفر بن يحيى زعماً كاذباً لا أصل له. وكانت الرياسة على طيء أيام العبيدين لبني المفرج، ثم صارت لبني مراد بن ربيعة وكلهم ورثوا أرض غسان بالشام وملكتهم على العرب، ثم صارت الرياسة لبني علي وبني منها إيني فضل بن ربيعة اقتسموها مدة، ثم انفرد بها لهذا العهد بنو منها الملوك على العرب إلى هذا العهد بشارف الشام والعراق وبرية نجد، وكان ظهرورهم لأمر الدولة الأيوبية ومن بعدهم من ملوك الترك بمصر والشام ويأتي ذكرهم، والله وارث الأرض ومن عليها.

وقال ابن سعيد: ولم يزل الملك ينجران في بني عبد المدان، ثم في بني الجوارد منهم، وكان منهم في المائة السادسة عبد القيس بن أبي الجوارد، ثم صار الأمر لهذا العهد إلى الأعاجم شأن التواحي كلها بالشرق، ثم من بطون الحرث بن كعب بنو معقل وهو ربيعة بن الحرث بن كعب، وقد يقال إن العقل الذين هم بالغرب الأقصى لهذا العهد إنما هم من هذا البطن وبرية معقل بن كعب القضايعين ويؤيد هذا أن هؤلاء العقل جميعاً يتسبون إلى ربيعة، وربيعة اسم معقل هذا كما رأيت والله تعالى أعلم.

وأما بنو مرة بن أدد إخوة طيء ومنذحج والأشرعين فهم أبطن كثيرة وتنتهي كلها إلى الحرث بن مرة، مثل خولان ومعافر وتحم وجذام وعاملة وكيدة. فاما معافر فهم بنو يعفر بن مالك بن الحرث بن مرة واقتروا في الفتوحات وكان منهم المصور بن أبي عامر صاحب هشام بالأندلس. وأاما خولان وإسمه أفكيل بن عمرو بن مالك وعمرو آخر يعفر وببلادهم في جبال اليمن من شرقهم، واقتروا في الفتوحات وليس منهم اليوم وبرية إلا اليمن وهم لهذا العهد، وهمدان أعظم قبائل العرب باليمن وهم الغلب على أهله والكثير من حصونه. وأاما تحم واسمها مالك بن عدي بن الحرث بن مرة فبغطن كبير متسع ذو شعوب وقبائل منهم الدار بن هانيه بن حبيب بن ثماره بن تحم، ومن أكبرهم بنو نصر بن ربيعة بن عمرو بن الحرث بن مسعود بن مالك بن عمم بن ثماره بن تحم، ويقال ثماره وهم رهط آن المتر وحافده عمرو بن عدي بن نصر هو ابن اخت جذبة الواضحة الذي أخذ شاره من الزباء قاتلته، وهي الملك على العرب للأكاسرة بعد خاله جذبة وأنزلوه بالحيرة حسبما يأتي الخبر عن ملكه وملك بنيه.

ومن شعوب بني تحم هؤلاء كان عباد ملوك أشبيلية ويأتي ذكرهم. وأاما جذام وإسمه عمرو بن عدي آخر تحم بن عدي فبغطن متسع له شعوب كثيرة مثل غطفان وأنصي وبنو حرام بن

وأما مذحج واسمها مالك بن زيد بن أدد بن زيد بن كهلان، ومنهم مراد واسمها يخابر بن مذحج، ومنهم سعد العشيرة بن مذحج بطن عظيم لهم شعوب كثيرة، منهم جعفر بن سعد العشيرة وزبيد بن صعب بن سعد العشيرة. ومن بطون مذحج التخ ورها ومسيلة وبنو الحرث بن كعب، فاما التخ فهو جسر بن عمرو بن علة بن جلد بن مذحج ومسيلة بن عامر بن عمرو بن علة، وأما رها فهو ابن منه بن حرب بن علة. وبقي من مذحج وبرية يتجمعون مع أخيه طيء في جملة أيام بني مهنا مع العرب بالشام زمن أحلاقهم وأكثرهم من زيد. وأاما بنو الحرث فالحرث أبوهم ابن كعب بن علة وديارهم بتوحبي نجران يجاورون بها ذهل بن مزقياً من الأزد وبني حارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد وبنو الحرث بن قبليهم بجرهم، ومنهم كان ملكها الأفعى الكاهن الذي حكم بين ولد نزار معد لما تناقروا إليه بعد موت نزار وإسمه الغنس بن غمر ماء بن همدان بن مالك بن متاب بن زيد بن وايل بن حير وكان داعية لسلامان عليه السلام بعد أن كان والياً لبلقيس على نجران، وبعثه إلى سليمان فصدق وأمن وأقام على دينه بعد موته. ثم نزل نجران بنو الحرث بن كعب بن علة بن جلد بن مذحج فتلبسوا عليها بني الأفعى. ثم خرجت الأزد من اليمن فمروا بهم وكانت بينهم حروب، وأقام

الأشعش وابنه عبد الرحمن بن الأشعش القائم على عبد الملك والحجاج وهو مشهور، وابن عمهم أيضاً ابن عدي وهو الأذمر بن عدي بن جبلة له صحبة فيما يقال، وهو الذي قتله معاوية على الثورة بأنحى زياد وخرمه معروفة.

هذه قبائل اليمن من قحطان استوفينا ذكر بطونهم وأنسابهم ونرجع الآن إلى ذكر من كان الملك منهم بالشام والحجاج والعراق حسبما نقصه، والله تعالى المعين بكرمه ومنه لا رب غيره ولا خير إلا خيره.

### الخبر عن ملوك الحيرة من آل المذر من هذه الطبقة وكيف انساق الملك إليهم من قبلهم وكيف صار إلى طيء من بعدهم

أما أخبار العرب بالعراق في الجبل الأول وهو العرب العاربة فلم يصل إليها تفاصيلها وشرح حالها، إلا أن قوم عاد والعاملة ملكوا العراق، والمستند في بعض الأقوال أن الضحاك بن سنان منهم كما مر. وأما في الجبل الثاني وهو العرب المستعربة فلم يكن لهم به مستبد وإنما كان ملوكهم به بدويّاً ورباستهم في أهل الظواعن. وكان ملك العرب كما مر في التتابعة من أهل اليمن، وكانت بينهم وبين فارس حروب وربما غلوبهم على العراق وملكته أو بعضه كما مر، لكن اليمن لم يتغلبوا ثانية على ما ملكوا منه، وقد مر إيقاع مختصر وإنخانه فيما ما تقدم. وكان في سواد العراق وأطراف الشام والجزيرة الأرمنية من بني إرم بن سام، ومن كان من بقية عساكر ابن تبع من جعفر طيء وكلب وغيره وغيرهم من جرهم، ومن نزل معهم بعد ذلك من تنوخ وغمارة بن لخم وقصص بن معد ومن إليهم كما قدمنا ذكر ذلك. وكان ما بين الحيرة والفرات إلى ناحية الأنبار مواطن لهم وكانوا يسمون عرب الضاحية، وكان أول من ملك منهم في زمن الطوائف مالك بن فهم بن تيم الله بن أسد بن وبرة بن ثعلبة بن حلوان بن قضاة، وكان منزله مما يلي الأنبار.

وملك من بعده أخوه عمرو بن فهم. ثم ملك من بعدهما جديعة الأبرش اثنى عشرة سنة، وقد تقدم أنه صهرهما وأن مالك بن زهير بن عمرو بن فهم زوجه أخته وصاروا حلفاء مع الأزد من قوم جذينة ونسب جذينة في الأزد إلى بي زهران، ثم إلى دوس بن عدثان بن عبد الله بن زهران، وهو جذينة بن ملك بن فهم بن غنم بن دوس هكذا قال ابن الكلبي ويقال: إنه من وبار بن أبيم بن لاوذ بن سام، وكان بني زهران من الأزد خرجوا قبل خروج

جذام وبني ضبيب وبني محرمة وبني بعجة وبني نفاثة وديارهم حوالي أيلة من أول أعمال الحجاز إلى اليبيع من أطراف يثرب، وكانت لهم رياضة في معان وما حولها من أرض الشام لبني السافرة من نفاثة ثم لفروة بن النافرة منهم، وكان عاملاً للروم على قومه وعلى من كان حوالي معان من العرب، وهو الذي بعث إلى رسول الله ﷺ بإسلامه وأهدي له بغلة بيضاء. وسمع بذلك قيسر فاغرى بع الحارث بن أبي شمر الغساني ملك غسان فأخذه وصلبه بفلسطين، وبقيتهم البرم في مواطنهم الأولى في شعيبين من شعوبهم يعرف أحدهما بـ بن عائد وهم ما بين بليس من أعمال مصر إلى عقبة أيلة إلى الكرك من ناحية فلسطين، وتعرف الثانية بـ بن عقبة وهم من الكرك إلى الألزم من بريه الحجاز. وضمان السابلة ما بين مصر والمدينة النبوية إلى حدود غزة من الشام عليهم، وغزة من مواطن جرم إحدى بطون قضاة كما مر، وبأفارقة لهذا العهد منهم وبريه كبيرة يتبعون مع ذياب بن سليم بنواحي طرابلس.

وأما عامله واسمه الحرش بن عدي وهو إخوة لخم وجذام وإنما سمي الحرش عاملة باسمه القضاة وهي بطن متسع ومواطنهم بريه الشام.

وأما كندة وإسمه ثور بن عفیر بن عدي وعفیر إخوة لخم وجذام، وتعرف كندة الملوك لأن الملك كان لهم على بادية الحجاز من بني عدنان كما ذكر، وبلادهم بجبال اليمن مما يلي حضرموت ومنها دعون التي ذكرها أمرؤ القيس في شعره، وبطونهم العظيمة ثلاثة: معاوية بن كندة ومنه الملوك بـ بن الحرش بن معاوية الأصغر بن ثور بن مرتبع بن معاوية والسكنون وسكسك وإنهما أشرش بن كندة، ومن السكنون بطن تحبيب وهم بـ بن عدي وبـ بن سعد بن أشرش بن شبيب بن السكنون وتحبيب اسم أمهما. وكان للسكنون ملك بـ بدومة الجندل وكان عليها عبد المفيث بن أكيدل بن عبد الملك بن عبد الحق بن أعمى بن معاوية بن حلاوة بن أمامة بن شحادة بن شبيب بن السكنون بعث إليه رسول الله ﷺ في غزوة تبوك خالد بن الوليد فجاء به أسريراً، وحقن تلميذ دمه وصالحة على الجزية ورده إلى موسمه. ومن معاوية بن كندة بـ بن حجر بن الحرش الأصغر ابن معاوية بن كندة منهم حجر أكل المرار ابن عمرو بن معاوية وهو حجر أبو الملوك ابن كندة الذين ي يأتي ذكرهم، والحرث الولادة إخوة حجر وكان من عقبة الحارجين بـ باليمن المسلمين طالب الحق وكان أباً ضيّاً وسيأتي ذكره، ومنهم الأشعث بن قيس بن معدى كرب بن معاوية وجبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية بن الحرش الأكبر جاهلي إسلامي، وابنه محمد بن

إليه الأموال وتفد إليه الوفود، وغزا في بعض الأيام طسماً وجديساً في منازلهم باليمنة، ووجد حسان بن تيع قد أغار عليهم فانكمشاً هو راجعاً من معه، وأتت خيول حسان على سرايا فأجاحوها. وكان أكثر غزو جذبة للعرب العاربة، وكان قد تكهن وادعى النبوة.

وكانت منازل إيماد بعين أبياغ سميت باسم رجل من العمالقة نزل بها وكان جذبة كثيراً ما يغزونهم حتى طلبوا مسلطه، وكان بينهم غلام من خم من بي أختهم وكانت آخراؤه وهو عدي بن نصر بن ربيعة بن عمرو بن الحمرث بن مسعود بن مالك بن عمرو بن ثمارة بن خم، وكان له جمال وضرب وطلبته منه جذبة فامتنعوا من تسليميه إليه، فاللح عليهم بالغزو وبعثت إيماد من سرق لهم صنمين كانا عند جذبة يدعى بهما ويستسقى بهما وعرفوه أن الصنمين عندهم وأنهم يردونهما بشرطه رفع الغزو عنهم، فأجابهم إلى ذلك بشرطه أن يبعثا مع الصنمين عدي بن نصر فكان ذلك.

ولما جاء عدي بن نصر استخلصه لنفسه وولاه شرابه، وهربته رقاش أخته فراسلة فدافعتها بالخشية من جذبة، فقالت له اخطبجي منه إذا أخذت الخمر منه وأشهد عليه القوم فعله، وأعرس بها من ليته، وأصبح مضرجاً بالخلقوق. ورث جذبة شأنه ثم أعلم بما كان منه فغض على يديه أسفأ، وهرب عدي فلم يظهر له أثر، ثم سألاه في أبيات شعر معروفة فأخبرته بما كان منه فعرف عندها وكف، وأقام عدي في آخرالله إيماد إلى أن هلك، وولدت رقاش منه غلاماً وسمته عمراً وربى عند خاله جذبة وكان يستظرفه ثم استهترته الجن فغاب وضرب له جذبة في الآفاق إلى أن رده عليه وأفاده من العتقا، ثم من قضاعة وهما مالك وعقبيل ابنها فارج بن مالك بن العنس أهدى لها طرقاً ومتاعاً، ولقيا عمراً بطريقهما وقد ساءت حاله وسلامه فأخبرهما باسمه وتبسيه فأصلحا من شأنه وجاء به إلى جذبة بالحيرة فسر به وسرت أمها. وحكم الرجلين فطلبا منادمه فأسعفهمها وكانا ينادمانه حتى ضرب المثل بهما وقيل ندماني جذبة، والقصة مسوطة في كتاب الإنجاريين بأكثر من هذا.

قال الطبرى: وكان ملك العرب بأرض الحيرة ومشارف الشام عمرو بن طرب بن حسان بن أدينة بن السميدع بن هورث العمالقى، وكانت بيته وبين جذبة حرب قتل فيها عمرو بن طرب وفشت جموعه. وملكت بعده ابنته الزباء وأسمها نائلة وجندرها بقایا العمالقة من عاد الأولى ومن نهد وسلمي ابنى حلوان ومن كان منهم من قبائل قضاعة، وكانت تسكن على

مزيقياً من اليمن ونزلوا بالعراق وقيل ساروا من اليمن مع أولاد جفنة بن مزيقيا.

فلما تفرق الأزد على المواطن نزل بنو زهران هؤلاء بالشراة وعمان وصار لهم مع الطوائف ملك، وكان مالك بن فهم هذا من ملوكهم. وكان بشاطئ الفرات من الجانب الشرقي عمرو بن الظرب بن حسان بن أدينة من ولد السميدع بن هورث من بقایا العمالقة، فكان عمرو بن الظرب على مشارف الشام والجزرية، وكان منزله بالمضيق بين الخبر وقرقيساً فكانت بيته وبين مالك بن فهم حروب هلك عمرو في بعضها، وقادت هملكه من بعده ابنته الزباء بنت عمرو وأسمها نائلة عند الطبرى وميسون عند ابن دريد.

قال السهيلي: ويقال إن الزباء الملكة كانت من ذرية السميدع بن هورث من بي قطروا أهل مكة، وهو السميدع بن مرث بالثاء الثالثة ابن لاي بن قطرون بن كركي بن عملاق، وهي بنت عمرو بن أدينة بن الظرب بن حسان. وبين حسان هذا والسميدع آباء كثيرة ليست بصححة بعد زمن الزباء من زمن السميدع انتهى كلام السهيلي، ولم تزل الحرب بين مالك بن فهم وبين الزباء بنت عمرو إلى أن المجاهما إلى أطراف مملكتها، وكان يغير على ملوك الطوائف حتى غلبهم على كثير مما في أيديهم.

قال أبو عبيدة: وهو أول ملك كان بالعراق من العرب وأول من نصب المجايل وأوقد الشموع وملك ستين سنة. ولما هلك قام بأمره من بعده جذبة الواضاح ويقال له الأبرش، وكان يكتب بأيديه ملك وهو منadam الفقدان.

قال أبو عبيدة: كان جذبة بعد عيسى بثلاثين سنة فملك أزمان الطوائف خمساً وسبعين سنة وأيام أردشير كلها خمسة عشر سنة وثمانين سنتين من أيام سابور، وكان بيته وبين الزباء سلم وحرب، ولم تزل تحاول الثار منه باليها حتى تحيطت عليه وأطمعته في نفسها فخطبها وأجابته، وأجمع المسير إليها وأبى عليه وزيره قيسير بن سعد، فعصاه ودخل إليها ولقيته بالجنود وأحسن بالشر، فنجا قصير ودخل جذبة إلى قصرها فقطعت رواهشه وأجرت دمه إلى أن هلك في حكاية مقتولة في كتب الإنجاريين.

قال الطبرى: وكان جذبة من أفضل ملوك العرب راياً وأبعدهم مغاراً وأشدتهم حزماً وأول من استجمع له الملك بأرض العراق وسرى بالجيوش، وكان به برص فكتوا عنه بالوضاح إجلالاً له، وكانت منازله بين الحيرة والأبار و هي ونواحيها وعين التمر وأطراف البر العميق والقططانية وجفنة، وكانت تحيى

من ملوك العرب، وأول من تمجده أهل الخبرة في كتبهم من ملوك العرب بالعراق، وإليه ينسبون وهم ملوك آل نصر. ولم يزل عمرو بن عدي ملكاً حتى مات وهو ابن مائة وعشرين سنة مستبداً متفداً يغزوهم ويغنم، وتقد عليه الوفود ولا يدلين للملك الطوائف ولا يدلين له حتى قدم أردشير بن بابك في أهل قارس.

قال الطبرى: وإنما ذكرنا في هذا الموضع أمر جذية وابن اخته عمرو بن عدي لما قدمناه عند ذكر ملوك اليمن، وأنهم لم يكن لهم ملك مستقل وإنما كانوا طوائف على المحاليف يغير كل واحد على صاحبه إذا استغلها، ويرجع خوف الطلب حتى كان عمرو بن عدي فاتصل له ولقبه الملك على من كان بنواحي العراق وبادية الحجاز بالعرب، فاستعمله ملوك فارس على ذلك إلى آخر أمرهم. وكان أمر آل نصر هؤلاء ومن كان من ولاته الفرس وعلمهم على العرب معروفاً مثبتاً عندهم في كتبهم وأشعارهم.

وقال هشام بن الكلبى: كنت استخرج أخبار العرب وأنسابهم وأسباب آل نصر بن ربيعة وبمبالغ أعمار من ولـي منهم لآل كسرى وتاريخ نسبهم من كتبهم بالحيرة. وأما ابن إسحاق فذكر في آل نصر ومصیرهم إلى العراق أن ذلك كان بسبب الرؤيا التي رأها ربيعة بن نصر وعبرها الكاهنة شق وسطيج، وفيها أن الجبحة يغلبون على ملوكهم باليمين، قال: فجهز بيده وأهل بيته إلى العراق بما يصلحهم وكتب لهم إلى ملك من ملوك فارس يقال له سابور بن خرازاذ فأسكنهم الحيرة، ومن بقية ربيعة بن نصر كان النعمان بن المنذر بن عمرو بن عدي بن ربيعة بن نصر. وقد يقال أن المنذر من أعقاب ساطرون ملك الحضر من تنوخ قضاة، رواه ابن إسحاق من علماء الكوفة ورواه عن جبير بن مطعم قال: لما أتى عمر رضي الله عنه بسيف النعمان دعا بهجير بن مطعم، وكان أنس قريش لقرىش والعرب، تعلم من أبي بكر رضي الله عنه فسلمه إياه، ثم قال: من كان النعمان يا جبير؟ قال: كان من أسلاف قنص بن معد.

قال السهيلي: كان ولد قنص بن معد انتشروا بالحجاز فوقعت بينهم وبينبني أبيهم حرب وتفاصيل بالبلاد وأجدبت الأرض، فساروا نحو سواد العراق وذلك في أيام ملوك الطوائف فقاتلتهم الأردوانيون وبعض ملوك الطوائف وأجلوهم عن السواد وقتلهم، إلا أشلاء لحقت بقبائل العرب ودخلوا فيما فانتسروا إليهم.

قال الطبرى: حين ساله عمر عن النعمان قال: كانت العرب تقول أن أشلاء قنص بن معد وهم من ولد عجم بن

شاطئ الفرات وقد بنت هنالك قصراً وترفع عند بطن الجاز وتصيف بتدرم. ولما استحكم لها الملك أجمع أخذ الثار من جذية بأليها فبعثت إليه توهمه الخطبة وأنها امرأة لا يليق بها الملك فيجمع ملوكها إلى ملوكه، فطمع في ذلك ووافقه قومه، وأبى عليه منهم قصير بن سعد بن عمرو بن جذية بن قيس بن أربى بن ثمارة بن لخم وكان حازماً ناصحاً، وحزنه عاقبة ذلك، فعصاه واستشار ابن أخيه عمرو بن عدي فوافقه فاستخلفه على قومه، وجعل على خيوله عمرو بن عبد الجن، وسار هو على غربي الفرات إلى أن نزل رجبة مالك بن طرق وأتاه الرسل منها بالألطاف والمدايا، ثم استقبله المحبول فقال له قصير إن أحاطتك بك الخيول فهو الغدر فاركب فرسك العصا وكانت لا تجاري. فاحتاط به الخيول ودخل جذية على الزباء فقطعت رواهش فسال دمه حتى نزف ومات.

وقدم قصير على عمرو بن عدي وقد اختلف عليه قوله وما جاءة منهم إلى عمرو بن عبد الجن فأصلح أمرهم حتى انقادوا جميعاً لعمرو بن عدي، وأشار عليه يطلب الشار من الزباء بحاله جذية. وكانت الكاهنة قد عرفتها بملوكها وأعطتها علامات عمرو فحضرته وبعثت رجلاً مصورةً يصور لها عمراً في جميع حالاته، فسار إليه متذمراً واحتلط بحشمه وجاء إليها بصورته فاستبيته وتيقنت أن ملوكها منه، واتخذت نفقاً في الأرض من مجلسها إلى حصن داخل مديتها. وعمد عمرو إلى قصير فجذع أنهه عواطأة منه على ذلك فلحق بالزيارة يشكوا ما أصابه من عمرو وأنه اتهمه بمداخلة الزباء في أمر حاله جذية، وما رأيت بعد ما فعل بي أنكى له من أن أكون معك. فاكرمته وقربيته حتى إذا رضي منها من الوثيق به وأشار عليها بالتجارة في طرف العراق وأتته فاعطته مالاً وعيراً، وذهب إلى العراق ولقي عمرو بن عدي بالحيرة فجهزه بالطرف والأمتعة كيما يرضيها، وأتاهما بذلك فزادت به وثيقاً وجهته بأكثر من الأولى.

ثم عاد الثالثة وحمل بغية الجندي من أصحاب عمرو في الغرائز على الجمال وعمرو فهم، وتقدم فبشرها بالعبرة وبكلة ما حل إليها من الظرف، فخرجت تنظر فأنكرت ما رأته في الجمال من التكارد، ثم دخلت العير المدينة فلما توسلت أنيخت وخرج الرجال، ويسادر عمرو إلى الفق فوقف عند، ووضع الرجال سيفهم في أهل البلد. ويسادرت الزباء إلى الفق فوجدت عمراً قائماً عنده فلتحمها بالسيف وماتت، وأصاب ما أصاب من المدينة وانكفا راجعاً.

قال الطبرى: وعمرو بن عدي أول من اتخذ الحيرة متزاً

فارس وولوا عليهم شخصاً من ولد أردشير وعدلوا عن بهرام لمرياه بين العرب وخلوه عن آداب العجم، وجهز المنذر العسكري لهراهم لطلب ملكه، وقدم ابنه النعمان فحاصر مدينة الملك ثم جاء على أثره بعساكر العرب وبهرام معه فأذعن له فارس وأطاعوه واستهعب المنذر ذنوبهم من بهرام فغاف عنهم واجتمع أمره.

ورجع المنذر إلى بلاده وشنق بالله وطماع فيه الملوك حوله، وغزاه خاقان ملك الترك في حسين الفا من العساكر، وسار إليه بهرام فانتهى إلى أذربيجان ثم إلى أرمينية. ثم ذهب يتضىء وخلف آخره نرسى على العساكر فرمي أهل فارس بالgrenades خار عن لقاء الترك، فراسلوا خاقان في الصلح على ما يرضاه فرجع عنهم. وانتهى الخبر بذلك إلى بهرام فسار في اتباعه وبيته فانقض بعسكتره وقتله بيده، واستولى بهرام على ما في العساكر من الأقال والذراري وظفر بفتح خاقان وأكليله وسيفه بما كان فيه من الجواهر وال gioiellies، وأسر زوجته، وغلب على ناحية من بلاده فول عليها بعض مرازاته وأذن له في الجلوس على سرير الفضة وأغزى ما وراء النهر فدانوا بالجزية، وانصرف إلى أذربيجان فجعل سيف خاقان وأكليله معلقاً ببيت النار وأخدمه خاتون أمراة خاقان، ورفع المزاج عن الناس ثلاثة سنين شكرأً لله تعالى على النصر، وتصدق بعشرين ألف درهم مكررة مرتين، وكتب بالخبر إلى التواحي وولي أخاه نرسى على خراسان واستوزر له بهرنرسى بن بدارا بن فرززاد، ووصل الطبرى نسبة من هنا بعد أربعة فكان رابعهم أشيك بن دارا وأغزى بهرام أرض الروم في أربعين الفا فانتهى إلى القسطنطينية ورجع.

قال هشام بن الكلبى: ثم جاء الحرث بن عمرو بن حجر الكنتى في جيش عظيم إلى بلاد معد والخجنة وقد ولأه تبع بن حسان بنتبع، فسار إليه النعمان بن أمرى القيس بن الشقيقة وقاتلته فقتل النعمان وعدة من أهل بيته وانهزم أصحابه، وأفلت المنذر بن النعمان الأكبر وأمه ماء السماء أمراة من اليمن، وتشتت ملك آل النعمان، وملك الحرث بن عمرو ما كانوا يملكونه. وقال غير هشام بن الكلبى: إن النعمان الذي قتله الحرث هو ابن المنذر بن النعمان وأمه هند بنت زيد منة بن زيد الله بن عمرو بن ربيعة بن ذهل بن شيبان، وهو الذي أسرته فارس، ملك عشرين سنة منها في أيام فیروز بن يزدجرد عشر سنين وأيام يلاوش بن يزدجرد أربع سنين وفي أيام قباد بن فیروز ست سنين.

قال هشام بن محمد الكلبى: ولما ملك الحرث بن حرث بن عمرو ملك آل النعمان بعث إليه قباد يطلب لقاءه وكان مضعفاً فجاءه الحرث وصالحة على أن لا يتجاوز بالعرب الفرات، ثم استضعفه

قص إلا أن الناس صحفوا عجم وجعلوا مكانه لخم. قال ابن إسحاق: وأما سائر العرب فيقولون النعمان بن المنذر رجل من لخم ربي بين ولد ربيعة بن نصر أهـ.

ولما هلك عمرو بن عدي ولـيـعـهـ علىـ العـربـ وـسـائـرـ منـ بيـادـيـ العـرـاقـ وـالـحـاجـزـ وـالـجـزـيرـةـ اـمـرـؤـ الـقـيـسـ بنـ عـمـرـوـ بـنـ عـدـيـ،ـ ويـقـالـ لـهـ الـبـدـءـ،ـ وـهـوـ أـوـلـ مـنـ تـصـرـ مـنـ مـلـوـكـ آلـ نـصـرـ وـعـمـالـ الـفـرـسـ،ـ وـعـاـشـ فـيـ ذـكـرـ شـامـ بـنـ الـكـلـبـيـ مـاـتـهـ وـأـرـبـعـةـ عـشـرـ سـنـةـ،ـ مـنـهـاـ لـيـامـ سـابـورـ ثـلـاثـةـ وـعـشـرـ سـنـةـ،ـ وـأـيـامـ هـرـمزـ بـنـ سـابـورـ سـنـةـ وـاحـدـةـ،ـ وـأـيـامـ بـهـرـامـ بـنـ هـرـمزـ ثـلـاثـ سـنـينـ،ـ وـأـيـامـ بـهـرـامـ بـنـ بـهـرـامـ ثـلـاثـيـ عـشـرـ سـنـةـ،ـ وـمـنـ لـيـامـ سـابـورـ سـبـعـونـ سـنـةـ.

وـهـلـكـ لـعـهـدـهـ فـوـلـيـ مـكـانـهـ اـبـهـ عـمـرـوـ بـنـ اـمـرـىـ الـقـيـسـ الـبـدـءـ،ـ فـاقـامـ فـيـ مـلـكـهـ ثـلـاثـيـنـ سـنـةـ بـقـيـةـ اـيـامـ سـابـورـ بـنـ سـابـورـ،ـ ثـمـ وـلـيـ مـكـانـهـ اـوـسـ بـنـ قـلـامـ الـعـلـيـقـيـ فـيـمـاـ قـالـ هـشـامـ بـنـ هـشـامـ،ـ وـهـوـ مـنـ بـنـيـ عـمـرـوـ بـنـ عـمـلـاقـ،ـ فـاقـامـ فـيـ وـلـايـهـ خـمـسـ سـنـينـ ثـمـ سـارـ بـهـ جـحـجاـ بـنـ عـتـيـكـ بـنـ لـخمـ فـقـتـلـهـ وـلـيـ مـكـانـهـ.ـ ثـمـ هـلـكـ فـيـ عـهـدـ بـهـرـامـ بـنـ سـابـورـ.ـ وـوـلـيـ مـنـ بـعـدـ اـمـرـؤـ الـقـيـسـ بـنـ عـمـرـوـ خـمـسـاـ وـعـشـرـ سـنـةـ وـهـلـكـ اـيـامـ يـزـدـجـرـدـ الـأـثـيـمـ،ـ فـوـلـيـ مـكـانـهـ اـبـهـ النـعـمـانـ بـنـ اـمـرـىـ الـقـيـسـ وـأـمـهـ شـقـيقـةـ بـنـ رـبـيـعـةـ بـنـ ذـهـلـ بـنـ شـيـبـانـ وـهـوـ صـاحـبـ الـخـورـقـ.

وـيـقـالـ إـنـ سـبـبـ بـنـائـهـ إـيـاهـ إـنـ يـزـجـرـدـ الـأـثـيـمـ دـفـعـ إـلـيـهـ اـبـهـ بـهـرـامـ جـوـرـ لـيـرـيـهـ وـأـمـرـهـ بـنـاءـ هـذـاـ الـخـورـقـ مـسـكـنـاـ لـهـ وـأـسـكـنـهـ إـيـاهـ،ـ وـيـقـالـ:ـ إـنـ الصـانـعـ الـذـيـ بـنـاءـ كـانـ اـسـمـهـ سـنـمـارـ وـاـنـهـ لـمـ فـارـغـ مـنـ بـنـائـهـ الـقـاءـ مـنـ أـعـلاـهـ فـمـاتـ مـنـ أـجـلـ مـخـاوـرـ وـقـعـتـ اـخـتـلـفـ النـاسـ فـيـ نـقـلـهـ وـالـلـهـ أـعـلـمـ بـصـحـتهاـ،ـ وـذـهـبـ ذـلـكـ مـثـلـاـ بـنـ الـعـربـ فـيـ قـبـحـ الـجـزـاءـ وـقـوعـ فـيـ اـشـعـارـهـ مـنـهـ كـثـيرـ.ـ وـكـانـ النـعـمـانـ هـذـاـ مـنـ أـفـحـلـ مـلـوـكـ آلـ نـصـرـ وـكـانـتـ لـهـ سـنـانـانـ إـنـدـاهـمـاـ لـلـعـربـ وـالـأـخـرـىـ لـلـفـرـسـ،ـ وـكـانـ يـغـزوـ بـهـمـاـ بـلـادـ الـعـربـ بـالـشـامـ وـيـدـوـخـهـاـ،ـ وـأـقـامـ فـيـ مـلـكـ ثـلـاثـيـنـ سـنـةـ ثـمـ زـهـدـ وـتـرـكـ الـمـلـكـ وـلـبـسـ الـمـسـوحـ وـذـهـبـ فـلـمـ يـوـجـدـ لـهـ أـنـ.

قال الطبرى: وأما العلماء بـأـخـبـارـ الـفـرـسـ فـيـقـولـونـ إـنـ الـذـيـ تـولـ تـرـيـةـ بـهـرـامـ هـوـ الـمـنـذـرـ بـنـ الـنـعـمـانـ بـنـ اـمـرـىـ الـقـيـسـ،ـ دـفـعـهـ إـلـيـهـ يـزـدـجـرـدـ الـأـثـيـمـ لـإـشـارـةـ كـانـتـ عـنـهـ فـيـ مـنـجـمـيـنـ،ـ فـأـحـسـنـ تـرـيـةـ وـتـادـيـهـ وـجـاءـهـ بـنـ يـلـقـهـ الـخـلـالـ مـنـ الـعـلـمـوـنـ وـالـآـدـابـ وـالـفـرـوـسـيـةـ وـالـنـقـابةـ حـتـىـ اـشـتـملـ عـلـىـ ذـلـكـ كـلـهـ بـمـاـ رـضـيـهـ،ـ ثـمـ رـدـهـ إـلـيـهـ فـاقـامـ عـنـهـ قـلـيلـاـ وـلـمـ يـرـضـ بـمـحـالـهـ،ـ وـوـفـدـ عـلـىـ أـيـهـ وـافـدـ قـيـصـرـ وـهـوـ أـخـوـهـ قـيـاـودـسـ،ـ فـقـصـدـهـ بـهـرـامـ أـنـ يـسـالـهـ لـهـ مـنـ أـيـهـ الرـجـوعـ إـلـيـ بـلـادـ الـعـربـ فـرـجـعـ،ـ وـنـزـلـ عـلـىـ الـمـنـذـرـ.ـ ثـمـ هـلـكـ يـزـدـجـرـدـ فـاجـتـمـعـ أـهـلـ

ثم ول عمرو بن هند شقيقة قابوس أربع سنين: سنة منها أيام أنورشوان وثلاثة أيام ابنه هرمز، ثم ول بعده آخرهم المنذر أربع سنين، ثم ول بعده النعمان بن المنذر وهو أبو قابوس اثنين وعشرين سنة منها ثمان سنين أيام هرمز وأربع عشرة أيام أبوريز، وفي أيام النعمان هذا أضمحل ملك آن نصر بالجزرية عليه انقرض، وهو الذي قتله كسرى أبوريز وأبدل منه في الولاية على الحيرة والعرب بلياس بن قيصنة الطائني، ثم رد رياضة الحيرة لرازبة فارس إلى أن جاء الإسلام وذهب ملك فارس. وكان الذي دعا أبوريز إلى قتله سعابة زيد بن عدي العبادي فيه عند أبوريز بسبب أن النعمان قتل أبيه عدي بن زيد.

وسيادة الخبر عن ذلك أن عدي بن زيد كان من تراجمة أبوريز وكان سبب قتل النعمان أن أباه وهو زيد بن حاد بن أيوب بن محروب بن عامر بن قيصنة بن أمرى القيس بن زيد مناة والد عدي هذا كان جيلاً شاعراً خطيباً وقارئاً كتاب العرب والفرس، وكانت أهل بيته يكتونون مع الأكاسرة ويقطعنهم القطائع على أن يتربعوا عندهم عن العرب، وكان المنذر بن المنذر لما ملك جعل ابنه النعمان في حجر عدي فأعرضه أهل بيته ورياه قوم من أشراف الحيرة يسببون إلى خم ويقال لهم بنو مرسي، وكان للمنذر بن المنذر عشرة سوى النعمان يقال لهم الأشاهب جملهم، وكان النعمان من بينهم أحمر أبirs قصيراً أمه سلمى بنت وائل بن عطية من أهل ذاك كانت أمة للحرث بن حصن بن ضمسم بن عدي بن جناب بن كلب، وكان قابوس بن المنذر الأكبر عم النعمان بعث إلى أنورشوان بعدى بن زيد وإخوه فكانوا في كتابه يترجون له، فلما مات المنذر أوصى على ولده لياس بن قيصنة الطائني وجعل أمره كله بيده فأقام على ذلك شهراً، ونظر أنورشوان فيما يملكه على العرب وشاور عدي بن زيد واستصححه في بني المنذر فقال بقيتهم في بني المنذر بن المنذر، فاستقدمهم كسرى وأنزلهم على عدي، وكان هواه مع النعمان، فجعل يرعى إخوته تفضيلهم عليه، ويقول لهم: إن أشار عليكم كسرى بالملك ومن يكرفه أمر العرب تخلفوا بشان ابن أخيكم النعمان، ويسر للنعمان إن سالم كسرى عن شأن إخوته أن يتكلله ويقول: إن عجزت عنهم فانا عن مواهم أعجز، وكان مع أخيه الأسود بن المنذر رجل من بني مرسي الذين ربوهم اسمه عدي بن أوس بن مرسي فصححه في عدي وأعلم أنه يخشى قلم يقبل، ووقف كسرى على مقاالتهم، فصال إلى النعمان وملكه وتوجه بقيمة ستين ألف دينار ورجع إلى الحيرة ملكاً على العرب، وعدي بن أوس في خدمته، وقد أضرم السعابة بعدى بن زيد فكان يظهر

فأطلق العرب للغارقة في نواحي السواد وراء الفرات فسأله اللقاء بابنه، واعتذر إليه أشظاظ العرب وأنه لا يضططم إلا المال فاضطمه جانباً من السواد، فبعث الحرث إلى ملك اليمن تبع يستهضه بغزو فارس في بلادهم وينغيره بضعف ملکهم، فجمع وسار حتى نزل الحيرة وبعث ابن أخيه شمراً ذا الجناح إلى قباد فقاتله واتبعه إلى الري فقتله، ثم سار شمر إلى خراسان وبعث تبع ابنه حسان إلى الصعد وأمرهما معاً أن يدوخاً أرض الصين، وبعث ابن أخيه بعفر إلى الروم فحاصر القدسية حتى أعطوا الطاعة والأتواه، وتقدم إلى روما فحاصرها. ثم أصحابهم الطاعون ووهنا له فوثب عليهم الروم فقتلهم جميعاً.

وتقدم شمر إلى سمرقند فحاصرها واستعمل الخليفة فيها فملكتها، ثم سار إلى الصين وهزم الترك ووجد أباه حسان قد سبقه إلى الصين منذ ثلاث سنين فاقاماً هنالك إحدى وعشرين سنة إلى أن هلك قال: والصحيح المتفق عليه أنهما رجعاً إلى بلادهما بما غنماه من الأموال والذخائر وصنوف الجنواه والطيوبر. وسار تبع حتى قدم مكة ونزل شعب حجاز وكانت وفاته باليمين بعد أن ملك مائة وعشرين سنة، ولم يخرج أحد بعده من ملوك اليمن غازياً. ويقال: إنه دخل في دين اليهود للأحرار الذين خرجوا منه من يثرب. وأما ابن إسحاق فعنده أن الذي سار إلى المشرق من التتابعة تبع الأخير وهو تبان أسد أبو كرب، قال هشام بن محمد: وولي أنورشوان بعد الحرث بن عمرو المنذر بن النعمان الذي أفلت يوم قتل أبوه ونزل الحيرة وأبوه هو النعمان الأكبر، فلما قوي سلطان أنورشوان واشتد أمره بعث إلى المنذر فملكه الحيرة وما كان يليه الحرث بن عمرو آكل المرار فلم يزل كذلك حتى هلك. قال: وملك العرب من قبل الفرس بعد الأسود بن المنذر أخوه المنذر بن المنذر وأمه ماوية بنت النعمان سبع سنين.

ثم ملك بعده النعمان بن الأسود بن المنذر وأمه أم الملك أخت الحرث بن عمرو أربع سنين، ثم استخلف أبو يعفر بن علقمة بن مالك بن عدي بن الذليل بن ثور بن أسد بن أربى بن ثمارة بن خم ثلاث سنين، ثم ملك المنذر بن أمرى القيس وهو ذو الترينين لصفيرتين كانتا له من شعره وأمه ماء السماء بنت عوف بن جشم بن هلال بن ربيعة بن زيد مناة بن عامر بن الضبيب بن سعد بن المزرج بن تيم الله بن المنذر بن قاسط فملك تسع وأربعين سنة، ثم ملك ابنه عمرو بن المنذر وأمه هند بنت الحرث بن عمرو بن حجر آكل المرار ست عشرة سنة ولثمان سنين من ملكه كان عام الفيل الذي ولد فيه رسول الله صلوات الله عليه وسلم.

الخبر عن ملوك الحيرة من آل المنذر من هذه الطبقة وكيف

الطائي على الحيرة مكان النعمان ليده التي أسلفها طيء عند  
كسرى يوم واقعة بهرام على أبوريز، وطلب من النعمان فرسه  
ينجح عليها ثأبى واعترضه حسان بن حنظلة بن جنة الطائي وهو  
ابن عم إياس بن قيصمة فاركبه فرسه ونجا عليه، ومر في طريقه  
بإياس فأهداى له فرساً وجذوراً، فرعى له أبوريز هذه الوسائل  
وقدم إياساً مكان النعمان. وهو إياس بن قيصمة بن أبي عفر بن  
النعمان بن جنة، فلما هلك النعمان بعثت إياس إلى هانىء بن  
مسعود في حلقة النعمان، ويقال كانت أربعمائة درع وقيل ثمانمائة،  
فمنعها هانىء وغضب كسرى وأراد استصال بكر بن وائل،  
وأشار عليه النعمان بن زرعة من بي تغلب أن يمهل إلى فصل  
القيظ عند ورودهم مياه ذي قار. فلما قاظوا ونزلوا تلك المياه  
جاهم النعمان بن زرعة يخربهم في الحرب وإعطاء اليد فاختاروا  
الحرب، اختاره حنظلة بن سنان العجلبي وكأنرا قد ولوه أمرهم  
وقال لهم إنما هو المорт قتلاً إن أعطيتكم باليد أو عطشاً إن هربتم  
وربما لقيكم بنو تميم فقتلوكم.

ثم بعث كسرى إلى إياس بن قيصة أن يسير إلى حربهم  
ياخذنه معه مسالح فارس وهم الجنود الذين كانوا معه بالقططانية  
يارق وتغلب، وبعث إلى قيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن  
بني المخدين وكان على طف شقران أن يرافق إياسًا، فجاءت  
للفرس معها الجنود والأفيال عليها الأسوار، وكان رسول الله  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومئذ بالمدينة فقال: «اليوم اتصف العرب من العجم  
بنصرولاً»، وحفظ ذلك اليوم فإذا هو يوم الرقة.

ولما تواقف الفريقان جاء قيس بن مسعود إلى هانيٌ وأشار عليه أن يفرق سلاح التuman على أصحابه ففعل، واختلف هانيٌ بن مسعود وحنظلة بن ثعلبة بن سنان، فأشار هانيٌ بركوب الفلاة وقطع حنظلة حزם الرجال وضرب على نفسه وآل أن لا يفرون. ثم استقروا الماء لنصف شهر، واقتتلوا وهرب العجم من العطش واتبعهم بكر بن وعجل، فاصطف العجم وقاتلوا وصبروا وراسلت إياد بكر بن وائل: إنا نفر عن اللقاء فضجبوهم، واشتتب القتال وقطعوا الأمال حتى سقطت الرجال إلى الأرض ثم حلوا عليهم، واعتضرهم يزيد بن حاد السكوني في قومه كان كميناً لاماتهم فشدوا على إياس بن قيصنة ومن معه من العرب فولت إياد منهزمة، وانهزمت الفرس وجاؤوها الماء في حر الظهيرة في يوم قاتلوا فكلوا أحجنة قتلاً وعطشاً.

وأقام إياس في ولاية الحيرة مكان النعمان ومعه المهرجان  
من مراية فارس سبع سنين وفي الثامنة منها كانت البعثة وولي  
بعده على الحيرة آخر من المرايَة اسمه زاذوي بن ماهان الهمداني

الثناء عليه ويترافق به مع أصحابه وأن يقلوا مثل قوله، إلا أنه يستصرخ النعمان ويزعم أنه ملكه وأنه عامله حتى آسفوه بذلك، وبعث إليه في الزيارة فاتاه وجسده ثم ندم وخشي عاقبة إطلاقه فجعل يكتبه.

ثم خرج النعمان إلى البحرين وخالفه جفنة ملك غسان إلى الحيرة وغار عليها وتال منها، وكان عدي بن زيد كتب إلى أخيه عند كسرى يشعره بطلب الشفاعة من كسرى إلى النعمان، فجاء الشفيع إلى الحيرة وبها خليفة النعمان، وجاء إلى عدي فقال له أعني الكتاب أبعته أنا ولازمي أنت هنا ثلاً أقتل. وبعث أعداؤه من بي بي قبلة إلى النعمان بأن رسول كسرى دخل عنده فبعث من قتله. فلما وفد كسرى في الشفاعة أظهر له الإجابة وأحسن له بارعة آلاف دينار وجراره وأذن له أن يخرجه من محبسه فوجده قد مات منذ ليل، فجاء إلى النعمان مثيراً فقال: والله لقد تركته حياً. فقال: وكيف تدخل إليه وأنت رسول إلى فطرده فرجع إلى كسرى وأخبره عورته وطروي عنه ما كان من دخوله إليه.

ثم ندم النعمان على قتله، ولقي يوماً وهو يتصدّى له زيداً فاعتذر إليه من أمر أبيه، وجهزه إلى كسرى ليكون خليفة أبيه على ترجمة العرب. فأعجب بـ كسرى وقربه وكان أسيراً عند، ثم أن كسرى أراد خطبة بنات العرب فأشار عليه عدي بالخطبة فيبني منذر فقال له كسرى: اذهب إليهم في ذلك، فقال: إنهم لا ينتحرون العجم ويستربون في ذلك فابعث معي من يفقه العربية فلعلني آتيك بفرضك. فلما جاء إلى النعمان قال لزيد: إما في غير السواد وفارس ما يغريك عن بناتها؟ وسأل الرسول عن العبر فقال له زيد: هي البقر. ثم رجعا إلى كسرى بالخيسة، وأغراه زيد فقضب كسرى وحقدتها على النعمان. ثم استقدمه بعد حين البعض حاجاته وقال له: لا بد من المشافهة لأن الكتاب لا يسعها. فقطن فذهب إلى طيء وغيرهم من قبائل العرب ليمتعوا، فأتياهوا وفرقو من معاداة كسرى، إلا بني رواحة بن سعد من بني عبس، فقام لهم أجابوه لو كانوا يغتون عنه فعندهم، وانصرف عنهم إلى بني شيبان بذي قار والرياسة فيهم هانئ بن مسعود بن عامر بن الخطيب بن عمرو المزدلف ابن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان، ولقيس بن خالد بن ذي الخدين. وعلم أن هانئاً يعنده وكان كسرى قد أقطعه، فرجع إليه النعمان ماله ونعمه وحلقه وهي سلاح ألف فارس شاكه، وسار إلى كسرى، فلقيه زيد بن عدي بسباط وتبين الغدر، فلما بلغ إلى كسرى قيده وأودعه السجن إلى أن هلك فيه بالطاعون ودعا ذلك إلى واقعة ذي قار بين العرب وفارس، وذلك أن كسرى لما قتل النعمان استعمل إياس بن قبيصة

الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

هذا ترتيب الملوك من ولد نصر بن ربيعة بن كعب بن عمرو بن عدي الأول منهم وهو الترتيب الذي ذكره الطبرى عن ابن الكلبى وغيره، وبين الناس فيه خلاف في ترتيب ملوكهم، بعد اتفاقهم على أن الذى ملك بعد عمرو بن عدي ابنة أمرؤ القيس ثم ابنة عمرو بن امرئ القيس وهو الثالث منهم. قال علي بن عبد العزيز الجرجانى فى أنسابه بعد ذكر عمرو هذا: ثُمَّ شَارَ أُوسُ بْنُ قَلَامِ الْعَمَلَقِيِّ وَمَلَكَ فَتَارَ بِهِ جَحْجَبُ بْنُ عَيْنِكَ الْخَمِيِّ فَقُتِلَ هُوَ وَمَلِكُهُ، ثُمَّ مَلَكَ مِنْ بَعْدِهِ أَمْرُؤُ الْقَيْسُ الْبَدَّهُ بْنُ عَمْرُو الْثَالِثِ، ثُمَّ مَلَكَ مِنْ بَعْدِهِ ابْنَ النَّعْمَانَ الْأَكْبَرَ ابْنَ أَمْرِئِ الْقَيْسِ بْنَ الشَّفِيقَةِ وَهُوَ الَّذِي تَرَكَ الْمَلْكَ وَسَاحَ، ثُمَّ مَلَكَ مِنْ بَعْدِهِ ابْنَ النَّعْمَانَ، ثُمَّ ابْنَهُ الْأَسْوَدَ بْنَ النَّعْمَانَ، ثُمَّ أَخْوَهُ النَّعْمَانَ بْنَ النَّعْمَانَ، ثُمَّ النَّعْمَانَ بْنَ الْأَسْوَدَ بْنَ النَّعْمَانَ، ثُمَّ أَبُو يَعْفُرَ بْنَ عَلْقَمَةَ بْنَ مَالِكَ بْنَ عَدِيَّ بْنَ الدَّمِيلِ بْنَ ثُورَ بْنَ أَسْنَشَ بْنَ زَيْنَ بْنِ نَمَارَةَ بْنِ لَثَمَ.

ثُمَّ مَلَكَ مِنْ بَعْدِهِ ابْنَ أَمْرِئِ الْقَيْسِ بْنَ النَّعْمَانَ الْأَكْبَرِ، ثُمَّ ابْنَهُ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ، ثُمَّ كَانَ أَمْرُ الْحَرْثَ بْنُ عَدِيَّ الْكَنْدِيَّ حَتَّى تَصَالَحَا وَتَزَوَّجَا النَّعْمَانُ بْنُهُ مُتَدَّلِّتًا فَوْلَدَتْ لَهُ عَمَرًا، ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَ النَّعْمَانَ عَمْرُو بْنَ هَذِهِ، ثُمَّ قَابِوْسُ بْنُ النَّعْمَانَ أَخْوَهُ، ثُمَّ النَّعْمَانُ بْنُ النَّعْمَانَ أَخْوَهُ الْآخَرِ، ثُمَّ ابْنَ النَّعْمَانَ بْنَ النَّعْمَانَ. وَهَذَا نَسْبَهُ الْجَرْجَانِيُّ وَهُوَ مَوْافِقُ لِتَرْتِيبِ الطَّبَرِيِّ إِلَّا فِي الْحَرْثِ بْنِ عَمْرُو الْكَنْدِيِّ فَإِنَّ الطَّبَرِيَّ جَعَلَهُ بَعْدَ النَّعْمَانَ الْأَكْبَرَ بْنَ أَمْرِئِ الْقَيْسِ وَابْنَهِ النَّعْمَانَ، وَالْجَرْجَانِيُّ جَعَلَهُ بَعْدَ النَّعْمَانَ بْنَ أَمْرِئِ الْقَيْسِ بْنَ النَّعْمَانَ وَبَيْنَ هَذَيْنِ النَّعْمَانَ وَالنَّعْمَانَ بْنَ النَّعْمَانَ الْأَكْبَرِ خَسْتَهُ مِنْ مَلُوكِهِمْ أَبُو يَعْفُرَ بْنَ الدَّمِيلِ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّحِيحِ مِنْ ذَلِكَ.

وَأَمَّا الْمَسْعُودِيُّ فَخَالَفَ تَرْتِيبَهُمْ فَقَالَ: بَعْدَ النَّعْمَانَ الْأَكْبَرِ بْنَ أَمْرِئِ الْقَيْسِ وَسَمَاهَ قَادِيُّ الْفَرْسِ مَلَكُ خَسَّا وَسِتِينَ سَنَةً، ثُمَّ مَلَكَ ابْنَهُ النَّعْمَانُ خَسَّا وَعِشْرِينَ سَنَةً وَهَذَا مُثُلُ تَرْتِيبِ الطَّبَرِيِّ وَالْجَرْجَانِيِّ. ثُمَّ خَالَفَهُمَا وَقَالَ: وَمَلَكَ النَّعْمَانُ بْنُ النَّعْمَانَ الْحِيرَةَ وَهُوَ الَّذِي بَنَى الْخَرْقَنَ خَسَّا وَثَلَاثِينَ سَنَةً، وَمَلَكَ الْأَسْوَدَ بْنَ النَّعْمَانَ عَشْرِينَ سَنَةً، وَمَلَكَ ابْنَهُ النَّعْمَانَ أَرْبَعِينَ سَنَةً وَأَمَّهُ مَاءَ السَّمَاءِ مِنَ النَّمَرِ قَاسِطًا مِنْ رَبِيعَهُ وَبَعْدَهُ عَرْفَ، وَمَلَكَ ابْنَهُ عَمْرُو بْنَ النَّعْمَانَ أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ سَنَةً، ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ أَخْوَهُ النَّعْمَانَ وَأَمَّهُ مَاءَ مَاءَ وَقُتِلَهُ كَسْرِيُّ وَهُوَ آخَرُهُمْ. هَذَا سَاقَ الْمَسْعُودِيُّ نَسْقَ مَلُوكِهِمْ وَنَسْبَهُمْ وَهُوَ خَالَفُ لِمَا ذَكَرَهُ الطَّبَرِيُّ وَالْجَرْجَانِيُّ.

وَقَالَ السَّهْلِيُّ: كَانَ لِلْنَّعْمَانَ بْنَ مَاءَ السَّمَاءِ مِنَ الْوَلَدِ الْمَلَكِيِّ عَمْرُو وَالنَّعْمَانُ وَكَانَ عَمْرُو لَهْنَدَ بْنَ الْحَرْثَ أَكْلَ الْمَرَارَ قَالَ: وَكَانَ عَمْرُو هَذَا مِنْ أَعْظَمِ مَلُوكِ الْحِيرَةِ وَيَعْرَفُ بِمَحْرَقِ لَأْنَهُ

سِعَ عَشْرَةَ سَنَةٍ إِلَى يَوْمِ بُورَانَ بَنْتِ كَسْرِيٍّ. ثُمَّ وَلِيَ النَّعْمَانُ بْنَ التَّعْمَانَ بْنَ أَجَادَثَ، وَلَا زَحْفَ الْمُسْلِمِونَ إِلَى الْعَرَقِ وَنَزَلَ خَالَدُ بْنَ الْوَلِيدَ الْحِيرَةَ حَاصِرَهُمْ بِقَصْرِهِ فَلَمَّا أَشْرَفُوا عَلَى الْمَلَكَةِ خَرَجَ إِلَيْهِمْ لِيَاسُ بْنُ قَيْصَةَ فِي أَشْرَافِ أَهْلِ الْحِيرَةِ وَاتَّقَى مِنْ خَالَدَ وَالْمُسْلِمِينَ بِالْجُزِيرَةِ، فَقَبَلُوهُمْ وَصَالَحُوهُمْ عَلَى مَائَةِ وَسِتِينِ أَلْفِ دَرْهَمٍ، وَكَتَبَ لَهُمْ خَالَدُ بِالْعَهْدِ وَالْأَمَانِ وَكَانَتْ أَوَّلْ جُزِيَّةٍ بِالْعَرَقِ. وَكَانَ فِيهِمْ هَانِيُّ بْنُ قَيْصَةِ أَخْرَى لِيَاسِ بْنِ قَيْصَةِ بِالْقَصْرِ الْأَيْضِنِ، عَدِيُّ بْنِ عَدِيِّ الْعَبَادِيِّ بْنِ أَبِي الْقَيْسِ، وَزِيدُ بْنِ عَدِيِّ بِقَصْرِ الْعَدَسِيِّ، وَأَهْلُ نَصْرِ بْنِ عَدِسِ مِنْ قَصْرِ الْحِيرَةِ وَهُوَ بْنُ عَوَانَ بْنِ عَدِيِّ الْمَسِيحِ بْنِ كَلْبٍ بْنِ وَبِرَّةِ وَأَهْلِ قَصْرِ بَنِي بَقِيلَةِ لَأَنَّهُ خَرَجَ عَلَى قَوْمٍ فِي بَرِدِينِ أَخْضَرِينَ فَقَالُوا: يَا حَارِثَ مَا أَنْتَ إِلَّا بَقِيلَةُ خَصَرَاءِ وَعَدِيِّ الْمَسِيحِ هَذَا هُوَ الْمَحْسُرُ وَهُوَ الَّذِي بَعَثَهُ كَسْرِيُّ لِبُرَوِيزِ إِلَى سَطِيعِ فِي شَانِ رُوْيَا الْمَرْزِيَّانِ، وَلَا صَالِحٌ لِيَاسِ بْنِ قَيْصَةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَدَ لَهُمْ الْجُزِيرَةَ سَخَطَتْ عَلَيْهِ الْأَكَاسِرَةُ وَعَزَّلَوْهُ، فَكَانَ مَلِكُهُ تِسْعَ سَنِينَ وَلَسْتَهُ مِنْهَا وَثَنَاءِيَّةُ أَشْهَرِ كَانَتِ الْبَعُوثُ، وَوَلِيَ حِيتَنَ الْحَلَافَةَ عَمْرُ بْنِ الْحَلَاظَ وَعَدَ لَسَعْدَ بْنِ أَبِي وَقَاصِ الْفَارَسِ، فَكَانَ أَوَّلُهُ عَمَلٌ بِزَدْجَرَدِ أَنْ أَمْرَ مَرْزِيَّانِ الْحِيرَةِ أَنْ يَعْثُثَ قَابِوْسَ بْنَ قَابِوْسَ بْنِ النَّعْمَانَ وَأَغْرِاهُ بِالْعَرَقِ وَوَعَدَهُ بِمَلْكِ آيَانَهُ، وَقَالَ لَهُ أَدْعَ الْقَادِسِيَّةِ وَنَزَلَهَا وَكَاتَبَ بَكْرَ بْنَ وَائِلَ بِمَثَلِ مَا كَانَ لِلْنَّعْمَانَ فَكَاتَبَهُمْ مَقَارِبَهُ وَوَعَدَهُ، وَأَنْتَهِيَ الْخَبَرُ إِلَى الْمَشْنَى بْنِ حَارِثَةِ الشَّيْبَانِيِّ عَقْبَ مَهْلَكِ أَخِيهِ الْمَشْنَى وَقَبِيلَ وَصُولَ سَعْدٍ، فَأَسْرَى مِنْ ذِي قَارَ وَبَيْتِ قَابِوْسَ بِالْقَادِسِيَّةِ فَفَضَّلَ جَمِيعَهُ وَقُتِلَ، وَكَانَ آخَرُهُ مِنْ بَقِيَّةِ مَلُوكِهِ أَلَّا نَصْرَ بْنَ رَبِيعَ وَانْقَرَضَ أَمْرُهُمْ مَعَ زَوَالِ مَلِكِ فَارَسٍ. أَهْ كَلامَ الطَّبَرِيِّ وَمَا نَقَلَهُ عَنْ هَشَمَ بْنِ الْكَلَبِيِّ.

وَقَدْ كَانَ الْمَغْبِرَةُ بْنَ شَبَّةَ تَرَوْجُ هَنَدًا بْنَتِ النَّعْمَانَ، وَسَعَدَ بْنَ أَبِي وَقَاصِ تَرَوْجُ صَدَقَةِ بْنِتِ النَّعْمَانَ، وَخَبَرُهُمَا مَعْرُوفٌ ذَكْرُ الْمَسْعُودِيِّ وَغَيْرِهِ. وَعَدَهُمْ مَلُوكُ آلِ نَصْرٍ عَنْدَ هَشَمَ بْنِ الْكَلَبِيِّ عَشْرَوْنَ مِلَكًا وَمَدْنَهُمْ خَسْمَانَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً، وَعَنْدَ الْمَسْعُودِيِّ ثَلَاثَ وَعِشْرَوْنَ مِلَكًا وَمَدْنَهُمْ سِتَّمَائَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً. قَالَ: وَقَدْ قَبِيلَ أَنْ مَدَةَ عَمَرَانِ الْحِيرَةِ إِلَى أَنْ خَرَبَتْ عَنْدَ بَنَاءِ الْكَوْفَةِ خَسْمَانَةَ سَنَةً، قَالَ: وَلَمْ يَزُلْ عَمَرَانِهَا يَتَاقَصُ إِلَى يَوْمِ الْوَلِيدِ قَالَ لَعِبْدِ الْمَسِيحِ: وَفِيمَا نَقَلَهُ بَعْضُ الْإِنْخَارِبِينَ أَنَّ خَالَدًا بْنَ الْوَلِيدِ قَالَ لَعِبْدِ الْمَسِيحِ: أَخْبَرْنِيْ بِمَا رَأَيْتَ مِنَ الْأَيَّامِ؟ قَالَ: نَعَمْ! قَالَ: رَأَيْتَ الْمَرَأَةَ مِنَ الْحِيرَةِ تَضَعُ مَكْتَلَهَا عَلَى رَأْسِهَا ثُمَّ تَخْرُجُ حَتَّى تَأْتِي الشَّامَ فِي قَرَى مَتَّصَلَةً وَبِسَيْسَيَّنَ مَلَفَّةً وَقَدْ أَصْبَحَتِ الْيَوْمَ خَرَابًا وَاللَّهُ يَرَثُ

## الخير عن ملوك كندة من هذه الطبقة ومبدأ أمرهم وتصاريف

تسقى له طاعة العرب، فول عليهم المنذر بن المنذر بن ماء السماء فخرج إلى جهة الشام طالباً ثاراً عليه من الحمر الأعرج الغساني فقتله الحمر أياضاً يوم أيام.

وملك بعده ابنه النعمان بن المنذر وكان ذميماً أشقر أبشر، وهو أشهر ملوك الحيرة وعليه كثرة وفود العرب وطلبه بثاراً عليه، وحرد من بيبي جفنة حتى أسر خلقاً كثيراً من أشرافهم، وحمله عدي بن زيد على أن تنصر وتترك دين آبائه، وحبس عدياً فشفع كسرى فيه بسعادة أخ له كان عنده قتلة النعمان في محبسه، ثم نشأ ابنه زيد بن عدي وصار ترجماناً لكسرى، فأغراه بهاتون وحضر مع كسرى أبوزيز في وقعة بين الفرس والروم وأنهزمت الفرس ونجا النعمان على فرسه التخوم بعد أن طلبه منه كسرى ينحو عليه فأعرض عنه، وزُل له إيس بن قيص الطائي عن فرسه فجأ عليه، ووفد عليه النعمان بعد ذلك قتله وولى على الحيرة إيس بن قيص، فلم تستقم له طاعة العرب وغضبوها لقتل النعمان، وكان لهم على الفرس يوم ذي قار ستة ثلاث منبعثة، ومات إيس وصارت الفرس يولون على الحيرة منهم إلى أن ملكها المسلمون.

وذكر البيهقي: أن دين بيبي نصر كان عبادة الأولئ، وأول من تنصر منهم النعمان بن الشقيقة وقيل بل النعمان الآخر، وملكت العرب بتلك الجهات ابنه المنذر قتله جيش أبي بكر رضي الله عنه. وفي تواریخ الأمم أن جميع ملوك الحيرة من بيبي نصر وغيرهم خمسة وعشرون ملكاً في نحو ستمائة سنة والله أعلم وهذا الترتيب مساواً لترتيب الطبراني والجرجاني والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

## الخير عن ملوك كندة من هذه الطبقة ومبدأ

### أمرهم وتصاريف أحوالهم

قال الطبرى عن هشام بن محمد الكلبى: كان يخدم ملوك حمير أبناء الأشراف من حمير وغيرهم وكان من يخدم حسان بن تبع عمرو بن حجر سيد كندة لوقته وأبوه حجر هو الذي تسمى به العرب أكل المرار وهو حجر بن عمرو بن معاوية بن الحمر الأصغر ابن معاوية بن الحمر الأكبر ابن معاوية بن كندة، وكان أخا حسان بن تبع لأمه، فلما دوخ حسان بلاد العرب وسار في الحجاز وهو بالانصراف ولل على معد بن عدنان كلها أخاه حجر بن عمرو هذا وهو أكل المرار، فدانوا له وسار فيهم أحسن سيرة، ثم هلك وملك من بعده ابنه عمرو المقصور.

حرق مدينة المهم عند اليمامة، وكان يملك من قبل كسرى أنوشروان، ومن بعده ملك أخوه النعمان بن المنذر وأمه ماماً وقتله كسرى أبوزيز بن هرمز بن أنوشروان لوجدة وجدها بسعادة زيد بن عدي بن زيد العبادي، وساق قصة مقتله وولاته إيس بن قيص الطائي من بعده وما وقع بعد ذلك من حرب ذي قار وغلب العرب فيها على العجم إلى آخرها. فالله أعلم بالصحيح في ترتيب ملوكهم.

وقال ابن سعيد: أول حديثهم في الملك أن بيبي ثماره كانوا جنداً للعمالقة بأطراف الشام والجزرية وكانتوا مع الزباء، ولما قتلت جذبة قام عمرو بن عدي منهم بثاره، وكان ابن أخيه حتى أدركه وقتلها وبين الحيرة على فرع من الفرات في أرض العراق.

وقال صاحب تواریخ الأمم: ملك مائة وثمانية وعشرين سنة أيام ملوك الطوائف، وبعد امرؤ القيس بن عمرو، ولما مات ول أردشير بن سابور على الحيرة أوس بن قلام من العمالقة، ثم كان ملك الحيرة فوليه امرؤ القيس بن عمرو بن امرؤ القيس المعروف بمحرق قال: وهو المذكور في قصيدة الأسود بن يعفر التي على روى الدال. وبعده ابنه النعمان بن شقيقة وهي من بيبي شبيان وجعل معه كسرى والياً للفرس وهو باني الخورنق والسدير على مياه الفرات، وملك إلى أن ساح وتزهد ثلاثة سنة وذكره عدي بن زيد في شعره.

وملك بعده ابنه المنذر وهو الذي سعى ليهرام جور في الملك حتى تم له وملك أربعين سنة، وملك بعده ابنه الأسود، ثم أخوه المنذر بن المنذر ثم النعمان بن الأسود وغضب عليه كسرى وولى مكانه الذمبل بن خلم من غير بيت الملك، ثم عاد الملك إليه فولى امرؤ القيس بن النعمان الأكبر وهو ابن الشقيقة وهو الذي غزا بكر بن وائل، وملك بعده ابنه المنذر بن ماء السماء وهي أمه أخت كليب سيد وائل وطالبه قباد باتباع مزدك على الزندقة فألي، وولى مكانه الحمر بن عمرو بن حجر الكندي، ثم رده أنوشروان إلى ملك الحيرة وقتله الحمر الأعرج الغساني يوم حلية كما يأتي.

وملك بعده ابنه عمرو بن هند وهي ماماً عممة امرؤ القيس بن حجر المعروف بمحضرط الحجارة لشدة بأسه، وهو حرق الشانى حرق بيبي دارم من عيمائهم قتلوا أخاه وحلف ليحرقون منهم مائة فخر قفهم وملك ستة عشر سنة أيام أنوشروان، فشك به في رواق بين الحيرة والفرات عمرو بن كلثوم سيد تقلب ونهبوا حياته. وملك بعده آخره قابوس بن هند وكان أعرج وقتله بعض بيبي يشكر فولى أنوشروان على الحيرة بعض مرازية الفرس فلم

على بني أسد، وشريحيل على بني سعد والرباب، وسلمة على بكر وتغلب، ومعديكرب على قيس وكتانة. ويقال: بل كان سلمة على حنظلة وتغلب، وشريحيل على سعد والرباب وبكر، وكان قيس بن الحرث سيارة أي قوم نزل بهم فهو ملكهم. وفي كتاب الأغاني إنه ملك ابنه شريحيل على بكر بن وائل، وحنظلة على بني أسد وطائف من بني عمرو بن تميم والرباب وغلفا وهو معديكرب على قيس، وسلمة بن الحرث على بني تغلب والتمر بن قاسط والنمر بن زيد منة. اه كلام الأغاني.

فاما شريحيل فإنه فسد ما بينه وبين أخيه سلمة واقتلوه بالكلاب ما بين البصرة والكوفة، على سبع من اليمامة وعلى تغلب السفاح وهو سلمة بن خالد بن كعب بن زهير بن تميم بن أسامة بن مالك بن بكر بن حبيب، وسبق إلى الكلاب سفيان بن عجاشع بن دارم من أصحاب سلمة في تغلب مع إخوته لأمه. ثم ورد سلمة وأصحابه فاقتلوه عامنة يومهم، وخذلت بنو حنظلة وعمرو بن تميم والرباب بكر بن وائل، وانصرفت بنو سعد وأتباعها عن تغلب، وصبر بنو بكر وتغلب ليس معهم غيرهم إلى الليل، ونادى منادي سلمة في ذلك اليوم من يقتل شريحيل ولقاته مائة من الإبل، فقتل شريحيل في ذلك اليوم قتلته عصيم بن النعمان بن مالك بن غياث بن سعد بن زهير بن بكر بن حبيب التغليبي. وبلغ الخبر إلى أخيه معديكرب فاشتد جزعه وحزنه على أخيه وزاد ذلك حتى اعتراه منه وسوان هلك به، وكان معتزلاً عن الحرث ومنع بنو سعد بن زيد منة عيال شريحيل وبعثوا بهم إلى قومهم، فعل ذلك عرف بن شحنة بن الحرث بن عطارد بن عوف بن سعد بن كعب.

وأما سلمة، فإنه فلجلج نمات، وأما حجر بن الحرث فلم يزل أميراً على بني أسد إلى أن بعث رسله في بعض الأيام لطلب الآتاوية من بني أسد فمنعوها وضرروا الرسل، وكان حجر بتهامة قبله الخبر، فسار إليهم في ربيعه وقيس وكتانة فاستباحهم وقتل أشرافهم وسروراً لهم وحبس عبيداً بن الأبرص في جمع منهم فاستطعنه بشرع بعث به إلىه فسرحة وأصحابه وأتقندهم، فلما بلغوا إليه هجموا عليه بيته فقتلوه وتول قتله علياء بن الحرث الكاهلي كان حجر قتل إلهاه، وبلغ الخبر أمير القيس فحلف أن لا يقرب لذلة حتى يدرك بثاره من بني أسد، وسار صريحاً إلى بني بكر وتغلب فنصروه وأقبل بهم فاجفل بنو أسد، وسار إلى المنذر بن أمير القيس ملك الحيرة وأوقع أمره القيس في كنانة فائخن فيهم، ثم سار في اتباع بني أسد إلى أن أعيا ولم يظفر منهم بشيء ورجعت عنه بكر وتغلب، فثار إلى مؤثر الخير بن ذي جدن من

قال الطبرى عن هشام: ولما سار حسان إلى جديس خلفه على بعض أمور ملكه في حمير، فلما قتل حسان وولى بعده أخيه عمرو بن تبع وكان ذا رأي ونبيل، فأراد أن يكرم عمرو بن حجر بما نقصه من ابن أخيه حسان، فزوجه بنت أخيه حسان بن تبع، وتكلمت حير في ذلك وكان عندهم من الأحداث التي ابتلوا بها أن لا يتزوج في ذلك البيت أحد من العرب سواهم، فولدت بنت حسان لعمرو بن حجر الحرث بن عمرو، وملك بعد عمرو بن تبع عبد بن متون أصغر أولاد حسان، واستهوت الجن منهم تبع بن حسان فرلوا عبد كلال مخافة أن يطمع في ملكهم أحد من بيت الملك، فولى عبد كلال لسرور رحمة، وكان على دين الصرمانية الأولى وكان ذلك يسوء قومه، ودعا إليه رجل من غسان قدم عليه من الشام، ووتب حير بالغساني فقتلواه.

ثم رجع تبع بن حسان من استهءاء الجن وهو أعلم الناس بنجم وأعقل من يعلم في زمانه وأكثرهم حديثاً عما كان ويكون، فملك على حير وهابته حير والعرب، وبعث بابن أخيه الحرث بن عمرو بن حجر الكندي في جيش عظيم إلى بلاد معد والخيرة وما والاه، فسار إلى النعمان بن امرئ القيس بن الشقيقة فقتل النعمان وعدة من أهل بيته وهزم أصحابه، وأفلت المنذر بن النعمان الأكبر وأمه ماء السماء امرأة من النمر بن قاسط وذهب ملك آل النعمان وملك الحرث بن عمرو وما كانوا يملكون.

وفي كتاب الأغاني قال: لما ملك قباد، وكان ضعيف الملك، ترثت العرب على المنذر الأكبر ابن ماء السماء وهو ذو القرنين بن النعمان بن الشقيقة فآخر جره، وإنما سمي ذا القرنين للذؤابين كانتا له، فخرج هارباً منها حتى مات في إياد، وترك ابنه المنذر الأصغر فيهم وكان أنكى ولده، وجاؤوا بالحرث بن عمرو بن حجر أكل الموار فملckoه على بكر وحشدوا له وقاتلوا معه، وظهر على من قاتله من العرب. وأبي قباد أن يد المنذر بجيش فلما رأى ذلك كتب إلى الحرث بن عمرو: إني في غير قومي وأنت أحق من ضمي وأنا متوجه إليك فحمله زوجه ابنته هذا.

وقال غير هشام بن محمد: إن الحرث بن عمرو لما ولد على العرب بعد أبيه اشتتد وطاته وعظم بأسه ونمازع ملوك الحيرة عليهم يومئذ المنذر بن امرئ القيس وبين لهم إذ ول كسرى قباد بعد أبيه فيروز بن يزدجرد وكان زنديقاً على رأي مانى، فدعى المنذر إلى رأيه فلبي عليه وأجياله الحرث بن عمرو فملكه على العرب وأنزله بالحيرة، ثم هلك قباد وولى ابنه أنوشروان فرد ملك الحيرة إلى المنذر، وصالحه الحرث على أن له ما وراء نهر السواد فاقسموا ملك العرب، وفرق الحرث ولده في معد فملك حجراً

سرير بن السموال وأدرك الإسلام، وعمرو مزيقاً قديماً لا يجوز أن يكون بينه وبين السموال ثلاثة آباء ولا عشرة، وقد قيل إن أمه من غسان وكلهم قالوا: هو صاحب الحصن المعروف بالآبلق بتلها المشهور بالزياء، وقيل: من ولد الكوohen بن هارون، وكان هذا الحصن جلد عادي، واحتقر فيه أروية عذبة، وتنزل به العرب فقتضيها وغثار من حصنه وتقسم هنالك سوقاً أهـ كلام الأغاني.

وقال ابن سعيد: كندة لقب لثور بن عفیر بن الحرث بن مرة بن ادد بن يشجب بن عبيد الله بن زيد بن كهلان، وبلادهم في شرق اليمن، ومدينة ملوكهم دمون، وتولى الملك منهم في بني معاوية بن عترة، وكان التابعية يصاهر ونهم ويولونهم على بني معد بن عدنان بالحجاز، فأول من ول من لهم حجر أكل المزار بن عمرو بن معاوية الأكبر ولاه تبع بن كرب الذي كسا الكعبة، وولي بعده ابنه عمرو بن حجر، ثم ابنة الحرث المقصورة وهو الذي ألبى أن يترندق مع قباد ملك الفرس فقتل في بني كلب ونهب ماله، وكان قد ول أولاده على بني معد فقتل أكثرهم، وكان على بني أسد منهم حجر بن الحرث فجأر عليهم فقتلوه، وتعبر للطلب بثاره ابنته امرأة القيس، وسار إلى قيسار فأغراه به الطعام الأسدي. وقال: إنه يتغزل بنات الملوك فاللهم حللة مسمومة تقطنم بها.

وقال صاحب التاریخ: إن الملك انتقل بعدهم إلى بني جبلة  
بن عدي بن ربيعة بن معاویة الأکرمین، واشتهر منهم قيس بن  
معدیکرب بن جبلة ومنهم الأعشی وابنته العمردة من مردة الإنس  
ولها في قبال المسلمين أخبار في الردة، وأسلم آخرها الأشعث ثم  
ارتدى بعد الوفاة واعتصم بالحبر، ففتحه جيش أبي بکر رضي الله  
عنه وجیه به إلى أسرى فمن عليه وزوجه أخنه وخرج من نسله  
بن الأشعث المذکورون في الدولة الأموية.

ومن بطون كندة السكون والسكاكس، وللسكاكس مجالات  
شرقي اليمن متيبة وهم معروفون بالسحر والكهانة، ومنهم تجحب  
بطون كثير كان منهم بالأندلس بنو صمادح وبني ذي التون وبنو  
الأفطس من ملوك الطوائف. والله تعالى وارث الأرض ومن  
عليها وهو خير الوارثين لا رب غيره.

ملوك حمير صريخاً بنصره خمسمائة رجل من حمير وبجمع من العرب سواهم، وجمع المنذر لامرئ القيس ومن معه، وأمده كسرى أنوشروان بجيش من الأساورة والتقو فانهزم امرؤ القيس، وفرت حمير ومن كان معه ونجا بدمه وما زال ينتقل في القبائل والمنذر في طلبه وسار إلى قيصر صريخاً فامده، ثم سعى به الطماح عند قيصر أنه يشتبه بيشه، فبعث إليه مجلدة مسمومة كان فيها هلاكه ودفـ: بائقنة.

قال الجرجاني: ولا يعلم لكندة بعد هؤلاء ملوك اجتمع لهم أمرها وأطيع فيها سوى أنهم قد كان لهم رياضة ونباهة وفيهم سرود حتى كانت العرب تسميمهم كنالة الملوك، وكانت الرياسة يوم جبلة على العساكر لهم، فكان حسان بن عمرو بن الجبور على تميم ومعاوية بن شربيل بن حصن على بني عامر والجبور هو معاوية بن حجر أكل المزار آخر الملك المقصور عمرو بن حجر، والله وارث الأرض ومن عليها.

وفي كتاب الأغاني: أن امرئ القيس لما سار إلى الشام نزل على السموال بن عاديا بالأيلق بعد إيقاعه بيبي كنانة على أنهem بنو أسد وتفرق عنهم أصحابه كراهية لفعله، واحتاج إلى الهرب فطلبته المنذر بن ماء السماء وبعث في طلبه جموعاً من إياد وبهراء وتسوخ وجيوشاً من الأسواربة أمنده بهم أنورشوان، وخذله حمير وتفرقوا عنه فالتجأ إلى السموال ومعه أدراع خمسة مسماة كانت ليبي آكل المرار يتوارثونها، ومعه بنته هند وابن عمها يزيد بن الحرث بن معاوية بن الحرث ومال وسلاح كان بقي معه والربيع بن ضبع بن نزار، وأشار عليه الربيع ب مدح السموال فمدحه ونزل به، فضرب بابته قبة وأنزل القوم في مجلس له براج، فمكثوا ما شاء الله. وسأله امرء القيس أن يكتب له إلى الحرث بن أبي شعر يوصله إلى قيسر ففعل واستصحب رجلاً يدله على الطريق وأودع ابنته وماله وأدراعه السموال، وخلف ابن عمها يزيد بن الحرث مع ابنته هند ونزل الحرث بن ظالم غازياً على الأيلق، ويقال الحرث بن أبي شعر ويقال ابن المنذر، وبعث الحرث بن ظالم ابنه يتضييد وبهدده يقتله فليبي من إخفار ذمه وقتل ابنه فضرب به المثل في الوفاء بذلك.

وأما نسب السموأل فقال ابن خلبيفة عن محمد بن سالم البيلكندي عن الطوسي عن ابن حبيب: إنه السموآل بن عريض بن عاديا بن جياء، ويقال إن الناس يدرجومن عريضاً في النسب وتبه عمرو بن شبة ولم يذكر عريضاً، وقال عبد الله بن سعد عن دارم بن عقال: من ولد السموآل بن عاديا بن رفاعة بن ثعلبة بن كعب بن عمرو بن عامر مزيقاً وهذا عند محال لأن الأعشى أدرك

الخبر عن أبناء جفنة ملوك غسان بالشام  
من هذه الطبقة وأولياتهم ودوفهم وكيف  
انساق الملك إليهم من قبلهم

أول ملك كان للعرب بالشام فيما علمناه للعمالقة، ثم لبني

إرم بن سام ويعرفون بالأرمانين. وقد ذكرنا خلاف الناس في مزيقيا.

قال بعض أهل اليمن: عك بن عدنان بن عبد الله بن أدد. قال الدارقطني: عك بن عبد الله بن عدثان بالشاة الثالثة وضم العين ولا خلاف أنه بنوين كما لم يختلف في دوس بن عدثان قبيلة من الأزد أنه بالشاة الثالثة. ثم نزلوا بالظهaran وقاتلوا جرهم بمكة، ثم افترقوا في البلاد فنزل بنو نصر بن الأزد الشرة وعمان ونزل بنو ثعلبة بن عمرو مزيقياً بيترب وأقام بنو حارثة بن عمرو بمصر الظهران بمكة وهم يقال لهم خزانة.

وقال المسعودي: سار عمرو مزيقياً حتى إذا كان بالشرة بمكة أقام هنالك بنو نصر بن الأزد وعمان الكاهن، وعدي بن حارثة بن عمرو بالأزد حتى نزلوا بين بلاد الأشعرین وعك على ماء يقال له غسان بين واديين يقال لهما زبيد وزمع فشربوا من ذلك الماء فسموا غسان، وكانت بينهم وبين معد حروب إلى أن ظفرت بهم معد فاخرجوه إلى الشرة وهو جبل الأزد الذين هم به على تخوم الشام ما يشهي وبين الجبال مما يلي أعمال دمشق والأردن.

قال ابن الكلبي: ولد عمرو بن عامر مزيقياً جفنة ومنه الملك والحرث وهو حرق أول من عاقب بالنار، ونعلبة وهو العتقا، وحارثة وأبا حارثة ومالكاً وكعباً ووداعنة وهو في همدان وعواوة وذهل وائل ودفع ذهل إلى تigran ومنه أسقف وعيادة وذهلاً وقيساً درج هؤلاء الثلاثة وعمران بن عمرو فلم يشرب أبو حارثة ولا عمran ولا وائل ماء غسان فليس يقال لهم غسان. ويفي من أولاد مزيقياً ستة شربوا منه فهم غسان وهم: جفنة وحارثة ونعلبة ومالك وكعب وعرف، ويقال: إن ثعلبة وعرفاً لم يشربا منه، ولما نزلت غسان الشام جاوروا الضجاعم وقومهم من سليم ورئيس غسان يومئذ ثعلبة بن عمرو بن الجالد بن الحرث بن عمرو بن عدي بن عمرو بن مازن بن الأزد، ورئيس الضجاعم يومئذ داود اللثين بن هبولة بن عمرو بن عوف بن ضجاعم. وكانت الضجاعم هؤلاء ملوكاً على العرب عملاً للروم كما قيلوا، يمرون من نزل بساحتهم ليتصير، فغلبتهم غسان على ما بأيديهم من رياضة العرب لما كانت صبغة رياستهم الخميرية قد استحالت وعادت إلى كهlanan ويطربنها وعرفت الرياسة منها باليمن قبل فصوصهم، وربما كانوا أولى عدة وقوفة، وإنما العزة للكاثر.

وكانت غسان لأول نزولها بالشام طالها ملوك الضجاعم بالأتواء فماتعهم غسان فاقتلوها فكانت الدائرة على غسان، وأقرت بالصغار وأدت الأتواء حتى نشا جذع بن عمرو بن الجالد بن الحرث بن عمرو بن الجالد بن الحرث بن عمرو بن عدي بن

العمالقة الذين كانوا بالشام هل هم من ولد عمالق بن لاوذ بن سام أو من ولد عمالق بن البفاز بن عيسو، وأن المشهور المتعارف أنهم من عمالق بن لاوذ. وكان بنو إرم يومئذ بادية في نواحي الشام والعراق، وقد ذكروا في التوراة، وكان لهم مع ملوك الطوائف حروب كما تقدمت الإشارة إلى ذلك كله من قبل، وكان آخر هؤلاء العمالقة ملك السميدع بن هوثر وهو الذي قتله يوشع بن نون حين تغلب بنو إسرائيل على الشام، وبقي في عقبه ملك ملكاً الزباء بنت عمرو بن السميدع. وكانت قضاعة مجاورين لهم في ديارهم بالجزيرة وغلبوا العمالقة لما فشل رجيمهم.

فلما هلكت الزباء وانقض أمر بي الظرب بن حسان، ملك أمر العرب تنوخ من بطون قضاعة، وهو تنوخ بن مالك بن فهم بن تيم الله بن الأسود بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، وقد تقدم ذكر نزوهم بالحيرة والأنيار ومجاوريهم للأرمانين. فملك من تنوخ ثلاثة ملوك فيما ذكر المسعودي: النعمان بن عمرو، ثم ابنه عمرو بن النعمان، ثم آخره الحوار بن عمرو، وكانوا ملوكين من قبل الروم. ثم تلاشى أمر تنوخ وأضمحل وغابت سليم من بطون قضاعة، ثم الضجاعم منهم من ولد ضجاعم بن سعد بن سليم واسمه عمرو بن خلوان بن عمران بن الحاف فتصروا وملكتهم الروم على العرب وأقاموا على ذلك مدة، وكان نزوهم ببلاد مؤاب من أرض البقاء. ويقال: إن الذي ول سليم على نواحي الشام هو قيسار طيطش ابن قيسار ماهان.

قال ابن سعيد: كان لبني سليم دولتان في بني ضجاعم وبني العيد، فأما بني ضجاعم فملكوا إلى أن جاءهم غسان فسلبوا ملكهم، وكان آخرهم زناد بن الهبولة سار بن أبيقي السيف منهم إلى الحجاز فقتلته وإلى الحجاز للتباعدة حجر أكل المزار. قال: ومن النساءين من يطلق تنوخ على بني ضجاعم ودوس الذين تنخوا بالبحرين أي أقاموا، ثم سار الضجاعم إلى بريدة الشام ودوس إلى بريدة العراق. قال: وأما بني العيد بن الأبرص بن عمرو بن أشجع بن سليم فتوارثوا الملك بالحضر الذي آثاره باقية في بريدة سنجار، والمشهور منهم الضيزي بن معاوية بن العيد المعروف عند الجرامقة بالساطرون وقصته مع سابر معروفة أهـ. كلام ابن سعيد. ثم استحالات صبغة الرياسة عن العرب لخمير وصارت إلى كهlanan إلى بلاد الحجاز، ولما فصلت الأزد من اليمن كان نزوهم ببلاد عك ما بين زيد وزمع فحاربواهم وقتلوا ملك قتله ثعلبة بن عمرو

أخويه شمر والمنذر.  
وقال ابن سعيد: أول من ملك من غسان بالشام وأذهب ملك الضجاعون جفنة بن مزيقيا. ونقل عن صاحب تاريخ الأمم: ولما ملك جفنة بنى جلق وهي دمشق وملك خساً وأربعين سنة، واتصل الملك في بيته إلى أن كان منهم الحارث الأعرج ابن أبي شمر وأمه مارية ذات القرطين من بي جفنة بنت الهانئ المذكورة في شعر حسان بأرض البلقاء ومعان. قال ابن قتيبة: وهو الذي سار إليه المنذر بن ماء السماء من ملوك الحيرة في مائة ألف، فبعث إليه الحارث مائة من قبائل العرب فيهم ليد الشاعر وهو غلام، فاظهروا أنهم رسول في الصلح حتى إذا أحاطوا برواق المنذر فنكروا به وقتلوا جميع من كان معه في الرواق وركبوا خيولهم، فمنهم من نجا ومنهم من قتل. وحلت غسان على عسكر المنذر وقد اخبطروا فهزموهم، وكانت حليمة بنت الحارث تحرض الناس وهزمون على القتال فسمى يوم حليمة، ويقال إن النجوم ظهرت فيه بالنهار من كثرة العجاج.

ثم توالي الملك في ولد الحارث الأعرج إلى أن ملك منهم جفنة بن المنذر بن الحارث الأعرج وهو عرق لأنه حرق الحيرة دار ملك آل النعمان، وكان جواؤاً في الآفاق وملك ثلاثين سنة. ثم كان ثالثه في الملك النعمان بن عمرو بن المنذر الذي بني قصر السويدا وقصر حارث عند صيدا وهو مذكور في شعر النابغة ولم يكن أبوه ملكاً وإنما كان يغزو بالجيش، ثم ملك جبلة بن النعمان وكان منزله بصفين وهو صاحب عين أبياغ يوم كانت له المزعة فيه على المنذر بن جبلة بن جفنة بن الحارث، ثم ملك بعده اتصل الملك في تسعة منهم بعده وكان العاشر أبو كرب النعمان بن الحارث الذي رثاء النابغة وكان منزله بالجلولان من جهة دمشق، ثم ملك الأيمم بن جبلة بن جفنة بن الحارث وكان له رأي في الإمساد بين القبائل حتى أفنى بعضهم بعضاً فعل ذلك بيبي جسر وعاملة وغيرهم وكان منزله بتدمير وملك بعده منهم خسفة، فكان السادس منهم ابنه جبلة بن الأيمم وهو آخر ملوكهم أهـ. كلام ابن سعيد.

واستفحلاً ملك جبلة هذا وجاء الله بالإسلام وهو على ملكه، ولا افتح المسلمين الشام أسلم جبلة وهاجر إلى المدينة، واستشرف أهل المدينة لقدمه حتى تطاول النساء من خدورهن لرؤيه لكرم وفادته، وأحسن عمر رضي الله عنه نزله وأكرم وقادته وأجله بأرفع رتب المهاجرين، ثم غلب عليه الشقاء ولطم رجال من المسلمين من فرازة وطيء فضل إزاره وهو يسحبه في الأرض، ونابذه إلى عمر رضي الله عنه في التصاص فأخذته العزة

عمرو بن مازن بن الأزد، ورجال سليم من ولد رئيسهم داود اللثق وهو سبطه بن المنذر بن داود ويقال بل قتلة. فالتحقوا فغلبهم غسان وأقاد بهم وقروا بملك الشام وذلك عند فساد كان بين الروم وفارس، فخاف ملك الروم أن يعيروا عليه فارساً، فكتب إليهم واستدناهم ورئيسهم يومئذ ثعلبة بن عمرو آخر جدع بن عمرو، وكتبوا بينهم الكتاب على أنه إن دهمهم أمر من العرب أدمهم باربعين ألفاً من الروم وإن دهمه أمر أدمته غسان بعشرين ألفاً، وثبت ملكهم على ذلك وتوارثه. أول من ملك منهم ثعلبة بن عمرو فلم يزل ملكها إلى أن هلك وولي مكانه منهم ثعلبة بن عمرو مزيقيا.

قال الجرجاني: وبعد ثعلبة بن عمرو ابنه الحارث بن ثعلبة يقال إنه ابن مارية، ثم بعده ابنه المنذر بن الحارث، ثم ابنه النعمان بن المنذر بن الحارث، ثم أبو بشر بن الحارث بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة، هكذا نسبه بعض النساب، والصحيح أنه ابن عموف بن الحارث بن عموف بن عدي بن عمرو بن مازن، ثم الحارث الأعرج بن أبي شمر، ثم عمرو بن الحارث الأعرج، ثم المنذر بن الحارث الأعرج، ثم الأيمم بن جبلة بن الحارث بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة، ثم ابنه جبلة.

وقال المسعودي: أول من ملك منهم الحارث بن عمرو مزيقيا، ثم بعده الحارث بن ثعلبة بن جفنة وهو ابن مارية ذات القرطين، وبعده النعمان بن الحارث بن جفنة بن الحارث، ثم أبو شمر بن الحارث بن ثعلبة بن جفنة بن الحارث، ثم ملك بعده أخوه المنذر بن الحارث، ثم أخوه جبلة بن الحارث، ثم بعده عمرو بن أبي شمر، ثم بعده الحارث بن أبي شمر وعلى عهده كانت البعثة وكتب له النبي ﷺ فيمن كتب إليه من ملوك تهامة والحجاز واليمن وبعث إليه شجاع بن وهب الأسد يدعوه إلى الإسلام ويرغبه في الدين كما عند ابن إسحاق. وكان النعمان بن المنذر على عهد الحارث بن أبي شمر هذا وكانت يتنازعان في الرياسة ومذاهب الملح، وكانت شعراً العرب تقد عليهم مثل الأعشى وحسان بن ثابت وغيرهما.

ومن شعر حسان رضي الله تعالى عنه في مدح أبناء جفنة: الله در عصابة نسادتهم يوماً مجلس في الزمان الأول أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل ينشون حتى ما تهر كلابهم لا يسألون عن السواد قبل ثم ملك بعد الحارث بن أبي شمر ابنه النعمان، ثم ملك بعده جبلة بن الأيمم بن جبلة، وجبلة جده هو الذي ملك بعد

الخبر عن الأوس والخزرج أبناء قيلة من هذه الطبقة ملوك  
أوليتهم والإلام بشأن نصرتهم وكيف  
انفرض أمرهم

قد ذكرنا فيما تقدم شأن يثرب وأنها من بناء يثرب بن فانية بن مهلهل بن ارم بن عييل بن عوض وعيل آخر عاد. وفيما ذكر السهيلي أن يثرب بن قائد بن عييد بن مهلايل بن عوص بن عمليق بن لاوذ بن ارم، وهذا أصح وأوجه. وقد ذكرنا كيف صار أمر هؤلاء الإخوان لهم جاسم من الأمم العمالقة وأن ملوكهم كان يسمى الأرقم وكيف تغلب بنو إسرائيل عليه وقتلوا وملكوا الحجاز دونه كله من أيدي العمالقة، وظهر من ذلك أن الحجاز لهدهم كان آهلاً بالعمران وجيئع مياهه، يشهد بذلك أن داود عليه السلام لما خلع بنو إسرائيل طاعته وخرجوا عليه بابه أشبوشت فر مع سبط يهودا إلى خير وملك ابنه الشام وأقام هو وسبط يهودا مخبير سبع سنين في ملكه، حتى قتل ابنه وعاد إلى الشام. فيظهر من هذا أن عمرانه كان متصلةً بيثرب وبجاوزها إلى خير. وقد ذكرنا هنا تلك كيف أقام من بي إسرائيل من أيام بالحجاز وكيف تبعهم يهود خير وبن قريطة.

قال المسعودي: وكانت الحجاز إذ ذاك أشجر بلاد الله وأكثرها ماء فنزلوا بلاد يثرب واتخذوا بها الأموال وبنوا الأطام والمآذل في كل موطن، وملكوا أمر أنفسهم، وانضاف إليهم قبائل من العرب نزلوا معهم واتخذوا الأطم والبيوت وأمرهم راجع إلى ملوك القدس من عقب سليمان عليه السلام. قال شاعربني نيف:

ولو نظرت يوماً قيام لخبرت بانا نزلنا قبلى عاد وتبع  
وآطامنا عادية مشمخرة تلوح فتنى من يعادى وينص  
فلما خرج مزيقيا من اليمن وملك غسان بالشام ثم هلك،  
وملك ابنه ثعلبة العقاقة ثم هلك ثعلبة العقاقة، وولي أمرهم بعد ثعلبة عمرو ابن أخيه جفنة سخط مكانه ابنه حارثة فاجمع الرحلة إلى يثرب، وأقام بنو جفنة بن عمرو ومن انضاف إليهم بالشام، وزلل حارثة يثرب على يهود خير وسالم الخلف والجوار على الأمان والمتعة فاعطوه من ذلك ما سأل. قال ابن سعيد: وملك اليمن يومئذ شبيب بن كعب فكانوا ياديه لهم إلى أن انعكس الأمر بالكثرة والغلبة.

ومن كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني قال: بنو قريطة

بالإثم، فقال له عمر رضي الله عنه: لا بد أن أقيمه منك، فقال له: إذن أرجع عن دينكم هذا الذي يقاد فيه للسوق من الملوك، فقال له عمر رضي الله عنه: إذن أضرب عنك! فقال أمهلي في الليلة حتى أرى رأيي! واحتمل رواحله وأسرى فتجاوز الدروب إلى قيسار ولم يزل بالقدسية حتى مات سنة عشرين من الهجرة. وفيما تذكره الفتاوى أنه ندم ولم يزل باكيًا على فعلته تلك وكان فيما يقال يبعث بالجلوات إلى حسان بن ثابت لما كان منه في مدح قومه ومدحه في الجاهلية.

وعند ابن هشام: أن شجاع بن وهب إنما بعثه رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه إلى جبلة. قال المسعودي: جميع ملوك غسان بالشام أحد عشر ملكاً وقال: إن النعمان والمنذر إخوة جبلة وأبي شمر وكلهم بنو الحارث بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة ملوكوا كلهم. قال: وقد ملك الروم على الشام من غير آل جفنة مثل: الحارث الأعرج وهو أبو شمر بن عمرو بن الحارث بن عوف وعروف هذا جد ثعلبة بن عامر قاتل داود الثقة، وملكوا عليهم أيضاً أبي جبلة بن عبد الله بن حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن المزرج بن ثعلبة بن مزيقيا وهو أبو جبلة الذي استنصره مالك بن العجلان على يهود يثرب حسبما ذكر بعد.

وقال ابن سعيد: عن صاحب تاريخ الأمم: إن جميع ملوك بي جفنة اثنان وثلاثون ومدتهم ستمائة سنة، ولم يبق لغسان بالشام قائمة، وورث أرضهم بها قبيلة طيء. قال ابن سعيد: وأمراؤهم بنو ميرا وأما الآن فأمراؤهم بنو مينا وهم معاً لربعة بن علي بن مفرج بن بدر بن سالم بن علي بن سالم بن قصة بن بدر بن سبيع. وقامت غسان بعد منتصرها من الشام بارض القدسية حتى انفرض ملك القياصرة، فتجهزوا إلى جبل شركس، وهو ما بين بحر طبرستان وبحر نيطش الذي يمده خليج القدسية، وفي هذا الجبل باب الأبواب وفيه من شعوب الترك المتناثرة الشركس واركس واللاص وكسا ومعهم أخلاق من الفرس ويونان، والشركس غالبون على جميعهم، فاخذوا قبائل غسان إلى هذا الجبل عند انفراط القباصرة والروم وتحالفاً معهم واحتلطوا بهم ودخلت أنساب بعضهم في بعض، حتى ليزعم كثير من الشركس أنهم من نسب غسان. والله حكمة بالغة في خلقه والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين لا انقضاء لملكه ولا رب غيره.

فرجع مالك وأشترى لهم أن الملك أبا جبالة يزورهم فأعادوا له نزالاً فما قبل ونزل بذى حربن، وبعث إلى الأوس والخزرج بقدومه، وخشي أن يتحصن منه اليهود في الأطام فاتخذ حارساً وبعث إليهم فجاؤوه في خواصهم وحشّهم، وأذن لهم في دخول الحائر وأمر جنوده فقتلواهم رجالاً إلى أن اتوا عليهم، وقال للأوس والخزرج إن لم تقبلوا على البلاد بعد قتل هؤلاء فالآخرة لكم ورجم إلى الشام فاقموا في عداوة مع اليهود.

ثم أجمع مالك بن العجلان وصنع لهم طعاماً ودعاهم  
فأتمتعوا للغدراً أثبي جبالة، فاعتذر لهم مالك عنها وأنه لا يقصد  
نحو ذلك فأجابوه وجاؤوا إليه فغدرهم وقتل منهم سبعة وثمانين  
من رؤسائهم، وفقط الباقون فرجعوا وصورت اليهود بالحجاز  
مالك بن العجلان في كتابتهم وبيعهم وكانوا يلعنونه كلما دخلوا.  
ولما قتلهم مالك ذلوا وخافوا وتركوا م Yoshi بعضاً لهم إلى بعض في  
الفتنة كما كانوا يفعلون من قبل، وكان كل قوم من اليهود قد  
جلدوا إلى بطん من الأوس والخزرج يستصررون بهم ويكونون لهم  
احلاقاً اهد كلام الأغاني.

وكان حارثة بن ثعلبة ولدان أحدهما أوس والآخر خزرج، وأمهما قيلة بنت الأرقم بن عمرو بن جفنة وقيل بنت كاهن بن عنزة من قضاعة، فاقاموا كذلك زماناً حتى اثروا وامتهنا في جانبيهم وكثروا نسلهم وشعوبهم، فكان بناؤ الأوس كلهم لمالك بن الأوس منهم خطمة بن جشم بن مالك وثعلبة ولوذان وعوف كلهم بنو عمرو بن عوف بن مالك، ومن بني عوف بن عمرو حنش ومالك وكلفة كلهم بنو عوف، ومن مالك بن عوف معاوية وزيد، فمن زيد عبيد وضبيعة وأمية ومن كلفة بن عوف جحاجباً بن كلفة ومن مالك بن الأوس أيضاً الحارث وشعب ابنا الخزرج بن عمرو بن مالك، فمن كعب بنو ظفر ومن الحارث بن الخزرج حارثة وجشم، ومن جشم بنو عبد الأشهل، ومن مالك بن الأوس أيضاً بنو سعد وبنو عامر ابنا ممرة بن مالك فبنيوا سعد الجحدرة، ومن بني عامر عطية وأمية ووابيل كلهم بنو زيد بن قيس بن عامر، ومن مالك بن الأوس أيضاً أسلم وواقف بنو امرئ القيس بن مالك فهذه بطون الأوس.

واما الخزرج فخمسة بطنون من كعب وعمرو وعوف  
وجشم والحارث، فمن كعب بن الخزرج بنو معاذة بن كعب،  
ومن عمرو بن الخزرج بنو النجار وهم تيم الله بن ثعلبة بن عمرو  
وهم شعوب كثيرة: بنو مالك وبينو عدي وبينو مازان وبينو دينار  
كلهم بنو التجار، ومن مالك بن التجار مبدول واسمه عامر وغامد  
وعمره ومن عمرو عدي زمعاوية، ومن عوف بن الخزرج بنو

وبيو النصير الكاهن من ولد الكرهن بن هارون عليه السلام، كانوا بنوا بناجبي يثرب بعد موسي عليه السلام وقبل تفرق الأزد من اليمن بسبيل العرم ونزول الأوس والخزرج يثرب وذلك بعد الفجران.

ونقل ذلك عن علي بن سليمان الأخفش بسنده إلى العماري قال: ساكنو المدينة العمالق وكانوا أهل عدوان ويفي، وتفرقوا في البلاد، وكان بالمدينة منهم بنو تعفيف وبنو سعد وبنو الأزرق وبنو نظرون، وملك الحجاز منهم الأرقام ما بين تيماء إلى فدك وكان ملوك المدينة لهم بها خلل وزرع، وكان موسى عليه السلام قد بعث الجنود إلى الجبارية بغزوهنهم، وبعث إلى العمالقة جيشاً من بي إسرائيل وأمرهم أن لا يستبقوا أحداً فلقيوا إينا للأرقام ضربوا به على القتل.

فلم رجعوا بعد وفاة موسى عليه السلام وأخبروا بني إسرائيل بشأنه فقالوا هذه معصية لا تدخلوا علينا الشام، فرجعوا إلى بلاد العمالة وزلوا المدينة وكان هذا أولية سكنى اليهود بيترب. وانتشروا في نواحيها واتخذوا بها الأطام والأموال والمزارع ولبئراً زماناً، وظهر الروم على بني إسرائيل بالشام وقتلهم وسيباً، فخرج بنو الضمير وبنوا قريطة وبنوا يهدل هاربين إلى الحجاز وتبعهم الروم فهلكوا عطشاً في المفازة بين الشام والحجاج. وسمى الموضع ثغر الروم. ولما قدم هؤلاء الثلاثة المدينة نزلوا العالية فوجدوها وابية وارتادوا.

ثم وفد مالك بن عجلان إلى أبي جحيلة الغساني وهو يومئذ ملك غسان فسألته أخباره عن ضيق معاهدهم، فقال: ما بالكم لم تغلبوا هم حين غلبنا أهل بلدنا؟ ووعده أنه يسر إليهم فينصرهم،

ويقال له أحمر نزل بهم تبع، وقال: إنما التمر من أبسره. فزاد ذلك تبعاً حنقاً عليهم فاقتتلوا. وقال ابن قتيبة في هذه المكاكية إن الذي عدا على التبعي هو مالك بن العجلان، وأنكره السهيلي، وفرق بين القصتين بأن عمرو بن ظلة كان لهدف تبع ومالك بن العجلان لهدف أبي جبالة واستبعد ما بين الزمانين. ولم يزل هذان الحبيان قد غلبوا اليهود على يثرب. وكان الاعتزاز والمنعة تعرف لهم في ذلك، ويدخل في حلقهم من جوارتهم من قبائل مصر وكانت بينهم في الحيين فتن وحرروب ويستصرخ كل من دخل في حلقه من العرب وبهود.

قال ابن سعيد: ورحل عمرو بن الإطنابة من الخزرج إلى النعمان بن المنذر ملك الحيرة فملكه على الحيرة، واتصلت الرئاسة في الخزرج وال الحرب بينهم وبين الأوس، ومن أشهر الواقع التي كانت بينهم يوم بعاث قبل المبعث، كان على الخزرج فيه عمرو بن النعمان بن صلاة بن عمرو بن أمية بن عامر بن ياضة، وكان على الأوس يومئذ حضير الكتاب ابن سماك بن عتيك بن أمرى القيس بن زيد بن عبد الأهل. وكان حلفاء الخزرج يومئذ أشجع من غطفان وجهينة من قضاعة، وحلفاء الأوس مزينة من أحياء طلحة بن إياس وقريبة والنضير من يهود، وكان الغلب صدر النهر للخزرج ثم نزل حضير وحلف لا أركب أو أقتل، فتراجع الأوس وحلفاؤها وانهزم الخزرج، وقتل عمرو بن النعمان رئيسهم. وكان آخر الأيام بينهم، وصيبحهم الإسلام وقد سئموا الحرب وكرهوا الفتنة، فأجعوا على أن يتوجوا عبد الله بن أبي بن سلول. ثم اجتمع أهل العقبة منهم باليهود بمكة ودعاهم إلى نصرة الإسلام، فجاؤوا إلى قومهم بالخبر كما ذكر وأجابوا واجتمعوا على نصرته، ورئيس الخزرج سعد بن عبادة والأوس سعد بن معاذ.

قالت عائشة: كان يوم بعاث يوماً قدمة الله لرسوله، ولما بلغهم خبر بعث النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه بمكة وما جاء به من الدين وكيف أعرض قومه عنه وكذبوا وآذوه وكان بينهم وبين قريش إخاء قديم وصهر، فبعث أبو قيس بن الأسلت من بيته مرة بن مالك بن الأوس ثم من بيته وأهل منهم واسمه صيفي بن عامر بن شحشم وائل وكان يجهز لمكان صهره فيهم، فكتب إليهم قصيدة يعظم لهم فيها الحرمة ويدرك فضلهم وحملهم وبنهام عن الحرب، ويأمرهم بالكف عن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه، ويدركهم بما رفع الله عنهم من أمر الفيل وأوطها:

أينا راكباً إما عرضت بلفن  
ناهز خساً وتلابين بيتاً ذكرها ابن إسحاق في كتاب السير،

سلم والقوافل وهم عوف بن عمرو بن عوف. والقوافل ثعلبة ومرضحة بنو قوقل بن عوف، ومن سالم بن عوف بنو العجلان بن زيد بن عصم بن سالم وبني سالم بن عوف، ومن جشم بن الخزرج بنو غضب بن جشم وتزيد بن جشم، فمن غضب بن جشم بنو بياضة وبنو زريق أبناء عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب، ومن تزيد بن جشم بنو سلمة بن سعد بن علي بن راشد بن ساردة بن تزيد، ومن الحارث بن الخزرج بنو خدراة وبنو حرام أبناء عوف بن الحارث بن الخزرج. وهذه بطنون الخزرج. فلما انتشر يثرب هذان الحبيان من الأوس والخزرج وكثروا بهود، خافوهم على أنفسهم، فنقضوا الحلف الذي عقدوه لهم وكان العزة يومئذ يثرب لليهود، قال قيس بن الخطيم:

كنا إذا رأينا قوماً ظلماً شدّت لنا الكاهنان الخيل واعتزموا بنوا الرهون وواسوأنا بأنفسهم بنو الصريح فقد عفوا وقد كرموا ثم تبع فيهم بعد حين مالك بن العجلان وقد ذكر نسب العجلان، فعظم شأن مالك وسوءه الحبيان، فلما نقض بهود الحلف واقفهم وأصابهم منهم ولحق باليهود ملك غسان بالشام وقيل بعث إليه الرتق بن زيد بن أمرى القيس فقدم عليه فأنسده: أقسم أطعم من رزق قطرة حتى تكثُر للنجاة رحيل حتى الآتي مشرعاً أنى لهم خل ومالهم لئا مبتلوا أرض لئا تدعى قبائل سالم ويعيش فيها مالك سلول قوم ألوس عز وعزوة غيرهم إن الغريب ولو يعز ذليل

فاعجبه وخرج في نصرتهم. وأبو جبالة هو ابن عبد الله بن حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج، كان حبيب بن عبد حارثة وأخوه غام أبناء الجشمي ساروا مع غسان إلى الشام وفارقوا الخزرج. وما خرج أبو جبالة إلى يثرب لنصرة الأوس والخزرج لقيه أبناء قبيلة وأخبروه أن يهود علموا بقصدته فتحصنتوا في آطامهم فوري عن قصده باليهود وخرجوا إليه. فدعاهم إلى صبيح أعده لرؤسائهم ثم استحلهم، فعزرت الأوس والخزرج من يومئذ وتفرقوا في عالية يثرب وسافلتها يتباون منها حيث شاؤوا، وملكت أمرها على يهود، فذلت اليهود وقل عددهم وعلت قدم أبناء قبيلة عليهم، فلم يكن لهم امتياز إلا محصونهم وتفرقهم أحراضاً على الحسين إذا اشترجا.

وفي كتاب ابن إسحاق: إن تبعاً أبا كرب غزا المشرق فمر بالمدية وخلف بين أظهرهم أبناً له فقتل غيلة، فلما راجع أجمع على تحربيها واستصال أهلها، فجمعت له هذا الحسي من الأنصار رئيسهم عمرو بن ظلة، وظلة أمه وأباه معاوية بن عمرو.

قال ابن إسحاق: وقد كان رجل من بني عدي بن التجار

## الخير عن الأوس والخزرج أبناء قيلة من هذه الطبقة ملوك

**يُشْرِكُنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقُنَّ وَلَا يَزَّيْنَ وَلَا يَقْتَلُنَّ أُولَادَهُنَّ**

الأية.

وقال لهم: «فإن وفيتكم فلكم الجنة وإن غشيتكم من ذلك شيئاً فاخذتم بمده في الدنيا فهو كفارة له، وإن سترتم عليه في الدنيا إلى يوم القيمة فأمركم إلى الله إن شاء عذب وإن شاء غفر». وبعث معهم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصبي يقر لهم القرآن ويعليمهم الإسلام ويفهمهم في الدين، فكان يصلبي بهم، وكان منزله على أسد بن زراة. وغلب الإسلام في الخزرج وفتاهم وبلغ المسلمين من أهل يثرب أربعين رجلاً فجمعوا، ثم أسلم من الأوس سعد بن معاذ بن معاذان بن العماني بن أمري القيس بن زيد بن عبد الأشهل وأبن عمته أسميد بن حضير الكاتب وهما سيداً بيًّا عبد الأشهل.

وأوَّلَ عَبْدَ الْإِسْلَامِ بْنِ عَبْدِ الْأَشْهَلِ وَأَخْذَ مِنْ كُلِّ بَطْنِ مِنْ الْأَوْسِ مَا عَدَا بَنِي أُمِيَّةَ بْنِ زَيْدِ وَخَطْمَةَ وَوَائِلَ وَوَاقِفَ وَهِيَ أَوْسُ أَمِهِ مِنْ الْأَوْسِ مِنْ بَنِي حَارِثَةِ، وَوَقَبَ بَهُمْ عَنِ الْإِسْلَامِ أَبُو قَيْسِ بْنِ الْأَسْلَتِ يَرَى رَأْيَهُ حَتَّى مُضِيَ صَدْرِ مِنَ الْإِسْلَامِ وَلَمْ يَقُلْ دَارِ مِنْ دُورِ أَبْنَاءِ قَبْلَتِهِ إِلَّا وَفِيهَا رِجَالٌ وَنِسَاءٌ مُسْلِمُونَ. ثُمَّ رَجَعَ مصعب إلى مكة، وقدم المسلمين من أهل المدينة معه فرادعوا رسول الله ﷺ العقبة من أوسط أيام التشريق فبايعوه، وكانت رثانية وسبعين رجلاً ومرأة، بايموه على الإسلام وأن يمنعوه عن أراده بسوء ولو كان دون ذلك القتل.

وأخذ عليهم النقابه التي عشر تسعه من الخزرج وثلاثة من الأوس. وأسلم ليتأتى عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر بن عبد الله، وكان أول من بايع البراء بن معروف من بني تزيد بن جشم من الخزرج. وصرخ الشيطان بـ«كأنهم مع رسول الله ﷺ» وتسلط قريش الخبر فوجدوه قد كان فخرجاً في طلب القوم، وأدركوا سعد بن عبد الله وأخذوه وربطوه حتى أطلقه جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل والحرث بن حرب بن أمية بن مطعم بن شمس جلوار كان له عليهم بيده. فلما قدم المسلمين المدينة أظهروا الإسلام ثم كانت بيعة الحرب حتى أذن الله لرسوله ﷺ في القتال، فبايعوه على السمع والطاعة في العسر واليسر والمشط والمكره وأثرته عليهم، وأن لا ينزعوا الأمر أهله وأن يقوموا بالحق إنما كانوا ولا يخافوا في الله لومة لائم.

ولما نمت بيعة العقبة وأذن الله لنبيه في الحرب أمر المهاجرين الذين كانوا يؤذون بمكة أن يلحقوا بآخوانهم من الأنصار بالمدينة، فخرجوا أرسلاً وأقام هو بمكة ينتظر الإذن في المجرة فهاجر من المسلمين كثير سماهم ابن إسحاق وغيره، وكان عمر بن الخطاب

فكان ذلك أول ما ألقى بينهم من الخير والإعنان. وكان رسول الله ﷺ لما يُسَمِّي من إسلام قومه يعرض نفسه على وفود العرب وحجاجهم أيام الموسم أن يقوموا بدين الإسلام وبنصره حتى بلغ ما جاء به من عند الله وقريش يصدونه عنه ويرمونه بالجنون والشعوذ وال술 حكمه كما ينطق به القرآن، وبينما هو في بعض الموسم عند العقبة لقي رهطاً من الخزرج سرت نفر اثنان من بني غاثم بن مالك وهما: أسد بن زراة بن عدي بن عبد الله بن ثعلبة بن غاثم وعوف بن الحرش بن رفاعة بن سواد بن مالك بن غاثم وهو ابن عفراً، ومن بني زريق بن عامر رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق، ومن بني غاثم كعب بن سلمة بن سعد بن عبد الله بن عمرو بن الحرش بن ثعلبة بن الحرش بن حرام بن كعب بن غاثم كعب بن رئاب بن غاثم وعقبة بن عامر بن حليدة بن عمرو بن غاثم بن سواد بن غاثم وعقبة بن عامر بن ثابي بن زيد بن حرام بن كعب بن غاثم.

فلما لقيهم قال لهم: من أنتم؟ قالوا: نفر من الخزرج! قال: أمن موالٍ يهود؟ قالوا: نعم! قال: لا تجلسون أكلمكم؟ فجلسوا معه فدعاهم إلى الله وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن، فقال بعضهم لبعض: تعلموا والله إنه النبي الذي تدعكم بهود به فلا يسيئنكم إليه، فأجابوه فيما دعاهم وصدقوه وأتموا به وأرجأوا الأمر في نصرته إلى لقاء قومهم، وقدموا المدينة فذكروا لقومهم شأن النبي ﷺ ودعوه إلى الإسلام فقتلوا فيهم فلم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله ﷺ.

ثم وافى الموسم في العام المُقْبِلِ اثنا عشر منهم فرافقوه بالعقبة وهي العقبة الأولى، وهم: أسد بن زراة، وعوف بن الحرش وأنثوه معاذ بني عفراً، ورافع بن مالك بن العجلان، وعقبة بن عامر من السنة الأولى، وستة آخرون منهم من بني غاثم بن عوف بن القراءل منهم عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غاثم، ومن بني زريق ذكوان بن عبد القيس بن خلدة بن مخلد بن عامر بن زريق والعباس بن عبادة بن نضلة بن مالك بن العجلان، هؤلاء التسعة من الخزرج وأبو عبد الرحمن بن زيد بن ثعلبة بن خزيمة بن أصرم بن عمرو بن عمارة من بني عصبة من بني إحدى بطون قضاة حليف لهم، ومن الأوس رجالُ الهيثم بن التيهان واسميه مالك بن التيهان بن مالك بن عتبك بن أمري القيس بن زيد بن عبد الأشهل وعوبم بن ساعدة من بني عمرو بن عوف. فبايعوه على الإسلام بيعة النساء وذلك قبل أن يفترض الحرب، ومعناه أنه حيثذا لم يؤمر بالجهاد وكانت بيعة على الإسلام فقط، كما وقع في بيعة النساء على **«أن لا**

يحملوا ما استقلت به الإبل من أموالهم إلا الحلقه واقتروا في خبر ويني قريطة. وأما بنو قريطة ظاهروا قريشاً في غزوة الخندق فلما

فرج الله كما نذكره حاصلهم رسول الله ﷺ خسأً وعشرين ليلة حتى نزلوا على حكمه وكلمه وشفع الأوس فيهم، وقالوا لهم

لنا كما وهبت بني قيقان للخرج، فرد حكمهم إلى سعد بن معاذ وكان جريحاً في المسجد وأثبت في غزوة الخندق، فجاء وقال رسول الله ﷺ: «لم تحكم في هؤلاء» بعد أن استخلف الأوس أنهم راضون بحكمه؟ فقال: يا رسول الله تضرب الأعناق وتسيي الأموال والنذرية، فقال: «حكمت بحكم الله من فوق سبة أرقعة». فقتلوا عن آخرهم وهو ما بين الستمائة والتسعمائة.

ثم خرج إلى خبر بعد الحديبية سنة ستة. ست فحاصرهم وافتتحها عنزة وضرب رقاب اليهود وسيبي نسائهم، وكان في السي صفية بنت حبي بن أخطب، وكان أبوها قتل مع بني قريطة وكانت تحت كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وقطعه محمد بن مسلمة غراة من المدينة بأمر رسول الله ﷺ في ستة نفر في بيته. فلما افتتحت خبر اصطفاها رسول الله ﷺ لنفسه وقسم الغنائم في الناس من القمع والتمر، وكان عدد السهام التي قسمت عليها أموال خبر ألف سهم وثمانمائة سهم براجحهم وخليهم الرجال الف وأربعمائة والخيل مائتان. وكانت أرضهم الشق ونطعة والكتيبة، فحصلت الكتيبة لرسول الله ﷺ والخمس فرقها على قرابتها ونسائه ومن وصلهم من المسلمين، وأعمل أهل خبر على المساقاة ولم يزالوا كذلك حتى أجلاهم عمر رضي الله عنه.

ولما فتحت مكة ستة ثمان وغزوة حنين على أثرها وقسم رسول الله ﷺ الغنائم فيمن كان يستالفه على الإسلام من قريش وسواهم، وجد الأنصار في أنفسهم وقالوا: سيوفنا تقطر من دمائهم وغناهم تقسم فيهم؟ مع أنهم كانوا ظنوا أن رسول الله ﷺ إذا فتح بلاده وجمع على الدين قوله إنه سيقيم بارضه وله غنية عنهم. وسمعوا ذلك من بعض المنافقين. وبلغ ذلك كله رسول الله ﷺ فجمعهم وقال: «يا عشر الأنصار ما الذي بلغكم عنّي؟» فصدقه الحديث، فقال: «لم تكونوا ضالاً فهذاكم الله بي، وعالاً فاغنكتم الله ومتفرقين فجمعكم الله؟» قالوا: الله ورسوله آمن. فقال: «لو شتم لقائم جنتنا طريداً فاريناك ومكيناً فصدقناك ولكن والله إنّي لأعطي رجالاً استالفهم على الدين وغيرهم أحب إلي، الا ترضون أن يتقلب الناس بالشاء والبعير وتقلّبون برسول الله ﷺ إلى رحالكم؟ أما والذى نفسي بيده لولا الهجرة لكنت امراً من الأنصار، الناس دثار وأئتم شعار، ولو سلك الناس شعباً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب

رضي الله عنه فيمن هاجر هو وأخوه زيد وطلحة بن عبد الله وحمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة وأئسية وأبو كبشة موالى رسول الله ﷺ، وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وعثمان بن عفان رضي الله عنهم.

ثم أذن لرسول الله ﷺ في المجرة فهاجر وصحبه أبو بكر رضي الله عنه، فقدم المدينة ونزل في الأوس على كلثوم بن مطعم بن أمري القيس بن الحارث بن زيد بن عبد الله بن مالك بن عوف. وسيد الخزرج يومئذ عبد الله بن أبي ابن سلول وأبيه هو ابن مالك بن الحارث بن عبد الله وإسم أم عبد سلول وعبيد هو ابن مالك بن سالم بن عوف بن غاثم بن مالك بن النجار، وقد نظموا له الخرز ليملكونه على الحسين، فقلب على أمره واجتمع أبناء قبيلة كلهم على الإسلام، فضعلن ذلك لكنه أظهر أن يكون له اسم منه، فأعطى الصفة وطوى على التفاق كما يذكر بعد.

وسيد الأوس يومئذ أبو عامر بن عبد عمرو بن صيفي بن النعمان أحد بنى ضبيعة بن زيد، فخرج إلى مكة هارباً من الإسلام حين رأى اجتماع قومه إلى النبي ﷺ بغضضاً في الدين، ولما فتحت مكة فر إلى الطائف، وما فتح الطائف فر إلى الشام فمات هناك.

ونزل رسول الله ﷺ على أبي أيوب الأنصاري حتى ابنته مساكنه ومسجدها ثم انتقل إلى بيته. وتلاحق به المهاجرين واستوعب الإسلام سائر الأوس والخرج وسموا الأنصار يومئذ بما نصروا من دينه، وخطبهم النبي ﷺ وذكرهم وكتب بين المهاجرين والأنصار كتاباً وادع فيه يهود وعاصدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم، واشتهرت عليهم وشرط لهم كما يفيده كتاب ابن إسحاق فلينظر هنالك. ثم كانت الحرب بين رسول الله ﷺ وبين قومه فغزاهم وغزووه وكانت حربهم سجالاً، ثم كان الظهور لرسول الله ﷺ آخرًا كما ذكر في سيرته ﷺ، وصبر الأنصار في المواطن كلها واستشهد من أشرافهم ورجالاتهم كثير هلكوا في سبيل الله وجهاد عدوه. ونقض أثناء ذلك اليهود الذين يشرب على المهاجر والأنصار ما كتب رسول الله ﷺ وظاهروا عليه، فاذن الله لنبيه ﷺ فيهم وحاصرهم طائفة بعد أخرى.

وأما بنو قييقان تواروا مع المسلمين سيفونهم وقتلوا مسلماً، وأما بنو النضير وقريطة فمتهمن من قتلهم الله وأجلاء، فاما بنو النضير فكان من شاهنهم بعد أحد وبعد بيتر معونة جامعه رسول الله ﷺ يستعينهم في دية العاملين اللذين قتلهم عمرو بن أمية من القرى، ولم يكن علم بعدهم مع رسول الله ﷺ حين جاءهم بذلك حسبما ذكره، فهموا يقتل رسول الله ﷺ حين جاءهم بذلك خديعة منهم ومكرًا، فحاصرهم حتى نزلوا على الجلاء وأن

## الخبر عن بني عدنان وأنسابهم وشعوبهم وما كان لهم من

الأنصار واستلهمهم جنود يزيد، ويقال: إنه قتل في ذلك اليوم من المهاجرين والأنصار سبعون بدريراً وهلك عبد الله بن حنظلة يومذ فيهن هلك، وكانت إحدى الكبر التي أثارها يزيد. واستفحـل مـلك الإسلام من بعد ذلك واتسـعـت دـولـةـ العـربـ، وافتـرقـ قـبـائلـ الـمـهـاجـرـينـ وـالـأـنـصـارـ فـيـ قـاصـيـةـ الشـفـورـ بـالـعـرـبـ وـالـشـامـ وـالـأـنـدـلـسـ وـالـفـارـقـيـةـ وـالـمـغـرـبـ حـامـيـةـ وـمـرـابـطـينـ، فـاـنـتـرـقـ الـحـيـ أـجـمـعـ مـنـ أـبـاهـ قـيـلةـ وـافـتـرقـتـ وـاقـفـرتـ مـنـهـ يـثـربـ، وـدـرـسـواـ فـيـمـ درـسـ مـنـ الـأـمـمـ. وـتـلـكـ أـمـةـ قـدـ خـلـتـ لـهـ مـاـ كـسـبـتـ وـلـكـ مـاـ كـسـبـتـ وـالـلـهـ وـارـثـ الـأـرـضـ وـمـنـ عـلـيـهـ وـهـوـ خـيرـ الـوـارـثـيـنـ. لـاـ خـالـقـ سـوـاهـ وـلـاـ مـعـبـودـ إـلـاـ إـيـاهـ وـلـاـ خـيرـ إـلـاـ خـيرـهـ وـلـاـ رـبـ غـيرـهـ، وـهـوـ نـعـمـ الـمـوـلـ وـنـعـمـ الـتـصـيرـ. وـلـاـ حـوـلـ وـلـاـ قـوـةـ إـلـاـ بـالـلـهـ الـعـلـيـ الـعـظـيمـ، وـصـلـىـ اللـهـ عـلـىـ سـيـدـنـاـ مـحـمـدـ وـعـلـىـ آـلـهـ وـصـحـبـهـ وـلـمـ وـالـحـمـدـ لـهـ رـبـ الـعـالـمـيـنـ.

## الخبر عن بني عدنان وأنسابهم وشعوبهم وما كان لهم من الدول والملك في الإسلام وأولية ذلك ومصايره

قد تقدم لنا أن نسب عدنان إلى إسماعيل عليه السلام باتفاق من النساين، وأن الآباء بينه وبين إسماعيل غير معروفة، وتقلب في غالب الأمر مخلطة مختلفة بالقلة والكثرة في العدد حسبما ذكرناه، فاما نسبته إليه فصحيحة في القلب ونسب النبي ﷺ منها إلى عدنان صحيح باتفاق من النساين. وأما بين عدنان وإسماعيل فيين الناس فيه اختلاف كبير، فقيل من ولد ثابت بن إسماعيل وهو عدنان بن أدد المقدم بن ناحور بن توخ بن يعرب بن يشجب بن ثابت قاله اليهقي، وقيل: من ولد قيدار بن إسماعيل وهو عدنان بن أدد بن يسوع بن المعميس بن سلامان بن ثابت بن حل بن قيدار قاله البرجاني علي بن عبد العزيز الساسبي، وقيل: عدنان بن يشجب بن أبيوب بن قيدار، ويقال: إن قصي بن كلاب كان يومي شعره بالاتتساب إلى قيدار.

ونقل القرطبي عن هشام بن محمد: فيما بين عدنان وقيدار نحوًا من أربعين آيًا، وقال: سمعت رجلًا من أهل تدمر من مسلمة يهود ومن قرأ كتبهم يذكر نسب معد بن عدنان إلى إسماعيل من كتاب إرميا النبي عليه السلام وهو يقرب من هذا النسب في العدد والأسماء إلا قليلاً، ولعل الخلاف إنما جاء من قبل اللغة لأن الأسماء ترجمت من العبرانية. ونقل القرطبي عن الزبير بن بكار يستنه إلى ابن شهاب: فيما بين عدنان وقيدار قريباً من ذلك

الأنصار!» ففرحوا بذلك ورجعوا برسول ﷺ إلى يثرب فلم ينزل بين ظهرهم إلى أن قبضه الله عليه. ولما كان يوم وفاته ﷺ اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة بن كعب ودعت الخزرج إلى بيعة سعد بن عبادة، وقالوا لقريش: منا أمير ومنكم أمير ضئلاً بالأمر أو بعضه فيهم لما كان من قيامهم بنصر رسول الله ﷺ وامتنع المهاجرون، واحتجوا عليهم بوصية رسول الله ﷺ ليامهم بالأنصار في الخطبة ولم يخطب بعدها. قال: «أوصيكم بالأنصار إنهم كرسي وعيبي وقد قضوا الذي عليهم وفي الذي لهم فأوصيكم بأن تحسروا إلى محسنهم وتجاؤزوا عن سبئهم فلو كانت الأمارة لكم» لكان ذلك ولم تكن الرصيبة بكم فحجوهم. فقام بشير بن سعد بن ثعلبة بن خلاس بن زيد بن مالك بن الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحرش بن الخزرج فباعي لأبي بكر واتبعه الناس، فقال جبار بن المنذر بن الجموع بن حرام بن كعب بن عامر بن سلامة بن سعد: يا بشير أنشست بها ابن عمك؟ يعني الإمارة، قال لا والله ولكنني كرهت أن أنازع الحق قوماً جعله لهم. فلما رأى الأوس ما صنع بشير بن سعد و كانوا لا يريدون الأمر للخزرج قاموا فباعوا أبا بكر، ووجد سعد فتخلف عن البيعة ولحق بالشام إلى أن هلك وقتل الجن فيما يزعمون ويشلون من شعر الجن.

عن قتلنا سيد الخزرج سعد بن عبادة ضربنا بهم فلم تخطر فؤاده وكان لابنه قيس من بعده غلاء في الأيام وأثراً في نتوحات الإسلام

وكان له الخياش إلى علي في حربه مع معاوية، وهو القائل لمعاوية بعد مهلك علي رضي الله عنه وقد عرض به معاوية في تشبيهه فقال: والأآن ماذا يا معاوية؟ والله إن القلوب التي أبغضناك بها لغى صدورنا، وعن السيفوف التي قاتلناك بها لعلى عوانتنا. وكان أجود العرب وأعظمهم جماناً، يقال: إنه كان إذا ركب خط رجله الأرض. ولما ولـيـ يـزـيدـ بـنـ مـعـاـويـهـ وـظـهـرـ مـنـ عـسـفـهـ وـجـورـهـ وإـدـالـتـهـ الـبـاطـلـ مـنـ الـحـقـ مـاـ هـوـ مـعـرـفـ، وـاعـتـصـواـ لـلـدـيـنـ وـبـاـعـواـ لـعـبدـ اللهـ بـنـ الزـبـيرـ حينـ خـرـجـواـ بـكـةـ، وـاجـتـمـعـواـ عـلـىـ حـنـظـلـةـ بـنـ عبدـ اللهـ الغـسـيلـ بـنـ أـبـيـ عـامـرـ بـنـ مـرـةـ وـبـنـ صـيـفـيـ بـنـ النـعـمـانـ بـنـ مـالـكـ بـنـ صـيـفـيـ بـنـ أـمـيـةـ بـنـ ضـيـعـةـ بـنـ زـيدـ، وـعـقـدـ أـبـنـ الزـبـيرـ لـعـبدـ اللهـ بـنـ مـطـيعـ بـنـ لـيـاسـ عـلـىـ الـمـهـاجـرـينـ مـعـهـمـ.

وسـرحـ يـزـيدـ إـلـيـهـ مـسـلـمـ بـنـ عـقبـةـ الـمـرـيـ، وـهـوـ عـقبـةـ بـنـ رـيـاحـ بـنـ أـسـدـ بـنـ رـيـبةـ بـنـ عـامـرـ بـنـ مـرـةـ بـنـ عـوـفـ بـنـ سـعـدـ بـنـ دـيـنـارـ بـنـ بـغـيـضـ بـنـ رـيـثـ بـنـ غـفـفـانـ، فـيـمـ فـرـضـ عـلـيـهـ مـنـ بـعـوـثـ الشـامـ وـالـمـهـاجـرـينـ. فـالـتـقـواـ بـالـحـرـةـ، حـرـةـ بـنـ زـهـرـةـ، وـكـانـ الدـبـرـةـ عـلـىـ

المطلة على أرض الشام مع طول تهامة، وأوله في أرض الحجاز من جهة العراق العذيب مما يلي الكوفة وهو ماء لبني تميم، وإذا دخلت في أرض الحجاز فقد أخذت، وأوله من جهة تهامة الحجاز حضن ولذلك يقال: أخذ من رأي حضناً. قال السهيلي: وهو

جل متصل بجمل الطائف الذي أعلى نجد بيض فيه السور.  
قال: وسكنه بنو جشم بن بكر وهو أول حدود نجد، وأرض تهامة من الحجاز في قرب نجد مما يلي بحر القلزم في سمت مكة والمدينة وتبها وأيلة وفي شرقها بينها وبين جبل نجد غير بعيد، منها العواي وهي ما ارتفع عن هذه الأرض، ثم تعلو عن السروات ثم ترتفع إلى نجد وهي أعلىها. والعواي والسروات بلاد تفصل بين تهامة ونجد متصلة من اليمين إلى الشام كسرولات الحيل تخرج من نجد متصلة من تهامة داخلة في بلاد أهل الوبير. وفي شرقى هذا الجبل بربة نجد ما يسمى وبين العراق متصلة باليمامة وعمان والبحرين إلى البصرة، وفي هذه البرية مشاتي للعرب تستو بها منهم خلق أجياء لا يصيّبهم إلا خالقهم.

قال السهيلي: وانحصر بنجد من العرب بنو عدنان لم تزاحمهم فيه قحطان إلا طيء من كهلان فيما بين الجبلين سلمي وأجا، وافتقر أيضاً من عدنان في تهامة والجاز، ثم في العراق والجزيرة، ثم افتقرت بعد الإسلام على الأوطان. وأما شعريهم فمن عدنان عك ومعد فموطن عك في نواحي زيد، ويقال عك بن الدين في بالدال غير متقطنة والثاء مثلثة ابن عدنان، يقال أن عكا هذا هو ابن عدنان بالثاء المثلثة ابن عبد الله من بطون الأرد ومن عك بن عدنان بنو عايك بن الشاهد بن علقة بن عك بطن متسع كان منهم في الإسلام رؤساء وأمراء.

وأما معد فهو البطن العظيم ومنه تناسل عقب عدنان كلهم، وهو الذي تقدم الخبر عنه بأن إرميا النبي من بنى إسرائيل أوحى الله إليه أن يأمر بختنصار بالانتقام من العرب وأن يحمل معداً على البراق أن تصيبه التممة لأنه مستخرج من صلبه نبياً كريماً خاتماً للرسل فكان كذلك، ومن ولده إياد وزمار ويقال وقصص وأئمأ، فاما قنص فكانت له الأمارة بعد أبيه على العرب وأراد إخراج أخيه نزار من المحرم، فأخرجهوه أهل مكة وقدموا عليه نزاراً. ولما احتضر قسم ماله بين ولديه فجعل لريعة الفرس، ولضر القبة الحمراء، ولأنمار الحمار، ولإياد عند من جعله من ولده الخلمة والعصا. ثم تحاكموا في هذا الميراث إلى أفعى نجران في قصة

معروفة ليست من غرض الكتاب.

واما إياد فتشعبوا بطنوا كثيرة وتكاثر بنو إسماعيل وانفرد بنو مضر بن نزار ببرائحة المحرم وخرج بنو إياد إلى العراق، ومضى

العدد، ونقل عن بعض النساين أنه حفظ معد بن عدنان أربعين أناً إلى إسماعيل، وأنه قابل ذلك بما عند أهل الكتاب في نفسه فوجده موافقاً وإنما خالف في بعض الأسماء، قال: واستملته فاملأه على وقله الطبري إلى آخره.

ومن النساين من بعد بين عدنان وإسماعيل عشرین أناً خمسة عشر ونحو ذلك. وفي الصحيح عن أم سلمة عن النبي صلوات الله عليه أنه قال: «معد بن عدنان بن أدد بن زيد بن برا بن أعراف الشراء». قالت أم سلمة: وزيد هو الميسع وبرا هو نبت أو نابت وأعراف الشري هو إسماعيل، وقد تقدم هذا أول الكتاب، وأن السهيلي رد تفسير أم سلمة وقال: ليس المراد بالحديث عدد الآباء بين محمد وإسماعيل وإنما معناه معنى قوله في الحديث الآخر: «أنت بنو آدم وأدَم من التراب» وع ضد ذلك باتفاق النساين على بعد المدة بين عدنان وإسماعيل بحيث يستحيل في العادة أن يكون بينهما أربعة آباء أو خمسة أو عشرة إذ المدة أطول من هذا كله بكثير. وكان لعدنان من الولد على ما قال الطبري ستة: الربب وهو عك وعرق وبه سميت عرق اليمن واد وأبي الضحاك وعيق وأمهم مهدد، قال هشام بن محمد: هي من جديس وقيل: من طسم وقيل: من الطراسيم من نسل لفشنان بن إبراهيم.

قال الطبري: ولما قتل أهل حضوراً شبيب بن مهدم نبيهم أوحى الله إلى إرميا وأبرحيا من أنبياءبني إسرائيل بأن يأمر بختنصر يغزو العرب ويعلمه أن الله سلطنه عليهم، وأن يختتملا معد بن عدنان إلى أرضهم ويستقذاه من الهلة لما أراده من شأن النبوة الحمدية في عقبه، كما مر ذلك من قبل، فحملاه على البراق ابن النبي عشرة سنة وخالصاً به إلى حران فقام عندهما وعلماه علم كتابهما، وسار بختنصر إلى العرب فلقيه عدنان فيمن اجتمع إليه من حضور أو غيرهم بذات عرق فهو لهم بختنصر وقتلهم أجمعين، ورجع إلى بabil بالغثائم والسيسي والقاها بالأنيار، ومات عدنان عقب ذلك وبقيت بلاد العرب خراباً حقباً من الدهر حتى إذا هلك بختنصر خرج معد في أنبياءبني إسرائيل إلى مكة، فحجوا وحج معهم ووجد أحمره وعمومه من بنى عدنان قد لحقوا بطرائف اليمن وتزوجوا فيهم، وتنططف عليهم أهل اليمن بسلامة جرهم فرجعهم إلى بلادهم، وسأل عنهم بقي من أولاد الحرش بن مضاض الجرمي فقيل له: بقي جرهم بن جلهة فتزوج ابنته معانة ولدت له نزار بن معد.

وأما مواطن بنى عدنان هؤلاء فهي خصصة بنجد، وكلها بادية رحالة إلا قريشاً بمكة ونجد هو مرتتع من جانبي الحجاز وطوله مسيرة شهر من أول السروات التي تلي اليمن إلى آخرها

واما هنب بن الفصي فمتهن التمر ووايل ابنا قاسط بن هنب. فاما بنو التمر بن قاسط بلادهم رأس العين، ومنه صهيب بن سنان بن مالك بن عبد عمرو بن عقيل بن عامر بن جندلة بن جذية بن كعب بن سعد بن أسلم بن أوس منة بن التمر بن قاسط صاحب رسول الله صلوات الله عليه وسلم المشهور، وينسب إلى الروم، وكان سنان أبوه استعمله كسرى على الأبلة، وكان لبني التمر بن قاسط شأن في الربدة مذكور، ومنهم ابن القرية المشهور بالقصاحة أيام الحجاج، ومنصور بن التمر الشاعر مادح الرشيد.

واما بورايل فبغطن عظيم متسع أشهرهم بني تغلب وبني بكر بن وائل وهم اللذان كانت بينهما الحروب المشهورة التي طالت فيما يقال أربعين سنة، فلبني تغلب شهرة وكثرة وكانت بلادهم بالجزيره الفراتية بجهات سنجار ونصبدين وتعرف بديار ربيعة، وكانت النصرانية غالبة عليهم بجواره الروم. ومن بني تغلب عمرو بن كلثوم الشاعر، وهو عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب بن سعد بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غائم بن تغلب وأمه هند بنت مهليل، ومن ولده مالك بن طوق بن مالك بن عتاب بن زافر بن شريح بن عبد الله بن عمرو بن كلثوم واليه تتسب رحمة مالك بن طوق على الفرات، وعاصم بن النعمان عم عمرو بن كلثوم هو الذي قتل شرحبيل بن الحرف الملك أكل الماء يوم الكلاب. ومن بني تغلب كلب ومهليل إبنا ربيعة بن الحرف بن زهير بن جشم، وكان كلب سيد بني تغلب وهو الذي قتله جساس بن مرة بن ذهل بن شيبان وكان متزوجاً باخته فرعت ناقة البوسوس في هيكل فرمماها بهم فأبتهما، وقتل جساس لأن البوسوس كانت جارتة، فقام آخر كلب وهو مهليل بن الحرف كمن برياسة تغلب وطلب بكر بن وائل بشار كلب فاتصلت الحرب بينهم أربعين سنة، وأخبارها معروفة، وطال عمر مهليل وتغرب إلى اليمن فقتله عبادان له طريقه، وبنو شعبة الذين بالطائف لهذا العهد من ولد شعبة بن مهليل. ومن تغلب الوليد بن طريف بن عامر الخارجي وهو من بني صيفي بن حبي بن

عمرو بن بكر بن حبيب وهو الذي رشه أخيه ليلي بقوتها: إبا شجر الخابور مالك مورقاً كانك لم تجزع على ابن طريف فتى لا يزيد العز إلا من القوى وليس على ادعائه ينفي فخيف على ظهر الجرادي الرغبي فليست على ادعائه ينفي فلو كان هذا الموت يقبل فدية فديناه من ساداتنا بالآلاف ومنهم بنو حدان ملوك الموصل والجزيره أيام المتقى، ومن بعده من خلفاء العباسيين وسيأتي ذكرهم في أخبار بني العباس وهم بنو حدان من بني عدي بن أسماء بن غائم بن تغلب، كان

أثار إلى السروات بعد بنيه في اليمانية وهم: خثعم وبجبلة، ونزلوا آبار يانه وكان لهم في بلاد الأكاسرة آثار مشهورة إلى أن تابع لهم الأكاسرة الغزو وأبادوهم، وأعظم ما باد منهم سابور ذو الأكاسف هو الذي استلمتهم وأفتأهم.

واما نزار فمنه البطنان العظيمان ربيعة ومضر، ويقال: إن لياداً يرجعون إلى نزار وكذلك أنمار، فاما ربيعة فديارهم ما بين الجزيره والعرق وهم ضيبيعة وأسد ابنا ربيعة، ومن أسد عنة ثلاثة مراحل من الأنبار ثم انتقلوا عنها إلى جهات خيبر فهم هنالك، وورثت بلادهم غربة من طي، الذين هم الكثرة والأماره بالعراق لهذا العهد، ومن عنة هؤلاء يافريقيه حي قليل مع رياح من بني هلال بن عامر، ومنهم أحياه مع طيء يتجمعون ويشترون في بربة نجد.

واما جديلة فمنهم عبد القيس وهنب إبنا أفصى بن دعمي بن جديلة، فاما عبد القيس وكانت مواطنهم بنهامة ثم خرجوا إلى البحرين وهي بلاد واسعة على بحر فارس من غربية، وتتصل باليمامة من شرقها، والبصرة من شمالها، وبعمان من جنوبها، وتعرف ببلاد هجر ومنها القطيف وهجر والعسir وجزيرة أولى والأحساء، وهجر هي باب اليمين من العراق وكانت أيام الأكاسرة من أعمال الفرس وعمالكم وكان بها بشر كثير من بكر بن وائل وعيم في باديتها، فلما نزل معهم بنو عبد القيس زاحروهم في ديارهم تلك وقسوا عليهم في المواطن ووفدوا على النبي صلوات الله عليه وسلم بالمدينة وأسلموا، ووفد منهم المنذر بن عائد بن المنذر بن الحارث بن النعمان بن زياد بن نصر بن عمرو بن عوف بن جذية بن عوف بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن بكر، وذكروا أنه سيدهم وقادتهم إلى الإسلام فكانت له صحة ومكانة من النبي صلوات الله عليه وسلم.

ووفد أيضاً الجارود بن عمرو بن حتشن بن المعلى بن زياد بن حارثة بن معاوية بن ثعلبة بن جذية، ونعلبة أخوه عوف بن جذية وفدي عبد القيس ستة تسع مع المنذر بن ساوي من بني ثيم وسيأتي ذكره، وكان نصرانياً فاسlim وكانت له أيضاً صحبة ومكانة. وكان عبد القيس هؤلاء من أهل الربدة بعد الوفاة، وأمروا عليهم المنذر بن النعمان الذي قتل كسرى أيامه، فبعث إليهم أبو بكر العلاء بن الحضرمي في فتح البحرين وقتل المنذر. ولم تزل رياسة عبد القيس في بني الجارود أولاً ثم في ابنه المنذر وولاه عمر على البحرين ثم ولاه على إصطخر، ثم عبد الله بن زياد ولاه على الهند ثم ابنه حكيم بن المنذر وتردد على ولاية البحرين قبل ولادة العراق.

الله وقيس ابنا ثعلبة بن عكابة وشيبان بن ذهل بن ثعلبة، بطنون ثلاثة عظيمة، وأوسعها وأكثراها شعوباً بنو شيبان، وكانت لهم كثرة في صدر الإسلام شرقي دجلة في جهات الموصل، وأكثر أئمة الخوارج في ربيعة منهم، وسيدهم في الجاهلية مرة بن ذهل بن شيبان كان له أولاد عشرة نسلوا عشرة قبائل أشهرهم همام وجساس، وسادهما بعد أبيه.

وقال ابن حزم: تفرع من همام ثنائية وعشرون بطناً، وأما جساس فقتل كلباً زوج أخيه وهو سيد تغلب حين قتل ناقة البوسن جارتة، وأقام ابن كلب عند بنى شيبان إلى أن كبر وعقل أن جساس خاله هو الذي قتل أباه فقتله ورجع إلى تغلب، فمن ولد جساس بنو الشيخ كانت لهم رياضة بأمد وانقطعت على يد المتضد. ومن بنى شيبان هاني بن مسعود الذي منع حلقة التعلم من أبوريز لما كانت وديعة عنده، وكان سبب ذلك يوم ذي قار وهو هاني بن مسعود بن عامر بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان، ومثلهم الضحاك بن قيس المخارجي الذي يويع أيام مروان بن محمد على منهبه الصفرية وملك الكوفة وغيرها، وبايته بالخلافة جاعلة من بنى أمية منهم سليمان بن هشام بن عبد الملك، وعبد الله بن عمر بن عبد العزيز، وقتلته آخرأً مروان بن محمد. وهو الضحاك بن قيس بن الحصين بن عبد الله بن ثعلبة بن زيد منة بن أبي عمرو بن عوف بن ربيعة بن حعلم بن ذهل بن شيبان، وسيأتي الإمام خبره. ومثلهم الشنى بن حارثة الذي فتح سواد العراق أيام أبي بكر وعمر وأخوه المعنى بن حارثة. منهم عمران بن حطوان من أعلام الخوارج. وهذا انقضاء الكلام في ربيعة بن نزار والله المعين.

واما مصر بن نزار وكانت أهل الكثرة والغلب بالحجاز من سائر بنى عدنان وكانت لهم رياضة بمكة فيجمعهم فخذان عظيمان وهما خنافذ وقيس، لأنه كان له من الولد اثنان إلياس وقيس عيلان عبد حضنة قيس فنسب إليه، وقيل هو فرس، وقد قيل أن عيلان هو ابن مصر واسميه إلياس وأن له ابنين قيس ودهم، وليس ذلك بصحيح، وكان لإلياس ثلاثة من الولد مدركة وطاجحة وقمعة لامرأة من قضاة تمسي خنافذ وقيس عيلان. فاما قيس إليها، وانقسمت مصر إلى خنافذ وقيس عيلان. فاما قيس فتشعبت إلى ثلاث بطنون من كعب وعمرو وسعد بنية الثلاثة، فمن عمرو بنو فهم وبني عدوان أبي عمرو بن قيس، وعدوان بطن متسع وكانت منازلهم الطائف من أرض محمد نزلها بعد إياد العمالة ثم غلبتهم عليها تقيف فخرجوا إلى تهامة، وكان منهم عامر بن الظرب بن عمرو بن عباد بن يشكر بن عدوان حكم

منهم سيف الدولة الملك المشهور.

واما بكر بن وائل ففيهم الشهرة والعدد ف منهم يشكر بن بكر بن وائل وبنو عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ومنهم بنو حنيفة وبنو عجلاني بطي بن صعب. ففي بنى حنيفة بطنون متعددة أكثرهم بنو الدول بن حنيفة، فيهم البيت والعدد وموطنهم باليمامة وهي من أوطان الحجاز كما هي نجران من اليمام، والشرقي منها يولي البحري وبني تميم والغرب يولي أطراف اليمن والحجاز، والجنوب نجران والشمالي أرض نجد وطوطول اليمامة عشرون مرحلة، وهي على أربعة أيام من مكة بلاد نخل وزلع وقادعاتها حجر بالفتح، وبها بلد اسمه اليمامة، ويسمى أيضاً جو باسم الزرقا، وكانت مقرأ للملوك قبل بنى حنيفة، وانخذ بنو حنيفة بعدها بلد حجر وبقي كذلك في الإسلام.

وكانت مواطن اليمامة لبني همدان بن يعفر بن السكك بن وائل بن حمير غلبوا على من كان بها من طسم وجidis وكان آخر ملوكهم بها فيما ذكره الطبراني قرط بن يعفر، ثم هلك فغلب عليها بعده طسم وجidis وكانت منهم الزرقا اخت رياح بن مرة بن طسم كما تقدم في أخبارهم. ثم استولى على اليمامة آخرأً بن حنيفة وغ libero عليها طسم وجidis وكان ملكها منهم هودة بن علي بن ثمامة بن عمرو بن عبد العزيز بن شحيم بن مرة ابن الدول بن حنيفة، وتوجه كسرى وابن عممه عمرو بن عمرو بن عبد الله بن عمرو بن عبد العزيز، قاتل المنذر ابن ماء السماء يوم عين أباغ.

وكان منهم ثمامة بن أثال بن التعلمان بن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن الدول بن حنيفة ملك اليمامة عند المبعث وثبت عند الردة. ومنهم المخارجي نافع بن الأزرق بن قيس بن صبرة بن ذهل بن الدول بن حنيفة وإليه تنسب الأزارقة، ومنهم حعلم بن سبيع بن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن الدول بن حنيفة صاحب مسلمة الكلذاب، هو من بنى عدي بن حنيفة، وهو مسلمة بن ثمامة بن كثير بن حبيب بن الحارث بن عبد المحرث بن عدي، وأخبار مسلمة في الردة معروفة وسيأتي الخبر عنها.

واما بتو عجل بن جيم بن صعب وهو الذين هزموا الفرس بمؤة يوم ذي قار كما مر، فمنازلهم من اليمامة إلى البصرة وقد ذروا، وخلفهم اليوم في تلك البلاد بنو عامر المتفق بن عقبيل بن عامر، وكان منهم بنو أبي دلف العجلي، كانت لهم دولة بسراي العجم يأتي ذكرها.

واما عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ف منهم تيم

مالك في تلك الحرب، وكان منهم الصحابي المشهور حذيفة بن اليماني بن حسل بن جابر بن ربيعة بن جرارة بن الحيث بن قطيبة ومن عبس بن جابر بنو غالب بن قطيبة، ثم عترة بن معاوية بن شداد بن مراد بن مخزوم بن مالك بن غالب الفارس المشهور وأحد الشعراء الستة في الجاهلية، وكان بعده من أهل نسبه وقاربه الخطيبية الشاعر المشهور واسمه جرول بن أوس بن جزية بن مخزوم، وليس بنجد لهذا العهد أحد من بني عبس، وفي أحيا زغبة من بني هلال لهذا العهد أحياه يتسبون إلى عبس، فما أدرى من عبس هؤلاء أم هو عبس آخر من زغبة نسبوا إليه.

وأما ذياب بن بطيض: فلهم بطنون ثلاثة: مرة وثعلبة وفرازة، فاما فرازة فهم خمسة شعوب: عدي وسعد وشمخ ومتازن وظالم. وفي بدر بن عدي كانت رياستهم في الجاهلية، وكانتوا يراسون جميع غطفان، ومن قيس واخوتهم بنو ثعلبة بن عدي كان منهم حذيفة بن بدر بن جزية بن لودان بن ثعلبة بن عدي بن فرازة الذي راهن قيس بن زهير العبسي على جري داحس والغبراء وكانت بسبب ذلك الحرب المعروفة، ومن ولده عبيدة بن حصن بن حذيفة الذي قاد الأحزاب إلى المدينة وأغار على المدينة لأول بيعة أبي بكر وكان رسول الله ﷺ يسميه الأحق المطاع، ومنهم أيضاً الصحابي المشهور سمرة بن جندب بن هلال بن خديج بن مرة بن خرق بن عمرو بن جابر بن خشن ذي الرأسين بن لاي بن عصييم بن شمخ بن فرازة، ومن بني سعد بن فرازة بزيد بن عمرو بن هبيرة بن معية بن سكين بن خديج بن بطيض بن مالك بن سعد بن عدي بن فرازة ولـي العراقين هو وأبواه أيام بزيد بن عبد الملك ومروان بن محمد، وهو الذي قتل المتصور بعد أن عاهده، ومن بني مازن بن فرازة هرم بن قطبة أدرك الإسلام وأسلم، إلى آخرين يطول ذكرهم ولم يبق بنجد منهم أحد.

وقال ابن سعيد: إن أفرق الحنان وأبيانا من وادي القرى من معلم بلادهم، وإن جيرانهم من طيء مولدها لهذا العهد، وأن بارض برقه منهن إلى طرابلس قبائل رواحة وهيب وفزان. قلت: وبإفريقيا والمغرب لهذا العهد أحياه كثيرة اختلطوا مع أهله، فمنهم مع المعقل بال المغرب الأقصى أحياه كثيرة لهم عدد وذكر بالعقل إلى الإستظهار بهم حاجة، ومنهم مع بني سليم بن منصور بأفريقيا طائفه أخرى أحلاف لأولاد أبي الليل من شعوب بني سليم يستظهرون بهم في مواقف حربهم ويولونهم على ما يتولونه للسلطان من أمر بادائهم نية عنهم شأن الوزراء في الدول، وكان من أشهرهم معن بن معاطن وزهير حزنة بن عمر بن أبي الليل أمير الكعبوب بعده حسبما ذكره في أخبارهم، وربما يزعم

العرب في الجاهلية، وكان منهم أيضاً أبو سيارة الذي يدفع بالناس في الموسم، وعميلة ابن الأعزل بن خالد بن سعد بن الحirth بن راشد بن زيد بن عدوان، وبإفريقيا لهذا العهد منهم أحياه بادية بالقفر يظعنون مع بني سليم تارة ومع رياح بن هلال بن عامر أخرى.

ومن بني فهم بن عمرو فيما ذكر اليهبي بنو طرود بن فهم بطون متسع كانوا بأرض نجد، وكان منهم الأعشى، وليس منهم الآن بها أحد، وبإفريقيا لهذا العهد هي يظعنون مع سليم ورياح. واقتضى الكلام في بني عمرو بن قيس.

واما سعد بن قيس فهم غني وباهلة وغطفان ومرة، فاما غني فهم بنو عمرو بن أصغر بن سعد، وأما باهلة فهم بنو مالك أصغر بن سعد صاحب خراسان المشهور، ومنهم أيضاً الأصمعي راوية العرب المشهور وهو عبد الملك بن علي بن قریب بن عبد الملك بن علي بن أصم بن مطر بن رياح بن عمرو بن عبد شمس بن أعيya بن سعد بن عبد غام بن قتيبة بن معن بن مالك.

واما بني غطفان بن سعد: فبطن عظيم متسع كثير الشعوب والبطون ومتآذن لهم بنجد مما يلي وادي القرى وجبل طيء، ثم افترقوا في الفتوحات الإسلامية واستولت عليها قبائل طيء، وليس منهم اليوم عمودة رجالة في قطر من الأقطار إلا ما كان لفرازة ورواحة في جوار هيب ببلاد برقة. وبنو غطفان بطنون ثلاثة: منهم أشجع بن ريش بن غطفان، وعبس بن بطيض بن ريش بن غطفان، وذيان. فاما أشجع فكانوا عرب المدينة يشرب وكان سيدهم معقل بن سنان من الصحابة، وكان منهم نعيم بن مسعود بن أبيف بن ثعلبة بن خلاوة بن سبيع بن أشجع الذي شتت جوع الأحزاب عن النبي ﷺ، إلى آخرين مذكورين منهم، وليس لهذا العهد منهم بنجد أحد إلا بقايا حوالى المدينة التبوية، وبالقرب الأقصى منهم هي عظيم الأن يظعنون مع عرب المعقل بجهات سجلamasة ووادي ملوية ونهر عدد وذكر.

واما بني عبس فيهم في بني عدة بن قطيبة كان منهم الربيع بن زياد وزير النعمان، ثم إخوتهم بنو الحirth بن قطيبة كان منهم زهير بن جذيبة بن رواحة بن ربيعة بن آزر بن الحirth سيدهم، وكانت له السيادة على غطفان أجمع، وله بذون أربعة منهم قيس ساد بعده على عبس، وابنه زهير هو صاحب حرب داحس والغبراء فرسين كانت إحداهما وهي داحس لقبس والأخرى وهي الغبراء لذيفنة بن بدر سيد فرازة فأجزياهما وتشاحا في الحكم بالسبق فتشاجرا وتخاربا وقتل قيس حذيفة ودارت الحرب بين عبس وفرازة وإخوه قيس بن زهير الحirth وشاس ومالك وقتل

بن ذكران بن ثعلبة، والرود بن خالد بن حذيفة بن عمرو بن خلف بن مازن بن مالك بن ثعلبة وكان على بني سليم يوم الفتح، وعمرو بن عتبة بن منقذ بن عامر بن خالد كان صديقاً لرسول الله ﷺ في الجاهلية وأسلم ثلاث أبو بكر وبلال فكان يقول كنت يومئذ ربيع الإسلام. ومن بني سليم أيضاً بنو علي بن مالك بن أمرى القيس بن بهنة وبنو عصيبة بن خفاف بن أمرى القيس، وهما اللذان لعنهم رسول الله ﷺ أهل بئر معونة وقتلهم إياهم. ومن شعوب عصيبة الشريد وإسمه عمرو بن يقطة بن عصيبة. وقال ابن سعيد: الشريد بن رياح بن ثعلبة بن عصيبة الذين كانت منهم النساء وأخواتها صخر ومعاوية ابنا عمرو بن الحمرث بن الشريد والشريد بيت سليم في الجاهلية، قال ابن سعيد: كان عمرو بن الشريد يسكن بيته صخرأً ومعاوية في الموسم يقول أنا أبو خيري مصر ومن أذكرها ذكرها، وحضرت بأولادها حروب القادسية. وبنو الشريد لهذا العصر في جملة بني سليم في أفريقيا و لهم شوكة وصولة، ومنهم إخوة عصيبة بن خفاف الذين كان منهم الخفاف كبر أهل الربدة الذي أحرقه أبو بكر بالثار واسميه إيساس بن عبد الله بن أليل بن سلمة بن عميرة.

ومن بني سليم أيضاً: بنو بهز بن أمرى القيس بن بهنة كان منهم الحاج بن عطاط بن خالد بن نديرة بن حبتر بن هلال بن عبد ظفر بن سعد بن عمرو بن تميم بن بهز الصحابي المشهور، وابنه نصر بن حجاج الذي تفاه عمر عن المدينة، إلى آخرين من سليم يطول ذكرهم. قال ابن سعيد: ومن بني سليم بنو زغبة بن مالك بن بهنة كانوا بين الحرميin ثم انتقلوا إلى المغرب فسكنوا بأفريقية في جوار إخوتهم بني ذياب بن مالك ثم صاروا في جوار بني كعب. ومن بني سليم بنو ذياب بن مالك ومنازلهم ما بين قابس ويرقة، يجاورون مواطن يعقوب، وبجهة المدينة خلق منهم يؤذون الحاج ويقطعون الطريق. وبنو سليمان بن ذياب في جهة فزان وودان ورؤساء ذياب لهذا العهد الجواري ما بين طرابلس وقابس، وبيتهم بنو صابر والحامد بتواحي فاس وبيتهم في بني رصاب بن محمود وسيأتي ذكرهم.

ومن بني سليم بنو عوف بن بهنة: ما بين قابس ويلد العناب من أفريقيا وجرما، هم مردارس وعلاق فاما مردارس فرياستهم في بني جامع لهذا العهد، وأما علاق فكان رئيسهم الأول في دخولهم أفريقيا رافع بن حماد، ومن أعقابه بنو كعب رؤساء سليم لهذا العهد بأفريقية، ومن بني سليم بنو يعقوب بن بهنة إخوة بني عوف بن بهنة وهم ما بين السدرة من برقة إلى العدوة الكبيرة

بني مررين أمراء الزاب لهذا العهد أنهم منهم، ويستسبون إلى مازن بن فزار، وليس ذلك بصحيح، وهو نسب مقصون يتقرب به إلىهم بعض البدو من فزاره هؤلاء طبعاً فيما بأيديهم لكانهم من ولادة الزاب والانفراد بجياباته ومصانعة الناس بغيرها، فيلهجونهم بذلك ترقعاً على أهل نسبهم بالحقيقة من الآتى، كما يذكر لكونه تحت أيديهم ومن رعایاهم.

واما بني مهراً بن عوف بن سعد بن ذياب فهم من بني سنان بن غيط بن مرة وهو سيدهم في الجاهلية الذي مدحه زهير بن أبي سلمى، ومنهم أيضاً الفانك وهو الحمرث بن ظالم بن جذبة بن يربوع بن غيط فنك بخالد بن جعفر بن كلاب وشرحيل بن الأسود بن المنذر، وحصل ابن الحمرث في يد النعمان بن المنذر فقتله، وشاعره في الجاهلية النابغة زياد بن عمرو الذياني أحد الشعراء الستة. ومنهم أيضاً مسلم بن عقبة بن رياح بن أسد بن ربيعة بن عامر بن مالك بن يربوع قائد يزيد بن معاوية صاحب يوم المحررة على أهل المدينة إلى آخرين يطرول ذكرهم. وهذا آخر الكلام في بني غيطان وبيلادهم بنجد مما يلي وادي القرى، وبها من المعالم أبى والحاجر والهباء وأبرق المحنان، وتفرقوا على بلاد الإسلام في الفتوحات ولم يبق لهم في تلك البلاد ذكر، وزلت بها قبائل طيء ويانقاضاء ذكرهم انقضى بنو سعد بن قيس.

واما خصفة بن قيس: فنفر منهم بطنان عظيمان وهم بنو سليم بن منصور وهو زان بن منصور، ولو زان بطنون كبيرة يأتي ذكرها، ويلحق بهذين البطنين بنو مازن بن منصور وعددهم قليل، وكان منهم عتبة بن غزوan بن جابر بن وهب بن ثنيب بن وهب بن زيد بن مالك بن عبد عوف بن الحمرث بن مازن الصحابي المشهور الذي بنى البصرة لعمر بن الخطاب، وإليه ينسب العتييون الذين سادوا مخراسان، ويلحق أيضاً بنو عمارب بن خصفة. فاما بنو سليم فشعوبهم كثيرة منهم بنو ذكران بن رفاعة بن الحمرث بن رجا بن الحارث بن بهنة بن سليم، وإنحوتهم بنو عبس بن رفاعة الذين منهم عباس بن مردارس بن أبي عامر بن حارثة بن عبد عبس الصحابي المشهور الذي أعطاه رسول الله ﷺ يوم حنين في المؤلفة قلوبهم، ثم زاده حين غضب استقللاً لعطائه وانشد الأبيات المعروفة في السير، وكان أبوه مردارس تزوج النساء وولدت منه.

ومن بني سليم أيضاً بنو ثعلبة بن بهنة بن سليم، كان منهم عبيد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي الأعور والي أفريقيا، وتجده أبو الأعور من قواد معاوية واسميه عمرو بن سفيان بن عبد شمس بن سعد بن قائف بن الأوقص بن مرة بن هلال بن فالج

العراقين هشام بن عبد الملك والوليد بن يزيد وكثير من قومه كانوا ولاة بالعراق والشام واليمن ومكة. ومن بنى معتب أيضاً خilan بن مسلمة بن معتب كانت له وفادة على كسرى، و منهم بنو غيرة بن عوف الذين منهم الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب بن علاج بن أبي سلمة بن عبد العزى بن غيرة بن ثقيف، والحرث بن كلدة بن عمرو بن علاج طبيب العرب، وأبو عبيد بن مسعود بن عمرو بن عمير بن عوف بن غيرة الصحابي المقتول يوم الحسر من أيام القادسية، وابنه المختار بن أبي عبيد الذي ادعى النبوة بالكوفة وكان عليها عبد الله بن الزبير فانتقض عليه ودعا محمد بن الحنفية ثم ادعى النبوة.

ومنهم أبو محجن بن حبيب بن عمرو بن عمير في آخرين يطول ذكرهم. ومواطن ثقيف كانت بالطائف وهي مدينة من أرض نجد قريباً من مكة ثم جلس في شرقها وشمالها وهي على قبة الجبل كانت تسمى واج وبوج، وكانت في الجاهلية للعالة ثم نزلتها ثمود قبل وادي القرى، ومن ثم يقال أن ثقيفاً كانت من بقایا ثمود، ويقال: أن الذي سكنها بعد العالة عدوان وغلبهم عليها ثقيف وهي الآن دارهم كما ذكره السهيلي. ويقال: أنهم موال هوازن ويقال: أنهم من إياد. ومن أعمال الطائف سوق عكاظ والعرج، وعكاظ حجر بين اليمين واللحجاز، وكانت سوقها في الجاهلية يوماً في السنة يقصدها العرب من الأقطار فكانت لهم موسمة.

واما بنو معاوية بن بكر بن هوازن ففيهم بطون كثيرة: منهم بنو نصر بن معاوية الذين منهم مالك بن نصر قائد المشركون يوم ربيعة بن يربوع بن واثلة بن دهمان بن نصر قائد المشركون يوم حنين وأسلم وحسن إسلامه. ومنهم بنو جشم بن معاوية، ومن جشم غزنة رهط ابن دريد الصمة ومواطنهم بالسرورات وهي بلاد تفصل بين تهامة ونجد متصلة من اليمين إلى الشام كسرورات الجبل وسرورات جشم متصلة بسرورات هذيل، وانتقل معظمهم إلى الغرب وهم الآن به كما يأتي ذكره في الطبقة الرابعة من العرب، ولم يبق بالسرورات منهم إلا من ليس له صولة، ومنهم بنو سلول، ومنهم بنو مرة بن صعصعة بن معاوية وإنما عرفوا بأئمهم سلول، وكانت في الغرب كثيراً وفي الغرب منهم كثير لهذا العهد. ومنهم فيما يزعم العرب بن يزيد أهل وطن حنزة عربي مجاشية وبعض أحياه مجاش عياض. كما ذكر منهم بنو عامر بن صعصعة بن معاوية جرم كبير من أجرام العرب لهم بطن أربعة: ثغر وريعة وهلال وسوأة، فاما ثغر بن عامر فهو إحدى جهات العرب وكانت لهم كثرة وعزّة في الجاهلية والإسلام ودخلوا إلى الجزيرة

ثم الصغيرة من حدود الإسكندرية، فأول ما يلي الغرب منهم بنو أحد لهم أجadia وجهاتها وهم عدد يرهبهم الحاج ويرجعون إلى شماخ، وقبائل شماخ لها عدد وأسماء متمايزة ولها العز في بيت لكونها جازت المصب من بلاد برقة مثل المرج وطلمينا ودرنا، وفي المشرق عن بنى أحد إلى العقبة الكبيرة، وأما الصغيرة فمسال ومارب والراسة في هذين القبيلتين لبني عزار وهبيب بخلاف سائر سليم لأنها استولت على إقليم طوبيل خربت مدنها ولم يبق فيه مملكة ولا ولاية إلا لأشياخها وتحت أيديهم خلق من البربرة واليهود زرعاً وتجاراً. وأما رواحة ففرازرة اللذين في بلاد هبيب فهم من غطفان وهذا آخر الكلام في بنى سليم بن منصور وكانت بلادهم في عالية لمجد بالغرب وخbir ومنها حرمة بنى سليم، وحرة النار بين وادي القرى وتيماً، وليس لهم الآن عدد ولا بقية في بلادهم، وباقية منهم خلق عظيم كما يأتي ذكره في أخبارهم عند ذكر الطبقة الرابعة من العرب.

واما هوازن بن منصور: ففيهم بطون كثيرة يجمعهم ثلاثة أجرام كلهم لبكر بن هوازن وهم: بنو سعد بن بكر وبنو معاوية بن بكر وبنو منه بن بكر. فاما بنو سعد بن بكر، وهو أطار النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه أرضه منه حليمة بنت أبي ذؤيب بن عبد الله بن الحirth بن سمعة بن ناصرة بن عصبة بن نصر بن أسد، وبنوها عبد الله وأئيسة والشيماء بنو الحirth بن عبد العزى بن رفاعة بن ملاذ بن ناصرة، وحصلت الشيماء في سبي هوازن فأكملها رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه وردتها إلى قومها وكان فيها أثر عضة عضها إياها رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه وهي تحمله.

فاما بنو منه بن بكر ففيهم ثقيف، وهو بنو قسي بن منه بطن عظيم متسع، منهم بنو جهم بن ثقيف كان منهم عثمان بن عبد الله بن ربيعة بن حبيب بن الحirth بن مالك بن خطيط صاحب لوطهم يوم حنين وقتل يومئذ كافراً وكان من ولده أمير الأندلس سليمان بن عبد الملك وهو الحر بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان، ومنهم بنو عوف بن ثقيف ويعروفون بالأحلاف، فمنهم بنو سعد بن عوف كان منهم عتبان بن مالك بن كعب بن عمرون بن سعد بن عرف الذي وضعته ثقيف رهينة عند أبي مكحورة وأخوه معتب، وكان من بناته عروة بن مسعود بن معتب الذي بعثه رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه إلى قومه داعياً إلى الإسلام فقتلواه، وهو أحد عظيم القريتين، ومن بناته أيضاً الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن معتب صاحب العرائض لعبد الملك وابنه الوليد.

ومنهم يوسف بن عمر بن محمد بن عبد الحكم وإلى

الذى اشترك ابنه حنдеж مع خالد بن جعفر بن كلاب فى قتل زهير بن جذيمة العبسي، وبنو ذي السهمين معاوية بن عامر بن ربيعة وهو ذو الحجر عوف بن عامر بن ربيعة، وبينو فارس الضحى عمرو بن عامر بن ربيعة منهم خداش بن زهير بن عمرو من فرسان الجاهلية وشعرائها. وأما بنو كلاب بن ربيعة ف منهم بنو الوحيد بن كعب بن عامر بن كلاب وبينو ربيعة الجنون بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب وبينو عمرو بن كلاب.

قال ابن حزم: يقال إن منهم بني صالح بن مردادس أمراء حلب، ومن بني كلاب بنو رواس واسمه الحرث بن كلاب، وبينو الضباب واسمه معاوية بن كلاب الذين منهم شهر بن ذي الجوش بن الأعور بن معاوية قاتل الحسين بن علي، ومن عقبه كان الصهيل بن حاتم بن شمر وزير عبد الرحمن بن يوسف الفهري بالأندلس، وبينو جعفر بن كلاب الذين منهم عامر بن الطفيلي بن مالك بن جعفر وعمه أبو عامر بن مالك ملاعب الأستة وربيعة بن مالك وتبع المعتبرين وأبوه ليبدى بن ربيعة شاعر معروف مشهور.

وكانت بلاد بني كلاب حمى ضربة والربنة في جهات المدينة وفذك والعوالى، وهي ضربة هي حمى كلب وائل نباته النضرة تسمى عليه الخيل والإبل، وهي الربنة هو الذي أخرج عليه عثمان أبا ذر رضي الله عنهما. ثم انتقل بنو كلاب إلى الشام فكان لهم في الجزيرة الفراتية صيت وملك وملكونا حلب وكثيراً من مدن الشام، تولى منهم بنو صالح بن مردادس، ثم ضعفوا فهم الآن تحت خفارة العرب المشهورين بالشام وهنالك بالإماراة من طيء.

قال ابن سعيد: وكان لهم في الإسلام دولة باليamente. ومن بين كعب بن ربيعة بطن كثيرة منهم الحريش بن عوف بن وقدان بن منهم مطرف بن عبد الله بن الشخير بن عوف بن وقدان بن الحريش الصحابي المشهور، ويقال: إن منهم ليلي التي شباب بها قيس بن عبد الله بن الحشرون بن الأشهب بن عدس بن ربيعة بن جعدة الشاعر، مادح النبي صلوات الله عليه، وعبد الله بن الحشرون بن الأشهب بن ورد بن عمرو بن ربيعة بن جعدة الذي غلب على ناب فارس أيام الزبير وعم أم زيد بن الأشهب الذي وفده على ليصلح بينه وبين معاوية، ومالك بن عبد الله بن جعدة الذي أجار قيس بن زهير العبسي. وبينو قشير بن كعب منهم مرة بن هبيرة بن عامر بن مسلمة الخير بن قثير وفده على النبي صلوات الله عليه فولاه صدقات قومه، وكلثوم بن عياض بن رصوح بن الأعور بن قشير الذي ول إفريقية، وابن أخيه بلخ بن بشر. ومن بين قشير مخراسان أعيان

الفراتية وملكونا حرار وغيرها، واستلهمهم بنو العباس أيام المعركة فهللوكوا ودثروا. وأما سواه بن عامر فشعوبهم في رباب من سمرة بن سواه، فمنهم جابر بن سمرة بن جنادة بن جنديب بن رباب الصحابي المشهور، ومن بطن رباب هؤلاء بأفريقية حي ينجمون مع رباح بن هلال ويعرفون بهذا النسب كما يأتي في أخبار هلال من الطبقة الرابعة. وأما هلال بن عامر فبطون كثيرة كانوا في الجاهلية بمنجد ثم ساروا إلى الديار المصرية في حروب القراءمة، ثم ساروا إلى إفريقية أجازهم الوزير البارزى في خلافة المستنصر العبيدي لحرب المعز بن باديس، فملك عليه ضواحي إفريقية، ثم زاحهم بنو سليم فساروا إلى الغرب ما بين بونة وقسطنطينة، إلى البحر المتوسط، وكان هلال خمسة من الولد: شعبة وناشرة ونهيلك وعبد مناف وعبد الله، ويطوئونهم كلها ترجع إلى هؤلاء الخمسة، فكان من بني عبد مناف زبيب أم المؤمنين بنت خزيمة بن الحرث بن عبد الله بن عمرو بن عبد الله بن عبد مناف، وكان من بني عبد الله ميمونة أم المؤمنين بنت الحرث بن حزن بن مجير بن هرم بن روبية بن عبد الله. قال ابن حزم: ومن بطون بني هلال بنو قرة وبينو نعجة الذين بين مصر وإفريقية، وبينو حرب الذين بالحجاز، وبينو رياح الذين أفسدوا إفريقية.

وقال ابن سعيد: وجيل بني هلال مشهور بالشام وقد صار عربه حراizer وفيه قلعة صرخد مشهورة قال: وقبائلهم في العرب ترجع لهذا العهد إلى أنجي ورياح وزغبة وقارع. فاما أنجي فهم سراح بجهة برقة، وعياض يجعل القلعة المسماة لهم ولغيرهم. وأما رياح فبلادهم بتواحي قسطنطينة والسلم والتزاب، ومنهم عتبة بتواحي مجاهة، ومنهم بالغرب الأقصى خلق كثير كما يأتي في أخبارهم. وأما زغبة فإنهم في بلاد زناتة خلق كثير. وأما قارع فإنهم في المغرب الأقصى مع المعلم وقرة وجشم.

وبنوة قرة كانت منازلهم ببرقة وكانت رياستهم أيام الحاكم العبيدي لما مرض ابن مقرب، ولما بايعوا لأبي روكة من بني أمية بالأندلس وقتلوا الحاكم سلط عليهم العرب والجيوش فأذن لهم، وانتقل جلهم إلى المغرب الأقصى، فهم مع جسم هنالك كما يأتي ذكره و يأتي الكلام في نسب هلال وشعوبهم وموطنهم بالغرب الأوسط وإفريقية عند الكلام عليهم في الطبقة الرابعة. وأما بنو ربيعة بن عامر فبطون كبيرة وعامتها ترجع إلى ثلاثة من بنيه وهم: عامر وكلاب وكعب، وببلادهم بأرض نجد الموالية لتهامة بالمدينة وأرض الشام، ثم دخلوا إلى الشام وافتلق منهم على عمالك الإسلام فلم يبق منهم بمنجد أحد. فمن عامر بن ربيعة بن التكما وهو ربيعة بن عامر بن ربيعة

## الخبر عن بنى عدنان وأساليبهم وشعوبهم وما كان لهم من

كلهم إليها، فمن بطون قمعة أسلم وخزاعة، فأسلم بنو أفصى بن عامر بن قعنة، وخزاعة بن عمرو بن عامر بن لحي وهو ربيعة بن عامر بن عمار، ونهم الصمة بن عبد الرحمن بن رشيق وأخرج منها العجلان بن عبد الله بن كعب وشاعرهم تميم بن مقبل. وبينو عقيل بن كعب وهم بطن كثيرة منهم: بنو المتفق بن عامر بن عقيل. ومن أعقاب بني المتفق هؤلاء العرب المعروفون في المغرب بالخلط. قال علي بن عبد العزيز الجرجاني: الخلط بنو عوف وبينو معاوية ابنا المتفق بن عامر بن عقيل انتهى.

وقد يقال: إن خزاعة هؤلاء من غسان وأنهم بنو حارثة بن عمرو مزيقيا، وأنهم أقاموا بمصر الظهران حين سارت غسان إلى الشام وتذمروا عليهم فسموا خزاعة، وليس ذلك بصحيح كما ذكر. وكان لخزاعة ولادة البيت قبل قريش في بيته كعب بن عمرو بن لحي، وانتهت إلى حليل بن جببية بن سلول وهو الذي أوصى بها لفصي بن كلاب حين زوجه ابنته حبي بنت حليل. ويقال: إن أبي غبشان بن حليل واسميه الحترش باع الكعبة من قصبي برق خر وفيه جرى المثل المعروف. يقال: أحسن صفة من أبي غبشان.

ومن ولد حليل بن جببية كان كرز بن علقة بن هلال بن حرية بن عبد فهم بن حليل، الذي قفا أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الغار، ورأى عليه نسج العنكبوت وعش الياءمة بيضها فرخوا عنه. ومخزاعة هؤلاء بطن كثيرة: منهم بنو المصطلق بن سعد بن عمرو بن لحي، وبينو كعب بن عمرو. ومنهم عمران بن الحصين صحابي، وسليمان بن صرد أمير التوابين القائمين بشار الحسين. ومالك بن الهيثم من نقباء بني العباس وبينو عدي بن عمرو، ونهم جويرية بنت الحارث أم المؤمنين، وبينو مليح بن عمرو، ونهم طلحة الطلحات، وكثير الشاعر صاحب عزة وهو ابن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر بن عويمر بن خلدل بن سبيع بن ختمة بن سعد بن مليح. وبينو عوف بن عمرو ونهم العباد أهل الخبرة وهم بنو جهينة بن عوف. ومن إخوة خزاعة بنو أسلم بن أفصى بن عامر بن قعنة وبينو مالك بن أفصى، وماثان بن أفصى. فمن أسلم سلمة بن الأكوع الصحابي ودعيل وبينو الشخص الشاعران ومحمد بن الأشعث قائد بني العباس، ونهم مالك بن سليمان بن كثير من دعابة بني العباس قتله أبو مسلم.

وأما طائفة فلهم بطن كثيرة أشهرها غبة والرباب ومزينة وتميم، وبينو صفار إخوة لتميم، منهم صوفة ومحارب.

منهم أبو القاسم القشيري صاحب الرسالة، ونهم عربة الأندرس بنو رشيق ملكها منهم عبد الرحمن بن رشيق وأخرج منها ابن عمار، ونهم الصمة بن عبد الله من شعراء الحماسة. وبينو العجلان بن عبد الله بن كعب وشاعرهم تميم بن مقبل. وبينو عقيل بن كعب وهم بطن كثيرة منهم: بنو المتفق بن عامر بن عقيل. ومن أعقاب بني المتفق هؤلاء العرب المعروفون في المغرب بالخلط. قال علي بن عبد العزيز الجرجاني: الخلط بنو عوف وبينو معاوية ابنا المتفق بن عامر بن عقيل انتهى.

قال ابن سعيد: ومنازل المتفق الأجام التي بين البصرة والكوفة والإمارة منهم في بني معروف. قلت: والخلط لهذا العهد في أعداد جسم بالمغرب، ومن بني عقيل بن كعب بنو عبادة بن عقيل، منهم الأخيل واسميه كعب بن الرجال بن معاوية بن عبادة، ومن عقبه ليلي الأخيلة بنت حذيفة بن سداد بن الأخيل.

وذكر ابن قتيبة أن قيس بن الملوح الجبنون منهم. وبينو عبادة هؤلاء لهذا العهد فيما قال ابن سعيد بالجزيرة الفراتية فيما يليه العراق، ولم يذكر، وغلب منهم على الموصل وحلب في أواسط المائة الخامسة قريش بن بدران بن مقلد فملكتها هو وابنه مسلم بن قريش من بعده، وسمى شرف الدولة، وتولى الملك في عقب مسلم بن قريش منهم إلى أن انقضوا.

قال ابن سعيد: ونهم لهذا المهد بقية بين الحازر والزاب يقال لهم: عرب شرف الدولة، وهم إحسان من صاحب الموصل وهو في تحمل وعز إلا أن عددهم قليل نحو مائة فارس. ومن بني عقيل بن كعب خفاجة بن عمرو بن عقيل وانتقلوا في قرب من هذه المصور إلى العراق والجزيرة وهم بقيادة العراق دولة، ومن بني عاصم بن عقيل بنو عامر بن عوف بن مالك بن عوف، وهم إخوة بني المتفق وهم ساكنون بجهات البصرة وقد ملكوا البحرين بعد بني أبي الحسن مملوكوها من تغلب.

قال ابن سعيد: وملكون أرض اليمامة من بني كلاب، وكان ملكهم لمهد الخمسين من المائة السابعة عصفور وبينو وقد انقضى الكلام في بطن قيس عيلان. والله المعين لا رب غيره ولا خير إلا خيره وهو نعم المولى، ونعم النصير، وهو حسي ونعم الوكيل. وأسألة الستر الجميل آمين.

واما بطن خندف بن إلياس بن نصر ولد إلياس مدركة وطائفة وقمعة وأهمهم امرأة من قضاعة اسمها خندف فانتسب ولد إلياس

يزيد بن أوس بن سيف بن عدم بن جبلة بن قيارة بن سعد بن الحرث وهو الملقب بالحبط لعظم بطنه، وبني أمرئ القيسين بن زيد متأة بن عميم وكان منهم زيد بن عدي بن زيد بن أيوب بن مخوف بن عامر بن عطية بن أمرئ القيس صاحب التعمان بن المنذر بالحيرة الذي سعى به إلى كسرى حتى قتله ومقاتل بن حسان بن ثعلبة بن أوس بن إبراهيم بن أيوب بن مخوف صاحب قصر بني مقاتل بن منصور بالحيرة ولاهز بن قريط بن سري بن الكاهن بن زيد بن عصية من دعاة بني العباس الذي قتله أبو مسلم لذاته لنصر بن سيار.

وبني سعد بن زيد متأة بن عميم منهم الأباء كان منهم رؤبة بن العجاج بن رؤبة بن ليبد بن صخر بن كثيف بن عمير بن حبي بن ربيعة بن سعد بن مالك بن سعد، وعبدة بن الطيب الشاعر. وبنو مقرن بن عبيد بن مقاعن بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد متأة، كان منهم قيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن مقرن ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقات قومه، وكان من ولده مية صاحبة ذي الرمة بنت مقاتل بن طلبة بن قيس بن عاصم. ومن بني مقرن عمرو بن الأهتم صحابي وبنو مرة بن عبيد بن مقاعن، منهم الأخفف بن قيس بن معاوية بن حصين بن حفص بن عبادة بن التزال بن مرة وأبو بكر الأبهري المالكي، وهو محمد بن عبد الله بن محمد بن صالح بن حفص بن عمرو بن مصعب بن الزبير بن سعد بن كعب بن عبادة بن التزال.

وبنو صريم بن مقاعن، منهم عبد الله بن أبياض رئيس الأبااضية من الخوارج، وعبد الله بن صفار رئيس الصفرية، والبرك بن عبد الله الذي اشتهر بقتل معاوية وضرره فجرحه. وبنو عوف بن كعب بن سعد بن زيد متأة منهم، ثم من بني بهدلة بن عوف الزيرقان واسم الحصين بن بدر بن أمرئ القيس بن خلف بن بهدلة وأوس بن أخيه حنظلة الذي أسر هودة بن علي الحفي. ومن بني عطارد بن عوف كرب بن صفوان بن شحمة بن عطارد الذي كان يحيى بأهل الموسم في الجاهلية. ومن بني قريع بن عوف بن كعب جعفر الملقب أنف الناقة وكان ولده يغضبون منها إلى أن مدحهم الخطبية بقوله:

قوم هم الأنف والأذاب غيرهم ومن يسوى بأنف الناقة النذبا

وبنوا الحرث الأعرج بن كعب بن سعد بن زيد متأة، كان منهم زهرة بن جوزية بن عبد الله بن قتادة بن مرثد بن معاوية بن قطن بن مالك بن أرمي بن جشم بن الحرث الذي أبلى في القادسيه وقتل الجالتوس أمير الفرس، وقتلها هو بعد ذلك أصحاب شبيب الخارجي مع عتاب بن ورقاء وبنو مالك بن سعد بن زيد متأة،

فاما بنو عميم بن مر فهم بنو عميم بن مر بن أد بن طاجحة، وكانت منازلهم بأرض نجد دائرة من هنالك على البصرة واليمامة وانتشرت إلى العذيب من أرض الكوفة، وقد تفرقوا لهذا العهد في الحواضر ولم تبق منهم باقية، وورث منازلهم الحيان العظيمان بالشرق لهذا العهد غزوة من طيء وخفاجة من بني عقيل بن كعب.

ولاتيميم بطون كثيرة منهم الحارث بن عميم وفيهم ينسب المسيب بن شريك القمي وهو قليل، وبني العبر الذي بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصدقات، وزفر القمي بن ذهيل بن قيس بن مسلم بن قيس بن مكمل بن ذهل بن ذوب بن جذيمة بن عمرو بن جيجور بن جندب بن العبر صاحب أبي حنيفة، والناسك الفاضل عامر بن عبد قيس بن ثابت بن بشامة بن حذيفة بن معاوية بن الجون بن كعب بن جندب وربيعة بن رفيع بن سلمة بن حمل بن صلاة بن عبدة بن عدي بن جندب، وبنو الحجاج بن عمرو بن عميم وبنو أسد بن عمير.

وكان منهم أبو هالة هند بن زراة بن النباش بن عدي بن غير بن أسد الصحابي المشهور، وحنظلة بن الريبع بن صيفي بن رياح بن الحرث بن خاشن بن معاوية بن شريف بن جردة بن أسد كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، والخليم المشهور أكثم بن صيفي بن رياح، وبمحى بن أكثم قاضي المؤمن من ولد صيفي بن رياح، وبنو مالك بن عمرو بن عميم منهم التنصر بن شمبل بن خرشة بن يزيد بن كلثوم بن عبدة بن زهير بن عروة بن جبل بن حجر بن خزاعي بن مازن بن مالك التحوري المحدث، وسلم بن أخوز بن أريد بن مخزير بن لاي بن مهيل بن ضباب بن حجية بن كالية بن حرقوص بن مازن بن مالك صاحب الشرطة لنصر بن سيار وقاتل بمحى بن زيد بن زين العابدين، وإخوه هلال بن أخوز قاتل آل المطلب، وقطري بن الفجاءة، واسم الفجاءة جعونة بن يزيد بن زياد بن جنز بن كالية بن حرقوص الخارجي الأزرقي سلم عليه بالخلافة عشرين سنة، ومالك بن الريب بن جوط بن قرط بن حسيل بن ربيعة بن كنانة بن حرقوص صاحب القصيدة المشهورة نهى بها نفسه وبعث بها إلى قرمه وهو في خراسان في بعث عثمان بن عفان وأوطا:

دعاني الهرى من أهل ودي ورفقي بذى الشيطين فالافت ورائيا يقولون لا تبعد وهم يدفنونى وأيسن مكان البعد إلا مكاناً وبنو عمرو بن العلاء بن عمار بن عدنان بن عبد الله بن الحصي بن الحرث بن جلهم بن خزاعي بن مازن بن مالك، وبنو الحرث بن عمرو بن عميم وهم الحبطات منهم عباد بن الحصين بن

عثمان أحد الشعراء الستة، وابناته جبیر وکعب الذي مدح رسول الله صلی اللہ علیہ وسَلَّمَ، والنعمان بن مقرن بن عامر بن صبیح بن هجیم بن نصر بن جشیة بن کعب بن عفراء بن سور بن هرمہ، وأخوه سوید الذي قتل يوم نهاروند، ومعقل بن یسار بن عبد الله بن معیر بن حراق بن لأنبیی بن کعب بن عبد ثور الصحابی المشهور.

واما الرباب وهم بنو عبد مناة بن أد بن طاجنة فمن ينہی تمیم وعدی وعوف وشور، وسموا الرباب لأنہم غمسوا في الرب ایدیهم في حلف على بني ضبة، وبلادهم جوار بني تمیم بالدهنا، وفي اشعارهم ذکر حزروی وعالج من معالھما. وتفرقوا لهذا العهد ولم یق منہم أحد هنالک. وكان من بني تمیم بن عبد مناة المستورد بن علقة بن الفرس بن صباری بن نشبہ بن ریبع بن عمرو بن عبد الله بن لؤی بن عمرو بن الحرش بن تمیم الخارجی قتلہ معقل بن قیس الرياحی في إمارة المغيرة بن شعبہ، وابن باختہ ورد بن مجالد بن علقة حضر مع عبد الرحمن بن ملجم في قتل علی وقتل، وقطام بنت مجنة بن عدی بن عامر بن عوف بن نعلبة بن سعد بن ذهل بن تمیم التي تزوجها عبد الرحمن بن ملجم ومهراها قتل علی فيما قيل حيث يقول:

**ثلاثة آلاف وعبد وقيمة** وضرب على بالحسام المصمم وكانت خارجية وقتل أبوها شحمة وعمها الأخضر يوم النهروان. ومن بني عدی بن عبد مناة ذی الرمة الشاعر، وهو غیلان بن عقبة بن پھس بن مسعود بن حارثة بن عمرو بن ریبعہ بن ساعدة بن کعب بن عوف بن نعلبة بن ریبعہ بن ملکان بن عدی. ومن بني ثور بن عبد مناة ویسمی اطمیل سفیان الشوری، وهو سفیان بن سعید بن مسروق بن حیب بن رافع بن عبد الله بن مقرن بن نصر بن الحارث بن نعلبة بن عامر بن ملکان بن سور وأنواره عمرو والبارک والریبع بن خثیم الفقیہ.

واما ضبة فهم بنو ضبة بن أد وكانت دیارهم جوار بني تمیم إخوتھم بالناحیة الشمالیة التهامیة من نجد، ثم اتقلوا في الإسلام إلى العراق بجهة التعمانیة وبها قتلوا المثنی الشاعر. فنهم ضرار بن عمرو بن مالک بن زید بن کعب بن مجالة بن ذهل بن مالک بن بکر بن اسعد بن ضبة میبد بني ضبة في الجاهلیة، ویقیت سیادتهم في بینہ، وكان له ثمانیة عشر ولدا ذکرًا شهدوا معه يوم القربین، وابنه حصین كان مع عائشة يوم الجمل، ومن ولدھ القاضی أبو شبرمة عبد الله بن شبرمة بن الطفیل بن حسان بن المنذر بن ضرار بن عنیس بن إسحاق بن شمر بن عبس بن عنیس بن شعبہ بن المختار عامر بن العباب بن حسل بن مجالة المذکور في قواد بني العباس ولی مصر أيام المتوکل. ويقال: إن الدیلم من بني باسل بن

كان منہم الأغلب بن سالم بن عقال بن خفافة بن عباد بن عبد الله بن محث بن سعد بن حرام بن سعد بن مالک ابی الولاة بالفاریقة لبني العباس، وبنو ریبعة بن مالک بن زید منۃ کان منہم عروة بن جریر بن عامر بن عبد بن کعب بن ریبعة أول خارجی قال: لا حکم إلا لله يوم صفين. ویعرف بان آباء نسبے إلى أمہ. ومن بني حنظلة بن مالک البراجم وهم بنو عمرو. والظلم وغالب وكلبة وقیس كلهم بنو حنظلة کان منہم ضایع بن الحرش بن أرطأة بن شہاب بن عیید بن جنادل بن قیس وابن عیید بن ضایع الذي قتلہ الحجاج.

وینو نعلبة بن یربوع بن حنظلة، وبنو الحرش بن یربوع منہم الزبیر بن الماحور امیر الخارج وآخره عثمان وعلی وهم بن بشیر بن یزید الملقب بالماحور بن الحارث بن ساحق بن الحرش بن سلیط بن یربوع وكلهم أمراء الأزارقة.

وینو کلیب بن یربوع کان منہم جریر الشاعر ابن عطیہ بن الخطفی وهو حذیفة بن بدر بن سلم بن عوف بن کلیب. وینو العبر بن یربوع منہم كانت سجاح المتبتة بنت اویس بن جوین بن سامة بن العبر. وینو ریاح کان منہم شبیث بن ربیعی بن حصین بن عییم بن ریبعة بن زید بن ریاح کان منہم ریاح أسلم ثم سار مع الخارج ثم رجع عنہم تائب، ومعقل بن قیس أوفره عمار بن یاسر على أيام عمر بفتح تسر، وعتاب بن ورقہ بن الحارث بن عمرو بن همام بن ریاح امیر اصیحان وقتلہ شبیث الخارجی.

وینو طھیہ بن مالک وهم بنو ابی سود وعوف ابی مالک. وینو دارم بن مالک بن حنظلة کان منہم ثم من بني نھشل بن دارم بن حازم بن خزیمة بن عبد الله بن حنظلة نھشل بن حدثان بن مطلق بن اصحر بن نھشل صاحب الشرطة لبني العباس. ومن بني مجاشع بن دارم الأقرع بن حابس بن عقال بن محمد بن سفیان بن مجاشع، والفرزدق بن غالب بن صغصة بن ناجیہ بن عقال والختات بن یزید بن علقة الذي آخى رسول الله صلی اللہ علیہ وسَلَّمَ بینہ وین معاویة بن ابی سفیان. ومن بني عبد الله بن دارم صاحب هجر ومن بني غرس بن زید بن دارم حاجب بن زراة غرس وابنه عطارد وینوهم، کان فیهم رؤساء وامراء وانقضی کلام فی تمیم.

واما بنو مزینة وهم بنو مر بن أد بن طاجنة بن الیاس واسم ولدھ عثمان وأوس وأمهما مزینة فسمی جمع ولدیهما بها. تکان منهم زہیر بن ابی سلمی وهو ریبعة بن ابی ریاح بن قرة بن الحرش بن مازن بن خلاوة بن نعلبة بن سور بن هرمہ بن لاظم بن

ضبة بن أذ والله أعلم.

كثير بن غنم الذي أسلم ثم تنصر ومات نصرانياً، وأخوه زينب أم المؤمنين رضي الله عنها، وعكاشة بن مخصن بن حدثان بن قيس بن مرة بن كثير الصحابي المشهور. وبنو ثعلبة بن دودان بن أسد منهم: الكمييت الشاعر ابن زيد بن الأحسن بن ربيعة بن امرئ القيس بن الحارث بن عمرو بن مالك بن الأحسن بن سعد بن ثعلبة، وضرار بن الأزور وهو مالك بن أويس بن خزيمة بن ربيعة بن مالك بن ثعلبة الصحابي، قاتل مالك بن نميرة، والحضرمي بن عامر بن جمع بن موالا بن همام بن صحب بن القيس بن مالك وأقدحه على النبي ﷺ.

وبنوا عمرو بن قعید بن المخارث بن ثعلبة بن دودان منهم الطماح بن قيس بن طريف بن ثعلبة بن عمرو بن قعید الذي سعى عند قيسير في هلاك امرئ القيس، وطلبيحة بن خوبيلد بن نوفل بن نضلة بن الأشتر بن جحوان بن فقعن بن طريف بن عمرو الذي كان كاهناً وادعى التبوة ثم أسلم. وفي بني أسد بطنون يطول ذكرها. وأما القارة وعكل: فهم بنو الهون بن خزيمة بن مدركة بن إلياس إخوة بني أسد و كانوا حلفاء لبني زهرة من قريش.

واما كنانة فهم كنانة بن خزيمة بن عتبة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، ومن عتبة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، ومن عتبة آخره عتبة بن عبد الله بن زيد بن عتبة قفيه المدينة. وقد افتقرت في الإسلام على المالك ولم يبق لهم حبي يطرف. وبأفرقة منهم قبيلة بنواحي باجة يسكنون مع جند السلطان ويؤدون المغرض.

واما بني أسد: فمنهم بنو أسد بن خزيمة بن مدركة، ويطن كبر متسع ذو بطنون، وبلادهم فيما يلي الكرنك من أرض نجد وفي مجاورة طيء، ويقال: إن بلاد طيء كانت لبني أسد، فلما خرجوا من اليمن غلوبهم على أجأ وسلمي وجاءوا واصطلحوا وتجلروا لبني أسد والتغلبية وواقصة وغاضرة. وهم من المتأذل المسماة في الأشعار غاضرة والتغافل، وقد تفرقوا من بلاد الحجاز على الأقطار وليقهم حبي وبلادهم الآن فيما ذكر ابن سعيد لطيء وبني عقيل الأمراء، كانوا بارض العراق والجزيرة وكانت في الدولة السلوجوقية قد عظم أمرهم وملكونا الحلة وجهاتها، وكان بها منهم الملوك بنسو مرين الذين ألف المباري أرجوزته المعروفة به في السياسة. ثم اضمحل ملوكهم بعد ذلك وورث بلادهم بالعراق خفاجة.

وبنوا جذع بن بكر بن ليث بن بكر: منهم أمير خراسان نصر بن سيار بن رافع بن عدي بن ربيعة بن عامر بن عوف بن جندع ورافع بن الليث بن نصر القائم بسم مرقد أيام الرشيد بدعة بي أمية ثم أستأمن إلى المأمون. ومن بني عبد مناف بنو عرب يرجح بن بكر بن عبد مناف وبني الدليل بن بكر: منهم الأسود بن رزق بن يعمر بن نافثة بن عدي بن الدليل الذي كان يسببه فتح مكة.

واما صولة: فهم بنو الغوث بن مر بن أذ كانوا يجيزون بالحج في الموسم لا يجوز أحد حتى يجوزوا ثم انقضوا عن آخرهم في الجاهلية، وورث ذلك آل صفوان بن شحمة من بني سعد بن زيد مناة بن تميم، وقد مر ذكر ذلك وانقضى بنو طابخة بن إلياس.

واما مدركة بن إياس: فهم بطنون كبيرة أعظمها هذيل والقاراء، وأسد وكتانة وقريش فاما هذيل: فهم بنو هذيل بن مدركة، وديارهم بالسورات، وسراتهم متصلة بجبل غزوان المصل بالطائف، وهم أماكن ومية في أسفلها من جهات نجد وتهامة بين مكة والمدينة، ومنها الربيع وبستر معونة. وهم بطنان سعد بن هذيل ولبيان بن هذيل فمن بني سعد بن هذيل أبو بكر الشاعر، والخطيبة فيما يقال، وعبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمخ قار بن مخزوم بن صاهلة بن المخارث بن تميم بن سعد الصحابي المشهور. وأخوه عتبة وعمس، وبنوه عبد الرحمن وعتبة، والمسعودي المؤرخ ابن عتبة وهو علي بن الحسين بن علي بن عبد الله بن زيد بن عتبة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، ومن عتبة آخره عتبة بن عبد الله بن زيد بن عتبة قفيه المدينة. وقد افتقرت في الإسلام على المالك ولم يبق لهم حبي يطرف. وبأفرقة منهم قبيلة بنواحي باجة يسكنون مع جند السلطان ويؤدون المغرض.

واما بتو أسد: فمنهم بنو أسد بن خزيمة بن مدركة، ويطن كبر متسع ذو بطنون، وبلادهم فيما يلي الكرنك من أرض نجد وفي مجاورة طيء، ويقال: إن بلاد طيء كانت لبني أسد، فلما خرجوا من اليمن غلوبهم على أجأ وسلمي وجاءوا واصطلحوا وتجلروا لبني أسد والتغلبية وواقصة وغاضرة. وهم من المتأذل المسماة في الأشعار غاضرة والتغافل، وقد تفرقوا من بلاد الحجاز على الأقطار وليقهم حبي وبلادهم الآن فيما ذكر ابن سعيد لطيء وبني عقيل الأمراء، كانوا بارض العراق والجزيرة وكانت في الدولة السلوجوقية قد عظم أمرهم وملكونا الحلة وجهاتها، وكان بها منهم الملوك بنسو مرين الذين ألف المباري أرجوزته المعروفة به في السياسة. ثم اضمحل ملوكهم بعد ذلك وورث بلادهم بالعراق خفاجة.

وكانت بنو أسد بطنون كبيرة، كان منها بنو كاهل قاتل حجر بن عمرو الملك والد امرئ القيس، وبنوا غنم بن دودان بن أسد: منهم عبد الله بن جحش بن رفاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن

## الخبر عن بني عدنان وأنسابهم ومشوبيهم وما كان لهم من

العدوة وبها مات. وكان له بالأندلس عقب وطم في الدولة الأموية ذكر وولايات كان منها على الأساطيل فكان لهم فيها غناه وكثروا يغزون سواحل العبيدين بأفريقية فعظم تكاليفهم فيها. وهو وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين لا رب غيره ولا خير إلا خيره، ولا يرجى إلا إيه ولا معبد سواه، وهو نعم المولى، ونعم النصير، وأسأله الستر الجميل، ولا حرب ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين. والحمد لله رب العالمين، حمدًا دائمًا كثيراً، والله ولن التوفيق.

واما قريش وهو ولد النضر بن كنانة بن فهر بن مالك بن النضر، والنضر هو الذي يسمى قريشاً، قيل للتقرش وهو التجارة، وقيل: تصغير قرش وهو الحوت الكبير المفترس دواب البحر. وإنما انتسبوا إلى فهر لأن عقب النضر منحصر فيه لم يعقب من بي النضر غيره، فهذا وجه القول بأن قريشاً من بي فهر بن مالك يعني اختصار نسيبهم فيه، وأما الذي اسمه قريش فهو النضر. فولد فهر غالب والحارث ومحارب فبنو محارب بن فهر من قريش الظواهر منهم الضحاك بن قيس بن خالد بن وهب بن ثعلبة بن وائلة بن عمرو بن شيبان بن محارب صاحب مرج راهط، قاتل فيه مروان بن الحكم حين بريع له بالخلافة وقتل.

وضرار بن الخطاب بن مرادس بن كثير بن عمرو أكل السقف بين حبيب بن عمرو بن شيبان الفارس المشهور في الصحابة، وأبوه الخطاب بن مرادس سيد الظهر في الجاهلية وكان يأخذ المراعي منهم وحضر حروب الفجار، وابنه من فرسان الإسلام وشعرائه. وعبد الملك بن قطي بن نهشل بن عمرو بن عبد الله بن وهب بن سعد بن عمرو أكل السقف شهيد يوم الحرة وعاش حتى ول الأندلس وصلبه أصحاب بلخ بن بشر القشيري. وكرز بن جابر بن حسل بن لاحب بن حبيب بن عمرو بن شيبان قتل يوم الفتح وهو مع رسول الله عليه السلام. وسار بنو الحرة بن فهر من الظواهر، منهم أبو عيادة عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن وهب بن ضبة بن الحرة من العشيرة وأمير المسلمين بالشام عند الفتح، وعقبة بن نافع بن عبد قيس بن نقيط بن عامر بن أبيه بن ضرب بن الحرة، قاتل إفريقية ومؤسس القبروان بها، ومن عقبة عبد الرحمن بن حبيب بن عقبة بن أبي عيادة بن عقبة وإليه أفريقية أبوه حبيب بن عقبة هو قاتل عبد العزيز بن موسى بن نصیر، ويوسف بن عبد الرحمن بن أبي عيادة صاحب الأندلس وعليه دخل عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك فقتله ووليها هو وبنوه من بعده.

واسارية بن زئيم بن عمرو بن عبد الله بن جابر بن محية بن عبد بن عدي بن الدليل الذي ناداه عمر فيما اشتهر من المدينة وهو بالعراق يقاتل وأبو الأسود واضح النحو وهو ظالم بن عمرو بن سفيان بن عمرو بن جنديب بن يعمر بن حلبي بن نافعه بن عدي. وبنو ضمرة بن بكر: منهم عامرة بن مثمني بن خوبيلد بن عبد بن نهم بن يعمر بن عوف بن جري بن ضمرة الذي وادع رسول الله عليه السلام على قرمه وعمرو بن أمية بن خوبيلد بن عبد الله بن إياس بن عبيد بن ناشرة بن كعب بن جري الصحابي، والبراض بن قيس بن رافع بن قيس بن جري الفاتك قاتل عروة الرحال بن عتبة بن جعفر بن كلاب وكان بسيتها حرب الفجار.

ومن ضمرة غفار بن مليل بن ضمرة بطن كان منهم أبو ذر الغفاري الصحابي وهو جنديب بن جنادة بن سفيان بن عيد بن حرام بن غفار، وصاحب كثير الشاعر الذي تسبب بعزلة بنت جمبل بن حفص بن إياس بن عبد العزى بن حاجب غفار بن غفار ومنهم كلثوم بن الحسين بن خالد بن معيسير بن بدر بن خيس بن غفار واستخلفه النبي عليه السلام على المدينة في غزوة الفتح. وبين مدرج بن مرة بن عبد مناة: منهم سراقة بن مالك بن جعشن بن مالك بن عمرو بن مالك بن تميم بن مدرج الذي اتبع رسول الله عليه السلام بجعلة قريش ليrede فظهرت فيه الآية وصرفة الله تعالى عنه وججز المذلي الذي سر النبي عليه السلام بقيايفته في أسماء وزيد وهو مجعز بن الأعور بن جعد بن معاذ بن عتارة بن عمرو بن مدرج.

وبنو عامر بن عبد مناة منهم بنو مساحت بن الأفروم بن جذيبة بن عامر الذين قتلهم خالد بن الوليد بالغميساً ووداهم النبي عليه السلام وأنكر فعل خالد. وبينو الحارث بن عبد مناة منهم الحليس بن علقة بن عمرو بن الأوقج بن عامر بن جذيبة بن عوف بن الحرة الذي عقد حلف الأحابيش مع قريش وأخوه تميم الذي عقد حلف القارة معهم. وبنو فراس بن مالك بن كنانة: منهم فارس العرب ربيعة بن المقدم بن عامر بن خوبيلد بن جذيبة بن علقة بن جذل الطعان بن فارس.

وبنو عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة: منهم نساء المشهور في الجاهلية قاتل الإسلام فهم على جنادة بن أمية بن عوف بن قاع بن جذيبة بن فقيم بن علي بن عامر وكل من صارت إليه هذه المرتبة كان يسمى القلمنس وأول من نسأ الشهور: سمير بن ثعلبة بن الحارث وكان منهم الرماحس بن عبد العزيز بن الرماحس بن الرساوس بن واقد بن وهب بن هاجر بن عز بن وائلة بن الفاكه بن عمرو بن الحرة ولا عبد الرحمن الداخل حين جاء إلى الأندلس على الجزيرة وشدونة وامتنع بها ثم زحف إليه فقر إلى

وإسماعيل بن جامع بن عبد المطلب بن أبي وادعة مفتى مكة ونبيه ومنبه أبنا الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم قتلا يوم بدر كافرين والنبي في القلب، وقتل يومئذ العاصي بن منه، وكان له ذو القفار سيف رسول الله عليه السلام. عبد الله بن الزعري بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم كان يؤذن بشعره ثم أسلم وحسن إسلامه.

وحذافة بن قيس أبو الأحسن وخنيس، وكان خنيس على حفصة قبل رسول الله عليه السلام، وعبد الله بن حذافة من مهاجرة البشة وهو الذي مضى بكتاب رسول الله عليه السلام إلى كسرى. وبني جع بن عمرو بن هصيص بن كعب، كان منهم أمية بن خلف بن وهب بن حذافة قتل يوم بدر وأنحوه أبي قتله رسول الله عليه السلام يوم أحد بيده وابنه صفوان بن أمية أسلم يوم الفتح وابنه عبد الله بن صفوان قتل مع الزبير وعمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة وإخواته قدماء والسائل عبد الله مهاجرون بدرسون وأخיהם زينب بنت مظعون أم حفصة.

وبني عدي بن كعب: منهم زيد بن عمرو بن قabil بن عبد العزيز بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي. رفض الأوثان في الجاهلية والتزم الгинبية ملة إبراهيم إلى أن قتل بقرية من قرى البلقاء قتله لخدم أو جذام، وابنه سعيد بن زيد أحد العشرة المشهود لهم بالجنة.

وعمر بن الخطاب أمير المؤمنين، وابنه عبد الله وعاصم وعيid الله وغيرهم، وخارجة بن حذافة بن غاثم بن عامر بن عييد الله بن عويج بن عدي بن كعب الذي قتله الحوروبي عصراً يظنه عمرو بن العاص وقال أردت عمراً وأراد الله خارجة فطارت مثلاً. وأبوا الجهم بن حذيفة بن غاثم صاحب التفل يوم حنين ومطعني بن الأسود بن حارثة بن نضللة بن عوف بن عييد بن عويج صحابي، وابنه عبد الله بن مطعني كان على المهاجرين يوم الخرة قتل مع ابن الزبير بمكة.

واما مورة بن كعب: وهو من عمود النسب الكريم فكان له من الولد كلاب وتيэм وبقنة. فاما تيэм بن مرة فعنهم: عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيس سيد قريش في الجاهلية وتنسب إليه الدار المشهورة يومئذ بمكة. ومنهم أبو بكر الصديق إسمه عبد الله بن أبي تعاشر وهو عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب وابنه عبد الرحمن ومحمد وطلحة بن عييد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب قتل يوم الجحمل وابنه محمد السجاد وأعاقبهم كثيرة.

واما غالب بن فهرو: وهو عمود النسب الكريم فوليد تيم الأدرم ولذين فبنو تيم الأدرم من الظواهر وهم بادية، كان منهم ابن خطط الذي أمر رسول الله عليه السلام بقتله يوم الفتح وهو متعلق بأستار الكعبة، وهو هلال بن عبد الله بن عبد مناة بن أسد بن جابر بن كثير بن تيم الأدرم.

واما لوي بن غالب: في عمود النسب الكريم فوليد كعباً وعامراً وطنيناً أخرى مختلف في نسبها إلى لوي خزيمة وسامة وسعد وجشم، وهو الحارث وعوف وهم من قريش الظواهر على أقل، فمنهم خزيمة بن لوي وبنو سامة بن لوي، وبقال: ليس بني سامة من قريش وهم بعمان. وبقال: إن منهم بني سامان ملوك ما وراء النهر. فأما بنو عامر بن لوي فهو شقيق حسل بن عامر ومعيص بن عامر فمن بني معيص بشر بن أرطأة وهو عمير عمران بن الحليس بن يسار بن نزار بن معicus بن عامر وهو أحد قواد معاوية، ومكرز بن حفص بن الأحتف بن علقة بن عبد الحارث بن منقذ بن عمرو بن معicus من سادات قريش الذي أجار أبا جندل بن سهيل فرده رسول الله عليه السلام، وهو عمرو بن قيس بن زايدة بن جندب الأصم بن هرم بن رواحة بن حجر بن عبد معicus، وهو ابن خال خديمية وأمه أم كلثوم عائكة بنت عبد الله بن عنكه بن عامر بن مخزوم.

ومن بني حسل عامر بن عبد الله بن سعد بن أبي سرح بن الحارث بن حبيب بن خزيمة بن مالك بن حسل بن عامر أمير المسلمين في نفتح أفريقية أيام عثمان وولي مصر وكان كتب لرسول الله عليه السلام ثم رجع إلى مكة ثم جاء تابياً وحسن حاله وقصته معروفة، وحويط بن عبد العزيز بن أبي قيس بن عبد وبد بن نصر بن مالك بن حسل له صحبة، وعبد عمرو بن شمس بن عبد وبد بن نصر بن مالك صاحب الخديمية وأخوه السكران، وابنه أبو جندل سهيل واسمه العاصي وهو الذي جاء في قوله يوم صلح الخديمية إلى النبي عليه السلام فرده وقصته معروفة. وزمعة بن قيس بن عبد شمس، وابنه عبد بن زمعة، وبنته سودة بنت زمعة أم المؤمنين وكانت زوجة السكران ابن عمها، ثم تزوجها بعده رسول الله عليه السلام.

واما كعب بن لوي وهو في عمود النسب الكريم فوليد مرة وهصيص وعدي وهم قريش الطاح أي بطائع مكة، فمن ابن كعب هصيص بن كعب بن لوي بن هشام بن سعيد بن سهم، وابن كعب من العاصي بن وائل بن هشام بن سعيد بن سهم، وابناء عمرو وهشام ابنا العاصي، عبد الرحمن بن معicus بن أبي وداعية وهو الحارث بن سعيد بن سعد بن سهم قاري أهل مكة.

ومن عقبه كان عامر بن وهب القائم بسرقة سبط من الأندلس بدعوة أبي جعفر المنصور، وقتلته يوسف بن عبد الرحمن الفهري أمير الأندلس قبل عبد الرحمن الداخل، ومنهم أبو السنابل بن يعكك بن السباق بن عبد الدار الذي دفع إليه رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم الفتح مفتاح الكعبة، وقيل إنما دفعه إلى أخيه شيبة وصارت حجابة البيت إلىبني شيبة بن طلحة من يومئذ.

وبنوا عبد العزى بن قصى منهم أبو البختري العاصي بن هاشم بن الحارث بن أسد بن عبد العزى، أراد التملق على قريش من قبل قيس فمنعوه فرجع عنهم إلى الشام، وسجن من وجد بها من قريش، وكان في جلتهم أبو أحية سعيد بن العاصي فدست قريش إلى عمرو بن جفنة الغساني، فسم عثمان بن الحويرث ومات بالشام.

وهيار بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى، كان من عقبه عمر بن عبد العزيز بن المنذر بن الزبير بن عبد الرحمن بن هيار صاحب السندي وليهما في ابتداء الفتنة إثر قتل الموكيل، وتداول أولاده ملكها إلى أن انقطع أمرهم على يد محمود بن سبيكتين صاحب غزنة وما دون النهر من خراسان، وكانت قاعدتهم المتصورة، وكان جده المنذر بن الربيع قد قام بقتليه أياً من السفاح فأسر وصلب. وإسماعيل بن هيار قتلته مصعب بن عبد الرحمن غيلة، وهيار كان يهجو النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم ابنه عوف أسلم فمدحه وحسن إسلامه. وعبد الله بن زمعة بن الأسود له صحبة، وتزوج زينب بنت أبي سلمة من أم سلمة أم المؤمنين. وخدعية أم المؤمنين بنت خويليد بن أسد بن عبد العزى، والزبير بن العوام بن خويليد أحد العشرة، وابنه عبد الله ومصعب. وحكيم بن حزام بن خويليد عاش ستين سنة في الإسلام وباع داره والندوة من معاوية عمة الف، وابنه هشام بن حكيم.

وأما عبد مناف وهو صاحب الشوكة في قريش وستان الشرف وهو في عمود النسب الكندي، فولده عبد شمس وهاشم والمطلب وتوفيق. وكان بنو هاشم وبنوا عبد شمس مقاسمين رئاسة بني عبد مناف والبقية أخلاق لهم فينبر المطلب أخلاق لبني هاشم وبنوا توفيق أخلاق لبني عبد شمس. فاما بنو عبد شمس فمنهم العيلات وهم بنو أمية الأصغر وبناته الثريا صاحبة عمرو بن أبي ربيعة وهي سيدة القرىض المغنى وبنوا ربيعة بن عبد شمس: منهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة، ومن عتبة ابنه الوليد وقتل يوم بدر كافراً، وأبو حذيفة صحابي وهو مولى سالم قتل يوم اليمامة، وهند بنت عتبة أم معاوية رضي الله عنها. وبنوا عبد العزى بن عبد شمس: منهم أبو العاصي بن الربيع بن عبد العزى

وبنوا يقطة بن مرة منهم: بن مخزوم بن يقطة بن مرة فمه صيفي بن أبي رفاعة وهو أمية عاذن بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، قتل هو آخره بدر كافراً، والأرقام بن أبي الأرقام واسمه عبد مناف بن أبي جنبد، واسمه أسد بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم صاحبي بدرى كان مجتمع بداره النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمسلمون سراً قبل أن ينشأوا الإسلام، وأبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم من قدماء المهاجرين كان زوج أم سلمة قبل النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والفاكه بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم واسمه أبو قيس قتل يوم بدر كافراً، وأبو جهل هشام بن المغيرة واسمه عمرو وقتل يومئذ كافراً وابنه عكرمة صحابي، والحارث بن هشام بن المغيرة أسلم وحسن إسلامه وله عقب كثير مشهورون، وأبو أمية بن أبي حذيفة بن المغيرة قتل يوم بدر كافراً وبناته أم سلمة أم المؤمنين وهشام بن أبي حذيفة من مهاجرة الجشة، وعبد الله بن أبي ربيعة وهو عمرو بن المغيرة من الصحابة من ولده الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المعروف بالقباع، والوليد بن المغيرة مات بمكة كافراً وابنه خالد بن الوليد سيف الله صاحب الفتوحات الإسلامية، وسعید بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عاذن بن عمران بن مخزوم تابعي، وأبوه المسيب من أهل بيعة الرضوان.

وأما كلاب بن مرة: من عمود النسب الكندي فولده له قصي وزهرة فبن زهرة بن كلاب منهم آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة أم النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وابن أخيها عبد الله بن الأرقام بن عبد يغوث بن وهب، وسعد بن أبي وقادس واسمه مالك بن عبد الله بن وهب بن عبد مناف أمير المسلمين في فتح العراق، وهشام ابن أخيه عتبة من الأمراء يومئذ، وابنه عمر بن سعيد الذي بعثه عبد الله بن زياد لقتال الحسين وقتلته المختار بن أبي عبيد، وأخوه محمد بن سعد قتله الحجاج بن أبي الأشعث، والمتسور ابن خرمدة بن توفيق بن وهب صحابي وأبواه من المؤلفة قلوبهم، وعبد الله بن عوف بن عبد عوف بن الحارث بن زهرة وابنه سلمة ولهم عقب كثير.

وأما قصي بن كلاب من عمود النسب الكندي، وهو الذي جمع أمر قريش وأئل مجدهم، فولده له عبد مناف وعبد الدار وعبد العزى. فبنوا عبد الدار كان منهم النضر بن الحارث بن علقة بن كلدة بن عبد الدار، أسر يوم بدر مع المشركين، ولها رجع رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة ومر بالصفراء أمر به فضرب عنقه هنالك. ومصعب بن عمرو بن هاشم بن عبد مناف صحابي بدرى استشهد يوم أحد وكان صاحب اللواء.

آياته. والسابق بن عبد يزيد كان يشبه رسول الله ﷺ وأسر يوم بدر. ومن عقب الشافعي محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السابق.

وأما أبو هاشم بن عبد مناف فسيدهم عبد المطلب بن هاشم، ولم يذكر من عقبه إلا عقب عبد المطلب هذا، وكان بنوه عشرة: عبد الله أبو النبي ﷺ وهو أصغرهم، وحزة، والعباس وأبو طالب، والزبير، والقرور ويقال: اسمه العيدان، وضرار وحجل، وأبو هلب، وقثم والزبير لا عقب لهما. وعقب حزة انفترض فيما قال ابن حزم. ومن عقب أبي هلب ابنه عتبة صحابي.

وأما عقب العباس وأبي طالب فأكثر من أن يحصر، والبيت والشرف من بنى العباس في عبد الله بن العباس، ومن بنى أبي طالب في علي أمير المؤمنين وبعده آخره جعفر رضي الله عنهما أجيون، وستذكر من مشاهيرهم عند ذكر أخبارهم ودوفهم ما فيه كفاية إن شاء الله تعالى.

هذا آخر الكلام وفي أنساب قريش وانتقامها الكلام في أنساب مضر وعدنان فلترجع الآن إلى أخبار قريش وسائر مضر وما كان لهم من الدول الإسلامية. والله المستعان لا رب غيره، ولا خير إلا خيره، ولا معبد سواه ولا يرجى إلا إيمانه، وهو حسيبي ونعم الوكيل وأسأله الستر الجميل.

### الخبر عن قريش من هذه الطبقة وملوكهم بمكة وأولية أمرهم وكيف صار الملك إليهم فيها من قبلهم من الأمم السابقة

قد ذكروا عند الطبقة الأولى أن الحجاز وأكتاف العرب كانت ديار العمالة من ولد عمليق بن لاوذ وأنهم كان لهم ملك هنالك، وكانت جرهم أيضاً من تلك الطبقة من ولد يقطن بن شالخ بن أرفخشذ، وكانت ديارهم اليمن مع إخوانهم حضرموت. وأصحاب اليمن يومئذ تحفظ فقرروا نحو تهامة يطلبون الماء والمراعي وعثروا في طريقهم يا سماعيل مع أنه هاجر عند زمز، وكان من شأنه وشأنهم معه ما ذكرناه عند ذكر إبراهيم عليه السلام. وزلوا على قطورة من بقية العمالة، وعليهم يومئذ السميديع بن هوثير - بناء مثلثة - ابن لاوري بن ذكر بن عملاق أو عمليق. واتصل خبر جرهم من ورائهم من قومهم باليمين وما أصابوا من النجعة بالحجاز فلحقوا بهم، وعليهم مضاض بن عمرو بن سعيد بن الرقيب بن هنء بن نبت بن جرهم، فنزلوا

صهر النبي وكانت له منها أمامة تزوجها علي بعد فاطمة رضي الله عنها.

وبني أمية الأكبر بن عبد شمس منهم سعيد بن أبي أحيمة العاصي بن أمية مات كافراً، وابنه خالد بن سعيد قتل يوم اليرموك، وسعيد بن العاصي بن سعيد قديم الإسلام ولد صناعه واستشهد في فتح الشام، وابنه سعيد قتل يوم اليرموك، وسعيد بن العاصي بن سعيد بن العاصي بن أمية ولد الكوفة لعمان، وابنه عمرو والأشدق القائم على عبد الملك وقتلته، وأمير المؤمنين عثمان بن عفان بن العاصي بن أمية، ومروان بن الحكم بن العاصي، وأعقباته الخلفاء الأولون في الإسلام والملوك بالأندلس معروفون يأتي ذكرهم عند أخبار دولهم.

وابن سفيان بن حرب بن أمية: وابناؤه معاوية أمير المؤمنين ويزيد وحنظلة وعتبة وأم حبيبة أم المؤمنين، وعقب معاوية بين الخلفاء والإسلام بين معروف يذكر عند ذكرهم. وعتاب بن أسد

بن أبي العاص بن أمية ولاه رسول الله ﷺ على مكة إذ فتحها فلم يزل عليها إلى أن مات يوم ورود الخبر بموت أبي بكر الصديق. ومنهم بنو أبي الشوارب القضاة يبعدون من عهد المترك إلى المقتدر، وهم بنو أبي عثمان بن عبد الله بن خالد بن أسد بن أبي العاص وعقبة بن أبي معيط واسميه أبان بن عمرو بن أمية قتله رسول الله ﷺ يدر صبراً، وإبنه الوليد صحابي ولد الكوفة وهو الذي حد على الخمر بين يدي عثمان، وابنه أبو قطيفة الشاعر، ومن عقبة بن أبي معيط المعطي الذي يويع بدانية من شرق الأندلس بايع له ملكها مجاهد ز من الفتنة بعد المائة الرابعة في آخر الدولة الأموية، وهو عبد الله بن عبد الله بن عيسى الله بن الوليد بن محمد بن يوسف بن عبد الله بن عبد العزيز بن خالد بن عثمان بن عبد الله بن عبد العزيز بن خالد بن عقبة بن أبي معيط.

وبني نوقل بن عبد مناف: منهم جابر بن مطعم بن عدي بن نوقل الصحابي المشهور، وأبوه مطعم هو الذي نوه به النبي ﷺ يوم الطائف ومات قبل بدر، وطعيبة بن عدي قتل يوم بدر كافراً، ومولاه وحشى هو الذي قتل يوم أحد حزة بن عبد المطلب.

وبني المطلب بن عبد مناف: منهم قيس بن خرمدة بن المطلب صحابي، وابنه عبد الله بن قيس مولى يسار جد محمد بن إسحاق بن يسار صاحب المغازي، ومسطوح وهو عوف بن أثاثة بن عباد بن المطلب أحد من تكلم بالإفك وهو ابن خالة أبي بكر الصديق، وركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب كان من أشد الرجال، وصارعه رسول الله ﷺ فصرعه وكانت آية من

جرهم ولأبيه الـبـيـت لا ينـازـعـهـم ولـد إـسـمـاعـيلـ اـعـظـامـاـ لـلـحـرـمـ آـنـ يـكـوـنـ بـهـ بـغـيـ أوـ قـتـالـ. ثـمـ بـغـتـ جـرـهـمـ فـيـ الـبـيـتـ، وـوـافـقـ بـغـيـهـ تـفـرـقـ سـبـاـ وـتـزـوـلـ بـنـ حـارـثـةـ بـنـ ثـلـعـةـ بـنـ عـمـرـوـ بـنـ عـامـرـ أـرـضـ مـكـةـ، فـارـادـواـ الـقـاـمـ مـعـ جـرـهـمـ فـمـعـهـمـ وـاقـتـلـواـ غـلـبـلـهـمـ بـنـ حـارـثـةـ، وـهـمـ فـيـماـ قـيـلـ خـرـاءـةـ، وـمـلـكـواـ الـبـيـتـ عـلـيـهـمـ، وـرـئـيـسـهـمـ يـوـمـنـذـ عـمـرـوـ بـنـ لـحـيـ وـشـرـدـ بـقـيـةـ جـرـهـمـ. وـلـيـ هـذـاـ هوـ رـبـيـعـةـ بـنـ حـارـثـةـ بـنـ ثـلـعـةـ بـنـ عـمـرـوـ مـزـيقـاـ بـنـ عـامـرـ، وـقـيـلـ: إـلـاـ ثـلـعـةـ بـنـ حـارـثـةـ بـنـ عـامـرـ. وـقـيـ الـحـدـيـثـ: «رـأـيـتـ عـمـرـوـ بـنـ لـحـيـ بـيـرـ قـصـيـهـ فـيـ النـارـ» يـعـيـ أحـشـاءـ، لـأـنـهـ الـذـيـ بـهـرـ الـبـعـيـدـةـ وـسـيـبـ السـائـةـ وـحـيـ الـحـامـيـ وـغـيرـ دـيـنـ إـسـمـاعـيلـ وـدـعـاـ إـلـىـ عـبـادـةـ الـأـوـانـ. وـفـيـ طـرـيقـ آـخـرـ: رـأـيـتـ عـمـرـاـ بـنـ عـامـرـ. قـالـ عـيـاضـ: الـمـعـرـوفـ فـيـ نـسـبـ أـبـيـ خـرـاءـةـ هـذـاـ هـوـ عـمـرـوـ بـنـ لـحـيـ بـنـ قـمـعـةـ بـنـ إـلـيـاسـ إـلـاـ عـامـرـ اـسـمـ أـبـيـ آـخـرـ قـمـعـةـ، وـهـوـ مـرـكـةـ بـنـ إـلـيـاسـ، وـقـالـ السـهـيـلـيـ: كـانـ حـارـثـةـ بـنـ ثـلـعـةـ بـنـ عـمـرـوـ بـنـ عـامـرـ خـلـفـ عـلـىـ أـمـ لـحـيـ بـعـدـ أـبـيـهـ قـمـعـةـ وـلـحـيـ تـصـفـيـرـ وـاسـمـ رـبـيـعـةـ تـبـنـاهـ حـارـثـةـ وـاتـسـبـ إـلـيـهـ فـالـنـسـبـ صـحـيـحـ بـالـجـهـيـنـ، وـأـسـلـمـ بـنـ أـنـصـيـ بـنـ حـارـثـةـ بـنـ خـرـاءـةـ. وـعـنـ أـبـيـ إـسـحـاقـ: أـنـ الـذـيـ أـخـرـجـ جـرـهـمـ مـنـ الـبـيـتـ لـيـسـ خـرـاءـةـ وـحـدـهـ، إـلـاـ تـصـدـىـ للـتـكـبـرـ عـلـيـهـمـ خـرـاءـةـ وـكـانـةـ. وـتـوـلـيـ كـبـرـهـ بـنـ بـكـرـ بـنـ عـبـدـ مـنـاهـ بـنـ كـانـةـ وـبـنـ غـيـشـانـ بـنـ عـبـدـ عـمـرـوـ بـنـ بـوـيـ بـنـ مـلـكـانـ بـنـ أـنـصـيـ بـنـ حـارـثـةـ فـاجـتمـعـواـ لـحـرـهـمـ وـاقـتـلـواـ، وـغـلـبـهـمـ بـنـ بـكـرـ وـبـنـ غـيـشـانـ بـنـ كـانـةـ وـخـرـاءـةـ عـلـىـ الـبـيـتـ وـنـفـوـهـمـ مـنـ مـكـةـ. فـخـرـجـ عـمـرـوـ، وـقـبـلـ عـامـرـ بـنـ الحـرـثـ بـنـ مـضـاضـ الـأـصـفـرـ مـنـ مـعـهـ مـنـ جـرـهـمـ إـلـىـ الـيـمـ بعدـ أـنـ دـفـنـ حـجـرـ الرـكـنـ وـجـيـعـ أـمـوـالـ الـكـعـبـةـ بـزـمـزـمـ. ثـمـ أـسـفـواـ عـلـىـ مـاـ قـارـقـاـ مـنـ أـمـرـ مـكـةـ وـحـزـنـواـ حـزـنـاـ شـدـيدـاـ. وـقـالـ عـمـرـوـ بـنـ الحـرـثـ وـقـيلـ عـامـرـ:

كـانـ لـمـ يـكـنـ بـيـنـ الـحـجـونـ إـلـىـ الصـفـ أـيـسـ وـلـمـ يـسـمـرـ بـكـةـ سـامـ بـلـىـ حـنـنـ كـنـاـ أـهـلـهـاـ فـازـالـاـ صـرـوـفـ الـلـيـلـيـ وـالـجـلـودـ الـعـالـاـرـ وـكـانـ وـلـاـةـ الـبـيـتـ مـنـ بـعـدـ نـسـابـ نـظـوـفـ فـمـاـ حـظـيـ لـدـيـنـاـ الـكـافـرـ مـلـكـاـ فـغـزـنـاـ فـأـسـطـمـ مـلـكـتـاـ فـلـيـسـ لـحـيـ عـنـنـاـ ثـمـ فـاـخـرـ الـمـ تـكـوـنـواـ مـنـ خـيـرـ شـخـصـ عـلـمـهـ فـابـنـاـنـاـ مـاـ وـخـنـ الـأـصـافـرـ فـإـنـ تـشـنـيـ الـنـيـاـ عـلـيـنـاـ بـالـمـالـاـ فـإـنـ لـمـ حـالـأـ وـفـيـهـ الشـاجـرـ فـاـخـرـجـاـ مـنـهـاـ الـمـلـيـكـ بـقـدرـةـ كـنـلـكـ يـاـ لـلـنـاسـ تـجـرـيـ الـقـادـرـ أـقـولـ إـنـاـ نـسـامـ الـخـلـقـيـ وـلـمـ أـمـ إـنـاـ الـعـرـشـ لـيـعـدـ سـهـيلـ وـعـامـرـ وـبـدـلتـ مـنـهـاـ أـوـجـهـاـ أـلـجـهـاـ قـبـائلـ مـنـهـاـ حـمـيرـ وـمـحـاـنـ وـصـرـنـاـ حـادـيـشـاـ وـكـانـ بـنـيـطـةـ بـنـلـكـ عـصـتاـ الـسـنـنـ الـغـابـرـ فـسـاحـتـ دـمـوعـ الـعـيـنـ تـبـكـيـ لـلـسـلـةـ بـهـاـ حـرـمـ أـمـ وـفـيـهـاـ الشـاعـرـ وـبـنـكـيـ لـيـتـ لـيـسـ بـوـذـيـ حـامـهـ يـظـلـ بـهـاـ مـاـنـاـ وـفـيـهـاـ الـعـصـافـرـ

عـلـىـ مـكـةـ بـقـيـعـانـ وـكـانـ قـطـورـاـ أـسـفـلـ مـكـةـ. وـكـانـ مـضـاضـ يـعـشـ مـنـ دـخـلـ مـكـةـ مـنـ أـعـلـاـهـاـ وـالـسـمـيـعـ مـنـ أـسـفـلـهـاـ، هـكـذاـ عـنـدـ أـبـنـ إـسـحـاقـ وـالـمـسـعـودـيـ أـنـ قـطـورـاـ مـنـ الـعـمـالـقـ، وـعـنـدـ غـيـرـهـمـاـ أـنـ قـطـورـاـ مـنـ بـطـونـ جـرـهـمـ وـلـيـسـواـ مـنـ الـعـمـالـقـ. ثـمـ اـفـرـقـ أـمـرـ قـطـورـاـ وـجـرـهـمـ وـتـنـافـسـواـ الـمـلـكـ وـاقـتـلـواـ وـغـلـبـهـمـ الـمـضـاضـ وـقـتـلـ الـسـمـيـعـ وـانـقـضـتـ الـعـربـ الـعـارـيـةـ قـالـ الشـاعـرـ: مـضـىـ آـلـ عـلـمـاقـ فـلـمـ يـقـنـعـهـمـ حـسـيرـ وـلـادـ وـعـزـةـ مـتـشـاـوسـ عـتـواـ فـنـادـلـ الـدـهـرـ مـنـهـمـ وـحـكـمـهـ عـلـىـ النـاسـ هـذـاـ وـاغـذـ وـمـبـاـسـ وـنـشـأـ إـسـمـاعـيلـ صـلـوـاتـ اللـهـ عـلـيـهـ بـنـ جـرـهـمـ وـنـكـلـ بـلـغـهـمـ وـتـزـوـجـ مـنـهـمـ حـرـاـ بـنـ سـعـدـ بـنـ عـوـفـ بـنـ هـنـ بـنـ نـبـتـ بـنـ جـرـهـمـ، وـهـيـ الـمـرـأـةـ الـتـيـ أـمـرـهـ أـبـوـهـ بـتـطـلـيـقـهـاـ لـمـاـ زـارـهـ وـوـجـدـهـ غـائـبـاـ قـفـالـهـاـ قـوـلـيـ لـزـوـجـكـ فـلـيـغـيـرـ عـتـبـهـ، فـطـلـقـهـاـ وـتـزـوـجـ بـنـ أـخـيـهـ مـامـةـ بـنـ مـهـلـهـلـ بـنـ سـعـدـ بـنـ عـوـفـ، ذـكـرـ هـاتـيـنـ الـرـأـيـنـ الـوـاقـدـيـ فـيـ كـاـبـ اـنـتـقـالـ الـنـورـ، وـتـزـوـجـ بـعـدـهـمـ الـسـيـدـةـ بـنـ الـحـرـثـ بـنـ مـضـاضـ بـنـ عـمـرـوـ بـنـ جـرـهـمـ، وـلـاثـلـاـثـيـنـ سـنـةـ مـنـ عـمـرـ إـسـمـاعـيلـ قـدـمـ أـبـوـهـ الـحـجـازـ فـأـمـرـ بـيـانـ الـكـعـبـةـ الـبـيـتـ الـسـرـامـ، وـكـانـ الـحـجـرـ زـرـيـاـ لـنـفـنـ إـسـمـاعـيلـ فـرـغـ قـوـادـهـ مـعـ أـبـهـ إـسـمـاعـيلـ وـصـيـرـهـاـ خـلـوـةـ لـعـبـادـتـهـ، وـجـعـلـهـاـ حـجـاـ لـلـنـاسـ كـمـاـ أـمـرـهـ اللـهـ، وـاـنـصـرـفـ إـلـىـ الشـامـ قـبـضـ هـنـالـكـ كـمـاـ رـ.

وـبـعـثـ اللـهـ إـسـمـاعـيلـ إـلـىـ الـعـمـالـقـ وـجـرـهـمـ وـأـهـلـ الـيـمـ فـأـمـنـ بـعـضـ وـكـفـرـ بـعـضـ إـلـىـ أـنـ قـبـضـ اللـهـ وـدـفـنـ بـالـحـجـرـ مـعـ أـمـهـ هـاجـرـ وـيـقـالـ آـجـرـ، وـكـانـ عـمـرـهـ فـيـماـ يـقـالـ مـائـةـ وـثـلـاثـيـنـ سـنـةـ وـعـهـدـ بـأـمـرـهـ لـاـبـهـ قـيـدـارـ وـعـنـيـ قـيـدـارـ صـاحـبـ الـإـبـلـ وـذـكـرـ لـأـنـهـ كـانـ صـاحـبـ إـبـلـ أـبـهـ إـسـمـاعـيلـ كـذـاـ قـالـ السـهـيـلـيـ، وـقـالـ غـيـرـهـ مـعـنـاهـ الـمـلـكـ. وـيـقـالـ إـلـاـنـهـ بـنـ تـبـاتـ قـفـامـ أـبـهـ بـأـمـرـ الـبـيـتـ وـوـلـيـهـ، وـكـانـ وـلـدـهـ فـيـماـ يـقـلـ أـهـلـ الـتـوـرـةـ كـمـاـ نـقـلـ أـثـيـ عـشـ: قـيـدـارـ قـيـابـوـتـ أـدـبـلـ مـبـاسـ مـشـعـ دـوـمـاـ حـدـادـ دـيـاـ يـطـرـوـ يـاقـيسـ قـدـمـاـ أـمـهـمـ السـيـدـةـ بـنـتـ مـضـاضـ قـالـ السـهـيـلـيـ. وـهـكـذاـ وـقـعـتـ أـسـمـأـهـمـ فـيـ الـإـسـرـاـلـيـاتـ، وـالـحـرـفـ خـالـفـ لـلـمـعـرـفـ الـعـرـبـ بـعـضـ الشـيـءـ بـاـخـلـافـ الـمـخـارـجـ، فـلـهـذـاـ يـقـعـ الـخـلـافـ بـيـنـ الـعـلـمـاءـ فـيـ ضـبـطـ هـذـهـ الـأـلـفـاظـ، وـقـدـ ضـبـطـ أـبـنـ إـسـحـاقـ تـيـمـاـ مـنـهـمـ بـالـطـاءـ وـالـيـاءـ وـضـبـطـهـ الـدـارـقـطـنـ بـالـضـادـ الـمـعـجمـةـ وـالـمـلـيمـ قـبـلـ الـيـاءـ كـانـهـ تـأـيـيـثـ آـضـمـ وـذـكـرـ أـبـنـ إـسـحـاقـ دـيـاـ.

وـقـالـ الـبـكـرـيـ: بـهـ سـمـيتـ دـوـمـةـ الـجـنـدـلـ لـأـنـهـ كـانـ نـزـلـهـ وـذـكـرـ أـنـ طـورـ بـيـطـونـ أـبـنـ إـسـمـاعـيلـ. ثـمـ هـلـكـ تـبـاتـ بـنـ إـسـمـاعـيلـ، وـبـلـيـ وـأـمـرـ الـبـيـتـ جـدـهـ الـحـرـثـ بـنـ مـضـاضـ، وـقـبـلـ وـلـيـهـ مـضـاضـ بـنـ عـمـرـ وـبـنـ سـعـدـ بـنـ الرـقـبـ بـنـ هـنـ بـنـ نـبـتـ بـنـ جـرـهـمـ، ثـمـ أـبـهـ الـحـرـثـ بـنـ عـمـرـ. ثـمـ قـسـمـتـ الـوـلـاـيـةـ بـيـنـ وـلـدـ إـسـمـاعـيلـ بـكـةـ وـأـخـوـهـمـ مـنـ

وبه وحسوشن لا ترمي أئسـةـ إذا خرجت منه فليس تنـادرـ بـكـرـ وـعـامـرـ بنـ صـعـصـعـةـ وـثـقـيفـ.

ومن غيم والرباب وضيعي بيـ أـسـدـ وهـذـيلـ والـقارـةـ وـغـيرـ هـؤـلـاءـ منـ الـبـطـونـ الصـفـارـ، وـكـانـ التـقـدـمـ فيـ مـضـرـ كـلـهاـ لـكـنـانـةـ ثـمـ لـقـرـيـشـ، وـالـتـقـدـمـ فيـ قـرـيـشـ لـبـيـ لـؤـيـ بـنـ غـالـبـ بـنـ فـهـرـ بـنـ مـالـكـ لـقـرـيـشـ، وـكـانـ سـيـدـهـمـ قـصـيـ بـنـ كـلـابـ بـنـ مـرـةـ بـنـ كـعـبـ بـنـ لـؤـيـ كـانـ لـهـ فـيـ قـضـاعـةـ ثـمـ فـيـ بـيـ عـرـوـةـ بـنـ سـعـدـ بـنـ زـيدـ مـنـ بـطـوـنـهـ نـسـبـ ظـرـ وـرـحـمـ كـلـالـةـ كـانـواـ مـنـ أـجـلـهـاـ فـيـ شـيـعـةـ، وـذـلـكـ بـماـ كـانـ رـبـيـعـةـ بـنـ حـرـامـ بـنـ عـذـرـةـ قـدـمـ مـكـةـ قـبـلـ مـهـلـكـ كـلـابـ بـنـ مـرـةـ. وـكـانـ كـلـابـ خـلـفـ قـصـيـ فـيـ حـجـرـ أـمـهـ فـاطـمـةـ بـنـتـ سـعـدـ بـنـ باـسـلـ بـنـ خـمـعـةـ الـأـسـدـيـ مـنـ الـيـمـنـ فـتـرـوـجـهـ رـبـيـعـةـ وـقـصـيـ يـوـمـذـ فـطـيـمـ فـاحـتـلـهـ إـلـىـ بـلـادـ بـنـيـ عـذـرـةـ وـتـرـكـ اـبـهـاـ زـهـرـةـ بـنـ كـلـابـ لـأـنـ كـانـ رـجـلـاـ بـالـغـاـ، وـوـلـدـتـ رـبـيـعـةـ بـنـ حـزـامـ رـزـاحـ بـنـ رـبـيـعـةـ. وـلـاـ شـبـ قـصـيـ وـعـرـفـ نـسـبـ رـجـعـ إـلـىـ قـوـمـ، وـكـانـ الـذـيـ لـبـيـ أـمـرـ الـبـيـتـ لـهـمـهـ مـنـ خـرـاءـ حـلـيلـ بـنـ جـشـيـةـ بـنـ سـلـولـ بـنـ كـعـبـ بـنـ عـمـرـ، فـاصـهـرـ إـلـىـ قـصـيـ فـيـ اـبـتـهـ حـبـيـ فـانـكـحـهـ إـيـاهـاـ فـوـلـدـتـ لـهـ عـبـدـ الدـارـ وـعـبـدـ مـنـافـ وـعـبـدـ العـزـىـ وـعـبـدـ قـصـيـ.

وـلـاـ اـنـتـشـرـ وـلـدـ قـصـيـ وـكـثـرـ مـالـهـ وـعـظـمـ شـرـفـ هـلـكـ حـلـيلـ، فـرـايـ قـصـيـ أـنـ أـحـقـ بـالـكـعـبـةـ وـيـأـمـرـ مـكـةـ وـخـرـاءـ وـبـيـ بـكـرـ لـشـرـفـهـ فـيـ قـرـيـشـ. وـلـاـ كـثـرـتـ قـرـيـشـ سـائـرـ النـاسـ وـاعـتـزـتـ عـلـيـهـمـ وـقـيلـ أـوـصـيـ لـهـ بـذـلـكـ حـلـيلـ، وـلـاـ بـدـاـ لـهـ ذـلـكـ مـشـىـ فـيـ رـجـالـاتـ قـرـيـشـ وـدـعـاهـمـ إـلـىـ ذـلـكـ فـاجـابـوـ، وـكـتـبـ إـلـىـ أـخـيـهـ رـزـاحـ فـيـ قـوـمـهـ عـذـرـةـ مـسـتـجـيـشـاـ بـهـمـ فـقـدـمـ مـكـةـ إـلـىـ خـرـوـتـهـ مـنـ وـلـدـ رـبـيـعـةـ وـمـنـ بـعـهـمـ مـنـ قـضـاعـةـ فـيـ جـمـلـةـ الـحـاجـ جـمـعـاـ نـصـرـ قـصـيـ.

قال ابن السهيلي: وذكر غير ابن إسحاق أن حليلاً كان يعطي مفاتيح البيت بنته حبي حين كبر وضعف فكانت يدهما، وكان قصي ربما أخذها ففتح البيت للناس ويغلقه. فلما هلك حلييل أوصى بولادة البيت إلى قصي وأبى خراء أن يمضي ذلك لقصي، فعند ذلك هاجت الحرب بينه وبين خراء وأرسل إلى رزاح أخيه يستتجده عليهما.

وقال الطبرى: لما أعطى حليل مفاتيح الكعبة لابنته حبي لما كبر وشققت يدها: إجعل لرجل يقوم لك به. فجعله إلى أبي غيشان سليمان بن عمرو بن لؤي بن ملكان بن قصي، وكانت له ولادة الكعبة. ويقال: إن أبي غيشان هو ابن حليل باعه من قصي بزق خمر، قيل فيه: أخسر من صفة أبي غيشان. فكان من أول ما بدأوا به تفض ما كان لصوفة من إجازة الحاج، وذلك أن بني سعد

ثم غلب بنو حبشية على أمر البيت بفهمهم من خراء، واستقلوا بولاتها دون بني بكر عبد مناة، وكان الذي يليها لآخر عهدهم عمرو بن الحيث وهو غيشان. وذكر الزبير أن الذين أخرجوا جرهم من البت من ولد إسماعيل هم إياد بن نزار، ومن بعد ذلك وقعت الحرب بين مصر وإياد فاحتاجتهم مصر، ولما خرجت إياد قلعوا الحجر الأسود ودفعوه في بعض المراضع، ورأيت ذلك امرأة من خراء فأخبرت قومها فاشترطوا على مصر إن دلوهم عليه أن لهم ولاية البت دونهم، فوفوا لهم بذلك. وصارت ولاية البت لخراء إلى أن باعها أبو غيشان لقصي. ويدرك أن من ولديها منهم عمرو بن حبي ونصب الأصنام وخطبه رجل من جرهم:

يا عـمـرـ وـلـاـ نـظـلـمـ ؟ـ كـةـ إـنـهـاـ بـلـدـ حـرـامـ سـائلـ بـعـادـ أـيـنـ هـمـ وـكـذاـ تـحـتـمـ الـأـنـامـ وـهـيـ الـعـمـالـيقـ الـذـيـ نـهـمـ بـهـاـ كـانـ السـوـامـ وـكـانـ وـلـاـيـةـ الـبـيـتـ لـخـرـاءـ وـكـانـ لـمـضـرـ ثـلـاثـ خـصـالـ الإـجازـةـ بـالـنـاسـ يـوـمـ عـرـفـةـ لـبـيـنـ الغـوثـ بـنـ مـرـةـ إـخـرـتـهـمـ وـهـوـ صـوـفـةـ، وـالـإـفـاضـةـ بـالـنـاسـ غـدـرـةـ النـحرـ مـنـ جـمـعـ إـلـىـ مـنـ لـبـيـ زـيدـ بـنـ عـدـيـ وـاـنـتـهـيـ ذـلـكـ مـنـهـ إـلـىـ أـبـيـ سـيـارـةـ عـمـيرـةـ بـنـ الأـعـزـلـ بـنـ خـالـدـ بـنـ سـعـدـ بـنـ الحـرـثـ بـنـ كـانـسـ بـنـ زـيدـ فـدـفـعـ مـنـ مـرـدـلـفـةـ أـرـبعـينـ سـنـةـ عـلـىـ حـارـ، وـنـسـ الشـهـورـ الـحـرـمـ، كـانـ لـبـيـ مـالـكـ بـنـ كـنـانـةـ وـاـنـتـهـيـ إـلـىـ القـلـمـسـ كـمـاـ مـرـ. وـكـانـ إـذـاـ أـرـادـ النـاسـ الصـدـورـ مـنـ مـكـةـ قـالـ اللـهـمـ إـنـيـ أـحـلـتـ أـحـدـ الصـفـرـينـ وـنـسـاتـ الـأـخـرـ لـلـعـامـ الـمـقـبـلـ قـالـ عـمـرـ بـنـ قـيسـ مـنـ بـيـ فـرـاسـ: وـنـحـنـ النـاسـنـ عـلـىـ مـعـدـ شـهـورـ الـحـلـ نـجـعـلـهـاـ حـرـاماـ

قال ابن إسحاق: فقام بنو خراء وبنو كنانة على ذلك مدة الولاية لخراء دونهم كما قلناه. وفي أثناء ذلك تشعبت بطون كنانة ومن مصر كلها وصاروا جرمًا وبيوتات متفرقات في بطون قومهم من بي كنانة، وكلهم إذ ذاك أحياه حلول بظواهرها. وصارت قريش على فرقتين: قريش البطاخ وقريش الظواهر. فقريش البطاخ ولد قصي بن كلاب وسائر بني كعب بن لؤي، وقريش الظواهر من سواهم وكانت خراء بادية لكتنانة، ثم صار بنو كنانة لقريش، ثم صارت قريش الظواهر بادية لقريش البطاخ، وقريش الظواهر من كان على أقل من مرحلة، ومن الضواحي من كان على أكثر من ذلك. وصار من سوى قريش وكتنانة من قبائل مصر في الضواحي أحياه بادية وطعوناً ناجعة من بطون قيس، وختلف من أشجع وعس وفرازة ومرة وسلم وسعد بن

## آخر عن قريش من هذه الطبقة وملوكهم مكة وأولية أمرهم

ثم هلك وقام بأمره في قومه بنوه من بعده وأقاموا على ذلك مدة وسلطان مكة لهم وأمر قريش جميعاً، ثم نفس بنو عبد المناف على بيبي عبد الدار ما بأيديهم ونازعوهم، فافتقر أمر قريش وصاروا في مظاهره بيبي قصي بعضهم على بعض فرقتين وكأن بطون قريش قد اجتمعت لعهدهما ذلك اثنى عشر بطنًا: بنو الحمر بن فهير، وبنو مخارب بن لؤي، وبنو عدي بن كعب، وبنو سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب، وبنو جمع بن عمرو بن هصيص، وبنو تيم بن مرة، وبنو خزروم بن يقطنة بن مرة، وبنو زهرة بن كلاب، وبنو أسد بن عبد العزيز بن قصي، وبنو عبد الدار، وبنو عبد مناف بن قصي.

فاجتمع بنو عبد مناف انتزاعاً ما بأيدي بيبي عبد الدار مما جعل لهم قصي، وقام بأمرهم عبد شمس أسن ولده واجتمع له من قريش: بنو أسد بن عبد العزيز، وبنو زهرة، وبنو تيم، وبنو الحمر. واعتزل بنو عامر، وبنو مخارب الفريقين. وصارباقي من بطون قريش مع بيبي عبد الدار وهو: بنو سهم، وبنو جمع، وبنو عدي، وبنو خزروم. ثم عقد كل من الفريقين على أحلافه عقداً مؤكداً، وأحضر بنو عبد مناف وحلف قومهم عند الكعبة جفنة مملوئة طيباً غمسوا فيها أيديهم تأكيداً للحلف، فسمى حلف المطيبين. وأجمعوا للحرب وسروا بين القبائل وأن تبعث بعضها إلى بعض، فبعث بنو عبد الدار بيبي أسد، وبنو جمع لبيبي زهرة، وبنو خزروم لبيبي تيم، وبنو عدي لبيبي الحمر. ثم تداعوا للصلح على أن يسلموا لبيبي عبد مناف السقاية والرفادة، ويختص بنو عبد الدار بالحجابة واللواء فرضي الفريقان وتحاجز الناس.

وقال الطبرى: قيل ورثها من أبيه. ثم قام بأمر بيبي عبد مناف هاشم ليساره وقراراه بمكة، وتقلب أخيه عبد شمس في التجارة إلى الشام، فأحسن هاشم ما شاء في إطعام الحاج وإكرام وفدهم. ويقال: إنه أول من أطعم الشريد الذي كان يطعم فهو ثزيد قريش الذي قال فيه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فضل عائشة على النساء كفضل الشريد على سائر الطعام» والشريد لهذا العهد ثزيد الخيز بعد أن يطيخ في الملاوة والتنور وليس من طعام العرب، إلا أن عندهم طعاماً يسمونه الباذن يتناوله الشريد لغة، وهو ثزيد الخيز بعد أن يطيخ في الماء عجيناً رطباً إلى أن يتم نضجه، ثم يدلكونه بالملح حتى تتلامح أجزاؤه وتتلازج. وما أدرى هل كان ذلك الطعام كذلك أولاً إلا أن لفظ الشريد يتناوله لغة.

ويقال: إن هاشم بن عبد المطلب أول من سن الرحلتين في الشتاء والصيف للعرب ذكره ابن إسحاق، وهو غير صحيح لأن الرحلتين من عوائد العرب في كل جيل لمراحيبيهم ومصالحها

بن زيد مناة بن قيم كانوا يلون الإجازة للناس بالحج من عرفة ينفر الحاج لنفتهم ويرمون الجمار لرميهم، ورثوا ذلك من بني الغوث بن مرة، كانت أمه من جرهم وكانت لا تلد، فنذررت إن ولدت أن تصدق به على الكعبة عبداً يخدمها، فولدت الغوث وخلي أخواله من جرهم بيته وبين من نافسه بذلك، فكان له ولولده وكان يقال لهم صوفة.

وقال السهيلي عن بعض الإخباريين: إن ولاية الغوث بن مرة كانت من قبل ملوك كندة، ولما انقضوا ورث بالتعذر بنو سعد بن زيد مناة، ولما جاء الإسلام كانت تلك الإجازة منهم لكتوب بن صفران بن حبات بن سحنة وقد مر ذكره في بطون قيم. فلما كان العام الذي أجمع فيه قصي الإنفراد بولاية البيت وحضر إخوته من عذرة، تعرض لبني سعد أصحاب صوفة في قومهم من قريش وكتانة وقضاعة عند الكعبة، فلما وقفوا للإجازة قال: لا نحن أولى بهذا منكم فتناجزوا وغلبهم قصي على ما كان بأيديهم، وعرفت خزانة وبنو بكر عند ذلك أنه سيمعنهم من ولاية البيت كما منع الآخرين، فاخذوا عنه وأجمعوا لحربه وتناجزوا وكثروا في القتل، ثم صالحوه على أن يحكموا من أشراف العرب، وتناقروا إلى يعمر بن عوف بن كعب بن عمرو بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة فقضى عليهم، فنول قصي البيت وقرع مكة وجمع قريشاً من منازلهم بين كنانة إليها وقطلها أرباعاً بينهم، فأنزل كل بطون منهم يمنزله الذي صبّهم به الإسلام وسمى بذلك جمعاً قال الشاعر:

قصي لعمري كان يدعى عمماً به جمع الله القبائل من فهر  
فكان أول من أصحاب من بيبي لؤي بن غالب ملكاً أطاع له  
به قومه، فصار له لواء الحرب وحجابة البيت، وتيمنت قريش  
برأيه فصرفوا مشورتهم إليه في قليل أمرهم وكثيرها، فاتخذوا دار  
الندوة إزاء الكعبة في مشاوراتهم وجعل بابها إلى المسجد فكانت  
مجتمع الملاء من قريش في مشاورتهم ومعاونهم. ثم تصدى  
لإطعام الحاج وسقايته لما رأى أنه ضيف الله وزوار بيته، وفرض  
على قريش خراجاً يؤدونه إليه زيادة على ذلك كانوا يرددونه به  
فحاز شرفهم كل، وكانت الحجابة والسقاية والرفادة والندوة  
واللواء له. ولما أسن قصي وكان يكره عبد الدار وكان ضعيفاً،  
وكان أخوه عبد مناف شرف عليه في حياة أبيه، فألوصى قصي  
عبد الدار بما كان له من الحجابة واللواء والندوة والرفادة والسقاية  
يجبر له بذلك ما نقصه من شرف عبد مناف، وكان أمره في قومه  
كالذين يتبع ولا يعدل عنه.

تليق، وبعثه عبد المطلب يختار لهم قمراً فمات هنالك، فلما أبضا عليهم خبره بعث في أثره.

وقال الطبرى عن الواقدى: الصحيح أنه أقبل من الشام في حى لقريش، فنزل بالمدينة ومرض بها ومات. أقام عبد المطلب في رياضة قريش بعكة والكون يصفي للملك العرب والعالم يتمضض بفضائل النبوة، إلى أن وضج نور الله من أنفthem، وسرى خبر السماء إلى بيوتهم، واختلفت الملائكة إلى أحياهم، وخرجت الخلافة في أنصبائهم، وصارت العزة لمضر ولسائر العرب بهم، وذلك فضل الله يؤتى من يشاء. وعاش عبد المطلب مائة وأربعين سنة وهو الذي احتفر زمزم.

قال السهيلي: ولما حفر عبد المطلب زمم استخرج منه ثلثاً غزالين من ذهب وأسياقاً كذلك، كان سasan ملك الفرس أهدأها إلى الكعبة، وقيل ساپور. ودفنتها الحرث بين مضاضين في زمم لما خرج بغيرهم من مكة، فاستخرجها عبد المطلب، وضرب الغزالين حلية للكعبة فهو أول من ذهب حلية الكعبة بها، وضرب من تلك الأسياف باب حديد وجعله للكعبة. ويقال: إن أول من كسى الكعبة واتخذ لها غلطاً تبع إلى أن جعل لها عبد المطلب هذا الباب. ثم اتخذ عبد المطلب حرضاً لزمزم يسمى منه، وحسنه قومه على ذلك وكانتا يخرون بالليل، فلما غمه ذلك رأى في النوم قائلاً يقول: قل لا أحلها لمقتل وهى لشارب حل ويل فإذا قاتها فقد كفيتهم. فكان بعد إذا أرادها أحد بمكرره رمى بداء في جسده، ولما علموا بذلك تناهوا عنه.

وقال السهيلي: أول من كسا البيت السروج والخصف والأنطاع تبع الحميري. ويروى أنه لما كاسها انتقض البيت فزالت ذلك عنه، وفعل ذلك حين كساه الخصف فلما كساه الملاء والوسائل قبله وسكن. ومن ذكر هذا الخبر قاسم بن ثابت في كتاب الدلائل. وقال ابن إسحاق: أول من كسا الدياج الحاج.

وقال الزبير بن بكار بن عبد الله بن الزبير: أول من كاسها ذلك، وذكر جماعة منهم الدارقطني أن ثتبة بنت جناب أم العباس بن عبد المطلب كانت أضلت العباس صغيراً فتذررت إن وجدته ان تكسو الكعبة، وكانت من بيت ملكرة، فرفت بذرتها.

هذه أخبار قريش وملوكهم بعكة، وكانت ثقيف جيرانهم بالطائف يساجلونهم في مذاهب العربية وينازعونهم في الشرف، وكانوا من أوفر قبائل هوازن، لأن ثقيفاً هو قسي بن منه بن بكر بن هوازن، وكانت الطائف قبليهم لعدوان الذين كان فيهم حكيم

لأن معاشهم فيها، وهذا معنى العرب وحقيقةهم أنه الجيل الذي معاشهم في كسب الإبل والقيام عليها في ارتياح المرعى وانتجاج المياه والتاج والتوليد وغير ذلك من مصالحها، والفارار بها من أذى البرد عند التوليد إلى القفار ودفعها، وطلب التلول في المصيف للحبوب وبرد الماء، وتكونت على ذلك طبائعهم فلا بد لهم منها ظعنوا أو أقاموا وهو معنى العروبية، وشارعوا أن هاشماً لما هلك وكان مهلكه بغزة من أرض الشام، تخلف عبد المطلب صغيراً بشرب فأقام بأمره من بعده ابنه المطلب، وكان ذا شرف وفضل، وكانت قريش تسميه الفضل لسماته، وكان هاشم قد قدم يثرب فتزوج في بني عدي وكانت قبله عند أحىحة بن الجلاح بن الحريش بن جحجباً بن كلبة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك سيد الأوس لعهده، فولدت عمرو بن أحىحة وكانت لشرفها تشرط أمرها بيدها في عقد النكاح، فولدت عبد المطلب فسمته شيئاً، وتركه هاشم عندها حتى كان غلاماً. وهلك هاشم فخرج إليه آخره المطلب فأسلمه إليه بعد تعسف واغباط به، فاحتمله ودخل مكة فرده على بعيره فقالت قريش: هذا عبد ابنته المطلب فسمى شيئاً عبد المطلب من يومئذ. ثم إن المطلب هلك برمدان من اليمن، فقام بأمر بي هاشم بعده عبد المطلب بن هاشم، وأقام الرفادة والسقاية للحجاج على أحسن ما كان قوله يقيمه بعكة من قبله، وكانت له وفادة على ملوك اليمن من حمير والحبشة، وقد قدمتنا خبره مع ابن ذي يزن ومع أبرهة.

ولما أراد حفر زمم للرؤيا التي رأها، اعترضته قريش دون ذلك، ثم حالوا بينه وبين ما أراد منها. فنذر لتن ولد له عشرة من الولد ثم يلغيها معه حتى يمنعوه لينحرن أحدهم قرباناً الله عند الكعبة، فلما كملوا عشرة ضرب عليهم القداح عند هبل الصنم العظيم الذي كان في جوف الكعبة على البتر التي كانوا ينحررون فيها هدايا الكعبة، فخرجت القداح على ابنه عبد الله والد النبي تليق، وتغير في شأنه، ومنعه قومه من ذلك، وأشار بعضهم وهو المغيرة بن عبد الله بن مخزوم بسؤال العرافية التي كانت لهم بالمدينة على ذلك، فأفقرها تغير وسائلها. فقالت: قريوه وعشراً من الإبل وأجلوا القداح فإن خرجت على الإبل فذلك وإلا فزيدوا في الإبل حتى تخرب عليها القداح وأخرواها حيث شئت فهي الفدية عنه وقد رضي إلهكم. ففعلوا وبلغت الإبل مائة فتحررها عبد المطلب، وكانت من كرامات الله به. وعليه قوله تليق «أنا ابن النبيين» يعني عبد الله أباه وإسماعيل بن إبراهيم جده اللذين قربا للنبي، ثم فدياً بذبح الأعمام. ثم إن عبد المطلب زوج ابنه عبد الله بأمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة فدخل بها وحلت برسول

واستبدلوا بالذل عزاً وبالماثم متاباً وبالشر خيراً، ثم بالضلاله هدى  
وبالمسغية شيئاً وربماً وبإلاة وملكاً.

وإذا أراد الله أمراً يسر أسبابه: فكان لهم من العز والظهور قبل المبعث ما كان، وأوقع بنو شيبان وسائر بكر بن وائل وعبس بن غطفان بطيء، وهم يومئذ ولاة العرب بالحيرة وأميراً لها منهم قيصية بن إياس ومعه الباهروت صاحب مسلحة كسرى، فألقوا بهم الرقة المشهورة بذى قار والتحتمت عساكر الفرس، وأخبر بها رسول الله ﷺ أصحابه بالمدينة يومها وقال: «اللهم انتصّت العرب من العجم وهي نصراؤا».

ووفد حاجب بن زراة من بنى تميم على كسرى في طلب الاتجاع والميرية بقرمه في أبواب العراق، فطلب الأمساورة منه الرهن على عادتهم، فأعطاهم قوسه واستكبر على استرهان ولده، توافقوا منه عجزاً عما سرواها وانتقلت خلال الخير من العجم ورجالات فارس فصارت أغلب في العرب حتى كان الواحد منهم همه بخلاله وشرفه وغلب الشر والسفقة على أهل دول العجم. وانظر فيما كتب عمر إلى أبي عبيدة بن المثنى حين وجهه إلى حرب فارس:

إنك تقدم على أرض المكر والخدعية والخيانة والخيرية تقدم على أقوام قد جروا على الشر فعملوه وتناسوا الخير فجهلواه فانظر كف تكون اهـ.

وتناست العرب في الخلال وتنازعوا في الجلد والشرف حسبما هو مذكور في أيامهم وأخبارهم. وكان حظ قريش من ذلك أوفر على نسبة حظهم من بعثه وعلى ما كانوا يتحلونه من هدى آبائهم، وينظر ما وقع في حلف الفضول حيث اجتمع بنو هاشم وبنو المطلب وبنو أسد بن عبد العزى وبنو زهرة وبنو تميم، فتعاقدوا وتعاهدوا على أن لا يجدوا بيكمة مظلوما من أهلها، وغيرهم من دخلها من سائر الناس إلا قاما معه وكانتوا من ظلهم حتى ترد عليه مظلمته، وسمت قريش ذلك الحلف حلف القضل.

وفي الصحيح عن طلحة: أن رسول الله ﷺ قال: «القد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حر النعم ولو دعى به في الإسلام لأجتَه». ثم القى الله في قلوبهم التناس الدين وإنكار ما عليهم قوّتهم من عبادة الأوثان، حتى لُقِدَ اجتمع منهم ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى، وعثمان بن الحويرث بن أسد، وزيد بن عمرو بن ثقيل من بني عدي بن كعب عم عمر بن الخطاب، وعبيد الله بن جحشن من بني أسد بن

العرب عامر بن الظرب بن عمرو بن عباد بن يشكير بن بكر بن عدوان وكثير عددهم حتى قاربوا سبعين ألفاً، ثم بعى بعضهم على بعض فلوكوا وقل عددهم، وكان قسي بن منه صهراً لعامر بن الظرب، وكان بنوه بينهم فلما قل عدد عدوان تغلب عليهم تقيف وأخرجهم من الطائف وملكونه إلى أن صبّحهم الإسلام به على ما ذكره والله وارت الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين والبقاء لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أمر النبوة والهجرة في هذه الطبقة الثالثة  
وما كان من اجتماع العرب على الإسلام  
بعد الإيابية والخرب

لما استقر أمر قريش بمكة على ما استقر، وافتقرت قبائل  
مضر في أدنى مدن الشام والعراق وما دونهما من الحجاز فكانوا  
ظعونا وأحياء، وكان جيشهم بمسقطة وفي جهد من العيش بمحرب  
بلادهم وحرب فارس والروم على تلول العراق والشام، وأربابهم  
ينزلون حاميهم بثغورهما، ويجهزون كتابهم بتخومهما، ويولون  
على العرب من رجالاتهم وبيوت المصانب منههم من يسمونهم  
القهر، ويحملهم على الانقياد حتى يتوتوا جبابة السلطان الأعظم  
إتساعة ملك العرب، ويؤدوا ما عليهم من الدماء والطرايل  
ويسترهموا أبناءهم على السلم وكف العادية، ومن انتجاع  
الأرباب وميرة الأقوات، والعساكر من وراء ذلك توقع بمن منع  
الخروج وتستحصل من بروم الفساد.

وكان أمر مصر راجعاً في ذلك إلى ملوك كندة بني حجر أكل المرار منذ ولادتهم تبع حسان كما ذكرناه، ولم يكن في العرب ملك إلا في آل المنذر بالخرة للفرس وفي آل جهينة بالشام للروم وفي بني حجر هؤلاء على مصر والخجاز. وكانت قبائل مصر مع ذلك بل وسائر العرب أهل بني إلحاد، وقطع للأرحام، وتنافس في الردى، وإعراض عن ذكر الله، فكانت عبادتهم الأوثان والحجارة، وأكلهم العقارب والخفافيش والحيتان والجبلان، وأشرفت طعامهم أوبار الإبل إذا أمروها في الحرارة في الدم.

وأعظم عزهم وفادة على آل المنذر وأآل جهينة وبني جعفر  
ونجعة من ملوكهم، وإنما كان تنافسهم المزعوهدة والسبابة والوصيلة  
والحامي. فلما تاذن الله بظهورهم واشرأب إلى الشرف هوادي  
أيامهم وتم أمر الله في إعلاء أمرهم وهبت ريح دولتهم وملة الله  
فيهم، تبدت تباشير الصباح من أمرهم وأونس الخير والرشد في  
خلالهم وبيدل الله بالطيب الخيت من أحوازمهم وشرهم،

الله أبوه غانياً بالشام وانصرف فهلك بالمدينة، وولد سيدنا رسول الله صلوات الله عليه وسلم بعد مهلكه باشهر قاتل، وقيل غير ذلك. ففكله جده عبد المطلب بن هاشم وكفالة الله من ورائه، والتمس له الرضاعه واسترضع في بيتي سعد أبي عبد من هوازن، ثم في بني نصر بن سعد أرضعته منهم حليمة بنت أبي ذؤيب عبد الله بن الحارث بن شحنة بن رزاح بن ناظرة بن خصبة بن قيس، وكان ظئره منهم الحارث بن عبد العزي و قد مر ذكرهما في بيتي عامر بن صعصعة. وكان أهله يتوسون فيه علامات الخير والكرامات من الله، وما كان من حديث رسول الله صلوات الله عليه وسلم شق الملkin بطنه واستخراج العلقة السوداء من قلبه وغضفهم حشاد وقلبه بالثلج ما كان، وذلك لرابعة من مولده، وهو خلف البيوت يرعى الغنم فرجع إلى البيت ممتعن اللون، وظهرت حلية على شأنه فاختت أن يكون أصحابه شيء من اللهم فرجعته إلى أمه. واستربت آمنة برجوها إيه بعد حرصها على كفالتها فأخبرتها الخبر، قالت: كلا والله لست أخشى عليه. وذكرت من دلائل كرامة الله له وبه كثيراً. وأزارته أمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة أخوآل جده عبد المطلب من بيتي عدي بن النجار بالمدينة، وكانتوا أخواؤه أيضاً.

وذلك عبد المطلب لثمان سنين من ولادته، وعهد به إلى ابنه أبي طالب فاحسن ولايته وكفالتها، وكان شأنه في رضاعه وشباهه ومرياه وأحواله عجباً. وتولى حفظه وكلاعنه من مفارقة أحوال الجاهلية، وعصمه من التبس شيء منها حتى لقد ثبت أنه مر بعرس مع شباب قريش، فلما دخل على القوم أصحابه عشي النوم، فما أفاق حتى طلعت الشمس وافتقرقا. ووقع له ذلك أكثر من مرة. وحمل الحجارة مع عمه العباس لبيان الكعبة وهما صبيان، فأشار عليه العباس بحملها في إزاره، فرضعه على عاتقه وحمل الحجارة فيه وانكشف، فلما حلها على عاتقه سقط مغشياً عليه، ثم عاد فسقط فاشتمل إزاره وحمل الحجارة كما كان يحملها. وكانت بركتاته تظهر بقوه وأهل بيته ورضاعاته في شؤونهم كلها. وحمله عمه أبو طالب إلى الشام وهو ابن ثلات عشرة سنة وقيل ابن سبع عشرة، فمروا ببحرا الراهن عند بصري فعاين الغمامه نظللها والشجر تسجد له، فندعوا القوم وأخبرهم بنبوته وبكثير من شأنه في قصة مشهورة.

ثم خرج ثانية إلى الشام تاجراً بمال خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزي مع غلامها ميسرة ومرروا بنسطور الراهن، فرأى ملkin يظلانه من الشمس فأخبر ميسرة بشأنه، فأخبر بذلك خديجة ففرضت نفسها عليه، وجاء أبو طالب فخطبها إلى أبيها

خربيعة، وتلاوموا في عبادة الأحجار والأوثان وتواصلوا بالفر في البلاد بالتماس الخنفية: دين إبراهيم نبيهم.

فاما ورقة فاستحكم في النصرانية وابتني من أهلها الكتب حتى علم من أهل الكتاب، وأما عبد الله بن جحش فأقام على ما هو عليه حتى جاء الإسلام فأسلمه وهاجر إلى الجبعة فتنصر وهلك نصرانياً: وكان يمر بالهاجرين ببارض الجبعة فيقول: فقحنا واصحاص أي أبصرنا وأنت تلتسمون البصر مثلما يقال في الجرس وإذا فتح عينه فقع وإذا أراد لم يقدر صاصاً.

وأما عثمان بن الحويرث فقدم على ملك الروم قيصر فتنصر وحسن منزلته عنده، وأما زيد بن عمرو فما هم أن يدخل في دين ولا اتبع كتاباً واعتزل الأوثان والذبائح والميتة والدم ونهى عن قتل الموعودة وقال: عبد رب إبراهيم وصرح بعيوب آلهتهم وكان يقول: اللهم لو أعلم أي الوجه أحب إليك لعبدتك ولكن لا أعلم ثم يسجد على راحته. وقال ابنه سعيد وابن عمه عمر بن الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم: استقر الله لزيد بن عمرو قال: «نعم! إنه يبعث أمة واحدة» ثم تحدث الكهان والهزاء قبل النبوة وأنها كانتة في العرب وأن ملكهم سيظهر وتحدث أهل الكتاب من اليهود والنصارى بما في التوراة والإنجيل من بعث محمد وأمه وظهرت كرامة الله بقريش ومكة في أصحاب الفيل إرهاصاً بين يدي مبعثه.

ثم ذهب ملك الجبعة من اليمن على يد ابن ذي يزن من بقية التباعة، ووفد عليه عبد المطلب يعنيه عند استرجاعه ملك قومه من أيدي الجبعة، فبشره ابن ذي يزن بظهور نبي من العرب وأنه من ولده في قصة معروفة. وتحين الأمر لنفسه كثير من رؤساء العرب يظنه فيه، ونفروا إلى الرهبان والأحجار من أهل الكتاب يسألونهم بيلدتهم عن ذلك، مثل أمية بن أبي الصلت الشقي وما وقع له في سفره إلى الشام مع أبي سفيان بن حرب وسوانه الرهبان ومقارنته بما سفيان فيما وقف عليه من ذلك، يظن أن الأمر له أو لأشرف قريش من بيتي عبد مناف حتى تبين لهما خلاف ذلك في قصة معروفة، ثم رجحت الشياطين عن استعمال خبر السماء في أمره وأصنف الكون لاستعمال آبائه.

## المولد الكريم وبده الوحي

ثم ولد رسول الله صلوات الله عليه وسلم عام الفيل لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول، لأربعين سنة من ملك كسرى أنوشروان وقيل لثمانين وأربعين، وثمانمائة وأشتين وثمانين لذى القرنين. وكان عبد

عَلِمَ الْإِنْسَانُ مَا لَمْ يَعْلَمْ<sup>١</sup> وَأَخْبَرَ بِذَلِكَ كَمَا وَقَعَ فِي الصَّحِيفَةِ  
وَأَمِنَتْ بِهِ خَدِيجَةُ وَصَدِيقَتِهِ وَحَفِظَتْ عَلَيْهِ الشَّانُ. ثُمَّ خَوْطَبَ فِي  
الصَّلَاةِ وَأَرَاهُ جَرِيلَ طَهْرَهَا، ثُمَّ صَلَى بِهِ وَأَرَاهُ سَائِرَ أَفْعَالِهَا. ثُمَّ  
كَانَ شَانُ الْإِسْرَاءِ مِنْ مَكَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ مِنَ الْأَرْضِ إِلَى السَّمَاءِ  
السَّابِعةِ وَلِلْسَّدِرَةِ الْمُتَهِيِّأِ وَأَوْحَى إِلَيْهِ مَا أَوْحَى.

ثم أمن به علي ابن عمه أبي طالب وكان في كفالته من أزمة أصابت قريشاً وكفل العباس جعفرًا أخيه، فجعفر أمن عيال أبي طالب. فأدركه الإسلام وهو في كفالته فأمن و كان يصلى عليه في الشعاب خفيفاً من أبيه حتى إذا ظهر عليهما أبو طالب دعاه رسول الله ﷺ فقال: لا أستطيع فراق ديني ودين أبيائي! ولكن لا يخلص إليك شيء تكره ما بقيت، وقال لعلي: الزمة! فإنه لا يدع عن لا المفتر.

فكان أول من أسلم خديجية بنت خوبيل بن أسد بن عبد العزى، ثم أبو بكر، وعلي بن أبي طالب، كما ذكرنا، وزيد بن حارثة مولى رسول الله عليه السلام، وبلال بن حامدة مولى أبي بكر، ثم عمر بن عبيدة السلمي، وخالد بن سعيد بن العاص بن أمية.

ثم أسلم بعد ذلك قوم من قريش اختارهم الله لصحابته  
من سائر قومهم وشهد لكثير منهم بالجنة. وكان أبو بكر عبيداً  
سهلاً وكانت رجلات قريش تائفه فأسلماً على يده من بنى أمية  
عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية، ومن عشيرة بنى عمرو  
بن كعب بن سعد بن تميم طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو  
ومن بنى زهرة بن قصي سعد بن أبي وقاص واسميه مالك بن  
وهب بن عبد مناف بن زهرة وعبد الرحمن بن عوف بن عبد  
عوف بن الحirth بن زهرة.

ومن بني أسد بن عبد العزى الزبير بن العوام بن خويبل بن أسد وهو ابن صفية عممة النبي ﷺ، ثم أسلم من بني الحمرث بن نهير أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الخراج بن هلال بن أبيه بن حضبة بن الحمرث، ومن بني خزروم بن يقطنة بن مرة بن كعب أبو سلمة عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن خزروم، ومن بني جعجع بن عمر هصيص بن كعب عثمان بن مطعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جعجع وأخوه قدامة، ومن بني عدي سعيد بن زيد بن عمرو بن تفیل بن عبد الله بن قرط بن رياح بن عدي وزوجته فاطمة أخت عمر بن الخطاب بن تفیل وأبواه زيد هو الذي رفض الأوئشان في الجاهلية ودان بالتوحيد وأخبر رسول الله أنه يبعث يوم القيمة أمّة وحدة.

ثم أسلم عمير أخو سعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن

فرووجه، وحضر الملا من قريش، وقام أبو طالب خطيباً فقال:  
الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل  
وغضضيءٍ معد ونصر مصر وجعل لنا بيته عجوجاً وحرماً آمناً  
وجعلنا أمناء بيته وسوس حرمته وجعلنا الحكام على الناس وإن  
ابن أخي محمد بن عبد الله من قد علمتم قرابته وهو لا يوزن  
بأخذ إلا رجح به فأن كان في المال قل فإن المال ظل زائل وقد  
خطب خليفة بنت خويلد وبذل لها من الصداق ما عاجله وآجله  
من مالي كذا وكذا، وهو والله بعد هذا له نبا عظيم وخطر جليل.  
ورسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ يومئذ ابن خس وعشرين سنة وذلك بعد الفجران

وشهد بنيان الكعبة لخمس وثلاثين سنة من مولده حين  
أجمع كل قريش على هدمها وبنائها، وما انتهوا إلى الحجر تنازعاً عما  
أيدهم بضعفه وتداعوا لقتاله، وتحالف بنو عبد الدار على الموت شم  
اجتمعوا وتشاوروا، وقال أبو أمية: حكموا أول من دخل من باب  
المسجد فتراسوا على ذلك. ودخل رسول الله ﷺ فقالوا: هذا  
الأمين - وبذلك كانوا يسمونه - فتراسوا به وحكموا. فبسط ثوبًا  
ووضع فيه الحجر وأعطى قريشاً طرف الثوب، فرفعوه حتى أدنوه  
من مكانه، ووضعه عليه السلام بيده. وكانوا أربعة: عتبة بن ربيعة  
بن عبد شمس، والأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزي، وأبو  
حذيفة بن المغيرة بن عمر بن مخزوم، وقيس بن عدي السهمي. ثم  
استمر على أكمل الزكاء والطهارة في أخلاقه، وكان يعرف  
بالأمين، وظهرت كرامة الله فيه وكان إذا أبعد في الخلاء لا يبر  
بحجر ولا شجر إلا ويسلم عليه.

بِدْءُ الْوَحْيِ

ثم بدأ بالرؤيا الصالحة فكان لا يرى إلا جاءت مثل  
فلق الصيغ، ثم تحدث الناس بشأن ظهوره ونبوته، ثم حبست إليه  
ال العبادة والخلوة بها فكان يتزود للانفراد حتى جاء الوحي بمحراء  
لأربعين سنة من مولده وقيل لثلاث وأربعين. وهي حالة يغيب  
فيها عن جلساته وهو كان معهم، فاحياناً يتمثل له الملك رجلاً  
فيكلمه ويعي قوله وأحياناً يلقى عليه القول، وبصيغة أحوال الغيبة  
عن الحاضرين من الغط والعرق وتصيغه كما ورد في الصحيح من  
أشعاره، قال: « وهو أشد علي فيفصّم عني وقد وعيت ما قال.  
وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فاعي ما يقول » فأصابته  
تلك الحالة بغار حراء والقى عليه: « أقرأ باسم ربك الذي خلقـ.  
خلقـ الإنسان من علـقـ، أقرـأ وربكـ الآخرـمـ، الذي علمـ بالقلـمـ.

طالب وقال يا ابن أخي! قل ما أحبت فوالله لا أسلمك أبداً.

### هجرة الجبعة

ثم افترق أمر قريش وتعاهد بنو هاشم وبنو المطلب مع أبي طالب على القيام دون النبي ﷺ وتوث كل قبيلة على من أسلم منهم يعنونهم ويقتلونهم واستند عليهم العذاب، فأمرهم النبي ﷺ بالهجرة إلى أرض الجبعة فيحملونها، فخرج عثمان بن عفان وأمراته رقية بنت النبي ﷺ وأبو حذيفة بن عتبة بن عقبة بن أبيه وأمراته سهلة بنت سهيل بن عمرو بن عامر بن لوي والزبير بن العوام ومصعب بن عمير بن عبد شمس وأبو سمرة بن أبي هاشم بن عبد العزى العامرى من بني عامر بن لوي وسهيل ابن يضاء من بني الحرش بن فهر وعبد الله بن مسعود وعامر بن ربيعة العزى حليف بني عدي وهو من عتر بن وائل ليس من عترة وأمراته ليلى بنت أبي خشمة.

فهؤلاء الأحد عشر رجالاً كانوا أول من هاجر إلى أرض الجبعة، وتتابع المسلمين من بعد ذلك، ولحق بهم جعفر بن أبي طالب وغيره من المسلمين. وخرجت قريش في آثار الأولين إلى البحر فلم يدركوه، وقدموا إلى أرض الجبعة فكانوا بها، وتتابع المسلمين في اللحاق بهم، يقال: إن المهاجرين إلى أرض الجبعة بلغوا ثلاثة وثمانين رجلاً. فلما رأت قريش النبي ﷺ قد امتنع بعمه وعشيرته وأنهم لا يسلموه طقووا يرمونه عند الناس من يقد على مكة بالسحر والكهوة والجلون والشعر يرمونه بذلك صدهم عن الدخول في دينه، ثم اتدب جماعة منهم لجاهرته ﷺ بالعداوة والأذى، منهم: عمه أبو هلب عبد العزى بن عبد المطلب أحد المستهزئين، وابن عمته أبو سفيان بن الحرش بن عبد المطلب، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، وعقبة بن أبي معيط أحد المستهزئين، وأبو سفيان من المستهزئين، والحكم بن أبي العاص بن أمية من المستهزئين أيضاً، والنضر بن الحرش من بني عبد الدار، والأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى من المستهزئين وبنته زمعة، وأبو البخاري العاص بن هشام، والأسود بن جبلة بن هشام وأشقر العاص وعمهما الويلد وابن عمهم قيس بن الفاكه بن المغيرة، وزهير بن أبي أمية بن المغيرة، والعاص بن وائل الشهيمي وابنا عمته نبيه ومتنه ابنا الحاجاج وأبي ابنا خلف بن جمع.

وأقاموا يستهزئون بالنبي ﷺ ويتعرضون له بالاستهزء

مسعود رضي الله عنه بن غافل بن حبيب بن شمخ بن فار بن مخزوم بن كاهلة بن الحرش بن عمير بن عتبة بن هذيل بن مدركة حليف بني زهرة، كان يرعى غنم عقبة بن أبي معيط وكان سبب إسلامه أن رسول الله ﷺ حلّ من غنمته شاة حاتلاً فعدت. ثم أسلم جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب وأمراته أسماء بنت عميس بنت النعمان بن كعب بن ملك بن قحافة الخثعمي، والساب بن عثمان بن مظعون، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس واسمه مهشم، وعامر بن عبد مناف تميمي من حلفاء أبي عدي. وعمار بن ياسر عنسبي بن مذحج مولى لبني مخزوم وصهيب بن سنان من بني التمر بن قاسط حليف لبني جدعان. ودخل الناس في الدين ارسالاً وفشا الإسلام وهم يتوجهون به وينهبون إلى الشعاب فيصلون. ثم أمر رسول الله ﷺ أن يصدع بأمره ويدعوه إلى دينه بعد ثلاث سنين من مبدأ الرحى، فتصعد على الصفا ونادى: يا صاحباء! فاجتمعوا إليه قريش. فقال: «لو أخبرتكم أن العدو مصيّبكم أو مسيّبكم أما كتم تصدقونني؟» قالوا: بل! قال: «فإنني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» ثم نزل قوله: «وَأَذِنْرُ عَشِيرَاتِ الْأَقْرَبِينَ». وترتدد إليه الروح بالندارة، فجمع بي عبد المطلب وهم يومئذ أربعون على طعام صنعه طسم علي بن أبي طالب بأمره، ودعاهم إلى الإسلام ورغبهم وحضرهم وسمعوا كلامه وافتقوها.

ثم إن قريشاً حين صدع وسب الآلة وعاها نكروا ذلك منه ونابدوه وأجمعوا على عداوته، فقام أبو طالب دونه محاماً ومانعاً، ومشت إليه رجال قريش يدعونه إلى النصفة عتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس، وأبو البخاري بن هشام بن الحرش بن أسد بن عبد العزى، والوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وأبو جهل عمرو بن هشام بن المغيرة ابنا أخي الوليد، والعاص بن وائل بن هشام بن سعد بن سهم، ونبيه ومتنه ابنا الحاجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم، والأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة. فكلموا أبا طالب وعادوه فردهم رداً جيلاً، ثم عادوا إليه فسألوه النصفة فدعا النبي ﷺ إلى بيته بحضورهم وعرضوا عليه قولهم فتلا عليهم القرآن وأياسهم من نفسه وقال لأبي طالب:

«يا عماه لا أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه

واستعبر وظن أن أبا طالب بدا له فيه مجاف، فرق له أبو

وكان أمه عاتكة بنت عبد المطلب فغيره بإسلامه أحواله إلى ما هم فيه فأجاب إلى تفاصي الصحفة. ثم مضى إلى مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف وذكر رحمه هاشم والمطلب ثم إلى أبي البختري بن هشام وزمعة بن الأسود فأجابوا كلهم، وقاموا في تفاصي الصحفة، وقد بلغهم عن النبي ﷺ أن الصحفة أكلت الأرضة كتابتها كلها حاشا اسماء الله، فقاموا بأجمعهم فرجدوها كما قال، فخرعوا وتضض حكمها، ثم أجمع أبو بكر المجرة وخرج لذلك فلقيه ابن الدغينة فرده، ثم اتصل بالهاجرين في أرض الحبشة خبر كاذب بأن قريشاً قد أسلموا، فرجع قوم منهم إلى مكة: منهم عثمان بن عفان وزوجته وأبو حذيفة وامرأته وعبد الله بن عتبة بن غزوان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف ومصعب بن عمير وأخوه والمقداد بن عمر وعبد الله بن مسعود وأبو سلمة بن عبد الأسد وأمرأته أم المؤمنين وسلمة بن هشام بن المغيرة وعمار بن ياسر وبنو مطعون: عبد الله وقادمة وعثمان وابنه الساب وخيص بن حذافة وهشام بن العاص وعمار بن ربيعة وأمرأته وعبد الله بن مخرمة من بي عمار بن لوي وعبد الله بن سهل بن السكران بن عمرو وسعد بن خولة وأبو عيسية بن الجراح وسهيل بن يضاء وعمرو بن أبي سرح، فرجدوا المسلمين بمكة على ما كانوا عليه مع قريش من الصبر على أذاهن، ودخلوا إلى مكة بعضهم مختبئاً وبعضهم بالجوار، وأقاموا إلى أن كانت المجرة إلى المدينة بعد أن مات بعضهم بمكة.

## الأذى والاستهزاء

ثم هلك أبو طالب وخدحية وذلك قبل المجرة بثلاث سنين فعظمت المصيبة، وأقدم عليه سفهاء قريش بالإذية والاستهزاء والقاء القاذورات في مصلاه. فخرج إلى الطائف يدعوهـم إلى الإسلام والنصرة والمؤنة وجلس إلى عبد ياليل بن عمـر بن عـمير وأخـوريـه مـسـعـود وـحـيـب وـهـم يـوـمـنـدـ سـادـاتـ ثـقـيفـ وـأـشـرـافـهـمـ، وـكـلـهـمـ فـاسـأـواـ الرـدـ، وـيـشـهـمـ فـاوـصـاهـمـ بالـكـتـمـانـ فـلـمـ يـقـبـلـواـ وأـغـرـواـ بـهـ سـفـهـائـهـمـ فـاتـبعـهـمـ حـتـىـ الـجـاؤـهـ إـلـىـ حـائـطـ عـتـبةـ وـشـيـةـ أـبـيـ رـبـيعـةـ، فـأـوـىـ إـلـىـ ظـلـهـ حـتـىـ اـطـمـأـنـ ثـرـفـ طـرـفـ إـلـىـ السـمـاءـ يـدـعـوـ: «الـلـهـمـ إـلـيـكـ أـشـكـوـ ضـعـفـ قـوـتيـ وـقـلـةـ حـيلـيـ وـهـوـانـيـ عـلـىـ النـاسـ» يا أـرـحـمـ الرـاحـيـنـ أـنـتـ رـبـ الـمـسـتـضـعـفـيـنـ أـنـتـ رـبـيـ إـلـىـ مـنـ تـكـلـيـ! إـلـىـ بـغـيـضـ يـتـجـهـيـ أـدـىـ عـدوـ مـلـكـهـ أـمـرـيـ إـنـ لـمـ يـكـنـ بـكـ عـلـيـ غـضـبـ فـلـأـبـلـيـ وـلـكـ عـافـيـتـكـ أـوـسـعـ لـيـ. أـعـوذـ بـنـورـ وـجـهـكـ الـذـيـ أـشـرـقـتـ لـهـ الـظـلـمـاتـ وـصـلـعـ عـلـيـ أـمـرـ الـدـنـيـ وـالـأـخـرـةـ مـنـ أـنـ يـنـزـلـ بـيـ غـضـبـ أـوـ يـمـلـ عـلـيـ سـخـطـكـ لـكـ الـعـبـيـ حـتـىـ تـرـضـيـ وـلـاـ

وـالـإـذـيـةـ حـتـىـ لـقـدـ كـانـ بـعـضـهـمـ يـنـالـ مـنـ يـيـدـهـ، وـيـلـغـ عـمـهـ حـزـةـ يـوـمـاـ أـنـ أـبـاـ جـهـلـ بـنـ هـشـامـ تـعـرـضـ لـهـ يـوـمـاـ يـمـثـلـ ذـلـكـ وـكـانـ قـوـيـ الشـكـيـةـ، فـلـمـ يـلـبـثـ أـنـ جـاءـ إـلـىـ الـمـسـجـدـ وـأـبـوـ جـهـلـ فـيـ نـادـيـ قـرـيشـ، حـتـىـ وـقـفـ عـلـىـ رـأـسـهـ وـضـرـبـهـ وـشـجـهـ، وـقـالـ لـهـ: ثـنـثـنـ مـحـمـدـاـ وـأـنـاـ عـلـىـ دـيـنـهـ؟ وـثـارـ رـجـالـ يـنـيـ خـزـوـمـ إـلـيـهـ فـصـدـهـمـ أـبـوـ جـهـلـ وـقـالـ دـعـوـهـ فـلـيـ سـبـتـ أـبـنـ أـخـيـ سـبـاـ قـيـحاـ. وـمـضـيـ حـزـةـ عـلـىـ إـسـلـامـهـ، وـعـلـمـ قـرـيشـ أـنـ جـانـبـ الـسـلـمـيـنـ قـدـ اـعـتـرـ مـحـمـدـةـ فـكـفـواـ بـعـضـ الشـرـ بـمـكـانـهـ فـيـهـ، ثـمـ اـجـتـمـعـوـ وـبـعـثـواـ عـمـرـوـ بـنـ الـعـاصـ وـعـبـدـ اللـهـ بـنـ أـبـيـ رـبـيعـ إـلـىـ النـجـاشـيـ لـيـسـلـمـ إـلـيـهـمـ مـنـ هـاجـرـ إـلـىـ أـرـضـهـ مـنـ الـسـلـمـيـنـ فـنـكـرـ النـجـاشـيـ رـسـالـتـهـمـ وـرـدـهـمـ مـقـبـرـيـنـ.

## إسلام عمر بن الخطاب

ثـمـ أـسـلـمـ عـمـرـ بـنـ الـخـطـابـ وـكـانـ سـبـبـ إـسـلـامـهـ أـنـ بـلـغـهـ أـنـ أـخـتهـ فـاطـمـةـ أـسـلـمـتـ مـعـ زـوـجـهـ سـعـيدـ بـنـ عـمـهـ زـيدـ، وـأـنـ خـيـابـ بـنـ الـأـرـتـ عـنـدـهـمـ يـعـلـمـهـمـ الـقـرـآنـ، فـجـاءـ إـلـيـهـمـ مـنـكـراـ وـضـرـبـ أـخـتهـ فـشـجـهـاـ، فـلـمـ رـأـيـهـمـ قـدـ أـسـلـمـنـاـ وـتـابـعـنـاـ مـحـمـداـ فـاقـعـلـ مـاـ بـدـاـ لـكـ! وـخـرـجـ إـلـيـهـ خـيـابـ مـنـ بـعـضـ زـوـيـاـ الـيـسـتـ فـذـكـرـهـ وـوـعـظـهـ وـحـضـرـتـهـ الـإـنـابـةـ فـقـالـ لـهـ: أـقـرـأـ عـلـيـ مـنـ هـذـاـ الـقـرـآنـ؟ فـقـرـأـ مـنـ سـوـرـةـ طـ وـأـدـرـكـهـ الـخـشـيـةـ فـقـالـ لـهـ: كـيـفـ تـصـنـعـونـ إـذـ أـرـدـمـ إـلـيـسـلـامـ؟ فـقـالـوـاـ لـهـ: وـأـرـوـهـ الـطـهـرـ. ثـمـ سـأـلـ عـلـىـ مـكـانـ النـبـيـ تـلـكـ فـدـلـ عـلـيـهـ، فـطـرـقـهـمـ فـيـ مـكـانـهـمـ، وـخـرـجـ إـلـيـهـ النـبـيـ تـلـكـ فـقـالـ: «مـالـكـ يـاـ أـبـنـ الـخـطـابـ؟» فـقـالـ: يـاـ رـسـوـلـ اللـهـ! جـتـ مـسـلـمـاـ! ثـمـ تـشـهـدـ شـهـادـةـ الـحـقـ وـدـعـاهـمـ إـلـىـ الـصـلـاـةـ عـنـدـ الـكـعـبـةـ فـخـرـجـواـ وـصـلـواـ هـنـالـكـ، وـاعـتـرـتـ الـسـلـمـيـنـ بـإـسـلـامـهـ.

وـكـانـ النـبـيـ تـلـكـ يـقـولـ فـيـ دـعـائـهـ: «الـلـهـمـ أـعـزـ إـلـيـسـلـامـ بـاـحـدـ الـعـرـبـ» يـعـنـيهـ أـبـاـ جـهـلـ، فـلـمـ رـأـيـهـ قـرـيشـ فـشـوـ إـلـيـسـلـامـ وـظـهـورـهـ أـعـمـهـمـ ذـلـكـ، فـاجـتـمـعـوـ وـتـعـاهـدـوـ عـلـىـ بـنـيـ هـاشـمـ وـبـنـيـ الـمـطـلـبـ أـلـاـ يـنـاكـهـمـ وـلـاـ يـبـاعـهـمـ وـلـاـ يـكـلـمـهـمـ وـلـاـ يـجـالـسـهـمـ، وـكـبـرـواـ بـذـلـكـ صـحـيـفةـ وـضـعـرـهـاـ فـيـ الـكـعـبـةـ، وـالـخـازـنـ بـنـوـ هـاشـمـ وـبـنـوـ الـمـطـلـبـ كـلـهـمـ كـافـرـهـمـ وـمـؤـمـنـهـمـ فـصـارـوـاـ فـيـ شـعـبـ أـبـيـ طـالـبـ مـحـصـورـيـنـ مـتـجـنـيـنـ، حـاشـاـ أـبـيـ هـبـ فـانـهـ كـانـ مـعـ قـرـيشـ عـلـىـ قـوـمـهـمـ، فـبـقـرـواـ كـذـلـكـ ثـلـاثـ سـنـينـ لـاـ يـصـلـ إـلـيـهـمـ شـيـءـ مـنـ اـرـادـوـاـ صـلـلـهـمـ إـلـاـ سـرـأـ وـرـسـوـلـ اللـهـ تـلـكـ مـقـبـلـ عـلـىـ شـائـهـ مـنـ الدـعـاءـ إـلـىـ اللـهـ وـالـوـحـيـ عـلـيـهـ مـتـابـعـ إـلـىـ أـنـ قـامـ فـيـ تـفـصـيـلـ الصـحـيـفةـ رـجـالـ مـنـ قـرـيشـ كـانـ أـحـسـنـهـمـ فـيـ ذـلـكـ أـنـرـأـ هـشـامـ بـنـ عـمـرـوـ بـنـ الـحـرـثـ مـنـ بـنـيـ حـسـنـ بـنـ عـمـرـ بـنـ لـويـ، لـقـيـ زـهـيرـ بـنـ أـبـيـ أـمـيـةـ بـنـ الـمـغـيرـةـ

من الخزرج وهم: أبو أمامة أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار، وعوف بن الحرث بن رفاعة بن سواد بن مالك بن غنم وهو ابن عفرا، ورافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زيد بن مالك بن غضبة بن جشم بن الخزرج، وطبقه بن عامر بن حيده بن عمر بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن مراد بن يزيد بن جشم، وعقبة بن سلمة بن نابي بن زيد بن خازم بن كعب بن غنم بن سلمة، وجابر بن عبد الله بن رئاب بن التعمان بن سلمة بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة فدعاهم رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه إلى الإسلام، وكان من صنع الله لهم أن اليهود جبرانهم كانوا يقولون: إن نبأنا يبعث وقد أظل زمانه، فقال بعضهم ليعرض: هذا والله النبي الذي تحدثكم به اليهود فلا يسبقونا إليه. فآمنوا وأسلموا وقالوا إنما قد قدمنا بينهم حرباً فتتصارف وندعوه إلى ما دعوتنا إليه! ففسى الله أن يجمع كلمتهم بك فلا يكون أحد أعز منك، فانصرفوا إلى المدينة ودعوا إلى الإسلام حتى فشأفيهم. ولم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه.

## العقبة الأولى

حتى إذا كان العام القابل قدم مكة من الأنصار اثنا عشر رجلاً: منهم خمسة من الستة الذي ذكرنا وهم من عدي وجابر بن عبد الله فإنه لم يحضرها، وبسبعين من غيرهم وهم: معاذ بن الحرث أخو عوف بن الحرث المذكور وقيل: إنه ابن عفرا، وذكوان بن عبد قيس بن خالدة، وخالد بن مخلد بن عامر بن زريق، وعبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهد بن ثعلبة بن صرمة بن أصرم بن عمرو بن عبادة بن عصيبة من بني حبيب، والعباس بن عبادة بن نضلة بن مالك بن العجلان بن زيد بن غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف هؤلاء عشرة من الخزرج.

ومن الأوس: أبو الفيش مالك بن التيهان وهو من بني عبد الأشهل بن جشم بن الحرث بن الخزرج بن عمر بن ملك بن أوس، وعوبين بن ساعدة من بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس بن حارثة، فلابع هؤلاء رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه عند العقبة على بيعة النساء، - وذلك قبل أن يفرض الحرب. على الطاعة لرسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه وعلى أن لا يشركون بالله شيئاً ولا يسرقوا ولا يزنوا ولا يقتلون أولادهم ولا يفترروا الكذب.

فلما حان انصرافهم بعث رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه معهم ابن أم مكتوم ومصعب بن عمربن يدعوه إلى الإسلام ويعلم من أسلم

حول ولا قوة إلا بالله. ولما انصرف من الطائف إلى مكة بات بخلة، وقام يصلبي من جوف الليل، فمر به نفر من الجن وسمعوا القرآن. ثم دخل رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه إلى مكة في جوار المطعم بن عدي بن نوفل بعد أن عرض ذلك على غيره من رؤساء قريش فأعتبروا بما قبله منهم.

ثم قدم عليه الطفيلي بن عمرو الدوسي فاسلم ودعا قومه فاسلم بعضهم ودعا له رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه أن يجعل الله له علامه للهداية فجعل لوجهه نوراً ثم دعا له فتقه إلى سوطه وكان يعرف بذى النور.

## الإسراء

قال ابن حزم: ثم كان الإسراء إلى بيت المقدس ثم إلى السماوات، ولقي من لقي من الأنبياء، ورأى جنة المأوى وسدرة المتهى في السماء السادسة، وفرضت الصلاة كان أول الوجي، ثم كان رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه يعرض نفسه على وفود العرب في الموسم يأتهم في منازلهم ليعرض عليهم الإسلام ويدعوهم إلى نصره ويتلو عليهم القرآن، وقريش مع ذلك يتعرضون لهم باللماح إن يقبلوا منهم وأكثرهم في ذلك أبو هلب. وكان من الذين عرض عليهم في الموسم بنو عامر بن صعصعة من مضر وبني شيبان وبني حنيفة من ربعة وكنتة من قحطان وكلب من قضاعة وغيرهم من قبائل العرب.

فكان منهم من يحسن الاستماع والعدن، ومنهم من يعرض ويصرح بالإذابة، ومنهم من يشرط الملك الذي ليس هو من سيله فريد صلوات الله عليه وآله وسلامه الأمر إلى الله. ولم يكن فيهم أقبح رداً من بني حنيفة. وقد ذخر الله الحير في ذلك كله للأنصار، فقدم سعيد بن الصامت أخوه بني عمرو بن عوف بن الأوس، فدعاه رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه إلى الإسلام فلم يبعد ولم يحب، وانصرف إلى المدينة فقتل في بعض حربهم وذلك قبل بعاث. ثم قدم بمكة أبو الحيسر أنس بن رافع في فتية من قومه من بني عبد الأشهل يطلبون الحلف، فدعاهم رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه إلى الإسلام، فقال إياس بن معاذ منهم - وكان شاباً حدثاً: هذا والله خير ما جئنا له! فانتهـ أبو الحيسر فسكت. ثم انصرفوا إلى بلادهم ولم يتم لهم الحلف ومات إياس فيقال إنه مات مسلماً.

ثم إن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه لقي عند العقبة في الموسم ستة نفر

بن خيثمة بن الحارث بن مالك بن الأوس، ورفاعة بن عبد المنذر  
بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف  
بن مالك بن الأوس. فدعا قوم أبو الهيثم بن التيهان مكان رفاعة  
هذا والله أعلم.

ولما تمت هذه البيعة أمرهم رسول الله ﷺ بالرجوع إلى رحافهم فرجعوا، وغنى الخبر إلى قريش فنجدت الخلة منهم على الأنصار في رحافهم فقاتلوكوا ذلك وحلفوا لهم، وقال لهم عبد الله بن أبي بن سلول: ما كان قومي ليتقنعوا على مثل هذا وأنا لا أعلمها! فانصرفوا عنه وتفرق الناس من منى، وعلمت قريش الخبر فخرجوا في طلبهم، فادركتوا سعد بن عبادة فجاؤوا به إلى مكة يضربونه ويحررونه بشعره حتى نادى بجير بن مطعم والحرث بن أمية وكان بجيرهما بيلاه فخلصاه مما كان فيه. وقد كانت قريش قبل ذلك سمعوا صانحاً يصبح ليلًا على جبل أبي

فقال أبو سفيان: العبدان سعد يكر وسعد هذيم.  
فإن يسلم العبدان يصبح محمد بكرة لا يخشى خلاف مخالف  
قبيل:

فَلِمَا كَانَ فِي اللَّيْلَةِ الْقَابِلَةِ سَمِعُوهْ يَقُولُ:

يَا سَعْدَ سَعْدِ الْأَوْسِ كُنْ أَنْتَ  
جِيَّا إِلَى دَاعِيِ الْمُهَلَّى وَتَنْبِيَا  
عَلَى اللَّهِ فِي الْفَرْدَوْسِ مِنْهُ عَارِفٌ  
إِنْ ثَوَابَ اللَّهِ لِلظَّالِمِينَ جَنَانٌ مِنَ الْفَرْدَوْسِ ذَاتٌ رَفَارِفٌ

فَقَالَ وَاللَّهِ هَذَا سَعْدُ بْنُ عَادَةَ وَسَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ.

وَلَا فِتْنَةُ إِلَّا مِنْ أَنفُسِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَعْمَلُونَ  
يَعْلَمُهُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ

فَلِمَّا مَتَتْ بَيْعَةُ الْأَنْصَارِ عَلَىٰ مَا وَصَفَنَاهُ أَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابُهُ مِنْ هُوَ بَعْكَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِالْهَجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَخَرَجُوا أَرْسَالًا وَأَوْلَى مِنْ خَرْجِ أَبْو سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الْأَسْدِ وَنَزَلَ فِي قَيْدَاءِ ثُمَّ هَاجَرَ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ حَلِيفُ بْنِ عَدِيَّ بِإِمْرَانَهُ لِيَلِيَّ بَنْتَ أَبِي خَيْثَمَةَ بْنِ غَامِمَ، ثُمَّ هَاجَرَ جَمِيعُ بْنِي جَعْشَ مِنْ بْنِي أَسْدِ بْنِ خَزِيمَةَ وَنَزَلُوا بِقَبَيْاهَ عَلَى عَكَاشَةَ بْنِ حَمْصَنَ وَجَمِيعَةَ مِنْ بْنِي أَسْدِ حَلْفَاءِ بْنِي أَمِيَّةَ كَانَتْ فِيهِمْ زَيْنَ بْنَ جَحْشَ، أَمْ الْمُؤْمِنَ وَأَخْتَاهَا حَمَّةُ وَأَمْ حَسِيَّةُ.

ثم هاجر عمر بن الخطاب وعباس بن أبي ربيعة في عشرين راكباً فنزلوا في العوالى في بني أمية بن زيد وكان يصلى بهم سالم مولى أبي حذيفة. وجاء أبو جهل بن هشام فخادع عياش بن أبي ربيعة ورده إلى مكة فحبسوه حتى تخلص بعد حين ورجع. وهاجر

منهم القرآن والشريائع، فنزل بالمدينة على أسمد بن زراة، وكان مصعب يؤمهم وأسلم على يديه خلق كثير من الأنصار. وكان سعد بن معاذ وأسعد بن زراة أبا الحالة، فجاء سعد بن معاذ وأسید بن الحضير إلى سعد بن زراة - وكان جاراً لبني عبد الأشهل - فانكروا عليه فهداهم الله إلى الإسلام، وأسلم ياسلاهمهما جميع بني عبد الأشهل في يوم واحد الرجال والنساء. ولم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها المسلمون رجال ونساء حاشا بني أمية بن زيد وخطمة ووائل وواقف: بطون من الأوس كانوا في عوالى المدينة، فأسلم منهم وكان قوم سيدهم أبو قيس صيفي بن الأسلت الشاعر فرقف بهم عن الإسلام حتى كانت الخندق فأسلموا كلهم.

العقبة الثانية

ثم رجع مصعب المذكور بن عمير إلى مكة وخرج معه إلى  
الموسم جماعة من أسلم من الأنصار للقاء النبي ﷺ في جملة قوم  
منهم لم يسلموا بعد، فوافوا مكة وواعدوا رسول الله ﷺ العقبة  
من أوسط أيام الشريق، ووافوا ليلة ميعادهم إلى العقبة متسللين  
من راحلهم سراً عن حضر من كفار قومهم، وحضر معهم عبد  
الله بن حزام بن عمرو أبو جابر وأسلم تلك الليلة، فبايعوا رسول  
الله ﷺ على أن يمنعوه ما يمنعون منه نسائهم وأبنائهم وإزهارهم  
وأن يرحل إليهم هو وأصحابه. وحضر العباس بن عبد المطلب،  
وكان على دين قومه بعد، وإنما توشق النبي ﷺ وكان للبراء بن  
معرور في تلك الليلة المقام الحمود في الإخلاص والتوثيق لرسول  
الله ﷺ وكان أول من باع. وكان عدداً الذين بايعوا تلك الليلة  
ثلاثاً وسبعين رجلاً وامرأتين، واحتارت منهم رسول الله ﷺ أثني عشر  
نقيباً يكونون على قومهم: تسعة من الخزرج وثلاثة من  
الأوس، وقال لهم: «أنتم كفلاً على قومكم كفالة المواربين  
لعيسي ابن مريم وأنا كفيل على قومي» فمن الخزرج من أهل  
العقبة الأولى: أسعد بن زرارة، ورافع بن مالك، وعبادة بن  
الصامت. ومن غيرهم سعد بن الريبع بن عمرو بن أبي زهير بن  
مالك بن امرئ القيس بن مالك، وثعلبة بن كعب بن الخزرج،  
وعبد الله بن رواحة بن امرئ القيس، والبراء بن معرور بن سخر  
بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة،  
وعبد الله بن عمرو بن حزام أبو جابر، وسعد بن عبادة بن ديلم  
بن حارثة بن لودان بن عبد ود بن يزيد بن ثعلبة بن الخزرج بن  
ساعدة. وثلاثة من الأوس وهم: أسبيد بن حضير بن سماك بن  
عثيک بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل، وسعد

على حرب جميعهم. واستعدوا لذلك من ليتهم وجاء الرحي  
 بذلك إلى النبي ﷺ، فلما رأى أرصدتهم على باب منزله أمر علي  
 بن أبي طالب أن ينام على فراشه ويترشح بيده، ثم خرج رسول الله ﷺ عليهم فطمهم الله تعالى على أبصارهم ووضع على

رؤوسهم تراباً واقموا طول ليهم، فلما أصبحوا خرج إليهم علي  
 فعلموا أن النبي ﷺ قد نجا، وتزداد رسول الله ﷺ مع أبي بكر  
 الصديق، واستأجرا عبد الله بن أريقط الدولي من بي بكر بن عبد  
 مناف ليبدل بهما إلى المدينة وينكب عن طريق العظمي، وكان كافراً  
 وحليفاً للعاصن بن وائل، لكنهما وتفا بamatته وكان دليلاً بالطريق.

وخرج رسول الله ﷺ من خوخة في ظهر دار أبي بكر  
 ليلاً، وأتيا الغار الذي في جبل ثور بأسفل مكة فدخلنا فيه، وكان  
 عبد الله بن أبي بكر يأتياهما بالأخبار، وعاشر بن فهيرة مولى أبي  
 بكر وراعي غنميه يربع عنهما عليهما ليلاً فيأخذ حاجتهما من  
 لبها، وأسماء بنت أبي بكر تأتياهما بالطعام.

ونقض عامر بالغنم إثر عبد الله، ولما قدمته قريش اتبعوه  
 ومعهم القافف ففاف الأثر حتى وقف عند الغار وقال هنا انقطع  
 الأثر وإذا بنسج العنكبوت على فم الغار فاطمأنوا إلى ذلك  
 ورجعوا، وجعلوا مائة ناقة لمن ردهما عليهم، ثم أتاهما عبد الله  
 بن أريقط بعد ثلات براحتيمها فركبا، وأردف أبو بكر عامر بن  
 فهيرة، وأتاهما أسماء بسفرة لها وشققت نطاقها وربطت السفرة  
 فسميت ذات الطاقن. وحمل أبو بكر جميع ماله نحو ستة آلاف  
 درهم، ومرروا بسراقة بن مالك بن جعشن فاتبعهم ليردهم، ولما  
 رأوه دعا عليه رسول الله ﷺ فساخت قوائم فرسه في الأرض،  
 فنادي بالأمان وأن يقروا له. فطلب من النبي ﷺ أن يكتب له  
 كتاباً فكتبه أبو بكر بأمره، وسلك الدليل من أسفل مكة على  
 الساحل أسفل من عسفان وأموج وأجاز قيدياً إلى العرج ثم إلى  
 قباء من عوالي المدينة. ووردوها قريباً من الزوال يوم الاثنين لاثني عشرة  
 يتظرونوه إلى أن فلقت الظلال ورجعوا إلى بيوتهم. فلتقوه مع أبي  
 بكر في ظل خلة.

ونزل عليه السلام بقباء على سعد بن خيمسة، وقيل على  
 كلثوم الهدى، ونزل أبو بكر بالسخن في بني الحarth بن خزرج على  
 حبيب بن أسد، وقيل على خارجة بن زيد. ولحق بهم علي رضي  
 الله عنه من مكة بعد أن رد الوداع للناس التي كانت عند النبي  
 ﷺ، فنزل معه بقباء.

وأقام رسول الله ﷺ هناك أياماً ثم نھض لما أمر الله  
 وأدركه الجمعة في بني سالم بن عوف، فصلاتها في المسجد هناك

مع عمر أخوه زيد وسعيد ابن عميه زيد وصهره على بنته حفصة  
 أم المؤمنين حشيشة بن حذافة السهمي وجاءه من حلفاء بي  
 عدي، نزلوا بقباء على رفاعة بن عبد المنذر من بني عوف بن  
 عمرو.

ثم هاجر طلحة بن عبد الله فنزل هو وصهيب بن سنان  
 على حبيب بن أسف في بني الحarth بن الخزرج بالسلم، وقيل بل  
 نزل طلحة على أسد بن زراره. ثم هاجر حمزة بن عبد المطلب  
 ومعه زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ وحليفه أبو مرشد كنان  
 بن حصن الغنوبي فنزلوا في بني عمرو بن عوف بقباء على كلثوم  
 بن الهدى، ونزل جماعة من بي المطلب بن عبد مناف فيهم مسطوح  
 بن أثابة ومعه خباب بن الأرت مولى عتبة بن غزوan في بني  
 المسجلان بقباء، ونزل عبد الرحمن بن عوف في رجال من  
 المهاجرين على سعد بن الربيع في بني الحarth بن الخزرج، ونزل  
 الزبير بن العرام وأبو سمرة بن أبي رهم بن عبد العزى على المنذر  
 بن محمد بن عقبة بن أحجحة بن الجلاح في دار بي حجاج، ونزل  
 مصعب بن عمير على سعد بن معاذ في بني عبد الأشهل، ونزل  
 أبو حذيفة بن عتبة ومولاه سالم وعتبة بن غزوan المازني على عبد  
 بن بشر من بي عبد الأشهل، ولم يكن سالم عتيق أبي حذيفة وإنما  
 اعتقته امرأة من الأوس كانت زوجاً لأبي حذيفة اسمها بشيّة بنت  
 معاذ فبنيه ونسب إليه. ونزل عثمان بن عفان في بني النجار على  
 أوس أخي حسان بن ثابت. ولم يبق أحد من المسلمين بمكة مع  
 رسول الله ﷺ إلا أبو بكر وعلي بن أبي طالب رضي الله  
 عنهما فإنهما أقاما بأمره وكان ﷺ يتظر أن يؤذن له في المجرة.

## المجرة

ولما علمت قريش أن رسول الله ﷺ قد صار له شيعة  
 وأنصار من غيرهم وأنه جمع على اللحاق بهم وأن أصحابه من  
 المهاجرين سبقوه إليهم تشاوروا ما يصونون في أمره، واجتمعوا  
 لذلك مشيختهم في دار الندوة: عتبة وشيبة وأبو سفيان من بني  
 أمية وطعيمة بن عدي وجبير بن مطعم والحارث بن عامر من بني  
 نوق والنضر بن الحارث من بني عبد الدار وأبو جهل من بني  
 غزوة ونبهه أبا الحاجاج من بني سهم وأمية بن خلف من  
 بني جح، ومعهم من لا يدع من قريش. فتشاوروا في حبسه أو  
 إخراجه عنهم.

ثم اتفقوا على أن يتخروا من كل قبيلة منهم فتى شاباً  
 جلداً فيقتلونه جمعاً فيتفرق دمه في القبائل ولا يقدر بنو عبد مناف

مالك من بني سالم، وبين أبي عبيدة بن الجراح وسعد بن معاذ، وبين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع، وبين الزبير بن العوام وسلمة بن سلامة بن وقت، وبين طلحة بن عبد الله وكعب بن مالك، وبين عثمان بن عفان وأوس بن ثابت أخي حسان، وبين سعيد بن زيد وأبي بن كعب، وبين مصعب بن عمير وأبي أيوب، وبين أبي حذيفة بن عتبة وعبد بن بشر بن وقت من بني عبد الأشهل، وبين عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان العنسي حليفبني عبد الأشهل وقيل: بل ثابت بن قيس بن الشمام، وبين أبي ذر الغفارى والمنذر بن عمرو من بني ساعدة، وبين حاطب بن أبي بلتقة حليف بني أسد بن عبد العزى وعويم بن ساعدة من بني عمرو بن عوف، وبين سلمان الفارسي وأبي الدرداء، وعمير بن بلتقة من بني الحarth بن الخزرج و... وبين بلال بن حمامة وأبي

#### رويحة الخثعمي

ثم فرضت الزكاة ويقال وزيد في صلاة الحاضر ركعتين فصارت أربعاً بعد أن كانت ركعتين سفراً وحضرأ. ثم أسلم عبد الله بن سلام وكفر جهور اليهود، وظهر قوم من الأوس والخزرج منافقون يظهرون الإسلام مراعاة لقومهم من الأنصار ويصررون الكفر، وكان رئيسهم: من الخزرج عبد الله بن أبي بن سلول والجد بن قيس، ومن الأوس الحarth بن سهيل بن الصامت وعبد بن حنيف ومرعى بن قطيبي وأخوه أوس من أهل مسجد الضرار، وكان قوم من اليهود أيضاً تعذوا بالإسلام وهم يطئون الكفر منهم: سعد بن خيس وزيد بن الطبيت ورافع بن خزيمة ورفاعة بن زيد بن التابوت وكناة بن حبورتا.

## الغزوات

### غزوة الأبواء

ولما كان شهر صفر بعد مقدم النبي ﷺ المدينة خرج في ماتين من أصحابه يريد قريشاً وبني ضمرة، واستعمل على المدينة سعد بن عبادة، فبلغ ودان والأبواء ولم يلقهم، واعتبره مخشي بن عمر وسيد بني ضمرة بن عبد مناة بن كنانة وسأله مuadaة قوله فقد له، ورجع إلى المدينة ولم يلق حرباً. وهي أول غزوة غزاها بنفسه، ويسمى بالأبواء ويودان المكانان اللذان انتهى إليهما، وهما متقاربان بمنحو ستة أميال، وكان صاحب اللواء فيها حزة بن عبد المطلب.

ورغم إله رجال بني سليم أن يقيم عندهم، وتبادر إلى خطام ناقته اغتناماً لبركته. فقال عليه السلام: «خلوا سبيلها فإنها مأمورة ثم مشي والأنصار حواليه إلى أن مر بدار بني بياضة، فتبارد إليه رجالهم بيتدرون خطام الناقة، فقال: «دعوها فإنها مأمورة» ثم مر بدار بني ساعدة فتلقاء رجال وفيهم سعد بن عبد والمنذر بن عمرو ودعوه كذلك وقال لهم مثل ما قال للأخرين. ثم إلى دار بني حارثة بن الخزرج فتلقاء سعد بن الربيع وخارجة بن زيد وعبد الله بن رواحة. ثم من بني عدي بن النجار أحوال عبد المطلب فقلعوا وقال لهم مثل ذلك، إلى أن أتى دار بني مالك بن التجار فبركت ناقته على باب مسجده اليوم وهو يومئذ لغلامين منهم في حجر معاذ بن عفراة اسمهما سهل وسهيل وفيه خرب ومخل وقبور للمشركين ومربد.

ولما بركت الناقه بقي على ظهرها ولم يتزل فقامت ومشت غير بعيد ولم يثنها، ثم التفتتخلفها ورجعت إلى مكانها الأول فبركت واستقرت ونزل رسول الله ﷺ عنها. وحمل أبو أيوب رحله إلى داره فنزل عليه وسأله عن المرشد وأراد أن يتخذه مسجداً، فاشتراه من بني التجار بعد أن وهبه له فأبى من قبله، ثم أمر بالقبور فثبتت وبالنخل فقطعت، وبنى المسجد باللبن وجعل عضاداته الحجارة وسواريه جذوع النخل وسقفه الجريد، وعمل فيه المسلمين حسبة الله عز وجل.

ثم وداع اليهود وكتب بينه وبينهم كتاب صلح وموادعة شرط فيه لهم وعليهم، ثم مات أسعد بن زراة وكان تقىاً لبني التجار فطلبو إقامته تقيباً مكانه، فقال: «أنا تقىكم» ولم يخص بها منهم أحد دون أحد فكانت من مقابرهم.

ولما رجع عبد الله بن أرقط إلى مكة أخبر عبد الله بن أبي بكر بمكانه فخرج ومعه عائشة أخته وأمهما أم رومان ومعهم طلحة بن عبد الله فقدموا المدينة وتزوج رسول الله ﷺ عائشة بنت أبي بكر وبني بها في منزل أبي بكر بالسنن. وبعث رسول الله ﷺ أبا رافع إلى بنته وزوجته سودة بنت زمعة فحملهما إلى من مكة، وبلغ الخبر بموت أبي أحيحة والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل من مشيخة قريش.

## المواخاة

ثم آتى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار، فآتى بين جعفر بن أبي طالب وهو بالحبشة ومعاذ بن جبل، وبين أبي بكر الصديق وخارجة بن زيد، وبين عمر بن الخطاب وعثمان بن

جابر حين أغار على سرح المدينة فبلغ المرار ورجع.

ومنها بعث عبد الله بن جحش إثر مرجعه من بدر الأول في شهر رجب بعثه بشانية من المهاجرين وهو أبو حذيفة بن عتبة وعكاشة بن محسن بن أسد بن خزيمة وعتبة بن غزوان بن مازن بن منصور وسعد بن أبي وقاص وعامر بن ربيعة العتزي حليف بني عدي ووافد بن عبد الله بن زيد بشانية بن عميم وخالد بن الكبير بن سعد بن ليث وسهيل بن مضاض بن فهر بن مالك، وكتب له كتاباً وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ولا يكره أحداً من أصحابه، فلما قرأ الكتاب بعد يومين وجده فيه أن تمضي حتى تنزل خلة بين مكة والطائف وترصد بها قريشاً وتعلم لنا من أخبارهم، فأخبر أصحابه وقال: حتى تنزل خلة بين مكة والطائف ومن أحب الشهادة فليذهب ولا استكره أحداً، فمضوا كلهم وأضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان في بعض الطريق بغيراً لهم كانوا يتبعونه فتخلقاً في طلبه ونفر الباقيون إلى خلة، فمررت بهم عبر لقريش تحمل تجارة فيها عمرو بن الحضرمي وعثمان بن عبد الله بن المغيرة وأخوه نوفل والحكم بن كيسان مولاهم وذلك آخر يوم من رجب، فتشاور المسلمون وخرج بعضهم الشهر الحرام ثم انفقو واختتموا الفرصة فيهم، فرمي واقتاد بن عبد الله عمرو بن الحضرمي فقتله وأسرموا عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان وأفلت نوفل، وقدموا بالغير والأسرى وقد أخرجوا الخمس فهزلوه، فأنكر النبي ﷺ فعلهم ذلك في الشهر الحرام، فسقط في أيديهم ثم أنزل الله تعالى: ﴿بَسْأَلْتُكُمْ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قَتَالَ فِيهِمْ الْآيَةِ إِلَى قَوْلِهِ﴾ حتى يرددوك عن دينكم إن استطاعوا، فسرى عليهم وبقى النبي ﷺ في الحمس وقسم الغنائم وحكي: وقيل الفداء في الأسرى، وردهم الحكم بن كيسان منهم، ورجع سعد وعتبة ساللين إلى المدينة. وهذه أول غنيمة غنمته في الإسلام وأول غنيمة حصلت في الإسلام وقتل عمرو بن الحضرمي هو الذي هاج وقمة بدر الثانية.

### صرف القبلة

ثم صرفت القبلة عن بيته المقدس إلى الكعبة على رأس سبعة عشر شهراً من مقدمه المدينة، خطب بذلك على المنبر وسمعه بعض الأنصار فقام فصلي ركتعين إلى الكعبة، قاله ابن حزم. وقيل على رأس ثمانية عشر شهراً، وقيل ستة عشر، ولم يقل غير ذلك.

### غزوة بواط

ثم بلغه أن عيراً لقريش نحو الفين وخمسة فيها أمية بن خلف، ومائة رجل من قريش ذاهبة إلى مكة، فخرج في ربيع الآخر لاعتراضها واستعمل على المدينة السائب بن عثمان بن مظعون. وقال الطبرى: سعد بن معاذ فاتته إلى بواط ولم يلقهم ورجع إلى المدينة.

### غزوة العشيرة

ثم خرج في جمادى الأولى غازياً قريشاً، واستخلف على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد فسلك عن جانب من الطريق إلى أن لقي الطريق بصحراء البمام إلى العشيرة من بطن بنعيم، فقام هناك بقية جمادى الأولى وليلة من جمادى الثانية ووادع بني مدلج، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق حرباً.

### غزوة بدر الأولى

وأقام بعد العشيرة نحو عشر ليال ثم أغار كرز بن جابر الفهري على سرح المدينة، فخرج في طلبه حتى بلغ ناحية بدر، وفاته كرز فرجع إلى المدينة.

### البعوث

وفي هذه الغزوات كلها غزا بنفسه ويعث فيما يبها بعثاً نذكرها وفيها: بعث حزنة بن عبد المطلب بعد الأبواء، بعثه في ثلاثة راكباً من المهاجرين إلى سيف البحر فلقي أبا جهل في ليثونة راكب من أهل مكة فحجز بهم عدي بن عمرو الجهني ولم يكن قاتل. ومنها بعث عبيدة بن الحarith بن المطلب في ستين راكباً وثمانين من المهاجرين فبلغ ثنية المرار ولقي بها جمعاً عظيماً من قريش كان عليهم عكرمة بن أبي جهل وقيل مكرز بن حفص بن الأحنه ولم يكن بهم قاتل. وكان مع الكفار يومئذ من المسلمين المقداد بن عمرو وعتبة بن غزوان، خرجا مع الكفار ليجدوا السبيل إلى اللحاق بالنبي ﷺ فهربا إلى المسلمين وجاءا معهم. وكان بعث حزنة وعبيدة متقاربين، واختلفا فيما كان قبل لا أنهاها أول رأية عقدتها رسول الله ﷺ. وقال الطبرى: إن بعث حزنة كان قبل ودان في شوال لسبعة أشهر من المجزرة. ومنها بعث سعد بن أبي وقاص في ثمانية رهط من المهاجرين لطلب كرز بن

## غزوة بدر الثانية العظمى والكبرى

نزل بدرًا وأنذاخاً قرب الماء واستقى في شن همها وعدي بن عمرو سيد جهينة يقربهما، فسمع عدي جارية من جواري النبي تقول لصاحبتها: العبر تأتي غداً أو بعد غد فاعمل لهن وأنضيك الذي لك وجاءت إلى مجدي بن عمرو فصدقها، فرجع بسبعين وعدي بالخبر. وجاء أبو سفيان بعدهما يتGPSس الخبر فقال مجدي: هل أحسست أحداً؟ فقال: راكبين أنذاخاً فيما يلي هذا التل فاستقى الماء ونهضا، فاتى أبو سفيان مناخهما وفتش من أبعاد رواحلهما، فقال: هذه والله علات يثرب فرجع سريعاً وقد حذر وتكتب بالعبر إلى طريق الساحل فنجا وأوصى إلى قريش بأنما قد نجينا بالعبر فارجعوا! فقال أبو جهل: والله لا ترجع حتى ترد ما بدر وتنقيمه به ثلاثة وتهابنا العرب أبداً.

ورجع الأختنس بن شريق بجميع بي زهرة وكان حليفهم ومطاعاً لهم، وقال: إنما خرجتم تغدون أموالكم وقد نجت فرجعوا. وكان بنو عدي لم ينفروا مع القوم، فلم يشهد بدرًا من قريش عدو ولا زهري.

وبسبق رسول الله ﷺ قريشاً إلى ماء بدر وتبظهم عنه مطر نزل وبله ما عليهم وأصاب المسلمين دهس الوادي، وأعانتهم على السير، فنزل عليه السلام على أدنى ماء من مياه بدر إلى المدينة، فقال للحباب بن المنذر بن عمرو بن الجموح: ألم أنزلك بهذا المترail فلا تحول عنك ألم قصدت الحرب والمكيدة؟

قال عليه السلام: «لا بل هو الرأي وال الحرب!». فقال يا رسول الله ليس هذا ينزل، وإنما تأتي أدنى ماء من القوم فنزله ونبي عليه حرضاً فنملاه ونفور القلب كلها ف تكون قد منعنهم الماء. فاستحبته رسول الله ﷺ. ثم بنوا له عريشاً يكون فيه رسول الله ﷺ حتى يأتيه من ربه النصر، يربهم مصادر القوم واحداً واحداً، ولما نزل قريش على ما عليهم بعثوا عمير بن وهب الجمحي يجذر لهم أصحاب رسول الله ﷺ، وكانت ثلاثة وبسبعين عشر رجالاً فيهم فارسان: الزبير والمقداد، فجذبهم وانصرف وخربهم الخبر، ورام حكيم بن حزام وعتبة بن ربيعة أن يرجعوا بقريش ولا يكون الحرب، فأبا أبو جهل ومساعد المشركون، وتوافق الفتان. وعدل رسول الله ﷺ الصفوف بيده ورجع إلى العريش ومعه أبو بكر وحده، وطفق يدعوه ويلاحه وأبا بكر يقول في دعائه:

«اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تبعد في الأرض اللهم انحر لي ما وعدتني» وسعد بن معاذ وقومه من الأنصار على باب العريش يحمونه وأخفق رسول الله ﷺ، ثم انتبه فقال: «أبشر يا أبا بكر فقد أتي نصر الله» ثم خرج بفرض الناس، ورمي

فأقام رسول الله ﷺ بالمدينة إلى رمضان من السنة الثانية، ثم بلغه أن عيراً لقريش فيها أموال عظيمة مقابلة من الشام إلى مكة معها ثلاثون أو أربعون رجلاً من قريش عمدهم أبو سفيان ومعه عمرو بن العاص وخرمة بن نوفل، فتدب عليه السلام المسلمين إلى هذه العبر وأمر من كان ظهره حاضراً بالمخروج، ولم يختلف في الحشد لأنهم لم يظن قتالاً، واتصل خروجه بابي سفيان، فاستأجر ضمطم بن عمارة الغفاري وبعثه إلى أهل مكة يستنصرهم عليهم ففروا وأرعنوا إلا سيراً منهم أبو طيب. وخرج ﷺ لثمان خلوة من رمضان واستخلف على الصلاة عمرو بن أم مكتوم ورد أبا لبابة من الروحاء واستعمله على المدينة، ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير، ودفع إلى علي راية، وإلى رجل من الأنصار أخرى يقال كاتنا سوداوين. وكان مع أصحابه ﷺ يومئذ سبعون بعيراً يعتبرونها فقط.

وجعل على الساقية قيس بن أبي صعصعة من بني التجار، ورابة الأنصار يومئذ مع سعد بن معاذ فسلكوا نقب المدينة مع سعد بن معاذ إلى ذي الحليفة ثم انتهوا إلى صخريات تمام ثم إلى بئر الروحاء، ثم رجعوا ذات البين عن الطريق إلى الصفراء.

وبعث عليه السلام قبلها بسبعين بن عمرو الجهي حليف بني ساعدة وعدي بن أبي الزباء الجهي حليف بني التجار إلى بدر. يتGPSسون أخبار أبي سفيان وغيره. ثم تكتب عن الصفراء بينما وخرج على وادي دقان، فبلغه خروج قريش ونفيتهم، فاستشار أصحابه، فتكلم المهاجرون وأحسنوا، وهو يريد ما يقوله الأنصار وفهموا ذلك. فتكلم سعد بن معاذ وكان فيما قال: لو استعرضت بما هذا البحر لخضناه معك فسر بنا يا رسول الله على بركة الله فسر بذلك، وقال: «سيروا وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين».

ثم ارتحلوا من دقان إلى قريب من بدر وبعث علياً والزبير وسعداً في نفر يلتسمون الخبر فأصابوا غلامين لقريش، فاتوا بهما وهو عليه الصلاة والسلام قائم يصلى، وقالوا: نحن سقاة قريش! فتكلبوا بهما كراهية في الخبر ورجاه أن يكونوا من العبر للغنة وقلة المؤونة، فجعلوا يضربونهما فيقولان: نحن من العبر. فسلم رسول الله ﷺ وانكر عليهم، وقال للغلامين: أخبراني أين قريش؟ فأخبراه أنهن وراء الكثيب وأنهم ينحررون يوماً عشرة من الإبل ويومناً تسعاء. فقال عليه السلام: «القوم بين التسعمائة والألف» وقد كان بسبعين وعدي الجهيني مضياً يتGPSسان الأخبار حتى

وقاتل حتى قتل، ورافق بن المعلى من بي حبيب بن عبد حارثة وحارثة بن سراقة من بي النجار وعرف ومعوذ ابنا عفراء.

ثم انجلت قريش الحرب وأمر رسول الله ﷺ بقتلى المشركين فسجعوا إلى القلب وطم عليهم التراب، وجعل على النفل عبد الله بن كعب بن عمرو بن مقدول بن عمر بن غنم بن مازن بن التجار، ثم انصرف إلى المدينة فلما نزل الصفراء قسم الغنائم كما أمر الله، وضرب عنق النضر بن كلدة من بي عبد الدار، ثم نزل عرق الظيبة فضرب عنق عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية وكان في الأساري ومر إلى المدينة فدخلها لثمان بقين من رمضان.

### غزوة الكرز

وبلغ رسول الله ﷺ بعد رجوعه إلى المدينة اجتماع غطفان فخرج يزيد بن سليم بعد سبع ليالٍ من منصرفة، واستخلف على المدينة سبع بن عرفطة الغفاري أو ابن أم مكتوم، فبلغ ما يقال له الكرز وأقام عليه ثلاثة أيام ثم انصرف ولم يلق حرباً، وقيل إنه أصاب من نعمتهم ورجع بالغنية، وإنه بعث غالباً بن عبد الله الليثي في سرية فتالوا منهم وانصرفوا بالغنية. وأقام رسول الله ﷺ إلى ذي الحجة، وفدى رسول الله ﷺ أكثرأساري بدر.

### غزوة السوق

ثم إن أبي سفيان لما انصرف من بدر نذر أن يغزو المدينة فخرج في مائة راكب حتى أتى بي التضير ليلًا، فتوارى عنه حمي بن أخطب ولقيه سلام بن مشكم وقراه وأعلمه بمنبر الناس، ثم رجع ومر باطراف المدينة فحرق مخلافاً وقتل رجلين في حرث لهما، فنفر رسول الله ﷺ وال المسلمين، واستعمل على المدينة أبا لبابا بن عبد المنذر، وبلغ الكرز وفاته أبو سفيان والمشركون وقد طرحوا سويقاً من أزواهم ليتحفروا، فأخلتها المسلمين فسميت لذلك غزوة السوق. وكانت في ذي الحجة بعد بدر بشهرين.

### غزوة ذي أمر

ثم خرج رسول الله ﷺ في شهر المحرم غازياً غطفان واستعمل على المدينة عثمان بن عفان رضي الله عنه فآتاه الله صفر وانصرف ولم يلق حرباً.

في وجوه القوم مجفنة من حصى وهو يقول: «شاهد الوجه» ثم تراحو فخرج عتبة وأخوه شيبة وابنه الوليد يطلبون البراز فخرج إليهم عبيدة بن الحرش وحزة بن عبد المطلب وعلى بن أبي طالب فقتل حزة علي شيبة والوليد وضرب عتبة عبيدة قطع رجله فمات وجاء حزة علي إلى عتبة فقتلاه. وقد كان بزر إليهم عوف ومعوذ ابنا عفراء وعبد الله بن رواحة من الأنصار فآبوا إلا قومهم.

وجال القوم جولة فهزم المشركون وقتل منهم يومئذ سبعون رجلاً فمن مشاهيرهم: عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة وحنظلة بن سفيان بن حرب وابنا سعيد بن العاص عبيدة والعاص، والحرث بن عامر بن نوفل وابن عممه طعيمه بن عدي وزمعة بن الأسود وابنه الحرش وأخوه عقيل بن الأسود وابن عمه أبو البحري بن هشام ونوفل بن خويلد بن أسد وأبو جهل بن هشام، اشتراك فيه معاذ ومعوذ ابنا عفراء وجده عبد الله بن مسعود وبه رمق فخر رأسه، وأخوه العاص بن هشام وابن عمها مسعود بن أمية وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة وابن عمه أبو قيس بن الفاكه، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج، والعاص والحراث ابنا منه وأمية بن خلف وابنه علي وعمير بن عثمان عم طلحة.

واسر العباس بن عبد المطلب وعقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحرث بن عبد المطلب والسائل بن عبد العزيز من بي المطلب وعمرو بن أبي سفيان بن حرب وأبو العاص بن الربيع وخالد بن أسد بن أبي العيص وعدى بن الخيار من بي نوفل وعثمان بن عبد شمس ابن عم عتبة بن غزوان وأبو عزيز آخر مصعب بن عمير وخالفه بن هشام بن المغيرة وابن عمه رفاعة بن أبي رفاعة وأمية بن أبي حذيفة بن المغيرة والوليد بن الوليد آخر خالد وبعد الله وعمرو ابنا أبي بن خلف وسهيل بن عمرو في آخرين مذكورين في كتب السير.

### واستشهد من المسلمين:

من المهاجرين: عبيدة بن الحارث بن المطلب وعمير بن أبي وقادش ذو الشماليين عبد عمرو بن نضلة الخزاعي حليف بي زهرة وصفوان بن بيضاء من بي الحرث بن فهر ومهجع مول عمر بن الخطاب رضي الله عنه أصابه سهم فقتل، وعاقل بن البكير الليثي حليف بي عدي من الأنصار. ثم من الأوس: سعد بن خشيمة ومبشر بن عبد المنذر. ومن الخزرج: يزيد بن الحارث بن الخزرج وعمير بن الحمام من بي سلمة سمع رسول الله ﷺ يخوض على الجهاد ويرغب في الجنة وفي يده ثمرات يأكلهن فقال: يخ يخ أما بيبي وبين الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء؟ ثم رمى بهن

وكان بنو قينقاع لما انصرف رسول الله ﷺ من بدر وقف سوق بي قينقاع في بعض الأيام فوضعهم وذكراهم ما يعرفون من أمره في كتابهم، وحدرهم ما أصحاب قريشاً من البطشة، فاساؤروا الرد وقالوا: لا يغرنك أئنك لقيت قوماً لا يعرفون الحرب فأصبت منهم! والله لئن حاربنا تعلمون أنا نحن الناس. فأنزل الله تعالى: «وَإِمَّا تَخَافُنَّ مِنْ قَوْمٍ خَيَّأَهُمْ عَلَى سَوَاءٍ». وقيل: بل قتل مسلم يهودياً بسوقهم في حق، فثاروا على المسلمين ونقضوا المهد وزلت الآية. فسار إليهم رسول الله ﷺ واستعمل على المدينة بشير بن عبد المنذر، وقيل: أبا الباب، وكانوا في طرف المدينة في سبعمائة مقاتل منهم ثلثماناء دارع، ولم يكن لهم زرع ولا نخل إلما كانوا تجارةً وصاغة يعملون بأموالهم، وهم قوم عبد الله بن حارثة عبد الله بن رواحة مبشرين إلى المدينة، جعل يقول: وبلكم أحق هذا؟ وهؤلاء أشراف العرب وملوك الناس، وإن كان محمد أصاب هؤلاء فبغطن الأرض خير من ظهرها. ثم قدم مكة ونزل على المطلب بن أبي وداعة السهمي، وعنه عاتكة بنت أسيد بن أبي العicus بن أمية، فجعل يعرض على رسول الله ﷺ ويشدد الأسعار ويبيكي على أصحاب القليب، ثم رجع إلى المدينة فشبّب عاتكة ثم شبّب بناء المسلمين. فقال رسول الله ﷺ: «من يقتل كعب بن الأشرف؟» فانتدب لذلك محمد بن سلمة ول وكان بن سلامة بن وقت وأبو نائلة من بي عبد الأله كعب من الرضاعة وعبد بن بشر بن وقت بن معاذ وأبو عبس بن جبر من بي حارثة.

### سرية زيد بن حارثة إلى قردة

وكانت قريش من بعد بدر قد تخوفوا من اعتراف المسلمين عبرهم في طريق الشام فصاروا يسلكون طريق العراق، وخرج منهم تجارةً فيهم أبو سفيان بن حرب وصفوان بن أمية واستجاروا بفرات بن حيان بن بكر بن وايل فخرج بهم في الشتاء وسلك بهم على طريق العراق، واتته خبر العير إلى النبي ﷺ وما فيها من المال وأتية الفضة، فبعث زيد بن حيان العجلاني أسيراً تعمود بالإسلام وأسلم. وكان خمس هذه الغنيمة عشرين ألفاً.

### قتل أبي الحقيق

كان سلام بن أبي الحقيق هذا من يهود خمير وكنته أبو رافع، وكان يوذى رسول الله ﷺ وأصحابه ويخرب عليهم الأحزاب، مثلاً وقريباً من كعب بن الأشرف، وكان الأوس والخزرج يتosalون تصاولن الفحليين في طاعة رسول الله ﷺ والذب عنه والنيل من أعدائه، لا يفعل أحد القبيلتين شيئاً من ذلك إلا فعل الآخرون مثله. وكان الأوس قد قتلوا كعب بن

### نجران

ثم خرج رسول الله ﷺ آخر ربيع الأول يريد قريشاً واستخلف ابن أم مكتوم فبلغ نجران معدناً في الحجاز ولم يلت حرثاً وأقام هناك إلى جمادى الثانية من السنة الثالثة وانصرف إلى المدينة.

### قتل كعب بن الأشرف

وكان كعب بن الأشرف رجلاً من طيء وأمه من يهود بي النضر، ولما أصبه أصحاب بدر، وبعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة عبد الله بن رواحة مبشرين إلى المدينة، جعل يقول: وبلكم أحق هذا؟ وهؤلاء أشراف العرب وملوك الناس، وإن كان محمد أصاب هؤلاء فبغطن الأرض خير من ظهرها. ثم قدم مكة ونزل على المطلب بن أبي وداعة السهمي، وعنه عاتكة بنت أسيد بن أبي العicus بن أمية، فجعل يعرض على رسول الله ﷺ ويشدد الأسعار ويبيكي على أصحاب القليب، ثم رجع إلى المدينة فشبّب عاتكة ثم شبّب بناء المسلمين. فقال رسول الله ﷺ: «من يقتل كعب بن الأشرف؟» فانتدب لذلك محمد بن سلمة ول وكان بن سلامة بن وقت وأبو نائلة من بي عبد الأله كعب من الرضاعة وعبد بن بشر بن وقت بن معاذ وأبو عبس بن جبر من بي حارثة.

وتقدم إليه ملكان بن سلامة وأظهر له الخرافاً عن النبي ﷺ عن إذنه، وشكى إليه ضيق الحال ورام أن يبيعه وأصحابه طعاماً ويرهون سلاحهم. فأجاب إلى ذلك ورجع إلى أصحابه، فخرجوا وشيعهم رسول الله ﷺ إلى بقيع الغرقد في ليلة قمراء، واتوا كباراً فخرج إليهم من حصنه ومشوا غير بعيد ثم وضعوا عليه سيفهم، ووضع محمد بن سلمة معلولاً كان معه في ثنه فقتله. وصاح العدو الله صيحة شديدة اندفع لها أهل الحصن التي حوليه، وأوقفوا البيران، ونجا القوم وقد جرح منهم الحرث بن أوس بعض سيفهم فنزفه الدم وتآخر ثم وفاهم مجررة العريض آخر الليل وأتوا النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي، وأخبروه وتغل على جرح الحرث فبرى. وأذن لل المسلمين في قتل اليهود لما بلغه أنهم خافوا من هذه الفعلة، وأسلم حيثذا حويصة بن مسعود، وقد كان أسلم قبله آخره حميصة بسبب قتل بعضهم.

### غروة بني قينقاع

وأعطى عليه السلام سيفه إلى أبي دجابة سماك بن خرشة من بي ساعدة وكان شجاعاً بطلًا يختال عند الحرب. وكان مع قريش ذلك اليوم والد حنظلة غسيل الملائكة أبو عامر عبد الله عمرو بن صيفي بن مالك بن التعمان من ضبيعة وكان في الجاهلية قد ترهب وتتسك، فلما جاء الإسلام غلب عليه الشقاء وفر إلى مكمة في رجال من الأوس وشهد أحد مع الكفار، وكان يعد قريش في الخراف الأوس إليه لما أنه سيدهم، فلم يصدق ظنه، ولما ناداهم عرفوه، قالوا: لا أنعم الله لك علينا يا فاسق! فقاتل المسلمين قتالاً شديداً وأبلى يومئذ حزة وطلمحة وربضة وأبو دجابة والنضر بن أنس بلاء شديداً، وأصبح جماعة من الأنصار مقلبين غير مبدرين واشتد القتال وانهزم قريش أولاً، فخللت الرماة عن مراكزهم، وكر المشركون كرفة وقد فقدوا متابعة الرماة فانكشف المسلمون واستشهد منهم من أكرمهم الله، ووصل العدو إلى رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه، وقاتل مصعب بن عمر صاحب اللواء دونه حتى قتل، وجرح رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه في وجهه وكسرت رباعيته اليمني السفلي بمجر، وهشمت البيضة في رأسه، يقال: إن الذي تولى ذلك عتبة بن أبي وقاده عمرو بن قميحة الليثي، وشد حنظلة الغسيل على أبي سفيان ليقتلته فأعترضه شداد بن الأسود الليثي من شعوب قفقائه، وكان حنناً، فانخر رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه أن الملائكة غسلته.

وأكبت الحجارة على رسول الله ﷺ حتى سقط من بعض حفر هنالك، فأخذ علي بيده واحتضنه طلحة حتى قام، ومصر الدم من جرحه مالك بن سنان الخدراني والد أبي سعيد، ونشبت حلقات من حلق المفتر في وجهه ﷺ فانتزعهما أبو عيسية بن الجراح وغض عليهما فندرت ثباته فصار أهم. وحقق المشركون رسول الله ﷺ وكر دونه نفر من المسلمين فقتلوا كلهم، وكان آخرهم عماد بن يزيد بن السكن. ثم قاتل طلحة حتى أجهض المشركين وأبى دجانة يقي الشئ ﷺ بظهره وقع فيه النيل فلا

الأشرف كما ذكرناه، فاستأذن الخررج رسول الله ﷺ في قتل ابن أبي الحقيق نظير ابن الأشرف في الكفر والعداوة، فأذن لهم. فخرج إليهم من الخررج ثم من بي سلمة ثانية نفر منهم: عبد الله بن عقيل ومسعر بن سنان وأبو قتادة والحرث بن ربيع المخزاعي من حلفائهم في آخرين، وأمر عليهم عبد الله بن عقيل ونهامون أن يقتلوا وليداً أو امرأة، وخرجوا في متصرف جادى الآخره من سنة ثلاثة، فقدموا خير، وأتوا دار ابن أبي الحقيق في عيلية له بعد أن انصرف عنه عميرة ونام، وقد أغلقوا الأبواب بعد أن أتوا كلما عليهم، ونادوه ليعرفوا مكانه بصورة، ثم تحاوروه بسيرفهم حتى قتلواه، وخرجوا من القصر وأقاموا ظاهرة حتى قام الناعي على سور القصر فاستيقنوا موته، وذبوا إلى رسول الله ﷺ بالخبر. وكان أحدهم قد سقط من درج العيلية فاصابه كسر في ساقه فمضى عليه رسول الله ﷺ فبرأته.

غزوة أحد

وكانت قريش بعد واقعة بدر قد توامروا وطلبوا من أصحاب العير أن يعذنهم بالمال ليتجهزوا به لخرب رسول الله صلوات الله عليه وسلم فأعانهم، وخرجت قريش بأحابيشها وحلقاتها وذلك في شوال من سنة ثلاث، واحتلموا الظعن التماساً للحقيقة وأن لا يفروا، وأقبلوا حتى نزلوا ذا الحليفة قرب أحد بيطن السجدة مقابل المدينة على شغير واد هنالك، وذلك في رابع شوال. وكانوا في ثلاثة آلاف: منهم سبعمائة دارع ومائتا فرس وقائدتهم أبو سفيان ومعهم خمس عشرة امرأة بالدفوف ي يكن قتلى بدر. وأشار صلوات الله عليه وسلم على أصحابه بأن يتضمنوا بالمدينة ولا يغرسوا وإن جاؤوا فاتلواهم على أنفوا الأرقة، وافق ذلك على رأي عبد الله بن أبي بن سلول، وألح قوم من فضلاء المسلمين من أكرمه الله بالشهادة فليس لهم وخرج.

وقد أولئك الذين أخوا عليه و قالوا: يا رسول الله! إن شئت فاقعد. فقال: «ما ينبغي لبني إذا لبس لامته أن يضعها حتى يقاتل» وخرج في الف من أصحابه، واستعمل ابن أم مكتوم على الصلاة بيقية المسلمين بالمدينة. فلما صار بين المدينة وأحد المخندل عنه عبد الله بن أبي في ثلث الناس مغاضبةً لخالفة رأيه في المقام، وسلك رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حرة بني حارثة ومر بين الموانط وأبر الخشيمة من بني حارثة يدل به حتى نزل الشعب من أحد مستندا إلى الجبل، وقد سرحت قريش الظهر والكراع في زروع المسلمين وتهيا للقتال في سبعمائة فيهم محسون فارساً ومحسون راميأ، وأمر على

ونادى بأعلى صوته: الحرب سجالا! يوم أحد يوم بدر، أعل هبل على وجنته، فردها عليه السلام بيده فصحت و كانت أحسن عينيه. قولوا له هو يبنتا وبينكم».

ثم صار المشركون إلى مكة ووقف رسول الله ﷺ على حزنة، وكانت هند وصواحباتها قد جدّعنها وبقرن عن كبدّه فلاكتها ولم تسفها، ويقال أنه لما رأى ذلك في حزنة قال: «لئن أطغرنني الله بقريش لأمثّل بثلاثين منهم» ورجع رسول الله ﷺ وأصحابه إلى المدينة. ويقال: إنه قال لعلي: لا يصيّب المشركون منا مثلها حتى يفتح الله علينا.

## غزوة حراء الأسد

ولما كان يوم أحد السادس عشر شوال، وهو صيحة يوم أحد، إذن مؤذن رسول الله ﷺ بالخروج لطلب العدو وأن لا يخرج إلا من حضر معه بالأمس، وفصح جابر بن عبد الله من سواهم، فخرج وخرجا على ما بهم من الجهد والجرأة وصار عليه السلام متجلداً مرهباً للعدو، وانتهى إلى حراء الأسد على ثمانية أميال من المدينة وأقام بها ثلاثة، ومر به هناك معبد بن أبي عبد المخزاعي سائراً إلى مكة، ولقي أبو سفيان وكفار قريش بالروداء فأخبرهم بخروج رسول الله ﷺ في طلبهم و كانوا يرونون الرجوع إلى المدينة فقتلت ذلك في أعضادهم وعادوا إلى مكة.

## بعث الرجيع

ثم قدم على رسول الله ﷺ في صفر متم الثالثة من المحرجة نفر من عضل والقاربة بني الهون بن خرقنة إخوة بني أسد، فذكروا أن فهم إسلاماً ورغبوا أن يبعث فيهم من يفهمهم في الدين، فبعث منهم ستة رجال من أصحابه: مرثد بن أبي مرثد الغنوبي، وخالد بن البكير الليثي، وعاصم بن ثابت بن أبي الأفْلح من بني عمرو بن عوف، وخبيب بن عدي من بني جحباباً بن كلفة، وزيد ابن الدائنة بن بياضة بن عامر، وعبد الله بن طارق حلبي بني ظفر، وأمر عليهم مرثداً منهم. ونهضوا مع القوم حتى إذا كانوا بالرجيع وهو ماء لهذيل قرباً من عسفان غدروا بهم، واستصرخوا هذيلاً فتشوههم في راحلهم ففزعوا إلى القتال فأمنهم وقالوا: إنما تزيد نصيب بكم قداء من أهل مكة، فامتنع مرثد وخالد وعاصم من أحدهم وقاتلا حتى قتلوا، ورموا رأس عاصم بسيوفهم ليبعوه من سلاقة بنت سعد بن شهيد وكانت نذرت أن

يترك، وأصيّبت عين قتادة بن النعمان من بني ظفر فرجع وهي على وجنته، فردها عليه السلام بيده فصحت و كانت أحسن عينيه.

واتهـي النضر بن أنس إلى جماعة من الصحابة وقد دهشوا وقالوا: قتل رسول الله ﷺ فقال: فما تصنون في الحياة بعدها قوموا فموتو على ما مات عليه. ثم استقبل الناس وقاتل حتى قتل ووجد به سبعون ضربة. وجرح يومئذ عبد الرحمن بن عوف عشرين جراحة بعضها في رجله فرجع منها. وقتل حزنة عزم النبي ﷺ قتله وحشي مولى جبير بن مطعم بن عدي، وكان قد جاء له على ذلك بعنته فرأه يبارز سباع بن عبد العزى فرماه بمحربته من حيث لا يشعر قتله. ونادي الشيطان: الا إن حمداً قد قتل، لأن عمرو بن قميـة كان قد قتل مصعب بن عمير يظن أنه النبي ﷺ، وضربيـه أم عمارة نسيبة بنت كعب من بني مازن ضربـات فتوفي منها بدرـعيـه وخـشع الـسـلـمـون لـأـصـابـه وـوهـنـوا لـصـرـيـخـ الشـيـطـانـ. ثم إن كعب بن مالك الشاعر من بني سلمة عرف رسول الله ﷺ فنادـيـهـ بأـعـلـىـ صـوـتـهـ يـشـرـ النـاسـ وـرـسـولـهـ ﷺـ يقولـهـ:ـ أـنـصـتــ فـاجـتـمـعــ عـلـيـهـ الـسـلـمـونـ وـنـهـضـواـ مـعـهـ نـحـوـ الـشـعـبـ،ـ فـيـهـمـ أـبـوـ بـكـرـ وـعـمـرـ وـعـلـيـ وـالـزـبـيرـ وـالـحـرـثـ بـنـ الصـمـةـ الـأـنـصـارـيـ وـغـيـرـهـ،ـ وـأـدـرـكـهـ أـبـيـ بـنـ خـلـفـ فـتـاـوـلـ تـلـلـ الـحـرـيـةـ مـنـ الـحـرـثـ بـنـ الصـمـةـ وـطـعـنـهـ بـهـ فـكـرـ أـبـيـ مـهـزـمـاـ،ـ وـقـالـ لـهـ الـمـشـرـكـوـنـ:ـ مـاـ بـكـ مـنـ بـاسـ!ـ فـقـالـ:ـ وـالـلـهـ لـوـ بـصـقـ عـلـيـ لـقـتـلـيـ وـكـانـ قـدـ تـوـرـعـهـ بـالـقـتـلـ فـمـاتـ عـدـ اللـهـ بـرـفـ مـرـجـعـهـ إـلـىـ مـكـةـ.ـ ثـمـ جـاءـ عـلـيـ إـلـىـ رـسـولـهـ ﷺـ بـالـمـاءـ فـنـسـلـ وـجـهـ وـنـهـضـ فـاستـهـىـ عـلـىـ صـخـرـةـ مـنـ الـجـبـلـ وـحـانـ الـصـلـةـ فـصـلـ بـهـ قـعـداـ.ـ وـغـفـرـ اللـهـ لـلـمـهـزـمـينـ مـنـ الـسـلـمـينـ وـنـزـلـ:ـ إـنـ الـذـيـنـ تـوـلـواـ مـنـكـمـ يـوـمـ الـتـقـيـ الـجـمـعـتـ إـنـاـ اـسـتـرـلـهـمـ»ـ الـآـكـيـ وـكـانـ مـنـهـ عـفـانـ وـعـمـانـ بـنـ أـبـيـ عـقـبةـ الـأـنـصـارـيـ.

وـاشـتـهـدـ فـيـ ذـلـكـ الـبـيـوـمـ حـرـةـ كـمـاـ ذـكـرـناـ وـعـدـ اللـهـ بـنـ جـحـشـ وـمـصـبـ بـنـ عـمـيرـ فـيـ خـسـهـ وـسـيـنـ مـعـظـمـهـ مـنـ الـأـنـصـارـ،ـ وـأـمـرـ رـسـولـهـ ﷺـ أـنـ يـدـفـنـهـ بـدـعـاـهـ وـثـبـاهـ فـيـ مـضـاجـعـهـ وـلـمـ يـغـسلـوـاـ لـمـ يـصلـ عـلـيـهـ.ـ وـقـتـلـ مـنـ الـمـشـرـكـيـنـ اـثـنـانـ وـعـشـرـوـنـ مـنـهـ الـوـلـيدـ بـنـ الـعـاصـ بـنـ هـشـامـ وـأـبـيـ أـمـيـةـ بـنـ حـذـيفـةـ بـنـ الـمـغـيرةـ وـهـشـامـ بـنـ أـبـيـ حـذـيفـةـ بـنـ الـقـيـرةـ وـأـبـوـ عـزـةـ عـمـروـ بـنـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ جـعـجـ،ـ وـكـانـ أـسـرـ يـوـمـ بـدـرـ فـمـنـ عـلـيـهـ وـأـطـلـقـهـ بـلـاـ فـدـاءـ عـلـيـهـ بـعـينـ عـلـيـهـ فـقـضـيـهـ مـهـدـيـهـ وـأـسـرـ يـوـمـ أـحـدـ وـأـمـرـ رـسـولـهـ ﷺـ بـضـرـبـ عـنـتـهـ صـبـراـ،ـ وـأـبـيـ بـنـ خـلـفـ قـتـلـهـ رـسـولـهـ ﷺـ بـيـدـهـ،ـ وـصـعـدـ أـبـوـ سـفـيـانـ الـجـبـلـ حـتـىـ أـطـلـ عـلـيـهـ رـسـولـهـ ﷺـ وـأـصـحـابـهـ

رجالاً منهم على الصعود إلى ظهر البيت ليلاً على النبي ﷺ صخرة، فانتدبت لذلك عمرو بن جحاش بن كعب منهم. وأوحى الله بذلك إلى نبيه قيام، ولم يشر أحداً من أصحابه فاستبطأوه، واتبعوه إلى المدينة. فأخبرهم عن وحي الله بما أراد به يهود وأمر من أصحابه بالتهيؤ لحربه. واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، ونهض في شهر ربيع الأول أول السنة الرابعة من الهجرة، فتحصنتوا منه بالحصون فحاصرهم ست ليالٍ وأمر بقطع النخل وإحراقها، ودس إليهم عبد الله بن أبي والناقرون إنا معكم قاتلتم أو أخرجتم، ففر وهم بذلك ثم خذلتهم كرهاً وأسلوهم.

وسأل عبد الله من النبي ﷺ أن يكشف عن دمائهم ويجلبهم بما حلت الإبل من أموالهم إلا السلاح، واحتمل إلى خير من أكابرهم حبي بن أخطب وابن أبي الحقيق فدانت لهم خبر، ومنهم من سار إلى الشام، وقسم رسول الله ﷺ أموالهم بين المهاجرين الأولين خاصة، وأعطى منها أبا دجابة وسهل بن حنيف كانوا فقيرين، وأسلم من بني النضير يامين بن عمير بن جحاش، وسعيد بن وهب فاحرزا أموالهما بإسلامهما. وفي هذه الغزاة نزلت سورة الحشر.

## غزوة ذات الرقاع

وأقام رسول الله ﷺ بعد بني النضير إلى جادى من السنة الرابعة، ثم غزا مجدًا يريد بني محارب وبني ثعلبة من غطفان، واستعمل على المدينة أبا ذر الغفارى، وقيل: عثمان بن عفان، ونهض حتى نزل مجدًا فلقي بها جماعة من عطفان فقتلوا الناس ولم يكن بينهم حرب، إلا أنهم خاف بعضهم بعضًا حتى صلى رسول الله ﷺ بال المسلمين صلاة الخرف، فسميت ذات الرقاع لأن أقدامهم نابت وكانت يلقون عليها الخرق.

وقال الواقدي: لأن الجبل الذي نزلوا به كان به سواد وبياض وحرة رقاعاً فسمى بذلك وزعم أنها كانت في المحن.

## غزوة بدر الصفرى - الموعد

كان أبو سفيان نادى يوم أحد كما قدمناه يوم بدر من قبل وأجابه بأمر رسول الله ﷺ، فلما كان في شعبان من هذه السنة الرابعة خرج لميعاده واستعمل على المدينة عبد الله بن أبي بن سلول، ونزل في بدر فقام هناك ثمان ليل وخرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل الظهران وعسفان، ثم بدا له في الرجوع

تشرب فيه الخبر لما قتل ابنها من بني عبد الدار يوم أحد، فأرسل الله الدبر فحمت عاصماً منهم فتركوه إلى الليل فجاء السيل إليه فاحتلمه. وأما الآخرون فأسرورهم وخرجوا بهم إلى مكة ولما كانوا ببر الظهران اتروع ابن طارق يده من القرآن وأخذ سيفه فرميه بالحجارة فمات، وجاءوا منيبي وزيد إلى مكة فباعوهما إلى قريش فقتلواهما صبراً.

## غزوة بدر معونة

وقدم على رسول الله ﷺ في صفر هذا ملاعب الأسنة أبو براء عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة فدعاه إلى الإسلام، فلم يسلم ولم يبعد، وقال: يا محمد! لو بعثت رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد يدعوكهم إلى أمرك ورجوت أن يستجيبوا لك! فقال: إبني أخاف عليهم. فقال أبو براء: أنا لهم جار! فبعث رسول الله ﷺ المنذر بن عمرو من بيته ساعدة في أربعين من المسلمين، وقيل: في سبعين، منهم الحيث بن الصمة، وحرام بن ملحان خال أنس، وعامر بن فهيرة، ونافع بن بدبل بن ورقاء. فنزلوا بدر معونة بين أرض بني عامر وحرة بني سليم، وبعثوا حرام بن ملحان بكتاب النبي ﷺ إلى عامر بن الطفيلي فقتله، ولم ينظر في كتابه، واستعدى عليهم بني عامر فابرا جلوار أبي براء أيامهم، فاستعدى بني سليم فنهضت منهم عصبية ورغل وذكون وقتلهم عن آخرهم، وكان سرحهم إلى جانب منهم ومعهم المنذر بن أحية من بني الجلاح وعمرو بن أمية الفصمرى فنظروا إلى الطير تحسوم على العسكر، فأسروا إلى أصحابهم فوجدا هم في مضاجعهم، فاما المنذر بن أحية فقاتل حتى قتل، وأما عمرو بن أمية فجز عامر بن الطفيلي تصييده حين علم أنه من مصر لرقية كانت عن أمه، وذلك لعشرين يوماً من صفر وكانت مع الرجيع في شهر واحد. وما رجع عمرو بن أمية لقي في طريقه رجلين من بني كلاب أو بني سليم فنزلما معه في ظل كان فيه معهما عهد من النبي ﷺ لم يعلم به عمرو فاتسبا له في بني عامر أو سليم فدوا عليهما لانا ماما وقتلهم، وقدم على النبي ﷺ فآخره بذلك فقال: «لقد قتلت قتيلين لأدينهما»

## غزوة بني النضير

ونهض رسول الله ﷺ إلى بني النضير مستعيناً بهم في دية هذين القتيلين فأجابوا، وقعد عليه السلام مع أبي بكر وعمر وعلى وفتر من أصحابه إلى جدار من جدرانهم، وأراد بني النضير

جهة، وهم بالفشل بتو حارثة وبنو سلمة معتذرين بأن بيونهم عورة خارج المدينة ثم نبّهم الله.

وادم الحصار على المسلمين قريباً من شهر ولم تكن حرب.

ثم رجع رسول الله ﷺ إلى عينية بن حصن والمرث بن عوف أن يرجعا ولهما ثلثا ثمار المدينة، وشاور في ذلك سعد بن معاذ وسعد بن عبد الله فليا، وقالا: يا رسول الله! أشيء أمرك الله به فلا بد منه؟ أم شيء تحبه فتصنعه لك أم شيء تصنعني لنا؟ فقال: « بل أصنعه لكم! إنني رأيت أن العرب رمتكم عن قوس واحدة » فقال سعد بن معاذ: قد كنا معيهم على الشرك والأوثان ولا يطمعون مما نشره إلا شراء وبيعاً فحين أكرمن الله بالإسلام وأعزنا بك تعظيم أموالنا! والله لا نعطيهم إلا السيف. فطب رسول الله ﷺ. وقادى الأمر، وظهر فوارس من قريش إلى الخندق فيهم: عكرمة بن أبي جهل، وعمرو بن عبدود منبني عمرو بن لوي، وضرار بن الخطاب منبني عمارب فلما رأوا الخندق قالوا: هذه مكيدة ما كانت العرب تعرفها. ثم اتّحوموا من مكان ضيق حتى جالت خيلهم بين الخندق وسلع، ودعوا إلى البراز وقتل علي بن أبي طالب عمرو بن عبدود، ورجعوا إلى قومهم من حيث دخلوا ورمي في بعض تلك الأيام سعد بن معاذ بسيم قطع عنه الأكحل، يقال: رماه حبان بن قيس ابن العرقه وقيل: أبو أسامة الجشمي حليف بني مخزوم، ويروى أنه لما أصيب جبل يدعوه: اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فابقني لها فلا قوم أحب إلى أن أجاهدهم من قوم آذوا رسولك وأترجوه، وإن كنت وضعت الحرب بيتنا وبينهم فاجعلها شهادة لي، ولا تخني حتى تقر عيني من بني قريطة.

ثم اشتد الحال وأتى نعيم بن مسعود بن عامر بن أبيف بن ثعلبة بن قنفذ بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ربيت بن غطفان فقال: يا رسول الله! إنني أسلمت ولم يعلم قومي فعندي بما تشاء، فقال: « إنما أنت رجل واحد فخذل عنك إن استطعت فإن الحرب خدعة » فخرج نعيم فأنى بني قريطة وكان صديقهم في الجاهلية، فتقى لهم في قريش وغطفان وإنهم إن لم يكن الظفر لحقوا ببلادهم وتركوكم، ولا تقدرون على التحول عن بلدكم ولا طاقة لكم بمحمد وأصحابه، فاستوتفقاً منهم برهن ابنائهم حتى يصابرها معكم. ثم أتى أبا سفيان وقرشاً فقال لهم: إن اليهود قد ندموا وراسلوا حمداً في المعادة على أن يسترها أبناءكم ويدفعوها إليهم. ثم أتى غطفان وقال لهم مثلاً قال لقريش: فأرسل أبو سفيان وغطفان إلى بني قريطة في ليلة سبت إنما لستنا بدار مقام فأعادوا للقتال، فاعتذر اليهود بالسبت، وقالوا: مع ذلك لا نقاتل حتى

واعتذر بأن العام عام جدب.

## غزوة دومة الجندل

خرج إليها رسول الله ﷺ في ربيع الأول من السنة الخاصة وخلف على المدينة سباع بن عرفطة الفاري. وقد كان بلغه أن جماعاً تجمعوا بها فغزاهم، ثم انصروا من طريقه قبل أن يبلغ دومة الجندل ولم يلق حرباً. وفيها وادع رسول الله ﷺ عينية بن حصن أن يرعى بأراضي المدينة لأن بلاده كانت أجنبية، وكانت هذه قد أخصبت بسحابة وقت فاذن له في رعيها.

كانت في شوال من السنة الخامسة، والصحيح أنها في الرابعة، كان ابن عمر يقول ردني رسول الله ﷺ يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة ثم أحازني يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة سنة فليس بينهما إلا سنة واحدة وهو الصحيح، فهي قبل دومة الجندل بلا شك. وكان سببها أن نفراً من اليهود منهم سلام بن أبي الحقيق وكثانة بن الربيع بن أبي الحقيق وسلم بن مشك وحيبي بن أخطب من بني النضير وهو ابن قيس وأبو عمارة من بني واائل، لما أخْلَى بنو النضير إلى خير خرجوا إلى مكة يجزيون الأحزاب ويخوضون على حرب رسول الله ﷺ ويرغبون من أشراف إلى ذلك بالمال. فأجابهم أهل مكة إلى ذلك، ثم مضوا إلى غطفان وخرج بهم عينة بن حصن على أشجع، وخرجت قريش وقادتها أبو سفيان بن حرب في عشرة آلاف من أحبابهم ومنتبعهم من كلّة وغيرهم. ولما سمع بهم رسول الله ﷺ أمر مخفر الخندق على المدينة وعمل فيه بيده المسلمين معه، ويقال: إن سلمان أشار به. ثم أقبلت الأحزاب حتى نزلوا بظاهر المدينة بجانب أحد، وخرج عليه السلام في ثلاثة آلاف من المسلمين، وقيل: في تسعمائة فقط وهو راجل بلا شك. وخلف على المدينة ابن أم مكتوم فنزل بسطح سلع والخندق بينه وبين القوم وأمر بالسأء والذراري فجعلوا في الأطآم، وكان بنو قريطة موادعين لرسول الله ﷺ فاتاهم حبي وأغراهم فنقضوا العهد وصالوا مع الأحزاب، وبلغ أمرهم إلى النبي ﷺ، فبعث سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وخوان بن جبير عبد الله بن رواحة يستخرون الأمر، فوجدوهم مكاشفين بالغدر والنيل من رسول الله ﷺ، فشاتهم سعد بن معاذ و كانوا أحلافه وانصرفا. وكان عائلاً قد أمرهم إن وجدوا الغدر حقاً أن يخبروه تعرضاً لثلا يفتوا في أعضاد الناس، فلما جاؤوا إليه قالوا: يا رسول الله عضل والغارة يريدون غدرهم بأصحاب الرجيع، فعظم الأمر وأحيط بال المسلمين من كل

وتبسي النزاري والنساء وتقسم الأموال. فقال رسول الله ﷺ: «لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة» ثم انه أمر بهم فأنخرجوا إلى سوق المدينة وخذق لهم بها خنادق وضرست اعناقهم فيها وهم بين الستمة والسبعينات رجل، وقتلت فيه امرأة واحدة بناية امرأة الحكم القرطي وكانت طرحت على خلال بن سويد بن الصامت رحى من فوق الحائط فقتلته. وأمر عليه السلام بقتل من ثابت منهم. ووهد ثابت بن قيس بن الشamas ولد الزبير بن ياطا فاستحبوا منهم عبد الرحمن بن الزبير كانت له صحبة، وبعد أن كان ثابت استوره من النبي ﷺ الزبير وأهله وبالله فرهبه ذلك فغر الزبير عليه يده وأبي إلا القتل مع قومه أغبطاً بهم قبح الله.

ووهد عليه السلام لأم المنذر بنت قيس من بنى التجار رفاعة بن سموال القرطي فأسلم رفاعة وله صحبة.

وقسم **ثبات** أموال بنى قريطة فأسهم للفارس ثلاثة أسهم وللراجل سهماً، وكانت جيل المسلمين يومئذ ستة وثلاثين فارساً، ووقع في سهم النبي ﷺ من سبعمائة بنت عمرو بن خنادة من بنى عمرو بن قريطة فلم تزل في ملكه حتى مات رسول الله ﷺ، وكان فتح بنى قريطة آخر ذي القعدة من السنة الرابعة. ولما تم أمرهم أحيايت دعوة سعد بن معاذ فانفجر عرقه ومات فكان من استشهد يوم الخندق في سبعة آخرین من الأنصار، وأصيب من المشركين يوم الخندق أربعة من قريش فيهم عمرو بن عبد ود وابنه حسل ونوفل بن عبد الله بن مربدة، ولم تغز كفار قريش المسلمين منذ يوم الخندق. ثم خرج رسول الله ﷺ في جمادى الأولى من السنة الخامسة لستة أشهر من فتح بنى قريطة، فقصد بني لحيان يطالب بثأر عاصم بن ثابت وخبيب بن عدي وأهل الرجيع، وذلك إن رجوعه من دومة الجندل، فسلك على طريق الشام أولًا ثم أخذ ذات اليسار إلى صخيرات البمام، ثم رجع إلى طريق مكة وأجد السير حتى نزل منازل لبني بين أموج وعسفان فوجدهم قد حذروا وامتنعوا بالجبال، وفاثتهم الغرة فيهم فخرج في مائة راكب إلى المدينة.

### غزوة الغابة وذي قرد

و بعد قوله وال المسلمين إلى المدينة بليل أغار عينة بن حصن الفزاروي في بي عبد الله بن غطفان فاستلحموا لقاح النبي ﷺ بالغابة، وكان فيها رجل من بي غفار وامرائه فقتلوا الرجل وحلوا المرأة، ونزل بهم سلمة بن عمرو بن الأكوع الإسلامي وكان

تعطونا رهناً. فصدق القوم خبر نعيم، وردوا إليهم بالإيابية من الرهن والمحث على الخروج، فصدق أيضاً بنو قريطة خبر نعيم وأبوا من القتال. وأرسل الله على قريش وغطفان رحباً عظيمة أكفتاً قدورهم وآتياً لهم وقلعت أبيتهم وخيماتهم، وبعث عليه السلام حذيفة بن اليمان عيناً فاته بخبر رحيلهم وأصبح - وقد ذهب الأحزاب - ورجع إلى المدينة.

### غزوة بنى قريطة

ولما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة أتاه جبريل بالتهوين إلى بنى قريطة وذلك بعد صلاة الظهر من ذلك اليوم، فامر المسلمين أن لا يصللي أحد العصر إلا في بي قريطة، وخرج وأعطى الرأبة علي بن أبي طالب، واستخلف ابن أم مكتوم، وحاصرهم **ثبات** خمساً وعشرين ليلة، وعرض عليهم سليم كعب بن أسد إحدى ثلاث: إما الإسلام، وإما تبیت النبي ﷺ ليلة السبت ليكون الناس آمنين منهم، وإما قتل النزاري والنساء ثم الاستمانة. فأبوا كل ذلك وأرسلوا إلى النبي ﷺ أن يبعث إليهم أبا لبابة بن عبد المنذر بن عمرو بن عوف بما كانوا حلفاء الأوس، فأرسله واجتمع إليه الرجال والنساء والصبيان فقالوا: يا أبا لبابة ترى لنا أن ننزل على حكم محمد؟ قال نعم! وأشار يده في حلقه إنه الذبح. ثم رجع فندم وعلم أنه أذن فاطلقي على وجهه، ولم يرجع إلى النبي ﷺ، وربط نفسه إلى عمود في المسجد يتضرر توبيه الله عليه وعاهد الله أن لا يدخل أرض بي قريطة مكاناً خان فيه ربه ونبيه، وبلغ ذلك النبي ﷺ، فقال: «لو أتاني لأستقرن له فاما بعد ما فعل فاما أنا بالذى أطلقه حتى يتوب الله عليه» فنزلت توبته، فتول عليه السلام إطلاقه يده بعد أن قام مرتبطاً بالجلد ست ليل لا يخل إلا للصلوة ثم نزل بنو قريطة على حكم النبي ﷺ فأسلم بعضهم ليلة نزولهم وهو نفس أربعة من هذيل إخوة قريطة والنضير، وفر منهم عمرو بن سعد القرطي ولم يكن دخل معهم في نفس العهد فلم يعلم أين وقع. ولما نزل بنو قريطة على حكمه **ثبات** طلب الأوس أن يفعل بهم ما فعل بالخرج في بي التضير، فقال لهم: «الا ترضون ان يحكم فيهم رجال منكم؟» قالوا: بل! قال: «فذلك إلى سعد بن معاذ» وكان جريحاً منذ يوم

الخندق وقد أنزله رسول الله ﷺ في خيمة في المسجد ليعوده من قريب، فأتى به على حمار فلما أقبل على المجلس قال رسول الله ﷺ لهم: «قوموا إلى سيدكم!». ثم قالوا: يا سعد! إن رسول الله ﷺ قد ولأك حكم مواليك، فقال سعد: عليكم بذلك عهد الله وبمثاقه، قالوا: نعم.... قال: فإني أحكم فيهم أن يقتل الرجال

وفيها قال أهل الإفك ما قالوا في شأن عائشة مما لا حاجة بنا إلى ذكره وهو معروف في كتب السير، وقد أنزل الله القرآن الحكيم ببراءتها وتشريفهما. وقد وقع في الصحيح أن مراجعته وقعت في ذلك بين سعد بن عبادة وسعد بن معاذ وهو وهم ينفي التبليغ عليه، لأن سعد بن معاذ مات بعد فتح بي قريظة بلا شك داخل السنة الرابعة وغزوة بي المصطلق في شعبان من السنة السادسة بعد عشرين شهراً من موت سعد، والملاحة بين الرجلين كانت بعد غزوة بي المصطلق بازيد من خمسين ليلة. والذي ذكر ابن إسحاق عن الزهري عن عيسى بن عبد الله بن عبد الله وغيره: إن المقاول لسعد بن عبادة إنما هو أسيد بن الحصين والله أعلم.

ولما علم المسلمون أن النبي ﷺ تزوج جويرية، اعتقوا كل ما كان في أيديهم من بي المصطلق أصهار رسول الله ﷺ، فأطلق بسبها مائة من أهل بيته، ثم إن رسول الله ﷺ بعث إلى بني المصطلق بعد إسلامهم بعامين الوليد بن عقبة بن أبي معيط لقبض صدقائهم، فخرجوا يتلقونه، فخافهم على نفسه ورجع، وأخبر لهم همروا بقتله. فشاور المسلمين في غزوهם ثم جاء وذهب من ذكرى ما كان من رجوع الوليد قبل النبي ﷺ ذلك منهم ونزل قوله تعالى «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آتَنَا إِنْ جَاءُوكُمْ فَاسْقِ» الآية.

### عمره الحديبية

ثم خرج رسول الله ﷺ في السادسة وفي ذي القعدة منها معتمراً بعد بي المصطلق بشهرين، واستقر الأعراب حوالي المدينة قابطاً أكثرهم فخرج من معه من المهاجرين والأنصار، ومن اتبعه من العرب فيما بين الثمانة بعد الألف إلى الخمسة، وساق المدح وأحرم من المدينة ليعلم الناس أنه لا يريد حرباً. وبلغ ذلك قريشاً فأذاعوا على صده عن الصد عن البيت وقاتلاته دونه، وقدموا خالد بن الوليد في خيل إلى كراع الغميم، وورد خبرهم إلى النبي ﷺ بعسفان، فسلك على ثنية المرار حتى نزل الحديبية من أسفل مكة وجاء من ورائهم، فثار خالد في خيله إلى مكة. فلما جاء ﷺ إلى مكة بركت ناقته، فقال الناس: خلأت، فقال: «ما خلأت وما هو لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل» ثم قال: «والذي نفس بيده لا تدعوني قريش اليوم إلى خطبة يسألونني فيها صلة الرحم إلا أعطينهم إياها» ثم نزل واشتكى الناس فقد الماء فأعطتهم سهاماً من كناته غرزه في بعض القلوب من الروادي، فجاش الماء حتى كفى جميع الجيش، يقال نزل به البراء بن عازب. ثم جرت السفراء بين رسول الله ﷺ وبين كفار قريش، وبعث عثمان بن

ناهضاً، فعلا ثانية الراdue وصاح باعلى صوته نذيراً لهم، ثم أتبعهم واستنقذ ما كان بأيديهم، ولحق به المقادير بن الأسود وعبد بن بشر الله ﷺ في أثرهم، ولحق به المقادير بن الأسود وعبد بن بشر وسعد بن زيد من بي عبد الأشهل. وعكاشه بن محسن ومحز بن نصلة الأسدى وأبا قتادة من بي سلمة في جماعة من المهاجرين والأنصار، وأمر عليهم رسول الله ﷺ سعد بن زيد وانطلقوا في ابائهم حتى أدركوهم، فكانت بينهم جولة قتل فيها محز بن نصلة قتله عبد الرحمن بن عبيدة وكان أول من لحق بهم. ثم ول المشركون منهزمين وبلغ رسول الله ﷺ ما يقال له ذو قرد، فقام عليه ليلة ويومن وخر ناقة من لقاحه المسترجعة ثم قفل إلى المدينة.

### غزوة بي المصطلق

وأقام رسول الله ﷺ إلى شعبان من هذه السنة السادسة، ثم غزا بي المصطلق من خزانة لما بلغه أنهم يجتمعون له وقادتهم الحرش بن أبي ضرار أبو جويرية أم المؤمنين، فخرج اليهم واستخلف أبا ذر الغفارى، وقيل ثمالة بن عبد الله الليشى ولقيهم بالمرسخ من مياهم ما بين قديد والساحل فتزاحفوا وهزمهم الله وقتل من قتل منهم وسي النساء والذرية وكانت منهم جويرية بنت الحرش سليمهم، ووقيت في سهم ثابت بن قيس، فماتت بها، وأدى عليه السلام عنها وأعنتها وتزوجها. وأصيب في هذه الغزاة هشام بن صبابة الليشى من بي ليث بن بكر قتله رجل من رهط عبادة بن الصامت غالطاً يظنه من العدو، وفي مرجع النبي ﷺ من هذه الغزاة، وفيها قال عبد الله بن أبي بن سلول: لشن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل لمشاجرة وقعت بين جهجاه بن مسعود الغفارى أجير عمر بن الخطاب وبين سنان بن واقت المجهنى حليف بي عوف بن الحزرج، فتشاوروا وتباهوا، فقال ما قال، وسمع زيد بن أرق مقالته، وبلغها إلى رسول الله ﷺ. وزارت سورة المنافقين وتبرأ منها ابنه عبد الله، وقال: يا رسول الله أنت والله الأعز وهو الأذل وإن شئت والله آخرجه. ثم اعترض أبا عبد المدينة، وقال: والله لا تدخل حتى ياذن لك رسول الله ﷺ، فاذن له، وحيثند دخل، وقال: يا رسول الله بلغني أنك تريد قتل أبي ولي أخشى أن تأمر غيري فلا تدعني نفسى أن أقاتله، وإن قتله قتلت مؤمناً بكافر، ولكن مني بذلك فانا والله أحمل إليك رأسه. فجزاه رسول الله ﷺ خيراً وأخبره أنه لا يصل إلى أبيه سوء.

يفعل شيئاً إلا دخل فيه، فلقد دخل في ذينك السنتين في الإسلام مثلما كان قبل ذلك أو أكثر.

ولما راجع **رسول الله** إلى المدينة لقاه أبو بصير عتبة بن أسد بن حارثة هارباً وكان قد أسلم وحبسه قومه مكمة وهو ثقفي من حلفاء بي زهرة، بعث إلى الأزهر بن عبد عوف عم عبد الرحمن بن عوف والأحسن بن شريق سيد بي زهرة رجلاً من بي عامر بن نزلي مع مولى لهم، فأرسله النبي **رسول الله** فاحتله. فلما نزلوا بذى الحليفة أخذ أبو بصير السيف من أحد الرجلين، ثم ضرب به العماري فقتلته وفر الآخرون، وأتى أبو بصير إلى النبي **رسول الله** فقال: يا رسول الله! قد دفوت ذمتك وأطلقني الله فقال عليه السلام: «ويله مسرع حرب لو كان له رجال» فبكى. فقطن أبو بصير من لحن هذا القول أنه سيرده، وخرج إلى سيف البحر على طريق قريش إلى الشام، وانضاف إليه جهور من يفر عن قريش من أراد الإسلام فآدوا قريشاً وقطعوا على رفاقهم وسابلتهم، فكتروا إلى النبي **رسول الله** أن يضمهم بالمدينة.

ثم هاجرت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وجاء فيها أخواتها عمارة والوليد، فمنع الله من رد النساء وفسخ ذلك الشرط المكتوب، ثم نسخت براءة ذلك كله وحرم الله حيثذا على المسلمين إمساك الكوافر في عصمتهم فانفسخ نكاحهن.

## إرسال الرسل إلى الملوك

وقال ابن إسحاق: ثم بعث رسول الله **رسول الله** فيما بين الحديبية ووفاته رجالاً من أصحابه إلى ملوك العرب والعجم دعاء إلى الله عز وجل، فبعث سليمان بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود أخا أبي عامر بن لؤي إلى هودة بن علي صاحب اليمامة، وبعث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوي أخيه بن عبد القيس صاحب البحرين، وعمرو بن العاص إلى جيفر بن جلندي بن عامر بن جلندي صاحب عمان، وبعث حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوس صاحب الإسكندرية فادى إليه كتاب رسول الله **رسول الله** وأهدى المقوس إلى رسول الله **رسول الله** أربع جوار منها مارية أم إبراهيم ابنته.

وبعث رسول الله **رسول الله** دحية بن خليفة الكلبي إلى قيسر وهو هرقل ملك الروم، فوصل إلى بصرى وبعثه صاحب بصرى إلى هرقل، وكان برى في ملامحهم أن ملك الختان قد ظهر، وقرأ الكتاب وإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هرقل

عفان بينهما رسولاً، وشاء الخبر أن المشركين قتلوه، فدعى رسول الله **رسول الله** المسلمين وجلس تحت شجرة فباعوه على الموت وأن لا يغروا، وهي بيعة الرضوان، وضرب عليه السلام بيسراه على يمينه وقال: «هذه عن عثمان» ثم كان سهيل بن عمرو آخر من جاء من قريش فقضى رسول الله **رسول الله** قريشاً على أن ينصرف عمه ذلك ويأتي من قابل معتمراً ويدخل مكة وأصحابه بلا سلاح حاشا السيف في القرب، فيقيم بها ثلاثة ولا يزيد، وعلى أن يتصل الصلح عشرة أعوام يتداخل في الناس ويؤمن بعضهم بعضاً، وعلى أن من هاجر من الكفار إلى المسلمين من رجل أو امرأة أن يرد إلى قومه ومن ارتد من المسلمين إليهم لم يردوه.

وعظم ذلك على المسلمين حتى تكلم فيه بعضهم، وقد كان النبي **رسول الله** علم أن هذا الصلح سبب لأمن الناس وظهور الإسلام، وأن الله يجعل فيه فرجاً لل المسلمين وهو أعلم بما علمه ربه. وكتب الصحيفة علي، وكتب في صدرها: هذا ما قضى عليه محمد رسول الله **رسول الله**، فأنى سهيل من ذلك وقال: لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك، فأنر رسول الله **رسول الله** علينا أن يمحوها، فأنى وتناول هو الصحيفة بيده وما ذلك وكتب محمد بن عبد الله.

ولا يقع في ذهنك من أمر هذه الكتابة رب فانها قد ثبتت في الصحيح، وما يفترض في الوهم من أن كتابه قادحة في المعجزة فهو باطل، لأن هذه الكتابة إذا وقعت من غير معرفة بأوضاع المروف ولا قوانين الخط وأشكالها بقيت الأمية على ما كانت عليه، وكانت هذه الكتابة الخاصة من إحدى المعجزات انتهى.

ثم أتى أبو جندل بن سهيل برسف في قيوده وكان قد أسلم، فقال سهيل: هذا أول ما تقاضي عليه. فردد رسول الله **رسول الله** إلى أبيه وعظم ذلك على المسلمين، وأخبر النبي **رسول الله** أبا جندل أن الله سيجعل له فرجاً، وبينما هم يكتبون الكتاب إذ جاءت سرية من جهة قريش قيل ما بين الثلاثين والأربعين يريدون الإيقاع بال المسلمين، فأخذذتهم خيول المسلمين وجاؤوا بهم إلى رسول الله **رسول الله** فأعتصمهم وإليهم ينسب العتقون.

ولما تم الصلح وكتابه أمر رسول الله **رسول الله** أن يتحرروا ويعلقوها فترقصوا، فغضب حتى شكي إلى زوجته أم سلمة فقالت: يا رسول الله أخرج وأخر واحلق فإنهم متبعوك فخرج وغير وحلق رأسه حيذ خراش بن أمية الخزاعي، ثم رجع رسول الله **رسول الله** إلى المدينة، وما فتح من قبله فتح كان أعظم من هذا الفتح. قال الزهري: لما كان القتال حيث لا يلتقي الناس. فلما كانت المدنة ووضعوا الحرب أوزارها وأمن الناس بعضهم بعضاً فالفتووا وتفاوضوا في الحديث والمنازعة فلم يكلم أحد بالإسلام أحداً

شتت أن آتيك فعلت يا رسول الله، فلاني أشهد أن الذي تقول حق والسلام عليك يا رسول الله.

فذكر أنه بعث ابنه في سفين من الحبشة في سفينة فغرقت بهم، وقد جاء أنه أرسل إلى النجاشي ليزوجه أم حبيبة، وبعث إليهم بالخطبة جارته فأعطتها أوضاحاً وفتحاً ووكلت خالد بن سعيد بن العاص فزوجها، ودفع النجاشي إلى خالد بن سعيد أربعينات دينار لصداقها، وجاءت إليها بها الجارية فأعطتها منها خمسين مثقالاً، فرددت الجارية ذلك بأمر النجاشي. وكانت الجارية صاحبة دهنها وثيابه وبعث إليها نساء النجاشي بما عندهن من عود وعبير وارتكبها في سفينتين مع بقية المهاجرين، فلقو النبي ﷺ مخبير، وبلغ أبا سفيان تزويج أم حبيبة منه فقال: ذلك الفحل الذي لا يقدّع أنفه.

وكتب رسول الله ﷺ في هذه السنة إلى كسرى، وبعث بالكتاب عبد الله بن حذافة السهمي وفيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس! سلام على من اتبع الهدى وأسن بالله ورسله أما بعد فلاني رسول الله إلى الناس كافة ليتذر من كان حياً أسلم وسلم فإن أبيت فعليك إثم الجوس» فمزق كسرى كتاب النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «مزق الله ملكه». وفي رواية ابن إسحاق بعد قوله «وأمن بالله ورسله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن حمدنا عبده ورسوله وأدعوك بدعاه الله فلاني أنا رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين فإن أبيت فائم الأريسين عليك». قال: ثم كتب كسرى إلى باذان وهو عامله على اليمن أن أبعث إلى هذا الرجل الذي بالحجاز رجلين من عندك جلدين فليأتيني به بعث باذان قهريمانه باتوته وكان حاسباً كاتباً بكتاب فارس ومعه خرخسراً من الفرس، وكتب إليه معهما أن ينصرف إلى كسرى، وقال لهم: ألا عنكما فقيل: هو بالمدينة. وفرح من سمع بذلك من قريش وكانت بالطائف، فقالوا: قطب له كسرى وقد كفيتهم. وقدموا على رسول الله ﷺ بالمدينة فكلمه باذان وقال: إن شاهنشاه قد كتب إلى الملك باذان أن يبعث إليه من يائيه بك ويعتني لتطلاق معه ويكتب معه إليك فيتفعل وإن أبيت فهو من علمت وبهلك قومك ويخرب بلادك. وكانا قد حلقاً لحاهم وأعفياً شواربهم فنهاماً رسول الله ﷺ عن ذلك، فقالاً: أمرنا به ربنا يعنون به كسرى. فقال لهم: «لكن رب أمراضي ياعفاءً لحيبي وقص شاري لم أوخرهما إلى غداً». وجاءه الرؤوف بـ«أن الله يسلط على كسرى ابنه شيروه

عظيم الروم! السلام على من اتبع الهدى. أما بعد أسلم تسلم يؤتكم الله أجراً مرتب فإن توليت فإن عليك ثباتاً محمله» وفي رواية: «إتم الأكارين عليك ثباتاً محمله» فطلب من مملكته من قوم النبي ﷺ فأحضروا له من غزة، وكان منهم أبو سفيان فسأله كما وقع في الصحيح، فأجابه وعلم أحواله وتفسر صحة أمره، وعرض على الروم أتباعه فأبوا ونفروا فلاظفهم بالقول وأقصروه ويروى عن ابن إسحاق أنه عرض عليهم الجزية، فأبوا فعرض عليهم أن يصلحوا بأرض سوريا.

قالوا: وهي أرض فلسطين والأردن ودمشق وحمص وما دون الدرب وما كان وراء الدرب فهو الشام.... فأبوا قال ابن إسحاق: وبعث رسول الله ﷺ شجاع بن وهب الأسدى أخا يبني أسد بن خزيمة إلى المنذر بن الحضر بن شمر الغساني صاحب دمشق، وكتب معه: «السلام على من اتبع الهدى وأمن به أدعوك إلى أن تومن بالله وحده لا شريك له يبقى لك ملكك. فلما قرأ الكتاب قال: من يتزعزع ملكي؟ أنا سائر إليه! فقال النبي ﷺ: «باد ملکك».

قال: وبعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي في شأن جعفر بن أبي طالب وأصحابه، وكتب معه كتاباً:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحح عظيم الحبشة، سلام عليك! فلاني أهد إليك الله الملك القدس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمه القالها إلى مريم الطيبة البطلول الحصينة فحملت عيسى فخلقه من روحه وفخمه كما خلق آدم بيده ونفعه وإن أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والمراد على طاعته تتبعني وتزمن الذي جاعني فلاني رسول الله وقد بعثت إليك ابن عمي جعفراً ومعه نفر من المسلمين فإذا جاؤوك فاقرهم ودع التجري وإنني أدعوك وجنودك إلى الله فلقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصحي والسلام على من اتبع الهدى». فكتب إليه النجاشي: إلى محمد رسول الله من النجاشي الأصحح بن الحبر.... سلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته أهد الله الذي لا إله إلا هو الذي هدانا للإسلام أما بعد فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى فورب السماء والأرض إن عيسى ما يزيد بالرأي على ما ذكرت أنه كما قلت وقد عرفنا ما بعثت به إلينا، وقد رينا ابن عمك وأصحابه فأشهد أنك رسول الله صادقاً مصدقًا فقد باعنتك وبايعت ابن عمك وأسلمت الله رب العالمين وقد بعثت إليك يا يحيى أرضاً الأصحح فإني لا أملك إلا نفسي وإن

طعاماً وودكاً منه. وأخر ما افتح من حصنهم الوطیح والسلام حصرهما بضع عشرة ليلة. ودفع إلى علي الرابية في حصار بعض حصنهم فافتتحه، وكان أرمد فتله في عينيه عليه السلام فبرا.

وكان فتح بعض خير عنزة وبعضاها وهو الأكثر صلحاً على الجلاء، فقسمها عليه السلام واقر اليهود على أن يعلمونها بأموالهم وأنفسهم ولم النصف من كل ما تخرج من زرع أو غير يقرهم على ذلك ما بدا له، فبقاء على ذلك إلى آخر خلافة عمر فبلغه أن النبي صلوات الله عليه وسلم قال في مرضه الذي مات فيه: «لا يبقى دينان بأرض العرب» فأمر بإجلائهم عن خير وغيرها من بلاد العرب. وأخذ المسلمين ضيافهم من مقام خير فتصرفا فيها، وكان متولى قسمتها بين أصحابها جابر بن صخر من بني سلمة، وزيد بن سلمة من بني التجار، واستشهد من المسلمين جماعة تبف على العشرين من المهاجرين والأنصار منهم عامر بن الأكوع وغيره وفي الغزاة حرمت لحوم الحمر الأهلية فاكتفت القدور وهي تفور بلحماها. وفيها أهدت اليهود زينب بنت الحمرث امرأة سلام بن مشكم إلى النبي صلوات الله عليه وسلم شابة مصليبة، وجعلت السم في الذراع منها وكان أحب اللحم إليه، فتناوله ولاك منه مضافة ثم لفظها، وقال: «إن هذا العظم يخبرني أنه مسموم»، وأكل معه بشر بن البراء بن معروف وزارده لقنته فمات منها. ثم دعا باليهودية فاعترفت ولم يقتلها لإسلامها حيثت على ما قبل، ويقال إنه دفعها إلى أولياء بشر قتلوها.

### قدوم مهاجرة الحبشة

وكان مهاجرة الحبشة قد جاء جماعة منهم إلى مكة قبل المجزرة حين سمعوا بإسلام قريش ثم هاجروا إلى المدينة، وجاء آخرون منهم قبل خير بستين، ثم جاء بقيتهم إثر فتح خير. بعث رسول الله صلوات الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي في شأنهم ليقدمهم عليه، فقدم جعفر بن أبي طالب وامرأته اسماء بنت عميس وبنوها عبد الله ومحمد وعون، وخالد بن سعيد بن العاص بن أمية وامرأته أمينة بنت خلف وابنهما سعيد، وأم خالد وعمرو بن سعيد بن العاص، ومعيقب بن أبي فاطمة حليف أبي سعيد بن العاص وولي بيت المال لعمر، وأبي موسى الأشعري حليف آل عتبة بن ربيعة والأسود بن نوقل بن خويلد ابن أخي خديجية، ووجه بن قيس بن شرحبيل بن عبد الدار وابنهان عمرو وخزيمة، والحرث بن خالد بن صخر من بني تميم، وعثمان بن ربيعة بن أهبان من بني جع، وخنيبة بن جون الزبيدي حليف بني

فيقتله ليلة كذا من شهر كذا لعشر م屁دين من جمادى الأولى سنة سبع، فدعاهما وأخبرهما فقالا: هل تدرى ما تقول؟ بجزئه عاقبة هذا القول، فقال: «اذنها وأخباره بذلك عني وقولا له: إن ديبي وسلطاني سيلغ ما بلغ ملك كسرى وإن أسلمت أعطيتك ما تحت يدك وملكتك على قومك من الأنساء» وأعطي خرسنة قطعة فيها ذهب وفضة كان بعض الملوك أهدأها له. فقدموا على باذان وأخباره فقال: ما هذا كلام ملك! ما أرى الرجل إلا نياً كما يقول ونحن ننتظر مقالته. فلم ينشب باذان أن قدم عليه كتاب شيرويه:

أما بعد فاني قلت كسرى ولم أتله إلا غضباً لفارس لما كان استحل من قتل أشرافهم وتسبيرهم في ثورهم فإذا جاءك كتابي هذا فخذلي الطاعة من قبلك وانتظر الرجل الذي كان كسرى كتب فيه كثيراً إليك فلا تهجه حتى ياتيك أمرني فيه. فلما بلغ باذان الكتاب وأسلمت الآباء تسعه من فارس من كان منهم باليمين، وكانت حير تسمى خرسنة ذات المخرة للمنطقة التي أطهان إليها النبي صلوات الله عليه وسلم والمنطقة بلسانهم المخرة، وقد كان بانياه قال لباذان: ما كلمت رجالاً قط أهيب عندي منه، فقال: هل معك شرط؟ قال: لا!

قال الواقدي: وكتب إلى المقوقس عظيم القبط يدعوه إلى الإسلام فلم يسلم.

### غزوة خير

ثم خرج رسول الله صلوات الله عليه وسلم غازياً إلى خير في بقية المحرم آخر السنة السادسة وهو في الف وأربعين راجل ومائتي فارس، واستختلف نميلة بن عبد الله الليشي، وأعطي الرابية لعلي بن أبي طالب، وسلك على الصهباء حتى نزل بواديها إلى الرجع، فجبل بينهم وبين غطfan وقد كانوا أرادوا إمداد يهود خير، فلما خرجوا لذلك قذف الله في قلوبهم الرعب لحس سمعوه من وراءهم فانصرفاً وأقاموا في أماكنهم. وجعل رسول الله صلوات الله عليه وسلم يفتح حصنون خير حصناً حصناً فافتتح أولاً منها حصن ناعم، والتنيت على محمود بن سلمة من أعلاه رحى فقتله. ثم افتح القموص حصن ابن أبي الحقيق، وأصيبت منهم سباعياً: كانت منهن صافية بنت حبي بن أخطب، وكانت عروساً عند كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق فوهبها عليه السلام لدحية الكلبي، ثم ابتعها منه بسبعة أرؤس ووضعها عند أم سلمة حتى اعتدت وأسلمت ثم اعتتها وتزوجها. ثم فتح حصن الصعب بن معاذ، ولم يكن بخير أكثر

وكم إسلامه، ورجع إلى قريش ولقي خالد بن الوليد فأخبره فقاوضه، ثم هاجرا إلى النبي ﷺ فأسلما.

وبعث رسول الله ﷺ خالداً مع بعث الشام وأمر على الجيش مولاًه زيد بن حارثة وكانتا نحراً من ثلاثة آلاف، وقال: «إن أصحابي قدر فالأمير جعفر بن أبي طالب، فإن أصحابي قدر فالأمير عبد الله بن رواحة، فإن أصحابي فليرتضى المسلمين برجل من بينهم يعملاً أميراً عليهم»، وشيئهم ﷺ ودعهم، ونهضوا حتى انتهوا إلى معان من أرض الشام، فأناههم الخبر بان هرقل ملك الروم قد نزل مؤاب من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم ومائة ألف من نصارى العرب البادين هنالك من خصم وجذام وقبائل قضاعة من بهرا وبلي والقيس وعليهم مالك بن زاحلة من بني أراشة. فأقام المسلمون في معان ليلتين يتشارون في الكتب إلى رسول الله ﷺ وانتظار أمره ومدد، ثم قال لهم عبد الله بن رواحة: أتمن إما خرجتم تطلبون الشهادة وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فهي إحدى الحسينين إما ظهوره وإما شهادتنا فراقوه ونهضوا إلى تخوم البلقاء فلقوا جموع هرقل عند قرية مؤة وربوا الميمة والميسرة، واقتلوا فقتل زيد بن حارثة ملاقياً بصدره الرماح والراية في بيده، فأخذها جعفر بن أبي طالب وعقر فرسه ثم قاتل حتى قطعت يديه فأخذها عبد الله بن رواحة وتعدد عن التزول بعض الشيء ثم صمم إلى العدو فقاتل حتى قتل.

فأخذ الراية ثابت بن أثرب من بني العجلان وناولها خالد بن الوليد فاخذها المسلمين، وأنذر النبي ﷺ بقتل هؤلاء الأمراء قبل ورود الخبر وفي يوم قتلهم، واستشهد مع الأمراء جماعة من المسلمين يزيدون على العشرة أكرمهم الله بالشهادة، ورجعوا إلى النبي ﷺ، فآخرته موت جعفر ولقيهم خارج المدينة وحمل عبد الله بن جعفر بين يديه على دابته وهو صبي ويكتي عليه واستغفر له وقال: «أبدله الله بيديه جناحين يطير بهما في الجنة» فسمى ذا الجناحين.

### فتح مكة

كان رسول الله ﷺ حين عقد الصلح بينه وبين قريش في الحديبية أدخل خزاعة في عقده المؤمن منهم والكافر، وأدخلت قريش بني بكر بن عبد مناة بن كنانة في عقدها وكانت بينهم تراث في الجاهلية ودخول كان فيها الأول للأسود بن رزق من بني الدفل

سهم ولـي لـرسـولـهـ ﷺ الأخـاسـ، وـمعـمـرـ بـنـ عـبـدـ اللهـ بـنـ نـضـلـةـ منـ بـنـ بـيـ عـدـيـ، وـأـبـيـ حـاطـبـ بـنـ عـمـرـوـ بـنـ عـبـدـ شـمـسـ، وـعـامـرـ بـنـ لـؤـيـ، وـأـبـيـ عـمـرـوـ مـالـكـ بـنـ رـبـيـةـ بـنـ قـيـسـ بـنـ عـبـدـ شـمـسـ، فـكـانـ هـؤـلـاءـ آـخـرـ مـنـ بـقـيـ بـأـرـضـ الـجـيـشـ، وـلـمـ قـدـ جـعـفـرـ عـلـىـ النـبـيـ ﷺ بـوـمـ فـعـلـ خـيـرـ قـبـلـ مـاـ بـيـنـ عـيـنـهـ وـالـزـمـ، وـقـالـ: «ـمـاـ أـدـرـيـ بـأـيـهـاـ أـنـ أـسـرـ بـفـتـحـ خـيـرـ أـمـ بـقـدـومـ جـعـفـرـ؟ـ».

### فتح فدك ووادي القرى

ولـمـ اـتـصـلـ بـأـهـلـ فـدـكـ شـانـ أـهـلـ خـيـرـ بـعـثـواـ إـلـىـ رـسـولـ اللهـ ﷺ يـسـأـلـونـهـ الـآـمـانـ عـلـىـ أـنـ يـسـتـكـرـواـ الـأـمـوـالـ، فـأـجـابـهـمـ إـلـىـ ذـلـكـ فـكـانـ خـالـصـةـ لـرـسـولـ اللهـ ﷺ، مـاـ لـمـ يـوـجـفـ عـلـيـهـ بـخـيـلـ وـلـاـ رـكـابـ فـلـمـ يـقـسـمـهـاـ وـوـضـعـهـاـ حـيـثـ أـمـرـهـ اللهـ. ثـمـ اـنـصـرـفـ عـنـ خـيـرـ إـلـىـ وـادـيـ الـقـرـىـ فـاقـتـحـمـهـاـ عـنـهـ وـقـسـمـهـاـ، وـقـتـلـ بـهـاـ غـلـامـهـ مـدـغـمـ، قـالـ فـيـهـ لـمـ شـهـدـ لـهـ النـاسـ بـالـجـنـةـ: «ـكـلـاـ إـنـ الشـمـلـةـ الـتـيـ أـخـدـهـاـ يـوـمـ خـيـرـ مـنـ الـمـقـامـ قـبـلـ الـقـسـمـ لـتـشـتـعـلـ عـلـىـ نـارـاـ»ـ ثـمـ رـجـعـ إـلـىـ الـمـدـيـنـةـ فـيـ شـهـرـ صـفـرـ.

### عمره القضاة

وـأـقـامـتـ بـعـدـ خـيـرـ إـلـىـ انـقـضـاءـ شـوـالـ مـنـ السـنـةـ السـابـعـةـ ثـمـ خـرـجـ فـيـ ذـيـ القـعـدـةـ لـقـضـاءـ الـعـمـرـ الـتـيـ عـاـهـدـ عـلـيـهـ قـرـيـشـ يـوـمـ الـحـدـيـبـيـةـ وـعـقـدـ لـهـ الـصـلـحـ، وـخـرـجـ مـلـاـ مـنـ قـرـيـشـ عـنـ مـكـةـ عـدـاـةـ اللهـ وـلـرـسـولـهـ وـكـرـهـاـ فـيـ لـقـائـهـ، فـقـضـىـ عـمـرـهـ وـتـزـوـجـ بـعـدـ إـحـلـالـهـ بـمـيمـونـةـ بـنـ الـحـرـثـ مـنـ بـنـ هـلـلـاـ بـنـ عـلـيـ خـالـلـةـ بـنـ عـبـاسـ وـخـالـدـ بـنـ الـوـلـيدـ، وـأـرـادـ أـنـ يـبـيـ بـهـاـ، وـقـدـ ثـمـتـ الـثـلـاثـةـ الـتـيـ عـاـهـدـ قـرـيـشـ عـلـىـ الـمـقـامـ بـهـاـ وـأـوـصـلـهـ إـلـىـ الـخـرـوجـ وـأـعـجـلـهـ عـلـىـ ذـلـكـ، فـبـنـ بـهـاـ بـسـرـفـ.

### غزوة جيش الأمراء أو غزوة مؤة

وـأـقـامـ رـسـولـ اللهـ ﷺ بـعـدـ مـنـصـرـهـ مـنـ عـمـرـ القـضاـةـ إـلـىـ جـادـيـ الـأـوـلـ مـنـ السـنـةـ الثـالـثـةـ ثـمـ بـعـثـ الـأـمـرـاءـ إـلـىـ الشـامـ، وـقـدـ كـانـ أـسـلـمـ قـبـلـ ذـلـكـ عـمـرـوـ بـنـ العـاصـ وـخـالـدـ بـنـ الـوـلـيدـ وـعـثـمـانـ بـنـ طـلـحةـ بـنـ أـبـيـ طـلـحةـ وـهـمـ مـنـ كـبـراءـ قـرـيـشـ. وـقـدـ كـانـ عـمـرـوـ بـنـ العـاصـ مـضـىـ عـنـ قـرـيـشـ إـلـىـ النـجـاشـيـ يـطـلـبـهـ فـيـ الـمـهـاجـرـيـنـ الـذـيـنـ عـنـهـ، وـلـقـيـ هـنـالـكـ عـمـرـوـ بـنـ أـمـيـةـ الضـمـرـيـ وـافـدـ الـنـبـيـ ﷺ، فـغـضـبـ النـجـاشـيـ لـمـ كـلـمـهـ فـيـ ذـلـكـ، فـوـقـقـهـ اللهـ وـرـأـيـ الـحـقـ فـاـسـلـمـ

فرون رأسها. فلما قرئ على النبي ﷺ قال: «ما هذا يا حاطب؟» فقال يا رسول الله! والله ما شككت في الإسلام! ولكنني ملصق في قريش فأردت عندهم يداً يحفظوني بها في خلف أهلي وولدي، فقال عمر: يا رسول الله! دعاني أضرب عن هذا المنساق، فقال: «وما يدريك يا عمر؟ لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شتم فلاني قد غفرت لكم»

وخرج ﷺ عشرة خلون من رمضان من السنة الثامنة في عشرة آلاف فيهم من سليم الف رجل وقيل سبعمائة، ومن مزينة الف، ومن غفار أربعمائة، ومن أسلم أربعمائة، وطائف من قريش وأسد وقيم وغيرهم، ومن سائر القبائل جموع وكاتب الله من المهاجرين والأنصار. واستخلف إبا رهم الغفارى على المدينة، ولقيه العباس بذى الحلقة وقيل بالحجة مهاجراً، فبعث رحله إلى المدينة وانصرف معه غازياً، ولقيه بشق العقباب أبو سفيان بن الحarth عبد الله بن أبي أمية مهاجرين واستأذنا فلم يؤذن لهم، وكلمته أم سلمة فاذن لهم، وأسلما فشار حتى نزل مسر الظهران، وقد طوى الله أخباره عن قريش إلا أنهم يتوجسون الخيفة.

وخشى العباس تلافي قريش إن فاجأهم الجيش قبل أن يستأذنا، فركب بغلة النبي ﷺ ذهب بتجسس، وقد خرج أبو سفيان وبديل بن ورقاء وحكيم بن حزام يتتجسسون الخبر، وبينما العباس قد أتى الأراك ليقلعى من السابلة من ينذر أهل مكة إذ سمع صوت أبي سفيان وبديل وقد أبصر نيران العساكر، فيقول بديل: نيران بي خزاعة، فيقول أبو سفيان: خزاعة أذل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها. فقال العباس: هذا رسول الله ﷺ بالناس والله إن ظفر بك ليقتلنك وأصبح قريش فارتفع خلفي. ونهض به إلى المسكر ومر بعمر فخرج يشتدى إلى رسول الله ﷺ يقول: الحمد لله الذي أمكنتي منك بغير عقد ولا عهد، فسبقه العباس على البغلة ودخل على أثره فقال: يا رسول الله! هذا عدو الله أبو سفيان أمكنتي الله منه بلا عهد فدعني أضرب عنقه، فقال العباس: قد أجرته! فراره عمر، فقال العباس: لو كان من بي عدي ما قلت هذا ولكنه من عبد مناف، فقال عمر: والله لإسلامك كان أحب إلى من إسلام الخطاب لأنني أعرف أنه عند رسول الله ﷺ كذلك. قامر رسول الله ﷺ العباس أن يحمله إلى رحله و يأتيه به صباحاً، فلما أتى به قال له ﷺ: «ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله؟» فقال: بآمي أنت وأمي ما أحلمك وأكركم وأوصلك والله لقد علمت لو كان معه إله غيره أغنى عنه، فقال: «ويمك ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله؟» قال: بآمي أنت وأمي ما أحلمك وأكركم وأوصلك أما هذه فلأن في

بن بكر بن عبد مثابة وثارهم عند خزاعة لما قتلت حليفهم مالك بن عباد الحضرمي، وكانوا قد عقدوا على رجل من خزاعة فقتلوه في مالك بن عباد حليفهم، وعدت خزاعة على سلمي وكاشم وذؤيب بني الأسود بن رزق فقتلوهم وهم أشراف بني كنانة، وجاء الإسلام فاشتغل الناس به ونسوا أمر هذه الدماء، فلما انعقد هذا الصلح يوم الحديبية وأمن الناس بعضهم بعضاً، فاغتنم بنو الدثل هذه الفرصة في إدراك الثار من خزاعة لقتلهم بني الأسود بن رزق، وخرج نوفل بن معاوية الدثلي فيما أطاعه من بني بكر بن عبد مثابة وليس كلهم تابعه، وخرج معه بعضهم وخرجوا منهم والمحجروا في دور مكة ودخلوا دار بديل بن ورقاء وعمرو بن سالم في وفد من قومهم إلى رسول الله ﷺ مستغثين مما أصابهم به بنو الدثل بن عبد مثابة وقريش، فأجاب ﷺ صريفهم وأخبرهم أن أبا سفيان يأتي بشد العقد ويزيد في المدة وإنه يرجع بغير حاجة.

وكان ذلك سبباً للفتح وندم قريش على ما فعلوا، فخرج أبو سفيان إلى المدينة ليؤكد العقد ويزيد في المدة، ولقي بديل بن ورقاء بعسان فكتمه الخبر وورى له عن وجهه، وأتى أبو سفيان سفيان على ابنته أم حبيبة فطرحت دونه فراش النبي ﷺ وقالت: لا مجلس عليه مشركاً فقال لها: قد أصابك بعدي شر يا بنتي، ثم دخل على ابنته أم حبيبة فطرحت دونه فراش النبي ﷺ فلما يجيءه، فذهب إلى أبي بكر وكلمه أن يتكلم في ذلك فابن، فلقي عمر فقال: والله لو لم أجده إلا الذر جاهدتكم به، فدخل على علي بن أبي طالب وعنه فاطمة وابنه الحسن صبياً فكلمه فيما أتى له فقال علي: ما تستطيع أن تكلمه في أمر عزم عليه، فقال لفاطمة: يا بنت محمد! أما ثأرمي ابنتك هذا فيجير بين الناس؟ فقالت: لا يجير أحد على رسول الله ﷺ، فقال له علي: يا أبا سفيان! أنت سيد بني كنانة فقم فأاجر وارجع إلى أرضك، فقال ترى ذلك مغيناً عني شيئاً؟ قال: ما أظنه! ولكن لا أجده لك سواه، ققام أبو سفيان في المسجد فنادي: لا إني قد أجريت بين الناس ثم ذهب إلى مكة وأخبر قريشاً، فقالوا: ما جئت بشيء وما زاد ابن أبي طالب على أن لعب بك.

ثم أعلم رسول الله ﷺ أنه سائر إلى مكة، وأمر الناس بأن يتجهزوا، ودعا الله أن يطمس الأخبار عن قريش، وكتب إليهم حاطب بن أبي بلتعة بالخبر مع ظعينة قاصدة إلى مكة، فأواخى الله إليه بذلك فبعث علياً والزبير والمقداد إلى الطعينة فأداروكها بروضة خاخ وقوشا رحلها فلم يجدوا شيئاً، وقالوا: رسول الله أصدق، فقال علي: لتخرجن الكتاب أو لتلقين الموتى، فأخرجته من

النفس منها حتى الآن شيئاً.

لني أن تكون له خائنة الأعين » ولم يظهر بعد إسلامه إلا خير وصلاح واستعمله عمر وعثمان.

ومنهم الحويرث بن نفیل من بني عبد بن قصي كان يسودي رسول الله ﷺ بمكة فقتله علي بن أبي طالب يوم الفتح. ومنهم مقيس بن صبابة كان هاجر في غزوة الخندق ثم عدا على رجل من الأنصار كان قتل أخيه قبل ذلك غلطًا ووداه فقتله وفر إلى مكة مرتدًا، فقتله يوم الفتح ثعلبة بن عبد الله الليثي وهو ابن عمه. ومنهم قيتا ابن خطل كانت تغبيان بهجو النبي ﷺ فقتلت إحداهما واستؤمن للأخرى فامتها.

ومنهم مولاً لبني عبد المطلب اسمها سارة واستؤمن لها فامتها رسول الله ﷺ. واستجرار رجالٌ من بني مخزوم باسم هاني بنت أبي طالب يقال إنها حرث بن هشام وزهير بن أبي أمية آخر أم سلمة فامتهما، وأمضى رسول الله ﷺ أمانهما فأسلموا.

ثم دخل رسول الله ﷺ المسجد وطاف بالكمبة وأخذ المفتاح من عثمان بن طلحة بعد أن مانعت دونه أم عثمان ثم أسلنته، فدخلت الكعبة ومعه أسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة وأبقى له حجابة البيت فهي في ولد شيبة إلى اليوم. وبكسر الصور داخل الكعبة وخارجها، وبكسر الأصنام حولها، ومر عليها وهي مسلودة بالرصاص يشير إليها بقضيب في يده وهو يقول: «**جاء الحق ورَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهْوَقًا**» فما بقي منها صنم إلا خرّ على وجهه. وأمر بلاً فاذن على ظهر الكعبة ووقف رسول الله ﷺ بباب الكعبة الثاني يوم الفتح وخطب خطبه المعروفة، ووضع مأثر الجاهلية إلا سدنة البيت وسقاية الحاج، وأخبر أن مكة لم تخل لأحد قبله ولا بعده، وإنما أحلت له ساعة من نهار ثم عادت كحرمتها بالأمس، ثم قال: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ صَدَقَ وَعْدُهُ وَهَزَمَ الْأَحَزَابَ وَهَدَهُ إِنَّ كُلَّ مَأْتِيَةٍ أَوْ دَمَ أَوْ مَالٍ يَدْعُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَهُوَ تَحْتَ قَدْمِي هَاتِينِ إِلَّا سَدَنَةَ الْكَعْبَةِ وَسَقَايَةَ الْحَاجِ، إِلَّا وَإِنْ قُتِلَ الْخَطَّافُ مِثْلُ الْعَدْدِ بِالسُّوطِ وَالْعَصَابُ نِيهَا الدِّيَةُ مَغْلُظَةُ مِنْهَا أَرْبَعُونَ فِي بَطْرُونَهَا أَوْلَادَهَا، يَا مَعْشِرَ قُرْيَشٍ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْعَبَ عَنْكُمْ خُورَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَتَعَلَّمُهَا بِالْأَيَّاهِ النَّاسُ مِنْ آدَمَ وَآدَمَ خَلَقَ مِنْ تَرَابٍ »**

ثم تلا رسول الله ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُورًا وَقَبَائلَ لِتَعَارِفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِخَيْرِكُمْ» يَا مَعْشِرَ قُرْيَشٍ وَيَا أَهْلَ مَكَةَ مَا تَرَوْنَ أَنِّي فَاعِلُ فِيْكُمْ؟ قالوا: خَيْرًا أَخْ كَرِيمٌ، ثم قال: «اذهبوا**

فالله العباس: ويحك أسلم قبل أن يضرب عنك فاسلم. فقال العباس: يا رسول الله! إن أبي سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئاً. قال: «نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن». ثم أمر العباس أن يوقف أبي سفيان بخطم الوادي ليرى جنود الله ففعل ذلك، ومررت به القبائل قبيلة قبيلة، إلى أن جاء مركب رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار، عليهم الدروع البيضاء، فقال: من هؤلاء؟ فقال له العباس: هذا رسول الله في المهاجرين والأنصار. فقال: لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيمًا. فقال: يا أبي سفيان إنها النبرة، فقال: فهي إذا! فقال له العباس: النجاء إلى قومك، فاتني بهم مكة وأخبرهم بما أحاط بهم ويا مان رسول الله ويقول النبي ﷺ من أتى المسجد أو دار أبي سفيان أو أغلق بابه، ورتب الجيش وأعطي سعد بن عبادة الرأبة فذهب يقول: **الْيَوْمَ يُومُ الْمَلْحَمَةِ الْيَوْمُ تُسْتَحْلِمُ الْحَرَمَةُ**

ويبلغ ذلك النبي ﷺ فامر علياً أن يأخذ الرأبة منه، ويقال أمر الزبير. وكان على الميمنة خالد بن الوليد ومنها أسلم وغفار ومزينة وجهيتها، وعلى الميسرة الزبير، وعلى المقدمة أبو عبيدة بن الجراح.

وسرب رسول الله ﷺ الجيوش من ذي طوى، وأمرهم بالدخول إلى مكة: الزبير من أعلاها، وخالد من أسفلها، وأن يقاتلا من تعرض لهم. وكان عكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية وسهيل بن عمرو قد جعوا للقتال، فناوشهم أصحاب خالد القتال، واستشهد من المسلمين كرز بن جابر من بني محارب، وخيس بن خالد من خزاعة، وسلمة بن جهينة، وانهزم المشركون وقتل منهم ثلاثة عشر وأمن النبي ﷺ صائر الناس.

وكان الفتح لعشر يقين من رمضان، وأهدر دم جماعة من المشركون سهامهم يومئذ منهم: عبد العزيز بن خطل من بني عميم، والأدرم بن غالب كان قد أسلم وبعثه رسول الله ﷺ مصدقاً ومعه رجل من المشركون فقتله وارتدى ولحق بمكة وتعلق يوم الفتح باستار الكعبة فقتله سعد بن حرث المخزومي وأبو بربة الإسلامي.

ومنهم: عبد الله بن سعد بن أبي سرح كان يكتب للنبي ﷺ ثم ارتد ولحق بمكة وغيت عنه أقوال، فاختفى يوم الفتح وأتى به عثمان بن عفان وهو آخره من الرضاعة فاستأمن له فسكت عليه السلام ساعة ثم أمنه، فلما خرج قال لأصحابه: «هلا ضربتم عنقه!» فقال له بعض الأنصار: هل أؤمّن إلى؟ فقال: «ما كان

أثبت لوقتهم، فنزلوا بأوطاس، فقال دريد بن الصمة مالك: ما لي اسمع رغاء البعير ونهاق الحمار وبغار الشاه وبكاء الصغير، فقال: أموال الناس وأبناؤهم سقنا معهم ليقاتلا عنها، فقال: راعي شأن والله وهل يرد المهزوم شيء؟ إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسلامه وإن كانت عليك فضحت في أهلك وممالك. ثم سأله عن كعب وكالب وأسف لغيابهم وأنكر على مالك رأيه ذلك، وقال: لم تصنع بتقديم نقية هوازن إلى نحور الخيل شيئاً أرفعهم إلى ممتنع بلادهم، ثم ألق الصبيان على متون الخيل فإن كانت لك لحق بك من ورائك وإن كانت لغيرك كنت قد أحرزت أهلك وممالك. وأبي عليه مالك واتبعه هوازن. ثم بعث النبي ﷺ عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي يستعلم بخبر القوم فجاءه وأطلعه على جلية الخبر وأنهم قاصدون إليه، فاستعار رسول الله ﷺ من صفوان بن أمية مائة درع وقبل لاري عمانة وخرج على أثني عشر ألفاً من المسلمين عشرة آلاف الذين صحبوه من المدينة والقاف من مسلمة الفتح، واستعمل على مكة عتاب بن أisyد بن أبي العيس بن أمية ومضى لوجهه. وفي جملة من اتبعه عباس بن مرداس، والضحاك بن سفيان الكلابي، وجموع من عبس وذبيان، ومزينة ونبي أسد.

ومر في طريقة بشجرة سدر خضراء، وكان لهم في الجاهلية مثلها يطوف بها الأعراب ويعظمونها ويسمونها ذات أنواع فقال له جفاة الأعراب: يا رسول الله! أجعل لنا ذات أنواع كما لهم ذات أنواع. فقال لهم: «قلتم كما قال قوم موسى: أجعل لنا إلهانا كما لهم إله، والذي نفسي بيده لتركتن سنن من كان قبلكم» وزجرهم عن ذلك.

ثم نهض حتى أتي وادي حنين من أودية تهامة أول يوم من شوال من السنة الثامنة وهو وادي الحزن، فتوسطه في غبش الصبح وقد كمنت هوازن جانبيه فحملوا على المسلمين حلة رجل واحد، فوق المسلمين لا يلوى أحد على أحد، ونادهم ﷺ فلم يرجعوا. وثبت معه أبو بكر وعمر وعلي والعباس وأبو سفيان بن الحrust وابنه جعفر والفضل وقسم ابن العباس وجاءه سواهم، والنبي ﷺ على بغلته البيضاء دلول والعباس آخذ بشكتهاه وكان جهير الصوت فامره رسول الله ﷺ أن ينادي بالأنصار وأصحاب الشجرة وقيل وبالهاجرين، فلما سمعوا الصوت وذهبوا ليرجعوا فصدتهم ازدحام المهزمين أن يشوا رواحلهم، فاستقاموا وتساولوا سيفهم وتراسهم واقتحموا عن الرواحل راجعين إلى النبي ﷺ، وقد اجتمع منهم حواليه نحو المائة فاستقبلوا هوازن والناس متلاحقون، واشتتدت الحرب وهي الوطيس وقدف الله في قلوب هوازن الرعب حين وصلوا إلى

فاتتم الطلقاء». وأعتقدهم على الإسلام وحبس لهم فيما قبل على الصفا فبايعوه على السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا، ولما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء. أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يبايعهن واستنصرهن لمن رسول الله ﷺ لأنه كان لا يمس امرأة حلالاً ولا حراماً.

وهرب صفوان بن أمية إلى اليمن واتبعه عمير بن وهب من قومه بaman النبي ﷺ له فرجع وأنذر أربعة أشهر، وهرب ابن الزبير الشاعر إلى نجران ورجع فأسلم، وهرب هيبة بن أبي وهب المخزومي زوج أم هاني إلى اليمن فمات هناك كافراً.

ثم بعث النبي ﷺ السرايا حول مكة ولم يأمرهم بقتاله، وفي جلتهم خالد بن الوليد إلىبني جذبة بن عامر بن عبد مناف بن كانة قتل منهم وأخذ ذلك عليه، وبعث إليهم علياً بمال فوردى لهم قتلامهم ورد عليهم ما أخذ لهم. ثم بعث رسول الله ﷺ خالداً إلى العزي بيت بنخلة كانت قصر تعظمه من قريش وكتابة وغيرهم، وسددته بنو شيبان منبني سليم حلفاء بني هاشم فهزهم، ثم أن الأنصار توقفوا إلى أن يقيم ﷺ بمكة داره بعد أن فتحها فآههم ذلك وخرجوا له، فخطبهم ﷺ وأخبرهم أن المهاجم والممات ماتهم فسكنوا لذلك واطمأنوا.

## غزوة حنين

وأقام رسول الله ﷺ بمكة خمس عشرة ليلة وهو يقصر الصلاة فبلغه أن هوازن وثقيف جعوا له وهم عادون إلى مكة وقد نزلوا حنيناً، وكانت حين سمعوا بمخرج رسول الله ﷺ من المدينة يظرون أنه إنما يريدهم، فاجتمعوا هوازن إلى مالك بن عوف منبني النضير، وقد أوعز معه بني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن وبني جشم بن معاوية والأحلاف، منبني مالك هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية والأحلاف، منبني مالك بن ثقيف بن بكر، ولم يحضرها من هوازن كعب ولا من كلاب. وفي جشم دريد بن الصمة بن بكر بن علقة بن خزاعة بن أزية بن جشم رئيسهم وسيدهم شيخ كبير ليس فيه إلا ليؤم برأيه ومعرفته.

وفي ثقيف سيدان ليس لهم في الأحلاف إلا قارب بن الأسود بن مسعود بن معتب، وفي بني مالك ذو الحمار سبيع بن الحrust بن مالك وأخوه أحمر. وجمع أمر الناس إلى مالك بن عوف. فلما أتاهم أن رسول الله ﷺ قد فتح مكة أقبلوا عاملين إليه، وساق مالك مع الناس أموالهم ونسائهم وأبناءهم يرى أنه

واستشهد من المسلمين في حصاره: سعيد بن سعيد بن العاص، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة آخر أخو أم سلمة، وعبد الله بن عامر بن ربيعة العتي حليفبني عدي في آخرین قریباً من اثنتي عشرة فيهم أربعة من الأنصار.

ثم انصرف رسول الله ﷺ من الجعرانة وأتاه هنالك وقد هوازن مسلمين راغبين، فغيرهم بين العيال والأبناء والأموال فاختاروا العيال والأباء، وكلموا المسلمين في ذلك بأمر رسول الله ﷺ فقال ﷺ : « ما كان لي ولبني عبد الطلب فهو لكم » وقال المهاجرون والأنصار: ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ . وامتنع الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن أن يردا عليهم ما وقع لهم من الفيء وساعدهما قومهما، وامتنع العباس بن مرادس كذلك. وخالفهم بنو سليم وقالوا: ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ ، فعرض رسول الله ﷺ من لم تطب نفسه عن نصيبه. ورد عليهم نسامهم وأبناءهم بآجمعهم.

وكان عدد سبي هوازن ستة آلاف بين ذكر وأنثى فيهن الشيماء أخت النبي ﷺ من الرضاعة وهي بنت الحيث بن عبد العزي من بني ساعدة بن بكر من هوازن، وأكرمها رسول الله ﷺ وأحسن إليها وخيرها فاختارت قومها فردها إليهم. وقسم الأموال بين المسلمين، ثم أعطى من نصيبه من خمس الخمس قوماً يستألفهم على الإسلام من قريش وغيرهم، فمنهم من أعطاه مائة، ومنهم خمسين خمسين، ومنهم ما بين ذلك، ويسمون المؤلفة وهم مذكورون في كتب السير يقاربون الأربعين: منهم أبو سفيان وابنه معاوية وحكيم بن حرام وصفوان بن أمية ومالك بن عموف وغيرهم، ومنهم عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر والأقرع بن حابس وهما من أصحاب المائة، وأعطى ابن عباس بن مرادس دونهما، فأشدّه أياته المعروفة يتخطّط فيها، فقال: « اقطعوا عن لسانه فأئموا إليه المائة »

ولما أعطى المؤلفة قلوبهم وَجِدَ الأنصار في أنفسهم إذ لم يطعمون مثل ذلك وتكلم شبابهم مع ما كانوا يظنون أنه إذا فتح الله عليه بلده يرجع إلى قومه ويرتكبهم، فجمعاهم ووعظهم وذكرهم وقال: « إنما أعطى قوماً حذبي عهد بالإسلام أتألفهم عليه، أما ترثون أن ينصرف الناس بالشاء والبعير ويتصرفوا برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رحالكم، لولا المجرة لكنتم أرمأ من الأنصار، ولو سلك الأنصار شعباً وسلك الناس شعباً لسلكت شعب الأنصار » فرضوا وافتقروا.

ثم اعتصر رسول الله ﷺ من الجعرانة إلى مكة، ثم رجع إلى المدينة فدخلها لست بقين من ذي القعدة من السنة الثامنة

رسول الله ﷺ فلم يملكون أنفسهم، فولوا منهزمين ولحق آخر الناس وأسرى هوازن مغلولة بين يديه. وغنم المسلمون عيالهم وأموالهم واستحرر القتل في بي مالك من ثيف قتل منهم يومئذ سبعون رجلاً في جلتهم ذو الخمار وأخوه عثمان ابنا عبد الله بن ربيعة بن حبيب سيداهم، وأما قارب بن الأسود سيد الأحلاف من ثيف فقر بقومه منذ أول الأمر وترك رايته فلم يقتل منهم أحد، ولحق بعضهم بختلة. وهرب مالك بن عموف النصري مع جماعة من قومه فدخلوا الطائف مع ثيف، واقتبوط طوائف من هوازن إلى أوطاس وابتعدوا طائفه من خيل المسلمين الذين توجهوا من خلة فلذروا فهم دريد بن الصمة قاتلوا، يقال قتله ربيعة بن رافع بن عباد بن ثعلبة بن بربوع بن سمّاك بن عموف بن أمرى القيس. وبعثت ﷺ إلى من اجتمع باوطاس من هوازن أبا عامر الأشعري عم أبي موسى فقاتلهم، وقتل بهم رماه به سلمة بن دريد بن الصمة فأخذ أبو موسى الراية وشد على قاتل عمه قاتلته. وانهزم المشاركون واستحرر القتل في بي رباب من بي نصر بن معاوية، وانقضت جمع هوازن كلها. واستشهد من المسلمين يوم حنين أربعة منهم أين ابن أم أين آخر أسماء لأمه، ويزيد بن زمعة بن الأسود، وسراقة بن الحirth من بني العجلان، وأبر عامر الأشعري.

## حصار الطائف

ثم أمر رسول الله ﷺ بالسبايا والأموال فجاءت بالجعرانة بنظر مسعود بن عمرو الغفاري، وسار من فوره إلى الطائف فحاصر بها ثيف خمس عشرة ليلة، وقاتلوا من وراء المحسون، وأسلم من كان حولهم من الناس وجاءت وفدهم إليه. وقد كان مر في طريقه بمحصن مالك بن عموف النصري فأخبر بهدمه، ونزل على أطم لبعض ثيف فتمنع فيه صاحبه فامر بهدمه فاخرب وتحصنت ثيف. وقد كان عروة بن مسعود وغيلان بن سلمة من ساداتهم ذهبا إلى جرش يتعلمان صنعة الجاذق والدبابات للحصار لما أحسوا من قصد رسول الله ﷺ إياهم فلم يشهدوا الحصار ولا حذيناً قبله، وحاصرهم المسلمون بضم عشرة أو نصف شهر أو بضع وعشرين ليلة واستشهد بعضهم بالليل ورميهم بالليل بالجنين، ودخل نفر من المسلمين تحت دبابة ودنوا إلى سور الطائف فصبوا عليهم سكك الحديد الحادة ورميهم بالليل فأصابوا منهم قوماً، وأمر رسول الله ﷺ بقطع أعناقهم، ورحب إليه ابن الأسود بن مسعود في ماله وكان بعيداً من الطائف وكف عنه، ثم رحل عن الطائف وتركهم ونزل أبو بكرة فاسلم.

الله عليه السلام قلم يجد ما يحملهم عليه فتولوا باكين لذلك، وحمل بعضهم يامين بن عمير التضير وهو أبو ليلى بن كعب من بني مازن بن النجار وعبد الله بن مغفل المزنبي. واعتذر المخلفون من الأعزاب فغذرهم رسول الله صلوات الله عليه وسلم ثم نهض وخلف على المدينة محمد بن مسلمة وقيل: بل سباع بن عرفطة وقيل: بل علي بن أبي طالب، وخرج معه عبد الله بن أبي بن سلول في عدد وعدة، فلما سار صلوات الله عليه وسلم خلف هو فيمن مختلف من المناقفين. ومر صلوات الله عليه وسلم بالحجر على ديار ثمود فأمر أن لا يستعمل مأواها ويعلق ما عجنه منه للإبل، وأذن لهم في بئر الناقة، وأمر أن لا يدخلوا عليهم بيوتهم إلا باكين، وهي أن يخرج أحد متفرداً عن صاحبه.

فخرج رجالاً من بني ساعدة جن أحدهما فمسح عليه فشفي، والآخر رمته الريح في جبل طيء فردوه بعد ذلك إلى النبي صلوات الله عليه وسلم. وضل صلوات الله عليه وسلم عن ناقته في بعض الطريق، فقال أحد المناقفين: محمد يدعى علم خبر السماء وهو لا يدرى أين ناقته، فبلغ ذلك النبي صلوات الله عليه وسلم، فقال: «والله لا أعلم إلا ما علمي الله وأن الناقة بموضع كذا» وكان قد أوحى إليه بها فوجدوها ثمة، وكان قاتل هذا القول زيد بن الصبيت من بني قينقاع وقيل: إنه تاب بعد ذلك. وفصح الرحي قوماً من المناقفين كانوا يخذلون الناس ويهللون عليهم أمر الروم، فتاب منهم مخشي بن جهير ودعا أن يكفر عنه بشهادة يخفي مكانه فقتل يوم اليمامة.

ولما انتهى رسول الله صلوات الله عليه وسلم إلى تبوك أتاه مجينة بن رؤبة صاحب أيلة وأهل جرياء وأذرح فصالحوا على الجزية وكتب لكل كتاباً. وبعث صلوات الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى أكيدر بن عبد الملك صاحب دومة الجندل من كندة كان ملكاً عليها وكان نصراانياً وأخبر أنه يجده يصيد البقر، واتفق أن بقر الوحش بات تهد القصر بقرونها فنشط أكيدر لصيدها وخرج ليلاً فوافقت وصوله خالداً، فأخذته وبعث به إلى رسول الله صلوات الله عليه وسلم فعفا عنه وصالحه على الجزية ورده. وأقام بتبوك عشرين ليلة، ثم انصرف، وكان في طريقه ماء قليل نهى أن يسبق إليه أحد، فسبق رجالان واستنجدوا ما فيه فذكر عليهما ذلك، ثم وضع يده تحت وشلة فنصب ما شاء الله أن ينصب ونضج بالوشل ودعا فجاش الماء حتى كفى العسكر.

وأخبر صلوات الله عليه وسلم أن ذلك الموضع سمي جناباً ولما قرب من المدينة بساعة من نهار انفذ مالك بن الدخش من بني سليم ومن بن عدي من بني العجلان إلى مسجد الضرار، فاحرقه وهدمه، وقد كان جماعة من المناقفين بنوه وأتوا إلى النبي صلوات الله عليه وسلم وهو يتجهز إلى تبوك فسألوه الصلاة فيه، فقال: «أنا على سفر ولو قدمنا أتيناكم فصلينا لكم فيه» فلما رجع أمر بهدمه.

لشهرين ونصف من خروجه، واستعمل على مكة عتاب بن أسد شاباً ينيف عمره على عشرين سنة، وكان غلبه الورع والzed فاتح الحج بال المسلمين في سنته وهو أول أمير أقام حج الإسلام وحج المشركون على مشاعرهم.

وخلف بعكة معاذ بن جبل يفقه الناس في الدين ويعملهم القرآن، وبعث عمرو بن العاص إلى أهل حنين وعمرو بن الجندي من الأزد بعمان مصدقاً فاطاعوا له بذلك. واستعمل صلوات الله عليه وسلم مالك بن عوف على من أسلم من قومه ومن سلم منهم وما له حوالي الطائف من تقيف، وأمره بمعادرة الطائف من التضيق عليهم ففعل حتى جاؤوا مسلمين كما يذكر بعد. وحسن إسلام المؤلفة قلوبهم من أسلم يوم الفتح أو بعده وإن كانوا متساوين في ذلك. ووفد على النبي صلوات الله عليه وسلم كعب بن زهير فأهدر دمه وضاقت به الأرض، وجاء فاسلم وأنشد النبي صلوات الله عليه وسلم قصيدة المعروفة بمدحه التي أورطها:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول... إلخ.

وأعطاه بردة في ثواب مده فاشترأها معاوية من ورثته بعد موته وصار الخلفاء يتوارثونها شعاراتاً.

## غزوة تبوك

ووفد في السنة تسع على رسول الله صلوات الله عليه وسلم بالمدينة بنو أسد فأسلموا وكان منهم ضرار بن الأزور، وقالوا: قدمنا يا رسول الله قبل أن يرسل إلينا فنزلت ﴿يَمْسُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ الآية. ووفد فيها وفتين في شهر ربيع الأول ونزلوا على رويع بن ثابت البلوي. وأقام رسول الله صلوات الله عليه وسلم بالمدينة بعد منصرفه من الطائف في ذي الحجة إلى شهر رجب من السنة التاسعة.

ثم أمر الناس بالتهيؤ لغزو الروم: وكان في غزوته كثيراً ما يوري بغير الجهة التي يقصدها على طريقة الحرب إلا ما كان من هذه الغزارة لسرها بشدة الحرب، وبعد البلاد وفصل الفواكه وقلة الطعام وكثرة العدو الذين يصدون. وتعهز الناس على ما في أنفسهم من استقال ذلك، وطفق المناقرون يطهرونهم عن الغزو، وكان نفر منهم يجتمعون في بيت بعض اليهود، فامر طلحة بن عبيد الله أن يخرب عليهم البيت فخر بها. واستأنذ ابن قيس من بن سلامة في القعود فاذن له وأعرض عنه، وانتدب كثير من المسلمين للاتفاق والحملان وكان من أعظمهم في ذلك عثمان بن عفان يقال: إنه أنفق فيها ألف دينار وحمل على تسعمائة بمائة فرس وجهز ركاباً. وجاء بعض المسلمين يستحمل رسول

## الوفود

ولما فرغ رسول الله ﷺ من تبوك وأسلمت ثقيف ضربت إليه وفود العرب من كل وجه حتى لقد سميت ستة الوفود. قال ابن إسحاق: وإنما كانت العرب تritis بالإسلام أمر هذا الحب من قريش وأمر النبي ﷺ، وذلك أن قريشاً كانوا إمام الناس وهاديهم وأهل البيت والحرم وصريح ولد إسماعيل وقادتهم لا ينكرون ذلك، وكانت قريش هي التي نصبوا لحربه وخلافه. فلما افتتحت مكة ودانت قريش ودخلها الإسلام عرفت العرب أنهم لا طاقة لهم بمحرره وعداؤه، فدخلوا في دينه أتواً يضربون إليه من كل وجه انتهى.

فأول من قدم إليه بعد تبوك وفدي بن تميم وفيه من رؤوسمهم: عطارد بن حاجب بن زراوة بن عدس من بني دارم بن مالك، والخطاب بن بزيدي، والأقرع بن حابس، والزيرقان بن بدر من بني سعد، وقيس بن عاصم، وعمرو بن الأهتم وهما من بني متقر، ونعيم بن زيد ومعهم عيضة بن حصن الفزاروي. وقد كان الأقرع وعيضة شهداً فتح مكة وخبير وحصار الطائف، ثم جاءا مع وفد بني تميم، فلما دخلوا المسجد نادوا من وراء الحجرات فنزلت الآيات في إنكار ذلك عليهم. ولما خرج قالوا جتنا: فناخركم خطيبنا وشاعرنا فاذن لهم، فخطب عطارد وفاخر ويقال والأقرع بن حابس، ثم أنشد الزيرقان بن بدر شعراً بالفارخة، ودعا رسول الله ﷺ ثابت بن قيس بن الشamas من بني الحirth بن الخزرج فخطب وحسان بن ثابت فأنشد مساميلن لهم، فناذعننا للخطبة والشعر والسودد والحلام، وقالوا: هذا الرجل هو مؤيد من الله خطيبه أخطب من خطيبنا وشاعرها أشعر من شاعرنا وأصواتهم أعلى من أصواتنا، ثم أسلموا وأحسن رسول الله ﷺ جوازهم. وهذا كان شأنه مع الوفود ينزعهم إذا قدموا ويجهزهم إذا رحلوا.

ثم قدم على رسول الله ﷺ في آخر رمضان مقدمه من تبوك كتاب ملوك حير مع رسومهم ومع الحirth بن عبد كلال، ونعيم بن عبد كلال، والنعمان قيل ذي رعين وعهدان ومعافر. وبعث زرعة بن ذي يزن رسوله مالك بن مرة الراهوي بإسلامهم ومقارقة الشرك، وأهله وكتب إليهم النبي ﷺ كتابه. وبعث إلى ذي يزن معاذ بن جبل مع رسوله مالك بن مرة لجمع الصدقات، وأوصاهم برسله معاذ وأصحابه. ثم مات عبد الله بن أبي بن سلول في ذي القعدة، ونفي رسول الله ﷺ النجاشي وإنه مات في رجب قبل تبوك.

وقدم وفدي بهرا في ثلاثة عشر رجلاً ونزلوا على المقداد بن

بن الريبع من بني عمرو بن عوف وهلال بن أمية بن واقف وكثروا صالحين، فنهى النبي ﷺ عن كلامهم حسين يوماً، ثم نزلت توبتهم، وكان المتخلعون من غير عذر نيفاً وثلاثين رجلاً. وكان وصوله ﷺ من تبوك في رمضان سنة تسع، وفيه كانت وفادة ثقيف وإسلامهم، ونزل الكثير من سوره براءة في شأن المافقين وما قالوه في غزوة تبوك آخر غزوة غزها النبي ﷺ.

## إسلام عروة بن مسعود ثم وفدي ثقيف وهدم اللات

كان النبي ﷺ لما أخرج عن الطائف وارتعش إلى المدينة اتبعه عروة بن مسعود سيدهم، فادركه في طريقه وأسلم ورجع يدعوه قومه، فرمي بهم في سطح بيته وهو يؤذن للصلوة فمات، ومنع قومه من الطلب بدمه وقال: هي شهادة ساقها الله إلى وأوصى أن يدفن مع شهداء المسلمين. ثم قدم ابنه أبو الملبي وقارب بن مسعود فأسلموا، وضيق مالك بن عوف على ثقيف واستباح سرجمهم وقطع سابلتهم. وبلغتهم رجوع النبي ﷺ من تبوك واقرروا في الوفادة وعلموا أن لا طاقة لهم بمحرب العرب المسلمين، وفرعوا إلى عبد يليل بن عمرو بن عمير، فشرط عليهم أن يبعثوا معه رجلاً منهم ليحضروا مشهد خشية على نفسه مما نزل بعروة، فبعثوا معه رجلين من أخلف قومه وثلاثة من بني مالك، فخرج بهم عبد يليل وقدموا على رسول الله ﷺ في رمضان من السنة التاسعة ي يريدون البيعة والإسلام فضرب لهم قبة في المسجد، وكان خالد بن سعيد بن العاص يمشي في أمرهم وهو الذي كتب كتابهم خطبه، وكانوا لا يأكلون طعاماً يأتينهم حتى يأكل منه خالد، وسائلوه أن يدع لهم اللات ثلاث سين رعياناً لنسائهم وأبنائهم حتى يائسوا فأبى، وسائلوه أن يغففهم من الصلاة فقال: لا خير في دين لا صلاة فيه، فسألوه أن لا يكسروا أوئلهم بأيديهم فقال: أما هذه فناناً ستكتفيكم منها. فأسلموا وكتب لهم وأمر عليهم عثمان بن أبي العاص أصغرهم سنًا لأنه كان حريصاً على الفقه وتعلم القرآن. ثم رجعوا إلى بلادهم، وخرج معهم أبو سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة هدم اللات، وتأخر أبو سفيان حتى دخل المغيرة فتناولها بيده ليهدمها، وقام بنو معتب دونه خشية عليه. ثم جاء أبو سفيان وجمع ما كان لها من الحلي وقضى منه دين عروة والأسود ابنى مسعود كما أمر النبي ﷺ وقسم الباقى.

جاء بها. قال الطبرى: وفي هذه السنة فرضت الصدقات لقوله تعالى ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صِدَقَةً تُظْهِرُهُمْ وَتُرْكِمُهُمْ بِهَا﴾ الآية.

وفيها قدم وفدي ثعلبة بن منقذ ووفد هذين من قضاة. قال الطبرى: وفيها بعث بنو سعد بن بكر ضمضاً بن ثعلبة وأفاده فاستحلّ رسول الله ﷺ على ما جاء به من الإسلام، وذكر التوحيد والصلة والزكاة والصيام والحج واحدة واحدة حتى إذا فرغ شهد وأسلم، وقال: لأؤدي هذه الفرائض وأجتنب ما نهيت عنه ثم لا أزيد عليها ولا أقلّ، فلما انصرف قال ﷺ: إن صدق دخل الجنة، ثم قدم على قومه فأسلموا كلهم يوم قدمه. والذي عليه الجمهور: أن قدوة ضمضاً وقصته كانت سنة حسن. ثم دخلت سنة عشر فبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد في ربيع أو جمادى في سرية أربعونا إلى نجران وما حوالها يدعو ببني الحروث بن كعب إلى الإسلام ويقاتلهم إن لم يفعلوا، فأسلموا وأجابوا داعيته، وبعث الرسول في كل وجه فاسلم الناس فكتب بذلك إلى رسول الله ﷺ، فكتب إليه بأنّ يقدم مع فنهem، فاتّبل خالد ومعه وفدي الحروث بن كعب منهم قيس بن الحسين ذو القصبة ويزيد بن عبد الله المران ويزيد بن المحجّل وعبد الله بن قريض الريادي وشداد بن عبد الله الضبابي وعمرو بن عبد الله الضبابي، فأكّرّهم النبي ﷺ وقال لهم: بم كنت تغلبون من يقاتلكم في الجاهلية؟ قالوا: كنا نجتمع ولا نفترق ولا نبدأ أحداً بظلم. قال: صدقتم، فأسلموا وأمر عليهم قيس بن الحسين، ورجعوا صدر ذي القعدة من سنة عشر، ثم اتبعهم عمرو بن حرام من بني النجار ليفقههم في الدين ويعلّمهم السنة، وكتب إليه كتاباً عهد إليه في عهده وأمره بأمره، واقام عاماً على نجران. وهذا الكتاب وقع في السير مروياً واعتمده الفقهاء في الاستدلّالات وفيه مأخذ كثيرة للأحكام الفقهية ونصه:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. هَذَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ إِنَّمَا الَّذِينَ آمَنُوا أَفْوَأُوا بِالْمُقْوَدِ»، عهداً من محمد النبي رسول الله ﷺ لعمرو بن حزم حين بعثه إلى اليمن أمره بتقوّي الله في أمره كلّه فإن الله مع الذين انتقاوا والذين هم محسونون، وأمره أن يأخذ بالحق كما أمره الله وأن يبشر الناس بالخير ويأمرهم به ويعلم الناس القرآن ويفقههم فيه، وينهى الناس فلا يمس القرآن إنسان إلا وهو ظاهر، وينبّه الناس بالذى هم والذى عليهم، ويلين للناس في الحق ويشتد عليهم في الظلم فإن الله حرم الظلم ونهى عنه فقال: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾، وأن يبشر الناس بالجلة ويعملها وينذر الناس بالثار وعملها، ويستألف الناس حتى يتفقّهوا في الدين، ويعلم الناس معالم الحج وستنه وفراحته وما أمر الله به

عمرو وجاء بهم فأسلموا وأجازهم وانصرفوا.

وقدم وفدي البكاء ثلاثة نفر منهم. وقد وفدي بني فرازة بسبعة عشر رجلاً فيهم خارجة بن حصن وابن أخيه الحرو بن قيس فأسلموا. ووفد عدي بن حاتم بن طيء، فأسلم وكان رسول الله ﷺ قد بعث قبل تبوّك إلى بلاد طيء علي بن أبي طالب في سوريا فأغار عليهم، وأصيب حاتم وسيطت ابنته وغنم سيفين في بيت أصنام كانت من قربان الحروث بن أبي شمر، وكان عدي قد هرب قبل ذلك ولحق ببلاد قضاة بالشام فراراً من جيوش المسلمين وجواراً لأهل دينه من النصارى وأقام بينهم، ولما سقطت ابنة حاتم جعلت في الحظيرة بباب المسجد التي كانت السبياً تحبس بها، وسر بها رسول الله ﷺ فكلّمه أن يمن عليها، فقال: قد فعلت ولا تعجلني حتى تحدّي ذا فتنة من قومك بيلغك إلى بلادك ثم آذنيّي، قالت: فاقتلت حتى قدم ركب من بي قضاة وأنا أريد أن آتي أخي بالشام فعرفت رسول الله ﷺ فكساني وحملني وزودني وخرجت معه فقدمت الشام فلما لقيتها عدي تلاوة ساعة ثم قال لها: ماذا ترين في أمر هذا الرجل؟ فأشارت عليه باللحاق به فوقد، وأكرمه رسول الله ﷺ وأدخله إلى بيته وأجلسه على وسادته، بعد أن استوقفته في طريقه امرأة فوقف لها، فعلم عدي أنه ليس بذلك وإنما هو نبي، ثم أخبره عن أخيه الرابع من قومه ولا يجيء له فازداد استبعاداً فيها، ثم قال: لعله إنما يمنعك من الدخول في أذنك الملك والسلطان لغيرهم فيوشك أن تسمع بالقصور البيض من بابل قد فتحت. فأسلم عدي وانصرف إلى قومه.

ثم أنزل الله على نبيه الأربعين آية من أول سورة براءة في نبذ العهد الذي بينه وبين المشركين لا يصدوا عن البيت، ونهوا أن يقرب المسجد الحرام مشركاً بعد ذلك، وأن لا يطوف بالبيت عرياناً، وإن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فitem له إلى مدته، وأجلهم أربعة أشهر من يوم النحر. فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآيات أبا بكر وأمره على إقامة الحجج بالموسم من هذه السنة، فبلغ ذي الحليفة فاتّبه بعلي فأخذه منه، فرجع أبو بكر مشفقةً أن يكون نزل فيه قرآن، فقال له النبي ﷺ: لم ينزل شيء ولكن: لا يليغ عنّي غيري أو رجل مني، فسار أبو بكر على الحجّ وعلى الأذن براءة، فجّح أبو بكر بالناس وهم على حجّ الجاهلية، وقام على عند العقبة يوم الأضحى فاذن بالأئمة التي

حوله. فحاصر جرش ومن بها من خصم وقبائل اليمن، وكانت مدينة حصينة اجتمع إليها أهل اليمن حين سمعوا بزحف المسلمين، فحاصرهم شهراً، ثم قفل عنهم فظنوا أنه انهزم فتابعوه إلى جبل شكر، فصف وحمل عليهم ونال منهم، وكانوا بعثوا إلى رسول الله ﷺ رايندين وأخبروا ذلك اليوم بواقعه شكر وقال: إن بدن الله لتحر عنده الآن فرجعوا إلى قومهما فأخبرهم بذلك وأسلموا وهي لهم حي حول قريتهم.

ومنها كان إسلام همدان وفادتهم على يد علي رضي الله عنه، وذلك أن رسول الله ﷺ بعث خالد بن الوليد إلى أهل اليمن بدعوهم إلى الإسلام، فمكث ستة أشهر لا يحيطون، فبعث عليه السلام علي بن أبي طالب وأمره أن يقفل خالداً، فلما بلغ علي أوائل اليمن جعوا له فلما لقاه صدوا فقدم على الإنذار وقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ فآسلمت همدان كلها في ذلك اليوم، وكب بذلك إلى النبي ﷺ فسجد لله شكرأ، ثم قال: السلام على همدان ثلاث مرات. ثم تابع أهل اليمن على الإسلام وقدمت وفدهم، وكان عمرو بن معدى كرب الزبيدي قال لقيس بن مكتوم المرادي: إذهب بنا إلى هذا الرجل فلن يخفى علينا أمره قاتل قيس من ذلك، فقدم عمرو على النبي ﷺ فآسلم، وكان فروة بن مسيك المرادي على زيد لأنه وفد قبل عمرو مفارقاً للملك كثنة فأسلم ونزل على سعد بن عبادة وتعلم القرآن وفرائض الإسلام واستعمله رسول الله ﷺ على مراد وزيد ومذحج كلها وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقية فكان معهم في بلاده حتى كانت الوفاة.

وفي هذه السنة قدم وفد عبد القيس يقدمهم الجارود بن عمرو وكأنوا على دين النصرانية، فأسلموا ورجعوا إلى قومهم. ولما كانت الرفقة أرتد عبد القيس ونصبوا المنذر بن التعمان بن المنذر الذي يسمى الغرور وثبت الجارود على الإسلام، وكان له المقام الحمود وهلك قبل أن يراجعوا. وقد كان رسول الله ﷺ بعث العلاء بن الحضرمي قبل فتح مكة إلى المنذر بن ساوي العبدى فأسلم وحسن إسلامه، وهلك بعد الرفقة وقبل ردة أهل البحرين والعلامة أمير عنده لرسول الله ﷺ على البحرين.

وفي هذه السنة قدم وفد بني حنيفة في سنة عشر فيهم ميسيلمة بن حبيب الكلذاب، ورجال بن عفوة، وطلق بن علي بن قيس، وعليهم سلمان بن حنظلة، فأسلموا وأقاموا أياماً يتعلمون القرآن من أبي بن كعب، ورجال يتعلمون، وطلق يؤذن لهم، وميسيلمة في الرجال، وذكروا للنبي ﷺ مكانه في رحالمه فأجازه، وقال: ليس بشركم مكاناً لحفظه رحالكم، فقال ميسيلمة: عرف أن

الحج الأكبر والحج الأصغر وهو العمرة، وينهى الناس أن يصلى أحد في ثوب صغير إلا أن يكون ثوباً يشي طرفيه على عاته، وينهى أن ينتهي أحد في ثوب واحد ويفضي بفرجه إلى السماء، وينهى أن يقص أحد شعر رأسه إذا عفا في قفاه، وينهى إذا كان بين الناس هيج عن الدعاء إلى القبائل والعشائر ول يكن دعاؤه إلى الله وحده لا شريك له فمن لم يدع إلى الله ودعا القبائل والعشائر فليعطيه بالسيف حتى يكون دعاؤهم إلى الله وحده لا شريك له، ويأمر الناس بإسياخ الرضوء في جوهرهم وأيديهم إلى المرافق وأرجلهم إلى الكعبين ويمسحوا برؤوسهم كما أمرهم الله، وأمرهم بالصلاحة بوقتها وإقام الركوع والسجدة يجلس بالصحيح وبهجر بالهاجرة حتى تميل الشمس وصلاة العصر والشمس في الأرض مدبرة والمغرب حين يقبل الليل لا تؤخر حتى تبدو نجوم السماء والعشاء أول الليل، وأمر بالسعى إلى الجمعة إذا نودي لها والنعش عند الرواح إليها، وأمره أن يأخذ من الغاثة خمسة الله، وما كتب على المؤمنين في الصدقة من العقار عشر ما سقت العين أو سقت السماء وعلى ما سقى الغرب نصف العشر وفي كل عشر من الإبل شاتان وفي كل عشرين أربع شاة وفي كل أربعين من البقر بقرة وفي كل ثلاثين من البقر تبع أو تيبة جذع أو جذعة وفي كل أربعين من الغنم سائمة وحدها شاة فإنها فريضة الله التي افترض على المؤمنين في الصدقة فمن زاد خيراً فهو خير له، وإنه من أسلم من يهودي أو نصراني إسلاماً خالصاً من نفسه ودان بدین الإسلام فإنه من المؤمنين له مثل ما لهم وعليه ما عليهم ومن كان ناصريته أو يهوديته فإنه لا يرد عنها وعليه الجزية، وعلى كل محتم ذكرأ وأثنى حر أو عبد دينار واف أو عرضه ثياباً فمن أدى ذلك فإن له ذمة الإسلام ذمة الله وذمة رسوله. ومن منع ذلك فإنه عدو لله ولرسوله وللمؤمنين جميعاً صلوات الله على محمد والسلام عليه ورحمته وبركاته.

وقدم وفد غسان في رمضان من هذه السنة العاشرة في ثلاثة نفر فأسلموا وانتصروا إلى قومهم فلم يحيوا إلى الإسلام فكتموا أمرهم وهلكاثنان منهم ولقي الثالث أبو عبيدة عام البرموك فأخربه بإسلامه. وقدم عليه وفد عام عشرة نفر فأسلموا وتعلموا شرائع الإسلام وأقرأهم النبي القرآن وانتصروا.

وقدم في شوال وفد سلامان بسبعة نفر رئيسهم حبيب فأسلموا من قومهم وتعلموا القرآن وانتصروا.

وفيها قدم أزرد جرش وفد فيهم صرد بن عبد الله الأزدي في عشرة من قومه، ونزلوا على فروة بن عمرو، وأمر النبي ﷺ بعد أن أسلموا صرداً على من أسلم منهم، وأن يجاهد المشركين

اللهُمَّ، ونُوفِي فَأوْصِي لَهُمْ هَمَانَةً وَسَقَ منْ خَيْرِ جَارِيَةٍ عَلَيْهِمْ مِنْ الْكِتَبِيَّةِ وَبِاعْرَاهَا مِنْ مَعَاوِيَةَ

وَفِيهَا قَدْمٌ وَفَدْ نَجْرَانَ النَّصَارَى فِي سَبْعِينَ رَاكِبًا يَقْدِمُهُمْ

أَمْرِهِمُ الْعَاقِبُ عَبْدُ الْمَسِيحِ مِنْ كَنْدَةَ، وَاسْقَهُمُ أَبُو حَارَثَةَ مِنْ بَكْرٍ  
بَنْ وَائِلَ، وَالسَّيْدُ الْأَيْمَمُ وَجَادُلُوا عَنْ دِينِهِمْ، فَتَزَلَ صَدْرُ سُورَةِ الْأَلْ  
عُمَرَانَ وَآيَةِ الْمَبَاهِلَةِ فَابْرَأُوهُمْ وَفَرَقُوهُمْ وَسَالَوْهُ الْصَلْحَ، وَكَتَبَ لَهُمْ  
بِهِ عَلَى الْأَلْفِ حَلَةٍ فِي صَفْرٍ وَالْفِلْ في رَجَبٍ وَعَلَى درُوعٍ وَرِمَاجٍ  
وَخَيْلٍ وَحَلَ ثَلَاثَةٍ مِنْ كُلِّ صَنْفٍ، وَطَلَبُوا أَنْ يَبْعَثَ مَعَهُمْ وَالْيَامَ  
يَحْكُمُ بِيَنْهُمْ فَبَعَثُوا مَعَهُمْ أَبَا عَيْدَةَ بْنَ الْجَرَاحَ، ثُمَّ جَاءَ الْعَاقِبُ  
وَالسَّيْدُ وَالْأَسْلَمَ.

وَفِيهَا قَدْمٌ وَفَدْ الصَّدْفِ مِنْ حَضْرَمَوْتِ فِي بَضْعَةِ عَشَرَ نَفَراً  
فَأَسْلَمُوا، وَعَلَمُهُمْ أَوْقَاتُ الصَّلَاةِ وَذَلِكُ فِي حَجَةِ الْوَدَاعِ. وَفِي هَذِهِ  
السَّنَةِ قَدْمٌ وَفَدْ عَبِيسَ، قَالَ أَبْنُ الْكَلْبِيِّ: وَفَدْ مِنْهُمْ رَجُلٌ وَاحِدٌ  
فَأَسْلَمَ وَرَجَعَ مَوْمَاتٍ فِي طَرِيقِهِ. وَقَالَ الطَّبَرِيُّ: وَفِيهَا قَدْمٌ وَفَدْ عَدِيِّ بْنِ  
حَاتِمٍ فِي شَعْبَانَ انتَهَى.

وَفِيهَا قَدْمٌ وَفَدْ خُولَانَ عَشَرَةَ نَفَرَ فَأَسْلَمُوا وَهَدَمُوا صَنْهُمْ،  
وَكَانَ وَفَدْ عَلَى رَسُولِ اللّهِ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْخَدِيبَيَّةِ قَبْلَ خَيْرِ رَفَاعَةَ  
بْنِ زَيْدِ الْفَضِيْبِيِّ مِنْ جَذَامَ وَاهْدِي غَلَامًا فَأَسْلَمُوا، وَكَتَبَ لَهُ رَسُولُ  
اللّهِ تَعَالَى كَتَبًا يَدْعُوْهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ فَأَسْلَمُوا، وَلَمْ يَلْبِسْ أَنْ قَفْلَ  
دَحِيَّةَ بْنَ خَلِيفَةِ الْكَلْبِيِّ مَنْصُرَفًا مِنْ عَنْ هَرْقَلِ حِينَ بَعْثَ النَّبِيِّ تَعَالَى  
وَمَعَهُ تَجَارَةً، فَأَغَارَ عَلَيْهِ الْهَنِيدُ بْنُ عَوْضٍ وَقَوْمُهُ بَنُو الْضَّلِيلِ مِنْ  
بَطْوَنِ جَذَامَ فَأَصَابُوا كُلَّ شَيْءٍ مَعَهُ، وَبَلَغَ ذَلِكَ مُسْلِمِينَ مِنْ بَنِي  
الْفَضِيْبِ فَاسْتَقْنَدُوا مَا أَخْذَهُ الْهَنِيدُ وَابْنَهُ وَرَدَوْهُ عَلَى دَحِيَّةَ، وَقَدْمٌ  
دَحِيَّةَ عَلَى النَّبِيِّ تَعَالَى فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرُ، فَبَعَثَ النَّبِيُّ تَعَالَى زَيْدَ بْنَ حَارَثَةَ  
فِي جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ فَأَغَارَ عَلَيْهِمْ بِالْقَضَاضِ فِي حَرَةِ الرَّمَلِ،  
وَقَتَلُوا الْهَنِيدَ وَابْنَهُ فِي جَمَاعَةٍ وَكَانَ مَعَهُمْ نَاسٌ مِنْ بَنِي الْفَضِيْبِ  
فَاسْتَبَحُوهُمْ مَعَهُمْ وَقَتَلُوهُمْ، فَرَكِبَ رَفَاعَةُ بْنُ زَيْدٍ وَمَعَهُ أَبُو زَيْدٍ  
بْنُ عَمْرُو مِنْ قَوْمِهِ فِي جَمَاعَةِ مَنْهُمْ فَقَدَمُوا عَلَى النَّبِيِّ تَعَالَى وَأَخْبَرُوهُ  
الْخَبَرُ، قَالَ: كَيْفَ أَصْبِحُ بِالْعَنْتَلِ؟ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللّهِ أَطْلَقْتَ لَنَا  
مِنْ كَانَ حَيًا، فَبَعَثَ مَعَهُمْ عَلَيْهِ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَحَلَّهُ عَلَى جَمْلٍ  
وَأَعْطَاهُ سَيْفَهُ فَلَحَقَهُ بَفِيَّهِ الْفَحْلَتَيْنِ وَأَمْرَهُ بِرَدِّ أَمْوَالِهِ.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ قَدْمٌ وَفَدْ عَامِرَ بْنَ صَعْصَعَةَ فِيهِمْ: عَامِرَ بْنَ  
الْطَّفِيلِ بْنِ مَالِكٍ، وَأَرْبَدَ أَبْنَ رَبِيعَةَ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ لَهُ عَامِرٌ: يَا  
مُحَمَّدَ اجْعَلْ لِي الْأَمْرَ بِعْدِكَ، قَالَ: لَيْسَ ذَلِكَ لَكَ وَلَقُومُكَ، قَالَ:  
اجْعَلْ لِي الْوَبِرَ وَلَكَ الْمَدْرَ، قَالَ: لَا وَلَكَ أَجْعَلْ لَكَ أَعْنَةَ الْخَيْلِ  
فَإِنَّكَ أَمْرُ فَارِسٍ، قَالَ: لَأَمْلَأَنَّهَا عَلَيْكَ خَيْلًا وَرَجَلًا ثُمَّ وَلَوْا.  
قَالَ: اللّهُمَّ أَكْفِنِيهِمُ اللّهُمَّ اهْدِ عَامِرَ وَأَغْنِ الْإِسْلَامَ عَنْ عَامِرٍ.

الْأَمْرُ لِي مِنْ بَعْدِهِ. ثُمَّ ادْعَى مَسِيلَةً بَعْدَ ذَلِكَ النَّبُوَّةِ، وَشَهَدَ لَهُ  
طَلاقَ أَنَّ رَسُولَ اللّهِ تَعَالَى أَشْرَكَ فِي الْأَمْرِ فَاقْتَنَ النَّاسُ بِهِ كَمَا  
سَنَدَكُوهُ.

وَفِيهَا قَدْمٌ وَفَدْ كَنْدَةَ يَقْدِمُهُمْ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ فِي بَضْعَةِ  
عَشَرَ وَقَبْلَ فِي سَتِينَ وَقَبْلَ فِي ثَمَانِينَ، وَعَلَيْهِمُ الدِّيَاجُ وَالْمَحْرِيرُ،  
وَأَسْلَمُوا وَنَاهَمُ الْنَّبِيِّ تَعَالَى عَنْهُ فَتَرَكَهُ. وَقَالَ لَهُ أَشْعَثُ بْنُ نَبْوَهُ  
أَكْلَ الْمَرَارَ وَأَتَتْ أَبْنَ أَكْلَ الْمَرَارِ فَضَحَكَ وَقَالَ: نَاسِيَوْا بِهِذَا النَّسْبَ  
الْعَبَاسُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلُوبِ وَرَبِيعَةُ بْنُ الْحَرْثِ وَكَانَا تَاجِرِينَ فَإِذَا سَاحَا  
فِي أَرْضِ الْعَرَبِ قَالَ: نَحْنُ بْنُ أَكْلَ الْمَرَارِ فَيَعْتَزِزُ بِذَلِكَ كَانَ لَهُمْ عَلَيْهِ  
وَلَادَةٌ مِنَ الْأَمْهَاتِ، ثُمَّ قَالَ نَحْنُ بْنُ النَّضَرِ بْنُ كَنَانَةَ فَاتَّفَوْا مَنَا وَلَا  
يَتَنَفَّى مِنْ بَيْنَا.

وَقَدْمٌ مَعَ وَفَدْ كَنَانَةَ وَفَدْ حَضْرَمَوْتِ وَهُمْ بَنُو لَيْعَةَ،  
وَمُلْوَكُهُمْ صَمَرَةٌ وَخَوْشٌ وَمَرْحٌ وَضَعْفَةٌ فَأَسْلَمُوا وَدَعَا لِمَخْرُوشِ  
بِإِزَالَةِ الرَّتَةِ مِنْ لِسَانِهِ. وَقَدْمٌ وَائِلَ بْنَ حَجَرِ رَاغِبًا فِي الْإِسْلَامِ فَدَعَا  
لَهُ وَمَسْحُ رَأْسِهِ، وَنَسْدِيِّ الْصَّلَاةِ جَامِعَةَ سَرْرَوْا بِقَدْرِهِ، وَأَسْرَ  
مَعَاوِيَةَ أَنْ يَنْزَلَ بِالْمَحْرَةِ، فَمَشَى مَعَهُ وَكَانَ رَاكِبًا فَقَالَ لَهُ مَعَاوِيَةَ:  
أَعْطِنِي نَعْلَكَ أَتُوْقِيَّ بِهَا الرَّمَضَاءَ، قَالَ: مَا كَنْتَ لِأَلْبِسْهَا وَقَدْ  
لَبِسْتَهَا. وَفِي رَوْيَةٍ لَا يَلْعَبُ أَهْلُ الْيَمَنَ أَنْ سَوْقَةَ لَبِسِ نَعْلِ مَلَكٍ  
فَقَالَ: أَرْدَنِي قَالَ: لَسْتَ مِنْ أَرْدَافِ الْمَلُوكِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الرَّمَضَاءَ  
قَدْ أَحْرَقَتْ قَدْمِي قَالَ: امْشِ فِي ظَلِّ نَاقِيَّ كَفَاكَ بِهِ شَرْفًا. وَيَقُولُ  
إِنَّهُ وَفَدْ عَلَى مَعَاوِيَةِ فِي خَلَاقَتِهِ فَأَكْرَمَهُ وَكَتَبَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ تَعَالَى  
كَتَبًا:

«بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. هَذَا كَتَبُ مُحَمَّدِ النَّبِيِّ لِوَائِلَ بْنِ  
حَجَرِ قَبْلَ حَضْرَمَوْتِ إِنَّكَ إِنْ أَسْلَمْتَ جَعَلْتَ لَكَ مَا فِي يَدِيكَ  
مِنَ الْأَرْضِ وَالْمَحْصُونِ وَبَوْلَدَ مِنْكَ مِنْ كُلِّ عَشَرَةِ وَاحِدَةٍ يَنْظَرُ فِي  
ذَلِكَ ذُورَ عَدْلِكَ مِنْكَ وَجَعَلْتَ لَكَ أَلَا تَظْلِمَ فِيهَا مَعْلِمَ الدِّينِ.  
وَالنَّبِيِّ تَعَالَى وَالْمُؤْمِنُ عَلَيْهِ أَنْصَارًا».

قَالَ عَيَّاضُ: وَفِيهِ إِلَى الْأَقْيَالِ الْمَبَاهِلَةُ وَالْأَوْرَاعُ الْمَشَابِبُ.  
وَفِيهِ فِي الْعَيْيَةِ شَاهٌ مَقْوَرَةٌ لِلْأَيَّاطِ وَلَا ضَنَاكِ وَفِي السَّيْبِ الْخَمْسِ  
وَمِنْ زَنِي مِنْ بَكْرٍ فَاصْفَعُوهُ مَائَةً وَاسْتَوْضُوهُ عَامَّاً، وَمِنْ زَنِي مِنْ  
ثَيْبٍ فَضَرِّجُوهُ بِالْأَضَاحِيْمِ، وَلَا تَوْصِيْمَ فِي الدِّينِ وَلَا غَمَّةَ فِي  
فَرَائِضِ اللّهِ وَكُلَّ مَسْكُرِ حَرَامٍ وَوَائِلَ بْنَ حَجَرٍ يَتَرَفَّلُ عَلَى  
الْأَقْيَالِ.

وَفِيهَا قَدْمٌ وَفَدْ مَحَارِبَ فِي عَشَرَةِ نَفَرٍ فَأَسْلَمُوا. وَفِيهَا قَدْمٌ  
وَفَدَ الرَّهَا مِنْ مَذْحِيجٍ فِي خَمْسَةِ عَشَرَ نَفَرًا وَاهْدَوْا فَرِسًا، فَأَسْلَمُوا  
وَتَعْلَمُوا الْقَرْآنَ وَانْصَرَفُوا، ثُمَّ قَدْمٌ نَفَرٌ مِنْهُمْ وَحَجَرُوا مَعَ رَسُولِ

الناس إن الشيطان قد ينس من أن يعبد بأرضكم هذه أبداً ولكنه رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرن من أعمالكم فاحتذروه على دينكم أبرح الناس! **﴿إِنَّمَا النُّسُكُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُفْسَدُ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَجْلِوْنَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا كَيْفَ أَطْلُوْنَاهُ عَدَّةً مَا حَرَمَ اللَّهُ كَيْجُلُوْنَاهُ مَا حَرَمَ اللَّهُ﴾** الا وإن الزمان قد استدار كحياته يوم خلق الله السموات والأرض وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ثلاثة متالية ذو القعدة ذو الحجة والحرم ورجب الفرد الذي بين جمادي وشعبان أما بعد أيها الناس فإن لكم على نسائكم حقاً وهن عليكم حقاً لكم عليهم أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه وعليهن أن لا يأتين بفاحشة ميبة، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجرونهن في المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتنهن بالمعروف. واستوصوا بالنساء خيراً فإنهن عندكم عوار لا يملكون لأنفسهن من الخير شيئاً وإنكم إنما أخذتنهن بأمانة الله واستحللتمن فروجهن بكلمة الله فاعقلوا أيها الناس واسمعوا قولي فلاني قد بلغت وتركت فيكم ما إن استعصتم به فلن نضلوا أبداً: كتاب الله وسنة نبيه، أيها الناس! اسمعوا قولي واعلموا إن كل مسلم أخوه المسلم وإن المسلمين إخوة فلا يجل لامرىء من مال أخيه إلا ما أعطاه إيه عن طيب نفس فلا تظلموا أنفسكم إلا اللهم قد بلغت، فذكر أنهن قالوا: اللهم نعم. فقال رسول الله ﷺ: «اللهم اشهد». وكانت هذه الحجة تسمى حجة البلاغ وحجة الوداع لأنه لم يصح بعدها وقد كان حجـ قبل ذلك حجـتين واعتمـ مع حـة الوداع عمرة فـتكـ ثـلاـثـ ثم انـصرـ إلىـ المـديـنـةـ فيـ بـيـةـ ذـيـ الحـجـةـ منـ العـاـشـ.

### العمال على التواحي

كان رسول الله ﷺ حين أسلم باذان عامل كسرى على اليمن وأسلمت اليمن أمره على جميع مخالفتها ولم يشرك معه فيها أحد حتى مات، وبيله موته وهو منصرف من حجة الوداع فقسم عمله على جماعة من الصحابة، فولى على صناعة ابنه شمر بن باذان، وعلى مأرب أبا موسى الأشعري، وعلى الجند يعني بن أمية، وعلى همدان عامر بن شمر المعناني، وعلى عك والأشعريين الطاهر بن أبي هالة وعلى ما بين نجران وزمع وزيد خالد بن سعيد بن العاص، وعلى نجران عمرو بن حزام، وعلى بلاد حضرموت زياد بن ليد الياضي، وعلى السكاكـ والسـكـونـ عـكـاشـةـ بنـ ثـورـ بنـ أـصـفـرـ الغـوثـيـ،ـ وـعـلـىـ السـكـاكـ السـكـونـ الـهـاجـرـ بنـ أـمـيـةـ وـاشـكـيـ الـهـاجـرـ فـلـمـ يـنـهـبـ فـكـانـ زيـادـ بنـ لـيدـ

وذكـرـ ابنـ إـسـحـاقـ وـالـطـبـريـ:ـ أـنـهـماـ أـرـادـاـ الـغـدرـ بـرسـولـ اللهـ

فـلـمـ يـقـدـرـواـ عـلـيـهـ فـيـ قـصـةـ ذـكـرـهـ أـهـلـ الصـحـيـحـ،ـ ثـمـ رـجـعـواـ إـلـىـ

بـلـادـهـ فـأـخـذـهـ الطـاعـونـ فـيـ عـنـقـهـ فـماتـ فـيـ طـرـيقـهـ فـيـ أـحـيـاءـ بـيـ

سـلـولـ وـاصـبـتـ أـخـاهـ أـرـيدـ صـاعـقةـ بـعـدـ ذـلـكـ ثـمـ قـدـمـ عـلـقـمـةـ بـنـ

عـلـاتـةـ بـنـ عـرـفـ وـعـرـفـ بـنـ خـالـدـ بـنـ رـبـعـةـ وـابـهـ فـاسـلـمـواـ.

وـفـيـهـ قـدـمـ وـفـدـ طـيـءـ فـيـ خـسـةـ عـشـرـ نـفـرـاـ يـقـدـمـهـ سـيـدـهـ

زـيـدـ الـخـيلـ وـقـيـصـةـ بـنـ الـأـسـوـدـ مـنـ بـنـيـ نـيـهـانـ فـاسـلـمـواـ،ـ وـسـمـاـهـ

رـسـولـ اللهـ

زـيـدـ الـخـيلـ زـيـدـ الـخـيرـ وـاقـطـعـ لـهـ بـثـرـاـ وـأـرـضـيـنـ مـعـهـ وـكـبـ لـهـ

بـذـلـكـ وـمـاتـ فـيـ مـرـجـعـهـ.

وـفـيـ هـذـهـ سـنـةـ اـدـعـيـ مـسـيـلـةـ النـبـوـةـ وـأـنـ شـرـكـ مـعـ رـسـولـ

الـلـهـ

الـلـهـ إـلـىـ الـأـمـرـ،ـ وـكـبـ إـلـيـهـ:ـ مـنـ مـسـيـلـةـ رـسـولـ اللهـ إـلـىـ مـعـمـدـ

رـسـولـ اللهـ سـلـامـ عـلـيـكـ فـلـانـيـ قـدـ اـشـرـكـ فـيـ الـأـمـرـ مـعـكـ وـأـنـ لـنـاـ

نـصـفـ الـأـرـضـ وـلـقـرـيـشـ نـصـفـ الـأـرـضـ وـلـكـ قـرـيـشـ قـوـمـ لـاـ

يـعـدـلـونـ،ـ وـكـبـ إـلـيـهـ رـسـولـ اللهـ

بـسـمـ اللـهـ الرـحـمـنـ الرـحـيمـ.ـ مـنـ مـحـمـدـ رـسـولـ اللهـ

مـسـيـلـةـ الـكـذـابـ!ـ سـلـامـ عـلـيـهـ مـنـ اـتـيـعـ الـهـدـيـ؟ـ أـمـ بـعـدـ فـإـنـ

الـأـرـضـ لـلـهـ يـوـرـنـهـاـ مـنـ يـشـأـ مـنـ عـيـادـهـ وـالـعـاقـيـةـ لـلـمـعـيـقـنـ؟ـ»ـ

قال الطبرى: وقد قيل: إن ذلك كان بعد منصرف النبي

الـلـهـ مـنـ حـجـةـ الـوـدـاعـ كـمـ تـذـكـرـ.

### حجـةـ الـوـدـاعـ

ثم خـرجـ الـنـبـيـ

إـلـىـ حـجـةـ الـوـدـاعـ فـيـ خـسـةـ لـيـالـ بـقـيـنـ مـنـ

ذـيـ الـعـقـدـ وـمـعـهـ مـنـ أـشـرـافـ النـاسـ وـمـاـنـ إـلـاـلـ هـدـيـاـ،ـ وـدـخـلـ

مـكـةـ بـوـمـ الـأـحـدـ لـأـرـبعـ خـلـونـ مـنـ ذـيـ الـحـجـةـ وـلـقـيـهـ عـلـيـ بـنـ أـبـيـ

طـالـبـ بـصـدـقـاتـ نـجـرانـ فـحـجـ مـعـهـ،ـ وـعـلـمـ

الـنـاسـ مـنـاسـكـهـمـ وـاسـتـرـجـهـمـ وـخـطـبـ النـاسـ بـعـرـفـةـ خـطـبـهـ الـيـ بـنـ فـيـهـ مـاـ بـنـ،ـ حـدـ

الـلـهـ وـالـثـانـاءـ عـلـيـهـ ثـمـ قـالـ:ـ «أـيـهـ النـاسـ إـسـمـعـواـ قـوـلـيـ فـلـانـيـ لـأـدـريـ

لـعـلـيـ لـأـقـاـمـ بـعـدـ عـامـيـ هـذـاـ بـهـذـاـ الـرـقـفـ أـبـداـ.ـ أـيـهـ النـاسـ إـنـ

دـمـاءـكـ وـأـمـوـالـكـ عـلـيـكـ حـرـامـ إـلـىـ أـنـ تـلـقـواـ رـيـكـ كـحـرـمـةـ يـوـمـكـ

هـذـاـ وـحـرـمـةـ شـهـرـكـ هـذـاـ وـسـتـلـقـونـ رـيـكـ فـيـسـالـكـ عـنـ أـعـمـالـكـ

وـقـدـ بـلـغـ فـمـنـ كـانـ عـنـهـ أـمـانـةـ فـلـيـؤـدـهـ إـلـىـ مـنـ اـتـمـنـهـ عـلـيـهـ وـانـ

كـانـ رـيـاـ فـهـوـ مـوـضـعـ:ـ فـلـكـ رـوـسـ أـمـوـالـكـ لـأـتـلـمـلـمـونـ وـلـأـ

تـلـمـلـمـونـ قـضـيـ اللـهـ أـنـهـ لـأـ رـيـاـ إـنـ رـيـاـ الـعـبـاسـ بـنـ عـبدـ الـمـطـلـبـ

مـوـضـعـ كـلـهـ وـإـنـ كـلـ دـمـ كـانـ فـيـ الـجـاهـلـيـةـ مـوـضـعـ كـلـهـ وـإـنـ أـوـلـ

دـمـ وـضـعـ دـمـ رـيـاـ بـنـ الـحـرـثـ بـنـ عـبدـ الـمـطـلـبـ وـكـانـ مـسـتـرـضـعـاـ فـيـ

بـيـ لـيـثـ،ـ فـقـتـلـهـ بـنـوـ هـذـيـلـ فـهـوـ أـوـلـ مـاـ أـبـدـيـ مـنـ دـمـ الـجـاهـلـيـةـ.ـ أـيـهـ

المداني وبعث جرير بن عبد الله إلى ذي الكلاع وذي أمران وذي ظليم من أهل ناحيته وإلى أهل نجران من عربهم ونصاراهم واعتربوا الأسود ومشوا وتنجروا إلى مكان واحد. وأخبر الأسود شيطانه بغير قيس وفيروز ودادوته فعاتبهم وهم بهم، ففرروا إلى أمراته ووادعتهم أن يبقوا البيت من ظهره ويدخلوا فيستووه، ففعلوا ذلك ودخل فيروز ومعه قيس فقتل عنقه ثم ذبحه، فنادي بالآذان عند طلوع الفجر ونادى دادوته بشعار الإسلام، وأقام وبر بن حنيس الصلاة واعتاج الناس مسلّهم وكافرهم وماج بعضهم في بعض واختطف الكثير من أصحابه صيانتاً من أبناء المسلمين، ويزروا وتركوا كثيراً من أبنائهم ثم تراسلوا في رد كل ما بيده وأقاموا يترددون فيما بين صنعاء ونجران، وخلصت صنائع والجنود، وتراجع أصحاب النبي ﷺ إلى أعمالهم وتنافسوا الإمارة في صنعاء، ثم اتفقوا على معاذ يصلّي بهم وكتبا إلى رسول الله ﷺ بالخبر، وكان قد آتاه خبر الواقعه من السماء فقال في غداتها: قتل العنسي البارحة قتله رجل مبارك وهو فيروز. ثم قدمت الرسل، وقد توفي النبي ﷺ.

بعث أسامه:

ولما رجع النبي ﷺ من حجة الوداع آخر ذي الحجة ضرب على الناس في شهر المحرم بعثا إلى الشام وأمر عليهم مولاه أسماء بن زيد بن حارثة، وأمره أن يوطئ الخيل تخوم البلقاء والداروم إلى الأردن من أرض فلسطين ومشارف الشام، فتجهز الناس وأوعب معه المهاجرين الأولون. فبینا الناس على ذلك ابتدأ النبي ﷺ بشكراه التي قبضه الله فيها إلى كرامته ورحمته، وتكلم المافقون في شأن أسامه، وبلغ الخبر بارتاد الأسود ومسيلمة، وخرج رسول الله ﷺ عاصبا رأسه من الصداع وقال: «إني رأيت البارحة في نومي أن في عضدي سوارين من ذهب فكرهتما فتفتخهما فطارا فاولتهما هذين الكذابين: صاحب العمامه وصاحب اليم». وقد بلغني أن أتوكما تكلموا في إماره أسماء طعنوا في إمارته لقد لقنهما في إماره أبيه من قبله وإن كان أبوه لحققاً بالإماره وإن لحققاً بها انفروا».

بعث أسماء فضرب أسماء بالحرق وتمهيل، ونقل رسول الله ﷺ وتوفاه الله قبل توجه أسماء.

### أخبار الأسود ومسيلمة وطلحة

كان النبي ﷺ بعد ما قضى حجة الوداع تخلل به السير فاشتكى وطارت الأخبار بذلك فوثب الأسود باليمن كما مر

يقوم على عمله، وبعث معاذ بن جبل معلماً لأهل اليمن وحضرموت، وكان قبل ذلك قد بعث على الصدقات عدي بن حاتم على صدقة طيء وأسد، ومالك بن نويرة على صدقات بني حنظلة، وقسم صدقة بني سعد بين رجلين منهم، وبعث العلاء بن الحضرمي على البحرين وبعث على بن أبي طالب إلى نجران ليجمع صدقاتهم وجزيئهم ويقدم عليه بها فراغه من حجة الوداع كما مر.

### خبر العنسي

كان الأسود العنسي واسمه عبهلة بن كعب ولقبه ذو الحمار، وكان كاهناً مشعوذًا يفعل الأعاجيب ويخلب بمحلاوة منطقة، وكانت داره كهف خيارة بها ولد ونشأ وادعى النبوة . وكانت مذحجاً عامة فألاجبوه وأودعوا نجران فوثبوا بها وأنخرجوا عمرو بن حزام وخالد بن سعيد بن العاص وأقاموا في عمله، ووثب قيس بن عبد يغوث على فروة بن مسيك وهو على مراد فأجلوه، وسار الأسود في سبعمائة فارس إلى شمر بن باذان بصنعاء فلقيه شمر بن باذان فهزمه الأسود قتيلاً، وغلب على ما بين صنائع وحضرموت إلى أعمال الطائف إلى البحرين من قبل عدن، وجعل يطير استطارة الحريق وعامله المسلمين بالثقة، وارتدى كثير من أهل اليمن. وكان عمرو بن معدى يكرب مع خالد بن سعيد بن العاص، فخالله واستجاب للأسود، فسار إليه خالد ولقيه فاختلقا ضربتين فقطع خالد سيفه المصاصة وأخذها، وزنل عمرو عن فرسه وقتله في الخيل ولحق عمرو بالأسود فولاه على مذحج وكان أمر جنده إلى قيس بن عبد يغوث المرادي، وأمر الآباء إلى فيروز ودادوته وتزوج امرأة شهر بن باذان واستفحلا أمره. وخرج معاذ بن جبل هارباً ومر بأبي موسى الأشعري في مارب فخرج معه وخلفاً بمحضرموت، وزنل معاذ بن سعيد موسى في السكاكش، ولحق عمرو بن حزم وخالد بن سعيد بالمدية. وأقام الطاهر بن أبي هالة ببلاد عك جبال صنائع، فلما ملك الأسود اليمن واستفحلا استخف بقيس بن عبد يغوث وفيروز ودادوته، وكانت ابنة عم فيروز هي زوجة شمر بن باذان التي تزوجها الأسود بعد مقتله وأسمها أزاد. وبلغ إلى النبي ﷺ فكتب مع وبر بن عنيس إلى الآباء وأبي موسى وعاذ الطاهر يأمرهم فيه أن يعملوا في أمر الأسود بالغيلة أو المصادفة ويلعنه ما يروم عنده ديناً أو نجدة، وأقام معاذ والأباء في ذلك فداخلوا قيس بن عبد يغوث في أمره فألاجبا، ثم داخل فيروز بنت عمه زوجة الأسود فراعدته قتله، وكتب النبي ﷺ إلى عامر بن شمر

يجيزوا الوفد كما كان يجيزهم، وسكت عن الثالثة أو نسبها الرواية. وأوصى بالأنصار فقال: «إنهم كرسي وغيلتي التي أويت إليها فاكروا كريهم وتجاوزوا عن مسيتهم فقد أصبحتم بما معشر المهاجرين تزيدون والأنصار لا يزيدون» ثم قال: «سدوا هذه الأبواب في المسجد إلا بباب أبيي بكر فإني لا أعلم أمره أ أفضل يداً عندي في الصحابة من أبيي بكر، ولو كنت متخدنا خليلاً لاختذت أبيي بكر خليلاً ولكن صحبة إخاء وإيمان حتى يعمينا الله عنه».

ووثب مسلمة باليمامة، ثم وتب طلحة بن خويلد في بني أسد، يدعى كلهم النبوة. وحاربهم رسول الله ﷺ بالرسول والكتب إلى عماله ومن ثبت على إسلامه من قومهم أن يجدوا في جهادهم، فأصيب الأسود قبل وفاته بيوم ولم يشغله ما كان فيه من الرجع عن أمر الله والذب عن دينه، فبعث إلى المسلمين من العرب في كل ناحية من نواحي هؤلاء الكاذبين يأمرهم بجهادهم. وجاء كتاب مسلمة إليه فأجابه كما مر وجاء ابن أخي طلحة يطلب المراجعة فدعا عليه ﷺ حتى كان من حكم الله فيهما بعد وفاته ما كان.

ثم ثقل به الرجع وأغمي عليه فاجتمع إليه نساؤه وبنوه وأهل بيته والعباس وعلي، ثم حضر وقت الصلاة فقال: «مراوا أباي بكر فليصل بالناس» فكانت عائشة: إنه رجل أسيف لا يستطيع أن يقوم مقامك، فمر عمر فامتنع عمر، وصل أبو بكر، ووجد رسول الله ﷺ خفة فخرج فلما أحسن به أبو بكر تأخر فجذبه رسول الله ﷺ وأقامه مكانه وقرأ من حيث انتهى أبو بكر، ثم كان أبو بكر يصل بالصلوة والناس بصلوة أبي بكر، قيل: صلوا كذلك سبع عشرة صلاة. وكان يدخل يده في القدح وهو في التزوع فيسمع وجهه في الماء ويقول: «الله أعني على سكرات الموت» فلما كان يوم الاثنين وهو يوم وفاته خرج إلى صلاة الصبح عاصباً رأسه وأبو بكر يصلبي، فنكص عن صلاته، ورده رسول الله ﷺ بيده وصل على يمينه، ثم أقبل على الناس بعد الصلاة فور عليهم وذكرهم، ولا فرغ من كلامه قال له أبو بكر: إني أراك قد أصبحت بنعمة الله وفضلها كما نحب. وخرج إلى أهل في السنع. ودخل رسول الله ﷺ في بيته فاضطجع في حجرة عائشة، ودخل عبد الرحمن بن أبي بكر عليه وفي يده سواك أخضر، فنظر إليه وعرفت عائشة أنه يريده قال: فغضنته حتى لأن وأعطيته إيه فاستنق بث وضعيه. ثم ثقل في حجري فذهبت أنظر في وجهه فإذا بصره قد شخص وهو يقول: «الرفيق الأعلى من الجنة» فعلمت أنه خير فاختار.

### مرضه

أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من ذلك أن الله نعى إليه نفسه بقوله: «إذا جاء نصر الله والفتح» إلى آخر السورة، ثم بدأ الرجع للبيتين بقيتا من صفر وتمادي به وجده وهو يدور على نسائه حتى استقر به في بيت ميمونة، فاستاذن نساءه أن يعرض في بيت عائشة فاذن له. وخرج على الناس فخطبهم وتخلل منهم وصلى على شهداء أحد واستغفر لهم، ثم قال لهم: «إن عبداً من عباد الله خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده». وفهمها أبو بكر فبكى، فقال: بل نفديك بنفسنا وأبنائنا، فقال: على رسلك يا أبي بكر» ثم جمع رسول الله ﷺ أصحابه فرحب بهم وعيناه تدمعن ودعا لهم كثيراً وقال: أوصيكم بتفوى الله وأوصي الله بكم وأستخلفه عليكم وأودعكم إليه إني لكسم نذير ويشير الآن على الله في بلاده وعباده فإنه قال لي ولكم: « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يرثون علواً في الأرض و لا فساداً والغاية للمُتقين» وقال «ليس في جهنم مثوى للمتكبرين».

ثم سأله عن مغسله، فقال: «الأدنون من أهلي» وسأله عن الكفن، فقال: في ثيابي هذه أو يياض مصر أو حلة ميانية « وسأله عن الصلاة عليه، فقال: «دعوني على سريري في يبني على شفير قبرى ثم اخرجوا عني ساعة حتى تصلي علي الملائكة ثم ادخلوا فوجاً بعد فرج فصلوا وليساً رجال أهل بيتي ثم نساوهم» وسأله عنمن يدخله القبر، فقال: «أهلي» ثم قال: « اتوني بدواء وقرطاس أكتب لك كتاباً لا تفلون به» فتنازعوا وقال بعضهم إنه يهجر وقال بعضهم: أهجر؟ يستفهم. ثم ذهبوا يعيذون عليه، ثم قال: «دعوني فما أنا فيه خير مما تدعوني إليه» وأوصى بشلالث: أن يخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأن

### وفاته

وكانت تقول: قض رسول الله ﷺ بين سحري ومحري. وذلك نصف نهار يوم الاثنين للبيتين من شهر ربیع الأول ودفن من الغد نصف النهار من يوم الثلاثاء. ونادي العي في الناس يومه وأبو بكر غائب في أهلها بالسنع، وعمر حاضر فقام في الناس فقال: إن رجالاً من المافقين زعموا أن رسول الله ﷺ مات وأنه لم يمت وأنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى وليرجع فيقطعن

ولقيهم عاصم بن عدي وعويم بن ساعدة فأرادوهم على الرجوع  
وخفضوا عليهم الشان، فأبوا إلا أن يأتوهم فأتورهم في مكانهم  
ذلك فأجلوهم عن شأنهم وغلبوا عليهم جاعاً وموعظة. وقال  
أبو بكر: نحن أولياء النبي وعاشرته وأحق الناس بأمره ولا ننزع في  
ذلك، وأنتم لكم حق السابقة والنصرة، فتحنن الأمراء وأنتم  
الوزراء. وقال الحباب بن المنذر بن الجحروم: منا أمير ومنكم أمير  
 وإن أبوا فاجلوهم يا عشرون الأنصار عن البلاد فباسيفاكم دان  
الناس لهذا الدين وإن شئتم أعدناها جذعة أنا جذيلها المحك  
وعذيقها المرحب. وقال عمر: إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰتَهُ السَّلَامَ وَبَشَّرَهُ بِالْجَنَّةِ أوصانا بكم كما  
تعلمون ولو كتم الأمراء لأوصاكم بنا، ثم وقعت ملاحة بين  
عمر والمنذر بن الحباب، وأبوا عبيدة يغفهما ويقولون: إنقاوا الله  
يا عشرون الأنصار أنت أهل من نصر وأثر فلا تكونوا أهل من بذلك  
وغيره.

فقام بشير بن سعد بن النعمان بن كعب بن الحزرج فقال:  
الا إن حمداً من قريش وقومه أحق وأولى، ونحن وإن كنا أولى  
فضل في الجهاد وسابقة في الدين، فما أردنا بذلك إلا رضي الله  
وطاعة نبيه فلا نبغي به من الدنيا عوضاً، ولا نستطيل به على  
الناس. فقال الحباب بن المنذر: نسخت والله عن ابن عمك يابشير.  
قال: لا والله! ولكن كرهت أن أنازع قوماً حقهم. فشارب أبو بكر  
إلى عمر وأبو عبيدة فامتنعا وبايعا أبي بكر وبسبقهما إليه بشير بن  
سعد، ثم تاجي الأوس فيما بينهم وكان فيهم أسيد بن حضير  
أحد الشباء وكروا إمارة الحزرج عليهم وذهبوا إلى بيعة أبي بكر  
فيما يعوه، وأقبل الناس من كل جانب يبايعون أبي بكر وكادوا يطألون  
سعد بن عبادة، فقال ناس من أصحابه: انقو سعداً ولا تقتلواه.  
فقال عمر: اقتلوه قتله الله. وتماسكاً فقال أبو بكر: مهلاً يا عمر  
الرفق هنا أبلغ. فأعرض عمر ثم طلب سعداً في البيعة فأبى وأشار  
بشير بن سعد بتركه، وقال: إنما هو رجل واحد، فقام سعد لا  
يمجتمع معهم في الصلاة ولا يفيض معهم في الحديث حتى هلك  
أبو بكر. ونقل الطبرى أن سعداً بايع يومئذ، وفي أخبارهم أنه لحق  
بالشام فلم يزل هناك حتى مات وأن الجن قتله وينشدون البيتين  
الشهرين وهما

خُنْ قَلْتَنَا سِيدُ الْخَزْ  
رَجُ سَعْدُ بْنُ عَبَادَه  
فَرْمَيْتَنَا هَاهِ پَسَه  
مِنْ فَلَمْ غَطَطْ فَوَادَه

ولما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم إرثاع الحاضرون لفقده حتى ظن بعضهم أنه لم يمت، واجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة يبايعون سعد بن عبدة وهم يرون أن الأمر لهم بما أتوا ونصروا، ويبلغ الخبر إلى أبي بكر وعمر فجاؤوا إليهم ومعهم أمير عبيدة

أو خاصة، وحاربهم بالكتب والرسائل وانتظر بمقاصدتهم قدوم أسماء، فعاجلته عبس وذبيان وزلوا في الأبرق وزل آخرون ببني القصة ومعهم خجال من بني أسد ومن انتسب إليهم من بني كنانة، ويعثروا وفداً إلى أبي بكر نزلوا على وجوه الناس بطلوب الاقتصار على الصلاة دون الزكاة، فأبا أبو بكر من ذلك، وجعل على أنقاب المدينة علياً والزبير وطلحة وعبد الله بن مسعود، وأخذ أهل المدينة بحضور المسجد، ورجع وفد المرتدين وأخبروا قومهم بقلة أهل المدينة فاغلروا على من كان ياتقاب المدينة، فبعثوا إلى أبي بكر فخرج في أهل المسجد على التواضع، فهو بروا والمسلمون في اتياهم إلى ذي خشب، ثم نفروا إيل المسلمين بلعبات المخذوها فنفرت ورجعت بهم وهم لا يملكونها إلى المدينة ولم يصبهم شيء، وظن القوم المسلمين الوهن فبعثوا إلى أهل ذي القصة يستقدمونهم. ثم خرج أبو بكر في التعبية وعلى ميمته النعمان بن مقرن وعلى ميسيرته عبد الله بن مقرن، وعلى الساقية سعيد بن مقرن، وعلى ميسيرته عبد الله بن مقرن، وعلى الساقية سعيد بن مقرن، وطلع عليهم مع الفجر واقتتلوا فما ذر قرن الشمس إلا فقام وقد وقال: لا تترك أمر رسول الله ﷺ حتى أخرج أو أفنده. ثم خرج حتى أتاهم فأشخاصهم وشيعهم وأذن لعمر في الشخص، وقال: أوصيكم بعشر حافظوها على: لا تخونوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تقتلوا ولا تقتلو الطفل ولا الشيخ ولا المرأة ولا تغرقوا مخلأ ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مشمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا للأكل، وإذا مررت بقرم فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوههم وما فرغوا أنفسهم له، وإذا لقيتم أقواماً فحصوا أو واسط رؤوسهم وترکوا حوالها مثل العصايب فاضربوا بالسيف ما فحصوا عنه. فإذا قرب عليكم الطعام فاذكروا اسم الله عليه وكلوا ترفعوا باسم الله.

يا أسماء! اصنع ما أمرك به النبي الله أبداً ببلاد قضاة ثم أنت أقل ولا تقصري بشيء من أمر رسول الله ﷺ. ثم دعوه من الحرف ورجع. وقد كان بعث معه من القبائل حول المدينة الذين هم المجرة في ديارهم وحبس من بقي منهم فصار مصالح حول قبائلهم ومضى أسماء مغناً وانتهى لما أمره به النبي ﷺ، وبعث الجند في بلاد قضاة وأغار على أبيني فسيب وغنم ورجع لأربعين يوماً وقيل لسبعين، ولم يحدث أبو بكر في مغبيه شيئاً، وقد جاء الخبر بارتفاع العرب عامة وخاصة إلا قريشاً وتنيفاً، واستفحلت أمر مسلمة واجتمع على طليحة عوام طيء وأسد وارتدى غطافان وتوقفت هوازن فامسكتوا الصدقة، وارتدى خواص من بني سليم وكذا سائر الناس بكل مكان. وقدمت رسيل النبي ﷺ من اليمن واليمامة وبين أسد من الأمراء من كل مكان بانتهاض العرب عامة

## الخبر عن الخلافة الإسلامية في هذه الطبقة وما كان منها من الردة والفسوحات وما حدث بعد ذلك من الفت والخروب في الإسلام ثم الانفاق والجماعات

لما قبض رسول الله ﷺ وكان أمراً السقيفة كما قدمناه، أجمع المهاجرون والأنصار على بيعة أبي بكر ولم يختلف إلا سعد إن صاح خلافه فلم يلتقط إليه لشذوذه. وكان من أول ما اعتمد إتفاق بعث أسماء، وقد ارتدى العرب إما القبيلة مسترعة وإما بعض منها، ونجم النفاق والمسلمون كالغنم في الليلة المطرة لقلتهم وكثرة عدوهم وإظام الجر بفقد نبيهم، ووقف أسماء بالناس ورغم من أن يدهمه أمر، وقالت له الأنصار: فإن أبي إلا المصي فليول علينا أحسن من أسماء. فابلغ عمر ذلك كله أباً بكر فقام وقد وقال: لا تترك أمر رسول الله ﷺ حتى أخرج أو أفنده. ثم خرج حتى أتاهم فأشخاصهم وشيعهم وأذن لعمر في الشخص، وقال: أوصيكم بعشر حافظوها على: لا تخونوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تقتلوا ولا تقتلو الطفل ولا الشيخ ولا المرأة ولا تغرقوا مخلأ ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مشمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا للأكل، وإذا لقيتم أقواماً فحصوا أو واسط رؤوسهم وترکوا حوالها مثل العصايب فاضربوا بالسيف ما فحصوا عنه. فإذا قرب عليكم الطعام فاذكروا اسم الله عليه وكلوا ترفعوا باسم الله.

## ردة اليمن

توفي رسول الله ﷺ وعلى مكة وبيني كنانة عتاب بن أسيد، وعلى الطائف وأرضها عثمان بن أبي العاص على المدر، ومالك بن عمرو على البر، وعلى عجز هوازن عكرمة بن أبي جهل، وعلى نهران وأرضها عمرو بن حرام على الصلاة، وأبر سفيان بن حرب على الصدقات، وعلى ما بين زمع وزيد إلى نهران خالد بن سعيد بن العاص، وعلى همدان كلها عامر بن شعر المداني، وعلى صنعاء فیروز الدليمي ومسانده دادويه وقبس بن مكحش الرادي ورجعوا إليها بعد مقتل الأسود، وعلى الجند يعني بن أمية، وعلى مارب أبو موسى الأشعري، وعلى

وجعله بغياله. وكانت كندة قد ارتدوا وتابعوا الأسود العنسي بسبب ما وقع بينهم وبين زياد الكندي في أمر فريضة من فرائض الصدقية أطلقها بعض بنى عمرو بن معاوية بعد أن وقع عليها ميسم الصدقية غالطاً، فقاتلهم زياد وهزمهم، فانتفق بنو معاوية على منع الصدقية والردة إلا شراحيل بن السمط وابنه، وأشار على زياد بمراجعتهم قبل أن ينضم إليهم بعض السكاكسة وحضرموت، وأيضعاً وجد ومشرج وخوس وأخنهم العمrade، وهرب الباقون ورجع زياد بالسي والغنايم، ومر بالأشعش بن قيس وبني الحمرث بن معاوية واستئناث نساء النبي فسار الأشعث وتقلنهم، ثم جمع بني معاوية كلهم ومن أطاعه من السكاكسة وحضرموت وأقام على رده. وكان أبو بكر قد حارب أهل الردة أولاً بالكتب كما حاربهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن رجع أسماء بن زيد ثم كان أول مصارم فخرج إلى الأبرق واستئنف من لم يرتد إلى من ارتد وابتداً بالمهاجرين والأنصار، ثم استئنف كلاً على من يليه حتى فرغ من آخر أمور الناس لا يستئنف بمرتد، وكتب إلى عتاب بن أسد بحكة وعثمان بن أبي العاص بالطائف برکوب من ارتد بن ثور بذاته وشباب من مدخلج وخزانة، فبعث عتاب إليهم فرقهم وقتلهم. واجتمع بشورة جع من الأزد وختعم وبجبلة فبعث إليهم عثمان بن أبي العاص من فرقهم وقتلهم. واجتمع بطريق الساحل من تهامة جعو من عك والأشعرية فسار إليهم الطاهر بن أبي هالة ومعه مسروق العكي فهزموهم وقتلهم، وأقام بالأجناد يتظاهر أمر أبي بكر ومعه مسروق العكي. وبعث أهل نجران من مقائل، وجاء وفدهم يطلبون إمضاء العهد الذي بأيديهم من النبي ﷺ، فامضاه أبو بكر إلا ما نسخه الوجهى بيان لا يترك دينان بالقتل، وسار إلى نجران.

وارجعت رسيل النبي ﷺ الذين كان بعضهم عند انتصاف الأسود العنسي وهم: جرير بن عبد الله والأقرع ووير بن مخنس فرد أبو بكر جريراً، ليستئنف من ثبت على الإسلام على من ارتد ويقاتل خصم الذين غضبو لهم ذي الخليفة فيقتلهم ويقيم بنجران، فنفذ ما أمره به، ولم ير به أحد إلا رجال قليل تتبعهم بالقتل، وسار إلى نجران.

وكتب أبو بكر إلى عثمان بن أبي العاص أن يضرب العوثر على مخالفات أهل الطائف، فضرب على كل مخالف عشرين وأمر عليهم أخاه.

الأشعريين وعكاشه بن ثور بن أصفر العوثي، وعلى كندة ليبد الياض وعكاشه بن ثور بن أصفر العوثي، وعلى كندة المهاجر بن أبي أمية، وقد كان رسول الله ﷺ غصب عليه في غزوة تبوك فاسترضته له أم سلمة وولاه على كندة، ومرض فلم يصل إليها، وأقام زياد بن ليبد ينوب عنه. وكان معاذ بن جبل يعلم القرآن باليمين يتقلل على هؤلاء في أعمالهم.

وثار الأسود في حياة رسول الله ﷺ وحاربه بالرسول وبالكتب فقتلله الله وعاد الإسلام في اليمن كما كان، فلما بلغه الموت انتقضت اليمن وارتدى أهلها في جميع التواحي وكانت الغالة من جند العنسي بين نجران وصنعاء لا يأتوون إلى أحد، ورجع عمرو بن حزام إلى المدينة واتبعه خالد بن سعيد، وكان عمرو بن معديكرب بالجبال حيال فروة بن مسيك وابن مكشوش ومحيل في قتل الأبناء فيروز دادويه وخشيش والاستبداد بصنعاء، وبعث إلى الغالة من جيش الأسود بغيرهم بالأبناء ويعدهم المظاهرة عليهم فجاءوا إليه، وخشي الأبناء غاثلتهم وفزعوا إليه فأظهر لهم المناصحة، وهيا طعاماً فجمعهم له ليغدر بهم، ففطر منهم بدادويه وهرب فيروز وثار قيس بصنعاء وجبي ما حولها وجمع الغالة من أحوال فيروز وثار قيس بصنعاء وجبي ما حولها وجمع الغالة من جند الأسود إليه، وكتب فيروز إلى أبي بكر بالخبر، فكتب له بولالية صنعاء، وكتب إلى الطاهر بن أبي هالة بإعانته، وإلى عكاشه بن ثور بأن يجمع أهل تهامة وقيمة مكانة، وكتب إلى ذي الكلاع سميحة وذي ظليم حوشب، وذى تبان شهر بإعانته الأبناء وطاعة فيروز وإن الجند يأتهم. وأرسل إليهم قيس بن مكشوش بغيرهم بالأبناء، فاعتزل الفريقيان واتبع عوامهم قيس بن مكشوش في شأنه، وعند قيس إلى عيلات الأبناء الذين مع فيروز فغر بهم وأخرجهم من اليمن في البر والبحر وعرضهم للهب.

فأرسل فيروز إلى بيبي عقيل بن ربيعة وإلى عك يستصرهم، فاعتذرضا عيال فيروز والأبناء الذين معه فاستنقذوهم وقتلوا من كان معه، وجاوا إلى فيروز فقاتلوا معه قيس بن مكشوش دون صنعاء فهوهم، ورجع إلى المكان الذي كان به مع فالة الأسود العنسي. وانضاف قيس إلى عمرو بن معديكرب وهو مرتد منذ تبأ الأسود العنسي، وقام حيال فروة بن مسيك، وقد كان فروة وقد أسلم وكذلك قيس، واستعمل رسول الله ﷺ قيساً على صدقات مراد، وكان عمرو قد فارق قومه سعد العشيرة مع بيبي زيد وأحلافها وأخواز إليهم فأسلم معهم وكان فيهم فلما انتقض الأسود، واتبعه عوام مذحج كان عمرو فيمن اتبعه، وأقام فروة فيمن معه على الإسلام فول الأسود عمراً

إسلامه ورد عليه زوجته وقال: لييلثني عنك خيراً، ثم خلى عن القرم فذهبوا وقسم الأقال.

## بعث الجيوش للمرتدة

لما قدم أسامة يبعث الشام على أبي بكر استخلفه على المدينة وممضى إلى الرينة فهزمبني عبس وذبيان وكتابة بالأبرق ورجع إلى المدينة كما قدمناه، حتى إذا استجم جند أسامة وتاب من حوالي المدينة خرج إلى ذي القصبة على بريد من تلقاء نجد، عقد فيها أحد عشر لواء على أحد عشر جنداً لقتال أهل الردة، وأمر كل واحد باستقرار من يليه من المسلمين من كل قبيلة، وترك بعضها لحماية البلاد. فعقد خالد بن الوليد وأمره لطليحة وبعده مالك بن نويرة بالبطاح، ولعكرمة بن أبي جهل وأمره بمسيمة والميامة ثم أرداه بشريحيل بن حسنة وقال له: إذا فرغت من الميامة فسر إلى قتال قضاة والمهاجر بن أبي أمية وأمره بالغالة من جنود العنباليين وبإعانة الأبناء مع قيس بن مكحور ومن معه ثم غضي إلى كندة محضرموت، وخالد بن سعيد بن العاص وقد كان قدم بعد الوفاة إلى المدينة من اليمن وترك عماله فبعث إلى مشارف الشام، ولعمرؤ بن العاص إلى قتال المرتدة من قضاة، ولخديفة بن محسن وعرفة بن هرثمة فخذيفه لأهل دبا وعرفة لمهرة وكل واحد منها أمير في عمله على صاحبه.

وطريفة بن حاجز وبعثه إلى بني سليم ومن معهم من هوازن، ولسويد بن مقرن وبعثه إلى تهامة اليمن، وللعلاه بن الحضرمي وبعثه إلى البحرين. وكتب إلى الأمراء عهودهم بمنص واحد:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا عهد من أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ لقلان حين بعثه فيمن بعثه لقتال من رجع عن الإسلام وعهد إليه أن يتقى الله ما استطاع في أمره كله سره وجهه وأمره بساجد في أمر الله ومجاهدة من تول عنده ورجوع عن الإسلام إلى أمانى الشيطان بعد أن يعذر إليهم فيدعوهم بدعاية الإسلام، فإن أجابوه أمسك عنهم وإن لم يجيبوه شن الغارة عليهم حتى يقروا له، ثم ينتهي بالذى عليهم والذي لهم فياخذ ما عليهم وبعطيهم الذي لهم لا ينتظرون ولا يرد المسلمين عن قتال عدوهم. فمن أجاب إلى أمر الله عز وجل وأقر له قبل ذلك منه وأعانه عليه بالمعروف. وإنما يقاتل من كفر بالله على الإقرار بما جاء من عند الله فإذا أجاب الدعوة لم يكن عليه سبيل وكان الله حسيبه بعد فيما استسر به، ومن لم يجيء

وكتب إلى عتاب بن أسد أن يضرب على مكة وعملها خسمائة بعث وأمر عليهم أخاه خالداً وأقاموا يتظرون، ثم أمر المهاجر بن أبي أمية بأن يسير إلى اليمن ليصلح من أمره ثم ينفذ إلى عمله وأمره بقتل من بين نجوان وأقصى اليمن ففعل ذلك. ومر بمكة والطائف فسار معهم خالد بن أسد وعبد الرحمن بن أبي العاص من معهم، ومر بجرب بن عبد الله وعكاشه بن ثور فضمهم إلى إيه، ثم مر بجران وانضم إليه فروة بن مسيك، وجاءه عمرو بن معدىكرب وقيس بن مكحور فأرتفعها وبعث بهما إلى أبي بكر، وسار إلى لقائه فتبعهم بالقتل ولم يؤمنهم فقتلوا بكل سهيل. وحضر قيس عند أبي بكر فحضر قتل داديه ولم يجد أمراً جلياً في أمره، وتاب عمرو بن معدىكرب واستقالاً فأقامهما وردهما.

وسار المهاجر حتى نزل صنعاء وتبع ارتداد القبائل فقتل من قدر عليه وقبل توبه من رجع إليه وكتب إلى أبي بكر بدخوله صنعاء، فجاءه الجواب بأن يسير إلى كندة مع عكرمة بن أبي جهل وقد جاءه من ناحية عمان ومعه خلق كبير من مهرة والأرد وناجية وعبد القيس وقوم من مالك بن كندة وبين العبر، وقد أبين وأقام بها لاجتماع النفع وحيث ثم سار مع المهاجر إلى كندة، وكتب زياد إلى المهاجر يستنهضه فلقيه الكتاب بالمقارنة بين ماري وحضرموت، فاستخلف عكرمة على الناس وتعجل إلى زياد ونهدوا إلى كندة وعليهم الأشعث بن قيس فهزموهم وتلهمهم وفروا إلى النجير حصن له فتحصنتوا فيه مع من استغثوا من السكاكش وشذاد السكون وحضرموت وسدوا عليهم الطرق، إلا واحدة جاء عكرمة بعدهم فسدوها وقطعوا عنهم المدد وخرجوا مستعينين في بعض الأيام فغلبوا عليهم وأخرجوهم. واستأنف الأشعث إلى عكرمة بما كانت أسماء بنت النعمان بنت الجنون تحته فخرج إليه، وجاء به إلى المهاجر وأمه في أمره وما له وتسعة من قومه على أن يفتح لهم الباب، فاقتحمه المسلمون وقتلوا المقاتلة وسبوا الذريعة فكان في السبي ألف امرأة، فلما فرغ من النجير دعا بكتاب الأمان من الأشعث وإذا هو قد كتب غرض نفسه في التسعة رجال من أصحابه، فاولئكه كاتفاً وبعث به إلى أبي بكر ينظر في أمره، فقدم السبايا والأسرى، فقال له أبو بكر: أقتلوك؟ قال إني راودت القوم على عشرة وأثنيناهم بالكتاب مختومة، فقال أبو بكر: إنما الصلح على من كان في الصحيفة وأما غير ذلك فهو مردود. فقال يا أبا بكر: احتسب في وأقلني وأقبل إسلامي ورد علي زوجي، وقد كان تزوج أم فروة أخت أبي بكر حين قدم على رسول الله ﷺ وأخراها إلى أن يرجع، فاطلقه أبو بكر وقبل

إلى غطفان وأوقع بهم بنبي القصة فانضموا بعد المهزيمة إلى طيبة وبني أسد بالبزاحة وكذلك فعلت طيء وأقامت بنو عامر وهوازن يتظرون. وصعد خالد إلى طيبة ومعه عيينة بن حصن على بزاحة من مياه بني أسد وأظهر أنه يقصد خير ثم ينزل إلى سلمي وأجا فيبدأ بطيء. وكان عدي بن حاتم قد خرج معه في الجيش فقال له: أنا أجمع لك قبائل طيء يصجرونك إلى عدوك. وسار إليهم فجاء بهم وبعث خالد عكاشة بن عصون وثبت بن أقرم من الأنصار طيبة ولقيمها طيبة وأخوه فقتلاهما ومر بهما المسلمين فعظم عليهم قتلهما. ثم عبس خالد كتابه وثبت بن قيس على الأنصار وعدي بن حاتم على طيء ولقي القوم فقاتلهم، وعيينة بن حصن مع طيبة في سبعمائة من غطفان، وأشتد الحال بينهم وطيبة في عيادة يتذبذب لهم في انتظار الريح، فجاء عيينة بعدما ضجر من القتال وقال: هل جاءك أحد بعد؟ قال: لا ثم راجعه ثانية ثم ثالثة فقال: جاء. وقال إن لك رحى كرحاه، وحديثاً لا تنساه. فقال عيينة: يا بني فزارة الرجل كذاب، وإنصرف فانهزموا وقتل من قتل وأسلم الناس طيبة فورث على فرسه واحتقب أمرأته فنجا بها إلى الشام، ونزل في كلب من قصاعدة على النفع حتى أسلمت أسد وغطفان، فأسلم ثم خرج معتمراً أيام عمر ولقيه بالمدينة بنايه ويعشه في عساكر الشام، فأبابلي في الفتح، ولم يصب من عيالات بني أسد في واقعة بزاحة شيء لأنهم كانوا آخر جوهم في الحصون عند واسط وأسلموا خشية على ذراهم.

### خبر هوازن وسلمي وبني عامر

كان بنو عامر يتظرون أمر طيبة وما تصنع أسد وغطفان حتى أحبط بهم، وكان قرة بن هبيرة في كعب وعلقة بن علافة في كلاب وكان علقة قد ارتد بعد فتح الطائف، ولما قبض النبي ﷺ رجع إلى قرمه، وبلغ أبا بكر خبره فبعث إليه سرية مع القعاع بن عمرو من بني تميم فأغار عليهم، فأفلت وجاء بأهله وولده وقومه فأسلموا. وكان قرة بن هبيرة قد لقي عمرو بن العاص منصرفه من عمان بعد الوفاة وأضافه وقال له: اتركوا الركبة فإن العرب لا تدين لكم بالأئمة، فغضب لها عمرو وأسمعه وأبلغها أبا بكر، فلما أوقع خالد ببني أسد وغطفان وكانت هوازن وسلمي وعامر يتظرون أمرهم فجاءوا إلى خالد وأسلموا وقبل منهم الإسلام، إلا من عدا على أحد من المسلمين أيام الردة فإنه تبعهم فاحرق وقطح ورضخ بالحجارة ورمى من رؤوس الجبال، ولما فرغ من أمر بني عامر أوشق عيينة بن حصن

إلى داعية الله قتل وقوتل حيث كان وحيث بلغ مراغمة لا يقبل الله من أحد شيئاً مما أعطى إلا الإسلام فمن أجبه وأقر قبل منه وأعانه، ومن أبي قاتله فإن أظهره الله عليه عز وجل قتلام فـي كل قتلة بالسلاح والتيران. ثم قسم ما أفاء الله عليه إلا الخمس فإنه يلئناه ويمنع أصحابه العجلة والفساد وأن يدخل فيهم حشواً حتى يعرفهم ويعلم ما هم لثلا يكرنوا علينا ولثلا يؤتى المسلمين من قبلهم، وأن يقتضي بال المسلمين ويرفق بهم في السير والمترى وتقتديهم ولا يجعل بعضهم عن بعض ويستوصي بال المسلمين في حسن الصحبة ولين القول انتهى.

وكتب إلى كل من بعث إليه الجنود من المرتبة كتاباً واحداً في نسخ كثيرة على يد رسول تقدموا بين أيديهم نصه بعد البسمة: هذا عهد من أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ إلى من بلغه كتابي هذا من عامة أو خاصة أقام على الإسلام أو رجع عنه، سلام على من اتبع المدى ولم يرجع إلى الضلال والهوى، فإني أهدى إليكم الله الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وأؤمن بما جاء به وأكون من أبي وأجاهده أنا والتابعين بإحسان وأمرته أن لا يقاتل أحداً ولا يقتله حتى يدعوه إلى داعية الله، فمن استجاب له وأقر وقف وعمل صالحاً قبل منه وأعانه، ومن أبي أمرته أن يقاتله على ذلك ثم لا يقي على أحد منهم هدر عليه، فمن اتبعه فهو خير له ومن تركه فلن يعجز الله، وقد أمرت رسولي أن يقرأ كتابي في كل جموع لكم والداعية للأذان فإذا ذُنِن المسلمين فاذروا كفوا عنهم وإن لم يؤذنوا فالسائلون بما عليهم فإن أبو عاجلوهم وإن أقروا قبل منهم وحملهم على ما ينبغي لهم انتهى. فنفذت الرسل بالكتب أمام الجنود وخرجت الأمراء ومعهم العهود وكان أول ما بدأ به خالد طيبة وبني أسد.

### خبر طيبة

كان طيبة قد ارتد في حياة رسول الله ﷺ وكان كاهناً فادعى النبوة واتبعه أفارق من بني إسرائيل ونزل سميرا، ويعيث رسول الله ﷺ ضرار بن الأزور إلى قتاله مع جماعة، فاجتمع عليهم المسلمون وهو ضرار بمناجاته، فإني الخبر بموت النبي ﷺ فاستطار أمر طيبة واجتمع إليه غطفان وهوازن وطيء، وفر ضرار ومن معه من العمال إلى المدينة وقدمت وفودهم على أبي بكر في المواجهة على ترك الزكاة فأبى من ذلك، وخرج كما قدمته

الجماعي قاصدة المدينة لتغزو أبا بكر وال المسلمين، واتهت إلى الحرف فنهم بني عييم أمر عظيم لما كانوا عليه من اختلاف الكلمة، فوادعها مالك بن نويرة وثناها عن الغزو وحرضها على بني عييم فقرروا أمامها، ورجع إليها وكيع بن مالك واجتمعوا الرباب وبصبة فهزموا أصحاب سجاح أسرعوا منهم، ثم اصطلحوا.

وسارت سجاح فيما معها تزيد المدينة فبلغت النباج فاعتبرتهم بني النجم فيما تأشب اليهم من بني عمرو وأغاروا عليهم فأسرعوا المذيل وعقبة، ثم مجاوزوا على أن تطلق أسراهيم ويرجعوا ولا يتجاوزوا عليهم، ورجع عن سجاح مالك بن نويرة ووكيع بن مالك إلى قومهم وينتسب سجاح وأصحابها من الجماز عليهم، ونهدت إلى بني حنيفة، وسار معها من عييم الزيرقان بن بدر وطارد بن حاجب وعمرو بن الأهتم وغيلان بن حرث وثبت بن ربيع ونظار لهم، وصانعها مسيلمة بما كان فيه من مزاوجة ثامة بن إلال له في اليمامة. وزحف شرحبيل بن حسنة وال المسلمين إليه فأهدي لها واستأنفها وكانت نصرانية أخذت الدين من نصارى تغلب، فقال لها مسيلمة: نصف الأرض لنا ونصف الأرض لقريش لكنهم لم يعدلوا فقد جعلت نصفهم لك. وقال إنها جاءت إليه واستأنفته وخرج إليها من الحصن إلى قبة ضربت لها بعد أن جرها فدخل إليها وتخرك الحرج حوالي القبة وسجح لها وسجنت له من أسجاع الفريدة، فشهدت له بالنية وخطبها لنفسه فتزوجته وأقامت عنده ثلاثة وترجعت إلى قومها، فعدلوا في التزويج على غير صداق فرجعت إليه فقال لها: نادي في أصحابك لاني وضعتم عنهم صلاة الفجر والعتمة مما فرض عليكم عمد، وصالحة على أن يجعل لها النصف من غلات اليمامة فأخذته وسالت أن يسلفها النصف للعام القابل، ودفعت المذيل وعقبة لقبضه فهم على ذلك، وإذا جنالد بن الوليد وعاشركه قد أقبلوا فانقضت جموعهم واقتروا، وخلفت سجاح بالجزيرة فلم تزل في بيتي تقلب حتى نقل معاوية عام الجمعة بيني عققان عشرتها إلى الكوفة، وأسلمت حيث سجاح وحسن إسلامها.

ولما افترق وفدي الزيرقان والأقرع على أبي بكر وقالا: إجعل لنا خراج البحرين ونحن نضمن لك أمرها ففعل وكب لهم بذلك، وكان طلحة بن عبد الله يتربد بينهم في ذلك، فجاء إلى عمر ليشهد في الكتاب فرقه ومحاه وغضب طلحة، وقال لأبي بكر رضي الله عنه: أنت الأمير أم عمر رضي الله عنه؟ فقال عمر: غير أن الطاعة لي! وشهد الأقرع والزيرقان مع خالد اليمامة والشاهد كلها. ثم مضى الأقرع مع شرحبيل إلى دومة.

وقرة بن هبيرة ويعث بهما إلى أبي بكر فتجاوز لهما وحقن دمامهما.

ثم اجتمع قبائل غطفان إلى سلمى بنت مالك بن حلية من بدر بن ظفر في الحروب فنزلوا إليها وتذمروا، وكانت سلمى هذه قد سببت قبل وأعنتها عائشة وقال لها النبي ﷺ يوماً وقد دخل عليها وهي في نسوة بيت عائشة فقال: «إن إحداكن تستتبع كلاب الحروب»، ف فعلت ذلك سلمى حين ارتدت واجتمعوا إليها الفلاح من غطفان، وهو زان وسلامي وطيء وأسد، وبليغ ذلك خالداً وهو يتبع الشار ويسأذن الصدقات، فسار إليهم وقاتلهم سلمى وافقة على جلها حتى عقد وقتلت، وقتل حول هودجهها مائة رجل، فانهزموا ويعث خالد بالفتح على أثره بعده بعشرين ليلة.

وأما بنو سليم فكان الفجاءة بن عبد يا ليل قدم على أبي بكر ليستعينه بسلاح مدعياً إسلامه ويضمون له قتال أهل الردة فاعطاه وأمره، وخرج إلى الجنون وارتد ويعث خيبة بن أبي المشى من بني الشريد، وأمره بشن الغارة على المسلمين في سليم وهو زان، فبعث أبو بكر إلى طريفة بن حاجز قائده على جرمهم وأعاده بعد الله بن قيس الحاسبي فنهضوا إليه ولقياه، فقتل تختة وهرب الفجاءة فلحقه طريفة فأسره وجاء به إلى أبي بكر فاود له في مصلى المدينة طيباً ثم رمى به في النار مقومطاً، وفاته بنو سليم كلهم وفاء معهم أبو شجرة بن عبد العزيز أبو النساء وكان فيما ارتد.

### خبربني قيم وسجاح

قبض رسول الله ﷺ وعماله في بني عييم الزيرقان بن بدر على الرباب وعوف والأبناء وقيس بن عاصم على المقاعس والبطرون وصفوان بن صفوان وسمرة بن عمرو على بني عمرو ووكيع بن مالك على بني مالك ومالك بن نويرة على بني حنظلة، فجاء صفوان إلى أبي بكر حين بلغته الرفاة بصدقات بني عمرو، وجاء الزيرقان بصدقات أصحابه، وخالقه قيس بن عاصم في المقاعس والبطرون، لأنه كان يتظاهر، وبقي من أسلم منهم متشارلاً من ترخيص أو ارتتاب. وبينما هم على ذلك فجأتهم سجاح بنت الحارث بن سعيد من بني عققان أحد بطرون تقلب وكانت تبات بعد الرفاة، واتبعها المذيل بن عمران من بني تغلب وعقبة بن هلال في النمر والسليل بن قيس في شيبان وزياد بن بلال وكان المذيل نصرانياً فترك دينه إلى دينها، وأقبلت من الجزيرة في هذه

## خبر البطاح ومالك بن نويرة

ثم جاء خليط من عند أبي بكر مددًا خالد ليكون ردها له من خلفه فقرت جوع كانت تجمعت هنالك من فلاں سجاج، وكان مسلمة قد جعل لهم جعلاً. وكان الرجال بن عنفورة من أشراف بني حنيفة شهد لسلامة بأن رسول الله ﷺ أشرك معه في الأمر لأن الرجال، كان قد هاجر وأقام مع رسول الله ﷺ وقرأ القرآن وتفقه في الدين فلما ارتدى مسلمة بعثه النبي ﷺ معلماً لأهل العيادة ومشيناً على مسلمة فكان أعظم فتنة على بني حنيفة منه. واتبع مسلمة على شأنه وشهد له وكان يؤذن لسلامة ويشهد له بالرسالة بعد النبي ﷺ، فعظم شأنه فيهم وكان مسلمة يتهم إلى أمره، وكان مسلمة يسجع لهم بساجع كثيرة يزعم أنها قرآن يائمه، ويأتي بمخارق يزعم أنها معجزات فيقع منها ضد المقصود. ولما بلغ مسلمة وبني حنيفة ذروة خالد، خرجوا وعسكروا في متهوى ريف اليمين واستنفرت الناس فنفروا إليهم، وأقبل خالد ولقبه شرحيل بن حسنة فجعله على مقدمته، حتى إذا كان على ليلة من القوم هجموا على مجاعة في سرية أربعين أو ستين راجعين من بلاد بني عامر وبني تميم يشارون فيهم فوجدوهم دون ثيبة الياءة فقتلتهم أجمعين، وقيل له استيقن مجاعة بن مرارة إن كنت تزيد الياءة فاستبقي.

ثم سار خالد ونازل ببني حنيفة وسلامة والرجال على مقدمة مسلمة واشتدت الحرب وإنكشف المسلمون حتى دخل بنو حنيفة خباء خالد، ومجاعة بها أسرى مع أم متسم زوجة خالد، فدافعتهم عنها مجاعة وقالت: نعمت الحرقة. ثم تراجع المسلمون وكرروا على بني حنيفة فقال الحكم بن الطفيلي: ادخلوا الحديقة يا بني حنيفة فإني أمنع أدباركم، فقاتل ساعة ثم قتل عبد الرحمن بن أبي بكر، ثم تذامر المسلمون وقاتل ثابت بن قيس فقتل ثم زيد بن الخطاب ثم أبو حنيفة ثم سالم مولاه ثم البراء آخر أنس بن مالك وكان تأخذه عند الحرب رعدة حتى يتضخم ويقعد عليه الرجال حتى يبول، ثم يثور كالأسد فقاتل وفعل الأفاعيل.

ثم هزم الله العدو والجاهم المسلمين إلى الحديقة وفيها مسلمة فقال البراء: أقووني عليهم من أعلى الجدار فاقتحم، وقاتلهم من أعلى الحديقة ودخل المسلمين عليهم، وقتل مسلمة وهو مزيد متساند لا يعقل من الغيط، وكان زيد بن الخطاب قتل الرجال بن عنفورة. وكان خالد لما نزل ببني حنيفة وسلامة ودارت الرحي عليه طلب البراز فقتل مجاعة، ثم دعا مسلمة للبراز والكلام فحادثه فحاول فيه غرة وشيطانه يوسموس إليه، ثم ركبه خالد فارقهه وأدبروا وزالوا عن مراكزهم وركبهم المسلمين فانهزموا.

لما انصرفت سجاج إلى الجزيرة وراح بنو تميم الإسلام أقام مالك بن نويرة متثيراً في أمره واجتمع إليه من تميم بنو حنظلة واجتمعوا بالبطاح، فسار إليهم خالد بعد أن تقاعد عنه الأنصار يسألونه انتظار كتاب أبي بكر، فأبا إلا انتهاز الفرصة من هؤلاء، فرجعوا إلى أتباعه وخلفوا به. وكان مالك بن نويرة لما تردد في أمره فرق بي حنظلة في أمرهم ونهاهم عن القتال ورجع إلى منزله، ولما قدم خالد بعث السرايا يدعون إلى الإسلام ويتأنون من لم يجرب وأن يقتلوه، فجاءوا بمالك بن نويرة في نفر معه من بني ثعلبة بن يربوع واحتللت السرية فيهم، فشهد أبو قتادة أنهم أذنوا وصلوا فحبسهم عند ضرار بن الأزور وكانت ليلة عطرة فنادي مناديه أن ادفنوا أسراكم وكانت في لعنة كنابة عن القتل فبادر ضرار بقتلهم وكان كنانة. وسمع خالد الداعية فخرج متأسفاً وقد فرغوا منهم، وأنكر عليه أبو قتادة فزجره خالد، فقضى وخلف باني بكر ويفقال: إنهم لما جاؤوا بهم إلى خالد خاطبه مالك بقوله: فعل أصحابكم شأن أصحابكم فقال له خالد: أوليس لك بصاحب؟ ثم قتله وأصحابه كلهم ثم قدم خالد على أبي بكر وأشار عمر أن يقتيد منه بمالك بن نويرة أو يعزله فأبا، وقال: ما كنت أشيم سيفاً سله الله على الكافرين، ووردي مالكا وأصحابه ورد خالداً إلى عمله.

## خبر مسلمة والياءة

لمابعث أبو بكر رضي الله عنه عكرمة بن أبي جهل إلى مسلمة الكذاب وتابعه شرحيل استعجل هكرمة فانهزم وكتب إلى أبي بكر بالخبر، فكتب إليه لا ترجع قنوهن الناس وأمض إلى حنيفة وعرفجة فقاتلوا مهرة وأهل عمان فإذا فرغتم فامض أنت وجنودك واستنفروا من مررت علىه حتى تلقوا المهاجر بن أمية باليم وحضرموت، وكتب إلى شرحيل أن يمضي إلى خالد فإذا فرغتم فامض أنت إلى قضاعة فكن مع عمرو بن العاص على من ارتد منهم. ولما فرغ خالد من البطاح ورضي عنه أبو بكر بعثه نحو مسلمة وأوعب معه الناس، وعلى المهاجرين أبو حنيفة وزيد وعلى الأنصار ثابت بن قيس والبراء بن عازب، وتوجه خالد إلى البطاح وانتظر البعوث حتى تدمنت عليه، فنهض إلى الياءة وبنو حنيفة يومئذ كثير يقال أربعمون ألف مقاتل متفرقين في قراها وحجرها، وتوجه شرحيل كما فعل عكرمة بقتال مسلمة فنكبه وجاء خالد فلامه على ذلك.

## ردة الخطم وأهل البحرين

لما فرغ خالد من اليمامة ارتحل إلى وادٍ من أوديتها وكانت عبد القيس ويكر بن وائل وغيرهم من أحياء ربيعة قد ارتدوا بعد الوفاة وكذلك المنذر بن ساوي من بعدها بقليل، فاما عبد القيس فردهم الجارود بن المعلى وكان قد وفَّ وأسلم ودعا قومه فأسلموا بلما بلغتهم خبر الرفقة ارتدوا وقالوا: لو كان نبأ ما مات فقال لهم الجارود: تعلمون أن الله أنياء من قبله ولم تروهم وتعلمون أنهم ماتوا وعمد  $\text{للله}$  قد مات ثم تشهد فتشهدوا معه وثبتوا على إسلامهم، وخلوا بين سائر ربيعة وبين المنذر بن ساوي وال المسلمين.

وقال ابن إسحاق: كان أبو بكر بعث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر وقد كان رسول الله  $\text{للله}$  ولا فلما كانت الرفقة وارتدى ربيعة ونصبوا المنذر بن التعمان بن المنذر - وكان يسمى المغورو - فأقاموه ملكاً كما كان قومه بالحيرة، وبثت الجارود وعبد القيس على الإسلام واستمر بكر بن وائل على الردة، وخرج الخطم بن ربيعة آخر بيبي قيس بن ثعلبة حتى نزل بين القطيف وهجر، وبعث إلى دارين فأقاموا فجعل عبد القيس بيبيه ويبنهم، وأرسل إلى المغورو بن سعيد أخي التعمان بن المنذر وبعثه إلى جواثي وقال: أثبت فيإن ظفرت ملكتك بالبحرين حتى تكون كالنعمان بالحيرة، فحاصره المسلمون بجواثي.

وجاء العلاء بن الحضرمي لقتال أهل الردة بالبحرين ومر باليمامة فاستقر ثامنة بن أثال في مسلمة بيبي حنيفة وكان متزدداً، والحق عكرمة بعمان ومهراً، وأمر شرحبيل بالمقام حيث هو يغار مع عمرو بن العاص أهل الردة من قضاة، عمرو يغار سعداً ويقط وشرحبيل يغار كلباً لهما.

ثم من بلاد بيبي غيم فاستقبله بنو الرياب وبنو عمر ومالك بن نويرة بالبطاح يقاتلهم ووكيع بن مالك يوافق عمرو بن العاص وقيس بن عاصم من الملاعنة، والبطرون يوافقون الزيرقان بن بدر والأبناء وعوف وقد أطاعوه على الإسلام وحذلة متوقفون. فلما رأى قيس بن عاصم يلقى الرياب وعمرو العلاء وقد وجاه بالصلقات إلى العلاء، وخرج معه لقتال البحرين، فسار مع العلاء من بيبي تميم مثل عسكره ونزل هجر وبعث إلى الجارود أن يننزل بعد القيس الخطم وقومه مما يليه، فاجتمع المشركون إلى الخطم إلا أهل دارين، والملعون إلى العلاء، وخندقوا واقتلون وسعروا في بعض الليل ضرداً شديدة - أي جلة وصياحة - ويعثروا من يأتיהם بغيرها فجاجهم بأن القوم سكارى، فيبتورهم

وتطير الناس عن مسلمة بعد أن قالوا: أين ما كنت تدعنا؟ فقال: قاتلوا على أحسابكم، وأشاه وحشى فرماه بمحربه فقتل.

واقتحم الناس عليه حدائق الموت من حيطانها وأبرابها فقتل فيها سبعة عشر ألف مقاتل من بيبي حنيفة، وجاء خالد مجاعة ووقفه على القتلى ليりه مسلمة فمر بمحكم فقال: هؤذا! فقال مجاعة: هذا والله خير منه، ثم أراه مسلمة وهو رجل ذميم أخين، فقال خالد: هذا الذي فعل فيكم ما فعل، فقال مجاعة: قد كان ذلك وإنه والله ما جاءك إلا سرعان الناس وإن جاهيرهم في الحصون فهم أصلحك على قومي.

وقد كان خالد التقط من دون الحصون ما وجد من مال ونساء وصبيان ونادي بالنزول عليها فلما قال له مجاعة ذلك قال له: أصلحك على ما دون التفوس. وانطلق يشاوره فأفرغ السلاح على النساء ووقفن بالسور ثم رجع إليه وقال: أبوا أن يميزوا ذلك، ونظر خالد إلى رؤوس الحصون قد اسودت والمسلمون قد نهكتهم الحرب وقد قتل من الأنصار ما ينافى على الثلائة والستين، ومن المهاجرين مثلها ومن التابعين لهم مثلها أو يزيدون، وقد فشت المراحات فيمن بيبي، فجئ إلى السلم فصالحة على الصفراء والبيضاء، ونصف السبي والحلقة وحاطط ومزرعة من كل قرية، فأبوا فصالحهم على الرابع فصالحوه. وقتلت الحصون فلم يجد فيها إلا النساء والصبيان.

قال خالد: خذعني يا مجاعة فقال: قومي! ولم أستطع إلا ما صنعت فقد لهم وخيرهم ثلاثة فقال له سلمة بن عمير لا تقبل صلحًاً ونعتض بالحصون ونبعث إلى أهل القرى فالطعام كثير والشقاء قد حضر، فتشام مجاعة برائيه وقال لهم: لو لا أني خذلت القوم ما أجاينا إلى هذا، فخرج معه سبعة من وجوه القروم وصالحوا خالدًا وكتب لهم وخرجوا إلى خالد للبيعة والبراءة مما كانوا عليه.

وقد أضمر سلمة بن عمير الفتى بخالد فطرده حين وقعت عليه عليه وأطاع أصحابه على عنده فأثارته وحسبه ثم أفلت فاتبعوه وقتلوا. وكان أبو بكر بعث إلى خالد مع سلمة بن وقش إن أظفه الله أن يقتل من جرت عليه الموسى من بيبي حنيفة، فوجده قد صالحهم فاتم عدده معهم، ووفى لهم وبعث وفداً منهم إلى أبيي بكر بإسلامهم قبلهم وسلام عن ألساج مسلمة فقصروا عليه، فقال: سبحان الله هنا الكلام ما خرج إلا من إل آر بر فلين يذهب بكم عن أحلامكم وردهم الله إلى قومهم.

بها، وهذا جيفر وعباد ابنا الجلدي، فارتاد وادعى النبوة وتغلب على عُمان ودفع عنها الملkin، وبعث جيفر إلى أبي بكر بالخبر، فبعث أبو بكر حذيفة بن مخصن من حمير وعرفجة البارقي، حذيفة إلى عمان وعرفجة إلى مهرة، وإن اجتمعا فالأمير صاحب العمل، وأمرهما أن يكتبا جيفر أو يأخذوا برأيه. وقد كان بعث عكرمة إلى الإمامة ومسيلمة ووقعت عليه التكبة كما مر، فأمره بالمسير إلى حذيفة وعرفجة ليقاتل معهما عمان ومهرة ويترجمه إذا فرغ من ذلك إلى اليمن، فمضى عكرمة فلتحق بهما قبل أن يصل إلى عمان، وقد عهد إليهم أبو بكر أن يتبعوا إلى رأي عكرمة، فراسلوا جيفر وعبادًا وبلغ لقطيًا مجيء الجيوش فسكن بمدينة دبا وعسكر جيفر وعباد بصحار، واستقدموا عكرمة وحذيفة وعرفجة وكتابوا رؤساء الدين مع لقيط فقدموه بجيوب شهان، ثم صدوا إلى لقيط وأصحابه فقاتلوهم، وقد أقام لقيط عاليه وراء صفوفه، وهو المسلمين بالفرزعة حتى جاءهم مددهم من بني ناجية وعليهم الخربت بن راشد ومن عبد القيس وعليهم سيحان بن صوحان فانهزم العدو وظفر المسلمون، وقتلوا نحوًا من عشرة آلاف وسبوا النزارى والنسماء وتم الفتح، وقسموا الأنفال ويعشاوا بالخمس إلى أبي بكر مع عرفجة وكان الحمس ثمانية رأس.

وأقام حذيفة بعمان وسار عكرمة إلى مهرة وقد استقر أهل عمان ومن حولها من ناحية الأرد وعبد القيس وبني سعيد من تيم، فاقتحم مهرة بلا دهم وهم على فرقتين يتنازعان الرئاسة فاجابه أحد الفريقين، وسار إلى الآخرين فهزمه وقتل رئيسهم، ثم أصابوا منهم الغي نجبية. وأفاد المسلمون قوة بغنيتهم وأجادوا أهل تلك التواحي إلى الإسلام وهم أهل خند والروضة والشاطئ والجزائر والملر واللبان وأهل جيرة وظهور الشمر والفترات وذات الخيم، فاجتمعوا عليهم على الإسلام، وبعث إلى أبي بكر بذلك مع البشير وسار هو إلى اليمن للقاء المهاجر بن أبي أمية كما عهد إليه أبو بكر.

### بعث العراق وصلح الحيرة

ولما فرغ خالد من أمر الإمامة بعث إليه أبو بكر في المحرم من سنة اثنى عشرة فامرأه بالمسير إلى العراق ومرج الفند وهي الأبلة متتهي بحر فارس في جهة الشمال قرب البصرة، فتألف أهل فارس ومن في ملكتهم من الأمم. فسار من الإمامة وقيل قدم على أبي بكر ثم سار من المدينة، وانتهى إلى قرية بالسوداد وهي بانقيا وباروسما والليس وكانت لابن صلوبا فصالحهم على عشرة

ووضعوا السيوف فيهم واقتجموا الخندق وفر القوم هرابةً فمتسرد وناج ومقتول ومسور. وقتل قيس بن عاصم الحطم بن ربيعة، ولحق جابر بن مجبر وضربه فقطع عصبه ومات، وأمر عفيف بن المنذر المفرور بن سويد وقال للعلاء: أجريني فقال له العلاء: أنت غررت الناس! فقال: لكني أنا مغورو! ثم أرسل واقم بهجر.

ويقال: إن المفرور اسمه وليس هو بلقب وقتل المفرور بن سويد بن المنذر وقسم الألقال بين الناس، وأعطي عفيف بن المنذر وقيس بن عاصم وثمامه بن أثال من أسلاب القوم وثيابهم، وقصد الفلال إلى دارين وركبوا السفن إليها ورجع الآخرون إلى قومهم.

فكتب العلاء إلى من أقام على إسلامه من بكر بن وائل بالعمود لأهل الردة في السبل وإلى خصبة التميمي والمنشي بن حارثة بمثل ذلك، فرجعوا إلى دارين وجعهم الله بها. ثم لما جاءته كتب بكر بن وائل وعلم حسن إسلامهم أمر أن يؤتى من خلفه على أهل البحرين.

ثم لما ندب الناس إلى دارين أن يستعرضوا البحر، فارتخلوا واقتجموا البحر على الظهر، وكلهم يدعون: يا أرحم الراحمين يا كريما يا حليما يا صدما يا محبى الموتى يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت يا ربنا. ثم أجازوا الخليج بمشون على مثل رمل مشياً فوقها ما يضر أخفاف الإبل في مسيرة يوم وليلة، فلقوا العدو واقتلوه، وما تركوا بدارين خبراً وسبوا النزارى واستقاوا الأموال، وبلغ نقل الفارس ستة آلاف والراجل الفين. ورجع العلاء إلى البحرين وضرب الإسلام بجهانه.

ثم أرجف المرجون بأن أبا شيبان وثعلبة والحر قد جمعهم مفرق الشيباني على الردة، فوثق العلاء بأن اللهازام تفارقهم وكانتوا مجتمعين على نصره، وأقبل العلاء بالساس فرجعوا إلى من أحب المقام، ووقف ثمامه بن أثال فيهم. ومرروا بقيس بن ثعلبة بن بكر بن وائل فرأوا خصبة الحطم عليه فقالوا: هو تله فقال: لم أقتله ولكن الأمير نقلنيها فلم يقبلوا وقتلوا. وكتب العلاء إلى أبي بكر بهزيمة أهل الخندق وقتل الحطم قتل زيد وسمع فكتب إليه أبو بكر أن بلغك عن أبي ثعلبة ما خاض فيه المرجون فابعث إليهم جنداً وأوصهم وشرد بهم من خلفهم.

### ردة أهل عمان ومهرة واليمن

نبع بعمان بعد الرفاة رجل من الأرد يقال له لقيط بن مالك الأزدي يسامي في الجاهلية الجلدي فدفع عنها الملkin اللذين كانا

المهزمون عن هرمز ومعهم قباد وأنوشجان فتذمروا ورجعوا وتزلا النهر، وسار إليهم خالد واقتلوه وبرز قان فقتله معقل بن الأعشى بن النباش وقتل عاصم أنوشجان وقتل عدي قباد، وانهزم الفرس وقتل منهم نحو ثلاثين ألفاً سوى من غرق ومنعت المياه المسلمين من طلبهم. وكانت الغيمة عظيمة وأخذ الجزرة في الفلاحين وصاروا في ذمة، ولم يقاتل المسلمين من الفرس بعد قارن أعظم منه، وتسمى هذه الرقعة بالثي وهو النهر.

ولما جاء الخبر إلى أردشير بالمجزعة بعد الأندرزغر وكان فارساً من مولد السود فأرسل في أثره مع بهمن حاذويه، وحشد الأندرزغر ما بين الحيرة وكسر من عرب الصاحبة والدهاقن وعسكر بالرجلة، وسار إليهم خالد فقاتلهم وصبروا، ثم جاءهم كمبين من خلفهم فانهزموا ومات الأندرزغر عطشاً. وبين خالد الأمان لل فلاحين فصاروا ذمة، وسي ذرازي المقاتلة ومن أعنفهم وأصحاب اثنين من نصارى بكر بن وائل أحدهما جابر بن مجير والأخر ابن عبد الأسود من عجل فأسرهما، وغضب بكر بن وائل لذلك.

فاجتمعوا على الليث وعليهم عبد الأسود العجي، فكتب أردشير إلى بهمن حاذويه، وقد أقام بعد المجزعة بقسيساتاً يأمره بالمسير إلى نصارى العرب بالليس فيكون منهم إلى أن يقدم عليهم جابان من المازية، فقدم بهمن على أردشير ليشاوره وخالفة جابان إلى نصارى العرب من عجل وتيم اللات وضبيعة وعرب الصاحبة من الحيرة وهم مجتمعون على الليث. وسار إليهم خالد حين بلغه خبرهم ولا يشعر بجابان.

فلما خط الأنفال سار إليهم وطلب المبارزة، فبرز إليه مالك بن قيس فقتله خالد، واشتد القتال بينهم وسائر المشركين يتظرون قدوم بهمن، ثم انهزموا واستأسر الكثير منهم وقتلهم خالد حتى سال النهر بالدم وسمى نهر الدم، ووقف على طعام الأعاجم وكانتوا قعوداً للأكل فنفله المسلمين، وجعل العرب يتسلّعون عن الرقاد يمسرون رقاعاً. ويبلغ عدد القتلى سبعين ألفاً. ولما فرغ من اللبس سار إلى أميشيا فغزا أهلها وأعجلهم أن يقلعوا أمرائهم فغنم جميع ما فيها وخرتها.

## فتح الحيرة

ثم سار خالد إلى الحيرة وحمل الرجال والأطفال في السفن، وخرج مرزبان الحيرة وهو ابن زيان من الحيرة ومعه الأزادية فعسكر عند الغرين وأرسل ابنه ليقطّع الماء على السفن، فوُفقَت

آلاف دينار فقبضها خالد، ثم سار إلى الحيرة وخرج إليه أشرافها مع ياس بن قبيصة الطائي الأمير عليها بعد النعمان بن المنذر، فدعاهم إلى الإسلام أو الجزية أو المناজة، فصالحوه على تسعين ألف درهم، وقيل إنما أمره أبو بكر أن يبدأ بالأبلة ويدخل من أسفل العراق.

وكتب إلى عياض بن غنم أن يبدأ بالضيغ ويدخل من أعلى العراق، وأمر خالداً بالبقاء بن عمرو التبعي وعياضاً بن عوف الحميري، وقد كان الثني بن حارة الشيباني استاذن أبي بكر في غزو العراق فاذن له فكان يغزوهم قبل قدم خالد، فكتب أبو بكر إليه وإلى حملة ودعور وسلمان أن يلحقوا بخالد بالأبلة وكانتوا في ثمانية آلاف فارس، ومع خالد عشرة آلاف، فسار خالد في أول مقدمته الثني وبعده عدي بن حاتم وجاء هو بعدهما على مسيرة يوم بين كل عسكر، وواعدهما الحفيرون ليجتمعوا به ويصادموا عدوهم وكان صاحب ذلك المرج من أساورة الفرس اسمه هرمز وكان يحارب العرب في البر والمدن في البحر.

فكتب إلى أردشير كسرى بالخبر وتعجل هو إلى الكواظام في سرعان أصحابه حتى نزل الحفيرون، جعل على مجنبيه قباد وأنوشجان يناسبه في أردشير الأكبر واقترنوا بالسلاسل لشنفروا، وأروا خالداً أنهم سبقوا إلى الحفيرون فمال إلى كاظمة فسبقه هرمز إليها أيضاً. وكان للعرب على هرمز حنق لسوء مجاورته وقدم خالد فنزل قبالتهم على غير ماء وقال: ليعبدن الماء فإن الله جاعله لأصبر الفريقين، ثم أرسل الله سحابة فأغدرت من ورائهم.

ولما حطروا أثقلتهم قدم خالد ودعا إلى النزال فبرز إليه هرمز وترجل ثم اختلقا ضربتين فاحتضنه خالد وحمل أصحابه هرمز للغدر به فلم يشغله ذلك عن قتله، وحمل القمعان بن عمرو فقتلهم وانهزم أهل فارس وركبهم المسلمين.

وسُميت الواقعه ذات السلاسل. وأخذ خالد سلب هرمز وكانت قلسنته بحافة الف، وبعث بالفتح والأخاس إلى أبي بكر. وسار فنزل بمكان البصرة وبعث الثني - بن حارثة في آثار العدو فحاصر حصن المرأة وفتحه وأسلمت فتزوجها، وبعث معقل بن مقرن إلى الأبلة ففتحها وقيل إنما عقبة بن غزوان أيام عمر ستة أربع عشرة، ولم يتعرض خالد وأصحابه إلى الفلاحين وتركهم وعماره البلاد كما أمر أبو بكر به.

وكان كسرى أردشير لما جاءه كتاب هرمز بمسير خالد أمره بقارن بن فريانس فسار من المدائن ولما انتهى إلى الدار لقيه

حاذويه فيمن سيره في العساكر فجئي خالد خراج السواد في حسین ليلة، وغلب العجم عليه، وأقام بالحيرة ستة يصعد ويصوب، والفرس حائزون يخلعون ويلكون ولم يجدوا من يجتمعون عليه لأن سيرين كان قتل جميع من تناسب إلى بهرام جور. فلما وصلهم كتاب خالد تكلم نساء آل كسرى كسرى وولوا الفرج زاد بن البدوان إلى أن يجدوا من يجتمعون عليه، ووصل جرير بن عبد الله البجلي إلى خالد بعد فتح الحيرة، وكان مع خالد بن سعيد بن العاص بالشام، ثم قدم على أبي بكر فكلمه أن يجمع له قومه كما وعد النبي ﷺ وكأنوا أزواجاً متفرقين في العرب، فخط ذلك منه أبو بكر فقال: تكلمك بما لا يعني وأنت ترى ما تحن فيه من فارس والروم. وأمره بالمسير إلى خالد فقدم عليه بعد فتح الحيرة.

### فتح الأنبار وعين التمر

وتسمى هذه الغزوة ذات العيون

ثم سار خالد على تعييته إلى الأنبار وعلى مقدمته الأقرع بن حابس، وكان بالأأنبار شيرزاد صاحب سبات فحاصرهم ورشقورهم بالبال حتى فقاوا منهم ألف عنين. ثم نهر ضعاف الإبل وألقاها في الخندق حتى ردهم بها وجاز هو وأصحابه فوقها، فاجتمع المسلمون والكافر في الخندق، وصالح شيرزاد على أن يلحقوه بعماهه ويختلي لهم عن البلد وما فيها، فلحق بهم جادويه. ثم استخلف خالد على الأنبار الزيرقان بن بدر، وسار إلى عين التمر وبها مهران بن بهرام بن بهرام في جمع عظيم من العجم، وعقة بن أبي عقة في جمع عظيم من العرب، وحوطم طوائف من التمر وتغلب وإياد وغيرهم من العرب. وقال عقبة لبهرام: دعنا وخالدا فالعرب أعرف لقتال العرب. فدفعه لذلك واتقى به وسار عقبة إلى خالد وحمل خالد عليه وهو يقيم صرفه، فاحتضنه وأخذه أسيراً.

وانهزم العسکر عن غير قتال وأسر أكثرهم. وبلغ الخبر إلى مهران فهرب وترك المصن وتحصن به المهزمون، واستأتموا خالد فائياً، فنزلوا على حكمه فقتلهم جميعاً، وعقة الكتبة المصن وسي أهلهم وأولادهم وأخذ من البيعة وهي الكتبة غلماشاً كانوا يتعلمون الإنجليل فقسمهم في الناس منهم: سيرين أبو محمد ونصير أبو موسى وحران مول عثمان، وبعث إلى أبي بكر بالفتح والخمس. وقتل من المسلمين عمير بن رباب السهمي من مهاجرة الحبشة ويسير بن سعد والنعمان.

على الأرض. وسار إليه خالد فلقيه على فرات بازقة قتله وجيئ من معه، وسار نحو أبيه على الحيرة فهرب بغير قتال لما كان بلغه من موت أردشير كسرى وقتله ابنه. ونزل خالد منزله بالغرين وحاصر قصور الحيرة وافتتح الدبور وصاح القسيسون والرهبان بأهل القصور فرجعوا على الإباهة، وخرج إيس بن قبيصة من القصر الأبيض، وعمرو بن عبد المسيح بن قيس بن حيان بن بقيلة - وكان ممراً - وسأله خالد عن عجيبة قد رأها، فقال: رأيت القرى ما بين دمشق والحيرة تসافر بينهما المرأة فلا تزود إلا رغيفاً واحداً. ثم جاءه واستقرب منه ورأى مع خادمه كيساً فيه سم فأخذه خالد ونثره في يده، وقال ما هذا؟ قال خشيت أن تكونوا على غير ما وجدت فيكون الموت أحب إلى من مكروه أدخله على قومي، فقال له خالد: لن تموت نفس حتى تأتي على أجلها.

ثم قال: باسم الله الذي لا يضرُّ مع اسمه شيء وابتلع السم فوعك ساعة ثم قام كائناً نشط من عقال. فقال عبد المسيح: لتبلغن ما أردت ما دام أحد منكم هكذا، ثم صالحهم على مائة أو مائتين وتسعين ألفاً وعلى كرامة بنت عبد المسيح لشريك كان النبي ﷺ وعده بها إذا فتحت الحيرة فاخذها شريك، وافتدى منه بالف درهم وكتب لهم بالصلح وذلك في أول سنة اثنين عشرة.

### فتح ما وراء الحيرة

كان الدهاقن يتربيصون بخالد ما يصنع بأهل الحيرة فلما صالحهم واستقاموا له جاءته الدهاقن من كل ناحية فصالحوه مما يلي الحيرة من القلايلج وغيرها على ألف ألف وقيل على الفي ألف سوی جباية كسرى، وبعث خالد ضرار بن الأزرور وضرار بن الخطاب والقطقاع بن عمرو والمشتى بن حارثة وعبيدة بن الشمام فكانوا في التغور وأمرهم بالغاراء، فمخروا السواد كله إلى شاطئ دجلة. وكتب إلى ملوك فارس:

أما بعد فالحمد لله الذي حل نظامكم ووهن كيدكم وفرق كلمتكم ولو فعل ذلك كان شرًا لكم فادخلوا في أمرنا ندعكم وأرضكم ونجوزكم إلى غيركم وإلا كان ذلك واتس كارهون على أيدي قوم يحبون الموت كما تحبون الحياة.

وكتب إلى المرازية: أما بعد فالحمد لله الذي فض حذفكم وفرق كلمتكم وقل حذكم وكسر شوكتم وسلموا وإلا فاعتقدوا مني الذمة وأدوا الجزية وإلا فقد جتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون شرب الخمر انتهى.

وكان العجم مختلفين بموت أردشير وقد أزالوا بهمن

## مطلوب وقعة دومة الجندل

ولما فرغ خالد من عين التمر وافق وصول كتاب عياض بن غنم وهو على من يازاه من نصارى العرب بناحية دومة الجندل وهو بهرا وكلب وغسان وتتوخ والضجاع، وكانت رياسة دومة لاكيدر بن عبد الملك والجوردي بن ربيعة يقتسمانها، وأشار أكيدر بصلح خالد فلم يقبلوا منه فخرج عنه، وبلغ خالد مسيره فأرسل من اعترضه فقتلته وأخذ ما معه، وسار خالد فنزل دومة وعياض عليهما من الجهة الأخرى، وخرج الجوردي لقتال عياض، فانهزما من الجهتين إلى الحصن فأغلق دونهم وقتل الجوردي وافتتح الحصن عنده قتيل المقاتلة وسيى التربة.

## الواقع بالعراق

وأقام خالد بدومة الجندل وطبع الأعاجم في الحيرة وملأهم عرب الجزيرة غضباً لعقده، فخرس اسواران إلى الأبار واتهيا إلى حصيد والختافس، فبعث القعقاع من الحيرة عسكرين حالاً بينهما وبين الريف، ثم جاء خالد إلى الحيرة فجعل القعقاع بين عمرو وأبو ليلى بين فدكى إلى لقائهما بالحصيد، فقتل من العجم مقتلة عظيمة، وقتل الأسواران، وغنم المسلمون ما في الحصيد، وانهزمت الأعاجم إلى الخنافس وبها البهودان من الأسوارة. وسار أبو ليلى في اتباعهم فهزم البهودان إلى المصيخ وكان بهما المذيل بن عمران وربيعة بن جمير من عرب الجزيرة غضباً لعقده وجاها مددأ لأهل الحصيد، فكتب خالد إلى القعقاع وأبى ليلى وأوعدهما المصيخ، وسار إليهم فتغافروا هنالك وأغاروا على المذيل ومن معه من ثلاثة أوجه، فاكتروا فيهم القتل فسر المذيل في قليل، وكان مع المذيل عبد العزيز بن أبي رهم من أوس مناة ولبيد بن جرير وكانتا أسلمما وكتب لهما أبو بكر يراسلهمما فقتلا في المعركة، فوداهمما أبو بكر وأوصى باولادهما.

وكان عمر يعتمد بقتلها وقتل مالك بن نورية على خالد. ولما فرغ خالد من المذيل بالمصيخ واعد القعقاع وأبى ليلى إلى الشني شرقى الرصافة ليغير على ربيعة بن جمير التغلبى صاحب المذيل الذي جاء معه لند الفرس وتبين لهم فلم يقلت منهم أحداً، ثم اتبع المذيل بعد مفره من المصيخ إلى اليسير وقد لحق هنالك بعثاب بن أسد فيتهم خالد قبل أن يصل إليهم خبر ربيعة فقتل منهم مقتلة عظيمة، وسار إلى الرصافة وبها هلال بن عقبة فتفرق عنه أصحابه وهرب فلم يلق بها خالد. من الرضاب إلى الفراض وهي

## بعوث الشام

وكان من أول عمل أبي بكر بعد عوده من الحج أن بعث خالد بن سعيد بن العاص في الجندل إلى الشام أول ستة ثلاث عشرة، وقيل إنما يبعث إلى الشام لما بعث خالد بن الوليد إلى العراق أول السنة التي قبلها، ثم عزله قبل أن يسيراً لأنه كان لما قدم من اليمن عند الوفاة مختلف عن يهودة أبي بكر أيامه وغدا على علي وعثمان على الاستكانة لتيم وما رؤوس بني عبد مناف فنهاه علي وبلغت الشيفين، فلما ولاء أبو بكر عقد له عمر فزعله وأمره أن يقيم بيتهاء ويدعو من حوله من العرب إلى الجهاد حتى يأتيه أمره، فاجتمعوا إليه جموع كثيرة، وبلغ الروم خبره فضرموا به العث على عرب الصاصية بالشام من بهرا وسلحب وكلب وغسان ولثم وجذام، وسار إليهم خالد فغلبهم على منازلهم وافتقوها. وكتب له أبو بكر بالإقدام فسار متقدماً ولقيه البطريخ ماهان من بطارة الروم فهزمه خالد واستحلم الكثير من جنوده.

وكتب إلى أبي بكر يستمدده، ووافق كتابه المستفرين وفيهم ذو الكلاع ومعه حمير وعكرمة بن أبي جهل، ومن معه من تهامة والسرى وعمان والبحرين فبعثهم إليه. وحيثذا اهتم أبو بكر بالشام وكان عمرو بن العاص لما بعثه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تسليماً إلى عمان وعده أن يعيده إلى عمله عند فراشه من أمر عمان، فلما جاءه بعد الرفاة أعاده إليها أبو بكر الجمازاً لوعده لَمَّا تَرَكَ وهي صدقات سعد هذيم وبني عنزة، فبعث إليه لأن يأمره باللحاق بخالد بن سعيد

الأمراء قبل الأربعين إزاعهم فهزم ماهان، وتتابع الروم على المزية وكانتين وأربعين ألفاً وتقسموا بين القتل والطرق في الواقعة والهلوبي في الخندق، وقتل صناديد الروم وفرسانهم، وقتل تدارق آخر هرقل، وانتهت المزية إلى هرقل وهو دون حصن فارتحل وأجاز إلى ما وراءها لتكون بينه وبين المسلمين وأمر عليها وعلى دمشق.

ويقال: إن المسلمين كانوا يومئذ ستة وأربعين ألفاً: سبعة وعشرين منها مع الأمراء، وثلاثة آلاف من بلال مع خالد بن سعيد قد أمر عليهم أبو بكر معاوية بن أبي سفيان وشريحيل بن حسنة وعشرة آلاف من إمداد أهل العراق مع خالد بن الوليد، وستة آلاف ثبتو مع عكرمة ردهاً بعد خالد بن سعيد. وأن خالد بن سعيد عَبْراً كراديس ستة وتلاتين كرداوساً للرأي الروم تعتبرها كراديس، وكان كل كرداوس الفاً وكان ذلك في شهر جمادى، وأن أبا سفان بن حرب أبله، يومئذ بلاه حسناً سعيه وتحريضه.

قالوا: وبينما الناس في القتال قدم البريد من المدينة بموت أبي بكر وولاته عمر، فأسره إلى خالد وكتمه عن الناس. ثم خرج جرجه من أمراء الروم فطلب خالداً وسأله عن أمره وأمر الإسلام، فوعظه خالد فاستبصر وأسلم وكانت وهنا على الروم. ثم زحف خالد بجامعة من المسلمين فيهم جرجه فقتل من يومه، واستشهد عكرمة بن أبي جهل وابنه عمرو، وأصيخت عين أبي سفيان، واستشهد سلمة بن هشام وعمرو وأبان أبا سعيد وهشام بن العاص وسيار بن سفيان والطفيلي بن عمرو، وأثبت خالد بن سعيد فلا يعلم أين مات بعد ويقال استشهد في مرج الصفر في الوعقة الأولى.

ويقال إن خالدًا لما جاءه من العراق مددًا للمسلمين بالشام  
طلب من الأدلة أن يغوروا به حتى يخرج من وراء الروم، فسلك  
به رافع بن عمرو الطائي من فزارة في بلاد كلب حتى خرج إلى  
الشام ونحر فيها الإبل وأغار على مصيغ فوجده به رفقة قتلهم  
وأسلمه.

وَقْعَةُ مَرْجَ رَاهِطٍ

وكان الحارث بن الأبيه وغسان قد اجتمعوا بمرج راهط  
فسلك إليهم واستباحهم، ثم نزل بصري فافتتحها، ثم سار منها  
إلى المسلمين بالواقعة فشهد معهم اليرموك. وقال: إن خالدأ لما  
جاء من العراق إلى الشام لقي أمراء المسلمين ببصري فحاصروها  
جيئاً حتى فتحوها على المجزية، ثم ساروا جيئاً إلى فلسطين مددداً

الجهاد الروم وأن يقصد فلسطين، وبعث أيضاً إلى الوليد بن عقبة وكان على صدقات قضاة وولاة الأردن، وأمر بزيادة بن أبي سفيان على جهور من انتداب إليه منهم: سهيل بن عمرو وأشياخه، وأمر أبا عبيدة بن الجراح على جميعهم وعنه له حصن،  
ولهم كذا واحداً من

وَلَا وَصَلَ الْمَدِ إِلَى خَالِدٍ بْنِ سَعِيدٍ وَلِيَلْهُ تَوْجِهُ الْأَمْرَاءِ  
تَعْجِلُ لِلْقَاءِ الرُّومِ قَلْبَهُمْ فَاسْتَطَرَدَ لَهُ مَاهَانْ وَدَخْلَ، دَمْشَقَ.

واقتصر خالد الشام ومعه ذي الكلاع وعكرمة والوليد  
حتى نزل مرج الصفر عند دمشق فانطوت مسالع ماهان عليه  
وسلوا الطريق دونه وزحف إلى ماهان، ولقي ابنه سعيداً في  
طريقه فقلبه وبيل الخبر أباه خالداً نهرب فيما معه وانتهى إلى  
ذي الروءة قرب المدينة. واقام عكرمة ردهما من خلفهم فرد عنهم  
الروم فقام قريباً من النساء.

وجاء شرحبيل بن حسنة إلى أبي بكر وافداً من العراق من عند خالد فندب إليه الناس وبعثه مكان الوليد إلى أردن ومرّ بخالد فقصاص، بعض أصحابه.

ثم بعث أبو بكر معاوية وأمره باللحاق بأنحصار يزيد، وأذن خالد بن سعيد بدخول المدينة.

وزحف الأمراء في العساكر نحو الشام، فبعى هرقل عساكر الروم ونزل حصن بعد أن أشار على الروم بعدم قتال العرب ومصالحهم على ما ي يريدون، فلابوا ولجوا، ثم فرقهم على أمراء المسلمين، فبعث شقيقه تذارق في تسعين الفاً نحو عمرو بن العاص بفلسطين، وبعث جرجة بن توذر نحو يزيد بن أبي سفيان، وبعث الدراقيس نحو شرجبيل بن حسنة بالأردن، وبعث القياصر بن نسطورس في ستين الفاً نحو أبي عبيدة بالخالية. فهابهم المسلمون ثم رأوا أن الاجتماع اليق بهم ولغتهم كتاب أبي بكر بذلك فاجتمعوا باليرموك في بضعة وعشرين الفاً. وأمر هرقل أيضاً باجتماع جنده، ووعدهم بوصول ماهان إليهم فاجتمعوا بجيش المسلمين والواحد خندق بينهم. فاقاموا بإزائه ثلاثة أشهر، واستعدوا آبا بكر فكتب إلى خالد بن الوليد أن يستخلف على العراق المنشئ، بين حارثة ويلحق بهم وأمه علم، جند الشام.

بعوٰث الشام

ولما استمد المسلمين أبا بكر بعث إليهم خالد بن الوليد من العراق واستحثه في السير إليهم، فتندى خالد لذلك ووافى المسلمين مكانتهم عندما وافى ماهان الروم أيضاً. وولى خالد قيادة ولي

الوليد وعمرو بن العاص حتى يصير الحرب إلى فلسطين فتولاها عمر، وإن خالداً قدم على عمر بعد العزل وذلك بعد فتح دمشق ولأنهم ساروا إلى فحل فاقتحموها، ثم ساروا إلى دمشق وعليها نسطاطس بن نسططوس فحاصروها سبعين ليلة وقبل ستة أشهر من نوافتها الأربع، خالد وأبو عبيدة وبزيذ وعمرو كل واحد على ناحية وقد جعلوا بينهم وبين هرقل مدينة حمص ومن دونها ذو الكلاع في جيش المسلمين.

وبعث هرقل المدد إلى دمشق وكان فيهم ذو الكلاع فقط في أيديهم وقدموه على دخول دمشق وطبع المسلمين فيه، واستغفلاهم خالد في بعض الليلات فتسور سورهم من ناحيته وقتل الوليد وفتح الباب واقتتحم البلد وكثير وكبروا فقتلوا جميع من لقوه. وفرع أهل النواحي إلى الأماء الذين يلونهم فنادوا لهم بالصلح والدخول، فدخلوا من نواحיהם صلحًا فاجربت ناحية خالد على الصلح مثلهم.

قال سيف: وبعثوا إلى عمر بالفتح فوصل كتابه بأن يصرف جند العراق إلى العراق، فخرجوا عليهم هاشم بن عبدة وعلى مقدمته القمعان. وخرج الأماء إلى فحل وأقام بزيد بن أبي سفيان بدمشق، وكان الفتح في رجب سنة أربع عشرة. وبعث بزيد دحية الكلبي إلى تدمر، وأبا الزهراء القشيري إلى حوران والبنتية، فصالحوهما وولي عليهما. ووصل الأماء إلى فحل فيتهم الروم فظفروا المسلمين بهم وهزموه فقتل منهم ثمانون ألفاً وكان على الناس في وقعة فحل شرحبيل بن حسنة، فسار بهم إلى بيسان وحاصرها فقتل مقاتلاتها وصالحة الباقيون قبل منهن.

وكان أبو الأغر السلمي على طبرية حاصراً لها، فلما بلغهم شأن بيسان صالحوه فكمل فتح الأردن صلحًا وتزلت القراد في مدائنه وقرأها وكتبوا إلى عمر بالفتح.

وزعم الواقدي: أن اليرموك كانت ستة عشرة وأن هرقل انتقل فيها من أنطاكية إلى قسطنطينية وأن اليرموك كانت آخر الواقع. والذي تقدم لنا من رواية سيف أن اليرموك كانت ستة ثلاث عشرة وأن البريد بوفاة أبي بكر قدم يوم هربت الروم فيه، وأن الأماء بعد اليرموك ساروا إلى دمشق ففتحوها ثم كانت بعدها وقعة فحل، ثم وقائع أخرى قبل شخص هرقل والله أعلم.

لعمر وعمرو بالغور والروم بحلق مع تدارق أخي هرقل، وانكشفوا عن جلق إلى أجنادين وراء الرملة شرقاً.

ثم تزاحف الناس فاقتلوها، وانهزم الروم وذلك في متصرف جنادي الأولى من السنة، وقتل فيها تدارق، ثم رجع هرقل ولقي المسلمين بالفاقة عند اليرموك، فكانت واقعة اليرموك كما قدمنا في رجب بعد أجنادين، وبليغ المسلمين وفاة أبي بكر وأنها كانت لشمان بقين من جنادي الآخرة.

### خلافة عمر رضي الله عنه

ولما احضر أبو بكر عهد إلى عمر رضي الله عنهما بالأمر من بعده بعد أن شاور علياً طلحة وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم وأخبرهم بما يريد فيه، فأثنوا على رأيه، فأشرف على الناس وقال: إني قد استخلفت عمر ولم أكل لكم نصراً فاسمعوا له وأطعوها. ودعوا عثمان فأمره فكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما عهد به أبو بكر خليفة محمد رسول الله ﷺ عند آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة في الحالة التي يؤمن فيها الكافر ويتنقى فيها الفاجر، إني استعملت عليكم عمر بن الخطاب ولم أكل لكم خيراً، فإن صبر وعدل بذلك علمي به ورأيي منه، وإن جار وبدل فلا علم لي بالغيب والخير أردت ولكل أمرى ما اكتسب وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

فكانت أول ما انفذه من الأمور عزل خالد عن إمارة الجيوش بالشام وتوليه أبي عبيدة، وجاء الخبر بذلك والمسلمون مقاومون عدوهم في اليرموك فكتم أبو عبيدة الأمر كله، فلما انتقضى أمر اليرموك كما من سار المسلمين إلى فحل من أرض الأردن وبها واقعة الروم وخالد على مقدمة الناس فقاتلوا الروم.

### فتح دمشق

وافتتحوها عنوة وذلك في ذي القعدة ولحقت فواعقت الروم بدمشق وعليها ماهان من البطارقة فحاصرهم المسلمون حتى فتحوا دمشق، وأظهر أبو عبيدة أماته وعزل خالد. وقال سببه إن أبي بكر كان يسخط خالد بن سعيد والوليد بن عقبة من أجل فرارهما كما مر، فلما ول عمر رضي الله عنه أباح لهم دخول المدينة ثم بعثهما مع الناس إلى الشام، ولما فرغ أمر اليرموك وساروا إلى فحل وبليغ عمر خبر اليرموك فكتب بعزل خالد بن

الكتاب أن يورثكموها. فقال: ليظهره على الدين كله فالله مظهر دينه ومحرر ناصره ومولى أهله مواريث الأئم. أين عباد الله الصالحون؟ فانتدب أبو عبيد التقفي، ثم سعد بن عبيد الأنصاري، ثم سليمان بن قيس، فولى أبي عبيد على البعث لسبقه، وقال: اسمع من أصحاب النبي ﷺ وأشركهم في الأمر ولا تخندق مسرعاً بل اتد فإنها الحرب، وال الحرب لا يصلحها إلا الرجل المكيث الذي يعرف الفرصة والكف. لم يمتنع أن أومر سليماناً إلا لسرعته إلى الحرب، وفي السرعة إلى الحرب. إلا عن بيان - ضياع والله لولا سرعته لأمرته. فكان بعث أبي عبيد هذا أول بعث بعثه عمر، ثم بعث بعده على بن أمية إلى اليمن وأمره بإجلاء أهل نخراون لوصية رسول الله ﷺ بذلك في مرضه، وقال: أخبرهم بأننا غلبيهم بأمر الله ورسوله أن لا يترك دينان بآرض العرب ثم نعطيهم أرضًا كأرضهم وفاء بذمتهم كما أمر الله.

قالوا: فخرج أبو عبيد مع المثنى بن حارثة وسعد وسلام إلى العراق، وقد كانت بوران بنت كسرى كلما اختلفت الناس بالمدائن عدلت بينهم حتى يصلحوا، فلما قتل الفرزخزاد بن البندوان وملكت آزرميدخت اختلف أهل فارس واشتغلوا عن المسلمين غيبة المثنى كلها، فبعثت بوران إلى رستم تستحنه للقدوم وكان على فرج خراسان، فأقبل في الناس إلى المدائن وعزل الفرزخزاد وفقاً لعين آزرميدخت ونصب بوران، فملكته وأحضرت مرازية فارس فأسلموا له ورضوا به وتوجه. وبقي المثنى إلى الحيرة، ولحقه أبو عبيد ومن معه. وكتب رستم إلى دهaciين السواد أن يثروا بال المسلمين ويعث في كل رستاق رجالاً لذلك فكان في فرات بادقاً جابان وفي كسرن نرسى وبعث جند لصادة المثنى فساروا وتلقوا واجتمعوا أسفل الفرات. وخرج المثنى من الحيرة خوفاً أن يوتى من خلفه، فقدم عليه أبو عبيد، ونزل جابان التمارق ومعه جمع عظيم، فلقيه أبو عبيد هنالك وهزم الله أهل فارس وأسر جابان ثم أطلق، وساروا في المنهزمين حتى دخلوا كسرن وكان بها نرسى ابن خالة كسرى فجمع الفالة إلى عسكره، وسار إليهم أبو عبيد من النمارق في تعبيته، وكان على مجنبيه نرسى نفدوه وشريوه أبا بسطام خال كسرى. واتصلت هزيمة جابان ببوران ورستم فبعثوا الجالينوس مددًا لنرسى وعاجلهم أبو عبيد فالتقوا أسفل من كسرن فاشتد القتال وانهزمت الفرس، وهرب نرسى وغنم المسلمون ما في عسكره.

وبعث أبو عبيد المثنى وعاصماً فهزموا من كان تجمع من أهل الرساتيق وخربوا وسبوا وأخذوا الجزية من أهل السواد وهو يتربصون قديوم الجالينوس وما سمع به أبو عبيد سار إليه على

## خبر المثنى بالعراق بعد مسيرة خالد إلى الشام

ما وصل كتاب أبي بكر إلى خالد بعد رجوعه من حجه بأن ينصر إلى الشام أميراً على المسلمين بها ويخرج في شطر الناس ويرجع بهم إذا نفع الله عليه إلى العراق ويترك الشطر الثاني بالعراق مع المثنى بن حارثة، وفعل ذلك خالد ومضى لوجهه، وأقام المثنى بالحيرة ورتب المصالح. واستقام أهل فارس بعد خروج خالد بقليل على شهريار بن شيرين بن شهريار من يناسبه إلى كسرى أبي سابور وذلك سنة ثلاث عشرة، فيبعث إلى الحيرة هرمز فاقتتلوا هنالك قتالاً شديداً بعدوة الضراء وغدار الفيل بين الصنوف فقتله المثنى وناس معه، وإنهمز أهل فارس واتبعهم المسلمين يقتلونهم حتى انتهوا إلى المدائن، ومات شهريار إن ذلك ويقي ما دون دجلة من السواد في أيدي المسلمين.

ثم اجتمع أهل فارس من بعد شهريار على آزرميدخت ولم ينفذ لها أمر فخلعت، وملك سابور بن شهريار على آزرميدخت ولم يفخرزاد بن البندوان وزوجة آزرميدخت، فقضبت وبعثت إلى سياوشخن الوازن وكان من كبار الأسوارية وشكك إليه، فأشار عليها بالقبول. وجاء ليلة العرس فقتل الفرزخزاد ومن معه، ونهض إلى سابور فحاصره ثم اقتحم عليه قتله، وملكت آزرميدخت وتشاغلوا بذلك عن ملكها.

انتهى شأن أبي بكر وشق السواد في سلطانه، وتشاغل أهل فارس عن دفاع المسلمين عنه. وما أبطأ خبر أبي بكر على المثنى استخلف المثنى على الناس بشر بن الحصاصية وخرج نحو المدينة يستعلم ويستاذن، فقدم وأبو بكر يعود بنفسه وقد عهد إلى عمر وأخبره الخبر، فأحضر عمر وأوصاه أن ينذر الناس مع المثنى وأن يصرف أصحاب خالد من الشام إلى العراق، فقال عمر: يرحم الله أبا بكر علم إنه تستر في إمارة خالد فأمرني بصرف أصحابه ولم يذكره.

## ولاية أبي عبيد بن مسعود على العراق ومقتله

ولما ولي عمر ندب الناس مع المثنى بن حارثة أيامًاً وكان أول متدب أبو عبيد بن مسعود، فقال عمر للناس: إن الحجاز ليس لكم بدار إلا على النجعة ولا يقوى عليه أهله إلا بذلك أين المهاجرون عن موعد الله؟ سيروا في الأرض التي وعدكم الله في

به وشيره مداداً للمثنى بالعراق، وبعث عصمة بن عبد الله الضبي، وكتب إلى أهل الربة بأن يوافوا المثنى وبعث المثنى الرسل فيمن يليه من العرب، فواقوا في جموع عظيمة حتى نصارى النمر جاؤوه وعليهم أنس بن هلال وقالوا: نقاتل مع قومنا. وبلغ الخبر إلى رستم والفيزيزان فبعثا مهران المداني إلى الحيرة والمثنى بين القادسية وخان.

فلما بلغه الخبر استبقى فرات باذقلا وكتب بالخبر إلى جرير وعصمة أن يقصد المثنى بما يلي الكوفة، فاجتمعوا هناك ومهران قباليهم عدوة الفرات وتركوا له العبور فأجاز إليهم. وسار إليه المثنى في التبعية وعلى مجنبيه مهران مريزيان الحيرة ابن الأزاذية ومردارشاه، ووقف المثنى على الرايات يحرض الناس فاعجلتهم فارس وخطاطفهم وركدت حربهم واشتدت.

ثم حل المثنى على مهران فازاله عن مركزه، وأصبب مسعود أنحو المثنى، وخالف المثنى القلب ووثب الجنبات على الجنبات قباليهم فانهزمت الفرس، وسبقهم المثنى إلى الجسر فهربوا مصعدين ومنحدرين، واستلحهم خيول المسلمين وقتل فيها مائة ألف أو يزيدون، وأحصي منه رجل من المسلمين قتل كل واحد منهم عشرة. وتبعهم المسلمون إلى الليل، وأرسل المثنى في آثار الفرس، فبلغوا سباباط فنتموا وسبوا سباباط واستباحوا القرى وسخروا السود بينهم وبين دجلة لا يلقون مانعاً.

ورجع المنهزمون إلى رستم فاستهانوا ورضوا أن يتراكوا ما وراء دجلة. ثم خرج المثنى من الحيرة واستخرج بشير بن الحصاصية وسار نحو السود ونزل الليث من قرى الأنبار فسميت الغزاة غزاة الأنبار الأخيرة وغزاة اللبس الأخيرة.

وجاءت إلى المثنى عيون فدلوه على سوق المخافس وسوق بغداد، وأن سوق المخافس أقرب ويجتمع بها تجار المداين والسوداد وخفراؤهم ربعة وقضااعة، فركب إليها وأغار عليها يوم سوق، فاشتافت السوق وما فيها وسلب الخفراء ورجع إلى الأنبار فأنهه بالعلوة والزاد وأخذ منهم أدلاء ظهر له المداين وسار بهم إلى بغداد ليلاً، وصبح السوق فوضي عليهم السيف وأخذ ما شاء من الذهب والنفحة والجيد من كل شيء.

ثم رجع إلى الأنبار وبعث المضارب العجي إلى الكبات ويه جاعية من تغلب فهربوا عنه، ولحقهم المضارب قتلت في آخر أيامهم وأكثر. ثم سرح فرات بن حيان التغلبي وعتبة بن النهاس للإغارة على أحياه من تغلب بصفين، ثم اتبعهم المثنى بنفسه فوجدوا أحياه صفين قد هربوا عنها فعبر المثنى إلى الجزيرة، وفي ذي زاده

تعيشه فانهزم الحالينوس وهرب ورجع أبو عبيد فنزل الحيرة، وقد كان عمر قال له: إنك تقدم على أرض المكر والخدية والخيانة والخزي تقدم على قوم تجرأوا على الشر فعلموا وتناسوا الخير فجهلوا فانظر كيف تكون واحرز لسانك ولا تفتش سرك فإن صاحب السر - ما ضبط - متحسن لا يوتى من وجه يكرهه وإذا ضيعبه كان بمضيعة.

ولما رجع الحالينوس إلى رستم بعث بهمن خادويهذا الحاجب إلى الحيرة فاقبل ومعه دروش كابيان ريبة كسرى عرض ثمانية أذرع في طول اثنى عشر من جلود النمر فنزل في قسي الناطف على الفرات، وأقبل أبو عبيد فنزل عدوته وقعد إلى أن نصبوا للغربيين جسراً على الفرات، وخيرهم بهمن خادويه في عبوره أو عبورهم، فاختار أبو عبيد العبور وأجاز إليهم. وماجت الأرض بالمقاتلة ونفر جنود المسلمين وكراidisem من الفيلة وأمر بالتخفيق عن الخيل فترجل أبو عبيد والناس وصاحروا العدو بالسيوف، ودافعتهم الفيلة فقطعوا وضنه فسقطت رحالها وقتل من كان عليهم، وأقبل أبو عبيد فبلأ منهم فوطنه بيده وقام عليه فلهلكه. وقاتلهم الناس ثم انهزموا عن المثنى وسيقه بعض المسلمين إلى الجسر فقطعه، وقال: موتوا أو نظروا. وتواثب بعضهم الفرات ففرقوا وأقام المثنى وناس معه مثل عروة بن زيد الخيل وأبي عجج الثقي وأنظارهم، وقاتل أبو زيد الطائي كان نصرايناً وقام الحيرة لبعض أمره فحضر مع المثنى وقاتل حيشنة حية، ونادي المثنى الذين عبروا من المسلمين فعقدوا الجسر وأجاز بالناس، وكان آخر من قتل عند الجسر سليم بن قيس فانقض أصحابه إلى المدينة ويفي المثنى في فله جريحاً.

وبلغ الخبر إلى عمر فشق عليه وعذر المنهزمين، وهلك من المسلمين يومئذ أربعة آلاف قتلى وغرقى وهرب الفان ويفي الثلاثاء ألفاً وقتل من الفرس ستة الآف. وبينما بهمن خادويه يروم العبور خلف المسلمين أثار الخبر بأن الفرس ثاروا برسنم مع الفيززان فرجع إلى المداين، وكانت الوقعة في مداين سنة ثلاث عشرة. ولما رجع بهمن خادويه أتبعه جابان ومه مردان شاه، وخرج المثنى في أثرهما فلما أشرف عليهما أتياه بظنأن أنه هارب فأخذلهم أسرى، وخرج أهل اللبس على أصحابهما فأثاره بهم أسرى وعقدوا معه مهادنة وقتل جميع الأسرى.

ولما بلغ عمر رضي الله عنه عن وقعة ابن عبيد بالجسر ندب الناس إلى المثنى، وكان فيمن ندب بجيالة وأمرهم إلى جرير بن عبد الله الذي جمعهم من القبائل بعد أن كانوا مفترقين ووعده النبي صلوات الله عليه بذلك وشغل عن ذلك أبو بكر بأمر الربدة ووفى له عمر

عشرة، ورجع فجأته أفواجهم إلى المدينة، ومن كان أقرب إلى العراق انضم إلى المثنى، فلما اجتمع عنده أمراء العرب خرج من المدينة واستخلف عليها علياً وعسكر على صرار من ضواحيها، وبعث على المقدمة طلحة وجعل على الجبتيين عبد الرحمن والزبير وأثنיהם أمره على الناس، ولم يطغ أحد سؤاله، فسألة عثمان. فاحضر الناس واستشارهم في المسير إلى العراق فقال العامة: سر لحن معك فوافقهم، ثم رجع إلى أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأحضر علياً وطلحة والزبير عبد الرحمن واستشارهم فشارروا بمقامه وأن يبعث رجلاً بعده آخر من الصحابة بالجنود حتى يفتح الله على المسلمين ويهلك عدوهم، فقبل ذلك ورأى فيه الصواب. وعين لذلك سعد بن أبي وقاص وكان على صدقات هوازن فأحضره وولاه حرب العراق وأوصاه وقال:

يسعد ابن أم سعد! لا يغرنك من الله أن يقال خال رسول الله  
وصاحب رسول الله فإن الله لا يمحو السيء بالسيء ولكنه يمحو  
السيء بالحسن وليس بين الله وبين أحد نسب إلا بطاعته فالناس  
في دين الله سواء الله ربهم وهو عباده يتضليلون بالعافية  
ويدركون ما عنده بالطاعة. فانتظر الأمر الذي رأيت رسول الله  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يلزمك فالزمه وعليك بالصبر.

ثم سرمه في أربعة آلاف من اجتمع إليه منهم: حبيبة بن التعمان بن حبيبة على بارق، عمرو بن معدى كرب وأبو سارة بن أبي رهم على مذحج، ويزيد بن الحرت الصدائي على عنزة وخبيب ومسليمة، وبشر بن عبد الله الهلالي على قيس عيلان، والحسين بن ثير ومعاوية بن خديج على السكون وكنتة. ثم أمر بعد خروجه بالنبي يمانى والنبي فخرى.

وسار سعد وبله في طريقه بـزوره أن المثنى مات من جراحته انتهت، وإن استخلف على الناس بشير بن الخصاصة، وكانت جوع المثنى ثلاثة آلاف، وكذلك أربعة آلاف من قيم والرياب وأقاموا، وعمر ضرب على بني أسد أن ينزلوا على حد أرضهم، فنزلوا في ثلاثة آلاف وأقاموا بين سعد والمثنى، وسار سعد إلى سيراف فنزلها، واجتمعت إليه العساكر ولحقوه الأشعت بن قيس ومعه ثلاثون ألفاً، ولم يكن أحد أجرأ على الفرس من أربعة.

ثم عبا سعد كاتب من سيراف وأمر الأمراء وعرف على كل عشرة عريفاً، وجعل الرايات لأهل السابقة ورتب المقدمة والساقة والجنبات والطلائع وكل ذلك بأمر عمر ورأي، وبعث في المقدمة زهرة بن عبد الله بن قادة الحبوي من بني قيس فانتهى إلى العذيب، وعلى الميمنة عبد الله بن المعتمر، وعلى المسيرة شرحبيل

وأكلوا رواحلهم وأدركوا عيراً من أهل خفان، فحضر نفر من تغلب فأخذوا العير ودفهم أحد المخرباء على حي من تغلب ساروا إليه يومهم، وهجموا عليهم فقتلوا المقاتلة وسبوا النزرة واستاقوا الأموال، وكان هذا الحي بوادي الروملكة، فاشترى أسراه من كان هناك من ربيعة بنصيهم من الفيء وأعتقدتهم وكانت ربيعة لا تسي في الجاهلية.

ولما سمع المثنى أن جميع من يملك البلاد قد انتفع شاطئ دجلة خرج في اتباعهم فأدركهم بتكريت، ففتن ما شاء وعاد إلى الأنبار، ومضى عنية وفرات حتى أغارا على النمر وتغلب بصفن، وتمكن رعب المسلمين من قلوب أهل فارس وملکوا ما بين الفرات ودجلة.

## أخبار القادسية

ولما دهم فارس من المسلمين بالسوداد ما دهمهم وهو مختلفون بين رست والقيرزان واجتمع عظامهم وقالوا لهم: إما أن تجتمعوا وإلا فتحن لكم حرب فقد عرضتمونا للهلكة وما بعد بغداد وتكريت إلى المداين فأطاعوا لذلك، وفزعوا إلى سوران يسالونها في ولد من آل كسرى يولونه عليهم، فأحضرت لهم النساء والسراري وبسطوا عليهم العذاب فذكروا لهم غلاماً من ولد شهريار بن كسرى اسمه يزجارد أخذه أمه عندما قتل شيروه أبناء أخيه، فسألاه أمه عنه فدلهم عليه عند أحواله كانت أودعته عندهم حيثذا فجازوا به ابن إحدى وعشرين سنة فملكوه واجتمعوا عليه.

وتباري المرازية في طاعته وعين المسالح والجندود لكل ثغر ومنها الحيرة والأبلة والأنبار وخرجوا إليها من المداين، وكتب المثنى بذلك إلى عمر، وبينما هم يتظارن الجواب التقى أهل السوداد وكفروا وخرج المثنى إلى ذي قار، ونزل الناس في عسكر واحد. ولما وصل كتابه إلى عمر قال: والله لأضررين ملوك العجم بملوك العرب، فلم يدع رفياً ولا ذراً رأي وشرف وبساطة ولا خطيباً ولا شاعراً إلا رماهم به، فرميهم بوجوه الناس، بيل وغررهم وكتب إلى المثنى بأمره بخروج المسلمين من بين العجم والتفرق في المياه بحیاهم، وأن يدعو الفرسان وأهل التجداد من ربيعة ومصر وبخضورهم طرعاً وكرهاً، فنزل المسلمين بالحللة وسرروا إلى عصي وهو جبل البصرة متاطرين.

وكتب إلى عمالة على العرب أن يعشروا إليه من كانت له نجد أو فرس أو سلاح أو رأي وخرج إلى الحج، فحج سنة ثلاث

فاحضرهم يزدجرد وقال لترجماته: سلهم ما جاءكم وما أزعكم بعزوتنا وبلاذنا؟ من أجل أنا تشاغلنا عنكم احترام عليكم فتكلم النعمان بن مقرن بعد أن استاذن أصحابه، وقال ما معناه: إن الله رحنا وأرسل إلينا رسولًا صفتة كذا يدعونا إلى كذا ووعدنا بكذا فاجابه منا قوم وتباعد قوم ثم أمر أن نجاهد من خالقه من العرب فدخلوا معه على وجهين: مكره اغتيط وطائع ازداد حتى اجتمعنا عليه وعرفنا فضل ما جاء به ثم أمرنا بجهاد من بلينا من الأمم ودعائهم إلى الإنصاف فإن أيتم فالمناجزة.

قال يزدجرد: لا أعلم في الأرض أمّة كانت أشقي ولا أقل عددا ولا أسوأ ذات بين منكم وقد كان أهل الضواحي يكتفونا بأمركم ولا تطمعوا أن تقوموا للفرس فإن كان بكم جهد أعطيتكم قوتنا وكوسناكم وملكتنا عليكم ملكاً يرقق بكم. فقال المغيرة بن زرارة: هؤلاء أشراف العرب والأشراف يستحبون من الأشراف وأنا أكلمك وهو يشهدون، فاما ما ذكرت من سوء الحال فكما وصفت وأشد ثم ذكر من عيش العرب ورحمة الله بهم بإرسال النبي صلوات الله عليه وسلم قال النعمان الخ.

ثم قال له: إختر إما الجزية عن يد وأنت صاغر أو السيف وإلا فنج فنسك بالإسلام. قال يزدجرد: لو قتل أحد الرسل قبلى لقتلكم. ثم استدعي بوقر من تراب وحل على أعظمهم، وقال: أرجعوا إلى أصحابكم وأعلموه أني مرسل رستم حتى يدفنكم أجمعين في خندق القادسية ثم يدوخ بладكم أعظم من تدويخ سابور. قام عاصم بن عمرو فحمل التراب على عنقه، وقال: إنما أشرف هؤلاء. ولما رجع إلى سعد فقال: أبشر فقد أعطانا الله تراب أرضهم وعجب رستم من حماورتهم، وأخبر يزدجرد بما قاله عاصم بن عمرو، فبعث في أثرهم إلى الحيرة فاعجزوهم.

ثم أغاث سواد بن مالك التيمي بعد مسير الرفد إلى يزدجرد على الفراش فاستلق ثلثمائة دابة بين بغل وحمار وثور وآخرها سمكة وصبح بها العسكر، قسممه سعد في الناس، وواصلاوا السرايا والبعوث طلب اللحم، وأما الطعام فكان عندهم كثيراً. وسار رستم إلى سباط في ستين ألفاً وعلى مقدمته الجالبيوس في أربعين ألفاً وساقه عشرون ألفاً وفي الميمنة الم Hormuzan وفي الميسرة مهران بن بهرام الرازي، وحمل معه ثلاثة وثلاثين فعلاً ثمانية عشر في القلب وخمسة عشر في الجنين. ثم سار حتى نزل كوش، فأتى برجل من العرب، فقال له رستم: ما جاء بكم وما تطلبون؟ فقال: نطلب وعد الله بارضكم وأبا شاككم إن لم تسلمو. قال رستم: فإن قتلت دون ذلك؟ قال: من قُتل دخل الجنة ومن بقي أήجز الله وعده.

بن السمط وخليفة بن خالد بن عرفطة حليف بني عبد شمس، وعاصم بن عمر التيمي على السافلة، وسجاد بن مالك التيمي على الطلائع، وسلمان بن ربيعة الباهلي على الجردة. ثم سار على التعبية ولقيه المعنى بن حارثة الشيباني بسيراف، وقد كان بعد موت أخيه المشي سار بذري قار إلى قابوس بن قابوس بن المنذر بالقادسية وقد بعث الفرس إليها يستثفرون العرب فيته المعنى واستلهمه ومن معه ورجع إلى ذي قار.

وجاء إلى سعد بالخبر ليعلمه بوصية المشي إليه أن لا تدخلوا بلاد فارس وقاتلوهم على حدود أرضهم بادي حجر من أرض العرب، فإن ظهر الله المسلمين فلهم ما وراءهم ولا رجعتم إلى فتنة ثم تكونوا أعلم بسيئهم وأجروا على أرضهم إلى أن يرث الله الكرب. فترجم سعد ومن معه على المشي وول أخاه المعنى على عمله وتزوج سلمي زوجته، ووصله كتاب عمر بمثل رأي المشي يسأله عن سيراف. ونزل العرب ثم أتى القادسية فنزلها بمحاب القنطرة بين العتيق والخدنق.

ووصله كتاب عمر يؤكد عليهم في الوفاء بالأبيات ولو كان إشارة أو ملاعبة، وكان زهرة في المقدمة فبعث سرية للإغارة على الحيرة عليها يكر بن عبد الله الشيشي، وإذا أخت مريزان الحيرة تزف إلى زوجها فحمل بكير على ابن الأزادية فقتلها وحملوا الأثقال والعروض في ثلاثة امرأة ومتة من التابع ومعهم ما لا يعرف قيمته، ورجعوا بالغنائم فصيبح سعد بالعنيد فقسمه في المسلمين.

ولما رجع سعد إلى القادسية أقام بها شهراً يشن الثارات بين كسرى والأبيات ولم يأنه خبر عن الفرس، وقد بلغت أخبارهم إلى يزدجرد وإن ما بين الحيرة والفترات قد تهبت وخراب، فاضطر رستم ودفعه لهذا الوجه، فتقاعد عنه وقال: ليس هذا من الرأي. ويعث الجيوش يعقب بعضها بعضاً أولى من مصادمة مرة، فلابي يزدجرد إلا مسيرة لذلك. فسكن رستم بسباط وكتب سعد بذلك إلى عمر، فكتب إليه لا يكرثك ما ياتيك عنهم واستعن بالله وتوكل عليه، وابعث رجالاً من أهل الرأي والجلد يدعونه فإن الله جاعل ذلك وهنأ لهم. فارسل سعد نفراً منهم النعمان بن مقرن، وبشر بن أبي أوهيم وجملة من حبيبة وحنظلة بن الريبع وعدي بن سهيل وعطارد بن حاجب والحرث بن حسان والمغيرة بن زرارة، والأشعث بن قيس، وفرات بن جبان وعاصم بن عمرو، وعمر وبن مديكرب، والمغيرة بن شعبة، والمعنى بن حارثة. فقدموا على يزدجرد وتركتوا رستم، واجتمعوا بل واجتمع الناس ينظرون إليهم وإلى خيولهم ويردوهم.

وحبسه على القنطرة حتى أعلموا رستم، فجلس على سرير من ذهب - ويُسطِّن التمارق والواسائد منسوجة بالذهب - وأقبل ريعي على فرسه وسيفه في خرقه - ورمحه مشدودة بعصب - وقد حسَّ انتهى إلى البساط ووطنه بفرسه، ثم نزل وربطها بوسادتين شقهما وجعل الجبل فيهما، فلم يخلوا بذلك وأظهروا التهاون. ثم أخذ عباءة بعيره فاشتملها.

وأشاروا إليه بوضع سلاحه فقال: لو أتيتك فعلت كذا بأمركم وإنما دعوتيوني. ثم أقبل يتركا على رمحه ويقارب خطوه حتى أفسد ما مار عليه من البساط، ثم دنا من رستم وجلس على الأرض وركز رمحه على البساط وقال: إنما لا تقدر على زيتكم! فقال له الترجان: ما جاءكم؟ فقال: الله بعثنا لخراج عباده من ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام وأرسلنا بيده إلى خلقه فمن قبله قبلاً منه وتركته وأرضه ومن أبي قاتلته حتى نفي إلى الجنة أو الظفر. فقال رستم: هل لكم أن تؤخرنا هذا الأمر حتى نظر فيه؟ قال: نعم! كم أحب إليك يوماً أو يومين، قال: لا بل حتى نكاتب أهل رأينا ورؤساء قومنا. فقال: إن ما سن لنا رسول الله ﷺ أن لا تكن الأعداء أكثر من ثلاثة فانظروا في أمرك وإنما وراهم واختر إما الإسلام وندعك وأرضك وإما الجزرية فتقبل ونكت عنك وإن احتجت إلينا نصرناك والمنابذة في الرابع أن تبذلوا كفياً بهذا عن أصحابي.

قال أسيدهم أنت؟ قال: لا ولكن المسلمين كالجسد الواحد يحيى بعضهم عن بعض يحيى أذنامهم على أعلاهم. فخلا رستم برؤساء قومه وقال: رأيتم كلاماً قط مثل كلام هذا الرجل؟ فرأوه الاستخفاف بشانه وتباهي. فقال: وبعكم إنما انظروا إلى الرأي والكلام والسير والعرب تستخف اللباس وتصون الأحساب.

ثم أرسل إلى سعد أن ابعث إلينا ذلك الرجل، فبعث اليه حذيفة بن حصن ففعل كما فعل الأول ولم ينزل عن فرسه وتكلم وأجاب مثل الأول، فقال له: ما قد بالأول عننا؟ فقال: أميرنا يعدل بيننا في الشدة والرخاء وهذه نوبتي. فقال رستم: إلى متى؟ فقال: إلى ثلاثة من أمس وانتصرف. وخلا رستم بأصحابه يعجبهم من شأن القروم. وبعث في الغد عن آخر فجاءه المغيرة بن شعبة فلما وصل إليهم وهم على زيهم رسقطهم على غلوة من مجلس رستم فجاء المغيرة حتى جلس معه على سريره فأنزلوه، فقال: لا أرى قوماً أسفه منكم إنما عشر العرب لا يستعبد بعضاً فظنتمكم كذلك وكان أحسن بك أن تخبروني أن بعضكم أرباب بعض مع أنني لم أتكم وإنما دعوتيوني فقد علمت أنكم مغلوبون ولم يقم ملك على هذه السيرة. فقالت

قال رستم: فنحن إذا وضعنا في أيديكم، فقال: أعمالكم وضعتكم وأسلمكم الله بها فلا يفرنك من ترى حولك فلست تحاول الناس إنما تحاول القضاء والقدر. فنضب وأمر به فضررت عنقه. وسار فنزل الفرس وفتا في عسكره المكر وغضبو الرعايا أمرأهم وأبنائهم حتى نادي رستم منهم بالويل، فقال: صدق والله العربي. وأتى بعضهم فضرب عنقه. ثم سار حتى نزل الحيرة ودعا أهلها فعززهم وهم بهم، فقال له ابن بقيلة: لا تجمع علينا أن تعجز عن نصرتنا وتلومنا على الدفع عن أنفسنا. وأرسل سعد السرايا إلى السواد وسمع بهم رستم فبعث لاعتراضهم الفرس، وبلغ ذلك سعداً فائدهم بعاصم بن عمرو فجاءهم وخيل فارس تحوشهم، فلما رأوا عاصماً هربوا.

و جاء عاصم بالغنائم. ثم أرسل سعد عمرو بن معيكرب وطليحة الأسدية طليعة فلما ساروا فرسخاً وبعده، لقوا المصالح فرجع عمرو، ومضى طليحة حتى دخل عسكر رستم وبات فيه وهنك أهناك خيمة أو خيمتين واقتاد بعض الخيول وخرج بعده به فرسه، ونذر به الفرس فركبوا في طلبه إلى أن أصبح وهم في أثره فثار على فارس فقتله ثم آخر ثم آخر وأسر الرابع، وشارف عسكر المسلمين فرجعوا عنه. ودخل طليحة على سعد بالفارسي ولم يختلف بعده فيهم مثلهم بل مثله فأسلم ولزم طليحة.

ثم سار رستم فنزل القادسية بعد ستة أشهر من المدائن، وكان يطأول خوفاً وتنية، ولملك يستحشه وكان رأي في منه كأن ملكاً نزل من السماء ومعه النبي ﷺ وعمر وأخذ الملك سلاح أهل فارس فختمه ثم دفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ودفعه النبي إلى عمر فحزن لذلك أهل فارس في سيره. ولما وصل القادسية وقف على العتيق حيال عسكر المسلمين والناس يتلاحقون حتى اغتموا من كثتهم، وركب رستم غادة تلك الليلة وصعد مع الهر وصواب حتى وقف على القنطرة، وأرسل إلى زهرة فوافقه وعرض له بالصلح. وقال: كتم جيراننا وكنا نحسن إليكم ونحفظكم ويقرض صنيعهم مع العرب ويقول زهرة: ليس أمرنا من أولئك وإنما طلبنا وهمنا الآخرة وقد كان ذكرت إلى أن بعث الله فينا رسولًا دعانا إلى دين الحق فأجبناه. وقال: قد سلطتكم على من لم يدن به وأنا منتقم بكم منهم وأجعل لكم الغلبة! فقال رستم: وما هو دين الحق. فقال: الشهادتان وإخراج الناس من عبادة الخلق إلى عبادة الله وإنهم إخوان في ذلك. فقال رستم: فإن أجبنا إلى هذا ترجعن؟ فقال: إيه والله! فاضرط عنده رستم. ودعا رجال فارس ذكر ذلك لهم فألفوا، وأرسل إلى سعد أن أبعث لنا رجلاً نكلمه ويكملنا، فبعث إليه ريعي بن عامر

واستخلف خالد بن عرفة على الناس وجنس من شسب عليه في القصر وقيدهم، وكان فيهم أبو محجن التقفي، وقيل إنها حبسه بسبب المخمر. ثم خطب الناس وحثهم على الجهاد وذكراهم بوعده الله، وذلك في المحرم سنة أربع عشرة، وأخبرهم أنه استخلف خالد بن عرفة. وأرسل جماعة من أهل الرأي لتعريف الناس على القتال مثل المغيرة وحنفية وعاصم وطليحة وقيس وغالب وعمرو، ومن الشعراء الشماخ والخطيبة والعبيدي بل وعبدة بن الطيب وغيرهم فقتلوا.

ثم أمر بقراءة سورة الجهاد وهي الأنفال فهشت قلوب الناس وعيونهم وعرفوا السكينة مع قراءتها، فلما فرغت القراءة قال سعد: الزموا مواقعكم فإذا صلتم الظهر فلاني مكبر تكبيرة فكبروا واستعدوا. فإذا سمعتم الثانية فكبروا وأثنوا عنكم، فإذا سمعتم الثالثة فكبروا ونشطوا الناس، فإذا سمعتم الرابعة فازحفوا حتى تحالفوا عدوكم وقولوا: لا حول ولا قوة إلا بالله.

فلما كبر الثالثة بز أهل النجдан فأنشبوا القتال وخرج أمثلهم من الفرس فأغاروا الطعن والضرب، وارتجزوا الشعر، وأول من أسر في ذلك اليوم هرمز من ملوك الباب وكان متوجاً أسره غالب بن عبد الله الأزدي فدفعه إلى سعد ورجع إلى الحرب. وطلب البراز أسوار منهم فنجز إيه عمرو بن معاذ يرب فأخذته وجلد به الأرض فذبحه وسلب سواريه ومنطقته. ثم حلوا الفيلة على المسلمين وأمالوها على بحيرة ثقلت عليهم، فأرسل سعد إلىبني أسد أن يدافعوا عنهم، فجاءه طليحة بن خربيل وحمل ابن مالك فردوا القible، وخرج على طليحة عظيم منهم قتله طليحة.

وعبر الأشعث بن قيس كندة بما يفعله بنو أسد فاستشاطوا ونهدوا معه فازالوا الذين بزاهم. وحين رأى الفرس ما لقى الناس والفيلة من بنى أسد حلوا عليهم جميعاً وفيهم ذو الحاجب والجالينوس.

وكبر سعد الرابعة فزحف المسلمون وثبت بنو أسد، ودارت رحى الحرب عليهم وحلت الفيل على اليمونة والميسرة ونفرت خيول المسلمين منها فأرسل سعد إلى عاصم بن عمرو هل من حيلة لهذه الفيلة؟ فبعث الرماة يرشقونها بالبن واشتد بردهما آخرون يقطعون الرضن.

وخرج عاصم بجيعهم ورحى الحرب على أسد، واشتد عداء الفيلة ووقت الصناديق فهلك أصحابها، وتفس عن أسد أن أصيب منهم خمسة وردا فارس إلى مواقفهم. ثم اقتلوا إلى هذه

السفلة: صدق والله العربي، وقالت الأساطين: لقد رمانا بكلام لا تزال عيناً ينزعن إلينا قاتل الله من يضر أمر هذه الأمة. ثم تكلم رستم فعظم من أمر فارس بل من شأن فارس وسلطانهم وصغر أمر العرب وقال: كانت عيشتكم سيئة وكتم تقصدونا في الجدب فترككم بشيء من التمر والشمير ولم يعلمكم على ما صنعتم إلا ما بكم من الجهد ونحن نعطي أميركم كسوة وبخلافاً وalf درهم وكل رجل منكم حل ثغر وتتصرون فلست أشتريكم.

فتكلم المغيرة وخطب فقال: أما الذي وصفتنا به من سوء الحال والضيق والاختلاف فنعرفه ولا ننكره والدنيا دول والشدة بعدها الرخاء ولو شكرتم ما آتاكتم الله لكن شكركم قليلاً عما أورتيتم وقد أسلمكم الله بضعف الشكر إلى تغير الحال وأن الله بعث فينا رسوله، ثم ذكر مثلاماً تقدم إلى التخبير بين الإسلام أو الجزية أو القتال، ثم قال: وإن عيالنا ذاقوا طعام بلا دكم فقالوا لا صبر لنا عنه. فقال رستم: إذا تموتون دونها، فقال المغيرة: يدخل من قتل منا الجنة ويطهر من بقى منا بكم. فاستنشاط غضباً وحلف أن لا يقع الصلح أبداً حتى أقتلكم أجمعين.

واتصرف المغيرة وخلا رستم بأهل فارس وعرض عليهم مصالحة القروم، وحذرهم عاقبة حربهم، فلجموا. وبعث إليه سعد يعرض عليه الإسلام ويرغب، فلما جاءه بمثل ما كان يقول لأوثنك من الامتنان على العرب والتعريض بالطاعم، فلم يتفق شيء من رأيهم. فقال رستم: تعبرون إلينا أم نعبر إليكم؟

قالوا: بل أعتبروا! وأرسل إليهم سعد بذلك وأرادوا القنطرة، فقال سعد: لا ولا كرامة لا نرد عليكم شيئاً غلبناكم عليه فلما يفكرون العتيق بالتراب والقصب والبرادع حتى جعلوا جسراً. ثم عبر رستم ونصب له سريره وجلس عليه وضرب طيارة عليه وعبر عسكة، وجعل الفيلة في القلب والمجبنين عليها الصناديق والرجال والرايات أمثال الحصون، وجعل الجالينوس بينه وبين الميمنة والفيزان بينه وبين الميسرة.

ورتب يزدجرد الرجال بين المداشر والقادسية وما بينه وبين رستم رجالاً على كل دعوة تنتقل إليه ينتبهم أعياد رستم في أسرع وقت. ثم أخذ المسلمون مصافهم واحتط سعد قصره، وكان به عرق النساء وأصاباته معه دماميل لا يستطيع معها الجلوس فصعد على سطح القصر راكباً على وسادة في صدره وأشار على الناس، وعاد ذلك عليه بعض الناس فنزل واعتذر إليهم وأraham القروح في جسده فعذروه.

المكشوح وعمرو بن معدىكرب، ثم زحفت الفيلة وفرقت بين الكتاب. وأرسل سعد إلى القعقاع وعاصر أن أكفياني الأبيض وكان يازانهما، وإلى محمل والدميل أن أكفياني الأجرب وكان يازانهما.

فحملوا على الفيلين قتل الأبيض ومن كان عليه وقطع مشفر الأجرب وفاقت عينه وضرب مائسه الدميل بالطير زين فأفلت جريمة، وتغير الأجرب بن الصغرين والنقي نفسه في العتيق واتبعته الفيلة وفرقت صفوف الأعاجم في أثره، وقصدت المدائن بثوبها وهلك جميع من فيها. وخلص المسلمين والقرس فاختلقوها على سواء إلى المساء واقتلوها بقيادة ليلتهم وتسمي ليلة المبر. فأرسل سعد طليحة وعمر إلى مخاضة أسفل العسكر يقومون عليها خشية أن يؤتى المسلمين منها، فتشاوروا أن يأتوا الأعاجم من خلفهم، فجاء طليحة ورءاء العسكر وكبار فارقان أهل فارس، فثاروا عمر أسفل المخاضة ورجموا وراحفهم الناس دون إذن سعد وأول من زاحفهم من الناس دون إذن سعد زاحفهم القعقاع وقامه فحمل عليهم، ثم حل بنو أسد ثم النجاش ثم بجيلة ثم كندة، وسعد يقول في كل واحدة اللهم اغفر لهم وانصرهم. وقد كان قال لهم إذا كبرت ثلاثة فاحلوا، فلما كبر الثالثة لحق الناس بعضهم ببعضًا بعد صلاة العشاء واحتلوا ووصلوا الحديدي كصوت القرن إلى الصباح.

وركذت الحرب وانقطعت الأخبار والأصوات عن سعد ورسم وأقبل سعد على الدعاء، وسمع نصف الليل صرط القعقاع في جماعة من الرؤساء إلى رستم حتى خالطوا صنه مع الصبح فحمل الناس من كل جهة على من يليهم واقتلوها إلى قائم الظهرة، فناجز الفيزيان والهرمزان بعض الشيء وفرق القلب، وهبت ريح عاصف فقلبت طيارة رستم عن سريره فهوت في العتيق، واتتني القعقاع ومن معه إلى السرير وقد قام رستم عنه فاستظل في ظل بغل فحمله، وضرب هلال بن علامة الحمل فوق أحد العدلين على رستم فكسر ظهره، وضربه هلال ضربة تفتحت مسکاً وضرب نحو العتيق ورمي بنفسه فاقتصر هلال ضربة عليه وجره برجله فقتله، وتصعد السرير وقال: قلت رستم ورب الكعبة إلى إلى! فاطافوا به وكبّروا.

وقيل: إن هلالاً لما قصد رستم رماه بهم، فثبت قدمه بالركاب ثم حل عليه، فقتله واحتز رأسه ونادي في الناس قلت رستم!

فأنهزم قلب المشركين وقام الجاليتوس على الردم ونادي الفرس إلى العبور، وتهافت المترنون بالسلاسل في العتيق وكانوا

من الليل وكان هذا اليوم الأول وهو يوم الرماة. ولما أصبح سعد دفن القتلى وأسلم الجرجي إلى نساء يقمون عليهم، وإذا بناوحي الخيل طالعة من الشام، كان عمر بعد فتح دمشق عزل خالد بن الوليد عن جند العراق وأمر أبي عبيدة أن يؤمر عليهم هاشم بن عبدة يردهم إلى العراق، فخرج بهم هاشم وعلى مقدمته القعقاع بن عمرو، فقدم القعقاع على الناس صبيحة ذلك اليوم وهو يوم أغاث، وقد عهد إلى أصحابه أن يتقطعوا أعناراً بين كل عشرين مد البصر وكانوا ألفاً، فسلم على الناس ويشرهم بالجنود وحرضهم على القتال.

وطلب البراز فخرج إليه ذو الحاجب فعرفه القعقاع ونادى بالثأر لأصحاب الجسر، وتضارباً فقتلته القعقاع وسر الناس بقتله، ووهنت الأعاجم لذلك. ثم طلب البراز فخرج إليه الفيزيان والبنيان. وأكثر المسلمين القتل في الفرس وأخذوا الفيلة عن القتال لأن نوابتها تكسرت بالأمس، فاستأنفوا عملها، وجلل القعقاع إيلًا وجعل عليها البراق وأركبها عشرة عشرة، وأطاف عليها الخيول تحميها، وحملها على خيل الفرس ففترت منها وركبهم خيول المسلمين، ولقي الفرس من الإبل أعظم مما لقي المسلمين من الفيلة. ويرز القعقاع يومئذ في ثلاثين فارساً في ثلاثين حلة فقتلتهم، كان آخرهم بزوجه المهداني، وبزار الأعور بن قطنة شهر يار سجستان فقتل كل واحد منها صاحبه.

ولما اتصفت النهار تزاحف الناس فاقتلاوا إلى انتصاف الليل وقتلوا عامدة أعلام فارس ثم أصبحوا في اليوم الثالث على مواجههم بين الصفين ومن المسلمين ألف جريح وقتل ومن المشركين عشرة آلاف، فذلن المسلمون موتابهم وأسلموا الجرجي إلى النساء ووكلوا النساء والصبيان بمصر القبور، وبقي قاتلى المشركين بين الصفين. وبيات القعقاع يسرب أصحابه إلى حيث فارقهم بالأمس، وأواساهم إذا طلعت الشمس أن يقبلوا منه يجدد بذلك الناس، وجاء بينهما يلحق هاشم بن عبدة.

فلما ذر قرن الشمس أقبل أصحاب القعقاع فتقدموا والمسلمون يكبرون، فتزاحفت الكتاب طعنًا وهرباً، وما جاء آخر أصحاب القعقاع حتى لحق هاشم فبعى أصحابه سبعين سبعين وكان فيهم قيس بن المكشوح فلما خالط القلب كبر وكبر المسلمون ثم كبر فخرق الصفوف إلى العتيق، ثم عاد وقد أصبح الفرس على مواجههم وأعادوا الصناديق على الفيلة وأحدقوا الرجال بها يجهزونها أن تقطع وضねها، واقام الفرسان يجهزون الرجال فلم تفر خيل المسلمين منها. وكان هذا اليوم يوم عباس وكان شديداً، إلا أن الطائفتين فيه سواء وأبلغ فيه قيس بن

وسار النخيزجان ومهران إلى المدائن فتحصنتوا وقطعوا الجسر، ثم سار سعد من بابل على التعبية وزهرة في المقدمة، وقدم بين يديه بكير بن عبد الله الليثي وكثير بن شهاب السبيعي حتى عبرا ولحقاً بأخريات القوم، فقتلا في طريقهما أسوارين من أسوارتهم، ثم تقدما إلى كوثي وعليها شهريار فخرج لقتالهم فقتل وإنهم أصحابه فاقتروا في البلاد. وجاء سعد فقتل قاتله سلبه.

وتقى زهرة إلى سباط فصاله أهلها على الجزيرة وهزم كيبة كسرى، ثم نزلوا جميعاً على بهرشير من المدائن، ولما عابروا الإيوان كبروا وقالوا: هذا أليض كسرى هذا ما وعد الله. وكان نزولهم عليها ذا الحجة سنة خمس عشرة فحاصروها ثلاثة أشهر ثم اقتحموها، وكانت ن gio لهم تغير على التواحي وعهد إليهم عمر أن من أجاب من الفلاحين ولم يعن عليهم فذلك أمان، ومن هرب فأدرك فشاكتم به. ودخل الدهاقن من غربي دجلة وأهل السواد كلهم في أمان المسلمين واغبطوا بكلهم، واشتدى الحصار على بهرشير ونصبوا عليها الجانق واستلجموهم في المواطن، وخرج بعض المرازيق يطلب البراز، فقاتلته زهرة بن حبيرة فقتلا معاً، ويقال: إن زهرة قتله شبيب الخارجي أيام الحجاج. ولما ضاق بهم الحصار وركب إليهم الناس بعض الأيام نلم يروا على الأسوار أحداً إلا رجلاً يشير إليهم فقال: ما بقي بالمدينة أحد وقد صاروا إلى المدينة القصوى التي فيها الإيوان، فدخل سعد المسلمين وأرادوا العبور إليهم فوجدوهم جعوا المعابر عندهم، فاتأموا من صبر ودلهم بعض العلوج على خاصة في دجلة فتردد، فقال له أقدم فلا تأتي عليك ثلاثة إلا ويزدجرد قد ذهب بكل شيء فيها، فلزم سعد على العبور وخطب الناس وندبهم إلى العبور ورحبهم، وندب من يميز أن لا يميء الفراش حتى يميز إليه الناس، فانتدب عاصم بن عمرو في ستة واتحصروا دجلة فلقاهم أشالم من الفرس عند الفراش وشدوا عليهم فانهزموا وقتل أكثرهم وعوروا من الطعن في العيون، وعابتهم المسلمين على الفراش، فاتحصموا في أثرهم يصيرون: نستعين بالله ونترك عليه حسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول وقوفة إلا بالله العلي العظيم.

وساروا في دجلة وقد طبقوا ما بين عدوتها وخليهم سائحة بهم وهم يهيمون تارة ويتحادرون أخرى حتى أجازوا البحر ولم يفقدوا شيئاً، إلا قدحأ بعضهم غلت صاحبه جرية الماء والقته الريح إلى الشاطئ.

ورأى الفرس عساكر المسلمين قد أجازوا البحر فخرجوا هاربين إلى حلوان، وكان يزدجرد قد إلها قبل ذلك عياله، ورفعوا ما قدروا عليه من عرض الماء وخفيه ومن بيت المال

ثلاثين ألفاً هلكوا، وأخذ ضرار بن الخطاب راية الفرس العظيمة وهي درش كابيان فهو رأس منها ثلاثين ألفاً وكانت قيمتها ألف ألف ومائة ألف، وقتل ذلك اليوم من الأعاجم عشرة آلاف في المعركة، وقتل من المشركين في ذلك اليوم ستة آلاف دفنتوا في الخندق حيال مسرق سوى الفين وخمسة قتلو ليلة المهربر، وجمع من الأسلاب والأموال ما لم يجمع قبله ولا بعده مثله. وتغلب سعد هلال بن علقة سلب رستم، وأمر القعاع وشرحبيل باتباع العدو وقد كان خرج زهرة بن حبيرة قبلها في آثاره، فلحق الجالبيوس بجمع المنهزمين فقتله وأخذ سلبه، فتوقف سعد من عطائه، وكتب إلى عمر، فكتب إليه: تعمد إلى مثل زهرة وقد صلى بمثل ما صلى به وقد بقي عليك من حربك ما بقي نفس قلبك، امض له سلبه وفضلة على أصحابه في العطاء بخمسة. ولحق سليمان بن ربيعة الباهلي وأخوه عبد الرحمن بطائفة من الفرس قد استماتوا فقتلوهم، واستمات بعد المجزعة بسبعين وثلاثين رئيساً من المسلمين فقتلوهم أجمعين.

وكان من هرب من أمراء الفرس الم Hormuzan والفرزاد بن يهس وقارن، ومن استمات فقتل شهريار بن كبار وأسر المدمرون والفردان الأمواري وخرشوم المداني. وكتب سعد إلى عمر بالفتح وعن أصيب من المسلمين، وكان عمر يسأل الركبان حين يصبح إلى انتصاف النهار ثم يرجع إلى أهله.

فلما لقي البشير قال: من أين؟ فأخبره فقال: حدثني فقال: هزم الله المشركين، ففرح بذلك. وأقام المسلمون بالقادسية يتظرون كتاب عمر إلى أن يصلهم بالإقامة. وكانت Woche القادسية سنة أربع عشرة وقيل: خمس عشرة وقيل ست عشرة.

## فتح المدائن وجلولاء بعدها

ولما انهزم أهل فارس بالقادسية انتهوا إلى بابل وهديل وفيهم بقايا الرؤساء النخيزجان ومهران الأهزاري والم Hormuzan وأشباحهم واستعملوا عليهم الفيزران. وأقام سعد بعد الفتح شهرین وسار بأمر عمر إلى المدائن وخلف العيال بالعتيق في جند كثيف حامية لهم، وقدم بين يديه زهرة بن حبيرة وشرحبيل بن الصمت وعبد الله بن العتمر، ولقيهم بعض عساكر الفرس فهزموهم حتى لحقوا ببابل. ثم جاء سعد وسار في التعبية وتزلوا على الفيزران ومن معه ببابل، فخرجوا وقاتلوا المسلمين، فانهزموا واقتروا فرقين ولحق الم Hormuzan بالأهزار والفيزان بنهاؤه وبها كنز كسرى.

في هذا الغطف، فاختلقو وأشاروا على نفسه، ققطعه بينهم، فاصاب عليّ قطعة منه باعها بعشرين ألفاً ولم تكن بأجردها.

وولى عمر سعد بن أبي وقاص على الصلاة والحرب فيما غالب عليه، وولى حذيفة بن اليمان على سقي القرات، وعثمان بن حنيف على سقي دجلة، ولما انتهى الفرس بالمركب إلى جلولاء، وافتقرت الطرق من هناك بأهل أذربيجان والباب وأهل الجبال وفارس، وقضوا هناك خشية الافتراق واجتمعوا على مهران الرازي وختدقوا على أنفسهم وأحاطوا الخندق بجسره الحديد، وتقدم يزدجرد إلى حلوان. وبلغ ذلك سعداً فكاتب عمر بذلك يأمره أن يسرح إلى الفرس بجولاً هاشماً ابن أخيه عتبة في اثنى عشر ألفاً وعلى مقدمته القمعان بن عمرو، وأن يولي القمعان بعد الفتح ما بين السواد والجبل. فسار هاشم من المدائن لذلك في وجه المسلمين وأعلام العرب حتى قدم جلولاء فاحتاط بهم وحاصرهم في خنادقهم، وزاحفون ثمانين يوماً ينصرون عليهم في كلها والمدد متصل من هاهنا وهاهنا ثم قاتلواهم آخر الأيام فقتلوا منهم أكثر من ليلة المريض، وأرسل الله عليهم رحمةً وظلمةً فسقط فرسانهم في الخندق وجعلوه طرقاً مما يليهم فقدس حصنهم، وشعر المسلمون بذلك فجاءه القمعان إلى الخندق فوقف على بابه. وشاع في الناس أنه أخذ في الخندق، فحمل الناس حملة واحدة انهزم المشاركون لها وافتلقوا، ومرروا بالجسرة التي تحصنا بها فعترت دوابهم فترجعوا ولم يفلت منهم إلا القليل، يقال: إنه قتل منهم يومئذ مائة ألف. واتبعهم القمعان بالطلب إلى خانقين، وأجلل يزدجرد من حلوان إلى الري واستخلف عليها خشرشوم، وجاء القمعان إلى حلوان فبرز إليه خشرشوم وعلى مقدمته الرمي، فقتله القمعان و Herb خشرشوم من وراءه، وملك القمعان حلوان وكب إلى عمر بالفتح واستأنده في ابتعاه، فأبى وقال: وددت أن بين السواد والجبل سداً حصيناً من ريف السواد فقد أثرت سلامة المسلمين على الأنفال. وأحيصيت الغيمة فكانت ثلاثين ألفاً، فقسمها سلمان بن ربيعة، يقال: إنه أصحاب الفارس تسعة آلاف وتسعة من الدواب. ويعتبروا بالأخاس إلى عمر مع زياد ابن أبيه. فلما قدم الخمس قال عمر: والله لا يجهن سفه حتى أقسمه، فجعله في المسجد وبيات عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن الأرقم بخرسانه، ولا أصبح جاء في الناس ونظر إلى ياقوتة وجهرة فبكى، فقال عبد الرحمن بن عوف: ما يكيلك يا أمير المؤمنين وهذا موطن شكر؟ قال: والله ما أعطى الله هذا قوماً إلا تخاسدوا وتباغضوا فلقي الله باسمهم بينهم. ومنع عمر من قسمة السواد ما بين حلوان والقادسية فاقره جسماً، وشتري جريراً بغضبه بشاطئ

والنساء والذراري، وتركوا بالمدائن من الثياب والأمتنة والآنية والألطاف ما لا تخصى قيمتها، وكان في بيت المال ثلاثة آلاف الف ألف الف مكررة ثلاث مرات تكون جملتها ثلاثمائة ألف قنطرة من الدنانير، وكان رسمتم عند مسيره إلى القادسية حل نصفها لفقات العساكر وأيقن النصف. واقتصرت العساكر المدينة بمحولون في سككها لا يلقون بها أحداً، وأرزق سائر الناس القصر الأبيض حتى توتفوا لأنفسهم على الجزء.

ونزل سعد القصر الأبيض واتخذ الإيزيان به مصلى ولم يغیر ما فيه من التمايل، ولما دخله قرأ **﴿كُمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَابَتْ وَعَيْنَ﴾** الآية وصلى فيه صلاة الفتح ثمانى ركعات لا يفصل بينهن وأتم الصلاة بيت الإقامة. وسرح زهرة بن حبيبة في آثار الأعجم إلى الهروان وقرأها من كل جهة، وجعل على الأخاس عمرو بن عمرو بن مقرن، وعلى القسم سلمان بن ربيعة الباهلي وجمع ما كان في القصر والإيزيان والدور وما نبهه أهل المدائن عند المزيمة، ووجدوا حلية كسرى: ثيابه وخرزاته وتجاهه ودرعه التي كان يجلس فيها للعباهة أخذ ذلك من أيدي الماردين على بغلين، وأخذ منها أيضاً وقر بغل من السيف وآخر من الدروع والماقور منسوية كلها درع هرقل وخاقان ملك الترك وداهر ملك الهند وبهرام جور وسيباوخش والنعمان بن المنذر وسيف كسرى وهرمز وقباذ وفيروز وهرقل وخاقان داهر وسيباوخش والنعمان أحضرها القمعان.

وخيبر في الأسياf، فاختار سيف هرقل وأعطاه درع بهرام، وبعث إلى عمر سيف كسرى والنعمان وتأج كسرى وحلية وثيابه ليراه الناس. وقسم سعد الفيء بين المسلمين بعد ما خس، وكانوا ستين ألفاً فأصاب للفارس اثنا عشر ألفاً وكلهم كان فارساً ليس فيهم راجل، وتنقل من الأخاس في أهل البلاد، وقسم المنازل بين الناس، واستدعى العبيالت من العتيق فأذربهم الدور ولم يزالوا بالمدائن حتى تم فتح جلولاء وحلوان وتقربت والموصل، واحتضنت الكورة فتحولوا إليها، وأرسل سعد في الخمس كل شيء يعجب العرب منهم أن يصنع لهم، وحضر إليهم نهار كسرى وهو الغطف وهو بساط طوله ستون ذراعاً في مقدار مزرعة خلاماً بتصدف الدر والياقوت وفي حفاتها كالأرض المزدرعة والمقبلة بالنبات ورقها من الحرير على قضبان الذهب وزهرة حبات الذهب والفضة وثمرة الجوهر، كانت الأكاسرة يسطونه في الإيزيان في فصل الشتاء عند قدان الرياحين يشربون عليه، فلما قدمت الأخاس على عمر قسمها في الناس، ثم قال: أشيروا على

عزله، واستعمل أبو موسى. وقيل: استعمل بعد عتبة أبو سارة وبعده المغيرة.

### وقعة مرج الروم وفتح مدائن الشام بعدها

لما انهزم الروم بفضل سار أبو عبيدة وخالد إلى حصن واجتمعوا بذري الكلاع في طريقهم ويعرف هرقل توذر الطريق للقائهم فنزلوا جميعاً بمرج الروم، وكان توذر يرازء خالد وشمر بطريق آخر يرازء أبي عبيدة وأمسوا مسترين. ثم أصبح فلم يجدوا توذر وسار إلى دمشق واتبعه خالد، واستقبله يزيد من دمشق فقاتلهم، وجاءه خالد من خلفه فلم يفلت منهم إلا القليل وغنموا ما معهم. وقاتل شمر أبو عبيدة بعد مسيرة خالد فانهزم الروم وقتلوا واتبعهم أبو عبيدة إلى حصن ومعه خالد، فبلغ ذلك هرقل فبعث بطريق حصن إليها وسار هو في الرها، فحاصر أبو عبيدة حصن حتى طلبوا الأمان فصالحهم.

وكان هرقل يعدهم في حصارهم المدد، وأمر أهل الجزيرة بإمدادهم فساروا لذلك. وبعث سعد بن أبي وقاص العساكر من العراق فحاصروا هيأة وقرقيسيا فرجع أهل الجزيرة إلى بلادهم. ويش أهل حصن من المدد فصالحوا على صلح أهل دمشق، وأنزل أبو عبيدة فيها السبط بن الأسود في بيته معاوية من كندة والأشعث بن قيس في السكون والمقداد في بليي وغيرهم، وولى عليهم أبو عبيدة بن الصامت وسار إلى حلة فصالحوا على الجزيرة عن رؤوسهم والخارج عن أرضهم، ثم سار نحو شيزر فصالحوا كذلك، ثم إلى المعرة كذلك وقيل: معرة النعمان وهو النعمان بن بشير الأنباري.

ثم سار إلى اللاذقية ففتحها عنوة ثم سلمية، ثم أرسل أبو عبيدة خالد بن الوليد إلى قنسرين فأعرضه ميناس عظيم الروم بعد هرقل فهزمه خالد وأخنف بهم، ونازل قنسرين حتى افتحها عنوة وخربها. وأدرب إلى هرقل من ناحيته، وأدرب عياض بن غنم كذلك، وأدرب عمر بن مالك من الكوفة إلى قرقيسيا، وأدرب عبد الله بن المعتمر من الموصل، فارتغل هرقل إلى القسطنطينية من أمدها، وأخذ أهل الحصون بين الإسكندرية وطرسوس وشعبها أن يتضاعف المسلمون بمعمارتها. ولما بلغ عمر صنيع خالد قال: أمر خالد نفسه يرحم الله أبي بكر هو كان أعلم مني بالرجال. وقد كان عزل خالداً والمشي بن حارثة خشية أن يدخلهما كبر من تعظيم فوكلا إيه، ثم رجع عن رأيه في المشي عند قيامه بعد أبي عبيد، وفي خالد بعد قنسرين فرجع خالد إلى

الفرات فرد عمر الشراء.

ولما رجع هاشم من جلواء إلى المدائن بلغتهم أن أديس بن المرامون جمع جماعة وجاء بهم إلى السهل، فبعث إليه ضرار بن الخطاب في جيش فلقاهم ماسيدان فهزمهم وأسر أديس فقتله، وانتهى في طلبه إلى الهروان وفتح ماسيدان عنده ورد إليها أنها ونزل بها فكانت أحد فروع الكوفة، وقيل كان فتحها بعد نهاوند والله سبحانه أعلم.

### ولاية عتبة بن غزوan على البصرة

كان عمر عندما بعث المثنى إلى الحيرة بعث قبة بن قادة السلوسي إلى البصرة فكان يغير بتلك الناحية، ثم استمد عمر بعث إليه شريح بن عامر بن سعد بن بكر فقاتل إلى البصرة وممضى إلى الأهواز، ولقيه مسلحة الأعاجم فقتلوه. فبعث عمر عتبة بن غزوan والبأ على تلك الناحية، وكتب إلى العلاء بن الحضرمي أن يعده بعرفجة بن هرثمة وأمره أن يقيم بالتلخ بين أرض العرب وأرض العجم، فانتهى إلى حيال الجسر وبلغ صاحب الفرات خبرهم فأقبل في أربعة آلاف وعتبة في خسمائة والتلقو قاتلوا الأعاجم أجمعين وأسرعوا صاحب الفرات.

ثم نزل البصرة في ربيع سنة أربع عشرة، وقيل إن البصرة بصرت سنة ست عشرة بعد جلواء وتكريت. أرسل سعد إليها عتبة فاقام بها شهرًا وخرج إليه أهل الأبلة، وكانت مرفاً للسفن من الصين، فهزمهم عتبة وأحرجهم في المدينة ورجع إلى عسكرة، ورعب الفرس فخرجوه عن الأبلة وحملوا ما خف وخلوا المدينة وعبروا النهر، ودخلها المسلمون فتنموا ما فيها واقتسموا. ثم اخخط البصرة وبدأ بالمسجد فبناه بالقصب. وجمع له أهل دست ميان فلقاهم عتبة فهزمه وأخذ مربزيتها أسريراً، وأخذ قادة منطقته بعث بها إلى عمر، وسال عنهم فقيل له: اثالت عليهم الدنيا فهم يهليون الذهب والفضة. فرغب الناس في البصرة وأتواها.

ثم سار عتبة إلى عمر بعد أن بعث مجاشع بن مسعود في جيش إلى الفرات، واستخلف المغيرة بن شعبة على الصلة إلى قدم مجاشع، وجاء ألف يikan من عظاماء الفرس إلى المسلمين ولقيهم المغيرة بن شعبة بالمرغاب وبينما هم في القتال إذ لحق بهم النساء وقد انخدعن خرهن ريات، فأنهزم الأعاجم وتكبروا بالفتح إلى عمر، فرد عتبة إلى عمله فمات في طريقه، وقيل: إن إمارة عتبة كانت سنة خمس عشرة وقيل: ست عشرة فوليها ستة أشهر، واستعمل عمر بعده المغيرة بن شعبة ستين فلما رمي بما رمي به

سفيان أخاه معاوية بأمر عمر فسار إليها وحاصرهم بعد أن هزمهم، وبللت قتالهم في المزام ثماني اللَّا وفتحها آخرًا وكان علقة بن عبُر على غزة وفيها القبور من بطاركة الروم.

## وقعة أجنادين وفتح بيسان والأردن وبيت المقدس

لما انصرف أبو عبيدة وخالف إلى حصن بعد واقعة مرج الروم نزل عمرو وشرحيل على أهل بيسان فافتتحها وصالح أهل الأردن، واجتمع عسكر الروم بأجنادين وغزة وبيسان وعليهم أرطيون من بطارقة الروم، فسار عمرو وشرحيل إليهم واستخلف على الأردن أبا الأعور السلمي. وكان الأرطيون قد أنزل بالرملة جنداً عظيماً من الروم وبيت المقدس كذلك، وبعث عمرو علقة بن حكيم الفراسي ومسروق بن العكي لقتال أهل بيت المقدس، وبعث أبا أيوب المالكي إلى قتال أهل الرملة، وكان معاوية محاصراً لأهل قيسارية فشنغل جميعهم عنه، ثم زحف عمرو إلى الأرطيون واقتلاه كيوم اليرموك أو أشد.

وانهزم أرطيون إلى بيت المقدس وأفوج له المسلمين الذين كانوا يحاصرونها حتى دخل. ورجعوا إلى عمرو وقد نزل أجنادين. وقد تقدم لنا ذكر هذه الواقعة قبل اليرموك على رأي من جعلها قبلها وهذا على قول من جعلها بعدها. ولما دخل أرطيون بيت المقدس فتح عمرو غزة، وقيل: كان فتحها في خلافة أبي بكر، ثم فتح سبسطية وفيها قبر يحيى بن زكريا، وفتح نابلس على الجزيرة ثم فتح مدينة لد، ثم عمواس وبيت حبرين وبافا ورفح وسائر مدائن الأردن. وبعث إلى الأرطيون فطلب أن يصلح كأهل الشام ويتحول العقد عمر وكباره إلى بذلك.

فسار عن المدينة واستخلف عليها علي بن أبي طالب بعد أن عذله في مسيرة قابلي، وقد كان واحداً من أمراء الأجناد هناك فلقيه يزيد ثم أبو عبيدة ثم خالد على الحيوش عليهم الدبياج والحرير فنزل ورماهم بالحجارة، وقال: أتستقبلوني في هذا الزلي؟ وإنما شبعتم متذئبين والله لو كان على رأس الماتين لاستبدل بكم قالوا: إنها بلا ثمن. وإن علينا السلاح، فسكت ودخل الجاية. وجاءه أهل بيت المقدس وضم عمراً وشرحيل إليه وقد هرب أرطيون منهم إلى مصر، فصالحوه على الجزيرة وفتحوها له وكذلك أهل الرملة.

وولى علقة بن حكيم على نصف فلسطين وأسكنه

إمارته.

ولما فرغ أبو عبيدة من قسررين سار إلى حلب وبلغه أن أهل قسررين غدرروا ببعث إليهم السبط الكندي فحاصرهم وفتح وغنم، ووصل أبو عبيدة إلى حاضر حلب وهو موضع قرب منها يجمع أصنافاً من العرب، فصالحوا على الجزيرة ثم أسلموا بعد ذلك.

ثم أتى حلب وكان على مقدمته عياض بن غنم الفهري فحاصرهم حتى صالحوا على الأسان، وأجاز ذلك أبو عبيدة، وقيل صلحوا على مقاسمة الدور والكناث، وقيل انتقلوا إلى أنطاكيه حتى صالحوا ورجعوا إلى حلب. ثم سار أبو عبيدة من حلب إلى أنطاكيه وبها جمع كبير من فل قسررين وغيرهم ولقوه قريباً منها فهزهم وأحجزهم بالمدينة وحاصرهم حتى صالحوا على الجلاه أو الجزيرة ورحل عنهم، ثم تقضوا ببعث أبي عبيدة إليهم عياض بن غنم وحبيب بن مسلمة ففتحاها على الصلاح الأولى وكانت عظيمة الذكر، فكتب عمر إلى أبي عبيدة أن يرتب فيها حامية مرابطة ولا يؤخر عنهم الطعام.

ثم بلغ أبي عبيدة أن جعماً بالروم بين معرة مصرىن وحلب فسار إليهم فهزهم وقتل بطارقهم، وأمعن بل وأنحن فيهم، وفتح معرة مصرىن على صلح حلب. وجالت خيوله فبلغت سرمين وتيرى وغلبوا على جميع أرض قسررين وأنطاكيه، ثم فتح حلب ثانية. وسار يزيد قورس، وعلى مقدمته عياض، فصالحوه على صلح أنطاكيه. وبeth حيله ففتح تل نزار وما يليه، ثم فتح منبع على يد سلمان بن ربيعة الباهلي، ثم بعث عياضاً إلى دلوك وعيتاب فصالحهم على مثل منبع واشترط عليهم أن يكونوا عوناً للMuslimين. وولى أبو عبيدة على كل ما فتح من الكور عاملة وضم إليه جماعة وشحون الغنور المخورة بالحامية. واستولى المسلمين على الشام من هذه الناحية إلى الفرات.

وعاد أبو عبيدة إلى فلسطين. بعث أبو عبيدة جيشاً مع ميسرة بن مسروق العبيسي، فسلكوا درب تفليس إلى بلاد الروم فلقي جماعاً للروم ومعهم عرب من غسان وتنوخ وإياد يزيدون للحاق بهرقل فأوقع بهم وأنحن فيهم، ولحق به على أنطاكيه مالك بن الأشتر النخي مددًا فرجعوا جميعاً إلى أبي عبيدة. وبعث أبو عبيدة جيشاً آخر إلى مرعش مع خالد بن الوليد ففتحاها على إجلاء أهلها بالأمان وخر بها، وبعث جيشاً آخر مع حبيب بن مسلمة إلى حصن الخروت كذلك.

وفي خلل ذلك فتحت قيسارية، وبعث إليها يزيد بن أبي

يسلموا فاسلموا وواعدوهم الثبات والتکبر وأن يأخذوا على الروم أبواب البحر ما يلي دجلة فغلوا. ولما سمع الروم التکبر من جهة البحر ظنوا أن المسلمين استداروا من هناك فخرجو إلى الناحية التي فيها المسلمين فأخذتهم السيف من الجهتين، ولم يفلت إلا من أسلم من قبائل ربيعة من تغلب والنصر وإياد. وقسمت الغنائم فكان للفارس ثلاثة آلاف درهم وللراجل ألف. ويقال: إن عبد الله بن المعتمر بعث ربيع بن الأذكل بمهد عمر إلى الموصل وبنيزى وهم حصنان على دجلة من شرقها وغربيها، فسار في تغلب وإياد والنصر وسوقه إلى الحضين فأجابوا إلى الصلح وصاروا ذمة. وقيل بل الذي فتح الموصل عتبة بن فرقان سنة عشرين وأنه ملك بنيزى وهو الشرقي عنوة.

وصالحة أهل الموصل وهو الغربي على الجزيرة وفتح معها جبل الأكراد وجميع أعمال الموصل وقيل إنما بعث عتبة بن فرقان بن غنم عندما فتح الجزيرة على ما ذكره والله أعلم.

### مسير هرقل إلى حص وفتح الجزيرة وأرمينية

كان أهل الجزيرة قد راسلوا هرقل وأغرروه بالشام وأن بعث الجنود إلى حص وواعدوه المدد، ويعثوا الجنود إلى أهل هيست مما يلي العراق، فراسل سعد بن مالك بن خير بن مطعم في جند وعلى مقدمته الحرث بن يزيد العامري فسار إلى هيست وحاصرهم، فلما رأى اعتماصهم بخندقهم حجر عليهم الحرث بن يزيد وخرج في نصف السكر وجاء قرقيسيا على غرة فأجابوه إلى الجزيرة، وكتب إلى الحرث أن يخندق على عسكر الجزيرة فييت حتى سألاوا المسالمة والعود إلى بلادهم فتركهم ولحق بعمر بن مالك.

ولما اعتمد هرقل على قصد حص وبلغ الخبر أبا عبيدة ضم إليه مصالحة وعسكر بفناها، وأقبل إليه خالد من قنسرين، وكبوا إلى عمر بمحبر هرقل فكتب إلى سعد أن يذهب بل أن يندب الناس مع القعقاع بن عمرو ويسرحهم من يومهم فإن أبا عبيدة قد أحبط به، وإن يسرح سهيل بن عدي إلى الرقة فإن أهل الجزيرة هم الذين استدعوا الروم إلى حص، وإن يسرح عبد الله بن عتبان إلى نصبيين ثم يقصد حران والرها، وإن يسرح الوليد بن عقبة إلى عرب الجزيرة من ربيعة وتونخ وأن يكون عياض بن غنم على أمراء الجزيرة هؤلاء إن كانت حرب. فمضى القعقاع من يومه في أربعة آلاف إلى حص، وسار عياض بن غنم وأمراء الجزيرة كل

الرملة، وعلقمة بن مجزر على النصف الآخر وأسكنه بيت المقدس، وضم عمراً وشريحيل إليه فلقياه بالجایة. وركب عمر إلى بيت المقدس فدخلها وكشف عن الصخرة وأمر بناء المسجد عليها وذلك سنة خمس عشرة وقيل: ستة عشرة. ولحق أربطون بمصر من أبي الصلح من الروم حتى هلك في فتح مصر، وقيل: إنما لحق بالروم وهلك في بعض الصوائف. ثم فرق عمر العطا ودون الدواوين سنة خمس عشرة ورتب ذلك على السابقة. ولما أعطي صفوان بن أمية والحرث بن هشام وسهيل بن عمرو أقل من غيرهم قالوا: لا والله لا يكون أحد أكرم منا فقال: إنما أعطيت على سابقة الإسلام لا على الأحساب. فقالوا: فنعم إذن. وخرجو إلى الشام فلم يزالوا مجاهدين حتى أصيروا

ولما وضع عمر الدواوين قال له علي وعبد الرحمن: أبداً بنفسك، قال: لا! بعزم رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ ثم الأقرب، ورتب ذلك على مراتب ففرض خمسة آلاف ثم أربعة ثم ثلاثة ثم الفن وخمسة ثم الفين ثم الفا واحداً ثم خمسة ثم ثلاثة ثم مائتين وخمسين ثم مائتين، وأعطى نساء النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ عشرة آلاف لكل واحدة وفضل عائشة بالفين، وجعل النساء على مراتب فلأهل بدر خمسة ثم ثلاثة ثم مائتين، والصبيان مائة مائة والمساكين جراثيم في الشهر، ولم يترك في بيت المال شيئاً. وسئل في ذلك فاني وقال: هي فتنة لم بعدي.

وسأل الصحابة في قوله من بيت المال، فاذروا له فيه وسائله في الزيادة على لسان حصة ابنته مكتمن عنده، فقضب وامتنع، وسألها عن حال رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ في عيشه وملبسه وفرائه فأخبرته بالكافاف من ذلك، فقال: والله لأضعن الفضول موضوعها ولا أبلغن بالترجمة وإنما مثلي ومثل صاحبِي ثلاثة سلوكاً طريقاً وتزود الأول بلغ المنزل واتبع الآخر مقتدياً به كذلك ثم جاءه الثالث بعدهما فلأن افتئى طريقهما وزادهما لحق بهما وإلام يلنهما.

وفتحت في جادى من هذه السنة تكريت لأن أهل الجزيرة كانوا قد اجتمعوا إلى المربستان الذي كان بها وهم من الروم وإياد وتغلب والنصر ومعهم المشهارجة ليحموا أرض الجزيرة من ورائهم، فسرح إليهم سعد بن أبي وقاص بأمر عمر، كاتبه عبد الرحمن بن المعتمر وعلى مقدمته ربيع بن الأذكل وعلى الخيل عرفجة بن هرثمة، فحاصرتهم أربعمين يوماً ودخلوا العرب الذين معهم فكانوا يطلعنهم على أحوال الروم، ثم يشن الروم من أمرهم واعتزموا على ركوب السفن في دجلة للنجاة، فبعث العرب بذلك إلى المسلمين وسالوهم الأمان، فأجابوهم على أن

كفرتُ ثُمَّ نصيبيْنِ ثُمَّ ماردينِ ثُمَّ الموصلِ وفتحَ أحدَ حصنهَا، ثُمَّ سارَ إلَى أرزنِ الرومِ ففتحها ودخلَ الدُّرُبَ إلَى بَلْدَهُمْ. ثُمَّ خلاطَ فصالحُوهُ وانتهى إلَى أطرافِ أرمينية، ثُمَّ عادَ إلَى الرُّقةَ ومُضى إلَى حصنِ قُمَاتِ.

واستعملَ عمرُ عميرِ بنِ سعدِ الأنصاريِ ففتحَ رأسَ عينِ وقيلَ: إنَّ عياضاً هو الذي أرسلَهُ، وقيلَ: إنَّ أبي موسىَ الأشعريَ هو الذي افتتحَ رأسَ عينِ بعدَ وفاةِ عياضِ بولايةِ عمرِ، وقيلَ إنَّ خالداً حضرَ فتحَ الجزيرةَ معَ عياضِ ودخلَ الحمامَ بأمدِ فاطليِ بشيءٍ فيهِ خرٌّ وقيلَ: لم يسرَّ خالدٌ ثُمَّ لرأءَ أحدَ بعدَ أبي عبيدةِ. ولما فتحَ عياضَ سميساطَ بعثَ حبيبَ بنَ مسلمةَ إلَى ملطيةَ فتحها عنوةً ثُمَّ انتقضَ أهلُها فلما ولى معاويةَ الشامَ والجزيرةَ وجهَ إلَيْها حبيبَ بنَ مسلمةَ ففتحها عنوةً أيضًا ورتبَ فيهاَ الجندَ وولَّ عليها، ولما أدرَبَ عياضَ بنَ غنمَ من الجایةِ.

فرجعَ عمرَ إلَى المدينةِ سنةَ سبعَ عشرةَ وعلى حصنِ أبو عبيدةِ، وعلى قسرىنِ خالدِ بنِ الوليدِ من تختِهِ، وعلى دمشقِ يزيدِ، وعلى الأردنِ معاويةَ، وعلى فلسطينِ علامةَ بنِ مجيزَ، وعلى السواحلِ عبدَ اللهِ بنِ قيسِ. وشاعَ في الناسِ ما أصابَ خالدَ معَ عياضِ بنِ غنمَ من الأموالِ فاتَّجَّهَ رجالُ منهمُ الأشتَّتَ فَإِنْ كَانَ مِنْ مَالِهِ فَقَدْ أَسْرَفَ فَاعْزَلَهُ وَاضْسَمَ إِلَيْكَ عَمَلَهُ.

فاستدعاهُ أبو عبيدةَ وجمعَ النَّاسَ وجلسَ على التَّبرِ وسأَلَ اليَزِيدَ خالداً فلمْ يجيئْهُ، فقامَ بلاَلَ وانفذَ في أمرِ عمرِ وسائِلَهُ، فقالَ: مَنْ مَالَ فاطلَقَهُ وأعادَ قلنسوتهِ وعمَّاتهُ. ثُمَّ استدعاهُ عمرُ ف قالَ لَهُ: مَنْ أَبْنَى هَذَا الزَّرَاءَ؟ قَالَ: مَنْ الْأَنْفَالَ وَالسَّهْمَانَ وَمَا زَادَ عَلَى سِتِينَ الْفَأْوَهِ لَكَ فَجَمَعَ مَالَهُ فَزَادَ عَشْرِينَ فَجَعَلَهَا فِي بَيْتِ الْمَالِ ثُمَّ اسْتَصلَحَهُ.

وَفِي سَيِّعِ عَشْرَةِ هَذِهِ اعْتَمَرَ عَمَرُ وَوَسَعَ فِي الْمَسْجِدِ، وَأَقَامَ بِعَكْةِ عَشْرِينَ لَيْلَةً، وَهَدَمَ عَلَى مِنْ أَبْنَى الْبَيْعَ دُورَهُمْ لِذَلِكَ، وَكَانَتِ الْعَمَارَةُ فِي رِجْبٍ وَتَوَلَّهَا مَخْرَمَةُ بْنُ نَوْفَلٍ، وَالْأَزْهَرُ بْنُ عبدِ عَوْفٍ، وَحَوْرِيْبُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَسَعِيدُ بْنِ يَرِيْعَ، وَاسْتَأْذَنَهُ أَهْلَ الْمَاءِ أَنْ يَبْنُوا الْمَانَازِلَ بَيْنَ مَكَةَ وَالْمَدِينَةِ فَأَذْنَ لَهُمْ عَلَى شَرْطِ أَنْ يَبْنُوا أَحْقَى بِالظَّلَلِ وَالْمَاءِ.

## غزو فارس من البحرين وعزل العلاء عن البصرة ثم المغيرة

كان العلاء بن الحضرمي على البحرين أيام أبي بكر ثم

أميرَ إلَى كُورَتَهُ، وَخَرَجَ عَمَرُ مِنَ الْمَدِينَةِ فَأَتَى الجَاهِيَّةَ يَرِيدُ حُصْنَ مَغِيَّثًا لِأَبِي عَبِيدَةَ. وَلَا سَمِعَ أَهْلَ الْجَزِيرَةَ خَبَرَ الْجُنُودِ فَأَرْقَوْا هَرْقَلَ وَرَجَعُوا إِلَى بَلَادِهِمْ، وَزَحْفَ أَبْوَ عَبِيدَةَ إِلَى الرُّومِ فَانْهَمَّوا، وَقَدِمَ الْقَعْدَانُ مِنَ الْعَرَقَ بَعْدَ الرُّقْعَةِ بِثَلَاثَةِ، وَكَتَبُوا إِلَى عَمَرَ بِالْفَتْحِ فَكَتَبَ إِلَيْهِمْ أَنْ أَشْرَكُوا أَهْلَ الْعَرَقَ فِي الْغَنِيمَةِ.

وَسَارَ عِيَاضُ بْنُ غَنْمٍ إِلَى الْجَزِيرَةِ وَبَعْثَ سَهْيلَ بْنَ عَدِيَ إِلَى الرُّقةِ عَنْدَمَا اتَّقْبَضُوا عَنْ هَرْقَلَ فَنَهَضُوا مَعَهُ، إِلَى إِيَادَ بْنَ نَزَارٍ فَلَمْ يَنْهَمْ دُخُولَ أَرْضِ الرُّومِ. ثُمَّ بَعْثَ عِيَاضُ بْنَ سَهْيلَ وَعَبْدَ اللَّهِ يَضْمِهِمَا إِلَيْهِ، وَسَارَ بِالنَّاسِ إِلَى حَرَانَ فَأَجَابَهُ إِلَى الْجَزِيرَةِ. ثُمَّ سَرَحَ سَهِيْلًا وَعَبْدَ اللَّهِ إِلَى الرَّهَا فَأَجَابَهُ إِلَى الْجَزِيرَةِ، وَكَلِّمَ فَتْحَ الْجَزِيرَةِ. وَكَتَبَ أَبْوَ عَبِيدَةَ إِلَى عَمَرَ لَا رَجْعَ مِنَ الْجَاهِيَّةِ وَانْصَرَفَ مَعَهُ خَالِدٌ أَنْ يَضْمِ إِلَيْهِ عِيَاضَ بْنَ غَنْمٍ مَكَانَهُ فَقَعَلَ، وَوَلَّ حَبيبَ بْنَ مَسْلِمَةَ عَلَى عِجَمِ الْجَزِيرَةِ وَحَرَبَهَا وَالْوَلِيدَ بْنَ عَقبَةَ عَلَى عَرَبَهَا.

وَلَا يَلْغِي عَمَرُ دُخُولَ إِيَادَ إِلَى بَلَادِ الرُّومِ، كَتَبَ إِلَى هَرْقَلَ: بَلَغْنِي أَنَّ حَيَّاً مِنْ أَهْيَاءِ الْعَرَبِ تَرَكُوا دَارَنَا وَأَتَوْا دَارَكَ فَوَاللَّهِ لِتَخْرُجُهُمْ أَوْ لِتَخْرُجُنَّ النَّاصِارَى إِلَيْكَ، فَأَتَخْرُجُهُمْ هَرْقَلَ وَتَفَرَّقُ مِنْهُمْ أَرْبَعَةِ آلَافِ فِيمَا يَلِي الشَّامُ وَالْجَزِيرَةُ، وَأَبْوَ الْوَلِيدِ بْنَ عَقبَةَ أَنْ يَقْبِلَ مِنْ تَغْلِبِ إِلَى الإِسْلَامِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَمَرَ: إِنَّا ذَلِكَ فِي جَرِيَّةِ الْعَرَبِ الَّتِي فِيهَا مَكَةُ وَالْمَدِينَةُ وَالْمَدِينَةُ فَدَعَهُمْ عَلَى أَنْ لَا يَنْصُرُوا وَلِيَدًا وَلَا يَمْنُوا أَحَدًا مِنْهُمْ مِنَ الْإِسْلَامِ.

ثُمَّ وَقْدَرُوا إِلَى عَمَرِ فِي أَنْ يَضْعِفَ عَنْهُمْ اسْمَ الْجَزِيرَةِ فَجَعَلُوهَا الصَّدَقَةَ مَضَاعِفَةً ثُمَّ عَزَّلَ الْوَلِيدَ عَنْهُمْ لِسُطُونَهُ وَعَزْتَهُمْ، وَأَمَرَهُمْ فَرَاتَ بْنَ حَيَّانَ وَهَنْدَ بْنَ عَمْرُو الْحَمْلِيَّ، وَقَالَ أَبْنَ إِسْحَاقَ: إِنَّ فَتْحَ الْجَزِيرَةِ كَانَ سَنَةَ تَسْعَعَ عَشْرَةَ وَإِنْ سَعَدَا بَعْثَ إِلَيْهَا جَنْدَ مَعَ عِيَاضِ بْنِ غَنْمٍ وَفِيهِمْ أَبْنَهُ عَمَرٍ وَعِيَاضَ بْنِ غَنْمٍ، فَفَتَحَ عَمَرُ الرَّهَا بَلَ فَفَتَحَ عِيَاضَ الرَّهَا، وَصَالَحَ حَرَانَ، وَفَتَحَ أَبْوَ مُوسَى نَصِيبِيْنَ، وَبَعْثَ عَمَانَ بْنَ أَبْيَ الْعَاصِ مِنْ أَرْمِينِيَا فَصَالَحُوهُ عَلَى الْجَزِيرَةِ، ثُمَّ كَانَ فَتَحَ قِيَارِيَّةَ مِنْ فَلَسْطِينِ.

فَتَكُونُ الْجَزِيرَةُ عَلَى هَذَا مِنْ فَتَحِ أَهْلِ الْعَرَقِ وَالْأَكْثَرِ إِنْهَا مِنْ فَتَحِ أَهْلِ الشَّامِ. وَأَنَّ أَبْوَ عَبِيدَةَ سَيِّرَ عِيَاضَ بْنَ غَنْمٍ إِلَيْهَا، وَقَبِيلَ بْلَ اسْتَخْلَفَهُ لَمَّا تَوَفَّى، فَوَلَاهُ عَمَرُ عَلَى حُصْنِ قَسْرِيْنَ وَالْجَزِيرَةِ فَسَارَ إِلَيْهَا سَنَةَ ثَمَانَ عَشْرَةَ فِي خَسْنَةِ آلَافٍ فَانْتَهَ طَافَةَ إِلَى الرُّقةِ فَحاَصِرُوهَا حَتَّى صَالَحُوهَا عَلَى الْجَزِيرَةِ وَالْخَرَاجِ عَلَى الْفَلَاحِينِ. ثُمَّ سَارَ إِلَى حَرَانَ فَجَهَزَ عَلَيْهَا صَفْوَانَ بْنَ الْمَعْطَلِ وَحَبيبَ بْنَ مَسْلِمَةَ، وَسَارَ هُوَ إِلَى الرَّهَا فَحاَصِرُوهَا حَتَّى صَالَحُوهَا ثُمَّ رَجَعَ إِلَى حَرَانَ وَصَالَحُوهُمْ كَذَلِكَ، ثُمَّ فَتَحَ سَمِيَّسَاطَ وَسَرَوجَ وَرَأْسَ كَيْنَا فَصَالَحُوهُ عَلَى مَنْجَ كَذَلِكَ، ثُمَّ آمَدَ ثُمَّ مِيَافَارِقَيْنَ ثُمَّ

## بناء البصرة والكوفة

وفي هذه السنة وهي أربع عشرة بلغ عمر أن العرب تقرر بل تغيرت الوانهم ورأي ذلك في وجوه وفودهم فسلم ف قالوا: وخومة البلاد غيرنا، وقيل: إن حذيفة وكان مع سعد كتب بذلك إلى عمر فسأل عمر سعداً فقال: غيرتهم وخومة البلاد والعرب لا يوافقها من البلاد إلا ما وافق إيلها، فكتب إليه أن يبعث سلمان وحذيفة شرقيه فلم يرضيا إلا بقعة الكوفة فصليا فيها ودعيا أن تكون منزل ثبات، ورجع إلى سعد فكتب إلى القعاع عبد الله بن المعتمر أن يستخلفا على جندهما وبمحضها، وارتحل من المدائن فنزل الكوفة في الحرم سنة سبع عشرة لستين وشهرين من Woche القادمية ولثلاث سنتين وثمانية أشهر من ولاية عمر، وكتب إلى عمر أبا قد نزلت الكوفة بين الديرة والفرات برياً محرياً بين الجلاء والنصر وخيرت الناس بينهما وبين المدائن ومن أحبته تلك جعلته فيها مسلحة، فلما استقرروا بالكوفة ثاب إليهم ما فقدوه من حالمهم، ونزل أهل البصرة أيضاً متازم في وقت واحد مع أهل الكوفة بعد ثلاثة مرات نزلوها من قبل واستأذنوا جميعاً في بيان القصب، فكتب عمر: أن العسكرية أشد لحربيهم وأذكر لكم وما أحب أن أخالكم فابتدا بالقصب، ثم وقع الحريق في القصرين فاستأذنوا في البناء باللين فقال: انفعوا ولا يزيد أحد على ثلاثة بيوت ولا تظاولوا في البناء والزموا السنة تلزمكم الدولة، وكان على تنزيل الكوفة أبو هياج بن مالك، وعلى تنزيل البصرة أبو الحروب عاصم بن الدلف، وكانت ثغور الكوفة أربعة: حلوان وعلىها القعاع، ومسيدان وعليها ضرار بن الخطاب، وقرقيسيا وعليها عمر بن مالك، والموصلى وعليها عبد الله بن المعتمر، ويكون بها خلفاؤهم إذا غابوا.

## فتح الأهواز والسوس بعدها

لما نهزم الهرمزان يوم القادمية قصد خوزستان وهي قاعدة الأهواز فملكتها وملك سائر الأهواز، وكان أصله منهم من البيوتات السبعة في فارس، وأقام يغير على أهل ميسان ودست ميسان من ثغور البصرة يائي إليها من منادر ونهر تيري من ثغور الأهواز، واستمد عتبة بن غزوan سعداً فآمده بتعيم بن مقرن، وتعيم بن مسعود، فنزل بين ثغور البصرة وثغور الأهواز، وبعث عتبة بن غزوan سلمي بن القين وحرملة بن قريضة من بيبي العدوية من حنظلة فنزل على ثغور البصرة بمسان، ودعوا بيبي العين بن مالك وكانت رياضون خراسان، فأهل البلاد يامنونهم،

عزله عمر بقدامة بن مظعون ثم أعاده، وكان العلاء ينادى سعد بن أبي وقاص ووقع له في قتال أهل الردة ما وقع، فلما ظفر سعد بالقادمية كان أعظم من فعل العلاء، فاراد أن يؤثر في الفرس شيئاً فدب الناس إلى فارس وأجابوه، وفرتهم أجناضاً بين الجارود بن المعلى والسوار بن همام وخليد بن المنذر وأمّره على جميعهم وحمله في البحر إلى فارس بغیر إذن من عمر.

لأنه كان ينهى عن ذلك وأبو بكر قبله خوف الغرق، فخرجت الجشود إلى إصطخر وبإذنهم المريذ في أهل فارس، وحالوا بينهم وبين سفنهم فخاطبهم خليد وقال: إنما جتكم طهارتهم والسفن والأرض لم يغلب، ثم ناهدوهم واقتلوها بطوارس، وقتل الجارود والسوار وأمر خالد أصحابه أن يقاتلوا رجاله، وقتل من الفرس مقتلة عظيمة.

ثم خرج المسلمين نحو البصرة وأخذ الفرس عليهم الطريق فسكنوا وامتنعوا، وبلغ ذلك عمر فأرسل إلى عتبة بالبصرة يأمره بإلقاء جيش كثيف إلى المسلمين بفارس قبل أن يهلكوا، وأمر العلاء بالانصراف عن البحرين إلى سعد بمن معه، فأرسل عتبة الجنود التي عشر ألف مقاتل فيهم عاصم بن عمرو وعرفجة بن هرثمة والأحلف بن قيس وأمثالهم عليهم أبو سيرة بن أبي رهم من عامر بن لوبي، فساحل الناس حتى لقي خليداً والعسكر، وقد تداعى إليهم بعد وقعة طاوس أهل فارس من كل ناحية، فقاتلوا وأنهزم المشركون وقتلوا، ثم انتفأوا بما أصابوا من العذاب واستحقهم عتبة بالرجوع فرجعوا إلى البصرة، ثم استأذن عتبة في الحج فأذن له عمر فحج، ثم استغفأه أبيه وعزمه عليه ليرجع إليه عمله فاضر ومات يطعن مثلثة على رأس ثلاث سنتين من مفارقة سعد، واستخلف على عمله أبا سيرة بن أبي رهم فاقرئ عمر بقية السنة.

ثم استعمل المغيرة بن شعبة عليهما، وكان ينهى وبين أبيه بكرة منافرة وكانت مجاورة في مشربيين ينفذ البصر من إحداهما إلى الأخرى من كوربين، فزعموا إن أبا بكرة وزياد ابن أبيه وهو آخره لأمه وآخرين معهم عاينوا المغيرة على حالة قنفذه بها ادعوا الشهادة ومتنه أبو بكرة من الصلاة، ويعشا إلى عمر، فبعث أبا موسى أميراً في تسعه وعشرين من الصحابة فيهم أنس بن مالك وعمران بن حصين وهشام بن عامر ومعهم كتاب عمر إلى المغيرة: أما بعد فقد بلغني عنك نباً عظيم وبعثت أبا موسى أميراً فسلم إليه ما في يدك والعجل، ولما استحضرهم عمر اختلوا في الشهادة ولم يستكملاها زياد فجلد الثلاثة، ثم عزل أبا موسى عن البصرة بعمر بن سراقة ثم صرفه إلى الكوفة ورد أبا موسى فقام عليه.

فاستجابوا وجاء منهم غالب الوائي وكليب بن وائل الكلبي فلقيا سلمي وحرملة وواعداهما الثورة بمنادر ونهر تيري. وبهض سلمي وحرملة يوم المولد في التعبية وأنهض نعيمًا والتقو هم والهرمزان وسلمي على أهل البصرة ونعمى على أهل الكوفة، وأقبل إليهمما المدد من قبل غالب وكليب وقد ملك منادر ونهر تيري، فانهزم الهرمزان وقتل المسلمين من أهل فارس مقتلة، وانتهوا في اتباعهم إلى شاطئ دجليل وملكوا ما دونها. وعبر الهرمزان جسر سوق الأهواز وصل دجليل بينه وبين المسلمين، ثم طلب الهرمزان الصلح فصالحوه على الأهواز كلها ما خلا نهر تيري ومنادر وما غلبوه عليه من سوق الأهواز فإنه لا يرد، وبقية صالح على نهر تيري ومنادر وفيهما غالب وكليب. ثم وقع بينهما وبين الهرمزان اختلاف في التخوم ووافقاهما سلمي وحرملة فنقض الهرمزان ومنع ما قبله وكتف جونده بالأكراد، وبعث عتبة بن غزوان حرقوص بن زعير السعدي لقتاله، فانهزم وسار إلى رام هرمز وقتتح حرقوص سوق الأهواز ونزل بها واتسعت له البلاد إلى تستر.

ووضع المزبة وكتب بالفتح وبعث في أثر الهرمزان جزء بن معاوية فانتهى إلى قرية الشغر، ثم إلى دورق فملكها وأقام بالبلاد وعمها وطلب الهرمزان الصلح على ما يبقى من البلاد.

ولنزر حرقوص جبل الأهواز وكان يزدجرد في خلال ذلك يمد ويحرض أهل فارس حتى اجتمعوا وتعاهدوا مع أهل الأهواز على النصرة، وبلغت الأخبار حرقوصاً وجذراً وسلمي وحرملة فكتبا إلى عمر فكتب إلى سعد أن يبعث جنداً كثيناً مع النعمان بن مقرن ينزلون منازل الهرمزان، وكتب إلى أبي موسى أن يبعث كذلك جنداً كثيناً مع سعد بن عدي أخي سهيل ويكون فيهم البراء بن مالك ومجزأة بن ثور وعرفجة بن هرثمة وغيرهم، وعلى الجندين أبو سيرة بن أبي رهم: فخرج النعمان بن مقرن في أهل الكوفة فخلف حرقوصاً وسلمي وحرملة إلى الهرمزان وهو برام هرمز، فلما سمع الهرمزان بمسير النعمان إليه بادره الشدة ولقيه فانهزم ولحق بستره، وجاء النعمان إلى رام هرمز فنزلها وجاء أهل البصرة من بعده فلتحقهم خبر الواقعية بسوق الأهواز فساروا حتى اتوا تستر.

ولتحقهم النعمان فاجتمعوا على تستر وبها الهرمزان، وأمدتهم عمر ببني موسى جعله على أهل البصرة فحاصروههم أشهرًا وأکثروا فيهم القتل، وزاحفهم المشركون ثمانيين زحفا سجالاً ثم انهزموا في آخرها، واقتتحم المسلمين خانداتهم وأحاطوا بها وضاق عليهم الحصار فاستأمن بعضهم من داخل البلد بمكتوب في سهم على أن يدخلهم على مدخل يدخلون منه، فانتدب

ولما لحق أبو سيرة بالسوس ونزل عليها وبها شهريار آخر الهرمزان فاحتاط بها ومعه المقرب بن ربيعة في جند البصرة، فسأل أهل السوس الصلح فأجابوه. وسار النعمان بن مقرن بأهل الكوفة إلى نهاوند وقد اجتمع بها الأعاجم، وسار المقرب إلى زر بن عبد الله على جند يسابور فحاصروها مدة ثم رمى السهم بالآمان من خارج على الجزية فخرجو للذلك، فناكرواهم المسلمين فإذا عبد فعل ذلك أصله منهم، فاضطرب عمر أمانه. وقيل في قتيع السوس: إن يزدجرد سار بعد وقعة جلواء فنزل إصطخر ومعه سياه في سبعين الفاً من فارس فبعثه إلى السوس ونزل الكلباتية وبعث الهرمزان إلى تستر، ثم كانت واقعة أبي موسى فحاصرهم فالصالحوه على الجزية وسار إلى هرمز ثم إلى تستر. ونزل سياه بين

وسار عمر بالناس إلى الشام وانتهى إلى سرغ ولقبه أمراء الأجناد وأخبروه بشدة الربا، واختلف الناس عليه في قدد معه فقبل إشارة العود ورجع، وأخبر عبد الرحمن بن عوف بما سمع من رسول الله ﷺ في أمر الربا فقال: «إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخربوا فراراً منه». أخرجاه في الصحيحين.

ولما هلك يزيد ولي عمر على دمشق مكانه أخاه معاوية بن أبي سفيان وعلى الأرض شرحبيل بن حسنة، ولما فحش أثر الطاعون بالشام أجمع عمر المسير إليه ليقسم مواريث المسلمين ويتطهرون على التغور فعل ذلك، ورجع واستقضى في سنة ثمانية عشرة على الكوفة شريح بن الحارث الكلبي، وعلى البصرة كعب بن سوار الأزدي.

وبح في هذه السنة. وبقال: إن فتح جلواء والمدائن والجزيره كان في هذه السنة وقد تقدم ذكر ذلك وكذلك فتح قيسارية على يد معاوية وقيل: سنة عشرين.

## فتح مصر

ولما فتح عمر بيت المقدس استأذنه عمرو بن العاص في فتح مصر فاغراه ثم أتبعه الزبير بن العوام فساروا سنة عشرين أو إحدى أو إثنين أو خمس فاقتحموا باب إلبيون ثم ساروا في قرى الريف إلى مصر ولقيهم الجاثليق أبو مریم والأسقف قد بعثه المقوس، وجاء أبو مریم إلى عمرو فعرض الجزية والمنع وأخبره بما أوصى به رسول الله ﷺ في شأنهم، وأجلهم ثلاثة ورجعوا إلى المقوس وأرطبوه أمير الروم فأبى من ذلك أرطبون و Zum الحرب وبيت المسلمين فهزمه وجده. ونازلا عين شمس وهي الطيرية وبعثوا لخصار الفورفا أبى ربه بن الصباح، ولخصار الإسكندرية عوف بن مالك، فراسلهم أهل البلاد وانتظروا عين شمس فحاصرهم عمرو والزبير مدة حتى صالحوهما على الجزية، وأجروا ما أخذوا قبل ذلك عنوة، فجرى الصلح وشرطوا رد السبيا فأمضاه لهم عمر بن الخطاب على أن يحيى السبيا في الإسلام وكتب العهد بينهم ونصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم ودمهم وأموالهم وكافتهم وصاعهم ومنهم لا يزيد شيء في ذلك ولا ينقضى ولا يساكتهم الشوب، وعلى أهل مصر أن يعطوا الجزية إذا اجتمعوا على هذا الصلح وانتهت زيادة

رامهرمز وتستر.

وحل أصحابه على صلح أبي موسى ثم على الإسلام على أن يقاتلوا الأعاجم ولا يقتلو العرب ويعتبرهم هو من العرب، ويلحق بالشرف العطاء فأعطاهم ذلك عمر وأسلموا وشهدوا فتح تستر، ومضى سياه إلى بعض الحصون في زي العجم فنذرهم وفتحه للMuslimين وكان فتح تستر وما بعدها ستة سبع عشرة وقيل ست عشرة.

## مسير المسلمين إلى الجهات للفتح

لما جاء الأخفف بن قيس بالمرمنزان إلى عمر قال له: يا أمير المؤمنين! لا يزال أهل فارس يقاتلوننا ما دام ملوكهم فيهم فلو أذنت بالاسياح في بلادهم فازلنا ملوكهم انقطع رجاؤهم، فامر أبا موسى أن يسير من البصرة غير بعيد حتى يأتني أمره، ثم بعث إليه مع سهيل بن عدي بالريبة الأمراء الذين يسيرون في بلاد العجم لواء خراسان للأخفف بن قيس، ولواء أردشير خرت وسابور مجاشع بن مسعود السلمي، ولواء إصطخر لعمان بن أبي العاص الثقفي، ولواء فسا ودارابجرد لسارية بن زئيم الكتاني، ولواء كرمان لسهيل بن عدي، ولواء سجستان لعاصم بن عمرو، ولواء مكران للحكم بن عمير الغنوي. ولم يتها سيرهم إلا سنة ثمانية عشرة، وبقال: سنة إحدى وعشرين أو إثنين وعشرين، ثم ساروا في بلاد العجم وفتحوا كما يذكر بعد.

## جماعة عام الرمادة وطاعون عمواس

وأصحاب الناس سنة ثمانية عشرة قحط شديد وجدب أعقب جوحاً بعد العهد به مثله مع طاعون أنى على جميع الناس، وحلف عمر لا يذوق السمن واللبن حتى يحيى الناس، وكتب إلى الأمراء بالأقصى يستدهم لأهل المدينة، فجاء أبو عبيدة باربعة آلاف راحلة من الطعام، وأصلاح عمرو بن العاص بحر القلزم وأرسل فيه الطعام من مصر فرخص السعر، واستنقى عمر بالناس فخطب الناس وصلى. ثم قام وأخذ ييد العباس وترسل به ثم بكى وجثا على ركبته يدعى إلى أن مطر الناس. وهلك بالطاعون أبو عبيدة ومعاذ ويزيد بن أبي سفيان والحرث بن هشام وسهيل بن عمرو وابنه عتبة في آخرین أشالم. وتفانى الناس بالشام، وكتب عمر إلى أبي عبيدة أن يرفع بالMuslimين من الأرض التي هو بها فدعا آبا موسى يرتاد له منزلًا ومات قبل رحلته.

قال: من خليفتك على الكوفة؟ قال: عبد الله بن عبد الله بن عتبان فامرء وشأنه مخبر الأعاجم وأشار بالانسياخ ليكون أهيـب على العدو.

فجمع عمر الناس واستشارهم بالسير بنفسه، فمن موافق ومخالـف إلى أن اتفق رأيـهم على أن يبعث الجنود ويقيم ردـماً لهم، وكان ذلك رأـيـ عليـ وعثمانـ وطلحةـ وغيرـهمـ، فولـى علىـ حربـهمـ التـعمـانـ بنـ مـقرـنـ الـزـنـيـ وكانـ علىـ جـنـدـ الـكـوـفـةـ بعدـ نـصـراـهـمـ منـ حـصارـ السـوـسـ، وأـمـرـهـ أـنـ يـصـيرـ إـلـىـ مـاءـ لـتـجـمـعـ الـجـيـوشـ عـلـيـهـ وـسـيـرـهـ إـلـىـ الـفـيـرـزـانـ وـمـنـ مـعـهـ، وـكـتـبـ إـلـىـ عـبـدـ الـلـهـ بـنـ عـبـدـ الـلـهـ بـنـ عـتبـانـ أـنـ يـسـتـفـرـ النـاسـ مـنـ التـعـمـانـ، فـعـثـمـ مـعـ حـذـيقـةـ بـنـ الـيـمانـ وـمـعـ نـعـيمـ بـنـ مـقـرـنـ، وـكـتـبـ إـلـىـ الـقـرـبـ وـحـرـمـةـ وـزـرـ الـذـينـ كـانـوـ بـالـأـهـواـزـ وـقـتـحـوـ السـوـسـ وـجـنـديـسـابـورـ أـنـ يـقـيمـواـ بـتـخـرـمـ أـصـيـهـانـ وـفـارـسـ وـيـقطـمـوـ الـمـدـ عـنـ أـهـلـ نـهـاـونـدـ.

وـاجـتـمـعـ النـاسـ عـلـىـ التـعـمـانـ وـفـيـهـ حـذـيقـةـ وـجـرـيرـ وـالـغـيـرـةـ وـابـنـ عـمـ وـأـمـاـلـهـمـ، وـأـرـسـلـ التـعـمـانـ طـلـيـحةـ وـعـمـرـ وـعـمـرـ وـبـنـ مـعـدـ كـرـبـ طـلـيـحةـ، وـرـجـعـ عـمـرـ وـمـنـ طـرـيـقـةـ. وـاتـهـيـ طـلـيـحةـ إـلـىـ نـهـاـونـدـ وـنـقـضـ الـطـرـقـ فـلـمـ يـلـقـ بـهـ أـحـدـاـ وـأـخـبـرـ النـاسـ، فـرـحـلـ التـعـمـانـ وـعـبـيـ الـمـسـلـمـيـنـ تـلـاثـيـنـ الـلـيـلـةـ، وـجـلـ عـلـىـ مـقـدـمـتـهـ نـعـيمـ بـنـ مـقـرـنـ وـعـلـىـ مـجـبـيـهـ حـذـيقـةـ بـنـ الـيـمانـ وـسـوـيدـ بـنـ مـقـرـنـ وـعـلـىـ الـمـغـرـدـةـ الـقـعـنـاعـ وـعـلـىـ السـاقـةـ مـجـاشـعـ بـنـ مـسـعـودـ. وـعـبـيـ الـفـيـرـزـانـ كـاتـبـهـ وـعـلـىـ مـجـبـيـهـ زـرـدقـ وـبـهـمـ جـادـوـيـهـ مـكـانـ ذـيـ الـحـاجـبـ، وـقـدـ تـوـافـقـ إـلـيـهـمـ بـنـهـاـونـدـ كـلـ مـنـ غـابـ مـنـ الـقـادـسـيـةـ مـنـ أـطـاـلـهـمـ.

فـلـمـ تـرـاءـيـ الـجـمـعـانـ كـبـرـ الـسـلـمـونـ وـحـطـتـ الـعـرـبـ الـأـنـقـالـ وـتـبـادـرـ أـشـرـافـ الـكـوـفـةـ إـلـىـ فـسـطـاطـ الـتـعـمـانـ فـبـنـهـاـ حـذـيقـةـ بـنـ الـيـمانـ وـالـمـغـرـدـةـ بـنـ شـبـةـ وـعـقـبةـ بـنـ عـمـرـ وـجـرـيرـ بـنـ عـبـدـ الـلـهـ وـحـنـظـلـةـ الـكـاتـبـ وـبـيـشـرـ بـنـ الـخـاصـاصـيـةـ وـالـأـشـعـثـ بـنـ قـيسـ وـوـائـلـ بـنـ حـسـرـ وـسـعـيدـ بـنـ قـيسـ الـهـمـدـانـيـ. ثـمـ تـزـاحـفـوـ لـلـقـتـالـ يـوـمـ الـأـرـبـاعـ وـالـخـمـسـ وـالـحـرـبـ سـجـالـ ثـمـ أحـجـرـوـهـمـ فـيـ خـنـادـقـ وـيـنـدـقـوـهـمـ، وـحـاصـرـوـهـمـ أـيـامـ، وـشـمـ الـسـلـمـونـ اـعـصـامـهـمـ بـالـخـنـادـقـ وـتـشـارـوـرـهـمـ، وـأـشـارـ طـلـيـحةـ باـسـتـخـارـهـمـ لـلـمـنـاجـةـ بـالـاستـطـرـادـ فـنـاشـهـمـ الـقـعـنـاعـ فـيـرـزـواـ إـلـيـهـ كـائـنـهـمـ حـبـالـ حـدـيدـ قـدـ توـاقـتـواـ أـنـ لـاـ يـفـرـواـ وـالـقـوـاـ حـسـكـ الـحـدـيدـ خـلـلـهـمـ لـلـاـ يـنـهـزـمـواـ.

فـلـمـ بـارـزـواـ اـسـتـطـرـدـهـمـ حـتـىـ فـارـقـواـ الـخـنـادـقـ وـقـدـ ثـبـتـهـمـ الـسـلـمـونـ وـنـزـلـ الصـبـرـ، ثـمـ وـقـفـ الـتـعـمـانـ عـلـىـ الـكـاتـبـ وـحـرـضـ الـمـسـلـمـيـنـ وـدـعـاـ لـنـفـسـهـ بـالـشـهـادـةـ، وـقـالـ: إـذـ كـبـرـ الـثـالـثـةـ فـأـحـلـوـاـ. ثـمـ كـبـرـ وـحـلـ عـنـ الـزـوـالـ وـتـجـاـولـ النـاسـ سـاعـةـ وـرـكـدـ الـحـرـبـ ثـمـ انـفـضـ الـأـعـاجـمـ وـانـهـزـمـواـ وـقـتـلـوـاـ مـاـ بـيـنـ الـظـهـرـ وـالـعـتـمـةـ حـتـىـ سـالتـ

نـهـرـمـ خـسـينـ أـلـفـ أـلـفـ وـعـلـيـهـ مـنـ جـنـيـ نـصـرـهـمـ فـإـنـ أـبـيـ أـحـدـ مـنـهـمـ أـنـ يـحـبـ رـفـعـ عـنـهـمـ مـنـ الـجـزـيـةـ بـعـدـهـمـ وـذـمـتـاـ مـنـ أـبـيـ بـرـيـةـ وـإـنـ نـقـصـ نـهـرـهـمـ مـنـ غـايـتـهـ إـذـ اـنـهـيـ رـفـعـ عـنـهـمـ بـقـدـرـ ذـلـكـ، وـمـنـ دـخـلـ فـيـ صـلـحـهـمـ مـنـ الـرـومـ وـالـنـوبـ فـلـهـ مـاـ هـلـمـ وـعـلـيـهـ مـاـ عـلـيـهـ وـمـنـ أـبـيـ وـاخـتـارـ الـذـهـابـ فـهـوـ آمـنـ حـتـىـ يـلـخـ مـأـمـهـ وـيـخـرـجـ مـنـ سـلـطـانـاتـاـ، وـعـلـيـهـمـ مـاـ عـلـيـهـمـ أـلـاثـاـتـاـ فـكـلـ ثـلـثـ جـبـيـةـ ثـلـثـ مـاـ عـلـيـهـ عـلـىـ مـاـ فـيـ هـذـاـ الـكـتـابـ عـهـدـ الـلـهـ وـذـمـهـ وـذـمـةـ رـسـوـلـهـ وـذـمـةـ الـخـلـيـفةـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ وـذـمـ الـمـؤـمـنـينـ. وـعـلـىـ الـتـوـبـ الـذـيـنـ اـسـتـجـابـوـاـ أـنـ يـعـيـشـواـ بـكـذـاـ وـكـذـاـ رـأـسـاـ وـكـذـاـ وـكـذـاـ فـرـسـاـ عـلـىـ أـنـ لـاـ يـغـزـوـاـ وـلـاـ يـمـنـعـوـاـ مـنـ تـجـارـةـ صـادـرـةـ وـلـاـ وـارـدـةـ. شـهـدـ الـزـبـرـ وـعـبدـ الـلـهـ وـعـمـدـ اـبـاهـ وـكـبـ وـرـدـانـ وـحـضـرـ هـذـاـ نـصـ الـكـتـابـ مـقـرـلاـ مـنـ الطـبـريـ.

قال: فـدـخـلـ فـيـ ذـلـكـ أـهـلـ مـصـرـ كـلـهـمـ وـقـبـلـوـ الـصلـحـ وـنـزـلـ الـمـسـلـمـوـنـ الـفـسـطـاطـ، وـجـاهـ أـبـرـ مـرـيمـ الـجـائـلـيـقـ يـطـلـبـ السـبـاـيـاـ الـتـيـ بـعـدـ الـمـعرـكـةـ فـيـ أـيـامـ الـأـجـلـ فـأـبـيـ عـمـرـ وـرـهـاـ وـقـالـ: أـغـارـوـاـ وـقـاتـلـوـاـ وـقـسـمـهـمـ فـيـ النـاسـ، وـبـلـخـ مـأـمـهـ فـلـيـعـثـهـمـ فـيـ أـيـامـ الـأـجـلـ فـلـهـ الـأـمـانـ وـيـعـثـهـمـ إـلـىـ الدـقـاقـ فـرـدـهـمـ عـلـيـهـمـ. ثـمـ سـارـ عـمـرـ إـلـىـ الـإـسـكـنـدـرـيـةـ فـاجـتـمـعـ لـهـ مـنـ بـيـهـاـ وـبـيـهـاـ الـمـقـرـقـسـ وـسـالـهـ الـهـدـنـةـ إـلـىـ مـدـةـ فـلـمـ يـبـيـهـ وـحـاصـرـهـمـ ثـلـاثـةـ أـشـهـرـ ثـمـ فـتـحـهـاـ عنـهـ وـغـنـمـ مـاـ فـيـهـ وـجـعـلـهـمـ ذـمـةـ. وـقـبـلـ: إـنـ الـمـقـرـقـسـ صـالـحـ عـمـرـاـ عـلـىـ أـثـيـرـ الـفـيـرـزـانـ عـلـىـ أـنـ يـخـرـجـ مـنـ بـيـهـ وـيـقـيمـ مـنـ يـقـيمـ بـاـخـيـارـهـمـ وـجـعـلـ عـمـرـ وـفـيـهـ جـنـدـاـ.

وـلـاـ تـمـ فـتـحـ مـصـرـ وـالـإـسـكـنـدـرـيـةـ أـغـزـىـ عـمـرـ وـالـعـسـكـرـ إـلـىـ الـنـوـيـةـ فـلـمـ يـظـفـرـوـاـ، فـلـمـ كـانـ أـيـامـ عـمـرـ وـعـبـدـ الـلـهـ بـنـ أـبـيـ سـرـحـ عـلـىـ مـصـرـ صـالـحـهـمـ عـلـىـ عـدـةـ رـؤـوسـ فـيـ كـلـ سـنـةـ وـيـهـدـيـهـمـ الـمـسـلـمـوـنـ طـعـاماـ وـكـسـوةـ فـاسـتـمـرـ ذـلـكـ فـيـمـاـ بـعـدـ.

## وقعة نهاؤند وما كان بعدها من الفتوحات

لـمـ فـتـحـ الـأـهـواـزـ وـيـزـدـجـردـ بـمـرـ كـاتـبـهـ وـاسـتـجـدـوـهـ، فـبـعـثـ إـلـىـ الـمـلـوـكـ مـاـ بـيـنـ الـبـابـ وـالـسـنـدـ وـخـرـاسـانـ وـحـلـوانـ وـيـسـتمـدـهـ فـاجـابـهـ، وـاجـتـمـعـوـاـ إـلـىـ نـهـاـونـدـ وـعـلـىـ الـفـرـسـ الـفـيـرـزـانـ فـيـ مـشـةـ وـخـسـينـ أـلـفـ أـلـفـ وـعـلـيـهـ مـنـ جـنـيـ نـصـرـهـمـ فـإـنـ أـبـيـ أـحـدـ مـنـهـمـ أـنـ يـحـبـ رـفـعـ عـنـهـمـ مـنـ الـجـزـيـةـ بـعـدـهـمـ وـذـمـتـاـ مـنـ أـبـيـ بـرـيـةـ وـإـنـ نـقـصـ نـهـرـهـمـ مـنـ غـايـتـهـ إـذـ اـنـهـيـ رـفـعـ عـنـهـمـ بـقـدـرـ ذـلـكـ، وـمـنـ دـخـلـ فـيـ صـلـحـهـمـ مـنـ الـرـومـ وـالـنـوبـ فـلـهـ مـاـ هـلـمـ وـعـلـيـهـ مـاـ عـلـيـهـ وـمـنـ أـبـيـ وـاخـتـارـ الـذـهـابـ فـهـوـ آمـنـ حـتـىـ يـلـخـ مـأـمـهـ وـيـخـرـجـ مـنـ سـلـطـانـاتـاـ، وـعـلـيـهـمـ مـاـ عـلـيـهـمـ أـلـاثـاـتـاـ فـكـلـ ثـلـثـ جـبـيـةـ ثـلـثـ مـاـ عـلـيـهـ عـلـىـ مـاـ فـيـ هـذـاـ الـكـتـابـ عـهـدـ الـلـهـ وـذـمـهـ وـذـمـةـ رـسـوـلـهـ وـذـمـةـ الـخـلـيـفةـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ وـذـمـ الـمـؤـمـنـينـ. وـعـلـىـ الـتـوـبـ الـذـيـنـ اـسـتـجـابـوـاـ أـنـ يـعـيـشـواـ بـكـذـاـ وـكـذـاـ رـأـسـاـ وـكـذـاـ وـكـذـاـ فـرـسـاـ عـلـىـ أـنـ لـاـ يـغـزـوـاـ وـلـاـ يـمـنـعـوـاـ مـنـ تـجـارـةـ صـادـرـةـ وـلـاـ وـارـدـةـ. شـهـدـ الـزـبـرـ وـعـبدـ الـلـهـ وـعـمـدـ اـبـاهـ وـكـبـ وـرـدـانـ وـحـضـرـ هـذـاـ نـصـ الـكـتـابـ مـقـرـلاـ مـنـ الطـبـريـ.

آخر. وولى مكانه زياد بن حنظلة حليف لبني عبد قصي واستغنى فأغفاه، وولى عمار بن ياسر، واستدعي ابن مسعود من حصن فيبعث معه معلماً لأهل الكوفة، وأملاهم بابي موسى، وأمد أهل البصرة مكانه بعد الله بن عبد الله، ثم بعثه إلى أصحابه مكان حذيفة، وولى على البصرة عمرو بن سراقة.

ثم انتقض أهل همدان فبعث إلى نعيم بن مقرن يحاصرهم، وصار بعد فتحها إلى خراسان، وبعث عتبة بن فرقان وبكر بن عبد الله إلى أذربیجان فدخل أحدهما من حلوان والآخر من الموصل، ولما وصل عبد الله بن عبد الله بن عتبان إلى أصحابه، وكان من الصحابة من وجوه الأنصار حليف بني الحبلي فآلهه بابي موسى، وجعل على مجيئيه عبد الله بن ورقاء الرياحي وعاصمة بن عبد الله، فسار إلى نهاوند ورجع حذيفة إلى عمله على ما سقت دجلة. فسار عبد الله بن معه ومن تبعه من عند النعمان نحو أصحابه، وعلى جندها الأسبيدان وعلى مقدمة شهريار بن جادويه في جمع عظيم برستاق أصحابه، فاقتلونا ويأز عبد الله بن ورقاء شهريار فقتلهم المسلمون، وبعث الخمس من السائب إلى عمر وأخبره بالواقعة وبالفتح ومن استشهد فيكى، وبالصفين فقال: ضعهما في بيت المال والحق بمنبك. قال السائب: ثم لحقني رسوله بالكوفة فردني إليه فلما رأته قال: ما لي وللسائب ما هو إلا أن غدت الليلة التي خرجت فيها بيات الملاتكة تحجبي إلى السفين يشعلان ناراً يتواجهان بالكي إن لم أقسمهما فخذلها عني وبعهما في أرذاف المسلمين. فبعثهما بالكوفة من عمرو بن حرث المخزومي بالفيفي الف درهم وباعهما عمرو بأرض الأعاجم بضعفهما، فكان له بالكوفة مال.

ثم ساروا إلى أصحابه -وتسمى جي- وملكتها القادوسفان، فصالحهم على الجزية والخيار بين المقام والذهب وقال: ولكن أرض من ذهب. وقدم أبو موسى على عبد الله من ناحية الأهواز فدخل معه أصحابه وكتبوا إلى عمر بالفتح. فكتب إلى عبد الله أن يسيروا إلى سهيل بن عدي لقتال كرمان، فاستخلف على أصحابه السائب بن الأقرع، ولحق بهم قبل أن يصل كرمان. وقد قيل: إن النعمان بن مقرن حضر فتح أصحابه إليها عمر من المدينة واستجاش له أهل الكوفة فقتل في حرب أصحابه، وال الصحيح أن النعمان قتل بهاوند. وافتتح أبو موسى قم وقاشان. ثم ول عمر على الكوفة ستة إحدى وعشرين فتيرة بن شعبة وزعزع عماراً.

### فتح همدان

كان أهل همدان قد صالح عليهم خشرشونم القعاع ونعمياً وضمنهما ثم انتقض فكتب عمر إلى نعيم أن يقصدها فودع حذيفة ورجع إليها من الطريق على تعبيته، فاستولى على بلادها أجمع حتى صالحوه على الجزية، وقيل: إن فتحها كان سنة أربع وعشرين في بينما نعيم يحول في نواحي همدان إذ جاءه الخبر بخروج الدليم وأهل الري وأسفنديار آخر رستم بأهل أذربیجان،

أرض المعركة دما تزلق فيه المشاة حتى زلت فيه النعمان وصرع، وقيل بل أصحابه سهم، فسجه آخره نعيم بشوب. وتناول الرابية حذيفة بعهده وتواصلوا بكتمان موته. وذهب الأعاجم ليلاً وعميت عليهم المذاهب، وعقرهم حسك الجديد ووقعوا في اللهيب الذي أعدوه في عسكرهم فمات منهم أكثر من مئة ألف منها نحو ثلاثين ألفاً في المعركة، وهرب الفيزران بعد أن صرخ إلى همدان واتبعه نعيم بن مقرن فأداركه بالشيبة دونها وقد سلطها الأحوال وتراجل وصعد في الجبل، وكان نعيم قد قدم القعاع أمامه فاعتربه وقتله المسلمين على الشيبة، ودخل الفيل همدان وبها خسرشونم فنزل المسلمون عليها مع نعيم والقعقاع.

ودخل المسلمين نهاوند يوم الرقة وغنموا ما فيها وجمهو إلى صاحب الأقباض السائب بن الأقرع.

وولي على الجند حذيفة بعهد النعمان إليه. ثم جاء المربي صاحب بيت النار إلى حذيفة فامنه وأخرج له صفين مليونين جوهراً فنيساً كانا من دخائل كسرى أو دعهما عنده البحرجان فنقلهما المسلمون، وبعث الخمس من السائب إلى عمر وأخبره بالواقعه وبالفتح ومن استشهد فيكى، وبالصفين فقال: ضعهما في بيت المال والحق بمنبك. قال السائب: ثم لحقني رسوله بالكوفة فردني إليه فلما رأته قال: ما لي وللسائب ما هو إلا أن غدت الليلة التي خرجت فيها بيات الملاتكة تحجبي إلى السفين يشعلان ناراً يتواجهان بالكي إن لم أقسمهما فخذلها عني وبعهما في أرذاف المسلمين. فبعثهما بالكوفة من عمرو بن حرث المخزومي بالفيفي الف درهم وباعهما عمرو بأرض الأعاجم بضعفهما، فكان له بالكوفة مال.

وكان سهم الفارس بهاوند ستة آلاف والراجل الفين ولم يكن للفرس بعدها اجتماع. وكان أبو لؤلؤة قاتل عمر من أهل نهاوند حصل في أسر الروم وأسره الفرس منهم، فكان إذا لقي سبي نهاوند بالمدينة يبكي ويقول: أكل عمر كبدى. وكان أبو موسى الأشعري قد حضر نهاوند على أهل البصرة فلما انصرف مر بالدينور فحاصروها خمسة أيام، ثم صالحوه على الجزية. وسار إلى أهل شيروان فصالحوه كذلك. وبعث السائب بن الأقرع إلى العيرة ففتحها صلحًا.

ولما اشتد الحصار بأهل همدان بعث خشرشونم إلى نعيم والقعقاع في الصلح على قبول الجزية فأجابوه إلى ذلك ثم اقتدى أهل الماهين وهو الملك الذين جاؤوا لنصرة يزدجرد بأهل همدان، ويعثروا إلى حذيفة فصالحوه. وأمر عمر بالانتساب في بلاد الأعاجم، وزعزع عبد الله بن عبد الله بن عتبان عن الكوفة وبعثه في وجه

مهزوماً من واقعة نعيم معهم أبو حرود دون همدان وهو آخر رسمت فهزمه بكر وأسره. فقال له: أسكنني عندك فاصالح لك على البلاد وإنما فروا إلى الجبال وتركوها، وتحصن من تحصن إلى يوم ما فامسكه وسارط البلاد صلحاً إلا الحصون. وقدم عليه سماك وهو في مثل ذلك وقد افتح ما يليه وافتتح عتبة بن فرقان ما يليه.

وكتب بكر إلى عمر يستأنفه في التقدم، فأنذن له أن يتقدم نحو الباب وأن يستخلف على ما افتح، فاستخلف عتبة بن فرقان وجمع له عمر أذربيجان كلها، فولى عتبة سماك بن خرشة على ما افتحه بكر. وكان بهرام بن الفرزخزاد قصد طريق عتبة وأقام به في عسكره مقتصداً بل معتراضاً له فلقيه عتبة وهزم، وبلغ خبره إلى الإسفندiar وهو أسير عند بكر فصالحه واتبعه أهل أذربيجان كلهم. وكتب بكر وعقبة بذلك إلى عمر ويعثوا بالأحساس فكتب عمر لأهل أذربيجان كتاب الصلح، ثم غزا عتبة بن فرقان شهرزور والصامغان ففتحهما بعد قتال على الجزية والخراج، وقتل خلقاً من الأكراد، وكتب إلى عمر إن فتوحه بلغت أذربيجان فولاذه إياها وولى هرثمة بن عرفجة الموصلى.

### فتح الموصل الباب

ولما افتح أمر عمر بكر بن عبد الله بغزو الباب والتقدم إليها، بعث سراقة بن عمرو على حرها فسار من البصرة، وجعل مقدمته عبد الرحمن بن ربيعة وعلى إحدى جنبتيه ابن أسيد الغفارى وعلى الأخرى بكر بن عبد الله المقدم وعلى المقاسم سلمان بن ربيعة الباهلى، ورد أبا موسى الأشعري إلى البصرة مكان سراقة، ثم أمد سراقة مجيبة بن مسلمة من الجزيرة وجعل مكانه زياد بن حنظلة، وسار سراقة من أذربيجان، فلما وصل عبد الرحمن بن ربيعة في مقدمته على الباب والملك بها يوتذ من ولد شهريار الذي أفسد بني إسرائيل وأغرى الشام منهم، فكتبه منهم شهريار واستأتمه على أن يأتي فحضر وطلب الصلح والمادعة على أن تكون جزئه النصر والطاعة لل المسلمين، قال: ولا تسمون الجزية فتوهوننا لعدوكم. فسيطر عبد الرحمن إلى سراقة قبل منه وقال: لا بد من الجزية على من يقيم ولا يحارب العدو. فأجابوا، وكتبوا إلى عمر فأجاز ذلك.

### فتح موقع وجبل أرمينية

ولما فرغ سراقة من الباب بعث أمراء إلى ماليه من الجبال

فاستخلف نعيم على همدان يزيد بن قيس المداني وسار إليه فاقتتلوا وانهزم الفرس وكانت واقعتها مثل نهاوند وأعظم. وكتبوا إلى عمر بالفتح فأمر نعيم بقصد الري والمقام بها بعد فتحها. وقيل: إن المغيرة بن شعبة أرسل من الكوفة جرير بن عبد الله إلى همدان ففتحها صلحاً وغلب على أرضها، وقيل: تو لها بنفسه وجرير على مقدمته. ولما فتح جرير همدان بعث البراء بن عازب إلى قزوين ففتح ما قبلها وسار إليها، فاستجدوا بالدليل فوعدهم ثم جاء البراء في المسلمين فخرجوا لقتالهم والدليل وقف بأعلى الجبل ينظرون، فيتش أهل قزوين منهم وصالحوا البراء على صلح أبهر قبلها. ثم غزا البراء الدليم وجilan.

### فتح الري

ولما انصرف نعيم من واقعته سار إلى الري وخرج إليه أبو الفران من أهلها في الصلح وأبى ذلك ملكها سياوخشن بن مهران بن بهرام جوين، واستمد أهل دنباؤند وطبرستان وقومس وجرجان فأمروه والتقوا مع نعيم فشغلاه عن المدينة، وقد كان خلفهم أبو فران. ودخل المدينة من الليل ومعه المثدر بن عمر ووانو نعيم فلزموا وقتلاه وأفاء الله على المسلمين بالتكبير من ورائهم، فانهزموا وقتلاه وأفاء الله على المسلمين بالرثى مثلما كان بالمدائن، وصالحه أبو الفران الزبي على البلاد فلم ينزل شرفهم في عقبه. وأخرب نعيم مديتها العتيقة وأمر ببناء أخرى. وكتب إلى عمر بالفتح وصالحه أهل دنباؤند على الجزية فقبل منهم.

ولما بعث بالأحساس إلى عمر كتب إليه يراسل أخيه سويد إلى قومه ومعه هند بن عمرو الجملى، فسار فلس يقسم له أحد وأخذها سلماً وعسكر بها. وكتبه الفل الذين بطبرستان وبالمساواز فصالحوه على الجزية، ثم سار إلى جرجان وعسكر فيها بيسطام وصالحه ملكها على الجزية، وتلقاه مرزبان صول قبل جرجان فكان معه حتى جبل خراج وأراه مروجها وسددها، وقيل: كان فتحها سنة ثلاثين أيام عثمان، ثم أرسل سويد إلى الأصبهين صاحب طبرستان على المادعة فقبل وعقد له بذلك.

### فتح أذربيجان

ولما افتح نعيم الري أمره عمر أن يبعث سماك بن خرشة الأنصارى إلى أذربيجان عدلاً لبكر بن عبد الله، وكان بكر بن عبد الله عندما سار إلى أذربيجان لقى بالجبال أسفندiar بن قرخزاد

الشاهجان حارثة بن النعمان الباهلي وجعل مدد الكوفة في مقدمته، فالتقوا هم ويزدجرد على بلخ فهزمه وعبر النهر فلدهم الأخف وقد فتح الله عليهم، ودخل أهل خراسان في الصلح ما بين نيسابور وطخارستان. وولى على طخارستان ربيع بن عامر، وعاد إلى مرو الروذ فنزلها وكتب إلى عمر بالفتح، فكتب إليه أن يقتصر على ما ودون النهر.

وكان يزدجرد وهو بموالى الروذ قد استنجد ملوك الأمم وكتب إلى ملك الصين وإلى خاقان ملك الترك وإلى ملك الصند، فلما عبر يزدجرد النهر منهزاً الجهد خاقان في الترك وأهل فرغانة والصند، فرجع يزدجرد وخاقان إلى خراسان فنزل بلخ، واجتمع المسلمين إلى الأخف بموالى الروذ وزلل المشركون عليه، ثم رحل ونزل سفح الجبل في عشرين ألفاً من أهل البصرة وأهل الكوفة ومحصن العسكرية بالخنادق وأقاموا يقاتلون أيامه، وصاحبهم الأخف ليلة وقد خرج فارس من الترك يضرب بطلبه ويتلوه إثنان كذلك، ثم يخرج العسكر بعدهم عادة لهم، فقتل الأخف الأول ثم الثاني ثم الثالث فلما من بهم خاقان شام وتطير ورجع أدراجه فارتخل وعاد إلى بلخ، وبلغ الخبر إلى يزدجرد وكان على مرو الشاهجان حاصراً حارثة بن النعمان ومن معه فجمع خزانته وأجمع اللحاق بخاقان على بلخ، فمنعه أهل فارس وحملوه على صلح المسلمين والركون إليهم وإنهم أوفى ذمة من الترك، فلابي من ذلك وقاتلهم فهزموه واستولوا على الخزائن.

ولحق بخاقان وعبروا النهر إلى فرغانة، وأقسام يزدجرد بيلد الترك أيام عمر كلها إلى أن كفر أهل خراسان أيام عثمان. ثم جاء الأخف بموالى لهم من خراسان، وقد تقدم أن يزدجرد سار بعد جلواء إلى الري وبها ابن جادويه من مازريته فأكرهه على خاقان، وكتب الضحاك بما اقترح من ذخائر يزدجرد وختم عليها وبعثها إلى سعد، فردها عليه على حكم الصلح الذي عقد له. ثم سار يزدجرد والناس معه إلى أصحابه ثم إلى كرمان ثم رجع إلى مرو من خراسان فنزلها وأمن من العرب، وكاتب هرمزان وأهل فارس بالأموال والفيزارن وأهل الجبال فنكثوا جميعاً وهزمهم الله وخذلهم وأذن عمر للMuslimين بالانسياح في بلادهم.

ولما وصل الخبر إلى عمر خطب الناس وقال: إلا وإن ملك الجروسية قد ذهب فليسوا يملكون من بلادهم شيئاً يضر بمسلم، إلا وإن الله قد أورتكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأبناءهم لينظرون

المحيطة بأمر مينية، فأرسل بكر بن عبد الله إلى موغان، وحبيب بن مسلمة إلى نهليس، وحنفية بن اليمان إلى جبال اللات، وسلمان بن ربيعة إلى الوجه الآخر. وكتب بالخبر إلى عمر فلم يرج تمام ذلك لأنّه فرج عظيم، ثم بلغه موت سراقة واستخلف عبد الرحمن بن ربيعة، فأقره عمر على فرج الباب وأمره بغزو الترك. ولم يفتح أحد من أولئك الأمراء إلا بكر بن عبد الله فإنه فتح موغان، ثم تراجعوا على الجزية ديناراً عن كل حمل.

## غزو الترك

ولما أمر عبد الرحمن بن ربيعة بغزو الترك سار حتى جاء الباب وسار معه شهريار فغزا بلنجر وهم قوم من الترك ففروا منه وتحصنوا، وبلغت خلية على ماتني فرسخ من بلنجر وعاد بالظفر والخانق، ولم يزل يردد النزول فيهم إلى أيام عثمان فتذامر الترك وكانتوا يعتقدون أن المسلمين لا يقتلون لأن الملائكة معهم تمعهم، فاصابوا في هذه الغزوة رجالاً من المسلمين على غرة فقتلوه وتجاسروا، وقاتل عبد الرحمن فقتل وانكشف أصحابه، وأخذ الرابية آخره سلمان فخرج بالناس ومعه أبو هريرة الدوسي فسلكوا على جيلان إلى جرجان.

## فتح خراسان

ولما عقدت الأولية للأمراء للانسياح في بلاد فارس كان الأخف بن قيس منهم من خراسان، وقد تقدم أن يزدجرد سار بعد جلواء إلى الري وبها ابن جادويه من مازريته فأكرهه على خاقان، وكتب الضحاك بما اقترح من ذخائر يزدجرد وختم عليها وبعثها إلى سعد، فردها عليه على حكم الصلح الذي عقد له. ثم سار يزدجرد والناس معه إلى أصحابه ثم إلى كرمان ثم رجع إلى مرو من خراسان فنزلها وأمن من العرب، وكاتب هرمزان وأهل فارس بالأموال والفيزارن وأهل الجبال فنكثوا جميعاً وهزمهم الله وخذلهم وأذن عمر للMuslimين بالانسياح في بلادهم.

وأمر الأمراء كما قدمناه وعقد لهم الأولية، فسار الأخف إلى خراسان سنة ثمانين عشرة وقيل التسعين وعشرين فدخلها من الطسين، وافتتح هرآ عنزة واستخلف عليها صحار بن فلال العبدى، ثم سار إلى مرو الشاهجان، وأرسل إلى نيسابور مطرف بن عبد الله بن الشخير، وإلى سرخس المرث بن حسان، ودرج يزدجرد من مرو الشاهجان إلى مرو الروذ فملكها الأخف ولحقه مدد أهل الكوفة هنالك، فسار إلى مرو الروذ واستخلف على

فارس واقتلوها بصحراء، وقام عمر على التبر ونادي: يا سارية الجبل! يشير إلى جبل كان إزاءه أن يستند إليه، فسمع ذلك سارية وجأ إليه ثم انهزم المشركون، وأصاب المسلمين مغاثهم وكان فيها صفت جوهر فاستوهبه سارية من الناس، وبعث به مع الفتح إلى عمر، ولما قدم به الرسول سأله عمر فأخبره عن كل شيء، ودفع إليه السقط فأبى إلا أن يقسم على الجند فرجع به وقسمه سارية.

كرمان: وقصد سهيل بن عدي من أمراء الانسياب كرمان ولحق به عبد الله بن عبد الله بن عتبان، وحشد أهل كرمان واستعاناً بالقصص وقاتلوا المسلمين في أدنى أرضهم فهزموهم بأذن الله، وأخذ المسلمين عليهم الطريق بل الطريق ودخل البشیر بن عمرو العجلي إلى جيرفت وقتل في طريقه مربیان كرمان، وعبد الله بن عبد الله من مفارقة شير وأصابوا ما أرادوا من إيل وشاء، وقيل: إن الذي فتح كرمان عبد الله بل بدبل بن ورقاء الخزاعي، ثم أتى الطبسين من كرمان، ثم قدم على عمر وقال:

أقطعني الطبسين، فاراد أن يفعل فقال: إنهم رستاقان فامتنع.

سجستان: وقصد عاصم بن عمرو من أمراء سجستان ولحق به عبد الله بن عمير وقاتلوا أهل سجستان في أدنى أرضهم فهزموهم وحرصوهم بزرنج وخرروا أرض سجستان، ثم طلبوا الصلح على مديتهم وأرضها، على أن الفرات هي، ويسقي أهل سجستان على الخراج وكانت أعظم من خراسان وأبعد فروجاً يقاتلون الفتح والترك وأماماً أخرى، فلما كان زمان معاوية هرب الشاه من أخيه زنبيل ملك الترك إلى بلد من سجستان يدعى أمل، وكان على سجستان سلم بن زيد بن أبي سفيان فقد له وأنزله أمل، وكتب إلى معاوية بذلك فأقره بغیر تکير وقال: إن هؤلاء قوم غدر وأموتون ما يجيئون منهم إذا وقع اضطراب أن يغلبوا على بلاد آمل باسرها، فكان كذلك. وكفر الشاه بعد معاوية وغلب على بلاد آمل واعتضم منه زنبيل بـكـانـهـ، وطبع هو في زريق فحاصرها حتى جاءت الأمداد من البصرة فأجلفوا عنها.

مکران: وقصد الحكم بن عمرو التغلبي من أمراء الانسياب بلد مکران ولحق بها شهاب بن المخارق وجاء سهيل بن عدي وعبد الله بن عبد الله بن عتبان واتهوا جميعاً إلى دوین وأهل مکران على شاطئية وقد أدمهم أهل السندي بجيش كتف، ولقيهم المسلمون فهزموهم وأخروا فيهم بالقتل، واتبعوهم أياماً حتى انتهوا إلى النهر ورجعوا إلى مکران فاقاموا بها ويعثروا إلى عمر بالفتح والأخاس، فقال: والله لا يغزوها جيش لي أبداً وكتب إلى سهيل عليها شراً، فقال: وبـالـهـ لاـ يـغـزوـهاـ جـيشـ ليـ أـبـداـ وـكـبـرـ إلىـ سـهـيلـ

كيف تعملون فلا تبدلوا فيستبدل الله بكم غيركم، فإبني لا أخاف على هذه الأمة إلا أن توتى من قبلكم.

## فتح فارس

ولما خرج الأمراء الذين توجهوا إلى فارس من البصرة افترقا وسار كل أمير إلى جهةه وبلغ ذلك أهل فارس فافتقرقا إلى بلدائهم وكانت تلك هزيمتهم وشتاتهم. وقصد مجاشع بن مسعود من الأمراء سابور وأردشير خرت فاعترضه الفرس دونهما بتوج فقتلهم وأخزن فيهم، وفتح توج واستباحها وصالحهم على الجزية وأرسل بالفتح والأخاس إلى عمر، فكانت واقعة توج هذه ثانية لواقعة العلاء بن الحضرمي عليهم أيام طاوس ثم دعوا إلى الجزية فرجعوا فاقروا بها.

إصطخر: وقصد عثمان بن أبي العاص إصطخر فزحفوا إليه بجور، فهزموهم وأخزن فيهم وفتح جور وإصطخر ووضع عليهم الجزية وأجابه المربد إليها، وكان ناس منهم فروا فتزاجروا إليها، وبعث بالفتح والخمس إلى عمر، ثم فتح كازرون والتربندجان وغلب على أرضها، ولحق به أبو موسى فافتتح مدينة شيراز وأرجان على الجزية والخارج، وقصد عثمان حيناً ففتحها ولقي الفرس بناحية جهرم فهزموه وفتحها، ثم تقض شهرك في أول خلافة عثمان فبعث عثمان بن أبي العاص ابنه وأخاه الحكم وأتته الأمداد من البصرة وعليهم عبد الله بن عمر وشبل بن عبد والتقدوا بـأـرضـ فـارـسـ، فـانـهـزـمـ شـهـرـكـ وـقـتـلـهـ الحكمـ بنـ أبيـ العاصـ وـقـيلـ: سـوارـ بنـ هـمامـ العـبدـيـ.

وقيل: أن ابن شهرك حمل على سوار فقتله، ويقال: أن إصطخر كانت سنة ثمانين وعشرين وقيل: تسع وعشرين، وقيل: إن عثمان بن أبي العاص أرسل أخيه الحكم من البحرين إلى فارس في الثمين، فسار إلى توج وعلى مبنية الجارود وأبو صفرة والد المهلب، وكان كسرى أرسل شهرك في الجند للقادهم، فالتقدوا بتوج وهزمهم إلى سابور وقتل شهرك وحاصروا مدينة سابور حتى صالح عليها ملكها واستعاناً به على قتال إصطخر، ثم مات عمر رضي الله عنه، وبعث عثمان بن عفان عبد الله بن معمراً مكان عثمان بن أبي العاص وأقام حاصراً إصطخر وأراد ملك سابور الغدر به، ثم أحضر وأصابت عبد الله حجارة منجنيق فمات بها، ثم فتحوا المدينة فقتلوا بها بشراً كثيراً منهم.

بساؤدارا بجدد: وقصد سارية بن زنيم الكناني من أمراء الانسياب مدينة بـسـاـ وـدارـاـ بـجـددـ فـاحـصـرـهمـ، ثم استجاشوا بـأـكـرـادـ

## خبر الأكراد

ودخل أبو لؤلؤة في الناس وبهذه خبر برأسين نصابه في وسطه، فضرب عمر ست ضربات إحداها تحت سرتة، وقتل كليباً بن أبي البكير الليثي، وسقط عمر فاستخلف عبد الرحمن بن عوف على الصلاة واحتمل إلى بيته.

ثم دعا عبد الرحمن وقال: أريد أن أعهد إليك! قال: فتشير علي بها؟ قال: لا! قال: والله لا أفعل. قال: فهو صمتاً حتى أعهد إلى النفر الذين توفي رسول الله عليه السلام وهو عنهم راغب. ثم دعا عليه وعثمان والزبير وسعداً وعبد الرحمن منهم، وقال انتظروا طلحة ثالثاً فإن جاءه والإفاضوا أمركم، وناشد الله من يفضي إليه الأمر منهم أن يجعل أقاربه على رقباب الناس، وأوصاهم بالأنصار الذين تبأوا الدار والإيمان أن يحسن إلى محسنتهم ويعفوا عن مسيئتهم، وأوصى بالعرب فإنهم مادة الإسلام أن تؤخذ صدقاتهم فترضى في فقرائهم، وأوصى بذمة رسول الله عليه السلام أن يوقي لهم بعهدهم، ثم قال: اللهم قد بلغت لقد تركت الخليفة من بعدي على أنقى من الراحة.

ثم دعا أبو طلحة الأنباري فقال: قم على باب هؤلاء ولا تدع أحداً يدخل إليهم حتى يقضوا أمرهم. ثم قال: يا عبد الله بن عمر أخرج فانظر من قتلي؟ قال: يا أمير المؤمنين قتلك أبو لؤلؤة غلام المنيرة. قال: الحمد لله الذي لم يجعل مني يد رجل سجد لله سجدة واحدة. ثم بعث إلى عائشة يستأذنها في دفنه مع رسول الله عليه السلام وأبي بكر فاذنت له. ثم قال: يا عبد الله إن اختلف القوم فكن مع الأكثر، فإن تساوا فكن مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف.

ثم أذن للناس فدخل المهاجرين والأنصار فقال لهم: أهذا عن ملأ منكم؟ فقالوا: معاذ الله! وجاء علي وابن عباس فقعدا عنه راسه، وجاء الطيب فسقاه نبينا فخرج متغرياً ثم لبساً فخرج كذلك، فقال له: إعهد! قال: قد فعلت! ولم يزل يذكر الله إلى أن توفي ليلة الأربعاء لثلاث بين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين، وصلى عليه صهيب وذلك لشهر سبعين وستة أشهر من خلافته.

وجاء أبو طلحة الأنباري ومعه المقداد بن الأسود، وقد كان أمرهما عمر أن يجمعوا هؤلاء الرهط الستة في مكان ويلزماهما أن يقدموا للناس من يختاروه منهم وإن اختلفوا كان الاتباع للأكثر وإن تساوا حكموا عبد الله بن عمر أو اتبعوا عبد الرحمن بن عوف، ويوجههم في ذلك ثالثاً يصلى فيها بالناس صهيب ومجضر عبد الله بن عمر معهم مشيراً ليس له شيء من الأمر وطلحة شريكهم إن قدم في الثلاث ليال. فجمعهم أبو طلحة والمقداد في بيت المسور بن خمرة وقيل: في بيت عائشة.

كان أمر النساء الانسياخ لما فصلوا إلى التراخي، حتى اجتمع بيروذ بن نهر تيري ومنادر من أهل الأهواز جموع من الأعاجم أعظمهم الأكراد، وكان عمر قد عهد إلى أبي موسى أن يسير إلى أقصى تحوم البصرة ردماً للأمراء المساحين، فجاء إلى بيروذ وقتل تلك الجموع قتالاً شديداً وقتل المهاجر بن زياد. ثم وهن الله المشركين فتحصنتوا منه في قلة وذلة، فاستخلف أبو موسى عليهم أخيه الربيع بن زياد وسار إلى أصحابه مع المسلمين الذين يحاصرونها حتى إذا فتحت رجع إلى البصرة. وفتح الربيع بن زياد بيروذ وغنم ما فيها ولحق به بالبصرة ويعثر إلى عمر بالفتح والأحساء، وأراد ضبة بن عصون العزيز أن يكون في الوفد فلم يجده أبو موسى، فغضب واطلق شاكياً إلى عمر بانتقامه سفين غلاماً من أبناء الدهاقن لنفسه وأنه أجاز الخطيبة بالف وول زياد بن أبي سفيان أمور البصرة، واعتذر أبو موسى وقبله عمر. وكان عمر قد اجتمع إليه جيش من المسلمين فبعث عليهم سلامة بن قيس الأشعري ودفعهم إلى الجهاد على عادته وأوصاهم، فلقوها عدواً من الأكراد المشركين فدعاهم إلى الإسلام أو الجزية، فأبوا وقاتلتهم وهزمونهم وقتلوا وسبوا وقسموا الغنائم، ورأى سلامة جوهرًا في سقط فاسترضي المسلمين وبعث به إلى عمر فسأل الرسول عن أمر الناس حتى أخبره بالسفط فغضب وأمر به فرجي في عنقه، وقال: أسرع قبل أن تفرق الناس ليقسمه سلامة فيهم فباء سلامة وقسمه في الناس وكان الفص بياع بخمسة دراهم وقيمه عشرون ألفاً.

## مُقْتَلُ عَمِّرْ وَأَمِّرِ الشُّورِيِّ وَبَيْعَةِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

كان للمنيرة بن شعبة مولى من نصارى العجم اسمه أبو لؤلؤة وكان يشدد عليه في الخراج، فلقي يوماً عمر في السوق فشكى إليه وقال: أعدني على المنيرة فإنه يشق علي في الخراج درهرين في كل يوم، قال: وما صنعتك؟ قال: نجار حداد نقاش، فقال: ليس ذلك بكثير على هذه الصنائع وقد بلغني أنك تقول أصنع رحى تطحن بالربيع فاصنع لي رحى. قال: أصنع لك رحى يتحدث الناس بها أهل الشرق والمغرب، وانصرف، فقال عمر: توعلني العلج.

فلما أصبح خرج عمر إلى الصلاة واستوت الصفوف

وأطال النظر فيه ثم رده إليه، ومعهم جفينة نصرياني من أهل الحيرة. فلما طعن عمر من الغدأة قال عبد الرحمن بن أبي بكرة لعيid الله بن عمر: إني رأيت هؤلاء الثلاثة يتاجرون فلما رأوني افترقا وسقط منهم هذا الخنجر، فعدا عبد الله عليهم فقتلتهم ثلاثة، وأمسكه سعد بن أبي وقاص وجاء به إلى عثمان بعد البيعة وهو في المسجد فأشار على بقتله، وقال عمرو بن العاص: لا يقتل عمر بالأمس ويقتل ابنه اليوم، فجعلها عثمان دية واحتملها وقال: أنا وليه. ثم قام عثمان وصعد المنبر وبابع الناس كافة، وولى لوقته سعد بن أبي وقاص على الكوفة وعزل المغيرة وذلك بوصية عمر لأنها أوصى بتولية سعد، وقال لم أعزله عن سوء ولا خيانة منه. وقبل إنما ولاه وعزل المغيرة بعد سنة وإنما أفرأى أول أمره عمال عمر كلهم.

### نقض أهل الإسكندرية وفتحها

لما سار هرقل إلى القسطنطينية وفارق الشام واستولى المسلمين على الإسكندرية وبقي الروم بها تحت أيديهم، فاتبعوا هرقل فاستجدوه فبعث إليهم عسكراً مع متولي الخصي ونزلوا بساحل الإسكندرية لمنعهم المقوس من الدخول إليه، فساروا إلى مصر ولقيهم عمرو بن العاص والمسلمون فهزموهم واتبعهم إلى الإسكندرية، وانخروا فيها بالقتل وقتل قائدهم متولي الخصي، وكانوا قد أخذوا في مسيرهم إلى مصر أموال أهل القرى فردها عمرو عليهم بالبينة ثم هدم سور الإسكندرية ورجع إلى مصر.

### ولاية الوليد بن عقبة الكوفة وصلح أرمينية وأذربيجان

وفي سنة خمس وعشرين عزل عثمان سعداً عن الكوفة لأنه كان افترضاً من عبد الله بن مسعود من بيت المال قرضاً، وتقاضاه ابن مسعود فلم يسر سعد فتلاحياً وتراجياً بالقيبح وافتلقاً يتلامسان، وتدخلت بينهما العصبية، وبلغ الخبر عثمان فعزل سعداً واستدعي الوليد بن عقبة من الجبيرة، وكان على غريبها منذ ولاه عمر، فولاه عثمان على الكوفة فكان مكان سعد. ثم عزل عتبة بن فرقان عن أذربيجان فتلقساً، فغزاهم الوليد وعلى مقدمته عبد الله بن شبيل الأحسبي فأغار على أهل موغان والبرزند والطيلسان ففتح وغنم وسبي، وطلب أهل كور أذربيجان الصلح فصالحهم على صلح حذيفة ثم ثمانمائة درهم وبقبض المال.

وجاء عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة فجلساً بالباب فحصبهما سعد وأقامهما وقال: تربدان أن تقولا حضرنا وكنا في أهل الشورى. ثم دار بينهم الكلام وتنافسوا في الأمر، فقال عبد الرحمن: أيكم يخرج منها نفسه ويجهد فوليها أفضلكم وأنا أفعل ذلك؟ فرضي القوم وسكت علي. فقال: ما تقول على شريطة أن تؤثر الحق ولا تتبع الموى ولا تخصل ذا رحم ولا تأثر الأمة نصراً وتعطينا العهد بذلك. قال: وتعطوني أنت مواتيتك على أن تكونوا معي على من خالق وترضوا من اخترت؟ وتوافقوا. ثم قال علي: أنت تقول إنك أحق من حضر بقرباتك وسوابيك وحسن أترك في الدين ولم تبعد في نفسك؟ فمن ترى أحق فيه بعده من هؤلاء؟ قال: عثمان! وخلا بعثمان فقال له مثل ذلك فقال: علي.

ودار عبد الرحمن ليلاً كلها يلقى أصحاب رسول الله ﷺ ومن يرافقه بالمدينة من أمراء الأجناد وأشراف الناس ويشيرهم إلى صيحة الرابع، فأنى منزل المسور بن خرمدة وخلا فيه بالزبير وسعد أن يتراكماً الأمر لعلي أو عثمان فائفقاً على علي، ثم قال له سعد: يا بعث لنفسك وأرجحنا فقال: قد خلعت لهم نفسى على أن أختار ولم أ فعل ما أردتها.

ثم استدعي عبد الرحمن عليه وعثمان فناجى كلاًً منهما إلى أن رضوا بل إلى أن صلوا الصبح ولا يعلم أحد ما قالوا. ثم جمع المهاجرين وأهل المساجد من الأنصار وأمراء الأجناد حتى غص المسجد بهم، فقال: أشيراً على، فأشار عمار بعلى ووافقه المقاد. فقال ابن سرح: إن أردت أن لا تختلف قريش في أيام عثمان ووافقه عبد الله بن أبي ربيعة، فتفاوضوا وتشاوروا ونادي سعد: يا عبد الرحمن أفرغ قبل أن يفتتن الناس. فقال: نظرت وشاورت فلا تجعل لها الرهط على أنفسكم سبيلاً.

ثم قال علي: عليك عهد الله وميثاقه لتعلمن بكتاب الله وستة رسوله وسيرة الخليتين من بعده، قال: أرجوا أن أجتهد ببل أن أفعل ببلع علمي وطاقتني. وقال لعثمان مثل ذلك فقال: نعم. فرفع رأسه إلى المسجد ويده في يد عثمان، وقال: اللهم اشهد أني قد جعلت ما في عنقي من ذلك في عنق عثمان فيباعه الناس.

ثم قدم طلحة في ذلك اليوم فأنى عثمان، فقال له عثمان: أنت على الخيار في الأمر وإن أتيت ردتها. فقال: أكل الناس بایعوك؟ قال: نعم. قال: رضيت، ولا أرغب بما أجمع عليه.

وكانت العجم بالمدينة يستروح بعضها إلى بعض، ومر أبو لؤلؤة بالهرمزان ويده الخنجر الذي طعن به عمر فتناوله من يده

الرضاعة، فكتب إلى عثمان يشكرو عمراً فاستقدمه واستقل عبد الله بالخراج وال الحرب وأمره بغزو إفريقيا. وقد كان عمرو بن العاص سنة إحدى وعشرين سار من مصر إلى برقة فصالح أهلها على الجزية ثم سار إلى طرابلس فحاصرها شهراً، وكانت مكشوفة السور من جانب البحر وسفن الروم في مرساها فحضر القوم في بعض الأيام وانكشف أمرها لبعض المسلمين المحاصرين فاقتحموا البلد بين البحر والبيوت فلم يكن للروم ملجاً إلا سفناً.

وارتفع الصيام فأقبل عمرو بعساكره فدخل البلد ولم تفلت الروم إلا بما خف في المراكب، ورجع إلى مدينة صبرة وقد كانوا قد آمنوا بمعتقد طرابلس فسبحهم المسلمون ودخلوها عنزة، وكمل الفتح ورجع عمرو إلى برقة فصالح أهلها على ثلاثة عشر ألف دينار جزية وكان أكثر أهل برقة لوانة. وكان يقال أن البرير ساروا بعد قتل ملكهم جالوت إلى المغرب وانتهوا إلى ليبيا ومرأة كورتان من كور مصر، فصارت زتابة ومحيلة من البرير إلى المغرب فسكنوا الجبال وسكتت لوتة برقة وتعرف قديماً إنطابليس، واتشروا إلى السوس وزلت هواة مدينة لبدة وزلت نفوس مدينة صبرة وجلوا من كان هنالك من الروم، وأقام الأفارق وهم خدم الروم ويفتحهم على صلح يزدونه إلى من غلب عليهم إلى أن كان صلح عمرو بن العاص. ثم إن عبد الله بن أبي سرح كان أسره عثمان بغزو إفريقيا سنة خمس وعشرين، وقال له: إن فتح الله عليك ذلك خمس الخميس من الغائم. وأمر عقبة بن نافع عبد القيس على جند عبد الله بن نافع بن الحمرث على آخر وسرحهما فخرجا إلى إفريقيا في عشرة آلاف وصالحهما أهلها على مال يزدونه ولم يقدروا على التوغل فيها لكثرتها أهلها.

ثم لما ولّ عبد الله بن أبي سرح استاذن عثمان في ذلك واستشهد، فاستشار عثمان الصحابة فأشاروا به، فجهز العساكر من المدينة وفيهم جماعة من الصحابة منهم ابن عباس وأبن عمر وأبن عمرو بن العاص وأبن جعفر والحسن والحسين وأبن الزبير وساروا مع عبد الله بن أبي سرح سنة ست وعشرين، ولقيهم عقبة بن نافع فيمن معه من المسلمين ببرقة، ثم ساروا إلى طرابلس فنهبوا الروم عندها، ثم ساروا إلى إفريقيا ويشوا السرايا في كل ناحية، وكان ملكهم جرير يملك ما بين طرابلس وطنجة تحت ولاية هرقل ويحمل إليه الخراج، فلما بلغه الخبر جمع مائة وعشرين ألفاً من العساكر ولقيهم على يوم وليلة من سبيطة دار ملكهم وأقاموا يقتلون ودعوه إلى الإسلام أو الجزية فاستكثروا، ولحقهم عبد الرحمن بن الزبير مددًا بعثه عثمان لما أبطرت أخبارهم، وسعوا جرجير بوصول المدد فقت في عضده، وشهد ابن الزبير مهم

ثم بث سراياه وبعث سلمان بن ربيعة الباهلي إلى أهل أرمينة في اثنى عشر ألفاً فسار فيها وأتى، ثم انصرف إلى الوليد وعاد الوليد إلى الكوفة وجعل طريقه على الموصل، فلقيه كتاب عثمان بأن الروم أجلبوا على معاوية بالشام فابعث إليه رجالاً من أهل النجدة والباس في عشرة آلاف عند قراءة الكتاب.

بعث الوليد الناس مع سلمان بن ربيعة ثمانية آلاف ومضوا إلى الشام ودخلوا أرض الروم مع حبيب بن مسلمة، فشنوا عليه بالغارات وافتتحوا الحصون، وقيل: إن الذي أمد حبيب بن مسلمة بسلمان بن ربيعة هو سعيد بن العاص، وذلك أن عثمان كتب إلى معاوية أن يعزز حبيب بن مسلمة في أهل الشام أرمينة فبعثه وحاصر قاليقلا حتى نزلوا على الجلاء أو الجزيرة، فجلا كثيراً إلى بلاد الروم وأقام فيها فيمن معه أشهراً.

ثم بلغه أن بطريك أرميناق وهي بلاد ملطية وسيواس وقونية إلى خليج قسطنطينية قد زحف إليه في ثمانين ألفاً، فاستجذب معاوية فكتب إلى عثمان فأمر سعيد بن العاص بإمداد حبيب فأمده سلمان في ستة آلاف، وبيت الروم فهزمهم وعاد إلى قاليقلا، ثم سار في البلاد فجاء بطريك خلاط وبيده أمان عياض بن غنم وحمل ما عليهم من المال فنزل حبيب خلاط، ثم سار منها فصالحه صاحب السيرجان ثم صاحب أرستان ثم صالح أهل دبيل بعد الحصار، ثم أهل بلاد السيرجان كلهم. ثم أتى أهل شميشاط فحاربوه فهزمهم وغلب على حصونهم، ثم صالحه بطريك خرزان على بلاده وسار إلى تقليس فصالحه وفتح عدة حصون ومدن تجاورها.

وسار ابن ربيعة الباهلي إلى أران صالح أهل البيلقان على الجزيرة والخرج، ثم أهل بردعة كذلك وقراماً وقاتل أكراد البوشنجان وظفر بهم صالح بضمهم على الجزيرة، وفتح مدينة شمكور وهي التي سميت بعد ذلك التركية، وسار سلمان حتى فتح فلية صالح كسر على الجزيرة وملوكها شرون وسائر ملوك الجبال إلى مدينة الباب وانصرفوها. ثم غزا معاوية الروم وبلغ عموريه ووجد ما بين أنطاكية وطرسوس من الحصون خالياً فجمع فيها العساكر حتى رجع وخر بها.

## ولاية عبد الله بن أبي سرح على مصر وفتح إفريقيا

وفي سنة ست وعشرين عزل عثمان عمرو بن العاص عن خراج مصر واستعمل مكانه عبد الله بن أبي سرح أخاه من

فلم ترائي الجماعان أرسوا جميعاً، وباترا على أمان المسلمين يقرأون ويصلون. ثم قرروا سفنهم عند الصباح واقتلوها ونزل الصبر واستحر القتل، ثم انهزم قسطنطين جريحاً في قل قليل من الروم، وأقام ابن أبي سرح بالموقع أياماً ثم قفل وسمى المكان ذات الصواري والغزوة كذلك لكثرة ما كان بها من الصواري، وكانت هذه الغزوة سنة إحدى وثلاثين وقيل: أربع وثلاثين. وسار قسطنطين إلى صقلية وعرفهم خبر المزحة فتذمروه وقتلوه في الحمام.

فتح قبرص

كان أبو عبيدة لما احتضر استخلف على عمله عياض بن غنم وكان ابن عميه وخاله وقيل: استخلف معاذ بن جبل، واستخلف عياض بعده سعد بن حذيم الجمعحي، ومات سعيد قفول عمر مكانه عمير بن سعيد الأنصاري، ومات يزيد بن أبي سفيان فجعل عمر مكانه على دمشق أخاه معاوية، فاجتمعت له دمشق والأردن، ومات عمر وهو كذلك وعمير على حصن وقنسرين، ثم استفعى عمير عثمان في مرضه فأغفاوه وضم حصن وقنسرين إلى معاوية، ومات عبد الرحمن بن أبي علقة وكان على فلسطين فضم عثمان عمله إلى معاوية.

فاجتمع الشام كله لمعاوية لستين من إمارة عثمان. وكان يبلغ على عمر في غزو البحر وكان وهو يمحص كتب إليه في شأن قبرص أن قرية من قرى حص يسمع أهلها نباح كلاب قبرص وصياغ دجاجهم، فكتب عمر إلى عمرو بن العاص: صرف لي البحار وراكيه فكتب إليه: هو خلق كبير يركبه خلق صغير ليس إلا السماء والماء إن ركد فلق القلوب وإن تحرك أزاغ العقول يزداد فيه اليقين تلة والشوك كثرة وراكيه دود على عود إن مال غرق وإن خجا برق. فكتب عمر إلى معاوية: والذي بعث محمداً بالخلق لا أهل فيه مسلماً أبداً، وقد بلغني أن مجر الشام يشرف على أطول شيء من الأرض فستاذن الله كل يوم وليلة في أن يفرق الأرض فكيف أهل الجنود على هذا الكافر، وب والله لسلم واحد أحب إلى مما حوت الروم، فبياك أن تعرض لي في ذلك فقد علمت ما لقي العلاء مني. ثم كاتب ملك الروم عمر وقاربه وأنصار عن الغزو، ثم ألح معاوية على عثمان بعده في غزو البحر فأجابه على خيار الناس، وطوعهم.

فاختار الغزو جماعة من الصحابة فيهم، أبو ذر وأبو الدرداء  
وشنداد بن أوس وعبادة بن الصامت وزوجه أم حرام بنت  
ملحان، واستعمل عليهم عبد الله بن قيس حليف بني فزاراء،

القتال، وقد غاب ابن أبي سرح وسأله عنه فقيل: إنه سمع منادي جرجير يقول: من قتل ابن أبي سرح فله مئة ألف دينار وأزوجه ابنته فخاف وتأخر عن شهود القتال، فقال له ابن الزبير: تنادي أنت بأن من قتل جرجير نفلته مئة ألف وزوجته ابنته واستعملته على بلاده، فخاف جرجير أشد منه.

ثم قال عبد الله بن الزبير لابن أبي سرح أن يترك جماعة من أبطال المسلمين المشاهير متاهين للحرب، ويقاتلون الروم بباقي العسكر إلى أن يصوروها فرب عليهم بالآخرين على غرة فعل الله ينصرنا عليهم، ووافق على ذلك أعيان أصحابه ففعلوا ذلك وركبوا من الخد إلى الزوال وألحوا عليهم حتى اتبعوهم ثم افترقا، وأركب عبد الله الفريق الذين كانوا مستريحين فكروا وحملوا حملة رجل واحد حتى غشوا الروم في خيامهم فانهزموا وقتل كثير منهم، وقتل ابن الزبير جرجير وأخذت ابنته سيبة فنفلها ابن الزبير، وحاصر ابن أبي سرح سبيطة فتحتها وكان سهم الفارس فيها ثلاثة آلاف دينار وسهم الراجل ألف. وبث جيوشه في البلاد إلى قصبة فسبوا وغنموا، وبعث عسكر إلى حصن الأجم وقد اجتمع به أهل البلاد فحاصره وفتحه على الأمان، ثم صالحه أهل إفريقية على ألفي ألف وخمسة ألف دينار، وأرسل ابن الزبير بالفتح والخمس فاشتراء مروان بن الحكم بمخمسة ألف دينار، وبعضا الناس يقول أعطاه إيه ولا يصح، وإنما أعطى ابن أبي سرح خمسة الخمس من الغزوة الأولى. ثم رجع عبد الله بن أبي سرح إلى مصر بعد مقامه ستة وثلاثة أشهر.

ولما بلغ هرقل أن أهل إفريقية صالحوه بذلك المال الذي  
أعطوه غضب عليهم وبعث بطريقاً يأخذ منهم مثل ذلك، فنزل  
قرطاجنة وأخبرهم بما جاءه له فلابرا و قالوا: قد كان ينبغي أن  
يساعدنا ما نزل بنا. فقاتلتهم البطريك وهزمهم وطرد الملك الذي  
ولوه بعد جرجير، فلتحق بالشام وقد اجتمع الناس على معاوية  
بعد علي رضي الله عنه، فاستجاشه على إفريقيية فبعث معه  
معاوية بن حدبيج السكوني في عسكر، فلما وصل الإسكندرية  
و هلك الرومي ومضى ابن حدبيج في العساكر فنزل قونية، وسرح  
إليه البطريك ثلاثين ألف مقاتل وقاتلهم معاوية فهزمهم معاوية،  
وحاصر حصن جلولاً فامتنع معه حتى سقط ذات سوره فملكه  
المسلمون وغنموا ما فيه.

ثم بث السرايا ودوخ البلاد فأطاعوا، وعاد إلى مصر. ولما  
أصاب ابن أبي سرح من إفريقية ما أصابه ورجع إلى مصر خرج  
قسطنطين بن هرقل غازياً إلى الإسكندرية في ستة مركب وركب  
المل慕ون البحر مع ابن أبي سرح ومعه معاوية في أهل الشام.

اصطخر عنده، وبعدها دارا بجرد. وسار إلى مدينة جور وهي أردىشیر خرت، وكان هرم بن حيان عاصراً لها فلما جاء ابن عامر فتحها. ثم عاد إلى اصطخر وقد نقضت فحاصرها طويلاً ورمها بالجاذق واتحتمها عنده ففي فيها أكثر أهل البيوتات والأساورة لأنهم كانوا جاؤوا إليها، ووطئ أهل فارس وطاة لم يزالوا منها في ذل. وكتب إلى عثمان بالفتح فكتب إليه أن يستعمل على كور فارس هرم بن حيان اليشكري وهو من حيان العبسي والخزير بن راشد وأخاه المنجاب من بني سلمة والبرجهان المجيسي، وأن يفرق كور خراسان بين ستة نفر: الأحنف بن قيس على المرء، وحبيب بن قرط الريواعي على بلخ، وخالد بن عبد الله بن زهير على هراء، وأمير بن أحمر اليشكري على طوس، وقيس بن هبيرة على السلمي على نيسابور.

ثم جمع عثمان خراسان كلها لقيس، واستعمل أمير بن أحمر اليشكري على سجستان، ثم بعده عبد الرحمن بن سمرة من قربابة ابن عامر بن كريز، فلم يزل عليها حتى مات عثمان وعمران على كرمان وعمير بن عثمان بن مسعود على فارس وابن كريز الشيري على مكران، وخرج على قيس بن هبيرة بعد موته عثمان ابن عممه عبد الله بن حازم كما ذكره.

ولا افتتح ابن عامر فارس أشار عليه الناس بقصد خراسان وكانت أقد انتصروا فسارة إليها وقيل عاد إلى البصرة، واستختلف على فارس شريك بن الأعور الحارثي فبني مسجدها. فلما دخل البصرة أشار عليه الأحنف بن قيس وحبيب بن أوس بالمسير إلى خراسان فتجهز واستخلف على البصرة زياد بن أبيه، وسار إلى كرمان وقد نكثوا ببعث طریبهم مجاش بن مسعود السلمي وطریب سجستان الرابع بن زياد الحارثي، وسار هو إلى حوالي نيسابور وتقدمهم الأحنف بن قيس إلى الطبسين حصنان هما بابا خراسان فصالحة أهلها، وسار إلى قرهستان فقاتل أهلها حتى أحجرهم في حصنهم ولحقه ابن عامر فصالحوه على ستمائة ألف درهم، وقيل كان التولى حرب قرهستان أمير بن أحمر اليشكري.

ثم بعث ابن عامر بشت - بالشين المعجمة - من أعمال نيسابور ثم استألفين ثم قصد نيسابور، وبعدها استولى على أعمالها فحاصرها شهرًا وكان بها أربع مراzie من فارس فسأل واحد منهم الأسان على أن يدخلهم ليلاً، وفتح لهم الباب ومحصن الأكبر منهم في

وسائلوا إلى قبرص وجاء عبد الله بن أبي سرح من مصر فاجتمعوا عليها وصالحهم أهلها على سبعة آلاف دينار بكل سنة، ويؤدون مثلها للروم، ولا منعة لهم عن المسلمين من أرادهم من سوامهم وعلى أن يكونوا عبيلاً للمسلمين على عدوهم، ويكون طريق الغزو للمسلمين عليهم. وكانت هذه الغزارة ستة ثمانين وعشرين وقيل تسعه وعشرين وقيل ثلاثة وثلاثين، وماتت فيها أم حرام سقطت عن دابتها حين خرجت من البحر.

وكان النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه أخبرها بذلك. وأقام عبد الله بن قيس المخاسي على البحر فغزا خسین غزاة لم ينكب فيها أحد، إلى أن نزل في بعض أيام في ساحل المرقى من أرض الروم فشارروا إليه فقتلوه، ونجا الملأ وكان قد استخلف سفيان بن عوف الأزدي على السفن فجاء إلى أهل المرقى وقاتلهم حتى قتل وقتل معه جماعة.

## ولادة ابن عامر على البصرة وفتح فارس وخراسان

وفي السنة الثالثة من خلافة عثمان خرج أبو موسى من البصرة غازياً إلى أهل آمد والأكراد لما كفروا وحمل ثقله على أربعين بغلة من القصر بعد أن كان حض على الجهاد مشياً فالباب الناس عليه ومموا إلى عثمان فاستغفروه منه وتول كبر ذلك غلان بن جرشة فعزله عثمان وولى عبد الله بن عامر بن كريز بن ربعة بن حبيب بن عبد شمس وهو ابن خال عثمان، وكان ابن حسن وعشرين سنة.

وجمع له جند أبي موسى وجند عثمان بن أبي العاص من عمان والبحرين، فصرف عبيد الله بن معمر عن خراسان وبعثه إلى فارس، وولى على خراسان مكانه عمير بن عثمان بن سعد فائixin فيها حتى بلغ فرغاته ولم يدع كسوراً إلا أصلحها. ثم ولى عليها ستة أربع أمير بن أحمر اليشكري، وعلى كرمان عبد الرحمن بن عيسى، واستعمل على سجستان في سنة أربع عمران بن الفضل البرجمي، وعلى كرمان عاصم بن عمرو فجاشت فارس وانتقضت بعبيد الله بن عمرو وجعلوا له فلقفهم بباب إصطخر فقتل عبيد الله وانهزم جنده. وبلغ الخبر عبد الله بن عامر فاستفر أهل البصرة.

وسار بالناس، وعلى مقدمته عثمان بن أبي العاص وفي الجبفين أبو بزة الأسلي وعمقل بن يسار وعلى الخيل عمران بن حسين، ولقيهم ياصطخر فقتل منهم مقتلة عظيمة وانهزموا وفتح

الذهب يحملها ألف وصيف، ودخل المسلمين المدينة، ثم سار منها إلى وادي سنارود فعبره إلى القرية التي كان رسم الشديد يربط بها فرسه، فقاتلهم وظفر بهم، وعاد إلى زريخ وأقام بها سنة ثم سار بها إلى ابن عامر واستخلف عليها عاملاً فآخر جره وامتعوا. فكانت ولاية الربيع سنة ونصف سنة سبى فيها أربعين ألف رأس وكان الحسن البصري يكتب له ثم استعمل ابن عامر على سجستان عبد الرحمن بن سمرة فسار إليها وحاصر زريخ حتى صاحروه على الفي ألف درهم والفي وصيف، وغلب على ما بينهما وبين الكش من ناحية الهند وعلى ما بينها وبين الدادين من ناحية المرجع.

ولما انتهى إلى بلد الدادين حاصرهم في بلد الزور حتى صاحروه ودخل على الزور وهو صنم من ذهب عبناه ياقوتستان، فأخذهم وقطع يده، وقال للمرزيان: دونك الذهب والجرح وإثنا تصدت أنه لا يضر ولا يفع، ثم فتح كامل وزابلستان وهي بلاد غزنة ففتحها صلحًا.

ثم عاد إلى زريخ إلى أن اضطرب أمر عثمان، فاستخلف عليها أمير بن أحمر وانصرف فآخر جره أهلها وانتقضوا. ولما كمل الفتح لابن عامر في فارس وخراسان وكرمان وسجستان قال له الناس: لم يفتح لأحد ما فتح عليك فقال: لا جرم لأجعلن شكري الله على ذلك أن أخرج حرمًا من موقفي هذا، فاحرم بعمره من نيسابور وقم على عثمان واستخلف على خراسان قيس بن الهيثم، فسار قيس في أرض طخارستان ودوخها وامتنع عليه أهل سنجار ففتحها عنوة.

## ولاية سعيد بن العاص الكوفة

كان عثمان لأول ولاته قد ول على الكوفة الوليد بن عقبة استقدمه إليها من عمله بالجزيرة وعلى بيته تغلب وغيرهم من العرب، فبقي على ولاية الكوفة خمس سنين وكان أبو زيد الشاعر قد انقطع إليه من آخره بني تغلب ليد أسداتها إليه وكان نصرانيًّا فسلم على يده وكان يغشاه بالمدينة والكوفة، وكان أبو زيد يشرب الخمر فكان بعض السفهاء يتحدث بذلك في الوليد لللازمته إيه. ثم عدا الشباب من الأزد بالكوفة على رجل من خزاعة فقتلره ليلًا في بيته وشهد عليهم أبو شريح الخزاعي فقتلهم الوليد فيه بالقصامة، وأقام آباءهم للوليد على حقه وكانت من يتحدثون فيه، وجاؤوا إلى ابن مسعود بمثل ذلك فقال: لا تتبع عورة من استتر عنا. وتغطيه الوليد من هذه المقالة وعاتب ابن مسعود عليهما،

حسنها حتى صالح على ألف ألف درهم.

وولى ابن عامر على نيسابور قيس بن الهيثم السلمي. وبعث جيشًا إلى نساوبرد فصالحهم أهلها، وأخر إلى سرخس فصالحوا مريزيانها على أمان مائة رجل لم يدخل فيها نفسه قتلها واقتجمها عنوة، وجاء مريزيان طرس فصالحه على ستة عشر ألف درهم، وبعث جيشًا إلى هرة مع عبد الله بن حازم فصالح مريزيانها على ألف ألف درهم. ثم بعث مريزيان مرو فصالح على ألف ألف وما تبقى ألف وأرسل إليه ابن عامر حاتم بن النعمان الباهلي، ثم بعث الأحنف بن قيس إلى طخارستان فصالح في طريقه رساتي على ثلاثة عشر ألف وعلى أن يدخل رجل يؤذن فيه ويقيم حتى ينصرف ومر إلى مرو الروذ، وزحف إلى أهلها فهزمهم وحاصرهم وكان مريزيانها من أقارب باذان صاحب اليمن فكتب إلى الأحنف متسللاً بذلك في الصلح فصالحه على ستة عشر ألف. ثم اجتمع أهل الجوزجان والطالقان والفاريا بـ في جميع عظيم ولقيهم الأحنف فقاتلهم قتالاً شديداً ثم انهزموا فقتلوا قتالاً ذريعاً.

ورجع الأحنف إلى مرو الروذ، وبعث الأقرع بن حابس إلى فلهم بالجوزجان فهزمهم وفتحها عنوة، ثم فتح الأحنف الطالقان صلحًا والفاريا بـ حصلحاً وقيل بل فتحها أمير بن أحمر، ثم سار الأحنف إلى بلخ وهي مدينة طخارستان فصالحه على أربعين ألف وقيل سبعين ألف واستعمل عليها أسيد بن المشمر، ثم سار إلى خوارزم على نهر جيحون فامتثلت عليه فرجع إلى بلخ. وقد استوفى أسيد ثمن المال وكتباً إلى ابن عامر. ولما سار مجاشع بن مسعود إلى كرمان كما ذكرناه وكانوا قد انتقضوا ففتح هميد عنوة وبني بها قصرًا ينسب إليه، ثم سار إلى السيرجان وهي مدينة كرمان فحاصرها وفتحها عنوة وجلأ كثيراً من أهلها. ثم فتح جيرفت عنوة ودوخ نواحي كرمان وأتى القفقاس وقد تجمع له من العجم من أهل الجلام، وقاتلهم فظير وركب كثير منهم البحر إلى كرمان وسجستان، ثم نزل العرب إلى ممتازهم وأراضيهم.

ومسار الريبع بن زياد الحارثي بـ ولاية ابن عامر كما قدمناه إلى سجستان فقطع المفازة من كرمان حتى أتى حصن زالق فأغار عليهم يوم المهرجان وأسر دهقانهم، فاقتدى بما غمز عنزة قاعة من الذهب والنضة، وصالحه على صلح فارس. وصار إلى زريخ ولقيه المشركون دونها فهزمهم وقتلهم وفتح حصوناً عدة بينها وبينه، ثم انتهى إليها وقاتلها أهلها فاحتجرهم وحاصرهم، وبعث مريزيانها في الأمان ليغضد فامنه وجلس له على شلو من أشلاء القتلى وارتقاً بأخر و فعل أصحابه مثله.

فرغ المريزيان من ذلك وصالح على ألف جام من

أصحاب رسول الله ﷺ منهم الحسن والحسين وابن عباس وابن عمر وابن عمرو وابن الزبير وحذيفة بن اليمان في غيرهم، ووافق خروج ابن عامر من البصرة إلى خراسان فنزل نيسابور، ونزل سعيد قومس وهي صلح كان حذيفة صالحهم عليه بعد نهاوند، فأنى سعيد جرجان فصالحوه على مائتي ألف، ثم أتى متاخماً جرجان على البحر فقاتله أهلها.

ثم سالوا الأمان فأطهفهم على أن لا يقتل منهم رجلاً واحداً، وفتحوا قفلتهم جميعاً إلا رجلاً وقتل معهم محمد بن الحكم بن أبي عقيل جد يوسف بن عمرو، وكان أهل جرجان يعطون الخارج تارة مئة ألف وأخرى مائتين وتلثمانمائة وربما متعمراً. ثم امتنعوا وكفروا فانقطع طريق خراسان من ناحية قومس إلا على خوف شديد، وصار الطريق إلى خراسان من فارس كما كان من قبل حتى ولقيتة بن مسلم خراسان. وقدمها يزيد بن المهلب فصالح المرزبان وفتح البحيرة ودهستان وصالح أهل جرجان على صلح سعيد.

## غزو حذيفة الباب وأمر المصاحف

وفي سنة ثلاثين هذه صرف حذيفة من غزو الري إلى غزو الباب مددًا لعبد الرحمن بن ربيعة وأقام له سعيد العاص باذربيجان ردماً حتى عاد بعد مقتل عبد الرحمن كما مر، فأخبره بما رأى من اختلاف أهل البلدان في القرآن وأن أهل حمص يقولون: قراءاتنا خير من قراءة غيرنا وأخذناها عن المقاد، وأهل دمشق يقولون كذلك، وأهل البصرة عن أبي موسى، وأهل الكوفة عن ابن مسعود. وأنكر ذلك واستعظامه وحضر من الاختلاف في القرآن، ووافقه من حضر من الصحابة والتابعين، وأنكر عليه أصحاب ابن مسعود فاغلظ عليهم وخطفهم، فاغلظ له ابن مسعود فغضب سعيد واقتصر المجلس.

وسار حذيفة إلى عثمان فأخبره وقال: أنا النذير العريان فادرك الأمة. فجمع عثمان الصحابة فرأوا ما رأه حذيفة، فأرسل عثمان إلى حضرة أن ابشي إلينا بالصحف نسخها وكانت هذه الصحف هي التي كتبت أيام أبي بكر، فإن القتل لما استحر في القراء يوم اليمامة قال عمر لأبي بكر: أرى أن تأمر بجمع القرآن لولا يذهب الكثير منه لفناء القراء، فأبى أولاً وقال: إن رسول الله ﷺ لم يفعله. ثم استبصر ورجع إلى رأي عمر وأمر زيد ثابت بجمعه من الرقاع والصعيد وصدر الرجال، وكتب في الصحف فكانت عند أبي بكر ثم عند عمر ثم عند حضرة. وأرسل عثمان

ثم عمد أحد أولئك الرهط إلى ساحر قد أتى به الوليد فاستنقى ابن مسعود فيه وأتى بقتله، وجسمه الوليد ثم أطلقه، ففضحوا وخرجوا إلى عثمان شاكين من الوليد وإنه يشرب الخمر. فاستقدمه عثمان وأحضره وقال: رأيتمه يشرب؟ قالوا: لا وإنما رأينا يقيء الخمر فأمر سعيد بن العاص فجلده وكان على حاضرًا فقال: انزعوا خصيصة للجلد. وقيل: أن علياً أمر ابنه الحسن أن يجلده فلبي فجلده عبد الله بن جعفر، فلما بلغ أربعين قال: أمسك جلد رسول الله ﷺ وأبوا بكر أربعين وجلد عمر ثمانين وكل سنة.

ولما وقعت هذه الواقعة عزل عثمان الوليد عن الكوفة وول مكانه سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية، مات سعيد الأول كافراً وكان يكنى أحبيحة، وخالد ابنه عم سعيد الثاني ولاه رسول الله ﷺ صنعاء وكان يكتب له واستشهد يوم مرج الصفر، وربى سعيد الثاني في حجر عثمان فلما فتح الشام أقام مع معاوية ثم استقدمه عثمان وزوجه وأقام عنده حتى كان من رجال قريش. فلما استعمله عثمان وذلك سنة ثلاثين سار إلى الكوفة ومعه الأستر وأبوا خيبة الغفارى وجندب بن عبد الله والصعب بن جثامة، وكانتا شخصياً مع الوليد ليعنوه فصاروا عليه، فلما وصل خطب الناس وحضرهم وترعرع الأحوال، وكتب إلى عثمان أن أهل الكوفة قد اضطرب أمرهم وغلب الروادف والتبايعة على أهل الشرف والسابقة، فكتب إليه عثمان أن يفضل أهل السابقة ويجعل من جاء بعدهم تبعاً ويعرف لكل منزلته ويعطيه حقه. فجتمع الناس وقرأ عليهم كتاب عثمان وقال: لبلغوني حاجة ذي الحاجة. وجعل الشراء في سمرة فلم ترض أهل الكوفة ذلك وفشت المقالة، وكتب سعيد إلى عثمان فجمع الناس واستشارهم فقالوا: أصبحت لا تطمع في الأمور من ليس لها بأهل فنسد. فقال: يا أهل المدينة! إني أرى الفتنة دبت إليكم وإنني أرى أن الخلص الذي لكم وأنقله إليكم من العراق. فقالوا: وكيف ذلك؟ قال: تبعونه من شتمتكم في الحجاز واليمن. فعلوا ذلك واستخلصوا ما كان لهم بالعراق، منهم طلحة ومرwan والأشعث بن قيس، ورجال من القبائل اشتروا ذلك بأموال كانت لهم بميسير ومكة والطائف.

## غزو طبرستان

وفي هذه السنة غزا سعيد بن العاص طبرستان ولم يغزوا أحد قبله، وقد تقدم أن الأصبهين صالح سعيد بن مقرن عنها أيام عمر على مال، فغزاها سعيد في هذه السنة ومعه ناس من

الممساعدة على العرب وإنه يقدم عليه فيلقاه منفراً عن العسكر وعن فرخزاد، فأجابه إلى ذلك بعد أن امتنع فرخزاد واتهمه يزدجرد في امتناعه فتركه لشأنه بعد أن أخذ خطه برضاه بذلك.

وسار إلى نيزك فاستقبله بأشيه وجاء به إلى مسكنه ثم ساله أن يزوجه ابنته فانف يزدجرد من ذلك وسبه فعلاً رأسه بالقرعة فركض منهماً وتقتل أصحابه، وانتهى إلى بيت طحان فمكث فيه ثلاثة أيام يطعم، ثم عرض عليه الطعام فقال: لا أطعم إلا بالمرارة، فسأل من زمزم له حتى أكل ووشى المزمز بأمره إلى بعض الأساورة فبعث إلى الطحان مختنه وإلقائه في النهر، قابي من ذلك وجحده، فدل عليه ملبيه وعرف المسك فيه فأخذوا ما عليه وخنقوه والقوله في الماء فجعله أسفف مرو في تابوت ودفنه.

وقيل: بل سار يزدجرد من كمان قبل وصول العرب إليها إلى مرو في أربعة آلاف على الطسين وقهستان، ولقبه قبل مرو قائدان من الفرس متعاددين فسعي أحدهما في الآخر، ووافقه يزدجرد في قتله، وثنى الخبر إليه فبيت يزدجرد وعدوه، فهرب إلى رحي على فرسين من مرو، وطلب منه الطحان شيئاً فأعطيه منطقته فقال: إنما أحتاج إلى أربعة دراهم، فقال: ليست معنِّي. ثم نام قتله الطحان والنقي شلره في الماء، وبلغ خبر قتله إلى المطران مرو فجتمع النصارى وعظم عليهم من حقوق سلفه فدقنوه وبنوا له تاؤوساً وأقاموا له مقاماً، بعد عشرين سنة من ملكه ستة عشر منها في محاربة العرب وانقض ملكه السادسية بمorte.

ويقال: إن قتيبة حين فتح الصند وجد جاريتين من ولد المخدج ابنة كان قد وطئ أنه مهو فولدت هذا السلام بعد موته ذاهب الشق فسمي المخدج، ولد له أولاد خراسان وجد قتيبة هاتين الجاريتين من ولده فبعث بهما إلى الحجاج، وبعث بهما إلى الريل أو بإحداهما فولدت له يزيد النافص.

### ظهور الترك بالغور

كان الترك والخزر يعتقدون أن المسلمين لا يقتلون لما رأوا من شدتهم وظاهرهم في غزوتهم حتى أكمروا لهم في بعض الغياض فقتلوا بعضهم فتجاسروا على حربهم. وكان عبد الرحمن بن ربيعة على ثغر أرمانيا إلى الباب، استخلفه عليها سراقة بن عمر وأقره عمر وكان كثير الغزو في بلاد الخزر، وكثيراً ما كان يغزو بلنجر وكان عثمان قد نهَا عن ذلك فلم يرجع، فغزاهم سنة اثنين وثلاثين وجاء الترك لمظاهرتهم وتذمروا فاشتذت الحرب بينهم وقتل عبد الرحمن كما مر، واقتربوا فرقتين سارت نحو

فأخذها، وأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحرش بن هشام أن ينسخوها في المصايف، وقال: إذا اختلفتم فاكتبوها بلسان قريش ففعلوا. ونسخوا المصايف فبعث إلى كل أفق مصحف يعتمد عليه، وحرق ما سوى ذلك قبل ذلك الصحابة في سائر الأمصار، ونكره عبد الله بن مسعود في الكوفة حتى نهاه عن ذلك وحملهم عليه.

### مقتل يزدجرد

ما خرج ابن عامر من البصرة إلى فارس وافتتحها هرب يزدجرد من جور وهي أردشير خره في سنة ثلاثين، فبعث ابن عامر في أثره مجاشع بن مسعود وقيل: هرم بن حيان اليشكري وفيه العشي، فاتبعه إلى كرمان فهو إلى خراسان وهلك الجندي في طريقهم بالشجاع، فلم يسلم إلا مجاشع ورجل معه وكان مهلكهم على خمسة فراسين من السيرجان، ولحق يزدجرد بمرو ومعه خرزاد آخر رستم، فرجع عنه إلى العراق ووصى به ما هو به مزيان مرو فساله في المال فمنعه وخافه على نفسه وعلى نفسه واستجاش بالترك بيته وقتل أصحابه وهرب يزدجرد مائياً إلى شط المغارب وأوى إلى بيت رجل ينقل الأرحام، فلما نام قتله ورماه في النهر. وقيل إنما بيته أهل مرو ولا جاؤوا إلى بيت الرجل أخذوه وضربوه فاتر بقتله قتلوه وأهله، واستخرجوا يزدجرد من النهر وحملوه في تابوت إلى إصطخر دفن في ناؤس هنالك.

وقيل: إن يزدجرد هرب من وقعة نهاوند إلى أرض أصبهان واستأذن عليه بعض رؤسائها وحجب فضرب الباب وشجه، فرحل عن أصبهان إلى الري، وجاء صاحب طبرستان وعرض عليه بلاده فلم يجده وممضى من فوره ذلك إلى سجستان، ثم إلى مرو في ألف فارس، وقيل: بل أقام بفارس أربع سنين ثم بكرمان ستين وطلب دهقانها في شيء فمنعه فطرده عن بلاده، وأقام بسجستان خمس سنين، ثم نزل خراسان ونزل مرو ومعه الرهن من أولاد الدعاين وفرخزاد وكاتب ملوك الصين وفرغانة والخزار وكابل.

وكان دهقان مرو قد منعه الدخول خوفاً من مكراهه ووكل ابنه محفظ الأبراب، فعمد يزدجرد يوماً إلى مرو ليدخلها فمنعه ابن الدهقان وأظهر عصيان أبيه في ذلك، وقيل بل أراد يزدجرد أن يجعل ابن أخيه دهقانًا عليها فعمل في هلاكه، وكتب إلى نيزك طران يستقدمه لقتل يزدجرد ومصالحة العرب عليه وأن يعطيه في اقتتاله كل يوم ألف درهم، فكتب نيزك إلى يزدجرد يعدد

الفتوحات قدم. فكانوا يرون ذلك لأنفسهم مع ما يدين به فضلاً لهم من تفضيل أهل السابقة من الصحابة ومعرفة حقهم، وما كانوا فيه من النهول والدهش لأمر النبوة وتردد الرؤيا وتنزل الملائكة، فلما أخسر ذلك العباب وتنوسي الحال بعض الشيء، وذل العدو واستفحـل الملك، كانت عروق الجاهليـة تبـضـ ووجـدواـ الـرـيـاسـةـ عليهمـ لـمـهـاجـرـينـ وـأـنـصـارـ منـ قـريـشـ وـسـوـاـهمـ، فـأـنـتـ نـفـوسـهـمـ، وـوـافـقـ أـيـامـ عـثـمـانـ فـكـانـواـ يـظـهـارـونـ الطـعنـ فـيـ لـاتـهـ بـالـأـمـصارـ، وـلـمـؤـاخـذـةـ لـهـ لـلـلـحظـاتـ وـالـخـطـرـاتـ، وـالـاسـتـبـاطـاءـ عـلـيـهـمـ فـيـ الطـاعـاتـ وـالـتـجـنـيـ بـسـوـالـ الـاستـبـالـ مـنـهـمـ وـالـعـزـلـ، وـيـفـضـوـنـ فـيـ التـكـيرـ عـلـىـ عـثـمـانـ.

وفشت المقالة في ذلك من أتباعهم وتنادوا بالقليل من الأمراء في جهاتهم وانتهت الأخبار بذلك إلى الصحابة بالمدينة، فارتباوا لها وأفاضوا في عزل عثمان وحمله على عزل أمرائه. وبعث إلى الأمصار من يأتيه بتصريح الخبر: محمد بن مسلم إلى الكوفة، وأسماء بن زيد إلى البصرة، وعبد الله بن عمر إلى الشام، وعمار بن ياسر إلى مصر وغيرهم إلى سوى هذه، فرجعوا إليه فقالوا: ما أنكرنا شيئاً ولا انكره أعيان المسلمين ولا عوامهم إلا عماراً فإنه استمال قوم من الأشرار انقطعوا إليه منهم عبد الله بن سبا ويعرف بابن السواد، كان يهودياً وهاجر أيام عثمان فلم يحسن إسلامه وأخرج من البصرة فلتحق بالكوفة ثم بالشام وأخرجوه فلتحق بمصر، وكان يكثر الطعن على عثمان ويدعو في السر لأهل البيت ويقول: إن محمداً يرجع كما يرجع عيسى. وعنه أخذ ذلك أهل الرجعة، وإن علياً وصي رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه حيث لم يجز وصيته وإن عثمان أخذ الأمر بغير حق، ويحرض الناس على القيام في ذلك والطعن على الأمراء. فاستمال الناس بذلك في الأمصار وكاتب به بعضهم بعضاً، وكان معه خالد بن ملجم وسودان بن حران وكثانة بن بشر فبطنوا عماراً عن المسير إلى المدينة.

وكان ما انكروه على عثمان إخراج أبي ذر من الشام ومن المدينة إلى الربلة، وكان الذي دعا إلى ذلك شدة الورع من أبي ذر وحمله الناس على شدائـ الأمـورـ والـزـهدـ فـيـ الدـنـيـاـ وأنـهـ لاـ يـبغـيـ لأـحـدـ يـكـونـ عـنـهـ أـكـثـرـ مـنـ قـوـتـ يـوـمـهـ، وـيـأـخـذـ بـالـظـاهـرـ فـيـ ذـمـ الـادـخـارـ بـكـثـرـ الـنـهـبـ وـالـفـضـةـ. وـكـانـ اـبـنـ سـبـاـ يـاتـيـهـ فـيـغـرـيـهـ بـمـعـاوـيـةـ وـيـعـيـبـ قولـهـ: المـالـ مـالـ اللـهـ، وـيـوـهـمـ أـنـ فـيـ ذـلـكـ اـحـجـانـهـ للـمـالـ وـصـرـفـهـ عـلـىـ الـمـسـلـمـينـ، حـتـىـ عـتـبـ أـبـيـ ذـرـ فـيـ ذـلـكـ مـعـاوـيـةـ فـاسـتـعـبـ لـهـ وـقـالـ: سـاقـوـلـ مـالـ الـمـسـلـمـينـ، وـأـتـيـ اـبـنـ سـبـاـ إـلـيـ أـبـيـ الدـرـدـاءـ وـعـبـادـةـ بـنـ الصـامـتـ بـثـلـ ذـلـكـ فـدـفـعـوـهـ، وـجـاءـ بـهـ عـبـادـةـ إـلـىـ

الباب لقوا سلمان بن ربيعة قد بعثه سعيد بن العاص من الكوفة مددًا للمسعين بأمر عثمان فساروا معه، وفرقة سلكوا على جيلان وجرجان فيهم سلمان الفارسي وأبي هريرة.

ثم استعمل سعيد بن العاص على الباب سلمان بن ربيعة مكان أخيه، وبعث معه جندًا من أهل الكوفة حذيفة بن اليهان وأمدهم عثمان بحبيب بن مسلمة في جند الشام وسلمان أمير على الجميع، ونزعه حبيب الأمارة فوق الخلاف، ثم غزا حذيفة بعد ذلك ثلاث غزوات آخرها عند مقتل عثمان.

وخرجت جموع الترك سنة اثنين وثلاثين من ناحية خراسان في أربعين ألفاً عليهم قارن من ملوكهم فانتهى إلى الطبسين، واجتمع له أهل بادغيس وهرة وقوهستان، وكان على خراسان يومئذ قيس بن الهيثم الإسلامي استخلفه عليها ابن عامر عند خروجه إلى مكة عمراً فلوخ جهتها، وكان معه ابن عمه عبد الله بن حازم فقال لابن عامر: اكتب لي على خراسان عهداً إذا خرج منها قيس فعل، فلما أقبلت جموع الترك قال قيس لابن حازم: ما ترى؟ قال: أرى أن تخرج عن البلاد فإن عهد ابن عامر عندي بولايتها. فترك منازعه وذهب إلى ابن عامر، وقيل أشار عليه أن يخرج إلى ابن عامر يستخدمه، فلما خرج أظهر عهد ابن عامر له بالولاية عند مغيب قيس.

وسر ابن حازم للقاء الترك في أربعة آلاف. ولما التقى الناس أمر جشه بإيقاد النار في أطراف رحلهم فهاج العدو على دهش، وغضبهم ابن حازم بالناس متابعين، فانهزموا وأثخن المسلمون فيهم بالقتل والسي. وكتب ابن حازم بالفتح إلى ابن عامر فأقره على خراسان فلم يزل والياً عليها إلى حرب المعلم، فاقبل إلى البصرة وقي أهل البصرة بعد غزوة ابن حازم هذه حتى غزوا المتقدسين من أهلها وعادوا جهزوا كتيبة من أربعة آلاف فارس هنالك.

### بعد الانتفاض على عثمان رضي الله عنه

لما استكمـلـ الـفـتحـ وـاسـتـكـملـ لـلـمـلـكـ وـنـزـلـ الـعـربـ بـالـأـمـصارـ فـيـ حدـودـ مـاـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ الـأـمـمـ مـنـ الـبـصـرـ وـالـكـوـفـةـ وـالـشـامـ وـمـصـرـ، وـكـانـ الـمـخـصـونـ بـصـاحـبـةـ الرـسـوـلـ صلوات الله عليه وآله وسلامهـ وـالـإـقـدـاءـ بـهـدـيـةـ وـآدـابـ الـمـهـاجـرـ وـالـأـنـصـارـ مـنـ قـرـيـشـ وـأـهـلـ الـحـجازـ وـمـنـ ظـفـرـ بـعـلـ ذـلـكـ مـنـ غـرـبـهـ. وـأـمـاـ سـائـرـ الـعـربـ مـنـ بـيـنـ بـكـرـ وـإـلـىـ وـعـدـ الـقـيـسـ وـسـائـرـ رـبـيـعـةـ وـالـأـزـدـ وـكـنـدـ وـقـيمـ وـقـضـاعـةـ وـغـيـرـهـ، فـلـمـ يـكـونـواـ مـنـ تـلـكـ الصـحـبةـ بـكـانـ إـلـاـ قـلـيلـ مـنـهـمـ وـكـانـ هـمـ فـيـ

وطليحة بن خوبيل.

معاوية وقال: هذا الذي بعث عليك أبو ذر.

وكانوا يفيضون في أيام الواقع وفي أنساب الناس وأخبارهم وربما يتهدون إلى الملاحاة ويخرجون منها إلى المشاكلة والمقاتلة، ويعذبون في ذلك حجاب سعيد بن العاص فيهمونهم وبضربيتهم. وقد قيل: إن سعيداً قال يوماً: إنما هذا السواد بستان قريش، فقال له الأشرت: السواد الذي أفاء الله علينا بأسافتنا تزعم أنه بستان لك ولقرنك؟ وخاض القوم في ذلك، فأغاظط لهم عبد الرحمن الأزدي صاحب شرطه فوثبوا عليه وضربوه حتى غشي عليه، فمنع سعيد بعدها السمر عنده، فاجتمعوا في مجالسهم يتلiven سعيداً وعثمان، والسفهاء يغشونهم.

فكتب سعيد وأهل الكوفة إلى عثمان في إخراجهم، فكتب أن يلحقوهم معاوية وكتب إلى معاوية أن نفراً خلقوا الفتنة فقسم عليهم وانهم وإن أنت منهم رشدًا فاقبل منهم وإن أغبوك فأرددتهم على، فأنزلهم معاوية وأجرى عليهم ما كان لهم بالعراق، وأقاموا عنده يحضرون مائدته ثم قال لهم يوماً: أنتم قوم من العرب لكم أسنان والستة وقد أدركتم بالإسلام شرفاً وغلبتם الأمم وحويتهم وقد بلغني أنكم نعمتم قريشاً ولو لم تكن قريش كتم ذلة إذ أنتكم لكم جنة فلا تفترقوا على جتنكم وإن أنتكم يصبرون لكم على الجحود ويحملون عنكم المؤنة والله لtentهن أو ليتلينكم الله بين يسومكم ولا يحمدكم على الصبر، ثم تكونوا شركاً لهم فيما جرتم على الرعية في حياتكم وبعد وفاتكم.

قال له صعصعة منهم: أما ما ذكرت من قريش فإنها لم تكن أكثر الناس ولا أمنعها في الجاهلية فتخوفنا، وأما ما ذكرت من الجنة فإن الجنة إذا اخترت خلص إليها. فقال معاوية: الآن عرفتكم وعلمت أن الذي أغراكם على هذا ثلة العقول وأنت خطيبهم ولا أرى لك عقلًا أعظم عليك أمر الإسلام وتذكرني في الجاهلية أخزي الله قوماً عظموا أمركم افهوا عني ولا اظنكم تفهمون.

ثم ذكر شأن قريش وإن عزها إنما كان بالله في الجاهلية والإسلام ولم يكن بكثرة ولا شدة، وكانت على أكرم أحساب وأكمل مروءة وبرأهم الله حرمه فاما ما أصاب العرب والعجم والأسود والآخر في بلادهم، ثم ذكر بعثة النبي ﷺ وإن الله ارضى له أصحاباً كان خيارهم قريشاً فبني الملك عليهم وجعل الخلافة فيهم فلا يصلح ذلك إلا بهم، ثم تعرّهم ووجههم وهددهم، ثم أحضرهم بعد أيام، وقال: إذهبوا حيث شئتم لا ينفع الله بكم أحداً ولا يضره، وإن أردتم النجاة فالزموا الجماعة ولا

ولما كثر ذلك على معاوية شكاه إلى عثمان فاستقدمه وقال له: ما لأهل الشام يشكرون منك؟ فأخبره، فقال: يا أبو ذر لا يمكن حل الناس على الرهد وإنما على أن أقضى بيهم بمحكم الله وأرغبهم في الاقتصاد، فقال أبو ذر: لا نرضى من الأغنياء حتى ينزلوا المعروف ويخسروا للجيران والإخوان وبصلوا القرابة، فقال له كعب الأحبار: من أدي الفريضة فقد قضى ما عليه فضريه أبو ذر فشجه وقال: يا ابن اليهودية ما أنت وهذا؟ فاستوره عثمان من كعب شجته فرهبه.

ثم استاذ أبو ذر عثمان في الخروج من المدينة وقال: إن رسول الله ﷺ أمرني بالخروج منها إذا بلغ البناء سلعاً، فاذن له، ونزل الربوة وبنى بها مسجداً واقطعه عثمان صرمة من الإبل وأعطاه عملوكين وأجرى عليه رزقاً، وكان يتعاهد المدينة فمد أولئك الرهط خروج أبي ذر فيما ينقومه على عثمان مع ما كانوا يعدون عليه من إعطاء مروان خمس مقام إفريقية والصحيح أنه اشتراه بمسمانة ألف فرضها عنه.

وما عدوا عليه أيضاً زيادة الدباء الثالث على الزوراء يوم الجمعة، وإقامة الصلاة في مني وعرفة مع أن الأمر في حياة رسول الله ﷺ والشيوخين بعده كان على القصر.

ولما ساله عبد الرحمن واحتاج عليه بذلك قال له: بلغني أن بعض حاج اليمين والجفافة جعل صلاة المقيم ركتين من أجل صلاتي وقد اختلفت بمكة أهلاً ولي بالطائف مال. فلم يقبل ذلك عبد الرحمن فقال: زوجتك بمكة إنما تسكن بسكنك ولو خرجت ومالك بالطائف على أكثر من مسافة القصر.

وأما حاج اليمين فقد شهدوا بذلك من رسول الله ﷺ والشيوخين بعده وقد كان الإسلام ضرب بغيره. قال عثمان: هذا رأي رأيي. فمن الصحابة من تبعه على ذلك ومنهم من خالقه.

وما عدوا عليه سقوط خاتم النبي ﷺ من يده في بتر أرسي على ميلين من المدينة فلم يوجد. وأما الحرواث التي وقفت في الأنصار فمنها قصة الريليد بن عقبة وقد تقدم ذكرها وأنه عزله على شرب الخمر واستبدل به سعيد بن العاص منه، وكان وجوه الناس وأهل القادية يسمرون عنده مثل مالك بن كعب الأرجي والأسود بن يزيد وعلقمة بن قيس من النخع وثابت بن قيس الهمداني وجنديب بن زهير العامراني وجنديب بن كعب الأزدي وعروة بن الجعد وعمرو بن الحمق المخزاعي وصعصعة بن صوحان وأخوه زيد وابن الكواه وكميل بن زياد وعمير بن ضابط

تبطركم النعمة وساكتب إلى أمير المؤمنين فيكم.

وكتب إلى عثمان إنه قدم على أقوام ليست لهم عقول ولا أديان أبطرهم العدل إنما همهم الفتنة وأموال أهل الذمة، والله مبتليهم ثم فاضحهم وليسوا بالذين يأتون الأمر إلا مع غيرهم فإنه سعيداً ومن عنده عنهم. فخرجوا من عنده قاصدين الجزيرة ومرروا بعد الرحمن بن خالد بن الوليد بمصر فأحضرهم، وقال: يا الله الشيطان لا مرجاً بكم ولا أهلاً قد رجع الشيطان محسوراً وأتمن بعد في نشاط خسر الله عبد الرحمن إن لم يؤديكم بما معشر من لا أدرى أعزبهم أم عجم. ثم مضى في توبتهم على ما فعلوه وما قالوه لسعيد ومعاوية، فهابوا سلطوطه وطفقوا يقولون توب إلى الله أئلنا أفالك الله، حتى قال: تاب الله عليكم. وسرح الأشتر إلى عثمان تائباً فقال له عثمان: أحلك حيث شاء، فقال: مع عبد الرحمن بن خالد قال ذلك إيلك! فرجع إليه. وقيل إنهم عادوا إلى معاوية من القابلة ودار بينهم وبينه القول وأغلظوا له وأغلظ عليهم، وكتبوا إلى عثمان فامر أن يردهم إلى سعيد، فكتب إليه فاطلتوه عليهم وضج سعيد منهم، وكتب إلى عثمان، فكتب إليه أن يسربهم إلى عبد الرحمن بن خالد فدار بينهم وبينه ما قدمناه.

وحدث بالبصرة مثل ذلك من الطعن وكان بدؤه فيما قال شأن عبد الله بن سبا المعروف بابن السوداء، هاجر إلى الإسلام من اليهودية ونزل على حكيم بن جبلة العبدى وكان يتشيع لأهل البيت، فنشرت مقالة بالطعن وبلغ ذلك حكيم بن جبلة فآخرجه وأنى الكوفة فأخرج أيضاً واستقر ببصرة، وأقام يكتب أصحابه بالبصرة ويكتبوه والمقالات تنشو بالطعن والتبرير على الأمراض. وكان حمران بن أبي أيضاً يهدى لعثمان أنه ضربه على زواجه امرأة في العدة وسيره إلى البصرة، فلزم ابن عامر وكان بالبصرة عامر بن عبد القيس وكان زاهداً متقبلاً فاعتذر به حمران صاحبه ابن عامر فلم يقبل سعياته، ثم أذن له عثمان قدم المدينة ومعه قوم فسعوا بعامر بن عبد القيس إنه لا يرى التزويج ولا يأكل اللحم ولا يشهد الجمعة، فالحقه عثمان بمعاوية وأقام عنده حتى تبيّنت براته وعرف فضله وحده وقال: أرجع إلى صاحبك! فقال: لا أرجع إلى بلد استحله مني ما استحلوا! وأقام بالشام كثير العبادة والانفراد بالسواحل إلى أن هلك.

ولما فشت المقالات بالطعن والإرجاف على الأمراض اعتزم سعيد بن العاص على الوفادة على عثمان سنة أربع وثلاثين، وكان قبلها قد ول على الأعمال أمراء من قبله، فول الأشست بن قيس على أذربيجان وسعيد بن قيس على الري والنمير العجلبي على همدان والسائل بن الأقرع على أصبهان ومالك بن حبيب

قراءة كتابه عليهم ودعوا له، ويعت إلى عمال الأ MCSAR قدموها عليه في الموسى؛ عبد الله بن عامر وابن أبي سرح ومعاوية وأدخل معهم سعيد بن العاص وعمراً وقال: ويحكم ما هذه الشكاكية والإذاعة؟ وإنني لأخشى والله أن يكونوا صادقين! قالوا له: إن يخبرك رسلاً بأن أحداً لم يشافهم بشيء وإنما هذه إشاعة لا يحمل الأخذ بها واختلفوا في وجه الرأي في ذلك. فقال عثمان: إن الأمر كائن وبإيه سيفتح ولا أحب أن تكون لأحد علي حجة في فتحه وقد علم الله أنه لم يألي الناس خيراً فسكنوا الناس وبينوا لهم حقوقهم. ثم قدم المدينة فدعوا علياً وطلحة والزبير. ومعاوية حاضر. فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أنتم ولاة هذا الأمر واختتم صاحبكم يعني عثمان وقد كبر وأشرف وفشت مقالة خفتها عليكم فما عنيتم به من شيء فأنا لكم به ولا تطمعوا الناس في أمركم. فانتهت رأيه، ثم ذهب عثمان يتكلم، وقال: اللذان كانا قبلـي منـعـوا قـرـائـهـما اـحـسـابـاـ وإنـ رسولـ اللهـ صلـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـهــ كان يعطي قرابته وإن قرابي أهل عيلة وقلة معاش فاعطـيـهمـ فإنـ رأـيـمـ ذلكـ خطـاـ فـرـدوـ، فقالـواـ: أـعـطـيـتـ عبدـ اللهـ بنـ خـالـدـ بنـ أـسـيدـ خـسـينـ الفـاـ وـمـرـوانـ خـسـهـ عشرـ الفـاـ، قالـ: آـخـذـ ذـلـكـ مـنـهـ، فـاـصـرـفـواـ رـاضـينـ.

وقال له معاوية: اخرج معي إلى الشام قبل أن يهجم عليك ما لا تطيقه، قال: لا أبني بمحوار رسول الله صلـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـهـ بدلاً. قال: فابعد إليك جنداً يقيسون معك، قال: لا أضيق على جيران رسول الله صلـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـهـ فقال معاوية: لتفنان ولتعبر، قال: حسي الله ونعم الوكيل. ثم سار معاوية ومر على علي وطلحة والزبير فوصلهم بعثمان وواعدهم ومضى. وكان المنحرفون عن عثمان بالأ MCSAR قد تواعدوا عند مسيرة الأماء إلى عثمان أن يشوا عليه في مغيبهم، فرجع الأماء ولم يتهما لهم ذلك، وجاءتهم كتب من المدينة من صار إلى مذاهبهم في الاتحراف عن عثمان أن أقدموا علينا في بيان الجهاد عنده، فتكلموا من أ MCSAR في القدوم إلى المدينة، فخرج المصريون وفيهم عبد الرحمن بن عيسى البلوي في خمسة وقيل في ألف وفيهم كنانة بن بشر الليثي وسودان بن حرمان السكوني ومسرة أو قترة بن فلان السكوني، وعليهم جميعاً الغافقى بن حرب العكى، وخرج أهل الكوفة وفيهم زيد بن صوحان العبدى والأشتر النخعى وزياد بن النضر الحارثى وبعد الله بن الأصم العامرى، وخرج أهل البصرة وفيهم حكيم بن جبلة العبدى وزريع بن عباد وشير بن شريح القىسى وابن المحرش وعليهم حرقوس بن زهير السعدى وكلهم في مثل عدد أهل مصر، وخرجوا جميعاً في شوال مظہرين للحج. ولما كانوا من

معاوية: أجعل كفالتهم إلى أمرائهم وأنا أكفلك الشام، وقال عبد الله: استصلحهم بالمال. فردهم عثمان إلى أعمالهم وأمرهم بتجهيز الناس في المبوث ليكون لهم فيها شغل، ورد سعيد إلى الكوفة فلقيه الناس بالجزعة وردوه كما ذكرناه وعلى أبي موسى وأمر عثمان حديفة بغزو الباب فسار نحوه.

ولما كثر هذا الطعن في الأ MCSAR وتواتر بالمدينة وكثير الكلام في عثمان والطعن عليه، وكان له منهم شيبة يذبنون عنه: مثل زيد بن ثابت وأبي أسد الساعدي وكعب بن مالك وحسان بن ثابت فلم يغنو عنه، واجتمع الناس إلى علي بن أبي طالب وكلمه وعندوا عليه ما نقوم، فدخل على عثمان وذكر له شأن الناس وما نقموا عليه وذكره بأفعال عمر وشدة ولبنيه هو لعماله وعرض عليه ما يخاف من عواقب ذلك في الدنيا والآخرة، فقال له: إن المغيرة بن شعبة ولباه وعمر ولاه، ومعاوية كذلك، وابن عامر تعرفون رحمه وقرباته. فقال له علي: إن عمر كان يطأ على صماخ من ولاه وأنت ترافق بهم وكانتوا أخوف لعمر من غلامه يرفاً ومعاوية يستبدل عليك، ويقول هذا أمر عثمان فلا تغير عليه. ثم تكلما طويلاً وافتقا وخرج عثمان على أثر ذلك، وخطب وعرض بما هو فيه من الناس وطعنهم وما يريدون منه، وإنهم تحرروا عليه لرفقه بما لم يتجرأوا على ابن الخطاب، ووافقوه برجوعه في شأنه إلى ما يقدمهم.

## حصار عثمان ومقتله رضي الله عنه وأئباه ورفع درجته

ولما كثرت الإشاعة في الأ MCSAR بالطعن على عثمان وعماله، وكتب بعضهم إلى بعض في ذلك وتواتر الأخبار بذلك على أهل المدينة، جاؤوا إلى عثمان وأخبروه فلم يجدوا عنده علمآ منه. وقال: أشيروا على وأنتم شهود المؤمنين. قالوا: تبعث من تقن به إلى الأ MCSAR يأترك بالأخبار. فارسل محمد بن مسلمة إلى الكوفة، وأسامه بن زيد إلى البصرة، وعبد الله بن عمر إلى الشام وغيرهم إلى سواها فرجعوا، وقالوا: ما انكرنا شيئاً ولا انكره علماء المسلمين ولا عوامهم، وتأخر عمار بن ياسر بمصر واستالماء ابن السوداء وأصحابه خالد بن ملجم وسودان بن حرمان وكتانة بن بشر، وكتب عثمان إلى أهل الأ MCSAR إني قد رفع إلى أهل المدينة أن عمالي وقع منهم أضرار بالناس وقد أخذتهم بآن يواجهوني في كل موسم فمن كان له حق فليحضر يأخذ بحقه مني أو من عمالي، أو تصدقوا فإن الله يجزي المتصدقين. فبكي الناس عند

إن أهل المدينة يعلمون أنكم ملعونون على لسان محمد فاغروا الخطأ بالصواب، فقال محمد بن مسلمة: أناأشهد بذلك، فاتبعه حكيم بن جبلة، وقام زيد بن ثابت فأقعده آخر، وحسبوا الناس حتى أخرجوهم من المسجد، وأصيب عثمان بالحصبة فصرخ وقال دونه سعد بن أبي وقاص والحسين وزيد بن ثابت وأبو هريرة. ودخل عثمان بيته وعزم عليهم في الانصراف فانصرفو، ودخل علي وطلحة والزبير على عثمان يعودونه وعندله نفر من بني أمية منهم مروان فقالوا لعلي: أهلكتنا وصنعت هذا الصنع والله لن بلغت الذي تزيد لحزن عليك الدنيا، فقام مغضاً وعادوا إلى منزلهم. وصلى عثمان بالناس وهو محصور ثلاثين يوماً، ثم منعوه الصلاة، وصلى الناس أمير المصريين الغافقي بن حرب العكي، وتفرق أهل المدينة في بيوتهم وحيطائهم ملازمين للسلاح وفقي الحصار أربعين يوماً. وقيل: بل أمر عثمان أبا إبروب الأنصاري فصلى أيامه، ثم صلى علي بعده بالناس وقيل: أمر علياً سهل بن حنيف فصلى عشر ذي الحجة ثم صلى العيد والصلوات حتى قتل عثمان.

وقد قيل في حصار عثمان: أن محمد بن أبي بكر ومحمد بن حذيفة كانا بمصر يحرسان على عثمان، فلما خرج المصريون في رجب مظاهرين للحج ومضمرین قتل عثمان أو خلمه وعليهم عبد الرحمن بن عيسى البلوي كان فيمن خرج مع المصريين محمد بن أبي بكر، وبعث عبد الله بن سعيد في أثارهم وأقام محمد بن حذيفة بمصر، فلما كان ابن أبي سرح باليلة يلنه أن المصريين رجموا إلى عثمان فحضره، وأن محمد بن أبي حذيفة غالب على مصر فرجع سريعاً إليهما فمنع منها، فلأنه فلسطين واقام بها حتى قتل عثمان. وأما المصريون فلما نزلوا ذا خشب جاء عثمان إلى بيت علي ومت إليه بالقرابة في أن يركب إليهم ويردهم ل بلا تظهر الجرأة منهم، فقال له علي: قد كلمتك في ذلك فأطعت أصحابك وعصيتك! يعني مروان ومعاوية وابن أبي سرح وعبد الرحمن وسعيداً. فعلى أي شيء أردتهم؟ فقال: على أن أصير إلى ما تراه وتشيره وأن أعصي أصحابي وأطيعك. فركب علي في ثلاثين من المهاجرين والأنصار فيهم سعد بن زيد وأبو جهم العدوبي وجبر بن مطعم وحكيم بن حزام ومروان بن الحكم وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن عتاب، ومن الأنصار أبو أسيد الساعدي وأبو حميد وزيد بن ثابت وحسان وكعب بن مالك، ومن العرب دينار بن مكرز، فأتوا المصريين وتولى الكلام معهم علي ومحمد بن مسلمة، فرجعوا إلى مصر، وقال ابن عيسى لحمد: أتوصينا بمراجعة؟ قال: تتفى الله وتترد من قبلك عن أمانه فقد وعدنا أن

المدينة على ثلاث مراحل تقدم ناس من أهل البصرة وكان هوامم في طلحة فنزلوا ذا خشب، وتقى ناس من أهل الكوفة وكان هوامم في الزبير فنزلوا الأغوص، ونزل معهم ناس من أهل مصر وكان هوامم في علي وتركوا عامتهم بذى المروءة. وقال أبو زيد بن النضر عبد الله بن الأصم من أهل الكوفة: لا تعجلوا حتى ندخل المدينة فقد بلغنا أنهم عسکروا لنا فوالله إن كان حقاً لا يقوم لنا أمر.

ثم دخلوا المدينة ولقوا علياً وطلحة والزبير وأمهات المؤمنين وأخبروهم أنهم إنما آتوا للحج وأن يستغروا من بعض العمال، واستأنزوا في الدخول فمنعوهم ورجعوا إلى أصحابهم وتناولوا في أن يذهب من أهل الكوفة وكل مصر فريق إلى أصحابهم كياداً وطلبباً في الفرقة، فلأن المصريون علياً وهو في عسكره عند أحجار الزيت وقد بعث ابنه الحسن إلى عثمان فيمن اجتمع عليه ففرضوا عليه أمرهم، فصاح بهم وطردهم وقال: إن جيش ذي المروءة ذي خشب والأغوص ملعونون على لسان رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد علم ذلك الصالحون. وأنى المصريون طلحة والكوفيون الزبير فقالا مثل ذلك فانصرفو وافتلقوا عن هذه الأماكن إلى عسكفهم على بعد. ففرق أهل المدينة فلم يشعروا إلا والكثير في نواحيها، وقد هجموا وأحاطوا بعثمان ونادوا بآمان من كف يده، وصلى عثمان بالناس أياماً ولزم الناس بيوتهم ولم ينعوا الناس من كلامه، وغدا عليهم على فقال: ماردمكم بعد ذهابكم؟ قالوا: أخذنا كتاباً مع يزيد بقتلنا. وقال المصريون لطلحة والكوفيون للزبير مثل مقالة أهل مصر وإنهم جاؤوا لينتصروهم، فقال لهم علي: كيف علمتم بما لقي أهل مصر وكلكم على مراحل من صاحبه حتى رجعتم علينا جميعاً؟ هذا أمر أبى بيل. فقالوا: أجعلوه كيف شتم لا حاجة لنا بهذا الرجل ليعتزلنا، وهم يصلون خلفه ومنعوا الناس من الاجتماع معه.

وكتب عثمان إلى أهل الأمساك يستحثهم فيبعث معاوية حبيب بن مسلمة النهري، وبعث عبد الله بن أبي سرح معاوية بن جريح وخرج من الكوفة القعاع بن عمرو، وتسابقا إلى المدينة على الصعب والذلل، وقام بالكوفة نفر يخوضون على إعانة أهل المدينة فمن الصحابة عقبة بن عامر وعبد الله بن أبي أوفى وحظلة الكاتب، ومن التابعين مسروق الأسود وشريح وعبد الله بن حكيم. وقام بالبصرة في ذلك عمران بن حسين وأنس بن مالك وهشام بن عامر، ومن التابعين كعب بن سوار وهرم بن حبان. وقام بالشام ويصر جماعة أخرى من الصحابة والتابعين. ثم خطب عثمان في الجمعة القابلة وقال: يا هؤلاء! الله اللهُمَّ فوالله

والقرابة والشهر، ولو كان أمر الجاهلية فقط كان عاراً على بني عبد مناف أن تنتزع تيم أمرهم فجاء علي إلى طلحة وقال ما هذا؟ فقال طلحة: أبعد ما من الحزام الطيبين يا أبا حسن! فاتصرف علي إلى بيت المال، وأعطي الناس فقي طلحة وحده وسر بذلك عثمان وجاء إليه طلحة فقال له: والله ما جئت تابباً ولكن مغلوبأ فالله حسيبك يا طلحة.

وقيل: إن المصريين لما رجعوا خرج إليهم محمد بن مسلمة فأعطوه صحيفة قالوا وجدناها عند غلام عثمان بالبوب وهو على بعير من إيل الصدقة يأمر فيها بجلد عبد الرحمن بن عديس وعمرو بن الحمق وعروة بن اليعا وجسدهم وحلق رؤوسهم ولحاهن وصلب بعضهم، وقيل: وجدت الصحيفة ييد أبي الأعور وعاد المصريون وعاد معهم الكوفيون والبصرانيون وقالوا محمد بن مسلمة حين سألهما: قد كلامنا عليك وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد فوعدوه أن يكلموه فليحضر علي معنا عند عثمان. ثم دخل علي وحمد على عثمان وأخبره بقول أهل مصر فخلف ما كتب ولا علم. فقال محمد: صدق! هذا من عمل مروان. ودخل المصريون فشكى ابن عديس بباب أبي سرح وما أحدثه بهصر وأنه ينسب ذلك إلى كتاب عثمان وإنما جتنا من مصر لقتلك فرداً على محمد وضمنا لنا التزوع عن هذا كله فرجعنا ولقينا هذا الكتاب وفيه أمرك لابن أبي سرح بجلدنا والمثلثة بنا وطول الحبس وهو يهد غلامك وعليه خاتتك، فخلف عثمان ما كتب ولا أمر ولا علم. قالوا: فكيف يحيط عليك بمثل هذا؟ فقد استحقيت الخلع على التقديرين ولا يحل أن يول الأمور من يتهمي إلى هذا الضعف، فاخلي نفسك فقال: لا أنتزع ما في يديك الله ولكن أتوب وأرجع.

قال: رأيتك توب وتعود فلا بد من خلعت أو قتلك وقتل أصحابك دون ذلك إلى أن يخلص إليك أو تموت، فقال: لا ينالكم أحد باخري ولو أردت ذلك لاستجشت بأهل الأمصار. ثم كثر اللغط وأخرجوها ومضى علي إلى منزله، وحضر المصريون عثمان وكتب إلى معاوية وابن عامر يستحثهم وقام بزيد بن أسد القسري فاستنصر أهل الشام وسار إلى عثمان وبلغهم قتله بوادي القرى فرجعوا، وقيل: سار من الشام حبيب بن مسلمة ومن البصرة مجاشع بن مسعود فبلغهم قتله بالربوة فرجعوا.

وكانت بطامة عثمان أشاروا عليه أن يبعث إلى علي في كفهم عنه على الرفقاء لهم، فبعث إليه في ذلك فأجاب بعد توقيف ثم بعث إليهم فقالوا: لا بد لنا أن نتوثق منه وجاءه فأعلمه وتوقن منه على أهل ثلاثة أيام، وكتب بينهم كتاباً على رد المظالم وعزل

يرجع وينزع. ورجع القوم إلى المدينة ودخل علي على عثمان وأخبره برجوع المصريين، ثم جاءه مروان من الغد فقال له: أحبر الناس بأن أهل مصر قد رجعوا وأن ما بلغتهم عنك كان باطلأ قبل أن تحيط الناس من الأمصار و يأتيك ما لا تطيقه فعل. فلما خطب ناداه الناس من كل ناحية: اتق الله يا عثمان وتب إلى الله وكان أولهم عمرو بن العاص، فرفع يده وقال له: إني تائب. وخرج عمرو بن العاص إلى منزله بفلسطين، ثم جاء الخبر بمحصاره وقتله. وقيل: إن علياً لما رجع عن المصريين أشار على عثمان أن يسمع الناس ما اعتمز عليه من التزوع قبل أن تحيط بهم، ففعل وخطب بذلك وأعطي الناس من نفسه التوبة وقال: أنا أول من اتعظ استغفر الله ما فعلت وأنتوب إليه فلبيات أشرافكم يرونني رأيهم فوالله إن ردني الحق عبداً لأستنق بستة العبد ولأذلن ذل العبد وما عن الله مذهب إلا إليه فوالله لأعطيتكم الرضى ولا أحتجب عنكم. ثم بكى ويكي الناس ودخل منزله، فجاءه نفر من بيته أمية يعنلونه في ذلك فرجمتهم ناثلة بنت الفرافصة فلم يرجعوا إليها، وعابوه فيما فعل واستذلوه في إقراره بالخطيئة والتوبة عند الخرف، واجتمع الناس بالباب وقد ركب بعضهم بعضاً، فقال مروان: كلهم! فاغلظ لهم في القول. وقال: جئتم لزع ملكتنا من أيدينا. والله لئن رمتونا ليمرن عليكم مما أمر لا يسركم ولا تمدوا غب رأيكم أرجعوا إلى منازلكم فإنما والله ما نحن مغلوبون على ما في أيدينا. وببلغ الخبر علياً فذكر ذلك، وقال عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث: أسمعت خطبته بالأمس ومقالة مروان للناس اليوم؟ يا الله يا للناس! إن قعدت في بيتي قال تركني وقرابتي وحقي وإن تكلمت فجاء ما يزيد يلعب به مروان ويسوقه حيث يشاء بعد كبر السن وصحبة الرسول. وقام مضطباً إلى عثمان واستيقن مقالة مروان وأتبه عليها وقال: ما أنا عائد بعد مقامي هذا لما عاتبتك فقد أنهيت شرفك وغلبت على رأيك. ثم دخلت عليه أمرأته ناثلة وقد سمعت قول علي، فعذلتاه في طاعة مروان، وأشارت عليه باصلاح علي فبعث إليه فلم يأت. فاتاه عثمان إلى منزله ليلاً يستلنه وبعده الشبات على رأيه معه فقال: بعد أن قام مروان على بابك يشتم الناس ويؤذنهم؟ فخرج عثمان وهو يقول: خذلني وجرأت على الناس! فقال علي: والله إبني أكثر الناس ذباً عنك ولكي كلما جئت بشيء أظهه لك رضاً جاء مروان بأخرى فسمعت قوله وترك قولي. ثم مُنع عثمان الماء فغضب علي غضباً شديداً حتى دخلت الروايا على عثمان.

وقيل: إن علياً كان عند حصار عثمان مجبراً فقدم والناس يجتمعون عند طلحة فجاءه عثمان وقال يا علي! إن لي حق الإخاء

عليه وأم حيبة فلزمو بيتهما، وكان آن حزم يدسون الماء إلى بيت عثمان في الغلات، وكان ابن عباس من لزم باب عثمان للمدافة فأشرف عليه عثمان وأمره أن يحج بالناس، فقال: جهاد هؤلاء أحب إلى! فأقسم عليه وانطلق.

ولما رأى أهل مصر أن أهل الموسى يريدون قصدهم، وأن أهل الأمصار يسرون إليهم اعتزموا على قتل عثمان رضي الله عنه وتقبل شهادتهم يرجون في ذلك خلاصهم واستغلال الناس عنهم، فقاموا إلى الباب ليقتحموه فمنعهم الحسن بن علي وابن الزبير وعمد بن طلحة ومروان وسعيد بن العاص ومن معهم من أبناء الصحابة وقاتلوكهم وغلبوا دون الباب، ثم صدتهم عثمان عن القتال وحلف ليدخلن فدخلوا وأغلق الباب فجاؤوا بالنار وأحرقوه، ودخلوا وعثمان يصلى وقد افتح سوره طه، وقد سار أهل الدار فما شغله شيء من أمرهم حتى فرغ وجلس إلى المصطفى يقرأ فقرًا **﴿الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ إِنَّ النَّاسَ إِذَا تَجَمَّعُوا لَكُمْ فَاخْشُوْهُمْ فَرَأَوْهُمْ إِعْنَانًا وَقَاتَلُوكُمْ حَسْبًا اللَّهُ وَيَعْلَمُ الْوَكِيلُ﴾**. ثم قال من عنده: إن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه قد عهد إلى عهدها فانا صابر عليه، ومنعهم من القتال وأذن للحسن في اللحاق باليه وأقسم عليه فاني وقاتل دونه، وكان المغيرة بن الأختنس بن شريق قد تعجل من الخرج في عصابة لنصره فقاتل حتى قتل، وجاء أبو هريرة ينادي: يا قوم ما لي أدعوك إلى التجاة وتدعونني إلى النار وقاتل.

ثم اقتحمت الدار من ظهرها من جهة دار عمرو بن حزم فامثلات قوماً ولا يشعر الذين بالباب، وانتدب رجل فدخل على عثمان في البيت فحاوره في الخلع ثانية فخرج، ودخل آخر ثم آخر كلهم يعظه فيخرج ويفارق القوم، وجاء ابن سلام فرعندهم فهموا بقتله، ودخل عليه ثالثة أمراته تتقى الضرب يليها ففتحها أحدهم بالسيف في أصابعها. ثم قتلوه وسال دمه على المصحف.

وجاء غلاماته قتلوا بعض أولئك القاتلتين وقتلوا آخر واتهروا ما في البيت وما على النساء حتى ملأة نائلة، وقتل الغلمان منهم وقتلوا من الغلمان، ثم خرجوا إلى بيت المال فاتهروا، وأرادوا قطع رأسه فمنعهم النساء فقال ابن عديس: اتركوه.

ويقال إن الذي تولى قتله كانه بن بشير التنجي وطعنه عمرو بن الحمق طعنات، وجاء عمرو بن ضابي و كان أبوه مات في سجنه فوثب عليه حتى كسر ضلعه من أضلاعه. وكان قتله

من كرهه من العمال. ثم مضى الأجل وهو مستعد ولم يغير شيئاً، فجاءه المصريون من ذي خشب يستتجزون عهدهم فأنهى حصاره.

وأرسل إلى علي وطلحة والزبير وأشرف عليهم فجاههم ودعا لهم، ثم قال: أشدكم الله تعالى هل تعلمون أنكم دعوتם الله عند مصائبكم أن يختار لكم وبجمعكم على خيركم؟ أقولون إنه لم يستجب لكم أو تقولون إن الله لم يبال بمن ولئن هذا الدين ألم تقولون إن الأمة ولوا مكاسبة وعن غير مشورة فوكالهم إلى أميرهم أولم يعلم عاقبة أمري؟ ثم أشدكم الله هل تعلمون لي من السوابق ما يجيب حقه؟ فمهلاً فلا يحل إلا قتل ثلاثة: زان بعد إحسان وكافر بعد إيمان وقاتل بغیر حق ثم إذا قتلتموني وضعتم السيف على رقبكم، ثم لا يعرف الله عنكم الاختلاف.

قالوا له: أما ما ذكرت من الاستخاراة بعد عمر فكل ما صنع الله تعالى فيه الخبرة، ولكن الله ابتلى بك عباده وأما حرك وسابقتك ف صحيح، لكن أحدث ما علمت ولا ترك إقامة الحق خافة الفتنة عاماً قابلاً، وأما حصر القتل في الثلاثة فقي كتاب الله: قتل من سعى في الأرض فساداً ومن قاتل على البغي وعلى منع الحق والنكارة عليه، وأنت إنما تمكنت بالأماراة علينا وإنما قاتل دونك هؤلاء بهذه التسمية فلو نزعتها انصرفوا.

فسكت عثمان ولزم الدار وأقسم على الناس بالانصراف فانصرفوا إلا الحسن بن علي ومحمد بن طلحة وعبد الله بن الزبير. وكانت مدة الحصار أربعين يوماً، ولثمان عشرة منها وصل الخبر بمسير الجنود من الأمصار فاشتد الأحصار ومنعوه من لقاء الناس ومن الماء، وأرسل إلى علي وطلحة والزبير وأمهات المؤمنين بطلب الماء فركب علي عليهم مخلساً وقال: يا أيها الناس إن هذا لا يشبه أمر المؤمنين ولا الكافرين! وإن الأسير عند فارس والروم يطعم ويسكنى. فقالوا لا والله ونعمت عين. فرجع وجاءت أم حيبة على بغلتها مشتملة على أدواة وقالت: أردت أن أسأل هذا الرجل عن وصايا عنده لبني أمية أو تهلك أموال أيتامهم وأراملهم، فقالوا: لا والله، وضرروا وجه البغلة فنفرت وكانت تسقط عنها وذهب بها الناس إلى بيتها.

وأشرف عليهم عثمان وقرر حقوقه وسوابقه فقال بعضهم: مهلاً عن أمير المؤمنين، فجاء الأشر وفرق الناس وقال: لا يذكر بكم. ثم خرجت عائشة إلى المحج ودعت أخاهما فاني، فقال له حنظلة الكاتب: تدعوك أم المؤمنين فلا تتبعها وتبعد سفهاء العرب فيما لا يحيى؟ ولو قد صار الأمر إلى الغلبة غلبك عليه بنو عبد مناف. ثم ذهب حنظلة إلى الكوفة وبلغ طلحة والزبير ما لقى

وقدامة بن مظعون والمغيرة بن شعبة. وأما النعمان بن بشير فأخذ أصابع ناثلة امرأة عثمان وقبضه الذي قتل فيه ولحق بالشام صريخاً.

وقيل: إن عثمان لما قتل بقي الغافقي بن حرب أميراً على المدينة خمسة أيام، والتمس من يقوم بالأمر فلم يجد أحداً، وأتوا إلى علي فامتنع، وأتى الكوفيون الزبير والبصرة طلحة فامتنعاً، ثم بعثوا إلى سعد وابن عمر فامتنعوا. ففروا حيارى ورأوا أن رجوعهم إلى الأمصار بغیر إمام يوقع في الخلاف والفساد، فجمعوا أهل المدينة وقالوا: أنت أهل الشورى وحكمكم جائز على الأمة فاعقدوا الإمام ونحن لكم تبع وقد أجلاناكم يومين وإن لم تفعلاوا قتلنا فلاناً وفلاناً وغيرهم يشاربون إلى الأكابر. فجاء الناس إلى علي فاعتذر وامتنع، فخوفوه الله في مراقبة الإسلام، فوعدهم إلى العد.

ثم جاؤوه من الغد وجاء حكيم بن جبلة في البصريين، فأحضر الزبير كرهًا، وجاء الأشتري في الكوفيين فأحضر طلحة كذلك وبايعوا علي، وخرج إلى المسجد وقال: هذا أمركم ليس لأحد فيه حق إلا من أردتم وقد افترقنا أمس وأنا كاره فليأتكم إلا أن أكون عليكم، فقالوا: نحن على ما افترقنا لك عليه بالأمس، فقال لهم: اللهم اشهد! ثم جاؤوا بقرون من مختلف قالوا تباع على إقامة كتاب الله. ثم بايع العامة، وخطب علي وذكر الناس وذلك يوم الجمعة لخمس بيقين من ذي الحجة ورجع إلى بيته، فجاءه طلحة والزبير وقالا: قد اشتربطنا إقامة الحدود فلتقمها على قتلة هذا الرجل، فقال: لا قدرة لي على شيء مما ت يريدون حتى يهدأ الناس وتستقر الأمور فتوخذ الحقوق، فاقرقو عنه.

وأكثر بعضهم المقالة في قتلة عثمان وباستناده إلى أربعة في راييه.

وبالله ذلك فخطفهم ذكر فضلهم وحاجته إليهم ونظرة لهم، ثم هرب مروان وبنو أمية ولحقوا بالشام، فاشتد على علي منع قريش من الخروج، ثم نادى في اليوم الثالث برجوع الأعراب إلى بلادهم، فأبوا وتدامرت معهم السبيبه، وجاءه طلحة والزبير فقال: دعنا نات البصرة والكوفة فستقر الناس فأهلها. وجاء المغيرة فأشار عليه باستبقاء العمال حتى يستقر الأمر ويستدلوا من شاء فأهلها، ورجع من الغد فأشار بمعالجة الاستبدال، وجاءه ابن عباس فأخبره بخبر المغيرة، فقال: نصحك أمس وغضبك اليوم. قال: فما الرأي؟ قال: كان الرأي أن تخرج عند قتل الرجل أو قبل ذلك إلى مكة وأما اليوم فإن بي أمية يشبهون على الناس بأن يلجموك طرقاً من هذا الأمر ويطلبون ما طلب أهل المدينة في قتلة

لثمان عشرة خلت من ذي الحجة ويقي في بيته ثلاثة أيام. ثم جاء حكيم بن حزام وجير بن مطعم إلى علي فاذن لهم في دفنه، فخرجوه بين المغرب والعشاء ومعهم الزبير والحسن وأبوا جهم بن حذيفة ومروان فدقنوه في حش كوكب، وصلى عليه جبير وقيل مروان وقيل حكيم، ويقال: إن ناساً تعرضوا لهم ليمنعوا من الصلاة عليه، فأرسل إليهم علي وجزرهم. وقيل إن علياً وطلحة حضرا حجازه وزيد بن ثابت وكعب بن مالك.

وكان عمالة عند موته على ما ذكره: فعلى مكة عبد الله بن الحضرمي، وعلى الطائف القاسم بن ربيعة التقي، وعلى صنعاء علي بن منية، وعلى الجند عبد الله بن ربيعة، وعلى البصرة والبحرين عبد الله بن عامر، وعلى الشام معاوية بن أبي سفيان، وعلى حصن عبد الرحمن بن خالد من قبله، وعلى قنسرين حبيب بن مسلمة كذلك، وعلى الأردن أبو الأعرور السلمي كذلك، وعلى فلسطين علامة بن حكيم الكندي كذلك، وعلى البحرين عبد الله بن قيس الفزاري، وعلى القضاة أبو الدرداء، وعلى الكوفة أبو موسى الأشعري على الصلاة والقطعان بن عمرو على الحرب، وعلى خراج السرداد جابر المزني وسماك الأنصاري على الخراج، وعلى فرسقيسا جيرير بن عبد الله، وعلى أذربيجان الأشعث بن قيس، وعلى حلوان عتبة بن نهاس، وعلى أصحابه السادس بن الأعرج، وعلى ماسيدان خنيس، وعلى بيت المال عقبة بن عمرو، وعلى القضاة زيد بن ثابت.

## بيعة علي رضي الله عنه

لما قتل عثمان اجتمع طلحة والزبير والمهاجرون والأنصار وأتوا علياً يبايعونه، فأبى وقال: أكون وزيراً لكم خير من أن أكون أميراً ومن اختتم رضيتي، فلحوا عليه وقالوا له: لا نعلم أحق منك ولا نختار غيرك حتى غلبوه في ذلك، فخرج إلى المسجد وبايعه وأول من بايده طلحة ثم الزبير بعد أن خيرهما - ويقال إنهم أدعيا الإكراه بعد ذلك باربعة أشهر وخرجوا إلى مكة - ثم بايده الناس. وجاؤوا بابن عمر فقال كذلك. فقال اتنى بكيفيل. قال لا أجده فقال الأشتري: دعني أقتله فقال علي: دعوه أنا كفيلي. وبايعد الأنصار وتآخر منهم حسان بن ثابت وكعب بن مالك ومسلمة بن مخلد وأبوا سعيد الخدري ومحمد بن مسلمة والنعمان بن بشير وزيد بن ثابت ورافع بن خديج وفضالة بن عبيد وكعب بن عجرة وسلمة بن سلامة بن وقش، وتآخر من المهاجرين عبد الله بن سلام وصهيب بن سنان وأسامه بن زيد

رسول علي، فقدم في ربيع الأول ودخل العبسى وقد رفع الطمار كما أمره حتى دفعه إلى علي، فقضى فلم يجد فيه كتاباً فقال للرسول: ما ورائك؟ قال: آمن أنا؟ قال: نعم! قال: تركت قوماً لا يرضون إلا بالقرد قال: ومن؟ قال منك وتركست سفين الف شيخ يكنون تحت قبيص عثمان منصوباً على منبر دمشق. فقال: اللهم إني أبراً إليك من دم عثمان! قد نجا والله قتلة عثمان إلا أن يشاء الله. ثم رده إلى صاحبه وصاحت السبية: أقتلوا هذا الكلاب وأفاد الكلب، فنادى يا مضر يا لقيس أحلف بالله ليردنا عليكم أربعة آلاف خصي فاظرواكم الفحول والركاب وتقاوروا عليه، فمنعته مضر ودس أهل المدينة على علي من يأتيهم برأيه في القتال وهو زياد بن حنظلة التميمي وكان منقطعاً إليه فجالسه ساعة فقال له علي: سيروا لغزو الشام. فقال لعلي: الأنا والرفق أمثل فتمثل يقول:

متى تجمع القلب الذكي وصارماً ونفساً حياً تمتنبك المظالم  
فعلم أن رأيه القتال ثم جاء إلى القوم الذين دسوه فأخبرهم ثم استأنده طلحة والزبير في العمارة وحلقاً بمكة. ثم اعتزم على الخروج إلى الشام ودعا أهل المدينة إلى قتالهم، وقال: انطلقوا إلى هؤلاء القوم الذين يريدون تفريق جماعتكم لعل الله يصلح بكم ما أنسد أهل الآفاق وتقوضون الذي عليكم. وأمر الناس بالتجهز إلى الشام ودفع اللواء محمد ابن الخطبة، وولى عبد الله بن عباس ميمنته، وعمرو بن أبي سلمة ميسره، ويقال: بل عمرو بن سفيان بن عبد الأسد، وولى أبي ليلى بن عمرو بن الجراح ابن أخي عبيدة مقدمته، ولم يول أحداً من خرج على عثمان.

واستخلف على المدينة ثامن بن العباس، وعلى مكة قثم بن العباس. وكتب إلى قيس بن سعد بمصر وعثمان بن حنيف بالبصرة وأبي موسى بالكوفة أن يتذدوا الناس إلى الشام، وبينما هو على التجهيز للشام إذ أتاه الخبر عن أهل مكة بتحور آخر وأنه على الخلاف فانتقض عن الشام.

### أمر الجمل

ولما جاء خبر مكة إلى علي قام في الناس وقال: ألا إن طلحة والزبير وعائشة قد عالاوا على تنفس إمارتي ودعوا الناس إلى الإصلاح وساصبر ما لم أخف على جماعتكم وأكف إن كفوا وأقتضي نحومهم، وندب أهل المدينة فتناقلوا، وبعث كميلاً التخسي فجاءه بعد الله بن عمر فقال: انهض معى! فقال: أنا من أهل المدينة أفعل ما يفعلون، قال: فأعطيك كفياً بئنك لا تخرج، قال:

عثمان فلا يقدرون عليهم والرأي أن تقر معاوية. فقال علي رضي الله عنه والله لا أعطيه إلا السيف.

قال له ابن عباس: أنت رجل شجاع لست صاحب رأي في الحرب أما سمعت رسول الله صلوات الله عليه وسلم يقول: «الحرب خدعة». قال: بل! فقال ابن عباس: أما والله إن أطعني لأتركهم ينظرون في دبر الأمور ولا يعرفون ما كان وجهها من غير نقصان عليك ولا إثم لك. فقال: يا ابن عباس لست من هناتك ولا هنات معاوية في شيء. فقال ابن عباس: أطعني والحق بالله يبنيع وأغلق ببابك عليك فإن العرب تجول جولة وتضطرب ولا تهدى غيرك، وإن نهضت مع هؤلاء القوم اليوم يمحقك الناس دم عثمان غداً. فلابي علي وقال: أشر علي وإذا خالفتك أطعني. قال: أيسر ما لك عندى الطاعة. قال: فسر إلى الشام فقد وليتكم. قال: إذا قتلتني معاوية بعثمان أو يحبسي فتتحكم علي لقرارتي منك ولكن أكتب إليه وعده فألي. وكان المغيرة يقول: نصحته فلم يقبل فغضض ولحق بمكة. ثم فرق علي العمال على الأنصار فبعث على البصرة عثمان بن حنيف، وعلى الكوفة عمارة بن شهاب من المهاجرين، وعلى اليمين عبد الله بن عباس، وعلى مصر قيس بن سعد، وعلى الشام سهل بن حنيف. فقضى عثمان إلى البصرة فدخلها واختلفوا عليه فأطاعته فرقة وقال آخرون: نظر ما يصنع أهل المدينة فقتلوا بهم، وممضى عمارة إلى الكوفة فلما بلغ زبالة لقي طلحة بن خربيل فقال له: إرجع فلان القوم لا يستبدلون بأبي موسى وإلا ضربت عنقك، وممضى ابن عباس إلى اليمين فجمع يعلى بن منية مال الجباية وخرج به إلى مكة ودخل عبد الله إلى البصرة، وممضى قيس بن سعد إلى مصر ولقيه بايلة خيالة من أهل مصر فقالوا: من أنت؟ قال: قيس بن سعد من فل عثمان أطلب من آوي إليه وأنتصر به. وممضى حتى دخل مصر وأظهر أمره فاقترعوا عليه فرقة كانت معه وأخرى ترقصوا حين يروا فعله في قتلة عثمان.

وممضى سهل بن حنيف إلى الشام حتى إذا كان بتبوك لقيته خليل فقال لهم: أنا أمير على الشام، قالوا إن كان بتعلك غير عثمان فارجع فرجع. فلما رجع وجاءت أخبار الآخرين دعا علي طلحة والزبير وقال: قد وقع ما كنت أحذركم. فسألوه الإذن في الخروج من المدينة وكتب علي إلى أبي موسى مع عبد المسلمين فكتب إليه بطاعة أهل الكوفة وبيتهم ومن الكاره منهم والراضي حتى كان يشاهد. وكتب إلى معاوية مع سيرة الجھنمي فلم يجده إلى ثلاثة أشهر من مقتل عثمان، ثم دعا قيسة من عبس وأعطاه كتاباً مختوماً عنوانه: من معاوية إلى علي وأوصاه بما يقول وأعاده مع

على رأيه وقالوا: إن الذين معنا لا يطيقون من بالمدينة ويخجرون ببيعة على وإذا أتينا البصرة أنهضناهم كما أنهضنا أهل مكة وجاهدنا، فاتفقوا ودعوا عبد الرحمن بن عمر إلى التهوض فلابي وقال: أنا من أهل المدينة أفعل ما يقللون.

وكانت أمهات المؤمنين معها على قصد المدينة، فلما نهضت إلى البصرة قعدوا عنها وأجابتها حفصة فمنعها أنورها عبد الله، وجهزهم ابن عامر بما معه من المال وبعلى بن منية بما معه من المال والظهور، ونادوا في الناس بالحملان فحملوا على ستمائة بعير وساروا في ألف من أهل مكة ومن أهل المدينة وتلاحق بهم الناس فكانوا ثلاثة آلاف، ويعتذر أم الفضل أم عبد الله بن عباس بالآخر استاجرتو على كتابها من أبلغه عليها، ونهضت عائشة ومن معها، وجاء مروان بن الحكم إلى طلحة والزبير فقال: على أيكما أسلم بالإمرة وأذن بالصلوة، فقال ابن الزبير على أبيه، وقال ابن طلحة: على أبيه، فأرسلت عائشة إلى مروان تقول له: أتريد أن تفرق أمرنا ليصل الناس ابن أخي تعني عبد الله بن الزبير، وودع أمهات المؤمنين عائشة من ذات عرق باكيات، وأشار سعيد بن العاص على مروان بن الحكم وأصحابه بإدراك ثارهم من عائشة وطلحة والزبير، فقالوا: نسير لعلنا نقتل قتلة عثمان جميعاً.

ثم جاء إلى طلحة والزبير فقال: لمن تجعلان الأمر إن ظفرت؟ قالا: لأحدنا الذي تخاته الناس، فقال: بل أجعلوه لولد عثمان لأنكم خرجتم تطلبون بيده فقالوا: وكيف ندع شريوخ المهاجرين ونجعلها لأبنائهم؟ قال: فلا أراني أسمى إلا لإخراجها من بني عبد مناف فرجع، ورجع عبد الله بن خالد بن أسيد ووافقه المغيرة بن شعبة ومن معه من ثقيف فرجعوا، ومضى القوم ومعهم ابن والوليد ابنا عثمان، وأركب يعلى بن منية عائشة جلاساً اسمه عسکر اشتراه بمائة دينار وقيل بثمانين، وقيل: بل كان لرجل من عربة عرض لهم بالطريق على جبل فاستبدلوا به جبل عائشة على أن حله بالف فزادوه أربعين درهم، وسألوه عن دالة الطريق فدخلوا ومر بهم على ماء الحواب فنبثتهم كلابه، وسألوه عن الماء فعرفهم باسمه.

فقالت عائشة: ردوني سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول وعنده نساؤه: «ليت شعرى أينك تيجها كلاب الحواب؟» ثم ضرب عضد بغيرها فاناخته وأقامت بهم يوماً وليلة إلى أن قيل: النجاء! النجاء! قد أدرككم علي، فارتحلوا نحو البصرة فلما كانوا يفتألها لقيهم عمير بن عبد الله التميمي وأشار بان يتقدم عبد الله بن عامر إليهم فارسلته عائشة وكتب معه إلى رجال من البصرة: إلى الأحنف بن قيس وسمرة وأمثالهم، وأقامت بالحففين تتظر

ولا هذه، فتركه ورجع إلى المدينة.

وخرج إلى مكة وقد أخبر ابنته علي أم كلثوم بأنه سمع من أهل المدينة في تناقلهم وأنه على طاعة علي وينتزع معمراً، وجاء الخبر من الغادة إلى علي بأنه خرج إلى الشام فبعث في أثره على كل طريق، وماج أهل المدينة، وركبت أم كلثوم إلى أبيها وهو في السوق يبعث الرجال ويظاهر في طلبه فانصرف عن ذلك ووثق فيما قاله، ورجع إلى أهل المدينة فخاطبهم وحرضهم فرجعوا إلى إجابتة، وأول من أجابه أبو الهيثم بن التيهان البدرى وخزيمة بن ثابت وليس بدبي الشهادتين، ولما رأى زياد بن حنظلة تناقل الناس عن علي انتدب إليه وقال: من تناقل عنك فإنما يخفف معك وتقاتل دونك.

وكان سبب اجتماعهم بمكة أن عائشة كانت خرجت إلى مكة وعثمان مصور كما قدمها، فقضت نسكتها وانتقلت بريدة المدينة فلقيت في طريقها رجلاً من بي ليث آخرها فأخبرها بقتل عثمان وبيعة علي، فقالت: قتل عثمان والله ظلمًا والأطلبيين بدمه فقال لها الرجل: ولم أنت كنت تقولين ما قلت؟ فقالت: إنهما استباوه ثم قتلوا، وانصرفت إلى مكة.

وجاءها الناس فقالت: إن الغوغاء من أهل الأمصار وأهل المياه وعيديد أهل المدينة اجتمعوا على هذا الرجل المقتول ظلماً ونقموا عليه استعمال من حدث سنه وقد استعمل أمثالهم من كان قبله ومواضع من الحمى حاما لهم فتابوه ونزح لهم عنها فلما لم يجدوا حجة ولا عذرًا بادروا بالعدوان فسفكوا الدم الحرام واستحلوا البلد الحرام والشهر الحرام وأخذوا المال الحرام: والله لأصبح من عثمان خير من طباق الأرض أمثالهم ولو أن الذي اعتدوا به عليه كان ذليلاً لخلص منه كما يخلص الذهب من خبيثه أو الثوب من درنه، فقال عبد الله بن عامر الحضرمي وكان عامل مكة لعثمان: أنا أول طالب، فكان أول مجيب وتبعه بنو أمية وكانت هربوا إلى مكة بعد قتل عثمان منهم: سعيد بن العاص والوليد بن عقبة، وقد عليهم عبد الله بن عامر من البصرة بمال كثير وبعلى بن منية من اليمن بستمائة بعير وستمائة ألف فناناخ بالباطنة.

ثم قدم طلحة والزبير من المدينة فقالت لما عائشة: ما وراءكم؟ قالا: نحملنا هرابة من المدينة من غوغاء وأعراش غلبوا على خياراتهم فلم يعنوا أنفسهم ولا يعرفون حقاً ولا ينكرون بطلاقاً، فقالت: انھضوا بنا إليهم، وقال آخرؤن: ناتي الشام، فقال ابن عامر: إن معاوية كفاكم الشام فأتوا البصرة فلي بها صنائع ولم في طلحة هوى، فنكروا عليه عبيه من البصرة واستقام رأيهم

الجواب.

خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون عرضة للسلاح، إنه قد كان لك من الله ستر وحرمة فهنيكت سترك وأمنت حرمتك وإن من رأى قتالك يرى قتلك فإن كنت أتيتنا طائفة فسارجي إلى متزلك وإن كنت مكرهة فاستعيني بالله وبالناس على الرجوع. وأقبل حكيم بن جبلة وهو على ظهر الخيل فأشتب القتال، وأشرع أصحاب عائشة رمادهم فاقتتلوا على فم السكة، وحجز الليل بينهم وباتوا يتاهبون وعادهم حكيم بن جبلة فاعتبره رجل من عبد القيس فقتله حكيم، ثم قتل امرأة أخرى، واقتتلوا إلى أن زال النهار. وكثير القتل في أصحاب عثمان بن حنيف ولما ع忿هم المقرب تنادوا إلى الصلح وتوعدوا على أن يعشوا إلى المدينة فإن كان طلحة والزبير أكثراها سلم لهم عثمان الأمر وإلا رجعوا عنه.

وسار كعب بن سوار القاضي إلى أهل المدينة يسأله عن ذلك، فجاءهم يوم جمعة وسالمهم فلم يبيه إلا أسامة بن زيد فإنه قال: باباً مكرهين. فضربه الناس حتى كاد يقتل. ثم خلصه صهيب وأبو أيوب وحمد بن مسلمة إلى منزله، ورجع كعب وبلغ الخبر بذلك إلى علي، فكتب إلى عثمان بن حنيف يعجزه ويقول: والله ما أكثره على فرقه ولقد أكثره على جماعة وفضل، فإن كانوا يريدان الخلع فلا عندهما وإن كانوا يريدان غير ذلك نظرنا ونظروا.

ولما جاء كعب بقول أهل المدينة بعث طلحة والزبير إلى عثمان ليجتمع بهما، فامتنعا واحتج بالكتاب وقال: هذا غير ما كنا فيه. فجمع طلحة والزبير الناس وجاء إلى المسجد بعد صلاة العشاء في ليلة ظلماء شاتية، وتقدم عبد الرحمن بن عتاب في الوحل فوضع السلاح في الجایة من الزط والساخنة وهم أربعون رجلاً فقاتلتهم وقتلوا عن آخرهم، واقتحموا على عثمان فآخر جره إلى طلحة والزبير وقد نتفوا شعر وجهه كله، ويعشا إلى عائشة بالخبر فقالت: خلوا سبيله، وقيل أمرت بإخراجه وضربه، وكان الذي تولى إخراجه وضربه مجاشع بن مسعود. وقيل أن الانفاق إنما وقع بينهم على أن يكتبوا إلى علي فكتبوا إليه وأقام عثمان يصلى فاستقبلوه ووثبوا عليه فظفروا به وأرادوا قتله، ثم استبقوه من أجل الأنصار وضربوا وجسسوه.

ثم خطب طلحة والزبير وقالا: يا أهل البصرة! توبية محوبة إنما أردنا أن نستعبد عثمان فغلب السفهاء فقتلوه. فقالوا لطلحة: قد كانت كتبك تأيناها بغير هذا! قال الزبير: أما أنا فلم أكتبهم، وإن ذرر بي على بقتل عثمان فقال رجل من عبد القيس: يا معشر المهاجرين أنتم أول من أجاب داعي الإسلام وكان لكم بذلك الفضل، ثم استخلقتم مراراً ولم تشاورونا، وقتلتم كذلك، ثم

ولما بلغ ذلك أهل البصرة دعا عثمان بن حنيف عمران بن حصين وكان رجلاً عاملاً، وأبا الأسود الدؤلي وكان رجلاً خاصة، وقال: انطلاقاً إلى هذه المرأة فاعلما علمها وعلم من معها. فجاءها بالخبر وقالا: إن أميرنا بعثنا نسالك عن مسيرك؟ فقالت: إن الغوغاء ونزاع القبائل فعلوا ما فعلوا فخرجت في المسلمين أعلمهم بذلك وبالذى فيه الناس وراعنا وما ينفي من إصلاح هذا الأمر... ثم قرأت «لَا خَيْرٌ فِي كَيْنِيْرٍ مِّنْ نُجْوَاهُمْ» الآية.

ثم عدلا عنها إلى طلحة فقالا: ما أقدمك؟ قال: الطلب بدم عثمان! فقالا: ألم تباع علينا؟ قال: بل والسيف على رأسى وما استقبل على البيعة إن هو لم يخل بيتنا وبين قتلة عثمان. وقال لهم الزبير مثل ذلك، ورجعوا إلى عثمان بن حنيف فاسترجعوا وقال: دارت رحى الإسلام ورب الكعبة، ثم قال: أشيروا علياً! فقال عمران: اعتزل. قال: بل امنعهم حتى يأتي أمير المؤمنين. فجاءه هشام بن عامر فاشترى عليه بالسالة والمساحة حتى يأتي أمر علي، فأتى ونادى في الناس بليس السلاح ثم دس من يتكلم في الجمع ليرى ما عندهم، فقال رجل: إن هؤلاء القوم إن كانوا جاؤوا خاقفين فيلدhem يأمن فيه الطير وإن جاؤوا لدم عثمان فما نحن بقتلته فأطليعوني وردوهم من حيث جاؤوا.

قال الأسود بن سريح السعدي: إنما جاؤوا يستعنون بما على قتله منا ومن غيرنا. فحسبه الناس فعرف عثمان أن لهم بالبصرة ناصراً وكسر ذلك كلـه.

واتهت عائشة ومن معها إلى المريد، وخرج إليها عثمان فيمن معه وحضر أهل البصرة، فتكلم طلحة من اليمنة: فحمد الله وذكر عثمان وفضله ودعى إلى الطلب بدمه وحيث عليه، وكذلك الزبير فصدقهما أهل اليمنة. وقال أصحاب عثمان من الميسرة: بایعتم علياً ثم جتكم تقولون. ثم تكلمت عائشة وقالت: كان الناس يتجنون على عثمان وياتوننا بالمدينة فتجدهم فجرة ونجده برأ ثقباً وهم يحاولون غير ما يظهرون، ثم كثروا واقتحموا عليه داره وقتلوه واستحلوا المحرمات بلا ترة ولا عذر، إلا وأن ما ينفي لكم ولا ينفي غيره أخذ قتلة عثمان وإقامة كتاب الله ثم قرأت «لَمْ تَرْ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبَهُ مِنَ الْكِتَابِ يُذَهَّبُنَّ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بِيَنْهُمْ» الآية.

فاختطف أصحاب عثمان عليه وقال بعضهم إلى عائشة، ثم افترق الناس ومحاصبوها والخدرت عائشة إلى المريد، وجاءها جارية بن قدامة السعدي فقال: يا أم المؤمنين والله لقتل عثمان أهون من

قال: أما الخروج من المدينة فلم يكن إليه سبيل وقد كان أحبط بنا كما أحبط بعثمان، وأما بيعة فختنا ضياع الأمر والخلل والعقد لأهل المدينة لا للعرب ولا للأمصار ولقد مات رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنا أحق بالأمر بعده فبایع الناس غيري وابتعدت عن أبي بكر وعمر وعثمان فقتلوه وبایعوني طاغين غير مكرهين، فانا أقاتل من خالق من أطاع إلى أن يحكم الله وهو خير الحاكمين، وأما القعود عن طلحه والزبير فإذا لم أنظر فيما يلزمني من هذا الأمر فمن ينظر فيه؟ ثم أرسل إلى الكوفة محمد بن أبي بكر وعمر بن جعفر يستقران الناس، وأقام بالربنة بحرث الناس وأرسل إلى المدينة في أداته سلاحة، وقال له بعض أصحابه: عرّفنا بقصدك من القوم؟ قال: الإصلاح إن قبلاً وإن بادرنا امتنعنا.

ثم جاءه جماعة من طيء نافرين معه فقبلهم وأثنى عليهم. ثم سار من الربنة وعلى مقدمته أبو ليلى بن عمرو بن الجراح، ولما انتهى إلى فند أنه أسد وطيء وعرضوا عليه التفیر معه، فقال: الزموا قراكم ففي المهاجرين كفاية. ولقيه هنالك رجل من أهل الكوفة من بني شيبان فسألة عن أبي موسى، فقال: إن أردت الصلح فهو صاحبه، وإن أردت القتال فليس بصاحبه. فقال: والله ما أريد إلا الصلح حتى يرد علينا. ثم انتهى إلى الشعلة والأساد، فبلغه ما لقي عثمان بن حنيف وحكيم بن جبلة، ثم جاءه بذى قار عثمان بن حنيف وأراه ما بوجهه، فقال: أصبحت أجرأ وأخيراً إن الناس ولهم قبلي رجالاً فعلاً بالكتاب ثم ثالث فقالوا وغلوا ثم بایعوني ومنهم طلحه والزبير ثم نكنا والبا على. ومن العجب انقادهما لأبي بكر وعمر وعثمان وخلافهما على إله إنهما ليعلمان أني لست دونهم. ثم أخذ في الدعاء عليهمَا وابن وائل هنالك يعرضون عليه التفیر فأجابهم مثل طيء وأسد.

وبلغه خروج عبد القيس على طلحه والزبير فأثنى عليهم. وأما محمد بن أبي بكر وعمر بن جعفر فبلغا إلى الكوفة ودفعا إلى أبي موسى كتاب على وقاما في الناس بأمره فلم يجيئهما أحد وشاوروا أبا موسى في الخروج إلى على، فقال: الخروج سبيل الدنيا والقعود سبيل الآخرة فقعدوا كلهم. وغضب محمد ومحمد وأغاظلوا أبا موسى، فقال لهم: والله إن بيعة عثمان لفي عقبي وعنق علي وإن كان لا بد من القتال فحتى تفرغ من قتلة عثمان حيث كانوا، فرجعوا إلى علي بالخبر وهو بذى قار، فرجع على باللائمة على الأشت، وقال: أنت صاحبنا في أبي موسى فاذهب أنت وابن العباس وأصلح ما أفسدت.

فقدما على أبي موسى وكلمه واستعانا عليه بالناس لم يجب إلى شيء ولم ير إلا القعود حتى تجلّى الفتنة ويلتهم الناس، فرجع

بایعتم على وجتكم تستعدوننا عليه فماذا الذي نعمتم عليه؟ فهمروا بقتله ومنعته عشرة، ثم وثروا من الغد على عثمان ومن معه فقتلوا منهم سبعين.

وبلغ حكيم بن جبلة ما فعل بعثمان بن حنيف فجاء لنصره في جماعة من عبد القيس، فوجد عبد الله بن الزبير فقال له: ما شأنك؟ قال: تخلى عن عثمان وتقيمون على ما كتمن حتى يقدم علي ولقد استحللت الدم الحرام تزعمون الطلب بثار عثمان وهو لم يقتلوه. ثم ناجزهم الحرب في ربيع الآخر سنة ست وثلاثين، وأقام حكيم أربعة قواد فكان هو بمحيا طلحه، وذریع بمحيا الزبير، وابن الحرش بمحيا عبد الرحمن بن عتاب، وحرقوص بن زهر بمحيا عبد الرحمن بن الحارث بن هشام. وتراحووا واستحروا القتل فيهم حتى قتل كثیر منهم وقتل حكيم وذریع، وأفلت حرقوص في قل من أصحابه إلى قومهم بني سعد، وتبعوه بالقتل وطالبوها ببني سعد بحرقوص وكأنوا عثمانية، فاعتزلوا وغضبت عبد القيس كلهم والكثير من بكر بن وائل، وأمر طلحه والزبير بالاعطاء في أهل الطاعة لهم، وقصدت عبد القيس وبكر بيت المال فقاتلواهم ومنعوه، وكتبت عائشة إلى أهل الكوفة بالخبر وأمرتهم أن يبطروا الناس عن علي وأن يقوموا بدء عثمان، وكتبت مثل ذلك إلى اليمامة والمدينة.

ولترجع إلى خبر علي: وقد كان لما بلغه خبر طلحة والزبير وعائشة ومسيرهم إلى البصرة دعا أهل المدينة للتلاوة وخطبهم، فتلقاها أولاً وأجابه زياد بن حنظلة وأبو الميم وخرزيمة بن ثابت وليس بذى الشهادتين وأبو قتادة في آخرين، وبعثت أم سلمة معه ابن عمها وخرج يسابق طلحة والزبير إلى البصرة ليبردهما.

واستخلف على المدينة ثام بن العباس وقيل: سهل بن حنيف، وعلى مكة قثم بن العباس، وسار في ربيع الآخر سنة ست وثلاثين، وسار معه من نشط من الكوفيين والمصريين متخففين في تسعامة، ولقيه عبد الله بن سلام فأخذ بعنانه وقال يا أمير المؤمنين لا تخرج منها فالله إن خرجت منها لا يعود إليها سلطان المسلمين أبداً. فبدر الناس إليه، فقال: دعوه فنعم الرجل من أصحاب عبد الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وسار فاتنه إلى الربنة، وجاء خبر سبّهم إلى البصرة فاقام يامر بما يفعل ولحقه ابنه الحسن وعذله في خروجه وما كان من عصيائه إياه، فقال: ما الذي عصيتك فيه حين أمرتني؟ قال: أمرتكم أن تخرج عند حصار عثمان من المدينة ولا تحضر لقتله، ثم عند قتله الأتباع حتى تأتكم وفود العرب وبيعة الأمصار، ثم عند خروج هؤلاء أن تجلسوا في بيتك حتى يصطلحوا.

القصر، وجاءه أبو موسى فصاح به الأشتر: اخرج لا ألم لك وأجله تلك العشية. ودخل الناس ليتهبوا متاعه فمنعهم الأشتر: ونفر الناس مع الحسن كما قلنا وكان الأمراء على أهل التغير: على كثانة وأسد وقيم والرباب ومزينة معقل بن يسار الرياحي، وعلى قبائل قيس ابن مسعود التقى عم المختار وعلى بكر وتغلب وعلة بن مجذوح النهلي، وعلى مذحج والأشعر بن حجر بن عدي، وعلى بجبلة وأثار وختعم والأزرد خلف بن سليم الأزدي.

ورؤساء الجماعة من الكوفيين القعقاع بن عمرو وسعد بن مالك وهند بن عمرو والهيثم بن شهاب، ورؤساء الففار زيد بن صوحان والأشتر وعدي بن حاتم والمسيب بن نجية ويزيد بن قيس وأمثالهم. فقدموا على عليٍّ بذني قار، فركب إليهم ورحب بهم وقال: يا أهل الكوفة دعوتكم لتشهدوا معنا إخواننا من أهل البصرة فإن يرجعوا فهو الذي نريد وإن يلتجوا داويناهم بالرفرق حتى يبدأونا بالظلم ولا ندع أمراً فيه الصلاح إلا أثرناه على ما فيه الفساد إن شاء الله.

فاجتمع الناس عنده بذني قار وعبد القيس بأسراها وهم الرف يتظرون ما بينه وبين المصارة، ثم دعا القعقاع وكان من الصحابة فأرسله إلى أهل البصرة وقال: إلى هذين الرجلين فادعهما للألفة والجماعة وعظم عليهما الفرق فقال له: كيف تصنع إذا قالوا ما لا وصاء في فيه عندك؟ قال: نلتمهم بالذى أمرت به فإذا جاء منهם ما ليس عندها منك رأى فيه اجهتها رأينا وكلمناهم كما نسمع ونرى إنه ينبغي، قال: أنت لها.

فخرج القعقاع فقدم البصرة وبدأ بعائشة فقال: أي أمة ما أشخصك؟ قالت: أريد الإصلاح بين الناس، قال: فابعثي إلى طلحة والزبير تسمعى مني ومنهما، بعثت إليهما فجاءا فقال لهما: إني سالت أم المؤمنين ما أقدمها فقالت الإصلاح وكذلك قالا. قال فأخبراني ما هو؟ قال: قتلة عثمان! فإن تركتم ترك للقرآن، قال: فقد قتلت منهم سمعة من أهل البصرة وغضب لهم ستة آلاف واعتزلوكم وطلبتكم حرقوص بن زهر فمنعته ستة آلاف فإن قاتلتم هؤلاء كلهم اجتمعتم مصر وربيعة على حربكم فain الإصلاح؟ قالت عائشة: لماذا تقول أنت؟ قال هذا الأمر دواؤه التسکین وإذا سكن اختلعوا فآتروا العافية ترزقونها وكونوا مفاتيح خير ولا تعرضونا للبلاء فتعرض له ويصرعن وإياكم، فقالوا قد أصبحت وأحسنت فارجع فإن قدم على وهو على مثل رأيك صلح هذا الأمر، فرجع وأخر علياً فاعجبه وأشرف القوم على الصلح. وقد كانت وفود أهل البصرة أقبلوا إلى علي قبل رجوع القعقاع

ابن عباس والأشتر إلى علي فأرسل علي ابنه الحسن وعمار بن ياسر وقال لعمار: انطلق فأصلح ما أفسدت. فانطلق حتى دخل المسجد، وخرج أبو موسى ثلقى الحسن بن علي فقسمه إليه وقال لعمار: يا أبا اليقطان أعدوت على أمير المؤمنين فيما عدا وأحللت نفسك مع الفخار؟ فقال: لم أطب الناس عنا وما أردنا إلا الإصلاح؟ ومثل أمير المؤمنين لا يختلف على شيء! قال: صدقت! يا أبا أنت وأمي سمعت رسول الله صلوات الله عليه وسلم يقول: «ستكون فتنة، القاعد فيها خير من القائم والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الراكب والسلمون إخوان ودماؤهم وأموالهم حرام» فغضب عمار وبشه فسبه آخر وثار الناس، ثم كفهم أبو موسى. وجاء زيد بن صوحان بكتاب عائشة إليه وكتابها إلى أهل الكوفة فقرأها على الناس في سبيل الإنكار عليها فسبه شيت بن ربيع، وتهافت الناس وأبو موسى يكتفهم ويأمرهم بلزم البيسوت حتى تنجلி الفتنة، ويقول: أطيعوني وخلوا قريشاً إذ أبوا إلا المتروك من دار المجرة وفرق أهل العلم حتى ينجلِي الأمر. وناداه زيد بن صوحان بياجابة عليٍّ والقيام بضرره وتابعه القعقاع بن عمرو فقام بعده فقال: لا سبيل إلى الفوضى وهذا أمير المؤمنين مليء بما ول و قد دعاكم فانفروا، وقال عبد خير مثل ذلك وزاد: يا أبا موسى هل تعلم أن طلحة والزبير بایعاً؟ قال: نعم! قال: فهل أحدث علي ما ينقض البيعة؟ قال: لا أدرى قالا: لا درست ونحن نتركك حتى تدري. ثم قال سيفان بن صوحان مثلاً قال القعقاع، وحرض على طاعة عليٍّ وقال: فإنه دعاكم تنظرون ما بينه وبين صاحبه وهو الملعون على الأمة الفقيه في الدين فقال عمدار: وهو دعاكم إلى ذلك لتنظروا في الحق وتقاتلوا معه لا عليه، وقال الحسن: أجيراً دعواتنا وأعيننا على ما ابتنينا به وابتليتم وإن أمير المؤمنين يقول: إن كنت مظلوماً أطعوني أو ظلماً فخذلوا مني بالحق. والله إن طلحة والزبير أول من بايعني وأول من غدر. فأجاب الناس، وحرض عليٍّ بن حاتم قومه وحرج بن عدي كذلك فقرر مع الحسن من الكوفة تسعة آلاف سارت منها ستة في البر وباقهم في الماء.

وأرسل عليٍّ بعد مسيرة الحسن وعمار الأشتر إلى الكوفة فدخلها والناس في المسجد وأبو موسى والحسن وعمار في مجازعة معه ومع الناس، فجعل الأشتر ير بالقبائل ويدعوهم إلى القصر حتى انتهى إليه في جماعة الناس فدخله وأبو موسى بالمسجد يخطبهم وبطشهم والحسن يقول له: اعتزل عملنا واترك منبرنا، فدخل الأشتر إلى القصر وأمر بإخراج غلامان أبي موسى من

عثمان بايعت علياً فلما جاؤوا إلى البصرة دعوني إلى قتال على فحرت في أمري ما بين خذلانهم أو خلع طاعني، فقلت: ألم تأمروني ببايعته؟ قالوا نعم لكنه بدأ وغيري فقلت: لا أنقض بيعني ولا أقاتل أم المؤمنين، ولكن أعزّل، ونزل بالجلحاء على فرسخين من البصرة في زهاء ستة آلاف.

فلما قدم علي جاءه وخیره بين القتال معه أو كف عشرة آلاف سيف عنه، فاختار الكف ونادى في قميم وبني سعد فأجابوه فاعتزل بهم حتى ظفر علي فرجع إليه واتبعه. ولما تراءى الجمuan خرج طلحة والزبير وجاءهم علي حتى اختلفت أعناق دوابهم. فقال علي: لقد أعددنا سلاحاً وخيلأ ورجالاً إن كتما أعددنا عند الله عندها ألم أكن أخاكما في دينكم تحرمان دمي وأحرّم دمكم فهل من حدث أحل لكما دمي؟ قال طلحة: أليست على عثمان! قال علي: يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق فلعن الله قتلة عثمان يا طلحة أما ببايعتي؟ قال: والسيف على عتقى. ثم قال للزبير: أذكر يوم قال لك رسول الله ﷺ: «لتقاتلنه وأنت له ظالم؟» قال اللهم نعم ولو ذكرته قبل مسيري ما سرت. والله لا أقاتلك أبداً وافتقرها.

قال علي لأصحابه: أن الزبير قد عهد أن لا يقاتلوك. ورجع الزبير إلى عائشة وقال: ما كنت في موطن منذ عقلت إلا وأنا أعرف أمري غير موطني هذا قالت: فما تزيد أن تصنع؟ قال: أدعهم وأنذهب. فقال له ابنه عبد الله: خشيت ريات ابن أبي طالب وعلمت أن حامليها فتية أبغاد وإن تحتها الموت الآخر فجربت فاحفظه ذلك. وقال: حلفت. قال: كفر عن عيتك فاعتن غلامه مكحولاً. وقيل: إنما أراد الرجوع عن القتال حين سمع أن عمار بن ياسر مع علي لما ورد: «وبع عمار تقتله الفتنة البااغية». وكان أهل البصرة على ثلاثة فرق مفترقين مع هؤلاء وهؤلاء وثالثة اعتزلت كالأخنف بن قيس وعمران بن حصين، ونزلت عائشة في الأزد ورأسمهم صبرة بن شيمان، وأشار عليه

كعب بن سور بالاعتزال قاتي وكان معها قبائل كثيرة من مصر والرياب وعليهم المنجاب بن راشد، وبنو عمرو بن قميم وعليهم أبو الحجراء، وبنو حنظلة وعليهم هلال بن وكيع وسلمي وعليهم مجاشع بن مسعود، وبنو عامر وغطفان وعليهم زفر بن الحرث، والأزد وعليهم صبرة بن شيمان، وبيكر وعليهم مالك بن مسعم، وبنو ناجية وعليهم المخربت بن راشد، وهو في نحو ثلاثين ألفاً. وعلى في عشرين ألفاً. والناس جميعاً متازلون: مصر إلى مصر وريبيعة إلى ربيعة، ولا يسكنون في الصلح وقد ردوا حكيمًا ومالكاً إلى علي إنا على ما فارقنا عليه الفققاع، وجاء ابن عباس إلى

وتفاوضوا مع أهل الكوفة واتفقوا جميعاً على الإصلاح، ثم خطب علي الناس وأمرهم بالرحيل من الغد وأن لا يرجع معه أحد من أ青山 على عثمان.

فاجتمع من أهل مصر ابن السوداء وخالد بن ملجم والأشر والذين رضوا من سار إليه مثل علباء بن الهيثم وعدى بن حاتم وسالم بن ثعلبة القيسي وشريح بن أوفى، وتشاوروا فيما قال علي وقلالاً: هو أبصر بكتاب الله وأقرب إلى العمل به من أولئك وهو يقول ما يقول، وإنما معه الذين أعادوا على عثمان فكيف إذا أصطلحوا واجتمعوا ورأوا فلتتا في كثرةهم. فقال الأشر رأيهم والله فيما واحد وإن يصطلحوا فلنلي دمائنا فهمروا ثب على طلحة ناحقه بعثمان ثم يرضي مما بالسكتوت، فقال ابن السوداء: طلحة وأصحابه نحو من خمسة آلاف وأنهم الفان وخمسةمائة فلا تجدون إلى ذلك سبيلاً.

وقال علباء بن الهيثم: اعتزلوا الفريقين حتى يأتكم من تقومن به. فقال ابن السوداء: وَاللهِ النَّاسُ لَوْ افْرَدْتُمْ فِي تَخْطُفُنِكُمْ، فقال عدي: والله ما رضيت ولا كرهت فاما إذا رقع ما وقع وزنل الناس بهذه المنزلة فإن لنا خيلاً وسلاحاً. فيان أقدمنا وإن أحجمتم أحجمنا، ثم قال سالم بن ثعلبة وسعيد بن أوفى: أبموا أمركم. ثم تكلم ابن السوداء فقال: يا قوم إن عزكم في خلطة الناس فصانعوهم وإذا التقى الناس غالاً فأنشبوا القتال فلا يبدون بدا منه ويشغلهم الله عما يكرهون.

وافتقروا على ذلك. وأصبح علي راحلاً حتى نزل على عبد القيس فانضموا إليه وساروا معه فنزل الزاوية، وسار من الزاوية إلى البصرة. وسار طلحة والزبير وعائشة من الفرضة والتقدوا بموضع قصر عبيد الله بن زياد متصرف جادى الآخرة، وتراسلت بكر بن وائل وعبد القيس وجاؤوا إلى علي رضي الله تعالى عنه فكانوا معه، وأشار على الزبير بعض أصحابه أن ينماجز القتال، فاعتذر بما وقع بينه وبين الفققاع.

وطلب من علي رضي الله عنه أصحابه مثل ذلك فابي وسئل ما حالنا وحالهم في القتل فقال: أرجو أن لا يقتل منا ومنهم أحد تقى قلبه الله إلا دخله الله الجنة، ونهى عن قتالهم وبعد إليهم حكيم بن سلام ومالك بن حبيب إن كتم على ما جاء به الفققاع فكروا حتى ننزل وننظر في الأمر، وجاء الأخنف بن قيس وكان متزاولاً عن القوم وقد كان يابع عليه بالمدينة بعد قتل عثمان مرجعه من الحج، قال الأخنف: ولم أبایعه حتى لقيت طلحة والزبير وعائشة بالمدینة وعثمان محصور وعلم أنه مقتول فقتل لهم: من أبایع بعده؟ قالوا: علينا! فلما رجعت وقد قتل

## أخوهما صعصعة.

وتزاحف الناس وتتأخرت يمن الكوفة وريعيتها ثم عادوا  
قتل على رايتهم عشرة. ثم أخذها زيد بن قيس ثابت، وقتل  
تحت راية ابن ربيعة زيد وعبد الله بن رقية وأبو عبيدة بن راشد  
بن سلمة، واشتد الأمر ولزقت ميمنة الكوفة بقلبهم وميسرة أهل  
البصرة بقلبهم، ومنت ميمنة هؤلاء ميسرة هؤلاء وميسرة هؤلاء  
ميمنة هؤلاء، وتنادي شجاعان مصر من الجانبين بالصبر وقصدوا  
الأطراف يقطعنها، وأوصيتك يد عبد الرحمن بن عتاب قبل قتله،  
وقاتل عند الجمل الأزرد ثم بنو ضبة وبنو عدي بن عبد مناف،  
وكثر القتل والقطع وصارت الجنابات إلى القلب وحمد بن طلحة  
أمّهم وحمل عدي بن زيد ففتش عينه وحمل الأشت واستمر  
القتل إلى الجمل حتى قتل على الخطام أربعون رجلاً أو سبعون  
كلهم من قريش.

فجرح عبد الله بن الزبير وقتل عبد الرحمن بن عتاب  
وجند بن زهير العماري وعبد الله بن حكيم بن حزام ومعه  
راية قريش فقتله الأشت وأعانه فيه عدي بن حاتم، وقتل الأسود  
بن أبي البخاري وهو آخر بالخطام وبعده عمر بن الأشرف  
الأزردي في ثلاثة عشر من أهل بيته وجرح مروان بن الحكم وعبد  
الله بن الزبير سبعاً وثلاثين جراحة ما بين طعنة ورمي، ونادي  
علي اغروا الجمل بتفرقوا، وضربه رجل فسقط فما كان صوت  
أشد عججاً منه. وكانت راية الأزرد من أهل الكوفة مع خلف بن  
سليم فقتل فأخذها العلاء بن عمرو فكان الفتح وهي يده.  
فذلك، فأخذها العلاء بن عمرو فكان الفتح وهي يده.

وكانت راية عبد القيس من أهل الكوفة مع القاسم بن  
سليم فقتل ومعه زيد وسيحان ابن صوحان وأخذها عدة قاتلوا  
منهم عبد الله بن رقية ثم متقد بن التعمان، ودفعها إلى ابنه مرة  
فكان الفتح وهي يده. وكانت راية بكر بن وائل في بيته ذهل مع  
الحرث بن حسان فقتل من بيته أهله ورجال من بيته مخزوم وخمسة  
وثلاثين من بيته ذهل.

وقتلت في عقر الجمل إن القعاع دعا الأشت وقد جاء من  
القتال عند الجمل إلى العود فلم يجيء، وحمل القعاع والخطام بيد  
زفر بن الحرث فأصيب شيخوخ من بيته عامر، وقال القعاع لجعير  
بن دلة من بيته ضبة وهو من أصحاب علي: يا مجيراً صبح  
بقومك يغروا الجمل قبل أن يصابرها وتصاب ألم المؤمنين، فصرخ  
ساق البعير فوق على شقة، وأمر القعاع من بيته واجتمع هو  
وزفر على قطع بطان البعير وحمله المدوج فرضعاً وهو كالفتى  
بالسهام، ومر من وراءه، وأمر علي فرسودي: لا تتبعوا مدبراً ولا

طلحة والزبير، وحمد بن طلحة إلى علي وتقرب أمر الصالح  
وبات الذين أثاروا أمر عثمان بشر ليلة بشاورون، وانقوساً على  
إنشاب الحرب بين الناس ففسدوا وما يشعر بهم أحد، وقصد  
مضار إلى مصر وريعة إلى ربيعة وين إلى مين فرضعوا فيهم  
السلاح، وثار أهل البصرة وشار كل قوم في وجوه أصحابهم.  
وبعث طلحة والزبير عبد الرحمن بن الحرش بن هشام إلى الميمنة  
وهم ربيعة، وعبد الرحمن بن عتاب إلى الميسرة، وركبا في القلب،  
وتساءل الناس ما هذا؟ فقالوا: طرقنا أهل الكوفة ليلاً فقال  
طلحة والزبير: إن علياً لا يتنهى حتى يسفك الدماء.

ثم دفعوا أولئك المقاتلين فسمعوا على وأهل عسكره  
الصيحة، فقال: ما هذا؟ فقيل له أظنه سقط من هنا طرقنا أو لمحوه  
السببية بيترنا ليلاً فرددناهم. فوجدنا القوم على أهبة فركبوا، وثار  
الناس وركب على. وبعث إلى الميمنة والميسرة أصحابها، وقال: إن  
طلحة والزبير لا يتهدان حتى تسفك الدماء ونادي في الناس كفوا،  
وكان رايهم جيغاً في تلك الفتنة أن لا يقتلوا حتى يقيموا الحجة  
ولا يقتلوا مدبراً ولا يجهزوا على جريح ولا يستحلوا سلباً.

وأقبل كعب بن سور إلى عائشة وقال: قد ألبى القوم إلا  
القتال فعل الله يصلح بك فاركبها والبسوا هودجها الأدراع  
وأوقفوها بحيث تسمع الغوغاء، واقتلت الناس حتى انهزم أصحاب  
الجمل وذهب، وأصيب طلحة بهم في رجله فدخل البصرة ودمه  
يسيل إلى أن مات.

وذهب الزبير إلى وادي السباع لما ذكره علي، فمر بعسكر  
الأحتف واتبعه عمرو بن جرموز وكان يسائله حتى قام إلى  
الصلة قتله ورجع بفرسه وسلامه وخاته إلى الأحتف فقال:  
والله ما تدرى أحست أم أنس! فجاء ابن جرموز إلى علي وقال  
للحاچ: استاذن لقاتل الزبير فقال حاجبه اذن له وبشره بالشار.  
ولما بلغت المزينة البصرة ورأوا الخيل أطافت بالجمل رجموا  
وشتت الحرب كما كانت.

وقالت عائشة لكتعب بن سور وناؤته مصطفاً: تقدم  
فادعهم إليه واستقبل القوم فقتلهم السببية رشقاً بالسهم، ورمموا  
عائشة في هودجها حتى جارت بالاستغاثة ثم بالدعاء على قتلة  
عثمان، وضج الناس بالدعاء فقال علي: ما هذا؟ قالوا عائشة  
تدعى على قتلة عثمان! فقال: اللهم إعن قتلة عثمان.

نم أرسلت عائشة إلى الميمنة والميسرة وحرّضتهم! وتقدم  
مضار الكوفة ومضر البصرة فاجتلدوا أمام الجمل حتى ضرسوا،  
وقتل زيد بن صوحان من أهل الكوفة وأخوه سيحان وارتث

ثم بلغه أن بعض الغوغاء عرض لعائشة بالقول والإساءة، فامر من أحضر له بعضهم وأوجهم ضرباً، ثم جهزها على إلى المدينة بما احتاجت إليه وبعثها مع أخيها محمد مع أربعين من نسوة البصرة اختارهن لمرافقتها، وأذن للقليل من خرج عنها أن يرجعوا معها، ثم جاء يوم ارتحالها فردعها واستعنت به واستعتب لها، ومشى معها أمياً وشييعها بنوه مسافة يوم، وذلك غرة رجب، فذهبت إلى مكة فقضت الحج ورجعت إلى المدينة. وخرج بنو أمية من الفيل تاجين إلى الشام.

فتبعة بن أبي سفيان وعبد الرحمن ويحيى أخو مروان خلصوا إلى عصمة بن أبي التميمي إلى أن اندرلت جراحهم، ثم بعثهم إلى الشام. وأما عبد الله بن عامر فخلص إلى بي حرقوص وممضى من هناك، وأما مروان بن الحكم فأجاراه أيضاً مالك بن مسمع وبعثه وقيل: كان مع عائشة فلما ذهب إلى مكة فارقها إلى المدينة، وأما الزبير فاختفى بدار بعض الأزد وبعث إلى عائشة يعلمها بمكانه فارسلت أخاهما محمدًّا و جاء إليها به.

ثم قسم عليٌّ جميع ما في بيت المال على من شهد معه، وكان يزيد على ستمائة ألف فاصاب كل رجل خمسة، وقال: إن أطركم الله بالشام فلكم مثلها إلى أعطيائكم. فخاض السببية في الطعن عليه بذلك وبتحريم أموالهم مع إراقة دمائهم، ورحلوا عنه فاعجلوه عن المقام بالبصرة، وارتحل في آثارهم ليقطع عليهم أمراً إن أرادوه.

وقد قبل في سياق أمر الجمل غير هذا، وهو أن علياً لما أرسل محمد بن أبي بكر إلى أبي موسى ليستنصر له أهل الكوفة وامتنع، سار هاشم بن عتبة بن أبي وقاص إلى علي بالرينة فأخبره فauxade إليه يقول له: إني لم أولئك إلا لتكون من أعزاني على الحق، فامتنع أبو موسى وكتب إلى هاشم مع الحذر بن خليفه الطائي، فبعث علي ابنه الحسن وعمار بن ياسر يستنفران كما مر.

وبعث قرطة بن كعب الأنباري أميراً وبعث إلىه: إني قد بعثت الحسن وعماراً يستنفران الناس وبعثت قرطة بن كعب واليَا على الكوفة فاعتزل عملنا مذموماً مدحوراً وإن لم تفعل فقد أمرته أن يباذنك وإن ظفر بك أن يقطعك إرباً إرباً وإن الناس توافقوا للقتال، وأمر علي من يتقدم بالمصحف يدعوه إلى ما فيه وإن قطع وقتل وحمله بعض الناس وفعل ذلك قتيل. وحملت ميمونة علي على ميسرتهم فاقتلاوا ولاذ الناس بحمل عائشة أكثرهم من ضبة والأزد ثم انهزوا آخر النهار، واستحر في الأزد القتل وحل عمار على الزبير يجوزه بالرمح ثم استлан له وتتركه.

تجهزوا على جريح ولا تدخلوا الدور، وأمر محمل المودج من بين القتلى، وأمر محمد بن أبي بكر أن يضرب عليها قبة وأن ينظر هل بها جراحة وجاء يسامها.

وقيل: لما سقط الجمل أقبل محمد بن أبي بكر إليه ومعه عمار فاحتل المودج إلى ناحية ليس قريه أحد واتأها على فقال: كيف أنت يا أمية! قالت: مخبر! قال: يغفر الله لك! قالت ولدك. وقالت له: وددت أني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة. وجاء إلى علي فقال له مثل قوله ولا كان الليل أدخلها أخوها محمد بن أبي بكر الصديق البصرة، فأقرها في دار عبد الله بن خلف الخزاعي على صفة زوجته بنت الحمرث بن أبي طلحة من بي عبد الدار أم طلحة الطلحات بن عبد الله، وتسلل الجرجي من بين القتلى فدخلوا ليلاً إلى البصرة وأذن على في دفن القتلى فدفنتوا بعد أن طاف عليهم.

ورأى كعب بن سور وعبد الرحمن بن عتاب وطلحة بن عبيد الله وهو يقول: زعموا أنه يخرج إلينا إلا الغوغاء وأمثاله مؤلام فيهم. ثم صلى على القتلى من الجاثيين وأمر بالأطراف فدفنت في قبر عظيم، وجمع ما كان في العسكرية من كل شيء وبيث به إلى مسجد البصرة وقال: من عرف شيئاً فليأخذنه إلا سلاحاً عليه سمة السلطان. وأحصى القتلى من الجاثيين فكانتوا عشرة آلاف منهم من ضبة ألف رجل. ولما فرغ علي من الوعنة جاءه الأحنف بن قيس في بني سعد فقال له: تربصت! فقال: ما أراني إلا قد أحسنت وأمارك كان، فارفق فإن طريقك بعيد وأنت إلى غداً أحوج منك أمن فلا تقل لي مثل هذا فإني لم أزل لك ناصحاً. ثم دخل البصرة يوم الاثنين فنبأه أهلها على راياتهم حتى الجرجي والمستامة.

وأنا عبد الرحمن بن أبي بكرة فبأيه وعرض له في عمته زياد بأنه متريض، فقال: والله إنه لمريض وعلى مسرتك لحريص. فقال: انهض أماي فمضى فلما دخل عليه علي قببه قبل عنده واعتذر بالمرض قبل عنده، وأراده على البصرة فامتنع وقال: وهذا رجلاً من أهلك تسكن إليه الناس وسأشير عليه، وأشار بباب عباس فولاه، وجعل زياداً على الخراج وبيت المال، وأمر ابن عباس بموافته فيما يراه. ثم راح علي إلى عائشة في دار ابن خلف وكان عبد الله بن خلف قتل في الوعنة فاستمات أمه وبعضاً النسوة عليه، فأعرض عنهن وحرضه بعض أصحابه عليهم فقال: إن النساء ضعيفات وكنا نؤمر بالكف عنهن وهن مشركات فكيف بهن مسلمات؟

سرح إلى عثمان فاستولى هو على مصر وضبطها إلى أن قتل عثمان ويوبع علي وبابع عمرو بن العاص لمعاوية، وسار إلى مصر قبل قدول قيس بن سعد فمنعهما فخدع محمد حتى خرج إلى العريش فتحصن بها في ألف رجل، فحاصره حتى نزل على حكمهم قتلوه. وفي هذا الخبر بعض الوهن لأن الصحيح أن عمراً ملك مصر بعد صفين، وقيس ولاه علي لأول بيته، وقد قيل: إن ابن أبي حذيفة لما حاصر عثمان بالمدينة أخرج هو ابن أبي سرح عن مصر وضبطها، وأقام ابن أبي سرح بفلسطين حتى جاء الخبر بقتل عثمان وبعية علي وتوليه قيس بن سعد على مصر.

فأقام معاوية. وقيل أن عمراً سار إلى مصر بعد صفين فبرز إليه ابن أبي حذيفة في العساكر وخادمه في الرجوع إلى بيته علي، وأن يجتمعوا لذلك بالعريش في غير جيش من الجنود، ورجع إلى معاوية عمرو فأخبره، ثم جاء إلى ميعاده بالعربيش وقد استعد بالجنود وأكملهم خلقه حتى إذا التقى طلعوا على أثره فتبين ابن أبي حذيفة الغدر فتحصن بقصر العريش إلى أن نزل على حكم عمرو. وبعث به إلى معاوية فحبسه إلى أن فرّ من حبسه فقتل، وقد قيل: إنما بعثه عمرو إلى معاوية عند مقتل محمد بن أبي بكر وإنما ثم حمله إلى معاوية فحبسه بفلسطين.

## ولادة قيس بن سعد على مصر

كان علي قد بعث إلى مصر لأول بيته قيس بن سعد أميراً في صفر من سنة ست وثلاثين وأذن له في الإكثار من الجنود وأوصاه وقال له: لو كنت لا أدخلها إلا بجند آتي بهم من المدينة فلا أدخلها أبداً فأذن أدع لك الجند بتعينهم في وجهك، وخرج في سبعة من أصحابه حتى أتى مصر وقرأ عليهم كتاب علي بعياته وطاعته وإنه أميرهم، ثم خطب فقال بعد حد الله: إنها الناس قد باغتنا خير من نعلم بعد نبينا فباعيده على كتاب الله وسنة رسوله. فباعيده الناس واستقامت مصر، وبعث عليها عماله إلا بعض القرى كان فيها قرم يدعون إلى الطلب بد علمان: مثل بزيده بن الحرش وسلمة بن خلدة، فهادنهم وجبي الخراج وانقضى أمر الجمل وهو بمصر.

وخشى معاوية أن يسير إليه علي في أهل العراق وقيس من ورائه في أهل مصر فكتب إليه يعظم قتل عثمان ويطوّقه علينا ويعصه على البراءة من ذلك ومتابعته على أمره على أن يوليه العراقين إذا ظفر ولا يزعله، يولي من أراد من أهلة الحجاز كذلك، ويعطيه ما شاء من الأموال. فنظر في أهلة بين مواقفه أو معاجلاته

وألقى عبد الله بن الزبير نفسه في الجرحى. وعقر الجمل واحتل عائشة آخرها محمد فائزها وضرب عليها قبة ووقف عليها علي يعاتبها، فقالت له: ملكت فاسجح نعم ما أبكيت قومك اليوم، فسرحها في جماعة رجال ونساء إلى المدينة وجهزها بما تحتاج إليه.

هذا أمر الجمل ملخص من كتاب أبي جعفر الطبرى اعتمدناه للوثيق به ولسلامته من الآهاء الموجوحة في كتب ابن قتيبة وغيره من المؤرخين. وقتل يوم الجمل عبد الرحمن آخر طلحه من الصحابة والحرز بن حارثة العبشمى وكان عمر ولاه على مكة، ومجاشع ومجالد ابنها مسعود مع عائشة. وعبد الله بن حكيم بن حرام وهند بن أبي هالة وهو ابن خديجة قتل مع علي وقيل بالبصرة وغيرهم. انتهى أمر الجمل.

ولما فرغ الناس من هذه الواقعة اجتمع صداليك من العرب وعليهم جبلة بن عتاب الحنظلي وعمران بن الفضل البرجى، وقصدوا سجستان وقد نكث أهلها، وبعث علي إليهم عبد الرحمن بن جرو الطائى فقتلوه، فكتب إلى عبد الله بن عباس أن يبعث إلى سجستان والياً فبعث ريعي بن كاس العنبرى في أربعة آلاف ومعه الحسين بن أبي الحر فقتل جبلة وانهزما وضبط ريعي البلاد واستقامت.

## انتفاض محمد بن أبي حذيفة بمصر ومقتله

لما قتل حذيفة بن عتبة يوم اليمامة ترك ابنه حمداً في كفالة عثمان وأحسن تربيته وسکر في بعض الأيام فجلده عثمان ثم تنسك وأقبل على العبادة وطلب الولاية من عثمان، فقال: لست لها بأهل فاستأنه على اللحاق بمصر لغزو البحر فإذا له وجهه ولزمه الناس وعظموه لما رأوا من عبادته، ثم غزا مع ابن أبي سرح غزوة الصواري كما مر، فكان يتعرض له بالقدح فيه وفي عثمان ويتوليه ويتبعه في ذلك مع محمد بن أبي بكر، وشكاهما ابن أبي سرح إلى عثمان فكتب إليه بالتجافى عنهمما لوسيلة ذاك بعائشة وهذا لتربيته.

وبعث إلى ابن أبي حذيفة ثلاثة ألف درهم وحمل من الكسوة فوضعهما ابن أبي حذيفة في المسجد، وقال: يا معشر المسلمين كيف أخادع عن ديني وأخذ الرشوة عليه، فزاداد أهل مصر تعظيماً له وطهناً على عثمان وبايعوه على رياستهم، وكتب إليه عثمان يذكره بم حقوقه عليه فلم يرده ذلك. وما زال يعرض الناس عليه حتى خرجوا لحصاره وأقام هو بمصر، وخرج ابن أبي

أن بلغه الخبر بقتله، فارتحل يبكي ويقول كما تقول النساء، حتى أتى دمشق فبلغه بيعة علي، فاشتد عليه الأمر وأقام ينتظر ما يصنعه الناس، ثم بلغه مسير عائشة وطلحة والزبير فأمل فرجاً من أمره، ثم جاءه الخبر بوقعة الجمل فارتتاب في أمره، وسعى أن معاوية بالشام لا يابع علياً وأنه يعظم قتل عثمان، فاستشار بنيه في المسير إليه، فقال له ابنه عبد الله: توفى النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه والشيخان بعده وهم راضون عنك فأرأي أن تكشف يدك وتجلس في بيتك حتى يجتمع الناس. وقال له محمد: أنت ناب من آناب العرب وكيف يجتمع هذا الأمر وليس لك فيه صيت؟ فقال: يا عبد الله! أمرتني بما هو خير لي في دنيي، وما حمدأً أمرتني بما هو خير لي في ديني وشر لي في آخرتي. ثم خرج ومعه ابناه حتى قدم على معاوية فوجدوهم يطلبون دم عثمان، فقال: أنتم على الحق اطلبوا بدم الخليفة المظلوم. فاعتراض معاوية قليلاً، ثم رجع إليه وشركه في سلطانه.

### أمر صفين

ما رجع علي بعد وقعة الجمل إلى الكوفة جمعاً على قصد الشام، بعث إلى جرير بن عبد الله الجيلي بهمدان وللأشعث بن قيس بأذريجان - وهما من عمال عثمان - لأن ياخذا له البيعة ويخضرا عنده، فلما حضرا بعث جرير إلى معاوية يعلمه بيعته ونكت طلحة والزبير وحزبيهما ويدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه الناس، فلما قدم عليه طاوله في الجواب وحمل أهل الشام ليري جرير قيامهم في دم عثمان واتهامهم علياً به، وكان أهل الشام لما قدم عليهم التنماع بن بشير بقميص عثمان ملوثاً بالدم كما قدمناه وبأصابع زوجته نائلة، وضع معاوية القميص على المنبر والأصابع من فوقه، فمكث الناس يبكرون مدة واقسموا أن لا يمسهم ماء الجنابة ولا يناموا على فراش حتى يثأروا من عثمان ومن حال دون ذلك قتلوه. فرجع جرير بذلك إلى علي وعذله الأشت فبعث جرير وإنه طال مقامه حتى تمكّن أهل الشام من رأيهم فقضى بذلك جرير ولحق بقرقيسيا واستقدمه معاوية فقدم عليه.

وقيل إن شرحبيل بن الصامت الكندي أشار على معاوية برد جرير لمنافسه كانت بينهما منذ أيام عمر، وذلك أن شرحبيل كان عمر بن الخطاب بعثه إلى سعد بالعراق ليكون معه فقيه سعد وقدمه ونافسه له أشت بن قيس، فلما صر جريراً عند وفاته على عمر أن ينال من شرحبيل عنده، ففعلاً بعث عمر شرحبيل إلى الشام فكان يمقد ذلك على جرير، فلما جاء إلى معاوية أغراه

بالحرب فاتح المواقفة، فكتب إليه: أما بعد فإني لم أقارب شيئاً مما ذكرته وما اطلعت لصاحبي على شيء منه، وأما متابعتك فانتظر فيها وليس هذا مما يسرع إلي، وأنا كافٍ عنك فلا يأتيك شيء من قبلني تكرهه حتى تزد وترى.

فكتب إليه معاوية: إني لم أرك تدنو فأاعدك سلماً ولا تبعد فأاعدك حرباً، وليس مثلّي يصانع المخادع وينخدع للمكابد ومعي عدد الرجال وأعنة الخيل والسلام.

فعلم قيس أن المدافعة لا تنفع معه فاظهر له ما في نفسه، وكتب إليه بالردد القبيح والشتم والتصرّف بفضل علي والوعيد، فحيثـنـدـ أـيـسـ مـعـاوـيـةـ مـنـهـ وـكـادـ مـنـ قـبـلـ عـلـيـ، فـأـشـاعـ فـيـ النـاسـ أـنـ قـيـساـ شـيـعـةـ لـهـ تـأـيـيـدـ كـتـبـهـ وـرـسـلـهـ وـنـصـانـهـ وـقـدـ تـرـوـنـ مـاـ فـيـ بـاـخـرـاـنـكـ الـقـائـمـ بـثـأـرـ عـمـشـانـ وـهـوـ يـهـرـيـ عـلـيـهـمـ مـنـ الـأـعـطـيـةـ وـالـأـرـزـاقـ، فـأـبـلـعـ ذـلـكـ إـلـىـ عـلـيـ مـحـمـدـ بـنـ أـبـيـ بـكـرـ وـمـحـمـدـ بـنـ جـعـفـرـ وـعـيـونـ بـالـشـامـ فـأـعـظـمـ ذـلـكـ، وـفـارـضـ فـيـ الـحـسـنـ وـالـحـسـنـ وـعـبدـ اللهـ بـنـ جـعـفـرـ، فـقـالـ لـهـ عـدـ اللهـ: دـعـ مـاـ يـرـيـكـ إـلـىـ مـاـ لـاـ يـرـيـكـ وـاعـزـلـهـ عـنـ مـصـرـ. ثـمـ جـاءـ كـتـابـهـ بـالـكـفـ عنـ قـتـالـ الـمـعـتـلـينـ فـقـالـ ابنـ جـعـفـرـ: مـرـهـ بـقـاتـلـمـ خـشـيـةـ أـنـ تـكـوـنـ هـذـهـ مـعـاـلـةـ. فـكـتـبـ إـلـيـهـ يـأـمـرـ بـذـلـكـ فـلـمـ يـرـ قـيـسـ ذـلـكـ رـأـيـاـ وـقـالـ: مـتـىـ قـاتـلـاهـمـ سـاعـدـواـ عـلـيـكـ عـدـوكـ وـهـمـ الـآنـ مـعـتـلـونـ وـالـرـأـيـ تـرـكـهـ. فـقـالـ اـبـنـ جـعـفـرـ: يـاـ أـمـيـ الـمـؤـمـنـينـ! بـعـثـ مـحـمـدـ بـنـ أـبـيـ بـكـرـ عـلـىـ مـصـرـ، وـكـانـ أـحـاهـ لـأـمـهـ، وـأـعـزـلـ قـيـساـ فـيـعـتهـ. وـقـيلـ بـعـثـ قـبـلـهـ الـأـشـتـ النـعـيـ، وـمـاتـ بـالـطـرـيـقـ، فـعـثـ مـحـمـدـ عـلـىـ قـيـسـ خـرـجـ عـنـهـ مـنـضـبـاـ إـلـىـ الـمـدـيـنـةـ وـكـانـ عـلـيـهـ مـرـوـانـ بـنـ الـحـكـمـ فـأـخـافـهـ، فـخـرـجـ هـوـ وـسـهـلـ بـنـ حـنـيفـ إـلـىـ عـلـيـ. وـكـتـبـ مـعـاوـيـةـ إـلـىـ مـرـوـانـ يـعـاتـبـهـ لـوـ اـمـدـدـتـ عـلـيـهـ مـئـةـ أـلـفـ مـقـاتـلـ كـانـ أـيـسـ عـلـيـ مـنـ قـيـسـ بـنـ سـعـدـ.

ولما قدم قيس على علي وكشف له عن وجه الخبر قبل عنده وأطاعه في أمره كلّه، وقدم محمد مصر فقرأ كتاب علي على الناس وخطبهم، ثم بعث إلى أولئك القوم المعزلين الذين كان قيس وادعهم: ادخلوا في طاعتنا أو اخرجوا عن بلادنا! فقالوا: دعنا حتى ننظر! وأخذوا حذرهم، وما انقضت صفين وصار الأمر إلى التحكيم بارزوه وبعث العساكر إلى بزيد بن الحرف الكناني بحرثاً وعليهم الحرث بن جهان قتلوا ثم بعث آخر قتلوا.

### مبايعة عمرو بن العاص لمعاوية

ما أحبط بعثمان خرج عمرو بن العاص إلى فلسطين ومعه ابناء عبد الله ومحمد، فسكن بها هارباً مما توقعه من قتل عثمان إلى

بشبث بن ربيع ثم بالأشر وعليهم أصحاب علي وملوكوا الماء عليهم، وأرادوا منهم منه فنهاهم علي عن ذلك. وأقام يومين.

ثم بعث إلى معاوية أبا عمرو بشير بن عمرو بن محسن الأنصاري وسعيد بن قيس الهمداني وشبث بن ربيع التميمي، يدعونه إلى الطاعة وذلك أول ذي الحجة سنة ست وثلاثين، فدخلوا عليه وتكلم بشير بن عمرو بعد حمد الله والثناء عليه والموعظة الحسنة ونأشده الله أن لا يفرق الجماعة ولا يسفك الدماء، فقال: هلا أوصيت بذلك صاحبك. فقال بشير: ليس مثلك هو أحق بالأمر بالسابقة والقرابة. قال: فمارأيك؟ قال: تحييه إلى ما دعا إليه من الحق، قال معاوية: ونترك دم عثمان لا والله لا أفعله أبداً! ثم قال شبث بن ربيع: يا معاوية! إنما طلبت دم عثمان تستميل به هؤلاء السفهاء الطعام إلى طاعتك، ولقد علمنا أنك أبطلات على عثمان بالنصر لطلب هذه المزيلة فاتق الله ودع ما أنت عليه ولا تزارع الأمر أهله. فأجابه معاوية وأبدع في سبه وقال: انصرفوا فليس بيتي وبينكم إلا السيف. فقال له شبث: أقسم بالله لنجعلنها لك.

ورجعوا إلى علي بالخبر. وأقاموا يقتلون أيام ذي الحجة كلها عسكر من هؤلاء وعسكر من هؤلاء، وكرهوا أن يلقوا جميع أهل العراق بجمع أهل الشام حذراً من الاستصال والهلاك. ثم جاء الحرم فذهبوا إلى المادعة حتى يقضى طمعاً في الصلح، وبعث إلى معاوية عدي بن حاتم ويزيد بن قيس الأردني وشبث بن ربيع وزياد بن حنفة، فتكلم عدي بعد الحمد والثناء ودعا إلى الدخول في طاعة علي ليجمع الله به الكلمة فلم يبق غيرك ومن معك واحد ريا معاوية أن يصييك وأصحابك مثل يوم الجمل. فقال معاوية: كأنك جئت مهدداً لا مصلحاً يهيات يا عدي! أنا ابن حرب! والله ما يقعني في بالشنان وإنك من قتلة عثمان وارجو أن يقتل الله به. فقال له يزيد بن قيس: إنما أتيتك رسلاً ولا ندع مع ذلك النصح والسعى في الإلقاء والجماعة وذكر من فضل علي واستحقاقه للأمر بتقواه وزهده.

قال معاوية: بعد الحمد والثناء: أما الجماعة التي تدعون إليها فهي معنا وأما طاعة صاحبكم فلا نراها لأنها قتل خليفتنا وأوى، أهل ثارنا ونحن مع ذلك نخيبكم إلى الطاعة والجماعة إذا دفع إلينا قتلة عثمان. فقال شبث بن ربيع: أيسرك يا معاوية أن تقتل عماراً؟ قال: نعم بمولاه! قال شبث حتى تضيق والله الأرض الفضاء عليك. فقال معاوية: لو كان ذلك لكانت عليك أضيق. وافتقروا عن معاوية ثم خلا بزياد بن حنفة وشكراً إليه من علي وساله النصر فيه بعشيرته وأن يوليه أحد المصريين. فأبى

شرحيل به وحمله على الطلب بدم عثمان. ثم خرج علي وعسكر بالتخيلة واستخلف على الكوفة أبا مسعود الأنصاري وقدم عليه عبد الله بن عباس في أهل البصرة، وتجهز معاوية وأغراه عمرو بقلة عسكر علي واضطغان أهل البصرة، له بن قتل منهم

وعبي معاوية أهل الشام وعقد لعمرو ولابنه وغلامه وردان الأولوية. وبعث علي في مقدمته زياد بن النضر الحارثي في ثمانية آلاف وشريح بن هانئ في أربعة آلاف، وسار من التخيلة إلى المدائن واستفر من كان بها من المقاتلة وبعث منها معقل بن قيس في ثلاثة آلاف يسير من الموصل ويواجهه بالرقة وولى علي على المدائن سعد بن مسعود التقسي عم المختار بن أبي عبيد، وسار فلما وصل إلى الرقة نصب له جسر فعبر وجاء زياد وشريح من وراءه، وكانت سمعاً يمسير معاوية وخشياً أن يلتقاًهما معاوية وبينهما وبين علي البحر ورجعاً إلى هيست وعبر الفرات، وخلفاً على قدمهما أمامه.

فلما أتيا إلى سور الروم لقيهما أبو الأعور السلمي في جند من أهل الشام فظواهه وبعثا إلى علي فسرح الأشر وأمره أن يجعلهما على مجنبته، وقال: لا تقاتلهم حتى آتاك! وكتب إلى شريح و زياد بطاعته فقدم عليهما وكف عن القتال سائر يومه حتى حل عليهما أبو الأعور بالعشى فاقتلاوا ساعة وافتقرقا ثم خرج من الغداة وخرج إليه من أصحاب الأشر بن عتبة المرقال واقتلاوا عامة يومهم. وبعث الأشر سنان بن مالك التخعي إلى أبي الأعور السلمي يدعوه إلى البراز فأبى واحتج بينهم الليل، ووافاهما من الغد علي وعساكرة.

فتقى الأشر واتهى إلى معاوية ولحق به علي. وكان معاوية قد ملك شريعة الفرات فشكا الناس إلى علي العطش فبعث صعصعة بن صوحان إلى معاوية بأنّا سرنا ونحن عازمون على الكف عنكم حتى نعذر إليكم فسباقتنا جنديك بالقتال ونحن رأينا الكف حتى ندعوكم ونتحجج عليك وقد منتم الماء والناس غير متدين فابعث إلى أصحابك يخلون عن الماء للرور حتى نظر بيننا وبينكم وإذا أردت القتال حتى يشرب الغالب فعلنا. وأشار عمرو بن العاص بتخلية الماء لهم، وأشار ابن أبي سرح والوليد بن عقبة بمنعهم الماء، وعرضوا بشتم فتشات معهم صعصعة ورجع، وأواز إلى أبي الأعور بمنعهم الماء وجاء الأشرع بن قيس إلى الماء فقاتلهم عليه.

ثم أمر معاوية أبا الأعور يزيد بن أبي أسد القسري جد خالد بن عبد الله ثم عمرو بن العاص بعده، وأمر علي الأشع

وعلى رجالتها مسلم بن عقبة المري. وعلى الناس كلهم الضحاك بن قيس. وتباعي رجال من أهل الشام على الموت فعقولاً أنفسهم بالعمائم في خمسة صفوف وخرجوا في اليوم الأول من صفر خرج الأشتر من أهل الكوفة وحبيب من أهل الشام فاقتلوه عاملاً يومهم، وفي اليوم الثاني هاشم بن عتبة وأبو الأعور السلمي، وفي اليوم الثالث عمارة بن ياسر وعمرو بن العاص فاقتلوه أشد قتال وحمل عمار فازال عمراً عن موضعه.

وفي اليوم الرابع محمد بن الحنفية وعبيد الله بن عمر بن الخطاب وتدعيا إلى البراز فرد علي ابنه وتراجعوا، وفي اليوم الخامس عبد الله بن عباس والوليد بن ربيعة فاقتلا كذلك، ثم عاد في اليوم السادس الأشتر وحبيب فاقتلا قاتلاً شديداً وانصرفا.

وخطب علي الناس عشية يومهم وأمرهم بمعاهضة القوم بأجمعهم وأن يطيلوا ليتهم القيام، ويكتروا التلاوة ويدعووا الله بالنصر والصبر، ويرموا غداً في لقائهم بالجد والحزم.

فيات الناس يصلحون ليتهم سلامهم، وعيّن علي الناس ليته إلى الصباح، وزحف وسال عن القبائل من أهل الشام وعرف مواقعهم وأمر كل قبيلة أن تكتفي أختها من أهل الشام، ومن ليس منهم أحد بالشام يصرفهم إلى من ليس منهم أحد بالعراق مثل بجيلاة صرفهم إلى خم. وخرج معاوية في أهل الشام فاقتلوه يوم الأربعاء قاتلاً شديداً عاملاً يومهم ثم انصرفاً، وغلس علي يوم الخميس بالزحف وعلى ميمنته عبد الله بن بدبل بن ورقاء وعلى ميسرته عبد الله بن عباس والقراء مع عمار وقيس بن سعد وعبد الله بن زيد والناس على رياتهم ومراكمهم، وعلى في القلب بين أهل الكوفة والبصرة ومعه أهل المدينة من الأنصار وخزاعة وكناة.

ورفع معاوية قبة عظيمة والقى عليها الثواب وبياعه أكثر أهل الشام على الموت، وأحاط بقتنه خيل دمشق وزحف ابن بدبل في الميمنة فقاتلهم إلى الظهر وهو يعرض أصحابه. ثم كشف خيلهم وأضطرهم إلى قبة معاوية، وجاء الذين تباعوا على الموت إلى معاوية فبعثهم إلى حبيب فحمل بهم على ميمنته أهل العراق فالخجل الناس عن أهل بدبل إلا ثلاثة أو مائتين من القراء وانتهت المزحة إلى علي، وأمدده علي بسهل بن حنيف في أهل المدينة فاستقبلهم جموع عظيمة لأهل الشام فمنعتهم.

ثم انكشفت مضر من الميسرة وثبتت ربيعة وجاء علي يمشي نحوهم فاعترضه أحمر مولى أبي سفيان فحال دونه كيسان مولاه فقتلته أحمر، فتناول علي أحمر من درعه فجذبه وضرب به الأرض

وقال: إني على بيته من ربى فلن أكون ظهيراً للمجرمين. وقام عنه فتال معاوية لعمرو: كان قلوبهم قلب رجل واحد.

ثم بعث معاوية إلى علي حبيب بن مسلمة وشرحيل بن السمط ومن بن يزيد بن الأخنس فدخلوا عليه، فتكلم حبيب بعد الحمد لله والثناء فقال: إن عثمان كان خليفة مهدياً يعمل بكتاب الله وينبئ إلى أمره فاستقلتم حياته واستبطأتم موته فقتلتموه فادفع إليكما قتله إن كنت لم تقتلني ثم اعتزل أمر الناس فيلوا من أجعوا عليه. فقال علي: ما أنت وهذا الأمر فاسكت فلست بأهل له! فقال: والله لتراني بمحيت تكره، فقال: وما أنت لا أبغى الله عليك إن أبقيت وأندب فصوب وصعد.

ثم تكلم بعد الحمد لله والثناء وهداية الناس لمحمد بن علي وخلافة الشيفيين وحسن سيرتهما، وقد وجدنا عليهمما أن توليا ونحن أقرب منها إلى رسول الله عليه السلام لكن سعادناهما بذلك، وولي عثمان فعاب الناس عليه وقتلوه، ثم بایعوني خافة الفرقة فأجبتهم، ونكث علي رجلان وخالف صاحبكم الذي ليس له مثل سابقتي، والعجب من اتقiadكم له دون بيت نيكم ولا ينفعي لكم ذلك، وإنما أدعوكم إلى الكتاب والسنّة ومعالم الدين وإمامات الباطل وإحياء الحق فقلوا: نشهد أن عثمان قتل مظلوماً، فقال: لا أقول مظلوماً ولا ظالماً. قالوا: فمن لم يقل ذلك فنحن منه براء وانصرفاً. فقرأ علي: «إِنَّكَ لَا تُنْعِمُ الْمُرْتَنِي» الآية، ثم قال للأصحاب: لا يكن هؤلاء في ضلالهم أحد منكم في حكمكم.

ثم نازع عدي بن حاتم في راية طيء عامر بن قيس الجرموزي وكان رهطه أكثر من رهط عدي، فقال عبد الله بن خليفة البولاني: ليس فيما أفضل من عدي ولا من أخيه حاتم ولم يكن في الإسلام وهو الوارد إلى رسول الله عليه السلام ورأس طيء في التخلية والقادسية والمداين وجلواء ونهواند وتسرت، وسأل على قومهم فوافقوه على ذلك فقضى بها لعدي.

ولما اسلوخ المحرم نادى علي في الناس بالقتال وعيّن الكتائب وقال لاقاتلواهم حتى يقاتلكم فإذا هزمتمهم فلا تقتلوا مدبراً ولا تمجزوا على جريح ولا تكشفوا عورة ولا ثأروا ولا تخذلوا مالاً ولا تهيجروا امرأة وإن شتمتمك فإنهن ضعاف الأنفس والقوى، ثم حرضهم ودعا لهم وجعل الأشتر على خيل الكوفة وسهل بن حنيف على خيل البصرة وقيس بن سعد على عتبة معه البصرة وعمار بن ياسر على رجال الكوفة وهاشم بن عتبة معه الراية ومسعر بن فدكي على القراء، وعيّن معاوية كاتبه: فجعل على الميمنة ذا الكلاع الحميري وعلى الميسرة حبيب بن مسلمة وعلى المقدمة إبا الأعور وعلى خيل دمشق عمرو بن العاص

جهاد هؤلاء الفاسقين ثم نادى: من سعى في رضوان ربه فلا يرجع إلى مال ولا ولد فأنه عصابة فقال: اقصدوا بنا هؤلاء الذين يطلبون بدم عثمان يخادعون بذلك بما في تفوسهم من الباطل، ثم مضى فلا يمر بواحد من صفين إلا أتبعه من هناك من الصحابة. ثم جاء هاشم بن عتبة وكان صاحب الرأبة فأنهضه حتى دنا من عمرو بن العاص فقال: يا عمرو بعت دينك بمصر؟ تبا لك! فقال: إنما أطلب دم عثمان، فقال: أشهد أنك لا تطلب وجه الله في كلام كثير من أمثال ذلك وأن رسول الله ﷺ قال في عمار: «قتله الفتنة الباغية».

فلما قتل عمار حمل علي وحمل معه ربيعة ومضر وهمدان حلة منكرة فلم يبق لأهل الشام صفت إلا انتقض حتى يلغوا معاوية فناداه علي: علام يقتل الناس بينما هلمج أحاكمك إلى الله فأليها قتل صاحبه استقام له الأمر، فقال له عمرو: أنصفك! فقال له معاوية: لكنك ما أنتصف. وأسر يومئذ جماعة من أصحاب علي فترك سيلهم، وكذلك فعل علي. ومر علي بكيبة من الشام قد ثبتوا ببعث إليهم محمد ابن الحنفية فازالم عن مواقفهم، وصرع عبد الله بن كعب المرادي فمر به الأسود بن قيس فأوصاه بتقوى الله والقتال مع علي، وقال: أبلغه عني السلام، وقال له: قاتل على المعركة حتى تجعلها خلف ظهرك فإنه من أصبح غداً والمعركة خلف ظهره فإنه العلي. ثم اقتل الناس تلك الليلة إلى الصباح وهي ليلة الجمعة وتسمى ليلة المربرس، وعلى يسير بين الصنوف ويمرض كل كيبة على التقدم حتى أصبحت المعركة كلها خلف ظهره، والأشراف في الميمنة وأبن عباس في الميسرة والناس يقتلون من كل جانب وذلك يوم الجمعة. ثم ركب الأشراف ودعوا الناس إلى الحملة على أهل الشام فحمل حتى انتهوا إلى عسکرهم وقتل صاحب رايتهم، وأمده علي بالرجال.

فلما رأى عمرو شدة أهل العراق وخاف على أصحابه الملاك، قال لمعاوية: مر الناس يرفعون المصاحف على الرماح ويقولون كتاب الله بينما وبينكم فإن فعلوا ذلك ارتفع عنا القتال وإن أبي بعضهم وجندنا في افترائهم راحة. فقلعوا ذلك، فقال الناس: نحيب إلى كتاب الله فقال لهم علي: يا عباد الله! امضوا على حقكم وقاتل عنديكم فإن معاوية وأبن أبي معيط وحبيباً وأبن أبي سرح والضحاك ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن أنا أعرف بهم صحبتهم أطفالاً ورجالاً فكانوا شرّ أطفال وشرّ رجال، وبينكم والله ما رفعوها إلا مكيدة وخديعة. فقالوا: لا يسعنا أن ندعى إلى كتاب الله فلما نقبل، فقال: إنما قاتلناهم ليدينوا بكتاب الله فإنهم يندو.

وكسر منكبيه وغضديه، ثم دنا من ربيعة فصبرهم وثبت أقدامهم وتنادوا بينهم: إن أصيب بينكم أمير المؤمنين افمضحتم في العرب، وكان الأشراف مر به راكضاً نحو الميمنة واستقبل الناس منهزمين فابلغهم مقالة علي: أين فراركم من الموت الذي لا تعجزوه إلى الحياة التي لا تبقى لكم، ثم نادى: أنا الأشراف! فرجع إليه بعضهم فنادي مذحجاً وحرضهم فأجابوه، وقصد القوم واستقبله شباب من هذان ثمانمائة أو نحوها وكان قد هلك منهم في ذلك اليوم أحد عشر رئيساً وأصيب منهم ثمانون ومائة وسبعين الأشراف نحو الميمنة.

وتراجعت الناس واشتتد القتال حتى كشف أهل الشام والحقهم بمعاوية عند الأصفرار وانتهى إلى ابن بديل في ماتين أو ثلاثة من القراء قد لصقوا بالأرض، فانكشف عنهم أهل الشام وأبصروا إخوانهم وسألوا عن علي فقيل لهم هو بمسيرة يقاتل، فقال ابن بديل: استقدموا بنا ونهاه الأشراف إلى مضى نحو معاوية وحوله أمثال الجبال تقتل كل من دنا منه حتى يصل إلى معاوية، فنهض إليه الناس من كل جانب وأحيط به فقتل وقتل من أصحابه ناس ورجع آخرون مجريون وأهل الشام في اتباعهم، فبعث الأشراف من نفس عنهم حتى وصلوا إليه وزحف الأشراف في همدان وطواقوت من الناس فأزال أهل الشام عن مواقفهم حتى الحقهم بالصفر المغلقة بالعمائم حول معاوية، ثم حل أخرى فصرع منهم أربعة صنوف حتى دعا معاوية بفرسه فركب، وخرج عبد الله بن أبي الحسين الأزدي في القراء الذين مع عمارة قاتلوا، وتقدم عقبة بن حبيب التميري مستيناً ومعه إخوته فقاتلوا حتى قتلوا، وتقدم شمر بن ذي الجوشن مبارزاً فضرب أدهم بن محز الباهلي وجهه بالسيف وحمل على أدهم قتله، وحمل قيس بن المكشوش ومعه راية بجبلة فقاتل حتى أخذها آخر كذلك.

ولما رأى علي أهل ميمونة أصحابه قد عادوا إلى مواقفهم وكشفوا العدو قبلتهم أقبل إليهم وعذبهم بعض الشيء عن مفرهم وأثنى على رجوعهم، وقاتل الناس قتالاً شديداً وبازر الشجاعان من كل جانب وأقبلت طيء والنخع وخرجت حير من ميمونة أهل الشام، وتقدم ذو الكلاع ومعهم عبيد الله بن عمر بن الخطاب فقد ربيعة في ميسرة أهل العراق وعليهم ابن عباس وحملوا عليهم حلة شديدة فثبتت ربيعة وأهل الحفاظ منهم وانهزم الضغفاء والفشل، ثم رجعوا وخلفت بهم عبيد القيس وحملوا على حير قتلت ذي الكلاع وعبيد الله بن عمر وأخذ سيف ذي الكلاع وكان قاتل عمار، فلما ملك معاوية العراق أخذه من قاتلاته. ثم خرج عماد بن ياسر وقال: اللهم إني لا أعمل اليوم عملاً أرضي من

الحدبية وفيها إنك ستدعى إلى مثلها فتجيب، فقال عمرو: سبحان الله نسبه بالكافر ونحن مؤمنون؟ فقال علي: يا ابن النابعة ومتى لم تكن للفاسقين ولينا وللمؤمنين عدواً؟ فقال عمرو: والله لا يجمع بيبي وبينك مجلس بعد اليوم، فقال علي: أرجو أن يطهر الله مجلسي منك ومن أشياهك. وكتب الكتاب. هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان قاضى علي على أهل الكوفة ومن معهم ومعاوية على أهل الشام ومن معهم أنا ننزل عند حكم الله وكتابه وأن لا يجمع بيننا غيره وإن كتاب الله يبتنا من فاخته إلى خاتمه نحيي ما أحيا ونبت ما أمات ما وجده الحكمان في كتاب الله. وبما أبو موسى عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص وما لم يجدا في كتاب الله فالسنة العادلة الجامعة غير المفرقة.

وأخذ الحكمان من علي ومعاوية ومن الجندين العهود والمواثيق إنما آمنا على أنفسهما وأهللهمما والأمة لهما أنصار على الذي يتقضيان عليه، وعلى عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عهد الله ومبثاته أن يحكمها بين هذه الأمة ولا يوردهما في حرب ولا فرقة حتى يقضيا، وأحلا القضاء إلى رمضان فإن أحبا أن يؤخرا ذلك آخراء وإن مكان قضيتهما مكان عدل بين أهل الكوفة وأهل الشام. وشهد رجال من أهل العراق ورجال من أهل الشام وضعوا خطوطهم في الصحيفة، وأبى الأشتر أن يكتب اسمه فيها وحاوره الأشعث في ذلك قاساء الردة عليه وتهدهد.

وكتب الكتاب ثلاثة عشرة خلت من صفر سنة سبع وثلاثين، واتفقوا على أن يواقي علي موضع الحكمين بدومة الجندل ويأذن في شهر رمضان، ثم جاء بعض الناس إلى علي يحشه على قتال القوم فقال: لا يصلح الرجوع بعد الرضى ولا التبدل بعد الإقرار.

ثم رجع الناس عن صفين ورجع علي، وخالفت الحرورية وأنكروا تحكيم الرجال ورجعوا على غير الطريق الذي جاؤوا فيه حتى جازوا النخلية ورأوا بيوت الكوفة، ومر علي بقر خباب بن الأرت توفي بعد خروجه فوقف واسترحم له، ثم دخل الكوفة فسمع رجة الكاء في الدور فقل: يكين على القتلى فترحم لهم، ولم يزيل يذكر الله حتى دخل القصر فلم تدخل المخوارج معه واتوا حروراً فنزلوا بها في اثنى عشر ألفاً، فقدموا ثبـت بن عمر التميمي أمير القتال وعبيد الله بن الكوري اليشكري أمير الصلاة.

قالوا: البيعة لله عزوجل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والأمر شوري بعد الفتح. قالوا للناس: يا ياعتم علياً إنكم أولياء من والي وأعداء من عادي، ويا ياعم أهل الشام معاوية على ما

قال له مسمر بن فدك التميمي وزيد بن حصن الطائي في عصابة من القراء الذين صاروا خوارج بعد ذلك: يا علي أجب إلى كتاب الله وإلا دفعنا برمتلك إلى القوم. أو فعلنا بك ما فعلنا بابن عفان. فقال: إن تعطوني فقاتلوا وإن تعصوني فاقطعوا ما بدا لكم، قالوا: فابعث إلى الأشتر وكفه عن القتال، فبعث إليه يزيد بن هاني بذلك فلبي، وقال: قد رجوت أن يفتح الله لي!

فلما جاء يزيد بذلك ارتج الموقف باللطم، وقالوا علي: ما نراك إلا أمرته بقتال فابعث إليه فليأتك وإلا اعتزلناك، فقال علي: ويصلك يا يزيد قل له أقبل إلى فإن الفتنة قد وقعت، فقال: الرفع المصاحف؟ فقال: نعم! قال: لقد ظنت إن ذلك يوقع فرقة كيف ندع هؤلاء وننصرف والفتح قد وقع، فقال يزيد: تحب أن تظفر وأمير المؤمنين يسلم إلى عدوه أو يقتل؟ ثم أقبل إليهم الأشتر وأطال عنهم، وقال: أمهلوني فوافاً فقد أحسست بالفتح، فأبوا فعذلهم وأطال في عنفهم، قالوا: دعنا يا أبى قاتلناهم الله، فقال: بل خدمتم فاخذعتم.

ثم كثرت الملاحـاة بينهم وتشاورـوا فصالـحـ بهـم عـلـيـ فـكـفـواـ، فقال له الأشعث بن قيس: أن الناس قد رضوا بما دعوا إليه من حكم القرآن فإن شئت أتيت معاوية وسألته ما يريد. قال: أفعل. فـأـتـاهـ وـسـالـهـ لأـيـ شـيءـ رـفـعـتـ المصـاحـفـ؟ـ قال: لـنـرـجـعـ نـحـنـ وـأـتـسـمـ إـلـىـ ماـ أـمـرـ اللـهـ بـهـ مـنـ كـاتـبـهـ تـعـشـونـ رـجـلـاـ تـرـضـونـهـ،ـ وـنـحـنـ أـخـرـ وـنـاخـدـ عـلـيـهـمـ عـهـدـ اللـهـ أـنـ يـعـلـمـ بـاـ فـيـ كـاتـبـ اللـهـ لـاـ يـعـدـوـانـ.ـ ثـمـ تـبـعـ مـاـ اـتـقـاـ عـلـيـهـ،ـ فـقـالـ الأـشـعـثـ:ـ هـذـاـ الـحـقـ وـرـجـعـ إـلـىـ عـلـيـ وـالـنـاسـ وـأـخـرـهـمـ،ـ فـقـالـ النـاسـ:ـ رـضـيـاـ وـقـبـلـنـاـ،ـ وـرـضـيـ أـهـلـ الشـامـ عـمـرـأـ،ـ وـقـالـ الأـشـعـثـ:ـ وـأـولـكـ القراءـ الذينـ صارواـ خـوارـجـ؛ـ رـضـيـاـ بـأـبـيـ مـوـسـىـ،ـ فـقـالـ عـلـيـ لـأـرـضـاءـ فـقـالـ الأـشـعـثـ وـزـيـدـ بـنـ حـصـنـ فـارـقـيـ وـخـذـلـ النـاسـ عـيـ وـهـرـبـ مـنـ حـتـىـ أـمـتـهـ بـعـدـ أـشـهـرـ،ـ قـالـواـ لـأـرـيدـ إـلـاـ رـجـلـاـ هـوـ مـنـكـ وـمـنـ مـعـاوـيـةـ سـوـاءـ،ـ قـالـ:ـ فـالـأـشـتـرـ؟ـ قـالـواـ وـهـلـ سـعـرـ الـأـرـضـ غـيرـ الـأـشـتـرـ؟ـ قـالـ:ـ فـاصـنـعـ مـاـ بـدـاـ لـكـمـ!ـ فـبـعـثـواـ إـلـىـ أـبـيـ مـوـسـىـ وـقـدـ اـعـتـزـلـ القـتـالـ،ـ قـفـيلـ:ـ إـنـ النـاسـ قـدـ اـصـطـلـحـوـ،ـ فـحـمـدـ اللـهـ،ـ قـيلـ وـقـدـ جـعلـوكـ حـكـماـ فـاسـتـرـجـعـ،ـ وـجـاءـ أـبـيـ مـوـسـىـ إـلـىـ الـعـسـكـرـ وـطـلـبـ الـأـحـنـفـ بـنـ قـيسـ مـنـ عـلـيـ أـنـ يـعـلـمـ مـعـ أـبـيـ مـوـسـىـ،ـ فـأـبـيـ النـاسـ مـنـ ذـكـرـهـ وـحـضـرـ عـمـرـ وـبـنـ عـاصـيـ

عـنـ عـلـيـ لـيـكـتـبـ الـقـضـيـةـ بـخـصـوصـهـ،ـ فـكـتـبـ بـعـدـ السـلـمـ.

هـذـاـ مـاـ تـقـاضـىـ عـلـيـهـ أـمـرـ المـؤـمـنـ،ـ فـقـالـ عـمـرـ:ـ لـيـسـ هـوـ بـأـمـرـنـاـ!ـ قـالـ لـهـ الـأـحـنـفـ:ـ لـأـتـهـاـ فـإـنـيـ أـنـظـيرـ بـخـصـوصـهـ فـمـكـثـ مـلـيـاـ،ـ ثـمـ قـالـ الـأـشـعـثـ:ـ إـعـهـاـ.ـ قـالـ عـلـيـ:ـ اللـهـ أـكـبـرـ!ـ وـذـكـرـ قـصـةـ

الشام والتقدوا بأذرح من دومة الجندي، فكان أصحاب عمرو أطروع من أصحاب ابن عباس لابن عباس، حتى لم يكونوا يسألونه عن كتاب معاوية إذا جاءه، ويسأل أهل العراق ابن عباس ويتهمنه، وحضر مع الحكيمين عبد الله بن عمر، وعبد الرحمن بن أبي بكر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن الحirth بن هشام، وعبد الرحمن بن يغوث الزهري، وأبر جهم بن حذيفة العدوبي، والمغيرة بن شعبة، وسعد بن أبي وقاص على خلاف فيه، وقيل: ندم على حضوره فأحرم بعمره من بيت المقدس.

ولما اجتمع الحكيمان قال عمرو لأبي موسى أما تعلم أن عثمان قتل مظلوماً وأن معاوية وقومه أولياوة؟ قال: بل! قال: فما يمنعك منه وهو في قريش كما علمت؟ وإن قصرت به السابقة قدمه حسن السياسة وإنه صهر رسول الله ﷺ وكاتبه وصاحبه والطالب بدم عثمان وعرض بالولاية، فقال له أبو موسى: يا عمرو اتق الله واعلم أن هذا الأمر ليس بالشرف وإلا لكان لأكابرها بن الصباح وإنما هو بالدين والفضل مع أنه لو كان بشرف قريش لكان لعلي بن أبي طالب وما كنت لأرى لمعاوية طلبه دم عثمان وأوليه وأفع المهاجرين الأولين. وأما تعرضك بالولاية فلو خرج لي عثمان عن سلطنه ما ولته وما أرتضي في حكم الله.

ثم دعاه إلى تولية عبد الله بن عمر، قال له عمرو: فما يمنعك من أبي وهو من علمت؟ فقال له رجل: صدق ولكنك غمسه في الفتنة، فقال عمرو: إن هذا الأمر لا يصلح إلا لرجل له ضرس يأكل ويطعم - وكانت في ابن عمر غفلة - وكان ابن الزبير بإزائه فنبهه لما قال، فقال ابن عمر: لا أرشو عليها أبداً ثم قال أبو موسى يا ابن العاص إن العرب أستند أمرها إليك بعد المقارعة بالسيوف فلا تردهم في الفتنة، قال له: فخبرني ما رأيك؟ قال: أرى أن تخلي الرجالين وتحل الأمر شوري فيختار المسلمون لأنفسهم. فقال عمرو: الرأي ما رأيت!

ثم أقبلوا على الناس وهم يتظرونهم، وكان عمرو قد عوّد أبا موسى أن يقدمه في الكلام لما له من الصحبة والسن، فقال: يا أبا موسى! أعلمهم أن رأينا قد اتفق، فقال: إنا رأينا أمراً نرجو الله أن يصلح به الأمة، فقال له ابن عباس: ويحلك أظهه خدعك فأجعل له الكلام قبلك، فأبى وقال: أيها الناس إننا نظرنا في أمر الأمة فلم نر أصلح لهم مما اتفقنا عليه وهو أن تخلي علياً ومعاوية ويولى الناس أمرهم من أحبروا وإني قد خلعتهما فولوا من أردتم ورأيتموه أهلاً.

فقال عمرو: إن هذا قد خلع صاحبه وقد خلعته كما خلعته وأثبتت معاوية فهو ولابن عفان وأحق الناس بمقامه. ثم عدا ابن

أحب وكرهوا فلستم جيئاً من الحق في شيء. فقال لهم زيد بن النضر: والله ما يابعناه إلا على الكتاب والسن ولكن لما خالفتموه تعييتم للضلالة وتعييّن للحق. ثم بعث علي عبد الله بن عباس إليهم وقال: لا تراجعهم حتى آتيك فلم يصبر عن مكالتهم، وقال: ما نقمت من أمر الحكيمين وقد أمر الله بهما بين الزوجين فكيف بالأمة؟ فقالوا: لا يكون هذا بالرأي والقياس! فإن ذلك جعل الله حكمه للعباد وهذا أضاهى حكم الزانى والسارق. قال ابن عباس: قال الله تعالى: **فَيُخْكِمُ بِهِ ذَرَّا عَذَّلَ مُنْكِمٌ**، قالوا: والأخرى كذلك وليس أمر الصيد والزوجين كذلك المسلمين. ثم قالوا له: قد كنا بالأمس نقاتل عمرو بن العاص فإن كان عدلاً فعلام قاتلناه؟ وإن لم يكن عدلاً فكيف يسوغ تحكيمه؟ وأنتم قد حكمتم الرجال في أمر معاوية وأصحابه والله تعالى قد أمضى حكمه فيهم أن يقتلوا أو يرجعوا وجعلتم بينكم المواجهة في الكتب وقد قطعوا الله بين المسلمين وأهل الحرب منذ نزلت براءة. ثم جاء علي إلى فسطاط يزيد بن قيس منهم بعد أن علم أنهم يرجعون إليه في رأيهم، فصلى عنده ركتين وولاه على أصحابه والري.

ثم خرج إليهم وهم في مجلس ابن عباس فقال: من زعيمكم؟ قالوا: ابن الكوى! قال: فما هذا الخروج؟ قالوا: لحاكمتكم يوم صفين، قال: أتشدكم الله أتعلمون إنه لم يكن رأيي وإنما كان رأيكم مع أنني اشتربت على الحكيمين أن يحكموا بمحكم القرآن فإن فعلاً فلا ضير وإن خالفاً فلا ضير ونحن براء من حكمهم، فقالوا فتحكيم الرجال في الدماء عدل؟ قال إنما حكمنا القرآن إلا أنه لا ينطق وإنما يتكلم به الرجال، قالوا: فلم جعلتم الأجل بينكم؟ قال لعل الله ي يأتي فيه بالهدنة بعد افتراق الأمة فرجعوا إلى رأيه، وقال: ادخلوا مصركم فلنحكم ستة أشهر حتى يجيئ المال ويسمن الكراع ثم خرج إلى عدونا فدخلوا من عند آخرهم.

## أمر الحكيمين

ولما انقضى الأجل وحان وقت الحكيمين بعث على أبا موسى الأشعري في أربعمائة رجل عليهم شريح بن هاني الحارثي ومعهم عبد الله بن عباس يصلب بهم، وأوصى شريح بما عوّظه عمرو، فلما سمعها قال: متى كنت أقبل مشورة علي واعتذر برائي؟ قال: وما يمنعك أن تقبل من سيد المسلمين، وأساء الرد عليه فسكت عنه. وبعث معاوية عمرو بن العاص في أربعمائة من أهل

فرجع ولقيه عبد الله بن وهب في عشرين فارساً وأراد قتله فمنعه من كان معه من طيء، وأرسل علي إلى عامل المدائن سعد بن مسعود بخبرهم فاستخلف ابن أخيه المختار بن عبيد وسار في طلبيهم في خمسة وعشرين فارساً، فتركوا طريقهم وساروا على بغداد ولحقهم سعد بالكرخ مساءً، وجاءه عبد الله في ثلاثة فارساً وقاتلهم وامتنعوا، وأشار أصحابه بتركمهم إلى أن يأتي فيهم أمر علي ثانية، ولما جن عليهم الليل عبر عبد الله إليهم دجلة وسار إلى أصحابه بالهروان، واجتمعت خوارج البصرة في خمسة وعشرين فارساً، رجل عليهم مسرور بن ذكري التميمي واتبعهم أبو الأسود الدؤلي بأمر ابن عباس ولحقه فاقتلاوه حتى حجز بيهم الليل، فادفع مسرور بأصحابه فلحق بعبد الله بن وهب بالهروان، ولما خرجت الخوارج بايع علياً أصحابه على قتالهم، ثم انكر شان الحكمين فخطب الناس وقال: بعد الحمد لله والمعظة إلا أن هذين الحكمين نبذنا حكم القرآن واتبع كل واحد هواه وخالفوا في الحكم وكلاهما لم يرشد، فاستعدوا للسير إلى الشام.

وكتب إلى الخوارج بالهروان بذلك واستحثهم للسير إلى العدو وقال: نحن على الأمر الأول الذي كنا عليه، فكتبا إليه: إنك غضبت لنفسك ولم تغتب لربك فإن شهدت على نفسك بالكفر وتب نظرنا بيتك وبينك ولا فقد نابذناك على السواء، فيش على منهم ورأي أن يمضي إلى الشام ويدعهم، وقام في الناس يعرضهم لذلك، وكتب إلى ابن عباس من معسكره بالتخيلة يأمره بالشخصوص في العساكر والمقام إلى أن يأتي أمره، فأشخص ابن عباس الأحنف بن قيس في الف وخمسة، ثم خطب ثانية وندب الناس وقال: كيف ينفر هذا العدد القليل واتسم ستون ألف مقاتل ثم تهددهم وأمرهم بالتفير مع جارية بين قدامة السعدي، فخرج معه ألف وستمائة وواحد وعشرين علياً في ثلاثة آلاف ويزيدون.

ثم خطب أهل الكوفة ولاطفهم بالقول وحرضهم وآخبرهم بما فعل أهل البصرة مع كرتهم وقال: ليكتب إلى كل رئيس متكم ما في عشيرته من المقاتلين من أبنائهم وموالיהם، فاجابه سعيد بن قيس الهمданى وعقل بن قيس وعدى بن حاتم وزياد بن خصبة وحجر بن عدى وأشراف الناس بالسمع والطاعة، وأمرروا ذويهم إلا يختلف منهم أحد، فكانوا أربعين ألف مقاتل وسبعين ألفاً، وبلغه أن الناس يرون تقديم الخوارج فقال لهم: إن قتال أهل الشام أعم علينا لأنهم يقاتلونكم ليكونوا ملوكاً جبارين ليتخذوا عباد الله خولاً، فرجعوا إلى رأيه وقالوا: سر بنا إلى حيث شئت، وبينما هو على اعتزام السير إلى أهل الشام بلغه أن خوارج

عباس وسعد على أبي موسى باللامنة وقال: ما أصنع غدرني ورجع باللامنة على عمرو وقال: لا وفلك الله غدرت وفجرت، وحمل شريح على عمرو فصربه بالسيف وضربه ابن عمر كذلك، وحجز الناس بينهم، فلحق أبو موسى بمكة وانصرف عمرو وشريح الشام إلى معاوية فسلموا عليه بالخلافة، ورجع ابن عباس وشريح إلى علي بالخبر فكان يقتت إذا صلى الغداة ويقول: اللهم العن معاوية وعمراً وحبيباً عبد الرحمن بن مخلد والضحاك بن قيس والوليد وأبا الأعور، وبلغ ذلك معاوية فكان إذ قتلت يلعن علينا وابن عباس والحسن والحسين والأشتر.

## أمر الخوارج وقتالهم

ولما اعتزم علي أن يبعث إبا موسى للحكومة أتاه زرعة بن البر الطائي وحرقوص بن زهير السعدي من الخوارج وقال له: تب من خططيتك وارجع عن قضيتك واخرج بنا إلى عدونا نقائلهم، وقال علي: قد كتبنا بيننا وبينهم كتاباً وعاهدناهم، فقال حرقوص: ذلك ذنب تبني التوبية منه، فقال علي: ليس بذلك ولكن عجز من الرأي، فقال زرعة: لمن لم تدع تحكيم الرجال لأقاتلنك أطلب وجه الله، فقال علي: بوسأ لك كائي بك قتيلاً تسفى عليك الرياح، قال: وددت لو كان ذلك، وخرج من عنده يناديان لا حكم إلا لله.

وخطب علي يوماً فتادوا من جوانب المسجد بهذه الكلمة، فقال علي: الله أكبر كلمة حق أريد بها باطل، وخطب ثانية فقالوا كذلك، فقال: أما أن لكم عندنا ثلاثة ما صحبتونا: لا تمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسمه ولا الفيء ما دمتم معنا ولا نقائلكم حتى تبدأوا وننتظر فيكم أمر الله، ثم اجتمع الخوارج في منزل عبد الله بن وهب الراسي فوعظهم وحرضهم على المزروع إلى بعض النواحي لإنتكارة هذه البدع، وتبعه حرقوص بن زهير في المقال، فقال حزنة بن سنان الأزدي: الرأي ما رأيتم لكن لا بد لكم من أمير ورابة، فعرضوها على زيد بن حبيب الطائي، ثم حرقوص بن زهير، ثم حزنة بن سنان، ثم شريح بن أبي أوفى العنسى فأبوا كلهم، ثم عرضوها على عبد الله بن وهب فأجابه قباعده لعشر خلون من شوال، وكان يقال له: ذو الثفاثات.

ثم اجتمعوا في منزل شريح وتشاوروا، وكتب ابن وهب إلى أهل البصرة منهم يستثث بهم على اللحاق بهم، ولما اعتززوا على المسير تعبدوا ليلة الجمعة ويومها وساروا، فخرج معهم طرفة بن عدي بن حاتم الطائي، واتبعه أبوه إلى المدائن فلم يقدروا عليه

قيل لهم موتوا، وقتل عبد الله بن وهب وزيد بن حصن وحرقوص بن زهير وعبد الله بن شجرة وشريح بن أوفى، وأمر علي أن يتلمس المدخل في قتلامن وهو الذي ذكره رسول الله ﷺ في علاماتهم فوجد في القتل فاعتبر علي وكثير واستبصر الناس، وأخذ ما في عسكرهم من السلاح والدواب فقسمه بين المسلمين ورد عليهم الماتع والإماء والعبيد.

ودفن عدي بن حاتم ابنه طرفة ورجلاً من المسلمين فنهى علي عن ذلك، وارتحل ولم يفقد من أصحابه إلا سبعة أو نحوهم. وشكوا إليه الناس الكلال ونفود السهام والرماح وطلعوا الرجوع إلى الكوفة ليستعدوا فإنه أقرى على القتال، وكان الذي تولى كلامه الأشعث بن قيس فلم يجيء، وأقبل فنزل التخيلة ومنهم من دخول منازلهم حتى يسروا إلى عدوهم، فسللوا أيام المقاومة إلى البيوت وتركوا المعسكر خالياً فلما رأى علي ذلك دخل في نديهم ثانيةً فلم ينفروا، فاقام أياماً ثم كلام رؤسائهم على رأيهم والذي يطعن بهم فلم ينشط لذلك إلا القليل، فخطبهم وأغلظ في عتابهم وأعلمهم بما له عليهم من الطاعة في الحق والنصر فقاتلوا وسكنوا.

## ولادة عمرو بن العاص على مصر

قد تقدم لنا ما كان من اجتماع العثمانية بتوابع مصر مع معاوية بن حدبيج السكوني، وإن محمد بن أبي بكر بعث إليهم العساكر من الفسطاط مع ابن مضامه فهزمه وقتلوه، واضطربت الفتنة بمصر على محمد بن أبي بكر، وبلغ ذلك علياً فبعث إلى الأشت من مكان عمله بالجزيرة وهو نصيبين فبعثه على مصر وقال: ليس لها غيرك. وبلغ الخبر إلى معاوية وكان قد طمع في مصر فعلم إنها مستمتع بالأشتر، وجاء الأشت فنزل على صاحب الخراج بالقلزم فمات هنالك، وقيل: إن معاوية بعث إلى صاحب القلزم فسمه على أن يسقط عنه الخراج وهذا بعيد.

وبلغ خبر موته علياً فاسترجع واسترحم وكان محمد بن أبي بكر لما بلغته ولادة الأشت شق عليه فكتب علي يعتذر إليه وإن لم يوله لسوء رأيه في محمد وإنما هو ما كان يظن فيه من الشدة فقد صار إلى الله ونحن عنه راضون فرضي الله عنه وضاعف له الشواب، فاصر لعدوك وشرم للحرب وادع إلى سبيل ربك بالحكمة والمعزولة الحسنة وأكثر من ذكر الله والاستعارة به والخروف منه يكتفيك ما أهمنك ويعينك على ما لاك. فأجاده محمد بالرضا برأيه والطاعة لأمره، وأنه مزمع على حرابة من خالقه.

أهل البصرة لقوا عبد الله بن خباب من صحابة رسول الله ﷺ قريباً من الهرewan فعرفهم بنفسه، فسألوه عن أبي بكر وعمر فأنشى خيراً، ثم عن عثمان في أول خلافته وأآخرها فقال: كان مختاراً في الأول والأخر، فسألوه عن علي قبل التحكيم ويعده، فقال: هو أعلم بالله وأشد توقياً على دينه، فقالوا: إنك توالى الرجال على أسمائهما، ثم ذبحوه وبقرروا بطن امرأته ثم قتلوا ثلات نسوة من طيء. فأسف علياً قتلهم عبد الله بن ضباب واعتراضهم الناس، فبعث الحرش بن مرة العبدى لينظر فيما بلغه عنهم فقتلسوه، فقال له أصحابه: كيف ندع هؤلاء ونأمن غاثتهم في أمورنا وعيالنا إنما نقدم أمرهم على الشام، وقام الأشعث بن قيس بمثل ذلك فوافقهم علي وسار إليهم، وبعث من يقول لهم إدعوا إلينا قتلة إخواننا منكم فنكف عنكم حتى نرجع من قتال العرب لعمل الله بردكم إلى خير فقالوا: كلنا قتلهم وكلنا مستحل دماءكم ودماءهم. ثم جاءهم قيس بن سعد ووعظمهم وأبو أيوب الأنصاري كذلك. ثم جاءهم علي فتهدهم وسفه رأيهم وبين لهم شأن الحكمين وأنهما لما خالفا حكم الكتاب والسنة نبذنا أمرهما ونحن على الأمر الأول فقالوا: إننا كفينا بالتحكيم وقد تبنا فإن تبت أنت فنحن معك وإن لم تبت فقد ناذنك، فقال: كيف أحكم على نفسي بالكفر بعد إيماني وجهاري؟ ثم انصرف عنهم.

وقيل: إن علياً خطبهم وأغلظ عليهم فيما فعلوه من الاستعراض والقتل فتذدوا لا تكلموهم وتأبوا للقاء الله. ثم قصدوا جسر الخوارج ولحقهم علي دونه، وقد عبس أصحابه وعلى ميمنته حجر بن عدي وعلى ميسيرته شبيث بن ربيع أو معقل بن قيس وعلى الخيل أبو أيوب وعلى الرجال أبو قادة وعلى أهل المدينة سبعمائة أو ثمانمائة قيس بن سعد.

وعبات نحوه الخوارج على ميمتهم زيد بن حصين الطائي وعلى الميسرة شريح بن أوفى العنسى وعلى الخيل حمزة بن سنان الأسدى وعلى الرجال حرقوص بن زهير. ودفع علي إلى أبي راية أمان لهم لمن جاءها من لم يقتل ولم يستعرض فتذدوا إليها وقال: من انصرف إلى الكوفة والمداير فهو آمن. فاعتزل عنهم فروة بن نوفل الأشجعى في خمسمائة وقال اعتزل حتى يتضح لي أمر في قتال علي فنزل الدسكرة، وخرج آخرهون إلى الكوفة، ورجع آخرهون إلى علي وكانت أربعة آلاف، وبقي منهم ألف وثمانمائة فحمل عليهم علي والناس حتى فرقهم على الميمنة والميسرة.

ثم استقبلتهم الرماة وعطفت عليهم الخيل من الجنبيتين ونهض إليهم الرجال بالسلاح فهلكوا كلهم في ساعة واحدة كما

الأنصاري قادماً من مصر فأخبره بقتل محمد، وجاء إلى عليٍّ عبد الرحمن بن شبيث الفزارني وكان عيناً له بالشام، فأخبره بقتل محمد واستيلاء عمرو على مصر، فحزن لذلك، وبعث إلى مالك بن كعب أن يرجع بالجيش خطب الناس فأخبرهم بالخبر وعذفه على ما كان منهم من التناقل حتى فات هذا الأمر ووبحهم طويلاً ثم نزل.

### دعا ابن الحضرمي بالبصرة معاوية ومقتله

ولما افتح معاوية مصر بعث عبد الله بن الحضرمي إلى البصرة داعياً لهم وقد آتى منهم الطاعة بما كان من قتل عليٍّ إياهم يوم الجمل وإنهم على رأيه في دم عثمان، وأوصاه بالنزول في مصر وأن يتودد إلى الأزد وحذره من ربيعة وقال: إنهم ترائبه يعني شيعة عليٍّ. فسار ابن الحضرمي حتى قدم البصرة، وكان ابن عباس قد خرج إلى عليٍّ واستخلف عليها زياداً

ونزل في بيته تيم واجتمع إليه العثمانيون فحضهم على الطلب بدم عثمان من على، فقال الضحاك بن قيس الهمالي: قبّع الله ما جنت به وما تدعوا إليه تحملنا على الفرقة بعد الاجتماع وعلى الموت ليكون معاوية أميراً؟ فقال له عبد الله بن حازم السلمي اسكت! فلست لها باهل. ثم قال لابن الحضرمي محن أنصارك ويدك والقول قوله، فقرأ كتاب معاوية يدعوه إلى رأيه من الطلب بدم عثمان على أن يعمل فيه بالسنة ويفضّل لهم الأعطيّة. فلما فرغ من قراءته قام الأخفى بن قيس معترلاً وحضر عمر بن مرحوم على لزوم البيعة والجماعة.

وقام العباس بن حجر في مناصرة ابن الحضرمي، فقال له المثنى بن حمزة: لا يغرنك ابن صحار وارجع من حيث جئت، فقال ابن الحضرمي لصبرة بن شيمان الأزدي: لا تتصنعني؟ قال لو نزلت عندي فعلت! ودعا زياد أباً البصرة حصين بن المنذر ومالك بن مسمع ورؤوس بكر بن وائل إلى المتعة من ابن الحضرمي إلى أن يأتي أمر عليٍّ، فأجاب حصين وتناقل مالك وكان هواه في بيته أمية، فأرسل زياد إلى صبرة بن شيمان يدعوه إلى الجدار بما معه من بيت المال فقال: إن حلته إلى داري أجرتك فتحول إليه بيت المال والنبر، وكان يصلّي الجمعة في مسجد قرمه، وأراد زياد اختبارهم فبعث إليهم من ينذرهم بمسيره إليهم، وأخذ زياد جنداً منهم بعد صبرة لذلك وقال: إن جاءوا جنّاهم، وكتب زياد إلى عليٍّ بالخبر فأرسل أعين بن ضبيعة لفرق تميّاً عن ابن الحضرمي ويقاتل من عصاه من أطاعه، فجاء لذلك وقتله

ثم لما كان من أمر الحكمين ما كان واختلف أهل العراق على عليٍّ، وبايع أهل الشام معاوية بالخلافة، فأراد معاوية صرف عمله إلى مصر لما كان يرجو من الاستعانته على حربه بخرابها، ودعا بطاته أنا الأعور السلمي وحبيب بن مسلمة ويسر بن أطاء والضحاك بن قيس وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد وشريحيل بن السبط وشارهم في شأنها، فأشار عليه عمرو بافتتاحها وأشار بعث الجيش مع حازم صارم بوقتٍ ويجتمع إليه من كان على رأيه من العثمانيّة.

فقال معاوية: بل الرأي أن تكاتب العثمانية بالوعد ونكتب العدو بالصلح والتخييف ونأتي الحرب بعد ذلك، ثم قال معاوية: إنك يا ابن العاص بوروك لك في العجلة وأنا في التسويدة، فقال: إفعل ما تراه وأظن الأمّ لا يصير إلا للحرب. فكتب معاوية إلى معاوية بن حديث ومسلمة بن خلدون يشكّرها على الخلاف، وبعثهما على الحرب والقيام في دم عثمان، وفرحاً بجهودهما فطلب المدد فجمع أصحابه وأشاروا بذلك.

فأمر عمرو بن العاص أن يتجهز إلى مصر في ستة آلاف رجل وووّصاه بالتوذّد وترك العجلة، فنزل أدنى أرض مصر واجتمع إليه العثمانيون، وبعث كتابه وكتاب معاوية إلى محمد بن أبي بكر بالتهديد وإن الناس اجتمعوا عليك وهم مسلموك فاخرج، فبعث بالكتابين إلى عليٍّ فوعده بإنفاذ الجيش وأمره بقتال العدو والصبر. فقدم محمد بن أبي بكر كنانة بن بشر في الفين، فبعث معاوية عمرو بن حديث وسرحه في أهل الشام فاحتاطوا بكنانة، فترجل عن فرسه وقاتل حتى استشهد. وجاء الخبر إلى محمد بن أبي بكر فافتقر عنه أصحابه وفروا، وأوى في مفره إلى خربة واستقر في تلك الخربة، فقبض عليه فأخذته ابن حديث وجاء به إلى الفسطاط، وطلب أنخوه عبد الرحمن من عمرو أن يبعث إلى ابن حديث فيبقاء عليه فابي، وطلب محمد الماء فمنعه ابن حديث جزاء بما فعل بعثمان، ثم أحرقه في جوف حمار بعد أن لعنه ودعا عليه وعلى معاوية وعمرو.

وكانت عاشة تقتت في الصلاة بالدّعاء على قتله. ويقال إنه لما انہزم اختفى عدد جبلة بن مسروق حتى أحاط به معاوية بن حديث وأصحابه، فخرج إليهم فقاتل حتى قتل. ولا بلغ الخبر علياً خطب الناس وندبهم إلى أعدائهم وقال: اخرجوا شاباً إلى الجزعنة بين الحيرة والكفرة. وخرج من الغد إلى متصرف النهار يمشي إليها حتى نزلها فلم يلحق به أحد، فرجع من العشي وجمع أشراف الناس ووبحهم فأجاب مالك بن كعب الأرabi في الفين، فقال: سر وما أراك تدركهم فسار خساً، ولحق حاجاج بن عرفة

بوماً أو بعض يوم، ثم اغتاله قوم فقتلوه يقال من الخارج.

### ولاية زياد على فارس

قال ابن ملجم - وكان من مصر - أنا أكفيكم علياً، وقال البرك: أنا أكفيكم معاوية، وقال عمرو بن بكر التميمي: أنا أكفيكم عمرو بن العاص، وتعاهدوا أن لا يرجع أحد عن صاحبه حتى يقتله أو يموت. واتعدوا لسبع عشرة من رمضان وانتظروا. ولقي ابن ملجم أصحابه بالكونف فطوى خبره عنهم، ثم جاء إلى شبيب بن شجرا من أشجع وداعاء إلى المراقبة في شأنه، فقال شبيب: تكللت أمك فكيف تقدر على قتلها؟ قال أكمن له في المسجد في صلاة الغداة فإن قتلناه وإنما فهي الشهادة قال وبمحك لا أجدني أشرح لقتلته مع سابقته وفضله، قال ألم يقتل العباد الصالحين أهل الهروان؟ قال بلـ! قال فقتلته من قتلهم، فأجابه.

ثم لقي امرأة من تبسم الرباب فانفقة الجمال قتل أبوها وأخوها يوم الهروان، فأخذت قلبها فخطبها فشرطت عليه عبداً وقيمة وقتل علي، فقال كيف يمكن ما أنت تريدين؟ قالت التمس غرته فإن قتلته شفيت النقوس وإنما فهي الشهادة. قال: والله ما جئت إلا لذلك ولك ما سالت، قالت: سأبعث معك من يشد ظهرك ويساعدك، فبعثت معه شبيب ووردان. فلما كانت الليلة التي واعده ابن ملجم أصحابه على قتل علي وكانت ليلة الجمعة جاء إلى المسجد ومعه شبيب ووردان وجلسوا مقابل السدة التي يخرج منها على للصلوة، فلما خرج ونادى للصلوة علاء شبيب بالسيف فوقع بعضاذه الباب، وضربه ابن ملجم على مقدم رأسه، وقال: الحكم الله لا لك يا علي ولا لأصحابك. وهرب ورдан إلى منزله وأخبر بعض أصحابه بالأمر فقتله. وهرب شبيب مقلساً. وصاح الناس به فلحقه رجل من حضرموت فأخذوه وجلس عليه والسيف في يد شبيب والناس قد أقبلوا في طببه، وخشي الحضرمي على نفسه لاختلاط الغليس فتركه وذهب في غمار الناس.

وشن الناس على ابن ملجم واستخلف علي على الصلاة جعده بن هبيرة وهو ابن أخيه أم هانى فصلى الغداة بالناس، وأدخل ابن ملجم مكتوفاً على علي فقال: أيه عدو الله ما حملك على هذا؟ قال شحذته أربعين صباحاً وسألت الله أن يقتل به شر خلقه، فقال أراك متولأ به! ثم قال إن هلكت فاقتلوه كما قتلتني وإن بقيت رأيت فيه رأيي، يا بني عبد المطلب لا تخربوا على دماء المسلمين وتقولوا قتل أمير المؤمنين لا تقتلوا إلا قاتلي. يا حسن أنا إن مت من ضربتي هذه فاضربيه بسيفه ولا تمثل بالرجل فإني سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول «إياكم والمثلة».

ولما قتل ابن الحضرمي بالبصرة والناس مختلدون على علي طمع أهل النواحي من بلاد العجم في كسر الخراج، وأخرج أهل فارس عاملهم سهل بن حنيف، فأشار علي الناس فأشار عليه جارية بن قادمة بزياد فأمر ابن عباس أن يوليه عليه، نبعته إليها في جيش كثيف فطوى بهم أهل فارس وضرب بعضهم بعضاً وهرب قوم وأقام آخرون، وصفت له فارس بغیر حرب. ثم تقدم إلى كرمان فدوكخها مثل ذلك فاستقامت وسكن الناس ونزل اصطخر وسكن قلعة بها تسمى قلعة زيار.

### فرقاب ابن عباس لعلي رضي الله عنهم

وفي سنة أربعين فارق عبد الله بن عباس علياً ولحق بعكة، وذلك أنه مر يوماً بابي الأسود ووجهه على أمر، فكتب أبو الأسود إلى علي بأن ابن عباس استتر بأموال الله فأجايه علي بشكره على ذلك وكتب لابن عباس ولم يخبره بالكاتب، فكتب إليه بكتاب ما بلغه من ذلك وإنه ضابط للمال حافظ له، فكتب إليه علي: أعلمني ما أحذت ومن أين أحذت وفيما وضعت؟ فكتب إليه ابن عباس فهمت استظامك لما رفع إليك إني رزأته من هذا المال فابعث إلى عملك من أحبيت فإني ظاعن عنه واستدعني أخواله من بي هلال، فجاءته قيس كلها فحمل المال وقال: هذه أرزاقنا، واتبعه أهل البصرة ووقفت دونه قيس. فرجع صبرة بن شيمان الحمداني بالأزرد وقال قيس: إخواننا وهم خير من المال فاطبعوني. وانصرف معهم بكر وعبد القيس ثم انصرف الأحلف بقومه من بيئي وحجز بقية بيئي عنه، ولحق ابن عباس بعكة.

### مقتل علي رضي الله عنه

قتل علي رضي الله عنه سنة أربعين لسبع عشرة من رمضان وقيل: لأحدى عشرة وقيل: في ربيع الآخر والأول أصح، وكان سبب قتله أن عبد الرحمن بن ملجم المرادي والبرك بن عبد الله التميمي الصريعي وأسمه الحجاج وعمرو بن بكر التميمي السعدي: ثلاثة من الخارج لحقوا من فلهم بالحجاز، واجتمعوا فذاكروا ما فيه الناس وعابوا الولاة وترحموا على قتلى الهروان، وقالوا: ما نصنه بالبقاء بعدهم فلو شربنا أنفسنا وقتلنا أئمة

سمية وعلى اليمن عبد الله بن العباس حتى وقع أمر بسر بن أبي أرطاء، وعلى مكة والطائف قسم بن العباس وعلى المدينة أبو أيوب الأنصاري وقيل سهل بن حنيف.

### بيعة الحسن وتسلیمه الأمر لمعاوية

ولما قتل علي رضي الله عنه اجتمع أصحابه فبایعوا ابنته الحسن، وأول من بایعه قيس بن سعد وقال: أبسط يدك على كتاب الله وستة رسوله وقتل المحدثين. فقال الحسن: على كتاب الله وستة رسوله. ويأیان على كل شرط. ثم بایعه الناس فكان يشترط عليهم إنكم سامعون مطيونون تosalون من سالت وتحاربون من حاربت، فارتباها وقالوا: ما هذا لكم بصاحب وما يريد القتال. وبلغ الخبر بمقتل علي إلى معاوية فبويح بالخلافة ودعي بأمير المؤمنين، وكان قد بويح بها بعد اجتماع الحكمين. والأربعين ليلة بعد مقتل علي مات الأشعث بن قيس الكندي من أصحابه، ثم مات من أصحابه معاوية شرجيل بن السمط الكندي. وكان علي قبل قتله قد تجهز بال المسلمين إلى الشام، وبایعه أربعون ألفاً من عسكره على الموت.

فلما بويح الحسن زحف معاوية في أهل الشام إلى الكوفة فسار الحسن في ذلك الجيش للقاءه وعلى مقدمته قيس بن سعد في إثني عشر ألفاً، وقتل بل كان عبد الله بن عباس على المقدمة وقيس في طلائعه. فلما نزل الحسن في المدائن شاع في العسكر إن قيس بن سعد قتل، واهتاج الناس وما ج بعضهم في بعض وجاءوا إلى سرادق الحسن ونهبوا ما حوله حتى نزعوه بساطه الذي كان عليه واستلبوا رداءه وطعنوا بعضهم في فخذه. وقامت ريبة وهمدان دونه واحتلوا على سرير إلى المدائن ودخل إلى القصر وكاد أمره أن ينحل، فكتب إلى معاوية يذكر له التزو عن الأمر على أن يعطيه ما في بيت المال بالكوفة ومبلاعه خمسة آلاف الف، ويعطيه خراج دار الجرد من فارس وإن لا يشتم علياً وهو يسمع، وأخبر بذلك أخيه الحسين وعبد الله بن جعفر وعدلاه فلم يرجع إليهما. وبلغت صحيحته إلى معاوية فأمسكها وكان قد بعث عبد الله بن عامر وعبد الله بن سمرة إلى الحسن ومعهما صحيفة بيضاء ختم في أسفلها وكتب إليه أن اشتربت في هذه الصحيفة ما ثنت فهو لك فاشترط فيها أضعاف ما كان في الصحيفة، فلما سلم له وطالبه في الشروط أعطاه ما في الصحيفة الأولى وقال: هو الذي طلب. ثم نزعه أهل البصرة خراج دار الجرد وقالوا: هو فيتنا لا نعطيه.

وقالت أم كلثوم لابن ملجم وهو مكتوف وهي تبكي: أي عدو الله لا يأس على أبي والله غزير قال فعلام تبكين؟ والله لقد شريته بالف وصقلته أربعين ولو كانت هذه الضربة بأهل بلد ما بقي منهم أحد.

وقال جندب بن عبد الله لعلي أتبایع الحسن إن فقدناك؟ قال ما آمرك به ولا أنهماكم انت أبصر، ثم دعا الحسن والحسين ووصاهما قال: أوصيكما بتقوى الله ولا بتغوا الدنيا وإن بعثكما ولا تأسفا على شيء إن زوى منها عنكما وقولا الحق وارحها البيتم واعينا الصداع وكوتنا للظلم خصما وللمظلوم ناصراً وأعملنا بما في كتاب الله ولا تأخذكما في الله لومة لائم. ثم قال محمد ابن الحفيف إني أوصيك بمثل ذلك ويتقرب أخويك لعظيم حقهما عليك ولا تقطع أمراً دونهما، ثم وصاهما بابن الحفيف، ثم أعاد على الحسن وصيته، ولما حضرته الوفاة كتب وصيته العامة ولم ينطق إلا بلا إلا الله حتى قبض.

وأحضر الحسن ابن ملجم فقال له هل لك البقاء على: وإنى قد عاهدت الله أن أقتل علياً ومعاوية، وإنى عاهدت الله على الرفاء بالعهد فخل بيني وبين ذلك فإن قلتني وبقيت فلك عهد الله أن أتيك، فقال: لا والله حتى تماين النار ثم قدمه فقتله، وأما البرك فإنه قصد لمعاوية تلك الليلة فلما خرج للصلوة ضربه بالسيف في إلته وأخذ فقال: عندي بشري أتفعلني إن أخبرتك بها؟ قال نعم. قال إن أخاه لي قتل علياً هذه الليلة، قال فعلمه لم يقدر عليه، قال بلى إن علياً ليس معه حرس، فامر به معاوية فقتل، وأحضر الطيب فقال: ليس إلا الكي أو شربة تقطع منك الولد. فقال: في يزيد وعبد الله ما تقر به عيني والنار لا صبر لي عليها.

وقد قيل إنه أمر بقطع البرك فقطع وأقام إلى أيام زياد فقتله بالبصرة، وعند ذلك أخذ معاوية المقصورة وحرس الليل وقيام الشرطة على رأسه إذا سجد. ويقال إن أول من أخذ المقصورة مروان بن الحكم سنة أربعين حين طعنه الياني، وأما عمرو بن بكر فإنه جلس إلى عمرو بن العاص تلك الليلة فلم يخرج وكان اشتكي فأمر صاحب شرطته خارجة بن أبي حبيبة بن عامر بن لؤي يصلى بالناس فشد عليه فضريه فقتله وهو يرى أنه عمرو بن العاص، فلما أخذوه وأدخلوه على عمرو قال: فمن قتلت إذًا؟ قالوا خارجة فقال لعمرو بن العاص والله ما ظتنته غيرك! فقال عمرو: أردت عمراً وأراد الله خارجة، وأمر بقتله.

وتوفي علي رضي الله عنه وعلى البصرة عبد الله بن عباس وعلى قضانتها أبو الأسود الدؤلي وعلى فارس زياد بن

ثم خرج عليه المخواج من كل جهة من بقية أهل النهروان وغيرهم فقاتلهم واستلحهم كما يأتي في أخبارهم على ما اشتربناه في تاليفنا من أفراد الأنجار عن الدول وأهل النحل دولة وطائفة طائفه. وهذا آخر الكلام في الخلافة الإسلامية وما كان فيها من الردة والفتورات والخروب ثم الانتقام والجماعة أوردتها ملخصة عيونها ويعاهمها من كتاب محمد بن جرير الطبرى وهو تاريخه الكبير فإنه أوتى ما رأينا في ذلك، وأبعد من الطاعن عن الشبه في كبار الأمة وخيارهم وعدوهم من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين، فكثيراً ما يوجد في كلام المؤرخين أخبار فيها مطاعن وشبه في حقهم أكثرها من أهل الأهواء فلا ينبغي أن تسود بها العيون، (وابتعتها) بمفردات من غير كتاب الطبرى بعد أن تغيرت الصحيح جهد الطاقة وإذا ذكرت شيئاً في الأغلب نسبة إلى قائله.

وقد كان ينبغي أن تلحق دولة معاوية وأخباره بدول الخلفاء وأخبارهم فهو تاليهم في الفضل والعدالة والصحبة، ولا ينظر في ذلك إلى حديث: الخلافة بعدي ثلاثون سنة فإنه لم يصح، والحق إن معاوية في عداد الخلفاء وإنما أنجزه المؤرخون في التأليف عنهم لأربين:

**الأول إن الخلافة لعده كانت مغالية لأجل ما قدمته من العصبية التي حدثت لعصره، وأما قبل ذلك فكانت اختياراً واجتماعاً فميزوا بين الحالتين، فكان معاوية أول خلفاء المغالية والعصبية الذين يعبر عنهم أهل الأهواء بالملوك، ويشهرون ببعض حواشى الله أن يشبه معاوية بأحد من عده، فهو من الخلفاء الراشدين ومن كان تلوه في الدين والفضل من الخلفاء الروائية من ثلاثة في المرتبة كذلك وكذلك من بعدهم من خلفاء بي العباس، ولا يقال: إن الملك أدون رتبة من الخلافة فكيف يكون خليفة ملكاً.**

وأعلم أن الملك الذي يختلف بل ينافي الخلافة هي الجبروتية والمعبور عنها بالكسرونية التي انكرها عمر على معاوية حين رأى ظواهرها، وأما الملك الذي هو الغلبة والقهر بالعصبية والشوكه فلا ينافي الخلافة ولا النبوة فقد كان سليمان بن داود وأبسوه صلوات الله عليهما نبينا وملكين وكانت على غاية الاستفادة في دنياهما وعلى طاعة ربهما عز وجل، ومعاوية لم يطلب الملك ولا أبنته للإسكندر من الدنيا، وإنما ساقه أمر العصبية بطبعها لما استولى المسلمين على الدولة كلها وكان هو خليفتهم فدعاهما يدعوا الملك إليه فوهم عندهما تستعمل العصبية وتدعوا طبيعة الملك.

وخطب الحسن أهل العراق وقال سخى نفسى عنكم ثلاث: قتل أبي وطعني واتهاب بيتي، ثم قال إلا وقد أصبحت بين قبيلتين قبيل بصفين يكنى له وقبيل بالنهران يطلبون بشارة وأماباقي فخاذل، وأما الباكى فثائر وإن معاوية دعانا إلى أمر ليس فيه عز ولا نصفة، فإن أردتم الموت رددناه عليه وحاكمناه إلى الله بضم السيوف، وإن أردتم الحياة قبلناه وأخذنا لكم الرضى، فناداه الناس من كل جانب الباقية الباقية فامضي الصلح، ثم بايع لمعاوية لستة أشهر من بيته، ودخل معاوية الكوفة وبإيعه الناس، وكتب الحسن إلى قيس بن سعد يأمره بطاعة معاوية فقام قيس في أصحابه فقال: نحن بين القتال مع غير إمام أو طاعة إمام ضلاله، فقال له الناس: طاعة الإمام أولى.

وانصرفوا إلى معاوية فبايعوه وامتنع قيس وانصرف، فلما دخل معاوية الكوفة أشار عليه عمرو بن العاص أن يقيس الحسن للناس خطيباً ليبدو للناس عيه، فلما قدم حمد الله وقال: أيها الناس إن الله هداكم بأولنا وحقق دماءكم بآخرنا وإن لهذا الأمر مدة وإن الدنيا دول والله عز وجل يقول لنبيه: **﴿وَإِنْ أَذْرِي لَمَّا فَتَّتَ لَكُمْ وَمَنَّاعَ إِلَى حِينٍ﴾** فقال له معاوية: اجلس! وعرف أنه خدع في رأيه.

ثم ارتحل الحسن في أهل بيته وحشمشم إلى المدينة وخرج أهل الكوفة لوداعه باكين، فلم يزل مقيناً بالمدينة إلى أن هلك سنة تسع وأربعين، وقال أبو الفرج الأصبهاني سنة إحدى وخمسين على فراشه بالمدينة، وما ينقل من أن معاوية دس إليه السمس مع زوجته جدة بنت الأشعث فهو من أحاديث الشيعة وحاشيا معاوية من ذلك.

وأقام قيس بن سعد على امتناعه من البيعة وكان معاوية قد بعث عبد الله بن عامر في جيش إلى عبد الله بن عباس لما كتب إليه في الأمان بنفسه، فلقيه ليلاً وأمنه وسار معه إلى معاوية، فقام بأمر العسكر بعده قيس بن سعد وتعاقدوا على قتال معاوية حتى يشرط لشيعة علي على دمائهم وأموالهم مما كانوا أصابوا في الفتنة، ويبلغ الخبر إلى معاوية وأشار عليه عمرو في قوله، فقال معاوية: يقتل في ذلك أمثلهم من أهل الشام ولا خير فيه، ثم بعث إليه بصحيفة ختم في أسفلها وقال: اكتب في هذا ما شئت فهو لك: فكتب قيس له ولشيعته الأمان على ما أصابوا من الدماء والأموال، ولم يسأل مالاً فاعطاه معاوية ذلك وبإيعه قيس والشيعة وأربعين وسمى ذلك العام عام الجماعة من أجل ذلك.

ولذلك لما افترق أمر بنى أمية وبنى هاشم بالإسلام، إنما كان ذلك الانفراق بمصاربى هاشم في الشعب لا غير. ولم يقع كبير فتنة لأجل نسيان العصبيات والذهول عنها بالإسلام حتى كانت المجزرة وشرع الجهاد. ولم يبق إلا العصبية الطبيعية التي لا تفارق وهي بعزة الرجل على أخيه وجاره في القتل والمعدون عليه فهذه لا يذهبها شيء ولا هي عظورة بل هي مطلوبة ونافعة في الجهاد والدعاة إلى الدين. الا ترى إلى صفوان بن أمية وقوله عندما انكشف المسلمون يوم حنين وهو يومئذ مشارك في الملة التي جعل له رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه، فقال له أخوه: ألا بطل السحر اليوم؟ فقال له صفوان: اسكت! فضل الله فالك لأن يربني رجل من قريش أحبه إلى من أن يربني رجل من هوازن.

ثم إن شرف بنى عبد مناف لم يزل في يدي عبد شمس وبنى هاشم. فلما هلك أبو طالب وهاجر بنوه مع رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه وحزمه كذلك. ثم من بعده العباس والكثير من بنى هاشم بمحنة واستغلت رياضة بنى أمية في قريش، ثم استحوذتها مشيخة قريش من سائر البطون في بدر وهلك فيها عظامه بيد عبد شمس: عتبة وريبة والوليد وعقبة بن أبي معيط وغيرهم. فاستقل أبو سفيان بشرف بنى أمية والتقى في قريش، وكان رئيسهم في أحلك وقادتهم في الأحزاب وما بعدها.

ولما كان الفتح قال العباس للنبي صلوات الله عليه وآله وسلامه لما أسلم أبو سفيان ليلىتد، كما هو معروف وكان صديقاً له: يا رسول الله! إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له ذكرأ، فقال: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن» ثم من على قريش بعد أن ملكهم يومئذ وقال: «اذهبوا فأتمتم الطلقاء» وأسلموا.

وشكت مشيخة قريش بعد ذلك لأبي بكر ما وجدوه في أنفسهم من التخلف عن رتب المهاجرين الأولين، وما بلغتهم من كلام عمر في تركه شوارهم فاعتذر لهم أبو بكر وقال: أدركوا إخوانكم بالجهاد وأنفذهم لحروب الردة فاحسنوا الغنا عن الإسلام وقوموا بالأعراب عن الحيف والميل. ثم جاءه عمر فرمى بهم الروم وأرغم قريشاً في الفتح إلى الشام فكان معهم هنالك. واستعمل يزيد بن أبي سفيان على الشام وطال أمد ولايته إلى أن هلك في طاعون عمواس سنة ثمانين عشرة فول مكانه أخيه معاوية وأقره عثمان من بعد عمر فاتصلت رياستهم على قريش في الإسلام برؤاستهم قبيل الفتح التي لم تتحمل صبغتها ولا ينسى عهدهما أيام شغل بنى هاشم بأمر النبوة وبندو الدنيا من أيديهم مما اعتضوا عنها من مباشرة الوحي وشرف القرب من الله برسوله.

وكذلك شأن الخلفاء أهل الدين من بعده إذا دعتهم ضرورة الملك إلى استعمال أحکامه ودعایه، والقانون في ذلك عرض أفعالهم على الصحيح من الأخبار لا بالواهی، فمن جرت أفعاله عليها فهو خليفة النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه في المسلمين، ومن خرجت أفعاله من ذلك فهو من ملوك الدنيا وإن سمي خليفة في المجاز.

الأمر الثاني: في ذكر معاوية مع خلفاء بنى أمية دون الخلفاء الأربعية أنهم كانوا أهل نسب واحد عظيمهم معاوية، فجعل مع أهل نسبه، والخلفاء الأولون مختلفو الأنساب فجعلوا في نعط واحد والحق بهم عثمان وإن كان من أهل هذا النسب للحرفة بهم قريباً في الفضل والله يعيشنا في زمرتهم ويرحمنا بالافتداء بهم.

تمت تكلمة الجزء الثاني وليه الجزء الثالث وأوله.

الخبر عن الدول الإسلامية وبنادها بدولة بنى أمية معقبة لخلفاء صدر الإسلام وذكر أوليائهم وأخبار دولهم واحدة واحدة إلى انتقضانها

## دولة بنى أمية

كان لبني عبد مناف في قريش جل من العدد والشرف. لا يناظرهم فيها أحد من سائر بطرن قريش. وكان فخراهم بنى أمية وبنو هاشم حياً جيماً يتمتعون بعد مناف وبنسبون إليه. وقريش تعرف ذلك وتتسائل لهم الريادة عليهم إلا أن بنى أمية كانوا أكثر عدداً من بنى هاشم وأوفر رجالاً، والعزة إنما هي بالكثرة، قال الشاعر: وإنما العزة للكثائر.

وكان لهم قبل الإسلام شرف معروض انتهى إلى حرب بنى أمية وكان رئيسهم في حرب الفجاري. وحدث الإخباريون أن قريشاً تراقبوا ذات يوم وحرب هذا مستند ظهره إلى الكعبة فبادر إليه غلمه منهم ينادون يا عم أدرك قومك، فقام يجر إزاره حتى أشرف عليهم من بعض الريا ولوح بطرف ثوبه إليهم أن تسالوا فبادرت الطائفتان إليه بعد أن كان حبي وطيسهم.

ولما جاء الإسلام دهش الناس لما وقع من أمر النبوة والوحى وتنزل الملائكة، وما وقع من خوارق الأمور ونسى الناس أمر العصبية مسلمهم وكافرهم. أما المسلمين فنهاهم الإسلام عن أمور الجاهلية كما في الحديث «أن الله أذهب عنكم عيّنة الجاهلية وفخرها لأننا ولأتم بنو آدم وأدمن تراب». وأما المشركون فشغلهم ذلك الأمر العظيم عن شأن العصائب وذهلوا عنه حيناً من الدهر.

الخارج غيره، وكان على القضاة شريع.

ولما تُؤْمِنَ المغيرة على الكوفة استعمل كُثُرٌ بن شهاب على الري وأقره زياد بعده. وكان يغزو الدليم. ثم بعثت على البصرة بسر بن أربطة وكان قد تغلب عليها حمران بن زيد عند صلح الحسن مع معاوية فبعث بسراً عليها فخطب الناس وتعرض لعلي. ثم قال: نشدت الله رجلاً يعلم أنّي صادق أو كاذب ولا صدقني أو كذبني. فقال أبو بكرة: اللهم لا تعلمك إلا كاذباً فامر به فاختن. فقام أبو لوزة الضبي فدفع عنه. وكان على فارس من أعمال البصرة زياد ابن أبيه. وبعثت إليه معاوية يطلب في المال فقال: صرفت بعضه في وجهه واستودعت بعضه للحاجة إليه وحملت ما فضل إلى أمير المؤمنين رحمه الله. فكتب إليه معاوية وحملت إلّا فاتحه في ذلك فامتنع. فلما ولّى سر على البصرة جمع بالقدوم ليتظر في ذلك فامتنع. فلما ولّى سر على البصرة جمع عنه أولاد زياد والأكابر عبد الرحمن وعبد الله وعبد وكتب إليه لتقدم أو لأنّ قتل بنيك فامتنع واعتزم سر على قتلهم فأتاه أبو بكرة وكان أخا زياد لأمه فقال: أخذتم بلا ذنب.

وصالح الحسن على أصحاب علي حيث كانوا فامهلوا سر إلى أن يأتي بكتاب معاوية. ثم قدم أبو بكرة على معاوية وقال: إن الناس لم يأيوك على قتل الأطفال وإن سراً يزيد قتل بي زياد! فكتب إليه بتخليلهم وجاء إلى البصرة يوم المهاجر ولم يبق منه إلا ساعة وهم متورّن للقتل فادركم وأطلقهم انتهى.

ثم عزل معاوية بسراً عن البصرة وأراد أن يولي عتبة بن أبي سفيان فقال له ابن عامر: إن لي بالبصرة أموالاً وودائع وإن لم تولني عليها ذهبت. فرلاه وجعل إليه معها خراسان وسجستان وقد همّها سنة إحدى وأربعين فولى على خراسان قيس بن الهيثم السلمي وكان أهل بلخ وبإذن عيسى وهراة وبوشنج قد نضوا، فسار إلى بلخ وحاصرها حتى سالوا الصلح وراجعوا الطاعة. وقيل إنما صالحهم الربيع بن زياد سنة إحدى وخمسين على ما سيأتي.

ثم قدم قيس على ابن عامر فضربه وحبسه وولى مكانه عبد الله بن حازم، وقسم خراسان فأرسل إلى أهل هراة وبإذن عيسى وبوشنج في الأمان والصلح فأجلبهم وحمل لابن عامر مالاً انتهى. ثم ولّ معاوية سنة اثنين وأربعين على المدينة مروان بن الحكم وعلى مكة خالد بن العاص بن هشام. واستقضى مروان عبد الله بن الحارث بن نوفل وعزل مروان عن المدينة سنة تسع وأربعين وولى مكانه سعيد بن العاص وذلك لثمان سنين من ولايته. وجعل سعيد على القضاة ابن عبد الرحمن مكان عبد الله بن الحارث ثم عزل معاوية سعيد سنة أربع وخمسين ورد إليها مروان.

وما زال الناس يعرفون ذلك لبي أمية. وانظر مقالة حنظلة بن زياد الكاتب لحمد بن أبي بكر: أن هذا الأمر إن صار إلى التغالب غلبة عليه بنو عبد مناف.

ولما هلك عثمان واختلف الناس على عليٍّ كانت عساكر علي أكثر عدداً لمكان الخلافة والفضل إلا أنها من سائر القبائل من ربيعة وبنين وغيرهم. وجموع معاوية إنما هي جند الشام من قريش شوكة مصر وباسهم نزلوا بغور الشام منذ الفتح فكانت عصبيته أشد وأمضى شوكة. ثم كسر من جناح عليٍّ ما كان من أمر المخراج وشنّله بهم إلى أن ملك معاوية وخليع المسن نفسه وانتفقت الجماعة على بيعة معاوية في متصرف سنة إحدى وأربعين عندما نسي الناس شأن البوة والخوارق ورجعوا إلى أمر العصبية والتغالب وتعين بنو أمية للقلب على مصر وسائر العرب ومعاوية يومئذ كبارهم.

فلم تتعذر الخلافة ولا ساهم فيها غيره فاستوت قدمه واستفحلا شانه واستحكمت في أرض مصر رياسته وتوثيق عقله. وأقام في سلطانه وخلافته عشرين سنة ينقض من بضاعة السياسة التي لم يكن أحد من قرقه أوفر فيها منه يدأ من أهل الترشيح من ولد فاطمة وبني هاشم وأكل الزبير وأمثالهم وبصانع رؤوس العرب وقروه مصر بالإغضاء والاحتمال والصبر على الأذى والمكره. وكانت غايتها في الحلم لا تدرك وعصايتها فيها لا تنزع ومرقانه فيها تزل عنها الأقدام.

ذكر أنه مازح عدي بن حاتم يوماً يؤبه بصحة عليٍّ فقال له عدي: والله إن القلوب التي أبغضناك بها لفني صدورنا وإن السيف التي قاتلناك بها لعلى عراقتنا ولكن أذنت إلينا من الغدر شبراً لنذهب إليك من الشر باعاً وإن حز الحلقوم وحشرجة المخزوم، لأهون علينا من أن نسمع المسألة في عليٍّ فشم السيف يا معاوية يبعث السيف. فقال معاوية: هذه كلمات حق فاكتبها وأقبل عليه ولاطهه وتحادثنا وأخباره في الحلم كثيرة.

## بعث معاوية العمال إلى الأنصار

لما استقلَّ معاوية بالخلافة عام عدم الجماعة بعث العمال إلى الأنصار، فبعث على الكوفة المغيرة بن شعبة. ويقال إنه ولّ عليها أولاً عبد الله بن عمرو بن العاص فأتاه المغيرة متتصحاً وقال عمرو بصر وابنه بالكوفة فأتت بين ثابي أسد فعزله وولى المغيرة. وبلغ ذلك عمراً فقال معاوية: يختنان المال فلا تقدر على رده فعد فاستعمل من مخالفك. فنصب المغيرة على الصلاة وولى على

قدوم زیاد

وастعمل على خراسان قيس بن الميسم فتغافل بالخارج  
والهداية فول مكانه عبد الله بن حاتم. فخاف قيساً وأقبل فزاد ابن  
عامر غضباً لتفسيعه التغر ويbeth مكانه رجلاً من يشكرون وقيل:  
سلم بن زرعة الكلام، اهل.

ثم بعث عبد الله بن حازم وقيل: إن ابن حازم قال لابن عامر: إن قيساً لا ينهض بخراسان وأخاف إن لقي قيس حريراً أن ينهزم وفسد خراسان، فاكتبه لي عهداً إن عجز عن عدو قتله مقامه. فكتب وخرجت خارجة من طخارستان فأشار ابن حازم عليه أن يتأخر حتى يجتمع عليه الناس فلما سار غير بعيد أخرج ابن حازم عهده وقام بامر الناس وهزم العدو. وببلغ الخبر إلى الأوصار فغضب أصحاب قيس وقالوا: خدع صاحبنا، وشكوا إلى معاوية فاستقدمه فاعتذر ق قبل منه، وقال له: أقم في الناس بعندرك ففعل أهـ. وفي سنة ثلاثة وأربعين توفي عمرو بن العاص بمصر فاستعمل معاوية عبد الله ابنه.

عزل ابن عامر

وكان ابن عامر حليماً ليناً للسفهاء فطرق البصرة الفساد من ذلك. وقال له زياد: جرد السيف فقال: لا أصلح الناس بفساد الكوفة ومنهم ابن الكوا وهو عبد الله بن أبي اوفى اليشكري. فلما سألهم معاوية عن الأمسكار أجابه ابن الكوا بعجز ابن عامر ورضعه فقال معاوية: تكلم على أهل البصرة وهم حضور، وبليغ ذلك ابن عامر فغاضب وولى على خراسان من أعداء ابن الكوا عبد الله بن أبي شيخ اليشكري أو طفيل بن عوف فسخر منه ابن الكوا لذلك وقال: وددت أنه ول كل يشكري من أجل عداوتي. ثم إن معاوية استقدم ابن عامر فقدم وأقام أياماً فلما دعوه قال: إني سائلك ثلثاً قال هن لك، قال: ترد علي عملني ولا تخفض بتهب لي مالك بعرفة ودورك بجكة، قال: قد فعلت. قال:

عمّال ابن عامر على الشغور

لما ولی ابن عامر على البصرة استعمل عبد الرحمن بن سمرة على سجستان فاتنها وعلى شرطتها عباد بن الحسين ومعه من الأشراف عمر بن عبيد الله بن عمر وغيره. وكان أهل البلاد قد كفروا. ففتح أكثرها حتى بلغ كابل وحاصرها أشهراً ونصب عليها الجانبي حتى ثلم سورها ولم يقدر المشركون على سد الثلمة. وبيات عباد بن الحسين عليها يطاعنهم إلى الصريح، ثم خرجوا من الغد للقتال فهزتهم المسلمين ودخلوا البلدة عنزة أهـ.

ثم سار إلى نصف فملكتها عنوة ثم إلى حسك فصالحة أهلها

آثاري ويعتبر عملي لقد هممت بقساوة من قريش أن أبا سفيان لم يرسأه. فأخبر زياد بذلك فأخبر به معاوية. فأمر حاجبه أن يرده من أقصى الأبواب وشكرا ذلك إلى زياد، فركب معه فأدخله على معاوية فلما رأه قام من مجلسه ودخل إلى بيته. فقال زياد: تعدد في انتظاره فلم يزلا حتى عدا ابن عامر فيما كان منه من القول، وقال: إني لا أنكر زياد من قلة ولا أعزز به من ذلة ولكن عرفت حق الله فوضعته موضعه فخرج ابن عامر وترضى زياداً ورضي له معاوية.

## ولاية زياد البصرة

كان زياد بعد صلح معاوية واستلحاقه نزل الكوفة وكان يتشوف الإمارة عليها. فاستقل المغيره ذلك منه فاستعن معاوية من ولاية الكوفة فلم يفعلا. فقال: إنه خرج زياد إلى الشام، ثم إن معاوية عزل الحارث بن عبد الله الأزدي عن البصرة وولى عليها زياداً سنة خمس وأربعين. وجع له خراسان وسجستان. ثم جمع له السند والبحرين وعمان، وقدم البصرة خطيب خطبته البراء وهي معروفة. وإنما سميت البراء لأنه لم يفتحها بالحمد والشame، فحضرهم في خطبته ما كانوا عليه من الانهماك في الشهوات والاسترسال في الفسق والضلال، وانطلاق أيدي السفهاء على الجنایات وانتهال الحرث وهو يذنون منهم، فأطال في ذلك. عَنْهُمْ ووَنَّهُمْ وَعَرَفُهُمْ مَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنَ الطَّاعَةِ مِنَ الْمَنْاصِحَةِ وَالْإِنْقِيَادِ لِلْأَمْرِ. وقال: لكم عندي ثلاثة: لا أحتجب عن طالب حاجة ولو طرقني ليلاً. ولا أجبس العطاء عن إيمانية ولا أجبر العروت. فلما فرغ من خطبته قال له عبد الله بن الأبيهم: أشهد أنك أوتيت الحكمة وفصل الخطاب. قال: كذبت ذلك نبي الله داود.

ثم استعمل على شرطته عبد الله بن حصين وأمره أن يمنع الناس من الولجو بالليل. وكان قد قال في خطبته: لا أؤتي مدللاً إلا سفكت دمه. وكان يأمر بقراءة سورة البقرة بعد صلاة العشاء مؤخراً. ثم يمهل بقدر ما يبلغ الرجل أقصى البصرة. ثم يخرج صاحب الشرطة فلا يجد أحداً إلا قتلته، وكان أول من شدد أمر السلطان وشيد الملك فجرد السيف وأخذ بالظنة وعاقب على الشبهة وخافة السفهاء والدعارة وأمن الناس على أنفسهم ومتاعهم حتى كان الشيء يسقط من يد الإنسان فلا يتعرض له أحد حتى يأتي صاحبه فياخذنه ولا يغلق أحد بابه، وأدر العطاء واستكثر من الشرط فبلغوا أربعة آلاف.

وستل في إصلاح السابلة فقال: حتى أصلح المصر. فلما

وصلت زياد رحم، فقال ابن عامر: وإنني سائلك ثلاثة: ترد على عملي بعزة ولا تمحاسب لي عانياً ولا تتبع لي أثراً وتتكحني إيشك هنداً. قال قد فعلت! ويقال: إن معاوية خيره بين أن يرده على اتباع أثره وحسابه بما سار إليه أو يعزله ويسوغه ما أصاب. فاختار الثلاثة فعزله وولي مكانه الحارث بن عبد الله الأسدي.

## استخلاف زياد

كانت سمية أم زياد مولا للحارث بن كندة الطيب وولدت عنده أبا بكرة ثم زوجها بمول له وولدت زياداً. وكان أبو سفيان قد ذهب إلى الطائف في بعض حاجاته فأصابها بنوع من انكحة الجاهلية. وولدت زياداً هذه، ونسبه إلى أبي سفيان وأفر لها به، إلا أنه كان مخفية، ولما شب زياد سمعت به التجابة. واستكتبه أبو موسى الأشعري وهو على البصرة، واستكتفاه عمر في أمر فحسن منار دينه وحضر عنده يعلمها بما صنعت، فأبلغ ما شاء في الكلام. فقتل عمرو بن العاص - وكان حاضراً - : الله هذا الغلام، لو كان أبوه من قريش لساق العرب بعصاهم. قال أبو سفيان وعلى يسمع: والله إني لأعرف أباه ومن وضعه في رحم أمه، فقال له علي: أسلكت فلو سمع عمر هذا منك كان إليك سريعاً. ثم استعمل علي زياداً على فارس فقضتها وكتب إليه معاوية ينهده ويعرض له بولادة أبي سفيان إيه قفام في الناس فقال: عجبًا لمعاوية يخواني دين ابن عم الرسول في المهاجرين والأنصار.

وكتب إليه علي: إني وليتك وأنا أراك أهلاً وقد كان من أبي سفيان فللة من آمال الباطل وكذب النفس، لا توجب ميراثاً ولا نسباً. ومعاوية يأتي الإنسان من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله فاحذر ثم احذر والسلام أهـ.

ولما قتل علي صالح زياد معاوية وضع مصطلة بن هبيرة الشيباني على معاوية ليعرض له بحسب أبي سفيان فعل، ورأى معاوية أن يستميله باستلحاقه فالتمس الشهادة بذلك من علم حقوق نسبة بأبي سفيان فشهاد له رجال من أهل البصرة والحقه، وكان أكثر شعبه على ينكرهون ذلك وينقونه على معاوية حتى آخره أبو بكرة.

وكتب زياد إلى عائشة في بعض الأحيان من زياد بن أبي سفيان يستدعي جوابها بهذا النسب ليكون له حجة فكتبت إليه: من عائشة أم المؤمنين إلى ابنتها زياد. وكان عبد الله بن عامر يبغض زياداً وقال يوماً لبعض أصحابه من عبد القيس: ابن سمية يقبع

الروم بأهل الشام في البحر. وعقبة بن نافع بأهل مصر كذلك. ثم بعث معاوية سنة خسین جيشاً كثيفاً إلى بلاد الروم مع سفيان بن عوف، وندب يزيد ابنه معهم فتباين فتركه. ثم بلغ الناس أن الغزوة أصابهم جوع ومرض وبلغ معاوية أن يزيد أشد في ذلك: ما إن أبلى بما لاقت جوّعهم بالفداء اليد من حى ومن شوم إذا اطئات على الأطباء مرتقاً بدبر مران عندي أم كلثوم وهي امرأة بنت عبد الله بن عامر فحلل ليحلقون بهم فسار في جمع كثير جعهم إليه معاوية. فيهم ابن عباس وابن عامر وابن الزبير وأبو أيوب الأنصاري فأولغوا في بلاد الروم وبلغوا القسطنطينية وقاتلوا الروم عليها. فاستشهد أبو أيوب الأنصاري ودفن قريباً من سورها. ورجع يزيد والمساكير إلى الشام ثم شتى فضالة بن عبيد بارض الروم ستة إحدى وخمسين وغزا بسر بن ارطاة بالصائفة.

### وفاة المغيرة

توفي المغيرة وهو عامل على الكوفة سنة خسین بالطاعون، ويقال: ستة تسع وأربعين ويقال: ستة إحدى وخمسين، فول مكانه معاوية زياداً وجع له المصرين. فسار زياد إليها واستخلف على البصرة سمرة بن جندب. فلما نزل جلس على كرسى وأحاط أصحابه بباب المسجد يأتونه بالناس يستحلفهم على ذلك. ومن لم يحلف حبسه. بلغوا ثمانين وأخذ المقصورة من يوم حبس. ثم بلغه عن أوفى بن حسین شيء فطلبته، فهرب ثم أخذته قتله. وقال له عمارة بن عتبة بن أبي معيط: إن عمرو بن الحمق يجتمع إليه شيعة على فارسل إليه زياد ونهاه عن الاجتماع عنده. وقال: لا أبيع أحداً حتى يخرج على، وأكثر سمرة بن جندب اليتامي بالبصرة. يقال: قتل ثمانية آلاف فانکر ذلك عليه زياد أهـ.

كان عمرو بن العاص قبل وفاته استعمل عقبة بن عامر بن عبد قيس على أفريقية، وهو ابن خالته انتهى إلى لواحة ومرانة، فاطعوا ثم نكروا فهزاهم وقتل وسي. ثم افتتح ستة اثنين وأربعين غذامس. وفي السنة التي بعدها ودان وكروا من كور السودان وأثخن في تلك التواحي، وكان له فيها جهاد وفتح. ثم ولاه معاوية على أفريقية ستة خسین وبعث إليه عشرة آلاف فارس، فدخل أفريقية وانضاف إليه مسلمة البرير، فكبر جمهه ووضع السيف في أهل البلاد، لأنهم كانوا إذا جاءت عساكر

ضبطه أصلح ما وراءه، وكان يستعين بعدة من الصحابة منهم عمران بن حصين ولاه قضاء البصرة فاستعن، فول مكانه عبد الله بن فضالة الليبي، ثم أخاه عاصماً، ثم زرارة بن أوفى وكانت أخته عند زياد، وكان يستعين بآنس بن مالك وعبد الرحمن بن سمرة وسمرة بن جندب. ويقال: إن زياداً أول من سير بين يديه بالحراب والعمد، وأخذ الحرس رابطة، فكان حسماته منهم لا يفارقون المسجد. ثم قسم ولاية خراسان على أربعة فول على مرو أمين بن أحد الشكري، وعلى نيسابور خليل بن عبد الله الحنفي وعلى مرو الروذ والعارات والطالقان قيس بن الهيثم. وعلى هراة وباذغيس وبوشنج نافع بن خالد الطائي. ثم إن نافعاً بعث إليه بجوداً باهر غنه في بعض وجهه، وكانت قوانبه منه، فأخذ منها قائمة وجعل مكانها أخرى ذهباً وبعث الجود مع غلامه زيد وكان يتول أمره فسعي فيه عند زياد بأمر تلك القائمة فعزله وجسده، وأغممه مائة الف كتب عليه بها كتاباً، ويقال: ثمانمائة ألف. وشفع فيه رجال من الأزرد فأطلقوه. واستعمل مكانه الحكم بن عمرو الغفارى وجعل معه رجالاً على الجابية منهم أسلم بن زرعة الكلابي. وغزا الحكم طخارستان ففتح غنائم كبيرة. ثم سار ستة سبع وأربعين إلى جبال الغور، وكانوا قد ارتدوا، ففتح وغنم وسي وعبر النهر في ولابته إلى ما وراءه. فعلاه غارة. ولما رجع من غزوة الغور مات بمنزله واستخلف على عمله أنس بن أبي إيلاس بن رين بن علم برضه زياد. وكتب إلى خليل بن عبد الله الحنفي بولاية خراسان، ثم بعث الربيع بن زياد المخاربي في خسین ألفاً من البصرة والكرفة.

### صوائف الشام

ودخل المسلمين ستة اثنين وأربعين إلى بلاد الروم فهزموهم وقتلوا جماعة من البطارقة وأثخروا فيها. ثم دخل بسر بن أرطاة أرضهم ستة ثلاث وأربعين ومشى بها وبلغ القسطنطينية. ثم دخل عبد الرحمن بن خالد وكان على حصن فشتى بهم وغراهم بسر تلك السنة في البحر. ثم دخل عبد الرحمن إليها ست وأربعين فشتى بها، وشنى أبو عبد الرحمن السسيعي على أنطاكية. ثم دخلوا سنة ثمان وأربعين فشتى عبد الرحمن بأنطاكية أيضاً، ودخل عبد الله بن قيس الفزارى في تلك السنة بالصائفة. وغزاهم مالك بن هيرية الشكري في البحر وعقبة بن عامر الجبني في البحر أيضاً بأهل مصر وأهل المدينة. ثم دخل مالك بن هيرية ستة تسع وأربعين فشتى بارض الروم ودخل عبد الله بن كرز الجيلي بالصائفة وشتى يزيد بن ثمرة الراهوي في بلاد

بعث إليه فامتنع من الإجابة فبعث صاحب الشرطة شداد بن المitem الهملاي إليه جماعة فسبهم أصحابه.

فجمع زياد أهل الكوفة وتهدهم فتبرؤوا. فقال: ليدع كل رجل منكم عشيرته الذين عند حجر فجعلوا حتى إذا لم يبع معه إلا قومه، قال زياد لصاحب الشرطة: انطلق إليه فات به طوعاً أو كرهاً. فلما جاء يدعوه امتنع عن الإجابة فحمل عليهم وأشار إليه أبو العمارة الكلبي بأن يلحق بكتبة فعنده، هذا وزياد على المتبقي يتضرر. ثم غشيمهم أصحاب زياد وضرب عمرو بن الحمق فسقط ودخل في دور الأزد فاختفى وخرج حجر من أبواب كتدة فركب ومعه أبو العمارة إلى دور قومه واجتمع إليه الناس ولم ياته من كتدة إلا قليل.

ثم أرسل زياد وهو على المتبقي مذبح وهمدان ليأتوه مجرحاً، فلما علم أنهم قد صدروه تسرب من داره إلى النخع وزنل على أخي الأشتر. وبلغه أن الشرطة تسأل عنه في النخع. فاتى الأزد واختفى عند ربيعة بن ناجد، وأعياهم طلب. فدعا حجر محمد بن الأشعث أن يأخذ له أماناً من زياد حتى يبعث به إلى معاوية، فجاء محمد ومعه جرير بن عبد الله وحجر بن يزيد وعبد الله بن الحارث آخر الأشتر فاستأذنا له زياداً فاجاب لهم. ثم أحضروا حجراً فحبسه وطلب أصحابه فخرج عمرو بن الحمق إلى الموصل ومعه زواعية بن شداد فاختفى في جبل هناك.

ورفع أمرهما إلى عامل الموصل وهو عبد الرحمن بن عثمان الثقفي ابن أخت معاوية، ويعرف بابن أم الحكم. فسار إليهما وهرب زواعية وبقى على عمرو، وكتب إلى معاوية بذلك. فكتب إليه أنه طعن عثمان سبعاً بمشاقص كانت معه فأطعنه كذلك فمات في الأولى والثانية. ثم جد زياد في طلب أصحاب حجر وأتى بقيمة بن ضبيعة العبيسي بaman فحبسه. وجاء قيس بن عباد الشيبلي برجل من قومه من أصحاب حجر فأخذ حجر زياد وسأله عن علي فائض عليه فصربه وجسده. وعاش قيس بن عباد حتى قاتل مع ابن الأشعث، ثم دخل بيته في الكوفة وسمى به إلى الحجاج فقتله.

ثم أرسل زياداً إلى عبد الله بن خليفة الطائي من أصحاب حجر فتوارى وجاء الشرط فاخذوه. ونادت أخته الفرار بقومه فخلصوه فأخذ زياد عدي بن حاتم وهو في المسجد وقال: أتني عبد الله وخبره جهراً فقال: أتباك بابن عمي تقتل؟ والله لو كان تحت قدمي ما رفعتهما عنه فحبسه، فذكر ذلك الناس وكلموه وقالوا: تفعل هذا بصاحب رسول الله ﷺ وكبير طيع قال: اخرجه على أن يخرج ابن عمه عني فأطلقه وأمر عدي عبد الله أن

المسلمين أسلموه، فإذا رجعوا عنهم ارتدوا، فرأى أن يتخذ مدينة يعتصم بها العساكر من البرير فاختطف القبروان وبنى بها المسجد الجامع، وبنى الناس مساكنهم ومساجدهم، وكان دورها ثلاثة آلاف باع وستمائة باع، وكملت في خمس سنتين وكان يغزو ويبعث السرايا للإغارة والنهب، ودخل أكثر البرير في الإسلام. واتسعت خطة المسلمين ورسوخ الدين.

ثم ول معاوية على مصر وأفريقية مسلمة بن خلد الأنباري واستعمل على أفريقية مولاها أبي المهاجر فاساء عزل عقبة واستخف به فسير ابن خلد الأنباري عقبة إلى معاوية وشكى إليه فاعتذر له ووعده برده إلى عمله، ثم وله يزيد سنة اثنين وستين.

وذكر الواقدي أن عقبة ول أفريقية سنة ست وأربعين فاختطف القبروان ثم عزله يزيد سنة اثنين وستين بأبي المهاجر. فحيثنى قبس على عقبة وضيق عليه فكتب إليه يزيد يبعث إليه وأعاده وإلياً على أفريقية فحبس أبي المهاجر إلى أن قتلهم جميعاً كسلة ملك البرانس من البرير كما ذكر بعد.

كان المغيرة بن شعبة أيام إمارته على الكوفة كثيراً ما يتعرض لعلي في مجالسه وخطبه، ويرتجم على عثمان ويدعوه له. فكان حجر بن عدي إذا سمعه يقول: بلاياكم قد أصل الله ولعن. ثم يقول: أنا أشهد أن من تذمرون أحق بالفضل، ومن تذكون أحق بالذم. فبعث له المغيرة يقول: يا حجر إنك غصب السلطان وسطرته، فإنها تهلك أمثالك لا يزيدك على ذلك.

ولما كان آخر أمارة المغيرة قال في بعض أيامه مثل ما كان يقول فصاح به حجر ثم قال له: مر لنا بأزارتنا فقد حبستها هنا وأصبحت مولعاً بدم المؤمنين، وصاح الناس من جوانب المسجد: صدق حجر فمر لنا بأزارتنا، فالذى أنت فيه لا يهدى علينا نفعاً. فدخل المغيرة إلى بيته وعزله قومه في جراءة حجر عليه يوهن سلطانه، ويسخط عليه معاوية. فقال: لا أحب أن آتي بقتل أحد من أهل مصر. وسيأتي بعدى من يصنع معه مثل ذلك فقتله.

ثم توفي المغيرة وولي زياد. فلما قدم خطب الناس وترجم على عثمان ولعن قاتلبه. وقال حجر ما كان يقتول، فسكت عنه ورجع إلى البصرة واستخلف على الكوفة عمرو بن حرث وبلغه أن حجراً يجتمع إليه شيعة علي ويعلنون بلعن حربة والبراءة منهم وأنهم حصروا عمرو بن حرث فشخص إلى الكوفة حتى دخلها ثم خطب الناس وحجر جالس يسمع فتهده و قال: لست بشيء إن لم أمنع الكوفة من حجر وأودعه نكاً لمن بعده. ثم

وبعث معاوية هدبة بن فياض القضايعي، والحسين بن عبد الله الكلابي، وآبا شريف البدرى إلى حجر وأصحابه ليقتلوا منهم من أمرهم بقتله فاتوهم وعرض عليهم البراءة من علي فايروا وصلوا عامة ليتهما. ثم قدموا من الغد للقتل. وتوضأ حجر وصلى وقال: لو لا أن يظنوا بي الجزع من الموت لاستكثرت منها. اللهم إنا نستعديك على أسماء أهل الكوفة، يشهدون علينا وأهل الشام يقتلوننا.

ثم مشى إليه هدبة بن فياض بالسيف، فارتعد. فقالوا: كيف وانت زعمت أنك لا تخزع من الموت؟ فايروا من صاحبكم وندعك. فقال: وما لي لا أجزع وأنا بين القبر والكفن، والسيف. وإن جزعت من الموت لا أقول ما يسطخ الرب فقتلوه وقتلوا ستة معه وهم: شريك بن شداد وصيفي بن فضيل وقيصة بن حنيفة، ومحز بن شهاب، وكرام بن حبان ودفنوهم وصلوا عليهم بعد الرحمن بن حسان العتزي وجيء بكرىء بن الحشمي إلى معاوية فطلب منه البراءة من علي فسكت واستوهبه سمرة بن عبد الله الحشمي من معاوية فوهبه له، على أن لا يدخل الكوفة، فنزل إلى الموصل. ثم سأله الرحمن بن حسان عن علي فأثنى خيراً. ثم عن عثمان فقال: أول من فتح باب الظلم وأغلق باب الحق. فرده إلى زياد ليقتله شر قتلة دفنه حياً وهو سايع التورم.

واما مالك بن هبيرة السكوني فلما لم يشفعه معاوية في حجر جمع قومه وسار ليخلصه وأصحابه فلقي القتلة وسالم فقلالوا: مات القوم. وسار إلى عدي فتيقن قتلهم فارسل في أثر القتلة فلم يدركهم، وأخبروا معاوية فقال: تلك حرارة يبدها في نفسه وكأنها بها قد طفت. ثم أرسل إلى عائمة الف وقال: خفت أن يعبد القوم حرباً فيكون على المسلمين اعظم من قتل حجر فطابت نفسه.

ولما بلغ عائمة خبر حجر وأصحابه، أرسلت عبد الرحمن بن الحارث إلى معاوية يشفع فيهم فجاء وقد قتلوا. فقال معاوية: أين غاب عنك حلم آبي سفيان؟ فقال: حيث غاب علي مثلث من حلماء قومي وحملني ابن سمية فاحتملت. وأسفت عائمة لقتل حجر وكانت تتنى عليه. وقيل في سياقة الحديث غير ذلك. وهو أن زياداً أطال الخطبة في يوم جمعة فتأخرت الصلاة فانكسر حجر ونادى بالصلاحة فلم يلتفت إليه. وخشى فوت الصلاة فحصبه بكف من الحصباء وقام إلى الصلاة فقام الناس معه فخافهم زياد ونزل فصلى. وكتب إلى معاوية وعظم عليه الأمر، فكتب إليه أن يبعث به موافقاً في الحديد. وبعث من يقبض عليه فكان ما مر. ثم قبض عليه وحله إلى معاوية، فلما رأه معاوية أمر بقتله فصلى

يلحق بجبل طيع فلم يزل هناك حتى مات.

وأني زياد بكرىء بن عفيف الحشمي من أصحاب حجر وغيره. ولما جمع منهم اثنتي عشر في السجن دعا رؤوس الأربع يومئذ لهم عمرو بن حربت على ربع أهل المدينة، وخالد بن عرفة على ربع عيم وهمدان وقيس بن الوليد على ربع ربيعة وكدة، وأبي بردة بن أبي موسى على ربع مذحج وأسد. فشهدوا كلهم أن حجراً جمع الجموع وأظهر شتم معاوية، ودعا إلى حربه. وزعم أن الأمراً لا يصلح إلا في الطالبين. ووتب بالنصر وأخرج العامل وأظهر غدر آبي تراب والترحم عليه، والبراءة من عدوه وأهل حربه، وأن النفر الذين معه وهم رؤوس أصحابه على مقدم رأيه.

ثم استكثر زياد من الشهود فشهد إسحاق وموسى ابنا طلحة والمنذر بن الزبير وعمارة بن عقبة بن أبي معيط وعمر بن سعد بن أبي وقاص وغيرهم. وفي الشهود شريح بن الحارث وشريح بن هاني، ثم استدعى زياد وائل بن حجر الحضرمي وكثير بن شهاب ودفع إليهما حجر بن عدي وأصحابه وهم الأرق بن عبد الله الكندي وشريك بن شداد الحضرمي وصيفي بن فضيل الشيباني وقيصة بن ضبيعة العبسي، وكريم بن عفيف الحشمي، وعاصم بن عوف الجيلي وورقاء بن سمي الجيلي، وكرام بن حبان العتزي وعبد الرحمن بن حسان العتزي ومحز بن شهاب التميمي وعبد الله بن حربة السعدي. ثم اتبع هؤلاء الإحدى عشر بعنته بن الأختنس من سعد بن بكر وسعد بن غوات الممداني، وأمرهما أن يسيراً إلى معاوية. ثم لحقهما شريح بن هاني ودفع كتابه إلى معاوية بن وائل.

ولما انتهوا إلى مرج غدراء قرب دمشق تقدم ابن وائل وكثير إلى معاوية، فقرأ كتاب شريح وفيه: بلغني أن زياداً كتب شهادتي وأني أشهد على حجر أنه من يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويديم الحج والعمرة ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، حرام الدم والمال فإن ثفت فاقبليه أو فدعه. فقال معاوية: ما أرى هذا إلا أخرج نفسه من شهادتكم وحيث القوم بمرج غدراء حتى لحقهم عبنة بن الأختنس وسعد بن غوات اللذين لحقهما زياد بهما، وجاء عامر بن الأسود العجلبي إلى معاوية فأخبره بوصولهما، فاستوره بزيد بن أسد الجيلي عاصماً وورقاء آبى عمه. وقد كتب بزيد يركبها ويشهد براءتهما فاطلقهما معاوية. وشفع وائل بن حجر في الأرق وآبوا الأعور السعدي في ابن الأختنس وحبيب بن سلمة في أخيه فتركتهم. وساله مالك بن هبيرة السكوني في حجر فرده فغضب وحبس في بيته.

على البصرة عبد الله بن عمر بن غيلان وعزل بعد ذلك عبد الله بن خالد عن الكوفة وولى عليها الفسحاحاً بن قيس.

### ولاية عبيد الله بن زياد على خراسان ثم

#### على البصرة

ولما قدم ابنه عبيد الله على معاوية وهو ابن خمس وعشرين سنة قال: من استعمل أبوك على المصريين؟ فأخبره فقال: لو استعملتك لاستعملتني. فقال عبيد الله: أنشدك الله أن يقول لي أحد بعده لو استعملتك أبوك وعمك استعملتك. فولاه خراسان ووصاه فكان من وصيته: اتق الله ولا تؤثرن على تقواه شيئاً، فإن في تقواه عرضًا وق عرضك من أن تنسنه، وإن أعطيت عهداً فلوف به، ولا تتبعن كثيراً بقليل، ولا يخرجون منك أمر حتى تبرمه فإذا خرج فلا يردن عليك. وإذا لقيت عوك فتكر أكابر من عمرك، وقادسهم على كتاب الله، ولا تطعن أحداً في غير حقه، ولا تؤسن أحداً من حق هو له.

ثم ودّعه فسار إلى خراسان أول سنة أربعين وخمسين، وقدم إليها أسلم بن زرعة الكلابي، ثم قدم فقطع النهر إلى جبال بخارى على الإبل ففتح رامين، ونصف وسكند. ولقيه الترك فهزهم وكان مع ملكهم امرأته خاتون، فأعجلوها عن لبس خفيفها، فأصاب المسلمون أحدهما وقوم مائتي ألف درهم. وكان عبيد الله ذلك اليوم يحمل عليهم وهو يطعن حتى ينipp عن أصحابه ثم يرفع رايته تقطر دماً. وكان هذا الزحف من زحوف خراسان المعدودة، وكانت أربعة منها للأحتف بن قيس بقهستان والمراعات. وزحف لعبد الله بن حازم قضى فيه جموع فاران.

وأقام عبيد الله واليًا على خراسان ستين وواه معاوية سنة خمس وخمسين على البصرة. وذلك أن ابن غيلان خطب وهو أمير على البصرة. فحسبه رجل من بيته فقطع يده فأنه بنى ضبة يسألزنه الكتاب إلى معاوية بالاعتذار عنه، وأنه قطع على أمر لم يصح، مخافة أن يعاقبهم معاوية جيئًا. فكتب لهم وسار ابن غيلان إلى معاوية رئيس السنة وأوفاه الضبيون بالكتاب، فأدعوا أن ابن غيلان قطع صاحبهم ظلماً. فلما قرأ معاوية الكتاب قال: أما القود من عمالي فلا سيل إليه، ولكن أدي صاحبكم من بيت المال. وعزل عبد الله بن غيلان عن البصرة، واستعمل عليها عبيد الله بن زياد، فسار إليها عبيد الله وولى على خراسان أسلم بن زرعة الكلابي فلم يغز ولم يفتح.

ركعتين وأوصى من حضره من قومه لا تفكوا عني قيداً ولا تسلوا دمًا فاني لاق معاوية غالباً على الجادة وقتله.

وقالت عائشة لمعاوية: أين حلمك عن حجر؟ قال: لم يحضرني رشيد اهـ.

وكان زياد قد ول الربيع بين زياد الحارثي على خراسان سنة إحدى وخمسين بعد أن هلك حسن بن عمر الغفارى وبعث معه من جند الكوفة والبصرة خمسين ألفاً فيهم بريدة بن الحصيب، وأبو بربة الأسلمي من الصحابة وغزوا بلخ ففتحوها صلحًا، وكانتوا انتقضروا بعد صلح الأحقن بن قيس. ثم فتح قهستان عنوة واستحلّم من كان بناحيتها من الترك، ولم يفلت منهم إلا قزيز طرخان. وقتلته قتيبة بن مسلم في ولايته. فلما بلغ الربيع بن زياد بخراسان قتل حجر سخط لذلك وقال: لا تزال العرب تقتل بعده صبراً. ولو نكروا قتله منعوا أنفسهم من ذلك، لكنهم أقرروا فنزلوا. ثم دعا بعد صلاة الجمعة لأيام من خبره وقال للناس: إني قد مللت الحياة، وإن داع فأنمانا ثم رفع يديه وقال: اللهم إن كان لي عندك خبر فاقضني إليك عاجلاً وأمن الناس. ثم خرج فما تواترت ثيابه حتى سقط، فحمل إلى بيته، واستخلف ابنه عبد الله ومات من يومه. ثم مات ابنه بعد شهرين واستخلف خليل بن عبد الله الحنفي وأقره زياد.

#### وفاة زياد

ثم مات زياد في رمضان سنة ثلاث وخمسين بطاعون أصابه في بيته فقال: بدعة ابن عمر، وذلك أن زياداً كتب إلى معاوية أني ضبطت العراق بشمالى ومبني فارغة فأشغلها بالحجاز، فكتب له عهده بذلك، وخاف أهل الحجاز وأتوا عبد الله بن عمر يدعوه لهم الله أن يكتفهم ذلك. فاستقبل القبلة ودعا معهم وكان من دعائاته: اللهم اكفناه، ثم كان الطاعون فأصاب في بيته فأشير عليه بقطعها فاستدعي شريحًا القاضي فاستشاره فقال: إن يكن الأجل فرغ فلتلقى الله أخذم كرامية في لقائه ولا فتعيش أقطع، ويعير ولدك. فقال: لا أبیت والطاعون في لحاف واحد، واعترض على قطعها. فلما نظر إلى النار والملائكة جزع وتركه، وقيل: تركه لإشارة شريح. وعذل الناس شريحًا في ذلك فقال: المستشار مؤمن.

ولما حضرته الوفاة قال له ابنه: قد هيأت لك فنك ستين ثوباً. فقال: يا بني قد دنا لأبيك لباس حبر من لباسه. ثم مات ودفن بالتوسة قرب الكوفة، وكان يلبس القميص ويرفعه. ولما مات استخلف على الكوفة عبد الله بن خالد بن أسد وكان خليفه

## العهد لزيـد

خدیج السکونی، وسار إلی مصر فاستقبله معاویة علی مرحلتين منها، وقال: ارجع إلی حالتک لا تسر فینا سیرتك فی إخواننا أهل الكوفة فرجع إلی معاویة وأقام معاویة بن خدیج فی عمله.

### ولاية عبد الرحمن بن زيـد خراسان

وفي سنة تسـع وخمسـين قدم عبد الرحمن بن زيـد وافتـأ على معاویة فقال: يا أمـیر المؤمنـین أـمـا لـنـا حـنـ؟ قال: بلـی! فـماذا قال تولـیـ؟ قال: بالـکـوفـة التـعـمانـ بـنـ بشـیرـ منـ أـصـحـابـ رسـوـلـ اللـهـ تـعـلـیـ بالـبـصـرـةـ وـخـرـاسـانـ عـیـدـ اللـهـ أـخـرـوكـ، وـیـسـجـسـتـانـ عـبـادـ أـخـرـوكـ. ولا أـرـیـ ماـ بشـبـهـكـ إـلـاـ أـشـرـکـكـ فـیـ عـلـمـ عـیـدـ اللـهـ فـیـانـ عـلـمـهـ وـاسـعـ يـحـمـلـ الشـرـکـةـ. فـوـلـاـهـ خـرـاسـانـ فـسـارـ إـلـيـهـ، وـقـدـمـ بـنـ يـدـیـهـ قـیـسـ بـنـ الـھـیـشـ. فـیـسـ بـنـ الـھـیـشـ الـسـلـمـیـ، فـاخـذـ أـسـلـمـ بـنـ زـرـعـةـ وـجـبـهـ. ثـمـ قـدـمـ عبدـ الرـحـمـنـ فـاغـرـمـهـ ثـلـاثـمـاـةـ الـفـ درـمـ.

وـاقـامـ بـخـرـاسـانـ وـکـانـ مـتـضـعـفـاـمـ بـقـرـ قـطـ. وـقـدـمـ عـلـىـ بـیـزـیدـ بـنـ بـیـدـیـهـ قـتـلـ الـحسـینـ، فـاسـتـخـلـفـ عـلـیـ خـرـاسـانـ قـیـسـ بـنـ الـھـیـشـ. فـقـالـ لـهـ بـیـزـیدـ: كـمـ مـعـكـ مـنـ مـالـ خـرـاسـانـ؟ فـقـالـ عـشـرـوـنـ الـفـ الـفـ درـمـ. فـخـیرـهـ بـنـ أـخـنـهاـ بـالـحـسـابـ وـرـدـهـ إـلـىـ عـلـمـهـ أوـ تـسوـيـغـهـ إـلـاـهاـ وـعـزـلـهـ، عـلـىـ أـنـ يـعـطـيـ عبدـ اللـهـ بـنـ جـعـفرـ خـمـسـمـائـةـ الـفـ درـمـ، فـاختـارـ تـسوـيـغـهـاـ وـعـزـلـهـ. وـيـعـثـ إـلـىـ بـنـ جـعـفرـ بـالـفـ الـفـ وـقـالـ: نـصـفـهـاـ مـنـ بـیـزـیدـ وـنـصـفـهـاـ مـنـ.

ثـمـ إنـ أـهـلـ الـبـصـرـ وـقـدـواـ مـعـ عبدـ اللـهـ بـنـ زيـدـ عـلـىـ مـعاـوـیـةـ فـاذـنـ لـهـ عـلـىـ مـنـازـلـهـ وـدـخـلـ الـأـحـنـفـ آخرـهـ وـکـانـ هـیـاـ مـتـزلـةـ مـنـ عـیـدـ اللـهـ فـرـحـ بـهـ مـعاـوـیـةـ وـأـجـلـسـ مـعـهـ عـلـیـ سـرـیرـهـ. ثـمـ تـکـلمـ الـقـومـ وـأـثـوـرـاـ عـلـیـ عـیـدـ اللـهـ وـسـکـتـ الـأـحـنـفـ، فـقـالـ مـعاـوـیـةـ: تـکـلمـ يـاـ بـنـ بـھـرـ فـقـالـ: أـخـشـ خـلـافـ الـقـوـمـ، فـقـالـ: اهـنـهـرـ عـزـلـتـ عـنـکـمـ عـیـدـ اللـهـ وـاطـلـبـواـ وـالـیـاـ تـرـضـونـهـ، فـظـفـقـ الـقـوـمـ يـخـلـفـونـ إـلـ رـجـالـ بـنـ أـمـیـةـ وـأـشـرـافـ الشـامـ، وـقـدـدـ الـأـحـنـفـ فـیـ مـزـلـهـ ثـمـ أـحـضـرـهـمـ مـعاـوـیـةـ، فـقـالـ: مـنـ اخـتـرـتـ؟ فـسـمـیـ کـلـ فـرـیـقـ رـجـلـاـ وـالـأـحـنـفـ سـاـکـتـ. فـقـالـ مـعاـوـیـةـ: تـکـلمـ يـاـ بـنـ بـھـرـ فـقـالـ: إـنـ وـلـیـتـ عـلـیـنـاـ مـنـ أـهـلـ الـبـصـرـ لـمـ نـعـدـ بـعـیـدـ اللـهـ أـحـدـاـ، إـنـ وـلـیـتـ مـنـ غـیرـهـ يـنظـرـ فـیـ ذـلـكـ. فـقـالـ: فـیـانـ أـعـدـتـهـ عـلـیـکـمـ، ثـمـ أـوـصـاـهـ بـالـأـحـنـفـ وـقـبـحـ رـأـیـهـ فـیـ مـبـاعـدـهـ. وـلـاـ هـاـجـتـ الـفـتـتـةـ لـمـ يـعـزـلـهـ غـیرـ الـأـحـنـفـ ثـمـ أـخـذـ عـلـیـ وـفـدـ الـبـصـرـ الـبـیـعـةـ لـاـنـهـ بـیـزـیدـ مـعـہـ.

ذـکـرـ الطـبـرـیـ بـسـنـهـ قـالـ: قـدـمـ الـمـغـیرـةـ عـلـیـ مـعاـوـیـةـ فـشـکـاـ إـلـیـ الـضـعـفـ، فـاسـتـغـفـاهـ فـأـعـفـاهـ وـأـرـادـ أـنـ بـوـلـیـ سـعـیدـ بـنـ الـعـاصـ. وـقـالـ أـصـحـابـ الـمـغـیرـةـ لـلـمـغـیرـةـ: إـنـ مـعاـوـیـةـ قـلـاـکـ، فـقـالـ لـهـ: رـوـیـاـ وـنـهـضـ إـلـیـ بـیـزـیدـ وـعـرـضـ لـهـ بـالـبـیـعـةـ. وـقـالـ: ذـهـبـ أـعـیـانـ الصـاحـبـةـ وـکـبـرـاءـ قـرـیـشـ وـرـادـرـاـ أـسـنـتـهـمـ، وـإـنـاـ بـقـیـ أـبـنـاؤـهـ وـأـنـتـ مـنـ أـنـصـلـهـمـ وـأـحـسـنـهـمـ رـأـیـاـ وـسـیـاسـةـ، وـمـاـ أـدـرـیـ مـاـ يـمـنـعـ أـمـیرـ المـؤـمـنـینـ مـنـ الـعـهـدـ لـلـكـ. فـادـیـ ذـلـكـ بـیـزـیدـ إـلـیـهـ وـاسـتـدـعـهـ وـفـاوـضـهـ فـیـ ذـلـكـ. فـقـالـ: قـدـ رـأـیـتـ مـاـ کـانـ مـاـ کـانـ مـاـ الـاـخـلـافـ وـسـفـکـ الـدـمـاءـ بـعـدـ عـشـمـانـ وـفـیـ بـیـزـیدـ مـنـکـ خـلـفـ، فـاعـهـدـ لـهـ يـکـھـفـاـ لـلـنـاسـ بـعـدـكـ فـلـاـ تـکـونـ فـتـتـةـ وـلـاـ يـسـفـکـ دـمـ. وـأـنـاـ أـکـفـیـكـ الـکـوفـةـ وـیـکـفـیـكـ بـنـ زـیـادـ الـبـصـرـةـ. فـرـدـ مـعاـوـیـةـ الـمـغـیرـةـ إـلـیـ الـکـوفـةـ، وـأـمـرـهـ أـنـ يـعـملـ فـیـ بـیـعـةـ بـیـزـیدـ. فـقـدـمـ الـکـوفـةـ وـذـاـکـرـ مـنـ بـیـعـةـ بـنـ شـیـعـةـ بـنـ اـمـیـةـ فـلـاجـابـوـهـ، وـأـوـفـدـ مـنـهـمـ جـمـاعـةـ مـعـ اـبـنـ مـوسـیـ فـدـعـاهـ إـلـیـ عـقدـ الـبـیـعـةـ لـبـیـزـیدـ. فـقـالـ: أـوـ قـدـ رـضـیـتـمـوـهـ؟ فـالـوـلـاـ: نـعـمـ! نـعـنـ وـمـ وـرـامـنـ. فـقـالـ: نـظـرـ مـاـ قـدـمـتـ لـهـ وـیـقـضـیـ اللـهـ أـمـرـهـ، وـالـأـنـةـ خـیـرـ مـنـ الـعـجلـةـ ثـمـ کـتـبـ إـلـیـ بـیـزـیدـ يـسـتـیـرـهـ بـفـکـرـ.

وـکـفـ عـنـ هـدـمـ دـارـ سـعـیدـ. وـکـتـبـ سـعـیدـ إـلـیـ مـعاـوـیـةـ يـعـذـلـهـ فـإـدـخـالـ الـظـفـرـیـةـ بـینـ قـرـایـبـهـ وـيـقـوـلـ: لـوـ لـنـکـ بـنـ اـبـ وـاحـدـ لـکـاتـ قـرـابـتـاـ ماـ جـعـنـ اللـهـ عـلـیـهـ مـنـ نـصـرـ الـخـلـیـفـةـ الـمـظـلـومـ يـجـبـ عـلـیـكـ انـ تـدـعـیـ ذـلـكـ فـاعـتـدـرـ لـهـ مـعاـوـیـةـ وـتـصـلـ. وـقـدـمـ سـعـیدـ عـلـیـهـ وـسـأـلـهـ عـنـ مـرـوـانـ فـائـنـیـ خـیـرـاـ فـلـمـاـ کـانـ سـنـ سـبـعـ وـخـمـسـ عـزـلـ مـرـوـانـ وـوـلـ مـکـانـهـ الـرـوـلـیدـ بـنـ عـتـبـةـ بـنـ اـبـیـ سـفـیـانـ وـقـیـلـ: سـنـ ثـمـانـ وـخـمـسـ.

## عزل الصـحـاـکـ عنـ الـکـوفـةـ وـولاـیـةـ اـمـ

### الـحـکـمـ ثـمـ التـعـمـانـ بـنـ بشـیرـ

عزل مـعاـوـیـةـ الصـحـاـکـ عـنـ الـکـوفـةـ سـنـ ثـمـانـ وـخـمـسـ وـوـلـ مـکـانـهـ عبدـ الرـحـمـنـ بـنـ عبدـ اللـهـ بـنـ عـشـمـانـ التـقـنـیـ وـهـوـ اـبـنـ اـمـ الـحـکـمـ أـخـتـ مـعاـوـیـةـ فـخـرـجـتـ عـلـیـهـ الـخـوارـجـ الـذـینـ کـانـ الـمـغـیرـةـ جـبـیـهـمـ فـیـ بـیـعـةـ الـمـسـتـورـدـ بـنـ عـلـقـمـةـ، وـخـرـجـوـاـ مـنـ سـجـنـهـ بـعـدـ مـوـتـهـ. فـاجـتـمـعـوـاـ عـلـیـ حـیـانـ بـنـ ظـبـیـانـ الـسـلـمـیـ وـمـعـاذـ بـنـ جـرـیرـ الـطـائـیـ، فـسـیـرـ إـلـیـمـ عبدـ الرـحـمـنـ الـجـیـشـ مـنـ الـکـوفـةـ فـقـلـوـاـ أـجـعـینـ کـمـاـ يـذـکـرـ فـیـ أـخـبـارـ الـخـوارـجـ. ثـمـ إنـ أـهـلـ الـکـوفـةـ نـقـلـوـاـ عـنـ عبدـ الرـحـمـنـ سـوـءـ سـیرـتـهـ، فـعـزـلـهـ مـعاـوـیـةـ عـنـہـمـ. وـوـلـ مـکـانـهـ التـعـمـانـ بـنـ بشـیرـ. وـقـالـ: أـولـیـکـ خـیـرـاـ مـنـ الـکـوفـةـ، فـوـلـاـهـ مـصـرـ، وـکـانـ عـلـیـہـ مـعاـوـیـةـ بـنـ

## بقية الصوائف

وقال: يا بني إني قد كفيتك الرحلة والترحال ووطأت لك الأمور وأخضعت لك رقاب العرب. وجعلت لك ما لم يجتمع أحد. وإنني لا أخاف عليك أن ينمازفك هذا الأمر الذي انتسب لك إلا أربعة نفر من قريش: الحسين بن علي، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن أبي بكر. فاما ابن عمر فرجل قد وقده العيادة، وإذا لم يبق غيره بائك. وأما الحسين فإن أهل العراق لن يدعوه حتى يغزوهم، فلنخرج عليك فظفروت به فاصفح عنه، فإن له رحمة ما مثله وحقاً عظيماً. وأما ابن أبي بكر فلن رأى أصحابه صنعوا شيئاً صنعوا مثله وليس له همة إلا في النساء. وأما الذي يبيث لك جثوم الأسد ويرواشك روغان الثعلب وإذا أمكنته فرصة وثب فذاك ابن الزبير. فإن هو فعلها بك وقدرت عليه فقطعه إرباً إرباً.

هذا حديث الطبرى عن هاشم وله عن هاشم من طريق آخر قال: لما حضرت وفاة معاوية سنة ستين كان يزيد غالباً قد دعا بالضحاك بن قيس الفهري وكان صاحب شرطته، ومسلم بن عتبة المزني فقال: أبلغوا يزيد وصيبي، انظر أهل الحجاز فإنهم أهلك فأكثركم من قدم إليك منهم وتعاهد من غاب. وانظر أهل العراق فإن سالوك أن تعزل عنهم كل يوم عاملًا فاقلع، فإن عزل عامل أخف من أن يشهر عليك مائة ألف سيف. وانظر أهل الشام فليكونوا بطانتك وعيتك، وإن رابك شيء من عدوك فاتصر بهم، فإذا أصبتم فاردد أهل الشام إلى بلادهم، فإنهم إن قاموا بغیر بلاهم تغيرت أخلاقهم. ولست أخاف عليك من قريش إلا ثلاثة ولم يذكر في هذا الطريق عبد الرحمن بن أبي بكر. وقال في ابن عمر: قد وقذه الدين فليس ملتمساً شيئاً قبلك. وقال في الحسين: ولو أني صاحبه عقوبت عنه. وأنا أرجو أن يكفيك الله من قتل آباء وخذل آخاه. وقال في ابن الزبير: إذا شخص إليك فالبد له إلا أن يتلمس منك صلحًا فاقبل واحقن دماء قومك ما استطعت.

وتوفي في منتصف رجب ويقال: في جمادى لتسع عشرة سنة وأشهر من ولادته وكان على خاتمه عبد الله بن محسن الحميري وهو أول من أخذ ديوان الخاتم، وكان سيبه أنه أمر لعمر بن الزبير بمائة ألف درهم، وكتب له بذلك إلى زياد بالعراق، فقضى عمر الكتاب وصبر المائة مائتين، فلما رفع زياد حسابه أنكرها معاوية، وأخذ عمر بردها وحبسه فادها عنه آخره عبد الله. فاحدث عند ذلك ديوان الخاتم، وحرزم الكتاب ولم تكن تخزمه. وكان على شرطته قيس بن همزة المداني، فعزله ابن بيد بن عمر العدوى، وكان على حرسه المختار من مواليه. وقيل: أبو الحماري مالك مولى حيرة وهو أول من أخذ الحرس. وعلى حجابه مولاه سعد، وكان كاتبه

دخل بسر بن أرطأة سنة اثنين وخمسين أرض الروم وشتي بها وقيل: رجع وزنل هناك سفيان بن عوف الأزدي فشتب بها وتوفي هناك أهـ.

وغزا بالصافنة محمد بن عبد الله التقي، ثم دخل عبد الرحمن بن أم الحكم سنة ثلاث وخمسين إلى أرض الروم وشتب بها وافتتحت في هذه السنة رودس، ففتحها جنادة بن أبي أمية الأزدي ونزلها المسلمون على حذر من الروم، ثم كانوا يعرضونه في البحر وياخدون سنه، وكان معاوية يدركهم بالطاء حتى خافهم الروم ثم نقلهم يزيد في ولاته.

ثم دخل ستة أربع وخمسين إلى بلاد الروم محمد بن مالك وشتب بها وغزا بالصافنة ابن يزيد السلمي، وفتح المسلمين جزيرة أروى القسطنطينية وقدمهم جنادة بن أبي أمية، فملأوها سبع سنين ونقلهم يزيد في ولاته. وفي سنة خمس وخمسين كان شتي سفيان بن عوف بأرض الروم، وقيل: عمر بن حرز وقيل: عبد الله بن قيس. وفي سنة ست وخمسين كان شتي جنادة بن أبي أمية، وقيل: عبد الرحمن بن مسعود، وقيل: غزا في البحر يزيد بن سمرة. وفي البر عياض بن الحارث. وفي سنة سبع وخمسين كان شتي عبد الله بن قيس بأرض الروم. وغزا مالك بن عبد الله الشعبي في البر، وعمر بن يزيد الجهني في البحر.

وفي سنة ثمان وخمسين كان شتي عمر بن مرة الجهني بأرض الروم، وغزا في البحر جنادة بن أمية. وفتح المسلمين في هذه السنة حصن كفتح من بلاد الروم، وعليهم عمر بن الحباب الإسلامي صعد سورها وقاتل عليه وحده حتى اكتشف الروم وفتحه. وفي سنة ستين غزا مالك بن عبد الله سوية وملك جنادة بن أبي أمية رودس وهم مديتها.

## وفاة معاوية

وتوفي معاوية سنة ستين وكان خطب الناس قبل موته وقال: إني كززع مستحصد وقد طالت إمارتي عليكم حتى مللتكم ومللتمني، وتميت فراقكم وتمتنتم فراقي ولن يأتكم بعدي إلا من أنا خير منه، كما أن من كان قبلي خير مني. وقد قيل من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه. اللهم إني قد أحبيت لقاءك فأحبب لقائي وبارك لي.

فلم يمض إلا لقليل حتى ازداد به مرضه فدعا ابنه يزيد

فبعث إليهم وانصرفوا. وخرج ابن الزبير من ليلته مع أخيه جعفر وحدهما، وأخذنا طريق الفرع إلى مكة فسرح الرحالة في طلبه فلم يدركوه ورجعوا وتشاغلوا بذلك عن الحسين سائر يومه. ثم أرسل إلى الحسين يدعوه فقال: أصبحوا وترون وفري.

وسار في الليلة الثانية ببنيه وإخوته وبني أخيه إلا محمد بن الحنفية، وكان قد نصحه وقال: تبع عن يزيد وعن الأمصار ما استطعت، وابعث دعاتك إلى الناس، فإن أجابوك فامد الله، وإن اجتمعوا على غيرك فلم يضر بذلك دينك ولا عقلك، ولم تذهب به مروءتك ولا فضلك. وأنا أخاف أن تأتي مصرًا أو قومًا فيختلفون عليك، فتكون الأول إساءة، فإذا خير الأمة نفسًا واباً أشيعها ذمارًا وأذلاها. قال له الحسين: فإني ذاهب. قال: انزل مكة فإن أطمائت بك الدار فسييل ذلك، وإن فاتت بك لحقت بالرمال وشعب الجبال. ومن بلد إلى آخر حتى تنظر مصر أمراً الناس، وتعرف الرأي. فقال: يا أخي نصحت وأستفدت ولحق بيها. وبعد الواليد إلى ابن عمر لبيانه فقال: أنا أيام أمم الناس، وقيل: ابن عمر وابن عباس كانا بمكة، ورجعا إلى المدينة فلقيا الحسين وابن الزبير وأخبراهما بموت معاوية وبيعة يزيد. فقال ابن عمر: لا تفرق جماعة المسلمين، وقدم هو وابن عباس المدينة وبابها عنه بيعة الناس. وما دخل ابن الزبير مكة وعليها عمرو بن سعيد قال: أنا عاذ بالبيت، ولم يكن يصلني ولا يقف معهم ويقف هو وأصحابه ناحية.

## عزل الواليد عن المدينة وولاية عمرو بن

سعيد

ولما بلغ الخبر إلى يزيد بصنع الواليد بن عتبة في أمر هؤلاء النفر، عزله عن المدينة واستعمل عليها عمرو بن سعيد الأشدق فقدمها في رمضان واستعمل على شرطته عمر بن الزبير بالمدينة لما كان بينه وبين أخيه من البغضاء، وأحضر نفراً من شيعة الزبير بالمدينة فضرفهم من الأربعين إلى الخمسين إلى الستين، منهم المنذر بن الزبير وابنه محمد، وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يفروث، وعثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام ومحمد بن عمار بن ياسر وغيرهم. ثم جهز البعوث إلى مكة سبعمائة أو نحوها. وقال لعمرو بن الزبير: من بعث إلى أخيك؟ فقال: لا تجد رجلاً أنكى له مني. فجهز معه سبعمائة مقاتل فيهم أنس بن عمر الأسلمي. وعذله مروان بن الحكم في غزو مكة وقال له: اتق الله ولا تحمل حرمة البيت. فقال: والله لنغزوه في جوف الكعبة.

وصاحب أمره سرجون بن منصور الرومي، وعلى القضاء فضالة بن عبد الله الأنصاري وبعده أبو دويس عائد بن عبد الله المخواراني.

## بيعة يزيد

وبع يزيد بعد موته أبيه وعلى المدينة الواليد بن عتبة بن أبي سفيان، وعلى مكة عمرو بن سعيد بن العاص، وعلى البصرة عبيد الله بن زياد، وعلى الكوفة التعمان بن بشير. ولم يكن همه إلا بيعة النفر الذين أتوا على معاوية بيته، فكتب إلى الواليد بموته معاوية، وأن يأخذ حسيناً وابن عمر وابن الزبير باليبيعة من غير رخصة. فلما قرأ مروان الكتاب بمعنى معاوية، استرجع وترحم، واستشاره الواليد في أمر أولئك النفر، فأشار عليه أن يحضرهم لوقته فإن بايعوا وإن قتلتهم قبل أن يعلموا بموته معاوية، فيثبت كل رجل منهم في ناحية، إلا ابن عمر فإنه لا يجب القتال، ولا يجب الولاية، إلا أن يرفع إليه الأمر. فبعث الواليد لوقته عبد الله بن عمرو بن عثمان وهو غلام حدث، فجاء إلى الحسين وابن الزبير في المسجد في ساعة لم يكن الواليد ميسراً فيها للناس. وقال: أجيأ الأمير. فقال: لا تتصرف إلا أن تأته، ثم حدث فيما بعث إليهم، فلم يعلموا ما وقع.

وجمع الحسين فتاته وأهل بيته وسار إليهم فأجلسهم بالباب، وقال: إن دعوتكم أو سمعتم صوتي فادخلوا بأجمعكم. ثم دخل فسلم ومروان عنده فشكرهما على الصلة بعد القطيعة، ودعا لهما بإصلاح ذات البين. فاقرأ الواليد الكتاب بمعنى معاوية ودعا إلى البيعة، فاسترجع وترحم وقال: مثلّي لا يساير سرّاً ولا يكتفي بها مني، فإذا ظهرت إلى الناس ودعوتهم كان أمرنا واحداً وكانت أول محبب. فقال الواليد: وكان يجب المسالة: انتصر. فقال مروان: لا يقدر منه على مثلها أبداً حتى تكثر القتلى بينك وبينهم، الزمة البيعة ولا اضرب عنقه. فوثب الحسين وقال: أنت تقتلني أو هو! كذبت والله! وانصرف إلى منزله. وأخذ مروان في عزل الواليد. فقال: يا مروان والله ما أحب أن لي ما طلعت الشمس من مال الدنيا وملكيها، وأinsi قلت الحسين أن قال: لا أبايع.

وأما ابن الزبير فاختفى في داره وجمع أصحابه، وألح الواليد في طلبه، وبعث مواليه فشتمنوه وهددوه، وأقاموا بيابه في طلبه فبعث ابن الزبير أخاه جعفراً بلاطف الواليد ويشكر ما أصحابه من الذعر، وبعده بالحضور من الغداة، وأن يصرف رسله من بيابه

عمي ونقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل، يكتب إلى بأمركم ورالكم، فإن اجتمع ملوككم على مثل ما قدمت به رسالكم أقدم عليكم قريباً. ولعمري ما الإمام إلا العامل بالكتاب، القائم بالقسط، يدين بدين الحق. وسار مسلم فدخل المدينة وصلى في المسجد ووضع أهله واستأجر دليلين من قيس فضلاً الطريق وعشش القوم فمات الدليلان بعد أن أشارا إليهم بموضع الماء فاتجهوا إليه وشربوا ونحوها. فظير مسلم من ذلك، وكتب إلى الحسين يستغفه. فكتب إليه: خشيت أن لا يكون حلك على ذلك إلا الجبن، فامض لوجهك والسلام.

وسار مسلم فدخل الكوفة أول ذي الحجة من سنة ستين، واختلف إلى الشيعة وقرأ عليهم كتاب الحسين، فبكوا ووعدوه النصر. وعلم مكانه التعمان بن بشير أمير الكوفة وكان حليماً يجئ إلى المسالمة، فخطب وحضر الناس الفتنة. وقال: لا أقاتل من لا يقاتلي ولا أخذ بالظلمة والتهمة، ولكن إن نكتسم بيعتكم وخالفتم إمامكم فوالله لأضربرنكم بسيفي ما دام قائمته بيدي، ولو لم يكن لي ناصر. فقال له بعض حلفاء بني أمية: لا يصلح ما ترى إلا الغشم، وهذا الذي أنت عليه مع عدوك رأي المستضعفين. فقال: أكون من المستضعفين في طاعة الله أحب إلى من أن أكون من الأعزين في معصية الله. ثم تركه. فكتب عبد الله بن مسلم وعمارة بن الوليد وعمارة بن سعد بن أبي وقادس إلى يزيد بالخبر، وتضفت النعمان وضففه فابعث إلى الكوفة رجالاً قريباً ينفذ أمرك ويعلم عملك في عدوك فاشار عليه سرجون.

### مسيرة المختار إلى الكوفة وأخذها من ابن المطیع بعد وقعة كربلاء

مضى إبراهيم إلى المختار وأخبره الخبر وبعثوا في الشيعة ونادوا بثار الحسين، ومضى إبراهيم إلى النخع فاستركبهم وسار بهم في المدينة ليلًا وهو يتجمب الموضع التي فيها الأمراء. ثم لقي بعضهم فهزهم، ثم آخرين كذلك ثم رجع إلى المختار فوجد شبيث بن رعيي وحجاز بن أبي العجلاني يقاتلانه فهزهمما، وحاشب بن الطبع فأشار إليه بجمع الناس والهبوط إلى القوم قبل. فول أمرهم فركب واجتمع الناس وترافق إلى المختار نحو أربعة آلاف من الشيعة وبعث ابن مطیع شبيث بن رعيي في ثلاثة آلاف وربع بن إياس في أربعة آلاف. فسرح إليهم المختار إبراهيم بن الأشتر لراشد في ستمائة فارس وستمائة راجل ونمير بن هبيرة شبيث في ستمائة فارس وستمائة راجل واقتلو من بعد صلاة

وجاء أبو شريح الخزاعي إلى عمرو بن سعيد فقال: سمعت رسول الله يقول: «إنما أذن لي بالقتال فيها ساعة من نهار، ثم عادت كحرمتها بالأمس». فقال له عمرو: لمن أعلم بحرمتها منك أيها الشيخ. وقيل: إن يزيد كتب إلى عمرو بن سعيد أن يبعث عمر بن الزبير بالجيش إلى أخيه، فبعثه في النبي مقاتل وعلى مقدمته أئيس. فنزل أئيس بذي طوى ونزل عمر بالأبطح وبعث إلى أخيه أن يزد، فإنه حلف أن لا يقبل بيعة إلا أن يؤتني بك في جامعة فلا يضر الناس بعدهم بعضاً، فإنك في بلد حرام. فارسل عبد الله بن الزبير من اجتمع له من أهل مكة مع عبد الله بن صفوان فهزموا أئيساً بذي طوى وقتل أئيس في المعركة وتخلف عن عمر بن الزبير أصحابه فدخل دار ابن علقة وأجاره عبدة بن الزبير. وقال لأخيه: قد أجرته فأنكر ذلك عليه. وقيل: إن صفوان قال لعبد الله بن الزبير: أكفي أخاك وأنا أكفيك أئيس بن عمر، وسار إلى أئيس فهزمه وقتلته. وسار مصعب بن عبد الرحمن إلى عمر ففرق عنه أصحابه، وأجاره أحوجه عبدة، فلم يجز آخره عبد الله جواره وضربه بكل من ضربه بالمدينة وجسسه بسجن عارم ومات تحت السياط.

### مسير الحسين إلى الكوفة ومقتله

ولما خرج الحسين إلى مكة لقيه عبد الله بن مطیع وسأله أين تrepid؟ فقال: مكة! واستخیر الله فيما بعد، فتصحه أن لا يقرب الكوفة، وذكره قتلهم أباه وخذلائهم أخاه، وأن يقيم بمكة لا يفارق الحرم حتى يتداعى إليه الناس. ورجع عنه وترك الحسين بمكة فقام الناس مختلفون إليه، وابن الزبير في جانب الكعبة يصلي ويطرف عامة الهاجر، ويأتي الحسين فيمن يأتي ويعلم أن الحجاز لا يلقون إليه مع الحسين. ولما بلغ أهل الكوفة بيعة يزيد ولاق الحسين بمكة اجتمعوا الشيعة في منزل سليمان بن صرد وكتبوا إليه عن نفر منهم سليمان والمسيب بن محمد، ورفاعة بن شداد، وحبيب بن مظاهر وغيرهم يستدعونه وأنهم لم يسعوا للنعمان، ولا يجتمعون معه في جمعة ولا عيد، ولو جتنا أخرجناء. ويعثروا بالكتاب مع عبد الله بن سبع المداني، وعبد الله بن وال. ثم كتبوا إليه ثانية بعد ليلتين نحو مائة وخمسين صحفة، ثم ثالثاً يستعنونه للحاق بهم. كتب له بذلك شبيث بن رعيي وحجاز بن أبيه ويزيد بن الحارث ويزيد بن رويم وعروة بن قيس وعمر بن الحاج الربيدي ومحمد بن عمير التميمي.

فأجابهم الحسين: فهمت ما قصصتم وقد بعثت إليكم ابن

أحدهما إلى الحجاز مع جيش بن دجلة القيني وقد شاته ومقتله والآخر إلى العراق مع عبد الله بن زياد فكان من أمره وأمر التوابين من الشيعة ما تقدم. وأقام حاصراً لزفر بن الحارث بقرقيسيا، وهو مع قومه قيس على طاعة ابن الزبير، فاشتغل بهم عن العراق سنة أو نحوها. ثم توفي مروان وولى بعده عبد الملك فأقره على ولايته وأمره بالجند. وبش من أمر زفر وقيس فنهض إلى الموصل فخرج عنها عبد الرحمن بن سعيد عامل المختار إلى تكريت، وكتب إلى المختار بالخبر، فبعث يزيد بن أنس الأستدي في ثلاثة آلاف إلى الموصل، فسار إليها على المدائن وسرح ابن زياد للقائه ربيعة بن المختار الغنوبي في ثلاثة آلاف فالتقيا ببابل. وعي يزيد أصحابه وهو راكب على حمار وحرضهم. وقال: إن مت فأميركم ورقاء بن عازب الأستدي وإن هلك فعبد الله بن ضمرة الغزارى، وإن هلك فسد الختumi.

ثم اقتلوا يوم عرفة وأنهزم أهل الشام وقتل ربيعة، وسار الفيل غير بعيد فلقيهم عبد الله بن حلة المختمي قد سرحه ابن زياد في ثلاثة آلاف فرد منهزمين وعاد القتال يوم الأضحى، فانهزم أهل الشام وأثخن فيهم أهل الكوفة بالقتل والنهب، وأسرروا منهم ثلاثةمائة قتلتهم. وهلك يزيد بن أنس من آخر يومه وقام بأمرهم ورقاء بن عازب خليفته، وهاب لقاء ابن زياد بعد يزيد، وقال: نرجع بموت أميرنا قبل أن يتجرأ علينا أهل الشام بذلك. وانصرف الناس وتقدم الخبر إلى الكوفة فأرجف الناس بالختار وأشيع أن يزيد قتل.

وسر المختار رجوع العسكر فسرح إبراهيم بن الأشتر في سبعة آلاف وضم إليه جيش يزيد ثم تأثر ابن زياد فسار بذلك. ثم اجتمع أشراف الكوفة عند شيث بن ريعي وكان شيخهم جاهلياً إسلامياً، وشكروا من سيرة المختار وإشهاره المولى عليهم، ودعوه إلى الوئوب به، فقال: حتى القاه وأعذر إليه، ثم ذهب إليه وذكر له جميع ما نكروه فوعده الرجوع إلى مرادهم، وذكر له شأن المولى وشركهم في النبي. فقال: إن أعطيتوني عهdk على قتال بنى أمية وأبن الزبير تركهم. فقال: اخرج إليهم بذلك وخرج فلم يرجع. واجتمع رأيهم على قتاله وهم شيث بن ريعي ومحمد بن الأشعث وعبد الرحمن بن سعد بن قيس وشمر بن ذي الجوشن وكعب بن أبي كعب التخعي، وعبد الرحمن بن خنف الأزدي. وقد كان ابن خنف أشار عليهم بأن يهلوه لقدم أهل الشام وأهل البصرة فيكتونكم أمره قبل أن يقاتلكم بمولايكم وشجاعانكم وهم عليكم أشد، فأبوا من رأيه وقالوا: لا نفسد جاعتنا.

ثم خرجوا وشهروا السلاح و قالوا للمختار: اعزتنا فإن

الصبع. وقتل نعيم فورهن المختار لقتله وظهر شبت وأصحابه عليهم. وقاتل إبراهيم بن الأشتر راشد بن إيسا فقتل، وانهزم أصحابه وركبهم الفشل.

وبعث ابن المطیع جيشاً كثیفاً فهزمه، ثم حل على شبت فهزمه، وبعث المختار فمنعه الرماة من دخول الكوفة. ورجع المهزمون إلى ابن مطیع فنهش فشجه عمر بن الحاجز الزيدي وقال له: اخرج واندب الناس ففعل. وقام في الناس ووخهم على هزيمتهم ونبلهم. ثم بعث عمر بن الحاجز في الفین وشمر بن ذي الجوشن في الفین ونوقل بن مساحق في خمسة آلاف. ووقف هو بكتابه.

واختلف على القصر شبت بن ريعي فحمل ابن الأشتر على ابن مساحق فهزمه وأسره، ثم من عليه. ودخل ابن مطیع القصر وحاصره إبراهيم بن الأشتر ثلاثة ومعه يزيد بن أنس وأحد بن شميط، ولما اشتد الحصار على ابن مطیع، أشار عليه شبت بن ريعي بأن يستأمن للمختار، ويلحق بابن الزبير ولو ما بعده. فخرج عنهم مساء وزلل دار أبي موسى. واستأنف القوم للمختار فدخل القصر وغدا على الناس في المسجد فخطبهم، ودعاعهم إلى بيعة ابن الحنفية، فبايعه أشراف الكوفة على الكتاب والسنّة، واللطف بأهل البيت، ووعدهم بحسن السيرة. وبلغة أن ابن مطیع في دار موسى فبعث إليه عبارة ألف درهم وقال: يجهز بهذه.

وكان ابن مطیع قد فرق بيوت الأموال على الناس، وسار ابن مطیع إلى وجهه وملك الكوفة، وجعل على شرطته عبد الله بن كامل، وعلى حرسه كیسان أبا عمرة، وجعل الأشراف جلساء، وعقد عبد الله بن الحارث بن الأشتر على أرمينة، ومحمد بن عمير بن عطارد على أذربیجان، ولعبد الرحمن بن سعيد بن قيس على الموصل، والإسحاق بن مسعود على المدائن، ولسعد بن حذيفة بن اليمان على حلوان. وأمره بقتل الأكراد وإصلاح السابلة. وولي شريعاً على القضاة. ثم طعن فيه الشيعة بأنه شهد على حجر بن عدي، ولم يبلغ عن هاني بن عروة رسالته إلى قومه وإن علياً غرم وأنه عثمانی. وسمع ذلك هو فثار ضر فجعل مكانه عبد الله بن عتبة بن مسعود ثم مرض فولى مكانه عبد الله بن مالك الطائي.

## مسيرة ابن زياد إلى المختار وخلافة أهل الكوفة عليه

كان مروان بن الحكم لما استوثق له الشام بعث جيشين

بعث المختار على قتلة الحسين أن يزيد بن شراحيل الأنصاري قدم على محمد بن الحنفية، فقال له ابن الحنفية: يزعم المختار أن لنا شيعة وقتلة الحسين عنده على الكناسي بمدحونه. فلما سمع المختار ذلك تبعهم بالقتل وبعث برأس عمرو ابنه إلى ابن الحنفية وكتب إليه أنه أتى قتل من قدر عليه وهو في طلب الباقيين. ثم أحضر حكيم بن طفيل الطائي، وكان رمي الحسين بهم، وأصاب سلب العباس ابنه. وجاء عدي بن حاتم يشفع فيه فقتله ابن كامل والشيعة قبل أن يصل حذراً من قبول المختار شفاعته. وبحث عن مرة بن متقد بن عبد القيس قاتل علي بن الحسين فدافع عن نفسه ونجا إلى مصعب بن الزبير وقد شلت يده بضربيه. وبحث عن زيد وقاد الحسين قاتل عبد الله بن مسلم بن عقيل رماه بسهامين وقد وضع كفه على جبهته يتقي النبل فأثبت كفه في جبهته وقتلته بالآخر فخرج بالسيف يدافع. فقال ابن كامل: ارموه بالحجارة فرموه حتى سقط وأحرقوه حياً. وطلب سنان بن أنس الذي كان يدعى قتل الحسين فلحق بالبصرة. وطلب عمر بن صبح الصداني فقتله طعناً بالرماح، وأرسل في طلب محمد بن الأشعث وهو في قريته عند القادسية فهرب إلى مصعب وهدم المختار داره. وطلب آخرين كذلك من المتهمين بأمر الحسين فلحقوا بمصعب وهدم دورهم.

### شأن المختار مع ابن الزبير

كان على البصرة الحارث بن أبي ربيعة وهو القباع عاملاً لابن الزبير. وعلى شرطته عباد بن حسين وعلى المقاتلة قيس بن الهيثم. وجاء المثنى بن خمرة العبدي وكان من شهد مع سليمان بن صرد، ورجع فابع للمختار وبعثه إلى البصرة يدعوه لها فاجابه كثير من الناس، وعسكر لحرب القباع. فسرح إليه عباد بن حسين وقيس بن الهيثم في العساكر فانهزم المثنى إلى قومه عبد القيس، وأرسل القباع عسكراً ياترنه به. فجاءه زياد بن عمر العنكي فقال له: لتردن خيلك عن إخواننا أو لتقاتلهم فارسل الأخفش بن قيس وأصلاح الأمر على أن يخرج المثنى عنهم فسار إلى الكوفة.

وقد كان المختار لما أخرج ابن مطیع من البصرة كتب إلى ابن الزبير يخادعه ليتم أمره في الدعاء لأهل البيت، وطلب المختار في الوفاء بما وعده به الولاية، فاراد ابن الزبير أن بتبيين الصحيح من أمره، فولع بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام على الكوفة، وأعلمها بطاعة المختار وبعثه إليها. وجاء الخبر إلى المختار،

ابن الحنفية لم يبعثك. قال: نبعث إليه الرسل مبني ومنكم، وأخذ يعلّهم بامثال هذه المراجعات وكف أصحابه عن قتالهم يتظر وصول إبراهيم بن الأشتر، وقد بعث إليه بالرجوع. فجاء فرأى القوم مجتمعين ورفاعة بن شداد البجلي يصلي بهم. فلما وصل إبراهيم عبا المختار أصحابه وسرح بين يديه أسد بن شميط البجلي وعبد الله بن كامل الشادي فانهزم أصحابهما وصبراً ومدحهما المختار بالفرسان والرجال فوجأً بعد فوج، وسار ابن الأشتر إلى مصر وفيهم شيش بن ربعي فقاتلوه فهزهم فاشتد ابن كامل على اليمن ورجع رفاعة بن شداد أمامهم إلى المختار فقاتل معه حتى قتل من أهل اليمن عبد الله بن سعيد بن قيس، والفرات بن زحر بن قيس، وعمر بن مخنف. وخرج آخره عبد الرحمن فمات وانهزم أهل اليمن هزيمة قبيحة وأسر من الوادعيين خمسة أسير قتل المختار كل من شهد قتل الحسين منهم فكانوا نصفهم وأطلق الباقيين.

ونادى المختار الأمان إلا من شهد في دماء أهل البيت وفر عمر بن الحجاج الزيدي، وكان أشد من حضر قتل الحسين، فلما يوقف له على خبر. وقيل أدركه أصحاب المختار فاختذوا رأسه، ويعث في طلب شمر بن ذي الجوشين، فقتل طالبه وانتهى إلى قرية الكلباتية فارتاح يظن أنه نجا... وإذا في قرية أخرى يازاته أبو عمدة صاحب المختار، بعثه مسلحة بيته وبين أهل البصرة، فتمنى إليه خبره فركب إليه فقتله والقى شلوه للكلاب.

وأخذت الورقة عن سبعمائة وثمانين قتيلاً أكثراهم من اليمن، وكان آخر سنة ست وستين، وخرج أشراف الناس إلى البصرة وتسع المختار قتلة الحسين ودل على عبد الله بن أسد الجهني ومالك بن نمير الكندي. وحمل ابن مالك الحاربي بالقادسية فاحتضرهم وقتلهم. ثم أحضر زياد بن مالك الضبعي وعمران بن خالد العري وعبد الرحمن بن أبي حشكارة البجلي، وعبد الله بن قيس المخلاني، وكانتوا نهباً من الورث الذي كان مع الحسين فقتلهم. وأحضر عبد الله أو عبد الرحمن بن طلحة وعبد الله بن وهب المداني ابن عم الأعشى وقتلهم. وأحضر عثمان بن خالد الجهني ولها أسماء بشر بن سميط القابسي، وكانا مشتركين في قتل عبد الرحمن بن عقبة وفي سلبه، فقتلهم وحرقاًهما بالنار.

وبحث عن خولي بن يزيد الأصبهني صاحب رأس الحسين، فجيء برأسه وحرق بالنار. ثم قتل عمر بن سعد بن أبي وقاص بعد أن كان أخذ له الأمان منه عبد الله بن أبي جعدة بن هبيرة فبعث أبا عمدة فجاهه برأسه وإبنه حفص عنده. فقال: تعرف هذا؟ قال: نعم! ولا خير في العيش بعده فقتله. ويقال: إن الذي

درهم وساروا إلى مكة فدخلوا المسجد الحرام وبأيديهم الخشب كرامة إشهار السيف في المحرم وطفقوا ينادون بثار الحسين حتى انتهوا إلى زرم. وأخرج ابن الحفيف وكان قد بقي من أجله يومان، واستأذنوه في قتال ابن الزبير، فقال: لا استحل القتال في الحرم. ثم جاء باقي الجنود وخافهم ابن الزبير وخرج ابن الحفيف إلى شعب علي واجتمع له أربعة آلاف رجل فقسم بينهم المال.

ولما قتل المختار واستوثق أمر ابن الزبير بعث إليه في البيعة فخاف على نفسه وكتب عبد الملك فأذن له أن يقدم الشام حتى يستقيم أمر الناس ووعده بالإحسان. وخرج ابن الحفيف وأصحابه إلى الشام. ولما وصل مدین لقيه خبر مهلك عمرو بن سعيد فندم وأقام بائلة، وظهر في الناس فضلته وعبادته وزهده. وكتب له عبد الملك أن يباعه فرجع إلى مكة ونزل شعب أبي طالب، فآخر جه ابن الزبير فسار إلى الطائف، وعذل ابن عباس بن الزبير على شأنه، ثم خرج عنه ولحق بالطائف ومات هناك. وصلى عليه ابن الحفيف وعاش إلى أن أدرك حصار الحجاج لابن الزبير.

ولما قتل ابن الزبير بايع عبد الملك وكتب عبد الملك إلى الحجاج بتعظيم حقه ويسطع أمره، ثم قدم إلى الشام وطلب من عبد الملك أن يرفع حكم الحجاج عنه ففعل، وقيل: إن ابن الزبير بعث إلى ابن عباس وابن الحفيف في البيعة حتى يجتمع الناس على إمام، فإن في هذه فتنة. فجنس ابن الحفيف في زرم وضيق على ابن عباس في منزله وأراد إحراقهما فازلس المختار جيشه كما تقدم بنفس عنهم. ولما قتل المختار قوي ابن الزبير عليهمما فخرجا إلى الطائف.

### مقتل ابن زياد

ولما فرغ المختار من قتال أهل الكوفة آخر ستة وستين بعث إبراهيم بن الأشتر لقتال ابن زياد وبعث معه وجوه أصحابه وفرسانهم وشيعته وأوصاه. وبعث معه بالكرسي الذي كان يستنصر به وهو كرسي قد غشأ بالذهب. وقال للشيعة: هذا فيكم مثل التابوت في بي إسرائيل، فكبر شأنه وعظم. وقاتل ابن زياد فكان له الظهور وافتتن به الشيعة، ويقال: إنه كرسى علي بن أبي طالب، وأن المختار أخذه من والد جده بن هبيرة، وكانت أمها هانئ بنت أبي طالب فهو ابن أخت علي. ثم أسرع إبراهيم بن الأشتر في السير وأوغل في أرض الموصل، وكان ابن زياد قد ملكها كما مر.

فلما دخل إبراهيم أرض الموصل عَيَّ أصحابه، ولما بلغ نهر

بعث زائدة بن قدامة في خسمة فارس، وأعطاه سبعين ألف درهم، وقال: ادفعها إلى عمر فهي ضعف ما انفق، وأمره بالانصراف بعد تناولها، فإن أبي قاره الخيل فكان كذلك. ولما رأى عمر الخيل أخذ المال وسار نحو البصرة، واجتمع هو وابن مطیع في إمارة القباع قبل ونوب ابن عمّرة. وقيل: إن المختار كتب إلى ابن الزبير إني اخترت الكوفة داراً فلأن سوغتني ذلك وأعطيتني مائة ألف درهم سرت إلى الشام وكفيفت مروان. فمنعه من ذلك. فاقام المختار بطاعته ويوادعه ليفرغ لأهل الشام.

ثم بعث عبد الملك بن مروان عبد الملك بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص إلى وادي القرى فكتب المختار إلى ابن الزبير يعرض عليه المدد فاجابه أن يجعل بإيقاف الجيش إلى جند عبد الملك بوادي القرى فسرح شرحبيل بن دوس المدائني في ثلاثة آلاف أكريس من المرولي وأمره أن يأتي المدينة ويكاتبه بذلك، واتهمه ابن الزبير بعث من مكة عباس بن سهل بن سعد في الذين وأمره أن يستقر العرب وإن رأى من جيش المختار خلافاً ناجهم وأهلكهم. فلقيهم عباس بالرقيم وهم على تعية فقال: سيروا بنا إلى العدو الذي بوادي القرى. فقال ابن دوس: إنما أمرني المختار أن آتي المدينة فقطن عباس لما يربى. فأناهم بالعلوفة والزاد وتغير الفأ من أصحابه وحمل عليهم فقتل ابن دوس وسبعين معه من شجعان قومه وأمن الباقين فرجعوا للكوفة، ومات أكثرهم في الطريق.

وكتب المختار إلى ابن الحفيف بشكوى ابن الزبير، ويوهمه أنه بعث الجيش في طاعته، ففعل بهم ابن الزبير ما فعل. وستأذنه في بعث الجيوش إلى المدينة ويعث ابن الحفيف عليهم رجلاً من قبله فيفهم الناس أنني في طاعتك، فكتب إليه ابن الحفيف: قد عرفت قصدك ووفاكم بمحقق وأحب الأمر إلى الطاعة، فاطبع الله وتعجب دماء المسلمين. فلو أردت القتال لوجدت الناس إلى سراغاً والأعران كثيراً لكنني أعتز لكم وأصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين.

ثم دعا ابن الزبير محمد بن الحفيف ومن معه من أهل بيته وشيعته إلى البيعة فامتنع وبعث إليه ابن الزبير وأغلظ عليه وعليهم، فاستكانوا وصبروا فتركتهم. فلما استول المختار على الكوفة وأظهر الشيعة دعوة ابن الحفيف خاف ابن الزبير أن يتداعع الناس إلى الرضا به، فاعتزم عليهم في البيعة، وتزورهم بالقتل، وحبسهم بزمزم، وضرب لهم أجلاً. وكتب ابن الحفيف إلى المختار بذلك فأخبر الشيعة ونبّههم وبعث أمراء منهم في نحو ثلاثة عشر عليهم أبو عبد الله الجليلي. وبعث لابن الحفيف أربعين ألف

## مسير مصعب إلى المختار وقتلها وإياه

كان ابن الزبير في أول سنة سبع وستين أو آخر ست عزل الحارث بن ربيعة وهو القباع وولى مكانه أخاه مصعباً فقدم البصرة وقصد المطلب وجاء الحارث فأجلسه مصعب تمحته بدرجة ثم خطب وقرأ الآيات من أول القصص ونزل ولحق به أشراف الكوفة حتى قربوا من المختار، ودخل عليه شيث بن ربيعة وهو ينادي واغوثاء ثم قدم محمد بن الأشعث بعده واستقرتقوه إلى المسير وبعث إلى المهلب بن أبي الصفرة وهو عامله على فارس ليحضر معه قتال المختار فانطأ وأغفل، فأرسل إليه محمد بن الأشعث بكتابه، فقال المهلب: ما وجد مصعب بريداً غيرك؟ فقال: ما أنا ببريد ولكن غلبنا عيادنا على أبنائنا وحرمنا فاتقبيل معه المهلب بالجمع والأموال وعسكر مصعب عند الحسر فأرسل عبد الرحمن بن مخفف إلى الكوفة سراً ليثبط الناس عن المختار ويدعو إلى ابن الزبير. وسار على التعبية وبعث في مقدمته عباد بن الحصين الحبطي التميمي وعلى ميمنته عمر بن عبيد الله بن معمر، وعلى ميسره المهلب.

وبلغ الخبر المختار فقام في أصحابه، وقربهم إلى الخروج مع ابن شميط وعسكر مع محمد في أغفر. وبعث رؤوس الأربع الذين كانوا مع ابن الأشعث مع ابن شميط وأصحابه فثبتوا وحمل المهلب من المسيرة على ابن كامل ثنت ثم كر المهلب وحمل حلة منكرة وصبر ابن كامل قليلاً وانهزموا وحمل الناس جميعاً على ابن شميط فانهزم وقتل. واستمر القتل في الرجاله وبعث مصعب عباداً قتل كل أسير أخذ. وتقدم محمد بن الأشعث في خيل من أهل الكوفة فلم يدركوا منهاماً إلا قتلوا. ولما فرغ مصعب منهم أقبل فقطع الفرات من موضع واسط وحملوا الضفاف وأتقامهم في السفن ثم خرجوا إلى نهر الفرات وسار إلى الكوفة. ولما بلغ المختار خبر المزمعة ومن قتل من أصحابه وأن مصعباً أقبل إليه في البر والبحر سار إلى مجتمع الأنهار نهر الجزيرة والمسلحين والقادسية ونهر يسر. فسكن الفرات فذهب ماوه في الأنهار.

ويقين سفن أهل البصرة في الطين فخرجوا إلى السكر وأزالوه وقصدوا الكوفة. وسار المختار ونزل حررواء بعد أن حصن القصر وأدخل عدة المصار، وأقبل مصعب وعلى ميمنته المهلب، وعلى ميسره عمر بن عبيد الله، وعلى الخيل عباد بن الحصين، وجعل المختار على ميمنته سليم بن زيد الكندي، وعلى ميسره سعيد بن مقتذ المداني وعلى الخيل عمر بن عبيد الله التهدي. ونزل محمد بن الأشعث فيمن هرب من أهل الكوفة بين

الحارم بعث على مقدمته الطفيلي بن لقيط النخعي، ونزل ابن زياد قريباً من النهر وكانت قيس مطبقة على بني مروان عند المرج، وجد عبد الملك يومئذ فلقي عمير بن الحباب السلمي إبراهيم بن الأشتر وأوعده أن ينهزم بالسيرة، وأشار عليه بالمشاجرة. ورأى عند ابن الأشتر ميلاً إلى المطاولة فتنه عن ذلك. وقال: إنهم ميلوا منكم رباعاً وإن طاولتهم اجترووا عليكم. قال: وبذاك أوصاني صاحبي. ثم عي أصحابه في السحر الأول، ونزل يمشي ويعرض الناس حتى أشرف على القوم. وجاءه عبد الله بن زهير السلوبي بأنهم خرجوا على دهش وفشل وابن الأشتر يعرض أصحابه ويدركهم أفعال ابن زياد وأبيه.

ثم التقى الجماعان وحمل الحصين بن ثور من ميمنة أهل الشام على ميسرة إبراهيم فقتل علي بن مالك المتشعبي، ثم أخذ الرأبة فرد ابن علي فقتل، وانهزمت الميسرة، فأخذ الرأبة عبد الله بن ورقاء بن جنادة السلوبي، ورجع بالمهزمين إلى الميسرة كما كانوا. وحملت ميمنة إبراهيم على ميسرة ابن زياد وهم يرجون أن ينهزم عمير بن الحباب كما وعدهم فمنعته الأفة من ذلك وسائل قتالاً شديداً. وقد أ-bin الأشتر قلب العسكر وسواده الأعظم، فاقتلتوا أشد قتال حتى كانت أصوات الضرب بالحديد كاصوات القصرين، وإبراهيم يقول لصاحب رايته: انغمس برأيك فيهم. ثم حلوا حملة رجال واحد فانهزم أصحاب ابن زياد. وقال ابن الأشتر: إني قلت رجلاً تحت رأبة مفتردة شمنت منه رائحة المسك وضربه بسيفي فقصمه نصفين فالتمسوه فإذا هو ابن زياد فأخذت رأسه وأحرقت جسده. وحمل شريك بن جدير الشعلي على الحصين بن ثور فاعتقله وجاء أصحابه فقتلوا الحصين.

ويقال: إن الذي قتل ابن زياد هو ابن جدير هذا، وقتل شرجيل بن ذي الكلاع وادعى قتله سفيان بن يزيد الأزدي وورقاء بن عازب الأزدي، وعبيد الله بن زهير السلمي واتبع أصحاب ابن الأشتر المهزمين ففرق في النهر أكثر من قتل، وغنموا جميع ما في العسكر. وطرا ابن الأشتر بالشاشة إلى المختار فأنه بالمدائن وأنفذ ابن الأشتر عماله إلى البلاد فبعث أخاه عبد الرحمن على نصبين، وغلب على سنجار ودارا وما والاهمما من أرض الجزيرة. وولى زفر بن الحارث قيس وحاتم بن النعمان الباهلي حران والرها وشمساط وعمير بن الحباب السلمي كفرنوبى وطور عبدين وأقام بالملوصل وأنفذ رؤوس عبيد الله وقواده إلى المختار.

العسكرين.

صعب وليس عنده أحد فباتصر ودخل قصر الكوفة وقد أصباه فلحقوا به، ودخل القصر معه ثمانية آلاف منهم، وأقبل صعب فحاصرهم أربعة أشهر يقاتلهم بالسيوف كل يوم حتى قتل، وطلب الذين في القصر الأمان من صعب ونزلوا على حكمه فقتلهم جميعاً، وكانوا ستة آلاف رجل، ولما ملك صعب الكوفة بعث عبد الله بن الزبير ابنه حزرة على البصرة مكان صعب فأسأله السيرة وقصر بالأشراف ففرعوا إلى مالك بن مسمع، فخرج إلى الجسر وبعث إلى حزرة أن الحق بأبيك، وكتب الأحلف إلى أبيه أن يعزله عنه ويعيد لهم مصعباً ففعل.

وخرج حزرة بالأموال فعرض له مالك بن مسمع وقال: لا ندعك تخرج بأعطياتنا فضمن له عمر بن عبد الله العطاء فكف عنه، وقيل: إن عبد الله بن الزبير إنما رد مصعباً إلى البصرة عند وفاته عليه بعد ستة من قتل المختار، ولما رده إلى البصرة استعمل عمر بن عبد الله بن معمر على نارس وولاه حرب الأزارقة، وكان المهلب على حربيهم أيام صعب وحزرة، فلما رد مصعباً أراد أن يولي المهلب الموصل والجزيرة وأرمينية ليكون بينه وبين عبد الملك فاستقدمه واستخلف على عمله المغيرة، فلما قدم البصرة عزله صعب عن حرب الخوارج وبلاد فارس واستعمل عليها عمر بن عبد الله بن معمر فكان له في حروفيهم ما ذكره في أخبار الخوارج.

### خلاف عمرو بن سعيد الأشدق ومقتله

كان عبد الملك بعد رجوعه من قسرين أقام بدمشق زماناً، ثم سار لقتل زهر بن الحارث الكلابي برقيسيا، واستخلف على دمشق عبد الرحمن بن أم الحكم الثقفي ابن أخيه، وسار معه عمرو بن سعيد، فلما بلغ بطنان انتقض عمرو وأسرى ليلاً إلى دمشق، وهرب ابن أم الحكم عنها فدخلها عمرو وهم داره، واجتمع إليه الناس فخطبهم ووعدهم، وجاء عبد الملك على أثره فحاصره بدمشق ووقع بينهما القتال أياماً، ثم اصطلحوا وكتب بينهما كتاباً وأمه عبد الملك فخرج إليه عمرو ودخل عبد الملك دمشق فاتام أربعة أيام ثم بعث إلى عمرو لياته، فقال له عبد الله بن يزيد بن معاوية وهو صهره وكان عنده: لا تأتيه فإني أخشى عليك منه، فقال: والله لو كنت نائماً ما أينظني، ووعد الرسول بالرواح إليه، ثم أتى بالعشري وليس درعه تحت القباء، ومضى في مائة من مواليه وقد جمع عبد الملك عنده بني مروان وحسان بن مجذ الكلبي وقيصمة بن ذؤيب الخزاعي وأذن لعمرو ودخل.

ولما التقى الجمuan اقتلوا ساعة وحمل عبد الله بن جعدة بن هبيرة المخزومي على من يازاه فحطموا أصحاب المختار حطمة منكرة وكشفوه، وحمل مالك بن عمر النهدي في الرجاله عند المساء على ابن الأشعث حلة منكرة فقتل ابن الأشعث وعامة أصحابه، وقتل عبد الله بن علي بن أبي طالب وقاتل المختار، ثم افترق الناس ودخل القصر وسار صعب من اللند فنزل السبخة وقطع عنهم الميرة، وكان الناس يأتونهم بالقليل من الطعام والشراب خفية فقطن صعب لذلك فمنعه وأصحابهم العطش فكانوا يصبون العسل في الآبار ويشربون.

ثم إن المختار أشار على أصحابه بالاستمامة فتحنط وتطيب وخرج في عشرين رجلاً منهم السابق بن مسلك الأشعري فعدله، فقال: ويحيك يا أحقن وتب ابن الزبير بالمحاجز، ووتب بجدة باليمامة، وابن مروان بالشام فكنت كاذبهم إلا أني طلبت بشار أهل البيت إذ نامت عقد العرب، فقاتل على حسبك إن لم يكن لك نية، ثم تقدم فقاتل حتى قتل على يد رجلين من بيتي حينفة أخرى طرفة وطراف ابني عبد الله بن دجاجة، وكان عبد الله بن جعدة بن هبيرة لما رأى عزم المختار على الاستمامة تملأ من القصر، واختفى عند بعض إخوانه، ثم بعث الذين بقوا بالقصر إلى صعب ونزلوا على حكمه فقتلهم أجمعين، وأشار عليه المهلب باستيقائهم، فاعتبره أشراف أهل الكوفة، ورجع إلى رأيه، ثم أمر بكف المختار بن أبي عبد الله فقطعت وسمرت إلى جانب المسجد فلم يزعها من هناك إلا الحجاج، وقتل زوجة عمارة بنت النعمان بن بشير زعمت أن المختار..... فاستأذن أخاه عبد الله وقتلها.

ثم كتب صعب إلى إبراهيم بن الأشتر يدعوه إلى طاعته، ووعده بولاية أئمة الخيل وما غلب عليه من المغيرة، وكتب إليه عبد الملك برولاية العراق، واختلف عليه أصحابه فجنس إلى صعب خشية مما أصاب ابن زياد وأشراف أهل الشام، وكتب إلى صعب بالإجابة وسار إليه فبعث على عمله بالموصل والجزيرة وأرمينية وأذربيجان المهلب بن أبي صفرة، وقيل: إن المختار إنما أظهر الخلاف لابن الزبير عند قدم صعب البصرة وأنه بعث على مقدمته أحد بن شميط، وبعث صعب عباداً الحبطي ومعه عبد الله بن علي بن أبي طالب، وتراسوا ليلاً، فناجزهم المختار من ليله، وانكشف أصحاب صعب إلى عسكراً واشتد القتال وتقتل من أصحاب صعب جماعة منهم محمد بن الأشعث.

فلما أصبح المختار وجد أصحابه قد توغلوا في أصحاب

قد هدم ذلك ووعد جنة وحذر ناراً، وأما عمرو فهو ابن عمك وقد وصل إلى الله وأنت أعلم بما صنعت، وإن أحدثنا به فبطن الأرض خير لنا من ظهرها. فرق لهم عبد الملك وقال: أبوكم خيرني بين أن يقتلي أو أتله واخترت قتلته على قتلي، وأما أنت فما أرغمي فيكم وأوصلي لقاربكم وأحسن حالتهم. وقيل إن عمراً إنما كان خلفه وقتله حين سار عبد الملك لقتال مصعب طلبه أن يجئ له العهد بعده كما فعل أبوه فلم يجيء إلى ذلك، فرجع إلى دمشق فمضى وامتنع بها وكان قتله سنة تسع وستين.

### مسير عبد الملك إلى العراق ومقتل مصعب

ولما صفا الشام لعبد الملك اعزم على غزو العراق وأتاه الكتب من أشرافهم يدعونه فاستمهله أصحابه فأبى، وسار نحو العراق وبلغ مصعباً سيره فارسل إلى المهلب بن أبي صفرة وهو بفارس في قتال الخوارج يستشيره. وقد كان عزل عمر بن عبيد الله بن معمر عن فارس وحرب الخوارج، وولى مكانه المهلب وذلك حين استخلف على الكوفة. وجاء خالد بن عبيد الله بن خالد بن أبيد على البصرة مختفياً، وأعيد لعبد الملك عند مالك بن مسمع في بكر بن وائل والأزد، وأمد عبد الملك بعبيد الله بن زياد بن ظبيان وحاربهم عمر بن عبيد الله بن معمر ثم صالحهم على أن يغروا خالداً فأخرجهو.

وجاء مصعب وقد طمع أن يدرك خالداً فوجده قد خرج فخطخ على ابن معمر وسب أصحابه وضرفهم وهدم دورهم وحلقهم وهم دار مالك بن مسمع واستباها. وعزل بن معمر عن فارس وولى المهلب وخرج إلى الكوفة. فلم يزل بها حتى سار للقاء عبد الملك وكان معه الأخفف قتفي بالكوفة. ولما بعث عن المهلب ليسير معه أهل البصرة إلا أن يكون المهلب على قتال الخوارج رده وقال له المهلب: إن أهل العراق قد كاتبوا عبد الملك وكانتهم فلا يتعدى.

ثم بعث مصعب عن إبراهيم بن الأشتر وكان على الموصل والجزيرة فجعله في مقدمته وسار حتى عسكر في مسكنه، وسار عبد الملك وعلى مقامته آخره محمد بن مروان، وخالد بن عبيد الله بن خالد بن أبيد، فنزلوا قريباً من قرقيسيا. وحضر زفير بن الحارث الكلابي، ثم صالحه. وبعث زفير معه المذيل ابنه في عسكر وسار معه فنزل مسكن قريباً من مسكن مصعب وفر المذيل بن زفير فلحق بمحبهم، وكب عبد الملك إلى أهل العراق وكتبوا إليه وكلهم بشرط أصفهان وأتى ابن الأشتر بكتاب مختوماً إلى مصعب

ولم يزل أصحابه يجلسون عند كل باب حتى بلغوا قاعة الدار وما معه إلا غلام واحد ونظر إلى عبد الملك والجماعة حوله فاحس بالشر وقال للغلام: انطلق إلى أخي مجبي وقل له يأتيني، فلم يفهم عنه وأعاد عليه فيجيئه الغلام ليك وهو لا يفهم. فقال له: اغرب عني. ثم أذن عبد الملك لحسان وقيصرة فلقيا عمرأً ودخل فاجلسه معه على السرير وحادثه زمناً. ثم أمر بزع السيف عنه. فأنكر ذلك عمرو وقال: أتق الله يا أمير المؤمنين! فقال له عبد الملك: أتقطع أن مجلس معى متقدلاً سيفك؟ فأخذ عنه السيف؟ ثم قال له عبد الملك: يا أبا أمية إنك حين خلعتي حلت بين إن أنا رأيتك مجيت أتدر عليك أن أجعلك في جامعة، فقال بنو مروان: ثم تطلقه يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم! وما عسيت أن أصنع بأبى أمية؟ فقال بنو مروان: أبى قسم أمير المؤمنين يا أبا أمية فقال عمرو: قد أبى الله قسمك يا أمير المؤمنين.

فأخرج من تحت فراشه جامعة وأمر غلاماً فجمعه فيها وسأله أن لا يخرجه على رؤوس الناس. فقال: إنكراً عند الموت؟ ثم جنبه جذبة أصاب فمه السرير فكسر ثنيه ثم سآل الإبقاء. فقال عبد الملك: والله لو علمت أنك تبقى أن أبقيت عليك وتصلح قريش لأبنيك، ولكن لا يجتمع رجالان مثلنا في بلد. فشتمه عمرو وخرج عبد الملك إلى الصلاة وأمر آخاه عبد العزيز بقتله. فلما قام إليه بالسيف ذكره الرحمن، فأمسك عبد العزيز ورجع عبد الملك من الصلاة وغلقت الأبواب، فعنظ عبد العزيز ثم تناول عمراً فذبحه بيده وقيل: أمر غلامه ابن الزغير فقتله.

وافتقد الناس عمر مع عبد الملك حين خرج إلى الصلاة فأقبل أخوه مجبي في أصحابه وعيده و كانوا الفأ، ومعه حيد بن الحارث وحرث وزهير بن الأبرد فهتفوا باسمه ثم كسروا باب المقصورة وضربوا الناس بالسسوف، وخرج الوليد بن عبد الملك واقتلوها ساعة. ثم خرج عبد الرحمن بن أم الحكم التقفي بالراس فالله إلى الناس وألقى اليهم عبد العزيز بن مروان بذر الأموال فانتهت بها وافتقرها. ثم خرج عبد الملك إلى الناس وسأله عن الوليد فأخبر بجرأته وأتى بمجبي بن سعيد وأخيه عنسبة فحبسهما وحبس بي عمر بن سعيد ثم أخرجهم جميعاً والحقهم بمصعب حتى حضروا عنده بعد قتل مصعب فأنههم ووصلهم.

وكان بنو عمرو أربعة: أمية وسعد وإسماعيل ومحمد. ولما حضروا عنده، قال: أتئم أهل بيتك ترون لكم على جميع قومكم فضلاً لن يجعله الله لكم، والذي كان بيبي وبين أبيكم لم يكن حديثاً بل كان قد يأتم في نفس أوليكم على أولينا في الجاهلية. فقال سعيد: يا أمير المؤمنين! تعد علينا أمراً كان في الجاهلية والإسلام

وطلب يحيى بن سعيد من جعفة وكانوا أخواله فأخبروه فامنه. ووالي أخاه بشر بن مروان على الكوفة ومحمد بن غير على همدان ويزيد بن ورقاء بن رويم على الري ولم يف لهم بأصحابه كما شرطوا عليه، وكان عبد الله بن يزيد بن أسد والد خالد القسري، ويحيى بن معتز المداني قد جآ إلى علي بن عبد الله بن عباس وبلا هذيل بن زفر بن الحارث وعمر بن يزيد الحكمي إلى خالد بن يزيد فأنهم عبد الملك. وصنع عمر بن حرب ث لعبد الملك طعاماً فأخبره بالخورق وأذن للناس عامه فدخلوا، وجاء عمر بن حرب ث فأجلسه معه على سريره وطعم الناس. ثم طاف مع عمر بن حرب ث على القصر يسأله عن مسكنه ومعالله ولما بلغ عبد الله بن حازم مسir مصعب لقتال عبد الملك قال: أمعه عمر بن معمر الباهلي والد قتيبة، وأمد مصعب إبراهيم بعتاب بن ورقاء فساء قيل: هو على فارس. قال: فالمهلب؟ قيل: في قتال الخوارج. قال:

فعباد بن الحسين؟ قيل: على البصرة. قال: وأنا بفارس. خلني فجريبي جهاراً وانتدي بلح امرئ لم يشهد اليوم ناصره ثم بعث عبد الملك برأس مصعب إلى الكوفة، ثم إلى الشام. فنصب بدمشق وأرادوا التطاويف به فمكنت من ذلك زوجة عبد الملك عاتكة بنت يزيد بن معاوية فسلته ودفتها. وانتهى قتل مصعب إلى المهلب وهو يحارب الأزارقة فبأيصال الناس لعبد الملك بن مروان. ولما جاء خبر مصعب لعبد الله بن الزير خطب الناس فقال: الحمد لله الذي له الخلق والأمر يوتى الملك من يشاء، ويتنزع الملك من يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء. إلا وأنه لم يذل الله من كان الحق معه وإن كان الناس عليه طرأ. وقد أثنا من العراق خبر أحزنا وأفرحنا أثنا قتل مصعب. فالذى أفرحنا منه أن قتله شهادة وأما الذي أحزنا فإن لفرق الحميم لرعة يجلها حيمه عند المصيبة. ثم عبد من عبيد الله وعون من أغوانى إلا وإن أهل العراق، أهل الغدر والتفاق سلموه وبساعره باقل الثمن فإن..... فوالله ما ثغوت على مضاجعنا كما يموت بن أبي العاص والله ما قتل رجل منهم في الجاهلية ولا في الإسلام. ولا ثغوت إلا طعنًا بالرماح وتحت ظلال السيف. إلا إن الدنيا عارية من الملك الأعلى الذي لا يزول سلطاته ولا يبيد ملكه، فلما تقبل لا آخذها أحد الأشر البطror، وإن تدبر لم أبك عليها بكاء الفسرع المهن. أقول قوله هذا وأستغفر الله لي ولكم.

ولما بلغ الخبر إلى البصرة تنازع ولايتها حدان بن أبيان وعبد الله بن أبي بكرة واستعنان حدان بعبد الله بن الأهتم عليهما وكانت له منزلة عند بني أمية، فلما تهدى الأمر بالعراق لعبد الملك بعد مصعب ول على البصرة خالد بن عبد الله بن أسد، فاستختلف عليهما عبد الله بن أبي بكرة، فقدم على حدان وعزله

فقراء، فإذا هو يدعوه إلى نفسه ويجعل له ولاية العراق فأخبره مصعب بما فيه وقال: مثل هذا لا يرغب عنه. فقال إبراهيم: ما كنت لأنقلد الغدر والخيانة. ولقد كتب عبد الملك لأصحابك كلهم مثل هذا فأطعني واقتلهم أو احسمهم في أضيق محبس، فإلي عليه مصعب وأضمر أهل العراق الغدر بمصعب. وعذلم قيس بن الهيثم منهم في طاعة أهل الشام فأعرضوا عنه.

ولما تداني العسكريان بعث عبد الملك إلى مصعب يقول، فقال: تجعل الأم شوري. فقال مصعب: ليس بيتنا إلا السيف. فقدم عبد الملك أخاه محمدًا وقدم مصعب إبراهيم بن الأشتر وأمده بالبلش، فازال محمدًا عن موقعه، وأمده عبد الملك بعيده الله بن يزيد فاشتد القتال وقتل من أصحاب مصعب بن عمر الباهلي والد قتيبة، وأمد مصعب إبراهيم بعتاب بن ورقاء فساء ذلك إبراهيم ونكره. وقال: أوصيته لا يمدني بعثاب وأمثاله. وكان قد بایع عبد الملك فجر المزيمة على إبراهيم وقتلته وحل رأسه إلى عبد الملك. وتقدم أهل الشام فقاتلوا مصعب ودعا رؤوس العراق إلى القتال فاعتذروا وتناقلوا. فدنا محمد بن مروان من مصعب وناداه بالأمان وأشعره بأهل العراق فأعرض عنهم، فنادى ابنه عيسى بن مصعب فاذن له أباه في لقائه. فجاءه وينزل له الأمان وأخبر أباه فقال: أنظهم يعرفون لك ذلك؟ فإن أحبت فافعل. قال: لا يتحدث نساء قريش إني رغبت بنفسى عنك. قال: فاذب إلى عمك بركة فأخبره بصيغة أهل العراق ودعني، فاتى مقتولًا فقال: لا أعبر قريشاً عنك أبداً، ولكن الحق أنت بالبصرة فإنهم على الطاعة أو بأمير المؤمنين بركة. فقال: لا يتحدث قريش إني فرت.

ثم قال عيسى: تقدم يا بني أحسبك فقدم في ناس فقتل وقتلوا. والج عبد الملك في قبور أمهاته فأباي ودخل سرادقه فتحفظ ورمي السرادق وخرج فقاتل ودعا عبد الله بن زياد بن ظبيان فشتمه وحل عليه وضربه فجرحه. وخذل أهل العراق مصعباً حتى يقي في سبة نفس، وأختته الجراحة فرجع إليه عبد الله بن زياد بن ظبيان فقتله وجاء برأسه إلى عبد الملك فأمر له بالثأر دينار فلم يأخذها. وقال: إنما قتلته بثار أخي. وكان قطع الطريق قتله صاحب شرطه وقيل: إن الذي قتله زائدة بن قدامة التقي من أصحاب المختار. وأخذ عبد الله رأسه وأمر عبد الملك به وبابته عيسى فدفنا بدار الجاثلين عند نهر رحيل. وكان ذلك سنة إحدى وسبعين.

ثم دعا عبد الملك جند العراق إلى البيعة فبايده وسار إلى الكوفة فاقام بالتخيلة أربعين يوماً وخطب الناس فوعده الحسن،

## مقتل ابن حازم بخراسان وولاية بكير بن وشاح عليها

قد تقدم لنا خلاف بين ثعيم على ابن حازم بخراسان وأنهم كانوا على ثلاثة فرق، وكف فرقتين منهم. وبقي يقاتل الفرقة الثالثة من نيسابور عليهم بجير بن ورقاء الصريبي. فلما قاتل مصعب بعث عبد الملك إلى حازم يدعوه إلى البيعة ويطعمه خراسان سبع سنين. وبعث الكتاب مع رجل من بيته عامر بن صعصعة. فقال ابن حازم: لولا الفتنة بين سليم وعامر ولكن كل كتابك فاكلاه. وكان بكير بن وشاح التميمي خليفة ابن حازم على مرو، فكتب إليه عبد الملك بعدهه على خراسان ورغبة بالملطامع أن انتهى، فخلع ابن الزبير ودعا إلى عبد الملك وأجابه أهل مرو. ويبلغ ابن حازم فخاف أن يأتيه بكير ويجتمع عليه أهل مرو وأهل نيسابور فترك بجيرًا وارتحل عنه إلى مرو ويزيد ابنه يترمذ. فاتبعه بجير ولحقه قريباً من مرو واقتلوه فقتل ابن حازم. طعنه بجير وآخران معه فصرعوه وقد أحدهم على صدره قطع رأسه.

وبعث بجير البشير بذلك إلى عبد الملك وترك الرأس وجاء بكير بن وشاح في أهل مرو وأراد إنفاذ الرأس إلى عبد الملك وأنه الذي قتل ابن حازم وأقام في ولاية خراسان. وقيل: إن ذلك إنما كان بعد قتل ابن الزبير وأن عبد الملك أخذ رأسه إلى ابن حازم ودعا إلى البيعة ففصل الرأس وكفته وبعثه إلى ابن الزبير بالمدينة. وكان من شأنه مع الرسول ومع بجير وبكر ما ذكرناه.

كان عبد الملك لما برع بالشام بعث إلى المدينة عروة بن أبي في ستة آلاف من أهل الشام وأمره أن يسكن بالعرصه ولا يدخل المدينة وعامل ابن الزبير يومئذ على المدينة الحارث بن حاطب بن الحارث بن معمر الجمحي، فهو الحارث وأقام ابن أبي شهراً يصلى بالناس الجمعة بالمدينة ويعود إلى معسركه. ثم رجع ابن أبي في إلى الشام ورجع الحارث إلى المدينة. وبعث ابن الزبير سليمان بن خالد الدورقي على خير وفدى. ثم بعث عبد الملك إلى الحجاز عبد الملك بن الحارث بن الحكم في أربعة آلاف فنزل وادي القرى، وبعث سرية إلى سليمان بجير وهرب وأدركوه فقتلوه ومن معه. وأقاموا بجير عليهم ابن القمقام. وذكر عبد الملك ذلك فاغتنم وقال: قتلوا رجالاً صالحأً بغير ذنب.

ثم عزل ابن الزبير الحارث بن حاطب عن المدينة وول مكانه جابر بن الأسود بن عوف الذهري بعث جابر إلى خير أبا بكير بن أبي قيس في سمنة فانهزم ابن القمقام وأصحابه أمامه وقتلوه صبراً. ثم بعث عبد الملك طارق بن عمر مولى عثمان،

حتى جاء خالد، ثم عزل خالداً سنة ثلاثة وسبعين وول مكانه على البصرة أخاه بشراً وجمع له المصريين وسار بشر إلى البصرة واستخلف على الكوفة عمر بن حرث. وول عبد الملك على الجزيرة وأرميبيه بعد قتل مصعب أخاه محمد بن مروان سنة ثلاثة وستين، فغزا الروم ومزقهم بعد أن كان هادن ملك الروم أيام الفتنة على ألف دينار يدفعها إليه في كل يوم.

## أمر زفر بن الحارث بقرقيسيا

قد ذكرنا في وقعة راهط مسير ابن زفر إلى قرقيسيا واجتماع قيس عليه. وأقام بها يدعو لابن الزبير. ولما ول عبد الملك كتب إلى أبيان بن عقبة بن أبي معيط، وهو على حصن بالمسير إلى زفر، فسار وعلى مقدمته عبد الله بن ربيت العلاتي فاعجله عبد الله بالحرب وقتل من أصحابه نحو ثلاثة. ثم أتى إبان رفاق زفر، وقيل ابنه وكيع بن زفر وأوهنه. ثم سار إليه عبد الملك إلى قرقيسيا قبل مسيره إلى مصعب فحاصره ونصب عليه الجانق وقال: كلب عبد الملك لا يخالط معنا القيسية، فإنهم ينهزمون إذا التقينا مع زفر ففعل. واشتد حصارهم وكان زفر يقاتلهم في كل غادة وأمر ابنه المذيل يوماً أن يحمل زفر حتى يضرب فساطع عبد الملك فقتل وقطع بعض أظافره.

ثم بعث عبد الملك أخاه لزفر وابنه المذيل على أنفسهما ومن معهما وأن لهم ما أحبوا. فأجاب المذيل وأدخل أبه في ذلك. وقال: عبد الملك لنا خير من ابن الزبير فأجاب أن له الخير في بيته سنة. وأن ينزل حيث شاء ولا يعين على ابن الزبير. وبينما الرسل مختلف بينهم إذ قيل لعبد الملك قد قدم من المدينة أربعة أرباح، فترك الصلح ومحفظ إليهم، فكشفوا أصحابه إلى عسكرهم ورجع إلى الصلح واستقر بينهم على الأمان ووضع الدماء والأموال. وأن لا يباع عبد الملك حتى يموت ابن الزبير للبيعة التي له في عنقه، وأن يدفع إليه مال نفسه في أصحابه. وتاتي زفر عن لقاء عبد الرحمن خوفاً من فعلته بعمر بن سعيد. فأرسل إليه بقضيب النبي ﷺ فجاء إليه وأجلسه عبد الملك معه على سريره. وزوج ابنه سلمة الرباب بنت زفر. وسار عبد الملك إلى الكوفة حتى أتته أمته عبد الملك كما مر.

الزير ملولة قمحاً وشعيراً وذرةً وقراً ولا ينفك منها إلا ما يمسك الرمق، يقوى بها نفوس أصحابه. ثم أجهدهم المصمار وبعث الحاج إلى أصحاب ابن الزير بالأمان فخرج إليه منهم نحو عشرة آلاف، واقتصر الناس عنه. وكان من فارقه إبناء حمزة وحبيب، وأقام ابنه الزير حتى قتل معه. وحرض الناس الحاج وقال: قد ترون قلة أصحاب ابن الزير وما هم فيه من الجهد والضيق فتقديموا واملئوا ما بين الحجرون والأبراء.

دخل ابن الزير على أمه أسماء وقال: يا أمي قد خذلي

الناس حتى ولدي والقوم يعطوني ما أردت من الدنيا فما رأيك؟ فقالت: أنت أعلم بنفسك إن كنت على حق وتدعوا إليه فامض له فقد قتل عليه أصحابك، ولا تتمكن من رقبتك وقد بلغت بها علمين بين بي أمية. وإن كنت إما أردت الدنيا فبئس العبد إنت، أهلت نفسك ومن قتل معك. وإن قلت كنت على حق فلما وهن أصحابي ضعفت فليس هذا فعل الأحرار ولا أهل الدين فقال: يا أمي أخاف أن يعتلوا بي ويسألوني فقالت: يا بي الشاة إذا ذبحت لا تتألم بالسلخ، فامض على بصيرتك واستعن بالله. فقبل رأسها وقال: هذا رأيي والذي خرجت به داعياً إلى يومي هذا، وما ركنت إلى الدنيا ولا أحبت الحياة وما أخرجني إلا التضليل وأن تستحل حرماته، ولكن أحبت أن أعلم رأيك فقد زدتني بصيرة.

وإني يا أمي في يومي هذا متقول فلا يشتد حزنك وسلمي لأمر الله، فإن ابني لم يتعذر إيتان منك ولا عمد بفاحشة ولم يجر ولم يندر ولم يظلم ولم يقر على الظلّم، ولم يكن أتر عندي من رضا الله تعالى. اللهم لا أتر هذا تزكيه لنفسى لكن تعزية لأمي حتى تسلو عنى. فقالت: إني لأرجو أن يكون عزائي فيك جيلاً إن تقدمني احتسبتك وإن ظفرت سررت بظفرك. ثم قالت: أخرج حتى أنظر ما يصير أمرك جزاكم الله خيراً. قال: فلا تدعني الدعاء لي، فدعت له وودعها وودعته ولما عانقته للوداع وقعت يدها على الدرع فقالت: ما هذا صنيع من يريد ما تريده! فقال: ما لبستها إلا لأنشد منك. قالت: إنه لا يشد مني فتزعمها وقالت له: البن ثيابك مشمرة.

ثم خرج فحمل على أهل الشام حملة منكرة قتلت منهم ثم

انكشف هو وأصحابه وأشار عليه بعضهم بالفارس فقال: بش الشیخ إذن أنا في الإسلام إذا واقعت قوماً فقتلوا ثم فررت عن مثل مصارعهم. واعتلالات أبواب المسجد بأهل الشام والحجاج وطارق بناحية الأبطح إلى المروءة وابن الزير يحمل على هؤلاء وعلى هؤلاء وينادي أبا صفوان لعبد الله بن صفوان بن أمية بن

وأمره أن يتزل بين أيلة ووادي القرى، ويعمل كما يعمل عمال ابن الزير من الانشار، وليس خللاً إن ظهر له بالحجارة، فبعث طارق خيلاً إلى أبي بكر يخرب واقتلاوا فأصيب أبو بكر في مائتين من أصحابه وكتب ابن الزير إلى القباع وهو عامله على البصرة يستمدده الفيء فارس إلى المدينة. فبعثهم القباع وأمر ابن الزير جابر بن الأسود أن يسريرهم إلى قتال طارق ففعل ولقيهم طارق فهزهم وقتل متقدمهم. وقتل من أصحابه خلقاً وأجهز على جريحهم ولم يستيق أسييرهم، ورجع إلى وادي القرى.

ثم عزل ابن الزير جبراً عن المدينة واستعمل طلحة بن عبد الله بن عوف، وهو طلحة النداء وذلك سنة سبعين. فلم يزل على المدينة حتى أخرجه طارق. ولما قتل عبد الملك مصعباً ودخل الكوفة وبعث إليها الحاج بن يوسف التقى في ثلاثة آلاف من أهل الشام لقتال ابن الزير، وكتب معه بالأمان لابن الزير ومن معه إن أطاعوا. فسار في جاهد سنة اثنين وسبعين، فلم يتمتعوا للمدينة ونزل الطائف. وكان يبعث الخيل إلى عرفة ويلقاهم هناك خيل ابن الزير فيهزهم دائماً وتعود خيل الحاج بالظفر. ثم كتب الحاج إلى عبد الملك يخبره بضعف ابن الزير ويستدمه، فكتب عبد الملك إلى طارق يأمره باللحاق بالحجاج فقدم المدينة في ذي القعدة سنة اثنين وسبعين، وأخرج عنها طلحة النداء عامل بن الزير، وول مكانه رجلاً من أهل الشام وسار إلى الحاج بمكة في خمسة آلاف.

ولما قدم الحاج مكة أحرم مجده ونزل بشر ميمون وحج بالناس ولم يطف ولا سعي، وحضر ابن الزير عن عرفة فتحرر بدنه بمكة ولم يمنع الحاج من الطواف والسعي. ثم نصب الحاج المتجمد على أبي قيس ورمى به الكعبة وكان ابن عمر قد حج تلك السنة فبعث إلى الحاج بالكف عن المتجمد لأجل الطائفين فعل، ونادى منادي الحاج عند الإفاضة انصروا!! فإننا نعود بالحجارة على ابن الزير، ورمى بالمتجمد على الكعبة وألحت الصواعق عليهم في يومين وقتلت من أصحاب الشام رجالاً فذعوا. فقال لهم الحاج: لا شك بهذه صواعق تهامة وأن الفتح قد حضر فأبشروا.

ثم أصابت الصواعق من أصحاب ابن الزير فسرى. عن أهل الشام وكانت الحجارة تقع بين يدي ابن الزير وهو يصلبي فلا ينصرف ولم يزل القتال بينهم، وغلت الأسعار وأصحاب الناس مجاعة شديدة حتى ذبح ابن الزير فرسه وقسم لحمها في أصحابه. وبيعت الدجاجة بعشرة دراهم والمد من الدرة بعشرين وبيوت ابن

## ولاية المهلب حرب الأزارقة

ولما عزل عبد الملك خالد بن عبد الله عن البصرة واستعمل مكانه أخاه بشر بن مروان وجمع له المصريون أمره أن يبعث المهلب إلى حرب الأزارقة فلمن يتوجه من أهل البصرة وتركه وراءه في الحرب، وأن يبعث من أهل الكوفة رجالاً شريفاً معروفاً بالباس والتجارة في جيش كثيف إلى المهلب، فيتبعوا الخوارج حتى يهلكوهم. فارسل المهلب جذيب بن سعيد بن قبيصة ينتحب الناس من الديوان. وشق على بشر أن امرأة المهلب جاءت من عند عبد الملك، فغضبه ودعا عبد الرحمن بن مخنف فأعلمه منزلته عنده وقال: إني أوليك جيش الكوفة بحرب الأزارقة فكن عند حسن ظني بك. أخذ يغريه بالمهلب وأن لا يقبل رأيه ولا مشورته، فاظهر له الرفاق. وسار إلى المهلب فنزلوا رامهرمز ولقي بها الخوارج فحدث عليه على ميل من المهلب حيث يتراءى العسكريان. ثم أثارهم نعي بشر بن مروان لعشر ليالٍ من مقدمتهم وأنه استخلف على البصرة خالد بن عبد الله بن خالد فافتقر الناس من أهل المصريين إلى بلادهم، ونزلوا الأهواز وكتب إليهم خالد بن عبد الله يتهددهم ويحذرهم عقوبة عبد الملك إن لم يرجعوا إلى المهلب فلم يلتفتوا إليه ومضوا إلى الكوفة واستأنروا عمر بن حرث في الدخول ولم يأذن لهم فدخلوا وأضربوا عن إذنه.

## ولاية أسد بن عبد الله على خراسان

ولما ولّ بكر بن وشاح على خراسان اختلف عليه بطون تميم وأقاموا في العصبية له وعليه ستين، وخف أهل خراسان أن تنسد البلاد ويقهرهم العدو فكتروا إلى عبد الملك بذلك وأنها لا تصلح إلا على رجل من قريش. واستشار أصحابه فقال له أمية بن عبيد الله بن خالد بن أسيد: نزركم ببرجل منك. فقال: لولا انهزامك عن أبي فديك كنت لها. فاعتذر وخلف أن الناس خذلوك ولم يجد مقاتلاً فاخذرت بالعصبية التي بقيت من المسلمين عن الملكة، وقد كتب إلىك خالد بن عبد الله بعندي وقد علمه الناس، فلما وصل خراسان.

ولما سمع بكر بن وشاح بمسيره بعث إلى مجير بن ورقاء وهو في حبسه كما مر فأبى وأشار عليه بعض أصحابه أن يقبل مخافة القتل فقبل. وصالح بكرًا أو بعث إليه بكر باربعين ألفًا على أن لا يقاتلته. فلما قارب أمية نيسابور إليه مجير وعرفه عن

خلف فيجيئه من جانب المعترك. ولما رأى الحجاج إحرام الناس عن ابن الزبير غضب وترجل وحمل إلى صاحب الراية بين يديه فتقدم ابن الزبير إليهم وكشفهم عنه ورجعوا فصلوا ركعتين عند المقام وحملوا على صاحب الراية فقتلوه عند باب بي شيبة وأخذوا الراية.

ثم قاتلهم ابن مطیع معه حتى قتل ويقال: أصابه جراحة فمات منها بعد أيام ويقال: إنه قال لأصحابه يوم قتل: يا آل الزبير أوطبتم لي نفساً عن أنفسكم كأهل بيت من العرب اصطلمنا في الله؟ فلا يرتكبم وقع السيف فإن لم الدواء في الجرح أشد من الم وقعها، صنعوا سيفكم بما تصونون وجوهكم وغضوا أصاركم عن البارقة وليشغل كل امرئ قرنه ولا تسألاً عني. ومن كان سائلًا فإني في الرعيل الأول. ثم حل حتى بلغ الحجرون فأصابته حجارة في وجهه فارغش لها ودمي وجهه. ثم قاتل قتالاً شديداً وقتل في جهاد الآخرة سنة ثلاث وسبعين.

وحل رأسه إلى الحجاج فسجد، وكبر أهل الشام وثار الحجاج وطارق حتى وفنا عليه، وبعث الحجاج برأسه ورأس عبد الله بن صفوان ورأس عمارة بن عمرو بن حزم إلى عبد الملك. وصلب جنته منكسة على ثنية الحجرون اليمني. وبعثت إليه أسماء في دفنه فأبى، وكتب إليه عبد الملك بلومه على ذلك فخلسى بينها وبينه. ولما قتل عبد الله ركب آخره عروة وسبق الحجاج إلى عبد الملك فرحب به وأجلسه على سريره، وجرى ذكر عبد الله فقال عروة: إنه كان! فقال عبد الملك: وما فعل؟ قال: قتل فخر ساجداً. ثم أخبره عروة أن الحجاج صلبه فاستوته جنته لأمه. فقال: نعم وكتب إلى الحجاج يذكر عليه صلبه بعثت بهاته إلى أمه وصلى عليه عروة ودفنه وماتت أمه بعده قريباً.

ولما فرغ الحجاج من ابن الزبير دخل إلى مكة فباعه أهلاها لعبد الملك وأمر بكتنس المسجد من الحجارة والدم وسار إلى المدينة وكانت من عمله فاقام بها شهرين وأساء إلى أهلهما وقال: أنت قتلة عثمان. وختم أيدي جماعة من الصحابة بالرصاص استخفافاً بهم كما يفعل بأهل الذمة. منهم جابر بن عبد الله وأنس بن مالك وسهل بن سعد. ثم عاد إلى مكة ونقلت عنه في ذم المدينة أقوال قبيحة أمره فيها إلى الله، وقيل: إن ولاية الحجاج المدينة وما دخل منها كانت سنة أربع وسبعين وأن عبد الملك عزل عنها طارقاً واستعمله. ثم هدم الحجاج بناء الكعبة الذي بناء ابن الزبير وأخرج الحجر منه وأعاده إلى البناء الذي أفرأه عليه النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه. ولم يصدق ابن الزبير في الحديث الذي رواه عن عائشة. فلما صلح عنده بعد ذلك قال: وددت أني تركته وما تحمل.

الحكم بن أيوب التقي وأمره أن يشتد على خالد بن عبد الله، ويبلغ الخبر فقسم في أهل البصرة ألف الف وخرج عنها. ويقال إن الحجاج أول من عاقب على التخلف عن البعث بالقتل قال الشبي: كان الرجل إذا أخل بوجهه الذي يكتب إليه زمن عمر وعشان وعلى تنزع عمامته ويقام بين الناس، فلما ول مصعب أضاف إليه حلق الرؤوس واللحى، فلما ول بشر أضاف إليه تعليق الرجل بمسارين في يده في حاطن فيخرق المسمازان يده وربما مات. فلما جاء الحجاج ترك ذلك كله وجعل عفوية من تحلى بعكانه من الثغر أو البعث القتل. ثم ول الحجاج على السندي سعيد بن أسلم بن زرعة فخرج عليه معاوية بن الحارث الكلابي العلاقي وأنحوه، فغلاه على البلاد وتلاه. فأرسل الحجاج مجاعة بن سعيد التميمي مكانه فغلب على الثغر وغزا وفتح فتوحات بمكران لستة من ولايته.

### وقوع أهل البصرة بالحجاج

ثم خرج الحجاج من الكوفة واستخلف عليها عروة بن المغيرة بن شعبة وسار إلى البصرة وقد هما خطب كما خطب بالكوفة وتوعد على القعود عن المهلب كما توعد فاتأه شريك بن عمرو السكري وكان به فت فاعذر به ويأن بشر بن مروان قبل عنده بذلك وأحضر عطاه ليرد ليت المال فضرب الحجاج عنقه وتتابع الناس مزدحين إلى المهلب ثم سار حتى كان بيته وبين المهلب ثمانية عشر فرسخاً، وأقام يشد ظهره وقال: يا أهل المهلب! هذا والله مكانكم حتى يهلك الله الخوارج. ثم قطع لهم الزيادة التي زادها مصعب في الأعطيه وكانت مائة. وقال: لست أنا نحيزها. فقال عبد الله بن الجارود: إنما هي زيادة عبد الملك لست أنا نحيزها. وقد أجازها أخوه بشر بأمره، فانتهت الحجاج فقال: إنني لك ناصح وإن قول من ورائي فمكث الحجاج أشهرأ لا يذكر الزيادة ثم أعاد القرول فيها فرد عليه ابن الجارود مثل الرد الأول.

قال له مضفلاً بن كرب العبدى: سمعاً وطاعة للأمير فيما أحبينا وكرهنا وليس لنا أن نزد عليه. فانته ابن الجارود وشتمه وأتى الوجوه إلى عبد الله بن حكيم بن زياد الجاشعي وقالوا: إن هذا الرجل يجمع على نقص هذه الزيادة وإننا نبايك على إخراجه من العراق، ونكتب إلى عبد الملك أن يولي علينا غيره وإلا خلعناه وهو يخافنا ما دامت الخوارج في العراق، فباعيده سراً وتعاهدوا ويبلغ الحجاج أمرهم فاحتاط وجده. ثم خرجوا في ربيع ستة وسبعين وركب عبد الله بن الجارود في عبد قيس على راياتهم ولم

أمور خراسان وما يحسن به طاعة أهله. وحضره غدر بكتير. وجاء معه إلى مرو فلم يعرض أمية لبكتير ولا لعمالة وعرض عليه شرطه فأبى، وقال: لا أحمل الجزية اليوم وقد كانت تحمل إلى بالأمس وأراد أن يوليه بعض النواحي من خراسان فحضره بكتير منه. ثم ول أمية ابنه عبد الله على سجستان فنزل بستا وغزا رتبيل الذي ملك على الترك بعد القتول الأول وكان هابياً للMuslimين فراسلهم في الصلح وبعث ألف الف وبعث بهدايا ورقين. فأبى عبد الله من قبولها وطلب الزيادة فجلا رتبيل عن البلاد حتى أوغل فيها عبد الله. ثم أخذ عليه الشعاب والمضايق حتى سال منه الصلح وأن يخلع عنده عن المسلمين فشرط رتبيل عليه ثلثمائة ألف درهم والعهد بأن لا يغزو بلادهم. فأعطاه ذلك ويبلغ الخبر بذلك عبد الملك فعزله.

### ولاية الحجاج العراق

ثم ول عبد الملك الحجاج بن يوسف على الكوفة والبصرة سنة خمس وسبعين وأرسل إليه وهو بالمدينة بأمره بالسير إلى العراق فسار على التعب في اثنى عشر راكباً حتى قدم الكوفة في شهر رمضان. وقد كان يبشر بعث المهلب إلى الخوارج فدخل المسجد وصعد المنبر وقال: علي بالناس فظنوا من بعض الخوارج فهموا به، حتى تناول عمير بن ضابي البرجمي الحصباء وأراد أن يمحصبه، فلما تكلم جعل الحصباء يسقط من يديه وهو لا يشعر به.

ثم حضر الناس فكشف الحجاج عن وجهه وخطب خطبته المعروفة. ذكرها الناس وأحسن من أوردها المارد في الكامل يهندد فيها أهل الكوفة ويتوعدونه عن التخلف عن المهلب. ثم نزل وحضر الناس عنده للطعام واللحاقي بالمهلب فقام إليه عمير بن ضابي وقال: أنا شيخ كبير علىي وأبني هذا أشد مني. فقال: هذا خير لنا منك. قال: ومن أنت؟ قال: عمير بن ضابي قال: الذي غزا عثمان في داره؟ قال: نعم. فقال: يا عدو الله.... إلى عثمان بدلاً. قال: إنه حبس أبي وكان شيئاً كبيراً. فقال: إنني لا أحب حياتك إن في تلك صلاح المصريين، وأمر به فقتل ونهب ماله. وقيل: إن عنبة بن سعيد بن العاص هو الذي أغري به الحجاج حين دخل عليه.

ثم أمر الحجاج مناديه فنادى إلا إن ابن ضابي مختلف بعد ثلاثة من النساء فأمرنا بقتله، وذمة الله بريشة من بنات الليلة من جند المهلب. فتساءل الناس إلى المهلب وهو بدار هرمز وجاءه العرفاء فأخذوا كتبه بموافقة العسكر. ثم بعث الحجاج على البصرة

لتحرضه عليه، فأطلقه عبد الملك وكان فيمن قتل مع ابن الجارود عبد الله بن أنس بن مالك. فقال الحاج: لا أرى أنساً يعين على. ودخل البصرة وأخذ ماله. وجاءه أنس فاسأله عليه وأفهش في شتمه وكتب أنس إلى عبد الملك يشكوه. فكتب عبد الملك إلى الحاج يشتمه ويغلظ عليه في التهديد على ما فعل بآنس. وأن تحيي إلى منزله وتتصل إيه وإلا نبعث من يضرب ظهرك وبهتك سترك. قالوا: وجعل الحاج في قرائته يتغير ويرتد وجيئه يرشح عرقاً. ثم جاء إلى أنس بن مالك واعتذر إليه. وفي عقب هذه الواقعة خرج الزنج بفرات البصرة، وقد كانوا خرجوا قبل ذلك أيام صعب ولم يكروا بالكثير وأفسدوا الشمار والزروع، ثم جمع لهم خالد بن عبد الله فاقتربوا قبل أن يقال منهم وقتل بعضهم وصلبه. فلما كانت هذه الواقعة قدموا عليهم رجالاً منهم اسمه رياح ويلقب بشير زنجي أي: أسد الزنج وأفسدوا. فلما فرغ الحاج من ابن الجارود أمر زياد ابن عمر صاحب الشرطة أن يبعث إليهم من يقاتلهم وبعث ابنه حفصاً في جيش فقتلوه وانهزم أصحابه فبعث جيشاً فهزم الزنج وأبادهم.

### مقتل ابن مخنف وحرب الخوارج

كان المهلب عبد الرحمن بن مخنف وافقين للخوارج برامهرمز فلما أمدhem الحاج بالعساكر من الكوفة والبصرة تأخر الخوارج من رامهرمز إلى كازرون وأتهمهم العساكر حتى نزلوا بهم. وختنق المهلب على نفسه، وقال ابن مخنف وأصحابه خدمنا سيفونا. فيتهم الخوارج وأصابوا الغرة في ابن مخنف فقاتل هو وأصحابه: حتى قتلوا، هكذا حدث أهل البصرة، وأما أهل الكوفة فذكروا أنهم لما ناهضوا الخوارج اشتقد القتال بينهم ومعال الخوارج على المهلب فاضطروه إلى مسكنه وأمره عبد الرحمن بالخيل والرجال.

ولما رأى الخوارج مدده تركوا من يشغل المهلب وقصدوا عبد الرحمن فقاتلوا وانكشفوا عنه، وصبر في سبعين من قمه فتابوا إلى عتاب بن ورقاء، وقد أمره الحاج أن يسمع للمهلب فتقتل ذلك عليه، فلم يحسن بينهما العشرة وكان يتراءف في الكلام، وربما أغلط له المهلب. فأرسل عتاب إلى الحاج يسأله القعود، وكان حرب الخوارج وشبيب قد اتسع عليه، فصادفها منه ذلك مرقاً واستقدمه وأمره أن يترك العسكر مع المهلب فولى المهلب عليهم ابنه حبيباً، وأقام يقاتلهم بني سبور نحوً من سنة وتحركت الخوارج على الحاج من لدن سنة ست وسبعين إلى

ي McCoy مع الحاج إلا خاصة وأهل بيته وبعث الحاج يستدعيه فافحش في القول لرسوله، وصرح بخلع الحاج فقال له الرسول: تهلك قومك وعشيرتك. وأبلغه تهديد الحاج ليه فضرر وأخرج وقال: لو لا أنك رسول لقتلتك.

ثم زحف ابن الجارود في الناس حتى غشي فسطاطه فنهبوا ما فيه من المئاع وأخذوا زجاجته وانصرفوا عنها. فكان رأيه أن يغدو ولا يقتله. وقال الغضبان بن أبي القعبي الشيباني لأن الجارود: لا ترجع عنه وحرضه على معاقبته. فقال: إلى الغداء، وكان مع الحاج عثمان بن قطن وزياد بن عمر العنكبي صاحب الشرطة بالبصرة، فاستشارهما فأشار زياد بان يستأمن القوم ويلحق بأمير المؤمنين. وأشار عثمان بالثبات ولو كان دونه الموت. وقال: لا تخرج إلى أمير المؤمنين من العراق بعد أن رقاك إلى ما رقاك وفعلت ما فعلت بابن الزبير في الحجاز. فقبل رأي عثمان وحقد على زياد في إشارته وجاءه عامر بن مسمع يقول: قد أخذ لك الأمان من الناس فجعل الحاج يغالطه رافعاً صوره عليه ليسمع الناس ويقول: والله لا آمنهم حتى تؤتوني بالهذلين بن عمران وعند الله بن حكيم. ثم أرسل إلى عبيد بن كعب الفهري أن اتيتني فامعني. فقال له: إن اتيتني منعتك قلبي ويعت إلى محمد بن عمير بن عطارد وعبد الله بن حكيم مثل ذلك، وأجابه مثله. ثم إن عباد بن الحصين الجفطي مر بباب الجارود والمذيل وبعد الله بن حكيم يتاجرون فطلب الدخول معهم فأبوا وغضب وسار إلى الحاج وجاهه قتيبة بن مسلم في بيته أصغر للحجية القتيبة. ثم جاءه سرة بن علي الكلابي وسعيد بن أسلم الكلابي وجعفر بن عبد الرحمن بن مخنف الأزدي، ثابت إليه نفسه وعلم أنه قد امتنع. وأرسل إليه مسمع بن مالك بن مسمع إن شئت أتيتك وإن شئت أقمت ونبطت عنك، فأجابه أن أقم فلما أصبح إذا حوله ستة آلاف. وقال ابن الجارود لعبد الله بن زياد بن ضبيان: ما الرأي؟ قال: تركه أمس ولم يبق إلا الصبر.

ثم تراجعوا وعي ابن الجارود وأصحابه على ميمنة المذيل وعلى ميسره سعيد بن أسلم، وحمل ابن الجارود حتى حاصر أصحاب الحاج وعطف الحاج عليه فقارب ابن الجارود أن ينفر. ثم أصحاب سهم غَرِبَ فوق بيته. ونادي منادي الحاج بأمان الناس إلا المذيل وابن الحكيم وأمر أن لا يتبع المنزهين، ولحق ابن ضبيان بعمار فهلك هنالك. وبعث الحاج برسأس ابن الجارود ورأس ثانية عشر من أصحابه إلى الملك ونصبت ليراهما الخوارج ليتأسوا من الاختلاف وحسن الحاج عبيد بن كعب وعمد بن عمير لامتعهما من الإيتان إليه وحبس ابن القعبي

ورقاء فمعه، ثم أمره بالتجهز لغزو ما وراء الهر، فحضره منه مجير فرده ف捨ب بكيـرـ ثم تجهـزـ أمـيـةـ لـغـزوـ غـارـاـ، وـمـوـسـىـ بنـ عـبـدـ اللـهـ بنـ حـازـمـ لـتـرـمـذـ وـاسـتـخـلـفـ اـبـيـهـ عـلـىـ خـرـاسـانـ. فـلـامـ أـرـادـ قـطـعـ الـنـهـرـ قالـ لـبـكـيـرـ: إـرـجـعـ إـلـىـ مـرـوـ فـأـكـفـنـهـاـ فـقـدـ وـلـيـكـهـاـ، وـقـمـ بـأـمـرـ اـبـنـ حـازـمـ فـإـلـيـ أـخـشـيـ أـنـ لـاـ يـضـطـبـهـاـ. فـاتـخـبـ مـنـ وـثـقـ بـهـ مـنـ أـصـحـابـهـ وـرـجـعـ إـلـىـ مـرـوـ فـيـخـلـعـ أـمـيـةـ، وـوـافـقـ الـأـحـنـفـ بـنـ عـبـدـ اللـهـ الـعـنـبـرـيـ عـلـىـ ذـلـكـ. فـقـالـ لـهـ بـكـيـرـ: أـخـشـيـ عـلـىـ مـنـ مـعـيـ. قـالـواـ: نـاتـيـكـ مـنـ أـهـلـ مـرـوـ بـنـ تـشـاءـ، قـالـ: يـهـلـكـ الـسـلـمـونـ. قـالـ: نـادـ فـيـ النـاسـ بـرـفعـ الـخـرـاجـ فـيـكـونـونـ مـعـكـ. قـالـ: فـيـهـلـكـ أـمـيـةـ وـأـصـحـابـهـ. قـالـ لـهـ: عـدـدـ وـعـدـدـ يـقـاتـلـونـ عـنـ أـنـسـهـمـ حـتـىـ يـلـغـواـ الصـينـ فـأـحـرـقـ بـكـيـرـ السـفـنـ وـرـجـعـ إـلـىـ مـرـوـ فـخـلـعـ أـمـيـةـ وـجـبـسـ اـبـنـهـ. وـبـلـغـ اـخـبـرـ أـمـيـةـ فـصـالـحـ أـهـلـ الشـامـ بـخـارـيـ وـرـجـعـ وـأـمـرـ بـالـخـاـذـ السـفـنـ وـعـبـرـ وـجـاهـ مـوـسـىـ بـنـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ حـازـمـ مـنـ مـدـداـلـهـ وـيـعـثـ شـمـاسـ بـنـ وـرـقاءـ فـيـ ثـمـاثـةـ فـيـ مـقـدـمـتهـ فـيـتـهـ بـكـيـرـ وـهـزـمـهـ، فـبـعـثـ مـكـانـهـ ثـابـتـ بـنـ عـطـيـةـ فـهـزـمـهـ. ثـمـ التـقـيـ أـمـيـةـ وـبـكـيـرـ فـاقـتـلـوـ اـبـيـاـمـاـ. ثـمـ انـهـزـمـ بـكـيـرـ إـلـىـ مـرـوـ وـحـاصـرـهـ أـمـيـةـ اـبـيـاـمـاـ حـتـىـ سـأـلـ الـصـلـحـ عـلـىـ وـلـاـيـةـ مـاـ شـاءـ مـنـ خـرـاسـانـ، وـأـنـ يـقـضـيـ عـنـ أـرـبـعـمـائـةـ الـفـ دـيـنـ، وـيـصـلـ أـصـحـابـهـ لـاـ يـقـبـلـ فـيـ سـعـاـيةـ بـكـيـرـ فـتـمـ الـصـلـحـ وـدـخـلـ أـمـيـةـ مـدـيـنـةـ مـرـوـ وـأـعـادـ بـكـيـرـ إـلـىـ مـاـ كـانـ عـلـيـهـ مـنـ الـكـرـامـةـ وـأـعـطـيـ عـتـابـ الـعـدـائـيـ عـشـرـيـنـ الـفـ وـعـزـلـ بـكـيـرـ عـنـ شـرـطـهـ بـعـطـاءـ بـنـ اـبـيـ السـائـبـ. وـقـيلـ: إـنـ بـكـيـرـاـ لـمـ يـصـحـبـ أـمـيـةـ إـلـىـ الـنـهـرـ إـلـاـ اـسـتـخـلـفـهـ عـلـىـ مـرـوـ فـلـمـاـ عـرـ أـمـيـةـ الـنـهـرـ خـلـعـ وـقـعـلـ مـاـ فـعـلـ. ثـمـ إـنـ بـكـيـرـاـ سـعـيـ بـأـمـيـةـ بـأـبـيـهـ بـأـدـعـهـ إـلـىـ الـخـلـافـ وـشـهـدـ عـلـيـهـ جـمـاعـةـ مـنـ أـصـحـابـهـ، وـأـنـ مـعـهـ اـبـيـهـ. فـقـبـضـ عـلـيـهـ أـمـيـةـ وـقـتـلـهـ وـقـلـ مـعـهـ اـبـيـهـ وـذـلـكـ سـتـةـ سـعـيـ وـسـبعـيـنـ. ثـمـ عـرـ الـنـهـرـ لـغـزوـ بـلـغـ فـصـرـهـ الـتـرـكـ حـتـىـ جـهـدـ هـوـ وـعـسـكـرـهـ وـأـشـرـفـواـ عـلـىـ الـمـلـاـكـ ثـمـ نـجـواـ وـرـجـعواـ إـلـىـ مـرـوـ.

مقتل مجیر بن زياد

سنة ثمان وشغل بحريهم وأول من خرج منهم صالح بن سرح منبني تميم. بعث إليه العساكر فقتل فولوا عليهم شيئاً واتبعه كثير من بنى شيبان وبعث إليهم الحاج العساكر مع الحارث بن عميرة ثم مع سفيان الخثعمي ثم الخدر ابن سعيد فهزموها وأقبل شبيب إلى الكوفة فحاربهم الحاج وامتنع ثم سرح عليه العساكر ويعث في أثرهم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فهزموهم. ثم بعث عتاب بن ورقه وزهرة بن حوية مددأ لهم فانهزموا وقتل عتاب وزهرة ثم قتل شبيب واختلف المخوارج بينهم وقتل منهم جماعة كما يذكر ذلك كله في أخبارهم.

ضرب السكة الإسلامية

كان عبد الملك كتب في صدر كتابه إلى الروم: **﴿فَلَنْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾** وذكر النبي مسح التاریخ، فنکر ذلك ملك الروم وقال: اتروکه ولا ذکرناه نبیکم فی دنایرنا بما تکرهون، فعظم ذلك عليه واستشار الناس فاشار عليه خالد بن يزید بضرب السکة وترك دنایرهم فعمل. ثم نقش الحاجاج فيها **﴿فَلَنْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾**. ذکرہ الناس ذلك لأنّه قد قیسها غير الظاهر، ثم بالغ في تحلیص الذهب والفضة من الغش. وزاد ابن هبیرا أيام يزید بن عبد الملك عليه. ثم زاد خالد القسری عليهم في ذلك أيام هشام. ثم أفرط يوسف بن عمر من بعدهم في المبالغة وامتحان العيار وضرب عليه فکانت الهبیرة والخالدية والیوسفیة أجود نقود بني أمیة. ثم أمر المنصور أن لا يقبل في الخراج غيرها وسمیت النقود الأولى مکروھة إما لعدم جودتها أو لما نقش عليها الحاجاج وکرھه. وكانت دراهم العجم مختلفة بالصغر والکبر، فکان منها مثقال وزن عشرين قیراطاً واثنتي عشر وعشرة قراریط وهي أنصاف الشاقیل. فجمعوا قراریط الأنصاف الثلاثة فکانت اثنین وأربعین فجعلوا ثلثاً وهو اثنا عشر قیراطاً وزن الدرهم العربي فکانت كل عشرة دراهم تزن سبعة شاقیل. وقيل: إن مصعب بن الزیر ضرب دراهم قلیلة أيام أخيه عبد الله والأصح أن عبد الملك أول من ضرب السکة في الإسلام.

مقتطفات از کتاب

قد تقدم لنا عزل بكيٰ عن خراسان وولاية أمية بن عبيد الله بن خالد بن أبي سعيد سنة أربع وسبعين وأن بكيٰ أقام في سلطان أمية بخراسان وكان يكرمه ويدعوه لولاية ما شاء من أعمال خراسان فلا يحيط، وأنه ولاد طخارستان، وتجهز لها فيه بغير بن

الرائعة والسلاح الكامل. وبعث عليهم عبد الرحمن بن عبد الله الأشعث وكان يبغضه ويقول: أريد قتيلاً. وبخبر الشعبي بذلك عبد الرحمن فيقول: أنا أزيله عن سلطانه، فلما بعثه على ذلك الجيش تنصح آخره إسماعيل للحجاج وقال: لا تبعثه فلاني أخشى خلافه. فقال: هو أهيب لي من أن يخالف أمري. وسار عبد الرحمن في الجيش وقُتل سجستان واستفرهم وحضر العقوبة لمن يتعدى. وساروا جيئاً إلى بلاد رتيل وبذل الخراج فلم يقبل منه ودخل بلاده فموارها شيئاً فشيئاً. وبعث عماله عليها ورجع المصالح بالتوابي والأرصاد على العقاب والشعوب، وأستنادات أيدي الناس من الثنائي، ومنع من التوغل في البلاد إلى قابل. وقد قيل في بعث عبد الرحمن بن الأشعث غير هذا. وهو أن الحجاج كان قد أنزل هميان بن عدي السدي مسلحة بكرمان أن احتاج إليه عامل السندي وسجستان، فعمي هميان ببعث الحجاج عبد الرحمن بن الأشعث فهزمه وقام بوضعه. ثم مات عبد الله بن أبي بكرة فولاه الحجاج مكانه وجهز إليه هذا الجيش وكان يسمى جيش الطواويس لحسن زيهم.

### أخبار ابن الأشعث ومقتله

ولما وصل كتاب ابن الأشعث إلى الحجاج كتب إليه يربخه على القعود عن التوغل وياصره بالمضي لما أمره به من هدم حصونهم وقتل مقاتليهم وسي ذارتهم. وأعاد عليه الكتاب بذلك ثانيةً وثالثاً وقال له: إن مضيت وإلا فاخترك إسحاق أمير الناس. فجمع عبد الرحمن الناس ورد الرأي عليهم وقال: قد كنا عزمنا جيئاً على ترك التوغل في بلد العدو ورأينا رأياً وكتب بذلك إلى الحجاج وهذا كتابه يستحزني ويستضعفني وياصرني بالتوغل بكم وأنا رجل منكم، فثار الناس و قالوا: لا نسمع ولا نطيع الحجاج. وقال أبو الطفيلي عامر بن وائلة الكناني: أخلعوا عدو الله الحجاج وياصروا الأمير عبد الرحمن فتداري الناس من كل جانب: فعلنا فعلنا. وقال عبد المؤمن بن شبيب بن رعيي: انصرفوا إلى عدو الله الحجاج فانفروه عن بلادكم ووئب الناس إلى عبد الرحمن على خلع الحجاج ونفيه من العراق وعلى الصرة له ولم يذكر عبد الملك.

وصالح عبد الرحمن رتيل على أنه إن ظهر فلا خراج على رتيل ما بقي من الدهر، وإن هزم منه يربده. وجعل عبد الرحمن على سبّت عياض بن هميان الشيباني وعلى رومج عبد الله بن عامر التميمي، وعلى كرمان حرثة بن عمر التميمي. ثم

عند المهلب في قميص ورداء ودنا ليكلمه فطعنه ومات من الغد. وقال صعصعة: فمنعته مقاعضاً وقالوا: أخذ بشارة فحمل المهلب دم صعصعة وجعل دم بجير بيكيه. وقيل: إن المهلب بعثه إلى بجير فقتله والله أعلم وكان ذلك سنة إحدى وثمانين.

### ولاية الحجاج على خراسان وسجستان

وفي سنة ثمان وسبعين عزل عبد الملك أمية بن عبد الله عن خراسان وسجستان وضمها إلى الحجاج بن يوسف. فبعث المهلب بن أبي بكرة على خراسان وقد كان فرغ من حرب الأزارقة فاستدعاه وأجلسه معه على السرير، وأحسن إلى أهل البلاد من أصحابه وزادهم وبعث عبد الله بن أبي بكرة على سجستان. فلما مُهلب فقدم ابنه حبيباً إلى خراسان فلم يعرض لأمية ولا لعماله حتى قدم أبوه المهلب بعد سنة من ولاته، وسار في خمسة آلاف وقطع النهر الغربي وما وراء النهر، وعلى مقدمته أبو الأدهم الرمانى في ثلاثة آلاف، فنزل على كشن وجاءه ابن عمر الحسن يستتجده على ابن عممه، فبعث معه ابنه يزيد. فبيت ابن العم عساكر الحتن وقتل الملك وجاهه صرّيريد قلعتهم حتى صالحوا بما راضى، ورجع. وبعث المهلب ابنه حبيباً في أربعة آلاف ووافى صاحب بخارى في أربعين الفاً. وكبس بعض جنده في قرية فقتلهم وأحرقها ورجع إلى أبيه.

وأقام المهلب بحاصر كشن ستين حتى صالحوه على فدية. وألما عبد الله بن أبي بكرة فآتى سجستان ورتيل على صلحه يؤدي الحجاج. ثم امتنع فامر الحجاج ابن أبي بكرة فغزو واسباحوا بلاده، فسار في أهل مصرین وعلى أهل الكوفة شريح بن هانى من أصحاب علي، فدخل بلاد رتيل وتغلب فيها حتى كانوا على ثمانية عشر فرسخاً من مدیتهم وأتاختن واسباح وحرب القرى والمحصون. ثم أخذ الترك عليهم القرى والشعوب حتى ظنوا الملكة فصالحهم عبد الله على الخروج من أرضهم، على أن يعطيهم سبعمائة ألف درهم. وذكر ذلك عليه شريح ولبي إلا القتال وحرض الناس ورجع. وقتل حين قتل بناس من أصحابه ونجا باقون وخرجوا من بلاد رتيل، ولقيهم الناس بالأطعمة فكانوا يموتون إذا شبعوا. فجعلوا بطعمونهم السمن قليلاً قليلاً حتى استمرا وكتب الحجاج إلى عبد الملك يستاذنه في غزو بلاد رتيل فاذن له فجهز عشرين ألف فارس من الكوفة وعشرين ألفاً من البصرة واختار أهل الغنى والشجاعة، وأزاح عليهم وأنفق فيهم ألف سوي أعطيائهم، وأخذهم بالخيل

عاماً لعبد الملك. فرجم الحجاج لذلك وكتب إلى عبد الملك: أن هذا مما يزيدهم جراءة وذكره بقضية عثمان وسعيد بن العاص. فأبى عبد الملك من رأيه وعرض عبد الله ومحمد بن مروان ما جاء به عبد الملك وتشاور أهل العراق بينهم وأشار عليهم عبد الرحمن بقبول ذلك، وأن العزة لهم على عبد الملك لا تزول، فترثوا من كل جانب منكرين لذلك ومجددين الخلع.

وتقدمهم في ذلك عبد الله بن دواب السلمي وعمير بن تيحان، ثم بزوا للقتال. وجعل الحجاج على ميمنته عبد الرحمن بن سليم الكلبي، وعلى ميسرته عمارة بن غيمس اللخمي، وعلى الخيل سفيان بن الأبرد الكلبي، وعلى الرجال عبد الله بن حبيب الحكمي. وجعل عبد الرحمن على ميمنته الحجاج بن حارثة الشعيمي، وعلى ميسرته الأبرد بن قرة التميمي، وعلى خيله عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وعلى رجاله محمد بن سعد بن أبي وقاص، وعلى مجتبه عبد الله بن رزم الحرشمي، وعلى القرى جبلة بن زخر بن قيس الجعفي وفيهم سعيد بن جير وعامر الشبيبي وأبو البختري الطائي وعبد الرحمن بن أبي ليلى. ثم أقاموا يتراحون كل يوم ويقتلون بقية ستمهم، وكيبة القرى معروفة بالصبر يحملون عليها فلا تنتص.

فبعي الحجاج ثلاث كتائب مع الجراح بن عبد الله الحكمي وحملوا على القرى ثلاثة حلات وجبلة يحرض القرى وبيتهم والشعبي وسعيد بن جير كذلك. ثم حملوا على الكتائب ففرقها وأزالوها عن مكانتها وتاخر جبلة عنهم ليكون لهم فتحة يرجعون إليها، وأبصره الوليد بن خبيب الكلبي فقصده في جامعة من أهل الشام وقتله وجيء برأسه إلى الحجاج وقدموا عليهما مكانه وظهر القتل في القرى. ثم أقتلوا بعد ذلك ما يزيد على مائة يوم كثر فيها القتلى والبارزة. ثم اقتلوا يوماً في متصرف جنادى الآخرة وحمل سفيان بن الأبرد في ميمنة الحجاج على ميسرة عبد الرحمن فانهزم الأبرد بن قرة من غير قتال فتقوست صروف الميمنة، وركبهم أصحاب الحجاج، ثم انهزم عبد الرحمن وأصحابه. ومضى الحجاج إلى الكوفة ومحمد بن مروان إلى الموصل وعبد الله بن عبد الملك إلى الشام.

وأخذ الحجاج الناس على أن يشهدوا على أنفسهم بالكفر، وقتل من أبي ذلك. ودعا بكميل بن زياد صاحب علي فقتله لاقتاصده. ثم أقام بالكوفة شهراً وأنزل أهل الشام في بيوت أهل الكوفة، ولحق ابن الأشعث بالبصرة فاجتمع إليه جموع المهزومين ومعه عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة ولحق به محمد بن سعد بن أبي وقاص بالمدان، وسار نحو الحجاج ومعه سطمان بن مصقلة

سار إلى العراق في جموعه وأعشى همدان بين يديه يجري بمدحه وذم الحجاج. وعلى مقدمته عطية بن عمير العبرني. ولما بلغ فارس بدا للناس في أمر عبد الملك وقالوا: إذا خلعتنا الحجاج فقد خلعناء فخلعه الناس وباعوا عبد الرحمن على السنة وعلى جهاد أهل الصلاة والمخلين وخليمه.

وكتب الحجاج إلى عبد الملك يخبره ويستمدءه وكتب المهلب إلى الحجاج بأن لا يعرض أهل العراق حتى يسقطوا إلى أهليهم، فنكر كتابه واتهمه. وجند عبد الملك الجندي إلى الحجاج فساروا إليه متابعين، وسار الحجاج من البصرة فنزل تشرُّ ويعث مقدمته خيل فهزهم أصحاب عبد الرحمن بعد قتال شديد وقتل منهم جماعاً كثيراً وذلك في أحصي إحدى وثمانين، وأفشل الحجاج إلى البصرة، ثم تأخر عنها إلى الغاوية وراجع كتاب المهلب فعلم نصيحته. ودخل عبد الرحمن البصرة فبايعه أهلاها وسائر نواحيها لأن الحجاج كان اشتاد على الناس في المخراج، وأمر من دخل الأمصار أن يرجع إلى القرى، يستوفي الجزية، فنكر ذلك الناس وجعل أهل القرى يكترون منه، فلما قدم عبد الرحمن بسايده على حرب الحجاج وخلع عبد الملك.

ثم اشتاد القتال بينهم في المحرم سنة اثنين وثمانين، وتزاحفوا على حرب الحجاج وخلع عبد الملك. وانهزم أهل العراق وقصدوا الكوفة وانهزم منهم خلق كثير. وفشا القتل في القرى فقتل منهم عقبة بن عبد الغافر الأزدي في جماعة استلهموا معه، وقتل الحجاج بعد المهزيمة منهم عشرة آلاف وكان هذا اليوم يسمى يوم الراوية. واجتمع من يقي بالبصرة على عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب وبابعوه، فقاتل بهم الحجاج خمس ليال ثم لحق بابن الأشعث بالكوفة ربيعة طائفنة من أهل البصرة.

ولما جاء عبد الرحمن الكوفة وخليفة الحجاج عليها عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن عبد الله الحضرمي وثبت به مطر بن ناجية من بني تميم مع أهل الكوفة، فاستولى على القصر وأخرجه. فلما وصل ابن الأشعث لقيه أهل الكوفة واحتضنه به همدان. وجاء إلى القصر فمنعه مطر فصعد الناس القصر وأخذوه فحبسه عبد الرحمن وملك الكوفة. ثم إن الحجاج استعمل على البصرة الحكم بن أبيوب التقي ورجع إلى الكوفة فنزل دوير فيرة، ونزل عبد الرحمن دير الجمامي واجتمع إلى كل واحد أ마다ه وخدنق على نفسه. ويعث عبد الملك ابنه عبد الله وأخاه محمدًا في جند كثيف وأمرهما أن يعرضا على أهل العراق عزل الحجاج ويخبرى عليهم أعطياتهما كأهل الشام، وينزل عبد الرحمن إلى أي بلد شاء

بن سمرة فخشى الانتقاض وقال: إنما أتيكم وأمركم جميعاً وإنما الآن منصرف إلى صالح الذي جئت من عنده يعني: رتبيل. ورجع عنهم في قليل. وبقي معظم العسكر مع عبد الرحمن بن العباس بسجستان، فجمع بابن الأشعث وسار إلى خراسان في عشرين ألفاً ونزل هرة ولقوا الرقاد فقتلوه.

وبعث إليه يزيد بن المهلب بالرحلة من البلاد، فقال إنما زلنا لستريح ونرتحل. ثم أخذني في الجيادة وسار نحوه يزيد بن المهلب والتلقوا فافتقر أصحاب عبد الرحمن عنه، وصبرت معه طائفة ثم انهزموا وأمر يزيد بالكف عنهم وغشم ما في عسكرهم وأسر جماعة منهم فيهم: محمد بن سعد بن أبي وقاص وعمير بن موسى بن عبد الله بن معمر وعباس بن الأسود بن عوف والهلاقم بن نعيم بن القعاع بن معبد بن زارة، وفiroز وأبو لعلج مولى عبد الله بن معمر وسوار بن مروان وعبد الله بن طلحة الطلحات، وعبد الله بن فضالة الزهري الأزدي. ولحق عبد الرحمن بن العباس بالسند وأنى ابن سمرة إلى مرو وانصرف يزيد إلى مرو. وبعث بالأسرى إلى الحجاج مع سيدة بن نجد، وقال له آخره حبيب: لا تبعث عبد الرحمن بن طلحة؟ فإن له عندنا يدين، وقد ودى عن المهلب أبو طلحة مائة ألف، فتركه وترك عبد الله بن فضالة لأنه من الأزد. وبعث الباقين وقدموا عليه بمكان واسط قبل بناها فدعا بيروز وقال: ما أخرجك مع هؤلاء وليس بيتك وبينهم نسب. قال: فنتأ عمت الناس! قال: أكب أموالك فكتب النبي ألف وأكثر. فقال للحجاج: وإنما على دمي؟ قال: لا والله لنؤديها ثم أقتلك. قال: لا تجمع مالي ودمي وأمر به فتحي.

ثم أحضر محمد بن سعد بن أبي وقاص فرمي طويلاً ثم أمر به فقتل ثم دعا بعمر بن موسى فرمي ولاطفه في العذر فلم يقبل ثم أمر به فقتل. ثم أحضر الهلاقم بن نعيم فرمي. الأشعث طلب المالك فما الذي طلبت أنت؟ قال: أن تولي في العراق مكانك فأمر به فقتل. ثم أحضر عبد الله بن عامر فقتل في عبد الله بن يزيد بن المهلب لأنه أطلق قومه من الأسر وقاد نحوه مطرأً فأطرق الحجاج، ثم قال: ما أنت وذاك؟ ثم أمر به فقتل فلم يزل في نفسه من يزيد حتى عزله. ثم أمر بيروز فصلب ولما أحسن بالموت قال: أظهروني للناس ليروا علي ودائني فلما ظهر نادي من كان لي عنده شيء فهو في حل فأمر به فقتل. وأمر بقتل عمر بن فهر الكندي وكان شريفاً، وأحضر أعشى همدان واستشهد قصيده بين الأنثاج وبين قيس، وفيها تعريض ابن الأشعث وأصحابه فقال: ليست هذه وإنما التي بين الأنثاج وبين قيس بارق على روبي الدال. فأنشد قلماً بلغ قوله: يخ بخ للوالدة

بن هيرة الشيباني كان قد عليه قبل المزينة من الري وكان انتقض بها ثم غلب عليها ولحق عبد الرحمن فكان معه. وباع عبد الرحمن خلق كثير على الموت، وزُل مسكن وختنق عليه وعلى أصحابه والحجاج قبالتهم وقاتلهم خالد بن جرير بن عبد الله. وكان قد من خراسان في بعث الكوفة، فقاتلهم خمسة عشر يوماً من شعبان أشد قتال، وقتل زياد بن غنيم القبي. وكان على صالح الحجاج فهد من ثم أبي بكر القتال. وحمل بسطام بن مصطفى بن هيرة في أربعة آلاف من فرسان الكوفة والبصرة، كسرروا جفون سيفونهم وحملوا على أهل الشام فكشفوهم مراراً وأحاط بهم الرماة ولحقوا فقتلوا.

وحمل عبد الملك بن المهلب على أصحاب عبد الرحمن فكشفوهم. ثم حمل أصحاب الحجاج من كل جانب فانهزم عبد الرحمن وأصحابه وقتل عبد الرحمن بن أبي ليلي الفقيه، وأبو البختري الطائي ومعلى بن الأشعث نحو سجستان. ويقال: إن بعض الأعراب جاء إلى الحجاج فدلهم على طريق من وراء معسكر ابن الأشعث فبعث معه أربعة آلاف جاؤوا من ورائه، وأصبح الحجاج فقاتله واستطرد له حتى نهب معسكره. وأقبلت السرية من الليل إلى معسكر ابن الأشعث وكان الغرقى منهم أكثر من القتلى، وجاء الحجاج إلى المعسكر فقتل من وجد فيه وكان عدة القتلى أربعة آلاف: منهم عبد الله بن شداد بن الهادي وسليمان بن مصطفى وعمر بن ربيعة الرفاعي وبشر بن المنذر بن الجارود وغيرهم.

ولما سار ابن الأشعث إلى سجستان أتبعه الحجاج بالعساكر، وعليهم عمارة بن تيم التخمي، ومعهم محمد بن الحجاج فأدركوه بالسوس فقاتلوا وانهزم إلى سابر واجتمع إليه الأكراد وقاتلوا العساكر قتالاً شديداً فهزيم، وخرج عمارة ولحق ابن الأشعث بكروماني فلقيه عامله بها وهيا له التزول فنزل. ثم رحل إلى زرنج فمنعه عامله من الدخول، فحاصرها أياماً ثم سار إلى بست وعليها من قبله عياض بن هميان بن هشام السلوبي الشيباني، ثم استغلها فاوقة. وكان رتبيل ملك الترك قد سار ليستقبله، ونزل على بست وتهدد عياضاً فاطلقه، وحمل رتبيل إلى بلاده وأنزله عنده.

واجتمع النهزمون فاتفقوا على قصد خراسان لينموا بعشرتهم وقصدوا للصلة عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث، وكبراً إلى عبد الرحمن بن الأشعث يستقدمونه فقدم عليهم وثناهم عن قصد خراسان خلافة من سطوة يزيد بن المهلب وأن يجتمع أهل الشام وأهل خراسان فأبوا وقالوا: بل يكثرا بها تابعنا. فسار معهم إلى هرة فهرب عنهم عبد الله بن عبد الرحمن

قد كنا قدمنا حصار المهلب مدينة كش من وراء النهر فأقام

عليها ستين، وكان استخلف على خراسان ابنه المغيرة فمات ستة اثنين وثمانين، فجزع عليه وبعث ابنه يزيد إلى مرو ومكنته في سبعين فارساً، ولقيهم في مفارزة نصف جم من الترك يقاربون الخمسةمائة فقاتلوا لهم قتالاً شديداً يطلبون ما في أيديهم والمغيرة يمتنع حتى أطعى بعض أصحابه لبعضهم شيئاً من المتع والسلاح، ولحقوا بهم وحق يزيد بعرو. ثم سأله أهل كشن من المهلب الصلح على مال يعطونه، فاسترهن منهم رهناً من أبنائهم في ذلك، وانقلب المهلب وخلف حرث بن قطنة مولى خزاعة ليأخذ الفدية ويرد الرهن، فلما صار يليخ كتب إليه: لا تخل الرهن وإن قبضت الفدية حتى تقدم أرض بلخ لثلاً يغيروا عليك. فأفأرا صاحب كشن كتابة وقال: إن عجلت أعطيتك الرهن، وأقول له جاء الكتاب بعد إعطائه.

فعجل صاحب كشن بالفدية وأخذ الرهن وعرض له الترك كما عرضوا ليزيد وقاتلهم فقتلهم وأسر منهم أسرى، فقدموا فرداً فرداً وأطلقهم. وما وصل إلى المهلب ضربه ثلاثة سوطاً عقوبة على مخالفة كتابه في الرهن. فخلف حرث أن ابن قطنة ليقتلن المهلب، وخاف ثابتاً إن كان ذلك المسير إليه. فبعث إليه المهلب أخيه ثابت بن قطنة يلطفه فلابي وخلف ليقتلن المهلب، وخاف ثابت إن كان ذلك أن يقتلوه جميعاً فأشار عليه باللهاق.

موسى بن عبد الله بن حازم، فلتحق به في ثلاثة أيام من أصحابها. ثم هلك المهلب واستخلف ابنه يزيد، وأوصى ابنه حبيباً بالصلة وأوصى ولده جيماً بالاجتماع واللفة، ثم قال: أوصيكم بتقوى الله وصلة الرحم فإنها تنسى في الأجل وتثير المال وتكتثر العدد وأنها حرام عن القطيعة فإنها تعقب النار والذلة والقلة، وعليكم بالطاعة والجماعة ولتكن فعالكم أفضل من مقالكم. واقروا الجواب وزلة اللسان فإن الرجل تزل قدمه فيئيش ويزل لسانه فيهلك واعرفوا من يغشكم حقه ففكفي بعده الرجل ورواحه إليكم تذكرة له. وأثاروا الجلد على البخل وأوحوا العرف واصنعوا المعروف، فإن الرجل من العرب تعدد العدة فيموت فكيف بالصنيعة عنده. وعليكم في الحرب بالتزدة والنكيدة فإنها انفع من الشجاعة، وإذا كان اللقاء نزل القضاء وإن أخذ الرجل بالحزم فظفر قبل أتى الأمر من وجهه فظفر، وإن لم يظفر قيل ما فرط ولا ضيع ولكن القضاء غالب. وعليكم بقراءة القرآن وتعلم السنن وأداب الصالحين وإياكم وكثرة الكلام في مجالسكم. ثم مات وذلك ستة اثنين وثمانين.

ويقال: إنه لما حثهم على الإلقاء والاجتماع أحضر سهاماً

للملوك. قال: والله لا تخجع بعدها أبداً وقتل.

وسأل الحاج عن الشعبي فقال له يزيد بن أبي مسلم إنه لحق بالري فكتب إلى قتيبة بن مسلم وهو عامله على الري بإرسال الشعبي. فقدم على الحاج ستة ثلاث وثمانين، وكان ابن أبي مسلم له صديقاً فأشار عليه بحسن الاعتذار. فلما دخل على الحاج سلم عليه بالإمرة وقال: وابن الله لا أقول إلا الحق قد والله حرضنا وجهتنا فما كنا أقرباء فجرة، ولا أقرباء ببرة، وقد نصرك الله وظفرت فإن سلطوت فبنينا وإن غفت بحملك والحجارة لك علينا. فقال الحاج: هذا والله أحب إلى من يقول ما شهدت ولا فعلت وسيقه يقطر من دمائنا. ثم أنه وانصرف.

ولما ظفر الحاج بباب الأشعث وهزمه لحق كثير من المهزمين بعم بن الصلت وقد كان غلب على الري في تلك الفتنة. فلما اجتمعوا أرادوا أن يمحظوا عند الحاج ويهربوا عن أنفسهم ذهب الجمجم فأشاروا على عمر مخلع الحاج فامتنع فلنسوا عليه أباه فل JACK. ولما سار قتيبة إلى الري خرجوا مع عمر لقتاله ثم غدروا به فانهزم، وتحققت بطرستان وأقره الأصبهيد وأحسن إليه، وأرادوا الوثوب على الأصبهيد فشاور أباه وقال: قد علمت الأعاجم أنى أشرف منه فمنعه أبوه ودخل قتيبة الري وكتب الحاج إلى الأصبهيد أن يبعث بهم أو برؤوسهم ففعل ذلك.

ولما انصرف عبد الرحمن بن الأشعث من هرة إلى رتيل قال له علقة بن عمر الأزدي: لا ادخل معك دار الحرب لأن رتيل إن دخل إليه الحاج فيك وفي أصحابك تقتلهم أو أسلفك إليهم، ونخن خمسة وسبعين يوماً وقد تباعنا على أن تتحصن بمدينة حتى نأمن أو نموت كراماً وقد عليهم مودود البصري، وزحف إليهم عمارة بن تميم اللخمي وحاصرهم حتى استأمنوا فخرجوا إليه وفلاهم وتتابعت كتب الحاج إلى رتيل في عبد الرحمن يرهبه ويرغبه. وكان عبيد بن سعيم التميمي من أصحاب ابن الأشعث، وكان رسوله إلى رتيل أولاً، فأئس به رتيل وزحف عليه وأغرى القاسم بن الأشعث أخيه عبد الرحمن بقتله فخافه وزين لرتيل أخذ العهد من الحاج وأسلام عبد الرحمن إليه على أن يكف عن أرضه سبع سنين فأجا به رتيل وخرج إلى عمارة سراً. وكتب عمارة إلى الحاج بذلك فأجاب وكتب له بالكشف عنه عشر سنين، وبعث إليه رتيل برأس عبد الرحمن وقيل: مات بالسل قطع رأسه وبعث به، وقيل: أرسله مقيداً مع ثلاثة من أهل بيته إلى عمارة فالق عبد الرحمن نفسه من سطح القصر فمات، فبعث عمارة برأسه وذلك ستة أربع أو خمس وثمانين.

قال: فما تجدون صفة ملكتنا؟ قال: صفتة كذا. قال: ثم من؟ قال: آخر اسمه الوليد. قال: ثم من؟ قال: آخر اسمه تقفي. قال: فمن تجد بعدي؟ قال: رجل يدعى بزيد. قال: أتعرف صفتة؟ قال: لا أعرف صفتة إلا أنه يغدر غدرة. فوق في نفس الحاجاج أنه بزيد بن المهلب ووجل منه وقدم على عبد الملك. ثم عاد إلى خراسان وكتب إلى عبد الملك يذم بزيد وأآل المهلب وأنهم زبيرة فكتب إليه أن وفاهم لأآل التبير يدعوه إلى الوفاء لي. فكتب إليه الحاجاج ينقوه غدرهم وما يقول الراهب. فكتب إليه عبد الملك أنك أكثرت في بزيد فانتظر من تولي مكانه. فسمى له قتيبة بن مسلم فكتب له أن يرليه.

وكره الحاجاج أن يكاتبته بالعزل فاستقدمه وأمره أن يستخلف أخيه المفضل واستشار بزيد حصين بن المنذر الرقاشي فقال له: أقم واعتزل وكاتب عبد الملك فإنه حسن الرأي فيك. لحسن أهل بيته بورك لنا في الطاعة وأتنا أكره الخلاف. وأخذ يتجهز وأبطأ. فكتب الحاجاج إلى المفضل بولاية خراسان واستلحاق بزيد. فقال: إنه لا يضرك بعدي وإنما ولاك خاتمة أن أمتنع. وخرج بزيد في رباع سنة خمس وثمانين. ثم عزل المفضل لستة أشهر من ولايته وولى قتيبة بن مسلم. وقيل: سبب عزل بزيد فيقتل عليه أذل العراق كلهم إلا آل المهلب وكان يستقدم بزيد فيقتل عليه بالعدا والحرروب. وقيل: كتب إليه أن يغزو خوارزم فاعتذر إليه بأنها قليلة السلب شديدة الكلف. ثم استقدمه بعد ذلك فقال: إلى أن أغزو خوارزم. فكتب الحاجاج لا تنزعها ففزها وأصاب سبياً وصالحة أهلها واقتلت في الشتاء. وأصاب الناس البرد فتدثروا بلباس الأسري فبقرعوا عرايا وقطلهم المفضل. ولما ولّي المفضل خراسان غزا بأذليس ففتحها وأصاب مغنماً فقسمه ثم غزا شومان فقسم وقسم ما أصابه.

### مقتل موسى بن حازم

كان عبد الله بن حازم لما قتل بني تميم بخراسان وافتقدوا عليه فخرج إلى نيسابور، وخاف بنو تميم على ثقله بموه فقال لابنه موسى: اقطع نهر بلخ حتى تنجو إلى بعض الملوك أو إلى حصن تقى فيه. فسار موسى عن مرو في مائتين وعشرين فارساً واجتمع إليه شبه الأربعمائة وقوم من بني سليم وآتى قم قاتله أهلها فظفر بهم وأصاب منهم مالاً، وقطع النهر. وسال صاحب بخاري أن يأوي إليه قاتلي وخائف، وبعث إليه بصلة فسار عنه وعرض نفسه على ملوك الترك فأبوا خشية منه، وآتى سمرقند فاذن له ملكها

محزومة فقال: أتكررون هذه مجتمعة؟ قالوا: لا. قال: فتكسرونها مفترقة؟ قالوا: نعم. قال: فهكذا الجماعة. واستول بزيد على خراسان بعد أبيه وكتب له الحاجاج بالعهد عليها. ثم وضع العيون على بيزك حتى بلغه خروجه عن قلعته فسار إليها وحاصرها ففتحتها وغنم ما كان فيها من الأموال والذخائر، وكانت من أحسن القلاع. وكان بيزك إذا أشرف عليها يسجد لها. ولما فتحها كتب إلى الحاجاج بالفتح وكان كتابه يعمر العدواني حليف هذيل فكتب: إنما لقينا العدو فمنحتنا الله أكتافهم فقتلنا طائفه وأسرنا طائفه ولحقت طائفه ببرؤوس الرجال ومهامه الأودية وأهضام الغيطان وأفناء الأنهر. فقال الحاجاج: من يكتب لزيد؟ قيل: يحيى بن يعمر: فكتب محمله على البريد. فلما جاءه قال: أين ولدت؟ قال: بالأهواز. قال: فمن أين هذه الفصاحة؟ قال: حفظت من أولاد أبيه وكان فصيحاً. قال: يلحن عنترة بن سعيد؟ قال: نعم كثيراً! قال فضلان؟ قال: نعم! قال: فاتنا؟ قال: تلحن خفيفاً تجعل أن موضع إن وإن موضع أن. قال: أجلتاك ثلاثاً وإن وجدتك بарьن العراق قلتلك فرجع إلى خراسان.

### بناء الحاجاج مدينة واسط

كان الحاجاج ينزل أهل الشام على أهل الكوفة فضرب البئر على أهل الكوفة إلى خراسان سنة ثلاثة وثمانين، وعسكروا قريباً من الكوفة حتى يستمروا، ورجع منها ذات ليلة فتى حديث عهد بعرس يابنة عمده فطرق بيته ودق الباب فلم يفتح له إلا بعد هنفه وإذا سكران من أهل الشام فشكك إليه ابنته عمده مراودته إليها. فقال لها: الذي لي فلذنت له. وجاء فقتله الفتى وخرج إلى العسكر. وقال: يعيش إلى الشاميين وارفعي إليهم أصحابهم فأحضروها عند الحاجاج فأخبرته. فقال: صدقت! وقال للشاميين: لا قود له ولا عقل فإنه قتيل الله إلى النار. ثم نادى مناديه لا ينزل أحد على أحد وبعث الرواد فارتادوا له مكان واسط ووجد هناك راهباً ينظف بقبعته من التنجاسات فقال: ما هذه؟ قال: نجد في كتابنا أنه ينشأ هنا مسجد للعبادة. فاختطت الحاجاج مدينة واسط هنالك وبنى المسجد في تلك البقعة.

### عزل بزيد عن خراسان

يقال إن الحاجاج وفد إلى عبد الملك ومر في طريقه براهيب قبل له إن عنده علمًا من الحديث فقال: هل تجدون في كتابكم ما أنت فيه؟ قال: نعم فقال: مسمى أو موصوفاً؟ قال: موصوفاً.

آلاف فقال له ثابت وحرثيث: سر بنا في هذا العسكر مع الترك، فخرج يزيد من خراسان ونوليك، فحضر موسى أن يغلبه على خراسان، ونصحه بعض أصحابه في ذلك فقال لهم: إن أخرجنا يزيد قدم عامل المدينة عبد الملك، ولكننا نخرج عمال يزيد من وراء النهر ويكون لنا، فأخرج جوهم وانصرف طرخون والترك.

وقرئ أمر العرب بترمذ وجبرا الأموال واستبد ثابت وحرثيث على موسى وأغراه أصحابه بهما فهم بقتلهم، وإذا بجروح العجم قد خرجت إليهم من الهياطلة والتبت والترك فخرج موسى فيمن معه للقتال. ووقف ملك الترك على ما قيل في عشرة آلاف، فحمل عليهم حرثيث بن قطنة حتى أذالم عن موضعهم، وأصيب بهم في وجهه وتحاجزوا ثم ينتقم موسى فانهزموا وقتل من الترك خلق كثير ومات منهم قليل. ومات حرثيث بعد يومين ورجع موسى بالظفر والغنيمة. وقال له أصحابه: قد كفينا أمر حرثيث فاكفنا أمر ثابت فأبى. وبلغ ثابت بعض ما كانوا يخوضون فيه ودس محمد بن عبد الله الخزاعي عليهم على أنه من سي البابيان ولا يحسن العربية، فاتصل بهم موسى وكان ينقل إلى ثابت خبر أصحابه فقال لهم ليلة: قد أكترتم علي فعلى أي وجه تقتلونه ولا أقدر به؟ فقال له أخوه نوح: إذا انك غداً عدلت به إلى بعض الدور فقلناه قبل أن يصل إليك. فقال: والله إنه هلاككم! وجاء الغلام إلى ثابت بالخبر فخرج من ليلته في عشرين فارساً وأصبعوا فتقودوا وقدروا الثلام فلعلموا أنه كان عيناً.

ونزل ثابت بمحشود واجتمع إليه خلق كثير من العرب والعجم. وسار إليه موسى وقاتلته، فحصر ثابتاً بالمدينة. وأتاه طرخون مدد فرجع موسى إلى ترمذ. ثم اجتمع ثابت وطرخون وأهل بخاري ونصف وأهل كشن في ثمانين ألفاً. فحاصروا موسى بترمذ حتى جهد أصحابه. وقال يزيد بن هذيل: والله لأقتلن ثابتاً أو أموت. فاستأمنه عليه وحضره بعض أصحابه منه فأخذ ابنه قدامة والضحاك رهناً وأقام يزيد يتلمس غرة ثابت. ومات ابن الزياد والتصرير الخزاعي فخرج إليه ثابت بعريه وهو بغیر سلاح فضربه يزيد على رأسه وهرب. وأخذ طرخون قدامه والضحاك أباً يزيد فقتلهم. وهلك ثابت لسبعة أيام وقام مكانه من أصحابه ظهير وضعف أمرهم ويتهم موسى لبلا في ثلثمائة فبعث إليه طرخون كف أصحابك فإذا نرحل الغداة. فرجع وارتحل طرخون والعجم جيعاً.

ولما ولي المفضل خراسان بعث عثمان بن مسعود في جيش إلى موسى بن حازم وكتب إلى مدرك بن المهلب في بلخ بالمسير معه، فعبر النهر في خمسة عشر ألفاً، وكتب إلى رتبيل ولل طرخون

طرخون ملك الصند في المقام فأقام وبلغه قتل أبيه عبد الله بن حازم ولم يزل مقيناً بسمرقند.

ويارز بعض أصحابه يوماً بعض الصند فقتلته فآخر جه طرخون عنه فائِي كشْ فنزلها ولم يطق أصحابها مدافعته واستجاش عليه بطرخون. فخرج موسى للقاءه وقد اجتمع معه سبعمائة فارس فاقتلوه إلى الليل ودس موسى بعض أصحابه إلى طرخون ينحوه عافية أمره وأن كل من يأتي خراسان يطالبه بدمه. فقال: يرتحل عن كش؟ قال له: نعم! وكف حتى ارتحل وأتي ترمذ، فنزل إلى جانب حصن بها مشرف على النهر، وأبي ملك ترمذ من عمليك الحصن فاقام هناك ولاطف الملك وتزداد له وصار يتصيد معه. وصنع له الملك يوماً طعاماً وأحضره في مائة من أصحابه ليأكلوا، فلما طعموا امتعوا من الذهاب. وقال موسى: هذا الحصن إما يبي أو قبري وقاتلهم فقتل منهم عدة واستولى على الحصن وأخرج ملك ترمذ ولم يتعرض له ولا لأصحابه. ولحق به جم من أصحاب أبيه فقوى بهم، وكان يغير على ما حوله.

ولما ولي أمية خراسان سار لغزوه وخالقه بكير كما تقدم. ثم بعث إليه بعد صلحه مع بكير الجيوش مع رجل من خزاعة وحاصروه. وعاد ملك ترمذ استصاره بالترك في جمع كثير ونزلوا عليه من جانب آخر. وكان يقاتل العرب أول النهر والترك آخره ثلاثة أشهر. ثم بيت الترك ليلة فهزهم وحوى عسكرهم بما فيه من المال والسلاح ولم يهلك من أصحابه إلا ستة عشر رجالاً وأصبح الخزاعي والعرب وقد خافوا منها. وغدا عمر بن خالد بن حسين الكلابي على موسى بن حازم وكان صاحبه فقال: إانا لا نظر إلا بمكيدة فاضربني وخلني، فضربه حسین سوطاً فلحق بالخزاعي وقال: إن ابن حازم أتهمي بعصيتك وإنني عين لكم فأئمه الخزاعي وأقام عنده. ودخل عليه يوماً وهو حال فقال له: لا ينبغي أن تكون بغیر سلاح. فرفع طرف فراشه وأرأه سيفاً متضنى تحنه ضربيه عمر حتى قتله ولحق بهم. وتفرق الجيش واستسلم بعضهم موسى.

ولما ولي المهلب على خراسان قال لبنيه: إياكم وموسى! فإنه إن مات جاء على خراسان أمير من قيس. ثم لحق به حرثيث وثابت ابنا قطنة الخزاعي فكانا معه. ولما ولي يزيد أخذ أمواهها وحرمهما، وقتل أخاهما للأم الحارث بن معقد، فسار ثابت إلى طرخون صريغاً، وكان محياً إلى الترك فغضب له طرخون. وجمع له نيزك وملك الصند وأهل بخاري والصاغان، فقدموا مع ثابت إلى موسى وقد اجتمع عليه قل عبد الرحمن بن عباس من هرة وقل ابن الأشعث من العراق ومن كابل. فكان معه نحو ثمانية

وكتب عبد الملك إلى هشام يلومه ويقول: إن سعيداً ليس عنده شفاعة ولا ثناقي ولا خلاف وقد كان ابن المسبب امتنع من بيعة ابن الزبير فضرره جابر بن الأسود عامل المدينة لابن الزبير ستين سوطاً، وكتب إليه ابن الزبير يلومه. وقيل: إن بيعة الوليد وسلميمان كانت سنة أربع وثمانين والأول أصح. وقيل: قدم عبد العزيز على أخيه عبد الملك من مصر فلما فارقه وصاه عبد الملك فقال: ابسط بشرتك وألن كتفك وأثر الرفق في الأمور فهو أبلغ لك، وانظر حاجبك وليكن من خير أهلك فإنه وجهك ولسانك. ولا يقعن أحد يبابك إلا أعلمك مكانه لتكون أنت الذي تاذن له أو تردد، فإذا خرجت إلى مجلسك فابداً جلساتك بالكلام يائسوا بك وتثبت في قلوبهم محبتك. وإذا انتهى إليك مشكل فاستظهر عليه بالمشورة فإنها تفتح مغاليق الأمور المبهمة. واعلم أن لك نصف الرأي والأخick نصفه ولو بهلك أمرؤ من مشورة. وإذا سخطت على أحد فأخر عقوبته فإنك على العقوبة بعد التوقف عنها أقدر منك على ردها بعد إصابتها.

أن يكونوا مع عثمان. فحاصروا موسى بن حازم فضيقوا عليه شهرین، وقد خندق عثمان على مسكنه حذر البيات. فقال موسى لأصحابه: اخرجوا بنا مستعينين واقتدوا بالترك فخرجوا وخلف النصر ابن أخيه سليمان في المدينة. وقال له: إن أنا قلت فملك المدينة لدرك بن المهلب دون عثمان وجعل ثلاث أصحابه بيلاء عثمان وقال: لا تقاتله إلا إن قاتلوك. وقصد طرخون وأصحابه وصدقوهم القتال، فانهزم طرخون وأخذوا وحجزت الترك والصديق بينهم وبين الحصن فقاتلهم فقرروا فرسه وأردوه مولى له فبصر به عثمان حين وتب فعرفه فقصدوه وعقرروا به الفرس وقتلوه، وقتل خلق كثير من العرب. وتولى قتل موسى وأصل العنبرى ونادى منادي عثمان بكف القتال وبالأسر وبعث النصر بن سليمان إلى مدرك بن المهلب فسلم إليه مدينة ترمذ وسلمها مدرك إلى عثمان. وكتب المفضل إلى الحجاج بقتل موسى فلم يسره لأنه من قيس وكان قتل موسى سنة خمس وثمانين لخمس عشرة سنة من تغلبه على ترمذ.

## وفاة عبد الملك وبيعة الوليد

ثم توفي عبد الملك متتصف شوال سنة ست وثمانين وأوصى إلى بيته فقال: أوصيكم بتقوى الله فإنها أزيد حلية وأحسن كهف، ليعطف الكبير منكم على الصغير، وانظروا مسلمة فاصدروا عن رأيه فإنه تابكم الذي عنه تفترون، ولديكم الذي عنه ترمون. وأكرموا الحاجاج فإنه الذي وطا لكم المنابر، ودخل لكم البلاد، وأذل لكم مغنى الأعداء. وكونوا بني أم برة لا تدب بينكم العقارب. وكونوا في الحرب أحرازاً فإن القتال لا يقرب منه. وكونوا للمعروف منارة فإن المعروف يبقى أجره وذخره وذكرة، وضعوا معروفاً عند ذوي الأحساب فإنه لصون له، واشكر لما يوتني إليهم منه، وتهدوا ذنوب أهل الذنب فإن استقالوا فأقلوا، وإن عادوا فاتقروا.

ولما دفن عبد الملك قال الوليد: إنما الله وإنما إليه راجعون والله المستعان على مصيّتنا بموت أمير المؤمنين والحمد لله على ما أنعم علينا من الخلافة، فكان أول من عزى نفسه وهنالها. ثم قام عبد الله بن همام السامي و هو يقول:

الله أطراك التي لا فرقها وقد أراد الملحدون عوتها عنك وباي الله إلا سرقها إليك حتى قلدوك طرقها وبابعه ثم باي الناس بعده وقيل: إن الوليد صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس لا مقدم لما أخره الله

## البيعة للوليد بالعهد

وكان عبد الملك يروم حلع أخيه عبد العزيز من ولاية العهد والبيعة لابنه الوليد، وكان قبيصة ينهى عن ذلك ويقول: لعل الموت يأتيه وتدفع العار عن نفسك وجاهه روح بن زباغ ليلة وكان عنده عظيماً فقاوه في ذلك فقال: لو فعلته ما انتفع فيه عزان. فقال: نصلح إن شاء الله! واقم روح عنده ودخل عليهما قبيصة بن ذؤيب من جنح الليل وهو نائم وكان لا يحب عنه وإليه الخاتم والسلكة فأشجه بموت عبد العزيز أخيه. فقال روح: كفانا الله ما نريد. ثم ضم مصر إلى ابنه عبد الله بن عبد الملك وولاها عليها. وقيل: إن الحجاج كتب إلى عبد الملك يزبن له بيعة الوليد فكتب إلى عبد العزيز إبني رأيت أن يصير الأمر إلى ابن أخيك، فكتب له أن تجعل الأمر له من بيعة فكتب له إبني أرى في أبي بكر ما ترى في الوليد. فكتب له عبد الملك أن يحمل خراج مصر فكتب إليه عبد العزيز إبني وإياك يا أمير المؤمنين قد أشرفنا على عمر أهل بيتنا ولا ندرى أينا ياتيه الموت فلا نفسد على بقية عمري فرق له عبد الملك وتركه.

ولما بلغ الخبر بموت عبد العزيز عبد الملك أمر الناس بالبيعة لابنه الوليد وسلميمان، وكتب بالبيعة لها إلى البلدان. وكان على المدينة هشام بن إسماعيل المخزومي فدعى الناس إلى البيعة فأجابوا وأبي سعيد بن المسبب فضرره ضرباً مبرحاً وطاف به وجسه.

الصلح فصالحهم واستعمل عليهم وسار عنهم غير بعيد. فقتلوا العامل ومن معه فرجع إليهم وهم سوريون وقتل المقاتلة وسيبي الذرية وغنم من السلاح وآنية الذهب والفضة ما لم يصيروا مثله. ثم غزا سنة ثمان وثمانين بلد نومكث فصالحوه وسار إلى رامسة فصالحوه أيضاً، فانصرف وزحف أيضاً إلى الترك والصgeführt وأهل فرغانة في مائة ألف وملتهم كوريابور ابن اخت ملك الصين، واعتربوا مقدمته وعليها آخره عبد الرحمن قاتلهم حتى جاء قتيبة وكان ينزل معه، فابللي مع المسلمين ثم انهزم الترك وجروهم، ورجع قتيبة إلى مرو. ثم أمره الحاج سنة تسع وثمانين بغزو بخاري وملتها ورددان خذاه فعبر النهر من زم ولقيه الصgeführt وأهل كش ونصف بالفرازة وقاتلوا فهزهم ومضى إلى بخاري فنزل عن يمين وردان ولم يظفر منه بشيء ورجع إلى مرو.

### عمارة المسجد

كان الوليد عزل هشام بن إسماعيل المخزومي عن المدينة سنة سبع وثمانين لأربع سنين من ولايته، وولى عليها عمر بن عبد العزيز فقدمها ونزل دار مروان ودعا عشرة من فقهاء المدينة فهم الفقهاء السبعة المعروفون، فجعلهم أهل مشورته لا يقطع أمراً دونهم وأمرهم أن يلتفو الحاجات والظلمات فشكروه وجزوه خيراً. ودعا له الناس. ثم كتب إليه سنة ثمان أن يدخل حجر أمهات المؤمنين في المسجد وبشري ما في نواجهه حتى يجعله مائتي ذراع في مثأره، وقائم القبلة. ومن أبى أن يعطيك ملكه فقومه قيمة عدل وادفع إليه الثمن وأعدم عليه الملك، ولتك في عمر وعثمان أسوة. فاعطاه أهل الأملاك ما أحب منها بأثمانها وبعث الوليد إلى ملك الروم أنه يريد بناء المسجد فبعث إليه ملك الروم بمائة ألف مثقال من الذهب ومائة من الفضة وأربعين حلاً من التسبيحاء وبعث بذلك كله إلى عمر بن عبد العزيز واستكثر معهم من فعلة الشام وشرع عمر في عماراته اهـ.

وولى الوليد في سنة تسع وثمانين على مكة خالد بن عبد الله القسري.

### فتح السندي

كان الحاج قد ول على ثغر السندي ابن عممه محمد بن القاسم بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل، وجهز معه ستة آلاف مقاتل ونزل مكران، فقام بها أياماً ثم أتى فيريوز ففتحها ثم

ولا مؤخر لما قدمه الله وقد كان من قضاء الله وسابق علمه، وما كتب على أبياته وحمله عرشه الموت وقد صار إلى منازل الأبرار وهي هذه الأمة بالذي يحق لله عليه في الشدة على المذنب والذين لأهل الحق والفضل، وإقامة ما أقام الله من منازل الإسلام وإعلانه من حج البيت وغزو الغور وشن الغارة على أعداء الله فلم يكن عاجزاً ولا مفرطاً. أيها الناس عليكم بالطاعة ولزوم الجماعة فإن الشيطان مع المفرد، أيها الناس من أبدى لنا ذات نفسه ضربنا الذي فيه عيناه، ومن سكت مات بداعه ثم نزل.

### ولاية قتيبة بن مسلم خراسان وأخباره

قدم قتيبة خراسان أميراً عن الحاج سنة ست وثمانين فعرض الجند وحث على الجهاد وسار غازياً وجعل على الحرب مهرو إيسا بن عبد الله بن عمرو، وعلى الخراج عثمان بن السعدي وتلقاه دهاقن البلخ والطالقان وساروا معه. ولما عبر النهر تلقاه ملك الصغانيان بهدايه. وكان ملك آخرؤن وسومان يسيٌّ جواره فدعاه إلى بلاده وسلمها إليه. وسار قتيبة إلى آخرؤن وسومان وهو من طخارستان فصالحه ملوكهما على فدية أداتها إليه. وبقضها ثم انصرف إلى مرو واستخلف على الجند أحاه صالح بن مسلم، ففتح بعد رجوع قتيبة كاشان وأورشت من فرغانة، ثم أخسيكت مدينة فرغانة القديمة، وكان معه ابن يسار وأبلى في هذه الغزاة. وقيل: إن قتيبة قدم خراسان سنة خمس وثمانين وكان من ذلك السُّبُّ امرأة برمك. وكان برمك على التوبهار، فصارت عبد الله بن مسلم أخي قتيبة فوقع عليها وعلقت منه بخالد، ثم صالح أهل بلخ وأمر قتيبة برد السبي، فالحق عبد الله به حلهمها. ثم ردت إلى برمك.

وذكر أن ولد عبد الله بن مسلم ادعوه ورفعوا أمرهم إلى المهدي وهو بالري، فقال لهم بعض قرائهم: إنكم إن استلتحقتموا لا بد لكم أن تزوجوه، فتركوه. ولما صالح قتيبة ملك سومان كتب إلى بترك طران صاحب باذغيس فيمن عنده من أسرى المسلمين وهدهم فبعث بهم إليهم. ثم كتب إليه يستقدمه على الأمان فخشى وثائق، ثم قدم وصالح لأهل باذغيس على أن لا يدخلها قتيبة ثم غزا بيكتناد في مدائن بخاري إلى النهر سنة سبع وثمانين. فلما نزل بهم استجاشوا بالصgeführt وبن حوطهم من الترك. وساروا إليه في جوع عظيمة، وأخذوا عليه الطريق. فانتقطعت الأخبار والرسل ما بينه وبين المسلمين شهرين، ثم هزمهم بعض الأيام وأخن فيما بالقتل والأسر وجاء إلى السور ليهدمه، فناسلا

تيم، فلما زالوا عن مواقفهم عبر الناس واتبعوهم وأثخنوا فيهم بالقتل، وخرج خاقان وابنه وفتح الله على المسلمين وكتب بذلك إلى الحجاج.

ولما استوت المزيمة جاء طرخون ملك الصند ومعه فارسان ودنا من عسکر قتيبة يطلب الصلح على فدية يوديها فأجابه قتيبة وعقد له ورجمع قتيبة ومعه نيزك وقد خافه لما رأى من القتال، فاستأنسه في الرجوع وهو بأمده، فرجع بريد طخارستان وأسر السير. وبعث قتيبة إلى المغيرة بن عبد الله يأمره بمحبسه وتبعه المغيرة فلم يدركه وأظهر نيزك المخلع ودعا لذلك الأصبهيد ملك بلخ وبإذان ملك مرو الروذ وملك الطالقان وملك القارييات وملك الجوزجان فأجابوه، وتوعدوا لغزو قتيبة. وكتب إلى كاتب شاه يستظهر به وبعث إليه باتفاقه وأمواله واستأنسه في الإيتان إن اضطر إلى ذلك.

وكان جيفونة ملك طخارستان نيزك ينزل عنده، فاستضعفه وبغض عليه وقيده خشية من خلافه وأخرج عامل قتيبة من بلده. وبلغ قتيبة خبرهم قبل الشتاء وقد تفرق الجندي فبعث أخاه عبد الرحمن بن مسلم في اثنى عشر ألف إلى البروقان، وقال: أقم بها ولا تحدث شيئاً فإذا اقتضى الشتاء تقدم إلى طخارستان وأنا قريب منك. ولما انصرم الشتاء استقدم قتيبة الجنود من نيسابور وغيرها فقدموا، فسار نحو الطالقان وكان ملكها قد دخل معهم في المخلع فتحتها وقتل من أهلها مقتلة عظيمة وصلب منهم سماطين أربعة فراسخ في مثلثها، واستخلف عليها أخيه محمد بن مسلم، وسار إلى القارييات فخرج إليه ملكها مطيناً. واستعمل عليها وسار إلى الجوزجان فلقيه أهلها بالطاعة، وهرب ملكها إلى الجبال واستعمل عليها عامر بن ملك الحمام.

ثم أتى بلخ وتنقاء أهلها بالطاعة وسار بطبع أخيه عبد الرحمن إلى شعب حمله، ومضى نيزك إلى بغلان وخلف المقاتلة على فم الشعب ولا يهتدى إلى مدخل، ومضى قتيبة أياماً يقاتله على قمة قلعة من وراء الشعب. وقام قتيبة أياماً يقاتله على قمة القلعة في قلعة من وراء الشعب. حتى دله عليه بعض العجم هناك الشعب ولا يهتدى إلى مدخل، حتى دله عليه بعض العجم هناك على طريق سرب منه الرجال إلى القلعة فقتلواهم، وهرب من بقي منهم وممضى إلى سمنجان ثم إلى نيزك، وقدم أخيه عبد الرحمن وارتخل نيزك إلى وادي فرغانة، وبعث أخاه وأمواله إلى كابل شاه، وممضى إلى السكون فتحصن به ولم يكن له إلا سلك واحد صعب على الدواب فحاصره قتيبة شهرين حتى جهدوا وأصابهم جهد الجدرى.

وقرب فصل الشتاء فدعا قتيبة بعض خواصه من كان

أرماديل. ثم سار إلى الدبيل وكان به بد عظيم في وسط المدينة على رأسه يقل عظيم وعلىه راية. فإذا هبت الريح دارت فاطفات بالمدينة. والبد صنم مرکوز في بناء الدقل منارة عليه. وكل ما بعد فهو عندهم بد. فحاصر الدبيل ورمادهم بالتجنيق فكسر الدقل فتطيروا بذلك. ثم خرجوا إليه فهزهم وتسنم الناس الأسوار ففتحت عنوة وأنزل فيها أربعة آلاف من المسلمين وبني جامعها وسار عنها إلى النزروز.

وقد كانوا يعنوا إلى الحجاج وصالحوه فلقوه محمداً بالميرة وأدخلوه مدبيتهم وسار عنها. وجعل لا ير بمدينة من مداشر السندي إلا فتحها حتى بلغ نهر مهران، واستعد ملك السندي لحاربه وأسمه داهر بن صصة. ثم عقد الجسر على النهر عبر فقاتله داهر وهو على الفيل وحوله الفيلة. ثم اشتد القتال وتراجي داهر فقاتل حتى قتل وانهزم الكفار واستلهمهم المسلمين. ولحقت امرأة داهر بمدينة رارو فساروا إليها وخافته، فأحرقت نفسها وجواريها. وملك المدينة ولحق الفيل بمدينة بدهماتايد المتقدة على فرسخين من مكان المنصورة وهي يومئذ غيبة، ففتحها عنوة واستلهم من وجد بها وخرتها. ثم استولى على مداشر السندي واحدة واحدة وقطع نهر ساسيل إلى الملقاد فحاصرها وقطع الماء عنها فنزلوا على حكمه، فقتل المقاتلة وسي النزرة، وقتل سدنة البلد وهو ستة آلاف. وأصابوا في البلد ذهباً كثيراً في بيت طوله عشرة أذرع وعرضه ثمانية كانت الأموال تهدى إليه من البلدان ويحجون إليه وبكلقون شعرهم عنده ويزعمون أنه هو أيوب. فاستكملا فتح السندي وبعث من الخمس بمائة وعشرين ألف الف وكانت النفقة نصفها.

## فتح الطالقان ومرقد غزو كش ونصف والشاش وفرغانة وصلاح خوارزم

قد تقدم أن قتيبة غزا بخارى سنة تسع وثمانين، وانصرف عنها ولم يظفر. وبعث إليه الحجاج سنة تسعين يوجهه على الانصراف عنها ويا أمره بالعود. فسار إليها ومعه نيزك طرخان صاحب بذغيس، وحاصرها. واستجاش ملكها وردان أخذه من حوله من الصند والتراك. فلما جاء مددهم خرجوا إلى المسلمين وكانت الأرض في المقدمة فانهزموا حتى جازوا عسکر المسلمين ثم رجعوا ورحت العساكر حتى ردوا الترك إلى موقعهم. ثم زحف بنو تميم وقاتلوا الترك حتى خالطوهم في مواقعهم وأزالوه عنها. وكان بين المسلمين وبينهم نهر لم يتاجس أحد على عبوره إلا بنو

وصالحه بعشرة آلاف رأس وعين ومتابع وأن يعيشه على خام جرد  
وقيل: على مائة ألف رأس.

وبعث قتيبة أخاه عبد الرحمن إلى خام جرد وهو عدو  
خوارزم شاه قاتله وقتله عبد الرحمن وغلب على أرضه، وأسر  
منهم أربعة آلاف فقتلهم. وسلم قتيبة إلى خوارزم شاه أخاه ومن  
كان يخالفه من أمرائه فقتلهم، ودفع أموالهم إلى قتيبة. ولما قبض  
قتيبة أمواله أشار عليه العشري بن مخازن السلمي بغزو الصعد وهم  
آمنون على مسافة عشرة أيام. فقال: أكتم ذلك قدم أخاه الفرسان  
والرماة، وبعثوا بالأنفال إلى مرو، وخطب قتيبة الناس وحنهم على  
الصعد وذكرهم الضعاف فيهم.

ثم سار فائز الصعد بعد ثلاثة من وصول أخيه،  
فحاصرهم بسمرقند شهرًا واستجاشوا ملك الشاش وأخشداد  
خاقان وفرغانة فاتخروا أهل التجدة من أبناء الملوك والمرابطة  
والأسورة وولوا عليهم ابن خاقان وجاؤوا إلى المسلمين، فاتخرب  
قتيبة من عسكره ستةمائة فارس، وبعث بهم أخاه صالحًا  
لإعتراضهم في طريقهم، فلقوهم بالليل وقاتلوهم أشد قتال،  
نهزموهم وقتلوا ابن خاقان ولم يفلت منهم إلا القليل  
وغنموا ما معهم، ونصب قتيبة المجانيق فرمياها بها وتل السور  
واشتدى في قتالهم، وحمل الناس عليهم إلى أن بلغوا التلبة. ثم  
صالحوه على الفي ألف ومائتي ألف مقاتل في كل عام، وأن  
يعطوه تلك السنة ثلاثين ألف رأس، وأن يمكتنه من بناء مسجد  
بالمدينة ويخلوها حتى يدخل فصلي فيه. فلما فعل ذلك ودخل  
المدينة أكرههم على إقامة جند فيها.

وقيل: إنه شرط عليهم الأصنام وما في بيوت النار فأعطوه  
فأخذ الخليفة وأحرق الأصنام وجمع من بقايا مساميرها وكانت ذهبًا  
خمسين ألف مقاتل. وبعث بجارية من سيها من ولد يزدجرد إلى  
الحجاج، فارسلها الحجاج إلى الوليد وولدت له يزيد. ثم قال  
فورك قتيبة انتقل عنا فانتقل وبعث إلى الحجاج بالفتح. ثم رجع  
إلى مرو واستعمل على سمرقند لإياس بن عبد الله على حربها،  
وعبيد الله بن أبي عبيد الله مولى مسلم على خراجها، فاستضعف  
أهل خوارزم لإياساً وجعلوا له فبعث قتيبة عبد الله عاملاً على  
سمرقند وأمره أن يضرب إياساً وجياباً السطي مائة مائة وخمسمائة.  
فلما قرب عبد الله من خوارزم مع المثيرة بن عبد الله فبلغتهم  
ذلك وخشي ملكهم من أبناء الذين كان قتلهم ففر إلى بلاد الترك.  
وجاء المغيرة فقتل وسى وصالحه الباقرون على الجزية، ورجع إلى  
قتيبة فولاه على نيسابور.

ثم غزا قتيبة سنة أربع وتسعين إلى ما وراء النهر وفرض

يصادق نيزك فقال: انطلق إليه وأثن عليه بغير أمان وإن أبعاك  
فأمانه. وإن جئت دونه صلبتك. فقضى الرجل وأثار عليه بلقائه  
وأنه عازم على أن يشنق هنالك، فقال: أخشاها! فقال له: لا  
يخلصك إلا إيانك، وتتصحّ له بذلك وبأنه يخشى عليه من غدر  
 أصحابه الذين معه. ولم يزل يقتل له في الذروة والغارب، وهو  
يكتن حتى قال له: إنه قد أمنك. فأشار عليه أصحابه بالقبول  
لعلمهم بصدقه وخرج معه نيزك ومعهم جيفونة ملك طخارستان  
الذي كان قيده حتى انتهوا إلى الشعب وهناك خيل أكمنه الرجل  
ما كان فيه وكتب إلى الحاج يستأذنه في قتل نيزك فواجه كتابه  
لأربعين يوماً بقتله وقتل معه صول طرخان خليفة جيفونة  
وابن أخي نيزك ومن أصحابه سبعمائة وصلبهم وبعث برأسه إلى  
الحجاج. وأطلق جيفونة وبعث إلى الوليد.

ثم رجع إلى مرو. وأرسل إليه ملك الجوزجان يستأذنه فامنه  
على أن يأتيه فطلب الرحمن فأعطيه وقدم. ثم رجع فمات  
بالطلقان وذلك سنة إحدى وتسعين. ثم سار إلى شومان  
فحاصرها، وقد كان ملكها طرد عامل قتيبة من عنده، فبعث إليه  
بعد مر جمعه من هذه الغزوة أن يؤدي ما كان صالح عليه، فقتل  
الرسول، فسار إليه قتيبة وبعث له صالح آخر قتيبة وكان صديقه  
يُنصحه في مراجعة الطاعة فأبى، فحاصره قتيبة ونصب عليه  
المجانيق فهدم الحصن وجمع الملك ما في الحصن من مال وجواهر  
ورمى به في بئر لا يدرك قعره، ثم استمات وخرج فقاتل حتى  
قتل. وأخذ قتيبة القلعة عنوة فقتل المقاتلة وسي الذريعة ثم بعث  
أخاه عبد الرحمن إلى الصعد وملكم طرخون فأعطاه ما كان  
صالح عليه قتيبة. وسار قتيبة إلى كش ونصف فصاخروه. ورجع  
ولقي أخيه بخاري وساروا إلى مرو.

ولما رجع عن الصعد، جبس الصعد ملكم طرخون  
لإعطائه الجزية وولوا عليهم غورك فقتل طرخون نفسه. ثم غزا في  
سنة اثنين وتسعين إلى سجستان يريد رتبيل صالحه وانصرف.  
وكان ملك خوارزم قد غلبه أخوه خراد على أمره وكان أصغر  
منه وعاث في الرعية وأخذ أموالهم وأهلهم فكتب إلى قتيبة يدعوه  
إلى أرضه ليسلهمها إليه على أن يمكتنه من أخيه ومن عصاه من  
دونهم، فأجابه قتيبة ولم يطلع الملك أحداً من مرازته على ذلك.  
وتجهز قتيبة سنة ثلاثة وتسعين وأظهره غزو الصعد، فاتقبل أهل  
خوارزم على شأنهم ولم يختلفوا بغاوه، وإذا به قد نزل هزار سبب  
قربياً منهم. وجاء أصحاب خوارزم شاه إليه يدعوه للقتال. فقال:  
ليس لنا به طاقة! ولكن نصالحه على شيء نعطيه كما فعل غيرنا،  
فوافقه وسار إلى مدينة الفيد من وراء النهر، وهذا حصن بلاده.

سلیمان لابنه: ادخل على عملك أنت ويزيد في مسلسلة. فقال الواليد لما رأى ذلك: لقد بلغنا من سليمان. ثم دفع أيوب كتاب أبيه بالشفاعة وضمان المال عن يزيد فقرأه الواليد واستمعطقه أيوب في ذمة أبيه وجواره، وتكلم يزيد واعتذر فأمنه الواليد ورجع إلى سليمان وكتب الواليد إلى الحجاج بالكف عنهم فكف عن حبيب وأبي عبسة وكانا عنده وأقام يزيد عند سليمان بهدي إليه المدايا ويصنع له الأطعمة.

## ولاية خالد القسري على مكة وإخراج

سعيد بن جبیر عنها ومقتله

ولما كان في سنة ثلاط وتسعين كتب عمر بن عبد العزير إلى الواليد يقص عليه أفعال الحجاج بالعراق وما هم فيه من ظلمه وعدوانه، فبلغ بذلك الحجاج فكتب إلى الواليد: إن كثيراً من المراق وأهل الشفاقة قد الجلوا عن العراق وحلقوا بالمدينة ومكة ومنعهم عمر وأصحابه من ذلك وهن، فولى الواليد على مكة خالد بن عبد الله القسري وعمان بن حيان بإشرارة الحجاج، وعزل عمر عن الحجاز وذلك في شعبان من السنة.

ولما قدم خالد مكة أخرج من كان بها من أهل العراق كرهاً وتهدى من أتزل عراقياً أو أجره داراً وكانت أيام عمر بن عبد العزير يلجلج إلى مكة والمدينة كل من خاف الحجاج فيأمن. وكان منهم سعيد بن جبیر هارباً من الحجاج. وكان قد جعله على عطاء الجند الذين وجههم مع عبد الرحمن بن الأشعث إلى قتال رتيل. فلما خرج عبد الرحمن كان سعيد فیمن خلح فكان معه إلى أن هزم وسار إلى بلاد رتيل. فلحق سعيد بأصحابه، وكتب الحجاج فيه إلى عاملها فتحرج من ذلك ودس إلى سعيد فسار إلى آذربيجان. ثم طال عليه المقام فخر إلى مكة فكان بها مع ناس أمثاله من طيبة الحجاج يستخفون باسمائهم.

فلما قدم خالد بن عبد الله مكة أمره الواليد بحمل أهل العراق إلى الحجاج فأخذ سعيد بن جبیر ومجاهداً وطلق بن حبيب، وبعث بهم إلى الحجاج فمات طلق في الطريق وجيء بالآخرین إلى الكوفة وأدخلوا على الحجاج. فلما رأى سعيداً شتم خالداً القسري على إرساله وقال: لقد كنت أعرف أنه بمكة وأعرف البيت الذي كان فيه، ثم أقبل على سعيد وقال: ألم أشركك في أمانتي؟ ألم استعملتك؟ ثم تفعل! يعدد أيامه عنده. فقال: بل! قال: فما أخرجك على قتالي؟ أنا أمرؤ من المسلمين أخطئ مرة وأصيّب أخرى. ثم استمر في محاورته فقال: إنما كانت السيعة في عنقي

البعث على أهل بخارى وكش ونسف وخوارزم، فسار منهم عشرون ألف مقاتل فيهم إلى الشاش. وسار هو إلى خجندة فجمعوا له واقتلوه ماراً كان الظفر فيها للMuslimين. وفتح الجندي الذين ساروا إلى مدينة الشاش وأحرقوها ورجعوا إلى قتيبة وهو على كشان مدينة فرغانة وانصرف إلى مرو. ثم بعث الحجاج إليه جيشاً من العراق وأمره بغزو الشاش فسار لذلك وبلغه موت الحجاج فرجعوا إلى مرو.

## خبر يزيد بن المهلب وإنحوته

كان الحجاج قد جبس يزيد وإنحوته ستة ست وثمانين وعزل حبيب بن المهلب عن كرمان فأقاموا في عبسهم إلى ستة تسعين. وبلغه أن الأكراد غلبوا على فارس فعسكر قريباً من البصرة للبعث وأخرج معه بي المهلب وجعلهم في قسطاط قريباً منه ورتب عليهم الحرس من أهل الشام. ثم طلب منهم ستة آلاف الف، وأمر بعذابهم وبكت أختهم هند بنت المهلب زوجة الحجاج فطلقتها. ثم كف عنهم وجعل يستأذنهم وبعثوا إلى أخيهم مروان وكان على البصرة أن يدع لهم خيلاً وكان حبيب منهم يعتذب بالبصرة، فصنع يزيد للحرس طعاماً كثيراً وأمر لهم بشراب فأقاموا يتعاقرون واستغفلاهم يزيد والمفضل وعبد الملك وخروا ولم يقطعوا لهم.

ورفع الحرس خبرهم إلى الحجاج فخشيتهم على خراسان ويعث البريد إلى قتيبة بخبرهم ليحذرهم، وكان يزيد قد ركب السفن إلى البطائح واستقبلته الخيل المعدة له هناك، وساروا إلى الشام على السماوة ومعهم دليل من كلب. وهي خبرهم فبعث إلى الواليد بذلك. وقدموا إلى فلسطين فنزلوا على وهب بن عبد الرحمن الأزدي وكان كريباً على سليمان فأخبره بحالم وأنهم استجاروا به من الحجاج، فقال: إبني بهم فقد أجرتهم. وكتب الحجاج إلى الواليد أن بي المهلب خاتوا مال الله وهرموا مني فلحقوا بسلامان. فسكن ما به لأنه كان خشيتهم على خراسان كما خشيتهم الحجاج وكان غاضباً للعمال الذي ذهبوا به. فكتب سليمان إلى الواليد أن يزيداً عندي وقد أمتها، وكان الحجاج أغمره ستة آلاف الف فاد نصفها وأنا أؤدي النصف.

فكتب الواليد لا أؤمنه حتى تبعث به، فكتب سليمان لأجيئن معه، فكتب الواليد إذن لا أؤمنه. فقال يزيد لسلامان: لا يت sham الناس بي للكما فاكتب معي وتلطّف ما أهلكت، فارسله وأرسل معه ابنه أيوب وكان الواليد أمر أن يبعث مقيداً. فقال

وحارب فظفر، ثم أسلم الملوك لما كتب عمر بن عبد العزيز إلى الإسلام على أن يملكونهم وهم أسوة المسلمين فيما لهم عليهم، فأسلم حبشة والملوك وتسمروا باسماء العرب وكان عمر بن مسلم الباهلي عامل عمر على ذلك الشغف فغزا بعض الهند وظفر. ثم ول الجنيد بن عبد الرحمن على السندي أيام هشام بن عبد الملك، فلما شط مهران. ومنه حبشة بن داهر العبور وقال: إني قد أعملت وولاني الرجل الصالح ولست أمنك فأعطيه الرهن ثم ردها حبشة وكفر وحارب فحاربه الجنيد في السفن وأسره ثم قتله.

وهرب صحة بن داهر إلى العراق شاكياً لغدر الجنيد فلم يزل يؤنسه حتى جاءه فقتله. ثم غزا الجنيد المكيرج من آخر الهند وكانت انتصاراته كباشًا زاحفة ثم صك بها سور المدينة فثلمها ودخل قتل وبسي وغنم وبعث العمال إلى المردم والمعدل ودهج وبعد جيشاً إلى أربين فاغلوا عليها وأحرقوا ربضها وحصل عنده سوى ما حل أربعون ألف الف وحمل مثلاها. وولى ثيم بن زيد الضبي فضسف ووهن ومات قريباً من الدبيل. وفي أيامه خرج المسلمين عن بلاد الهند وترکوا مراكزهم. ثم ول الحكيم ابن سوام الكلبي وقد كفر أهل الهند إلا أهل قصّة، فبني مدينة سماها المحفوظة وجعلها مأوى المسلمين. وكان معه عمر بن محمد بن القاسم وكان يفرض عليه عظام الأمور وأغاذه عن المحفوظة. فلما قدم وقد ظهر أمره فبني مدينة سماها المقصورة وهي التي كان أمراء السندي ينزلونها واستخلص ما كان غلب عليه العدو، ورضي الناس بولايته. ثم قتل الحكم وضعفت الدولة الأموية عن الهند. وتاتي أخبار السندي في دولة المأمون.

فغضب الحجاج وقال: ألم آخذ بيتك بعد الملك بمكة بعد مقتل ابن الزبير؟ ثم جددت له البيعة بالكتوة فأخذت بيتك ثانية؟ قال: بل! قال: فنكثت بيتك لأمير المؤمنين، وتوفي واحدة للفاعل ابن الفاعل، والله لأقتلنك. فقال: إني لسعيد كما سُمِّيَّ أمي فضررت عنقه فهلال رأسه ثلاثاً أفصح منها بمرة. ويقال: إن عقل الحجاج التبس يومئذ وجعل يقول: قيودنا قيودنا فظنوا علينا ساقيه، وكان إذا نام يرى جيبر فأخذوها من رجله وقطعوا عليها ساقيه، وكان إذا نام يرى سعيد بن جيبر في منامه آخذاً بجماع ثوبه يقول: يا عدو الله فيم قتلتني؟ فيتبه مرعوباً يقول: ما لي ولسعيد بن جيبر.

## وفاة الحجاج

وتوفي الحجاج في شوال سنة خمس وتسعين لعشرين سنة من ولايته العراق، ولما حضرته الوفاة استخلف على ولايته ابنه عبد الله وعلى حرب الكوفة والبصرة يزيد بن أبي ك بشة وعلى خراجمها يزيد بن أبي مسلم، فأقر لهم الوليد بعد وفاته. وكتب إلى قيبة بن مسلم بخراسان: قد عرف أمير المؤمنين بلا مك وجهدك وجهدك أعداء المسلمين وأمير المؤمنين رافقك وصانع بك الذي تحب، فلائم معاذيك وانتظر ثواب ربك ولا تنبئ عن أمير المؤمنين كتيك حتى كأني أنظر إلى بلادك والشغر الذي أنت فيه ولم يغير الوليد أحداً من عمال الحجاج.

## أخبار محمد بن القاسم بالسندي

كان محمد بن القاسم بالسندي وأتاه خبر وفاة الحجاج هنالك فرجع إلى الدور والنفور وكان قد نتحها ثم جهزه الناس إلى السليمان مع حبيب فأعطوا الطاعة وسالمه أهل شرست وهي مغزى أهل البصرة وأهلها يقطعون في البحر. ثم سار في العسكر إلى ..... فخرج إليه دوهر فقاتلته محمد وهزمه وقتلته. ونزل أهل المدينة على حكمه فقتل وسبا. ولم يزل عاماً على السندي إلى أن ول سليمان بن عبد الملك فعزله وول يزيد بن أبي ك بشة السكري على السندي مكانه. فقيده يزيد وبعث به إلى العراق فحبسه صالح بن عبد الرحمن بواسطه وعنبه في رجال من قرابة الحجاج على قتلهم، وكان الحجاج قتل أخيه آدم على رأي الخوارج. ومات يزيد بن أبي ك بشة لثمان عشرة ليلة من مقدمه. فول سليمان على السندي حبيب بن المهلب فقدمها وقد رجع ملوك السندي إلى مالكهم ورجع حبشة بن داهر إلى برهما باز فنزل حبيب على شاطئ مهران وأنطاه أهل الروم الطاعة.

## فتح مدينة كاشغر

أجمع قتيبة لغزو مدينة كاشغر ستة وتسعين وهي أدنى مدن الصين فسار لذلك وحمل مع الناس عبالتهم لبعضها بسرقة وعبر النهر، وجعل على المجاز مسلحة يمنعون الرابع من العسكري إلا بإذنه. وبعث مقدمه إلى كاشغر فغنموا وسبوا وختتم أعنق السي. وأوغل حتى قارب الصين. فكتب إليه ملك الصين يستدعي من أشرف العرب من يخبره عنهم وعن دينهم. فانتخب قتيبة عشرة من العرب كان منهم هيرية بن شمرج الكتابي. وأمر لهم بعده حسنة ومتاع من الخنزير والوشي وخيوط أربعة وقال لهم: أعلمونه أني حالفت إني لا أنصرف حتى أطأ بلادهم وأختتم ملوكهم وأجي خراجهم. وما قدموا على ملك الصين دعاهم في اليوم الأول فدخلوا عليهم الغلائل والأردية، وقد تطيبوا ولبسو

وعزل عنهم يزيد بن أبي مسلم. فبعث يزيد أخاه زيداً على عمان وأمر سليمان يزيد بن المهلب بنكبة آل أبي العقيل قوم الحجاج وبني أبيه ووسط أصناف العذاب عليهم، فول على ذلك عبد الملك بن المهلب.

### مقتل قتيبة بن مسلم

ولما ولـ سليمان خاقـه قـية لما قـدمنـه من موافقـته الـولـيد على خـلـعـهـ فـخشـيـ أنـ بـولـ يـزـيدـ بنـ الـمـهـلـبـ خـرـاسـانـ فـأـجـعـ خـلـعـهـ وـكـبـ إـلـيـ لـئـنـ لـمـ تـقـرـيـ عـلـىـ ماـ كـنـتـ عـلـىـ وـتـؤـمـنـيـ لـأـخـلـعـكـ وـلـأـمـلـأـهـ عـلـيـكـ خـيـلـاـ وـرـجـلـاـ فـأـمـهـ وـكـبـ لـهـ الـعـهـدـ عـلـىـ خـرـاسـانـ. وـبـعـثـ إـلـيـ رـسـوـلـهـ بـذـلـكـ، فـبـعـثـ الرـسـوـلـ وـهـ بـحـلـوـانـ أـنـ قـدـ خـلـعـ وـكـانـ هوـ بـعـدـ بـعـةـ الـكـتـابـ إـلـىـ سـلـيمـانـ قـدـ اـشـتـ وـجـلـهـ وـأـشـارـ عـلـيـهـ أـخـرـهـ عـبـدـ اللـهـ بـالـمـعـاجـلـةـ، فـدـعـاـ النـاسـ إـلـىـ خـلـعـ وـذـكـرـهـ بـوـاتـهـ وـسـوـهـ وـلـاـيـةـ مـنـ تـقـدـمـهـ فـلـمـ يـجـيـهـ أـحـدـ، فـغـضـبـ وـشـتـمـهـ وـعـدـ وـمـثـلـهـمـ قـيـلـةـ قـيـلـةـ قـائـمـ عـلـىـ نـفـسـ بـالـأـبـ وـبـالـبـلدـ وـالـمـعـشـ. فـغـضـبـ النـاسـ وـكـرـهـوـاـ خـلـعـ سـلـيمـانـ وـأـجـعـوـاـ عـلـىـ خـلـعـ قـيـةـ وـخـلـفـهـ. وـعـذـلـ قـيـةـ أـصـحـابـهـ فـيـمـاـ كـانـ مـنـهـ فـقـالـ: لـمـ تـبـيـونـيـ غـضـبـتـ فـلـمـ أـدـرـ مـاـ قـلـتـ.

وجاء الأزد إلى حضين بن المنذر (بالضاد المعجمة) فقالوا: كيف ترى هذا يدعو إلى فساد الدين ويشنمنا فعرف مغزاهم فقال: إن مصر بحراسان كثير وقيم أكثرهم وهم شوكها ولا يرضون بغيرهم فيصيروا قوية ولا أرى لها إلا وكيعاً. وكان وكيع موتنا من قتيبة بعزله وولاية ضرار بن حصين الضبي مكانه. وقال حيان البطري مولى بني شيبان ليس لها غير وكيع ومشى الناس بعدهم إلى بعض سراً وتولى كبر ذلك حيان. وعمي خبره إلى قتيبة فأمر بقتله إذا دخل عليه، وتصح بعض خدم قتيبة بذلك إلى حيان فلما دعاه تارض، واجتمع الناس إلى وكيع وبایعوه. فمن أهل البصرة والعالية من المقاتلة سعة آلاف، ومن بكر سبعة آلاف رئيسهم حضين بن المنذر، ومن عميم عشرة آلاف عليهم ابن زخر ومن المولاي سبعة آلاف عليهم حيان البطري وقتل من الدليس، وسمى بطرياً لكتته.

وشرط على وكيع أن يحمل له الجانب الشرقي من نهر بلخ قبل، وفشا التبر وبلغ قتيبة فدس ضرار بن حيان الضبي إلى وكيع فبایعه، وجاء إلى قتيبة بالخبر فارسل قتيبة إلى وكيع فاعتذر بالمرض فقال لصاحب شرطته: إتي بي وإن أبي اتنى برأسه فلما جاء إلى وكيع ركب ونادي في الناس فأنبه أرسلا. واجتمع إلى قتيبة أهل

الغال. فلـمـ يـكـلـمـ الـمـلـكـ وـلـاـ أـحـدـ مـنـ حـضـرـهـ، وـقـالـوـاـ بـعـدـ اـنـصـرـهـمـ هـؤـلـاءـ نـسـوانـ. فـلـبـسـوـاـ الرـوـشـيـ وـالـمـطـارـفـ وـعـمـامـ الـخـزـ وـغـدـوـاـ عـلـيـهـ فـلـمـ يـكـلـمـهـ وـقـالـوـاـ هـذـهـ أـقـرـبـ إـلـىـ هـيـةـ الـرـجـالـ. ثـمـ دـعـاـهـمـ الـثـالـثـةـ فـلـبـسـوـاـ أـسـلـاحـهـمـ وـعـلـىـ رـؤـوسـهـمـ الـبـيـضـاتـ وـالـمـفـارـقـ وـتـرـحـشـوـاـ سـيـرـوـفـ وـاعـتـقـلـوـاـ الرـامـ وـنـكـبـوـاـ القـسـيـ فـهـاـمـ مـنـظـرـهـ. ثـمـ اـنـصـرـهـمـ وـرـكـبـوـاـ قـتـارـدـوـاـ فـعـجـبـ الـقـرـمـ مـنـهـ. ثـمـ دـعـاـ زـعـيمـهـ هـبـيرـةـ بـنـ شـرـمـ فـسـالـهـ لـمـ خـالـفـوـاـ فـيـ زـيـهـ؟ فـقـالـ: أـمـاـ الـأـوـلـ فـإـنـاـ نـسـاءـ فـيـ أـهـلـنـاـ وـأـمـاـ الشـانـيـ فـرـيـنـاـ عـنـدـ أـمـرـانـاـ، وـأـمـاـ الـثـالـثـ فـرـيـنـاـ لـعـدـوـنـاـ. فـاـسـتـحـسـنـ ذـلـكـ. ثـمـ قـالـ لـهـ: قـدـ رـأـيـتـ عـظـمـ مـلـكـيـ وـأـنـهـ لـيـسـ أـحـدـ يـعـنـكـ مـنـيـ، وـقـدـ عـرـفـ قـلـتـكـمـ فـقـولـاـ لـصـاحـبـكـ يـنـصـرـفـ وـلـاـ بـعـثـ مـنـ يـهـلـكـمـ. فـقـالـ هـبـيرـةـ كـيـفـ نـكـونـ فـيـ قـلـةـ وـأـوـلـ خـيـلـنـاـ فـيـ بـلـادـكـ وـأـخـرـهـاـ فـيـ مـنـابـتـ الـزـيـتونـ؟ وـأـمـاـ الـقـتـلـ فـلـسـنـاـ تـكـرـهـهـ وـلـاـ خـافـهـ، وـلـنـاـ آـجـالـ إـذـاـ حـضـرـتـ فـلـنـ تـعـدـاـهـاـ وـقـدـ حـلـفـ صـاحـبـاـهـ أـنـ لـاـ يـنـصـرـفـ حـتـىـ يـطـأـ أـرـضـكـ وـيـخـتـمـ مـلـوكـهـ وـيـاـخـذـ جـزـيـتـكـمـ. قـالـ الـمـلـكـ: فـإـنـاـ خـرـجـهـ مـنـ يـمـيـنـهـ، بـعـثـ لـهـ بـتـرـابـ مـنـ أـرـضـنـاـ فـيـطـوـءـ، وـيـقـيـضـ أـبـيـانـاـ فـيـخـتـهـمـ وـيـهـدـيـهـ تـرـضـيـهـ، ثـمـ أـجـازـهـ فـأـحـسـنـ. وـقـدـمـوـاـ عـلـىـ قـتـيـةـ قـبـلـ الـجـزـيـةـ وـوـطـنـ الـتـرـابـ وـخـتـمـ الـفـلـمـانـ وـرـدـهـمـ ثـمـ اـنـصـرـهـمـ مـنـ غـدـانـهـ. وـأـوـفـدـ هـبـيرـةـ إـلـىـ الـوـلـيدـ، وـيـلـغـهـ وـهـرـ فيـ الـفـرـاتـ مـوـتـ الـوـلـيدـ.

### وفاة الوليد وبيعة سليمان

ثم توفى الوليد في متصرف جادى الأخيرة من سنة ست وستعين وصلى عليه عمر بن عبد العزيز وكان من أفضل خلفاء بي أمية وبنى المساجد الثلاثة. مسجد المدينة، ومسجد القدس ومسجد دمشق. ولما أراد بناء مسجد دمشق كانت في موضعه كنيسة فهدتها وبناتها مسجداً. وشكروا ذلك لعمر بن عبد العزيز فقال: نرد عليكم كنيستكم ونهدم كنيسة توما فإنها خارج المدينة مما فتح عندها وبنيتها مسجداً فتركوا ذلك. وفتح في ولايته الأندلس وكاشر والمهد، وكان يتخذ الضياع وكان متواضعًا يمر بالقال فيسأله بكم حزمة البقل؟ ويسرع عليه. وكان يختم القرآن في ثلاثة وفي رمضان في يومين وكان أراد أن يخلع أخيه سليمان ويابع لولده عبد العزيز، فأتى سليمان فكتب إلى عماله ودعا الناس إلى ذلك فلم يجده إلا الحجاج وقيمة وبعض حراصه. واستقدم سليمان ثم استبطأه فاجمع السير إليه ليخلعه فمررت دون ذلك. ولما مات بوييع سليمان من يومه وهو بالرملة فنزل عثمان بن حيان من المدينة آخر رمضان، وولى عليها أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، وعزل ولاة الحجاج عن العراق فولى يزيد بن المهلب على المصريين

قال: هو يزيد بن المهلب فقال سليمان: العراق أحب إليه! فقال ابن الأهتم: قد علمت ولكن نكرهه فيختلف على العراق ويسير إلى خراسان، فكتب عهد يزيد على خراسان وبعثه مع ابن الأهتم. فلما جاءه بعث ابنه مخادعاً على خراسان وبعثه مع ابن الأهتم. ثم سار بعده واستخلف على واسط الجراح بن عبد الله الحكمي وعلى البصرة ابن عبد الله بن هلال الكلابي، وعلى الكوفة حرملة بن عبد اللهمي. ثم عزله لأشهر بشير بن حيان النهدي، فكانت قيس تطلب بشار قتيبة وتزعم أنه لم يخلع. فأوصى سليمان يزيد أن أقام قيس بيته أنه لم يخلع أن يقيده من وكيع.

### أخبار الصوائف وحصار قسطنطينية

كانت الصوائف تعطلت من الشام منذ وفاة معاوية وحدوث الفتنة واشتتدت الفتنة أيام عبد الملك اجتمعت الروم واستجاشوا على أهل الشام فصالح عبد الملك صاحب قسطنطينية على أن يؤدي إليه كل يوم جمة ألف دينار خشية منه على المسلمين ونظراً لهم، وذلك ستة سبعين لعشر سنين من وفاة معاوية. ثم لما قتل مصعب وسكنت الفتنة بعث الجيوش سنة إحدى وسبعين في الصائفة. فدخل فاتح قيسارية، ثم ول على الجزيرة وأرمينة أخيه محمد بن مروان سنة ثلاثة وسبعين فدخل في الصائفة إلى بلاد الروم فهزهم، ودخل عثمان بن الوليد من ناحية أرمينة في أربعة آلاف ولقيه الروم في ستين ألفاً فهزهم وأتى بهم بالقتل والأسر. ثم غزا محمد بن مروان سنة أربع وسبعين فبلغ أنجورياً وغزا في السنة بعدها في الصائفة من طريق مرعش، فدخل بلا دهم وخرج الروم في السنة بعدها إلى العتيق فغزاهم من ناحية مرعش ثانية، ثم غزاهم سنة ست وسبعين من ناحية ملطية ودخل في الصائفة سنة سبع وسبعين الوليد بن عبد الملك فأتى بهم ورجع.

وجاء الروم سنة تسعة وسبعين فأصابوا من أهل أنطاكية وظفروا بهم فبعث عبد الملك سنة إحدى وثمانين ابنه عبيد الله بالعسكر ففتح قالقلا. ثم غزا محمد بن مروان سنة اثنين وثمانين أرمينة وهزهم، فصالوه الصلح فصالحهم وولى عليهم أبي شيخ بن عبد الله فغدروه وقتلوه فغزاهم سنة حسين وثمانين. وصاف فيها وشتب ثم غزا مسلمة بن عبد الملك أرض الروم ودخولها، ورجع وعاد إليها سنة سبع وثمانين. فأتى بهم بناجية المصيصة وفتح حصوناً كبيرة. منها حصن بولق والأحزن وبولس وقميسم. وقتل

بيته وخراصه وفاته وبين عمده، وأمر فنودي في الناس قبيلة قبيلة، وأجابوه بالجلفوة. يقول: أين بنو فلان؟ فيقولون: حيث وضعتهم! فنادي بأذكراككم الله والرحم، فقالوا: أنت قطعتها! فنادي لكم العتبى، فقالوا: لا! إننا لمن الله إذا. فدعوا ببرذون ليركبه فعنده ورمحه فعاد إلى سريره. وجاء حيyan النبطي في العجم، فأمره عبد الله أخوه قتيبة أن يحمل على القوم، فاعتذر وقال لابنه: إذا لقيتني حولت قلسسوتي فعمل بالأعاجم إلى وكيع، ثم حوطها وسار بهم ورمي صالح آخر قتيبة بسهم فحمل إلى أخيه. ثم تهابي الناس وجاء إلى عبد الرحمن أخي قتيبة الغوغاء ونحوهم فآخرقا آريا فيه إيل قتيبة ودوابه. ثم زحفوا به حتى بلغوا قسطنطيل أطنابه وجرح جراحات كثيرة. ثم قطعوا رأسه وقتل معه إخوهه عبد الرحمن وعبد الله صالح وحسين وعبد الكريم ومسلم وابنه كثير، وقتل عبد الكريم بقرزون، فكان عدد من قتل من أهله أحد عشر رجلاً، ونحو آخره عمر مع آخره من ثيم. ثم صعد وكيع المبر وأنشد الشعر في الثناء على نفسه و فعله والنذ من قتيبة وواعد بحسن السيرة وطلب رأس قتيبة وخاقانه من الأزد وهددهم عليه فجأوا به بعثة إلى سليمان. ووفي وكيع حيyan النبطي عاصمن له.

### ولاية يزيد بن المهلب خراسان

كان يزيد بن المهلب لما ولاه سليمان العراق على الحرب والصلة والخارج استكره أن يحيف على الناس في الخارج فتلحقه المذمة كما لحقت الحجاج ويغرب العراق، وإن قصر عن ذلك لم يقبل منه. فرغب من سليمان أن يعيشه من الخارج وأشار عليه بصالح بن عبد الرحمن مولى ثيم، فولاه سليمان الخارج وعيشه قبل يزيد. فلما جاء صالح إلى يزيد ضيق عليه صالح، وكان يزيد يطعم على ألف خوان. فاستكرثها صالح فقال: أكتب ثمنها على وغير ذلك. وضجر يزيد. وجاء خبر خراسان ومقتل قتيبة فطبع يزيد في ولايتها ودس عبد الله بن الأهتم على سليمان أن يوليه خراسان ولا يشعر بطلبته بذلك. وسيره على البريد فقال له سليمان: إن يزيد كتب إلي بذكر عملك بالعراق! فقال: نعم بها ولدت وبها نشأت.

ثم استشاره فيمن يوليه خراسان ولم ينزل سليمان بذلك الناس وهو يردهم، ثم حذره من وكيع وغدره قال: فسم أنت! قال شريطة الكمال الإجازة من أشير به، وإذا علم بكره ذلك. ثم

وغرد القون وأصبح حمارياً، وأصاب الناس الجرع فأكلوا الدواب والجلود وأصول الشجر والورق وسلامن مقيم بوابق وحال الشتاء بينهم وبينه فلم يقدر أن يذهب حتى مات. وأغارت برجان على مسلمة وهو في قلة فهزمهم وفتح مديتها. وغزا في هذه السنة الوليد بن هشام فافتتح في بلاد الروم.

وغزا داود بن سليمان سنة ثمان وتسعين ففتح حصن المرأة مما يلي ملطية. وفي سنة تسع وتسعين بعث عمر بن عبد العزيز مسلمة وهو بأرض الروم وأمده بالتفوّل بال المسلمين وبعث إليه بالخيل والدواب، وحث الناس على معونتهم. ثم أمر عمر بن عبد العزيز أهل طريدة بالجلاء عنها إلى ملطية وخربيها. وكان عبد الله بن عبد الملك قد أسكنها المسلمين وفرض على أهل الجزيرة مسلحة تكون عندهم إلى فصل الشتاء، وكانت متربعة في أرض الروم فخربها عمر، وولى على ملطية جعرنة بن الحارث من بني عامر بن صعصعة. وأغزي عمر سنة مائة من المجرة بالصافنة الوليد بن هشام المعطي وعمر بن قيس الكندي.

## فتح جرجان وطبرستان

كان يزيد بن المهلب يريد فتحهما لما أنهما كانتا للكفار، وتسطعا بين فارس وخراسان ولم يصبهما الفتح. وكان يقول وهو في جوار سليمان بالشام إذا قشت عليه أخبار قتيبة وما يفعله بخراسان وما وراء النهر، ما فعلت جرجان التي قطعت الطريق وأفسدت يوسس ونيسابور ليست هذه الفتوح بشيء والشأن في جرجان. فلما وله سليمان خراسان سار إليها في مائة ألف من أهل العراق والشام وخراسان سوى الموالي والمتطوعة، ولم تكن جرجان يومئذ مدينة إما هي جبال ومخارق يقوم الرجل على باب منها فيمنعه. فابتداً بهسان فحاصرها وبها طائفة من الترك فكانوا ينحرجون فيقاتلون وينهبون في كل يوم ويدخلون حصنهم. ولم يزل على ذلك حتى بعث إليه دهستان بستاذن يسأل في الصلح ويسلم المدينة وما فيها فصالحة وأخذ ما فيها من الأموال والكتوز والسي ما لا يحصى، وقتل أربعة عشر ألفاً من الترك، وكتب إلى سليمان بذلك.

ثم سار إلى جرجان وكان سعيد بن العاصي قد صالحهم على الجزية مائة ألف في السنة فكانوا أحياناً يحبون مائة وأحياناً مائتين وأحياناً ثلاثة، ورماً أعطوا ذلك ورماً منعوا، ثم كفروا ولم يزاجأ، ولم يأت جرجان بعد سعيد أحد، ومنعوا الطريق إلى خراسان على فكان الناس يسلكون على فارس وسلماس. ثم

من المستقرية ألف مقاتل وسي أهاليهم. ثم غزا بلاد الروم سنة تسع وثمانين مسلمة بن عبد الملك والجباس بن الوليد، فافتتح مسلمة حصن سوريا وافتتح العباس أردوية، ولقي جماعاً من الروم فهزمهم.

وقيل: إن مسلمة قصد عمورية فلقي بها جماعاً من الروم فهزمهم. وافتتح هرقلة وقمرولية وغزا العباس الصافنة من ناحية البلبدون. وغزا مسلمة بن عبد الملك الترك سنة تسع وثمانين من ناحية أذريجان ففتح حصوناً ومداشان هناك. ثم غزا سنة تسعين ففتح الحصون الخمس التي بسورية. وغزا العباس حتى بلغ أردن وسورية.

وفي سنة إحدى وتسعين غزا عبد العزيز بن الوليد في الصافنة مع مسلمة بن عبد الملك وكان الوليد قد ول مسلمة على الجزيرة وأرميتية وعزل عمه محمد بن مروان عنها، فغزا الترك من ناحية أذريجان حتى الباب وفتح مداشان وحصوناً، ثم غزا سنة اثنين وتسعين بعدها ففتح ثلاثة حصون وجلاً أهل سرستة إلى بلاد الروم ثم غزا العباس بن الوليد سنة ثلاث بعدها بلاد الروم ففتح سبيطة، وغزا مروان بن الوليد فيبلغ حنجرة. وغزا العباس ففتح ماشية وحصن الحديد وغزالة من ناحية ملطية. وغزا العباس بن الوليد سنة أربع وتسعين ففتح أنطاكية. وغزا عبد العزيز بن الوليد ففتح غزالة وبلغ الوليد بن هشام المعطي مروج الحمام، ويزيد بن أبي كثرة أرض سوريا.

وفي سنة خمس وتسعين غزا العباس الروم ففتح هرقلة. وفي سنة سبع وتسعين غزا مسلمة أرض الرضاخية وفتح الحصن الذي فتحه الرصاص، وغزا عمر بن هبيرة أرض الروم في البحر فشقى بها، وبعث سليمان بن عبد الملك الجبوش إلى القسطنطينية وبعث ابنه داود على الصافنة ففتح حصن المرأة، وفي سنة ثمان وتسعين مات ملك الروم، فجاء القون إلى سليمان فأخبره وضمن له فتح الروم، وسار سليمان إلى وابق وبعث الجبوش مع أخيه مسلمة، ولما دنا من القسطنطينية أمر أهل المسكر أن يحمل كل واحد مدين مدين من الطعام ويلقروه في مسکرهم فصار أمثال الجبال واقتذ البيوت من الخشب. وأمر الناس بالزراعة وصف وشتي وهم يأكلون من زراعتهم وطعامهم الذي استأوفوه مدخراً.

ثم جهد أهل القسطنطينية الحصار، وسائلوا الصلح على الجزية ديناراً على الرأس، فلم يقبل مسلمة وبعث الروم إلى القون إن صرفتنا علينا المسلمين ملوكنا فقال مسلمة: لو أحرقت هذا الزرع علم الروم أنك قصدتهم بالقتال فناخذهم بالليل وهم الآن يظلون مع بقاء الزرع أنك تظاولهم، فآخر الزرع فقوى الروم

طخارستان ابن قيصرة بن المهلب، وأتى جرجان فلم يمنعه دونها أحد ودخلتها. ثم سار منها إلى البحيرة وحضر صولاً بها شهراً حتى سال الصلح على نفسه وماله وثمانمائة وسلم إليه البحيرة فأجابه يزيد وخرج صول عن البحيرة وقتل يزيد من الأتراك أربعة عشر ألفاً وأمر إدريس بن حنظلة العمي أن يمحصي ما في البحيرة ليعطي الجند فلم يقدر. وكان فيها من الحنطة والشعير والأرز والسمسم والعلش شيء كثير ومن الذهب والفضة كذلك. ولما صالح يزيد أصحابه طبرستان كما قدمته سار إلى جرجان وعاهد الله إن ظفر بهم ليطعنن القمع على سائل دمائهم ويأكل منه. فحاصرهم سبعة أشهر وهم يخرون إليه فقاتلوه ويرجعون وكانتوا متمنعين في الجبل والأوغار. وقد رجل من عجم خراسان فاتبع بخلاء في الجبل وانتهى إلى مسكنهم وعرف الطريق إليه ودل الأولة على معالله وأتى يزيد فأخبره. فانتخب ثلاثة رجال مع ابنه خالد وضم إليه جهم بن ذخر وبعثه وذلك الرجل يدل به، وواعده أن يناهضهم العصر من الغداة. ولما كان الغد وقت الظهر أحرق يزيد كل حطب عنده حتى اضطررت التيران ونظر العدو إلى النار فهالهم وحاملوا للقتال آمنين خلفهم فناشتهم يزيد إلى العصر وإذا بالتكبر من ورائهم فهربوا إلى حصنهم وأتبعهم المسلمون فأعطوا ما بأيديهم ونزلوا على حكم يزيد. فقتل المقاتل وسي الذرية وقد منهم التي عشر ألفاً إلى وادي جرجان، ومكث أهل الثار منهم حتى استلموهم. وجرى الماء على الدم وعلى الأرحاء فطحبن وخبز وأكل وقتل منهم أربعين ألفاً. وبني مدينة جرجان ولم تكن بنيت قبل ورجمع إلى خراسان وولى على جرجان جهم بن ذخر الجعفي ولما قتل مقاتلهم صلبهم فرسخن عن بين الطريق ويساره.

### وفاة سليمان وبيعة عمر بن عبد العزيز

ثم توفي سليمان ب سابق من أرض قسرين من سنة تسعمائتين في صفر منها وقد كان في مرضه أراد أن يعهد إلى ولده داود ثم استنصره وقال له كاتبه رجاء بن حبيبة ابنته غائب عنك بقطنطينية ولا يعرف حياته من موته فعدل إلى عمر بن عبد العزيز وقال له: إني والله لأعلم أنها تكون فتنة ولا يذكرك أنه أبداً يلي عليهم إلا أن أجعل أحدهم بعده، وكان عبد الملك قد جعل ذلك له وكتب بعد البسمة: هذا كتاب من عبد الله سليمان أمير المؤمنين لعمر بن عبد العزيز: إني قد وليتك الخلافة من بعدي ومن بعدي يزيد بن عبد الملك فاسمعوا له وأطيعوا واتقوا الله، ولا تخالفوا فيطمع فيكم ختم الكتاب.

فتح قبة طريق قومس وبقي أمر جرجان حتى جاء يزيد فصالحوه. ولما فتح يزيد قهستان وجرجان طمع في طبرستان فاستعمل عبد الله بن معمر اليشكري على ساسان وقهستان، وخلف معه أربعة آلاف فارس، وسار إلى أدنى جرجان من جهة طبرستان ونزل بأمد.

ونسا راشد بن عمر في أربعة آلاف. ودخل بلاط طبرستان فسأل أصحابها الأصحاب في الصلح، وأن يخرج من طبرستان. فلما يزيد ورجا أن يفتحها، ووجه أخيه عينة من وجهه وابنه خالد بن يزيد من وجهه، وإذا اجتمعوا فعينة على الناس. واستجاش الأصحاب أهل جيلان والدليم والتقدوا فانهزم المشركون، واتبعهم المسلمون إلى الشعب وصعد المشركون في الجبل فامتنعوا على المسلمين وصعد أبو عينة بن معه خلفهم فهزهم المشركون في الوعر نكفا. وكانت الأصحاب أهل جرجان وقدمهم المرزيان أن بيتوا لل المسلمين عندهم ليقطعوا المادة عن يزيد والطرق بينه وبين جرجان وواعدهم بالكافأة على ذلك. فساروا بال المسلمين وهم غارون، وقتل عبد الله بن معمر وجبيع من معه ولم ينج أحد. وكتبوا إلى الأصحاب بأخذ المضايق والطرق، وبلغ ذلك يزيد وأصحابه فعظم عليهم وهالهم، وفزع يزيد إلى حي النبطي وكان قد غرمته المأني الف درهم بسبب أنه كتب إلى ابنه مخلد كتاباً فبدأ بنفسه. فقال له: لا يمنعك ما كان في إليك من نصيحة المسلمين وقد علمت ما جاء من جرجان فاعمل في الصلح. فأتى حيان الأصحاب ومت إليه بحسب العجم وتصلّى له وقتل له في الذروة والقارب حتى صالحه على سبعمائة ألف درهم وأربعين ألفاً زغفران أو قيمة من العين، وأربعين رجل على يد كل رجل منهم ترس وطيلسان وجام من فضة وخرقة حرير وكسوة، فأرسل يزيد لقبض ذلك ورجع أهـ.

وقيل في سبب مسیر يزيد إلى جرجان أن صولاً التركي كان على قهستان والبحيرة، جزيرة في البحر على خمسة فراسخ من قهستان، وهو من جرجان مما يلي خوارزم وكان يغير على فیروز بن فولقول مرزيان جرجان. وأشار فیروز بتصيب من بلاده، فسار فیروز إلى يزيد هارباً منه وأخذ صول جرجان وأشار فیروز على يزيد أن يكتب إلى الأصحاب ويرغبه في العطاء إن هو حبس صولاً بجرجان حتى يمحاصر بها، ليكون ذلك وسيلة إلى معاكسته وخروجه عن جرجان فيتمكن يزيد منه. فكتب إلى الأصحاب وبعث بالكتاب إلى صول فخرج من حينه إلى البحيرة. وبلغ يزيد الخبر فسار إلى جرجان ومعه فیروز واستختلف على خراسان ابنه مخلداً. وعلى سمرقند وكش ونسف وبخاري ابنه معاوية وعلى

يكن ليأخذني بذلك. فقال له عمر: إنق الله وهذه حقرق المسلمين لا يسعني تركها ثم جبته مهصن حلب وبعث الجراح بن عبد الله الحكمي واليا على خراسان مكانه. وانصرف يزيد بن يزيد فقدم على عمر واستعطفه لأبيه وقال له: يا أمير المؤمنين إن كانت له بيته فخذ بها وإنما فاستحلله وإنما فصالحه أو فصالحني على ما تأسّل قابلي عمر من ذلك وشكرا من مخلد ما فعل، ثم أليس يزيد جبة صوف وحمله على جمل وسيره إلى دهلك. ومر يزيد على الناس وهو ينادي بعشيرة بالكثير لما فعل به فدخل سلامة بن نعيم الخوارزمي على عمر وقال: أردد يزيد إلى محبسه لثلا بتزعه قوله، فإنهم قد غضبوا، فرده إلى أن كان من أمر فزاره ما يذكر.

### ولاية عبد الرحمن بن نعيم القشيري على خراسان

ولما عزل يزيد عن خراسان وكان عامل جرجان جهم بن ذخر الجعفي فأرسل عامل العراق على جرجان عاماً مكانه، فحبسه جهم وقيده. فما جاء الجراح إلى خراسان أطلق جرجان عاملهم، ونكر الجراح على جهم ما فعل. وقال: لولا قرباتك مني ما سوغتك هذا! يعني أن جهناً وجعلناً معًا ابناً سعد العشيرة. ثم بعث في الغزو وأوفد على عمر وفداً فكلم فيه بعضهم عمر بأنه يعرى الموالي بلا عطاء ولا رزق ويؤاخذ من أسلم من أهل الذمة بالجراح. ثم عرض بأنه سيف من سيف الجراح قد عُلِم بالظلم والعدوان. فكتب عمر إلى الجراح انظر من صلي بذلك فخل عنه الجزية فسارع الناس إلى الإسلام فراراً من الجزية فامتحنهم بالختان وكتب إلى عمر ذلك.

فكتب عليه عمران: الله بعث محمداً داعياً ولم يبعثه خاتماً واستقدم الجراح وقال: أحمل معك أبا مخلد واستخلف على حرب خراسان عبد الرحمن بن نعيم القشيري. ولما قدم على عمر قال: متى خرجت؟ قال: في شهر رمضان. قال: صدقك من وصفك بالجفاء، لا أقمت حتى تفطر ثم تافر. ثم سال عمر أبا مخلد عن عبد الرحمن بن عبد الله فقال: يكفي الأكفاء ويعادي الأعداء ويقدم إن وجد ما يساعدك. قال: فعبد الرحمن بن نعيم؟ قال: يحب العافية وتائيه! قال: هو أحب إلى قوياه الصلاة والحرب، ولهم عبد الرحمن القشيري الخراج. فلم يزل عبد الرحمن بن نعيم على خراسان حتى قتل يزيد بن المهلب. ولهم مسلمة. وكانت ولايته أكثر من سنة ونصف. وظهر من أيام الجراح بخراسان دعوة بني

ثم أمر كعب بن جابر العبسي صاحب الشرطة أن يجمع أهل بيته، وأمر رجاء بن حبيرة أن يدفع لهم كتابه. وقال: أخبرهم أنه كتابي فلبيأعوا من وليت فيه فبایموه رجالاً وتفرقوا. واتى عمر إلى رجاء يستعمله ويناشده الله والمردة يستغنى من ذلك فابي. وجاءه هشام أيضاً يستعمله ليطلب حقه في الأمر فابي، فانصرف أسفًا أن يخرج من بيتي عبد الملك. ثم مات سليمان وجمع رجاء أهل بيته فقرأ عليهم الكتاب. فلما ذكر عمر قال هشام: والله لا نبايعه أبداً. فقال له رجاء: والله نضرب عنقك. فقام أسفًا يجر رجله حتى جاء إلى عمر بن عبد العزيز وقد أجلسه رجاء على المنبر وهو يسترجع لما أخطأه، فبايعه واتبعه الباقيون. ودفن سليمان وصلى عليه عمر بن عبد العزيز والوليد كان غائبًا عن موت سليمان ولم يعلم بيه عمر فقد لواء ودعا لنفسه وجاء إلى دمشق. ثم بلغه عهد سليمان فجاء إلى عمر واعتذر إليه وقال: بلغني أن سليمان لم يعهد فاختفت على الأموال أن تذهب فقال عمر: لو قمت بالأمر لعفدت في بيتي ولم أنازفك فقال عبد العزيز: والله لا أحب لهذا الأمر غيرك! وأول ما بدأ به عمر لما استقرت البيعة أنه رد ما كان لفاطمة بنت عبد الملك زوجته من المال والخلي والجواهر إلى بيت المال. وقال: لا أجتماع أنا وأنت وهو في بيت واحد فرده جميعه. ولما ول أخواتها يزيد من بعد رده عليها فابت وقالت: ما كنت أعطيه حيًّا أعطيه ميتاً ففرقه يزيد على أهله. وكان بنو أمية يسبون علياً فكتب عمر إلى الآفاق بترك ذلك وكتب إلى مسلمة وهو بارض الروم يأمره بالقول بال المسلمين.

### عزل يزيد بن المهلب وحبسه والولاية على عماله

ولما استقرت البيعة لعمر كتب في سنة مائة إلى يزيد بن المهلب أن يستخلف على عماله ويقدم فاستخلف مخلداً ابنه وقدم من خراسان وقد كان عمر ول على البصرة عدي بن أرطاة الفزاروي وعلى الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وضم إليه أبا الزناد، فكتب إلى عدي بن أرطاة موسى أن يقبض على يزيد بن المهلب ويعنته مقيداً، فلما نزل يزيد واسط وركب السفن يزيد البصرة بعث على بن أرطاة موسى بن الرحيبة الحميري فلقيه في نهر معقل عند الجسر فقيده ويعثبه إلى عمر، وكان عمر يبغضه ويقول إنه مراء وأهل بيته جباره.

فلما طالب بالأموال التي كتب بها إلى سليمان من خراسان قال: إنما كتبت لأسمع الناس، وعلمت أن سليمان لم

وبي رمق فقال: اللهم إن كان ابن المهلب يريد بال المسلمين سوءاً فلأخذه به ولهذه فقد هاض. انتهى.

ولما بُويع لِيَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ كَتُبَ إِلَى عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بِالْكُوفَةِ وَإِلَى عَدِيِّ بْنِ أَرْطَاطَةِ بِالْبَصَرَةِ بِهِرَبِهِ وَالتَّحْرِزِ مِنْهُ وَأَبْنِ عَدِيِّ أَنْ يَأْخُذَ الْمَهْلَبَ بِالْبَصَرَةِ فَجَنَّدَا عَلَيْهِمْ هَشَامَ بْنَ ابْنِي الْمَهْلَبِ، وَبَعْثَتْ عَبْدُ الْحَمِيدِ مِنَ الْكُوفَةِ جَنَّدَا عَلَيْهِمْ هَشَامَ بْنَ سَاحِقَ بْنِ عَمْرَ فَاتِنَّا الْعَلِيِّبِ وَمَرْ بِيَزِيدَ عَلَيْهِمْ فَوْقَ الْقَطْفَانَةِ فَلَمْ يَقْدِمُوا عَلَيْهِ. وَمَضَى نَحْوَ الْبَصَرَةِ وَقَدْ جَعَ عَدِيُّ بْنُ أَرْطَاطَةِ أَهْلَ الْبَصَرَةِ وَخَنْدَقَ عَلَيْهَا وَبَعْثَتْ عَلَى خَيلِهَا الْمُغَيْرَةَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي عَقِيلٍ. وَجَاءَ يَزِيدُ عَلَى أَصْحَابِهِ الَّذِينَ مَعَهُ وَانْتَصَرَ إِلَيْهِ أُخْرَوْهُمْ حَمْدَهُ فِيمَنْ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ مِنْ قَوْمِهِمْ. وَبَعْثَتْ عَدِيُّ بْنُ أَرْطَاطَةِ عَلَى كُلِّ خَمْسِ مِنْ أَخْمَاسِ الْبَصَرَةِ رِجَالًا: فَلَعْلَى الْأَزْدِ الْمُغَيْرَةِ بْنِ زَيَادِ بْنِ عَمِّ الْعَنْكَبِيِّ، وَعَلَى تَعْمِيْمِ حَمْزَةِ بْنِ حَمْدَانِ السَّعْدِيِّ، وَعَلَى بَكْرَةِ نُوحِ بْنِ شَيْبَانِ بْنِ مَالِكِ بْنِ مَسْعَعِ، وَعَلَى عَبْدِ الْقَيْسِ مَالِكِ بْنِ الْمَنْذَرِ بْنِ الْجَارِوَدِ، وَعَلَى أَهْلِ الْعَالَيَةِ عَبْدِ الْأَعْلَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرَ، وَهُمْ قَرِيشٌ وَكَتَانَةٌ وَالْأَزْدُ وَبَجِيلَةٌ وَخَثْعَمٌ وَقَيْسٌ عَيْلَانٌ وَمَزِينَةٌ فَلَمْ يَعْرُضُوا لِيَزِيدَ وَأَقْبَلُ فَانْزَلَ. انتهى.

وَانْخَلَفَ النَّاسُ إِلَيْهِ وَأُرْسَلَ إِلَى عَدِيِّ أَنْ يَطْلُقَ لَهُ إِخْوَتَهُ فَيُنْزَلَ بِالْبَصَرَةِ، وَيُنْزَرِجُ حَتَّى يَأْخُذَ لَفْسَهُ مِنْ يَزِيدَ، وَبَعْثَتْ حَمْدَهُ أَبْنَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ الْمَهْلَبَ يَسْتَأْمِنُ لَهُ مِنْ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فَأَجَارَهُ خَالِدَ الْقَسْرِيِّ وَعَمْرَ بْنِ يَزِيدَ الْحَكْمِيِّ بِأَمَانٍ يَزِيدَ لَهُ وَلَأَهْلِهِ. وَقَدْ كَانَ بَعْدَ مُنْصَرْفِ حَمْدَهُ فَرَقَ فِي النَّاسِ قَطَعَ النَّهَبَ وَالْفَحْشَةَ فَانْتَالَوْا عَلَيْهِ، وَعَدِيُّ يَعْطِي دَرَهْمَيْنِ درَهْمَيْنِ. ثُمَّ تَسَاجَزَوْا الْحَرْبَ وَهُلُّ أَصْحَابُ يَزِيدَ عَلَى أَصْحَابِ عَدِيِّ فَانْهَمُوا وَدَنَا يَزِيدُ مِنَ الْقَصْرِ، وَخَرَجَ عَدِيُّ بِنْفَسِهِ فَانْهَمَ أَصْحَابُهُ. وَخَافَ أُخْرَاهُ يَزِيدُ وَهُمْ فِي الْمَبِيسِ أَنْ يَقْتُلُو قَبْلَ وَصْوَلِهِ فَأَغْلَقُوا الْبَابَ وَامْتَعَنُوا فِي جَاءِهِمُ الْحَرْسِ يَعْلَجُونَ فَأَجْلَفُوهُمُ النَّاسُ عَنْهُ فَخَلُوَّا عَنْهُمْ وَانْطَلَقُوا إِلَى أَخِيهِمْ.

وَنَزَلَ يَزِيدُ دَارَ مُسْلِمَ بْنِ زَيَادٍ إِلَى جَانِبِ الْقَصْرِ وَتَسْوَرَ الْقَصْرَ بِالسَّلَامِ وَفَتَحَهُ وَأَتَى بِعْدِيَّ بْنِ أَرْطَاطَةَ فَجَبَسَهُ. وَهَرَبَ رُؤُوسُ الْبَصَرَةِ مِنْ تَعْمِيْمِ وَقَيْسِ وَمَالِكِ بْنِ الْمَنْذَرِ إِلَى الْكُوفَةِ وَالشَّامِ. وَخَرَجَ الْمُغَيْرَةُ بْنُ زَيَادٍ بْنِ عَمِّ الْعَنْكَبِيِّ إِلَى الشَّامِ فَلَقِيَ خَالِدًا الْقَسْرِيَّ وَعَمْرَ بْنَ يَزِيدَ وَقَدْ جَاؤُوا بِأَمَانٍ يَزِيدَ بْنِ الْمَهْلَبَ مَعَ حَمْدَهُ أَبْنَى عَبْدِ الْمَلِكِ بِمَا بَظَهَرَ عَلَى الْبَصَرَةِ وَحَسْبَهُ عَدِيَّاً فَرَجَعَ إِلَى وَعْدِهِ لِمَا فَلَمْ يَقْبِلْ، فَتَبَقَّى عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بِالْكُوفَةِ عَلَى خَالِدٍ بْنِ يَزِيدٍ بْنِ الْمَهْلَبِ وَحَمَادٍ بْنِ ذَخْرَ، وَحَلَّهُمَا وَسِيرَهُمَا إِلَى الشَّامِ فَجَبَسُوهُمَا يَزِيدَ حَتَّى هَلَّكَا بِالسَّجْنِ. وَبَعْثَتْ

الْعَبَاسَ فِيمَنْ بَعْثَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلَيٍّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَاسِ إِلَى الْأَفَاقِ حَسْبَمَا يُذَكَّرُ فِي أَخْبَارِ الدُّولَةِ الْعَبَاسِيَّةِ.

## وفاة عمر بن عبد العزيز وبيعة يزيد

ثُمَّ تَوَفَّ عَمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فِي رَجَبِ سَنَةِ إِحْدَى وَمَائَةٍ بِدِيرِ سَمَاعَنَ وَدُفِنَ بِهَا لِسْتِينَ وَخَسْتَةَ أَشْهُرٍ مِنْ وَلَايَتِهِ وَلِأَرْبَعِينِ مِنْ عُمُرِهِ وَكَانَ يَدْعُ أَشْجَنَ بْنَ أَمِيَّةَ رَعْتَهُ دَابَّةً وَهُرَّ غَلَامٌ فَشَجَّتْهُ وَلَمَّا مَاتَ وَلِيَ بَعْدَهُ يَزِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ بِعَهْدِ سَلِيمَانَ كَمَا تَقْدِمُ وَقْلَ لِعَمِرِ حَنِّ الْحَاضِرِ: أَكْتَبَ إِلَى يَزِيدَ فَأَوْصَهُ بِالْأَمْرِ قَالَ: مَمَّا ذَوَّبَ أَوْصَيْهِ؟ إِنَّهُ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمَلِكِ! ثُمَّ كَتَبَ: أَمَا بَعْدَ فَاتَقَتْ يَازِيدَ الصَّرْعَةَ بَعْدَ الْفَلَقَةِ حِينَ لَا تَقَالُ الْعَثَرَةُ، وَلَا تَقْدَرُ عَلَى الرَّجْعَةِ إِنْكَ تَرْكَ مَا أَتَرَكَ لِمَنْ لَمْ يَعْنِرْكَ وَالسَّلَامُ. وَلَا وَلِي يَزِيدَ عَزْلَ أَبَا بَكْرٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَمْرَ بْنِ حَزْمٍ عَنِ الْمَدِينَةِ وَوَلِي عَلَيْهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ الضَّحَّاكِ بْنِ قَيْسِ الْفَهْرِيِّ وَغَيْرَ كُلِّ مَا صَنَعَهُ عَمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَكَانَ مِنْ ذَلِكَ شَانُ خَرَاجَ الْيَمَنِ. فَإِنَّ حَمْدَهُ أَخَا الْمَحَاجَاجَ جَعَلَ عَلَيْهِمْ خَرَاجًا عَجَدًا وَازَالَ ذَلِكَ عَمَرَ إِلَى الْعَشْرِ أَوْ نَصْفِ الْعَشْرِ. وَقَالَ: لَئِنْ يَأْتِيَنِي مِنَ الْيَمَنِ جَبَذْرَةً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ تَقْرِيرِ هَذِهِ الْوَظِيفَةِ. فَلَمَّا وَلِي يَزِيدَ أَعْدَاهَا وَقَالَ لِعَالْمِهِ خَذْنَاهُ مِنْهُمْ وَلَوْ صَارُوا حَرَضًا. وَهَلَكَ عَمَهُ مُحَمَّدُ بْنُ مُرَوَانَ فَوْلُ مَكَانَهُ عَلَى الْجَزِيرَةِ وَأَذْرِيْجَانَ وَأَرْمِينَةَ عَمَهُ الْأَخْرَى مُسْلِمَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ.

## احتياط يزيد بن المهلب ومقتله

قد تقدم لنا حبس يزيد بن المهلب فلم ينزل عبوساً حتى اشتد مرض عمر بن عبد العزيز فعمل في المربى خافقة يزيد بن عبد الملك لأن زوجته بنت أخي الحاجاج. وكان سليمان أمر ابن المهلب بتزويج قرابة الحاجاج كلهم فقلهم من البلقاء وفيهم زوجة يزيد وعلبها. وجاء يزيد بن عبد الملك إلى منزله شافعاً فلم يشفعه فضمن حمل ما قرر عليها فلم يقبل فتهده ف قال له ابن المهلب: لئن وليت أنت لأرميك مائة ألف سيف، فجعل يزيد بن عبد الملك عنها مائة ألف دينار. ولا اشتد مرض عمر خاف من ذلك وأرسل إلى مواليه أن يغدوا إليه بالإبل والخليل في مكان عينة لهم. وبعث إلى عامل حلب بإشفافه من يزيد، وبذل له المال وإلى الحرس الذين يحافظونه فخلقي سيله، وأتى إلى دوابه فركبها ولحق بالبصرة. وكتب إلى عمر: إني والله لو وقفت بحياتك لم أخرج من عبسك. ولكن خفت أن يقتلني يزيد شر قتلة. فقرأ عمر الكتاب

القتال وأمر مسلمة فاحرق الجسر فقطع دخانه. فلما رأه أصحاب يزيد انهموا واعتبرتهم يزيد يضرر في وجههم حتى كثروا عليه فرجع وترجل في أصحابه. وقيل له: قتل أشوك حبيب فقال: لا خير في العيش بعده ولا بعد المهزيمة.

ثم استمات ودلف إلى مسلمة لا يريد غيره فعطف عليه أهل الشام فقتلته هو وأصحابه، وفيهم آخره محمد. وبعث مسلمة برأسه إلى يزيد بن عبد الملك مع خالد بن الوليد بن عقبة. وقيل: إن الذي قتلته المهلب بن زفر بن الحارث الكلابي وأنف أن يتزحل فيأخذ رأسه فأخذه غيره. وكان المفضل بن المهلب يقاتل في ناحية المعترك وما علم بقتل يزيد فبقي ساعة كذلك يكروي ويفر حتى أخبر بقتل إخوه فافتلق الناس عنه، ومضى إلى واسط. وجاء أهل الشام إلى عسکر يزيد فقاتلهم أبو رؤبة رأس الطائفة المرجنة ومعه جماعة منهم صدق، فقاتلوا ساعة من النهار ثم انصرفوا. وأسر مسلمة ثلاثة أسير جسهم في الكوفة.

وجاء كتاب يزيد إلى محمد بن عمر بن الوليد بقتلهم فأمر العريان بن الهيثم صاحب الشرطة بذلك وبدأ بشمائين من بني تميم فقتلهم. ثم جاء كتاب يزيد بإعفافهم فتركهم. وأقبل مسلمة فنزل الحيرة وجاء الخبر بقتل يزيد إلى واسط فقتل ابنه معاوية عدي بن أرطاة وعمداً ابنه ومالكًا وعبد الملك ابنها مسمى في ثلاثين ورجم إلى البصرة بالمال والخزان. واجتمع بهم المفضل وأهل بيته، وقحبوا للركوب في البحر وركبوا إلى قنديايل وبها وداع بن حيد الأسدى ولاه عليها يزيد بن المهلب ملحاً لأهل بيته إن وقع بهم ذلك فركبوا البحر بعيالهم وأموالهم إلى جبال كرمان فنزلوا بها واجتمع إليهم الفل من كل جانب.

وبعث مسلمة مدرك بن ضب الكليبي في طلبهم فقاتلهم وقتل من أصحاب المفضل العثمان بن إبراهيم وحمد بن إسحاق بن محمد بن الأشعث وأسر ابن صول قهستان، وهرب عثمان بن إسحاق بن محمد الأشعث فقتل وحمل رأسه إلى مسلمة بالحيرة. ورجم ناس من أصحاب المهلب ببني المطلب فاستأمنوا وأمنهم مسلمة منهم مالك بن إبراهيم بن الأشت وورد بن عبد الله بن حبيب السعدي التميمي. ومضى إلى آل المهلب ومن معهم بقنايل فعنهم وداع بن حيد من دخراها وخرج معهم لقتال عدوهم. وكان مسلمة قد رد مدرك بن ضب بعد هزيمتهم في جبال كرمان ويعت في أثرهم هلال بن أحور التميمي لفتحهم بقنايل فتبعوا لقتاله.

ويعت هلال راية أمان فمال إليه وداع بن حيد وعبد الله بن هلال وافتلق الناس عن آل المهلب. ثم استقدموا فاستأمنوا

يزيد بن عبد الملك إلى أهل الكوفة يثنى عليهم وينهيهم الزرادة وجهز أخاه مسلمة وابن أخيه العباس بن الوليد إلى العراق في سبعين ألف مقاتل أو ثمانين من أهل الشام والجزيرة، فقدموا الكوفة وزنلوا التخيلة.

وتكلم العباس يوماً بعض الكلام فأساء عليه حيان النبطي بالكتلة الأعجمية. ولما سمع ابن المهلب بوصول مسلمة وأهل الشام خطب الناس وشجعهم لقتالهم وهون عليهم أمرهم وأخبرهم أن أكثرهم له. واستوثق له أهل البصرة وبعث عماله على الأهواز وفارس وكرمان. وبعث إلى حراسان مدرك بن المهلب وعليها عبد الرحمن بن نعيم وبعث بتوقيم لميغدو. ولقيه الأزرد على رأس المغارة فقالوا: ارجع عنك حتى نرى مآل أمركم. ثم خطب يزيد الناس يدعهم إلى الكتاب والستة ويختتم على الجهاد وأن جهاد أهل الشام أعظم ثواباً من جهاد الترك والدليل وذكر ذلك الحسن البصري والتضير بن أنس بن مالك وتابعهما الناس في التكبير.

وسار يزيد من البصرة إلى واسط واستخلف عليها أخيه مروان بن المهلب. وأقام بواسط أيام ثم خرج منها سنة اثنين ومائة واستخلف عليها أمان معونة. وقدم أخاه عبد الملك بن المهلب نحو الكوفة فاستقبله ابن الوليد بسور له فاقتلاه وأنهزم عبد الملك وعاد إلى يزيد. وأقبل مسلمة على شاطئ الفرات إلى الأنهر فقد الجسر وعبر وسار حتى نزل على يزيد بن المهلب وفزع إليه ناس من أهل الكوفة وكان عسكره مائة وعشرين. وكان عبد الحميد بن عبد الرحمن قد اسكنه بالتخيلة وشق المياه وجعل الأرصاد على أهل الكوفة أن يفزوا إلى يزيد بن المهلب، وبعث بعثاً إلى مسلمة مع صبرة بن عبد الرحمن بن خنف فعزل مسلمة بن عبد الحميد عن الكوفة واستعمل عليها محمد بن عمر بن الوليد بن عقبة.

ثم أراد يزيد بن المهلب أن يبعث أخاه عمداً بالعساكر بيتون مسلمة فلي على عليه أصحابه وقالوا: قد وعلناهم بالكتاب والستة ووعدوا بالإجابة فلا تغدرهم. فقال يزيد: وبحكم تصدقونهم إنهم مخدعونكم لي McKروا بكم فلا يسوقكم إليه والله ما في بني مروان أمكر ولا أحد غوراً من هذه الجرادة الصفرى يعني مسلمة. وكان مروان بن المهلب بالبصرة يحيى الناس على اللحاق بيزيد أخيه والحسن البصري يشطفهم ويتهدهم فلم يكف. ثم طلب الذين يجتمعون إلى فاقتراقاً فاقام مسلمة بن عبد الملك يطارد يزيد بن المهلب ثمانية أيام. ثم خرج يوم الجمعة متصرف صرف فبعي أصحابه وعى العباس بن الوليد كذلك والتقدرا، واشتاد

### العهد هشام بن عبد الملك والوليد بن يزيد

لما بعث يزيد بن عبد الملك الجيوش إلى يزيد بن المهلب مع مسلمة أخيه والباس بن أخيه الوليد قال له العباس: إنا نخاف أن يرجم أهل العراق بموتك وبيث ذلك في أعضادنا وأشار عليه بالعهد بعد العزيز أخيه ابن الوليد وبليغ ذلك مسلمة فجاءه وقال: أتدرك أحق فإن ابنك لم يبلغ وأشار عليه بأخيه هشام وابنه الوليد من بعده. والوليد ابن إحدى عشرة سنة فباع لهما كذلك. ثم بلغ ابنه الوليد فكان إذا رأه يقول: الله يبني وبين من قدم هشاماً عليك.

### غزوة الترك

لما ول ول سعيد خراسان استضعفه الناس وسموه خدينة واستعمل شعبة على سمرقند ثم عزله كما مر ول مكانه عثمان بن عبد الله بن مطرف بن الشخير فطمعت الترك، ويعثهم خاقان إلى الصند، وعلى الترك كورصوأ قبلوا حتى نزلوا قصر الباهلي وفيه مائة أهل بيت بذرارتهم. وكثروا إلى عثمان بسمرقند وخافوا أن يطعن المدد، فصالحوا الترك على أربعين ألفاً وأعطوه مائة عشر رجلاً رهينة. وتدب عثمان الناس فانتدب المسبب بن بشير الرياحي ومعه أربعة آلاف من سائر القبائل. فقال لهم المسبب: من أراد الغزو والصبر على الموت فليتقدم! فرجع عنه الف، وقادوا بعد فرسخ فرجع ألف الف آخر، ثم أعادها ثلاثة بعد فرسخ فاعتزله ألف.

وسار حتى كان على فرسخين من العدو فأخبره بعض الدهاقين بقتل الرهائن ومعادهم غداً. وقال أصحابي ثلثمائة مقابل وهم معكم فبعث المسبب إلى القصر رجلين عجمياً وعربياً يأتيا بهما بالخبر، فجاؤوا في ليلة مظلمة وقد أجرت الترك الماء بدائر القصر لثلا ي يصل إليه أحد فصالح بهما فقال له اسكت وادع لنا فلاناً. فأعلمه قرب العسكر وسالا هل عندكم امتناع غداً؟ فقال لهما نحن مستميتون. فرجعا إلى المسبب فأخبراه فزع على تبست الترك وبابعه أصحابيه على الموت وساروا يومهم إلى الليل. ولما أمسى حthem على الصبر وقال: ليكن شعاركم يا محمد ولا تتبعوا مولياً واعقوروا الدواب فإنه أشد عليهم، وليست بكم قلة فإنه سبعمائة سيف لا يضرب بها في سكر إلا أوهنته، وإن كثر أهله. ثم دنوا من العسكر في السحر وثار الترك وخالفتهم المسلمين وعقرعوا الدواب وتراجل المسبب في أصحاب له فقاتلوا قاتلاً.

قتلهم عن آخرهم: المقفل وعبد الملك وزياد ومروان بنو المهلب، وعاويبة بن يزيد بن المهلب والنهار بن أبي عيسية بن المهلب وعمر بن يزيد بن المهلب وعثمان بن المقفل بن المهلب برتيل ملك الترك. وبعث هلال بن أحوز برسوهم وسبيهم وأسرهم إلى مسلمة بالحيرة فبعث بهم مسلمة إلى يزيد بن عبد الملك فسرهم يزيد إلى العباس بن الوليد في حلب فنصب الرؤوس. وأراد مسلمة أن ينبع النزرة فاشترأهم الجراح بن عبد الله الحكيمي مائة ألف وخلع سبيهم، ولم يأخذ مسلمة من الجراح شيئاً.

ولما قدم بالأسرى على يزيد بن عبد الملك وكانوا ثلاثة عشر أمر يزيد فقتلوا وكلهم من ولد المهلب واستأنفت هند بنت المهلب لأنبيتها عيضة إلى يزيد بن عبد الملك فأمنته وأقام عمرو وعثمان عند رتيل حتى أنهما أسد بن عبد الله القسري وقدما عليه بخراسان.

### ولاية مسلمة على العراق وخراسان

ولما فرغ مسلمة بن عبد الملك من حرب بني المهلب ولاد يزيد بن عبد الملك العراق وجمع له ولاية البصرة والكرفنة وخراسان فأقر على الكوفة محمد بن عمر بن الوليد وكان قد قام بأمر البصرة بعد بني المهلب شبيب بن الحارث التميمي فبعث عليها مسلمة عبد الرحمن بن سليم الكلبي وعلى شرطتها عمر بن يزيد التميمي. وأراد عبد الرحمن أن يقتل شيبة ابن المهلب بالبصرة فعزله ولد على البصرة عبد الملك بن بشر بن مروان. وأقر عمر بن يزيد على الشرطة. واستعمل مسلمة على خراسان صهره على سعيد بن العزيز بن الحارث بن الحكم بن أبي العباس ويلقب سعيد خدينة.

دخل عليه بعض العرب بخراسان وعليه ثياب مصبحة وحوله مراقب مصبحة، وسئل عنه لما خرج فقال: خدينة وهي الدهقانة ربة البيت. ولا ولاه على خراسان سار إليها فاستعمل شعبة بن ظهير النهشلي على سمرقند. فسار إليها وقدم الصند وكان أهلها كفروا أيام عبد الرحمن بن نعيم، ثم عادوا إلى الصلح. فربخ ساكنها من العرب وغيرهم بالجن فأعتذروا بأميرهم علي بن حبيب العبدى. ثم جبس سعيد عمال عبد الرحمن بن عبد الله وأطلقهم، ثم جبس عمال يزيد بن المهلب رفع لهم أنهم اختانوا الأموال فعذبهم فمات بعضهم في العذاب وبقى بعضهم في السجن حتى غزاهم الترك والصند فأطلقهم.

المغيرة حين خلع ويقال إنه الذي قتله، وجاء برأسه. فسخره الحاجاج إلى عبد الملك فأقطعه قرية قربة من دمشق. ثم بعثه إلى كروم ابن مرشد الفزاروي ليخلص منه مالاً فارتاد وأخذ المال ولحق بعد الملك عائداً به من الحاجاج. وقال قتلت ابن عمه ولست آمنه على نفسي، فأجراه عبد الملك، وكتب الحاجاج إليه فيه. فقال: أمسك عنه وعظم شأنه عبد الملك وبنوه واستعمله عمر بن عبد العزيز على الروم من ناحية أرميبياً وأخن فيهم وأسر سبعمائة منهم وقتلهم. واستخدم أيام يزيد لمحبوته حبابة فسعت له في ولاية العراق، فولاه يزيد مكان أخيه مسلمة. ولما ولي قدم عليه المبشر بن مزاحم السلمي، وعبد الله بن عمر الثبتي في وقد فشلوا من سعيد وحذيفة عاملهم وهو صهر مسلمة فعزله ولول مكانه على خراسان سعيد بن عمر الحريشي من بي الحريش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، فسار خدينة عن خراسان وقدم سعيد فلم يعرض لعماله.

ولما قدم على خراسان كان الناس يزايدون العدو وقد نكشوا فحثهم على الجهاد وخاف الصندوق منه بما كانوا اعتنوا الترك أيام حذيفة، فقال لهم ملكهم: احملوا له خراج ما مضى وأضمنوا خراج ما يأتي والعمارة والغزو معه، وأعطيه الرهن بذلك. فلابرا إلا أن يستجيروا بذلك فرغانة وخرجوا من بلادهم إلى خجندة وسائلوا الجوار وأن يتزلوا شعب عصام. فقال: أمهلونا عشرين يوماً أو أربعين لتخليه لكم وليس لكم علي جوار قبل دخولكم أيامه. ثم غزاهم الحريش سنة أربع ومائة قطعوا النهر وترك قصر الريح على فرسخين من الدنوسية، وأناه ابن عم ملك فرغانة يغري باهل الصندوق وأهله مجندلة، ولم يدخلوا جواره بعد، فبعث معه عبد الرحمن القسري في عسكر، وجاء في أثره حتى نزلوا على خجندة، وخرج أهل صندوق لقتالهم فانهزموا، وقد كانوا حفروا خندقاً وأطروه بالتراب ليسقط فيه المسلمون عند القتال. فلما انهزموا ذلك اليوم أخطأهم الطريق وأسقطهم الله في ذلك الخندق.

ثم حاصرهم الحريشي، ونصب عليهم الجاذب وأرسلوا إلى ملك فرغانة ليجبرهم، فقال: قد شررت عليكم أن لا جوار قبل الأجل الذي بيني وبينكم. فسألوا الصلح من الحريشي على أن يردوا ما في أيديهم من سبي العرب، ويعطوا ما كسر من الخراج ولا يتخلص أحد منهم مجندلة، وإن أحذثوا حدثاً استبيحت دمائهم. فقبل منهم وخرجوا من خجندة وزنزلا في السكر على كل من يعرفه. وبلغ الحريشي أنهم قتلوا أمراً فقتل قاتلها، فخرج قبل منهم فاعتراض الناس وقتل جماعة. وقتل الصندوق من أسرى

شديداً وقتل عظيم من عظامه الترك فانهزموا. ونادي منادي المسيب لا تبعوهم واقتدوا القصر وأحلوا من فيه، ولا تحملوا من متاعهم إلا المال. ومن حل امرأة أو صبياً أو ضعيفاً حسبة فاجره على الله ولا فله أربعون درهماً. وحلوا من في القصر إلى سمرقند ورجع الترك من الغد فلم يروا في القصر أحداً. ورأوا قتلامهم فقالوا: لم يكن الذين جاؤنا بالأمس.

## غزو الصندوق

ولما كان من انتقاض الصندوق وإعانتهم الترك على المسلمين ما ذكرنا تجهز سعيد لغزوهم وعبر النهر فلقبه الترك وطالعه من الصندوق فهزهم المسلمين. ونهام سعيد عن أتباعهم وقال: هم جبائية أمير المؤمنين فانكروا عليهم. ثم سار المسلمين إلى واد ينهم وبين المرج فقطعه بعض العسكر وقد أكمن لهم الترك فخرجوا عليهم. وانهزم المسلمون إلى الوادي وقيل بل كان المنهزمون مسلحة لل المسلمين. وكان فینمن قتل شعبة بن خسین رجلاً. وجاء الأمير والناس فانهزم العدو. وكان سعيد إذا بعث سرية فأصابوا وغنموا وسبوا رد السبي وعاقب فقتل سعيد على الناس وضيقوا. ولما رجع من هذه الفزوة وكان سورة بن الأثير قد قال لحيان النبطي يوم أمر سعيد بالكف عن الصندوق وأنهم جبائية أمير المؤمنين. فقال: سورة إرجع عنهم يا حيان! فقال: عقيرة الله لا أدعها! فقال: انصرف يا نبطي. قال: أبسط الله وجهك. فتحدقها عليه سورة وأغرى به سعيد خدينة وقال: إنه أنسد خراسان على قبة ويش عليك وتحصن ببعض القلاع. فقال له سعيد: لا يسمع هذا متك أحد، ثم حاول عليه وسقاء لبني قد التي فيه ذهبًا مسحوقاً. ثم ركب الناس معه أربعة فراسخ فعاش حيًّا من بعدها ليلًا قلائل ومات.

## ولادة ابن هبيرة على العراق وخراسان

كان مسلمة لما ول على هذه الأعمال لم يدفع من الخراج شيئاً واستجحاً بزیده من عزله فكتب إليه بالقدوم وأن يستخلف على عمله. وسار لذلك سنة ثلاث وأربعين، فلقبه عمر بن هبيرة بالطريق على دواب البريد، وقال: وجهني أمير المؤمنين لحيانه أموال بي المهلب فارتاد لذلك، وقال له بعض أصحابه: كيف يبعث ابن هبيرة من عند المجزرة مثل هذا الغرض؟ ثم أتاه أن ابن هبيرة عزل عماله. وكان عمر بن هبيرة من النجابة بمكان، وكان الحاجاج يبعثه في البعوث، وهو من سار لقتال مطرف بن

على المسلمين مائة وخمسين، ولقي الناس منهم عفأ ثم أحاطوا بهم المدد وكان ذلك آخر عمر يزيد. وبعث بعد ذلك إلى المدد وأقره على العمل.

### ولاية عبد الواحد القسري على المدينة ومكة

كان عبد الرحمن بن الصحاح عاملًا على الحجاز منذ أيام عمر بن عبد العزيز وأقام عليها ثلاث سنتين ثم حدثه نفسه خطبة فاطمة بنت الحسين فامتنعت فهددها بأن يجعلها في الخمر وهو عبد الله بن الحسين المثنى. وكان على ديوان المدينة عامل من أهل الشام يسمى ابن هرمز. ولما رفع حسابه وأراد السير إلى يزيد جاء ليبرود فاطمة، فقالت: أخبر أمير المؤمنين بما ألقى من ابن الصحاح وما يتعرض له. ثم بعث روسها بكتابها إلى يزيد يخبره. وقدم ابن هرمز على يزيد فبینا هو يمدنه عن المدينة قال الحاجب: بالباب رسول فاطمة بنت الحسين، فذكر ابن هرمز ما حلته. فنزل عن فراشه وقال: عندك مثل هذا وما تخبرني به؟ فاعتذر بالنسبيان.

فادخل يزيد الرسول وقرأ الكتاب وجعل ينكث الأرض بخنزارنة ويقول: لقد اجترأ ابن الصحاح هل من رجل يسمعني صوته في العذاب؟ قيل له عبد الواحد بن عبد الله القسري. فكتب إليه يزيد: قد ولتكم المدينة فانهض إليها واعزل ابن الصحاح وغرمه أربعين ألف دينار، وعذبه حتى أسعفه وأنا على فراشي. وجاء البريد بالكتاب إليه ولم يدخل على ابن الصحاك فأحضر البريد ودس إليه بالف دينار فأخبره الخبر فسار ابن الصحاك إلى مسلمة بن عبد الله واستجار به وسأل مسلمة فيه يزيد. فقال: والله لا أغrieve أبدًا. فرده مسلمة إلى عبد الواحد بالمدينة فعنده ولقي شراءً وليس جهة صوف يسأل الناس وكان قد أدى الأنصار فدموه وكان قدومن القسري في شوال سنة أربع ومائة وأحسن السيرة فأحبه الناس وكان يستشير القاسم بن محمد وسلم بن عبد الله.

### عزل الحريشي وولاية مسلم الكلبي على خراسان

كان سعيد الحريشي عاملًا على خراسان لابن هيبة كما ذكرنا وكان يستخف به ويكاتب الخليفة دونه وبكتبه أبا المثنى. وبعث من عيونه من يأتيه بخبره بلغه أعظم مما سمع فعزله وعذبه

ال المسلمين مائة وخمسين، ولقي الناس منهم عفأ ثم أحاطوا بهم وهم يقاتلون بالخشب ليس لهم سلاح فقاتلوا عن آخرهم ثلاثة آلاف أو سبعة آلاف.

وبكتب الحريشي إلى يزيد بن عبد الملك ولم يكتب لعمرو بن هيبة فاحتفظه ذلك ثم سرح الحريشي سليمان بن أبي السرى إلى حصن يطيف به وراء الصند ومعه خوارزم شاه وملك أجرتون وسومان. فسار سليمان وعلى مقدمته المسب بن بشر الرياحي، ولقيه أهل الحصن فهزهم ثم حاصرهم فسألوا الصلح على أن لا يعرض لسيئهم وسلاموا القلعة بما فيها قبله. وبعث إلى الحريشي فقبضه وبعث من قبضه. وسار الحريشي إلى كشن فصالحه على عشرة آلاف رأس وول نصر بن سيار على قبضها. واستعمل على كشن ونصف حرباً وخرجاً سليمان بن السري واستنزل مكانه آخر اسمه قشري من حصنه على الأمان وجاء به إلى مرو فشنقه وصلبه.

### ولاية الجراح على أرمينية وفتح بلنجر

ولما سار ابن هيبة على الجزيرة وأرمينية تشعب البهرياني فحفل لهم الخزر وهم التركمان واستجاشوا بالقتجاج وغيروا من أنواع الترك، ولقوا المسلمين بمرج الحجارة فهزموهم واحتلو تركمان على عسكفهم وغنموا ما فيه. وقد المهزمون على يزيد بن عبد الملك فول على أرمينية الجراح بن عبد الله الحكمي وأمده بجيشه كثيف وسار لغزو الخزر فعادوا لباب الأبواب. ونزل الجراح بردعة فاراج بها قليلاً، ثم سار نحوهم وعبر نهر الكر وأنساع الإقامة ليرجع بذلك عيونهم إليهم. ثم أسرى من لياته وأخذ السير إلى مدينة الباب فدخلها ويت السرايا للنهب والغارقة.

وزحف إلى التركمان وعليهم ابن ملكهم فلقيهم عند نهر الزمان وأشتد القتال بينهم، ثم انهزم التركمان وكثير القتل فيهم، وغنم المسلمون ما معهم وساروا حتى نزلوا على الحصن، ونزل أهلها على الأمان فقتلتهم. ثم سار إلى مدينة برغوا فحاصرها ستة أيام، ثم نزلوا على الأمان ونقلهم ثم ساروا إلى بلنجر وقاتلهم التركمان دونها فأنهزموا وافتتح الحصن عنوة. وغنم المسلمون جميع ما فيه. فأصاب الفارس ثلاثة دينار وكانوا بسبعين وثلاثين ألفاً. ثم إن الجراح رجع حصن بلنجر إلى صاحبه ورد عليه أهلها، على أن يكون عيناً للمسلمين على الكفار. ثم نزل على حصن الرييد وكان به أربعون ألف بيت من الترك فصالحوا الجراح على مال أعطوه إياه. ثم تجمع الترك والتركمان وأخذوا الطريق

خاقان قد أقبل إليه فارغول، ولحقه خاقان بعد ثلاثة مراحل لقي فيها طائفة من المسلمين فأصابهم، ثم أطاف بالعسكر وقاتل المسلمين، وقتل المسيب بن بشر الرياحي والبراء من فرسان المهلب وأخر غورك.

وثار الناس في وجدهم فآخر جوهم من العسكر. ورحل مسلم بالناس ثمانية أيام والترك مطيفون بهم بعد أن أمر بإحراف ما نقل من الأمة، فأحرقو ما قيمته ألف ألف. وأصبحوا في التاسع قرب النهر دونه أهل فرغانة والشاش. فأمر مسلم الناس أن ينحرطاً سيفوهم ويحملوا. فأنرج أهل فرغانة والشاش عن النهر، ونزل مسلم بعسكره ثم عبر من التد، وأتبعهم ابن خاقان. فكان حيد بن عبد الله على الساقية من وراء النهر وهو متخف بالجراحة. بعث إلى مسلم بالانتظار وعطف على الترك فقاتلهم وأسر قاتلهم وقاد الصعد ثم أصابه سهم فمات. وأتوا خجنة وقد أصابتهم مجاعة وجهد ولقيهم هناك كتاب أسد بن عبد الله القسري أخي خالد بولايته على خراسان واستخلفه عبد الرحمن بن نعيم. فقرأ مسلم الكتاب وقال سمعاً وطاعة.

### ولاية أسد القسري على خراسان

ولما غزا خالد بن عبد الله خراسان استخلف عليها أخيه أسد بن عبد الله فقدم ومسلم بن سعيد بفرغانة فلما رجع وأتى النهر ليقطعه منه الأشيه بن عبد الله التميمي وكان على السفن بأمد حتى عرفه أنه الأمير فاذن له. ثم عبر أسد النهر ونزل بالمرج وعلى سمرقند هانئ بن هانئ، فخرج بالناس وتلقى أسدًا وأدخله سمرقند. وبعث أسد إلى عبد الرحمن بن نعيم بالولاية على العسكري فقتل بالناس إلى سمرقند. ثم عزل أسدًا عنها وولى مكانه الحسن بن أبي العمدة الكندي. ثم قدم مسلم بن سعيد بن عبد الله بخراسان فكان يكرمه. ومر بابن هبيرة وهو يروم المركب وأسلم على يديه. ثم غزا الغور وهي جبال هرة. فرضح أهلها اتفاهم في الكهوف ولم يكن إليهم طريق. فاختذ التوابيت ووضع فيها الرجال دللاً بالسلاسل فاستخرجوا ما قدرروا عليه. ثم قطع كmac النهر وجاهه خاقان ولم يكن بينهما قتال. وقيل عاد مهزوماً من الجسر. ثم سار إلى عibirين وقاتلها وأبلى نصر بن سير ومسلم بن أحوز وانهزم المشركون وحوى المسلمين عسكراً مما فيه.

حتى أدى الأموال وعزم على قتلها ثم كف عنه. وولى ابن هبيرة على خراسان مسلم بن سعيد بن أسلم بن ززعة الكلابي، ولما جاء إلى خراسان حبسه وقيده وعذبه كما قلنا. فلما هرب ابن هبيرة بعد ذلك عن العراق أرسل خالد القسري في طلبه الحريسي فادركه على الفرات. وقال لابن هبيرة ما ظنك بي؟ قال: إنك لا تدفع رجالاً من قومك إلى رجل من قسر. قال: هو ذاك ثم انصرف وتركه.

### وفاة يزيد وبيعة هشام

ثم توفي يزيد بن عبد الملك في شعبان سنة خمس ومائة الأربع سنين من خلافته وولى بعده أخوه هشام بعهده إليه بذلك كما مر، وكان يحمض فجاءه الخبر بذلك فنزل عمر بن هبيرة عن العراق وولى مكانه خالد بن عبد الله القسري فسار إلى العراق من يومه.

### غزو مسلم الترك

غزا مسلم بن سعيد الترك سنة خمس ومائة فعبر النهر وعاد في بلادهم ولم يفتح شيئاً ونقل فاتبعه الترك ولحقوه على النهر فعبر الناس ولم ينالوا منه. ثم غزا بقية السنة وحاصر أشين حتى صلحوا على ستة آلاف رأس، ثم دفعوا إليه القلعة. ثم غزا ستة ست ومائة، وتباطأ عنده الناس، وكان من تباطأ البختري بن درهم، فرد مسلم نصر بن سيار إلى بلخ وأمره أن يخرج الناس إليه. وعلى بلخ عمر بن قتيبة أخو مسلم، فجاء نصر وأحرق باب البختري وزياد بن طريف الباهلي. ثم منعهم عمر من دخول بلخ وقد قطع سعيد النهر، ونزل نصر بن سيار البروقان وأتى جند الصلاضيان، وتحمّلت ربيعة والأزد بالبروقان على نصف فرسخ من نصر وخرجت مصر إلى نصر، وخرج عمر بن مسلم إلى ربيعة والأزد واتفقا وسفر الناس بينهما في الصلح واتصرف نصر.

ثم حل البختري وعمر بن مسلم على نصر فكر عليهم فقتل منهم ثمانية عشر وهزمهم وأتى بعمر بن مسلم والبختري وزياد بن طريف فنصر لهم مائة مائة وحلق رؤوسهم ولحاظهم وألسهم المسرح. وقيل إن سبب تعزيز عمر بن مسلم إنهزام عبيس عنه وقيل إنهزام ربيعة والأزد ثم أمنهم نصر بعد ذلك وأمرهم أن يلحقوا بمسلم بن سعيد. وما قطع مسلم النهر ولحقه من حق من أصحابه سار إلى بخارى فلحقه بها كتاب خالد بن عبد الله القسري بولايته ويأمره باتمام غزاته، فسار إلى فرغانة وبلغه أن

## ولاية أشرس على العراق

وأقاموا في العقوبات وحرقت ثيابهم، وألقيت مناطقهم في أعقابهم وأخذت الجزية من أسلم. فكفرت الصدف وبخاري، واستجاشوا بالترك وخرج أشرس غازياً قتل أمد وأقام أشهرأ. وقدم قطن بن قتيبة بن مسلم في عشرة آلاف فعبر النهر ولقي الترك وأهل الصدف وبخاري ومعهم خاقان، فحصروا قطناً في خندق. وأغار الترك على سرح المسلمين، وأطلق أشرس ثابت قطة بكفالة عبد الله بن سبطان بن مسعود بن عمر وبعث معه في خيل، فاستقدمه من أيدي الترك ما أخذوه. ثم عبر أشرس بالناس ولحق بقطن ولقيهم العدو فانهزموا أمامهم. وسار أشرس بالناس حتى جاء يكند فحاصرها المسلمون، وقطع أهل البلد عنهم الماء، وأصابهم العطش فرحلوا إلى المدينة. واعترضتهم دونها العدو فقاتلوكهم قتالاً شديداً وأبلى المارث بن شريح وقطن بن قتيبة بلاه شديداً وأزالوا الترك عن الماء. فقتل بومثذ ثابت قطة وصخر بن مسلم بن التعمان البدي، وعبد الملك بن دثار الباهلي وغيرهم.

وحل قطن بن قتيبة في جماعة تعاقدوا على المرت، فانهزم

العدو واتبعهم المسلمون يقتلونهم إلى الليل. ثم رجع أشرس إلى بخاري وجهز عليهم عسكراً يحاصرونها وعليهم المارث بن شريح الأزدي. ثم حاصر خاقان مدينة كمرجة من خراسان وبها جمع من المسلمين. وقطعوا القنطرة وأتاهم ابن جسر وابن يزدجرد وقال: إن خاقان جاء برد على منكبي وأنا آخذ لكم الأمان فنشتموه وأتاهم يزغري في مائين وكان داهية، وكان خاقان لا يخافنه. فطلب رجالاً يكلمه فجاء يزيد بن سعد الباهلي فرغبه بإضعاف العطاء والإحسان على النزول ويسيرون معهم، فلطفه ورجع إلى أصحابه وقال هؤلاء يدعونكم لقتال المسلمين، فأثروا وأسر خاقان فالقي الخطب الربط في الخندق ليقطعه، والقى المسلمين البهائم ليأكلوها ويعشا جلودها تراباً ويملأوا بها الخندق. وأرسل الله سبحانه فاحتمل السبيل ما في الخندق إلى النهر الأعظم ورمى المسلمين بالسهام فاصيب يزغري بهم ومات من ليلته فقتلوا جميع ما عندهم من الأسرى والرهن. ولم يزالوا كذلك حتى نزلت جيوش المسلمين فرغاثة فجردوا عليهم واشتد قتالهم وصالحهم المسلمون على أن يسلموا لهم كمرجة ويرحلوا عليها إلى سمرقند والدنوسية وتراهنوا على ذلك. وتأنّر خاقان حتى يخرجوا وخلف معهم كورصو ليلفهم إلى مأتمهم فارتحلوا حتى بلغوا الدنوسية. وأطلقوا الرهن وكانت مدة الحصار ستين يوماً.

كان أسد بن عبد الله في ولايته على خراسان يتعصب حتى أفسد الناس. وضرب نصر بن سيار بالسياط وعبد الرحمن بن نعيم وسورة بن أبيه والبختري بن أبي درهم، وعامر بن مالك الحمانى وحلقهم وسيرهم إلى أخيه، وكتب إليه أنهما أرادوا الوثوب بي. فلما خالد وعنه وقال: هلأ بعثت برؤوسهم؟ وخطب أسد يوماً فلعن أهل خراسان. فكتب هشام بن عبد الملك إلى خالد أعزه أخاك فعزله في رمضان سنة تسع وولي مكانه الحكم بن عوانة الكلبي ف cellpadding عن الصافحة تلك السنة. فاستعمل هشام على خراسان أشرس بن عبد الله السلمي وأمره أن يراجع خالداً فكان خيراً ففرح به أهل خراسان.

## عزل أشرس

أرسل أشرس إلى سمرقند سنة عشر رمادة أبا الصيدا صالح بن طريف مولى بني ضبة والربيع بن عمران التميمي إلى سمرقند وغيرها مما وراء النهر يدعوهم إلى الإسلام، على أن توضع عنهم الجزية، وعليها الحسن بن العمارة الكندي على حرها وخارجها، قد دعاهم إلى ذلك وأسلموا. وكتب غورك إلى الأشرس أن الجراح قد انكسر، فكتب أشرس إلى ابن العمارة بلغني أن أهل الصدف وأصحابهم لم يسلموا رغبة، وإنما أسلموا نفوراً من الجزية فانتظر من اختن وأقام الفرات، وقرأ سورة من القرآن فارفع خراجه.

ثم عزل ابن العمارة عن الخراج وولى عليها ابن هانئ ومنهم أبو الصيد أخذ الجزية من أسلم، وكتب هانئ إلى أشرس بأنهم أسلموا وبنوا المساجد. فكتب إليه وإلى العمال أن يعيدوا الجزية على من كانت عليه ولو أسلم، فامتثلوا واعتزلوا في سبعة آلاف على فراسخ من سمرقند. وخرج معهم أبو الصيد وربيع بن عمران والم Hickim الشيشاني وأبو فاطمة الأزدي وعامر بن قشير وبشير الجحدري وبيان العنبرى وإسماعيل بن عقبة ليتصورهم. وبلغ الخبر إلى أشرس فنزل ابن العمارة عن الحرب وولي مكانه الجشري بن مزاحم السلمي وعميرة بن سعد الشيشاني، فكتب الجشري إلى أبي الصيد يستقدمه هو وأصحابه فقدم ومعه ثابت قطة فحبسهما وسيراهما إلى أشرس، واجتماع الباقيون وولوا عليهم أبا فاطمة ليقاتلا هانئاً فكتب أشرس ووضع عنهم الخراج فرجعوا ومضى أمرهم وتبعوا فحبسوا كلهم.

واللح هانئ في الخراج واستخف بفعل العجم والدهاقن.

## عزل أشرس عن خراسان وولاية الجنيد

الحرishi قال: بلغني أن الجراح انهزم. قال: الجراح أعرف بالله من أن يهزم لكن قتل فابعثي على أربعين من دواب البريد وابعث إلى كل يوم أربعين رجلاً مددواً واتكب إلى الأمراء الأجناد يواسوني. فقتل وسار الحرishi فلا يبر بمدينته إلا ويستهض أهلها فيجيئه من أراد الجهاد.

ووصل مدينة أزور فلقيه جماعة من أصحاب الجراح فردهم معه. ووصل إلى خلط فحاصرها وقتها وقسم غنائمها. ثم سار عنها يفتح القلاع والمحصون إلى بروعة فنزلها وأiben خاقان برمذ بأذربيجان يحاصر مدينة ورشان منها ويعيث في نواحيها، ويبعث الحرishi إلى أهل ورشان يخبرهم بوصوله فآخر العدو عنهم ووصل إليهم الحرishi. ثم اتبع العدو إلى أردبيل وجاءه بعض عيونه بآن عشرة آلاف من عسكرهم على أربعة فراسخ منه ومعهم خمسة آلاف يبيت من المسلمين أسرى وسبايا، فيهم وقتلهم أجمعين ولم ينج منهم أحد. واستنقذ المسلمين منهم.

وسار إلى باجروان فجاءه أجمعين واستنفذ من معهم من المسلمين، فسار إليهم واستحللهم أجمعين واستنفذ من معهم من المسلمين، وكان فيهم أهل الجراح وولده فحملهم إلى باجروان. ثم زحف إليهم جموع الخزر مع ابن ملكهم والقتوا بارض زرند، واشتد القتال والسي من معسكر الكفار في المسلمين رحمة لهم وصدقوا الحملة، فانهزم الكفار وأتبهم المسلمون إلى نهر أرس وغنموا ما كان معهم من الأموال واستنقذوا الأسرى والسبايا وحملوهم إلى باجروان. ثم تناصر الخزر في ملكهم ورجعوا فنزلوا نهر البيلاقان واقتلونا قتلاً شديداً. ثم انهزوا فكان من غرق أكثر من قتل وجع الحرishi الغاثم وعاد إلى باجروان فقسمها وكتب إلى هشام بالفتح. واستقدمه وولى أخاه مسلمة على أرمينية وأذربيجان.

## وقعة الشعب بين الجنيد وخراسان

وخرج الجنيد سنة إثنى عشرة ومائة من خراسان غازياً إلى طخارستان ويعث إليها عمارة بن خزيم في ثانية عشر ألفاً ويعث إبراهيم بن سام الليشي في عشرة آلاف إلى وجه آخر وحاشتك التركي. وزحف بهم خاقان إلى سمرقند وعليها سورة بن أبجر فكتب إلى الهند مستعيناً فأمر الجنيد بعيور النهر. فقال له المبشر بن مزاحم السلمي وابن بسطام الأزدي: إن الترك ليسوا كغيرهم وقد مزقت جندك. فسلم ابن عبد الرحمن بالثراود والبخري بهرا وعمارة بن حزيم بطخارستان. ولا تعبر النهر في

وفي سنة إحدى عشرة ومائة عزل هشام أشرس بن عبد الله عن خراسان وولى مكانه الجنيد بن عبد الرحمن بن عمر بن الحارث بن خارجة بن سنان بن أبي حارثة الري أهدي إلى أم حكيم بنت يحيى بن الحكم أمراً هشام قلادة فيها جواهر فاعجبت هشاماً فأهدي لها أخرى مثلها فولاه خراسان وحمله على البريد. فقدم خراسان في خمسة وعشرين وسبعين طفافاً بن عرز السلمي خليفة أشرس على خراسان. فسار الجنيد إلى ما وراء النهر ومعه الخطاب واستخلف على مرو المبشر بن مزاحم السلمي وعلى بلخ سورة بن أبجر التميمي. ويعث إلى أشرس وهو يقاتل أهل خواري والصند أن يبعث إليه بسرية مخافة أن يعترضه العدو.

فبعث إليه أشرس عامر بن مالك الجابي ففرض له الترك والصند فقاتلوه ثم استداروا وراء معسكر الترك وحمل المسلمين عليهم من أمامهم فانهزم الترك ولحق عامر بالجنيد فاتأبه معه وعلى مقدمته عمارة بن حزيم واعتراضه الترك فهزمه. وزحف إليه خاقان بنواحي سمرقند وقطن بن قيبة على ساقته، فهزمه خاقان وأسر ابن أخيه ويعث به إلى هشام، ورجع إلى مرو ظافراً. واستعمل قطن بن قيبة على بخاري والوليد بن القعاع العبسي على هراة وحبيب بن مرة العبسي على شرطته ومسلم بن عبد الرحمن الباهلي على بلخ وعليها نصر بن سيار. فبعث مسلم إلى نصر وجيء به في قعصون دون سراويل، فقال شيخ مصر جتنم به على هذه الحالة؟ فعزل الجنيد مسلماً عن بلخ وأوفد وفداً إلى هشام مخبر غزاته.

## مقتل الجراح الحكمي

قد كان تقدم لنا دخوله إلى بلاد الخزر سنة أربع ومائة وانهزمهم أمامه وأنه أخذه فيهم وملك بلنجر وردها على صاحبها وأدركه الشقاء فقام هنالك. وأن هشاماً أقره على عمله ثم ولاد أرمينية فدخل بلاد التركمان من ناحية نقليس سنة إحدى عشرة ففتح مدنهم اليضاء وانصرف ظافراً. فاجتمع الخزر والترك من ناحية اللاف، وزحف إليهم الجراح سنة اثنى عشرة ولقيهم بسرج أردبيل، فاقتلونا أشد قتال. وتكلّث العدو عليه فاستشهد ومن معه وقد كان استخلف أخاه الحجاج على أرمينية. ولما قتل طمع الخزر وهم التركمان وأوغلووا في البلاد حتى قاربوا الموصل، وقيل كان قتله بلنجر. ولما بلغ الخبر هشاماً دعا سعيداً

وكان صاحب الرأي بخراسان في الحرب المختصر بن مزاحم السلمي  
وعبد الرحمن بن أصبح المخزومي وعبيد الله بن حبيب المجري.  
ولما انصرفت الترك بعث الجيد نهار بن توسيعة بن تميم الله وزميل  
بن سويد بن شيم بالخبر. وتحامل فيه على سورة بن أبيه مما عصاه  
من مفارقة النهر حتى نال العدو منه. فكتب إليه هشام قد بعث  
إليك من المدد عشرة آلاف من البصرة ومثلها من الكوفة وثلاثون  
الف رمح ومثلها سيفاً. وأقام الجنيد بسمرقند وسار خاقان إلى  
مخاري ولعلها قطن بن قيبة بن مسلم فخاف عليه من الترك.  
واشتشار عبد الله بن أبي عبد الله مولى بن سليم بعد أن اختلف  
عليه أصحابه فاشترط عليه أن لا يخالفه. فأشار بحمل العيالات  
من سمرقند قدمهم واستخلف بسمرقند عثمان بن عبد الله بن  
الشخير في أربعينات فارس وأربعينات راجل ووفر أغطياتهم. وسار  
العيادات في مقدمته حتى من الضيق ودنا من الطواويس. فأتايل  
إليه خاقان بكير ميمننة أول رمضان سنة إثنى عشرة، واقتلوها  
قليلاً. ثم رجع الترك وارتحل من الغد، فاعتربه الترك ثانيةً وقتل  
مسلم بن أحوز بعض عظامهم فرجعوا من الطواويس. ثم دخل  
الجيد بالمسلمين مخاري وقدمت الجنود من البصرة والكوفة فسرح  
الجنيد معهم حورثة بن زيد المعنري فيمن انتدب معه.

## ولاية عاصم على خراسان وعزل الجنيد

بلغ هشاماً سنة عشرة أن الجيد بن عبد الرحمن عامل خراسان تزوج بنت يزيد بن المهلب ففضض لذلك وعزله وولى مكانه عاصم بن عبد الله بن يزيد الملالي وكان الجيد قد مرض بالاستسقاء. فقال هشام ل العاصم: إن أدركه وبه رمق فازهق نفسه فلما قدم عاصم وجده قد مات وكانت بينهما عداوة حبس عمارة بن حزيم وكان الجيد استخلفه وهو ابن عذبة فعذبه عاصم وعذب عمال الجيد.

## ولاية مروان بن محمد على أرمينية وأذربيجان

لما عاد مسلمة من غزو الخزر وهو التركمان إلى بلاد المسلمين وكان في عسكره مروان بن محمد بن مروان، فخرج مخفياً عنه إلى هشام وشكاه من مسلمة وتخاذله عن الغزو وما أدخل بذلك على المسلمين من الرهم. وبعث إلى العدو بالحرب وأقام شهرًا حتى استعدوا وحشدوا ودخل بلادهم فلم يكن له فيهم

أقل من خمسين ألفاً. فاستقدم عمارة وأمهل فقال: أخخي على سورة وعبر الجيد فنزل كش وتأهل للسير. وغور الترك الآبار في طريق كش وسار الحميد على التعبية واعتراضه خاقان ومعه أهل الصند وفرغانة والشاشة، وحملوا على مقدمته، وعليها عثمان بن عبد الله بن الشخير فرجعوا والترك في أثياعهم.

ثم حلوا على المدينة وأمدهم الجند بنصر بن سيار وشدوا على العدو وقتل أعياناً منهم. وأقبل الجند على الميمة وأقبل تحت راية الأزد فقال له صاحب الراية: ما قصدت كرمتنا لكن علمت أنا لا نصل إليك ومنا عين تطرف! فصبروا وقاتلوا حتى كللت سيرفهم. وقطع عيدهم الخشب فقاتلوا بها حتى أدركهم الليل وعاتقوها ثم تاجزوا وهلك من الأزد في ذلك المترک نحو من ثمانين فيهم عبد الله بن سطام ومحمد بن عبد الله بن جودان والحسين بن شيخ ويزيد بن المفضل الحراني. وبينما الناس كذلك إذ طلعت أوائل عسکر خاقان فنادي منادي الجنيد بالتزوال فترجلوا، وخذنق كل كافن على رجاله. وقد حملت بكر بن وائل عليهم زيد بن الحارث فحملت بكر عليهم فافرجوا وأشتاد القتال.

وأشار أصحاب الجيد عليه بأن يبعث إلى سورة بن أبيه  
من سمرقند ليقدم الترك إليه ليكون لهم شغل به عن الجنيد  
وأصحابه، فكتب يستقدمه فاعتذر فأعاد عليه وتهده وقال: اخرج  
وسر مع الهر لا تفارقه فلما خرج هو استبعد طريق النهر  
واستخلف على سمرقند موسى بن أسود الخنظلي. وسار محمد في  
إثني عشر الفاً حتى إذا بقي بينه وبين الجنيد وعساكره فرسخ لقيه  
خاقان عند الصباح وحال بينهم وبين الماء وأضرم النار في الييس  
حوالיהם فاستماتوا وحملوا وانكشف الترك وأظلم الجلو بالعجز.  
وكان من وراء الترك طب سقط فيه جميع العدو والمسلمون وسقط  
سورة فاندقت فخدنه. ثم عطف الترك فقتلوا المسلمين ولم يبق  
منهم إلا القليل والمحاشي بالناس المهلب بن زياد والعمجمي في  
ستمائة أو ألف، ومعه قريش بن عبد الله العبدي إلى رستاق  
المرغاب، وقاتلوا بعض قصوره فأصيب المهلب ولولا عليهم  
الرحب بن خالد.

ووجههم الأسكندري صاحب نصف وغورك ملك الصندل  
فنزلوا معه إلى خاقان فلم يجز أهان غورك وقتلهم ولم ينج منهم أحد. ثم خرج الجنيد من الشعب قاصداً سمرقند وأشار عليه مجشر بن مازام بالنزول فنزل وافقته جموع الترك. فجال الناس جولة وصبر المسلمين وقاتل العبيد وانهزم العدو. ومضى الجنيد إلى سمرقند فحمل العيالات إلى مرو وقام بالصندل أربعة أشهر.

## ولاية أسد القسري الثانية بخراسان

كتب عاصم إلى هشام سنة سبع عشرة أن خراسان لا تصلح إلا أن تضم إلى العراق ليكون مددها قريب الغوث، فقضى هشام خراسان إلى خالد بن عبد الله القسري وكتب إليه: إبعث أخاك يصلح ما أفسد بعث خالد أخيه أسدًا فسار على مقدمته محمد بن مالك المدائني. ولما بلغ عاصم الخبر راود الحارث بن شريح على الصلح وأن يكتبا جمعاً إلى هشام يسألانه الكتاب والستة، فإن أبي اجتمعا وأبى بعض أهل خراسان ذلك فاتضى بينهما واقتلا، فانهزم الحارث وأسر من أصحابه كثير قتلهم عاصم. وبعث بالفتح إلى هشام مع محمد بن مسلم العنبري فلقيه أسد بالري. وجاء إلى خراسان بعث عاصماً وطلبها مائة ألف درهم، وأطلق عمارة بن حزيم وعمال الجند. ولم يكن ل العاصم خراسان إلا مرو ونيسابور. وكانت مرو الروذ للحارث، وواصل خالد بن عبد الله المجري على مثل رأي الحارث. بعث أسد عبد الرحمن بن نعيم في أهل الكورة والشام إلى الحارث، وسار هو بالناس إلى آمد. فخرج إليه زياد القرشي مولى حيان النبطي في العسكرية، فهزمه أسد وحاصرهم حتى سألوا الأمان، واستعمل عليهم يحيى بن هيبة الشيباني، وسار إلى بلخ، وقد بايعوا سليمان بن عبد الله بن حازم. فسار حتى قدمها. ثم سار منها إلى ترمذ والحارث محاصر لها، وأعجزه وصول المدد إليها فخرج إلى بلخ، وخرج أهل ترمذ فهزموا الحارث وقتلوا أكثر أصحابه.

ثم سار أسد إلى سمرقند ومر بمحصن زم وبيه أصحاب الحارث بعث إليهم وقال: إنما نكررت منا سوء السيرة ولم يبلغ ذلك النساء واستحلال الفرروج ولا مظاهر المشركين على مثل سمرقند وأعطاء الأمان على تسليم سمرقند. وهذه إن قاتل بأنه لا يؤمنه أبداً. فخرج إلى الأمان وسار معه إلى سمرقند فنزلهم على الأمان. ثم رجع أسد إلى بلخ وسرح جديعاً الكرمانى إلى القلعة التي فيها ثقل الحارث وأصحابه في طخارستان. فحاصرها وفتحها وقتل مقاتلهم ومنهم بنو بزري من ثعلب أصحاب الحارث. وبيع سبيهم في سوق بلخ وانتقض على الحارث أربعونه وخسون من أصحابه بالقلعة، ورئيسهم جرير بن ميمون القاضي، فقال لهم الحارث: إن كنتم مفارقي ولا بد فاطلبوا الأمان، وإن طلبتموه بعد رحيلي لا يعطونه لكم، فلابوا إلا أن ارتحل، فبعثوا بالأمان فلم يجدهم إليه. وسرح جديعاً الكرمانى في ستة آلاف فنصرهم حتى نزلوا على حكمه. وحمل حسين منهم إلى أسد فيهם ابن ميمون القاضي. فقتلهم وكتب إلى الكرمانى بإهلاك الباقيين وأخذ أسد

نهاية وقصد أراد السلامة ورحب إليه بالغزو إليهم ليتقم منهم، وأن يمده بمائة وعشرين ألف مقاتل ويكتسم عليه. فأجابه لذلك قوله على أرمينية. فسار إليها وجاءه المدد من الشام والعراق والجزيرة. فاظهر أنه يريد غزو اللان وبعث إلى ملك الخزر في الماهادة فأجاب. وأرسل رسلاً لتقرير الصلح فأمسكهم سروان إلى أن تجهز وودعهم وسار إلى أقرب الطرق. فوافاهم ورأى ملك الخزر أن اللقاء على تلك الحال غير فتأخر إلى أقصى بلاده.

ودخل سروان فأوغسل فيها وخرب وغنم وسي إلى آخرها. ودخل بلاد ملك السرير وفتح قلاعها وصالحوه على ألف رأس نصفها غلامان ونصفها جواري ومائة ألف مد تحمل إلى الباب. وصالحه أهل تومان على مائة رأس نصفين وعشرين ألف مد. ثم دخل أرض وركران فصالحوه. ثم أتى حربين وافتتح حصنهم، ثم أتى سيدان فافتتحها صلحًا، ثم نزل صاحب اللكرن في قلعته وقد امتنع من أداء الوظيفة، فخرج يزيد ملك الخزر فأصيب بسهم ومات وصالح أهل اللكرن سروان، وأدخل عامله وسار سروان إلى قلعة سروان فأطاعوا، وسار إلى الروذانية فأوقع بهم ورجع.

## خلع الحارث بن شريح بخراسان

كان الحارث هذا عظيم الأزد بخراسان فخلع سنة ست عشرة وليس السوداء، ودعا إلى كتاب الله وسنة نبيه والبيعة للرضا على ما كان عليه دعوة بني العباس هناك. وأقبل إلى الغاريات وجاءه رسول عاصم مقاتل بن حيان النبطي والخطاب بن حمز السلمي فحبسهما وفروا من السجن إلى عاصم بدم الحارث وغدره. وسار الحارث من الغاريات إلى بلخ وعليها نصر بن سيار والتاجي، فلقياه في عشرة آلاف وهو في أربعة فهزمه، وملك بلخ واستعمل عليها سليمان بن عبد الله بن حازم. وسار إلى الجوزجان عليها ثم سار إلى مرو ونبي إلى عاصم أن أهل مرو يكتبوه فاستوثق منهم بالقسمة وخرج وعسكر قريباً من مرو، وقطع الجسور. وأقبل الحارث في ستين ألفاً ومعه فرسان الأزد وعبيم ودهاقين الجوزجان والغاريات، وملك الطالقان وأصلاحوا القنطر ثم نزع محمد بن المشنى في الفين من الأزد وحاد بن عامر الجابي في مثلها من بني عبيم إلى عاصم، ولحقوا به ثم اقتلوا. فانهزم الحارث وغرق كثير من أصحابه في نهر مرو وقتلا قتلا ذريعاً. وكان من غرق حازم. ولما قطع الحارث نهر مرو ضرب رواه واجتمع إليه بها ثلاثة آلاف فارس وكف عاصم عنهم.

ما رأيت، ولعل الله ينتقم منك.

ومضى أسد إلى بلخ فعسكر في مرجها حتى جاء الشاء،  
فدخل البلد وشتبه فيها. وكان الحارث بن شريح بن أبي حمزة  
طخارستان فانضم إلى خاقان وأغراه بغيره بخراسان ورافقوا إلى  
بلخ. وخرج أسد يوم الأضحى فخطب الناس وعرفهم بأن  
الحارث بن شريح استجلب الطاغية ليقطع نور الله ويدل دينهم،  
وحرضهم على الاستنصار بالله. وقال أقرب ما يكون العبد لله  
ساجداً. ثم سجد وسجد الناس وأخلصوا الدعاء وخرج للقائهم  
وقد استمد خاقان من وراء النهر، وأهل طخارستان وحربونة في  
ثلاثين ألفاً وجاء الخبر إلى أسد وأشار بعض الناس بالتحصن منهم  
 بمدينته بلخ واستمد خالد وهشام وأبي الأسد إلا اللقاء، فخرج  
واستخلف على بلخ الكرماني ابن علي. وعهد إليه أنه لا يدع  
أحداً يخرج من المدينة. واعترض نصر بن سيار والقاسم بن ثجيب  
وغيرهم على الخروج فإذا ذهب وصل إلى الناس ركعتين وطرب. ثم  
دعا وأمر الناس بالدعاء ونزل من وراء القنطرة يتظاهر من مختلف.  
ثم بدا له وارتحل فلقي طلعة خاقان وأسر قائدتهم. وسار حتى  
نزل على فرسخين من الجوزجان ثم أصبحوا وقد تراءى الجماعان  
وأنزل أسد الناس، ثم تهبا للحرب ومعه الجوزجان أهـ.

وحلت الترك على الميسرة فانهزموا إلى رواق الأسد، فشدت عليهم الأسد وبنو تميم والجوزجان من الميمنة فانكشفوا إلى خاقان وقد انهزم والحارث معه. وأتيتهم الناس ثلاثة فراسخ يقتلونهم واستأقوا مائة وخمسين ألفاً من الشاء ودواب كثيرة. وسلك خاقان غير الجادة والحارث بن شريح ولقيهم أسد عند الطريق. وسلك الجوزجان بعثمان بن عبد الله بن الشخير طريقاً يعرفها حتى نزلوا على خاقان وهو آمن، فتركوا الأبنية والقدور تغلي وبناء العرب والمولاي والعسمر مشحون من آنية الفضة، وركب خاقان والحارث يمتع عنده. وأجلوا امرأة خاقان عن الركوب فقتلها الخصي الموكل بها. وبعث أسد بجوار الترك دهاقن خراسان يفادون بها أسراهم، وأقام خمسة أيام وانصرف إلى بلخ لتأسعة من خروجه، ونزل الجوزجان وخاقان هارب أمامه.

وانتهى خاقان إلى جونة الطخاري، فنزل عليه، وانصرف أسد إلى بلخ، وأقام خاقان عند جونة حتى أصلح آلة، وسار وسيبة بها. فأخذه جد كاوش أبو فشين فأمده إليه وأغفه وحل أصحابه يتخذ بذلك عنده يدأ. ثم وصل خاقان بلاده وأخذ في الاستعداد للحرب ومحاصرة سمرقند وحل الحصار وابن شرييع وأصحابه على مخسته آلاف برذون. ولاعب خاقان بالزند كورصول يوماً فنمزهه كورصول فائف وتشاجر، فصلك كورصول

مدينة بلخ داراً ونقل إليها الدواوين. ثم عزا طخارستان وأرض  
حربونة فغنم وسيبى.

مقتل خاقان

ولما كانت سنة تسع عشرة غزا أسد بن عبد الله بلاد الختل  
فافتتح منها قلاعًا وأمتلأت أيدي العسكر من السي والشاء.  
وكتب ابن السائحي صاحب البلاد يستجيش خاقان على العرب  
ويوضعفهم له فتجهز وخفف من الأزوادة استعجالاً للعرب. فلما  
احس به ابن السائحي بعث بالتنير إلى أسد فلم يصدقه، فأعاد  
عليه أني الذي استمدلت خاقان لأنك معرت البلاد، ولا أريد أن  
يظفر بك خشية من معاداة العرب واستطالة خاقان علي، فصدقه  
حيتند أسد وبعث الأنتقال مع إبراهيم بن عاصم العقيلي، الذي  
كان ولی سجستان وبعث معه المشيخة كثير بن أمية، وابن سفيان بن  
كتير الخزاعي وفضيل بن حيان المهرى وغيرهم وأمدهما بجند  
آخر. وجاء في أثرهم فانتهى إلى نهر بلخ وقد قطعه إبراهيم بن  
 العاص بالسي والأنتقال، فخاض النهر من ثلاثة وعشرين موضعًا،  
وحمل الناس شياهم حتى حل هو شاة فما استكممل العبور حتى  
طلعت عليهم الترك وعلى السلحة الأزد وقيم. فحمل خاقان  
عليهم فانكشفوا فرجع أسد إلى عسکره وخذلق.

وطنوا أن خاقان لا يقطع النهر قطع النهر بهم وقاتلهم المسلمين في معسكلتهم وباتوا والترك محظوظون بهم. فلما أصبحوا لم يروا منهم أحداً فلعلوا أنهم اتيا بالأنفال والسي، واستعملوا علمها من الطلاقع، فشاروا أسد الناس فأشاروا بالمقام وأشار نصر بن سيار ببابا لهم يخلص الأنفال ويقطع شفة لا بد من قطعها، فرارقه أسد وطير النذير إلى إبراهيم بن عاصم. وصبح خاقان للأنفال وقد خندقوا عليهم. فامر أهل الصند بقتلهم فهزتهم مسلحة المسلمين فصعد على تل حتى رأى المسلمين من خلفهم.

وامر الترك أن يأتوهم من هناك ففعلوا وخالفتهم  
معسكرهم وقتلوا صاغران خذاه وأصحابه وأحسوا بالملائكة. وإذا  
بالغار قد رهق والترك يتحرون قليلاً قليلاً. وجاء أسد ووقف  
على التل الذي كان عليه خاقان. وخرج إليه بقية الناس وجاءته  
امرأة صاغران خذاه معلولة فأعول معها، ومضى خاقان يقود أسرى  
المسلمين في الأفاق ويسوق الإبل المقتورة والجواري. وأراد أهل  
العسكر قتالهم فمنهم أسد. ونادى رجل من عسكر خاقان وهو  
من أصحاب الحارث بن شريح يعبر أسدًا ويحرضه ويقول: قد  
كان لك عن الخيل مندوحة وهي أرض آبائي وأجدادي، قد كان

فوقرت في نفس هشام. وأشار عليه بلال بن أبي بردة والعربان بن الميش أن يعرض أملاكه على هشام ويضمنون له الرضا فلم يجدهم. ثم شكا من خالد بعض آن عمر والأشدق بأنه أغفل له في القول بمجلسه، فكتب إليه هشام يوجهه ويأمره بان يمشي ساعياً على قدميه إلى بابه ويتراصه.

ومنيت عنه من هذا أقوال كثيرة وأنه يستقل ولاية العراق، فكتب إليه هشام: يا ابن أم خالد! بلغني أنك تقول ما ولاية العراق لي بشرف، يا ابن اللخاء! كيف لا تكون إمرة العراق لك شرفاً وأنت من بجيلاة القليلة الذليلة؟ وأما والله إبني لأطمن أن أول من يأتيك صقر من قريش يشد يديك إلى عنقك. ثم كتب إلى يوسف بن عمر الثقفي وهو باليمين يأمره أن يقدم في ثلاثة من أصحابه إلى العراق فقد ولاه ذلك. فسار إلى الكوفة ونزل قريباً منها وقد ختن طارق خليفة خالد بالكوفة ولده وأهدي إليه وصيفاً ووصيفة سوى الأموال والثياب.

ومر يوسف وأصحابه ببعض أهل العراق فسألوهم فعرضوا وظفهم خوارج، وركب يوسف إلى دور ثيق فكتموا، ثم جمع يوسف بالمسجد من كان هناك من مضر ودخل مع الفجر فصلى، وأرسل إلى خالد وطارق فأخذهما. وقيل إن خالداً كان بواسطه وكتب إليه بالخير بعض أصحابه من دمشق، فركب إلى خالد وأخبره بالخبر وقال: إركب إلى أمير المؤمنين واعتنى به قال: لا أفعل بغير إذن قال: فترسلني أستأذنه؟ قال: لا! قال: فاضمن له جميع ما انكسر في هذه السنين وأتيك بعهده وهي مائة ألف الف. قال: والله ما أجد عشرة آلاف الف. قال: اتحملها أنا وفلان وفلان. قال: لا أعطي شيئاً وأعود فيه. فتقال طارق: إنما ثيق ونبي أنفسنا بأموالنا ونستبقي الدنيا وتبقى الدنيا عليك علينا خير من أن يحيي من يطالبنا بالأموال وهي عند الكوفة فقتل واكلوا الأموال. فابن خالد من ذلك كله فودعه طارق ومضى وبكي ورجع إلى الكوفة.

وخرج خالد إلى الحمة وجاء كتاب هشام نظره إلى يوسف بولادة العراق وأن يأخذ ابن النصرانية يعني خالداً وعماله فيذهبهم، فأخذ الأولاد وصار يومه واستخلف على اليمين ابنه الصلت. وقدم في جمادى الآخرة سنة عشرين ومائة فنزل البجف وأرسل مولى كيسان فجاء بطارق ولقيه بالحيرة فضربه ضرباً مبرحاً ودخل الكوفة. ويعث عثمان عطاء بن مقدم إلى خالد بالحمة فقدم عليه وجسه وصالحة عنه ابن بن الوليد وأصحابه على سبعة آلاف الف. وقيل أخذ منه مائة الف وكانت ولاية العراق خمس عشرة سنة. وما لبي يوسف نزلت الذلة بالعراق في العرب وصار

يد خاقان، فحلف خاقان ليكسرن يده ففتحي وجمع.

ثم بيت خاقان فقتله واقتصر الترك وحملوه وتركوه بالعراء فحمله بعض عظمائهم ودفنه. وكان أسد بعث بالفتح من بلخ إلى خالد بن عبد الله فأخبره وبعث به إلى هشام فلم يصلقه، ثم بعده القاسم بن خبيب بقتل خاقان، فبعث قيس أسداً وخالداً، وقالوا هشام: استقدم مقاتل بن حيان. فكتب بذلك إلى خالد، فأرسل إلى أسد أن يبعث به قدم على هشام وال أبرش وزيره جالس عنده، فقص عليه الخبر فسر بذلك وقال لمقاتل: ما حاجتك؟ قال يزيد بن المهلب أخذ من حيان أبي مائة ألف درهم بغير حق، فامر بردها على، فاستخلفه وكتب له بردده، وقسمها مقاتل بين ورثة حيان.

ثم غزا أسد المثل بعد مقتل خاقان، وقدم مصعب بن عمر الخزاعي إليها فسار إلى حصن بدر طرخان فاستأمن له أن يلقى أسدًا فآمنه ويعث إلى أسد فسأل أن يقبل منه ألف درهم، ورأوه على ذلك فابن أسد ورده إلى مصعب ليرده إلى حصنه، فقال له مسلمة بن أبي عبد الله: - وهو من الموالي - إن أمير المؤمنين سيسلم على حبه. ثم أقبل أسد بالناس ووعده المبشر بن مزاحم بدر طرخان أو قبول ما عرض، فندم أسد وأرسل إلى مصعب يسأل عنه فوجده مقيناً عند مسلمة، فجيء به وقطعت يده. ثم أمر رجلاً من الأسد كان بدر طرخان قتل أباه فضرب عنقه وغلب على القلعة. ويعث العساكر في بلاد المثل فماتلات أيديهم من الغنائم والسيي وامتنع ولد بدر طرخان وأمواله في قلعة فرق بلدتهم صغيرة فلم يوصل إليهم.

## وفاة أسد

وفي ربيع الأول سنة عشرين توفي ابن عبد الله القسري بمدينة بلخ واستخلف جعفر بن حنظلة النهرواني فعمل أربعة أشهر ثم جاء عهد نصر بن سيار بالعمل في رجب.

## ولاية يوسف بن عمر الثقفي على العراق وعزل خالد

وفي هذه السنة عزل هشام خالداً عن أعماله جميعها بسبعين أبي المثنى وحسان البطي وكاتا يتوليان ضياع هشام بالعراق، فقتل على خالد وأمر الأشدق بالنهوض على الضياع. وأنهى ذلك حسان بعد أبي المثنى، وإن غلته في السنة ثلاثة عشر ألف الف

الحكم فيه إلى أهل الذمة.

سار إلى أرض فرغانة وبعث أمره في إتمام الصلح، فجاءت له ذلك وأكملها نصر وعقد لها ورجعت. وكان الصند لما قتل خاقان طمعوا في الجمعة إلى بلادهم، فلما ولّ نصر بعث إليهم في ذلك وأعطوه ما سأله من الشروط، وكان أهل خراسان قد نكروا شرطهم، وكان منها أن لا يعاقب من ارتدى عن الإسلام إليهم ولا يؤخذ منهم أسرى إلا ببيعة وحكم عذاب الناس ذلك على نصر لما أمضاه لهم. فقال: لو عاينتم شوكتهم في المسلمين مثل ما عاينت ما أنكرتم. وأرسل إلى هشام في ذلك فأمضاه وذلك سنة ثلاث وعشرين.

## ظهور زید بن علی و مقتله

ظهر زيد بن علي بالكوفة خارجاً على هشام داعياً للكتاب والسنّة ولـي جهاد الظالمن والدفع عن المستضعفين، وإعطاء المرومين، والعدل في قسمة النفيء ورد المظلوم وأفعال الخير ونصر أهل البيت. واختلف في سبب خروجه فقيل: إن يوسف بن عمر لما كتب في خالد القسري كتب إلى هشام أنه شيعة لأهل البيت، وأنه ابْنَاعَ من زيد أرضاً بالمدينة بعشرة آلاف دينار ورد عليه الأمان، وأنه أودع زيداً وأصحابه الوافدين عليه مالاً، فكان زيد قد قدم على خالد بالعراق هو ومحمد بن عمر بن علي بن أبي طالب، وداود بن علي بن عبد الله بن عباس فأجازهم ورجعوا إلى المدينة. فبعث هشام عنهم وسالمهم فاقروا بالجائزه وحلفوا على ما سوي ذلك وأن خالداً لم يروعهم شيئاً. فصدقهم هشام وبعثهم إلى يوسف فقاتلوا خالداً وصدقهم الآخر، وعادوا إلى المدينة وزنلوا القادسية.

وراسل أهل الكوفة زيداً فعاد إليهم، وقيل في سبب ذلك:  
إن زيداً اختصّ مع ابن عمّه جعفر بن الحسن المشي في وقف  
علي، وكانت يحضران عند عامل خالد بن عبد الملك بن الحارث،  
فوقعت بينهما في مجلسه مشاجحة وأنكر زيد من خالد إطلاسه  
للحصومة وأن يستمع لثل هذا فأغاظله له زيد وسار إلى هشام  
فحجّبه، ثم أذن له بعد حين. فحاوره طریلاً ثم عرض له بأنه  
ينكر الخلاف وتقصّه. ثم قال له: أخرّج قال: نعم ثم لا أكون إلا  
محبّث تكره فسأر إلى الكوفة. وقال له محمد بن عمر بن علي بن  
أبي طالب: ناشدتك الله الحق بأهلك ولا تأت الكوفة وذركه  
فنعلمك مع حليه وحليه سيعظم ما وقع به.

وأقبل الكوفة فاتحها مستخفياً ينتقل في المنازل. واختلف إلى الشيعة وبابعه جماعة: منهم مسلمة بن كهيل ونصر بن خزيمة

## ولاية نصر بن سيار خراسان وغزوه وصلح الصبغ

ولما مات أسد بن عبد الله ول هشام على خراسان نصر بن سيار وبعث إليه على عهده عبد الكري姆 بن سليمان الحنفي، وقد كان جعفر بن حنظلة لما استخلفه أسد عند موته عرض على نصر أن يوليه بخارى. فقال له: البختري بن مجاهد مولى بني شيبان لا تقبل! فإليك شيخ مصر بخاراسان، وكان عهدهك قد جاء على خراسان كلها فكان كذلك. ولا ول نصر استعمل على بلخ مسلم بن عبد الرحمن وعلى مرو الروذ وشاح بن بكر بن وشاح، وعلى هراة المخارث بن عبد الله بن الحشرج، وعلى نيسابور زياد بن عبد الرحمن القسري، وعلى خوارزم أبا حفص علي بن حفنة، وعلى الصغد قطن بن قتيبة. وفيقي أربعين سنين لا يستعمل في خراسان إلا مضرباً فعمرت عمارة لم تعمر مثلها، وأحسن الولاية والجلبة.

وكان وصول المهدى إليه بالولاية في رجب سنة عشرين فغزا  
غزوات أوطا إلى ما وراء النهر من نخوب الديار. وسار إليها  
من بلخ ورجع إلى مرو فوضع الجزية على من أسلم من أهل  
الذمة وجعلها على من كان يختلف عنه منهم. وانتهى عددهم  
ثلاثين ألفاً من الصنفين وضعت عن هؤلاء وجعلت على هؤلاء  
ثم غزا الثانية إلى سمرقند، ثم الثالثة إلى الشاش سار إليها من مرو  
ومعه ملك بخارى وأهل سمرقند وكشن ونصف في عشرين ألفاً.

و جاء إلى نهر الشاش فحال بيته وبين عبوره كورصوں،  
عسكر نصر في ليلة ظلاماء، ونادي نصر لا يخرج أحد، وخرج  
عاصم بن عمیر في جند سمرقند، فجاولته خيل الترك ليلاً وفیهم  
كورصوں فاسره عاصم وجاء به إلى نصر فقتله وصلبه على  
شاطئ النهر فحزنت الترك لقتله وأحرقوا أبيته وقطعوا آذانهم  
وشعورهم وأذناب خيولهم، وأمر نصر بحرق عظامه لثلا  
يحملوها بعد رجوعه. ثم سار إلى فرغانة فسيبي منها ألف رأس،  
وكتب إليه يوسف بن عمران ليسرى إلى الحارت بن شريح في  
الشاش ويخرب بلادهم وسيبهم، فسار لذلك وجعل على مقدنته  
يمى بن حصين وجاء بهم إلى الحارت وقاتلهم وقتل عظيماً من  
عظماء الترك وانهزموا.

ووجه ملك الشاش في الصلح والمدنية والرهن. واشترط نصر عليه إخراج الحارث بن شريح من بلده فأخرجه إلى فاراب. واستعمل على الشاش بنزل بن صالح مولى عمرو بن العاص. ثم

في المسجد فجمعوا وطلبوا زيداً في دار معاوية بن إسحاق بن زيد بن حارثة الأنصاري وناس بن حارثة فخرج منها ليلاً واجتمع إليه ناس من الشيعة وأشعلوا النيران ونادوا يا منصور حتى طلع الفجر، وأصبح جعفر بن أبي العباس الكندي فلقي اثنين من أصحاب زيد يناديان بشعاره فقتل واحداً وأتى بالآخر إلى الحكم فقتله، وأغلق أبواب المسجد على الناس. وبعث إلى يوسف بالخير فسار من الحيرة وقدم الريسان بن سلمة الأراشبي في الفتن خيالة وتلثمانة ماشية. وافتقد زيد الناس قتيلاً إنهم في الجامع عصورومن، ولم يجد معه إلا مائتين وعشرين. وخرج صاحب الشرطة في خيله فلقي نصر بن خزيمة العبسي من أصحاب زيد ذاهباً إليه فحمل عليه نصر وأصحابه فقتلوه وحمل زيد على أهل الشام فهزهم. وانتهى إلى دار أنس بن عمر الأستدي من بيته وناداه فلم يخرج إليه.

ثم سار زيد إلى الكناسة فحمل على أهل الشام فهزهم ثم دخل الكوفة، والرابيات في أتباعه. فلما رأى زيد خذلان الناس قال لنصر بن خزيمة: أتعلتموها حسينية؟ قال: أما أنا فوالله لأموتون معك وإن الناس بالمسجد فامض بنا إليهم. فجاءه إلى المسجد ينادي بالناس بالخروج إليه. فرماه أهل الشام بالحجارة من فوق المسجد فانصرفوا عند المساء. وأرسل يوسف بن عمر من الغد العباس بن سعد المزنبي في أهل الشام فجاءه في دار الزرق وقد كان أوى إليها عند المساء. فلقيه زيد بن ثابت فاقتتلوا فقتل نصر. ثم حلوا على أصحاب العباس فهزهم زيد وأصحابه وعياله يوسف بن عمر من العشي ثم سرّحهم فكشفهم أصحاب زيد ولم تثبت خيلهم خيله.

وبعث إليهم يوسف بن عمر بالقادسية وأشتد القتال وقتل معاوية بن زيد. ثم رمي زيد عند المساء بهم أثبه فرجع أصحابه وأهل الشام يظنون أنهم تجاوزوا ولانا نزع النصل من جبهته مات فدفنوه وأجرروا عليه الماء. وأصبح الحكم يوم الجمعة يتبع الجرحى من الدور ودلle بعض الموالي على قبر زيد فاستخرجه وقطع رأسه وبعث بها إلى يوسف بالحيرة، فبعثه إلى هشام فنصبه على باب دمشق. وأمر يوسف الحكم أن يصلب زيداً بالكناسة ونصر بن خزيمة ومعاوية بن إسحاق ويحرسهم. فلما ولي الوليد أمر بإحرافهم واستجار بخيبي بن زيد بعد الملك بن شير بن مروان فأجراه حتى سكن المطلب ثم سار إلى خراسان في نفر من الزيدية.

### ظهور أبي مسلم بالدعوة العباسية

كان أهل الدعوة العباسية بخرasan يكتمون أمرهم منذ بعث

العبسي ومعاوية بن إسحاق بن زيد بن حارثة الأنصاري وناس من وجوه أهل الكوفة يذكر لهم دعوته. ثم يقول: أتبايعون على ذلك؟ فيقولون: نعم فيُضَع يده على أيديهم ويقول عهد الله عليك وميثاكه وذمتك وذمة نبيه يقين تتبعي ولا تقاتلني مع عدوه ولتضحي بي في السر والعلانية. فإذا قال نعم وضع يده على يده ثم قال: اللهم اشهدنا في بيته خمسة عشر الفاً وقيل أربعون. وأمرهم بالاستعداد وشاع أمره في الناس وقيل: إنه أقام في الكوفة ظاهراً ومعه داود بن علي بن عبد الله بن عباس لما جاؤوا لمقاتلة خالد فاختطف إليه الشيعة، وكانت البيعة، وبلغ الخبر إلى يوسف بن عمر فأخرجوه من الكوفة ولحق الشيعة بالقادسية أو الغلبية وعذله داود بن علي في الرجوع معه وذكره حال جده الحسين. فقالت الشيعة لزيد: هذا إنما يريد الأمر لنفسه ولأهل بيته فرجع معهم ومضى داود إلى المدينة.

ولما أتى الكوفة جاءه مسلمة بن كهيل فقصده عن ذلك وقال أهل الكوفة لا يغولون لك. وقد كان مع جدك منهم أضعاف مما معك ولم تتعادل، وكان أعز عليهم منك على هؤلاء. فقال له: قد بايعوني ووجبت البيعة في عنقي وعنهم. قال: فتأذن لي أن أخرج من هذا البلد؟ فلما أمن أن يحدث حدث وانا لا أهلك نفسي، فخرج للبيامة. وكتب عبد الله بن الحسن المتشي إلى زيد يعذله ويصده فلم يصفع إليه. وتزوج نساء بالكوفة وكان يختلف إليهن والناس يبايعونه، ثم أمر أصحابه بتجهزون.

وغي الخبر إلى يوسف بن عمر فطلبها وخاف فتعجل الخروج وكان يوسف بالحيرة وعلى الكوفة الحكم بين الصلت وعلى شرطته عمر بن عبد الرحمن من القاهرة ومعه عبد الله بن عباس الكندي في ناس من أهل الشام. وما علم الشيعة أن يوسف يبحث عن زيد جاء إليه جماعة منهم فقالوا: ما تقول في الشيدين؟ فقال زيد: رحهما الله وغفر لهما، وما سمعت أهل بيتي يذكرونهما إلا بخير. وغاية ما أقول إنما كانت أحق بسلطان رسول الله عليهما من الناس فدفعونا عنه، ولم يبلغ ذلك الكفر، وقد عذلوا في الناس وعملوا بالكتاب والستة. قال: فإذا كان أولشك لم يظلموك فلم تدعوا إلى قتالهم؟ فقال: إن هؤلاء ظلموا المسلمين جميعين فإننا ندعهم إلى الكتاب والستة وأن نحيي السنن، ونطبق البدع، فإن أجبتم سعدتم وإن أبيتم فلست عليكم بوكيل. ففارقوه وتكلموا بيته وقالوا: سبق الإمام الحق يعنون حمدًا الباقي، وأن جعفرًا ابنه إمامنا بعده، فسماهم زيد الرافضة ويقال إنما سماهم الرافضة حيث فارقه.

ثم بعث يوسف بن عمر إلى الحكم بأن يجمع أهل الكوفة

لضر ونهاه عن غالب النيسابوري شيعة بني فاطمة. فشتى زياد بمره ثم سعى به إلى أسد فاعتذر بالتجارة، ثم عاد إلى أمره، فاحضره أسد وقتلها في عشرة من أهل الكوفة. ثم جاء بعدهم إلى خراسان رجل من أهل الكوفة اسمه كثير ونزل على أبي الشحوم وأقام يدعوا ستين أو ثلاثة، ثم أخذ أسد بن عبد الله في ولايته الثانية سنة سبع عشرة. أخذ سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم وموسى بن كعب ولاه بن قريط بثلاثمائة سوط وشهاد حسن بن زيد الأستدي ببراءتهم فاطلقهم.

ثم بعث بكيير بن هامان سنة ثمانين عشر عمراً بن زيد على شيعتهم بخراسان فنزل مرو وتسنى بخراس واطاعه الناس. ثم نزل دعوتهم بدعوة الخرمي فباخ النساء وقال: إن الصوم إنما هو عن ذكر الإمام وأشار إلى إخفاء اسمه. والصلة الدعاء له، والخرج القصد إليه. وكان خراش هذا نصراياناً بالكوفة وتابعه على مقالته مالك بن الهيثم والحرش بن سليم. وظهر أسد على خبره وبلغ الخبر بذلك إلى محمد بن علي فنكر عليهم قبر لهم من خراش وقطع مراسلتهم. فقدم عليه ابن كثير منهم يستعلم خبره ويستعنده على ما وقع منهم، وكتب معه إليهم كتاباً ختموا به عيسى، وأبو علي شبلة بن طهمان المروي مولى بني حنيفة. واعتاره بعده سبعين رجلاً وكتب إليه محمد بن علي كتاباً يكون لهم مثلاً يقتدون به في الدعوة، وأقاموا على ذلك. ثم بعث مسيرة رسلاً من العراق سنة اثنين وعشرين في ولاية سعيد خدبة، وخلافة يزيد بن عبد الملك. وسعى بهم إلى سعيد فقالوا لمن تجأر فضمهم قوم

فقطعوا في غير المسئلة، فعلموا مخالفة خراش لأمره وعظم عليهم. ثم بعث محمد بن بكيير بن أبيان وكتب معه بكذب خراش فلم يصدقه فجاء إلى محمد وبعث معه عصياً مضيبةً بعضها بالحديد وبعضها بالتحاس. ودفع إلى كل رجل عصياً فعلموا أنهم قد خالفوا السيرة فتابوا ورجعوا.

وتوفي محمد بن علي سنة أربع وعشرين وعهد إلى ابنه إبراهيم بالأمر وأوصى الدعاء بذلك، وكانتا يسمونه الإمام. وجاء بكيير بن هامان إلى خراسان بتعيه والدعاء لإبراهيم الإمام سنة ست وعشرين وعشرين، ونزل مرو ودفع إلى الشيعة والنقباء كتابه بالوصية والسيرة فقبلوه، ودفعوا إليه ما اجتمع عندهم من نفقاتهم فقدم بها بكيير على إبراهيم.

ثم بعث إليهم أنا مسلم سنة أربع وعشرين وقد اختلف في أوليه اختلافاً كبيراً. وفي سبب اتصاله بإبراهيم الإمام أو أبيه محمد فقيل كان من ولد بزر جهر، ولد باصبهان وأوصى به أبوه إلى عيسى بن موسى السراج، فحمله إلى الكوفة ابن سبع سنين. ونشأ بها واتصل بإبراهيم الإمام. وكان اسم أبي مسلم إبراهيم بن عثمان بن بشار. فسماه إبراهيم الإمام عبد الرحمن وزوجة أبيه أبي النجم عمران بن إسماعيل من الشيعة. فبني بها بخراسان وزوج ابنته من حرز بن إبراهيم فلم يعقب. وابنته أسماء من فهم بن حرز فأعقبت فاطمة وهي التي يذكرها الخرمي.

محمد بن علي بن عبد الله بن عباس دعاته إلى الأفاق سنة مائة من الهجرة أيام عمر بن عبد العزيز، لما مر أبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية ذاهباً وجائياً من الشام من عند سليمان بن عبد الملك فمرض عنده بالحمى من أعمال البلقاء وهلك هناك وأوصى له بالأمر. وكان أبو هاشم قد علم شيعته بالعراق وخراسان وأن الأمر صادر في ولد محمد بن علي بن عبد الله بن عباس. فلما مات أبو هاشم قصدت الشيعة محمدًا وبإيعوه سرًا وبعث دعاته منهم إلى الأفاق. وكان الذي بعث إلى العراق مسيرة ابن والي خراسان محمد بن حبيش، وأبا عكرمة السراج وهو أبو محمد الصادق وحيان العطار خال إبراهيم بن سلمة فجاءوا إلى خراسان ودعوا إليه سراً وأجابهم الناس وجاؤوا بكتاب من أجاب إلى مسيرة أهـ.

فبعث بها إلى محمد واعتار أبو محمد الصادق إثنين عشر رجلاً من أهل الدعوة فجعلهم ثوابه عليهم وهو: سليمان بن كثير الخزاعي ولاهزم بن قريط التميمي، وأبا النجم عمران بن إسماعيل مولى أبي معيط ومالك بن الهيثم الخزاعي، وطلحة بن زريق الخزاعي، وأبو حزبة بن عمر بن أعين مولى خزانة وأخوه عيسى، وأبو علي شبلة بن طهمان المروي مولى بني حنيفة. واعتاره بعده سبعين رجلاً وكتب إليه محمد بن علي كتاباً يكون لهم مثلاً يقتدون به في الدعوة، وأقاموا على ذلك. ثم بعث مسيرة رسلاً من العراق سنة اثنين وعشرين في ولاية سعيد خدبة، وخلافة يزيد بن عبد الملك. وسعى بهم إلى سعيد فقالوا لمن تجأر فضمهم قوم من ربيعة واليمن فطلقهم.

وولد محمد ابنه عبد الله السفاح سنة أربع وعشرين وعده إلى أبي محمد الصادق في جماعة من دعاة خراسان فأخبره لهم ابن خمسة عشر يوماً وقال: هذا صاحبكم الذي يتم الأمر على يده، فقبلوا أطراfe وانتصروا. ثم دخل معهم في الدعوة بكيير بن هامان جاء من السندي مع الجندى بن عبد الرحمن. فلما عزل قدم الكوفة ولقي أبا عكرمة وأبا محمد الصادق وحمد بن حبيش وعمار العبادي خال الريلد الأزرق دعاه إلى خراسان في ولاية أسد القسري أيام هشام وروشى بهم إليه فقطع أيدي من ظفر به منهـم وصلبهـ.

وأقبل عمار إلى بكيير بن هامان فأخبره فكتب إلى محمد بن علي بذلك فأجابه: الحمد لله الذي صدق دعوتكـم ومقاتلكـم وقد بقيت منكم قتلى سعدـ. ثم كان أول من قدم محمد بن علي إلى خراسان أبو محمد زياد مولى هشـان بعثه محمد بن علي سنة تسعة في ولاية أسد أيام هشـام وقال لهـ: انـزل في الـيـمن وتنـطفـ

ثم جاء سليمان بن كثير ولاهز بن قريط وخطبطة إلى مكة سنة سبع وعشرين بعشرين ألف دينار للإمام إبراهيم وما تلقى ألف درهم ومسك ومتاع كثير ومعهم أبو مسلم وقالوا: هذا مولاكم. وكتب كبير بن همام إلى الإمام بأنه أوصى بأمر الشيعة بعده لأبي سلمة حفص بن سليمان الحال وهو رضي. فكتب إليه إبراهيم بالقيام بأمر أصحابه وكتب إلى أهل خراسان بذلك قبله وصدقه ويعثروا بخمسة أموالهم ونفقة الشيعة للإمام إبراهيم.

ثم بعث إبراهيم في سنة ثمانين وعشرين مولاها أبا مسلم إلى خراسان وكتب له: إني قد أمرت به بأمر فاسمعوا له وأطاعوا. وقد أمرته على خراسان وما غلت عليه فارتباها من قوله ووفدوا على إبراهيم الإمام من قابل مكة وذكر له أبو مسلم أنهم لم يقبلوه. فقال لهم: قد عرضت عليكم الأمر فأليست من قبولة، وكان عرضه على سليمان بن كثير ثم على إبراهيم بن سلمة فابراها. وإنني قد أجمع رأي على مسلم وهو متى أهل البيت فاسمعوا له وأطاعوا. وقال لأبي مسلم: إنزل في أهل اليمين وأكرمهم. فلما تمكن ونوى أمره ادعى أنه الأمر واتهם الشيعة. وأما مضر فهم العدو الغريب، وقتل من شرکت فيه وإن قدرت أن لا تدع خراسان من يتكلّم بالعربية فافتعل وارجع إلى سليمان بن كثير واكف به مني وسرحه معهم فساروا إلى خراسان.

### وفاة هشام بن عبد الملك وبيعة الوليد بن

يزيد

توفي هشام بن عبد الملك بالرصافة في ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة لعشرين سنة من خلافته وولى بعده الوليد ابن أخيه يزيد بعهد يزيد بذلك كما مر، وكان الوليد متلاعاً وله جعون وشراب وندمان، وأراد هشام خلعة فلم يكتبه. وكان يضرب من يأخذنه في صحبته، فخرج الوليد في ناس من خاصته ومواليه وخلف كاتبه عياض بن مسلم ليكتبه بالأحوال فضربه هشام وجسسه. ولم ينزل الوليد مقيناً بالبرية حتى مات هشام، وجاءه مولى أبي محمد السفياني على البريد بكتاب سالم بن عبد الرحمن صاحب ديوان الرسائل بالخبر فسأل عن كاتبه عياض فقال: لم ينزل عبوداً حتى مات هشام، فأرسل إلى الحراق أن يختفظوا بما في أيديهم حتى منعوا هشاماً من شيء طلبه. ثم خرج بعد موته من الجبس وختم أبواب المخازن. ثم كتب الوليد من وفته إلى عمه العباس بن عبد الملك أن يأتي الرصافة فيحصل ما فيها من أموال هشام وولده وعماله وخدمه إلا سلمة بن هشام فإنه كان يراجع

وقيل في إتصاله بإبراهيم الإمام: إن أبا مسلم كان موسى السراج وتعلم منه صناعة السروج وكان يتجهز فيها بأصحابه والجالب والجزيرة والموصل. واتصل بعاصم بن يونس العجلبي صاحب عيسى السراج وابن أخيه عيسى وإدريس ابنى معقل، وإدريس هو جد أبي دلف. وهي إلى يوسف بن عمران العجلبي من دعوة بني العباس فحبسهم مع عمال خالد القسري. وكان أبو مسلم معهم في السجن بخدمتهم وقبل منهم الدعوة. وقيل لم يتصل بهم من عيسى السراج وإنما كان من ضياع بني العجلبي بأصحابه أو الجبل. وتوجه سليمان بن كثير ومالك بن الميشم ولاهز بن قريط وخطبطة بن شبيب من خراسان بريدون إبراهيم الإمام بمكة، فمروا بعاصم بن يونس وعيسى وإدريس ابنى معقل العجلبي بمكانتهم من الحبس فرأوا معهم أبا مسلم فاغرّهم وأخذوه. ولقوا إبراهيم الإمام بمكة فاعجبه فأخذه وكان يخدمه. ثم قدم النقابة بعد ذلك على إبراهيم الإمام يطلبون أن يوجهه إلى خراسان فبعث معه أبا مسلم. فلما تمكن ونوى أمره ادعى أنه من ولد سليمان بن عبد الله بن عباس.

وكان من أولية هذا الخبر أن جارية لعبد الله بن العباس ولدت لغير رشدة فحدّها واستبعد ولدتها وسمّاه سليمطاً فشأ واختص بالوليد. وادعى أن عبد الله بن عباس أقر بأنه ابنه وأقام البينة على ذلك. وخاصم علي بن عبد الله في الميراث وأدّاه. وكان في صحابته عمر الدن من ولد أبي رافع مولى رسول الله ﷺ ودخل عليها سليمطاً بالخبر، فاستعدت الوليد على علي فانكر وحلف، فنبشوا في البستان فوجدوه. فامر الوليد بعلي فضرب ليدله على عمر الدن. ثم شفع فيه عباد بن زياد فأخرج إلى الحمية. ولا ولد سليمان رده إلى دمشق. وقيل إن أبا مسلم كان عبداً للعجلبيين، وابن كبير بن همام كان كاتباً لعمال بعض السندين. وقدم الكوفة فكان دعابة بني العباس فحبسوا ويكر معهم. وكان العجلبيون في الحبس، وأبو مسلم العبسي بن معقل. فدعاهم بكيه إلى رأيه فأجابه، واستحسن الغلام فاشتراه من عيسى بن معقل بأربعين درهم وبعث به إلى إبراهيم الإمام، فدفعه إبراهيم إلى موسى السراج من الشيعة. فسمع منه وحفظ وصار يتردد إلى خراسان. وقيل كان ليحضر أهل هرة وابناعه منه إبراهيم الإمام، ومكث عنده سنتين وكان يتردد بكتبه إلى خراسان. ثم بعثه أميراً على الشيعة وكتب إليهم بالطاعة له، وللأبي سلمة الحالل داعيهم بالكوفة يأمره باتفاقه إلى خراسان فنزل على سليمان بن كثير وكان من أمره ما يذكر بعد هذا إن شاء الله تعالى.

برأسه إلى الوليد وصلب بالجوزان. وكتب الوليد إلى يوسف بن عمر بأن يحرق شلو زيد، فأحرقه وذرأه في الفرات. لم ينزل بمحبس مصلوباً بالجوزجان حتى استولى أبو مسلم على خراسان فدفنه ونظر في الديوان أسماء من حضر لقتله فمن كان حياً قتله ومن كان ميتاً خلفه في أهله بسوء.

### مقتل خالد بن عبد الله القسري

قد تقدم لنا ولاية يوسف بن عمر على العراق وأنه جبس خالداً أصحاب العرق وخراسان قبله فأقام محبسه في الخبرة ثمانية عشر شهراً مع أخيه إسماعيل وأبنته يزيد بن خالد والمتذر ابن أخيه أسد. واستاذن هشاماً في عذابه فأذن له على أنه إن هلك قتل يوسف به فعنبه. ثم أمر هشام بإطلاقه سنة إحدى وعشرين، فاتى إلى قرية يزاذه الرصافة فأقام بها، حتى خرج زيد وقتل وانتقضى أمره، فسعى يوسف بخالد عند هشام بأنه الذي داشر زيداً في الخروج، فرد هشام سمايته ووبيع رسوله وقال: لستا تهم خالداً في طاعة. وسار خالد إلى الصافنة وأنزل أهله دمشق وعليها كلثوم بن عياض القشيري، وكان يبغض خالداً.

فظهر في دمشق حريق في ليال، فكتب كلثوم إلى هشام بأن موالي خالد يربدون الوثوب إلى بيت المال ويتطرون إلى ذلك بالحريق كل ليلة في البلد. فكتب إليه هشام محبس الكبير منهم والصغر والمالي فحبسهم. ثم على صاحب الحريق وأصحابه. وكتب بهم الوليد بن عبد الرحمن عامل الخراج ولم يذكر فيهم أحداً من آل خالد ومواليه فكتب هشام إلى كلثوم يوجهه ويأمره بإطلاق آل خالد وتترك الموالي. فشنع منهم خالد عند مقدمه من الصافنة، فلما قدم دخل منزله وأذن للناس فاجتمعوا عليه فورتهم و قال: إن هشاماً يسوقهن إلى الجبس كل يوم. ثم قال: خرجت غازياً ساماً مطيناً فحبساه أهلي مع أهل الجرائم كما يفعل بالمشركين. ولم يغير ذلك أحد منكم، أخفتم القتل؟ أخافكم الله. والله ليكفن عن هشام أن لاعودن إلى عراقي الموى شامي الدار حجازي الأصل يعني محمد بن علي بن عبد الله بن عباس.

وبلغ ذلك هشاماً فقال: خرف أبو الهشم. ثم تابعت كتب يوسف بن عمر إلى الشام بطلب يزيد بن خالد فأرسل إلى كلثوم بإيقاده إليه فهرب يزيد فطلبه كلثوم من خالد وحبسه فيه فكتب إليه هشام بتخلطيه ووجهه أه.

ولما ول الوليد بن يزيد استقدم خالداً وقال أين ابنك؟ قال: هرب من هشام وكنا نراه عندك حتى استخلفك الله فلم نره

أباه بالرفق بالوليد، فاتهى العباس لما أمر به الوليد. ثم استعمل الوليد العمال وكتب إلى الأفاق بأخذ البيعة. فجاءته بيتهم. وكتب مروان بيته واستاذن في القدوم. ثم عقد الوليد من سنته لابنيه: الحكم وعثمان بعده وجعلهما ولبي عهده وكتب بذلك إلى العراق وخراسان.

### ولاية نصر للوليد على خراسان

وكتب الوليد في سنته إلى نصر بن سيار بولاية خراسان وأفرده بها، ثم وفديوس بن عمر على الوليد فاشترى منه نصراً وعمالة فرد إليه الوليد خراسان. وكتب يوسف إلى نصر بالقدوم ويحمل معه المدابا والأموال وعياله جميعاً وكتب له الوليد بأن يتخذ له برباط وطنابير وأباريق ذهب وفضة ويجمع له البرادين الغرة ويجمع بذلك إليه في وجوه أهل خراسان، واستدحثه رسول يوسف فاجازه. ثم سار واستخلف على خراسان عصمة بن عبد الله الأسدي وعلى شاش موسى بن ورقاء وعلى سمرقند حسان ابن من أهل الصغانيان وعلى أمد مقاتل بن علي الصندي. وأسر إليهم أن يدخلوا الترك في المسير إلى خراسان ليرجع إليهم. وبينما هو في طريقه إلى العراق بيهق لقيه مولى لبني ليث، وأخبره بقتل الوليد والفتنة بالشام. وأن منصور بن جهور قدم العراق وهرب يوسف بن عمر فرجع بالناس.

### مقتل يحيى بن زياد

كان يحيى بن زياد سار بعد قتل أبيه وسكنون الطلب عنه كما مر فأقام عنه الحريش بن عمرو ومروان في بلخ. ولما ول الوليد كتب إلى نصر بأن يأخذنه من عند الحريش فاضر الحريش وطالبه بيهق، فأنكر، فضريه ستمائة سوط، فجاء ابنه قريش ودله على يحيى فحبسه. وكتب إلى الوليد فأمره أن يخلني سبيلاً وسبيل أصحابه. فأطلقه نصر وأمره أن يلحق بالوليد فسوار وأقام بسرخس فكتب نصر إلى عبد الله بن قيس بن عياد يخرجه عنها فأنخرجه إلى بيهق وخلف يحيى بن يوسف بن عمر فسوار إلى نيسابور وبها عمر بن زارة، وكان مع يحيى سبعون رجلاً، ولقوا دواب وأدركهم الإعياه فاخذوها بالشمن. وكتب عمر بن زارة بذلك إلى نصر فكتب إليه يأمره بمحرمه، فحاربهم في عشرة آلاف فهزمه وقتلهم، ومرروا بهراة فلم يعرضوا لها. وسرج نصر بن سيار مسلم بن أحوز المازني إليهم فلحقهم بالجوزجان فقاتلهم قتالاً شديداً وأصيب يحيى بهم في جبهته فمات. وقتل أصحابه جميعاً وبعثوا

مضى، وقد أقفر بعد مسلمة الصيد لمن رمى، وأختل الشغور فهوى.  
وعلى أثر من سلف، يمضي من خلف، فسترودوا فإن خير الزاد  
التقوى. فأعرض هشام وسكت القوم.

وأما حكاية مقتله فإنه لما تعرض له بنو عمه وبنالوا من  
عرضه أخذ في مكانتهم. فضرب سليمان ابن عمه هشام مائة  
سوط وحلقه وغريبه إلى معان من أرض الشام، فجسسه إلى آخر  
دولته. وحبس أخاه يزيد بن هشام، وفرق بين ابن الوليد وبين  
أمراه، وجبس عدة من ولد الوليد، فرموه بالفتن والكفر  
واستباحة نساء آليه. وخوفروا بي أيمة منه بأنه اخْذَ ميّة جامعة لهم  
وطعنوا عليه في توليه إبني الحكم وعثمان العهد مع صغرهما.  
وكان أشدُّهم عليه في ذلك يزيد بن الوليد لأنَّه كان يتنسك فكان  
الناس إلى قوله أميل.

ثم فسدت اليمامة عليه بما كان منه خالد التسرى. وقالوا:  
إنما جبسه ونكبته لامتناعه من بيعة ولديه. ثم فسدت عليه قضاعة  
وكان اليمن وقضاعة أكثر جند الشام. واستعظاموا منه ما كان من  
بيعة خالد ليوسف بن عمر، وصنعوا على لسان الوليد قضية  
معيرة اليمنية بشأن خالد. فازداد واحتقى. وأتوا إلى يزيد بن الوليد  
بن عبد الملك فأرادوه على البيعة. وشاور عمر بن زيد الحكيم  
 فقال: شاور أخاك العباس وإلا فأنظِرْ إِنْه قد بایعك، فإن الناس له  
أطْرُع. فشاور العباس فنهاه عن ذلك فلم ينته، ودعا الناس سراً  
وكان بالبادية. وبلغ الخبر مروان بأمرية فكتب إلى سعيد بن عبد  
الملك يعظم عليه الأمر ويحذر الفتنة وينذر له أمر يزيد، فاعظم  
ذلك سعيد ويعث بالكتاب إلى العباس فنهدد أخاه يزيد فكتمه  
فصدقة.

ولما اجتمع ليزيد أمره أقبل إلى دمشق لأربع ليال متكرراً  
معه سبعة نفر على الحمر. ودخل دمشق ليلاً وقد بايع له أكثر  
أهلها سراً وأهل المزة. وكان على دمشق عبد الملك بن محمد بن  
الحجاج فاستويواها فنزل قطناً، واستختلف عليها ابنه عمداً. وعلى  
شرطه أبو العاج كثير بن عبد الله السلمي. وفي الخبر إليهما  
فكذباه وتتواعد يزيد مع أصحابه بعد المغرب بباب الفراديس. ثم  
دخلوا المسجد فصلوا العتمة، ولما قصوا الصلاة جاء حرس  
المسجد لإخراجهم فوثبوا عليهم، ومضى يزيد بن عتبة إلى يزيد  
بن الوليد فجاء به إلى المسجد في زهاء ماتين وخمسين، وطرقوا  
باب المقصورة فادخلهم الخادم فأخذوا أبا العاج وهو سكران  
وخزان بيت المال.

وبعث عن محمد بن عبد الملك فأخذوه وأخذوا سلاحاً كثيراً  
كان بالمسجد، وأصبح الناس من الغد من النواحي القرية

وطلبناه ببلاد قومه من الشرارة فقال: ولكن خلفته طلباً للفتنة  
قال: أنا أهل بيت طاعة. فقال: لتأتي بي أو لا أرهق نشك.  
قال: والله لو كان تحت قدمي ما رفعتهما عنه. فأمر الوليد  
بضرره. ولما قدم يوسف بن عمر من العراق بالأموال اشتراه من  
الوليد بمئتين ألف ألف. فقال له الوليد: إن يوسف يشتريك  
بكذا فاضنمها لي قبل أن أدفعك إليه. فقال: ما عهدت العرب تباع  
والله لو سألتني عوداً ما ضمتة. فدفعه إلى يوسف فالبسه عباءة  
وحمله على غير وطاء وعذبه عذباً شديداً وهو لا يكلمه. ثم حله  
إلى الكوفة فاشتد في عذابه ثم قتله ودفنه في عباءة يقال: إنه قتله  
 بشيء وضعه على وجهه. وقيل وضع على رجله الأعواد وقام  
عليها الرجال حتى تكسرت قدماه. وذلك في المحرم سنة ست  
وعشرين ومائة.

### مُقتل الوليد وبيعة يزيد

ولما ولد الوليد لم يقلع عما كان عليه من الهوى والمحبون.  
حتى نسب إليه في ذلك كثير من الشنائع. مثل رمية المصحف  
بالسياه حين استفتح فوقه على قوله: وَخَابَ كُلُّ جَبَارٍ عَنِيدٍ.  
وينشدون له في ذلك بيّن تركهما الشناعة مزاحماً. ولقد ساءت  
القالة فيه كثيراً، وكثير من الناس نفوا ذلك عنه وقالوا: إنها من  
شناعات الأعداء الصقرها به. قال المدائني: دخل ابن الغمر بن  
يزيد على الرشيد فسألَه: من أنت؟ فقال: من قريش. قال: من  
أيهَا؟ فهرج، فقال: قل وانت آمن ولو أنت مروان. فقال: أنا ابن  
الغمر بن يزيد. فقال: رحم الله الوليد ولعن يزيد الناقص، فإنه  
قتل خليفة جمعاً عليه، إرفع حواريتك فرفتها وقضها.

وقال شبيب بن شبة: كنا جلوساً عند المهدي ذكر الوليد  
 فقال المهدي: كان زنديقاً ققام ابن علانة الفقيه فقال: يا أمير  
المؤمنين إن الله عز وجل أعدل من أن يولي خلافة النبوة وأمر  
الأمة زنديقاً لقد أخبرني عنه من كان يشهد في ملاعبيه وشربه  
ويراه في ظهارته وصلاته فكان إذا حضرت الصلاة يطرح الثياب  
التي عليه المصيبة المصيبة. ثم يتوضأ فيحسن الوضوء ويوتني بشباب  
يبضم نظيفة فيلبسها ويستغل بربه. أترى هذا فعل من لا يؤمن  
بالله؟ فقال المهدي: بارك الله عليك يا ابن علانة، وإنما كان  
الرجل محسوداً في خلاله ومزاجاً بكمار عشرته بيته من بني  
عمومته مع هو كان يصاحب، أوجد لهم به السبيل على نفسه.

وكان من خلاله قرض الشعر الوثيق ونظم الكلام البليغ.  
قال يوماً هشام يعزبه في مسلمة أخيه: إن عقبى من بقي لحق من

بيعته. ولما قتل خطب الناس يزيد فذمه وثبله وإنما قتله من أجل ذلك. ثم وعدهم محسن الظفر والاقصار عن النفقة في غير حاجاتهم وسد التغور والعدل في العطاء والأرزاق ورفع الحجاب وإلا فلهم ما شتم من الخلع. وكان يسمى الناقص لأنه نقص الريادة التي زادها الوليد في أعطيات الناس وهي عشرة عشرة. ورد العطاء كما كان أيام هشام وبابع أخيه إبراهيم بالعهد ومن بعده عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك حمله على ذلك أصحابه القدرة لمرض طرقه....

ولما قتل الوليد وكان قد جبس سليمان ابن عمته هشام بعمان، خرج سليمان من الجبس وأخذ ما كان هناك من الأموال ونقله إلى دمشق. ثم بلغ خبر مقتله إلى حصن وإن العباس بن الوليد أعاد على قته فانتقضوا وهدموا دار العباس وسبوها وطلبوه فلحق به يزيد. وكانتوا الأجناد في الطلب بدم يزيد وأمرروا عليهم مروان بن عبد الله بن عبد الملك ومعاوية بن يزيد بن حصين بن ثمير وراسلهم يزيد فطردوا رسوله فبعث أخاه مسروراً في الجيش فنزل حوارين. ثم جاء سليمان به هشام من فرد عليه ما أخذ الوليد من أموالهم، وبعث على الجيش وأمر أخاه مسروراً بالطاعة.

واعترض أهل حصن على المسير إلى دمشق فقال لهم مروان: ليس من الرأي أن تتركوا خلفكم هذا الجيش وإنما قاتلته قبل، فيكون ما بعده أهون علينا. فقال لهم السميط بن ثابت: إنما يزيد خلفكم وإنما هواء مع يزيد والقدرة، فقتلوه ولو لا عليهم عمداً السفياني وقصدوا دمشق، فاعتربتهم ابن هشام بقداراً فقاتلهم قتالاً شديداً. وبعث يزيد عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك في ثلاثة آلاف إلى ثنية العقارب وهشام بن مضاد في ألف وخمسة إلى عقبة السلامية. وبينما سالم يقاتلهم إذ أقبلت عساكر من ثنية العقارب فانهزم أهل حصن، ونادى يزيد بن خالد بن عبد الله القسري: الله الله على قومك يا سليمان. فكف الناس عنهم وبابعاً يزيد. وأخذ أبو محمد السفياني ويزيد بن خالد بن يزيد وبعثهما إلى يزيد فحبسهما اهـ.

واستعمل على حصن معاوية بن يزيد بن الحسين وكان لما قتل الوليد وتب أهل فلسطين على عاملهم سعيد بن عبد الملك فطردوه وتولى منهم سعيد وسبعون ابن روح. وكان ولد سليمان يتزلون فلسطين فأحضروا يزيد بن سليمان وولوه عليهم. وبلغ ذلك أهل الأردن فولوا عليهم محمد بن عبد الملك. وبعث يزيد سليمان بن هشام في أهل دمشق وأهل حصن الذين كانوا مع السفياني على ثمانين ألفاً، وبعث إلى أبي روح بالإحسان

متسائلين للبيعة أهل المزة والسكاكين وأهل دارا، وعيسي بن شيب الشعبي في أهل دره وحرستا، وحميد بن حبيب الخصي في أهل درعران، وأهل حرش والحديثة ودريركا وربعي بن هشام الحرشي في جماعة من عر وسلامان. وبعقوب بن عمير بن هانى العبسي جهة مواليهم. ثم بعث عبد الرحمن بن مصادي في ماتني فارس، فجاء بعد الملك بن محمد بن الحجاج من قصره على الأمان. ثم جهز يزيد الجيش إلى الوليد بمكانه من البادية مع عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك، ومنصور بن جهور. وقد كان الوليد لما بلغه الخبر بعث عبد الله بن يزيد بن معاوية إلى دمشق فأقام بطريقه قليلاً.

ثم بابع يزيد وأشار على الوليد أصحابه أن يلحق بمحصن فيتحصن بها. قال له ذلك يزيد بن خالد بن يزيد، وخالفه عبد الله بن عنابة. وقال: ما ينبغي للخلافة أن يدع عسكره وحرمه قبل أن يقاتل. فسار إلى قصر النعمان بن بشير، ومعه أربعون من ولد الصحاح وغيره. وجاء كتاب العباس بن الوليد بأنه قادم عليه، وقاتلهم عبد العزيز ومنصور بعد أن بعث إليهم زياد بن حصين الكلي يدعوهم إلى الكتاب والسنة. فقتلته أصحاب الوليد واشتد القتال بينهم وبعث عبد العزيز بن منصور بن جهور لاعتراض العباس بن الوليد أن يأتي بالوليد. فجاء به كرهاً إلى عبد العزيز وأرسل الوليد إلى عبد العزيز بخمسين ألف دينار وولاية حصن ما يقي على أن ينصرف عنه فأبى.

ثم قاتل قتالاً شديداً حتى سمع النساء بقتله وسبه من جوانب الحومة، فدخل القصر فأغلق الباب وطلب الكلام من أعلى القصر، فتكلمه يزيد بن عنابة السكاكيني فذكره مجرمه و فعله فيهم. فقال ابن عنابة: إنما نتفق عليك في أنسنا، وإنما نتفق عليك في انتهاءك ما حرم الله، وشرب الخمر ونكاح أمهات أولاد أيك، واستخفافك بأمر الله. قال: حسبك الله يا أبا السكاكين! فلعمري لقد أكثرت وأغرقت، وإن فيما أحل الله سعة مما ذكرت. ثم رجع إلى الدار فجلس يقرأ في المصحف وقال: يوم كيوم عمان: فتسوروا عليه وأخذ يزيد بن عنابة بيده يقيه لا يريد قتله وإذا منصور بن جهور في جماعة معه ضربوه واجتزروا رأسه فساروا به إلى يزيد فأمر ب砍首.

فتألف له يزيد بن فروة مولىبني مرة في المنبع من ذلك، وقال: هذا ابن عمك وخليفة وإنما تنصب رؤوس الخوارج ولا آمن أن يتصرف له أهل بيته. فلم يجيء، وأطافه بدمشق على رمح ثم دفع إلى أخيه سليمان بن يزيد وكان معهم عليه. وكان قتله آخر جمادى الآخرة سنة ست وعشرين لستين وثلاثة أشهر من

الدول بن خولة. وسار إليه وهو في قصره بقاع هجر فالتقوا وأنهزم علي وقتل ناس من أصحابه، وهرب إلى المدينة. وملك المهير اليمامة ثم مات واستخلف عليها عبد الله بن النعمان من بي قيس بن ثعلبة من الدول فبعث المنذلب بن إدريس الخفي على الفلاح قريباً من قرى بي عامر بن صعصعة فجمع له بي كعب بن ربيعة بن عامر وبني عمير فقتلوا المنذلب وأكثروا أصحابه. فجمع عبد الله بن النعمان جموعاً من حنفية وغيرها وغزا الفلاح وهزم بني عقيل وبني بشير وبني جعدهة وقتل أكثرهم.

ثم اجتمعوا ومعهم غير فلقو بعض حنفية بالصحراء وسلبوا نسائهم، ثم جمع عمر بن الرازح الخفي الجموع وقال لست بدون عبد الله بن النعمان وهذه فترة من السلطان. وأغار وأمتلأت يداه من الثنائي وأقبل ومن معه وأقبلت بنو عامر والتقوا فانهزم بنو حنفية ومات أكثرهم من العطش. ورجع بنو عامر بالأسرى والنساء ولحق عمر بن الرازح باليمامة. ثم جمع عبد الله بن سلم الخفي جمعاً وأغار على قشير وعقل فقتل منهم عشرين وسمى الثنتي بن يزيد بن عمر بن هبيرة واليأ على اليمامة من قبل أبيه حتى ول العراق لمران فتعذر الثنتي لبني عامر وضرب عدة من بني حنفية وحلقهم. ثم سكتت البلاد ولم ينزل عبد الله بن سلم الخفي مستخفياً حتى قدم كسرى بن عبيد الله الماشمي واليأ على العامة لبني العباس ودل عليه فقتله.

## اختلاف أهل خراسان

ولما قتل الوليد وقدم على نصر عهد خراسان من عبد الله بن عمر بن عبد العزيز صاحب العراق، انتقض عليه جديع بن علي الكرمانى وهو أزدي. وإنما سمع الكرمانى لأنه ولد بكرمان وقال لأصحابه: هذه فتنة فانتظروا لأموركم رجالاً فقالوا له: أنت! عبد العزيز وقال: سر إلى أهل العراق فإن أهله يجلسون إلى أيك. فسار واتقاد له أهل الشام وسلم إليه منصور العمل، وانصرف إلى الشام. وبعث عبد الله العمال على الجهات واستعمل عمر بن الغضبان بن القبعثرا على الشرطة وخرج السواد والمحاسبات وكتب إلى نصر بن سيار بهده على خراسان.

## انتقاض أهل اليمامة

ثم ضربه وجسه آخر رمضان سنة ست وعشرين. ثم تقب السجن واجتمع له ثلاثة آلاف، وكانت الأزد قد بايعوا عبد الملك

والولاية، فرجعوا بأهل فلسطين. وقدم سليمان عسكراً من خمسة آلاف إلى طبرية فنهبوا القرى والقبيع وخشي أهل طبرية على من وراءهم، فأنهروا يزيد بن سليمان ومحمد بن عبد الملك، وزلوا بمنازلهم، فاقتصرت جمع الأردن وفلسطين. وسار سليمان بن هشام ولحقه أهل الأردن فبايعوا لزيد وولى على فلسطين ضبعان بن روح على أهلها اليمامة لزيد وولى على فلسطين ضبعان بن روح وعلى الأردن إبراهيم بن الوليد.

## ولادة منصور بن جهور على العراق ثم ولادة عبد الله بن عمر

لما ول يزيد استعمل منصور بن جهور على العراق وخراسان لم يكن من أهل الدين، وإنما صار مع يزيد لرائه في الغيلانية، وحثتها على يوسف بقتله خالد القسري. وما بلغ يوسف قتل الوليد ارتتاب في أمره، وحبس اليمامة لما تجتمع المضرية عليه فلم ير عندهم ما يجب فاطلق اليمامية. وأقبل منصور وكتب من عن البقر إلى قواد الشام في المدينة بأخذ يوسف وعماله، فأظهر يوسف الطاعة. ولما قرب منصور دخل دار عمر بن محمد بن سعيد بن العاصي ولحق منها بالشام سراً وبعث يزيد بن الوليد خسین فارساً لتلقية. فلما أحسن بهم هرب واحتفى، ووجد بين النساء فأخذوه وجاوزوا به إلى يزيد فجسده مع ابني الوليد، حتى قتلهم مولى يزيد بن خالد القسري.

ولما دخل منصور بن جهور الكوفة لأيام خلت من رجب أقاض العطاء وأطلق من كان في السجون من العمال وأهل الخراج، واستعمل أخاه على الري وخراسان، فسار لذلك فامتنع نصر بن سيار من تسليم خراسان له. ثم عزل يزيد منصور بن جهور لشهرين من ولاته، وولى على العراق عبد الله بن عمر بن عبد العزيز وقال: سر إلى أهل العراق فإن أهله يجلسون إلى أيك. فسار واتقاد له أهل الشام وسلم إليه منصور العمل، وانصرف إلى الشام. وبعث عبد الله العمال على الجهات واستعمل عمر بن الغضبان بن القبعثرا على الشرطة وخرج السواد والمحاسبات وكتب إلى نصر بن سيار بهده على خراسان.

ولما قتل الوليد كان علي بن المهاجر على اليمامة عاماً ليوسف بن عمر فجمع له المهير بن سليمان بن هلال من بني

### انتقام مروان لما قتل الوليد

كان مروان بن محمد بن مروان على أرمينية وكان على الجزيرة عبدة بن رياح العبادي. وكان الوليد قد بعث بالصافنة أخاه فيعت معه مروان ابنه عبد الملك. فلما انتصروا من الصافنة لقيهم جوزان حين مقتل الوليد، وسار عبدة عن الجزيرة. فوثب عبد الملك بالجزيرة وجوزان فقضبهم، وكتب إلى أبيه بأرمينية يستحسن، فسار طالباً بدم الوليد بعد أن أرسل إلى التغور من يقضبها. وكان معه ثابت بن نعيم الجذامي من أهل فلسطين، وكان صاحب فتنه. وكان هشام قد جسسه على إفساد الجند بأفريقيا عند مقتل كلثوم بن عياض، وشفع فيه مروان فأطلقاه وأخذنه عنده يدأ. فلما سار من أرمينية داخل ثابت أهل الشام في العود إلى الشام من وجه الفرات. واجتمع له الكبير من جند مروان وناهضه القتال. ثم غلبهم وانتقادوا له وحبس ثابت بن نعيم وأولاده. ثم أطلقهم من حران إلى الشام وجمع نيفاً وعشرين ألفاً من الجزيرة ليسير بهم إلى يزيد، وكتب إليه يشترط ما كان عبد الملك ول أباه محمدًا من الجزيرة والموصل وأذربيجان، فأعطاه يزيد ولاية ذلك وبابع له مروان وانصرف.

### وفاة يزيد وبيعة أخيه إبراهيم

ثم توفي يزيد آخر سنة ست وعشرين لخمسة أشهر من ولادته. ويقال إنه كان قدرها وبايعوا لأخيه إبراهيم من بعده، إلا أنه انتقض عليه الناس ولم يتم له الأمر. وكان يسلم عليه تارة بالخلافة وتارة بالأماراة وأقام على ذلك خروماً من ثلاثة أشهر ثم خلمه مروان بن محمد على ما يذكر. وهلك ستة اثنين وثلاثين.

### مسير مروان إلى الشام

ولما توفي يزيد وولى أخوه إبراهيم وكان مضطضاً، انتقض عليه مروان لوقته، وسار إلى دمشق. فلما انتهى إلى قنسرين وكان عليها بشر بن الوليد عاملاً لأخيه يزيد ومعه أخوههما مسرون، ودعاهم مروان إلى بيته. ومال إلى يزيد بن عمر بن هبيرة، وخرج بشر للقاء مروان. فلما تراءى الجماعان مال ابن هبيرة وقبس إلى مروان وأسلموا بشرًاً ومسرورًاً فأخذهما مروان وحبسهما، وسار بأهل قنسرين ومن معه إلى حمص، وكانت امتعوا من بيته إبراهيم. فوجه إليهم عبد العزيز بن الحاجاج بن عبد الملك في جند أهل دمشق. فكان يحاصرهم. فلما دخل مروان رحل عبد

بن حرملة على الكتاب والسنة. وما جاء الكرمانى قدمه عبد الملك ثم عسكر نصر على باب مرو الروذ، واجتمع إليه الناس، وبعث سالم بن أحور في الجموع إلى الكرمانى وسفر الناس بينهما على أن يومه نصر ولا يحيسه. وأجاب نصر إلى ذلك وجاء الكرمانى إليه وأمره بزلزم بيته. ثم بلغه عن نصر شيءٌ فعاد إلى حاله، وكلمه فيه فامته، وجاء إليه وأعطى أصحابه عشرة عشرة. فلما عزل جهور عن العراق وولي عبد الله بن عمر بن عبد العزيز خطب نصر قدام بن جهور وأثنى على عبد الله، فغضب الكرمانى لابن الجمehor وعاد جلمع المال والأخذ السلاح. وكان يحضر الجمعة في الف وخمسمائة وصلبي خارج المقصورة، ويدخل فسلام ولا يحيى. ثم ظهر الخلاف ويعث إلى نصر سالم بن أحور فتحقق في صرفه وسفر بينهما الناس في الصلح على أن يخرج الكرمانى من خراسان وتخهز للخروج إلى جرجان.

### أمان الحارث بن شريح وخروجه من دار الحارث

ما وقعت الفتنة بخراسان بين نصر والكرمانى خاف نصر أن يستظهر الكرمانى عليه بالحارث بن شريح، وكان مقيناً ببلاد الترك منذ إثنى عشرة سنة كما مر، فأرسل مقابلين بن حيان النبطي يراوده على الخروج من بلاد الترك، بخلاف ما يقتضي له الأمان من يزيد بن الوليد. وبعث خالد بن زياد البدي الترمذى وخالد بن عمارة مولى بني عامر لاقضاء الأمان له من يزيد، فكتب له الأمان. وأمر نصراً أن يرد عليه ما أخذ له، وأمر عبد الله بن عمر بن عبد العزيز عامل الكوفة أن يكتب لها بذلك أيضاً. ولما وصل إلى نصر بعث إلى الحارث بذلك فلقيه الرسول راجعاً مع مقابلين بن حيان وأصحابه ووصل سنة سبع وعشرين في جهادى الأخيرة وأنزله نصر بمنور، ورد عليه ما أخذ له، وأجرى عليه كل يوم خسرين درهماً وأطلق أهله وولده. وعرض عليه أن يوليه ويعطيه مائة ألف دينار فلم يقبل. وقال: لست من الدنيا واللذات في شيءٍ. وإنما أساك كتاب الله والعمل بالسنة وبنذلك أساعدك على عدوك، وإنما خرجت من البلاد منذ ثلاث عشرة سنة إنكاراً للجور فكيف تزدلي عليه. وبعث إلى الكرمانى: إن عمل نصر بالكتاب عضده في أمر الله ولا اعتبه إن ضممت لي القيام بالعدل والستة. ثم دعا قبائل تميم فآتاجاب منهم ومن غيرهم كثيراً واجتمع إليه ثلاثة آلاف وأقام على ذلك.

عليهم يزيد بن خالد القسري وحاصروا دمشق وأميرها زامل بن عمر، فبعث مروان إليهم أبا الورد بن الكوثر بن زفر بن الحارث، وعمر بن الرضاخ في عشرة آلاف. فلما دنوا من دمشق حلوا عليهم، وخرج إليهم من كان بالمدينة فهزموهم وقتلوه يزيد بن خالد وبعثوا برأسه إلى مروان وأحرقوها المزة وقرى البرامة. ثم خرج ثابت بن نعيم في أهل فلسطين وحاصر طبرية وعليها الوليد بن معاوية بن مروان بن الحكم. فبعث مروان إليه أبا الورد، فلما قرب منه خرج أهل طبرية عليه فهزمه ولقيه أبو الورد منهزاً فهزمه أخرى، وافتلق أصحابه وأسر ثلاثة من ولده وبعث بهم إلى مروان.

وتغيب ثابت وولى مروان على فلسطين الرماحش بن عبد العزيز الكثاني فظفر بثابت بعد شهرين وبعث به إلى مروان موافقاً لفظه وأولاده الثلاثة، ويعتئم إلى دمشق فصلبوه. ثم بايع لأبيه عبد الله وعيid الله وزوجهما بنتي هشام، ثم سار إلى ترمذ من دير أبوب و كانوا قد غوروا المياه. فاستعمل المزاد والقرب والإبل وبعث وزير الأبرش الكلبي إليهم وأجابوه إلى الطاعة. وهرب نفر منهم إلى البلد وهدم الأبرش سورها ورجع عن أطاعه إلى مروان. ثم بعث مروان يزيد بن عمر بن هيبة إلى العراق لقتال الضحاك الشيباني الخارججي بالكوفة وأمده ببعوث أهل الشام ونزل قرقيسياً ليقدم ابن هيبة لقتال الضحاك.

وكان سليمان بن هشام قد استأنه بالمقام في الرصافة أيامها ويلحق به فرجعت طائفة عظيمة من أهل الشام الذين يتعهّم مروان مع ابن هيبة فأقاموا بالرصافة ودعوا سليمان بن هشام بالبيعة فأجاب، وسار معهم إلى قسرين فعسكر بها، وكاتب أهل الشام فأئته من كل وجه. وبلغ الخبر مروان فكتب إلى ابن هيبة بالمقام ورجع من قرقيسيا إلى سليمان فقاتلته فهزمه، واستباح معسكره وأثخن فيه وقتل أسراه، وتقتل إبراهيم أكبر ولد سليمان وخالد بن هشام المخزومي جاً آبيه فيما ينبع على ثلاثة ألفاً وهرب سليمان إلى حصن في الفل فعسكر بها ويسي ما كان تهدم من سورها.

وسار مروان إليه فلما قرب منه بيته جماعة من أصحاب سليمان تباعوا على الموت، وكان على احتراس وتعيبة فترك القتال بالليل وكمنوا له في طريقه من الغد فقاتلهم إلى آخر النهر، وقتل منهم نحو ستمائة. وجاءوا إلى سليمان فلتحق بتدمير وخلف أخيه سعيداً بمحصن وحاصره مروان عشرة أشهر ونصب عليهم نيفاً وثمانين منجيناً حتى استأمنوا له وأمكنته من سعيد بن هشام وأخرين شرطهم عليهم.

العزيز عنهم، وبايعوا مروان وخرج للقائه سليمان بن هشام في مائة وعشرين ألفاً ومروان في ثمانين فدعاهم إلى الصلح وترك الطلب بدم الوليد على أن يطلقوا ابنه الحكم وعثمان ولبي عهده فأبوا وقاتلوا. وسراب عسكراً جاؤوه من سبعة عشر ألفاً وأثخن فيهم أهل حصن فقتلوا منهم نحو من سبعة عشر ألفاً وأسرموا منها. ورجع مروان بالفل وأخذ عليهم البيعة للحكم وعثمان أبي الوليد وجبيس يزيد بن العفار والوليد بن مصاد الكلبين فهلكا في جسده.

وكان من شهد قتل الوليد بن الحجاج وهرب يزيد بن خالد القسري إلى دمشق فاجتمع له مع إبراهيم وعبد العزيز بن الحجاج وتشاوروا في قتل الحكم وعثمان، خشية أن يطلقهما مروان فيثأراً بأبيهما. ولو رأى ذلك يزيد بن خالد فبعث مولاه أبا الأسد فقتلها وأخرج يوسف بن عمر فقتلها، واعتضم أبو محمد السفياني بيت في الحبس فلم يطيقوا فتحه، وأعجلهم خيل مروان. فدخل دمشق وأتى بأبي الوليد يوسف بن عمر مقتولين فدققاها، وأتى بأبي عمر السفياني في قيوده وسلم عليه بالخلافة وقال: إن ولـيـ العـهـدـ جـعـلـهـ لـكـ. ثم بايعه وسمع الناس فبايعوه وكان أول بيعة معاوية بن يزيد بن حصين بن غير وأهل حصن. ثم رجع مروان إلى خراسان واستأمن له إبراهيم بن الوليد وسليمان بن هشام وقدم عليه، وكان قدوم سليمان من تدمير من معه من إخوته وأهل بيته ومواليه الذكرى فبايعوا مروان.

## انتهاض الناس على مروان

ولما رجع إلى خراسان راسل ثابت بن نعيم من فلسطين أهل حصن في الخلاف على مروان فأجابوه ويعشا إلى من كان بتدمير من طلب وجاء الأصيبي بن دالة الكلبي وأولاده، ومعاوية السكسكي فارس أهل الشام وغيرها في ألف من فرسائهم، ودخلوا حصن ليلة الفطر من سنة سبع وعشرين. وزحف مروان في العساكر من حران ومعه إبراهيم المخلوع وسليمان بن هشام، ونزل عليهم ثالث يوم الفطر، وقد سدوا أبوابهم فنادى متاديه: ما دعكم إلى التكث؟ قالوا لم نتكث ونحن على الطاعة. ودخل عمر بن الرضاخ في ثلاثة آلاف فقاتلته المحتشدون هناك للخلافة وخرجوا من الباب الآخر وجفل مروان في اتباعهم وعلا الباب. فقتل منهم نحو خمسة وسبعين وهدم من سورها علىه وافتلت الأصيبي بن دالة وأبنه فرافة.

ثم بلغ مروان وهو بمحمص خلاف أهل الغوطة وأنهم ولوا

وانهزم أصحابه من ورائه، فرجع إلى الكوفة وأقام مع ابن معاوية في القصر، ومعهم ربيعة والزيدية على أفواه السكك فباتلوا ابن عمر. ثم أخذ ربيعة الأسنان لابن معاوية ولأنفسهم وللزيدية، وسار ابن معاوية إلى المدائن وتبعه قوم من أهل الكوفة فتغلب بهم على حلوان والجبل وهمدان وأصبهان والري إلى أن كان من خبره ما ذكره.

### غلبة الكرمانى على مرو وقتل الحارث بن شريح

ما ولی مروان وولی على العراق يزيد بن عمر بن هبيرة كتب يزيد إلى نصر بعهده على خراسان فبایع لمروان بن محمد فارتبا الحارث وقال: ليس لي أمان من مروان وخرج فعسكر وطلب من نصر أن يجعل الأمر شوري فأبى، وقرأ جهم بن صفوان مولى راسب وهو رأس الجهمية سيرته وما يدعوه عليه على الناس، فرضوا وكثروا. وأرسل إلى نصر في عزل سالم بن أحور عن الشرطة، وتغیر العمال. فتقرر الأمر بينهما على أن يردوا ذلك إلى رجال أربعة: مقاتل بن سليمان ومقاتل بن حيان بتعينين نصر والمغيرة بن شعبة الجهمي ومعاذ بن جبلة بتعينين الحارث. وأمر نصر أن يكتب بولاية سمرقند وطخارستان لمن يرضاه هؤلاء الأربعة.

وكان الحارث يقول إنه صاحب السور وإنه يهدى سور دمشق وزيل ملك بني أمية. فأرسل إليه نصر: إن كان ما تقوله حقاً فتعال نسير إلى دمشق، وإلا فقد أهلكت عشيرتك. فقال الحارث: هو حق لكن لا تباعني عليه أصحابي. قال: فكيف تهلك عشرين ألفاً من ربيعة واليمن؟ ثم عرض عليه ولاية ما وراء النهر وبعطيه ثلاثة ألف فلم يقبل. فقال له: فابدا بالكرمانى فاقتله وأنا في طاعتك. ثم انفقا على تحكيم جهم ومقاتل، فاختكما بأن يعزله نصر ويكون الأمر شوري. فاتى نصر فخالفة الحارث، وقدم على نصر جمع من أهل خراسان حين سمعوا بالفتنة منهم عاصم بن عمير الضميري وأبو الديال الناجي وسلم بن عبد الرحمن وغيرهم، فكتلوا معه. وأمر الحارث أن يقرأ سيرته في الأسواق والمساجد، وأنه الناس وقرئت على باب نصر.

فضرب غلام نصر قارئها فنادى بهم وتجهزوا للحرب. ونقب الحارث سور مرو من الليل ودخل بالنهر فاقتلت وقتل جهم بن مسعود الناجي وأعين مولى حيان ونهبوا منزل سلم بن

ثم سار لقتال الضحاك الخارجي بالكوفة. وقبل إن سليمان بن هشام لما انهزم بقتاله حق بعد الله بن عمر بن عبد العزيز بالعراق، وسار معه إلى الضحاك فبایعوه وكان النضر بن سعيد قد ول في العراق. فلما اجتمعوا على قتاله سار نحو مروان فاعتبرضه بالقادسية جنود الضحاك من الكوفة مع ابن ملحان فقتلته النضر. وولى الضحاك مكانه بالكوفة المثنى بن عمران وسار الضحاك إلى الرصل وأقبل ابن هبيرة إلى الكوفة فنزل بعيد التمر. وسار إليه المثنى فهزمه ابن هبيرة وقتله وعدة من قرداد الضحاك. وانهزم الخوارج ومعهم منصور بن جمهور ثم جاؤوا إلى الكوفة واحتشدوا وساروا للقاء ابن هبيرة فهزمه ثانية، ودخل الكوفة وسار إلى واسط وأرسل الضحاك عيادة بن سوار الشعلي لقتاله، فنزل الصراة وقاتلته ابن هبيرة هنالك. فانهزمت الخوارج كما يأتي في أخبارهم.

### ظهور عبد الله بن معاوية

كان عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر قد علم على عبد الله بن عمر بن عبد العزيز الكوفة في إخوانه وولده، فأكرمههم عبد الله وأجرى عليهم ثلاثة درهم في كل يوم وأقاموا كذلك. ولما برع إبراهيم بن الوليد بعد أخيه واضطرب الشام وسار مروان إلى دمشق، حبس عبد الله بن عمر عبد الله بن عبد الله عند، وزاد في رزقه بعده لمروان بيايه وقاتله. فلما ظفر مروان بإبراهيم سار إسماعيل بن عبد الله القرسي إلى الكوفة وقاتلته عبد الله بن عمر. ثم خاف إسماعيل أن يفتخض تكفوا خبرهم فوافت العصبية بين الناس من إشار عبد الله بن عمر بعضاً من مضر وريعة بالعطاء دون غيرهم، فشارت ربيعة ببعث إليهم أخاه عاصماً ملقياً بيده فاستحبوا ورجعوا وأناض في رؤوس الناس يستميلهم.

فاستفر الناس واجتمعوا الشيعة إلى عبد الله بن معاوية فبایعوه وأدخلوه قصر الكوفة وأخرجوه منه عاصم بن عمر. فلحق بأخيه بالحيرة وبايع الكوفيون ابن معاوية ومنهم منصور بن جمهور وإسماعيل أخوه خالد القرسي وعمر بن العطا، وجاءته البيعة من المدائن وجمع الناس وخرج إلى عبد الله بن عمر بالحيرة، فسرح للقاء مولاه. ثم خرج في أشره وتلاقياً ونزع منصور بن جمهور وإسماعيل أخوه خالد القرسي وعمر بن العطا، وجاءته البيعة من ابن عمر وخلفوا بالحيرة وانهزم ابن معاوية إلى الكوفة. وكان عمر بن الغضبان قد حل على ميمة ابن عمر فكشفها

أحور، فركب سالم حين أصبح قاتل الحارث وهزمه، وجاء إلى عسکرہ قتله كاتبه. وبعث نصر إلى الكرماني وكان في الأرد وربعة وكان موافقاً للحارث لما قدمناه، فجاءه نصر على الأمان وحادثهم وأغلظوا له في القول فارتبا ومضى، وقتل من أصحابه جهم بن صفوان. ثم بعث الحارث ابنه حاتماً إلى الكرماني يستجيشه فقال له أصحابه: دع عدويك يضطربان، ثم ضرب بعد يومين وناوش القتال أصحاب نصر فهزمه، وصرع تميم بن نصر ومسلم بن أحور.

ثم بشروا الدعوة في طخارستان ومره الروذ والطالقان وخوارزم، وأنهم إن أعلجهم عدوهم. دون الوقت عاجلوه وجردوا السيف للجهاد، ومن شغله العدو عن الوقت فلا حرج عليه أن يظهر بعد الوقت. ثم سار أبو مسلم فنزل على سليمان بن كثير الخزاعي آخر رمضان ونصر بن سيار يقاتلون الكرماني وشبيان. فعقد اللواء الذي بعث به الإمام إليه وكان يدعى الظل على رمح طوله أربعة عشر ذراعاً. ثم عقد الرأبة التي بعثها معه وتسنى السحاب وهو يتلو: **﴿أَذْنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ﴾** الآية.

ولبسوا السواد هو سليمان بن كثير وأخوه سليمان ومواليه ومن أجاب الدعوة من أهل تلك القرى وأقدوا التيران ليثنهم لشتيتهم في خرقان فأصبحوا عنده. ثم قدم عليه أهل السقادم مع أبي الرضا في سبعمائة راجل. وقدم من الدعوة أبو العباس المروزي وختن أبو مسلم سفيدينه ورمها وحضر عبد الغفر، فصلى سليمان بن كثير وخطب على المنبر في العسكر وبدأ بالصلوة قبل الخطبة بلا آذان ولا إقامة. وكبر في الأولى ست تكبيرات وفي الثانية خمساً خلاف ما كانوا بـنـوـآـمـيـةـ يـفـعـلـونـ. وكـلـ ذلكـ مـاـ سـنـهـ لـهـ الـإـمـاـمـ وـأـبـوـهـ.

ثم انصرفوا من الصلاة مع الشيعة فطمعوا وكان أبو مسلم وهو في الخندق إذا كتب نصر بن سيار يبدأ باسمه فلما قرئ من اجتمع إليه كتب إلى نصر وبدأ بنفسه وقال: أما بعد فإن الله تبارك أسماؤه غير قroma في القرآن فقال: **﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهَدَ أَيْمَانِهِمْ لَيْنَ جَاهَمْ نَذِيرِ﴾** إل: **﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسْتَنَ اللَّهُ تَحْوِيلًا﴾**. فاستعظم الكتاب وبعث مولاهم يزيد لخمارية أبي مسلم سالك بن الهشم الخزاعي شهرأ من ظهوره فبعث إليه أبو مسلم سالك بن الهشم الخزاعي فدعاه إلى الرضا من آل رسول الله ﷺ فاستكبروا فقاتلهم سالك وهو في ماتين يوماً بكماله. وقدم على أبي مسلم صالح بن سليمان الشبي و Ibrahim bin زيد و زياد بن عيسى فسرحهم إلى مالك فقري مالك بهم، وقاتلوا القوم فحل عبد الله الطائي على يزيد مولى نصر فأسره، وأنهزم أصحابه وأرسله الطائي إلى أبي مسلم ومعه رؤوس القتلى فأحسن أبو مسلم إلى يزيد وعاشه، ولما اندملت جراحه قال: إن شئت أقمت عندنا وإلا رجعت إلى مولاك سالكاً بعد أن تعاهدنا على أن لا تخارينا ولا تكذب علينا

وخرج نصر من مرد من الغد فقاتلهم ثلاثة أيام وانهزم الكرماني وأصحابه ونادي منه يا معشر ربعة واليمين! إن أبا سيار قتل فانهزم مضر ونصر وترجل ابنه تميم فقاتل وأرسل إليه الحارث أني كاف عنك فإن اليمانية يعيروني بـانـهـاـمـكـ، فاجعل أصحابك إزاء الكرماني، ولما انهزم نصر غلب الكرماني على مرد ونهب الأموال فأنكر ذلك عليه الحارث، ثم استزل عن الحارث بـشـرـ بنـ جـرـمـوزـ الضـبـيـ فيـ خـسـنةـ أـلـافـ وـقـالـ: إـنـاـ كـنـاـ قـاتـلـ مـعـكـ طـلـبـاـ لـلـعـدـلـ، فـلـامـ إـنـ اـتـبـعـتـ الـكـرـمـانـيـ لـلـعـصـيـةـ فـنـحـنـ لـاـ قـاتـلـ. فـدـعـيـ الـحـارـثـ الـكـرـمـانـيـ إـلـىـ الشـورـىـ فـأـلـيـ، فـأـنـتـلـ الـحـارـثـ عـنـهـ وـأـقـامـواـ إـلـيـاـمـاـ. ثـمـ ثـلـمـ الـحـارـثـ السـوـرـ وـدـخـلـ الـبـلـدـ وـقـاتـلـهـ الـكـرـمـانـيـ قـتـالـاـ شـدـيـداـ فـهـزـمـ وـقـتـلـهـ وـأـشـاهـ سـوـادـ.

واستول الكرماني على مرد وقتل إن الكرماني خرج مع الحارث لقتال بـشـرـ بنـ جـرـمـوزـ. ثـمـ نـدـمـ الـحـارـثـ عـلـىـ اـتـيـاعـ الـكـرـمـانـيـ وـأـتـىـ عـسـكـرـ بـشـرـ فـأـقـامـ مـعـهـ وـبـعـثـ إـلـىـ مـضـرـ مـعـ عـسـكـرـ الـكـرـمـانـيـ فـسـارـوـ إـلـيـهـ وـكـانـواـ يـقـتـلـونـ كـلـ يـوـمـ وـبـرـجـعـونـ إـلـىـ خـنـادـقـهـ. ثـمـ تـقـبـ الـحـارـثـ بـعـدـ أـيـامـ سـوـرـ مـرـدـ وـدـخـلـهـ وـتـبـعـهـ الـكـرـمـانـيـ وـأـقـتـلـواـ قـتـلـ الـحـارـثـ أـلـخـاهـ وـبـشـرـ بنـ جـرـمـوزـ وـجـمـاعةـ منـ بـيـ تمـيمـ. وـذـلـكـ سـنـةـ ثـمـانـ وـعـشـرـينـ وـمـائـةـ فـانـهـزمـ الـبـاقـونـ وـصـفتـ مـرـدـ لـلـيـمـ وـهـدـمـواـ دـوـرـ الـمـصـرـيـةـ.

## ظهور الدعوة العباسية بخراسان

قد ذكرنا أن أبا مسلم كان يتردد إلى الإمام من خراسان ثم استدعاه سنة تسعه وعشرين لسؤاله عن الناس فسار في سبعين من النقباء مؤدين بالحج. ومر بنسا فاستدعاي أسيداً فأخبره بأن كتب الإمام جاءت إليه مع الأزهر بن شعيب وعبد الملك بن سعيد، ودفع إليه الكتب. ثم لقيه بقوص كتاب الإمام إليه وإلى سليمان بن كثير أني قد بعثت إليك برأية النصر فارجع من حيث يلاقاك كاتبي ووجه خطبة إلى الإمام بما معه من الأموال والعروض.

مقتل الكرمانى

فوجع إلى مولاه.

قد ذكرنا من قبل أن الكرماني قتل الحارث بن شريح  
فخلصت له مرو وتنحي نصر عنها. ثم بعث نصر سالم بن أحمر  
في رابطته وفرسانه إلى مرو فوجد يحيى بن نعيم الشيباني في الف  
رجل من ربعة وخمسمائة من الأزد وأبو الحسن  
بن الشيخ في الف منهم والحربي السعدي في الف من اليمن.  
تقلاحي سالم وابن الثنى وشتم سالم الكرماني فقتلوا فهزمه وقتل  
من أصحابه نحو مائة. بعث نصر بعده عصمة بن عبد الله  
الأحدى فكان بينهم مثل ما كان أولاً، فقاتلهم محمد السعدي،  
فانهزم السعدي وقتل من أصحابه أربعمائة. ورجع إلى نصر.  
فبعث مالك بن عمر التميمي فقتلوا كذلك وأنهزم مالك وقتل  
من أصحابه سعمائة ومن أصحاب الكرمان، ثلاثةمائة.

ولما استيقن أبو مسلم أن كلا الفريقين قد أثخن صاحبه  
وأنه لا مدد لهم جعل يكتب إلى شيوخ الخارج يذم اليمانية تارة  
ومضر أخرى ويوصي الرسول بكتاب مضر أن يتعرض لمضر  
لليقروا ذم مضر والرسول بكتاب اليمانية أن يتعرض لمضر  
ليقروا ذم اليمانية حتى صار هوى الفريقين معه. ثم كتب إلى  
نصر بن سيار والكرمانى: أن الإمام أوصانى بكم ولا أعدوا رأيه  
فيكم. ثم كتب يستدعي الشيعة: أسد بن عبد الله المخزاعي ينسأ  
ومقاتل بن حكيم بن غروان وكانتوا أول من سود ونادوا يا محمدًا  
يا منصورا! ثم سرّد أهل أبي ورد ومررو الروز وقرى مرو  
فاستدعاهم أبو مسلم وأقبل فنزل بين خندق الكرمانى وخندق  
نصر وهابه الفريقان ويعث إلى الكرمانى أني معك وتقبل فانضم  
أبو مسلم إليه، وكتب نصر بن سيار إلى الكرمانى يحذرنه ويشير  
عليه بدخول مرو ليصالحه. فدخل ثم خرج من الغد، وأرسل إلى  
نصر في إقام الصلح في ماتي فارس، فرأى نصر فيه غرةً فبعث  
إليه ثلاثة فارس قتلوا. وسار ابنه إلى أبي مسلم وقاتلوا نصر  
بن سيار حتى أخرجوه من دار الإمارة إلى بعض الدور. ودخل  
أبو مسلم مرو فبادره علي بن الكرمانى، وقال له أبو مسلم: أقم  
على ما أنت عليه حتى أمرك بأمري. وكان نصر حين نزل أبو  
مسلم بين خندق الكرمانى ورأت قوته كتب إلى مروان بن

محمد يعلمه بخروجه وكثرة من معه ودعائه لإبراهيم بن محمد:  
أري خلل الرماد ويمضي جسر  
ويوشك أن يكون لها ضرامة  
فإن النار بالعوinden تذكرة  
إن الحرب أولها الكلام  
فإن لم تطعنها بخروجها  
مسحرة يشيب لها الشلام  
اليقاظ أمينة أم نيام  
اقرب من التعجب ليت شعرى

وتفرس نصر أنه عاهم ف قال: والله هو ما ظنتت وقد استحلقوني أن لا أكذب عليهم وأنهم والله يصلون الصلاة لرقتها بأذان وإقامة ويتلون القرآن ويدركون الله كثيراً ويعدون إلى ولاية أك رسول الله ﷺ، وما أحسب أمرهم إلا سيعملو. ولو لا أنك مولاي لأقمت عندهم. وكان الناس يرجفون عنهم بعبادة الأولان واستحلال الحرام.

وكان أبو مسلم من سواد الكوفة فهزمها فاتته لإدريس بن معقل العجمي. ثم سار إلى ولاية محمد بن علي، ثم ابنه إبراهيم، ثم للأئمة من ولده. وقدم خراسان وهو حديث السن واستصغره سليمان بن كثير فرده. وكان أبو داود خالد بن إبراهيم غالباً وراء الهر، فلما جاء إلى مرو أقرأ كتاب الإمام وسالم عن أبي مسلم فأخبروه أن سليمان بن كثير رده لخلافة سنة وأنه لا يقدر على الأمر، فنخاف على أنفسنا وعلى من يدعوه. فقال لهم أبو داود: إن الله بعث نبيه صلوات الله عليه إلى جميع خلقه، وأنزل عليه كتابه بشرايعه وأئبها بما كان وما يكون وخلف علمه رحمة لأمته وعلمه إيماناً هر عن عترته وأهل بيته وهم معدن العلم وورثة الرسول فيما علمه الله. أتشكون في شيءٍ من ذلك؟ قالوا: لا. قال: فقد شكتكم والرجل لم يبعثكم حتى علم أهليته لما يقوم به فبشعروا عن أبي مسلم وردوه من قومه يقول أبو داود وولوه أمرهم وأطاعوه. ولم تزل في نفس أبي مسلم من سليمان بن كثير. ثم بعث الدعوة ودخل الناس في الدعوة أفراجاً واستدعاء الإمام سنة تسع وعشرين أن يوافيه بالرسوم ليأمره بأمره في إظهار الدعوة وأن يقدم معه قحطبة بن شبيب ومحمل ما اجتمع عنده من الأموال. فسار في جماعة من النقباء والشيعة فلقيه كتاب الإمام بقومن يأمره بالرجوع وإظهار الدعوة بخراسان، وبعث قحطبة بالمال وأن قحطبة سار إلى جرجان. واستدعى خالد بن برمك وأبا عون فقدمما بما عندهما من مال الشيعة فسار به نحو الإمام.

فيذكر فضل بني هاشم وسالفة بني أمية. فلما نزل أبو مسلم المختار أرسل إلى ابن الكندي بأنه معه فطلب لقاءه فجاءه أبو مسلم وأقام عنده يومين ثم رجع وذلك أول المحرم سنة ثلاثين. ثم عرض الجند وأمر كامل بن المظفر بكتاب أسمائهم وأنسبهم في دفتر بلغت عدته سبعة آلاف. ثم إن القبائل من ربعة وعشرين واليمين توادعوا على وضع الحرب والاجتماع على قتال أبي مسلم فعظم ذلك عليه وتحول عن الماخراً لأربعة أشهر من نزولها لأنها كانت تحت الماء. وخشي أن يقطع تحول إلى طبسين وخدق بها، وخدق نصر بن سيار على نهر عياض وأنزل عماله بالبلاد، فأنزل أبي الدباب في جنده لطوسان فآدوا أهلها وعسفوه و كان أكثرهم مع أبي مسلم في خدق فسير إليه جنداً فقاتلواه فهزمه وأسروا من أصحابه ثلاثين، فأطلقهم أبو مسلم ثم بعث عزز بن إبراهيم في جمع من الشيعة لقطع مادة نصر من مرو الروذ وبليخ وطخارستان فخندق بين نصر وبين هذه البلاد، واجتمع إليه ألف رجل وقطع المادة عن نصر.

### مقتل عبد الله بن معاوية

قد تقدم لنا أن عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بويح بالكوفة وغلبه عليها عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ولحق بالمدائن. وجاءه ثمان من أهل الكوفة وغيرها فسار إلى الجبال وغلب عليها وعلى حلوان وقومنا وأصحابه والري وأقام بأصحابه. وكان محارب بن موسى مولى بني يشكر عظيم القدر بفارس فجاء إلى دار الإمارة بإصطخر وطرد عامل عبد الله عنها، وبايع الناس لعبد الله بن معاوية. ثم سار إلى كرمان فأغار عليها وانضم إليه قواد من أهل الشام. فسار إلى سالم بن المسيب عامل عبد الله بن عمر على شيراز فقتلته ستة ثمان وعشرين. ثم سار محارب إلى أصحابه وحول عبد الله بن معاوية إلى اصطخر بعد أن استعمل على الجبال أخيه الحسن بن معاوية، وأثنى إلى اصطخر فنزل بها وأتاه بنو هاشم وغيرهم، وجبي المال وبعث العمال. وكان معه منصور بن جهور وسليمان بن هشام، وأتاه شيبان بن عبد العزيز الخارجي ثم أتاه جعفر المنصور وعبد الله ابن أخيه عيسى.

ولما قدم يزيد بن عمر بن هيره على العراق أرسل ثبات بن حنظلة الكلابي على الأهواز وأن يقاتل عبد الله بن معاوية، وبلغ سليمان بن حبيب وهو بالأهواز فسرح داود بن حاتم للقاء ثبات، وهرب سليمان من الأهواز إلى نيسابور وقد غالب الأكراد عليها

فإن يك قومنا أضروا ناساً فقل قوموا فقد حان القیام تعزى عن رجالك ثم قولي على الإسلام والعرب السلام فوجده مشتغلًا بحرب الضحاك بن قيس فكتب إليه الشاهد يرى ما لا يرى الغائب فأختهم التلول قبلك. فقال نصر: أما صاحبكم فقد أعلمكم أنه لا نصر عنده. وصادف وصول كتاب نصر إلى مروان عثورهم على كتاب من إبراهيم الإمام لأبي مسلم يوجه حيث لم يتغير الفرصة من نصر والكندي إذ أمكنته ويأمره أن لا يدع بخراسان متكلماً بالعربية. فلما قرأ الكتاب بعث إلى عامله بالبلقاء أن يسير إلى الحيرة فيبعث إليه إبراهيم بن محمد مشدوداً لوثاق فحبسه مروان.

### اجتماع أهل خراسان على قتل أبي مسلم

لما أظهر أبو مسلم أمره سارع إليه الناس، وكان أهل مرو يأتونه ولا يمنعهم نصر، وكان الكندي وشيبان الخارجي لا يكرهان أمر أبي مسلم لأنه دعا إلى خلع مروان. وكان أبو مسلم ليس له حرس ولا حجاب ولا غلظة الملك، فكان الناس يائسون به لذلك، وأرسل نصر إلى شيبان الخارجي في الصلح ليتفرغ لقتال أبي مسلم، أما أن يكون معه أو يكشف عنه، ثم نعود إلى ما كنا فيه. ففهم شيبان بذلك، وكتب أبو مسلم إلى الكندي فحرضه على منع شيبان من ذلك فدخل عليه وثناه عنه. ثم بعث أبو مسلم النضر بن نعيم الضبي إلى هرة فملكتها وطرد عنها عيسى بن عقيل بن معقل الليثي عامل نصر.

فجاء يحيى بن هيره الشيباني إلى الكندي وشيبان وأغرأهما بصالحة نصر. وقال: إن صالحتم نصراً قاتله أبو مسلم وترككم لأن أمر خراسان لضر. وإن لم تصالحه صالحه وقاتلكم فتقديموا نصراً قبلكم. فأرسل شيبان إلى نصر في المواجهة فأجاب وجاء مسلم بن أحور بكتاب المرادعة فكتبوها. وبعث أبو مسلم إلى شيبان في موادعة ثلاثة أشهر. فقال ابن الكندي: إذا ما صالحت نصراً إنما صالحه شيبان وأنا موتور بأبي. ثم عاود القتال وقد شيبان عن نصره وقال: لا يمل الغدر فاستنصر ابن الكندي بأبي مسلم فاقبل حتى نزل الماخراً لاثنين وأربعين يوماً من نزوله بسفينج وخدق على مسكنه وجعل له بابين وعلى شرطته مالك بن الهيثم وعلى الحرس أبا إسحاق خالد بن عثمان، وعلى ديوان الجند أبا صالح كامل بن المظفر وعلى الرسائل أسلم بن صبيح وعلى القضاة القاسم بن مجاشع التقي. وكان القاسم يصلى بأبي مسلم ويقرأ القصص بعد العصر

أمير المؤمنين ويفند أوصاره فليس على هدى، وإنما يختار علي بن الكرماني وأصحابه. ووافق السبعون من الشيعة على ذلك وانصرف الروفد.

ورجع أبو مسلم من أبين إلى الماخران وأمر الشيعة ببناء المساكن وأمين من فتنة العرب. ثم أرسل إليه علي بن الكرماني أن يدخل مرو من ناحيته ليدخل هو وقومه من الناحية الأخرى، فلم يطمئن لذلك أبو مسلم وقال: ناشبهم الحرب من قبل فناشب ابن الكرماني نصر بن سيار الحرب ودخل مرو من ناحيته وبعث أبو مسلم بعض القباء. فدخل معه ثم سار وعلى مقدمته أسيد بن عبد الله الخزاعي، وعلى ميمنته مالك بن الهيثم وعلى ميسرهه القاسم بن مجاشع. فدخل مرو والفریقان يقتتلان، ومضى إلى قصر الإمارة وهو يتلو: ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها. وأمر الفريقين بالانصراف فانصرفوا إلى معسكرهم وصفت له مرو، وأمر بأخذ البيعة من الجندي، وتولى أخذها أبو منصور طلحة بن زريق أحد القباء الذين اختارهم محمد بن علي من الشيعة حين بعث دعاته إلى خراسان سنة ثلاثة وأربعين، وكانتوا إثنى عشر رجلاً. فمن خزاعة سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم وزيد بن صالح وطلحة بن زريق وعمر بن أعين. ومن طيء قحطبة بن شبيب بن خالد بن سعدان. ومن عيم أبو عينة موسى بن كعب ولاهز بن قريط والقاسم بن مجاشع وأسلام بن سلام. ومن بكر بن وائل أبو داود خالد بن إبراهيم الشيباني وأبو علي المروي، ويقال شبـل بن طهـمان. وكان عمر بن أعين مكان موسى بن كعب وأبو التجم إسماعيل بن عمـران مكان أبي علي المروي وهو خـتن أبي مسلم. ولم يكن أحد من القباء غير أبي منصور طلحة بن زريق بن سعد وهو أبو زينب الخزاعي، وقد شهد حرب ابن الأشعـث وصحبـ المـهـلبـ وغـراـ معـهـ. وكانـ أبيـ سـلـمـ يـشاـورـهـ فيـ الأمـورـ. وكانـ نـصـ الـبيـعـةـ: أـبـيـعـكـمـ عـلـىـ كـاتـبـ اللـهـ وـسـتـ رـسـوـلـ مـحـمـدـ اللـهـ وـالـطـاعـةـ لـرـضـاـ مـنـ أـكـ رـسـوـلـ اللـهـ اللـهـ، عـلـيـكـمـ بـذـلـكـ عـهـدـ اللـهـ وـمـيـانـهـ وـالـطـلاقـ وـالـعـنـاقـ، وـالـشـيـ إـلـيـ بـيـتـ اللـهـ الـحرـامـ، وـعـلـىـ أـنـ لـاـ تـسـالـوـ رـفـقاـ وـلـاـ طـمـعاـ حـتـىـ تـبـاـكـمـ بـهـ وـلـاـ تـكـمـ، وـذـلـكـ سـنـةـ ثـلـاثـينـ وـمـائـةـ.

ثم أرسل أبو مسلم لاهز بن قريط في جماعة إلى نصر بن سيار يدعوه إلى البيعة، وعلم نصر أن أمره قد استقام ولا طاقة له بأشدعيه، فرعد عليه ياتيه يبایعه من الغد، وأرسل أصحابه بالخروج من ليتهم إلى مكان يامنون فيه. فقال أسلم بن أحوز لا يتها لنا الليلة. فلما أصبح..... أبو مسلم كتابه وأعاد لاهز بن قريط إلى نصر يستحنه فأجاب وأقام لوضئه، فقال لاهز: إن الملا

فطردهم عنها، ويابع لابن معاوية، فبعث أخاه يزيد بن معاوية عليها. ثم إن محارب بن موسى فارق عبد الله بن معاوية وجع، وقصد نيسابور. فقاتلته يزيد بن معاوية وهزمها، فاتى كرمان. وأقام بها حتى قدم محمد بن الأشعث فصار معه ثم نافره، فقتلته ابن الأشعث وأربعة وعشرين ابناً له. ثم بعث يزيد بن هيبة بعد نباتة بن حنظلة ابنته داود بن يزيد في العساكر إلى عبد الله بن معاوية، وعلى مقدمته داود بن ضباره.

وبعث معن بن زائدة من وجه آخر، فقاتلوا عبد الله بن معاوية وهزموه وأسرروا وقتلوا، وهرب منصور بن جهور إلى السندي وعبد الرحمن بن يزيد إلى عمان وعمر بن سهيل بن عبد العزيز بن مروان إلى مصر، وبعثا بالأسرى إلى ابن هيبة فأطلقهم ومضى ابن معاوية عن فارس إلى خراسان. وسار معن بن زائدة في طلب منصور بن جهور وكان فيمن أسر مع عبد الله بن معاوية عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس، شفع فيه حرب بن قطن من أحواله بي هلال، فوهبه له ضباره وغاب عبد الله بن معاوية عن ابن ضباره، ورمى أصحابه باللواء، فبعث إلى ابن هيبة ليخبره، وسار ابن ضباره في طلب عبد الله بن معاوية إلى شيراز فحاصره بها حتى خرج منها هارباً ومعه آخره المحسن ويزيد وجماعة من أصحابه، فسلك المقابلة على كرمان إلى خراسان طمعاً في أبي مسلم لأنه كان يدعوه إلى الرضا من آل محمد، وقد استولى على خراسان فوصل إلى نواحي هراة وعلوها مالك فقال له: انتسب نعرفك. فانتسب له فقال: أما عبد الله وجعفر فمن أسماء آل الرسول وأما معاوية فلا نعرفه في أسمائهم. قال: إن جدي كان عند معاوية حين ولد أبي فبعث إليه مائة ألف على أن يسمى ابنه باسمه. فقال: لقد اشتربتم الأسماء الخبيثة بالشنآن اليسير فلا نرى لك حقاً فيما تدعوه إليه. ثم بعث بمحبه إلى أبي مسلم فأمره بالقبض عليه وعلى من معه فحبسهم. ثم كتب إليه بإطلاق أخيه الحسن ويزيد وقتل عبد الله فوضع الفراش على وجهه فمات.... لما تعاقد نصر وابن الكرماني وقبائل ربيعة واليمن ومضر على قتال أبي مسلم عظم على الشيعة، وجمع أبو مسلم أصحابه ودس سليمان بن كثیر إلى ابن الكرماني يذكره بشار أبيه من نصر فانتقضوا، فبعث نصر إلى أبي مسلم بمراجفة مصر وبعث إليه أصحاب ابن الكرماني وهم ربيعة واليمن بمثل ذلك.

واستدعي وفد الفريقين ليختار الركون إلى أحدهما وأحضر الشيعة لذلك وأخبرهم أن مصر أصحاب مروان وعماله وشيعته وقبله بمحب بن يزيد. فلما حضر الروفد تكلم سليمان بن كثیر، ويزيد بن شقيق السلمي بمثل ذلك وبيان نصر بن سيار عامل مروان وسميه

يستقدم أبا داود. وبعث النضر بن صبيح المزني على بلخ. ولما قدم أبو داود أشار على أبي مسلم بالفرقعة بين علي وعثمان ابنى الكرمانى. فبعث عثمان على بلخ وقدمها فاستخلف الفراصنة بن ظهير العيسى وسار هو والنضر بن صبيح إلى مرو الروذ. وجاء مسلم بن عبد الرحمن الباهلى من ترمذ في المضرية، فاستولى على بلخ. ورجع إليه عثمان والنضر فهربوا من ليلتهم ولم يعن النضر في طلبهم وقاتلهم عثمان ناحية عنه فانهزم، ورجع أبو داود إلى بلخ. وسار أبو مسلم إلى نيسابور ومهى علي بن الكرمانى وقد اتفق مع أبي داود على قتال ابنى الكرمانى فقتل أبو داود عثمان في بلخ وقتل أبو مسلم عليهما في طريقه إلى نيسابور.

مسير قحطبة للفتح

وفي سنة ثلاثين قدم خطبة بن شبيب على أبي مسلم من عند الإمام إبراهيم وقد عقد له لواء على محاربة العدو فبعثه أبو مسلم في مقدمته وضم إليه العساكر وجعل إليه التولية والعزل، وأمر الجنود بطاعته. وقد كان حين غلب على خراسان بعث العمال على البلاد فبعث ساعي بن النعمان الأزدي على سمرقند وابا داود خالد بن إبراهيم على طخارستان ومحمد بن الأشعث الخزاعي على طبسين وجعل مالك بن الهيثم على شرطه. وبعث خطبة إلى طوس ومعه عدة من القواد: أبو عون عبد الملك بن يزيد وخالد بن برمك وعثمان بن نهيك، وحازم بن خزيمة وغيرهم فهزم أهل طوس وأفخش في قتلهم.

ثم بعث أبو مسلم القاسم بن مجاشع إلى نيسابور على طريق الحجة، وكتب إلى قحطبة يقاتل تميم بن نصر بالسودان، ومعه الثاني ابن سعيد وأصحاب شيبان، وأمده بعشرة آلاف مع علي بن مقلن. فزحف إليهم ودعاهم بدعوره وقاتلهم، فقتل تميم بن نصر وجاءه عظيمة من أصحابه، يقال: بلغوا ثلاثين ألفاً واستبيح عسكرهم وقُصّن الباقى بالمدينة فاتّجهوا عليهم، وخلف خالد بن برمك على قبض الغنائم، وسار إلى نيسابور. فهرب منها نصر بن سيار إلى قومن ثم تفرق عنه أصحابه فسار إلى بنيهاتة بجرجان وكان يزيد بن هيرية بعثه مددًا لنصر، فاتّقه فارس وأصحابه ثم سار إلى الردى، ثم إلى حر جان.

وقدم قحطبة نيسابور فقام بها رمضان وشوال وارتاحل إلى  
جرجان، وجعل ابنه الحسن على مقدمته واتنهى إلى جرجان وأهل  
الشام بها مع بناته فهابهم أهل خراسان فخطبهم قحطبة وأخبرهم  
أن الإمام أخبره أنهم يلقونه مثل هذه العدد فينصرونه عليهم. ثم

يأترون بك ليقتلوك. فخرج نصر عند المساء من خلف حجرته  
ومعه ابنه عيم والحكم بن غيلة النميري وامرأته المربزاتة وانطلقوا  
هراباً.

واستبطأه لاهز فدخل المنزل فلم يجده وبلغ أبا مسلم هربه  
فجاء إلى معسكته وقبض على أصحابه منهم سالم بن أحوز  
صاحب شرطه والمختiri كاتبه، وإنما له ويونس بن عبد ربه  
ومحمد بن قطن وغيرهم. وسار أبو مسلم وأبن الكرمانى في طلبه  
ليلتهمما فأدركاه قد خلفها وسار فرجعوا إلى مرو. وبلغ نصر  
من سرخس فقام بطروس خمس عشرة ليلة. ثم جاء نسابور فاقام  
بها وتعاقد ابن الكرمانى مع أبي مسلم على رأيه. ثم بعث إلى  
شيان الحرورى يدعوه إلى البيعة فقال شيبان: بل أنت تباعيني.....  
واستنصر بابن الكرمانى فأبى عليه، وسار شيبان إلى سرخس  
واجتمع له جمع من بكر بن وائل وبعث إليه أبو مسلم في الكف  
فسجن الرسل. فكتب إلى بسام بن إبراهيم مولى بني ليث المكى  
بابى ورد أن يسير إليه قاتلهم وقتلته وتقتل بكر بن وائل الرسل  
الذين كانوا عنده.

وقيل: إن أبي مسلم إباً ووجه إلى شبيان عسكراً من عنده  
عليهم خزيمة بن حازم وبسام بن إبراهيم. ثم بعث أبو مسلم كعباً  
من النقباء إلى أبيورد فاقتصرها، ثم أبا داود خالد بن إبراهيم من  
النقباء إلى بلخ وبها زياد بن عبد الرحمن القشيري فجتمع له أهل  
بلخ وترمذ وجند طخارستان ونزل الجوزجان، ولقيهم أبو داود  
فهزمهم وملك مدينة بلخ. وساروا إلى ترمذ فكتب أبو مسلم إلى  
أبي داود يستقدمه وبعث مكانه على بلخ يحيى بن نعيم أبي الميلا  
فداخله زياد بن عبد الرحمن في الخلاف على أبي مسلم، واجتمع  
لذلك زياد ومسلم بن عبد الرحمن الباهلي، وعيسى بن زرعة  
السلمي وأهل بلخ وترمذ وملوك طخارستان وما وراء النهر.  
ونزلوا على فرسخ من بلخ وخرج إليهم يحيى بن نعيم بن معه.

وانتقت كلمة مصر وريبيعة واليمن ومن معهم من العجم على قتال المسودة وولوا عليهم مقاتل بن حيان النبطي خافة أن يتنافسوا. وبعث أبو مسلم أبا داود إليهم فقاتل بمساكره حتى اجتمعوا على نهر السرخسان واقتلوا. وكان زياد وأصحابه قد خلفوا أبا سعيد القرشي مسلحةً وراءهم خشية أن يؤتوا من خلفهم وكانت رايته سوداً وأغفلوا ذلك. فلما اشتد القتال زحف أبو سعيد في أصحابه لمدهم فظنوه كميناً للمسودة فانهزموا وسقطوا في النهر، وحوى أبو داود في معسكرهم بما فيه وملك بلخ.

ومضى زياد ويحيى ومن معهما إلى ترمذ وكتب أبو مسلم

يقاتلونه كل يوم، فكثراً فيهم الجراح والقتل، ومنعهم الميرة  
فأصابهم الجروح فرجع موسى إلى الري ولم ينزل المصطفان متمنعاً  
إلى أيام المنصور فأغاثه حماد بن عمر في جيش كثيف، ففتح  
دباؤند. ولما ورد كتاب خطبة على أبي مسلم ارتحل عن مرو  
ونزل نيسابور ثم سير خطبة ابنه الحسن بعد تزوله الري بثلاث  
ليالٍ، فسوار عنها مالك بن أدهم وأهل الشام وخراسان إلى نهاوند  
ونزل على أربعة فراسخ من المدينة، وأمدّه خطبة بابي الجهم بن  
عطية مولى ياهلة في سبعمائة وأقام محاصرًا لها.

استيلاء قحطبة على أصبهان وقتل ابن  
ضباره وفتح نهاوند وشهرزور

قد تقدم لنا أن ابن هبيرة بعث ابنه داود بن يزيد لقتال عبد الله بن معاوية باصطخر، وبعث معه عامر بن ضباره فهزمه واتبعه إلى كرمان سنة تسع وعشرين، فلما بلغ ابن هبيرة مقتل بناته بجرجان سنة ثلاثين، كتب إلى ابنه داود بن ضباره بالمسير إلى قحطبة فسار من كرمان في خسین الفأ ونزلوا أصبهان. وبعث إليهم قحطبة جماعة من القواد عليهم مقاتل بن حكيم الكعبي فنزلوا قسم وسار قحطبة إلى نهاروند مددًا لولده الحسن الذي حاصرهم فبعث مقاتلاً بذلك قحطبة، فسار حتى لحقه، وزحفوا للقاء داود بن ضباره وهم في مائة ألف وقحطبة في عشرين ألفاً. وحمل قحطبة وأصحابه فانهزم ابن ضباره وقتلوا على ما كان في معسكرهم مما لا يعبر عنه من الأصناف وذلك في رجب.

وطير قحطبة بالخمر إلى ابنه الحسن وسار إلى أصبهان فقام بها عشرين ليلة، وقدم على ابنه فحاصروا نهاوند ثلاثة أشهر إلى آخر شوال، ونصبوا عليها المخانق وبعث بالأمان إلى من كان في نهاوند من أهل خراسان فلم يقبلوا، فبعث إلى أهل الشام فقالوا: أشغل عنك أهل المدينة بالقتال ففتح لك المدينة من ناحيتي، ففعلوا وخرجوا إليه جميعاً فقتلوا أهل خراسان فيهم أبو كامل وحاتم بن شريح وأبن نصر بن سيار وعاصم بن عمير وعلى بن عقيل

وكان قحطبة لما جاء إلى نهاروند بعث ابنه الحسن إلى جهات حلوان وعليها عبد الله بن العلاء الكلبي فتركها وهرب. ثم بعث خطبة عبد الملك بن زيد ومالك بن طرا في أربعة آلاف إلى شهرورز وبها عثمان بن سفيان على مقدمته عبد الله بن محمد فقاتلوا عثمان آخر ذي الحجة فانهزم وقتل. وملك أبو عوف بلاد الموصلي، وقيل: إن عثمان هرب إلى عبد الله بن مروان وغنم أبو

تقدم للقتال وعلى ميمنته ابنه الحسن فانهزم أهل الشام وقتل بناة في عشرة آلاف منهم وبعث برأسه إلى أبي مسلم، وذلك في ذي الحجة من السنة وملك قحطبة جرجان. ثم بلغه أن أهل جرجان يرثمون الخروج عليهم فاستعرضهم وقتل منهم نحوًا من ثلاثة ألفاً وسار نصر من قومن إلى خوار الري وعلىها أبو بكر العقيلي وكعب إلى ابن هبيرة بواسط يستمدنه فحبس رسله. فكتب مروان إلى ابن هبيرة فجهز ابن هبيرة جيشًا كثيفًا إلى نصر وعليهم ابن عطف.

هلاک نصیر بن سیار

ثم بعث قحطبة ابنه الحسن إلى عاصمة نصر في جوار الري في عمر سنة إحدى وثلاثين، وبعث إليه المدد مع أبي كامل وأبي القاسم عرز بن إبراهيم وأبي العباس المرزوقي، ولما تقاربوا نزع أبو كامل إلى نصر فكان معه وهرب جند قحطبة وأصحاب نصر أصحابهم شيء من متعتهم فبعثه نصر إلى ابن هبيرة فاعتربه ابن عطيف بالري فأخذته فغاضبه نصر فقام ابن عطيف بالري، وسار نصر إلى الري وعليها حبيب بن يزيد التهشلي، فلما قدمها سار ابن عطيف إلى همدان وكان فيها مالك بن أدهم بن عرز الباهلي، فعدل بن عطيف عنها إلى أصحابه وبها عاصر بن ضبار، وقدم نصر الري فقام بها يومين ومرض وارجع. فلما بلغ نهاوند مات لاثي عشر من ربيع الأول من السنة ودخل أصحابه همدان.

استيلاء قحطبة على الري

ولما مات نصر بن سيار بعث الحسن بن قحطبة خزيمة بن حازم إلى سمنان وأقبل قحطبة من جرجان وقدم زياد بن زرارة القشيري وقد كان قد على طاعة أبي مسلم واعترض على اللحاق بابن ضبار، فبعث قحطبة في أثره المسمى بن زهير الضبي فهزمه، وقتل عامة من مع ابن معاوية ورجع، ولحق قحطبة ابنه الحسن إلى الرى فخرج عنها حبيب بن تزيد التهشلي وأهل الشام، ودخلها الحسن في صفر ثم لحق به أبوه وكتب برسالة إلى أمّه مسلم.

وقد أكثر أهل الري إلى بني أمية فأخذ أبو مسلم أملاكمه  
ولم يردها عليهم إلا السفاح بعد حين. فقام قحطبة بالري وكتب  
أبو مسلم إلى أمهيد طبرستان بالطاعة وأداء الخراج فأجاب،  
وكتب إلى المصيغان صاحب ذنباند وكبير الدليل بمثل ذلك  
فأقحم في الرد. فكتب أبو مسلم إلى موسى بن كعب أن يسرير  
إليه من الري فسوار ولم يتمكن منه لضيق سلاذه. وكان الدليل

إلى قحطبة وهو لم يعلم بهلاكه فقرأه الحسن على الناس. وارتحل نحو الكوفة فصيّحها الرابعة من مسيرة وقيل: إن الحسن بن قحطبة سار إلى الكوفة بعد قتل ابن هبيرة وعليها عبد الرحمن بن بشير العجلي فهرب عنها وسبق محمد بن خالد وخرج في أحد عشر رجلاً فلقي الحسن ودخل معه وأتوا إلى أبي مسلمة فاستخرجوه من بيته مسلمة وعسكر بالنخلية، ثم نزل حام أعين.

وبعث الحسن بن قحطبة إلى واسط لقتال ابن هبيرة ويابع

الناس أبا مسلمة حفص بن سليمان الخلال وزير آل محمد واستعمل محمد بن خالد القسري على الكوفة وكان يسمى الأمير، حتى ظهر أبو العباس السفاح وبعث حميد بن قحطبة إلى المدائن في قواد والسيب بن هبيرة وخالد بن مرمل، إلى دير فناه وشراحيل إلى غير.... ويسام بن إبراهيم بن بسام إلى الأهواز، وبها عبد الرحمن بن عمر بن هبيرة فقاتله بسام وانهزم إلى البصرة وعلها مسلم بن قتيبة الباهلي عاماً لأخيه. وبعث بسام في أثره سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب والياً على البصرة، فجمع سالم قيساً ومضر وبيه أمية. وجاء قائد من قواد ابن هبيرة في الفي رجل، وجعل سفيان اليمانية وخلفاً لهم من ربيعة واقتلوه في صفر. وتقتل ابن سفيان وأسمه معاوية فانهزم لذلك. ثم جاء إلى سالم ربيعة آلاف مددًا من عند مروان فقاتل الأزد واستباحهم ولم ينزل بالبصرة حتى قتل ابن هبيرة فهرب عنها. واجتمع ولد الحارث بن عبد المطلب إلى محمد بن جعفر فولوه أيامًا حتى قدم أبو مالك عبد الله بن أسد الخزاعي من قبل أبي مسلم. فلما بويع أبو العباس السفاح ولاما سفيان بن معاوية.

## بيعة السفاح

قد كنا قدمنا خبر الدعاء وقبض مروان على إبراهيم بن محمد وأنه حسنه بحران وكان نهى نفسه إلى أهل بيته وأمرهم باللحاق بالكوفة وأوصى على أخيه أبي العباس عبد الله بن المحرثية. فسار أبو العباس ومعه أهل بيته ومن أخوته أبو جعفر المنصور وعبد الوهاب وعمد ابن أخيه إبراهيم وعيسي ابن أخيه موسى ومن أعمامه داود وعيسي وصالح وإسماعيل وعبد الله وعبد الصمد وبنتر علي بن عبد الله بن عباس، وموسى ابن عمه داود ويعيسى بن جعفر بن ثمام بن العباس، فقدموا الكوفة في صفر وأبو سلمة والشيعة على حام أعين بظاهر الكوفة وأنزلهم أبو سلمة دار الوليد بن سعد مولى بيبي هاشم في بيبي أود، وكتم أمرهم عن جميع القواد والشيعة أربعين ليلة، وأراد فيما زعموا أن يخول

عن عسكره وقتل أصحابه، وبعث إليه قحطبة بالمدد. وكان مروان بن محمد بحران فساري في أهل الشام والجزيرة والموصل ونزل الزاب الأكبر وأتوا شهرزور إلى الحرم سنة اثنين وثلاثين..

## حرب السفاح ابن هبيرة مع قحطبة ومقتلهمَا وفتح الكوفة

ولما قدم على يزيد بن هبيرة ابنه داود منهزمًا من حلوان خرج يزيد للقاء قحطبة في مدد لا يحصى، وكان مروان أمده بمحورنة بن سهيل الباهلي، فسار معه حتى نزل حلوان واحتضر الخندق الذي كانت فارس احتضرت أيام الواقعه. وأقام وأقبل قحطبة إلى حلوان ثم عبر دجلة إلى الأنبار فرجع ابن هبيرة مبادراً إلى الكوفة. وقدم إليها حوثرة في خمسة عشر ألفاً وعبر قحطبة الفرات من الأنبار لعمان من المحرم سنة اثنين وثلاثين، وأiben هبيرة معسكر على فم الفرات وعلى ثلاثة وعشرين فرسخاً من الكوفة، ومعه حوثرة وقلًّا ابن ضباره. وأشار عليه أصحابه أن يدع الكوفة ويقصد هو خراسان فيتبعه قحطبة فأبان إلا البدار إلى الكوفة، وعبر إليها دجلة من المدائن، وعلى مقدمته حوثرة والفريقان يسيران على جانب الفرات.

وقال قحطبة لأصحابه: إن الإمام أخبرني بأن وقعة تكون بهذا المكان والنصر لنا، ثم دلوه على خاصة فغير منها، وقاتل حوثرة وابن نباتة فانهزم أهل الشام، وقعد قحطبة وشهد مقاتل العليلي بأن قحطبة عهد لابنه الحسن بعده، فبلغ جميع الناس لأخيه الحسن، وكان في سرية فبعثوا عنه وولوه. ووُجد قحطبة في جدول هو وحرب بن كم بن أحوز وقيل: إن قحطبة لما عبر الفرات وقاتل ضريبه معن بن زائدة فسقط وأوصى إذا مات أن يلقى في الماء. ثم انهزم ابن نباتة وأهل الشام ومات قحطبة وأوصى بأمر الشيعة إلى أبي مسلمة الخلال بالكوفة وزير آل محمد. ولما انهزم ابن نباتة وحوثرة لحقوا بابن هبيرة فانهزم إلى واسط واستولى الحسن بن قحطبة على ما في مسكنهم.

وبلغ الخبر إلى الكوفة فثار بها محمد بن خالد القسري بدعوة الشيعة خرج ليلة عاشوراء وعلى الكوفة زياد بن صالح الحارثي وعلى شرطته عبد الرحمن بن بشير العجلي وسار إلى.... فهرب زياد ومن معه من أهل الشام ودخل القصر ورجع إليه حوثرة.... وعن محمد عامة من معه ولزم القصر. ثم جاء قوم من بحيرة من أصحاب حوثرة فدخلوا في الدعوة. ثم آخرون من كانة، ثم آخرون من بحيرة فارتحل حوثرة لحosome.... وكتب محمد

ما صعد هذا المنبر خليفة بعد رسول الله ﷺ إلا علي بن أبي طالب أمير المؤمنين وأمير المؤمنين عبد الله بن محمد وأشار إلى السفاح. وأن هذا الأمر فيما ليس بخارج عننا حتى نسلم له عيسى بن مريم.

ثم نزل أبو العباس داود أمامه حتى دخل القصر وأجلس أخاه أبو جعفر في المسجد يأخذ البيعة على الناس حتى جن الليل. وخرج أبو العباس إلى عسكر أبيه سلمة ونزل معه في حجرته بينهما ستة. وحاجب السفاح يومئذ عبد الله بن بسام. واستخلف على الكوفة عمه داود وبعث عمه عبد الله إلى أبي عرون بن يزيد بشهر زور وبعث ابن أخيه موسى إلى الحسن بن قحطبة وهو يحاصر ابن هيبة بواسطه وبعث بمحبي بن جعفر بن ثمام بن العباس إلى أحد بن قحطبة بالمدائن. وبعث أبا اليقظان عثمان بن عروة بن محمد بن عمار بن ياسر إلى بسام بن إبراهيم بن سام بالأهلاء، وبعث سلمة بن عمر بن عثمان بن مالك بن الطواف. وأقام السفاح بالعسكر شهرًا ثم ارتحل فنزل قصر الإمارة من المدينة الماشمية. وقد قيل: إن داود بن علي وابنه موسى لم يكونا بالشام عند ميسير بني العباس إلى الكوفة وإنهما لقياهم بدومة الجندل فرقاً خبرهم. وقال لهم داود: كيف تأتون الكوفة؟ ومروان بن محمد في حران في أهل الشام والجزيرة فطل على العراق ويزيد بن هيبة بالعراق. فقال يا عم: من أحب الحياة ذل فرجع داود وابنه معه.

### مقتل إبراهيم بن الإمام

قد تقدم لنا أن مرwan حبسه بحران وحبس سعيد بن هشام بن عبد الملك وابنه عثمان ومروان والعباس بن الوليد بن عبد الملك وعبد الله بن عمر بن عبد العزيز وأبا محمد السفياني فهلك منهم في السجن من وباء وقع بحران العباس بن الوليد وإبراهيم ابن الإمام عبد الله بن عمر. وخرج سعيد بن هشام ومن معه من المحبوبين بعد أن قتلوا صاحب السجن فقتلهم الغوغاء من أهل حران. وكان فيما قتلوه شراحيل بن سلمة بن عبد الملك وعبد الملك بن بشر العلبي ويطريق أرميبيه واسمي كوشان. وتختلف أبو محمد السفياني في الحبس لم يستحل الخروج منه. ولما قدم مروان منهزاً من الزتاب حل عنه فيما يبقى وقيل: إن شراحيل بن سلمة كان عبوساً مع إبراهيم وكان يتزاوران ويتهاديان، فدس في بعض الأيام إلى إبراهيم ابن الإمام بلبن سmom على لسان شراحيل فاستطلق بطنه. وقيل: إن شراحيل

الأمر إلى أبي طالب. وسأله أبو الجهم من الشيعة وغيره فيقول: لا تعجلوا ليں هذا وقت.

ولقي أبو حيد محمد بن إبراهيم ذات يوم خادم إبراهيم الإمام وهو سابق الخوزمي فسأله عن الإمام فقال: قتل إبراهيم وأوصى إلى أخيه أبي العباس وهو هو بالكوفة ومعه أهل بيته. فسأله في اللقاء فقال: حتى استأند، وواعده من الغد في ذلك المكان، وجاء أبو حيد إلى أبي الجهم فأخبره وكان في عسكر أبي سلمة فقال له: تلطّف في لقائهم. فجاء إلى موعد سابق وممضى معه ودخل عليهم فسأل عن الخليفة فقال داود بن علي: هذا إمامكم وخليفتكم يشير إلى أبي العباس. فسلم عليه بالخلافة وعزاه بإبراهيم الإمام، ورجع ومعه خادم من خدمهم إلى أبي الجهم فأخبره عن متزلم وآن أبي العباس أرسل إلى أبي سلمة أن يبعث إليه كراه الرواحل التي جاؤوا إليها، فلم يبعث إليهم شيئاً فمشى أبو الجهم وأبو الحميد والخادم إلى موسى بن كعب وأخبروه بالأمر ويعثروا إلى الإمام ماتي دينار مع خادمه.

واتفق رأي القواد على لقاء الإمام فنهض موسى بن كعب وأبر الجهم عبد الحميد بن ريعي وسلامة بن محمد وعبد الله الطائي وإسحاق بن إبراهيم وشراحيل وأبر حيد وعبد الله بن بسام ومحمد بن إبراهيم ومحمد بن حصين وسلمان بن الأسود فدخلوا على أبي العباس فسلموا عليه بالخلافة وعزوه في إبراهيم. ورجع موسى بن كعب وأبر الجهم وخلفوا الباقين عند الإمام وأوصوهم إن جاء أبو سلمة لا يدخلن إلا وحده. وبلغ الخبر فجاء ودخل وحده كما حددا له وسلم على أبي العباس بالخلافة وأمره بالعود إلى مسكنه وأصبح الناس يوم الجمعة لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول فلبسو الصنّاح وأصطفوا للخروج إلى أبي العباس وأتّوه بالدواب وله ولن معه من أهل بيته، واركبواه إلى دار الإمارة.

ثم رجع إلى المسجد فخطب وصلى بالناس وبايعوه ثم صعد المنبر ثانية فقام في أعلىه وصعد عمه داود فقام دونه وخطبه البلية المشهورة وذكر حقهم في الأمر ومبراتهم له، وزاد الناس في أعطياتهم، وكان موعوكاً فاشتد عليه الوعك فحبس على المنبر. وقام عمه داود على أعلى المراقبي فخطب مثله وذم سيرة بني أمية وعادهم الناس على إقامة الكتاب والسنّة وسيرة النبي. ثم اعتذر عن عود السفاح بعد الصلاة على المنبر وأنه أراد أن لا يختلط كلام الجمعة بغیرها، وإنما قطعه عن إمام الكلام شدة الوعك فساعدوا الله له بالعافية. ثم بالغ في ذم مرwan وشكر شيعتهم من أهل خراسان وأن الكوفة متزلم لا يتخلون عنها وأنه

وأقام عبد الله في عسكره سبعة أيام واجتاز عسكر مروان بما فيه. وكتب بالفتح إلى أبي العباس السفاح، وسار مروان منهزاً إلى مدينة الموصل وعليها هشام بن عمر العلبي وأبن خزيمة الأسدي، فقطعوا الجسر ومنعاه الببور إليهم وقيل: هذا أمير المؤمنين فتجاهلوا وقالوا: أمير المؤمنين لا يفر. ثم أسمعوا الشتم والقبايع فسار إلى حران وبها ابن أخيه، وسار إلى حصن وجاء عبد الله إلى حران فلقيه أبو مسعود فامنه ولقي الجزيرة. ولما بلغ مروان حصن أقام بها ثلاثة أيام وارتحل فاتبعه أهلها ليتهبوه فقاتلتهم وهزمهم وأثخن فيهم. وسار إلى دمشق وعليها الوليد بن عمه فأوصاه بقتال عدوه.

وسار إلى فلسطين فنزل نهر أبي فطروس وقد غالب على فلسطين الحكم بن ضبعان الجذامي، فأرسل إلى عبد الله بن يزيد بن روح بن زبيع الجذامي فagaraه، ثم سار عبد الله بن علي في أثره من حران بعد أن هدم الدار التي حبس فيها أخوه الإمام إبراهيم. واتهى إلى قنبع فاطاعه أهلها وقدم عليه أخوه عبد الصمد بعثه السفاح مددًا في ثمانية آلاف واقترب قواد الشيعة على أبواب دمشق فحاصروها أيامًا. ثم دخلوها عنوة لخمس من رمضان واتكلوا بها كثيراً وقتل عاملها الوليد بن معاوية. وأقام عبد الله بدمشق خمس عشرة ليلة وارتحل يرید فلسطين فاجفل مروان إلى العريش.

وجاء عبد الله فنزل نهر أبي فطروس ووصله هناك كتاب السفاح بأن يبعث صالح بن علي في طلب مروان. فسار صالح في ذي القعدة وعلى مقدمته أبو عنون وعامر بن إسماعيل الحارثي فاجفل مروان إلى النيل ثم إلى الصعيد ونزل صالح الفسطاط وتقدمت عساكره فلقوا خيلاً لمروان فهزموهم وأسرموا منهم ودولهم على مكانه بوصير. فسار إليه أبو عنون وبيته هناك خوفاً من أن يفضحه الصبع فانهزم مروان وطعن فسقط في آخر ذي الحجة المحرام وقطع رأسه، وبعث به طليعة أبي عنون إليه. فبعثه إلى السفاح و Herb عبد الله وعبيد الله ابنها مروان إلى الخشة وقاتلتهم فقتل عبد الله ونجا عبد الله ويقي إلى أيام المهدى. فأخذه عامل فلسطين وسجنه المهدى.

وكان طليعة أبي عنون عامر بن إسماعيل الحارثي فوجد نساء مروان وبناته في كنيسة بوصير قد وكل بهن خادمًا يقتلنهن بعده فبعث بهن صالح. ولما دخلن عليه سائله في الإبقاء فلامهن على قاتلهم عند بي أمية. ثم عفا عنهن وحملهن إلى حران يكفين. وكان مروان يلقب بالحمار لحرمه في مواطن الحرب. وكان أعداؤه يلقبونه الجعدي نسبة إلى الجعد بن درهم كان يقوسون بخلق القرآن

قال: إنا لله وإنا إليه راجعون احتيل والله عليه، وأصبح ميتاً من ليلته.

### هزيمة مروان بالزاب ومقتله بمصر

قد ذكرنا أن خطبة أرسل أبا عون عبد الملك بن يزيد الأزردي إلى شهرزور فقتل عثمان بن سفيان وأقام بناحية الموصل وأن مروان بن محمد سار إليه من حران في مائة وعشرين ألفاً وسار أبو عنون إلى الزاب ووجه أبو سلمة عيشة بن موسى والمهايل بن قبان وإسحاق بن طلحة كل واحد في ثلاثة آلاف مددًا له. فلما بويع أبو العباس وبعث مسلمة بن محمد في القين وبعد الله الطائي في الف وخمسة وسبعين ألفاً وعبد الحميد بن في القين ودراس بن فضلة في خمسة وسبعين ألفاً كلهم مددًا لأبي عنون، ثم ندب أهل بيته إلى المسير إلى أبي عنون، فانتدب عبد الله بن علي فسار وقدم على أبي عنون فتحول له عن سرادة بما فيه. ثم أمر عيشة بن موسى بخمسة آلاف تعبر النهر من الزاب أول جنادي الأخير سنة اثنين وثلاثين وقاتل عساكر مروان إلى المساء. ورجع ففقد مروان الجسر من الغد وقدم ابنه عبد الله وعبر فبعث عبد الله بن علي المخارق بن غفار في أربعة نحو عبد الله بن مروان فسرح ابن مروان الوليد بن معاوية بن مروان بن الحكم، فانهزم أصحاب المخارق وأسر هو وجبي به إلى مروان مع رؤوس القتلى، فقال: أنت المخارق؟ قال: لا! قال: فتعرفه في هذه الرؤوس؟ قال: نعم! قال: هو ذا فخلي سيله. وقيل: بل إنكر أن يكون في الرؤوس فخلي سيله.

وعاجلهم عبد الله بن علي بالحرب قبل أن يفشوا الخبر وعلى ميمنته أبو عنون وعلى ميسره الوليد بن معاوية. وكان عساكره نحوًا من عشرين ألفاً، وقيل: إثنين عشر. وأرسل مروان إليه في المواجهة فآتى وحل الوليد بن معاوية بن مروان وهو صهر مروان على ابنته، فقاتل أبا عنون حتى انهزم إلى عبد الله بن علي فامر الناس فارتحلوا. ومشى قدمًا ينادي: يا شارات إبراهيم! وبالأشعار: يا محمد يا منصور. وأمر مروان القبائل بأن يجعلوا فتحاذلوا واعتذروا حتى صاحب شرطه. ثم ظهر له الخلل فابداه الأموال للناس على أن يقاتلوا فاحتذلوا من غير قتال. فبعث ابنه عبد الله يصدهم عن ذلك فتبارروا بالفرار وانهزموا وقطع مروان الجسر وكان من عرق أكثر من قتل. وغرق إبراهيم بن الوليد المخلوع وقيل: بل قتله عبد الله بن علي بالشام ومن قتل بمحبي بن علي بن هشام وكان ذلك في جنادي الأخيرة سنة اثنين وثلاثين.

أرمينية وهو على الجزيرة قبل أن يلي العراق، فهزهم وأسر منهم خلقاً وقتل منهم سبعمائة أسير. وغزا العباس بن الوليد الروم أيضاً ففتحها لستة. ثم غزا سنة ثلاث خمس فبلغ ورآه بلنجر ثم غزا الجراح الحكمي أيام هشام سنة خمس فبلغ ورآه بلنجر وغنم وغزا في هذه السنة سعيد بن عبد الملك أرض الروم وبعث ألف مقاتل في سرية فهلوكاً جيعاً. وغزا فيها مروان بن محمد بالصائفة اليمني، ففتح مدينة قربة من أرض الزوكيخ. ثم غزا سعيد بن عبد الملك بالصائفة أيام هشام سنة ست. ثم غزا مسلمة بن عبد الملك الروم من الجزيرة وهو والعليها فتح قيسارية. وغزا إبراهيم بن هشام ففتح حصنًا. وغزا معاوية بن هشام في البحر قبرس، وغزا سنة سبع ففتح حصنًا آخر يقال له طبسة. وغزا سنة عشر بالصائفة عبد الله بن عقبة الفهري، وكان على جيش البحر عبد الرحمن بن معاوية بن خديج. وغزا بالصائفة ليسري سنة إحدى عشرة معاوية بن هشام وبالصائفة اليمني سعيد بن هشام وفي البحر عبد الله بن أبي مريم. وافتتح معاوية في صائفة ثلاثة عشرة سنة خرشفة. وغزا سنة ثلاث عشرة عبد الله الطبال، فأنهزم فثبت عبد الوهاب من أصحابه قتيل. ودخل معاوية بن هشام أرض الروم من ناحية مرعش. ثم غزا سنة أربع عشرة بالصائفة ليسري وأصحاب ريض أفرق. والتقي عبد الله سليمان بن لبطال مع قسطنطين، فهزمه البطال وأسره. وغزا سليمان بن هشام بالصائفة ليسري فبلغ قيسارية، وهزم مسلمة بن عبد الملك حاقان وباب الباب. وغزا معاوية بن هشام بالصائفة سنة خمس عشرة. وغزا سفيان بن هشام بالصائفة ليسري سنة سبع عشرة. وسليمان بن هشام بالصائفة اليمني من ناحية الجزيرة، وفرق لسرابيا في أرض الروم وبعث فيها مروان بن محمد من أرمينية....

افتتحوا من أرض اللان أهلها أخذنا قومانسه صلحًا، وغزا معاوية وسليمان أيضاً أرض الروم سنة ثمانين عشرة. وغزا فيها مروان بن محمد من أرمينية ودخل أرض وارقين، فهرب وارقيس إلى الحرور ونزل حصنه فحاصره. وقتل وارقيس بعض من اجتازه وبعث برأسه إلى مروان ونزل أهل الحصن على حكمه فقتل

وغزا سنة تسعة عشرة مروان بن محمد من أرميبيه ومر ببلاد  
اللالان إلى بلاد المخزير على بلنجر وسمندر واتنهى إلى خاقان فهرب  
خاقان منه. وغزا سليمان بن هشام سنة عشرين بالصافحة فافتتح  
سندرة وغزا إسحاق بن مسلم العقيلي قورمانشاه وافتتح قلاعه  
وخرب أرضه. وغزا مروان من أرميبيه سنة إحدى وعشرين  
وألفى قلعة بيت السرير فقتل وسي، ثم قلعة أخرى كذلك ودخل

ويترنقد. وأمر هشام خالدًا القسري بقتله فقتله. ثم تبعوا بني أمية بالقتل. ودخل أسديف يوماً على السفاح وعنده سليمان بن هشام وقد أنهى والده فقال:

لا يغرنك ما ترى من رجال أن بين الضلوع داء دويا  
فضع السيف وارفع السوط حتى لا ترى فوق ظهرها امرأة

فأمر السفاح بسليمان فقتل. ودخل شبل بن عبد الله مسول بني هاشم على عبد الله بن علي وعنه ثمانون أو تسعون من بني أمية يأكلون على مائدته فقال:

أصبح الملك في ثبات الأساس بالبهاليل من بنى العباس  
بعد ميل من الزمان وباس فاقطهن كل رقلة وغراس  
وبهـا منكم كحرز الموسى فلقد غاضبـي وغضـبـسوـاتـي  
قرـبـهمـ منـ ثـارـقـ وـ كـرـاسـيـ  
بعدـ مـيلـ منـ الزـمانـ فـاقـطـهـنـ كـلـ رـقـلـةـ وـغـرـاسـ  
انـزـلـوـهـاـ مـبـحـثـ أـنـزـلـهـاـ اللـهـ  
وـاذـكـرـوـاـ مـصـرـ الـحـسـينـ وـزـيـداـ  
وـالـقـتـيلـ الـذـيـ بـحـرـانـ أـسـحـىـ  
ثـاوـيـاـ رـهـنـ غـربـةـ وـنـعـاسـ

فأمر بهم عبد الله فشدخوا بالعمد، ووسط من فوقيهم الأطعاف فأكل الطعام عليها وأنبيتهم يسمع حتى ماتوا، وذلك بهر أبي فطروس. وكان فيمن قتل محمد بن عبد الملك بن مروان والمعز بن يزيد عبد الواحد بن سليمان وسعيد بن عبد الملك وأبو عبيدة بن الوليد بن عبد الملك. وقيل: إن إبراهيم المخلوق قتل معهم، وقيل: إن أسديفاً هو الذي أنسد هذا الشعر للسفاح وأنه الذي قتلهم. ثم قتل سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بالبصرة جماعة من بني أمية فامر باشلاقتهم في الطرق فاكثتهم الكلاب، وقيل: إن عبد الله بن علي أمر بنبيش قبور الخلقاء من بني أمية فلم يجدوا في القبور إلا شبه الرماد وخيطاً في قبر معاوية وججمة في قبر عبد الملك. وربما وُجِد فيها بعد الأعضاء إلا هشام بن عبد الملك فإنه وجد كما هو ميل، فضربه بالسوط ثم صلبـهـ وحرقهـ وذرـاهـ فـيـ الـرـيـحـ، وـالـلـهـ أـعـلـمـ بـصـحـةـ ذـلـكـ. ثم تبعوا بني أمية بالقتل فلم يفلت منهم إلا الرضعاء أو من هرب إلى الأندلس مثل عبد الرحمن بن معاوية بن هشام وغيرهم من تبعه من قرابته كما يذكر في أخبارهم.

بقية الصوائف في الدولة الأموية

قد انتهينا بالصوات إلى آخر أيام عمر بن عبد العزيز وفي  
سنة اثنين ومائة أيام اليزيد غزا عمر بن هبيرة الروم من ناحية

من قبله على أفريقية عقبة بن نافع بن عبد قيس، وهو ابن خاله فاتتهم إلى لواحة وزارة فأطاعوه ثم كفروا فغزاهم وقتل وسمى. ثم افتتح سنة اثنين وأربعين بعدها غدامس وقتل وسمى وافتتح سنة ثلاث وأربعين بعدها بلودان وولى معاوية بالمدينة سنة اثنين وأربعين مروان بن الحكم فاستقضى عبد الله بن الحارث بن نوفل.

ولى معاوية على مكة في هذه السنة خالد بن العاصي بن هشام، وكان على أرمينية حبيب بن مسلمة الفهري وولاه عليها معاوية ومات سنة اثنين وأربعين فول مكانه.

واستعمل ابن عامر في هذه السنة على ثغر المند عبد الله بن سوار العبدى ويقال: ولاه معاوية. وعزل ابن عامر في هذه السنة قيس بن الهيثم عن خراسان ولـى مكانه الحارث بن عبد الله بن حازم. ثم عزل معاوية عبد الله بن عامر عن البصرة سنة أربعين وأربعين وولى مكانه الحارث بن عبد الله الأزدي، ثم عزله لأربعة أشهر ولـى أخيه زياداً سنة خمس وأربعين، فولى على خراسان الحكم بن عمر الغفارى، وجعل معه على الخراج أسلم بن زرعة الكلابي. ثم مات الحكم فولى خليل بن عبد الله الحنفى سنة سبع وأربعين.

ثم ولـى على خراسان سنة ثمان بعدها غالب بن فضالة الليثى، وتولى عمرو بن العاصي سنة تسع وأربعين فول مكانه سعيد بن العاصي، فعزل عبد الله بن الحارث عن القضاء واستقضى أبو سلمة بن عبد الرحمن. وفي سنة خمسين توفى المغيرة بن شعبة فضم الكوفة إلى أخيه زياد، فجاء إليها واستخلف على البصرة سمرة بن جندب، وكان يقسم السنة بين المصريين في الإقامة نصفاً بنصف. وفي سنة خمسين هذه اقطعت معاوية أفريقية عن معاوية بن خديج مصر ولـى عقبة بن نافع الفهري وكان مقىماً ببرقة وزوجة من وقت فتحها أيام عمرو بن العاصي، فأنماه بعشرة ألف فسار إليها. وانضاف إليه من أسلم من البرير، ودخلت البلاد وبنى بالقيروان، وائزـل عساكر المسلمين ثم استعمل معاوية على مصر وأفريقية مولاـه أبو المهاجر، فأسـاه عزل عقبة، وجاء عقبة إلى الشام فاعتـر إلى معاوية ووـعده بعملـه ومات معاوية فـلـواـه يزيد سنة اثنين وستين.

وذكر الواقدى أن عقبة ولـى سنة اثنين وستين واستعمل أبو المهاجر فـولـى الأمصار، فجـبس عـقبـة وـضـيقـ عليهـ وأـمـرهـ يـزيدـ بـاطـلاقـهـ فـوـفـدـ عـقبـةـ فـأـعـادـهـ إـلـىـ عـمـلـهـ، فـجـبـسـ أـبـاـ الـمـهاـجـرـ وـخـرـجـ غـارـاـ وـأـتـخـنـ حـتـىـ قـتـلـهـ كـُـسـيـلـةـ كـمـاـ يـأـتـيـ فـيـ أـخـبـارـهـ. وـفـيـ سـنـةـ إـحـدـىـ وـأـرـبـعـينـ إـحـدـىـ وـخـسـينـ وـلـىـ زيـادـ عـلـىـ خـرـاسـانـ الرـيـبعـ بـنـ زيـادـ الـحـارـثـ

عزـكـ وـهـوـ حـصـنـ الـمـلـكـ فـهـرـبـ مـنـ الـمـلـكـ وـدـخـلـ حـصـنـاـ لـيـسـىـ جـرجـ فـيـ سـرـيـ النـعـبـ فـازـلـهـ مـرـوانـ حـتـىـ صـالـحـهـ عـلـىـ الـفـ فـارـسـ كـلـ سـنـةـ وـمـائـةـ الـفـ مـدـنـىـ. ثـمـ دـخـلـ أـرـضـ أـرـزـقـ وـنـصـرـانـ فـصـالـحـهـ مـلـكـهـ. ثـمـ أـرـضـ حـدـيـنـ فـاخـرـبـ بـلـادـهـ وـحـصـرـ حـصـنـاـ لـهـ شـهـرـاـ حـتـىـ صـالـحـهـ ثـمـ أـرـضـ مـسـدـادـ فـقـتـحـهـ عـلـىـ صـلـحـ. ثـمـ نـزـلـ كـيـلـانـ فـصـالـحـهـ أـهـلـ طـبـرـيـانـ وـكـيـلـانـ. وـكـلـ هـذـهـ الـوـلـاـيـاتـ عـلـىـ شـاطـئـ الـبـحـرـ مـنـ أـرـمـيـةـ إـلـىـ طـبـرـيـانـ.

وـغـزـاـ مـسـلـمـةـ بـنـ هـشـامـ الرـوـمـ فـيـ هـذـهـ السـنـةـ فـاقـتـحـ بـهـ مـطـاـمـيرـ. وـفـيـ سـنـةـ اـثـتـيـنـ وـعـشـرـينـ بـعـدـهـ قـتـلـ بـطـالـ وـاسـمـهـ عـبـدـ الـلـهـ بـنـ الـحـسـنـ الـأـنـطـاـكـيـ وـكـانـ كـثـيرـ الـغـزوـ فـيـ بـلـادـ الرـوـمـ وـالـإـغـارـةـ عـلـيـهـمـ. وـقـدـمـ مـسـلـمـةـ عـلـىـ عـشـرـآـلـافـ فـارـسـ فـكـانـ يـغـزوـ بـلـادـ الرـوـمـ إـلـىـ أـنـ قـتـلـ هـذـهـ السـنـةـ. وـفـيـ سـنـةـ أـرـبـعـ وـعـشـرـينـ غـرـاـ سـلـيمـانـ بـنـ هـشـامـ بـالـصـافـةـ عـلـىـ عـهـدـ أـيـهـ فـلـقـيـ الـيـوـنـ مـلـكـ الرـوـمـ فـهـزـهـ وـغـنـمـ. وـفـيـ سـنـةـ خـمـسـ وـعـشـرـينـ خـرـجـتـ الرـوـمـ إـلـىـ حـصـنـ زـنـطـرـهـ وـكـانـ اـفـتـحـهـ عـلـىـ فـلـقـيـ الـيـوـنـ مـلـكـ الرـوـمـ وـخـرـبـةـ الرـوـمـ وـيـنـيـ بـنـاءـ غـيـرـ حـكـمـ فـأـخـرـبـهـ ثـانـيـةـ أـيـامـ مـرـوانـ. ثـمـ بـنـاءـ الرـشـيدـ وـطـرـقـهـ الرـوـمـ أـيـامـ المـأـمـونـ فـشـبـهـهـ فـأـمـرـ بـيـانـهـ وـتـصـيـنـهـ. ثـمـ طـرـقـهـ أـيـامـ الـمـعـتصـمـ وـخـبـرـهـ مـعـرـوفـ. وـفـيـ هـذـهـ السـنـةـ غـرـاـ الـوـلـيدـ بـنـ يـزـيدـ بـالـصـافـةـ أـخـاهـ الـعـمـرـ وـيـعـثـ الـأـسـدـ بـنـ بـلـالـ الـمـاحـرـيـ بـالـجـلـبـ فـيـ الـبـحـرـ إـلـىـ لـيـجـرـ أـهـلـهـ بـيـنـ الـشـامـ وـالـرـوـمـ فـاقـتـرـقـاـ فـرـيقـيـنـ، وـغـزـاـ أـيـامـ مـرـوانـ سـنـةـ ثـلـاثـيـنـ بـالـصـافـةـ الـوـلـيدـ بـنـ هـشـامـ وـنـزـلـ الـعـمـقـ وـيـنـيـ حـصـنـ مـرـعـشـ.

## عمال بني أمية على التواحي

استعمل معاوية أول خلافته سنة أربعين عبد الله بن عمرو بن العاصي على الكوفة ثم عزله واستعمل المغيرة بن شعبة على الصلاة واستعمل.... على الخراج وكان على القباء بها شريح وكان حربان بن أبيان قد وثب على البصرة عندما صالح الحسن معاوية فبعث معاوية بشر بن أربطة على البصرة وأمده فقتل أولاد زياد ابن أبيه، وكان عاماً على فارس لعلي بن أبي طالب، فقدم البصرة وقد ذكرنا خبره مع بني زياد فيما قبل. ثم ولـى على البصرة عبد الله بن عامر بن كريز بن حبيب بن عبد شمس وضم إليه خراسان وسجستان فجعل على شرطـهـ حـبيبـ بنـ شـهـابـ وـعـلـىـ الـقـضـاءـ عـمـيرـةـ بـنـ تـبـرـىـ، وـقـدـ تـقـدـمـ لـنـاـ أـخـبـارـ قـيسـ فـيـ خـرـاسـانـ. وـكـانـ عـمـرـ وـبـنـ الـعـاصـيـ عـلـيـهـ كـمـاـ تـقـدـمـ، فـولـىـ سـنـةـ إـحـدـىـ وـأـرـبـعـينـ إـحـدـىـ وـخـسـينـ وـلـىـ زيـادـ عـلـىـ خـرـاسـانـ الرـيـبعـ بـنـ زيـادـ الـحـارـثـ

ثم بُويع مروان وسار إلى مصر فملكتها من يد عبد الرحمن بن حجام القرشي داعية ابن الزبير وولى عليها عمر بن سعيد. ثم بعثه للقاء مصعب بن الزبير لما بعثه أخوه عبد الله إلى الشام، وولى على مصر ابنه عبد العزيز فلم يزل عليها والياً إلى أن هلك لسنة خمس وثمانين، فولى عبد الملك عليها ابنه عبد الله بن عبد الملك.

وخلع أهل خراسان بعد بزيد سالم بن زياد واستخلفه المهلب بن أبي صفرة، ثم ولد مسلم عبد الله بن حازم فاستبد بخراسان إلى حين. ثم أخرج أهل الكوفة عمر بن حرث خليفة بن زياد وباعوها لابن الزبير وقدم المختار بن أبي عبيد أميراً على الكوفة من قبله بعد ستة أشهر من مهلك بزيد، وامتنع شريح من القضاء أيام الفتنة. واستعمل ابن الزبير على المدينة أخيه مصعباً سنة خمس وستين مكان أخيه عبد الله وثار بن تميم بخراسان على عبد الله بن حازم فغلبه عليهما بكر بن وشاح، وغلب المختار على ابن مطیع عامل ابن الزبير بالكوفة سنة ست وستين.

ثم مات مروان سنة خمس وستين وولى عبد الرحمن بن زياد عامل ابن الزبير أخيه مصعباً على البصرة وولي مكانه بالمدينة جابر بن الأسود بن عوف الزهراني. ثم ملك عبد العزيز العراق سنة إحدى وسبعين واستعمل على البصرة خالد بن عبد الله بن أسد وعلى الكوفة أخيه بشر بن مروان وكان على خراسان عبد الله بن حازم بدعة ابن الزبير، فقام بكر بن وشاح التميي بدعوة عبد الملك وقتلته. وولاه عبد الملك خراسان. وكان على المدينة طلحة بن عبد الله بن عوف بدعوة ابن الزبير بعد جابر بن الأسود، فبعث عبد الملك طارق بن عمر مولى عثمان فغلبه عليهما. ثم قتل ابن الزبير سنة ثالث وسبعين وافتقد عبد الملك بالخلافة وولى على الجوزية وأرميبيا أخيه حمداً. وعزل خالد بن عبد الله عن البصرة وضمها إلى أخيه بشر فصار إليها واستخلف على الكوفة عمرو بن حرث. وولى على الحجاز واليمن واليمامه الحاج بن يوسف وبعثه من الكوفة لحرب ابن الزبير. وعزل طارقاً عن المدينة وسار من جده.

وفي سنة أربع وسبعين استقضى إبا إدريس الخوارزمي وأمر بشر أخيه أن يبعث المهلب بن أبي صفرة لحرب الأزارقة. وعزل عن خراسان بكر بن وشاح وولي مكانه أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد بعثت أمية ابنه عبد الله على سجستان. وكان على أفريقيه زهير بن قيس البلوي فقتله البرير سنة تسع وستين. وشغل عبد الملك بفتنة ابن الزبير، فلما فرغ منها بعث إلى أفريقيه سنة أربع وسبعين حسان بن النعمان القيسي في عساكر لم ير مثلها، فائتزن فيها وافتقرت جوع الروم والبربر. وقتل الكاهنة كما يذكر في أشجار أفريقيه.

مكان خليل بن عبد الله الحنفي. وفي سنة ثلاط وخمسين توفي زياد واستخلف على البصرة سمرة بن جندب وعلى الكوفة عبد الله بن خالد بن أسيد. ثم ول الصاحب بن قيس سنة خمس بعدهما.

وفي هذه السنة مات الربيع بن زياد عامل خراسان قبل موته سنة ست وسبعين وخمسين، فولى عبد الله ومات لشهرين. واستخلف خليل بن بريء الحنفي وكان على صفابيروز الديلمي من قبل معاوية فمات سنة ثلاط وخمسين. وفي سنة أربع وخمسين عزل معاوية عن المدينة سعيد بن العاص ورد إليها مروان بن الحكم ثم عزله سنة سبعة وولى مكانه الوليد بن عقبة بن أبي سفيان. وعزل سنة تسع وخمسين عن البصرة ابن جندب وولي مكانه عبد الله بن عمر بن غيلان، وولى على خراسان عبد الله بن زياد ثم سنة خمس بعدها على البصرة مكان غيلان. ثم ول على خراسان سنة ست وخمسين سعيد بن عثمان بن عفان. وفي سنة ثمان وخمسين عزل معاوية عن الكوفة الصاحب بن قيس واستعمل مكانه ابن أم الحكم وهي أخته، وهو عبد الرحمن بن عثمان الثقفي، وطرده أهل الكوفة فولاه مصر. فرده معاوية بن خديج وولي مكانه على الكوفة سنة تسع وخمسين النعمان بن بشير وولى فيها على خراسان عبد الرحمن بن زياد. فقدم إليها قيس بن الهيثم السلمي فحبس أسلم بن زرعة فأغدره ثلاثة ألف درهم.

ثم مات معاوية سنة ستين وولاته على التواحي من ذكرناه وعلى سجستان عباد بن زياد وعلى كرمان شريك بن الأعور. وعزل بزيد لأول ولاته الوليد بن عقبة عن المدينة والمحجاز وولاهما عمر بن سعيد الأشدق. ثم عزله سنة إحدى وستين، ورد الوليد بن عقبة وولى على خراسان سالم بن زياد، فبعث سالم إليها الحارث بن معاوية الحاروني وبعث أخيه بزيد إلى سجستان وكان بها آخرهما عباد فخرج عنهم. وقاتل بزيد أهل كابل فهو مهزموه، فبعث مسلم على سجستان طلحة الطلحات، وهو طلحة بن عبد الله بن خلف المخزاعي فبقي سنة، وبعث سنة اثنين وستين عقبة بن نافع إلى أفريقيه فحبس إبا المهاجر، واستخلف على القيروان زهير بن قيس البلوي كما نذكر في أخباره.

وتوفي في هذه السنة مسلمة بن خلدون الأننصاري أمير مصر. ثم هلك بزيد سنة أربع وستين واستخلف على أهل العراق عبيد الله بن زياد. وولى أهل البصرة عليهم عبد الله بن الحارث بن نوقل بن الحارث بن عبد المطلب ويلقب به، وهرب ابن زياد إلى الشام. وجاء إلى الكوفة عامر بن مسعود من قبل ابن الزبير وبلغه خلاف أهل الري وعليهم الفرخان فبعث عليهم عمد بن عمير بن عطارد بن حاجب فهزمه، فبعث عتاب بن ورقاء فهزمه.

وافتتحها سنة اثنين وتسعين كما يذكر في أخبارها، وفي سنة ثلاث وتسعين عزل عمر بن عبد العزيز عن الحجاز وولى مكانه خالد بن عبد الله على مكة وعثمان بن حيان على المدينة.

ومات الحاج سنة خمس وتسعين ثم مات الوليد سنة ست وتسعين وفيها قتل قتيبة بن مسلم لانتقامه على سليمان وولاتها سليمان يزيد بن المهلب. وفيها مات قرة بن شريك.... وكان على المدينة أبو بكر بن محمد بن عمر بن حزم وعلى مكة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أبيه وعلى قضاة الكوفة أبو بكر بن موسى وعلى قضاة البصرة عبد الرحمن بن أذينة وفي سنة سبع وتسعين عزل سليمان بن موسى بن نصير عن أفريقيا وولى مكانه محمد بن يزيد القرشي حتى مات سليمان فعزل. واستعمل عمر مكانه إسماعيل بن عبد الله. وفي سنة ثمان وتسعين كان فتح طبرستان وجرجان أيام سليمان بن عبد الملك على يد يزيد بن المهلب.

وفي سنة تسع وتسعين استعمل عمر بن عبد العزيز على البصرة عدي بن أطاة الفزاري، وأمره بإيقاف يزيد بن المهلب مؤثقاً فولى على القضاة الحسن بن أبي الحسن البصري ثم إلياس بن معاوية وعلى الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن بن يزيد بن الخطاب. وولى على المدينة عبد العزيز بن أرطاة وولى على خراسان الجراح بن عبد الله الحكمي. ثم عزل سنة مائة. وولى عبد الرحمن بن نعيم القرشي وولى على الجزيرة عمر بن هبيرة الفزاري، وعلى أفريقيا إسماعيل بن عبد الله مولى بني حمزوم وعلى الأندلس السمح بن مالك الخواربي.

ثم في سنة إحدى ومائة عزل إسماعيل عن أفريقيا وولاهما يزيد بن أبي مسلم كاتب الحاج، فلم يزل عليها إلى أن قتل. وفي سنة اثنين ومائة ول يزيد بن عبد الملك أخاه مسلمة على العراق وخراسان فولى على خراسان سعيد بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن أبي العاصي بن أمية ويقال له: سعيد خديبة. ثم استحيا من مسلمة في أمر الجراح فعزله وولى مكانه ابن يزيد بن هبيرة، فجعل على قضاة الكوفة القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، وعلى قضاة البصرة عبد الملك بن يعلى. وكان على مصر أسامة بن زيد، ولها بعد قرة بن شريك وولى ابن هبيرة على خراسان سعيداً الحرشي مكان حذيفة.

وفي سنة ثلاث ومائة جمع يزيد مكة والمدينة لعبد الرحمن بن الصحاح، وعزل عبد العزيز بن عبد الله بن خالد عن مكة وعن الطائف وولى مكانه عبد الواحد بن عبد الله البصري.

ثم ول عبد الملك سنة خمس وسبعين الحاجاج بن يوسف على العراق فقط، وولى على السند سعيد بن أسلم بن زرعة وقتل في حروبه، وكان أمراً للخارج. وفي سنة ست وسبعين ول على المدينة أبان بن عثمان وكان على قضاة الكوفة شريح. وعلى قضاة البصرة زرارة بن أبي أوفى بعد هشام بن هبيرة وعلى قضاة المدينة عبد الله بن قشير بن خرمدة. ثم كانت حروب الخارج كما ذكر في أخبارهم. وفي سنة ثمان وسبعين عزل عبد الملك أمية بن عبد الله عن خراسان وسجستان وضمها إلى الحاجاج بن يوسف، فبعث الحاجاج على خراسان المهلب بن أبي صفرة وعلى سجستان عبد الله بن أبي بكرة وولى على قضاة البصرة موسى بن أنس واستخلف شريح بن الحارث من القضاة بالකوفة فولى مكانه أبا بردة بن أبي موسى ثم ول على قضاة البصرة عبد الرحمن بن أذينة وخرج عبد الرحمن بن الأشعث فملك سجستان وكرمان وفارس والبصرة ثم قتل ورجعت إلى حملها، وذلك سنة إحدى وثمانين.

وفي سنة اثنين وثمانين مات المهلب بن أبي صفرة واستخلف ابنه يزيد على خراسان فألقى الحاجاج. وفي هذه السنة عزل عبد الملك أبان بن عثمان عن المدينة وولى مكانه هشام بن إسماعيل المخزومي فعزل هشام توفى بن مساحق عن القضاة وولى مكانه عمر بن خالد الزرقى. وبني الحاجاج مدينة واسط. وفي سنة خمس وثمانين عزل الحاجاج يزيد بن المهلب عن خراسان وولى مكانه هشام أخيه المنضل قليلاً ثم ول قتيبة بن مسلم وتوفي عبد الملك. وعزل الوليد لأول ولاته هشام بن إسماعيل عن المدينة وولى مكانه عمر بن عبد العزيز فولى على القضاة أبا بكر بن عمرو بن حزم وولى الحاجاج على البصرة الجراح بن عبد الله الحكمي وولى على قضايتها عبد الله بن أذينة وعلى قضاة الكوفة أبا بكر بن أبي موسى الأشعري.

وفي سنة تسع وثمانين ول الوليد على مكة خالد بن عبد الله التسري وكان على ثغر السند محمد بن القاسم بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل التقفي وهو ابن عم الحاجاج. ففتح السند وقتل ملكه، وكان على مصر عبد الله بن عبد الملك ولاه عليها أبوه قفل ملكها. فعزله الوليد في هذه السنة وولى مكانه قرة بن شريك، وعزل خالداً عن الحاجاج وولى عمر بن عبد العزيز.

وفي سنة إحدى وتسعين عزل الوليد عم محمد بن مروان عن الجزيرة وأرمينته وولى مكانه أخيه مسلمة بن عبد الملك وكان على طندة في قاصية المغرب طارق بن زياد عاملاً لولاه موسى بن نصیر عامل الوليد بالقيروان فأجاز البلاد والبحر إلى بلاد الأندلس

ابن عبد الرحمن السلمي عامل أفريقية، وغزا إفريقياً فاستشهد، فولى عبيدة مكانه عبد الملك بن قطن التهري وعزل عبيدة عن أفريقية وولى مكانه عبيد الله بن الحجاج، وكان على مصر فسار إليها.

وفي سنة أربع عشرة عزل هشام مسلمة عن أرمينية وولى مكانه مروان بن محمد بن مروان. وعزل إبراهيم بن هشام عن الحجاج وولى مكانه على المدينة خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم، وعلى مكة والطائف محمد بن هشام المخزومي. وفي سنة ست عشرة ومائة عزل هشام الجنيد بن عبد الرحمن المري عن خراسان وولى مكانه عاصم بن عبد الله بن يزيد الملالي. وفيها استعمل عبد الله بن الحجاج على الأندلس عقبة بن الحجاج القبيسي مكان عبد الملك بن قطن ففتح خليبيه. وفي سنة سبع عشرة ومائة عزل هشام عاصم بن عبد الله عن خراسان وولى مكانه خالد بن عبد الله القسري فاستخلف خالد أخيه أسدًا. وولى هشام على أفريقية والأندلس عبيد الله بن الحجاج وكان على مصر فسار عليها واستخلف على مصر ولده. وولى على الأندلس عقبة بن الحجاج وعلى طيبة ابنه إسماعيل وبعث حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع غازياً إلى المغرب، فبلغ السوس الأقصى وأرض السودان وفتح وغنم. وأغاره إلى صقلية سنة اثنين وعشرين ومائة ففتح أكثرها. ثم استدعاه لقتنه ميسرة كما ذكره في أخارهم.

وفي سنة ثمان عشرة عزل هشام عن المدينة خالد بن عبد الملك بن الحارث وولى مكانه محمد بن هشام بن إسماعيل. وفي سنة عشرين مات أسد بن عبد الله الخراساني وولى مكانه نصر بن سيار. وعزل هشام خالد القسري عن جميع أعماله بالعراقين وخراسان وولى مكانه يوسف بن عمر التقفي استقدمه إليها من ولاية اليمن، فأقر نصر بن سيار على خراسان، وكان على قضاء الكوفة ابن شيرمة وعلى قضاء البصرة عامر بن عبيدة. وولى يوسف بن عمر بن شيرمة على سجستان واستقضى مكانه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلي. وكان على قضاء البصرة إلیاس بن معاوية بن قرة فمات في هذه السنة. وفي سنة ثلاط وعشرين قتل كلثوم بن عياض الذي بعثه هشام لقتال البربر بالغرب. وتوفي عقبة بن الحجاج أمير الأندلس وقتيل: بل خلعوه، وولى مكانه عبد الملك بن قطن ولاته الثانية كما يذكر. وفي سنة أربع وعشرين ظهر أمر أبي مسلم خراسان. وتلقب بلخ على الأندلس ثم مات. وكان سار إليها من قل كلثوم بن عياض لما قتله البربر بالغرب. وولى هشام على الأندلس أبا الخططار حسام بن ضرار الكلي فامر

وفي سنة أربع ومائة ولي يزيد على أرمينية الجراح بن عبد الله الحكمي وعزل عبد الرحمن بن الصباح عن مكة والمدينة لثلاث سنين من ولاته، وولى عليهم مكانه عبد الواحد البصري وعزل ابن هبيرة سعيداً المحرشي عن خراسان وولى عليها مسلم بن سعيد بن أسلم بن رُزْعة الكلابي، وولى على قضاء الكوفة الحسين بن حسين الكندي.

ومات يزيد بن عبد الملك سنة خمس وولي هشام فعزل ابن هبيرة عن العراق وولي مكانه خالد بن عبد الله القسري، واستعمل خالد على خراسان أخيه أسدًا سنة سبع ومائة. وعزل مسلم بن سعيد وولى على البصرة عقبة بن عبد الأعلى، وعلى قضائهما ثامة بن عبد الله بن أنس. وولى على السند الجنيد بن عبد الرحمن. واستعمل هشام على الموصل الحر بن يوسف، وعزل عبد الواحد البصري عن الحجاز، وولي مكانه إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي، واستقضى بالمدينة محمد بن صفوان الجمحي، ثم عزله واستقضى الصلت الكندي. وعزل الجراح بن عبد الله عن أرمينية وأذربيجان وولي مكانه أخيه مسلمة، فولى عليها الحارث بن عمرو الطائي.

وكان على اليمين سنة ثمان يوسف بن عمر، وفي سنة تسع عزل خالد أخيه أسدًا عن خراسان وولي هشام عليها أشرس بن عبد الله السلمي، وأمره أن يكتب خالداً بعد أن كان خالداً ولي الحكم بن عوادة الكلبي مكان أخيه، فلم يقر فعزله هشام. ومات في سنة تسع عامل القبروان بشر بن صفوان، فولى هشام مكانه عبيدة بن عبد الرحمن بن الأغر السلمي فعزل عبيدة مجبي بن سلمة الكلبي عن الأندلس، واستعمل حلبيه بن الأخوص الأشجعي. ثم عزل لستة أشهر ووليهما عثمان بن أبي تسعه الخثعمي وفي سنة عشر ومائة جمع خالد الصلاة والأحداث والشرط والقضاء بالبصرة لبلال بن أبي بردة وعزل ثامة عن القضاء. وفي سنة إحدى عشرة عزل هشام عن خراسان أشرس بن عبد الله وولي مكانه الجنيد بن عبد الرحمن بن الحارث بن خارجة بن سنان بن أبي حارثة المري وولي على أرمينية الجراح بن عبد الله الحكمي وعزل مسلمة. وفيها عزل عبيدة بن عبد الرحمن عامل أفريقية وعثمان بن أبي تسعه عن الأندلس، وولي مكانه الهيثم بن عبيد الكندي.

وفي سنة اثنين عشرة قتل الجراح بن عبد الله صاحب أرمينية قتل التركمان، فولى هشام مكانه سعيداً المحرشي. ومات الهيثم عامل الأندلس وولوا على أنفسهم مكانه محمد بن عبد الله الأشجعي شهرین وبعده عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى من قبيل

هلال بن علية بعث معلق بن قيس فقتلهم. ثم أخرى ثلاثة كذلك، ثم أخرى على المدائن كذلك، ثم أخرى بشهر زور كذلك، وبعث شريح بن هانئ فهزمه فجرح واستلهمهم أجمعين، واستأمن من بقي فامنهم وكانتوا نحو خمسين.

وافترق شمل الخوارج ثم اجتمع من وجدهم الثلاثة الذين توعدوا لقتل علي ومعاوية وعمرو بن العاص، فقتل بالسيف عبد الرحمن بن ملجم علياً رضي الله عنه وباء يائمه وسلم الباقيون، ثم انفتقت الجماعة على بيعة معاوية سنة إحدى وأربعين واستقلت معاوية بخلافة الإسلام. وقد كان فروة بن نوفل الأشجاعي اعتزل علياً والحسن وزرل شهر زور وهو في خمسة من الخوارج. فلما بويح معاوية قال فروة لأصحابه: قد جاء الحق فجاهدوا وأقبلوا فنزلوا النخلية عند الكوفة فاستنصر معاوية أهل الكوفة فخرجوا لقتالهم، وسألوا أهل الكوفة أن يثروا بينهم وبين معاوية فأبوا فاجتمعت أشجاع على فروة فرعنوه فلم يرجع فأخذوه قهراً وأدخلوه الكوفة. واستعمل الخوارج بعده عبد الله بن أبي الحريشي من طبي. وقاتلوا أهل الكوفة فقاتلوا وابن أبي الحريشي منهم.

ثم اجتمعوا بعده على حوثة بن وداع الأسدي وقدموا إلى النخلية في مائة وخمسين ومعهم فل بن أبي الحريشي. وبعث معاوية إلى حوثة أباه ليبرده عن شأنه فابى، بعث إليه عبد الله بن عوف في معسكر قته وقتل أصحابه إلا خمسين دخلوا الكوفة وتفرقوا فيها، وذلك في جادى الأشيرة سنة إحدى وأربعين. وسار معاوية إلى الشام وخلف المغيرة بن شعبة فعاد فروة بن نوفل الأشجاعي إلى الخروج. بعث إليه المغيرة خيلاً عليهما ابن ريعي ويقال: معلق بن قيس فلقيه بشهر زور فقتله. ثم بعث المغيرة إلى شبيب بن أبيه من قتل، وكان من أصحاب ابن ملجم وهو الذي أتى معاوية يبشره بقتل علي فخافه على نفسه وأمر بقتله. فتذكر بنواحي الكوفة إلى أن بعث المغيرة من قتله.

ثم بلغ المغيرة أن بعضهم يريد الخروج وذكر له معن بن عبد الله الحاربي فحبسه ثم طالبه باليمة لمعاوية فابى فقتله. ثم خرج على المغيرة أبو مريم مولى بنى الحارث بن كعب فاخرج معه النساء، بعث المغيرة من قتلته وأصابه. ثم حكم أبو ليلى في المسجد بمشهد الناس وخرج فياثنين من الموالى فاتبعه المغيرة معلق بن قيس الرياحي فقتله بسور الكوفة اثنين وأربعين. ثم خرج على ابن عامر في البصرة سهم بن غانم الجوني في سبعين رجلاً منهم الخطيب وهو يزيد بن حمال الباهلي، ونزلوا بين الجسرتين والبصرة. ومر بهم بعض الصحابة مقلباً من التزو فقتلوا وقتلوا

حنظلة بن صفوان أن يوليه فسلاه. وكان ثعلبة بن خزامة بن سلامة الجراحي قد ولوه بعد بلخ فعزله أبو الخطاط.

وفي هذه السنة ولـي الوليد بن يزيد خالد بن يوسف بن محمد بن يوسف الثقفي على الحجاز فأسره. ثم قتل الوليد سنة ست وعشرين فعزل يزيد عن العراق يوسف بن عمر وولـي مكانه منصور بن جمهور، بعث عامله على خراسان فامتنع نصر بن سيار من تسليم العمل له. ثم عزل يزيد منصور بن جمهور وولـي مكانه على العراق عبد الله بن عمر بن عبد العزيز، وغلب حنظلة على أفريقية عبد الرحمن بن حبيب كما يذكر في خبرها. وعزل يزيد عن المدينة يوسف بن يوسف، وولـي مكانه عبد العزيز بن عمر بن عثمان، وغلب سنة سبع وعشرين عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر على الكوفة، وولـي مرwan على الحجاز عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز، وعلى العراق التضر بن سعيد الحرشي. وامتنع ابن عمر من استلام العمل إليه ووقع الفتنة بينهم. ولحق ابن عمر بالخوارج كما يذكر في أخبارهم. واستولى بنو العباس على العباس.

وفي سنة تسع وعشرين ولـي يوسف بن عبد الرحمن الفهري على الأندلس بعد نؤاية بن سلامة كما يأتي في أخبارهم.. وولـي مرwan على الحجاز عبد الواحد.... وعلى العراق يزيد بن عمر بن هبيرة. وفي سنة ثلاثين ملك أبو مسلم خراسان و Herb عنها نصر بن سيار فمات بنواحي همدان سنة إحدى وثلاثين. وجاء المسودة وعليهم قحطبة فطلبوا ابن هبيرة على العراق وملكته وبايعوا خليتهم أبا العباس السفاح. ثم غلـبوا مرwan على الشام ومصر وقتلوا. وانقرض أمر بني أمية وعاد الأمر والخلافة لبني العباس. والملك لله يؤتـيه من يشاء من عباده. وهذه أخبار بني أمية ملخصة. من كتاب أبـي جعفر الطبرـي. ولنرجع إلى أخبار الخوارج كما شرطنا في أخبارها بالذكر، والله المعين لا ربـ غيره.

## الخبر عن الخوارج وذكر أوليائهم وتذكر خروجهم في الملة الإسلامية

قد تقدم لنا خبر الحكمـين في حرب صفين واعتـزلـ الخوارج عليـاً منـكـرين للتحـكـيمـ مـكـفـرـينـ بـهـ ولاـطـفـهـمـ فـيـ الرـجـوعـ عـنـ ذـلـكـ وـنـاظـرـهـمـ فـيـ بـوـجهـ الـحـقـ فـلـجـوـاـ وـأـبـواـ إـلـاـ الـحـرـبـ. وـجـلـلـواـ شـعـارـهـ النـداءـ بـلـاـ حـكـمـ إـلـاـ اللـهـ. وـبـاـيـعـواـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ وـهـبـ الرـاسـيـ وـقـاتـلـهـ عـلـيـ بـالـتـهـرـوـانـ فـاسـتـلـهـمـهـ أـجـعـينـ ثـمـ خـرـجـ مـنـ فـلـهـ طـافـهـ بـالـأـبـارـ فـبـعـثـ إـلـيـهـمـ مـنـ اـسـتـلـهـمـهـ. ثـمـ طـرـيـفـةـ أـخـرىـ مـعـ

ابنه وابن أخيه، وقالوا: هؤلاء كثرة، وخرج اليهم ابن عامر فقتل منهم عدة وأمن باقيهم.

الخوارج قتلواهم ولم ينج منهم إلا خمسة أو ستة. وعند ابن الكلبي أن المستورد من تيم من بي زياح. خرج بالبصرة أيام زياد قرب الأزدي ورجاف الطائي ابنا الحالة، وعلى البصرة سمرة بن جندب وقتلوا بعض بنى ضبة فخرج عليهم شبان من بنى علي وبني راسب فرمومهم بالليل، وقتل قرب وجاء عبد الله بن أوس الطائي برأسه وأشتد زياد في أمر الخوارج وسمروا وقتلوا منهم خلقاً. ثم خرج سنة الثنتين وخمسين على زياد بن حراش العجلاني في ثلاثة أيام بالسوداد ببعثة إليهم زياد سعد بن حذيفة في خيل قاتلواهم، وخرج أيضاً أصحاب المستورد حيان بن طيبان ومعاذ من طيء بعثة إليهم من قاتلهم وأصحابهما. وقبل: بل استأمنوا واقتروا.

ثم اجتمع بالبصرة سنة ثمان وخمسين سبعون رجلاً من الخوارج من عبد القيس وباعوها طواف بن..... على أن يفتوكوا بابن زياد، وكان سبب ذلك أن ابن زياد حبس جماعة من الخوارج بالبصرة وحملهم على قتل بعضهم بعضاً وخلق سبل القاتلين ففعلوا وأطلقهم، وكان منهم طواف. ثم ندموا وعرضوا على أولياء المقتولين القود والدية فأبوا، واقتاعهم بعض علماء الخوارج بالجهاد لقوله تعالى: «ثُمَّ إِنْ رَبَكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فَتَنْتُمُوهُمْ أَلَيْهِمْ» الآية، فاجتمعوا للخروج كما قلنا. وسعى بهم إلى ابن زياد فاستجعلوا الخروج وقتلوا رجالاً ومضوا إلى الجلحاء كما قلنا، فندب ابن زياد الشرط والمماربة فقاتلواهم، فأنهزم الشرط أولًا ثم كرهم الناس فقتلوا عن آخرهم. وأشتد ابن زياد على الخوارج وقتل منهم جماعة كبيرة منهم: عروة بن أمية أخو مردارس وأدية أحدهما وأبيوهما جيرير بن تيم.

وكان وقف على ابن زياد يوماً يعظه فقال: أئتون بكل ربع آية؟ تعثرون الآيات. فظن ابن زياد أن معه غيره فأخذته وقطعه وقتل ابنيه. وكان آخوه مردارس من عظامتهم وعبادهم ومن شهد الهروان بالاستعراض. ويحرم خروج النساء ولا يرى بقتل من لا يقاتله. وكانت امرأته من العابدات من بنى بريوط وأخذها ابن زياد قطعها. وألح ابن زياد في طلب الخوارج وقتلهم وخلق سبيل مردارس من بينهم لما وصف له من عبادته، ثم خاف فخرج إلى الأهواز. وكان يأخذ مال المسلمين إذا مرت به فيعطي منه أصحابه ويرد الباقى.

وبعث ابن زياد إليهم أسلم بن زرعة الكلابي في الفي رجل ودعاه إلى معاودة الجماعة فأبوا وقاتلواهم فهزموا أسلم وأصحابه. فسرح إليهم ابن زياد عباد بن علقة المازني. ولحقهم بترجم وهم يصلون قاتلهم أجمعين ما بين راكع وساجد لم يتغيروا

ولما أتى زياد البصرة سنة خمس وأربعين هرب منهم الحظيم إلى الأهواز وجمع ورجع إلى البصرة فافتقر عنه أصحابه فاختفى وطلب الأمان من زياد فلم يؤمه ثم دل عليه فقتله وصلبه بداره. وقبل: بل قتله عبد الله بعد زياد سنة أربع وخمسين.

ثم اجتمع الخوارج بالكونفة على المستورد بن عقلة التميمي من تيم الرباب وعلى حيان بن ظبيان السلمي وعلى معاذ بن جريرا الطائي. وكلهم من فل النهروان الذين ارعنوا في القتلى ودخلوا الكوفة بعد مقتل علي واجتمعوا في أربعينات في منزل حيان بن ظبيان وتشاوروا في الخروج، وتدافعوا الإماراة. ثم اتفقوا على المستورد وباعيه في جادى الأخيرة، وكسبهم المغيرة في متزلهم فسجن حيان وأفلت المستورد فنزل الحيرة واختلف إليه الخوارج. وبلغ المغيرة خبرهم فخطب الناس وتهدى الخوارج فقام إليه مقتل بن قيس فقال: ليكفك كل رئيس قومه.

وجاء صعصعة بن صوحان إلى عبد القيس وكان على متزلهم عند سليم بن مخدوج العبدى إلا أنه لا يسلم عشيرته، فخرجوها ولحقوا بالصراة في ثلاثة أيام فجهز إليهم مقتل بن قيس في ثلاثة آلاف وجعل معظمهم من شيعة علي، وخرج مقتل في الشيعة وجاء الخوارج ليعبروا النهر إلى المدائن فعندهم عاملها سمال بن عبد العباس ودعاهم إلى الطاعة على الأمان فأبوا فساروا إلى المزار. وبلغ ابن عامر بالبصرة خبرهم فبعث شريك بن الأعور الحارثي في ثلاثة آلاف من الشيعة وجاء مقتل بن قيس إلى المدائن وقد ساروا إلى المزار، فقدم بين يديه أبا الرواع الشاكري في ثلاثة، وسار ولحقهم أبو الرواع بالمدار قاتلهم.

ثم لحقه مقتل بن قيس متقدماً أصحابه عند المساء فحملت الخوارج عليه فثبت وباتوا على تعية، وجاء الخبر إلى الخوارج بنهاض شريك بن الأعور من البصرة فأسروا من ليلتهم راجعين. وأصبح مقتل واجتمع بشريك وبعث أبا الرواع في أتباعهم في ستمائة فللحقهم بجرجان فقاتلهم فهزموهم إلى سباط وهو في اتباعهم. ورأى المستورد أن هؤلاء مع أبي الرواع حماة أصحاب مقتل فتسرب عنهم إلى مقتل وأبو الرواع في اتباعه. ولما لحق بمقتل قاتلهم قاتلاً وأدركهم أبو الرواع بعد أن لقي كثيراً من أصحاب مقتل منهزمين فردهم واقتلوه قتالاً شديداً، وقتل المستورد مقتلاً طمعه بالرمح فائفنة وتقى مقتل والرمح فيه إلى المستورد فقسم دماغه بالسيف وما تأدى جيغاً. وأخذ الرأبة عمر بن محزز بن شهاب التميمي بعهد مقتل بذلك. ثم حل الناس على

الإباضية أشد على العقدة منهم.

وربما اختلف هذه الآراء من بعد ذلك وانختلف في تسمية الصفرية فقيل نسبوا إلى ابن صفار وقيل: أصفروا بما نهكهم العبادة. وكانت الخوارج من قبل هذا الافتراق على رأي واحد لا يختلفون إلا في الشاذ من الفروع. وفي أصل اختلافهم هذا مكابيات بين نافع بن الأزرق وأبي يهس عبد الله بن إياض ذكرها البرد في كتاب الكامل فلينظر هناك.

ولما جاء نافع إلى نواحي البصرة سنة أربعين وستين فاتَّام بالأهواز يعرض الناس وكان على البصرة عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، فسرح إليه مسلم عيسى بن كوزيز بن ربيعة من أهل البصرة بإشارة الأخفف بن قيس، فدافنه عن نواحي البصرة وقاتلته بالأهواز، وعلى ميمونة مسلم الحاجاج بن باب المميري، وعلى ميسيرته حارثة بن بدر الغذاني، وعلى ميمونة ابن الأزرق عبيدة بن هلال وعلى ميسيرته الزبير بن الماخور التميمي. فقتل مسلم ثم قتل نافع وأمر أهل البصرة عليهم الحاجاج بن باب والخوارج عبد الله بن الماخور ثم قتل الحاجاج، وبعد الله فأمر أهل البصرة ربيعة بن الأخرم والخوارج عبد الله بن الماخور. ثم اقتلوا حتى أنسوا، وجاء إلى الخوارج مدد فحملوا على أهل البصرة فهزموهم. وقتل ربيعة وولوا مكانه حارثة بن بدر فقاتل وردهم على الأعقاب ونزل الأهواز.

ثم عزل عن البصرة عبد الله بن الحارث وبعث ابن الزبير عليها الحارث القباع بن أبي ربيعة فزحف الخوارج إلى البصرة، وأشار الأخفف بن قيس بتوسيع المهلب حربوهم، وقد كان ابن الزبير ولاه خراسان، فكتبوا لابن الزبير بذلك فأجاب، واشتراكوا للمسلم ما سأل من ولاية ما غالب عليه، والإعانته بالأموال، فاختار من الجندي إبني عشر الفاً وسار بهم فدفعهم عن الجسر. وجاء حارثة بن بدر من كان معه في قتال الخوارج، فردهم الحارث إلى المهلب. وركب حارثة البحر يريد البصرة ففرق في النهر. وسار المهلب وعلى مقدمته ابن المغيرة فقاتلتهم قتدمه ودفعوهم عن سوق الأهواز إلى مادر. ونزل المهلب بسولاف وقاتلته الخوارج وصدقوا الحملة فكشفوا أصحاب المهلب. ثم ترك من الغد قاتلهم وقطع دُجِيل ونزل العُقْيل ثم ارتحل فنزل قريباً منهم وختنق عليه وأذكى العيون والحرس.

وجاء منهم عبيدة بن هلال والزبير بن الماخور في بعض الليل ليبيتوا عسكر المهلب فوجدوهم حذرين. وخرج إليهم المهلب من الغد في تعيبة والأرد وتميم في ميمنته، وبكر وعبد القيس في ميسيرته، وأهل العالية في القلب. وعلى ميمونة الخوارج

عن حالم. ورجع إلى البصرة برأس أبي بلال مرداد فرصده عبيدة بن هلال في ثلاثة نفر عند قصر الإمارة ليستقيمه قاتلوه واجتمع عليهم الناس فقتلوا منهم. وكان على البصرة عبد الله بن أبي بكرة فأمره زياد بتبع الخوارج إلى أن تقدم فحبسهم، وأخذ الكفلا على بعضهم وأتى بعروة بن أبي دية فقال: أنا كفيلك وأطلقه.

ولما جاء ابن زياد قتل المحبسين منهم والمكتفولين، وطالب ابن أبي بكرة بعروة بن أبي دية فبحث عنه حتى ظفر به وجاء به إلى ابن زياد فقطعه وصلبه سنة ثمان وخمسين. ثم مات يزيد واستنطح أمر ابن الزبير بمنطقة وكان الخوارج لما اشتد عليهم ابن زياد بعد قتل أبي بلال مرداد أشار عليهم نافع بن الأزرق منهم باللحاق بابن الزبير لجهاد عساكر يزيد لما ساروا إليه قالوا: وإن لم يكن على رأينا داحضاً عن البيت وقاموا يقاتلون معه فلما مات يزيد وانصرفت العساكر كشفوا عن رأي ابن الزبير فيهم وجاؤوه يرمون من عثمان ويتركون منه فصرح بمخالفتهم. وقال بعد خطبة طويلة أنت فيها على الشيدين وعلى عثمان واعتذر عنه فيما يزعمون، وقال: أشهدكم ومن حضرني أني ولِي لابن عثمان وعدو لأعدائه قالوا: فبرئ الله منك! قال: بل برأ الله منكم! فاقتروا عنه.

وأقبل نافع بن الأزرق الحنظلي وعبد الله بن صفار السعدي وعبد الله بن إياض، ومحظلة بن يهس وبنو الماخور: عبد الله وعيبد الله والزبير من بنى سليمان بن بريء وكلهم من تميم، حتى أتوا البصرة. وانطلق أبو طالوت عن بنى بكر بن وائل وأبوبكر فديك عبد الله بن نور بن قيس بن ثعلبة بن الأسود اليشكري إلى الإمامة فوثبوا بها مع أبي طالوت. ثم تركوه ومصالوا عنه إلى خجدة بن عامر الحنفي.

ومن هنا افترقت الخوارج على أربع فرق: الأزارقة أصحاب حارثة بن الأزرق الحنفي وكان رأيه البراءة من سائر المسلمين وكفارهم والاستعراض وقتل الأطفال واستحلال الأمانة لأنها يراهم كفاراً. والفرقـة الثانية: التجدية وهي مختلف الأزارقة في ذلك كله. والفرقـة الثالثة: الإباضية أصحاب عبد الله بن إياض الري وهم يرون أن المسلمين كلهم يحكم لهم حكم المخالفين فلا يتهمون إلى الرأي الأول ولا يقسوون عند الثاني ولا يجرمون مناكحة المسلمين ولا مواريثتهم ولا مخالفين فهم وهم عندـهم كالرافدين، وقول هؤلاء أقرب إلى السنة. ومن هؤلاء البيهـية أصحاب أبي يهـس هـيـصـمـ بن جـابرـ الضـبـيعـيـ. والفرقـة الرابـعةـ: الصـفـرـيةـ وـهمـ موافقـونـ للـإـبـاضـيةـ إـلـاـ فيـ العـقـدـةـ فـلـانـ

وأصاب بنتاً عبد الله بن عمر بن عثمان فضمها إليه، وامتحنه الخوارج بسؤاله يبعها فقال: قد أعتقت نصبي منها. قالوا: فزوجها، قال: هي أمليك بنفسها، وقد كرهت الزواج، ولما قرب من الطائف جاءه عاصم بن عروة بن مسعود فباعه عن قومه ولد عليهم الخازق وعلى بيانة والسراء. ولد على ما يلي نهران سعد الطلاع، ورجع إلى البحرين وقطع الميرة عن الحرمين. وكتب إلى ابن عباس أو ثامة بن أثال لما أسلم قطع الميرة عن مكة وهم مشركون، فكتب إليه رسول الله ﷺ: أن أهل مكة أهل الله فلا تمنعهم الميرة فخلالها لهم، وأنك قطعت الميرة ونحن مسلمون فخلالها لهم خدبة.

ثم اختلف إليه أصحابه لأن أبا سنان حبي بن وائل أشار عليه بقتل من أطاعه تقية، فانتهت نجدته وقال: إنما علينا أن نحكم بالظاهر، وأغضبه عطية في منازعة جرت بينهما على تفضيله لسرية البر على سرية البحر في الغنيمة فشتمه نجدته فغضب. وسأله في درء الخد في الخمر عن رجل من شجاعتهم فأبا، وكاتبه عبد الملك في الطاعة على أن يوليه اليمامة ويهدر لهم ما أصاب من الدماء. فاتهموه في هذه المكابنة ونفروا عليهم أمثال هذه، وفارقه عطية إلى عمان، ثم أخازوا عنه ولو لوا أمرهم أبا فديك عبد الله بن ثور أحد بنى قيس بن ثعلبة. واستخفى خدبة والي أبو فديك في طلبه وكان مستخفياً في قرية من قرى حجر. ثم نذر به فذهب إلى آخراله من ثيم وأجمع المسير إلى عبد الملك، فعلم به أبو فديك، وجاءت سرية منهم وقاتلهم فقتلوه. وسخط قتله جماعة من أصحاب أبي فديك وأعتمده مسلم بن جابر فطعنه إثنى عشرة طعنـة وقتل مسلم لوquette، وحمل أبو فديك إلى منزله.

ثم جاء مصعب إلى البصرة سنة ثمان وستين واليأ على المراقين عن أخيه، وكان المهلب في حرب الأزارقة فاراد مصعب أن يوليه بلاد الموصل والجزيرة وأربمنية، ليكون بينه وبين عبد الملك. فاستقدمه من فارس وولا، ولد على فارس وحرب الأزارقة عمر بن عبد الله بن معمر. وكان الخوارج قد ولوا عليهم بعد قتل عبد الله بن المخارق سنة خمس وستين أخاه الزبير فجاؤوا به إلى إصطخر، وقدم عمر ابنه عبد الله إليهم فقتلوه ثم قاتل الزبير عمر فهزمه وقتل منهم سبعون. وفلق قطري بن الفجاءة وشتر صالح بن خراق وساروا إلى نيسابور، فقاتلهم عمر بها وهزمهم، فقصدوا أصحابه بها. ثم أقبلوا إلى فارس ونجباوا عسكر عمر ومورا على ساجور ثم أرجان، فأتوا الأهواز قاصدين العراق. وأخذ عمر السير في أثرهم، وعسكر مصعب عند الجسر. فسار الزبير والخوارج فقطع أرض صرصر وشن الغارة

عيادة بن هلال اليشكري، وعلى ميسرتهم الزبير بن المخارق واقتلاوا ونزل الصبر. ثم شدوا على الناس فأجفل عسكر المهلب وانهزم وبسب المهزمين إلى كرمان ونادي فيهم فاجتمع له ثلاثة آلاف أكثرهم من الأزد، فرجع بهم وقصد عسكر الخوارج وأشتاد قاتلهم ورمومهم بالحجارة، وقتل عبد الله بن المخارق وكثير منهم وانكروا راجعين إلى كرمان وناحية أصحابه منهزمين، واستخلفوا عليهم الزبير بن المخارق وأقام المهلب بمكانه حتى جاء مصعب بن الزبير أميراً على البصرة وعزل المهلب.

وأما نجددة وهو نجدة بن عامر بن عبد الله بن سيار بن مفرج الحنفي وكان مع نافع بن الأزرق. فلما افترقا سار إلى اليمامة ودعا أبو طالوت إلى نفسه، وهو من بكر بن وائل وتابعه نجددة ونهب الحصارم بلدبني حيفة وكان فيها رقيق كثير ينادرز أربعة آلاف فقسمها في أصحابه، وذلك سنة خمس وستين. واعتراض عيراً من البحرين جاءت لابن الزبير فأخذتها وجاء بها إلى أبي طالوت فقسمها بين أصحابه. ثم رأى الخوارج أن نجددة خير لهم من أبي طالوت فخالقوه وبايعوا نجددة. وسار إلىبني كعب بن ربيعة فهزهم وأثخن فيهم، ورجع نجددة إلى اليمامة في ثلاثة آلاف، ثم سار إلى البحرين سنة سبع وستين فاجتمع أهل البحرين من عبد القيس وغيرهم على محاربته. وسالته الأزد والتقدوا بالعطيف فانهزمت عبد القيس وأثخن فيهم نجددة وأصحابه وأرسل سرية إلى الخط فظفروا بأهله. ولما قدم مصعب بن الزبير البصرة سنة تسع وستين بعث عبد الله بن عمر الليثي الأعور في عشرين ألفاً ونجدة بالعطيف فقاتلتهم وهزمهم نجددة وغنمت ما في عسكرهم. وبعث عطية بن الأسود الحنفي من الخوارج إلى عمان وبها عباد بن عبد الله شيخ كبير فقاتلته عطية فقتله وأقام أشهراً وسار عنها. واستخلف عليها بعض الخوارج فقتله أهل عمان ولو لوا عليهم سعيداً وسلاماً ابن عباد.

ثم خالق عطية نجددة وجاء إلى عمان فامتنعت منه، فركب البحر إلى كرمان وأرسل إليه المهلب جيشاً فهرب إلى سجستان ثم إلى السندي فقتله خيل المهلب بقندabil. ثم بعث نجددة المعرفين إلى البوادي بعد هزيمة ابن عمير فقاتلوا بني قيم بكاظمة وأعانهم أهل طربيل بفتح نجددة من استباحهم وأخذ منهم الصدقة كرهـا. ثم سار إلى صنعاء فبايعوه وأخذ الصدقة من خالقيها. ثم بعث أبا فديك إلى حضرموت فأخذ الصدقة منهم. وحج سنة ثمان وستين في تسمعاته رجل وقيل: في الفين، ووقف ناحية عن ابن الزبير على صلح عقد بينهما.

ثم سار نجددة إلى المدينة وتأهبا لقتاله، فرجع إلى الطائف

ووَقَعَتِ الْفَتَّةُ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ وَخَرَجَ بِنَاوِحِيَ الْمَدَائِنِ، وَلَمْ يَعْتَرِضْ لِلْقَتْلِ وَلَا لِلْمَالِ، إِنَّمَا كَانَ يَأْخُذُ مَالَ السُّلْطَانِ مَتَى لَقِيهِ فَيَأْخُذُ مِنْهُ عَطَاءَهُ وَعَطَاءَ أَصْحَابِهِ وَرِيدَ الْبَاقِي وَيَأْخُذُ لِصَاحِبِ الْمَالِ مَا أَخَذَ.

وَجَسَّ الْمُخْتَارُ امْرَأَهُ بِالْكُوفَةِ وَجَاءَ فَأَخْرَجَهَا مِنَ الْجَبَسِ وَأَخْرَجَ كُلَّ مِنْ فِيهِ. وَأَرَادَ الْمُخْتَارُ أَنْ يَسْطُرَ بِهِ فَمَنَعَهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَشْتَرِ إِلَى الْمُوَسْلِمِ لِتَقْتَلَ ابْنَ زِيَادَ. ثُمَّ فَارَقَهُ وَلَمْ يَشْهُدْ مَعَهُ وَشَهَدَ مَعَهُ مَصْبَعُ قَاتَلَ الْمُخْتَارَ وَقَتْلَهُ. ثُمَّ أَغْرَى بِهِ مَصْبَعُ فَحْسِبِهِ وَشَفَعَ فِيهِ رُجَالٌ مِنْ وِجُوهِ مَذْحِجٍ فَشَفَعُوهُمْ وَأَطْلَقُوهُمْ، وَأَتَى إِلَيْهِ النَّاسُ يَهْزِمُونَهُ فَصَرَحَ بِأَنَّ أَحَدًا لَا يَسْتَحْتَقُ بَعْدَ الْأَرْبَعَةِ وَلَا يَجِدُ أَنْ يَعْقُدَ لَهُمْ بَيْعَةً فِي أَعْنَاقِهِ، فَلَيْسَ لَهُمْ عَلَيْنَا مِنَ الْفَضْلِ مَا يَسْتَحْتَقُونَ بِهِ ذَلِكَ، وَكَلَّمُهُ عَاصِنُ الْمَخَافَ، قَوَى الْدُّنْيَا ضَعِيفُ الْآخِرَةِ، وَخَنَّ أَصْحَابُ الْأَيَّامِ مَعَ فَارِسٍ، ثُمَّ لَا يَعْرِفُ حَقَّنَا وَفَضَلَّنَا وَإِنِّي قَدْ أَظْهَرْتُ لَهُمُ الْمَعَاوِةَ.

وَخَرَجَ لِلْحَرْبِ فَاغْتَارَ فَبَعْثَتْ إِلَيْهِ مَصْبَعُ سَيْفِ بْنِ هَانَى الْمَرَادِي يَعْرِضُ عَلَيْهِ الطَّاعَةَ عَلَى أَنْ يَعْطِيهِ قَطْعَةً مِنْ بِلَادِ فَارِسٍ فَلَيَّ، فَسَرَحَ إِلَيْهِ الْأَبْرَدُ بْنُ فَرُوعَ الْرِّبَاحِيِّ فِي عَسْكَرِ فَهْزَمَهُ عَبِيدُ اللَّهِ فَبَعْثَتْ إِلَيْهِ حَرِيثُ بْنُ زِيدٍ فَهَزَمَهُ فَقَتَلَهُ، فَبَعْثَتْ إِلَيْهِ الْحَجَاجُ بْنُ حَارَثَةَ الْخَثَمِيِّ وَمُسْلِمَ بْنَ عُمَرَ فَقَاتَلُوهُمَا بِنَهْرِ صَرَصَرِ وَهَزَمُوهُمَا، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ مَصْبَعُ الْأَمَانِ وَالْوَلَايَةِ فَلَمْ يَقْبِلْ، وَأَتَى إِلَى فَارِسٍ فَهَرَبَ دَهْقَانُهَا بِالْمَالِ وَتَبَعَهُ ابْنُ الْحَرْ بِإِعْنَاقِ التَّمَرِ وَعَلَيْهِ بَسْطَامُ بْنُ مَعْلَقَةِ بْنِ هَبِيرَةِ الشَّيْبَانِيِّ فَقَاتَلَ عَبِيدَ اللَّهِ وَوَافَاهُ الْحَجَاجُ بْنُ حَارَثَةَ فَهَزَمُوهُمَا عَبِيدَ اللَّهِ وَأَسْرَهُمَا وَأَخَذَ الْمَالَ الَّذِي مَعَ الدَّهْقَانِ.

وَأَقَامَ بِتَكْرِيتٍ لِيَجِيءُ الْخَرَاجُ فَسَرَحَ مَصْبَعُ لِقَاتَالِ الْأَبْرَدِ بْنِ فَرُوعَ الْرِّبَاحِيِّ وَالْبَيْلُونِ بْنِ كَعْبِ الْمَدَائِنِ فِي الْفَ وَأَمْدَهُمُ الْمَهْلَبُ بِيزِيدَ بْنِ الْمَعْلَلِ فِي خَسْمَةٍ وَقَاتَلُوهُمْ عَبِيدُ اللَّهِ يَوْمَينِ فِي ثَلَاثَةِ ثَمَنٍ ثُمَّ تَحَاجَزُوا وَقَالُوا لِأَصْحَابِهِ: إِنِّي سَائِرٌ بِكُمْ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ فَتَجَهَّزُوا! ثُمَّ قَالَ: إِنِّي خَافَتْ أَنْ أَمُوتُ وَلَمْ أَذْعُرْ مَصْبَعًا وَقَدْ أَكَوْفَهُ وَجَاءَتِهِ الْعَاصِكَرُ مِنْ كُلِّ جَهَةٍ، وَلَمْ يَزُلْ يَهْزِمُهُمْ وَيَقْتُلْهُمْ بِنَاوِحِيَ الْمَدَائِنِ. وَأَقَامَ يَغْرِي بِالسَّوَادِ وَيَجِيءُ الْخَرَاجُ. ثُمَّ لَحِقَ بِعِدَ الْمَلِكِ فَاكِرُهُمْ وَأَجْلَسَهُمْ عَلَى سَرِيرَهُ، وَأَطْعَاهُمْ مَائَةَ الْفِ درَهمٍ وَقَسَمَ فِي أَصْحَابِهِ الْأَعْطِيَاتِ وَسَالَ مِنْ عَبْدِ الْمَلِكِ أَنْ يَرْجِهِ مَعْهُ عَسْكَرًا لِقَاتَالِ مَصْبَعٍ فَقَالَ: سُرْ بِأَصْحَابِكَ وَادْعُ مِنْ قَدْرَتِكَ عَلَيْهِ وَإِنَّا مَدْكُ بِالرِّجَالِ. فَسَارَ خَرُو الْكُوفَةِ وَنَزَلَ بِنَاحِيَةِ الْأَبَارِ وَإِذْنِ لِأَصْحَابِهِ فِي إِيَّانِ الْكُوفَةِ لِيَخْرُو أَصْحَابَهِ بِقَدْمَوْهُ. وَيَعْثَثُ الْحَارَثُ بْنُ أَبِي رَيْبَعَةِ إِلَيْهِ جِيشًا كَيْفِيَا فَقَاتَلُوهُمْ وَتَفَرَّقَ عَنْهُ أَصْحَابُهِ وَأَثْخَنَهُ الْجَرَاجُ فَخَاضَ الْبَحْرَ إِلَى سَفِينَةِ فَرِكِبَهَا حَتَّى تَوَسَّطَ الْفَرَاتَ

عَلَى أَهْلِ الْمَدَائِنِ يَقْتَلُونَ الْوَالَدَانِ وَالرِّجَالِ، وَيَقْرُونَ بِطُونَ الْجَبَلِ. وَهَرَبَ صَاحِبُ الْمَدَائِنِ عَنْهَا وَانْتَهَتْ جَمَاعَةُ مَنْهُ إِلَى الْكَرْخِ، فَقَاتَلُوهُمْ أَبُو بَكْرُ بْنُ مُخْنَفٍ لِفَقْتَلَوْهُ وَخَرَجَ أَبِيرُ الْكَرْفَةِ وَهُوَ الْحَارَثُ بْنُ أَبِي رَيْبَعَةِ الْقَبَاعِ حَتَّى اتَّهَى إِلَى الصَّرَاطِ وَمَعَهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَشْتَرِ وَشَبَّيبُ بْنِ رَعِيَّ، وَأَسْمَاءُ بْنُ خَارِجَةِ وَبِيزِيدَ بْنِ الْحَارَثِ وَمُحَمَّدَ بْنِ عَمِيرٍ، وَأَشَارُوا عَلَيْهِ بِعَقْدِ الْجَسَرِ وَالْعَبْرِ إِلَيْهِمْ فَانْهَزَمُوا إِلَى الْمَدَائِنِ. وَأَمَرَ الْحَارَثُ عَبْدَ الرَّحْمَنَ بْنَ مُخْنَفٍ بِأَبَاتِعِهِمْ فِي سَتَةِ آلَافٍ إِلَى حَدُودِ أَرْضِ الْكَوْفَةِ، فَانْتَهَوْهُمْ إِلَى الرَّيِّ وَعَلَيْهَا بِيزِيدَ بْنِ الْحَارَثِ بْنِ دَوِيمِ الشَّيْبَانِيِّ وَمَا وَالْأَهْمَلْ عَلَيْهِ أَهْلِ الرَّيِّ فَهَزَمُوهُ وَقَتَلُوهُ. ثُمَّ اخْطَرُوا إِلَى أَصْبَهَانَ وَبِهَا عَتَابُ بْنُ وَرْقَاءِ فَحَاصِرُوهُ أَشْهَرًا وَكَانَ يَقْاتَلُهُمْ عَلَى بَابِ الْمَدِينَةِ.

ثُمَّ دَعَا إِلَى الْإِسْتِمَانَةِ فِي قَسَالِهِمْ فَخَرَجُوا وَقَاتَلُوهُمْ وَانْهَزَمَتِ الْخَوَارِجُ وَقَتَلَ الزَّبِيرُ وَانْتَهَوا عَلَى مَعْسُكَرِهِمْ. ثُمَّ بَاعَ الْخَوَارِجَ قَطْرِيَّ بْنَ الْفَجَاءَةِ الْمَازَنِيِّ وَيَكْنَى إِبَا نَعَمَةَ وَارْتَحَلَ بِهِمْ إِلَى كَرْمَانَ حَتَّى اسْتَجَمَعُوا فَرَجَعُوا إِلَى أَصْبَهَانَ فَأَمْتَعَتْهُمْ فَسَانَوا الْأَهْوَازَ وَقَامُوا، وَبَعْثَتْ مَصْبَعُ الْهَلْبَ بِإِلَى الْهَلْبَ إِلَى قَتَالِ الْخَوَارِجِ وَوَلَى عَلَى الْمُوَسْلِمِ وَالْجَزِيرَةِ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْأَشْتَرِ، وَجَاءَ الْهَلْبَ فَانْتَجَمَتِ النَّاسُ مِنَ الْبَصَرَةِ وَسَارَ إِلَى الْخَوَارِجَ فَلَقَيْهِمْ بِسْوَالَفَ، وَاتَّنَجَوْهُمْ ثَمَانِيَّةَ أَشْهَرًا وَبَعْثَتْ مَصْبَعُ إِلَى عَتَابَ بْنَ وَرْقَاءِ الْرِّبَاحِيِّ عَاملِ أَصْبَهَانَ بِقَتَالِ أَهْلِ الرَّيِّ بِمَا فَعَلَهُ فِي ابْنِ دَوِيمٍ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ وَعَلَيْهِمْ الْفَرَخَانُ فَقَاتَلُوهُمْ وَافْتَحُوا عَنْهُ وَقَلَّاعُهُمْ وَعَاثُوا فِي نَوَاحِيَهَا.

### خبر ابن الحجر ومقطله

كَانَ عَبِيدُ اللَّهِ بْنُ الْحَرْ الْجَعْفِيَّ مِنْ خَيَارِ قَوْمِهِ صَلَاحًا وَفَضْلًا. وَلَا قُتِلَ عَشَانٌ حَزَنَ عَلَيْهِ، وَكَانَ مَعَ مَعَاوِيَةَ عَلَيْهِ، وَكَانَ لَهُ زَوْجَةٌ بِالْكُوفَةِ فَنَزَوْجَتْ لِطَلَوْ مَغْنِيَةَ فَاقْبَلَ مِنَ الشَّامِ وَخَاصَّمَ زَوْجَهَا إِلَى عَلَيْهِ فَعَدَدَ عَلَيْهِ شَهُودٌ صَفَنِينَ. فَقَالَ: أَيْمَنِي ذَلِكَ مِنْ عَدْلِكَ؟ قَالَ: لَا وَرَدَ إِلَيْهِ أَمْرَهُنَّ. فَرَجَعَ إِلَى الشَّامِ وَجَاءَ إِلَى الْكُوفَةِ بَعْدَ مَقْتَلِهِ عَلَيْهِ وَلَقِيَ إِخْرَانَهُ وَتَفَاقَدُوا فِي التَّكْرِيرِ عَلَيْهِ وَمَعَاوِيَةَ وَلَا قُتِلَ الْحَسِينُ تَغْيِيبًا عَلَيْهِ مَلْحَمَتَهُ وَسَالَ عَنْهُ ابْنُ زِيدٍ فَلَمْ يَرْجِعْهُ. ثُمَّ لَقِيَ فَاسِءَ عَذْلَهُ، وَعَرَضَ لَهُ بِالْكَوْنِ مَعَ عَدُوِّهِ فَانْكَرَهُ وَخَرَجَ مَفْضِلًا. وَرَاجَعَ ابْنُ زِيدٍ رَأْيَهُ فِي طَلَبِهِ فَلَمْ يَجِدْهُ بَعْثَتْ عَنْهُ فَامْتَنَعَ، وَقَالَ: أَبْلَغْتُهُ أَنِّي لَا أَتَيْهُ طَائِعًا إِبْدًا. وَأَتَى مَنْزَلَ أَحْمَدَ بْنِ زَيْدَ الطَّائِيِّ فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ، وَخَرَجَ إِلَى الْمَدَائِنِ، وَمَضَى لِمَصَارِعِ الْحَسِينِ وَأَصْحَابِهِ فَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَلَا مَاتَ بِيزِيدَ

الرحمن وفرسان الناس فلذهم مالوا إلى أهل الكوفة بالميمنة ورجع أهل الميسرة. وحمل أهل الميمنت على الخوارج فهزموهم واستباحوا عسكرهم وقتلوا أبي ذئب وحصروا أصحابه بالمشقر حتى نزلوا على الحكم فقتل منهم ستة آلاف وأسر ثمانمائة وذلك ستة ثلاث وسبعين.

ثم ول عبد الملك أخيه بشراً على البصرة فسار إليها وأمره أن يبعث المهلب إلى حرب الأزارقة وأن يتخب من أهل البصرة من أراد ويتركه ورأيه في الحرب ويده بعسرك كيف من أهل الكوفة مع رجل معروف بالنجدة. فبعث المهلب لانتخاب الناس جديع بن سعيد بن قبيصة وشق على بشر ولاية المهلب من عبد الملك وأوغرت صدره. فبعث على عسكر الكوفة عبد الرحمن بن خنف وأغراه بالمهلب في ترك مشورته وتغصبه. وسار المهلب إلى رامهرمز وبها الخوارج وأقبل ابن خنف في أهل الكوفة فنزل على ميل منه بحيث يتراءى العسكران. ثم أتاهم بناً بشر بن مروان وأنه استخلف خالد بن عبد الله بن خالد على البصرة وخليفة على الكوفة عمر بن حرث فاترق ناس كثيرة من أهل البصرة وأهل الكوفة فنزلوا الأهواز وكتب إليهم خالد بن عبد الله يتهددهم فلم يلتقطوا إليه. وأقبل أهل الكوفة إلى الكوفة وكتب إليهم عمر بن حرث بالتكبر والعود إلى المهلب ومنعهم الدخول فدخلوا ليلاً إلى بيوتهم.

ثم قدم الحجاج أميراً على العراقيين سنة خمس وسبعين فخطب بالكوفة خطبته المعروفة كان منها: ولقد بلغني رفضكم المهلب واقتalam إلى مصركم عاصين مخالفين، وأيم الله لا أجد أحداً من عسكره بعد ثلاثة إلا ضربت عنقه وأنهاب داره. ثم دعا العرفاء وقال: الحقروا الناس بالمهلب وأنتوني بالبراءة بمواقفهم، ولا تغلقن أبواب الجسر. وووجد عمر بن ضابط من المخالفين وأخبر أنه من قتلته عثمان قتله. فأنخرج جند المهلب واذدوا على الجسر وجاء العرفاء إلى المهلب برامهرمز فأخذوا كتابه بمعرفة الناس، وأمرهم الحجاج بمناهضة الخوارج فقاتلوا هم شيئاً ثم ازاحوا إلى كازرون وسار المهلب وابن خنف فنزلوا بهم. وخدنق المهلب ولم يختدق ابن خنف فانهزم عنه أصحابه وقاتل حتى قتل. وفي حديث أهل الكوفة أنهم لما ناهضوا الخوارج مالوا إلى المهلب واضطربوا إلى معسركه وأمده عبد الرحمن بعامة عسكره وبقي في خف من الجناد. فعمال إلى الخوارج فنزل ونزل معه الفراء وواحد وسبعون من أصحابه فقتلوا. وجاء المهلب من الغد فدنه وصلى عليه وكتب بالخبر إلى الحجاج فبعث على معسركه عتاب بن ورقاء وأمره

فأشافت خيالة على السفينة وتبادلوا به قمام يمشي في البحر فتعلقلوا به فالقى نفسه في الماء مع بعضهم فغرقوه.

## حروب الخوارج مع عبد الملك والحجاج

ولما استقر عبد الملك بالكوفة بعد قتل مصعب بعث على البصرة خالد بن عبد الله وكان المهلب يحارب الأزارقة فولاه على خراج الأهواز. وبعث أخيه عبد العزيز بن عبد إلى قتال الخوارج، ومعه مقاتل بن مسمع، وأتت الخوارج من ناحية كرمان إلى دارابجرد وبعث قطري بن الفجاءة صالح بن خراق في تسعمائة فاستقبل عبد العزيز ليلاً على غير تعبية فانهزم. وقتل مقاتل بن مسمع وأسرت بنت المنذر بن الجارود امرأة عبد العزيز فقتلها الخوارج.

وبعث عبد العزيز إلى رامهرمز. وكتب خالد بالخبر إلى عبد الملك فكتب إليه.... على ولاية أخيه الحرب وولاية المهلب جباية الخراج وأمره بأن يسرح المهلب بمحبهم. وكتب إلى بشر بالكوفة بإمداده بخمسة آلاف مع من يرضاه، فإذا فرغوا من قتال الخوارج ساروا إلى الري، فكانوا هناك مسلحة فانقضوا بشر العسكرية وعليهم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، وكتب له عهده على الري. وخرج خالد بأهل البصرة ومعه المهلب واجتمعوا بالأهواز. وجاءت الأزارقة فأحرقوا السفن. ومر المهلب بعد الرحمن بن الأشعث وأمره أن يخندق عليه وأقاموا كذلك عشرين ليلة. ثم زحف الخوارج بالناس فهال الخوارج كثريتهم وانصرفوا.

وبعث خالد داود بن قحدم في آثارهم وانصرف إلى البصرة وكتب بالخبر إلى عبد الملك. فكتب إلى أخيه بشر أن يبعث أربعة آلاف من أهل الكوفة إلى فارس، ويلحقوا بدواود بن قحدم في طلب الأزارقة. فبعث بهم بشر بن عتاب ولحقوا بدواود واتبعوا الخوارج حتى أصابهم الجهد ورجع عامتهم مشاة إلى الأهواز.

ثم خرج أبو ذئب من بني قيس بن ثعلبة فغلب على البحرين وقتل نجدة بن عامر الحنفي كما مر. وهزم خالداً فكتب إلى عبد الملك بذلك، وأمر عبد الملك عمر بن عبد الله بن معمر أن يندب الناس من أهل الكوفة والبصرة ويسير لقتال أبي ذئب. فانتدب معه عشرة آلاف وسار بهم وأهل الكوفة على ميمنته عليهم محمد بن موسى بن طلحة بن عبد الله، وأهل البصرة في ميسرتهم عليهم عمر بن موسى أخيه، وهو في القلب. وانتهروا إلى البحرين وأصطفوا للقتال وحملوا على أبي ذئب وأصحابه فكشفوا ميسرتهم حتى أبعدوا إلا المفيرة بن المهلب وجماعة عبد

وطفوا النار بالماء في اللبود وخرجوا إليه فيتوسا وسرح الحارث فحملوا على أصحابه وانهزموا نحو المدائن وحوى شبيب عسكرهم.

وسار شبيب إلى أرض الموصل فلقي سلامة بن سنان التميمي من عيم شيبان وأخاه فضالة من أكابر الخوارج. وكان خرج قبل صالح في ثانية عشر رجلاً ونزل على ماء لبني عترة قتلهم، وأتوا برؤوسهم إلى عبد الملك يتقدرون له بهم. فلما دعا شبيب سلامة إلى الخروج شرط عليه أن يتخطي ثلاثة عترة ويسيء لهم إلى عترة. فيشار منهم بأبيه قبل شرطه. وسار إلى عترة فاتخن فيهم وجعل يقتل الحلة بعد الحلة. ثم أقبل شبيب إلى دارا في ثغور سبعين رجلاً ففتر منهم طائفة من بني شيبان نحو ثلاثة آلاف فنزلوا ديراً خراباً وامتنعوا منه، وسار في بعض حاجاته واستخلف أخاه مضاد بن يزيد بجماعة من بني شيبان في أمر المأتم مقيمين، فقتل منهم ثلاثة شيخاً فيهم حوثة بن أسد. وأشرف بنو شيبان على مضاد وأصحابه، وسألوا الأمان ليخرجوا إليهم ويسمعوا دعوتهم فاخروا وقبلوا ونزلوا إليهم واجتمعوا بهم. وجاء شبيب فاستصوب فعلهم. وسار بطافة أذريجان.

وكان الحجاج قد بعث سفيان بن أبي العالية الختumi إلى طبرستان يحاصرها في ألف فارس، وكتب إليه الحجاج أن يرجع صالح أهل طبرستان ورجع فأقام بالدسترة يطلب المدد. وبعث الحجاج أيضاً إلى الحارث بن عميرة الهمданى قاتل صالح أن ياتيه بجيش الكوفة والمدائن وإلى سورة بن أبي التميمي في خيل الماظر. ويعجل سفيان في طلب شبيب فلحقه بخانقين فاستطردهم وأكمn كميناً لهم مع أخيه، واتبعوه في سفح الجبل فخرج عليهم الكمرين فانهزموا بغير قتال، وثبت سفيان وقاتل. ثم حل شبيب فاكتشف وخا إلى بابل مهروداً، وكتب إلى الحجاج بالخبر ويوصول العساكر إلا سورة بن أبيه. فكتب الحجاج إلى سورة يتهده ويرأمه أن يتخذ من المدائن خسمائة فارس وسيء إلى شبيب فسار. وانهى شبيب إلى المدائن ثم إلى المندوان فترحم على أصحابه هنالك. وبيتهم سورة هنالك وهو حذرون فلم يصب منهم الغرة. ورجع نحو المدائن وشبيب في اتباعه.

وخرج ابن أبي عصيفر عامل المدائن قاتلهم وهرب كثير من جنده إلى الكوفة ومضى شبيب إلى تكريت. ووصل سورة إلى الكوفة بالفل فحبسه الحجاج ثم أطلقه. وسرح عثمان بن سعيد شرحبيل الكندي - ويلقب الجزل - في أربعة آلاف ليس فيه من النهزمين أحد وساروا لحرب شبيب وأصحابه. وقدم بين يديه عياض بن أبي لينة الكندي وجعلوا يتبعون شبيب من رستاق إلى

بطاعة المهلب، فأجاب لذلك وفي نفسه منه شيء. وعاتبه المهلب يوماً ورفع إليه القصيبة فرده ابنه المغيرة عن ذلك. وكتب عتاب يشكو المهلب إلى الحجاج وسائله العود وصادف ذلك أمر شبيب فاستقدمه وبقي المهلب.

## حروب الصفرية وشبيب مع الحجاج

ثم خرج صالح بن سرح التميمي من بني امرئ القيس بن زيد منا و كان يرى رأي الصفرية، وكان عابداً ومس肯ه أرض الموصى والجزيرة وله أصحاب يقرئهم القرآن والفقه. وكان يأتي الكوفة ويلقي أصحابه وبعد ما يحتاج إليه. فطلبه الحجاج فترك الكوفة وجاء إلى أصحابه بالموصل وداراً فدعاهم إلى الخروج وحث الناس عليه. وجاءه كتاب شبيب بن يزيد بن نعيم الشيباني من رؤوسهم يحيى على مثل ذلك. فكتب إليه: إني في انتظارك فآتني. فقدم شبيب في نفر من أصحابه منهم آخوه المضاد والخلل بن وائل اليشكري ولقيه بداراً، وأبع صالح الخروج. وبعث إلى أصحابه وخرجوا في صفر سنة ست وسبعين. وأمر بالدعاء قبل القتال وخير في الدماء والأموال. وعرضت له دواب محمد بن مروان بالجزيرة فأخذوها وحملوا عليها أصحابهم.

وبلغ محمد بن مروان وهو أمير الجزيرة خروجهم فسرح إليهم عدي بن عدي الكندي في ألف فسار من حران وكان ناسكاً فكره حروفهم وبعث إليهم بالخروج فحبسو الرسول. فساروا إليه فطلموا عليه وهو يصلى الفصحى وشبيب في الميمنة وسويبد بن سليم في الميسرة. وركب عدي على غير تعيية فانهزم واحتوى الخوارج على معسكره ومضوا إلى آمد. وسرح محمد بن مروان خالد بن حر السلمي في ألف وخمسمائة، والحارث بن جعونة العامري في مثلها، وقال: أيكم سبق فهو أمير على أصحابه.

ويعد صالح شبيباً إلى الحارث وتوجه هو نحو خالد وقاتلهم أشد القتال. واعتصم أصحاب محمد بمندقهم فصارت الخوارج عنهم وقطعوا أرض الجزيرة والموصى إلى الدسترة. فسرح إليهم الحجاج الحارث بن عميرة بن ذي الشعار في ثلاثة آلاف من أهل الكوفة فلقيهم على تقم ما بين الموصل وصرصر والخوارج في سبعين رجلاً. فانهزم سويبد بن سليم وقتل صالح وصفع شبيب. ثم وقف على صالح قتيلاً فنادي بال المسلمين فلاذوا به ودخلوا حصناً هنالك وهم سبعون. وعادت الحارث بهم وأحرق عليهم الباب ورجع يصجهم من الغدة. فقال لهم شبيب: بايعوا من شتم من أصحابكم واخرجوا بنا إليهم. فبايعوه

هانئ بن قبيصة الشيباني فقال له: يا نضر لا حكم إلا الله ففقط  
بهم وقال: إنما الله وإنما إليه راجعون وشد عليه أصحاب شبيب  
قتلوا.

ونادى منادي الحجاج بالكوفة يا خيل الله اركي وهو بباب  
القصر وكان أول من أتاه عممان بن قطن بن عبد الله بن الحسين  
ذى القصبة، ثم جاء الناس من كل جانب، فبعث الحجاج خالد بن  
الأحدى وزائدة بن قدامة التقي وأبا الضريس مولى بي غيم،  
وعبد الأعلى بن عبد الله بن عامر وزيناد بن عبد الله العتكى فى  
الفين الفين وقال: إن كان حرب فاميركم زائدة بن قدامة. وبعث  
معهم محمد بن موسى بن طلحة بن عبد الله من سجستان، وكان  
عبد الملك قد لاه عليها، وأمر الحجاج أن يجهزه ويعشه فى الآف  
من الجنود إلى عمله، فجهزه. وحدث أمر شبيب. فقال له  
الحجاج: تجاهد وظاهر اسمك ثم عضى إلى عمالك، فساروا جميعاً  
ونزلوا أسفل الفرات.

وأخذ شبيب نحو القادسية وجرد الحجاج ألفاً وثمانمائة من  
نقاوة الجندي من ذخر بن قيس، وأمره بمقاعدة شبيب أيضاً أدركه،  
 وإن ذهب فاتركه. فأدركه بالصلخين واعطف عليه شبيب قاتل  
ذخر حتى صرع وفيه بضعة عشر جرحاً. وانهزم أصحابه يظنون  
أنه قتل. ثم أفاق من برد السحر فدخل قرية وسار إلى الكوفة. ثم  
قصد شبيب وأعوانه وهم على أربعة وعشرين فرسخاً من الكوفة  
قال: إن هزمناهم فليس دون الحجاج والكوفة مانع.

وانتهى إليهم وقد تبعوا للحرب وعلى الميمنة زياد بن  
عمر العتكى وعلى الميسرة بشر بن غالب الأسدى وكل أمير  
بمكانه. وعي شبيب أصحابه ثلاثة كتاب: فحمل سويد بن سليم  
على زياد بن عمر فانكشفوا وثبت زياد قليلاً. ثم حل الثانية  
فانهزموا وانهزم جرياً عند المساء. ثم حلوا على عبد الأعلى بن  
عبد الله بن عامر فانهزم ولم يقاتل ولحق بزياد بن عمر وحلت  
الحوارج حتى انتهت إلى محمد بن موسى بن طلحة عند الغروب  
فقاتلوا وصبر لهم. ثم حل مضاد آخر شبيب على بشر بن غالب  
في الميسرة فصبر ونزل في حسين رجالاً فقاتلوا حتى قتلوا. وحلت  
الحوارج على أبي الضريس مولى بي غيم فهزموه حتى انتهى إلى  
أعين ثم حلوا عليه وعلى أعين فهزموهما إلى زائدة بن قدامة.  
فلما انتهوا إليه نادى نزال وقاتلهم إلى السحر ثم حل شبيب عليه  
قتله وقتل أصحابه ودخل أبو الضريس مع الفيل إلى الجبوست  
بإزارهم.

ورفع الحوارج عنهم السيف ودعوه إلى البيعة لشبيب عند  
النجير فباعوه وكان فيمن بايده أبو بردة وبقي محمد بن موسى لم

رساق وهو على غير تعبية والجزل على التعبية ويندق على نفسه  
متى نزل. وطال ذلك على شبيب وكان في مائة وستين فقسمه  
على أربع فرق وثبت الجزل ومشابخه فلم يصب منهم فرجع  
عنهم. ثم صحبه ثانية فلم يظهر منهم شيء.

وسار الجزل في التعبية كما كان وشبيب يسير في أرض  
الحوارج وغيرها يكسب الخراج. وكتب الحجاج إلى الجزل ينكر  
عليه البطء وأمره بالناهضة وبعث سعيد بن الجالدي على جيش  
الجزل فجاءهم بالمددوان ووكلهم وعجزهم. وجاءهم الخبر بأن  
شبيب قد دخل قطبيطاً والدهقان يصلح لهم الغداء، فنهض سعيد  
في الناس وترك الجزل مع العسكر وقد صفت بهم خارج الخندق.  
وجاء سعيد إلى قطبيطاً وعلم به شبيب فاكل وتروضاً وصلى.  
وخرج فحمل على سعيد وأصحابه مستعرضاً فانهزموا وثبت  
سعيد فقتلته وسار في اتباعهم إلى الجزل فقاتلهم الجزل حتى وقع  
بين القتلى جريحاً. وكتب إلى الحجاج بالخبر وأقام بالمدائن. وانتهى  
شبيب إلى الكرخ وعبر دجلة إليه وأرسل إلى سوق بغداد فانضم  
في يوم سوقهم واشتري منه حاجاته وسار إلى الكوفة.

فلما قرب منها بعث الحجاج سويد بن عبد الرحمن  
السعدي في الفي رجل فساروا إلى شبيب. وأمر عثمان بن قطن  
فسكر في السبخة. وخالفه شبيب إلى أهل السبخة فقاتلوا. وجاء  
سويد في آثاره فمضى نحو الحيرة وسويد في اتباعه. ثم رحل من  
الحيرة وجاء كتاب الحجاج إلى سويد يأمره بباته. فمضى في  
إثنائه وشبيب يغير في طريقه. وأخذ على القبطانة ثم على قصر  
بني مقائل ثم على الأنبار ثم ارتفع على أدنى أذربيجان. ولا يبعد  
سار الحجاج إلى البصرة واستعمل على الكوفة عروة بن المغيرة بن  
شعبة فجاءه كتاب دهقان بابل مهروド يخبره بقصد شبيب الكوفة  
بعث بالكتاب إلى الحجاج.

وأقبل شبيب حتى نزل عقرقوباً، ونزل وسار منها يسابق  
الحجاج إلى الكوفة. وطوى الحجاج النازل فوصل الكوفة عند  
المصر ووصل شبيب عند المقرب. فراح وطمعوا ثم ركبوا  
ودخلوا إلى السوق. وضرب شبيب القصر بعموده. ثم اقتحموا  
المسجد الأعظم فقتلوا فيه من الصالحين ومرروا بدار صاحب  
الشرطة فدعوه إلى الأمير ونکرهم فقتلوا غلامه. ومرروا مسجد بني  
ذهل فقتلوا ذهل بن الحارث وكان يطلب الصلاة فيه. ثم خرجوا  
من الكوفة واستقبلهم النصر بن القعاع بن شور الذهلي، وكان  
من أقبل مع الحجاج من البصرة فتخلف عنه. فلما رأه قال:  
السلام عليك أيها الأمير! فقال له شبيب: قل أمير المؤمنين ويلك  
فقاتلها. وأراد شبيب أن يلقنه للقرابة بينهما. وكان النصر ناحية بيت

خالد بن نهيك بن قيس وفي الميسرة عقيل بن شداد السلوبي وأبن قطن في الرجاله وغير إليهم شبيب في مائة وثلاثين رجلاً فوقف في الميئنة وأخوه مضاد في القلب وسويد بن سليم في الميسرة وحمل شبيب على ميسرة عثمان بن قطن فانهزما ونزل عقيل بن شداد فقاتل حتى قتل وقتل معه مالك بن عبد الله الهمданى . وحمل سويد على ميئنة عثمان فهزما وقاتل خالد بن نهيك فجاء شبيب من ورائه فقتله وتقدم عثمان إلى مضاد في القلب فاشتد القتال وحمل شبيب من وراء عثمان وعطف عليه سويد بن سليم وممضاد من القلب حتى أحاطوا به فقتلوه . وانهزمت العساكر ووقع عبد الرحمن بن الأشعث فاتاه ابن أبي شيبة الجعفى وهو على بقلة فارده ونادى في الناس باللحاق بدیر أبي مریم.

ورفع شبيب السيف عن الناس ودعاهم إلى البيعة فبايعوه ولحق ابن الأشعث بالکوفة فاختفى حتى أمنه الحجاج . ومضى شبيب إلى ماه نهرادان فأقام فيه فصل الصيف فلتحق به من كان للحجاج عليه تبعه . ثم أقبل إلى المداين في ثمانمائة رجل وعليها مطرف بن المغيرة . ويبلغ الخبر إلى الحجاج فقام في الناس وتسخط وتزعد . فقال زهرة بن حوية وهو شيخ كبير لا يستطيع القيام إلا معتمداً . أنت تبعث الناس متقطعين فصبيان منهم؟ فاستقر الناس جميعاً وابعث عليهم رجالاً شجاعاً مجرياً يرى الشرار عاراً والصبر مجدًا وكرماً . فقال الحجاج: أنت ذلك الرجل! فقال: إنما يصلح من يحمل الدرع والرمح ويهز السيف ويشت على الفرس ولا أطيق من هذا شيئاً وقد ضعف بصري ولكن أكون مع أمير وأشير عليه . فقال له: جراحك الله خيراً عن الإسلام وأهلة أول أمرك وأخره .

ثم قال للناس: سيراً فتجهزوا بأجمعكم فتجهزوا وكتب الحجاج إلى عبد الملك بأن شيباً شارف المداين يريد الكوفة وهو عاجزون عن قتاله بما هزم جندهم وقتل أمراءهم ويستمد من جند الشام، فبعث إليه عبد الملك سفيان بن الأبرد الكلبي في أربعة آلاف وحبيب بن عبد الرحمن الحكيم في الفين وذلك ستة سنت وسبعين.

وكتب الحجاج إلى عتاب بن ورقاء الرياحي يستقدمه من عند الهلب وقد وقع بينهما كما مر فقدم عتاب وولاه على الجيش فشكر زهرة بن حوية له وقال: ربمئهم مجرهم والله لا يرجع إليك حتى يظفر أو يقتل . وبعث الحجاج إلى جند الشام يعززهم اليات ويوصيهم الاحتياط وأن يأتوا على عين التمر . وعسكر عتاب بجماع أعين ثم قطع شبيب دجلة إلى المداين وبعث إليه مطرف أن يأتيه رجال من وجدهم ينظر في دعوتهم فرجا منه

ينهزم، فلما طلع الفجر سمع شبيب أذانهم وعلم مكانهم فاذن وصلى ثم حل عليهم فانهزمت طائفة منهم وثبتت أخرى وقاتل محمد حتى قتل . وأخذ المخراج ما في العسكر وانهزم الذين بايعوا شيئاً فلم يق من لهم أحد . وجاء شبيب إلى الجوسق الذي فيه أعين وأبواه الضريس فتحصنا منه فأقام يوماً عليهم وسار عنهم وأراد أصحابه على الكوفة وإذاءهم خوخى فتركها وخرج على نفر .

وسمع الحجاج بذلك فظن أنه يريد المداين وهي بباب الكوفة وأكثر السواد لها فهاله ذلك وبعث عثمان بن قطن أميراً على المداين وخوخى والأبار وعزل عنها عبد الله بن أبي عصبيين . وقيل في مقتل محمد بن موسى غير هذا وهو أنه كان شهد مع عمر بن عبد الله بن معمر قاتل أبي ذياد فزوجه عمر ابنته، وكانت أخته تحت عبد الملك فولاه سجستان فمر بالکوفة وقيل للحجاج: إن جاء إلى هذا أحد من تطلب منعك منه فمه بقتل شبيب في طريقة لعل الله يريحك منه فجعل الحجاج وعدل محمد إلى قتال شبيب وبعث إليه شبيب بدءه الحجاج وخدعاته إيه وأن يعدل عنه فإلى إلا شيئاً فبارزه وقتل شبيب . ولما انهزم الأمراء وقتل موسى بن محمد بن طلحة دعا الحجاج عبد الرحمن بن الأشعث وأمره أن يتتخب ستة آلاف فارس ويسير في طلب شبيب أين كان، فسار لذلك . ثم كتب إليه وإلى أصحابه يتهددهم إن انهزموا ومر ابن الأشعث بالمدائن وعاد الجزل من جراحته فوصاه وحذره وحله على فرسه وكانت لا تجاري . وسار شبيب على دققاً وشهرزور وابن الأشعث في اتباعه إلى أن وقف على أرض الموصل وأقام يقاتله أهلاها .

فكتب إليه الحجاج: أما بعد فاطلب شيئاً وأسلك في أثره أين سلك حتى تدركه فاقتله أو تنبهه فإنما السلطان سلطان أمير المؤمنين والجند جنده . فجعل ابن الأشعث يتبعه وشبيب يقصد به الأرض الحشنة الغليظة وإذا دنا منه رجع بيته فيجده على حذره حتى أتعب الجيش وأخفى دوابهم ونزل بطن أرض الموصل ليس بينه وبين سواد إلا نهر حولايا في دادان الأعلى من الأرض خوخى . ونزل عبد الرحمن في عوائل الهر و كانت أيام النحر، وطلب شبيب المداعنة فيها فاجابه قصدأ للمطارة . وكتب عثمان بن قطن بذلك إلى الحجاج ذكر وبيعث إلى عثمان بن قطن بإمسارة العسكر وأمره بالسير وعزل عبد الرحمن بن الأشعث . وبعث على المداين مطرف بن المغيرة مكان ابن قطن وقدم ابن قطن على عسكر الكوفة عشيّة يوم التروبة وناداهم إلى الحرب فاستمهله وأنزله عبد الرحمن بن الأشعث . وأصبحوا إلى القتال ثالث يومهم على تعبية وفي الميئنة

وغيث بن سعيد في جماعة مكثوا عنده أربعاً ولم يرجعوا من مطرف بشيء. وزل عتاب الصراة وخرج مطرف إلى الجبال خوفاً أن يصل خبره مع شبيب إلى الحجاج.

وأقبل شبيب في ثلاثة كراديس معه ومع سعيد بن سليم ومع المخلل بن وائل. وحمل سعيد وبيتوا وطاعنوه حتى انتصر. وقدم الحجاج كرسيه وحمل المخلل ثانية فكتل ذلك وقدم الحجاج كرسيه وحمل المخلل ثانية فكتل ذلك وقدم الحجاج كرسيه فثبتوا له والحقوه بأصحابه، وسرب شبيب سعيد بن سليم إلى أهل السكك وكان عليها عروة بن المغيرة بن شعبة فلم يطق دفاعه. ثم حمل شبيب فطاعنوه وردوه واتته الحاج إلى مسجده وصعد وملك العرصة. وقال له خالد بن عتاب: إنذن لي في قاتلهم فإني مرتور فأذن لهم، فجاءهم من ورائهم وقتل أخا شبيب وغزالة أمرأه وخرق عسكرهم وحمل الحجاج عليهم فانهزموا، وتختلف شبيب رداً لهم. فأمر الحجاج أصحابه بموادعتهم ودخل الكوفة فخطب وبشر الناس.

ثم سرح حبيب بن عبد الرحمن الحكمي في ثلاثة آلاف فارس لأتبعاه وحذره بياته فاتته في أثره إلى الأنبار وقد افترق عن شبيب كثير من أصحابه للأمان الذي نادى الحاج به، فجاءه شبيب عند الغروب وقد قسم حبيب جنده أربعاً وتواصوا بالاستماتة فقاتلهم شبيب طائفة بعد طائفة. فما زالت قدم إنسان عن موضعها إلى آخر الليل. ثم نزل شبيب وأصحابه واشتد القتال وكثي القتلى وسقطت الأيدي وفقت الأعين، وقتل من أصحاب شبيب نحو ثلاثة ومن أهل الشام نحو مائة. وأدركهم الإعصار والفشل جيغاً. فانصرف شبيب بأصحابه وقطع دجلة ومر في أرض خوشى. ثم قطع دجلة أخرى عند واسط ومضى على الأهواز وفارس إلى كرمان ليريح بها.

وقد قيل في هذه الحرب غير هذا، وهو أن الحجاج بعث إليه أمراء واحداً بعد واحد فقتلهم وكان منهم أمين صاحب حمام أعين وكانت غزالة أمراً شبيب نذرت أن تصلي في مسجد الكوفة ركعتين بالبقرة وأك عمران. فجاء شبيب ودخل الكوفة ليلاً وأوافت بندرها. ثم قاتلهم الناس وخرجوها. وقام الحاج في الناس يستشيرهم ويرز إليه قتيبة وعلمه في بعث الراعي ينهرمون ويستوت قائدتهم والرأي أن تخرج بنفسك فتحالله فخرج من الغد إلى السبخة وبها شبيب واختفى مكانه عن القوم ونصب آيا الورد مولاً تحت اللواء فحمل عليه شبيب فقتله. ثم حمل على خالد بن عتاب في الميسرة ثم على مطرف بن ناجية في الميمنة فكشفهما.

ونزل عند ذلك الحاج وأصحابه وجلس على عباءة ومعه عنسبة بن سعيد. وبينما هم على ذلك إذ اختلف الخوارج وقال مصطفى بن مهلهل الضبي لشبيب: ما تقول في صالح بن سرح؟ قال: برئت منه فبرئ، مصطفى منه وفارق، وشعر الحاج

فخلا لهم الجو. وجاء مضاد إلى المدائن فعقد الجسر ونزل عتاب سوق حكم في حسين الفأ. وسار شبيب بأصحابه في الفأ، فصلى الظاهر بساط وأشرف على عسكر عتاب عند المغرب وقد تخلف عنه أربعمائة من أصحابه فصلى المغرب، وعيى أصحابه ستمائة سعيد بن سليم في ماتين في الميسرة، والمخلل بن وائل في ماتين في الميمنة وهو في ماتين في القلب. وكان على ميمونة عتاب محمد بن عبد الرحمن بن سعيد وعلى ميسره تعيم بن عليم وعلى الرجال حنظلة بن الحارث اليربوعي وهو ابن عمه وهم ثلاثة صنفون بين السيف والرماح والرماة.

ثم حرض الناس طريراً وجلس في القلب ومعه زهرة بن مرثد عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث وأبر بكر بن محمد بن أبي جهم العدوبي، وأقبل شبيب حين أضاء القمر بين العشرين فحمل على الميسرة وفيها ربيعة فانقضوا وثبت قبيصة بن والق وعبد بن الجليس وتعيم بن عليم على رايتهم حتى قتلوا. ثم حمل شبيب على عتاب بن ورقاء وحمل سعيد بن سليم على محمد بن سليم في الميمنة في تميم وهمدان. واشتد القتال وخالط شبيب القلب وانقضوا وتركوا عتاباً وفر ابن الأشعث فيناس كثرين وقتل عتاب بن ورقاء وركب زهرة بن حوية فقاتل ساعة ثم طعنه عامر بن عمر الشعلي من الخوارج ووطأته الحيل فقتله الفضل بن عامر الشيباني منهم، ووقف عليه شبيب. وتوجه له ونكر الخوارج ذلك وقالوا: أترجع لرجل كافر؟ فقال: أعرف قديمه.

ثم رفع السيف عن الناس ودعا للبيعة فبايعوه وهردوا تحت لهم وحرى ما في العسكر وأثاروا أنفسه من المدائن وأقام يومين. ثم سار نحو الكوفة ولحق سفيان بن الأبرد وعسكر الشام بالحجاج، فاستغنى بهم عن أهل الكوفة واشتد بهم خطب فويبح أهل الكوفة وعجزهم. وجاء شبيب فنزل حمام أعين فسرح الحجاج إليه الحارث بن معاوية الثقيفي في نحو ألف من الشرط لم يشهدوا يوم عتاب فبادر إليه شبيب فقتله وانهزم أصحابه إلى الكوفة وأخرج الحجاج مواليه فأخذوا بأفواه السكك وجاء شبيب فنزل السبخة ظاهر الكوفة وبنى بها مسجداً وسرح الحجاج مولاً آيا الورد في غلمان لقتاله فحمل عليه شبيب وقتله يظه الحاج. ثم أخرج إليه مولاً طهمان كذلك فقتله. فركب الحاج في أهل الشام وجعل سبعة بن عبد الرحمن بن عنف على أبوه السكك. وقد على كرسيه ونادي في أهل الشام وحرضهم فقضوا الأنصار

علمت أن المراد بالشوري الرضا من قريش رضوا فكثراً مباعكم  
فقالوا: لا نخفيك إلى هذا.

وأقاموا أربعة أيام ينتظرون في ذلك ولم يتفقوا وخرجوا من عنده. ثم دعا مطرف أصحابه وأخبرهم بما دار بينه وبين أصحابه شبيب وأن رايه خلع عبد الملك والحجاج فوجروا من قوله وأشاروا عليه بالكتمان فقال له يزيد بن أبي زيد مولى أبيه: لن والله ينفي على الحجاج شيء مما وقع ولو كنت في السhabاب لاستنزلك فالتجاء بنفسك، ووافقه أصحابه فسار عن المدائن إلى الجبال ولما كان في بعض الطريق دعا أصحابه إلى الخلع والدعاء إلى الكتاب والستة، وأن يكون الأمر شوري فرجع عنه بعض إلى الحجاج منهم سيرة بن عبد الرحمن بن مخنف وسوار مطرف ومر بخلوان وبها سويد بن عبد الرحمن السعدي مع الأكراد فاعتبرضوه فلائق مطرف بهم وأثخن في الأكراد ومال عن همدان ذات اليمن وبها آخر حزنة واستشهد بهم والسلام فأمامه سراً.

وسار إلى قم وفاثان بعث عمالة في نواحيها وفزع إليه من كل جانب فجاءه سويد بن سرحان التفعي وبكير بن هارون التنجي من الري في نحو مائة رجل. وكان على الري عدي بن زياد الإيادي وعلى أصحابه البراء بن قبيصة فكتب إلى الحجاج بالخبر واستشهد بهم فأمامه بالرجال، وكتب إلى عدي بالري أن يجتمع مع البراء على حرب مطرف فاجتمعوا في ستة آلاف وعدي أميرهم. وكتب الحجاج إلى قيس بن سعد البجلي وهو على شرطة حزنة بهمدان بان يقضى على حزنة ويتوكل مكانه فجاءه في جمع من عجل وربيعة وأقره كتاب الحجاج فقال: سمعاً وطاعة. وبقضى قيس عليه وأودعه السجن. وسار عدي والبراء نحو مطرف قاتلوا وانهزم أصحابه وقتل يزيد مولى أبيه. وكان صاحب الراية وقتل من أصحابه عبد الرحمن بن عبد الله بن عفيف الأزدي وكان ناسكاً صالحاً وكان الذي تولى قتل مطرف عمر بن هبيرة الفزاري. وبعث عدي أهل البلاء إلى الحجاج وأمر بكير بن هارون وسويد بن سرحان، وكان الحجاج يقول: مطرف ليس بولد للمغيرة وإنما هو ابن مصقلة الحر، لأن أكثر الخوارج كانوا من ربعة ولم يكن فهمن من قيس.

### اختلاف الأزارقة

قد تقدم لنا مقام المهلب في قتال الأزارقة على سابرور بعد مسيرة عتاب عنه إلى الحجاج وأنه أقام في قتالهم ستة، وكانت كرمان لهم وفارس للمهلب فانقطع عنهم المدد وضاقت حالم

باتختلافهم فسرح خالد بن عتاب لقتالهم قاتلهم في عسكرهم وقتل غزالة وبعث برأسها إلى الحجاج فأمر شبيب من اعترضه فقتل حامله، وجاء به فغسله ودفنه. وانصرف الخوارج وتبعهم خالد. وقتل مضاد أخو شبيب ورجع خالد عنهم بعد أن ألبى وسار شبيب إلى كرمان. وكتب الحجاج إلى عبد الملك يستشهد به فبعث إليه سفيان بن الأبرد الكلبي في العساكر فأتفق فيهم المال، وسرحه بعد انتصاره الخوارج بشهرين وكتب إلى عامل البصرة وهو الحكم بن أيوب زوج ابنته أن يبعث باربعة آلاف فارس من جند البصرة إلى سفيان فبعثهم مع زياد بن عمر العتكى فلحقه انقضاء الحرب.

وكان شبيب بعد أن استجم بكرمان قبل راجعاً فلقي سفيان بالأهواز فعبر إليه جسر دجل وزحف في ثلاثة كراديس فقاتلهم أشد قتالاً وحملوا عليهم أكثر من ثلاثين حملة وسفيان وأهل الشام مستحبون يزحفون زحفاً حتى اضطرب الخوارج إلى الجسر فنزل شبيب في مائة من أصحابه وقاتل إلى المساء حتى إذا جاء الليل انتصر وجاء إلى الجسر فقدم أصحابه وهو على أثرهم. فلما مر بالجسر اضطرب حجر تحت حافر فرسه وهو على حرف السفينة فسقط في الماء وغرق وهو يقول: وكان أمر الله معمولاً، ذلك تقدير العزيز العليم. وجاء صاحب الجسر إلى سفيان وهو يريد الإنصراف بأصحابه فقال: إن رجالاً من الخوارج سقط فتداروا بينهم عرق أمير المؤمنين وموروا وتركوا عسكرهم فكبر سفيان وأصحابه وركب إلى الجسر وبعث إلى عسكرهم فحوى ما فيه وكان كثير الخبرات ثم استخرجوا شيئاً من التهر ودفنه.

### خروج المطرف بن المغيرة بن شعبة

لما ولى الحجاج الكوفة وقدمها وجد بي المغيرة صلحاء أشرافاً فاستعمل عروة على الكوفة ومطرضاً على المدائن وحزنة على همدان فكانوا أحسن العمال سيرة وأشدتهم على المريب. ولما جاء شبيب إلى المدائن نزل نهر شير ومطرف بمدينة الأبواب فقطع مطرف الجسر وبعث إلى شبيب أن يرسل إليه من يعرض عليه الدعوة، فبعث إليه رجلاً من أصحابه فقالوا: نحن ندعوك إلى كتاب الله وسنة رسوله، وإنما نقمنا على قومنا الاستئثار بالفيء وتعطيل الحدود والتبيط بالجزية فقال مطرف: دعوتم إلى حق..... جوراً ظاهراً وأنا لكم متابع فباعوني على قتال هؤلاء الظلمة بأحدائهم وعلى الدعاء إلى الكتاب والستة وعلى الشوري كما تركها عمر بن الخطاب حتى يسوي المسلمين من يرضونه، فإن العرب إذا

وحدر عليه حجراً من فوق الشعب فأصابه في رأسه فاوهه ونادي بالناس فجاء في أوطم نفر من أهل الكوفة قتلواه..... منهم سورة بن أبيه التميمي وجعفر بن عبد الرحمن بن مخنف والسياح بن محمد بن الأشعث وحمل رأسه أبو الجهم إلى إسحاق بن محمد بعثت به إلى الحجاج، وبعثه الحجاج إلى عبد الملك.

وركب سفيان فاحتاط بالخارج وحاصرهم حتى أكلوا درابهم، ثم خرجوا إليه واستمروا فقتلهم جميعاً وبعث برسوهم إلى الحجاج ودخل鄧باوند وطبرستان فكان هناك حتى عزله الحجاج قبل دير الجمامق. قال بعض العلماء: وإنقرضت الأزارقة بعد قطري وعيده آخر رؤسائهم وأول رؤسائهم نافع بن الأزرق. واتصل أمرهم بضعاً وعشرين سنة إلى أن افترقوا كما ذكرناه سنة سبع وسبعين فلم تظهر لهم جماعة إلى رأس المائة.

## خروج شوذب

خرج شوذب هذا أيام عمر بن عبد العزيز على رأس المائة واسمه بسطام وهو من بني يشكر. فخرج في ماتقي رجل وسار في خوخى وعامل الكوفة يومئذ عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب. فكتب إليه عمران أن لا يعرض لهم حتى يقتلوا أو يفسدوا فيوجه إليهم الجند مع صليب حازم فبعث عبد الحميد بن جرير بن عبد الله البجلي في الذين فاقم بإزاحة لا يجركه. وكتب عمر إلى شوذب: بلغني أنك خرجمت غضباً لله ولرسوله، و كنت أول بذلك مني، فهلم إلى أناظرك فإن كان الحق معنا دخلت مع الناس، وإن كان الحق معك نظرنا في أمريك. بعث إليه عاصماً الحشبي مولى بني شيبان ورجالاً من بني يشكر قدماً عليه بمناصر فسألهما: ما أخرجكم وما الذي تقمتم؟ فقال عاصماً: ما نقمنا سيرتك إنك لتحرى العدل والإحسان فأخبرنا عن قيامك بهذا الأمر مشورة من الناس أم غلت عليه: قال عمر: ما سأله وما غلت عليه. وعهد إلى رجل قبلي فقدمت ولم يذكر أحد، ومنذلكم الرضا لكل من عدل، وإن أنا خالفت الحق فلا طاعة لي عليكم.

قال: فقد خالفت أعمال أهل بيتك وسميتها مظالم فتبراً منهم والعهم. فقال عمر: أنتم تربدون الآخرة وقد أخطأت طريقها، وإن الله لم يشرع اللعن. وقد قال إبراهيم: ومن عصاني فإليك غفور رحيم. وقال: أولئك الذين هدى الله فهداهم أقتده. وبقي تسمية أعمالهم مظالم ذمة، ولو كان لعن أهل الذنب فريضة لوجب عليكم لعن فرعون، أنتم لا تلعنونه وهو أنجب الخلق، فكيف اللعن أنا أهل بيتي وهم مصلون صالحون ولم يكفروا به على فاستناه على أن يعطيه سلاحه. فعمد إلى أعلى الشعب

فتأنروا إلى كمان وتبعدوا المهلب ونزل خيرفت مدينة كرمان وقاتلهم حتى أزالهم عنها. وبعث الحجاج العمال على نواحيها وكتب إليه عبد الملك تشويغ.... للمهلب موعنة له على الحرب. وبعث الحجاج إلى المهلب البراء بن قبيصة يستحثه لقتال الخارج فسار وقاتلهم والبراء مشرف عليه من ربوة واشتقت قتاله، وجاء البراء من الليل فتعجب لقتاله وانصرف إلى الحجاج وأنهى غدر المهلب وقاتلهم ثمانية عشر شهراً لا يقدر منهم على شيء. ثم وقع الاختلاف بينهم فقبل في سبيه: إن القطرى الضبي وكان عاملاً لقطري على بعض نواحي كرمان قتل بعض الخارج فطلبوا القود منه فمنعه قطرى وقال: تأول فاختطاً، وهو من ذوي السابقة فاختلقوه وقيل: بل كان رجل في عسكرهم يصنع النصوص مسمومة فيرمي بها أصحاب المهلب فكتب المهلب كتاباً مع رجل وامرأة أن يلتقيه في عسكرهم وفيه وصلت نصالك وقد أنفذت إلى ألف درهم. فلما وقف على الكتاب سأل الصانع فأنكر فقتله فأنكر عليه عبد ربه الكبير وانتلقوا.

وقيل: بعث المهلب نصراينياً وأمره بالسجود لقطري فقتله بعض الخارج وولوا عبد ربه الكبير وخلعوا قطرى فأبقي في نحو الخمسمائة منهم وأقاموا يقتلون شهراء، ثم لحق قطرى بطبرستان وأقام عبد ربه بكرمان وقاتلهم المهلب وحاصرهم خيرفت. ولما طال عليهم الحصار خرجوا بأموالهم وحرفهم وهو يقاتلهم حتى أثخن فيهم. ثم دخل خيرفت وسار في أتباعهم فللحقهم على أربعة فراسخ فقاتلهم هو وأصحابه حتى أغيروا وكف عنهم. ثم استمات الخارج ورجعوا فقاتلوه حتى ينس من نفسه. ثم نصره الله عليهم وعزهم وقتل منهم نحواً من أربعة آلاف كان منهم عبد ربه الكبير ولم ينج منهم إلا القليل.

وبعث المهلب البشر إلى الحجاج فأخبره وسأله عن بني المهلب فأنكر عليهم واحداً واحداً. قال: فأنهم كان أجداد؟ قال: كانوا كالحلقة المفرغة لا يعرف طرفها فاستحسن قوله وكتب إلى المهلب يشكره ويأمره أن يولي على كرمان من براه وينزل حامية ويقدم عليه، فول عليها ابنه يزيد وقدم على الحجاج فاحتفل لقدومه وأجلسه إلى جانبه وقال: يا أهل العراق أنت عميد المهلب. وسرح سفيان بن الأبرد الكلبي في جيش عظيم نحو طبرستان لطلب قطرى وعيده بن هلال ومن معهم من الخارج. والتقدوا هنالك ياسحاق بن محمد بن الأشعث في أهل الكوفة واجتمعوا على طلبهم، فلقوهم في شعب من شعاب طبرستان وقاتلتهم فاقتربوا عن قطرى ووقع عن دابته فتدحره إلى أسفل الشعب ومر به على فاستناه على أن يعطيه سلاحه. فعمد إلى أعلى الشعب

يمك من كان على رأيه، فابعدوا إلى قرية من قرى الموصل واجتمعوا بها وهم أربعون وأمرروا عليهم البهلوان وآخروا أنفسهم بأنهم قدمو من عند هشام، ومرروا بقرية كان بهلوان ابناها خلا فوجده خراً وألبى البائع من رده واستعدى عليه عامل القرية، فقال: الخمر خير منك ومن قومك فقتلوه وأظهروا أمرهم وقصدوا خالداً القسري بواسطه وتعلموا عليه بأنه يهدم المساجد وينهى الكناش ويولى المارد على المسلمين.

و جاء الخبر إلى خالد فتوجه من واسط إلى الحيرة وكان بها جند من بني العين نحو ستمائة بعثوا مددًا لعامل المند، فبعثهم خالد مع مقدمهم لقتال بهلوان وأصحابه وضم إليهم مائتين من الشرط والتقو على الفرات، فقتل مقدمهم وانهزموا إلى الكوفة، وبعث خالد عابداً الشيباني من بني حوشب بن يزيد بن رؤيم فلقيه بين الموصل والكوفة فهزمهم إلى الكوفة وارتحل برييد الموصل، ثم بدا له وسار برييد هشاماً بالشام وبعث خالد جنداً من العراق وعامل الجزيرة جنداً، وبعث هشام جنداً فاجتمعوا بين الجزيرة والموصل بكميل وهم في عشرين ألفاً ويهلوان في سبعين قاتلوا واستسلموا وصرع بهلوان، وسأله أصحابه المهد فهذا إلى دعامة الشيباني ثم إلى عمر اليشكري من بعده، ومات بهلوان من ليته وهرب دعامة وتركهم ثم خرج عمر اليشكري فلم يلبث أن قتل.

ثم خرج على خالد بعد ذلك بستين الغمري صاحب الأشہب وبهذا كان يعرف ببعث إليه السبط بن مسلم البجلي في أربعة آلاف فالتحقوا بناحية القرات فانهزمت الخوارج ولقيهم عبيد أهل الكوفة وغوغاؤهم فرمواهم بالحجارة حتى قتلواهم.

ثم خرج وزير السختياني على خالد بالحيرة فقتل وأحرق القرى فوجه إليه خالد جنداً فقتلوا أصحابه، وأثخن بالجراح وأتى به خالد فوعظه فأعجبه وعظه فأعفاه من القتل، وكان يسامره بالليل وسعي بخالد إلى هشام وأنه أخذ حرورياً يستحق القتل فجعله سميرأً، فكتب إليه هشام بقتله فقتله.

ثم خرج بعد ذلك الصحارى بن شبيب يافريقيه فمضى وندم خالد فطلب فلم يرجع، وأتى جبل وبها نفر من اللات بن ثعلبة فأخبرهم وقال: إنما أردت التوصل إليه لأقتله بفلان من قعدة الصفرية كان خالد قتله صبراً، ثم خرج معه ثلاثون منهم فوجه إليهم خالد جنداً فلقوهم بناحية المنذر فاقتتلوا فقتلوا الصحارى وأصحابه أجمعون.

ورد أمر الخوارج بعد ذلك مرة فلما وقعت الفتنة أيام هشام

ظلمتهم! لأن النبي ﷺ دعا إلى الإيمان والشريعة، فمن عمل بها قبل منه، ومن أحدث حدثاً فرض عليه الحد.

فقال: فإن النبي ﷺ دعا إلى التوحيد والإقرار بما نزل عليه، فقال عمر: ليس أحد ينكر ما نزل عليه ولا يقول لا أعمل بسنة رسول الله ﷺ، لكن القوم أسرفوا على أنفسهم، قال عاصم: فابراً منهم ورد أحکامهم، قال عمر: أتعلمان أن أبي بكر سبي أهل الردة وأن عمر ردها بالفائدة ولم يبرا من أبي بكر وأنت لا تبررون من واحد منها قال: فأهل النهروان خرج أهل الكوفة منهم فلم يقتلوا ولا استعرضوا وخرج أهل البصرة فقتلوا عبد الله بن حباب وجارية حاملاً، ولم يتبرا من لم يقتل من قتل واستعرض، ولا أنت تبررون من واحد منها، وكيف ينفعكم ذلك مع علمكم باختلاف أعمالكم؟ ولا يسعني أنا السراء من أهل بيتي والدين واحد، فاتقوا الله ولا تقبلوا المردود وتردوا المقبول، وقد أئمن رسول الله ﷺ من شهد شهادة الإسلام وعصم ماله ودمه، وأنت تقتلونه وأئمن عندكم سائر الأديان وتخرمون دماءهم وأموالهم.

قال اليشكري: من استأمن على قوم وأموالهم فعدل فيها ثم صيرها بعده إلى رجل غير مأمور أثاره أدى الحق الذي لزمه؟ فكيف تسلم هذا الأمر بعده إلى يزيد مع علمك أنه لا يعدل فيه، فقال: إنما ولاه غيري والمسلمون أول بذلك بعدي، قال: فهو حق من فعله ووالاه، قال: أنظراني ثلاثة، ثم جاءه عاصم فرجع عن رأي الخوارج وقال له اليشكري: أعرض عليهم ما قلت وأسمع حجتهم، وأقام عاصم عند عمر وأمر له بالعطاء وتوفي عمر لأيام قلائل وحمد بن جرير ينتظر عود الرسل.

ولما مات عمر كتب عبد الحميد إلى محمد بن جرير بمناجرة شوبذ قبل أن يصل إليهم خبر عمر، فقالت المخواج: ما حالف هؤلاء ميعادهم إلا وقد مات الرجل الصالح، وقتلوا فانهزم محمد بن جرير واتبعه الخوارج إلى الكوفة، ورجعوا وقدم على شوبذ أصحابه وأخباره بموت عمر، وسرح يزيد تميم بن الحباب في الفين فهزمه أصحابه، ثم بعث إليهم الشجاع بن وادع في الفين فقتلوا وهزموه بعد أن قتل منهم هدية ابن عم شوبذ وبقي الخوارج بمكانهم، وجاء مسلمة إلى الكوفة فراسل سعيد بن عمرو الحرشي في عسكر آلاف فاستماثلت الخوارج وكشفوا المساكير مراراً ثم حملوا عليهم فطحونهم طحناً.

وقتل شوبذ وأصحابه ولم يبق منهم أحد، وضعف أمر الخوارج على ظهور أيام هشام ستة عشرين ومائة بهلوان بن بشر بن شيبان وبلغت كنارة، وكان لما عزم على الخوارج حج ولقي

قائد الضحاك وعاودوا الحرب مع مروان فهزمه وانتهوا إلى خيامه فقطعوا أطنافهم وجلس الخبرى على فرشه والجانحان ثابتان وعلى الميمنة عبد الله بن مروان وعلى الميسرة إسحاق بن مسلم العقيلي فلما اكتشفت قلة الخوارج أحاطوا بهم في خيم مروان فقتلوا هم جميعاً والخبرى معهم. ورجع مروان من خور ستة أيام.

وانصرف الخوارج وباعوا شيبان الحروري وهو شيبان بن عبد العزيز اليشكري ويكنى أبو الدلفاء، وقاتلهم مروان بعد ذلك بالكراديس وأبطل الصف من يومئذ وأقام في قتالهم أيامًا وانصرف عن شيبان كثير منهم وارتحلوا إلى الموصل بإشارة سليمان بن هشام وعسكروا شرقى دجلة، وعقدوا الجسور واتبعهم مروان فقاتلهم لستة أشهر، وقتل من الطائفين خلق كثير. وأسر ابن أخي سليمان بن هشام اسمه أمية بن معاوية فقطعه ثم ضرب عنقه. وكتب مروان إلى يزيد بن عمر بن هبيرة وهو بقرقشية يأمره بالسير إلى العراق وولاه عليها وعلى الكوفة يومئذ المشى بن عمران العائذى من قريش خليفة للخوارج فلقي ابن هبيرة بعين التمر فاقتلاو وانهزمت الخوارج. ثم تجمعوا له بالخليفة ظاهر الكوفة فهزمهم، ثم تجمعوا بالبصرة فأرسل شيبان إليهم عيدة بن سوار في خيل عظيمة فهزمهم ابن هبيرة وقتل عيدة وقتل عبيدة واستباح عسكرهم، واستولى على العراق.

وكان منصور بن جهور مع الخوارج فمضى إلى الماهين وغلب عليها وعلى الخليج جميعاً، وسار ابن هبيرة إلى واسط فحبس ابن عمر وكان سليمان بن حبيب عامل ابن عمر على الأهواز فبعث ابن هبيرة إليه بناته بن حنظلة، وبعث هو داود بن حاتم والتقطيا على دجلة فانهزم داود وقتل. وكتب مروان إلى ابن هبيرة أن يبعث إليه عامر بن ضبابة المزنى فبعثه في ثمانية آلاف وبعث شيبان لاعتراضه الجون بن كلاب الخارجي في جمع فانهزم عامر ومحضن بالسند وجعل مروان يده بالجند و كان منصور بن جهور بالجبل يهد شيبان بالأموال. ثم كثرت جموع عامر فخرج إلى الجون والخوارج الذين يحاصرونه فهزمهم وقتل الجون وسار قاصداً الخوارج بالموصل، فارتدى شيبان عنها وقدم عامر على مروان فبعثه في اتباع شيبان، فمر على الجبل وخرج على يباءة فارس وبها يومئذ عامر بن عبد الله بن طوبية بن جعفر في جموع كثيرة.

فارس ابن معاوية إلى كرمان وقاتلته عامر فهزمه ولحق بهراة وسار عامر بن معه فلقي شيبان والخوارج بخيزرف فهزمهم واستباح عسكرهم ومضى شيبان إلى سجستان فهلك بها سنة ثلاثين ومانة، وقيل: بل كان قتال مروان وشيبان على الموصل

بالعراق والشام وشغل مروان بمن انتقض عليه فخرج بأرض كفرعوناً سعيد بن بهدل الشيباني في مائتين من أهل الجزيرة وكان على رأى الحرورية، وخرج بسطام البهسي في مثل عدتهم من ربيعة، وكان مخالفاً لرأيه، فبعث إليه سعيد بن بهدل قاتله الخبرى في مائة وخمسين فيتهم وقتل بسطاماً ومن معه، ولم ينجُ منهم إلا أربعة عشر رجلاً. ثم مضى سعيد بن بهدل نحو العراق فمات هنالك، واستخلف الضحاك بن قيس الشيباني فبايعه السراة وأتى أرض الموصل وشهرزور. واجتمع إليه من الصفرية أربعة ألف أو يزيدون.

وول مروان على العراق النضر بن سعيد الحريشى وعزل به عبد الله بن عمر بن عبد العزيز فامتنع عبد الله بالخبرى، وسار إليه النضر وخارجاً أشهراً. وكانت الصفرية مع ابن عمر عصبية لطلبه بدم الوليد وأمه قيسية وكانت الميمنة مع ابن عمر عصبية لدخولهم في قتل الوليد بما فعله مع خالد القسري، فلما علم الضحاك والخوارج باختلافهم، أقبل إلى العراق سنة سبع وعشرين وصحف إليهم فترسل ابن عمر والنضر وتعاقدا واجتمعا لقتاله بالකوفة، وكل واحد منها يصلى بأصحابه وابن عمر أمير على وإسماعيل أخو خالد القسري وغيرهم من الوجوه.

فلحق ابن عمر بواسط واستولى الضحاك على الكوفة وعادت الحرب بين ابن عمر والنضر. ثم زحف إليهما الضحاك فانتفقا وقاتلا حتى ضربتهما الحرب، ولحق منصور بن جهور بالضحاك والخوارج وباعهم ثم صالحهم ابن عمر ليشغلوا مروان عنه، وخرج إليهم وصلى خلف الضحاك وباعه.

وكان معه سليمان بن هشام وصل إليه هارباً من حصن لما انتقض بها وعليه... عليها مروان فلحق بابن عمر وباع معه الضحاك وصار معه وحرضها على مروان... إنما لحق بالضحاك وهو يحاصر نضيراً وتزوج أخت شيبان الحروري. فرجع الضحاك إلى الكوفة وسار منها إلى الموصل بعد عشرين شهراً من حصار واسط، بعد أن دخل أهل الموصل عليهم القطرن لم أكمله من بني شيبان عامل مروان فأدخلهم أهل البلد وقاتلهم القطرن فقتل ومن معه وبلغ الخبر إلى مروان وهو يحاصر حصن نكتب إلى ابنه عبد الله أن يسير إلى... يمانع الضحاك عن توسط الجزيرة فسار في ثمانية آلاف فارس والضحاك في مائة ألف وحاصره بتصفين. ثم سار مروان بن محمد إليه فالتقطا عند كفرعوناً من نواحي ماردبن فقاتلته عامة يومه إلى الليل وترجل الضحاك في خور ستة آلاف وقاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم وعشر على الضحاك في القتلى فبعث مروان برأسه إلى الجزيرة وأصبح الخوارج بيعاً الخبرى

شهرأً، ثم انهزم شيبان ولحق بفارس وعامر بن صراة في أتباعه، ثم سار شيبان إلى جزيرة ابن كواون، وأقام بها.

وأقام للناس حجتهم وزلل مئن وبعث إلى أبي حزرة عبيد الله بن حسن بن الحسن ومحمد بن عبد الله بن عمر بن عثمان وعبد الرحمن بن القاسم بن محمد وعبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن ربيعة بن أبي عبد الرحمن في أمثالهم، فكسر في وجه العلوي والعلمني واتبسط إلى البكري والعمري، وقال لهما: ما خرجنا إلا سيرة أبويكما، فقال له عبد الله بن حسن: ما جتنا للتفضيل بين آياتنا وإنما جتنا بر رسالة من الأمير وربيعة يخبرك بها.

ثم أحكموا معه المواجهة إلى مدنها. وفقر عبد الواحد في الفر الأول فمضى إلى المدينة وضرب على أهلها البعث وزادهم في العطاء عشرة وبعث عليهم عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن عثمان، فاتهروا إلى فديك. وجاءتهم رسائل أبي حزرة يسألونهم التجافي عن حرفهم وأن يخلوا بينهم وبين عدوهم. فلما نزلوا قديداً وكانوا متربين ليسوا بأصحاب حرب، فطلع عليهم أصحاب أبي حزرة من الغياض فأثخنوا فيهم وكان قتالهم نحو سبعمائة من قريش. وبلغ الخبر إلى عبد الواحد فلحق بالشام. ودخل أبو حزرة المدينة متصرف صفر سنة ثلاثة وخطب على المبر وأعلن بدعته ووعظ، وذكر ورد مقالات من عابهم وسفه رأيه وأحسن السيرة في أهل المدينة واستحلهم حتى سمعوه يقول: من زنا فهو كافر ومن سرق فهو كافر وأقام ثلاثة أشهر، ثم دفعهم وسار نحو الشام.

وكان مروان قد سرح إليهم عبد الملك بن محمد بن عطية بن هوازن في أربعة آلاف ليقتل الخوارج حتى يبلغ اليمن فلقي أبا حزرة في وادي القرى، فانهزمت الخوارج وقتل أبو حزرة ولحق بهم بالمدينة. وسار عطية في أثرهم إلى المدينة فآقام بها شهرأً، ثم سار إلى اليمن واستخلف على المدينة الوليد ابن أخيه عروة، وعلى مكة رجلاً من أهل الشام. وبلغ عبد الله طالب الحق مسيره إليه وهو بصنعاء فخرج للقاء، واقتلوه، وقتل طالب الحق وسار ابن عطية إلى صنعاء وملكتها وجاء كتاب مروان بإقامة الجع بالناس، فسار في إثنى عشر رجلاً ومعه أربعون ألف دينار وخلف قته بصنعاء وزلل الحرف فاعترضه ابن حمزة المرادي في جمع، وقال له ولأصحابه: أنت لصوص فاستظهروا بعهد مروان فكتبوه وقاتلهم فقتلوه. وركد ريح الخوارج من يومئذ إلى أن ظهرت الدولة العباسية وبيع المنصور بعد السفاح.

فخرج سنة سبع وثلاثين بالجزيرة ملبد بن حرمدة الشيباني فسارت إليه روابط الجزيرة في ألف فارس فهزمه وقاد منهم. ثم

ولما ولي السفاح بعث حارثة بن خزيمة لخرب الخوارج هنالك لموجدة وجدها عليه، فأشير عليه بيعته لذلك. فسار في عسكر إلى البصرة وركب السفن إلى جزيرة ابن كواون، وبعث فضالة بن نعيم النهيلي في خسمائة، فانهزم شيبان إلى عمان وقاتل هناك وقتل جلندي بن مسعود بن جلندي ومن معه ستة أربع وثلاثين. وركب سليمان بن هشام السفن بأهله ومواليه إلى الهند بعد مسيرة شيبان إلى جزيرة ابن كواون حتى إذا بويح السفاح قدم عليه وأشده سيف النبيين المعروفين وهما:

لإغتنك ماترى من رجال إن بين الضلوع داء دوسا  
فضع السيف وارفع الصوت حتى لا ترى فسوق ظهرها أمرها  
فقتله السفاح وانصرف مروان بعد مسيرة شيبان إلى الموصل إلى منزله بحران. فلم يزل بها حتى سار إلى الزاب، ومضى شيبان بعد سلمة إلى خراسان والفتنة بها يومئذ بين نصر بن سيار والكرمانى والحارث بن شريح وقد ظهر أبو مسلم بالدعوة العباسية فكان له من الخواص معهم ما ذكرناه واجتمع مع علي بن الكرماني على قتال نصر بن سيار. فلما صالح الكرمانى أبا مسلم كما مر وفارق شيبان تبعي شيبان عن عمر لعلمه أنه لا يقاومه. ثم هرب نصر بن سيار إلى سرخس واستقام أمر أبي مسلم بخراسان، فارسل إلى شيبان يدعوه إلى البيعة ويأذنه بالحرب، واستجاش بالكرمانى فأبى، فسار إلى سرخس واجتمع إليه الكثير من بكر بن وائل، وأرسل إليه أبو مسلم في المواجهة، فحبس الرسل، فكتب أبو مسلم إلى بسام بن إبراهيم مولى بي ليث بالمسير إلى شيبان فسار إليه فهزمه وقتل في عدة من بكر بن وائل. ويقال: إن خزيمة بن حازم حضر مع بسام في ذلك.

## خبر أبي حزرة وطالب وإسحاق

كان اسم أبي حزرة الخارجى المختار بن عوف الأزدي البصري وكان من الخوارج الإباضية وكان يوافى مكة كل موسم يدعى إلى خلاف مروان، وجاء عبد الله بن يحيى المعروف بطلب الحق سنة ثمان وعشرين وهو من حضرموت فقال له: انطلق معى فإني مطاع في قومي. فانطلق معه إلى حضرموت وبايعه على الخلافة. وبعثه عبد الله سنة تسع وعشرين مع بلخ بن عقبة الأزدي في سبعمائة فقدموا مكة وحكموا بالملوق وعامل المدينة يومئذ عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك، فطلبهم في المواجهة

ظاهر بن الحسين فهرب منه وكان من أصحابه معاذ الفارابي وقبض عليه. ثم خرج معه أيام المهدى بالجزيرة حرزة بن مالك الخزاعي سنة تسع وستين وهزم منصور بن زياد وصاحب الخراب وقوى أمره، ثم اغتاله بعض أصحابه فقتله.

ثم خرج آخر أيام المهدى بأرض الموصل خارجي من بني تميم اسمه ياسين يميل إلى مقاتلة صالح بن مسرح فهزم عسكر الموصل وغلب على أكثر ديار ربيعة والجزيره، فبعث إليها المهدى القائد أبا هريرة محمد بن مروخ وهزيمة بن أعين مولى بني ضبة فحارباه حتى قتل في عدة من أصحابه وانهزم الباقون. ثم خرج بالجزيره أيام الرشيد سنة ثمان وسبعين الوليد بن طريف من بني تغلب، وقتل إبراهيم بن خالد بن خزيمة بن تبيين، ثم دخل أرمينة وحاصر خلاط عشرين يوماً واقتدوا بثلاثين الفاً. ثم سار إلى آذربیجان ثم إلى حلسان وأرض السواد، وعبر إلى غرب دجلة وعاش في أرض الجزيره، فبعث إليه الرشيد يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني، وهو ابن أخي معن في العساكر فمكث يقاتلها، وكانت البرامكة منحرفة عن يزيد فأغروا به الرشيد وأنه أبقى على الوليد برجم وائل. فكتب إليه الرشيد يتهدهد فناجرجه يزيد الحرب في رمضان سنة تسعة وسبعين وقاتلهم قتالاً شديداً فقتل الوليد وجيء برأسه. ثم أصبحت أخته مستلتمة للحرب فخرج إليها يزيد وضررها على رأسها بالرمح وقال لها: أعدى فقد فضحت العشيره فاستحيت وانصرفت وهي تقول في رثائه الأبيات المشهورة التي

أيا شجر الخابور مالك مورقاً  
كانك لم تجتمع على ابن طريف  
فهي لا يحب الزاد إلا من التقى ولا المال إلا من قنَا وسيوف  
وإنقرضت كلمة هؤلاء بالعراق والشام، فلم يخرج بعد  
ذلك إلا شذاؤه مفترقون يستحلهم الولاة بالتوابع إلا ما كان من  
خوارج البربر بأفريقية، فإن دعوة الخارجية فشت فيهم من لدن  
مسيرة الظفرى سنة ثلاثة عشر وعشرين ومائة. ثم فشت دعوة  
الإباضية والصفرية منهم في هوارة ولالية ونفزة ومحيلة وفي مغراوة  
وبيني يفرن من زنانة حسبما يذكر في أخبار البربر لسي رست من  
الخوارج بالمغرب دولة في تاهرت من الغرب الأوسط نذكرها في  
أعيان البربر أيضاً. ثم سار بأفريقية منهم على دولة العبيدين  
خلفاء القبروان أبو يزيد بن خلد المغربي، وكانت له مهام حروب  
وأخبار يذكرها في موضعها.

ثم لم يزل أمرهم في تناقض إلى أن أضمرحت ديانتهم  
وافتقرت جاعتهم وبقيت آثار نعيمهم في أعقاب البربر الذين دانوا  
بها أول الأمر. ففي بلاد زناتة بالصحراء منها أثر باقٌ لهذا المعهد

سار إليه يزيد بن حاتم الملهي ومهلل بن صفوان مولى المنصور، ثم  
نزار من قواد خراسان، ثم زياد بن مسكان ثم صالح بن صبيح  
فهزهم كلهم واحداً بعد واحد، وقتل منهم. ثم سار إليه حميد بن  
قطحبة وهو عامل الجزيرة فهزمه ومحسن حميد منه، فبعث المنصور  
عبد العزيز بن عبد الرحمن أخا عبد الجبار في الجيوش، ومعه زياد  
بن مسكان فاكمن له الملبد، وقاتلهم ثم خرج الكعبين فانهزم عبد  
العزيز وقتل عاملاً أصحابه فبعث المنصور حازم بن خزيمة في ثمانية  
آلاف من أهل خراسان فسار إلى الموصل وعبر إلى الملد دجلة  
فقتله فانهزم أهل اليمونة وأهل الميسرة من أصحاب حازم، وتراج  
حازم وأصحابه، وتراج ملد كذلك.

وأمر حازم أصحابه فنضحوهم بالليل، واشتد القتال  
وتزاحفت الميمنة والميسرة ورشقوهم، فقتل ملبد في ثمانين من  
ترجل معه، وتلائمة قبل أن يترجل وبتهم فضالة صاحب  
الميمنة فقتل منهم زهاء مائة وخمسين. ثم خرج سنة ثمان وأربعين  
أيام المنصور بنواحي الموصل حسان بن خالد بن مالك بن الأجدع  
الهمданى أخوه مسروق، وكان على الموصل الصفر بن بحدة ولها  
بعد حرب ابن عبد الله، فسار إليهم فهزمه إلى الدجلة، وسار  
حسان إلى العمال ثم إلى البحر وركب إلى السندي وقاتل، وكاتب  
الخوارج بعمان يدعوهم وستاذهم في اللحاق بهم قابوا، وعاد إلى  
الموصل فخرج إليه الصفر بن الحسن بن صالح بن جنادة الهمدانى  
وهلال، فقتل هلالاً واستبقى ابن الحسن فاتحه بعض أصحابه  
بالعصبية وفارقه. وقد كان حسان أمه من الخوارج وخاله حفص  
بن أشتم من فقهائهم. ولما بلغ المنصور خروجه قال: خارجي من  
همندان؟ فقيل له: إنه ابن أخت حفص بن أشتم. قال: من هناك  
ولما انكر المنصور ذلك لأن عامة همندان شيعة.

وعزم المنصور على الفتك بأهل الموصى، فلما هم عاحدوه على أنهم إن خرجوه فقد فلت ديارهم وأموالهم وأحضر أبا حنيفة وابن أبي ليلى بن شيرمة واستقراهم فلتقطوا له في الغدو فشار إلأي حنيفة فقال: أيا حرروا ما لا يملكون كما لو أباحت امرأة، فزوجها يغير عقد شرعى فكف عن أهل الموصى.

ثم خرج أيام المهدى بخراسان يوسف بن ابراهيمالمعروف بالبرة واجتمع بشركس فبعث إليه المهدى يزيد بن مزيد الشيبانى ابن أخي معن فاقتلا تقاتلا شديدا وأسره يزيد وبعث به إلى المهدى موتقا، وحمل من النهران على بير وحول وجهه إلى ذنبه كذلك فدخلوا إلى الرصافة وقطعوا ثم صلبوا.

وكان حروباً متعدداً فغلب على بوشنج ومو الروذ  
والطالقان والجوزجان، وكان علم به شنج مصعب بن ذيادة، حد

ذكرناه في برنامج الكتاب، والله الموفق الصواب.

## مبدأ دولة الشيعة

اعلم أن مبدأ هذه الدولة أن أهل البيت لما توفي رسول الله ﷺ كانوا يرون أنهم أحق بالأمر وأن الخلافة لرجالهم دون من سواهم من قريش. وفي الصحيح أن العباس قال لعلي في وجع رسول الله ﷺ الذي توفي فيه: اذهب بنا إلى ناسك فيمن هذا الأمر، إن كان فينا علمتنا ذلك، وإن كان في غيرنا علمناه فأوصي بنا. فقال علي: إن مُعننا لا يعطيها الناس بعده. وفي الصحيح أيضاً أن رسول الله ﷺ قال في مرضه الذي توفي فيه: « هلموا أكب لكم كتاباً لن تصلوا بعده أبداً » فاختلقو عنده في ذلك، وتنازعوا ولم يتم الكتاب. وكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين ذلك الكتاب لاختلافهم ولنفعهم، حتى لقد ذهب كثير من الشيعة إلى أن النبي ﷺ أوصى في مرضه بذلك لعلي، ولم يصح ذلك من وجه يقول عليه. وقد أثكرت هذه الوصية عائشة وكفى بإياها. وبقي ذلك معروفاً من أهل البيت وأشياعهم.

وفيما نقله أهل الآثار أن عمر قال يوماً لابن العباس: إن قومكم يعني قريشاً ما أرادوا أن يجتمعوا لكم، يعني بني هاشم بين النبوة والخلافة فتحموا عليهم، وأن ابن عباس نكر ذلك، وطلب من عمر إذنه في الكلام فتكلم بما عصبه له. وظهر من عاورتهما أنهم كانوا يعلمون أن في نفوس أهل البيت شيئاً من أمر الخلافة والعدول عنهم بها. وفي قصة الشورى: أن جماعة من الصحابة كانوا يتبعون لعلي ويرون استحقاقه على غيره، ولما عدل به إلى العباس على الأمر واستقلوا بخلافة الملك، ولحق القل من بني أمية بالأندلس، فقام بأمرهم فيها من كان هناك من مواليهم ومن هرب، فلم يدخلوا في دعوة بني العباس، وانقسمت لذلك دولة الإسلام بدولتين لافتراق عصبية العرب. ثم ظهر دعاة أهل البيت

ثم لما فشا التكبر على عثمان والطعن في الأفاق كان عبد الله بن سبا ويعرف بابن السوداء، من أشد الناس خوضاً في التشنيع لعلي بما لا يرضاه من الطعن على عثمان وعلى الجماعة في العدول إليه عن علي، وأنه ولد بغير حق، فأنخرجه عبد الله بن عامر من البصرة ولحق بمصر. فاجتمع إليه جماعة من أمثاله جنحوا إلى الغلو في ذلك واتحالف المذاهب الفاسدة فيه: مثل خالد بن ملجم وسوزان بن حدان وكنانة بن بشر وغيرهم.

ثم كانت بيعة علي وقتة الجمل وصفين، وأخراج الخوارج

في قصور ربيع وواديه، وفي مغراوة من شعوب زناته يسمون الراهبة نسبة إلى عبد الله بن وهب الراهي. أول من بويح منهم أيام علي بن أبي طالب. وهم في قصور هنالك مظہرين لدعتمهم لبعدهم عن مقال أهل السنة والجماعة، وكذلك في جبال طرابلس وزناته أثر باق من تلك النحلة يدين بها أولئك البربر في المقاومة لهم مثل ذلك. وتطير إلينا هذا المهد من تلك البلاد دواوين و مجلدات من كلامهم في فقه الدين، وتعهيد عقائده وفروعه مبادئ لمناجي السنة وطرقها بالكلية، وإلا أنها ضاربة بسهم في إجادة التأليف والترتيب وبناء الفروع على أصولهم الفاسدة.

وكان بنواحي البحرين وعمان إلى بلاد حضرموت وشرقى اليمن ونواحي الموصل آثار نتشي وعروق في كل دولة، إلى أن خرج علي بن مهدي من خولان باليمن ودعا إلى هذه النحلة. وغلب يومئذ من كان من الملك باليمن واستلهم ببني الصليحي القائمين بدعة العبيد من الشيعة وغلبهم على ما كان بآيديهم من مالك اليمن، واستولوا أيضاً على زيد ونواحيها من يد موالي بني نجاح ومولى ابن زياد كما نذكر ذلك كله في أخبارهم إن شاء الله سبحانه وتعالى. فلنصلح في أماكنها. ويفقال: إن باليمن لهذا العهد شيعة من هذه الدعوة ببلاد حضرموت، والله يضل من يشاء وبهدي من يشاء.

## الدولة الإسلامية بعد افتراق الخلافة

لم يزل أمر الإسلام جيئاً دولة واحدة أيام الخلفاء الأربعة وبنى أمية من بعدهم لاجتماع عصبية العرب. ثم ظهر من بعد ذلك أمر الشيعة، وهم الدعاة لأهل البيت، فقلب دعوة بني العباس على الأمر واستقلوا بخلافة الملك، ولحق القل من بني أمية بالأندلس، فقام بأمرهم فيها من كان هناك من مواليهم ومن هرب، فلم يدخلوا في دعوة بني العباس، وانقسمت لذلك دولة الإسلام بدولتين لافتراق عصبية العرب. ثم ظهر دعاة أهل البيت بالمغرب والعراق من العلوية ونزاعوا خلفاء بني العباس واستولوا على القاسمية من النواحي كالأدarsة بالغرب الأقصى، والعبيدين بالقيروان ومصر، والقرامطة بالبحرين، والدواعيي بطرستان والدليل والأطروش فيها من بعده. وانقسمت دولة الإسلام بذلك دولاً متفرقة تذكرها واحدة بعد واحدة. ونبداً منها أولاً بذكر الشيعة وبمبادئ دوهم، وكيف انساقت إلى العباسية ومن بعدهم إلى آخر دوهم. ثم نرجع إلى دولة بني أمية بالأندلس. ثم نرجع إلى دولة الدعاة للدولة العباسية في النواحي من العرب والعجم كما

عنه بما أنكروا عليه من التحكيم في الدين. وتحضرت شيعته للاستماع إليه في حرب معاوية مع علي، وبرفع ابنه الحسن وخرج عن الأمر لمعاوية، فسخط ذلك شيعة علي منه وأقاموا بتنازعون في السر باستحقاق أهل البيت والملل إلهم، وسخطوا من الحسن ما كان منه، وكتبوا إلى الحسين بالدعاء له فامتنع، وأودعهم إلى هلاك معاوية. فصاروا إلى محمد بن الحنفية وبإيعره في السر على طلب الخلقة متى أمكنه، وولى على كل بلد رجلاً، وأقاموا على ذلك ومعاوية يكف سياسة من غريهم، ويقتلع الداء إذا تعين له منهم، كما فعل مجرر بن عدي وأصحابه، ويروض من شمام أهل البيت ويساعدهم في دعوى تقدمهم واستحقاقهم. ولا يهيج أحداً منهم بالتشبيب عليه في ذلك.

إلى أن مات وولي يزيد، وكان من خروج الحسين وقتله ما هو معروف، فكانت من أشنع الواقائع في الإسلام. عظمت بها الشحناء، وتغلغل الشيعة في شأنهم، وعظم التكبر والطعن على من تولى ذلك أو قعد عنه. ثم تلاوموا على ما أحسوا به من أمر الحسين وأنهم دعوا ثم لم ينتصروه فندموا ورأوا أن لا كفاراة في ذلك إلا الاستماع دون ثاره، وسموا أنفسهم التوابين. وخرجوا لذلك يقدمهم سليمان بن صرد الخزاعي، ومعه جماعة من خيار أصحاب علي. وكان ابن زيد قد انتقض عليه العراق ولحق بالشام وجمع وزرينج قاصد العراق فزحفوا إليه وقاتلوه حتى قتل سليمان وكثير من أصحابه كما ذكرنا في خبره وذلك سنة خمس وستين. ثم خرج المختار بن أبي عبيد ودعا محمد بن الحنفية كما قدمناه في خبره، وفشا التعصب لأهل البيت في الخاصة والعامة بما خرج عن حدود الحق، واختلفت مذاهب الشيعة فیمن هو أحق بالأمر من أهل البيت، وبابع كل طائفة لصاحبها سراً ورسخ الملك لبني أمية.

## الخبر عن بني العباس من دول الإسلام في هذه الطبقة الثالثة للعرب وأولية أمرهم وإنشاء دولتهم والإسلام بنكت أخبارهم وعيون أحاديثهم

هذه الدولة من دولة الشيعة كما ذكرناه وفرقها منهم يعرفون بالكتمانية، وهم القاتلون بإمامية محمد بن علي بن الحنفية بعد علي، ثم بعده إلى ابنه أبي هشام عبد الله. ثم بعده إلى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بوصيته كما ذكرنا. ثم بعده إلى ابنه إبراهيم الإمام ابن محمد، ثم بعده إلى أخيه أبي العباس السفاح

وطوى هؤلاء الشيعة قلوبهم على عقائهم فيها، وتسروا بها مع تعدد فرقهم وكثرة اختلافهم كما ذكرناه عند نقل مذاهبهم في فصل الإمامة من الكتاب الأول. ونشأ زيد بن علي بن الحسين وقرأ على واصل بن عطاء إمام المعتزلة في وقته، وكان واصل متذداً في إصابة علي في حرب صفين والجمل، فقتل ذلك عنه. وكان أخوه محمد الباقر يعلمه في الأخذ عن روى سخطية جده، وكان زيد أيضاً مع قوله بأفضلية علي على أصحابه، برى أن بيعة الشيوخ صحيحة وأن إقامة الفضول جائزة خلاف ما عليه الشيعة، وبرى أنهما لم يظلموا علياً.

ثم دعنه الحال إلى الخروج بالکوفة سنة إحدى وعشرين ومائة، واجتمع له عامة الشيعة ورجع عنه بعضهم لما سمعوه يشي

وقتلوا منهم مقتلة عظيمة واتهروا ما خلف عندهم فأعرض عن ذلك وسار للقاء السفياني وأبي داود، وقدم أخيه عبد الصمد في عشرة آلاف فكشف ورجع إلى أخيه عبد الله منهزمًا، فزحف عبد الله في جماعة القواد ولقيهم سرج الأح Prism وهم في أربعين ألفاً فانهزموا، وثبت أبو الورد في خمسة من قومه قتلوا جميعاً.

وهرب أبو محمد إلى ترمذ وراجع أهل قنسرين طاعة العباسية ورجع عبد الله بن علي إلى قتال أهل دمشق ومن معهم. فهرب عثمان بن سراقة ودخل أهل دمشق في الدعوة وبايعوا لعبد الله بن علي، ولم يزل أبو محمد السفياني بأرض الحجاز متغيّراً إلى أيام المتصور فقتله زياد بن عبد الله الحارثي عامل الحجاز يومئذ، وبعث برأسه إلى المتصور مع ابنين له أسرى فاطلقهما المتصور.

ثم خلع أهل الجزيرة ويبضاً وكان السفاح قد بعث إليهم ثلاثة آلاف من جنده مع موسى بن كعب من قواده وأنزلهم بحران. وكان إسحاق بن مسلم العقيلي عامل مروان على أرمينية، فلما بلغته هزيمة مروان سار عنها واجتمع إليه أهل الجزيرة، وحاصروها موسى بن كعب بحران شهرين فبعث السفاح أخيه أبي جعفر إليهم وكان محاصراً لابن هبيرة بواسطه، فسار لقتال إسحاق بن مسلم، ومر بقرقيسيا والرقعة وأهلها قد خلعوا ويبضاً. وسار نحو حران فاجفل إسحاق بن مسلم عنها، ودخل الرها وبعث أخيه بكار بن مسلم إلى قبائل ربيعة بنواحي مارددين، ورئيسهم يومند بركمة من الحرورية، فقصد إليهم أبو جعفر فهزمه وقتل بركمة في المعركة وانصرف بكار إلى أخيه إسحاق، فخلقه بالرها وسار إلى شمشاط بمعظم عسكره. وجاء عبد الله بن علي فحاصره، ثم جاء أبو جعفر فحاصره سبعة أشهر وهو يقول: لا أخلع البيعة من عنقي حتى أتيقن موتي صاحبها. ثم تيقن موته مروان فطلب الأمان واستأذنا السفاح، فأمرهم بتائمه وخرج إسحاق إلى أبي جعفر فكان من مآثر أصحابه. واستقام أهل الجزيرة والشام وولى السفاح أخيه أبي جعفر على الجزيرة وأرمينية وأذربيجان فلم يزل عليها حتى استخلف.

### حصار ابن هبيرة بواسطه ومقتله

ثم تقدم لنا هزيمة يزيد بن هبيرة أمام الحسن بن قحطبة وتحصنه بواسطه وكان جويبة وبعض أصحابه أشاروا عليه بعد المجزية للهراق بالكرفة فأبى. وأشار عليه يحيى بن حسين باللحران مروان وخوفه عاقبة الحصار فأبى خشية على نفسه من مروان واعتضم بواسطه. وبعث أبو مسلمة الحسن بن قحطبة في العسكر

وهو عبد الله بن الحارثية، هكذا مساقها عند هؤلاء الكيسانية ويسمون أيضاً الحرمائية نسبة إلى أبي مسلم لأنه كان يلقب بحرماق. ولبني العباس أيضاً شيعة يسمون الرواندية من أهل خراسان يزعمون أن أحق الناس بالإمام بعد النبي ﷺ هو العباس، لأنه وارثه وعاصيه لقوله وأولو الأرحام بعضهم أول بعض في كتاب الله، وإن الناس منعوه من ذلك وظلموه إلى أن رده الله إلى ولده، وينهبون إلى البراءة من الشيوخين وعثمان وبغيضون بيعة علي لأن العباس قال له: يا ابن أخي هلم أبابعك فلا يختلف عليك اثنان. ولقول داود بن علي - عم الخليفة العباسي - على منبر الكوفة يوم بويح السفاح: يا أهل الكوفة إيه لم يقم إمام بعد رسول الله ﷺ إلا علي بن أبي طالب وهذا القائم فيكم يعني: السفاح.

### دولة السفاح

قد تقدم لنا كيف كان أصل هذه الدعوة وظهورها بخراسان على يد أبي مسلم، ثم استيلاء شيعتهم على خراسان والعراق، ثم بيعة السفاح بالكرفة سنة ثلثة وثلاثين ومائة، ثم قتل مروان بن محمد وانقراض الدولة الأموية. ثم خرج بعض أتباعهم وقادهم وانتقضوا على أبي العباس السفاح، وكان أول من انقض حبيب بن مرة المري من قواد مروان، وكان يخولان والبلقاء خاف على نفسه وقومه فخلع وببس ومعناه لبس البياض ونصب الريات البيض مخلافة لشعار العباسية في ذلك. وتابعته قيس ومن بليهم والسفاح يومئذ بالحقيقة بأنه أن أبو الورد مجزأة بن الكوثر بن زفر بن الحارث الكلابي انتقض بقنسرين، وكان من قواد مروان، ولما انهزم مروان وقدم عليه عبد الله بن علي بايعه ودخل في دعوة العباسية وكان ولد مسلمة بن عبد الملك مجاوري له بialis والناعورة، فبعث بهم وبنائهم القائد الذي جاءهم من قبل عبد الله بن علي. وشكروا ذلك إلى أبي الورد فقتل القائد، وخلع معه أهل قنسرين، وكانتوا أهل حصن في الخلاف وقدموا عليهم أبا محمد عبد الله بن يزيد بن معاوية، وقالوا: هو السفياني الذي يذكر.

ولما بلغ ذلك عبد الله بن علي وادع حبيب بن مرة وسار إلى أبي الورد بقنسرين ومر بدمشق، فخلع بها أبا غام عبد الحميد بن ربيع الطائي في أربعة آلاف فارس مع حرمته وأئصاله، وسار إلى حصن بلغه أن أهل دمشق خلعوا ويبضاً وقام فيهم بذلك عثمان بن عبد الأعلى بن سراقة الأزدي. وأنهم هزموا أبا غام وعسكره

أهل خراسان.

ثم أذن لابن هبيرة فدخل على النصرور وحادثه وخرج عنه ومكث يائياً يوماً ويغبة يوماً. ثم أغرى أبي جعفر أصحابه بأنه يائى في خسمة فارس وثلاثمائة راجل فيهزت له العسكرية. فامر أبو جعفر أن يائى في حاشيته فقط. فكان يائى في ثلاثين ثم آخرًا في ثلاثة. ثم ألح السفاح على أبي جعفر في قتله، وهو يراجعه للأمان الذي كتب له حتى كتب إليه السفاح: والله لنقتله أو لأبعن من بخوجه من حجرتك فيقتله. فبعث أبو جعفر إلى وجوهه القيسية والمصرية وقد أعد لهم ابن نهيك في مائة من الخراسانية في بعض حجره.

و جاء القوم في اثنين وعشرين رجالاً يقدمهم محمد بن نباتة وجبيرة بن سهل فدعاهم سلام الحاجب رجلين وعشماي ابن نهيك يقيدهما إلى أن استكملهم وبعث أبو جعفر لخازم بن خزيمة والهيثم بن شعبة في مائة إلى ابن هبيرة فقالوا: نريد حل المآل فذهب حاجبه على الخزانة فاقاموا عندها الرجال وأقبلوا نحوه فقام حاجبه في وجههم. فضربه الهيثم فصرعه، وقاتل ابنه داود فقتل في جماعة من مواليه. ثم قتل ابن هبيرة آخرًا وحملت رؤوسهم إلى أبي جعفر. ونادي بالأمان للناس إلا الحكم بن عبد الملك أبي بشر وخالد بن مسلمة المخزومي وعمر بن در فهرب الحكم وأمن أبو جعفر خالدًا فلم يجز السفاح أمانه وقتله واستأمن زياد بن عبيد الله لابن در فامنه.

### مقتل أبي مسلمة بن الخلال وسليمان بن كثير

قد تقدم لنا ما كان من أبي مسلمة الخلال في أمر أبي العباس السفاح واتهام الشيعة في أمره، وتغير السفاح عليه وهو يعكر أعين ظاهر الكوفة. ثم تحول إلى مدينة الماشمية ونزل قصرها وهو يتذكر لأبي مسلمة، وكتب إلى أبي مسلم بيغشهه ويرأيه فيه، فكتب إليه أبو مسلم بقتله. وقال له داود بن علي: لا تفعل. فيحتاج بها أبو مسلم عليك والذين معك أصحابه وهم له أطوع، ولكن أكتب إليه يبعث من يقتله ففعل. وبعث أبو مسلم مرار بن أنس الضبي فقتلته. فلما قدم نادي السفاح بالرضا عن أبي مسلمة ودعا به وخلع عليه. ثم دخل عنده ليلة أخرى فسهر عامة ليله، ثم انصرف إلى منزله فأعترضه مرار بن أنس وأصحابه فقتلوه وقالوا: قتلوا الخوارج. وصلى عليه من الغد يحيى أخو السفاح وكان يسمى وزير آل محمد وأبو مسلم أمير آل محمد. وبلغ الخبر

للحصاره وعلى ميمنته ابنه داود فانهزم أهل الشام واضطروا إلى دجلة وغرق منهم كثير. ثم تهاজروا ودخل ابن هبيرة المدينة وخرج لقتالهم ثانية بعد سبعة أيام فانهزم كذلك، ومكثوا أيامًا لا يقتلون إلا رمياً. وبلغ ابن هبيرة أن أبي أمية الثعلبي قد سود فحبسه فقضى بذلك ربيعة ومن بن زائدة وحبسو ثلاثة نفر من فزارة رهنًا في أبي أمية، واعتزل معن عبد الله بن عبد الرحمن بن بشير العجي فلمن معهما فخلع ابن هبيرة سبل أبي أمية وصالحهم وعادوا إلى اتفاقهم.

ثم قدم على الحسن بن تعحبطة من ناحية سجستان أبو نصر مالك بن الهيثم فأورد غilan بن عبد الله المزاعي على السفاح يخبره بقدوم أبي نصر، وكان غilan واحدًا على الحسن، فراغب من السفاح أن يبعث عليهم رجلاً من أهل بيته، بعث أخاه أبي جعفر، وكتب إلى الحسن: العسكرية لك والقواد قوادك ولكن أحبت أن يكون أخي حاضرًا فاحسن طاعته وموارزته.

وقدم أبو جعفر فائزه الحسن في خيمته وجعل على حرسه عثمان بن نهيك. ثم تقدم مالك بن الهيثم لقتال أهل الشام وابن هبيرة. فخرجوه لقتاله وأكملوا معن بن زائدة وأبا يحيى الجراوي. ثم استطردوا لابن الهيثم وأنهزموا للخنادق. فخرج عليهم معن وأبو يحيى فقاتلهم إلى الليل وتحاجزوا وأقاموا بعد ذلك أيامًا. ثم خرج أهل واسط مع معن وحمد بن نباتة، فهزهم أصحاب الحسن إلى دجلة فتساقطوا فيها. وجاء مالك بن الهيثم فوجد ابنه قتيلاً في المعركة، فحمل على أهل واسط حتى أدخلهم المدينة. وكان مالك يملاً السفن حطباً ويسرها نارًا فتفرق ما تر به فيأمر ابن هبيرة بأن تحر بالكلاليب، ومكثوا كذلك أحد عشر شهرًا.

وجاء إسماعيل بن عبد الله القسري إلى ابن هبيرة بقتل مروان وفشلت اليمانية عن القتال معهم، وتعبرهم الفزارية فلم يقاتل معه إلا الصعاليك. ويعث ابن هبيرة إلى محمد بن عبد الله بن الحسن المتنى بأن يابع له فابطأ عنه جوابه، وكاتب السفاح اليمانية من أصحاب ابن هبيرة وأطعمهم. فخرج إليه زياد بن صالح و زياد بن عبيد الله الحريثان، ووعدا ابن هبيرة أن يصلحوا له جهة السفاح ولم يفعلوا. وتردد الشعراء بين أبي جعفر وأبن هبيرة في الصلح، وأن يكتب له كتاب أمان على ما اختاره ابن هبيرة وشارف في العلماء أربعين يومًا حتى رضيه وألفنه إلى أبي جعفر فأنفذه إلى السفاح وأمر بإمضائه، وكان لا يقطع أمرًا دون أبي مسلم، فكتب إليه يحيى بن هبيرة قد خرج بعد الأمان إلى أبي جعفر في ألف وثلاثمائة فلقى الحاجب سلام بن سليم فائزه وأجلسه على وسادة وأطاف بمجرة أبي جعفر عشرة آلاف من

بالأهواز وفارس. وملك الروم ملطية وفالقلا. وفي سنة ثلاثة وثلاثين قبل قسطنطين ملك الروم فحضر ملطية والفتح يومئذ بالجزيرة، وعاملها يومئذ موسى بن كعب بن أسان. فلم يزل حاضرهم حتى نزلوا على الأمان واتقلوا إلى بلاد الجزيرة، وحملوا ما قدروا عليه. وخرب الروم ملطية وساروا عنها إلى مرج الحصى، وأرسل قسطنطين العساكر إلى قالقلا من نواحي ماردين مع قائده كوشان الأرمي فحضرها وداخل بعض الأرمن من آهل المدينة فنقبوا له السور فاقتصرت البلد من ذلك القبر واستباحها.

### الثوار بالنواحي

كان المثنى بن يزيد بن عمر بن هبيرة قد ولد أبو علي اليamente، فلما قتل يزيد أبوه امتنع هو باليamente فبعث إليه زياد بن عبيد المدن بالعساكر من المدينة مع إبراهيم بن حبان السلمي فقتله وقتل أصحابه وذلك سنة ثلاثة وثلاثين. وفيها خرج شريك ابن شيخ إسحاقاً على أبي مسلم وتضنه أنفاله واجتمع إليه أكثر من ثلاثين ألفاً فبعث إليه أبو مسلم زياد بن صالح الخزاعي فقاتلته وقتلها. وفيها توجه أبو داود وخالد بن إبراهيم إلى الخليل فتحصنه ملکهم ابن السبيل منها ومنعه الدهاقن فحاصره أبو داود حتى جهد الحصار فخرج من حصنه مع الدهاقن ولحق بفرغانة. ثم سار منها إلى بلد الصين وأخذ أبو داود من ظفر به في المحسن فبعث بهم إلى أبي مسلم.

وفيها الفتنة بين أخشد فرغانة وملك الشاش، واستمد الأخشد ملك الصين فأمده بمائة ألف مقاتل وحضرها ملك الشاش حتى نزلوا على حكم ملك الصين، فلم يعرض له ولا لقومهسوء. وبعث أبو مسلم زياد بن صالح لاعتراضهم فلقيهم على نهر الطرار ظفر بهم وقتل منهم نحواً من خمسين ألفاً وأسر نحواً من عشرين ألفاً ولحق بهم بالصين، وذلك في ذي الحجة سنة ثلاثة وثلاثين. ثم انتقض بسام بن إبراهيم بن بسام من فرسان أهل خراسان وسار من عسكر السفاح وجاء على رأيه سراً إلى المدائن، فبعث السفاح في أمرهم خازم بن خزيمة فقاتلهم وقتل أكثرهم واستباهم، ويبلغ ماه وانصرف، فمر بذات المطامير، وبها آخوال السفاح من بني عبد المدان في نحو سبعين من قرابتهم وموالיהם.

وقيل له: إن المغيرة من أصحاب بسام عندهم فسأله عن ذلك فقالوا: مر بنا مجتازاً فهدهم إن لم يأخذنـه فاغلظوا له في القول فقتلوا عن آخرهم. ويبلغ السفاح سوء أمره في أهل الموصل فعزله، وول مكانه إسماعيل بن علي، وول يحيى مكان إسماعيل

إلى أبي مسلم، وسرح سليمان بن كثير بالذكر لذلك فقتلته أبو مسلم، وبعث على فارس محمد بن الأشعث وأمره أن يقتل ابن أبي مسلمة ففعل.

### عمال السفاح

ولما استقام الأمر للسفاح ول على الكوفة والسوداد عمه داود بن علي ثم عزله وولاه على الحجاز واليمامة ول على مكانه على الكوفة عيسى ابن أخيه موسى بن محمد. ثم توفي داود سنة ثلاثة وثلاثين فول مكانه على الحجاز واليمامة خالد بن زياد بن عبيد الله بن عبيد..... وعلى اليمان محمد بن يزيد بن عبيد الله بن عبد... وول السفاح على البصرة سفيان بن معاوية المهلي، ثم عزله وول مكانه عمه سليمان بن علي وأصحابه إليه كسر دجلة والبحرين وعمان. وول عمه إسماعيل بن علي الأهواز وعمه عبد الله بن علي على الشام، وأبا عون عبد الملك بن يزيد على مصر، وأبا سلم على خراسان، ويرمك على ديوان الخراج. وول عمه عيسى بن علي على فارس، فسبقه إليها محمد بن الأشعث من قبل أبي مسلم. فلما قدم عليه عيسى همُّ محمد بقتله، وقال: أمريني أبو مسلم أن أقتل من جاءني بولاية من غيره. ثم أقصر عن قته واستخلفه بآستان لا خارج لها أن لا يعلو منبراً ما عاش ولا يقلد سيفاً إلا في جهاد فرقى عيسى بذلك بقية عمره.

واستعمل بعده على فارس عمه إسماعيل بن علي واستعمل على الموصل محمد بن صول فطرده أهله و قالوا: بل علينا تولى خضم، وكانوا منحرفين عن بي العباس، فاستعمل السفاح عليهم أخاه يحيى وبعثه في اثنى عشر ألفاً، فنزل قصر الإمارة وقتل منهم اثنى عشر رجلاً، فشاروا به وحمل السلاح فنودي بهم بالأمان لمن دخل المسجد الجامع فتسابيل الناس عليه، وقد أقام الرجال على أبوابه فقتلوا كل من دخل. يقال: قتل أحد عشر ألفاً من لبث وما لا يحصى من غيرهم. وسمع صياح النساء بالليل فأمر من الغد بقتل النساء والصبيان، واستباهم ثلاثة أيام. وكان في عسكره أربعة آلاف من الزنوج فماتوا في النساء. وركب في اليوم الرابع وبين يديه الحراب والسيوف فاعتبرته امرأة وأخذت بعنان دابته وقالت له: ألسن من بي هاشم؟ ألسن ابن عم الرسول؟ أما تعلم أن المؤمنات المسلمات ينكحهن الزنوج؟ فامسك عنها وجعل الزنوج من الغد للعطاء، وأمر بهم فقتلوا عن آخرهم. ويبلغ السفاح سوء أمره في أهل الموصل فعزله، وول مكانه إسماعيل بن علي، وول يحيى مكان إسماعيل

وكان السفاح قد دس معه إلى زياد بن صالح الأزدي أن يتهزء فرصة في أبي مسلم فقتلته. وفي الخبر إلى أبي مسلم فحبس سباعاً بأمد، وسار عنها وأمر عامله بقتله. ولقيه قواد زياد في طريقه وقد خلعوا زياداً فدخل أبو مسلم بخاري ونجا زياد إلى دهقان هناك فقتله وحمل رأسه إلى أبي مسلم. وكتب أبو مسلم إلى أبي داود فقتلته، وكان قد شغل بأهل الطالقان فرجع إلى كش وبعث عيسى بن ماهان إلى بسام فلم يظفر منها بشيء، وبعث إلى بعض أصحاب أبي مسلم يعيّب أبا داود وعيسى، فضربه وجسه، ثم أخرجه فوثب عليه الجندي فقتلوه ورجع أبو مسلم إلى مرو.

### حج أبي جعفر وأبي مسلم

وفي سنة ست وثلاثين استاذن أبو مسلم السفاح في القديوم عليه للحج، وكان منذ ولد خراسان لم يفارقه فاذن له في القديوم مع خمسة من الجندي، فكتب إليه أبو مسلم أني قد عادت الناس ولست آمن على نفسي فاذن له في الف، وقال: إن طريق مكة لا تحتمل العسکر فسوار في ثمانية آلاف فرقهم ما بين نيسابور والري، وخلف أمواله وخزاناته بالري وقدم في الف وخرج القواد بأمر السفاح لتقيه، فدخل على السفاح وأكرمه وأعظمه. واستاذن في الحج فاذن له، وقال: لولا أن أبا جعفر يريد الحج لاستعملتك على الموسم، فازلوك بقرية وكان قد كتب إلى أبي جعفر أن أبا مسلم استاذني في الحج وأذنت له وهو يريد ولاية الموسم، فاسألي أنت في الحج، فلا تطبع أن يتقدمك، وأذن له فقدم الأنبار. وكان ما بين أبي جعفر وأبي مسلم متبعداً من حيث بعث السفاح أبا جعفر إلى خراسان ليأخذ البيعة له ولأبي جعفر من بعده ويرثي أبا مسلم على خراسان فاستخلى أبو مسلم بأبي جعفر. فلما قدم الان أبو جعفر السفاح بقتله وأذن له فيه ثم ندم وكفه عن ذلك، وسار أبو جعفر إلى الحج ومعه أبو مسلم واستعمل على حران مقاتل بن حكيم العكي.

### موت السفاح وبيعة المنصور

كان أبو العباس قد تحول من الخيرة إلى الأنبار في ذي الحجة سنة أربع وثلاثين فقام بها سنتين ثم توفي في ذي الحجة سنة ست وثلاثين لثلاث عشرة ليلة خلت منه ولأربع سنتين وثمانية أشهر من لدن بويع وصلى عليه عمه ودفن بالأنبار. وكان وزيره أبو الجهم بن عطية وكان قبل موته قد عهد بالخلافة لأنجيه أبي جعفر ومن بعده لعيسى ابن أخيهما موسى، وجعل المهد في

لذلك ودخل بهم زياد بن عبد الله المارثي على السفاح وشكوا إليه ما فعل بهم فهم يقتله. وبلغ ذلك موسى بن كعب وأبا الجهم بن عطية فدخلوا على السفاح وذكراه سابقة الشيعة وطاعتهم وأنهم آترووك على الأقارب والأولاد وقتلوه من خالقكم، فإن كان لا بد من قتله فابعه لوجه من الوجوه، فإن قتل هو الذي تزيد وإن ظفر فلك، بعثه إلى الخوارج الذين بجزيره ابن كاوان من عمّان مع شيبان بن عبد العزيز الشكري، فبعث معه سبعمائة رجل فحملهم سليمان بن علي من البصرة في السفن وقد انضم إليه من أهله وعشائره ومواليه وعدة من بي قيم من البصرة، فلما أرسوا بجزيره ابن كاوان قدم خازم فضلته بن نعيم المشلي في خمسة إلى شيبان فانهزم هو وأصحابه و كانوا صفرية، وركبوا إلى عمّان فقاتلهم الجندي في الإباضية، فقتل شيبان ومن معه كما مر، وشيبان هذا غير شيبان بن سلمة الذي قتل بخراسان فربما يشتبهان. ثم ركب خازم البحر إلى ساحل عمّان فنزل وقاتل الجندي أيامه أمر خازم أصحابه في آخرها أن يبعلا على أطراف أستهم المشaque ويدوروها بالنفط ويشعلوها بالنيران ويرموها في بيوت القوم، وكانت من خشب. فلما اضطربت فيها النار شغلوا بأهلهم وأولادهم عن القتل، فحمل عليهم خازم وأصحابه فاستحملوهم. وقتل الجندي عشرة آلاف، وبعث خازم برؤوسهم إلى البصرة فبعثها سليمان إلى السفاح فندم أهـ.

ثم غزا خالد بن إبراهيم أهل كش بقتل الأخشيد ملوكها وهو مطيع واستباحهم وأخذ من الأواني الصينة المقوشة المذهبة، ومن الدبياج والسرورج ومتعة الصين وظرفه ما لم يبر مثله، وحمله إلى أبي مسلم سمرقند. وقتل عدة من دهاقين كش وملك طازان أخا الأخشيد على كش، ورجع أبو مسلم إلى مرو بعد أن فتك في الصعد وبخاري وأمر ببناء سور سمرقند. واستخلف زياد بن صالح على بخاري وسمرقند ورجع أبو داود إلى بلخ. ثم بلغ السفاح انتقام منصور بن جمهور بالسندي فبعث صاحب شرطته موسى بن كعب واستخلف مكانه على الشرطة المسيبة بن زهير.

وسار موسى لقتال ابن جمهور فلقيه بتخوم الهند وهو في نحو اثنى عشر ألفاً فانهزم ومات عطشاً في الرمال. ورحل عامله على السندي بعيله وتقلته فدخل بهم بلاد الخزر. ثم انتقض سنة خمس وثلاثين زياد بن صالح وراء النهر. فسار أبو مسلم إليه من مرو وبعث أبو داود خالد بن إبراهيم نصر بن راشد إلى ترمذ ليمنعها من زياد فلما وصل إليها خرج عليه ناس من الطالقان فقتلوه بعث مكانه عيسى بن ماهان فسمع قتلة نصر فقتلهم. وسار أبو مسلم فانتهى إلى آمد ومعه سباع بن النعمان الأزدي

ثم أقبل عبد الله بن علي حتى نزل نصبيين وختنق عليه وقدم أبو مسلم فيمن معه. وكان المنصور قد كتب إلى الحسن بن قحطبة عامله على أرميinia بأن يوافي إبا مسلم، فقدم عليه بالموصل، وسار معه. وزل أبو مسلم ناحية نصبيين وكتب إلى عبد الله: أني قد وليت الشام ولم أؤمر بقتالك فقال أهل الشام لعبد الله: سر بنا إلى الشام لنمنع نسأنا وأبناها. فقال لهم عبد الله: ما يزيد إلا قاتلنا وإنما قصد المكر بنا، فأبوا إلا الشام. فارتحل بهم إلى الشام وزل أبو مسلم في موضع مسكنه وغور ما حوله من المياه فوقف أصحاب عبد الله بكار بن مسلم العقيلي وعلى ميسره حبيب بن سعيد الأسدي وعلى الخيل عبد الصمد بن علي آخر عبد الله وعلى ميسره خازم بن خزيمة، فاقتلوه شهراً.

ثم حل أصحاب عبد الله على عسكر أبي مسلم فازوالهم عن مواضعهم وحمل عبد الصمد فقتل منهم ثمانية عشر رجلاً. ثم حمل عليهم ثانية فازالوا صفهم. ثم نادى نادي أبي مسلم في أهل خراسان فتراجعوا. وكان مجلس إذا لقي الناس على عريش ينظر منه إلى الحرماء فإن رأى خللاً أرسل بسهنه. فلا تزال رسالته تختلف بينه وبين الناس حتى ينصرفوا. فلما كان يوم الأربعاء لسيع خلون من جادى الآخرة ستة سبع وثلاثين اقتلوا وأمر أبو مسلم الحسن بن قحطبة أن يضم إلى الميسرة ويزل في الميمنة حة أصحابه، فانضم أهل الشام من الميسرة إلى الميمنة كما أمرهم وأمر أبو مسلم أهل القلب فخطمومهم وركبهم أصحاب أبي مسلم.

فانهزم أصحاب عبد الله فقال لابن سراقة. ما ترى؟ قال: الصبر إلى أن تموت فالفارار فيكم يمثلك قبيح. قال: بل آتي العراق فانا معلم فانهزموا وحوى أبو مسلم عسكرهم. وكتب بذلك إلى المنصور ومضى عبد الله وعبد الصمد. فقدم عبد الصمد الكوفة فاستأن له عيسى بن موسى، وأمنه المنصور. وقيل: بل أقام بالرصافة حتى قدمها جمهور بن مروان العجلاني في خيول أرسلاها المنصور، فبعث به موئلاً مع أبي الخطيب، فاطلقه المنصور.

وأما عبد الله فقدم البصرة وأقام عند أخيه سليمان متوارياً حتى طلبه وأشخص إليه. ثم إن إبا مسلم أمن الناس بعد المجزعة وأمر بالكف عنهم..... كان أبو مسلم لما حج مع المنصور يؤيد نفسه عليه ويتقدم بالإحسان للوفود وإصلاح الطريق والمياه، وكان الذكر له وكان الأعراب يقولون: هذا المكذوب عليه. وما صدروا عن الموسم تقدم أبو مسلم ولقيه الخبر بوفاة السفاح فبعث إلى أبي جعفر يعزمه ولم يهنته بالخلافة ولا رجع إليه ولا أقام يتظاهر. فغضب أبو جعفر وكتب إليه وأغلظ في العتاب فكتب يهته

ثوب وختمه بخواتيه وخواتيم أهل بيته ودفعه إلى عيسى، ولما توفى السفاح وكان أبو جعفر مكنة فأخذ البيعة على الناس عيسى بن موسى، وكتب إليه بالخبر فجزع واستدعى إبا مسلم وكان متاخراً عنه فاقرأ الكتاب فبكى واسترجع، وسكن إبا جعفر عن الجزع فقال: أخاف شر عبد الله بن علي. فقال أنا أكفيكه وعامة جنده أهل خراسان وهو أطوع لي منه فسرى عنه. وبائع له أبو مسلم والناس وأقبلوا حتى قدما الكوفة. ويقال: إن إبا مسلم كان متقدماً على أبي جعفر، فإن الخبر قد أتاه قبله فكتب أبو مسلم إليه يعزمه ويهنه بالخلافة وبعد يومين كتب له بيته. وقدم أبو جعفر الكوفة سنة سبع وثلاثين وسار منها إلى الأبار فسلم إليه عيسى بيت الأموال والدواوين واستقام أمر أبي جعفر.

### انتفاض عبد الله بن علي وهزيمته

كان عبد الله بن علي قدم على السفاح قبل موته فيعشه إلى الصائفة في جنود أهل الشام وخراسان فاتنه إلى دلوه ولم يدر حتى جاءه كتاب عيسى بن موسى بوفاة السفاح وأخذ البيعة لأنبي جعفر ولوه من بعده كما عهد به السفاح، فجمع عبد الله الناس وقرأ عليهم الكتاب وأعلمهم أن السفاح حين أراد أن يبعث الجنود إلى حران تكاسل بنو أبيه عنها فقال لهم: من انتدب منكم فهو ولـي عهدي فلم يتدب غيري، وشهد له أبو غام الطائي وخفاف المرزوقي وغيرهما من القراد وبإيعوه، وفيهم حيد بن حكيم بن قحطبة وغيره من خراسان والشام والجزيرة. ثم سار عبد الله حتى نزل حران وحاصر مقاتل بن حكيم العكبي أربعين يوماً وخشى من أهل خراسان فقتل منهم جماعة، وولـي حيد بن قحطبة على حلب وكتب معه إلى عاملها زفر بن عاصم بقتله فقرأ الكتاب في طريقه وسار إلى العراق.

وجاء أبو جعفر من الحج فبعث إبا مسلم لقتال عبد الله ولحقه حيد بن قحطبة نازعاً عن عبد الله فسار معه وجعل على مقدمته مالك بن المضم الخزاعي. ولما بلغ عبد الله خبر إقباله وهو على حران بذل الأمان لمقاتل بن حكيم ومن معه وملك حران. ثم بعث مقاتلاً بكتابه إلى عثمان بن عبد الأعلى، فلما قرأ الكتاب قتله وحبس ابنه حتى إذا هزم عبد الله قتلهمـا. وأمر المنصور محمد بن صول وهو على أذربيجان أن يأتي عبد الله بن علي ليذكر به، فجاءه وقال: إني سمعت السفاح يقول: الخليفة بعد عمي عبد الله فشعر بمكيته وقتلـه. وهو جد إبراهيم بن العباس الصولي الكاتب.

مسلم ويتوسل به إلى المتصور في ولاية كسر لصبيب فيها مالاً عظيماً. وأن يشرك أخاه في ذلك، فإن أمير المؤمنين عازم أن يوليه ما يوري به ويريح نفسه. واستاذن له المتصور في لقاء أبي مسلم فاذن له، فلقي أبي مسلم وتوسل إليه وأخبره الخبر فطابت نفسه وذهب عنه الحزن. ولما قرب أمير الناس بتلقيه ثم دخل على المتصور قبل يده وانتصرف لرياح ليلته، ودعا المتصور من الغد حاجبه عثمان بن نهيك وأربعة من الحرس منهم شبيب بن رواح وابن حفية حرب بن قيس، وأجلسهم خلف الرواق، وأمرهم بقتل أبي مسلم إذا صفق بيده.

واستدعى أبي مسلم، فلما دخل سأله عن سيفين أصحابه لعنه عبد الله بن علي وكان متقلداً بأحدهما فقال: هذا أحدهما! فقال: أرني! فاتضاه أبو مسلم وناوله إيه فأخذ يقبله بيده وبهله. ثم وضعه تحت فراشه، وأقبل يعتبه فقال: كتب إلى السفاح تهأه عن المرات كائنة تعلمك! قال: ثنت أهلاً لا محل، ثم اقتديت بكتاب السفاح وعلمت أنكم معدن العلم.

قال: فترتكب عني بطريق مكة! قال: كرهت مزاحتك على المال! قال: فامتناعك من الرجوع إلى حين بلغك موته السفاح أو الإقامة حتى الحقك! قال: طلبت الرفق بالناس والمبادرة إلى الكفرة! قال: فخارية عبد الله بن علي أردت أن تخذلها لنفسك! قال: لا إنما وكلت بها من يحفظها.

قال: فغرامتك ومسيرك إلى خراسان! قال: خشيت منك فقلت: آتي خراساني وأكتب بعذري فذاهب ما في نفسك مني! قال: فمالك الذي جمعته بحران! قال: انفقته في الجنديّة تقوية لكم. قال: أنت الكاتب إلى تبدأ بنفسك وتخطب آسية بنت علي وتزعم أنك ابن سليمان بن عبد الله بن عباس؟ لقد ارتقيت لا أم لك مرتفع صباً.

ثم قال له: وما الذي دعاك إلى قتل سليمان بن كثير مع أثره في دعوتنا، وهو أحد نقبائنا من قبل أن ندخلنك في هذا الأمر؟ قال: أراد الخليفة قتলته. ثم قال أبو مسلم: كيف يقال هذا بعد بلاطي وما كان مني؟ قال: يا ابن الخليفة لو كانت أمة مكانتك لأنجنت إنما ذلك بدولتنا وربحنا. وأكب أبو مسلم يقبل يده ويعذر فزاده المتصور غضباً. ثم قال أبو مسلم: دع هذا! فقد أصبحت لا اصحاب إلا الله. فشتمه المتصور وصفع بيده فخرج الحرس. وضربه عثمان بن نهيك فقطع حائل سيفه. فقال: استيقني لعدوك! فقال: لا أبلغني الله إذا وأي عدو أعددت منك وأخذه الحرس بسيوفهم حتى قتلوه، وذلك خمس بقين من شعبان سنة سبع وثلاثين.

بالخلافة وقدم إلى..... فدعا عيسى بن موسى إلى أن يلقي له فلبي وقدم أبو جعفر، وقد خلع عبد الله بن علي، فسرج أبا مسلم لقتاله فهزمه كما مر، وجع الغاثم من عسكته. فبعث المتصور مولاه أبي الخصيب لجمعها، فقضى أبو مسلم وقال: أنا أعين على الدعاء فكيف أخون الأموال وهم بقتل الخصيب ثم خلي عنه.

وخشى المتصور أن يمضي إلى خراسان فكتب إليه بولاية مصر والشام فزاده فناراً وخرج من الجزيرة يريد خراسان وسار المتصور إلى المدائن، وكتب إليه يستقدمه، فأجابه بالإمتناع والمسك بالطاعة عن بعد، والتهديد بالخلع إن طلب منه سوى ذلك. فكتب إليه المتصور يذكر عليه هذا الشرط وأنه لا يحسن طاعة. وبعث إليه عيسى بن موسى بر رسالة يؤنسه ويسليه. وقيل: بل كتب إليه أبو مسلم يعرض له بالخلع وأنه قد تاب إلى الله مما جناه من القيام بدعورتهم، وأخذ أبو مسلم طريق حلوان وأمر المتصور عمه عيسى ومشيخةبني هاشم بالكتاب على أبي مسلم بمصرضونه على التمسك بالطاعة وينذرونها عاقبة البغي ويأمرونه بالراجعة.

وبعث الكتب مع مولاه أبي حيد المروزي، وأمره بجلالته والحضور له بالقول حتى يتأس منه، فإذا ينسى يخبره بقسم أمير المؤمنين لأوكلت أمرك إلى غيري ولو خضت البحر خضته وراءك ولو اتتحمت النار لاتتحمطها حتى أقتلك وأمرت. فناوصل أبو حيد الكتب وتلطف له في القول ما شاء واحتاج عليه بما كان منه في التحرير على طاعتهم، فاستشار أبو مسلم مالك بن الهيثم فلبي له من الإصلاح إلى هذا القول وقال: والله لئن أتيته ليقتلنى. ثم بعث إلى نيزك صاحب الري يستشيره فلبي له من ذلك، وأشار عليه بنزل الري وخراسان من ورائه فيكون أمكن لسلطانه. فأجاب أبي حيد بالإمتناع فلما ينس منه أبلغه مقالة المتصور فوجم طويلاً ورعب من ذلك القول وأكبره. وكان المتصور قد كتب إلى عامل أبي مسلم بخراسان يرعبه في الآخraf عنه بولاية خراسان فأجاب سراً وكتب إلى أبي مسلم يحذر المخلاف والمعصية فزاده ذلك رعباً وقال لأبي حيد قبل انصرافه: قد كنت عزمت على المضي إلى خراسان ثم رأيت أن أوجه أبا إسحاق إلى أمير المؤمنين يأتيه برأيته فلبي أتن به.

ولما قدم أبو إسحاق تلقاه بنو هاشم وأهل الدولة بكل ما يحب وداخله المتصور في صرف أبي مسلم عن وجهة خراسان ووعده بولايتها، فرجع إليه وأشار عليه ببقاء المتصور، فأعتم على ذلك. واستخلف مالك بن الهيثم على عسكته بمحلوان، وسار قدم المدائن في ثلاثة آلاف، وخشى أبو أيوب وزير المتصور أن يجدد منه عند قدمه فتركه فدعا بعض إخوانه وأشار عليه بأن يأتي أبي

لما حوى ما في عسكر سباد ولم يبعث به خاف من النصور فخلع وأعتصم بالري فسرح إليه محمد بن الأشعث في الجيوش، فخرج من الري إلى أصبهان فملكها وملك محمد الري. ثم اقتلوا وانهزم جهور فلتح باذربیجان، وقتله بعض أصحابه وحملوا رأسه إلى النصور، وذلك سنة ثمان وثلاثين.

### حبس عبد الله بن علي

كان عبد الله بن علي بعد هزيمته أمام أبي مسلم لحق بالبصرة، وزُل على أخيه سليمان. ثم إن النصور عزل سليمان سنة سبع وثلاثين فاختفى عبد الله وأصحابه، فكتب النصور إلى سليمان وأخيه عيسى بأمان عبد الله وقواده ومواليه وأشخاصهم إلى النصور منها فشخصوا. وما قدموا عليه فاذن لهم فأعلمه بحضور عبد الله واستأذناه له فشغلاهما بالحديث وأمر بحبسه في مكان قد هب له في القصر، فلما خرج سليمان وعيسى لم يجد عبد الله فعلم أنه قد جبس وأن ذمتهما قد أخفرت، فرجعا إلى النصور فحبسا عنه وتوزع أصحاب عبد الله بين الحبس والقتل، وبعث ببعضهم إلى أبي داود خالد بن إبراهيم بخراسان فقتلتهم بها. ولم ينزل عبد الله محبوساً حتى عهد النصور إلى المهدى سنة تسع وأربعين وأمر موسى بن عيسى فجعله بعد المهدى ودفع إليه عبد الله، وأمره بقتله، وخرج حاجاً. وسار عيسى كاتبه يونس بن فروة في قتل عبد الله بن علي فقال: لا تفعل فإنه يقتلك به، وإن طلبه منك فلا ترده إليه سراً فلما قفل النصور من الحج دس على أعمامه من يعرضهم على الشفاعة في أخيهم عبد الله فشفع لهم، وقال لعيسى: جتنا به! فقال: قتلتكم كما أمرتني. فأنكر النصور وقال خذوه بأخيكم فخرجوا به ليقتلواه حتى اجتمع الناس واشتهر الأمر ف جاء به وقال: هو ذا حي سوي، فجعله النصور في بيت أساسه ملح وأجرى عليه الماء فسقط ومات.

### وقعة الرواندية

كان هؤلاء القوم من أهل خراسان ومن أتباع أبي مسلم يقولون بالتناسخ والخلول، وأن روح آدم في عثمان بن نهيك وأن الله حل في النصور وجريل في الهيثم بن معاوية. فحبس النصور نحوًا من مائتين منهم فغضب الباقرون واجتمعوا وحملوا بهم نعشًا كانوا في جنائزه وجاووا إلى السجن فرموا بالتعش وأخرجوا أصحابهم وحملوا على الناس في ستمائة رجل. وقد صدوا قصر النصور وخرج النصور من القصر ماشياً. وجاء معن بن زائدة

وخرج الوزير أبو الجهم فصرف الناس، وقال: الأمير قاتل عند أمير المؤمنين فانصرفوا وأمر لهم بالجواز وأعطى إسحاق مائة ألف. ودخل عيسى بن موسى على النصور فسأل عنه وأخذ في الثناء على طاعته وبلاله وذكر رأي الإمام إبراهيم فيه. فقال المصور: والله ما أعلم على وجه الأرض عدواً أعدى لكم منه هو ذا في البساط. فاسترجع عيسى، فأنكر عليه النصور وقال: هل كان لكم ملك معه؟ ثم دعا جعفر بن حنظلة واستشاره في أمر أبي مسلم فأشار بقتله فقال له النصور: وفقك الله! ثم نظر إليه قليلاً فقال له: يا أمير المؤمنين عذرًا لخلافتك من هذا اليوم. ثم دعا أبا إسحاق عن تابعة أبي مسلم وقال: نتكلم بما أردت وأخرجه قليلاً. فسجد أبو إسحاق ثم رفع رأسه يقول: الحمد لله! أتيت هو؟ والله ما جنته قط إلا تكفت ومحنت ورفع ثيابه وارأه كفته وحوطه. فرجه وقال له: استقبل طاعتك واحد الله الذي أراحك.

وكتب النصور بعد قتل أبي مسلم إلى أبي نصر بن الهيثم على لسان أبي مسلم يأمره بحمل أنقاله، وقد كان أبو مسلم أوصاه إن جاءك كتاب يخاطي تاماً فاعلم أنه لم أكتبه، فلما رأه كذلك فطن وأخذ إلى همدان يريد خراسان، فكتب له النصور بولاية شهرزور، وكتب إلى زهير بن التركى بهمدان بحبسه. فمر أبو نصر بهمدان وخادعه زهير ودعاه إلى طعامه وحبسه. وجاء كتاب العهد بشهرزور لأبي نصر فألطفقه زهير ثم جاءه بعد ذلك الكتاب بقتله فقال: جاعني كتاب عهده فخلت سيله.

وقدم أبو نصر على النصور فعذله في إشارته على أبي مسلم بخراسان فقال: نعم استتصحي فصحت له. وإن استتصحي أمير المؤمنين نصحت وشكرت، واستعمله على الموصل، وخطب أبو جعفر الناس بعد قتل أبي مسلم وانضموا واقترب أصحابه وخرج منهم بخراسان رجل اسمه سباد ويسى فiroز أصبهاني وتبعد أكثر الجبال يطلبون بدم أبي مسلم وغلب على نيسابور والري وأخذ خزانة أبي مسلم التي خلفها باري حين شخص إلى السفاح، وسي الخرم ونهب الأموال ولم يعرض إلى التجار. وكان يظهر أنه قاصد إلى الكعبة يهدّمها فسرح إليه المصور جهور بن حرار العجلبي والنقووا على طرق المفازة بين همدان والري، فقاتلتهم وهزمهم وقتل منهم نحوًا من ستين ألفاً وسي ذاريهم ونسائهم.

ولحق سباد بطرستان فقتلته بعض عمال صاحبها وأخذ ما معه. وكتب إلى المصور بذلك فكتب إليه المصور في الأموال فأنكرها فسرح إليه الجنود فهرب إلى الدبلم. ثم إن جهور بن مرار

مده بالجيوش وابعث معها من شئت يستمken منه، فأجاب عبد الجبار بان خراسان مغلبة في عamها ولا تحتمل زيادة العسكر. فقال له أبو يوسف: هذا خلع فعالجه. فبعث ابنه المهدى فسار ونزل الري.

وقدم خازم بن خزيمة لحرب عبد الجبار فقاتلوه، فانهزم

وجاء إلى مقاطنة وتواري فيها. فعبر إليه الحشد بن مراح من أهل مردو الروذ وجاء به إلى خازم فحمله على بغير وعليه جبة صوف، ووجهه إلى عجز البعير وحمله إلى المنصور في ولده وأصحابه. فبسط إليهم العذاب حتى استخرج الأموال ثم قطع يديه ورجليه وقتلته. وذلك سنة اثنين وأربعين وبعث بولنده إلى ذئفه فعزفه بها وأقام المهدى بخراسان حتى رجع إلى العراق سنة تسع وأربعين.... وفي سنة اثنين وأربعين انقض عيسى بن موسى بن كعب بالست، وكان عاملاً عليها من بعد أبيه، وكان أبوه يستخلف المسيب بن زهير على الشرط فخشى المسيب إن حضر عيسى عند المنصور أن يوليه على الشرط، فخذله المنصور وحرسه على الخلاف فخلع الطاعة. وسار المنصور إلى البصرة وسرح من هنالك عمر بن حفص بن أبي صفوة العتكى لحرب عيسى وولاه على السند وأهند فورد السند وغلب عليها، وفي السنة انقض الأصبهين بطبرستان وقتل من كان في أرضه من المسلمين فبعث المنصور مولاه أبي الخصيب وخازم بن خزيمة وروح بن حاتم في العسكر فحاصروه في حصنه مدة ثم تحيلوا ففتح لهم الحصن من داخله وقتلوا المقاتلة وسبى الذرية وكان مع الأصبهين سه فشيره فمات.

### أمر بن العباس

بن هاشم حين اضطرب أمر مروان بن محمد اجتمعوا إليه وتشاوروا فيما يعتقدون له الخلافة فاتفقوا على محمد بن عبد الله بن الحسن المتنى بن علي. وكان يقال: إن المنصور من بايعه تلك الليلة. وما لاح أيام أخيه السفاح ستة وثلاثين تغيب عنه محمد وأخوه إبراهيم، ولم يحضرها عنده مع بني هاشم. وسأل عنهمما فقال له زياد بن عبد الله الحارثى: أنا آتاك بهما وكان يمكث فرده المنصور إلى المدينة. ثم استخلف المنصور وطبق يسأل عن محمد ويختص بي هاشم بالسؤال سراً، فكلهم يقول: إنك ظهرت على طلب لهذا الأمر فخالفت على نفسك، ويسجن العذر عنه إلا الحسن بن زيد بن الحسن بن علي، فإنه قال له: والله ما آمن وتبه عليك، فإنه لا ينام عنك، فكان موسى بن عبد الله بن حسن يقول بعد هذا: اللهم اطلب الحسن بن زيد بدمائنا. ثم إن المنصور

الشيباني وكان مستخفياً من المنصور لقتاله مع ابن هيبة وقد اشتد طلب المنصور له فحضر عنده هذا اليوم متلماً وترجل وأبلى. ثم جاء إلى المنصور ولام بغلته في يد الرابع حاجه وقال: تتح ذا أنا أحق بهذا اللجام في هذا الوقت وأعظم فنائل وقاتل حتى ظفر بالراوندية. ثم سأله فاتتسن فأنمه واصطنعه.

وجاء أبو نصر مالك بن الهيثم ووقف على باب المنصور وقال: أنا اليوم بباب. ثم قاتلهم أهل السوق وفتح باب المدينة ودخل الناس وحمل عليهم خازم بن خزيمة والهيثم بن شعبة حتى قتلواهم عن آخرهم. وأصاب عثمان بن نهيك في الحومة سهم فمات منه بعد أيام وجعل على الحبس بعده أخاه عيسى ثم بعده أبو العباس الطوسي وذلك كله بالماشية. ثم أحضر معناً ورفع منزلته وأثنى عليه بما كان منه في ذلك اليوم مع عمه عيسى، فقال معن: والله يا أمير المؤمنين لقد جئت إلى الحكومة وجلاً حتى رأيت شدتك فحملني ذلك على ما رأيت مني. وقيل: إنه كان مختلفاً عند أبي الخصيب حاجب المنصور وأنه جاء يوم الراوندية فاستاذن أبو الخصيب وشاروه المنصور فأشار بيت المال في الناس. وأبي المنصور إلا الركوب عليهم بنفسه فخرج بين يديه وأبلى حتى قتلوا. ثم تغيب فاستدناه وأمنه وولاه على اليمن.

### انتهاض خراسان ومسير المهدى إليها

كان السفاح قد ول على خراسان أبا داود خالد بن إبراهيم الذهلي بعد انتهاض سام بن إبراهيم ومهلكه. فلما كان سنة أربعين ثار به بعض الجند وهو بكشماهن وجاؤوا إلى منزله فاشرف عليهم ليلاً من السطح فزلت قدمه فسقط ومات ليمه. وكان عصام صاحب شرطه ققام بالأمر بعده. ثم ول المنصور على خراسان عبد الجبار بن عبد الرحمن فقدم عليها وحبس جماعة من القواد اتهمهم بالدعاء للعلوية، منهم مجاشع بن حرث الأنصاري عامل هماري وأبو المرة خالد بن كثیر مولى بني تميم عامل قهستان والحریش بن محمد الذهلي ابن عم أبي داود في آخرین

ثم قتل هؤلاء واللح على عمال أبي داود في استخراج المال وانتهت الشکوى إلى المنصور بذلك فقال لأبي أيوب: إنما يريد بفناء شيعتنا الخلع، فأشار عليه أبو أيوب أن تبعث من جنود خراسان لغزو الروم فإذا فارقوه بعثت إليه من شئت واستمكنا منه. فكتب إليه بذلك فأجاب بان الترك قد جاشت وإن فرقت الجنود خشيتك على خراسان. فقال له أبو أيوب: أكتب إليه بأنك

المدينة. وكان المنصور حج ستة أربعين وحج محمد وإبراهيم وزعما على اختيار المنصور وأبي محمد من ذلك. ثم طلب المنصور عبد الله بالحضور ولديه وعنده وهم به، فضمنه زياد عامل المدينة.

وانصرف المنصور وقدم محمد المدينة قدمه قاطلف له زياد وأعطاه الأمان له. ثم قال له: الحق بأي بلاد شئت. وسمع المنصور فيبعث أبا الأزهري إلى المدينة في جادى ستة إحدى وأربعين ليستعمل على المدينة عبد العزيز بن المطلب ويقبض زسادا وأصحابه. فسار بهم فحبسهم المنصور، وخلف زياد بيت المال ثمانيين ألف دينار. ثم استعمل على المدينة محمد بن خالد بن عبد الله القسري، وأمره بطلب محمد وانتقام المال في ذلك. فكثرت نفقة واستبطأه المنصور واستشار في عزله، فأشار عليه يزيد بن أسد السلمي من أصحابه باستعمال رياح بن عثمان بن حسان الذي فبعث أميرا على المدينة في رمضان ستة أربع وأربعين، وأطلق يده في محمد بن خالد القسري.

فقد المدينة وتهدى عبد الله بن حسن في إحضار ابنيه. وقال له عبد الله يومئذ: إنك لترى المذبور فيها كما تتبخ الشاة، فاستشعر ذلك ووجد فقال له حاجبه أبو البختري: إن هذا ما اطلع على الغيب. فقال: ولتك! والله ما قال إلا ما سمع، فكان كذلك. ثم حبس رياح محمد بن خالد وضرره وجده في طلب محمد فأخبر أنه في شعبان رضو من أعمال ينبع وهو جبل جهينة، فيبعث عامله في طلب فافتلت منه. ثم إن رياح بن مرة حبس بين حسن وقيدهم لهم: عبد الله بن حسن بن الحسن وإنحوته حسن وإبراهيم وجعفر وابنه موسى بن عبد الله، وبني أخيه داود وإسماعيل وإسحاق بنو إبراهيم بن الحسن، ولم يحضر معهم أخوه علي العائد. ثم حضر من الغد عند رياح وقال: جئتكم لتجسوني مع قومي فحبسي، وكيف إليك المنصور أن يحبس معهم محمد بن عبد الله بن عمر بن عثمان المعروف بالديباجة. وكان أخا عبد الله لأمه فاطمة بنت الحسين.

وكان عامل مصر قد عثر على علي بن محمد بن عبد الله بن حسن بعده أبره إلى مصر يدعوه له فأخذته ويعتله إلى المنصور فلم ينزل في حبسه. وسمى من أصحابه أبيه عبد الرحمن بن أبي المول وأبا جبير فضريهما المنصور وحبسهما. وقيل: عبد الله حبس أولاً وحده وطال حبسه. فأشار عليه أصحابه بحبس الباقين فحبسهم. ثم حج المنصور ستة أربع وأربعين، فلما قدم مكة بعث إليهم وهو في السجن محمد بن عمران بن إبراهيم بن طلحة ومال بن أنس يسألهم أن يرفعوا إليه محمداً وإبراهيم أبا عبد الله، فطلب عبد الله الإذن في لقائه فقال المنصور: لا والله حتى يأتيني

حج سنة..... والوحى على عبد الله بن حسن في إحضار ابنيه محمد فاستشار عبد الله سليمان بن علي في إحضاره فقال له: لو كان عانياً عفى عن عمه، فاستمر عبد الله على الكتمان وبيت المنصور العيون بين الأعراب في طلبه بسائر بوادي الحجاز ومياها. ثم كتب كتاباً على لسان الشيعة إلى محمد بالطاعة والمسارعة وبعثه مع بعض عيونه إلى عبد الله ويعتله معه بالمال والأنطاف كأنه من عندهم.

وكان للمنصور كتاب على سره يتشيع، فكتب إلى عبد الله بن حسن بالخبر وكان محمد بجهينة، والوحى عليه صاحب الكتاب أمر محمد ليبلغ إليه كتاب الشيعة. فقال له: إذهب إلى علي بن الحسن المدعو بالأغر بوصلك إليه في جبل جهينة فذهب وأوصله إليه. ثم جاءهم حقيقة خبره من كاتب المنصور ويعثروا أبا هبار إلى محمد وعلى بن حسن يخدرهما الرجل، فجاء أبو هبار إلى علي بن حسن وأخبره ثم سار إلى محمد فوجده العين عنده جالساً مع أصحابه فخلا به وأخبره. فقال: وما الرأي؟ قال: تقتلته! قال: لا أقارب دم مسلم. قال: تقيده وتحمله معك! قال: لا آمن عليه لكثرة الخوف والإعجال. قال: فتودعه عند بعض أهلك من جهينة! قال: هذه إذن. ورجع فلم يجد الرجل ولحق بالمدينة.

ثم قدم على المنصور وأخبره الخبر وسمى اسم أبي هبار وكنيته، وقال: معه وير. فطلب أبو جعفر ويرا الري فسألة عن أمر محمد فذكره وخلف فضريه وحبسه. ثم دعا عقبة بن سالم الأزدي وبعثه متكتراً بكتاب والطاف من بعض الشيعة بخراسان إلى عبد الله بن حسن ليظهر على أمره، فجاءه بالكتاب فاتهره وقال لا أعرف هؤلاء القوم. فلم ينزل يتردد إليه حتى قبله وأنس به وساله عقبة الجواب فقال: لا أكتب لأحد ولكن أقرئهم مني سلاماً وأعلمهم أن ابني خارجان لوقت كذا.

فرجع عقبة إلى المنصور فأنشأ الحج، فلما لقيه بتو حسن رفع مجالسهم وعبد الله إلى جنبه ثم دعا بالغداء فأصابوا منه. ثم قال لعبد الله بن حسن: قد أعطيتني المهد والمأوثيق أن لا تغشيني بسوء ولا تنكيد لي سلطاناً فقال: أنا على ذلك. فلاحظ المنصور عقبة بن سالم فوقف بين عبد الله حتى ملا عليه منه فبادر المنصور يسألة الإقالة فلم يفعل، وأمر بحبسه. وكان محمد يتردد في التواحي وجاء إلى البصرة فنزل في بني راهب وقيل: في بني مرة بن عبيد، وبلن الخبر إلى المنصور فجاء إلى البصرة وقد خرج عنها محمد، فلقي المنصور عمر بن عبيد فقال له: يا أبا عثمان هل بالبصرة أحد خفاف على أمرنا؟ فقال: لا! فانصرف وأشتاد الخوف على محمد وإبراهيم وسار إلى عدن ثم إلى السندي ثم إلى الكوفة، ثم إلى

فيهم إسماعيل بن أبوبن سلمة بن عبد الله بن الوليد بن المغيرة وابنه خالد، وبينما هم عنده إذ سمعوا التكبير وقيل: قد خرج محمد فقال له..... ابن مسلم بن عقبة: أعطني أصرب أعناق هؤلاء فلبي، وأقبل من المداد في مائة وخمسين رجلاً وقصد السجن، فأخرج محمد بن خالد بن عبد الله القسري وابن أخيه التنير بن يزيد ومن كان معهم وجعل على الرجال خوات بن جبر وأنى دار الإمارة وهو ينادي بالكلف عن القتل، فدخلوا من باب المتصورة وقضوا على رياح وأخيه عباس وابن مسلم بن عقبة فجسهم، ثم خرج إلى المسجد وخطب الناس وذكر المتصور بما تقامه عليه ووعد الناس واستنصر بهم، واستعمل على المدينة عثمان بن محمد بن خالد بن الزبير وعلى قضائهم عبد العزيز بن المطلب بن عبد الله المخزومي، وعلى بيت السلاح عبد العزيز الدراوري، وعلى الشرط أبي الغلمش عثمان بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، وعلى ديوان العطاء عبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة.

وأرسل إلى محمد بن عبد العزيز يلومه على القعود عنه فوعده بالبصرة وسار إلى مكة، ولم يختلف عن محمد من وجوه الناس إلا نفر قليل منهم: الصحاح بن عثمان بن عبد الله بن خالد بن حرام وعبد الله بن المنذر بن المغيرة بن عبد الله بن خالد وأبو سلمة بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر، وحييب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير، واستقى أهل المدينة مالكاً في الخروج مع محمد وقالوا: في أعناقنا بيعة المتصور، فقال: إنما بايتم مكرهين.

فشارع الناس إلى محمد ولزم مالك بيته، وأرسل محمد إلى إسماعيل بن عبد الله بن جعفر يدعوه إلى بيته، وكان شيئاً كبيراً فقال: أنت والله وابن أخي مقتول فكيف أباعك؟ فرجع الناس عنه قليلاً وأسرع بنو معاوية بن عبد الله بن جعفر إلى محمد فجاءت جادة أختهم إلى عمها إسماعيل وقالت: يا عم إن مقاتلك ثبّط الناس عن محمد وأخوتني معه، فأخشى أن يقتلوا فرداً. فقال: إنها عدت عليه فقتلتة ثم جبس محمد بن خالد القسري بعد أن أطلقه واتتهم بالكتاب إلى المتصور فلم يزل في حبه.

ولما استوى أمر محمد ركب رجل من آل أوس بن أبي سرح اسمه الحسين بن صخر، وجاء إلى المتصور في تسعة فخبره الخبر فقال: أنت رأيتي؟ قال: نعم! وكلمه على منبر رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه ثم تابع الخبر وأثني المتصور من أمره واستشار أهل بيته ودولته. وبعث إلى عميه عبد الله وهو عبّوس يستشيره فأشار عليه بأن يقصد الكوفة فإنهم شيعة لأهل البيت فيملك عليهم أمرهم ومحفظها بالصالح حتى يعرف الداخل والخارج، ويستدعي سالم بن

به وبنيه، وكان محسناً مقبولاً لا يكلم أحداً إلا أجابه إلى رأيه. ثم إن المتصور قضى حجه وخرج إلى الرينة، وجاء رياح ليودعه فأمر بأشخاص بيبي حسن ومن معهم إلى العراق فأنخرجهم في القبور والأغلال وأردهم في حابل بغزير وطءه، وجعفر الصادق يعلنه من وراء ستريكي. وجاء محمد وإبراهيم مع أبيهما عبد الله يسايرانه مستعينين بزير الأعراب ويستاذنانه في الخروج ف يقول: لا تتعجلوا حتى يمكنكم وإن معتماً أن تعشا كريئن فلا تمنع أن غوتاً كريئن، واتهوا إلى الزيدية. وأحضر العثماني الديقا عند المتصور فضربه مائة وخمسين سوطاً بعد ملاحة جرت بينهما أغضبت المتصور. ويقال: إن رياحاً أغرى المتصور به وقال له: إن أهل الشام شيعته ولا يختلف عنهم أحد.

ثم كتب أبو عون عامل خراسان إلى المتصور بأن أهل خراسان متظرون أمر محمد بن عبد الله واحذر منهم. فأمر المتصور بقتل العثماني وبعث برأسه إلى خراسان، وبعث من يخلف أنه رأس محمد بن عبد الله وأن أمه فاطمة بنت رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه.

ثم قدم المتصور بهم الكوفة وجسهم بقصر ابن هبيرة، يقال: إنه قتل محمد بن إبراهيم بن حسن منهم على إسطوانة وهو حي فمات. ثم بعده عبد الله بن حسن ثم علي بن حسن، ويقال: إن المتصور أمر بهم فقتلوا، ولم ينج منهم إلا سليمان وعبد الله أبا داود وإسحاق وإسماعيل أبا إبراهيم بن حسن وجعفر بن حسن والله أعلم.

## ظهور محمد المهدي ومقتله

ولما سار المتصور إلى العراق وحمل معه بيبي حسن رجع رياح إلى المدينة وألح في طلب محمد وهو مختلف ينتقل في اختفائه من مكان إلى مكان وقد أرهقه الطلب حتى تملأ في بصره. فتليل فغمس في مائها وحتى سقط ابنه من جبل فقطع ودل عليه رياح بالمداد، فركب في طلبه فاختفى عنه ولم يره. ولما اشتتد عليه الطلب أجمع الخروج وأغرى أصحابه بذلك. وجاء الخبر إلى رياح بأنه الليلة خارج فأحضر العباس بن عبد الله بن الحارث بن العباس ومحمد بن عمران بن إبراهيم بن محمد قاضي المدينة وغيرهما، وقال لهم: أمير المؤمنين يطلب حمداً شرق الأرض وغربها وهو بين أظهركم. والله لن خرج ليقتلنكم أجمعين. وأمر القاضي بإحضار عشيرة بيبي زهرة فجاؤوا في جمٍ كثير وأجلسهم بالباب.

ثم أحضر نفراً من العلوين فيهم جعفر بن محمد بن الحسين وحسين بن علي بن حسين بن علي ورجال من قريش

صفوان الجمحي وعبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب، فخرج إليه عبد الله هو وأخوه عمر وأبو عقيل محمد بن عبد الله بن محمد بن عقيل، واستشار المهدي أصحابه في القيام بالمدينة ثم في الخندق عليها فأمر بذلك اقتداء برسول الله ﷺ وحفر الخندق الذي حفره رسول الله ﷺ للأحزاب، ونزل عيسى الأعراض، وكان محمد قد منع الناس من الخروج فخَيَّرُهم، فخرج كثير منهم بأهلهم إلى الجبال ويقي في شرذمة يسيرة.

ثم تدارك رأيه وأمر أبا الغلمس بردهم فاعجزوه ونزل عيسى على أربعة أرباع المدينة وبعث عسكراً إلى طريق مكة يعتضون محمدًا إن انهزم إلى مكة، وأرسل إلى المهدي بالأمان والدعاء إلى الكتاب والسنّة ويحذر عاقبة البغي، فقال: إنما أنا رجل فررت من القتل، ثم نزل عيسى بالحرف لاثني عشرة من رمضان سنة خمس وأربعين، فقام يومين، ثم وقف على مسلم ونادي بالأمان لأهل المدينة وأن يخلوا بينه وبين صاحبه، فاشت矛ه فانصرف وعاد من الند، وقد فرق القواد من سائر جهات المدينة ويرز محمد في أصحابه ورأيته مع عثمان بن محمد بن خالد بن الزير وشاعرهم أحد أحد.

وطلب أبو الغلمس من أصحابه البراز فierz إلى أخيه أسد فقتله، ثم آخر قتلا و قال: أنا ابن الفاروق، وأبلى محمد المهدي يومئذ بلاءً عظيماً وقتل بيده سبعين رجلاً، ثم أمر عيسى بن موسى حيد بن قحطبة فتقدم في مائة من الرجال إلى حائط دون الخندق فهدمه، وأجازوا الخندق وقاتلوا من وراءه، وصابرهم أصحاب محمد إلى العصر، ثم أمر عيسى أصحابه فرموا الخندق بالحصائب ونصبوا عليها الأبواب وجازت الخيل واقتلوه وانصرف محمد فاغتسل وتخطط، ثم رجع فقال: أترك أهل المدينة والله لا أفعل أو أقتل وأنت مني في سعة فتشي قليلاً معه، ثم رجع وافتقر عنده جل أصحابه، وبقي في ثلاثة أو ثورها، فقال له بعض أصحابه: نحن اليوم في عدة أهل بدر وطفق عيسى بن حسين من أصحابه ينشده في اللحاق بالبصرة أو غيرها، فيقول: والله لا تبتلون بي مرتين.

ثم جمع بين الظاهر والعصر ومضى فأحرق الديوان الذي فيه أسماء من بايعهم، وجاء إلى السجن لقتل رياح بن عثمان وأخاه عباساً وابن مسلم بن عقبة وتواتق محمد بن القسري بالأبواب فلم يصلوا إليه، ورجع ابن حسين إلى محمد فقاتل معه وتقى محمد إلى بطن سلع ومعه بنو شجاع من الخمس، فعرقوها دوابهم وكسروا جفون سيفهم واستماتوا وهزموه أصحاب عيسى مرتين أو ثلاثة، وصعد نهر من أصحاب عيسى الجبل

قتيبة من الري فيتخذ معه كافة أهل الشام ويعشه وأن يبعث الماء في الناس.

فخرج المتصور إلى الكوفة ومعه عبد الله بن الريبع بن عبد الله بن عبد المدان، ولما قدم الكوفة أرسل إلى يزيد بن محبني وكان السفاح يشاوره فأشار عليه بأن يشنح الأهواز بالجند وأشار عليه جعفر بن حنظلة الحراني بأن يبعث الجندي إلى البصرة، فلما ظهر إبراهيم بتلك الناحية تبين وجه إشارتهما، وقال المتصور لجعفر: كيف خفت البصرة؟ قال: لأن أهل المدينة ليسوا أهل حرب حبهم أنفسهم، وأهل الكوفة تحت قدمك، وأهل الشام أعداء الطالبيين، ولم يبق إلا البصرة.

ثم إن المتصور كتب إلى محمد المهدي كتاب أمان فاجابه عنه بالرد والتعریض بأمور في الأنساب والأحوال، فأجابه المتصور عن كتابه بمثل ذلك وانتصف كل واحد منها لنفسه بما ينفي الإعراض عنه مع أنها صحيحة مرويَّةً نقلها الطبرى في كتاب الكامل فمن أراد الرقوف فليتلقها في أماكنها، ثم إن محمد المهدي استعمل على مكة محمد بن معاوية بن عبد الله بن جعفر وعلى اليمن القاسم بن إسحاق وعلى الشام موسى بن عبد الله، فسار محمد بن الحسن إلى مكة والقاسم معه ولقاهم السري بن عبد الله عامل مكة بيطن آذخر فانهزم، وملك محمد مكة حتى استقره المهدي لقتال عيسى بن موسى فنصره هو والقاسم بن عبد الله.

وبلنهمما قتل محمد بنواحي قديد فلحق محمد بـإبراهيم، فكان معه بالبصرة، وانتهى القاسم بالمدينة حتى أخذت له الأمان امرأة عيسى، وهي بنت عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر، وأما موسى بن عبد الله فسار إلى الشام فلم يقبلوا منه فرجع إلى المدينة، ثم لحق بالبصرة مخفياً وعثر عليه محمد بن سليمان بن علي وعلى ابنه عبد الله وبعث بهما إلى المتصور فضربيهما وحبسهما، ثم بعث المتصور عيسى بن موسى إلى المدينة لقتال محمد فسار في الجند ومعه محمد بن أبي العباس بن السفاح وكثير بن حسين العبدى وحيد بن قحطبة وهو أزمرد وغيرهم، فقال له: إن ظفرت فأغتصب سيفك وأبذل الأمان وإن تغيب فخذ أهل المدينة فإنهم يعرفون مذاهبه ومن لقيك من آل أبي طالب فعرفي به ومن لم يلقيك فاقبض ما له.

وكان جعفر الصادق فمن تغيب، قبض ما له، ويقال: إنه طلب من المتصور لما قدم بالمدينة بعد ذلك فقال: قبضه مهديك، ولما وصل عيسى إلى نهر من أهل المدينة ليستدعهم منهم: عبد العزيز بن المطلب المخزومي وعبيد الله بن محمد بن

وكان مع محمد بن عبد الله أيضا عبد الواحد بن أبي عoron مولى الأزد وعبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المسور بن نخرمة وعبد العزيز بن محمد الدراوري وعبد الحميد بن جعفر وعبد الله بن عطاء بن يعقوب مولى بني سباع وبنوه تسعه وعيسي وعمدان ابنا خضير. وعشان بن محمد بن خالد بن الزبير قتله المنصور من بعد ذلك لما أخذ بالبصرة وعبد العزيز بن إبراهيم بن عبد الله بن مطیع وعلي بن المطلب بن عبد الله بن حنطب وإبراهيم بن جعفر بن مصعب بن الزبير وهشام بن عمير بن الوليد بن ..... بن عبد الجبار وعبد الله بن يزيد بن هرمز وغيرهم.

شان ابراهیم بن عبد الله و ظهوره و مقتله

كان إبراهيم بن عبد الله آخر المهدي محمد قد اشتاد الطلب عليه وعلى أخيه منذ خمس سنين، وكان إبراهيم ينتقل في التواحي بفارس وبكمان واجبل والهزار واليامن والشام، وحضر مرة مائدة المنصور بالموصل، وجاء أخرى إلى بغداد حين خطها المنصور مع الناظار على قنطرة الفرات حين شدتها وطلبه فغاض في الناس فلم يوجد ووضع عليه الرصد بكل مكان. ودخل بيت سفيان بن حيان العمى وكان معروفاً بصحبته فتحيل على خلاصه بأن أتى المنصور وقال: أنا آتيك بـإبراهيم فاحلني وغلامي على البريد وابعث معي الجندي فجعل. وجاء بالجندي إلى البيت وأركب معه إبراهيم في زي غلامه وذهب بالجندي إلى البصرة ولم يزل يفرقهم على البيوت ويدخلها موهماً أنه يفتشه حتى يقعى وحده فاختفى. وطلبه أمير البصرة سفيان بن معاوية فأعجزه، وكان قدم قبل ذلك الأهواز فطلبه محمد بن حصين واحتفى منه عند الحسن بن حبيب ولقي من ذلك غياً، ثم قدم إبراهيم البصرة سنة خمس وأربعين بعد ظهور أخيه محمد بالمدينة يجبي بن زياد بن حيان البطري وأثرله بداره في بني ليث. فدعى الناس إلى بيعة أخيه وكان أول من بايعه غيبة بن مرة العبسي وعبد الله بن سفيان وبعد الواحد بن زياد وعمر بن سلمة المجمعي وعبد الله بن حي بن حصين الرقاشي ويثوا دعوته في الناس، واجتمع لهم كثير من القهاء وأهل العلم، وأخصى ديوانه أربعة آلاف، وانشهر أمره.

ثم حولوه إلى وسط البصرة. ونزل دار أبي مروان مولى بني سليم في مقبرة بني يشكر وليقرب من الناس وولاه سفيان أمير البصرة على أمره، وكتب إليه أخوه محمد يأمره بالظهور وكأن

وأنحدروا منه إلى المدينة. ورفع بعض نسوة إلى العباس خاراً لها  
أسود على منارة المسجد. فلما رأه أصحاب محمد وهم يقاتلون  
هربوا، وفتح بنو غفار طريقاً لأصحاب عيسى فجاءوا من وراء  
أصحاب محمد.

ونادي حيد بن قحطبة للبراز فأبى، ونادي ابن حسين  
بالأمان فلم يضع إلية وكثرت فيه الجراح. ثم قتل وقاتل محمد  
على شلوه فهذا الناس عنه هذا حتى ضرب فقط لركبته وطعنه  
ابن قحطبة في صدره، ثم أخذ رأسه وأتى به عيسى فبعثه إلى  
المتصور مع محمد بن الكram عبد الله بن علي بن عبد الله بن  
جعفر، وبالبشرة مع القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن، وأرسل  
معه رؤوس بي شجاع، وكان قتل محمد متصف رمضان. وأرسل  
عيسى الأولى فنصبت بالمدينة للأمان وصلب محمد وأصحابه ما  
بين ثنية الرداد والمدينة، واستاذنت زينب أخته في دفنه بالبيع،  
وقطع المتصور الميرة في البحر عن المدينة، حتى أذن فيها المهدى  
بعده، وكان مع المهدى سيف على ذو الفقار فأعطيه يومئذ رجلاً  
من التجار في دين كان له عليه.

فلمًا ولِي جعفر بن سليمان المدينة أخذَه منه وأعطاه من دينه. ثم أخذَه منه المهدى، وكان الرشيد يقلده وكان فيه ثمان عشرة فقرة، وكان معه من مشاهير بني هاشم آخر موسى وحزة بن عبد الله بن محمد بن علي بن الحسين وحسين وعلى ابنا زيد بن علي، وكان المنصور يقول: عجبًا خرجا على ونحن أخذنا بشار أبيهما. وكان معه علي وزيد ابنا الحسن بن زيد بن الحسن وأبوهما الحسن مع المنصور والحسن ويزيد وصالح بنو معاوية بن عبد الله بن جعفر، و القاسم بن إسحاق بن عبد الله بن جعفر والمرجى علي بن جعفر بن إسحاق بن علي بن عبد الله بن جعفر وأبوه علي مع المنصور، ومن غير بني هاشم محمد بن عبد الله بن عمر بن سعيد بن العاص و محمد بن عجلان و عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم، وأبيوكر بن عبد الله بن محمد بن أبي سارة، أخذَه أخيراً فضرب وحس في سجن المدينة، فلُم ينزل محبوساً إلى أن نازل السودان بالمدينة على عبد الله بن الريبع المخارقى، وفتر عنها إلى بطْن خلْ وملكووا المدينة ونهبوا طعام المنصور.

فخرج ابن أبي سيرة مقيداً وأتى المسجد وبعث إلى محمد بن عمران ومحمد بن عبد العزيز وغيرهما، ويعثروا إلى السودان ورددوهم عما كانوا فيه، فرجعوا ولم يصل الناس يومئذ جمة. ووقف الأصبح بن أبي سفيان بن عاصم بن عبد العزيز لصلحة العشاء ونادى: أصللي بالناس على طاعة أمير المؤمنين، وصلى. ثم أصبح ابن أبي سيرة وردة من العبيد ما نهيره، ورجم ابن الريبع

الجنون. ويكون أسهل عليك. فعرض ذلك إبراهيم على أصحابه فقالوا: نحن هارون وأبو جعفر في أيدينا فاسمع ذلك رسول الله سالم فرجع، ثم تصافروا للقتال، وأشار عليه بعض أصحابه أن يجعلهم كراديس ليكون أثث والصنف إذا انهزم بعضه تداعي سائره، قاتل إبراهيم إلا الصنف صنف أهل الإسلام، ووافته بقية أصحابه.

ثم اقتلوا وانهزم حميد بن قحطبة وانهزم معه الناس وعرض لهم عيسى ينادشهم الله والطاعة، فقال لهم حميد: لا طاعة في المزique. ولم يبق مع عيسى إلا قليل ثبت واستمات. وبينما هو كذلك إذ قدم جعفر وحمد بن سليمان بن علي وجاء من وراء إبراهيم وأصحابه فانتعضوا واتبعهم أصحاب عيسى. ورجع المهزمون من أصحابه بأجعهم اعترضهم أمامهم، فلا يطيقون خفافة ولا ثوبية، فانهزم أصحاب إبراهيم وثبت هو في ستمائة أو أربعينات من أصحابه وحيد يقاتلها. ثم أصحابه سهم بنحره فأنزلوه واجتمعوا عليه. وقال حميد: شدوا على تلك الجماعة فاحصرتهم عن إبراهيم وقطعوا رأسه وجاوزوا به إلى عيسى فسجد وبعثه إلى المنصور، وذلك خمس بقين من ذي القعدة الحرام سنة خمس وأربعين.

ولما وضع رأسه بين يدي المنصور بكى، وقال: والله إنني كنت لهذا كارها ولكي ابنتك بك وابنته بي. ثم جلس للعلامة فاذن للناس فدخلوا ومنهم من يطلب إبراهيم مرضاة المنصور حتى دخل جعفر بن حنظلة الهراوني فسلم ثم قال: عظم الله أجرك يا أمير المؤمنين في ابن عمك وغفر له ما فرط فيه من حملك، فنهل وجه المنصور وأقبل عليه وكأنه يأتي خالد واستدناه.

### بناء مدينة بغداد

وابتدأ المنصور سنة ست وأربعين في بناء مدينة بغداد وسبب ذلك ثورة الرواوندية عليه بالهاشمية، وأنه كان يكره أهل الكوفة ولا يأمن على نفسه منهم. فتجألى عن جوارهم وسار إلى مكان بغداد اليوم وجع من كان هناك من البطارقة فسالهم عن أحوال مواضعهم في الحر والبرد والمطر والرحل والهوام واستشارهم فشاروا عليه بمكانها. وقالوا: تحبلك الميرة في السفن من الشام والرقعة ومصر والمغرب إلى المصريات. ومن الصين والهند والبصرة وواسط وديار بكر والروم والموصل في دجلة. ومن أرمénية وما اتصل بها في تامر حتى يصل بالزراب. وأتت بين أنهار كالخندق لا تعبر إلا على القنطر والجسور. وإذا قطعتها لم يكن لعدوك مطعم وأتت متوسط بين البصرة والكوفة وواسط والموصل قريب من

المصور بظاهره، وأرسل من القواد مددًا السفين على إبراهيم إن ظهر، ثم إن إبراهيم خرج أول رمضان من سنة خمس وأربعين وصلى الصبح في الجامع وجاء دار الإمارة بباب سفيان وجلسه وحبس القواد معه، وجاء جعفر وحمد ابن سليمان بن علي في ستمائة رجل. وأرسل إبراهيم إليها المعين بن القاسم الحدووري في خمسين رجلاً فهزمهما إلى باب زينب بنت سليمان بن علي وإليها ينسب الزيبيون من بني العباس. فنادي بالأمان وأخذ من بيت المال الفي الف درهم، وفرض لكل رجل من أصحابه خمسين.

ثم أرسل المغيرة على الأهواز في مائة رجل فغلب عليها محمد بن الحسين وهو في أربعة آلاف. وأرسل عمر بن شداد إلى فارس وبها إسماعيل وعبد الصمد ابنا علي، فتحصنا في دار مجرد وملك عمر نواحيها، فأرسل هارون بن شمس العجلاني في منبة عشر ألفاً إلى واسط فغلب عليها هارون بن حميد الإيادي وملكتها. وأرسل المنصور خربه عامر بن إسماعيل في خمسة آلاف وقيل: في عشرين. فاقتلتوا أيامًا ثم تهادوا حتى يروا مآل الأمراء المنصور وإبراهيم. ثم جاء نعي محمد إلى أخيه إبراهيم قبل الفطر فصلى يوم العيد وأخبرهم فازدادوا حنقًا على المنصور. ونفر في حره وعسكر من الغد واستخلف على البصرة غيلة وابنه حسناً معه. وأشار عليه أصحابه من أهل البصرة بالمقام وإرسال الجنود وإمدادهم واحدًا بعد واحد. وأشار أهل الكوفة باللحق إلى أنها لأن الناس في انتظارك ولو رأوك ما توانوا عنك، فسار.

وكتب المنصور إلى عيسى بن موسى بن موسى بإسراع العود وإلى مسلم بن قتيبة بالري وإلى سالم بقصد إبراهيم وضم إليه غيرها من القواد. وكتب إلى المهدى بإلقاء خربة بن خازم الأهواز وفارس والمدائن وواسط والسوداد وإلى جانبه أهل الكوفة في مائة ألف يتوصون به. ثم رمى كل ناحية بمجرها وأقام خمسين يوماً على مصلاه ومبليس ولم ينزع عنه جبهة ولا قميصه وقد توسخا ويلبس السواد إذا ظهر للناس، ويزنع إذا دخل بيته. وأهدى له من المدينة أمرأتان: فاطمة بنت محمد بن عيسى بن طلحة بن عبد الله وأمه الكريمة بنت عبد الله من ولد خالد بن أسد فلم يختلط بهما. وقال: ليست هذه أيام نساء حتى أنظر رأس إبراهيم إلى أو رأسى له.

وقدم عليه عيسى بن موسى فبعثه لحرب إبراهيم في خمسة عشر ألفاً وعلى مقدمته حميد بن قحطبة في ثلاثة آلاف وسار إبراهيم من البصرة ومائة ألف حتى نزل بزاiez عيسى بن موسى على ستة عشر فرسخاً من الكوفة، وأرسل إليه مسلم بن قتيبة بان يخندق على نفسه أو يخالف عيسى إلى المصور فهو في حف من

حتى أخذ من خالد بن الصلت منهم خمسة عشر درهماً بعد أن  
جسسه عليها.

### العهد للمهدي وخلع عيسى بن موسى

كان السفاح قد عهد إلى عيسى بن موسى بن علي وولاه على الكوفة فلم يزل عليها، فلما كبر المهدى أراد المنصور أباوه أن يقدمه في المهدى على عيسى، وكان يكرمه في جلوسه في مجلس عن يمينه والمهدى عن يساره فكلمه في التأخر عن المهدى في العهد فقال: يا أمير المؤمنين كيف بالإيمان التي علي وعلى المسلمين وأبى ذلك، فتغير له المنصور ويأعده بعض الشيء. وصار ياذن للمهدى قبله ولعممه عيسى بن علي وعبد الصمد. ثم يدخل عيسى في مجلس ثالث عشرة سنة من ولايته، وول مكانه محمد بن سليمان بن علي، ثم راجع عيسى نفسه فإباعي المنصور للمهدى بالعهد وجعل عيسى من بعده. ويقال: إنه أعطاه أحد عشر ألف ألف درهم ووضع الجندي في الطرقات لأذاته وإشهاد خالد بن برمك عليه جماعة من الشيعة بالاخْلَع تركت جميعها لأنها لا تليق بالمنصور وعداته المقطوع بها فلا يصح من تلك الأخبار شيء.

### خروج أستادسيس

كان رجل ادعى النبوة في جهات خراسان فاجتمع إليه نحو ثلاثة ألف مقاتل من أهل هراة وباذغيس وسجستان وسار إليه الأئمَّة عامل مرو الروذ في العساكر فقاتلوا الأئمَّة وعامة أصحابه، وتابع القواد في لقاءه فهزموهم. وبعث المنصور وهو بالبرداق خازم بن خزيمة إلى المهدى في الثاني عشر من فبراير المهدى حرره فزحف إلى عشرين ألفاً. وجعل على ميمنته الهيثم بن شعبة بن ظهير وعلى ميسرته نهار بن حصن السعدي وفي مقدمته بكار بن مسلم العقيلي ودفع لواه للزبرقان. ثم راوغهم في المراحلحة وجاء إلى موضع فخندق عليه وجعل له أربعة أبواب، وأتى أصحاب أستادسيس بالمؤوس والمواعيل ليطمووا الخندق فبدؤوا بالباب الذي يلي بكار بن مسلم فقاتلتهم بكار وأصحابه حتى ردوهم عن بابهم. فاقبلوا على باب خازم وتقدم منهم الحريش من سجستان فأمر خازم الهيثم بن شعبة أن يخرج من باب بكار ويسألي العدو من خلفهم وكانتوا متوقعين قドوم أبي عون وعمر بن مسلم بن قبية وخرج خازم على الحريش واشتدى قتاله معهم. وبدأت أعلام الهيثم من ورائهم فكثير أهل العسكر وحملوا عليهم

البر والبحر والجبل. فشرع المنصور في عمارتها. وكتب إلى الشام والجبل والكوفة وواسط والبصرة في الصناع والفعلة واختيار من ذوي الفضل والعدالة والغفوة والأمانة والمعروفة بالمهندسة فحضرهم لذلك. منهم الحاج بن أرطاة وأبو حنيفة الفقيه. وأمر بخطتها بالرماض نشكلت أبوابها وفضلانها وطاقاتها ونواحيها، وجعل على الرماد حب القطن. فأضرم ناراً ثم نظر إليها وهي تشتعل فعرف رسماها وأمر أن تخفر الأساس على ذلك الرسم. ووكل بها أربعة من القواد يتول كل واحد منهم ناحية، ووكل أبا حنيفة بعد الأجر واللين. وكان أراده على القضاء والظالم ف ABI. فحلف أن لا يقلع عنه حتى يعمل له عملاً فكان هذا. وأمر المنصور أن يكون عرض أساس القصر من أسفله خسرين ذراعاً ومن أعلىه عشرين وجعل في البناء القصب والخشب ووضع يده أول لبنة وقال: بسم الله والحمد لله والأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين.

ثم قال: أبناوا على بركة الله، فلما بلغ مقدار قامة جاء الخبر بظهور محمد المهدى، فقطع البناء وسار إلى الكوفة حتى فرغ من حرب محمد وأخيه ورجع من مدينة ابن هبيرة إلى بغداد واستمر في بيته، واستشار خالد بن برمك في تقضي المدائن والإيران. فقال: لا أرى ذلك لأنه من آثار الإسلام وفتح العرب وفيه مصلى علي بن أبي طالب فاتهمه بمجة العجم وأمر بتنقش القصر الأبيض فإذا الذي ينقش في نقشه أكثر من ثمن الجديد فاقتصر عنه. فقال خالد: لا أرى إقصارك عنه لثلا يقال عجزوا عن هدم ما بناه غيرهم، فأعرض عنه ونقل الأبواب إلى بغداد ومن واسط ومن الشام ومن الكوفة، وجعل المدينة مدوررة وجعل قصره وسطها ليكون الناس منه على حد سواء.

وجعل المسجد الجامع بجانب القصر وعمل لها سورين والداخل أعلى من الخارج. ووضع الحاج بن أرطاة قبلة المسجد، وكان وزن اللبن التي يبني بها مائة رطل وسبعين عشر رطلاً وطولاً ذراع في ذراع، وكانت بيوت جماعة من الكتاب والقواد تشرع أبوابها إلى رحبة الجامع، وكانت الأسواق داخل المدينة فآخر جهم إلى ناحية الكرخ لما كان الغرباء يطربون فيها، وجعل الطرق أربعين ذراعاً وكان مقدار النفقة عليها في المسجد والقصر والأسواق والفصلان والخنادق والأبواب ألف ألف وثمانمائة ألف وثلاثة وثلاثين ألف درهم. وكان الأستاذ من البنائيين يعمل يومه بقياط، والروز كاري بمحببين، وحاسب القواد عند الفراغ منها فلازم كلَّا بما بقي عنده وأخذنه

### بناء الرصافة للمهدي

ولما رجع المهدي من خراسان قدم عليه أهل بيته من الشام والكوفة والبصرة فاجازهم وكساهم وجلهم وكذلك المتصور. ثم شعب عليهم الجند فأشار عليهم قثم بن العباس بن عبد الله بن العباس بأن يفرق بينهم ويستكفيه في ذلك، وأمر بعض غلمانه أن يعرضه بدار الخلافة ويسأله بحق الله ورسله والعباس وأمير المؤمنين أبي الحسين من أشرف اليمين أم مضر؟ فقال: مضر كان منها رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه وفيها كتاب الله وعندها بيت الله ومنها خليفة الله فغضب اليمين إذ لم يذكر لها فضلاً. ثم كبح بعضهم بغلة قثم فامتنتع مضر وقطعوا الذي كبها فتشاجر الحبيان وتعصبت لليمين ريبة والخراسانية للدولة وأصبخوا أربع فرق، وقال قثم للمنتصر: أضرب كل واحدة بال الأخرى وسir لابنك المهدي فلل أثير له مجنبه فيتاظرون في أهل مدتيتك فقبل رأيه وأمر صالحًا صاحب المصلى ببناء الرصافة للمهدي.

### مقتل معن بن زائدة

كان المتصور قد ول على سجستان معن بن زائدة الشيباني وأرسل إلى رتبيل في الفربية التي عليه فبعث بها عروضاً زائدة الشمن فغضب معن وسار إلى الرخيخ على مقدمته يزيد ابن أخيه يزيد فتحتها وسبى أهلها وقتلهم ومضى رتبيل إلى عزمه وانصرف معن إلى بست فشتى بها. ونكر قوم من الخارج سيرته فهجموا عليه وفكروا به في بيته. وقام يزيد بأمر سجستان وقتل قاتليه واشتدت على أهل البلاد وطأنه فتحيل بعضهم بأن كتب المتصور على لسانه كتاباً يتضجر من كتب المهدي إليه ويسأله أن يعفي من معاملته، فاغضب ذلك المتصور وأقرَّا المهدي كتابه وعزله وحبسه ثم شفع فيه شخص إلى مدينة السلام فلم يزل مجفواً حتى بعث إلى يوسف البرم بمراasan كما يذكر بعد.

### العمال على النواحي أيام السفاح والمتصور

كان السفاح قد ول عند بيعته على الكوفة عمده داود بن علي وجعل على حجابته عبد الله بن بسام وعلى شرطته موسى بن كعب وعلى ديوان الخراج خالد بن برمك وبعث عنه عبد الله لقتال مروان مع أبي عون بن يزيد بن قحطبة تقدمة. وبعث يحيى بن جعفر بن تمام بن العباس إلى المدائن، وكان أحمد بن قحطبة تقدمة وبعث أبو اليقطان عثمان بن عروة بن عمار بن ياسر إلى

فكشفهم ولقيهم أصحاب الهيثم فاستمر فيهم القتال فقتل سبعون ألفاً وأسر أربعة عشر، ومحصن استادسيس على حكم أبي عون فحكم بأن يوتق هو وبنوه ويعتن بالباكون، وكتب إلى المهدي بذلك فكتب المهدي إلى المتصور. ويقال: إن استادسيس أبس مراجل أم المأمون وأبنته غالب حال المأمون الذي قتل الفضل بن سهل.

### ولاية هشام بن عمرو

#### التغليبي على السندي

كان على السندي أيام المتصور عمر بن حفص بن عثمان بن قبيصة بن أبي صفرة ويلقب هزارمد - يعني: ألف رجل - ولما كان من أمر المهدي ما قدمناه بعث ابنه عبد الله الأشتر إلى البصرة ليدعوه له، فسار من هنالك إلى عمر بن حفص وكان يتشيع فأهدي له خيلاً يتمكن بها من لقائه. ثم دعا فاجاب وبایع له وازله عنده مختيًّا ودعا القراد وأهل البلد فأجابوا فمزق الأعلام وهيا لبسة من البياض يخطب فيها، وهو في ذلك إذ فجأه الخبر بقتل المهدي فدخل على ابنه أشتر وعزاه. فقال له: الله في دمي فاشار عليه باللحم على ملك السندي عظيم المملكة، كان يعظجه النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه، وكان معروفاً بالوفاء، فأرسل إليه بعد أن عاهده عليه، واستقر عنده ذلك الملك.

وتسلل إليه جماعة من الزيدية نحوً من أربعمائة، وبلغ ذلك المتصور ففاته وكتب إلى عمر بن حفص بعزله وأقام يفكر فيمن يوليه السندي، وعرض له يوماً هشام بن عمرو التغليبي وهو راكب ثم اتبعه إلى بيته وعرض عليه اخته، فقال للريبع: لو كانت لي حاجة في النكاح لقلبت، فجزاك الله خيراً، وقد ولتيك السندي فتجهز لها وأمره أن يحارب ملك السندي وسلم إليه الأشتر ففعل، وأقام المتصور يستحثه. ثم خرجت خارجة بالسندي بفتح هشام أخاه سفيحاً لجسم الداء عنها، فسر بنواحي ذلك الملك فوجد الأشتر يتزره في شاطئ همدان في عشرة من الفرسان فجاء ليأخذنه فقاتلهم حتى قتل وقتل أصحابه جميعاً. وكتب هشام بذلك إلى المتصور. فشكراه وأمر بمحاربة ذلك الملك فظفر به وغلب على ملكته، وبعث بسرازي عبد الله الأشتر ومعه ولد منه اسمه عبد الله بعث بهم المتصور إلى المدينة وأسلمته إلى أهله. ولما ول هشام بن عمر على السندي وعزل عمر بن حفص عنها. ثم حدث فتق بأفريقيا بعثه إلى سده كما سيأتي في أخبارها.

نقله إليها من اليمامة، وولى مكانه من اليمن قثم بن العباس بن عبد الله بن العباس، وعزل حميد بن قحطبة عن مصر وولى مكانه نوافل بن الفرات، ثم عزله وولى مكانه يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة، وولى على المدينة محمد بن خالد بن عبد الله القسري ثم اتهمه في أمر ابن أبي الحسن فعزله، وولى مكانه رياح بن عثمان المنزي. ولما قتل أصحاب محمد المهدي ولي مكانه عبد الله بن الربيع الحارثي.

ولما قتل إبراهيم آخر المهدي سنة خمس وأربعين ولد المنصور على البصرة سالم بن قيبة الباهلي، وولى على الموصل ابنه جعفراً مكاناً مالك بن الهيثم وبعث معه حرب بن عبد الله من أكابر قواده. ثم عزل سالم بن قيبة عن البصرة سنة ست وأربعين، وولى مكانه محمد بن سليمان، وعزل عبد الله بن الربيع عن المدينة، وولى مكانه جعفر بن سليمان، وعزل السري بن عبد الله عن مكة وولى مكانه عم عبد الصمد بن علي. وولى سنة سبع وأربعين على الكوفة محمد بن سليمان مكان عيسى بن موسى لما سخطه بسبب العهد. وولى مكان محمد بن سليمان على البصرة محمد بن السفاح فاستغفاه ورجع إلى بغداد فمات، واستخلف بها عقبة بن سالم فاقرئه. وولى على المدينة جعفر بن سليمان، وولى ستة وثلاثين وأربعين على الموصل خالد بن برمك لافساد الأكراد في نواحيها، وعزل سنة تسع وأربعين عم عبد الصمد عن مكة، وولى مكانه محمد بن إبراهيم.

وفي سنة خمسين عزل جعفر بن سليمان عن المدينة، وولى مكانه الحسن بن زيد بن الحسن. وفي سنة إحدى وخمسين عزل عمر بن حفص عن السنده وولى مكانه هشام بن عمرو التغلبي، وولى عمر بن حفص على أفريقيا. ثم بعث يزيد بن حاتم من مصر مددًا له، وولى مكانه بمصر محمد بن سعيد. وفي هذه السنة قتل معن بن زائدة ببغستان كما تقدم فقام بأمره يزيد ابن أخيه يزيد، فأقره المنصور ثم عزله. وفي هذه السنة سار عقبة بن سالم من البصرة واستخلف نافع بن عقبة فغزا البحرين وقتل ابن حكيم العدوى واستقره المنصور بإطلاق أسراههم فعزله وولى جابر بن مومة الكلابي، ثم عزله وولى مكانه عبد الملك بن ظبيان النميري. ثم عزله وولى الهيثم بن معاوية العكي.

وفيها ولي على مكة والطائف محمد بن إبراهيم الإمام، ثم عزله وولى مكانه إبراهيم ابن أخيه يحيى بن محمد، وولى على الموصل إسماعيل بن خالد بن عبد الله القسري. ومات أسيد بن عبد الله أمير خراسان فولى مكانه حميد بن قحطبة. وفي سنة ثلاط وخمسين توفي عبيد الله ابن بنت أبي ليلى قاضي الكوفة فاستقضى

الأهواز مددًا لبسام بن إبراهيم. ودفع ولاية خراسان إلى أبي مسلم، فولى أبو مسلم عليها إياً وخالفه بن إبراهيم وبعث عليه عبد الله في مقدمته لحرب مروان أخيه صالحًا ومعه أبو عنون بن يزيد، فلما ظفر وانتصر ترك أبا عنون يزيد بمصر واستقل عبد الله بولاية الشام.

ولوى السفاح أخاه أبا جعفر على الجزيرة وأرميبية وأذربيجان فولى على أرميبية يزيد بن أسد وعلى أذربيجان محمد بن صول ونزل الجزيرة. وكان أبو مسلم ولد على فارس محمد بن الأشعث حين قتل أبا مسلمة الخلال، فبعث السفاح عليها عيسى فمنعه محمد بن الأشعث واستخلفه على الولاية فبعث عليها عمه إسماعيل. وولى على الكوفة ابن أخيه موسى، وعلى البصرة سفيان بن معاوية الملهي وعلى السندي منصور بن جهور وتقل عمه داود إلى ولاية الحجاز والمياميد والميامنة. ثم ولد على البصرة وأعمالها وكور دجلة والبحرين وعمان. وتوفي داود بن علي سنة ثلاثة وثلاثين، فولى مكانه على اليمين محمد بن يزيد بن عبد الله بن عبد المدان وعلى مكة والمدينة والطائف والميامدة خاله زياد بن عبد الله بن عبد المدان الحارثي وهو عم محمد بن يزيد.

وفيها بعث محمد بن الأشعث إلى أفريقيا فجها. وفي سنة أربع وثلاثين بعث صاحب الشرطة موسى بن كعب لقتال منصور بن جهور، وولاه مكانه على السندي، فاستخلف مكانه على الشرطة المسبب بن زهير. وتوفي عامل اليمين محمد بن يزيد، فولى مكانه علي بن الربيع بن عبيد الله الحارثي. ولما استخلف المنصور وانتقض عبد الله بن علي وأبو مسلم ولد على خراسان أبا داود خالد بن إبراهيم وعلى مصر صالح بن علي وعلى الشام عبد الله بن علي.

ثم هلك خالد بن إبراهيم سنة أربعين فولى مكانه عبد الجبار بن عبد الرحمن فانتقض لستة من ولايته، فبعث المنصور ابنه المهدى على خراسان وفي مقدمته خازم بن خزيمة فظفر بعد عبد الجبار. وتوفي سليمان عامل البصرة سنة أربعين فولى مكانه سفيان بن معاوية، ومات موسى بن كعب بالسندي وولي مكانه ابنه عيينة فانتقض، فبعث المنصور مكانه عمر بن حفص بن أبي صفرة. وولى على مصر في هذه السنة حميد بن قحطبة. وولى على الجزيرة والشعرور والعواصم أخيه العباس بن محمد وكان بها يزيد بن أسد وعزل عمه إسماعيل عن الموصل، وولى مكانه مالك بن الهيثم الخزاعي.

وفي سنة ست وأربعين عزل الهيثم بن معاوية وولى على مكة والطائف مكانه السري بن عبد الله بن الحارث بن العباس

قال مجبي: وبعثي خالد إلى عماره بقرضه وكان مائة ألف، فقال لي: أكنت لأريك صديقاً قم عني لا قمت. ولم يزل خالد على الموصل إلى وفاة المنصور. وفي هذه السنة عزل المنصور المسب بن زهير عن شرطته وحبسه مقيداً لأنه ضرب أبان بن بشير الكاتب بالسياط حتى قتله، وكان مع أخيه عمر بن زهير بالكوفة، وولى المنصور على فارس نصر بن حرب بن عبد الله. ثم على الشرطة بغداد عمر بن عبد الرحمن أخا عبد الجبار، وعلى قضائها عبد الله بن محمد بن صفوان. ثم شفع المهدى في المسب وأعاده إلى شرطته.

## الصوائف

كان أمر الصوائف قد انقطع منذ ستة ثلاثين بما وقع من الفتنة، فلما كانت سنة ثلاثة وثلاثين أتى قسطنطين ملك الروم إلى ملطية ونراحيها فنازل حصن بلخ، واستجدوا أهل ملطية فامدوهم بشمائحة مقاتل، فهزمهم الروم وحاصروا ملطية والجزيرة مفتوحة وعاملها موسى بن كعب بخراسان فسلموا البلد على الأمان لقسطنطين. ودخلوا إلى الجزيرة وخرب الروم ملطية، ثم ساروا إلى قاليقلا ففتحوها. وفي هذه السنة سار أبو داود وخالد بن إبراهيم إلى الجتن فدخلتها فلم تفتح عليه، وتعصى منه السبيل ملتهم وحاصره مدة، ثم فرض الحصن ولحق بفرغانة.

ثم دخلوا بلاد الترك واتهوا إلى بلد الصين، وفيها بعث صالح بن علي بن فلسطين سعيد بن عبد الله لغزو الصافنة وراء الدروب. وفي سنة خمس وثلاثين غزوا عبد الرحمن بن حبيب عامل أفريقيا جزيرة صقلية فغنمت وسبى وظفر بما لم يظفر به أحد قبله. ثم سفل ولادة أفريقيا بفتح البرير فأثنى أهل صقلية وعمر الخصون والمعاقل وجعلوا الأساطيل تطوف بصفلية للحراسة، وربما صادفوا تجارة المسلمين في البحر فأخذوه. وفي سنة ثمان وثلاثين خرج قسطنطين ملك الروم فأخذ ملطية عنوة وهدم سورها وعفا عن أهلها. فغزا العباس بن محمد الصافنة ومعه صالح وعيسي، وبنى ما خربه الروم من سور ملطية أثناء ثورة الروم، ورد إليها أهلها وأنزل بها الجند ودخل دار الحرب من درب الماراث وتغل في أرضهم. ودخل جعفر بن حنظلة البهرياني من درب ملطية.

وفي سنة تسعة وثلاثين كان القداء بين المسلمين والروم في أسري قاليقلا وغيرهم. ثم غزا بالصافنة سنة أربعين عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام ومعه الحسن بن قحطبة، وسار إليهم قسطنطين ملك الروم في مائة ألف فبلغ جيحان وسمع كثرة المسلمين

شريك بن عبد الله النخعي وكان على اليمين يزيد بن منصور. وفي سنة خمس وأربعين بل أربع وخمسين عزل عن الجزيرة أخاه العباس وأغرمه مالاً، وولى مكانه موسى بن كعب الخثعمي، وكان سبب عزله شكابة يزيد بن أسد منه، ولم يزل ساخطاً على العباس حتى غضب على عمه إسماعيل، فشقق فيه آخره عمومه المنصور. فقال عيسى بن عيسى: يا أمير المؤمنين شفعوا في أخيهم وأنت ساخط على أخيك العباس منذ كذا ولم يكلمك فيه أحد منهم فرضي عنه.

وفي سنة خمس وخمسين عزل محمد بن سليمان عن الكوفة وولى مكانه عمر بن زهير الضبي أخاه المسبب صاحب الشرطة، وكان من أسباب عزله، أنه حبس عبد الكري姆 بن أبي العروجاء خال معن بن زائدة على الزندقة، وكتب إليه أن يتبع أمره فقتله قبل وصول الكتاب، فغضب عليه المنصور وقال: لقد هممت أن أقيده به. وعزل عمه عيسى في أمره لأنه الذي كان وأشار بولايته. وفيها عزل الحسن بن زيد عن المدينة وولى مكانه عمه عبد الصمد بن علي، وكان على الأهواز وفارس عمارة بن حزة.

وفي سنة سبع وخمسين ول على البحرين سعيد بن دعلج صاحب الشرطة بالبصرة، فأنفذ إليها ابنه عمياً ومات سوار بن عبد الله قاضي البصرة فولى مكانه عبيد الله بن الحسن بن الحسين العنبري. وعزل محمد بن الكاتب عن مصر وولى مكانه مولاه مطرأً وعزل هشام بن عمرو عن السندي وولى مكانه معبد بن الخليل. وفي سنة ثمان وخمسين عزل موسى بن كعب عن الموصل لشيء بلغه عنه فامر ابنه المهدى أن يسير إلى الرقة مورياً بزيارة القدس ويكتفى طريقه على الموصل فقبض عليه، وكان المنصور قد أسلم خالد بن برمك ثلاثة آلاف ألف درهم وأجله في إحضارها ثلاثة وإلا قتله، فبعث ابنه يحيى إلى عمارة بن حزة ومبارك التركي وصالح صاحب المصلى وغيرهم من القواد ليستقرض منهم، قال يحيى: فكملهم بعث إلا أن منهم من منعنى الدخول ومنهم من يحبني بالردد إلا عمارة بن حزة فإنه أذن لي ووجهه إلى الحائط، ولم يقبل علي وسلمت فرد خفيفاً، وسأل كيف خالد؟ فعرفه واستقرضه فقال: إن أمكنني شيء يأتيك فانصرفت عنه.

ثم أندل المآل فجمعناه في يومين وتعذر تلثمانة ألف. وورد على المنصور انتقاض الموصل والجزيرة وانتشار الأكراد به، وسخط موسى بن كعب فأشار عليه المسبب بن زهير بخالد بن برمك فقال: كيف يصلح بعدهما فعلنا؟ فقال: أنا ضامن فصح له عما بقي عليه، وعقد له على الموصل، ولا به يحيى على أذربيجان. وسارا مع المهدى فعزل موسى بن كعب وولاهما.

الناس أعقابهم وتوليهم المنابر فإن عزك عزهم وذكرهم لك وما أظلك تفعل. وأوصيك بأهل خراسان خيراً فلهم أنصارك وشيعتك الذين بذلوا أموالهم ودماءهم في دولتك وأن لا تخرج محبتك من قلوبهم، وأن تحسن إليهم وتجاوز عن مسيئهم وتكتفهم عما كان منهم، وتختلف من مات منهم في أهله وولده وما أظلك تفعل. وإياك أن تبني مدينة الشرقة فانك لا تسم بناءها وأظلك ستفعل. وإياك أن تستعين برجل من بني سليم وأظلك ستفعل. وإياك أن تدخل النساء في أمرك وأظلك ستفعل.

وقيل: قال له: إني ولدت في ذي الحجة ووليت في ذي الحجة وقد حبس في نفسي أن اموت في ذي الحجة في هذه السنة، وإنما حد لي الحج على ذلك. فاتق الله فيما أهدى إليك من أمور المسلمين بعدى يجعل لك فيما كريرك وحزنك فرجاً ومخروجاً ويرزقك السلامة وحسن العاقبة من حيث لا تخسب. يا بني احفظ محمدًا عليه السلام في أمته يحفظك الله ويحفظ عليك أمرك، وإياك والدم الحرام فإنه حرب عند الله عظيم وعار في الدنيا لازم مقيم، والزم الحدود فإن فيها صلاحك في الأجل وصلاحك في العاجل، ولا تعذر فيها قبور، فإن الله تعالى لو علم أن شيئاً أصلح منها لدینه وأزجر عن معاصيه لأمر به في كتابه.

واعلم أن من شدة غضب الله لسلطانه أمر في كتابه بتضعيف العذاب والعذاب على من سعى في الأرض فساداً مع ما ادخر له من العذاب الأليم فقال: **﴿إِنَّمَا جَرَأَ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعُرُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادُهُمْ﴾** الآية. فالسلطان يا بني جبل الله المتن وعروته الوثقى ودينه المقيم فاحفظه وحصته وذب عنه، واقع بالملحدين واقمع المارقين منه، وقابل الخارجين عنه بالعقاب، ولا تجاوز ما أمر الله به في حكم القرآن. واحكم بالعدل ولا تشطط فإن ذلك أقطع للشعب وأحسن للعدو والنجع في الدواء، واعف عن الفيء، فليس بك إلى حاجة مع ما أخلفه لك. واقتصر بصلة الرحم وبر القرابة وإياك والأثرة والتبييد لأموال الرعية واشجن الثغور واضبط الأطراف وأمن السبيل وسكن العامة، وأدخل المرافق عليهم وارفع المكاره عنهم وأعد الأموال واخزنهما، وإياك والتبييد فإن النواب غير مأمونة وهي من شيم الزمان. وأعد الأ��ار والرجال والجند ما استطعت.

وإياك وتأخير عمل اليوم لغد فتداول الأمور وتضييع، وخذ في أحكام الأمور النازلات في أوقاتها أولاً أولاً، واجتهد وشمر فيها وأعد رجالاً بالليل لمعرفة ما يكون بالنهار، ورجالاً بالنهار لمعرفة ما يكون بالليل. وبasher الأمور بنفسك ولا تضجر ولا تكل، واستعمل حسنظن وأسى الظن بعملك وكتابك، وخذ

فاحجم عنهم ورجع، ولم تكن بعدها صائفة إلى ستة ست وأربعين، لأنشغل المنصور بفتنة بي حسن. وفي سنة ست وأربعين خرج الترك والحدر من باب الأبواب واتهوا إلى أرمدينة وقتلوا من أهلها جماعة ورجعوا.

وفي سنة سبع وأربعين أغاث أسترانخان الخوارزمي في جمع من الترك على أرمينة ففتح وسبي ودخل تقيس فمات فيها. وكان حرب بن عبد الله مقيناً بالوصل في الفين من الجندي لكان الخوارزمي بالجزيرة، فأمره المنصور بالسير لحرب الترك مع جبريل بن يحيى، فانهزما وقتل حرب في كثير من المسلمين. وفيها غزا بالصائفة مالك بن عبد الله الخثمي من أهل فلسطين، ويقال له ملك الصوات ففتح غنائم كثيرة وقسمها بدرب الحارث. وفي سنة تسع وأربعين غزا بالصائفة العباس بن محمد ومعه الحسن بن قحطبة ومحمد بن الأشعث، فدخلوا أرض الروم وعاثوا ورجعوا. ومات محمد بن الأشعث في طريقه في سنة إحدى وخمسين وقتل أخوه محمد ولم يدر.

ثم غزا بالصائفة سنة اربع وخمسين زفر بن عاصم الهلالي. وفي سنة خمس بعدها طلب ملك الروم الصلح على أن يؤذدي الجزيرة، وغزا بالصائفة يزيد بن أسد السلمي وغزا بها سنة ست وخمسين وغزا بالصائفة معيوب بن يحيى من درب الحارث ولقي العدو فاقتلوه ثم تحرزوا.

## وفاة المنصور وبيعة المهدى

وفي سنة ثمان وخمسين توفى المنصور متصوفاً من الحج بيت ميمون لست خلت من ذي الحجة وكان قد أوصى المهدى عند وداعه فقال: لم أدع شيئاً إلا تقدمت إليك فيه وساوصيك بمصال وأظلك تفعل واحدة منها، وله سقط فيه دقائق علمه وعليه قفل لا يفتحه غيره، فقال للمهدى: انظر إلى هذا السقط فاحفظ به فإن فيه علم آبائك ما كان وما هو كائن إلى يوم القيمة، فإن أحزنك أمر فانظر في الدفتر الكبير، فإن أصبت فيه ما تريده إلا ففي الثاني والثالث حتى تبلغ سبعة. فإن نقل عليك فالكراسة الصغيرة فإنك واجد ما تريده فيها وما أظلك تفعل.

فانظر هذه المدينة وإياك أن تستبدل بها غيرها، وقد جمعت فيها من الأموال ما انكر عليك الخراج عشر سنين كفالة لأرزاق الجندي والفقارات والذرية ومصلحة بيروت. فاحفظ بها فإياك لا تزال عزيزاً ما دام بيت مالك عامراً وما أظلك تفعل. وأوصيك بأهل بيتك وأن تظهر كرامتهم وتحسن إليهم وتقديمهم وتوطئه

الشيعة فقال له علي بن عيسى بن ماهان: والله لتباعين ولا ضربنا عنك. ثم بعث موسى بن المهدي والريبع بالخبر والبردة والقضيب وخاتم الخلافة إلى المهدي وخرجوا من مكة.

ولما وصل الخبر إلى المهدي متصرف ذي الحجة إجتمع إليه أهل بغداد وبايعوه، وكان أول ما فعله المهدي حين بويح أنه أطلق من كان في حبس المنصور إلا من كان في دم أو مال أو من يسعى بالفساد، وكان فيما أطلق يعقوب بن داود وكان محبوساً مع الحسن بن إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن الحسن.

فلما أطلق ساء ظن إبراهيم وبعث إلى من يشق به مجرر سرب يفضي إلى محبسه ويبلغ ذلك يعقوب بن داود فجاء إلى ابن علاتة القاضي وأوصله إلى أبي عبيد الله الوزير ليوصله إلى المهدي فاوصله واستخلأه فلم يجدته حتى قام الوزير والقاضي وأخوه بتحقيق الحال، فأمره بتحويل الحسن، ثم هرب بعد ذلك ولم يظرف به. وشاور يعقوب بن داود في أمره فقال: أعطه الأمان وأننا أحضره وأحضره. ثم طلب من المهدي أن يجعل له السبيل في رفع أمور الناس وراء بابه إليه فاذن له وكان يدخل كلما أراد ويرفع إليه النصائح في أمر التغور وبناء الحصون وتقوية الغزارة وترويع العذاب وفكاك الأسرى والمحبوسين، والقضاء على الفارمين والصدقة على المتعفين فحظي بذلك وتقدمت منزلته وسقطت منزلة أبي عبد الله، ووصله المهدي بمائة ألف وكتب له التوقيع بالإخاء في الله.

## ظهور المقنع ومهلكه

كان هذا المقنع من أهل مرو ويسمى حكيمًا وهاشميًا، وكان يقول بالتاريخ وأن الله خلق آدم فتحول في صورته ثم صورة نوح ثم إلى أبي مسلم ثم إلى هاشم وهو المقنع. فظهر بخراسان وادعى الإلهية وأخذ وجهاً من ذهب فجعله على وجهه فسمى المقنع، وأنكر قتل يحيى بن زيد وزعم أنه يأخذ بشاره، وتبعد خلق عظيم من الناس وكانتوا يسجدون له. وتحصن بقلعة باسم من رستاق كش وكان قد ظهر بخاري والصفند جائحة من الميسفة فاجتمعوا معه على الخلاف، وأعنهem كفار الآراك وأغاروا على المسلمين من ناحيتهم، وحاربهم أبو النعمان والجند وليث بن نصر بن سيار، فقتلوا أخيه محمد بن نصر وحسان ابن أخيه تميم. وأنفذ المهدي إليهم جبريل بن يحيى وأخاه يزيد لقتال الميسفة فقاتلوهم أربعة أشهر في بعض حصون بخاري وملكته عنده، فقتل منهم سبعمائة ولحق قلهم بالمقنع وجبريل في اتساعهم.

نقشك بالبيظوظ وتفقد من بيته على بابك وسهل إذنك للناس واظهر في أمر الزنزاع إليك وكأن بهم عيناً غير نامية ونفساً غير ساهية، ولا تتم فإن أبابك لم ينم منذ ولد الخليفة ولا دخل عينيه الغمض إلا وقلبه مستيقظ. هذه وصيتي إليك والله خليفتي عليك.

ثم ودعه وسار إلى الكوفة فاحرم منها قارنا، وساق المهدي وأشعره وقلبه لأيام خلت من ذي القعدة. ولما سار منازل عرض له وجمه الذي مات به. ثم اشتاد فجعل يقول للربيع - وكان عديله - بادر بي إلى حرم ربى هارباً من ذنوبي فلما وصل بمن ميمون مات سحر السادس من ذي الحجة لم يحضر إلا خدمه والربيع مولاه. فكتموا الأمر ثم غداً أهل بيته على عادتهم، فدعا عيسى بن علي العم ثم عيسى بن موسى بن محمد ولد العهد، ثم الأكابر وذري الأسباب، ثم عامتهم، فبايدهم الريبع للمهدي ثم بايع القواد وعامة الناس. وسار العباس بن محمد ومحمد بن سليمان إلى مكة فبايعا الناس للمهدي بين الركن والمقام وجهزوه إلى قبره وصلى عليه عيسى بن موسى وقيل: إبراهيم بن يحيى، ودفن في مقبرة العلاة وذلك لاثنين وعشرين سنة من خلافته.

وذكر علي بن محمد التوفلي عن أبيه وهو من أهل البصرة وكان مختلف إلى المنصور تلك الأيام قال: جئت من مكة صبيحة موته إلى العسكر، فإذا موسى بن المهدي عند عمود السرادق والقاسم بن منصور في ناحية فعلمت أنه قد مات.

ثم أقبل الحسن بن زيد العلوي والناس حتى ملؤوا السرادق وسمعوا همس البكاء. ثم خرج أبو العبر الخادم مشقوق الأقنية وعلى رأسه التراب وهو يستغيث، وقام القاسم فشق ثيابه. ثم خرج الربيع وفي يده قرطاس فقرأ على الناس وفيه:

بسم الله الرحمن الرحيم ...

من عبد الله المنصور أمير المؤمنين إلى من خلف من بني هاشم وشيعة من أهل خراسان وعامة المسلمين. ثم بكى ويكي الناس ثم قال: البكاء إمامكم فانصتوا رحمة الله! ثم قرأ: أما بعد فاني كتب كتابي هذا وأنا حي في آخر يوم من أيام الدنيا أقرأ عليكم السلام، وأسأل الله أن لا يفتكم بعدي ولا يلبسكم شيئاً ولا يذيق بغضكم بأيّ بعض.

ثم أخذ في وصيتم للمهدي وحثهم على الوفاء بعهده. ثم تناول الحسن بن زيد وقال: قم فبائع. فبائع موسى بن المهدي لأبيه ثم بايع الناس الأول فأول. ثم دخل بنو هاشم وهو في أكفانه مكشف الرأس لمكان الإحرام، فحملوه على ثلاثة أيام من مكة فدفنه. وكان عيسى بن موسى لما بايع الناس أباً من

وفي سنة إحدى وستين ولى على السنن محمد بن الأشعث واستقضى عافية القاضي مع ابن علاته بالرضاة وعزل الفضل بن صالح عن الجزيرة، وولى مكانه عبد الصمد بن علي، وولى عيسى بن لقمان على مصر ويزيد بن منصور على سواد الكوفة وحسان السروري على الموصل وبسطام بن عمرو التغلبي على أذربيجان، وعزله عن السنن.

وتوفي نصر بن مالك بن صالح صاحب الشرطة فولى مكانه حزرة بن مالك وكان الآباء بن صدقة كاتباً للرشيد، فصرفه وجعله مع المادي، وجعل هو مع هارون يحيى بن خالد وعزل محمد بن سليمان آبا ضمرة عن مصر وولى مكانه سليمان بن رجاء، وكان على سواد الكوفة يزيد بن منصور وعلى أحدهما إسحاق بن منصور. وفي سنة ست وستين عزل علي بن سليمان عن اليمن وولى مكانه عبد الله بن سليمان، وعزل مسلمة بن رجاء عن مصر وولى مكانه عيسى بن لقمان ثم عزله لأشهر وولى مكانه مولاه وأصحاها، ثم عزله وولى مكانه يحيى الحريشي، وكان على طربستان عمر بن العلاء وسعيد بن دعلج وعلى جرجان مهليل بن صفوان ووضع ديوان الأرمة وولى عليها عمر بن بزيع مولا.

### العهد للهادى وخلع عيسى

كان جماعة من بي هاشم وشيعة المهدى خاصوا في خلع عيسى بن موسى من ولاية العهد والبيعة لموسى المادى بن المهدى، وغنى ذلك إلى المهدى فسر به واستقدم عيسى بن موسى من منزله بالرحبة من أعمال الكوفة فامتنع من القدوة، فاستعمل المهدى على الكوفة روح بن حاتم وأوصاه بالأضرار فلم يجد سبيلاً إلى ذلك. وكان عيسى لا يدخل الكوفة إلا يوم جمعة أو عيد. ويعث إلى المهدى يهدده فلم يجئ، ثم بعث عمه العباس يستقدمه فلم يحضر، فبعث قاتدين من الشيعة فاستحضره إليه، وقدم على عسكر المهدى وأقام أياماً مختلفاً إليه ولا يكلم بشيء. حضر الدار يوماً وقد اجتمع روساء الشيعة لخلعه، فشاروا به وأغلق الباب الذي كان خلفه فكسره، وأظهر المهدى النكير عليهم فلم يرجعوا إلا أن كاشفه أكابر أهل بيته وأشدتهم محمد بن سليمان واعتذر بالأيمان إلى عليه. فأحضر المهدى القضاة والفقهاء وفيهم محمد بن علاته ومسلم بن خالد النجاشي، فأقتلوه بخراج الأيمان وخلع نفسه وأعطيه المهدى عشرة آلاف درهم وضياعاً بالزراب وكسر وبيان لابنه موسى المادى بالعهد. ثم جلس المهدى من الغد وأحضر أهل بيته وأخذ يبعثهم وخرج إلى الجامع وعيسى

ثم بعث المهدى آبا عون لمحاربة المقنع فلم يبالغ في قتاله فبعث معاذ بن مسلم في جماعة القواد والعساكر وعلى مقدمته سعيد الحريشي، وأتاه عقبة بن مسلم من ذم فاجتمعوا بالطراويس وأوقعوا بأصحاب المقنع فهزموهم، ولحق فلهم بالمقطوع في بسام فتحصنتوا بها. وجاء معاذ فناط لهم وفسد ما بينه وبين الحريشي، فكتب الحريشي إلى المهدى بالسعادة في معاذ ويسمن الكفاية إن أفرد بالحرب، فأجابه المهدى إلى ذلك وانفرد بغير المقنع وأمده معاذ بابنه وجاوزوا باللات الحرب حتى طلب أصحاب المقنع الأمان سراً فامتهنهم، وخرج إليه ثلاثة ألفاً وبقي معه زهاء الفين، وضيقواه بالحصار فرأيقن بالملائكة وجمع نسائه وأهله. فيقال: سقاهم السم، ويقال بل أحرقهم وأحرق نفسه بالنار ودخلوا القلعة وبعث الحريشي برأس المقنع إلى المهدى فوصل إليه مجلس سنة ثلاث وستين.

### الولاية أيام المهدى

وعزل المهدى سنة تسع وخمسين عممه إسماعيل عن الكوفة وولى عليها إسحاق بن الصفاح الكندي ثم الأشعى، وقتل عيسى بن لقمان بن محمد بن صاحب الجمحي وعزل سعيد بن دعلج عن أحداث البصرة وعيid الله بن الحسن عن الصلاة، وولى مكانهما عبد الملك بن أبيوب بن ظبيان التميري. ثم جعل الأحداث إلى عمارة بن حزرة فولأها للسود بن عبد الله الباهلي. وعزل قثم بن العباس عن اليمامة وولى مكانه الفضل بن صالح، وعزل مطرأ مولى المنصور عن مصر وولى مكانه آبا ضمرة محمد بن سليمان. وعزل عبد الصمد بن علي عن المدينة وولى مكانه محمد بن عبد الله الكثيري ثم عزله وولى عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن صفوان، ثم عزله وولى مكانه زفر بن عاصم الملالي.

وتوفي عبد بن الخليل عامل السنن فولى مكانه روح بن حاتم بإشارة وزيره أبي عبد الله، وتوفي حيد بن قحطبة بخرسان فولى عليها مكانه آبا عون عبد الملك بن يزيد، ثم سخطه سنة ستين فعزله، وولى معاذ بن مسلم. وولى على سجستان حزرة بن يحيى وعلى سمرقند جبريل بن يحيى فبني سورها وحصنها. وكان على اليمن رجاء بن روح وولى على قضاء الكوفة شريك..... وولى على فارس والأهواز ودجلة قاضي البصرة عييد الله بن الحسن ثم عزله وولى مكانه محمد بن سليمان، وولى على السنن بسطام بن عمر وولى على اليمامة بشر بن المنذر.

المنصور فلطفت عنده متزلته واستوزره وسار معه إلى خراسان وعظمت به بطانة المهدى فأكثروا فيه السعاية، وكان الربع يدرا عنه ويعرض كتبه على المنصور ويحسن القول فيه. فكتب المنصور إلى المهدى بالوصلة به وأن لا يقبل فيه السعاية، ولما مات المنصور وقام الربع بيعة المهدى، وقدموا إلى بغداد جاء الربع إلى باب أبي عبد الله قبل المهدى وقيل أهله فعلله ابنه الفضل على ذلك، فقال: هو صاحب الرجل وينبئ أن تعامله بغير ما كان معامله، وإياك أن تذكر ما كان نصنع في حقه أو تمني بذلك في نفسك. فلما وقف بيابه أهله طریلاً من المغرب إلى العشاء. ثم أذن له فدخل عليه وهو متوكٌ فلم يجلس ولا أقبل عليه.

وشرع الربع يذكر أمر البيعة فكتبه وقال: قد بلغنا أمركم: فلما خرج استطاع عليه ابنه الفضل بالعدل فيما فعل بأن لم يكن الصواب. فقال له: ليس الصواب إلا ما عملته، ولكن والله لأنفقن مالي وجاهي في مكروره، وجدد في السعاية فيه فلم يجد طريقاً إليها لاحتياطه في أمر دينه وأعماله. فأناه من قبل ابنه محمد ودس إلى المهدى بعرضه لحرمه وأنه زنديق، حتى إذا استحکمت التهمة فيه أحضره المهدى في غيبة من أخيه، ثم قال له: أقرأ! فلم يحسن فقال لأبيه: لم تقل إن ابني يقرأ القرآن؟ فقال: فارتفق منذ سنين وقد نسي، فأمر به المهدى قتل. واسترث حش من أبي عبد الله وسامت متزلته إلى أن كان من أمره ما ذكره وعزله عن ديوان الرسائل ورده إلى الربع، وارتقت متزلة يعقوب بن داود عند المهدى وعظم شأنه وأنفذ عهده إلى جميع الأفاق بوضع الأمانة ليعقوب، وكان لا ينفذ كتاب المهدى حتى يكتب يعقوب إلى يمينه بإنفاذ ذلك.

### ظهور دعوة العباسية بالأندلس وانقطاعها

وفي سنة إحدى وستين أجاز عبد الرحمن بن حبيب الفهري من أفريقية إلى الأندلس داعية لبني العباس، وزلل ساحل مرسمية، وكانت سليمان بن يقطان عامل سرقسطة في طاعة المهدى فلم يحبه. وقد صد بلاده فيمن معه من البرير فهزمه سليمان وعاد إلى تدبر. وسار إليه عبد الرحمن صاحب الأندلس وأحرق السفن في البحر تصفيقاً على ابن حبيب في النجاة فاعتتصم بجبل منبع بنواحي بلنسية فبدل عبد الرحمن فيه المال فاغتاله بعض البرير وحمل رأسه إلى فاعطاه ألف دينار وذلك سنة اثنين وستين. وهم عبد الرحمن صاحب الأندلس أمر ذلك لغزو الشام من الأندلس على العدوة الشمالية لأخذ ثأره فعصى عليه سليمان بن يقطان والحسين بن

معه فخطب وأعلم الناس بيعة المهدى ودعاهم إليها فبادروا وأشهد عيسى بالخلع.

### فتح باريد من السندي

وبعد المهدى ستة تسع وخمسين عبد الملك بن شهاب المسعي في جمع كثير من الجندي والمقطوعة إلى بلاد الهند فركبوا البحر من فارس ونزلوا بأرض الهند، وفتحوا باريد فافتتحوها عنوة، وجلأا هنالها إلى البد فاحترقوه عليهم فاحتراق بعض وقتل الباقون، واستشهد من المسلمين بضعة وعشرون وأقاموا بعض أيام إلى أن يطيب الريح فوقع فيما موتان فهلك ألف فيهم إبراهيم بن صبيح. ثم ركبوا البحر إلى فارس فلما انתרوا إلى ساحل حران عصفت بهم الريح فانكسرت عامة مراكبهم وغرق الكثير منهم.

### حج المهدى

وفي سنة ستين حج المهدى واستخلف على بغداد ابنه المادى، وخاله يزيد بن منصور، واستصحب ابنه هارون وجماعة من أهل بيته، وكان معه الوزير يعقوب بن داود، فجاء في مكة بالحسن بن إبراهيم الذي ضمته على الأمان فوصله بالمهدى وأقطعه. وما وصل إلى مكة اهتم بكسوة الكعبة فكساها بأغلى الكسوة بعد أن نزع ما كان عليها. وكانت فيها كسوة هشام بن عبد الملك من الديباج الثخين، وقسم مالاً عظيماً هنالك في مصارف الخير فكان منه ما جاء به من العراق ثلاثون ألف درهم، ووصل إليه من مصر ثلاثة عشر ألف دينار ومن اليمن مائة ألف دينار ففرق ذلك كله، وفرق مائة ألف ثوب وخمسين ألف ثوب، ووسع المسجد، ونقل خمسة من الأنصار إلى العراق جعلهم في حرسه وأقطع لهم وأجرى الأرزاق. ولما راجع أمر بناء التصور بطريق مكة أوسع من قصور المنصور من القادية إلى زيلة، وأمر بالأخذ المصانع في كل منها منها منهل، وبتحديد الأميال وحضر الآبار، وولى على ذلك بقطير بن موسى، وأمر بالزيادة في مسجد البصرة وتصغير المثار إلى مقدار منبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وأمر في سنة سبع وستين بالزيادة في الحرمين على يد بقطير فدخلت فيه دول كثيرة، ولم يزل البناء فيما إلى وفاة المهدى.

### نكبة الوزير أبي عبد الله

كان أبو عبد الله الأشعري قد اتصل بالمهدى أيام أبيه

سيّاً لو صلته بالمهدي حتّى استوزره، فجمع الزيدية وولاهم شرقاً وغرباً وكثُرت السعاية فيه من البطانة بذلك وبغيره وكان المهدى يقيل سعياتهم حتّى يروا أنها قد تمكّنت، فإذا غدا عليه تسمّى وسالة.

وكان المهدى مشهراً بالنساء فيخوض معه في ذلك و فيما  
يناسبه ويتبلىء برضاه وسامره في بعض الليلى وجاء ليركب دابته  
وقد نام الغلام، فلما ركب نفرت الدابة من عقمة رداءه فسقط  
ورمحته فانكسر فانقطع عن المهدى وتکن أعداؤه من السعاية  
حتى سخطه وأمر به فحبس وحبس عماله وأصحابه. وبقال بل  
دفع إليه علريا ليقتله فأطلقه، وغنى ذلك إلى المهدى فارسل من  
أحضره، وقال ليعقوب: أين العلوي؟ فقال: قتلته فأخرجه إليه  
حتى رآه. ثم حبس في المطبق ودل في بئر فيه. وبقي أيام المهدى  
والهادى ثم أخرج وقد عمي وسأل من الرشيد المقام بمكة فاذن له.  
وقيل في سبب تغيره: إنه كان ينهى المهدى عن شرب أصحابه  
النبيذ عنده ويكثر عليه في ذلك ويقول: أبعد الصلوات الخمس في  
المسجد الجامع يشرب عندك النبيذ لا والله لا على هذا  
استوزرني ولا عليه صحيبك.

مسیر الہادی إلى جرجان

وفي سنة سبع وستين عصى وتداهر بن وشرو بن ملكا طبرستان من الدليل فبعث المهدى ولـى عهده موسى المادى وجعل على جنده محمد بن حيد وعلى حاجته نفيعاً مولى المتصور وعلى حرسه عيسى بن ماهان وعلى رسائله أبان بن صدقة وتوفي أبان بن صدقة. فبعث المهدى مكانه أبا خالد الأجرد. فسـار المهدى وبعث الجنود في مقدمته وأمر عليهم يزيد فحاصرهما حتى استقاموا. واعزل المهدى يحيى الحريشى عن طبرستان وما كان إليه وولى مكانه عمر بن العلاء وولى على جرجان فراشة مولاه ثم بعث سنة ثمان وستين يحيى الحريشى فى ربعين الفا إلى طبرستان.

العمال بالنواحي

وفي سنة ثلاثة وستين ولد المهدى ابنه هارون على المغرب  
كله وأذربيجان وأرمينية وجعل كاتبه على الخراج ثابت بن موسى  
وعلى الرسائل يحيى بن خالد بن برمك. وعزل زفر بن عاصم عن  
المجزرة وولى مكانه عبد الله بن صالح، وعزل معاذ بن مسلم عن  
خراسان وولى مكانه المسيب بن زهير الضبي، وعزل يحيى الحريشي  
عن أصبهان وولى مكانه الحكم بن سعيد، وعزل سعيد بن دعلج

**يجي بن سعيد بن عثمان الأنصاري في سرقسطة فشغله  
عما اعتزم عليه من ذلك.**

غزو المهدى

تجهز المهدى سنة ثلث وستين لغزو السروم وجمع الأجناد من خراسان ومن الأفاق وتوفي عمه عيسى بن علي آخر جنادى الأخيرة بمسكوه، وسار من الخند واستخلف على بغداد ابنه موسى المادى واستصحب هارون، ومر في طريقه بالجزيره والموصول، فعزل عبد الصمد بن علي وجبيه ثم أطلقه ست وستين. ولما جاز بيبي مسلمة بن عبد الملك ذكره عمه العباس بما فعله مسلمة مع جدهم محمد بن علي، وكان أعطاه مرة في احتيازه عليه الف دينار فأحضر المهدى ولد مسلمة ومواليه وأعطتهم عشرين ألف دينار وأجرى عليهم الأرزاق، وعبر الفرات إلى حلب، فقام بها وبعث ابنه هارون للغزو وأجاز معه الدروب إلى جيحان مشيعاً، وبعث معه عيسى بن موسى وعبد الملك بن صالح والحسن بن قحطبة والربيع بن يونس وبخي بن خالد بن برمك وكان إليه أمر العسكر والنفقات، وحاصروا حصن سمارو أربعين يوماً ثم فتحوه بالأمان وفتحوا بعده فتوحات كثيرة، وعادوا إلى المهدى وقد انخر في الزنادقة وقتل من كان في تلك الناحية منهم. ثم قفل إلى بغداد. ومر بيت المقدس، وصل إلى مسجده وترجم إلى بغداد.

العهد لهارون

وفي سنة سنت وستين أخذ المهدى البيعة لابنه هارون بعد أخيه المادى ولقبه الرشيد.

نكبة الوزير يعقوب بن داود

كان أبو داود بن طهمان كاتباً لنصر بن سبار هو وأخوه وكان شيئاً وعلى رأي الزيديه. وما خرج يحيى بن زيد بخراسان كان يكتبه بالأخبار نصر فاقصاه نصر، فلما طلب أبو مسلم بدم يحيى جاءه داود فامنه في نفسه وأخذ ما أكتسبه من المال أيام نصر، واقام بعد ذلك عاطلاً. ونشأ له ولد أهل ادب وعلم وصحبوا أولاد الحسن. وكان داود يصحب إبراهيم بن عبد الله فورثوا ذلك عنه، وما قتل إبراهيم طلبه المنصور وحسن يعقوب وعلياً مع الحسن بن إبراهيم حتى توفي، وأطلقهما المهدى بعده مع من أطلق. وداخله المهدى في أمر الحسن لما فر من الحسين فكان ذلك

وحاصر مرعش وقتل من المسلمين عدداً، وانصرف إلى جرجان فكان عيسى بن علي مرابطًا بمصنف مرعش فعظم ذلك على المهدي وتوجه لغزو الروم، وخرجت الروم سنة اثنين وستين إلى الحارث فهدموا أسوارها، وغزوا بالصافة الحسن بن قحطبة في ثمانين ألفاً من المرتقة بلغ جهة أدرركه وأكثر التحرير والتخريق ولم يفتح حصنًا ولا لقي جماعًا ورجع بالناس سالماً.

وغزا يزيد بن أسد السلمي من ناحية قالقلا ففتح وسمى وفتح ثلاثة حصون، ثم غزا المهدي بنفسه سنة ثلاثة وستين كما مر، ثم غزا سنة أربع وستين عبد الكبير بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب من درب الحارث فخرج إليه ميخائيل وطارد الأرماني البطريقان في تسعين ألفاً فخاف عن لقائهم ورجع بالناس، فغضب عليه المهدي وهم بقتله نشع فيه وحبسه، وفي سنة خمس وستين بعث المهدي ابنه هارون بالصافة ويعث معه الريبع فتوغل في بلاد الروم ولقيه عسكر تقيناً من القواميس فبارزه يزيد بن مزيد فهزمه، وغلب على عسكراً منهم وخلفوا بالدمشق صاحب المسالح، فحمل لهم مائتي ألف دينار واثنين وعشرين ألف درهم، وسار الرشيد بعساكره وكانت نحوها من مائة ألف فبلغ خليج قسطنطينية وعلى الروم يومئذ غستة امرأة إيليون كافتلة لابتها منه صغيراً، فجرى الصلح على الفدية وأن تقيم له الأدلة والأسوق في الطريق لأن مدخله كان ضيقاً خرقاً فأجلبت لذلك، وكان مقدار الفدية سبعين ألف دينار كل سنة ومدة الصلح ثلاثة سنتين.

وكان ما سباه المسلمون قبل الصلح خمسة آلاف رأس وستمائة رأس وقتل من الروم في وقائع هذه الغزوات أربعة وخمسون ألفاً ومن الأسرى الفان، ثم نقض الروم هذا الصلح سنة ثمان وستين ولم يستكملا مدته بقي منها أربعة أشهر، وكان على الجوزية وقسرى علي بن سليمان فبعث يزيد بن البدر بن البطال في عسكر ففتحوا وسبوا وظفروا ورجعوا.

### وفاة المهدي وبيعة المادي

وفي سنة تسع وستين اعتزم المهدي على خلع ابنه موسى المادي من العهد وبيعة للرشيد به، وتقدمه على المادي وكان برجان فبعث إليه بذلك فاستقدمه فضرب الرسول وامتنع، فسار إليه المهدي فلما بلغ ماسبدان توفى هناك، يقال مسماً من بعض جواريه، ويقال: سُمِّت إحداها الأخرى في كمشري فغلط وأكلها ويقال: حاز صيداً فدخل وراءه إلى خربة فدق الباب ظهره، وكان موته في الحرم وصلى عليه ابنه الرشيد وبويع ابنه موسى

عن طبرستان وولى مكانه عمر بن العلاء، ومهلهل بن صفوان عن جرجان وولاها هشام بن سعيد، وكان على الحجاز واليمامة جعفر بن سليمان، وعلى الكوفة إسحاق بن الصباح، وعلى البحرين والبصرة وفارس والأمواء محمد بن سليمان، فعزله سنة أربع وستين وولى مكانه صالح بن داود.

وكان على السند محمد بن الأشعث، وفي سنة خمس وستين عزل خلف بن عبد الله عن السري وولاها عيسى مولى جعفر، وولى على البصرة روح بن حاتم وعلى البحرين وعمان والأهواز وفارس وكرمان العمآن مولى المهدي، وعزل محمد بن الفضل عن الموصل وولى مكانه أهذن بن إسماعيل، وفي سنة ست وستين عزل عبد الله بن حسن العنبري عن قضاء البصرة واستقضى مكانه خالد بن طلبي بن عمران بن حسين فاستغنى أهل البصرة منه، وولى المهدي على قصاته أبا يوسف حين سار إلى جرجان، واضطربت في هذه السنة خراسان على الميسىب بن زهير فولاها أبا العباس الفضل بن سليمان الطوسي، وأضاف إليه سجستان، فولى هو على سجستان سعيد بن دعلج، وولى على المدينة إبراهيم ابن عمه وعزل منصور بن يزيد عن اليمن وولى مكانه عبد الله بن سليمان الريبي.

وكان على مصر إبراهيم بن صالح وتوفي في هذه السنة عيسى بن موسى بالكوفة وهي سنة سبع وستين، وعزل المهدي بمحى الحرشي عن طبرستان والرويان وما كان إليه وولاه عمر بن العلاء وولى على جرجان فراشة مولاه، وحج بالناس إبراهيم ابن عمه بمحى وهو على المدينة ومات بعد قضايا الحج، فولى مكانه إسحاق بن موسى بن علي وعلى اليمن سليمان بن زيد الحارثي وعلى اليمامة عبد الله بن مصعب الزبيري وعلى البصرة محمد بن سليمان وعلى قضاياها عمر بن عثمان التميمي وعلى الموصل أهذن بن إسماعيل الهاشمي، وقتل موسى بن كعب وقع الفساد في بادية البصرة من الأعراب بين اليمامة والبحرين وقطعوا الطرق وانهكوا الحارم وتركوا الصلاة.

### الصوائف

وفي سنة تسع وخمسين أغزى المهدي عمه العباس بالصافة وعلى مقدمته الحسن الوصيف فبلغوا أمراً وفتحوا مدينة أوهرة ورجعوا ساللين ولم يصب من المسلمين أحد، وفي سنة إحدى وستين غزا بالصافة عامة بن الوليد فنزل دابق وجاشت الروم مع ميخائيل في ثمانين ألفاً ونزل عمق مرعش فقتل وسمى وغنمت

العزيز كما مر فأخذ يوماً الحسن بن المهدى بن محمد بن عبد الله بن الحسين الملقب أبا الرفت، ومسلم بن جندب المهللى الشاعر، وعمر بن سلام مولى العمرين على شراب لهم، فضربيهم وطيف بهم بالمدينة بالجليل فى اعتاقهم، وجاء الحسين إليه فتشفع فىهم وقال: ليس عليهم حد فإن أهل العراق لا يرون به أساً وليس من الحد أن نظففهم فحبسهم. ثم جاء ثانية ومعه من عمومته يجىءى بن عبد الله بن الحسن صاحب الدليل بعد ذلك ففكلاه وأطلقه من الحسن.

وما زال آن أبي طالب يكفل بعضهم بعضاً ويعرضون فغاب الحسن عن العرض يومين، فطلب به الحسين بن علي وبجهى بن عبد الله كافلية وأغلظ لهم، فحلف بجهى أنه يأتي به من ليته أو يدق عليه الباب يؤذنه به. وكان بين الطالبين معياد للخروج في الموسم فأعجلهم ذلك عنه وخرجوا من ليلتهم. وضرب بجهى على العمري في باب داره بالسيف واقتربوا المسجد فصلوا الصبح وبايع الناس الحسين المرتضى من آن محمد على كتاب الله وسنة رسوله. وجاء خالد البزىدى فى ماتين من الجناد والعمرى وابن إسحاق الأزرق ومحمد بن واقى فى ناس كثيرين فقاتلواهم وهزموهم من المسجد، واجتمع بجهى وإدريس بن عبد الله بن حسن فقتلاه وانهزم الباقيون وافتقر الناس.

وأغلق أهل المدينة أبوابهم واتهّب القوم من بيت المال بضعة عشر ألف دينار وقيل: سبعين ألفاً، واجتمعت شيعة بني العباس من الغد وقاتلواهم إلى الظهر وفتحوا الجراحات وافتقرّوا. ثم قدم مبارك التركى من الغد حاجاً فقاتل مع العباسية إلى منتصف النهار وافتقرّوا، وواعدهم مبارك الرواح إلى القتال واستغلّلهم وركب رواحه راجعاً وقتل الناس المقرب ثم افترقا. ويقال: إن مباركاً دس إلى الحسين بذلك تجافياً عن أذية أهل بيته، وطلب أن يأخذ له عذرًا في ذلك بالبيات فيه الحسين واستطرد له راجعاً. وأقام الحسين وأصحابه بالمدينة واحداً وعشرين يوماً آخر ذي القعدة، وما بلغها نادى في الناس بعقد من آتى إليه من العيد فاجتمع إليه جماعة.

وكان قد حجّ تلك السنة رجال من بني العباس منهم سليمان بن المنصور وحمد بن سليمان بن علي والعباس بن محمد بن علي وموسى وإسماعيل أبناء عيسى بن موسى. ولما بلغ خبر الحسين إلى المهدى كتب إلى محمد بن سليمان وولاه على حربه وكان معه رجال وسلاح وقد أغذى بهم عن البصرة خوف الطريق، فاجتمعوا بذى طوى، وقدموا مكة فحلوا من العمرة التي كانوا أحراضاً بها. وانضم إليهم من حج من شيعتهم ومواليهم

المادى لما بلغه موت أبيه وهو مقيم بجرجان يحارب أهل طبرستان. وكان الرشيد لما توفي المهدى والعسكر بما سبدان نادى في الناس بالعطاء تسكتناً وقسم فيهم ماتين ماتين، فلما استوفوها ت Nadوا بالرجوع إلى بغداد ونشابوا إليها واستيقنوا موت المهدى، فأتوا بباب الربيع وأحرقوه وطالبوه بالأرزاق ونقروا السجون. وقدم الرشيد ببغداد في أثرهم فبعثت الخيزران إلى الربيع فامتنع بجهى خوفاً من غيرة المادى وأمرت الربيع بتسكين الجناد فسكنوا وكتب المادى إلى الربيع يتهنّده فاستشار بجهى في أمره وكان يشق بوره فاشار عليه بأن يبعث ابنه الفضل يعتذر عنه وتصحبه المادى والتحف ففعل ورضي المادى عنه وأخذت البيعة ببغداد للهادى. وكتب الرشيد بذلك إلى الآفاق وبعث نصيراً الوصيف إلى المادى بجرجان فركب البريد إلى بغداد فقدمها في عشرين يوماً. فاستوزر الربيع وهلك ملة قليلة من وزارته. واشتد المادى في طلب الزنادقة وقتلهم، وكان منهم علي بن يقطين ويعقوب بن الفضل من وُلد ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، كان قد أتى بالزنادقة عند المهدى إلا أنه كان مقسماً أن لا يقتل هاشمياً فحبسه وأوصى المادى بقتله ويقتل ولد عدهم داود بن علي فقتلهم.

وأما عماله فكان على المدينة عمر بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب وعلى مكة والطائف عبد الله بن قثم وعلى اليمن إبراهيم بن مسلم بن قتبة وعلى اليمامة والبحرين سويد القائد الخراسانى وعلى عمان الحسن بن سليم الحواري وعلى الكوفة موسى بن عيسى بن موسى، وعلى البصرة ابن سليمان وعلى جرجان الحاجاج مولى المادى، وعلى قومه زياد بن حسان وعلى طبرستان والرويان صالح بن عميرة مولى.... وعلى الموصل هاشم بن سعيد بن خالد، وعزله المادى لسوء سيرته وولى مكانه عبد الملك وصالح بن علي.

وأما الصائفة ففاز بها في هذه السنة وهي سنة تسع وستين معيوب بن بجهى وقد كان الروم خرجوا مع بطريق لهم إلى الحارث فهوبر الراوى ودخلها الروم وعاثوا فيها فدخل معيوب ورائهم من درب الراهب وبلغ مدينة أستة وغنم وسي وعاد.

### ظهور الحسين بن علي بن حسن بن حسن بن الحسن السبط ومقتله

وهو الحسين بن علي بن حسن الثالث بن حسن المشنى بن الحسن السبط، كان المادى قد استعمل على المدينة عمر بن عبد

والله لو لم يعده المهدى لكان ينفي أن تعقدت أنت له حذراً من ذلك، وإنني أرى أن تعقد لأخيك، فإذا بلغ ابنك أتيتك بأخيك فخلع نفسه وبايع له قبل الهاادي قوله وأطلقه. ولم يقنع القواد ذلك لأنهم كانوا حذرين من الرشيد في ذلك وضيق عليه واستأنده في الصيد فمضى إلى قصر مقاتل ونكره الهاادي وأظهر خفاءه وسط المرايا والقواد فيه المستهم.

### وفاة الهاادي وبيعة الرشيد

ثم خرج الهاادي إلى حديقة الموصل فمرض واشتد مرضه هناك واستقدم العمال شرقاً وغرباً. ولما قتل تامر القواد الذين بايعوا جعفرأ في قتل عيسى بن خالد، ثم أمسكوا خوفاً من الهاادي. ثم توفي الهاادي في شهر ربيع الأول سنة سبعين ومائة، وقيل: توفي بعد أن عاد من حديقة الموصل. ويقال: إن أمه الحيزران وصلت بعض الجواري عليه فقتلته لأنها كانت أول خلافة تستبدل عليه بالأمور فعكف الناس واختلفت المراكب، ووجد الهاادي لذلك فكلمته يوماً في حاجة فلم يجيئها فقالت: قد ضمتها عبد الله بن مالك. فغضب الهاادي وشتمه وحلف لا قضيتها فقامت مغضبة، فقال: مكانك وإلا انتقمت من قرافيقي من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. لكن بليغني أن أحداً من قوادي وخاصة وقف بيابك لأضربي عنقه ولأبغضن ماليه، ما للمراكب تندو وتتروح عليك! أما لك مغزل يشغلك أو مصحف يذكرك أو بيت يصونك؟ إياك! لا تفتحي بيابك لسلام ولا ذمي فانصرفت وهي لا تعقل.

ثم قال لأصحابه: إيمكم يحب أن يتحدث الرجال بغير أمره، ويقال: فعلت أم فلان وصنعت؟ فقالوا: لا تخف ذلك. قال: فما بالكم تأتون أمي فتحذثون معها؟ فيقال: إنه لما جد في خلع الرشيد خافت عليه منه، فلما قتل مرضه وصلت بعض الجواري فجلست على وجهه فمات، وصلى عليه الرشيد. وجاء هرثمة بن أعين إلى الرشيد فأنخرجه وأجلسه للخلافة، وأحضر يحيى فاستوزره وكتب إلى الأطراف بالبيعة. وقيل: إن يحيى هو الذي جاءه وأخرجه فصللى على الهاادي ودفنه..... إلى يحيى وأعطاه خاتمه. وكان يحيى يصدر عن رأي الحيزران أم الرشيد.

وعزل لأول خلافته عمر بن عبد العزيز العمري عن المدينة وولى مكانه إسحاق بن سليمان، وتوفي يزيد بن حاتم عامل أفريقيا، فولى مكانه روح بن حاتم، ثم توفي فولى مكانه ابنه الفضل، ثم قتل فولى هرثمة بن أعين كما يذكر في أخبار أفريقيا. وأنفاث التغور كلها عن الجزيرة وقنسرين وجعلها عمالة واحدة

وقوادهم، واقتلو يوم التروية، فانهزم الحسين وأصحابه وقتل كثير منهم، وانصرف محمد بن سليمان وأصحابه إلى مكة وخلفهم بذوي طوى رجل من خراسان برأس الحسين ينادي من خلفهم بالبشراء، حتى ألقى الرأس بين أيديهم مضروباً على قفاه وجهه، وجمعت رؤوس القتلى فكانت مائة ونیناً وفيها رأس سليمان أخي المهدى بن عبد الله، واحتللت المنهزون بالخارج.

وجاء الحسن بن المهدى أبو الزفت فوق خلف محمد بن سليمان والعباس بن محمد فأخذه موسى بن عيسى وقتلها وغضب محمد بن سليمان من ذلك وغضب الهاادي لغضبه وقبض مواله. وغضب على مبارك التركى وجعله سائس الدواب فبقى كذلك حتى مات الهاادي. وأفلت من المنهزمين إدريس بن عبد الله آخر المهدى فاتى مصر علي يريدها، وأصبح مولى صالح بن المنصور وكان يتشييع لآل علي فحمله على البريد إلى المغرب ووقع مدبة وليلة من أعمال طنجة واجتمع البريد على دعورته وتقتل الهاادي وأصحابه بذلك وصلبه وكان لإدريس وابنه إدريس وأعقابهم حروب نذكرها بعده.

### حديث الهاادي في خلع الرشيد

كان الهاادي يغضض الرشيد بما كان المهدى أبوهما يؤثره، وكان رأى في منامه أنه دفع إليهما قضيبين فأورق قضيب الهاادي من أعلىه وأورق قضيب الرشيد كلته، وتناول ذلك بقصره مدة الهاادي وطول مدة الرشيد وحسنها. فلما ولى الهاادي أجمع خلع الرشيد والبيعة لابنه جعفر مكانه، وفاوض في ذلك قواته فأجابه يزيد بن مزيد وعلي بن عيسى وعبد الله بن مالك، وحضرها الشيعة على الرشيد ليقصوه ويقتلوه: لا نرضى به، ونهى الهاادي أن يشاور بين يديه بالحرب فاجتنبه الناس، وكان يحيى بن خالد يتول أمره فاتهمه الهاادي بمداحته ويعث إليه وتهدهد فحضر عنه مستمنياً وقال: يا أمير المؤمنين أنت أمرتني بخدمتك من بعد المهدى! فسكن غضبه وقال له في أمر الخلع فقال: يا أمير المؤمنين أنت إن حلت الناس على نكث الإيمان فيه هانت عليهم فيمن توليه، وإن بایعت بعده كان أوثق للبيعة، فصدقه وسكت عنه.

وعاد أولئك الذين جفلوه من القواد والشيعة فأغاروه يبحى وأنه الذي منع الرشيد من خلع نفسه، فحبسه الهاادي فطلب الحضور للنصيحة، وقال له: يا أمير المؤمنين! أبغض الناس يسلمون الخلافة بجعفر وهو صبي ويرضون به لصلاتهم وجهم وغزوهم، وتأمن أن يسموا إليها عند ذلك أكابر بيتك فتخرج من ولد أبيك،

صاحب الديلم في تسهيل أمر يحيى على أن يعطيه ألف الف درهم فأجاب يحيى على الأمان بخط الرشيد وشهادة الفقهاء والقضاة وأجلة بي هاشم ومشائخهم عن عبد الصمد منهم فكتب له الرشيد بذلك وبعثه مع المدايا والتحف. وقدم يحيى مع الفضل نقليه الرشيد بكل ما أحب وأفاض عليه العطاء وعظمت منزلة الفضل عنده. ثم إن الرشيد حبس يحيى إلى أن هلك في حبه.

### ولاية جعفر بن يحيى مصر

كان موسى بن عيسى قد ولاه الرشيد مصر فبلغه أنه عازم على الخلع فرد أمرها إلى جعفر بن يحيى وأمره بإحضار عمر بن مهران وأن يوليه عليهما، وكان أحول مشوه الخلق خامل البزة يردد غلامه خلفه. فلما ذكرت له الولاية قال على شرطية أن يكون أمري يدي إذا صلحت البلاد انصرفت فأجابه إلى ذلك. وسار إلى مصر وأتى مجلس موسى فجلس في آخريات الناس حتى إذا افترقا رفع الكتاب إلى موسى فقرأه وقال: متى يقلد أبو حفص؟ فقال: أنا أبو حفص! فقال موسى: لعن الله فرعون حيث قال: اليس لي مُلْك مصر ثم سلم له العمل. فتقدّم عمر إلى كاتبه أن لا يقبل من المدية إلا ما يدخل في الكيس، فبعث الناس بهداياهم وكانتا يمطران بالخارج. فلما حضر النجم الأول والثاني وشكراً الضيق في الثالث أحضر المدايا وحسبها لأربابها واستوفى خراج مصر ورجع إلى بغداد.

### الفتنة بدمشق

وفي هذه السنة هاجت الفتنة بدمشق بين المضرية واليمانية وراس المضرية أبو الهيام عامر بن عمارة من ولد خارجة بن سنان بن أبي حارثة المزي، وكان أصل الفتنة بين القيس وبين اليمانية أن اليمانية قتلوا منهم رجالاً فاجتمعوا لثاره، وكان على دمشق عبد الصمد بن علي فجمع كبار العشائر لصلحوا بينهم فأهلتهم فتنهم ويتناقضوا المضرية فقتلوا ثلاثة أو ضعفها، فاستجاشوا بقبائل قضاعة وسلمي فلم ينجدوهم وأبغذتهم قيس، فاستجاشوا بقبائل قضاعة وسلمي فلم ينجدوهم وأبغذتهم قيس، وساروا معهم إلى البلقاء فقتلوا من اليمانية ثمانمائة وطال الحرب بينهم. وعزل عبد الصمد عن دمشق وولى مكانه إبراهيم بن صالح بن علي. ثم أصلحوا بعد سنتين ووفد إبراهيم على الرشيد وكان هواء مع اليمانية فوق في قيس عند الرشيد واعتذر عنهم عبد الواحد بن بشر استخلف إبراهيم على دمشق ابنه إسحاق فحبس جماعة من قيس وضربهم.

وسماما العراضم، وأمره بعمارة طرسوس وزنها الناس. وخرج لأول خلافته وقسم في الحرمين مالاً كثيراً.

وأغزى بالصافنة سليمان بن عبد الله البكائي، وكان على مكة والطائف عبد الله بن قثم وعلى الكوفة عيسى بن موسى وعلى البحرين والبصرة واليamente وأعمان والأهواز وفارس محمد بن سليمان الطوسي ثم عزله وولى مكانه جعفر بن محمد بن الأشعث. فسار إلى خراسان ويعت آباه العباس إلى كابل فاقتصرها وافتتح سائرها وغنم ما كان فيها. ثم استقدمه الرشيد فعزله وولى مكانه ابنه العباس، وكان على الموصل عبد الملك بن صالح فعزله وولى مكانه إسحاق بن محمد بن فروج، فبعث إليه الرشيد أبا حنيفة حرب بن قيس فأحضره إلى بغداد وقتله، وولى مكان..... وكان على أرميبية يزيد بن مزيد بن زائدة ابن أخيه معن فعزله وولى مكانه أخيه عبد الله بن المهدى.

وولى سنة إحدى وسبعين على صدقات بي تغلب روح بن صالح الحمداني فوقع بينه وبين ثعلب خلاف وجمع لهم الجموع في بيته وقتلوه في جماعة من أصحابه. وتوفي سنة ثلاث وسبعين محمد بن سليمان وإلى البصرة وكان أخوه جعفر كثير السعاية فيه عند الرشيد وأنه يحدث نفسه بالخلافة؟ وأن أمواله كلها في من أموال المسلمين فاستصفها الرشيد ويعت من قبضها، وكان لا يعبر عنها من المال والملاعن والدواب، وأحضرها من العين فيها ستين ألف ألف دينار. ولم يكن إلا آخره جعفر فاحتاج عليه الرشيد بقراره أنها فيه. وتوفي سنة أربع وسبعين وإلى الرشيد إسحاق بن سليمان على السندي ومكران واستقضى يوسف بن أبي يوسف في حياة أبيه، وفي سنة خمس وسبعين عقد لابنه محمد بن زبيدة ولابة المهدى ولقبه الأمين وأخذ له البيعة وعمره خمس سنتين بسعایة خاله عيسى بن جعفر بن المنصور وواسطة الفضل بن يحيى، وفيها عزل الرشيد العباس بن جعفر عن خراسان وولاه خاله الغطريف بن عطاء الكندي.

### خير يحيى بن عبد الله في الديلم

وفي سنة خمس وسبعين خرج يحيى بن عبد الله بن حسن أخو المهدى بالديلم واشتتدت شوكته وكثرة جمعه وأثناء الناس من الأنصار فندب إليه الرشيد الفضل بن يحيى في خمسين ألفاً ولاته جرجان وطبرستان والري وما إليها ووصل معه الأموال. فسار ونزل بالطاقان وكاتب يحيى وحذره ويسط أمله وكتب إلى

كل جهة وقصد بصرى. ثم بعث إليه موسى فسار إليه في رمضان سنة سبع وسبعين وقيل: إن سبب الفتنة بدمشق أن عامل الرشيد بسجستان قتل أخا الميدام فخرج هو بالشام وجع الجموع. ثم بعث الرشيد أخاه له ليأتيه به فتحيل حتى قبض عليه وشلده ونافقا وأتى به إلى الرشيد فمن عليه وأطلقه. وبعث جعفر بن محمد سنة ثمانين إلى الشام من أجل هذه الفتنة والعصبية فسكن الثائرة وأمن البلاد وعاد.

## فتنة الموصل ومصر

وفي سنة سبع وثمانين تغلب العطاف بن سفيان الأزدي على خراسان وأهل الموصل على العامل بها محمد بن العباس الهاشمى وقيل: عبد الملك بن صالح فاجتمع عليه أربعة آلاف رجل وجيء الخراج وبقي العامل معه مغلباً إلى أن سار الرشيد إلى الموصل وهدم سورها وحلق العطاف بارميته ثم بالرقم فاختنها وطنأ. وفي سنة ثمان وسبعين ثارت الحروفية بمصر وهو من قيس وقضاعة على عاملها إسحاق بن سليمان وقاتلوا. وكتب الرشيد إلى هرثمة بن أعين وكان بفلسطين فسار إليهم وأذعنوا بالطاعة، وولى على مصر ثم عزله لشهر وولى عبد الملك بن صالح عليها.

كان على خراسان أيام المهدى والمادى أبو الفضل العباس بن سليمان الطوسي فعزله الرشيد وولى على خراسان جعفر بن محمد بن الأشعث الخزاعي فأباه من القباء من أهل مصر وقدم ابنه العباس سنة ثلاثة وسبعين، ثم قدم فغزا طخارستان وبعث ابنه العباس إلى كابل في الجنود وافتتح سا بهار ورجع إلى مرؤ. ثم سار إلى العراق سنة ثلاثة وثلاثين في رمضان وكان الأمين في حجره قبل أن يجعله في حجر الفضل بن محمد.

ثم ولـ الرشيد ابنـ العباسـ بنـ جعـفرـ ثـمـ عـزلـهـ عـنـهاـ فـولـ خـالـدـاـ الغـطـيرـيفـ بنـ عـطـاءـ الـكنـدىـ ستـةـ خـسـ وـسـبـعـينـ عـلـىـ خـراـسـانـ وـسـجـسـتـانـ وـجـرـجـانـ قـدـمـ خـلـيـفـةـ دـاـوـدـ بـنـ يـزـيدـ وـبـعـثـ عـاـمـلـ سـجـسـتـانـ، وـخـرـجـ فـيـ أـيـامـ خـصـيـنـ الـخـارـجـيـ مـنـ مـوـالـيـ قـيـسـ بـنـ ثـلـيـبةـ مـنـ أـهـلـ أـوـقـ وـبـعـثـ عـاـمـلـ سـجـسـتـانـ عـشـمـانـ بـنـ عـمـارـةـ الـجـيـوشـ إـلـيـهـ فـهـزـمـهـ حـسـينـ وـقـتـلـ مـنـهـمـ وـسـارـ إـلـىـ بـاـذـغـيـسـ وـبـوـشـنجـ وـهـرـةـ ثـبـعـتـ إـلـيـهـ الـغـطـيرـيفـ الـثـيـ عـشـرـ الـفـأـ مـنـ الـجـنـدـ فـهـزـمـهـ حـصـيـنـ وـقـتـلـ مـنـهـمـ خـلـقـاـ، وـلـمـ يـزـلـ فـيـ نـواـحـيـ خـراـسـانـ إـلـىـ قـلـ سـنـةـ سـبـعـ وـسـبـعـ.

وـسـارـ الـفـضـلـ إـلـىـ خـراـسـانـ سـنـةـ ثـمـانـ وـسـبـعـينـ وـغـزـاـ مـاـ وـرـاءـ النـهـرـ سـنـةـ ثـمـانـينـ ثـمـ ولـ الرـشـيدـ عـلـىـ خـراـسـانـ عـلـىـ بـنـ عـيـسىـ بـنـ

ثـمـ وـبـثـ غـسـانـ بـرـ جـلـ مـنـ وـلـدـ قـيـسـ بـنـ العـبـسـيـ فـقـتـلـوـهـ، وـاسـتـجـدـ أـخـوهـ بـالـدـوـاقـيلـ مـنـ حـورـانـ فـأـخـبـدـوـهـ وـقـتـلـوـهـ مـنـ الـيـمـانـيـةـ نـفـرـاـ، ثـمـ وـبـثـ الـيـمـانـيـةـ بـكـلـيـبـ بـنـ عـمـرـ بـنـ الـجـنـيدـ بـنـ عـبـدـ الـرـحـمـنـ وـعـنـهـ ضـيـفـ لـهـ فـقـتـلـوـهـ، فـجـاءـتـ أـمـ الـفـلـامـ سـابـةـ إـلـىـ أـبـيـ الـمـيدـامـ، فـقـالـ اـنـظـرـيـ حـتـىـ تـرـفـعـ دـمـاؤـنـاـ إـلـىـ الـأـمـيرـ، فـإـنـ نـظـرـ فـيـهـاـ وـلـاـ فـأـمـرـ الـمـؤـمـنـ يـنـظـرـ فـيـهـاـ، وـبـلـغـ ذـلـكـ إـسـحـاقـ وـحـضـرـ عـنـهـ أـبـوـ الـمـيدـامـ فـلـمـ يـاذـنـ لـهـ، ثـمـ قـتـلـ بـعـضـ الـدـوـاقـيلـ رـجـلـاـ مـنـ الـيـمـانـيـةـ وـقـتـلـتـ الـيـمـانـيـةـ رـجـلـاـ مـنـ سـلـيمـ وـنـهـبـاـ جـيـرانـ مـحـارـبـ، وـرـكـبـ أـبـوـ الـمـيدـامـ مـعـهـمـ إـلـىـ إـسـحـاقـ فـرـعـدـهـ بـالـنـظـرـ لـهـ، وـبـعـثـ إـلـىـ الـيـمـانـيـةـ بـغـرـيـبـهـ بـفـتـنـةـ الـمـيدـامـ أـبـوـ الـمـيدـامـ وـهـزـمـهـمـ وـاـسـتـولـىـ عـلـىـ دـمـشـقـ وـفـقـعـ السـجـونـ.

ثـمـ اـجـتـمـعـ الـيـمـانـيـةـ وـاسـتـجـدـواـ كـلـاـ وـغـيرـهـمـ فـاسـتـمـدوـهـ، وـاسـتـجـاشـ أـبـوـ الـمـيدـامـ الـمـصـرـيـ فـجـاؤـهـ وـهـوـ يـقـاتـلـ الـيـمـانـيـةـ عـنـدـ بـابـ توـماـ، توـماـ فـهـزـمـهـمـ أـربـعـ مـرـاتـ، ثـمـ أـمـرـهـ إـسـحـاقـ بـالـكـفـ وـبـعـثـ إـلـىـ الـيـمـانـيـةـ يـخـبـرـهـ بـغـرـتـهـ، وـجـاءـ الـخـبـرـ وـرـكـبـ وـقـاتـلـهـمـ فـهـزـمـهـمـ، ثـمـ هـزـمـهـمـ أـخـرىـ عـلـىـ بـابـ توـماـ، ثـمـ جـعـتـ الـيـمـانـيـةـ أـهـلـ الـأـرـدـنـ وـالـجـوـلـانـ مـنـ كـلـبـ وـغـيرـهـمـ فـأـرـسـلـ مـنـ يـاـئـيـهـ بـالـخـبـرـ فـاـلـبـطـوـرـاـ وـدـخـلـ الـمـدـيـنـةـ فـأـرـسـلـ إـسـحـاقـ مـنـ دـلـمـ عـلـىـ مـكـمـنـهـ وـأـمـرـهـمـ بـالـعـبـورـ إـلـىـ الـمـدـيـنـةـ، فـبـعـثـ مـنـ أـصـحـاـبـهـ مـنـ يـاـئـيـهـ مـنـ وـرـاهـمـ فـاـنـهـزـمـواـ، وـلـاـ كـانـ مـسـتـهـلـ صـفـرـ جـعـ إـسـحـاقـ الـجـنـودـ عـنـدـ تـصـرـ الـحـجـاجـ وـجـاءـ أـصـحـاـبـ الـمـيدـامـ مـنـ أـرـادـ نـهـبـ الـقـرـىـ إـلـىـ لـهـ بـنـوـاـيـيـ دـمـشـقـ، ثـمـ سـالـوـ الـأـمـانـ مـنـ أـبـيـ الـمـيدـامـ فـأـمـنـهـمـ وـسـكـنـ النـاسـ.

وـفـرـقـ أـبـوـ الـمـيدـامـ أـصـحـاـبـهـ وـبـقـيـ فـيـ فـقـرـ يـسـيرـ مـنـ أـهـلـ دـمـشـقـ، فـطـمـعـ فـيـ إـسـحـاقـ وـسـلـطـ عـلـىـ الـعـذـافـرـ السـكـسـكـيـ مـعـ إـلـجـنـدـ فـقـاتـلـهـمـ فـاـنـهـزـمـهـمـ وـفـيـ الـجـنـدـ بـجـارـبـونـهـ ثـلـاثـاـ، ثـمـ إـنـ إـسـحـاقـ قـاتـلـهـ فـيـ الـثـالـثـةـ وـالـجـنـدـ فـيـ اـنـيـ عـشـرـ الـفـأـ وـمـعـهـمـ الـيـمـانـيـةـ، فـخـرـجـ أـبـوـ الـمـيدـامـ مـنـ الـمـدـيـنـةـ وـقـاتـلـهـمـ عـلـىـ بـابـ الـجـاـيـةـ حـتـىـ اـلـلـهـ عـنـهـ، ثـمـ أـغـارـ جـعـ مـنـ أـهـلـ حـصـ عـلـىـ قـرـيـةـ لـأـبـيـ الـمـيدـامـ فـقـاتـلـهـمـ أـصـحـاـبـهـ وـهـزـمـهـمـ وـقـتـلـوـهـمـ وـقـتـلـوـهـمـ خـلـقـاـ وـاحـرـقـوـهـ قـرـىـ وـدـيـارـاـ لـلـيـمـانـيـةـ فـيـ الـغـرـوـتـةـ، ثـمـ تـوـادـعـواـ سـبـعـينـ يـوـمـاـ وـخـرـهـاـ، وـقـدـمـ الـسـنـدـيـ فـيـ الـجـنـدـ مـنـ قـلـ الرـشـيدـ وـأـغـزـهـ الـيـمـانـيـةـ بـأـبـيـ الـمـيدـامـ فـبـعـثـ هـسـوـ إـلـيـهـ بـالـطـاعـةـ فـأـتـلـ الـسـنـدـيـ إـلـىـ دـمـشـقـ وـإـسـحـاقـ بـدـارـ الـحـجـاجـ، وـبـعـثـ قـائـدـهـ فـيـ ثـلـاثـةـ لـأـلـافـ وـأـخـرـجـ إـلـيـهـ أـبـوـ الـمـيدـامـ الـفـأـ وـأـحـجـمـ الـقـائـدـ عـهـمـ وـرـجـعـ إـلـىـ الـسـنـدـيـ فـصـالـحـ أـبـاـ الـمـيدـامـ وـأـمـنـ أـهـلـ دـمـشـقـ، وـسـارـ أـبـوـ الـمـيدـامـ إـلـىـ حـورـانـ وـأـقـامـ الـسـنـدـيـ بـدـمـشـقـ ثـلـاثـاـ، وـقـدـ مـوـسـىـ بـنـ عـيـسىـ وـالـيـاـ عـلـىـهـ فـبـعـثـ الـجـنـدـ يـاـئـيـهـ بـأـبـيـ الـمـيدـامـ فـكـبـسـواـ دـارـهـ وـقـاتـلـهـمـ هـوـ وـابـهـ وـعـبـدـهـ فـاـنـهـزـمـواـ وـجـاءـ أـصـحـاـبـهـ مـنـ

ماهان وقدم إليه يحيى ..... فاتقام بها عشرين سنة. وخرج عليه في ولايته حزرة بن أترك وقدد بوشنج وكان على هرارة عمر وربيه بن يزيد الأزدي فنهض إليه في ستة آلاف فارس فهزمه حزرة وقتل جماعة منهم ومات عمروية في الزحام، فبعث علي بن عيسى ابنه الحسن في عشرة آلاف فقضى حربه فنزله، وبعث ابنه الآخر عيسى فهزمه حزرة فأمده بالعساكر ورده فهزمه حزرة وقتل أصحابه، ونجا إلى قرهستان في أربعين. وأتى بن عيسى في الخارج بارق وجونين وفيمن كان يعيشه من أهل القرى حتى قتل ثلاثين ألفاً.

فلمما سمع الرشيد هذا المال استدعى هرثمة بن أعين وقال له: وليتك خراسان، وكتب له بمحظته وقال له: أكتم أمرك وأمض كأنك مدد. وبعث معه رجاء الخادم فسار إلى نيسابور وول أصحابه فيها ثم سار إلى مرو ولقي علي بن عيسى فقبض عليه وعلى أهله وأتباعه وأخذ أمواله فبلغت ثمانين ألف الف، وبعث إلى الرشيد من المتابع وقر خمسة بغير ويعث إليه بعلي بن عيسى على بغير من غير غطاء ولا وطاء، وخرج هرثمة إلى ما وراء النهر وحاصر رافع بن الليث بسمارقند إلى أن استأمن فانمه، وأقام هرثمة بسمارقند وكان قدم مرو سنة ثلاثة وستين.

وخلف عبد الله بن العباس السسيقي بزرنج فجي الأموال وسار بها ومعه الصفة ولقيه حزرة فهزمه وقتلوا عاملا أصحابه. وسار حزرة في القرى فقتل وسبي وكان علي قد استعمل طاهر بن الحسين على بوشنج فخرج إلى حزرة وقدد قرية ففر الخوارج وهم الذين يرون التحكيم ولا يقاتلون والمحكمة هم الذين يقاتلون وشعارهم لا حكم إلا الله. فكتب العقد إلى حزرة بالكف وواعدهم، ثم انتقض وعاد في البلاد وكانت بينه وبين أصحاب علي حروب كثيرة.

ثم ول الرشيد سنة اثنين وثمانين ابنه عبد الله العهد بعد الأمين ولقبه المأمون وولاه على خراسان وما يتصل بها إلى همدان واستقدم عيسى بن علي من خراسان وردها إليه من قبل المأمون. وخرج عليه ينسا أبو الحصيبة وهب بن عبد الله النسائي وعاد في نواحي خراسان ثم طلب الأمان فأنمه. ثم بلغه أن حزرة الخارجي عاث بنواحي باذغيس فقصدوه وقتل من أصحابه نحوًا من عشرة آلاف وبلغ كل من وراء غزنة. ثم غدر أبو الحصيبة ثانية وغلب أبیورد ونساطوس ونيسابور، وحاصر مرو وانهزم عنها وعاد إلى سرخس، ثم نهض إليه ابن ماهان سنة ست وثمانين فقتله في نسا وسبي أهله.

ثم نهي إلى الرشيد سنة تسع وثمانين أن علي بن عيسى مجمع على الخلاف وأنه قد أساء السيرة في خراسان وعنفهم، وكتب إليه كبراء أهلهما يشكرون بذلك، فسار الرشيد إلى الري فأهدى له الهدايا الكثيرة والأموال ولجميع من معه من أهل بيته وولده وكتابه وقواده. وتبين للرشيد من مناصحته خلاف ما أنهى إليه. فرده إلى خراسان وولي على الري وطبرستان ودبساوند وقومس وهمدان ويعث علي ابنه عيسى لحرب خاقان سنة ثمان وثمانين فهزمه وأسر آخرته، وانتقض على علي بن عيسى رافع بن الليث بن نصر بن سيار بسمارقند وطالت حروبه معه وهلك في بعضها ابنه عيسى.

ثم إن الرشيد نقم على علي بن عيسى أموراً منها استخفافه

## إيداع كتاب العهد

وفي سنة ست وثمانين جمع الرشيد وسار من الأنبار ومعه أولاده الثلاثة محمد الأمين وعبد الله المأمون والقاسم، وكان قد ول الأمين العهد وولاه العراق والشام إلى آخر العرب. وول المأمون العهد بعده وضم إليه من همدان إلى آخر الشرق وبایع لابنه القاسم من بعد المأمون ولقبه المؤمن وجعل خلعة وإباته للملائكة. وجعل في حجر عبد الملك صالح وضم إليه الجزيرة والشغر والعواصم.

ومر بالمدينة فأعطيه فيها ثلاثة أعطية: عطاء منه ومن الأمين ومن المأمون بلغ ألف ألف دينار وخمسة ألف دينار. ثم سار إلى مكة فاعطى مثلاها، وأحضر الفقهاء والقضاة والقواد وكتب كتاباً أشهد فيه على الأمين بالوفاء للمأمون وآخر على المأمون بالوفاء للأمين وعلق الكتابين في الكعبة وجدد عليها العهود هنالك.

ولما شخص إلى طبرستان سنة تسع وثمانين وأقام بها أشهد من حضره أن جميع ما في عسكره من الأموال والخزان والسلاح والكراع للمأمون وجدد له البيعة عليهم وأرسل إلى بغداد فجدد له البيعة على الأمين.

أخبار البرامكة ونكتهم

احتیاط علی منازل یکی‌ی و ولد و جمیع موجودهم و حبسه فی  
منزله.

وكتب من ليلته إلى سائر النواحي بقبض أموالهم ورقيتهم،  
وبعث من الغد بشلو جعفر وأمر أن يقسم قطعتين وينصبان على  
الجسر، وأعفى محمد بن خالد من التكبة ولم يضيق على يمسيٰ ولا  
بنيه الفضل ومحمد وموسى ثم تبردت عنه الهمة بعد الملك بن  
صالح بن علي، وكانوا أصدقاء له، فسعي في ابنه عبد الرحمن بأنه  
يطلب الخلافة فحبسه عنه الفضل بن الربيع، ثم أحضره من الغادة  
وقره ووجهه فأنكر وحلق واعترف لحقوق الرشيد وسلفه عليه،  
فاحضر كتابه شاهداً عليه فكتبه عبد الملك، فاحضر ابنه عبد  
الرحمن فقال: هو مأمون معدور أو عاق فاجر، فنهض الرشيد من  
جلسه وهو يقول: ساصبر حتى أعلم ما يرضي الله فيك، فإنه  
ما يرضي الله فيك

للمؤمنين حاكماً فإنه لا يؤثر هواه على رضا ربه.

ثم أحضره الرشيد يوماً آخر فارعد له وأبرق وجعل عبد

الملك يعدد وسائله ومقاماته في طاعته ومناصحته فقال له الرشيد:

نولا يعثي على بي هاسم لقيت ورده بي جبنة. ويكتب جد مالك فيه، وشهد له بنصحه فقال: أطلقه إذاً، قال: أما في

هذا القرب فلا! ولكن سهل حبسه ففعل وأجرى عليه مؤنه حتى

مات الرشيد وأطلقه الأمين. وعظم حقده على البرامكة بسبب

ذلك، فضيق عليهم ويعث إلى يحيى يلومه فيما سر عنه من أمر  
عمران، فقل لهم: ألم ترءوا كف بطلعنة، عبد الملك على

ذلك وأنا كنت صاحب الدولة، وهل إذا فعلت ذلك يجازيني بأكثر

من فعلك؟ أعيذك بالله أن تظن هذا الظن إلا أنه كان رجلاً

متجملا يسرني أن يكون في بيتك مثله، فوليته ولا خصته. عاد  
الراجلان ذاتاً ذاتاً قاتل الفتاوى إنك، فقال: أنت

سلطان علینا فاعل، ما اردت.

وَجَذْبُ الرَّسُولِ الْفَضْلِ وَأَخْرَجْهُ فَوْدَعَ أَبَاهُ وَسَالَهُ فِي الرَّضَا

عنه فقال: رضي الله عنك، وفرق بينهما ثلاثة أيام ولم يجد

عنهما شيئاً فجمعهما واحفظ إبراهيم بن عثمان بن نهيك لعل  
جده فكان يكره قدمه حتى أعلمه ثم انتبه له طلب

الثار بهم فكان يشرب النبيذ مع جواريه وياخذ سيفه وينادي

وأعفراه وأسيدها والله لاثارن بك ولأقتلن قاتلك، فجاء ابنه

وحفص كان مولاً إلى الرشيد فاطلعاً على أمره، فاحضر إبراهيم  
أنا أنتانا ما قتله حتى ألا يفزعوا وفك إبراهيم

ثم دخل عليه ابنه بعد ليل قلائل فقتله يقال: بأمر الرشيد. وكان

قد تقدم لنا أن خالد بن برمك كان من بكار الشيعة وكان له قدم راسخ في الدولة وكان يلي الولايات العظام وولاه المنصور على الموصل، وعلى أذريجان، وولى ابنه يحيى على أرمينية ووكله المهدي بكفالة الرشيد فأحسن تربيته ودفع عنه أخيه الهادي أراده على الخلق وتوليه العهد ابنه وجسه الهادي لذلك. فلما ولت الرشيد استوزر يحيى وفوض إليه أمور ملكه وكان أولًا يصدر عن رأي الخيزران أم الرشيد، ثم استبد بالدولة. وما ماتت وكان بيته مشهوراً بالرجال من العمومية والقرابة، وكان بنوه جعفر والفضل ومحمد قد شابهوا آباءهم في عمل الدولة واستولوا على حظ من تغريب السلطان واستخلاصه.

وكان الفضل أخاه من الرضاع أرضعت أمه الرشيد  
وأرضعته المخيزران وكان يناظر يحيى يا أبى واسترزز الفضل  
وجعفراً وولى جعفراً على مصر وعلى خراسان وبعثه إلى الشام  
عندما وقعت الفتنة بين المضري والميامية، فسكن الأمور ورجع  
ولوى الفضل أيضاً على مصر وعلى خراسان وبعثه لاستزال يحيى.  
بن عبد الله العلوى من الدليم. ودفع المأمون لما ولاده العهد إلى  
كفاله جعفر بن يحيى فحسنات آثارهم في ذلك كلها. ثم عظم  
سلطانهم واستيلاؤهم على الدولة وكثرت السعاية فيهם. وعظم  
حقد الرشيد على جعفر منهم، يقال: بسبب أنه دفع إليه يحيى بن  
عبد الله لما استنزله آخره الفضل من الدليم، وجعل حبسه عنده  
فأطلقه استبداداً على السلطان ودالة وأتى الفضل بن الربيع ذلك  
إلى الرشيد فسألته فصدقه الخبر فأظهر له التصويب وحقدها عليه،  
وكثرت السعاية فيهم فتنكر له الرشيد.

ودخل عليه يوماً يحيى بن خالد بغير إذن فنكر ذلك منه، وخطاب به طبيه جبريل بن مختيشوع منصرفأ به من مواجهته وكان حاضراً فقال يحيى: هو عادي يا أمير المؤمنين، وإذ قد نكرت معي فساكنون في الطبقة التي تجعلني فيها! فاستحب هارون وقال: ما أردت ما يكره. وكان الغلام يقرونون بباب الرشيد ليحيى إذا دخل، فتقدم لهم مسرور الخادم بالتهي عن ذلك فصاروا يعرضون عنه إذا أقبل، وأقاموا على ذلك زماناً. فلما حجَّ الرشيد سنة سبع وثمانين ورجع من حجه ونزل الأبار أرسل مسروراً الخادم في جماعة من الجندي ليلًا فحضر جعفر بتتلل الفسطاط وأعلم الرشيد فقال: إتنبي برأسه فقطن جعفر بتتلل ويسأله المراجعة في أمره حتى قذفه الرشيد بعصا كانت في يده وتنهدهه فخرج وأتاه برأسه وجس النفضل من ليلته وبعث من

باليهود عليهم وأنزل خزيمة بن خازم بنصبيين رداً لهم. وقيل: إن سبب خروجهم أن سعيد بن مسلم قتل الهجيم السلمي فدخل ابنه إلى الخزر مستجيحاً بهم على سعيد، ودخلوا أرمينية وهرب سعيد والخزر ورجعوا.

وفي سنة سبع وثمانين غزا بالصائفة القاسم بن الرشيد وجعله قرياناً لله وولاه العواصم، فأناخ على قرة وضيق عليها وبعث إليها ابن جعفر بن الأشعث فحاصر حصن سنان حتى جهد أهله وفادي الروم بثلاثمائة وعشرين أسيراً من المسلمين على أن يرحل عنهم، فأجابهم وتم تقدم ذكره فخلمه الروم وكان ملك الروم يومئذ ابن زيني وقد تقدم ذكره فخلمه الروم وملكونا ينفور وكان على ديوان خراجهم ومات زيني بعد خمسة أشهر. ولما ملك نيقفور كتب إلى الرشيد بما استقره فسار إلى بلاد الروم غازياً، وتولى هرقل وأتى في بلادهم حتى سأله ينفور الصلح، ثم نقض العهد وكان البرد شديد الكلب وظن ينفور أن ذلك يمنعه من الرجوع، فلم يمنعه ورجع حتى أتى في بلاده ثم خرج من أرضهم.

وغزا بالصائفة سنة ثمان وثمانين إبراهيم بن جبريل ودخل من درب الصنفاص فخرج إليه ينفور ملك الروم وانهزم وقتل من عسكره نحواً من أربعين ألفاً. وفي هذه السنة رابط القاسم بن الرشيد أبنه: وفي سنة تسعة وثمانين كتب الرشيد وهو بالري كتب الأمان لشروعين أبي قارن، وندا هرمز جد مازيار مرزيان خستان صاحب الدليل. وبعث بالكتب مع حسين الخادم إلى طبرستان فقدم خستان وندا هرمز فاكراهما الرشيد وأحسن إليهما وضم ندا هرمز وشروعين صاحبي طبرستان وذكرا كيف توجه المادي لهما وحاصرهما.

وفي سنة ست وثمانين كان فداء بين المسلمين حتى لم يبق بأرض الروم مسلم إلا فودي. وفي سنة تسعين سار الرشيد إلى بلاد الروم بسبب ما قدمته من غدر ينفور في مائة وخمسة وثلاثين ألفاً من المرتزقة، سوى الأربعين والمتطوعة ومن ليس له ذكر في الديوان، واستختلف المأمون بالرقعة وفوض إليه الأمور، وكتب إلى الآفاق بذلك، فنزل على هرقل فحاصرها ثلاثة يرماً وافتتحها وسي أهلها وغنم ما فيها. وبعث داود بن عيسى بن موسى في سبعين ألفاً غازياً في أرضهم ففتح الله عليه وخرق ونهب ما شاء. وفتح شراحيل بن معن بن زائد حصن الصقالبة وديسة. وافتتح يزيد بن خلدل حصن الصنفاص وقونية، وأناخ عبد الله بن مالك على حصن ذي الكلاع.

واستعمل الرشيد حميد بن معیوب على الأساطيل من

مجي بن خالد عمبوساً بالكوفة ولم يزل بها كذلك إلى أن مات سنة تسعين ومائة ومات بهذه الفضل سنة ثلاثة وسبعين. وكانت البرامكة من حاسن العالم ودولتهم من أعظم الدول وهم كانوا نكبة حاسن الله وعنوان دولتها.

## الصوائف وفترحاتها

كان الرشيد على ما نقله الطبراني وغيره يغزو عاماً ويحج عاماً، ويصلي كل يوم مائة ركعة ويتصدق بالف درهم، وإذا حجّ حمل معه مائة من الفقهاء يتفق عليهم، وإذا لم يحجّ انفق على ثلاثة حاج نفقة شائعة. وكان يتحذى بأثار المتصور إلا في بذل المال فلم يُرْ خليفة قبله أبذل منه للمال. وكان إذا لم يغز غزا بالصائفة كبار أهل بيته وقواده، غزا بالصائفة سنة سبعين سليمان بن عبد الله البكائي، وقيل: غزا بنفسه. وغزا بالصائفة سنة اثنين وسبعين إسحاق بن سليمان بن علي فأتى في بلاد الروم وغنم وسبعين. وغزا في سنة أربع وسبعين بالصائفة عبد الملك بن صالح وقيل: أبوه عبد الملك بلغ في نكبة الروم ما شاء، وأصحابهم برد شديد سقطت منه أيدي الجناد. ثم غزا بالصائفة سنة سبع وسبعين عبد الرزاق بن عبد الحميد التغلبي. وفي سنة ثمان وسبعين زفر بن عاصم.

وغزا سنة إحدى وثمانين بنفسه فافتتح حصن الصنفاص وأغزى عبد الملك بن صالح بلغ أنقرة وافتتح مطمورة. وكان الفداء بين المسلمين والروم وهو أول فداء في دولةبني العباس، وتولاه القاسم بن الرشيد وأخرج له من طرسوس الخادم الوالي عليها، وهو أبو سليمان فرج فنزل المدامس على اثنى عشر فرسخاً، وحضر العلماء والأعيان وخلق من أهل الشغور وثلاثون ألفاً من الجندي المرتزقة فحضرروا هناك وجاء الروم بالأسرى ففدوهم من كان لهم من الأسرى، وكان أسرى المسلمين ثلاثة آلاف وسبعمائة. وغزا بالصائفة سنة اثنين وثمانين عبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح دقشوسوس مدينة أصحاب الكهف. وبلغهم أن الروم سلوا ملوكهم قسطنطين بن إلبيون وملكونا أمه ربي وتنقب عطشة، فأتخروا في البلاد ورجعوا.

وفي سنة ثلاثة وثمانين حلت ابنة خاقان ملك الخزر إلى الفضل بن مجبي فماتت ببردة، ورجع من كان معها فأخبروا أباها أنها قتلت غيلة، فتجهز إلى بلاد الإسلام، وخرج من باب الأبواب وسي أكثر من مائة ألف فارس وفعلوا ما لم يسمع بمثله. فولى الرشيد يزيد بن مزيد أمير أرمينية مضافة إلى أذربيجان وأمره

وفي سنة ست وسبعين ولـ الرشيد على الموصـل الحـكم بن سليمـان، وقد كان خـرج الفـضل الـخارجي بنـواحـي نـصـيبـين وـغـنم وـسـار إـلـى دـارـيـا وأـمـرـاـتـاـ وـأـرـزـقـ وـخـلاـطـ قـفـلـ لـذـلـكـ وـرـجـعـ إـلـى نـصـيبـينـ، فـأـتـيـ المـوـصـلـ وـخـرـجـ إـلـيـهـ الفـضـلـ فـاسـكـرـهـاـ فـهـزـهـمـ عـلـىـ الزـابـ. ثـمـ عـادـوـاـ لـقـاتـالـهـ قـتـلـ الفـضـلـ وـأـصـاحـبـهـ. وـفـيـ سـنـةـ سـتـ وـسـبـعـينـ مـاتـ رـوـحـ بـنـ حـاتـمـ بـأـفـرـيقـيـةـ وـاسـتـخـلـفـ حـيـبـ بـنـ نـصـرـ الـمـهـلـيـ فـسـارـ الفـضـلـ إـلـىـ الرـشـيدـ فـولـاهـ عـلـىـ أـفـرـيقـيـةـ، وـعـادـ إـلـيـهـ فـاضـطـربـ عـلـيـهـ الـخـراسـانـيـةـ مـنـ جـنـدـ أـفـرـيقـيـةـ وـلـمـ يـرـضـوـهـ، فـوـلـ مـكـانـهـ هـرـثـةـ بـنـ أـعـيـنـ وـبـعـثـ فـيـ الـعـسـكـرـ فـسـكـنـ الـأـضـطـرـابـ، وـرـأـيـ ماـ بـأـفـرـيقـيـةـ مـنـ الـأـخـلـافـ فـاسـتـعـنـيـ الـرـشـيدـ مـنـ لـوـاتـهـ فـاعـنـاءـ، وـقـدـمـ إـلـىـ الـعـرـاقـ بـعـدـ سـتـينـ وـنـصـفـ مـنـ مـغـيـبـهـ.

وفي هذه ولـ الفـضلـ بـنـ يـحـيـىـ عـلـىـ مـصـرـ مـكـانـ أـخـيـهـ جـعـفـرـ مـضـافـاـ إـلـىـ مـاـ يـدـهـ مـنـ الـرـيـ وـسـجـسـتـانـ وـغـيرـهـماـ. ثـمـ عـزـلـهـ عـنـ مـصـرـ وـوـلـ عـلـيـهاـ إـسـحـاقـ بـنـ سـلـيمـانـ فـاثـارـ بـهـ الـجـوـقـيـةـ مـنـ مـصـرـ وـهـمـ جـمـوعـ مـنـ قـيـسـ وـقـضـاعـةـ فـأـمـدـهـ بـهـ هـرـثـةـ بـنـ أـعـيـنـ فـاذـعـنـاـ وـوـلـاهـ عـلـيـهـ شـهـراـ، ثـمـ عـزـلـهـ وـوـلـ عـبـدـ الـلـكـ بـنـ صـالـحـ مـكـانـهـ، وـفـيـهـ فـرـضـ أـمـرـ دـوـلـتـهـ إـلـىـ يـحـيـىـ بـنـ خـالـدـ. وـفـيـ سـنـةـ ثـمـانـينـ بـعـثـ جـعـفـرـ بـنـ يـحـيـىـ إـلـىـ الـشـامـ فـيـ الـقـوـادـ وـالـعـسـكـرـ وـمـعـ السـلاحـ وـالـأـمـوـالـ وـالـعـصـيـةـ الـتـيـ كـانـتـ بـهـاـ فـسـكـنـ الـفـتـنـةـ وـرـجـعـ، فـوـلـاهـ خـراسـانـ وـسـجـسـتـانـ فـاسـتـعـمـلـ عـلـيـهاـ عـيـسـىـ بـنـ جـعـفـرـ، وـوـلـ جـعـفـرـ بـنـ يـحـيـىـ الـمـرـىـ.

وـقـدـ هـرـثـةـ بـنـ أـعـيـنـ مـنـ أـفـرـيقـيـةـ فـاسـتـخـلـفـهـ جـعـفـرـ عـلـىـ الـحـرـدـ وـعـزـلـ الـفـضـلـ بـنـ يـحـيـىـ عـنـ طـبـرـيـانـ وـالـرـوـيـانـ وـوـلـاهـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ حـازـمـ، وـوـلـ عـلـىـ الـجـزـيـرـةـ سـعـيدـ بـنـ مـسـلـمـ وـوـلـ عـلـىـ الـمـوـصـلـ يـحـيـىـ بـنـ سـعـيدـ بـنـ سـعـيدـ الـحـرـشـيـ فـاسـاءـ السـيـرـةـ وـطـالـبـهـ بـخـرـاجـ سـيـنـ مـاضـيـةـ، فـالـجـلـبـ أـكـثـرـ أـهـلـ الـبـلـدـ، وـعـزـلـهـ الرـشـيدـ وـوـلـ عـلـيـهاـ يـحـيـىـ بـنـ خـالـدـ. وـفـيـ سـنـةـ إـحـدـىـ وـثـمـانـينـ وـلـىـ عـلـىـ قـوـادـ الشـيـعـةـ وـخـمـدـ رـضـيـعـ الرـشـيدـ وـتـلـادـهـ فـلـمـ اـسـتـعـنـيـ هـرـثـةـ وـلـاهـ مـكـانـهـ، وـاـضـطـرـبـتـ عـلـيـهـ أـفـرـيقـيـةـ، وـكـانـ إـبـراهـيمـ بـنـ الأـغـلـبـ بـهـاـ وـالـيـاـ عـلـىـ الزـابـ، وـكـانـ جـنـدـ أـفـرـيقـيـةـ يـرـجـعـونـ إـلـيـهـ فـأـعـانـهـ وـحـلـ النـاسـ عـلـىـ طـاعـتـهـ بـعـدـ أـنـ أـخـرـجـوهـ فـكـرـهـواـ وـلـاهـ مـحـدـدـ بـنـ مـقـاتـلـ وـحـلـرـاـ إـبـراهـيمـ بـنـ الأـغـلـبـ عـلـىـ أـنـ كـتـبـ إـلـىـ الرـشـيدـ بـطـلـبـ وـلـاهـ أـفـرـيقـيـةـ عـلـىـ أـنـ يـتـرـكـ الـمـائـةـ الـفـ دـيـنـارـ الـتـيـ كـانـتـ تـحـمـلـ مـنـ مـصـرـ مـعـونـةـ إـلـىـ وـلـيـ أـفـرـيقـيـةـ وـيـحـمـلـ هـوـ كـلـ سـنـةـ أـرـبـعـينـ الـفـ دـيـنـارـ فـاسـتـشـارـ الرـشـيدـ بـطـانـتـهـ فـاـشـارـ هـرـثـةـ بـنـ إـبـراهـيمـ بـنـ الأـغـلـبـ، وـوـلـاهـ الرـشـيدـ فـيـ حـرـمـ سـنـةـ أـرـبـعـةـ وـثـمـانـينـ، فـضـبـطـ الـأـمـورـ وـقـبـضـ عـلـىـ الـمـؤـمـنـينـ وـبـعـثـ بـهـمـ إـلـىـ الرـشـيدـ فـسـكـنـ

بـسـواـحـلـ الشـامـ وـمـصـرـ إـلـىـ قـبـرـسـ، فـهـزـمـ وـحـرـقـ وـسـبـىـ مـنـ أـهـلـهـ خـوـآـ مـنـ سـبـعـةـ عـشـرـ الـفـ وـجـاهـ بـهـمـ إـلـىـ الـرـاـقـةـ فـبـاـعـمـوـهـاـ. وـبـلـغـ فـدـاءـ أـسـقـفـ قـبـرـسـ الـفـيـ دـيـنـارـ. ثـمـ سـارـ الرـشـيدـ إـلـىـ حـلـوـانـ فـنـزـلـ بـهـ وـحـاـصـرـهـاـ. ثـمـ رـحـلـ عـنـهـاـ وـخـلـفـ عـلـيـهـاـ عـقـبـةـ بـنـ جـعـفـرـ. وـبـعـثـ يـقـفـرـ بـالـخـرـاجـ وـالـجـزـيـةـ عـنـ رـأـسـهـ أـرـبـعـةـ دـنـيـارـينـ وـعـنـ اـبـنـهـ دـيـنـارـينـ خـطـبـهـ اـبـنـهـ فـبـعـثـ بـهـاـ إـلـيـهـ. وـنـقـضـ فـيـ هـذـهـ سـنـةـ قـبـرـسـ فـغـراـهـ مـعـيـوبـ بـنـ يـحـيـىـ فـأـتـخـنـ فـيـهـمـ وـسـبـاهـمـ. وـلـاـ رـجـعـ الرـشـيدـ مـنـ غـزـانـ خـرـجـتـ الـرـوـمـ إـلـىـ عـيـنـ زـرـيـةـ وـالـكـنـيـسـةـ السـوـدـاءـ وـأـغـارـوـاـ وـرـجـعـوـاـ فـاسـتـقـدـ أـهـلـ الـمـصـيـصـةـ مـاـ حـلـوـهـ مـنـ الغـائـمـ. وـفـيـهـاـ غـزاـ يـزـيدـ بـنـ مـخـلـدـ الـمـبـرـيـ أـرـضـ الـرـوـمـ فـيـ عـشـرـةـ آـلـافـ

فـانـخـذـتـ الـرـوـمـ عـلـيـهـ الـمـاضـيـ فـانـهـزـمـ، وـقـتـلـ فـيـ خـسـينـ مـنـ أـصـاحـبـ عـلـىـ مـرـحلـتـيـنـ مـنـ طـرـسـوـسـ. وـاـسـتـعـمـلـ الرـشـيدـ عـلـىـ الصـائـفـةـ هـرـثـةـ بـنـ أـعـيـنـ قـبـلـ أـنـ يـولـهـ خـراسـانـ وـضمـ إـلـيـهـ ثـلـاثـيـنـ الـفـانـاـ مـنـ أـهـلـ خـراسـانـ، وـأـخـرـجـهـ إـلـىـ الصـائـفـةـ وـسـارـ بـالـعـسـكـرـ الـإـسـلـامـيـ فـيـ أـثـرـهـ وـرـتـبـ بـدـرـبـ الـحـارـثـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ مـالـكـ وـعـرـعـشـ سـعـيدـ بـنـ مـسـلـمـ بـنـ قـيـسـةـ وـأـغـارـتـ الـرـوـمـ عـلـيـهـ فـأـصـابـوـهـ مـنـ الـمـسـلـمـينـ وـاـنـصـرـفـوـهـ وـلـمـ يـتـحـرـكـ مـنـ مـكـانـهـ. وـبـعـثـ الرـشـيدـ مـحـمـدـ بـنـ زـيـدـ بـنـ مـزـيدـ إـلـىـ طـرـسـوـسـ وـأـقـامـ هـوـ بـدـرـبـ الـحـارـثـ وـأـمـرـ قـوـادـ بـهـدـمـ الـكـنـاشـ فـيـ جـيـعـ الـشـغـورـ. وـأـخـذـ أـهـلـ الـذـمـةـ بـمـخـالـفـةـ زـيـ الـمـسـلـمـينـ فـيـ مـلـوـسـهـمـ. وـأـمـرـ هـرـثـةـ بـيـانـهـ هـرـطـوـسـ وـتـوـلـ ذـلـكـ، فـخـرـجـ الـخـادـمـ بـأـمـرـ الرـشـيدـ وـبـعـثـ إـلـيـهـ جـنـدـاـ مـنـ خـراسـانـ ثـلـاثـةـ أـيـامـ، وـأـشـخـصـ إـلـيـهـمـ الـفـانـاـ مـنـ أـهـلـ الـمـصـيـصـةـ وـالـفـانـاـ مـنـ أـنـطاـكـيـةـ فـتـمـ بـنـاؤـهـاـ سـنـةـ اـثـنـيـنـ وـتـسـعـينـ. وـفـيـ هـذـهـ سـنـةـ تـحـرـكـتـ الـخـرـمـيـةـ بـنـاحـيـةـ أـذـرـيـجـانـ فـبـعـثـ إـلـيـهـمـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ مـالـكـ فـيـ عـشـرـةـ آـلـافـ قـتـلـ وـسـيـ وـأـسـرـ، وـوـفـاهـ بـقـرـمـاسـينـ فـأـمـرـهـ بـقـتـلـ الـأـسـرـيـ وـبـعـيـ السـيـ. وـفـيـهـ اـسـتـعـمـلـ الرـشـيدـ عـلـىـ الـشـغـورـ ثـابـتـ بـنـ مـالـكـ الـخـزـاعـيـ فـاـنـتـعـ مـطـمـرـةـ وـكـانـ الـفـداءـ عـلـىـ يـدـيـهـ بـالـبـرـدـونـ. ثـمـ كـانـ الـفـداءـ الـثـانـيـ وـكـانـ عـدـةـ أـسـرـيـ الـمـسـلـمـينـ فـيـ الـفـيـنـ وـخـسـمـانـ.

## الولاية على التواحي

كان على أـفـرـيقـيـةـ مـزـيدـ بـنـ حـاتـمـ كـمـاـ قـدـمـاهـ وـمـاتـ سـنـةـ إـحـدـىـ وـسـبـعـينـ بـعـدـ أـنـ اـسـتـخـلـفـ اـبـنـ دـاـودـ فـبـعـثـ الرـشـيدـ عـلـىـ أـفـرـيقـيـةـ أـخـاهـ رـوـحـ بـنـ حـاتـمـ فـاسـتـقـدـمـهـ مـنـ فـلـسـطـيـنـ وـبـعـثـهـ إـلـىـ أـفـرـيقـيـةـ. وـعـزـلـ أـبـاـ هـرـيـرـةـ مـحـمـدـ بـنـ فـروـجـ عـنـ الـجـزـيـرـةـ وـقـتـلـهـ وـوـلـ مـكـانـهـ.....

البلاد.

خراسان وكان مع رافع بن الليث جماعة من القواد ففارقه إلى هرثمة منهم عجيف بن عبنسة وغيره. وحاصر هرثمة رافع بن الليث في سمرقند وضايقه، واستقدم طاهر بن الحسين من خراسان فحضر عنده وعاد حزنة الخارجى في نواحي خراسان خلالها من الجندي، وحمل إليه عمال هراة وسجستان الأموال. ثم خرج عبد الرحمن إلى نيسابور سنة أربع وتسعين وجمع نحواً من عشرين ألفاً، وسار إلى حزنة فهزمه وقتل من أصحابه خلقاً وتابعه إلى هراة حتى كتب المأمون إليه ورده عن ذلك.

وكانت سنة ثلث وتسعين بين هرثمة وبين أصحاب رافع وقعة كان الظفر فيها هرثمة وأسر بشرأً آخراً رافع وبعث به إلى الرشيد وافتتح بخاري. وكان الرشيد قد سار من الرقة بعد مرجعه من الصافحة التي بني فيها طرسوس على اعتزام خراسان لشأن رافع، وكان قد أصابه المرض، فاستخلف على الرقة ابنه القاسم وضم إليه خزيمة بن خازم، وجاء إلى بغداد. ثم سار منها إلى خراسان في شعبان سنةاثنتين وتسعين واستخلف عليها ابنه الأمين، وأمر المأمون بالمقام معه فأشار عليه الفضل بن سهل بأن يطلب المسير مع الرشيد، وحذرهبقاء من الأمين فأسفته الرشيد بذلك وسار معه.

### وفاة الرشيد وبيعة الأمين

ولما سار الرشيد عن بغداد إلى خراسان بلغ جرجان في سفر سنة ثلث وتسعين وقد اشتلت عليه، بعث ابنه المأمون إلى مرو ومعه جماعة من القواد: عبد الله بن مالك ويجي بن معاذ وأسد بن خزيمة والعباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث والسدى والحرشى ونعميم بن خازم، ثم سار الرشيد إلى موسى واشتد به الرجع وضعف عن الحركة ونقل فارجف الناس بموته، وبلغه ذلك فاراد الركوب ليراهم الناس فلم يطق التهوض فقال: ردوني. ووصل إليه وهو بطروس بشير آخر رافع أسيراً بعث به هرثمة بن أعين فاحضره وقال: لوم يق من أجيلى إلا حركة شفتي بكلمة لقلت أتلوه. ثم أمر قصباً ففصل أعضاء ثم أغمى عليه وافتقر الناس.

ولما يشن من نفسه أمر بقتله فحضر في الدار التي كان فيها وأنزل فيه قرمواً قرروا فيه القرآن حتى ختموه وهو في حفة على شفريه ينظر إليه وينادي: واسواناه من رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه. ثم مات وصلى عليه ابنه صالح وحضر وفاته الفضل بن الربيع واسماعيل بن صبيح ومسرور وحسين ورشيد. وكانت خلافته ثلاثة وعشرين

وأبنته مدينة بقرب القيروان وسمها العباسية وانتقل إليها باهله وخاصة وحشمه، وصار ملكًّا أفريقيًّا في عقبة كما يذكر في أخبارها إلى أن غلبهم عليها الشيعة العبيد. وكان يزيد بن مزيد على أذربيجان فولاه الرشيد سنة ثمان وثمانين على أرمينة مضافة إليها، وولى خزيمة بن خازم على نصبهين. وولى الرشيد سنة أربع وثمانين على اليمين ومكة حاداً البربرى وعلى السندي دارد بن يزيد بن حاتم وعلى الجبل يحيى الحرشي، وعلى طبرستان مهروبة الزاي، وقتله أهل طبرستان سنة خمس وثمانين، فولى مكانه عبد الله بن سعيد الحرشي.

وفيها توفي يزيد بن زائدة الشيطاني ببردعة، وكان على أذربيجان وأرمينة فولى مكانه ابنه أسد بن يزيد بن حاتم. وفي سنة تسعة وثمانين سار الرشيد إلى السري وولى على طبرستان والري ودبناوند وقوس وهمندان عبد الملك بن مالك. وفي سنة تسعة ولي على الموصل خالد بن يزيد بن حاتم وقد تقدم لنا ولادة هرثمة على سليمان ونكتة علي بن عيسى. في سنة إحدى وتسعين ظفر حاد البربرى بهصمي اليماني وجاء به إلى الرشيد فقتل، وولى في هذه السنة على الموصل محمد بن الفضل بن سليمان وكان على مكة الفضل بن العباس أخي المنصور والسفاح.

### خلع رافع بن الليث بما وراء النهر

كان رافع بن نصر بن سيار من عظماء الجندي فيما وراء النهر وكان يحيى بن الأشعث قد تزوج بعض النساء المشهورات الجمال وتسرى عليها وأكثر ضرارها وتشوّقت إلى التخلص منه، فدس إليها رافع بن الليث بان تحاول من يشهد عليها بالكافر للتخلص منه وتحل للأزواج ثم ترجع وتتوب، فكان وتزوجها وشكى يحيى بن الأشعث إلى الرشيد وأطلعه على جل الأمر، فكتب إلى علي بن عيسى أن يفرق بينهما ويقيم الخدوى على رافع ويطوف به في سمرقند مقيداً على حمار ليكون عظة لغيره، ففعل ذلك ولم يجد رافع وحسن بسمرقند فهرب من الحبس ولحق بعلي بن عيسى في بلخ فهم بضرب عنقه، فشنع فيه ابنه عيسى فأمره بالإعراض إلى سمرقند فرجع إليها ووُثب بمعاملها فقتله وملكها وذلك سنة تسعين. بعثت علي لحربه ابنه عيسى فلقيه رافع وهزمه وقتلها، فخرج علي بن عيسى لقتله وسار من بلخ إلى مرو وعافية عليها من رافع بن الليث.

ثم كانت نكتة علي بن عيسى وولاية هرثمة بن أعين على

عند خروج رافع بن الليث كيف كان الحال، وأنت اليوم نازل في  
أحوالك وبيعتك في أعناقهم، فاصبر وأنا أضمن لك الخلافة. فقال  
الملعون: قد فعلت وجعلت الأمر إليك فقال: إن عبد الله بن  
مالك والقرواد أنفع مي لشهرتهم وقوتهم وأنا خادم لمن يقوم  
بأمرك منهم حتى ترى رايك.

وجاءهم الفضل في منازلهم وعرض عليهم البيعة للملائكة، فمنهم من امتنع ومنهم من طرده، فرجع إلى الملائكة وأخبره فقال: قم أنت بالأمر وأنصار عليه الفضل أن يبعث على الفقهاء ويدعوهم إلى الحق والعمل به وإحياء السنة ورد المظالم ويعقد على الصنوف فعل جميع ذلك، وأكرم القرواد، وكان يقول للطبيعي: تقسيم مقام موسى ابن كعب وللريعي مكان أبي داود وخالد بن إبراهيم، وللبياني مكان قحطبة ومالك بن الهيثم، وكل هؤلاء نقباء الدولة.

ووضع عن خراسان ربع الخراج فاغتبط به أهلها وقالوا:  
ابن أختنا وأبن عم نبينا. وأقام المأمور يتولى ما كان بيده من  
خراسان والري وأهدى إلى الأمين وكتب إليه وعزمه. ثم إن  
الأمين عزل لأول ولزيته أحاه القاسم المؤذن عن الجزيرة  
 واستعمل عليها خزيمة بن خازم وأقر المؤذن على قنسرين  
والعواصم. وكان على مكة داود بن عيسى بن موسى بن محمد،  
وعلى حصن إسحاق بن سليمان فخالف عليه أهل حصن وانتقل  
عنهم إلى سلمية فعزله الأمين وولى مكانه عبد الله بن سعيد  
الحرشى، فقتل عدة منهم وحبس عدة، واضرموا النار في نواحيه،  
وسألوا الأمان فأجابهم، ثم انقضوا فقتل عدة منهم ثم ول عليهم  
إبراهيم بن العباس.

أخبار رافع وملوك الروم

وفي سنة ثلاث وستعين دخل هرثمة بن أعين سمرقند  
وملكها وقام بها ومعه طاهر بن الحسين فاستجاش رافع بالترك  
فأثاره وقوي بهم. ثم انصرفوا وضعف أمره، وبلغه الحسن سيرة  
المؤمن فطلب الأمان وحضر عند المأمون فاكرمه. ثم قدم هرثمة  
على المأمون فولاه الحرس وانكر الأمين ذلك كله. وفي هذه السنة  
قتل نيقور ملك الروم في حزب برجان لسبعين سنين من ملكه،  
وملك بعده ابنه استبراق وكان جريحاً فمات لشهرين وملك بعده  
صهره على أخته ميخائيل بن جرجيس، ووُثب عليه الروم سنة  
أربع وستعين بعد اثنين من ملكه فهرب وترهب ولولا بعده  
اليون القائد.

سنة أو تزيد وترك في بيت المال تسعمائة ألف ألف دينار.

ولما مات الرشيد بويص الأمين في العسكر صبيحة يومه،  
والمأمون يومئذ يمزو وكتب حمبة مول المهدى صاحب البريد إلى  
نائبه بيغداد وهو سلام أبو مسلم يعلمه بوفاة الرشيد وهناء  
بالخلافة فكان أول من فعل ذلك. وكتب صالح إلى أخيه الأمين  
مع رجاء الخادم بوفاة الرشيد، وبعث معه بالخاتم والبردة  
والقضيب، فانتقل الأمين من قصره بالخلد إلى قصر الخلافة وصلى  
بالتاس الجمعة وخطب ثم نعى الرشيد وعزى نفسه والناس،  
وبايته جلة أهله ووكل سليمان بن المنصور وهو عم أبيه وأمه  
بأخذ البيعة على القراد وغيرهم. ووكل السندي بأخذ البيعة على  
الناس سواهم، وفرق في الجندي بيغداد رزق سنين. وقدمت أمه  
زيدة من الرقة فلقيها الأمين بالأتيا في جمع من بغداد من  
الوجوه، وكان معها خازان الرشيد، وكان قد كتب إلى معاشر  
الرشيد وهو حي مع بكر بن المعتمر لما اشتدت علة الرشيد وإلى  
المأمون بأخذ البيعة لهما وللمؤمنين أخيهما، وإلى أخيه صالح  
بالقدوم بالعسكر والخازان والأموال برأي الفضل. وإلى الفضل  
بالاحتفاظ على ما معه من الحرم والأموال، وأنه كل واحد على  
عمله كصاحب الشرطة والمرس وتحاجة.

وكان الرشيد قد سمع بوصول بكر بالكتاب فدعاه  
ليستخرجهما منه فجدهما فضريه وجسه. ثم مات الرشيد  
وأحضره الفضل فدفعها إليه ولما قرؤوا الكتاب تشاوروا في  
اللحادق بالأمين وارتحل الفضل بالناس لهواهم في وطهم تركوا  
عهود المأمون. فجمع المأمون من كان عنده من قواد أبيه وهم:  
عبد الله بن مالك ويحيى بن معاذ وشبيب بن حميد بن قحطبة  
والعلاء مول الرشيد وكان على حجابته، والعباس بن المسب بن  
زهير، وكان على شرطته، وأيوب بن أبي سمير. وهو على كتابته،  
وعبد الرحمن بن عبد الملك ابن صالح ذو الرياستين الفضل بن  
سهل، وهو أخوه لهم وأحظائهم عنده، فأشار بعضهم أن يركب  
في أثرهم ويردهم ومنعه الفضل من ذلك وقال: أخشى عليك  
منهم ولكن تكتب وتترسل رسولك إليهم تذكرهم البيعة والوفاء،  
ونخذلهم الحث، فبعث سهل بن صاعد ونرفلاً الخادم بكتابه  
إليهم ينذرون فقرأ الفضل كتابة وقال: أنا واحد من الجن.

وشن عبد الرحمن برجله على سهل ليطعنه بالرمح وقال:  
لو كان صاحبك حاضراً لوضعته فيه وسب المأمون وانصرفوا،  
ورجع سهل ونوقل بالخبر إلى المأمون فقال له الفضل بن سهل:  
هؤلاء أعداء استرحت منهم وأنت مهزارسان، وقد خرج بها المقنع  
وبعده يوسف البر فقضى بضياعهم لما بعدها، وأنت رأيت

القائم بالحق، وأرسل إلى الكعبة من جاء بكتابي العهد للأمين والمأمور الذين وضعهما الرشيد هنالك، وسارت الكتب من ذلك إلى المأمور ببغداد من عيونه بها، فقال المأمور: هذه أمور أخبر الرائي عنها وكفاني أنا أن تكون مع الحق وبعث الفضل بن سهل إلى جند الري بالأقوات والإحسان، وجاء بهم من كان بأطرافهم. ثم بعث على الري طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق أسعد الخزاعي أبو العباس أميراً وضم إليه القواد والأجناد فنثرها ووضع المسالح والمراسد، وبعث الأمين عصمة بن حاد بن سالم إلى همدان في الف رجل، وأمره أن يقيم بهمدان وبعث مقدمته إلى ساوة.

### خروج ابن ماهان لحرب طاهر ومقتله

ثم جهز الأمين علي بن عيسى بن ماهان إلى خراسان لحرب المأمور، يقال دس بذلك الفضل بن سهل العين له عند الفضل بن الري، فأشار به عليهم لما في نفوس أهل خراسان من الترة عن ابن ماهان فجدوا في حرمه. ويقال حرض أهل خراسان على الكتب إلى ابن ماهان ومخادعه إن جاء. فأمره الأمين بالمسير وأقطعه نهاوند وهمدان وقم وأصبهان وسائر كور الجبل حرباً وخراجاً، وحكمه في الخزائن وأعطاء الأموال وجهز معه خمسين ألف فارس. وكتب إلى أبي دلف القاسم بن عيسى بن إدريس العجلي وهلال بن عبد الله الحضرمي في الانضمام، وركب إلى باب زبيدة ليودعها فأوصته بالمأمور بغاية ما يكون أن يوصى به، وأنه بمثابة ابnya في الشقة والموصلة ونواته قياداً من نفسه وقالت له: إن سار إليك فقيده به مع المبالغة في البر والأدب معه.

ثم سار علي بن عيسى من بغداد في شعبان وركب الأمين يشيءه في القوارد والجنود ولم ير عسكر مثل عسكره. ولقي السفر بالسابلة فأخبروه أن طاهراً بالري يعرض أصحابه، وهو مستعد للقتال. وكتب إلى ملوك البيلم وطبرستان يدعهم وينهيهم، وأهدى لهم التيجان والأسرورة على أن يقطعوا الطريق عن خراسان فأجابوا، وتزل أول بلاد الري فأشار عليه أصحابه بإذاكه العيون والطلائع، والت hazırlan بالختن قال: مثل طاهر لا يستعد له، وهو إما أن يتحصن بالري فيثبت إليه أهله، وإما أن يفر إذا قربت منه خيلنا. وما كان من الري على عشرة فراسخ استشار أصحاب طاهر في لقائه فمالوا إلى التحصن بالري فقال: أخاف أن يكتب بنا أهلهما. وخرج فعسكر على خمسة فراسخ منها في أقل من أربعة آلاف فارس.

### الفتنة بين الأمين والمأمور

ولما قدم الفضل بن الري على الأمين ونكث عهد المأمور خشي غاثاته، فأجتمع قطع علاقته من الأمور وأغري الأمين بخلعه والبيعة للعهد لابنه موسى، ووافقه في ذلك علي بن عيسى بن ماهان والستدي وغيرهما من يخشى المأمور. وخالقهم خزيمة بن خازم وأخوه عبد الله وناشدو الأمين في الكف عن ذلك وأن لا يحمل الناس على نكث العهود فيطرقوهم لنكث عهده. ولج الأمين في ذلك، وبلغه أن المأمور عزل العباس بن عبد الله بن مالك عن الري وأنه ول هرثمة بن أعين على المرس وان رافع بن الليث استأمن له فآمنه وسار في جملته فكتب إلى العمال بالدعاء لموسى ابنه بعد الدعاء للمأمور والمؤمن، فبلغ ذلك المأمور فأسقط اسم الأمين من الطرد وقطع البريد عنه.

وأرسل الأمين إليه العباس بن موسى بن عيسى وخاله عيسى بن جعفر بن المنصور وصالحاً صاحب الموصل، ومحمد بن عيسى بن نهيك يطلب منه تقديم ابنه موسى عليه في العهد ويستقدمه. فلما قدموا على المأمور استشار كراء خراسان فقالوا: إنما يبعثنا لك على أن لا تخرج من خراسان فاحضر الرفد وأعلمهم بامتناعه مما جاؤوا فيه. واستعمل الفضل بن سهل العباس بن موسى ليكون عيناً لهم عند الأمين فعل، وكانت كتبه تأتيهم بالأخبار. ولما رجع الرفد عاودوه بطلب بعض كور خراسان وأن يكون له بخراسان صاحب بريد يكتبه، فامتنع المأمور من ذلك وأوعد إلى قعوده بالري ونواجهها بضبط الطرق وبنقذها من غواصي الكتب والعيون، وهو مع ذلك يتخفّف عاقبة الخلاف.

وكان خاقان ملك التبت قد التوى عليه وجفونة فارق الطاعة، وملوك الترك منعوا الضريبة، فخشى المأمور ذلك وحفظ عليه الأمر بأن يولي خاقان وجفونة بلا دهماء، ويرادع ملك كابل، وينترك الضريبة للملوك الترك الآخرين. وقال له بعد ذلك: ثم اضرب الخيل بالخيل والرجال بالرجال فإن ظفرت ولا لحتت بخاقان مستجراً فقبل إشارته وفعلها، وكتب إلى الأمين يخادعه بأنه عامله على هذا الشغور الذي أمره الرشيد بزلوجه وأن مقامه به أشد غناه ويطلب إعفاءه من الشخوص إليه، فعلم الأمين أنه لا يتبعه على مراده فخلعه وبایع لولده في أوائل سنة خس وتسعين وسماء الناطق بالحق، وقطع ذكر المأمور والمؤمن من المسابر وجعل ولده موسى في حجر علي بن عيسى وعلى شرطته محمد بن عيسى بن نهيك وعلى حرسه أخوه عيسى، وعلى رسائله صاحب القتل. وكان يدعى له على المسابر ولابنه الآخر عبد الله ولقبه

ضجر منه أهل المدينة وطلب الأمان من طاهر وخرج من همدان. وكان طاهر عند نزوله عليها قد خشي من صاحب قزوين أن يائمه من ورائه فجهز العسكر على همدان وسار إلى قزوين في الف فارس فقر عاملها وملكتها ثم ملك همدان وسائر أعمال الجبل وأقام عبد الرحمن بن جلة في أيامه. ثم أصاب منه بعض الأيام غرة فركب وهجم عليه في عسكر فقاتله طاهر أشد القتال حتى انهزم أصحابه وقتل ولحق فلهم بعد الله واحد ابني الحريسي في عسكر عظيم بعثهما الأمين مددًا لعبد الرحمن فانهزما جميعاً إلى بغداد. وأقبل طاهر نحو البلاد وحده وأنشأه إلى حلوان فخندق بها وجمع أصحابه.

### بيعة المؤمنون

وأمر المؤمنون عندها بأن يخطب له على المنابر ويختطب بأمير المؤمنين وعقد للفضل بن سهل على المشرق كله من جبل همدان إلى البيت طولاً ومن بحر فارس إلى بحر الدليل وجرجان عرضًا وحمل له عماله ثلاثة آلاف ألف درهم. وعقد له لواء ذا شبتيين ولقبه ذا الرياستين يعني: الحرب والعلم، وحمل اللواء على بن هشام، وحمل العلم نعيم بن خازم وولى أخيه الحسن بن سهل ديوان الخراج.

### ظهور السفياني

هو علي بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية ويلقب أبا العميط لأن زعم أنها كنية الجزدون فلقبوه بها، وكانت أمه نفيسة بنت عبد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب وكان يقول: أنا ابن شيخي صفين يعني: علياً ومعاوية، وكان من قاتلابي أمية بالشام وكان من أهل العلم والرواية فادعى لنفسه بالخلافة آخر ستة خمس وتسعين وأعانه الخطاب بن وجه العلس مولى بي أمية، كان متغلباً على صيدا فملك دمشق من يد سليمان بن النصرور، وكان أكثر أصحابه من كلب. وكتب إلى محمد بن صالح بن يهس يدعوه ويتهده فاعتراض عنه.

وقصد السفياني القيسية فاستجاشوا بمح مد بن صالح فجاءهم في ثلاثة فارس من الصبات ومواليه. وبعث السفياني يزيد بن هشام للقتال لهم في التي عشر الفاً فانهزم يزيد وقتل من أصحابه الفان وأسر ثلاثة آلاف أطلقهم ابن يهس وحلقهم. ثم جمع جمعاً مع ابنه القاسم وخرجوا إلى ابن يهس فانهزما وقتل القاسم وبعث برأسه إلى الأمين. ثم جمع جمعاً آخر وخرجوا مع

وأشار عليه أحد بن هشام كبير جند خراسان أن ينادي بخلع الأمين وبيعة المؤمنون لئلا يخادعه علي بن عيسى بطاعة الأمين وأنه عامله فعل، وقال علي لأصحابه: بادروه فلائهم قليل ولا يصبرون على حد السيف وطعن الرماح، وأحكم تعية جنده وقدم بين يديه عشر رياض مع كل راية ألف رجل، وبين كل رايتين غلوة سهم ليقاتلوا نوياً. وعيي طاهر أصحابه كراديس وحرضهم وأوصاهم، وهرب من أصحاب طاهر جماعة فجذبهم على وأهالهم، فأقصر الباقون وجذوا في قتاله.

وأشار أحد بن هشام على طاهر بأن يرفع كتاب البيعة على رمح وذكر علي بن عيسى بها تكبه. ثم اشتتد القتال وحلت ميسنة علي فانهزمت ميسرة طاهر وكذلك ميسرته على ميمنة طاهر فاز الوها، واعتمد طاهر القلب فهزموهم ورجعت الجنبيان من هزمته وانتهت الفزعة إلى علي وهو ينادي بأصحابه فرماه رجل من أصحاب طاهر بهم فقتله وجاء برأسه إلى طاهر، وحمل شلوه على خشبة والقي في بئر بأمر طاهر. واعتنق طاهر جميع علماته شكرًا لله وتمت المزيمة. واتبعهم أصحاب طاهر فرسخين وألقوا بهم فيها اثنى عشرة مرة يقتلونهم في كلها ويأسرونهم حتى جن الليل بيهم.

ورجع طاهر إلى الري وكتب إلى الفضل: كتابي إلى أمير المؤمنين ورأس علي بين يدي وخاته في إصبعي، وجنده متصرفون تحت أمري والسلام. وورد الكتاب على البريد في ثلاثة أيام فدخل الفضل على المؤمنون وهناء بالفتح ودخل الناس فسلموا عليه بالخلافة ووصل رأس علي بعدها يومين وطيف به في خراسان، ووصل الخبر إلى الأمين يقتل علي هزيمة العسكر فأحضر الفضل بن الريبع وكيل المؤمنون ببغداد وهو نونف الخادم فقبض ما يده من ضياعه وغلاله وخسرين ألف الف درهم كان الرشيد وصاه بها وندم الأمين على فعله، وسعت الجنادل والقواد في طلب الأرزاق فهم عبد الله بن حاتم بقتالهم فمنعه الأمين وفرق فيهم أموالاً.

### مسير ابن جبلة إلى طاهر ومقتله

ولما قتل علي بن عيسى بعث الأمين عبد الرحمن بن الأنباري في عشرين ألف فارس إلى همدان، وولاه عليها وعلى كل ما يفتحه من بلاد خراسان وأمده بالمال، فسار إلى همدان وحصنه وجاوه طاهر فبرز إليه ولقيه، فهزمه طاهر إلى البلد. ثم خرج عبد الرحمن ثانية فانهزم إلى المدينة وحاصره طاهر حتى

### أمر عبد الملك بن صالح وموته

قد تقدم لنا حبس عبد الملك بن صالح إلى أن مات الرشيد وأخرجه الأمين، ولما كان أمر طاهر جاء عبد الملك إلى الأمين وأشار عليه بأن يقدم أهل الشام لحربيه، فهم أجرأ من أهل العراق وأعظم نكبة في العدو، وضمن طاعتهم بذلك، فولاه الأمين أهل الشام والجزيرة وقر له بالمال والرجال واستحثه، فسار إلى الرقة وكاتب أهل الشام فسللوا إليه فاكراً منهم وخلع عليهم وكثرت جرمه. ثم مرض واشتد مرضه ووافت فتنته في عسكره بين الخراسانيين وأهل الشام بسبب دابة أخذت ببعضهم في وقعة سليمان بن أبي جعفر وعرفها عند بعض أهل الشام، فاقتلاوا وأرسل إليهم عبد الملك بالقتل فلم يقتلا، فأكثر القتل وأظهر عبد الملك الصرة للشاميين وانتقض الحسين بن علي للخراسانيين، وتندى الناس بالرجوع إلى بلادهم فمضى أهل حصن وقبائل كلب فانهزم أهل الشام وأقام عبد الملك بن صالح بالرقية، توفي بها.

### خلع الأمين واعداته

ولما مات عبد الملك بن صالح نادى الحسين بن علي في الجندي بالرحيل إلى بغداد وقدمها فلقى القواد ووجوه الناس ودخل منزله واستدعاه الأمين من جوف الليل فامتنع وأصبح، فوافى بباب الجسر وأغراهم بخلع الأمين وحزورهم من نكحة شم أمهرين بعبور الجسر فعبروا ولقى أصحاب الأمين فانهزموا، وذلك متصرف رجب سنة ست، وأخذت البيعة للمأمون من الغد ووثب العباس بن عيسى بن موسى بالأمين فأخرجه من قصر الخلد وحبسه بقصر المنصور ومعه أمه زينة، فلما كان من الغد طلب الناس أرزاقهم من الحسين وماج بعضهم في بعض، وقام محمد بن أبي خالد فذكر استبداد الحسين بخلع الأمين وليس بذري منزلة ولا حسب ولا نسب ولا غائط.

وقال أسد الحربي: قد ذهب أقوام بخلع الأمين فاذهباً أنتم بفكه يا معاشر الحرية، فرجع الناس على أنفسهم باللامامة وقالوا: ما قتل قوم خليفهم إلا سلط الله عليهم السيف. ثم نهضوا إلى الحسين وتبعهم أهل الأرض فقاتلوه قتالاً شديداً وأسروروه ودخل أسد الحربي إلى الأيمن وكسر قيوده وأجلسه على أريكته، وأمرهم الأمين بلبس السلاح فاتبه الغوغاء وجيء بالحسين إليه أسيراً، فاعتذر إليه وأطلقهم وأمر بجمع الجندي والمسيير إلى طاهر وخلع

مولاه المعتمر فانهزموا وقتل المعتمر فوهن أمر السفياني وطمعت فيه قيس. ثم إن ابن بيهس مرض فجمع رؤساء بي غير وأوصاهم بيعة مسلمة بن يعقوب بن علي بن محمد بن سعد بن مسلمة بن عبد الملك بالخلافة. وقال لهم: تولوه وكيدوا به السفياني فإنكم لا تفرون بأهل بيته. وعاد ابن بيهس إلى حوران واجتمعوا غير على مسلمة فبايعوه فقتل منهم وجع مواليه ودخل على السفياني فقيده وجس رؤساء بي غير، وأدلى القيسية وجعلهم بطاناً. وأفاق ابن بيهس من مرضه فجاء إلى دمشق وحاصرها وسلمها له القيسية في حرم سنة ثمان وستين وهرب مسلمة والسفوي إلى المزة وملك ابن بيهس دمشق إلى أن قدم عبد الله بن طاهر دمشق وسار إلى مصر ثم عاد إليها فاحتمل ابن بيهس معه إلى العراق ومات بها.

### مسير الجيوش إلى طاهر ورجوعهم بلا قتال

ولما قتل عبد الرحمن بن جبلة أرسل الفضل بن الريبع إلى أسد بن مزيد ودعاه لحرب طاهر بعد أن ول الأيمن الخلافة، وشكر لأسد فضل الطاعة والصيحة وشدة الباس وبين التيقية، وطلب منه أرزاق الجندي من المال لستة، وألف فرس تحمل من معه بعد إزاحته علىهم بالأموال، وأن لا يطلب محسان ما يفتح. فقال: قد أشططت! ولا بد من مناظرة أمير المؤمنين ثم ركب ودخل على الأيمن فامر بمحبسه، وقيل إنه طلب ولدي المأمون كانوا عند أحدهما ابنة الهادي ببغداد بحملهما معه، فإن أطاعه المأمون وإلا قتلهما.

فغضب الأمين لذلك وحبسه، واستدعي عبد الله بن حميد بن قحطبة فاشتطر كذلك فاستدعي أسد بن مزيد واعتذر له عن حبس أسد وبعثه لحرب طاهر، وأمر الفضل بأن يجهز له عشرين ألف فارس وشفع في أسد بن أخيه فاطلمة.

ثم سار وسار معه عبد الله بن حميد بن قحطبة في عشرين ألفاً أخرى، وانتهوا إلى حلوان وأقاموا.... وظاهر بوضعه ودس المرجفين في عسكرهما بأن العطاء والمنع ببغداد والجندي يقبضون أرزاقهم. حتى مشي الجندي بعضهم إلى بعض، واختلفوا واقتلاوا ورجعوا من غير لقاء. وتقدم طاهر فنزل حلوان وجاءه هرثمة في جيش من عند المأمون ومعه كتاب بأن يسلم إلى هرثمة ما ملكه من المدن ويتقدم إلى الأهواز ففعل ذلك.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ولما أخذ الأمين كتب العهد من مكة وأمر داود بن عيسى  
وكان على مكة والمدينة يخلع المأمون قام في الناس ونكر نقض  
العهد، وذكراهم ما أخذ الرشيد عليهم من الميثاق لابنه في المسجد  
الحرام أن يكونوا على الظالم، وأن محمدًا بدأ بالظلم والنكث وخلع  
آخره وبايع لطفل صغير رضيع، وأخذ الكتباين من الكعبة  
فخرقهما ظلما ثم دعا إلى خلمه والبيعة للعامون فأجابوه، ونادى  
بنذلك في شعبان مكة وخطبهم. وكتب إلى ابنه سليمان بالمدينة بمثل  
ذلك ففعله، وبنذلك في رجب سنة ست وتسعين. وسار من مكة  
على البصرة وفارس وكرمان إلى المأمون وأخبره فسرًّا بذلك وولاه  
مكاحنة وأضاف إليه ولاية عك وأعطاه خمسمائة ألف درهم وسير  
معه ابن أخيه العباس بن موسى بن عيسى بن موسى على الموسم  
ويزيد بن جرير بن مزيد بن خالد القسري في جند كثيف عاملاً  
على اليمن ومرروا بظاهر وهو محاصر بغداد فاكترمهم وأقام بزيد  
اليمن فبايعه للعامون وأطااعوه.

# حصار بغداد واستيلاء ظاهر عليها ومقتل الأمين

ولما اتصلت بالأئمين هذه الأسوال وقتل الحسين بن علي بن عيسى، شمر لحرب طاير واستعد له وعقد في شعبان سنة ست وستين وأربعينه..... شئ وأمر عليهم علي بن محمد بن عيسى بن نهيك، وأمرهم بالمسير إلى هرثمة فساروا إليه والتقوا بنواحي الهردان في رمضان فانهزموا وأسر قادتهم علي بن محمد فبعث به هرثمة إلى المأمون وترك الهردان، وأقام طاهر بصرص والجبوش تتبعاق من قبل الأئمين فيهزمها. ثم بذل الأئمين الأموال ليستفسد بها عساكرهم فسار إليه من عسكر طاهر نحو من خمسة آلاف ففرق فيهم الأموال وقود جماعة من الحرية ودس إلى رؤساء الجندي في عسكر طاير ورغبهم فتشغلا على طاير وسار كبير منهم إلى الأئمين، وانضموا إلى قواد الحرية وقادوا بغداد وساروا إلى صرصر. فغبي أصحابه كراديس وحرضهم ووعظهم.

ثم تقدم فقاتهم ملياً من النهار وانهزم أصحاب الأمين،  
وغمض أصحاب طاهر عسكراً لهم. ولما وصلوا إلى الأمين فرق فيهم  
الأموال وقود منهم جماعة ولم يعطف المنهزمين شيئاً ودس إليهم  
طاهر واستماهم فشغبوا على الأمين فأمر هؤلاء الحدثين بقتالهم  
وطاهر يراسلهم وقد أخذ رهانهم على الطاعة، وأعطيتهم

عليه ما وراء بابه ووقف الناس يهتئونه بباب الجسر حتى إذا خف عنه الناس قطع الجسر وهرب. وركب الجندي في طلبه وأدركوه على فرسخ من بغداد قتلوا وجاؤوا برأسه إلى الأمين واختفى الفضل بن الربيع عند ذلك فلم يرتفع له على خبر.

استلاء طاهو على، البلاد

ولما جاء كتاب المؤمن بالمسير إلى الأهواز قدم إليها الحسين بن عمر الرستماني وسار في أثره وأتته عيونه بأن محمد بن يزيد بن حاتم قد توجه من قبل الأمين في جند ليمحي الأهواز من أصحاب طاهر، فبعث من أصحابه محمد بن طالوت ومحمد بن العلاء والعباس بن مخارا أخذهان مددلاً للرستماني. ثم أمرهم بقريش بن شبل ثم سار بنفسه حتى كان قريباً منهم وأشرفوا على محمد بن يزيد بعسرك مكرم وقد أشار إليه أصحابه بالرجوع إلى الأهواز والتحصن بها حتى تأيه قومه الأزد من البصرة، فرجع وأمر طاهر قريش بن شبل بابيعه قبل أن يتحصن بالأهواز، فخرج لذلك وفاته محمد بن يزيد إلى الأهواز وجاء على أثره فاقتلاه قتلاً شديداً، وفر أصحاب محمد واستنمات هو ومواليه حتى قتلوا.

وملك طاهر الأهواز وولي على اليمامة والبحرين وعمان  
ثم سار إلى واسط وبها السندي بن يحيى الحرشي والهيثم بن شعبة  
خلفية خزية بن حازم، فهو عنها ولكلها طاهر وبعث قائداً من  
قواده إلى الكوفة وبها العباس بن الهادي، فخلع الأمين وبإيع  
للأمون وكتب بذلك إلى طاهر، وكذلك فعل المنصور بن المهدى  
بالبصرة والمطلب بن عبد الله بن مالك بالموصل، وأقرهم طاهر  
على أعمالهم.

وبعث الحارث بن هشام وداود بن موسى إلى قصر ابن هبيرة وأقام بمبرج حباباً ولما بلغ الخبر بذلك إلى الأمين بعث محمد بن سليمان الفائد ومحمَّد بن حاد البريري إلى قصر ابن هبيرة فقاتلهم الحارث وداود قتالاً شديداً وهزموا هم إلى بغداد. وبعث الأمين أيضاً الفضل بن موسى على الكوفة، فبعث إليه طاهر بن العلاء في جيش فلقيه في طريقه فراراً مسالته بطاعة المأمون كياداً ثم قاتله فانهزم إلى بغداد. ثم سار طاهر إلى المدائن وعليها البرمكي والمدد متصل له كل يوم. فقدم قريش بن شبل، فلما أشرف عليهم وأخذ البرمكي في التعبية فكانت لا تتم له، فأطلق سبيل الناس وركب بعضهم بعضاً نحو بغداد، وملك طاهر المدائن ونواحيها ثم نزل صرصر وعقد بها سراً.

الأموال. فسار فنزل بباب الأنبار يقواده وأصحابه واستأمن إليه والغوغاء.

ويقال: بل كاتبه طاهر وقبض ضياعه فخرج عن الأمين  
وقصد المشرش ومن معه جزيرة العباس من نواحي بغداد فقاتلهم  
بعض أصحاب طاهر وهزموهم وغرق منهم خلق كثير وضجر  
الأمين وضعف أمره وسار المؤمن بن الرشيد إلى المأمون فولاه  
جرجان وكاتب طاهر خزاعة بن حازم ومحمد بن علي بن موسى  
بن ماهان وأدخلهما في خلع الأمين فأجاباه ووبثا آخر عمر من  
سنة ثمان وتسعين فقطعا جسر دجلة وخلع الأمين ويعث إلى  
هرثمة وكان يازانهما فسار إليهما من ناحيته ودخل عسكر المهدى  
وملكه وقدم طاهر من الغد إلى المدينة والكرخ فقاتلهم وهزهم  
وملكها عنوة ونادى بالأمان ووضع الجندي بسوق الكرخ وقصر  
الرواضح وأحاط بهدية المصور وقصر زبيدة وقصر الخلد من باب  
الجسر إلى باب البصرة وشاطئ الصراء إلى مصبهما في دجلة ونصب  
عليها الجاذيق.

واعتصم الأمين في أمّه وولده بمدينة المنصورة، اشتد عليه الحصار وثبت معه حاتم بن الصقر والحرشي والأفارقة. وافتراق عامة الجنود والمخربان والجنواري في الطرق وجاء محمد بن حاتم بن الصقر وحمد بن إبراهيم بن الأغلب الأفريقي إلى الأمين وقالا له: بقي من خيلك سبعة آلاف فرس مختار سبعة آلاف ونعلمهم عليها وخرج على بعض الأبواب ولا يشعر بما أخذ ونزلت بالجزرية والشام فيكون ملك جديد، ورئا مايل إيك الناس ويحدث الله أمرًا فاعتزم على ذلك وبلغ الخبر إلى طاهر فكتب إلى سليمان بن المنصور وحمد بن عيسى بن نهيك والسندي بن شاهك ينهدهم إن لم يصرفوه عن ذلك الرأي. فدخلوا على الأمين وحدروه من ابن الصقر وابن الأغلب أن يجعل نفسه في أيديهم فيقتربوا به إلى طاهر وأشاروا عليه بطلب الأمان على يد هرثمة بن أعين والخروج إليه وخالفهم إليه ابن الصقر وابن الأغلب.

وقالوا له: إذا ملت إلى الخارج فظاهر خير لك من هرثمة فأبى وتطير من ظاهر وأرسل إلى هرثمة يستأمنه. فاجابه أنه يقاتل في أمانة المأمور فمن دونه وبلغ ذلك ظاهراً فعظم عليه أن يكون الفتح هرثمة واجتمع هو وقواه هرثمة وقواه في منزل خزنة بن حازم، وحضر سليمان والستني وابن نهيك وأخبروا ظاهراً أنه لا يخرج إليه أبداً وأنه يخرج إلى هرثمة ويدفع إليه الخاتم والقضيب والبردة وهو الخلافة فرضي:

ثم جاءه المرض وأسر إليه أنهم يخادعونه وأنهم يحملونها مع الأمين إلى هرثمة فغضب وأعد رجالاً حول قصور الأمين،

كثير من جند الأمين، وثارت العامة وفاقت السجون، ووُثب الشطار على الأخيار ونزل زهير بن مسيب الضبي من ناحية ونصب المجانيق والغرادات، وحفر الخنداق ونزل هرثمة بناحية أخرى وفعل مثل ذلك.

ونزل عبيد الله بن الوضاح بالشمامية ونزل طاهر بباب الأنبار فضيق على الأمين بمنزلة وفقد ما كان بيده الأمين من الأموال، وأمر ببيع ما في الخزائن من الأمة وضرب آنية الذهب والفضة ليفرقها في الجندي، وأحرق الحديثة فمات بها خلق، واستأمن سعيد بن مالك بن قادم إلى طاهر فولاه الأسواق وشاطئن دجلة، وأمره بمحفر الخنادق وبناء الحيطان وكل ما غلب عليه من الدروب، وأمده بالرجال والأموال. ووكل الأمين بقتصر صالح وقصر سليمان بن المنصور إلى دجلة بعض قواه فالحال في إحراق الدور والرمي بالمجايرق وقتل طاهر مثل ذلك. وكثيرون يبغداد وصار طاهر يخندق على ما يمكنه من التواهي ويقاتل من لم يحبه، وقبض ضياع من لم يخرج إليه من بي هاشم والقواد وعجز الأجناد عن القتال.

وقام به البايعة والعيارون وكثروا ينهبون أموال الناس.  
واستأمن إلىه القائد الموكيل بقصر صالح فامنه وسلم إليه ما كان  
يده من تلك الناحية في جاهد الأخيرة من سنة سبع. واستأمن  
إليه محمد بن عيسى صاحب الشرطة فوهن الأمين. واجتمع  
العيارون والبايعة والأجناد وقاتلوا أصحاب طاهر في قصر صالح،  
وقاتلوا منهم خلفاً وكاتب طاهر القراد بالأمان وبيعة المأمون فأجابه  
بنو قحطبة كلهم ويحيى بن علي بن ماهان ومحمد بن أبي العباس  
الطائي وغيرهم. وفشل الأمين وفرض الأمر إلى محمد بن عيسى  
بن نهيك وللحسن المرض، ومعهم الغوغاء يتولون أمر تلك  
الفترة. وأغفل الناس من بغداد واقتربوا إلى البلاد.

ثم خرج الحسن المرش في جماعة من السفلة واتبعه كثير من بوادي الأغраб ودعا إلى الرضا من آل محمد وأئم النيل فجئ بالآموال ونهب القرى وولى المأمون الحسن بن سهل أخا الفضل على ما افتخه طاهر من كور الجبل والعراق وفارس الأهواز والخازار واليمن، فقدم سنة تسعية وتسعين وفرق العمال وولى طاهراً على الجزيرة والموصل والشام والمغرب وأمره أن يسير إلى قتال نصر بن شبيب، وأمر هرثمة بالمسير إلى خراسان وكان نصر بن شبيب من بني عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر في كيسوم شمالي حلب، وكان له ميل إلى الأمين. فلما قتل ألهير الوفاء له بالبيعة وغلب على ماجاوره من البلاد، وملك سهيل طاهراً واجتمع عليه خلق كثير من الأغраб وعبر إلى شرقى العراق وحضر حران.

وسأل منه شيعة الطالبين أن يابعوا بعض آل علي لا راوه من بني العباس ورجالهم وأهل دولتهم وقال: والله لا أبيع أولاد السوداوات، فيقول: إنه خلقي ورزقني. قالوا: فبعض بني أمية قال: قد أدب أمرهم والمدبر لا يقبل ولو سلم علي رجل مدبر لأعداني بإداره، وإنما هواي في بني العباس، وإنما حاربتهم لتقديهم العجم على العرب. ولما سار إليه طاهر نزل الرقة وأقام بها وكتب إليه يدعوه إلى الطاعة وترك الخلاف فلم يجده وجاء الخبر إلى طاهر في الرقة بوفاة أبيه الحسين بن زريق بن مصعب بن خراسان وأن المأمون حضر جنازته، ونزل الفضل قبره وجاءه كتاب المأمون يعزيه فيه.

ويعد قتل الأمين كانت الرقعة بالموصل بين الإمامية والتزاوية وكان علي بن الحسن الحمداني متغلباً على الموصل فعصف بالتزاوية وسار عثمان بن نعيم البرجمي إلى ديار مصر وشكى إلى أحيانهم واستقر لهم فسار معه من مصر عشرون ألفاً وأرسل إليهم علي بن الحسن بالرجوع إلى ما يريدون، فألبى عثمان فخرج علي في أربعة آلاف فهزهم واثنخن فيهم وعاد إلى البلد.

### ظهور ابن طباطبا العلوي

لما بعث المأمون الحسن بن سهل إلى العراق وولاه على ما كان افتخه طاهر من البلاد والأعمال تحدث الناس أن الفضل بن سهل غلب على المأمون واستبد عليه وحجه عن أهل بيته وقواده، فقضى بتو هاشم ووجوه الناس واجترروا على الحسن بن سهل وهاجت الفتنة وكان أبو السرايا السري بن منصور ويذكر أنه من بني شيبان من ولد هانى بن قبيصة بن هانى بن

وبعث إليه هرثمة لخمس بقين من حرم سنة ثمان وتسعين بأن يتربيص ليلة لأنه رأى أولئك الرجال بالشط فقال: قد افترق عني الناس ولا يمكنني المقام لثلا يدخل على طاهر فيقتلني. ثم دع ابنه وبكي وخرج إلى الشط وركب حراقة هرثمة. وجعل هرثمة يقبل بيده ورجليه وأمر بالحرقة أن تدفع وإذا باصحاب طاهر في الزواريق فشدوا عليها ونقبوها ورمومهم بالأجر والنشاب فلم يرجعوا ودخل الماء إلى الحرقة ففرقته.

قال أحد بن سالم صاحب المظالم: فسقط الأمين وهو هرثمة وسقطنا فتعلق الملاح بشعر هرثمة وأخرجه وشق الأمين ثيابه. قال: وخرجت إلى الشط فحملت إلى طاهر فسألي عن نفسي فانتسبت وعن الأمين قلت غرق فحملت إلى بيت وحبست فيه حتى أعطيتهم مالاً فادتيهم به على نفسى. وبعد ساعة من الليل فتحوا على الباب وأدخلوا علي الأمين عزيان في سراويل وعمامة وعلى كتفه خرقة فاسترجمت وبكت. ثم عرفني فقال: ضمني إليك فإنني أجد وحشة شديدة، فضمته وقلبه يخفق فقال: يا أحد! ما فعل أخي؟ فقلت: حي قال: تبع الله يريدهم كان يقول قد مات، يريد بذلك العذر عن محاربته فقلت: بل تبع الله وزرامك، فقال: تراهم يفون لي بالأمان؟ قلت: نعم إن شاء الله.

ثم دخل محمد بن حميد الطاهري فاستبانت حتى عرفه وانصرف، ثم دخل علينا متصرف الليل قوم من العجم متضيئين سيوفهم فدانع عن نفسه قليلاً ثم ذهبوه ومضوا برأسه إلى طاهر ثم جاؤوا من السحر فأخذوا جنته. ونصب طاهر الرأس حتى رأه الناس ثم بعث به إلى المأمون مع ابن عممه محمد بن الحسن بن مصعب ومعه الحاتم والبردة والقصيب وكتب معه بالفتح فلما رأه المأمون سجد.

ولما قتل الأمين نادى طاهر بالأمان ودخل المدينة يوم الجمعة فصلى بالناس وخطب للمأمون وذم الأمين، ووكل بمحفظ القصور الخلافية، وأخرج زبيدة أم الأمين وابنه موسى وعبد الله إلى بلاد الزاب الأعلى. ثم أمر تحمل الولدين إلى المأمون وندم الجندي على قتلهم طاهراً بالأموال فارتاتب مجند بغداد وبجنده أنهم تواظروا عليه وثاروا به لخمن من قتل الأمين. فهرب إلى عقر قوبها ومعه جماعة من القواد ثم تبعي لقتالهم فجاؤوا واعتذروا وأحالوا على السفهاء والأحداث فصفع عنهم وتوعدهم أن يعودوا ملثلاً، وأعطاهم أربعة أشهر. واعتذر إليه مشيخة بغداد وحلقاً أنفسهم لم يدخلوا الجندي في شيء من ذلك، فقبل منهم ووضعت أهل الحرب أوزارها واستوست الأمر للmAمون في سائر الأعمال والممالك.

أبو السرايا متصرف رجب وقتله ولم يقتل من أصحابه أحد كانوا بين قتيل وأسير، وضرب أبو السرايا الدرام بالكرفة وبعث جيوشاً إلى البصرة وواسط، وولى على البصرة العباس بن محمد بن عيسى بن محمد الجعفري، وعلى مكة الحسين الأفطس بن الحسين بن علي زين العابدين وجعل إليه الموسم. وعلى اليمن إبراهيم بن موسى بن جعفر الصادق، وعلى فارس إسماعيل بن موسى بن جعفر الصادق، وعلى الأهواز زيد بن موسى الصادق، فسار إلى البصرة وأخرج عنها العباس بن محمد بن داود بن الحسن الشن الشن إلى المدائن وأمره أن يأتي بغداد من الجانب الشرقي ففعل.

وكان بواسط عبد الله بن سعد الخريشى من قبل الحسن بن سهل فرق أمامهم وبعث الحسن بن سهل إلى هرثمة يستدعيه لحرب أبي السرايا، وكان قد سار إلى خراسان مغاضبًا له، فرجع بعد امتناع، وسار إلى الكوفة في شعبان وبعث الحسن إلى المدائن وواسط علي بن أبي سعيد وأبلغ الخبر أبي السرايا وهو يقتصر ابن هيبة فوجه جيشاً إلى المدائن فملكتها في رمضان. وتقدم فنزل نهر صرصر وعسكر هرثمة بizarane غدوة. وسار علي بن أبي سعيد في سؤال المدائن فحاصر بها أصحاب أبي السرايا، ورجع هو من نهر صرصر إلى قصر ابن هيبة وهرثمة وأتباعه، ثم حصره وقتل جماعة من أصحابه فاخذ إلى الكوفة ووثب الطاليون على دور بني العباس وشيعتهم فنهبواها وخربواها وأخرجوها واستخرجوا ودائهم عند الناس، وكان على مكة داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي، فلما بلغه قドوم حسين الأفطس جمع شيعةبني العباس.

وكان مسرور الكبير قد حج في مائة فارس قتبى للحرب ودعا داود إلى حربهم فقال: لا تستحل ذلك في الحرم وخرج إلى العراق وتبعد مسرور. وكان حسين الأفطس بـسـرـفـ يـخـافـ دـخـولـ مـكـةـ فـبـلـغـةـ الـخـبـرـ أـنـ مـكـةـ قـدـ دـخـلـتـ مـنـ بـنـيـ الـعـبـاسـ فـدـخـلـ فـعـلـةـ عـشـرـةـ أـنـفـسـ طـافـ وـسـعـيـ وـوـقـفـ بـعـرـفـ لـيـلـاـ وـأـمـ الحـجـ. وأـقـامـ هـرـثـمـةـ سـنـتـ سـعـ وـتـسـعـينـ، وـقـيـلـ: إـنـ أـبـيـ السـرـايـاـ مـطـلـهـ هـرـثـمـةـ بـأـرـزـاقـ أـصـحـابـهـ فـغـضـبـ وـضـعـيـهـ إـلـىـ الـكـوـفـةـ فـبـاـيـعـ أـيـنـ طـبـاطـبـاـ. ولـاـ مـلـكـ الـكـوـفـةـ هـرـعـ إـلـىـ النـاسـ وـالـأـعـرـابـ مـنـ التـوـاحـيـ فـبـاـيـعـوهـ، وـكـانـ عـلـيـهـ سـلـيـمانـ بـنـ الـمـنـصـورـ مـنـ قـبـلـ الـحـسـنـ بـنـ سـهـلـ فـبـعـثـ إـلـيـهـ زـهـيرـ بـنـ الـمـسـبـ الضـيـبيـ فـعـشـرـةـ لـآـفـ طـبـاطـبـاـ وـأـبـوـ السـرـايـاـ فـهـزـمـوهـ وـاسـتـبـاحـوـ عـسـكـرـهـ وـأـصـبـحـ مـعـمـدـ بـنـ طـبـاطـبـاـ مـنـ الـقـدـ مـيـاـ فـنـصـبـ أـبـوـ السـرـايـاـ مـكـانـهـ غـلامـاـ مـنـ الـعـلـوـيـ، وـهـوـ مـحـمـدـ بـنـ جـعـفـرـ بـنـ مـحـمـدـ بـنـ زـيـدـ بـنـ عـلـيـ بـنـ الـحـسـنـ وـاسـتـبـدـ عـلـيـهـ.

وـرـجـعـ زـهـيرـ إـلـىـ قـصـرـ أـبـيـ هـيـبـةـ فـأـقـامـ بـهـ وـبـعـثـ الـحـسـنـ بـنـ سـهـلـ عـدـوـسـ بـنـ مـحـمـدـ بـنـ خـالـدـ الـمـرـوـرـوـذـيـ فـيـ أـرـبـعـةـ آـلـافـ فـلـقـيـهـ

مسعود، وـقـيـلـ: مـنـ بـنـيـ تـعـيمـ بـالـجـزـيرـةـ وـطـلـبـ فـعـيرـ إـلـىـ شـرـقـيـ الـفـراتـ وـأـقـامـ هـنـاكـ بـيـنـيـفـ السـابـلـةـ، ثـمـ لـخـ بـيـزـيدـ بـنـ مـزـيدـ بـأـرـبـنـيـةـ فـيـ ثـلـاثـيـنـ فـارـسـاـ فـقـودـهـ وـقـاتـلـ مـعـهـ الـحـرمـيـةـ وـأـسـرـ مـنـهـمـ وـأـخـذـ مـنـهـمـ غـلامـاـ أـبـاـ الشـوـكـ.

وـمـاتـ بـنـ مـزـيدـ بـنـ مـزـيدـ فـكـانـ مـعـ اـبـنـهـ أـسـدـ وـعـزـلـ أـسـدـ فـسـارـ إـلـىـ أـحـدـ بـنـ مـزـيدـ. وـلـمـ بـعـثـ الـأـمـيـنـ أـمـدـ بـنـ مـزـيدـ لـحـرـبـ هـرـثـمـةـ بـعـثـهـ طـلـيـعـةـ إـلـىـ عـسـكـرـهـ، فـاسـتـمـالـهـ هـرـثـمـةـ فـمـالـ إـلـيـهـ وـلـخـ بـهـ وـقـصـدـ بـنـيـ شـيـانـ مـعـ الـجـزـيرـةـ وـاسـتـخـرـ لـهـ الـأـرـزـاقـ مـنـ هـرـثـمـةـ وـاجـتمـعـ إـلـيـهـ أـزـيدـ مـنـ الـفـيـ قـارـسـ. فـلـمـ قـتـلـ الـأـمـيـنـ تـعـصـيـ هـرـثـمـةـ عنـ أـرـزـاقـهـ فـغـضـبـ وـاسـتـأـذـنـ فـالـحـجـ فـاذـنـ لـهـ وـأـعـطـاهـ عـشـرـيـنـ لـفـتـ درـهـ فـفـرـقـهـ فـيـ أـصـحـابـهـ وـمـضـيـهـ وـأـصـحـاـمـ بـأـيـاعـهـ، فـاجـتمـعـ لـهـ مـنـهـمـ غـلـبـ مـاتـيـنـ وـسـارـ إـلـىـ عـيـنـ التـمـ فـأـخـذـوـاـ عـاـمـلـهـاـ وـقـسـمـوـ مـالـهـ وـلـقـواـ عـاـمـلـاـ أـخـرـ بـالـمـالـ مـوـفـرـ عـلـىـ ثـلـاثـةـ أـفـارـقـاتـسـمـوـهـ.

وـأـرـسـلـ هـرـثـمـةـ عـسـكـرـاـ خـلـفـهـ فـهـزـمـهـ وـدـخـلـ الـبـرـيـهـ وـلـخـ بـهـ مـنـ تـخـلـفـ مـنـ أـصـحـابـهـ فـكـثـرـ جـعـهـ وـسـارـ خـلـوـ دـقـوتـاـ وـعـلـيـهـ أـبـوـ ضـرـغـامـةـ فـيـ سـبـعـمـائـةـ فـارـسـ فـخـرـ وـقـاتـلـهـ فـهـزـمـهـ وـرـجـعـ إـلـىـ الـقـصـرـ فـحـاصـرـهـ أـبـيـ السـرـايـاـ حـتـىـ نـزـلـ عـلـىـ الـأـمـانـ وـأـخـذـ أـمـوـالـهـ. وـسـارـ إـلـىـ الـأـنـيـارـ وـعـلـيـهـ إـبـرـاهـيمـ الشـرـوـيـ مـوـلـيـ الـمـنـصـورـ فـقـتـلـهـ وـأـخـذـ مـاـ فـيـهـ وـعـادـ إـلـيـهـ عـنـ إـدـرـاكـ الـغـلـالـ فـأـتـحـتـهـاـ. ثـمـ قـصـدـ الرـقـةـ وـمـرـ بـطـرـقـ بـنـ مـالـكـ الـتـعلـيـ فـاستـجـاشـهـ عـلـىـ قـيـسـ فـأـقـامـ عـنـهـ أـرـبـعـةـ أـشـهـرـ يـقـاتـلـ قـيـسـ بـعـصـيـةـ رـبـعـةـ حـتـىـ اـقـادـتـ قـيـسـ إـلـىـ طـرـقـ.

وـسـارـ أـبـوـ السـرـايـاـ إـلـىـ الرـقـةـ فـلـقـيـ مـحـمـدـ بـنـ إـبـرـاهـيمـ بـنـ إـسـمـاعـيلـ بـنـ إـبـرـاهـيمـ بـنـ الـحـسـنـ الشـنـ الشـنـ بـنـ الـسـبـطـ بـنـ عـلـيـ وـتـلـقـ أـبـرـاهـيمـ طـبـاطـبـاـ فـدـعـاهـ إـلـىـ الـخـرـوـجـ، وـأـنـفـذـ إـلـىـ الـكـوـفـةـ فـدـخـلـاـهـاـ مـهـلـهـاـ عـلـىـ بـيـعـ الرـضـاـ مـنـ أـلـ مـعـدـ، نـهـبـ أـبـوـ السـرـايـاـ قـصـرـ الـعـبـاسـ بـنـ مـوـسـىـ بـنـ عـيـسـىـ، وـأـخـذـ مـاـ فـيـهـ مـنـ الـأـمـوـالـ وـالـجـواـهـرـ مـاـ لـاـ يـحـصـيـ، وـذـلـكـ مـتـصـفـ جـادـيـ الـأـخـرـيـةـ سـنـتـ سـعـ وـتـسـعـينـ، وـقـيـلـ: إـنـ أـبـيـ السـرـايـاـ مـطـلـهـ هـرـثـمـةـ بـأـرـزـاقـ أـصـحـابـهـ فـغـضـبـ وـضـعـيـهـ إـلـىـ الـكـوـفـةـ فـبـاـيـعـ أـيـنـ طـبـاطـبـاـ. ولـاـ مـلـكـ الـكـوـفـةـ هـرـعـ إـلـىـ النـاسـ وـالـأـعـرـابـ مـنـ التـوـاحـيـ فـبـاـيـعـوهـ، وـكـانـ عـلـيـهـ سـلـيـمانـ بـنـ الـمـنـصـورـ مـنـ قـبـلـ الـحـسـنـ بـنـ سـهـلـ فـبـعـثـ إـلـيـهـ زـهـيرـ بـنـ الـمـسـبـ الضـيـبيـ فـعـشـرـةـ لـآـفـ طـبـاطـبـاـ وـأـبـوـ السـرـايـاـ فـهـزـمـوهـ وـاسـتـبـاحـوـ عـسـكـرـهـ وـأـصـبـحـ مـعـمـدـ بـنـ طـبـاطـبـاـ مـنـ الـقـدـ مـيـاـ فـنـصـبـ أـبـوـ السـرـايـاـ مـكـانـهـ غـلامـاـ مـنـ الـعـلـوـيـ، وـهـوـ مـحـمـدـ بـنـ جـعـفـرـ بـنـ مـحـمـدـ بـنـ زـيـدـ بـنـ عـلـيـ بـنـ الـحـسـنـ وـاسـتـبـدـ عـلـيـهـ.

علي، فاستأتمهم حتى ركب إلى بيت ابنه وسلم إليهم العلام. وجاء إسحاق بن موسى بن عيسى من اليمن فاجتمع الناس وخدعوا مكة وقاتلهم إسحاق وامتنعوا عليه فسار نحو العراق ولقي الجندي الذين بعضهم هرثمة إلى مكة مع الجلودي ورجاء بن جليل، وهو ابن عم الحسن بن سهل. فرجع بهم وقاتل الطالبيين فهزمه وافتلقوا، واستأتموا إليه محمد بن جعفر فامنه ملك مكة وسار محمد بن جعفر إلى الحفة، ثم إلى بلاد جهة فجمع وقاتل هارون بن السيب وإلى المدينة، فانهزم محمد وفتحت عينه وقتل خلق من أصحابه ورجع إلى موسمه. ولما انقضى الموسم استأتم الجلودي ورجاء بن جليل فأمناه ودخل مكة وخطب واعتذر عما فعله بأنه بلغه موت المأمون ثم صر أنه حي، وخلع نفسه وسار إلى الحسن وإلى المأمون بمرو فلم ينزل عنده إلى أن سار المأمون إلى العراق فمات بجرجان في طريقه.

### مقتل هرثمة

لما فرغ هرثمة من أبي السرايا رجع، وكان الحسن بن سهل بالمداشر فلم يرجع عليه وسار على عقرقوبا إلى الهرهرون قاصداً خراسان، ولقيته كتب المأمون متلاحدة أن يرجع إلى الشام والجزار، فلابي إلا لقاءه دالة عليه بما سبق له من نصحه له ولآبائه وكان قصد أن يطلع المأمون على حال الفضل بن سهل في طيه الأخبار عنه وما عند الناس من القلق بذلك، وباستبداده عليه ومقامه بخراسان وعلم الفضل بذلك فأغرى به المأمون والتي إلى أنه سلط أبي السرايا وهو من جنده وقد خالف ك Vick وجاء معانداً سبي القائلة، وإن سوّم في ذلك اجترأ غيره فسخطه المأمون ويفي في انتظاره، ولا بلغ مردّ قرع طبله يسمعها ثلثاً يطوي خبره عن المأمون، وسأل المأمون عنها فقيل: هرثمة أقبل بيرعد ويررق، فاستدعاه وقال هرثمة: مالات العلوين وأبا السرايا ولو شئت إهلاكم جميعاً لفعلت، فذهب يعتذر فلم يمهله وأمر فربس بطنه وشدخ أنهه وسحب إلى السجن ثم دس إليه من قتله.

### انتفاض بغداد على الحسن بن سهيل

ولما بلغ خبر هرثمة إلى العراق كتب الحسن بن سهل إلى علي بن هشام وإلى بغداد من قبله أن يتخلل على الجندي الحرية والبغداديين في أرزاقهم، لأنّه كان بلغه عنهم قبل مسير هرثمة أنّهم عازمون على خلعه وطرده عماله، ولوّوا عليهم إسحاق بن الحادي خليفة المأمون. فلم ينزل الحسن يتلطف إليهم ويكاتلهم

فخرج إليه فقاتله فهزمه وافتلق أصحابه وجاء إلى المعزّل برأس عين من جلولاً ومعه صاحبه محمد وغلامه أبو الشوك ظفر بهم حادماً الكنديغوش وجاء بهم إلى الحسن بن سهل في الهرهرون فقتل أبي السرايا وبعث برأسه إلى المأمون، وبصاحبه محمد معه، ونصب شلوجه على جسر بغداد.

وسار علي بن أبي سعيد إلى البصرة فملكتها من يد زيد بن موسى بن جعفر الصادق، وكان يسمى زيد النار لكثرة ما أحرق من دور العباسيين وشييعتهم فاستأتم إلى زيد فامنه وأخذه، وبعث الجيوش إلى مكة والمدينة واليمن لقتال من بها من العلوين، وكان إبراهيم بن موسى بن جعفر يملك فلما بلغه خبر أبي السرايا ومقتله ولّ وسار إلى اليمن وبها إسحاق بن موسى بن عيسى فهو رب إلى مكة، واستولى إبراهيم على اليمن وكان يسمى الجزار لكثرة قتله وفتكه. ثم بعث رجالاً من ولد عقيل بن أبي طالب إلى مكة ليجح بالناس وقد جاء لذلك أبو الحسن المعتصم في جماعة من القواد منهم حدوبة بن علي بن عيسى بن ماهان واليأ على اليمن من قبل الحسن بن سهل، فخاف العقيلي عن لقائهم واعتراض قافلة الكسوة فأخذها ونهب أموال التجار ودخل الحجاج إلى مكة عراة فبعث الحاردي من القواد فصيّبهم وهزّهم وأسرّ منهم وتفقد أموال التجار وكسوة الكعبة وطبيها وضرب الأسراء عشرة أسواط لكل واحد وأطلقهم وحج المعتصم بالناس.

### بيعة محمد بن جعفر بمكة

هو محمد بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين ويلقب الديبياجة، وكان عالماً زاهداً ويروي عن أبيه وكان الناس يكتبون عنه. ولما ملك الحسين الأفطس مكة كما ذكرناه عاث فيها ونزع كسوة الكعبة وكساها بأخرى من الغد أنفذها أبو السرايا من الكوفة وتبيع ودانع بني العباس وجعلها ذريعة لأخذ أموال الناس فخرجوها من مكة. وقلع أصحابه شبابك الحرم وتلع ما على الأساطين من الذهب واستخرج ما كان في الكعبة من المال فقسمه في أصحابه وسامه أثره في الناس.

فلما قتل أبو السرايا تذكروا له فخشى على نفسه فجاء إلى محمد بن جعفر ليما ياخ له بالخلافة فلم ينزل به هو وابنه حسن واستعنانا عليه بابنه علي حتى يابعوه ودعوه بأمير المؤمنين. واستبدل عليه ابنه علي وابن الأفطس بابساً مما كان قبل، وأفخشووا في الزنا واللواط وأغتصاب النساء والصبيان، فاجتمع الناس على خلع محمد بن جعفر أو يرد إليهم ابن القاضي كان منتصباً ببيت ابنه

إني شغلت بالحرب عن جباهة المخراج فولوا رجلاً من بي هاشم، فولوا المنصور بن المهدى وأحصى عيسى أهل عسکرہ فکانوا مائة ألف وخمسة وعشرين ألفاً. وبعث منصور غسان بن الفرج إلى ناحية الكوفة فغزاه حيد الطرسى من قواد الحسن بن سهل وأخذ أسيراً ونزل النيل. وبعث منصور بن محمد يقطن في العساكر إلى حيد فلقيه حيد بكوثى فهزمه وقتل من أصحابه ونهب ما حول كوثى ورجع إلى النيل وأقام ابن يقطن بصرصرا.

### أمر المطرعة

ولما كثر المهرج ببغداد وامتدت أيدي الدعاوى بأذى الناس في أمرهم وأفتش الماكير فيهم وتعدى ذلك، فخرجوا إلى القرى فاتهروا. واستعدى الناس أهل الأمر فلم يقدروا عليهم فتمشى الصلحاء من عمل ربيظ وكل بينهم ورأوا أنهم في كل درب قليلون بالنسبة إلى خياراتهم فاعتمدوا على مدافعتهم وأشتد خالد المدریوش من أهل بغداد، فدعوا جراثة وأهل محلته إلى الأمر بالمعروف والنهى عن المتكبر من غير أن يغيروا على السلطان. فشد على من كان عندهم من ادعى وحسمهم ورفعهم إلى السلطان وتعدى ذلك إلى غير محلته.

ثم قام بعده سهل بن سلامة الأنباري من الحريشية من أهل خراسان ويكفى أبا حاتم فدعا إلى مثل ذلك وإلى العمل بالكتاب والسنّة وعلق في عنقه مصحفًا وعبر على العامة وعلى أهل الدولة فباعيه على ذلك وعلى قتال من خالف. وبلغ خبرهما إلى منصور بن المهدى وعيسى بن محمد بن أبي خالد فنكرها ذلك لأن أكثرا الدعاوار كانوا يشائعونهم على أمرهم، فدخلوا ببغداد بعد أن عقد عليه الصلح مع الحسن بن سهل على الأمان له ولأهل بغداد، وانتظروا كتاب المأمون ورضي أهل البلد بذلك، فسهل عليهم أمر المدریوش سهل.

### العهد لعلي الرضا والبيعة لإبراهيم بن المهدى

ولما بلغ أهل بغداد أن المأمون قد بابع بالعهد لعلي بن موسى الكاظم ولقبه الرضا من آل محمد، وأمر الجناد بطرح السواد ولبس الحضرة، وكتب بذلك إلى الآفاق، وكتب الحسن بن سهل إلى عيسى بن محمد بن أبي خالد ببغداد يعلمبه بذلك في رمضان من سنة إحدى ومائتين، وأمره أن يأخذ من عنده من الجناد ويني

حتى اختلفوا فأنزل علي بن هشام ومحمد بن أبي خالد في أحد جانبيها، وزهير بن المسيب في الجانب الآخر وقاتلوا الحريشية ثلاثة أيام، ثم صالحهم على العطاء وشرع فيه.

وكان زيد بن موسى بن جعفر قد أخذه علي بن أبي سعيد من البصرة وحبسه كما ذكرناه قبل، فهرب من حبسه وخرج بناحية الأنبار ومعه أخي أبي السرايا. ثم تلاشى أمره وأخذوا.... إلى علي بن هشام ثم جاء خير هرثمة وقد انتقض محمد بن أبي خالد على علي بن هشام بما كان يستحق به، وغضب يوماً مع زهير بن المسيب فقتله بالسوط، فسار إلى الحريشة ونصب لهم الحرب، انهزم علي بن هشام إلى صور. وقيل: إن ابن هشام أقام الخد على عبد الله بن علي بن عيسى فغضب الحريشة وأخرجوه. واتصل ذلك بالحسن بن سهل وهو بالمدائن كما قلناه فانهزم إلى واسط أول سنة إحدى ومائتين، والفضل بن الريبع وقد ظهر من اختفائه من لدن الأئمين. وجاء عيسى بن محمد بن أبي خالد من الرقة من عند طاهر، فاجتمع هو وأبوه على قتال الحسن وهزموه كل من تعرض للقائهم من أصحابه. وكان زهير بن المسيب عاملاً للحسن على جونخي من السواد وكان يكاتب بغداد فركب إليه محمد بن أبي خالد وأخذه أسيراً واتهبه ماله وحبسه ببغداد عند ابنه جعفر.

ثم تقدم إلى واسط وبعثه ابنه هارون إلى النيل فهزمه نائب الحسن بها إلى الكوفة فلحق بواسط ورجع هارون إلى أبيه وتقدم نحو واسط فسار الحسن عنها. وأقام الفضل بن الريبع مخفياً بها واستأمن محمد وبعثه إلى بغداد. وسار إلى الحسن على البقية ولقيتهم عساكر الحسن وقواده، وانهزم محمد وأصحابه وتبعدوا الحسن إلى قام الصلح، ثم لحقوا بيرجايا. ووجه محمد ابن أبيه هارون إلى..... فآتاهها وسار محمد ابن ابنه أبورتيل وهو جريح إلى بغداد فمات بها ودفن في داره سراً. ومحمد أبو رتيل إلى زهير بن المسيب فقتلها من ليلته. وقام خزيمة بن خازم بأمر بغداد، وبعث إلى عيسى بن محمد ببيان يتولى حرب الحسن مكان أبيه، وبلغ الحسن موت محمد فبعث عسکرہ إلى هارون بالليل فغلبوا واتهبوها، ولحق هارون بالمدائن.

ثم اجتمع أهل بغداد وأرادوا منصور بن المهدى على الخلافة فأبى فجعلوه خليفة للمؤمنين ببغداد والعراق اخراجاً عن الحسن بن سهل. وقيل: إن الحسن لما ساعد أهل بغداد على مهانة محمد بن أبي خالد على حرمه خام عنه فلاظته ووعده بالمساهمة ومائة ألف دينار والأمان له ولأهل بيته وأهل بغداد ولاية التواحي، فقبل وطلب خط المأمون بذلك، وكتب إلى أهل بغداد:

سلامة المطروح حتى غلبه على منزله فاختفى في غمار النظار وأخذه بعد ليل وأتوا به إلى إسحاق فقال: كل ما كنت أدعوه إليه باطل فقالوا: اخرج فأعلم الناس بذلك! فخرج وقال: قد كنت أدعوك إلى الكتاب والسنّة ولم أزل على ذلك فضرسوه وقيدوه وبعثوا إلى إبراهيم المهدى فصربه وجسده، وظهر أنه قتل في محبسه خفية لستة من قيامه. ثم أطلقه فاختفى إلى أن افترض أمر إبراهيم.

وزحف حيد بن عبد الحميد سنة ثلاثة وثلاثين إلى قتال إبراهيم بن المهدى وأصحابه وكان عيسى بن محمد بن أبي خالد هو المتولى لقتالهم بأمر إبراهيم، فدخل عليهم في اللدر ببابا إبراهيم وصار يتعلّم عليه في المدافعة عنه، وهي ذلك إلى إبراهيم بن هارون أخي عيسى فتتّر له، ونادى عيسى في الناس بمسالة حيد فاستدعاه إبراهيم وعاتبه بذلك فانكر واعتذر، فأمر به فضرب وجسّس عدة من قواده وأفلت العباس خليفة، فمشى بعض الناس إلى بعض ووافقو العباس على خلع إبراهيم وطردوا عامله من الجسر والكرخ، وثار الرعاع والغوغاء.

وكتب العباس إلى حيد يستقدمه ليسلم إليه بغداد ونزل صرص وخرج إلى العباس والقواد وتراعوا لخلع إبراهيم على أن يدفع لهم العطايا. وبلغ الخبر إلى إبراهيم فما خرج عيسى وإخراه، وسأله قتال حيد فامتنع، ودخل حيد فصلى الجمعة وخطب للأمّون وشرع في العطايا ثم تقطّع عنهم فغضب الجندي. وعاود إبراهيم سؤال عيسى في قتال حيد ومدافعته، فقاتل قليلاً ثم استأنس لهم وانقض العسّكر راجعين إلى إبراهيم.

وارتحل حيد فنزل في وسط المدينة وتسلّل أصحاب إبراهيم إلى المداير فملّكتها وقاتل بيتهم حيد، وكان الفضل بن الريبع مع إبراهيم فتحول إلى حيد وكاتب المطلب بن عبد الله بن مالك بآن يسلمه إليه. وكان سعيد بن الساحور والبط وغيرهم من القواد يقاتلون علي بن هشام بقتل ذلك. ولما علم إبراهيم بما اجتمعوا عليه أقبل على مداراتهم إلى أن جن الليل. ثم تسرّب في البلد وانقض متصرف ذي الحجة من ستة ثلاثة، وبلغ الخبر إلى حيد وعلى بن هشام، فاقتربوا إلى دار إبراهيم فلسم يجدوه، وذلك لستين من بيته. وأقام علي بن هشام على شرقى بغداد وحيد على غربها وأظهر سهل بن سلامة ما كان يدعو إليه فقربه حيد ووصله.

هاشم بذلك، فأجاب بعض وامتنع بعض، وكبر عليهم إخراج الخلاة من بني العباس. وتولى كبر ذلك متصوراً وإبراهيم ابن المهدى وشايجهم عليه المطلب بن عبد الله بن مالك والسدى ونصر الرصيف صالح صاحب المصلى ومنعوا يوم الجمعة من نادى في الناس بخلع الأمّون والبيعة لإبراهيم بن المهدى ومن بعده لإسحاق بن المهدى.

ثم يابوعه في المحرم سنة اثنين وثلاثين ولقبوه المبارك ووعد الجندي بارزاق ستة أشهر، واستولى على الكوفة والسوداد، وخرج فعسكر بالمدائن وولى بها على الجانب الغربي العباس بن المهدى، وعلى الجانب الشرقي إسحاق بن المهدى. وكان بقصر ابن هبيرة حيد بن عبد الحميد عاماً للحسن بن سهل، ومعه القواد سعيد بن الساحور وأبو البط وغانسان بن الفرج ومحمد بن إبراهيم بن الأغلب كانوا منحرفين عن حيد فدخلوا إبراهيم بن المهدى في أن يهلكوه في قصر ابن هبيرة وشعر بذلك الحسن بن سهل فاستقدم حيداً وخلا لهم الجرو منه فبعث إبراهيم بن المهدى عيسى بن محمد بن أبي خالد وملك قصر ابن هبيرة وانتهت عسكر حيد ولحق به ابنه بجواريه.

ثم عاد إلى الكوفة فاستعمل عليها العباس بن موسى الكاظم وأمره أن يدعوه لأنّيه فامتنع غلاة الشيعة من إجادته وقالوا: لا حاجة لنا بذكر الأمّون وقدروا عنه وبعث إبراهيم بن المهدى من القواد سعيداً وأبا البط لقتاله، فسرح إبراهيم العباس بن عمه وهو علي بن محمد الديبياجة فانهزم، ونزل سعيد وأبو البط الحبرة ثم تقدّموا لقتال أهل الكوفة، وقاتلهم شيعة بني العباس ومواليهم. ثم سألوا الأمان للعباس وخرجوا من داره. ثم قاتل أصحابه أصحاب سعيد فهزموهم وأحرقوا دور عيسى بن موسى، وبلغ الخبر إلى سعيد بالخبرة بأن العباس قد تقضى ورجع عن الأمان فركب وجاء إلى الكوفة وقتل من ظفر به ولقيه أهله فاعتذروا إليه بأن هذا فعل الغوغاء، وأن العباس باق على عهده.

ودخل سعيد وأبو البط ونادوا بالأمان وولوا على الكوفة الفضل بن محمد بن الصباح الكندي، ثم عزلوه وولوا مكانه غسان بن الفرج فقتل أخا السرايا. ثم عزلوه وولوا الهول ابن أخي سعيد القائد وقدم حيد بن عبد الحميد لحربيهم بالكوفة، فهرب الهول وبعث إبراهيم بن المهدى بن عيسى بن محمد بن أبي خالد لخسار الحسن بواسط على طريق النيل.

وكان الحسن متحصناً بالمدينة، فسرح أصحابه لقتالهم فانهزما وغنّم عسكراً، ورجع عيسى إلى بغداد فقاتل سهل بن

## قدوم المأمون إلى العراق

وجعل يدعو إلى المأمون سراً وإلى خلع إبراهيم وأن يكون منصور بن المهدي خليفة للمأمون وداخله في ذلك خزيمة بن خازم وغيره من القواد. وكتب إلى علي بن هشام وحيد أن يتقدمها فنزل حميد نهر صرصر وعلى النهروان، وعاد إبراهيم بن المهدي من المدائن إلى بغداد متصرف صفر، وبقبض على منصور وخزيمة ومنع الطلب مواليه، فأمر إبراهيم بنهب داره ولم يظفر، ونزل حميد وعلى بن هشام المدائن وأقام بها.

وزوج المأمون في طريقه إيته من علي الرضا وبعث أخاه إبراهيم بن موسى الكاظم على الموسم، وولاه اليمن وكان به حدودية بن علي بن عيسى بن ماهان قد غلب عليه. ولما نزل المأمون مدينة طوس مات على الرضا فجاء آخر صفر من سنة ثلاثة من عنب أكله، وبعث المأمون إلى الحسن بن سهل بذلك، وإلى أهل بغداد وشيعته يعتذر من عهده إليه، وأنه قد مات ويدعوهم إلى الرجوع لطاعته. ثم سار إلى جرجان وأقام بها أشهرًا وعقد على جرجان لرقاء بن أبي الضحاك قاعدةً وراء النهر، ثم عزله ستة أربع وعقد لغسان بن عباد من قربة الفضل بن سهل على خراسان وجرجان وطبرستان وسجستان وكرمان وروستان ودهار، ثم عزله بظاهر كما ذكره.

ثم سار إلى النهروان فلقيه أهل بيته وشيعته والقواد ووجوه الناس وكان قد كتب إلى طاهر أن يوافيه بها، فجاء من الرقة ولقيه هناك. وسار المأمون فدخل بغداد متصرف صفر من سنة أربع، فنزل الرصافة ثم نزل قصره بشاطيء دجلة، وبقي القواد في المعسكر وانقطعت الفتنة وبقي الشيعة يتكلمون في ليس الخضراء، وكان المأمون قد أمر طاهر بن الحسين أن يسأل حوارجه فأول شيء سأله ليس السواد فأجابه، وقعد للناس وخلع عليه وعليهم الشياط السود واستقامت الأمور.....

كانت الفتنة قد وقعت بالموصل بينبني شامة وبيني ثعلبة وكان علي بن الحسن الهمداني متقلباً عليها في قوله فاستجارت ثعلبة بأخيه محمد فأمرهم بالخروج إلى البرية ففعلوا، وبتهم بنو شامة في النجف رجلاً وحاصروه بالقرحاء ومعهم بنو ثعلبة، وبعث علي وحمد إليهم بالمدد فقتلوا جماعة منبني شامة وأسرروا منهم، ومنبني ثعلبة، فجاء أحد بن عمر بن الخطاب الثعلبي إلى علي فوادعه وسكنت الفتنة. ثم إن علي بن الحسين سطا بين كان في الموصل من الأزد عساً في الحكم عليهم، وقال لهم يوماً: الخلق بعمان! فاجتمع الأزد إلى السيد بن أنس كبيرهم وقاتلوه. وكان في تلك النواحي مهدي بن علوان من الخوارج ف الداخله علي بن الحسين وبابعه وصلى بالناس، واشتدت الحرب.

ما وقعت هذه الفتنة بالعراق بسبب الحسن بن سهل ونفور الناس من استبداده وأخيه علي المأمون ثم من العهد لعلي الرضا بن موسى الكاظم وإخراج الخليفة من بني العباس، وكان الفضل بن سهل يطوي ذلك عن المأمون ويبالغ في إخفائه حذراً من أن يتغير رأي المأمون فيه وفي أخيه. ولما جاء هرثمة للمأمون وعلم أنه يخبره بذلك وأن المأمون يثق بقوله، أحكم السعاية فيه عند المأمون حتى تغير له فقتله ولم يصنع إلى كلامه.

فازدادت نفحة الشيعة وأهل بغداد وكثرت الفتنة وتحدى القواد في عسكر المأمون بذلك ولم يقدروا على إبلاغه، فجاوزوا إلى علي الرضا وسالوه إنهاء ذلك إلى المأمون، فأخبره بما في العراق من الفتنة والقتال، وأنهم بايعوا إبراهيم بن المهدي فقال المأمون: إنما جعلوه أميراً يقوم بأمرهم! فقال: ليس كذلك وإن الحرب الآن والحسن ومكاني وعهدي لي، فقال له المأمون: ومن يعلم هذا غيرك؟ فقال: يحيى بن معاذ عبد العزيز بن عمران وغيرهما من وجوه قرادك. فاستدعاهم فكتعوا حتى استأمنوا إليه ثم أخبروه بما أخبره به الرضا، وأن الناس بالعراق يتهمونه بالرفض لهده لعلي الرضا وأن طاهر بن الحسين مع علم أمير المؤمنين ببلاده قد دفع إلى الرقة وضعف أمره، والبلاد تفتقت من كل جانب، وإن لم يتدارك الأمر ذهبت الخليفة منهم.

فاستيقن المأمون ذلك وأمر بالرحيل واستخلف على خراسان غسان بن عباد وهو ابن عم الفضل بن سهل، وعلم الفضل بن سهل بذلك فشرع في عقب أولئك القواد فلم يغنه. ولما نزل المأمون شربيل وثبت بالفضل أربعة نفر فقتلوه في الحمام وهو بروا، وجعل المأمون جعلًاً لن جاء بهم، فجاء بهم العباس بن الهيثم الدينوري. فلما حضروا عند المأمون قالوا له: أنت أمرتنا بقتلنا! وقيل: بل اختلفوا في القول فقال بعضهم: أمرنا بقتل ابن أخيه، وقال آخرون: بل عبد العزيز بن عمران من القواد وعلى موسى وغيرهم، وأنكر آخرون. فأمر المأمون بقتلهم وقتل من أقربوا عليه من القواد، وبعث إلى الحسن بن سهل وسار إلى العراق.

و جاء الخبر بأن الحسن بن سهل أصابته الماليخوليا واحتللت في بفتح ديناراً مولاً ووكلاً بأمور العسكري وكان إبراهيم بن المهدي وعيسى بالمدائن وأبريل البط وسعيد بالليل والحرب متصلة بينهم. والمطلب بن عبد الله بن مالك قد اعتقل بالمدائن فرجع إلى بغداد

بن أبي خالد فقال: أنت ضمته فسر وأتي به ثم جاء من الغد  
الخبر بموته فقال المأمون للبريد ونقم: الحمد لله الذي قدّمه  
وآخرنا، وول طلحة من قبه وبعث إليه المأمون أحد بن أبي خالد  
يقيّر بمأرله فغير أحد إلى ما وراء النهر وافتتح أشروستة وأسر  
كاوسين خالد أحد وابنه الفضل، وبعث بهما إلى المأمون  
ووَهَب طلحة لأحد بن أبي خالد ثلاثة آلاف الف درهم  
وعروضاً بالف ألف وليكتابته خمسة ألاف الف درهم. ثم خالد  
الحسين بن الحسين بن مصعب بكرا من فسار إليه أحد بن أبي  
خالد وأتي به إلى المأمون فعفا عنه.

ثم كانت إصراً على علي وأصحابه وأخرجهم الأزد عن البلد إلى  
الحديدة ثم اتهموهم قتلوا علياً وأخاه أحد في جماعة، ولما حمد  
إلى بغداد وملك السيد بن أنس والأزد الموصى وخطب للمسامون.  
ولما قدم للمسامون بغداد وقد عليه السيد بن أنس فشكاه محمد بن  
الحسين بن صالح واستعداده عليه بقتل أخيه وقرمه، فقال: نعم يا  
أمير المؤمنين! أدخلوا الخارجى بذلك وأقاموه على منبرك وأبطلوا  
دعوك فأهدر المسامون دمامهم.

ولاية طاهر على خراسان ووفاته

ولاية عبد الله بن طاهر الرقة ومصر

وَمُحَارِبَتِهِ نَصْرٌ بْنُ شَبَّثٍ

وفي سنة ست و ماتت بن بلغ الخبر بوفاة يحيى بن معاذ عامل  
البلجذيرية، وأنه استخلف ابنه أحد، فولى المأمون عبد الله بن طاهر  
مكانه وجعل له ما بين الرقة ومصر، فامرء مهرب نصر بن شبث  
وقيل: ولاه سنة خمس، وقيل: سنة سبع، واستخلف على الشرطة  
بي بغداد إسحاق بن إبراهيم بن الحسن بن مصعب وهو ابن عمته،  
وكتب إليه أبو طاهر كتاباً بالوصية جمع فيه عيّشون الأدب  
والسياسة ومكارم الأخلاق، وقد ذكرناه في مقدمة كتابنا، فسار  
عبد الله بن طاهر لذلك وبعث الجيوش لخصار نصر ابن شبث  
بكيسوم في نواحي جانب، ثم سار إليه بنفسه سنة تسع و ماتتني،  
وأخذ بمحنته. وبعث إلى المأمون محمد بن جعفر العامري يدعوه  
إلى الطاعة، فأجاب علم شرط أن لا يحضر عنده.

فتوقف المأمون وقال: ما باله ينفر مني؟ فقال أبو جعفر: لما  
تقدمن ذنبه. فقال: فتراه أعظم ذنبًا من الفضل بين الرياح وقد  
أخذ جميع ما أوصى له به الرشيد من الأموال والسلاح وذهب مع  
القواعد إلى أخيه، وأسلمه وأفسد على حتى كان ما كان، ومن  
عيسي بن أبي خالد وقد خالف علي بيده وأخرب داري، وبابع  
إبراهيم دوني فقال ابن جعفر: يا أمير المؤمنين هؤلاء لهم سوابق  
ردارلة ييقون بها، ونصر ليست له في دولتكم سابقة وإنما كان من  
جند بي أمية، وأنا لا أجيب إلى هذا الشرط، وللح نصر في الخلاف  
حتى جهده الحصار واستأمن فأمانه عبد الله بن طاهر وخرج إليه  
ستة عشر ويبعث به إلى المأمون وأخرب حصن كيسرون لخمس  
سنتين من حصاره ورجع عبد الله بن طاهر إلى الرقة ثم قدم بغداد  
ستة عشرة فلتقاء العباس بن المأمون والمعتصم وسائر  
الناس.

كان المأمور بعد وصوله إلى العراق قد ول طاهر بن الحسين الجبيرة والشرطة بجانبي بغداد والسوداد، ودخل عليه يوماً في خلوته فإذا له بالجلوس وبكى فنداه. فقال المأمور: أيكي لأمر ذكره ذل وستره حزن، ولن يخلو أحد من شجن، وقضى طاهر حديثه وانصرف. وكان حسين الخادم حاضراً فدس إليه على يد كاتبه محمد بن هارون أن يسأل المأمور عن مكاتبته على مائة ألف درهم ومثلها للكاتب، وخلا حسين بالمأمور وسأله فقطن وقال له: إن الشأن مني ليس بريخيص، والمعروف عندي ليس بضائع فعبي عن غير المأمور. فأجابه وركب إلى المأمور وفاوضه في أمر خراسان وأنها تخشى عليها من الترك وأنّ غسان بن عباد ليس بكفه لها. فقال: لقد نكرت في ذلك فمن ترى يصلح لها؟ قال: طاهر بن الحسين قال: هو خالٍ، قال: أنا ضامنه.

فاستدعاه وعقد له من مدينة السلام إلى أقصى عمل المشرق  
من حلوان إلى خراسان، وعسcker من يومه خارج بغداد وأقام  
شهرًا تعلم إليه كل يوم عشرة آلاف الف درهم عادة صاحب  
خراسان. وولى المأمون مكانه بالجزيرة ابنه عبد الله، وكان ينوب  
عن أبيه بالشّرطة، فحملها إلى ابن عمّه إسحاق بن إبراهيم بن  
مصعب وخرج إلى عمله وزُل الرقة لقتال نصر بن شبيث. ثم سار  
طاهر إلى خراسان آخر ذي القعدة سنة خمس وعشرين.

وقيل في سبب ولادة طاهر خراسان: إن عبد الرحمن المطوع  
جمع جموعاً كثيرة بنيسابور لقتال الحزورية، ولم يستأذن غسان بن  
عياد وهو الوالي على خراسان، فخشى أن يكون ذلك من المأمور  
فاضطرب وتعصب له الحسن بن سهل. وخشى المأمور على  
خراسان فول طاهراً وسار إلى خراسان فأقام بها إلى سنة سبع، ثم  
اعتزم علم الخلاف.

وخطب يوماً فامسک عن الدعاء للامامون ودعا بصلاح الأمة، وكتب صاحب البريد بذلك إلى المأمور بتعلمه، فدعا بأحمد

## الظفر بابن عائشة وبابراهيم بن المهدى

الإفرنجية.

## العمال بالنواحي

لما استقر المأمون ببغداد وسكن المبيح وذلك سنة أربع، ولد على الكوفة أخاه أبي عيسى، وعلى البصرة أخاه صالحًا، وعلى الحرمين عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب، وعلى الموصل السيد بن أنس الأزدي، وول ولد على الشرطة ببغداد ومعاون السواد طاهر بن الحسين استقدمه من الرقة، وكان الحسن بن سهل ولاه عليها فقدم واستخلف ابنه عبد الله عليها. ثم ولد المأمون سنة خمس خراسان وأعمال المشرق كلها واستقدم ابنه عبد الله فجعله على الشرطة ببغداد مكان أبيه. ولد يحيى بن معاذ على الجزيرة وعيسي بن محمد بن أبي خالد على أرمينية وأذربيجان ومحاربة بابل. ومات عامل مصر السري بن محمد بن الحكم فول ابنه عبد الله مكانه.

ومات داود بن يزيد عامل السندي فول بشر بن داود مكانه على أن يجعل الف الف درهم كل سنة. ثم مات يحيى بن معاذ سنة ست واستخلف ابنه أحد فعزله المأمون وول مكانه عبد الله بن طاهر وأضاف إليه مصر، وسيرة محاربة نصر بن شبيب وول عيسى بن يزيد الجلودي محاربة الرطّ سنة خمس، ثم عزله سنة ست وول داود بن منحور مع أعمال البصرة وكور دجلة واليمامة والبحرين، وول في سنة سبع محمد بن حفص على طبرستان والرويان ودباؤند. وفيها أوقع السيد بن أنس بجماعة من عرب بني شيبان ووديعة بما فشا من إفسادهم في البلاد، فكبشهم بالدسكة واستباحهم بالقتل والنهب.

وفي سنة تسع ول صدقة بن علي ويعرف بزريق على أرمينية وأذربيجان وأمره محاربة بابل، وقام بأمره أحد بن الجيند الإسكندرية فأسره ببابل، فول إبراهيم بن الليث بن الفضل أذربيجان. وكان على جبال طبرستان شهريار بن شروين فمات سنة عشر وقام مكانه ابنه سابور، فقتله مازيار بن قاران في حرب أسره فيها وملك جبال طبرستان وفي سنة إحدى عشرة قتل زريق بن علي بن صدقة الأزدي السيد بن أنس صاحب الموصل، وقد كان زريق تغلب على الجبال ما بين الموصل وأذربيجان ووله المأمون عليها، فجمع وقصد الموصل لحرب السيد فخرج إليه أربعة آلاف فاشتد القتال بينهم وقتل السيد في المعركة فغضب المأمون لقتله، وول محمد بن حيد الطوسى على الموصل وأمره بمحرب زريق وبابك الخرمي فسار إلى الموصل واستولى عليها

كان إبراهيم بن محمد بن عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام ويعرف بابن عائشة من تولى كبر البيعة لإبراهيم بن المهدى ومعه إبراهيم بن الأغلب ومالك بن شاهين وكانتوا قد اختفوا عند قدوم المأمون في نواحي بغداد. ولما وصل نصر بن شبيب وخرجت النظارة أخذوا للخروج في ذلك اليوم ثم غلبهم بعض الناس فأخذوا في صفر من سنة عشر، ثم ضربوا حتى أقربوا على من كان معهم في الأمر فلم يعرض لهم المأمون وجسمهم فضاق عليهم الحبس وأرادوا أن يتقوه، فركب المأمون بنفسه وقتلهم وصلب ابن عائشة ثم صلى عليه ودفنه. ثم أخذ في هذه السنة إبراهيم بن المهدى وهو متقب في زي امرأة يمشي بين إمرأتين واستراب به بعض العسس وقال: أين تردد في هذا الوقت؟ فأعطيه إبراهيم خاتم ياقوت في يده فزاد ريبة ورفعهن إلى صاحب المساحة، وجاء بهن إلى صاحب الجسر فذهب به إلى المأمون، وأحضره والغل في عنقه والملجأ على صدره ليراه بن هاشم والناس. ثم جسمه عند أحد بن أبي خالد، ثم أخرجه معه عندما سار الحسن بن سهل ليغنم الصليح، فشقق فيه الحسن وقيل: ابنته بوران، وقيل: إن إبراهيم لما أخذ حل إلى دار المعتض وكأن عند المأمون فادخله عليه وأبنته فيما كان منه. واعتذر بمنظر من الكلام ومتشر أتى فيه من وراء الغابة وهو متقول في كتب التاريخ فلا نظيل بقله.

## انتقام مصر والإسكندرية

كان السري بن محمد بن الحكم والياً على مصر وتوفي سنة خمس وثلاثين، ويقي ابنه عبد الله، فانتقض وخلع الطاعة وأتزل بالإسكندرية جالياً من الأندلس آخر جهم الحكم بن هشام من ربضي قرطبة وغربهم إلى المشرق. ولما نزلوا بالإسكندرية ثاروا وملوكها وولوا عليهم أبا حفص عمر اللوطى. فقتل عبد الله بن طاهر عنهم محاربة نصر بن شبيب، فلما فرغ منه ثار من الشام إليهم، وقدم قائداً من قواده ولقيه ابن السري وقاتلته وأخذ ابن طاهر المسير فلحقهم وهو في القتال، وانهزم ابن السري إلى مصر وحاصره عبد الله بن طاهر حتى نزل على الأمان، وذلك سنة عشر. ثم بعث إلى الجالية الذين ملكوا الإسكندرية بالحرب، فسألوا الأمان على أن يرتحلوا إلى بعض الجزائر في مصر الروم مما يلي الإسكندرية ففعل. ونزلوا جزيرة أقريطيش واستوطنوها وأقامت في مملكة المسلمين من أعقابهم دهراً إلى أن غلب عليها

اثنتي عشرة.

بن عمران وهدموا سورها وجوبيها على سبعة آلاف ألف.

وفي سنة ست عشرة ظهر عبدوس الفهري عصر وقتل بعض عمال المعتصم، فسار المأمون إلى مصر وأصلحها وأتى عبدوس قتله وقدم من برقة وأقام بمصر وفيها غضب المأمون على علي بن هشام ووجه عجيفاً وأحمد بن هشام ليقبض أمراءه وسلامه لما بلغه من عسفه وظلمه وأراد قتل عجيف واللحاق بيابك فلم يقدر وظفر به عجيف وجاء به إلى المأمون فأمر بقتله وظيف برأسه في الشام والعراق وخراسان ومصر ثم القمي في البحر. وقدم غسان بن عباد من السندي ومعه بشر بن داود مستامتاً، فوقى على السندي عمران بن موسى العكي وهرب جعفر بن داود القمي إلى قم فخلع وكان عبوباً بمصر منذ عزله المأمون عن قم فهرب لأن وخلع فقلبه علي بن عيسى القمي ويعث به إلى المأمون فقتل.

### الصوائف

وفي سنة ماتتين قتل الروم ملوكهم إليون لسبعين سنين ونصف من ملوكه، وأعادوا ميخائيل بن جرجس المخلوع، ويقي عليهم تسع سنين. ثم مات سنة خمس عشرة وملك ابنه نوفل وفتح عبد الله بن خرداذبه وإلى طبرستان البلاد والسيرين من بلاد الديلم واقتصر جبال طبرستان، وأنزل شهريار بن شروين عنها وأشخص مازيار بن قارن إلى المأمون وأسر أبا ليل ملك الديلم وذلك سنة إحدى وماتتين. وفيها ظهر بابك الخرمي في الجاوندانية أصحاب جاوندان سهل، وتفسيره الدائم الباقى وتفسير خرم فرج، وكأنوا يعتقدون مذهب الجبوس، وفي سنة أربع عشرة خرج أبو بلال الصابي الشارى، فسرح إليه المأمون ابنه العباس في جماعة من القواد قتلوا.

وفي سنة خمس عشرة دخل المأمون بلاد الروم بالصافحة وسار عن بغداد في المحرم واستخلف عليها إسحاق بن إبراهيم بن مصعب وهو ابن عم طاهر، وولاه السواد وحلوان وكور دجلة، ولما وصل تكريت ليقيه محمد بن علي الرضا فأجازه ورفق إليه ابنته أم الفضل، وسار إلى المدينة فقام بها وسار المأمون على الموصل إلى منبع ثم دابق، ثم انطاكية ثم المصيصة وطرسوس. ودخل من هناك فافتتح حصن قرة عنوة وهدمه. وقيل بل فتحه على الآمان، وفتح حصن ماجد كذلك. وبعثه أنسناس إلى حصن سلس، ودخل ابنه العباس ملطيه ووجه المأمون عجيفاً وجعفر الخياط إلى حصن سنان فاطع. وعاد المعتصم من مصر فلقي

ومات موسى بن حفص عامل طبرستان فوق المأمون مكانه ابنه، وولى حاجب بن صالح على المند فوquette بينه وبين بشر بن داود صاحب السندي حرب. وانهزم بشر إلى كرمان ثم قتل محمد بن حيد الطوسي سنة أربع عشرة قتله بابك الخرمي وذلك أنه لما فرغ من أمر المغليين بالموصل سار إلى بابك في العساكر الكاملة الحشد وتجاوز إلى المضائق ووكل مخنظها حتى انتهى إلى الجبل، فقصد و قد أكمن ببابك الرجال في الشعرا.

فلما جاز ثلاثة فراسخ خرجت عليهم الكمان فانهزموا وثبت محمد بن حيد حتى إذا لم يبق معه إلا رجل واحد فنسدل يطلب النجاة فعنتر في جماعة من الحرية يقاتلون طائفة من أصحابه فقصدوه وقتلوه، وعظم ذلك على المأمون واستعمل عبد الله بن طاهر على خراسان لأنه كان بلغه أن آخاه طلحة بن طاهر مات وقام على أخيه مكانه خليفة لعبد الله، وعبد الله بالدينور مجاهز العساكر إلى ببابك فوق على نيسابور محمد بن حيد فكثر عيش الشوارج بخراسان فأمره المأمون بالمسير إليها فسار ونزل نيسابور وسأل عن سيرة محمد بن حيد فسكنوا فعزله لسكنتهم.

وفي سنة اثنتي عشرة خلع أحمد بن محمد العمري، يعرف بالأحر العين باليمين، فوق المأمون ابنه العباس على الجزيرة والشغر والعراصم وأخاه أبا إسحاق المعتصم على الشام ومصر وسیر عبد الله بن طاهر إلى خراسان وأعطي لكل واحد منهم خسمائة ألف درهم، ويعث المعتصم أبا عميرة الباذغى عاماً على مصر فوثب به جماعة من القيسية واليمانية فقتلوا سنة أربع عشرة، فسار المعتصم إلى مصر فقاتلهم وافتتح مصر وولى عليها واستقامت الأمور. وفي سنة ثلث عشرة ولي المأمون غسان بن عباس على السندي لما بلغه خلاف بشر بن داود.

وفي سنة أربع عشرة استقدم المأمون أبا دلف وكان بالكرخ من نواحي همدان منذ سار مع عيسى بن ماهان لحرب طاهر، وقتل عيسى فعاد إلى همدان وراسله طاهر يدعوه إلى البيعة فامتنع. وقال له: ولا أكون مع أحد وأقام بالكرخ. فلما خرج المأمون إلى الري أرسل إليه يدعوه فسار نحوه وجلأ بعد أن أغوى عليه أصحابه الامتناع. وفي سنة أربع عشرة قتل باليمين. وفيها ول المأمون علي بن هشام الجبل رقم وأصحابه وأذربيجان وخلع أهل قم و كانوا سالوا الخطيبة من خراجهم وهو ألف ألف درهم لأن المأمون لما جاء من العراق أقام بالاري أيامًا وخفف عنهم من الخراج فطبع أهل قم في مثلها فأبى فامتنعوا من الأداء فسرح إليهم علي بن هشام وعجيف بن عبسة وظفرنا بهم وقتلوا بيسى

بنفسه ومر بنساء، فوشى به إلى العامل فقبض عليه وبعثه إلى عبد الله بن طاهر، فبعثه إلى المعتصم متصرف ربيع أول ستة تسع عشرة، فحبسه عند الخادم مسحور الكبير، ووكل محفظه فهرب من عبسه ليلة الفطر من ستة ولم يوقف له على خبر.

### حرب الزرط

وهم قوم من أخلاق الناس غلبوا على طريق البصرة وعاثروا فيها وأفسدوا البلاد وولوا عليهم رجالاً منهم اسمه محمد بن عثمان، وقام بأمره آخر منهم اسمه سيماق. وبعث المعتصم لحربيهم في هذه السنة عجيف بن عنبة في جندي الآخرة فسار إلى واسط وحاربهم، فقتل منهم في معركة ثلاثة وأسر خمسة، ثم قتلهم وبعث برؤوسهم إلى باب المعتصم وأقام قاتلهم سبعة أشهر. ثم استأمنوا إليه في ذي الحجة آخر السنة وجاؤوا بأجمعهم في سبعة وعشرين ألفاً، المقاتلة منهم اثنا عشر ألفاً فباهم عجيف في السفن على هيئتهم في الحرب ودخل بهم بغداد في عاشراء سنة عشرين، وركب المعتصم إلى الشاشة في سفينة حتى رآهم، ثم غربهم إلى عين زربة فأغارت عليهم الروم فلم يفلت منهم أحد.

### بناء سامراً

كان المعتصم قد أصطنع قوماً من أهل الحرف بمصر وسماهم المطارية وقوماً من سمرقند وأشروستة وفرغانية وسماهم الفرغانية وأكثر من صبيانهم، وكانتوا يركضون الدواب في الطريق ويختلفون بها ركضاً، فيصدرون النساء والصبيان فتأذى العامة بهم، ورما انفرد بعضهم قاتلواه وتاذى الناس من ذلك ونكروه وربما أسمعوا التكبير للمعتصم، فعمد إلى بناء القاطلون، وكانت مدينة بناها الرشيد لم يستتها وخربت، فجددها المعتصم وبنها ستة عشرين وسماها سُرْقَةً من رأى فرختها الناس سامراً وصارت داراً لملوكهم من لدن المعتصم ومن بعده واستخلف بغداد حتى انتقل إليها ابنه الرائق.

### نكرة الفضل بن مروان

كان للمعتصم في ولایة أخيه كاتب يعرف بيعيسي الجرمقاني، واتصل به الفضل بن مروان وهو من البردان، وكان حسن الخط. فلما هلك الجرمقاني استكبه المعتصم وسار معه إلى

المؤمن قبل الموصل، ولقيه العباس ابنه برأس عين. وجاء المؤمن منتصره من العراق إلى دمشق، نعم بلغه أن الروم أغاروا على طرسوس والمصيصة وأنخرنا فيهم بالقتل.

وكب إليه ملك الروم فيه بنفسه فرجع إليهم وافتتح كثيراً من معاقلتهم وأناخ على هرقلة حتى استأمنوا وصالحوه، وبعث المعتصم فافتتح ثلاثين حصنًا منها مطمورة، وبعث بيعيسي بن أكثم فائخن في البلاد وقتل وحرق وسبي. ثم رجع المؤمن إلى كيسوم فاقام بها يومين ثم ارتحل إلى دمشق.

وفي ستة سبع عشرة رجع المؤمن إلى بلاد الروم فأناخ على لؤلؤة فحاصرها مائة يوم، ثم رحل عنها وخلف عجيفاً على حصارها. وجاء نوبل ملك الروم فأحاط به فبعث إليه المؤمن بالمد فارتعش نوبل واستأمن أهل لؤلؤة إلى عجيف، وبعث نوبل في المهادنة والمؤمن على سلوين فلم يحيه. ثم رجع المؤمن ستة ثمان عشرة وبعث ابنه العباس إلى بناء طوانة فبني بها ميلاً في ميل ودورها أربعة فراسخ، وجعل لها أربعة أبواب وقلل إليها الناس من البلدان.

### وفاة المؤمن وبيعة المعتصم

ثم مرض المؤمن على نهر البربرون واشتتد مرضه ودخل العراق وهو مريض فمات بطرسوس وصل إلى المعتصم وذلك لعشرين سنة من خلافه، وعهد لابنه المعتصم وهو أبو إسحاق محمد بوبع له بعد موته، وذلك متصرف رجب من ستة ثمان عشرة وثلاثين. وشعب الجند وهنفوا باسم العباس بن المؤمن فاحضره وباع فسكتوا وخرب لرقته ما كان بناء من مدينة طوانة وأعاد الناس إلى بلادهم وحمل ما أطاق حلله من الآلة وأحرق البالقي.

### ظهور صاحب الطالقان

هو محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي زين العابدين بن الحسين، كان ملازمًا للمسجد بالمدينة فلرمه شيطان من أهل خراسان وزين له أنه أحق بالإمامية، وصار ياتيه بمحاجج خراسان ي Baiعونه. ثم خرج به إلى الجوزجان وأخفاه وأقبل على الدعاء له، ثم حلله على إظهار الدعوة للرضا من آل محمد على عادة الشيعة في هذا الإيمان كما قدمناه. وواقعه قواد عبد الله بن طاهر بخراسان المرة بعد المرة فهزمه وأصحابه، وأخرج ناجياً

ونزل بابل عليه يحاصره وإذا بالأفتشين قد وصل، فأوقع بهم وقتل الكثير من جناته، ونجا بابل إلى موكان وأرسل إلى عسركه في البر فلحقت به، وخرج معهم من موكان إلى البذ. ولما راجع الأفتشين إلى عسركه استمر على حصار بابل وانقطعت عنه الميرة من سائر التواحي، ووجه صاحب مراغة إليه ميرة فلقيتها سرية من سرايا بابل فأخذوها، ثم خلص إليه بغا بما معه من المال ففرقه في العساكر، وأمر الأفتشين قواده فتقدموه ليضيقوا الحصار على بابل في حصن البذ، ونزل على ستة أميال منه. وسار بغا الكبير حتى أحاط بقرية البذ وقاتلهم وقتلوا منهم جماعة فناشر إلى خندق محمد بن حيد من القواد، وبعث إلى الأفتشين في المدد، فبعث إليه أخيه الفضل وأحمد بن الخليل بن هشام وأبا خروس وصاحب شرطة الحسن بن سهر، وأمره بمناجزتهم إلى الحرب في يوم عينه له، فركبوا في ذلك اليوم، وقصدوا البذ وأصابهم برد شديد ومطر.

وقاتل الأفتشين فغلب من بإزائه من أصحاب بابل واشتد عليهم المطر فنزلوا وإنذدوا بغا دليلاً أشرف به على جبل يطل منه على الأفتشين ونزل عليهم التلوج والضباب فنزلوا منازلهم، وعمد بابل إلى الأفتشين فقض مضارعه ومعسركه وضجر أصحاب بغا من مقامهم في رأس الجبل فارتعل بهم ولا يعلم ما تم على الأفتشين، وقصد حصن البذ فتعرف خبر الأفتشين ورجع على غير الطريق الذي دخلوا منه لكترة مضائقه وعقباته وتبعته طلائع بابل فلم يتلفت إليهم مسابقة للمضائق أمامه. وأجنهن الليل وخافوا على أنقاضهم وأمواهم فمسكرون بهم بغا من رأس جبل وقد تبعوا وفنيت أزوادهم وبيتهم بابل فقضهم ونبتوا ما كان معهم من المال والسلاح ونجروا إلى خندقهم الأول في أسفل الجبل وأقام بغا هناك.

وكان طرخان كبير قواد بابل قد استأذنه أن يشتري بقرية في ناحية مراغة، فارسل الأفتشين إلى بعض قواده مراغة فأسري إلىيه وقتله وبعث برأسه.

ودخلت ستة اثنين وعشرين فبعث المتصم جعفرًا الخياط بالعاشر مداداً للأفتشين، وبعث أتياخ بثلاثين ألف درهم لتفقات الجندي فأرسلها وعد، ورحل الأفتشين لأول فصل الرييع، ودنا من الحصن وخندق على نفسه. وجاءه الخبر بأن قائد بابل وأسمه أدرين قد عسرك بإزائه وبعث عياله إلى بعض حصون الجبل، فبعث الأفتشين بعض قواده لاعتراضهم فسلكوا مضائق وملقوا وأغاروا إلى أن لقوا العيال فأخذوه وانصرفو، وبلغ الخبر أدرين فركب لاعتراضهم وحاربهم واستنقذ بعض النساء. وعلم ب شأنهم الأفتشين من علامات كان أمرهم بها أن رأى

الشام فائز. ولما استخلف المتصم استولى على هواه واستتبع الدواوين واحتجر الأموال ثم صار يرد أوامر المتصم في العطايا ولا ينفذها، وانختلفت فيه السعويات عند المتصم ودسوا عليه عنده من ملاً مجلسه ومساخره مَنْ يُعِيرَ المتصم باستبداده عليه ورد أوامره ف Expedited ذلك. ثم تكب ستة عشرین وصادره وبجميع أهل بيته، وجعل مكانه محمد بن عبد الملك بن الزيات وغرب الفضل إلى بعض قرى الموصل.

### محاربة بابل الخرمي

قد تقدم لنا حديث بابل الخرمي وظهوره سنة اثنين ومائتين بدعوة جاوندان بن سهل، وإنخذ مدينة البذ لامتاعه وتولى المأمون حروبه، فهزم عساكره وقتل جماعة من قواده وخرب الحصون فيما بين أربيل وزنجبار، فلما ول المتصم بعث أبا سعيد محمد بن يوسف فبني الحصون التي خربها وشحنتها بالرجال والأقوات، وحفظ الساقية بجلب الميرة. وبينما هو في ذلك أغارت بعض سرايا بابل بتلك التواحي فخرج في طلبهم واستند ما أخذوه، وقتل كثيراً وأسر أكثر، وبعث بالرؤوس والأسرى إلى المتصم.

وكان ابن البعيث أيضاً في قلعة له حصينة من سور آذربجان ملوكها من يد ابن الرواد، وكان يصانع بابل وبسيف سراياه إذا مروا به. ومر به في هذه الأيام قائد عصمه، وأضافه على العادة، ثم قبض عليه وقتل أصحابه وبعث به إلى المتصم، فسأله عن عورات بلاد بابل فذله عليها. ثم جلسه وعقد لقائده الأفتشين حيدر بن كاوس على الجبال، ووجهه لحرب بابل، فسار إليها ونزل بساحتها وضبط الطرق ما بينه وبين أربيل، وأنزل قواده في العساكر ما بينه وبين أربيل يتلقون الميرة من أربيل من واحد إلى الآخر حتى تصل عسكر الأفتشين. وكان إذا وقع بيده أحد من جواسيس بابل يسأله عن إحسان بابل إليه فيضاعفه ويطلقه. ثم إن المتصم بعث بغا الكبير ب عدد الأفتشين بالتفقات وسمع بابل فاعتزم على اعتراضه وأخرب الأفتشين بذلك بعض جواسيسهم، فكتب إلى بغا أن يرعمل من حصن الهرقليا ثم يرجع إلى أربيل ففعل ذلك.

وجاءت الأخبار إلى بابل وركب الأفتشين في يوم موادعه لغا وأخذ المسير، خرجت سرية بابل فلقيت قافلة النهر ولم يصادروا بها فيها فقتلوا من وجدوا فيها من الجندي وفاتهاهم المال. ولقوا في طريقهم الطيش من قواد الأفتشين فهزموه وامتنع بمحنته،

الباب وكسروا على المطوعة وطرحوهم على السور ورمواهم بالحجارة فنالت منهم وضفروا عن الحرب، ثم تماجزوا آخر يومهم وأمرهم الأشين بالأنتراف وداخلهم اليأس من الفتح تلك السنة، وانصرف أكثر المطوعة.

ثم عاود الأشين الحرب بعد أسبوعين وبعث من جوف الليل الفأ من الناشئة إلى الجبل الذي وراء البد حتى يعاينوا الأشين من هذه الناحية فيرموا على الخرمية. وبعث عسكراً آخر كيينا تحت ذلك الجبل الذي وراء البد، وركب هو من الغادة إلى المكان الذي يقف فيه على عادته. وتقدم جعفر الخطاط والقواد حتى صاروا جميعاً حول ذلك الجبل، فربك كمين بابك من أسفل الجبل بالعسكر الذي جاء إليه لما فضحهم الصبح، وأخدر الناشئة من الجبل وقد ركبوا الأعلام على رماهم، وقصدوا جميعاً أدين قائد بابك في جفلة، فاخدر إلى الوادي، فحمل عليه جماعة من أصحاب القواد فرمى عليهم الصخور من الجبل وتحدرت إليهم.

ولما رأى ذلك بابك استأمن للأشين على أن يحمل عياله من البد، وبينما هم في ذلك إذ جاء الخبر إلى الأشين بدخول البد، وأن الناس صدوا بالأعلام فرق قصور بابك حتى دخل وادياً هنالك وأحرق الأشين قصور بابك وقتل الخرمية عن آخرهم، وأخذ أمواله وعياله، ورجع إلى معسكره عند المساء، وخالقه بابك إلى الحصن فحمل ما أمكنه من المال والطعام وجاء الأشين من الغد فهدم القصور وأحرقها وكتب إلى ملوك أرمينية وبطارقهم يذكروا العيون عليه في نواحيهم حتى يأتوه به، ثم عثر على بابك بعض العيون في وادٍ كثير الغياض هو من أذريجان إلى أرمينية بعث من يأتي فلم يعثروا عليه لكثر الغياض والشجر.

وجاء كتاب المعتصم بأمانه بعث به الأشين بعض المستامة من أصحاب بابك فامتنع من قبوله. وقتل بعضهم، ثم خرج من ذلك الوادي هو وأخوه عبد الله ومعاوية وأمه يربدون أرمينية، ورأهم المدرس الذين جاؤوا لأخنه وكان أبو السفاح هو المقدم عليهم فمروا في أتبعهم وأدركوهم على بعض المياه، فركب ونجا وأخذ أبو السفاح معاوية وأم بابك وبعث بهم إلى الأشين وسار بابك في جبال أرمينية مخفياً وقد اذكروا عليه العيون حتى إذا مسه الجروح بعث بعض أصحابه بدنار لشراء قوتهم فعثر به بعض المسلاحة.

وبعث إلى سهل بن سبات فجاءه واجتمع بصاحب بابك الذي كانت حراسة الطريق عليه، ودلله على بابك فاته وخداعه حتى سار إلى حصنه وبعث بالخبر إلى الأشين بعث إليه بقائدتين من قبله وأمرهما بطاقة ابن سبات، فاكمنهما في بعض نواحي

بهم ربياً فركب إليهم فلما أحسوا به فرجوا عن المضيق ونجا القروم، وتقدم الأشين قليلاً قليلاً إلى حصن البد وكان يأمر الناس بالركوب ليلاً للحراسة خوف البيات فضجر الناس من التعب وارتاد في رؤوس تلك الجبال أماكن يتحصن فيها الرجال فوجد ثلاثة فائز فيها الرجال بازواجهم وسد الطريق إليها بالحجارة وأقام يচارهم، وكان يصلبي الصبع بغلس، ثم يسير رحضاً ويضرب الطيول ليزحف الناس لزحفه في الجبال والأردية على مصافهم، وإذا أمسك وقفوا وكان إذا أراد ان يتقدم المضيق الذي أتي منه عام أول خلف به عسكراً على رأس العقبة يحفظونه لثلاثة الحرس منه عليهم. وكان بابك متى زحفوا عليه كمن عسكراً تحت العقبة، واجتهد الأشين أن يعرف مكان الكمين فلم يطق وكان يأمر أبي سعيد وجعفرًا الخطاط وأحد بن الخليل بن هشام فيتدمنون إلى الوادي في ثلاثة كراديس، ويجلس على تلك ينظر إليهم وإلى قصر بابك ويقف ببابك قبالته في عسكر قليل وقد أكمن بقية العسكر في شربون الخمر ويلعبون بالسرياني، فإذا صلي الأشين الظهر رجع إلى خندق بروز الروز مصافاً بعد مصاف، الأقرب إلى العدو ثم الذي يليه، وآخرين ترجع العسكر الذي عقبه المضيق حتى ضجرت الخرمية من المطاولة، وانصرف بعض الأيام وتاخر جعفر فخرج الخرمية من البد على أصحابه فردهم جعفر على أعقابهم، وارتفع الصياح ورجعوا الأشين وقد نشبوا في الحرب.

وكان مع أبي دلف من أصحاب جعفر قوم من المطوعة فضيقوا على أصحاب بابك وكانوا يصدعون البد، وبعث جعفر إلى الأشين يستمدء خسمائة راجل من الناشئة فأتى له وأمره بالتحليل في الإنصراف، وتعلق أولئك المطوعة بالبد وارتفاع الصياح وخرج الكهنة من تحت العقبة، وتبين الأشين أماكنهم واطلع على خدعتهم. وانصرف جعفر إلى الأشين وعاته فاعتذر إليه يستأمن الكمين وأراه مكانه، فانصرف عن عاته وعلم أن الرأي معه.

وشكا المطوعة ضيق العلوة والزاد فأذن لهم في الإنصراف وتناولوه بالستهم، ثم طلبوه في المناهضة فأذن لهم ووداعهم لیسوم معلوم، وتجهز وحمل المال والزاد والماء والمحامل بجرجان، وتقدم إلى مكانه بالأمس وجهز العسكر على العقبة على عادته، وأمر جعفرًا بالتقدم بالطوعة وان يأتوا من أسهل الوجه وأطلق يده من يربده من الناشئة والنفاطين، وتقدم جعفر إلى مكانه بالأمس والمطوعة معه، فقاتلوا وتعلقوا بسور البد حتى ضرب جعفرهم ما به وجاء الفعلة بالفروس وطيف عليهم بالمياه والأزودة ثم جاء الخرمية من

فانتهز الفرصة ثلثاً أو دونها. وظن بابك أن ذلك يدعو المعتصم إلى إنقاذ العساكر لحرب الروم، فيخفف عنه ما هو فيه، فخرج نوفل في مائة ألف وفيهم من الجمرة الذين كانوا خرجوا بالجبال وزمزهم إسحاق بن إبراهيم بن مصعب فلحق بالروم، وبلغ نوفل زبطة فاستباحتها قتلاً وسبياً وأعاد على ملطية وغيرها، ومثل بالأسري. وبلغ الخبر إلى المعتصم فاستعظمه وبلغه أن هاشمية صاحت وهي في أيدي الروم: «امعتصماه فأصاب و هو على سريره: ليك، ليك!».

ونادى بالفتير ونهض من ساعته فركب دابته واحتسب شكلاؤه وسكة من حديد فيها رذاوه. وجمع العساكر وأحضر قاضي بغداد عبد الرحمن بن إسحاق ومعه ابن سهل في ثلاثة وثلاثين من العدول فأشهدهم بما وقف من الضياع، ثلثاً لولده وثلثاً لوليه، وثلثاً لوجه الله. وسار فعسكر بقرى دجلة لليلتين من جادي الأولى ويعث عجيف بن عنيبة وعمر الفرغاني وجاءه من القواد مددًا لأهل زبطة، فوجدوا الروم قد ارتعلوا عنها فأتموا حتى تراجع الناس واطمأنوا.

ولما ظفر ببابك سأله أي بلاد الروم أعظم عندهم فقيل له: عمورية، فتجهز إليها بما لا يأتله أحد قبله من السلاح والألة والعدد، وحياض الأدم والقرب والروايا وجعل مقدمته أشناس، وبعده محمد بن إبراهيم بن مصعب وعلى اليمونة ياتخ، وعلى الميسرة جعفر بن دينار الخياط، وعلى القلب عجيف بن عنيبة وجاء إلى بلاد الروم فقام بسلوبية على نهر السن قريباً من البحر، وعلى مسيرة يوم طرطوس ويعث الأشرين إلى سرور وأمره بالدخول من درب الحرب ويعث أشناس من درب طرطوس وأمره بانتظاره بالصفصاف، وقدم وصيفاً في آخر أشناس وواعدهم يوم اللقاء. ورحل المعتصم لست بقين من رجب، وبلغ الخبر أن ملك الروم عازم على كبس مقدمته فبعث إلى أشناس بذلك وأن يقيم ثلاثة أيام ليتحقق به.

ثم كتب إليه أن يبعث إليه من قواده من يأتيه بخبر الروم ولملكتهم فبعث عمر الفرغاني في مائة فارس، فطاف في البلاد وأحضر جماعة عند أشناس أخبروه بأن ملك الروم بينما هو يتظر المقدمة ليرفعها إذ جاءه الخبر بأن العساكر دخلت من جهة أرمينة يعني: عسكر الأشرين، فاستخلف ابن خاله على عسكره وسار إلى تلك الناحية فوجه أشناس بهم إلى المعتصم، وكتب المعتصم إلى الأشرين بالمقام حذراً عليه وجعل لن يوصل الكتاب عشرة آلاف درهم، وأوغل في بلاد الروم فلم يدركه الكتاب.

وكتب المعتصم إلى أشناس بأن يقدمه المعتصم في أثره حتى

الحصن وأغرى ببابك بالصيد وخرج معه فخرج القائدان من الكمين فأخذاه وجاء به إلى الأشرين ومعهما معاوية بن سهل بن سبات فجسه ووكل بمحفظه وأعطي معاوية ألف درهم، وأتى سهلاً ألف ألف درهم ومنطقة مفرقة بالجلواهر. وبعث إلى عيسى بن يوسف بن أسطقانوس ملك البيلاقان يطلب منه عبد الله أخا بابك، وقد كان جاً إلى حصنه عندما أحاط به ابن سبات فائفه إليه، وجسسه الأشرين مع أخيه.

وكتب إلى المعتصم فأمره بالقدوم بهما وذلك في شوال من سنة اثنين وعشرين، وسار الأشرين بهما إلى ساما فكان يلقاه في كل رحلة رسول من المعتصم مخلعة وفرس. ولما قرب من ساما تلقاه الرائق وكبر لقادمه وأنزل الأشرين وبابك عنده بالملطيرة وتوجه الأشرين والبسه وشاحين ووصله بعشرين ألف ألف درهم وعشرة آلاف ألف درهم يفرفقها في عسكره، وذلك في صفر سنة ثلاث وعشرين.

وجاء أحد بن أبي داود إلى بابك متذكرًا وكلمه، ثم جاء المعتصم أيضاً متذكرًا فرأه. ثم عقد من الغد واصطف النظارة سماطين وجيء ببابك راكباً على فيل، فلما وصل أمر المعتصم بقطع أطرافه ثم بذمته، وأنفذ رأسه إلى خراسان، وصلب شلوه بسامراً ويعث بأخيه عبد الله إلى إسحاق بن إبراهيم ببغداد ليفعل به مثل ذلك ففعل. وكان الذي أفق الأشرين في مدة حصاره لبابك سوى الأرزاق والأرزال والمعارن عشرة آلاف ألف درهم يوم ركوبه لحاربه، وخسنه ألف يوم قعوده. وجميع من قتل ببابك في عشرين سنة أيام قتيبة مائة ألف وخمسة وخمسين ألفاً، وعزم من القواد يحيى بن معاذ وعيسى بن محمد بن أبي خالد وأحد بن الجنيد وزييق بن علي بن صدقة ومحمد بن حيد الطrossy وإبراهيم بن الليث. وكان الذين أسروا مع ببابك ثلاثة آلاف وثلاثمائة والذى استنقذ من يديه من المسلمين وأولادهن سبعة آلاف وستمائة إنسان جعلوا في حظيرة، فمن أتى من أوليائهم وأقام بيته على أحد منهم أخذته، والذي صار في يد الأشرين من بني ببابك وعياله سبعة عشر رجلاً وثلاثة وعشرين امرأة.

## فتح عمورية

وفي سنة ثلاث وعشرين خرج نوفل بن ميخائيل ملك الروم إلى بلاد المسلمين فأوقع بأهل زبطة، لأن ببابك لما أشرف على الهاك كتب إليه أن المعتصم قد وجه عساكره حتى خيطة يعني: جعفر بن دينار وطباخه يعني: لياتخ ولم يبق عنده أحد،

إليهم واستمدتهم فابووا. بعث إلى المعتصم يستأمن فأمته وخرج من الغد إلى المعتصم وكان اسمه وندوا في بينما هو والمعتصم يجادله أوما عبد الوهاب بن علي من بين يديه إلى المسلمين بالدخول فاقتروا من الثلمة ورآهم وندوا فخاف فقال له المعتصم: كل شيء تريده هو لك. ودخل المسلمون المدينة وامتنع الروم بكنيتهم وسطها فأحرقها المسلمين عليهم.

وامتنع باطيس البطريق في بعض أبراجها حتى استنزله المعتصم بالأمان، وجاء الناس بالأسرى والسي من كل جانب، وأصطفى الأشراف وقتل من سواهم وبيعت مغافلهم في خمسة أيام وأحرق الباقى. ووثب الناس على المقام في بعض الأيام ينهبونها فركب المعتصم وسار نحوهم فكتفوا بعمورية فهدمت وأحرقت وحاصرها خسدة وخمسين يوماً من سادس رمضان إلى آخر شوال، وفرق الأسرى على القراد ورجع نحو طرطوس. ولم يزل نوفل ملكاً على الروم إلى أن هلك سنة تسعة وعشرين ومائتين في ولاية الوائى ونصبوا ابنه ميخائيل في كفالة أمه ندوره فأقاموا عليه ست سنين ثم اتهما ابنها ميخائيل بقطع من أقطافها عليها والزمهما بيتها سنة ثلاثة وثلاثين.

### حبس العباس بن المأمون ومهملته

كان المعتصم يقدم الأفتشين على عجيف بن عبيبة ولها بعثة إلى زبطرة لم يطلق يده في النفقات كما أطلق للأفتشين وكان يستقصر شأن عجيف وأفعاله، فطوى عجيف على التكث ولقي العباس بن المأمون فعلمه على تعوده عند وفاة المأمون عن الأمر حتى يبعي المعتصم وأغراه قبلًا في ذلك فقبل العباس منه، ودس رجلًا من بطانته يقال له السمرقندى قرابة عبد الله بن الرضاح وكان له أدب ومداراة فاستأمن له جماعة من القواد ومن خواص المعتصم فبايعوه وواعد كل واحد منهم أن يثبت بالقائد الذي معه فيقتله من أصحاب المعتصم والأفتشين وأشنانس بالرجوع إلى بغداد فلابي من ذلك وقال: لا أفسد العراق. فلما فتحت عمورية وصعب التدبیر بعض الشيء أشار عجيف بأن يضع من ينهب العناائم فإذا ركب المعتصم وثبوه به فعلوا مثل ما ذكرنا. وركب فلم يتجرساوا عليه.

وكان للفرغانى قرابة غلام أمرد في جملة المعتصم فجلس مع ندمان الفرغانى تلك الليلة وقص عليهم ركوب المعتصم فاشتفق الفرغانى وقال: يا بني أقلل من المقام عند أمير المؤمنين والزم حيمتك، وإن سمعت هيبة فلا تخرج فانت غلام غير. ثم ارتحل

إذا كانوا على ثلات مراحل من أنقرة أسر أشنانس في طريقه جماعة من الروم فقتلهم، وقال لهم شيخ منهم: أنا أولك على قوم هربوا من أنقرة معهم الطعام والشعيرة فبعث معه مالك بن كرد في خسمائة فارس فدل بهم إلى مكان أهل أنقرة فتمموا منهم ووجدوا فيهم جرحى قد حضروا وقعة ملك الروم مع الأفتشين، وقالوا: لما استخلف على عسكره سار إلى ناحية أرمينة فلقينا المسلمين صلاة الغداة فهزمناهم وقتلنا رجالهم وافتربت عساكننا في طلبهم، ثم رجعوا بعد الظهر فقاتلتنا وحرقوا عساكننا وقد قاتلنا الملك وأنهزمنا، ورجعنا إلى العسكر فوجئناه قد انتقض وجاء الملك من الغد فقتل نائبه الذي استخلفه، وكتب إلى بلاده بتعاب المهزمين ومواعذتهم بمكان كذا ليقف المسلمين بها. ووجه خصيًّا له إلى أنقرة ليحفظها فرجد أهلها قد أجلوا فأمره الملك بالمسير إلى أشنانس وأطلق الأمير الذي دله.

وكتب أشنانس بذلك إلى المعتصم ثم جاء البشير من ناحية الأفتشين بالسلامة، وأن الواقعة كانت لخمسة بقين من شعبان. وقدم الأفتشين على المعتصم بانقرة ورجل بعد ثلات وأفتشين في ميمونة وأشنانس في ميسرتة وهو في القلب، وبين كل عسكر وعسكر فرسخان، وأمرهم بالتخريب والتحرق وما بين أنقرة وعمورية.

ثم وافق عمورية وقسها على قواده، وخرج إليه رجل من المتصرفة فدلله على عورة من السور ببني ظاهره وأدخل باطنها فضرب المعتصم خجنته قبالته ونصبت عليه الجمايز، فتصدع السور. وكتب بطريقها باطيس والخصي إلى الملك يعلم أنه بشانهما في السور وغيره، فوقع في يد المسلمين مع رجلين.

وفي الكتاب أن باطيس عازم على أن يخرج ليلاً ويسر بعسكر المسلمين ويلحق بالملك فنادي المعتصم حرسه، ثم اشتملت فرقة من السور بين برجين وقد كان الخندق طم بأوعية الجلود المملوءة تراباً ثم ضرب بالذبابات عليها فدحرجها الرجال إلى السور فثبتت في تلك الأروعة وخلص من فيها بعد الجهاد. ولما جاء من الغد بالسلام والنجيقات فقاتلتهم على تلك الثلمة وحارب ويدر بالحرب أشنانس وجمعت النجنيقات على تلك الثلمة وحارب في اليوم الثاني الأفتشين والمعتصم راكب أزاء الثلمة، وأشنانس وأفتشين وخواص الخدام معه.

ثم كانت الحرب في اليوم الثالث على المعتصم وتقدم لاتخ بالغارية والأزراك واشتتد القتال على الروم إلى الليل وفشت فيهم الجراحات، ومشى بطريق تلك الناحية إلى رؤساء الروم، وشكوا

جرجان إلى نيسابور، وأنفذ عبد الله بن طاهر عمه الحسن بن الحسين في جيش كثيف لحفظ جرجان، ف العسكر على الخندق، ثم بعث مولاه حيان بن جبلة إلى قوسن فعسكر على جبال شروين. وبعث المعتصم من بغداد محمد بن إبراهيم بن مصعب وبعث منصور بن الحسن صاحب دنباووند إلى الري، وبعث أبا الساج إلى دنباووند وأحاطت العساكر بهماليه من كل ناحية، وداخل أصحاب الحسن بن الحسين أصحاب سرخاشان في تسليم سورهم وليس بينهما إلا عرض الخندق، فكلموده وسار الآخرون إليه على حين غفلة من القاذفين، وركب الحسن بن الحسين وقد ملك أصحابه السور ودخلوا منه فهرب سرخاشان وقبضوا على أخيه شهريار ققتل، ثم قبض على سرخاشان على خسفة فراسخ من معسركه وجيء به إلى الحسن بن الحسين فقتله أيضاً.

ثم وقعت بين حيان بن جبلة وبين فارق بن شهريار وهو ابن أخي مازيار ومن قواده، مداخللة استتماله حيان، فأجاب أن يسلم مدينة سارية إلى حد جرجان على أن يملكونه جبال آبائه، وبعث حيان إلى ابن طاهر فسجل لقارن بما سأله، وكان قارن في جبلة عبد الله بن قارن أخي مازيار ومن قواده فأحضر جميعهم لطعامه وبغض عليهم، وبعث بهم إلى حيان فدخل جبال قارن في جموعه واعتضم لذلك مازيار، وأشار عليه آخره القرهيار أن يغلي سبيلاً من عنده من أصحابه ينزلون من الجبل إلى مواطنهم لشلاقى من قبلهم، فصرف صاحب شرطه وخرابه وكاتبته حيدة، فلتحقوا بالسهل ووتب أهل سارية بعامله عليهم مهرستان بن شهرير فهرب ودخل حيان سارية.

ثم بعث قرهيار آخر مازيار محمد بن موسى بن حفص عامل طبرستان و كانوا قد حبوه عند انتهاضهم، فيبعث إلى حيان ليأخذ له الأمان وولاية جبال آبائه على أن يسلم إليه مازيار، وعزل قوهيار بعض أصحابه في عدوه بالاستمان عن الحسن إلى حيان فرجع إليهم وكتبوا إلى الحسن يستدعون قوهيار من أخيه مازيار فركب من معسركه بطمسم وجاء لموعدهم ولقي حيان على فرسخ فرده إلى جبال شروين التي افتتحها، ووجهه على غيته عنها فرجع سارية وتوفي، وبعث عبد الله مكانه محمد بن الحسين بن مصعب وعهد إليه أن لا يمنع قارن ما يريد، ولما وصل الحسن إلى خرمباذ وسط جبال مازيار لقيه قاهيار هنالك، واستوثق كل منها من صاحبه، وكاتب عبد الله بن إبراهيم بن مصعب من قواد المعتصم قوهيار بمثل ذلك، فركب قاصداً إليه، وبلغ الحسن خبره فركب في العسكر وحازم يسابق محمد بن إبراهيم إلى قوهيار فسبقه ولقي قوهيار وقد جاء باخيه مازيار فقضى عليه وبعثه مع الاثنين

المعتصم إلى التبور وتغير أشتناس على عمر الفرغاني وأحمد بن الخليل وأباء إليهم فطلبوا من المعتصم أن يضمهم إلى من شاء وشكيا من أشتناس فقال له المعتصم: أحسن أدبهما فجحبهما وحملهما على بغل، فلما صار بالصفاق حديث الغلام ما سمع من تربيه عمر الفرغاني فأمر بما أن ياخذه من عند أشتناس وسأله عن تأويل مقالته فأنكر، وقال: إنه كان سكران، فدفعه إلى لياته.

ثم دفع أحمد بن الخليل إلى أشتناس.... عنده تصحية للمعتصم وأخبره خبر العباس بن المأمون والقواد والحارث السمرقندى فأنفذ أشتناس إلى الحارث وقيده وبعث به إلى المعتصم، وكان في المقدمة فأخبر الحارث المعتصم بجلبة الأمر فاطلقه وخلع عليه، ولم يصدقه على القواد لكثرةهم. ثم حضر العباس بن المأمون واستحلله أن لا يكتم عنه شيئاً فشرح له القصة فحبسه عند الأشتين وتبع القواد بالحبس والتكميل وقتل منهم الشاء بن سهيل ثم دفع العباس للأشتين، فلما نزل متبع طلب الطعام فأطعم ومنع الماء. ثم أدرج في بيع فمات. ولا وصل المعتصم إلى نصبين احتفر لعمر الفرغاني بثرا وطمت عليه، ولما دخلوا بلاد المرصل قتل عجف بمثل ما قتل به العباس واستلهم جميع القواد في تلك الأيام وسموا العباس اللعين. ولا وصل إلى سامراً جلس أولاد المأمون في داره حتى ماتوا.

### انتهاض مازيار وقتله

كان مازيار بن قارن بن وندا هرم صاحب طبرستان وكان منافراً لعبد الله بن طاهر فلا يحمل إليه الخراج وقال: لا أحمله إلا للمعتصم فيبعث المعتصم من يقبضه من أصحابه ويدفعه إلى وكيل عبد الله بن طاهر يرده إلى خراسان. وعظمت الفتنة بين مازيار وعبد الله وعظمت سعاية عبد الله في مازيار عند المعتصم حتى استوحش منه. وما ظفر الأشتين ببابك وعظم عمله عند المعتصم وطبع في ولاية خراسان ظن أن انتهاض مازيار وسيلة لذلك فجعل يستميل مازيار ويعرضه على عداوة ابن طاهر وإن أدت إلى الخلاف ليبعث المعتصم لحرمه فيكون ذلك وسيلة له إلى استيلائه على خراسان ظناً بأن ابن طاهر لا ينهض لمحارته.

فانتقض مازيار وحل الناس على بيته كرهاً وأخذ رهاته وعجل جباية الخراج فاستكثر منه وخرب سور آمد وسور سابة وقتل أهلها إلى جبل يعرف به مازيار وبني سرخاشان سور طمس منها إلى البحر على ثلاثة أيام وهي على حد جرجان وكانت تبني سداً بين الترك وطبرستان وجعل عليه خندقاً ومن أهل

فهزمه الأكراد وأثخنوا في أصحابه بالقتل، وقتل إسحاق بن أنس عم عبد الله فبعث المعتصم مولاه ليتاخت في العساكر إلى الموصل سنة خمس وعشرين وقصد جبل داس فقاتل جعفرًا وقتله وافتلق أصحابه، وأوقع بالأكراد واستباحهم وفروا أمامه إلى تكريت.

### نكبة الأشرين ومقتلها

كان الأشرين من أهل أشرفية تبواها ونشأ بيغداد عند المعتصم وعظم عمله عنده ولما حاصر بابك كان يبعث إلى أشرفية بجميع أمواله، فيكتب ابن طاهر بذلك إلى المعتصم، فيأمره المعتصم بأن يجعل عيونه في ذلك. وعمر مرة ابن طاهر على تلك الأموال فأخذها وصرفها في الطعام، وقال له حاملوها: هذا مال الأشرين فقال: كذبتم لو كان ذلك لأعلمي أخي أشرين به، وإنما أنتم لصوص، وكتب إلى الأشرين بذلك بأنه دفع المال إلى الجندي ليوجههم إلى الترك فكتب إليه أشرين: مالي ومال أمير المؤمنين واحد، وسألته في إطلاق القorum فأطألق لهم واستحكمت الروحشة بينهما وتسببت السعاية فيه من طاهر، وربما فهم الأشرين أن المعتصم يعزله عن خراسان فطبع في ولايتها، وكان مازيار يحسن له الخلاقة ليدعو المعتصم ذلك إلى عزله وولاية الأشرين لحرب مازيار.

فكان من أمر مازيار ما ذكرناه وسيق إلى بغداد مقيداً، وول المعتصم الأشرين على أذربيجان فول عليها من قبله منكجور من بعض قرابةه فاستولى على مال عظيم لبابك. وكتب به صاحب البريد إلى المعتصم فكتبه منكجور وهو بقتله، فمنعه أهل أربيل فقاتلهم، وسمع ذلك المعتصم فأمر الأشرين بعزل منكجور وبعث قائدًا في سكره مكانه، فخلع منكجور وخرج من أربيل فهزمه القائد ببعض حصون أذربيجان كان ببابك خربه، فأصلاحه وتحصن فيه شهراً ثم وتب أصحابه وأسلموه إلى القائد، فقدم به إلى سامراء فحبسه المعتصم واتهم الأشرين في أمره وذلك سنة خمس وعشرين ومتين بابن القائد كان بغا الكبير وأنه خرج إليه بالأمان أهـ.

ولما أحسن الأشرين بتغير المعتصم أجمع أمره على الفرار واللحاق باريبيطة، وكانت في ولايته ويخرج منها إلى بلاد الخزر ويرجع إلى بلاد أشرفية، وصعب عليه ذلك بجاشرة المعتصم أمره فاراد أن يتخذ لهم صنيعاً يشغلهم فيه نهارهم، ثم يسرى من أول الليل.

وعرض له في أثناء ذلك غضب على بعض مواليه وكان سبع الملكة فايق مولاه بالملكرة، وجاء إلى ليتاخت فأخضره إلى

من قواده إلى خرماباذ ومنها إلى مدينة سارية.

ثم ركب واستقبل محمد بن إبراهيم بن مصعب وقال: أين تزيد؟ فقال: إلى المازيار فقال: هو سارية، ثم حبس الحسن أخيو المازيار ورجع إلى مدينة سارية فقيد المازيار بالقيد الذي قيد به محمد بن محمد بن موسى بن حفص، وجاء كتاب عبد الله بن ظاهر بان يدفع المازيار وأخريه وأهل بيته إلى محمد بن إبراهيم بحملهم إلى المعتصم. وسأل الحسن المازيار عن أمواله فذكر أنها عند قوم من وجوه سارية سماهم وأمر الحسن القويهار بحمل هذه الأموال، وسار إلى الجبل ليحملها، فوثب به عاليك المازيار من الدليل وكانوا الفاً ومائتين فقتلسوه بشار أخيه وهرموا إلى الدليل، فاعتراضهم جوش محمد بن إبراهيم وأخذوهم فبعث بهم إلى مدينة سارية.

وقيل: إن الذي غدر بالمازيار ابن عم له كان يتوارث جبال طبرستان والمازيار يتوارث سهلها، وكانت جبال طبرستان ثلاثة أجبيل فلما انقضى واحتاج إلى الرجال دعا ابن عمه من السهل ووالاه على أصعبها وظن أنه قد توثق به فكتب هو الحسن وأطلقه على مكتابة الأشرين لمازيار وداخله في الفتى على أن يوليه ما كان لأبائه، وأن المازيار لا ولاة الحسن بن سهل طبرستان انتزع الجبل من يده فأقضى له الحسن كتاب ابن طاهر وتوثق له فيه، وأوعده ليوم معلوم ركب فيه الحسن إلى الجبل فدخله ابن عم مازيار وحاصروه حتى نزل على حكمه. ويقال: أخذنه أسيراً في الصيد. ومضى الحسن به ولم يشعر صاحب الجبل الآخر وأقام في قتاله لمن كان بآزاته فلم يشعر إلا والعساكر من ورائه فانهزم، ومضى إلى بلاد الدليم فاتبعوه وقتلوا. ولما صار المازيار في يده طلبته منه كتب الأشرين فأحضرها، وأمر ابن طاهر أن يبعث بها معه إلى المعتصم، فلما وصل إلى المعتصم ضربه حتى مات وصلبه إلى جانب بابك وذلك ستة أربع وعشرين.

### ولاية ابن السيد على الموصل

وفي سنة أربع وعشرين ول المعتصم على الموصل عبد الله بن السيد بن أنس الأزدي وكان سبب ولايته أن رجلاً من مقدمي الأكراد يعرف بمحفر بن فهر جس كان قد عصى بأعمال الموصل، وتبعد خلق كثير من الأكراد وغيرهم، وأفسدوا البلاد فبعث المعتصم لحربه عبد الله بن السيد بن أنس فقاتلته وغلبه على ماتعيس وأخرجه منها بعد أن كان استولى عليها وطرق بباب داسن وامتنع ببابليه، وقاتلته عبد الله وتغل في مضائق ذلك الجبل،

قال الأفشنين: هذا يدعى أن أخي كتب إلى أخيه فما يجب على؟ ولو كتب فانا أستقبله مكرأً به لأحظى عند الخليفة كما حظي به ابن طاهر، فزوجه ابن أبي دواود قال له الأفشنين: ترفع طبلسانك فلا تضمه حتى تقل جماعة فقال: أمتطهر أنت؟ قال: لا! قال: فما يمنعك وهو شعار الإسلام؟ قال: خشيت على نفسى من قطعة! قال: فكيف وانت تلقى الرماح والسيوف؟ قال: تلك ضرورة أصبر عليها وهذا استجلبه. فقال ابن أبي دواود لبنا الكبير: قد بان لكم أمره يا بنا عليك به فدفعه بيديه ورده إلى محبسه، وضرب مازيار أربعون سوط فمات منها، وطلب أفشنين من المعتصم أن ينفذ إليه من يثق به، فبعث حسدون بن إسماعيل فاعتذر له عن جميع ما قيل فيه وحمل إلى دار إياخ فقتل بها وصلب على باب العامة، ثم أحرق وذلك في شعبان من سنة ست وعشرين، وقيل: قطع عنه الطعام والشراب حتى مات.

ظهور المبرقع

كان هذا المبرقع يعرف يابي حرب اليماني وكان بفلسطين وأراد بعض الجندي التزوّل في داره فمنعه بعض النساء فضريها الجندي، وجاء فشكّت إليه بفعل الجندي، فسار إليه وقتلها، ثم هرب إلى جبال الأردن فأقام بها واحتفى ببرق على وجهه وصار يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويعيب الخليفة ويزعم أنه أمرى، واجتمع له قوم من تلك الناحية وقالوا: هو السنّياني. ثم أجابه جماعة من رؤساء اليمانية منهم ابن بهيس وكان مطاعاً في قومه وغيره فاجتمع له مائة ألف، وسرح المعتصم رجاه بن أيوب في ألف من الجند فخام عن لقائهم لكثرة من معه، وعسّكر قبائله يتظاهر أوان الزراعة وانصراف الناس عنه لأعمالهم. وبينما هم في الانصراف توفي المعتصم وثارت الفتنة بدمشق، فأمره الواقع بقتل من أثار الفتنة والعود إلى المبرقع، ففعل وقاتلته فأخذته أسيراً وأiben بهيس معه، وقتل من أصحابه عشرين ألفاً وحمله وذلك سنة سبع وعشرين وماتتين.

وفاة المعتصم وبيعة الواثق

وتوفي المختص أبو إسحاق محمد بن المأمون بن الرشيد  
متتصف ربيع الأول ستة سبع وعشرين لثمان سنين وثمانية أشهر  
من خلافته وبوييع ابنه هارون الواثق صبيحته وتكنى أبا جعفر.  
فثار أهل دمشق بأميرهم وحاصروه وعسكروا برج واسط وكان  
رجاء بين أيوب بالمرلة في قتال المبرقع، فرجم إليهم بأمر الواثق

المتّهم وخبره الكبار فأمره بإحضاره وحبسه بالجروث، وكان ابنه الحسن عاملًا على بعض ما ورأه النهر فكتب المتّهم إلى عبد الله بن طاهر في الاحتياط عليه، وكان يشكّر من نوح بن أسد صاحب مخاري. فكتب ابن طاهر إلى الحسن بولاية مخاري وكتب إلى نوح بذلك وأن يستوثق منه إذا وصل إليه ويعث به، ثم يبعث به إلى ابن طاهر، ثم إلى المتّهم.

ثم أمر المعتصم بإحضار الأفتشين ومنظارته فيما قيل عنه، فاحضر عنده الوزير محمد بن عبد الملك بن الزيات وعنده القاضي أحمد بن أبي داود وإسحاق بن إبراهيم وجامعة القواد والأعيان، وأحضر المازيار من محبسه والمزيد والمرزبان بن تركش أحد ملوك الصند، ورجلان من أهل الصند يدعوان أن الأفتشين ضربهما وهو إمام مؤذن مسجد. فكشفنا عن ظهرهما وهما عاريان من اللحم، فقال ابن الزيات للأفتشين: ما بال هذين؟ قال: عهدا إلى معاهدين قويا على بيت أصنامهم فكسرها، وانحذا بيته مسجداً فعاقبهما على ذلك. وقال ابن الزيات: ما بال الكتاب الحلى بالذهب والجواهر عندك وفيه الكفر؟ وقال: كتاب ورثه من آبائي وأوصوني بما فيه من آدابهم فكنت آخذه منه وأثرك كفرهم، ولم أحتج إلى نزع حلتيه، وما ظلت أن مثل هذا يخرج عن الإسلام.

ثم قال المؤيد: إنه يأكل لحم المتخففة ويحملني على أكلها  
ويقول: هو أرطبه من لحم المذبوحة. ولقد قال لي يوماً: حلت  
على كل مكروه لي حتى أكلت الزيت وركبت الجمل ولبسست  
النعل، وإلى هذه الثانية لم أختنق ولم تسقط عني شعرة العانة. فقال  
الأثنين: أثقة هذا عندكم في دينه؟ وكان جوسيأ قالوا: لا! قال:  
فكيف تقبلونه على؟ ثم قال للمؤيد: أنت ذكرت أني أسررت  
إليك ذلك، فلست بثقة في دينك ولا بكرم في عهده ثم قال له  
المريزان: كيف يكاتبك أهل أشرفوستة؟ قال: ما أدرى! قال: أليس  
يكتابرنك بما تنسره بالعربي: إلى إله الألة من عبده فلان؟ قال:  
بل! فقال ابن الزيات: فما أبقيت لفرعون؟ قال: هذه عادة منه  
لأنبي ونبي ولهم قبل الإسلام، ولو منعهم لفسدت علي طاعتهم.

ثم قال له: أنت كاتبت هذا؟ وأشار إلى المانزلي. كتب آخره إلى أخي قوهيار أنه لن ينصر هذا الدين غيري وغيرك وغيর بابك، فاما بابك فقد قتل نفسه بجمعه، ولقد عهدت أن أمنعه فأبى إلا خنقه، وأنت إن خالفت لم يرمك القوم بغري ومعي أهل النجدة، وإن توجهت إليك لم يبق أحد يحاربنا إلا العرب والمغاربة والترك، والعربى كلب تناوله لقمة وتصرب رأسه، والمغاربة أكله رأس، والأتراء لهم صدمة ثم تخوب الخيل جولة فتأنى عليهم، ويعود هذا الدين إلى ما كان عليه أيام العجم.

إِلَيْهِمْ وَقَدْ رَجَلًا مِنْ قَوَادِهِ يَعْرُضُ عَلَيْهِمْ الْأَمَانَ، فَهَرَبُوا مِنْ سُطُونِهِ إِلَى الشَّامِ وَاتَّبَعُوهُمْ إِلَى تَخْرُومِ الْحِجَازِ مِنَ الشَّامِ، وَاقْتَالُوا أَرْبَعِينَ لِيْلَةً ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى الْمَدِينَةِ مِنْ ظَفَرِهِمْ.

وَجَاءَهُ قَوْمٌ مِنْ بَطْوَنِ غَفَارٍ وَفَزَارَةٍ وَأَشْجَعَ وَتَغْلِبَةٍ فَاسْتَخْلَفُوهُمْ عَلَى الطَّاعَةِ ثُمَّ سَارُوا إِلَى بَنِي كَلَابٍ فَأَتَوْهُمْ فِي ثَلَاثَةِ آلَافِ رَجُلٍ فَجَسَسُوا أَهْلَ الْفَسَادِ مِنْهُمْ أَفَّا بِالْمَدِينَةِ وَأَطْلَقُ الْبَاقِينَ، وَأَمْرَهُ الْوَاقِعِ سَنَةَ اثْتَنِينَ وَثَلَاثَيْنَ بِالسِّيرِ إِلَى بَنِي غَيْرٍ بِالْيَمَامَةِ وَمَا قَرُبَ مِنْهَا لِقْطَعِ فَسَادِهِمْ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ وَلَقِيَ جَمَاعَةَ الشَّرِيفِ مِنْهُمْ فَحَارَبُوهُمْ وَقُتِلَ مِنْهُمْ خَسِينٌ وَأَسْرَ أَرْبَعِينَ. ثُمَّ سَارَ إِلَى مَرَةٍ وَبَعْثَتُ إِلَيْهِمْ فِي الطَّاعَةِ فَامْتَعَنُوا وَسَارُوا إِلَى جِبَالِ السَّنَدِ وَطَفَ الْيَمَامَةِ وَبَعْثَتُ سَرَيَاهُمْ فَأَوْقَعَهُمْ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ ثُمَّ سَارَ إِلَيْهِمْ فِي الْفَ رَجُلٌ فَلَقَتْهُمْ قَرِيبًا مِنْ أَضَاحِي فَكَشَفُوا مَقْدَمَتَهُ وَمِيسَرَتَهُ وَأَنْخَنُوا فِي عَسْكَرَهُ بِالْقَتْلِ وَالْهَبَ.

ثُمَّ سَارُوا نَحْتَ اللَّيلِ وَهُوَ فِي أَتْبَاعِهِمْ يَدْعُوهُمْ إِلَى الطَّاعَةِ وَبَعْثَ طَافَةً مِنْ جَنْدِهِ يَدْعُونَ بَعْضَهُمْ وَأَصْبَحَ وَهُوَ فِي قَلَةٍ، فَحَمَلُوهُ عَلَيْهِ وَهَزَمُوهُ إِلَى مَعْسَكِهِ، وَإِذَا بِالطَّافَةِ الَّتِي بَعْثُمْ قَدْ جَاؤُوا مِنْ وَجْهِهِمْ فَلَمَّا رَأَهُمْ بْنُ نَعْمَرٍ مِنْ خَلْفِهِمْ وَلَسُوا مِنْهُمْ مِنْ وَاسْلَمُوا رَجَالَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَنَجَّبُوا عَلَى خَلْيَهُمْ وَلَمْ يَفْلُتْ مِنْ رَجَالِهِمْ أَحَدٌ، وَقُتِلَ مِنْهُمْ نَحْوُ الْفَ وَخَسِمَةَ، وَاقْتَالُوا الْوَرْقَةَ وَاسْتَأْمَنُوا لِهِ فَقِدَهُمْ وَجَسِبَهُمْ بِالْبَصَرَةِ. وَقَدْ عَلِيَّهُمْ وَاجْنَ الْأَشْرُوْسِيُّ فِي سَبْعَمَائِنِ مَقَاتِلٍ مَدَدَّ بَعْثَتُهُ إِلَى أَتْبَاعِهِمْ بَلْغَ تِبَالَةَ مِنْ أَعْمَالِ الْيَمَامَةِ وَرَجَعَ، وَسَارَ بَعْدَهُ إِلَى بَغْدَادِ بْنِ مَعْهِ مِنْهُمْ وَكَانُوا نَحْوُ الْفَيِّ رَجُلٌ وَمَائِيَّ رَجُلٌ، وَكَتَبَ إِلَى صَالِحِ أَمِيرِ الْمَدِينَةِ أَنْ يَرَاهُ فِي بَيْنِ دَارَتَيْهِ بَهْمَةَ وَسَلَّمُوا جَيْعاً.

### مَقْتُلُ أَحَدٍ بْنِ نَصْرٍ

وَهُوَ أَحَدُ بْنِ مَالِكٍ وَهُوَ أَحَدُ النَّبَاءِ كَمَا تَقْدِيمُهُ وَكَانَ أَحَدُ هَذِهِ نَسْبَيَّةِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَيَغْشَاهُ جَمَاعَةً مِنْهُمْ مِثْلُ أَبْنِ حَصِينٍ وَابْنِ الدُّورِقِيِّ وَأَبْيِ زَهْرٍ، وَلَقَنُّ مِنْهُمُ التَّكَبُّرُ عَلَى الْوَاقِعِ يَقُولُهُ بَخْلُقٌ الْقُرْآنَ. ثُمَّ تَعَدَّ ذَلِكَ إِلَى الشَّتَمِ وَكَانَ يَنْعَثِهُ بِالْخَتْرِيْرِ وَالْكَافِرِ، وَفَشَاهُ ذَلِكَ عَنْهُ وَاتَّدَبَ رَجَلَانِ مِنْ كَانَ يَغْشَاهُ هُمَا: أَبْوَ هَارُونَ السَّرَّاجِ وَطَالِبٍ وَغَيْرِهِمَا فَدَعَاهُمَا النَّاسُ لَهُ وَبَاعَهُمَا خَلْقُهُ عَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالْمُنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، وَفَرَقُوا الْأَمْوَالَ فِي النَّاسِ دِيَنَارًا لِكُلِّ رَجُلٍ، وَأَنْفَذُوا ثَلَاثَ تَمْضِيَّ مِنْ شَعْبَانَ مِنْ سَنَةِ إِحدَى وَثَلَاثَيْنَ يَظْهَارُونَ فِيهَا دُعَوْتَهُمْ وَاتَّفَقُوا أَنْ رَجَالًا مِنْ بَاعِهِمْ مِنْ بَنِي الْأَشْرَسِ جَاءُوا قَبْلَ

فَقَاتِلَهُمْ وَهَزَمُوهُمْ وَأَتْخَنُوهُمْ، وَقُتِلَ مِنْهُمْ نَحْوُ الْفَ وَخَسِمَةَ وَمِنْ أَصْحَابِهِ نَحْوُ ثَلَاثَيَّةَ، وَصَلَحَ أَمْرُ دَمْشِقَ، وَرَجَعَ رَجَاءُهُ إِلَى قَتَالِ الْمَبْرَقِ حَتَّى جَاءَ بِهِ أَسِيرًا..... بَيْعَةُ الْوَاقِعِ تَوَجَّهُ أَشْنَاسٍ وَوَسْحَمَهُ وَكَانَ لِلْوَاقِعِ سَمْرٌ يَجْلِسُونَ عَنْهُ وَيَفِيَضُونَ فِي الْأَخْبَارِ حَتَّى أَخْبَرُوهُ عَنْ شَأنِ الْبَرَامِكَةِ وَاسْتَبَدَادِهِمْ عَلَى الرَّشِيدِ وَاحْجَابِهِمُ الْأَمْوَالَ فَأَغْرَاهُ ذَلِكَ بِمَصَادِرِ الْكِتَابِ فَجَسَسُوهُمْ وَالْزَّمِيمُ الْأَمْوَالُ.

فَأَخْذَنَ مِنْ أَحَدَ بْنِ إِسْرَئِيلٍ ثَمَانِينَ أَلْفَ دِينَارٍ بَعْدَ أَنْ ضَرَبَهُ، وَمِنْ سَلِيمَانَ بْنَ وَهْبٍ كَاتِبِ لِيَتَاخَ أَرْبَعَمَائِنَ الْفَ، وَمِنْ الْمَسْنَ بْنَ وَهْبٍ أَرْبَعَةَ عَشَرَ الْفَالَّا، وَمِنْ إِبْرَاهِيمَ بْنَ رِبَاحٍ وَكَاتِبِهِ مَائِةَ الْفَ، وَمِنْ أَبِي الْوَزْرَ مَائِةَ وَأَرْبَعِينَ الْفَالَّا وَكَانَ عَلَى الْيَمَامَةِ لِيَتَاخَ وَوَلَاهُ عَلَيْهَا الْمَعْتَصَمُ بَعْدَمَا عَزَلَ جَعْفَرَ بْنَ دِينَارٍ، وَسَخَطَهُ وَجَسِبَهُ ثَمَ رَضِيَ عَنْهُ وَأَطْلَقَهُ، فَلَمَّا وَلَى الْوَاقِعِ وَلَى لِيَتَاخَ عَلَى الْيَمَامَةِ مِنْ قَبْلِهِ سَارَ إِلَيْهَا وَكَانَ الْحَرَسُ إِسْحَاقُ بْنُ بَحْرَيْنَ بْنِ مَعَاذِ لَاهِ الْمَعْتَصَمُ بَعْدَ عَزَلِ الْأَفْشِينِ، وَوَلَى الْوَاقِعِ عَلَى الْمَدِينَةِ سَنَةَ إِحدَى وَعَشْرِينَ حَمْدَ بْنَ صَالِحِ بْنِ العَبَاسِ وَبَقِيَ مُحَمَّدُ بْنَ دَادُ عَلَى مَكَةَ، وَتَوَفَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرٍ سَنَةَ ثَلَاثَيْنَ وَكَانَ عَلَى خَرَاسَانَ وَكَرْمَانَ وَطَبْرِسْتَانَ وَالْبَرِيِّ وَكَانَ لَهُ الْحَرْبُ وَالشَّرْطَةُ وَالسَّوَادُ فَوْلَ الْرَّاتِنَ عَلَى أَعْمَالِهِ كَلَّهَا ابْنُهُ طَاهِرًا.

### وَقْعَةُ بَغَا فِي الْأَعْرَابِ

كَانَ بْنُ سَلِيمَ يَفْسِدُونَ بِنَرَاجِي الْمَدِينَةِ وَيَتَسْلُطُونَ عَلَى النَّاسِ فِي أَمْوَالِهِمْ وَأَوْقَعُوا بَنَاسَ مِنْ كَانَةَ وَبِاهَلَهُ، وَبَعْثَ حَمْدَ بْنَ صَالِحِ الْمَدِينَةِ مَسْلَحَةَ الْمَدِينَةِ وَمَعْهُمْ مَطْبَعَةً مِنْ قَرِيشٍ وَالْأَنْصَارِ فَهَزَمُوهُمْ بْنُ سَلِيمَ وَقَتَلُوا عَامَتَهُمْ وَأَحْرَقُوا بَلَاسَهُمْ وَسَلَّاهُمْ وَكَرَاهُوهُمْ وَنَهَبُوا الْقَرَى مَا بَيْنَ مَكَةَ وَالْمَدِينَةِ وَانْقَطَطَ الْطَّرِيقُ، فَبَعْثَ الْوَاقِعَ بِنَغَا الْكَبِيرِ، وَقَدْ المَدِينَةِ فِي شَعْبَانَ فَقَاتِلُهُمْ وَهَزَمُوهُمْ وَقُتلَ مِنْهُمْ خَسِينٌ رَجُلًا وَأَسْرَ مِثْلَهَا، وَاسْتَأْمَنُوا لَهُ عَلَى حُكْمِ الْوَاقِعِ، فَقَبَضُوا عَلَى الْفَ مِنْهُمْ مَنْ يَعْرِفُ بِالْفَسَادِ فَجَسَسُوهُمْ بِالْمَدِينَةِ وَذَلِكَ سَنَةَ ثَلَاثَيْنَ. ثُمَّ حَجَ وَسَارَ إِلَى ذَاتِ عَرْقٍ وَعَرَضَ عَلَى بَنِي هَلَالٍ مِثْلَ بَنِي سَلِيمَ فَأَخْذَنَ مِنَ الْمَفْسِدِينَ مِنْهُمْ نَحْوُ ثَلَاثَيَّةَ رَجُلٍ وَجَسَسُوهُمْ بِالْمَدِينَةِ وَأَطْلَقُ الْبَاقِينَ.

ثُمَّ خَرَجَ بِنَغَا إِلَى بَنِي مَرَةٍ فَنَقَبَ أَوْلَىكَ الْأَسْرَى الْجَبَسِ وَقَتَلُوا الْمُوْكَلِينَ، فَاجْتَمَعُوا عَلَيْهِمْ أَهْلُ الْمَدِينَةِ لِيَلَّا وَمَنْعِهِمْ مِنْ الْخَرْجِ فَقَاتَلُوهُمْ إِلَى الصَّبِحِ ثُمَّ قَلَّوْهُمْ، وَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى بَنَا وَكَانَ سَبِبُ غَيْرِهِ أَنْ فَزَارَهُ وَسَيِّدَ مَرَةٍ تَغْلِبُوا عَلَى فَدَكَ، فَخَرَجَ

أحمد بن أبي دؤاد وإيتاخ ووصيف وعمر بن فرج وابن الزيات، وأراد البيعة محمد بن واتق وهو غلام إمرأ، فالبسوه فإذا هو فصيর فقال وصيف: أما تتقون الله تولون الخليفة مثل هذا! ثم تناظروا فيما يبولونه وأحضروا المتركل فالبسه ابن أبي دؤاد الطويلة وعممه وسلم عليه يمامرة المؤمنين ولقبه المتركل، وصلى على الواثق ودفنه. ثم وضع العطاء للجند لثمانية أشهر، وولى على بلاد فارس إبراهيم بن محمد بن مصعب، وكان على المرصل غام بن محمد الطوسي فاقره وعزل ابن العباس محمد بن وصول عن ديوان الفتاوى وعقد لابنه المتصر على الحرمين واليمن والطائف.

### نَكْبَةُ الْوَزِيرِ ابْنِ الزِّيَّاتِ وَمَهْلَكَهُ

كان محمد بن عبد الملك بن الزيات قد استرزه الواثق فاستمكن من دولته وغلب على هؤلاء، وكان لا يخفى بالمتركل ولا يوجب حقه، وغضب الواثق عليه مرة فجاء إلى ابن الزيات ليستزره فأساء معاملته في التحية والملائكة فقال: أذهب فإنك إذا صلحت رضي عنك. وقام عنه حزيناً فجاء إلى القاضي أحمد بن دؤاد فلم يدع شيئاً من البر إلا فعله وحياته وفاته، وخطب حاجته فقال: أحب أن ترضي عني أمير المؤمنين فقال: أفعل ونسمة عين! ولم يزل بالواقف حتى رضي عنه. وكان ابن الزيات كتب إلى الواثق عندما خرج عنه المتركل أن جعفر ثانى فسأل الرضا عنه وله وفرا شبه زي المختشين، فأمر الواثق أن يحضره من شعر قفاه فاستحضره فجاء يظن الرضا عنه وأمر حجاجاً أخذ من شعره وضرب به وجهه ففقد له ذلك وأسامه له.

ولما ولى الخليفة بقي شهراً ثم أمر إيتاخ أن يقبض عليه ويقيده بداره وبصادره، وذلك في صفر سنة ثلث وثلاثين، فصادره واستصنف أمواله وأملاكه وسلط عليه أنواع العذاب، ثم جعله في تور خشب في داخله ساميـر تمنع من الحركة وتزعـج من فيه لضيقـه، ثم مات متتصـفـ بـربعـ الأولـ، وقيلـ: إنه مات من الضربـ وكان لا يزيدـ على الشهـدـ وذـكرـ اللهـ. وكان عمرـ بنـ الفـرحـ الرـخيـجيـ يـعاملـ المـترـكـلـ بمـثـلـ ذـلـكـ فـهـقـدـ لهـ، وـلـاـ اـسـتـخـلـفـ بـقـبـلـ عـلـيـهـ فـيـ رـمـضـانـ وـاسـتـصـنـفـ أـمـوـالـهـ ثـمـ صـوـدـرـ عـلـىـ أحدـ عـشـرـ أـلـفـ أـلـفـ.

### نَكْبَةُ إِيَّاتِخٍ وَمَقْتَلِهِ

كان إيتاخ مولى السلام الأبرص وكان عنده ناخورياً طباخاً، وكان شجاعاً فاشراً المعتصم منه سنة تسعة وتسعم وتسعين وارتفع في

المروع بليلة وقد نال منهم السكر فضرموا الطبل وصاحب الشرطة إسحاق بن إبراهيم غائب، فارتاع خليفة محمد آخره فارسل من يسأل عن ذلك فلم يوجد أحد، وأنثره برجل أعنور اسمه عيسى وجدوه في الحمام فدخلهم على بيـنـ الأـشـرـسـ وعلىـ أـهـمـ بنـ نـصـرـ وعلىـ أـبـيـ هـارـونـ وـطـالـبـ، ثـمـ سـيـقـ خـادـمـ أـهـمـ بنـ نـصـرـ فـذـكـرـ القـصـةـ، فـقـبـضـ عـلـيـهـ وـيـعـثـ بـهـمـ جـيـعاـ إـلـىـ الـوـاـقـعـ بـسـامـرـاـ مـقـيـدـيـنـ، وـجـلـسـ لـهـ مـعـلـسـ عـامـاـ وـحـضـرـ فـيـهـ أـهـمـ بنـ أـبـيـ دـؤـادـ، وـلـمـ يـسـأـلـ الـرـاـقـعـ عنـ خـرـوجـهـ إـلـىـ سـالـهـ عنـ خـلـقـ الـقـرـآنـ فـقـالـ: هـوـ كـلـامـ اللـهـ. ثـمـ سـأـلـهـ عـنـ الرـؤـيـةـ فـقـالـ: جـاءـتـ بـهـاـ الـأـخـبـارـ الصـحـيـحةـ وـنـصـيـحـيـ أـنـ لـاـ يـخـالـفـ حـدـيـثـ رـسـوـلـ اللـهـ ﷺـ. ثـمـ سـالـ الـرـاـئـشـ الـلـعـمـاءـ حـوـلـهـ عـنـ أـمـرـهـ، فـقـالـ عـبـدـ الرـحـمـنـ بـنـ إـسـحـاقـ قـاضـيـ الـجـانـبـ الـغـرـبـيـ: هـوـ حـلـالـ الدـمـ! وـقـالـ أـبـيـ دـؤـادـ: هـوـ كـافـرـ يـسـتـابـ. فـذـعـ الـوـاـقـعـ بـالـصـصـاصـاـةـ فـاتـضـاـهـاـ وـمـشـىـ إـلـىـ فـضـرـيـهـ عـلـىـ جـلـ عـلـقـهـ ثـمـ عـلـىـ رـأـسـهـ، ثـمـ وـخـزـهـ فـيـ بـطـنـهـ، ثـمـ أـجـهـزـ سـيـماـ الـدـمـشـقـيـ عـلـيـهـ وـحـزـرـوـ رـأـسـهـ، وـنـصـبـ بـيـنـدـادـ وـصـلـبـ شـلـوـهـ عـنـدـهـ بـاـهـاـ.

### الْفَدَاءُ وَالصَّافَّةُ

وفي سنة إحدى وثلاثين عقد الواثق لأحمد بن سعيد بن مسلم بن قبية على التغور والغواصم، وأمره محضور الفداء هو وجحانان الخادم، وأمرهما أن تمحى الأسرى باعتقاد القرآن والرؤيا. وجاء الروم بأسراهم والمسلمون كذلك والتقو على نهر الالامس على مرحلة من طرطوس وكان عنده أسرى المسلمين أربعة آلاف وأربعة وستين والنساء والصبيان ثمانمائة وأهل الذمة مائة. فلما فرغا من الفداء غزا أحمد بن سعيد بن مسلم شاتياً وأصاب الناس ثلث مطر وهلك منهم مائة نفس، وأسر منهم نحوها وخرق بالليل قرون خلق، ولقيه بطريق من الروم فخام عن لقائه ثم غنم ورجع، فعزله الواثق وولي مكانه نصر بن حمزة الخزاعي.

### وفاة الواثق وبيعة المتركل

وتوفي الواثق أبـرـ جـعـفـرـ هـارـونـ بـنـ الـمـعـتـصـمـ مـحـمـدـ لـسـتـ بـقـينـ منـ سـنـةـ اـثـنـيـنـ وـثـلـاثـيـنـ، وـكـانـ عـلـهـ الـاسـتـسـقاءـ وـادـخـلـ فـيـ تـنـورـ مـسـجـرـ فـلـقـيـ خـفـةـ، ثـمـ عـاـوـدـهـ فـيـ الـيـومـ الثـانـيـ أـكـثـرـ مـنـ الـأـوـلـ فـأـخـرـجـ فـيـ حـفـةـ فـمـاتـ فـيـهـاـ، وـلـمـ يـشـعـرـوـ بـهـ. وـقـيلـ: إـنـ أـبـيـ دـؤـادـ غـمـضـهـ وـمـاتـ لـخـمـسـ سـيـنـ وـتـسـعـ أـشـهـرـ مـنـ خـلـقـهـ، وـحـضـرـ فـيـ الدـارـ

نهاه وبناته. ثم أدرك بطريقه وأتي به أسيراً وبآخره صقر وخالد وأبنائه حليس وصقر والبغيت، وجاء بهم بما إلى بغداد وحملهم على الحال يوم قدمه حتى رأهم الناس وحبسوه. ومات البغيث شهر من وصوله سنة خمس وثلاثين وجعل بنو الشاكرية مع عبد الله بن يحيى خاقان.

### بيعة العهد

وفي سنة خمس وثلاثين وما تين عقد المترکل الیعنة والمعهد وكانت ثلاثة: محمدًا وطلحة وإبراهيم، ويقال في طلحة ابن الزبير وجعله ملحدًا أو هشم ولقبه المستنصر وأقطعه أفريقة والمغرب وقنسرين والغور والشامية والخزيرية، وديار مصر وديار ربيعة، وهيت والموصى وغاتة والخابور، وكور دجلة والسوداد والخرمين وحضرموت والحرمن والسدن ومكران وقندابيل وكور الأهواز والمستعارات بسامرا، وماء الكوفة وماء البصرة.

وجعل طلحه ثانهم ولقبه المعتز وأقطعه أعمال خراسان وطبرستان والري وأذربيجان وأعمال فارس، ثم أضاف إليه سنة أربعين خزن الأموال ودور الضرب في جميع الأفاق وأمر أن يرسم اسمه في السكة.

وجعل الثالث إبراهيم وأقطعه حمص ودمشق وفلسطين وسائر الأعمال الشامية وفي هذه السنة أمر الجندي بتغيير الزي فلبسو الطيالسة العسلية وشدوا الزنانير في أوساطهم..... وجعلوا الطراز في لباس المالك ومنع من لباس المناطق وأمر بهدم البيع المحدثة لأهل الذمة ونهى أن يستغاث بهم في الأعمال وأن يظهروا في شعابهم الصليبان وأمر أن يجعل على أبوابهم صور شياطين من الخشب.

### ملك محمد بن إبراهيم

كان محمد بن إبراهيم بن الحسن بن مصعب على بلاد فارس، وهو ابن أخي طاهر وكان أخوه إسحاق بن إبراهيم صاحب الشرطة ببغداد منذ أيام المأمون والمتخصص والرائق والمترکل، وكان ابنه محمد يباب الخليفة بسامرا نائباً عنه. فلما مات إسحاق سنة خمس وثلاثين لاه المترکل وضم إليه أعمال أبيه، واستخلفه المعتز على البمامنة والحرمين ومكة وحل إلى المترکل وبنيه من الجواهر والذخائر كثيراً، وبلغ ذلك محمد بن إبراهيم فتكر للخلفية وتحمد ابن أخيه، وشكراً ذلك محمد إلى المترکل

دولته ودولة الواثق ابنه وكان له المؤنة بسامرا مع إسحاق بن إبراهيم بن مصعب. وكانت نكبة العظاماء في الدولة على يديه وحسمهم بداروه، مثل أولاد المأمون وابن الزيارات صالح وعجيف و عمر بن الفرج وابن الجيد وأمثالهم، وكان له البريد والمحاجة والجيش والمغاربة والأتراك. وشرب ذات ليلة مع المترکل فعربد على إيتاخ وهو إيتاخ بقتله، ثم غدا عليه فاعتذر له ودس عليه من زنن له الحج فاستاذن المترکل فاذن له وخلع عليه وجعله أمير كل بلد يمر به.

وسار للذلک في ذي القعدة سنة أربع وثلاثين أو ثلاث وثلاثين، وسار العسكر بين يديه وجعلت الحاجة إلى وصيف الخامد وما عاد إيتاخ من الحج بعث إليه المترکل بالمدايا والألطاف، وكتب إلى إسحاق بن إبراهيم بن مصعب يأمره بمحبه. فلما قارب بغداد كتب إليه إسحاق بان المترکل أمر أن يدخل بغداد وأن تلقاه بن هاشم ووجوه الناس وأن يقعد بدار خزيمة بن خازم في سامرا للناس بالجرائز على قدر طبقاتهم فعمل ذلك، ووقف إسحاق على باب الدار فمنع أصحابه من الدخول إليه ووكل بالأبواب ثم قبض على ولديه منصور ومظفر وكاتبه سليمان بن وهب وقناة بن زياد، وبعث إيتاخ إليه يسأله الرفق بالولدين ففعل، ولم ينزل إيتاخ مقيداً بالسجن إلى أن مات فقيل: إنهم منعوه الماء وبقي ابنه محبوسين إلى أن أطلقهما المتصدر بعد المترکل.

### شأن ابن البغيث

كان محمد بن البغيث بن الحليس ممتعأً في حصونه بأذربيجان وأعظمها مرند، واستنزل من حصنه أيام المترکل وحبس بسامرا فهرب من حبسه ولحق بمرند، وقيل: إنه في حبس إسحاق بن إبراهيم بن مصعب وشفع فيه بغا الشهاري، فأطلقه إسحاق في كفالة محمد بن خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني، وكان يتربدد إلى سامرا حتى مرض المترکل فسر ولحق بمرند وشحنته بالأقواس، وجاءه أهل الفتنة من ربيعة وغيرهم فاجتمع له ثغر النين ومانطي رجل، والوالى بأذربيجان يرمضن محمد بن حاتم بن هرئمة فلزم يقانعه فعزله المترکل وولى حدوية بن علي بن الفضل السعدي، فسار إليه وحاصره بمرند مدة وبعث إلى المترکل بالملد، وطالع المصارف فلم يقن فيه، فبعث بغا الشهاري في النبي فارس فجاء لحصاره. وبعث إليه عيسى بن الشيخ بن السليل بالأمان له ولوجوه أصحابه أن يتزلوا على حكم المترکل، فنزل الكثير منهم وإنقض جمه ولقى بينا وخرج هو هارباً، ونبت منازله وأسرت

علي. وتوفي في هذه السنة أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دَوَادَ بْنِ أَبِي الْوَلِيدِ بعشرين يوماً وكان معتزلاً أخذ ملعوبهم عن بشر المرسي وأخذه بشر عن جهم بن صفوان وأخذه جهم عن الجحد بن دهم معلم مروان.

فرسنه إلى فارس وولاه مكان عممه محمد فسار وعزل عنه خليداً وولى مكانه ابن عمته الحسين بن إسماعيل بن مصعب، وأمره بقتل عمه محمد فأطعنه ومنعه الشراب فمات.

### انتفاضة أهل حصن

وفي سنة سبع وثلاثين وسبت أهل حصن يعاملهم أبي المغيث موسى بن إبراهيم الرافقي بسبب أنه قتل بعض رؤسائهم فاخترجه وقتلوا من أصحابه، فولى مكانه محمد بن عبد الله الأنباري فأساء إليهم وعسف بهم فربوا به، وأمره التوكل بمند من دمشق والرملة فظفر بهم وقتل منهم جماعة، وأخرج النصارى منها وهدم كنائسهم وأدخل منها بيعة في الجامع كانت تجاوره.

### إغارة البجاء على مصر

كانت المذلة بين أهل مصر والجاجة من لدن الفتح، وكان في بلادهم معادن الذهب يؤدون منها الخمس إلى أهل مصر، فامتنعوا أيام التوكل وقتلوا من وجدهم من المسلمين بالمعادن، وكتب صاحب البريد بذلك إلى التوكل فشاور الناس في غزوهم فأخبروه أنهم أهل إيل وشاء وأن بين بلادهم وبلاط المسلمين مسيرة شهر ولا بد فيها من الزاد، وإن فنيت الأزوابad هلك العسكر فأمسكوا بهم. وخاف أهل الصعيد من شرهم، فولى التوكل محمد بن عبد الله القمي على أسوان وقطع والأقصر وأسنا وأرمانت، وأمره بمحرب البجاء.

وكتب إلى عبنة بن إسحاق القسي عامل مصر بتجهيز العسكر معه وأراحه عليهم فسار في عشرين ألفاً من الجندي والمتطوعة، وحملت المراكب من القلزم بالدقائق والتمر والأدم إلى سواحل بلاد البجاء واتنه إلى حصونهم وقلعاتهم. وزحف إليه ملوكهم وأسمه علي بابا في أضعاف عساكرهم على المهاري، وطاولهم علي بابا رجاء أن تفني أزواذهم فجات المراكب وفرتها القمي في أصحابه، فناجزهم الجاجة الحرب وكانت إلهم نفورة، فامر القمي جنده بتحشاذ الأجراس مخليهم. ثم حلوا عليهم فانهزموا واثنخن بهم قتلاً وأسرأً حتى استأتموا على أداء الخراج لما سلف ولما يأتي وأن يرد إلى ملكته، وسار مع القمي إلى التوكل واستخلف ابنه، فخلع القمي عليه وعلى أصحابه، وكسا أرجلهم بالجلال المديحة وولاهم طريق ما بين مصر ومكة، وولى عليهم سعداً الإيتاني الخادم فولى سعد محمد القمي فرجع معهم

### انتفاضة أهل أرمينية

كان على أرمينية يوسف بن محمد فجاءه الطريق بقراط بن أسوات وهو بطريق البطارقة يستأمن فقبض عليه وعلى ابنه ويبعث بهما إلى التوكل، فاجتمع بطريق أرمينية مع ابن أخيه وصهره موسى بن زرارة وتحالفوا على قتلته وحاصروه بمدينة طرون في رمضان سنة سبع وثلاثين، وخرج لقتالهم فقتلوه ومن كان معه. فسرح التوكل بغا الكبير فسار على الموصى والجزيره وأنساخ على أردن حتى أخنها وحمل موسى راحته إلى التوكل وقتل منهم ثلاثين ألفاً وسبعين خلقاً وسار إلى مدينة دبيل فقام بها شهراً ثم سار إلى تقليس فحاصرها، ويعث في مقدمته بزرك التركي وكان بتقليس إسحاق بن إسماعيل بن إسحاق مولى بنى أمية فخرج وقاتلهم، وكانت المدينة كلها مشيدة من خشب الصنوبر، فأمر بغا أن يرمي عليها بالنفط فاضطربت النار في الخشب، واحتقرت قصور إسحاق وجواريه وخسون ألف إنسان وأسر الباقون، وأحاطت الأتراك والمغاربة بإسحاق فأسروه وقتلته بغا لوقته، ونجا أهل إسحاق بأمواله إلى صعدنيل مدينة حناء تقليس على نهر الكرمن من شرقية بناها أنورشوان وحصنه إسحاق وجعل أمواله فيها فاستباحها بغا، ثم بعث الجندي إلى قلعة أخرى بين بردة وتقليس ففتحوها وأسروا بطيقها، ثم سار إلى عيسى بن يوسف في قلعة كيس من كور اليلاقان ففتحها وأسرها وحمل معه جماعة من البطارقة وذلك سنة ثمان وثلاثين ومائتين.

### عزل ابن أبي دواود وولاته ابن أكثم

وفي سنة سبع وثلاثين غضب التوكل على أَحْمَدَ بْنَ أَبِي دَوَادَ وقبض ضياعه وحبس أولاده، فحمل أبو الوليد منهم مائة وعشرين ألف دينار وجرأهار تساوي عشرين ألفاً، ثم صولح عن ستة عشر ألف ألف درهم وأشهد عليهم بيع أملاكه وفلح أَحْمَدَ، فأحضر التوكل يحيى بن أَكْثَمَ وولاه قضاء القضاة، وولى أبا الوليد بن أبي دواود المظالم ثم عزله. وولى أبا الريبع محمد بن يعقوب ثم عزله، وولى يحيى بن أَكْثَمَ على المظالم ثم عزله سنة أربعين، وصارده على خمسة وسبعين ألف دينار وأربعة آلاف جريبي، وولى مكانه جعفر بن عبد الواحد بن جعفر بن سليمان بن

واستقامت ناحيته.

## الولايات في النواحي

ولـ التوكـل سـنة اثـتـين عـلـى بـلـاد فـارـس مـحـمـد بـن إـبرـاهـيم بـن مـصـبـع وـكـان عـلـى الـموـصـل غـامـم بـن حـيدـ الطـوـسي، وـاستـزـرـ لـأـلـوـلـ خـلاـفـتـه عـمـدـ بـن عـبـدـ اللـهـ بـن الـزـيـاتـ، وـولـ عـلـى دـيوـان الـخـراـجـ يـحـيـيـ بـن خـاقـانـ الـخـراسـانـيـ مـولـ الـأـزـديـ، وـعـزلـ الـفـضـلـ بـن مـروـانـ. وـولـ عـلـى دـيوـان الـنـفـقـاتـ إـبرـاهـيمـ بـن مـحـمـدـ بـن حـتـولـ، وـولـ سـنةـ ثـلـاثـ وـثـلـاثـ عـلـى الـخـرـمـيـنـ وـالـيـمـنـ وـالـطـافـيـنـ إـبـنـ الـمـسـتـصـرـ، وـعـزلـ مـحـمـدـ بـن عـيـسـيـ، وـولـ عـلـى حـجـاجـ بـاـبـهـ وـصـيـفـاـ الـخـادـمـ عـنـدـمـاـ سـارـ إـيـاتـ لـلـحـجـ. وـفـي سـنةـ حـمـسـ وـثـلـاثـ عـهـدـ لـأـلـادـهـ كـمـاـ مـرـ، وـولـ عـلـى الـشـرـطـةـ بـيـغـدـادـ إـسـحـاقـ بـنـ إـبـرـاهـيمـ بـنـ الـحـسـنـ بـنـ مـصـبـعـ مـكـانـ إـبـنـ إـبـرـاهـيمـ عـنـدـمـاـ تـوـفـيـ، وـكـانـ وـفـاتـهـ وـوفـاتـ الـحـسـنـ بـنـ سـهـلـ فـي سـنةـ وـاحـدـةـ. وـفـي سـنةـ سـتـ وـثـلـاثـ اـسـتـكـبـ عـيـدـ اللـهـ بـنـ يـحـيـيـ بـنـ خـاقـانـ ثـمـ اـسـتـزـرـهـ بـعـدـ ذـلـكـ، وـولـ عـلـى أـرـمـيـنـيـهـ وـأـذـرـيـجـانـ حـرـبـاـ وـخـرـاجـاـ يـوسـفـ بـنـ أـبـيـ سـعـيدـ مـحـمـدـ بـنـ يـوسـفـ الـمـرـورـوـذـيـ عـنـدـمـاـ تـوـفـيـ أـبـوـهـ فـجـاءـهـ فـسـارـ إـلـيـهـ وـضـبـطـهـاـ، وـأـسـاءـ إـلـيـهـ الـبـطـارـقـةـ بـالـنـاحـيـةـ فـوـتـبـواـ بـهـ كـمـاـ مـرـ وـقـلـوـهـ.

وـبـعـدـ التـوكـلـ بـغـاـيـةـ الـكـبـيرـ فـيـ الـعـسـاـكـرـ فـاخـذـ ثـارـهـ مـنـهـ، وـولـ مـعـادـنـ السـوـادـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ إـسـحـاقـ بـنـ إـبـرـاهـيمـ. وـفـي سـنةـ تـسـعـ وـثـلـاثـ عـزلـ إـبـنـ أـبـيـ دـوـادـ عـنـ الـقـضـاءـ وـصـادـرـهـ، وـولـ مـكـانـهـ يـحـيـيـ بـنـ أـكـثـرـ. وـقـمـ مـحـمـدـ بـنـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ طـاهـرـ مـنـ خـراسـانـ فـرـلـاهـ الـشـرـطةـ وـالـجـزـيـةـ وـأـعـمـالـ السـوـادـ، وـكـانـ عـلـى مـكـةـ عـلـيـ بـنـ عـيـسـيـ بـنـ جـعـفرـ بـنـ الـمـنـصـورـ فـجـعـ بالـنـاسـ، ثـمـ وـلـ مـكـانـهـ فـيـ السـنـةـ القـابـلـةـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ مـحـمـدـ بـنـ دـاوـدـ بـنـ عـيـسـيـ بـنـ مـوـسـىـ. وـولـ عـلـى الـأـحـدـاـتـ بـطـرـيقـ مـكـةـ وـالـمـارـاسـ جـعـفـرـ بـنـ دـيـنـارـ، وـكـانـ عـلـى حـصـنـ أـبـرـاـ الـمـغـبـ مـوـسـىـ بـنـ إـبـرـاهـيمـ الرـافـقـيـ وـثـبـواـ بـهـ سـنةـ تـسـعـ وـثـلـاثـ عـزـلـ يـحـيـيـ بـنـ فـوـلـ مـكـانـهـ مـحـمـدـ بـنـ عـبـدـوـيـ. وـفـي سـنةـ تـسـعـ وـثـلـاثـ عـزـلـ يـحـيـيـ بـنـ أـكـثـرـ عـنـ الـقـضـاءـ، وـولـ مـكـانـهـ جـعـفـرـ بـنـ عـبـدـ الـرـاحـدـ بـنـ جـعـفـرـ بـنـ سـلـيـمانـ فـيـ سـنةـ اـثـتـينـ وـأـرـبعـينـ وـلـ عـلـى مـكـةـ عـبـدـ الصـمدـ بـنـ مـوـسـىـ بـنـ حـمـدـ بـنـ إـبـرـاهـيمـ الـإـمـامـ، وـولـ عـلـى دـيوـانـ الـنـفـقـاتـ الـحـسـنـ بـنـ مـخـلـدـ بـنـ الـجـرـاحـ عـنـدـمـاـ تـوـفـيـ إـبـرـاهـيمـ بـنـ العـبـاسـ الـصـوـلـيـ وـكـانـ خـلـيقـهـ فـيـهـ مـنـ قـبـلـ.

وـفـي سـنةـ حـمـسـ وـأـرـبعـينـ اـخـتـطـ التـوكـلـ مـدـيـتـهـ وـأـنـطـلـاـ الـقـوـادـ وـالـأـوـلـيـاـ وـأـنـقـ علىـهـاـ الـفـ الـفـ دـيـنـارـ، وـبـنـ فـيـهاـ قـصـرـ الـلـؤـلـؤـةـ لـمـ يـرـ مـثـلـهـ فـيـ عـلـوـهـ وـأـجـرـيـ لـهـ الـمـاءـ فـيـ نـهـرـ اـحـتـفـرـهـ وـسـمـاءـ التـوكـلـيـةـ وـتـسـمـيـ الـجـعـفـريـ وـالـمـاـخـوـرـةـ وـفـيـهـاـ وـلـ عـلـىـ طـرـيقـ مـكـةـ أـبـسـ السـاجـ مـكـانـ جـعـفـرـ بـنـ دـيـنـارـ لـوـفـاتـهـ تـلـكـ السـنـةـ. وـولـ عـلـىـ دـيوـانـ الـضـيـاعـ

## الصوائف

وـفـي سـنةـ ثـمـانـ وـثـلـاثـ وـرـدـ عـلـىـ دـيـمـاطـ اـسـطـرـلـ الـرـومـ فـيـ مـائـةـ مـرـكـبـ فـكـبـوـهـاـ وـكـانـ الـسـلـاحـةـ الـذـينـ بـهـاـ قـدـ ذـهـبـواـ إـلـىـ مـصـرـ باـسـتـدـعـهـ صـاحـبـ الـعـونـةـ عـنـسـةـ بـنـ إـسـحـاقـ الـضـيـبيـ فـانـتـهـزـواـ فـرـصـةـ فـيـ مـغـيـبـهـ وـأـنـتـهـبـواـ إـلـىـ دـيـمـاطـ وـأـحـرـقـواـ الـجـامـعـ بـهـاـ وـأـقـرـواـ سـفـنـهـ سـيـاـ وـمـتـاعـاـ، وـذـهـبـواـ إـلـىـ تـيـسـ فـقـلـعـواـ فـيـهـاـ مـشـلـ ذـلـكـ وـأـقـطـعـواـ، وـغـزاـ بـالـصـوـافـيـنـ فـيـ هـذـهـ السـنـةـ عـلـيـ بـنـ يـحـيـيـ الـأـرـمـيـنيـ صـاحـبـ الـصـوـافـيـنـ. وـفـي سـنةـ إـحدـىـ وـأـرـبعـينـ كـانـ الـفـداءـ بـنـ الـرـومـ قـدـ حـلـتـ أـسـرـيـ الـمـسـلـمـينـ عـلـىـ التـنـصـرـ فـتـصـرـ الـكـبـيرـ مـنـهـ، ثـمـ طـلـبـتـ الـمـقـاـدـةـ فـيـمـنـ بـقـيـ فـبـعـثـ عـلـىـ الـتـنـصـرـ فـتـصـرـ الـكـبـيرـ مـنـهـ، ثـمـ طـلـبـتـ الـمـقـاـدـةـ فـيـمـنـ بـقـيـ فـبـعـثـ عـلـىـ الـمـتـوكـلـ سـيـاـ الـخـادـمـ بـالـفـداءـ وـمـعـهـ قـاضـيـ بـغـدـادـ جـعـفـرـ بـنـ عـبـدـ الـواـحـدـ وـأـسـتـخـلـفـ عـلـىـ الـقـضـاءـ إـبـنـ أـبـيـ الشـوارـبـ وـكـانـ الـفـداءـ عـلـىـ نـهـرـ الـلـامـسـ ثـمـ أـغـارتـ الـرـومـ بـعـدـ ذـلـكـ رـوـبةـ فـاسـرـواـ مـنـ كـانـ هـنـالـكـ مـنـ الـرـطـ وـسـبـواـ نـسـاـهـمـ وـأـلـادـهـمـ وـلـاـ رـجـعـ عـلـيـ بـنـ يـحـيـيـ الـأـرـمـيـنيـ مـنـ الـصـافـيـةـ خـرـجـتـ الـرـومـ فـيـ نـاحـيـةـ سـمـسـيـاطـ فـانـتـهـاـلـاـ إـلـىـ آـمـدـ وـأـكـسـحـوـاـ نـواـحـيـ الـشـنـورـ وـالـخـزـرـيـةـ نـهـيـاـ وـأـسـرـواـ غـوـراـ مـنـ عـشـرـآـفـ وـرـجـعـواـ وـأـتـبـعـهـمـ قـرـاشـ وـعـمـرـ بـنـ عـبـدـ الـأـقـطـعـ وـقـوـمـ مـنـ الـمـطـرـعـةـ فـلـمـ يـدـرـكـهـمـ وـأـمـرـ التـوكـلـ عـلـيـ بـنـ يـحـيـيـ أـنـ يـدـخـلـ بـالـثـانـيـةـ فـيـ تـلـكـ السـنـةـ فـقـعـلـ.

وـفـي سـنةـ أـرـبعـ وـأـرـبعـينـ جـاهـ الـتـوكـلـ مـنـ بـغـدـادـ إـلـىـ دـمـشـقـ وـقـدـ اـجـتـمـعـ زـوـلـهـاـ وـنـقـلـ الـكـرـسـيـ إـلـيـهـاـ فـاقـامـ بـهـاـ شـهـرـيـنـ، ثـمـ اـسـتـرـيـاـهـاـ وـرـجـعـ بـعـدـ أـنـ بـعـثـ بـغـاـيـةـ الـكـبـيرـ فـيـ الـعـسـاـكـرـ لـلـصـافـيـةـ فـدـخـلـ بـلـادـ الـرـومـ فـدـوـخـهـاـ وـأـكـسـحـهـاـ مـنـ سـاـيـرـ الـنـواـحـيـ وـرـجـعـ. وـفـي سـنةـ خـمـسـ وـأـرـبعـينـ أـغـارتـ الـرـومـ عـلـىـ سـمـسـيـاطـ فـغـنـمـواـ وـغـزاـ عـلـيـ بـنـ يـحـيـيـ الـأـرـمـيـنيـ بـالـصـافـيـةـ كـرـكـرـةـ وـأـنـقـضـ أـهـلـهـاـ عـلـىـ بـطـرـيـقـهـمـ فـقـبـضـواـ عـلـيـهـ وـسـلـمـهـ إـلـىـ بـعـضـ مـوـالـيـ الـتـوكـلـ، فـأـطـلـقـ مـلـكـ الـرـومـ فـيـ الـفـداءـ الـبـطـرـيـقـ الـفـ أـسـيـرـ مـنـ الـمـسـلـمـينـ. وـفـي سـنةـ سـتـ وـأـرـبعـينـ غـزاـ عـلـيـ بـنـ عـبـدـ اللـهـ الـأـقـطـعـ بـالـصـافـيـةـ فـجـاؤـهـاـ بـأـلـافـ رـأسـ، وـغـزاـ قـرـاشـ فـجـاءـهـ بـخـمـسـةـ أـلـافـ رـأسـ، وـغـزاـ الـفـضـلـ بـنـ قـارـانـ فـيـ الـأـسـطـوـلـ بـعـشـرـيـنـ مـرـكـبـاـ فـاقـتـصـ حـصـنـ اـنـطاـكـيـةـ وـغـزاـ مـلـكـهـاـ دـورـهـمـ وـسـبـاـ، وـغـزاـ عـلـيـ بـنـ يـحـيـيـ فـجـاءـهـ بـخـمـسـةـ أـلـافـ رـأسـ وـمـنـ الـظـهـرـ بـعـشـرـآـفـ وـكـانـ عـلـيـهـ يـدـهـ فـيـ تـلـكـ السـنـةـ الـفـداءـ فـيـ الـقـيـنـ وـثـلـاثـةـ مـنـ الـأـسـرـيـ.

زراقة فمنعه المتصر، ويايُع له زراقة وركب إلى الدار فباعه من حضر وبعث إلى وصيف أن الفتاح قتل أبي فقتله، فحضر ويايُع. وبعث عن أخيه المعتز والمُؤيد فحضرها ويايُعا له. وانتهى الخبر إلى عبيد الله بن يحيى فركب من ليله وقد صد متزل المعتز فلم يجده واجتمع عليه عشرة آلاف من الأزد والأرمي والزواقيل، وأغاروه بالحملة على المتصر وأصحابه فأبى وخام عن ذلك، وأصبح المتصر فامر بدنق المترك وفتحه، وذلك لأربع خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين. وشاء الخبر بقتل المترك فشار الجند وتبعدهم..... وركب بعضهم بعضاً، وقصدوا باب السلطان فخرج إليهم بعض الأولياء فسمعوا، ورجع فخرج المتصر بنفسه وبين يديه المغاربة فشروعوا عن الأبواب فتفرقوا بعد أن قتل منهم ستة أنفس.

### الخير عن الخلفاء من بني العباس أيام الفتنة، وتغلب الأولياء وتصايق نطاق الدولة باستبداد الولاة في التواهي من لدن المتصر إلى أيام المستكفي

كان بنو العباس حين ولوا الخلافة قد امتدت إسالتهم على جميع مالك الإسلام، كما كان بنو أمية من قبلهم. ثم لحق بالأندلس من فلبي أمية من ولد هاشم بن عبد الملك حافظ عبد الرحمن بن معاوية بن هشام، ونجا من تلك الملحمة فأجاز البحر ودخل الأندلس فنكلها من يد عبد الرحمن بن يوسف النوري، وخطب للسفاح فيها حولاً ثم لحق به أهل بيته من المشرق فعزلوه في ذلك قطع الدعوة عنهم وعيت بلاد الأندلس مقطعة من الدولة الإسلامية عن بني العباس. ثم لما كانت وقعة فتح أيام المأدي علي بن الحسن بن علي سنة تسع وستين وعشرين ومائة، وقتل داعييهم يومئذ حسين بن علي بن حسن المثنى وجامعة من أهل بيته ونجا آخرون، وخلص منهم ادريس بن عبد الله بن حسن إلى المغرب الأقصى وقام بدعورته البربرية هنالك، فاقطع المغاربة عن بني العباس فاستحدثوا هنالك دولة لأنفسهم.

ثم ضعفت الدولة العباسية بعد الاستفحال، وتغلب على الخليفة فيها الأولياء والقرابة والمصطنعون، وصار تحت حجرهم من حين قتل المترك وحدثت الفتنة ببغداد، وصار العلوية إلى التواهي مظهريين لدعورتهم، فدعا أبو عبد الله الشيعي سنة ست وثمانين ومائتين بأفريقيبة في طامة لعبيد الله المهدى بن محمد بن

المترك فسعي عنده في الحسن بن مخلد وكان معه ديوان الضياع ول موسى بن عقبة عبد الملك وكان على ديوان الخراج، وضمن للمترك في مصادرتها أربعين ألفاً. وأذن المترك وكانت مقطعين إلى عبيد الله بن خاقان، فلطف عند نجاح وخادعه حتى كتب على الرقعتين، وأشار إليه باخذ ما فيها معاً وبدأ بنجاح فكتبه وقضى منه مائة وأربعين ألف دينار سوى الغلات والفرش والضياع، ثم ضرب فمات وصودر أولاده في جميع البلاد على أمراء جمه.

### مقتل المترك وبيعة المتصر ابنه

كان المترك قد عهد إلى ابنه المتصر ثم ندم وأبغضه لما كان يتوجه فيه من استعجاله الأمر لنفسه، وكان يسميه المتصر والمستعجل لذلك. وكان المتصر تذكر عليه المغافر عن سنن سلفه فيما ذهبوا إليه من مذهب الاعتزاز والتشيع على، وربما كان الندمان في مجلس المترك يفيسون في ثلب على فينكر المتصر ذلك ويتهدهم ويقول للمترك: إن علينا هو كبير بيتنا وشيخ بني هاشم، فإن كنت لا بد ثالبه فتول ذلك بنفسك ولا تجعل هؤلاء الصغارين سبلاً إلى ذلك فيستخف به ويشتمه، ويأمر وزيره عبيد الله بصفعه وتهده بالقتل ويصرخ بخليعه. وربما استخلف ابنه الخبر في الصلاة والخطبة مراراً وتركه فطروي من ذلك على النكث. وكان المترك قد استفسد إلى بغا ووصيف الكبير ووصيف الصغير ودواجن، فأفسدوا عليه الولي. وكان المترك قد أخرج بغا الكبير من الدار وأمره بالمقام بسيساط تمهيد الصراف، فسار لذلك واستخلف مكانه ابنه موسى في الدار وكان ابن خالة المترك، واستخلف على الستر بغا الشرابي الصغير.

ثم تغير المترك لوصيف وقبض ضياعه بأصبهان والجبل وأقطعها الفتاح بن خاقان، فتغير وصيف لذلك وداخل المتصر في قتل المترك، وأعد لذلك جماعة من المواري بعثهم مع ولده صالح وأحمد وعبد الله ونصر، وجاوزوا في الليلة التي انعدوا فيها. وحضر المتصر ثم اصرف على عادته، وأخذ زراقة الخادم معه، وأمر بغا الشرابي الندمان بالانصراف حتى لم يبق إلا الفتاح وأربعة من الخاصة، وأغلق الأبواب إلا بباب دجلة فأدخل منه الرجال وأحسن المترك وأصحابه بهم فخافوا على أنفسهم، واستسلموا وابتدرموا إليه فقتلوه. وألقى الفتاح نفسه عليهم ليقيه فقتلوه. وبعث إلى المتصر وهو بيت زراقة فأخبره وأوصى بقتل

والشام بالاستبداد من لدن الخمسين والماطين أيام الفتنة إلى آخر المائة الثالثة ثم أعقبتها دولة أخرى لمواليهم بني طفع إلى الستين والثلاثمائة. وفي خلال هذا كله تضاعف نطاق الدولة العباسية إلى نواحي السواد والخزيرة فقط، إلا أنهم قامون ببغداد على أمرهم. ثم كانت للديلم دولة أخرى استولوا فيها على التراخي وملكونا الأعمال ثم ساروا إلى بغداد وملكونها وصيروا الخليفة في ملكتهم من لدن المستكفي أعمام الثلاثين والثلاثمائة، وكانت من أعظم الدول. ثم أخذنا من أياديهم السلجوقة من الغز إحدى شعوب الترك، فلم تزل دولتهم من لدن القائم ستة أربعين وأربعين إلى آخر المائة السادسة، وكانت دولتهم من أعظم الدول في العالم.

وتشعبت عنها دول هي متصلة إلى عهدها حسبما يذكر ذلك كله في مكانه ثم استبد الخلفاء من بني العباس آخرًا في هذا النطاق الضيق ما بين دجلة والفرات وأعمال السواد وبعض أعمال فارس، إلى أن خرج التار من مفارقة الصين وزحفوا إلى الدولة السلجوقة وهم على دين الجوسية، و Zhao 2013، وحفروا إلى بغداد فقتلوا الخليفة المعتصم، وانقرض أمر الخلافة وذلك سنة ست وخمسين وستمائة. ثم أسلموا بعد ذلك وكانت لهم دولة عظيمة، وتشعبت عنها دول لهم وأشياعهم في التراخي وهي باقية لهذا العهد آخره في الثلاثين كما نذكر ذلك كله في أماكنه.

## دولة المتصـر

ولا يوحي المتصـر كما ذكرناه ولـ علي المظالم أبا عمرو أحد بن سعيد، وعلى دمشق عيسى بن محمد التورشـي وكان على وزارته أحد بن الخصـيب، واستقامت أموره وتفاوضـ وصـيفـ ويعـا وأحد بن الخصـيبـ في شأن المعتـزـ والمـؤـيدـ لما توـقـعواـ من سـطـرـتـهمـ بسببـ قـتـلـ المـترـكـ، فـحـمـلـوـاـ المـتصـرـ عـلـىـ خـلـعـهـماـ لأـرـبـيعـ يـوـمـاـ منـ خـلـافـتـهـ وـبـعـثـ إـلـيـهـماـ بـذـلـكـ فـاجـابـ المـؤـيدـ وـامـتـعـ المـعـتـزـ فـأـغـلـظـهـ عـلـيـهـ وأـرـهـمـوـهـ القـتـلـ فـخـلـاـ بـهـ المـؤـيدـ وـتـلـفـ بـهـ حـتـىـ أـجـابـ وـخـلـعـ نـفـسـهـ وـكـتـبـ ذـلـكـ بـخـطـهـماـ. ثـمـ دـخـلـاـ عـلـىـ المـتصـرـ فـاجـلسـهـماـ وـاعـتـذرـ لهـماـ بـسـعـ منـ الـأـمـرـاءـ بـاـنـهـمـ الـذـينـ حـلـوهـ عـلـىـ خـلـعـهـماـ فـاجـبـهـمـ إـلـىـ ذـلـكـ خـشـيـةـ عـلـيـكـمـ مـنـهـمـ، فـقـبـلـ يـدـهـ وـشـكـرـاـ لـهـ وـشـهـدـ عـلـيـهـمـ الـقـضـاءـ وـبـنـ هـاشـمـ وـالـقـوـادـ وـوـجـوـهـ الـنـاسـ، وـكـتـبـ بـذـلـكـ المـتصـرـ إـلـىـ الـأـفـاقـ إـلـىـ مـحـمـدـ بـنـ طـاهـرـ بـغـدـادـ. ثـمـ إـنـ أـحـدـ بـنـ الخـصـيبـ أـخـاـ المـتصـرـ أـمـرـ بـخـارـجـ وـصـيفـ لـلـصـافـةـ وـإـيـعادـهـ عـنـ الدـوـلـةـ لـمـ بـيـنـهـماـ مـنـ الشـحـنـاءـ، فـأـحـضـرـهـ المـتصـرـ وـقـالـ لـهـ: قـدـ أـتـانـاـ مـنـ طـاغـيـةـ الـرـومـ أـفـسـدـ التـغـرـ فـلـاـ بـدـ مـنـ مـسـيرـ أوـ مـسـيرـيـ، فـقـالـ: بـلـ أـنـاـ

جـعـفـرـ بـنـ مـحـمـدـ بـنـ إـسـمـاعـيلـ بـنـ جـعـفـرـ الصـادـقـ وـبـايـعـ لـهـ، وـانتـزعـ أـفـرـيقـيـةـ مـنـ يـدـ بـنـ الـأـغـلـبـ وـاستـولـ عـلـىـ الـمـغـرـبـ الـأـقـصـيـ وـمـصـرـ وـالـشـامـ وـاقـطـعـوـاـ سـائـرـ هـذـهـ الـأـعـمـالـ عـنـ بـنـ الـعـبـاسـ وـاستـحدـوـاـ لـهـ دـوـلـةـ أـتـامـتـ مـاـتـيـنـ وـسـبـعـنـ سـنـةـ كـمـاـ يـذـكـرـ فـيـ أـخـبـارـهـ. ثـمـ ظـهـرـ بـطـرـسـتـانـ مـنـ الـعـلـوـيـةـ الـحـسـنـ بـنـ زـيـدـ بـنـ مـحـمـدـ بـنـ إـسـمـاعـيلـ بـنـ الـحـسـنـ بـنـ زـيـدـ بـنـ الـحـسـنـ السـبـطـ وـيـعـرـفـ بـالـدـاعـيـ، خـرـجـ سـنـةـ خـسـنـ وـمـاـتـيـنـ أـيـامـ الـمـسـتعـنـ وـلـحـقـ بـالـدـيـلـمـ فـاسـلـمـوـاـ عـلـىـ يـدـيهـ وـمـلـكـ طـبـرـسـتـانـ وـتـوـاحـيـهـ، وـصـارـ هـنـالـكـ دـوـلـةـ أـتـذـهـاـ مـنـ يـدـ أـخـيـهـ سـنـةـ إـحـدـيـ وـلـثـلـامـةـ الـأـطـروـشـ مـنـ بـنـ الـحـسـنـ، وـأـسـتـولـ عـلـىـ بـنـ بـنـ الـحـسـنـ، ثـمـ مـنـ بـنـ بـنـ الـحـسـنـ، عـمـ دـاعـيـ الطـالـقـانـ أـيـامـ الـمـعـتـصـمـ وـقـدـ مـرـ خـبـرـهـ. وـاسـمـ هـذـهـ الـأـطـروـشـ الـحـسـنـ بـنـ عـلـيـ بـنـ الـحـسـنـ، وـأـسـتـولـ عـلـىـ بـنـ عـمـ وـكـانـ لـهـ دـوـلـةـ وـانـقـرـضـتـ أـيـامـ الـحـسـنـ، وـأـسـتـولـ عـلـىـ الـدـيـلـمـ وـصـارـتـ لـهـ دـوـلـةـ أـخـرىـ.

وـظـهـرـ بـالـيمـنـ الرـئـيـسـ وـهـوـ اـبـنـ إـبـراهـيمـ طـبـاطـبـاـ بـنـ إـسـمـاعـيلـ بـنـ إـبـراهـيمـ بـنـ حـسـنـ المـقـنـيـ فـاظـهـرـ هـنـالـكـ دـعـرـةـ الـزـيـدـيـةـ، وـمـلـكـ صـعـدـةـ وـصـنـعـاءـ وـبـلـادـ الـيـمـنـ، وـكـانـ لـهـ هـنـالـكـ دـوـلـةـ وـلـمـ تـزـلـ حـتـىـ الـآنـ. وـأـوـلـ مـنـ ظـهـرـ مـنـهـمـ يـحـيـيـ بـنـ الـحـسـنـ بـنـ الـقـاسـمـ سـنـةـ تـسـعـينـ وـمـاـتـيـنـ، ثـمـ ظـهـرـ أـيـامـ الـفـتـنـةـ مـنـ دـعـةـ الـعـلـوـيـةـ صـاحـبـ الزـنـجـ اـدـعـيـ آـهـ أـحـدـ بـنـ عـيـسـيـ بـنـ زـيـدـ الشـهـيدـ وـذـلـكـ سـنـةـ خـسـنـ وـخـسـنـ وـمـاـتـيـنـ أـيـامـ الـمـهـتـدـيـ، وـطـنـنـ النـاسـ فـيـ نـسـبـهـ فـادـعـيـ آـهـ مـنـ لـدـ يـحـيـيـ بـنـ زـيـدـ قـيـيلـ الـجـوـرـجـانـ، وـقـيـيلـ: إـنـ اـنـتـسـبـ إـلـىـ طـاهـرـ بـنـ الـحـسـنـ بـنـ عـلـيـ وـالـذـيـ ثـبـتـ عـنـ الـمـحـقـقـيـنـ آـهـ عـلـيـ بـنـ عـبـدـ الـحـلـيـمـ بـنـ عـبـدـ الـقـيـسـ، فـكـانـتـ لـهـ وـلـبـنـهـ دـوـلـةـ بـنـواـحـيـ الـبـصـرـ أـيـامـ الـفـتـنـةـ قـامـ بـهـ الزـنـجـ إـلـىـ أـنـ انـقـرـضـتـ عـلـىـ يـدـ الـمـعـتـضـدـ أـيـامـ الـسـبـعـينـ وـمـاـتـيـنـ.

ثـمـ ظـهـرـ الـقـرـظـ بـنـواـحـيـ الـبـحـرـيـنـ وـعـمـانـ فـسـارـ إـلـيـهاـ مـنـ الـكـوـفـةـ سـنـةـ تـسـعـ وـسـبـعـنـ أـيـامـ الـمـعـتـضـدـ، وـانتـسـبـ إـلـىـ بـنـ إـسـمـاعـيلـ الـإـمامـ بـنـ جـعـفـرـ الصـادـقـ دـعـوـيـ كـانـبـةـ، وـكـانـ مـنـ أـصـحـابـهـ الـحـسـنـ الـجـمـالـيـ وـزـكـرـونـةـ الـقـاشـانـيـ فـقـامـوـاـ مـنـ بـعـدـهـ بـالـدـعـرـةـ وـدـعـوـاـ لـعـبدـ اللـهـ الـمـهـدـيـ وـغـلـبـواـ عـلـىـ الـبـصـرـ وـالـكـوـفـةـ، ثـمـ انـقـطـعـوـاـ عـنـهـاـ إـلـىـ الـبـحـرـيـنـ وـعـمـانـ، وـكـانـ لـهـ هـنـالـكـ دـوـلـةـ اـنـقـرـضـتـ أـخـرـ المـائـةـ الـرـابـعـةـ، وـتـنـقـلـ عـلـيـهـمـ الـعـرـبـ مـنـ بـنـ سـلـيـمـ وـبـنـ عـقـيلـ. وـفـيـ خـلـالـ ذـلـكـ اـسـتـبـدـ بـنـ سـامـانـ بـاـ وـرـاءـ الـنـهـرـ أـخـرـ الـسـيـنـ وـمـاـتـيـنـ وـأـقـامـوـاـ عـلـىـ الدـعـوـةـ إـلـىـ أـنـهـمـ لـاـ يـنـفـذـوـنـ أـوـامـرـ الـخـلـفـاءـ وـأـقـامـتـ دـوـلـتـهـمـ إـلـىـ أـخـرـ المـائـةـ الـرـابـعـةـ.

ثـمـ اـنـتـصـلـتـ دـوـلـةـ أـخـرىـ فـيـ مـوـالـيـهـمـ بـغـزـنـةـ إـلـىـ مـتـصـفـ الـمـائـةـ الـسـادـسـةـ، وـكـانـ لـلـأـغـلـبـةـ الـقـيـرـوانـ وـأـفـرـيقـيـةـ دـوـلـةـ أـخـرىـ بـمـصـرـ

الأتراك قتلهم فمنعهم أحد بن الخصيب من ذلك. ثم قبض على أحد بن الخصيب فاستُصلِّي ماله ومال ولده ونفاه إلى قرطيش واستوزر أنامش وعقد له على مصر والمغرب وعقد لبغا الصغير على حلوان ومسابدان ومهرجا تعرف، وجعل شاهك الخادم على داره وكراعه وحرمه وخاصة أموره وخدمة، وأشناس على جميع الناس. وعزل علي بن يحيى الأرمي عن التغور الشامية وعقد له على أرمينية وأذربيجان. وكان على حصن كندر فرثب به أهلها فآخر جره بعث المستعين الفضل بن قارن وهو آخر مازيار فاستباحهم وحمل أعيانهم إلى سامرا وبعث المستعين إلى وصيف وهو بالغ الشامي بآن يغزو بالصافطة، فدخل بلاد الروم واقتصر حصن قروريه ثم غزا بالصافطة سنة تسع وأربعين جعفر بن دينار وافتتح مطامير واستاذنه عمر بن عبد الله الأقطع في تدويخ بلاد الروم فاذن له فدخل في جماعة من أهل ملطية ولقي ملك الروم، فخرج الأسقف في حسين الفا أحاطوا به وقتل عمر في القفين من المسلمين. وكان على التغور الجزيرية فاغار عليها الروم ويبلغ ذلك علي بن يحيى وهو قابل من أرمينية إلى ميافارقين ومعه جماعة من أهلها فنفر إليهم وهو في نحو أربعينأة فقتلوا وقتل.

### فتنة بغداد وسامرا

ولما اتصل الخبر ببغداد وسامرا بقتل عمر بن عبد الله وعلى بن يحيى شق ذلك على الناس لما كانوا عليه من عظيم الغلاء في الجهاد، واشتد نكيرهم على الترك في غفلتهم عن الصالح وتذكروا قتل الترك واستيلاءهم على الأمور فاجتمع العامة وتنددوا بالغير إلى الجهاد. وانضم إليهم الشاكريه يطلبون أرزاقهم ثم فتقوا السجون وقطعوا الحسسور واتهروا دور كتاب محمد بن عبد الله بن طاهر. ثم أخرج أهل اليسار من بغداد الأموال ففرقوها في المجاهدين وجاءت العامة من الجبال وفارس والأهواز فنفروا للغزو، ولم يظهر للمستعين ولا لأهل الدولة في ذلك أثر. ثم وتب العامة بسامرا وفتقوا السجنون وخرج من كان فيها وجاه جماعة من المراكب في طلبهم فرثب العامة بهم وهزموا وركب بغا ووصيف وأنامش في الترك فقتلوا من العامة خلقاً واتهروا منازلهم وسكنت الفتنة.

### مقتل أنامش

كان المستعين لا يطيق يد أمه وأنامش وشاهك الخادم في الأموال وما فضل عنهم فلتفقات العباس بن المستعين، وكان في

أشخص يا أمير المؤمنين! فامر أحد بن الخصيب أن يجهزه ويزبح عزل العسكر معه، وأمره أن يوافي ثغر ملطية فسار وعلى مقدمته مزاحم بن خاقان أخو الفتح، وعلى نتفات العساكر واللغائم والمقاسم أبو الوليد القروالى أن يائيه رأيه.

### وفاة المنصور وبيعة المستعين

ثم أصابت المنصور علة الذمة فهلك خمس بقين من ربیع الأول من سنة ثمان وأربعين ومائتين لستة أشهر من ولادته، وقيل: بل أكثر من ذلك فجعل السُّم في مشرطة الطيب فاجتمع الموالي في القصر وفيه بغا الصغير وبغا الكبير وأنامش وغيرهم فاستحلقوا قواد الأتراك والمغاربة والأشروسيه على الرضا بن يربضونه هم، ثم خلصوا للمبشرة ومعهم أحد بن الخصيب فعدلوا عن ولد الترك خوفاً منهم ونظروا في ولد المعتضي فبايعوه واستكتب أحد بن الخصيب واستوزر أنامش وغدا على دار العامة في زي الخلافة، وإبراهيم بن إسحاق يحمل بين يديه الحريسه، وصفت المالك والأشروسيه صفين بترتيب دواجن، وحضر أصحاب المراتب من العباسين والطالبيين، وثار جماعة من الجناد وقصدوا الدار يذكرون أنهم من أصحاب محمد بن عبد الله بن طاهر والغرفاء فشهروا السلاح وهتفوا باسم العتر وشدوا على أصحاب دواجن فتضعضعوا، ثم جاءت الميضة والشاكريه، وحمل عليهم المغاربة والأشروسيه فثبتت الحرب وانتهت الدروع والأسلحة من الخزان بدار العامة وجاء بغا الصغير فدفعهم عنها وقتل منهم عدة وفتق السجون وتمت بيعة الأتراك للمستعين، ووضع العطايا على البيعة وبعث إلى محمد بن عبد الله بن طاهر فإباع له هو والناس ببغداد.

ثم جاء الخبر بوفاة طاهر بن عبد الله بن طاهر بخراسان وهلك عمه الحسين بن طاهر ببرو فقد المستعين لابنه محمد بن طاهر مكانه وعقد محمد بن عبد الله بن طاهر على خراسان سنة ثمان وأربعين ومائتين، وولى عمه طلحه على نيسابور، وابنه منصور بن طلحه على مرو وسرخس وخوارزم، وعمه الحسين بن عبد الله على هرة وأعمالها، وعمه سليمان بن عبد الله على طبرستان، والعباس ابن عمه على الجوزجان والطالقان.

ومات بغا الكبير فول ابنه موسى على أعمالها كلها وبعث أناجر من قواد الترك إلى العمروط التغلبي فقتله. واستاذنه عبد الله بن يحيى بن خان في الحج فأذن له، ثم بعث خلفه من نفاه إلى برقة، وحبس العتر المؤيد في حجره بالجروسق بعد أن أراد قواد

في أصحابه، وأسروا الكبير من أتباعه، كان منهم الميضم العجلي وغيره، والخلف الحرب عن يحيى بن عمر قتيلاً فبعثوا برأسه إلى محمد عبد الله بن طاهر فبعث به إلى المستعين وجعل في صندوق في بيت السلاح وهي بالأسرى فحبسوا وكان ذلك متتصف رجب سنة خمس وثلاثين.

### ابتداء الدولة العلوية بطبرستان

ما ظهر محمد بن عبد الله بن طاهر بيحني بن عمرو وكان له من الغاء في حرمه ما قدمناه، أقطعه المستعين قطاع من صوافي السلطان بطبرستان كانت منها قطعة بقرب ثغر الديلم تسمى رسالوس وفيها أرض موات ذات غياض وأشجار وكلا، مباحثة لصالح الناس من الاحتياط والرعى، وكان عامل طبرستان يومئذ من قبل محمد بن طاهر صاحب خراسان عممه سليمان بن عبد الله بن طاهر وهو أخو محمد صاحب القلطان، وكان سليمان مكفولاً لأمة وقد حظي عندها وتقديره وفرق أولاده في أعمال طبرستان وأساواوا السيرة في الرعايا ودخل محمد بن أوس بلاد الديلم وهم مسالون فسي منه وخنروا لذلك. وجاء نائب محمد بن عبد الله ليقبض القطاع فحاصر فيها تلك الأرض المرصدة الملاقي الناس، فتكر ذلك الناظر على تلك الأرض وهما محمد وجعفر ابنا رستم واستهضا من أطاعهما من أهل تلك الناحية لمنعه من ذلك، فخافهما النائب ولحق سليمان صاحب طبرستان. وبعث ابنا رستم إلى الديلم يستدرجانهم على حرب سليمان، وبعثا إلى محمد بن إبراهيم من العلوية بطبرستان يدعوانه إلى القيام بأمره، فامتنع وذهبما على كبر العلوية باري الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن السبط، فشخص إليهما وقد اجتمع أهل كلارو رسالوس وقادتهم ابنا رستم وأهل الريان ومعهم الديلم بأسرهم، فبايعوه جميعاً وطردوا عمال سليمان وابن أوس.

ثم انضم إليهم جبار طبرستان وزحف الحسن بن معه إلى مدينة آمد، وخرج ابن أوس من سارية لمدافعته فانهزم ولحق سليمان من سارية فخر سليمان لحرب الحسن. ولما التقى الجماعان بعث الحسن بعض قواده خالد سليمان إلى سارية وسمع بذلك سليمان فانهزم، وملك الحسن سارية، وبعث بعالي سليمان وأولاده في البحر إلى جرجان. وقيل: إن سليمان انهزم اختياراً لما كان بنو طاهر يتمون به من التشيع ثم بعث الحسن إلى الري ابن عميه وهو القاسم بن علي بن إسماعيل ويقال محمد بن جعفر بن

حجر أناشم بعث ذلك عليه بما ووصيف وضاق حال الأتراء والفراغة ودسمهم عليهم بما ووصيف فخرج منهم أهل الكوفة والدور وقصدوه في الجلوس مع المستعين وأراد المرب فلم يطرق، واستجبار بالمستعين فلم يغيره وحاصره يومين، ثم افتتحوا عليه الجلوس وقتلوا كاتبه شجاع بن القاسم ونبت أمواهم واستوزر المستعين مكانه أبا عبد الله بن محمد بن علي على الأهواز، وبما الصغير على فلسطين. ثم غضب بما الصغير على أبي صالح فهرب إلى بغداد واستوزر المستعين مكانه محمد بن الفضل الجرجاني وولى على ديوان الرسائل سعيد بن حيد.

### ظهور يحيى بن عمر ومقتله

كان على الطالبيين بالكوفة يحيى بن عمر بن يحيى بن زيد الشهيد ويكنى أبا الحسين وأمه من ولد عبد الله بن جعفر وكان من سرائهم ووجوههم وكان عمر بن فرج يقول أمر الطالبيين أيام التوكيل، فعرض له أبو الحسين عند مقدمه من خراسان يسأله صلة الدين لزمه فاغلظ له عمر القول وحبسه حتى أخذ عليه الكفالة وانطلق إلى بغداد. ثم جاء إلى سامراً وقد أملق فتعرض لوصيف في رزق يجري له، فأفاساه عليه وإليها فرجع إلى الكوفة وعاملها يومئذ أيرب بن الحسين بن موسى بن جعفر بن سليمان بن علي من قبل محمد بن عبد الله بن طاهر، فأعتم على الخروج والسف عليه جمع من الأعراب وأهل الكوفة، ودعا للرضا من آل محمد ففتح السجون ونهاها وطرد العمال، وأخذ من بيت المال الفي دينار وسبعين ألف درهم.

وكان صاحب البريد قد طير خبره إلى محمد بن عبد الله بن طاهر فكتب إلى عامله بالسوداد عبد الله بن محمود السرخسي أن يصير مددًا إلى الكوفة فلقيه وقاتلته فهزمه يحيى وانتهت ما معهم وخرج إلى سواد الكوفة وتبعه خلق من الزيدية، وانتهى إلى ناحية واسط وكانت جموعه. وسرّح محمد بن عبد الله بن طاهر إلى محاربة الحسين بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسين بن مصعب في المساكير فسار إليه.

وقد كان يحيى قصد الكوفة فلقيه عبد الرحمن بن الخطاب المعروف بوجه الفلس فهزمه يحيى إلى ناحية ساهي، ودخل الكوفة واجتمعت عليه الزيدية، واشتمل عليه عامة أهل الكوفة وأمداد الرحمن بن بنداد، وجاء الحسين بن إسماعيل وانضم إليه عبد الرحمن بن الخطاب وخرج يحيى من الكوفة ليعاجلهم الحرب فأسرى ليلته وصبح المساكير فساروا إليه فهزمه ووضعوا السيف

## بيعة المعتر وحصار المستعين

كان قرداد الأتراك لما جاؤوا إلى المستعين ببغداد يعتذرون من فعلهم ويتطايرون في الرضا عنهم وإسانتهم ولم يزالوا به حتى صرخ يومهم وبعد عليهم إحسانه وإسانتهم فلم يزالوا به قاتل لهم بالرضا، فقال بعضهم: فإن كنت رضيت فقم واركب معنا إلى سامرا فكلمه ابن طاهر لسوه خطابهم، وضمحك المستعين لعجمتهم وجههم بأداب الخطاب، وأمر باستمراً أرزاقهم ووعدهم بالرجوع، فانصرفوا حاذقين ما كان من ابن طاهر، وأخرجوا المعتر من محبسه وبايعوا له بالخلافة، وأعطي للناس شهرین، وحضر للبيعة أبو أحد بن الرشيد فامتنع منها وقال: قد خلعت نفسك! فقال: أكرهت! فقال: ما علمنا ذلك ولا خلص لنا في إيماناً فتركه.

ولوا على الشرطة إبراهيم البربر وضيفت له الكتابة والدوافين وبيت المال، وهرب عتاب بن عتاب من القواد إلى بغداد وقام محمد بن عبد الله بن طاهر بالأحتشاد واستقدم مالك بن طرق في أهل بيته وجنته، وأمر حرية بن قيس - وهو على الأكتبار - بالأحتشاد وكتب إلى سليمان بن عمران صاحب الموصل يمنع الميرة عن سامراً، وشرع في تحصين بغداد وأدار عليها الأسوار والخندق من الجانين وجعل على كل باب قائداً، ونصب على الأبواب الجمايق والعدادات، وشحن الأسوار بالرماء والمقاللة وبليفت النفقة في ذلك ثلاثة وثلاثين ألف دينار وفرض للعيارين الرزق واغدق عليهم، وائفذ كتب المستعين إلى العمال بالتوسيع تحمل الخراج إلى بغداد.

وكتب المستعين إلى الأتراك يأمرهم بالرجوع بما فعلوا وكتب المعتر إلى محمد يدعوه إلى بيته، وطال المراجعات في ذلك وكان موسى بن بغا قد خرج لقتال أهل حصن، فاختلت إليه وهو بالشام كتب المستعين والمعتر يدعوه كل واحد منهم إلى نفسه، فاختار المعتر ورجع إليه، وهرب إليه عبد الله بن بغا الصغير من بغداد بعد أن هرب عنه قتله. وهرب الحسن بن الأفتشين إلى بغداد فخلع عليه المستعين وضم إليه الأشرفية. ثم عقد المعتر لأخيه إلى أحد الوائق عن حرب بغداد وضم إليه الجنود مع باكليال من قوادهم، فسار في حسين الفأ من الأتراك والفراغنة والمغاربة، واتهموا ما بين عكيراً وبغداد من القرى والضياع وخربوها، وهرب إليهم جماعة من أصحاب الصغير ووصلوا إلى باب الشامية.

ولى المستعين على باب الشامية الحسين بن إسماعيل بن

عبد الله العقيلي بن الحسين بن علي بن زين العابدين فملكها، وبعث المستعين جنداً إلى همدان ليمنعها. ولما ملك محمد بن جعفر قائد الحسن بن زيد الري أساء السيرة، وبعث محمد بن طاهر قائد محمد بن ميكال آخر الشاه فغلبه على الري، وانتزعها منه وأسره، فبعث إلى الحسن بن زيد قائده دواجن فهز ابن ميكال وقلنه واسترجع الري. ثم رجع سليمان بن طاهر من جرجان إلى طبرستان فملكها ولحق الحسين بالدليل وسار سليمان إلى سارية وأمد، ومعهم أبناء قارن بن شهريزاد فدفع عنهم ونهى أصحابه عن الفتوك والأذى. ثم جاء موسى بن بغا بالساكن فملك الري من يدي أبي دلف وبعث مصلحاً إلى طبرستان ولحق الحسن بالدليل ودخل مفلح آمد وخرب منازل الحسن ورجع إلى موسى بالري.

## مقتل باغر

وكان باغر هذا من قواد الترك ومن مجلة بغا الصغير، ولما قتل المترك زيد في أرزاقه وأقطعوه قري بسود الكوفة وضمها له بعض أهل باروسما بـألفي دينار فطلب ابن مارمة وكيل باغر وجسه ثم خلص وسار إلى سامراً، وكانت له ذمة من تصراني عند بغا الصغير فأغاره التصراني من كيد بغا وأغراه به فقضى لذلك باغر وشكى إلى بغا فأغاظله له القول، وقال: إني مستبدل من التصراني وأفعل فيه بعد ذلك ما تريد، ودس إلى التصراني بالخنزير من باغر وأظهر عزله، وبقي باغر يتهدده وقد انقطع عن المستعين، وقد منعه بغا في يوم نوبته عن الحضور بدار السلطان فسأل المستعين وصيفاً عن أعمال إياتخ وقتلها لباغر، فسئل وصيفاً في الشأن فلطف له أنه ما علم قصد الخليفة. وتنكر بغا لباغر فجمع أصحابه الذين يابعوه على المترك وجدد عليهم العهد في قتل المستعين وبغا ووصيف، وأن ينصبوا ابن المعتصم أو ابن الوائلي ويكون الأمر لهم. وما الخبر على الترك إلى المستعين فاضحرا بغا ووصيفاً وأعلمهما بالخبر، فحلقا له على العلم وأمرروا بمحبس باغر ورجلين معه من الأتراك فسخطوا ذلك، وثاروا فانهربوا إلى الإصطبل وحضروا الجرثق وأمر بغا ووصيف وشاهك الخادم وكاتبه أحد بن صالح بن شيرزاده ونزل على محمد بن طاهر في بيته في المحرم ستة إحدى وخمسين ولحق به القواد والكتاب والعمال وبنوا هاشم وتختلف جعفر الخياط وسلامان بن يحيى بن معاذ فندم الأتراك، وركب جماعة من قوادهم إلى المستعين وأصحابه ليردومهم فأبوا ورجعوا آيسين منه وتفاوضوا في بيعة المعتر.

في جماعة من القواد والجندي، فاعتراضه الأتراك وحاربوه، وعاد الأبار وتقى وهو ليترى عليهما، وبينما هو يخط الأقوال إذا بالأتراك فقاتلهم وهزمهم وأثخن فيهم، وكانوا قد كمنوا له فخرج الكمين وانهزم الحسين وغرق كثير من أصحابه في الفرات، وأخذ الأتراك عسكره، ووصل إلى الياسية آخر جادى الآخرة ومنع ابن طاهر المهزومين من دخول بغداد وتوعذهم على الرجوع إليه، وأمده بجند آخر، فدخل من الياسية وبعث على المخاض الحسين بن علي بن يحيى الأرمي في مائتي مقاتل ليمعن الأتراك من العبور إلى من عددة الفرات، فوافوه وقاتلوه عليها فهزموه، وركب الحسين في زورق متقدراً وترك عسكته وأنقاله، فاستولى عليهما الأتراك ووصل المهزومون إلى بغداد من ليلتهم، ولحق من عسكته جماعة من القواد والكتاب بالمعتز وفيهم علي ومحمد ابنوا الواثق، وذلك أول رجب.

ثم كانت بينهم عدة وقفات وقتل من الفريقين خلق ودخل الأتراك في كثير من الأيام بغداد وأخرجوا عنها. ثم ساروا إلى المدائن وغلبوا عليها ابن أبي السفاح وملوكها. وجاء الأتراك الذين بالأبار إلى الجانب الغربي وانهروا إلى صرصر وقصر ابن هيبة واتصل الحصار إلى شهر ذي القعدة وخرج ابن طاهر في بعض أيامه في جميع القواد والعساكر، فقاتلهم وانهزموا وقتل منهم خلق وارتقم الذين كانوا معه بما ووصيف لذلك فلحقوا بالأتراك. ثم تراجع الأتراك وانهزم أهل بغداد.

ثم خرج في ذي الحجة رشيد بن كاووس آخر الأفشنين ساعياً في الصلح بين الفريقين، واتهم الناس ابن طاهر بالسمى في خلع المستعين. فلما جاء رشيد وأبلغهم سلام المعتز وأخيه أبي أحمد شتموه وشتموا ابن طاهر وعمدوا إلى دار رشيد ليهدموه، وسأل ابن طاهر من المستعين أن يسكنهم، فخرج إليهم ونهاهم ويرأ ابن طاهر مما اتهموه به، فانصرفوا، وترددت الرسل بين ابن طاهر وبين أبي أحد فتجدد للعامة والجندي سوءظن، وطلب الجندي أرزاقهم فروعدتهم بشهرين وأمرهم بالنزول، فأبوا إلا أن يعلمهم الصحيح من رأيه في المستعين. وخاف أن يدخلوا الأتراك كما عمل أهل المدائن والأبار، فأصعد المستعين على سطح دار العامة حتى رأه الناس ويده البردة والقضيب، وأقسم عليهم فانصرفوا.

وعازم ابن طاهر على التحول إلى المدائن، فجاءه وجوه الناس واعذرها له بالغوغاء فاقتربوا بقل المستعين عن دار ابن طاهر إلى دار رزق الخامن بالرصافة. وأمر القواد وبني هاشم بالكرون مع ابن طاهر، فركب في نعية وخلف لهم على المستعين

إبراهيم بن الحسن بن مصعب، وجعل القواد هنالك تحت يده ووافت طلائع الأتراك إلى باب الشamasية فوققا بالقرب منه، وأمده ابن طاهر بالشهاب بن ميكال وبيدار الطبرى. ثم ركب محمد بن عبد الله بن طاهر من الغد ومعه بما ووصيف والفقهاء والقضاة، وذلك عاشر صفر، وبعث إليهم يدعوهم إلى مراجعة الطاعة على المعترض عليه فلم يجيبوا. فانصرفوا وبعث إليه القواد من الغد بأنهم زحفوا إلى باب الشamasية فنهاهم عن منادتهم بالقتال.

وقدم ذلك اليوم عبد الله بن سليمان خليفة بما من مكة في ثلاثة رجل. ثم جاء الأتراك من الغد فاقتتلوا مع القواد وانهزم القواد وبقي ابن طاهر أن جماعة من الأتراك ساروا نحو النهر وانهزم، فبعث قاتلها من أصحابه إليهم فرجع منهزاً، واستولى الأتراك على طريق خراسان وقطعواها عن بغداد. ثم بعث المعترض عسكراً آخر نحو أربعة آلاف فنزلوا في الجانب الغربي، وبعث ابن طاهر إليهم الشاه بن ميكال فهزمه وأثخن فيهم، ورجع إلى بغداد فخلع عليه وعلى سائر القواد أربع خلح وطوقاً وسواراً من ذهب لكل واحد. ثم أمر ابن طاهر بهدم الدور والخوانيس إلى بباب الشamasية لتسقط المجال للحرب، وقدمت عليه أموال فارس والأهواز مع مكحول الأشروسى وخرج الأتراك لاعتراضه. وبعث ابن طاهر لحفظه فقدموا به إلى بغداد، ولم يظفر به الأتراك، ومضوا نحو النهر وانهزموا سفن الحسر.

وكان المستعين قد بعث محمد بن خالد بن يزيد بن مزيد وبالياً على التغور الجزرية، وأقام يتظر الجندي والمالي، فلما بلغه خبر هذه الفتنة جاء على طريق الرقة إلى بغداد فخلع عليه ابن طاهر وبعثه في جيش كثيف مخانتهم، وصار إلى ضيعة بالسوداد فأقام بها فقال ابن طاهر: لن يفلح أحد من العرب إلا أن يكون معه نبي ينصره الله به! ثم ذهب الأتراك وقاتلوا. واتصل الحصار واشتدت الحرب وانتهت الأسواق، وورد الخبر من التغور بأن بلکاجور حل الناس على بيعة المعتز فقال ابن طاهر: لعله ظن موت المستعين فكان كذلك، ووصل كتابه بأنه جدد البيعة، وكان موسى بن بما مع الأتراك كما قد تقدمنا، فرار الرجوع على المستعين فامتنع أصحابه وقاتلوه فلم يتم له أمره وفر القطاعون من البصرة ورموا على الأتراك فاحتراقهم، فبعث ابن طاهر إلى المدائن ليحفظها، وأمده بثلاثة آلاف فارس، بعث إلى الأبار حوية بن قيس فشق الماء إلى خندقها من الفرات، وجاء إلى الإسحاقى من قبل المعترض فسبق المدد الذي جاء من قبل ابن طاهر، وملك الأنبار. ورجع حوية إلى بغداد فأنفذ ابن طاهر الحسين بن إسماعيل

بسامرا فعقد إليهما المعتز على أعمالهما، ورد البريد إلى موسى بن بغا الكبير.

ثم كانت فتنة بين جند بغداد وابن طاهر في شهر رمضان، جاؤوا إليه يطلبون أرزاقهم قال: كتب إلى أمير المؤمنين في ذلك فكتب إلى إن كنت تريد لجند لنفسك فأعطيهم، وإن كان لنا فلا حاجة لنا فيهم. فشغروا فرق فيهم النبي دينار فسكنوا ثم اجتمعوا ثانية ومعهم الأعلام والطلبول، وضربوا الخيم بباب الشامية وبنوا البيوت من الأعماد والقصب. وجع محمد بن إبراهيم أصحابه وشحون داره بالرجال، وأرادوا يوم الجمعة أن يمنعوا الخطيب من الدعاء للمنتزع فقد اعتذر بالمرض، فخرجوا إلى الجسر ليقطعوا فقاتلهم أصحاب ابن طاهر ودفعوهم عنه. ثم دفعوا أصحاب ابن طاهر بإعانة أهل الجانب الشرقي، وجاء العامة فجلس الشرطة فأمر ابن طاهر بإحراق الحوانيت إلى باب الجسر ومات أصحاب تعبية الحرب وجاء من دله على عرفة الجندي فسرح الشاه ابن ميكال وعرض القواد فسار إلى ناحيته، واقتروا وقتل بينهم ابن الخليل.

وحل رئيسهم الآخر ابن القاسم عبدون بن الموفق إلى ابن طاهر وما تفاصيل ذلك. وأخرج المعتز أخيه المؤيد من ولاية العهد، وذلك أن العلاء بن أحمد عامل أرمينة بعث إلى المؤيدخمسة آلاف دينار فأخذها عيسى بن فرخاشاه، فأغرى المؤيد عيسى الأتراك والمغاربة بفتح المعتز إلى المؤيد وأبي أحمد فحبسهما وقيد المؤيد فأخذ خطه بخلع نفسه. ثم غي إلى أنه أن الأتراك يرونون إخراجه من الحبس، فسأل عن ذلك موسى بن بغا فأنكر علم ذلك، وأخرج المؤيد من الغد ميتاً ودفنته أمه. فيقال غطى على أنه فمات، وقيل: أتعد في الثلوج ووضع على رأسه. ثم نقل آخره ابن أحمد إلى مجلسه.

ثم اعتزم المعتز على قتل المستعين فكتب إلى محمد بن عبد الله بن طاهر أن يسلمه إلى سينا الخادم، وكتب محمد في ذلك إلى الملكين به بواسطه، يقال: بل أرسل بذلك أحد بن طولون، فصار به في القاطرين وسلمه إلى سعيد بن صالح، فضربه سعيد حتى مات وقيل: القاء في دجلة مجمر في رجله، وكانت معه دابته فقتلت معه وحمل رأسه إلى المعتز فامر بذبحه، وأمر لسعيد بخمسين ألف درهم وولاه معونة البصرة. ثم وقعت فتنة بين الأتراك والمغاربة مستهل رجب، بسبب أن الأتراك وثروا عيسى بن فرخاشاه فضربوه وأخذوا دابته لما أمرهم المؤيد، فامتضرت المغاربة له ونکروا على الأتراك وغلبوا عليهم على الجوسق وأخذوا دوابهم وركبوا وملکوا بيت المال.

وعلى قصد الإصلاح فدعوا له، وسار إلى المستعين وأغراه به وأمر بغا ووصيفاً بقتله فلم يفعل. وجاءه أحد بن إسرائيل والحسين بن خلد مثل ذلك في المستعين، فتغير له ابن طاهر. فلما كان يوم الأضحى وقد حضر الفقهاء والقضاة طالبه ابن طاهر بإمساك الصلح، فأجاب وخرج إلى باب الشامية، فجلس هناك ابن طاهر إلى المستعين وأخبره بأنه عقد الأمر إلى أن يخلع نفسه، وبينلوا خسين ألف دينار، ويغطوه غلة ثلاثين ألف دينار، ويقسم بالحجاز متراجعاً بين الحرمين، ويكون بغا والياً على الحجاز، ووصيف على الجبل، ويكون ثالث الجبلية لابن طاهر وجند بغداد والثلاثان للمعراجي والأتراب. فامتنع المستعين أولًا من الخلع ظناً منه أن وصيفاً وبغا معه. ثم تبين موافقتهما عليه فأجاب وكتب بما أراد من الشروط وأدخل الفقهاء وأشهدهم بأنه قد صير أمره إلى ابن طاهر. ثم أحضر القواد وأخبرهم بأنه ما قصد بهذا الإصلاح إلا حقن الدماء وأخرجهم إلى المعتز ليوافقهم بخطه على كتاب الشرط ويشهدوا على إقراره، فجاؤوا بذلك لست خلون من المحرم سنة اثنين وخمسين ومائتين.

## خلع المستعين ومقتله والفتن خلال ذلك

ولما تم ما عقده ابن طاهر ووافى القواد بخط المعتز على كتاب الشروط، أخذ البيعة للمنتزع على أهل بغداد، وخطب له بها وبایع له المستعين وأشهد على نفسه بذلك، فنقله من الرصافة إلى قصر الحسن بن سهل ومعه عياله وأهله، وأخذ السردة والقضيب والخاتم ومنع من الخروج إلى مكة، فطلب البصرة فمنع منها وبعد إلى واسط. فاستوزر المعتز أحد بن أبي إسرائيل ورجع أخوه أبو أحد إلى سامرا. وفي آخر المحرم انصرف أبو الساج دبواز بن درموسب إلى بغداد فقلده ابن طاهر معاون السواد بعث معه مؤنة إليها لطرد الأتراك والمغاربة عنها، وسار هو إلى الكوفة.

ثم كتب المعتز إلى ابن طاهر بإسقاط بغا ووصيف ومن معهما من الدواوين وكان محمد أبو عون من قواد ابن طاهر قد تخلف لأبي إسحاق بقتلهما، وعقد له المعتز على اليعامة والبحرين والبصرة. وهي الخبر إليهما بذلك فركبا إلى ابن طاهر وأخبراه الخبر وأن القوم قد نقضوا العهد. ثم بعث وصيف أخوه سعاد إلى المؤيد وكان في حجرها فاستورهبت له الرضا من المعتز وكذا فعل أبو أحد مع بغا وكتب لهم المعتز جميعاً بالرضا. ثم رغب الأتراك في إحضارهما بسامرا، فكتب بذلك ودس إلى ابن طاهر عندهما. فخرجا فيمن معهما ولم يقدر ابن طاهر على منعهما. وحضرما

اسمه عيادة بن زهير العمري بسبب الخلاف في توبية الخطاطي، وقال عيادة: لا تقبل واجتمع معه جماعة وخرج إليهم مساور من الحديثة واقتلوها قتالاً شديداً ثم قتل عيادة وانهزم أصحابه.

وخرج إليه آخر من بي زهر اسمه طرق، فجمع له الحسن بن أيوب بن أحد العدوبي جماعاً كثيراً وحاربه فقاتله سنة خمس أو سبع، واستولى مساور على أكثر العراق ومنع الأموال، فسار إليه موسى بن بنا بابكيال في العساكر فاتهرا إلى.... وبلغهم خبر الأتراء مع المهدي فاقاموا ثم زحفوا بملح المهدى، فلما ولـي المعتمد سير مفلحاً إلى قتال مساور في عسكر كبير وخرج مساور عن الحديثة إلى جبلين حذاءها وقاتلته مفلح في اتباعه، ولحق الجبل فاعتتصم به وأقام مفلح في حصاره، فكانت بينهما وقفات وكثـرت الجراحة في أصحاب مساور من لدن حربه مع عيادة إلى هذه الحروب فسار عن الجبل وتركه وأصبح مفلح وقد فقدـهم فـسار إلى الموصل ثم إلى ديار ربيعة وسنجار ونصبـين والخابور، فأـصالـح أمورها وخرج من الموصل إلى الحديثة فـقارـتها عنه فـرـجـع مـساـور في اـتـابـعـهـمـ يـتخـطـفـ منـ أـعـاقـبـهـمـ وـيـقـاتـلـهـمـ حـتـىـ وـصـلـ الـحـدـيـثـةـ فـأـقـامـ بـهـاـ إـيـامـ،ـ ثـمـ سـارـ إـلـيـ بـغـدـادـ فـرـجـعـ سـنـةـ سـمـتـ وـخـسـينـ فـرـجـعـ مـساـورـ الـحـدـيـثـةـ وـاستـولـ عـلـىـ الـبـلـادـ وـاشـتـدـتـ شـوـكـهـ،ـ ثـمـ أـوـقـعـ بـهـ مـسـرـرـ الـبـلـخـيـ سـنـةـ ثـمـانـ وـخـسـينـ،ـ وـجـهـزـ عـسـكـرـ الـحـدـيـثـةـ مـعـ جـعـلـانـ مـنـ قـوـادـ التـرـكـ.ـ ثـمـ قـتـلـ سـنـةـ إـحـدىـ وـسـتـينـ يـحـيـيـ بـنـ جـعـفـرـ مـنـ لـوـاهـ خـرـاسـانـ،ـ وـسـارـ مـسـرـرـ فـلـمـ يـدرـكـاهـ.

### مقتل وصيف ثم بغا

وفي سنة ثلاثة وخمسين أيام المعتز اجتمع الجنـدـ منـ الأـتـرـاءـ والـفـرـاغـةـ وـالـأـشـرـوـسـهـ فـظـلـبـواـ أـرـزـاقـهـمـ مـنـهـمـ لأـرـبـعـةـ شـهـرـ وـشـغـبـواـ،ـ فـخـرـجـ بـيـهـمـ بـغاـ وـصـيـفـ وـسـيـماـ الطـرـيـلـ،ـ وـكـلـهـمـ وـصـيـفـ وـاعـتـدـرـ بـعـدـ الـمـالـ وـقـالـ:ـ خـذـواـ الزـرـابـ فـأـرـزـاقـكـمـ.ـ وـنـزـلـواـ بـدارـ اـشـنـاسـ بـتـاظـرـونـ فـذـلـكـ،ـ وـمضـىـ بـغاـ وـسـيـماـ إـلـيـ المـعـتـزـ يـسـالـهـ فـأـمـرـهـمـ،ـ وـبـقـيـ وـصـيـفـ فـوـتـبـ عـلـيـهـ بـعـضـهـمـ فـقـتـلـهـ وـقـطـعـهـ رـأـسـ وـنـصـبـهـ.ـ ثـمـ اـقـادـواـ وـأـهـدـرـ لـهـ ذـلـكـ،ـ وـجـعـلـ الـمـعـتـزـ لـبـغاـ الشـرابـيـ ماـ كـانـ لـوـصـيـفـ وـالـبـسـهـ السـاجـ وـالـوـشـاحـينـ،ـ ثـمـ تـغـيـرـ لـهـ الـمـعـتـزـ لـمـاـ عـلـيـهـ مـنـ الـإـسـتـبـادـ عـلـىـ الـدـوـلـةـ،ـ وـخـشـيـ غـائـلـهـ وـمـالـ بـاطـنـاـ إـلـيـ بـابـكـيـالـ وـدـاخـلـهـ فـيـ أـمـرـهـ وـاعـتـدـهـ لـذـلـكـ.

ثم زوج بغا ابنته آمنة من صالح بن وصيف وشفل

بـجهـازـهـ،ـ فـرـكـ المـعـتـزـ فـتـلـكـ الـغـلـةـ وـمـعـ حـدـانـ بـنـ إـسـرـائـيلـ إـلـىـ بـابـكـيـالـ فـيـ كـرـخـ سـامـرـاـ وـكـانـ بـيـهـ وـبـيـنـ بـغاـ وـحـشـةـ شـدـيـدةـ وـبـلـغـ

وـاستـجـاشـ الـأـتـرـاءـ مـنـ كـانـ مـنـهـمـ فـيـ الـكـرـخـ وـالـدـوـرـ وـانـضـمـ الغـوـاءـ وـالـسـاـكـرـيـةـ إـلـىـ الـمـغـارـيـةـ فـضـلـتـ الـأـتـرـاءـ عـنـ لـقـائـهـمـ وـسـعـيـ بـيـنـهـمـ جـعـفـرـ بـنـ عـبـدـ الـوـاحـدـ فـيـ الصـلـحـ فـتوـادـعـواـ أـيـامـاـ ثـمـ اـجـتـمـعـ الـأـتـرـاءـ عـلـىـ حـيـنـ إـقـرـاقـ الـمـغـارـيـةـ فـقـصـدـ مـحـمـدـ بـنـ رـاشـدـ وـنـصـرـ بـنـ سـعـيدـ مـنـزـلـ مـحـمـدـ بـنـ عـونـ يـخـتـفـيـانـ عـنـهـ حـتـىـ تـسـكـنـ الـمـيـعـةـ،ـ فـدـسـ الـأـتـرـاءـ بـخـرـبـهـاـ وـجـاؤـهـاـ وـفـتـلـهـمـاـ فـيـ مـنـزـلـهـ وـبـلـغـ ذـلـكـ الـمـعـتـزـ فـهـمـ بـقـتـلـ بـنـ عـونـ ثـمـ نـفـاءـ.

### أخبار مساور الخارججي

كان الـوـالـ علىـ الـمـوـصـلـ عـقـبةـ بـنـ مـحـمـدـ بـنـ جـعـفـرـ بـنـ مـحـمـدـ بـنـ الـأـشـتـ بـنـ هـانـيـ الـخـزـاعـيـ،ـ وـكـانـ صـاحـبـ الشـرـطـةـ بـالـحـدـيـثـةـ منـ أـعـمـالـهـ حـسـينـ بـنـ بـكـيرـ،ـ وـكـانـ مـساـورـ بـنـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ مـساـورـ الـبـجـليـ منـ الـخـوارـجـ يـسـكـنـ بـالـبـلـاـزـيـجـ.ـ وـجـبـسـ صـاحـبـ الشـرـطـةـ حـسـينـ بـنـ بـكـيرـ بـالـحـدـيـثـةـ اـبـاـ لـلـمـساـورـ هـذـاـ يـسـمـيـ جـوـثـرـةـ وـكـانـ جـيـلاـ،ـ فـكـتـبـ إـلـىـ أـلـيـهـ مـساـورـ بـانـ حـسـينـ بـنـ بـكـيرـ تـالـ مـنـ الـفـاحـشـةـ،ـ فـفـقـضـبـ لـذـلـكـ وـخـرـجـ فـقـصـدـ الـحـدـيـثـةـ،ـ فـاخـتـفـيـ حـسـينـ وـأـخـرـجـ اـبـهـ فـفـقـضـبـ لـذـلـكـ وـخـرـجـ فـقـصـدـ الـحـدـيـثـةـ،ـ فـاخـتـفـيـ حـسـينـ وـأـخـرـجـ اـبـهـ مـنـ الـحـسـنـ.ـ ثـمـ كـثـرـ جـمـعـهـ مـنـ الـأـكـرـادـ وـالـأـعـرـابـ وـقـصـدـ الـمـوـصـلـ فـقـاتـلـهـاـ إـيـامـاـ،ـ ثـمـ رـجـعـ فـكـانـ تـحـتـ طـرـيقـ خـرـاسـانـ،ـ وـكـانـ لـنـظـيـنـدارـ وـمـظـفـرـ بـنـ مـشـبـكـ فـسـارـ إـلـيـ بـنـدارـ فـيـ ثـلـاثـمـائـةـ مـقـاتـلـ وـالـخـوارـجـ مـعـ مـساـورـ فـيـ سـبـعـمـائـةـ فـهـزـمـوهـ وـقـلـوهـ،ـ وـلـمـ يـنجـ مـنـهـ إـلـاـ خـسـينـ رـجـلـاـ وـفـرـ مـظـفـرـ إـلـيـ بـغـدـادـ.

وـجـاءـ الـخـوارـجـ إـلـىـ جـلـوـلـاءـ وـكـانـ فـيـهـمـ حـربـ هـلـكـ فـيـهـاـ مـنـ الـجـانـبـينـ خـلـقـ.ـ ثـمـ سـارـ خـطـرـمـشـ فـيـ الـعـسـاـكـرـ فـلـقـيـهـمـ جـلـوـلـاءـ وـهـزـمـهـ مـساـورـ،ـ ثـمـ اـسـتـولـ مـساـورـ عـلـىـ أـكـثـرـ أـعـمـالـ الـمـوـصـلـ،ـ ثـمـ وـلـيـ الـمـوـصـلـ أـيـوبـ بـنـ أـحـدـ بـنـ عـمـرـ بـنـ الـخـطـابـ الـتـغـلـيـ سـنـةـ أـرـبـعـ وـخـسـينـ،ـ فـاـسـتـخـلـفـ عـلـيـهـ اـبـنـهـ الـحـسـنـ،ـ فـجـمـعـ عـسـكـرـاـ كـانـ فـيـهـمـ حـمـدونـ بـنـ الـخـارـثـ بـنـ لـقـمانـ جـدـ الـأـمـرـاءـ مـنـ بـنـ حـدـانـ وـمـحـمـدـ بـنـ عبدـ اللـهـ بـنـ السـيـدـ بـنـ أـنـسـ،ـ وـسـارـ إـلـيـ مـساـورـ وـعـرـ إـلـيـ نـهـرـ الـزـابـ فـتـأـخـرـ عـنـ مـوـضـعـهـ.ـ وـسـارـ الـحـسـنـ فـيـ طـلـبـهـ فـالـقـتـلـواـ وـقـتـلـوـاـ وـانـهـزـمـ عـسـكـرـ الـمـوـصـلـ وـقـتـلـ مـحـمـدـ بـنـ السـيـدـ الـأـزـدـيـ،ـ وـنـجـ الـحـسـنـ بـنـ أـيـوبـ إـلـيـ أـعـمـالـ إـربـلـ.

ثـمـ كـانـ الـفـتـنـةـ سـنـةـ خـسـينـ وـخـسـينـ خـلـعـ الـمـعـتـزـ وـبـوـيـعـ لـلـمـهـدـيـ وـوـلـيـ عـلـىـ الـمـوـصـلـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ سـلـيـمانـ فـرـحـفـ إـلـيـهـ مـساـورـ،ـ وـخـامـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ لـقـائـهـ فـلـكـ مـساـورـ الـبـلـدـ وـأـقـامـ بـهـ جـمـعـةـ وـصـلـيـ وـخـطـبـ،ـ ثـمـ خـرـجـ مـنـهـ إـلـىـ الـحـدـيـثـةـ وـكـانـ دـارـ هـجـرـةـ.ـ ثـمـ اـنـقـضـ عـلـيـهـ سـنـةـ سـمـتـ وـخـسـينـ رـجـلـ مـنـ الـخـوارـجـ

وأقبل على الهر، واتصل ذلك بعقوب في طريقه، فكر راجعاً وأخذ السير فصادفه بعد يومين، وركب أصحابه وقد أحبط بهم ففروا ناجين بأنفسهم، وملك يعقوب كرمان وحبس طوق. وبلغ الخبر إلى علي بن الحسين وهو على شيراز، فجتمع جيشه وتزل على مضيق شيراز وأقبل عليه يعقوب حتى نزل قباته، والمتصيق متور بين جبل ونهر ضيق المسلك بينهما، فاتحه يعقوب النهر بينهما وأجاز إلى علي بن الحسين وأصحابه فانهزموا، وأخذ علي أسرى وأستول على جميع عسكره، ودخل شيراز وملكتها وجئي الخراج ورجع إلى سجستان وذلك سنة خمس وخمسين.

ويقال: بل وقع بينهما بعد عبور النهر حرب شديدة انهزم آخرها علي وكان عسكره نحو من خمسة عشر ألفاً من الموالى والأكراد، ورجعوا منهزمين إلى شيراز آخر يومهم واذدوا في الأبواب واقتربوا في نواحي فارس واتهوا إلى الأهواز وبلغ القتلى منهم خمسة آلاف. ولما دخل يعقوب وملك فارس امتحن علياً وأخذ منه ألف بردة ومن الفرش والسلاح والألة ما لا يحده، وكتب إلى الخليفة بطاعة وأهدى هدية جليلة يقال منها عشر بازات بيض وباز أبلق صيني ومائة نافعجة من المسك وغير ذلك من الطرف ورجع إلى سجستان، ثم استعاد الخليفة بعد ذلك فارس ويعث عماله إليها.

### ابتداء دولة ابن طولون بمصر

كان بابكيال من أكابر قواد الأتراك مع بنا ووصيف وسيما الطويل، ولما حدثت هذه الفتنة وتغلبوا على الخلفاء أخذوا الأعمال والنواحي فيقطاعهم، فقطع المعتر بابكيال هذا أعمال مصر وبها يومئذ ابن مدبر، وكان بابكيال مقيماً بالخديدة فنظر فيما يستخلفه عليها وكان أحد بن طولون من أبناء الأتراك وأبيه من سُيّر فرغانة ورببي في دار الخلقاء، ونشأ ابنه أحد بها على طريقة مستقيمة لبابكيال خاله، وأشار عليه بتوليه فبعثه على مصر فاستول عليها أولاً دون أعملها والاسكندرية ثم قتل المعتر بابكيال وصارت مصر فيقطاع بارجوع الترك وكان بينه وبين أحد بن طولون موعدة متأكدة فكتب إليه واستخلفه على مصر جميعها، ورسخت قدمه فيها وأصارها تراثاً لبنيه فكانت لهم فيها الدولة المعروفة.

### استقدام سليمان بن طاهر لولاية بغداد

قد تقدم لنا أن محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين كان

ذلك بغا فركب في خمسة من غلمانه وولده وقواده، وكان أكثرهم منحرفين عنه ولحق بالسن، وأقام المعتر على وجل لا يسام إلا بسلاحه. ثم تخلص أصحاب بغا عليه فأعرض عنهم وركب البحر راجعاً إلى بغداد، وجاء الجسر ليلاً ليلة يقطن به الملكون هناك، ويعثروا إلى المعتر مجده فامر بقتله وحل إلى رأسه ونصب باسمراً وأحرقت المفارية شلوه وكان قصد دار صالح بن وصيف ليثوا على المعتر.

### ابتداء دولة الصفار

كان يعقوب بن الليث بن عمرو الصفار بسجستان وكان صالح بن النضر الكتاني من أهل البيت قد ظهر بذلك الناحية وقام يقاتل الخارج وسمى أصحابه المطرودة حتى قيل له صالح المطوعي وصحبه جماعة منهم درهم بن الحسن ويعقوب بن الليث هذا وغلبوا على سجستان، ثم أخرجهم عنها طاهر بن عبد الله أمير خراسان. وهلك صالح إثر ذلك وقام بأمر المطرودة درهم بن الحسن فكثر أتباعه. وكان يعقوب بن الليث شهماً وكان درهم مضعفاً، واحتال صاحب خراسان حتى ظفر به وحبس يغداد فاجتمعت المطرودة على يعقوب بن الليث، وقام بقتل السراة وأتيح له الظفر عليهم وأخن فيهم وخرب قراهم، وكانت له شرية في أصحابه لم تكن لأحد قبله، فحسنت طاعتهم له وعظم أمره وملك سجستان مظهراً طاعة الخليفة وكاتبه وقلده حرب السراة، فأحسن الثناء فيه وتجاوزه إلى سائر أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثم سار من سجستان إلى نواحي خراسان وعليها يومئذ محمد بن عبد الله بن طاهر، وعلى هرارة من قبلة محمد بن أوس الأنباري، فجمع خمارية يعقوب وسار بهم في التعبية، فاقتلوه وأنهزم ابن أوس وملك يعقوب هرارة وبوشنج، وعظم أمره وهابه صاحب خراسان وغيرها من الأطراف. وكان المعتر قد كتب بولاية سجستان، فكتب له الآن بولاية كرمان، وكان على فارس علي بن الحسين بن شبل، وأبطأ عامل الخراج واعتذر، فكتب له المعتر بولاية كرمان يريد إعداء كل منها بصاحب لأن طاعتهما مهوضة فارسل على ابن الحسين بفارس طرق بين الغلس خليفة على كرمان، وسار يعقوب الصفار من سجستان فسبقه طرق واستول علىها وأقام يعقوب بمكانه قريباً منها يترقب خروج طرق إليه.

وبعد شهرين ارتحل إلى سجستان فرضع طرق أوزار الحرب

مفلح، فلقيه عبد العزيز بن أبي دلف في عشرين الفاً خارج همدان، فتخارجاً وانهزم عبد العزيز وقتل أصحابه. وسار مفلح إلى الكرخ، فخرج إليه عبد العزيز وقاتلته ثانية، فانهزم واستولى مفلح على الكرخ. وممضى عبد العزيز إلى قلعة نهاوند فتحصن بها وأخذ مفلح أهله وأمه.

ثم عقد له وصيف سنة اثنين وخمسين على أعمال الجبل، ثم عقد لموسى بن بغا، فسأر وفي مقدمته مفلح، فقاتله عبد العزيز فانهزم وملك مفلح الكرخ وأخذ ماله وعياله. ثم ملك عبد العزيز قام مكانه ابنه دلف وقاتلته القاسم بن صبهان من أهالي أصبهان. ثم قتل القاسم أصحاب أبي دلف وولوا أخيه أحد بن عبد العزيز سنة خمس وستين. وولاه عمر الصفار من قبله على أصبهان عندما لاه عليهما المتمدد سنة ست وستين، وحاربه كثليع التركي سنة تسع وستين، فغلبه أحد وأخرجه إلى المصيره وبعث إليه عمر سنة ثمان وستين في المال بفتحه إليه. ثم سار الموفق سنة ست وسبعين يريد أحد بأصبهان فشاغله أحد عن البلد وتترك داره بفرشها لنزول الموفق. ثم مات أحد سنة ثمانين وولى آخره عمر وأخوه بكير براده وقاتل رافع بن الليث بأمر المعتضد فهزمهما كما يأتي ذكره. ثم قلدته المعتضد أصبهان ونهوند والكرخ عمر بن عبد العزيز سنة إحدى وثمانين ثم راجعا الطاعة.

### خلع المعتز وموته وبيعة المهتدى

كان صالح بن وصيف بن بغا متغلباً على المعتز، وكان كتابة أحد بن إسرائيل، وكانت أمّه قبيحة وزوجها الحسن بن مخلد، وكان أبو نوح عيسى بن إبراهيم من كبار الكتاب وجبة الأموال. وطلب الآتراك أرزاقهم وشغبوا، فقال صالح للمنتزع: هذه الأموال قد ذهب بها الكتاب والوزراء، وليس في بيت المال شيءٌ فرداً عليه أحد بن إسرائيل وأفهش في رده وتفاوضاً في الكلام فنقط صالح مغشاً عليه، وتبادر أصحابه بالباب فدخلوا متضيدين سيفهم فدخل إلى قصره، فأمر صالح بالوزراء الثلاثة فقيدوا وشفع المعتز في أمر وزيره فلم يقبل شفاعته، وصادرهم على مال جليل حلوه فلم يسد شيئاً، فلما فعلوا بالكتاب ما فعلوا من المصادرة انهم الجندي أنهم حلوا على مال ولم يكن ذلك، فشعروا في طلب أرزاقهم وضمنوا للمنتزع قتل صالح بن وصيف على خلين الفاً يبنها لهم. وسالم من أنه فاعتذر فاتفاقت كلمتهم على خلعه.

ودخل إليه صالح بن وصيف وحمد بن بغا المعروف بأبي

على العراق والسوداد، وكانت طسم الشرطة وغيرها، كان مقيناً ببغداد وكان في المدافعة عن المستعين لما جلا إليه. ثم صلح ما بينه وبين المعتز، واستقل المعتز بالخلافة والأثار المذكورة. ثم هلك آخر سنة ثلاثة وثمانين أيام المعتز وفرض ما كان بيده من الولاية إلى أخيه عبد الله، نازعه ابنه طاهر في الصلاة عليه ومالت العامة مع أصحاب طاهر والقواد مع عبد الله لوصية أخيه. ثم أفصى المعتز عهد أخيه وخلى عليه، وينزل لصاحب الخيل خسین الف درهم.

ثم بعث المعتز عن سليمان بن عبد الله بن طاهر من خراسان، وولاه على العراق والشرطة وغيرها مكان أخيه محمد، وعزل أخاهما عبد الله. فلما علم عبد الله تقدم سليمانأخذ ما في بيت المال وانتقل إلى غربى دجلة، وجاء سليمان وقائدته محمد ابن أوس ومعه جند من خراسان فأساوا السيرة في أهل بغداد فحقن الناس عليهم وأعطى أرزاقهم مما بقي في بيت المال وقد هم على جند بغداد وشاكريها، فاتنق الجندي على الشورة وفتقوا السجون، وعبر ابن أوس إلى الجزيرة واتبع الجندي والعامنة، فحاربهم وانهزم وأخرجوه من باب الشعاسبية، ونهب من منزله قيمة الفي الف درهم، ومن الأمتعة ما لا يحصر ونهب منازل جنده.

ورأى سليمان أن يسكن الثائرة فأمر بالخروج إلى خراسان، ثم كانت الفتنة في خلع المعتز وولاية المهدى كما يذكر، وبعث المهتدى سلخ رجب من سنة خمس وخمسين إلى سليمان ليأخذ البيعة له ببغداد. وكان أبو أحد بن التوكل ببغداد قد بعث إليها المعتز، فنكله سليمان إلى داره ووثب الجندي والعامنة لذلك واجتمعوا بباب سليمان، وقاتلهم أصحابه ملياً، ثم انصرفوا وخطب من الغد للمنتزع فسكنوا ثم ساروا ودعوا إلى بيعة أبي أحد، وطلبوا رؤيته فاظهره لهم ووعدهم بما طلبوا، فافتقرقا ووكل محفظ أبي أحد ثم بايع للمهتدى في شعبان من تلك السنة.

### خير كرخ أصبهان وأبي دلف

قد تقدم لنا شأن أبي دلف أيام المأمون وأنه كان مقيناً بكرخة وأن المأمون عفا له عما وقع منه في القعود عن نصره، وأقام بتلك الناحية وهلك، فقام ابنه عبد العزيز مكانه. ولا كانت أيام الفتنة تمسك بطاعة المستعين وولى وصيف على الجبل وأصبهان، فكتب إلى عبد العزيز باستخلافه عليها وبعث عليه بالخلع، وعقد المعتز لموسى بن بغا الكبير في شهر رجب من سنة ثلاثة وخمسين على الجبل وأصبهان، فسار للذلك وفي مقدمته

الحسن بن زيد العلواني فحرقه بطرستان فغلبه، وأحرق قصوره بأباد وخرج في اتباعه إلى الديلم، فكتب إلى موسى بالرجوع للداعمة من شاه وبينما هو في استقادته وانتظاره قتل المعتر وبورع المهدى، وبلغ أصحابه ما حواه صالح من أموال المعتر وكتابه وأمه، فشرعوا إلى مثل ذلك، وأغرقوا موسى بالمسير إلى سامرا.

وأرجع مقلع من بلاد الديلم إليه وهو بالري، فسار نحو سامراً وسمع المهدى بذلك فكتب إليه بالمقام يخدره على ما ورائه من العلوين فلم يصنع لذلك، وأفحش أصحابه في إسامة الرسل الواصليين بالكتب. فكتب بالاعتذار واحتاج بما عاينه الرسل وأنه يخشى أن يقتله أصحابه إن عادوا إلى الري وصالح بن وصيف في خلال ذلك يغري به المهدى وينسبه إلى المعصية والخلاف، إلى أن قدم في الحرم ستة ست وخمسين ودخل في التبعية، فاختفى صالح بن وصيف وممضى موسى إلى الجوسن والمهدى جالس للملظالم فأعرض له عن الإذن ساعة ارتتاب فيها هو وأصحابه وظنوا أنه يتظر قドوم صالح بالعاشر. ثم أذن لهم فدخلوا وقبضوا على المهدى وأودعوه دار باجورة واتهروا ما كان في الجوسن.

واستغاث المهدى بموسى فعطف عليه ثم أخذ عليه العهود والأيام أن لا يوالي صالحًا وأن يابنه وظاهره في مواليهم سواء، فجددوا له البيعة واستبدل موسى بالأمر، ويعث إلى صالح للملظالم بما احتاجه من الأموال فلم يوقف له على أثر، وأخذوا في البحث عنه. وفي آخر الحرم أحضر المهدى كتاباً رفعه إليه سينا الشرابي، زعم أن امرأة دفعته إليه وغابت فلم يرها، وحضر القواد وقرأه سليمان بن وهب عليهم وهو يحيط صالح بذلك ما صار إليه من الأموال، وأنه إنما استتر خشية على نفسه وحسماً لفتنة وإبقاء على الموالي. وما قرأ الكتاب حثهم المهدى على الصلح والاتفاق، فلاتهمه الأتراك بالليل إلى صالح وأنه مطلع على مكانه، وطال الكلام بينهم بذلك.

ثم اجتمعوا من الغد بدار موسى بن بغا داخل الجوسن واتفقوا على خلع المهدى، إلا أخا بابكيال فإنه أبي من ذلك وتهدهم بأنه مفارقه إلى خراسان، واتصل الخبر بالمهدي فاستدعاه إليه وقد نظف ثيابه وتطيب وتقدّم سيفه فارعد وأبرق وتهدهم بالاستماع، ثم حلف لا يعلم مكان صالح، وقال محمد بن بغا وبابكيال: قد حضرتم مع صالح في أمر المعتر وأموال الكتاب وأنتم شركاؤه في ذلك كله. وانتشر الخبر في العامة بأنهم أرافقوا وأرادوا خلعه فطفقا يجاذرون على الدعاء في المساجد والطربات ويغفون على القواد بغيرهم على الخليفة، ويرمون الرقاع بذلك في الطرقات. ثم إن الموالي بالكرخ والدور دسوا إلى المهدى

نصر وبابكيال وطلبوه في الخروج إليهم، فاعتذر لهم وأذن لبعضهم في الدخول فدخلوا، وجروه إلى الباب وضربيه وأقاموه في الشمس في صحن الدار وكلما مر به أحد منهم لطمها. ثم أحضروا القاضي ابن أبي الشوارب في جماعة فأشهدهم على خلعة، وعلى صالح بن وصيف بأمانه وأمان أمه وأخته ولده. وفرت أمه قبيحة من سرّب كانت أخذته بالدار، ثم عذبوا المعتر ثم جعلوه في سرب وطموا عليه، وأشهدوا على موته بني هاشم والقراد، وذلك آخر رجب من سنة خمس وخمسين، وباييع محمد ابن عمه الرايق ولقبوه المهدى بالله عندما خلع المعتر نفسه وأثر بالعجز والرغبة في تسليمها إلى المهدى، وباييعه الخاصة وال العامة. وكانت قبيحة أم المعتر لما فعل صالح بالكتاب ما فعل قد..... نفراً منهم على الفتك بصالح، وهي ذلك إليه، فجمع الأتراك على الثرمان، وأيقنت قبيحة بالملوك فأودعوها في المخازن من الأموال والجواهر، وحفرت سرياً في حجرتها هربت منه لما أحبط بالمعتر، ولما قتل خشيت على نفسها فبعثت إلى صالح تستأمهنَّ فاحضرها في رمضان وظفر منها بخمسة ألف دينار، وعنها على خزائن تحت الأرض فيها ألف ألف دينار وثلاثمائة ألف دينار ومقدار مكوك من الزبرجد لم يسر مثله ومقدار مكوك آخر من اللؤلؤ العظيم وجраб من الياقوت الأحمر القليل النظير، وذهب الناس بأنها عرضت ابنها للقتل في خمسين ألف دينار ومعها هذا المال، ثم سارت إلى مكة فاقامت هناك، وقبض صالح على أحد بن إسرائيل وزيد بن المعتر وعذبه وصادره. ثم قبض على أبي نوح وقتل به مثله، وقبض على الحسن بن خلد كذلك ولم يمت. وبلغ المهدى ذلك فنكره وقال: كان الحبس كافياً في العقيرة. ولأول ولادة المهدى أخرج القيان والمنين من سامراً ونفاهم عنها، وأمر بقتل السباع التي كانت في دار السلطان وطرد الكلاب ورد المظالم وجلس للعلامة، وكانت الفتنة قائمة، والدولة مضطربة، فشعر لإصلاحها لو أنهل واستوزر سليمان بن وهب وغلب على أمره صالح بن وصيف وقام بالدولة.

## مسير موسى بن بغا إلى سامراً ومقتل صالح بن وصيف

كان موسى بن بغا غالباً بناحي الري وأصبهان منذ ولاية المعتر عليها ستة ثلاث وخمسين، ومعه مقلع غلام أبي الساج، وكانت قبيحة أم المعتر لما رأت اضطراب أمره كتبت إلى موسى قبل أن يفوت المعتر أمره، فجاءه كتابها، وقد بعث مقلحاً طرب

العامة وعسكرروا بسامرا وتعلقروا بأبي القاسم يطلبون صالحًا فأنكر المهدي أن يكون علم بمكانه، وقال: إن كان عندهم فليظوروه، ثم ركب ابن بغا في القواد ومعه أربعة آلاف فارس وعسكر، وافترق الأتراك ولم يظهر للكرخيين ولا لأهل الدور وسامرا في هذا اليوم حرقة، وجاء موسى في طلب صالح ونادي عليه وغير عليه بعض الغوغاء فجاء به إلى الجرسوت والعامرة في اتباعه فصربه بعض أصحاب مقلع نقتله وطيف برأسه على قتنة وخرج موسى بن بغا لقتل السراة بناحية السن.

### الصوائف منذ ولادة المتنصر إلى آخر أيام المهدي

في سنة ثمان وأربعين أيام المستعين خرج بناحية الموصل محمد بن عمر الشاربي وحكم فسرح المتنصر إسحاق بن ثابت الفرغاني فأسره في عدة من أصحابه وقتلوا وصلبوا وفي هذه السنة غزا بالصائفة وصيف وأمره المتنصر بالقام بمطرية أربع سنين ويعزرو في أوقات النزول إلى أن ياتيه رأيه، وكان مقيمًا بالثغر الشامي فدخل بلاد الروم وافتتح حصن قدورية، وفي سنة تسعة وأربعين غزا بالصائفة جعفر بن دينار فانتفتح مطامير واستاذته عمر بن عبد الله الأقطع في الدخول إلى بلاد الروم فاذد له، فدخل في جموع من أهل مطرية، ولقي ملك الروم هرج الأسفف في حسين الفأ فأحاطوا به وقيل: في الفين من المسلمين، وخرج الروم إلى التغور الخنزيرية فاستباحوها ويبلغ ذلك علي بن يحيى الأرمي وقد كان صرف عن التغور الشامية وعده له على أرمينة وأذربيجان، فلما سمع بخبرهم نفر إليهم وقاتلهم فانهزم وقتل في أربعينات من المسلمين، وفي سنة ثلاثة وخمسين أيام العتير غزا محمد بن معاذ من ناحية مطرية فانهزم وأسر.

### الولاية

لما ول المتنصر استوزر أحد بن الخطيب وول على المظالم إبا عمر أحد بن سعيد مولىبني هاشم، ثم ول المستعين وما ت طاهر بن عبد الله بخراسان فوق المستعين مكانه ابنه محمدًا وول محمد بن عبد الله على العراق وجعل إليه الحرمين والشريطة ومعادن السواد، واستخلف أخاه سليمان بن عبد الله على طبرستان وتوفي بغا الكبير فول ابنه موسى على أعماله وضاف إليه ديوان البريد، وشعب أهل حصن على عاملهم وأخرجوه،

أن يبعثوا إليه أخيه أبي القاسم عبد الله بعد أن ركبوا وتحركوا فقالوا لأبي القاسم: بلغنا ما عليه موسى وبابكيال وأصحابهما ونحن شيعة لل الخليفة فيما يريده، وشكروا مع ذلك تأخر أرزاقهم وما صاروا من الإقطاع والزيادات إلى قوادهم وما أخذته النساء والدخلاء حتى أصبح ذلك كله بالخارج والضياع، وكبوا بذلك إلى المهدي.

فأجابهم بالثناء على التشيع له والطاعة والوعد الجميل في الرزق، والنظر الجميل في شأن الإقطاعات للقواد والنساء، فأفاضوا في الدعاء وأجمعوا على منع الخليفة من الحجر الاستبداد عليه، وأن ترجع الرسوم على عادتها أيام المستعين على كل عشرة عريف، وعلى كل حسين خليفة وعلى كل مائة قائد، وأن تسقط النساء والزيادة في الإقطاع ووضع العطاء في كل شهرین، وكبوا بذلك إلى المهدي وأنهم صاروا إلى بابه ليقضى حواتهم، وإن أحد اعرض عليه أخذنا رأسه وإن تعرض له أحد قتلوا موسى بن بغا وبابكيال وما جور، فجاء أبو القاسم بالكتاب وقد قعد المهدي للمظالم وعنه الفقهاء والقضاة والقواد قائمون في مراثيهم فقرأ كتابهم على القواد فاضطربوا وكب جوابهم بما سألا وطلب أبو القاسم من القواد أن يبعثوا معه رسولاً بالعذر عنهم فعلوا، وممض أبو القاسم إليهم بكتاب الكتاب وبرسل القواد وأعادتهم.

فكتبوا إلى المهدي يطلبون الترقيعات بخط الزيادات ورد الإقطاعات وإخراج المولى البرانين من الخاصة، ورد الرسوم إلى عادتها أيام المستعين، ومحاسبة موسى بن بغا وصالح بن وصيف على ما عندهم من الأموال ووضع العطاء على كل شهرین وصرف النظر في الجيش إلى بعض إخوته أو قراباته وإخراجه من المولى، وكبوا بذلك إلى المهدي والقواد فأجابهم إلى جميع ما سأله.

وكتب إليهم موسى بن بغا بالإجابة في شأن صالح والإذن في ظهوره فقرروا الكتابين ووعدوا بالجلوب، فركب إليهم موسى أبو القاسم واتبعه موسى في الف وخمسمائة فرقه في طريقهم وجاءهم أبو القاسم فاضطربوا في الجواب ولم يتقدوا فرجع ورد موسى بن بغا فأمرهم المهدي بالرجوع وأن يتقدم إليهم محمد بن بغا مع أبي القاسم، ويدفعوا إليهم كتاب الأمان لصالح بن وصيف، وقد كان من طلبتهم أن يكون موسى في مرتبة أبيه صالح كذلك والجيش في يده، وأن يظهر على الأمان فأجيبوا إلى ذلك.

وافتلق الناس إلى الكرب والدور وسامرا، فلما كان من الغد ركب بنو وصيف في جماعة ولبسو السلاح فنهبوا دواب

وفيها مات ابن عبد الله بن طاهر ببغداد وولى آخره عبد الله بعده. ثم بعث المعتز عن أخيه سليمان بطبرستان فولاية مكان، وكان على الموصى سليمان بن عمران الأزدي، وكانت بيته وبين الأزد حروب بنواحي الموصى. وفيها مات مراحيم بن خاقان مصر. وفيها يعقوب الصفار سجستان وفارس وهراء، وكان ابتداء دولته، وولى بابكيال أحد بن طلدون على برمصر من قبله فكان ابتداء دولته. ثم أقطعها المعتمد سنة سبع وخمسين ليارجوج فولى عليها أحد بن طلدون من قبله وفي سنة خمس وخمسين أيام المهندي استولى مساور الخارجي على الموصى وفيها ظهر صاحب الزنج وكان ابتداء فنته.

### أخبار صاحب الزنج وابتداء فنته

كان أكثر دعاة العلوية الخارجين بالعراق أيام المتصمِّن وما بعده أكثرهم من الزيديَّة، وكان من أنتمهم علي بن محمد بن أحد بن عيسى بن زيد الشهير وكان نازلاً بالبصرة، ولما وقع البحث عليه من الخلفاء ظفروا بابن عمِّه علي بن محمد بن الحسين، فقتل بذاته، ولأيام من قتله خرج رجل بالري يدعى أنه علي بن محمد بن أحد بن عيسى المطروب وذلك سنة خمس وخمسين ومائتين أيام المهندي. ولما ملك البصرة لقي علياً هذا حيَا معروفاً السبب، فرجع عن ذلك وانتسب إلى يحيى قتيل الجوزجان أخي عيسى المذكور.

ونسبه المسعودي إلى طاهر بن الحسين وأظنه الحسين بن طاهر بن يحيى الحدث بن الحسين بن جعفر بن عبد الله بن الحسين بن علي، لأن ابن حزم قال في الحسين السبط أنه لا عقب له إلا من علي بن الحسين، وقال فيه علي بن محمد بن جعفر بن الحسين بن طاهر. وقال الطبراني وابن حزم وغيرهم من المحققين أنه من عبد القيس، واسمه علي بن عبد الرحيم من قرية من قرية الري، ورأى كثرة خروج الزيديَّة فحدثه نفسه بالتوبيخ فاتحفل هذا النسب، ويشهد لذلك أنه كان على رأي الأزارقة من الخوارج، ولا يكون ذلك من أهل البيت. وساقطة خبره أنه كان اتصل بجماعة من حاشية المتصمِّن ومدحهم.

ثم شخص من سامراً إلى البحرين سنة سبع وأربعين ادعى أنه من ولد العباس بن أبي طالب، ثم من ولد الحسن بن عبد الله بن العباس، ودعا الناس إلى طاعته فاتبعه كثير من أهل حجر وغيرها، وقاتلوا أصحاب السلطان بسيه وعظمت فنته، فتحول عنهم إلى الإحسان وتزلَّ على بني الشamas من سعد بن تميم،

فبعث عليهم المستعين الفضل بن قارن أخا مازيار فقتل منهم خلقاً وحمل مائة من أعيتهم إلى سامرًا.

واستوزر المستعين أناش بعد أن عزل أحد بن الحصين، واستنصفي بقى إلى أقريطش، وعقد لآناش على مصر والمغرب، ولبغا الشرابي على حلوان وماسبدان ومهرجاً بعده. ثم قتل أناش فاستوزر المستعين مكانه أبا صالح عبد الله بن محمد بن داود وعزل الفضل بن مروان عن ديوان الخراج وولاية عيسى بن فرخانشام، وولى وصيفاً على الأهواز وبغا الصغير على فلسطين، ثم غضب بغا على أبي صالح فقرر إلى بغداد واستوزر المستعين مكانه محمد بن الفضل الجرجاني، وولى ديوان الرسائل سعيد بن حيد وعزل جعفر بن عبد الواحد عن القضاء ونفاه إلى البصرة، وولى جعفر بن محمد بن عمار البرجمي.

وفي خمسين عقد بجعفر بن الفضل بن عيسى بن موسى المعروف بساسان على مكة ووئب أهل حمص على عاملهم الفضل بن قارن فقتلواه فسرح إليهم المستعين موسى بن بغا وحاربوه فهزهم، وأفتتحت حمص وأخنف فيهم وأحرقوها، وفيها وثب الشاكري والجند بفارس بعد الله بن إسحاق فاتتوبا متسلة، وقتلوا محمد بن الحسن بن قارن وهرب عبد الله بن إسحاق وفيها كان ظهور العلوية بنواحي طبرستان. وفي سنة إحدى وخمسين عقد المعتز بغا ووصيف على أعمالها، ورد البريد إلى موسى بن بغا الكبير، وعقد محمد بن طاهر لأبي الساج وقدم بين يديه عبد الرحمن كما قلنا، وأظهر أنه إنما جاء لحرب الأعراب وتلطف لأبي أحد حتى خالطه وقده ويعتَّ به إلى بغداد في سنة اثنين وخمسين. وولى المعتز الحسين بن أبي الشوارب على القضاء وعيَّد محمد ابن عبد الله بن طاهر أبا الساج على طريق مكة، وعقد المعتز لعيسى الشیخ بن السلیل الشیانی من ولد جساس بن مرة على الرملة فاستولى على فلسطين وعلى دمشق وأعمالها، وقطع ما كان يحمل من الشام. وكان إبراهيم بن المدبر على مصر فبعث إلى بغداد من المال بسبعين ألف دينار فاعتبرتها عيسى وأخذهما، وطُرُبَ بالمال فقال: الفتنة على الجند! فولاية المعتمد على أرميَّة يقيم بها دعواه.

ويعتَّ المعتمد إلى الشام ماجور على دمشق وأعمالها، ويبلغ الخبر إلى عيسى فبعث ابنه منصراً في عشرين ألف مقاتل، فانهزم وقتل وسار عيسى إلى أرميَّة على طريق الساحل. وفيها عقد وصيف لعبد العزيز بن أبي دلف العجلاني على أعمال الجبل. وفي سنة ثلاث وخمسين عقد لموسى بن بغا على الجبل، فسار وفي مقدمته مفلح مولىبني الساج، وقاتلته عبد العزيز بن أبي دلف فانهزم وجأ إلى قلعة هادر وملك مفلح الكرخ وأخذ أهله وعياله،

ولقيته عساكرها فهزهم الزنج وأخنعوا فيهم.

ثم سار من الغد نحو البصرة وخرج إليه أهلها واحتشدوا وزحفوا إليه برأ وحراً فلقيتهم بالسد وانهزموا هزيمة شنعاء كثراً فيها القتل. ووهن أهل البصرة وكروا إلى الخليفة بفتح إليهم جullan التركي مددًا وولى على الأبلة أبا الأحوص الباهلي وأمه بجند من الآتراك، وقد بث صاحب الزنج أصحابه بيناً وشمالاً للغارة والنهب. ولما وصل جullan إلى البصرة، ونزل على فرسنه منهم وخندق عليه، وأقام ستة أشهر يسرح لحربيهم الزنجي مع بنى هاشم ومرجف. ثم بيع الزنج قتلوا جاعة من أصحابه، وتخلو عن مكانه ثم انصرف عن حربهم وظفر صاحب الزنج بعدد من المراكب غنم فيها أمولاً عظيمة، وقتل أهلها وألح بالثارات على الأبلة إلى أن دخلها عنوة آخر رجب سنة ست وخمسين، وقتل عاملها أبا الأحوص عبيد الله بن حميد الطوسي وخلفاً من أهلها واستباحها وأحرقها ويبلغ ذلك أهل عبادان فأستأمنوا له وملكتها، واستولى على ما فيها من الأموال والعيبد والسلاح إلى الأهواز وبها إبراهيم بن المدبر على الشراح، فهرب أهلها ودخلها الزنج ونهبوا وأسرموا ابن المدبر فخاف أهل البصرة وافتلق كثير منهم من البلدان. وبعث المعتمد سعيد بن صالح الحاجب لحربيهم سنة سبع وخمسين فهزهم وأخذ ما معهم وأخنعوا فيهم وكان ابن المدبر أسيراً عندهم في بيت بمحى بن محمد البحرياني وقد ضمن لهم مالاً كثيراً ووكل به رجلين قد أخلفهم حتى حفر سرياً من البيت وخرج منه ولحق بأهله.

وصحبه جماعة من البحرين منهم يحيى بن محمد الأزرق وسلامان بن جامع، فكانا قاتلين له، وقاتل أهل البحرين قاتلهم وأفترقت العرب عنه واتبعه علي بن أبيان وسار إلى البصرة ونزل في بيتي ضبيعة وعاملها يومئذ محمد بن رجاء، والفتنة فيها بين البلالية والسعدية، وطلبها ابن رجاء فهرب وحبس ابنه وزوجه وجاءه من أصحابه، فسار إلى بغداد وأقام بها حولاً وانتسب إلى محمد بن أبي أحد بن عيسى كما قلناه، واستمال بها جماعة منهم جعفر بن محمد الصوحاني من ولد زيد بن ضوحان ومسروق ورفيق غلامان ليحيى بن عبد الرحمن وسمى مسروقاً حزة وكتابه: أبا أحد، وسمى رفيقاً: جعفراً وكتابه: أبا الفضل.

ثم ثب رؤساء البلالية والسعدية بالبصرة وأخرجوا العامل محمد بن رجاء، فبلغ ذلك وهو ببغداد، وأن أهله خلعوه فرجع إلى البصرة في رمضان سنة خمس وخمسين ويحيى بن محمد وسلامان بن جامع ومسروق ورفيق، فنزل بقصر القرش ودعا الغلمان من الزنج ووعدهم بالعتق فاجتمع له منهم خلق وخطبهم ووعدهم بالملك ورغبتهم في الإحسان وخلف لهم وكتب لهم في خرقة: «إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الظُّبَّارِ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ» الآية. وأخنذها رأية وجاهه موالى الزنج في عيدهم فامر كل عبد أن يضرب مولاه وحبسهم ثم أطلقهم، ولم يزل هذا رأيه والزنوج في متابعته والدخول في أمره وهو يخطبهم في كل وقت ويرغبهم. ثم عبر دجلاً إلى نهر ميمون، فأنخرج عند الحميري وملكه وسار إلى الأبلة وبها ابن أبي عون فخرج إليه في أربعة آلاف فهزهم ونال منهم.

## خلع المهدي وقتله وبيعة المعتمد

وفي أول رجب من سنة ست وخمسين شغب الآتراك من الترك والدور بطلب أرباقهم وبعث المهدي أخاه أبا القاسم ومعه كفكا وغيره فشكواهم وعادوا ويبلغ محمد بن بغا أن المهدي قال للأتراك: إن الأموال عند محمد وموسى أبني بغا، فهرب إلى أخيه بالسد وهو في مقالة موسى الشاري فأئمه المهدي ورجعوا ومعه آخوه حنون وكيلعنه فكب له المهدي بالأمان ورجع إلى أصحابه وجسه وصادره على خمسة عشر ألف دينار. ثم قتله وبعث بابكيال بكتابه إلى موسى بن بغا بأن يتسلم العسكر وأوصاه بمحاربة الشاري وقتل موسى بن بغا وملح، فقرأ الكتاب على موسى وتواطدو على أن يرجع بابكيال فيتذر على قتل المهدي، فرجع ومعه يارجوج وأساتكين وسيما الطويل، ودخلوا دار الخلافة متصرف رجب فجنس بابكيال من بينهم واجتمع أصحابه

من أهل البصرة لقتاله، فأبعث إليهم يحيى بن محمد بن خمسة رجل فهزهم وأخذ سلاحهم. ثم طائفة أخرى كذلك وأخرى، وخرج قائدان من البصرة فهزمهما وقتل منها، وكانت معهما سفن القتها الريح إلى الشط فقتلوا ما فيها وقتلوا وكثير عيشه وفساده. وجاء أبو هلال من قواد الأتراك في أربعة آلاف مقاتل فلقيه على نهر الريان فهزمه الزنج واستلهموا أكثر أصحابه، ثم خرج أبو منصور أحد موالى الهاشمين في عسكر عظيم من الطوعة والبلالية والسعدية فسرح للقاتلهم على بن أبي فلق طائفة منهم فهزهم، ثم أرسل طائفة أخرى إلى مرفأ السفن وفيه نحو من الفي سفينة فهرب عنها أهلها ونهبها، ثم جاءه عساكر أبي منصور وقد العزوج لهم بين النخل وعلهم على بن أبيان، ومحمد بن مسلم، فهزمو العسكر وقتلوا منهم وأخنذوا سلاحهم. ثم سار فنهب القرى حتى امتلأت أيديهم بالنهب. ثم سار بريد البصرة

وكان ما ذكرناه من شأنه. ثم أحضر أبو العباس أحد بن المتكىل وكان محبوساً بالجروسة فإيابعه الناس. وكتب الأتراك إلى موسى بن بغا وهو غائب فحضر وكملت البيعة لأحمد بن المتكىل ولقب المتمد على الله واستوزر عبيد الله بن يحيى بن خاقان فأصبح المهدى ثانى يوم البيعة ميناً متصف رجب من سنة ست وخمسين على رأس سنة من ولادته. ولم يزل ابن خاقان في وزارته إلى أن هلك سنة ثلاثة وستين من سقطة باليدان سال فيها دماغه من منخره، فاستوزر محمد بن خلد، ثم سخط عليه موسى بن بغا واختلقاً فاستوزر مكانه سليمان بن وهب، ثم عزله وحبسه وولى الحسن بن خلد وغضب الموقق لحسنه ابن وهب وعسكر بالجانب الغربي وترددت الرسل بينهما فاتفقا وأطلقه وذلك سنة أربع وستين.

## ظهور العلوية بمصر والكوفة

وفي سنة ست وخمسين ظهر بمصر إبراهيم بن محمد بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن الحنفية ويعرف بالصومي يدعى إلى الرضا من آل محمد وملك أشياء من بلاد الصعيد. وجاءه عسكر أحد بن طرلون من مصر فهزمه وقتل قاتلهم، فجاء جيش آخر فأنهزم أمامهم إلى الواحات وجمع هناك جوعاً وسار إلى الأشمونين فلقيه هناك أبو عبد الرحمن العمري وهو عبد الحميد بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر كان قد أخذ نفسه بمحرب البجاء وغزو بلادهم لما كان منهم في غزو بلاد المسلمين، فاشتد أمره في تلك الناحية وكثر اتباعه، وبعث إليه ابن طرلون عسكراً فقال لقاتله: أنا ألبث هناك لدفع الأذى عن بلاد المسلمين، فشاور أحد بن طرلون! قابي القائد إلا من أجزئته فهزمه العمري.

ولما سمع ابن طرلون خبره انكر عليهم أن لا يكتونوا بذلك، فبقي على حاله من الغارة على البجاء حتى أدوا الجزية. فلما جاء الصولى من الأشمونين لقيه العمري فهزمه، وعاد العمري إلى أسوان واشتد عيشه، فبعث إليه ابن طرلون المساكير فهرب إلى عيذاب وأجاز البحر إلى مكة وافتقر أصحابه، وبعض عليه وإلى مكة وبعث به إلى ابن طرلون فحبسه مدة ثم أطلقه، فرجع إلى المدينة ومات بها.

وفي هذه السنة ظهر علي بن زيد، وجاءه الشاه بن ميكال من قبل المتمد في جيش كيف فهزمه وأثخن في أصحابه. فسرح المتمد إلى حربه كيجور التركي فخرج على عن الكوفة إلى القادسية وملك كيجور الكوفة أول شوال، وأقام على بن زيد

ومعهم والأتراك وشغبوا.

وكان عند المهدى صالح بن علي بن يعقوب بن المصور فأشار بقتله ومناجتهم، فركب في المغاربة والأتراك والفراغنة على التعية. ومشى والبلخي في الميمنة ويأرجح في الميسرة، ووقف هو في القلب ومعه أساتذتين وغيره من القواد وبعث برأس بابكيال إليهم مع عتاب بن عتاب، ولحق الأتراك من ميمنة المهدى ومسيرته بإخوانهم الأتراك فأنهزم الباقون على المهدى وولى منهاماً ينادي بالناس ولا يجيئه أحد وسار إلى السجن فأطلق المحبسين ودخل دار أحد بن جيل صاحب الشرطة واقتصروا عليه وحلوه على بغل إلى الجروسة، وحبس عند أحد ابن خاقان، وأرادوه على الخلع فائلي واستمات، فأنهروا رقعة يخذه لموسى بن بغا وبابكيال وجاءه القراد أنه لا يقدر بهم ولا يقاتلهم ولا يهم بذلك، ومتى فعل شيئاً من ذلك فقد جعل أمر الخلافة باليديهم يولون من شاؤوا فاستحلوا بذلك أمره وقتلوه.

وقيل في سبب خلمه غير هذا وهو: أن أهل الكرخ والدور من الأتراك طلبوا الدخول على المهدى ليكلموه فاذن لهم وخرج محمد بن بغا إلى الحمدية ودخلوا في أربعة آلاف، فطلبوا أن يعزز عنهم قواه ويعصرهم وكتابهم على الأهواز، ويصير الأمر إلى آخره فوادهم بالإجابة وأصبحوا من الغد يطلبون الرفاء بما وعدهم به، فاعتذر لهم بالعجز عن ذلك إلا بسياسة ورفق قابيل إلا المعاجلة، فاستخلفهم على القيام منه في ذلك بإيام البيعة فحلقوه، ثم كتبوا إلى محمد بن بغا عن المهدى وعنهم يعلنونه في غيته عن مجلسهم مع المهدى، وأنهم إنما جاؤوا بشكوى حالم ووجدوا الدار خالية فأقاموا ورجع محمد بن بغا فحبسوه في الأموال وكبوا إلى موسى بن بغا ومفلح بالقدوم وتسليم العسكر إلى من ذكره لهم، وبعثوا من يقينهما إن لم يأترا ذلك.

ولما قررت الكتب على موسى وأصحابه وامتنعوا لذلك وساواه نحو سامراً، وخرج المهدى لقتالهم على التعية، وترددت الرسل بينهم بطلب موسى أن يولي على ناحية ينصرف إليها، ويطلب أصحاب المهدى أن يمحض عندهم فيما ظهر على الأموال إلى أن انقض عنهم أصحابه وسار هو ومفلح على طريق خراسان، ورجع بابكيال وجاءه من القواد إلى المهدى فقتل بابكيال ثم أنف الأتراك من مساواة الفراغنة والمغاربة لهم وأرادوا طردتهم فلما ظهر المهدى ذلك، فخرج الأتراك عن الدار باجمعهم طالبين ثأر ببابكيال فركب المهدى على التعية في ستة آلاف من الفراغنة والمغاربة ومحى ألف من الأتراك أصحاب صالح بن وصيف، واجتمع الأتراك للحرب في عشرة آلاف فأنهزم المهدى

بلاد بني أسد. ثم غزا كيجور آخر ذي الحجة فاُوقع به وقتل وأسر من أصحابه ورجع إلى الكوفة، ثم إلى سُرْ من رأى، وبقي على هنالك إلى أن بعث المعتمد سنة تسع.... عسكراً فقتلوا عبكراً وانقطع أمره وقيل: سار إلى صاحب الزنج فقتله سنة ستين وفي هذه السنة غلب الحسين بن زيد الطالي على الري وسار موسى بن بغا إليه.

### مقتل منصور الخليط

كان الزنج لما فرغوا من البصرة سار علي بن أبيان إلى جي

وعلى الأهواز يرمي منصور بن جعفر الخليط قذيفة على هنالك بعد موقعة الزنج بالبحرين، فسار إلى الأهواز ونزل جي وسار علي بن أبيان قائد الزنج لحربه. وجاء أبو الليث الأصبهاني في البحر مددًا له وتقدم إلى منصور من غير أمر علي فظفر منصور وقتل الكثير من معه وأفلت منهزماً إلى الخيش. ثم تواقع علي بن أبيان مع منصور فهزمه واتبعه الزنج فحمل عليهم والقى نفسه في النهر ليغدر إليهم ففرق، وقيل: تقدم إليه بعض الزنج لما رأه فقتله في الماء. ثم قتل آخره خلف وغيره من العسكر وولى يارجوج على عمل منصور اصطيخور من قواد الأتراك.

### مسير الموفق لحرب الزنج

كان أبو أحمد الموفق وهو آخر المعتمد عبة، وكان المعتمد قد استقدمه عندما اشتد أمر الزنج وعقد له على الكوفة والحرمين وطريق مكة واليمن، ثم عقد له على بغداد والسودان وواسط وكور دجلة والبصرة والأهواز، وأمره أن يعقد ليارجوج على البصرة وكور دجلة واليامامة والبحرين مكان سعيد بن صالح. ولما انهزم سعيد بن سعيد بن صالح عقد يارجوج لتصور بن جعفر مكانه على البصرة وكور دجلة والأهواز ثم قتله كما قلناه فقد المعتمد لأخيه أبي أحمد الموفق على مصر وقنسرين والمواصيم وخلع على مفلح، وذلك في رباع سنة ثمان وخمسين وسيرها لحرب الزنج فساروا في عدة كاملة: وخرج المعتمد يشيع أخاه وكان علي بن أبي بجي ويحيى بن محمد البحرياني بنهر العباس والخبيث في قلة من الناس، وأصحابه متذدون إلى البصرة لنقل ما نهبوه. فلما نزل الموفق نهر مقلع أغلق الزنج إلى أصحابهم مرتععين، فامر علي بن أبي المسير إليهم ولقي مفلحاً في مقدمة الموفق فاقتلاه وبينما هم يقتلون إذ أصاب مفلحاً سهم غرب فقتل، وانهزم أصحابه وأسر الكثير منهم. ثم رحل الموفق نحو الأبلة ليجمع العساكر ونزل نهر أبي الأسد ووقع المutan في عسكره، فرجع إلى بادرود، وأقام

### بقية أخبار الزنج

قدم تقدم لنا أن المعتمد بعث سعيد بن صالح الحاجب لحرفهم فأوقع بهم، ثم عاردوه فأوقعوا به وقتلوا من أصحابه وأحرقوا سكره، ورجع إلى سامراً فقد المعتمد على حرفهم لجعفر بن منصور الخليط ققطع عنهم ميرة السفن. ثم سار إليهم في البحر فهزمه إلى البحرين، ثم بعث الخبيث علي بن أبيان من قواه إلى إربل لقطع قنطرتها، فلقي إبراهيم بن سيبما منصرفًا من فارس، فأوقع بهم إبراهيم وخرج علي بن أبيان وسار إبراهيم إلى نهر جي وأمر كاتبه شاهين بن سبطام باتباعه وجاء الخبر إلى علي ابن أبيان ياقبال شاهين فسار ولقيه وهزمه أشد من الأول، وانصرف إلى جي.

وكان منصور بن جعفر الخليط منذ انهزم في البحر لم يعد لقتال الزنج واقتصر على حفر الخنادق وإصلاح السفن، فزحف علي بن أبيان لحصاره بالبصرة، وضيق على أهل البلد وأشرف على دخواه، ويعث لاحتشاد العرب، فرأوا منهم خلقاً فدفعهم لقتال أهل البصرة وفرّ لهم على نواحيها فقاتلهم كذلك يومين، ثم افتتحها علي بن أبيان متصرف شوال وأنهى في القتل والتغريب، ورجع ثم عاودهم ثانية وثالثة حتى طلبوا الأمان فامتهنوا وأحضارهم في بعض دور الإمارة فقتلهم أجمعين وحرق علي ابن أبيان الجامع وموضع من البصرة واتسع طريق من الجبل إلى الجبل وعم النهب وأقام كذلك أيامًا، ثم نادى بالأمان فلسم يظهر أحد وانتهى الخبر إلى الخبيث فصرف علي بن أبيان وولى عليها يحيى بن محمد البحرياني.

### مسير المولد لحرفهم

لما دخل الزنج البصرة وخربوها، أمر المعتمد محمدًا المعروف بالمولد بالسير إلى البصرة، وسار إلى الأبلة، ثم نزل البصرة واجتمع إليه أهلها، وأخرج الزنج عنها إلى نهر مقلع، ثم بعث الخبيث قائد يحيى بن محمد لحرب المولد فقتله عشرة أيام ووطن المولد

بعث علي جماعة من خلفه وشعر بهم، فرجع القهقري ولم يصب منهم شيء إلا بعض السفن البحرية. ثم راجع عبد الرحمن حرب علي بن أبيان وفي مقدمته طاشتمر فأوقعوا بعلي بن أبيان ولحق بالخيت صاحب الزنج، وأقام عبد الرحمن بن مفلح وإبراهيم يتاريان حرب الخيت ويونقان به، وإسحاق بن كنداجق بالبصرة يقطع عنه المدد، وهو يبعث لكل منها طائفة يقاتلونهم، وأقاموا على ذلك سبعة عشر شهراً إلى أن صرف موسى بن بغاء عن حربيهم ووليهما مسرور البلخي كما ذكر.

### استيلاء الصفار على فارس وطبرستان

قد تقدم استيلاء يعقوب بن الليث الصفار على فارس أيام المعتر من يد علي بن الحسين بن مقبل. ثم عادت فارس إلى الخلفاء، ووليهما الحارث بن سيماء، وكان بها من رجال العراق محمد بن واصل بن إبراهيم التميمي فاتفق مع أحمد بن الليث من الأكراد الذين بنوا حيرها ووثبوا بالحارث بن سيماء قاتلواه، واستولى ابن واصل على فارس سنة ست وخمسين، وقام بدعاوة المعتمد ويعتزل عليها المعتمد الحسن بن الفياض، فسار إليه يعقوب بن الليث سنة سبع وخمسين، وبلغ ذلك المعتمد فكتب إليه بالكتير، ويعتزل إليه الموقر بولاية بلخ وطخارستان فملأهما وقبض على رتبيل، ويعتزل إلى المعتمد برسله وهدايه. ثم رجع إلى بست، واعترض على العود إلى سجستان فجعل بعض قواده الرحيل قبله، فغضب وأقام سنة ثم رجع إلى سجستان.

### استيلاء الصفار على خراسان وانقراض أمر بنى طاهر منها ثم استيلاؤه على طبرستان

ثم جاء إلى هراة وحاصر مدينة نيسابور حتى ملكها ثم سار إلى بوشنج وبقي على الحسين بن علي بن طاهر بن الحسين، ويعتزل إليه محمد بن طاهر بن عبد الله شافعاً فيه فابي من إطلاقه، ثم ول على هراة وبوشنج وبادغشان ورجع إلى سجستان وكان بها عبد الله السخري ينمازه. فلما قرئ عليه يعقوب فر منه إلى خراسان وحاصر محمد بن طاهر في نيسابور، ورجع إليه القهاء فأصلحوا بينه وبين محمد، وولاه الطبسين وقوهستان، وأرسل يعقوب في طلبه فاجراه محمد فسار يعقوب إليه بنيسابور فلم يطرق لقاءه، وتزل يعقوب بظاهرها، فبعث محمد بعمومته وأهل بيته فتلقوه. ثم خرج إليه فوجهه على التفريط في عمله وقبض عليه

لتجهيز الآلة وإزاحة العلل وإصلاح السفن، ثم عاد إلى عسكر الخيت فالتقوا وأشتد الحرب بينهم على نهر أبي الخصيب وتقتل جماعة من الزنج واستنقذ كثير من النساء المسييات ورجع إلى عسكره ببادرود فوق الحريق في عسكره، ورحل إلى واسط وافتلق أصحابه فرجع إلى سامرا واستخلف على واسط.

### مقتل البحرياني قائد الزنج

كان أصطيخور لما ول في الأهواز بعد منصور الخليط بلغه مسیر بمحی بن محمد قائد الزنج إلى نهر العباس عند مسير الموقن إليهم، فخرج إليه أصطيخور فقاتلاته وعبر بمحی النهر وغض سفن الميرة التي كانت عند أصطيخور، وبعث طلائعه إلى دجلة فلقيوا جيش الموقن فرجعوا هاربين، وطلائع الموقن في اتباعهم وعبروا النهر منهزمين. وبقي بمحی فقاتلاته وانهزم ودخل في بعض السفن جريحاً وغض طلائع الموقن غناائمهم والسفن وأحرقوا بعضها وعبروا الماحورة على بمحی فأنزلوه من سفينهم خشية على أنفسهم، فسعى به طبيب كان يداوي جراحه وبقي عليه وحمل إلى سامرا وقطع ثم قتل. ثم أنهذ الخيت على بن أبيان وسليمان بن موسى الشعراي من قواده إلى الأهواز، وضم إليهم الجيش الذي كان مع بمحی ومحمد البحرياني وذلك سنة تسعة وخمسين فلقيهما أصطيخور بدمستان وانهزم أمامهما وغرق، وهلك من أصحابه خلق وأسر الحسن بن هزيمة والحسن بن جضر وغيرهما وحبسو ودخل الزنج الأهواز فأقاموا يفسدون في نواحيها ويفسدون إلى أن قدم موسى بن بغاء.

### مسير ابن بغاء لحرب الزنج

ولما ملك الزنج الأهواز سنة تسعة وخمسين سرح المعتمد لحربيهم موسى بن بغاء وعقد له على الأعمال، فبعث إلى الأهواز عبد الرحمن بن مفلح وإلى البصرة إسحاق بن كنداجق وإلى بادرود إبراهيم بن سيماء وأمرهم بمحاربة الزنج. فسار عبد الرحمن إلى علي بن أبيان فهزمه أولاً ثم كانت لعبد الرحمن الكراة ثانية فائخن فيهم ورجعوا إلى الخيت وجاء عبد الرحمن إلى حصن نهدي فعسكر به ورصف إليه علي بن أبيان فامتنع عليه، فسار إلى إبراهيم بن سيماء ببادرود فرافقه فانهزم أولاً إبراهيم، ثم كانت له الكراة ثانية. وسار ابن أبيان في الغياض فاضرمواها عليهم ناراً فقربوا هاربين وأسر منهم جماعة. وسار عبد الرحمن إلى علي بن أبيان وجاهه المدد من الخيت في البحر فيما عبد الرحمن في حربه إذ

## فتنة الموصل

كان المعتمد قد ولّى على الموصل أشخاصاً من قواد الأتراسك فبعث عليها هو ابنه أذكربكين وسار إليها في جادى سنة تسع وخمسين، فأساء السيرة وأظهر المتكبر وعسف بالناس في طلب الخارج، وتعرض بعض الأيام رجل من حاشيته إلى إمرأة في الطريق وتخلصها من يده بعض الصالحين، فأحضره أذكربكين وضربه ضرباً شديداً، فاجتمع وجوه البلد وتأمروا في رفع أمرهم إلى المعتمد، فركب إليهم ليوقع بهم فقاتلوه وأخرجوه واجتمعوا على يحيى بن سليمان وولوه أمرهم، ولما كانت سنة إحدى وستين ول أستاكين عليها الميسم بن عبد الله بن العمد التغلبي العدوى وأمره أن يزحف لحرفهم ففعل، وقاتلوه أياماً وكثرت القتلى بينهم، ورجع عنهم الميسم وول أستاكين مكانه إسحاق بن أبيوب التغلبي جد يحيى حدان وغيره، وحاصرها مدة ومرض يحيى بن سليمان الأمير وفي إثنائها، فطمع إسحاق في البلد وجذب في الحصار، واقتتحمها من بعض الجهات فأخريجوه، وحلوا يحيى بن سليمان في قبة والقوه أمام الصف واشتد القتال ولم يزل إسحاق يراسهم وبعدهم حسن السيرة إلى أن أجابه على أن يقسم بالريض فقام أسبوعاً، ثم حدثت من بايعه بعض الفعلات فوثبوا به وأخرجوه واستقر يحيى بن سليمان بالموصل.

## حروب ابن واصل بفارس

قد تقدم لنا وثوب محمد بن واصل بن إبراهيم التميمي بالحارث بن سبما عامل فارس وتغلبه عليها سنة ست وخمسين، فلما بلغ ذلك إلى المعتمد أضاف فارس إلى عبد الرحمن بن مفلح وبعث إلى الأهواز وأمده بطاشتر، وزحفوا من الأهواز إلى ابن واصل سنة إحدى وستين، فسار معهم من فارس ومعه أبو داود العلوس ولقيهم برام هرمز فهزمهم وقتل طاشتر وأسر ابن مفلح وغض عسكرهم. وبعث إليه المعتمد في إطلاق ابن مفلح قتله خفية، وسار لحرب موسى بن بغَا بواسط، وانتهى إلى الأهواز وبها إبراهيم بن سبما في جموع كبيرة، ولما رأى موسى بن بغَا اضطراب هذه الناحية استعن المعتمد من لا يهم فأعفاهم، وكان عند انصراف ابن مفلح عن الأهواز إلى فارس قد ولّى مكانه بالساج وأمره بمحاربة الزنج، فبعث صهره عبد الرحمن لذلك، فلقيه علي بن أبيان قائد الزنج، فهزمه علي وتله، وانهزم أبو الساج إلى عسكر مكرم، وملك الزنج الأهواز فعاثوا فيها.

وعلى أهل بيته ودخل نيسابور واستعمل عليها، وأرسل إلى الخليفة بأن أهل خراسان استدعوه لتفريط ابن طاهر في أمره، وغلبه العلوى على طبرستان فبعث إليه المعتمد بالنکير والاقتصار على ما بيده وإلا سلك به سبيل المخالفين وذلك سنة تسع وخمسين.

وقيل في ملكه نيسابور غير ذلك وهو: أن محمد بن طاهر أصاب دولته العجز والإدبار، فكتب بعض قرابته يعقوب بن الصفار واستدعاه، فكتب يعقوب إلى محمد بن طاهر مجنيه إلى ناحية موزيا بقصد الحسن بن زيد في طبرستان، وإن المعتمد أمره بذلك، وإنه لا يعرض شيئاً من أعمال خراسان. وبعث بعض قواده علينا عليه يمنعه من البراج عن نيسابور، وجاء بعده وقدم أخاه عمراً إلى محمد بن طاهر فقبض عليه وعنه على الأعمال والعجز، وقضى على جميع أهل بيته نحو من مائة وستين رجالاً وحملهم جميعاً إلى سجستان واستولى على خراسان، وواثب تواه في سائر أعمالها وذلك لإحدى عشرة سنة وشهرين من ولاية محمد.

ولما قبض يعقوب على ابن طاهر واستولى على خراسان هرب منازعه عبد الله السخري إلى الحسن بن زيد صاحب طبرستان فبعث إليه فاجراه، وسار إلى يعقوب سنة ستين وحاربه فانهزم الحسن إلى أرض الدليل، وملك يعقوب سارية وأسل ومضى في آخر الحسين من عسركه نحو من أربعين ألفاً من الرجل والظهور وغاها بعد مشقة شديدة، وكتب إلى المعتمد بذلك وكان عبد الله السخري قد هرب بعد هزيمة الحسن العلوى إلى الري، فسار يعقوب في طلبه، وكتب إلى عامل الري يوذنه بالحرب إن لم يدفعه إليه، فبعث به إليه وقتله ورجع إلى سجستان.

## استيلاء الحسن بن زيد على جرجان

ولما هرب الحسن بن زيد أمام مفلح من طبرستان، ورجع مفلح اعتزم الحسن على الرجوع إلى جرجان، فبعث محمد بن طاهر إليها العساكر لحفظها لئن يعنوا عنها، وجاء الحسن فملكتها وضعف أمر ابن طاهر في خراسان، وانتقض عليه كثير من أعمالها وظهر المغلبون في نواحيها وعاثت السلالة من الخارج في أعمالها ولم يقدر على دفعهم، وأك ذلك إلى تغلب الصفار على ابن طاهر وانتزاع خراسان من بيده كما ذكرنا.

## إسماعيل لضيئل بخاري.

ثم ولی خراسان بعد ذلك رافع بن هرثمة بدعاة بني طاهر، وغلب الصفار عليهما، وحصلت بينه وبين إسماعيل صاحب بخاري موالاة اتفقا فيها على التعاون والتضاد، وطلب منه إسماعيل أعمال خوارزم، فولاه إياها، وفسد ما بين إسماعيل وأخيه مصر، وزحف نصر إليه سنة اثنين وسبعين، واستجاش إسماعيل برافع بن هرثمة فسار إليه بنفسه مددًا، ووصل إلى بخاري، ثم أوقع الصلح بينه وبين أخيه خوفاً على نفسه، وانصرف رافع ثم انقض ما بينهما وتعاربا سنة خمس وسبعين، وظفر إسماعيل بنصر، ولما حضر عنده ترحل له إسماعيل وقتل يده ورده إلى كرسى إمارته بسمرقند، وأقام ناباً عنه ببخاري، وكان إسماعيل خيراً مكرماً لأهل العلم والدين.

ثم عزل أبو الساج عن ذلك وولى مكانه إبراهيم بن سينا فلم يزل بها حتى انصرف موسى بن بغا عن الأعمال كلها، ولما هزم إبراهيم بن سينا بن واصل بن عبد الرحمن بن مفلح وقتلها طمع بعقوب الصفار في ملك قارس، فسار من سجستان مجدداً، ورجع ابن واصل من الأهواء وترك محاربة ابن سينا، وأرسل خاله أبي بلال مرادس إلى الصفار، وراجمه بالكتاب والرسائل مجنس ابن واصل رسلاً، ورحل بعد السير ليتجاه على بقية، وشعر به الصفار فقال خاله مرادس: إن صاحبك قد غدر بنا وسار إليهم وقد أغيرا وتعيروا من شدة السير ومات أكثرهم عطشاً. فلما تراءى الجماعان انهزم ابن واصل دون قتال، وغنم الصفار ما في عسكنه وما كان لابن مفلح، واستولى على بلاد فارس ورتب بها العمال وأوقع بأهل زم لاعاته ابن واصل، وطبع في الاستيلاء على الأهواء وغيرها.

## مسير الموفق إلى البصرة لحرب الزنج وولاية العهد

ولما استغنى موسى بن بغا من ولاية الناحية الشرقية عزم المعتمد على تجهيز أخيه أبي أحمد الموفق، فجلس في دار العامة وأحضر الناس على طبقاتهم، وذلك في شوال من سنة إحدى وستين وعقد لابنه جعفر العهد من بعده، ولقبه المفوض إلى الله، وضم إليه موسى بن بغا وولاه أفريقيا ومصر والشام والجزيرة والموصى وأرمينية وطريق خراسان ونهر تصدق، وعقد أخيه أبي أحمد العهد بعده ولقبه الناصر للدين الله الموفق، وولاه الشرق وبعدها وسود الكوفة وطريق مكة واليمن وكسرى وكور دجلة والأهواز وفارس وأصبهان والكرخ والدينور والري وزنجان والسدن. وعقد لكل واحد منها لوابين أيضًا وأسود، وشرط أنه إن مات وجعفر لم يبلغ يتقدم الموفق عليه، ويكون هو بعده وأخذت البيعة بذلك على الناس، وعقد جعفر لموسى بن بغا على أعمال العرب، واستوزر صاعد بن خلد، ثم تكبه سنة اثنين وسبعين، واستصفاه واستكتب مكانه الصدر إسماعيل بن بابل، وأمر المعتمد أخاه الموفق بالمسير لحرب الزنج، فبعثه في مقدمته واعترض على المسير بعده.

## وقعة الصفار والموق

لما كان يعقوب الصفار ملك فارس من يد واصل وخراسان من يد ابن طاهر وبقى عليه صرح المعتمد بأنه لم يوله ولا فعل

## مبدأ دولة بنى سامان وراء النهر

كان جدهم أسد بن سامان من أهل خراسان وبيوتها ويتسبون في الفرس تارة إلى سامة بن لوي ولالي بن غالب أخرى، وكان لأسد أربعة من الولد: نوح وأحمد وبخيه وإلياس. وتقدموا عند المؤمن أيام ولايته خراسان واستعملهم، ولما انصرف المؤمن إلى العراق وللأجل على خراسان غسان بن عباد من قربة الفضل بن سهل، فولى نوحًا منهم على سمرقند وأحد على فرغانة وبخيه على الشاش وأشروستة وإلياس على هراة. فلما ولّ طاهر بن الحسين بعده أترهم على أعمالهم. ثم مات نوح بن أسد فاتر أخيه بخيه وأحد على عمله، وكان حسن السيرة، ومات إلياس بهراة، فولى عبد الله بن طاهر مكانه ابنه إبا إسحاق محمد بن إلياس، وكان لأحمد بن أسد من البنين سبعة: نصر ويعقوب وبخيه وإسماعيل وإسحاق وأسد وكنته: أبو الأشعث وحيد وكنته: أبو غلام.

فلم توفي أحد استخلف ابنه نصراً على أعماله بسمرقند وما إليهم، وأقام إلى انقراض أيام بني طاهر وبعدهم، وكان يلقي أعماله من قبل ولاة خراسان إلى حين انقراض أيام بني طاهر، واستولى الصفار على خراسان ففقد المعتمد لنصر هذا على أعماله من قبله سنة إحدى وستين، ولما ملك يعقوب الصفار خراسان كما قلنا بعث نصر جوشة إلى شط جيحون مسلحة من الصفار، فقتلوا مقدمهم ورجعوا إلى بخاري، وخشيهم واليها على نفسه فقر عنها، فولوا عليهم ثم عزلوا ثم ولوا ثم عزلوا، فبعث نصر أخاه

الزنج، ثم سار مسحور للقاء المعتمد وحضر الموقق حرب الصفار، ويبلغ صاحب الزنج جاؤوا التراخي من العساكر، فبعث سراياه فيها للنهب والحرق والتخرير في بعث سليمان بن جامع إلى البطيخة، وسليمان بن موسى إلى القادسية. وجاء أبو الترك في السفن يريد عسكر الزنج، فأخذ عليه سليمان بن موسى وقاتله شهراً حتى تخلص وأخجاز إلى سليمان بن جامع، وبعث إليهما الخيش بالمد، وكان مسحور قد بعث قبل مسيره من واسط جداً في البحر إلى سليمان فهزمه وأوقع بهم وقتل أسراه، وزنل بقرة مروان قريباً من بعقوب متحصناً بالغياض والأغوار. وزحف إليه قادان من بغداد وهما أغوش وخشيش في العساكر برأ وهمراً وأمر سليمان أصحابه بالاختفاء في تلك الغياض حتى يسمعوا أصوات الطبول.

وأقبل أغوش ونهض شرذمة من الزنج فوافقوه أصحابه وشاغلوهم، وسار سليمان من خلفهم وضرب طبله وعبروا إليهم في الماء، فانهزم أصحاب أغوش وظهر ما كان خفياً، وقتل خيش، واتبعوهم إلى العسكر وغنموا منه، وأخذوا من القطع البحري، ثم استدعاها أغوش من أيديهم، وعاد سليمان ظافراً وبعث برأس حشيش إلى الخيش صاحبه، فبعثت به إلى علي بن أبيان في نواحي الأهواز. وكان مسحور البلخي قد بعث إلى كور الأهواز أحد بن كيتونة، فنزل السوس وكان صاحب الأهواز من قبل الصفار يكاتب صاحب الزنج ويداريءه، ويطلب له الولاية عنه، فشرط عليه أن يكون خليفة لابن أبيان، واجتمعا بستر.

ولما رأى أحد نظافرها رجع إلى السوس، وكان علي بن أبيان يرجم خطبة محمد له بعمله، فلما اجتمعوا بستر خطب للمعتمد والصفار ولم يذكر الخيش، فنقضب علىي وسار إلى الأهواز. وجاء أحد بن كيتونة إلى تستر، ف الواقع محمد بن عبد الله ومحضن منه بستر. وأقبل علي بن أبيان إليه فاقتلا واشتد القتال بينهما، وانهزم علي بن أبيان وقتل جماعة من أصحابه، ونجا بنفسه جرحاً في السيارات بالتهور، وعاد إلى الأهواز. وسار منها إلى عسكر الخيش، واستخلف على عسكره بالأهواز حتى دوى جراحه ورجع. ثم بعث أخيه الحليل إلى أحد بن كيتونة بعسكر مكرم فقاتلته، وقد أكمن لهم فانهزموا، وقتل من الزنج خلق ورجع المنهزمون إلى علي بن أبيان، وبعث مسلحة إلى السرقان فاعتبرضهم جيش من أعيان فارس أصحاب أحد بن كيتونة، وقتلهم الزنج جميعاً فحظي عنده بذلك وبعث في أمر إبراهيم من قتله في سرخس.

ولما أراد الصفار العود إلى سجستان ولـى على نيسابور عزيز

ما فعل بإذنه، وبعث ذلك مع حاج خراسان وطبرستان. ثم سار إلى الأهواز يريد لقاء المعتمد، وذلك سنة اثنين وسبعين فارسل إليه المعتمد إسماعيل بن إسحاق وفهراج من قواد الأتراك ليردوه على ذلك وبعث معهما من كان في حبسه من أصحابه الذين حبسوا عندما قبض على محمد بن طاهر، وعاد إسماعيل من عند الصفار بعزم على الموصل، فتأخر الموقق لذلك عن المسير لحرب الزنج. ووصل مع إسماعيل من عند الصفار حاجه ذرهم يطلب ولاية طبرستان وخراسان وجرجان والري وفارس والشترطة ببغداد، فولاية المعتمد ذلك كله مضافاً إلى ما بيده من سجستان وكerman، وأعاد حاجه إليه بذلك ومعه عمر بن سينا فكتب يقول: لا بد من المخصوص بباب المعتمد. وارتخل من عسكر مكرم وسار إليه أبو الساج من الأهواز لدخوله تحت ولايته، فاكرمه ووصله وسار إلى بغداد. ونهض المعتمد من بنداد فعسكر بالزعفرانية وأخوه مسحور البلخي، فقاتلته متصرف رجب، وانهزمت ميسرة الموقق، وقتل فيها إبراهيم بن سينا وغيره من القواد.

ثم تراجعوا واشتدت الحرب وجاء إلى الموقق محمد بن أوس والداراني مددًا من المعتمد، وفشل أصحاب الصفار لما رأوا مدد الخليفة فانهزموا، وخرج الصفار واتبعهم أصحاب الموقق وغنموا من عسكره نحوًا من عشرة آلاف من الظهر، ومن الأموال ما يزيد حمله. وكان محمد بن طاهر معقلًا معه في العسكر منذ قبض عليه بخراسان، فتخلص ذلك اليوم وجاء إلى الموققة وخلع عليه وولاية الشرطة ببغداد، وسار الصفار إلى خوزستان فنزل جنديسابور، وأرسله صاحب الزنج يخته على الرجوع وبعد المساعدة، فكتب إليه: **﴿فُلْ يا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ. لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾** السورة. وكان ابن واصل قد خالف الصفار إلى فارس وملكتها، فكتب إليه المعتمد بولايتها، وبعث الصفار إليه جيشاً مع عمر بن السري من قواده، فأخرجها عنها وولى على الأهواز محمد بن عبد الله بن طاهر. ثم رجع المعتمد إلى سامرا والموقق إلى واسط واعتزم الموقق على اتباع الصفار، فقصد به المرض عن ذلك، وعاد إلى بغداد ومعه مسحور البلخي سار بعد موسى وأقطعه ما لأبي الساج من الضياع والمنازل، وقدم معه محمد بن طاهر فقام بولايته الشرطة ببغداد.

## سيادة أخبار الزنج

قد ذكر أن مسحوراً البلخي سار بعد موسى بن بغـا لحرب

طلحة. وجاء أهل جرجان مددًا للحسن، ففهمهم الحجستانى وأغремهم أربعة آلاف الف درهم. ثم جاء عمرو بن الليث إلى هرآة بعد وفاة أخيه يعقوب الصفار وعاد الحجستانى من جرجان إلى نيسابور، وسار إليه عمرو من هرآة فاقتلا وانهز عمرو ورجع إلى هرآة، وأقام أحد بنيسابور.

وكانت الفقهاء بنيسابور يمليون إلى عمرو لتربيته السلطان أيام، فأوقع الحجستانى بينهم الفتنة ليشغلهم بها، ثم سار إلى هرآة سنة سبع وستين وحاصر عمرو بن الليث فلم يظفر منه بشيء، فسار نحو سجستان وترك نائب بنيسابور، فأساء السيرة وقوى أحد الفساد، فربت به أهل بنيسابور واستعنوا بعمرو بن الليث وبعث إليهم جنداً يقبض على نائب الحجستانى وأقاموا بها، ورجع من سجستان فاخترجهم وملكها، وأقام إلى عام سبع وستين، وكانت عمرو أبا طلحة وهو يحاصر بلخ فقدم عليه وأعطيه أموالًا واستخلفه بخراسان، وسار إلى سجستان، وسار أحد إلى سرخس ولقيه أبو طلحة فهزمه أحد ولحق بسجستان، وأقام بطخارستان. ثم جاء أبو طلحة إلى بنيسابور فقبض على أهل الحجستانى وعياله، وجاء أحد من طخارستان إلى بنيسابور وأقام بها. ثم تبين لابن طاهر أن الحجستانى إنما يروم لنفسه وليس على ما يدعوه من القيام بأمرهم.

وكان على خوارزم أحد بن محمد بن طاهر فبعث قائده أبا العباس التوفلى إلى بنيسابور في خمسة آلاف مقاتل، وخرج أحد أمامهم وأقام قريباً منهم وأفحش التوفلى في القتل والضرب والتشريد، وبعث إليه الحجستانى فنهاه عن مثل ذلك فضرب الرسل، فلحق أهل بنيسابور بالحجستانى واستدعوه وجاوزوا به وقبض على التوفلى وقتلوا. ثم بلغه أن إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبد الله بن طاهر يمرو، فسار إليه من سورد في يوم ولية وقبض عليه وولى عليها موسى البلاخي، ثم وافقها الحسين بن طاهر فاحسن فيهم السيرة ووصل إليهم نحو عشرين ألف درهم، وكان الحجستانى لما بلغه أخذ والدته من بنيسابور وهو بطخارستان وسار مجدداً، فلما بلغ هرآة أتاه غلام لأبي طلحة مستأتماً فامنه وقرئه، فغضبه به وغلامه الحالصة عنده والجنود، وطلب الفرصة في قتل الحجستانى، وكان قد غرر ساقية قطلاع، فاتفقا على قتله فقتلاه في شوال سنة ثمان وستين. وأنفذ داعموم رحاته إلى الإسطبل مع جماعة فركبوا الدواب وساروا بالخبر إلى أبي طلحة ليستقدموه، وأبطنوا ظهوره على القواد فدخلوا فوجدوه قتيلاً، وأخبرهم صاحب الإسطبل بخبر الخام والدواب، وطلبوا داعموم فلم يجدوه، ثم عثروا عليه بعد أيام فقتلوه، واجتمعوا على رافع بن هرئمة

بن السري، وعلى هرآة أخاه عمرو بن الليث، فاستختلف عمرو عليها طاهر بن حفص الباذغىسي وسار إلى سجستان سنة إحدى وستين، فجاء الخبيث إلى أخيه علي وزين له أن يقيم نائباً عنه في أمره بخراسان، وطلب ذلك من أخيه يعقوب فأذن له. ثم غلب عزيز بن السري على بنيسابور وملكتها أول اثنين وستين، وقام بدعاوة بني طاهر. واستقدم رافع بن هرئمة من رجالاتهم فجعله صاحب جشه، وكتب إلى يعمر بن سركب وهو يحاصر بلخ يستقدمه، فلم يشق إليه، وسار إلى هرآة فملكها من يد طاهر بن حفص، وقتله وخف إلى أحد وكانت بينهما مواجهة، ثم داخل بعض قوات أحد الحجستانى في الغدر بيعمر على أن يكتنه من أخيه أبي طلحة، فتكلف ذلك القائد به فتم ذلك، وكسبهم أحد وقبض على يعمر ويعده إلى نائب بنيسابور فقتل، وقتل أبا طلحة القائد الذي غدر بأخيه. وسار إلى بنيسابور في جماعة، فلقي بها الحسين بن طاهر مردوداً من أصحابه طمعاً أن يدعوه أحد الحجستانى كما كان يزعم حين أورد فلم يخطب، فخطب له أبو طلحة وأقام معه بنيسابور، فسار إليهما الحجستانى من هرآة في اثنى عشر ألفاً.

وقد أخاه العباس فخرج إليه أبو طلحة وهزم، فرجع أحد إلى هرآة ولم يقف على خبر أخيه، واتدب رافع وهرئمة إلى استعلام خبره واستأمن إلى أبي طلحة فامنه ووثق إليه، ويبعث رافع إلى أحد بغير أخيه العباس، ثم أخذته طاهر إلى بيته لجلبة مالها، وضم معه قاتلين لذلك، فجبي المال وقبض على القاتلين وانتقض. وسار إلى الحجستانى وتزل في طريقه بقرية وبها علي بن بمحى الخارجي، فنزل ناحية عنه، وركب ابن طاهر في أتباعه فادركه بتلك القرية، فأوقع بالخارجي بظنه رافعاً ونحا رافع إلى الحجستانى. وبعث ابن طاهر بإسحاق الشرابي إلى جرجان لماربة الحسن بن زيد والدليل متصرف ثلاث وستين فائتخن في الدليل ثم انتقض على ابن طاهر، فسار إليه وكيسه إسحاق في طريقه فانهزم إلى بنيسابور، واستضعفه أهلها فأنحرجوه، فاتقام إلى فرسنه منها وجمع جماعاً وحاربهم، ثم كتب إلى أهل بنيسابور إلى إسحاق باستدعائه ومساعدته على ابن طاهر وأبي طلحة، وكتب إلى أهل بنيسابور عن إسحاق بالمواصلة. وسار إسحاق أبو محمد في قلة من الجنود، فاعترضه أبو طلحة وقتلته وحاصر بنيسابور، فاستقدموا الحجستانى من هرآة وأدخلوه.

وسار أبو طلحة إلى الحسن بن زيد مستجداً فأنجده ولم يظفر، وعاد إلى بلخ وحاصرها سنة خمس وستين، وخرج للحجستانى من بنيسابور به، وحاصره الحسن بن زيد لمساعدته أبا

فيها ورجع إلى منزله بمدينة الخبيث، وجاء مطر إلى الحجاجية فعاد فيها وأسر جماعة منها كان منهم القاضي سليمان، فحمله إلى واسط. ثم سار إلى طهطا وكتب الجناني بذلك إلى سليمان فرافقاه لاثنين من ذي الحجة، وجاء أحد بن كيتونة بعد أن كان سار إلى الكوفة وجيبل، فعاد إلى البريدية وصرف جعلان وضبط تلك الأعمال، وأوقع تكين سليمان وقتل جماعة من قواده. ثم ولى الموقن على مدينة واسط محمد بن الوليد وجاءه في العساكر واستمد سليمان صاحبه الخليل بن أبيان في الف وخمسة مقاتل، فزحف إلى ابن المولد وهزم واقتصر بها منكجور البخاري فقاتلته عامة يرمي، ثم قتل ونهب البلد وأحرقها وانصرف سليمان إلى جيبل واستدعوه في نواحيها تسعين ليلة.

### استيلاء ابن طولون على الشام

كان على دمشق أيام المعتمد ماجور من قواد الأتراك، فترى سنة أربع وستين وقام ابنه علي مكانه. وتوجه أحد بن طولون من مصر إلى دمشق وكتب إلى ابن ماجور بأن المعتمد أقطعه الشام والشغور، فأذاب بالطاعة، وسار أحد واستخلف على مصر ابنه العباس ولقيه ابن ماجور بالرملة فسلاه عليه، وسوار إلى دمشق فعملها وأقر القواد على اقطاعهم. ثم سار حصن فملكتها ثم حماة ثم حلب، وكان على أنطاكية وطرسوس سينا الطويل من قواد الأتراك، فبعث إليه ابن طولون بالطاعة وأن يقره على ولايته فامتنع، فسار إليه ودله على عورة في سور البلد نصب عليها الجناني، وقاتلها فعملها عنوة وقتل سينا في الحرب، فسار ثم قصد طرسوس فدخلها واعتز على المقام بها ويريد الغزو. وشكأ أهلها غلاء السعر وسائله الرحيل فرحل عنهم إلى الشام، ومضى إلى حران وبها محمد بن أنامش فحاربه وهزمه واستولى عليها.

ثم جاءه الخبر بانتقاض ابنه العباس بمصر وأنه أخذ الأموال وسار إلى برقة فلم يكرت ذلك، وأصلاح أحوال الشام وأنزل بهران عسكراً، وولى مولاه لؤلؤاً على الرقة وأنزل معه عسكراً، وبلغ موسى بن أنامش خبر أخيه محمد فجمع العساكر وسار نحو جرجان وبها أحد بن جيونة من قواد ابن طولون فأهل مسيرة وقال له بعض الأعراب واسمي أبو الأعز: لا يهمك أمره فإنه طياش قلق وأنا آتيك به! فقال: إفعل وزاده عشرين رجلاً، وسار إلى عسكر موسى بن أنامش، فاكلمن بعض أصحابه ودخل العسكرية بالباقي على زمي الأعراب وقصد الخيل المرتبطة عند خيام ابن موسى فاطلقها وصاحوا فيها ففربت واهتج العسكري وركبوا

وكان من خبره ما نذكره.

### استيلاء الصفار على الأهواز

ثم سار بعقب الصفار من فارس إلى الأهواز، وأحمد بن كيتونة قائد مسرور البليخي على الأهواز مقيم على تستر فرحل عنها ونزل بعقب تكين جنديسابور، ففر كل من كان في تلك التواحي من عساكر السلطان، ويعث إلى الأهواز من أصحابه الخضر بن المير، فأفوج عنها علي بن أبيان والزنج ونزلوا السدرة ودخل خضر الأهواز، وأقام أصحابه الخضر وابن أبيان يغير بعضهم على بعض. ثم فر ابن أبيان وسار إلى الأهواز فأوقع بالحضر وقتله في أصحابه وغم، ولحق الحضر بعسكر مكرم، واستخرج ابن أبيان ما كان بالأهواز ورجع إلى نهر السدرة. وبعث بعقب إلى الحضر مددًا وأمره بالكف عن قتال الزنج والقام بالأهواز، فأبى ابن أبيان من ذلك إلا أن ينقل طعاماً ما كان هناك فقلبه وتزدادوا.

### استيلاء الزنج على واسط

قد تقدم لنا واقعة أغرتني مع سليمان بن جامع، وظفر سليمان به فلما انقضى أمره سار سليمان إلى صاحب الخبيث ومر في طريقه بعسكر تكين البخاري وهو ببردوه، فلما حاذأه قريباً أشار عليه الجناني أن يغير على العسكر في البحر ويستطرد لهم ليتهزوا منهم الفرصة فجعل وجاه مستطرداً وقد أكمنوا لهم الكمان حتى أجازوا موضع الكمان. وركب سليمان إليهم وعطف الجناني على من في الهر وخرجت الكمان من خلفهم فاختروا فيهم إلى مسكنهم، ثم بيترهم ليلاً فنالوا منهم، وانكشف سليمان فليلاً، ثم عبر أصحابه وأثأهم من وجوده عديدة برأ وجرأ فانهزم تكين وغنم الزنج عسكره. ثم استخلف سليمان على عسكره الجناني وسار إلى صاحب الخبيث سنة ثلاثة وستين، ومضى الجناني بالعسكر لطلب الميرة فاعترضه جعلان من قواد السلطان وهزمه وأخذ سيفه.

ثم زحف منكجور ومحمد بن علي بن حبيب من القواد وبلغ الحجاجية فرجع سليمان مغدلاً إلى طهطا يزيد جعلان وفي مقدمته الجناني. ثم كر إلى ابن خبيث فهزمه وقتل أخيه وغم ما معه. ثم سار في شعبان إلى قرية حسان فأوقع بالقائد هناك جيش ابن خمار تكين ونهب القرية وأحرقها. ثم بعث العساكر في الجهات للنهب برأ وجرأ، واعتراض جعلان بعضهم فأوقع بهم، ثم سار سليمان إلى الرصافة فأوقع بالقائد بها واستباحها وغم ما

واستيلاؤه على مدينة واسط، ثم ولّى أغرقش مكان تكين البخاري ما يتولاه من أعمال الأهواز فدخل تستر في رمضان ومعه مطر بن جامع. وقتل جماعة من أصحاب أبان كانوا مأسورين بها. ثم سار إلى عسكر مكرم، ووافاه هناك علي بن أبان والزنج، فاقتلاه ثم تجاوزوا للكثرة الزنج، ورجع علي إلى الأهواز وسار أغرقش إلى الخليل بن أبان ليعبروا إليه من قنطرة أربيل وجاءه آخره علي وحالف أصحابه المخلفون بالأهواز، فارتخلوا إلى نهر السروة وتحارب علي وأغرقش يوماً ثم رجع علي إلى الأهواز ولم يجد أصحابه، فبعث من يردهم إليه فلم يرجعوا. وجاء أغرقش وقتل مطر بن جامع في عدة من القواد. وجاء اللدد لأن ابن من صاحبه الحبيب فوادعه أغرقش وتركه.

ثم بعث محمد بن عبد الله إلى أبي كلالي ابن الحبيب في أن يرفع عنه يد ابن أبان فزاد ذلك في غيظه، وبعث يطالبه محمد بالخروج وداعفه فسأله إليه، وهو رب محمد من راهمه من إقصى معاقله، ودخل علي والزنج رامهرمز وغنموا ما فيها. ثم صالحه محمد على مائتي ألف درهم، وترك أعماله. ثم استتجده محمد بن عبد الله على الأكراد على أن لعلي غناهم، فاستخلف علي على ذلك مُجزٌ وطلب منه الرهن فمُطلٌ وبعث إليه الجيش فزحف بهم إلى الأكراد. فلما نشب القتال انهزم أصحاب محمد فانهزم الزنج وأتَخَ الأكراد فيهم، وبعث علي من يعترضهم فاستلبوهم وكتب علي إلى محمد يتهدده فاعتذر ورد عليهم كثيراً من أسلابهم، وخشي من الحبيب وبعث إلى أصحابه مالاً ليس له في الرضا عنه، فأجابهم إلى ذلك على أن يقيم دعوه في أعماله ففعل كذلك. ثم سار ابن أبان لحصار موتة واستكثر من آلات الحصار، وعلم بذلك مسروراً البخاري وهو بكور الأهواز، فسار إليه ووافاه عليها، فانهزم ابن أبان وترك ما كان حله هناك، وقتل من الزنج خلقاً وجاء الخبر بمسير الموفق إليهم.

## استرجاع ابن الموفق ما غلب عليه الزنج من أعمال دجلة

لما دخل الزنج واسط وعاثروا فيها كما ذكرناه بعث الموفق ابنه أبا العباس، وهو الذي ولّى الخلافة بعد المعتمد ولقب المعتمد، فبعثه أبوه بين يديه في ربيع سنة ست وستين في عشرة آلاف من الخيول والرجال. وركب لتشيعه وبعث معه السفن في النهر عليها أبو حزبة نصر، فسأله حتى وافقه البخاري والرجل والسفن الهرية، وعلى مقدمته الجناني وأنهم نزلوا الجزيرة قريباً من بردو،

واستطرد لهم أبو الأعز حتى جاوز الكمين وموسى في أوائلهم، فخرج الكمين ولتهم أصحاب موسى من ورائه، وعطف عليه أبو الأعز فأخذه أسيراً وجاء به إلى ابن جيفونة، وبعث به إلى ابن طرلون فاعتقله وعاد إلى مصر وذلك سنة ست وستين.

ومن أخبار الزنج أن سليمان احتضر نهراً يمر إلى سواد الكوفة ليتهيأ له الغارة على تلك التواحي وكان أحد بن كيتونة..... فكبسهم وهم يعلمون، وقد جروا عساكرهم لذلك فأوقع بهم وقتل منهم نحواً من أربعين قائداً وأحرق سفنهم ورجع سليمان مهزوماً إلى طهنا. ثم عدت عساكر الزنج على التعبانية واستباحوها وصار أهلها إلى جرجريا وأجمل أهل السواد إلى بغداد، وزحف علي بن أبان بعاصمة الزنج إلى تستر فحاصرها وأشرف على أخذها. وكان الموفق استعمل على كور الأهواز مسروراً البخاري فول عليها تكين البخاري فسار إليها ووافاها أهل تستر في تلك الحال فأغزى علي بن أبان وهزم وقتل من الزنج خلقاً ونزل تستر. وبعث ابن أبان جماعة من قواد الزنج ليقيموا بقنطرة فارس، وجاء عن يمن بغيرهم إلى تكين فكبسهم وهزمهم وقتل منهم جماعة. وسار ابن أبان فانهزم أمامه، وكتب ابن أبان إلى تكين يسألة المواجهة فوادعه بعض الشيء واتهمه مسروراً فسأله وقبض عليه وحبسه عند عجلان بن أبان، وفر منه أصحابه وطائفته إلى الزنج وطائفته إلى محمد بن عبد الله الكرخي ثم أمن الباقيين فرجعوا إليه.

## موت يعقوب الصفار ولاية عمرو أخيه

وفي سنة خمس وستين أخرىات شوال منها مات يعقوب الصفار وقد كان افتتح الرجع وقتل ملكها وأسلم أهلها على يده، وكانت مملكة واسعة المحدود وافتتح زابيلستان وهي غزنة، وكان المعتمد قد استماله وقلده أعمال فارس، ولما مات قام أخوه عمرو بن الليث وكتب إلى المعتمد بطاعته، فولاه الموفق من قبله ما كان له من الأعمال: خراسان وأصبهان والستان وسجستان والشترطة ببغداد وسرّ من رأى وقبله عبد الله بن عبد الله بن طاهر، وخلع الموفق عمرو بن الليث وولى على أصبهان من قبله أحد بن عبد العزيز بن أبي دلف محمد بن أبي الساج.

## أخبار الزنج مع أغرقش

قد كان تقدم لنا ليقاع سليمان بن جامع بأغرقش وحربه بعد ذلك مع تكين وجعلان ومطر بن جامع وأحمد بن كيتونة

واسط في ربيع الأول من سنة سبع وستين، ولقيه ابنه وأخوه بالأحوال، ورجع إلى عسركه. ونزل الموفق على نهر شداد ونزل ابنه شرقي دجلة على موهة بن مساور فأقام يومين ثم رحل إلى المنيعة بسوق الخميس، سار إليها في النهر ونادى بالمقامة، ولقيه الزنج فحاربوا، ثم جاء الموفق فانهزموا واتبعهم أصحاب أبي العباس فاقتحموا عليهم المنيعة وقتلوا خلقاً وأسرموا آخرين، وهرب الشعراني، واختفى في الأجام آخرن. ورجع الموفق إلى عسركه وقد استنقذ من المسلمين نحو خمس عشرة امرأة، ثم غدا على المنيعة فأمر بنبهها وهدم سورها وطم خندقها وإحراق ما بقي من السفن فيها، وبيعت الأقوات التي أخذت، فكانت لا حد لها، فصرفت في الجند.

وكتب الخيث إلى ابن جامع يجذره مثل ما نزل بالشعراني، وجاءت العيون إلى الموفق أن ابن جامع بالحوائط، فسار إلى الضبية وأمر ابنه بالسير في النهر إلى الحوائط، فلم يلق ابن جامع بها، ووجد قاتلين من الزنج استخلفهم عليها محفظ الغلات، ولحق بمدينته المصورة بطهراً، فقاتل ذلك الجند ورجع إلى أبيه بالخبر فأمره بالسير إليه، وسار على أثره برأً وبحراً حتى نزلوا على ميلين من طهراً. وركب ليونى مقاعد القتال على المصورة فلقيه الزنج وقتلوه وأسروا جماعة من غلاماته.

ورمى أبو العباس بن الموفق أحد بن مهدي الجناني فمات وأوهن موته، ثم ركب يوم السبت آخر ربيع من سنة سبع وعشرين عسركه وبعث السفن في البحر الذي يصل إلى المصورة، ثم صلى وابتهل بالدعا، وقدم ابنه أبي العباس إلى السور، واعترضه الجند فقاتلهم عليه واقتضموا ولووا منهزمين إلى الخندق وراءه، فقاتلتهن المنيعة، وركب نصير في النهر، وافتقدوا في مسيرة سماها العباس جماعة من الزنج فمنعوه من طريق المدينة وقاتلوه مقدار نهاره، وأشاعوا قتل نصير، وخالقهم نصير إلى المدينة فاختن فيها وأضروا النار في بيوتها. وجاء الخبر بذلك إلى أبي العباس بسبرة. ثم جاء نصير ومعه أسرى كثيرون فقاتلوا الزنج وهزموهم، ورجع أبو العباس إلى عسركه وبعث الخيث إلى ابن آبان وابن جامع فأمرهما بالاجتماع على حرب أبي العباس.

وجاءهم سليمان بن موسى الشعراني مددًا بمثل ذلك وأن الزنج اختلفوا في الاحتشاد، وزنلوا من السفح إلى أسفل واسط يتهزون الفرصة في ابن الموفق لما يظلون من قلة درايته بالحرب، فركب أبو العباس لاستعلام أمرهم ووافى نصيراً، فلقيهم جماعة من الزنج فاستطرد لهم أولاً، ثم كر في وجوههم وصالح بنصير فرجع، وركب أبو العباس السفن التهوية فهزم الزنج وأثخن فيهم واتبعهم ستة فراسين، وغنم من سعيهم وكان ذلك أول الفتح.

ورجع سليمان بن جامع إلى نهر الأمين وسليمان بن موسى الشعراني إلى سوق الخميس، وأبو العباس على فرسنه من واسط يغاديهن القتال ويراؤهم. ثم احتشد سليمان وجاء من ثلاثة وجره، وركب في السفن التهوية ويزر إليه نصير في سفنه، وركب معه أبو العباس في خاصته، وأمر الجند بمحاذاته من الشط، ونشب الحرب فوقعت المزعة على الزنج وغنم سفينهم، وأفلت سليمان والجناني من الملكة وبلغوا طهراً، ورجع أبو العباس إلى معسركه وأمر بإصلاح السفن المفتومة، وحضر الزنج في طريق الجبل الآبار وغضوها، فوقع بعض الفرسان فيها، فعدل جند السلطان عن ذلك الطريق. وأمر الخيث أصحابه بالسفن في النهر وأغاروا على سفن أبي العباس وغنموا بعضها، وركب في أتبعهم واستنقذ سفينهم وغنم من سفينهم نحوًا من ثلاثين، وجده في قتالهم وتحصن ابن جامع بطيتها، وسمى مديتها المصورة. والشعراني بسوق الخميس وسمى مديتها المنيعة.

وكان أبو العباس يغير على الميرة التي تأتيهم من سائر النواحي، وركب في بعض الأيام إلى مدينة الشعراني التي سماها المنيعة، وركب نصير في النهر، وافتقدوا في مسيرة سماها العباس جماعة من الزنج فمنعوه من طريق المدينة وقاتلوه مقدار نهاره، وأشاعوا قتل نصير، وخالقهم نصير إلى المدينة فاختن فيها وأضرموا النار في بيوتها. وجاء الخبر بذلك إلى أبي العباس بسبرة. ثم جاء نصير ومعه أسرى كثيرون فقاتلوا الزنج وهزموهم، ورجع أبو العباس إلى عسركه وبعث الخيث إلى ابن آبان وابن جامع فأمرهما بالاجتماع على حرب أبي العباس.

## وصول الموفق لحرب الزنج وفتح المية والمصورة

كان الموفق لما بعث ابنه أبي العباس لحرب الزنج تأخر لإمداده بالحشود والعدد وإزاحة عللها ومسارقة أحواله، فلما بلغه اجتماع ابن آبان وابن جامع لحربه سار من بغداد إليه فوصل إلى

### حصار مدينة الخيث المحتردة وفتحها

ثم إن الموفق عرض عساكره وأزاح عللهم، وسار معه ابنه

فأئمهم الموفق ووصلهم، وبعث الخبيث قاتلين من أصحابه في عشرة آلاف لياترا الطبيحة من ثلاثة وجوه، فيعبروا من تلك التواحي ويقطعوا الميرة عن الموفق. وبلغ الموفق خبرهم فبعث إليهم عسكراً مع مولاً، ونزل فلوق بهم وقتل وأسر، وأخذ منهم أربعينماه سفينة.

ولما تابع خروج المستامة وكل الخبيث من يحفظها، وجهدهم الحصار فبعث جماعة من قواده إلى الموفق يستأمنون وان ينشئهم الحرب ليجدوا السبيل إليه، فأرسل ابن أبي العباس إلى نهر الغري ويه علي ابن أبان فاشتد الحرب وظهر أبو العباس على بن أبان، وأمده الخبيث بابن جامع ودامت الحرب عاماً يرمهم، وكان الظفر لأبي العباس، وسار إليه المستامة الذين واددوه. وانصرف أبو العباس إلى مدينة الخبيث وقاتل بعض الزنج طمعاً فيهم لقتلهم فتكثروا عليه، ثم جاءه المدد من قبل أبيه ظهر عليهم. وكان ابن جامع قد صعد في النهر وأتى أبي العباس من وراءه، وخفقت طبلة فانكشف أصحاب أبي العباس، ورجع منهزم الزنج فاجت جماعة من غلمان الموفق وعدة من أعلامهم، وحاصي أبو العباس عن أصحابه حتى خلصوا، وقوى الزنج بهذه الواقعه، فأجع الموفق العبور إلى مدنه بعسكره.

فيعي الناس لذلك من الغدة آخر ذي الحجة واستكثر من المعابر والسفن وقصدوا حصن أوكان بالمدينة وفيها انكلالي بن الخبيث وأبن جامع وأبن أبان وعليه الجانق والألات، فامر غلمانه بالدنر منه فخافوا لاعتراض نهر الأتراك بينهم وبينه، فصباح يوم قطعوا النهر سباحاً، وتناولوا الركن بالسلاح بهدمونه، ثم صعدوا عليه وملوكه ونصبوا به علم الموفق، وأحرقوا ما كان عليه من الألات وقتلوا من الزنج خلقاً عظيماً، وكان أبو العباس يقاتلهم من الناحية الأخرى وأبن أبان قبالته فهزمه، ووصل أصحاب أبي العباس إلى السور فتلumo ودخلوا، ولقيهم ابن جامع فقاتلهم حتى ردهم إلى مواقعهم.

ثم توافق الفيلة فلتموا السور في مواضع، ونصبوا على الخندق جسراً عبر عليه المقاتلة، فانهزم الزنج عن السور واتبعهم أصحاب الموفق يقتلونهم إلى دير ابن سمعان، فملكه أصحاب الموفق وأحرقوه، وقاتلهم الزنج هناك ثم انهزموا فبلغوا ميدان الخبيث، فركب من هنالك وانهزم عنه أصحابه، وأنظم الليل ورجع الموفق بالناس، وتاخر أبو العباس لحمل بعض المستأمنين في السفن، واتبعه بعض الزنج ونالوا من آخر السفن. وكان بهمود بازاء مسرون البلاخي فناذ من أصحابه واستأمن بعض المنهزمين من الزنج والأعراب بعنوان ذلك من عبادان والبصرة، وكان منهم

أبو العباس إلى مدينة الخبيث فأشرف عليها ورأى من حصانتها بالأسوار والخنادق ووعر الطرق، وما أعد من الآلات للحصار ومن كثرة المقاتلة ما استعظم، ولما عاين الزنج عساكر الموفق دهشوا. وقد ابته العباس في السفن حتى الصقها بالأسوار فرمي بالحجارة في الجانق والمالح والأيدي، ورأوا من صبره وأصحابه ما لم يجتبسو. ثم رجعوا وتبعهم مستأمنة من المقاتلة والمالحين نزعوا إلى الموفق، فقبلهم وأحسن إليهم، فتابع المستأمنون في النهر فركل الخبيث بفوهه النهر من معهم، وتعي أهل السفن للحرب مع بهبود قائد الخبيث، فزحف إليه أبو العباس في السفن وهزم، وقتل الكثير من أصحابه ورجع فاستأمن إليه بعض تلك السفن النهرية وكثير من المقاتلة فأئمهم وأقام شهراً لم يقاتلهم.

ثم عي عساكره متصرف شعبان في البر والبحر وكانتا نحو من خمسين ألفاً، وكان الزنج في نحو ثلاثة ألف مقاتل، فأشرف عليهم ونادي بالأمان إلا للخبيث، ورمي بالرقاء في السهام بالأمان، فجاء كثير منهم ولم يكن حرب. ثم رحل من مكانه ونزل قريباً من المختارة، ورتب المنازل من إنشاء السفن، وشرع في اختطاط مدينة لنزله سماها الموقبة، فاكم بناءها وشيد جامعها وكتب بحمل الأموال والميرة إليها وأغب الحرب شهراً فتابعت الميرة إلى المدينة، ورحل إليها التجار بصنوف البضائع، واستاجر فيها العمران ونفت الأسواق وجلبت صنوف الأشياء.

ثم أمر الموفق ابنه أبي العباس بقتال من كان من الزنج خارج المختارة فقاتلهم وأثخن فيهم، فاستأمن إليه كثير منهم فأئمهم ووصلهم، وأقام الموفق أيامياً يحاصر المحاربين يصل المستأمنين، واعترض الزنج بعض الوفاد الجائحة بالميرة، فأمر بترتيب السفن على مخارج الأنهر، ووكل ابنه أبي العباس محفظها، وجاءت طائفة من الزنج بعض الأيام إلى عسكر نصير يريدون الإيقاع به، فأوقع بهم وظفر ببعض القواد منهم، فقتل رشقاً بالسهام، وتتابع المستأمنة فبلغوا إلى آخر رمضان خمسين ألفاً.

ثم بعث الخبيث عسكراً من الزنج مع علي بن أبان ليأتوا من وراء الموفق إذا ناشبهم الحرب، وغلى إليه الخبر فبعث ابنه أبي العباس فأوقع بهم وحملت الأسرى والرؤوس في السفن النهرية ليروا الخبيث وأصحابه، وظنوا أن ذلك عزيه فرميت الروس في المبابيق حتى عرفوها، فظهرت منهم الجزع وتكررت الحرب في السفن بين أبي العباس وبين الزنج، وهو يظهر عليهم في جميعها حتى انقطعت الميرة عنهم، فاشتد الحصار عليهم وخرج كثير من وجوه أصحابه مستأمنين، مثل محمد بن الحارث القمي وأحد البيروعي. وكان من أشجع رجاله القمي منهم موكلًا بمحفظ السور

من ورائهم فأمر بهدمها فهدمتا، ثم هدم طائفة من السور ودخلوا المدينة واتهوا إلى دار ابن سمعان من خزائن الخبيث ودواوينه.

ثم تقدروا إلى الجامع فخربوه وجاؤوا عنبره إلى الموفق بعد أن استعاد الزنج دونه، فلم يعنوا به، ثم أكثروا من هدم السور وظهرت علامات الفتح، ثم أصاب الموفق في ذلك اليوم سهم في صدره وذلك لخمس بقين من جنادي سنة تسع وستين، فعاد إلى عسکره. ثم صابع الحرب تقوية لقلوب الناس، ثم لزم الفراش واضطرب العسكر وأشير عليه بالذهاب إلى بغداد فلما فاحتاجب عن الناس ثلاثة أشهر حتى اندمل جرحه. ثم ركب إلى الحرب فوجد الزنج قد سدوا ما تلهم من الأسوار، فأمر بهدمها كلها، واتصل القتال مما يلي نهر سلمي كما كان، والزننج يظنون أنهم لا يأتون إلا منها، فركب يوماً لقتالهم وبعث السفن أسفل نهر أبي الخصيب، فاتهوا إلى قصر من قصور الزنج فأحرقوه واتهوا ما فيه واستنقذوا كباراً من الساكن فيه.

ورجح الموفق آخر يومه ظافراً. ثم بكر لحربيهم فوصلت المقدمات دار أنكلاي بن الخبيث وهي متعلقة بدار أبيه، وأشار ابن أبيه بإجراء المياه على الساج وحرق الخنادق بين يدي العسكر، وأمر الموفق بضم الخنادق والأنهار، ورام إحراق قصره وقصده من دجلة فمنع من ذلك كثرة الحماة عنه، فأمر أن تسقى السفن بالأخشاب، وتطلق بالأدوية المائعة من الإحراب. ورتب فيها أئمداد أصحابه، ويأتوا على أبهة الزحف من الغد. وجاء كتاب الخبيث وهو محمد بن سمعان عشاء ذلك اليوم مستأماناً، وبكرروا إلى الحرب وأمر الموفق ابنه أبا العباس بإحراق منازل القواد المتصلة بقصر الخبيث ليشغلهم عن حاليه، وقصدت السفن الطلبة قصر الخبيث فأحرقوا الرواشن والأبنية المخارة وعلت النار فيه ورموا بالنار على السفن فلم تؤثر فيها.

ثم حصر الماء من النهر فزحفت السفن، فلما جاء الدعاء إلى التصرّ أحرقوا بيوتاً كانت تشرع على دجلة، واشتعلت النار فيها وقويت وهرب الخبيث وأصحابه وتركوها وما فيها. واستول أصحاب الموفق على ذلك كله واستنقذوا جماعة من النساء، وأحرق قصر أنكلاي ابنه، وجرحاً، وعاد الموفق عشاء يومه مظفراً. ثم بكر من الغد للقتال وأمر نصيراً قائد السفن بقصد القنطرة التي كان الخبيث عملها في نهر أبي الخصيب دون القنطرة التي كان اقتندها، وفرق العسكر في الجهات فدخل نصير في أول المد ولصق بالقطارة، واتصل الشد من ورائه فلم يقدر على الرجوع حتى حسر الماء عنها، وفطن لها الزنج فقصدوها فالقى

قائد ريحان أبو صالح الموري فأمنهم الموفق وأحسن إليهم وضم ريحان إلى أبي العباس.

وخرج في المحرم إلى الموفق من قواد الخبيث ولقائه جعفر بن إبراهيم المعروف بالسجان فأحسن إليه الموفق وحمله في بعض السفن إلى قصر الخبيث، فوقف وكلم الزنج في ذلك، وأقام الموفق أيام استجم فيها أصحابه، فلما كان متتصف ربيع الثاني فقصد مدينة الخبيث، وفرق القواد على جهاتها ومعهم النتابون للسور ومن ورائهم الرماة يحمونهم. وتقىد إليهم أن لا يدخلوا بعد المزم إلا بإذنه، فوصلوا إلى السور وتملموا وحاربوا الزنج من ورائهم وهزمواهم، وبلغوا بعد ما وصلوا إليه بالأمس. ثم تراجع الزنج وحاربوا من المكان فرجع أصحاب الموفق نحو دجلة بعد أن نال منهم الزنج، ورجع الموفق إلى مدنته، ولام أصحابه على تقديمهم بغير إذنه.

ثم بلغ الموفق أن بعض الأعراب من بني عميم يجلبون الميرة إلى الزنج فيبعث إليهم عسكراً انخروا فيهم قتلاً وأسراءً، وجيء بالأسرى فقتلهم، وأوزع إلى البصرة بقطع الميرة فانقطعت عن الزنج بالكلية، وجهدهم الحصار وكثرة المستامة وافتراق كثير من الزنج في القرى والأماصار البعيدة، وبث الموفق دعاته فيهم ومن أبى قتلواه وعرضوا المستأمنين وأحسن إليهم ليستميلهم، وتتابع الموفق وابنه قتال الزنج، وقتل بهبود بن عبد الواحد من قواد الخبيث في تلك الحروب، فكان قتله من أعظم الفتوح، وكان قتله في السفن البحرية ينصب فيها أعلاماً كاعلام الموفق وبثابيل أطراف العسكر فيصيب منهم. وأفلت في بعض الأيام من يد أبي العباس بعد أن كان حصل في قبضته، ثم خيل أخرى لبعض السفن طاماً فيها فحاربوا وطعنوا بعض الغلمان منها فسقط في الماء، وأخذته أصحابه فمات بين أيديهم. وخلى الموفق على الغلام الذي طعنه وعلى أهل السفينة. ولما هلك بهبود قبض الخبيث على بعض أصحابه وضرفهم على ماله، فاستنسد قلوبهم، وهرب كثير منهم إلى الموفق، فوصلهم ونادي بالأمان لبقيائهم. ثم اعتزم على العبور إلى الزنج من الجانب الغربي وكانت طرقه ملتفة بالتخيل فأمر بقطعها، وأدار الخنادق على معسكره حذراً من البيات. ثم صعب على الموفق القتال من الجانب الغربي لكثرة أوعاره وصعوبة مسالكه وما يتوجه فيها على أصحابه من خيل الزنج لقلة خبرتهم بها، فصرف قصده إلى هدم أسوارهم وتوسعت الطرق فهدم طائفة من السور من ناحية نهر سلمي، وبasher الحرب بنفسه، واشتد القتال وكثرت القتلى في الجانبين وفشت الجراح، وكانت في النهر قنطرتان يعبر منها الزنج عند القتال، يأتون أصحاب الموفق

فيعروقونهم فاجع على تخريبه وجعل المقاتلة عليه برأً ومحراً وفرقوهم على سائر جهاته وجهات الخبيث، وأمد الخبيث الحصن باللهبلي وابن جامع، فلم يغشوا عنه وانهزموا، وتركوا الحصن في يدي أصحاب الموفق وهزموه وقتلوا من الزنج خلقاً، وخلصوا من الحصن كثيراً من النساء والصبيان، ورجع الموفق إلى عسكنه ظافراً.

### استيلاء الموفق على الجهة الغربية

ولما هدم الموفق سور دار الخبيث أمر بتوسيعة الطرق للحرب، وأحرق الجسر الأول الذي على نهر أبي الخصيب ليمنع من مدد بعضهم بعضاً، فكان في إحراقه حرب عظيمة. وأعدت لذلك سفينة ملئت قصباً وجعل فيها النفط، وأرسلت في قوة المدد فتبارد الزنج إليها وغرقواها فركب الموفق إلى فوهة نهر أبي الخصيب وقصدتهم من غرب النهر وشرقيه إلى أن انتهوا إلى الجسر من غربيه وعليه انكلابي بن الخبيث وابن جامع فاحرقوه، وفعال مثل ذلك من الجانب الشرقي، فأحرق الجسر والخطيرة التي كانت لإنشاء السفن، وسجن كان هناك للخبيث. والخاز هو وأصحابه من الجانب الغربي واستأمن كثير من قواه فامنهن وأخرجوا أرسالاً وخرج قاضيه هارباً، ووكل بالجسر الثاني من يعفظه وأمر الموفق ابنه أبي العباس بأن يتوجه لإحراقه فزحف في إتجاد غلمانه ومعه الفعلة والآلات.

وكان في الجانب الغربي قبالة أبي العباس انكلابي وابن جامع، وفي الجانب الغربي قبالة أسد مولى الموفق الخبيث نفسه واللهبلي، وجاءت السفن في النهر وقاتلوا حامية الجسر فانهزم ابن جامع وانكلابي وأضرمت النار في الجسر، ولما وافاه وهو مضطرب ناراً ألقى أنفسهما في النهر فخلصا بعد أن غرق من أصحابهما خلق، وأحرق الجسر واتصل الحريق بدورهم وقصورهم وأسواقهم، وافتقر الجيش في الجانبين ونهيت دار الخبيث واستند من كان في حبه من السوة والرجال. وأخرج ما كان في نهر أبي الخصيب من أصناف السفن إلى دجلة ونبهها أصحاب الموفق واستأمن انكلابي بن الخبيث وعلم أبوه فثناء عن ذلك. واستأمن ابن سليمان بن موسى الشعراوي من رؤساء قواه فأجبر بعد توقف. ولما خرج بهم أصحاب الخبيث فقاتلهم، ووصل إلى الموفق فأحسن إليه وأقضى أثره في ذلك شبل بن سالم من قواه، وعظم على الخبيث وأوليه استئمان هؤلاء، وصار شبل بن سالم يخرج في السرايا إلى عسكر الخبيث ويكثر النكبات فيه.

الملعون أنفسهم في الماء وألقى نصير نفسه وقاتل ابن جامع ذلك اليوم أشد قتال. ثم انهزم وسقط في الطريق فاحتراق، ثم خلص بعد الجهد.

وانصرف الموفق سالماً وأصحابه مرض المفاصل واتصل به إلى شعبان من سنته فامسك في هذه المدة عن الحرب حتى أبلى فاءً العادي الخبيث القنطرة التي غرق عندها نصير وزاد فيها وأحكمها، وجعل أمامها سكراماً من الحجارة ليضيق المدخل على السفن، فبعث الموفق طائفة من شرق نهر أبي الخصيب، وطائفة من بحيرة ومعهم الفعلة لقطع القنطرة، وجعل أمامها سفناً ملؤه من القصب لتصيبها النار بالنفط فيحرق الجسر، وفرق جنده على القتال وساروا لما أمرهم عاشر شوال، وتقدموا إلى الجسر ولقيهم انكلابي بن الخبيث وابن أبيان وابن جامع وحاموا عن القنطرة لعلمهم بما في قطعها من المقدرة عليهم، ودامت الحرب عليها إلى العشي.

ثم غلبهم أصحاب الموفق عليها، وتنقضها التجارون وتقضوا الأنقاض التي دونها وأدخلوا السفن بالقصب، وأضرموا ناراً ووافت القنطرة فأحرقتها ووصل التجارون بذلك إلى ما أرادوا. وسهل سبيل السفن في النهر وقتل من الزنج خلقت واستأمن آخرون، وانتقل الخبيث بعد حرق قصوره ومساكن أصحابه إلى الجانب الشرقي من نهر أبي الخصيب، ونقل أسواقه إليه وتبين ضعفه فانقطعت عنه الميرة وفقدت الأقوارات وغلت حتى أكل بعضهم بعضاً، ورجع الموفق أن يحرق الجانب الشرقي كما أحرق الغربي فقصد دار المandan وكان حصيناً عليه الآلات فلما انتهى إليها تعذر الصعود لعلو السور فرموا بالكلاليب ونشبت في أعلام الخبيث وجذبواها فتساقطت، فانهزم المقاتلة وصعد التفاطرون فأحرقوا ما كان عليها من الآلة، ونهروا الأبراج والمتاع. واتصل الطريق بما حوطا من الدور واستأمن للموفق جماعة من خاصة الخبيث فامتهن ودلوه على سوق عظيمة متصلة بالجسر الأول تسمى المباركة، وبها التجار الذين بهم قوامهم، فقصدوها لإحراقها وحاربه الزنج بعدها، وأضم أصحابه النار فيها فانصطلت وبقي الحريق عامه اليوم.

ثم رجع الموفق ثم انتقل التجار بامتعتهم وأموالهم إلى أعلى المدينة، ثم فعل الخبيث في الجانب الشرقي بعد هذه من حفر الخنادق وتفوير الطرق مثل ما كان فعل في الجانب الغربي، واحتضر خندقاً عريضاً حصّن به منازل أصحابه على النهر الغربي. ثم خرق الموفق باقي السور إلى النهر الغربي بعد حرب شديدة كانت عليه، وكان للخبيث جمع من الزنج وهو أشجع أصحابه، وقد تحصنوا بمحسن منيع يخرجون على أصحاب الموفق عند الحرب

## استيلاء الموقن على الجهة الشرقية

وقدم ابنه أبي العباس إلى دار المهلب وأضاف المستأمنة إلى شبل بن سالم وأمرهم أن يتظروا بالقتال ففتح البوقي، ونصب علمه الأسود على دار الكرماني. ثم صمد إليهم وزحف الناس في البر والنهر، وفتحت الأبواب وذلك لثلاثة بقين من المحرم ستة سبعين. واشتغل القتال وإنهم الزنج ومات منهم قتلاً وغرقاً ما لا يحصى، واستول الموقن على المدينة واستقدوا الأسرى وأسرروا الخليل وابن أبيان وأولاً دهماً وعيال أخيهما، ومضي الخبيث ومعه ابنه انكلائي وابن جامع وقادوا من الزنج إلى موضع بنهر السفياني كانوا أعدوه ملجاً إذا غلب على المدينة، واتبعه الموقن في السفن ولولؤ في البر. ثم اقتحم النهر بفرسه واتبه أ أصحابه فألقوا بالخيث ومن معه حتى عبروا نهر السامان واعتصموا بمحل وراءه، ورجع لولؤ عنهم وشكراً للموقن ورفع منزلته واستبشر الناس بالفتح.

وجمع الموقن أصحابه فرجمتهم على اقطاعهم عنه فاستعدروا بأنهم ظنوا انصاراً. ثم تحدوا على الإقدام والثبات حتى يظفروا وسائله أن ترد العابر التي يعبرون فيها ليستعين الناس في حرب عدوهم، فوعدهم بذلك وأصبح ثالث صفر في المراكب وبعثهم إلى المراكب ورد المعابر التي عبروا فيها وتقدم العسكر فألقوا بالخيث وأصحابه فقضوا جماعة وأثخنوا فيهم قتلاً وأسراء، واقتروا كل ناحية. وثبت مع الخبيث لم من أصحابه فيهم المهلبي وذهب ابنه انكلائي وابن جامع وأتيت كلّاً منهم طائفنة من السكر بأمر أبي العباس بن الموقن. ثم أسر إبراهيم بن جعفر المعناني فاستنقوا منه.

ثم كر الخبيث والنهزمون معه على من اتبعهم من أهل العسكر فازالوهם عن مواقفهم. ثم رجعوا ومضى الموقن في اتباع الخبيث إلى آخر نهر أبي الحبيب فلقيه غلام من أصحاب لولؤ برأس الخبيث وسار انكلائي نحو الدناري ومعه المهلبي وبعث الموقن أصحابه في طلبهم فظفر بهم وبين معهم، وكانت زهاء خمسة آلاف، فاستوثق منهم ثم استأمن إليه ورمونة وكان عند البطيخة قد اعتضى بعضاً وآجام هناك يخفف السابة، ويعبر على تلك التواحي وعلى الواردين إلى مدينة الموقن. فلما علم بموت الخبيث سقط في يده وبعث يستأمن فامنه الموقن فحسن توبته ورد الفضوليات إلى أهلها ظاهراً، وأمر الموقن بالنداء برجوع الزنج إلى موطنهم فرجعوا وأقام الموقن بمدينة الموقنية ليأمن الناس بمقامه، وولى على البصرة والأبلة وكور دجلة محمد بن حاد وقدم ابنه أبي العباس إلى بغداد فدخلها متصرف جاهي من ستة سبعين وكان خروج صاحب الزنج آخر رمضان ستة خمس وسبعين وقتله أول صفر ستة سبعين لأربع عشرة ستة وأربعين أشهر من دولته.

وفي خلال هذه المروءات واتصالها من أصحاب الموقن على تحمل تلك المسالك والشعوب مع تضيقها ووعرها، وأجمع الموقن على قصد الجانب الشرقي في نهر أبي الحبيب، وندب لذلك قواد المستأمنة لخبرتهم بذلك دون غيرهم، ووعدهم بالإحسان والزيادة فأدوا وسالبو الإقالة فألي لتميز مناصتهم. وجمع سفن دجلة من كل جانب، وكان فيها عشرة آلاف ملاح من المرتزقة. وأمر ابنه أبي العباس بقصد مدينة الخبيث الشرقية من جهةاتها، فسار إلى دار المهلبي وهو في مائة وخمسين قطعة من السفن قد شحنها بالجذاب غلمانه، وانتخب عشرة آلاف مقاتل وأمرهم بالمسير حفافي النهر يشاهد أحواضهم. ويذكر الموقن لثمان خلون من ذي القعدة راحفاً للحرب، فاقتتلوا ملياً وصبراً. ثم إنهم الزنج وقتل منهم خلق، وأسر آخرون فقتلوا، وقد صد الموقن بجمعه دار الخبيث، وقد جمع الخبيث أصحابه للدفاعة فلم يغروا عنه وإنهموا وأسلموها فنهما أصحاب الموقن، وسبوا حربيه وبنيه و كانوا عشرين. ونجا إلى دار المهلبي ونهاها واشتعل أصحابهم جميعاً بنقل الغنائم إلى السفن، فأطمع ذلك الزنج فيهم وتراجعوا ورددوا الناس إلى مواقعهم. ثم صدق الموقن الحملة عشي النهار فهزم الزنج إلى دار الخبيث ورجع الناس إلى عسكنه، ووصله كتاب لولؤ غلام ابن طولون يستأنده في القدوم عليه فأخر القتال إلى حضوره.

## مقتل صاحب الزنج

ولما وصل غلام ابن طولون في ثالث المحرم من ستة سبعين وجاء في جيش عظيم، فاحسن إليهم الموقن وأجرى لهم الأرزاق على مراثيهم، وأمره بالتأهب لقتال الخبيث. وقد كان لما غلب على نهر أبي الحبيب وقطع القناطر والجسور التي عليه، أحدث فيه سكرةً وضيق جريمة الماء لمنع السفن من دخوله إذا حضر، وتنذر خروجها أمامه. وفيه لا يهيا إلا بازالة ذلك السكر، فحاول ذلك مدة والزنج يدافعون عنه، ودفع الموقن بذلك لولؤاً في أصحابه ليتمرنوا على حرب الزنج في تلك المسالك والطرق فاحتسبوا البلاء فيها ووصلهم، وألح على العسكر، وهو كل يوم يقتل مقاتلיהם ويحرق مساكنهم ويقتل المستأمنة منهم. وقد كان يقى بالجهة الغربية بقية من أبنية ومزارع وبها جماعة يحافظونها، فسار إليهم أبو العباس وأوقع بهم، ولم يسلم منهم إلا الشريد. ثم غلبهم على السكر وأحرقه واعتزم على لقاء الخبيث

## ولاية ابن كندة على الموصل

يأخذ الزكاة من الأموال المصعدة والمتحدرة، ووضع في الرسائلين من يقبض اعتبار الغلات، واستقام أمره. ثم جاء بنو ساسان لقتاله سنة ست وسبعين واستتجد محمدان بن حدون فجاءه بنفسه، وسار إلى نهر الخازن وأنهزم طليعتهم، وأنهزموا بانهزامها، وجاء بنو شيان إلى فسا الفجيل أهلها واقام هارون وأصحابه بالحديثة.

### أخبار رافع بن هرثمة من بعد الخجستاني

ما قتل أحد الخجستاني سنة ثمان وستين كما قدمناه اجتمع أصحابه على رافع بن هرثمة من قواد محمد بن طاهر، وكان رافع هنا لما استولى بعقوب الصفار على نيسابور، وزال بن طاهر، صار رافع في جلته، وصبه إلى سجستان. ثم أقصاه عن خدمته وعاد إلى منزله بناوحي جي حتى استخدمه الخجستاني وجعله صاحب جشه. فلما قتل الخجستاني اجتمع الجيش عليه بهراة وأمروه وسار إلى نيسابور فحاصر بها أبو طلحة بن شركب وقد كان وصل إليها من جرجان، فضيق عليه المخنق ففارقها أبو طلحة إلى مرو، وولى على هرة ابن المهدى وخطب محمد بن طاهر بمرو وهراة وزحف إليه عمرو بن الليث فهزمه وغلبه على ما يده. واستخلف على مرو محمد بن سهل بن هاشم، وخرج أبو طلحة إلى مكمنه واستعلن بإسماعيل بن أحمد الساماني، فأمدده بعسكري وأخرج محمد بن سهل، وخطب بها لعمرو بن الليث سنة إحدى وسبعين.

ثم قلد الموفق تلك السنة أعمال خراسان محمد بن طاهر، وهو بغداد، فاستختلف عليها رافع بن الليث وأقر على ما ورائه النهر نصر بن أحد. ووردت كتب الموفق بعزل عمرو بن الليث ولعنه، فسار رافع إلى هرة وقد كان بها محمد بن المهدى خليفة أبي طلحة، فثار عليه يوسف بن معبد. فلما جاء رافع استأتمن إليه فامته واستعمل على هرة مهدي بن محسن. ثم سار رافع إلى أبي طلحة بمرو بعد أن استمد إسماعيل بن أحد وأمده بنفسه في أربعة آلاف فارس، واستقدم علي بن محسن المروروزي قدم عليه في عسكره، وساروا جميعاً إلى أبي طلحة بمرو سنة اثنين وسبعين، فهزمه وعاد إسماعيل إلى بخارى ولحق بابي طلحة وبها مهدي، فاجتمع معه على خلافة رافع فهزمهما رافع، ولحق أبو طلحة بعمرو بن الليث وقضى على مهدي سنة اثنين وسبعين ثم خلى سبيله وسار رافع إلى خوارزم فجبي أموالها ورجع إلى نيسابور.

لامس أحد بن موسى بن بغا إلى الجزيرة وولى موسى بن أباش على ديار ربيعة فتغير لذلك إسحاق بن كندة وفارق عسكره وأوقع بالأكراد اليعقوبية واتهبه أمرهم ثم لقي ابن مساور الخارجي فقتله، وسار إلى الموصل فقطاع أهلها على مال، وكان عليهم علي بن داود قائداً، فدفعه وسار ابن كندة إليه، فخرج علي بن داود واجتمع حدان بن حدون التلبي وإسحاق بن عمر بن أيوب بن الخطاب التلبي العدوى، فكانوا خمسة عشر، وجاهم علي بن داود فلقيهم إسحاق في ثلاثة آلاف فهزمه بدسيسة من أهل مسيرتهم، وسار حدان وعلي بن داود إلى نيسابور، وابن أيوب إلى نصبين، وابن كندة في اتباعه، فسار عنها واستختار عيسى ابن الشيخ الشيباني وهو بأمد، وأبي العز موسى بن زرارة وهو عامل أردن، فأنجدها ويعتبر المعتمد إلى إسحاق بن كندة بولاية الموصل فدخلها، وأرسل إليه ابن الشيخ وابن زرارة حربه، فرجع إلى إجابتهم. ثم حاربوا سنة سبع وستين، واجتمع حربه إسحاق بن أيوب وعيسى ابن الشيخ وأبو العز بن حدان بن حدون في ربيعة وتغلب وبكر واليمين فهزمهما ابن كندة إلى نصبين، ثم إلى آمد وجر عسكر لخصار ابن الشيخ بأمد وكانت بينهم حروب.

## حروب الخوارج بالموصل

كان مساور الخارجي قد هلك في حربه مع العساكر سنة ثلاث وستين بالبوارسح وأراد أصحابه ولاية محمد بن حداد بشهزور فامتنع، وبايعوا أيوب بن حيانالمعروف بالغلام فقتل، فبايعوا هارون بن عبد الله البجلي وكثير أتباعه واستولى على بلد الموصى، وخرج عليه من أصحابه محمد بن حداد، وكان كثير العبادة والزهد يجلس على الأرض ويلبس الصوف الغليظ ويركب البقر لثلاثة يفر من الحرب، فنزل واسط وجاء وجراه أهل الموصل، فسار إليهم وهارون غائب في الأحساد، فبادر إليه واقتلاه، وانهزم هارون وقتل من أصحابه نحو مائتين، وقصد بي تغلب مستجداً بهم فأنجدهم وسار معه حدان بن حدون ودخل معه الموصل، ودخل ابن حداد، واستسلام هارون أصحابه، ورجع إلى الحديثة، ولم يبق مع ابن حداد إلا قليل من الأكراد فصالوا إلى هارون بالموصل، فخرج وأوقع بابن حداد فقتله وأوقع بالأكراد الحالية وكثير أتباعه، وغلب على القرى والرسائل، وجعل على دجلة من

## مفاوضاتة المعتمد للموفق ومسيرة ابن طولون وما نشأ من الفتنة لأجل ذلك

آمنين. ولم يزل لولو في خدمة الموفق إلى أن قبض عليه سنة ثلثاء وسبعين وصادره على أربعين ألف وadier أمره ثم، ثم عاد إلى مصر آخر أيام هارون بن حارويه.

### وفاة ابن طولون ومسير ابن كندة إلى الشام

وفي سنة سبعين انتقض بازمان الخادم بطرسوس وبقبض على نائبه، وسار إليه أحد بن طولون في العساكر وحاصره فامتنع عليه، فرجع إلى أنطاكية فرض هنالك ومات لست وعشرين سنة من ولادته على مصر وولى بعده ابنه حارويه، وانتقضت عليه دمشق فبعث إليها العساكر وعادت إلى طاعته. وكان يومئذ بالوصل والجزيرة إسحاق بن كندة وعلى الأنبار والرجة وطريق الفرات محمد بن أبي الساج، فكتاباً للموفق في المسير إلى الشام واستداته، فأنذ لهما ووعدهما باللد، فسارا وملكاً ما يجاورهما من بلاده، واستولى إسحاق على أنطاكية وحلب وحص، وكانته نائب دمشق واجتمع الخلاف على حارويه فسار إليه فهرب إلى شيزر وهي في طاعة حارويه، ودمشق. وجاء أبو العباس بن الموفق وهو المعتمد من بغداد بالعساكر فكبس شيزر وقتل من جمل ابن طولون مقتله عظيمة، ولحق قلُّهم بدمشق وأبو العباس في اتباعهم، فجلعوا عنها، وملكها في شعبان سنة إحدى وسبعين. ورجعت عساكر حارويه إلى الرملة فأتاموا بها. وزحف إسحاق بن كندة إلى الرقة وعليها وعلى التشور والعواصم ابن دعا من قبل حارويه فقاتله وكان الظهور لإسحاق. ثم زحف أبو العباس المعتمد من دمشق إلى الرملة، وسار حارويه من مصر واجتمع بعساكره في الرملة على ماء الطواحين، وكان المعتمد قد استنسد لابن كندة وإن أبي الساج ونسبيهما إلى الجين في انتظارهما إيه في محاربة حارويه.

وعي المعتمد عساكره ولقي حارويه وقد أكمن له، فانهزم حارويه أولاً وملك المعتمد خيامه، وشغل أصحابه بالنهب فخرج عليهم الكمين فانهزم المعتمد إلى دمشق، فلم يفتح له أهلها، فراح إلى طرسوس وأقام العسكريان يقتلان دون أمير، وأقام أصحاب حارويه عليهم أخاه سعداً مكانه، وذهبوا إلى الشام فملكونه أجمع، وأذيعوا منه دعوة الموفق وإيه. ويبلغ الخبر إلى حارويه فسرّ وأطلق الأسرى الذين كانوا معه. ثم سار أهل طرسوس بباب العباس فآخر جوهر، وسار إلى بغداد وولوا عليهم مازيار، فاستبد بهما ثم دعا لحارويه بعد أن وصله بمال جليل يقال: أندى إليه ثلاثة ألف

كان الموفق حدثت بيته وبين ابن طولون وحشة وأراد عزله، وبعث موسى بن بنا في العساكر إليه سنة اثنين وستين فاتح بالرقة عشرة أشهر، واختلف عليه العساكر فرجع، وكان الموفق مستبداً على أخيه المعتمد منذ قيامه بأمر دولته مع ما كان من الكفاية والغناه، إلا أنه كان المعتمد يتافق من الحجر، وكتب إلى أحد بن طولون في السر يشكّر ذلك وأشار عليه باللحاق إليه بمصر لينصره، وبعث عسكراً إلى الرقة في انتظاره، وكان الموفق مشغولاً بحرب الزنج، فسار المعتمد متصرف ستة تسع وستين في القواد مظهراً أنه يتصدّى، ثم سار إلى أعمال الموصل وعليها يومئذ وعلى سائر الجزيرة أصحاب كندة وكتب صاعد بن خلدل وزير الموفق عن الموفق إلى إسحاق ببردة عن طريقه، والقبض على من معه من القواد.

فلما وصل المعتمد إلى عمله أظهر إسحاق طاعته، فارتحل في خدمته إلى أول عمل ابن طولون. ثم اجتمع بالمعتمد والقواد وفيهم نيزك وأحد بن خاقان وغيرهم فعندهم في المسير إلى ابن طولون والمقام تحت يده، وطال الكلام بينهم مليأً ثم دعاهم إلى خيمته للمناظرة في ذلك أديباً مع المعتمد، وقبدهم وجاء إلى المعتمد فعنده في المسير عن دار خلاقته ومحاضبة أخيه، وهو في دفاع عدوه ومن يزيد خراب ملكه، وحمل الجميع إلى ساما. وقطع ابن طولون الدعاء للموفق على منابرها وأسقط اسمه من الظرر وغضّب الموفق بسبب ذلك على أحد بن طولون، وحمل المعتمد على أن يشار بلعنه على المنابر.

وولى إسحاق بن كندة على أعماله وفرض إليه من باب الشمامية إلى أفريقيا، وكان لولو مولى ابن طولون عاملاً له على حمص وحلب وقنسرين وديار مصر من الجزيرة. وكان منزله بالرقة فانتقض عليه في هذه السنة، وسار إلى باليس فنهبها، وكتب إلى الموفق نفر بقرقيسا وبها ابن صفوان العقيلي فحاربه وغلبه عليها وسلمها إلى أحد بن مالك بن طوق. ووصل إلى الموفق في عسكر عظيم وهو يقاتل صاحب الزنج فناكرمه الموفق وأحسن هو الغناء في تلك الحرب. ثم بعث ابن طولون في تلك السنة جيشه إلى مكة لإقامة الموسم، وعامل مكة هارون بن محمد ففارقتها خوفاً منهم، وبعث الموفق جعفراً في عسكر فتوى بهم هارون ولقوا أصحاب ابن طولون فهزّ موهم وصادروا القائد على ألف دينار. وقرى الكتاب في المسجد بلعن ابن طولون وانقلب أهل مصر إلى بلدتهم

على الجزيرة والموصل، وخطب لخمارويه ثم لنفسه بعده، وبعث غلامه فتحاً إلى أعمال الموصى بجبلة الخارج.

وكان يعقوبة من السراة قريباً منه، فهادنه، ثم غدر بهم فكسيهم، وجاءهم أصحابهم من غير شعور بالواقعة، فحملوا على أصحاب فتح فاسلتهموه. ثم انتقض ابن أبي الساج واستبيح عسكره. وكان له جمسم مختلف من أقالة، فقدم خمارويه طلاقة من العسكر إليها، فاستولوا على ما فيها، ومنعوا ابن أبي الساج من دخولها، فسار إلى حلب، ثم إلى الرقة وخمارويه في اتباعه، فعبر الفرات إلى الموصى، وجاء خمارويه إلى بلد وأقام بها وسار ابن أبي الساج إلى الخدشة وكان إسحاق بن كنداج قد لحق بهم خمارويه من ماردين فبعث معه جيشاً وجاءه من القواد، وسار في طلب ابن أبي الساج، وقد عبر دجلة فجمع ابن كنداج السفن ليوطئ جسراً للعبور.

وبينما هو في ذلك أسرى ابن أبي الساج من تكريت إلى الموصى، فوصلها الرابعة وسار ابن كنداج في اتباعه، فاقتتلوا بظاهر الموصى وأبن ابن أبي الساج في القين، فصبر واشتد القتال، وأنهز ابن كنداج وهو في عشرين ألفاً. فخلص إلى الرقة وحمد بن أبي الساج في اتباعه. وكتب إلى الموق يسانذه في عبور الفرات إلى بلاد خمارويه بالشام، فأمره بالتوقف إلى وصول المدد من عنده، ومضى ابن كنداج إلى جمارويه فجاء جيشه إلى الفرات، وتوافق مع ابن أبي الساج والفترات بينهما. ثم عبرت طلاقة من عسكر ابن كنداج فأوقعوا بطلاقة من عسكر ابن أبي الساج فانهزما إلى الرقة، فسار ابن أبي الساج عن الرقة إلى بغداد سنة ست وسبعين في ربيع منها، فاكمله الموق ووصله واستول ابن كنداج على ديار ربيعة أذربیجان، فسار إليها فخرج إليه عبد الله بن الحسين المعناني عامل مرأة ليصده فهزمه ابن أبي الساج فحاصره وأخذ منه مرأة سنة ثمان وسبعين وقتلها. واستقر ابن أبي الساج في عمله بأذربیجان.

### أخبار عمرو بن الليث

كان عمرو بن الليث بعد مهلك أخيه يعقوب قد ولاد الموق خراسان وأصبهان وسجستان والستان وكerman والشرطة ببغداد كما كان آخره، وقد ذكرنا ذلك قبل. وكان عامله على فارس ابن الليث فانتقض عليه سنة ثمان وسبعين فسار عمرو لحرمه فهزمه واستباح عسكره ونهب أصبهان ثم ظفرت جيشه بمحمد

ديبار وخمسة ثوب وخمسة مطرف وسلاماً كثيراً، فدعاه ثم بعث إليه بمائتين ألف دينار.

### وفاة صاحب طبرستان وولاية أخيه

ثم توفي الحسن بن زيد العلوى صاحب طبرستان في رجب سنة سبعين لعشرين سنة من ولايته وولي مكانه آخره وكان على قزوين أنكوتين فسار إلى الري في أربعة آلاف فارس، وسار إليه محمد بن زيد في عالم كثير من الدليم والحراسانية، والتقو فانهزم محمد بن زيد وقتل من عسكره نحو من ستة آلاف وأسر الفنان، وغنم أنكوتين عسكراً وملك الري وأغرم أهلها مائة ألف دينار، وفرق عماله عليها، وسار محمد بن زيد إلى جرجان، ثم عزل عمرو بن الليث عن خراسان وولي عليها محمد بن طاهر، واستخلف محمد بن رافع بن هرثمة، وسار سنة خمس وسبعين إلى جرجان وهرب عنها ليلاً إلى استریاد فحاصره رافع فيها ستين حتى أجهده الحصار، ففر عنها ليلاً إلى ساریة، فاتبعه فهرب عن طبرستان سنة سبع وسبعين، واستأمان رستم بن قارن إلى رافع بطرستان فأنهله، ويعث إلى سالوس محمد بن هارون نائباً عنه وأتاه باباً علي بن كاني مستأماناً. ثم جاءه محمد وحاصرهما بسالوس، وانقطعت أخبارهما عن نافع. ثم جاءه الخبر بمحاصرهما فسار إليهما فارتحل محمد بن زيد إلى أرض الدليم، فدخل رافع خلفه وأتى نافع فيها نهباً وتغرياً إلى حدود قزوين، وعاد إلى الري إلى أن توفي المعتمد سنة تسع وسبعين.

### فتنة ابن كنداج وابن أبي الساج وابن طولون

كان ابن أبي الساج في أعماله بقنسرين والفترات والرجبة ينافس إسحاق وهو على الجزيرة، ويريد التقدم عليه، فحدثت لذلك منهما فتنة. فخطب ابن أبي الساج لخمارويه بن طولون. وبعث ابنه ديواداد رهينة إليه، فبعث إليه خمارويه أموالاً جمة وسار إلى الشام، واجتمع بابن أبي الساج ببابل، ثم عبر ابن أبي الساج إلى الرقة، وهزم إسحاق بن كنداج، واستول على أعماله. وعبر خمارويه ونزل الرقة ومضى إسحاق إلى قلعة ماردين وحاصره ابن أبي الساج بها، ثم أفرج عنها وسار إلى سنجر لقتال بعض الأعراب فسار ابن كنداج من ماردين إلى الموصى، فاعترضه ابن أبي الساج، وهزمه فعاد إلى ماردين، واستول ابن أبي الساج

## قبض الموفق على ابنه أبي العباس المعتضد ثم وفاته وقيام ابنه أبي العباس بالأمر بعده

كان الموفق بعد رجوعه من أصحابهان نزل واسط، ثم عاد إلى بغداد وترك المعتمد بالمدائن، وأمر ابنه أبي العباس وهو المعتضد بالمسير إلى بعض الوجهة فابن، فأمر محبسه، ووكل به. وركب القواد من أصحابه واخظرت بغداد فركب الموفق إلى الميدان وسكن الناس، وقال: إني احتجت إلى تقرير أبي قورمة، فانصرف الناس وذلك سنة ست وسبعين. وكان عند منصরهم من الجبل قد اشتد به وجع النقرس ولم يقدر على الركوب، فكان يُحمل في المحفة، ووصل إلى داره في صفر من سنة سبع، وطال مرضه ويعث كاتبه أبي الصقر بن بلبل إلى الميدان، فجاء بالمعتمد وأولاده وأنزله بداره، ولم يأت دار الموفق، فارتات الأولياء لذلك، وعمد غلامان أبي العباس فكسرتا الأقفال المغلقة عليه وأخرجوه واقعدوه عند رأس أبيه وهو يعود بنفسه، فلما قطع عنيه قربه وأدناه وجع أبو الصقر عنده القزاد والجند.

ثم تسامع الناس أن الموفق حي، فتسلىوا عن أبي الصقر وأوْلَمْ محمد بن أبي الساج، فلم يسع أبي الصقر إلا الحضور بدار الموفق، فحضر هو وابنه وأشاع أعداء أبي الصقر أنه هرب إلى الموفق إلى المعتمد، فتهبوا داره، وأخرجت نساوه حفاة عراة، ونهب ما يجاوره من الدور، وفتشت السجون، ثم خلص الموفق على ابنه أبي العباس وأبي الصقر، وركب إلى متنهما وولى أبو العباس غلامه بدار الشرطة. ثم مات لثمانين بقيت من صغر سنة ثمان وسبعين ودفن بالرصافة. واجتمع القواد فباعوا ابنه أبي العباس المعتضد بالله، واجتمع عليه أصحابه أبيه، ثم قبض المعتضد على أبي الصقر ابن بلبل وأصحابه، وانتهت مثاجله، وولى عبد الله بن سليمان بن وهب الوزارة ويعث محمد بن أبي الساج إلى واسط ليرد غلامه وصيفاً إلى بغداد فابن وصيف وسار إلى السوس فاقام بها.

## ابتداء أمر القرامطة

كان ابتداء أمرهم فيما زعموا أن رجلاً ظهر بسواد الكوفة سنة ثمان وسبعين ومائتين يتسم بالزهد، وكان يدعى ترمط يقال لركركه على ثور كان صاحبه يدعى كرميطة فغريب وقيل: بل اسمه حдан ولقبه قرمط. يقال: وزعم أنه داعية لأهل البيت للمنتظر منهم واتبعه العباس فقبض عليه الميضم عامل الكوفة

وأسره وجسه بكرمان، فأقام بها ثم بعث إلى أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف وهو بأصحابهان يطلب بالمال. فبعث إليه بالأموال، ويعث عمرو إلى الموفق بثلاثمائة ألف دينار، وبخمسين مائة من المسك و مثلها من العنبر ومائتين من العود، وثلاثمائة ثوب من الروشي ومن آنية النعف والفضة والدواب والغلمان قيمة مائة ألف دينار. واستأذنه في غزو محمد بن عبيد الكردي رامهرمز فاذن له، فبعث قاتلها من جيشه إلى أبيه فأسره وجاه به إلى عمرو.

ثم عزل المعتمد سنة إحدى وستين عمرو بن الليث مما كان قلده من الأعمال، وأدخل إلى الحاج من أهلها عند منصরهم من مكة، فاعلهم بعزله، وأنه قد ول على خراسان محمد بن طاهر، وأمر بلعن عمرو على المتابر. وجهز مخلد بن صاعد إلى فارس لحرب عمرو، واستخلف محمد بن طاهر على خراسان رافع بن هرثمة، وكتب المعتمد إلى أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف يأمره بقتاله، ويعث إليه الجيوش فاقتتلوا مع عمرو، وكان في خمسة عشر ألف مقاتل، فانهزم عمرو وخرج قائده الديلمي وقتل مائة من أعيانهم وأسر ثلاثة آلاف، فاستأمن منهم وغنموا من عسكره ما لا يحصى. ثم زحف الموفق سنة أربع وسبعين إلى فارس لحرب عمرو فأنفذ عمرو ابنه محمدأ إلى أرجان في العساكرة، وعلى مقدمته أبو طلحة بن شرحبيل وعباس بن إسحاق إلى سيراف، واستأمن أبو طلحة إلى الموفق فقتلت ذلك في عضد عمرو، وعاد إلى كرمان واستراب الموفق بأبي طلحة فقبض عليه قريباً من شيراز، وجعل ماله لابنه أبي العباس المعتضد، وسار في طلب عمرو، فخرج من كرمان إلى سجستان ومات ابنه محمد بالفارزة، ورجع عنه الموفق وسار رافع بن الليث من خراسان وغلب محمد بن زيد على طبرستان كما قدمناه، وقاد عليه هناك علي بن الليث هو وابنه المعدل والليث (بن حسن أخيه علي) بكرمان ثم قتل رافع سنة ثمان وستين.

## مسير الموفق إلى أصحابهان والجبل

كان كاتب أتوبيكين أنهى إلى المعتضد أن له مالاً عظيماً ببلاد الجبل فترجمه لذلك فلم يجد شيئاً ثم سار إلى الكرخ ثم إلى أصحابهان يريد أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف فتحسحى أحد عن البلد بعسكره، وترك داره بفرشها لنزل الموفق عند قدومه، ثم رجع الموفق إلى بغداد.

## فتنة طرسوس

قد تقدم لنا انتقاض بازمان بطرسوس على مولاه أحمد بن طرلون، وأنه حاصره فامتنع عليه، وأنه راجع بعد طاعة ابنه خارويه مما حل إليه من الأموال والأمتاع والسلاح، فاستقام أمره بطرسوس مدة، وغزا سنة ثمان وسبعين بالصائفة مع أحد الجعفي وحاصروا اسكندرا فأصيب مجرم منجنيق، فرجع وهلك في طريقه ودفن بطرسوس. وكان استخلف ابن عجيف فاقره خارويه وأمده بالخيل والسلاح والمال، ثم عزله واستعمل عليها ابن عمه ابن محمد بن موسى بن طرلون. ولما توفي الموفق نزع خادم من خوارصه اسمه راغب إلى الشك، وطلب المقام بالسفر للجهاد، فاذن له العتيد، فسار إلى طرسوس وحط اثنائه بها وسار إلى لقاء خارويه بدمشق فأكرمه واستجلب أنسه، فطال مقامه وألهم أصحابه بطرسوس أنه قبض عليه، فأوصلوا أهل البلد في ذلك، فوثبوا بأميرهم محمد بن موسى حتى يطلق لهم راغب، ويبلغ الخبر إلى خارويه فأطلقه فجاء إليهم ووجههم على فعلهم، فأطلقوا محمد بن موسى وسار عنهم إلى بيت المقدس فأعادوا ابن عجيف إلى ولايته.

## فتنة أهل الموصى مع الخارج

قد تقدم لنا هارون بن سليمان كان على الشراء من الخارج، وكان بنو شيبان يقاتلونهم ويغيرون على الموصى. فلما كانت سنة تسع وسبعين جاء بنو شيبان لذلك وأغاروا على سُوى وغيرها من الأعمال، فاجتمع هارون الشاري في الخارج وحشدان بن حدون التغلبي على مدافعتهم. وكان مع بنو شيبان هارون بن سيماء مولى أحد بن عيسى بن الشيخ الشيباني، بعثه محمد بن إسحاق بن كنداحق واليًا على الموصى عندما مات أبوه إسحاق، وولى مكانه على أعماله بالموصل وديار ربيعة فلم يرضه أهل الموصى وطروه، فسار إلى بنو شيبان مستجدًا بهم، فلما التقى الجماعان انهزم بنو شيبان أولاً وأشغل أصحابه حدان والخارج بالتهب، فكر عليهم بنو شيبان وظفروا بهم. وكتب هارون بن سيماء إلى محمد بن إسحاق بن كنداحق يستمدئه فسار بنفسه وخشيه أهل الموصى فسار ببعضهم إلى بغداد يطلبون عاملًا يكتفيهم أمر ابن كنداحق، ومرروا في طريقهم محمد بن سعيد المتروج الموكل بحفظ الطريق فال فهو وقد وصل إليه برؤية العهد بالموصل، فبادر ملوكها، وتواترت ابن كنداحق في مكانه، وبعث إلى خارويه بالهديدة، ووسائل إمارة الموصى كما كان من قبل، فلم يجيء إلى ذلك، ثم عزل

وحبسه، فقر من جبهه وزعم أن الإغلاق لا يمنعه. ثم زعم أنه الذي بشر به أحمد بن محمد بن الحنفية، وجاء بكتاب تناقله القراءة فيه بعد البسمة: يقول الفرج بن عثمان من قرية نصراته أنه داعية المسيح وهو عيسى، وهو الكلمة، وهو المهدى، وهو أحمد بن محمد بن الحنفية، وهو جبريل. وإن المسيح تصور له في جسم إنسان فقال له: إنك الداعية وإنك الحجة وإنك الناقة وإنك الدابة وإنك يحيى بن زكريا وإنك روح القدس، وعرفه أن الصلاة أربع ركعات قبل طلوع الشمس وركعتان قبل غروبها، وأن الأذان بالتكبير في افتتاحه وشهادة التوحيد مرتين، ثم شهادة بالرسالة لأدّم ثم نوح ثم إبراهيم ثم عيسى ثم محمد صلوات الله عليهم، ثم لأحمد بن محمد بن الحنفية وقرأ الاستفتاح في كل ركعة وهو من المتزل على أحمد بن محمد بن الحنفية، والقبلة بيت المقدس والجمعة يوم الاثنين، ولا يعلم في شيء.

والسورة التي تقرأ فيها: الحمد لله بكلمته وتعالى باسمه المجد لأوليائه بأولياته، قل إن الأهلة مواقيت للناس، ظاهرها ليعلم عدد السنين والحساب والشهرور والأيام، وباطنها أوليات الذين عرفوا عبادي سيلي، اتفوني يا أول الآباب، وأنا الذي لا أسأل عما أفعل وأنا العليم الحكم، وأنا الذي أبلو عبادي وأستحسن خلقي، فمن صبر على بلاتي وعنيتني واختباري القينه في جنبي وفي نعمتي، ومن زال عن أمري وكذب رسلي أخذته مهاناً في عذابي وألقتني على السنة رسلي. فانا الذي لم يعل جبار إلا وضعته وأذلتنه. فبنس الذي أصر على أمره، ودام على جهالته.

وقال: لن نخرج عليه عاكفين وبه موقنين أولئك هم الكافرون. ثم يركع ويقول في رکوعه مرتين: سبحان ربِّي ربِّ العزة وتعالى عما يصف الظالمون، وفي سجوده: اللَّهُ أَعْلَمُ مَرْتَينَ، اللَّهُ أَعْظَمُ مِرْهَ، والصوم مشروع يوم المهرجان والشিروز. والنبيذ حرام والخمر حلال، والغسل من الجنابة كالوضوء. ولا يُؤكَل ذو ناب ولا ذو خالب، ومن خالفهم حارب وجب قتلهم، وإن لم يحارب أخذت منه الجزية وانتهى. إلى غير ذلك من دعاوى شنيعة متعارضة يهدم بعضها ببعضًا، وتشهد عليهم بالكذب، وهذا الفرج بن يحيى الذي ذكر هذا أول الكتاب أنه داعية القراءة يلقب عندهم ذكره بن مهروبة. ويقال: إن ظهور هذا الرجل كان قبل مقتل صاحب الزنج، وإنه سار إليه على الأمان، وقال له: إن ورائي مائة سيف، فتعال شتاظر فلعلنا نتفق ونتعاون. ثم تناطرا فاختلقا وانصرف قرمط عنه، وكان يسمى نفسه القائم بالحق. وزعم بعض الناس أنه كان يرى رأي الأزارقة من الخارج.

المجروح وولى بعده علي بن داود الكردي.

### الصوائف أيام المعتمد

دخول الدرج لشدة البرد فيها. وغزا عامل ابن طولون على التغور الشامية في ثلاثة من أهل طرسوس واعتراضهم أربعة آلاف من الروم من بلاد هرقل، فناك المسلمون منهم أعظم النيل. وفي سنة ثمان وستين خرج ملك الروم، وفيها غزا بالصافة خلف الفرغاني عامل ابن طولون على التغور الشامية فانقض ورجع. وفي سنة سبعين زحف الروم في مائة ألف ونزلوا قلعة على ستة أميال من طرسوس، فخرج إليهم بازيار فهو مهم وقتل منهم سبعين ألفاً وجماعة من البطارقة، وقتل مقدمهم بطريق البطارقة، وغنم منهم سبع صليبان ذهبًا وفضة، وكان أعظمها مكلاً بالجواهر. وغنم خمسة عشر ألف دابة، ومن السروج والسيوف مثل ذلك، وأربع كراسيه من ذهب، ومئاتين من فضة وعشرين علمًا من الدبياج وأنية كبيرة.

وفي سنة ثلاثة وسبعين غزا بالصافة بازيار وتغل في أرض الروم وغنم وأسر وسيبى وعاد إلى طرسوس. وفي سنة ثمان وسبعين دخل أحد الجعفي طرسوس وغزا مع بازيار بالصافة ونزلوا إسكندرا فأصيب بازيار عليها بحجر منجنيق فرجع وما في طريقه دفن بطرسوس.

### الولايات بالتوابع أيام المعز

كانت الفتنة قد ملأت نواحي الدولة من أطرافها وأواسطها واستولى بنو سامان على ما وراء النهر، والصفار على سجستان وكerman وملك فارس من يد عمال الخليفة، وانتزع خراسان من بي طاهر وكلهم مع ذلك يقيمون دعوة الخليفة. وغلب الحسن بن زيد على طبرستان وجرجان متازعاً بالدعوة ومحارباً بالدليل لابن سامان والصفار وعساكر الخليفة بأصبهان، واستولى صاحب الزنج على البصرة والأبلة إلى واسط وكور دجلة متازعاً للدعوه ومشاققاً، وأضمرم تلك التواحدي فتنة. ولم يزل الموقف في محاربته حتى حسم عليه وقطع أنفه واضطربت بلاد الموصل والجزيره فتنة بنواحير السراة وبالقرب من بي شيبان وتنقلب بالأكرااد واستولى ابن طولون على مصر والشام مقيناً للدعوة الخلافة العباسية، وابن الأغلب بأفريقية كذلك.

وأما المغرب الأقصى والأندلس فاقتطعاً عن الملكة العباسية منذ أزمان كما قلنا، ولم يكن للمعتمد مدة خلافته كلها حكم ولا أمر ونهي، إنما كان مغلباً لأخيه الموقن وقت استبداده، ولم يكن لها جياعاً كبير ولاية في التواحدي باستيلاءه من استولى عليها من ذكرنا إلا بعض الأجناس، فلنذكر ما وصل إليها من

وصل الخبر في سنة سبع وخمسين بأن ملك الروم بالقسطنطينية ميخائيل بن روفيل وثبت عليه قريبه مسك، ويعرف بالصقلي قتله لأربع وعشرين سنة من ملكه، وملك مكانه. وفي سنة تسع وخمسين خرجت عساكر الروم فنزلوا سميساط ثم نازلوا مليطة وقاتلهم أهلها فانهزموه، وقتل بطريق من بطريقتهم. وفي سنة ثلاثة وستين استول الروم على قلعة الصقالبة، وكانت ثغراً لطرسوس وتسمى قلعة كركرة فرداً المعتمد ولادة ثغر طرسوس لابن طولون، وكان أحمد بن طولون قد خطب ولائيتها من الموقن يريد أن يجعلها ركيباً لجهاده لجرتها بأحوالها. وكان يردد الغزو من طرسوس إلى بلاد الروم قبل ولادة مصر، فلم يبيه الموقن، وولى عليها الموقن محمد بن هارون التغلبي، واعترضه السراة أصحاب مساور وهو مسافر في دجلة قتلوه، فولى مكانه أماجرور بن أولن بن طرخان من الترك، فسار إليها وكان غراً جاهلاً، فأساء السيرة ومنع أفران أهل كركرة مسيرتهم، وكتبوا إلى أهل طرسوس يشكرون فجمعوا لهم خمسة عشر ألف دينار فأخذوها أسامجرور لنفسه. وأبطأ على أهل القلعة شأنها. فنزلوا عنها وأعطوها الروم، وكثر أسف أهل طرسوس لذلك بما كانت تغيرهم وعيثاً لهم على العدو، وبلغ ذلك المعتمد، فكتب لأحمد بن طولون بولايتها وفوض إليه أمر التغور، فولوها واستعمل فيها من يحفظ التغور وقيمه الجهاد، وقارن ذلك وفاة أماجرور عامل دمشق، وملك ابن طولون الشام جيعها كما ذكرناه قبل.

وفي سنة أربع وستين غزا بالصافة عبد الله بن رشيد بن كاوس في الأربعين ألفاً من أهل التغور الشامية، فانقض عليهم وغنم ورجع، فلما رحل عن البديدون خرج عليه بطريق سلوقيه، وقرة كوكب وحرسيه، وأحاطوا بال المسلمين فاستسلموا واستلهمهم الروم بالقتل، ونجا قلهم إلى الشغر، وأسر عبد الله بن كاوس وحمل إلى القسطنطينية وفي سنة خمس وستين خرج خمسة من بطراقة الروم إلى أذنه فقتلوا وأسرعوا وإلى التغور أو خرد فنزل عنها وأقام مرابطه، ويعث ملك الروم بعد الله بن كاوس ومن معه من الأسرى إلى أحمد بن طولون، وأمده إليه عدة مصايف. وفي سنة ست وستين لقي أسطول المسلمين أسطول الروم عند صيقلة فظفر الروم بهم، ولحق من سلم منهم بصيقلة، وفيها خرجت الروم على ديار ربيعة، واستنفر الناس فقرروا ولم يطبقوا

ديار مصر وقنسرين والعواصم. وبعثه لحرب الزنج ومعه مفلح فهلك في تلك الحرب. وعقد المعتمد على الموصل والجزيرة لسرور البلخي فكانت بينه وبين مسوار الشيباني حروب وكذلك بين الأكراد واليقيونية، وأوقع بهم كما مر. وفيها رجع أحد بن واصل إلى طاعة السلطان وسلم فارس للحسن بن الفياض. وفي سنة تسع وخمسين كان مهلك أصطيحور بالأهواز، فأمر المعتمد موسى بن بغا بالسير لحرب الزنج كما مر. وفيها ملك يعقوب الصفار خراسان وقبض على محمد بن طاهر، وكان منكجور على الكوفة، فسار عنها إلى سامرا بغير إذن، وأمر بالرجوع فلما ذهب.

وبعث المعتمد عده من القواد فلقوه بعكرا قاتلوه وحملوا رأسه. وفيها غلب الحسن بن زيد على قومه وملكيها، وكانت وقعة بين محمد بن النضل بن نيسان وبين دهشودان بن حسان الديلي فهزمه محمد، وفيها غلب شركب الحمال على مرو ونراحيها.

وفي سنة ستين قام يعقوب بن الصفار على الحسن بن زيد فهزمه وملك طبرستان كما مر. وأخرج أهل الموصل عاملهم انكوتكن بن آسانين، فبعث عليهم آسانين إسحاق بن أيوب في عشرين ألفاً ومعه حдан بن حدون التغلي فافتتح أهل الموصل منهم ولولا عليهم يحيى بن سليمان، فاستولى عليها. وفيها قاتلت الأعراب منكجور وإلى حص فولي بكترا، وولى على أذربيجان الرذيني عمر بن علي لما بلغه أن عاملها العلاء بن أحد الأزدي فلچ، فلما أتى الرذيني حاربه العلاء فانهزم وقتل، واستولى الرذيني على غالقة قريباً من الفي ألف وسبعمائة ألف درهم.

وفيها سار علي بن زيد القائد بالكرفنة إلى صاحب الزنج فقتله.

وفي سنة إحدى وستين عقد المعتمد لموسى بن بغا على الأهواز والبصرة والبحرين واليمامه، مضافاً لما يده. فولاها عبد الرحمن بن مفلح وبعثه لحرب ابن واصل، فهزمه ابن واصل وأسره كما مر، ورأى موسى بن بغا اضطراب تلك الناحية، فاستعن بها ولولها إبراهيم بن سينا وولي محمد بن أوس فصرخ عن ولاليتها ولولها إبراهيم بن سينا وولي محمد بن أوس البلخي طريق خراسان. ثم جاء الصفار إلى فارس، فغلب عليهما ابن واصل كما مر، فجهز المعتمد أخيه الموفق إلى البصرة بعد أن ولاه المعتمد عهده بعد ابنه جعفر كما ذكرناه. وبعث الموفق ابنه أبا

العباس لحرب الزنج فقدمها بين يديه، وفيها فارق محمد بن زيد ولاية يعقوب الصفار، وسار ابن أبي الساج إلى الأهواز وطلب أن يوجه الحسين بن طاهر بن عبد الله بن طاهر إلى خراسان، وفيها

هذه الولايات أيام المعتمد، فلأول ولاته استوزر عبيد الله بن يحيى بن خاقان وبعث جعلان لحرب الزنج بالبصرة فكان أمره معهم كما مر. ثم ول عيسى بن الشيخ من بي شيان على دمشق فاستأثر بها ومنع المزراج، وجاهه حسين الخادم من بغداد بطلب المال فاعتذر بأنه أتفقه على الجندي، فكتب له المعتمد عهده في أرمينية ليقيم بها دعورته وقد أمأجور دمشق وأعمالها فسار إليها، وأنفذ عيسى ابن الشيخ ابنه منصوراً لقتال أمأجور في عشرين ألفاً، فانهزموا وقتل منصور وسار عيسى إلى أرمينية على طريق الساحل ودخل أمأجور دمشق.

وفي سنة ست وخمسين سار موسى بن بغا لحرب مسوار الخارجي فلقيه ساحة جانين فناش المخواج منهم، وفيها كان ثورب محمد بن واصل بن إبراهيم التميمي على الحارث بن سينا عامل فارس، فقتله وغلب عليها كما مر. وفيها غلب الحسن بن زيد الطالبي على الري فسار إليها موسى بن بغا وغلب على عساكر الحسن، وظهر علي بن زيد بالكرفة وملكيها، وبعث المعتمد لحاربته كيجور التركي فخرج عنها إلى القادسية، ثم إلى خنان ثم إلى بلاد بني أسد. وغزاه كيجور من الكوفة فلأوقع به وعاد إلى الكوفة، ثم إلى سُرّْ تَمْ رأى.

وفي سنة سبع وخمسين عقد المعتمد لأخيه الموفق على الكرفنة والحرمين واليمن ثم على بغداد والسوداد إلى البصرة والأهواز وأمره أن يعقد ليارجوج على البصرة وكور دجلة واليمامه والبحرين مكان سعيد الحاجب. وعقد ليارجوج على ذلك لمصوري بن جعفر الخياط ونزل الأهواز ثم عقد المعتمد حرب الزنج بالبصرة لأحمد بن المولد، فسار إليها وقاتل الزنج. وكان بالبطائح سعيد بن أحمد الباهلي متغلباً عليها فاختذه ابن المولد وبعث به إلى سامرا وفيها تقلب يعقوب الصفار على فارس وبعضاً أعمال خراسان، وولاه المعتمد ما غلب عليها.

وفيها غلب الحسن بن زيد على خراسان، وانتقضت على بن طاهر أعمال خراسان، وفيها اقطع المعتمد مصر وأعمالها ليارجوج التركي فول عليها أحمد بن طولون، ومات يارجوج لسنة بعدها فاستبد ابن طولون بها، وكان عبد العزيز بن أبي دلف على الربي، فخرج عليها خوفاً من جيوش ابن زيد صاحب طبرستان، فبعث الحسن من قرايته القاسم بن علي بن القاسم، فأسأله فيها السيرة.

وفي سنة ثمان وخمسين قتل منصور بن جعفر الخياط في حرب الزنج، وولي يارجوج على أعمال منصور، فول عليها أصطيحور، وهلك في حرب الزنج، وعقد المعتمد للموفق على

المعتمد خوفاً من الموفق، فوصلوا إلى الموصل وكتب الموفق لأحمد بن أبي الأصين في قبض أموالهم. وفيها مات أماجرور عامل دمشق وملك ابن طرلون الشام وطرسوس وقتل عاملها سينا.

وفي سنة خمس وستين ولـي مسرور البلخي على الأهواز وهزم الزنج. وفيها مات يعقوب الصفار وقام بأمره آخره عمر، ولاه الموفق مكان أخيه بجزران وأصبهان وسجستان والستان وكرمان والشترطة ببغداد. وفيها ثُبَّ القاسم بن مهان بدلـف بن عبد العزيز بن أبي دلف بأصبهان فقتله، فوثب جماعة من أصحاب دلف بالقاسم فقتلوه. فولـي أصبهان أحمد بن عبد العزيز آخر دلف، وفيها لـقـع محمد بن المولد يعقوب الصفار وقبضـت أمواله وعقاره بـبغداد. وفيها حبس الموفق سليمان بن وهـب وابنه عبد الله وصادرهما على تسمـعـة الف دينار، وفيها ذهب موسى بن أناش وإسحاق بن كنداقـقـ والعـفـلـيـنـ بنـ مـوسـىـ بنـ بـغـاـ مـغـاضـيـنـ، ويعـثـ المـوـقـعـ فيـ أـثـرـهـ صـاعـدـ بـنـ مـخـلـدـ فـرـدـهـ مـنـ صـرـصـرـ.

وفيها استوزر الموفق أبا الصقر إسماعيل بن بليل. وفي سنة ست وستين ملك الزنج رامهرمز وغلـبـ أـسـاتـيـكـنـ علىـ الـرـيـ وأـخـرـعـ عنـهـاـ عـاـمـلـهـاـ فـطـلـقـتـ. ثمـ مـضـىـ إـلـىـ قـرـوـنـ وـبـهاـ أـخـرـهـ كـيـفـلـعـ فـصـالـهـ مـلـكـهـ. وفيـهاـ وـلـيـ عـلـيـ بـنـ الـلـيـثـ عـلـىـ الشـرـطـةـ بـبـغـادـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ طـاهـرـ، وـلـىـ أـصـبـهـانـ أـهـدـ بـنـ عبدـ العـزـيزـ بـنـ أـبـيـ دـلـفـ، وـلـىـ الـحـرـمـينـ وـطـرـيقـ مـكـةـ مـحـمـدـ بـنـ أـبـيـ السـاجـ، وـلـىـ الـمـوـقـعـ عـلـىـ الـجـزـيرـةـ أـهـدـ بـنـ مـوسـىـ بـنـ بـغـاـ فـوـلـيـ مـنـ قـبـلـهـ عـلـىـ دـيـارـ رـيـبـعـةـ مـوسـىـ بـنـ أـنـامـشـ، فـنـفـضـ لـذـلـكـ إـسـحـاقـ بـنـ كـنـدـاقـ وـنـارـقـ عـسـكـرـ مـوسـىـ، وـسـارـ إـلـىـ بـلـدـ وـأـوـقـعـ بـالـأـكـرـادـ الـيـعـوـرـيـةـ، ثـمـ لـقـيـ أـبـنـ مـسـاـوـرـ الـخـارـجـيـ فـقـاتـلـهـ وـسـارـ إـلـىـ الـمـوـصـلـ، وـطـلـبـ مـنـ أـهـلـهـ الـمـالـ، وـخـرـجـ عـلـىـ بـنـ دـاـوـدـ لـقـتـالـهـ مـعـ إـسـحـاقـ بـنـ اـيـرـ وـحـدـانـ بـنـ حـدـونـ، وـكـانـتـ بـيـنـهـمـ حـرـوبـ آخـرـهـ الـمـعـتـمـدـ، وـعـقـدـ لـإـسـحـاقـ بـنـ كـنـدـاقـ عـلـىـ الـمـوـصـلـ، وـقـدـ مـرـ ذـلـكـ مـنـ قـبـلـ.

وفيها قـتلـ أـهـلـ حـصـنـ عـاـمـلـهـ عـبـيـسـ الـكـرـخيـ. وفيـهاـ كـانـتـ بـيـنـ لـوـلـوـ غـلامـ بـنـ طـرـلـونـ وـبـيـنـ مـوسـىـ بـنـ أـنـامـشـ وـقـعـةـ بـرـأسـ عـنـ، وـأـسـرـهـ لـوـلـوـ وـعـثـ بـهـ إـلـىـ الرـقـةـ، ثـمـ لـقـيـ أـهـدـ بـنـ مـوسـىـ فـاتـقـلـوـ، وـغـلـبـ أـهـدـ أـوـلـاـ ثـمـ كـرـلـوـ فـتـلـهـمـ وـاتـهـرـاـ إـلـىـ قـرـقـيسـيـاـ. ثـمـ سـارـوـ إـلـىـ بـغـادـ وـسـامـراـ. وفيـهاـ أـوـقـعـ أـهـدـ بـنـ عبدـ العـزـيزـ بـيـكتـمـ فـانـهـزـمـ وـلـقـعـ بـغـادـ وـأـوـقـعـ الـخـجـسـتـانـيـ بـالـخـسـنـ بـنـ زـيـدـ بـجـرـانـ فـلـحـقـ بـآـمـدـ، وـمـلـكـ الـخـجـسـتـانـيـ جـرـجانـ وـأـقـطـعـهـ مـنـ طـبـرـسـانـ وـاسـتـخـلـفـ عـلـىـ سـارـيـةـ الـخـسـنـ بـنـ مـحـمـدـ بـنـ جـعـفـرـ بـنـ عبدـ اللـهـ الـعـقـيـقـيـ بـنـ حـسـينـ الـأـصـفـرـ بـنـ زـيـدـ الـعـابـدـيـنـ، فـلـمـ اـنـهـزـمـ الـخـسـنـ بـنـ زـيـدـ أـظـهـرـ الـخـسـنـ بـنـ مـحـمـدـ أـنـ قـتـلـ، وـدـعـاـ لـفـسـهـ وـحـارـيـهـ الـخـسـنـ بـنـ

استبد نصر بن أحمد بن سامان بـسـمـرـقـنـدـ وـمـاـ وـرـاءـ الـنـهـرـ، وـوـلـيـ أـخـاهـ إـسـمـاعـيلـ بـخـارـىـ وـفـيـهـاـ وـلـيـ الـمـعـتـمـدـ عـلـىـ الـمـوـصـلـ الـخـضـرـ بـنـ أـهـدـ بـنـ عـمـرـ بـنـ الـخـطـابـ.

وـفـيـهـاـ رـجـعـ الـحـسـنـ بـنـ زـيـدـ إـلـىـ طـبـرـسـانـ وـأـخـرـجـ مـنـهـ أـصـحـابـ الصـفـارـ، وـأـحـرـقـ سـالـوـسـ لـمـسـائـةـ أـهـلـهـ الصـفـارـ وـأـقـطـعـ ضـيـاعـهـمـ لـلـدـلـيمـ، وـفـيـهـاـ نـادـيـ الـمـعـتـمـدـ فـيـ حاجـ خـرـاسـانـ وـالـرـيـ وـطـبـرـسـانـ وـجـرـجانـ بـالـتـكـيـرـ عـلـىـ مـاـ فـعـلـهـ الصـفـارـ فـيـ خـرـاسـانـ وـابـنـ طـاهـرـ، وـإـنـهـ لـمـ يـكـنـ عـنـ أـمـرـهـ وـلـأـهـ. وـفـيـهـ قـتـلـ مـسـاـوـرـ الشـارـبـيـ يـعـمـيـ بـنـ جـعـفـرـ مـنـ وـلـأـهـ خـرـاسـانـ، فـسـارـ مـسـرـورـ الـبـلـخـيـ فـيـ طـلـبـ الـمـوـقـعـ مـنـ وـرـاهـ.

وـفـيـ سـنةـ اـثـتـيـنـ وـسـتـيـنـ كـانـتـ الـحـربـ بـيـنـ الـمـوـقـعـ وـالـصـفـارـ، وـأـسـتـوـلـ الزـنجـ عـلـىـ الـبـطـيـحـةـ وـدـسـمـيـسـانـ وـلـيـ عـلـىـ الـأـهـواـزـ كـمـاـ ذـكـرـنـاـ، وـيـعـثـ مـسـرـورـ الـبـلـخـيـ أـهـدـ بـنـ لـيـتـونـةـ لـحـرـيـهـ كـمـاـ مـرـ. وـفـيـهـ ثـارـ أـهـدـ بـنـ عبدـ اللـهـ الـخـجـسـتـانـيـ فـيـ خـرـاسـانـ بـدـعـرـةـ بـنـ طـاهـرـ، وـغـلـبـ عـلـيـهـ الصـفـارـ إـلـىـ أـنـ قـتـلـ كـمـاـ مـرـ ذـكـرـهـ. وـفـيـهـ وـقـتـ مـغـاضـبـةـ بـيـنـ الـمـوـقـعـ وـابـنـ طـولـونـ فـيـعـثـ إـلـىـهـ الـمـوـقـعـ مـوسـىـ بـنـ بـغـاـ مـغـاضـيـنـ، بـنـ بـغـاـ فـاقـامـ بـالـرـقـةـ حـوـلـاـ، وـعـجـزـ عـنـ الـمـسـيرـ لـقـلـةـ الـأـمـوـالـ فـرـجـعـ إـلـىـ الـعـرـاقـ. وـفـيـهـ أـنـصـرـ عـاـمـلـ الـمـوـصـلـ وـهـوـ الـقـطـانـ صـاحـبـ مـفـلـحـ فـقـتـلـهـ الـأـعـرابـ بـالـبـرـيةـ.

وـفـيـ سـنةـ تـلـاثـ وـسـتـيـنـ اـسـتـوـلـ الصـفـارـ عـلـىـ الـأـهـواـزـ، وـمـاتـ مـسـاـوـرـ الشـارـبـيـ وـهـوـ قـاصـدـ لـقـاءـ الـعـساـكـرـ الـسـلـطـانـيـ بـالـبـلـوـرـيـخـ. فـوـلـيـ الـخـوارـجـ مـكـانـهـ هـارـونـ بـنـ عبدـ اللـهـ الـبـلـخـيـ، فـاستـوـلـ عـلـىـ الـمـوـصـلـ. وـفـيـهـ ظـفـرـ أـصـحـابـ الصـفـارـ بـاـنـ وـاـصـلـ. وـفـيـهـ هـزـمـ بـنـ أـوـسـ مـنـ طـرـيقـ خـرـاسـانـ وـعـادـ إـلـىـ الـمـوـصـلـ. وـفـيـهـ ظـفـرـ أـصـحـابـ الصـفـارـ بـاـنـ وـاـصـلـ وـأـسـرـوـهـ، وـمـاتـ عبدـ اللـهـ بـنـ يـعـمـيـ بـنـ خـاقـانـ وـزـيـرـ الـمـعـتـمـدـ، فـاستـوـزـرـ مـكـانـهـ الحـسـنـ بـنـ مـخـلـدـ، وـكـانـ مـوسـىـ بـنـ بـغـاـ غـائـبـاـ فـيـ غـزـوـ، فـلـمـ قـدـمـ خـافـهـ الـحـسـنـ وـتـنـيـبـ، فـاستـوـزـرـ مـكـانـهـ سـليمـانـ بـنـ وـهـبـ وـهـيـ غـلـبـ أـخـوـ شـرـكـ الـحـمـالـ عـلـىـ نـيـسـابـرـ وـخـرـجـ عـنـهـ الـحـسـنـ بـنـ طـاهـرـ إـلـىـ مـرـوـ وـهـيـ خـوـارـزـمـ شـاهـ يـدـعـوـ الـأـخـيـهـ مـحـمـدـ.

وـفـيـهـ مـلـكـ الزـنجـ مـدـيـنـةـ وـاسـطـ وـقـاتـلـهـ دـوـنـهـاـ مـحـمـدـ بـنـ الـمـوـلـدـ فـهـزـمـهـ وـدـخـلـهـ وـاسـتـبـاحـهـ. وـفـيـهـ قـبـضـ الـمـعـتـمـدـ عـلـىـ وـزـيـرـهـ سـليمـانـ بـنـ وـهـبـ وـهـيـ مـكـانـهـ الـحـسـنـ بـنـ مـخـلـدـ، وـجـاءـ الـمـوـقـعـ مـعـ عبدـ اللـهـ بـنـ سـليمـانـ شـفـيـعـاـ قـلـمـ يـشـفـعـهـ، فـتـحـولـ إـلـىـ الـجـانـبـ الـغـرـبـيـ مـغـاضـبـاـ وـاـخـتـلـفـ الرـسـلـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ الـمـعـتـمـدـ، وـكـانـ مـعـ الـمـوـقـعـ مـسـرـورـ كـيـفـلـعـ وـأـهـدـ بـنـ مـوسـىـ بـنـ بـغـاـ. ثـمـ أـطـلقـ سـليمـانـ وـدـعـاـ إـلـىـ الـجـوـسـتـ، وـهـرـبـ مـحـمـدـ بـنـ صـالـحـ بـنـ شـيـرـزاـدـ وـالـقـوـادـ الـذـينـ كـانـواـ بـسـامـرـاـ مـعـ

دمشق. وفيها كانت وقعة بين العلوين والجعفريين بالحجاز، فقتل ثمانية من الجعفريين وخلصوا عامل المدينة من أيديهم. وفيها عقد هارون بن الموفق لأبي الساج على الأبار والرحبة وطريق الفرات، وولى محمد بن أحمد على الكوفة وسواها ودافعه عنها محمد بن الهيثم فهزمه محمد ودخلها. وفيها مات عيسى بن الشيخ عامل الشيباني عامل أرمينية وديار بكر. وفيها عظمت الفتنة بين الموفق وابن طولون، فحمل المعتمد على لعنه وعزله، وولى إسحاق بن كنداج على أعماله إلى أفريقيا، وعلى شرطة الخاصة. وقطع ابن طولون الخطبة للموفق واسمه من الطراز وفيها ملك ابن طولون الرحمة بعد مقاتلة أهلها، وهرب أحمد بن مالك بن طرق إلى الشام، ثم سار إلى ابن الشماخ بقرقيسيا.

وفي سنة سبعين كان مقتل صاحب الزنج وانقراض دعوته، ووفاة الحسن بن زيد العلوي صاحب طبرستان، وقيام أخيه محمد بأمره، ووفاة أحد بن طولون صاحب مصر وولاية ابنه خارويه ومسيير إسحاق بن كنداج بباب دعامس عامل الرقة والشغور العواسم لابن طولون.

وفي سنة إحدى وسبعين ثار بالمدينة محمد وعلى ابن الحسن بن جعفر بن موسى الكاظم وتغلب جماعة من أهلهما، ونبأ أموال الناس، ومنعا الجمعة بمسجد رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه شهرًا. وفيها عزل المعتمد عمرو بن الليث من خراسان فقاتلته أحد بن عبد الله بن أبي دلف بأصبهان وهزمها. وفيها استعاد خارويه الشام من يد أبي العباس بن الموفق، وفر إلى طرسوس كما تقدم. وفيها عقد المعتمد لأحمد بن محمد الطائي على المدينة وطريق مكة، وكان يوسف بن أبي الساج والي مكة. وجاء بدر غلام الطائي أميراً على الحاج فحاربه يوسف على باب المسجد الحرام وأسره، فسار الجندي وال الحاج يوسف وأطلقوا بدرًا من يده وحلوا يوسف أسرى إلى بغداد.

وفي منتصف سنة اثنين وسبعين غالب أئتكين على الري من يد محمد بن زيد العلوي، سار هو من قزوين في أربعة آلاف، ومحمد بن زيد من طبرستان في الدليل، وأهل خراسان، فانهزموا وقتل منهم ستة آلاف. وفيها ثار أهل طرسوس بابي العباس بن الموفق وأخرجوه إلى بغداد وولوا عليهم بازيار. وفيها توفي سليمان بن وهب في حبس الموفق. وفيها دخل مهدان بن حدون وهارون مدينة الموصل. وفيها قدم صاعد بن خلدل الوزير من فارس، وقد كان بعثه الموفق إليها لحرب فرجع إلى واسط وركب القوارد لاستقباله فترجلوا إليه وقبلوا يده، ولم يكلّهم. ثم قبض الموفق على جميع أصحابه وأهله ونهب منازلهم، وكتب إلى بغداد بقبض

زيد فظفر به وقتله.

وفيها ملك الحجاجستاني نيسابور من يد عامل ابن عمرو بن الليث، وفيها في صفر زحف الموفق لقتال صاحب الزنج، فلم يزل يحاصره حتى اقتصر عليه مدنته وقتلته منتصف سنة سبعين. وفيها كانت الحرب بالمدينة بين بني حسن وبني جعفر. وفي سنة سبع وسبعين كانت الفتنة بالموصل بين الخوارج. وفيها جبس السلطان محمد بن عبد الله بن طاهر وجماعة من بيته، اتهمه عمرو بن الليث بعمالة الحجاجستاني والحسين بن طاهر أخيه، فكتب إلى المعتمد وجسه. وفيها كانت بين كيغلخ التركي وأحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف، وأنهزم أحد وملك كيغلخ همدان، فزحف إليه أحد بن عبد العزيز فهزمه، وملك همدان. وسار كيغلخ إلى الصحيرة.

وفيها أزال الحجاجستاني ذكر محمد بن طاهر من المناصب ودعا لنفسه بعد المعتمد، وضرب السكة باسمه وجاء يربد العراق فانتهى إلى الري. ثم رجع وفيها أوقع أصحاب أبي الساج بالهشم العجلي صاحب الكوفة، وغنمو عسکره. وفيها أوقع أبو العباس بن الموفق بالأعراب الذين كانوا يجلبون الميرة بالزنج من بني تميم وغيرهم.

وفي سنة ثمان وسبعين كان مقتل الحجاجستاني..... وأصحابه بعده على رافع بن هرثمة من قواد بني طاهر وملك بلاد خراسان وخوارزم، وفيها انتقض محمد بن الليث بفارس على أخيه عمرو، فسار إليه وهزمه واستباح عسکره، وملك أصطيخور وشيراز وظفر به، فحبسه كما مر. وفيها كانت وقعة بين أئتكين بن أسانكين وبين أحد بن عبد العزيز بن أبي دلف فهزمه أئتكين وغلبه على قم. وفيها بعث عمرو بن الليث عسکراً إلى محمد بن عبد الله الكركدي. وفيها انتقض لؤلؤ على مولاه أحد بن طولون، وفيها سار المعتمد إلى ابن طولون بمصر مغاضباً أخيه الموفق، وكتب الموفق إلى إسحاق بن كنداج بالموصل بردة، فسار معه إلى آخر عمله، ثم قبض على القرواد الذين معه ورده إلى سامرا. وفيها وثبت العامة ببغداد بأميرهم الخانجي وكان كاتب عبد الله بن طاهر، وقتل غلام له امرأة بسهم فلم يعدهم عليه، فوثبوا به وقتلوا من أصحابه ونهروا منزله وخرج هارباً فركب محمد بن عبد الله واسترد من العامة ما نهبوه.

وفيها وثبت بطرسوس خلق من أصحاب ابن طولون وعامله على التغور الشامية، فاستنقذه أهل طرسوس من يده، وزحف إليهم ابن طولون فامتنعوا عليه، ورجع إلى حصن، ثم إلى

ابنه أبي عيسى وصالح وأخيه عبدون واستكتب مكانه أبو الصقر إسماعيل بن بليل، واقتصر به على الكتابة.

فسار فيها وأحرقها وعاد إلى الري.  
وفي سنة ست وسبعين رضي المعتمد عن عمرو بن الليث وولاه وكتب اسمه على الأعلام، وولى على الشرطة ببغداد من قبله عبد الله بن عبد الله بن طاهر، ثم انتقض فازيل، وفيها كان مسير الموقن إلى الجبل لأن تكونكين ومحاربة أحد بن عبد العزيز بن أبي دلف، وقد تقدم ذلك. وفيها ول الموقن ابن أبي الساج على أذربيجان فسار إليها ودفنه عبد الله بن حسن المذاني صاحب مراغة فهزمه ابن أبي الساج، واستقر في عمله. وفيها زحف هارون الشاري من الحديثة إلى الموصل يريد حرها، ثم صانعه أهل الموصل ورحل عنهم. وفي سنة سبع وسبعين دعا مازيار بطرسوس خمارويه بن أحد بن طرولون، وكان أثناً إلية ثلاثين ألف دينار وخمسة ثواب وخمسة مطرف وسلاماً كثيراً. وبعث إليه بعد الدعاء خمسين ألف دينار.

وفي سنة ثمان وسبعين كانت وفاة المرفق وبيعة المعتصم بالعهد كما هو، وفيها كان ابتداء أمر القرامطة وقد تقدم. وفي سنة تسعة وسبعين خلع جعفر بن المعتمد وقدم عليه المعتصم وكانت الحرب بين المخواج وأهل الموصل، وبينبني شيبان وعلىبني شيبان هارون بن سينا من قبل محمد بن إسحاق بن كندة، ولاه عليها فطرده أهله، فزحف إليهم مع بني شيبان ودافع عن أهل الموصل هارون الشاري وحمدان بن حمدون فهزمهم بنو شيبان، وخاف أهل الموصل من ابن سينا ويعثروا إلى بغداد يطلبون والي، فول المعتمد عليهم محمد بن يحيى المتروح الموكل لحفظ الطريق، وكان ينزل الحديثة فقام بها أياماً ثم استبدل منه بعلي بن داود الكردي.

### وفاة المعتمد وبيعة المعتصم

توفي المعتمد على الله أبو العباس أحد بن التوكيل لعشر بين من رجب سنة تسعة وسبعين ومائتين لثلاث وعشرين سنة من ولادته، ودفن بسامراء، وهو أول من انتقل إلى بغداد وكان في خلافته مغلباً عاجزاً وكان أنعمه المرفق مستبداً عليه، ولم يكن له معه حكم في شيء. ولما مات الموقن سنة ثمان وسبعين كما قدماته أقام مكانه ابنه أبو العباس أحد المعتصم وحجر المعتمد كما كان أبوه يحجره، وولاه عهده كما كان أبوه. ثم قدمه في العهد على ابنه جعفر، ثم هلك فباع الناس للمعتصم بالخلافة صبيحة موته، فولى غلامه بدرأ الشرطة وعيدي الله بن سليمان بن وهب الوزارة، وحمد بن الشاري بن مالك المدرس. ووفد عليه لأول خلافته

وفيها جاء بنو شيبان إلى الموصل فعاثوا في نواحيها وأجمع هارون الشاري وأصحابه على قصدهم، وكتب إلى أحمد بن حدون التغليطي فجاءه وساورا إلى الموصل وعبروا الجانب الشرقي من دجلة، ثم ساورا إلى نهر الحادر فلما تراءى الجمعان انهزم هارون وأصحابه وإنجلي سوى عنها.

وفي سنة ثلاثة وسبعين وقعت الفتنة بين ابن كندة وبن ابن أبي الساج وسار ابن أبي الساج إلى ابن طرولون واستولى على الجزيرة والموصل، وخطب له فيها. وقاتل الشارة كما ذكرنا. وفيها قبض الموقن على لؤلؤ غلام ابن طرولون وصادره على أربعين ألف دينار وبقي في إدبار إلى أن عاد إلى مصر أيام هارون بن خارويه.

وفي سنة أربع وسبعين سار الموقن إلى فارس فاستولى عليها من يد عمرو بن الليث ورجع عمرو إلى كرمان وسجستان. وعاد الموقن إلى بغداد. وفي سنة خمس وسبعين نقض ابن أبي الساج طاعة خارويه وقاتلته خارويه فهزمه، وملك الشام من يده وسار إلى الموصل، وخارويه في اتباعه إلى بغداد. ولحق ابن أبي الساج بالحديثة فأقام بها إلى أن رجع خارويه. وكان إسحاق بن كندة حاتق قد جاء إلى خارويه فبعث معه جيشاً وقواداً في طلب ابن أبي الساج. واشتغل بعمل السفن للعبور إليه فسار ابن أبي الساج عنها إلى الموصل، واتبعه ابن كندة وسار إلى الرقة فاتبعه ابن أبي الساج، وكتب إلى الموقن يستأنه في اتباعه إلى الشام. وجاء ابن كندة بالمساكن من عند خارويه وأقام على حدود الشام ثم هزم ابن أبي الساج إلى الموصل وملك ابن كندة ديار ربيعة وديبار مضر، وقد تقدم ذكر ذلك.

وفيها خرج أحد بن محمد الطائي من الكوفة لحرب فارس العبدى كان يخيف السابلة فهزمه العبدى، وكان الطائي على الكوفة وسادها وطريق خراسان وسامرا وشريطة بغداد، وخرج بادردباب قطربيل، وفيها قبض الموقن على ابنه أبي العباس وحبسه. وفيها ملك رافع بن هرثمة جرجان من يد محمد بن زيد وحاصره في استراباذ نحواً من ستين، ثم فارقها الجيش لحربه فسار عن سارية وعن طبرستان سنة سبع وسبعين. وأستأمن رستم بن قاران إلى رافع وقدم عليه علي بن الليث من جنس أخيه بكرمان هو وابنه العدل والليث. وبعث رافع على سالوس محمد بن هارون وجاء إليه علي بن كاني مستأمناً فحضرهما محمد بن زيد، وسار إليه رافع فقر إلى أرض الديلم ورافع في اتباعه إلى حدود قزوين

هارون ماله ولحق محمد بأمده، فحاربه صاحبها أحمد بن عيسى بن الشيخ فظاهر به وبعثه إلى المعتصم فسلخه حيًّا.

رسول عمرو بن الليث بالمدايَا وسأل ولاية خراسان فعقد له عليهما، وبعث إليه بالخليع والسلوام، وألأ خلافته مات نصر بن أحمد الساماني ملك ما وراء النهر، وقام مكانه أخيه إسماعيل.

### إيقاع المعتصم بين شيبان واستيلاؤه على

ماردين

وفي سنة ثمانين سار المعتصم إلى بني شيبان بأرض المزيرية ففروا أمامه، وأثار على طوائف من العرب عند السندي فاستباهم، وسار إلى الموصل، فجاءه بنو شيبان وأعطوه رهنهم على الطاعة، فغلبهم وعاد إلى بغداد. وبعث إلى أحمد بن عيسى بن الشيخ في أمراء ابن كنداج التي أخذها بأحمد، فبعث بها وبهل أيامًا كبيرة معها. ثم بلغه أن أحمد بن حدون ماله هارون الشاري، وداخل في دعوته، فسار المعتصم إليه سنة إحدى وثمانين واجتمع الأعراب من بني تغلب وغيرهم لقتاله، وقتل منهم وغرق في الزاب كثيراً، وسار إلى الموصل. ثم بلغه أن أحد هرب عن ماردين وخلف بها ابنه، فسار المعتصم إليه ونازله وقاتلته يوماً، ثم صعد من التند إلى باب القلعة، وصاح بابن حدان واستفتح الباب ففتح له دعشاً وأمر بنقل ما في القلعة وهدمها، وبعث في طلب حدان وأخذ أمراءه.

### الولاية على الجيل وأصبهان

عقد المعتصم سنة إحدى وثمانين لابنه علي وهو المكتفي على الري وقرؤين وزنجان وأبهر وقم وهمدان والدينور فاستأمن إليه عامل الري لرافع بن الليث، وهو الحسن بن علي كوره فامنه وبعث به إلى أبيه.

### عود حدان إلى الطاعة

وفي سنة اثنين وثمانين سار المعتصم إلى الموصل واستقدم إسحاق بن أيوب وحدان بن حدون، فبادر إسحاق بقلاله وأودع حرمه وأمراه، فبعث إليه المعتصم العساكر مع وصيف ونصر القسوري، فمروا بذيل الزعفران من أرض الموصل وله الحسن بن علي كوره، ومعه الحسين بن حدان. فاستأمن الحسين وبعثوا به إلى المعتصم فامر بهدم القلعة. وسار وصيف في اتباع حدان. فواجهه وهزمه وعبر إلى الجانب الغربي من دجلة وسار في ديار ربيعة، وعبرت إليه العساكر وحبسوه فأخذوا ماله، وهرب وضاقت عليه الأرض فقصد خيمة إسحاق بن أيوب فيعسكر المعتصم مستجراً

### مقتل رافع بن الليث

كان رافع بن الليث قد وضع يده على قرى السلطان بالري، وكتب إلى المعتصم برق يده عنها، فكتب إلى أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف بإخراجه عن الري فقاتله وأخرجه، وسار إلى جرجان ودخل نيسابور سنة ثلاث وثمانين، فوقيعت بينه وبين عمرو حرب وانهزم رافع إلى أسورد وخلص عمرو وأبنته أخيه من جبشه، وهو العدل والليث ابنها علي بن الليث، وقد تقدم خبرهما. ثم سار رافع إلى هراة ووصله عمرو برسخ فشعر به ورجع إلى نيسابور في مسالك صعبة، وطرق ضيق، واتبعه عمرو ففحاصره في نيسابور. ثم تلاقيا وهرب عن رافع بعض قواده إلى عمرو فانهزم رافع، وبعث أخيه محمد بن زيد يستمله كما شرط له فلم يفعل. وافتقر عن رافع أصحابه و glamane، وفارقته محمد بن هارون إلى أحمد بن إسماعيل في خواري، ولحق رافع مخوازيم في قل من العسكرية وبقيمة أمراءه وأئتها، ومر في طريقه بأبي سعيد الدرعاني بيلد.... فاستغله وغدر به وحمل رأسه إلى عمرو بن الليث بنيسابور وذلك في شوال سنة ثلاث وثمانين.

### خبر الخوارج بالموصى

قد تقدم لنا أن خوارج الموصى من الشرة استقدر عليهم بعد مساورة هارون الشاري وذكرنا شيئاً من أخبارهم. ثم خرج عليه سنة ثمانين محمد بن عبادة ويعرف بأبي جوزة من بني زهير من البقاء، وكان فقيراً ومعاشه ومعاشه ببني في التقاط الكلمة وغيرها وأمثال ذلك، وكان يتدين ويظهر الزهد، ثم جمع الجموع وحكم واستجتمع إليه الأعراب من تلك النواحي، وقبض الزكوات والأعشار من تلك الأعمال، وبنى عند سنجار حصناً ووضع فيه امتهن ومارعنونه، وأنزل به ابنه أبي هلال في مائة وخمسين، فجمع هارون الشاري أصحابه وبدأ محصار الحصن فاحتاط به وحمد بن عبادة في داخله. وجذ في حصاره حتى أشرف على فتحه وقיד أبي هلال ابنه وتفرق معه وبعث بنو تغلب وهم مع هارون إلى من كان بالحصن من بني زهير فالمتهم، وملك هارون الحصن. ثم ساروا إلى محمد فلقيهم وهزمهم أولًا ثم كروا عليه مستعينين فهزموه، وقتلوا من أصحابه ألفاً وأربعين، وقسم

به فأحضره عند المعتصد فوكل به وحبسه.

وليناك وأخرك عاص فامضيا إلى أمير المؤمنين المعتصد وول عيسى التوسي على أصحابه من قبل عمر وهرب بكر إلى الأهواز.

وسار عبيد الله بن سليمان الوزير إلى علي بن المعتصد بالري، ولما بلغ الخبر إلى المعتصد بعث وصيضاً موسكين إلى بكر بن عبد العزيز بالأهواز فللحقة بحدود فارس، فمضى بكر إلى أصحابه ليلاً ورجع وصيف إلى بغداد، وكتب المعتصد إلى بدر مولاه بطلب بكر بن عبد العزيز وحربه، فأمر بذلك عيسى التوسي فقام به ولقي بكرأ بنواحي أصحابه فهزمه بكر، ثم عاد التوسي لقتاله سنة أربع وثمانين فهزمه بنواحي أصحابه واستباح عسكره.

وجاء بكر إلى محمد بن زيد العلوبي بطرستان وهلك بها سنة خمس وثمانين، وكان عمر لما مات أبوه قبض على أخيه الحارث ويكتن أبي ليلي، وحبسه في قلعة رد، ووكل به شفيعاً الخادم. فلما جاء المعتصد واستأنف من عمر وهرب بكر وبقيت القلعة يد شفيع بأموالها، رغب إليه الحارث في إطلاقه فلم يفعل، وكان شفيع يسامره كل ليلة وينصرف فعاده ليلة ونادمه وقام شفيع لبعض حاجته فجعل الحارث في فراشه ثالثاً وغطاه وقال بجاريته: قولى لشفيع إذا عاد هو نائم. ومضى فاختفى في الدار وفك القيد عن رجله بمبرد أدخل إليه ويرد به مسامره. ولما أخبر شفيع بنومه مضى إلى مرقده وقصده أبو ليلي على فراشه فقتلته، وأمر أهل الدار واجتمع عليه الناس فاستحلقهم ووعدهم، وجع الأكرااد وغيرهم وخرج من القلعة ناقضاً للطاعة. فسار إلى عيسى التوسي وحاربه فاصاب أبي ليلي منهم فمات، وحمل رأسه إلى أصحابه ثم إلى بغداد.

### خبر ابن الشيخ بأمد

وفي سنة خمس وثمانين توفي أحد بن عيسى بن الشيخ وقام بأمره في آمد وأعمالها ابنه محمد فسار المعتصد إليه في العسكر ومعه ابنه أبو محمد علي المكتفي، ومر بالموصل وحاصر المعتصم إلى ربيع الآخر من سنة ست وثمانين ونصب عليها الجبانية حتى استأنف لنفسه وأهل آمد، وخرج إلى المعتصم فخلع عليه وهدم سورها ثم بلغه أنه يروم الهرب فقبض عليه وعلى أهله.

### خبر ابن أبي الساج

قد تقدم لنا ولادة محمد بن أبي الساج على أذربيجان ومدافعة الحسين إيه عن مراغة، ثم فتحها واستيلاؤه على أعمال

### هزيمة هارون الشاري ومهلكه

كان المعتصد قد ترك بالموصل نصر القسرمي لإعادته العمال على الجباية. وخرج بعض العمال لذلك فاغارت عليهم طائفة من أصحاب هارون الشاري وقتل بعضهم، فكثر عيش الخوارج. وكتب نصر القسرمي إلى هارون يهدده. فأجابه وأساء في الرد وعرض بذكر الخلقة فيبعث نصر بالكتاب إلى المعتصد فامر به الجند في طلب هارون، وكان على الموصل يكتم طاشمر من مواليم قبض عليه وقيده، وولى على الموصل الحسن كوره، وأمر ولاة الأعمال بطاعته، فجمعهم وعسكر بالموصل، وخدنق على عسكره إلى أن أوقع الناس غلاتهم. ثم سار إلى الخوارج وغير الزاب إليهم فقاتلهم قتالاً شديداً فهزمهم وقتل منهم وافتقراء، وسار الكثير منهم إلى أذربيجان ودخل هارون البرية واستأنفه وجوده أصحابه إلى المعتصد فأمنهم.

ثم سار المعتصد سنة ثلاثة وثمانين في طلب هارون فانتهى إلى تكريت، ويعث الحسين بن حدون في عسكر نحو من ثلاثة وثلاثين فارس، واشتطر إن جاءه بإطلاق ابنه حدان وسار معه وصيف وانتهى إلى بعض مخايشن دجلة فأرծده بها وصيضاً وقال: لا تقاربوا حتى تروني! ومضى في طلبه فراقه وهزمه، وقتل من أصحابه. وأقام وصيف ثلاثة أيام فابتلا عليه الأمر فسار في اتباع ابن حدان، وجاء هارون متزاماً إلى تلك المخاضة فعبر، وابن حدان في أثره إلى حي من أحياه العرب قد اجتاز بهم هارون، فدلوا ابن حدان عليه فللحقة وأسره وجاء به إلى المعتصد. فرجع المعتصد آخر ربيع الأول وخلع على الحسين وأخواته وطريقه، وأدخل هارون على الفيل وهو ينادي: لا حكم إلا لله ولو كره المشركون، وكان صغيراً.

ثم أمر المعتصد بحمل القيد عن حدان بن حدون والإحسان إليه وإطلاقه. وفي سنة اثنين وثمانين سار المعتصد من الموصل إلى الجبل فبلغ الكرش فهرب عمر بن عبد العزيز بن أبي دلف بين يديه فأخذ أمواله ويعث إليه في طلب جد كان عنده فوجهه إليه. ثم بعث المعتصد وزيره عبيد الله بن سليمان إلى ابنه بالري ليسير من هنالك إلى عمر بن عبد العزيز بالأمان، فسار وأمه ورجعوا إلى الطاعة فخلع عليه وعلى أهل بيته، وكان أخوه بكر بن عبد العزيز قد استأنف قبل ذلك إلى عبيد الله بن سليمان ويدر فولاه عمله، على أن يسير إلى حربه. فلما وصل عمر في الأمان قال لبكر: إنما

ويكفي بأبي القاسم، ولقبه الشيخ، وأنه من ولد إسماعيل الإمام بن جعفر الصادق، وأنه يحيى بن عبد الله بن يحيى بن إسماعيل، وزعم أن له مائة ألف تابع، وأن ناقته التي يركبها مأمورة فمن تعها كان منصراً، فقصدهم شبل مولى المعتصم في العساكر من ناحية الرصفة قاتلوا، فسار إليهم شبل مولى أحمد بن محمد الطائي فأوقع بهم.

وجاء بعض رؤسائهم أسرىًّا فاحتضره المعتصم وقال له: هل تزعمون أن روح الله وأنباته تحمل في أجسادكم فتعصّمكم من الزلل، وتوقفكم لصالح العمل؟ فقال له: يا هذا أرأيت إن حلت روح أيليس فما يفعل؟ فاترك مالا يعنيك إلى ما يعنيك. قال له: فقل فيما يعنيك؟ فقال له: قبض رسول الله ﷺ وأبوك العباس هي فلم يطلب الأمر ولا بایعه. ثم مات أبو بكر واستخلف عمر وهو يرى العباس ولم يهدِ إليه عمر ولا جعله من أهل الشورى، وكانتوا ستة وفيهم الأقرب والأبعد، وهذا إجماع منهم على دفع جدك عنها. فبماذا تستحقون أئمَّة الخلافة؟ فامر به المعتصم فعنده وخلعت عظامه، ثم قطع مربين ثم قتل. ولما أوقع شبل بالقramطة بسواد الكوفة ساروا إلى الشام فانتهوا إلى دمشق وعليها طفح بن جف مولى أحمد بن طلون من قبل ابنه هارون، فخرج إليهم فقاتلهم مراراً، هزموه في كلها. هذه أخبار بدايتها ونهايتها العنان عنها إلى أن نذكر سياقتها عندما نعد أخبارهم على شريطتنا في هذا الكتاب كما تقدم.

### استيلاء ابن سامان على خراسان من يد عمرو بن الليث وأسره ثم مقتله

لما تغلب عمرو بن الليث الصفار على خراسان من يد رافع بن الليث، وقتلته وبعث برأسه إلى المعتصم، وطلب منه أن يوليه ما وراء النهر مضافة إلى ولاية خراسان، كتب له بذلك فجهز الجيوش لمارية إسماعيل بن أحد صاحب ما وراء النهر، وجعل عليهم محمد بن بشير من أخص أصحابه. وبعث معه القواد فانتهوا إلى آمد من شط جيرون، وعبر إليهم إسماعيل فهزمهم وقتل محمد بن بشير في ستة آلاف، ولحق الفيل بعمرو في نيسابور، فتجهز وسار إلى بلخ، وكتب إليه إسماعيل يستعطفه ويقول: أنا في ثغر وأنت في دنيا عريضة فاتركني واستند إلى فالي.

وصعب على أصحابه عبور النهر لشدة تهلكته فعبر إسماعيل وأخذ الطريق على بلخ وصار عمرو محصوراً. ثم اقتلوا وانهزم عمرو وتسرّب من بعض المساalk عن أصحابه فوجد في آجة

اذربيجان، وبعث المعتصم سنة اثنين وثمانين أخاه يوسف بن أبي الساج إلى الصمرة مددًا لفتح القلاسي غلام الموقن، فخرج يوسف فيما أطاعه فولاه المعتصم على أعماله، وبعث إليه بالخلع وأعطيه الرهن بما ضمن من الطاعة والمناصحة وبعث بالمدايا.

### ابتداء أمر القرامطة بالبحرين والشام

كان في سنة إحدى وثمانين قد جاء إلى القطيف بالبحرين رجل تسمى يحيى بن المهدى وزعم أنه رسول من المهدى، وأنه قد تربى خروجه، وقد من أهل القطيف علي بن العلى بن حдан الريادي، وكان متغلاً في الشيع، فجمع الشيعة وأقر لهم كتاب المهدى ليشيّع الخبر في سائر قرى البحرين، فأجابتوا كلهم وفيهم أبو سعيد الجنابي وكان من عظمائهم. ثم غاب عنهم يحيى بن المهدى مدة ورجع بكتاب المهدى يشكرهم على إجابتهم وأمرهم أن يدفعوا ليحيى ستة دنانير وثلاثين عن كل رجل منهم فعلوا. ثم غاب وجاء بكتاب آخر بأن يدفعوا إليه خمس أموالهم فدفعوا، وأقام يتردد في قبائل قيس، ثم أظهر أبو سعيد الجنابي الدعوة بالبحرين سنة ست وثمانين واجتمع إليه القرامطة والأعراب، وقتل واستباح وسار إلى القطيف طالباً البصرة، وبلغت الناقة فيه أربعة عشر ألف دينار.

ثم قرب أبو سعيد من نواحي البصرة، وبعث المعتصم إليهم المدد مع عباس بن عمر الغنوي وعزله عن فارس وأنقطع الإمامة والبحرين، وضم إليه الفين من المقاتلة، وسار إلى البصرة وأكثر من الحشد جنداً ومتطرعة. فسار ولقي أبو سعيد الجنابي، ورجع من كان معه من بيضبة إلى البصرة. ثم كان اللقاء فهزمه الجنابي وأسره واحتوى على مسكنه وحرق الأسرى بالنار وذلك في شعبان من هذه السنة. وسار إلى هجر فملكتها وأمن أهلها ورجع إلى أهل البصرة، ويعشا إليهم بالرواحل عليها الطعام والماء، فاعتزل ضمهم بنو أسد وأخذوا الرواحل وقتلوا الفيل، واضطربت البصرة وتشوف أهلها إلى الانتقال فمنهم الواقسي. ثم أطلق الجنابي العباس الغنوي فركب إلى الأبلة وسار منها إلى بغداد، فخلع عليه المعتصم.

وأما ظهورهم بالشام فإن داعيهم ذكره بن مهروية الذي جاء بكتاب المهدى إلى العراق لما رأى الجيوش متتابعة إلى القرامطة بالسواد، وأباذهem القتل، لحق بأعراب أسد وطيء، فلم يجده فبعث أولاده في كلب بن وبرة فلم يجده منهم إلا بنو القليطي بن ضمصم بن عدي بن جناب، فباعوا ذكره ويسعى يحيى

ودعا لبدر مولى المعتصم. ولما جاء أحد بن طبان للغز سنة ثلاط وثمانين تنازع معه راغب، فركب أحد البحر في رجوعه ولم يرجع على طرسوس وترك بها مدينة غلام بازيار وأمده قصوى وأنكر على راغب أفعاله بحمل مدينة إلى بغداد، واستبد راغب إلى استدعاء المعتصم ونکه كما قلناه، وولى ابن الأخياء على طرسوس فمات لستة.

واستخلف أبا ثابت وخرج سنة سبع وثمانين غازياً فناسر وولى الناس عليهم مكانه علي بن الأعرابي، ولحق بملطية في هذه السنة وصيف مولى محمد بن أبي الساج صاحب بردة، وكتب إلى المعتمد سائل ولاية التغور وقد وطا صاحبه أن يسر إليه إذا ولها فيقصدان ابن طلوبون ويملكان مصر من يده، وظهر المعتصم على ذلك فسار لاعتراضه، وقدم العساكر بين يديه، فاحتذه بعين زربة وجاوزوا به إلى المعتصم فحبسه، وأمن عسكته ورحل إلى قرب طرسوس، واستدعى رؤساؤها وقبض عليهم بمكاتبهم وصيفاً، وأمر بإحراق مراكب طرسوس بإشارة مدينة، واستعمل على أهل التغور الحسن بن علي كوره وسار إلى أنطاكية وحلب ورجع منها إلى بغداد وقتل وصيفاً وصلبه. واستقدم المكتفي بعد وفاة المعتصم الحسن بن علي، وولى على التغور مظفر بن حاج، ثم شكا أهل التغور منه فعزله وولى أبا العشار بن أحمد بن نصر سنة تسعين.

### حرب الأعراب

وفي سنة ست وثمانين اعترضت طين ركب الحاج بالأجيير، وقاتلوه ونهبوا أموال التجار ما قيمته ألف ألف دينار، ثم اعتضوا الحاج كذلك سنة تسع وثمانين بالقرن فهو مهم الحاج وسلموا.

### تغلب ابن الليث على فارس وإخراج بدر إيه

وفي فاتح ثمان وثمانين جاء طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث في العساكرة إلى بلاد فارس، وأخرج منها عامل المعتصم وهو عيسى النوشيри كان على أصحابه فرلاه المعتصم فارس، فسار إليها فجاءه طاهر وملكتها. وكتب إليه إسماعيل صاحب ما وراء النهر بأن المعتصم ولاه سجستان لذلك، وعقد المعتصم لبدر مولاه على فارس، وهرب عمال طاهر عنها وملكتها بدر وجبي خراجها. ثم مات المعتصم وسار مغرباً عن فارس فقتل بواسط وقاطع طاهر

وأخذ أسيراً، وبعث به إسماعيل إلى سمرقند ومن هناك إلى المعتصم سنة ثمان وثمانين، فحبسه إلى أن مات المعتصم سنة تسع بعدها فقتله ابنه المكتفي وعقد لإسماعيل على خراسان كما كانت لعمرو، وكان عمرو عظيم السياسة، وكان يستكثر من المالكين ويجري عليهم الأرزاق ويفرقهم على قواد لبطالوه بأخبارهم، وكان شديد المية، ولم يكن أحد يتجرأ أن يعاقب غلاماً ولا خادماً إلا أن يرفعه إلى حجابه.

### استيلاء ابن سامان على طبرستان من يد العلوى ومقتله

ولما بلغ محمد بن زيد العلوى صاحب طبرستان والدليل ما وقع بعمرو بن الليث وأنه أسر طمع هو في خراسان وظن أن ابن إسماعيل لا يتجاوز عمله، فسار إلى جرجان وبعث إليه إسماعيل بالكف فألي، فجهز لحرمه محمد بن هارون، وكان من قواده رافع بن الليث. واستأنف إلى عمرو ثم إلى إسماعيل فنظمه في قواده ونذهب الآن لحرب محمد بن زيد، فسار لذلك. ولقيه على باب خراسان، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وانهزم محمد بن هارون أولًا، وافتقرت عساكر محمد بن زيد على النهب ثم رجع هو وأصحابه، وانهزم محمد بن زيد وجروح جراحات فاحشة هلك منها لأيام، ابن هارون معاشرهم، ثم سار إلى طبرستان فملكها وصار خراسان وطبرستان لبني سامان، واتصلت لهم دولة نذكر سيادة أخبارها عند إفراد دولتهم بالذكر كما شرطنا في تاليتنا.

### ولاية علي بن المعتصم على الجزيرة والثغور

ولما ملك المعتصم آمد من يد ابن الشيخ كما قدمناه، سار إلى الرقة وتسلم قنسرين والعواصم من يد عمال هارون بن خارويه لأنه كان كتب إليه أن يقطنه على الشام ومصر ويسلم إليه أعمال قنسرين، ويحمل إليه أربعمائة ألف دينار وخمسين ألفاً فاجابوه وسار من آمد إلى الرقة فأنزل ابنه علياً الذي لقبه بعد ذلك بالمكتفي وعقد له على الجزيرة وقنسرين والعواصم سنة ست وثمانين. واستكتب له الحسن بن عمر النصراوي واستقدم وهو بالرقة راغباً مولى الموقق من طرسوس، فقدم عليه وحبسه وجبس مليون غلامه، واستصفى أموالهما، ومات راغب لأيام من حبسه وقد كان راغب استبد بطرسوس وترك الدعاء هارون بن خارويه،

بلاد فارس على مال يحمله، فقلده المكتفي ولايتها سنة تسعين.

## وفاة المعتصم وبيعته ابنه

كان بدر مولى المعتصم عظيم دولته، وكان القاسم بن عبيد الله الوزير يروم نقل الخلافة في غيربني المعتصم، وفاوض في ذلك بدرأ أيام المعتصم فلبي، ولم يمكِن القاسم غافلته. فلما مات المعتصم كان بدر بفارس بعثه إليها المعتصم لما بلغه أن طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث غالب عليها فبعث بدرأ وولاة. فلما مات عقد الوزير البيعة لابنه المكتفي وخشي من بدر فيما اطلع عليه منه، فأعمل الخليفة في أمره. وكان المكتفي أيضاً يقصد بدر كثيراً من منازعه معه أيام أبيه، فدس الوزير إلى القساد الذين مع بدر بمفارقة، ففارق العباس بن عمر الغنوي وحمد بن إسحاق بن كندياج وخاقان العلجي وغيرهم، فأحسن المكتفي إليهم وسار بدر إلى واسط، فوكل المكتفي بداره وقبض على أصحابه وأمر محرو اسمه من الفراش والأعلام وبعث الحسن بن علي كوره في جيش إلى واسط، وعرض على بدر ما شاء من النواحي، فقال: لا بد لي أن أشاشه مولاي بالقول فخروف الوزير المكتفي خانته ومنعه من ذلك، وشعر أن بدرأ بعث عن ابنه هلال فوكل به. ثم بعث الوزير عن القاضي أبي عمر المالكي وحمله الأمان إلى بدر فجاء بأمانه وبعث الوزير من اعتراضه بالطريق فقتلته لست خلون من رمضان، وحمل أهله شلوه إلى مكة دفون بها لوصيته بذلك. وحزن القاضي أبو عمر لإخبار ذمته.

## استيلاء محمد بن هارون على الري ثم أسره وقتله

قد تقدم لنا ذكر محمد بن هارون وأنه كان من قواد رافع بن هرثمة، ونظم إسماعيل بن أحد صاحب ما وراء النهر في قواده وبعث لحرب محمد بن زيد فهزمه واستولى على طبرستان، وولاه إسماعيل عليها. ثم انتقض ودعا بدعوة العلوية وبغض وساعدته ابن حسان الدبلي. وبعث إسماعيل العساكر لقتال ابن حسان فهزمه. وكان على الري من قبل المكتفي أغرتهم التركي، فناسه السيرة فبعث أهل الري إلى محمد بن هارون أن يسير إليهم ويولوه، فسار وحارب أغرتهم فهزمه وقتلها، وقتل ابنه وأصحابه كيبلغ من القواد واستولى على الري وبعث المكتفي مولاه خاقان المقلحي لولاه الري في جيش كيف فلم يصلها. وبعث المكتفي إلى إسماعيل بولايته وعاصيَة محمد بن هارون فسار إسماعيل إليه وهزمه، فخرج عن الري إلى قزوين وزنجان. ثم لحق بطبرستان

## الولايات في النواحي

كان أكثر النواحي في دولة المعتصم مغلباً عليها كخراسان وما وراء النهر لابن سامان، والبحرين للقرامطة ومصر لابن طولون وأفريقية لابن الأغلب، وقد ذكرنا من ولـيـ المـوـصـلـ. وفي سنة خمس وثمانين ولـيـ المعـتـضـدـ عـلـيـهاـ وـعـلـىـ الجـزـيرـةـ وـالـغـفـورـ الشـامـيـةـ...ـ مـوـلـاـهـ،ـ ثـمـ مـلـكـ آـمـدـ مـنـ يـدـ اـيـنـ الشـيـخـ وـجـعـلـهـ لـابـنـ عـلـىـ الـمـكـتـفـيـ وـأـنـزلـهـ الرـقـةـ كـمـاـ ذـكـرـنـاـ وـعـقـدـ لـهـ عـلـىـ الـغـفـورـ.ـ ثـمـ عـقـدـ بـعـدـ لـلـحـسـنـ بـنـ عـلـيـ كـوـرـهـ وـوـلـ عـلـىـ فـارـسـ بـدـرـاـ مـوـلـاـهـ.ـ وـمـاتـ إـسـحـاقـ بـنـ أـيـوبـ بـنـ عـمـرـ بـنـ الـخـطـابـ التـقـلـيـ العـدـوـيـ أـمـيرـ دـيـارـ رـيـعـةـ،ـ فـوـلـيـ الـمـعـتـضـدـ مـكـانـهـ عـبـدـ الـلـهـ بـنـ اـمـيـشـ بـنـ عـبـدـ الـلـهـ بـنـ الـمـعـرـ.ـ

وفي سنة ثمان وثمانين ظهر باليمن بعض العلوين وتغلب على صنعاء، فجمع له بنو يضر وقاتله فهزمه وأسرروا ابنه، وتلقى نحو خمسين فارساً وملك بنو يضر صنعاء وخطبوا فيها للمعتصم، وهلك ابن أبي الساج في هذه السنة، فول أصحابه ابنه ديداد. ونمازعه عم يوسف بن رافق بابن أخيه وهزم ومضى إلى بغداد على طريق الموصل، واستقل يوسف بملك أذربيجان، وعرض على ابن أخيه المقام عنده فلبي، وقلد المعتصم لأول خلافة ديوان المشرق لمحمد بن داود بن الحجاج، عوضاً عن أمد بن محمد بن القراء، وديوان المغرب على بن عيسى بن داود بن الحجاج، ومات وزيره عبد الله بن سليمان بن وهب فول ابنه أبا القاسم مكانه.

## الصوائف

وفي سنة خمس وثمانين غزا راغب مولى الموقت من طرسوس في البحر، ففتح مراكب الروم، قتل فيها نحواً من ثلاثة آلاف وأحرقها. وخرج الروم سنة سبع وثمانين ونازلوا طرسوس فقاتلهم أميرها واتبعهم إلى نهر الرحال فأسروه. وفي سنة ثمان وثمانين بعث الحسن بن علي كوره صاحب الغفور بالصائفة، فغزا وفتح حصوناً كثيرة وعاد بالأسرى، فخرج الروم في أثره برأ وهمراً إلى كيسوم من نواحي حلب فأسروا نحواً من خمسة عشر ألفاً ورجعوا.

وجماعة من القواد، فلقيهم قرب العريش فهزّهم وقوى الأمر، وبلغ الخبر إلى المكتفي فسُكر ظاهر بغداد، وانتهى مده إلى تكريت فلقيه كتاب فاتك في شعبان يذكر أنهم هزموا الخليجي بعد حروب متصلة، وغنموا عسكراً. ثم هرب وانشقق بفسطاط مصر وجاء من دل عليه فأمر المكتفي بحمله ومن معه إلى بغداد فبعشروا بهم وحبسوا.

واستقر مع ابنه مستجيراً، ولما ملك إسماعيل الري ولد على جرجان مولا نارس الكبير والزمه إخضار محمد بن هارون فكتبه نارس وضمن له صلاح الحال، قُبِلَ وانصرف عن الدليل إلى بخارى، فبعث إسماعيل من اعترضه وحلَّ إلى بخارى مقيداً فمات في الحبس بعد شهر وذلك في شعبان سنة تسعين.

## استيلاء المكتفي على مصر وانقراض دولة ابن طولون

### ابتداء دولة بني هدان

وفي سنة اثنين وتسعين عقد المكتفي على الموصل وأعمالها لأبي الميجاه عبد الله بن هدان بن حمدون العدوى التغلبي فقدمها أول الحرم وجاء الصريح من نينوى بأن الأكراد المدانية ومقدمهم محمد بن سلال قد أغروا على البلاد وعاثوا، فخرج في العساكر عبر الجسر إلى الجانب الشرقي، ولقيهم على الحارد فقاتلهم وقتل من قواد سليمان الحمداني ورجع عنهم، وبعث إلى الخليفة يستعده، فأطلاع عليه المدد إلى ربيع من سنة أربعين، فلما جاءه المدد سار إلى المدانية وهم مجتمعون في خمسة آلاف بيت، فارتخلوا أمامه واعتاصموا بجبل السلق المشرف على الزاب، فحاصرهم وعرفوا حقه فخذه أبوهم محمد بن سلال بالراسلة في الطاعة والرهن، وحث أصحابه خلال ذلك المسير إلى أذربيجان، واتبعهم أبو الميجاه فلحقهم صاعداً إلى جبل القنديل فصال منهم، وامتنعوا بذروته.

ورجع أبو الميجاه عنهم فلتحقوا بأذربيجان، ووفد أبو الميجاه على المكتفي فأخذوه العسكر وعاد إلى الموصل. ثم سار إلى الأكراد بجبل السلق فدخله وحاصرهم بقتله، وطال حصارهم واشتد البرد وعدمت الأقوات، وطلب محمد بن سلال النجاة بأهله وولده، فنجا واستولى ابن هدان على أمواهم وأهلهم وأمنهم. ثم استأنف محمد بن سلال فآمنه وحضر عنده وأقام بالموصل وتابع الأكراد الحمدانية مستائنين، واستقام أبو أبي الميجاه بالموصل. ثم انقضى سنة إحدى وثلاثمائة فبعث إليه المقتدر مؤنساً الخادم فجاء بنفسه مستائناً ورجع به إلى بغداد، فقبله المقتدر وأكرمه. وبقي بغداد إلى أن انقض آخره الحسين بديار ربيعة سنة ثلاث وثلاثمائة. وسارت العساكر فجاؤوا به أسريراً. فحبس المقتدر عند ذلك أبا الميجاه وأولاده، وجمع إخوته بداره ثم أطلقهم سنة خمس وثلاثمائة.

كان محمد بن سليمان من قواد بني طولون وكاتب جيشهم واستوحش منهم، فلحق بالمعتضد وصرفوه في الخدم، وكانت القراءمة عاثوا في بلاد الشام وحاصروا عامل بني طولون بدمشق وهو طبعج بن جف، وقتلوا قواه. وسار المكتفي إليهم فنزل الرقة وبعث محمد بن سليمان لحرفهم ومعه المحسن بن هدان والعساكر وبنر شيبان، فلقيهم قرب حماة فهزّهم واتبعهم إلى الكوفة، وبقى في طريقه على أميرهم صاحب الشامة فبعث به إلى المكتفي، فرجع إلى بغداد وخلف محمد بن سليمان في العساكر فتبعهم وأسر جماعة منهم. وبينما هو يرور العود إلى بغداد جاءه كتاب بدر الحمامي مول هارون بن خمارويه وحمد فائق صاحب دمشق يستقدمه إلى البلاد لعجز هارون عنها. فأنهى ذلك محمد بن سليمان عند عوده إلى المكتفي فأعاده وأمده بالجنود والأموال. وبعث ديميانة غلام بازيار في الأسطول ليدخل من فوهة النيل ويحاصر مصر، ولما وصل ودنا من مصر كاتب القواد، وخرج إليه رئيسهم بدر الحمامي وتابع منهم جماعة، ويرز هارون لقتاله فحاربه أيامًا.

ثم وقعت بعض الأيام في عسكره هيبة ركب لها ليسكها فأصابته حرية مات منها، واجتمع أصحابه على عمه شيبان وبذل الأموال فقاتلوا معه. ثم جاءهم كتاب محمد بن سليمان بالأمان فأجابوه، وخالف شيبان إلى مصر فاستولى عليها واستأنف إليه شيبان سراً فآمنه ولحق به. ثم قبض على بني طولون وحبسهم واستصفى أمواهم وذلك في صفر سنة اثنين وتسعين، وأمره المكتفي بإزالة آن طولون وأشياعهم من مصر والشام فعل. وسار بهم إلى بغداد وولى المكتفي على مصر عيسى التوسيري وخرج عليه إبراهيم الخليجي من قواد بني طولون مخلف عن محمد بن سليمان، فخلقه وكثير جمعه وسار التوسيري إلى الإسكندرية عجزاً عن مدافعته، واستول الخليجي على مصر وبعث المكتفي بالجنود مع قاتك مول المعتضد وأحمد بن كيغلى ويدر الحمامي من قواد بني طولون، فوصلوا سنة ثلاث وتسعين، وتقدم أحمد بن كيغلى

## أخبار ابن الليث بفارس

إسماعيل عسكراً عظيماً من الجندي والمتطوعة فكبسوه  
واستأحومهم. وفي سنة ثلاث وتسعين افتح إسماعيل مداين كثيرة  
من بلاد الترك والديلم.

### الولايات بالنواحي

قد ذكرنا ولايات خاقان المقلحي على الري، ثم إسماعيل بن أحد بن سامان بعده. ولولاية عيسى التوسي على مصر بعد انتزاعها من بني طولون، ولولاية أبي العشار أحد بن نصر على طرسوس وعزل مظفر بن حاج عنها سنة تسعين، ثم عزل أبي العشار وولاية رستم بن برد، سنة اثنين وتسعين. وانتزاع الليث بن علي بن الليث بلاد فارس من يد طاهر بن محمد سنة ثلاث وتسعين بعد أن كان المكتفي عقد له عليها سنة تسعين، ولولاية أبي الهيجاء عبد الله بن حдан على الموصل سنة ثلاث وتسعين. وفي هذه السنة ثار داعية القرامطة باليمين إلى صناعة فملكتها واستباحتها وتغلب على كثير من مدن اليمين وبعث المكتفي المظفر بن الحاج في شوال من هذه السنة إلى عمله باليمين فأقام به. وفي سنة إحدى وتسعين توفي الوزير أبو القاسم بن عبد الله واستوزر مكانه العباس بن الحسن.

### وفاة المكتفي وبيعة المقصد

ثم توفي المكتفي بالله أبو محمد علي بن المعتصم في شهر جمادي سنة خمس وتسعين لست سين ونصف من ولايته، ودفن بدار محمد بن طاهر من بغداد بعد أن عهد بالأمر إلى أخيه جعفر. وكان الوزير العباس بن الحسن قد استشار أصحابه فيمن يوليه، فأشار محمد بن داود بن الجراح بعد الله بن المعتز، ووصفه بالعقل والرأي والأدب، وأشار أبو الحسين بن محمد بن الفرات بمجهور بن المعتصم بعد أن أطّل في مفاوضته وقال له: اتق الله ولا تول إلا من خبرته ولا تول البخيل فيضيّق على الناس في الأرزاق، ولا الطماع فيشره إلى أموال الناس، ولا المتهاون بالدين فلا يجتثب المأثم ولا يطلب الثواب. ولا تول من خبر الناس وعاملهم واطلع على أحوالهم، فيستكثر على الناس نعمهم، وأصلح الموجودين مع ذلك جعفر بن المعتصم. قال: ويعلم وهو صبي؟ فقال: وما حاجتنا بن لا يحتاج إلينا ويستبدل علينا! ثم استشار علي بن عيسى فقال: اتق الله وانتظر من يصلح. فمالت نفس الوزير إلى جعفر كما أشار ابن الفرات، وكما أوصى آخره، فبعث صائفاً لخدمي فاتى به من داره بالجانب الغربي، ثم خشي عليه غائلة الوزير

قد تقدم لنا استقلال طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث ببلاد فارس وأن المكتفي عقد له عليها سنة تسعين، ثم أنه تشاغل باللهو والصيد، وأعرض عن أمور مملكته. ومضى في بعض الأيام إلى سجستان فوثب على فارس الليث بن علي بن الليث، وسيكري مولى عمرو بن الليث، فاستوحش منها أحد قوادهما يعرف بأبي قابوس، وفأرقهما إلى بغداد وأحسن المكتفي إليه. نعم كتب إليه طاهر في رد أبي قابوس إليه، ويحتسب له ما معه من أموال الجباية فأعرض الخليفة عن ذلك.

### الصوائف

وفي سنة إحدى وتسعين خرج الروم إلى الغزو في مائة ألف، وقصد جماعة منهم الحدث. ثم غزا بالصافنة من طرسوس القائد المعروف غلام زرافة، ففتح مدينة أنطاكية وفتحها عنزة فقتلخمسة آلاف من مقاتلتهم وأسر مثلاها. واستتقد من أمرى المسلمين مثلها، وغنم ستين من مراكب الروم بما فيها من المال والشاع والرقيق، فقسمها مع غنائم أنطاكية، فكان السهم ألف دينار. وفي سنة اثنين وتسعين أغاث الروم على مرعش ونواحيها، فخرج أهل المصيصة وأهل طرسوس فأصابهم جماعة، فنزل المكتفي إبا العشار عن الشغور وول رستم بن برد، فكان على يديه الفداء، وفودي ألف من المسلمين. ثم أغارت الروم سنة ثلاث وتسعين على موارس من أعمال حلب، وقاتلهم أهلها فانهزموا وقتل منهم خلق، ودخلها الروم فأحرقوها جامعاً وأخذوا من يقي فيها.

وفي سنة أربع وتسعين غزا ابن كيبلغ من طرسوس فأصاب من الروم أربعة آلاف سبياً، واستأنف طريق من الروم فأسالم. ثم عاود ابن كيبلغ الغزو وبلغ سكند وافتتحها، وسار إلىليس فبلغ خسین ألف رأس. وقتل من الروم خلقاً ثم استأنف الطريق المتولى الشغور من جهة الروم إلى المكتفي، وخرج بما تبقى من المسلمين. وكان ملك الروم قد شعر بأمره ويعت من يقبض عليه، فقتل الأسرى المسلمين من جاء للقبض عليه وغنموا عسكراً، واجتمع الروم على محاربة الطريق انذوقوا وزحف المسلمين للخلاص وخلاص من معه من الأسرى، فبلغوا قونية وخربوا وانصرف الروم، ومر المسلمين في طريقهم محصن أندوس فخرج عليهم بأهله وسار إلى بغداد. وفي سنة إحدى وتسعين خرج الترك إلى ما وراء النهر في خلق لا يمحضون، فبعث

اضطربوا وهرموا واتهموا الحسين بن حدان أنه قد واطأ المقتدر عليهم، وركب ابن المعتز وزيره محمد بن داود بن الجراح وخرجوا إلى الصحراء ظناً منهم أن الجن الدين باليون يخرون معهم، وأنهم يلحقون سامراً فيمتنعون، فلما تفردوا بالصحراء رجعوا إلى البلد وتسلروا في الدور، واختفى ابن الجراح في داره، ودخل ابن المعتز ومولاه دار أبي عبد الله بن الجصاص مستجيراً به.

وثار العيارون والسلُّل يتهمون. فتشا القتل وركب ابن عمروه صاحب الشرطة، وكان من يابع ابن المعتز، فنادي بشار المقتدر مغالمطاً، فقاتله فهوپ واستر، وأمر المقتدر مؤسساً الخازن فزحف في العسكر وقبض على وصيف بن صوارتكين فقتلته، وقبض على القاضي أبي عمر علي بن عيسى والقاضي محمد بن خلف، ثم أطلقهم وقبض على القاضي أبي المشني أحد بن يعقوب، قال له: بابع المقتدر! قال: هو صبي! فقتله وبعث المقتدر إلى أبي الحسن بن الفرات كان مخفياً فاحضره واستورده. وجاء سوسن خادم ابن الجصاص فأخبر صافياً الخرمي مولى المقتدر بمكانه عندهم، فكبست الدار وأخذ ابن المعتز وجنس إلى الليل، ثم خصيت خصياته فمات وسلّم إلى أهله وأخذ ابن الجصاص وصودر على مال كثير، وأخذ محمد بن داود وزير ابن المعتز وكان مستتراً فقتل.

ونفي علي بن عيسى بن علي إلى واسطه، واستأند من ابن الفرات في المسير إلى مكة فسار إليها على طريق البصرة وأقام بها، وصودر القاضي أبو عمر على مائة ألف دينار، وسارط العساكر في طلب الحسين بن حدان إلى الموصل فلم يظفروا به، وشفع الوزير ابن الفرات في ابن عمروه صاحب الشرطة وإبراهيم بن كيغلن وغيرهم. ووسط ابن الفرات الإحسان وأدر الأرزاق للعباسيين والطالبيين وأرضي القواد بالأموال، ففرق معظم ما كان في بيت المال، وبعث المقتدر القاسم بن سينا وجاءه من القواد في طلب الحسين بن حدان، فبلغوا قرقيسياً والرحبة ولم يظفروا به، وكتب المقتدر إلى أخيه أبي الهيجاء وهو عامل الموصل بطلب، فسار مع القاسم بن سينا والقواد ولقوه عند تكريت فهزمه، وبعث مع أخيه إبراهيم يستأمن فسامنه وجاؤوا به إلى بغداد، فخلع عليه المقتدر وعقد له على قم وقاشان، وعزل عنها العباس بن عمر الغنوبي فسار إليها الحسين، ووصل نارس مولى إسماعيل بن سامان فقلده المقتدر ديار ربيعة.

فتركه في الحراق، وجاء إلى دار الخلقة فأخذ له البيعة على الحاشية. ثم جاء به من الحراق وأقعده على الأريكة وجاء الوزير والقراد فبايعوه، ولقب المقتدر بالله وأطلق يد الوزير في المال وكان خمسة عشر ألف ألف دينار فآخر من حق البيعة واستقام الأمـر.

### خلع المقتدر بابن المعتز وإعادته

ولما بعث المقتدر وكان عمره ثلث عشرة سنة استصغره الناس وأجمع الوزير خلعه والبيعة لأبي عبد الله محمد بن المعتز وراسله في ذلك، فأجاب وانتظر قدم نارس حاجب إسماعيل بن سامان، كان قد انتقض إلى مولاه وسار عنه، فاستاذن في القدوم إلى بغداد وأذن له. وقصد الاستعنة به على موالي المتضدد. وأبطأ نارس عليه، وهلك أبو عبد الله بن المقتدر خلال ذلك فصرف الوزير وجهه لأبي الحسين بن الملك فمات، فاتر المقتدر، ثم بدا له وأجمع عزله، واجتمع لذلك مع القواد والقضاة والكتاب وراسلوا عبد الله بن المعتز فأجلبوا على أن لا يكون قتالـه فأخبروه باتفاقهم وأن لا مanzaع لهم. وكان المتلوون لذلك الوزير العباس بن الحسين ومحمد بن داود بن الجراح وأبا المشني أحد بن يعقوب القاضي، ومن القراد الحسين بن حدان ويدر الأعمى ووصيف بن صوارتكين.

ثم رأى الوزير أمره صالحـاً مع المقتدر فبدأ له في ذلك فأجمع الآخرون أمرهم، واعتبرـه الحسين بن حدان ويدر الأعمى ووصيف في طريق لستانة فقتلـه لشنـة بقين من ربيع الأول سنة ست وتسعين، وخلعوا المقتدر من الغـد وبـايـعوا لـابـنـ المـعـتزـ، وـكانـ المـقتـدرـ فيـ الـحـلـبةـ يـلـعـبـ الـأـكـرـةـ، فـلـمـ بـلـغـهـ قـتـلـ الـوزـيرـ دـخـلـ الدـارـ وأـغـلـقـ الـأـبـابـ، وجـاءـ الـحـسـنـ بنـ حـدـانـ إـلـىـ الـحـلـبةـ ليـفـتـكـ بـهـ فـلـمـ يـجـدـهـ، فـقـدـ وأـخـضـرـواـ إـبـنـ الـمـعـتزـ فـبـاـيـعـوهـ، وـحـضـرـ النـاسـ وـالـقـوـادـ وأـرـبـابـ الـدـوـاـوـيـنـ سـوـىـ إـبـنـ الـحـسـنـ بنـ الـفـرـاتـ وـخـواـصـ الـمـقـتـدرـ فـلـمـ يـمـضـرـواـ.

ولقب ابن المعتز المرتضى بالله، واستوزر محمد بن داود بن الجراح، وقلد علي بن مرسى الدواوين، وبعث إلى المقتدر بالخروج من دار الخلقة، فطلب الإمهال إلى الليل، وقال مؤسس الخادم ومؤسس الخازن وعزـتـ الحالـ وسـائـرـ الـحـاشـيـةـ: لا بدـ أنـ يـبـدـيـ عـذـراـ فيما أـصـابـناـ. وـبـاـكـرـ الـحـسـنـ بنـ حـدـانـ منـ الغـدـ دـارـ الـخـلـقةـ فـقـاتـلـهـ الـغـلـمانـ وـالـخـلـمـانـ مـنـ وـرـاءـ السـوـرـ وـاـنـصـرـ، فـلـمـ جـاءـ الـلـيـلـ سـارـ الـمـوـصـلـ بـأـهـلـهـ، وأـجـعـ رـأـيـ أـصـحـابـ الـمـقـتـدرـ عـلـىـ قـصـدـ إـبـنـ الـمـعـتزـ فـلـمـ دـارـ فـتـسـلـحـواـ وـرـكـبـواـ فـيـ دـجـلـةـ، فـلـمـ رـأـهـمـ أـصـحـابـ إـبـنـ الـمـعـتزـ

## ابتداء دولة العبيدين من الشيعة بأفريقية

بها إلى عبيد الله هذا المهدى، وهم العبيديون، ومنهم من ساقها إلى عيسى بن عبيد الله بن محمد المكتوم. وهؤلاء طائفه من القرامطة وهي من كذبائهم، ولا يعرف محمد بن إسماعيل ولد اسمه عبيد الله. وكان شيعة هؤلاء العبيديين بالشرق واليمن وأفريقيه. وسار بها إلى أفريقيا رجالان يعرف أحدهما بالحلواني والآخر بالسفاني أفندهما الشيعة إلى هناك وقالوا لهم: إن العرب أرض بور فاذبها واحرثاها حتى يجربا صاحب البذر، وسارا للذك ونزلوا أرض كلامة، أحدهما ييلد يسمى سوق حار.

وقشت هذه الدعوة منها في أهل تلك النواحي من السيرير وخصوصاً في كلامة، وكانت يزعمون أن النبي صلوات الله عليه أوصى إلى علي بالخلافة بالنصوص الجلية وعدل عنها الصحابة إلى غيره فوجب البراءة من عدل عنها. ثم أوصى علي إلى ابنه الحسن ثم الحسن إلى أخيه الحسين، ثم الحسين إلى ابنه علي زين العابدين، ثم زين العابدين إلى ابنه محمد الباقر، ثم محمد الباقر إلى ابنه جعفر الصادق، ثم جعفر الصادق إلى ابنه إسماعيل الإمام، ومنه إلى ابنه محمد، ويسمونه المكتوم لأنهم كانوا يكتومون اسمه خذراً عليه. ثم أوصى محمد المكتوم إلى ابنه جعفر المصدق، وجعفر المصدق إلى ابنه محمد الحبيب، ومحمد الحبيب إلى ابنه عبيد الله المهدى الذي دعا له أبو عبد الله الشيعي. وكانت شيعتهم متشردين في الأرض من اليمن إلى الحجاز والبحرين والطرق وخراسان والكرفه والبصرة والطالقان. وكان محمد الحبيب ينزل سلمية من أرض هص، وكان عادتهم في كل ناحية يدعون للرضا من آل محمد، ويزورون إظهار الدعوة بحسب ما عليهم. وكان الشيعة من النواحي يعلمون مكثهم في أكبر الأوقات لزيارة قبر الحسين، ثم يرجعون على سلمية لزيارة الأئمه من ولد إسماعيل - وكان يزورون من شيعتهم -. ثم بعده لأنئمه قوم يعرفون ببني موسى باليمن من شيعتهم. ورجل آخر يعرف بمحمد بن الفضل أصله من جند. وجاء محمد إلى زيارة الإمام محمد الحبيب. فبعث معه أصحابه رستم بن الحسين بن حوشب بن داود التجار، وهو كوفي الأصل وأمره باقامة الدعوة وأن المهدى خارج في هذا الوقت، فسار إلى اليمن ونزل على بني موسى وأظهر الدعوة هناك للمهدى من آل محمد الذي يعنونه بالتعوت المعروفة عندهم، فاتبعه واستولى على كثير من نواحي اليمن.

وكان أبو عبد الله الحسن بن أحمد بن محمد بن زكريا المعروف بالحبيب، وكان محتسباً بالبصرة. وقيل: إنما الحبيب آخره أبو العباس المخطوم وأبو عبد الله يعرف بالعلم. لأنه كان يعرف مذهب الإمامية الباطنية، قد اتصل بالإمام محمد الحبيب وخبر الصادق إلى ابنه إسماعيل، ثم ساقوها في عقبه فمتهمن من أنهى

نسبة هؤلاء العبيديين إلى أول خلفائهم، وهو عبيد الله المهدى بن محمد الحبيب بن جعفر المصدق بن محمد المكتوم بن إسماعيل الإمام بن جعفر الصادق، ولا ينفت لإنكار هذا النسب، فكتاب المعنى إلى ابن الأغلب بالقيروان وابن مدرار يغريهم بالقبض عليه لما سار إلى المغرب شاهد بصحة نسبهم وشعر الشريف الرضي في قوله:

البس السنل في بلاد الأعادي وبصر الخليفة العلوى  
من أبوه أبي وسلاه مولا ي إذا ضامي البعيد القصوى  
لـف عرقى بعرقه سيد النسا س جيـعاً عـمـدـاً وـعلـى  
واما الحضر الذي ثبت ببغداد أيام القادر بالقدح في نسبهم،  
وشن فيه أعلام الأئمة مثل القديري والصهيري وأبي العباس  
الأبيوردي وأبي حامد الأسفياني وأبي الفضل السوسي وأبي  
جعفر النسفي. ومن العلوية المرتضى وإبن البطحاوي، وإبن  
الأزرق، وزعيم الشيعة أبو عبد الله بن النعمن، فهي شهادة على  
السماع. وكان ذلك متصلة في دولة العباسية منذ ماتين من السنين  
فأشياً في أمصارهم وأعصارهم. والشهادة على السماع في مثله  
جائزه على أنها شهادة نفي. ولا تعارض ما ثبت في كتاب المعنى  
مع أن طبيعة الوجود في الانقاد لهم، وظهور كلمتهم أدلة شيء  
على صدق نسبهم.

وأما من جعل نسبهم في اليهودية أو النصرانية كيميون القداح وغيره فكانه إنما تعرضه لذلك. وأما دعوتهم التي كانوا يدعون لها فقد تقدم ذكرها في مذاهب الشيعة من مقدمة الكتاب، وانقسمت مذاهب الشيعة مع اتفاقهم على تفضيل علي على جميع الصحابة إلى الرذيدة القاتلين بصحبة إمام الشیخین مع فضل علي، ويجوزون إمامية المفسر وهم منذهب زيد الشهيد وأتباعه، والرافضة ويدعون بالإمامية المتبشرين من الشیخین بإمامهما وصبية النبي صلوات الله عليه مخلافة علي. مع أن هذه الوصية لم تنقل من طريق صحيح قال بها أحد من السلف الذين يقتدى بهم، وإنما هي من أوضاع الراقصة.

وأنقسم الراقصة بعد ذلك إلى اثنى عشرية نقلوا الخلافة من جعفر بعد الحسن والحسين وعلى زين العابدين و محمد الباقر و جعفر الصادق إلى ابنه موسى الكاظم ولولده على سلسلة واحدة إلى تمام الائتي عشر، وهو محمد المهدى وزعموا أنه دخل سردايا وهم في انتظاره إلى الآن. وإلى الإمامية نقلوا الخلافة من جعفر الصادق إلى ابنه إسماعيل، ثم ساقوها في عقبه فمتهمن من أنهى

صفته وحليته، فبعث العيون في طلبه. وغي الخبر بذلك إلى عبيد الله من بعض خواص التوشرى فخرج في رفقة، ورآه التوشرى وأحضره ودعاه للمراكمة فأعذر بالصوم، ثم امتحن قلم شهد له أحواله بشيء مما ذكر له عنه.

وقارن ذلك رجوع ابنه أبي القاسم يسأل عن كلب للصيد ضاع له، فلما رأه التوشرى وأخبر أنه ولد عبد الله علم أن هذه الدالة في طلب الصائغ ماتنافيه للرقبة والخروف، فخلع سيله. وجاء المهدى في السير وكان له كتب من الملحم ورثها مقتولة عن أبيه سرقت من رحله في تلك الطريق، ويقال: إن ابنه أبي القاسم لما زحف إلى مصر أخذها من بلاد برقة. ولا انتهى المهدى وابنه إلى طرابلس وفارقه التجار أهل الرفقه، قدم أبا العباس أخا أبي عبيد الله الشيعي إلى أخيه بكتامة، ومر بالقيروان، وقد سبق خبرهم إلى زيارة الله وهو يسأل عنهم، فقبض على أبي العباس وساله فناكر فحبسه، وكتب إلى عامل طرابلس بالقبض على المهدى فقاتله، وسار إلى قسطنطينية فعدل عنها خشية على أبي العباس أخي الشيعي المعتقل بالقيروان، وذهب إلى سجلamasة وبها إيسع بن مدرار فاكفره.

ثم جاءه كتاب زيادة الله ويقال: كتاب المكتفي بأنه المهدى الذي داعيه في كتامة فحبسه، وبعث زيادة الله العساكر إلى كتامة مع قريبه إبراهيم بن حيش و كانوا أربعين ألفاً، فاتنهى إلى قسطنطينية فاقام بها وهم متخصصون بذيلهم ستة أشهر. ثم زحف إليهم ودافعهم عند مدينة بلزمه فانهزم إلى القيروان. وكتب أبو عبد الله بالفتح إلى المهدى وهو في محبسه. ثم زحف إلى مدينة طبنة فحاصرها وملكها بالأمان، ثم إلى مدينة بلزمه فملكها عنترة، فبعث زيادة الله العساكر مع هارون الطيني فاتنهوا إلى مدينة دار ملوك، وكانتوا قد أطاعوا الشيعي فهمها هارون، وقتل أهلها، وسار إلى الشيعي فانهزم من غير قتال وقتل.

وفتح الشيعي مدينة عيسى فزحف زيادة الله في العساكر ستة خمس وستين ونزل الأربيس ثم أشار عليه أصحابه بالرجوع إلى القيروان ليكون ردها للعساكر، فبعث الجيوش مع إبراهيم بن أبي الأغلب من قرباته ورجع، وزحف أبو عبد الله إلى بغایة فهرب عاملها وملكها. ثم إلى مدينة مرماجنة فافتتحها عنترة وقتل عاملها ثم إلى مدينة تيفاش فملكها على الأمان، واستأمن إليه القبائل من كل جهة فأنهم وسار بنفسه إلى مسلبابة ثم إلى تبسة ثم إلى مجانة ففتحها على الأمان، ثم سار إلى القصرين من قمودة وأمن أهلها وسار يريد قاده وبلغ الخبر إلى إبراهيم بن أبي الأغلب وهو بالأربيس أميراً على الجيش، فخشي على زيادة الله برقاده

أهلية، فارسله إلى أبي حوشب، ولزم مجالسته وأفاد علمه. ثم بعث مع الحاج البيضى إلى مكة، وبعث معه عبد الله بن أبي ملا، فاتى الموسم ولقي به رجالات كتامة مثل حرث الحميلى وموسى بن مكاد، فاختلط بهم وعكفوا عليه لما رأوا عنده من العبادة والزهد، ووجه إليهم بدراً من ذلك المذهب، فاغتبطوا واغتبطوا وارتحل معهم إلى بلدتهم ونزل بها متتصف ربيع سنة ثمان وثلاثين، وعين لهم مكان منزله بفتح الأحار وأن النص عنده من المهدى بذلك وبليهه بالهدي وأن انصاره الأخبار من أهل زمانه، وأن اسم أنصاره مشتق من الكتمان ولم يعيشه، واجتمع لمناظرته كثير من أهل كتامة فاني، ثم أطاعره بعد فتن وحروب. واجتمعوا على دعوته وكانتوا يسمونه أبا عبد الله المشفى والشيعي.

ولما اختلف كتامة عليه واجتمع كثير منهم على قتلته قام بنصرته الحسن بن هارون، وسار به إلى جبل إيكجان ونزله مدينة تاصروت من بلد زراره، وقاتل من لم يتعه من تبعه حتى استقاموا جميعاً على طاعته. وبلغ خبره إبراهيم بن أحمد بن الأغلب عامل أفريقيا بالقيروان، فارسل إلى عامل ميلة يسأله عن أمره فحضره وذكر أنه رجل يلبس الخشن، ويأمر بالعبادة والخير فاعرض عنه حتى إذا اجتمع لأبي عبد الله أمره، زحف في قبائل كتامة إلى بلد ميلة فملكها على الأمان بعد الحصار، فبعث إبراهيم بن أحمد بن الأغلب ابنه الأحول في عسكرهم يجاور عشرين ألفاً، فهزم كتامة وأمتنع أبو عبد الله بمجل إيكجان، وأحرق الأحوص مدينة تاصروت ومدينة ميلة، وعاد إلى أفريقيا، وبنى أبو عبد الله بمجل إيكجان مدينة سماها دار المجرة. ثم توفي إبراهيم بن الأغلب صاحب أفريقيا وولى ابنه أبو العباس، وقتل واستقر الأمر لزيادة الله، وكان الأحوص حل العساكر لحضوره فاستقدمه زيادة الله وقتله.

## وفاة الحبيب وإيصاذه لابنه عبيد الله

ولما توفي محمد الحبيب وأوصى لابنه عبيد الله، وقال له: أنت المهدى وتهاجر بعدى هجرة بعيدة، وترى عهناً شديدة. فقام عبيد الله بالأمر وانتشرت دعوته وأرسل إليه أبو عبد الله الشيعي رجالاً من كتامة يخبرونه بما فتح الله عليهم، وأنهم في انتظاره. وشاع خبره وطلب المكتفي فهرب هو وولده نزار الذي ولد بعده وتلقب بالقائم. وخرج معه خاصته ومواليه يريد المغرب. وانتهى إلى مصر وعليها يؤمن عيسى التوشرى، فلبس عبيد الله زي التجار يتستر به. وجاء كتاب المكتفي للتوشرى بالقبض عليه، وفيه

وهو يقول: هذا مولاكم ويبكي من شدة الفرح، ثم أنزله بالمخيم وبعد في آخر اليسع فجيء به فجلد، ثم قتل، وأقام سجلماسة أربعين يوماً ورجع إلى أفريقيا، ووصل إلى رقادة في ربive من سنة ست وتسعين وجدد البيعة للمهدي واستولى على ملكبني الأغلب بأفريقية، وملك مدراستسجلماسة ونزل برقادة وتلقب بالمهدي أمير المؤمنين وبعث دعاته في الناس فحملوهم على مذهبهم فأجابوا إلا قليلاً عرض عليهم السيف، وقسم الأموال والجواري في رجال تكامة، وأنقطعهم الأموال والأعمال، ودون الدواوين وجبي الأموال وبعث العمال على البلاد. بعث على صقلية الحسن بن أحمد بن أبي خنزير فوصل إلى مازر في عبد الأضحى من سنة تسعة وتسعين، فاستقضى بها إسحاق بن المهايل، وأجاز البحر سنة ثمان وتسعين إلى بسط قلورية فأخن فيها وعاد وثار به أهل صقلية سنة تسعة وتسعين فجسدهم واعتنروا إلى المهدي لسوء سيرته، فعذرهم وول عليهم علي بن عمر البلوي فوصل إليهم خاتمة السنة المذكورة.

### أخبار ابن الليث بفارس

قد ذكرنا من قبل استيلاء الليث بن علي بن الليث وسيكري مول عمر بن الليث على فارس من يد طاهر بن محمد. ثم أخرج سيكري بعد ذلك الليث وانفرد بها، وسار إليه طاهر بن محمد بن عمرو، فواقعه وانهزم طاهر وأسر سيكري وأسر أخيه يعقوب، وبعث بهما إلى المقدار مع كاتبه عبد الرحمن بن جعفر الشيرازي، وقد أمره على ما يحمله وذلك سنة ست وتسعين، ثم سار إليه الليث بن علي من سجستان سنة سبع وتسعين، فغلبه وملك فارس، وهرب سيكري إلى أرجان وأمده المقدار بمؤنس الخادم في العساكر، ف جاء إلى أرجان وجاء الحسين بن حمدان من قم إلى البيضاء في إعانته، فسار للملقااته وأفضل الطريق إلى مسالك صعبة أشرف على عسكر مؤنس. وكان سيكري قد بعث أخيه فشاروا شيراز ليحفظها، فلما أشرف على العسكرية ظنه سيكري أن أخيه فشاروا إليه واقتلوه وانهزم عسكر الليث وأخذ أسيراً. وأشار عليه أصحابه أن يقبض على سيكري ويطلب من المقدار ولاية فارس مكانه فوافقهم طاهر ودس إليه، فلتحق بشيراز وعاد مؤنس إلى بغداد بالليث أسيراً، والحسين بن حمدان إلى عمله بقم.

ثم إن عبد الرحمن بن جعفر كاتب سيكري استولى على أمره، وحسمه أصحابه وأكثروا السعاية فيه عند سيكري فجسده، واستكتب مكانه إسماعيل بن إبراهيم اليماني، فحمله على العصيان

لقلة عسكره، وارتحل ذاهباً إليه، وسار أبو عبد الله إلى قسطنطينة فحاصرها وافتتحها على الأمان ورجع إلى بغایة فأنزل بها عسكراً وعاد إلى إيكجان فسار إبراهيم بن أبي الأغلب إلى بغایة وحاصر أصحاب أبي عبد الله بها، فبعث أبو عبد الله عساكره إلى مرج العرار فألفوا إبراهيم قد عاد عنها إلى الأرض. ثم زحف أبو عبد الله إلى إبراهيم سنة ست وتسعين في مائة ألف مقاتل وبعث من عسكره من ياتي إبراهيم من خلفه، وسار إليه فانهزم وأنجن فيهم أبو عبد الله بالقتل والأسر، وغنم أموالهم وخليهم وظهرهم. ودخل الأرض فاستباحها، ثم سار فنزل قمودة، وبلغ الخبر إلى زيادة الله فهوئ إلى مصر.

وافتلق أهل مدينة رقادة إلى القيروان وسوسة ونهب قصور بني الأغلب ووصل إبراهيم بن أبي الأغلب إلى القيروان، فنزل قصر الإمارة وجمع الناس ووعدهم الحماية، وطلب المساعدة بطاعتهم وأموالهم، فاعتذروا وخرجو إلى الناس فأخبروهم، فشاروا به وأخرجوه. وبلغ أبا عبد الله الشيعي هرب زيادة الله وهو يشبه فدخل إلى رقادة وقدم بين يديه عروبة بن يوسف وحسن بن أبي خنزير فساروا وأمنوا الناس. وخرج أهل القيروان للقاء أبي عبد الله فاكفهم وأمنهم، ودخل رقادة في رجب سنة ست وتسعين، ونزل قصورها وفرق دورها على كاتمة ونادي بالأمان. وتراجع الناس فاخرج العمال وطلب أهل الشر فهوئ، وجمع أموال زيادة الله وسلامه وأمر محفظها ومحفظ جواريه، واستاذنه الخطباء لمن يخطبون فلم يعن لهم أحداً. ونقش على السكة من أحد الوجهين بلغت حجة الله، ومن الآخر تفرق أعداء الله، وعلى السلاح عدة في سبيل الله، ووسم أفخاذ الخيل بالملك الله.

### بيعة المهدي بسجلماسة

ولما ملك أبو عبد الله أفريقيا لقيه آخوه العباس منطلقاً من اعتقاله، فاستخلفه عليها وترك معه أبا زاكي عام بن معارك من قواد كاتمة. وسار إلى المغرب ففرق القبائل من طريقه، وحافظه زناته فدخلوا في طاعته، ولما قرب من سجلماسة إلى المهدي بمحبسه يسأله عن حاله فأنكر، ثم سأله ولده كذلك فأنكر، وضرب رجاليه فأنكروا، وغي الخبر إلى أبي عبد الله فخشى عليهم وأرسل إلى اليسع بتلطقه فقتل الرسل فاغذر أبو عبد الله السير وحاصره يوماً وهرب اليسع من الليل هو وأصحابه وبنو عمته. وخرج أهل البلد إلى أبي عبد الله فجاء إلى مجلس المهدي فأخبره هو وابنه أبا القاسم، وأركبهما ومشي مع رؤساء القبائل بين يديها

البحر وفسد أمر ابن وهب ثم ثارت أهل صقلية به سنة ثلاثمائة وأسره ويعثروا به إلى المهدى مع جماعة من أصحابه فأمرهم بقتلهم على قبر ابن أبي خنزير.

### ولاية العهد

وفي سنة إحدى وثلاثمائة ولـ المقتدر ابنه أبا العباس العهد وهو الذي ولـ الخلافة بعد القاهر وسمـي بالرافضي فولـه أبوه المقتدر العهد وهو ابن سين وقلـه مصر والمغرب، واستخفـ له عليهـ مؤنسـ الحـادـم وولـ ابنـهـ الآخرـ عـلـيـاـ عـلـىـ الـرـيـ وـدـنـبـاـوـنـدـ وـقـرـوـنـ وـأـذـرـيـجـانـ وـأـبـهـرـ.

### ظهور الأطروش وملكه خراسان

كان هذا الأطروش من ولـدـ عمرـ بنـ عليـ زـينـ العـابـدـينـ وهوـ الحـسـنـ بنـ عليـ بنـ الحـسـينـ بنـ عليـ بنـ عمرـ وـكـانـ قدـ دـخـلـ إـلـىـ الـدـيـلـ بـعـدـ قـتـلـ حـمـدـ بنـ زـيدـ، وـلـبـثـ فـيـهـ ثـلـاثـ سـنـينـ وـثـلـاثـةـ يـدـعـوـهـ إـلـىـ إـلـاسـلامـ وـيـأـخـذـ مـنـهـ عـلـيـهـ عـلـيـهـ مـلـكـهـ اـبـنـ حـسـانـ، فـأـسـلـمـ عـلـىـ يـدـيهـ مـنـهـ خـلـقـ كـثـيرـ وـيـنـيـ لـهـ الـمـسـاجـدـ، وـزـحـفـ بـهـ إـلـىـ ثـغـورـ الـسـلـمـيـنـ، وـقـرـاهـمـ مـثـلـ قـرـوـنـ وـسـالـوـسـ فـاطـاعـوـهـ، وـهـدـمـ حـصـنـ سـالـوـسـ، ثـمـ دـعـاهـ إـلـىـ غـزـرـ طـبـرـسـانـ، وـهـيـ فـيـ طـاعـةـ اـبـنـ سـامـانـ، وـكـانـ إـسـمـاعـيلـ بـنـ عـلـيـ إـسـمـاعـيلـ بـنـ هـارـونـ، وـقـبـضـ عـلـيـهـ إـسـمـاعـيلـ وـلـ عـلـيـهـ أـبـاـعـبـ اللهـ بـنـ حـمـدـ بـنـ نـوـحـ، فـأـحـسـنـ السـيـرـةـ وـأـظـهـرـ الـعـدـلـ، وـبـالـيـ وـإـلـهـانـ، فـاشـتـملـ النـاسـ عـلـيـهـ.

فلـماـ دـعـاهـ الحـسـنـ إـلـىـ غـزـرـ طـبـرـسـانـ، لمـ يـجـيـبـوـهـ مـنـ أـجـلـ ابنـ نـوـحـ، ثـمـ إـنـ أـحـدـ بـنـ إـسـمـاعـيلـ عـزـلـ اـبـنـ نـوـحـ عـنـهـ، وـولـ عـلـيـهـ سـلـاماـ فـاءـ السـيـرـةـ وـلـمـ يـجـيـبـوـهـ مـيـسـنـ سـيـاسـةـ الـدـيـلـ، فـهـاجـواـ عـلـيـهـ فـقـاتـلـهـمـ وـهـمـهـمـ، وـاستـعـفـىـ مـنـ لـاـيـتـهاـ فـعـادـ إـلـيـهـ اـبـنـ نـوـحـ وـصـلـحـتـ الـحـالـ، كـمـاـ كـانـتـ إـلـىـ أـنـ مـاتـ، فـوـلـ عـلـيـهـ حـمـدـ بـنـ إـبـرـاهـيمـ بـنـ صـعلـوكـ، فـاءـ السـيـرـةـ وـتـنـكـرـ لـلـدـيـلـ فـصـادـفـ الـحـسـنـ مـنـهـ الغـرـةـ وـدـعـاهـ إـلـىـ غـزـرـ طـبـرـسـانـ فـأـجـابـوهـ، وـسـارـ إـلـيـهـ اـبـنـ صـعلـوكـ عـلـىـ مـنـ يـرـحـلـهـ مـنـ سـالـوـسـ بـشـاطـئـ الـبـحـرـ، فـأـنـهـزـمـ وـقـتـلـ مـنـ أـصـحـابـهـ أـربـعـةـ آـلـافـ، وـلـجـاـ الـبـاقـيـنـ إـلـىـ سـالـوـسـ، فـحـاصـرـهـمـ الـأـطـروـشـ حـتـىـ اـسـتـأـمـنـوـهـ، وـرـجـعـ عـنـهـ إـلـىـ أـمـدـ.

ثمـ جـاءـ الـحـسـنـ بـنـ القـاسـمـ الـعـلـويـ الدـاعـيـ صـهـرـ الـأـطـروـشـ

وـمـنـ الـحـلـلـ وـدـسـ عبدـ الرـحـمـنـ بـنـ جـعـفـرـ مـنـ مـحبـهـ إـلـىـ الـوـزـيرـ اـبـنـ الـفـراتـ بـذـلـكـ، فـكـتـبـ إـلـىـ مـؤـنـسـ وـهـوـ بـوـاسـطـ يـأـمـرـهـ بـالـعـودـ إـلـىـ فـارـسـ، فـسـارـ وـأـرـسـلـهـ سـيـكـرـيـ أـسـهـ وـسـالـ مـنـهـ الـرـسـاـطـةـ فـيـ أـمـرـهـ، وـشـعـرـ اـبـنـ الـفـراتـ بـعـيلـ مـؤـنـسـ إـلـىـ بـغـدـادـ، وـسـارـ حـمـدـ بـنـ جـعـفـرـ فـهـزـمـ سـيـكـرـيـ عـلـىـ شـيـراـزـ فـخـلـصـ إـلـىـ قـمـ وـمـخـصـ بـهـاـ، وـحـاصـرـهـ حـمـدـ بـنـ جـعـفـرـ ثـمـ خـرـجـ إـلـيـهـ فـهـزـمـهـ ثـانـيـةـ، وـدـخـلـ مـغـارـةـ خـرـاسـانـ فـلـقـيـتـهـ عـساـكـرـ إـسـمـاعـيلـ إـلـىـ بـغـدـادـ، فـجـبـسـاـ مـنـالـكـ وـاسـتـولـ حـمـدـ بـنـ جـعـفـرـ مـنـ الـقـوـادـ عـلـىـ فـارـسـ وـولـ عـلـيـهـ قـيـحاـ خـادـمـ الـأـفـتـينـ، ثـمـ صـارـتـ لـاـيـتـهاـ لـبـرـ اـبـنـ عـبـدـ اللهـ الـحـمـاميـ.

وـفـيـ آـخـرـ سـنـةـ تـسـعـ وـتـسـعـينـ وـمـائـتـينـ قـبـضـ حـرـمـهـ وـقـامـتـ الـهـيـعةـ بـيـغـدـادـ ثـلـاثـةـ أـيـامـ، ثـمـ سـكـنـتـ وـذـلـكـ لـثـلـاثـ سـنـينـ وـثـلـاثـةـ أـشـهـرـ مـنـ وـزـارـتـهـ، فـاسـتـوزـرـ مـكـانـهـ اـبـاـ عـلـيـ حـمـدـ بـنـ يـحـيـيـ بـنـ عـبـدـ اللهـ بـنـ يـحـيـيـ، فـرـتـبـ الـأـمـسـورـ وـولـ عـلـىـ الـدـوـاـوـينـ، ثـمـ زـادـ قـرـفـهـ لـضـيقـ صـدـرـهـ وـطـيـشـهـ وـعـدـولـهـ عـنـ مـذاـهـبـ الـرـيـاسـةـ إـلـىـ الـرـضـاعـةـ، وـمـرـاجـعـةـ أـصـحـابـ الـحـاجـاتـ وـالـحـتـوقـ إـلـىـ مـاـ يـرـيدـ قـضـاءـ مـنـهـ، وـكـثـرـةـ التـولـيـةـ وـالـعـزـلـ وـتـبـجـحـ أـصـحـابـهـ عـلـيـهـ فـيـ إـطـلاقـ الـأـمـرـاـلـ، وـاـنـبـاطـ الـجـاهـ بـيـفـاسـدـ الـأـحـوـالـ، وـاـعـتـمـدـ الـمـقـدـرـ عـلـىـ عـزـلـهـ بـأـبـيـ الـحـسـنـ بـنـ يـحـيـيـ، فـاستـدـعـاهـ مـنـ أـصـبـهـانـ، ثـمـ قـبـضـ عـلـيـهـ وـعـلـىـ أـبـيـ الـحـسـنـ بـيـغـدـادـ، وـأـهـمـلـ رـأـيـ الـوـزـراءـ، وـصـارـ يـرـجـعـ إـلـىـ قـوـلـ النـسـاءـ وـالـخـدـمـ، فـطـمـعـ الـعـمـالـ فـيـ الـأـطـرافـ، ثـمـ أـخـرـجـ اـبـنـ الـفـراتـ مـنـ مـحبـهـ وـجـعـلهـ فـيـ بـعـضـ الـحـجـرـ، وـأـحـسـنـ إـلـيـهـ وـصـارـ يـعـرضـ عـلـيـهـ مـطـالـعـاتـ الـعـمـالـ، وـأـرـادـ أـنـ يـسـتـوزـرـهـ ثـمـ بـدـالـهـ، وـاـسـتـدـعـيـ عـلـىـ بـنـ عـيـسـىـ مـنـ مـكـةـ فـاسـتـوزـرـهـ لـأـلـوـنـ سـنـةـ إـلـيـهـ، وـثـلـاثـةـ، وـقـبـضـ عـلـىـ الـخـاقـانـيـ وـجـبـسـهـ وـعـيـنـ حـرـسـيـاـ عـلـيـهـ، وـقـامـ عـلـىـ بـنـ عـيـسـىـ بـالـرـوـزـارـةـ وـأـصـلـحـ مـاـ أـفـسـدـ الـخـاقـانـيـ وـاـسـتـقـامتـ الـأـمـرـاـ.

### قام أهل صقلية بدعوة المقتدر ثم رجوعهم إلى طاعة المهدى

قد ذكرنا ولاية عليـ بـنـ عمرـ عـلـىـ صـقـلـيـةـ مـنـ عـبـدـ اللهـ الـمـهـدـىـ سـنـةـ تـسـعـ وـتـسـعـينـ، ثـمـ إـنـ أـهـلـ صـقـلـيـةـ اـنـتـقـضـواـ عـلـيـهـ وـولـواـ عـلـيـهـمـ أـحـدـ بـنـ مـوـهـبـ ثـمـ اـنـتـقـضـواـ عـلـيـهـ وـأـرـادـواـ قـتـلـهـ فـدـعـاـ إـلـىـ طـاعـةـ الـمـقـدـرـ وـخـطـبـ لـهـ بـصـقـلـيـةـ، وـقـطـعـ خـطـبـةـ الـمـهـدـىـ وـبـعـثـ الـحـسـنـ بـنـ أـبـيـ خـنـزـيرـ، فـأـحـرـقـوهـ وـقـتـلـواـ الـحـسـنـ وـوـصـلـتـ خـلـعـ السـوـادـ وـالـرـيـةـ لـابـنـ وـهـبـ مـنـ بـغـدـادـ ثـمـ جـاءـ اـسـاطـيلـ الـمـهـدـىـ فـيـ

سنة ثلاثة وثلاثمائة، وكتب إلى مؤنس أن يسir إلى الجزيرة لقتاله  
بعد فراغه من أصحاب العلوى بعصر، فسار رائق أولاً وهزمه  
الحسين، ولحق بهؤنس فأمره بالبقاء بالموصى. وسار نحو الحسين  
وتبعده أحمد بن كيغلخ، وانتهى إلى جزيرة ابن عمر والحسين  
ببارمينية. ورجع الكثير من عسكره إلى مؤنس. ثم بعث مؤنس  
عسكراً في أثره عليهم بليق ومعه سيماء الجزري. وجاء الصفوانى  
وابتاعه فادركتوه، وقاتلواه فهزموه، وجاوزوا به أسيراً ومعه ابنه عبد  
الوهاب وأهله وكثير من أصحابه. وعاد مؤنس إلى بغداد على  
الموصى، فحبسه المقتندر وأغار على أبي الهيجاء بن حدان وجميع  
إخواته وحissهم. ثم أطلق أبا الهيجاء سنة خمس وقتل الحسين سنة  
ست تقريرياً كما نذكر إن شاء الله تعالى.

وزارة ابن الفرات الثانية

كان الوزير أبو الحسن بن الفرات محبوساً كما ذكرنا وكان المقتدر يشاوره ويرجع إلى رأيه، ويغى بعض أصحاب المقتدر بإعادته. وبلغ ذلك الوزير علي بن عيسى فاستغنى ومنعه المقتدر. ثم جاءت في بعض الأيام قهراً من القصر تناوله في نفقات الحرم والخاشية وكسوتهم، فاللهم نائماً فلم يرقطه لها أحد. فرجعت وشككت إلى المقتدر وأمه فقضى عليه في ذي القعدة من ستة أربع وتثلاثمائة، وأعاد ابن الفرات على أن يحمل إلى بيت المال ألف دينار وخمسمائة دينار في كل يوم. وقضى على الوزير من قبله علي بن عيسى والخاقاني وأصحابهما، وصادرهم أبو علي بن مقلة وكان مختلفاً منذ قضى على ابن الفرات فقدمه الآن واستخلصه.

خبر ابن أبي الساج بأذربيجان

قد ذكرنا استقرار يوسف بن أبي الساج على أرمينية وأذربيجان منذ ملكه أخيه محمد سنة ثمان وثمانين وسبعين، وكان على الحرب والصلحة والأحكام، وكان عليه مال يؤديه. فلما ولـيـ الـخـاقـانـ وـعـلـيـ بـنـ عـبـيـسـ الـوـزـارـةـ،ـ وـالتـامـتـ أـمـرـوـرـ يـوسـفـ فيـ الـاسـتـبـدـادـ،ـ وـأـخـرـ بـعـضـ الـمـالـ وـاـجـتـمـعـ لـهـ ماـ يـرـيدـهـ لـذـلـكـ،ـ وـبـلـغـتـهـ تـكـبـةـ الـوـزـيرـ عـلـيـ بـنـ عـبـيـسـ،ـ فـاظـهـرـ أـنـ الـعـهـدـ وـصـلـ إـلـيـ بـرـلـاـيـةـ الـرـيـ عـلـيـ يـدـ عـلـيـ بـنـ عـبـيـسـ.ـ وـكـانـ حـيـدـ بـنـ صـعـلـوـكـ مـنـ قـوـادـ اـبـنـ سـامـانـ قـدـ بـعـثـ عـلـيـ الـرـيـ وـمـاـ يـلـيـهـ،ـ وـقـاطـعـ عـلـيـهـ مـالـ يـحـمـلـهـ فـسـارـ إـلـيـ يـوسـفـ سـتـ أـربعـ وـثـلـاثـةـ فـهـوبـ إـلـىـ خـراـسـانـ وـاسـتـولـ يـوسـفـ عـلـيـ الـرـيـ وـقـزـونـ وـرـخـمانـ،ـ وـكـتـبـ إـلـىـ الـوـزـيرـ بـنـ الـفـراتـ بـالـفـتـمـ وـيـعـتـرـ بـأـنـ طـرـدـ الـمـغـلـيـنـ،ـ وـيـذـكـرـ كـثـرـةـ مـاـ أـنـقـتـ مـنـ ذـلـكـ،ـ

إلى أولئك المستأمين فقتلهم، واستولى الأطروش على طبرستان، ولحق ابن صعلوك بالي سنة إحدى وثلاثين، وسار منها إلى بغداد وكان الأطروش زبدي المذهب، وجميع الذين أسلموا على يده فيما وراء اسعيد ولى إلى آمد كلهم على مذهب الشيعة. ثم إن الأطروش العلوبي تناهى عن آمد إلى سالوس بعد أن غالب عليهما، فبعث إليه صعلوك الري من قبل ابن سامان جيشاً فهزمهم وعاد إلى آمد. ثم زحفت إليه عساكر السعيد صاحب خراسان سنة أربع وثلاثين فقتلوه.

وكان هذا الأطروش عادلاً حسن السيرة لم ير مثله في أيام وأصحابه الصعم من ضربة في رأسه بالسيف في الحرب. وقال ابن مسكوني في كتاب تجارب الأمم ويقال فيه الحسن بن علي الدعوي وليس به، وإنما الداعي الحسن بن القاسم صهره، وستذكره فيما بعد. وكان له من الولد أبو الحسن، وكان قواده من الدليلم جماعة منهم ابن النعمان وكانت له ولية جرجان، وما كان ابن كالي وكان على استبيانه ومعرفة. ثم كان من قواد ولده من الدليلم جماعة آخرون منهم أسفار بن شيروية من أصحاب ما كان ابن كالي ومردواوح بن زياد من أصحاب أسفار، وأسكنى من أصحابه أيضاً، وبنو بورية من أصحاب مردواوح، وسيأتي الخبر عن جميعهم إن شاء الله تعالى.

## غلب المهدى على الإسكندرية ومسير

مؤنس إلى مصر

وفي سنة اثنين وتلائمة بعث عبد الله المهدى عساكره من  
أفريقية إلى الإسكندرية مع قائده خفافيشة الكتابي فغلب عليها وسار  
إلى مصر، وبلغ المقدور فبعث مؤنساً الخادم في العساكر لمحاربه،  
وأمده بالأموال والسلاح، وسار إليهم وقاتلهم فهزهم بعد وقائع  
متعددة، قتل فيها من الفريقين، وبلغ القتل والأسر من المغاربة  
سبعين ألفاً ورجعوا إلى المغرب.

# انتقام الحسين على ابن حمدان بدیار ربيعة وأسره

كان الحسين بن مهдан والياً على ديار ربيعة وطالب الوزير علي بن عيسى بالمال، فدافعه وأمره بتسليم البلاد إلى عمالي السلطان فامتنع، وكان مؤنس الخادم ينصر في محاربة عساكر المهدى صاحب إفريقية، فجهز الوزير إلى ابن مهدان رافقاً الكبير في عسكر

الري وملكتها، وقتل محمد بن سليمان صاحب الخوارج، وبعث إلى المقتدر ذلك، وسئل علي بن عيسى فأنكر وقال: سلما الكتاب والخاشية والعهد واللراء اللذين كان يسير بهما مع بعض القواد والخدم.

## خر سجستان وكرمان

وكانت سجستان قد صارت لابن سامان منذ سنة ثمان وتسعين وماتين، ثم تغلب عليها كثير بن أحمد بن صفهود من يده، فكتب المقتدر إلى عامل فارس وهو بدر بن عبد الله الحمامي أن يرسل العساكر لمحاربتها، ويؤمر عليهم دركاً، ويجعل على الخارج بها زيد بن إبراهيم. فسار العساكر وحاربوا أهل سجستان فهزموهم وأسرموا زيد بن إبراهيم، وكتب كثير إلى المقتدر بالبراءة من ذلك، وطربة أهل سجستان. وأرسل المقتدر أن يسير لقتاله بنفسه، فخاف كثير وطلب المقاطعة على خمسة ألف دينار في كل سنة، فأجيب وقررت البلاد عليه، وذلك سنة أربع وثلاثمائة. وانتقض في هذه السنة بكرمان صاحب الخوارج بها أبو زيد خالد بن محمد المازداني، وسار منها إلى شيراز يروم التغلب على فارس فسار إليه بدر الحمامي العامل، وحاربه فقتلته وحمل رأسه إلى بغداد.

## وزارة حامد بن العباس

وفي سنة ست وثلاثمائة قبض المقتدر على وزيره أبي الحسن بن الفرات بسبب شكوى الجندي بطله أرزاقهم، واعتذر بضيق الأموال للتفقة في حروب ابن أبي الساج، ونقص الأرباع محرر الري عن ملكه. فشبغ الجندي وركبوا، وطلب ابن الفرات من الخليفة إطلاق مائتي ألف دينار من خاصته يستعين بها، فذكر ذلك عليه لأنه كان ضمن القيام بأرزاق الأشخاص وجميع النفقات المرتبة، فاحتاج بنقص الأرباع وبالتفقة في الحرب كما تقدم، فلسم يقبل. ويقال: سعى فيه عند المقتدر بأنه يروم إرسال الحسين بن حдан إلى أبي الساج فيحاربه، وإذا سار عنده اتفقا على المقتدر، فقتل المقتدر ابن حدان وقبض على ابن الفرات في جادى الآخرة، وكان حامد بن العباس على الأعمال بواسطه، وكان منافراً لابن الفرات، وسعى به عنده بزيادة ارتباعه على ضمائه، فخشى عليه حامد على نفسه.

وكتب إلى نصر الحاجب والي والده المقتدر سعة نفسه وكثرة ارتباعه، وذلك عند استيحاشه من ابن الفرات، فاستقدمه من بواسطه، وقبض على ابن الفرات وابنه الحسن وأتباعهما، واستولز

وانه كان بأمر الوزير علي بن عيسى وعهده إليه بذلك فأستعظم المقتدر ذلك، وسئل علي بن عيسى فأنكر وقال: سلما الكتاب والخاشية والعهد واللراء اللذين كان يسير بهما مع بعض القواد والخدم.

فكتب ابن الفرات بالتكير على يوسف، وجهز العساكر لحربه مع خاقان المقلحي، ومعه أحمد بن مسروور البلاخي، وسينا الخزري، ومحير الصغير، وساورا سنة خمس وثلاثمائة فهزمهم يوسف وأسر منهم جماعة فبعث المقتدر مؤنساً الخادم في جيش كثيف لمحاربته وعزل خاقان المقلحي عن أعمال الجبل، وولها محريراً الصغير. وسار مؤنس واستأمن له أحد بن علي آخر صعلوك فامنه وأكرمه، وبعث ابن أبي الساج في المقاطعة على أعمال الري بسبعمائة ألف دينار سوى أرزاق الجندي والخدم، فأبى له المقتدر من ذلك غفرة على ما أقدم عليه، وول على ذلك العمل وصيفاً البكتيري، وطلب ابن أبي الساج أن يقاطعه على ما كان بيده قبل الري من أذربيجان وأرمينية، فلاب المقتدر إلا أن يحضر في خدمته.

فلما يشن ابن أبي الساج إلى مؤنس وقاتلته، فانهزم مؤنس إلى زنجان وقتل من قواه جماعة، وأسر هلال بن بدر وغيره فحبسهم يوسف في أربيل، وأقام مؤنس بزنغان بجميع العساكر يستمد من المقتدر وابن أبي الساج يراسله في الصلح، والمقتدر لا يحب إلى ذلك. ثم قاتله مؤنس في فاتح سنة سبع وثلاثمائة عند أربيل فهزمه وأسره وعاد به إلى بغداد أسيراً، فحبسه المقتدر وول مؤنس على الري ودبناوند وقرزون وأبهر وزنجان علي بن وهشودان وجعل أموالها لرجاله، وول مؤنس على أصبهان وقم وقاشان أحد بن علي بن صعلوك، وسار عن أذربيجان فوثب سبک مول يوسف بن أبي الساج فملكتها واجتمع عليه عسكرو فول مؤنس بن محمد بن عيد الفارقي وسار بمحاربة سبک فانهنم وعاد إلى بغداد.

وتمكن سبک في أذربيجان وسأل المقاطعة على مائتي ألف وعشرين ألف دينار في كل سنة. فأجيب وعقد له عليهما، وكان مقيناً بقرزون فقتله على مراسة وتحق بيده، فول المقتدر وصيفاً البكتيري مكانه على أعمال الري، وول محمد بن سليمان صاحب الجيش على الخوارج بها، ثم ثب أحد بن علي بن صعلوك صاحب أصبهان وقم على الري، فملكتها وكتب إليه المقتدر بالتكير، وأن يعود إلى قم، فعاد ثم أظهر الخلاف وأجمع المسير إلى الري، وسار وصيف البكتيري لحربه. وأمر محير الصغير أن يسير مددًا لبكتيري، فسبقهم أحد بن صعلوك إلى

عندلهم وكثير الموتى في الناس والخيل فارتحلوا راجعين إلى بلادهم  
وسار عساكر مصر في أثرهم حتى أبعدوا.

بقية خبر ابن أبي الساج

قد تقدم لنا أن مؤنساً حارب يوسف بن أبي الساج عامل أذربيجان فأسره وحمله إلى بغداد فحبس بها، واستقر بعده في عمله سبك مولاه. ثم إن مؤنساً شفع فيه سنة عشر. فأطلقه المقتندر وخلع عليه ثم عقد له على أذربيجان وعلى الري وقزوين وأبهر وزنجان وعلى خسمائة ألف دينار في كل سنة سوی أرزاق العسكري. وسار يوسف إلى أذربيجان ومعه وصيف البكتيري في العسكري، ومر بالموصل فنظر في أعمالها وأعمال ديار ربيعة. وقد كان المقتندر تقدم إليه بذلك. ثم سار إلى أذربيجان وقد مات مولاه سبك، فاستولى عليها وسار سنة إحدى عشرة إلى الري وكان عليهما أحد بن علي آخر صعلوك، وقد اقتطعها كما قدمنا، ثم انقضى على المقتندر وهادن ما كان ابن كالي من قواد الدليل القائم بدعوة أولاد الأطروش في طبرستان وجرجان.

ولما سار من الري كتب المقدّر إلى السعيد نصر بن سامان  
بولاية الري وأمره بالمسير إليها وأخذها من فاتك مولى يوسف،  
فسار إليها فاتح أربع عشرة، فلما انتهى إلى جبل قارن منعه أبو  
نصر الطبرى من العبور، وينزل له ثلاثين ألف دينار فترك سبيله  
وسار إلى الري فملكتها من يد فاتك وأقام بها شهرين، وولى عليها  
سيجيرور الدوانى وعاد إلى مخارى. ثم استعمل على الري محمد  
بن أبي صعلوك فاتقها إلى شعبان سنة ست عشرة وأصابه  
مرض، وكاتب الحسن بن القاسم الداعي وما كان ابن كالي أميرى  
الدليل في تسلیم الري إليهم، فقدموا وسار عنها ومات في طريقه.

حامداً فلم يوف حقوق الوزارة ولا سياستها، وتحاشى عليه الدواوين فأطلق المقتدر على بن عيسى وأقامه على الدواوين كالنائب عن حامد. فكان يزاحمه واستبد بالأمور دونه ولم يبق حامد أمر عليه فأجابه ابن الفرات بأسفه منه وقال لشفيع اللؤلوي: قل لأمير المؤمنين حامد إنما حمله على طلب الوزارة، أني طالبته بأكثر من ألف دينار من فضل ضمانته، فاستشاط حامد وزاد في السفة، فألف المقتدر من رد ابن الفرات إلى محبسه، ثم صودر وضرب ابنه الحسن وأصحابه وأخذت منهم الأموال. ثم إن حامداً لما رأى استطالة علي بن عيسى عليه وكثرة تصرفة في الوزارة دونه، ضمن للمقتدر أعمال الخوارج والضياع الخاصة والمستحدثة والقرارية، بسوان بغداد والكوفة وواسط والبصرة والأهواز وأصبهان، واستأنفه في الاتخاذ إلى واسط لاستخراج ذلك فأخذ رأس الوزارة له وأقام علي بن عيسى يدير الأمور، فاظهر حامد سوء تصرف في الأموال، ويسط المقتدر يده حتى خافه علي بن عيسى. ثم تحرك السعر ببغداد فشغبت العامة ونهبوا الغلال، لأن حامداً وغيره من القواد كانوا يخزنون الغلال. وأحضر حامد لهم فحضر فقاتلوه، وفتحوا السجون ونهبوا دار الشرطة. وأنفذ المقتدر غريب الحال في العسكر، فسكن الفتنة وعقب المصديرين للشر، وأمر بفتح المخازن التي للحظة وبيعها، فرخص السعر وسكن إلى منع الناس من بيع الغلال في البيادر وخرزها فرفع الضمان عن حامد، وصرف عماله عن السواد ورد ذلك لعلي بن عيسى وسكن الناس.

وصول ابن المهدى وهو أبو القاسم إلى ابنه

وفي سنة سبع وثلاثمائة بعث المهدى صاحب أفريقية أبا القاسم في العساكر إلى مصر فوصل إلى الإسكندرية في ربيع الآخر وملكتها، ثم سار إلى مصر ونزل بالجizة واستولى على الصعيد، وكتب إلى أهل مكة في طاعته فلم يجيئوا. وبعث المقدار مؤنساً والخادم إلى مصر لدافنه، فكانت بينهم حروب كثيرة القتلى من الجانبين، وكان الظهور المؤنس ولقب يومئذ بالظفر. ووصل من أفريقية أسطول من ثمانين مركباً مदداً للقائهم، وعليهم سليمان الخادم ويعقوب الكاتمي، وأمر المقدار بأن يسير إليهم أسطول طرسوس فسار في خمسة وعشرين مركباً وعليهم أبوهين، ومعهم العدد والأنفاط، فغلبوا أسطول أفريقية وأحرقوا أكثر مراكبه. وأسر سليمان الخادم ويعقوب الكاتمي في جماعة قتل وعاد إلى أفريقية وانقطع المدد عن عسكر المغاربة، فوسم الغلاء

وبسبعينة ألف دينار، وصادر جماعة من الكتاب سواهم ونكتبهم. وجاء مؤنس من غزاته فأنهى إليه أفعال ابن الفرات وما يعتمده من المصادرات والنكبات وتعذيب ابنه للناس، فخافه ابن الفرات وخوف المقتدر منه. وأشار بسيره إلى الشام ليقيم هنالك بالغرة، فبعثه المقتدر وأبعده.

ثم سعى ابن الفرات بنصر الحاجب وأغراء به واطمعه في ماله وكان مكتراً واستجار نصر بام المقتدر. ثم كثر الإراجات بابن الفرات، فخاف وأنهى إلى المقتدر بأن الناس عادوه لتصحه للسلطان واستيقاه حقوقه، وركب هو وإبنه الحسن إلى المقتدر فوصلهما إليه واسمهما، وخرجما من عنده فمنعهما نصر الحاجب، ودخل مقلح على المقتدر وأشار إليه بعزله، فأسرَ إليه وفاته على ذلك، وأمر بتخلية سبيهما. واختفى الحسن من يومه. وجاء نازرока وبليق من الغد في جماعة من الجند إلى دار ابن الفرات فآخر جوهر حافياً حاسراً، وحمل إلى مؤنس المظفر ومعه هلال بن بدر، ثم سلم إلى شفيع اللولوي فحبس عنده وصور على ألف الف دينار، وذلك ستة اثنى عشرة. وكان عبد الله أبو القاسم بن علي بن محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان لما تغير حال ابن الفرات سعى في الوزارة، وضمن في ابن الفرات وأصحابه الفyi ألف دينار على يد مؤنس الخادم وهارون بن غريب الحال ونصر الحاجب، فاستوزره المقتدر على كراهية فيه، ومات أبوه علي على وزارته. وشفع إليه مؤنس الخادم في إعادة علي بن عيسى من صناعه، فكتب له في العود ومشاركة أعمال مصر والشام، وآقام الحسن بن الفرات مخفياً مدة. ثم جاءت امرأة إلى دار المقتدر تنادي بالنصيحة، فلحضرها نصر الحاجب فدللت على الحسن، فأحضره نازروك صاحب الشرطة، وسلم للوزير وعذب بتنوع العذاب، فسلم يستخرج منه شيء فأمر المقتدر حمله إلى أبيه بدار الخلافة، وجاء الوزير أبو القاسم الخاقاني إلى مؤنس وهارون ونصر فحدرهم شأن ابن الفرات وغاثاته بدار الخلافة، وأغراهم به، فوضعوا القواد والجند وقالوا: لا بد من قتل ابن الفرات وولده، ووافق هؤلاء على ذلك فأمر نازروك بقتلهم فذبحهم.

وجاء هارون إلى الوزير الخاقاني يهنته بذلك فأشغى عليه، ثم أفاق وأخذ منه الفyi دينار وشفع مؤنس المظفر في ابنه عبد الله وأبي نصر فأطلقهما ووصلهما بعشرين ألف دينار. ثم عزل الخاقاني سنة ثلاثة عشرة لأنه أصابه المرض وطال به، وشغب الجند في طلب أرزاقهم فوقفت به الأحوال، وعزله المقتدر وولى مكانه أبي العباس الخصي وكان كاتباً لأمه فقام بالأمر، وأقر على عيسى على أعمال مصر والشام، فكان يتعدد إليهما من مكة، ثم

واستولى الداعي والديلم عليها.

## بقية الخبر عن وزراء المقتدر

قد تقدم الكلام في وزارة حامد بن العباس وأن علي بن عيسى كان مستبداً عليه في وزارة، وكان كثيراً ما يطرح جانبه وسيء في ترقعاته على عماله. وإذا اشتكي إليه أحد من نوابه يروع على القصة إنما عقد الضمان على الحقوق الواجبة فليكشف الظالم عن الرعية. فائف حامد من ذلك واستاذن في المسير إلى واسط للنظر في ضمانته، فإذا له ثم كثرت استغاثة الخدم والخاشية من تأخر أرزاقهم وفسادها، فإن علي بن عيسى كان يؤخرها وإذا اجتمعـت عـدة شـهـرـ أـسـقـطـوا بـعـضـهاـ، وكـثـرـ السـعـيـةـ وـاسـتـغـاثـاتـ العـمـالـ وـجـعـيـعـ أـصـحـابـ الـأـرـزـاقـ بـاـنـهـ حـطـ منـ أـرـزـاقـهـ شـهـرـينـ مـنـ كـلـ سـنـةـ، فـكـثـرـتـ الـفـتـتـةـ عـلـىـ حـامـدـ، وـكـانـ الـحـسـنـ اـبـنـ الـوـزـيـرـ اـبـنـ الـفـرـاتـ مـعـلـقاًـ بـمـفـلـحـ الـأـسـوـدـ خـالـصـةـ الـخـلـيفـةـ الـمـقـتـدـرـ وـكـانـ شـفـقـيـهـ لـأـبـيهـ، وـجـرـىـ بـيـنـ وـبـنـ حـامـدـ يـوـمـاًـ كـلـامـ، فـأـسـاءـ عـلـيـهـ حـامـدـ وـحـقـدـ لـهـ.

وكتب ابن الفرات إلى المقتدر وضمن له أموالاً فأطلقه واستوزره، وقبض على علي بن عيسى وجسه في مكانه، وذلك ستة إحدى عشرة، وجاء حامد من واسط فيبعث ابن الفرات من يقبض عليه، فهو هرب من طريقه واختفى ببغداد. ثم مضى إلى نصر بن الحاجب سرراً وسائل يصله إلى المقتدر، وأن يحيى بدار الخلافة، ولا يمكن ابن الفرات منه. فاستدعى نصر الحاجب مقلحاً الخادم حتى وقفه على أمره وشفع له في رفع المواجهة بما كان منه، فمضى إلى المقتدر وفاوضه بما أحب، وأمر المقتدر بإسلامه لابن الفرات فجسده مدة ثم أحضره وأحضر له القضاة والعمال، ونظره فيما وصل إليه من الجهات فاتر ببحار ألف الف دينار. وضمنه الحسن بن الفرات بخمسة ألف دينار فسلم إليه وعذبه أنواعاً من العذاب، وبعثه إلى واسط ليبيع أمواله هناك فهلك في طريقه بيسراه أصبه.

ثم صودر على بن عيسى على ثلثمائة ألف دينار وعذبه الحسن بعد ذلك عليها فلم يستخرج منه شيئاً وسيره ابن الفرات أيام عطلته وجسه بعد أن كان رياه وأحسن إليه، فقبض عليه مدة ثم أطلقه، وقبض على ابن الجوزي وسلمه إلى ابنه الحسن، فعذبه ثم بعثه إلى الأهواز لاستخراج الأموال، فضرره الموكل به حتى مات. وقبض أيضاً على الحسين بن أحمد - وكان تولى مصر والشام - وعلى محمد بن علي المارداني وصادرهما على ألف الف

مقالة متهماً بالليل إليه فافتقد مغيبة في بعض الوجوه قبض عليه  
المقتدر، فلما جاء مؤنس سال في إعادته فلم يجده المقتدر أراد قتله  
فمنعه، واسترزق المقتدر سليمان بن الحسن وأمر علي بن عيسى  
بمشاركه في الاطلاع على الدواوين، وصودر ابن مقالة على مائتي  
الف دينار، وأقام سليمان في وزارته ستة وشهرين وعلى بن  
عيسى بمشاركه في الدواوين، وضاقت عليه الأحوال إضافة شديدة،  
وكبرت المطالبات ووقفت وظائف السلطان.

ثم أفرد السواد بالولاية فانقطعت مواد الوزير لأنه كان يقيم من قبله من يشتري توقعات الأرزاق من لا يقدر على السعي في تحصيلها من العمال والفقهاء وأرباب البيوت، فيشتريها بنصف المبلغ فيتعرض بعض من كان يتمتع بملحق الخادم لتحصيل ذلك للخليفة، وتوسط له مفلاح فدافع لذلك وجاهر في تحصيله من العمال، فاختلت الأحوال بذلك وفضح الديوان ودفعت الأحوال لقطع منانع الوزراء والعمال التي كانوا يرتفقون بها، وإهمالهم أمرور الناس بسبب ذلك. وعاد الخلل على الدولة وتحرك المرشحون للوزارة في السعاية وضمان القيام بالوظائف وأرزاق المجندة. وأشار مؤنس بوزارة أبي القاسم الكلوازي فاستوزره المقترن في رجب من سنة تسمى عشرة وأقام في وزارته شهرين.

وكان بيغداد رجل من المخربين يسمى الدانيالي، وكان ورافق ذكياً حتاً يكتب الخطوط في الورق ويداوها حتى تسم بالليل. وقد أودعها ذكر من يراه من أهل الدولة برموز وإشارات، ويفقسم له فيها من حظرظل الملك والجاه والتمكين قسمة من عالم الغيب، يوهم أنها من الحدثان القديم المأثور عن دانيال وغيره، وأنها من الملائكة التوارثة عن آبائه، ففعل مثل ذلك بمقلح. وكتب له في الأوراق م م بآن يكون له كذا وكذا، وساله مقلح عن المسم فقال: هو كنيبة عنك لأنك مقلح مولى المقذر. وناسب بينه وبين علامات مذكورة في تلك الأوراق حتى طبقها عليه، فشغف به مؤنس وأغايه. وكان يداخل الحسين بن القاسم بن عبد الله بن وهب، فرمز اسمه في كتاب وذكر بعض علاماته النبطقة عليه، وذكر أنه يستوزره الخليفة الثامن عشر من بنى العباس، وتستقيم الأمور على يديه، ويقهر الأعداء وتعمر الدنيا في أيامه وخلط ذلك في الكتاب بحدثان كثير وقع بعضه ولم يقع الآخر.

وقرأ الكتاب على مفلح فأعجبه، وجاء بالكتاب إلى المقدّر فأعجب به الآخر، وقال لملحق: من تعلم بهذه القصة؟ فقال: لا أراه إلا الحسين بن القاسم. قال: صدقت واني لأميإليه، وقد كان المقدّر أراد ولايته قبل ابن مقلة وب قبل الكلواذى، فامتنع مؤنس. ثم قال المقدّر لملحق: إن جهاتك رقة منه بالسعي في

إن الشخصي اضطربت أموره وضاقت الجيابية، وكان مدمناً للسكر  
مهماً للأمور، ووكل من يقوم عنه فأثروا مصالحه وأصاعوا  
مصلحةه. وأشار مؤسس المظفر بعزمه وولايته ابن عيسى، فعزل  
لسنة وشهرين.

واسقدم علي بن عيسى من دمشق وأبا القاسم عبد الله بن محمد الكلواذى بالنيابة عنه إلى أن يحضر، فحضر أول سنة خمس عشرة واستقل بأمر الوزارة، وطلب كفالات المصادرين والعمال، وما ضمن من الأموال بالسود والأهواز وفارس والمغرب، فاستحضرها شيئاً بعد شيء، وأدار الأرزاق ووسط العطاء وأسقط أرزاق المتنين والمسامرة والنندمان والصفاعنة وأسقط من الجند أصحاب الأولاد ومن ليس له سلاح والهرمي والزمي، وبإشرالأمور بنفسه واستعمل الكفالة وطلب أبا العباس الخصي في الماناظر، وأحضر له الفقهاء والقضاة والكتاب، وسأله عن أمواله الخوارج والنواحي والمصادرات وكفالاته، وما حصل من ذلك وما الوسائل والبرائقي؟ فقال: لا أعلم. فسأله عن المال الذي سلمه لابن أبي الساج كيف سلمه بلا مصرف ولا منفق، وكيف سلم إليه أعمال المشرق، وكيف بعثه لبلاد الصحراء بهجره وأصحابه من أهل الغلول والخصب؟ فقال: ظلت منهم القدرة على ذلك.

وامتنع ابن أبي الساج من المتفق فقال: وكيف استجزرت ضرب حرم المصادر؟ فسكت، ثم سئل عن الشراج فخالط فقال: أنت غررت أمير المؤمنين من نفسك فهلا استغترت بعدم المعرفة. ثم أعيد إلى محبسه واستمر علي بن عيسى في ولايته. ثم اضطربت عليه الأحوال واختلفت الأعمال، ونقص الارتباط نقصاً فاحشاً، وزادت النفقات، وزاد المقتدر تلك الأيام في نفقات الخدم والحرم ما لا يحصى، وعاد الجندي من الأنبار فزادهم في أرزاقهم مائتين وأربعين ألف دينار. فلما رأى ذلك علي بن عيسى ويش من انقطاعه أو توقفه، وخشي من نصر الحاجب، فقد كان الحرف عنه لميل مؤنس إليه وما بينهما من المنافة في الدولة، فاستعنف من الوزارة واللح في ذلك وسكنه مؤنس فقال له: أنت سائر إلى الرقة، وأخشى على نفسى بعده.

ثم فاوض المقتدر نصر الحاجب بعد مسیر مؤنس فأشار  
بوزارة أبي علي ابن مقلة، فاستقرر المقتدر سنة ست عشرة  
وفرض على علي بن عيسى وأخيه عبد الرحمن، وأقام ابن مقلة  
بالوزارة وأعانه فيها أبو عبد الله البريدي لمردة كانت بينهما  
واستمرت حالة على ذلك. ثم عزله المقتدر ونكبه بعد ستين  
وأربعة أشهر حين استوحش من مؤنس كما ذكره. وكان ابن

فنيت أزوادهم وكان معهم أبو الهيجاء بن حمدان صاحب طريق الكوفة. ثم أغار عليهم أبو طاهر فأوقع بهم وأسر أبا الهيجاء أحد بن بدر من أخوال المقتدر، ونهب الأمة وسبي النساء والصبيان، ورجع إلى هجر.

ويقي الحاج ضاحين في القفر إلى أن هلكوا، ورجع كثير

من الحرم إلى بغداد، وأشغبوا واجتمع معهم حرم المكتوبين أيام ابن الفرات، فكان ذلك من أسباب نكبه. ثم أطلق أبو طاهر الأسرى الذي عنده ابن حمدان وأصحابه، وأرسل إلى المقتدر يطلب البصرة والأهواز، فلم يجده وسار من هجر لاعتراض الحاج، وقد سار بين أيديهم جعفر بن ورقاء الشيباني في الف رجل من قومه، وكان صاحب أعمال الكوفة وعلى الحاج بمثل صاحب البحر وجنا الصفوانى وطريف اليشكري وغيرهم في ستة آلاف رجل، فقاتل جعفر الشيباني أولاً وهزمها. ثم اتبع الحاج إلى الكوفة فهزم عسكرهم وفك فيهم، وأسر جنا الصفوانى، وهرب الباقيون. وملك الكوفة، وأقام بظاهرها ستة أيام يقيم في المسجد إلى الليل ويبيت في عسكره وحل ما قدر عليه من الأموال والمتساع ورجع إلى هجر.

ووصل المهزمون إلى بغداد فقدم المقتدر إلى مؤنس بالخروج إلى الكوفة فسار إليها بعد خروجهم عنها، واستخلف عليها ياقوتاً ومضى إلى واسط ليمان أبا طاهر دونها، ولم يجع أحد هذه السنة وبعث المقتدر سنة أربع عشرة عن يوسف بن أبي الساج من أذربيجان وسيره إلى واسط لحرب أبي طاهر. ورجع مؤنس إلى بغداد وخرج أبو طاهر سنة خمس عشرة وقصد الكوفة وجاء الخبر إلى ابن أبي الساج فخرج من واسط آخر رمضان يسابق أبا طاهر إليها، فسبقه أبو طاهر وهرب العمال عنها واستولى على الأتراك والعلوفات التي أعدت بها. ووصل ابن أبي الساج ثامن شوال بعد وصول أبي طاهر يوم وبعث يدعوه إلى الطاعة للمقتدر، فقال: لا طاعة إلا لله فاذنه بالحرب وتزاحفوا يوماً إلى الليل.

ثم انهزم أصحاب ابن أبي الساج وأسرموا ووكل أبو طاهر طيباً يعالج جراحته، ووصل المهزمون ببغداد فارجعوا بالهرب، ويز مؤنس المظفر لقصد الكوفة. وقد سار القرامطة إلى عين التمر فبعث مؤنس من بغداد خسمائة سرية ليمنعهم من عبور الفرات. ثم قصد القرامطة الآثار وزلوا غربى الفرات، وجاوزوا بالسفن من المدينة، فجاز فيها ثلاثة منها منهم، وقاتلا عسكر الخليفة فهزموهم واستولوا على مدينة الآثار. وجاء الخبر إلى بغداد فخرج الحاج في العساكر ولحق مؤنس المظفر واجتمعوا في نيف

الوزارة فأعرضها علىي. ثم سأله مقلع الدانيسي من أين لك الكتاب؟ قال: وراثة من آبائي وهو من ملاحم دانيال. فأنهى ذلك إلى المقتدر وأغبطوا بالحسين وبلغ الخبر إليه، فكتب إلى مقلع بالسعى في الوزارة، فعرض كتابه على المقتدر فأمره بإصلاح مؤنس.

وأتفق أن الكلواذى عمل حساباً بما يحتاج إليه من النفقات الزائدة على الحاصل، فكانت سبعمائة ألف دينار وكتب عليه أهل الديوان خطوطهم، وقال: ليس لهذه جهة إلا ما يطلقه أمير المؤمنين. فعظم ذلك على المقتدر، وأمر الحسين بن القاسم أن يضمن جميع النفقات وزيادة ألف ألف دينار لبيت المال. وعرض كتابه على الكلواذى فاستقال، وأذن للكلواذى لشهرين من وزارته، وولى الحسين بن القاسم واشترط أن لا يشاركه علي بن عيسى في شيء من أموره، وإنزاحه الصافية. واختص به الحسين بن البزيدى وابن الفرات. ولما ولى واطلع على تقصان الارتفاع وكثرة الإنفاق وضاق عليه الأمر فتعجل الجبابة المستقبلة، وصرفها في الملاضية. وبلغ ذلك هارون بن غريب الحال فأنهاء إلى المقتدر، فرتب معه الخصي واطلع على حسابه، فلائق له حسبة ليس فيها رمزه. فأظهر ذلك المقتدر جميع الكتاب واطلعوا عليها وقابلوا الوزير بتصديق الخصي فيما قاله، وقبض على الحسين بن القاسم في شهر ربيع من ستة عشرين لسبعين شهر من ولايته. واستورز أبا الفتح الفضل بن جعفر وسلم إليه الحسين فلم يوازنها بإساته ولم يزل على وزارته.

## أخبار القرامطة في البصرة والكوفة

كان القرامطة قد استبد طائفة منهم بالبحرين وعليهم أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد البخاني، ورث ذلك عن أبيه واقتطعوا ذلك العمل بأسره عن الدولة، كما يذكر في أخبار دولتهم عند إفادتها بالذكر، فقد أبو طاهر البصرة سنة إحدى عشرة ومائتين وبها سبط مقلع، تكبسها ليلاً في الفين وسبعمائة، وتستنموا الأسوار بالحرب، وركب سبك فقتلوا ووضعوا السيف في الناس فافحشوها في القتل وفرق كثير في الماء، وأقام أبو طاهر بها سبعة عشر يوماً، وحل ما قدر عليه من الأموال والأمتنة والنساء والصبيان وعاد إلى هجر. وولى المقتدر على البصرة محمد بن عبد الله الفارقى فأخذ إليها بعد انصرافهم عنها. ثم سار أبو طاهر القرمطي سنة اثنى عشرة معتضاً للحاج في رجوعهم من مكة، فاعتراض أولائهم ونهبهم، وجاء الخبر إلى الحاج وهم بعيد، وقد

بالناس منصور الديليسي، فلما كان يوم التروية، نهب أبو طاهر أموال الحجاج وقتله فيهم بالقتل حتى في المسجد والكببة، وأقاتل الحجر الأسود وحمله إلى هجر، وخرج إليه أبو مخلب أمير مكة في جماعة من الأشراط، وسألوه فلم يسعفهم، وقاتلوه فقتلهم وقطع باب البيت، وأسعد رجلاً يقتل الميزاب فقط فمات، وطرح القتلى في زمزم ودفن الباقين في المسجد حيث قتلوا، ولم يغسلوا ولا صلي عليهم ولا كفناوا، وقسم كسوة البيت على أصحابه ونهب بيوت أهل مكة. وبلغ الخبر إلى المهدي عبيد الله بأفريقية وكانتوا يظهرون الدعاء له، فكتب إليه بالنكير واللعنة وتهنده على الحجر الأسود فرده وما أملكه من أموال الناس واعتذر عن بقية ما أخذوه بافترائه في الناس.

## خلع المقتدر وعوده

كان من أول الأسباب الداعية لذلك أن فتنة وقعت بين ماجورية هارون الحال ونازوك صاحب الشرطة في بعض مذاهب الفواحش، فحبس نازوك ماجوريه هارون، وجاء أصحابه إلى محبس الشرطة ووثبوا بنايته وأخذوا أصحابهم من الحبس. ورفع نازوك الأمر إلى المقتدر فلم يعد أحداً منها لكانهما منه، فعاد الأمر بهم إلى المقابلة وبعث المقتدر إليهما بالنكير فأقصراه واستوحش هارون، وخرج بأصحابه ونزل البستان النجمي وبعث إليه المقتدر يسترضيه، فأرجف الناس أن المقتدر جعله أمير الامراء، فشق ذلك على أصحابه مؤنس، وكان بالرقة فكتبوا إليه فاسرع العود إلى بغداد ونزل بالشمسية مسترحاً من المقتدر ولم يلقه، وبعث ابنه أبي العباس وزيره ابن مقلة لتلقيه وإليناسه فلم يقبل، وتمكت الوحشة وأسكن المقتدر ابن خاله هارون معه في داره فزاد نفور مؤنس.

وجاء أبو العباس بن حдан من بلاده في عسكر كبير، فنزل عند مؤنس وتردد الأئمة بين المقتدر ومؤنس، وسار إليه نازوك صاحب الشرطة، وجاءه بي بن قيس، وكان المقتدر قد أخذ منه الدينور وأعادها إليه مؤنس، واشتمل عليه. وجمع المقتدر في داره هارون بن غريب وأحد بن كيغلن والعلماني الحجري والرجال المصافية، ثم انتقض أصحاب المقتدر وجاوزوا إلى مؤنس وذلك في فتح سنة سبع عشرة. فكتب مؤنس إلى المقتدر بأن الناس ينكرون سرفه فيما انقطع الحرم والخدم من الأموال والضياع ورجوعه إليهم في تببير ملكه، ويطالبه بإخراجهم من الدار وإخراج هارون بن غريب معهم، وانتزع ما في أيديهم من الأموال والأملاك.

وأربعين ألف مقاتل إلى عسكر القرامطة ليخلصوا ابن أبي الساج فقاتلهم القرامطة وهزموهم. وكان أبو طاهر قد نظر إلى ابن أبي الساج وهو يستشرف إلى الخلاص، وأصحابه يشيرونه، فأحضره وقتله وقتل جميع الأسرى من أصحابه، وكثير المرح يبغداد واقتدوا السفن بالانحدار إلى واسط ومنهم من نقل ماته إلى حلوان. وكان نازوك صاحب الشرطة فأكثر الطوف بالليل والنهر، وقتل بعض الدمار فأقصروا عن....

ثم سار القرامطة عن الأنبار فاخته ستة عشرة ورجع مؤنس إلى بغداد وسار أبو طاهر إلى الرحمة فملكتها واستباحها، واستأنف إلى أهل قرقيسيا فأنهم، وبعث السرايا إلى الأعراب بالجزيرة فنهبوا وهرموا بين يديه، وقدر إليهم الأتاوة في كل سنة يحملونها إلى هجر. ثم سار أبو طاهر إلى الرقة وقاتلها ثلاثة، وبعث السرايا إلى رأس عين، وكفر ترثا وسنجار فاستأنفوا عليهم، وخرج مؤنس المظفر من بغداد في العسكر وقصد الرقة، فسار أبو طاهر عنها إلى الرحمة ووصلها مؤنس، وسار القرامطة إلى هيست، فامتنعت عليهم فساروا إلى الكوفة. وخرج من بغداد نصر الحاجب وهارون بن غريب وبني بن قيس في العساكر إليها، ووصلت جند القرامطة إلى قصر ابن هبيرة. ثم مرض نصر الحاجب واستخلف على عسكره أحد بن كيغلن، وعاد فمات في طريقه، وولى مكانه على عسكره هارون بن غريب، وولى مكانه في الحجة ابنه أحد. ثم انصر القرامطة إلى بلادهم، ورجع هارون إلى بغداد في شوال من السنة. ثم اجتمع بالسوداج جماعات من أهل هذا المذهب بواسط وعين التمر، وولى كل جماعة عليهم رجالاً منهم، فولى جماعة بواسط حرث بن مسعود، وجماعة عين التمر عيسى بن موسى وسار إلى الكوفة ونزل بظاهرها وصرف العمال عن السوداج، وجبي الخراج. وسار حرث إلى أعمال المؤفت وبنى بها داراً سماها دار المجرة، واستولى على تلك الناحية. وكان صاحب الحرب بواسط بي بن قيس فهو مسموه، فبعث إليه المقتدر هارون بن غريب في العساكر، وإلى قرامطة الكوفة صافياً الصوري، فنهبوا من كل جانب وجاؤوا بأعلامهم يضعوا عليها مكتوب «وَتُرِيدُ أَنْ تُمْنَنَ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضْعَفُوا فِي الْأَرْضِ» الآية، وأدخلت إلى بغداد منكوبة، وأضمحل أمر القرامطة بالسوداج.

## استيلاء القرامطة على مكة وقلعهم الحجر الأسود

ثم سار أبو طاهر القرامي سنة تسع عشرة إلى مكة وحج

الوزير ونازوك، فقال لنازوك: اخرج إليهم فسكنهم فخرج وهو متحامل من الخمار فقدم إلى الرجال للشكوى بمحالهم ورأى السيف في أيديهم فهرب، فحدث لهم الطمع فيه وفي الدولة، واتبعوه فقتلوا وخادمه عجيناً ونادوا بشعار المقدار.

وهرب كل من في الديار من سائر الطبقات وصلبوا نازوك وعجيناً على شاطئ دجلة. ثم ساروا إلى دار مؤنس يطلبون المقدار، وأغلق الخادم أبواب دار الخليفة، وكانوا كلهم صنائع المقدار، وقصد أبو الهيجاء حدان الفرات فتعلق به القاهر واستقدم به، فقال له: أخرج معك إلى عشيرتي أقتل دونك فوجد الأبواب مغلقة فقال له ابن حدان: قف حتى أعود إليك ونزع ثيابه ولبس بعض الخلقان، وجاء إلى الباب فوجده مغلقاً والناس من ورائه، فرجع إلى القاهر وتماماً بعض الخادم على قتله، فقاتلهم حتى كشفهم، ودخل في بعض مسارب البستان فجاوزوه فخرج إليهم فقتلوه وحملوا رأسه. وانتهى الرجال إلى دار مؤنس يطلبون المقدار فسلمه إليهم وحملوه على رقبائهم إلى دار الخليفة، فلما توسط الصحن النبوي أطمان وسال عن أخيه القاهر وابن حدان وكتب لهاما الأمان بخطه، وبعث فيما فقيل له: إن ابن حدان قد قتل، فعظم عليه وقال: والله ما كان أحد بسيف في هذه الأيام غيره، وأحضر القاهر فاستدنه وقبل رأسه وقال له: لا ذنب لك ولو لقبوك المقهور لكان أولى من القاهر وهو يكي ويطارح عليه حتى حلف له على الأمان، فانبسط وسكن. وطيف برأس نازوك وابن حدان وخرج أبو نفيس هارباً من مكان استثاره إلى الموصل، ثم إلى أرمينية، ولحق بالقططنية فتصر، وهرب أبو سرياناً آخر أبي الهيجاء إلى الموصل، وأعاد المقدار أبا علي بن مقلة إلى الوزارة، وأطلق للجند أرزاقهم وزادهم. وبيع ما في الخزائن بأرخص الأثمان وأذن في بيع الأموال لتنمية الأعطيات، وأعاد مؤنساً إلى محله من تدبير الدولة والتعويم عليه في أمره. ويقال: إنه كان مقاطعاً للمقدار وإنه الذي دس إلى المصافية والمحجرية بما فعلوه، ولذلك قعد عن الحضور إلى القاهرة. ثم إن المقدار جبس أخاه القاهر عند أمه فبلغت في الإحسان إليه والتوعية عليه في النفقه والسراري.

## أخبار قواد الديلم وتغلبهم على أعمال الخليفة

قد تقدم لنا الخبر عن الديلم في غير موضوع من الكتاب، وخبر افتتاح بلادهم بالجبال والأمسار التي تليها، مثل طبرستان

فأجاب المقدار إلى ذلك، وكتب يستعطفه ويدركه البيعة ويخوفه عاقبة الكث، وأخرج هارون إلى التغور الشامية والجزرية، فسكن مؤنس ودخل إلى بغداد ومعه ابن حدان ونازوك والناس يرجفون بأنه خلع المقدار.

فلما كان عشر محروم من هذه السنة، ركب مؤنس إلى باب الشamasية وتناول مع أصحابه قليلاً، ثم رجعوا إلى دار الخليفة باسهم، وكان المقدار قد صرف أحد بن نصر القسوري عن الحجابة وقلدها ياقوتاً وكان على حرب فارس، فاستخلف مكانه ابنه أبا الفتح المظفر. فلما جاء مؤنس إلى الدار هرب ابن ياقوت وسائر الحجنة والخدم والوزير وكل من بالدار، ودخل مؤنس فآخر المقدار وأمه وولده وخواص جواريه، فقلدهم إلى داره واعتقلهم بها، وببلغ الخبر هارون بن غريب بقطriel فدخل إلى بغداد واستتر، ومضى ابن حدان إلى دار ابن طاهر فأحضر محمد بن العتصد، وبايعوه ولقبه القاهر بالله. وأحضروا القاضي أبا عمر الملاكي عند المقدار للشهادة عليه بالخلع، وقام ابن حدان يتآسف له ويكي ويقول: كنت أخشى عليك مثل هذا ونصحتك فلم تقبل، وآثرت قول الخدم والنساء على قوله، ومع هذا فنحن عيدهك وخدمك، وأودع كتاب الماخ عن القاضي أبي عمر ولم يظهر عليه أحداً حتى سلمه إلى المقدار بعد عوده، فحسن موقع ذلك منه وولاه القضاء. ولما تم الخلع عمد مؤنس إلى دار الخليفة فنهبها ومضى ابن نفيس إلى تربة أم المقدار فاستخرج من بعض قبورها ستمائة ألف دينار وحملها إلى القاهرة.

وأخرج مؤنس علي بن عيسى الوزير من الحبس وولى علي بن مقلة الوزارة، وأضاف إلى نازوك الحجابة مع الشرطة، وأنقطع ابن حدان حلوان والدينور وهمدان وكرمان والصيمرة ونهاووند وشيراز وناسستان مضافاً إلى ما بيده من أعمال طريق خراسان، وكان ذلك متصرف المحرم. ولا تقلد نازوك الحجابة أمر الرجال بتقويض خيامهم من الدار وأدالم ابن جالة من أصحابه فأسفهم بذلك وتقدموا إلى خلقاء الحجاب بأن يمنعوا الناس من الدخول إلا أصحاب المراتب فاضطررت الحجرية لذلك. فلما كان سابع عشر المحرم وهو يوم الاثنين بكر الناس إلى الخليفة لحضور المركب وأمتلات الرحال وشاطئ دجلة بالناس، وجاء الرجال المصافية شاكين السلاح يطالبون بمحن البيعة ورزرق سنة، وقد بلغ منهم الحزن على نازوك مبالغة، وقد مؤنس عن الحضور ذلك اليوم، وزعق الرجال المصافية فنهي نازوك أصحابه أن يعرضوا لهم، فزاد شغبهم وهمجوا على الصحن النبوي، ودخل معهم من كان على الشط من العامة بالسلاح، والقاهر جالس وعنده علي بن مقلة

نصر بن سامان صاحب خراسان، واعترض على حربه وحرب الخليفة.

وبعث المقتدر هارون بن غريب الحال في عسكر إلى قزوين، فحاربه أسفار وهزم وقتل كثيراً من أصحابه. ثم زحف إليه نصر بن سامان من بخارى فراسله في الصلح وضمّان أموال الجماعة، فأجابه وولاه ورجع إلى بخارى، فنظم أمر قواده وكثير عيشه وعصف جنده، وكان قائده مرداويح من أكبر قواده قد بعث أسفار إلى سلاطين صاحب سبirm، والطرم يدعوه إلى طاعته. فاتفق مع سلاطين على الوثوب بأسفار، وقد باطن في ذلك جماعة من قواد أسفار وزوجيه محمد بن مطرف الجرجاني، وغير الخبر إلى أسفار وثار به الجندي فهرب إلى بيتهن. وجاء مرداويح من قزوين إلى الري، وكتب إلى مكان بن كالي يستدعيه من طبرستان ليظاهره على أسفار، فقصد مكان أسفار، فهرب أسفار إلى الري ليتصالب بأهله وما له، وقد كان أنزلم بقلعة المرت. وركب الفرازة إليها، وغنى الخبر إلى مرداويح فسار لاعتراضه وقدم بعض قواده أمامه فلتحمه القائد وجاء به إلى مرداويح فقتله ورجع إلى الري ثم إلى قزوين، وعُكِن في الملك وافتتح البلاد وأخذ همدان والدينور وقم وقاشان وأصبهان، وأسأله السيرة في أهل أصبهان وصنع سريراً من ذهب جللوسه. فلما قرئ أمره نازع مكان في طبرستان فغلبه عليها ثم سار إلى جرجان فملكتها وعاد إلى أصبهان ظافراً.

وسار مكان على الدليم مستجداً بأبي الفضل الشائز بها، وسار معه إلى طبرستان فقاتلهم عاملها من قبل مرداويح بالقسم ابن ساعين وهزمهم، ورجع الشائز إلى الدليم وسار مكان إلى نيسابور، ثم سار إلى الدامغان فصده عنها القسم فعاد إلى خراسان. وعظم أمر مرداويح واستولى على بلد الري والجليل واجتمع إليه الدليم وكتلت جموعه وعظم خرجه. فلم يكُف ما في يده من الأعمال فسما إلى التغلب على النواحي، فبعث إلى همدان الجيوش مع ابن أخته، وكانت بها عساكر الخليفة مع محمد بن خلف، فحاربهم وهزمهم وقتل ابن أخت مرداويح. فسار من الري إلى همدان وهرب عسكر الخليفة عنها وملكتها مرداويح عنوة واستباحها. ثم أمن بيتهن.

وأنفذ المقتدر هارون بن غريب الحال في العساكر فلقيه مرداويح وهزمهم واستولى على بلاد الجليل وما وراء همدان، وبعث قائده إلى الدينور ففتحها عنوة، وانتهت عساكره إلى حلوان فقتل وسي. وسار هارون إلى قرقيسيا فأقام بها واستمد المقتدر وكان معه اليشكري من قواد أسفار، وكان قد استأمن بعد أسفار إلى الخليفة وسار في جنته. وجاء مع هارون في هذه الغزارة إلى

وجرجان وسارية وأمد واستراباذ، وخبر إسلامهم على يد الأطروش، وأنه جمعهم وملك بهم بلاد طبرستان سنة إحدى وثلاثمائة، وملك من بعده أولاده والحسن بن القاسم الداعي صهـ، واستعمل منهم القواد على ثغرها فكان منهم ليلي بن النعمان، كانت إليه ولاية جرجان عن الحسن ابن القاسم الداعي سنة ثمان وثلاثين. وكانت بينبني سامان وبينبني الأطروش والحسن بن القاسم الداعي وقاد الدليم حروب هلك فيها ليسى بن النعمان سنة تسع وثلاثمائة، لأن أمر الخلفاء كان قد انقطع عن خراسان، وولوها لبني سامان فكانت بسبب ذلك بينهم وبين أهل طبرستان من الحروب ما أشرنا إليه.

ثم كانت بعد ذلك حرب مع بني سامان فولها من قواد الدليم شرخاب بن يهودان وهو ابن عم مكان بن كالي وصاحب جيش أبي الحسن الأطروش، وقاتلته سيمجور صاحب جيش بني سامان، فهزمه وهلك شرخاب، وولى ابن الأطروش مكان ابن كالي على استرابة، فاجتمع إليه الدليم وقسوه على أنفسهم، واستولى على جرجان كما يذكر ذلك كله في أخبار العلوية. وكان من أصحاب مكان هذا أسفار ابن شريوبيه من قواد الدليم عن مكان إلى قواد بني سامان. فاتصل بيكر بن محمد بن اليسع بنسابور، وبعثه في الجند لافتتاح جرجان، وبها أبو الحسن بن كالي نائباً عن أخيه مكان وهو بطبرستان. فقتل أبو الحسن وقام بأمر جرجان علي بن خرشيد. ودعا أسفار بن شريوبي إلى حاته من مكان، فزحف إليهم من طبرستان فهزمه وغلوه عليها ونصبوا أبي الحسن وعلى بن خرشيد. فزحف مكان إلى أسفار وهزم وغلوه على طبرستان، ورجع إلى بكر بن محمد بن اليسع بجرجان.

ثم توفي بكر سنة خمس عشرة، فولى نصر بن أحمد بن سامان أسفار بن شريوبي مكانه على جرجان، وبعث أسفار عن مرداويح بن زياد الجبلي وقدمه على جيشه، وقصدوا طبرستان فملوكوها. وكان الحسن بن القاسم الداعي قد استولى على الري وأعمالها من يد نصر بن سامان، ومعه قائده مكان بن كالي. فلما غالب أسفار على طبرستان زحف إليه الداعي وقائده مكان فانهزما وقتل الداعي ورجع مكان إلى الري، واستولى أسفار ابن شريوبي على طبرستان وجرجان، ودعا لنصر بن أحمد بن سامان، ونزل سارية واستعمل على أمد هارون بن بهرام. ثم سار أسفار إلى الري، فأخذها من يد مكان ابن كالي وسار مكان إلى طبرستان واستولى أسفار على سائر أعمال الري وقزوين وزنجان وأبهر وقم والكرخ، وعظمت جيوشه وحدثه نفسه بالملك، فانتقض على

ومصادرته، فأخذ منه عشرة آلاف دينار واستأثر بها على الوزير، فلما نكب ابن مقلة كتب المقتدر خطه إلى الحاجب أحمد بن نصر القسوري بالقبض على أولاد البريدي، وأن لا يطلقهم إلا بكتابه، فقبض عليهم وجاء أبو عبد الله بكتاب المقتدر بخطه بإطلاقهم وظهر تزويره فأحضرهم إلى بغداد وصودروا على أربعين ألف دينار فأعطواها.

### الصوائف أيام المقتدر

سار مؤنس المظفر سنة ست وتسعين في المساكير من بغداد إلى الفرات، ودخل من ناحية ملطية ومعه أبو الأغر السلمي، فظفر وغنم وأسر جماعة. وفي سنة سبع وتسعين بعث المقتدر أبا القاسم بن سيماء لغزو الصائفة سنة ثمان وتسعين. وفي سنة تسع وتسعين غزا بالصائفة رستم أمير الشغور، ودخل من ناحية طرسوس ومعه ديمانة، وحاصر حصن مليح الأرمي ففتحه وأحرقه. وفي سنة ثلاثة مات إسكندروس بن لاور ملك الروم، وملك بعده ابنه قسطنطين ابن اثنى عشرة سنة. وفي سنة اثنين وثلاثمائة سار على بن عيسى الوزير في ألف فارس لغزو الصائفة مددًا لبس الخادم عامل طرسوس، ولم يتيسر لهم الدخول في المصيف، فدخلوا شاتية في كلب البرد وشدته، غنموا وسبوا.

وفي سنة اثنين وثلاثمائة غزا بسر الخادم إلى طرسوس بلاد الروم، ففتح وغنم وسبي وأسر مائة وخمسين. وكان السي نحوان من الفي رأس. وفي سنة ثلاثة وثلاثمائة أغارت الروم على ثغور الجزيرة ونهبوا حصن منصور وسبوا أهله بشاغل عسكر الجزيرة بطلب الحسين بن حдан مع مؤنس، حتى قبض عليه كما مر. وفي هذه السنة خرج الروم إلى ناحية طرسوس والفرات فقاتلوا وقتلوا نحوًا من ستمائة فارس، وجاء مليح الأرمي إلى مرعش فعاد في نواحيها، ولم يكن لل المسلمين في هذه السنة صائفة.

وفي سنة اربعين بعدها سار مؤنس المظفر بالصائفة ومر بالموصل فقلد سبكا الملحبي باريدي وقردي من أعمال الفرات، وقد عثمان العبودي مدينة بلد وسنجار ووصيفاً البكتيري باقي بلاد ربيعة، وسار إلى ملطية فدخل منها وكتب إلى أبي القاسم علي بن أحمد بن سبطان أن يدخل من طرسوس في أهلها، ففتح مؤنس حصوناً كثيرة وغنم وسبي ورجع إلى بغداد فاكرمه المعتصم وخليع عليه. وفي سنة خمس وثلاثمائة وصل رسولان من ملك الروم إلى المقتدر في المهاذنة والفتاد، فتلقيا بالإكرام وجلسا هما الوزير في الأبهة، وصف الأجناد بالسلاح العظيم الشأن والزيمة

نهانوند لحمل المال إليه منها. فلما دخلها استمدت عينه إلى ثروة أهلها، فتصادرهم على ثلاثة آلاف ألف دينار، واستخرجها في مدة أسبوع، وجدن بها جندًا ومضى إلى أصحابها، وبها يومئذ ابن كيبلغ قبل استيلاء مرداويج عليها، فقاتله أحد وانضم وملك اليشكري أصحابها، ودخل إليها أصحابه، وقام بظاهرها.

وسار أحمد بن كيبلغ في ثلاثة فارساً إلى بعض قرى أصحابه وركب اليشكري ليطوف على السور، فنظر إليهم فسار نحوهم فقاتلوا، وضربه أحمد بن كيبلغ على رأسه بالسيف فقد المفتر وتجاوزه إلى دماغه فسقط متباً. وقصد أحمد المدينة فصر أصحاب اليشكري، ودخل أحمد إلى أصحابه وذلّك قبل استيلاء عسكر مرداويج عليها، فاستولى عليها وجلدوا له فيها مساكن أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف العجلاني وساتينه، وجاء مرداويج في أربعين أو خمسين ألفاً، فنزلوا ويعث جمعاً إلى الأهواز فاستولوا عليها، وإلى خوزستان كذلك، وجيء أموالها وقسم الكثير منها في أصحابه، وادخرباقيه ويعث إلى المقتدر يطلب ولاية هذه الأعمال وإضافة همدان وماه الكوفة إليها على مائتي ألف دينار في كل سنة، فاجابه وقاطعه وولاه وذلك سنة تسع عشرة، ثم دعا مرداويج سنة عشرين أخيه وشقيقه من بلاد كيلان، ف جاء إليه بدويًا حافياً بما كان يعاني من أحوال البداوة والتبدل في العيش يذكر كل ما يراه من أحوال الترف ورقة العيش. ثم صار إلى ترف الملك وأحوال الرؤساء فرقت حاشيته وعظم ترفه. وأصبح من عظام الملوك وأعرفهم بالتدبر والسياسة.

### ابتداء حال أبي عبد الله البريدي

كان بداية أمره عاملاً على الأهواز وضبط ابن ماكر لأن هذا الاسم بالموحدة والراء المهملة نسبة إلى البريد. وضبطه ابن مسكوني بالياء المثناة التحتانية والزاي نسبة إلى يزيد بن عبد الله بن المنصور الحميري، كان جده يخدمه ولأبي علي بن عيسى الوزارة واستعمل العمال، وكان أبو عبد الله قد ضمن الخاصة بالأهواز وأخوه أبو يوسف على سوق فاقن من الاقتصادية وأخوه على هذا. فلما ورز أبو علي بن مقلة بذلك له عشرين ألف دينار على أن يقلده أعمالاً فاقنة، فقلده الأهواز جيعها غير السوس وجناسابور وقلد أحاه أبا الحسن القرانية وأخاهما أبا يوسف الخاصة والأساقف، وضمن المال أبا يوسف السمسار، وجعل الحسين بن محمد المارداني مشرقاً على أبي عبد الله، فلم يلتقط إليه. وكتب إليه الوزير بن مقلة بالقبض على بعض العمال

والأرمن، دخلوا بلدهم خفية وقد هم مليح الأرمني ليكونوا لهم عوناً إذا حاصروها، فقاتلهم أهل ملطية عن آخرهم. وفي سنة سبع عشرة بعث أهل الشغور الجزيرية مثل ملطية وفارقين وأمد وأرزا يستمدون المقدار في العساكر وإلا فيعطوا الآتاوة للروم فلم يدهم، فصالحوا الروم وملكو البلاد. وفيها دخل مفلح الساجي بلاد الروم. وفي سنة عشرين غزا نهالي بلاد الروم من طرسوس ولقي الروم فهزمهم وقتل منهم ثلاثة وأسر ثلاثة آلاف، وغنم من الفضة والذهب شيئاً كثيراً وعاد بالصافنة في سنته في حشد كثير، وبلغ عموريه فهو رعنها من كان تجمع إليها من الروم، ودخلها المسلمون فوجدوا من الأعمدة والأطعمة كثيراً، فنفروا وأحرقوا وتوغلوا في بلاد الروم يقتلون ويكتسحون ويخربون حتى بلغوا انكمورية التي مصرها أهده وعادوا سالين. وبليست قيمة السيسي مائة ألف وستة وثلاثين ألف دينار.

وفي هذه السنة راسل ابن الريانسي وغيره من الأرمن في نواحي أرمينية وحشوا الروم على قصد بلاد الإسلام فساروا وخربوا نواحي خلاط وقتلوا وأسرموا فسارات لهم مفلح غلام يوسف بن أبي الساج من أذربيجان في جموع من الجندي والمتطوعة، فائتزن في بلاد الروم حتى يقال إن القتلى بلغوا مائة ألف، وتعزب بلاد ابن الريانسي ومن واقفه، وقتل ونهب. ثم جاءت الروم إلى سميساط فحضروها وأمدتهم سعيد بن حدان، وكان المقدار لاه المصل وديار ربعة على أن يسترجع ملطية من الروم. فلما جاء رسول أهل سميساط إليهم فأجفل الروم عنها فسار إلى ملطية وبها عساكر الروم ومليح الأرمني صاحب الشغور الرومية، وبني ابن قيس صاحب المقدار الذي تنصر. فلما أحسوا بآقبال سعيد هربوا وتراكروا خشية أن يشب بهم أهلها وملكتها سعيد فاستخلف عليها وعاد إلى الموصى.

## الولايات على التواحي أيام المقدار

كان بأصبهان عبد الله بن إبراهيم المسمعي عاماً عليها، خالف لأول ولادة المقدار وجع من الأكراد عشرة آلاف، وأمر المقدار بدرأ الحمامي عامل أصبهان بالمسير إليه. فسار إليه في خمسة آلاف من الجندي وأرسل من يخوفه عاقبة المصيبة، فراجع الطاعة وسار إلى بغداد واستخلف على أصبهان. وكان على اليمين المظفر بن هاج. ففتح ما كان غلب عليه الحارثي باليمن وأخذ الحاتمي من أصحابه. وكان على الموصى أبو الهيجاء بن حدان، وسار آخره الحسين بن حدان وأوقع بآغاراب كلب وطيس، وأسر ستة أربع

ال الكاملة، فأدريا إليه الرسالة وأدخلهما من الغد على المقدار وقد احتقل في الأبهة ما شاء، فأجابهما إلى ما طلب ملوكهم. وبعث مؤنساً الخادم للقداد، وجعله أميراً على بلد يدخله إلى أن ينصرف. وأطلق الأرزاق الواسعة لمن سار معه من الجنود، وأنفذ معه مائة وعشرين ألف دينار للتفدية. وفيها غزا الصافنة جداً الصفراني فغنمت غزا وسير نهالي الخادم في الأسطول فغنمت. وفي السنة بعدها غزا نهالي في البحر كذلك، وجنا الصفراني فظفر وفتح وعاد غزا بشر الأنفسين بلاد الروم، ففتح عدة حصون وغنمت وسبى.

وفي سنة سبع غزا نهالي في البحر فلقي مراكب المهدى صاحب أفريقية فغلبهم وقتل جماعة منهم، وأسر خادماً للمهدى. وفي سنة عشرة وثمانين غزا محمد بن نصر الحاجب من الموصى على قاليقلا، فأصاب من الروم، وسار أهل طرسوس من ملطية فظفروا واستباحوا وعادوا. وفي سنة إحدى عشرة غزا مؤنس المظفر بلاد الروم فغنمت وفتح حصوناً، وغزا نهالي في البحر فغنمت ألف رأس من النبي وثمانية آلاف من الظهر ومائة ألف من الغنم وشيئاً كثيراً من الذهب والفضة.

وفي سنة اثنى عشرة جاء رسول ملك الروم بالمدايا ومعه أبو عمر بن عبد الباقى يطلبان المدنية وتقرير الفداء، فأجابيا إلى ذلك. ثم غدرروا بالصافنة فدخل المسلمون بلاد الروم فائتزنوا ورجعوا. وفي سنة أربع عشرة خرجت الروم إلى ملطية ونواحيها من الدمستق ومليح الأرمني صاحب الدروب وحاصروا ملطية وهربوا إلى بغداد واستغاثوا، فلم يغاثوا. غزا أهل طرسوس بالصافنة فغنموا ورجعوا.

وفي سنة خمس عشرة دخلت سرية من طرسوس إلى بلاد الروم فأوقع بهم الروم وقتلوا أربعين ألفاً من المسلمين في عساكر من الروم إلى مدينة دبيل، وبها نصر السبكي فحاصرها وضيق خنقها واشتدى في قتالها حتى نصب سورها، ودخل الروم إليها ودفعهم المسلمون فاحتاجوهم وقتلوا منهم بعد أن غنموا ما لا يحصى وعاثوا في أنعامهم، فغنموا من الغنم ثلاثة ألف رأس فأكلوها. وكان رجل من رؤساء الأكراد يعرف بالضحاك في حصن له يعرف بالجعيري فتنصر وخدم ملك الروم، فلقيه المسلمون في سنة الغزاة فأسروه وقتلوا من معه. وفي سنة ست عشرة وثمانين خرج الدمستق في عساكر الروم فحاصر خلاط وملكتها صلحاء، وجعل الصليب في جامعها، ورحل إلى تدليس فعل بها كذلك، و Herb أهل أردن إلى بغداد واستغاثوا فلم يغاثوا.

وفيها ظهر أهل ملطية على سبعين ألفاً من الروم

الساج عليها كما مر. وسار إليه مؤنس سنة سبع فهزمه وأسره،  
وولى على أصحابه وثم وقاشان وساوة أحد بن علي بن صالحونك،  
وعلى الري ودبناوند وقرزون وأبهر وزنجان علي بن وهشودان  
استدعاءه من الجبل فولا، ووثب به عمّه أحد بن مسافر صاحب  
الكرم فقتلته بقرزون. فاستعمل مكانه على الحرب وصيفاً  
البكترى، وعلى المخراج محمد بن سليمان.

ثم سار أحد بن سليمان إليها فقتل محمد بن سليمان وطرد  
وصيفاً. ثم قاطع على الأعمال بمال معلوم كما مر. وكان على  
أعمال سجستان كثير بن أحمد مقوه متغلاً عليها، فسار إليه أبو  
الحمامي عامل فارس، فخافه كثيراً وقاطع على البلاد وعقد له  
عليها. وكان على كرمان سنة أربعين وثلاثة أبو زيد خالد بن محمد  
المارداني، فانتقض وسار إلى شيراز فقتله بدر الحمامي وقتلته. وفي  
هذه السنة قتل مؤنس المظفر عند مسيره إلى الصافنة وانتهائه إلى  
الموصل، فولوا على بلد باريدي وقردي سبكاً الفلاحي وعلى  
مدينة بلد وسنجراب وباكري عثمان العبودي صاحب الحرب بديبار  
مصر، فوق مكانه وصيف البكتيري فعجز عن القيام بها، فعزل  
وولى مكانه جنا الصفاراني. وكان على البصرة في هذه السنة  
الحسن بن الخليل، تولاهما منذ سنين ووقيت فتن يبيه وبين العامة  
في مصر وربيعة، واتصلت وقتل منهم خلق. ثم اضطربوا إلى  
الاتحاق بواسط فاستعمل عليها أبو دلف هاشم بن محمد  
المخزاعي، ثم عزل لستة وولى سبكاً الفلاحي نيابة عن شفيع  
المقدري.

وفي سنة ست وثلاثين عزل عن الشرطة نزار وجعل فيها  
نجيح الطبروني، فقام في الأربعاء فقهاء يعمل أهل الشرطة  
في مواعظهم، فضفت الهيئة بذلك، وكثير اللصوص والمباررون،  
وكبست دور التجار واختطفت ثياب الناس. وفي سنة سبع  
وثلاثين ول إبراهيم بن حдан ديار ربيعة، وولىبني بن قيس بلاد  
شهرزور، وانسعت عليه فاستمد المقندر وحاصرها. ثم قلد الحرب  
بالموصل وأعمالها، وكان على الموصل قبله محمد بن إسحاق بن  
كتناج، وكان قد سار لإصلاح البلاد فوقع فتنة بالموصل فرجع  
إليها فمنعوه الدخول فحاصرهم. وعزله المقندر سنة ثلاث  
وثلاثين وول مكانه عبد الله بن محمد الغساني.

وفي سنة ثمان وثلاثمائة ولـ المقذر أبا الهيجاء عبد الله بن مهدان على طريق خراسان والدينور، وفيها ولـ على دقروا وعكرا وطريق الموصل بـدرـ الشـراـبـيـ. وفي سـنة تـسـعـ ولـ المقـذرـ عـلـىـ حـرـبـ المـوـصـلـ وـمـعـونـتـهـ مـحـمـدـ بـنـ نـصـرـ الـحـاجـبـ، فـسـارـ إـلـيـهـ وـأـوـقـعـ بالـمـخـالـفـينـ مـنـ الـأـكـرـادـ الـمـادـرـانـيـةـ. وـفـيـهـاـ ولـ دـاـودـ بـنـ حـدـانـ عـلـىـ

وتسعین. ثم سار إلى الأكرااد المتقلين على نواحي الموصل سنة  
خمس وتسعین فاستباهم وهرموا إلى رؤوس الجبال. وخرج  
بالحاج في سنة أربع وتسعین رصيف بن سوارتين فمحصره أعراب  
وطبع بالقتال وأوقعهم فهزمه، ومضى إلى وجهه. ثم أقع بهم  
هناك الحسن بن موسى فائخن فيه.

وكان على فارس سنة ست وتسعين البشكري غلام عمرو بن الليث، فلما تقلب وكان على التغور الشامية أَحَدْ بْنُ كِيْغَلْعَنْ في سنته سبع وتسعين ملك الليث فارس من يد البشكري، ثم جاءه مؤنس فتغلبه وأسره ورجع البشكري إلى عمله كما مر في خبره. وفي سنة ست وتسعين وصل ناصر موسى بن سامان وقلد ديار ربيعة وقد مر ذكره. وفيها رجع الحسين بن حداد من الخلاف وعقد له على قم وقاشان، فسار إليها ونزل عنها العباس بن عمر الغنو.

وفي سنة سبع وتسعين توفي عيسى التوسي عامل مصر  
وول المتقدّر مكانه تكين الخادم. وفي سنة ثمان وتسعين توفي منيع  
خادم الأفتشين وهو عامل فارس وكان معه محمد بن جعفر  
الفریابی فماتا معاً. وول على فارس عبد الله بن إبراهيم المسعی  
وأضيفت إليه كرمان وفيها ولیت أم موسى الهاشمية قهرمة دار  
المقدّر وكانت تؤدي الرسائل عن المتقدّر وأمه إلى الوزراء وعن  
الوزراء إليهما.

وفيها ولی الحسين بن محمد بن عينونة عامل الخراج والضياع بديبار  
ربيعة بعد وفاة أبيه محمد بن أبي بكر. وفي سنة أربع عزل علي بن  
وهشودان صاحب الحرب بأصبهان بمناقرفة وقعت بينه وبين أحمد  
بن شاه صاحب الخراج، وول مكانه أحمد بن مسرور البلاخي.  
وأقام ابن وهشودان بنواحي الجبل. ثم تقلب يوسف بن أبي

بالموصل ابن عبد الله بن حдан، وهو ناصر الدولة فخضب وعاد إلى الخلافة. وقتل في تلك الفتنة نازوك، وأقر على أعمال قرداي وباريدي التي كانت يهدّي الميجاء ابنه ناصر الدولة الحسن، وعلمه، أعمال الموصل، وغيرها الصغر.

ثم ول عليها سعيداً ونصرأ ابني حدان، وهما أخوا أبي الميجاء. وولى ناصر الدولة على ديار ربيعة ونصيبين وسنجر والخابور ورأس عين ومباقارقين من ديار بكر وأرزن على مقاطعة معلومة. وفي سنة ثمان عشرة صرف ابنا رائق عن الشرطة، ووليها أبو بكر محمد بن ياقوت عن الحجية وقدل أعمال فارس وكرمان. وقدل ابنة المظفر أصبهان وابنته أبنا بكر محمداً سجستان وجعل مكان ياقوت وولده في الحجية والشرطة إبراهيم ومحمد ابنا رائق، فأقام ياقوت بشيراز وكان علي بن خلف بن طيان على الخوارج، فتعاقدا على قطع الخمل عن القتدر إلى أن ملك علي بن بويه بلاد فارس سنة ثلاث وعشرين. وفي هذه السنة غلب مرداويح على أصبهان وهمدان والري وحلوان، وقطاع عليهما بمال معلوم وصارت في ولايته.

## استيحاش مؤنس من المقتدر ومسيره إلى الموصل

كان الحسين بن القاسم بن عبد الله بن وهب وزيراً للعقلاء، وكان مؤنس منحرفاً عنه قبل الوزارة حتى أصلح بليق حاله عند مؤنس، فوزر واختص به بنو البريدي وابن الفرات. ثم بلغ مؤنساً أن الحسين قد واطأ جماعة من القواد في التدبير عليه، فتذكر له مؤنس وضاقت الدنيا على الحسين وبلغه أن مؤنساً يكتب، فانتقل إلى دار الخلافة وكتب الحسين إلى هارون بن غريب الحال يستقدمه، وكان مقيناً بدير العاقول بعد انهزامه من مرداويح، كتب إلى محمد بن ياقوت يستقدمه من الأهواز فاسترحش مؤنس. ثم جمع الحسين الرجال والعلمانيين الحجرية في دار الخلافة، وأتفق فيهم فعظمت نفرة مؤنس، وقدم هارون من الأهواز فخرج مؤنس مغاضباً للعقلاء، وقصد الموصل، وكتب الحسين إلى القواد الذين معه بالرجوع فرجع منهم جماعة، وسار مؤنس في أصحابه ومواليه ومعه من الساجية ثمانمائة من رجالهم، وقدم الوزير بقبض أملاكه وأملاكه من معه واقتاعهم فحصل منه مال كثير، وأغبطه العقلاء به لذلك ولقبه عميد الدولة ورسم اسمه في السكة وأطلق يده في الولاية والعزل، فولى على البصرة وأعمالها أبا يوسف يعقوب بن محمد البريدي على مبلغ ضئل،

ديبار ربيعة. وفي سنة عشر عقد ليوسف بن أبي الساج على الري وقزوين وأبهر وزنجان وأذربیجان على تقدير العلوية كما مر. وفيها قبس المقدار على أم موسى القهرمانة لأنها كانت كثيرة المال، وزوجت بنت أختها من بعض ولد المترکل، كان مرشحاً للخلافة، وكان حسناً فلما صاحرته أوسعـت في الشوارع واليسار والعرس، وسعى بها إلى المقدار أنها استخلصـت الفوادـق قبـضـشـ عليها وصادـرـها على أمرـالـعـظـيمـةـ وجـواـهـرـ تقـيـةـ. وفيـهاـ قـتـلـ خـلـيقـةـ نـصـرـ بنـ حـمـدـ الـحـاجـبـ بـالـمـوـصـلـ، قـتـلـ الـعـامـةـ فـجـهزـ الـعـساـكـرـ منـ بـغـدادـ، وـسـارـ إـلـيـهاـ.

وفي سنة إحدى عشرة ملك يوسف بن أبي الساج الري من  
يد أحد بن علي صعلوك، وقتله المقتنر وقد مر خبره. وفيها ولـ  
المنتدر بني بن قيس على حرب أصبهان، وولـ محمد بن بدر  
المتضـدي على فارس مكان ابنه بدر عندما هـلـك. وفي سنة اثنتي  
عشرة ولـ على أصبهان يحيـي الطرـولي، وعلـيـ المعاـون والـحـرب  
بنـهـاـونـد سـعـيدـ بنـ حـمـدانـ. وـفـيـ تـوـفـيـ عـمـدـ بنـ نـصـرـ الـحـاجـ  
صـاحـبـ الـمـوـصـلـ وـتـوـفـيـ شـفـيعـ الـلـؤـلـؤـيـ صـاحـبـ الـبـرـيدـ، فـولـ مـكـانـهـ  
شـفـيمـ الـمـقـنـدـريـ.

وفي سنة ثلث عشرة فتح إبراهيم المسمعي عامل فارس  
ناحية القفص من حدود كرمان، وأسر منهم خمسة آلاف، وكان في  
هذه السنة ول على الموصل أبا الهيجاء عبد الله بن همدان وابنه  
ناصر الدولة خليفة فيها، فانسد الأكراد والعرب بأرض الموصل  
وطريق خراسان وكانت إليه، فكتب إليه ابنه ناصر الدولة سنة  
أربع عشرة بالانحدار إلى تكريت للقاء، فجاءه في الحشد وأوقع  
بالعرب والأكراد الخلالية وحسم علتهم. وفيها قتل المقذر يوسف  
بن أبي الساج أعمال الشرق وعزل عن أذربيجان وولاه واسط،  
وأمده بالسير إليها ل الحرب القرامطة وقطعه همدان وساوة وقم  
وقاشان ومهان البصرة ومهان الكوفة وما سبدان للنفقة في الحرب،  
وجعل على الري من أعماله نصر بن سامان، فولوها وصار من  
عماله كما مر.

وفيها ولأعمال المخزيرة والضياع بالموصل أبا الميجاء عبد الله بن حدان وأضيف إليه باريدي وقردي وما إليها. وفيها قتل ابن أبي الساج كما مر. وفي سنة خمس عشرة مات إبراهيم المسمعي بالتويندجان، وولى المقتصد على مكانه ياقوت، وعلى كرمان أبا طاهر محمد بن عبد الصمد. وفي سنة ست عشرة عزل أحمد بن نصر القسوري عن حجية الخليفة وولى بها ياقوت وهو على الحرب بفارس واستخلف عليها ابنه أبا الفتح الظفري. وفيها ولأعلى الموصل وأعمالها يربنس المتنسي، وكان على الحرب

مؤنس لنفسه ولجاجبه بليق وابنه علي، واستقدم أبا علي بن مقلة من فارس فاستوزره، واستحجب علي بن بليق. ثم قبض على أم المقتدر وضريرها على الأموال فحلفت فامرها بحمل أوقافها فامتنعت، فاحضر هو القضاة وأشهد بحمل أوقافها ووكل في بيعها، فاشتراها الجندي من أرزاقهم، وصدر جمع حاشية المقتدر، واشتدى في البحث عن ولده وكبس عليهم المنازل إلى أن ظفر بأبي العباس الراضي وجاءه من إخوته وصادرهم وسلمهم علي بن بليق إلى كاتبه الحسين بن هارون، فأحسن صحبتهم وبعث لهم على البريدي وإنجذبه وأصحابه وصادرهم على جملة من المال.

### خبر ابن المقتدر وأصحابه

قد ذكرنا أن عبد الواحد بن المقتدر لحق بعد مقتل أبيه بالمدائن، ومعه هارون بن غريب الحال ومفلح وحمد بن ياقوت وأبنا رائق. ثم انحدروا منها إلى واسط وأقاموا بها، وخشيتهم القاهرة على أمره واستأمن هارون بن غريب على أن يدخل ثلاثمائة ألف دينار وتطلق له أملاكه، فأنهت القاهرة مؤنس وكتب له بذلك وعقد له على أعمال ماه الكوفة ومسابدان ومهروبان، وسار إلى بغداد وسار عبد الواحد بن المقتدر فيمن معه من واسط، ثم إلى السوس وسوق الأهواز، وطردوا العمال وجبروا الأموال.

وبعث مؤنس إليهم بليقاً في العساكر وبذل أبو عبد الله البريدي في ولاية الأهواز خسین الف دينار فافتقت في العساكر. وسار معهم وانتهوا إلى واسط ثم إلى السوس، فجاز عبد الواحد ومن معه إلى الأهواز إلى تستر، ثم فارقه جميع القواد واستأمنوا إلى بليق إلا ابن ياقوت ومفلحاً ومسروراً الخادم، وكان محمد بن ياقوت مستبداً على جميعهم في الأموال والنصرف، ففروا لذلك واستأمنوا لأنفسهم ولابن المقتدر إلى بليق، فأنهم بعد أن استأمنوا محمد بن ياقوت وأذن لهم، ثم استأمن هو على بليق إلى أيام القاهرة ومؤنس، وساروا إلى بغداد جميعهم فرفقاً لهم القاهرة وأطلق عبد الواحد أملاكه وترك لأمه الصادرة التي صادرها، واستولى أبو عبد الله البريدي على أعمال فارس وأعاد إنحوته إلى أعمالهم.

### مقتل مؤنس وبليق وابنه

لما راجع محمد بن ياقوت من الأهواز واستخلصه القاهرة واختصه لخلواته وشوراه، وكانت بيته وبين الوزير ابن علي بن مقلة عداوة، فاستوحش لذلك ودس إلى مؤنس أن محمد بن ياقوت يسعى به عند القاهرة، وأن عسى الطيب سفيره في ذلك،

وكتب إلى سعيد ودادواد ابني حдан وابن أخيهما ناصر الدولة الحسين بن عبد الله بمخاربة مؤنس، فاجتمعوا على حربه إلا داود فإنه توقف لإحسان مؤنس إليه وتربيته إياه.

ثم غلبوا عليه فوافقوه على حربه، وجمع مؤنس في طريقه رؤساء العرب وأوهمهم أن الخليفة ولاه الموصل وديار ربيعة، فنفر معه بعضهم واجتمع له من العسكر ثمانمائة وسبعين إلى بنو حدان في ثلاثة ألفاً فهزمهم وملك مؤنس الموصل في صفر من سنة عشرين، وجاءه العساكر من بغداد والشام ومصر رغبة في إحسانه. وعاد ناصر الدولة بن حدان إلى خدمته وأقام معه بالموصل ولحق سعد ببغداد.

### مقتل المقتدر وبيعة القاهرة

ولما ملك مؤنس الموصل أقام بها تسعه واجتمع العساكر فلتحدر إلى بغداد لقتال المقتدر، وبعث المقتدر الجنود مع أبي محمد بن ياقوت وسعيد بن حدان، فرجع عنهم العسكر إلى بغداد ورجعوا وجاء مؤنس قنزل بباب الشامية والقراد قبلاته، وندب المقتدر ابن خالة هارون بن غريب إلى الخارج لقتاله، فاعتذر ثم خرج، وطالبوه المقتدر بمال ل النفقات الجندي فأعتذر وأراد أن ينحدر إلى واسط ويستدعي العساكر من البصرة والأهواز وفارس وكرمان، فرده ابن ياقوت عن ذلك وأخرجه للحرب وبين يديه الفقهاء والقراد والمصاحف مشهورة وعليه البردة والناس يحدقوه به، فانهزم أصحابه ولقيه على بن بليق من أصحاب مؤنس، ففظمه وأثار عليه بالرجوع ولحقه قوم من المغاربة والبربر فقتلوه وحملوا رأسه وترکوه بالعراء، فدفن هناك. ويقال إن علي بن بليق أشار إليهم بقتله. ولما رأى مؤنس ذلك ندم وسقط في يده وقال: والله لنقتلن جميعاً، وتقديم إلى الشامية وبعث من يحيط على دار الخلافة وكان ذلك لخمسة عشر من سنة خلافة المقتدر.

فاتسح الحرق وطبع أهل القاصية في الاستبداد وكان مهملاً لأمور خلافته محكماً للنساء والخدن في دولته مبذراً لأمواله. ولما قتل لحق ابنه عبد الواحد بالمدائن ومعه هارون بن غريب الحال وحمد بن ياقوت وإبراهيم بن رائق. ثم اعتزم مؤنس على اليعنة لولده أبي العباس وكان صغيراً، فعزله وزيره أبو يعقوب إسماعيل التويجي في ولاية صغير في حجر أنه وأشار أخيه أبي منصور محمد بن المعتصد، فأجاب مؤنس إلى ذلك على كرهه، وأحضره وبويع آخر شوال من سنة عشرين، ولقبه القاهرة بالله. واستخلفه

ورياضة الجيش وإمارة الأمراء وبيوت الأموال كما كان مؤنس وأمض إليه وأحمله إلى دار الخلافة مرفهاً عليه ثلثاً يجتمع إليه أهل الشر وفسد ما بيتنا وبينه، فسأر طريف إلى مؤنس وأخبره بامان القاهر له ولأصحابه، وحمله على الحضور عنده وهو ن عليه أمره، وأن القاهر لا يقدر على مكرهه.

فركب وحضر فقبض عليه القاهر وجسده قبل أن يراه، وندم طريف على ما فعل واسترحوش. واستوزر القاهر أبا جعفر محمد بن القاسم بن عبد الله، ووكل بدور مؤنس وبليق وابنه علي وابن مقلة وابن زيرك وابن هارون ونقل ما فيها، وأحرقت دار ابن مقلة وجاء محمد بن ياقوت وقام بالحججة، فتذكر له طريف السيكري والساجية فاختفى ولحق بابنه بفارس، وكتب إليه القاهر بالعتب على ذلك وولاه الأهاواز، وكان الذي دعا طريفاً السيكري إلى الالخارف عن مؤنس وبليق أن مؤنساً رفع رتبة بليق وابنه عليه بعد أن كانا يخدمانه، فاحملماهانه. ثم اعتزم بليق على أن يوليه مصر وفاوض في ذلك الوزير ابن مقلة، فوافق عليه. ثم أراد علي بن بليق عمل مصر لنفسه، ومنع من إرسال طريف فتربيص بهم. وأما الساجية فكانوا مع مؤنس بالمرصل وكان يدعهم وينهيم. ولما ول القاهر واستبد بأمره لم يف لهם. وكان من أعيانهم الخادم صندل، وكان له بدار القاهر خادم اسمه مؤمن باعه واتصل بالقاهر قبل الخلافة، فلما شرع في التدبير على مؤنس وبليق بعث مؤنساً هذا إلى صندل يكتبه ل إليه تقديه ويدخله في أمر القاهر وإزالته الحجر عنه. فقصد إلى صندل وزوجته وتلطّف ووصف القاهر بما شاء من مخاسن الأخلاق، وحمل زوجته على الدخول إلى دار القاهر حتى شافهاها بما أراد بإلاغه إلى صندل، وداخل صندل في ذلك سبما من قرواد الساجية، واتفقوا على مداخلة طريف السيكري في ذلك لعلهم باستيحاشه من مؤنس، فأجابهم على شريطة الإبقاء على مؤنس وبليق وابنه، وأن لا يتزال مؤنس من مرتبته وتحالقوها على ذلك من الجانبيين.

وطلب طريف عهد القاهرة بخطه، فكتب وزاد فيه أنه يصلبي  
بالناس وينظر لهم ويخرج بهم وينجزو معهم ويتد لكشف المظالم  
وغير ذلك من حسن السيرة، وكان جماعة من الحجرية قد أبعدهم  
أبن بليق وأدال منهم بأصحابه، فداخلتهم طريف في أمر القاهرة  
فألاجبوه، وغى الخبر بذلك إلى أبن مقلة وإلى بليق، وأرادوا القبض  
على قرداد الساجدة والحجرية: ثم خسروا الفتنة ودرروا على القاهرة  
فلم يصلوا إليه لاحتتجاته عنهم بالمرض. فوضعوا أخبار القراءطة  
كما قدمنا.

ولما قبض القاهرة على مؤسس وللنجابة سلامه الطرلوني.

فيبعث مؤنس علي بن بليق للاحضار عيسى، وتقدم علي بن بليق بالاحتياط على القاهرة، فوكل به أحد بن زيرك وضيق على القاهر وكشف وجوه النساء المختلفات إلى القصر خشية إيمانهم الرقاب إلى القاهرة حتى كشفت أولئك الطعام، ونقل بليق الحميات من دار الخلافة إلى داره وفهم أم المقتدر فأكرمتها علي بن بليق وأنزلها عند أمه فماتت في جمادي من سنة إحدى وعشرين. وعلم التاجر أن ذلك من مؤنس وأبن مقلة فشرع في التدبر عليهم وكان طريف السيكمري ونشرى من خدم مؤنس قد استوحشاً مؤنس لتقديم بليق وابنه عليهم. وكان اعتماد مؤنس على الساجية وقد جاؤوا معه من الوصول ولم يوف لهم فاستوحشوا لذلك، فداخلتهم القاهرة جميعاً وأغراهم بمؤنس وبليق، وبعث إلى أبي جعفر محمد بن القاسم بن عبد الله وكان مختصاًً بابن مقلة وصاحب رأيه! فرعده بالوزارة فكان يطالعه بالأجيال. وشعر ابن مقلة بذلك فأبلغوا إلى مؤنس وبليق، وأجعوا على خلع القاهرة، واتفق بليق وابنه على وأبن مقلة والحسن بن هارون على البيعة لأبي أحد بن المكتفي فإباعوه، وحلفوا له وأطلعوا مؤنساً على ذلك، فأشعار بالمهل وتأييس القاهرة حتى يعوفوا من واطأه من القواد والساجية والخجرية فأبوا وھونوا عليه الأمر في إستعمال خلعه فإذا ذُر لهم، فاشاعوا أن أبي تاجر القرمي ورد الكوفة، وندبوا علي بن بليق للمسير إليه ليدخل للرداع ويقبض على القاهر وأبن مقلة كان نائماً فلما استيقظ أعاد الكتاب إلى القاهرة فاستراب. ثم جاءه طريف السيكمري غلام مؤنس في زي امرأة مستتصحاً، فأحضره وأطلعه على تدبیرهم وبيعهم لأنبي أحد بن المكتفي فأخذ القاهرة حذرة، وأمكن الساجية في دهاليز القصر وغراته، وجاء علي بن بليق في خف من أصحابه، واستاذن فلم يؤذن له، وكان ذا خار فغضب وأفحش في القول فأخرج الساجية في السلاح وشتموه وردوه، وفر عنه أصحابه وألقى بنفسه في الطيار وعبر إلى الجانب الغربي.

واخفى الوزير ابن مقلة والحسن بن هارون، وركب طريف  
إلى دار القاهر، فأنكر بليق ما جرى لابنه وشتم الساجية وقال:  
لابد أن أستعدي الخليفة عليهم، وجاء إلى القاهر ومعه قرداد  
مؤنس، فلم يأذن له وقبض عليه وحبسه، وعلى أحمد بن زيرك  
صاحب الشرطة، وجاء العسكر متكتفين بذلك فاسترضاه  
ووعدهم بالزيارة وبطريق مؤلاء الحسين فافتقرقا، وبعث إلى  
مؤنس بالحضور عنده ليطالعه برأيه فأباي فعلزه، وولى طريف  
السيكري مكانه وأعطاه خاقنه وقال: قد فوضت إلى ابني عبد  
الله المقدار فروضه إلى ابني محمد، وقلدتك خلافته

يرجعوا إليه إذا صلح أمره، فساروا إلى مرداويخ قبلهم وأكرمهم، واستأتموا إليه جماعة ومن قواد مakan فقتلهم وأولادهم. وولى علي بن بويه على الكرج، وكان أكبر إخوه. وسار جيئهم إلى الري وبعليها وشمير بن وزيار أخو مرداويخ ومعه وزير الحسين بن محمد الملقب بالعميد، فاتصل به علي بن بويه وأهدي إليه بغلة كانت عنده ومتاعاً، وندم مرداويخ على ولادة هؤلاء المستأتمة من قواد مakan، فكتب إلى أخيه وشمير بالقضى على الساقين، وأراد أن يبعث في أثر علي بن بويه فخشى الفتنة وتركه.

ولما وصل علي بن بويه إلى الكرج استقام أمره وفتح قلاعاً للخرمية ظفر منها بذخائر كثيرة، واستمال الرجال وعظم أمره، وأوجه الناس، ومرداويخ يومئذ بطبرستان. ثم عاد إلى الري وأطلق مالاً جماعة من القواد على الكرج فوصلوا إلى علي بن بويه فاحسن إليهم واستنبطهم، وبعث إليهم مرداويخ فدافعوا فقدم على إطلاقهم، وبعث فيهم مرداويخ أمراء الكرج فاستأتم إيه شيرزاد من أعيان قواد الدليل. فقويت نفسه وسار إلى أصحابه وبها المظفر بن ياقوت على الحرب في عشرة الآف مقاتل، أبو علي بن رستم على الخوارج، فأرسل علي بن بويه يستعطفهما في الإغياز إلى طاعة الخليفة وخدمته، والسير إلى الحضرة فلم يجيءه. وكان أبو علي أشد كراهة له فمات تلك الأيام.

وسار ابن ياقوت ثلاثة فراسخ عن أصحابه، وكان في أصحابه حسل وديلم، واستأتموا إلى ابن بويه، ثم اقتلوا فانهزم ابن ياقوت واستولى علي بن بويه على أصحابه، وهو عماد الدولة، وكان عسكته خرو من تسمعاته، وعسكت ابن ياقوت خرو من عشرة ألف. وبلغ ذلك القاهر فاستعظموه وبلغ مرداويخ فائلقه وخاف على ما يده، وبعث إلى عماد الدولة يقادعه يطلب الطاعة منه ليطمئن للرسالة، وبذلكه أخوه وشمير في العساكر. وشعر ابن بويه بذلك فرحل عن أصحابه وقصد أرجان وبها أبو بكر بن ياقوت، فانهزم أبو بكر من غير قتال ولحق برامهرمز. واستولى ابن بويه على أرجان وخالقه وشمير أخو مرداويخ إلى أصحابه فملكتها، وأرسل القاهر إلى مرداويخ بأن يسلم أصحابه محمد بن ياقوت ففعل. وكتب أبو طالب يستدعيه ويهون عليه أمر ابن ياقوت وغيره به، فخشى ابن بويه من كثرة عساكر ياقت وأمواله، وأن يحصل بينه وبين ابنه تآليات فتوقف، فاعدى عليه أبو طالب وأراه أن مرداويخ طلب الصلح من ابن ياقوت وخوفه اجتماعهما عليه. فسار ابن بويه إلى أرجان في ربیع سنة إحدى وعشرين ولقيتهم هنالك مقدمة ابن ياقت فانهزمت، فزحف ابن ياقت إليهم وبعث عماد الدولة أخاه ركن الدولة الحسن إلى

وعلى الشرطة أحد بن خاقان، واستوزر أبي جعفر محمد بن القاسم بن عبد الله مكان ابن مقلة، وأمر بالتناء على المستربين والوعيد لمن أخفى، وطلب أبي أحد بن المكتفي فظفر به، وبنى عليه حائطاً فمات. ثم ظفر بعلي فقتله. ثم شب الجندي في شعبان ومعهم أصحاب مؤنس، وثاروا ونادوا بشعاره، وطلبوا إطلاقه وأحرقوا روشن دار الوزير أبي جعفر، فعمد القاهر إلى بليق في حبسه وأمر به ذبح وحمل الراسين إلى مؤنس، فلما رأهما مؤنس استرجع ولعن قاتلهمما فأمر به فنبغ وطيف بالرؤوس. ثم أودعت بالخزانة. وقيل: إن قتل علي بن بليق تأخر عن قتل أخيه ومؤنس لأنه كان مختلفاً، فلما ظفر به بعدهما قتله. ثم بعث القاهر إلى أبي يعقوب إسحاق بن إسماعيل اليوصحي فأخذ من حبس الوزير محمد بن القاسم وجبيه، وارتبا الناس من شدة القاهر، وندم الساجية والحجرية على مداخلته في ذلك الأمر. ثم قبض القاهر على وزيره أبي جعفر وأولاده وأخيه عبيد الله وخدمة ثلاثة أشهر ونصف من ولايته، ومات لثمان عشرة ليلة من حبسه، واستوزر مكانه أبي العباس أحد بن عبيد الله بن سليمان الحصبي. ثم استبد القاهر على طريق السكري واستخف به، فخافه وتنكر. ثم أحضره بعد أن قبض على الوزير أبي جعفر فقبض عليه وأودعه السجن إلى أن خلع القاهر.

## ابتداء دولة بني بويه

كان أبوهم أبو شجاع بويه من رجالات الدليل، وكان له أولاد على والحسن واحد، فعلى أبو الحسن عماد الدولة، والحسن أبو علي ركن الدولة، وأحمد أبو الحسن معز الدولة. ونسبهم ابن ماكولا في الساسانية إلى بهرامجور بن يزدجرد، وابن مسکورة إلى يزدجرد بن شهريار، وهو نسب مدخول، لأن الرياسة على قوم لا تكون في غير أهل بلدتهم كما ذكرنا في مقدمة الكتاب.

ولما أسلم الدليل على يد الأطروش وملك بهم طبرستان وجرجان، وكان من قواده مكان بن كالي وليلي بن التعمان وأسفار بن شيروية ومرداويخ بن وزيار، وكانوا ملوكاً عظاماً واذدوا في طبرستان، فساروا ملك الأرض عند اختلاط الدولة العباسية وضعفها، وقصدوا الاستيلاء على الأعمال والأطراف. وكان بنو بويه من جلة قواد مكان بن كالي فلما وقع بينه وبين مرداويخ من الفتنة والخلاف ما تقدم، وغلبه مرداويخ على طبرستان وجرجان عادوا إلى مرداويخ لتفخ عن مؤتهم على أن

وبعث إلى الحجرية فجمعهم عنده وتحالفا على خلع القاهرة، وزحفوا إلى الدور وهجموا عليه فقام من النوم ووجد الأبواب مشحونة بالرجال فهرب إلى السطح، وذهب عليه خادم فجاؤه واستدعوه للنزول فأبى فتهددوه بالرشق بالسهام فنزل وجاءوا به إلى محبس طريف السيكري فحبسوه مكانه وأطلقوا حتى سمل بعد ذلك، وذلك لستة ونصف من خلافته.

وهرب الحصبي وزيره وسلامة حاجه. وقد قيل في خلعة غير هذا وهو: أن القاهر لما تمكن من العلاقة اشتد على الساجية والحجرية واستهان بهم، فتشاكوا ثم خافه حاجه سلامه لأنها كان يطالبه بالأموال ووزيره الحصبي كذلك، وحفر المطامير في داره فارتباوه به كما ذكرنا. وأسر جماعة من القرامطة فحبسهم بتلك المطامير وأراد أن يستظر بهم على الحجرية والساجية فتنكروا بذلك وقالوا فيه للوزير وللحاجب، فاخرجهم من الدار وسلمتهم محمد بن ياقوت صاحب الشرطة وأوصاه إليهم فازداد الساجية والحجرية ريبة. ثم تنكر لهم القاهر وصار يعلن بندهم وكراهتهم فاجتمعوا خلعة كما ذكرنا.

ولما قبض القاهر بخثرا عن أبي العباس بن المقader وكان  
محبوساً مع أمه، فاخرجه وبايعوه في جمادى سنة اثنتين وعشرين،  
وبايعه القواد والناس، وأحضر على بن عيسى وأخاه عبد الرحمن  
وصدر عن رأيهما، وأراد على بن عيسى على الرزارة فامتنع  
واعتذر بالتفكير، وأشار بابن مقلة فامنه واسترزره. وبعث القضاة  
إلى القاهر ليخلع نفسه فابي فضل وأمن ابن مقلة الحصبيي وولاه  
وولى الفضل بن جعفر بن الفرات نائباً عنه عن أعمال الموصل  
وقدري وياريدى وماردين وديار الجزيرة وديار بكر وطريق الفرات  
والغور الجزيري والشامية وأجناد الشام وديار مصر يعزز ويولي  
من يراه في الخراج والمعدان والشققات والبريد وغير ذلك.

وولي الراضي على الشرطة بدرأ الحمامي وأرسل إلى محمد بن راقن يستدعيه، وكان قد استولى على الأموال ودفع عنها ابن ياقوت من تلك الولاية إلى السوس وجندسابور، وقد ول على أصبهان وهو يروم المسير إليها. فلما ول الراضي استدعاه للحجابة فسuar إلى واسط، وطلب محمد بن ياقوت الحجابة فأجيب إليها فسuar فيثر ابن راقن، وبلغ ابن راقن الخبر فسuar من واسط مسبقاً لابن ياقوت بالمدائن توقيع الراضي بالحرب، والمعادن في واسط مضافاً إلى ما يبيده من البصرة والمعادن، فعاد منحدراً في دجلة ولقيه ابن ياقوت مصعداً ودخل بغداد وول الحجابة وصارت إليه رئاسة الجيش ونظر في أمر الدواوين وأمرهم بحضور مجلسه، وأن لا ينفعوا توقيعاً في ولاية أو عزل أو إطلاق إلا بمنطقة، وصار

كازرون وغيرها من أعمال فارس، فجئ أمواطا ولقي عسكر ابن ياقوت هنالك فهزمهم ورجع إلى أخيه، وخشي عماد الدولة من اتفاق مردابي مع ابن ياقوت فسار إلى أصطخر، واتبعه ابن ياقوت وشيعه إلى قنطرة بطريق كرمان اضطروا إلى الحرب عليهما. فتزاحفوا هنالك واستأمن بعض قواده إلى ابن ياقوت فقتلهم، فاستأمن أصحابه وأنهزم ابن ياقوت واتبعه ابن بزير واستباح عسكره، وذلك في محادي سنة اثنين وعشرين.

وابلى آخره معز الدولة أحد في ذلك اليوم بلاء حسناً  
ولحق ابن ياقوت بواسط، وسار عماد الدولة إلى شيراز فملكتها  
وأمن الناس واستولى على بلاد فارس، وطلب الجند أرزاقهم  
فعجز عنها عشر على صناديق من مخلف ابن ياقوت وذخائر بني  
الصفار فيها خسمائة ألف دينار فامثلات خزانته وثبت ملكه.  
واستقر ابن ياقوت بواسط وكاتبه أبو عبد الله البزيدي حتى قتل  
مرداويج. عاد إلى الأهواز ووصل عسكر مكرم، وكانت عساكر  
ابن بويه سبقة فالتقوا بنواحي أرجان وانهزم ابن ياقوت فارسل  
أبو عبد الله البزيدي في الصلح فأجابه ابن بويه، واستقر ابن  
ياقوت بالأهواز ومعه ابن البزيدي وأبن بويه ببلاد فارس. ثم  
زحف مرداويج إلى الأهواز وملكتها من يد ابن ياقوت، ورجع إلى  
واسط وكتب إلى الرأسبي. وكان بعد القاهر كما ذكره، وإلى  
وزيره أبي علي بن مقلة بالطاعة والمقاطعة فيما يبده من البلاد  
باعمال فارس على ألف ألف درهم، فاجب إلى ذلك ويعث إليه  
باللراء والخلع وعظم شأنه في فارس وبلغ مرداويج شأنه فخاف  
غائلته، وكان آخره وشمير قد رجع إلى أصحابه بعد خلع القاهر  
وصرف محمد بن ياقوت عنها، فسار إليها مرداويج للتنبیر على  
عماد الدولة ويعث أخيه وشمير على الري وأعمالها.

خلع القاهر وبيعة الراضي

ولما قتل القاهر مؤنساً وأصحابه أقام يطلب الوزير أبا علي بن مقلة والحسن بن هارون وهما مستران، وكانت براسلان قواد الساجية والحجرية وبغراناتهم بالقاهر، فلأنهم غروه كما فعل أصحابه قبلهم. وكان ابن مقلة يجتمع بالقواد ويراسلهم ويحيي إليهم متكرراً وينزههم، ووضعوا على سيماء أن منجمأً أخبره أنه ينكب القاهر ويقتلها، ودسوا إلى معبر كان عنده أمراؤ الأ على أن يمحذره من القاهر، فنفر واسترخش، وحفر القاهر مطامير في داره، فقيل لسيما والقواد: إنما صنعت لكم فازدادوا نفرة. وكان سيماء رئيس الساجية فأرباب بالقاهر وجمع أصحابه وأعطاهم السلاح،

فلما استولى عليها مرداویج وانهزم ابن ياقوت كما مرر جع  
البریدی إلى البصرة وصار يتصرف في أسفال الأهواز مع كثافة  
ياقوت. ثم سار إلى ياقوت فقام معه بواسطه، فلما قبض على ابن  
ياقوت وكتب ابن مقلة إليه وإلى ياقوت يعتذر عن قبض ابن  
ياقوت وياورهما بالمسير لفتح فارس، فسار ياقوت على السوس  
والبریدی على طريق الماء حتى انتهيا إلى الأهواز. وكان إلى أشواره  
أبي الحسن وأبي يوسف ضمانت السوس وجندیسابور، وادعيا أن  
ذخل البلد أخذه مرداویج. وبعث ابن مقلة ثانيةً لتحقق ذلك،  
فروافهم وكتب بصدقهم، فاستولى ابن البریدی ما بين ذلك على  
أربعة آلاف الف دینار، ثم أشار أبو عبد الله بن علي بن ياقوت  
بالمسير لفتح فارس، وأقام هو جباية الأموال فحصل منها بغيته.  
وسار ياقوت فلقيه ابن بویه على أرجان فهزمه وسار إلى عسکر  
مکرم. واتبعه ابن بویه إلى راهموزم وأقام بها إلى أن اصطلاحا.

### مقتل ياقوت

قد تقدم لنا انهزم ياقوت من فارس أمام عماد الدولة ابن  
بویه إلى عسکر مکرم واستيلاء ابن بویه على فارس. وكان أبو  
عبد الله البریدی بالآهواز ضامناً كما تقدم. وكان مع ذلك كاتباً  
لياقوت، وكان ياقوت يستنبط إليه ويقنه، وكان مفلاً ضعيفاً  
السياسة فخادعه أبو عبد الله البریدی وأشار عليه بالقام بعسکر  
مکرم وأن يبعث إليه بعض جنده الواثلين من بغداد تخفيناً  
للمؤنة وخدراً من شغفهم. وبعث إليه أخاه بذلك أبا يوسف  
ودفع له من مال الآهواز خمسين ألف دینار. ثم قطع عنه فضاق  
الحال عليه وعلى جنده، وكان قد نزع إليه من أصحاب ابن بویه  
ظاهر العمل وكانته أبو جعفر الصهیری، ثم انصرف عنه لضيق  
حاله إلى غربی تستر لينقلب على ماه البصرة، فكبسه ابن بویه  
وغم معسکره وأسر الصهیری فشنع فيه وزرمه وأطلقه، فلحقت  
بكرمان واتصل بعد ذلك بمعز الدولة ابن بویه واستكتبه.

ولما انصرف طاهر عن ياقوت كتب إلى البریدی بشكوى  
ضعفه واستطالة أصحابه، فاشار عليه بإرسالهم إلى الآهواز  
متعرفين لقومهم. فلما وصلوا إليه انتقى خيارهم ورد الباقي،  
وأحسن إلى من عنده. وبعث ياقوت إليه في طلب المعز فلم يبعث  
إليه، فجاءه بنفسه فلتقاء وتراجله إليه وقبل يده، وأنزله بداره وقام  
في خدمته أحسن مقام، ووضع الجندي على الباب يشغبون  
ويرومون قتله، فأشار إليه بالتجاة، فعاد إلى عسکر مکرم فكتب  
إليه بمحذره اتابهم، وإن عسکر مکرم على ثمانية فراسخ من

نظر الوزیر في الحقيقة له وابن مقلة مکابر مجلسه مع جلتهم  
ومتمیز عنهم في الإیثار والمجلس فقط.

### مقتل هارون

كان هارون بن غریب الحال على ماه الكوفة والدينور  
وماسبدان سائر الأعمال التي ولاها القاهر إیاه، فلما خلع القاهر  
واستخلف الراضی رأى هارون أنه أحق بالدولة من غيره لأنه ابن  
خال المقترن، فكاتب القراد ووعدهم وسار من الدينور إلى خانقین  
وشکا ابن مقلة وابن ياقوت والحجرية والساچة إلى الراضی فاذن  
لهم في منهعه، فراسلوه أولاً بالملائمة. والزيادة على ما في يده من  
الأعمال، فلم يلتقط إليهم وشرع في الجباية فقویت شوکته، فسار  
إليه محمد بن ياقوت في العساکر وهرب عنه بعض أصحابه إلى  
هارون، وكتب إلى هارون يستميله فلم يجيب، وقال: لا بد من  
دخول بغداد. ثم تراحوها لست بين من جادى الآخرة ستة اثنين  
وعشرين، فانهزم أولاً أصحاب ابن ياقوت ونهب سوادهم وسار  
محمد حتى قطع قنطرة تبریز، وسار هارون منفرداً لاعتراضه،  
فدخل في بعض المياه وسقط عن فرسه، ولحقه غلام محمد بن  
ياقوت قطع راسه وانهزم أصحابه وقتل قراده وأسر بعضهم  
ورجع ابن ياقوت إلى بغداد ظافراً.

### نكبة ابن ياقوت

قد ذكرنا أنه نظر في أمر الدواوين وصیر ابن مقلة كالعاطل،  
فسعى به عند القاضی وأوهمه خلافه حتى أجمع القبض عليه في  
جادی سنة ثلاثة وعشرين، فجلس الخليفة على عادته وحضر  
الوزیر وسائر الناس على طبقاته يريد تقلید جماعة من القراد  
للأعمال. واستدعي ابن ياقوت للخدمة في الخجۃ على عادته،  
فبادر وعذل به إلى حجرة فحبس فيها وخمار. وبعث الوزیر ابن  
مقلة إلى دار محمد من يحفظها من النهب وأطلق يده في أمور  
الدولة واستبد بها وكان ياقوت مقیماً بواسطه، فلما بلغه القبض  
على ابنه انحدار إلى فارس لحاربة ابن بویه، وكتب يستعطف  
الراضی ويسأله إيقاء ابنه لیسانده على شأنه. ولم ينزل محمد  
محبوباً إلى أن هلك ستة أربع عشرة في محبه.

### خبر البریدی

كان أبو عبد الله البریدی أيام ابن ياقوت ضامناً للأهواز،

الديلمي على نصيبين إلى الرقة وأخدر منها إلى بغداد ولقبه ابن طيب، واستولى ناصر الدولة حдан على الموصل وكتب في الرضا وضمان البلاد فأجيب وتعذر عليه.

## نكبة ابن مقلة وخبر الوزارة

كان الوزير بن مقلة قد بعث سنة ثلاثة وعشرين إلى محمد بن رائق بواسطه يطالبه بارتفاع أعمال واسط والبصرة، وكان قد قطع الجبل. فلما جاءه كتاب ابن مقلة، كتب إليه جوابه يغاظله وكتب إلى الرضي بالسعي في الوزارة، وأنه يقوم بتفقات الدار وأرزاقي الجند، فجهز الوزير ابنه سنة أربع وعشرين لقصده ووري بالأهواز، وأنفذ رسوله إلى ابن رائق بهذه التورية يؤنسه بها، وبادر القصر لإنفاذ الرسول فقبض عليه المظفر بن مقلة وإلى الحجرية وكان المظفر قد أطلق من محبسه وأعيد إلى الحجية، فاستحسن الرضي فعلهم، واحتفى أبو الحسين ابن الوزير وسائر أولاده وحرمه وأصحابه، وأشار إلى الحجرية والسامحة بوزارة علي بن عيسى فامتنع وسار باخيه عبد الرحمن فاستوزره الراضي وصدر ابن مقلة. ثم عجز عن تمشية الأمور وضاقت عليه الجباية فاستعنى من الوزارة، فقبض عليه الرضي وعلى أخيه على ثلاثة أشهر من وزارته، واستوزر أبو جعفر محمد بن القاسم الكرخي فصادر علي بن عيسى على مائة ألف دينار، ثم عجز عن الوزارة وضاقت الأموال وانقطعت، وطبع أهل الأعمال فيما باليدهم، فقطع ابن رائق حل واسط والبصرة وقطع ابن البريدي حل الأهواز وأعمالها، وانقطع حل فارمن لغلب ابن بريه عليها، ولم يقِ غير هذه الأعمال ونطاق الدولة قد تضابق إلى الغاية وأهل الدولة مستبدون على الخلافة والأحوال متلاشية، فتحير أبو جعفر وكبرت عليه المطالبات وذهبت هيته، فاحتفى ثلاثة أشهر ونصف من وزارته واستوزر الرضي مكانه أبا القاسم سليمان بن الحسن، فكان حاله مثل حال من قبله في قلة المال ووقف الحال.

## استيلاء ابن رائق على الخليفة

ولما رأى الرضي وقف الحال من الوزراء استدعى أبا بكر محمد بن رائق من واسط وكاتبته بأنه قد أجابه إلى ما عرض من السعي في الوزارة على القيام بالتفقات وأرزاقي الجند، فسر ابن رائق بذلك وشرع يتجهز للمسير. ثم أنفذ إليه الرضي الساجية وقلده إمرة الجيش، وجعله أمير الأمراء، وفرض إليه الخراج والدواوين والمعادن في جميع البلاد، وأمر بالخطبة له على المنابر،

الأهواز، وأرى أن تتأخر بسترة فتحصن بها. وكتب له على عامل ستة بمسمى ألف دينار، وعزله خادمه مؤنس في شان ابن البريدي وأراه خديعه وأشار إليه باللحاق ببغداد، وأنه شيخ الحجرية، وقد كاتبوك فسر إلى رئاسة بغداد ولا فتعاجل إلى البريدي وتخرجه عن الأهواز، فقسم عن نصيبيه وأبي من ثوب السعادة فيه، وتسابيل أصحابه إلى ابن البريدي حتى لم يبق معه إلا نحو الشماماتة.

وجاءه ابنه المظفر ناجياً من حبس الراضي بعد أسبوع، فاطلقه ويعنه إلى أبيه فأشار عليه بالمسير إلى بغداد، فإن حصل على ما يريد وإنما فالموصل وديار ربيعة ويتسلكه فابن البريدي فراره إلى ابن البريدي فأكيرمه وكل به. ثم حذر ابن البريدي غائلة ياقوت فبعث إليه بأن الخليفة أمره بإزعامجه من البلاد إنما إلى بغداد وإنما إلى بلاد الجبل ليوليه بعض أعمالها، فكتب يستهله فابن من المهلة وبعث العساكر من الأهواز. وسار ياقوت إلى عسكر مكرم ليكتب ابن البريدي هنالك فصيح البلد ولم يجد، وجاءت عساكر ابن البريدي مع قائد أبي جعفر الجمال، فقاتله من أمامه وأكمن آخرين من خلفه فانهزم وافتقر أصحابه، وحسا إلى حاطط متذكرة ففر به قوم ابن البريدي فكشروا وجهه وعرفوه فقتلوه وحملوا رأسه إلى العسكر فدفنه الجمال وبعث البريدي إلى تستر فحمل ما كان ياقوت هنالك، وقبض على ابنه المظفر وبعشه إلى بغداد واستبدل بتلك الأعمال وذلك سنة أربع وعشرين.

## مسير ابن مقلة إلى الموصل واستقرارها لابن حدان

كان ناصر الدولة أبو محمد الحسن بن أبي الهيجاء عبد الله بن حدان عملاً على الموصل فجاءه عم أبي العلاء سعيد فضم من الموصل وديار ربيعة سراً وسار إليها ظهر أنه في طلب المال من ابن أخيه. وشعر ناصر الدولة بذلك فخرج لتلقيه، فخالفه إلى بيته فبعث من قبله واهتم الراضي بذلك وأمر الوزير أبا علي بن مقلة بالمسير إلى الموصل فسار في العساكر من شعبان سنة ثلاثة وعشرين، فرحل عنها ناصر الدولة ودخل الزوران واتبعه الوزير إلى حل السن. ثم عاد عنها إلى الموصل وأقام في جايتها وبعث ناصر الدولة إلى بغداد بعشرة آلاف دينار لابن الوزير ليستحب أبا في القدوم، فكتب إليه بما أزعجه، فسار من الموصل واستخلف عليها علي بن خلف بن طيب ومتازد الديلمي من الساجية. ودخل بغداد متصرف شوال، وجمع ناصر الدولة ولقي ماترد

على قصد العراق والاستيلاء عليه، وتجديد قصور كسرى باللداش. وكان في خدمته جماعة من الترك ومنهم يحكم. فآسأه ملوكهم وعسكرهم فقتلواه سنة ثلاثة وعشرين بظاهر أصبهان كما ذكره في أخبارهم. واجتمع الديلم والجبل بعده على أخيه وشمكير بن زياد وهو والد قابوس، ولما قتل مرداویح افترق الأتراك فرقتين ففرقة سارت إلى عماد الدولة بن بویه بفارس، والأخرى وهي الأكثر سارت نحو الجبل عند يحكم، فجروا خراج الدينور وغراها. ثم ساروا إلى النهروان وكانتوا الراضي في المسير إليه، فاذن لهم وارتاب الحجرية بهم، فأمرهم الوزير بالرجوع إلى بلد الجبل فغضبوا واستدعاهم ابن رائق صاحب واسط والبصرة فمضوا إليه وقام عليهم يحكم وكان الأتراك والديلم من أصحاب مرداویح فجاءته جماعة منهم فاحسن إليهم ولل يحكم وسماه الراتقي نسبة إليه وأذن له أن يكتب في خطاباته.

### مسير الراضي وابن رائق لحرب ابن البريدي

ثم اعتزم ابن رائق سنة خمس وعشرين على الراضي في المسير إلى واسط لطلب ابن البريدي في المال ليكون أقرب لمناجزته، فانحدر في شهر حرم وارتبا الحجرية بفعله مع الساجية، فتختلفوا ثم تبعوه فاعتبرتهم وأسقطوا أكثرهم من الديوان، فاضطربوا وثاروا فقاتلهم وهزهم وقتل منهم جماعة وبخاً لهم إلى بغداد، فاقع بهم لؤلؤ صاحب الشرطة ونبت دروهم وقطعت أرزاقهم وقبضت أموالهم، وقتل ابن رائق من كان في جسمه من الساجية، وسار هو والراضي نحو الأهواز لإجلاء ابن البريدي منها. وقدم إليه في طلب الاستقامة وتوعده فجدد ضمان الأهواز بـألف دينار في كل شهر، ويحمل في كل يوم قسطه. وأجابه إلى تسليم الجيش لمن يسير إلى قتال ابن بویه لنفوتهم عن بغداد. وعرض ذلك على الراضي، فأشار الحسين بن علي القرنخي وزير ابن رائق بأن لا تقبل لأنه خداع ومكر وأشار أبو بكر بن مقاتل بإيجابته، وعقد الضمان على ابن البريدي، وعاد ابن رائق والراضي إلى بغداد فدخلهاا أول صفر، ولم يف ابن البريدي بحمل المال، وأنفذ ابن رائق جعفر بن ورقاء ليسير بالجيش إلى فارس، ودس إليهم ابن البريدي أن يطلبوا منه المال ليتجهزوا به فاعتذر، فشتموه وتهددوا بالقتل. وأتى ابن البريدي فأشار عليه بالنجاء.

ثم سعى ابن مقاتل لabin البريدي في وزارة ابن رائق عوضاً عن الحسين القرنخي وبدل عنه ثلثين ألف دينار، فاعتذر له

وانحدر إليه أرباب الدواوين والكتاب والمحجوب. ولما جاءه الساجية قبض عليهم بواسط في ذي الحجة من سنة أربع عشرين، ونهب رجالهم ودواويمهم ومتاعهم ليوفر أرزاقهم على الحجرية، فاستوحشوا بذلك وخيموا بدار الخلافة، وأصعد ابن رائق إلى بغداد وفرض الخليفة إليه أمرهم. وأمر الحجرية بتقويض خيامهم والرجوع إلى منازلهم، وأبطل الدواوين وصبر النظر إليه، فلم يكن الوزير ينظر في شيء من الأمور.

وبقي ابن رائق وكتابه ينظرون في جميع الأمور بفضل الدواوين وببيوت الأموال من يومئذ وصارت لأمير الأمراء، والأموال تحمل إلى خزانة، وينصرف فيها كما يريد، ويطلب من الخليفة ما يريد. وتغلب أصحاب الأطراف وزال عنهم الطاعة. ولم يبق للخلافة إلا بغداد وأعمالها وابن رائق مستبد عليه. وأما باقي الأعمال فكانت البصرة في يد ابن رائق، وخراسistan والأهواز في يد ابن البريدي، وفارس في يد عماد الدولة ابن بویه، وكرمان في يد علي بن اليس، والري وأصبهان والجبل في يد ركن الدولة ابن بویه، وشمكير آخر مرداویح ينزعه في هذه الأعمال، والموصل وديار بكر ومضر وريعة في يد حدان، ومصر والشام في يد ابن طفع، والمغرب وأفريقية في يد العبيدين، والأندلس في يد عبد الرحمن بن الناصر من ولد عبد الرحمن الداخل وما وراء النهر في يدبني سامان، وطبرستان في يد الديلم، والبحرين واليامامة في يد أبي الطاهر القرمطي، ولم يبق لنا من الأخبار إلا ما يتعلّق بالخلافة فقط في نطاقها المتضيق أخيراً، وإن كانت مغلبة وهي أخبار ابن رائق والبريدي، وأما غير ذلك من الأعمال التي اقتطعت كما ذكرنا، فذكر أجيادها متفردة ونسوق المستبددين دولاً كما شرطناه أول الكتاب. ثم كتب ابن رائق عن الراضي إلى أبي الفضل بن جعفر بن الفرات وكان على الخراج بمصر والشام، وظن أنه بوزارته تكون له تلك الجبائية، فوصل إلى بغداد وولي وزارة الراضي وابن رائق جميعاً.

### وصول يحكم مع ابن رائق

كان يحكم هذا من جملة مرداویح قائد الديلم ببلاد الجبل، وكان قبله في جملة مakan بن كالي ومن مواليه، وله وزیره أبو علي الفارض، ثم فارق مكان مع من فارقه إلى مرداویح. وكان مرداویح قد ملك الري وأصبهان والأهواز، وضم ملكه وصنع كراسى من ذهب وفضة للجلوس عليها هو وقواده، ووضع على رأسه ناجاً تظنه تاج كسرى. وأمر أن ينطاط بشاشة واعتزم

ابن البريدي السفن ومعه ثلاثة ألف دينار ففرق أصحابه وماله ونجا إلى البصرة، وأقام بالأ JL وبعث غلامه إقبالاً لتلقي جماعة من أصحاب ابن رائق فهزهم، وبعث ابن رائق مع جماعة من أهل البصرة يستطعفه قابي، فطلبوها البصرة فحل لحرقها ويقتل كل من فيها، فرجعوا مستصرين في قتاله.

وأقام ابن البريدي بالبصرة، واستولى يحكم على الأهواز ثم بعث ابن رائق جيشه في البحر والبر فانهزم عسكر البر واستولى عسكر الماء على الكلا، فهرب ابن البريدي في السفن إلى جزيرة أوال، وترك أخاه أبي الحسين في عسكر البصرة فدفع عسكر ابن رائق عن الكلا فصار ابن رائق من واسط، واستولى يحكم على الأهواز، وقاتلوا البصرة فامتنعت عليهم، وسار أبو عبد الله بن البريدي من أوال إلى عماد الدولة بن بوبي بفارس، فاطعمه في العراق وبعث معه أخيه معز الدولة إلى الأهواز فسير إليها ابن رائق مولاً يحكم على أن يكون له الحرب والخارج، وأقام ابن البريدي على البصرة ورتحت إليه عساكرهم فاعجلوه عن تقويض خيامه فأحرقها وسار إلى الأهواز مغرداً، وسبقه عساكره إلى واسط وأقام عند يحكم أياماً وأشار عليه مجتبه فلم يفعل ورجع ابن رائق إلى واسط.

## استيلاء معز الدولة على الأهواز

لما سار أبو عبد الله بن البريدي من جزيرة أوال إلى عماد الدولة ابن بوبي بفارس مستجراً به من ابن رائق يحكم ومستجداً عليهم، طبع عماد الدولة في الاستيلاء على العراق. فسير معه أخيه معز الدولة أحد بن بوبي في العسكر، ورهن ابن البريدي عنه ولديه أبي الحسين محمدًا وأبا جعفر الفياض. وسار يحكم للقائهم فلقيتهم بارجان فانهزم أمامهم وعاد إلى الأهواز، وخلف جيشاً بعسكر مكرم. فقاتلهم معز الدولة ثلاثة عشر يوماً ثم انقضوا ولحقوا بستر، وملك معز الدولة عسكر مكرم وذلك سنة ست وعشرين وسار يحكم من الأهواز إلى تستر، وبلغ الخبر إلى ابن رائق بواسط، فسار إلى بغداد وجاء يحكم من تستر إلى واسط. ولما استولى معز الدولة وابن البريدي على عسكر مكرم، ولقيهم أهل الأهواز وسار معهم إليها فقاتلوا شهراً، ثم طلب معز الدولة من ابن البريدي عسكره الذي في البصرة ليسير بهم إلى أخيه ركن الدولة بأصبهان لحرب وشمكير، فاحضر منهم أربعة آلاف. ثم طلب من عساكره الذين يحسنون مهدي ليسيروا بهم في الماء إلى واسط فارتاد ابن البريدي وهرب إلى البصرة. وبعث إلى عساكرها الذين

بسوان القوبحي عنده وسعيه له، وكان مريضاً فقال له ابن مقاتل: إنه هالك، فقال ابن رائق: قد أعلمك الطيب أنه ناق، فقال: الطيب يراجيك فيه لقرية منك، ولكن سل ابن أخيه علي بن حдан. وكان التوبحي قد استتاب ابن أخيه في مرضه، فشار عليه ابن مقاتل أن يعرف الأمير إذا بهملكة، وأشار عليه أن يستزوره.

فلما سأله ابن رائق أياسه منه؟ فقال ابن رائق عند ذلك لابن مقاتل: أكتب لابن البريدي يرسل من ينوب عنه في الوزارة، فبعث أحد بن الكوني واستولى مع مقاتل على ابن رائق، وسعوا لابن البريدي أبي يوسف في ضمان البصرة.

وكان عامل البصرة من قبل ابن رائق محمد بن يزداد وكان شديد الظلم والعنف بهم، فخادعه ابن البريدي وأنفذ أبو عبد الله مولاً إقبالاً في الفي رجل، وأقاموا في حصن مهدي قريباً. فعلم ابن يزداد أنه يروم التغلب على البصرة، وأقاموا على ذلك وأقام ابن رائق شأن هذا العسكر في حصن مهدي. وبلغه أيضاً أنه استخدم الحجررين الذين أذن لهم في الانسياح في الأرض، وأنهم اتفقوا مع عساكره على قطع الحبل، وكاتبه بطردهم عنه فلم يفعل. فامر ابن الكوني أن يكتب إلى ابن البريدي بالكتاب على ذلك. ويأمر بإعادة العسكر من حصن مهدي، فأجاب بإعدادهم للقراطمة وإبن يزداد عاجز عن الحماية.

وكان القراءطة قد وصلوا إلى الكوفة في ربيع الآخر وخرج ابن رائق في العساكر إلى حصن ابن هيبة ولم يستقر بينهم أمر. وعاد القراءطي إلى بلده وسار ابن رائق إلى واسط. فكتب ابن البريدي إلى عساكره بحصن مهدي أن يدخلوا البصرة وعلوكونها من ابن يزداد، وأمدتهم جماعة من الحجرة فقصدوا البصرة وقاتلوا ابن يزداد فهزموه، ولحق بالكوفة، وملك إقبال مولى ابن البريدي وأصحابه البصرة، وكتب ابن رائق إلى البريدي ينهده ويسأله بخروج أصحابه من البصرة فلم يفعل.

## استيلاء يحكم على الأهواز

ولما امتنع ابن البريدي من الإفراج عن البصرة بعث ابن رائق العساكر مع بدر الحرishi وبحكم مولاً، وأمرهم بالمقام بالجامدة فتقدم يحكم عن بدر وسار إلى السوس، وجاءته عساكر البريدي مع غلامه محمد الجمال في ثلاثة آلاف ومع يحكم ماتنان وبسبعين من الترك، فهزمه يحكم ورجع محمد بن الجمال إلى ابن البريدي فعاقبه على انهزامه، وحشد له العسكر فسار في ستة آلاف ولقيهم يحكم عند نهر تستر فانهزموا من غير قتال، وركب

وعشرين، فأمر الراضي باعتقاله وأطلع ابن رائق من الغد على كبه فشكر ذلك له ابن رائق، وأمر بابن مقلة في متصرف شوال فقطع ثم عرلخ، وبري وعاد إلى السعي في الوزارة والتظلم من ابن رائق والدعاء عليه، فأمر بقطع لسانه وجسده إلى أن مات.

ساروا إلى أصحابه وكانتا متوفقين بالسوس، فرجعوا إليه. ثم كتب إلى معز الدولة أن يفرج له عن الأهواز ليتمكن من الجباية والوقفاء بها لأن أخيه عماد الدولة، وكان قد ضمن له الأهواز والبصرة بشماعة عشر ألف الف درهم، فرحل معز الدولة إلى عسكر مكرم وأنفذ ابن البريدي عامله إلى الأهواز.

### استيلاء يحكم على بغداد

لم يزل يحكم بظهور التبعة لابن رائق ويكتب على أعلامه وتراسه يحكم الراتني إلى أن وصلته كتب ابن مقلة بأن الراضي قلد إمرء الأمراء، فطمع وكاشف ابن رائق ومحى نسبة إليه من أعلامه وسلامه. وسار من واسط إلى بغداد في ذي القعدة سنة ست وعشرين. وكتب إليه الراضي بالرجوع قابي، ووصل إلى نهر ديلي وأصحاب ابن رائق في غربه فانهزموا وعبروا النهر سباحاً. وسار ابن رائق إلى عكبراً، ودخل يحكم بغداد متصرف ذي القعدة ولقي الراضي من الغد، وولاه أمير الأمراء، وكتب عن الراضي إلى القواد الذين مع ابن رائق بالرجوع عنه فرجعوا، وعاد ابن رائق إلى بغداد فاختفى بها لستة وأحد عشر شهرًا من إمارته، ونزل يحكم بدار مؤنس واستقر ببغداد متحكماً في الدولة مستبداً على الخليفة.

### دخول أذربيجان في طاعة وشمكير

كان من عمال وشمكير على أعمال الجبل السيكري بن مردي.

### وحشة الباسيري

كان أبو الغنائم وأبو سعد ابنا الجلبان صاحبي قريش بن بدران، ويعتمدا إلى القائم سراً من الباسيري بما فعل بالأبيار فانتقض الباسيري لذلك، واستوحتش من القائم ومن رئيس الرؤساء، وأسقط مشاهرتهم ومشاهرة حواشيهم وهو بهدم منازلبني الجلبان. ثم أنصر وسار إلى الأبيار، وبها أبو القاسم بن الجلبان، وجاءه ديبس بن مزيد مهدأً له فحاصر الأبيار وفتحها عنوة ونهبها وأسر من أهلها خمسة، ومائة من بي خفاجة وأسر أبا الغنائم وجاء به إلى بغداد فأدخله على جمل، وشفع ديبس بن مزيد في قتلها، وجاء إلى مقابل الناح من دار الخليفة فقبل الأرض وعاد إلى منزله.

ثم بعث إلى معز الدولة بأن يتأخر إلى السوس قابي، وعلم يحكم بحالم فبعث جيشاً استولوا على السوس وجنديسابور، ويفيت الأهواز بيد ابن البريدي ومعز الدولة بعسكر مكرم، وقد ضاقت أحوال جنده. ثم بعث إليه آخره عماد الدولة بالمد فصار إلى الأهواز ولملكتها. ورجع ابن البريدي إلى البصرة ويعكم في ذلك مقيم بواسط، وقد صرف همه إلى الاستيلاء على رتبة ابن رائق بيتداد. وقد أندى له ابن رائق على بن خلف بن طياب ليسروا إلى الأهواز وخرجوا ابن بويه. ويكون يحكم على الحرب وابن خلف على الخارج، فلم يلتقط يحكم لذلك واستوزر على بن خلف ويعكم في أحوال واسط. ولما رأى أبو الفتح الوزير ببغداد إدبار الأحوال أطمع ابن رائق في مصر والشام، وقال: أنا أجبيهما لك، وعقد بينه وبين ابن طفح صهراً. وسار أبو الفتح إلى الشام في ربيع الآخر وشعر ابن رائق بمحاولة يحكم عليه، فبعث إلى ابن البريدي بالاتفاق على أن يضمن ابن البريدي واسط بستمائة ألف، فنهض يحكم إلى ابن البريدي قبل ابن رائق وسار إلى البصرة، فبعث إليه ابن البريدي أبا جعفر الجمال في عشرة آلاف فهزمه يحكم وارتاع ابن البريدي لذلك، ولم يكن قصد يحكم إلا الإلقاء فقط، والتضييع لابن رائق، فبعث إليه بالسلامة وأن يقلده واسط إذا تم أمره، فاقتفقا على ذلك وصرف نظره إلى أمر بغداد.

### وزارة ابن مقلة ونكته

ولما انصر أبو الفتح بن الفرات إلى الشام استوزره الراضي أبا علي بن مقلة على سنن من قبله والأمر لابن رائق، وابن مقلة كالعارية. وكتب له في أمره وأملاكه فلم يردها. فشرع في التدبير عليه، فكتب إلى ابن رائق بواسط ووشمكير باليزي يطبع كلّاً منها في مكانه، وكتب الراضي يشير بالقبض على ابن رائق وأصحابه، واستدعى يحكم لمكانه وأنه يستخرج منهم ثلاثة آلاف الف دينار، فأطمعه الراضي على كره. فكتب هو إلى يحكم يستحثه وطلب من الراضي أن يتقل إلى دار الخليفة حتى يتم الأمر فاذن له وحضر متذمراً آخر ليلة من رمضان سنة ست

الفرات إلى الشام، ولما سار استتاب بالحضرية عبد الله بن علي البصري، وكان يحكم قد قبض على زميره خلف بن طباب، واستقر أبا جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد، فسعى في وزارة ابن البريدي ليحكم حتى تم ذلك. ثم ضمن ابن البريدي أعمال واسط بستمائة ألف دينار كل سنة. ثم جاء الخبر بموت أبي الفتح بن الفرات بالرملة، فسعى أبو جعفر ابن شيرزاد في وزارة أبي عبد الله للخلفية، فعقد له الراضي بذلك واستخلف بالحضرية عبد الله بن علي البصري كما كان مع أبي الفتح.

### مسير ركن الدولة إلى واسط ورجوعه عنها

لما استقر ابن البريدي بواسط بعث جيشاً إلى السوس وبها أبو جعفر الظاهري ووزير معز الدولة أحد بن بوه ومعز الدولة بالآهواز. فتحصن أبو جعفر بقلعة السوس، وعاث الجيش في نواحيها. وكتب معز الدولة إلى أخيه ركن الدولة وهو على أصطخر قد جاء من أصحابه لاما غلبه وشمير علبيها. فلما جاء كتاب أخيه معز الدولة سار محمد إلى السوس وقد رجع عنه جيش ابن البريدي. ثم سار إلى واسط يحاول ملكها فنزل في جانبها الشرقي، وأiben البريدي في الجانب الغربي، واضطرب عسكر ابن بوه واستأمن جماعة منهم إلى ابن البريدي. ثم سار الراضي ويحكم من بغداد إلى واسط للإمداد، فرجع ركن الدولة إلى الآهواز ثم إلى راهمروز. وبلغه أن وشمير قد أندذ عسكره مددًا لاما بن كالي وأن أصحابه حالية، فسار إليها من راهمروز وأخرج من بني منها من أصحاب وشمير وملكها فاستقر بها.

### مسير يحكم إلى بلد الجبل وعوده إلى واسط واستيلاؤه عليها

كان يحكم قد أرسل ابن البريدي وصاهروه واتفقا على أن يسير يحكم إلى بلاد الجبل لفتحها من يد وشمير، وأبو عبد الله بن البريدي إلى الآهواز لأنزلها من يد معز الدولة ابن بوه، فسار يحكم إلى حلوان وبعث إليه ابن البريدي بخمسينه رجل مددًا. وبعث يحكم بعض أصحابه إلى ابن البريدي يستنهضه إلى السوس والأهواز، فأقام يماطله ويدافعه وبين له أنه يريد مخالفة يحكم إلى بغداد. فكتب إليه بذلك فرجع عن قصده إلى بغداد، وعزل ابن البريدي من الوزارة، وولى مكانه أبا القاسم بن سليمان بن الحسين بن خلد وقبض على ابن شيرزاد الذي كان ساعيًّا له وتمهذ إلى

### وصول الغزالي الدسكرة ونواحي بغداد

وفي شوال من سنة ست وأربعين وصل صاحب حلوان من الغز وهو إبراهيم بن إسحاق إلى الدسكرة فافتتحها ونهبها وقادر النساء. ثم سار إلى رسغباد وقلعة البدان وهي لسعد بن أبي الشوك، وبها أمواله فامتعمت عليه فخراب ما حولها من القرى ونهبها، وقري طمع الغز في البلاد وضعف أمر الديلم والأتراك. ثم بعث طغرل بك أبا علي بن أبي كاليجار الذي كان بالبصرة في جيش من الغز إلى خوزستان فاستولى على الأهواز وملكتها ونهب الغز الذين معه أموال الناس ولقوا منهم عناة.

### ظهور ابن رائق ومسيره إلى الشام

وفي سنة سبع وعشرين وتئمانة سار يحكم إلى الموصل وديار ربيعة بسبب أن ناصر الدولة بن حمدان آخر المال الذي عليه من ضمان البلاد، فقام الراضي بتكريت وسار يحكم، ولقيه ناصر الدولة على سنة فراسخ من الموصل، فانهزم واتبعه يحكم إلى نصبين ثم إلى أمد، وكتب إلى الراضي بالفتح. فسار من تكريت في الماء إلى الموصل، وفارقه جماعة من القراءطة كانوا في عسكره، وكان ابن رائق يكتبهم من مكان اكتفائه، فلما وصلوا ببغداد خرج ابن رائق إليهم واستولى، وطار الخبر إلى الراضي فأصعد من الماء وسار إلى الموصل، وكتب إلى يحكم بذلك. فرجع عن نصبين بعد أن استولى عليها.

وشرع أهل العسكر يتسللون إلى بغداد فلهم ذلك يحكم. ثم جاءت رسالة ابن حمدان في الصلح وتعجيل خسمائة ألف درهم، فاجابوه وقرروا إلى بغداد، ولقيهم أبو جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد رسولًا عن ابن رائق في الصلح على أن يقلده الراضي طريق الفرات وديار مصر وحران والرها وما جاورها جندي قسرین والعراصم. فأجابه الراضي وقلده وسار إلى ولايته في ربيع الآخر. وكان يحكم قد استتاب بعض قواد الأتراك على الأبار واسمها بالبان، وطلب تقليد طريق الفرات فقلد وسار إلى الرحمة. ثم انتقض وعاد لابن رائق وعصى على يحكم، فسار إليه غازياً وكبسه بالرحة على حين غفلة لخمسة أيام من مسيره، فظفر به وأدخله بغداد على جل وحبسه وكان آخر العهد به.

### وزارة ابن البريدي

قد تقدم لنا مسير الوزير أبي الفتح الفضل بن جعفر بن

عماد الدولة ابن بويه على فارس، وركن الدولة آخره يتنازع مع وشمير على أصبهان وهمدان وقاشان والكرج والري وتزرين. واستولى معز الدولة آخرهما على الأهواز وعلى كرمان واستولى ابن البريدي على واسط وسار ابن رائق إلى الشام واستولى عليها. وفي سنة ثلات وعشرين قلد الراضي ابنيه أبا جعفر وأبا الفضل ناحية المشرق والمغرب. وفي سنة إحدى وعشرين ورد الخبر بوفاة تكين الماخصكي بمصر وكان أمراً عليها، وولى القاهر مكانه ابنيه حمداً وثار به الجندي، ففقر بهم. وفيها وقعت الفتنة بين بي تحبل وبيني أسد ومعهم طيء، وركب ناصر الدولة الحسن بن عبد الله بن حдан ومعه أبو الأعز بن سعيد بن حدان ليصلح بينهم، فوافت ملاحة قتل فيها أبو الأعز على يد رجل من تحبل، فحمل عليهم ناصر الدولة واستباحهم إلى الحديثة. فلقيهم ياتس غلام مؤنس واليأ على الموصل، فانضم إليه بنو تحبل وبنو أسد وعادوا إلى ديار ربيعة. وفي سنة أربع وعشرين قلد الراضي محمد بن طفع أعمال مصر مضافاً إلى ما يده من الشام وعزل عنها أحد بن كيغلن.

### وفاة الراضي وبيعة المتقى

وفي سنة تسع وعشرين وثلاثمائة توفي الراضي أبو العباس أحمد بن المقذر في ربيع الأول منها لسبعين سنين غير شهر من خلافته. ولما مات أحضر بحكم ندامه وجلساه ليتყع بما عندهم من الحكمة فلم يفهم عنهم لجمته. وكان آخر خليفة خطب على المنبر وإن خطب غيره فنادر. وأخر خليفة جالس السمر ووصل الندامه. ودولاته آخر دول الخلفاء في ترتيب النفقات والجوائز والجرایات والمطابخ والخدم والحجاب، وكان يحكم يوم وفاته غالباً بواسط حجين ملكها من يد ابن البريدي، فانتظر في الأمور وصول مراسمه، فورد كتابه مع كاتبه أبي عبد الله الكوفي يأمر فيه باجتماع السوزراء وأصحاب الدواوين والقضاة والعلويين والعباسيين ووجوه البلد عند الوزير أبي القاسم سليمان بن الحسن، ويشار لهم الكوفي فيما ينصب للخلافة من يرتضي مذهب وطريق، فاجتمعوا وذكروا إبراهيم بن المقذر، واتفقوا عليه وأحضروه من اللند وبايعوا له آخر ربيع الأول من سنة تسع وعشرين. وعرضت عليه الألقاب فاختار المتقى الله وأقر سليمان على وزارته كما كان، والتبرير كله للكوفي كاتب بمحكم، وولى سلام الطولوني على الحجية.

واسط وأخذدر في الماء آخر ذي الحجة سنة ثمان وعشرين. وبعث عسكراً في البر، وبلغ الخبر ابن البريدي فسار عن واسط إلى البصرة واستولى عليها بمحكم وملتها.

### استيلاء ابن رائق على الشام

قد تقدم لنا مسیر ابن رائق إلى ديار مصر وبلغ قصرين والمواصم فلما استقر بها حدثه نفسه بملك الشام فسار إلى حصن فملكتها ثم سار إلى دمشق وبها بدر بن عبد الله الأخشيدى ويلقب بدر، فملكتها من يده. ثم سار إلى الرملة ومنها إلى عريش مصر يريد ملك الديار المصرية، ولقبه الأخشيد محمد بن طفع وانهزم أولًا وملك أصحاب ابن رائق خيامه. ثم خرج كمين الأخشيد فانهزم ابن رائق إلى دمشق وبعث الأخشيد في أثره أخاه أبا نصر بن طفع، وسار إليهم ابن رائق من دمشق فهزمه وقتل أبو نصر، فكتنه ابن رائق وحله مع ابنه مزاحم إلى أخيه الأخشيد مصر. وكتب يعزبه ويعتذر فاكرم الأخشيد مزاحماً، وأصطلح مع أبيه على أن تكون مصر للأخشيد من حد الرملة وما وراءها من الشام لابن رائق ويعطي الأخشيد عن الرملة في كل سنة مائة وأربعين ألف دينار.

### الصوائف أيام الراضي

وفي سنة اثنين وعشرين سار الدمشقي إلى سميساط في خمسين ألفاً من الروم، ونازل ملطية وحاصرها مدة طويلة حتى فتحها بالأمان، ويعتهم إلى مأتمهم مع بطريقه. وتنصر الكثير منهم عبة في أهلهم وأموالهم. ثم افتتحوا سميساط وخيروا أعمالها وأفحشوا في أسطوله في البحر. ففتحوا بلد جنوة ومرروا بسردانية فأوقعوا بهم، ثم مرروا بقرقيسيا من ساحل الشام فأحرقوا مراكبها وعادوا سالمين، وفي سنة ست وعشرين كان الدياء بين المسلمين والروم في ذي القعدة على يد ابن ورقاء الشيشاني البريدي ستة آلاف وثلاثمائة أسير.

### الولايات أيام الراضي والقاهر قبله

قد تقدم لنا أنه لم يبق من الأعمال في تصريف الخلافة لهذا العهد إلا أعمال الأهواز والبصرة وواسط والجزيرة، وذكرنا استيلاء بني بويه على فارس وأصبهان، ووشمير على بلاد الجبل، وابن البريدي على البصرة، وابن رائق على واسط، وأن

## مقتل يحكم

الله، قطع الجسر ووثب العامة على أصحابه، وهرب هو وأخوه وإبنه أبو القاسم وأصحابهم، وأخذروا إلى واسط وذلك سلخ رمضان لأربعة وعشرين يوماً من قدومه.

## إمارة كورتكين الديلمي

ولما هرب ابن البريدي استولى كورتكين على الأمور ببغداد ودخل إلى المتنقى فقلده إمارة الأمراء، وأحضر علي بن عيسى وأخاه عبد الرحمن فنبر الأمور ولم يسمهما بوزارة واستوزر أبا إسحاق محمد بن أحد الإسكافي القراريطي، وولى على الحجية بدر الجراشبي. ثم قبض كورتكين على بكتيك مقدم الأتراك خامس شوال وغرقه، واقتتل الأتراك والديلم وقتل بيتهما خلق، وانقادوا وأطلقوا بكتيك من حبسه وولوه عليهم، فسار بهم إلى بغداد في خدمة المتنقى وحصر ما كان في دار يحكم من الأموال والدوابين وكانت الف الف ومائة ألف دينار ومدة إمارته ستة وثمانية أشهر.

## عود ابن رائق إلى بغداد

قد تقدم لنا أن جماعة من أتراك يحكم لما انتصروا عن المتنقى ساروا إلى الموصل، ثم ساروا منها إلى ابن رائق الشام، وكان من قوادهم تورون وجحجج وكورتكين وصيقوان فأطمعوه في بغداد. ثم جاءته كتب المتنقى يستدعيه، فسار آخر رمضان واستخلف بالشام أبا الحسن أحمد بن علي بن مقاتل وتحلى ناصر الدولة بن محمدان على طريقه. ثم حل إلى مائة ألف دينار وصالحة، وبلغ الخبر إلى أبي عبد الله بن البريدي، فبعث إخوه إلى واسط وأخرج الديلم عنها وخطروا له بها. وخرج كورتكين عن بغداد إلى عكبرا فقتلته ابن رائق أيامأ ثم أسرى له ليلة عرفه فاصبح بغداد من الجانب الغربي ولقي الخليفة وركب معه في دجلة، ووصل كورتكين آخر النهار فركب ابن رائق لقتاله وهو مرجل، واعترض على العود إلى الشام، ثم طائفته من عسكره ليعبروا دجلة وباتوا من ورائهم، وصاحت العامة مع ابن رائق بكورتكين وأصحابه ورجوهم، فانهزموا واستسلموا منهم نحو أربعين قاتلا وقتل قواده، وخلع المتنقى علي ابن رائق وولاه أمير الأمراء، وعزل الوزير أبا جعفر الكراشي لشهر من ولاته، وولى مكانه أحد الكوفي وظفر بكورتكين فحبسه بدار الخلافة.

كان أبو عبد الله البريدي بعد هربه إلى البصرة من واسط أندذ جيشاً إلى المدار، فبعث إلى لقائهم جيشاً من واسط عليهم تورون انتخب له الكرد، فظفر بمحبس ابن البريدي ولقي يحكم خبره في الطريق فسر بذلك، وذهب يتصدى بلغ نهر جسور، وعشر في طريقة بعض الأكراد فشره لغزوه، وقصدتهم في خف من أصحابه وهربوا بين يديه وهو يرشهم بسهامه، وجاءه غلام منهم من خلفه فطعنه فقتله. واختلف عساكره فمضى الديلم فكانوا الفاً وخمسة إلى ابن البريدي، وقد كان عزم على الهرب من البصرة، فبعث وضاعف أرزاهم وأدرها عليهم، وذهب الأتراك إلى واسط وأطلقوا بكتيك من حبسه وولوه عليهم، فسار بهم إلى بغداد في خدمة المتنقى وحصر ما كان في دار يحكم من الأموال والدوابين وكانت الف الف ومائة ألف دينار ومدة إمارته ستة وثمانية أشهر.

## إمارة البريدي ببغداد وعوده إلى واسط

لما قتل يحكم قدم الديلم عليهم بكشوار بن ملك بن مسافر ومسافر هو ابن سلار وصاحب الطرم الذي ملك ولده بعده أذربیجان، وقاتلهم الأتراك فقتلوا، فقدم الديلم عليهم مكانه كورتكين منهم. وقدم الأتراك عليهم بكتيك سول يحكم، وأخذوا إلى الديلم إلى أبي عبد الله بن البريدي فقرؤوا بهم، وأصعدوا إلى واسط. وأرسل المتنقى إليهم مائة وخمسين ألف دينار على أن يرجعوا عنها. ثم قسم في الأتراك في أجناد بغداد أربعين ألف دينار من مال يحكم. وقدم عليهم سلامه الطولوني ويرز بهم المتنقى إلى نهر ديلي آخر شعبان سنة ست وعشرين. وسار ابن البريدي من واسط فاشتفق أتراك يحكم، ولحق بعضهم بابن البريدي، وسار آخرون إلى الموصل منهم تورون وجحجج. وانقضى سلامه الطولوني، وأبو عبد الله الطولوني، ودخل أبو عبد الله البريدي بغداد أول رمضان ونزل بالشنبعي ولقيه الوزير أبو الحسين بن ميمون والكتاب والقضاة وأعيان الناس، وبعث إليه المتنقى بالهبة والطعام، وكان يخاطب بالوزير. ثم قبض على الوزير أبي الحسين لشهرين من وزارته وحبسه بالبصرة وطلب من المتنقى خمسة الف دينار للجند، وهدده بما وقع للمعتزل والمستعين والمهدتني، فبعث بها إليه ولم يلقه مدة مقامه ببغداد. ولما وصله المال من المتنقى شغل الجندي عليه في طلبه وجاء الديلم إلى دار أخيه أبي الحسين، ثم انضم إليهم الترك، وقصدوا دار أبي عبد

شرقي دجلة وعبر إليه أبو منصور بن المتقى وأبن رائق فيبلغ في تكرمهما. فلما ركب ابن المتقى قال لابن رائق: أقم نتحدث في رأينا فذهبنا إلى الاعتدار، والجع عليه ناصر الدولة فاستراب وجذب يده وقصد الركوب، فسقط فامر ناصر الدولة بقتله وإلقائه في دجلة، وبعث إلى المتقى بالعذر وأحسن القول، وركب إليه فولاه أمير الأمراء ولقبه ناصر الدولة وذلك مستهل شعبان من سنة ثلاثين، وهرب بنو البريدي إلى البصرة. ثم سعى أبو عبد الله الكفري بينهم وبين ابن رائق، وضمن واسط بستمائة ألف دينار وبقاياها مائتي ألف. ورجع ابن رائق إلى بغداد فثبتت عليه الجند، وفيهم ترورون وأصحابه. ثم انضموا آخر ربيع إلى أبي عبد الله بواسط، فقوى بهم وذهب ابن رائق إلى مداراته، فكتابه بالوزارة واستخلف عليها أبي عبد الله بن شيرزاد. ثم انقضى واعترض على المسير إلى بغداد في جميع الأتراك والديلم. وعزم ابن رائق على التحصن بدار الخلافة، ونصب عليها الجمانق والمرادات، وجدد العامة، فوقع المرج، وخرج بالمتقي إلى نهر دياري متصرف جادى الآخرة، وأتاهم أبو الحسين في الماء والبر فهزمه ودخل دار الخلافة، وهرب المتقى وأبنه أبو منصور وأبن رائق إلى الموصل لستة أشهر من إمارته.

### عود المتقى إلى بغداد وفرار البريدي

لما استولى أبو الحسين البريدي على بغداد وأساء السيرة كما مر، وأمتلأ القلوب منه نفرة، فلما قتل ابن رائق أخذ الجندي في الغرار عنه والانتقام عليه، ففر جمجم إلى المتقى واعترض ترورون وأنوش تكين والأتراك على كبس أبي الحسين البريدي. وزحف ترورون لذلك في الدليم فخالفة أنوش نكين في الأتراك فذهب ترورون إلى الموصل فقوى بهم ابن حдан والمتقى وانحدروا إلى بغداد، وولى ابن حدان على أعمال الخراج والضياع بدير مضر، وهي الراها وحران. ولقيا أبو الحسين أحد بن علي بن مقاتل فاقتلاه وقتل ابن مقاتل واستولى ابن طباب عليها. ولما وصل المتقى وأبن حدان إلى بغداد هرب أبو الحسين ابن البريدي منها إلى واسط لثلاثة أشهر وعشرين يوماً من دخوله، وأضطربت العامة وكثير النهب ودخل المتقى وأبن حدان في العساكر في شوال من السنة. وأعاد أبو إسحاق القراريطي إلى الوزارة، وولى ترورون على الشرطة. ثم سار إليهم أبو الحسين البريدي، فخرج بنو حدان للقائهم واتهوا إلى المدان، فأقام بها ناصر الدولة، وبعث أخاه سيف الدولة وأبن عمّه أبي عبد الله الحسين بن سعيد بن حدان، فاقتلاه عنده أياماً وانهزم سيف الدولة أولاً، ثم أمدّهم ناصر الدولة بالقواد الذين كانوا معه وجحجج بالأتراك، وعادوا القتال فانهزم أبو الحسين إلى واسط، وأتصر سيف الدولة عن إتباعه لما أصاب أصحابه من الوهن والجرح. وعاد ناصر الدولة إلى بغداد متصرف ذي الحجة. ثم سار سيف الدولة إلى واسط وهرب بنو البريدي عنها إلى البصرة فملكتها وأقام بها.

### وزارة ابن البريدي واستيلاؤه على بغداد وفرار المتقى إلى الموصل

لما استقر ابن رائق في إمارة الأمراء ببغداد أخر ابن البريدي حل المال من واسط، فانحدر إليه في العساكر في عاشوراء من سنة ثلاثين، وهرب بنو البريدي إلى البصرة. ثم سعى أبو عبد الله الكفري بينهم وبين ابن رائق، وضمن واسط بستمائة ألف دينار وبقاياها مائتي ألف. ورجع ابن رائق إلى بغداد فثبتت عليه الجند، وفيهم ترورون وأصحابه. ثم انضموا آخر ربيع إلى أبي عبد الله بواسط، فقوى بهم وذهب ابن رائق إلى مداراته، فكتابه بالوزارة واستخلف عليها أبي عبد الله بن شيرزاد. ثم انقضى واعترض على المسير إلى بغداد في جميع الأتراك والديلم. وعزم ابن رائق على التحصن بدار الخلافة، ونصب عليها الجمانق والمرادات، وجدد العامة، فوقع المرج، وخرج بالمتقي إلى نهر دياري متصرف جادى الآخرة، وأتاهم أبو الحسين في الماء والبر فهزمه ودخل دار الخلافة، وهرب المتقى وأبنه أبو منصور وأبن رائق إلى الموصل لستة أشهر من إمارته.

وانخفق الوزير القراريطي وبهبت دار الخلافة، ودور المحرم، وعظم الهرج، وأخذ كورتكين من محبسه فانفذ إلى واسط، ولم يتعرضوا للقاهر. وكان نزل أبو الحسين بدار الخلافة وجعل ترورون على الشرطة بالجانب الغربي، وأخذ رهائن القواد ترورون وغيره وبعث بشائهم وأولادهم إلى أخيه عبد الله بواسط. وعظم النهب ببغداد وترك الناس دورهم، وفرضت المكوس في الأسواق خمسة دنانير على الكر فغلت الأسعار، وانهشى إلى ثلاثة دينار الكر، وجاءت ميرة من الكوفة وأخذت فقيل: إنها عامل الكوفة، وأخذها عامل بغداد وكان معه جماعة من القراطمة فقاتلتهم الأتراك وهزمونهم، ووقعت الحرب بين العامة والديلم فقتل خلق من العامة، وانخفق العمال لطاولة الجندي إلى الضواحي يتهدبون الزرع بسبيله عند حصادة، وسادت أحوال بغداد وكثرت نعمات الله فيهم.

### مقتل ابن رائق وولادة ابن حدان مكانه

كان المتقى قد بعث إلى ناصر الدولة بن حدان يستمدّه على ابن البريدي عندما قصد بغداد، فأمده بعسکر مع أخيه سيف الدولة، فلقيه بتكريت منهزاً ورجع معه إلى الموصل. وخرج ناصر الدولة عن الموصل حتى حلف له ابن رائق واتفقا، فجاء وتركه

## استيلاء الدليل على أذربيجان

### خبر سيف الدولة بواسط

لما فر بنو البريدي عن واسط إلى البصرة ونزل بها سيف الدولة أراد الانحدار خلفهم لانتزاع البصرة منهم، واستمد أخاه ناصر الدولة فامده بمال مع أبي عبد الله الكوفي، وكان تورون وجوجج يستطيلان عليه، فأراد الاستئثار بالمال فرده سيف الدولة مع الكوفي إلى أخيه، وأذن لتورون في مال الجامدة وجوجج في مال المدار، وكان من قبل يراسل الأتراك وملك الشام ومصر معه فلا يحييونه. ثم ثاروا عليه في شعبان من سنة إحدى وثلاثين، فهرب من معسكره ونهب سواه وقتل جماعة من أصحابه. وكان ناصر الدولة لما أخبره أبو عبد الله الكوفي بخبر أخيه في واسط، بز يسir إلى الموصل، وركب إليه المتنقي يستمهله، فوقف حتى عاد وأخذ السير ثلاثة عشر شهرًا من إمارته، فثار الدليل ونبسو داره، ودبر الأمور أبو إسحاق القراريطي من غير لقب الوزارة.

وعزل أبو العباس الأصبهاني لأحد وخمسين يوماً من وزارته، ثم تنازع الإماراة بواسط بعد سيف الدولة تورون وجوجج، واستقر الحال أن يكون تورون أميراً وجوجج صاحب الجيش. ثم طمع ابن البريدي في واسط وأصعد إليها وطلب من تورون أن يضممه إليها، فرده رداً جميلاً. وكان قد سار جوجج لمدافعته فمر به الرسول في طريقه وحادثه طويلاً، وسعى إلى تورون بأنه لحق بابن البريدي فأسري إليه وكسبه متصرف رمضان، فقبض عليه وجاء به إلى واسط فسلمه، وبليغ الخبر إلى سيف الدولة وكان لحق بأخيه، فعاد إلى بغداد متصرف رمضان، وطلب المال من المتنقي لمدافعته تورون، فبعث أربعمائة ألف درهم وفرتها في أصحابه وظهر له من كان مستخفياً ببغداد وجاء تورون من واسط بعد أن خلف بها كيغلن. فلما أحسن به سيف الدولة رحل فيمن إنضم إليه من أجناد واسط وفيهم الحسن بن هارون، وسار إلى الموصل ولم يعود بنو حدان بعدها بغداد.

### إمارة تورون ثم وحشته مع المتفقى

لما سار سيف الدولة عن بغداد دخلها تورون آخر رمضان سنة إحدى وثلاثين، فولاه المتنقي أمير الأمراء، وجعل النظر في الوزارة لأبي جعفر الكهري كما كان الكوفي. ولما سار تورون عن واسط خالفة إليها البريدي فملكتها. ثم انحدر تورون أول ذي القعدة لقتل البريدي، وقد كان يوسف بن وجيه صاحب عمان سار في المراكب إلى البصرة، وحارب ابن البريدي حتى أشرفوا

كانت أذربيجان بيد ديسم بن إبراهيم الكردي من أصحاب يوسف بن أبي الساج، وكان أبوه من أصحاب هارون الشاري من الخارج. ولا قتل هارون لحق بأذربيجان وشرد في الأكراد فولد له ديسم هذا فكبّر وخدم ابن أبي الساج، وتقدم عنده إلى أن ملك بعدهم أذربيجان. وجاء السيكري خليفة وشمير في الجبل سنة ست وعشرين وغلبه على أذربيجان. ثم سار هو إلى وشمير وضمن له طاعة ومالاً، واستمد فامده بعسكر من الدليل وساروا معه، فغلب السيكري وطرده وملك البلاد، وكان معظم جيشه الأكراد فغلبوا على بعض قلاعه فاستكثروا من الدليل وفيهم صعلوك بن محمد بن مسافر بن الفضل وغيرهما. فاستظهرا بهم وانتزع من الأكراد ما تغلبوا عليه، وبقضى على جماعة من رؤسائهم. وكان وزير أبو القاسم علي بن جعفر قد ارتتاب منه، فهرب إلى الطرم وبها محمد بن مسافر من أمراء الدليل وقد انتقض عليه إباه وهشودان والمرزيان واستوليا على بعض قلاعه، ثم قبضا على أبيهما محمد وانتزعوا أمواله وذخائره وتركاه في حصن سلياً فريداً، فقصد علي بن جعفر المرزيان وأطعمه في أذربيجان، فقلده وزارته وكانت خلتهما في التشيع واحدة. لأن علي بن جعفر كان من الباطنية والمرزيان من الدليل وهم شيعة.

وكاتب علي بن جعفر أصحاب ديسم واستلمهم واستفسدهم عليه وخصوصاً الدليل، ثم الفتوا للحرب وجاء الدليل إلى المرزيان واستأمن معهم كثير من الأكراد، وهرب ديسم في قل من أصحابه إلى أرمينة واستحرج بجاحتي بن الديرياني فاجراه وأكرمه، وندم على ما فرط في إبعاد الأكراد وهم على مذهبة في الخارجية، وملك المرزيان أذربيجان واستولى عليها. ثم استوحش منه علي بن جعفر وزير ديسم وتذكر له أصحاب المرزيان فأطعمه المرزيان باختذال أموالهم وحملهم على طاعة ديسم، وقتل الدليل عندهم من جند المرزيان فعلوا. وجاء ديسم فملكتها وفر إلىه من كان عند المرزيان حتى اشتد عليه الحصار، واستصلاح أثناء ذلك الوزير علي بن جعفر، ثم خرجوا من توزير، ولحق ديسم باردبيل، وجاء علي بن جعفر إلى المرزيان. ثم حاصر المرزيان أردبيل حتى نزل له ديسم على الأمان وملكتها صلحًا. وملك توزير كذلك. ووفى له، ثم طلب ديسم أن يبعثه إلى قلعته بالطرم فبعثه بأهله وولده وأقام هنالك.

وأقام التقى وينو حدان بالرقا.

### مسير ابن بويه إلى واسط وعوده عنها ثم استيلاؤه عليها

كان معز الدولة بن بويه بالأهواز، وكان ابن البريدي يطعمه في كل وقت في ملك العراق، وكان قد وعده أن يعده إلى واسط. فلما أصعد تورون إلى الموصل خالقه معز الدولة إلى واسط وأخلف ابن البريدي وعده في المدد. وعاد تورون من الموصل إلى بغداد، وأخذ منها للقاء معز الدولة متصرف ذي القعدة من سنة اثنين وثلاثين، واقتلاها بباب حيد بضعة عشر يوماً. ثم تأخر تورون إلى نهر دياري فعبره ومنع الدليل من عبوره من كان معه من المقاتلة في الماء، وذهب ابن بويه ليصعد ويتمكن من الماء، فبعث تورون بعض أصحابه فعبروا دياري وكثروا له حتى إذا صار مصدراً خرجوا عليه على غير أهبة، فانهزم هو ووزيره الصهيري وأسر منهم أربعة عشر قائداً واستأمن كثير من الدليل إلى تورون، ولحق ابن بويه والصهيري بالسوس. ثم عاد إلى واسط ثانية فملكها ولحق أصحابه ببني البريدي بالبصرة.

### قتل ابن البريدي أخاه ثم وفاته

كان أبو عبد الله بن البريدي قد استهلك أمواله في هذه التواب التي تزوجه، واستقر من أخيه أبي يوسف مرة بعد مرة، وكان أثري منه ومال الجندي إليه لثرته. وكان عبيب على أخيه تبذيره وسوء تدبيره. ثم غنى الخبر إليه أنه يريد المكر به، والاستبداد بالأمر. وتذكر كل واحد منها للأخر، ثم أكمن أبو عبد الله غلمانه في طريق أبي يوسف فقتلوه، وشنق الجندي لذلك فراراً لهم شلوه فافتقر، ودخل دار أخيه وأخذ ما فيها من الأموال، وجواهير نفيسة كان ياعها له مخمسين ألف درهم، وكان أصلها ليحكم وهبها لبيته حين زوجها له، وأخذها يحكم من دار الخلافة، فاحتاج إليه أبو عبد الله بعد فباعها له ومحبسه أبو يوسف في قيامتها. وكان ذلك من دواعي العداوة بينهما. ثم هلك أبو عبد الله بعد مهلك أخيه بثمانية أشهر، وقام بالأمر بعده بالبصرة آخرهما أبو الحسن، فأساء السيرة في الجندي فثاروا به ليقتلوه، فهرب منهم إلى هجر مستجيراً بالقراططة، وولوا عليهم بالبصرة أبا القاسم ابن أخيه أبي عبد الله، وأمد أبو طاهر القرمطي أبا الحسن، ويعث معه أخرىه لحصار البصرة فامتنعت عليهما،

على الهلاك. ثم احترق مراكب عمان مجبلة دبرها بعض الملحنين ونهب منها مال عظيم. ورجع يوسف بن وجيه مهزوماً في الحرم ستة اثنين وثلاثين، وهرب في هذه الفتنة أبو جعفر بن شيرزاد من تورون فاشتمل عليه، وكان تورون عند إصعاده من بغداد استخلف مكانه محمد بن ينال الترجمان. ثم تذكر له فارتاتب محمد، وارتاتب الوزير أبو الحسن بن مقلة بمكان ابن شيرزاد من تورون وخافاً غائلته وخوفاً التقى كذلك، وأوهماه أن البريدي ضممه من تورون خمسماة ألف دينار التي أخذناها من تركه يحكم، وأن ابن شيرزاد جاء عن البريدي ليخلعه ويسلمه، فازرعج لذلك وعز من على المسير إلى ابن حدان، وكتبوا إليه أن ينفذ عسكراً يسير صحبته.

### مسير التقى إلى الموصل

ولما ثمت سعاية ابن مقلة وابن ينال بتورون مع التقى اتفق وصول ابن شيرزاد إلى بغداد أول اثنين وثلاثين في ثلاثة فارس، وأقام بدلست الأمر والنهي لا يرجع على التقى في شيء. وكان التقى قد طلب من ناصر الدولة بن حدان عسكراً يصبحه إلى الموصل. فبئتهم ابن عمه أبو عبد الله الحسين بن سعيد بن حدان، فلما وصلوا بغداد انقضوا ابن شيرزاد وخرج التقى إليهم في حرمته وولده، ومعه وزيره وأعيان دولته مثل سلامة الطولوني وأبي زكريا يحيى بن سعيد السوسي وأبي محمد المارداني وأبي إسحاق القراريطي وأبي عبد الله المروسي وثابت بن سنان بن ثابت بن قرة الطيب، وأبي نصر بن محمد بن ينال الترجمان. وساروا إلى تكريت وظهر ابن شيرزاد في بغداد، وظلم الناس وصادرهم، ويعث إلى تورون في واسط خبر التقى، فعقد ضمان واسط على ابن البريدي، وزوجه ابنته، وسار إلى بغداد.

و جاء سيف الدولة إلى التقى بتكريت. ثم بعث التقى إلى ناصر الدولة يستحثه، فوصل إليه في ربيع الآخر، وركب التقى من تكريت إلى الموصل، وأقام هو بتكريت. وسار تورون لحربه فتقدم إليه آخره سيف الدولة فاقتلاوا أياماً. ثم انهزم سيف الدولة وغنم تورون سواده وسوداد أخيه، ولحقوا بالموصل وتورون في اتباعهم. ثم ساروا عنها مع التقى إلى نصبيين، ودخل تورون الموصل ولحق التقى بالرقا، وراسل تورون بأن وحشته لأجل ابن البريدي، وأن رضاه في إصلاح بني حدان، فصالحهما تورون وعقد الضمان لناصر الدولة على ما يده من البلاد لثلاث سنتين بثلاثة آلاف وستمائة ألف درهم لكل سنة، وعاد تورون إلى بغداد

فقاتلواهم فامتنعوا عليه فاكمن لهم بعض الأيام فهزهم وقتل أميرهم، ونجا الباقيون إلى حصن البلد، وحاصرهم المزيان وصادرهم. ثم جاءه الخبر بأن أبا عبد الله الحسين بن سعيد بن حдан بلغ سلاماً متوجهاً إلى أذربيجان بعثه إليها ابن عمه ناصر الدولة ليتمكنها، فجهز عسكراً لحصار الروس في بردعة، وسار إلى قتال ابن حدان. فارتعش ابن حدان راجعاً إلى ابن عمه باستدعائه بالأخذار إلى بغداد. لما مات تورون واقام العسكر على حصار الروس ببردعة، حتى هربوا من البلد وحملوا ما قدروا عليه، وطهر الله البلد منهم. وفيها ملك الروم رأس عين واستباحوها ثلاثة وقاتلهم الأعراب ففارقوها.

### الولايات أيام المتقى

قد تقدم لنا أنه لم يكن بقى في تصريف الخليفة إلا أعمال الأهواز والبصرة وواسط والجزيرة والموصل لبني حدان. واستولى معز الدولة على الأهواز ثم على واسط، وبقيت البصرة بيد أبي عبد الله بن البريدي واستولى على بغداد مع المتقى يحكم، ثم ابن البريدي، ثم تورتكين الديلي، ثم ابن رائق ثانية، ثم ابن البريدي ثانية، ثم حدان، ثم تورون. يختلفون على المتقى واحداً بعد واحد، وهو مغلب لهم والخلل والعقد والإبرام والنقض برأيدهم، وزیر الخليفة عامل من عمالهم متصرف تحت حكمائهم، وأخر من دبر الأمور أبو عبد الله الكوفي كاتب تورون، وكان قبله كاتب ابن رائق، وكان على الحاجة بدر بن الجرسى، فعزله عنها سنة ثلاثين وجعل مكانه سلامة الطولونى وولى بدر طريق الفرات ففر إلى الأخشيد واستأنف إليه فولاه دمشق. وكان من المستبدین في النواحي يوسف بن وجيه، وكان صاحب الشرطة ببغداد أبا العباس الديلي.

### خلع المتقى وولاية المستكفي

لم يزل المتقى عند بني حدان من شهر ربیع الآخر سنة اثنين وثلاثين إلى آخر السنة، ثم آتى منهم الضجر واضطر لراجعة تورون، فارسل إليه الحسن بن هارون وأبا عبد الله بن أبي موسى الهاشمي في الصلح، وكتب إلى الأخشيد محمد بن طفج صاحب مصر يستقدمه، فجاءه وانتهى إلى حلب وبها أبو عبد الله بن سعيد بن حدان من قبل ابن عمه ناصر الدولة، فارتعش عنها وتختلف عنه ابن مقاتل، وقد كان صادره ناصر الدولة على خسين الف دينار، فاستقدم الأخشيد وولاه خراج مصر. وسار الأخشيد من حلب

وأصلاحوا بين أبي القاسم وعمه، ودخل البصرة وسار منها إلى تورون ببغداد. ثم طمع بائس مولى أبي عبد الله في الرئاسة وداخل بعض قواد الدليم في الثورة بأبي القاسم. واجتمع الدليم إلى القائد وبعث أبو القاسم وإليه بائس فهم به لفرد بالأمر، فهرب بائس واحتفى وتفرق الدليم واحتفى القائد. ثم قبض عليه وفاته وقبض على بائس بعد أيام وصادره على مائة الف دينار، وقتلته.

ولما قدم أبو الحسين البريدي إلى بغداد مستأتماً إلى تورون فامنه وطلب الإمداد على ابن أخيه، وينزل في ذلك أموالاً. ثم بعث ابن أخيه من البصرة بالأموال فأقره على عمله وشعر أبو الحسن بذلك فسعى عند ابن تورون في ابن شيرزاد إلى أن قبض عليه، وضرب واستظره أبو عبد الله بن أبي موسى الهاشمي بفتاوي الفقهاء والقضاة ببلاحة دم أبي الحسين، كانت عنده من أيام ناصر الدولة، وأحضرها بدار المتقى وسئلوا عن فتاويمهم، فاعتبروها بأنهم أفتوا بها، فقتل وصلب ثم أحرق ونهب داره. وكان ذلك منتصف ذي الحجة من السنة، وكان ذلك آخر أمر البريديين.

### الصوائف أيام المتقى

خرج الروم سنة ثلاثين أيام المتقى وانتهوا إلى قرب حلب فعاشروا في البلاد ويبلغ سبعمائة خمسة آلاف. وفيها دخل ثمل من ناحية طرسوس فعاد في بلاد الروم، وأمتلأت أيدي عسكره من الغنائم، وأسر عدة من بطارقهم. وفي سنة إحدى وثلاثين بعث ملك الروم إلى المتقى يطلب منه منديلاً في بيعة الرها زعموا أن المسيح مسح به وجهه، فارتسمت فيه صورته، وأنه يطلق فيه عدداً كثيراً من أسرى المسلمين، واختلف الفقهاء والقضاة في إسعافه بذلك، وفيه غضاضة أو منه وبقي المسلمين بحال الأسر. فشار عليه وعلى ابن عيسى بإسعافه لخلاص المسلمين، فأمر المتقى بتسليم إليهم. وبعث إلى ملك الروم من يقسم بتسليم الأسرى. وفي سنة اثنين وثلاثين خرجت طوارق من الروم في البحر إلى نواحي أذربيجان، ودخلوا في نهر اللكز إلى بردعة. وبها نائب المزيان ابن محمد بن مسافر ملك الدليم بأذربيجان، فخرج في جموع الدليم والمطوعة قاتلواهم، وقاتلواهم فهزهم الروس وملوكها البلد، وجاءت العساكر الإسلامية من كل ناحية لقتالهم فامتنعوا بها، ورماهم بعض العامة بالحجارة فاخترجوهم من البلد وقاتلوا من بقى، وغنموا أموالهم واستبدوا بأولادهم ونسائهم. واستئثر المزيان الناس وزحف إليهم في ثلاثين ألفاً،

## ستلاء معز الدولة بن بويه على بغداد واندراج أحكام الخلافة في سلطانهم

قد تقدم لنا استبداد أهل التواحي على الخلافة منذ أيام المتوكل، ولم يزل نطاق الدولة العباسية يتضيق شيئاً فشيئاً، وأهل الدولة يستبدون واحداً بعد واحد إلى أن أحاطوا ببغداد وصاروا ولاة متعددة يفرد كل واحد منهم بالذكر وسيافة الخبر إلى آخرها. وكان من أقرب المستبدلين إلى مقر الخلافة بنو بويه بأصبهان وفارس، ومعز الدولة منهم بالأمواء. وقد تغلب على واسط، ثم انتزعت منه. وبنو حمدان بالموصل والجزيرة، وقد تغلب على هيت وصارت تحت ملوكهم، ولم يبق للخلافاء إلا بغداد ونواحيها ما بين دجلة والفرات، وأمراؤهم مع ذلك مستبدون عليهم، ويسمون القائم بدولتهم أمير الأمراء كما مر في أخبارهم إلى أن انتهى ذلك إلى دولة المنفي والقائم بها ابن شيززاد. وولى على واسط نيلوكوش كما قلتنا فانحرف عن ابن شيززاد. وكاتب معز الدولة، وقام بدعوه في واسط واستدعاء ملك بغداد. فزحف في عساكر الدليم إلى لها ولقيه ابن شيززاد والأتراب وهربوا إلى ابن حمدان بالموصل، واختفى المستكفي وقدم معز الدولة كاتبه الحسن بن محمد الملهي إلى بغداد، فدخلها وظهر الخليفة، فظهر عنده الملهي وجدد له البيعة عن معز الدولة أحد بن بويه، وعن آخره عماد الدولة علي ووركн الدولة الحسن. وولاهم المستكفي على أعمالهم ولقبهم بهذه الألقاب ورسمها على سكته. ثم جاءه معز الدولة إلى بغداد وملكيها، وصرف الخليفة في حكمه، واحتضن باسم السلطان. ففيقيت أخبار الدولة تؤثر عنهم، وإن كان منها ما يختص بالخلافة فقليل. فلذلك صارت أخبار هؤلاء الخلفاء منذ المستكفي إلى المنفي متدرجة في أخباربني بويه والسلجوقية من بعدهم لعطاهم من التصرف إلا قليلاً يختص بالخلافاء نحن ذاكروه ونرجح بقية أخبارهم إلى أخبار الدليم والسلجوقية الغالبين على الدولة عندما فُندَ دولتهم كما شرطناه.

الخبر عن الخلافاء من بنى العباس المغلبين  
المملوكة بنى بويه من السلجوقية من بعدهم  
من لدن المستكفي إلى المنقى وما لهم من  
الأحوال الخاصة بهم ببغداد ونواحيها

للا دخل معز الدولة بين يوبيه إلى بغداد غالب على المستكفي

ولقي المتنبي بالرقف، وأهدى إليه وإلى الوزير بن الحسين بن مقلة  
وسائل الحاشية، واجتهد به أن يسرع معه إلى مصر ليقيم خلافته  
هناك فأي، فخرفه من تورون قلم يقبل.

وأشار على ابن مقلة أن يسير معه إلى مصر فيحكمه في  
البلاد فأبى، وكانوا يتظرون عود رسليهم من تورون، فبعثوا إليهم  
يسمين تورون والوزير ابن شيرزاد محضر القضاة والعلول  
والعباسيين والعلويين وغيرهم من طبقات الناس. وجاء الكتاب  
بغضطوهن بذلك وتأكيد اليمين، ففارق المتقى الأخشيد وأخذدر من  
الوقت في الفرات آخر المحرم ستة ثلاث وثلاثين، ولقيه تورون  
بالستانية فقبل الأرض وقال: قد وفيت بيميني! ووكل به  
وباصحابه وائزله في خيمته. ثم سلمه لثلاث سنين ونصف من  
خلالته، وأحضر أبا القاسم عبد الله بن المكتفي فباعه الناس على  
طبقاته، ولقب المستكفي، وجيء بالمتقى فباعه وأخذت منه  
البردة والقضيب واستوزر أبا الفرج محمد بن علي السامری، فكان  
له اسم الوزارة على سنن من قبله، والأمور راجعة لابن شيرزاد  
كاتب تورون. ثم خلع المستكفي على تورون وتوجه وجنس  
المتقى، وطلب أبا القاسم الفضل بن المقذر الذي لقب فيما بعد  
بالعظيم، فاختفى سائر أيامه وهدمت داره.

وفاة تورون وإمارة ابن شيرزاد

والصكرين والجلوس للوقد وإجلالهم في التحية والخطاب، وكل ذلك طبع القائم على الدولة، وكان يفرد في كل دولة بني بويه والسلجوقية بلقب السلطان مما لا يشاركه فيه أحد، ومعنى الملك من تصريف القدرة وإظهار الأبهة والعز حاصل له دون الخليفة وغيره، وكانت الخلاقة حاصلة للعباسي المنصور لفظاً المسلوب معنى، والله المدبر للأمور لا إله غيره.

## انقلاب حال الدولة بما تجدد في الجباية والاقطاع

لما استوى معز الدولة طلب الجند أرزاقهم على عادتهم وأكثر لسبب ما تجدد من الاستيلاء الذي لم يكن له، فاضطر إلى ضرب المكوس وأخذ أموال الناس من غير وجهها، وأقطع قواه وأصحابه من أهل عصبيته وغير المساهمين له في الأمر جميع القوى التي بجانب السلطان، فارتفعت عنها أيدي العمال وبطلت الدواوين وانتهت حال القرى في العمارة بما كان في أيدي القواد والرؤساء، حصل لهم لأهلهما الرفق فزادت عمارتها وتوفّر دخلها، ولم تكن مناظرهم في ذلك ولا تقديره عليهم، وما كان بأيدي العامة والأتباع عظم خرابه لما كان يعدم من الغلاء والنهب واختلاف الأيدي وما يزيد الآن من الظلم ومصادرات الرعایا والخيف في الجباية وإهمال النظر في تعديل القنطر والمشارب، وقسم المياه على الأرضين فإذا خربت قراهم ردوها وطلبوها الموضع عنها فيصيّر الآخر منها لما صار إليه الأول، ثم أمر معز الدولة قواه وأصحابه بحماية الأقطاع والضياع وولاتها، وصارت الجبايات لنظرهم والتعويل في المرتفع على أخبارهم. فلا يقدر أهل الدواوين والحسابات على تحقيق ذلك عليهم، ولم يقف عند ذلك على غایة. فبطلت الأموال وصار جمعها من المكوس والظلamas، وعجز معز الدولة عن ذخيرة يدها لنواب سلطانه. ثم استکثر من الموالي الآتراك ليجدع بهم من أشرف قومه، وفرض لهم الأرزاق وزاد لهم الأقطاع، فعظمت غيرة قومه من ذلك وأک الأمر إلى المتأفة كما هو الشأن في طبيعة الدول.

## دولة بني حمدان مسيير ابن حمدان إلى بغداد

لما استولى معز الدولة على بغداد وخليع المستكفي، بلغ الخبر إلى ناصر الدولة بن حمدان، فشق ذلك عليه، وسار من الموصل إلى بغداد وانتهى إلى سامرا في شعبان سنة أربع. وكان معز

ويقي في كفالته، وكان المستكفي في سنة ثلات وثلاثين قبلها قبض على كاتبه أبي عبد الله بن أبي سليمان وعلى أخيه، واستكتب أبو أحد الفضل بن عبد الرحمن الشيرازي في خاص أمره، وكان قبله كتاباً لابن حمدان، وكان يكتب للمستكفي قبل الخلافة. فلما نصب للخلافة قدم من الموصل فاستكتب المستكفي في هذه السنة على وزير أبي الفرج لاثتين وأربعين من وزارته، وصادره على ثلاثة ألف درهم. ولما استولى معز الدولة ببغداد على الأمر وبعث أبو القاسم البريدي صاحب البصرة ضمن واسط وأعمالها وعقد له عليها.

## خلع المستكفي وبيعة المطيع

وأقام المستكفي بعد استيلاء معز الدولة على الأمر أشهراً قلائل، ثم بلغ معز الدولة أن المستكفي يسعى في إقامة غيره، فتذكر له، ثم أجلسه في يوم مشهود لحضور رسول من صاحب خراسان، وحضر هو في قمه وعشيرته، وأمر رجلين من ثقابه الديلم جاءاً ليقبلوا يد المستكفي، ثم جذباه عن سريره وساقاه مأشياً. وركب معز الدولة وجاء به إلى داره فاعتقله بها، واضطرب الناس وعظم النهب ونهب دار الخلافة، وقبض على أبي أحد الشيرازي كاتب المستكفي، وكان ذلك في جمادى الآخرة لسنة وأربعة أشهر من خلافته.

ثم بُويع أبو القاسم الفضل بن المقتدر، وقد كان المستكفي طلبه حين ولِي لإطلاعه على شأنه في طلب الخلافة، فلم ينظر به واختفى. فلما جاء معز الدولة تحول إلى داره واختفى عنده، فلما قبض على المستكفي بُويع له ولقب المطيع لله، ثم أحضر المستكفي عنده فأشهد على نفسه بالخلع، وسلم عليه بالخلافة، ولم يبق للخلافة من الأمر شيء، البتة منذ أيام معز الدولة. ونظر ونذر الخليفة مقصور على إقطاعه ونفقات داره والوزارة منسوبة إلى معز الدولة وقومه من الديلم شيعة للعلوية منذ إسلامهم على يد الأطروش، فلم يكونوا من شيعة العباسي في شيء، ولقد يقال بأن معز الدولة اعتمد على نقل الخلافة منهم إلى العلوية، فقال له بعض أصحابه: لا تقول أحداً يشركك قرمك كلهم في عبته والاشتمال عليه، وربما يصيّر لهم دونك، فأعراض عن ذلك وسلبهم الأمر والنهي، وسلم عماله وجنده من الديلم وغيرهم أعمال العراق وسائر أراضيه. وصار الخليفة إنما يتناول منه ما يقطنه معز الدولة ومن بعده فيما يسد بعض حاجاته. نعم إنهم كانوا يفردونهم بالسرير والمنبر والمسكة والخسم على الرسائل

والمطیع معه وأراد السیر إلى الموصل فلأرسّل إليه ناصر الدولة في الصلح وحمل المال فترکه. ثم انتقض سنة سبع وثلاثين فسار إليه معز الدولة، وملك الموصل، ولحق ناصر الدولة بمنصبهن، وأخذ معز الدولة في ظلم الرعايا وعسفهم. ثم بعث إليه أخوه رکن الدولة بأصبهان بأن عسکر خراسان قصدت جرجان والري، واستمدّه فاضطر معز الدولة إلى صلح ناصر الدولة عن الموصل والجزرية وما ملكه سيف الدولة من الشام ودمشق وحلب على ثمانية ألف ألف درهم، ويخطب لعماد الدولة ورکن الدولة ومعز الدولة بني بویه، فاستقر الصلح على ذلك وعاد إلى بغداد.

### ابتداء أمر بني شاهين بالطیحة

كان عمران بن شاهين من أهل الجامدة، وحصلت عنده جيابات، فهرب إلى الطیحة خوفاً من الحكام، وأقام بين القصب والأجاص يقاتلت بصید السمك والطير وكشف سابلة الطیحة. واجتمع عليه جماعة من الصياديں واللصوص. ثم اشتد خوفه فاستأتم إلى أبي القاسم بن البريدي صاحب البصرة نقله جماعة الجامدة ونواحي البطائح. وجمع السلاح وأخذ مقاييس على تلال الطیحة وغلب على نواحيها، وسرح معز الدولة وزیره أبي جعفر الصهیري سنة ثمان وثلاثين فقاتلته وهرب واستأتم أهله وعياله. ثم جاء الخبر إلى معز الدولة بموت أخيه عماد الدولة بفارس، واضطرب أحواله بها. فكتب إلى الصهیري بالفارس إلى شیرزاد لإصلاح الأمور، فسار إليها وعاد عمران بن شاهين إلى الطیحة، واجتمع إليه أصحابه وقوی أمره. وبعث معز الدولة إلى قتاله روزبهان من أعيان عسکره، فأطّل حصاره في مضائق الطیحة. ثم ناجهه الحرب فهزمه عمران وهرب عسکره، وصار أصحابه يطّلبون البذقة والخفاقة من جند السلطان في السابلة، وانقطع طريق البصرة إلا على الظهر.

وكان الصهیري قد هلك وولى مكانه المھلی، فكتب معز الدولة إلى المھلی وهو بالبصرة، فقصد إلى واسط وأمده بالقواد والسلاح، وأطلق يده في الإنفاق. فزحف إلى الطیحة وضيق على عمران فانتهى إلى مضائق خفیة، وأشار عليه روزبهان بمعالجة القرم، وكتب إلى معز الدولة يشكوا المطاولة من المھلی، فكتب إليه معز الدولة بالاستباء فبادر إلى المناجزة وتزغل في تلك المضائق، فانهزم وقتل من أصحابه وأسر ونجا هو سباحة في الماء، وأسر عمران أكبر القواد حتى صالحه معز الدولة وقلده البطائح وأطلق له أهله على أن يطلق القواد الذين في أسره فاطلقهم.

الدولة حين سمع قدوم عساکره مع ينال کوشہ وقائد آخر، فقتل القائد ولحق بناصر الدولة. وجاء ناصر الدولة إلى بغداد فاقام بها وخالفه معز الدولة إلى تکین فنهبها لأنها من أعماله. ثم عاد معز الدولة والمطیع فنزلوا بالجانب الغربي من بغداد، وقاتلوا ناصر الدولة بالجانب الشرقي وتقىم ناصر الدولة إلى الأعراب بالجانب الغربي بقطع المیرة عن معز الدولة فغلت الأسعار وعزّت الأقواء، ومنع ناصر الدولة من الخطبة للمطیع والمعاملة بسكته، ودعا إلى المتنقی وبيت معز الدولة مراراً. وضاق الأمر به، واعترم على ترك بغداد والعود إلى الأهواز.

ثم أظهر الرحيل ذات ليلة وأمر وزيره أبي جعفر الصهیري بالعبور في أكثر العساکر، وأقام بالکینة مکانه، وجاء ينال کوشہ لقتاله فانهزم وأخضطرب عسکر ناصر الدولة وأجفلوا، وغنم الدليل أموالهم وأنظروا. ثم أمن معز الدولة الناس وعاد المطیع إلى داره في محرم سنة خمس وثلاثين وقام التورونیة عليه، فلما شعروا به نکروه وهموا بقتله، فاسرى هارباً ومعه ابن شیرزاد، وفر إلى الجانب الغربي. ثم لحق بالقراطمة فأغاروه ويعثروا إلى الموصل. ثم استقر الصلح بينه وبين الدولة كما طلب، ولما وفر عن الأتراك اتفقا على تکین الشیرازی فولوه عليهم وقبضوا على من تخلف من كتابه وأصحابه، وساروا في اتباعه إلى نصیین، ثم إلى سنجار، ثم إلى الحديدة، ثم إلى السن، ولحق بذلك عسکر معز الدولة مع وزيره أبي جعفر الصهیري، وقد كان استمدّه ناصر الدولة. وسار ناصر الدولة وابن الصهیري إلى الموصل، فنزلوا عليها وأخذ الصهیري من ناصر الدولة ابن شیرزاد وحمله إلى معز الدولة وذلك سنة خمس وثلاثين.

### استيلاء معز الدولة على البصرة

وفي هذه السنة انتقض أبو القاسم البريدي بالبصرة، فجهز معز الدولة الجيش وجماعة أعيانهم إلى واسط، ولقيهم جيش ابن البريدي في الماء على الظهور، فانهزموا إلى البصرة وأسروا من أعيانهم جماعة. ثم سار معز الدولة ستة ست وثلاثين إلى البصرة ومعه المطیع لاستنقاذها من يد أبي القاسم بن البريدي وسلکوا إلى البرية. فبعث القرامطة يعتذرون في ذلك معز الدولة فكتب لهم. ولما قارب البصرة استأمنت إلىه عساکر أبي القاسم، وهرب هو إلى القرامطة فأغاروه، وملك معز الدولة البصرة. ثم سار منها إلى الأهواز لتلقی أخيه عماد الدولة، وترك المطیع وإبا جعفر الصهیري بالبصرة. ولقي أخيه بأرستان. ثم عاد إلى بغداد

الدولة إلى العراق في حرم سنة ثمان وأربعين.

### بناء معز الدولة ببغداد

أصاب معز الدولة سنة خمسين مرض أشفي منه حتى وصئ، واستوتحم بغداد فارتحل إلى كلواذا ليسير إلى الأهواز، وأسف أصحابه لفارقة بغداد، فأشاروا عليه أن يبيت سكناه في أعلىها. فبني داراً أثني عشرة علىها ألف دينار، وصادر فيها جاعة من الناس.

### ظهور الكتابة على المساجد

كان الدليل كما تقدم لنا شيعة لإسلامهم على يد الأطروش، وقد ذكرنا ما منع بني بوريه من تحويل الخلافة على العباسية إليهم. فلما كان سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة أصبح مكتوباً على باب الجامع ببغداد: لعن صريح في معاوية ومن غصب فاطمة فدك، ومن منع من دفن الحسن عند جده ومن نهى أبا ذر، ومن أخرج العباس من الشورى، ونسب ذلك إلى معز الدولة. ثم عي من الليلة القابلة، فأراد معز الدولة بإعادته، فأشار المهلي بأن يكتب مكان المحو: لعن معاوية فقط والظالمين لا رسول الله صلوات الله عليه وسلم. وفي ثامن عشر ذي الحجة من هذه السنة أمر الناس بإظهار الزينة والفرح لعبد العزيز من أعيان الشيعة. وفي السنة بعدها أمر الناس في يوم عاشوراء أن ينلقوا دكاكيتهم ويقطدو عن البيع والشراء ويلبسوا المسوح، ويعلنوا بالنياحة، وتخرج النساء مسبلات الشعور مسوات الروجوه قد شققن ثيابهن ولطممن خدوذهن حزنًا على الحسين، ففعل الناس ذلك. ولم يقدر أهل السنة على منعه لأن السلطان للشيعة وأعيد ذلك سنة ثلاث وخمسين فوقيت فتنة بين أهل السنة والشيعة ونهب الأموال.

### استيلاء معز الدولة على عمان وحصاره البطائح

إنحدر معز الدولة سنة خمس وخمسين إلى واسط لقتال عمران بن شاهين بالطائح فأنفذ الجيش من هنالك مع أبي الفضل العباس بن الحسن، وسار إلى الأبلة فأنفذ الجيش إلى عمان، وكان القرامطة قد استولوا عليها وهرب عنها صاحبها نافع، وبقي أمرهافوضي، فاتفق قاضيها وأهل البلد أن ينصبوا عليهم رجالاً منهم فنصبوا، ثم قتلهم فولوا آخر من قرابة القاضي يعرف بعد

### موت الصهيري ووزارة المهلي

كان أبو جعفر محمد بن أحد الصهيري وزيراً لمعز الدولة، وكان قد سار لقتال عمران واستخلف مكانه أباً محمد الحسن بن محمد المهلي، فعرفت كفایته وإصلاحه وأماته، وتوفي أبو جعفر الصهيري محاصراً لعمران، فول معز الدولة مكانه أباً محمد المهلي، فأحسن السيرة وأزال المظلم وخصوصاً عن البصرة فكان فيها شعب كثيرة من المظلوم من أيام أبي البريد، وتنقل في البلاد لكشف المظلم وتخليص الحقوق، فحسن أمره وتقى عليه معز الدولة بعض الأمور فتكبه ستة إحدى وأربعين وحسه في داره ولم يعزله.

### حصار البصرة

قد تقدم لنا أن القرامطة انكروا على معز الدولة مسيره إلى البصرة على بلادهم، وذكرنا ما دار بينهم في ذلك. ولما علم يوسف بن وجيه استيحاشهم بعث إليهم يطمئنهم في النصرة، واستمددهم فآمدوه. وسار في البحر سنة إحدى وأربعين، وبلغ الخبر إلى الوزير المهلي، وقد قدم من شان الأهواز. فسار إلى البصرة وسبق إليها ابن وجيه وقاتلته فهزمه وظفر بماراكبه.

### استيلاء معز الدولة على الموصل وعوده

قد تقدم لنا صلح معز الدولة مع ناصر الدولة على ألف ألف درهم كل سنة. فلما كانت سنة سبع وأربعين أخرج وحمل المال، فسار معز الدولة إلى الموصل في جادى ومعه وزيره المهلي، فاستول على الموصل ولحق ناصر الدولة بتصيدين ومعه كتابه وجميع أصحابه وحاشيته، ومن يعرف وجوه النافع، وأنزلهم في قلعة كواشي وغيرها. وأمر الأعراب بقطع الميرة عن الموصل فضاقت الأبواب على عسكر معز الدولة، فسار عن الموصل إلى تصيدين واستخلف عليها سبكتين الحاجب الكبير، وبلغه في طريقه أن أولاد ناصر الدولة بستانجار في عسكر، فبعث عسكراً فنكبسوه واحتلوا بالنهب، فعاد إليهم أولاد ناصر الدولة وهم غازون فاستلهموهم، وسار ناصر الدولة عن تصيدين إلى ميافارقين. ورجع أصحابه إلى معز الدولة مستأمين، فسار هو إلى أخيه سيف الدولة بملب فتلقاء وأكرمه وتراسلوا في الصلح على ألف ألف درهم وتسعمائة ألف درهم، وإطلاق من أمر بستانجار وأن يكون ذلك في ضمان سيف الدولة فتم بينهما، وعاد معز

البصرة وطلب منه المعونة على أمره فأنذر إليه مائتي ألف درهم وأرسل الوزير خلال ذلك إلى عسكر الأهاواز أن يأفووه بالأبلة لوعده ضربه لهم، ففأفووه وكبسوا جبشاً بالبصرة وحبسوه برامهرمز ونهبوا أمواله، وكان من جملة ما أخذ له عشرة آلاف مجلد من الكتب وبعث ركن الدولة بتخلص جبشي ابن أخيه وجعله عند عضد الدولة فاقطعه إلى أن مات سنة سبع وستين.

### عزل أبي الفضل ووزارة ابن بقية

لما ولَّ أبو الفضل وزارة مختيار كثر ظلمه وعسفه، وكان محمد بن بقية من حاشية مختار، وكان يتولى له المطبخ. فلما كثر شغب الناس من أبي الفضل عزله مختار سنة اثنين وستين وول مكانه محمد بن بقية، فانتشر الظلم أكثر، وخررت التواحي وظهر العيارون ووُقعت الفتنة بين الأتراك ومختار، فاصلاح ابن بقية بينهم وركب سبكتكين بالأتراك إلى مختار، ثم أفسد بينهم وتحرك الديلم على سبكتكين وأصحابه فأرضاهم مختار بالمال ورجعوا عن ذلك..... كان ناصر الدولة بن حمدان قد قبض عليه ابنه أبو تغلب وجبه ستة ست وخمسين وطبع في المسير إلى بغداد، وجاء أحشوه حمدان وإبراهيم فازعين إلى مختار ومستجدين به فشغل عنهم بما كان فيه من شأن البطيحة وعمان، حتى إذا قضى وطه من ذلك وعزل أبي الفضل الوزير واستوزر ابن بقية حله على ذلك وأغراه به، فسار إلى الموصل وزنلها في ربيع الآخر سنة ثلاثة وستين، ولحق أبو تغلب بسنجرة بأصحابه وكتابه ودواينه.

ثم سار إلى بغداد وبعث مختار في ثراه الوزير ابن بقية وسبكتكين فدخل ابن بقية بغداد وأقام سبكتكين بماربه في ظاهرها، ووُقعت الفتنة داخل بغداد في الجانب الغربي بين أهل السنة والشيعة. واتفق سبكتكين وأبو تغلب على أن يقبضا على الخليفة الوزير وأهل مختار، ويعود سبكتكين إلى بغداد مستولياً وأبو تغلب إلى الموصل. ثم أقصر سبكتكين عن ذلك وتوقف، وجاءه الوزير ابن بقية وأرسلوه إلى أبي تغلب في الصلح. وأن يضم البلاد ويرد على أخيه حمدان أقطاعه وأملاكه إلا ماردين، وعاد أبو تغلب إلى الموصل ورحل مختار، وسار سبكتكين للقاء.

واجتمع مختار وأبو تغلب على الموصل، وطلب أبو تغلب زوجته ابنة مختار وأن يخط عنه من الضمان ويلقب لقباً سلطانياً فلأجيب إلى ذلك خشية منه، ورحل مختار إلى بغداد، وسر أهل الموصل برحلته لما نالهم منه، وبلغه في طريقه أن أبي تغلب قتل قوماً من أصحابه، وكانت استمنا لمحاربه وحرقوا لنقل أهله وأموالهم

الرحن بن أحد بن مروان، واستكتب علي بن أحد الذي كان وصل مع القرامطة كتاباً، وحضر وقت العطاء، فاختالف الزنج والبيض في الرضا بالمساواة وبعدمها واقتلونا، فغلب الزنج وأخرجوا عبد الوهاب واستقر علي بن أحد أميراً. فلما جاء معز الدولة إلى واسط هذه السنة، قدم عليه نافع الأسود صاحب عمان مستنجداً به، فاخدر به من الأبلة، وجهز له المراكب لحمل العساكر، وعليهم أبو الفرج محمد بن العباس بن فساغن وهي مائة قطعة، فساروا إلى عمان وملوكها تاسع ذي الحجة من سنة خمس وخمسين، وقتلوا من أهلها وأحرقوا مراكبها، وكانت تسعه وثمانين، وعاد معز الدولة إلى واسط، وحاصر عمان، وأقام هناك فاعتلْ صالح عمان وانصرف عنه.

### وفاة الوزير المهلي

سار الوزير المهلي في جادى سنة اثنين وخمسين إلى عمان ليقتلها فاعتل في طريقه ورجع إلى بغداد فمات في شعبان قبل وصوله، وحمل فدنه بها لثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر من وزارته. وقبض معز الدولة أمواهه وذخائره وصارت إليه حرواشيه، ونظر في الأمور بعده أبو الفضل العباس بن الحسين الشيرازي وأبو الفرج محمد بن العباس بن فساغن ولم يلقب أحداً منها بوزارة.

### وفاة معز الدولة وولاية ابنه مختار

ولما راجع معز الدولة إلى بغداد اشتد مرضه فعهد بالسلطنة إلى ابنه عز الدولة، وتصدق وأعتق، وتوفي في ربيع من سنة ست وخمسين لاثنين وعشرين سنة من سلطنته، وولَّ ابنه عز الدولة مختار وقد كان أوصاه بطاقة عمه ركن الدولة، وبطاعة ابنه عضد الدولة، لأنه كان أكبر سنًا وأخبر بالسياسة ووصله ماججه سبكتكين وبكتابيه أبي الفضل العباس وأبي الفرج، فخالفه وصاياه وعكف على الله وأوحش هؤلاء، ونفي كبار الدليم شرعاً في أقطاعاتهم. وشعب عليه الأصاعد فذاهتم واقتدى بهم الأتراك، وجاء أبو الفرج محمد بن العباس من عمان بعد أن سلمها إلى نواب عضد الدولة الذين كانوا في أ Maddah، وخشي أن يؤمر بالمقام بها وينفرد أبو الفضل صاحبه بالوزارة ببغداد، فكان كما ظن. ثم انتقض بالبصرة جبشي بن معز الدولة على أخيه مختار سنة ست وخمسين، فبعث الوزير أبو الفضل العباس فسار موريأ بالأهواز ونزل واسط وكتب إلى جبشي بأنه جاء ليسمه

استيلاء معز الدولة على العراق، وانقسمت الدولة الإسلامية دولاً  
ذكر ولايات كل منها في أخبارها عند انفرادها على ما شرطناه.

### فتنة سبكتكين وموته وإمارة افتكتين

لما أوقع بختيار في الأتراك بالأهواز ما أوقع وانتقض  
سبكتكين ببغداد عمد بختيار إلى من جسمه من الأتراك فاطلقهم،  
وولى منهم على الأتراك زادويه الذي كان عامل الأهواز، وسار  
إلى واسط للقاء وأخويه، وكتب إلى عميه ركن الدولة وابن عميه  
عضد الدولة يستتجدهما، وإلى أبيه تغلب بن حمدان في المدد  
بنفسه، ويسقط عنه مال الإقطاع، وإلى عمران بن شاهين بالبطحة  
ذلك، فجهز إليه عميه ركن الدولة العسكري مع وزيره أبيه الفتح  
بن العميد، وكتب إلى ابن عميه عضد الدولة بالمسير معه فتافق  
وترتضى بختيار طمعاً في ملك العراق. وأما عمران بن شاهين  
فدافع واعتذر بأن عسكته لا يفتكون في الدليل لما كان بينهم، وأما  
أبو تغلب فبعث أخيه أبي عبد الله الحسين في عسكر إلى تكريت.  
فلما سار الأتراك عن بغداد إلى واسط لقتال بختيار وجاء هو إليها  
ليقيم الحجة في سقوط الإقطاع عنه، ووجد الفتنة حامية بين  
العيارين فكف القسامية وانتظر ما يقع بختار فيدخل بغداد  
ويملكها. ولما سار الأتراك إلى واسط حلوا عليهم خليفتهم الطائع  
لله وباه المطیع المخلوع، واتهوا إلى دير العاقول فهلك المطیع  
وسبكتكين معه، وولى الأتراك عليهم افتكتين من أكابر قواهم  
ومولى معز الدولة، فانتظم أمرهم وساروا إلى واسط وحاصروا بها  
بختيار حسين يوماً حتى اشتد عليه الحصار وهو يستحث عضد  
الدولة.

### نكبة بختيار على يد عضد الدولة ثم عوده إلى ملوكه

لما تابعت كتب بختيار إلى عضد الدولة باستحثائه سار في  
عساكر فارس، وجاءه أبو القاسم بن العميد وزير أبيه إلى الأهواز  
في عساكر الري وساروا إلى واسط، وأجلل عنها افتكتين والأتراك  
إلى بغداد ورجع أبو تغلب إلى الموصل. ولما جاء عضد الدولة إلى  
واسط سار إلى بغداد في الجانب الشرقي، وسار بختار في الجانب  
الغربي وحاصروا الأتراك ببغداد من جميع الجهات. وأرسل بختار  
إلى ضبة بن محمد الأسدي من أهل عين التمر وإلى أبي سنان وأبي  
تغلب بن حمدان بقطع الميرة والإغارة على التواحي فغلوا السعر

فاشتد ذلك عليه، وكتب إلى الوزير أبي طاهر بن بقية وال الحاج  
ابن سبكتكين يستقدمهما في العساكر، فجاؤوا وعادوا إلى الموصل،  
وعزم على طلبه حيث سار. فأرسل أبو تغلب في الصلح، وجاء  
الشريف أبو أحمد الموسوي والد الشريف الرضي وحلف على  
العلم في قتل أولئك المستأمة، وعاد الصلح والاتفاق كما كان،  
ورجع بختار إلى بغداد ويعتبر ابنته إلى زوجها أبي تغلب.

### الفتنة بين بختيار وسبكتكين والأتراك

كان بختار قد قلت عنده الأموال وكثرت مطالبات الجند  
وشعبيهم، فكان يحاول على جمع الأموال فتوجه إلى الموصل لذلك،  
ثم رجع فتوجه إلى الأهواز ليجدد ريعه إلى مصادرها عاملها،  
وتفاوض عن سبكتكين والأتراك الذين معه، ووقعت فتنة بين  
الأتراك والدليل بالأهواز واقتلونه ولج الأتراك في طلب ثارهم،  
وأشار عليه أصحاب الدليل بقبض رؤساء الأتراك وقرادهم ففعل،  
وكان من جملتهم عامل الأهواز وكاتبه، ونهيت أمواهم وبيوتها،  
ونودي في البلد باستياحتهم، وبلغ الخبر إلى سبكتكين وهو ببغداد  
فتقض طاعة بختار وركب في الأتراك وحاصر داره يومين وأحرقها  
وأخذ أخرى وأمهما بعثهم إلى واسط في ذي القعدة سنة ثلاثة  
وستين، وأخذ المطیع معهم فرده وترك الأتراك في دور الدليل  
ونهيوها وثارت العامة مع سبكتكين لأن الدليل كانوا شيعة  
وسفك الدماء وأحرق الكرخ وظهر أهل السنة.

### خلع المطیع وولایة الطائع

كان المطیع قد أصابه الفالج وعجز عن الحركة وكان يستر  
به وإنكشف حاله سبكتكين في هذه الواقعه، فدعاه إلى أن يخلع  
نفسه وسلم الخلافة عبد الكريم ف فعل ذلك متصرف ذي القعدة  
سنة ثلاثة وستين لست وعشرين سنة ونصف من خلافته، وبريع  
ابنه عبد الكريم ولقب الطائع.

### الصوائف

وعادت الصوائف منذ استبد ناصر الدولة بن حمدان  
بالموصل وأعمالها، وملك سيف الدولة آخره مدیني حلب ومحصن  
سنة ثلاثة وثلاثين، فصار أمر الصوائف إليه فذكرها في أخبار  
دولتهم. فقد كان لسيف الدولة فيها آثار وكان للروم في أيامه  
جولات حسنت فيها مدافعته. وأما الولايات فانقطعت منذ

إليه والخلاص من عضد الدولة، وضمن له إعادة عضد الدولة إلى فارس وتقرير مختيار بالعراق، فأجاب عضد الدولة إلى ذلك وأفرج عن مختار ورده إلى السلطة على أن يكون نائباً عنه ويخطب عنه، وبجعل أخيه أباً إسحاق أمير الجيش لعجز مختار، ورد عليهم ما أخذ لهم وسار إلى فارس وأمر ابن العميد أن يلحق به بعد ثلات فشتغل مع مختار باللذات ووعده أن يصير إلى وزارته بعد ركين الدولة. وأرسل مختار عن ابن بقية قنام بأمر الدولة واحتاجن الأموال فإذا طرب بها دس للجند فشبوا حتى تذكر له مختار واستوحش هو.

### خبر الفتن

ولما ان هزم أنتكين من عضد الدولة بالمداign لحق الشام ونزل قريباً من حصن، وقد صد ظالم بن موهوب أمير بني عقيل العلوية بالشام فلم يتمكن منه، وسار أنتكين إلى دمشق وأميرها زياد العز الدين الله العلوى وقد غالب عليه الأحداث فخرج إليه مشيخة البلد وسأله أن يملأهم ويكتب عنهم شر الأحداث وظلم العمال واعتقاد الرافضة فاستخلفهم على ذلك ودخل دمشق وخطب فيها للطائع في شعبان سنة أربع وستين، ورجع أبدي العرب من ضواحيها وفتكم فيهم وكرت جورعه وأمواله وكانت العز بمصر يداره بالاتفاق، فكتب يشكرونه ويستدعونه ليوليه من جهته، فلم يعن إليه فتجهز لقصده، ومات في طريقه ستة خمس وستين كما ذكر بقية خبره في دولتهم.

### ملك عضد الدولة بغداد وقتل مختار

ولما انتصر عضد الدولة إلى فارس كما ذكرناه أقام بها قليلاً ثم مات أبوه ركن الدولة سنة ست وستين بعد أن رضي عنه وعهد له بالمللوك كما ذكره في خبره. فلما مات شرع مختار ووزيره ابن بقية في استئصاله أهل أعماله مثل أخيه فخر الدولة وحسنوه الكردي وطلب ابن حمدان وعمران بن شاهين في عدوائه فسار عضد الدولة لطلب العراق واستمد حسنويه وأبن حمدان فوأعاده ولم يبعده فسار إلى الأهواز، ثم سار إلى بغداد، ولقيه مختار فهزمه عضد الدولة واستولى على أمواله وأثقاله وبواسطة، وحل إلى ابن شاهين أموالاً وهدايا ودخل إليه مؤكداً للاستجابة به. ثم صعد إلى واسط، وبعث عضد الدولة عسكراً إلى البصرة فملكتها، وكانت مصر شيعة له دون ربيعة. وجاء مختار ما كان له ببغداد والبصرة في واسط وبقى على ابن بقية

بغداد وثار العيارون ووقع النهب، وكيس أنتكين المنازل في طلب الطعام فعظم المرج، وخرج أنتكين والأتراء للغرب فلقيهم عضد الدولة فهزمه وقتل أكثرهم واستباحهم، وخلفوا بتكريت وحملوا الخليفة معهم، ودخل عضد الدولة إلى بغداد في جمادى سنة أربع وستين. وحاول في رد الخليفة الطائع فرده وأنزله بداره وركب للقائه الماء في يوم مشهود.

ثم وضع الجندي على مختار فشبوا عليه في طلب أرزاقهم وأشار عليه بالغلوة عليهم، والاستفقاء من الإمارة، وأنه عند ذلك يتوسط في الإصلاح فأظهر مختار التخلّي، وصرف الكتاب والهجر ثقة بغض الدولة، وتردد السفراء بينهم ثلاثة ثم قبض عضد الدولة على مختار وإخوه ووكل بهم، وجمع الناس أعلمهم بعجز مختار ووعدهم بحسن النظر وقام بواجبات الخلافة. وكان المرزبان بن مختار أميراً بالبصرة فامتخن فيها على عضد الدولة، وكتب إلى ركن الدولة يشكر ما جرى على أبيه مختار من ابنه عضد الدولة ووزيره ابن العميد، فأصابه من ذلك المقيم المقعد حتى لقد طرقه المرض الذي لم يستقل منه.

وكان ابن بقية وزير مختار قد سار إلى عضد الدولة وضمنه واسط وأعمالها فانتقض عليه بها، وداخل عمران بن شاهين في الخليفة فأجا به، وكتب إلى سهل بن بشر وزير أنتكين بالأهواز وقد كان عضد الدولة ضمه إياها ويعنه إليها مع جيش مختار فاستماله ابن بقية، وخرجت إليه جيوش عضد الدولة فهزمه، وكاتب أباه ركن الدولة بالأهواز، وأوعز ركن الدولة إليه وإلى المرزبان بالبصرة على المسير بالعراق لإعادة مختار.

واضطربت التواحي على عضد الدولة لأنكار أبيه، وانقطع عن مدد فارس وطبع فيه الأعداء، بعث أبا الفتاح بن العميد إلى أبيه يعتذر عما وقع، وأن مختار عجز ولا يقدر على المملكة وأنه يضمن أعمال العراق بثلاثين ألف ألف درهم، ويعين مختار وإخوه إليه لينزله بأي الأعمال أحب، وبغير أباه في تزوله العراق لتثير الخليفة ويعود هو إلى فارس، وتهدد أباه بقتل مختار وإخوه ويجعل شيعهم إن لم يوافق على واحدة من هذه. فخاف ابن العميد غائلة هذه الرسالة وأشار بإرسال غيره وأن يمضي هو بعدها كالمصلحة فبعث عضد الدولة غيره. فلما ألقى الرسالة غضب ركن الدولة ووثب إلى الرسول ليقتله، ثم رده بعد أن سكن غضبه، وحمله إلى عضد الدولة من الشنم والتقطيع على ما فعله وعلى ما يطلب منه من كل صعب من القول.

وجاء ابن العميد على أثر ذلك فحججه وتهده، ثم لم ينزل بضربيه مجده واعتذر بأن قوله لهذه الرسالة حيلة على الوصول

في اتباعه فدخل بلاده فصاهره ورد الرومي الملك عليهم في غير بيت الملك ليستعين به على أمره، واتبعه عسکر عضد الدولة فهزمهم ونجا إلى بلاد الروم لمساعدة ورد على شأنه لما يؤمل من نصرته إيه. واتفق أن ورداً أنهزم فيش منه أبو تغلب وعاد إلى بلاد الإسلام ونزل بأمد شهرين، حتى فتح عضد الدولة جميع بلاده كما يذكر في أخبار دولتهم، واستخلف أبا الوفاء على الموصل وعاد إلى بغداد وانقطع ملك بني حдан عن الموصل حيناً من الدهر.

### وفاة عضد الدولة وولاية ابنه صمصاص الدولة

ثم توفي عضد الدولة في شوال سنة اثنين وسبعين خمس سنين ونصف من ملوكه، واجتمع القواد والأمراء على ولاية ابنه كالجاري المزيان ويابعوه ولقبوه صمصاص الدولة. وجاءه الطائع معزياً في أبيه، وبعث آخريه أبا الحسين أحمد وأبا طاهر فيروزشاه فانتقض أحوصهم شرف الدولة بكرمان في فارس، وسبق إليها أخيه وملكتها وأقاما بالآهواز، وقطع خطبة صمصاص الدولة أخيه وخطب لنفسه، وتلقب تاج الدولة. وبعث إليه صمصاص الدولة عسكراً صحبة علي بن دنقش حاجب أبيه، وبعث شرف الدولة عسکره مع الأمير أبي الأغر دفليس بن عفيف الأسدى، والتقيا عند قرقوب، فأنهزم ابن دنقش في ربيع سنة ثلاثة وسبعين وأسر واستول أبو الحسن على الآهواز ورامهرمز، وطمع في الملك.

ثم إن أسفار بن كردويه من أكابر الدليم قام بدعوة شرف الدولة ببغداد سنة خمس وسبعين، واستمال كثيراً من العسكر، واتفقوا على ولاية أبي نصر بن عضد الدولة نائباً عن أخيه شرف الدولة، وراسلهم صمصاص الدولة في الرجوع عن ذلك فلم يزدهم إلا نادياً. وأجابه فولاد بن مابدران آنفة من متابعة أسفار وقاتلته فهزمه. وأخذوا بمنزل أسيراً وأحضره عند أخيه صمصاص الدولة، واتهم وزيره ابن سعدان بمخايلتهم فقتله، ومضى أسفار إلى أبي الحسين بن عضد الدولة وساقى الدليم إلى شرف الدولة. وسار شرف الدولة إلى الآهواز فملكها من يد أخيه الحسين. ثم ملك البصرة من يد أخيه أبي طاهر وراسل صمصاص الدولة في الصلح فاتفقا على الخطبة لشرف الدولة بالعراق، وبعث إليه بالخليع والألقاب من الطائع.

وأرسل عضد الدولة في الصلح وانختلفت الرسائل، وجاءه عبد الرزاق ويدر أبا حسنيه في ألف فارس ملداً فانتقض وسار إلى بغداد وسار عضد الدولة إلى واسط ثم إلى البصرة فأصلاح بين ربعة ومضر بعد اختلافهم مائة وعشرين سنة.

ثم دخلت سنة سبع وستين فقبض عضد الدولة على أبي الفتح بن العمدي ووزير أبيه وجدع أنهه وسلم إحدى عينيه لما بلغه عنه في مقامه بالفرات عند مختيار. وما أطلع عليه من مكاتبه إيه بعث إلى أخيه فخر الدولة باليري بالقبض عليه وعلى أهله فقبض عليه وأخذ داره بما فيها. ثم سار عضد الدولة إلى بغداد سنة سبع وستين، وبعث إلى مختار يخبره في الأعمال فأجاب إلى طاعته، وأمره بإتفاذه ابن بقية إليه ففتقا عينيه وأنفذ، وخرج عن بغداد يقصد الشام، ودخل عضد الدولة بغداد وخطب له بها وضرب على بابه ثلاث توتات ولم يكن شيء من ذلك لمن قبله، وأمر بابن بقية فرمي بين الفيلة فقتلته.

ولما سار مختار إلى الشام ومعه حدان آخر أبي تغلب وانتهوا إلى عكbra أحسن له حدان وقصد الموصل. وكان عضد الدولة قد استحلله أن لا يدخل ولاية أبي تغلب فنكث وقصدها، وجاءته رسائل أبي تغلب بتكريت في إسلام أخيه حدان إليه فيمده بنفسه، ويعيده إلى ملوكه فقبض على حدان وبعثه مع زواجه حجبه وسار أبو تغلب إليه في عشرين ألف مقاتل، وزحفوا إلى بغداد ولقيهما عضد الدولة فهزمهما وأمر بمحاربته فقتل صبراً في عدة من أصحابه لإحدى عشرة سنة من ملوكه.

### استيلاء عضد الدولة على ملك بني حدان

ثم سار عضد الدولة بعد المزعنة ومقتل مختار إلى الموصل فملكها متصرف ذي القعدة من سنة سبع وستين، وكان حمل معه الميرة والعلوفات فأقام في رغد، وبث السراة في طلب أبي تغلب، وراسلها في ضمانته على عادته فلزم محبه، فسار إلى نصبيين ومعه المزيان بن مختار وأبو إسحاق وظاهر آخر مختار وأمه، فبعث عضد الدولة عسكراً إلى جزيرة ابن عمر مع أخيه أبي عمر لحرب طغان، وعسکراً إلى نصبيين مع أخي الوفاء طاهر بن محمد فقارها أبو تغلب إلى ميافارقين وأتبعه أبو الوفاء إليها فامتنعت عليه. ولحق أبو تغلب بأردن الروم ثم بالحسينة من أعمال الجزيرة، وتبיע أبو تغلب قلاعه وأخذ أمواله في كواشى وغيرها، وعاد إلى ميافارقين. ثم سار عضد الدولة إليه بنفسه واستأنف إليه كثير من أصحابه، ورجع إلى الموصل وبعث العسكر

ولما ملك عضد الدولة الموصلى حضر عنده وهم بقبضه، ثم سأله عنه فافتده وكف عن طلبه. فلما مات عضد الدولة استفحى أمره واستولى على ميافارقين، وكثير من ديار بكر، ثم على نصبيين. وقال ابن الأثير: سار من أرمينة إلى ديار بكر فملك ثم ميافارقين، وبعث صمصاص الدولة إلى العساكر مع أبي سعيد بهرام بن أرداشير فهزمه وأسر جماعة منهم، فبعث عساكر أخرى مع أبي القاسم سعيد بن الحاجب فلقهم في بلد كواشى وهزمهم، وقتل منهم وأسر، ثم قتل الأسرى صبراً. وخبا سعيد إلى الموصى وباد في أتباعه فثار به أهل الموصى ثوراً من سوء سيرة الدليل فهرب منها ودخل باد وملك الموصى. وحدث نفسه بالمسير إلى صمصاص الدولة ببغداد وانتزاع بغداد من يد الدليل واحتفل فيه ولقيهم باد في صفر من سنة أربع وسبعين فهزمه وملکوا الموصى، ولحق باد بديار بكر وجمع عليه عساكر.

وكان بنو سيف الدولة بن حدان بحليب قد ملكها معهم سعد الدولة ابنه بعد ملوكه، فبعث إليه صمصاص الدولة أن يكفيه أمر باد على أن يسلم إليه ديار بكر، فبعث سعد الدولة إليه جيشاً فلم يكن لهم طاقة، وزحفوا إلى حلب فبعث سعد الدولة من اغتاله في مرقده مجيمته من الباذية وضربه فاعتل وأشفي على الموت، وبعث إلى سعد وزياد الأمرين بالموصل فصالحهما على أن تكون ديار بكر والنصف من طور عبدين لباد، ورجع زياد إلى بغداد وهو الذي جاء بعساكر الدليل وأنهزم باد أمامه. ثم توفي سعد الحاجب بالموصى سنة سبع وسبعين فتجدد لباد الطمع في ملكها، وبعث شرف الدولة على الموصى أبا نصر خواشاده فدخل الموصى واستمد العساكر والأموال فأطبطات عنده فدعا العرب من بي عقيل وبني ثير وأقطعهم البلاد ليدافعوا عنها.

واستولى باد على طور عبدين وأقام بالجليل، وبعث أخاه في عسكر لقتل العرب فانهزم وقتل. وبينما خواشاده يتجهز لقتال باد جاءه الجندي بموت شرف الدولة. ثم جاء أبو طاهر إبراهيم وأبو عبدالله الحسين ابنا ناصر الدولة بن حدان أميرين على الموصى من قبل بهاء الدولة، وبيت في ملكهما إلى سنة إحدى وثمانين، فبعث بهاء الدولة عسكراً مع أبي جعفر الحاجاج بن هرمز فملكها، وزحف إليه أبو الرواد محمد بن المسبب أمير بني عقيل فقاتله وبالغ في مدافعته واستمد بهاء الدولة فبعث إليه الوزير أبا القاسم علي بن أحد وسار أول سنة اثنين وثمانين وكتب إلى أبي جعفر بالقبض عليه بسعاية ابن المعلم، وشعر الوزير بذلك فصالح أبا الرواد ورجع ووجد بهاء الدولة قد قبض على ابن المعلم وقتلته.

## نكرة صمصاص الدولة وولاية أخيه شرف الدولة

لما ملك شرف الدولة من يد أخيه أبي طاهر سار إلى واسط فملوكها، وعمد صمصاص الدولة إلى أخيه أبي نصر وكان محبوساً عنده فاطلقه وبعثه إلى أخيه شرف الدولة بواسط يستعطفه به، فلم يلتفت إليه، وجزع صمصاص الدولة واستشار أصحابه في طاعة أخيه شرف الدولة فخرفوه عاقبته، وأشار بعضهم بالصعود إلى عكرا ثم منها إلى الموصى وبلاط الجبل حتى يحدث من أمر الله في فتنة بين الأتراب والدليل أو غير ذلك ما يسهل العود، وأشار بعضهم بمحابة عممه فخر الدولة والمسيء على طريق أصحابه فيخالف شرف الدولة إلى فارس فربما يقع الصلح على ذلك. فأعرض صمصاص الدولة عن ذلك كله وركب البحر إلى أخيه شرف الدولة فتلقاء وأكرمه. ثم قبس عليه لأربع سين من إمارته، وسار إلى بغداد في شهر رمضان من سنة ست وسبعين فوصلها وأخوه صمصاص الدولة في اعتقاله. واستفحى ملوكه واستطاع الدليل على الأتراب بكتيرهم فإنهم بلغوا خمسة عشر ألفاً، والأتراب ثلاثة آلاف. ثم كثرت المنازعات بينهم وغضن الدليل وأرادوا إعاده صمصاص الدولة إلى الملك ثم اقتلونه فغلبهم الدليل وقتلوا منهم وغنموا أموالهم وسار بعضهم فذهب في الأرض، ودخل الآخرون مع شرف الدولة إلى بغداد، وخرج الطائع لتقبيله وهناء وأصلاح شرف الدولة بين الفريقين، وبعث صمصاص الدولة إلى فارس فاعتقل بها واستوزر شرف الدولة أبا منصور بن صالحان.

## ابتداء دولة باد وبني مروان بالموصى

قد تقدم لنا أن عضد الدولة استولى على ملك بني حدان بالموصى سنة سبع وستين، ثم استولى على ميافارقين وأمد وسائر ديار بكر من أعمالهم، وعلى ديار بكر أيضاً من أعمالهم سنة ثمان وستين وولى عليها أبا الوفاء من قواده، وذهب ملك بني حدان من هذه التواحي. وكان في ثغور ديار بكر جماعة من الأكراد الحميدية مقدمهم أبو عبد الله الحسين بن دوشتك، ولقبه باد وكان كثير الغزو بتلك البلاد وإخافة سبلها. وقال ابن الأثير: حدثني بعض أصدقائنا من الأكراد الحميدية أن اسمه باد وكتبه أبو شجاع وأن الحسين هو آخره وأن أول أمره أنه ملك أرجيش من بلاد أرمينة فقرىاه.

## وفاة شرف الدولة وملك بهاء الدولة

الذي لقب بالقادر، فجرت بيته وبين أخت له ممتازة في ضيافة، ومرض الطاعن مرضًا عثراً ثم أبلٌ فسعت تلك الأخت بأخيها، وأنه طلب الخلافة في مرض الطاعن فأنفذ أبا الحسين بن حاجب التعمان في جماعة للقبض عليه، وكان بالحرير الظاهري فغلبهم النساء عليه، وخرج من داره مسترًا ثم لحق بالطبيحة ونزل على مهذب الدولة فالبلغ في خدمته إلى أن أثاره بشير الخلافة.

## فتنة صمصاص الدولة

لما تغلب صمصاص الدولة على بلاد فارس وجاء أبو علي شرف الدولة إلى عمه بهاء الدولة قتله كما ذكرنا، سار بهاء الدولة من بغداد إلى خوزستان سنة ثمانين وثلاثمائة قاصدًا بلاد فارس. واستختلف أبا نصر خواشاده على بغداد، ولما بلغ خوزستان أثاره نعي أبي طاهر فجلس للعزاء به. ثم سار إلى أرجان فملكها وأخذ ما فيها من الأموال وكان ألف دينار وثمانية آلاف درهم، وكثيراً من الثياب والجواهر، وشغب الجند لذلك فأطلق تلك الأموال كلها لهم، ثم سارت مقدمته وعليها أبو العلاء بن الفضل إلى التوبنديجان، وبها عسكر صمصاص الدولة فاتهزموا وثبت أبو العلاء بن الفضل في نواحي فارس.

ثم بعث صمصاص الدولة عسكره وعليهم قوله بن مابدان فهزموا أبا العلاء وعاد إلى أرجان، وجاءه صمصاص الدولة شيراز إلى قوله، ثم وقع الصلح على أن يكون لصمصاص الدولة بلاد فارس وأرجان ولبهاء الدولة خوزستان وما وراءها من ملك العراق، وأن يكون لكل واحد منهما أقطاع في بلد صاحبه، وتعاقدا على ذلك، ورجع بهاء الدولة إلى بغداد فوجد الفتنة بين أهل السنة والشيعة بجانب بغداد، وقد كثر القتل والنهب والخريب فاصلح ذلك. وكان قبل سيره إلى خوزستان قبض على وزيره أبي منصور بن صالحان، واستورز أبا نصر سابور بن أردشير، وكان الحكم والتدبیر في دولته لأبي الحسين بن المعلم.

## خلع الطاعن وبيعة القادر

ثم إن بهاء الدولة قلت عنده الأموال وكثير شغب الجند ومطالباتهم، وقبض على وزيره سابور فلم يغن عنه، وامتدت عيناه إلى أموال الطاعن وهو بالقبض عليه، وحسن له ذلك أبو الحسين بن المعلم الغالب على هواه فتقدمن إلى الطاعن بالجيوش لحضوره في خدمته فجلس وجلس بهاء الدولة على كرسى، ثم جاء بعض الدليل يقبل يد الطاعن فجذبه عن سريره وأخرجه،

ثم توفي شرف الدولة أبو الفوارس شرزيك بن عضد الدولة في جمادي سنة تسع وسبعين لستين وثمانية أشهر من إمارته ودفن بمشهد علي بعد أن طالت عاته بالاستسقاء، وبعث وهو عليل إلى أخيه صمصاص الدولة بفارس فشمله، وبعث ابنه أبا علي إلى بلاد فارس ومعه الخزائن والمعدن وجملة من الأبراك. وسئل شرف الدولة في العهد فملكه وأبى أن يعهد واستخلف أخيه بهاء الدولة لحفظ الأمور في حياته. فلما مات قعد في الملكة وجاء الطاعن للعزاء وخلع عليه للسلطنة فاقر أبا منصور بن صالحان على وزارته، وبعث أبا طاهر إبراهيم وأبا عبد الله الحسين ابني ناصر الدولة بن حمدان إلى الموصل، وكان في خدمته شرف الدولة فاستاذنا بهاء الدولة بعد موته في الإصعاد إلى الموصل فأذن لهم. ثم ندم على ما فرط في أمرهما وكتب إلى خواشاده بعذرهما فامتبعا وجاماً ونزلوا بظاهر الموصل.

وثار أهل الموصل بالدليل والأتراك وخرجوا إلى بني حمدان، وقاتلوا الدليل فهزموهم، وقتل الدليل كثيراً منهم واعتضم الباقيون بدار الإمارة فآخر جوهم على الأمان وحلقوا بغداد، وملك بنو حمدان الموصل. وكان أبو علي بن شرف الدولة لما انصر إلى فارس بلغه موت ابنه بالبصرة، فبعث العيال والأموال في البحر إلى أرجان وسار هو إليها. ثم سار إلى شيراز فرأفاه بها عمه صمصاص الدولة وأخوه أبو طاهر قد أطلقهما المراكرون بهما ومعهما قوله، وجاؤوا إلى شيراز، واجتمع عليهم الدليل وخرج أبو علي إلى الأتراك فاجتمعوا عليه، وقاتل صمصاص الدولة والدليل أيامًا. ثم سار إلى نسا فملكها وقتل الدليل بها. ثم سار إلى أرجان وبعث الأتراك إلى شيراز لقتال صمصاص الدولة فنهبوا البلد وعادوا إليه بأرجان. ثم بعث بهاء الدولة إلى علي ابن أخيه يستقدمه، واستمال الأتراك سراً فحملوا أبا علي على المسير إليه فسار في جمادي سنة ثمانين فاكترمه ثم قبض عليه وقتله. ثم وقت الفتنة ببغداد بين الأتراك والدليل واقتلاوا خمسة أيام. ثم راسلتهم بهاء الدولة في الصلح فلم يجيبوا وقتلوا رسله ظاهر الأتراك عليهم فغلبوا بهم، واشتدت شوكة الأتراك من يومئذ وضعف أمر الدليل صالح بينهم على ذلك وقبض على بعض الدليل واقتروا.

## خروج القادر إلى الطبيحة

كان إسحاق بن المقذر لما توفي ترك ابنه أبا العباس أحد

بها طغان، ورجع ولحق صمصاص الدولة بفارس فاستلهم من وجد بها من الأتراك وهرب فلهم إلى كرمان، واستأذنا ملك السندي في اللحاق بأرضه فاذن لهم، ثم ركب لتلقيهم فقتلهم عن آخرهم. ثم جهز صمصاص الدولة عساكره إلى الأهواز مع العلاء بن الحسين وكان أتفكين برامهرمز من قبل بهاء الدولة مكان أبي كالبيjar المرزيyan بن سفهيعون وجاء بهاء الدولة إلى خوزستان للعلامة قائد صمصاص الدولة، وكانته وكاتب أتفكين وابن مكرم إلى أن قرب منهم، وملك البلد من أيديهم وأقاموا بظاهرها، واستمدوا بها الدولة فأتمدهم شمطانين من الأتراك فقتلتهم عن آخرهم، وسار بهاء الدولة نحو الأهواز، ثم عاد إلى البصرة وعاد ابن مكرم إلى عسکر مكرم والعلاء والدليم في اتباعه إلى أن جازوا تسرت إلى فاقتتلوا طويلاً وأصحاب بهاء الدولة من تسرت إلى رامهرمز وهو الأتراك وأصحاب صمصاص الدولة من تسرت إلى أرجان فاقتتلوا ستة أشهر ورجعوا إلى الأهواز ثم رحل الأتراك إلى واسط واتبعهم العلاء قليلاً ثم رجع وأقام بعسکر مكرم.

### ملك صمصاص الدولة البصرة

لما رحل بهاء الدولة إلى البصرة استأمن كثير من الدليم الذين معه إلى العلاء نحو من أربعين ألفاً، فبعثهم مع قسانده السكريستان إلى البصرة وقاتلوا أصحاب بهاء الدولة، ومال إليهم أهل البلد ومقدمهم أبو الحسن بن أبي جعفر العلوي وراتب بهم بهاء الدولة فهرب الكثير منهم إلى السكريستان وحملوه في السفن فادخلوه البصرة. وخرج بهاء الدولة وأصحابه فكتب إلى مذهب الدولة صاحب الطبيعة يغري بالبصرة، فبعث إليها فيما يجيئ من قائدته عبد الله بن مرزوق فقتل علىها السكريستان، وملكتها لمذهب الدولة، ثم عاد السكريستان وقاتلها وكانت مذهب الدولة بالصلح والطاعة والخطبة له بالبصرة، وأعطى ابنه رهينة على ذلك، فأجابه ملك البصرة وعسف بهم، وكان يظهر طاعة صمصاص الدولة وبهاء الدولة ومهذب الدولة.

ثم إن العلاء ابن الحسن نائب صمصاص الدولة بخوزستان توفي بعسکر مكرم فبعث مكانه أبي علي إسماعيل بن أستاذ هرمز وسار إلى جندسابور فدفع عنها أصحاب بهاء الدولة وأزاح الأتراك عن ثغر خراسان جملة وعادوا إلى واسط وكاتب جماعة منهم ففرعوا إليه، ثم زحف إليهم أبو محمد مكرم والأتراك وجرت بينهم وقائع، ثم انقضت أيام علي إسماعيل بن أستاذ هرمز ورجع إلى طاعة بهاء الدولة وهو بواسط سنة ثمان وثمانين

ونهب قصور الخلافة وفشا النهب في الناس، وحمل الطائع إلى دار بهاء الدولة فأشهد عليه بالخلع سنة إحدى وثمانين لسبعين عشرة سنة وثمانية أشهر من خلافته. وأرسل بهاء الدولة خواض أصحابه إلى الطبيعة ليحضروا القادر بالله أبا العباس أحمد بن إسحاق بن المقدار لبياميده، فجاؤوا به بعد أن بايع مذهب الدولة صاحب الطبيعة في خدمته وسار بهاء الدولة وأعيان الناس لتلقيه فتلقوه وساروا في خدمته، ودخل دار الخلافة لاثني عشرة ليلة خلت من رمضان، وخطب له صبيحتها وكانت مدة إقامته بالطبيعة ثلاثة سنين غير شهر، ولم يخطب له بخراسان وأقاموا على بيعة الطاعن فأنزله بمجزرة من قصره، ووكل عليه من يقسم بخدمته على أم الوجه، وأجرى أحواله على ما كان عليه في الخلافة إلى أن توفي سنة ثلاثة وسبعين فصلى عليه ودفنه.

### ملك صمصاص الدولة الأهواز وعودها لبهاء الدولة ثم استيلاؤه ثانيةً عليها

قد تقدم لنا ما وقع بين بهاء الدولة وصمصاص الدولة من الصلح على أن يكون له فارس وبهاء الدولة خورستان وما وراءها، وذلك سنة ثمان. وما كانت سنة ثلاثة وثمانين تحيل بهاء الدولة فبعث أبا العلاء عبد الله بن الفضل إلى الأهواز على أن يبعث إليه الجيوش مفترقة، فإذا اجتمعت كبس بلاد فارس على حين غفلة. وشعر صمصاص الدولة بذلك قبل اجتماع العساكر، فبعث عساكره إلى خوزستان، ثم جاءت عساكر العراق والتقدوا فانهزم أبو العلاء، وحمل إلى صمصاص الدولة أسرى فأعتقله، وبعث بهاء الدولة وزيره أبا نصر بن سابور إلى واسط يحاول له جمع المال فهرب إلى مذهب الدولة صاحب الطبيعة.

ثم كثر شغب الدليم على بهاء الدولة ونهبوا دار الوزير نصر بن سابور واستعنوا واستوزر أبا القاسم علي بن أحمد. ثم هرب وعاد سابور إلى الوزارة وأصلح الدليم، ثم انتزع بهاء الدولة عسکره إلى السوس فارتحل عنها أصحاب صمصاص الدولة وملكتها واتهوا إلى طغان، وكان أكثر أصحابه الترك وأكثر أصحاب صمصاص الدولة طغان، وكان أكثر أصحابه الترك وأكثر أصحاب صمصاص الدولة الديلم ومعه ثيم وأسد، فزحف إلى طغان بالأهواز، وأسرى من تسرت ليكبس الأتراك الذين مع طغان فقتل في طريقه وأصبح دونهم بمرأى منهم فركوا لقتالهم وأكموا له ثم قاتلوا فهزموه وقتروا في الدليم بالقتل حرياً وصبراً.

وجاء الخبر إلى بهاء الدولة بواسط فسار إلى الأهواز فترك

صمصام الدولة، واستأصل أهلها وبعث عسكراً مع أبي الفتح إلى جعفر بن أستاذ هرمز إلى كرمان فملكها.

ولما لحق أبو القاسم بن مختيار ببلاد الدليم، كاتب من هناك الدليم الذين يكرمان وفارس تسلّمهم فأجابوه وسار إلى بلاد فارس، واجتمع عليه كثير من الزط والدليم والأتراك. ثم سار إلى كرمان وبها أبو جعفر بن أستاذ هرمز فهزمه إلى السرجان، ومضى ابن مختيار إلى جيرفت فملكها وأكثر كرمان، وبعث بهاء الدولة الموقق بن علي بن إسماعيل في العساكر إلى جيرفت فاستأنف إليه ما كان بها من أصحاب مختار، وملكها وتخرد في جماعة من شجعان أصحابه لتابع ابن مختار فلحقه بدارين، وقاتله فغدر به بعض أصحابه فقتله وحمل رأسه إلى الموقق، واستولى على بلاد كرمان وإسماعيل عليها، وعاد إلى بهاء الدولة فتلقاء وعظمته واستغنى الموقق من الخدمة فلم يفع، ولتج الموقق في ذلك قبض عليه بهاء الدولة، وكتب إلى وزير سبور بالقبض على ذويه، ثم قتله سنة أربع وسبعين واستعمل بهاء الدولة أبي محمد مكرماً على عمان.

### الخبر عن وزراء بهاء الدولة

قد ذكرنا أن بهاء الدولة كان استورز أبي نصر بن سبور بن أردشير ببغداد وبعث على وزيره أبي منصور بن صالحان قبل مسيره إلى خوزستان، وأن أبي الحسن بن المعلم كان يدير دولته وذلك منذ ستة ثمانين، فاستولى ابن المعلم على الأمور وانصرفت إليه الوجوه، فأساء السيرة وسعى في أبي نصر خواشده وأبي عبد الله بن طاهر فقبضهما بهاء الدولة مرجعه من خوزستان، وشعب الجند وطلبو تسليمه إليهم، ولاطفهم فلم يرجعوا قبض عليهم فقتلوه وذلك سنة اثنين وثمانين. ثم قبض على وسلمه إليهم فقتلوه وذلك سنة اثنين وثمانين، واستورز أبي القاسم وزير العزيز بن يوسف، ثم استورز بعد أبي القاسم علي بن أحد وقبض عليه سنة اثنين وثمانين لاتهامه بداخلة الجند في أمر ابن المعلم، واستورز أبي نصر بن سبور وأبا منصور بن صالحان جميعاً. وشعب الجند على أبي نصر ونبيوا داره سنة ثلاث وثمانين فاستغنى رفيقه ابن صالحان فاستورز أبي القاسم علي بن أحد، ثم هرب وعاد أبو نصر إلى الوزارة بعد أن أصلح أمور الدليم فاستورز مكانه الفاضل، وبعث عليه سنة ست وثمانين واستورز أبي نصر سبور بن أردشير فبقي شهرين، وفرق أمرال بهاء الدولة في القواد ثم هرب إلى الطبيحة فاستورز بهاء الدولة مكانه عيسى

فاستورزه ودبر أمره واستدعاه إلى مظاهره قائدته ابن مكرم بعسكر مكرم فسار إليه وكانت من إسماعيل خديعة تورط فيها بهاء الدولة واستمد بدر بن حسنيه قائدته بعض الشيء وكاد يهلك، ثم جاءه الفرج بقتل صمصام الدولة.

### مقتل صمصام الدولة

كان صمصام الدولة بن عضد الدولة مستولياً على فارس كما ذكرناه، وكان أبو القاسم وأبو نصر ابنا مختار محسنين ببعض قلاع فارس، فجرد الملكين بهما في القلعة وأخرجوا عنها واجتمع بهما من الأكراد وكان جماعة من الدليم استرحوها من صمصام الدولة لما أسقطهم من الديوان، فلحقوا بابني مختار وقصدوا أرجن وتجهز صمصام الدولة إليهم وكان أبو علي بن أستاذ هرمز مقيناً بمنطقة شاره به الجند وحبسه ابنا مختار ثم ثجا. وقد صمصام الدولة القلعة التي على شيراز ليتمكن فيها إلى أن يأتيه المدد، فلم يكنته أن يأتيها من ذلك، وأشار عليه باللحاق بابي علي بن أستاذ هرمز أو بالأكراد، وجاءته منه شيراز فخرج معهم بأمواله فنهبوا وسار بعض الرودمان على مرحلتين من شيراز. وجاء أبو النصر بن مختار إلى شيراز قبض صاحب الرودمان على صمصام الدولة، وأخذه منه أبو نصر وقتله في ذي الحجة سنة ثمان وثمانين لسبعين من إمارته على فارس.

### استيلاء بهاء الدولة على فارس

ولما قتل صمصام الدولة وملك ابنا مختار بلاد فارس، كتب إلى أبي علي بن أستاذ هرمز في الأهواز باخذه الطاعة لمن قتله الدليم، ومحاربة بهاء الدولة فخافهما أبو علي بما كان من قتلته أخيه، وأغرى الدليم بطاعة بهاء الدولة. وراسله واستخلفه لهم فحلف وضمن لهم غاللة الأتراك الذين معه، وأغراهم بشار أخيه من ابني مختار فدخلوا في طاعته، وجاءه وفد من أعيانهم فاستوقفوا منه وكتبوا إلى من كان بالسوس منهم بذلك. وركب بهاء الدولة إلى نائب السوس فقاتلواه أولاً ثم اجتمعوا عليه وساروا إلى الأهواز ثم إلى رامهرمز وأرجن، وملكوا سائر بلاد خوزستان. وسار أبو علي بن إسماعيل إلى شيراز وقاتلهما وتسرب إليه أصحاب أبي مختار فاستولى على شيراز سنة تسع وثمانين، ولحق أبو نصر بن مختار ببلاد الدليم وأبو القاسم يدر بن حسنيه، ثم بالطبيحة، وكتب أبو علي إلى بهاء الدولة بالفتح فجاءه وترك شيراز وأحرق قرية الرودمان حيث قتل أحده

بن ماسرجس.

الكوفة فهزهم وأثخن فيهم بالقتل والأسر، واستباح ملك بني مزيد وظهر في بغداد في مغيب أبي جعفر من الفتنة والفساد والقتل والنهب مالا يحصى فكان ذلك السبب في أنبعث بهاء الدولة أبا علي بن جعفر استاذ هرمز كما مر، ولقيه عميد الجيوش فسكن الفتنة وأمن الناس.

ولما عزل أبو جعفر أقام بنواحي الكوفة وارتاد به أبو علي فجمع الدليل والأدلة وخفاجة، وسار إليه واقتلوه بالعمانية وذلك سنة ثلاثة وستين، فانهزم أبو جعفر وسار أبو علي إلى خوزستان، ثم إلى السوس، فعاد أبو جعفر إلى الكوفة ورجع أبو علي في اتباعه فلم تزل الفتنة بينهما، وكل واحد منهما يستتجد ببني عقيل وبني أسد وخفاجة، حتى أرسل بهاء الدولة عن أبي علي وبعثه إلى البطيحة لقتنة بني واصل كما نذكره في دولتهم.

ولما كانت سنة سبع وستين جمع أبو جعفر وسار لخصار بغداد وأمده ابن حسنيه أمير الأكراد، وذلك أن عميد الجيوش ولل على طريق خراسان أبا الفضل بن عنان، وكان عدوًّا البدر بن حسنيه فارتاد لذلك، واستدعى أبا جعفر وجع له جواعاً من أمراء الأكراد منهم هندي بن سعد وأبو عيسى شادي بن محمد، ور زام بن محمد وكان أبو الحسن علي بن مزيد الأسدي انتصر عن بهاء الدولة معاذياً له، فسار معهم و كانوا عشرة آلاف وحاصروا بغداد وبها أبو الفتح بن عنان شهرًا. ثم جاءهم الخبر بانهزم ابن واصل بالبطיחה الذي سار عميد الجيوش إليه فاقتربوا، وعاد ابن مزيد إلى بلدته وسار أبو جعفر إلى حلسان وأرسل بهاء الدولة في الطاعة عنده بستر فاعرض عنه رغبةً لعميد الجيوش.

### فتنة بني مزيد وبني دبيس

كان أبو الغنائم محمد بن مزيد مقيناً عند أصحابه بني دبيس في جزيرتهم بخوزستان، فقتل أبو الغنائم بعض رجالاتهم ولحق بأخيه أبي الحسن، فأخذ أبو الحسن إليهم في الفي فارس، واستمد عميد الجيوش فآمده بعسكر من الدليم ولقيهم فانهزم أبو الحسن، وقتل أخوه أبو الغنائم.

### ظهور دعوة العلوية بالكوفة والموصى

وفي أول المائة الخامسة خطب قرواش بن المقلد أمير بني عقيل لصاحب مصر المحاكم العلوى في جميع أعماله: وهي الموصى والأئم والدائىن والكوفة، فبعث القادر القاضى أبا بكر الباقلانى

### ولاية العراق

كان بهاء الدولة منذ استولى على فارس سنة تسعة وثمانين أقام بها وولى على خوزستان والعراق أبا جعفر الحاجاج بن هرمز فنزل بغداد ولقيه عميد الدولة فسأله سيرته وفسدت أمرال البلاد وعظمت الفتنة ببغداد بين الشيعة وأهل السنة وقطاول الدعارض والعيارون فعزله بهاء الدولة سنة تسعين، وولى مكانه أبا علي الحسن بن أستاذ هرمز، ولقيه عميد الجيوش فاحسن السيرة وحسن الفتنة، وحل إلى بهاء الدولة أموالاً جليلة. ثم ول مكانه سنة إحدى وستين أبا نصر سابور، وثار به الأتراك ببغداد فهرب منهم ووقعت الفتنة بين أهل الكرخ والأتراك، وكان أهل السنة مع الأتراك ثم مشى الأعلام بينهم في الصلح فتهاذوا.

### انفراط دول وابتداء أخرى في التواحي

وفي سنة ثمانين ابتدأت دولة بني مروان بديار بكر بعد مقتل خالهم باد، وقد مر ذكره. وفي سنة اثنين وثمانين انقرضت دولة بني حدان بالموصل وابتدئت دولة بني المسيبة من عقب كاما ذكرها. وفي سنة اربع وثمانين انقرضت دولة بني سامان من خراسان وابتدئت دولة بني سبكتكين فيها. وفي سنة تسعة وثمانين انقرضت دولة بني سامان مما وراء النهر وانتقسمت بنو سبكتكين وملك الخاقان ملك الترك. وفي سنة ثمان وثمانين ابتدأت دولة بني حسنيه الأكراد بخراسان. وفي سنة تسعة وستين كان ابتداء دولة بني صالح بن مرداش من بني كلاب محلب كما نستوفي سيادة أخبارهم في دولهم منفردة كما شرطناه.

### ظهور بني مزيد

وفي سنة سبع وثمانين خرج أبو الحسن علي بن مزيد في قومه بني أسد ونقض طاعة بهاء الدولة، فبعث إليه العساكر فهرب أمامهم وأبعد حتى امتنع عليهم. ثم بعث في الصلح والاستقامة وراجع الطاعة، ثم رجع إلى انتقامته سنة اثنين وستين، واجتمع مع قرواش بن المقلد صاحب الموصل وقومه بني عقيل فحاصروا المدائى. ثم بعث إليهم أبو جعفر الحاجاج وهو نائب بغداد العساكر فدفعوهم عنها، وخرج الحاجاج واستتجد خفاجة فجاء من الشام وقاتل بني عقيل وبني أسد فهزمه، ثم خرج إليهم ولقيهم بنواحي

واستباحه. ثم استأمن له مضر ومهارش فأمنهما وأشرك معهما طرادة في الجزيرة، ورجع والذكر عليه سلطان الدولة فعله، ووصل إلى واسط والفتنة قائمة فأصلحها، ثم بلغه اشتداد الفتن ببغداد فسار وأصلحها وكان أمر الدليل قد ضعف ببغداد وخرجوا إلى واسط.

### الفتنة بين سلطان الدولة وأخيه أبي الفوارس

قد ذكرنا أن سلطان الدولة لما ملك بعد أبيه بهاء الدولة ولّى أخيه أبي الفوارس على كرمان، فلما سار إليها اجتمع إليه الدليل وحملوه على الانتقاض واتزان الملك من يد أخيه، فسار الدليل وعاد إلى شيراز. ثم سار منها ولقيه سلطان الدولة فهزمه ستة ثمان إلى شيراز. ثم سار منها ولقيه سلطان الدولة فهزمه وعاد إلى كرمان، واتبعه سلطان الدولة فخرج هارباً من كرمان، ولحق محمد بن سبكتكين مستجدلاً به فأكرمه وأمده بالعساكر، وعليهم أبو سعيد الطائي من أعيان قواده، فسار إلى كرمان وملكتها، ثم إلى شيراز كذلك، وعاد سلطان الدولة لحربه فهزمه وأخرجه من بلاد فارس إلى كرمان، وبعث الجيوش في أثره فانتزعوا كرمان منه، ولحق بشمس الدولة بن فخر الدولة بن بوبي صاحب همدان، وترك ابن سبكتكين لأنّه أساء معاملة قياده أبي سعيد الطائي، ثم فارق شمس الدولة إلى مهدب الدولة صاحب البطحة فأكرمه، وبعث إليه آخره جلال الدولة من البصرة مالاً وثياباً وعرض عليه المسير إليه فألبى وأرسل أخيه سلطان الدولة في المراجعة وأعاده إلى ولاية كرمان، وقبض سلطان الدولة ستة تسع على وزير بن فاغبس وإخوته، ولّى مكانه أبي غالب الحسن بن منصور.

إلى بهاء الدولة يعرّفه فاكرمه، وكتب إلى عميد الجيوش بمحاجرة قراوش، وأطلق له مائة ألف دينار يستعين بها، وسار عميد الجيوش لذلك فراجع قراوش الطاعة وقطع خطبة العلوين، وكان ذلك داعياً في كتابه المحضر بالطعن في نسب العلوية بمصر، شهد فيه الرضي والمرتضى وابن البطحاوي وابن الأزرق والزكي وأبو يعلى عمر بن محمد، ومن العلماء والقضاة ابن الأكفاني وابن الجوزي وأبو العباس الأبيوردي وأبو حامد الأسفرياني والكتابي والقدوري والصهيري وأبو عبد الله البيضاوي وأبو الفضل النسوسي وأبو عبد الله التعمان فقيه الشيعة. ثم كتب ببغداد محضر آخر بمثل ذلك ستة أربع وأربعين وزيد فيه انتسابهم إلى الديسانية من المuros وبني القداح من اليهود، وكتب فيه العلوية والعباسية والفقهاء والقضاة وعملت به نسخ وبعث بها إلى البلاد.

### وفاة عميد الجيوش وولاية فخر الملك

كان عميد الجيوش أبو علي بن أبي جعفر أستاذ هرمز وكان أبو جعفر هذا من حجاب عضد الدولة، وجعل ابنه أبي علي في خدمة ابن صصاص الدولة، فلما قتل رجع إلى خدمة بهاء الدولة، ولما استول الخراب على بغداد وظهر العيارون بعث بهاء الدولة عليها فأصلحها وقع المفسدين، ومات لثمان سنين ونصف من ولاته إلى أول المائة الخامسة. وولى بهاء الدولة مكانه بالعراق فخر الملك أبا غالب، فوصل ببغداد وأحسن السياسة واستقامت الأمور به. واتفق لأول قدمه وفاة أبي الفتح محمد بن عنان صاحب طريق خراسان محلوان لعشرين سنة من إمارته، وكان كثير الأجلاب على بغداد. فلما توفي ولّى ابنه أبو الشوك وقام مقامه ببعث فخر الملك الساكر لقتاله فهزمه إلى حلوان. ثم راجع الطاعة وأصلح حاله.

### خروج الترك من الصين

وفي ستة ثمان وأربعين خرجت من المقارنة التي بين الصين وما وراء النهر أمّ عظيمة من الترك تزيد على ثلاثة مائة ألف خيمة ويسمون الخيمة جذكان، ويتخذونها من الجلد. وكان معظمهم من الخطا قد ظهروا في مملكة تركستان، فمرض ملكها طغان فساروا إليها وعاثوا فيها، ثم أبل طغان واستنفر المسلمين من جميع التواحي وسار إليهم في مائة وعشرين ألفاً فهزموا أمامه واتبعهم مسيرة ثلاثة أشهر، ثم كبسهم فقتل منهم نحو مائتي ألف وأسر مائة ألف، وغنم من الدواب والبيوت وأواني الذهب

### مقتل فخر الملك وولاية ابن سهلان

كان فخر الملك أبو غالب من أعظم وزراء بني بوبي، وولى نهاية بغداد لسلطان الدولة خمس سنين وأربعة أشهر. ثم قبض عليه وقتل في ربيع سنة ست وأربعين، وولى مكانه أبي محمد الحسن بن سهلان ولقبه عميد أصحاب الجيوش، وسار سنة تسع إلى بغداد وجرد من الطريق مع طراد بن ديس الأسد في طلب مهارش ومضر أبي ديس، وكان مضر قد قبض عليه قديماً بأمر فخر الملك، فأراد أن يأخذ جزيرة بي أسد منه و Biolها طراداً، فساروا عن المدار واتبعهم ولحق الحسن بن ديس آخرهم فأوقع به

والبيعة لأبي الفترح الحسن بن جعفر العلوي أمير مكة، فاستقدمه إلى الرملة وبايته. ثم خلفه وعاد إلى مكة وقصد أبو القاسم العراق، واتصل بالوزير فخر الملك وأمره القادر بيعاده، فلحق قرواش أمير الموصل، وكتب له ثم عاد إلى العراق وتقللت به الحال إلى أن وزر بعد مؤيد الملك الرخجي، وكان خيئاً محتالاً حسوداً. ثم قدم مشرف الدولة إلى بغداد سنة أربع عشرة ولقبه القادر ولم يلق أحداً قبله.

### الخبر عن وحشة الأكراد وفتنة الكوفة

كان الأثير عنبر الخادم مستولياً في دولة مشرف الدولة الوزير أبي القاسم المغربي عديله في حملها فنقم الأتراك عليهما، وطلب من مشرف الدولة الخراج من بغداد خوفاً على أنفسهما، فخرج معهما غضباً على الأتراك، ونزلوا على قرواش بالسندية. واستعظم الأتراك ذلك، ويعثروا بالاعتذار والرغبة. وقال أبو القاسم المغربي: «دخل بغداد إنما هو أربعمائة ألف وخرجها ستمائة فاتركوا مائة وأحتمل مائة فأجا به إلى ذلك خداعاً. وشعر بوصولهم فهرب لعشرين شهر من وزارته.

ثم كانت فتنة بالكوفة بين العلوية والعباسية، وكان لأبي القاسم المغربي شهر وصداقة في العلوية فاستدعي العباسيون المغربي عليهم فلم يعدهم مكان المغربي، وأمرهم بالصلح فرجعوا إلى الكوفة، واستمد كل واحد منهم خفاجة فآمدوهن وافتقوها عليهم، واقتتل العلوية والعباسية فغلبهم العلوية وخلفوا ببغداد، ومنعوا الخطة يوم الجمعة، وقتلوا بعض قرابة العلوية الذين بالكوفة، فهدى القادر للمرتضى أن يصرف إبا الحسن علي بن أبي طالب ابن عمر عن نقابة الكوفة. ويردها إلى المختار صاحب العباسية. ويبلغ ذلك المغربي عند قرواش بسرّ من رأى فشرع في إرغام القادر. وبعث القادر إلى قرواش بطرده فلحق بابن مروان في ديار بكر.

### وفاة مشرف الدولة وولاية أخيه جلال الدولة

ثم توفي مشرف الدولة إبراهيم بن بهاء الدولة سنة ست عشرة في ربیع الحمد من ملكه، وولى مكانه بالعراق آخره أبو طاهر جلال الدولة صاحب البصرة، وخطب له ببغداد، واستقدم بلغ واسط ثم عاد إلى البصرة فقطعت خطبه، وخطب

والفضة من معمول الصين ما لا يعبر عنه.

### ملك مشرف الدولة وغليه على سلطان الدولة

لم يزل سلطان الدولة ثابت القدم في ملكه بالعراق إلى سنة إحدى عشرة وأربعمائة فشغب عليه الجنديون ونادوا بشعار أخيه مشرف الدولة فأشير عليه مجسه فقف عن ذلك وأراد الانحدار إلى واسط فطلبه الجندي في الاستخلاف فاستخلف أخيه مشرف الدولة على العراق، وسار إلى الأهواز، فلما بلغ تستر استوزر سهلان، وقد كان اتفق مع أخيه مشرف الدولة الوزير ابن سهلان أن لا يستوزره، فاستوحش لذلك مشرف الدولة، وبعث سلطان الدولة الوزير ابن سهلان ليخرجه من العراق فجمع أتراك واسط وأبا الأغريبيين بن علي بن مزيد، ولقي ابن سهلان عند واسط فهزمه وحاصره بها حتى اشتد حصاره، وجدهد الحصار فصالحه ونزل عن واسط فملكها في ذي الحجة من سنة إحدى عشرة.

وسار الدليم الذين بواسط في خدمته، وسار آخره جلال الدولة أبو طاهر صاحب البصرة إلى وفاته وخطب له ببغداد، وقبض على ابن سهلان وكحله، وسار سلطان الدولة إلى أرجان ثم رجع إلى الأهواز وثار عليه الأتراك الذين هنالك، ودعوا بشعار مشرف الدولة، وخرجوا إلى السابلة فأفسدوها، وعاد مشرف الدولة إلى بغداد فخطب له بها سنة إثنى عشرة، وطلب منه الدليم أن ينحدروا إلى بيوتهم بمخوزستان فبعث معهم وزيره أبي غالب، فلما وصلوا إلى الأهواز انتقضوا ونادوا بشعار سلطان الدولة، وقتلوا أبي غالب لستة ونصف من وزارته. ولحق الأتراك الذين كانوا معه طراد بن ديبس بالجزيرة، وبعث سلطان الدولة قتل أبي غالب واقتراط الدليم فأنهى ابنه أبي كاليجار إلى الأهواز وملكها. ثم وقع الصلح بينهما على يد أبي محمد بن أبي مكرم ومؤيد الملك الرخجي على أن تكون العراق لمشرف الدولة وفارس وكرمان لسلطان الدولة.

واستوزر مشرف الدولة أبا الحسين بن الحسن الرخجي ولقبه مؤيد الملك بعد قتل أبي غالب ومصادرته ابنه أبي العباس. ثم قبض عليه سنة أربع عشرة بعد حول من وزارة بسعاية الأتراك الخادم فيه واستوزر مكانه أبا القاسم الحسين بن علي بن الحسن المغربي، كان أبوه من أصحاب سيف الدولة بن حداد، وهرب إلى مصر وخدم الحاكم قتله وهرب ابنه أبو القاسم هذا إلى الشام، وحل حسان بن الفرج بن الجراح الطائي على نقض طاعة الحاكم

وهلك الكثير من أئقاليه واستولى أبو كاليجار على واسط ثم خطب له في البطيحة وأرسل إلى قرواش صاحب الموصل وعنه الأثير عنبر يستدعيهما إلى بغداد، فانحدر عنبر إلى الكھيل ومات به. وقعد قرواش وجع جلال الدولة عساكره ببغداد، واستمد أبا الشوك وغيره، وأخذدر إلى واسط وأقام هناك من غير قتال، وضاقت عليه الأحوال. واعترم أبو كاليجار على خالفته إلى بغداد، وجاهه كتاب أبي الشوك بزحف عساكر حمود بن سبكتين إلى العراق، ويشير بالصلح والاجتماع لمدافعتهم، فافتدى أبو كاليجار الكتاب بجلال الدولة فلم يته عن قصده، ودخل الأھواز فنهبها، وأخذ من دار الإمارة مائتي ألف دينار، واستباح العرب والأكراد سائر البلد وحل حریس كاليجار إلى بغداد سبياً فماتت أمه في الطريق.

وسار أبو كاليجار لاعتراض جلال الدولة وتختلف عنه ديس لدفع خفاجة عن أصحابه، واقتلوه في ربيع سنة إحدى وعشرين ثلاثة أيام فانهزم أبو كاليجار، وقتل من أصحابه الفان. ودبس لما فارق أبي كاليجار وصل إلى بلده وجمع إليه جماعة من قومه، وكانتوا متقطفين عليه بالجامعين فأواقع بهم وجنس منهم وردهم إلى وفاقه. ثم لقي المقلد بن أبي الأغر وعساكر جلال الدولة فانهزم أمامهم وأسر جماعة من أصحابه، وسار منهزاً إلى أبي سنان غريب بن مكين فأصالح حاله مع جلال الدولة وأعاده إلى ولائه على ضمان عشرة آلاف دينار، وسمع بذلك المقلد فجمع خفاجة ونهبوا النيل وسورا وأحرقوا منازلها. ثم عبر المقلد إلى أبي الشوك فأصالح أمره مع جلال الدولة، ثم بعث جلال الدولة سنة إحدى وعشرين عساكره إلى المدار فملكتها من بد أصحاب أبي كاليجار واستباحوها، وبعث أبو كاليجار عساكره لمدافعتهم فهزموهم وثار أهل البلد بهم فقتلوهم، ولحق من نجا منهم بواسط وعادت المدار إلى أبي كاليجار.

## استيلاء جلال الدولة على البصرة ثانياً

### وانتزاعها منه

لما استولى جلال الدولة على واسط نزل بها ولده وبعث وزيره أبي علي بن ماکولا إلى البطائح فملكتها. ثم بعثه إلى البصرة وبها أبو منصور مختيار بن علي من قبل أبي كاليجار، فسار في السفن وعليهم أبو عبد الله الشرابي صاحب البطيحة فلقي مختار وهزم. ثم سار الوزير أبو علي في أثره في السفن فهزمه مختار. وسيق إليه أسيراً فاكرهه ويعتى إلى أبي كاليجار فأقام عنده، وقتله

بيغداد في شوال لابن أخيه أبي كاليجار بن سلطان الدولة، وهو خوزستان يحارب عمه أبي الفوارس صاحب كرمان. وسمع جلال الدولة بذلك فبادر إلى بغداد ومعه وزيره أبو سعد بن ماکولا. ولقيه عساكرها أقبع رد ونهبوا خزاناته فعاد إلى البصرة، واستحقوا أبي كاليجار قباطاً لشغله بمحرب عمه، وسار إلى كرمان لقتال عمه فملكتها واعتصم عمه بالجبل. ثم تراسلا واصطلحا على أن تبقى كرمان لأبي الفوارس وتكون بلاد فارس لأنبي كاليجار.

## قدوم جلال الدولة إلى بغداد

ولما رأى الأتراك احتلال الأحوال وضعف الدولة بفتنة العامة وتسلط العرب والأكراد بمصار بغداد، وطمعهم فيها وأنهم يقروا فوضى، وندموا على ما كان منهم في رد جلال الدولة، اجتمعوا إلى الخليفة يرغبون إليه أن يحضر جلال الدولة من البصرة ليقيم أمر الدولة فبعث إليه القاضي أبي جعفر السناني بالعهد عليه وعلى القواد فسار جلال الدولة إلى بغداد في جادي من سنة ثمان عشرة، وركب الخليفة في الطيارة لتلقيه فدخل ونزل التجبي وأمر بضرب الطبل في أوقات الصلوات. ومنعه الخليفة من ذلك قطعه مغاضباً. ثم أذن له الخليفة فيه فأعاده، وأرسل مؤيد الملك أبي علي الرخجي إلى الأثير عنبر الخادم عند قرواش يستدعيه يعتذر عن الأتراك، ثم شجب الأتراك عليه سنة تسع عشرة وحاصروه بداره وطلبوه من الوزير أبي علي بن ماکولا أرزاقهم، ونهبوا دوره ودور الكتاب والحواشي. وبعث القادر من أصلاح بينهم وبينه فسكن شعبهم. ثم خالفوا أبي كاليجار بن سلطان الدولة إلى البصرة فملكتها، ثم ملك كرمان بعد وفاة صاحبها قرام الدولة أبي الفوارس ابن بهاء الدولة كما ذكر في أخبارهم في دولتهم عند إفرادها بالذكر فستوفي أخبارهم ودول سائر بي بريه وشمير وبني المرزيان وغيرهم من الدليل في التواحي.

## مسير جلال الدولة إلى الأھواز

كان نور الدولة ديس بن علي بن مزيد صاحب الحللة، ولم تكن الحللة يومئذ بمدينة، قد خطب لأبي كاليجار لضيافة المقلد بن أبي الأغر الحسن بن مزيد وجع عليه ميئاً أمير بي خفاجة وعساكر بغداد، فخطب هو لأبي كاليجار واستدعاه للملك واسط وبها الملك العزيز ابن جلال الدولة فلحق بالعمانية وتركتها، وضيق عليه نور الدولة من كل جهة ففرق ناس من أصحابه

وكانت خمسة عشر وقد الجاري فطرد الطواشى والمواشى والأتباع وأغلق باب داره والفتنة تزايى إلى آخر السنة.

### وثوب الجندي بجلال الدولة وخروجه من بغداد

ثم جاء الأتراك سنة ست وعشرين إلى جلال الدولة فنهبوا داره وكبه ودواوينه وطلبوه الوزير أبي إسحاق السهيلي فهرب إلى حلة غريب بن مكين، وخرج جلال الدولة إلى عكرا وخطبوا ببغداد لأبي كاليجار وهو بالأهواز واستقدموه فأشار عليه بعض أصحابه بالامتناع فاعتذر إليهم فأعادوا بجلال الدولة. وساروا إليه معذرين وأعادوه بعد ثلاثة وأربعين يوماً واستوزر أبو القاسم بن ماكولا، ثم عزله واستوزر عميد الملك أبي سعيد عبد الرحيم. ثم أمره بمصادرته أبي المعمر بن الحسين الباسيري فأعتقله في داره، وجاء الأتراك لمنعه فضربوا الوزير ومزقوا ثيابه وأدمواه. وركب جلال الدولة فأطافوا الفتنة وأخذ من الباسيري ألف دينار وأطلقه، وأختفى الوزير.

ثم شغب الجندي ثانياً في رمضان وانكروا تقديم الوزير أبي القاسم من غير علمهم وأنه يرد التعرض لأموالهم فوثبوا به ونهبوا داره وأخرجوه إلى مسجد هنالك فركلوا به فوثب العامة مع بعض القواد من أصحابه فأطلقواه وأعادوه إلى داره. وذهب هو في الليل إلى الكريخ بحرمه وزوجها أبو القاسم معه. واختلف الجندي في أمره وأرسلوا إليه بان يملكونه بعض أولاده الأصاغر، وينحدر هو إلى واسط، وهو في خلال ذلك يستميلهم حتى فرق جماعتهم، وجاء الكثير إليه فأعادوه إلى داره، واستخلف الباسيري في جماعة للجانب الغربي سنة خمس وعشرين لاشتداد أمر العيارين ببغداد، وكثير المهرج وكفایته هو ونهضته.

ثم عاد أمر الخلافة والسلطنة إلى أن اضمحل وتلاشى، وخرج بعض الجندي إلى قرية فليقيهم أكراد وأخذوا دوابهم وجاؤوا إلى بستان القائم فتعللوا على عماله بأنهم لم يدفعوا عنهم، ونهبوا ثمرة البستان، وعجز جلال الدولة من عتاب الأكراد وعقاب الجندي، وسخط القائم أمره وتقى إلى القضاة والشهد ولفقهاء بتعطيل المراتب الدينية، فرغم جلال الدولة من الجندي أن يحملهم إلى ديوان الخلافة فحملوا وأطلقوا، وعظم أمر العيارين وصاروا في حمبة الجندي وانتشر العرب في التواحي فنهبوا وأفسدوا السابلة، وبلغوا جامع المصور من البلد، وسلبوا النساء في المقبرة، ولحق الوزير أبو سعيد وزير جلال الدولة بأبي الشوك

ولاته رسماً جائزة ومكرساً فاضحة. ولما أصيب الوزير أبو علي بعث جلال الدولة من كان عنده من جند البصرة فقاتلوا عسكراً أبي كاليجار، وهزمواه وملكو البصرة ونجا من كان بها إلى أبي منصور بختيار بالأبلة. وبعث السفن لقتاله من البصرة فظفر بهم أصحاب جلال الدولة فسار بختيار بنفسه وقاتلهم، وانهزم وقتل وأخذ كثير من السفهاء.

وعزم الأتراك بالبصرة على المسير إلى الأبلة وطلبوا المال من العامل فاختلقو وتنازعوا وافتقروا، ورجع صاحب البطيحة، واستأمن آخرون إلى أبي الفرج بن مسافج وزير أبي كاليجار، وجاء إلى البصرة فملكها. ثم توفي بختيار نائب الملك أبي كاليجار في البصرة، وقام بعده صهره أبو القاسم بطاقة أبي كاليجار في وخطب له، وبعث إلى ابنه العزيز بواسطه يستدعيه فسار إليه وأخرج عساكر أبي كاليجار وأقام معه إلى سنة خمس وعشرين والحكم لأبي القاسم. ثم أغراه الدليل به وأنه يتغلب عليه، فآخرجه العزيز وأمتنع بالأبلة وحاربهم أيام، وأخرج العزيز عن البصرة، ولحق بواسطه وعاد أبو القاسم إلى طاعة أبي كاليجار.

### وفاة القادر ونصب القائم

ثم توفي القادر بالله سنة اثنين وعشرين وأربعين لإحدى وعشرين سنة وأربعة أشهر من خلافته، وكانت الخلافة قبلها قد ذهب رونقها بمحسارة الدليم والأتراس عليها، فأعاد إليها أنهايتها وجد ناموسها، وكان له في قلوب الناس هيبة. ولما توفي نصب للخلافة ابنه أبو جعفر عبد الله، وقد كان أبوه بايع له بالمهدي في السنة قبلها لمرض طرقه وأرجف الناس بموته، فبريع الأن واستقرت له الخلافة ولقب القائم بأمر الله. وأول من بايعه الشريف المرتضى. وبعث القاضي أبي الحسن المأودي إلى أبي كاليجار ليأخذ عليه البيعة وينطب له في بلاده، فأجاب وبعث بالهدايا. ووquette لأول بيته فتنة بين أهل السنة والشيعة، وعظم الهرج والنهب والقتل وخربت فيها أسواق وقتل كثير من جهة المكرس. وأصيب أهل الكريخ وتطرق الدمار إلى كبس المنازل ليلاً، وتنادى الجندي بكرامة جلال الدولة وقطع خطبته. ولم يجيئه القائم إلى ذلك وفرق جلال الدولة فيهم الأموال فسكنوا، وقعد في بيته وأخرج دوابه من الأصطباط وأطلقها بغير سائن ولا حافظ لقلة العلف. وطلب الأتراك منه أن يحملهم في كل وقت فطلاقها،

أبي القاسم، وأخذت أمواله وصودر على مائتي ألف دينار فأعطيها، وجاء الملك أبو كاليجار البصرة فاتّم بها أياماً وول فيها ابنه عز الملوك ومعه الوزير أبو الفرج بن فساجن، ثم عاد إلى الأهواز وحمل معه الظهر.

### شعب الأتراك على جلال الدولة

ثم شعب الأتراك على جلال الدولة سنة اثنين وثلاثين وخيموا بظاهر البلد ونهبوا منها مواضع. وخيم جلال الدولة بالجانب الغربي وأراد الرحيل عن بغداد فمنعه أصحابه فاستمد دبس بن مزيد وقرروا شاصاً صاحب الموصل فامدوه بالعساكر. ثم صلحت الأحوال بينهم وعاد إلى داره وطم الأتراك وكث نهباً وتعديهم وفسدت الأمور بالكلية.

### ابتداء دولة السلجوقية

قد تقدم لنا أن أمم الترك في الربع الشرقي الشمالي من المعمور: ما بين الصين إلى تركستان إلى خوارزم والشاش وفرغانة، وما وراء النهر بخاري وسمرقند وتزمذ، وأن المسلمين أزاحوهم أول الملة عن بلاد ما وراء النهر وغليوهم عليها، وبقيت تركستان وكاشغر والشاش وفرغانة باليديهم يؤدون عليها الجزاء. ثم أسلموا عليها فكان لهم بتركستان ملك ودولة، تذكرها فيما بعد، فإن استقحاماً كان في دولة بي سامان جيرانهم فيما وراء النهر. وكان في المقابلة بين تركستان وببلاد الصين أمم من الترك لا يحصيهم إلا خالقهم لاتسع هذه المقابلة وبعد انتشارها فإنها فيما يقال مسيرة شهر من كل جهة، فكان هناك أحياء بادون متجمعون رجاله غذاؤهم اللحوم والألبان والذرة في بعض الأحيان ومرابعهم المخيل، ومنها كسبهم ولعلها قيامهم وعلى الشاء والبقر من بين الأنعام، فلم يزالوا بتلك القفار مذودين عن العمران بالحامية، والمالكين له في كل جهة.

وكان من أحدهم الغز والخطا والتتر وقد تقدم ذكر هؤلاء الشعوب. فلما انتهت دولة ملوك تركستان وكان شغر إلى غايته، وأخذت في الأضمحلال والتلاشي كما هو شأن الدول وطبيعتها. تقدم هؤلاء إلى بلاد تركستان فأجلبوا عليها بما كان غالباً معيشهم في تحفظ الناس من السبل، وتتناول الرزق بالرماح شأن أهل القرف البادين، وأقاموا بمقابلة بخاري.

ثم انقضت دولة بي سامان ودولة أهل تركستان. واستولى

مقارقاً للوزارة، ووزر بعده أبي القاسم فكثرت مطالبات الجندي عليه فهرب وأخذه الجندي وجاؤوا به إلى دار الملك حاسراً عارياً إلا من قميص خلق، وذلك لشهرين من وزارته، وعاد سعيد بن عبد الرحيم إلى الوزارة. ثم ثار الجندي ستة سبع وعشرين بجلال الدولة وإنخرجوه من بغداد بعد أن استمهلهم ثلاثة أيام ورأوا ورمه بالحجارة فأصابوه، ومضى إلى دار المرتضى بالكرخ، وسار منها إلى رافع بن الحسين بن مكن بتكريت، وذهب الأتراك داره وقلعوا أبوابه، ثم أصلاح القائم شأنه مع الجندي، وأعاده وقبض على وزيره أبي سعيد بن عبد الرحيم، وهي وزارته السادسة. وفي هذه السنة نهى القائم عن التعامل بالدنانير المغزية، وتقدم إلى الشهدان أن لا يذكروها في كتب التعامل.

### الصلح بين جلال الدولة وأبي كاليجار

ترددت الرسل سنة ثمان وعشرين بين جلال الدولة وبين أخيه أبي كاليجار حتى انعقد بينهما الصلح على يد القاضي أبي الحسن الماوردي وأبي عبد الله المروسي، واستخلف كل واحد منهما لآخر، وأظهر جلال الدولة سنة تسع وعشرين من القائم الخطاب بملك الملك فرد ذلك إلى الفتية، وأجازه القاضي أبو الطيب الطبراني، والقاضي أبو عبد الله الصهيري، والقاضي ابن البيضاوي وأبو القاسم الكرخاني، ومنع منه القاضي أبو الحسن الماوردي ورد عليهم فأخذ بفتواهم، وخطب له بملك الملك. وكان الماوردي من أخص الناس بجلال الدولة، وكان يتردد إليه. ثم انقطع عنه بهذه الفتية، ولم يزمه من رمضان إلى النحر فاستدعاه جلال الدولة وحضر خائفًا، وشكراً على القول بالحق وعدم الغابة، وقد عدت إلى ما تمحب فشكراً ودعاه، وأذن للحاضرين بالانصراف معه، وكان الإذن لهم تبعاً له.

### استيلاء أبي كاليجار على البصرة

وفي سنة إحدى وثلاثين بعث أبو كاليجار عساكره إلى البصرة مع العادل أبي منصور ابن مسافة، وكانت في ولاية الظاهر أبي القاسم ..... وليها بعد مختيار، انتقض عليه مرة ثم عاد، وكان يحمل إلى أبي كاليجار كل سنة سبعين ألف دينار، وكمشت أمواله ودامست دولته. ثم تعرض ملا الحسين بن أبي القاسم بن مكرم صاحب عمان فكاتب أبي كاليجار وضمن البصرة بزيادة ثلاثة ألف دينار، وبعث أبو كاليجار العساكر مع ابن مسافيه كما ذكرنا. وجاء المدد من عمان إلى البصرة، وملكتها وقبض على الظاهر

ونهروه، وخرج علاء الدولة من أصبهان فلقي طائفة منهم فأوقع بهم وأخنَّ فيهم وأوقع وهشودان بمن كان منهم في أذربيجان وظفر بهم الأكراد وأثخنوا فيهم، وفرقوا جاعتهم.

ثم توفي كول أمير الفرق التي بالي، وكانت لما أجازوا من وراء النهر إلى خراسان يقيموا بعدهم الأولى هنالك طغريشك بن ميكائيل بن سلوجوق وإخترته داود وسعدان ونيال وهفري فخرجو إلى خراسان من بعدهم، وكانتوا أشد منهم شوكه وأقوى عليهم سلطاناً فسار ينان آخر طغريشك إلى الري فهربوا إلى أذربيجان ثم إلى جزيرة ابن عمر وديار بكر، ومكر سليمان بن نصير الدولة بن مروان صاحب الجزيرة منصور بن عز علي منهم فحبسه وأفرق أصحابه، وبعث قرواش صاحب الموصل إليهم جيشه فطردهم وأفترق جوعهم، ولحق الغز بديار بكر وأثخنوا فيها، وأطلق نصير الدولة أميرهم منصوراً من يد ابنه فلم يتفع منهم بذلك، وقاتلهم صاحب الموصل فحاصروه ثم ركب في السفين ونجا إلى السند وملأوا البلد وعاثوا فيها، وبعث قرواش إلى الملك جلال الدولة يستتجده، وإلى ديسين بن مزيد وأمراء العرب، وفرض الغز على أهل الموصل عشرين ألف دينار فشار الناس بهم، وكان كوكباش قد فارق الموصل فرجع ودخلها عنوة في رجب سنة خمس وثلاثين، وأفحش في القتل والنهب، وكانتوا يخطرون للخلفية ولطغريشك بعده، فكتب الملك جلال الدولة إلى طغريشك يشكره بأحوالهم، فكتب إليه أن هؤلاء الغز كانوا في خدمتنا وطاعتتنا حتى حدث بيننا وبين محمد بن سبكتكين ما علمتم، ونهضنا إليه، وساروا في خدمتنا في نواحي خراسان فتجاوزوا حدود الطاعة وملكة الهيئة، ولا بد من إنزال العقوبة بهم، وبعث إلى نصير الدولة بعده يفهم عنه.

وسار ديسين بن مزيد وبنو عقيل إلى قرواش صاحب الموصل وقعد جلال الدولة عن إنجاده لما نزل به من الأسرار، وسمع الغز يجتمع قرواش فبعثوا إلى من كان بديار بكر منهم واجتمعوا إليهم، وأقتل الفريقيان فاتهم العرب أول النهار، ثم اتيحت لهم الكورة على الغز فهزموهم واستباحوهم وأثخنوا فيهم قتلاً وأسراً، واتبعهم قرواش إلى نصبيين ورجع عنهم فساروا إلى ديار بكر وبلاد الأرمن والروم، وكثير عيщهم فيها وكان طغريشك وإنحنته لما جاؤوا إلى خراسان طالت الحروب بينهم وبين عساكر بني سبكتكين حتى غلبوهم وحصل لهم الظفر، وهزموا سياوشي حاجب مسعود آخر هزائمهم، وملأوا هرآة فهرب عنها سياوشي الحاجب ولحق ببغزنة، وزحف إليهم مسعود ودخلوا البرية، ولم ينزل في اتباعهم ثلاث سنين.

محمد بن سبكتكين من قواد بي سامان وصنايعهم على ذلك كله، وعبر بعض الأيام إلى مخارقى فحضر عنده أرسلان بن سلوجوق فقضى عليه، وبعث به إلى بلاد الهند فحبسه، وسار إلى أخيائه فاستباحها، ولحق بخراسان، وسار العساكر في اتبعهم فلحقوا باصبهان وهو صاحبها علاء الدولة بن كالويه بالغدر بهم، وشرعوا بذلك فقاتلوه باصبهان فغلبهم، فانصرفوا إلى أذربيجان فقاتلهم صاحبهم وهشودان من بي المرزبان، وكانتوا لما قصدوا أصبهان يقي فلهم بنواحي خوارزم فعادوا في البلاد، وخرج اليهـم صاحب طوس وقاتلهم، وجاء محمود بن سبكتكين فسار في اتبعهم من رستاق إلى جرجان، ورجع عنهم، ثم استأنوا فاستخدمهم وتقدمهم يغمر، وأنزل ابنه بالي.

ثم مات محمود وولى أخيه مسعود، وشغل محروم الهند فانتقضوا وبعث إليهم قائد في العساكر، وكانتوا يسمون العراقية وأمراؤهم يومئذ كركاش ومرقاوكول وبغـر وباصعيـكـيـ، ووصلوا إلى الدامغان فاستباحوها، ثم سمنان، ثم عاثوا في أعمال الـريـ واجتمع صاحب طبرستان وصاحب الـريـ مع قائد مسعود وقاتلـوـهم فـهـزـمـهـمـ الغـزـ وـفـتـكـوـهـمـ وـقـصـدـوـهـ الـريـ فـمـلـكـوـهـ، وـهـرـبـ صـاحـبـ إـلـيـ بـعـضـ قـلـاعـهـ فـتـحـصـنـ بـهـ، وـذـلـكـ سـنـةـ مـسـتـ وـعـشـرـينـ وـأـرـبـعـمـائـةـ.

وـاسـتـأـلـهـمـ عـلـاهـ الدـوـلـةـ بـنـ كـالـوـيـهـ لـيـدـافـعـ بـهـمـ اـبـنـ سـبـكـتـكـينـ فـأـجـابـهـ أـلـاـ، ثـمـ اـنـتـقـضـوـاـ، وـأـمـاـ الـذـيـنـ قـصـدـوـهـ أـذـرـبـيـجـانـ مـنـهـمـ، وـمـقـدـمـوـهـ بـوـقاـ وـكـوـكـباـشـ وـمـنـصـورـ وـدـانـاـ فـاسـتـأـلـهـمـ وـهـشـودـانـ لـيـسـتـهـرـ بـهـمـ، فـلـمـ يـحـصـلـ عـلـىـ بـغـيـةـ مـنـ ذـلـكـ، وـسـارـواـ إـلـىـ مـرـاغـةـ سـنـةـ تـسـعـ وـعـشـرـينـ فـاسـتـأـحـوـهـاـ، وـنـالـوـ مـنـ الـأـكـرـادـ الـمـدـيـانـيـةـ فـحـارـبـوـهـمـ وـغـلـبـوـهـمـ وـأـفـرـقـوـهـمـ فـرـجـعـ بـوـقاـ إـلـىـ أـصـاحـبـهـمـ الـذـيـنـ بـالـرـيـ، وـسـارـ منـصـورـ وـكـوـكـباـشـ إـلـىـ هـمـدانـ، وـبـهـاـ أـبـوـ كـالـيـجـارـ بـنـ عـلـاهـ الدـوـلـةـ بـنـ كـالـوـيـهـ فـظـاهـرـهـمـ عـلـىـ حـصـارـهـ مـتـىـ خـسـرـوـ أـبـنـ عـجـ الدـوـلـةـ فـلـمـ جـهـدـهـ الـحـصـارـ لـحـقـ بـاصـبـهـانـ وـتـرـكـ الـبـلـدـ فـخـدـلـهـاـ وـاسـتـأـحـوـهـاـ، وـفـعـلـوـاـ فـيـ الـكـرـخـ مـشـلـ ذـلـكـ، وـحـاصـرـوـاـ قـرـوـيـنـ حـتـىـ أـطـاعـهـمـ وـبـذـلـوـاـ لـهـمـ سـبـعـ آلـافـ دـيـنـارـ، وـسـارـ طـائـفـةـ مـنـهـمـ إـلـىـ بـلـدـ الـأـرـمـنـ فـاسـتـأـحـوـهـاـ وـأـثـخـنـوـهـمـ بـهـ، وـرـجـعـوـاـ إـلـىـ أـرـمـيـنـيـةـ.

ثـمـ رـجـعـوـاـ مـنـ الـرـيـ إـلـىـ حـصـارـ هـمـدانـ فـتـرـكـهـ أـبـوـ كـالـيـجـارـ وـمـلـكـهـ سـنـةـ تـلـاثـيـنـ وـعـهـمـ مـتـىـ خـسـرـوـ الـذـكـورـ فـاسـتـأـحـوـهـاـ تـلـكـ التـواـحـيـ إـلـىـ أـسـتـإـبـاذـ، وـقـاتـلـهـمـ أـبـوـ الـفتحـ بـنـ أـبـيـ الشـوـكـ صـاحـبـ الـدـيـنـورـ فـهـزـمـهـمـ وـأـسـرـهـمـ وـصـالـحـوـهـ عـلـىـ إـطـلاقـ أـسـرـاهـ، وـمـكـرـوـاـ بـأـبـيـ كـالـيـجـارـ أـنـ يـكـونـ عـهـمـ وـيـدـبـرـ أـمـرـهـمـ، وـغـدـرـوـاـ بـهـ

إلى ديس بن مزيد، ثم إلى قرواش بن المقلد، ثم فارقه إلى أبي الشوك فندر به قسراً إلى نيل آخر طغربلك فأقام عنده مدة. ثم قصد بغداد خفياً فظهر على بعض أصحابه قتله، ولحق هو بنصير الدولة بن مروان فتوفي عنده بعثاً في سنة إحدى وأربعين. وأما أبو كالبيجاري فخطب له بغداد في صفر سنة ست وثلاثين. وبعث إلى الخليفة بعشرة آلاف دينار وبايموال أخرى فرقت إلى الجند ولقيه القائم بمحى الدين، وخطب له أبو الشوك وديس بن مزيد وبنصير الدولة بن مروان بأعمالهم. وسار إلى بغداد ومعه وزيره أبو الفرج محمد بن جعفر بن محمد بن فسالخس. وهو القائم لاستقباله فاستعن من ذلك، وخلع على أزياب البيوش، وهو الباسيري والنساري وأبو اللقاء. وأخرج عنيد الدولة أبا سعيد من بغداد فمضى إلى تكريت، وعاد أبو منصور بن علاء الدولة بن كالبيجاري صاحب أصبهان إلى طاعته، وخطب له على منبره الخرافاً عن طغربلك. ثم راجعه بعد الحصار وأصطلحا على مال يحمله، وبعث أبو كالبيجاري إلى السلطان طغربلك في الصلح وزوجه ابنته فاجاب وتم بينهما سنة تسعة وثلاثين.

### وفاة أبي كالبيجاري وملك ابنه الملك الرحيم

كان أبو كالبيجاري والمرزبان بن سلطان الدولة قد سارا سنة أربعين إلى نواحي كرمان، وكان صاحبها بهرام بن لشكرستان من وجوه الدليم قد منع الحمل فتكر له أبو كالبيجاري، وبعث إلى أبي كالبيجاري يختبئ به، وهو بقلعة بردشير فملكتها من يده، وقتل بهرام بعض الجند الذين ظهر منهم على الميل لأبي كالبيجاري فسار إليه ومرض في طريقه، ومات بجذينة جناباً في سنة أربعين لأربع سنين وثلاثة أشهر من ملكه. ولما توفي نهب الأتراك عسكره وانتقل ولده أبو منصور فلاستون إلى خييم الوزير أبي منصور، وأرادوا نهب فمنعهم الدليم، وساروا إلى شيراز فملكتها أبو منصور واستوحش الوزير منه فلحق ببعض قلائعه، وامتنع بها، ووصل خبر وفاة أبي كالبيجاري إلى بغداد وبها ولده الملك الرحيم أبو نصر خسرو فیروز فباع له الجند وبعث إلى الخليفة في الخطبة والتلقيب بالملك الرحيم فاجابه إلى ما سأله إلا اللقب بالرحيم للسانع الشرعي من ذلك. واستقر ملكه بالعراق وخوزستان والبصرة، وكان بها آخره أبو علي، واستولى آخره أبو منصور كما ذكرنا على شيراز فبعث الملك الرحيم أخيه أبو سعد في العساكر فملكتها، وقبض على أخيه أبي منصور، وسار العزيز جلال الدولة من عند

ثم انتهزوا فيه الفرصة باختلاف عسكره يوماً على الماء فانهزموا وغنموا عسكره وسار طغربلك إلى نيسابور سنة إحدى وثلاثين فملكتها وسكن الساديلاح، وخطب له بالسلطان الأعظم العمال في النواحي. وكان الد Guar قد اشتاد ضررهم بني سبور فسد أمرهم وحسم عليهم، واستولى السلجوقية على جميع البلاد. وسار بيقو إلى هرة فملكتها وسار داود إلى بلخ وبها القويتاق حاجب مسعود فحاصره، وعجز مسعود عن إمداده فسلم البلد لداود، واستقل السلجوقية بملك البلاد أجمع. ثم ملك طغربلك طبرستان وجرجان من يد أبو شروان بن متوجهر قابوس، وضمها أبو شروان بثلاثين ألف دينار، وولى على جرجان مرداويخ من أصحابه بخمسين ألف دينار، وبعث القائم القاضي أبو الحسن الماوري إلى طغربلك فقرر الصلح بينه وبين جلال الدولة القائم بدولته ورجع بطاعته.

### فتنة قرواش مع جلال الدولة

كان قرواش قد أخذ عسكره سنة إحدى وثلاثين لخصار خيس بن ثعلب بتكريت، واستقناط بجلال الدولة، وأمر قرواش بالكف عنه فلم يفعل وسار لخصاره بنفسه. وبعث إلى الأتراك بغداد يستفسلهم على جلال الدولة فاطلع على ذلك فبعث أبا الحارث أرسلان الباسيري في صفر سنة اثنين وثلاثين للقبض على نائب قرواش بالستنديسة، واعتربه العرب فمنعوه ورجع وأقاموا بين صرصر وبغداد يفسدون السابلة، وجمع جلال الدولة العساكر وخرج إلى الأنبار وبها قرواش فحاصروها. ثم اختلفت عقيل على قرواش فرجع إلى مصالحة جلال الدولة.

### وفاة جلال الدولة وملك أبي كالبيجاري

لما قلت الجبابيات ببغداد مد جلال الدولة يده إلى الجوالى فأخذتها وكانت خاصة بالخليفة. ثم توفي جلال الدولة أبو طاهر ابن بهاء الدولة في شعبان سنة خمس وثلاثين وأربعين لسنة لسبعين عشرة من ملكه. ولما مات خاف حاشيته من الأتراك والعاقة فانتقل الوزير كمال الملك بن عبد الرحيم وأصحابه الأكابر إلى حرم دار الخلافة، واجتمع القراد للمدافعة عنهم وكاتبوا الملك العزيز أبي منصور بن جلال الدولة في واسط بالطاعة واستقدموه وطلبوه حتى البيعة فرأوه لهم فيها، فكاتبهم أبو كالبيجاري عنها فعدلوا إليه. وجاء العزيز من واسط واتجه إلى العمانية فسدر به عسكره، ورجعوا إلى واسط وخطبوا لأبي كالبيجاري، وسار العزيز

بعد أخاه أبا سعد إلى فارس كما ذكرنا ليشغل أبا منصور وهزارشب ومن معهما عن قصده فلم يرجوا على ذلك. وساروا إليه بالأهواز وقاتلهم فانهزم إلى واسط ونهب الأهواز وقد في الواقع الوزير كمال الملك أبو المعالي عبد الرحيم فلم يوقف له على خبر.

وسائل أبو منصور وأصحابه إلى شيراز لأجل أبي سعد وأصحابه فلقيهم قريباً منها، وهزمهم مرات واستأنف إلى الكثير منهم، واعتضم أبو منصور ببعض القلاع وأعيدت الخطبة بالأهواز للملك الرحيم، واستدعاه الجند بها وعظمت الفتنة ببغداد بين أهل السنة والشيعة في غيبة الملك الرحيم واقتلوه، وبعث القائم تقىيب العلوين وتقىيب العباسين لكشف الأمر بينهما فلم يوقف على يقين في ذلك. وزاد الأمر وأحرقت مشاهد العظاماء من أهل البيت، وبلغ الخبر إلى ديس بن مزيد فاتهم القائم بال媿ة في ذلك فقطع الخطبة له ثم عمّت فاستعنت عاد إلى حاله.

مهاونة طفر لك للقائم

قد تقدم لنا شأن الغز واستيلائهم على خراسان من يد بني سبكتكين عام اثنين وثلاثين، ثم استيلاء طغribk على أصبهان من يد ابن كالويه سنة اثنين وأربعين. ثم بعث السلطان طغribk أرسلان ابن أخيه دارد إلى بلاد فارس فافتتحها سنة اثنين وأربعين، واستلحمن معها من الدليل، ونزل مدينة نسا وبعث إليه القائم بأمر الله بالخلع والألقاب، وولاه على ما غالب عليه بعث إليه طغribk بعشرة آلاف دينار، وأعلاقن فقيسه من الجزاهر والشياط والطيب، وإلى الحاشيةخمسة آلاف دينار، وللوزير رئيس الرؤساء بائفين، وحضروا العيد في سنة ثلاثة وأربعين ببغداد فامر الخليفة بالاحتفال في الزينة والمراكب والسلام. ثم سار الغز سنة اربع وأربعين إلى شيراز وبها الأمير أبو سعد آخر الملك الرحيم فقتلهم وهزمهم كما ذكر في أشعارهم.

# استيلاء الملك الرحيم على البصرة من يد أخيه

ثم بعث الملك الرحيم سنة أربع وأربعين جيوشه إلى البصرة مع بصيرة اليسايري فحاصروا بها أخيه أبي علي وقاتلوا عسكره في السفن فهزموهم وملکوا عليهم دجلة والأنهر. وجاء الملك الرحيم بالعسكر في البر واستأنم إليه قبائل ربيعة ومضر فأئمنهم

فرواش إلى البصرة فدعاهم أبو علي بن كاليجار عنها. ثم سار الملك الرحيم إلى خوزستان، وأطاعه من بها من الجند وكثرت الفتنة ببغداد بين أهلها، السنة والشيعة.

مسیر الملك الرحيم إلى فارس

ثم سار الملك الرحيم من الأهواز إلى فارس سنة إحدى وأربعين، وخيّم بظاهر شيراز، ووقعت فتنة بين أتراك شيراز ويُبغداد فرحل أتراك بغداد إلى العراق، وبتهعم الملك الرحيم لامْعراه عن أتراك شيراز. وكان أيضًا منحرفاً عن الدليل بفارس ليُلهم إلى أخيه فلاستون باصطخر، وانتهى إلى الأهواز ثانًا بها واستخلف بارجان أخيه أبي سعد وأبا طالب فزحف إليهما آخرهما فلاستون. وخرج الملك الرحيم من الأهواز إلى رامهرمز للقائهم فلقيهم وانهزم إلى البصرة ثم إلى واسط. وسارت عساكر فارس إلى الأهواز فملکوها وخيموا بظاهرها. ثم شغفوا على أبي منصور. وجاء بعضهم إلى الملك الرحيم فبعث إلى بغداد واستقر الجند الذين بها، وسار إلى الأهواز فملکوها وأقام ينتظر عسكر بغداد. ثم سار إلى عسکر مكم فملکها سنة اثنين وأربعين.

ثم تقدم سنة ثلاث وأربعين ومعه ديس بن مزيد والباسيري وغيرهما. وسار هزار شب بن تنكير ومنصور بن الحسين الأسدى فيما من الدليل والأكراد من أرجان إلى تستر فسبقهم الملك الرحيم إليها وغلبهم عليها. ثم زحف في عسكر هزارشب فواجهه أميره أبو منصور بمدينة شيراز فاضطربوا ورجموا، ولحق منهم جماعة بالملك الرحيم فبعث عساكر إلى رامهرمز وبها أصحاب أبي منصور فحاصرها وملكتها في ربعة سنة ثلاث وأربعين. ثم بعث أخاه أبا سعد في العساكر إلى بلاد فارس لأن أخيه أبا نصر خسرو كان بأصطخر، وضجر من تقلب هزارشب بن تنكير صاحب أخيه أبي منصور فكتب إلى أخيه الملك الرحيم بالطاعة فبعث إليه أخيه أبا سعد فأدخله أصطخر وملكته.

ثم اجتمع أبو منصور فلسطين وهزارشب ومنصور بن الحسين الأنصاري، وساروا للقاء الملك الرحيم بالأهواز، واستمدوا السلطان طفلبك وأبوا طاعته، فبعث إليهم عسكراً، وكان قد ملك أصحابه واستطاع وافتراق كثير من أصحاب الملك الرحيم عنه، مثل البسايري ودييس بن مزيد والعرب والأكراد وبقي في الدليل الأهوازية وبعض الأشراك من بغداد ورأى أن يعود من عسكر مكرم إلى الأهواز ليتحصن بها ويقتصر عسكراً ببغداد، ثم

### فتنة الأتراك

وفي سنة ست وأربعين شغب الأتراك على وزير الملك الرحيم في مطالبة أرذاقهم واستعدوه عليه فلم يعدهم فشكروا من الديوان وانصرفوا مغصبين، ويأكلوا من الغذاء حصار دار الخليفة، وحضر البساسيري واستكشف حال الوزير فلم يقف على خبر، وكيست الدور في طلبه فكان ذلك وسيلة للأتراك في هب دور الناس. واجتمع أهل الحال لمعهم، ونهام الخليفة فلم يتهاوا فهم بالرحلة عن بغداد. ثم ظهر الوزير وأنصفهم في أرزقهم فتسادوا على بخيهم وعسفهم، واشتد عيت الأكراد والأعراب في التواحي فخربت البلاد وتفرق أهلها، وأغار أصحاب ابن بدران بالبرد وكبسوا حلل كامل بن محمد بن الميسوب ونهبوا في جلتها ظهراً وانعاماً للبساسيри وانخل أمر الملك والسلطة بالكلية.

### استيلاء طغرل بك على أذربيجان وعلى أرمénie والموصى

سار طغرل بك سنة أربعين إلى أذربيجان فأطاعه صاحب قبرير أبو منصور وشهزاد ابن محمد وخطب له ورهن ولده عنده. ثم أطاعه صاحب جنده أبو الأسوار ثم تباعي سائر التواحي على الطاعة وأخذ رهفهم، وسار إلى أرمénie فحاصر ملاذكرو وانتسبت عليه فخربر ما جاورها من البلاد. وبعث إليه نصير الدولة بن مروان بالهدايا وقد كان دخل في طاعته من قبل وسار السلطان طغرل بك لغزو بلاد الروم واكتسحها إلى أن بلغ أردن الروم، ورجع إلى أذربيجان ثم إلى الري، وخطب له قريش بن بدران صاحب الموصى في جميع أعماله وزحف إلى الأنبار ففتحها ونهب ما فيها البساسيري فانتقض لذلك وسار في العساكر إلى الأنبار فاستعاده من يده.

### وحشة البساسيري

كان أبو الثناء وأبو سعد أباً الجلبان صاحبي قريش بن بدران ويعثمان إلى القائم سراً من البساسيري مما فعل بالأأنبار فانتقض البساسيري لذلك، واستوتحش من القائم ومن رئيس الرؤساء، وأسقط مشاهراتهم وشاهرة حواشيه، وهو يهدم منازل بني الجلبان. ثم أتصر وسار إلى الأنبار وبها أبو القاسم بن الجلبان، وجاءه ديس بن مزيد مدمداً له فحاصر الأنبار وفتحها عنوة ونهبها وأسر من أهلها خمسة، ومائة من بني خفاجة وأسر أبا

وملك البصرة، وجاءه رسيل الدليل من خوزستان بطاعتهم. ومضى آخره أبو علي إلى شط عمان وتقعن به فسال إليه الملك الرحيم، وملك عليه شط عمان وحق بعبادان، وسار منها إلى أرجان. ثم حق بالسلطان طغرل بك باصبهان فاكتبه وأشهر إليه، وأقطع له وأنزله بقلعة من أعمال جرباذان، وول الملك الرحيم وزيره البساسيري على البصرة، وسار إلى الأهواز وأرسل منصور بن الحسين وهزاشب في تسليم أرجان وتسير قسلمهما واصطلحا. وكان المقدم على أرجان فولاذ بن خسرو من الدليل فرجع إلى طاعة الملك الرحيم سنة خمس وأربعين.

### فتنة ابن أبي الشوك ثم طاعته

كان سعدي بن أبي الشوك قد أعطى طاعته للسلطان طغرل بك بنواحي الري، وسار في خدمته، ويعمه سنة أربع وأربعين في العساكر إلى نواحي العراق فبلغ النعمانية وكثير عيشه، وراسله ملد من بي عقيل قربان قريش بن بدران في الاستظهار له على قريش ومهلهل أخي أبي الشوك فروعدهم، فسار إليهم مهلهل وأوقع بهم على عكرا فساروا إلى سعدي وشكروا عليه وهو على سامراً فسار وأوقع بهم مهلهل وأسره وعاد إلى حلوان وهو الملك الرحيم بتجهيز العساكر إليه بحلوان واستقدم ديس بن مزيد لذلك.

ثم عظمت الفتنة سنة خمس وأربعين ببغداد من أهل الكرخ وأهل السنة، ودخلها طوائف من الأتراك، وعم الشر واطرحت مراقبة السلطان، وركب القواد حسم العلة فقتلوا علىاً من أهل الكرخ فنادت نساؤه بالويل فقاتلتهم العامة، وأضرم النار في الكرخ بعض الأتراك فاحتراق جميعه، ثم بعث القائم وسكن الأمر، وكان مهلهل لما أسر سار ابنه بدر إلى طغرل بك وابن سعدي كان عنده رهينة، وبعث إلى سعدي بإطلاق مهلهل عند ذلك، فامتنع سعدي من ذلك وانتقض على طغرل بك، وسار من هذنان إلى حلوان وقاتلها فامتنعت عليه، فكاتب الملك الرحيم بالطاعة ولقبه عساكر طغرل بك فهزمه، وحق بعض القلاع هنالك وسار بدر في اتباعه إلى شهرزور، ثم جاءه الخبر بأن جماعاً من الأكراد والأتراك قد أنسدوا السبلة وأكروا العيشه، فخرج إليهم البساسيري واتبعهم إلى الباريج وأوقع بالطوائف منهم واستباحهم وعبروا الزاب فلم يكنه العود إليهم ونجوا.

في رمضان دور البساسيري بإذن من دار الخلافة فتهبها وأحرقوها، ووكلوا بمرمه وحاشيته وأعلن رئيس الرؤساء بنم البساسيري وأنه يكاتب المستنصر صاحب مصر فبعث القائم إلى الملك الرحيم فأمره بإبعاده فأبعده.

### استيلاء السلطان طغribk على بغداد واسلحة والخطبة له

قد ذكرنا من قبل رجوع السلطان طغribk من غزو الروم إلى الري، ثم رجع إلى همدان، ثم سار إلى حلوان عازماً على الحج والاجتياز بالشام لازالت منه يد العلوية. وأجل الناس إلى غربى بغداد، وعظم الإرجاف ببغداد ونواحيها، وخيم الأتراك بظاهر البلد. وجاء الملك الرحيم من واسط بعد أن طرد البساسيري عنه كما أمره القائم فسار إلى بلد ديس بن مزيد لصهر بيتهما. وبعث طغribk إلى قائمها بالطاعة وإلى الأتراك بالمقارنة وال وعد فلم يقبلوا، وطلبو من القائم إعادة البساسيري لأنه كبيرهم. ولما وصل الملك الرحيم سال من الخليفة إصلاح أمره مع السلطان طغribk فأشار القائم بأن يتعرض الأجناد خيالهم ويخيموا بالحرير المخاليق، ويعثروا جميعاً إلى طغribk بالطاعة، فقبلوا إشارته ويعثروا إلى طغribk بذلك فاجاب بالقبول والإحسان.

وأمر القائم بالخطبة لطغribk على متابر بغداد خطب آخر رمضان من سنة سبع وأربعين، واستاذن في لقاء الخليفة وخرج إليه رؤساء الناس في مركب من القضاة والفقهاء والأشراف وأعيان الديلم. وبعث طغribk للقائم وزيره أبي نصر الكتاري وأبلغه رسالة القائم واستخلفه له وللملك الرحيم وأمراء الأجناد. ودخل طغribk بغداد ونزل بباب الشمسية لخمس بقين من رمضان، وجاء هناك قريش بن بدران صاحب الموصل وكان من قبل في طاعته.

### القبض على الملك الرحيم وانقراض دولة بني بويه

ولما نزل طغribk ببغداد وافتراق أهل عسكره في البلد يقضون بعض حاجاتهم، فرقعت بينهم وبين بعض العامة منازعة فصالحوا بهم ورجوههم، وظن الناس أن الملك الرحيم قد اعترض على قتال طغribk فتوابوا بالغز من كل جهة إلا أهل الكرخ فإنهم سالوا من وقع إليهم من الغز. وأرسل عميد الملك وزير

### وصول الغز إلى الدسكرة ونواحي بغداد

وفي شوال من سنة ست وأربعين وصل صاحب حلوان من الغز وهو إبراهيم بن إسحاق إلى الدسكرة فاقتتحها ونهبها وصدر النساء. ثم سار إلى رسنbad وقلعة البردان وهي لسعدى بن أبي الشوك، وبها أمواله فامتعدت عليه فخرسب ما حوطها من القرى ونهبها، وقوى طمع الغز في البلاد وضعف أمر الديلم والأتراك. ثم بعث طغribk أبا علي بن أبي كاليجار الذي كان بالبصرة في جيش من الغز إلى خوزستان فاستولى على الأهواز وملكتها ونهب الغز الذين معه أموال الناس ولقوا منهم عنا.

### استيلاء الملك الرحيم على شيراز

وفي سنة سبع وأربعين سار فولاذ - الذي كان بقلعة أصطخر من الديلم، وقد ذكرناه - إلى شيراز فعملوها من يد أبي منصور فولاستون بن أبي كاليجار، وكان خطب بها للسلطان طغribk فخطب فولاذ بها للملك الرحيم ولأخيه أبي سعد يخادعهما بذلك، وكان أبو سعد بأرjan فاجتمع هو وأخوه أبو منصور على حصار شيراز في طاعة أخيهما الملك واشتاد الحصار على فولاذ وعدمت الأقوات فهرب عنها إلى قلعة أصطخر وملك الأخوان شيراز وخطبا لأخيهما الملك الرحيم.

### ثوب الأتراك ببغداد بالبساسيري

قد ذكرنا تأكيد الوحشة بين البساسيري ورئيس الرؤساء. ثم تأكدت سنة سبع وأربعين وعظمت الفتنة بالجانب الشرقي بين العامة وبين أهل السنة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحضرروا الديوان حتى أذن لهم في ذلك وتعرضوا البعض سفن البساسيري منحدرة إليه بواسط، وكشفوا فيها عن جرار خر، فجاؤوا إلى أصحاب الديوان الذين أمروا بمساعدتهم واستدعوهم لكسرها فكسروها، واستترحش لذلك البساسيري ونسبه إلى رئيس الرؤساء. واستفتى الفقهاء في أن ذلك تعد على سفيته فأفاته الحنفية بذلك. ووضع رئيس الرؤساء الأعيان على البساسيري بإذن من دار الخلافة، وأظهره معاليه. وبالغوا في ذلك، ثم قصدوا

نقيب القباء أبو علي بن أبي تمام، ونقيب العلوبيين عدنان بن الرضي والقاضي أبو الحسن الماوردي وغيرهم.

### انتهاض أبي القنائيم بواسط

كان رئيس الرؤساء سعى لأبي القنائيم بن الجبلان في ولاية واسط وأعمالها، فولبها وصادر أعيانها، وجنده جماعة وتفوى بأهل البطيحة، وخدنق على واسط، وخطب للمستنصر العلوي بمحضر فسار أبو نصر عميد العراق لحربه فهزمه وأسر من أصحابه، ووصل إلى السور فحاصره حتى تسلم البلد. ومر أبو الغنائم ومعه الوزير بن فسالجنس ورجع عميد العراق إلى بغداد بعد أن ول واسط منصور بن الحسين فعاد ابن فسالجنس إلى واسط وأعاد خطبة العلوي وقتل من وجده من الغز، ومضى منصور بن الحسين إلى المدار ويعث يطلب المدد فكتب إليه عميد العراق ورئيس الرؤساء بمصار واسط فحاصرها، وقاتله ابن فسالجنس فهزمه وضيق حصاره، واستأمن إليه جماعة من أهل واسط فملكها وهرب فسالجنس واتبعه فادركته وحمل إلى بغداد في صفر سنة ست وأربعين فشهر وقتل.

### الوقعة بين البساصيري وقطلمنش

وفي سلخ شوال من سنة ثمان وأربعين سار قطلمنش وهو ابن عم السلطان طغرل بك وجده بني قليج أرسلان ملوك بلاد الروم، فسار معه قريش بن بدران صاحب الموصل لقتال البساصيري ودبیس، وسار بهم إلى الموصل وخطبوا بها للمستنصر العلوي صاحب مصر ويعث إليهم بالخلع. وكان معهم جابر بن ناشب وأبو الحسن وعبد الرحيم وأبو الفتح بن وراثي ونصر بن عمر ومحمد بن حاد.

### مسير طغرل بك إلى الموصل

لما كان السلطان طغرل بك قد نقلت وطاته على العامة ببغداد، وفتشا الضرر والأذى فيهم من معسركه فكتبه القائم يعظه ويذكره، ويصف له ما الناس فيه فأجابه السلطان بالاعتزاز بكرشة المساكير. ثم رأى رؤيا في ليلته كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوحنه على ذلك، فبعث وزيره عميد الملك إلى القائم بطاولة أمره فيما أمر، وأنخرج المخذل من وراء العامة ورفع المصادرات. ثم بلغه خبر وقعة قطلمنش مع البساصيري والخراون قريش صاحب الموصل إلى

طغرل بك عن عدنان بن الرضي نقيب العلوبيين، وكان مسكنه بالكرخ فشكوه عن السلطان طغرل بك. ودخل أعيان الدليم وأصحاب الملك الرحيم إلى دار الخلافة فنيأً للتهمة عليهم. وركب أصحاب طغرل بك فقاتلوا العامة وهزموهم وقتلوا منهم خلقاً ونهبوا سائر الدربوب ودور رئيس الرؤساء وأصحابه والرصفة، ودور الخلفاء، وكان بها أموال الناس نقلت إليها للحرمة نهباً الجميع، واشتهد البلاء وعظم الخوف وأرسل طغرل بك إلى القائم بالعتاب ونبهه ما وقع إلى الملك الرحيم والدليم، وأنهم اخروا، وكانت برآءة من ذلك.

وتقدم إليهم الخليفة بالحضور عند طغرل بك مع رسوله، فلما وصلوا إلى الخيام نهباها الغز ونهبوا رسول القائم مهمهم، ثم قبض طغرل بك على الملك الرحيم ومن معه، وبعث بالملك الرحيم إلى قلعة السيروان فحبس بها وكان ذلك لست سنتين من ملكه. ونهب في تلك المبعثة قريش بن بدران صاحب الموصل ومن معه من العرب، ونجا سليماً إلى خيمة بدر بن المهلل، واتصل بطغرل بك خبره فأرسل إليه وخلع عليه وأعاده إلى خيمته، وبعث القائم إلى طغرل بك يإنكار ما وقع في إخفار ذمه في الملك الرحيم وأصحابه، وأنه يتغول عن بغداد فأطلق له بعضهم بلكسكالاري وانزع الإقطاعات من يد أصحاب الملك الرحيم فلحوذا بالبساصيري وكثر جمعه، وبعث طغرل بك إلى دليس بالطاعة وإنفاذ البساسيري فخطب له في بلاده، وطرد البساسيري فسار إلى رحمة ملك، وكاتب المستنصر العلوي صاحب مصر.

وأمر طغرل بك بأخذ أموال الأتراك الجندي وأعملهم وانتشر الغز السلاجوقية في سواد بغداد فنهبوا الجانب الغربي من تكريست إلى النيل، والجانب الشرقي إلى النهروانات وخرب السواد والمجلس أهله وضمن السلطان طغرل بك البصرة والأهواز من هزارشب بن شكر بن عياض بثمانة وستين ألف دينار، وأقطعه أرجان، وأمره أن يخطب لنفسه بالأهواز دون ما سواها.

وأقطع إبا علي بن كاليجار ويسين وأعمالها وأمر أهل الكرخ بزيادة: الصلة خير من النوم في نداء الصبح، وأمر بعمارة دار المملكة وانتقل إليها في شوال. وتوفي ذئيرة الدين أبو العباس محمد بن القائم بالله في ذي القعدة من هذه السنة. ثم انكح السلطان طغرل بك من القائم بالله خديجة بنت أخيه داود وأسمها أرسلان خاتون، وحضر للعقد عميد الملك الكندي وزير طغرل بك وأبا علي بن أبي كاليجار وهزارشب بن شكر بن عياض الكردي وأبن أبي الشوك وغيرهم من أمراء الأتراك من عسكر طغرل بك. وخطب رئيس الرؤساء وولي العقد وقبل الخليفة بنفسه. وحضر

وطلب لقاء الخليفة، فأسعده وجلس له جلوساً فخماً. وجاء السلطان في البحر فقرب له لما نزل من السهرة من مراكب الخليفة، والقائم على سرير علوه سبعة أذرع متواشحة البردة وبيده القصيبي، وبقباله كرسىجلوس السلطان ققبل الأرض وجلس على الكرسى، وقال له رئيس الرؤساء عن القائم: أمير المؤمنين شاكر لسيك حامد لعملك مستأنس بقربيك، ولاك ما ولاه الله من بلاده، ورد إليك مراعاة عباده فاتق الله فيما ولاك وأعرف نعمته عليك، واجتهد في نشر العدل وكف الظلم وإصلاح الرعية، ققبل الأرض، وأفيضت عليه الخلع وخرطوب مملك المشرق والمغرب، وقبل يد الخليفة ووضعها على عينيه ودفع إليه كتاب المهد، وخرج فبعث إلى القائم خمسين ألف دينار وخمسين مليوناً من الأتراك متدينين بخيوthem وسلامthem، إلى ما في معنى ذلك من الشباب والطيب وغيرهما.

فتنة نیال مع أخيه طغرل بك و مقتله

كان إبراهيم بنال قد ملك بلاد الجبل وهمندان واستولى على الجهات من نواحيها إلى حلوان عام سنة سبع وثلاثين. ثم استور حش من السلطان طغريلك بما طلب منه أن يسلم إليه مدينة همندان والقلاع فأبى من ذلك بنال وجمع جموعاً وتلاقياً فانهزم بنال وتعصى بقلعة سرماج فملكتها عليه بعد الحصار، واستنزله منها، وذلك سنة إحدى وأربعين. وأحسن إليه طغريلك وخيره بين المقام معه أو إقطاع الأعمال فاختار المقام. ثم لما ملك طغريلك بغداد وخطب له بها سنة سبع وأربعين، خرج إليه الباسيري مع قريش بن بدران صاحب الموصل ودييس بن مزيد صاحب الخلة، وسار طغريلك إليهم من بغداد، ولحقه آخره إبراهيم بنال فلما ملك الموصل سلمها إليه وجعلها لنظرة مع سنمار والرحبة وسائر تلك الأعمال التي لقريش، ورجم إلى بغداد سنة تسع وأربعين.

ثم بلغه ستة حسينين بعدها أنه سار إلى بلاد الجبل فاستراح  
به ويعث إلية يستقدمه بكتابه وكتاب القائم مع العهد الكندي  
فقدم معه. وفي خلال ذلك قصد البساميري وقريش بن بدران  
الموصل فملكاها وجعلوا عنها فاتبعهم إلى نصيبيين، وخالفه أخوه  
إبراهيم ينال إلى همدان في رمضان ستة حسينين. يقال: إن العلوى  
صاحب مصر والبساصيري كاتبته واستمالوه وأطعموه في  
السلطنة، فصار السلطان في اتباعه من نصيبيين، ورد وزيره عميد  
الملك الكندي وزوجته خاتون إلى بغداد، ووصل إلى همدان ولحق  
به من كان يبغداد من الآثاراء فحاصر همدان في قلعة من

العلوية، فتجهز وسار عن بغداد ثلاثة عشر شهراً من تزوله عليها، ونبت عساكره أوانا وعكبراً، وحاصر تكريت حتى رجع صاحبها نصر بن عيسى إلى الدعوة العباسية، وقتل السلطان، ورجع عنه إلى الباري فتوفي نصر وخافت أمه غريبة بنت غريب بن حكين أن يملك البلد أخوه أبو العشام، فاستخلفت أبا الغنائم ابن الجلبان ولحقت بالموصل، وزلت على دبيس بن مزيد.

وأرسل أبو الغنائم رئيس الرؤساء فأصلح حاله ورجع إلى بغداد وسلم له تكريت، وأقام السلطان بالباريغ إلى سنة تسعة وأربعين، وجاءه آخره ياقوتى في العساكر فسار إلى الموصل، وأنطع مدينة بلد هزارشب بن شكر الكردي، وأراد العسكر نهبها فعندهم السلطان، ثم أذن لهم في اللحاق إلى الموصل، وتوجه إلى نصبيين، وبعث هزارشب إلى البرية في ألف فارس ليصيب من العرب، فسار حتى قارب راحله، وأكمن الكمان، وقاتلهم ساعة. ثم استظرهم واتبعوه فخرجت عليهم الكمان فانهزموا وأخذن فيهم الغز بالقتل والأسر. وكان فيهم جماعة من بنى غير أصحاب حران والرقة، وحمل الأسرى إلى السلطان فقتلتهم أجمعين. ثم بعث ديس وقريش إلى هزارشب يستعطف لهم السلطان فقبل السلطان ذلك منهم، وورد أمر البساسيري إلى الخليفة فرحل ومعه الأتراك البغداديون، ومقبل ابن المقلد وجماعة من عقيل إلى الرحبة، وأرسل السلطان إليهما أبا الفتح بن ورام يستخبرهما فجاء بطاعتهما، ويسير هزارشب إليهما فاذن له السلطان في المسير، وجاء إليهما واستحلقهما وتحمما علم الحضرة فخافا.

وأرسل قريش أبا السيد هبة الله بن جعفر، ودييس ابنه منصوراً فاكراً مهماً للسلطان، وكتب لهما بأعمالهما. وكان لقريش نهر الملك وبادروا والأنبار وهيت وجبل ونهر بيطر وعكيرا وأوانا وتكريت والموصل ونصبدين. ثم سار السلطان إلى ديار بكر فحاصر جزيرة ابن عمر وبعث إليه يستعطفه ويبذل له المال، وجاء إبراهيم نيل آخر السلطان وهو عاصر، ولقيه الأمراء والناس، وبعث هزارشب إلى دييس وقريش يخدرهما فاخدر دييس إلى بلده بالعراق. وأقام قريش عند البساسيري بالرحبة ومعه ابنه مسلم، وشكراً تظللش ما أصاب أهل سنجار منه عند هزيمته أمام قريش ودييس، فبعث المساكير إليها، وحاصرها ففتحها عنوة واستباحها، وقتل أميرها علي ابن مرجي وشفع إبراهيم في البارقين فتركها وسلمها الله وسلم معها الموصى وأعمالها ورجع إلى بغداد في سنة تسع وأربعين فخرج رئيس الرؤساء للقائه عن القائم، وبلغه سلامه وهديته، وهي جام من ذهب فيه جواهر، والبسه ليباس الخليفة وعماته قبل السلطان ذلك بالشكر والخصوص والدعاء،

واستامن هو أيضاً معه، وخرجوا إليه وسارا معه ونكر الباباسييري على قريش نقضه لما تعااهدا عليه، فقال: إنما تعااهدنا على الشركة فيما يستولى عليه، وهذا رئيس الرؤساء لك والخليفة لي.

ولما حضر رئيس الرؤساء عند الباباسييري وبنته وسأله الغزو فابن منه، وحمل قريش القائم إلى مسكنه على هيته، ووضع خاتون بنت أخيه السلطان طغرايلك في يد بعض الثقات من خواصه وأمره بخدمتها، وبعث القائم ابن عممه مهارش فسار به إلى بلده حدبة خان وأنزله بها. وأقام الباباسييري ببغداد وصلى عبد النور بالألوية المصرية وأحسن إلى الناس وأجرى أرزاق الفقهاء ولم يتعرض للنها، وأنزل أم القائم بدارها وسهل جرائها، وولى محمود بن الأفقر على الكوفة، وسعى الفرات وأخرج رئيس الرؤساء من عبشه آخر ذي الحجة فصلبه عند التجبي لحسين سنة من ترداده في الوزارة. وكان ابن ماكر لا قد قبل شهادته سنة أربع عشرة، وبعث الباباسييري إلى المستنصر العلوي بالفتح والخطبة له بالعراق. وكان هنالك أبو الفرج ابن أخي القائم المغربي، فاستهان بفعله وخوفه عاقبته، وأبطأه أجوبته مدة، ثم جاءت بغير ما أمل، وسار الباباسييري من بغداد إلى واسط والبصرة فملكتها، وأراد قصر الأهواز ببعث صاحبها هزارشب بن شكر فاصلح أمره على مال يحمله.

ورجع الباباسييري إلى واسط في شعبان سنة إحدى وخمسين، وفارقه صدقة بن منصور بن الحسين الأسدى إلى هزارشب، وقد كان ول بغداد أباً على ما يذكر. ثم جاء الخبر إلى الباباسييري بظهور طغرايلك بأخيه، وبعث إليه والي قريش في إعادة الخليفة إلى داره، ويتقيم طغرايلك، وتكون الخطبة والسلكة له لفائى الباباسييري من ذلك، فسار طغرايلك إلى العراق، وانتهى إلى قصر شيرين، وأجفل الناس بين يديه. ورحل أهل الكرخ بأهليهم وأولادهم برأً ومحراً، وكثير عيشه بي شيبان في الناس، وارحل الباباسييري بأهله وولده سادس ذي القعدة سنة إحدى وخمسين لحلول كامل من دخوله وكثير الفرج في المدينة والنها والإحرار. ورحل طغرايلك إلى بغداد بعد أن أرسل من طريقه الأستاذ أحد بن محمد بن أيوب المعروف بابن فورك إلى قريش بن بدران بالشكر على فعله في القائم وفي خاتون بنت أخيه زوجة القائم، وأن أبا بكر بن فورك جاء بإحضارهما والقيام بخدمتهما.

وقد كان قريش بعث إلى مهارش بأن يدخل معهم إلى البرية بالخليفة ليصد ذلك طغرايلك عن العراق، ويتحكم عليه بما يريد فابن مهارش لنقض الباباسييري عهوده، واعتذر بأنه قد عاهد الخليفة القائم بما لا يمكن نفسه ورحل بالخليفة إلى العراق، وجعل

العسكر، واجتمع لأخيه خلق كثير من الترك وحلف لهم أن لا يصلح طغرايلك ولا يدخل بهم العراق لكثره نفقاته. وجاءه محمد وأحد ابنا أخيه أرباش بأمداد من الغز فقوى بهم، ووهن طغرايلك فاجز عنه إلى الري، وكانت إلى أرسلان ابن أخيه داود، وقد كان ملك خراسان بعد أخيه ستة إحدى وخمسين كما يذكر في أخبارهم، فرحف إليه في العسكرية ومعه أخيه ياقوت وقاروت بك، ولقيهم إبراهيم فيمن معه فانهزم، وجيء به وسيبني أخيه محمد وأحمد أسرى إلى طغرايلك فقتلتهم جميعاً ورجع إلى بغداد لاسترجاع القائم.

## دخول الباباسييري بغداد وخلع القائم ثم عوده

قد ذكرنا أن طغرايلك سار إلى همدان لقتل أخيه وترك وزيره عميد الملك الكندي ببغداد مع الخليفة، وكان الباباسييري وقريش بن بدران فارقاً الموصى عند زحف السلطان طغرايلك إليهم، فلما سار عن بغداد لقتل أخيه بهمدان خالفه الباباسييري وقريش إلى بغداد فثار الإرثاف بذلك، وبعث عن ديس بن مزيد ليكون حاجبه ببغداد ونزلوا بالجانب الشرقي، وطلب من القائم المتروج معه إلى أخيه، واستدعى هزارشب من واسط للمدافة، واستمهل في ذلك فقال العرب: لا نشير فأشيراً بنظركم، وجاء الباباسييري ثمان ذي القعدة سنة خمسين في أربعين غلام على غالبة من سوء الحال ومعه أبو الحسن بن عبد الرحيم، وجاء حسين بن بدران في مائة فارس وخيروا مفترقين عن البلد، واجتمع العسكر والقوم إلى عميد العراق، وأقاموا إزاء الباباسييري وخطب الباباسييري ببغداد للمستنصر العلوي صاحب مصر بمجمع المنصور، ثم بالرصافة، وأمر بالآذان بعي على خير العمل، وخيّم بالزامر، وكان هو الباباسييري لذاهب الشيعة، وترك أهل السنة للاحتراف عن الآباء فرأى الكندي المطاولة لانتظار السلطان، ورأى رئيس الرؤساء المناجزة وكان غير بصير بالحرب، فخرج لقتالهم في غفلة من الكندي، فانهزم وقتل من أصحابه خلق ونهب باب الأزرق وهو باب الخليفة.

وهرب أهل الحريم الخليفي فاستدعى القائم العميد الكندي للمدافة عن دار الخليفة فلم ير عهم إلا اقتحام العدو عليهم من باب التوني، فركب الخليفة ولبس السواد، والنها قد وصل بباب الفردوس، والعميد الكندي قد استامن إلى قريش فرجع ونادي بقريش من السور فاستامن إليه على لسان رئيس الرؤساء،

و ضمن واسط أبو علي بن فضلان مائتي ألف دينار، و ضمن البصرة الأغر أبو سعد سابور بن المظفر، وأصعد السلطان إلى بغداد، واجتمع بال الخليفة، ثم سار إلى بلد الجبل في ربيع سنة اثنين وخمسين. وأنزل ببغداد الأمير برسو شحنة، و ضمن أبو الفتح المظفر بن الحسين في ثلاثة سنين باري عمائة ألف دينار، و رد إلى محمود الأخرم إمارة بني خفاجة، وولاه الكوفة و سقي الفرات و خواص السلطان بأربعة آلاف دينار في كل سنة.

### وزارة القائم

ولما عاد القائم إلى بغداد ولـى أبا تراب الأشيري على الأنهر وحضور المراكب، ولقبه حاجـب الحاجـب، وكان خدمـه بالـحدـيـة ثم سعـيـ الشـيخـ أـبـوـ منـصـورـ فيـ وزـارـةـ أـبـيـ الفتـحـ بنـ أـحـدـ بنـ دـارـسـتـ علىـ أنـ يـعـلـمـ مـاـلـأـ فـاجـبـ وـاحـضـرـ مـنـ الـأـهـواـزـ فيـ مـتـصـفـ رـيـبعـ منـ سـنـةـ ثـلـاثـ وـخـسـينـ فـاسـتـرـزـهـ وـكـانـ مـنـ قـبـلـ تـاجـرـاـ لـأـبـيـ كالـيجـارـ، ثـمـ ظـهـرـ عـجـزـهـ فـيـ اـسـتـيـقـاءـ الـأـمـوـالـ فـعـزـلـهـ، وـعـادـ إـلـىـ الـأـهـواـزـ. وـقـدـ أـتـرـ ذـلـكـ أـبـوـ نـصـرـ بـنـ جـهـيرـ وـزـيـرـ نـصـيرـ الدـوـلـةـ بـنـ مـروـانـ نـازـعـاـ مـنـ إـلـىـ الـخـلـيـفـةـ الـقـائـمـ قـبـلـهـ وـاسـتـرـزـهـ، وـلـقـبـهـ فـخـرـ الـدـوـلـةـ.

### عقد طغـرـلـكـ عـلـىـ اـبـنـةـ الـخـلـيـفـةـ

كان السلطان طغـرـلـكـ قد خطـبـ منـ القـائـمـ اـبـتـهـ عـلـىـ يـدـ أـبـيـ سـعـدـ قـاضـيـ الـرـيـ سـنـةـ ثـلـاثـ وـخـسـينـ، فـاسـتـكـفـ مـنـ ذـلـكـ. ثـمـ بـعـثـ أـبـاـ مـعـمـدـ التـيمـيـ فـيـ الـاسـتـعـفـاءـ مـنـ ذـلـكـ وـإـلـاـ فـيـشـتـرـطـ ثـلـاثـةـ الـفـ دـيـنـارـ وـوـاسـطـ وـأـعـمـالـهـ. فـلـمـ ذـكـرـ التـيمـيـ ذـلـكـ للـوـزـيرـ عـيـدـ الـمـلـكـ بـنـ أـبـيـ الـأـمـرـ عـلـىـ الـإـجـابـةـ قـالـ: وـلـاـ يـحـسـنـ الـاسـتـعـفـاءـ، وـلـاـ يـلـيقـ بـالـخـلـيـفـةـ طـلـبـ الـمـالـ، وـأـخـبـرـ السـلـطـانـ بـذـلـكـ فـسـرـ بـهـ وـأـشـاعـهـ فـيـ النـاسـ وـلـقـبـ زـيـرـ عـيـدـ الـمـلـكـ وـأـتـيـ أـرـسـلـانـ خـاتـونـ زـوـجـ الـقـائـمـ وـمـعـهـ مـائـةـ الـفـ الـفـ دـيـنـارـ وـمـاـ يـنـسـاـهـ مـنـ الـجـوـاهـرـ وـالـجـوـارـ، وـيـعـثـ مـعـهـ قـرـامـدـ بـنـ كـاكـوريـهـ وـغـيرـهـ مـنـ أـمـرـاءـ الـرـيـ، فـلـمـ رـأـيـهـ وـصـلـاـهـ إـلـىـ الـقـائـمـ اـسـتـشـاطـ وـهـمـ بـالـخـرـوجـ مـنـ بـغـداـدـ. وـقـالـ لـهـ عـيـدـ: مـاـ جـعـ لـكـ فـيـ الـأـوـلـ بـيـنـ الـامـتـاعـ وـالـاقـتـارـ وـخـرـجـ مـغـبـسـاـ إـلـىـ الـهـرـوـانـ فـاسـتـقـفـهـ قـاضـيـ الـقـضاـةـ وـالـشـيخـ أـبـوـ مـنـصـورـ بـنـ يـوسـفـ. وـكـبـ منـ الـدـيـوـانـ إـلـىـ خـارـتـكـينـ مـنـ أـصـحـابـ السـلـطـانـ بـالـشـكـوـيـ مـنـ عـيـدـ الـمـلـكـ وـجـاهـ الـجـرـاـبـ بـالـرـفـقـ. وـلـمـ يـزـلـ عـيـدـ الـمـلـكـ يـرـيـضـ الـخـلـيـفـةـ وـهـوـ يـتـمـنـ إـلـىـ أـنـ رـحـلـ فـيـ جـادـيـهـ سـنـةـ أـرـبـعـ وـخـسـينـ. وـرـجـعـ إـلـىـ السـلـطـانـ وـعـرـفـ بـالـحـالـ، وـنـسـبـ

طـرـيقـهـ عـلـىـ بـدـرـانـ بـنـ مـهـلـهـلـ. وـجـاءـ أـبـوـ فـورـكـ إـلـىـ بـدـرـ فـحـمـلـهـ مـعـهـ إـلـىـ الـخـلـيـفـةـ وـأـبـلـغـهـ رسـالـةـ طـغـرـلـكـ وـهـدـيـاـهـ، وـيـعـثـ طـغـرـلـكـ لـلـقـائـهـ وـزـيـرـهـ الـكـنـدـريـ وـأـمـرـاءـ وـالـحـجـابـ بـالـثـيـامـ وـالـسـرـادـقـاتـ وـالـمـقـرـبـاتـ بـالـمـلـرـاكـ الـنـهـيـيـهـ فـلـقـوهـ فـيـ بـلـدـ بـدـرـ. ثـمـ خـرـجـ السـلـطـانـ فـلـقـيهـ بـالـهـرـوـانـ وـاعـتـدـرـ عـنـ تـأـخـرـهـ بـرـفـاهـ أـخـيـهـ دـاـوـدـ بـخـرـسانـ وـعـصـيـانـ إـبـراهـيـمـ بـهـمـذـانـ، وـأـنـ قـتـلـهـ عـلـىـ عـصـيـانـ. وـأـقـامـ حـتـىـ رـتـبـ أـوـلـادـ دـاـوـدـ فـيـ مـلـكـهـ وـقـالـ: إـنـ يـسـرـ إـلـىـ الشـامـ فـيـ اـتـيـعـ الـبـاسـيـرـيـ. وـطـلـبـ صـاحـبـ مـصـرـ فـقـلـدـهـ القـائـمـ سـيـفـهـ إـذـ لـمـ يـجـدـ سـوـاـهـ، وـأـبـدـيـ وجهـهـ لـلـأـمـرـاءـ فـحـيـوـهـ وـأـنـصـرـفـواـ. وـتـقـدـمـ طـغـرـلـكـ إـلـىـ بـغـداـدـ فـجـلـسـ فـيـ الـبـابـ التـوـيـيـ مـكـانـ الـحـاجـبـ، وـجـاءـ الـقـائـمـ فـأـخـذـ طـغـرـلـكـ بـلـجـامـ بـغـلـتـهـ إـلـىـ بـابـ دـارـهـ وـذـلـكـ لـخـمـسـ بـقـيـنـ مـنـ ذـيـ الـقـعـدـةـ سـنـةـ إـحـدىـ وـخـسـينـ وـسـارـ السـلـطـانـ إـلـىـ مـعـسـكـرـهـ وـأـخـذـ فـيـ تـدـبـيرـ أـمـوـرـهـ.

### مقتل الباسيري

ثـمـ أـرـسـلـ السـلـطـانـ طـغـرـلـكـ خـارـتـكـينـ فـيـ الـقـيـنـ إـلـىـ الـكـوـفـةـ، وـاسـتـقـرـ مـعـهـ سـرـايـاـ بـنـ مـنـيعـ فـيـ بـيـ خـفـاجـةـ، وـسـارـ السـلـطـانـ طـغـرـلـكـ فـيـ أـنـرـهـ فـلـمـ يـشـعـرـ دـبـيسـ وـقـرـيشـ وـالـبـاسـيـرـيـ وـقـدـ كـانـواـ نـهـيـاـ الـكـوـفـةـ إـلـاـ وـالـعـسـاـكـرـ قـدـ طـلـعـتـ عـلـيـهـمـ مـنـ طـرـيقـ الـكـوـفـةـ، فـاجـفـلـوـهـ خـمـرـ الـبـطـيـحـةـ. وـسـارـ دـبـيسـ لـيـرـدـ الـعـرـبـ إـلـىـ الـقـتـالـ فـلـمـ يـرـجـعـوـهـ وـمضـىـ مـعـهـ، وـوـقـفـ الـبـاسـيـرـيـ وـقـرـيشـ فـقـتـلـ مـنـ أـصـحـابـهـمـ جـمـاعـةـ وـأـلـسـنـ أـبـوـ الفـتـحـ بـنـ وـرـامـ وـمـنـصـورـ بـنـ بـدـرـانـ وـحـمـادـ بـنـ دـبـيسـ، وـأـصـابـ الـبـاسـيـرـيـ سـهـمـ فـسـقـطـ عـنـ فـرـسـهـ، وـأـخـذـ رـأسـهـ لـتـكـيـرـ ذـلـكـ وـأـتـيـ عـيـدـ الـكـنـدـريـ وـحـلـهـ إـلـىـ السـلـطـانـ، وـغـنـمـ الـعـسـكـرـ جـيـعـ أـمـوـالـ وـأـهـلـيـهـمـ، وـحـلـ رـأسـ الـبـاسـيـرـيـ إـلـىـ دـارـ الـخـلـافـةـ فـعـلـقـ قـبـالـةـ الـنـوـيـيـ مـفـتـحـ ذـيـ الـحـجـةـ. وـلـخـ دـبـيسـ بـالـبـطـيـحـةـ وـمـعـهـ زـعـيمـ الـمـلـكـ أـبـيـ الـحـسـنـ عـبـدـ الرـحـيمـ، وـكـانـ هـذـاـ الـبـاسـيـرـيـ مـنـ مـالـيـكـ بـهـاءـ الـدـوـلـةـ بـنـ عـضـدـ الـدـوـلـةـ اـسـمـ اـرـسـلـانـ وـكـيـتـهـ أـبـوـ الـحـارـثـ وـنـسـبـهـ فـيـ الـتـرـكـ. وـهـذـهـ النـسـبـةـ الـمـعـرـوـفـةـ لـهـ نـسـبـهـ إـلـىـ مـدـيـنـةـ بـفـارـسـ حـرـفـهـ الـأـوـلـ مـوـسـطـ بـيـنـ الـقـاءـ وـالـبـاءـ، وـالـنـسـبـةـ إـلـيـهـ فـسـوـيـ، وـمـنـهـ أـبـوـ عـلـيـ الـفـارـسـيـ صـاحـبـ الـإـيـضـاحـ. وـكـانـ لـوـلـاـ يـنـسـبـ إـلـيـهـ فـلـذـكـ قـيلـ فـيـهـ: هـوـ بـاسـيـرـيـ.

### مسير السلطان إلى واسط وطاعة دبيس

ثـمـ اـخـدـرـ السـلـطـانـ إـلـىـ وـاسـطـ أـوـلـ سـنـةـ اـثـنـيـنـ وـخـسـينـ وـحـضـرـ عـنـهـ هـزـارـشـبـ بـنـ شـكـرـ مـنـ الـأـهـواـزـ، وـأـصـلـحـ حـالـ دـبـيسـ بـنـ مـزـيدـ وـصـدـقةـ بـنـ مـنـصـورـ بـنـ الـمـسـينـ، أـخـضـرـهـمـ عـنـدـ السـلـطـانـ

لسليمان بن داود، وجعفر بك، وكان ربيب السلطان طغرل بك خلف أخيه جعفر بك داود على أمره، وعهد إليه بالملوك، فلما خطب له اختلاف عليه الأمر وسار باغي سيان وأردم إلى قزوين فخطب لأخيه آلب أرسلان وهو محمد بن داود، وهو يومئذ صاحب خراسان وزوجته نظام الملك سار إلى المذكور، وسال الناس إليه وشعر الكندي باختلال أمره فخطب بالري للسلطان آلب أرسلان وبعده لأخيه سليمان. وزحف آلب أرسلان في المساكير من خراسان إلى الري فلقيه الناس جميعاً ودخلوا في طاعته، وجاء عميد الملك الكندي إلى وزيرة نظام الملك فخدمه وهاداه فلم يعن عنه، وخشي السلطان غائلته فقبض عليه سنة ست وخمسين وسبعين على الروذ.

ثم بعث بعد سنة من حبسه بقتله في ذي الحجة من سنة سبع وخمسين، وكان من أهل نيسابور كاتباً بليغاً. فلما ملك طغرل بك نيسابور، وطلب كاتباً فدله عليه الموفق والد أبي سهل فاستكتبه واستخلصه، وكان خصياً يقال: إن طغرل بك خصاء لأنه تزوج بأمرأة خطبها له، وقطع عليه فظاهر به فحاصره وأقره على خدمته. وقيل: أشاع عند أعدائه أنه تزوجها ولم يكن ذلك فحصي نفسه ليأمن غائلته، وكان شديد العصب على الشافية والأشعرية.

واستأند السلطان في لعن الرافضة على منابر خراسان، ثم أضاف إليهم الأشعرية فاستطاع ذلك أئمة السنة. وفارق خراسان أبو القاسم الشيشري ثم أبو المعالي إلى مكة فقام أربعة سنين يتردد بين الحرمين يدرس وفيه حتى لقب إمام الحرمين. فلما جاءت دوله آل أرسلان أحضرهم نظام الملك وزوجه فأحسن إليهم وأعاد السلطان آلب أرسلان السيدة بنت الخليفة التي كانت زوجة طغرل بك إلى بغداد، وبعث في خدمتها الأمير أيكين السليماني، وولاه شحنة بيغداد، وبعث معها أيضاً أبي سهل محمد بن هبة الله المعروف بابن الموفق لطلب الخطبة ببيغداد فمات في طريقه، وكان من رؤساء الشافية بنيسابور.

وبعث السلطان مكانه عميد أبي الفتح المظفر بن الحسين فمات أيضاً في طريقه، فبعث وزيره نظام الملك، وخرج عميد الملك ابن الوزير فخر الدولة بن جهير لتلقיהם، وجلس لهم القائم جلوساً فخماً في جمادى الأولى من سنة ست وخمسين، وساق الرسل بقليل آلب أرسلان السلطنة، وسلمت إليهم الخليع بشهاد من الناس، ولقب ضياء الدولة، وأمر بالخطبة له على منابر بغداد، وأن يخاطب بالولد المؤيد حسب اقتراحه، فأرسل إلى الديوان لأخذ البيعة التقب طراد الزيني، فأرسل إليه بمنجوان من

القضية إلى خارتكين فتذكر له السلطان وهرب، واتبعه أولاد نبال فقتلوه بثار أيهم، وجعل مكانه سارتكون وبعث للوزير بشأنه.

وكتب السلطان إلى قاضي القضاة والشيخ أبي منصور بن يوسف بالعتب، وطلب بنت أخي زوجة القائم فأجاب الخليفة حينئذ إلى الأصهار، وفوض إلى الوزير عميد الكندي عقد النكاح على ابنته للسلطان، وكتب بذلك إلى أبي الغائم الجلبان فعقد عليها في شعبان من تلك السنة بظاهر تبريز. وحمل السلطان للخليفة أموالاً كثيرة وجواهر لولي العهد وللمخطوبية، وأقطع ما كان بالعراق لزوجته خاتون المعرفة للسيدة بنت الخليفة. وتوجه السلطان في الحرم سنة خمس وخمسين من أرميبية إلى بغداد ومعه من الأمراء أبو علي بن أبي كالبيجار وسرخاب بن بدر وهزار وأبو منصور بن قرامد بن كاكويه، وخرج الوزير ابن جهير تلقاه، وترك عسكره بالجانب الغربي، ونادى الناس بهم. وجاء الوزير ابن العميد لطلب المخطوبية فأفرد له القائم دوراً لسكناه وسكنى حاشيته، وانتقلت المخطوبية إليها وجلست على سرير ملبس بالذهب، ودخل السلطان فقبل الأرض، وحمل لها مالاً كثيراً من الجواهر وألزم أياماً، وخلع على جميع أمرائه وأصحابه، وعقد ضمان بغداد على أبي سعد الفارسي بمائة وخمسين ألف دينار، وأعاد ما كان أطلقه رئيس العراقيين من المواريث والمكروس، وبضم على الأعرابي سعد ضامن البصرة، وعقد ضمان واسط على أبي جعفر بن فضلان بمائة ألف.

## وفاة السلطان طغرل بك وملك ابن أخيه داود

ثم سار السلطان طغرل بك من بغداد في ربيع الآخر إلى بلد الجبل، فلما وصل الري أصابه المرض وتوفي ثامن رمضان من سنة خمس وخمسين، وبلغ خبر وفاته إلى بغداد فاضطررت، واستقدم القائم مسلم بن قريش صاحب الموصل ودييس بن مزيد وهزار شب صاحب الأهواز وبقي ورام ويدر بن مهلهل قدموها، وأقام أبو سعد الفارسي ضامن بغداد سوراً على قصر عيسى، وجع الغلال، وخرج مسلم بن قريش من بغداد فنهب التواحي، وسار دييس بن مزيد وبنو خفاجة وبني ورام والأكراد لقتاله. ثم استتب ورجع إلى الطاعة وتوفي أبو الفتح بن ورام مقدم الأكراد والجاوانية، وحمل العامة السلاح لقتال الأعراب فكانت سبباً لكثرتهم الدمار.

ولما مات طغرل بك بايع عميد الدولة الكندي بالسلطنة

وأجتمع الناس لحضور درسه، وتختلف لأنه سمع أن في مكانتها غصباً. ويقي الناس في انتظاره حتى ينسوا منه، فقال الشيخ أبو منصور: لا ينفصل هذا الجمع إلا عن تدريس، وكان أبو منصور الصياغ حاضراً فدرس وأقام مدرساً عشرين يوماً حتى سمع أبو إسحاق الشيرازي بالتدريس فاستقر بها.

### وزراء الخليفة

كان فخر الدولة ابن جهير وزير القائم كما ذكرنا، ثم عزله سنة ستين وأربعين فلحق بنور الدولة دييس بن مزيد بالقلوجة، وبعث القائم عن أبي يعلى والد الوزير أبي شجاع، وكان يكتب هزارشب بن عوض صاحب الأهواز فاستقدمه ليوليه الوزارة، فقدم ومات في طريقه، وشفع دييس بن مزيد في فخر الدولة بن جهير فاعيد إلى وزارته سنة إحدى وستين في صفر.

### الخطبة بمحكمة

وفي سنة اثنين وستين خطب محمد بن أبي هاشم بمكة للقائم وللسلطان ألب أرسلان، وأسقط خطبة العلوى صاحب مصر وترك حي على خير العمل من الأذان، وبعث ابنه وافداً على السلطان بذلك فأعطيه ثلاثين ألف دينار، وخلعاً نفيسة ورتب كل سنة عشرة آلاف دينار.

### طاعة دييس ومسلم بن قريش

كان مسلم بن قريش متقدساً على السلطان، وكان هزارشب بن شكر بن عوض قد أغوى السلطان بدليس بن مزيد ليأخذ بلاده فانتقض. ثم هلك هزارشب سنة اثنين وستين بأصبهان منصرفًا من وفاته على السلطان بخراسان، فوفد دييس على السلطان ومعه مشرف الدولة مسلم بن قريش صاحب الموصل، وخرج نظام الملك لتلقיהםا وأكرمهما السلطان ورجعاً إلى الطاعة.

### الخطبة العباسية بحلب واستيلاء السلطان عليها

كان محمود بن صالح بن مراد قد استولى هو وقومه على مدينة حلب، وكانت للعلوي صاحب مصر. فلما رأى إقبال دولة

أذريجان وبابع وانتقض على السلطان ألب أرسلان من السلاجقة صاحب هرآة وصفانيان، فسار إليهم وظفر بهم كما ذكر في أخبارهم ودولتهم عن أفرادها بالذكر. انتهى.

### فتنة قطلمش والجهاد بعدها

كان قطلمش هذا من كبار السلاجقة وأقربهم نسباً إلى السلطان طغرل بك، ومن أهل بيته، وكان قد استولى على قرمة وأقصراها وملطية، وهو الذي يعش السلطان طغرل بك أول ما ملك بغداد سنة تسعة وأربعين لقتال البساسيري وقريش بن بدران صاحب الموصل، ولقيهم على سنجر الري. فجهز ألب أرسلان العساكر من نيسابور في المحرم من سنة سبع وخمسين، وساروا على الفارقة فسيقروا قطلمش إلى الري، وجاء كتاب السلطان إليه ولقيه فلم يثبت مضى منهاماً واستباح السلطان عسركه قتلاً وأسرأ وأجلت الواقعه عنه قليلاً، فحزن له السلطان ودفنه. ثم سار إلى بلاد الروم معتمداً على الجهاد، ومر بأذريجان ولقيه طغرتكن من أمراء التركمان في عشيرة، وكان مارساً للجهاد فتحه على قصده، وسلك دليلاً بين يديه فوصل إلى نهران على نهر أرس وأمر بعمل السفن لعبوره، وبعث عساكر لقتال خوي وسلمان من حصون أذريجان، وسار هو في العساكر فدخل بلاد الكرخ وفتح قلاعها واحدة بعد واحدة كما ذكر في أخبارهم. ودوخ بلادهم وأحرق مدنهم وحصونهم، وسار إلى مدينة آكي من بلاد الديلم فافتتحها وأنخر فيها وبعث بال بشائر إلى بغداد وصالحة ملك الكرخ على الجزية ورجع إلى أصبهان. ثم سار منها إلى كرمان فاتعاه قاروت بن داود جعفر بك. ثم سار إلى مرو وأصهر إليه خاقان ملك ما وراء النهر بابنته لابنة ملكشاه، وصاحب غزنة بابته لابنه الآخر. انتهى.

### العهد بالسلطنة لملكشاه بن ألب أرسلان

وفي سنة ثمان وخمسين عهد ألب أرسلان بالسلطنة لابنه ملكشاه، واستخلف له الأمراء وخلع عليهم وأمر بالخطبة في سائر أعماله، وأقطع بلخ أخيه سليمان وخوارزم أخيه أزعزا. ومرر لابنه أرسلان شاه، وصفانيان وطخارستان أخيه إلياس ومازندران للأمير أبا ياخ وبيغرا وجعل ولاية نقشوان ونواحيها لمسعود بن أزناس وكان وزيره نظام الملك قد ابتدأ سنة سبع وخمسين بناء المدرسة النظامية ببغداد، وقت عماراتها في ذي القعدة سنة تسعة وخمسين، وعين للتدريس بها الشيخ إسحاق الشيرازي،

عمله بجواهر قيمة تسعون ألف. ثم استولى أرمانوس بعد ذلك على أعمال الأرمن وبладهم.

شحنة بغداد

قد ذكرنا أن السلطان الـبـ أرسـلان ولـ لأول مـلكـهـ أـيـتكـينـ السـليمـانيـ شـحـنةـ بـغـدـادـ سـنـةـ سـتـ وـخـسـينـ فـاقـامـ فـيـهاـ مـدـةـ،ـ ثـمـ سـارـ إـلـىـ السـلـطـانـ فـيـ بـعـضـ مـهـمـاتـهـ،ـ وـاسـتـخـلـفـ اـبـهـ مـكـانـهـ فـاسـاءـ السـيـرـةـ،ـ وـقـتـلـ بـعـضـ المـالـيـكـ الدـاـوـيـةـ فـأـنـذـ قـيـصـهـ مـنـ الـدـيـوـانـ إـلـىـ السـلـطـانـ،ـ وـخـوـطـ بـعـزـلـهـ.ـ وـكـانـ نـظـامـ الـمـلـكـ يـعـنـيـ بـهـ فـكـتـبـ فـيـهـ بـالـشـفـاعـةـ،ـ وـورـدـ سـنـةـ أـرـبـعـ وـسـيـنـ قـصـدـ دـارـ الـخـلـافـةـ وـسـالـ الـغـفـرـ فـلـمـ يـجـبـ،ـ وـيعـثـ إـلـىـ تـكـرـيـتـ لـيـسـوـغـهـ بـإـقـطـاعـ السـلـطـانـ فـبـرـزـ المـرـسـومـ مـنـ دـيـوـانـ الـخـلـافـةـ بـعـنـ ذـلـكـ.ـ وـلـاـ رـأـيـ السـلـطـانـ وـنـظـامـ الـمـلـكـ إـصـرـارـ الـقـائـمـ عـلـىـ عـزـلـهـ،ـ بـعـثـ السـلـطـانـ مـكـانـهـ سـعـدـ الـدـوـلـةـ كـوـهـرـابـيـنـ اـتـيـاعـاـ لـمـرـضـاـ الـخـلـيفـةـ.ـ وـلـاـ وـرـدـ بـغـدـادـ خـرـجـ النـاسـ لـلـقـائـهـ وـجـلـسـ لـهـ الـقـائـمـ وـاسـتـقـرـ شـحـنةـ.

## مقتل السلطان آلب ارسلان وملك ابنه

ملکشاه

سار السلطان ألب أرسلان محمد إلى ما وراء النهر  
وصحابه شمس الملك تكين، وذلك سنة خمس وستين، وعبر على  
جسر عقده على جيرون في نيف وعشرين يوماً، وعسكره تزيد  
على مائتي ألف. وجيء له بمستحفظ القلائع، ويعرف يوسف  
الخوارزمي فأمر بعقابه على ارتکابه فافحش في سب السلطان  
فغضب وأمر بإطلاقه، ورماه بهم فاختلطوا، فسير إليه يوسف،  
وقام السلطان عن سريره فعثر وقع فضربه بسکينة، وضرب سعد  
الدولة، ودخل السلطان خيمته جريحاً. وقتل الأتراك يوسف هذا،  
ومات السلطان من جراحته عشرة ربيع سنة خمس وستين لتسع  
ستين ونصف من ملكه، ودفن بمو عنديه. وكان كريماً عادلاً  
كثير الشكر لنعمة الله والصدقية، واتسع ملكه حتى قيل فيه  
سلطان العالم.  
ولما مات وقد أوصى بالملك لابنه ملكشاه فجلس للملك،  
وأخذ له البيعة وزيره نظام الملك، وأرسل إلى بغداد فخطب له  
على منابرها. وكان ألب أرسلان أوصى أن يعطي أئمه قاروتو  
بك أعمال فارس وكرمان وشيء عينه من المال، وكان بكرمان.  
وأن يعطي ابنه إياس بن ألب أرسلان ما كان لأبيه دارد، وهو

الب أرسلان وقوتها خافه على بلده فحملهم على الدخول في  
دعوة القائم، وخطب له على منابر حلب سنة ثلث وستين،  
وكتب بذلك إلى القائم، فبعث إليه تقيب النقاب طراد بن محمد  
الزنبي بالخلع، ثم سار السلطان الب أرسلان إلى حلب ومر بديyar  
بكر فخرج إليه صاحبها ابن مروان وخدمه مائة ألف دينار. ومر  
بأمام فامتنعت عليه وبالرها كذلك. ثم نزل على حلب وبعث إليه  
صاحبها محمود مع تقيب النقاب طراد بالاستغفار من المخصوص فالجع  
في ذلك وحاصره فلما اشتد عليه الحصار خرج ليلاً إلى السلطان،  
ومعه أمه منيعة بنت رتاب التميري ملقيناً بنفسه فاكرمه السلطان  
وخلم عليه وأعاده إلى بلده فقام بظاعته.

واقعة السلطان مع ملك الروم وأسره

كان ملك الروم في القسطنطينية وهو أرماتوس قد خرج سنة اثنين وستين إلى بلاد الشام في عساكر كثيبة، ونزل على منبع ونبتها وقتل أهلها، وزحف إليه محمود بن صالح بن مرداوس وأبن حسان الطاني في بني كلاب وطبيع ومن إلهم من جموع العرب فهزمهم، وطال عليه المقام على منبع وعزت الأقوات فرجع إلى بلاده، واحتشد وسار في مائتي ألف من الزنج والروم والروس والكرن، وخرج في احتفال إلى أعمال خلاط ووصل إلى ملازجرد. وكان السلطان ألب أرسلان بمدينة خوي من آذربيجان عند عوده من حلب فشقق إلى الجهداء، ولم يتمكن من الاحتشاد، فبعث أنقاله وزوجته مع نظام الملك إلى همدان وسار فيمن حضره من العساكر، وكانتوا خمسة عشر ألفاً ووطن نفسه على الاستئمانة، فلقيت مقدمته عند خلاط جموع الروسية في عشرة آلاف فانهزموا وجيء بملوكهم إلى السلطان فحبسه، وبعث بالأسلاف إلى نظام الملك لترسلها إلى بغداد.

ثم تقارب العسكران وجنح السلطان للمهادنة فأبى ملك الروم فاعتزم السلطان وزحف وأكثر من الدعاء والبكاء. وعفر وجهه بالتراب. ثم حل عليهم فهزمهما وامتلاط الأرض باشلاقهم وأسر الملك أرمانوس، جاء به بعض الغلمان أسيراً فضربه السلطان على رأسه ثلاثاً وسبخه. ثم فاداه بالف ألف دينار وخمسة ألف دينار، وعلى أن يطلق كل أسير عنده. وأن تكون عساكر الروم مددلاً للسلطان متى يطلبهما. وتم الصلح على ذلك لمدة خمسين سنة. وأعطيه السلطان عشرة آلاف دينار وخلع عليه وأطلقه، ووثب ميخائيل على الروم فملك عليهم مكان أرمانوس فجمع ما عنده من الأموال فكان مائتي ألف دينار، وجيء بطبع

وقدم مؤيد الملك ابن نظام الملك ستة سبعين للإقامة ببغداد، ونزل بالدار التي يجوار مدرستهم.

### عزل الوزير ابن جهير ووزارة أبي شجاع

كان أبو نصر بن الأستاذ أبي القاسم القشيري قد حجج ستة تسع وستين، فورد بغداد منتصراً من الحجج، ووعظ الناس بالنظمية، وفي رباط شيخ الشيوخ، ونصر مذهب الأشعرى فاتكرا عليه الختابة، وكثُر التصub من الجانين، وحدثت الفتنة والنهب عند المدرسة النظمية، فأرسل مؤيد الملك إلى العميد والشحنة فحضرها في الجند، وعظمت الفتنة ونسب ذلك إلى الوزير فخر الدولة بن جهير، وعظم ذلك على عضد الدولة فأعاد كوهرباين إلى الشحنة ببغداد وأوصاه المقتدي بعزل فخر الدولة من الوزارة، وأمر كوهرباين بالقبض على أصحابه وغئي الخبر إلىبني جهير فبادر عميد الدولة ابن الوزير إلى نظام الملك يستعطفه. ولما بلغ كوهرباين رسالة الملك إلى المقتدي أمر فخر الدولة بزلوم منزله. ثم جاء ابنه عميد الدولة، وقد استصلح نظام الملك في الشفاعة له، فأعاد عميد الملك إلى الوزارة دون أبيه فخر الدولة وذلك في صفر سنة اثنين وسبعين.

### استيلاء "تشش" بن ألب أرسلان على دمشق وابتداء دولته نفيه فيها

كان أنسز - بهمزة وسين وزاي - بن أبي الخوارزمي من أمراء السلطان ملك شاه وقد سار سنة ثلث وستين إلى فلسطين من الشام ففتح مدينة الرملة، ثم حاصر بيت المقدس وفتحها من يد العلوين أصحاب مصر، وملك ما يجاورها ما عدا عسقلان. ثم حاصر دمشق حتى جهدها الحصار فرجع وبقي يردد الغزوات إليها كل سنة. ثم حاصرها ستة سبع وستين وبها المعلى بن حمدة من قبل المتصرف العبيدي فاقام عليها شهراً. ثم أتلعج ديار أهل دمشق بالعلى لسوء سيرته فهوبر إلى بانياس ثم إلى صور، ثم أخذ إلى مصر وجلس بها ومات محبوساً واجتمع المصامدة بعد هربه من دمشق وولوا عليهم انتصار بن يحيى الصمودي ولقبوه زين الدولة. ثم اختلفوا عليه وووقدت الفتنة، وغلبت الأسعار ورجع أنسز إلى حصارها فنزل له عنها انتصار على الأمان، وعرضه عنها بقلعة بانياس ومدينة يافا من الساحل، وخطب فيها أنسز للمقتدي العباسى في ذي القعدة سنة ثمان وستين.

خمسة ألف دينار، وعهد بقتال من لم يقض بوصيته. وعاد ملكشاه من بلاد ما وراء النهر عبر الجسر في ثلاثة أيام. وزاد الجندي في أرزاقهم سبعمائة ألف دينار، ونزل نيسابور وأرسل إلى ملوك الأطراف بالطاعة والخطبة فأجابوا. وأنزل أخاه إيساس بن ألب أرسلان يليخ وسار إلى الري. ثم فرض إلى نظام الملك وأقطعه مدينة طرس التي هي منشؤه وغيرها، ولقبه القاباً منها: أتابك ومعناها الأمير الوالد، فحمل الدولة بصرامة وكفاية وحسن سيرة، ويعث كوهرباين الشحنة إلى بغداد ستة سبع وستين لاقتضاء العهد، فجلس له القائم وعلى رأسه حافظه وولي عهده المقتدي بأمر الله، وسلم إلى سعد الدولة كوهرباين عهد السلطان ملكشاه بعد أن قرأ الوزير أوله في المحفل وعقد له اللواء بيده ودفعه إليه.

### وفاة القائم ونصب المقتدي للخلافة

ثم توفي القائم بأمر الله أبو جعفر بن القادر انتصداً متصرف شعبان من سنة سبع وستين ونام فانفجر فصاده، وسقطت قوته. ولما أيقن بالموت أحضر حافظه أبي القاسم عبد الله ابن ابيه ذخيرة الدين محمد، وأحضر الوزير ابن جهير والنقاء والقصبة وغيرهم، وعهد له بالخلافة. ثم مات خمس وأربعين سنة من خلافته وصلى عليه المقتدي، وبريع بعهد جده، وأحضر بيته مؤيد الملك بن نظام الملك، والوزير فخر الدولة بن جهير وابنه عميد الدولة، وأبا إسحاق الشيرازي وأبا نصر بن الصباغ، ونقيب القباء طراد، والتقي الطاهر المعم بن محمد، وقاضي القضاة أبو عبد الله الدامقاني، وغيرهم من الأعيان والأمائل. ولما فرغوا من البيعة صلى بهم العصر ولم يكن للقائم عقب ذكر غيره لأن ابنته ذخيرة الدين أبي العباس محمد توفى في حياته ولم يكن له غيره فاعتذر القائم لذلك.

ثم جاءت جاريته أرجوان بعد موته لستة أشهر بولد ذكر فعظم سرور القائم به، ولما كان حادثة البساميري حلها أبو الغنائم بن الجبلان إلى حران وهو ابن أربع سنين، وأعاده عند عود القائم إلى داره. فلما بلغ الحلم عهد له القائم بالخلافة ولما تمت بيته لقب المقتدي وأقر فخر الدولة بن جهير على وزارةه بوصية جده القائم بذلك. ويعث ابن عميد الدولة إلى السلطان ملكشاه لأخذ البيعة في رمضان من سنة سبع وستين، ويعث معه من الهدايا ما يجلب عن الوصف. وقدم سعد الدولة كوهرباين سنة ثمان وستين إلى بغداد شحنة، ومعه العميد أبو نصر ناظراً في أعمال بغداد،

## عزل ابن جهير عن الوزارة وإمارته على ديار بكر

ثم إن عميد الدولة بن فخر الدولة بن جهير عزله الخليفة المقتدي عن الوزارة ووصل يوم عزل رسول من قبل السلطان ونظام الملك يطلببني جهير فأذن لهم وساروا بساحتهم إلى السلطان فلقياً هم كرامة وبرأ، وعقد لفخر الدولة على ديار بكر مكان بني مروان وبعث معه العساكر سنة وأعطيه الآلة وأذن له أن ينطب فيها لنفسه، ويكتب اسمه في السكّة فسار لذلك سنة ست وسبعين ثم بعث إليه السلطان سنة سبع وسبعين عدد العساكر مع الأمير أرتق بن أكبش جل أصحاب ماردين لهذا العهد، وكان ابن مروان قد استمد فخر الدولة بن جهير بنواحيها، وكان معه جماعة من التركمان فتقدموه إلى قتل مشرف الدولة، وانهزم أمامهم وغنم التركمان من كان معه من أحياء العرب، ودخل أمد فحصره بها فخر الدولة وأرتق، فراسل أرتق وينزل له مالاً على الخروج من ناحيته، فأذن له وخرج. ورجع ابن جهير إلى ميافارقين ومعه بهاء الدولة منصور بن مزيد صاحب الخلطة والنيل والجامعين وابنه سيف الدولة صدقة ففارقه إلى العراق، وسار هو إلى خلاط.

وكان السلطان لما بلغه انهزام مشرف الدولة وحصاره بأمد بعث عميد الدولة بن فخر الدولة بن جهير في عسكره إلى الموصل ومعه قسم الدولة أفسنقر جد نور الدين العاذل، وكاتب أمراء التركمان بطاعته وساروا إلى الموصل فملوكوها. وسار السلطان بنفسه إليها وقارن ذلك خلوص مشرف الدولة من حصار أمد فراسل عميد الدولة بن نظام الملك وهو على الرحبة، وأهدي له فسعي له عند السلطان وأحضره وأهدي للسلطان سوابق خيله وصالحة وأقره على بلاده، وعاد إلى خراسان. ولم ينزل فخر الدولة بن جهير في طلب ديار بكر حتى ملكها. فأنفذ إليه زعيم الرؤساء القاسم سنة ثمان وسبعين، وحاصرها وضيق عليها حتى غدر بها بعض أهل العسكر من خارج مملكتها. وعمد أهل البلد إلى بيوت النصارى بينهم فهبوها بما كانوا عمال بني مروان، وكان لهم جسور على الناس.

وكان فخر الدولة مقيناً على ميافارقين عاصراً لها، وجاءه سعد الدولة كورهابين في العسكر مددًا من عند السلطان فخرج في حصارها وسقط بعض الأيام جانب من سورها فذهب أهل البلد وتادوا بشعار السلطان ملك شاه، واتحتم فخر الدولة البلد واستولى على ما كان لبني مروان، وبعث بأمرائهم إلى السلطان مع ابنه زعيم الرؤساء فلتحقه بأصحابه سنة ثمان وسبعين. ثم بعث

وتغلب على أكثر الشام ومنع من الأذان بمحى على خير العمل. ثم سار سنة سبع وسبعين إلى مصر وحاصرها حتى أشرف على أخذها. ثم انهزم من غير قتال ورجع إلى دمشق وقد انتقض عليه أكثر بلاد الشام، فشكراً لأهل دمشق صونهم لملكه وأمواله، ورفع عنهم خراج سنة. وبلغه أن أهل القدس وتبوا ب أصحابه وملكته وحصروه في محراب داود عليه السلام، فسار إليهم وقاتلوا فملوكهم عنوة وقتلهم في كل مكان إلا من كان عند الصخرة.

ثم إن السلطان ملك شاه أقطع أخاه تاج الدولة تسع سنة سبعين وأربعين إله بلاد الشام وما يفتحه من نواحيها، فسار إلى حلب سنة إحدى وسبعين وحاصرها وضيق عليها، وكانت معه جموع كبيرة من التركمان. وكان صاحب مصر قد بعث عساكره مع قائد نمير الدولة لحصار دمشق فأحاطوا بها، وبعث أنسز إلى تشن وهو على حلب يستمدده فسار إليه، وأجللت العساكر المصرية عن دمشق، وجاء إليها تشن فخرج أنسز للقائه بظاهر البلد فتحجي عليه حيث لم يستعد للقائه، وبقبض عليه وقتله لوقته، وملك البلد وأحسن السيرة فيها وذلك سنة إحدى وسبعين فيما قال المذاقاني. وقال الحافظ أبو القاسم بن عساكر: إن ذلك كان سنة اثنين وسبعين. وقال ابن الأثير والشاميون في هذا الاسم: أنسس وال الصحيح أنه أنسز وهو اسم تركي.

## سفارة الشيخ أبي إسحاق الشيرازي عن الخليفة

كان عميد العراق أبو الفتح بن أبي الليث قد أثار السيرة وأساء إلى الرعية وعسفهم، واطرح جانب الخليفة المقتدي وحواشيه فاستدعى المقتدي الشيخ أبي إسحاق الشيرازي وبعثه إلى السلطان ملك شاه والوزير نظام الملك بالشكوى من ابن العميد، فسار لذلك ومعه جماعة من أعيان الشافعية منهم أبو بكر الشاشي وغيره، وذلك سنة خمس وخمسين. وتنافس أهل البلد في لقائه والتيسع بأطرافه والتماس البركة في ملبوسه ومركتبه، وكان أهل البلد إذا مر بهم يتسلبون إليه ويزدحرون على ركبته، ويشتدون على موكيه كل أحد ما يناسب ذلك، وصدر الأمر بإهانة ابن العميد ورفع يده عما يتعلق بحواشي المقتدي، وجرى بينه وبين إمام الحرمين مناظرة بمحضره نظام الملك ذكرها الناس في كتبهم. انتهى.

ملك حلب وتزاحفاً فقتل سليمان بن قطلمش مسلم بن قريش سنة تسع وسبعين، وكتب إلى أهل حلب يستدعهم إلى طاعته فاستمهلوا إلى أن يكتابوا السلطان ملك شاه، فإن الكل كانوا في طاعته وكثروا إلى تشن أخي السلطان وهو بدمشق أن يملكونه فسار إليهم ومعه أرتق بن أكسب، كان قد لحق به عندما جاءه السلطان إلى الموصل وفتحها خشية مما فعله في خلاص مسلم بن قريش من حصار آمد فأقطعه تشن بيت المقدس.

فما جاء تشن إلى حلب وحاصر القلعة، وبها سالم بن مالك بن بدران ابن عم مشرف الدولة مسلم بن قريش، وكان ابن الحشيشي وأهل حلب قد كاتبوا السلطان ملك شاه أن يسلموه إلى البلد، فسار من أصحابه في جادى سنة تسع وستين، ومر بالموصل ثم بحران فتسلمه وأقطعها محمد بن مسلم بن قريش، ثم بالرها فملكتها من يد الروم، ثم بقلعة جعفر فحاصرها وملكتها من يد بعض بي قشير، ثم بنجح فملكتها ثم عبر الفرات إلى حلب فاجفل آخره تشن إلى البرية ومعه أرتق، ثم عاد إلى دمشق وكان سالم بن مالك متبعاً بالقلعة فاستنزله منها وأقطعه قلعة جعبر فلم يزل بيده ويد بيته حتى ملكها منهم نور الدين العادل، وبعث إلى السلطان بالطاعة على شيراز، وولى السلطان على حلب قسيم الدولة صاحب شيراز نصر بن علي بن منقد الكناني وسلم إليه اللاذقية وكفر طاب وقامية، فأقر على شيراز، وولى السلطان على حلب قسيم الدولة أقصر جد نور الدين العادل، ورحل إلى العراق وطلب أهل حلب أن يغفيم من ابن الحشيشي فحمله معه وأنزله بديار بكر فتوفي فيها مجال أ馬ل.

ودخل السلطان بغداد في ذي الحجة من سنة تسع وسبعين وأهدى إلى المقتدي وخلع عليه الخليفة، وقد جلس له في مجلس حفل ونظام الملك قائم يقدم أمراء السلطان واحداً بعد واحد آخر للسلام لل الخليفة، ويعرف باسمائهم وأسنانهم ومراتبهم. ثم فوض الخليفة المقتدي إلى السلطان أمور الدولة، وقبل بيده وانصرف. ودخل نظام الملك إلى مدreste فجلس في خزانة الكتب وأسمع جزء حديث وأملى آخر، وأقام السلطان في بغداد شهراً ورحل في صفر من سنة ثمانين إلى أصحابه وجاء إلى بغداد مرة أخرى في رمضان من سنة أربع وثمانين ونزل بدار الملك وقدم عليه آخره تاج الدولة تشن وقسم الدولة أقصر من حلب، وغيرهما من أمراء النواحي. وعمل ليلة الميعاد من سنة خمس وثمانين، ولم ير أهل بغداد مثله وأخذ الأمراء في بناء الدور ببغداد لسكناتهم عند قدومهم فلم تلهلهم الأيام لذلك.

فخر الدولة أيضاً عسكراً إلى جزيرة ابن عمر وحاصروها حتى جهدهم الحصار، فوثب طافحة من أهل البلد بعامتها، وفتحوا الباب، ودخل مقدم العسكر فملك البلد ودخل سنة ثمان وسبعين. وانقضت دولة بني مروان من ديار بكر واستول عليها فخر الدولة بن جهير، ثم أخذها السلطان من يده وسار إلى الموصل فتوفي بها، وكان مولده بها واستخدم لبرلة بن مقلة وسفر عنه إلى ملك الروم. ثم سار إلى حلب وزر لمعز الدولة أبي هال بن صالح. ثم مضى إلى ملطية ثم إلى مروان بديار بكر، فوزر له ولولده. ثم سار إلى بغداد وزر للخليفة كما مر في آخر ما ذكرنا، وتوفي سنة ثلات وثمانين. انتهى.

## خبر الوزارة

لما عزل الخليفة المقتدي عميد الدولة عن الوزارة سنة ست وسبعين رتب في الديوان أبا الفتح المظفر بن رئيس الرؤساء. ثم استوزر أبا شجاع محمد بن الحسين فلم يزل في الوزارة إلى سنة أربع وثمانين فتعرض لأبي سعد بن سمحاء اليهودي وكان وكيله للسلطان، ونظام الملك، وسار كوهابين الشحنة إلى السلطان بأصحابه، فمضى اليهودي في ركب، وسمع المقتدي بذلك فخرج توقعاً بيلازم أهل الذمة بالغيار فأسلم بعضهم وهرب بعضهم. وكان من أسلم أبو سعد العلاء بن الحسن بن وهب بن موصلايا الكاتب وقرابته، ولما وصل كوهابين وأبو سعد إلى السلطان وعظمت ساعياتهما في الوزير أبي شجاع فكتب السلطان ونظام الملك إلى المقتدي في عزله فعزله، وأمره بلزم بيته، وولى مكانه أبا سعد بن موصلايا الكاتب، وبعث المقتدي إليهما في عميد الدولة بن جهير فبعثا به إلى واستوزره سنة أربع وثمانين، وركب إليه نظام الدولة فهناه بالوزارة في بيته، وتوفي الوزير أبي شجاع سنة ثمان وثمانين.

## استيلاء السلطان على حلب

قد ذكرنا من قبل استيلاء السلطان ألب أرسلان على حلب، وخطبة صاحبها محمود بن صالح بن مرداش على منابره باسمه سنة ثلات وستين. ثم عاد بعد ذلك إلى طاعة العلوية بمصر. ثم انقضت دولة بني مرداش بها، وعادت رياستها شورى في مشيختها، وطاعتهم لمسلم بن قريش صاحب الموصل، وكبارهم ابن الحشيشي. واستقر ملك سليمان بن قطلمش ببلاد الروم، وملك أنطاكية سنة سبع وسبعين. وتنازع مع مشرف الدولة ابن قريش

### فتنة بغداد

وامتنع ها السلطان وبعث إلى نظام الملك بالذير مع خواصه وفاته فحملته الدالة على تعيين تعديل حرقه على السلطان، وإطلاق القول في العتاب والتهديد بطارق الزمن. وأرادوا طبي ذلك عن السلطان فروشى به بعضهم. فلما كان رمضان من سنة خمس وثمانين، والسلطان على نهاوند عائدًا من أصبهان إلى بغداد، وقد انصرف الملك يومه ذلك من خيمة السلطان إلى خيمته، فاعتبره صبي قبل إنه من الباطنية في صورة مستغاث فطعنه بسکينة فمات، وهرب الصبي فأدركه قتل، وجاء السلطان إلى خيمة نظام الملك يومه، وسكن أصحابه وعسكره، وذلك ثلاثة سنين وزارته سوى ما وزر لأبيه ألب أرسلان أيام إمارته بمراسان.

### وفاة السلطان ملك شاه وملك ابنه محمود

لما قتل نظام الملك على نهاوند كما ذكرناه سار السلطان لوجهه، ودخل بغداد آخر رمضان من ستة، وتقيه الوزير عميد الدولة بن جهير واعتزم السلطان أن يولي وزارته تاج الملك وهو الذي سعى بنظام الملك، وكانت قد ظهرت كفایته. فلما صلى السلطان العيد عاد إلى بيته وقد طرقه المرض، وتوفي متصرف شوال، فكتمت زوجته تركمان خاتون موته وأنزلت أموالها وأموال أهل الدولة بحرير دار الخلافة، وارتخت إلى أصبهان. وسلموا السلطان معها في تابوره وقد بذلك الأموال للأمراء على طاعة ابنها محمود والبيعة له فباعيده، وقدمت من طريق قوام الدولة كريوفا الذي ملك الموصى من بعد ذلك، فسار بخاتم السلطان لنائب القلعة وتسلمهما. وما باييعت لولدها محمود وعمره يومئذ أربع سنين بعثت إلى الخليفة المقتصدي في الخطبة له فأجابها على شرط أن يكون أثر من أمراء أبيه هو القائم بتغيير الملك، وأن يصدر عن رأي الوزير تاج الملك، ويكون له ترتيب العمال وجایة الأموال فلبت أولاً من قبول هذا الشرط، حتى جامعا الإمام أبو حامد الغزالى وأخبرها أن الشعير لا يغير تصرفاته فإذا نعت ذلك، فخطب لابنها آخر شوال من السنة، ولقب ناصر الدولة والدين، وكتب إلى الحرمين الشرقيين خطب له بهما.

### ثورة برّكيارق ملك شاه

كانت تركمان خاتون عند موت السلطان ملك شاه قد كتمت موته وباييعت لابنها محمود كما قلناه، وبعثت إلى أصبهان سراً في القبض على برّكيارق ابن السلطان ملك شاه خوفاً من أن

كانت مدينة بغداد قد اختلفت في كثرة العمran بما لم تنته إلى مدينة في العالم منذ مبدء الخليقة فيما علمناه، واضطربت آخر الدولة العباسية بالفتنة، وكثير فيها المفسدون والذئار والعيارون من الرها، وأعيا على الحكم أمرهم، ورمياً أركبوا العساكر لقتالهم وبشخون فيهم فلم يحسم ذلك من عللهم شيئاً وربما حدثت الفتنة من أهل المذهب ومن أهل السنة والشيعة من الخلاف في الإمامة ومذاهبها، وبين الحنابلة والشافعية وغيرهم من تصريح الحنابلة بالشيشة في الذات والصفات، ونسبهم ذلك إلى الإمام أحمد، وحاشاه منه، فيقع الجدال والنكير ثم يفضي إلى الفتنة بين العوام. وذكر ذلك منذ حجر الخلفاء. ولم يقدر بنو بورس ولا السلاجوقية على حسم ذلك منها لسكنى أولئك بفارس، وهؤلاء بأصبهان، وبعدهم عن بغداد والشوكة التي تكون بها حسم العلل لاتفاقهم. وإنما تكون ببغداد شحنة تحسم ما خف من العلل ما لم يتبه إلى عموم الفتنة، ولم يحصل من ملوكهم اهتمام لحسم ذلك لاستئصالهم بما هو أعظم منه في الدولة والتواحي. وعامة بغداد أهون عليهم من أن يصرفو همهم عن العظائم إليهم فاستمرت هذه العلة ببغداد، ولم يقلع عنها إلى أن اختلست جذتها وتلاشى عمرانها، ويفي طراز في رданها لم تذهب الأيام.

### مقتل نظام الملك وأخباره

كان من أبناء النهاقين بطرس أبو علي الحسين بن علي بن إسحاق، فشب وقرأ بها وسمع الحديث الكبير وتعلق بالأحكام السلطانية وظهرت فيها كفایته، وكان يعرف بحسن الطرسى. وكان أميره الذي يستخدمه يصادره كل سنة فهرب منه إلى داود وحرزى بك، وطلب مخدومه الأمير فمنعه، وخدم أبا علي بن شادان متولى الأعمال بيلخ لخفيي بك أخي السلطان طغرل بك، وهو والد السلطان ألب أرسلان. ولما مات أبو علي وقد عرف نظام الملك هذا بالكافية والأمانة أوصى به ألب أرسلان فقام بأمور دولته ودولة ابنه ملك شاه من بعده، وبلغ المبالغ كما مر واستولى على الدولة.

وول أولاده الأعمال وكان فيمن ولاه منهم ابن ابي عثمان جمال. ووأي على مرو، وبعث السلطان إليها شحنة من أعظم أمرائه، وقع بينه وبين عثمان نزاع فحملته الخدائية والأدلل بجامه على أن قبض على الأمير وعاقبه، فانطلق إلى السلطان مستعيناً

### وفاة المقتدي ونصب المستظهير للخلافة

ثم توفي المقتدي بأمر الله أبو القاسم عبد الله بن الذخيرة محمد بن القائم بأمر الله في منتصف حرم سنة سبع وثمانين، وكان موته فجأة، أحضر عنده تقليد السلطان بركيارق لعلم عليه فقراءه ووضعه، ثم قدم إليه طعام فأكل منه ثم غشي عليه فمات، وحضر الوزير فجزروا جنازته وصلى عليه ابنه أبو العباس أحمد ودفن وذلك لتسع عشرة سنة وثمانية أشهر من خلافته، وكانت له قرفة وهذه لولا أنه كان مغلباً، وعظمت عمارة بغداد في أيامه، وأطلق ذلك لاستحالة دولة بني طغرل بك، ولما توفي المقتدي وحضر الوزير أحضر ابنه أبو العباس أحمد الحاشية فباعوه ولقبوه المستظهير، وركب الوزير إلى بركيارق وأخذ بيته للمستظهير، ثم حضر بركيارق ثلاثة من فقاته ومعه وزيره عز الملك بن نظام الملك وأنحوه بهاء الملك، وأمر السلطان بارباب المناسب فجمعوا وحضر التقىيان طراد العباسى والمعلم العلوي، وقاضى القضاة أبو عبد الله الدامغاني والغزالى والشاشى وغيرهم فحبسوا في العراء وبياعوا.

### أخبار تشن وانتقامه وحروبه ومقتله

قد ذكرنا فيما تقدم أن تشن بن السلطان ألب أرسلان استقل بملك دمشق وأعمالها، وأنه وفد على السلطان ملك شاه بغداد قبل موته وانصرف، وبلغه خبر وفاته بهيت فملكتها وسار إلى دمشق فجمع العساكر، وزحف إلى حلب فأطاعه صاحبها قسم الدولة أقسقر، وسار معه، وكتب إلى ناعيisan صاحب أنطاكيه وإلى برار صاحب الرها وحران يشير عليهم بطاعة تشن حتى يصلح حال أولاد ملك شاه قبلوا منه، وخطبوا له في بلادهم وساروا معه فحضر الرحبة وملكتها في الحرم سنة ست وثمانين، وخطب فيها بنفسه، ثم فتح نصيبيين عنوة وعاث فيها وسلمها لحمد بن مشرف الدولة وسار بريد الموصى ولقيه الكافي فخر الدولة بن جهير وكان في جزيرة ابن عمر فاسترزره وبعث إلى إبراهيم بن مشرف الدولة مسلم بن قريش وهو يورمذ ملك الموصى بأمره بالخطبة له، وتسهيل طريقه إلى بغداد فأبى من ذلك وزحف إليه تشن وهو في عشرة آلاف وألسنتر على ميمنته وتوززان على ميسرتها، وإبراهيم في ستين ألفاً والتسعون فانهزم إبراهيم وأخذ أسرىًّا وقتل جماعة من أمراء العرب صبراً، وملك تاج الدولة تشن الموصى، وولى عليها علي بن مشرف الدولة، وفرض إليه أمر صفيحة عمة تشن وبعث إلى بغداد يطلب مساعدة

بنانع ابنها محموداً فحبس، فلما ظهر موت ملك شاه وتب ماليك بركيارق نظام الملك على سلاح كان له بأصبهان وشاروا في البلد وأخرجوا بركيارق من محبسه وبايعوه وخطبوا له بأصبهان، وكانت أمه زبيدة بنت عم ملك شاه وهو ياقولي خائفة على ولدتها من خاتون أم محمود، وكان تاج الملك قد تقدم إلى أصبهان وطالبه العسكر بالأموال فطلع إلى بعض القلاع لينزل منها المال وامتنع فيها خوفاً من ماليك نظام الملك، ولما وصلت تركمان خاتون إلى أصبهان جاءها فقبلت عنده، وكان بركيارق لما أقامت خاتون ابنها محموداً بأصبهان خرج فيمن معه من الناظمية إلى الري واجتمع معه بعض أمراء أبيه وبعثت خاتون العسكر إلى قتاله، وفيهم أمراء ملك شاه، فلما تراءى الجموعان هرب كثير من الأمراء إلى بركيارق واشتد القتال فانهزم عسكر محمود وخاتون، وعادوا إلى أصبهان وسار بركيارق في أثرهم فحاصرهم بها.

### مقتل تاج الملك

كان الوزير تاج الملك قد حضر مع عسكر خاتون وشهد وقعة بركيارق، فلما انهزموا سار إلى قلعة يزدجرد فحبس في طريقه، وحمل إلى بركيارق وهو محاصر أصبهان، وكان يعرف كفایته فأبى أن يسترزره، وأصلاح هو الناظمية وبدل لهم ماتي الف دينار واسترضاه بها، ونفي ذلك إلى عنمان نائب نظام الملك فوضع الغلامان الأصغر على الطالبين ثار سليمان وأغراهم فقتلوا وقطعوا قطعاً وذلك في الحرم سنة ست وثمانين، ثم خرج إلى بركيارق من أصبهان وهو محاصر لها عز الملك أبو عبد الله بن الحسين بن نظام الملك وكان على خوارزم، ووُرد على السلطان ملك شاه قبل مقتله أبيه، ثم كان ملكهما فاتح هو بأصبهان وخرج إلى بركيارق وهو يحاصرها فاسترزره فنوض إلى أمر دولته، انتهى.

### الخطبة لبركيارق ببغداد

ثم قدم بركيارق ببغداد سنة ست وثمانين، وطلب من المقتدي الخطبة فخطب له على منابرها ولقب ركن الدين وحمل الوزير عميد الدولة بن جهير إليه الخلع فلبسها وتوفي المقتدي وهو مقيم ببغداد.

ثلاثين ألفاً والتقووا قريباً من البري فانهزم تشن وقتلته بعض أصحاب أقسفل، وكان قد حبس وزيره فخر الملك بن نظام الملك فأطلق ذلك اليوم، واستفحلا أمر بركيارق وخطب له ببغداد.

### ظهور السلطان ملكشاه وأخطبته له ببغداد

كان السلطان بركيارق قد ولى على خراسان وأعمالها أخاه لأبيه سنجر فاستقل بأعمال خراسان كما يذكر في أخبار دولتهم عند انفرادها بالذكر. وإنما تذكر هنا من أخبارهم ما يتعلق بالخلافة والخطبة لهم ببغداد، لأن مساق الكلام هنا إنما هو عن أخبار دولة بني العباس، ومن رزرا لهم أو تقلب خاصة. وكان لسنجر بن ملكشاه أخي شقيق اسمه محمد. ولا هلك السلطان ملكشاه سار مع أخيه محمود وتتركمان خاتون إلى أصبهان. فلما حاصرهم بركيارق لحق به أخيه محمد هذا وسار معه إلى بغداد سنة ست وثمانين، وأنقطعه دجلة وأعمالها وبعث معه قطعنغ تكين أتابك. فلما استول على أمره قتله أتفأه من حجره.

ثم لحق به مؤيد الملك بن عبيد الله بن نظام الملك، كان مع الأمير أثر وداخله في الخلاف على السلطان بركيارق. فلما قتل أثر كما تذكر في أخبارهم لحق مؤيد الملك بمحمد بن السلطان ملكشاه، وأشار عليه فعل وخطب لنفسه. واستوزره مؤيد الملك، وقارن ذلك أن السلطان بركيارق قتل حاله مجد الملك البارسلاتي فاستوحش منه أمراؤه، ولحقوا بأخيه محمد وسار بركيارق إلى الري واجتمع له بها عساكر وجاء عز الملك منصور بن نظام الملك في عساكر. وبينما هو في الري إذ بلغه مسیر أخيه محمد إليه فأجفل راجعاً إلى أصبهان فمنعه أهلها الدخول، فسار إلى خوزستان. وجاء السلطان محمد إلى الري أول ذي القعدة من سنة اثنين وسبعين، ووُجد أم بركيارق بها وهي زيارة خاتون فحبسها مؤيد الملك وقتها، واستفحلا ملك محمد، وجاءه سعد الدولة كوهرابين شحنة ببغداد وكان مستوحشاً من بركيارق، و جاء معه كريوقا صاحب الموصل وجكرمش صاحب جزيرة ابن عمر، وسرخاب ابن بدر صاحب كركور فلقوله جميعاً بقم وسار كريوقا وجكرمش معه إلى أصبهان، ورد كوهرابين إلى ببغداد في طلب الخطبة من الخليفة، وأن يكون شحنة بها فاجابه المستظهر إلى ذلك وخطب له متصرف ذي الحجة سنة اثنين وسبعين ولقب غياث الدنيا والدين.

### إعادة الخطبة لبركيارق

لما سار بركيارق بعفلاً من الري إلى خوزستان أمام أخيه

كوهرابين الشحنة فجاء العذر بانتظار الرسل من العسكر، فسار إلى ديار بكر وملكتها، ثم إلى آذربيجان، وبلغ خبره إلى بركيارق، وقد استول على همدان والري فسار لمدافعته، فلما التقى العسكران جمع أقسفل إلى بركيارق وفاوض توران في ذلك، وأنهما إنما اتبعاً تشن حتى يظهر أمر أولاد ملكشاه، فموافقة على ذلك، وسارا معاً إلى بركيارق فانهزم تشن وعاد إلى دمشق، واستفحلا بركيارق وجاءه كوهرابين يعتذر عن مساعدته لتشن في الخطبة فلم يقبله، وعزله وولي الأمير تكيرد شحنة ببغداد مكانه. ثم خطب لبركيارق ببغداد كما قدمها.

ومات المستظاهر ونصب المستظاهر، ولما عاد تشن من آذربيجان إلى الشام جمع العساكر وسار إلى حلب لقتال أقسفل، ويعت بركيارق كريوقا الذي صار أمير الموصى مددًا لأقسفل، ولقيهم تشن قريباً من حلب فهزهم وأسر أقسفل فقتلته صبراً، ولحق توران وكريوقا بحلب، وحاصرهما تشن فملكتها وأخذهما أسرى، ويعت إلى حران والرها في الطاعة، وكانت لسوران فاعتصما، فبعث برأيه وأطاعوه، وحبس كريوقا في حصن إلى أن أطاعه رضوان بعد قتل أخيه تشن.

ثم سار تشن إلى الجزيرة فملكتها، ثم ديار بكر ثم خلاط وأرمينية، ثم آذربيجان. ثم سار إلى همدان فملكتها، وكان بها فخر الدولة نظام الملك، سار من حران لخدمة بركيارق فلقيه الأمير تاج من عسكر محمود بن ملكشاه بأصبهان، فنهب ماله ونجا بنفسه إلى همدان، وصادف بها تشن وشفع فيه باغسيان وأشار بوزارته فاستوزره، وأرسل إلى بغداد يطلب الخطبة من المستظاهر، ويعت يوسف بن أبي التركماني شحنته إلى بغداد في جمع من التركمان فمنع من دخولها.

وكان بركيارق قد سار إلى نصبين وعبر دجلة فرق الموصى إلى أربيل، ثم إلى بلد سرخاب بن بدر حتى إذا كان بينه وبين عمه تسعه فراسخ، وهو في ألف رجل وعمه في خمسين ألفاً، في vite بعض الأبناء من عسكر عمه فانهزم إلى أصبهان، وبها محمود ابن أخيه، وقد ماتت أمه تركمان خاتون فدخله أمراء محمود، واحتاطوا عليه. ثم مات محمود سلخ شوال من سنة سبع وثمانين، واستول بركيارق على الأمر، وقصده مؤيد الملك بن نظام الملك فاستوزره في ذي الحجة، واستعمال أمراء فرجعوا إليه وكثر جمعه. وكان تشن بعد هزيمة بركيارق قد اختلف عليه الأمراء وراسل أمراء أصبهان يدعوهم إلى طاعته فرعاودوه انتظار بركيارق، وكان قد أصبهان الجلدي، فلما أبلَّ نبدوا إليه عهده، وساروا مع بركيارق من أصبهان، وأقبلت إليهم العساكر من كل مكان واتهروا إلى

طغرايلك مضى معه إلى محبسه بقلعة طبرك. ولما مات أبو نصر سار إلى خدمة السلطان الـبـ أرسلان فحظي عنده وأقطعه واسط وجعله شحنة بغداد، وكان حاضراً معه يوم قتله يوسف الخوارزمي ووقاء بنفسه. ثم بعث ابنه ملك شاه إلى بغداد لاحضار الخلع والنقيل، واستقر شحنة بغداد إلى أن قتل، ورأى ما لم يره خادم قبله من نفوذ الكلمة وكمال القدرة وخدمة الأمراء والأعيان وطاعتهم. انتهى.

### المصاف بركيارق مع أخيه سنجر

ولما انهزم السلطان بركيارق من أخيه محمد لحق بالي واستدعى شيعته وأنصاره من الأمراء فلحقوا به. ثم ساروا إلى أسفراين وكاتب الأمير داود حشبي بن التونطاق يستدعيه وهو صاحب خراسان وطبرستان ومتزلم بالدامغان، فأشار عليه باللحاق بنيسابور حتى يأتيه. فدخل نيسابور وقبض على رؤسائه، ثم أطلاقهم وأمسأء التصرف. ثم أعاد الكتاب إلى داود حشبي بالاستدعاء فاعتذر بأن السلطان سنجر زحف إليه في عساكر بلخ. ثم سأله المدد فسأله بركيارق إليه في الف فارس وهو في عشرين ألفاً والتلقو بسنجر عند النوشجان وفي ميمنة سنجر الأمير برغش وفي ميسرته كوكر، ومعه في القلب رستم. فحمل بركيارق على رستم فقتله وانهزم أصحابه ونهب عسکرهم، وكانت المزيمة تم عليهم. ثم حل برغش وكوکر على عسکر بركيارق وهم مشتغلون بالنهب فانهزموا، وانهزم بركيارق. وجاء بعض التركمان بالأمير داود حشبي أسيراً إلى برغش فقتله ولحق بركيارق بجرجان ثم بالدامغان، وقطع البرية إلى أصحابه براسلة أهلها فسبقه أخوه محمد إليها فعاد أسرى لهم. انتهى.

### عزل الوزير عميد الدولة ابن جهير ووفاته

قد ذكرنا أن وزير السلطان بركيارق وهو الأغر أبو الحسان أسر في المصاف الأول بين بركيارق ومحمد، وأن مؤيد الملك بن نظام الملك وزیر محمد أطلقه واصطنهه وضمنه عمارة بغداد، وحله طلب الخطبة لحمد بغداد من المستظهر فخطب له، وكان فيما حلله للمستظهر عزل وزير عميد الدولة بن جهير. ويبلغ ذلك عميد الدولة فارسل من يعترض الأغر ويقتله فامتنع بعرق بابل. ثم صالحه ذلك الذي اعترضه وطلب لقامه فلقمه، ودس الأغر إلى أبي الغازى بن أرتق، وكان وصل معه وبسبقه إلى بغداد فرجع إليه ليلاً وينس منه ذلك الذي اعترضه، ووصل الأغر بغداد، ويبلغ إلى

محمد، وأمير عسکره يومئذ نبال بن أنوش تكين الحسامي، ومعه جماعة من الأمراء، أجمع المسير إلى العراق، فسار إلى واسط، وجاءه صدقه بن مزيد صاحب الحلة. ثم سار إلى بغداد خطب له بها متصرف صرف من سنة ثلاثة وعشرين. ولحق سعد الدولة كوهراين ببعض الحصون هنالك ومعه أبو الغازى بن أرتق وغيره من الأمراء، وأرسل إلى السلطان محمد ووزيره مؤيد الملك يستحثهما في الرصوص، فبعث إليه كريوقا صاحب الموصل وذكرمش صاحب الجزيرة فلم يرضه، وطلب جكرمش العود إلى بلده فاطلقه. ثم نزع كوهراين ومن معه من الأمراء إلى بركيارق بإغزاء كريوقا صاحب الموصل، وكانته فخرج إليهم ودخلوا معه بغداد واسترزره الأغر أبو الحسان عبد الجليل بن علي بن محمد الدهستاني، وقضى على عميد الدولة ابن جهير وزير الخليفة وطالبه بأموال ديار بكر والموصل في ولايته وولاية أبيه، وصادره على مائة وستين ألف دينار فحملهما إلى وخلع المستظهر على السلطان بركيارق واستقر أمره.

### المصاف الأول بين بركيارق ومحمد وقتل كوهراين والخطبة محمد

ثم سار بركيارق من بغداد إلى شهرزور لقتال أخيه محمد، واجتمع إليه عسکر عظيم من التركمان، وكانته رئيس همدان بالمسير إليه فعدا عنه، ولقي أخيه محمد على فراسخ من همدان وحمد في عشرين ألف مقاتل، ومعه الأمير سرخو شحنة أصحابه وعلى ميسنته أمير آخر وابنه أياز، وعلى ميسرته مؤيد الملك والنظامية، ومع بركيارق في القلب وزير أبو الحسان، وفي ميمنته كوهراين وصدقه بن مزيد وسرخاب بن بدر. وفي ميسرته كريوقا وغيره من الأمراء. فحمل كوهراين من ميمنة بركيارق على ميسرة محمد فانهزموا حتى نهبت خيالهم. ثم حللت ميمنة محمد على ميسرة بركيارق فانهزمت، وحل محمد معهم فانهزم بركيارق، ورجع كوهراين للمنهزمين فكبا به فرسه وقتل، وافتقرت عساكر بركيارق وأسر وزيره أبو الحسان فأكرمه مؤيد الملك وأنزله وأعاده إلى بغداد ليخاطب المستظهر في إعادة الخطبة للسلطان محمد ففعل، وخطب له ببغداد متصرف رجب سنة ثلاثة وعشرين.

وابتداء أمر كوهراين أنه كان لامرأة بخوزستان وصار خادماً للملك أبي كاليجار بن سلطان الدولة. وحظي عنده وكان يستعرض حوائج تلك المرأة وأصاب أهلها منه خيراً. وأرسله أبو كاليجار مع ولده أبي نصر إلى بغداد، فلما قبض عليه السلطان

ولحق بركيارق إلى حلوان وساروا جميعاً إلى بغداد. واستولى محمد على خلف أبيا ز بهمنان وحلوان وكان شيئاً ما لا يعبر عنه. وقاد جماعة من أصحاب أبيا ز من أهل همدان، ووصل بركيارق إلى بغداد متصرف ذي القعدة سنة أربع وستين، وبعث المستظر لتقديره أمين الدولة بن موصلايا في المراكب، وكان بركيارق مريضاً فلزم بيته، وبعث المستظر في عيد الأضحى إلى داره منبراً خطب عليه باسمه، وتختلف بركيارق عن شهود العيد لمرضه، وضاقت عليه الأموال فطلب الإعانة من المستظر، وحمل إليه خمسين ألف دينار بعد المراجعات، ومد يده إلى أموال الناس وصادرها فاضجعوا، وارتكتب خطية شناعه في قاضي جبلة وهو أبو عبد الله بن منصور. وكان من خبره أن آباء منصورةً كان قاضياً بجبلة في مملكة الروم، فلما ملكها المسلمين وصارت في يد أبي الحسن علي بن عمار صاحب طرابلس أفرأه على القضاء بها. وتوفى فقام ابنه أبو محمد هذا مقامه ولبس شعار الجنديه وكان شهماً، فهم ابن عمار بالقبض عليه، وشعر فانتقض وخطب للخلفاء العباسيه. وكان ابن عمار يخطب للعلويه بمصر، وطالت منازلة الفرنج بمحصن جبلة إلى أن ضجر أبو محمد هذا، وبعث إلى صاحب دمشق وهو يومند طغتكين الأتابك أن يسلم إليه البلد، فبعث ابنه تاج الملك موري وسلم منه البلد، وجاء به إلى دمشق وبذل لهم فيه ابن عمار ثلاثين ألف دينار دون أمواله، فلم يرضوا بإخفار ذمتهن وسار عنهم إلى بغداد، ولقي بها بركيارق فأخضره الوزير أبو المحسن وطلبه في ثلاثين ألف دينار، فأجاب وأحالمم على منزله بالأبار، فبعث الوزير من آثاره بجميع ما فيه، وكان لا يعبر فكانت من المذكرات التي أتتها بركيارق. ثم بعث الوزير إلى صدقه بن منصور بن ديس بن مزيد صاحب حلب يطلب منه ألف ألف دينار مختلفة من مال الجباية، وتهدهد عليها فغضب وانتقض وخطب محمد، وبعث إليه بركيارق الأمير أبيا ز يستقدمه فلم يجيب، وبعث إلى الكوفة وطرد عنها نائب بركيارق واستضافها إليه.

### استيلاء محمد على بغداد

قد ذكرنا استيلاء محمد على همدان في آخر ذي الحجة من سنة أربع وستين، ومعه آخره سنجر. وذهب بركيارق إلى بغداد فاستولى عليها وأساه السيرة بها، وبلغ الخبر إلى محمد فسار من همدان في عشرة آلاف فارس، ولقيه محلوان أبو الغازي بن أرتق شحنته ببغداد في عساكره وأنباعه. وكان بركيارق في شدة من

المستظر رسالة مؤيد الدولة في عزل عميد الدولة فقبض عليه في رمضان من سنة ثلاثة وستين، وعلى اخوته، وصدر على خمسة وعشرين ألف دينار، وبقي محبوساً بدار الخلافة إلى أن هلك في محبسه.

### المصادف الثاني بين بركيارق وأخيه محمد ومقتل مؤيد الملك والخطبة لبركيارق

قد ذكرنا أن بركيارق لما انهزم أمام أخيه محمد في المصادف الأول سار إلى أصبهان، ولم يدخلها فمضى إلى عسکر مکرم إلى خوزستان وجاءه الأمير زنكي والبكي ابنه برسق. ثم سار إلى همدان فكتبه أبيا ز من كبار أمراء محمد بما كان استوحش منه فجاهه في خمسة آلاف فارس وأشراه باللقاء فارتحل لذلك. ثم استأنف إليه سرخاب بن كتخارو صاحب آوة فاجتمع له خمسون ألفاً من المقاتلة، وبقي آخره في خمسة عشر ألفاً. ثم اقتلوا أول جنادي الآخرة سنة أربع وستين، وأصحاب محمد يغدون على محمد شيئاً فشيئاً مستأمين. ثم انهزم آخر النهار وأسر وزير مؤيد الملك، وأحضره عند بركيارق غلام مجذد الملك البارسلاني ثار منه مولاً، فلما حضر ومخه بركيارق وقتله وبعث الوزير أبو المحسن من يسلم إليه أمواله، وقاده قرايته في بغداد وفي غير بغداد وفي بلاد العجم. ويقال: كان فيما أخذ له قطعة من البخش زنة إحدى وأربعين مثقالاً.

ثم سار بركيارق إلى الري ولقيه هناك كربوقا صاحب الموصل، ونور الدولة ديس بن صدقه بن مزيد، واجتمعت إليه نحو من مائة ألف فارس حتى ضاقت بهم البلاد ففرق العساكر. وعاد ديس إلى أبيه وسار كربوقا إلى أذربيجان لقتال مودود بن إسماعيل بن ياقوتة، كان خرج على السلطان هنالك وسار أبيا ز إلى همدان ليقضي الصوم عند أهله ويعود، فبقى بركيارق في خف من الجنود. وكان محمد آخره لما انهزم جهات همدان سار إلى شقيقه خراسان فانتهى إلى جرجان، وبعث يطلب منه المسدد فأمده بالمال أولاً. ثم سار إليه بنفسه إلى جرجان وسار معه إلى الدامغان وخرب عسکر خراسان ما مرروا به من البلاد، وانتهوا إلى الري، واجتمعت إليهم النظامية وبلغتهم افتراق العساكر عن بركيارق فاغذوا إليه السير فرحل إلى همدان فبلغه أن أبيا ز راسل محمد، فقصد خوزستان وانتهى إلى تستر، واستدعى بني برسق فهدعوا عنه لما بلغهم مراسلة أبيا ز للسلطان، فسار بركيارق نحو العراق، وكان أبيا ز راسل محمدأ في الكون معه فلم يقبله فسار من همدان

واتبعه أياز والبكي بن برسق فنجا إلى البلد وبها نوابه، فلِمْ ما تشنُّت من السور، وكان من بناء علاء الدين بن كاكوريه سنة تسعمائة وعشرين لقتال طفربك وحرر الخندق وأبعد مهواها وأجرى فيها الماء، ونصب الماجنير، واستعد للحصار.

وجاء بركيارق في جادى ومعه خمسة عشر ألف فارس ومائة ألف من الرجل والأبتابع، فحاصرها حتى جدهم الحصار وعدمت الأقوات والعلوفة، فخرج محمد عن البلد في عيد الأضحى من ستة في مائة وخمسين فارساً، ومعه نبال، ونزل في الأداء، وبعد بركيارق في اتباعه الأمير أياز. وكانت خيل محمد ضامرة من الجوع، فالفت إلى أياز يذكره المعهود فرجع عنه بعد أن نهب منه خيلاً ومالاً، وأنخذ علمه وجنه وعاد إلى بركيارق. ثم شد بركيارق في حصار أصبهان، وزحف بالسلاليم والذبابات، وجع الأيدي على الخندق فطمه، وتعلق الناس بالسور فاستمات أهل البلد ودفعوهم. وعلم بركيارق استناعها فرحل عنها ثمان عشر ذي الحجة. وجر عسكراً مع ابنه ملكشاه وترشك الصوالي على البلد القديم الذي يسمى شهرستان، وسار إلى همدان بعد أن كان قتل على أصبهان وزير الأغغر أبو الحاسن عبد الجليل الدهستاني، اعتزبه في روكوه من خيمته إلى خدمة السلطان مظلم قطعه وأشواه، ورجع إلى خيمته فمات، وذهب للتجار الذين كانوا يعاملونه أموالاً عظيمة لأن الجباية كانت ضاقت بالفتنة، فاحتاج إلى الاستدانة، ونفر منه التجار لذلك. ثم عامله بعضهم فلعنهم ما لهم، وكان آخره العميد المذهب أبو محمد قد سار إلى بغداد ليتربّ عنه حين عقد الأمراء الصلح بين بركيارق ومحمد، فقبض عليه الشحنة ببغداد أبو الغازى بن أرتق وكان على طاعة محمد.

### الشحنة ببغداد والخطبة لبركيارق

كان أبو الغازى بن أرتق شحنة ببغداد وولاه عليها السلطان محمد عند استيلائه في المصاف الأول، وكان طريق خراسان إليه فعاد بعض الأيام منها إلى بغداد، وضرب فارس من أصحابه بعض الملتحقين بهم في ملاحقة وقتلت بهم عند العبور فقتله فثارت بهم العامة وأسكنوا القاتل، وجاؤوا به إلى باب التوبة في دار الخلافة ولقيهم ولد أبي الغازى فاستنقذه من أيديهم فرجوه، وجاء إلى أبيه مستغيثاً وركب إلى حلة الملتحقين فنهبها وعطف عليه العيارون فقتلوا من أصحابه، وركبوا السفين للنجاة فهرب الملحقون وتركوهم ففرقوا، وجمع أبو الغازى التركمانى لهب

المرض، وقد أشرف على الملأ فأضطرّب أصحابه وعبروا به إلى الجانب الغربي حتى إذا وصل محمد ببغداد وترأى الجماعان من عدوئي دجلة ذهب بركيارق وأصحابه إلى واسط ودخل محمد بغداد، وجاءه توقيع المستظر بالانتقاد مما وقع به بركيارق، وخطب له على متابر بغداد، وجاءه صدقة بن منصور صاحب الحللة فأتخرج الناس للقاءه ونزل سنجر بدار كوهربين، واستوزر محمد بعد مؤيد الملك خطيب الملك أبا منصور محمد بن الحسين، فقدم إليه في المحرم سنة خمس وسبعين. انتهى.

### المصاف الثالث والرابع وما تخلل بينهما من الصلح ولم يتم

ثم ارتحل السلطان وأخوه سنجر عن بغداد متصرف المحرم من سنة خمس وسبعين، وقصد سنجر خراسان ومحمد همدان، فاعتبر بركيارق خاص الخليفة المستظر، وأبلغه القبيح فاستدعى المستظر عمداً لقتال بركيارق فجاء إليه وقال: أنا أكفيك: ورتب أبا المعالي شحنة ببغداد، وكان بركيارق بواسطه كما قلنا، فلما أبل من مرضه عبر إلى الجانب الشرقي بعد جهد وصعوبة لفاران الناس من واسط لسوء سيرتهم. ثم سار إلى بلاد بني برسق حتى أطاعوا واستقاموا وساروا معه فاتبع أخيه عمداً إلى نهاوند وتصافوا يومين ومنعهما شدة البرد من القتال. ثم اجتمع أياز والوزير الأغغر من عسكر بركيارق وبلد أبيه وغيرهم من الأمراء من عسكر محمد. وتفاوضوا في شکوى ما نزل بهم من هذه الفتنة، ثم اتفقا على أن تكون السلطة بالعراق لبركيارق ويكون محمد من البلاد المفيرة وأعمالها وأذريجان وديار بكر والجزيره والموصل على أن يده بركيارق بالعسكر متى احتاج إليه على من يمتنع عليه منها. وخالفها على ذلك وافتراقاً في ربيع الأول سنة خمس وسبعين، ثم سار بركيارق إلى ساوة وحمد إلى قزوين، وبدأ له في الصلح واتهم الأمراء الذين سعوا فيه، وأسر إلى رئيس قزوين أن يدعوهم إلى صنبع عنده، وغدر بهم محمد فقتل بعضاً وسمّل بعضاً وأظهر الفتنة. وكان الأمير ينان بن أتوش تكين قد فارق بركيارق، وأقام معاهاً للباطنية في الجبال والقلاع فلقي محمد وسار معه إلى الري، وبلغ الخبر إلى بركيارق فاغذر إليه السير في ثمان ليالٍ واصطفوا في الناس وکلا الفرقين في عشرة آلاف مقابل. وحمل سرخاب بن كنجر والدليمي صاحب آلة من أصحاب بركيارق على نبال بن أتوش تكين فهزمه، وانهزم معه عسكر محمد، وافتقرقاً فللحرب بطرستان وآخر بقزوين، ولحق محمد بأصبهان في سبعين فارساً.

ثم بعث السلطان بركيارق إليه برسق بن برسق في العساكر فقاتله على الري، وانهزم نبال وأخوه متصرف ربيع من ستة ست وتسعين، وذهب على إلى قزوين وسلك نبال على الجبال إلى بغداد وتقطع أصحابه في الأوضار وقتلوا، ووصل إلى بغداد في سبعينات رجل، وأكرمه المستظهر واجتمع هو وأبو الغازى وسقمان ابن أرتق بمشهد أبي حنيفة، فاستخلفه على طاعة السلطان محمد، وساروا إلى سيف الدولة صدقة واستخلفه على ذلك.

واستقر نبال ببغداد في طاعة السلطان محمد، وتزوج أخت أبي الغازى كانت تحت تاج الدولة تُشّن، وعسف بالناس وصادر العمال واستطاع أصحابه على العامة بالضرب والقتل. وبعث إليه المستظهر مع القاضي الدامغاني بهيه عن ذلك وتبين فعله، ثم مع أبلغاري فأجاب وحلف على كف أصحابه ومنهم. واستمر على قبض السيرة فبعث المستظهر إلى سيف الدولة صدقة يستدعيه لكت عدوائه، فجاء إلى بغداد في شوال من ستة ست وتسعين، وخيم بالنجمي ودعى نبالا للرحلة عن العراق على أن يدفع إليه. وعاد إلى الحلقة وسار نبال مستهلاً ذي القعدة إلى أوانا فقبل من النهب والعسف أقيح ما فعل ببغداد، فبعث المستظهر إلى صدقة في ذلك، فارسل ألف فارس، وساروا إليه مع جماعة من أصحاب المستظهر وأبي الغازى الشحنة، وذهب نبال أسامته إلى أذربيجان فاصداً إلى السلطان محمد ورجع أبو الغازى والعاشر عنده.

## المصاف الخامس بين السلاطين

كانت كنجه وبيلاد أرزن للسلطان محمد وعسكره مقسم بها مع الأمير غز علي، فلما طال حصاره بأصحابه جاؤوا لنصرته، ومعهم منصور بن نظام الملك ومحمد بن أخيه مؤيد الملك، ووصلوا إلى الري آخر ذي الحجة سنة خمس وتسعين، وفارقه عسكر بركيارق. ثم خرج محمد من أصحابه فساروا إليه ولقوه بهمنان، ومعه نبال وعلي ابنه أتوش تكون فاجتمعوا في ستة آلاف فارس. وسار نبال وأخوه على الري وأزعجهم عنها عساكر بركيارق كما مر. ثم جامعم الخبر في همدان بزحف بركيارق إليهم، فسار محمد إلى بلاد شروان. ولما انتهى إلى أردبيل بعث إليه مودود بن إسماعيل بن ياقوت، وكان أميراً على يلقان من أذربيجان، وكان أبوه إسماعيل خال بركيارق، وانتقض عليه أول أمره فقتلته فكان مودود يطالبه بثار أخيه، وكانت أخته تحت محمد بعث إليه وجاهه إلى يلقان. وتوفي مودود إنتر قدمه متصرف

الجانب الغربي، فبعث إليه المستظهر قاضي القضاة والكبا المراسي مدرس الناظمية بالامتناع من ذلك فاقتصر أبو الغازى أثناء ذلك متسلكاً بطاعة السلطان محمد. فلما انهزم محمد وانطلق من حصار أصحابه واستولى بركيارق على الري بعث في متصرف ربيع الأول من ستة ست وتسعين من همدان كمستكين القيصراني شحنة إلى بغداد. فلما سمع أبو الغازى بعث إلى أخيه سقمان محسن كifa يستدعيه للدقاع.

وجاء سقمان ومر بتكريت فنهها، ووصل كمستكين ولقيه شيعة بركيارق وأشاروا عليه بالمعالجة، ووصل إلى بغداد متصرف ربيع. وخرج أبو الغازى وأخوه سقمان إلى دجيل وهما بعض قراهما، واتبعهما طائفة من عسكر كمستكين. ثم رجعوا عنهما وخطب للسلطان بركيارق ببغداد وبعث كمستكين إلى سيف الدولة صدقة بالحللة عنه وعن المستظهر بطاعة بركيارق فلم يحب، وكشف القناع وسار إلى جسر صرصر فقطعت الخطبة على منابر بغداد فلم يذكر أحد عليها من السلاطين، واقتصر على الخليفة فقط.

وبعث سيف الدولة صدقة إلى أبي الغازى وسقمان بأنه جاء لنصرتهما فعادوا إلى دجيل وعاتوا في البلاد، واجتمع لذلك حشد العرب والأكراد مع سيف الدولة، وبعث إليه المستظهر في الإصلاح، وخيموا جميعاً بالمرملة وقاتلهم العامة وبعث الخليفة قاضي القضاة أبا الحسن الدامغاني وتاج رؤساء الرياسة ابن الموصليا إلى سيف الدولة بكف الأيدي عن الفساد، فاشترطوا خروج كمستكين القيصراني شحنة بركيارق وإعادة الخطبة للسلطان محمد، فتم الأمر على ذلك، وعاد سيف الدولة إلى الحلقة وعاد القيصراني إلى واسط، وخطب بها بركيارق فسار إليه صدقة وأبو الغازى، وفارقاها القيصراني فاتجه سيف الدولة. ثم استأنف ورجمع إليه فأكرمه وخطب للسلطان محمد بواسط، وبعد له لسيف الدولة وأبي الغازى واستتاب كل واحد ولده، ورجع أبو الغازى إلى بغداد وسيف الدولة إلى الحلقة، وبعث ولده منصوراً إلى المستظهر خطب وضاهماً كان منه في هذه المادحة فاجيب إلى ذلك.

## استيلاء نبال على الري بدعة السلطان

### محمد ومسيره إلى العراق

كانت الخطبة بالري للسلطان بركيارق، فلما خرج السلطان محمد من الحصار بأصحابه، بعث نبال بن أتوش تكون الحسامي إلى الري ليقيم الخطبة له بها فسار ومعه أخيه علي، وعسف الرياعي.

القاسم بن جهير سنة تسع وخمسين، واستوزر بعده الريبع أبو منصور بن الوزير أبي شجاع محمد بن الحسين وزير السلطان.

### الصلح بين السلطانين بركيارق ومحمد

ولما تطاولت الفتنة بين السلطانين، وكثُر النهب والهرج وخررت القرى، واستطاع الأمر عليهما و كان السلطان بركيارق بالري والخطبة له بها وبالجليل و طبرستان و خوزستان و فارس و ديار بكر والجزيرة والحرمين، وكان السلطان محمد باذريجان والخطبة له بها وببلاد أران وارمينية وأصبهان والعراق جميعه إلا تكريت. وأما الباطئ بعضها لهذا وبعضاً منها، والخطبة بالبصرة لمنها جميعاً. وأما خراسان من جرجان إلى ما وراء النهر، فكان يخطب فيها لسنجر بعد أخيه السلطان محمد. فلما استنصر بركيارق في ذلك، ورأى تحكم الأماء عليه، وقلة المال، جنح إلى الصلح ويعت القاضي أبي المظفر الجرجاني الحنفي وأبا الفرج أحد بن عبد الغفار المدائني، المعروف بصاحب قراراتكين إلى أخيه محمد في الصلح، فوصلوا إليه مراجعة وذكرة ووعظاه فأجاب إلى الصلح على أن السلطان بركيارق، ولا يمنع محمدًا من الخاذه الآلة، ولا يذكر أحداً منهم مع صاحبه في الخطبة في البلاد التي صارت إليه وتكون المكتابة من وزرائهم في الشؤون لا يكتب أحدهمما الآخر، ولا يعارض أحد من العسكر في النهاب إلى أيهما شاء، ويكون للسلطان محمد من نهر إسندرو إلى الأبراب وديار بكر والجزيرة والموصل والشام، وأن يدخل سيف الدولة صدقة بأعماله في خلقه وبلاده والسلطنة كلها، وبقيمة الأعمال والبلاد كلها للسلطان بركيارق.

ويعت محمد إلى أصحابه بأصبهان بالإفراج عنها لأصحاب أخيه، وجاؤوا بحرير محمد إليه بعد أن دعاهم السلطان بركيارق إلى خدمته فاتمتعوا فأكرمهما، وحمل حرير أخيه وزودهم بالأموال، ويعت العساكر في خدمتهم. ثم بعث السلطان بركيارق إلى المستظر بما استقر عليه الحال في الصلح بينهم، وحضر أبو الغازى بالديوان وهو شحنة محمد وشيته، إلا أنه وقف مع الصلح، فسأل الخطبة لبركيارق فأمر بها المستظر، وخطب له على منابر بغداد وواسط في جادى سنة سبع وخمسين، ونكر الأمير صدقة صاحب الخلعة الخطبة لبركيارق وكان شيعة محمد. وكتب إلى الخليفة بالتكير على أبي الغازى وأنه سائر لإخراجه عن بغداد، فجمع أبو الغازى التركمان، وفارق بغداد إلى عرقوقيا وجاء سيف الدولة صدقة بن نزل مقابل التاج وقبل الأرض وخيم بالجانب الغربي، وأرسل

ربيع من سنة ست وخمسين، فاجتمع عسكره على الطاعة لمحمد وفيهم سقمان القطبي صاحب خلاط وأرمينة و محمد بن غاغيسا، كان أبوه صاحب انتفاثة. وكان ألب أرسلان ابن السبع الأخر.

ولما بلغ بركيارق اجتماعهم لحرمه أغذ السير إليهم فوصل وقاتلهم على باب خوي من أذربيجان من المغرب إلى العشاء. ثم حل أباياز من أصحاب بركيارق على عسكر محمد فانهزما، وسار إلى خلاط ومعه سقمان القطبي ولقبه الأمير على صاحب أرزن الروم، ثم سار إلى..... وبها متوجه آخر فضللون الروادي. ثم سار إلى تبريز ولحق محمد بن يزيد الملك بديار بكر، وسار منها إلى بغداد وكان من خبره أنه كان مقيناً ببغداد مجاوراً للمدرسة النظامية فشكوا الجيران منه إلى أبيه، فكتب إلى كوهربين بالقبض عليه فاستجار بدار الخلافة. ثم سار سنة اثنين وتسعين إلى محمد الملك الباسلاني وأباوه حيثذا بكتيبة عند السلطان محمد قبل أن يدعى لنفسه. ثم سار بعد أن قتل محمد الملك إلى والده مؤيد الملك، وهو وزير السلطان محمد. ثم قتل أبوه واتصل هو بالسلطان، وحضر هذه الحروب كما ذكرنا. وأما السلطان بركيارق بعد هزيمة محمد فإنه نزل جلباً بين مراغة وتبريز وأقام به حولاً، وكان خليفة المستظر سعيد الملك أبو المعالي كما ذكرناه. ثم قبض عليه متصرف رجب سنة ست وتسعين وحبس بدار الخليفة مع أهله كانوا قد وردوا عليه من أصبهان. وسبب عزله جهله بقواعد ديوان الخليفة لأنه كان يتصرف في أعمال السلطانين، وليست فيها هذه القوانين. ولما قبض عاد أمين الدولة أبو سعد بن الموصليا إلى النظر في الديوان ويعت المستظر عن زعيم الرؤساء أبي القاسم بن جهير من الخلعة، وكان ذهب إليها في السنة قبلها مستجيراً بسيف الدولة صدقة لأن خاله أمين الدولة أبي سعد بن الموصليا كان الوزير الأعز وزير بركيارق يعيش عنه أنه الذي يحمل المستظر على موالة السلطان محمد، والخطبة له دون بركيارق، فاعتزل أمين الدولة الديوان وسار ابن أخيه هذا أبو القاسم بن جهير مستجيراً بصاحب الخلعة فاستقدمه الخليفة الآخر. وخرج أرباب الدولة لاستقباله، وخلع عليه للوزارة ولقبه قرام الدولة، ثم عزله على رئيس المائة الخامسة. واستجار سيف الدولة صدقة بن منصور ببغداد فأغاره ويعت عنه إلى الخلعة وذلك لثلاث سنين ونصف من وزارته، ونائب في مكانه القاضي أبو الحسن بن الدامغاني أيامه. ثم استوزر مكانه أبي المعالي بن محمد بن المطلب في المحرم سنة إحدى وخمسين، ثم عزله سنة اثنين بإشارة السلطان محمد، وأعاده ياذنه على شرطية العدل وحسن السيرة، وأن لا يستعمل أحداً من أهل النمة. ثم عزل في رجب من سنة اثنين وخمسين، واستوزر أبا

أصبهان، ثم رحل في صفر سنة ثمان وتسعين يريد الموصل وسمع جكرمس فاستعد للحصار وأمر أهل السواد بدخول البلد. وجاء محمد فحاصره وبعث إليه كتب أخيه بأن الموصل والجزيرة من قسمته، وأرإ أياته بذلك، ووعده بأن يقرره على ولائيها فقال جكرمس: قد جاءتني كتب بركيارق بعد الصلح مخالف هذا فاشتد محمد في حصاره، وقتل بين الفريقين خلق، وقرب السور ليلة فأصبحوا وأعادوه، ووصل الخبر إلى جكرمس بوفاة بركيارق عاشر جادي فاستشار أصحابه ورأى المصلحة في طاعة السلطان محمد فأرسل إليه بالطاعة، وأن يدخل إليه وزيره سعد الملك فدخل، وأشار عليه بالحضور عند السلطان فحضر، وأقبل السلطان عليه ورده جليشه لما توقع من ارتياض أهل البلد بمروجه، وأكثر من المدايا والتحف للسلطان ولوزيره.

ولما بلغه وفاة أخيه بركيارق سار إلى بغداد ومعه سقمان القطبي نسبة إلى قطب الدولة إسماعيل بن ياقوتا بن داود، ودادود هو خقريفك وأبو الب أرسلان، وسار معه جكرمس وصاحب الموصل وغيرهما من الأمراء. وكان سيف الدولة صاحب الخلة قد جمع عسكراً خمسة عشر ألفاً من الفرسان وعشرة آلاف رجل، وبعث ولديه بدران ودييس إلى السلطان محمد يستحنه على بغداد. ولما سمع الأمير أياز بقدومه، خرج هو وعسكره وخيموا خارج بغداد واستشار أصحابه فقسموا على الحرب، وأشار وزيره أبو الحاسن بطاعة السلطان محمد وخوفه عاتقة خلافه وسفنه آراءهم في حرمه، وأطعمه في زيادة الإقطاع، وتعدد أياز في أمره وجمع السفن عنده، وضبط المثار ووصل السلطان محمد آخر جادي من سنة ثمان وتسعين، وزُل بالجانب الغربي وخطب له هناك، ولملك شاه بالجانب الشرقي. واقتصر خطيب جامع المنصور على الدعاء للمستظاهر ولسلطان العالم فقط. وبعث أياز أصحابه لليمين فلدوا من العاودة وقالوا: لا فائدة فيها والوفاء إنما يكون بواحدة فارتاب أياز بهم، وبعث وزيره المصفى أيما الحاسن إلى السلطان محمد في الصلح، وتسلّم الأمر فلقي أولاً وزيره سعد الملك أيما الحاسن سعد بن محمد وأخبر فأحضره عند السلطان محمد وأدى رسالته أياز والعذر مما كان منه أيام بركيارق فقبله السلطان وأعتبه، وأجاده إلى اليمين.

وحضر من الغد القاضي والنقيبان واستخلف الكبا المراسي مدرس النظامية محضر القاضي -وزير أياز محضرهم- ملك شاه وأياز وللأمراء الذين معه، فقال: أما ملك شاه فهو أبي وأما أياز والأمراء فأختلف لهم إلا نباتاً بن أنسون، وسار واستخلفه الكبا المراسي مدرس النظامية محضر القاضي والنقيبان. ثم حضر أياز

إليه أبو الغازي يعتذر عن طاعة بركيارق بالصلح الواقع، وأن إقطاعه محلوان في جلة بلاده التي وقع الصلح عليها وبغداد التي هو شحنه فيها قد صارت له قبل ورضي، وعاد إلىحلة وبعث المستظاهر في ذي القعدة من سنة سبع وتسعين الخلع للسلطان بركيارق والأمير أياز والخطيب وزير بركيارق، وبعث معهما المهد له بالسلطنة واستخلفه الرسل على طاعة المستظاهر ورجعوا.

## وفاة السلطان بركيارق وملك ابنه ملك

### شاه

كان السلطان بركيارق بعد الصلح وانعقاده أقام بأصبهان أشهرًا وطرقه المرض فسار إلى بغداد، فلما بلغ بلد يزدجرد اشتد مرضه وأقام بها أربعين يوماً حتى أشفى على الموت، فأخذ رله ملك شاه وجامعة الأمراء، وولاه عهده في السلطنة، وهو ابن خمسين وجعل الأمير أياز أتابكه، وأوصاهم بالطاعة لهما واستخلفهم على ذلك، وأمرهم بالمسير إلى بغداد وتختلف عنهم ليعود إلى أصبهان فتوفي في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين. وبلغ الخبر إلى ابنه ملك شاه والأمير أياز على أثني عشر فرسخاً من بلد يزدجرد فرجعوا، وحضروا لتجهزه ويعثوا به إلى أصبهان للدفن بها في تربة أدها، وأحضر أياز السرادقات والخيام والخفر والشمسة، وجميع آلات السلطنة فجعلها ملك شاه. وكان أبو الغازي شحنة بغداد وقد حضر عند السلطان بركيارق بأصبهان في المحرم وحثه على المسير إلى بغداد، فلما مات بركيارق سار مع ابنه ملك شاه والأمير أياز ووصلوا بغداد متصرف ربيع الآخر في خمسة آلاف فارس، وركب الوزير أبو القاسم علي بن جهير لتلقيهم فلقيهم بدبيال، وأحضر أبو الغازي والأمير طمأنيدل بالديوان وطلبوا الخطبة لملك شاه بن بركيارق فأجاب المستظاهر إلى ذلك وخطب له ولقب بـ«ملك شاه» ونشرت الدنانير عند الخطبة.

## وصول السلطان محمد إلى بغداد واستبداده بالسلطنة والخطبة ومقتل أياز

كان محمد بعد صلحه مع أخيه بركيارق قد اعتم على المسير إلى الموصل ليتناولها من يد جكرمس لما كانت من البلاد التي عقد عليها وكان بتبريز يتظر وصول أصحابه من أذربيجان، فلما وصلوا استوزر سعد الملك أيما الحاسن لحسن أثره في حفظ

رئيس الرؤساء واعتقلهما وصادرها على مال يحملانه، وأرسل مجاهد الدين لقبض المال، وأمره بعمارة دار الملك فاضططع بعمارتها، وأحسن السيرة في الناس وقدم السلطان أثر ذلك إلى بغداد فشكر سيرته، وولاه شحنة بالعراق وعاد إلى أصحابه.

### وفاة السلطان محمد وملك ابنه محمود

ثم توفي السلطان محمد بن ملك شاه آخر ذي الحجة من سنة إحدى وخمسين، وقد كان عهد توليه محمود وهو يرمي بذلك غلام محلم، وأمره بالجلوس على التخت بالتابع والسوارين وذلك لاثني عشرة سنة ونصف من استباده بالملك واجتماع الناس عليه بعد أخيه. وولى بعده ابنه محمود وبايته أمراء السلاجقة، ودبر دولته الوزير الربابير منصور ابن الوزير أبي شجاع محمد بن الحسين وزير أبيه، وبعث إلى المستظهر في الخطبة خطب له على متابر بغداد متتصف الحرم ستة اثنى عشرة، وكان أقصى البرسقي مقيناً بالرجمة استخلف بها ابنه مسعوداً، وسار إلى السلطان محمد يطلب الزiyاد في الإقطاع والولاية ولقبه خبر وفاته قريباً من بغداد فمنعه بهروز الشحنة من دخولها، وسار إلى أصحابه فلقيه مخلون توقيع السلطان محمود بأن يكون شحنة بغداد لسعى الأمراء له في ذلك تصيباً على مجاهد الدين بهروز وغيره منه لما كانه عند السلطان محمد.

ولما رجع أقصى بغداد هرب مجاهد الدين بهروز إلى تكريت وكانت من أعماله. ثم عزل السلطان محمد أقصى بغداد ولي شحنة بغداد الأمير منكيرس حاكماً في دولته بأصحابه، فأبعث نائباً عنه ببغداد والعراق الأمير حسين بن أربوتك أحد أمراء الأتراك. ورغب البرسقي من المستظهر بالعدة فلم يتوقف فسار أقصى بغداد وقاتلها وانهزم الأمير حسين وقتل آخره وعاد إلى عسكر السلطان وذلك في ربيع الأول من سنة اثنى عشرة.

### وفاة المستظهر وخلافة المسترشد

ثم توفي المستظهر بالله أبو العباس أحمد بن المقتدي بالله أبو القاسم عبد الله بن القائم بالله في متصرف ربيع الآخر سنة اثنى عشرة وخمسة لأربع وعشرين سنة وثلاثة أشهر من خلافته، ووريحه بعده ابنه المسترشد بالله الفضل، وكان ولـي عهده منذ ثلاث وعشرين سنة وبايته أخوه عبد الله محمد وهو المقتدي، وأبو طالب العباس وعمومته بنـو المقتدي وغيرهم من الأمراء والقضاة والأئمة والأعيان. وتولـي أخذ البيعة القاضي أبو الحسن الدامغاني،

من الغد ووصل سيف الدولة صدقة وركب السلطان للقائهم وأحسن إليهمـا، وعمل أياز دعوة في داره وهي دار كوهـابـين وحضر عنده السلطان وأتحـفـه باشيـاء كثـيرـة منها جبل البـلـخـشـ الذي كان أخـذـهـ من تركـةـ مـؤـيدـ الملـكـ بنـ مـزيـدـ. وـكانـ أـياـزـ قدـ تـقدـمـ إلىـ السـلـطـانـ سـيفـ الدـوـلـةـ صـدـقـةـ بنـ مـزيـدـ. وـكـانـ أـياـزـ قدـ تـقدـمـ إلىـ غـلـمانـهـ بـلـبـسـ السـلاحـ ليـعـرـضـهـ عـلـىـ السـلـطـانـ، وـحـضـرـ عـنـهـ بـعـضـ الصـفـاعـينـ فـأـخـذـوـهـ عـهـ فيـ السـخـرـيـةـ وـالـبـسـوـهـ درـعاـ خـتـ قـبـصـهـ، وـجـعـلـوـهـ يـتـنـاوـلـهـ بـأـيـدـيـهـ فـهـرـبـهـ مـنـهـ إلىـ خـواـصـ السـلـطـانـ، وـرـأـهـ السـلـطـانـ مـتـسـلـحـاـ فـأـمـرـ بـعـضـ غـلـمانـهـ فـالـتـسـوـهـ وـقـدـ وـجـدـواـ السـلاحـ فـأـرـاتـ وـهـنـهـ منـ دـارـ أـياـزـ.

ثم استدعاه بعد أيام ومعه جكرمسن وسائر الأمراء فلما حضر وقف عليهم بعض قواده وقال لهم: إن قليج أرسلان بن سليمان بن قطلمش قصد ديار بكر ليملكتها فأشروا من نسيرة لقتاله، فأشاروا جميعاً بالأمير أياز، وطلب هو مسير سيف الدولة صدقة معه فاستدعى أياز وصدقة ليفرضهم في ذلك فنهضوا إليه، وقد أعد جماعة من خواصه لقتل أياز فلما دخلوا ضرب أياز قطع رأسه ولف شلوه في مشلح والقي على الطريق، وركب عسكره فنهبوا داره وأرسل السلطان لحمياتها فافتقرـواـ واحتـقـنـ وزيره. ثم حلـ إلىـ دـارـ الـرـئـيسـ سـعـدـ الـمـلـكـ وـقـتـلـ فيـ رـمـضـانـ منـ سـنـتـهـ. وـكـانـ منـ بـيـتـ رـيـاسـةـ بـهـمـدانـ وـكـانـ أـياـزـ مـنـ مـالـيـكـ السـلـطـانـ مـلـكـ شـاهـ، وـصـارـ بـعـدـ موـتـهـ فـجـلـةـ أـمـيرـ آـخـرـ فـأـخـذـهـ ولـدـهـ، وـكـانـ شـجـاعـاـ حـسـنـ الرـأـيـ فـالـحـرـبـ وـاسـتـبـدـ السـلـطـانـ عـمـدـ بـالـسـلـطـةـ وـأـحـسـنـ السـيـرـةـ، وـرـفـعـ الـضـرـائبـ، وـكـبـ بهاـ الـأـلـوـاحـ وـنـصـبـ فيـ الـأـسـوـاقـ وـعـظـمـ فـسـادـ التـرـكـمانـ بـطـرـيقـ خـراسـانـ، وـهـيـ مـنـ أـعـمـالـ الـعـرـاقـ فـبـعـثـ أـبـوـ الـفـازـيـ بـنـ أـرـقـ شـحـنةـ بـنـدـادـ لـعـيـ الـأـمـرـاءـ لـهـ. وـسـارـ إـلـىـ حـصـنـ مـنـ أـعـمـالـ سـرـخـابـ بـنـ بـدرـ فـحـصـرـهـ وـمـلـكـهـ. ثـمـ وـلـىـ السـلـطـانـ عـمـدـ سـنـقـ البرـسـقيـ شـحـنةـ بـالـعـرـاقـ وـكـانـ مـعـهـ فـحـرـوبـهـ وـأـقـطـعـ الـأـمـيرـ قـاـيـاـزـ الـكـوـفـةـ وـأـمـرـ صـدـقـةـ صـاحـبـ الـحـلـةـ أـنـ يـحـمـيـ أـصـحـابـهـ مـنـ خـفـاجـةـ. وـلـاـ كـانـ شـهـرـ رـمـضـانـ مـنـ سـنـةـ ثـمـانـيـةـ وـتـسـيـنـ عـادـ السـلـطـانـ عـمـدـ إـلـىـ أـصـبـاهـنـ وـأـحـسـنـ فـيـمـ السـيـرـةـ وـكـفـ عـنـهـمـ الـأـيـديـ الـعـادـيـةـ.

### الشحنة بغداد

كان السلطان قد قبض سنة اثنين وخمسين على أبي القاسم الحسين بن عبد الواحد صاحب المخزن، وعلى بن الفرج ابن

العادل، وصاحب سنجار، وأبواه البرسيقي صاحب أربيل، وكريادي بن خرسان التركماني صاحب الباري.

ولما قرروا من العراق خافهم أقتصر البرسيقي بمكان حيوس بك من الملك مسعود، وأما هو فقد كان أبوه محمد جعله أباً لك لابنه مسعود فساز البرسيقي لقتله، ويعثروا إليه الأمير كريادي في الصلح، وأنهم إنما جاؤوا بمحنة له على ديسن فقبل، وتعاهدوا ورجعوا إلى بغداد كما مر خبره، وسار البرسيقي لتقاتله فاجتمع مع ديسن بن صدقة واتفقا على المعاضة، وسار الملك مسعود ومن معه إلى المداين لقاء ديسن ومنكربس. ثم بلغتهم كثرة جموعهما فعاد الملك مسعود والبرسيقي وحيوس بك، وعبروا نهر صرصر وحفظ المخاضات وأفحش الطائفتان في نهب السواد واستباحته بنهر الملك ونهر صرصر ونهر عيسى ودجلة. وبعث المسترشد إلى الملك مسعود والبرسيقي بالتكير عليهم فأنكر البرسيقي وقع شيء من ذلك، واعترض على العود إلى بغداد، وبلغه أن ديسن ومنكربس قد جهز العساكر إليها مع منصور أخي ديسن وحسن بن أوريلك ربيب منكربس فأغذى السير وخلف ابنه عز الدين مسعوداً على العسکر بصرصر، واستصحب عماد الدين زنكى بن أقتصر، وجاؤوا بغداد ليلاً فمنعوا عساكر منكربس وديسن من العبور.

ثم انعقد الصلح بين منكربس والملك مسعود وكان سببه أن حيوس بك كاتب السلطان محمود وهو بالموصل في طلب الزبادة له وللملك مسعود، فجاء كاتب الرسول بأنه أقطعهم أذربيجان، ثم بلغه قصدتهم ببغداد فاتتهم بالانتقاض وجهز العساكر إلى الموصل وسقط الكتاب بيد منكربس، وكان على أم الملك مسعود بعث به إلى حيوس بك، وداخله في الصلح والرجوع عما هم فيه فاصطلحوا واتفقوا. وبلغ الخبر إلى البرسيقي فجاء إلى الملك مسعود وأخذ ماله وتركه، وعاد إلى بغداد فخيم بجانب منها، وجاء الملك مسعود وحيوس بك فخيما في جانب آخر، وأصعد ديسن ومنكربس فخيما كذلك، وتفرق عن البرسيقي أصحابه وجوشه وسار عن العراق إلى الملك مسعود فاقام معه، واستقر منكربس شحنة ببغداد وعاد ديسن إلى الحللة، وأسأله منكربس السورة في بغداد بالظلم والعنف، وانطلاق أيدي أصحابه بالفساد حتى ضجر الناس، وبعث عنه السلطان محمود فساز إليه وكفى الناس شره.

وكان نائباً عن الوزارة فأقره المسترشد عليها، ولم يأخذ البيعة قاض غير هذا للمسترشد، وأحمد بن أبي داود للواتق والقاضي أبي علي إسماعيل بن إسحاق للمعتصد. ثم عزل المسترشد قاضي القضاة عن زيارة الوزارة واستوزر أبي شجاع محمد بن الرسب أبي منصور، خطبه أبوه وزير السلطان محمود وابنه محمد في شأنه فاستوزر، ثم عزله سنة عشر واستوزر مكانه جلال الدين عبد الدولة أبي علي بن صدقة، وهو عم جلال الدين أبي الرضي بن صدقة وزير الراشد.

ولما شغل الناس بيضة المسترشد ركب أخوه الأمير أبو الحسن في السفن مع ثلاثة نفر وأخدرها إلى المداين، ومنها إلى الحللة فأكرمه ديسن، وأعلم ذلك المسترشد وبعث إلى ديسن في إعادةه مع التقب على بن طراد الرئيسي فاعتذر بالنمام، وأنه لا يكرهه فخطب التقب أيام الحسن أخا الخليفة في الرجوع فاعتذر بالغوف، وطلب الأمان. ثم حدث من البرسيقي وديسن ما ذكره فتاجر ذلك إلى صفر من سنته وهي سنة ثلاث عشرة، فساز أبو الحسن بن المستظر إلى واسط وملكتها، فبادر المسترشد إلى ولاية المهد لابنه جعفر المنصور ابن اثنين عشرة سنة، فخطب له وكتب إلى البلاد بذلك، وكتب إلى ديسن عاجلة أخيه أبي الحسن فإنه فارق ذمامه فبعث ديسن العساكر إلى واسط فهرب منها، وصادفه عند الصبح فنهبوا ألقائه وهرب الأكراد والأتراك عنه، وقبض عليه بعض الفرق وجاؤوا به إلى ديسن فأكرمه المسترشد وأمنه وأنزله أحسن نزل.

## انتقاض الملك مسعود على أخيه السلطان محمود ثم مصالحته واستقرار جكرمس شحنة ببغداد

كان السلطان محمد قد أنزل ابنه مسعوداً بالحللة وجعل منه حيوس بك أباً لك، فلما ملك السلطان محمود بعد وفاة أبيه، ثم ولـي المسترشد الخلافة بعد أبيه، وكان ديسن صاحب الحللة مرضياً في طاعته، وكان أقتصر البرسيقي شحنة بالعراق كما ذكرنا، أراد قصد الحللة وأخلى ديسن عنها، وجمع لذلك جموعاً من العرب والأكراد، ويز من بغداد في جمادى سنة اثنين عشرة، وبلغ الخبر إلى الملك مسعود بالموصل وأن العراق للسلطنة فلا مانع دونها. فساز في عليه أصحابه بقصد العراق للسلطنة فلا مانع دونها. فساز في جوش كبيرة ومعه وزير فخر الملك أبو علي بن عمار صاحب طرابلس، وسيأتي خبره، وقسم الدولة زنكى بن أقتصر ابن الملك

# انتقام الملك طغرل على أخيه السلطان محمد

واستحلقتنا على ذلك إلا أنا لا نقضي على زوال ملكتنا.  
ثم تهدده بثكرة العساكر وقوتها فرجع أنس عن جرجان،  
وابتيعه بعض العساكر فنالوا منه. وعاد علي بن عمر إلى السلطان  
محمد فشكراً، وأشار عليه أصحابه بالبقاء بالرالي فلم يقبل. ثم  
ضجر وسار إلى حرقان وتواتفت إليه الأمداد من العراق، منكرين  
شحنة بغداد في عشرة آلاف فارس، ومنصور أخوه دييس وأمراء  
البلخية وغيرهم. وسار إلى همدان فثار بها وتوفي بها وزيره  
الربيب، واستوزر مكانه أبي طالب السميري. ثم جاء السلطان  
منصور إلى الري في عشرين ألفاً وثمانية عشر فيلاً ومعه ابن الأمير  
أبي الفضل صاحب سجستان وخوارزم شاه محمد، والأمير أنس  
والأمير قماج، واتصل به علاء الدولة كرساسف بن فرامرد بن  
 Kakroohie صاحب يزد وكان صهر محمد و منصور على آخرهما.  
راخض محمد و دعاه محمد فتاخر عنه فأقطع بلده لقراجا  
لساقى الذي ول بعد ذلك فارس.

وسائل الدليل إلى سنجر وعرفه حال السلطان محمود واختلاف أصحابه وفساد بلاده، فزحف إليه السلطان محمود من همدان في ثلاثين ألفاً، ومعه علي بن عمر أمير حاجب ومنكرين وأتابكة غز غلي وينو برسق وستنقج البخاري وقرابجا الساقى ومعه تسعمائة حمل من السلاح والتقطى على ساوية في جمادى سنة ثلاث عشرة فانهزمت عساكر السلطان سنجر أولاً وثبت هو بين الفيلة والسلطان محمود، واجتمع أصحابه إليه. وبلغ الخبر إلى بغداد فأرسل ديس بن صدقى إلى المسترشد في الخطبة للسلطان سنجر فخطب له آخر جمادى، وقطع خطبة محمود بعد المزعة إلى أصحابه ومعه وزيره أبو طالب السميري والأمير علي بن عمر وقرابجا، واجتمعت عليه العساكر وقوى أمره.

وسائل السلطان سنجر من همدان ورأى قلة عساكره فراسل ابن أخيه في الصلح، وكانت والدته وهي جدة محمود تحرضه على ذلك فأجاب إليه. ثم وصل إليه أنتصر البرسفي الذي كان شحنة بغداد، وكان عند الملك مسعود من يوم انصرافه عنها، وجاء رسوله من عند السلطان محمود بان الصلح إنما يوافق عليه الأمراء بعد عود السلطان سنجر إلى خراسان، فائف من ذلك وسار من همدان إلى الكرج، وأعاد مراسلة السلطان محمود في الصلح وأن يكون ولـي عهده فأجاب إلى ذلك، وتحالفاً عليه. وجاء السلطان محمود إلى عمه سنجر ونزل في بيت والدته وهي جدة محمود، وحمل إليه مهدي حلقة. وكتب السلطان سنجر إلى أعماله بخراسان وغزنة وما وراء النهر وغيرها من الولايات بأن ينطرب للسلطان محمود، وكتب إلى بغداد بمثل ذلك، وأعاد عليه جميع البلاد سوى

كان الملك طغول قد أقطعه أبوه السلطان محمد سنة أربع وخمسين وخمسمائة ساوا وآة وزنجان، وجعل أتابكه الأمير شركير، وكان قد افتح كثيراً من قلاع الإسماعيلية فاتسع ملك طغول بها، ولما مات السلطان محمد بعث السلطان محمود الأمير كتغري أتابكه طغول، وأمره أن يحمله إليه، وحسن له المخالفة فانتقض ستة ثلاث عشرة، فبعث إليه السلطان بثلاثين ألف دينار وتحف وودعه بأقطاع كثيرة، وطلبه في الوصول فمنعه كتغري وأجاب يانبا في الطاعة، ومعنا العساكر وللأي جهة أراد السلطان قصتنا، فاعتزم السلطان على السير إليهم وسار من همدان في جمادى ستة ثلاث عشرة في عشرة آلاف غازياً وجاء التذير إلى كتغري بمسيره، فاجفل هو وطغول إلى قلعة سرجهان، وجاء السلطان إلى العسكر بزنجان فنهبه وأخذ من خزانة طغول ثلاثة عشر ألف دينار، وأقام بزنجان وتوجه منها إلى الري وكتغري من سرجهان بكتنجة، وقصده أصحابه وقويت شركه وتساکدت الروحشة بيته وبين أخيه السلطان محمود.

## الفترة بين السلطان محمود وعمه سنجر صاحب خراسان والخطبة ببغداد لسنجر

كان الملك سنجري أميراً على خراسان وما وراء النهر منذ أيام شقيقه السلطان محمد الأول مع بركيارق. ولما توفي السلطان محمد جزع له جزاً شديداً حتى أغلق البلد للعزاء، وتقدم للخطبة بذكر آثاره ومحاسن سيره من قتال الباطنية وإطلاق المكوس وغير ذلك. ويلغى ملك ابنه محمود مكانة وتقلب الأمراء عليه، فنكر ذلك واعتزم على قصد بلد الجبل والعراق، وأنهى له محمود ابن أخيه، وكان يلقب بناصر الدين فتلقى بهم الدين لقب أبيه ملك شاه. وبعث إليه السلطان محمود بالهدايا والتحف مع شرف الدولة أنورشوان بن خالد، وفخر الدولة طغياً يرك بن أكفرس وبنى عن مازنidan مائتي ألف دينار كل سنة فتجهز لذلك، ونكر على محمود تقلب وزيره أبي منصور وأمير حاجب علي بن عمر عليه، وسار على مقدمته الأمير أثر، وجهز السلطان محمود علي بن عمر حاجبه وحاجب أبيه في عشرة آلاف فارس، وأقام هو بالري. فلما قارب الحاجب مقدمة سنجري مع الأمير أثر بجرجان راسله باللين والخشونة، وأن السلطان حمداً وصاناً بتعظيم أخيه سنجري

الري لثلا تحدث محموداً نفسه بالانتقام.

وابلى يومئذ، واقتلوها يوماً كاملاً وانهزمت عساكر مسعود في عشيته وأسر جماعة منهم، وفيهم الوزير الأستاذ أبو إسماعيل الطغراي، فأمر السلطان بقتله لستة من وزارته، وقال: هو فاسد القيدة، وكان حسن الكتابة والشعر ولهم تصانيف في الكتبية، وقصد الملك مسعود بعد المزعة جيلاً على أثني عشر فرسخاً من مكان الوقعة فاختفى فيه، وبعث يطلب الأمان من أخيه قبعت إليه البرسيقي يؤمهه ويخضره.

وكان بعض الأمراء قد لحق به في الجبل وأشار عليه باللتحاق بالموصل، واستمد دييس فسارة لذلك وأدركه البرسيقي على ثالثين فرسخاً من مكانه وأمنه على أخيه، وأعاده إليه فاري卜 العساكر للقاءه وبالغ في إكرامه وخلطه بنفسه، وأما أتابكة حيوس بك فلما افتقد السلطان مسعود سار إلى الموصل وجمع العساكر، وبلغه فعل السلطان مع أخيه فسارة إلى الزاب، ثم جاء السلطان بهمذان فامنه وأحسن إليه، وأما دييس فلما بلغه خبر المزعة عاث في البلاد وأخربها وبعث إليه المسترشد بالتكير فلم يقبل، فكتب بشأنه إلى السلطان محمود وخاطبه السلطان في ذلك فلم يقبل، وسار إلى بغداد وخيم إزاء المسترشد وأظهر أنه يثار منهم بأبيه.

ثم عاد عن بغداد ووصل السلطان في رجب، فبعث دييس إلى زوجته بنت عميد الدولة بن جهير عمال وهدايا نفيسة وأجيب إلى الصلح على شرطه امتنع منها فسارة إلى السلطان في شوال ومعه ألف سفينة، ثم استأمن إلى السلطان فأمنه وأرسل نسامه إلى البطيحة، وسار إلى أبي الغازى مستجراً به، ودخل السلطان الخلة وعاد عنها ولم ينزل دييس عند أبي الغازى، وبعث أخاه منصوراً إلى أصحابه من أمراء النواحي ليصلح حاله مع السلطان فلم يتم ذلك، وبعث إليه آخره منصور يستدعيه إلى العراق، فسارة من قلعة جعبر إلى الخلة سنة خمس عشرة وملكتها، وأرسل إلى الخليفة والسلطان بالاعتذار والوعد بالطاعة، فلم يقبل منه، وسارت إليه العساكر مع سعد الدولة بن تشن ففارق الخلة ودخلها سعد وأنزل بالخلة عسكراً وبالكوفة آخر، ثم راجع دييس الطاعة على أن يرسل أخاه منصوراً رهينة قبلي، ورجع العسرك إلى بغداد سنة ست عشرة.

### إقطاع الموصل للبرقي ومتارقين لأبي الغازى

ثم أقطع السلطان محمود الموصل وأعمالها، والجزيرة وستانجار وما يضاف إلى ذلك للأمير أسترشد البرسيقي شحنة بغداد،

ثم قتل السلطان محمود الأمير متشرد شحنة بغداد لأنه لما انهزم محمود وسار إلى بغداد ليدخلها منه دييس فعاد في البلاد، ورجع وقد استقر في الصلاح فقصد السلطان محمود مستجراً به فأبي من إجراته ومؤاخذته، وبعث إلى السلطان محمود فقتلته صبراً لما كان يستبد عليه بالأمور، وسار شحنة إلى بغداد على زعمه فحتد له ذلك، وأمر السلطان سنجري بإعادة جيامد الدين بهروز شحنة بالعراق، وكان بها نائب دييس بن صدقه فعزل به، ثم قتل السلطان محمود حاجبه علي بن عمر وكان قد استخلفه ورفع منزلته فكثرت السعاية فيه فهرب إلى قلعة عند الكرخ، كان بها أهله ومالة، ثم لحق بهوزستان وكان يهد بيبي برست فاقتضى عهودهم وسار إليهم، فلما كان على تستر بعثوا من يقبض عليه فقاتلهم فلم يقر عنه وأسروه واستأذنوا السلطان محموداً في أمره فامر بقتله وحمل رأسه إليه.

### انتقام الملك مسعود على أخيه السلطان محمود والفتنة بينهما

كان الملك مسعود قد استقر بالموصل وأذربيجان منذ صالحه السلطان محمود عليها باول ملكه، وكان أسترشد البرسيقي مع الملك مسعود منذ فارق شحنة بغداد، وأنقطعه مراغة مضافة إلى الرجحة وكان دييس يكاتب حيوس بك الأتابك في القبس عليه وبعثه إلى مولاه السلطان محمود، وبيند لهم المال على ذلك، وشعر بذلك البرسيقي ففارقه السلطان محمود، وعاد إلى جبل رايه فيه، وكان دييس مع ذلك يغري الأتابك حيوس بك بالخلاف على السلطان محمود، ويعدهم من نفسه المناصرة لبيان بالاختلاف لهم في تمييز سلطانه ما ناله أبوه بالاختلاف بركيارق وحمد، وكان أبوه المؤيد محمد بن أبي إسماعيل الحسين بن علي الأصبهاني يكتب للملك محمود، ويرسم الطغرى وهي العلامة على مراميه، ومنها هاته، وجاء والده أبو إسماعيل من أصحاب طرابلس، واستوزره مكانه سنة ثلاثة أيام علي بن عمار صاحب طرابلس، واستوزره مكانه سنة ثلاثة عشرة فحسن له الخلاف الذي كان دييس يكتبه لهم فيه ومحنته لهم، وبلغ السلطان محموداً خبرهم فكتب يخزفهم فلم يقبلوا وخلعوا، وخطبوا للملك مسعود بالسلطنة وضربوا له التوب الخمس، وذلك سنة أربع عشرة.

وكانت عساكر السلطان محمود مفترقة فبادروا إليه والتقو في عقبة أسترشد متصرف ربيع الأول، والبرسيقي في مقدمة محمود،

ذلك، وكتب إلى السلطان محمود بأن ديس لا يصلحه شيء لأنه مطالب بثار أخيه، وأشار بأن يبعث عن البرسيقى من الموصل لتشديد ديس ويكون شحنة بيغداد فبعث إلى السلطان وأنزله شحنة بيغداد، وأمره بقتال ديس، فاتقام عشرين شهراً وديس معلم في الخلاف. ثم أمره المسترشد بالمسير إليه وإخراجه من الحلة، فاستقدم البرسيقى عساكره من الموصل، وسار إلى الحلة، ولقيه ديس فهزم عساكره ورجع إلى بغداد في ربى من سنة ست عشرة، وكان معه في العسكر مصر بن النفيس بن منذهب الدولة أحمد بن أبي الخير عامل البطيخة، فعدا عليه عمه المظفر بن عماد بن أبي الخير فقتله في انزاهتهم.

وسار إلى البطيخة فتغلب عليها، وكاتب ديس في الطاعة، وأرسل ديس إلى المسترشد بطايعته، وأن يبعث عماله لقرى الخاص يقبضون دخلها على أن يقبض المسترشد على وزيره جلال الدين بن علي بن صدقة فتم بينهما ذلك، وقبض المسترشد على وزيره، وهرب ابن أخيه جلال الدين أبو الرضي إلى الموصل، وبلغ الخبر بالهزيمة إلى السلطان محمود فقبض على منصور أخي ديس وحبسه، وأذن ديس لأصحاب الإقطاع بواسطه في المسير إلى اقطاعهم، فعندهم الأتراك منها، فجهز لهم عسكراً مع مهلل بن أبي العسكر وأمر مظفر بن أبي الخير عامل البطيخة بمساعدته وبعث البرسيقى المدد إلى أهل واسط فلقيهم مهلل بن أبي المظفر فهزمه وأسره وجاءه من عساكره واستلهموا كثيراً منهم.

وجاء المظفر أبو الخير على أثره، وأكثر النهب والعيث، وبلغ خبر المهزيمة فرجع وبعث أهل واسط بتذكرة وجدوها مع مهلل بخط ديس فأمره بالقبض على المظفر فعمال إليهم وإنحرف عن ديس، ثم بلغ ديس أن السلطان محموداً سمل آناء منصوراً، فانتقض ونهب ما كان للخلفية بأعماله، وسار أهل واسط إلى التعمانية فاجلوا عنها أصحاب ديس. وتقدم المسترشد إلى البرسيقى بالسir لحرب ديس فسار للذل لك كما نذكر. ثم أقطع السلطان محمود مدينة واسط للبرسيقى مضافة إلى ولاية الموصل فبعث عماد الدين زنكى بن أقستور ولد نور الدين العادل.

### نكبة الوزير ابن صدقة وولادة نظام الملك

قد ذكرنا آنفاً أن ديس اشتربط على المسترشد في صلحه معه القبض على وزيره جلال الدين أبي علي بن صدقة، قبض عليه في جادى سنة ست عشرة، وأقام في نهاية الوزارة شرف الدين علي بن طراد الزنجي. وهرب جلال الدين أبو الرضي ابن أخي

وذلك انه كان ملزماً للسلطان في حربه ناصحاً له وهو الذي حل السلطان مسعوداً على طاعة أخيه محمود وأحضره عنده، فلما حضر حيوس بك وزيره عند السلطان محمود من الموصل بقيت بدون أمير، فول عليها البرسيقى سنة خمس عشرة وخمسماة، وأمره بمجاهادة الفرنج فاتقام في إمارتها هرماً هو وبنوه كما يأتي في أخبارهم. ثم بعث الأمير أبو الغازى بن أرتق ابنه حسام الدين مرشاش شافعاً في ديس بن صدقة، وأن يضمون الحلة باتفاق دينار وفرس في كل يوم، ولم يتم ذلك. فلما انتصر عن السلطان أنقطع أباً الغازى مدينة ميافارقين وتسلمهما من يد سقمان صاحب خلايد سنة خمس عشرة، ويفيت في يده ويد بنيه إلى أن ملكها منهم صلاح الدين بن أيوب سنة ثمانين وخمسماة كما يذكر في أخبارهم.

### طاعة طغرل لأنخيه السلطان محمود

قد تقدم ذكر انتصارات الملك طغرل بساوة وزنجان على أخيه السلطان محمود بمداخلة أتابكة كتفري، وأن السلطان محموداً المشار إليه أزعجه إلى كنجة، وسار إلى أذربيجان يحاول ملكها. ثم توفي أتابكة كتفري في شوال سنة خمس عشرة، وكان أقستور الأحمد يلي صاحب مراغة فطبع في رتبة كتفري، وسار إلى طغرل واستدعاه إلى مراغة وقصدوا أردبيل فافتتحت عليهم، فجاؤوا إلى تبريز، وبلغتهم أن السلطان أنقطع أذربيجان لحيوس بك، وبعثه في العساكر وأنه سبقهم إلى مراغة فعدلوا عنها وكافروا صاحب زنجان فاجابهم وسار معهم إلى أبهر، فلم يتم لهم مرادهم، وراسلوا السلطان في الطاعة واستقر حالهم، وأما حيوس بك فوقع بينه وبين الأمراء من عساكره مناقفة، فسعوا به عند السلطان فقتلته تبريز في رمضان من سنته، وكان تركياً من ممالك السلطان محمد، وكان حسن السيرة مضطليعاً بالولاية. ولما ولى الموصل والجزيرة كان الأكراد قد عاثوا في نواحيها، وأخافوا سبلها فاقع بهم وحصر قلادتهم، وفتح الكثير منها بيد المكارية وبدل الزوزان وبلد النسوية وبلد النحة، حتى خاف الأكراد واطمأن الناس وأمنت السبل.

### أخبار ديس مع المسترشد

قد ذكرنا مسير العساكر إلى ديس مع برسق الكركوري سنة أربع عشرة وكيف وقع الاتفاق وبعث ديس أخيه منصوراً رهينة فجاء برتعش به إلى بغداد سنة ست عشرة، ولم يرض المسترشد

زنكي بن أقستن في عسكر واسط على عنتر بن أبي العسكر فأسره ومن معه.

وكان من عسكر المسترشد كمين متواز، فلما التح了一 الناس خرج الكمين واشتد الحرب وجرد المسترشد سيفه وكبر وتقدم فانهزمت عساكر دبیس، وجىء بالأسرى فقتلوا بين يدي الخليفة وسيُّي نساوهم، ورجع الخليفة إلى بغداد في عاشوراء من سنة سبع عشرة. وذهب دبیس وخفي أثره وقصد غزية من العرب فأثار من ذلك إثارةً لرضا المسترشد والسلطان، فسار إلى المشرق من البحرين فاجابوه وسار بهم إلى البصرة فنهبوا أميرها، وتقى لهم المسترشد للبرسيقي بالأخدار إليه بعد أن عتنه على غفلته عنه، وسمع دبیس فقارق البصرة، وبعث البرسيقي عليها زنكي بن أقستن فأحسن حياتها وطرد العرب عن نواحيها، ولحق دبیس بالفرنج في جعبر وحاصر مفهم حلب فلم يظفروا وأفلعوا عنها ستة ثمان عشرة، فلحق دبیس بطرغل ابن السلطان محمد وأغاره بالمسترشد وملك العراق كما ذكر.

### ولاية برتش شحنة بغداد

ثم إن المسترشد وقعت بيته وبين البرسيقي منافرة فكتب إلى السلطان محمود في عزله عن العراق، وإعادته إلى الموصل فأجابه إلى ذلك، وأرسل إلى البرسيقي بالمسير إلى الموصل لجهاد الإفرنج، وبعث إليه بابن صغير من أولاده يكون معه وولى على شحنة بغداد برتش الزكوري، وجاء نائبه إلى بغداد فسلم إليه البرسيقي العمل وسار إلى الموصل بابن السلطان، وبعث إلى عماد الدين زنكي أن يلحق به فسار إلى السلطان، وقدم عليه بالموصل فاكتمه وأقطعه البصرة وأعاده إليها.

### وصول الملك طغول ودبیس إلى العراق

قد ذكرنا مسر دبیس بن صدقه من الشام إلى الملك طغول فاحسن إليه ورتبه في خاص أمرائه، وجعل دبیس يغريه بالعراق ويضمن له ملكه، فسار لذلك ستة سبع عشرة، ووصلوا دتفونا، تكتب مجاهد الدين مهروز من تكريت إلى المسترشد بخبرهما، فتجهز إلى دفاتهما وسار إليهما. وأمر برتش الزكوري الشحنة أن يستقر ويستعد ببلفت عدة العسكرية التي عشر الفاً سوى أهل بغداد، ويزر خامس صفر سنة سبع عشرة، وسار فنزل الخالص، وعدل طغول إلى طريق خراسان، وأكثرت عساكره النهب، ونزل رباط جلواء. وسار إليه الوزير جلال الدين بن صدقه في

الوزير إلى الموصل. وبعث السلطان محمود إلى المسترشد في أن يستوزر نظام الدولة أبا نصر أحمد بن نظام الملك، وكان السلطان محمود قد استوزر آخاه شمس الملك عثمان عندما قيل الباطنية بهمنان..... وزير الكمال أبا طالب السميري فقبل المسترشد إشارته، واستوزر نظام الملك، وقد كان وزير للسلطان محمود محمد سنة خمسة، ثم عزل ولم داره ببغداد. فلما ورز وعلم ابن صدقه أنه يخرج طلب من المسترشد أن يسير إلى سليمان بن مهارش بجديدة غابة، فاذن له، فسار ونهب في طريقه وأسر، ثم خلص إلى مامنه في واقعة عجيبة. ثم قتل السلطان محمود وزير شمس الملك عزل المسترشد آخاه نظام الدين أحمد عن وزارته، وأعاد جلال الدين أبا علي بن صدقه إلى مكانه.

### واقعة المسترشد مع دبیس

كان دبیس في واقعته مع البرسيقي قد أسر عفيفاً الخادم، ثم أطلقه سنة سبع عشرة، وحمله إلى المسترشد رسالة هزوج البرسيقي للقتال يتهدده بذلك على ما بلنه من سمل أخيه، وخلف ليهين بغداد، فاستطار المسترشد غضباً وأمر البرسيقي بالمسير لحربه، فسار في رمضان من سنته. ثم تحجز للخلافة ويرز من بغداد واستدعى العساكر فجاءه سليمان بن مهارش صاحب الحديثة في بي عقيل، وقرواش بن مسلم وغيرهما. ونهب دبیس بنهر الملك من خاص الخليفة ونربدي في بغداد بالغير فلم يختلف أحد، وفرقت فيهم الأموال والسلاح وعسكر المسترشد خارج بغداد في عشر ذي الحجة، ويرز لأربع بعدها وعبر دجلة وعليه قباء أسود وعامة سوداء، وعلى كتفه البردة وفي يده القسيب وفي وسطه منطقة حديد صني، ووزيره معه نظام الدين ونقيب الطالبين ونقيب القباء علي بن طراد، وشيخ الشيوخ صدر الدين إسماعيل وغيرهم. فنزلت خيمة، وبلغ البرسيقي خروجه فعاد بعسكره إليه.

ونزل المسترشد بالحديثة بنهر الملك واستخلف البرسيقي والأمراء على الناصحة، وسار فنزل المباركة، وعيي البرسيقي أصحابه للحرب ووقف المسترشد وراء العسكر في خاصته، وعيي دبیس أصحابه صفاً واحداً وبين يديهم الإمام تعزف وأصحاب الملاهي، وعسكر الخليفة تجاذب القراءة والتسبيح مع جناته، ومع أعلامه كرباوي خراسان وفي الساقية سليمان بن مهارش. وفي ميمنة البرسيقي أبو بكر بن إلياس مع الأمراء البلخية، فحمل عنز بن أبي العسكر من عسكر دبیس على ميمنة البرسيقي فدحرها وقتل ابن أخي أبي بكر. ثم حل ثانية كذلك فحمل عماد الدين

العامة لذلك واجتمعوا، وخرج المسترشد والشمامية على رأسه والوزير بين يديه، وأمر بضرب الطبرول ونفخ الأبواق، ونادى بأعلى صوته يا هاشم! ونصب الجسر عبر الناس دفعه واحدة. وكان في الدار رجال مختلفون في السراديب فخرجوها على العسكر وهم مختلفون في نهب الدار فأسرروا جماعة منهم ونهب العامة دور أصحاب السلطان وعبر المسترشد إلى الجانب الشرقي في ثلاثين ألف مقاتل من أهل بغداد والسواد، وأمر بمحفر الخنداق فحفرت ليلًا، ومنعوا بغداد عنهم، واعتمدوا على كبس السلطان محمود.

وجاء عماد الدين زنكي من البصرة في حشود عظيمة ملأت البر والبحر فاعتزم السلطان على قتال بغداد، وأذعن المسترشد إلى الصلح فأصطلحوا وأقام السلطان ببغداد إلى ربيع الآخر سنة إحدى وعشرين، ومرض فأشير عليه بفارقة بغداد فارتحل إلى همدان ونظر فيما يوليه شحنة العراق مضافاً إلى ما بيده، ويثنى به في سد تلك الخلة. وحمل إليه الخليفة عند رحيله المدابا والتحف الألطاف قبل جميعها. ولما أبعد السلطان عن بغداد قبض على وزير أبي القاسم علي بن الناصر الشجاعي لاتهامه بعمالة المسترشد، واستوزر مكانه شرف الدين أنور شروان بن خالد، وكان مقيماً ببغداد فاستدعاه وأهدى إليه الناس حتى الخلقة. وسار من بغداد في شعبان فوصل إلى السلطان بأصبهان وخلع عليه، ثم استعنوا عشرة أشهر وعاد إلى بغداد ولم ينزل الوزير أبو القاسم محبوساً إلى أن جاء السلطان سنجر إلى الري في السنة بعدها فأطلقه وأعاده إلى وزارة السلطان.

### أخبار دييس مع السلطان سنجر

لما وصل دييس إلى السلطان سنجر ومعه طغول أغريبه بالمسترشد والسلطان محمود، وأنهما عاصيان عليه، وسهلا عليه أمر العراق فسار إلى الري واستدعى السلطان محموداً يختبر طاعته بذلك فبادر للقائه. وما وصل أمر سنجر العساكر فتلقوه وأجلسه معه على سريره، وأقام عنده مدة وأوصاه بدييس أن يعيده إلى بلده، ورجع سنجر إلى خراسان متصرف ذي الحجة ورجع محمود إلى همدان ودييس معه. ثم سار إلى بغداد فقدمها في تاسوعاء سنة ثلاث وعشرين واسترضي المسترشد لدييس فرضي عنه، على شريطة أن يوليه غير الخلة فنزل في الموصل مائة ألف دينار. وشعر بذلك زنكي فجاء بنفسه إلى السلطان وهجم على الستر متذمراً، وحمل المدابا وبذل مائة ألف فأعاده السلطان إلى الموصل، وأعاد

العساكر، فنزل الدسكرة وجاء المسترشد فنزل معه، وتوجه طغول ودييس فنزلوا المأمونية، واتفقا أن يقطعا جسر النهروان فيقيم دييس على الماء، وبخالفهم طغول إلى بغداد، ثم عاقدتهم جميعاً عائمة المطر وأصابت طغول الحمى، وجاء دييس إلى النهروان ليعبر وقد لحقهم الجبرع، فصادف أحلاً من البر، والأطعمة جاءت من بغداد للمسترشد فنهبها، وأرجف في معسكر المسترشد أن دييس ملك بغداد فاجفلوا من الدسكرة إلى النهروان وتركوا اثقلهم. ولا حروا بالنهروان وجدوا دييس وأصحابه نياً فاستيقظ وقتل الأرض بين يدي المسترشد وتذلل فهم بصلحة ووصل الوزير ابن صدقة فشاء عن ذلك ثم مد المسترشد الجسر عبر ودخل بغداد لفتنة خمسة وعشرين يوماً. وسار دييس إلى طغول ثم اعتزما على المسير إلى السلطان سنجر، ومرروا بهمنان فعاثوا في أعمالها وصادروا، واتبعهم السلطان فانهزموا بين يديه ولحقوا بالسلطان سنجر شاكين من المسترشد والشحنة برتش.

### الفتنة بين المسترشد والسلطان محمود

ثم وقعت بين برتش الزكوي وبين نواب المسترشد نبوة فبعث إليه المسترشد يتهدده فخافه على نفسه، وسار إلى السلطان محمود في رجب سنة عشرين فحضر منه، وأنه ثاور العساكر ولقي الحرب وقويت نفسه، وأشار بمحاجته قبل أن يستفتح أمره ويعتنى عليه فسار السلطان نحو العراق، فبعث إليه المسترشد بالرجوع عن البلاد لما فيها من الغلام من فتنة دييس، وبدل له المال، وأن يسير إلى العراق مرة أخرى، فارتات السلطان وصدق ما ظنه برتش وأخذ السير عبر المسترشد إلى الجانب الغربي مغضباً يظهر الرحيل عن بغداد إذ قصدتها السلطان. وصانعه السلطان بالاستعطاف وسؤاله في العود فأبى فقضى السلطان ودخل نحو بغداد.

وأقام المسترشد بالجانب الغربي وبعث عفيفاً الخادم من خواصه في عساكر إلى واسط ليمنع عنها نواب السلطان، فأرسل السلطان إليه عماد الدين زنكي بن أقسندر وكان على البصرة كما ذكرناه، فسار إليه وهزم وقتل من عساكره، ونجا عفيف إلى المسترشد برأسه فجمع المسترشد السفن وسد أبواب دار الخلقة إلا باب التربى، ووصل السلطان في عشر ذي الحجة من سنة عشرين، ونزل باب الشمامية، ومنع العساكر عن دور الناس. وراسل المسترشد في العود والصلح فأبى، ونجا جماعة من عساكر السلطان فنهبوا التاج في أول المحرم سنة إحدى وعشرين فقضى

الجانب الغربي للقائه، ووادعه فهزمه، وسار منهزاً إلى تكريت وبها يرمي نجم الدين أيوب أبو السلطان صلاح الدين، فهوأ له الجسر للعبور، وعبر فأمن وسار لوجهه. وجاء السلطان مسعود من العباية للقاء أخيه سلجوق ومن معه مذلاً مكان زنكي وعسكره من ورائهم، وبلغة خبر انهزامهم فنكص على عقبه، وراسل المسترشد بإن السلطان سنجري وصل إلى وطلب الاتفاق من المسترشد وأخيه سلجوق شاه قراجا على قتال سنجري، على أن يكون العراق للمسترشد يتصرف فيه توابه، والسلطة لمسعود سلجوق شاه وفي عهده فاجابوه إلى ذلك وجاء إلى بغداد في جمادى الأولى سنة ست وعشرين، وتعاهدوا على ذلك.

## واقعة مسعود مع سنجري وهزيمته وسلطنة طفرل

لما توفي السلطان محمود وولي ابنه داود مكانه، نكر ذلك عمه السلطان سنجري عليهم، وسار إلى بلاد الجبل ومعه طفرل ابن أخيه السلطان محمد، كان عنده مثنا وصوله مع دييس فوصل إلى الري، ثم إلى همدان، وسار السلطان مسعود وأخوه سلجوق وقراجا الساقى أتباك سلجوق للقاء. وكان المسترشد قد عاهدهم على الخروج والزموه ذلك. ثم إن السلطان سنجري بعث إلى دييس وأقطعه الحلقة وأمره بالسير إلى بغداد، وبعث إلى عماد الدين زنكي بولاية شيخكية بغداد، والسير إليها فبلغ المسترشد خبر مسيرهما فرجع لمدافعتهما.

وسار السلطان مسعود وأصحابه للقاء السلطان سنجري، ونزل أستراباذ في مائة ألف من العسكر فخافوا عن لقاءه، ورجعوا أربع مراحل فأتبهم سنجري، وتراءى الجمعان عند الديشور ثمان رجب، فاقتلوه وعلى ميمنة مسعود قراجا الساقى وكُزل، وعلى ميسيرته برقتش باردار، ويوفى حاروس فحمل قراجا الساقى في عشرة آلاف على السلطان سنجري، حتى تورط في مصافه فانعطروا عليه من الجانين، وأخذ أسيراً بعد جراحات. وانهزم مسعود وأصحابه، وقتل بعضهم، وفيهم يرمي نجم يوسف حاروس، وأسر آخرون منهم قراجا فاحضر عند السلطان سنجري فوجئه، ثم أمر بقتله. وجاء السلطان مسعود إليه فاكتمه وعاتبه على مخالفته وأعاده أميراً إلى كتجة. وولى الملك طغرل ابن أخيه محمدأ في السلطة وجعل وزيره أبي القاسم الشاشبازى وزير السلطان محمود، وعاد إلى خراسان ووصل نيسابور فيعاشر رمضان من ستة. وأما الخليفة فرجع إلى بغداد كما قلناه لمدافعته دييس

بهروز شحنة على بغداد، وجعلت الحلقة لنظره. وسار السلطان إلى همدان في جمادى سنة ثلاثة وعشرين، ثم مرض السلطان فلحق دييس بالعراق، وحشد المسترشد ل الدفاع عنه، وهرب بهروز من الحلقة فدخلها دييس في رمضان من سنة ثلاثة وعشرين. وبعث السلطان في أثره الأمرين اللذين ضمراه له، وهو ما كرل والأحدبلي، فلما سمع دييس بهما أرسل إلى المسترشد يستعطفه، وتردد الرسل وهو يجمع الأموال والرجال حتى بلغ عساكته عشرة آلاف، ووصل الأحدبلي ببغداد في شوال وسار في آخر دييس. ثم جاء السلطان إلى العراق بفتحه إلى بهروز بالمدايا وبذل الأموال على الأرض فلبي، ووصل إلى بغداد، ودخل دييس البرية، وقصد البصرة فأخذ ما كان فيها للخليفة والسلطان، وجاءت العساكر في اتباعه فدخل البرية. انتهى.

## وفاة السلطان محمود وملك ابنه داود ثم هنارعنه عمومته واستقلال مسعود

ثم توفي السلطان محمود في شوال من سنة خمس وعشرين لثلاث عشرة سنة من ملوكه، واتفق وزيره أبو القاسم الشاشبازى وأتابكة أتسقر الأحدبلي على ولاية ابنه داود مكانه وخطب له في جميع بلاد الجبل وأذربیجان، ووقفت الفتنة بهمدان ونراوتها ثم سكت، فسار الوزير بأمواله إلى الري ليأمن في إيلاتة السلطان سنجري. ثم إن الملك داود سار في ذي القعدة من سنة خمس وعشرين من همدان إلى ريكان، وبعث إلى المسترشد ببغداد في الخطبة، وأتاه الخبر بأن عمه مسعوداً سار من جرجان إلى تبريز وملكتها فسار إليه وحصره في تبريز إلى سلخ الحرم من سنة ست وعشرين، ثم اصطدحا وأفجح داود عن تبريز، وخرج السلطان مسعود منها، واجتمعت عليه العساكر فانتقض سار إلى همدان. وأرسل إلى المسترشد في الخطبة فأجابهم جميعاً بأن الخطبة للسلطان سنجري صاحب خراسان، ويعين بعده من يراه. وبعث إلى سنجري بأن الخطبة إنما ينبغي أن تكون لك وحدك فوقع ذلك منه أحسن موقع، وكانت السلطان منه أحسن موقع وكاتب السلطان مسعود عماد الدين زنكي صاحب المرصل فأجابه وسار إليه وانتهى إلى المشوق. وبينما هم في ذلك إذ ثار قراجا الساقى صاحب فارس وخوزستان بالملك سلجوق شاه ابن السلطان محمد، وكان أتابكة فدخل بغداد في عسكراً كبيراً، ونزل دار السلطان واستخلفه المسترشد لنفسه، ووصل مسعود إلى عباية فبرزوا للقاء، وجاءهم خبر عماد الدين زنكي فعبر قراجا إلى

## مسير المسترشد لحصار الموصل

لما انهزم عماد الدين زنكي أمام المسترشد كما قلنا لحق بالموصل، وشغل سلاطين السلاجوقية في همدان بالخلف الواقع بينهم، وبلغ من أمراء السلاجوقية إلى بغداد فراراً من الفتنة قوي بهم المسترشد، وبعث إلى عماد الدين زنكي بعض شيوخ الصرفية من حضرته فأغاظله في الموعظة فآهانه زنكي وحبسه، فاعتزم المسترشد على حصار الموصل وبعث بذلك إلى السلطان مسعود، وسار من بغداد متتصف شعبان سنة سبع وعشرين في ثلاثين ألف مقاتل. وما قارب الموصل فارقها زنكي ونزل بها نائبه نمير الدين حقر، ولحق بسنجر وأقام يقطع المدد والميرة عن عسكر المسترشد حتى ضاقت بهم الأمور، وحاصرها المسترشد ثلاثة أشهر فامتنعت عليه ورجل عائداً إلى بغداد، فوصل يوم عرقه من سنته. يقال: إن مطراً الخادم جاء من عسكر السلطان مسعود لأنَّه قاصد العراق فارتخلاً لذلك.

## مصادف طغرل ومصطفى وانهزام مسعود

ولما عاد مسعود إلى همدان بعد انهزام أخيه طغرل، بلغه انتقاض داود ابن أخيه محمد بأذربيجان فسار إليه وحصره ببعض قلاعه، فحالله طغرل إلى بلاد الجبل، واجتمعت عليه العساكر ففتح كثيراً من البلاد، وقصد مسعوداً وانتهى إلى قزوين فسار مسعود للقائه، وهرب من عسكره جماعة كان طغرل قد داخلهم واستعملهم، فولى مسعود منهزاً آخر رمضان سنة ثمان وعشرين، واستاذن المسترشد في دخول بغداد وكان نائبه بأصبهان البقيش السادس، ومعه أخوه سلجوق شاه، فلما بلغتهم خبر المزية لحقوا ببغداد، ونزل سلجوق بدار السلطان، وبعث إلى الخليفة بشرة آلاف دينار. ثم قدم مسعود بعدهم ولقي في طريقه شدة وأصحابه بين راجلين وركاب فبعث إليهم المسترشد بالمقام والخيام والأموال والثياب والآلات، وقرب إليهم المنازل، ونزل مسعود بدار السلطة ببغداد متتصف شوال سنة ثمان، وأقام طغرل بهمدان.

## وفاة طغرل واستيلاء السلطان مسعود

ولما وصل مسعود إلى بغداد أكرمه المسترشد، ووعده بالمسير معه لقتال أخيه طغرل، وأراح على عسل عسكره واستحثه لذلك، وكان جماعة من أمراء السلاجوقية قد ضجروا من الفتنة، ولحقوا بالمسترشد فساروا معه ودنس إليهم طغرل بالمواعيد فارتبا

وزنكي، وبلغ الخبر بهزيمة السلطان مسعود، فعبر إلى الجانب الغربي وسار إلى العباسية، ولقيهما محسن البرامكة آخر رجب. وكان في ميمنته جمال الدولة إقبال، وفي ميسيرته مطر الخادم فانهزم إقبال لحملة زنكي، وحمل الخليفة ومطر على ديس فانهزم، وتبعه زنكي فاستمرت المزية عليهم وافترقا، ومضى ديس إلى الحلة وكانت بيد إقبال، وجاءه المدد من بغداد فلقي ديس وهزم، ثم تخلص بعد الجهد، وقصد واسط وأطاعه عسكراً إلى أن خلت سنة سبع وعشرين، فجاءهم إقبال وبرتش باردار، وزحفوا في العساكر برأ وحراً فانهزمت أهل واسط.

ولما استقر طغرل بالسلطنة وعاد عمه سنجر إلى خراسان لخلاف أحد خان صاحب ما وراء النهر عليه، وكان داود ببلاد أذربيجان وكثجة فانتقض وجمع العساكر وسار إلى همدان ويرز إليه طغرل وفي ميمنته ابن برست وفي ميسيرته كزل وفي مقدمته أقسنتر. وسار إليه داود في ميمنته برتش الزكوي والتقيا في رمضان سنة ست وعشرين فأمسك برتش عن القتال، واستراب التركمان منه فنهبوا خيمته، واضطرب عسكر داود لذلك فهرب أتابكة أقسنتر الأحمديلي، واستمرت المزية عليهم وأسر برتش الزكوي، ومضى داود ثم قدم بغداد ومعه أتابكة أقسنتر الأحمديلي فائزه الخليفة بدار السلطان وأكرمه.

ولما بلغ السلطان مسعوداً هزيمة داود ووصوله إلى بغداد قدم إليها وخرج داود لتلقيه، وترجل له عن فرسه، ونزل مسعود بدار السلطة في صفر سنة سبع وعشرين، وخطب له على منابر بغداد ولداود بعده، واتفقا مع المسترشد بالسير إلى أذربيجان وأن يملئها، وسارا لذلك، وملك مسعود سائر بلاد أذربيجان، وحاصر جماعة من الأمراء بأردبيل ثم هزمهم وقتل منهم، وسار إلى همدان ويرز أخوه طغرل للقائه فانهزم، واستول مسعود على همدان وقتل أقسنتر، قتله الباطنية ويقال: بدسسيسة السلطان مسعود. ولما انهزم طغرل قصد الري وبلغ قم، ثم عاد إلى أصبهان ليمتنع بها وسار أخوه مسعود للحصار فارتبا طغرل بأهل أصبهان، وسار إلى بلاد فارس فاتبه مسعود، واستأمن إليه بعض أمراء طغرل فارتبا بالباقين، وانهزم إلى الري في رمضان من سنته، واتبعه مسعود فلحقه باليه، وقاتلته فانهزم طغرل وأسر جماعة من أمراءه. وعاد مسعود إلى همدان ظافراً، وعندما قصد طغرل الري من فارس قتل في طريقه وزيره أبي القاسم الشاشابازи في شوال من سنته لموجدة وجدتها عليه.

الباكون بقلعة سرحاپ، وعاد السلطان إلى همدان ويعتَ الأمير بك آئي الحمدي إلى بغداد شحنته، فوصل سلاح رمضان، ومعه عميد فقيبوا أملاك الخليفة وأخذوا غلاتة، وضج الناس ببغداد ويكونوا على خليفتهم، وأعوَّل النساء ثم عمد العامة إلى المتربرب فكسروه ومنعوا من الخطبة وتتقابوا في الأسواق يخنون التراب على رؤوسهم، وقاتلوا أصحاب الشحنة فائخن فيهم بالقتل وهرب الوالي والحاچب وعظمت الفتنة، ثم بلغ السلطان في شوال أن داود ابن أخيه محمود عصى عليه بالمراغة، فسار لقتاله والمُسْرِشَد معه وتردد الرسل بينهما في الصلح.

### مُقتل المُسْرِشَد وخلافة الرَاشِد

قد ذكرنا مسیر المُسْرِشَد مع السلطان مسعود إلى مراغة وهو في خيمة موكل به. وتسددت الرسل بينهما وتقرب الصلح على أن يحمل مالاً للسلطان ولا يجمع العساكر لحرب ولا فتنة، ولا يخرج من داره ثانٍ قد على ذلك بينهما، وركب المُسْرِشَد وحملت الفاشية بين يديه وهو على العود إلى بغداد فوصل الخبر بمهاواة رسول من السلطان سنجر فتأخر مسیره لذلك، وركب السلطان مسعود للقاء الرسول، وكانت خيمة المُسْرِشَد متفردة العسكرية فدخل عليه عشرون رجالاً أو يزيدون من الباطنية قاتلوا وجدعوه وصلبوه، وذلك سابع عشر ذي القعده من سنة تسع وعشرين، لسبعين عشرة ونصف من خلافته.

وقتل الرجال الذين قتلوا وربع ابنه أبو جعفر بعهد أبيه إلى بذلك فجددت له البيعة ببغداد في ملأ من الناس، وكان إقبال خادم المُسْرِشَد في بغداد، فلما وقعت هذه الحادثة عبر إلى الجانب الغربي وأصعد إلى تكريت ونزل على مجاهد الدين بهروز. ثم بعد مقتل المُسْرِشَد بأيام قتل ديس بن صدقة على باب سراقه بظاهر مدينة خوي، أمر السلطان مسعود غالماً أرمياً بقتله فرقف على رأسه فضربه، وأسقط رأسه، واجتمع إلى أبيه صدقة بالحلة عساكره وماليكه واستأمن إليه قطلخ نكين، وأمر السلطان مسعود بك آئي شحنة بغداد فأخذ الحلة من يد صدقة فبعث بعض عساكره إلى المدائن، وخام عنلقه حتى قدم السلطان إلى بغداد سنة إحدى وثلاثين فقصده وصالحة ولزم بابه.

المُسْرِشَد يغضبه، وأطلع على كتاب طغرل إليه، وقبض عليه وهب ماله، فلتحق الباكون بالسلطان، وبعث فيهم المُسْرِشَد فمنعهم السلطان فحدثت بينهم الوحشة لذلك، وبعث السلطان إلى الخليفة يلزم المسير معه، وبينما مما على ذلك إذ جاءه الخبر بوفاة طغرل، في المحرم من سنة تسع وعشرين، فسار السلطان مسعود إلى همدان وأقبل إلى العساكر فاستولى عليها، وأطاعه أهل البلاد، واستوزر شرف الدين أنوشوان خالداً، وكان قد سار معه بأهله.

### فتنة السلطان مسعود مع المُسْرِشَد

لما استولى السلطان مسعود على همدان استرمح منه جماعة من أعيان الأمراء، منهم برتش وكرل وستقر وإلى همدان، وبعد الرحمن بن طغرل بك، ففارقه وديس بن صدقة معهم، واستأنفوا إلى الخليفة وملحقوا بخوزستان وتعاهدوا مع برست على طاعة المُسْرِشَد، وحضر المُسْرِشَد من ديس وبعث شاهيد الدولة بن الأنباري الأمان للأمراء دون ديس، ورجع ديس إلى السلطان مسعود. وسار الأمراء إلى بغداد فاكتরهم المُسْرِشَد، واشتدت وحشة السلطان مسعود لذلك، ومتناقرته للمُسْرِشَد فاعتزم المُسْرِشَد على قتاله، ويرز من بغداد فيعاشر رجب وأقام بالشفعي وعصى عليه صاحب البصرة فلم يحبه، وأمراء السلاجوقية الذين بقوا معه يحرضونه على المسير فبعث مقدمته إلى حلوان.

ثم سار من شيان واستخلف على العراق إقبالاً خادمه في ثلاثة آلاف فارس ولحقه برست بن برست فبلغ عساكره سبعة آلاف فارس، وكان أصحاب الأغраб يكتوبون المُسْرِشَد بالطاعة فاستصلحهم مسعود، وملحقوا به، وبلغ عساكره خمسة عشر ألفاً، وتسلل إليه كبير من عساكر المُسْرِشَد حتى يبني في خمسة آلاف، وبعث إليه داود ابن السلطان محمد من أذربيجان بأن يقصد الديور ليلاقه بها بعساكره فجعل للقاء السلطان مسعود، وسار وفي ميمونة برتش باردار وكور الدولة ستقر وكرل وبرست بن برست، وفي ميسيرته جاوي برسفي وسراب سلار وأغلبك الذي كان قبض عليه من أمراء السلاجوقية موافقتهم السلطان وكان ذلك عاشر رمضان سنة تسع وعشرين.

والمازات ميسرة المُسْرِشَد إليه وانطبقت عساكره عليه، وأنهزم أصحاب المُسْرِشَد وأنخذ هو أسيراً محكماً، وفيهم الوزير شرف الدين علي بن طراد الزيني، وقاضي القضاة والخطباء والفقهاء والشهداء وغيرهم، وأنزل المُسْرِشَد في خيمة، وحبس

والشهود وعرض عليهم يمين الراشد بمنطبه: إني متى جندت جنداً وخرجت ولقيت أحداً من أصحاب السلطان بالسيف فقد خلعت نفسى من الأمر فاقترا بخلعه. ووافتهم على ذلك أصحاب المناصب والولايات، واتفقوا على ذمه فتقدم السلطان خلعاً، وقطعت خطبته ببغداد وسائر البلاد في ذي القعدة من سنة ثلاثين لسنة من خلافته.

### خلافة المقتفي

ولما قطعت خطبة الراشد استشار السلطان مسعود أعيان بغداد فيمن يولي، فأشاروا بمحمود بن المستظر فقدم إليهم بعمل محضر في خلع الراشد، وذكروا ما ارتكبه من أخذ الأموال ومن الأفعال القادحة في الإمامة، وتخمسوا آخر الحضر بأن من هذه صفتة لا يصلح أن يكون إماماً. وحضر القاضي أبو طاهر بن الكرجي فشهدوا عنده بذلك وحكم بخلعه، ونفذه القضاة الآخرون وكان قاضي القضاة غالباً عند زنكى بالموصل، وحضر السلطان دار الخلافة ومعه الوزير شرف الدين الزيني وصاحب المخزن ابن العسقلاني، وأحضر أبو عبد الله بن المستظر فدخل إليه السلطان والوزير واستخلفاه. ثم أدخلوا النساء وأرباب المناصب والقضاة والفقهاء فبايعوه ثمان عشر ذي الحجة ولقبوه المقتفي. واستوزر شرف الدين علي بن طراد الزيني وبعث كتاب الحكم بخلع الراشد إلى الأفاق، وأحضر قاضي القضاة أبي القاسم علي بن الحسين فأعاده إلى منصبه، وكمال الدين حزرة بن طلحة صاحب المخزن كذلك.

### فتنة السلطان مسعود مع داود واجتماع داود للراشد للحرب ومقتل الراشد

ولما بويع للمقتفي والسلطان مسعود ببغداد، بعث عساكره يطلب الملك داود فلقيه عند مراغة فانهزم داود وملك قراسقرا آذربيجان. ثم قصد داود خوزستان، واجتمع عليه من عساكر التركمان وغيرهم نحو عشرة آلاف مقاتل، وحاصر تستر وكان السلطان سلجوق شاه بواسط بعث إلى أخيه مسعود يستتجده فأنجده بالعساكر وسار إلى تستر فقاتله داود وهزمه. وكان السلطان مسعود مقيناً ببغداد مخافة أن يقصد الراشد العراق من الموصل، وكان قد بعث لزنكى فخطب للمقتفي في رجب سنة إحدى وثلاثين، وسار الراشد من الموصل، فلما بلغ خبر مسيره إلى

### الفتنة بين الراشد والسلطان مسعود وخلافه بالموصل وخليعه

وبعد بيعة الراشد واستقراره في الخلافة وصل برتشش الزركوي من عند السلطان محمود يطلب من الراشد ما استقر على أبيه من المال أيام كونه عندهم، وهو أربعمائة الف دينار فاجبه بأنه لم يختلف شيئاً وأن ماله كان معه فنهب. ثم غي إلى الراشد أن برتشش تهجم على دار الخلافة وفتح المال فجمع الراشد العساكر وأصلح السور، ثم ركب برتشش ومعه الأمراء البلخية وجاؤوا لهجم الدار، وقاتلهم عسكر الخليفة والعمامة فساروا إلى طريق خراسان والمhydr بك آبي إلى خراسان، وسار برتشش إلى البند هجين، ونهبت العامة دار السلطان والراشد واشتدت الوحشة بين السلطان والراشد، وانحرف الناس عن طاعة السلطان إلى الخليفة، وسار داود بن السلطان في عسكر آذربيجان إلى بغداد، ونزل بدار السلطان في صفر من سنة ثلاثين.

ووصل عماد الدين زنكى من الموصل، ووصل برتشش باردار صاحب قزوين، والبقش الكبير صاحب أصبهان، وصدقه بن ديس صاحب الحللة، وابن برسق وابن الأحمدى وجعل الملك داود برتشش باردار شحنة ببغداد، وقبض الراشد على ناصح الدولة أبي عبد الله الحسن بن جهير أستادار، وعلى جمال الدين إقبال. وكان قدم إليه من تكريت فتذكر له أصحابه وخانوه، وشفع زنكى في إقبال الخادم فأطلقه وصار عنده، وخرج الوزير جلال الدين أبو الرضا بن صدقه لتلقى زنكى فقام عنده. ثم شفع فيه وأعاده إلى وزارةه ولحق قاضي القضاة الزيني بزنكى أيضاً، وسار معه إلى الموصل، ووصل سلجوق شاه إلى واسط وقبض بها بك أي ونهب ماله فالhydr زنكى إليه وصاله ورجع إلى بغداد.

ثم سار السلطان داود نحو طريق خراسان ومعه زنكى لقتال السلطان مسعود، وierz الراشد أول رمضان وسار إلى طريق خراسان ورجع بعد ثلاثة وأرسل إلى داود والأمراء بالعود وقتل مسعود من وراء السور، وراسلهم مسعود بالطاعة والموافقة فأبواه، وتبعهم الخليفة في ذلك. وجاء مسعود فنزل على بغداد وحضرهم فيها، وثار العيارون وكثير المرج وأقاموا كذلك نيفاً وخمسين، وأمتعوا وأقلعوا السلطان عنهم. ثم وصله طرططي صاحب واسط بالسفن فعاد وعبر إلى الجانب الغربي فاضطر الراشد وأصحابه، وعاد داود إلى بلاده، وكان زنكى بالجانب الغربي فعبر إليه الراشد وسار معه إلى الموصل، ودخل السلطان مسعود بغداد متصرف ذي القعدة سنة ثلاثين، وأمن الناس. واستدعى القضاة والفقهاء

السلاطين، حتى قام بكسوتها تاجر فارسي من المترددين إلى المند، أفق فيها ثمانية عشر ألف دينار مصرية، وكثر المهرج من العيارين حتى ركب زعماً لهم الخيول وجمعوا الجموع، وتسرت الوالي ببغداد بلباس ابن أخيه سراويل الفترة عن زعيمهم ليدخل في جلتهم، وحتى هم زعيمهم ينشق اسمه في سكة باتباع حاول الشحنة والوزير على قتلها فقتل، ونسب أمر العيارين إلى البخش الشحنة لما أحدث من الظلم والعنف فقبض عليه السلطان مسعود وجسه بتكريت عند مجاهد الدين بهروز، ثم أمر بقتله فقتل. ثم قدم السلطان مسعود في رباعي سنة ثلاثة وثلاثين في الشتاء، وكان يشتري بالعراق ويشتري بالجبال. فلما قدم أزال المكروس وكتب بذلك في الألواح فنصبت في الأسواق وعلى أبواب الجامع ورفع عن العامة نزول الجندي عليهم فكتير الدعاء له والثناء عليه.

### وزارة الخليفة

وفي سنة أربع وثلاثين وقع بين المتفقى ووزيره علي بن طراد الزيني وحشة مما كان يعرض على المتفقى في أمره، فخاف واستجار بالسلطان مسعود فأجاره، وشفع إلى المتفقى في إعادته فامتعم وأستطع اسمه من الكتب، واستتاب المتفقى ابن عمه قاضي القضاة والزيني، ثم عزله واستتاب شديد الدولة الأباري. ثم وصل السلطان إلى بغداد سنة ست وثلاثين فوجد الوزير شرف الدين الزيني في داره فبعث وزيره إلى المتفقى شفيعاً في إطلاق سبيله إلى بيته فاذن له. انتهى.

### الشحنة ببغداد

وفي سنة ست وثلاثين عزل مجاهد الدين بهروز شحنة بغداد، وولى كرل أميراً آخر من مالك السلطان محمود، فكان على البصرة فأضيف إليه شحنة ببغداد، ولما وصل السلطان مسعود إلى بغداد ورأى تبسط العيارين وفسادهم أعاد بهروز شحنة، ولم يتضاع الناس بذلك لأن العيارين كانوا يتبعون بالباء من أجل الدولة فلا يقدر بهروز على منعهم، وكان ابن الوزير وابن قاروتو صهر السلطان يقاسمانهم فيما يأخذون من النهب. واتفق سنة ثمان وثمانين أن السلطان أرسل نائب الشحنة وووجه على فساد العيارين فأخبره بشأن صهره وابن وزيره فأقسم ليصلبه إن لم يصلبهما فأخذ خاتمه على ذلك، وقبض على صهره ابن قاروتو فصلبه و Herb ابن الوزير، وقبض على أكثر العيارين واقتربوا وكفى الناس شرهـ.

السلطان مسعود أذن للعسكر في العود إلى بلادهم، وانصرف صدقه بن دبیس صاحب الحلبة بعد أن زوجه ابنته.

ثم قرم على السلطان مسعود جماعة الأمراء الذين كانوا مع الملك داود مثل البخش السلامي وبرسق بن برسق صاحب تستر وستقر خمار تكين شحنة همدان، فرضي عنهم وولى البخش شحنة ببغداد فظل الناس وعفهم. ولما فارق الراشد زنكى من الموصل سار إلى أذربيجان وانتهى إلى مراغة، وكان بوزابة وعبد الرحمن طغريبك صاحب خلخال، والملك داود ابن السلطان محمود خائفين من السلطان مسعود فاجتمعوا إلى الخلافة فأباهم وتعاهدوا على بيعة داود، وأن يردو الراشد إلى الخلافة فأباهم الراشد إلى ذلك، وبلغ الخبر إلى السلطان فسار من بغداد في شعبان سنة اثنين وثلاثين، وبلغهم قبل وصوله وصول الراشد إليهم فقاتلهم خوزستان فانهزموا وأسر منكيرس صاحب فارس قتله السلطان مسعود صبراً، وافتقرت عساكرة للنهب وفي طلب المنهزمين، ورآه بوزابة وعبد الرحمن طغريبك في فل من الجنيد فحملوا عليه، وقتل بوزابة جماعة من الأمراء منهم صدقه بن دبیس وابن قراسق الأتابك صاحب أذربيجان وعنتر بن أبيي العسكرية وغيرهم كان قبض عليهم لأول المرة وأمسكهم عدهـ، فلما بلغه قتل منكيرس قتلهم جميعاً وانصرف العسكران منهزمين، وقصد مسعود أذربيجان وداود همدان. وجاء إليه الراشد بعد الرقة وأشار بوزابة وكان كبير القوم يسيرهم، فسار بهم إلى فارس فملكتها وأضانها إلى خوزستان.

وصار سلجوق شاه ابن السلطان مسعود ليملكونها فدافعا عنها البخش الشحنة ومطر الخادم أمير الحاج، وثار العيارون أيام تلك الحرب، وعظم المهرج ببغداد، ورحل الناس عنها إلى البلاد. فلما انصرف سلجوق شاه واستقر البخش الشحنة فتك فيهم بالقتل والصلب. ولما قتل صدقه بن دبیس ولـى السلطان على الخلة حمداً أخاه وجعل معه مهلهلاً أخا عنتـرـ بن أبيي العسكرية يدبـرـهـ. ولـما وصلـ الرـاشـدـ والـمـلـكـ دـاـودـ إـلـىـ خـوزـسـتـانـ معـ الـأـمـرـاءـ عـلـىـ مـاـ ذـكـرـنـاـ، وـمـلـكـواـ فـارـسـ، سـارـواـ إـلـىـ الـعـرـاقـ وـمـعـهـمـ خـوارـزمـ شـاهـ. فـلـماـ قـارـبـواـ الـجـزـيـرـةـ خـرـجـ السـلـطـانـ مـسـعـودـ مـلـدـعـتـهـمـ فـاقـتـرـقـواـ، وـمـضـىـ الـمـلـكـ دـاـودـ إـلـىـ فـارـسـ وـخـوارـزمـ شـاهـ إـلـىـ بـلـادـهـ، وـيـقـيـ الرـاشـدـ وـحـدـهـ فـسـارـ إـلـىـ أـصـبـهـانـ فـوـتـبـ عـلـيـهـ فـيـ طـرـيقـهـ نـفـرـ مـنـ الـخـرـاسـانـيـةـ الـذـيـنـ كـانـواـ فـيـ خـدـمـتـهـ فـقـتـلـوـهـ فـيـ الـقـيـلـوـلـةـ خـامـسـ عـشـرـ رـمـضـانـ سـنـةـ اـثـنـيـنـ وـثـلـاثـيـنـ، وـدـفـنـ بـشـهـرـسـتـانـ ظـاهـرـ أـصـبـهـانـ.

وـعـظـمـ أـمـرـ هـذـهـ الـفـتـتـةـ وـاـخـلـفـتـ الـأـحـوـالـ وـالـمـاـسـمـ وـانـقـطـعـتـ كـسـوةـ الـكـبـةـ فـيـ هـذـهـ السـنـةـ مـنـ دـارـ الـخـلـافـةـ مـنـ قـبـلـ

الأمراء وخافوا غائلته وساروا نحو العراق -وهم أيلدكر المسعودي صاحب كنجة وأرانية، وقيصر والبيش كون صاحب أعمال الجبل- وقتل الحاجب وطرنطاي محمودي شحنة واسط وابن طغابرك. ولما بلغوا حلوان خاف الناس بأعمال العراق وعن المقتفي بإصلاح السور، وبعث إليهم بالنهي عن القديم فلم يتبعوا ووصلوا في ربيع الآخر سنة ثلات وأربعين، ولملك محمد ابن السلطان محمود منهم، وزلوا بالجانب الشرقي، وفارق مسعود جلال الشحنة ببغداد إلى تكريت، ووصل إليهم علي بن ديساصاً صاحب الملة، وزلوا بالجانب الغربي وجند المقتفي أجناضاً وقتلتهم مع العامة فكانوا يستطرون للعلامة والجند حتى يعودوا، ثم يكرون عليهم فيخنوا فيهم. ثم كثر عيدهم ونبههم. ثم اجتمعوا مقابل التاج وقبلوا الأرض واعتذروا، وتراجعت الرسل ورحلوا إلى النهروان.

وعاد مسعود جلال الشحنة من تكريت إلى بغداد، وافتراق هؤلاء الأمراء وفارقوا العراق، والسلطان مع ذلك مقسم ببلد الجبل. وأرسل عمه سنجر إلى الري سنة أربع وأربعين فبادر إليه مسعود وترضاه فأعتبه وقبل عنده. ثم جاءت سنة أربع وأربعين جماعة أخرى من الأمراء وهم البخش كون والطرنطاي وابن ديساصاً وملك شاه ابن السلطان محمود فراسلوا المقتفي في الخطبة لملك شاه فلم يجدهم، وجع العساكر وحسن بغداد وكاتب السلطان مسعوداً بالوصول إلى بغداد فشغله عمه سنجر إلى الري، ولما علم البخش مراسلة المقتفي إلى مسعود نهب النهروان، وقبض على علي بن ديساصاً وهرب الطرنطاي إلى التمانية، ووصل السلطان مسعود إلى بغداد متصرف شوال، ورحل البخش كون من النهروان وأطلق ابن ديساصاً.

### وزارة المقتفي

وفي سنة أربع وأربعين استوزر المقتفي محى بن هيبة وكان صاحب ديوان الزمام وظهرت منه كفاية في حصار بغداد فاستوزره المقتفي.

### وفاة السلطان مسعود وملك شاه ابن أخيه محمود

ثم توفي السلطان مسعود أول رجب سنة سبع وأربعين وخمسة لإحدى وعشرين سنة من بيته، وعشرين من عوده بعد

### انتهاض الأعياض واستبداد الأمراء على الأمير مسعود وقتله إياهم

وفي سنة أربعين سار بزبابة صاحب فارس وخوزستان وعاشره إلى قاشان ومعه الملك محمد ابن السلطان محمود، واتصل بهم الملك سليمان شاه ابن السلطان محمد، ولقي بزبابة الأمير عباس صاحب الري وتماماً في الانتهاض على السلطان مسعود، ولملاً كثيراً من بلاده فسار السلطان مسعود عن بغداد، ونزل بها الأمير مهلل والخادم مطر وجاءه من غلمان بهروز. وسار معه الأمير عبد الرحمن طغريبك، وكان حاجبه ومحكمأً في دولته، وكان هواه مع ذينك الملكين، فسار السلطان عبد الرحمن حتى تقارب العسكران، فلقي سليمان شاه آخاه مسعوداً فحقق عليه، وجرى عبد الرحمن في الصلح بين الفريقين، وأضيفت وظيفة أذربيجان وأرمénية إلى ما بيده.

وسار أبو الفتح ابن هزارشب وزير السلطان مسعود ومعه وزير بزبابة فاستبدلوا على السلطان وحجروه عن التصرف فيما يريده، وكان بك أرسلان بن بلتكري المعروف بخاص بك خالصة للسلطان بما كان من تربيته فدخلوه واستولوا به على هوى السلطان بكل معنى. وكان صاحب خلخال وبعض أذربيجان، فلما عظم تحكمه أسر السلطان إلى خاص بك بقتل عبد الرحمن، فدس ذلك إلى جماعة من الأمراء وقتلوه في موكيه، ضربه بعضهم بمقرعة حديد فسقط إلى الأرض ميتاً وبلغ إلى السلطان مسعود ببغداد ومعه عباس صاحب الري في عسكر أكثر من عسكره فامتنع لذلك فتلطف له السلطان، واستدعاه إلى داره، فلما انفرد عن غلامه أمر به قتل. وكان عباس من غلمان السلطان محمود وولي الري، وجادل الباطنية وحسن آثاره فيهم. وكان مقتله في ذي القعدة سنة إحدى وأربعين. ثم حبس السلطان مسعود آخاه سليمان شاه بقلعة تكريت، وبلغ مقتل عباس إلى بزبابة فجمع عساكره من فارس وخوزستان وسار إلى أصحابه فحاصرها، ثم سار إلى السلطان مسعود والتقيا برج قراتكين فقتل بزبابة قبل: بهم أصحابه وقيل: أخذ أسيراً وقتل صبراً، وانهزمت عساكره إلى معذان وخراسان.

### انتهاض الأمراء ثانية على السلطان

ولما قتل السلطان من قتل من أمرائه استخلص الأمير خاص بك وأنفذ كلته في الدولة، ورفع منزلته فحسده كثير من

ثم بلغ الخبر بأن شحنة مسعود وترشك وصلت في العساكر ومعهم الأمير البشوش كون وأنهما استحثا الملك عماداً لقصد العراق، فلم يتهيأ له فبعث هذا العسرك معهم، وانضاف إليهم خلق كثير من التركمان، فسار المقتفي للقائهم، ويعث الشحنة مسعود عن أرسلان ابن السلطان طغرل بن محمد وكان محبوساً بتكريت فأحضره عنه ليقاتل به المقتفي، والتقوا عند عقر بابل فتناقلوا ثمانية عشر يوماً، ثم تنازلا آخر رجب فانهزمت ميمنة المقتفي إلى بغداد، ونبت خزاناته وثبت هو واشتد القتال وانهزمت عساكر العجم وظفر المقتفي بهم، وغنم أموال التركمان وسيماً نسائهم وأولادهم، ولحق البشوش كون بيلد الخلو وقلعة المهاكين وأرسلان بن طغرل، ورجع المقتفي إلى بغداد أول شعبان.

وقصد مسعود الشحنة وترشك بلد واسط للعيت فيها، فبعث المقتفي الوزير ابن هيرة في العساكر فهزمهم. ثم عاد فلقيه المقتفي سلطان العراق وأرسلان بن طغرل، ويعث إليه السلطان محمد في إحضاره عنده. ومات البشوش في رمضان من ستة وسبعين أرسلان مع ابن البشوش، وحسن الخازندار فحملاه إلى الجبل ثم سارا به إلى الركن زوج أمه، وهو أبو البهلوان وأرسلان وطغرل الذي قتله خوارزم شاه، وكان آخر السلاجوقية ثلاثة أئمة لأم. ثم سار المقتفي سنة خمسين إلى دنقلا فحاصرها أيام، ثم رجع عنها لأنه بلغه أن عسرك الموصى تجهز لدافعته عنها فرجل.

### استيلاء شملة على خوزستان

قد ذكرنا من قبل شأن شملة وأنه من التركمان واسمه إيدغدي وأنه كان من أصحاب بيك التركمان، وهو ب يوم قتل السلطان محمد صاحبه خاص بيك بعد أن حذر منه فلم يقبل، وثنا من الراقة فجمع جرعاً وسار بيريد خوزستان وصاحبها يومئذ ملك شاه ابن السلطان محمود بن محمد. ويعث المقتفي عساكره لذلك فلقيهم شملة في رجب وهزمهم وأسر وجوههم. ثم أطلقهم ويعث إلى الخليفة يعتذر قبلاً عذر، وسار إلى خوزستان فمكلها من يد ملك شاه ابن السلطان محمود.

### إشارة إلى بعض أخبار السلطان سنجري بخوزستان ومبدأ دولة بنى خوارزم شاه

كان السلطان سنجري من ولد السلطان ملك شاه لصلبه، ولا استول بركيارق بن ملك شاه على خوزستان سنة تسعين

منازعة إخوته. وكان خاص بيك بن سلمكري متغلباً على دولته، فبائع ملك شاه ابن أخيه السلطان عمود، وخطب له بالسلطنة في همدان، وكان هذا السلطان مسعود آخر ملوك السلاجوقية عن بغداد، وبعث السلطان ملك شاه الأمير شكاركرد في عسرك إلى الحللة فدخلها، وسار إليه مسعود جلال الشحنة، وأظهر له الاتفاق. ثم قبض عليه وغرقه واستبد بالحللة وأظهر المقتفي إليه العساكر مع الوزير عون الدولة والدين بن هيرة فعبر الشحنة إلى هاجر الفرات، وقاتلهم فانهزموا وثار أهل الحللة بدعة المقتفي ومنعوا الشحنة من الدخول فعاد إلى تكريت.

ودخل ابن هيرة الحللة ويعث العساكر إلى الكوفة وواسط فملكتها، وجاءت عساكر السلطان إلى واسط فقتلوا عليها عسرك المقتفي فتجهز بنفسه، وانتزعها من أيديهم، وسار منها إلى الحللة. ثم عاد إلى بغداد في عشر ذي القعدة. ثم إن خاص بيك المتغلب على السلطان ملك شاه استوحش وتذكر وأراد الاستبداد فبعث عن الملك محمد ابن السلطان محمد بخوزستان سنة ثمان وأربعين فباعه أول صفر وأهدى إليه وهو مصرم الفتاك، فسبقه السلطان محمد لذلك وقتله ثاني يوم البيعة إيسد غدي التركمانى المعروف بشملة من أصحاب خاص بيك ونهاه عن دخوله إلى السلطان محمد، فلم يقبل. فلما قتل خاص بيك نهب شملة عسركه ولحق بخوزستان وكان خاص بيك صبياً من التركمان اتصل بالسلطان مسعود واستخلصه وقدمه على سائر الأمراء.

### حروب المقتفي مع أهل الخلاف وحصار البلاد

ثم بعث المقتفي عساكره لحصار تكريت مع ابن الوزير عون الدين والأمير ترشك من خواصه وغيرهم، ووقع بيته وبين ابن الوزير منافرة خشي لها ترشك على نفسه فصالح الشحنة صاحب تكريت، وقبض على ابن الوزير والأمراء، وحبسهم صاحب خراسان فاعتدا فيها وخرج المقتفي في اتباعهم فهو بابن يدبه، ووصل تكريت وحاصرها أيام. ثم رجع إلى بغداد ويعث سنة تسعة وأربعين بتكريت في ابن الوزير وغيره من المأسورين، فقبض على الرسول فبعث إليهم عسركاً فامتنعوا عليه، فسار المقتفي بنفسه في صفر من ستة وملك تكريت، وافتتحت عليه القلعة فحاصرها، ورجع في ربيع. ثم بعث الوزير عون الدين في العساكر لحصارها واستكثر من الألات وضيق عليها.

محسن، وبعث إلى المتفقى ليستأذنه في القدوم، وبعث زوجته وولده رهناً على الطاعة والمناصحة فاذن له، وقدم في خف من العساكر ثلاثة أو نحوها، وأخرج الوزير عن الدين بن هيبة ولده لتلقىه ومعه قاضي القضاة والنقيب، ودخل على رأسه الشعمسية، وخلع عليه.

ولما كان الحرم من سنة إحدى وخمسين حضر عند المتفقى بما يحضر قاضي القضاة وأعيان العباسين واستحلله على الطاعة، وأن لا يتعرض للعراق. ثم خطب له ببغداد وبلقب أبيه السلطان محمد، وبعث عسكراً نحو ثلاثة آلاف واستقدم داود صاحب الخلة فجعل له أمر الحجاجة، وسار نحو الجبل في ربيع. وسار المتفقى إلى حلوان وسار إلى ملك شاه بن محمود أخي سليمان صاحب خوزستان فاستحلله سليمان شاه وجعله ولـي عهده، وأمدـهما بالمال والأسلحة، وساروا إلى همدان وأصبهان، وجاءـهم المذكرـ بالـمالـ والأـسلـحةـ، وـسـارـواـ إـلـىـ هـمـدـانـ وـأـصـبـهـانـ، وـجـاءـهـمـ الـمـذـكـرـ صـاحـبـ بـلـادـ أـرـانـ فـكـثـرـ جـعـهـمـ وـبـلـغـ خـرـبـهـمـ السـلـطـانـ مـحـمـدـ بـنـ عـمـودـ بـعـثـ إـلـىـ قـطـبـ الدـيـنـ مـوـدـودـ بـنـ زـنـكيـ صـاحـبـ الـمـوـصـلـ، وـنـائـبـ زـينـ الـدـيـنـ لـيـسـتـجـدـهـمـ فـأـجـابـهـ، وـسـارـ لـلـقاءـ سـلـيمـانـ شـاهـ وـأـصـحـابـهـ فـالـتـقـواـ فـيـ جـادـيـ، وـانـهـزـمـ سـلـيمـانـ شـاهـ وـافـرـقـتـ عـساـكـرـهـ، وـسـارـ الـمـذـكـرـ إـلـىـ بـلـادـهـ، وـسـارـ سـلـيمـانـ شـاهـ إـلـىـ بـغـدـادـ وـسـلـكـ عـلـىـ شـهـرـزـورـ فـاعـرـضـهـ زـينـ الـدـيـنـ عـلـىـ كـوـرـجـكـ نـائـبـ قـطـبـ الدـيـنـ بـالـمـوـصـلـ، وـكـانـ مـقـطـعـ شـهـرـزـورـ الـأـمـيرـ بـرـانـ مـنـ جـهـةـ زـينـ الـدـيـنـ فـاعـرـضـهـ وـأـخـذـهـ أـسـيـراـ، وـحـلـ زـينـ الـدـيـنـ إـلـىـ الـمـوـصـلـ فـجـسـيـهـ بـقـلـعـتـهـ، وـبـعـثـ إـلـىـ السـلـطـانـ مـحـمـدـ بـالـخـبـرـ.

### حصر السلطان محمد ببغداد

كان السلطان محمد قد بعث إلى المتفقى في الخطبة له ببغداد فامتنع من إجابته، ثم بايع لعمه سليمان وخطب له وكان ما قدمناه من أمره معه. ثم سار السلطان محمد من همدان في العساكر نحو العراق، فقدم في ذي الحجة سنة إحدى وخمسين، وجاءـهـ عـساـكـرـ الـمـوـصـلـ مـدـداـ مـنـ قـبـلـ قـطـبـ الدـيـنـ وـنـائـبـ زـينـ الـدـيـنـ، وـاضـطـرـيـتـ النـاسـ بـبـغـدـادـ، وـأـرـسـلـ المـتفـقـيـ عـنـ فـضـلـ بـوـاشـ صـاحـبـ وـاسـطـ فـجـاءـ فـيـ عـسـكـرـهـ. وـمـلـكـ مـهـلـلـ الـخـلـةـ فـاهـمـ اـبـنـ هـيـرـةـ بـأـمـرـ الـحـصـارـ وـجـعـ السـفـنـ تـحـتـ النـاحـيـ، وـقـطـعـ الـجـسـرـ، وـأـجـفـلـ النـاسـ مـنـ الـجـانـبـ الـغـرـبـيـ، وـنـقـلـ الـأـمـوالـ إـلـىـ حـرـيمـ دـارـ الـخـلـافـةـ، فـرـقـ المـتفـقـيـ السـلاحـ فـيـ الـجـنـدـ وـالـعـامـةـ، وـمـكـثـواـ إـيـامـ يـقـتـلـونـ، وـمـدـ السـلـطـانـ جـسـراـ عـلـىـ دـجـلـةـ فـعـبـرـ عـلـىـ الـجـانـبـ الـشـرـقـيـ حـتـىـ كـانـ الـقـتـالـ فـيـ الـجـانـيـنـ.

وأـرـعـامـةـ مـنـ يـدـ عـمـهـ أـرـسـلـانـ أـرـغـونـ، كـماـ نـذـكـرـ فـيـ أـخـبـارـهـ عـنـ تـفـرـدـهـ مـسـتوـفـيـ، وـلـيـ عـلـيـ أـخـاـهـ سـنـجـرـ، وـوـلـيـ عـلـيـ خـوارـزـمـ مـحـمـدـ بـنـ أـنـوشـ تـكـيـنـ مـنـ قـبـلـ الـأـمـيرـ دـاـوـدـ جـشـيـ بـنـ الـبـوـسـاقـ. ثـمـ لـمـ ظـهـرـ السـلـطـانـ مـحـمـدـ وـنـازـعـ بـرـكـيـارـقـ وـتـعـاـقـبـاـ فـيـ الـمـلـكـ، وـكـانـ سـنـجـرـ شـقـيقـاـ مـحـمـدـ فـوـلاـهـ عـلـىـ خـرـاسـانـ، وـلـمـ يـزـلـ عـلـيـهـ. وـلـمـ اـخـتـلـفـ أـوـلـادـ مـحـمـدـ مـنـ بـعـدـ كـانـ عـقـيدـ أـمـرـهـ وـصـاحـبـ شـورـاـهـ إـذـ خـلـفـ لـهـ بـيـغـدـادـ مـقـدـماـ اـسـمـ عـلـىـ اـسـمـ سـلـطـانـ الـعـرـاقـ مـنـهـ سـنـةـ.... ثـمـ خـرـجـتـ أـمـمـ الـخـطاـ مـنـ التـرـكـ مـنـ مـفـازـةـ الـصـينـ وـمـلـكـوـاـ مـاـ وـرـاءـ الـنـهـرـ مـنـ يـدـ الـجـاهـيـةـ مـلـوـكـ تـرـكـسـتـانـ سـنـةـ سـتـ وـثـلـاثـيـنـ كـماـ نـذـكـرـ فـيـ أـخـبـارـهـ.

وـسـارـ سـنـجـرـ لـمـ دـافـعـتـهـ فـهـزـمـوهـ فـوـهـنـ لـذـلـكـ فـاسـتـعـدـ عـلـيـهـ خـوارـزـمـ شـاهـ بـعـضـ الشـيـءـ. وـكـانـ الـخـلـافـهـ لـمـ مـلـكـوـاـ بـلـادـ تـرـكـسـتـانـ أـزـعـجـوـاـ الغـزـرـ عـنـهـاـ إـلـىـ خـرـاسـانـ وـهـمـ بـقـيـةـ السـلـجـوقـيـهـ هـنـاكـ. وـأـجـازـ السـلـجـوقـيـهـ لـأـوـلـ دـوـلـهـمـ إـلـىـ خـرـاسـانـ فـمـلـكـوـهـ، وـبـقـيـ هـؤـلـاءـ الغـزـرـ بـنـوـاـحـيـ تـرـكـسـتـانـ فـاجـازـوـاـ أـمـامـ الـخـطاـ إـلـىـ خـرـاسـانـ، وـأـقـامـوـاـ السـلـطـانـ بـهـاـ حـتـىـ عـتـنـاـ وـنـمـوـاـ. ثـمـ كـثـرـ عـيـثـهـمـ وـفـسـادـهـمـ وـسـارـ إـلـيـهـ السـلـطـانـ سـنـجـرـ سـنـةـ ثـمـانـ وـأـرـبعـينـ فـهـزـمـوهـ وـاسـتـولـوـاـ عـلـيـهـ وـأـسـرـوـهـ، وـمـلـكـوـهـ بـلـادـ خـرـاسـانـ وـافـرـقـتـ أـمـرـاؤـهـ عـلـىـ الـنـوـاـحـيـ. ثـمـ مـلـكـوـهـ وـهـوـ أـسـيرـ فـيـ أـيـديـهـمـ سـنـةـ إـحدـيـ وـخـسـينـ وـافـرـقـتـ بـلـادـ خـرـاسـانـ عـلـىـ أـمـرـاهـ كـمـاـ يـذـكـرـ سـنـةـ ثـلـاثـيـنـ وـخـسـينـ وـافـرـقـتـ بـلـادـ خـرـاسـانـ عـلـىـ كـلـهـاـ وـعـلـىـ أـصـبـهـانـ وـالـرـيـ مـنـ وـرـائـهـ وـعـلـىـ أـعـمـالـ غـزـنـةـ مـنـ يـدـ بـنـيـ سـبـكـيـنـ وـشـارـكـهـمـ فـيـهـاـ التـورـ بـعـضـ الشـيـعـةـ وـقـامـ بـنـوـ خـوارـزـمـ شـاهـ مـقـامـ السـلـجـوقـيـهـ إـلـىـ أـنـ اـنـقـرـضـتـ دـوـلـهـمـ عـلـىـ يـدـ جـنـكـرـخـانـ مـلـكـ التـترـ مـنـ أـمـمـ الـتـرـكـ فـيـ أـوـاـلـ مـائـةـ السـابـعـةـ كـمـاـ يـذـكـرـ ذـلـكـ كـلـهـ فـيـ أـخـبـارـ كلـهـمـ عـنـدـهـمـ نـفـرـهـاـ بـالـذـكـرـ إـنـ شـاهـ اللـهـ تـعـالـىـ.

### الخطبة ببغداد لسلیمان شاه ابن السلطان محمد وحروبه مع السلطان محمد بن محمود

كان سليمان بن محمد عند عمته سنجري خراسان منذ أعواـمـ وقد جعله ولـيـ عـهـدـهـ، وـخـطـبـ لـهـ بـخـرـاسـانـ فـلـمـ غـلـبـ الغـزـرـ عـلـىـ سـنـجـرـ وـأـسـرـهـ تـقـدـمـ سـلـيمـانـ شـاهـ عـلـىـ الـعـساـكـرـ، ثـمـ غـلـبـتـهـمـ الغـزـرـ فـلـحقـ بـخـوارـزـمـ شـاهـ فـصـاهـهـ أـلـاـ بـاـبـةـ أـخـيـهـ، ثـمـ تـكـرـ فـسـارـ إـلـىـ أـصـبـهـانـ فـمـنـعـهـ شـحـتـهـاـ مـنـ الدـخـولـ فـسـارـ إـلـىـ قـاشـانـ، فـبـعـثـ إـلـيـهـ السـلـطـانـ مـحـمـدـ شـاهـ بـنـ مـحـمـودـ فـقـصـدـ الـلـحـفـ، وـنـزـلـ عـلـىـ السـيـدـ

المقتفى، وأذن له في دخول دار الخلافة. ثم زحف إلى قيماز السلطان في ناحية بادريا سنة ثلات وخمسين فهزمه وقتله وبعث المقتفى عساكره لقتال شملة فلحق بملك شاه.

### وفاة السلطان محمد بن محمود وملك عمه سليمان شاه ثم أرسلان بن طغرل

ثم إن السلطان محمد بن محمود بن ملك شاه لما رجع عن حصار بغداد أصابه مرض السل وطال به، وتوفي بهمدان في ذي الحجة سنة أربع وخمسين لسبعين سنين ونصف من ملكه، وكان له ولد فبيش من طاعة الناس له، ودفعه لأستقر الأحمديلي وأوصاه عليه فرحل به إلى مراغة. ولما مات السلطان محمد اختلف الأمر فيمن يرثونه، وماל الأكثر إلى سليمان شاه عمه، وطائفة إلى ملك شاه أخيه، وطائفة إلى أرسلان بن السلطان طغرل الذي مع الذكر يبلاد آران. وبادر ملكشاه آخره فسار من خوزستان ومعه شملة التركاني ودكلا صاحب فارس، ورحل إلى أصحابه فأطاعه ابن الحجنجي، وأتفق عليه الأموال وبعث إلى عساكر همدان في الطاعة فلم يجتمعوا، وأرسل أكابر الأمراء من همدان إلى قطب الدين مودود بن زنكي صاحب الموصل في سليمان شاه المحبوس عنده ليولوه عليهم، وذلك أول سنة خمس وخمسين فاطلقه على أن يكون أتاباكاً له وجال الدين وزيره وزيراً وجهزه بجهاز السلطة وبعث معه نائب زين الدين علي كوجك في جندي في بغداد سنة ثلات وخمسين وضمن له الأمير خطلوبيرس إصلاحه، فسار إليه خاله على أن يشرك المقتفى معه في بلد اللحف الأمير أرغشن المسترشدي فاقطعهما لهما جميعاً ورجع ثم عاد ستر على أرغشن وأخرججه، وانفرد بيده وخطب للسلطان محمد فسار إليه خطلوبيرس من بغداد في العساكر وهزمهم، وملك اللحف وسار ستر إلى قلعة الماهكي للأمير قيماز العمبيدي ونزلها في أربعين ألف فارس.

وكثرت جموع ملك شاه بأصحابه وبعث إلى بغداد في الخطبة، وأن يقطع خطبة عمه ويراجع القواعد بالعراق إلى ما كانت فوضى عليه الوزير عون الدين بن هبيرة جارية بعث بها إليه فسمته، فمات سنة خمس وخمسين، فاخرج أهل أصحابه وخطبوا لسليمان شاه. وعاد شملة إلى خراسان فملك كل ما كان ملك شاه تغلب عليه منها. واستقر سليمان شاه بتلك البلاد، وشقق باللهور والسكر ومنادمة الصفاعين، وفوض الأمور إلى شرف الدين دواداره من مشائخ السلاجقة، كان ذا دين وعقل وحسن تربية، فشكى الأمراء إليه فدخل عليه وعذله وهو سكران فامر الصفاعين بالارد عليه، وخرج مغضباً. وصحا سليمان فاستدرك أمره بالاعتذار فأظهر القبول، واجتسب الحضور عنده وبعث سليمان إلى أبنائين صاحب الري يستقدمه فاعتذر بالمرض

ونفذت الأقوات في العسكر واشتد القتال والمحصار على أهل بغداد لانقطاع الميرة والظهور من عسكر الموصل لأن نور الدين محمود بن زنكي وهو آخر قطب الدين الأكبر بعث إلى زين الدين يلومه على قتال الخليفة. ثم بلغ السلطان محمد أن أخاه ملك شاه والمذكور صاحب بلاد آران، وأرسلان ابن الملك طغرل بن محمد ساروا إلى همدان وملكونها فارتحل عن بغداد في آخر ربيع سنة الثتين وخمسين. وسار إلى همدان وعاد زين الدين كوجك إلى الموصل.

ولا تقصد السلطان محمد همدان صار ملك شاه والمذكور ومن معهم إلى الري فقاتلهم شحتها أبنائين وهزموا، وأمده السلطان محمد بالأمير سقمان بن قيماز فسار لذلك ولقيهما منصرين عن الري قاصدين بغداد فقاتلهم، وانهزم أمامهما فسار السلطان في أثرهما إلى خوزستان، فلما انتهى إلى حلوان جاءه الخبر بأن المذكور بالديبور وبعث إليه أبنائين بأنه استولى على همدان وأعاد خطبته فيها، فافتربت جموع ملك شاه والمذكور وفارتهم شملة صاحب خوزستان، فعادوا هاربين إلى بلادهم وعاد السلطان محمد إلى همدان.

### حروب المقتفى مع أهل التواحي

كان ستر همداني صاحب اللحف، وكان في هذه الفتنة قد نهب سواد بغداد وطريق خراسان، فسار المقتفى لحربه في جندي سنة ثلات وخمسين وضمن له الأمير خطلوبيرس إصلاحه، فسار إليه خاله على أن يشرك المقتفى معه في بلد اللحف الأمير أرغشن المسترشدي فاقطعهما لهما جميعاً ورجع ثم عاد ستر على أرغشن وأخرججه، وانفرد بيده وخطب للسلطان محمد فسار إليه خطلوبيرس من بغداد في العساكر وهزمهم، وملك اللحف وسار ستر إلى قلعة الماهكي للأمير قيماز العمبيدي ونزلها في أربعين ألف فارس.

ثم سار إليه ستر سنة أربع وخمسين فهزمه ورجع إلى بغداد فخرج المقتفى إلى النعمانية وبعث العساكر مع ترشك فهرب ستر في الجبال ونهب ترشك مخلفه وحاصر قلعة الماهكي، ثم عاد إلى البنديرين وبعث بالخبر إلى بغداد. ولحق ستر بملك شاه فآلهه خمسمائة فارس وبعث ترشك إلى المقتفى في المدد فآلهه، وبعث إليه ستر في الإصلاح فحبس رسوله، وسار إليه فهزمه واستباح عسكره ونجا ستر جريحاً إلى بلاد العجم فآقام بها. ثم جاء بها سنة أربع وخمسين إلى بغداد، ولقي نفسه تحت الساج فرضي عنه

إلى أن يفوت.

وبدأ الذكر بقصد أبنائي. ثم بلغه أن زنكي بن دكلا نهب سمير ونواجهها، فبعث عسكراً نحو من عشرة آلاف فارس لمحظتها فلقيهم زنكي فهزهم، فبعث الذكر إلى عساكر أذربيجان فجاء بها ابنه كزل أرسلان. وبعث زنكي بن دكلا العساكر إلى أبنائي ولم يحضر بنفسه خوفاً على بلاد شملة من صاحب خوزستان. ثم التقى الذكر وأبنيائي في شعبان سنة ست وخمسين فانهزم أبنيائي واستبيح عسكره وحاصره الذكر ثم صالحه ورجع إلى همدان.

### وفاة المقتفي وخلافة المستجود وهو أول الخلفاء المستبدون على أمرهم من بني العباس عند تراجع الدولة وضيق نطاقها ما بين الموصل وواسط والبصرة وحلوان

ثم توفي المقتفي لأمر الله أبو عبد الله محمد بن المستظر في ربيع الأول سنة خمس وخمسين لأربع وعشرين سنة واربع شهر من خلافته، وهو أول من استبدل بالعراق مفترداً عن سلطان يكون معه من أول أيام الدليل، فحكم على عسكره وأصحابه فيما يقى لملكهم من البلدان بعد استبدال الملوك في الأعمال والتواحي. ولما اشتد مرضه تطاول كل من أم ولده إلى ولاية ابنها. وكانت أم المستجود تخاف عليه، وأم أخيه علي تروم ولاية ابنها، واعتزمت على قتل المستجود واستدعته لزيارة أبيه وقد جمعت جوارها واتت كل واحدة منها سكيناً لقتله وأمسكت هي وبابها سيفين، وبلغ الخبر إلى يوسف المستجود فاضطر أستاذدار أخيه، وجاءة من الفراشين وأفزع السلاح ودخل معهم الدار، وثار به الجنواري فضرب إحداهن وأمكها فهربوا وقبض على أخيه علي وأمه فحبسها وقسم الجنواري بين القتل والتغريق حتى إذا توفي المقتفي جلس للبيعة فبايعه أقاربه أو لهم منه أبو طالب، ثم الوزير عون الدين بن هبيرة وقاضي القضاة وأرباب الدولة والعلماء وخطب له. وأقر ابن هبيرة على الوزارة وأصحاب الولايات على ولائهم، وأزال المكروس والضرائب، وقرب رئيس الرؤساء، وكان أستاذدار فرفع منزلته عبد الواحد المقتفي، وبعث عن الأمير ترشك ستة ست وخمسين من بلد اللحيف وكان مقطعاً بها فاستدعاه لقتال جمع من التركمان أفسدوا في نواحي البنديجين فانتفع من الجبي وقال: يائيني العسکر وإنما أقاتل بهم، فبعث المستجود العساكر مع جماعة من الأمراء قتلوا ويعثروا برأسه إلى بغداد. ثم استولى بعد ذلك على قلعة الماككي من يد مولى ستر الهمذاني ولاه عليها سفر وضعف عن مقاومة التركمان والأكراد حوالها

وغي الخبر إلى كريازه الخادم فعمل دعوة عظيمة حضرها السلطان والأمراء وقبض عليه وعلى وزير أبي القاسم محمود بن عبد العزيز الحامدي وعلى أصحابه في شوال من سنة ست وخمسين قتل وزير وخراسه وجسه أيام.

وخرج أبنيائي صاحب الري ونهب البلاد وحاصر همدان وبعث كردياز إلى الذكر يستدعيه لي Baiyin لربيه أرسلان شاه بن طغرل فسار في عشرين ألف فارس، ودخل همدان وخطب لربيه أرسلان شاه بن طغرل بالسلطنة وجعل الذكر أتابكاً له، وأخاه من أمه البهلوان بن الذكر حاججاً. وبعث إلى المقتفي في الخطبة، وأن تعاد الأمور إلى ما كانت عليه أيام السلطان مسعود فطرد رسوله وعاد إليه على أقيع حالة. وبعث إلى أبنيائي صاحب الري فحالقه على الاتفاق، وصاهره في ابنته على البهلوان وجاءت إليه بهمدان وكان الذكر من ماليك السلطان مسعود، وأقطعه أران وبعض أذربيجان ولم يحضر شيئاً من الفتنة، وتزوج أم أرسلان شاه وزوجه طغرل قولدت له محمد البهلوان، وعشان كزل أرسلان. ثم بعث الذكر إلى أقسنت الأحمديلي صاحب مراغة في الطاعة لأرسلان شاه ربيه، فامتنع وهددهم باليعة للطفل الذي عنده محمود بن ملك شاه. وقد كان الوزير ابن هبيرة أطمعه في الخطبة لذلك تطفل فيما بينهم، فجهز الذكر العساكر مع ابنه البهلوان ومسار إلى مراغة، واستبدل أقسنت ساهرمز صاحب خلالت فأنهض بالعساكر، وأتقى أقسنت والبهلوان فانهزم البهلوان وعاد إلى همدان. وعاد أقسنت إلى مراغة ظافراً.

وكان ملك شاه بن محمود لما مات بأصبهان مسموماً كما ذكرنا حق طائفه من أصحابه يبلاد فارس، ومعه ابنه محمود، فقبض عليه صاحب فارس زنكي بن دكلا السلفري بقلعة أصطخر، وما مات بعث الذكر إلى بغداد في الخطبة لربيه أرسلان وشرع الوزير عون الدين أبو المظفر بحبي بن هبيرة في التصريف بينهم بعث ابن دكلا وأطمعه في الخطبة لخليه محمود بن ملك شاه الذي عنده ان ظفر بالذكر فاطلقه ابن دكلا وبایع له، وضرب الطلب على بابه خس نوب وبعث إلى أبنيائي صاحب الري فوافقه وسار إليه في عشرة آلاف، وبعث إليه أقسنت الأحمديلي، وجع الذكر العساكر، وسار إلى أصبهان يريد بلاد فارس، وبعث إلى أصحابها زنكي بن دكلا في الطاعة لربيه أرسلان فأبى، وقال: إن المقتفي أقطعني بلاده وأنا سائر إليه. واستبدل المقتفي وابن هبيرة فرعاً دهرو وكاتبوا الأمراء الذين مع الذكر بالتوبيخ على طاعته والاخراف عنه إلى زنكي بن دكلا صاحب فارس، وأبنيائي صاحب الري،

فاسترثه المستجدة عنها خمسة عشر ألف دينار، وأقام ببغداد. وسار ابن سنكاه إلى واسط وخافه الناس ولم يصل إليها. وكانت هذه القلعة أيام المقتدر باليدي التركمان والأكراد.

## مسير شملة إلى العراق

سار شملة صاحب خوزستان إلى العراق سنة اثنين وستين

وانتهى إلى قلعة الماهكي وطلب من المستجدة إقطاع البلاد، واثشت في الطلب فأبعث المستجدة العساكر لمنعه، وكتب إليه يحثه عاقبة الخلاف فأعذر بان الذكر ورئيس السلطان أرسلان شاه بلاد البصرة وواسط الملك الذي عنده، وهو ابن ملك شاه بلاد البصرة وواسط والحلة، وعرض للترقيع بذلك، وقال: أنا أقنع بالثالث منه فامر المستجدة حيثش بلعنه، وأنه من الخوارج، وتعمت العساكر إلى أرغمش المسترشدي بالنعمانية وإلى شرف الدين أبي جعفر البليدي ناظر واسط ليجتمعوا على قتال شملة، وكان شملة أرسل مليح ابن أخيه في عسكر لقتال بعض الأكراد فركب إليه أرغمش وأسره وبعض أصحابه، وبعث إلى بغداد، وطلب شملة الصلح فلم يجب إليه، ثم مات أرغمش من سقطة سقطها عن فرسه وفيه العسكر مقیماً ورجع شملة إلى بلاده لأربعة أشهر من سفره.

## وفاة الوزير يحيى

ثم توفي الوزير عون الدين يحيى بن محمد بن المظفر بن هبيرة سنة ستين وخمسة في جمادى الأول، وقبض المستجدة على أولاده وأهله وأقامت الوزارة بالنيابة. ثم استرث المستجدة ستة ثلاث وستين شرف الدين، أبي جعفر أحمد بن محمد بن سعيد المعروف بابن البليدي ناظر واسط وكان عضد الدين أبو الفرج بن ديس قد تحكم في الدولة فأمره المستجدة بكيف يده وأيدي أصحابه، وطالب الوزير أخاه تاج الدين محساب عمله بنهر الملك من أيام المقفي، وكذلك فعل بغيرة، فخافه العمال وأهل الدولة وحصل بذلك أمراً جمة.

## وفاة المستجدة وخلافة المستضيء

كان الخليفة المستجدة قد غلب على دولته أستاذدار عضد الدين أبو الفرج ابن رئيس الرؤساء، وكان أكبر الأمراء ببغداد، وكان يراده قطب الدين قيماز المظفرى ولأبي المستجدة أباً جعفر البليدي على وزارته غض من أستاذداره وعارضه في أحکامه فاستحکمت بينهما العداوة، وتذكر المستجدة لأستاذداره وصاحب قطب الدين، فكانا يتهمنا بأن ذلك بسعادة الوزير. ومرض

## فتنة خفاجة

اجتمعت خفاجة سنة ستة وخمسين إلى الحلة والكوفة، وطالبوها برسومهم من الطعام والتمر، وكان مقطع الكوفة أرغش وشحةن الحلة قيس، وهما من ماليك المستجدة فمنعوهما، فقاتلا في تلك البلاد والتراخي فخرجوها إليهم في أثرهم، واتبعوه إلى الرحبة، فطلبوا الصلح فلم يجدهم أرغش ولا قيس، فقاتلوا هم فانهزمت العساكر، وقتل قيس وخرج أرغش ودخل الرحبة، فاستأمن له شحتها ويعثره إلى بغداد. وما زالت الناس عطشاً في البرية وتجهز عون الدين بن هبيرة في العساكر لطلب خفاجة فدخلوا البرية ورجع، وانتهت خفاجة إلى البصرة وبعثوا بالعدو وسألوا الصلح فأجبوا.

## إجلاء بني أسد من العراق

كان في نفس المستجدة بالله من بني أسد أهل الحلية لفسادهم ومساعدتهم السلطان محمد في الحصار، فأمر يزدبن بن قماح بإجلائهم من البلاد، وكانوا من بيت المقدس في البطائع، فجمع العساكر وأرسل إلى ابن معروف قدم السفن، وهو بأرض البصرة، فجاءه في جموع وحاصرهم وطاولهم، فأبعث المستجدة بعاته ويتهمه بالتشيع، فجزر هو وابن معروف في قتالهم، وسد مسالكهم في الماء فاستسلموا، وقتل منهم أربعة آلاف ونحوهم عليهم بالللا من الحلة ففرقوا في البلاد، ولم يبق بالعراق منهم أحد وسلمت بطائحهم وببلادهم إلى ابن معروف.

## الفتنة بواسط وما جرت إليه

كان مقطع البصرة من بيت المستجدة، وقتله ستة تسع وخمسين، وول مكانه كمستكين، وكان ابن سنكاه ابن أخي شملة صاحب خوزستان، فانتهز الفرصة في البصرة ونهب قراها، وأمر كمستكين بقتاله فجزر عن إقامة العساكر وأصعد ابن سنكاه إلى واسط ونهب سعادها وكان مقطعاً لها خلطوريس فجمع الجموع وخرج لقتاله، واستعمال ابن سنكاه الأمراء الذين معه فخذلوه، وانهزم وقتل ابن سنكاه سنة إحدى وستين ثم قصد البصرة سنة اثنين وستين ونهب جهتها الشرقية وخرج إليه كمستكين وواقعه،

الدين محمود بالشام.

فلما جاء شاور مُستجداً بعث معه هؤلاء الأمراء الأبيوريّة وكثيرهم أسد فأعاده إلى وزارته، وقتل الضراغام، ولم يوف له شاور بما ضمن له عند سيره من الشام في مجده. وكان الفرج قد ملكوا سواحل مصر والشام وزاحروا ما ليهَا من الأعمال، وضيقوا على مصر والقاهرة إلى أن ملكوا بلبيس وأيلة عند العقبة. واستولوا على الدولة العلوية في الضراغام والطلبات وأصبحوا مأوى لمن ينتحي عن الدولة. وداخلهم شاور في مثل ذلك فارتَاب به العاضد وبعث عز الدين مستنصرًا به على الفرج في ظاهر أمره، ويسرحون في ارتقاء من إية شاور والتمكّن منه فوصل لذلك، وولاه العاضد وزارته وقلده ما وراء بابه، فقتل الوزير شاور وحسم داهه وكان مهلكه قريباً من وزارته يقال: لسنة ويقال: لخمسين يوماً فاسترز العاضد مكانه صلاح الدين ابن أخيه نجم الدين فقام بالأمر وأخذ في إصلاح الأحوال وهو يعد نفسه وعده من قبله تاباً عن نور الدين محمود بن زنكى الذي بعثه وعده للقيام بذلك.

ولما ثبت قدمه بمصر وأزال المخالفين ضعف أمر العاضد وتحكم صلاح الدين في أمره وأقام خادمه قراقوش للولاية عليه في قصره والتحكم عليه، فبعث إليه نور الدين محمود الملك العادل بالشام أن يقطع الخطبة للعاضد وينطبق للمستضيء ففعل ذلك على توقع التكير من أهل مصر. فلما وقع ذلك ظهر منه الابتزاط وأتاحت آثار الدولة العلوية، وعُكنت الدولة العباسية فكان ذلك مبدأ الدولة لبني أيوب بمصر ثم ملكوا من بعدها أعمال نور الدين بالشام واستضافوا اليمين وطربالس الغرب واتسع ملوكهم كما يذكر في أخبارهم. ولما خطب للمستضيء بمصر كتب له نور الدين محمود من دمشق مبشرًا بذلك فضررت الشاشير ببغداد، وبعث بالخلع إلى نور الدين وصلاح الدين مع عماد الدين صندل من خواص المتفقية، وهو أستاذار المستضيء بمصر كتب له نور الدين بدمشق، وبعث الخلع إلى صلاح الدين وللخطباء بمصر وباسلام السادس. واستقرت الدعوة العباسية بمصر إلى هذا العهد والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

ثم بعث نور الدين محمود إلى المستضيء رسوله القاضي كمال الدين أبا الفضل محمد بن عبد الله الشهزوري قاضي بلاده بطلب التقليد لما يده من الأعمال، وهي مصر والشام والجزرية والموصلى، وما هو في طاعته كديار بكر وخلات وبلاط الروم التي لقليل أرسلان وإن يقطع صريعين ودرب هارون من بلاد سواد العراق كما كانتا لأبيه، فآخر الرسول وزاد في الإحسان إليه

المستجدة سنة ست وستين وخمسة وعشرين مرضه فتحيلاً في إلاته، يقال: إنهموا واضعاً عليه الطيب، وعلم أن هلاكه في الحمام فأشار عليه بدخول فدخله، وأغلقوا عليه بابه فمات. وقيل: كتب المستجدة إلى الوزير ابن البلدي بالقبض على أستاذار وقاياز وقتلهما، وأطلقهما الوزير على كتابه فاستدعيا بزدن وأخاه يتماش وقاوهما، وعرضوا عليهم كتابه، واتفقا على قتلنه فحملوه إلى الحمام وأغلقوا عليه الباب وهو يصيح إلى أن مات تاسع ربيع من سنة ست وستين لإحدى عشرة سنة من خلافته.

ولما أرجف بموته قبل أن يقبض ركب الأمراء والأجناد متسلحين، وغشيتهم العامة واحتفت بهم، وبعث إليه أستاذار بأنه إنما كان غشياً عرضاً، وقد أفاق أمير المؤمنين وخف ما به، فخشى الوزير من دخول الجندي إلى دار الخلافة، فعاد إلى داره وافتلق الناس. فتند ذلك أغلق أستاذار وقاياز أبواب الدار وأحضرها ابن المستجدة أباً محمد الحسن وبايعه بالخلافة ولقبه المستضيء بأمر الله، وشرط عليه أن يكون عضد الدين وزيراً وابنه كمال الدين أستاذار وقطب الدين قاياز أمير العسكر، فأجابهم إلى ذلك، وبايعه أهل بيته اليعنة الخاصة. ثم توفى المستجدة وبايعه الناس من الغد في الناجي اليعنة العامة وأظهر العدل وبنزل الأموال وسقط في يد الوزير وندم على ما فرط، واستدعي للبيعة، فلما دخل قتلوه وقبض المستضيء على القاضي ابن مزاهم وكان ظلوماً جائراً واستصفاه ورد الظلالات منه على أربابها، وولى أبا بكر بن نصر بن العطار صاحب المخزن ولقبه ظهير الدين.

## انتهاض الدولة العلوية بمصر وعد الدعوة العباسية إليها

ولأول خلافة المستضيء كان انقراض الدولة العلوية بمصر، والخطبة بها للمستضيء من بي العباس في شهر المحرم فاتح سنة سبع وستين وخمسة قبل عاشوراء، وكان آخر الخلفاء العبيديين بها العاضد لدين الله من أعقب الحافظ لدين الله عبد الجيد، وخافوا المستضيء معه ثامن خلفائهم، وكان مغلباً لوزارته. واستول شاور منهم وقتل وطأه عليهم فاستقدم ابن شوار من أهل الدولة من الإسكندرية. وفر شاور إلى الشام مستجداً بالملك العادل نور الدين محمود بن زنكى من أقسقى، وكان من ماليك السلاجوقية وأمرائهم المقيمين للدعوة العباسية. وكان صلاح الدين يوسف بن نجم أيوب بن الكردي.... هو وأبواه نجم الدين أيوب وعمه أسد الدين شيركوه في جامعة من الأكراد في خدمة نور

منها ابن العطار، فقصد المستضيء على سطح داره وخدماته يستغثون، ونادي في العامة بطلب قايماز ونهب داره فهرب من ظهر بيته، ونهبت داره وأخذ منها ما لا يحصى من الأموال وقتل العامة على..... ولحق قايماز بالخالة وتبعه الأمراء، وبعث إليه المستضيء شيخ الشيوخ عبد الرحيم ليسير عن الخالة إلى الموصل تخففاً من عوده إلى بغداد فيمود استيلاؤه لحبة العامة فيه، وطاعتهم له، فسار إلى الموصل وأصابه ومن معه في الطريق عطش فهلك الكثير منهم، وذلك في ذي الحجة ومن سنة سبعين، وأقام صهوة علاء الدين يتامش بالموصل. ثم استاذن الخليفة في القدوم إلى بغداد فقدم وأقام بها عاطلاً بغير إقطاع، وهو الذي حمل قايماز على ما كان منه، وولى الخليفة استاذداره سنجر المتفوري، ثم عزله سنة إحدى وسبعين وولي مكانه أبا الفضل هبة الله بن علي بن الصاحب.

### فتنة صاحب خوزستان

قد ذكرنا أن ملك شاه بن محمود بن السلطان محمد استقر بخوزستان وذكروا فتنة شملة مع الخلفاء. ثم مات شملة سنة سبعين وملك ابنه مكانه. ثم مات ملك شاه بن محمود وفقي ابنه بخوزستان فجاء سنة اثنين وسبعين إلى العراق، وخرج إلى البندجيين، وعاد في الناس وخرج الوزير عضد الدين أبو الفرج في العساكر ووصل عسكر الخلة وواسط مع طاش تكين أمير الحاج وغز علي، وساروا للقاء العدو وكان معه جموع من التركمان فاجفلوا ونهبهم عساكر بغداد. ثم ردهم الملك ابن ملك شاه وأوقعا بالعسكر أيامًا ثم مضى الملك إلى مكانه وعادت العساكر إلى بغداد.

### مُقتل الوزير

قد ذكرنا أخبار الوزير عضد الدين أبي الفرج محمد بن عبد الله بن هبة الله بن المظفر بن رئيس الرؤساء أبي القاسم بن المسлемة، كان أبوه استاذدار المتفوري. ولما مات ولد ابنه مكانه. ولما مات المتفوري أقره المستضيء ورفع قدره، ثم استوزره المستضيء وكان بينه وبين قايماز ما قدمناه، وأعاده المستضيء للوزارة فلما كانت سنة ثلاثة وسبعين استاذن المستضيء في الحج فاذن له وعبر درجة فسافر في مركب عظيم من أرباب المناصب، واعتراضه متظلم ينادي بظلامة، ثم طعنه فسقط وجاء ابن المعوذ صاحب الباب ليكشف خبره فطعن الآخر وحمله إلى بيتهما فماتا. وولي

وكتب له بذلك.

### خبر يزدن من أمراء المستضيء

كان يزدن قد ولد المستضيء، الخلة وكانت في أعماله، وكانت حاليتها لفجاجة وهي حزن منهم فجعلوها يزدن لبني كعب منهم، وأمرهم الغضبان فغضب بنو حزن وأغاروا عليهم على السواد، وخرج يزدن في العسكر لقتالهم، ومعه الغضبان وعشيرة بنو كعب فيما هم ليلة يسيرون رمي الغضبان بسهم فمات، فعادت العساكر إلى بغداد، وأعيدت حفاظة السواد إلى بني حزن. ثم مات يزدن سنة ثمان وستين، وكانت واسط من أقطاعه فاتقطعت لأخيه يتامش ولقب علاء الدين.

### مُقتل سنكاوه بن أحمد أخي شملة

قد ذكرنا في دولة المستجدة فتنة سنكاوه هذا وعمه شملة صاحب خوزستان. ثم جاء ابن سنكاوه إلى قلعة الماهكي فبني بازانها قلعة ليتمكن بها من تلك الأعمال، فبعث المستضيء العساكر من بغداد لنفع فقاتلهم وأشتاد قاتله. ثم انهزم وقتل وعلى رأسه ببغداد وهدمت القلعة.

### وفاة قايماز وهربه

قد ذكرنا شأن قطب الدين قايماز وأبيه الذي يتابع للمستضيء، وجعله أمير العسكر وجعله عضد الدين أبو الفرج ابن رئيس الرؤساء وزيرًا. ثم استفحى أمر قايماز وغلب على الدولة وحمل المستضيء على عزل عضد الدين أبي الفرج من الوزارة، فلم يمكنه مخالفته، وعزله سنة سبع وستين فقام معزولاً. وأراد الخليفة سنة تسع وسبعين أن يعيده إلى الوزارة فمنعه قطب الدين من ذلك، وركب فأغلق المستضيء أبواب داره مما يلي بغداد، ويعث إلى قايماز ولاطفه بالرجوع فيما هم به من وزارة عضد الدين فقال: لا بد من إخراجه من بغداد فاستجار برباط شيخ الشيوخ صدر الدين عبد الرحيم بن إسماعيل فأجراه، واستطال قايماز على الدولة وأصهر على علاء الدين يتامش في آخره فزوجها منه وحملوا الدولة جيئاً.

ثم سخط قايماز ظهير الدين بن العطار صاحب المخزن وكان خاصاً بالخليفة، وطلبه فهرب فارحق داره، وجمع الأمراء فاستحلتهم على المظاهرة وأن يقصدوا دار المستضيء ليخرجوا

قوي أمر طغول وكثرا جعه وبعث كزلم إلى الناصر يختره من طغول ويستتجده ويبدل الطاعة على ما يختاره المستضيء رسوله، فأمر بعمارة دار السلطنة ليسكتها.

وكانت ولائهم بيغداد والعراق قد انقطعت منذ أيام المقتفي

فأكرم رسول كزلم وعده بالنجدة، وانصرف رسول طغول بغیر حرب وأمر الناصر بهدم دار السلطنة بيغداد فمحى أثرها. ثم بعث الناصر وزيره جلال الدين إبا المظفر عبيد الله بن يونس في العساكر لإلنجاد كزلم ومدافعة طغول عن البلاد، فسار لذلك في صفر لستة أربع وثمانين، واعتبر لهم طغول على همدان قبل اجتماعهم بكزلم، واقتتلوا ثامن ربيع، وانهزمت عساكر بغداد وأسرروا الوزير. ثم استولى كزلم على طغول وحبسه ببعض القلاع، ودانت له البلاد وخطب لنفسه بالسلطنة وضرب التوب الخمس. ثم قتل على فراشه ستة سبع وثمانين ولم يعلم قاتله.

### استيلاء الناصر على التواحي

توفي الأمير عيسى صاحب تكريت سنة خمس وثمانين قتله إخواته، فبعث الناصر العساكر فحصروها حتى تحولوا على الأمان وجاوؤا بآخره عيسى إلى بغداد فسكنوها وأقطع لهم السلطان. ثم بعث ستة خمس وثمانين عساكره إلى مدينة غانة فحاصروها مدة وقاتلوا طويلاً ثم جهدهم الحصار فنزلوا عنها على الأمان وإقطاع عيونها ووفى لهم الناصر بذلك.

### نهب العرب البصرة

كانت البصرة في ولاية طغول ملوك الناصر، كان مقطعاً لها

واستتاب بها محمد بن إسماعيل، واجتمع بنو عامر بن صعصعة سنة ثمان وثمانين، وأميرهم عميرة وقصدوا البصرة للتهب والعيث. وخرج إليهم محمد بن إسماعيل في صفر فقاتلهم سائر يومه. ثم ثلموا في الليل ثلماً في السور ودخلوا البلد وعاثروا فيها قتلاً ونهباً. ثم بلغ بي عامر أن خفاجة والمشق ساروا لقتالهم، فرحلوا إليهم وقاتلواهم فهزموهم، وغنموا أموالهم وعادوا إلى البصرة، وقد جمع الأمير أهل السواد فلم يقوموا للعرب وانهزموا، ودخل العرب البصرة فنهبوا ورحلوا عنها.

الوزير ظهير الدين أبو منصور بن نصر ويعرف بابن العطار فاستولى على الدولة وتحكم فيها.

### وفاة المستضيء وخلافة الناصر

ثم توفي المستضيء بأمر الله أبو محمد الحسن بن يوسف المستجدي في ذي القعدة سنة خمس وسبعين لتصبح سنتين ونصف من خلافته، وقام ظهير الدين العطار في البيعة لأبي العباس أحد ولقبه الناصر لدين الله فقام بخلافته، وبقي على ظهير الدين بن العطار وجبيه واستصفاه. ثم أخرجه من عشر ذي القعدة من حبسه ميتاً وفطنه به العامة. فتناوله العامة ويعشا به، وتحكم في الدولة أستاذدار مجد الدين أبو الفضل بن الصاحب، وكان تولى أخذ البيعة للناصر مع ابن العطار، وبعث الرسل إلى الأقالق لأنخذ البيعة. وسار صدر الدين شيخ الشيوخ إلى البهلوان صاحب همدان وأصحابه والري فامتخن من البيعة فأغاظله صدر الدين في القول. وحرض أصحابه على تقضي طاعته إن لم يبايع فاضطر إلى القول. ثم قضى سنة ثلاثة وثمانين على أستاذدار أبي الفضل ابن الصاحب وقتل من أجل تحكمه، وأخذ له أموالاً عظيمة. وكان الساعي فيه عند الناصر عبيد الله بن يونس من أصحابه وصنائعه، فلم يزل يسعى فيه عند الناصر حتى أمر بقتله، واستوزر ابن يونس هذا ولقبه جلال الدين وكنيته أبو المظفر ومشي أرباب الدولة في خدمته حتى قاضي القضاة.

### هدم دار السلطنة بيغداد وانقراض ملوك

#### السلجوقية

قد ذكرنا فيما تقدم ملك أرسلان شاه بن طغول رئيس الذكر، واستيلاء الذكر عليه وحرره مع أبنائـه صاحب الـري. ثم قتلـه ستة أربع وستين واستولـى على الـري. ثم تـوفي الذـكر الأـسابـك بـهمـدانـ سـنةـ ثـمانـ وـسـتـينـ، وـقـامـ مـكانـهـ اـبـنهـ مـحمدـ الـبهـلوـانـ، وـبـقـيـ آخرـهـ السـلطـانـ أـرسـلانـ بنـ طـغـولـ فيـ كـفـالـهـ. ثمـ مـاتـ سـنةـ ثـلـاثـ وـسـتـينـ وـنـصـبـ الـبـهـلوـانـ مـكانـهـ اـبـنهـ طـغـولـ. ثمـ تـوفـيـ الـبـهـلوـانـ سـنةـ ثـلـاثـ وـثـيـانـ وـفـيـ مـلـكـتـهـ أـخـوهـ كـزـلـ أـرسـلانـ وـيـسـمـيـ عـشـمـانـ، فـاستـبدـ الـبـهـلوـانـ قـامـ مـكانـهـ أـخـوهـ كـزـلـ أـرسـلانـ وـيـسـمـيـ عـشـمـانـ، فـاستـبدـ طـغـولـ وـخـرـجـ عـنـ الـكـفـالـهـ وـلـخـقـ بـهـ جـمـاعـةـ مـنـ الـأـمـرـاءـ وـالـجـنـدـ، وـاسـتـولـىـ عـلـىـ بـعـضـ الـبـلـادـ وـوـقـعـتـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ كـزـلـ حـرـوبـ. ثمـ

## استيلاء الناصر على خوزستان ثم أصبهان والري وهمدان

واسوة وقم وقاشان. ويكون للناصر أصبهان وهمدان وزنجان وقزوين فكتب له بما طلب وقوى أمره.

ثم وصل إلى بغداد أبو الميجاه السعى من أكبر أمراء بيبي أبو بوب وكان في إقطاعه بيت المقدس وأعماله، فلما ملك العزيز العادل مدينة دمشق من الأفضل بن صلاح الدين عزلوا أبي الميجاه عن القدس، فسار إلى بغداد فاكرمه الناصر وبعثه بالعساكر إلى همدان سنة ثلاثة وستين فلقي بها أزيك بن البهلوان وأمير علم ابنه قطلمش، وقد كاتبوا الناصر بالطاعة فدخل أمير علم وبقى على أزيك ابن قطلمش بمرافقتة، وأنكر الناصر ذلك على أبي الميجاه وأمره بإطلاقهم. وبعث إليهم بالخليع فلم يأتوا، وفارقوا أبي الميجاه فخشى من الناصر ودخل إلى أربيل لأنّه كان من أكرادها، ومات قبل وصوله إليها.

وأقام كركجيه ببلاد الجبل واصطنع رفيقه ليُدغمِّش، واستخلصه وبنق به فاصطنع ليُدغمِّش المالك وانتقض عليه آخر المائة السادسة، وحاربه قتله واستولى على البلاد ونصب أزيك بن البهلوان للملك وكفله. ثم توفي طاش تكين أمير خوزستان سنة اثنين وستمائة وولى الناصر مكانه صهره سنجر وهو من مواليه، وسار سنجر سنة ثلاثة وستمائة إلى جبال تركستان جبال منيعة بين فارس وعمان وأصبهان وخوزستان وكان صاحب هذه الجبال يعرف بأبي طاهر وكان للناصر مولى اسمه قشتر من أكبر مواليه ساهه وزير الدولة بعض الأحوال فلحق بأبي طاهر صاحب تركستان فاكرمه وزوجه بابته.

نم مات أبو طاهر فاطع أهل تلك الولاية قشتر وملّك عليهم، وبعث الناصر إلى سنجر صاحب خوزستان يغضده في العساكر فسار إليه وبدل له الطاعة على البعد. فلم يقبل منه فلقيه وقاتلته فانهزم سنجر، وقوى قشتر على أمره وأرسل إلى ابن دكلا صاحب فارس، وإلى إدغمش صاحب الجبل فاتفق معهما على الامتناع على الناصر واستمر حاله.

## عزل الوزير نصير الدين

كان نصير الدين ناصر بن مهدي العلوي من أهل الري من بيت إماره، وقدم إلى بغداد عندما ملك الوزير ابن القصاب الري فأقبل عليه الخليفة، وجعله نائب الوزارة. ثم استوزره وجعل ابنه صاحب المخزن فتحكم في الدولة، وأسماء إلى أكبر موالي الناصر، فلما حجّ مظفر الدين سنقر المعروف بوجه السبع سنة ثلاثة وستمائة وكان أميراً ففارق الحاج ومضى إلى الشام، وبعث إلى

كان الناصر قد استتب في الرزاوة بعد اسر ابن يونس مؤيد الدين أبي عبد الله محمد بن علي المعروف بابن القصاب، وكان قد ولّ الأعمال في خوزستان وغيرها، وله فيها الأصحاب. ولما توفي صاحبها شملة واختلف أولاده راسل بعضهم في ذلك، فطلب من الناصر أن يرسل معه العساكر ليملكها فاجابه وخرج في العساكر سنة إحدى وستين، وحارب أهل خوزستان فملك أولاً مدينة تستر ثم ملك سائر المضون والقلاع وأخذ بي شملة ملوكها فبعث بهم إلى بغداد، وولى الناصر على خوزستان طاش تكين مجير الدين أمير الحاج.

ثم سار الوزير إلى جهات الري سنة إحدى وستين، وجاء قطلع أبنابغ بن البهلوان وقد غلب خوارزم شاه وهزم عند زنجان، وملك الري من يده. وجاء قطلع إلى الوزير مؤيد ورحل معه إلى همدان وبها ابن خوارزم شاه في العساكر فاجفل عنها إلى الري، وملك الوزير همدان ورحل في اتباعهم وملك كل بلد مرروا بها إلى الري، وأجفل عسكر خوارزم إلى دامغان ويسطام وجرجان. ورجع الوزير إلى الري فآقام بها. ثم انتقض قطلع بن البهلوان وطبع في الملة فامتخ بالري وحاصره الوزير فخرج عنها إلى مدينة آرة فمنعهم الوزير منها ورحل الوزير في آثرهم من الري إلى همدان، وبلغه أن قطلع قد مهدية الكرج فسار إليه وقاتلته وهزمه، ورجع إلى همدان فجاءه رسول خوارزم شاه محمد تكش بالتكثير على الوزير فيأخذ البلد، ويطلب إعادتها فلم يحبه الوزير إلى ذلك، فسار خوارزم شاه إلى همدان وقد توفي الوزير ابن القصاب خلال ذلك في شعبان سنة اثنين وستين، فقاتل العساكر التي كانت معه بهمدان وهزمهم، وملك همدان وترك ولده بأصبهان، وكانوا يبغضون الخوارزمية فبعث صدر الدين الخجandi رئيس الشافية إلى الديوان ببغداد يستدعي العساكر لملكتها، فجهز الناصر العساكر مع سيف الدين طغرل يقطع بلد اللحف من العراق، وسار فوصل أصبهان، ونزل ظاهر البلد وفارقاها عسكر الخوارزمية فملكتها طغرل وأقام فيها الناصر وكان من مالكها البهلوان.

ولما رجع خوارزم شاه إلى خراسان، اجتمعوا واستولوا على الري وقدموا عليهم كركجيه من أعيانهم، وساروا إلى أصبهان فوجدوا بها عسكر الناصر وقد فارقاها عسكر الخوارزمية فملكتها أصبهان، وبعث كركجيه إلى بغداد بالطاعة، وان يكون له الري

## استيلاء منكلي على بلاد الجبل وأصبهان وهرب إيدغمش ثم مقتله ومقتل منكلي وولاية إغلمش

قد ذكرنا استيلاء إيدغمش من أمراء البهلوانية على بلاد الجبل همدان وأصبهان والري وما إليها فاستفحل فيها وعظم شأنه وخطى إلى أذربيجان وأرانيه فحاصر صاحبها أزيك بن البهلوان. ثم خرج سنة ثمان وستمائة منكلي من البهلوانية، ونازعه الملك وأطاعه البهلوانية، فاستولى على سائر تلك الأعمال وهرب شمس الدين إيدغمش إلى بغداد، وأمر الناصر بتلقيه، فكان يوماً مشهوراً وخشي منكلي من اتصاله فأوقف ابنه حمداً في جماعة من العسكر، وتلقاه الناس على طبقاتهم وقد كان الناصر شرع في إمداد إيدغمش، فأمامه وسار إلى همدان في جهاد من سنة عشر، ووصل إلى بلاد ابن برجم من التركمان الأبيوية، وكان الناصر عزله عن إمارة قومه وولى أخيه الأصغر، فبعث إلى منكلي بخبر إيدغمش، فبعث العساكر بطلبه فقتلوه وافتقر جمه.

وبعث الناصر إلى أزيك بن البهلوان صاحب أذربيجان وأرانيه يغريه به وكان مستوراً منه وارسل أيضاً إلى جلال الدين صاحب قلعة الموت وغيرها من قلاع الإسماعيلية من بلاد العجم بمعاضدة أزيك على أن يقسموا بلاد الجبل. وجمع الخليفة العساكر من الموصل والجزيرة وبغداد وقدم على عسكر بغداد ملوكه مظفر الدين وجه السبع واستقدم مظفر الدين كوكبri بن زين الدين كوجك وهو على أربيل وشهرزور وأعمالها، وجعله مقدم العساكر جميعاً وساروا إلى همدان فهرب منكلي إلى جبل قرب من الكرج وأقاموا عليه يحاصرونه ونزل منكلي في بعض الأيام فقاتل أزيك وهزمه إلى خيمه. ثم جاء من الغد وقد طمع فيهما فاشتبوا في قتاله وهزموه فهرب عن البلاد أجمع، وافتقرت عساكره واستولت العساكر على البلاد، وأخذ جلال الدين ملك الإسماعيلية منها ما عيشه القسمة وولى أزيك بن البهلوان على بقيةبلاد إغلمش مملوك أخيه وعادت العساكر إلى بلادها ومضى منكلي منهزاً إلى مدينة ساوة فقبض عليه الشحنة بها وقتله وبعث أزيك برأسه إلى بغداد وذلك في جهاد ستة اثنتي عشرة.

## ولاية حافظ الناصر على خوزستان

كان للناصر ولد صغير اسمه علي وكتبه أبو الحسن قد رشحه لولاية العهد وعزل عنها ابنه الأكبر، وكان هذا أحب ولده

الناصر أن الوزير يبني عليه مواليك ويريد أن يدعى الخلافة فعزل الناصر والزمه بيته. وبعث من كل شيء ملكه، ويطلب الإقامة بالمشهد فأجابه الناصر بالأمان والاتفاق، وان العزلة لم تكن للذنب وإنما أكثر الأعداء المقالات فوق ذلك. واحتزز لنفسه مرضعاً ينتقل إليه موقراً محترماً فاختار إالية الناصر، خوفاً أن يذهب الأعداء بنفسه.

ولما عزل عاد سفير أمير الحاج، وعاد أيضاً قشتمر، وأقيم نائباً في الوزارة فخر الدين أبو البدر محمد بن أحمد بن إسمينا الواسطي، ولم يكن له ذلك التحكم، وقارن ذلك وفاة صاحب المخزن بغداد أبو فراس نصر بن ناصر بن مكي المدائني فولى مكانه أبو الفتوح المبارك بن عضد الدين أبي الفرج بن رئيس الرؤساء، وأعلى محله، وذلك في المحرم سنة خمس وستمائة. ثم عزل آخر السنة لعجوزه، ثم عزل في ربيع من سنة ست وستمائة فخر الدين بن إسمينا، ونقل إلى المخزن وولى نيابة الوزارة مكانه مكين الدين محمد بن محمد بن بدر القمر كاتب الإنشاء ولقب مؤيد الدين.

## انتفاض سنجر بخوزستان

قد ذكرنا ولاية سنجر مولى الناصر على خوزستان بعد طاشن تكين أمير الحاج ثم استوحش سنة ست وستمائة واستقدمه الناصر فاعتذر ببعث إليه العساكر مع مؤيد الدين نائب الوزارة، وعز الدين بن نجاح الشرابي من خواص الخليفة. فلما قاربه العساكر لحق بصاحب فارس أتابك سعد بن دكلا فاكره ومنعه، ووصلت عساكر الخليفة خوزستان في ربيع من سنته ويعشاوا إلى سنجر في الرجوع إلى الطاعة فألبوا وساروا إلى أرجاز لقصد ابن دكلا بشيراز، والرسل تردد بينهم. ثم رحلوا في شوال يريدون شيراز ببعث ابن دكلا إلى الوزير والشرابي بالشفاعة في سنجر واقتضاء الأمان له فأجابه إلى ذلك، وأعادوا سنجر إلى بغداد في المحرم سنة ثمان وستمائة، ودخلوا به مقيداً. وولى الناصر مولاً ياقوتاً أمير الحاج على خوزستان. ثم أطلق الناصر سنجر في صفر من سنة ثمان وستمائة وخلع عليه.

والأسر والفرق، وحملت السرّؤوس إلى بغداد في ذي القعدة سنة عشر.

### ظهور التمر

ظهرت هذه الأمة من أجناس الترك سنة ست عشرة وستمائة وكانت جبال طمماج من أرض الصين بينها وبين بلاد تركستان ما يزيد على ستة أشهر وكان ملوكهم يسمى جنكيزخان، من قبيلة يعرفون نوحى فسار إلى بلاد تركستان وما وراء النهر ولملوكها من أبيدي الخطأ، ثم حارب خوارزم شاه إلى أن غلبه على ما في يده من خراسان وبيلاد الجبل، ثم تحطى أراضيه فملوكها ثم ساروا إلى بلاد شروان وبيلد اللان واللكرز فاستولوا على الأمم المختلفة بتلك الأصقاع. ثم ملوكوا بلاد قنجاق وسارت طائفة أخرى إلى غزنة وما يجاورها من بلاد الهند وسجستان وكرمان فملوكوا ذلك كله في سنة أو نحوها، وفعلوا من العيث والقتل والنهب ما لم يسمع بهثله في غير الأزمان. وهزموا خوارزم شاه علاء الدين محمد بن تكش فلحق بجزيرته في مصر طبرستان فامتنع بها إلى أن مات سنة سبع عشرة وستمائة لاحدي وعشرين سنة من ملوكه. ثم هزموا ابنه جلال الدين بغزنة واتبعه جنكيزخان إلى نهر السند فعبر إلى بلاد الهند، وخلص منهم وأقام هناك مدة ثم رجع سنة اثنين وعشرين إلى خوزستان والعراق. ثم ملك آذربیجان وأرمینية إلى أن قتله المظفر حسبما ذكر ذلك كله مقتضاً بين دولتهم ودولةبني خوارزم شاه أو مكرراً فيها. فهناك تفصيل هذا الحال من أخبارهم والله الموفق بهم وكرمه.

### وفاة الناصر وخلافة الظاهر ابنه

ثم توفي أبو العباس أحد الناصر بن المستضيء في آخر شهر رمضان سنة اثنين وعشرين وستمائة لسبعين وأربعين سنة من خلافته بعد أن عجز عن الحركة ثلاثة سنين من آخر عمره وذهب إحدى عينيه وضعف بصر الأخرى. وكانت حاله مختلفة في الجلد واللubb وكان متضئاً في العلوم وله تأكيل في فنون منها متعددة، ويقال: إنه الذي أطمع التتر في ملك العراق لما كانت بيته وبين خوارزم شاه من الفتنة، وكان مع ذلك كثيراً ما يشتغل برمي البندق واللubb بالحمام المناسب ويلبس سراويل الفتورة شأن العيارين من أهل بغداد. وكان له فيها سند إلى زعمائها يقتضيه على من يلبسه إيهاماً، وكان ذلك كله دليلاً هرم الدولة وذهاب الملك عن أهلها بذهاب ملوكها منهم. ولما توفي بريع ابنه أبو نصر

إليه فمات في ذي القعدة سنة عشر فتفجع له وحزن عليه حزنأً لم يسمع بهثله. وشمل الأسف عليه الخاص والعاصم. وكان ترك ولدين لقبهما المؤيد والموفق فبعثهما الناصر إلى تستر من خوزستان بالعساكر في المحرم سنة ثلاث عشرة وبعث معهما مؤيد الدين نائب الوزارة، وعزل مؤيد الدين الشهري فأقام بها أياماً. ثم أعاد الموفق مع الوزير والشهري إلى بغداد في شهر ربيع وأقام المؤيد بستر.

### استيلاء خوارزم شاه على بلاد الجبل وطلب الخطة له ببغداد

كان أغلمش قد استولى على بلاد الجبل كما ذكرناه واستفحلاً أمره وقوي ملكه فيها. ثم قتله الباطنية سنة أربع عشرة وستمائة. وكان علاء الدين محمد بن تكش خوارزم شاه وما وراء النهر فملك السلاجوقية قد استولى على خراسان وما وراء النهر فطعم في إضافة هذه البلاد إليه فسار في عساكره واعتبره صاحب بلاد فارس أتابك سعد بن دكلا على أصحابه وقد ساقه من الطمع في البلاد مثل الذي ساقه فقائله وهزمه خوارزم واخذه أسرى. ثم سار إلى ساوية فملوكها ثم فزوين وزنجوان وأبهر، ثم همدان ثم أصحابه وقم وقاشان. وخطب له صاحب آذربیجان وأرمانية وكان يبعث في الخطبة إلى بغداد ولا يجيء، فاعترض الآن على المسير إليها وقدم أميراً في خمسة عشر ألف فارس وأقطعه حلسوان فتزها. ثم أتبعه بأمير آخر، فلما سار عن همدان سقط عليهم الثلوج وكادوا يهلكون، وتحطى بيتهم بنو برجمن من التركمان وبين عكا من الأكراد. واعتزم خوارزم شاه على الرجوع إلى خراسان، وولى على همدان طابسين وجعل إمارة البلاد كلها لابنه ركن الدين وأنزل معه عماد الملك المساوي متولاً أمور دولته، وعاد إلى خراسان سنة خمس عشرة وأزال الخطبة للناصر من جميع أعماله.

### إجلاء بني معروف عن البطائع

كان بنو معروف هؤلاء من ربيعة ومقدمهم معلى، وكانت رحالم غربي الفرات قرب البطائع، فكثر عيشهم وإتسادهم السالبة، وارتفعت شکوى أهل البلاد إلى الديوان منهم، فرسم للشريف سعد متولي واسط وأعمالها أن يسير إلى قاتلهم وإجلائهم، فجمع العساكر من تكريت وهيت والخديبية والأنبار والحللة والكوفة وواسط والبصرة فهزمهم واستباحهم، وتقسموا بين القتل

الذين كتخصرو وأخر ملوك بي قليع ارسلان، ثم تحطروا إلى بلاد أرمينية فملکوها. ثم استأمن عليهم غياث الدين فولوه من قبلهم وفي طاعتهم كما يذكر في أخبارهم إن شاء الله تعالى. انتهى.

## وفاة المستنصر وخلافة المستعصم آخر بني

العباس ببغداد

لم يزل هذا الخليفة المستنصر ي بغداد فالنطاق الذي بقي لهم بعد استبداد أهل النواحي كما قدمنا. ثم انخل أمرهم من هذا النطاق عرورة، وتملك التتر سائر البلاد، وتغلبوا على ملوك النواحي ودولهم أجمعين، ثم زاحموهم في هذا النطاق وملکوا أكثره، ثم توفي المستنصر سنة إحدى وأربعين لست عشرة سنة من خلافته، وبيع بالخلافة ابنه عبد الله ولقب المستعصم، وكان فقيهاً محدثاً، وكان وزير ابن العلقمي راضياً، وكانت الفتنة ي بغداد لا تزال متصلة بين الشيعة وأهل السنة، وبين الخاتبة وسائر أهل المذهب، وبين العيارين والدعار والمقدسين مبدأ الأئمة الأول، فلا تجدد فتنة بين الملك وأهل الدول، إلا ويحدث فيها بين هؤلاء ما يعني أهل الدولة خاصة زيادة لما يحدث منهم أيام سكرون الدول واستقامتها، وضاقت الأحوال على المستعصم فأسقط أهل الجندي وفرض أرزاق الباقين على البياعات والأسواق وفي العايش، فاضطرب الناس وضاقت الأحوال وعظم المرج ي بغداد ووقدت الفتنة بين الشيعة وأهل السنة، وكان مسكن الشيعة بالكرخ في الجانب الغربي، وكان الوزير ابن العلقمي منهم فسطوا بأهل السنة، وأنذ المستعصم ابنه أبي بكر وركن الدين الدوادار، وأمرهم بنبه بيوتهم بالكرخ، ولم يراع فيه ذمة الوزير فأسفة ذلك، وتربيص بالدولة وأسقط معظم الجندي بمهه بأن يدافع التتر بما يتوفى من أرزاقهم في الدولة.

وزحف هلاكو ملك التتر سنة اثنين وخمسين إلى العراق وقد فتح الري وأصبهان وهمدان وتبع قلاع الإمامية، ثم قصد قلعة الموت سنة خمس وخمسين فبلغه في طريقه كتاب ابن الموصليا صاحب أربيل وفيه وصية ابن العلقمي وزير المستعصم إلى هلاكو يستحثه لقصد بغداد، وبهون عليه أمرها، فرجع عن بلاد الإمامية وسار إلى بغداد واستدعاي أمراء التتر فجاءه بنحو مقدم العسكرية ببلاد الروم، وقد كانوا ملکوها. ولما قاربوا بغداد بز لقائهم أبيك الدوادار في العساكر فاكتشف التتر أولًا ثم تذمروا فانهزم المسلمون وأعتبرتهم دون بغداد أو حال مياه من يتحقق انتشاره من دجلة، فتبعهم التتر دونها وقتل الدوادار وأسر

محمد ولقب الظاهر، وكان ولـي عهده عهد له أولًا سنة خمس وثمانين وستمائة ثم خلعه من العهد وعهد لأخيه الصغير عليـه إليه. وتوفي سنة اثنتي عشرة فاضطر إلى إعادة هذا، فلما برع بعد أخيه ألهـر من العدل والإحسان ما حـد منه ويقال: إنه فرق في العـلماء ليلة الفطر التي بـريع فيها مائة ألف دينار.

## وفاة الظاهر وولاية ابنه المستنصر

ثم توفي الظاهر أبو نصر محمد في منتصف رجب سنة ثلاث وعشرين وستمائة لستة أشهر ونصف من ولايته وكانت طريقته مستقيمة وأخباره في العدل مأثورة. ويقال: إنه قبل وفاته كتب خطـه إلى الوزير ترقـياً يقرـه على أهل الدولة فجاء الرسـل به، وقال: أمـير المؤمنـين يقول: ليس غـرضـنا أنـ يقالـ بـرـزـ مـرسـومـ وـأنـفذـ مـثـالـ، نـمـ لاـ يـتـبـيـنـ لـهـ أـثـرـ، بـلـ اـنـتمـ لـإـمامـ فـعـالـ أـحـرـجـ مـنـكـمـ لـإـمامـ قـوـالـ.

ثم تأولوا الكتاب وقرؤوه فإذا فيه بعد البسمـلة: أنه ليس إـمـهـالـناـ إـهـمـالـاـ لـأـغـضـاـنـاـ إـغـفـالـاـ، وـلـكـنـ لـبـلـوـكـمـ لـيـكـمـ أـحـسـنـ عمـلـاـ وـقـدـ غـفـرـنـاـ لـكـمـ مـاـ سـلـفـ مـنـ إـخـرـابـ الـبـلـادـ، وـتـشـرـيدـ الرـعـاـيـاـ وـتـقـيـعـ السـنـةـ، وـإـظـهـارـ الـبـاطـلـ الـجـلـيـ فـيـ صـورـ الـحـقـ الـخـفـيـ حـيـلـةـ وـمـكـيـلـةـ، وـتـسـمـيـةـ الـاسـتـصـالـ وـالـاجـتـيـاحـ اـسـتـيـفـاءـ وـاسـتـدـرـاكـاـ لـلـأـغـرـاضـ، اـنـتـهـزـ فـرـصـتـهاـ مـخـلـسـةـ مـنـ بـرـائـنـ لـيـثـ باـسـلـ وـأـنـيـابـ أـسـدـ مـهـبـ، تـنـطـقـونـ بـأـلـفـاظـ مـخـلـفـةـ عـلـىـ معـنـىـ وـاحـدـ، وـأـنـمـاـوـهـ وـقـتـاهـ فـتـمـلـوـنـ رـأـيـهـ إـلـىـ هـوـاـكـمـ، مـاـ طـلـبـتـ بـعـهـ فـيـطـعـكـمـ وـأـنـتـمـ لـهـ عـاصـونـ وـبـرـافـقـكـمـ وـأـنـتـمـ لـهـ مـخـالـفـونـ، وـالـآنـ فـقـدـ بـدـلـ اللـهـ سـبـحـانـ بـعـرـفـكـمـ أـمـنـاـ وـفـقـرـكـمـ غـنـىـ وـبـاطـلـكـمـ حـقـاـ وـرـزـقـكـمـ سـلـطـانـاـ يـقـبـلـ الـعـثـرـةـ وـلـاـ يـرـأـخـذـ إـلـاـ مـنـ أـصـرـ، وـلـاـ يـتـقـمـ إـلـاـ مـنـ اـسـتـمـرـ، يـأـمـرـكـمـ بـالـعـدـلـ وـهـوـ يـرـيـدـهـ مـنـكـمـ، وـيـنـهـاـكـمـ عـنـ الـجـنـورـ وـعـوـيـكـهـ يـئـانـ اللـهـ فـيـخـوـفـكـمـ مـكـرـهـ، وـبـرـجـوـ اللـهـ تـعـالـىـ وـيرـغـبـكـمـ فـيـ طـاعـتـهـ، فـيـانـ سـلـكـمـ مـسـالـكـ نـوـابـ خـلـفـاءـ اللـهـ فـيـ أـرـضـهـ وـأـمـانـهـ عـلـىـ خـلـقـهـ وـلـاـ هـلـكـمـ وـالـسـلـامـ.

ولـاـ تـوـفـيـ بـرـيعـ اـبـنـهـ أـبـوـ جـعـفرـ الـمـسـتـنـصـرـ وـسـلـكـ مـسـالـكـ أـيـهـ، إـلـاـ أـنـهـ وـجـدـ الـدـوـلـ اـخـلـقـتـ وـالـأـعـمـالـ قدـ اـنـتـضـتـ وـالـجـبـاـيـةـ قدـ اـنـتـضـتـ أـوـ عـدـمـ، فـضـاـقـتـ عـنـ أـرـزـاقـ الـجـنـدـ وـأـعـطـيـاتـهـ فـأـسـقـطـ كـثـيرـاـ مـنـ الـجـنـدـ، وـاـنـتـلـفـتـ الـأـحـوـالـ، وـهـوـ الـذـيـ أـعـادـ لـهـ مـحـمـدـ بـنـ يـوـسـفـ بـنـ هـوـدـ دـعـوـةـ الـعـبـاسـيـةـ بـالـأـنـدـلـسـ آـخـرـ دـوـلـ الـمـوحـدـينـ بـالـمـغـرـبـ فـوـلـاهـ عـلـيـهـ، وـذـلـكـ سـنـةـ تـسـعـ وـعـشـرـ وـسـتـمـائـةـ كـمـاـ يـذـكـرـ فـيـ أـخـبـارـهـ، وـلـأـخـرـ دـوـلـهـ مـلـكـ التـتـرـ بـلـادـ الرـوـمـ مـنـ يـدـ غـيـاثـ

الأمراء الذين معه.

## الخبر عن الخلفاء العباسين المنصوبين بمصر

### من بعد انفراط الخلافة ببغداد ومبادئ أمورهم وتصاريف أحوالهم

لما هلك المستعصم ببغداد واستولى التتر على سائر المالك الإسلامية فافتقر شمل الجماعة وانتشر سفك الخلافة وهرب القرابة المرشحون وغير المرشحون من قصور بغداد فذهبوا في الأرض طولاً وعرضأً، ولحق مصر كثيرون يومئذ أحد ابن الخليفة الظاهر، وهو عم المستعصم وأخو المستنصر، وكان سلطانها يومئذ الملك الظاهر يبرس ثالث ملوك الترك بعد بني أيوب مصر والقاهرة، فقام على قدم التعظيم وركب لنقيه وسرّ بقدمه، وكان وصوله له سنة تسع وخمسين فجتمع الناس على طبقاتهم بمجلس الملك بالقلعة، وحضر القاضي يومئذ تاج ابن بنت الأغر فثبت الملك ناصراً له، وبإجماعه بشهادة العرب الواضلين معه بالاستفاضة، ولم ينكح شخصه خفياً، وبایع له الظاهر وسائر الناس ونصبه للخلافة الإسلامية ولقبه المستنصر، وخطب له على المنابر ورسم اسمه في السكّة. وصدرت المراسيم السلطانية باخذ البيعة له في سائر أعمال السلطان، وفرض هو للسلطان الملك الظاهر سائر أعماله، وكتب تقلیده بذلك وركب السلطان ثاني يومه إلى خارج البلد، ونصب خيمة يجتمع الناس فيها فاجتمعوا وقرأ كتاب التقليد.

وقام السلطان يأمر هذا الخليفة ورتب له أرباب الرؤاف والمأمورين الخلافية من كل طبقة، وأجرى الأرزاق السنوية، وأقام له القسطنطينية والألة. ويقال: أفتى عليه في مسكنه ذلك ألف الف دينار من الذهب العين، واعترض على بعضه إلى بلاد العراق لاسترجاعه مالك الإسلام من يد أهل الكفر. وقد كان وصل على إثر الخليفة صاحب الموصى وهو إسماعيل الصالح بن تؤلو اخترجه التتر من ملكه بعد مهلك أبيه فامتنع له الملك الظاهر، ووعده باسترجاع ملكه وخرج آخر هذه السنة مشيناً للخلافة ولصالح بن تؤلو، ووصل بهما إلى دمشق فإبلغ هناك في تكريمه وبعث معهما أميرين من أمرائه مدداماً لهما، وأمرهما أن يتبعاه معهما إلى الفرات. فلما وصلوا الفرات بادر الخليفة بالعبور وقد صدر الصالح بن تؤلو الموصى، واتصل الخبر بالتتر فجردوا العساكر للقائه والتقي الجماعان بعنته، وصادمهن هنالك فصادمهن قليلاً ثم تکاثروا عليه فلم يكن له بهم طاقة وأبلى في جهادهم طويلاً ثم استشهد رحمة الله.

وسارت عساكر التتر إلى الموصى فحاصروها الصالح

ونزل هلاكو ببغداد وخرج إليه الوزير مؤيد الدين بن العلقمي فاستأمن لنفسه ورجع بالأمان إلى المستعصم، وأنه يقيمه على خلافته كما فعل مملوك بلاد الروم، فخرج المستعصم ومعه الفقهاء والأعيان فقبض عليه لوقته، وقتل جميع من كان معه. ثم قتل المستعصم شدحاً بالعمد وورطاً بالأقدام لتجاهله بزعمه عن دماء أهل البيت، وذلك سنة ست وخمسين. وركب إلى بغداد فاستباحها واتصل العيش بها أيامًا وخرج النساء والصبيان وعلى رؤوسهم المصاحف والألواح فنادستهم العساكر وماتوا أجمعين. ويقال: إن الذي أحبى ذلك اليوم من القتلى ألف ألف وستمائة ألف، واستولوا من قصور الخلافة وذخائرها على ما لا يبلغه الوصف ولا يحصره الضبط والعد، والنقيت كتب العلم التي كانت مخزانتهم جميعاً في دجلة، وكانت شيئاً لا يعبر عنه مقابلة في زعمهم بما فعله المسلمون لأول الفتح في كتب الفرس وعلومهم. واعتزم هلاكو على إضرام بيوتها ناراً فلم يوافقه أهل مملكته. ثم بعث العساكر إلى مياchairين فحاصروها سنتين، ثم جهدهم الحصار واقتصرها عنزة وقتل حاميتها جميعاً وأميرهم من بني أيوب، وهو الملك ناصر الدين محمد بن شهاب الدين غازى بن العادل أبي بكر بن أيوب وبایع له صاحب الموصى، ويعتبر بالمدية والطاعة وولاه على عمله ثم بعث بالعساكر إلى أربيل فحاصرها وامتنع فرجل العساكر عنها، ثم وصل إليه صاحبها ابن الموصى فقتلته واستولى على الجزيرة وديار بكر وديار ربيعة كلها، وتأخر الشام جميع جهاته حتى زحف إليه بعد كما يذكر، وانقض أمر الخلافة الإسلامية لبني العباس ببغداد وأعاد لها ملوك الترك رسمًا جديداً في خلفاء نصوبهم هنالك من أعقاب الخلفاء الأوليين، ولم ينزل متصلةً لهذا العهد على ما نذكر الآن. ومن العجب أن يعقوب بن إسحاق الكندي فيلسوف العرب ذكر في ملائمه وكلامه على القرآن الذي دل على ظهور الملة الإسلامية العربية أن انفراط أمر العرب يكون أعوام ستين والستمائة، فكان كذلك، وكانت دولة بني العباس من يوم بويع للسفاح سنة اثنين وثلاثين ومائة إلى أن قتل المستعصم سنة خمس وستمائة، خمسة وستين وأربعين وعشرين وعدد خلفائهم بيتداد سبعة وثلاثون خليفة. والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

أبناء العساكر بمصر ومداخلته للمفسدين في الثورة بالسلطان الملك الظاهر أبي سعيد برقوق سنة خمس وثمانين، وسمى عند السلطان بأنه من داخله قرط هذا فاستراب به وجسه بالقلعة سنة ستين، وأدال منه بعمر ابن عمه الواثق إبراهيم ولقبه فاقم ثلاثة أو خورها ثم هلك رحمه الله آخر عام ثمانية وثلاثين، ونصب السلطان عروضه أخيه زكريا الذي كان أليك نصبه كما قدمنا ذكره، ثم حدثت فتنة بلقيا الناصري صاحب حلب سنة إحدى وستين وسبعين وأعاده إلى الخلافة على رسمه الأول، وبالغ في تكرمه وجرت فيما بين ذلك خطوب نذكر أخبارها مستوفاة في دولة الترك المقيمين لرسم هؤلاء الخلفاء بمصر، وإنما ذكرنا هنا من أخبارهم ما يتعلّق بالخلافة فقط دون أخبار الدولة والسلطان. وهذا الخليفة الترك المنصوب الآن لرسم الخلافة والمعين لإقامة المناصب الدينية على مقتضي الشريعة، والمرجع بذلك على متابر هذه الآيالة تعظيمًا لأبيه الظاهر، وجرياً على سنن التبرك بسلفهم، ولكمال الإيمان في عبّتهم وتوفيقه لشروط الإمامة بينهم وما زال ملوك الهند وغيرهم من ملوك الإسلام بالتوحّي يطلبون التقليد منه ومن سلفه بمصر ويكتابون في ذلك ملوك الترك بها من بين قلائله وغيره فيجيئونهم إلى ذلك، ويعثرون إليهم بالتقليد والخلع والأبهة، ربّدون القائمين بأمرورهم بمواد التأييد والإعانته من الله وفضله.

## أخبار الدولة العلوية المزاجة لدولة بنى العباس

وبنداً منهم بدولة الأدارسة بالمغرب الأقصى.

قد تقدّم لنا ذكر شيعة أهل البيت علي بن أبي طالب وبني رضي الله عنهم، وما كان من شأنهم بالكوفة، وموجدهم على الحسن في تسليم الأمر لغيره، واضطراب الأمر على زياد بالكوفة من أجلهم، حتى قتل المثولون كبر ذلك منهم جعفر بن عبيدي وأصحابه، ثم استدعوا الحسين بعد وفاة معاوية فكان من قتله بكرايله ما هو معروف، ثم ندم الشيعة على قعودهم عن مناصرته، فخرجوا بعد وفاة يزيد وبيعة مروان، وخرج عيسى الله بن زياد عن الكوفة، وسموا أنفسهم التوابين، وولوا عليه سليمان بن صرد ولقيتهم جوش ابن زياد بطراف الشام فاستلهموهم.

ثم خرج المختار بن أبي عيسى بالكوفة طالباً بدم الحسين رضي الله عنه وداعياً لحمد بن الحنفية وتبعه على ذلك جوشه من

إسماعيل سبعة أشهر، وملوكها عليه عنوة، وقتل رحمه الله. وتطلب السلطان بمصر الملك الظاهر بعده آخر من أصل هذا البيت يقيم برسم الخلافة الإسلامية، وبينما هو يسائل الركبان عن ذلك، إذ وصل رجل من بغداد ينسب إلى الراشد بن المسترشد. قال صاحب حمة في تاريخه عن نسبة مصر: إنه أحد بن حسن بن أبي بكر ابن الأمير أبي علي ابن الأمير حسن بن الراشد. وعند العباسين السليمانيين في درج نسبهم الثابت أنه أحد بن أبي بكر بن علي بن الإمام المسترشد، انتهى كلام صاحب حمة. ولم يكن في آبائه خلقة فيما بينه وبين الراشد. ويعود له بالخلافة الإسلامية ولقبه الحاكم، وفرض هو إليه الأمور العامة والخاصة، وخرج هو عن العهد وقام حافظاً لسياج الدين بإقامة رسم الخلافة. وعمرت بذلك الماتير وزينت باسمه السكة، ولم يزل على هذا الحال أيام الظاهر بيبرس وولديه بعده، ثم أيام الصالح قلاون وابنه الأشرف، وطائفة من دولة ابنه الملك الناصر محمد بن قلاون إلى أن هلك سنة إحدى وسبعين، ونصب ابنه أبو الربيع سليمان للخلافة بعده ولقبه المستكفي. وحافظ به الرسم وحضر مع السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون للقاء التتر في التوبتين اللتين لقيهما فيها، فاسترحوش منه السلطان بغض أيامه وأنزله بالقلعة، وقطعه عن لقاء الناس عاماً أو خوره. ثم أذن له في التزول إلى بيته ولقاءه الناس إذا شاء، وكان ذلك سنة ست وثلاثين.

ثم تجددت له الوحشة وغريه إلى قوص سنة ثمان وثلاثين، ثم هلك الخليفة أبو الربيع سنة أربعين قبل مهلك الملك الناصر رحمة الله تعالى. وكان عهد بالخلافة لأبنته أحد فربع له ولقب الحاكم. ثم بدا للسلطان في إضفاء عهد أبيه بذلك فعزله، واستبدل منه بأخيه إبراهيم ولقبه الواثق. وكان مهلك الناصر لأشهر قربة من ذلك، فاغادروا أحد الحاكم ولـي عهد أبيه سنة إحدى وأربعين، وأقام في الخلافة إلى سنة ثلاثة وخمسين. وهلك رحمه الله فولي من بعده آخره أبو بكر ولقب المعتصم، لم يزل مقيناً لرسم الخلافة إلى أن هلك لعشرة أعوام من خلافته سنة ثلاثة وستين، ونصب بعده ابنه محمد ولقب الترك فاقسام برسم الخلافة، وحضر مع السلطان الأشرف شعبان بن حسين بن الملك الناصر عام انتقض عليه الترك في طريقه إلى الحج. وفند أمره ورجع الفيل إلى مصر، وطلبته أمراء الترك في البيعة له بالسلطنة مع الخلافة فامتنع من ذلك. ثم خلعه أخيه من أمراء الترك المستبدلين أيام سلطانه بالقاهرة سنة تسع وستين لما خاضه وقت بينهما، ونصب للخلافة زكريا ابن عم إبراهيم الواثق فلم يطل ذلك، وعزل زكريا لأيام قليلة، وأعاده إلى منصبه إلى أن كانت واقعة قرط التركماني من

ولما انقضت دولة بني أمية وجاءت دولة بني العباس، وصار الأمر لأبي جعفر المنصور سعي عنده بيبي حسن، وأن محمد بن عبد الله يروم الخروج وأن دعاته ظهروا بخراسان فحبس المنصور لذلك بيبي حسن وإخوته وإبراهيم وجعفر، وعلى القائم وبابه موسى بن عبد الله وسليمان وعبد الله ابن أخيه داود، ومحمد وإسماعيل وإسحاق بنو عمه إبراهيم بن الحسن في خمسة وأربعين من أكابرهم وحبسوا بقصر ابن هبيرة ظاهر الكوفة حتى هلكوا في حبسهم، واربهوا الطلب محمد بن عبد الله فخرج بالمدينة سنة خمس وأربعين وبعث أخاه إبراهيم إلى البصرة فقلب عليها، وعلى الأهزار وفارس، وبعث الحسن بن معاوية إلى مكة فملكتها، وبعث عاملًا إلى اليمين، ودعا لنفسه، وخطب على منبر النبي ﷺ وتسمى بالمهدي وكان يدعى النفس الزكية، وحبس رياض بن عثمان المري عامل المدينة فبلغ الخبر إلى أبي جعفر المنصور فاشقروا من أمره وكتب إليه كتابه المشهور ونصه:

بعد البسمة من عبد الله أمير المؤمنين إلى محمد بن عبد الله.

أما بعد «إِنَّا جَزَاءُ الَّذِينَ يُخَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَسَعْيُهُمْ فِي الْأَرْضِ فَسَادُوا أَنْ يُقْتَلُوا أَوْ يُصْبَبُوا أَوْ تُقْطَعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلَافِي أَوْ يُفْقَدُوا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خَزِيٌّ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تُشَدُُرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُمُ أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ».

وأن ذلك ذمة الله وعهده ومتناهى، إن ثبت من قبل أن تقدر عليك أن تؤمنك على نفسك ولذلك وإخوتك ومن تابulk وجميع شيعتك، وأن أعطيك ألف درهم، وأنزلك من البلاد حتى شئت، وأفضي لك ما شئت من الحاجات، وأن أطلق من سجن من أهل بيتك وشيعتك وانصارك، ثم لا أتبع أحدًا منكم بمكرهه، وإن شئت أن توثق لنفسك فوجئه إلى من يأخذ لك من الميقات والمعهد والأمان ما أحبيت والسلام.

فأجابه محمد بن عبد الله بكتاب نصه بعد البسمة:

من عبد الله محمد المهدي أمير المؤمنين ابن عبد الله محمد.

أما بعد «طسم. تلك آيات الكتاب المبين. تلوا عليه من آياتي موسى وفرغون بالحق لقومي يؤمّنون. إن فرغون علا في الأرض وجعل أهله شيئاً يستضيق طائفة منهم ينكح أبناءهم وستحيي نسامتهم إنما كان من المقصودين. وترى أن تمن على الذين استضيقوا في الأرض وتجعلهم أمينة وتجلهم الراريشين. وتمكّن لهم في الأرض وترى فرغون وهامان وجندهم منهم ما

الشيعة، وساهم شرطة الله، وزحف إليه عبد الله بن زياد فهزمه المختار وقتله، وبلغ محمد بن الحنفية من أحوال المختار ما تقدم عليه فكتب إليه بالبراءة منه فصار إلى الدعاء عبد الله بن الزبير.

ثم استدعي الشيعة من بعد ذلك زيد بن علي بن الحسين إلى الكوفة أيام هشام بن عبد الملك فقتله صاحب الكوفة يوسف بن عمر وصلبه، وخرج إليه ابنه يحيى بالجوزجان من خراسان فقتل وصلب كذلك، وطلت دماء أهل البيت في كل ناحية، وقد تقدم ذلك كله في أخبار الدولتين.

ثم اختلف الشيعة وافتقرت مذاهبهم في مصير الإمامة إلى العلوية وذهبوا طرائق قدرًا، فمنهم الإمامية القائلون بوصيصة النبي ﷺ لعلي بالإمامية، ويسمونه الوصي بذلك، ويتبرّون من الشيوخين لما منعوه حقه بزعمهم، وخاصة زيداً بذلك حين دعا بالكونفة، ومن لم يتبرّ من الشيوخين رضوه فسموا بذلك رافضة.

ومنهم الزيدية القائلون بإماميةبني فاطمة لفضل علي وبنيه على سائر الصحابة، وعلى شرطه يشتّرونها، وإمامية الشيوخين عندهم صحيحة وإن كان علي أضل، وهذا مذهب زيد وأتباعه، وهم جهور الشيعة وأبعدهم عن الانحراف والغلور.

ومنهم الكيسانية نسبة إلى كيسان ينبعون إلى إمامية محمد بن الحنفية وبنيه من بعد الحسن والحسين ومن هؤلاء كانت شيعة بني العباس القائلون بوصيصة أبي هاشم بن محمد بن الحنفية إلى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بالإمامية.

وانتشرت هذه المذاهب بين الشيعة وافتقر كل مذهب منها إلى طرائق محسب اختلافهم، وكان الكيسانية شيعة بني الحنفية أكثرهم بالعراق وخراسان.

ولما صار أمر بني أمية إلى اختلال أجمع أهل البيت بالمدينة، وبايعوا بالخلافة سراج محمد بن عبد الله بن حسن المثنى بن الحسن بن علي وسلم له جميعهم، وحضر هذا العقد أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وهو المنصور، وبایع فيمن بايع له من أهل البيت، وأجعوا على ذلك لتقديره فيهما لما علموا له من الفضل عليهم، ولهذا كان مالك وأبو حنيفة رحمهما الله يحتاجان إليه حين خرج من الحجاز، ويريدون أن إمامته أصبح من إمامية أبي جعفر لانقاد هذه الشيعة من قبل، وربما صار إليه الأمر عند الشيعة باتصال الرصبة من زيد بن علي.

وكان أبو حنيفة يقول بفضله، ويحتاج إلى حقه فنادت إيهما الحنة بسبب أيام أبي جعفر المنصور، حتى ضرب مالك على الفتيا في طلاق المكرة، وحبس أبو حنيفة على القضاء.

الله يختار الدين من يشاء من خلقه.

واما ما ذكرت من فاطمة أم أبي طالب فإن الله لم يهد أحداً من ولدتها إلى الإسلام، ولو فعل لكان عبد الله بن عبد المطلب أولهم بكل خير في الآخرة والأولى، وأسعدتهم بدخول الجنة غداً، ولكن الله أبى ذلك فقال: «إِنَّكُمْ لَا تَهْدِي مَنْ أَحَبْتُمْ وَلَكُمُ الْأَمْرُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ».

واما ما ذكرت من فاطمة بنت أسد أم علي بن أبي طالب، وفاطمة أم الحسين وأن هاشماً ولد علياً مرتين، وأن عبد المطلب ولد الحسن مرتين، فخير الأولين رسول الله ﷺ، لم يلده هاشم إلا مرة واحدة، ولم يلده عبد المطلب إلا مرة واحدة.

واما ما ذكرت من أنك ابن رسول الله ﷺ، فإن الله عز وجل قد أبى ذلك فقال: «مَنْ كَانَ مُحَمَّدًا أَخْدِيَ مَنْ رُجِّالَكُمْ وَلَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّنَ»، ولكنكم قرابة ابته وأنها لقرابة قريبة، غير أنها امرأ لا تحوز الميراث، ولا يجوز أن تؤمّن فكيف تورث الإمامة من قبلها وقد طلب بها أبوك من كل وجه، وأخرجها تخاصم، ومرضها سراً ودفنتها ليلاً، وأبي الناس الـ تقديم الشيفين: ولقد حضر أبوك وفاة رسول الله ﷺ فأمر بالصلة غيرها!

ثم أخذ الناس رجالاً رجالاً فلم يأخذوا أباك فيهم ثم كان في أصحاب الشورى، فكلّ دفعه عنها، بايع عبد الرحمن عثمان، وقبلها عثمان، وحارب أباك طلحة والزبير، ودعا سعداً إلى بيته فاغلق بابه دونه.

ثم بايع معاوية بعده، وأفضى أمر جدك إلى أبيك الحسن، فسلمه إلى معاوية بخزف ودراماً، وأسلم في يديه شيعته، وخرج إلى المدينة تدفع الأمر إلى غير أهله، وأخذ مالاً من غير حله، فإن كان لكم فيها شيء فقد بعثوه.

فاما قولك: إن الله أختار لك في الكفر فجعل أباك أهون أهل النار عذاباً، فليس في الشر خيار، ولا من عذاب الله هيئ، ولا ينبغي لمسلم يوم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يفتخر بالنار، سرداً فتعلم، «وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيُّ مُنْقَبَّلٍ يَنْقَبُونَ».

واما قولك: لم تلده العجم ولم تعرف فيك أمهات الأولاد، وإنك أوسط بني هاشم نسباً وخيرهم أنا وأباً، فقد رأيتك فخرت على بني هاشم طرأً وقدمت نفسك على من هو خير منك أولاً، وأخراً وأصلاً وفصلاً، فخرت على إبراهيم بن رسول الله ﷺ، وعلى والد والده، فانتظر ويحك أين تكون من الله غداً وما ولد قبلكم مولود بعد وفاة رسول الله ﷺ، أفضل من علي بن

كأنوا يختذرون» وأنا أعرض عليك من الأمان مثل الذي أعطيتني فقد تعلم أن الحق حقناً وأنكم إنما أعطيتموه بنا، ونهضتم فيه بسعينا وحرقوه بفضلنا، وأن آبانا علياً عليه السلام، كان الوصي والإمام فكيف ورثتموه دوننا ونحن أحياء! وقد علمتم أنه ليس أحد من بني هاشم يشيد بمثل فضلنا، ولا يفخر بمثل قديتنا وحديتنا ونسبتنا ونسبتنا، وأنا بنته فاطمة في الإسلام من بينكم فانا أوسط بني هاشم نسباً وخيرهم أنا وأباً، لم تلدن العجم ولم تعرف في أمهات الأولاد، وأن الله عز وجل لم ينزل يختار لنا، فولدتني من النبيين أضلهم محمد، ومن أصحابه أندمهم إسلاماً وأوسعهم علماء وأكثرهم جهاداً على بن أبي طالب، ومن نسائه أفضليهن خديجة بنت خويبل أول من آمن بالله وصلى إلى القبلة، ومن بناه أفضليهن وسيدة نساء أهل الجنة، ومن المتولدين في الإسلام سيداً شباب أهل الجنة، ثم قد علمت أن هاشماً ولد علياً مرتين من قبل جدي الحسن والحسين فيما زال الله يختار لي حتى اختار لي في معنى النار، فولدتني أرفع الناس درجة في الجنة وأهون أهل النار عذاباً يوم القيمة، فانا ابن خير الأخيار وابن خير الأشرار وابن خير أهل الجنة وابن خير أهل النار.

ولك عهد الله إن دخلت في يرمي أن أومنك على نفسك ولذلك، وكل ما أصبه إلا حداً من حدود الله أو حقاً لمسلم أو معاهد فقد علمت ما يلزمك في ذلك فانا أوفى بالعهد منك وأحرى بقيوام الأمان منك.

فاما أمانك الذي عرضت علي فهو أي الأمانات هي؟ أمان ابن هيبة أم أمان عمك عبد الله بن علي أم أمان أبي مسلم؟ والسلام.

فأجابه المتصور بعد البسمة: من عبد الله أمير المؤمنين إلى محمد بن عبد الله.

فقد أتاني كتابك وبلغني كلامك، فإذا جل فخرك بالنساء لتصل به الحفاة والغوغاء، ولم يجعل الله النساء كالعمومه، ولا الآباء كالعصبة والأوليات، وقد جعل الله العصم أباً وبدأ به على الولد فقال جل ثناه عن نبيه عليه السلام: «وَأَبْيَأْتُ مِلْءَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ زَاسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ».

ولقد علمت أن الله تبارك وتعالى بعث محمدأً ﷺ وعمومته أربعة، فأجابه اثنان أحدهما أبي وكفر به اثنان أحدهما أبوك.

واما ما ذكرت من النساء وقرباياتهن فلو أعطي على قرب الأنساب وحق الأحساب لكان الخير كله لأمنة بنت وهب، ولكن

وزعم ابن قتيبة أن عيسى بن زيد بن علي ثار على المتصور بعد قتل أبي مسلم، ولقيه في مائة وعشرين ألفاً، وقاتلته أياماً إلى أن هم المتصور بالفرار، ثم أتيبح له الظفر فانهزم عيسى ولحق بابراهيم بن عبد الله بالبصرة فكان معه هناك إلى أن لقيه عيسى بن موسى بن علي وقتلها كما مر.

ثم خرج بالمدينة أيام المهدى سنة تسع وستين من بني حسن الحسين بن علي بن حسن الثالث، وهو آخر عبد الله بن حسن الشنى، وعم المهدى، وبريع للرضا من آل محمد وسار إلى مكة، وكتب المادى إلى محمد بن سليمان بن علي وقد كان قدم حاججاً من البصرة فولاه حربه يوم التروبة، فقاتله بفتحة على ثلاثة أميال من مكة، وهزمه وقتله، وافترق أصحابه، وكان فيهم عمه إدريس بن عبد الله فأفلت من المزعة مع من أفلت منهم يومئذ، ولحق بمصر نازعاً إلى المغرب، وعلى بريده مصر يومئذ واضح مول صالح بن المتصور ويعرف بالمسكين، وكان يتشيع، فعلم بشأن إدريس وأثناء إلى المكان الذي كان به مستخفاً، وحمله على البريد إلى المغرب ومعه راشد مولاه فنزل بوليلي سنة ست وسبعين، وبها يومئذ إسحاق بن محمد بن عبد الحميد أمير أورية من قبائل البربر، وكثيرهم لعنه فاجهوه وأكرمه، وبعث البرير على القيام بدعوته، وخلع الطاعة العباسية وكشف النقاب واجتمع عليه البربرية بالغرب فبايعوه وقاموا بأمره، وكان فيهم محروس فقاتلهم إلى أن أسلموا.

وملك المغرب الأقصى، ثم ملك تلمسان سنة ثلاث وسبعين، ودخلت ملوك زناتة أحجم في طاعته، واستفحلا ملوكه، وخطاب إبراهيم بن الأغلب صاحب القiron، وخطاب الرشيد بذلك، فشد إليه الرشيد مولى من موالي المهدى اسمه سليمان بن حريري، ويعرف بالشماخ، وأنفذه بكتابه إلى ابن الأغلب فاجازه ولحق بابراهيم مظهراً للتزوع إليه فيمن نزع من وحدان المغرب متربأً من الدعوة العباسية ومت Hollow للطلابين، واحتضنه الإمام إدريس وحل بيته، وكان قد تأطى سلطاناً في ستون فناوله إيه عند شكياته من وجع أسنانه فكان فيها فيما زعموا حتفه، ودفن بوليلي سنة خمس وسبعين، وفُر الشماخ ولحقه راشد بوادي ملوبة فاختلافاً بينهما ضربت قلع فيها راشد يده، وأجاز الشماخ الوادي فاعجزه ويابع البربرية بعد مهلكة ابنه إدريس سنة ثمان وثمانين، واجتمعوا على القيام بأمره ولحق به كثير من العرب من إفريقية والأندلس، وعجز بنو الأغلب أمراء إفريقية عنه فاستفحلا له ولبيه بالغرب الأقصى دولة إلى أن انقرضت على يد أبي العافية وقومه مكتنasa أولياء العبيد بن عام ثلاثة عشر وثلاثة حسبما

الحسين، وهو لأم ولد، ولقد كان خيراً من جدك حسن بن حسن. ثم ابنه محمد خير من أبيك، وجده ألم ولد، ثم ابنه جعفر وهو خير، ولقد علمت أن جدك علياً حكم المحكمين وأعطاهما عهده وميثاقه على الرضا بما حكم به، فأجعوا على خلمه.

ثم خرج عمك الحسين بن علي بن مرجانة فكان الناس الذين معه عليه حتى قتلوه، ثم أتوا بكم على الأقتاب كالسيء الجلوب إلى الشام، ثم خرج منكم غير واحد فقتلتم بني أمية وحرقوكم بالثار وصلبواكم على جذوع النخل حتى خرجنا عليهم فادركتنا يا سيركم إذ لم تدركوه، ورفعتنا أقداركم وأورثناكم أرضهم وديارهم بعد أن كانوا يلعنون أيامك في أدبار كل صلاة مكتوبة كما يلعن الكفرة، فسفهتم وکفرناهم ویئنا فضلهم، وأشننا ذكره فاقتذلت ذلك علينا حجة، وظلت أنا بما ذكرنا من فضل علي قدمناه على حسنة والعباس وجعفر، كل أولئك مضوا سالين مسلماً منهم وابتلي أبوك بالدماء.

ولقد علمت أن ماتتنا في الجاهلية سقاية الجميع الأعظم، وولاية زمم، وكانت للعباس من دون إخوته فنزا عننا فيها أبوك إلى عمر فقضى لنا عمر بها، وتوفي رسول الله ﷺ وليس من عمومته أحد حياً إلا العباس، وكان وارثه دون عبد المطلب، وطلب الخليفة غير واحد من بني هاشم فلم ينلها إلا ولده فاجتمع للعباس أنه أبو رسول الله ﷺ خاتم الأنبياء، وبينه القادة الخلفاء، فقد ذهب بفضل القديس والحديث ولو لا أن العباس أخرج إلى بدر كرهاً مات عمك طالب وعقيل جوعاً ويلحسان جفان عنة وشيبة، فأنه� عنهم العار والشمار.

ولقد جاء الإسلام والعباس يموتون به طالب للأزمة التي أصابتهم، ثم فدى عقباً يوم بدر، فعززناكم في الكفر وفديناكم من الأسر وورثاء دونكم خاتم الأنبياء وأدركتنا بشاركم إذ عجزتم عنه، ووضعنناكم بحيث لم تضعوا أنفسكم والسلام.

ثم عقد أبو جعفر على حرمه عيسى ابن عمك موسى بن علي، فزحف إليه في العساكر، وقاتلته بالمدينة فهزمه وقتلته في متصرف رمضان سنة خمس وأربعين، ولحق ابنه علي بالسند إلى أن هلك هناك، وأختفى ابنه الآخر عبد الله الأشتر إلى أن هلك في أخبار طويلة قد استوفيناها كلها في أخبار أبي جعفر المتصور، ورجع عيسى إلى المتصور فجهزه لحرب إبراهيم أخي محمد بالعيرة فقاتلته آخر ذي القعدة من تلك السنة فهزمه، وقتلته حسبما مر ذكره هناك، وقتل معه عيسى بن زيد بن علي فيمن قتل من أصحابه.

السرايا يومه ذلك لحمد بن محمد بن زيد بن علي زين العابدين واستبدل عليه، وزحفت عليه جيوش المأمون فهزمه أبو السرايا وملك البصرة وواسط والمدائن.

وسرح الحسن بن سهل حرية هرثمة بن أعين وكان مفضلاً فاسترضاه وجهز له الجيوش، وزحف إلى أبي السرايا وأصحابه فغلبهم على المدائن، وهزمهم وقتل منهم خلقاً، ووجه أبو السرايا إلى مكة الحسين الأفطس بن الحسن بن علي زين العابدين، وإلى المدينة محمد بن سليمان بن داود بن حسن المتنبي بن الحسن، وإلى البصرة زيد بن موسى بن جعفر الصادق، وكان يقال له زيد النار لكثرة من أحرق من الناس بالبصرة فملوكها مكة والمدينة والبصرة، وكان بمكة مسؤول الخادم الأكبر، وسلامان بن داود بن عيسى، فلما أحسوا بقدوم الحسين فروا عنها، وبقي الناس في الموقف فرضي، ودخلتها الحسين من الغد فمات في أهل الموسم ما شاء الله، واستخرج الكنز الذي كان في الكعبة من عهد الجاهلية وأقره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والخلفاء بعده، وقدره فيما قيل ماتسا قنطرة اثنان من الذهب فانفقه وفرقه في أصحابه ما شاء الله.

ثم إن هرثمة واقع أبو السرايا فهزمه، ثم بحث عن منصور بن المهدي فكان أميراً معه، واتبع أبو السرايا فقلبه على الكوفة، وخرج إلى القadesية، ثم إلى واسط ولقبه عاملها وهرمه، ولحق بهملاً متولاً جريحاً فقبض عليه عاملها وقدمه إلى الحسن بن سهل بالهروان وضرب عنقه، وذلك ستة ماتين ويبلغ الخبر الطالبين بمكة فاجتمعوا وبايعوا محمد بن جعفر الصادق، وسموه أمير المؤمنين، وغلب عليه إباهه علي وحسين فلم يكن بذلك معهما من الأمر شيئاً، ولحق إبراهيم بن أخيه موسى الكاظم بن جعفر الصادق باليمين في أهل بيته فدعا لنفسه هناك، وتغلب على الكثير من بلاد اليمين، وسمي الجزار لكثرة من قتل من الناس.

وخلص عامل اليمين وهو إسحاق بن موسى بن عيسى إلى المأمون فجهزه لحرب هؤلاء الطالبين فتوجه إلى مكة وغله لهم عليها، وخرج جعفر بن محمد الصادق إلى الأعراب بالساحل فاتبعهم إسحاق وهرمه، ثم طلبهم وطلب محمد الأمان فأئنه، ودخل مكة وبايع للمأمون وخطب على التبر بدعورته، وسابقته الجيوش إلى اليمين فشردوا عنه الطالبين وأقاموا فيه الدعورة العباسية ثم خرج الحسين الأفطس ودعا لنفسه بمكة، وقتل المأمون وقتل ابنه علياً ومحاماً.

ثم إن المأمون لما رأى كثرة الشيعة واحتلال دعاتهم وكان يرى مثل رأيهم أو قريباً منه في شأن علي والسبطين فعهد بالعهد من بعده لعلي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ستة

ذكر ذلك في أخبار البربر، ونعد ملوكهم هناك واحداً واحداً، وإنقراض دولتهم وعددها، ونستوعب ذلك كله لأنه أمس بالبربر فإنهم كانوا القائمين بدعوتهم.

ثم خرج يحيى أخوه محمد بن عبد الله بن حسن وإدريس في الدليل ستة ست وسبعين أيام الرشيد، واشتدت شرکتهم وسرح الرشيد حرية الفضل بن يحيى فبلغ الطالقان، وتلططف في استزاله من بلاد الدليل على أن يشرط ما أحب ويكتب له الرشيد بذلك خطه، قدم بينهما، وجاء به الفضل فوراً له الرشيد بكل ما أحب، وأجرى له أرزاقاً ستة ثم حسيه بعد ذلك لسعالية كانت فيه من آل الزبير فيقال: أطلقه بعدها، ووصله بمال، ويقال: سمه لشهر من اعتقاله، ويقال: أطلقه جعفر بن يحيى انتيأة فكان يسبيه نكبة البرامكة، وانقض شأن بي حسن وخفيت دعوة الزيدية حينها من الدهر حتى كان منهم بعد ذلك باليمين، والدليل ما ذكره والله غالب على أمره.

## الخبر عن خروج الفاطميين بعد فتنة بغداد

كانت الدولة العباسية قد تهدت من لدن أبي جعفر المنصور منهم، وسكن أمر الخوارج والدعاة من الشيعة من كل جهة حتى إذا هلك الرشيد، ووقع بين بنيه من الفتنة ما وقع، وقتل الأمين بيد طاهر بن الحسين، ووقع في حصار بغداد من الحرب والعبث ما وقع، وبقي المأمون مقيماً بخراسان تسكيناً لأهلهما عن ثانية الفتنة، وولى على العراق الحسن بن سهل، اتسع المفرق حيثذا بالعراق وأشيع عن المأمون أن الفضل بن سهل غلب عليه، وحجزه فامتنع الشيعة لذلك، وتكلموا وطبع العلوبية في التوثب على الأمر فكان في العراق أعقاب إبراهيم بن محمد بن حسن المتنبي المقتول بالبصرة أيام المنصور.

وكان منهم محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ولقبه أبوه طباطبا، لكونه كانت في لسانه، أيام مراهقته بين داياته فلقب بها.

وكان شيعته من الزيدية وغيرهم يدعون إلى إمامته لأنها كانت متواتة في آياته من إبراهيم الإمام جده على ما قلناه في خبره، فخرج ستة تسع وتسعين، ودعا لنفسه، ووافاه أبو السرايا السري بن منصور كبيربني شيان فباعه وقام بتدبیر حرية، وملك الكوفة وكثير تابعوه من الأعراب وغيرهم.

وسرح الحسن بن سهل زهر بن المسيب لقتاله فهزمه طباطبا واستباح معسكته، ثم مات محمد في صبيحة ذلك اليوم فجأة، ويقال: إن أبو السرايا سمه لما منعه من الغنائم فباع أبو

إلى أن قتله، وما أثر تلك الدعوة كما قدمناه في أخبار الموقن ونذكره في أخبارهم.

ثم خرج في الدليل من ولده الحسن بن زيد بن الحسن السبط الداعي المعروف بالعلوي، وهو الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن خرج لخمس وخمسين فملك طبرستان وجرجان وسائر أعمالها، وكانت له ولشيعته الزيدية دولته هناك، ثم انقرضت آخر المائة الثالثة، وورثها من ولد الحسن السبط، ثم من ولد عمر بن علي بن زين العابدين الناصر الأطروش وهو الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن عمر وهو ابن صاحب الطالقان. وكانوا سبباً لملك الدليل البلاد وتغلبهم على الخلفاء كما ذكر ذلك في أخبار دولتهم.

ثم خرج باليمين من الزيدية من ولد القاسم الرسي بن إبراهيم طباطبا أخي محمد صاحب أبي السرايا أعيوم ثمانية وثمانين وثلاثين يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي فاستولى على صعدة وأورث عقبه فيها ملكاً باقياً لهذا العهد، وهي مركز الزيدية كما ذكر في أخبارهم.

وفي خلال ذلك خرج بالمدينة الأخوان محمد وعلى ابنا الحسن بن جعفر بن موسى الكاظم وعاش في المدينة عيناً شديداً وتعطلت الصلاة بمسجد النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه نحوه من شهر وذلك سنة إحدى وسبعين.

ثم ظهر بالمغرب من دعوة الرافضة أبو عبد الله الشيعي في كل من قبائل البربر أعيوم ستة وثمانين وثلاثين داعياً لعييد الله الهميدي محمد بن جعفر بن محمد بن إسماعيل الإمام بن جعفر الصادق ظهر على الأغالبة بالقيروان، وبابع لعييد الله المهيدي ستة وسبعين فتم أمره وملك المغاربة، واستفحلت له دولته بالمغرب ورثها بنوه، ثم استولوا بعد ذلك على مصر سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة فملوكها منهم المعز لدين الله معد بن إسماعيل بن أبي القاسم بن عبيد الله المهيدي وشيد القاهرة.

ثم ملك الشام واستفحلا ملوكه إلى أن انقرضت دولتهم على العاضد منهم على يد صلاح الدين بن أيوب سنة خمس وستين وخمسة.

ثم ظهر في سواد الكوفة سنة ثمان وخمسين وثلاثين من دعوة الرافضة رجل اسمه الفرج بن يحيى، ويدعى قرمط، بكتاب زعم أنه من عند أحد بن محمد بن الحنفية فيه كثير من كلمات

إحدى وثلاثين، وكتب بذلك إلى الأفاق، وتقدم إلى الناس فتنزع السواد ولبس الخضراء، ففقد بنو العباس ذلك من أمره ويعدوا بالعراق لعممه إبراهيم بن المهيدي سنة اثنين وثلاثين، وخطب له ببغداد وعظمت الفتنة.

وشخص المؤمن من خراسان متلافياً أمر العراق وهلك علي بن موسى في طريقه فجأه، ودفن بطورس سنة ثلاث وثلاثين. ووصل المؤمن إلى بغداد سنة أربعين، وقبض على عمه إبراهيم وغاف عنه وسكن الفتنة.

وفي سنة تسع بعدها خرج باليمين عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب يدعى للرضا من آل محمد، وبايعه أهل اليمين وسرح إليه المؤمن مولاه دياراً، واستلم له فائمه وراجع الطاعة.

ثم كثر خروج الزيدية من بعد ذلك بالحجاز والعراق والجبال والدليل وهرب إلى مصر خلق، وأخذ منهم خلق، وتابع دعاتهم.

فأول من خرج منهم بعد ذلك محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن زين العابدين، هرب خوفاً من المعتضد سنة تسع عشرة وثلاثين، وكان ي مكان من العبادة والزهد فلحق بخراسان، ثم مضى إلى الطالقان ودعا بها لنفسه، واتبعه أمم الزيدية كلهم.

ثم حاربه عبد الله بن طاهر صاحب خراسان فغلبه وتقبض عليه، وحمله إلى المعتضد فجسسه حتى مات، ويقال: إنه مات مسروماً.

ثم خرج من بعده بالكوفة أيضاً الحسين بن محمد بن حمزة بن عبد الله بن الحسين الأعرج بن علي ابن زين العابدين، واجتمع إليه الناس من بيأسه وغيرهم من جموعه وأشياعه، وذلك سنة إحدى وخمسين وثلاثين، وزحف إليه ابن بشكال من أمراء الدولة فهزمه، ولحق بصاحب الزنج فكان معه.

وكاتبه أهل الكوفة في العود إليه، وظهر عليه صاحب الزنج قتلته.

وكان خروج صاحب الزنج بالبصرة قبله بقليل، واجتمعت له جموع العبيد من زنج البصرة وأعمالها، وكان يقول في لفظه من أعلم أنه من ولد عيسى بن زيد الشهيد وأنه علي بن محمد بن زيد بن عيسى، ثم انتسب إلى يحيى بن زيد الشهيد، والحق أنه دعي في أهل البيت كما ذكره في أخباره.

وزحف إليه الموقن آخر المعتمد ودارت بينه وبينهم حروب

الكفر والتحليل والتحريم، وادعى أن محمد بن الحنفية هو المهدى

المتظر، وعاش في بلاد السواد، ثم في بلاد الشام وتلقب وكروبه بن مهرونة واستبد طائفة منهم بالبحرين ونواحيها ورئيسهم أبو سعيد الجنابي، وكان له هناك ملك ودولة أورثها بنيه من بعده إلى أن انقضت أعواهم كما يذكر في أخبار دولتهم، وكان أهل البحرين هؤلاء يرجعون إلى دعوة العبيدين بالمغرب وطاعتهم.

ثم كان بالعراق من دعاة الإمامية وهؤلاء الرافضة طوائف آخرون، واستبدوا بكثير من التواحى، ونسب إليهم فيها القلاع: قلعة الموت وغيرها، وينسبون تارة إلى الفرامطة، وتارة إلى العبيدين، وكان من رجالاتهم الحسن بن الصبّاح في قلعة الموت وغيرها إلى أن انقض أمرهم آخر الدولة السلجوقية.

وكان باليمنة ومكة والمدينة من بعد ذلك دول للزبيدية والرافضة فكان باليمنة دولة لبني الأحضر، وهو محمد بن يوسف بن إبراهيم بن موسى الجون بن عبد الله بن حسن المثنى، خرج أخوه إسماعيل بن يوسف في بداية الحجاز سنة اثنين وخمسين وثلاثين وملك مكة، ثم مات فمضى أخوه محمد إلى الإمامة فملكتها وأورثها لبنيه إلى أن غلبهم الفرامطة.

وكان مملكة دولة لبني سليمان بن داود بن حسن المثنى خرج محمد بن سليمان أيام المأمون وتسمى بالناهض، وملك مكة، واستقرت إمارتها في بنيه إلى أن غلبهم عليها المراشم وكبارهم محمد بن جعفر بن أبي هاشم محمد بن الحسن بن محمد بن موسى بن عبد الله أبي الكرام بن موسى الجون فملكتها من إبراهيم سنة أربع وخمسين وأربعين، وغلب بني حسن على المدينة وداول الخطبية بمكة بين العباسين والعبيدين واستفحلا ملوكه في بنيه إلى أن انقضوا آخر المائة السادسة، وغلب على مكة بنت أبي قمي أمراؤها لهذا العهد، ملك أو لهم أبو عزيز قادة بن إدريس مطاعن بن عبد الكريم بن موسى بن عيسى بن محمد بن سليمان بن عبد الله بن موسى الجون وورث دولة المراشم وملوكهم، أورثها بنيه إلى هذا العهد كما ذكر في أخبارهم، وهؤلاء كلهم زيدية، وبالمدينة دولة للرافضة لولد الماء.

قال المُسْبَحِي: اسمه الحسن بن طاهر بن مسلم، وفي كتاب العتي مؤرخ دولة ابن سبكتكين أن مسلماً اسمه محمد بن طاهر وكان صديقاً لكافور، ويدبر أمره وهو من ولد الحسن بن علي زين العابدين.

واسترى طاهر بن مسلم على المدينة أعوام ستين وثلاثمائة وأورثها بنيه لهذا العهد كما ذكر في أخبارهم والله وارث الأرض

## الخبر عن الأدارسة ملوك المغرب الأقصى ومبدأ دولتهم وانفراطها ثم تجددها مفترقة في نواحي المغرب

لما خرج حسين بن علي بن حسن الثالث بن حسن المثنى بن الحسن السبط بمكة في ذي القعدة سنة ست وسبعين ومائة أيام المهدى، واجتمع عليه قرابة وفيم عماء إدريس ويجيسي، وقاتلهم محمد بن سليمان بن علي بعجة على ثلاثة أميال بمكة فقتل الحسين في جماعة من أهل بيته وانهزموا وأسر كثير منهم، ونجا يحيى بن إدريس وسلامان، وظهر يحيى بعد ذلك في الدبل، وقد ذكرنا خبره من قبل وكيف استنزله الرشيد وحبسه.

واما إدريس فهو ولحق عصر، وعلى بريدها يومئذ واضح مولى صالح بن المنصور ويعرف بالمسكين، وكان واضح يتشيع، فعلم شأن إدريس وأنه إلى الموضع الذي كان به مستخفياً ولم ير شيئاً أخلص من أن يحمله على البريد إلى المغرب فقبل، ولحق إدريس بالمغرب الأقصى هو ومولاه راشد، ونزل بوليلى سنة اثنين وسبعين وبها يرمي إسحاق بن عبد الحميد أمير أوربة وكبارهم لهده فأجراه، وأجمع البربر على القيام بدعوتة، وكشف النقاع في ذلك، واجتمعت عليه زواغة ولواثة ومدراته وغياثة ونفرة ومكانسة وغمارة وكافة البربر بالمغرب فبايعوه، وقاموا بامرها.

وخطب الناس يوم بويح فقال بعد حمد الله والصلوة على نبيه: لا تندن الأعناق إلى غيرنا فإن الذي تجدونه عندنا من الحق لا تجدونه عند غيرنا. ولحق به من إخوته سليمان، ونزل بأرض زنانه من تلمسان ونواحيها وذكر خبره فيما بعد.

ولما استنقض أمر إدريس وقفت دعورته زحف إلى البربرية الذين كانوا بالغرب على دين الموسوية واليهودية والنصرانية مثل قنالوا وبيهلوانه ومديونة وما زار وفتح تامستا ومدينة شالة وقادلا وكان أكثرهم على دين اليهودية والنصرانية فأسلموا على يديه طرعاً وكرهاً وهم معاقلهن ومحضنهن.

ثم زحف إلى تلمسان وبها من قبائل بني يعرب ومغارواه سنة ثلاث وسبعين، ولقيه أميرها محمد بن حرز بن جزلان فأعطاه الطاعة، وبدل له إدريس الأمان ولسائر زنانة فامكته من قياد البلد، وبنى مسجدها وأمر بعمل منبره وكتب اسمه فيه حسبما هو

خطوط في صفحات المتن هذا العهد.

لدن باب السلسلة إلى غدير الجوزاء والجرف، واستقام له أمر الخلافة وأمر القائمين بدعوه وامر العز والمملك.

ثم خرج غازياً المصادمة سنة سبع وتسعين فافتتح بلادهم ودانوا بدعوه.

ثم غزا تلمسان وجدد بناء مسجدها وإصلاح منبرها، وأقام بها ثلاثة سنين، وانتظمت كلمة البرابرية وزناثة ومحوا دعوة الخارج منهم، واقتصر الغربيين عن دعوة العباسيين من لدن الشموس الأقصى إلى شلف.

ودافع إبراهيم بن الأغلب عن حماه بعدها ضايقه بالمكاد، واستقاد الأولياء واستعمال بهلوان بن عبد الواحد المظفرى من معه من قومه عن طاعة إدريس إلى طاعة هارون الرشيد.

ووفد عليه بالقيروان، واستزاب إدريس بالبرابرية فصالح إبراهيم بن الأغلب وسكن من غربه.

وعجز الأغالبة من بعد ذلك عن مدافعة هؤلاء الأدارسة، ودافعوا خلقهم بني العباس بالمعاذير بالغضّ من إدريس والقديح في نسبة إلى أخيه إدريس بما هو أوهن من خيوط العنكبوت.

وذلك إدريس سنة ثلاثة عشرة وقام بالأمر من بعده ابنه محمد بعده إليه فأجتمع أمره بروفة جدته كترة أم إدريس على أن يشرك إخوره في سلطانه ويقاسم عماله أخيه.

قسم المغرب بينهم أعمالاً اختص منها القاسم بطنجة ويسكرة وبنته ويتطاوين وقلعة حجر النسر وما إلى ذلك من البلاد والقبائل واختص عمر بتكيستان وترغة وما بينهما من قبائل صنهاجة وغمارة واختص داود ببلاد هوارة وتسلول وتازى وما بينهما من القبائل: مكناسة وغياثة واختص عبد الله بإغاثات ولد نفيس وجبال المصادمة وببلاد لطة والسموس الأقصى، واختص بني بأصيلاً والعرائش ولد زوجة وما إلى ذلك. واختص عيسى بشالة وسلا وأزمور وتمستا وما إلى ذلك من القبائل.

واختص حزرة بوليلى وأعمالها وأبقى الباقي في كفالتهم وكفالة جدتهم كترة لصغرهم، وبيت تلمسان لولد سليمان بن عبد الله.

وخرج عيسى بأزمور على أخيه محمد طالباً الأمر لنفسه، فبعث حرمه أخيه عمر بعد أن دعا القاسم لذلك فامتنع.

ولما أوقع عمر عيسى وغلب على ما في يده استتابه إلى أعماله بإذن أخيه محمد.

ورجع إلى مدينة بوليلى ثم دسَ إلى الرشيد مولى من موالى المهدى اسمه سليمان بن حريز ويعرف بالشماخ أفنذه بكتابه إلى ابن الأغلب فأجازه، ولحق بادرس ظهراً التزوع إليه فمن نزع من وهران المغرب متبرئاً من الدعوة العباسية ومتخللاً للطلب، واحتضن الإمام إدريس وحلا بيته وكان قد تباطط سُمّاً في سنون، فناوله إيه عند شفائه من وجع أسنانه، فكان فيه كما زعموا حتفه ودفن بوليلى سنة خمس وسبعين.

وفر الشماخ ولحقه فيما زعموا راشد بوادي ملرية فاختلفا ضريبتين قطع فيها راشد يد الشماخ، وأجاز الروادي فأعجزه وأعتلى بالبرابر من أوربة وغيرهم فجمل من دعوته في ابنه إدريس الأصغر من جاريته كنزه بايعوه حلاً ثم رضيوا ثم فضيلاً إلى أن شب واستنم فبايعوه مجاعم وليلي سنة ثمان وثمانين ابن إحدى عشرة سنة، وكان ابن الأغلب دسَ عليهم الأموال واستعملهم حتى قتلوا راشداً مولاًه سنة ست وثمانين، وقام بكلفة إدريس من بعده أبو خالد بن يزيد بن إلياس العبدى، ولم يزل كذلك إلى أن بايعوا لإدريس، فقاموا بأمره وجردوا لأنفسهم رسوم الملك بتجديد طاعته، وافتتحوا بلاد المغرب كلها واستوثق لهم الملك بها واستزرز إدريس مصعب بن عيسى الأزدي المسئى بالملجم من ضربة في بعض حروبهم.

وسمته على الخرطوم وكانتها خطاطم، ونزع إليه كثير من قبائل العرب والأندلس، حتى اجتمع إليه منهم زهاء خمسة فاختصهم دون البرير، وكانت لها بطانة وحاشية، واستفحل بهم سلطانه.

ثم قتل كبير أوربة إسحاق بن محمود سنة اثنين وتسعين لما أحسن منه بمراولة إبراهيم بن الأغلب، وكثرت حاشية الدولة وأنصارها، وضاقت وليلي بهم فاعتام موضعأً لبناء مدينة لهم، وكانت فاس موضعأً لبني برغش وبني المثير من زاغة، وكان في بني برغش مجوس ويهود ونصارى، وكان موضع شبوة منها بيت نار لجوسهم، وأسلموا كلهم على يده.

وكانت بينهم فتن فبعث للإصلاح بينهم كاتبه أبا الحسن عبد الملك بن مالك الخزرجي.

ثم جاء إلى فاس وضرب أبيته بكزرواوه، وشرع في بنائها فاختطَّ عدوة الأندلس سنة اثنين وتسعين.

وفي سنة ثلاثة بعدها اختطَّ عدوة القرطاجيين وبنى مساكنه، وانتقل إليها وأسس جامع الشرفاء، وكانت عدوة القرطاجيين من

وأعد له السقاية والسلسلة بباب الحفاة منه، ثم أوسع في خطته آخر ملوك لتونة من المرحدين، ويني مرين واستمرت العمارة به، وانصرفت هممهم إلى تشييده والمنافسات في الاحتفال به فبلغ الاحتفال فيه ما شاء الله حسبما هو مذكور في تاريخ المغرب.

وذلك يحيى هذا سنة ولابنه يحيى بن يحيى فأئماء السيرة  
وأكثر عيشه في الحرم وثارت به العامة لمركب شبيع أباه وتولى كبر  
الثورة عبد الرحمن بن أبي سهل الحزامي، وأخرجوه من عدوة  
القرويين إلى عدوة الأندلسين فتوارى ليلتين ومات أسفًا للليلته،  
وانقطع الملك من عقب محمد بن إدريس، وبلغ الخبر بشأن يحيى  
إلى ابن عمّه علي بن عمر صاحب الريف، واستدعاه أهل الدولة  
من العرب والبربر والموالي فجاء إلى فاس ودخلها وساعده،  
واستولى على أعمال المغرب إلى أن ثار عليه عبد الرزاق الخارجي،  
وخرج يجرب لنونة وكان على رأي الصفرية فزحف إلى فاس  
وغلب عليها، ففر إلى أوربة وملك عبد الرزاق عدوة الأندلس،  
وامتنعت منه عدوة القرويين، وولوا على أنفسهم يحيى بن القاسم  
بن إدريس، وكان يعرف بالصرام، بعثوا إليه فجاءهم في جوعه،  
وكانت بينه وبين الخارجي حروب.

ويقال: إنه أخرجه من عدوة الأندلس، واستعمل عليها  
ثعلبة بن محارب بن أبي صفرة.

ثم استعمل ابنه عبد الله المعروف بعمود من بعده، ثم ابنه مخارب بن عبود بن ثعلبة إلى أن اغتاله الريبع بن سليمان سنة اثنين وسبعين وماتين.

وكان بالأمر مكانه يحيى بن إدريس بن عمر صاحب الريف، وهو ابن أخي علي بن عمر فملك جميع أعمال الأدارسة، وخطب له على سائر أعمال المغرب، وكان أعلى بني إدريس ملكاً وأعظمهم سلطاناً، وكان فقيهاً عارفاً بالحديث ولم يبلغ أحد من الأدارسة مبلغه في السلطان والدولة.

وفي أثناء ذلك كله خلط الملك للشيعة بأفريقيه، وتغلبوا على الاسكندرية واحتلوا المهدية كما نذكوه في دولة كاملة.

ثم طمحوا إلى ملك المغرب وعقدوا لمسألة بن جبوس كبير مكناة وصاحب تاهرت على عمارية ملوكه سنة خمس وتلائعة، فزحف إليه في عساكر مكناة وكاتمة، ويرز للدافعه بخي بن إدريس صاحب المغرب بجامعة من المغرب، وأولياء الدولة من أوربة وسائل البربرة والموالي، والتقوا على مكناة وكانت الدبرة على بخي وقمه، ورجع إلى فاس مغلولاً وأجاز له بها معاملة إلى أن صالحه على مال يؤديه إليه وطاعة معروفة لعبد الله الشيعي

ثم أمره أخوه محمد بالهوض إلى حرب القاسم لقعوده عن إجابته في محاربة عيسى فزحف إليه، وأوقع به، واستتاب عليه إلى ما في يده فصار الريف البحري كله من عمل عمر هذا من تيكيستان، وببلاد غمارة إلى سبته، ثم إلى طنجة.

وهذا ساحل البحر الرومي، ثم ينبعطف إلى أصيلا ثم سلا،  
ثم أزمر وبلاد تامستا، وهذا ساحل البحر الكبير.  
ووترهد القاسم وينى رياطًا بساحل أصيلا للعبادة إلى أن  
ملك.

وانتشرت ولائية عمر بعمل عبسى والقاسى، وخلصت طريته لأنجيه محمد الأمير، وهلك في إمارة أخيه محمد بيلد صنهاجة بموضع يقال له فرج الفرس سنة عشرين وسبعين، ودفن بفاس وعمر هذا هو جد الحموذين الدايات بالأندلس من بنى أمية كما نذكره.

وقد الأمير محمد على عمله لولده علي بن عمر.

ثم كان مهلك الأمير محمد لسبعة أشهر من مهلك أخيه  
عمر سنة إحدى وعشرين ومائتين بعد أن استخلف ولده علياً في  
مرضه وهو ابن تسع سنين فقام بأمره الأولياء والخاشية من العرب  
وأوربة وسائر البربر وصنائع الدولة ويابموه غلاماً متزغراً وقاموا  
بأمره وأحسنوا كفالتها وطاعته فكانت أيامه خير أيام، وهلك سنة  
أربع وتلذين لثلاث عشرة سنة من ولادته، وعهد لأخيه يحيى بن  
محمد فقام بالأمر، وأمتد سلطانه وعظمت دولته، وحسن أثار  
أباه.

واستجذت فاس في العمران وبنيت بها الحمامات والفنادق للتجار، وبنيت الأرباض، ورحل إليها الناس من التمور القاصية واتفق أن نزلتها امرأة من أهل القبروان تسمى أم البنين بنت محمد الفهري، وقال ابن أبي ذرع: اسمها فاطمة، وأنها من هوارة.

وكانت مثيرة بموروث أفادته من ذويها، واعترضت على صرفه في وجه الخير فاختطفت المسجد الجامع بعدوة القرويين أصغر ما كان سنة خمس وأربعين في أرض بيضاء كان اقطنهما الإمام إدريس، وأنبطة بصحتها بثراً شرابة للناس، فكانتا نهت بذلك عزائم الملوك من بعدهما، ونقلت إليه الخطبة من جامع ادريس، لضفة علّة وحوارته.

واختلط بعد ذلك أَمْدَنْ بْنُ سَعِيدٍ بْنُ أَبِي بَكْرِ الْيَعْرَنِي صَوْمَعَتْهُ سَنَةُ حَسْنٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثَمَانَةً، عَلَى رَأْسِ مَائَةِ سَنَةٍ مِنْ اخْتِطَاطِ الْجَامِعِ حَسْبَمَا هُوَ مَقْتُوشُ فِي الْحِجَارَةِ بِالْلَّرْكَنِ الشَّرْقِيِّ مِنْهَا، ثُمَّ أُوْرَسَ فِي خَطْهَةِ الْمَصْوُرِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ، وَجَلَّبَ إِلَيْهِ الْمَاءُ

والقائمون بأمرهم كما ذكره في أخبار غماره. ودخلت دعوة الروائيين خلقه قرطبة إلى المغرب، وتغلبت زناته على الضواحي.

ثم ملك بنو يعرب فاس وبعدهم مغاروا وأقام الأدارسة بالريف مع غماره وتجدد لهم به ملك في بيبي محمد، وبين عمر بمدينة البصرة وقلعة حجر النسر ومدينة سبتة وأصيلا.

ثم تغلب عليهم الروائيون وأخْرُوْهُم إلى الأندلس، ثم أجازوهم إلى الإسكندرية وبعث العزيز العبيدي بن كانون منهم لطلب ملكهم بالمغرب فغلبه عليه المنصور بن أبي عامر وقتلها، وعلىه كان انتفاض أمرهم وانتفاض سلطان أوربة من المغرب، وكان من أعقاب الأدارسة الذين أوتوا إلى غماره فكانوا الدالين من ملوك الأمورية بالأندلس، وذلك أن الأدارسة لما انقرض سلطانهم صاروا إلى بلاد غماره واستجدوا بها رياسته، واستمرت في بيبي محمد وبين عمر من ولد إدريس بن إدريس، وكانت للبرير لهم بسبب ذلك طاعة وخلطة.

وكان بنو حود هؤلاء من غماره فأجازوا مع البرير حين أجازوا في مظاهره المستعين ثم غلوبه بعد ذلك على الأمر وصار لهم ملك الأندلس حسبما ذكر في أخبارهم.

وأما سليمان آخر إدريس آخر فإنه فر إلى المغرب أيام العباسين فلحق بهيات تاهرت بعد مهلك أخيه إدريس، وطلب الأمر هناك فاستقره البربر وطلبه ولاة الأغالبة فكان في طلبهم تصريح نسبة.

ولحق بتلسان فليكتها وأذاعت له زناته وسائر قبائل البرير هنالك، وورث ملكه ابنه محمد بن سليمان على سنته، ثم افترق بنوه على ثغور المغرب الأوسط، واقسموا مالكه ونواحيه فكانت تلميسان من بعده لابنه محمد بن أحمد بن القاسم بن محمد بن أحد، وأظن هذا القاسم هو الذي يدعى بن عبد الواد نسبة، فإن هذا أشبه من القاسم بن إدريس بمثل هذه الدعوى.

وكانت أرشكول لعيسي بن محمد بن سليمان وكان منقطعاً إلى الشيعة، وكانت جراوة لإدريس بن محمد بن سليمان، ثم لابنه عيسى وكنته أبو العيش، ولم تزل إمارتها في ولده، ووليه بعده ابنه إبراهيم بن عيسى، ثم ابنه يحيى بن إبراهيم، ثم آخره إدريس بن إبراهيم، وكان إدريس بن إبراهيم صاحب أرشكول منقطعاً إلى عبد الرحمن الناصر وأخوه يحيى كذلك.

وارتاب من قبله ميسور قائد الشيعة قبض عليه سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة، ثم اخترع عليهم فلما أخذ ابن أبي العافية

سلطانه، يؤديها فقبل الشرط، وخرج عن الأمر، وخلع نفسه، وأنفذ بيته إلى عبيد الله الهلبي وأبقى عليه مصالحه في سكتني فاس، وعقد له على عملها خاصة، وعقد لابن عممه موسى بن أبي العافية أمير مكناس يومئذ وصاحب سور وقاربه على سائر أعمال البرير كما ذكره في أخبار مكناسة ودولة موسى.

وكان بن موسى بن أبي العافية وبين يحيى بن إدريس شحناه وعداوة، بغضنهما كل واحد لصاحب حتى إذا عاد مصالحة إلى المغرب في غزاه الثانية سنة تسع أغزاه موسى بن أبي العافية بطلحة بن يحيى بن إدريس صاحب فاس، فقبض عليه مصالحة واستنصره أمواله وذخائره وغيره إلى أصيلا والريف عمل ذي قرباه ورحمه، وولى على فاس ريحان الكتامي.

ثم خرج يحيى بريد إفريقية فاعتراضه ابن أبي العافية وسجنه ستين وأطلقه ولحق بالمهدية سنة إحدى وثلاثين وهلك في حصار أبي يزيد سنة واستبد ابن أبي العافية بملك المغرب وثار على ريحان الكتامي بفاس سنة ثلاثة عشرة وثلاثمائة الحسن بن محمد بن القاسم بن إدريس الملقب بالحجاج، وتنهى ريحان عنها وملكتها عامين، وزحف للقاء موسى بن أبي العافية وكانت بينهما حروب شديدة هلك فيها ابنه منها بن موسى، وإنجلت المعركة على أكثر من ألف قتيل وخالص الحسن إلى فاس منهزمًا وغدر به حامد بن حдан الأوربي واعتلله، ويعتذر إلى موسى فوصل إلى فاس وملكتها وطالبه بإحضار الحسن فدافعه عن ذلك، وأطلق الحسن متذكرًا فتدىء من السور فسقط ومات من ليلته وفر حامد بن حدان إلى المهدية، وقتل موسى بن أبي العافية عبد الله بن نعلبة بن عمارب وبنته عمدةً ويوسف وذهب ملك الأدارسة، واستولى ابن أبي العافية على جميع المغرب وأجل بيبي محمد بن القاسم بن إدريس، وأخاه الحسن إلى الريف فنزلوا البصرة، واجتمعوا إلى كبيرهم إبراهيم بن محمد بن القاسم أخي الحسن وولوه عليهم واختلط لهم الحصن المعروف بهم هنالك وهو حجر النسر سنة سبع عشرة وثلاثمائة، وأنزلوه وبنو عمر بن إدريس يومئذ بغمارة من لدن تيجساس إلى سبعة وطنجة، وبقي إبراهيم كذلك.

وشن الناصر المرواني لطلب المغرب، وملك سبعة علي بن إدريس سنة تسع عشرة، وكبيرهم يومئذ أبو العيش بن إدريس بن عمر فأنجبوا له عنها وأنزل بها حاليته.

وهلك إبراهيم بن محمد كبيربني محمد فتول عليهم من بعده أخوه القاسم الملقب بكتان، وهو آخر الحسن الحجاج، وأسمه القاسم بن محمد بن القاسم، وقام بدعة الشيعة المغافلًا عن أبي العافية وذاته، واتصل الأمر في ولده وغماره أولياؤهم

المحدث بن الحسن بن عبيد الله بن الحسن الأصغر بن زين العابدين فنطول سلسلة نسبه، وتشتمل على اثنى عشر إلى الحسين بن فاطمة، ويعد ذلك إلى العصر الذي ظهر فيه.

والذى عليه المحققون الطبرى وأ ابن حزم وغيرهما أنه رجل من عبد القيس من قرية تسمى ودرفين من قرى الري، واسمه علي بن عبد الرحيم حدثه نفسه بالتوثيق، ورأى كثرة خروج الزيدية من الفاطميين فاتحلاً هذا النسب وادعاه، وليس من أهله. ويصدق هذا أنه كان خارجياً على رأي الأزارة يلعن الطائفتين من أهل الجمل وصفين، وكيف يكون هذا من علوى صحيح النسب؟ وللأجل انتحاله هذا النسب وبطليانه في دعويه فسد أمره فقتل ولم تقم له دولة بعد أن فعل الأفاغيل وعاث في جهات البصرة، واستباح الأنصار وخربيها، وهزم العساكر وقتل الأمراء الأكابر، وانخذل نفسه حصوناً قتل فيها من جاويه لكره سنة الله في عباده.

وسياق الخبر عنه أنه شخص من الذين حجروا ببغداد مع جماعة من حاشية المتصرّ، ثم سار إلى البصرة سنة تسعة وأربعين ومائتين فادعى أنه علوى من ولد الحسين بن عبيد الله بن العباس بن علي، ودعا الناس إلى طاعته فاتبعه كثير من أهل هجر، ثم تحول إلى الإحساء، ونزل على بعض بني عيم ومعه قراروة يحيى بن محمد الأزرق وسليمان بن جامع، وقاتل أهل البحرين فهزمه وافتقرت العرب عنه، ولحق بالبصرة والفتنة فيها بين البلاية والسعادة، وبلغ خبره محمد بن رجاء العامل فطلبه فهرب وجنس ابنه وزوجته وبعض أصحابه، ولحق هو ببغداد فانتسب إلى عيسى بن زيد الشهيد كما قلناه، وأقام بها حولاً.

ثم بلغه أن البلاية والسعادة أخرىوا محمد بن رجاء من البصرة، وأن أهله خلصوا فرجع إلى البصرة في رمضان سنة خمس وخمسين، ومعه يحيى بن محمد وسليمان بن جامع.

ومن أهل بغداد الذين استلمهم جعفر بن محمد الصمداني وعلى بن أبان وعبدان غير من سمعنا فنزل بظاهر البصرة، ووجه دعوته إلى العيد من الزنج وأفسدهم على موالיהם ورغمهم في العنق، ثم في الملك، وانخذل رأية رسم فيها ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾ الآية.

وواجهه مواطن العبيد في طلبه فأمرهم بضرفهم وحسبهم، ثم أطلقهم، وتسائل إليه الزنج واتبعوه وهزم عساكر البصرة والأبلة وذهب إلى القادسية، وجاءت العساكر من بغداد فهزمهم ونهب التراخي، وجاء المدد إلى البصرة مع جعلان من قواد الترك

بدعوة العلوية نابذ أولياء الشيعة فحاصر صاحب جراوة الحسن بن أبي العيش، وغلبه على جراوة فلحق بابن عمه إدريس بن إبراهيم صاحب أرشكول.

ثم حاصرها البوري بن موسى بن أبي العافية وغلب عليهم، وبعث بهما إلى الناصر فأسكنهما قرطبة، وكانت تنس إبراهيم بن محمد بن سليمان ثم ابنته محمد من بعده، ثم ابنته يحيى بن يحيى بن يحيى، وتغلب عليه زيري بن مناد سنة اثنين وأربعين وثلاثمائة ففر إلى الجبر بن محمد بن خزراء، وجاز إبانه حزة ويجىء إلى الناصر فتقاعداً رحباً وتكرمة، ورجع يحيى منها إلى طلب تنس فلم يظهر بها.

وكان من ولد إبراهيم هذا أحد بن عيسى بن إبراهيم صاحب سوق إبراهيم، وسليمان بن محمد بن إبراهيم من رؤساء المغرب الأوسط.

وكان من بي محمد بن سليمان هؤلاء وبطوش بن حناتش بن الحسن بن محمد بن سليمان، قال ابن حزم: وهم بالغرب كثير جداً، وكان لهم بها عمالك، وقد بطل جميعها ولم يبق منهم بها رئيس بنواحي مجاهي وحمل بني حزة هؤلاء جوهر إلى القيروان وبيقت منهم بقايا في الجبال والأطراف معروفة هناك عند البرير والله وارث الأرض ومن عليها.

## الخبر عن صاحب الزنج وتصاريف أمره واضمحلال دعوته

هذه الدعوة فيها اضطراب منذ اولها فلم يتم لصاحبها دولة، وذلك أن دعوة العلوية متذبذبة المعتصم من الزيدية كما شرحت، وكان من أعظمهم الذين دعاهم شيعتهم بالزواحي على بن محمد بن أحد بن عيسى بن زيد الشهيد، ولما اشتهر أمره فر وقتل ابن عمه علي بن محمد بن الحسن بن علي بن عيسى، وبقي هو متغييراً فادعى صاحب الزنج هذا سنة خمس وخمسين ومائتين أيام الهادي أنه هر، فلما ملك البصرة ظهر هذا المطلوب، ولقيه صاحب الزنج حياً معروفاً بين الناس فرجع عن دعوى نسبه وانتسب إليه إلى يحيى بن زيد قتيل الجنون، ونسبه المسعودي إلى طاهر بن الحسن بن علي، وقال فيه: علي بن محمد بن جعفر بن الحسين بن طاهر.

ويشكل ذلك بأن الحسين بن فاطمة لم يكن له عقب إلا من زين العابدين، قال ابن حزم وغيره، فإن أراد بظاهر طاهر بن يحيى

اثنتين وستين، واعتراضه يعقوب الصفار يزيد بغداد فشغل محربه،  
وانهزم الصفار وانتزع من يده ما كان ملكه من الأهازيز.

وقاتلواه فهزمهم.

ثم ملك الأبلة واستباها، وسار إلى الأهواز وبها إبراهيم بن المديري على الخوارج، فافتتحها وأسر ابن المديري سنة ست وخمسين إلى أن فر من محبسهم، فبعث المعتمد سعيد بن صالح الحاجب لحرفهم سنة سبع وخمسين، وهو يومئذ عامل البصرة وسار من واسط فهزمه علي بن أبيان من قواد الزنج لحرفهم، هزمه إلى البحرين فتحصن بالبصرة، وزحف علي بن أبيان لحصاره حتى نزل على أمانه، ودخلها وأحرق جامعها، ونكب عليه صاحب الزنج فصرفه، وولى على البصرة مكانه يحيى بن محمد البحرياني. وبعث المعتمد محمد الولد إلى البصرة فأخرج عنه الزنج، ثم بيترا محمد بن الولد فهزمه.

ثم ساروا إلى الأهواز وعليها منصور الخليط فرائع الزنج  
فغلبوا وكان المعتمد قد استقدم أخاه أبي أحمد الموفق من مكة وعقد  
له على الكوفة والخرماني طريق مكة واليمن، ثم عقد له على  
بغداد والسودان وواسط وكور دجلة والبصرة والأهواز، وأمره أن  
يعقد ليارجوج على البصرة وكور دجلة واليمامه والبحرين مakan  
سعید بن صالح.

ثم انهزم سعيد بن صالح فعقد يارجوج لمنصور بن جعفر  
مكانه، ثم قتله الزنج كما قلناه فأمر المعتمد أخاه الموفق بالمسير  
إليهم في ربيع سنة ثمان وخمسين، وعلى مقدمته مفلح فأجلل  
الزننج عن البصرة، وسار قاتلهم علي بن أبيان فلقي مفلحاً فقتل  
مفلح وأنهزم أصحابه ورجع الموفق إلى سامراً، وكان اصطي Dixon  
ولي الأهواز بعد منصور الخياط، وجاءه يحيى بن محمد البحرياني  
من قراد الزنج، وبلغهم مسیر الموفق فأنهزم يحيى البحرياني، ورجع  
في السفن، فأخذ وحمل إلى سامراً فقتل وبعث صاحب الزنج مكانه  
علي بن أبيان وسلامان الشعراوي فملكوا الأهواز من يد  
اصطي Dixon سنة تسع وخمسين، بعد أن هزموه وهرب في السفن  
فتق.

وسرح المتمد لحربيهم موسى بن بغا بعد أن عقد له على تلك الأعمال فبعث إلى الأهواز عبد الرحمن بن مفلح، وإلى البصرة إسحاق بن كيداجن، وإلى باداورد إبراهيم بن سليمان، وأقاموا في حروبيهم مدة ستة ونصفها.

ثم استغنى موسى بن بغا وولى على تلك الأعمال مكانه مسرور البلخي، وجهز المعتمد أخاه إبا أحد الموقن لخريمه بعد أن عهد له بالخلافة ولقبه الناصر لدين الله الموفق، وولاه على أعمال المشرق كلها إلى آخر أصفهان وعلى الحجاز، فسار بذلك سنة

والله وارث الأرض ومن عليها.

### الخبر عن دعوة الديلم والجبل من العلوية وما كان لهم من الدولة بطرستان للداعي وأخيه أولاً ثم للأطروش وبنيه وتصاريف ذلك إلى انقضائه

كان أبو جعفر المنصور قد اختص من العلوية من بني الحسن السبط حافنه الحسن بن زيد بن الحسن وولاه المدينة، وهو الذي امتحن الإمام مالكاً رحمة الله كما هو معروف.

وهو الذي أغوى المنصور من قبل بيته حسن وأخوه بدسيسة محمد المهدي وابنه عبد الله في شأن الدعاء لهم حتى قبض عليهم وحملهم إلى العراق كما قدمناه.

وكان له عقب باليه منهم: الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن وإلي المدينة، ولما حدث بين عامل طبرستان محمد بن أوس الكافل بها سليمان بن عبد الله بن طاهر نائباً عن محمد بن طاهر صاحب خراسان، وبين محمد وجعفر من بني رستم من أهل نواحي طبرستان حادث فتنة، وقد تقدم ذكرها، أغروا به أهل تلك التواصي وبعثوا إلى الديلم ليستجدوا بهم عليه، وكأنوا على الجبوة يومئذ، وهم حرب محمد بن أوس لدخوله بلادهم، وقتلهم وسيهتهم أيام المسالمة، وملتهم يومئذ وهشودار بن حسان فاجابوا ابنه رستم إلى حربه.

وبعث أبنا رستم إلى محمد بن إبراهيم بطرستان لكون الدعوة له فامتنع ودهم على الحسن بن زيد باليه فاستدعوه بكتاب محمد بن إبراهيم شخص إليهم، وقد انقض الديلم وأبنا رستم وأهل ناحيتهم على بيعته فبأيده، وانضم إليهم أهل جبال طبرستان.

وزحف إلى أمد فقاتله ابن أوس دونه، وخالقه الحسن بن زيد في جماعة إلى أمد فملكها، ونجا ابن أوس إلى سليمان بن عبد الله بن طاهر سارية وزحف إليهم الحسن فخرجوا للقاء فناشيم الحرب، وبعث بعض قواه إلى سارية فملكتها، وانهزم سليمان إلى جرجان، واستولى الحسن على معسكره بما فيه وعلى حرمته وأولاده فيهم إليه في السفن.

ويقال: إن سليمان انهزم له لدسية التشيع التي كانت في بي طاهر، ثم أقبل الحسن بن زيد إلى طبرستان فملكتها وهرب عنها سليمان، ثم بعث الحسن دعاته إلى التواصي وكان يعرف

لвой أبي العباس بن الموفق، وبلغ ذلك الموفق فسار من بغداد في ربيع سنة سبع وستين فانتهى إلى المية، وقاتل الزنج فانهزموا أمامه واتبعهم أصحاب أبي العباس ابنه فاقتتلوا عليهم المية وقتلوا وأسروا، وهدم سور المية وطمس خندقها وهرب الشعراي وابن جامع، وسار أبو العباس إلى المتصورة بطهشا فنازلاً وغلب عليهما، وأفلت ابن جامع إلى واسط، وغلب على ما فيها من النخائر والأموال، وهدم سورها وطم خندقها ورجع إلى واسط.

ثم سار الموفق إلى الزنج بالأهواز واستخلف ابنه هارون على جنده بواسط، وجاءه الخبر برجوع الزنج إلى طهشا والمتصورة فرد إليهم من يوقع بهم ومضى لوجهه فانتهى إلى السوس وعلى بن أبيان بالأهواز فسار إلى صاحبه واستأمن المخلفون هنالك إلى الموفق فامتهنهم، وسار إلى تستر وأمن محمد بن عبد الله الكردي، ثم وافى الأهواز وكتب إلى ابنه هارون أن يرافقه بالجند بنهر المبارك من فرات البصرة وبعث ابنه أبي العباس لвой الخبيث بنهر أبي الخصيب واستأنف إلى جماعة من قواه فامتهنهم وكتب إليه بالدعوة والأعذار، وزحف إليه في مدتيه المختارة له، وأطلق السفن في البحر وعي عساكرة وهي نحو من حسين الثما والزنج في نحو من ثلاثة ألف مقابل، ونصب الآلات ورتب المنازل للحصار، وبنى المقادع للقتال، واخترط مدينة الموقفة لنزوله، وكتب محمل الأموال والميرة إليها فحملت، وقطع الميرة عن المختارة، وكتب إلى البلاد بإنشاء السفن والاستكثار منها، وقام يحاصرها من شعبان سنة سبع وستين إلى صفر من سنة سبعين.

ثم اقتحم عليهم المختارة فملكتها وفر الخبيث وابنه انكلادي وابن جامع إلى معلم أعده واتبعه طائفة من الجندي فانقطعوا عنه، وأمرهم من الغد بابتلاعه فانهزم وقتل من أصحابه وأسر ابن جامع.

ثم قتل صاحب الزنج وجبيء برأسه ولحق انكلادي بالديناري في خمسة آلاف، ولحقهم أصحاب الموفق فظفروا بهم وأسرهوم أح恨ين، وكان درمونة من قواه قد لحق بالبطيخة، واعتضم بالغلاض والأجام لقطع الميرة عن أصحاب الموفق. فلما علم بقتل صاحب الزنج وجبيء برأسه ولحق انكلادي بالموفق بعديته قليلاً وولى على البصرة والأبلة وكور دجلة، ورجع إلى بغداد فدخلها في جمادى سنة سبعين، وكان لصاحب الزنج من ولد محمد ولقبه انكلادي ومعه بالزنجية ابن الملك، ثم يحيى سليمان والفضل حبسوا في المطبق إلى أن هلكوا.

يخلص إلا بمشقة.

وكتب إلى الخليفة هنبر الحسن وما فعله معه، وسار إلى الري في طلب عبد الله السخري فامكحه منه، وإلى الري فقتله.

ثم رجع الحسن بن زيد إلى طبرستان سنة إحدى وستين، وغلب عليها أصحاب الصفار واقتتلها عنهم.

ثم انتقض السجستاني على يعقوب بن الليث بخراسان وملكتها من يده كما ذكرناه، فسار وحاربه أبو طلحة بن شرحب وأمره الحسن بن زيد فساز السجستاني إلى خاربته بسبب ذلك سنة خمس وستين، وانتزع جرجان من يده، ثم خرج عنها بقتال عمرو بن الليث بعد موت أخيه يعقوب كما ذكر في أخبارهم، فملكتها الحسن بن زيد.

ثم أوقع السجستاني بالحسن بن زيد سنة ست وستين، كبسه بجرجان وهو غاز فهزمه ولحق بآمد وملك سارية، واستخلف عليها الحسن بن محمد بن جعفر بن عبد الله الشيعي بن الحسين الأصغر بن زين العابدين، وانصرف فأظهر الحسن بسارية قتل الحسن بن زيد، ودعا لنفسه فبايعه جماعة.

ثم وفاة الحسن بن زيد فظفر به وقتلها.

## وفاة الحسن بن زيد وولاته أخيه

ثم توفي الحسن بن زيد صاحب طبرستان في رجب سنة سبعين وولي مكانه آخره محمد، وكان قيامهم أولاً على ابن طاهر كما ذكرناه.

ثم غلب يعقوب الصفار على خراسان وانتقض عليه أحد السجستاني، وملكتها من يده.

ثم مات يعقوب سنة خمس وستين وولي مكانه آخره عمرو وزحف إلى خراسان، وقاد السجستاني فيها وكانت بينهما حروب، وكان الحسن داعي طبرستان يقاومهما جيئاً إلى أن هلك، وولي مكانه آخره كما ذكرناه.

وكانت قزوين تقلب عليها أثناء ذلك عساكر الموقن ووليهما ذكرهن من مواليهم فزحف إلى الري سنة اثنين وسبعين، وزحف إليه محمد بن زيد في عام كبير من الديلم وأهل طبرستان وخراسان فانهزم، وقتل من عسكره ستة آلاف، وأسر الفان، وغنم ذكرهن عسكره جيئاً وملك الري وفرق عماله في نواحيها.

ثم مات السجستاني وقام بأمره في خراسان رافع بن الليث من قواد الظاهريه فغلب محمد بن زيد على طبرستان وجرجان

بالداعي العلوي فبعث إلى الري القاسم ابن عمه علي بن إسماعيل، وبها القاسم بن علي بن زين العابدين السعري فملكها، واستخلف بها محمد بن جعفر بن أسد بن عيسى بن حسين الصغير بن زين العابدين.

وبعث إلى قزوين الحسين المعروف بالكركي بن أحمد بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن جعفر، وهزمه وأسره فبعث الحسن بن زيد قائده دواجن إلى محمد بن ميكال فهزمه وقتلها، وملك الري من يده، وذلك سنة خمسين وثلاثين.

ثم زحف سليمان بن عبد الله بن طاهر من جرجان في العساكر فأبْقَلَ الحسن بن زيد عن طبرستان إلى الديلم ودخلها سليمان، ثم قصد سارية وأناه ابنها قاران بن شهرزاد من الديلم وأناه أهل آمد وغيرهم طائعين فصفع عنهم، ثم سار محمد بن طاهر إلى لقاء الحسن فهزمه، وقتل من أعيان أصحابه ثلاثة وأربعين رجلاً.

ثم زحف موسى بن بنا لحربيهم سنة ثلاث وخمسين فلقيه الحسن الكركي على قزوين، وأنهزم إلى الديلم واستولى موسى بن بنا على قزوين.

ثم رجع الكركي سنة ست وخمسين فاستولى على الري واستول القاسم بن علي بعدها على الكرخ سنة سبع ثم زحف الحسن بن زيد إلى جرجان وبعث إليها محمد بن طاهر صاحب خراسان العساكر فهزمه الحسن، وغلبهم عليها وانتقض أمر ابن طاهر بخراسان من يومئذ واختلف المغلبون عليه، وكان ذلك داعياً إلى انتزاع يعقوب الصفار خراسان من يده.

ثم غلبه الحسين سنة تسع وخمسين على قوسن.

## استيلاء الصفار على طبرستان

كان عبد الله السخري ينادي يعقوب بن الليث الصفار الرياسة بسجستان، فلما استولى يعقوب على الأمر هرب عبد الله إلى نيسابور مستجيرًا بابن طاهر فأجراه.

فلما هلك يعقوب الصفار بنيسابور هرب عبد الله إلى الحسن بن زيد ونزل سارية وبعث فيه يعقوب الصفار فلم يسلمه الحسن بن زيد، فساز إليه يعقوب سنة ستين، وهزمه فلحق بارض الديلم ولحق عبد الله بالري.

وملك يعقوب سارية وأمد وجبي خراجها، وسار في طلب الحسن فتعلق بجيال طبرستان، واعترضته الأمطار والأحوال فلم

## ظهور الأطروش العلوى وملكه طبرستان

الأطروش هذا من ولد عمر بن زين العابدين الذي كان منهم داعي الطالقان أيام المتصنم، وقد مر ذلك.

واسم الأطروش الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن عمر، دخل إلى الديلم بعد مقتل محمد بن زيد وأقام فيه ثلاث عشرة سنة يدعوهم إلى الإسلام ويأخذ منهم العشر، ويدافع عنهم ملكهم ابن حسان، فأسلم منهم خلق كثير، واجتمعوا عليه وبنى في بلادهم المساجد وحملهم على رأي الزيدية فدانوا به. ثم دعاهم إلى المسير معه إلى طبرستان.

وكان عاملها محمد بن نوح من قبل أبده بن إسماعيل بن سامان، وكان كثير الإحسان إليهم فلم يحيوا الأطروش إلى البغي عليه.

ثم عزل ابن سامان عن طبرستان ابن نوح وولى عليها غيره، فأساء السيرة فأعاد إليها ابن نوح، ثم مات فاستعمل عليها أبو العباس محمد بن إبراهيم صعلوكاً فأساء السيرة وتذكر لرؤسائه الديلم، فدعاهم الحسن الأطروش للخروج معه فأجابوه فسار إليهم صعلوك، ولقيهم بشاطئ البحر على مرحلة من سالوس فانهزم وقتل من أصحابه نحو من أربعة آلاف، وحضر الأطروش بقيهم في سالوس حتى استأمنوا إليه فآتتهم ونزل آمد.

وجاء صهره الحسن بن قاسم بن علي بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد البطحاني بن القاسم بن الحسن بن زيد والي المدينة، وقد مر ذكره، فلم يحضر قتل أولئك المستأمين، واستولى الأطروش على طبرستان وتسمى الناصر، وذلك سنة إحدى وثلاثمائة، ولحق صعلوك بالري، وسار منها إلى بغداد.

ثم زحف الناصر سنة اثنين وثلاثمائة، فخرج عن آمد ولحق بسالوس، وبث إليه صعلوك المساكر فهزمه الحسن الداعي وهو الحسن بن زيد.

ثم زحفت إليه عساكر خراسان وهي للسعيد نصر بن أحد فقتلوه سنة أربع وثلاثمائة، وولى صهره وبنوه وكانت بينهم حروب بالدليل كما ذكره.

وكان له من الولد أبو القاسم وأب الحسن وكان قواده من الديلم جماعة منهم ليلي بن التعمان، وولاه صهره الحسن بعد ذلك جرجان، وما كان بين كالي، وكانت له ولاية أسترا باذ، ويقرأ من كتاب الديلم، وكان من قواده من الديلم جماعة أخرى منهم أسفار بن شيرويه من أصحاب ما كان ومرداویج من أصحاب

فلحق بالدليل، ثم صالحه سنة إحدى وثمانين وخطب له فيها سنة اثنين وثمانين على أن ينجرده على عمرو بن الليث، وكتب له عمرو بن الليث، يعذر عن ذلك فاقصر عنه، فلما غلب عمرو على رافع رعي محمد بن زيد خذلانه لرافع فخلى له عن طبرستان وملكتها.

## مقتل محمد بن زيد

كان عمرو بن الليث لما ملك خراسان، وقتل رافع بن هرثمة، طلب من المعتصم ولية ما وراء النهر فولا.

واتصل الخبر بإسماعيل بن أحد الساماني ملك تلك الناحية فعبر جيرون وهزم جيرون عمرو بن الليث ورجع إلى بخارى، فزحف عمرو بن الليث من نيسابور إلى بلخ وأعزوه العبور.

وجاء إسماعيل فعبر النهر، وأخذ عليه الجهات بكثرة جوعه فأصبح كالحاصر ثم اقتلوا فانهزم عمرو وأسره إسماعيل ويعثر به إلى المعتصم سنة ثمان وثمانين فحبسه إلى أن قتل، وعقد لإسماعيل على ما كان يهد عمرو.

وما اتصل بمحمد بن زيد، واقعة عمرو وأمره سار من طبرستان لا يرى أن إسماعيل يقصدها فلما انتهى إلى جرجان بعث إليه إسماعيل يصده عن ذلك فلاب، فسرح إليه محمد بن هارون، وكان من قواد رافع بن هرثمة، وصار من قواد إسماعيل بن سامان فلقي محمد بن زيد على جرجان واقتلوا فانهزم محمد بن هارون أولاً.

ثم رجعت الكرة على محمد بن زيد، وافتقرت عساكره وقتل من عساكره عالم وأسر ابنه زيد، وأصابته هو جراحات هلك منها لأيام قلائل، وغنم ابن هارون عساكره بما فيه، وسار إلى طبرستان فلكلها وبعث بزيد إلى إسماعيل فائز له ببخارى، ووسع عليه الأنفاق واشتغلت عليه شوكه الديلم وحاربهم إسماعيل سنة تسع وثمانين، وملكتهم يومئذ ابن حسان فهزمه، وصارت طبرستان وجرجان في ملكبني سامان مع خراسان، إلى أن ظهر بها الأطروش كما ذكر بعد.

ويقال: إن زيد بن محمد بن زيد ملك طبرستان من بعد ذلك إلى أن توفي وملكتها من بعده ابنه الحسن بن زيد.

في أربعة آلاف فارس لمحاره بيرجان فحاصره شهراء، ومع الحسن  
صاحب جيشه سرخاب بن وهشوداب، وهو ابن عم مakan بن  
كالي فلما اشتد بهم المصارع خرج أبو الحسن وسرخاب في ثمانية  
ألاف من الدليم والجند فانهزم سيجور أولًا فاتبعوه وقد أكمن لهم  
الكمائن فخرجت عليهم، وقتل من الدليم والجند نحو أربعة  
ألاف، وخلص أبو الحسن في البحر إلى استریاذ، وخلفه سرخاب  
فخلفه، وأقام سيجور بيرجان.

ثم هلك سرخاب وسار أبو الحسن إلى سارية واستخلف  
ما كان بن كالي على استياد، فاجتمع إليه الديلس ولوه على  
أنفسهم، وزحفوا إليه عساكر السعيد بن سامان فحاصروه مدة.

ثم خرج عن أستراباذ إلى سارية فملوكها وولوا عليها يقراخان، وعادوا إلى جرجان ثم إلى نيسابور ثم سار ماikan بن كالي إلى أستراباذ وملوكها من بد يقراخان، ثم ملك جرجان وأقام بها وذلك سنة عشر وثلاثمائة.

ثم استولى أسفار بن شيرويه على جرجان، واستقل بها، وكان سبب ذلك أنه كان من أصحاب مakan بن كالي ونكره البعض أحواه فطرده من عسكره، وسار إلى أبي بكر بن محمد بن اليسع من السامانية بنيسابور فخدمه، وبعثه في عسكر إلى جرجان ليفتحها له، وقد كان مكان سار إلى طربستان وولى على جرجان مكانه آخاه أبي الحسن علياً، وكان أبو الحسن بن الأطروش معتقلًا عنده، وهو ليلة بقتله، وقصده في محبه فظفر به أبو علي وقتله، وخرج من الدار واختفى وبعث من الغد إلى القواد فبايعوا له وولوا على جيشه على بن خرشيد ورضوا به.

واستقدموا أسفار بن شيريويه فاستأذن يكر بن محمد وقدم عليهم، وسار إليهم مكان بن كالي فحاربوا وغلبوا على طبرستان، وانزلوا بها أبا علي بن الأطروش فقام بها أياماً ومات على أمره علي بن خرشيد صاحب جيشه، وجاء مكان بن كالي لحرب أسفار طبرستان فانهزم أسفار ولحق بيكر بن محمد بمرجان وأقام إلى أن توفي ستة عشرة وثلاثمائة فرلاه السعيد على برجان، وأرسل إلى مردوایج بن دینار الجبلی، وجعله أمیر جيشه، وزحفوا إلى طبرستان فملکوها.

وكان الحسن بن القاسم الداعي قد استولى على الري وفروعه وزنجبار وأبهر وقتم، وقادته ما كان بن كالي الديلمي فسار إلى طبرستان وقاتلته أسفار فانهزم ما كان، والحسن بن القاسم الداعي، وقتل بخذلان أصحابه إياه، لأنه كان يشتدد عليهم في تغیر المنكرات فشاوروا في أن يستقدموا هنري سيدان من رؤساء الجبل،

أسفار والسيكري من أصحابه أيضاً، ومولويه من أصحاب  
مرداويج، وبأيادي الخبر عن جبيهم.

وكان الحسن بن قاسم صهر الأطروش، وكان رديفه في الأمر حتى كان يعرف بالداعي الصغير، واستعمل على جرجان سنة ثمان وثلاثمائة للي بن النعمان من كبار الدبلوماسيين.

وكان له مكان في قومه، وكان الأطروش وأولاده يلقبونه المؤيد لدين الله، المتصر لآل رسول الله، وكانت خراسان يومئذ نصر بن أحمد من بنى سامان.

وكان الدامغان ثنرا من ناحية طبرستان، وكان بها فراتكين من موالي ابن سامان فوقيت بيته وبين ليلي حروب وهزمه ليلى واستفحلا أمره ونزع إليه فارس مولى فراتكين فأكمله وأصهر إليه باخته واستأنم إليه أبو القاسم بن حفص وهو ابن أخت أحمد بن سهل قائد السامانية عندما نكب خاله أحمد فامنه وأجاره.

ثم حرضه الحسن بن قاسم الداعي الصغير على المسير إلى  
نيسابور فسار إليها ومعه أبو القاسم بن حفص فملكتها من  
فراتكين سنة ثمان وثلاثمائة، وخطب بها للداعي، وأنفذ السعيد  
نصر عساكرة إليه من مخاري مع قائده حمودة بن علي، ومعه محمد  
بن عبد الله البلجي وأبر جعفر صعلوك، وخوارزم شاه وسيجير  
الدواني ويقراخان فلقيهم ليلي بطرس، وقاتلوه فانهزم إلى آمد ولم  
يقدر على الحصار، ولحقه يقراخان فقبض عليه وبعث حمودة من  
قتله، واستأنف الديلم إليهم فأتموا هم، وأشار حمودة بقتلهم  
فاستجاروا بالقواد، وبعث برأس ليلي إلى بغداد، وذلك في ربيع  
من سنة تسمى وبقى فارس مولى فراتكين بمحربان.

إمارة العلوية بطبرستان بعد الأطروش

ولما قاتل الحسن الأطروش سنة أربع وثلاثمائة، كما قدمناه،  
ولى مكانه بطبرستان صهره، وهو الحسن بن القاسم، وقد مر  
ذكره، ويسمى بالداعي الصغير، ويلقب بالناصر.

وي بعض الناس يقولون هو الحسن بن محمد أخي الأطروش، هكذا قال ابن حزم وغيره، وليس بصحيح وإنما هو صهره الحسن بن القاسم من عقب الحسين بن زيد والي المدينة، ثم من عقب حافظه محمد البطحاني بن القاسم بن الحسن، وكان أبو الحسن بن الأطروش باسترلاباذ قباع له ما كان بن كالي، وقام بأمره فلما قتل ليلى بن النعمان صاحب جرجان، وعاد فراتكين إليها، ثم انصرف عنها وجاءه أبو الحسن بن الأطروش باسترلاباذ قباع له فملكتها، فبعث السعيد بن سامان صاحب خراسان قائمه سسيجور الدوالي

ومضى أبو جعفر محمد بن أبي الحسن أحمد بن الأطروش إلى الدليل إلى أن غلب مرداويج على الرأي، فكتب إليه وأخرجه عن الدليل وأحسن إليه.

فلما غلب على طبرستان وأخرج ما كان عنها بaidu لأبي جعفر هذا، وسمي صاحب القلنوسة إلى أن مات، وبويغ آخره ولقب الثناء، وأقام مع الدليل وزحف ستة ست وثلاثين إلى جرجان، وبها ركناً الدولة بن بريه فسرح إلى ابن العميد فانهزم الثناء، وتغلق بالجبال، وأقام مع الدليل وملوك العجم يخبطون له إلى أن هلك ستة خس وحسين وثلاثمائة، لثلاثين سنة من ملكه، وبايعوا أخيه الحسين بن جعفر وتلقب بالناصر، وتقبض عليه ليكون وشکس ملك الجبل وسلمه وانقرض ملك الفاطميين أجمع بتلك الجبال والبقاء لله وحده.

### الخبر عن دولة الاسماعيلية ونبدأ منهم بالعيدين الخلفاء بالقیروان والقاهرة وما كان لهم من الدولة من المشرق والمغرب

أصل هؤلاء العبيدين من الشيعة الإمامية، وقد تقدم لنا حكاية مذهبهم والبراءة من الشیخین ومن سائر الصحابة، لعدوهم عن بيعة علي إلى غيره مع وصیة النبي ﷺ له بالإمامية بزعمهم، وبهذا امتازوا عن سائر الشیعیة.

وإلا فالشیعیة كلهم مطبقون على تفضیل على ولم يقدح ذلك عند الزیدیة في إمامية أبي بكر لقولهم بعوایز إمامۃ المفضول مع الأفضل، ولا عند الكیسانیة لأنهم لم يدعوا هذه الرصیة، فلم يكن عندهم قادح فیمن خالفها، وهذه الرصیة لم تعرف لأحد من أهل النقل، وهي من موضوعات الإمامیة، وقد يسمون رافضة، قالوا: لأنه لما خرج زید الشہید بالکوفة واختلفت عليه الشیعیة ناظروه في أمر الشیخین وأنهم ظلموا علیاً فنکر ذلك عليهم فقالوا له: وأنت أيضاً فلم يظلمك أحد، ولا حق لك في الأمر، وانصرفو عنه ورفضوه فسموا رافضة، وسمی أتباعه زیدیة.

ثم صارت الإمامیة من على إلى الحسن ثم الحسین، ثم ابنه علي زین العابدین، ثم ابنه عمدان الباقر، ثم ابنه جعفر الصادق، كل هؤلاء بالوصیة، وهم ستة أئمة لم يختلف أحد من الرافضة في إمامتهم، ثم افترقوا من هنـا فرقـتين وهم الاثـنـان عشرـة والإـسمـاعـیـلـیـة.

واختـصـ الـاثـنـانـ عـشـرـةـ باـسـمـ الإـمامـیـةـ هـذـاـ الـعـهـدـ،ـ وـمـنـهـمـ

وكان خال مرداويج ووشکین فيقدموه عليهم ويجلسوا الحسن الداعي وينصبوا أبي الحسن بن الأطروش.

وـنـماـ الـخـبـرـ بـذـلـكـ إـلـىـ الدـاعـيـ وـقـدـمـ هـذـرـسـيـدانـ فـلـقـيـهـ الدـاعـيـ معـ القـوـادـ وـأـخـلـهـمـ إـلـىـ قـصـرـهـ بـمـجـرـجـانـ لـيـكـلـوـاـ مـنـ مـاـنـدـهـ فـدـخـلـوـاـ وـقـتـلـهـ عـنـ آـخـرـهـ،ـ فـعـظـمـتـ نـفـرـتـهـ عـنـ فـخـذـلـهـ فـيـ هـذـاـ الـمـوـطـنـ وـقـتـلـ،ـ وـاسـتـولـ أـسـفـارـ عـلـىـ طـبـرـسـانـ وـالـرـيـ وـجـرـجـانـ وـقـزـوـنـ وـزـنجـارـ وـأـهـرـ وـقـمـ وـالـكـرـجـ،ـ وـدـعـاـ لـسـعـيدـ بـنـ سـامـانـ صـاحـبـ خـراسـانـ،ـ وـأـقـامـ بـسـارـيـةـ وـاستـعـمـلـ عـلـىـ آـمـدـ هـارـوـنـ بـنـ بـهـرـامـ،ـ وـقـصـدـ بـذـلـكـ اـسـتـخـلـاصـهـ لـنـفـسـهـ لـأـنـ كـانـ يـخـطبـ لـأـبـيـ جـعـفـرـ مـنـ وـلـدـ النـاـصـرـ الـأـطـرـوـشـ فـوـلـاـ آـمـدـ وـزـوـجـهـ بـإـحـدـيـ نـسـائـ الـأـعـيـانـ بـهـاـ،ـ وـحـضـرـ عـرـسـهـ أـبـيـ جـعـفـرـ وـغـيرـهـ مـنـ الـعـلـوـيـنـ،ـ وـهـجـمـ عـلـيـهـ أـسـفـارـ يـوـمـ عـرـسـهـ بـآـمـدـ،ـ فـقـبـضـ عـلـىـ أـبـيـ جـعـفـرـ وـغـيرـهـ مـنـ الـعـلـوـيـنـ،ـ وـحـلـهـ إـلـىـ خـارـيـ فـاعـتـلـوـاـ بـهـاـ إـلـىـ أـنـ خـلـصـوـاـ مـنـ بـعـدـ ذـلـكـ.

وـمـنـ تـارـیـخـ بـعـضـ الـمـتأـخـرـینـ أـنـ الحـسـنـ بـنـ القـاسـمـ الدـاعـيـ صـهـرـ الـأـطـرـوـشـ،ـ بـوـيـعـ بـعـدـ مـوـتـهـ وـلـقـبـ النـاـصـرـ،ـ وـمـلـكـ جـرـجـانـ.

وـكـانـ الدـلـیـلـ قدـ اـشـتـملـوـاـ عـلـىـ جـعـفـرـ بـنـ بـنـبـاـونـدـ فـقـبـضـ فـصـارـ الدـاعـيـ إـلـىـ طـبـرـسـانـ وـمـلـكـهـ وـلـقـ جـعـفـرـ بـنـ بـنـبـاـونـدـ فـقـبـضـ عـلـيـهـ عـلـيـ بـنـ أـمـدـ بـنـ نـصـرـ وـبـعـثـ بـهـ إـلـىـ عـلـيـ بـنـ وـهـشـوـدـانـ بـنـ حـسـانـ مـلـكـ الدـلـیـلـ وـهـوـ عـاـمـلـ،ـ فـجـبـسـهـ عـلـيـ بـنـ وـهـشـوـدـانـ بـنـ حـسـانـ مـلـكـ الدـلـیـلـ فـلـمـ قـتـلـ أـطـلـقـهـ مـنـ بـعـدـ حـسـرـةـ فـیـرـوزـ فـاسـتـجـاشـ جـعـفـرـ بـالـدـلـیـلـ وـعـادـ إـلـىـ طـبـرـسـانـ فـمـلـكـهـ وـهـرـبـ الحـسـنـ.

ثـمـ مـاتـ جـعـفـرـ بـوـيـعـ أـبـيـ الحـسـنـ بـنـ أـخـيـهـ الحـسـنـ،ـ فـلـمـ ظـهـرـ مـاـكـانـ بـنـ كـالـيـ بـايـعـ لـلـحـسـنـ الدـاعـيـ وـأـخـرـجـهـ إـلـيـهـ،ـ وـقـبـضـ عـلـىـ الحـسـنـ بـنـ أـمـدـ وـهـوـ أـخـيـ جـعـفـرـ وـجـسـهـ بـمـجـرـجـانـ عـنـ أـخـيـ أـبـيـ عـلـيـ لـيـقـتـلـهـ الحـسـنـ وـنـجـاـ،ـ وـبـاـيـعـ الـقـوـادـ بـمـجـرـجـانـ.

ثـمـ حـارـبـهـ مـاـكـانـ فـانـهـزـمـ الحـسـنـ إـلـىـ آـمـدـ وـمـاتـ بـهـاـ،ـ وـبـوـيـعـ أـخـوـهـ أـبـيـ جـعـفـرـ بـنـ مـحـمـدـ بـنـ أـمـدـ وـقـصـدـهـ مـاـكـانـ مـنـ الـرـيـ فـهـرـبـ مـنـ آـمـدـ إـلـىـ سـارـيـةـ وـبـاـيـعـ بـنـ شـيـرـوـيـهـ،ـ فـقـاتـلـ دـونـهـ وـانـهـزـمـ أـسـفـارـ إـلـىـ جـرـجـانـ،ـ وـاسـتـأـمـنـ إـلـىـ أـبـيـ بـكـرـ بـنـ مـحـمـدـ بـنـ يـاـسـ.

ثـمـ بـاـيـعـ مـاـكـانـ لـأـبـيـ القـاسـمـ الدـاعـيـ،ـ وـخـرـجـ الحـسـنـ إـلـىـ الـرـيـ وـطـلـبـ مـرـداـويـجـ بـثـارـ خـالـهـ سـيـدـابـ بـنـ بـنـدارـ،ـ وـكـانـ الدـاعـيـ بـمـجـرـجـانـ سـنـةـ إـحـدـيـ وـعـشـرـيـنـ وـثـلـثـعـةـ،ـ وـاـنـصـرـ فـمـاـكـانـ إـلـىـ الدـلـیـلـ،ـ ثـمـ مـلـكـ طـبـرـسـانـ وـبـاـيـعـ بـهـاـ لـأـبـيـ عـلـيـ النـاـصـرـ بـنـ إـسـمـاعـیـلـ بـنـ جـعـفـرـ بـنـ الـأـطـرـوـشـ،ـ وـهـلـكـ بـعـدـ مـدةـ.

الله آثارك ويكررون ذلك إلى أن تبدو النجوم، ثم ينصرفون إلى الليلة القاتلة هكذا دائمًا.

وهؤلاء من الجهل بحيث يتظرون من يقطع عمره مع طول الأمد، لكن التنصب حملهم على ذلك وربما يمتحنون لذلك بقصة الخضر والأخرى أيضًا باطلة، وال الصحيح أن الخضر قد مات. وأما الإمامية فزعموا أن الإمام بعد جعفر الصادق ابنه إسماعيل، وتوفي قبل أبيه، وكان أبو جعفر المنصور طليبه شهده له عامل المدينة بأنه مات.

وفائدة النص عندهم على إسماعيل وإن كان مات قبل أبيه بقاء الإمامة في ولده كما نص موسى على هارون صلوات الله عليهما ومات قبله.

والنص عندهم لا مرجع وراءه، لأن البداء على الله حمال.

ويقولون في ابنه محمد أنه السابع التام من الأئمة الظاهرين، وهو أول الأئمة المستورين عندهم الذين يستترون ويظهرون الدعاة، وعدهم ثلاثة ولن تخلى الأرض منهم عن إمام، إما ظاهر بذلك أو مستور، فلا بد من ظهور حجته ودعاته.

والأئمة يدور عددهم عندهم على سبعة عدد الأسبوع، والسماءات والكواكب، والتقباء تدور عندهم على أثني عشر.

وهم يغطّطون الأئمة المستورين عندهم محمد بن إسماعيل وهو محمد المكتوم، ثم ابنه جعفر الصدق، ثم ابنه محمد الحبيب ثم ابنه عبد الله المهدي صاحب الدولة بأفريقية والمغرب التي قام بها أبو عبد الله الشيعي بكلمة.

وكان من هؤلاء الإمامية القرامطة، واستقرت لهم دولة بالبحرين في أبي سعيد الجنابي وبني أبي القاسم الحسين بن فروخ بن حوشب الكوفي داعي اليمن لحمد الحبيب، ثم ابنه عبد الله ويسمى بالمنصور، وكان من أثني عشرية أولًا فلما بطل ما في أيديهم رجع إلى رأي الإمامية وبعث محمد الحبيب أبو عبد الله إلى اليمن داعية له، فلما بلغه عن محمد بن يعفر ملك صنعاء أنه أظهر التوبية والشك، وتخلى عن الملك فقدم اليمن ووجد بها شيعة يعرفون ببني موسى في عدن لاعنة.

وكان عليًّا بن الفضل من أهل اليمن ومن كبار الشيعة، وظاهر بن حوشب على أمره، وكتب له الإمام محمد بالعهد لعبد الله ابنه، وأذن له في الحرب فقام بدعوتها وبتها في اليمن وجيش البيشوش، وفتح المداين وملك صنعاء، وأخرج منها بني يعفون، وفرق الدعاة في اليمن واليمامة والبحرين والسد والهند ومصر والمغرب، وكان يظهر الدعاة للرضا من آل محمد، وكان من دعاته

أن الإمامة انتقلت من جعفر الصادق إلى ابنه موسى الكاظم، وخرج دعاته بعد موت أبيه فحمله هارون من المدينة وحبسه عند عيسى بن جعفر، ثم أشخصه إلى بغداد وحبسه عند ابن شاهد. وقال أن عيسى بن خالد سمه في رطب فقتله، وتوفي سنة ثلاث وثمانين ومائة، وزعم شيعتهم أن الإمام بعده ابنه علي الرضا وكان عظيمًا في بيته حاشم، وكانت له مع المؤمن صحبة، وعهد له بالأمر من بعده سنة إحدى ومائتين عند ظهور الدعاة للطالبيين وخروجهما في كل نهاية.

وكان المؤمن يومئذ يترسان لم يدخل العراق بعد مقتل أخيه الأمين فتكر ذلك عليه شيعة العباسين وبايعوا لعمه إبراهيم بن الهادي ببغداد، فارتحل المؤمن إلى العراق وعلى الرضا معه، فهلك على في طريقه سنة ثلاث ومائتين ودفن بطرس، ويقال: إن المؤمن سمه.

ويمكى أنه دخل عليه يعوده في مرضه فقال له: أوصني فقال له علي: ليراك أن تعطي شيئاً وتندم عليه، ولا يصح ذلك لزيارة المؤمن عن إراقة الدماء بالباطل فيما دماء أهل البيت ثم زعم شيعتهم أن الأمر من بعد علي الرضا لابنه محمد التقى وكان له من المؤمن مكان، وأصهر إليه في بيته، فانكحه المؤمن إليها ستة خمس ومائتين.

ثم هلك سنة عشرين ومائتين ودفن بمقابر قريش وتزعم الآلية عشرية أن الإمام بعده ابنه علي ويلقبونه الهادي، ويقال: الجراد، ومات سنة أربع وخمسين ومائتين وقبره بقسم، وزعم ابن سعيد أن المقدر سمه.

ويزعمون أن الإمام بعده ابنه الحسن، ويلقب العسكري لأنه ولد بسر من رأي، وكانت تسمى العسكرية، وحبس بها بعد آليه إلى أن هلك سنة سنتين ومائتين، ودفن إلى جنب آليه في المشهد وترك حملًا ولد منه ابنه محمد فاعتقل، ويقال: دخل مع أنه في السردار بدار آليه وقد قتل، فزعمت شيعتهم أنه الإمام بعد آليه، ولقبه المهدي والمحجة، وزعموا أنه حي لم يمت وهو الآن يتظرون له، ووقفوا عند هذا الانتظار، وهو الثاني عشر من ولد علي ولذلك سميت شيعته الآلية عشرية.

وهذا المذهب في المدينة والكرك والشام والحللة وال伊拉克، وهم حتى الآن على ما بلغنا يصلون المغرب، فإذا قضوا الصلاة قدموه مركبًا إلى دار السردار بجهازه وحليته ونادوا بأصوات متقطعة، أيها الإمام أخرج إلينا فإن الناس متظرون، والخلق حائزون، والظلم عام، والحق مفقود فآخر إلينا فقرب الرحمة من

فار وأظهر الدعوة للمهدي من آل محمد بنعوته المعروفة عندهم، واستول على أكثر اليمن، وتسمى بالنصرور وابتلى حصنًا بجبل لاعة.

وملك صنعاء من بي بيغفر وفرق الدعوة في اليمن واليمامة والبحرين والستان والمهدن ومصر والمغرب.

وكان أبو عبد الله الحسين بن محمد بن زكريا المعروف بالمحتب، وكان محسباً بالبصرة، وقيل: إنما المحسب آخر أبو العباس المخطوم وأبو عبد الله هنا يعرف بالعلم لأنَّه كان يعلم مذهب الإمامية، فاتصل أبو عبد الله محمد الحبيب، ورأى ما فيه من الأهلية فأرسله إلى ابن حوشب باليمن ليأخذ عنه، ثم يذهب إلى المغرب يقصد بلد كاتمة فيظهر بينهم الدعوة.

فجاء أبو عبد الله إلى ابن حوشب ولزمه وشهد عالسه وأفاد علمه.

ثم خرج مع حاج اليمن إلى مكة فلقي بالموسم رجالات كاتمة ورؤسائهم، وفهم من لقى الحلواتي وابن بكار وأخذوا عنهم فقصدهم أبو عبد الله في رحالم، وكان منهم موسى بن حرثت كبير بني سكان من جملة أحد شعورهم وأبو القاسم الورثيوري من أحفادهم، ومسعود بن عيسى بن ملال المساكي، وموسى بن تكاد، فجلس إليهم وسمعوا منه مذاهبيهم ورأوا ما هو عليه من العبادة والزهد فتعلق بقوليهم، وصار يتعهد لهم في رحالم فاغبطوا به وأغبط بهم.

ولما أرادوا الرحلة إلى بلادهم سأله الصحبة فوافقهم طارياً وجه منهجه عنهم، بعد أن سالموا عن قوتهم وعصايتهم وبلاهم وملكة السلطان فيهم فكشفوا له علم ذلك، وأنهم إنما يعطون السلطان طاعة معروفة فاستيقن قام أمره فيهم، وخرج معهم إلى المغرب وسلكوا طريق الصحرا، وعادلوا عن القبروان إلى أن وصلوا بلد سوماثة، وبها محمد بن حدون بن سماك الأندلسي من بجاية الأندلسي نزيلاً عندهم، وكان قد أدرك الحلواتي وأخذ عنه.

فنزل أبو عبد الله الشيعي عليه فاكتمه، وفاوضه وتفرس ابن حدون فيه أنه صاحب الدولة.

ثم ارتحلوا وصحبهم ابن حدون، ودخلوا بلد كاتمة متصل رباع سنة ثمان وثمانين وسبعين فنزل على موسى بن حرثت بيته انكجان في بلد بني مكتان من جبيلة، وعين له مكان منزله بفتح الأخيار، وأن النص عنده من المهدي بذلك وبهجرة المهدي وأن أنصار الأخيار من أهل زمانه وأن اسمهم مشتق من الكتمان.

أبو عبد الله الشيعي صاحب كتابة ومن عنده سار إلى إفريقية فوجد في كاتمة من الباطنية خلقاً كبيراً وكان هذا المذهب هناك من لدن الدعاة الذين بعضهم جعفر الصادق إلى المغرب.

اقاماً بإفريقية ويشروا فيها الدعوة، وتناقله من البربر أمم وكان أكثرهم من كاتمة فلما جاء أبو عبد الله الشيعي داعية المهدي ووجد هذا المذهب في كاتمة فقام على تعليمه وبشه وإحياءه حتى تم الأمر وبريع لعبد الله كما ذكر الآن في أخبارهم.

## ابتداء دولة العبيدين

وأولهم عبيد الله المهدي بن محمد الحبيب بن جعفر الصادق بن محمد المكتوم بن جعفر الصادق.

ولا عبرة من إنكر هذا النسب من أهل القبروان وغيرهم وبالحضر الذي ثبت بعثاد أيام القادر بالطعن في نسبهم، وشهد فيه أعلام الأئمة.

وقد مر ذكرهم فإن كتاب المتنضد إلى ابن الأغلب بالقبروان وابن مدرار بسجلهما يغريهم بالقبض عليه لما سار إلى المغرب شاهدوا بصحة نسبهم، وشعر الشريف الرضي مسجل بذلك، والذين شهدوا في الحضر فشهادتهم على السمع وهي ما علمت وقد كان نسبهم بعثاد منكراً عند أعدائهم شيعة بني العباس منذ مائة سنة قتلوا الناس بمنصب أهل الدولة، وجاءت شهادة عليه مع أنها شهادة على الفيء، مع أن طبيعة الوجود في الانقياد إليهم، وظهور كلمتهم حتى في مكة والمدينة أدلة شيء على صحة نسبهم.

واما من يجعل نسبهم في اليهودية والنصرانية ليعمون القدر وغيره فكته ذلك إنما وسفسنة.

وكان شيعة هؤلاء العبيدين بالشرق واليمن وإفريقية. وكان أصل ظهورهم بإفريقية دخول الحلواتي وأبي سفيان من شيعتهم إليها أخذوها جعفر الصادق، وقال لها: بالمغرب أرض بور فاذبها واحرثها حتى يجيء صاحب البذر فنزل أحدهما بيلد مراجعة، والأخر بيلد سوق جمار وكلاهما من أرض كاتمة ففشت هذه الدعوة في تلك التواحي، وكان محمد الحبيب ينزل سليمية من أرض حمص وكان شيعتهم يتعاهدونه بالزيارة إذا زاروا قبر الحسين، فجاء محمد بن الفضل من عدن لاجعة من اليمن لزيارة محمد الحبيب، فبعث معه رستم بن الحسن بن حوشب من أصحابه لإقامة دعوته باليمن، وأن المهدي خارج في هذا الوقت

وأصحابه، وانهزمت كاتمة وأبلى عروبة بن يوسف الملوشي في ذلك اليوم بلاء حسناً، واجتمعت إلى أبي عبد الله غسان كلها ويلزمه ولعنة وعامة بجایة ورئيسهم يومئذ ماكون بن ضباره وأبو زاكي ثامن معارك.

ولحق بجيئلة من بجایة فرج بن خيران، ويوسف بن محمد من لطانة، وفحل بن نوح، واستقام أمر الباقي للشيعي، وجعل فتح بن يحيى من أطاعه من قومه مسألة لحرب الشيعي، فسار إليهم وأوقع بهم، ولحق قلتهم بسطيف.

ثم استأنروا إليه فآتتهم ودخلوا في أمره، وولى منهم هارون بن يونس على حروبه، ولحق رئيسهم فتح بن يحيى بعجيسة، وجعل ثانية لحربي الشيعي فسار إليه ومعه جموع كاتمة، وتحصن منه فتح بعض قلاتهم فحاصره الشيعي وقتها، واجتمعت إليه عجيسة وزواوة وجبيع قبائل كاتمة، ورجع إلى تازروت وبث دعاته في كل ناحية فدخل الناس في أمره طوعاً وكرهاً.

ولحق فتح بن يحيى بالأمير إبراهيم بن أحمد بتونس، واستدحثه لحرب الشيعي.

ثم فتح أبو عبد الله مساقته بمداخلة بعض أهلها، وقتل صاحبها موسى بن عياش وولى عليها ماكون بن ضباره الجاني وهو أبو يوسف، ولحق إبراهيم بن موسى بن عياش بأبي العباس إبراهيم بن الأغلب بتونس بعد خروج أبيه إلى قصلية.

وكان فتح بن يحيى المساكني قد نزع إليه من قبل ذلك، وعده المظاهرة فجهز المساكير، وعقد عليها ابنه أبي خوال، وزحف من تونس سنة تسعة وثمانين فدوخ كاتمة، ثم صمد إلى تازروت فلقيه أبو عبد الله الشيعي في جوعه بيد ملوسة فهزمه أبو خوال، وفر الشيعي من قصر تازروت إلى إيكجان فامتنع بها، فاضطر إلى خوال القصر واتبعه، وتوجّل أبو خوال في بلاد كاتمة دعوه.

وسار إبراهيم بن موسى بن عياش من عسکر أبي خوال إلى نواحي مسيلة يتتجسس الأخبار فتوافق مع طائفة من أصحاب الشيعي فهزمه واتبعه إلى المسكر فاضطر، وأجفل أبو خوال وخرج من بلاد كاتمة، واستقرطن أبو عبد الله إيكجان وبني بها بلدًا وسمها دار المجرة، واستتصر الناس في أمره ودخلوا في دعوته.

ثم هلك الحسن بن هارون، وجهز أبو العباس المساكير الثانية مع ابنه أبي خوال ورده لحرب الشيعي وكاتمة فسار في بلادهم، ورجع منها مهزماً وقام قريباً منهم يدافعهم، وينعمهم من

وأجمع إليه الكثير من أهل كاتمة ولقي علماءهم واشتمل عليه الكبير من أهواهم فجاهر بنذهب، وأعلن بإمامه أهل البيت، ودعا للرضا من آل محمد واتبعه أكثر كاتمة، وكانوا يسمونه بأبي عبد الله الشيعي والمرسي.

ولبلغ خبره إلى أمير إفريقية إبراهيم بن أحمد بن الأغلب، فبعث إليه بالتهديد والوعيد، فأساء الرد عليه، وخاف رؤساء كاتمة عادية بن الأغلب، وأغراهم عمال بلادهم بالشيعي مثل موسى بن عياش صاحت مسيلة، وعلى بن حفص بن عسلوجة صاحب سريف.

وجاء ابن عيسى صاحب يلزمة، فاجتمعوا وتفاوضوا في شأنه، وحضر يحيى المساكني وكان يدعى بالأمير ومهدى بن أبي كمارة رئيس طيبة، وفرج بن حيران رئيس أجاثة، وثلث بن محل رئيس لطانة.

وراسلوا بيان بن صفلان رئيس بي سكان، وأبى عبد الله الشيعي عندهم بجيبل إيكجان في أن يسلمه إليهم أو يخرجه من بلادهم، وحضره عاقبة أمره فرد أمره إلى أهل العلم، فجاؤوا بالعلماء وهموا باغتياله فلم يتم هدم ذلك، وأطبقت بجيبلة على مظاهرته فهزموا هؤلاء الشيرين عليه وردوهم خائبين.

ثم راجعوا بيات بن صقلاب في أمره ولاطفه حتى صفا إليهم، وشعر بذلك أبو عبد الله الشيعي وأصحابه، فبعثوا إلى الحسن بن هارون الغساني يسألونه المجرة إليهم، فأجابهم ولحق ببلدة تازروت من بلادهم.

وأجتمعت غسان لنصرته مع بطنون كاتمة الذين يابعوه من قبل، فأعزت وامتعت وعظم أمره.

ثم انتقض على الحسن بن هارون آخره محمد منافسه له في الرياسة، وكان صديقاً لهدي بن أبي كمارة فداخله في التشريب على أبي عبد الله، وعظمت الفتنة بين هيبة وغسان، وولى أبو عبد الله الشيعي الحسن بن هارون على حروبه، وظهر بعد أن كان مختفيأ.

وكان لهدي بن أبي كمارة شيخ هيبة أخ اسمه أبو مدبيني، وكان من أحباب أبي عبد الله فقتل أخاه مهدياً ورأس على هيبة مكانه، فصاروا جميعاً إلى ولاية أبي عبد الله وأبى مدبيني شيخهم.

ثم تجمعت كاتمة لحرب الشيعي وأصحابه، ونزلوا بهكانه من تازروت، وبعث الشيعي سهل بن فوكاش إلى فحل بن نوح رئيس لطانة، وكان صهره ليجد له عن حربهم، في السلم، فمشى إلى كاتمة، وأبوا إلا أن ينجزوهم الحرب، فغلبهم أبو عبد الله

التقدم.

بالقيروان فذهب إن سجلماسة وبها البيس بن مدرار فاكترم.

ثم جاء كتاب زيادة الله ويقال: كتاب المكتفي بأنه المهدى الذي داعيته في كاتمة فحبسه البيس، ثم أن أبا عبد الله الشيعي بعد مهلك أبي خوال الذي كان مضيقاً لهم اجتمعوا إليه سائر كاتمة وزحف إلى سطيف فحاصرها مدة، وكان بها علي بن جعفر بن عسکرجة صاحبها، وأخوه أبو حبيب فملكتها وكان بها أيضاً داود بن جاثة من كبار لمعنة، لحق بها فيما لحق من وجراه كاتمة قام بها من بعد علي وأخيه.

واستأمن أهل سطيف فأنهم أبو عبد الله ودخلها فهدمها، وجهز زيادة الله العساكر إلى كاتمة مع قريبه إبراهيم بن حشيش، وكانت أربعين ألفاً فاتتها إلى قسطنطينة فقام بها وهم متخصصون بجهلهم، ثم زحف إليهم وواقعهم عند مدينة يلزمها فانهزم إلى بغایة ولحق بالقيروان.

وكتب الشيعي بالفتح إلى المهدى مع رجال من كاتمة أخروا أنفسهم حتى وصلوا إليه وعرفوه بالخبر.

ثم زحف الشيعي إلى طيبة فحاصرها وقتل فتح بن يحيى المساكتي، ثم افتتحها على الأمان، ثم زحف إلى بلزمة فملكتها عنوة.

ووجه زيادة الله العساكر مع هارون الطبي عامل بغایة فاتتها إلى مدينة أزمول، وكانت في طاعة الشيعي فهدمها هارون وقتل أهلها وزحف إليه عروبة بن يوسف من أصحاب الشيعي فهزمه وقتلته.

ثم فتح الشيعي مدينة ينجبت كلها على يد برسف الغساني ولحق عسكرها بالقيروان وشاع عن الشيعي وفاؤه بالأمان فأن منه الناس، وكث الأرجاف بزيارة الله فجهز العساكر وأزاح العلل، وأنفق ما في خزاناته وذخائره، وخرج بنفسه سنة خمس وستين ونزل الأرض.

ثم حاد عن اللقاء وأشار عليه أصحابه بالرجوع إلى القيروان ليكون رداءً للعساكر فرجع، وقدم على العساكر إبراهيم بن أبي الأغلب من قرابته وأمره بالمقام هناك.

ثم زحف الشيعي إلى بغایة فهو رء عاملها وملكها صلحًا وبعث إلى مدينة قرطاجة فافتتحها عنوة، وقتل عاملها، وسرح عساكره في إفريقية فرددوا فيها الغارات على قبائل البربر من نفزة وغيرهم.

ثم استأمن إليه أهل تفاصش فأنهم، واستعمل عليهم صواب بن أبي القاسم السكناي، فجاء إبراهيم بن الأغلب

وفي خلال ذلك هلك إبراهيم بن أحمد بن الأغلب وقتله ابنه أبو العباس، وقام بالأمر ابنه زيادة الله فاستدعى أخاه أبا خوال وقتلها، وانتقل من تونس إلى وقاده، وانهمك في ذاته، وانتشرت جيوش الشيعي في البلاد، وعلا أمره وبشرهم بأن المهدى قرب ظهوره فكان كما قال.

## وصول المهدى الى المغرب واعتقاله

### بسجلماسة ثم خروجه من الاعتقال وبيعته

ولما توفي محمد الحبيب بن جعفر بن محمد بن إسماعيل الإمام، عهد إلى ابنه عبد الله وقال له: أنت المهدى وتهاجر بعد هجرة بعيدة، وتلقى حنّا شديدة.

وأصل خبره بسائر دعاته في إفريقية واليمن، وبعث إليه أبو عبد الله رجالاً من كاتمة يخبرونه بما فتح الله عليهما، وأنهم في انتظاره.

وشاع خبره وأصل بالعباسيين، فطلب المكتفي ففر من أرض الشام إلى العراق، ثم لحق بمصر ومعه ابن القاسم غلاماً حدثاً وخاصته ومواليه، بعد أن كان أراد قصد اليمن فبلغه ما أحدث بها علي بن الفضل من بعد ابن حوشب، وأنه أساء السيرة فتشى عن ذلك، واعتمد على اللحاق بأبي عبد الله الشيعي بالغرب فارتمل من مصر إلى الإسكندرية، ثم خرج من الإسكندرية في زي التجار.

وجاء كتاب المكتفي إلى عامل مصر وهو يومئذ عيسى التوشرى مخبرهم، والقعود لهم بالماراصل، وكتب نunte وحلته فسرح في طلتهم حتى وقف عليهم، وامتحن أحواهم فلم يقف على اليقين في شيء منها فخلى سبيلهم.

ووجد المهدى في السير وكان له كتب في الملائكة منقلة عن أبياته سرقت من رحله في طريقه، فيقال: إن ابنه أبي القاسم استردها من برقة حين زحف إلى مصر، ولما انتهى إلى طرابلس وفارقه التجار أهل الرفة بعث معهم أبي العباس أخي أبي عبد الله الشيعي إلى أخيه بكتامة، ومر بالقيروان وقد سبق مخبرهم إلى زيادة الله، وهو يسأل عنهم فقبض على أبي العباس وسأله فانكر فحبسه.

وكتب إلى عامل طرابلس بالقبض على المهدى ففاته وسار إلى قسطنطينة.

ثم عدل عنها خشية على أبي العباس أخي الشيعي المعتقل

إفريقية أخاه أبا العباس، وترك معه أبي زاكي شام بن معارك الأجلاني واعتبر المغرب خروجه، وفوت زناته من طريقه.

ثم بعثوا إليه بالطاعة فقبلهم وأرسل إلى اليسع بن مدار صاحب سجلماة ينطفيه فقتل الرسل وخرج للقاء.

فلما تراءى الجماعان انقض معسكره وهرب هو وأصحابه وخرج أهل البلد من الغد للشيعي وجاؤوا معه إلى عبس المهدى وابنه فخرجهما وبايع للمهدى، ومشى للمهدى ومتشى مع رؤساء القبائل بين أيديهما وهو يبكي من الترح و يقول: هذا مولاكم حتى أنزله بالمخيم، وبعث في طلب اليسع فادرك، وجيء به فقتل، وأقاموا بسجلماة لربعين يوماً ثم ارتحلوا إلى إفريقية، ومرروا بأيكجان، فسلم الشيعي ما كان بها من الأموال للمهدى.

ثم نزلوا رقادة في ربى سبع وتسعين، وحضر أهل القيروان وب Ivory لله المهدى البيعة العامة، واستقام أمره ويث دعاته في الناس فاجابوا إلا قليلاً عرض عليهم السيف، وقسم الأموال والجسواري في رجال كتامة، وأقطفهم الأعمال، ودون الدواوين وجبي الأموال وبعث العمال على البلاد فبعث على طرابلس ماكون بن ضبارة الأجلاني، وعلى صقلية الحسن بن أحمد بن أبي خنزير، فسار إليها ونزل البحر، ونزل مازر في عيد الأضحى من سنة سبع وتسعين، فاستقضى إسحاق بن المنهاج، وول أخاه على كربلا.

ثم أجاز البحر سنة ثمان وتسعين إلى العدوة الشمالية، ونزل بسيط قلورية من بلاد الإفرنج فائتخن فيها، ورجع إلى صقلية فأساء السيرة في أهلها فثاروا به وحبسوه، وكبوا إلى المهدى فقيل عندهم، وول عليهم مكانه علي بن عمر البلوي فوصل خاتم سبع وتسعين.

### مُقتل أبي عبد الله الشيعي وأخيه

لما استقام سلطان عبيد الله المهدى بإفريقية استبد بأمره، وكفاح أبا عبد الله الشيعي وأخاه أبا العباس عن الاستبداد عليه، والتحكم في أمره فعظم ذلك عليهما، وصرح أبو العباس بما في نفسه فنها أشوره أبو عبد الله عن ذلك فلم يصفع إليه.

ثم استماله أبو العباس لشل رأيه فاجابه، وبلغ ذلك إلى المهدى فلم يصدقه.

ثم نهى أبا عبد الله عن مباشرة الناس، وقال: إنه مفسد للهيبة فتنط في رده ولم يجيء إليه ففسدت النية بينهما، واستفسدوا كتابة وأغروهم به وذكره وهم بما أخذه من أموال أيكجان، واستائر

واقتحمها عليه ثم نهض الشيعي في احتفال من العساكر إلى باغية ثم إلى سكتانة ثم إلى بئسة ففتحها كلها على الأمان.

ثم إلى القصرين من قمودة فامن أهلها وأطاعوه، وسار بريد رقادة فخشى إبراهيم بن أبي الأغلب على زيارة الله لقلة عسكره، فنهض إلى الشيعي واعتبره في عساكره واقتلوه، ثم تماجزوا، ورجع الشيعي إلى إيكجان وإبراهيم إلى الأريس.

ثم سار الشيعي ثانية بعساكره إلى قسطنطينة فحاصرها واقتسمها على الأمان، ثم إلى قفة كذلك، ثم رجع إلى باغية فأنزل بها عسكراً مع أبي مكولة الجيلي.

ثم سار إلى إيكجان وخالله إبراهيم إلى باغية، وبلغ الخبر إلى الشيعي فسرح لقتاله أبا مدين بن فروخ الهمي، ومعه عروبة بن يوسف الملوي ورجاء بن أبي قنة في اثنى عشر ألفاً، فقاتلوا ابن أبي الأغلب ومنعوه من باغية فرحل عنها، واتبعوه إلى فوج العرعور ورجعوا عنه.

ثم زحف أبو عبد الله الشيعي سنة ست وتسعين في مائتي ألف من العساكر إلى إبراهيم بن أبي الأغلب بالأريس.

ثم اقتلوا أياماً ثم انهزم إبراهيم واستبيح عسكره، وفر إلى القيروان، ودخل الشيعي الأريس فاستباحها، ثم سار فنزل قمودة وانصل الخبر بزيارة الله وهو برقادة ففر إلى المشرق، ونبت قصوره، وافتقر أهل رقادة إلى القيروان وسوءة.

ولما وصل إبراهيم بن أبي الأغلب إلى القيروان نزل قصر الإمارة وجمع الناس وأرادهم على البيعة له على أن يعيشه بالأموال فاعتدوا وتصاحبوا به العامة ففر عنها، ولحق بصاحبه وبلغ أبا عبد الله الشيعي خبر فرارهم بسببية فقدم إلى رقادة، وقدم بين يديه عروبة بن يوسف وحسن بن أبي خنزير فساروا وأمنوا الناس، وجاء على أثرهم.

ونخرج أهل رقادة والقيروان للقاءه فامنهم وأكرمه، ودخل رقادة في رجب سنة ست وتسعين ونزل قصرها، واطلق أخاه أبا العباس من الاعتقال ونادي بالأمان فتراجع الناس، وفر العمال في التواحي وطلب أهل القيروان فهربوا، وقسم دور البلد على كتابة فسكنوها، وجمع أموال زيارة الله وسلامه فامر بمحفظتها وحفظ جواريه، واستاذنه الخطباء لم ينطربون فلم يعن أحداً.

ونتش على السكة من أحد الوجهين بلغت حجة الله، ومن الآخر تفرق أعداء الله، وعلى السلاح عدة في سبيل الله، وفي وسم الخيل الملك لله.

ثم ارتحل إلى سجلماة في طلب المهدى، واستخلف على

ثم أغزى ابنه أبي القاسم وجوعه كثامة سنة إحدى وثلاثمائة إلى الإسكندرية ومصر، وبعث أسطوله في البحر في مائتين من المراكب، وشحنتها بالإمداد وعقد عليها حبسة بن يوسف، وسارت العساكر فملوكوا برقة، ثم الإسكندرية والفيوم.

وبعث المقتدر العساكر من بغداد مع سبكيتين ومؤنس الخادم فتواقعوا مرات، وأجلاهم عن مصر فرجعوا إلى المغرب، ثم عاد حبسة في العساكر في البحر سنة اثنين وثلاثمائة إلى الإسكندرية فملكتها، وسار يريد مصر فجاء مؤنس الخادم من بغداد لحاربه فتواقعوا مرات، وكان الظهور آخرًا للمؤنس، وقتل من أصحابه نحو من سبعة آلاف.

وانصرف إلى المغرب فقتلته المهدى وانتقض لذلك آخرهعروبة بالمغرب واجتمع إليه خلق كثير من كثامة والبرير.

وسرح إليهم المهدى مولاه غالباً في العساكر فهزمه وقتلعروبة وفيه في أمم لا تخصى.

ثم انتقض أهل صقلية وتقضوا على عاملهم علي بن عمرو، ولولا عليهم أحد بن قهرب، فدعا للمقتدر العباسى، وذلك سنة أربع وثلاثمائة. وخلع طاعة المهدى وجهز إليه الأسطول مع الحسن بن أبي خنزير فلقيه أسطول بن قهرب فغلب، وقتل ابن أبي خنزير.

ثم راجع أهل صقلية أمرهم وكاتبوا المهدى وثاروا بابن قهرب فخلعوه، وبعثوا به إلى المهدى فقتلته على قبر ابن أبي خنزير، ولو على على صقلية علي بن موسى بن أحد، وبعث معه عساكر كثامة. ثم اعتزم المهدى على بناء مدينة على ساحل البحر يتخذها معصماً لأهل بيته لما كان يتوقعه على الدولة من الخوارج.

ويعكى عنه أنه قال: بنيتها لتعتصم بها الفواطم ساعة من نهار، وأبراهيم موقف صاحب الحمار بساحتها فخرج بنفسه يرتاد موضعها لبنيتها، ومر بتونس وقرطاجنة حتى وقف على مكانها جزيرة متصلة بالبر كصورة كف اتصلت بزند، فاختلط المهدى بها وجعلها دار ملكه، وأدار بها سوراً عكماً وجعل لها أبواباً من الحديد وزن كل مصراع مائة قنطرة، وابتداً ببنائها آخر سنة ثلاث.

ولما ارتفع السور رمى من فوقه سبهم إلى ناحية المغرب، ونظر إلى متنه وقال: إلى هذا الموضع يصل صاحب الحمار يعني أبا زيد.

ثم أمر أن يبحث في الجبل دار لإنشاء السفن تسعمائة سفين، وبعث في أرضها أهراً للطعام ومصانع للماء، وينسى فيها القصور والدور فكملت سنة ست، ولما فرغ منها قال: اليوم أمنت

به دونهم والقرا إليهم أن هذا ليس هو الإمام المعصوم الذي دعونا إليه، حتى بعث إلى المهدى رجل كان في كثامة يعرف بشيخ المشايخ، وقال له: جتنا بأية على أمرك فقد شككنا فيك، فقتلته المهدى.

ثم عظمت استرباتهم وانتفقا على قتل المهدى، وداخلهم في ذلك أبو زاكي ثامن بن معارك وغيره من قبائل كثامة.

وغي الخبر إلى المهدى فلطف في أمرهم وولى من داخلهم من قواد كثامة على البلاد، وبعث ثامن بن معارض على طرابلس، وبعث إلى عاملها ماكون بقتله، فقتلته عند وصوله.

ثم إن المهدى استدعى عروبة بن يوسف، وكان من أصحاب زيادة الله فأمر بقتله واستصفاء أمواله، وكان أكثرها لزيادة الله.

ثم إن المهدى استدعى عروبة بن يوسف، وأخاه حبسة، وأمرهما بقتل الشيعي وأخيه فرقنا لها عند القصر، وحملعروبة على أبي عبد الله، فقال له: لا تفعل، فقال: الذي أمرتنا بطاعته أمرنا بقتلك، ثم أجهز عليهما في نصف جادى سنة ثمان وستين.

ويقال: إن المهدى صلى على أبي عبد الله وترحم عليه، وعلم أن الذي حمله على ذلك إغراء أبي العباس أخيه، وثارت فتنة بسبب قتلهم من أصحابهما فركب المهدى وسكنها.

ثم ثارت فتنة أخرى بين كثامة وأهل القبروان، وفضلا القتل فيهم فركب المهدى وسكنها، وكف الدعاء عن طلب التشيع من العامة وقتل جماعة من بني الأغلب برقادة لما رجعوا إليها بعد زيارة الله.

### بقية أخبار المهدى بعد الشيعي

ولما استقام أمر المهدى بعد الشيعي، جعل ولاية عهده لابنه أبي القاسم نزار، ولو على برقة وما إليها حبسة بن يوسف.

وعلى المغرب أخاه عروبة، وأنزله باغایة فسار إلى تاهرت فاتحتمها، ولو عليها دواس بن صولات اللبيض.

ثم انتقضت عليه كثامة بقتله أبا عبد الله الشيعي، ونصبوا طفلاً لقبره المهدى، وزعموا أنه نبي وأن أبا عبد الله الشيعي لم يمت، فجهز ابنه أبي القاسم لحرفهم فقاتلهم وهزمهم، وقتل الطفل الذي نصبوه وأثخن فيه ورجع.

ثم انتقض أهل طرابلس سنة ثلاثة، وأخرجوا عاملهم ماكون بقيت لهم ابنه أبي القاسم فحاصرها طرابلس، ثم فتحها وأثخن فيهم وأغارهم ثلاثة ألف دينار.

على الفواطم.

الأباضية والصفرية ونواحي تاهرت قاعدة المغرب الأوسط إلى ما وراءها، ثم عاج إلى الريف فافتتح بلد لكور من ساحل المغرب الأوسط، ونازل صاحب جراوة من آل إدريس وهو الحسن بن أبي العيش وضيق عليه ودوخ أقطار المغرب، ورجع ولم يلق كيداً.

ومر بمكان بلد المسيلة وبها بنو كملان من هوارة، وكان يتوقع منهم الفتنة فنقلهم إلى فج القبروان، وقضى الله أن يكونوا أولياء لصاحب الحمار عند خروجه.

ولما نقلهم أمر ببناء المسيلة في بلدهم وسماعها الحمدية، ودفع علي بن حدون الأندلسى من صنائع دولتهم إلى بنائها، وعقد له عليها وعلى الزاب بعد اختطاطها فبناما وحصنها وشحنتها بالأقواس، فكانت مدةً للمتصور في حصار صاحب الحمار كما يذكر.

ثم انتقض موسى بن أبي العافية عامل فاس والمغرب، وخلع طاعة الشيعة، وأخحر إلى الأمورية من وراء البحر ويث دعوتهن في أقطار المغرب فنهض إليه أحد بن بصلين المكتناسى قائد المهدى وسار في العساكر فلقيه ميسور وهزم، وأوقع به ويقمه بمكتناسة، وأزعجه عن الغرب إلى الصحاري وأطراف البلاد ودوخ المغرب وتفقد أطراه ورجع ظافراً.

### وفاة عبد الله المهدى وولاية ابنه أبي القاسم

ثم توفي عبد الله المهدى في ربيع سنة اثنين وعشرين لأربع وعشرين سنة من خلافته، وولي ابنه أبو القاسم محمد، ويقال نزار بعده، ولقب القائم بأمر الله فعظم حزنه على أبيه حتى يقال إنه لم يركب سائر أيامه إلا مرتين، وكثر عليه التوار.

ونار مجاهات طرابلس ابن طالوت القرشي وزعم أنه ابن المهدى وحاصر طرابلس.

ثم ظهر للبرير كتبه فقتلوه، ثم أغزي المغرب ومملكته، وولى على فاس أحد بن بكر بن أبي سهل الجذابي، وحاصر الأدارسة ملوك الريف وغوارة فنهض ميسور المخصى من القبروان في العساكر، ودخل المغرب وحاصر فاس، واستنزل عاملها أحد بن بكر.

ثم نهض في اتباع موسى فكانت بينهما حروب، وأنخذ الثوري بن موسى في بعضها أسرىً وأجللاه ميسور عن المغرب، وظاهره عليه الأدارسة الذين بالريف، وانقلب ميسور إلى القبروان

ثم جهز ابنه أبي القاسم بالعساكر إلى مصر مرة ثانية سنة سبع وثلاثمائة فملك الإسكندرية، ثم سار فملك الجزيرة والأشمونين وكثيراً من الصعيد.

وكتب إلى أهل مكة بطلب للطاعة فلم يجيئوا إليها، وبعث المقتنى الخادم في العساكر وكانت بينه وبين أبي القاسم عدة وقفات ظهر فيها مؤنس، وأصحاب عسكر أبي القاسم الجهد من الغلاء والريبة فرجع إلى إفريقية، وكانت مراكبهم قد وصلت من المهدية إلى الإسكندرية في ثمانين استطولاً مدةً لأبي القاسم وعليها سليمان الخادم وبعقوب الكتماني وكانت شجاعين، وسار الأسطول من طرسوس للقاديم في خمسة وعشرين مركباً والتقا على رشيد وظفرت مراكب طرسوس وأحرقوا وأسرروا سليمان وبعقوب، فمات سليمان في حبس مصر، وهرب بعقوب من حبس بغداد إلى إفريقية.

ثم أغزى المهدى سنة ثمان وثلاثمائة مضالة بن حبوس في رجالات مكتناسة إلى بلاد المغرب فأوقع بملك فاس من الأدارسة وهو يحيى بن إدريس بن عمرو، واستنزله عن سلطانه إلى طاعة المهدى فاعطى بها صفتة، وعقد موسى بن أبي العافية المكتناسى من رجالات قومه على أعمال المغرب ورجع.

ثم عاود غزو المغرب سنة تسع فدوخه ومهد جوانبه وأغاره قريبه عامل المغرب موسى بن أبي العافية يحيى بن إدريس صاحب فاس، فتقبض عليه وضم فاس إلى أعمال موسى وعا دعوة الإدريسية من المغرب، وأجهضهم عن أعماله فتحيزوا إلى بلاد الريف وغمارة واستجدوا بها ولاية كما ذكره في أعيبار غمارة.

ومنهم كان بنو حود العلويون المستولون على قرطبة عند انقراض ملك الأمورين في سنة ثلاثة وأربعين سنة كما ذكر هناك. ثم صمد مضالة إلى بلاد سجلماسة فقتل أميراًها من آل مدرار المكتناسين المنحرف عن طاعة الشيعة، وعقد لابن عمه كما ذكر في أخبارهم.

وسار في أتباعه زنانة في نواحي المغرب فكانت بينه وبينهم حروب هلك مضالة في بعضها على يد محمد بن خزر.

وأضطرب المغرب فبعث المهدى ابنه أبي القاسم غازياً إلى المغرب في عساكر كثامة وأولياء الشيعة سنة خمس عشرة وثلاثمائة، فقر محمد بن خزر، وأصحابه إلى الرمال.

وتفتح أبو القاسم بلد مزانة وطنطا وهرارة وسائر

سنة أربع وعشرين، وعقد للقاسم بن محمد كبير أدارسة الريف من ولد محمد بن إدريس على أعمال ابن أبي العافية وما يفتحه من البلاد، فملك المغرب كلها ما عدا فاس، وأقام دعوة الشيعة بسائر أعماله.

وبعث عسكراً مع خادمه بشري إلى باجة فنهض إليه أبو يزيد وهمه إلى تونس، ودخل أبو يزيد باجة فنهضوا وأحرقها، وقتل الأطفال وبسي النساء، واجتمع إليه قبائل البربر، واتخذ الآبية والبيوت وألات الحرب، وبعث إليه بشري عسكراً من تونس، وبعث أبو يزيد للقائهم عسكراً آخر فانهزم أصحاب أبي يزيد وظفر أصحاب بشري.

ثم ثار أهل تونس بشرى فهرب فاستأنفوا لأبي يزيد فانهزم وول عليهم، وسار إلى القبوران وبعث القائم خديه بشري للقاء.

وأمره أن يبعث من يتجمس عن أخباره فبعث طائفة، وبعث أبو يزيد طائفة أخرى فانهزم عسكر أبي يزيد وقتل منهم أربعة آلاف، وجاء بأسراه إلى المهدية فقتلوه، فسار أبو يزيد إلى قتال الكتامين فهزم طلائعهم وأتبعهم إلى القبوران، ونزل على رقادة في مائتي ألف مقاتل، وعاملها يومئذ خليل بن إسحاق وهو يتظر وصول ميسور بالعساكر، ثم ضايقه أبو يزيد وأغاره الناس بالخروج فخرج، وهمه أبو يزيد فمضى إلى القبوران.

ودخل أبو يزيد رقادة فمات فيها وبعث أيسوب الزولي في عسكر إلى القبوران فملأها في صفر سنة ثلاث وثلاثين، ونهضوا وأمن خليلاً قتلته أبو يزيد، وخرج إليه شيخ أهل القبوران فانهزم ورفع النهب عنهم، وزحف ميسور إلى أبي يزيد، وكان معه أبو كملان فكتابوا أبي يزيد وداخلوه في الغدر ميسور، وكسب إليه القائم بذلك فحضرهم فطردهم عنه، وخلفوا بابي يزيد وساروا معه إلى ميسور فانهزم ميسور، وقتلته بنو كملان وجاؤوا برأسه فأطافه بالقبوران، وبعث بالشري إلى البلاد.

وبلغت هزيمة ميسور إلى القائم بالمهدية فاستعد للحصار، وأمر بمحرر الخندق، وأقام أبو يزيد سبعين يوماً في غيم ميسور وبث السرابا في كل ناحية يغتصرون ويعودون، وأرسل سرية إلى سومة ففتحوها عنوة واستباحوها، وخرب عمران إفريقية من سائر الضواحي ولحق قلهم بالقبوران حفة عرة، ومات أكثرهم جوعاً وعطشاً.

ثم بعث القائم إلى رؤساء كلامة والقبائل وإلى زيري بن مناد ملك صهاجة بالمسير إلى المهدية فتأهلاً لذلك، وسمح أبو يزيد

ثم جهز أبو القاسم أسطولاً ضخماً لغزو ساحل الإفرنجية وعقد عليه ليقرب ابن اسحاق فائخن في بلاد الإفرنجية، وسبى ونازل بلد جنة وافتتحها، وعظم صنع الله في شأنها، ومرروا بسردانية من جزر الفرنج فائخنوا فيها.

ثم مرروا بقرقيسا من سواحل الشام فأحرقوا مراكبها.

ثم بعث عسكراً إلى مصر مع خادمه زيران فملأوا الإسكندرية، وجاءت عساكر الإخشيد من مصر فازعجوهم عنها ورجعوا إلى المغرب.

### أخبار أبي يزيد الخارجي

وهو أبو يزيد مخلد بن كيراد، وكان أبوه كيراد من أهل قسطنطيلية من مدائن بلد توزر، وكان مختلف إلى بلاد السودان بالتجارة وبها ولد ولده أبو يزيد ونشأ بتوزر. وتعلم القرآن وخالط التكاريء من الخارج وهم الصفرية، فمال إلى مذهبهم وأخذ به ثم سافر إلى تاهرت وقام فيها يعلم الصبيان. ولم صار الشعي إلى سجلamas في طلب المهدى انتقل هو إلى تقيوس، وقام يعلم فيها. وكان يذهب إلى تكير أهل ملته، واستباحة الأموال والدماء والخروج على السلطان.

ثم أخذ نفسه بالخشبة على الناس وتغير المذكر بستة عشرة وثلاثمائة فكتير أتباعه. ولما مات المهدى خرج بناحية جبل أوراس، وركب الحمار وتلقب بشيخ المؤمنين، ودعا للناصر صاحب الأندلس من بي أمية فاتبعه أمم من البربر.

وزحف إليه عامل باغية فلقيه في جموع البربر وهزم، وزحف إلى باغية فحاصرها، ثم انهزم عنها، وكتب إلى بي وassi من قبائل زناته بضواحي قسطنطيلية يأمرهم بمحاصرتها فحاصروها ستة ثلاث وثلاثين.

ثم فتح تبة صلحاء، ومجانة كذلك، وأهدى له رجل من أهل مرماجنة حاراً أشهب فكان يركبه وبه لقب، وكان يلبس جهة صوف فصيرة ضيقة الكمين.

وكان عسكر الكتامين على الأريض فانقضوا، وملكتها أبو يزيد وأحرقها ونبأها وقتل في الجامع من لها إليه، وبعث عسكراً

حربه معه سجالاً إلى أن اقتحم عليه البلد مداخلة بعض أهلها.  
ولحق ابن حدون ببلاد كاتمة واجتمعت قبائل كاتمة وفترة  
ومزانة وعسكرروا بقضنطينية.  
وبعث ابن حدون العساكر إلى هرارة فأوقعوا بهم، وجاءهم  
مدد أبي يزيد فلم يعن عنهم.  
وملك ابن حدون مدينة يتجمست وباغية.

ثم زحف أبو يزيد إلى سوسة في جمادى الآخرة من ستة  
وبيها عسكر القائم، وتوفي القائم وهو بمكانه من حصارها.

### وفاة القائم وولادة ابنه المنصور

ثم توفي القائم أبوالقاسم عمد بن عبيد الله المهدى صاحب  
إفريقية، بعد أن عهد إلى ولده إسماعيل بعده وتلقب بالمنصور،  
وكم موت أبيه حذراً أن يطلع عليه أبو يزيد وهو بمكانه من  
حصار سوسة، فلم يسم بالخلفية ولا غير السكبة ولا الخطبة ولا  
البند إلى أن فرغ من أمر أبي يزيد كما يذكر.

### بقية أخبار أبي يزيد ومقتله

ولما مات القائم كان أبو يزيد محاصراً لسوسة كما نقدم،  
وقد جهد أهلها الحصار، فلما ول إسماعيل المنصور وكان أول  
عمله أنبعث الأساطيل من المهدى إلى سوسة مشحونة بالملد من  
المقاتلة والأمتنة والميرة مع رشيق الكاتب ويعقوب بن إسحاق،  
وخرج بنفسه في أثرهم، وأشار أصحابه بالرجوع فرجع ووصل  
الأسطول إلى سوسة، وخرجوه لقتال أبي يزيد وعساكر سوسة  
معهم فانهزم أبو يزيد، واستبعض معسكره نهباً وإحراباً، ولحق  
بالقيروان فمنعه أهلها من الدخول وشارروا بعامله فخرج إليه،  
ورحل إلى سيبة وذلك أواخر شوال سنة أربعين.

وجاء المنصور إلى القيروان وأمن أهلها وأبقى على حرم  
أبي يزيد وأولاده، وأجرى عليهم الرزق، وخرجت سرية من  
عسكر المنصور لاستكشاف خبر أبي يزيد وجاءت أخرى من  
معسكر أبي يزيد مثل ذلك فالتقوا وانهزمت سرية المنصور، فقوى  
أبو يزيد بذلك وكثر جمعه، وعاد قاتل القيروان وخندق المنصور  
على عسكره، وقاتلهم أبو يزيد فكان الظفر أول يوم للمنصور، ثم  
قاتلهم ثانيةً فانهزموا وثبت المنصور وراجع أصحابه من طريق  
المهدى وسوسة.

ولما رأى أبو يزيد امتناعهم عليه رحل أواخر ذي القعدة،

بحبرهم فنزل على خمسة فراسخ من المهدى، وبيت القيروان في  
جهاته، وسمع كاتمة بافتراق عسكره في الغارة فخرجاً لياته آخر  
جمادى الأولى، وكان ابنه فضل قد جاء بالملد من القيروان فبعثه  
للقاء كاتمة، وركب في أثرهم ولقي أصحابه منهزمين.  
ولما رآه الكتاميون انهزوا بغير قتال واتبعهم أبو يزيد إلى  
باب المهدى ورجع.

ثم جاء بعد أيام لقتالهم فوقف على الخندق المحدث، وعلىه  
جماعة من العبيد فقاتلهم ساعة وهزمهم، وجاز السور إلى البحر  
ووصل المصلى على رمية سهم من البلد، والبرير يقاتلون من  
الجانب الآخر.

ثم حل الكتاميون عليهم فهزموهم وبلغ ذلك أبا يزيد،  
وسمع بوصول زيري بن مناد فاعتزم أن يمر بباب المهدى ويأتي  
زيري وكاتمة من ورائهم فقاتلوا أهل الأرياض، وما لوا عليه لما  
عرفوه ليقتلوا، وتخلص بعد الجهد ووصل إلى منزله فوجدهم  
يقاتلون العبيد كما تركهم فتوى أصحابه وانهزم العبيد.

ثم رحل وتأخر قليلاً وحفر على معسكره خندقاً واجتمع  
عليه حلق عظيم من البرير وفروسية والزاب وأقاصي المغارب،  
وضيق على أهل المية ثم زحف إليها آخر جمادى فقاتلهم وتورط  
في قاتلها يومه ذلك.

ثم خلص وكتب إلى عامل القيروان أن يبعث إليه مقاتلتها،  
فجاؤوا وزحف بهم آخر رجب فانهزم، وقتل من أصحابه.

ثم زحف الزحف الرابع آخر شوال ولم يظفر، ورجع إلى  
معسكره واشتد الحصار على أهل المهدى حتى أكلوا البنات  
والدواب، وافتقر أهلها في التزاحي، ولم يبق بها إلا الجندي وفتح  
القائم أهراً الزرع التي أعدها المهدى وفرقها فيهم.

ثم اجتمعت كاتمة وعسكرروا بقضنطينية فبعث إليهم أبو يزيد  
بعثاً من ورجومة وغيرهم فهزموها كاتمة ووافت أبا يزيد حشود  
البرير من كل ناحية وأحاط بسوسة وضيق عليها.

ثم انقض البرير عليه بما كان منه من المجاهدة بالحرمات  
والملاسنة بينهم فانفضوا عنه، ورجع إلى القيروان سنة أربعين وثلاثين  
وغلب أهل المهدى معسكره، وكثير عبّث البرير في أمصار إفريقية  
وضرّاحيها، وثار أهل القيروان بهم، وراجعوا طاعة القائم، وجاء  
علي بن حدون من المسيلة بالعساكر فيته أبو يوب بن أبي يزيد  
وهرمز، وسار إلى تونس وجاءت عساكر القائم فواقعوا مرات  
وانهزم إلى القيروان في ربيع سنة أربعين وثلاثين.

فبعث أبو يوب ثانية لقتال علي بن حدون ببلطة وكانت

فقاتلهم فانهزم وأسلم عسكره وأولاده، وطعنه بعض الفرسان فاكيه وحامى عنه أصحابه قتلى في الحومة ما يزيد على عشرة آلاف، وتخالص.

ثم سار المتصور في أثره أول رمضان ولم يقدر أحد من الفريقين على المزاجة لضيق المكان وصعوبته.

ثم انهزم أبو يزيد لما ضرسه الحرب، وترك ألقائه وساروا إلى رؤوس الجبال يرمون بالصخر، وتزاحفوا حتى تعاقروا بالأيدي وكثير القتل.

ثم تجاوزوا وتحصن أبو يزيد بقلعة كاتمة واستأمن الذين معه من هوارة فأتمهم المتصور، وحصر أبا يزيد في القلعة وقاتلها غير مرة حتى افتحتها عنوة وأضرمها ناراً، وقتل أصحاب أبي يزيد في كل ناحية وجع أهله وأولاده في القصر، وأظلم الليل فامر المتصور بإشعال النيران في الشعراء المحيطة بالقصر حتى أضاء الليل لتكون أحواله بمثابة منهن حنراً من فراره، حتى خرج الليل وحمل في أصحاب المتصور حملة منكرة فافرجوا له، وأمر المتصور بطلبه فالقفوه وقد حمله ثلاثة من أصحابه لأنه كان جريحاً فسقط من الوعر وارت فحملوه إلى المتصور فسجد سجدة الشكر، وأقام عنده إلى مطلع الحرم من سنة ست وثلاثين.

ثم هلك من الجراحة التي به فأمر بسلخ جلده وحشوه تبنا واتخذ له ققصاصاً فادخل فيه مع قردين يلاعبانه بتعاله.

ووصل إلى طيبة فاحتلها وحق ابنيه فضل ومعبد بن خزر، ورجل به إلى طيبة وبسكتها.

وقصد المتصور فانهزم معبد وصعد إلى كاتمة، فبعث إليه العساكر مع مؤليه شفيع وقيصر، ومعهما زيري بن مناد في صنهاجة، فانهزم فضل ومعبد وافتقر جمعهم ورجع المتصور إلى القبروان فدخلها.

## بقية أخبار المتصور

ثم انتقض حيد بن يضلين عامل المغرب والحرف عن طاعة الشيعة، ودعا للأمية من وراء البحر، وزحف إلى تاهرت فحاصرها فنهض إليه المتصور في صفر سنة ست وثلاثين، وجاء إلى سوق حزة فأقام به.

وحشد زيري بن مناد جروم صنهاجة من كل ناحية، ورجل مع المتصور فأخرج حيد عن تاهرت، وعقد عليها ليعلى بن محمد اليفرني، وعقد لزيري بن مناد على قومه وعلى سائر بلادهم.

ثم رجع فقاتلهم وكانت الحرب سجالاً، وبعث السرايا إلى طريق المهدية وسوسنة نكبة فيهم، وبعث إلى المتصور في حرمه وأولاده فبعثهم إليه بعد أن وصلهم.

وقد كان أقسم على الرحيل، فلما وصلوا إليه نكث وقاتلهم خامس الحرم سنة خمس وثلاثين فهزهم.

ثم عي المتصور عساكره متصرف الحرم وجعل البرابر في الميمنة وكاتمة في الميسرة، وهو وأصحابه في القلب.

وحل أبو يزيد على الميمنة فهزهمها ثم على القلب فلقيه

المتصور واشتد القتال.

ثم حلوا عليه حلة رجل واحد فانهزم وأسلم ألقائه وعساكره وقتل خلق من أصحابه وبلغت رؤوس القتلى الذي في أيدي صبيان القبروان عشرة آلاف، ومضى أبو يزيد لوجهه، ومر بياغية فمنعه أهلها من الدخول فأقام يحاصرها، ورجل المتصور في ربيع الأول لتابعه، واستخلف على الميمنة مراماً الصقلي وأدركه على بياغية فأجل المتصور في اتباعه.

وكلما قصد حصناً سبقه المتصور إليه إلى أن نزل المتصور طبنة فجاءته رسول محمد بن خزر أمير مغراوة من أصحاب أبي يزيد وموطنه بالغرب الأوسط فاستأمن للمنصور فامنه، وأمره بطلب أبي يزيد.

ووصل أبو يزيد إلى بي بزال وكانتا تكاري، وبلغه خبر المتصور في اتباعه فسلك الرملة.

ثم عاد نواحي غمرة فصادف المتصور وقاتلته فانهزم أبو يزيد إلى جبل سالات، والمتصور في أثره في جبال وأغار ومضائق تفضي إلى القفر، وأصابهم الجهد وعلم أنه ليس أمامه إلا المفاصلة إلى بلاد السودان فرجع إلى غمرة من بلاد صنهاجة.

ووفد عليه هناك زيري بن مناد أمير صنهاجة فاكرمه ووصله كما يحب له.

وجاء كتاب محمد بن خزر بالمكان الذي فيه أبو يزيد من المفاصلة، وأقام المتصور هناك لمرض أصحابه فرجع أبو يزيد إلى المسيلة وحاصرها.

فلما عوفي المتصور رحل أول رجب سنة خمس وثلاثين وقصده فأخرج عن المسيلة، وقصد المفاصلة يريد بلاد السودان فأبي عليه بنو كملان أصحابه فرجعوا إلى جبال كاتمة وعجيبة فتحصروا بها.

وجاء المتصور فنزل بساحتهم عاشر شaban ونزل أبو يزيد

فيه عساكرة واستأمن إليه بنو كملان ومليلة من هوارة، ودخلوا في طاعته فأنهم وأحسن إليهم.

واستأمن إليه محمد بن خزر بعد مقتل أخيه معبد فأمده ورجع إلى القيروان وترك مولاه قيسر في العساكرة، وعقد له على باغية فدوخ البلاد وأحسن إلى الناس، وألف من كان شارداً من البرير، ورجع بهم إلى القيروان فاكترمهم المعز ووصلهم.

ثم وفَدَ بعدهم محمد بن خزر أمير مغارواة فلقاء مبرة وتكرعاً، وأقام عنده بالقيروان إلى أن هلك سنة ثمان وأربعين.

واستقدم المعز زيري بن مناد سنة ثلاث وأربعين أمير صنهاجة، فقدم من أستير فاجزل صلته ورده إلى عمله.

وبعث إلى الحسين بن علي عامل صقلية سنة أربع وأربعين أن ينجزه بسيطرته إلى ساحل الريبة من بلاد الأندلس، فعاد فيه وغمى وسيى، ورجع فآخر الناصر صاحب الأندلس أسطوله إلى سواحل إفريقيا مع غالب مولاه فمعنعتهم العساكرة، وأفلعوا.

ثم عاودوا سنة خمس وأربعين في سبعين مركباً فاخروا مرسي الخزر وعاشوا في جهات سوسة، ثم في نواحي طبرنة ورجعوا.

واستقام أمير المعز في بلاد إفريقيا والمغرب واتسعت إمارته، وكانت أعماله من إيفكان خلف تاهرت بثلاثة مراحل إلى زناته التي دون مصر وعلى تاهرت وإيفكان على بن محمد البغريني، وعلى أشبر وأعمالها زيري بن مناد الصنهاجي وعلى المسيلة وأعمالها، جعفر بن علي الأندلسي وعلى باغية وأعمالها قيسر الصقلية.

وكان على قاس أحد بن بكر بن أبي سهل الجذامي، وعلى سجله سعيد بن واسيل المكتاسي.

ثم بلغه سنة سبع وأربعين أن يعلى بن محمد البغريني داخل الأموية من وراء البحر، وأن أهل المغرب الأقصى تقضوا طاعة الشيعة، فاغزى جوهرًا الصقلي الكتاب إلى المغرب بالعساكرة، وكان على وزارته، وخرج معه جعفر بن علي صاحب المسيلة، وزيري بن مناد صاحب أشبر وتلقاهم يعلى بن محمد صاحب المغرب الأوسط.

ولما ارتحل عن إيفكان وقعت هيبة في أصحاب صيلة وقيل له: إن بني يعرب أوقعوها فتقبضن على يعلى وناشته سيف كاتمة لحينه، وخرب إيفكان وأسر ابنه يدبو بن يعلى، وقادوا إلى قاس ثم تجاوزوها إلى سجله سعيد بن واسيل المكتاسي، وتقضي على الشاكر الله محمد بن الفتح الذي تلقب بأمير المؤمنين من بني واسيل، وولى ابن

ثم رحل لقتال لواتة فهربوا إلى الرمال، وأقام هو على وادي ميناس، وكان هناك ثلاثة جبال كل منها عليه قصر ببني بالحجر المنحوت، فوجد في وجه أحد هذه القصور كتابة على حجر فسيح، فامر المنصور التراجمة بقراءاته، وإذا فيه أنا سليمان السردقوس خالق أهل هذا البلد على الملك، فبعثي إليهم ففتح الله عليهم وبيت هذا البناء لأذكر به.

ذكر هذه الغريبة ابن الرقيق في تاريخه.

ثم رحل المنصور إلى القيروان بعد أن خلع على زيري بن مناد وحمله ودخل المصورية في جاهد سنة ست وثلاثين، فبلغه أن فضل بن أبي يزيد جاء إلى جبل أوراس، وداخل البرير في الثورة فخرج إليه المنصور فدخل الرمل، ورجع المنصور إلى القيروان ثم إلى المهدية، ورجع فضل بن أبي يزيد إلى باغية وأقام بمحاصرتها فندر بها بطيط، وبعث برأسه إلى المنصور.

ثم عقد سنة تسع وثلاثين للحسين بن علي بن أبي الحسين الكلي على صقلية وأعمالها، وكانت خليل بن إسحاق فصرفه الحسين واستقل بولايتها، فكان له فيها ولبني ملك سنت ذكره.

وبلغ المنصور أن ملك إفرنجة يزيد غزو المسلمين فأخرج أسطوله، وشنحه بالعساكرة لنظر مولاه فرج الصقلية، وأمر الحسين بن علي عامل صقلية بالخروج معه فأجازوا البحر إلى عدوة الإفرنجية، ونزلوا قلورية ولقيهم رجاء ملك الفرنجة فهزمه.

وكان فتحاً لا كفاء له، وذلك سنة أربعين وثلاثمائة، ورجع فرج بالغنائم إلى المهدية سنة اثنين وأربعين، وكان معبد بن خزر بعد مظاهرته لفضل بن أبي يزيد لم يزل متقضياً وأولياً المنصور في طلبه حتى أخذ في بعض الواقع، وسيق مع ابنه إلى المنصور فطيف بهما في أسواق المصورية، ثم قتلا سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة.

## وفاة المنصور وولاية ابنه المعز

ثم توفي المنصور إسماعيل بن القاسم سلخ رمضان سنة إحدى وأربعين لسبعين سنتين من حلافته، أصحابه الجهد من مطر وثليج تحمله على ملاقاته، ودخل على أثره الحمام فعيت حرارته ولازمه السهر فمات.

وكان طيبه إسحاق بن سليمان الإسرائيلي قد نهاد عن الحمام فلم يقبل وولى الأمر بعده ابنه معد، ولقب المعز ل الدين الله فاستقام أمره، وخرج جبل أوراس سنة اثنين وأربعين، وجالت

على حصارها الحسن بن عمار، فحمل عسكراً على رمطة وزحف إلى عسكر الروم مستعيناً فقتلتهم فقتل أمير الروم وجاءة من البطارقة وهزموا أقبع هزيمة، وأعتبرتهم خندق فسقطرافاً فيه، وأثخن المسلمين فيهم وغنموا عسكراً.

واشتد المصار على أهل رمطة وعدم الأقوات فاتحها المسلمين عنوة، وركب قل الروم البحر يطلبون النجاة، فاتبعهم الأمير أحد بن الحسن في أسطوله فأدراهم وسيج بعض المسلمين في الماء ففرق مراكبهم وانهزموا، وبث أحد سرايا المسلمين في مداشر الروم فغنموا منها واعثروا فيها حتى صاحبوا على الجزءة، وكانت هذه الواقعة سنة أربعين وخمسين وتسعمائة وستة عشرة.

### فتح مصر

ثم إن العز الدين الله بلغه اضطراب أحوال مصر بعد موت كافور الأخشيدى وعظم فيها الفلاء وكثرت الفتنة وشغل بغداد عنهم بما كان من الفتنة بين مختار بن معز الدولة، وغض الدورة ابن عم، فاعتزم العز على المسير إلى مصر، وأخرج جوهرأ الكاتب إلى المغرب لشنّ حشد كاتمة، وأوزع إلى عمال برقة لحر الآبار في طريقها، وذلك سنة خمس وخمسين، فسيره إلى مصر وخراج ترديعه وأقام أياماً في معسكنه، وسار جوهر وبلغ خبره إلى عساكر الأخشيدية بمصر فافتقوها، وكان ما يذكر في أخبارهم، وقدم جوهر متصرف شعبان من سنة ثمان وخمسين فدخلها وخطب في الجامع العتيق منه باسم العز، وأقيمت الدعوة العلوية. وفي جادى من سنة تسع وخمسين دخل جوهر جامع ابن طولون فصلى فيه، وأمر بزيادة «حي على خير العمل» في الأذان، فكان أول آذان أذن به في مصر.

ثم بعث إلى العز بالمدابي وأياعان دولـة الأخشـيدـية فجـبـسـهم العـزـ بالـمـهـدـيـةـ، وأـحـسـنـ إـلـىـ القـضـاـةـ وـالـعـلـمـاءـ مـنـ وـنـدـهـمـ، وـرـدـهـمـ إـلـىـ مصرـ، وـشـرـعـ جـوـهـرـ فـيـ بـنـاءـ القـاهـرـةـ وـاسـتـحـثـ العـزـ لـلـقـدوـمـ عـلـىـ مصرـ.

### فتح دمشق

ولما فتح مصر، وأخذ بنو طفح هرب منهم الحسن بن عبد الله بن طفع إلى مكة ومعه جماعة من قراديهم، فلما استشرع جوهر به بعث جعفر بن فلاح الكتامي في العساكر إليه فقاتلته مراراً ثم أسره ومن كان معه من القراد، وبعث بهم إلى جوهر

المعز من بني عمده مكانه ودفع المغارب إلى البحر.

ثم رجع إلى فاس وحاصرها وواليها يرمي أحد بن بكر بن أبي سهل المذاشي، وقاتلها مدة فامتنعت عليه وجاءته هدايا الأمراء الأذكىنية من السوس.

ثم رحل إلى سجلماسة، وبها محمد بن واسول من مكانة وقد تلقب بأمير المؤمنين الشاكر لله، وضرب السكة باسمه تقدست عزة الله، فلما سمع بجوهر هرب، ثم أخذ أسيراً وجيء به إلى جوهر، وسار عن سجلماسة وافتتح البلاد في طريقه.

ثم عاد إلى فاس وأقام في حصارها إلى أن انتصراها عنوة على يد زيري بن مناد تسمى أسوارها ليلاً ودخلها وتقبض على أحمد بن بكر، وذلك سنة ثمان وأربعين، وولى عليها من قبله، وطرد عمال بي أمية من سائر المغرب، وانقلب إلى القبروان ظافراً عزيزاً، وضم تاهرت إلى زيري بن مناد.

وقدم بالفاطميين وبأحمد بن بكر ومحمد بن واسول أسيرين في قصرين، ودخل بهما إلى المصورية في يوم مشهور. وكانت ولاية المغرب والمشرق منقسمة بين موليه قيسبر ومظفر، وكانتا متغلبين على دولته فقبض عليهما سنة تسع وأربعين وقتلهما.

وفي سنة خمسين كان تغلب للنصارى على جزيرة إقريطش، وكان بها أهل الأندلس من جالية الحكم بن هشام بسبب ثورة الرفض، ففر بهم إلى الإسكندرية فثاروا بها، وعبد الله بن طاهر يرمي العامل مصر فحاصرهم بالإسكندرية حتى نزلوا على الأمان، وأن مجزوا البحر إلى جزيرة إقريطش فعمروها ونزلوها منذ تلك الأيام، وأميرها أبو حفص البلوطى منهم، واستبد بها وورث بنوه رئاسة فيها إلى أن نازلهم النصارى في هذه السنة في سبعمائة مركب، واقتحوها عليهم عنوة، وقتلوا منهم وأسروا، وبقيت في أيدي النصارى لهذا العهد والله غالب على أمره.

وافتتح صاحب صقلية سنة إحدى وخمسين قلعة طرمين، من حصنون صقلية بعد حصار طويل أجهذهم فنزلوا على حكم صاحب صقلية بعد تسعه أشهر ونصف للحصار، وأسكن المسلمين بالقلعة وسمواها المعزية نسبة إلى العز صاحب إفريقيـةـ.

ثم سار صاحب صقلية بعدها وهو أحد بن الحسن بن علي بن أبي الحسن إلى حصار رمطة من قلاع صقلية فاستمدوا ملكهم صاحب القسطنطينية، فجهز لهم العساكر برأ ومجراً، واستمد صاحب صقلية العز فآمده بالعساكر مع ابنه الحسن، ووصل مدده إلى مدينة ميسنى، وساروا بجيوشهم إلى رمطة، وكان

مصر، وبدأ بالنظر في تهديد المغرب وقطع شواغله، وكان محمد بن الحسن بن خزر المخراوي مخالفاً عليه بالغرب الأوسط، وقد كثرت جموعه من زناتة والبربر، وكان جباراً طاغياً فاهماً المعز أمره وخشي على إفريقية غالاته، فأمر بلکين بن زيري بن مناد بغزو فزانه فسى بلاده، وكانت بينهما حروب عظيمة.

ثم انهزم محمد بن خزر وجوشه، ولا أحسن بالجزمة تحامل على سيفه فقتل نفسه، وقتل في المعركة سبعة عشر من أمراء زناتة وأسر منهم كثير وذلك سنة ستين.

وسر المعز ذلك وقعد للنهاء به. واستقدم بلکين بن زيري فاستخلفه على إفريقية والمغرب، وأنزله القيروان وسماه يوسف، وكناه آبا الفتوح، وولى على طرابلس عبد الله بن يثلف الكتامي، ولم يجعل بلکين ولاية عليه، ولا على صاحب صقلية.

وجعل على جباية الأموال زاده الله بن الغريم، وعلى الخراج عبد الجبار الخراساني، وحسين بن خلف المرصدي بمنظر بلکين، وعسكر ظاهر المنصورية آخر شوال من سنة إحدى وستين، وأقام على سردانية قريباً من القيروان حتى فرغ من أعماله، ولحقته عساكره وأهل بيته وعماله، وحل له ما كان في قصره من الأموال والأئمة.

وارتحل بعد أربعة أشهر من مقامه وسار معه بلکين قليلاً ثم ودعه ورده إلى عمله، وسار هو إلى طرابلس في عساكره، وهرب بعضهم إلى جبل نفورة فامتنعوا به، وسار إلى برقة فقتل بها شاعره محمد بن هانئ الأندلسي، وجد قتيلاً بجانب البحر في آخر رجب من سنة اثنين وستين.

ثم سار إلى الإسكندرية وبلنها في شعبان من هذه السنة، ولقيه بها أعيان مصر فاكرهم ووصلهم، وسار فدخل القاهرة لخمس من رمضان من هذه السنة فكانت منزلة ومنزل الخلفاء بعده إلى آخر دولتهم.

## حروب العز مع القرامطة واستيلاؤه على

### دمشق

كان للقرامطة على يني طفح بدمشق ضرية يؤدونها إليهم، فلما ملك ابن فلاح بدعة العز قطع تلك الضريبة، وأسفهم بذلك فرجعوا إلى دمشق وعليهم الأعصم ملكهم، فبرز إليهم جعفر بن فلاح فهزمه وقتلوه، وملكو دمشق وما بعدها، إلى الرملة، وهرب من كان بالرملة ومحضنا ببابا.

فبعث بهم جوهر إلى المعز بإفريقية، ودخل جعفر الرملة عنوة فاستباحها، ثم أمن من يقي وجيء الخراج وسار إلى طبرية وبها ابن ملهم وقد أقام الدعوة للمعز فتجأفي عنه، وسار إلى دمشق فافتتحها عنوة وأقام بها الخطبة للمعز لأيام من المحرم سنة تسع وخمسين، وكان بدمشق الشريف أبو القاسم بن أبي يعلى الحاشمي وكان مطاعماً فيهم، فجمع الأ gioas وذئعار وشار بهم في الجمعة الثانية، ولبس السواد وأعاد الخطبة للمطبع فقاتلهم جعفر بن فلاح أيامه وأول عليهم المزاجم وعاثت جيوش المغاربة في أهل دمشق فهرب ابن أبي يعلى ليلاً من البلد وأصبحوا حيارى، وكانتوا قد بعنوا الشريف الحافري إلى جعفر في الصلح فأعاده إليهم بتسكين الناس والوعد الجميل، وأن يدخل البلد فيظروف فيه ويرجع إلى معسكره فدخل، وعاث المغاربة في البلد بالنهب فشار الناس بهم وحملوا عليهم، وقتلوا منهم وشرعوا في حفر المناذق ومحصين البلد.

ومشي الشريف أبو القاسم في الصلح بينهم وبين جعفر بن فلاح، فتم ذلك متصف ذي الحجة من سنة تسع وخمسين، ودخل صاحب شرطة جعفر فسكن الناس وقبض على جماعة من الأحداث وقتل منهم وحبس.

ثم قبض على الشريف أبي القاسم بن أبي يعلى في المحرم من سنة ستين، ويعتبر به إلى مصر، واستقام ملك دمشق بجعفر بن فلاح، وكان خرج بإفريقية في سنة ثمان وخمسين أبو جعفر الزناتي واجتمع إليه جموع من البربر والنماركة، وخرج إليه المعز بنفسه، وانتهى إلى باغية وافتقرت جموع أبي خزر وسلك الأوضاع فعاد المعز وأمر بلکين بن زيري بالسير في طلبه فسار بذلك حتى انقطع عنه خبره، ثم جاء أبو جعفر مستائماً سنة تسع وخمسين فقبله، وأبرى عليه الرزق، وعلى أثر ذلك وصلت كتب جوهر بإقامة دعوته بمصر والشام، وباستدعايه إليها فاشتد سرور المعز بذلك، وأظهره في الناس ونطق الشعراء بامتداحه ثم زحف القرامطة إلى دمشق وعليهم ملكهم الأعصم، ولقيهم جعفر بن فلاح فظفر بهم وقتلهم.

ثم رجموا إليه سنة إحدى وستين ويرز إليهم جعفر فهزمه وقتلوه، وملك الأعصم دمشق وسار إلى مصر وكاتب جوهر بذلك المعز فاعتزم على الرحالة إليها.

### مسير المعز إلى مصر ونزوله بالقاهرة

ولما انتهت هذه الأخبار إلى المعز اعتزم على المسير إلى

على نفسه، وخرج من دار الإمارة وأحرق المغاربة ناحية باب الفراديس، ومات فيها خلق، واتصلت الفتنة إلى ربيع الآخر من سنة أربع وستين.

ثم قع الصلح بينهم على إخراج ظالم من البلد وولادة جيش بن الصمصامة ابن أخت أبي عمود فسكن الناس إليه. ثم رجع المغاربة إلى العبيت وعاد العامة إلى الثورة، وقد صدوا القصر الذي فيه جيش فهرب ولحق بالعسكر، وزحف إلى البلد فقاتلهم وأحرق ما كان بقي وقطع الماء عن البلد فضاقت الأحوال وبطلت الأسواق، وبلغ الخبر إلى المعز فنكر ذلك على أبي محمد واستعظمه، وبعث إلى بيان الحادم في طرابلس يأمره بالسير إلى دمشق لاستكشاف حالها، وأن يصرف القائد أبو عمود عنها، فصرفه إلى الرملة، وبعث إلى المعز بالخبر، وأقام بدمشق إلى أن وصل أتفكين واليَا على دمشق.

وكان أتفكين هذا من موالي عز الدولة بن بويه، ولما ثار الأتراك على ابنه بختيار مع سبكتكين، ومات سبكتكين، قدمه الأتراك عليهم، وحاصروا بختيار بواسط، وجاء عضد الدولة لإنجاده فأجللوا عن واسط فتركوه ببغداد.

وسار أتفكين في طائفنة من الجندي إلى حصن فنزل قريباً منها، وقصده ظالم بن موهوب العقيلي ليقبضه فعجز عنه، وسار أتفكين فنزل بظاهر دمشق وبها زياد خادم المعز، وقد غلب عليه، وعلى أعيان البلد الأحداث والذمار، فلم يملكونه أمر أنفسهم فخرج الأعيان إلى أتفكين، وسألوا منه الدخول إليهم ليولوه، وشكروا إليه حال المغاربة وما يحملونه عليه من عقائد بعض الرفض، وما أنزل بهم عمالهم من الظلم والعنف، فأجابهم واستحلفهم وخلف لهم، وملك البلد وخرج منها زياد الحادم، وقطع خطبة المعز العلوي وخطب للطائفة العباسية، وقمع أهل الفساد ودفع العرب بما كانوا استولوا عليه من الضواحي.

واستقل ملك دمشق وكاتب المعز بطلب طاعته وولاتها من قبله، فلم يثق إليه ورده، وتجهز لقتله، وجهز العسكر فتوبيعسركه بيليس كما يذكر.

## وفاة المعز وولاته ابنه العزيز

ثم توفي المعز مصر في متصرف ربيع الآخر سنة خمس وستين لثلاث وعشرين سنة من خلافته، وولي ابنه نزار بعهده إليه ووصيته، ولقب العزيز بالله، وكم موت إليه إلى عيد النحر من السنة فصلى بالناس وخطبهم، ودعا لنفسه وعزى بأبيه، وأقر

وملك القرامطة الرملة وجهزوا العسكر على ياقا، وساروا إلى مصر ونزلوا عن شمس وهي المعروفة لهذا العهد بالطريقة.

واجتمع إليهم خلق كثير من العرب وأولياءبني طفح، وحاصروا المغاربة بالقاهرة وقاتلواهم أياماً نكان الظرف بهم.

ثم خرج المغاربة واستمانتوا وهزمهم فرحلوا إلى الرملة وضيقوا حصار ياقا، وبعث إليهم جعفر بالمد في البحر فأخذه القرامطة وانتهى الخبر إلى المعز بالقيروان، وجاء إلى مصر ودخلها كما ذكرنا.

وسمع أنهم يريدون المسير إلى مصر فكتب إلى الأعصم يذكره فضل بنه وأنهم إنما دعوا له ولا يأبه وبالغ في وعظه وتهده فأساه في جوابه، وكتب إليه: وصل كتابك الذي قل تحصيله وكثير تفصيله، ومحن سائرمن إليك والسلام.

وسار من الأحساء إلى مصر ونزل عن شمس في عساكرة، واجتمع إليه الناس من العرب وغيرهم.

وجاء حسان بن الجراح في جموع عظيمة من طبي، وبعث سراياه في البلاد فعاثوا فيها وأهم المعز شأنه، فراسل ابن الجراح واستعماله مائة ألف دينار على أن ينهزم عن القرامطة واستحلفوه على ذلك.

وخرج المعز ليوم عينه لذلك فانهزم ابن الجراح بالعرب وثبت القرامطة قليلاً ثم انهزوا وأخذ منهم نحو ألف وخمسة أسير. وساروا في أتباعهم ولحق القرامطة بأذرعات، وساروا منها إلى الأحساء، وقتلوا صبراً ونهب معسكرهم وجرد المعز القائد أبو محمد في عشرة آلاف فارس، وبعث المعز القائد ظالم بن موهوب العقيلي واليَا على دمشق فدخلها، وكان العامل بها من قبل القرامطة أبو اللجاء وابنه في جماعة منهم فحبسهم ظالم وأخذ أمراءهم، ورجع القائد أبو محمد من أتباع القرامطة إلى دمشق فتلقاء ظالم وسر بقدومه وسأله المقام بظاهر دمشق حذراً من القرامطة ففعل ودفع أبي اللجاء وابنه فبعث بهم إلى مصر فحبسوا بها.

وعاث أصحاب أبي محمد في دمشق، فاضطرب الناس وقتل صاحب الشرطة بعضهم ثاروا به وقتلوا أصحابه.

وركب ظالم بذراريهم وأجفل أهل الضواحي إلى البلد من عياث المغاربة، ثم وقعت في متصرف شوال من سنة ثلاث وستين فتنة بين العامة وبين عسكراً أبي محمد وقاتلوا أياماً، ثم هزمهم وتبعم إلى البلد.

وكان ظالم بن موهوب يداري العامة فأشفق في هذا اليوم

للحرب بظاهر الرملة في حرم سنة سبع وستين.

وبعث العزيز إلى أفتakin يدعوه إلى الطاعة ورغبه وبعده بالتقدم في دولته ويدعوه إلى الخضور عنده، فتقدمن بين الصفين وترجل قبل الأرض وقال: قل لأمير المؤمنين لو كان قبل هذه لسارت، وأما الآن فلا يمكني.

وحمل على الميسرة فهزهم وقتل الكثير منهم، فامتنع العزيز وحمل هو والمائة جميعاً فهزهم، ووضع المغاربة السيف قاتلوا نحواً من عشرين ألفاً، ثم نزل في خيامه وجيء بالأسرى فخلع على من جاء بهم وبدل لمن جاء بأفتakin مائة الف دينار، فلقيه المفروج بن دغفل الطائي، وقد جهده العطش فاستسقاء فبقاءه وترك بعرشه مكرماً.

وجاء إلى العزيز فأخبره بمكانه، وأخذ المائة ألف التي بذها فيه، وأمكنته من قياده.

ولما حضر عند العزيز وهو لا يشك أنه مقتول أكرمه العزيز ووصله، ونصب له الخيم وأعاد إليه ما نهب له، ورجع به إلى مصر فجعله أخص خدمه وحجابه، وبعث إلى الأعمص القرمطي من يرده إليه ليصله، كما فعل بأفتakin فأدرك بطريره، وامتنع من الرجوع ببعث إليه بعشرين ألف دينار وفرضها له ضريبة، وسار القرمطي إلى الأحساء، وعاد العزيز إلى مصر ورقى رتبة أفتakin وخص به الوزير يعقوب بن كلس فسمه، وسمع العزيز بأنه سمه فحبسه أربعين يوماً وصادره على خمسة ألف دينار، ثم خلع عليه وأعاده إلى وزارته.

وتوفي جوهر الكاتب في ذي القعدة من سنة إحدى وثمانين، وقام ابنه الحسن مقامه، ولقب قائد الفراد.

وكان أفتakin قد استخلص أيام وزارته بدمشق رجلاً اسمه قسام، فعلاً صبيه وذكر تابعه، واستولى على البلد.

ولما انهزم أفتakin والقرمطية، بعث العزيز القائد أباً محمود بن إبراهيم والياً على دمشق كما كان لأبيه العزيز فوجد فيها قساماً قد ضبط البلد، وهو يدعى للعزيز فلم يتم له معه ولاية.

وبقي قسام مستبداً عليه إلى أن مات أبو محمود سنة سبعين.

ثم جاء أبو ثعلب بن هدان صاحب الموصل إلى دمشق، عند انهزامه أيام عاصد الدولة، فمنعه قسام من الدخول وخاف أن يغلبه على البلد بنفسه أو بأمر العزيز، واستوحش أبو ثعلب لذلك فقاتله قليلاً، ثم رحل إلى مطيرية.

وجاءت عساكر العزيز مع قائد الفضل فحاصروا قساماً

يعقوب بن كلس على الوزارة كما كان أيام أبيه، وأقر بذلك بن زيري على ولادة إفرقة وأضاف إليه ولادة عبد الله بن مختلف الكتابي، وهي طرابلس وسرت وجر أبيه.

وكان أهل مكة والمدينة قد خطبوا للمعز أبيه في الموسم فتركوا الخطبة للعزيز، فبعث جيوشه إلى الحجاز فحاصروا مكة والمدينة وضيقوا عليهم حتى رجعوا إلى دعوتهم، وخطب للعزيز بمكة و كان أمير مكة عيسى بن جعفر والمدينة طاهر بن مسلم، ومات في هذه السنة فولي ابنه الحسن وابن أخيه مكانه.

### بقية أخبار أفتakin

ولما توفي المعز وولي العزيز، قام أفتakin وقصد البلاد التي لهم بساحل الشام فبدأ بصيدا فحاصرها، وبها ابن الشيخ في رؤوس المغاربة وظالم بن موهوب العقيلي فierzوا إليه وقاتلوه فاستجد لهم، ثم كر عليهم وأوقع بهم وقتل منهم أربعة آلاف، وسار إلى عك فحاصرها وقصد طبرية وفعل فيها مثل صيدا.

ورجع واستشار العزيز وزيره يعقوب بن كلس فأشار بارسال جوهر الكاتب إليه، فجهزه العزيز ويعشه، وأقبل أفتakin على أهل دمشق برحمة التحول عنهم ويدركهم بذلك ليختبرهم فتطارحوا إليه، واستسلموا واستحللهم على ذلك.

ووصل جوهر في ذي القعدة ستة خمس وستين فحاصر دمشق شهرين، وضيق حصارها وكتب أفتakin إلى الأعمص ملك القرمطية يستجده، فسار إليه من الأحساء واجتمع إليهم من رجال الشام والعرب نحو من خمسين ألفاً، وأدركوا جوهرها بالرملة وقطعوا عنه الماء فارتحل إلى عسقلان فحاصروه بها حتى بلغ الجهد، وأرسل جوهر إلى أفتakin بالمغاربة والوعد.

والقرمطي يمنعه، ثم سأله في الاجتماع فجاءه أفتakin، ولم ينزل جوهر يعتل له في الدروا والغارب، وأفتakin يعتذر بالقرمطي ويقول: أنت حلتي على مداراته.

فلما أليس منه كشف لهم عمّا هم فيه من الضيق، وسأله الصناعة وأنها يتخذها عند العزيز فحلف له على ذلك، وعزله القرمطي.

وأراه جوهر أن يحمل العزيز على المسير بنفسه فصم من عزله وأبى إلا الرفقاء، وانطلق جوهر إلى مصر وأغرى العزيز بالمسير إليهم، فتجهز في المساكن، وسار جوهر في مقدمته، ورجع أفتakin والقرمطي إلى الرملة، واحتشدوا ووصل العزيز فاصطفوا

في أصحاب ابن كلس وحاشيته بدمشق لما كان يبلغه عنه من صد العزيز عن ولاته.

ثم أساء السيرة في أهل دمشق فسعى ابن كلس في عزله عند العزيز، وجهز العساكر سنة ثمان وسبعين مع منير الخادم، وكتب إلى نزال عامل طرابلس بمعاظرته، وجمع بكجور العرب وخرج للقائه فانهزم.

ثم خاف من وصول نزال فاسستانم لهم وتوجه إلى الرقة فاستولى عليها، ودخل منير دمشق واستقر في ولاتها، وارتفعت منزلته عند العزيز وجهزه لحصار سعد الدولة محلب.

وكان بكجور بعد انتصاراته من دمشق إلى الرقة سال من سعد الدولة العود إلى ولاته حصن فمنعه فأجلب عليه، واستتجد العزيز لحربه، وبعث إلى نزال عامل طرابلس بمعاظرته فسار إليه بالعساكر، وخرج سعد الدولة من حلب للقائهم وقد أضمر نزال الغدر بكجور، وتقدم إليه بذلك عيسى بن نسطور ووزير العزيز بعد ابن كلس.

وجاء سعد الدولة للقائهم وقد استمد عامل أنطاكية لسلام فآمد بهم كثيرون داخل العرب الذين مع بكجور في الانهزام عنه، ووعدوه بذلك من أنفسهم، فلما تراءى الجماعان وشعر بكجور خديعة العرب فاستسلم وحمل على الصف بقصد سعد الدولة، فقتل لؤلؤ الكبير مولاه بطنه إيه.

ثم حمل عليه سعد الدولة فهزمه، فسار إلى بعض العرب وحمل إلى سعد الدولة فقتله، وسار إلى الرقة فملكها وبقبض جميع أمواله، وكانت شيئاً لا يعبر عنه، وكتب أولاده إلى العزيز يستشفعون به، فشنع إلى سعد الدولة فيهم أن يبعثهم إلى مصر، ويتهدهد على ذلك، فأمسأله سعد الدولة الرد وجهز لحصار حلب الجيوش مع منجوتين، فنزل عليها وحاصرها وبها أبو الفضائل بن سعد الدولة ومولاه لؤلؤ الصغير.

وأرسل إلى سيل ملك الروم يستجدانه وهو في قتال بلغار، فبعث إلى عامل أنطاكية أن يهدعه، فسار في حسنين الفا حتى نزل حبس العاصي، وبلغ خبره إلى منجوتين فارتحل عن حلب، ولقي الروم فهزمه وأخن فيهم قتلاً وأسرًا.

وسار إلى أنطاكية وعاث في نواحيها، وخرج أبو الفضائل في مغيب منجوتين إلى ضواحي حلب، فنقل ما فيها من الغلال وأحرق بقيتها لفقد عساكر منجوتين الأقوات.

فلما عاد منجوتين إلى الحصار، جهز عسكره وأرسل لؤلؤ إلى أبي الحسن المغربي في الصلح، فعقد له ذلك، ورحل

بدمشق، ولم يظفروا به ورجعوا.

ثم بعث العزيز سنة تسع وستين سليمان بن جعفر بن فلاخ فنزل بظاهرها، ولم يمكنه قسام من دخولها، ودس إلى الناس فقاتلوه وأزعموا عن مكانه.

وكان مفرج بن الجراح أمير بيبي طبع وسائر العرب بأرض فلسطين قد كثرت جموعه وقويت شوكته، وعاش في البلاد وخر بها، فجهز العزيز العساكر لحربه مع قائداته بلتكين التركي، فسار إلى الرملة، واجتمع إليه العرب من قيس وغيرهم، ولقي ابن الجراح وقد أكمن لهم بلتكين من ورائهم، فانهزم ومضى إلى أنطاكية، فأغاره أصحابها.

وصادف خروج ملك الروم من القسطنطينية إلى بلاد الشام فخاف ابن الجراح وكاتب بكجور مولى سيف الدولة وعامله على حصن، وجا إلى فيه فأغاره.

ثم زحف بلتكين إلى دمشق وأظهر لقسام أنه جاء لإصلاح البلد.

وكان مع قسام جيش ابن الصمصامة ابن أخت أبي عمود قد قام بعده في ولاته، فخرج إلى بلتكين فأمره بالنزول معه بظاهر البلد هو وأصحابه، واستوحش قسام وعجهز للحرب، ثم قاتل وأنهزم أصحابه، ودخل بلتكين أطراف البلد فنهبوا وأحرقوا.

واعترم أهل البلد على الاستئمان إلى بلتكين، وشافهه بذلك فاذن لهم، وسمع قسام فاضطرب والقى ما يده واستمان الناس إلى بلتكين لأنفسهم ولقسام، فامن الجميع وولى على البلد أميراً اسمه خطلنج، فدخل البلد وذلك في الحرم سنة اثنين وسبعين.

ثم اختفى قسام بعد يومين فنهبت دوره ودور أصحابه، وجاء ملقياً بنفسه على بلتكين قبله وحمله إلى مصر فامنه العزيز.

وكان بكجور في غوريه من غلمان سيف الدولة وعامله على حصن.

وكان يهد دمشق أيام هذه الفتنة والغلاء، ويحمل الأقوات من حصن إليها ويكتب العزيز بهذه الخدم، ثم استوحش سنة ثلاث وسبعين من مولاه أبي المعالي فاستجز من العزيز وعده إيه بولاية دمشق، وصادف ذلك أن المغاربة بمصر أجمعوا على التوسيب بالوزير ابن كلس، ودعت الضرورة إلى استقدام بلتكين من دمشق فأمره العزيز بالقدوم، وولاه بكجور على دمشق ففعل.

ودخلها بكجور في رجب من سنة ثلاث وسبعين، وعاث

فاغي، وأقام معتكفاً في جامع مصر وسقط ليلة من السطح منجوتين إلى دمشق، وبلغ الخبر إلى العزيز فغضب، وكتب إلى منجوتين بالعود إلى حصار حلب وإبعاد الوزير المغربي، وأنفذ الأقوات للعسكر في البحر إلى طرابلس.

وكان آخرهم الوزير أبو القاسم بن المغربي وكان بعده بدر الجمالي أيام المستنصر وزير سيف الدولة، واستبدله على الدولة ومن بعده منهـم كما يأتي في أخبارـهم.

### أخبار القضاة

كان النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيون في خطة القضاء للمعز بالقبروان.

ولما جاء إلى مصر أقام بها في خطة القضاة إلى أن توفي وولي ابنه علي، ثم توفي سنة أربع وسبعين وثلاثمائة، فول العزيز أخيه أبو عبد الله محمدأ، خلع عليه وقلده سيفاً.

وكان المعز قد وعد أباه بقضاء ابنه محمد هذا بمصر، وتم في سنة تسعة وثمانين أيام الحاكم، وكان كبير الصيت، كثير الإحسان شديد الاحتياط في العدالة، فكانت أيامه شريرة.

ولي بعده ابن عمـه أبو عبد الله الحسين بن علي بن النعمان أيام الحاكم، ثم عزل سنة أربع وستين، وقتل وأحرق بالنار، وولي مكانـه ملكـة بن سعيد الفارقي إلى أن قـتـلـهـ الحـاـكـمـ سنـةـ خـمـسـ وأـرـبـعـمـائـةـ بـنـواـحـيـ الـقصـورـ، وـكـانـ عـالـىـ التـزـلـةـ عـنـدـ الـحاـكـمـ ومـاـخـلـلـهـ فـيـ أـمـرـ الدـوـلـةـ، وـخـالـصـهـ لـهـ فـيـ خـلـوـاتـهـ.

وولي بعده أـحمدـ بنـ محمدـ بنـ عبدـ اللهـ بنـ أبيـ العـارـامـ. واتصلـ فيـ آـخـرـ دـوـلـهـ، كـانـ كـثـيرـاـ مـاـ يـجـمـعـونـ لـلـقـاضـيـ الـظـالـمـ وـالـدـعـوـةـ، فـيـكـونـ دـاعـيـ الدـعـاـةـ، وـرـئـاـ يـفـرـدـونـ كـلـاـ مـنـهـمـ.

وكان القاضي عندـهـ يـصـعـدـ مـعـ الـخـلـيـفـةـ النـبـيـ معـ مـنـ يـصـعـدـهـ مـنـ أـهـلـ دـوـلـهـ عـنـدـمـاـ يـخـطبـ الـخـلـفـاءـ فـيـ الجـمـعـ وـالـأـعـيـادـ.

### وفاة المعز وولاية ابنه الحاكم

قد تقدم لنا أن العزيز استنصر الناس للجهاد سنة إحدى وثمانين، ويرزق في العسكرية لنفسه الروم، ونزل بليس فأعترضه الأمراض، واتصلـتـ بهـ إلىـ أنـ هـلـكـ آـخـرـ رـمـضـانـ سنـةـ ثـمـانـيـنـ إـلـاـحـدـىـ عـشـرـةـ سنـةـ وـنـصـفـ مـنـ خـلـافـتـهـ، وـلـقـبـ الـحاـكـمـ بأـمـرـ اللهـ، وـاسـتـولـ برـجـوـانـ الـخـادـمـ عـلـىـ دـوـلـهـ كـمـاـ كـانـ لـأـيـهـ العـزيـزـ بـرـصـيـهـ بـذـلـكـ، وـكـانـ مدـبـرـ دـوـلـهـ، وـكـانـ رـدـيـفـهـ فـيـ ذـلـكـ أـبـوـ عـمـدـ

منجوتين، إلى دمشق، وبلغ الخبر إلى العزيز فغضب، وكتب إلى منجوتين بالعود إلى حصار حلب وإبعاد الوزير المغربي، وأنفذ الأقوات للعسكر في البحر إلى طرابلس.

وأقام منجوتين في حصار حلب وأعادوا مراسلة ملك الروم فاستجدهـوـ وأـغـزـوهـ، وـكـانـ قدـ توـسـطـ بـلـادـ الـبـلـغـارـ فـمـادـ عـجـداـ فيـ السـيـرـ.

وبعـثـ لـؤـلـؤـ إـلـىـ منـجـوـتـكـينـ بـالـخـبـرـ حـذـرـاـ عـلـىـ الـسـلـمـينـ، وـجـاءـهـ جـوـاسـيـسـ بـذـلـكـ، فـأـجـفـلـ بـعـدـ أـنـ خـربـ مـاـ كـانـ اـخـذـهـ فـيـ الـحـاصـارـ مـنـ الـأـسـوـاقـ وـالـقـصـورـ وـالـحـمـامـاتـ.

ووصلـ مـلـكـ الـرـومـ إـلـىـ حـلـبـ وـلـقـيـ أـبـاـ الـفـضـائلـ وـلـؤـلـؤـ، ثـمـ سـارـ فـيـ الشـامـ وـاقـتـعـ حـمـصـ وـشـيـزـ وـنـهـبـهـماـ، وـحـاصـرـ طـرـابـلسـ أـرـبـيعـ يـوـمـ فـامـتـعـتـ عـلـيـهـ، وـعـادـ إـلـىـ بـلـادـهـ.

وبلغـ الـخـبـرـ إـلـىـ العـزيـزـ فـعـطـمـ عـلـيـهـ، وـاسـتـفـرـ النـاسـ لـلـجـهـادـ، وـبـرـزـ مـنـ الـقـاهـرـةـ وـذـلـكـ سـنةـ إـحـدـىـ وـثـمـانـيـنـ، ثـمـ اـنـقـضـ مـنـيرـ فـيـ دـمـشـقـ، فـزـحـ فـيـ إـلـيـهـ مـنـجـوـتـكـينـ إـلـىـ دـمـشـقـ.

### أخبار الوزراء

كان وزير المـعزـ لـدـيـنـ اللـهـ يـعـقـوبـ بـنـ يـوسـفـ بـنـ كـلـسـ أـصـلهـ مـنـ الـيـهـودـ وـأـسـلـمـ، وـكـانـ يـدـبـرـ الـأـحـوـالـ الـأـخـشـيـدـيـةـ بـمـصـرـ، وـعـزـلـ أـبـوـ الـفـضـائلـ بـنـ الـفـرـاتـ مـنـ سـبـعـ وـخـسـيـنـ، وـصـادـرـ فـاسـتـرـ بـصـرـ، ثـمـ فـرـ إـلـىـ الـمـغـرـبـ وـلـقـيـ الـمـعزـ لـدـيـنـ اللـهـ، وـجـاءـ فـيـ رـكـابـ إـلـىـ مـصـرـ فـاسـتـرـزـهـ وـعـظـمـ مـقـامـهـ عـنـهـ، وـاسـتـرـزـهـ بـعـدـ اـبـهـ الـعـزيـزـ إـلـىـ تـوـفـيـ سـنةـ ثـمـانـيـنـ وـصـلـىـ عـلـيـهـ الـعـزيـزـ وـحـضـرـ دـفـنهـ، وـقـضـىـ عـنـهـ دـيـنـهـ، وـقـسـمـ عـمـلـهـ فـرـدـ النـظـرـ فـيـ الـظـلـامـاتـ إـلـىـ الـحـسـنـ بـنـ عـمـارـ كـبـيرـ كـاتـبـ، وـرـدـ النـظـرـ فـيـ الـأـمـوـالـ إـلـىـ عـيـسـىـ بـنـ سـطـرـوـسـ، وـلـمـ تـزـلـ الـرـوـزـةـ سـائـرـ دـوـلـهـ فـيـ أـرـبـابـ الـأـقـلـامـ، وـكـانـاـ بـعـكـانـ، وـكـانـ مـنـهـمـ الـبـارـزـيـ.

وـكـانـ مـعـ الـرـوـزـةـ قـاضـيـ الـقـضـاءـ وـدـاعـيـ الـدـعـاـةـ، وـسـأـلـ أـنـ يـرـسـمـ اـسـمـهـ عـلـىـ السـكـةـ فـغـرـبـ وـمـنـعـ، وـمـاتـ قـتـلـاـ بـتـيـسـ.

وـأـبـوـ سـعـيدـ الـنـسـريـ، وـكـانـ يـهـودـيـاـ وـأـسـلـمـ قـبـلـ وـزـارـتـهـ، وـالـجـرـجـانـيـ وـقطـعـ الـجـرـجـانـيـ فـيـ اـمـرـ مـنـعـ مـنـ الـكـتـبـ فـيـهـ فـكـتـبـ وـحـلـفـ الـحاـكـمـ بـيـمـنـ لـاـ تـكـفـرـ لـيـقطـمـهـ.

ثـمـ رـدـهـ بـعـدـ ثـلـاثـ وـخـلـعـ عـلـيـهـ وـابـنـ أـبـيـ كـدـيـنـةـ ثـلـاثـةـ عـشـرـ شـهـراـ ثـمـ صـرـفـ وـقـتـلـ.

وـأـبـوـ الطـاهـرـ بـنـ يـاشـادـ، وـكـانـ مـنـ أـهـلـ الـدـيـنـ وـاسـتـعـفـيـ

وأصحابه، وثبت بشارة الأخشيدى بن قراراً في خمسة فارس، ووقف الدوق ملك الروم على راية في ولده وعدة من علمائه ينظر فعل الروم في المسلمين، فقصد كردي من مصاف الأخشيدى وبهذه عصا من حديد يسمى الخشت، وظنه الملك مستأمناً، فلما دنا منه ضربه بالخشت فقتله، وانهزم الروم وأتتهم جيش ابن الصمامنة إلى أنطاكية يضم ويسي ويمرق.

ثم عاد مظفراً إلى دمشق فنزل بظاهرها ولم يدخل.

واستخلص رؤساء الأحداث واستحبهم وأقيم له الطعام في كل يوم، وأقام على ذلك برره.

ثم أمر أصحابه إذا دخلوا للطعام أن يغلق باب الحجرة عليهم، ويوضع السيف في سائرهم، فقتل منهم ثلاثة آلاف، ودخل دمشق واطاف بها وأحضر الأشراف فقتل رؤساء الأحداث بين أيديهم، وبعث بهم إلى مصر وأمن الناس.

ثم إنه توفى وولى محمود بن جيش وبعث برجوان إلى بسيط ملك الروم فصالحه لعشر سنين، وبعث جيشاً إلى برقة وطرابلس المغرب ففتحها، وولى عليها يانساً الصقلبي.

ثم نقل مكان برجوان على الحاكم فقتله سنة تسع وثمانين، وكان خصياً أليس، وكان له وزير نصراني استوزره الحاكم من بعده.

ثم قتل الحسين بن عمار، ثم الحسين بن جوهر القائد.

ثم جهز العساكر مع يارختكين إلى حلب، وقد حسان بن فرج الطائني، لما بلغ من عيشه وفساده، فلما رحل من غزوته إلى عسقلان لقيه حسان وأبواه مفرج فانهزم وقتل، ونُهِيت التراخي وكثرت جموع بني الجراح وملوكها الرملة، واستقدموا الشريف أبا الفتوح الحسن بن جعفر أمير مكة فبايعوه بالخلافة.

ثم استلمهما الحاكم ورغبهما فرداً إلى مكة وراجعاً طاعة الحاكم، ورابع هو كذلك، وخطب له يمكنا.

ثم جهز الحاكم العساكر إلى الشام مع علي بن جعفر بن فلاح، وقد الرملة، فانهزم حسان بن مفرج وقومه، وغليهم على تلك البلاد واستولى على أماهاتهم وذخائرهم، وأنحد ما كان لهم من الخصون بجبل السراة، ووصل إلى دمشق في شوال سنة تسعين، فملكتها واستولى عليها، وأقام مفرج وابنه حسان شريدين بالغفرنخواً من ستين.

ثم هلك مفرج وبعث حسان ابنه إلى الحاكم فأنهه وأقطعه ثم وف عليه بضرر فاكثره ووصله.

الحسن بن عمار ويلقب بأمين الدولة، وتغلب على ابن عمار وانسنت أيدي كاتمة في أموال الناس وحرمهن، ونكر منجوتكين تقديم ابن عمار في الدولة، وكاتب برجوان بالموافقة على ذلك فاظهر الانتقام، وجهز العساكر لقتاله مع سليمان بن جعفر بن فلاح فلقيهم بعسقلان، وانهزم منجوتكين وأصحابه، وقتل منهم الفين وسيق أسرى إلى مصر، فأبلى عليه ابن عمار واستماله للمشارقة.

وعقد على الشام سليمان بن فلاح، ويكتنى أبي تميم، فبعث من طبرية أخيه علياً إلى دمشق، فامتاع أهلها، فكان لهم أبو تميم وتهدموا وأذعنوا، ودخل على البلد فقتل فهم.

ثم قدم أبو تميم فامن وأحسن وبعث أخيه علياً إلى طرابلس وعزل عنها جيش بن المصاصمة فسار إلى مصر، وداخل برجوان في الفتنة بالحسن بن عمار وأعيان كاتمة، وكان معهم في ذلك شكر خادم عضد الدولة نزع إلى مصر بعد مهلك عضد الدولة، ونكتبة أخيه شرف الدولة إيهاد، فخلص إلى العزيز فقربه وحظي عنه، فكان مع برجوان وجيش ابن المصاصمة.

وثارت الفتنة واقتتل المشارقة والمغاربة فانهزمت المغاربة، وأختفى ابن عمار وأظهر برجوان الحاكم وجدد له البيعة، وكتب إلى دمشق بالقبض على أبي تميم بن فلاح فذهب، ونهبت خزاناته، واستمر القتل في كاتمة واضطربت الفتنة بدمشق، واستولى الأحداث.

ثم أذن برجوان لابن عمار في الخروج من أستانه وأجرى له أرزاقه على أن يقيم بداره.

واضطرب الشام فانتقض أهل صور، وقام بها رجل ملاح اسمه العلاقة وانتقض مفرج بن دغفل بن الجراح، ونزل على الرملة، وعاد في البلاد وزحف الدوق ملك الروم إلى حصن أقامة عاصراً لها.

ويجهز برجوان العساكر مع جيش ابن المصاصمة، فسار إلى عبد الله الحسين بن ناصر الدولة بن حدون، وأسطولاً في البحر، واستتجد العلاقة ملك الروم فالمجده بالمقاتلة في المراكب، فظفر بهم أسطول المسلمين.

واضطرب أهل صور وملكتها ابن حدان، وأسر العلاقة، وبعث به إلى مصر فسلح وصلب وسار جيش ابن المصاصمة إلى الفرج بن دغفل فهرب أمامه، ووصل إلى دمشق، وتلقاه أهلها مذعنين، وأحسن إليهم وسكنهم ورفع أيدي العدوا عنهم.

ثم سار إلى أقامة وصف الروم عندها فانهزم أولاً هو

## خروج أبي ركوة ببرقة والظفر به

كان أبو ركوة هذا يزعم أنه الوليد بن هشام بن عبد الملك بن عبد الرحمن الداخل، وأنه هرب من المنصور بن أبي عامر حين تبعهم بالقتل وهو ابن عشرين سنة، وقصد القيروان فاقام بها يعلم الصبيان.

ثم قصد مصر وكتب الحديث، ثم سار إلى مكة واليمن والشام وكان يدعى للقائم من ولد أبيه هشام، واسمه الوليد وإنما لقبه أبي ركوة لأنه كان يحملها لوضوئه على عادة الصوفية.

ثم عاد إلى نواحي مصر ونزل على بني قرة من بادية هلال بن عامر، وأقام يعلم الصبيان ويؤمّهم في صلاته، ثم أظهر ما في نفسه ودعا للقائم.

وكان الحاكم قد أسرف في القتل في أصناف الناس وطبقاتهم، والناس معه على خطر، وكان قتل جماعة من بني قرة وأحرقهم بالنار لفسادهم، فبادر بنسو قرة وكانتوا في أعمال برقة فأجابوه وانقادوا له وبايعوا.

وكان بينهم وبين لواحة وزناته وزناته جيرانهم في الأصل حروب ودماء فرضوها، واتفقوا على بيعته. وكتب عامل برقة أبناء الطويل بخبرهم إلى الحاكم فأمره بالكف عنهم.

ثم اجتمعوا وساروا إلى برقة فهزموا العامل برمادة، وملکوا برقة وغنموا الأموال والسلاح وقتلوا.

وأظهر أبو ركوة العدل، وبلغ الخبر إلى الحاكم فاطمانت نفسه، وكف عن الأذى والقتل، وجهز خمسة آلاف فارس مع القائد أبي الفتح الفضل بن صالح فبلغ ذات الحمام، وبينها وبين برقة مفارزة صعبة معطشة، وأمر أبو ركوة من غور المياه التي فيها على قلبها.

ثم سار للقائهم بعد خروجهم من المفارة على جهد العطش فقاتلهم، وتال منهم وثبت أبو ركوة واستأنف إلى جماعة من كتامة لما ناهم من أذى الحاكم وقتله فأنهضهم، ولحقوا به، وانهزمت عساكر الحاكم وقتل خلق كثير منهم.

ورجع أبو ركوة إلى برقة ظافراً وردد البعض والسرابيا إلى الصعيد وأرض مصر، وأهم الحاكم أمره وندم على ما فرط.

وجهز علي بن فلاح العساكر لخريبيهم، وكاتب الناس أبا ركوة يستدعونه، ومن كتب إليه الحسن بن جوهر قائد القراد،

وبعثهم في ستة عشر ألف مقاتل سوى العرب، وبعث أشاه في سرية فراغي قرة وهزمهم، وقتل من شيوخهم عبد العزيز بن مصعب ورافع بن طراد ومحمد بن أبي بكر، واستعمال الفضل بني قرة فأجابه ماضي بن مقرب من أمرائهم، وكان يطالعه بأخبارهم.

وبعث علي بن فلاج عسكراً إلى الفيوم فكبسه بنو قرة وهزموه، ونزل أبو ركوة بالهرمن، ورجع من يومه ثم رحل الفضل إلى الفيوم لتألم فراغيهم برأس البركة وهزمهم، واستأنف بنو كلاب وغيرهم، ورجع علي بن فلاج، وقدم الفضل لطلب أبي ركوة وخذل ماضي بن مقرب بني قرة عن أبي ركوة فقالوا له: أتيت بنفسك إلى بلد التربة، ووصل إلى تخومهم وقال: أنا رسول الحاكم فقالوا: لا بد من استثنان الملك، فركلوا به وطالعوا الملك بحقيقة الحال.

وكان صغيراً قد ولد بعد سرقة أبيه، وبعث إليه الفضل بشائه وطلبه فكتب إلى شجرة بن مينا قائد الخيل بالشغر بأن يسلمه إلى نائب الحاكم، فجاء به رسول الفضل وإنزله الفضل في خيمة وحمله إلى مصر فطيف به على جمل لابساً طرطوراً وخلفه قرد يصفنه، ثم حل إلى ظاهر القاهرة ليقتل، فمات قبل وصوله، وقطع رأسه وصلب.

وبالغ الحاكم في إكرام الفضل ورفع مرتبته، ثم قتله بعد ذلك، وكان ظفر الحاكم بأبي ركوة سنة سبع وستين.

## بقية أخبار الحاكم

كان الحسن بن عامر زعيم كتامة مدير دولته كما ذكرناه، وكان برجوان خادمه وكافله، وكان بين الموالي والكتاميين في الدولة منافسة.

وكان كثيراً ما يفضي إلى القتال، واقتلاه ستة سبع وثمانين، وأركب المغاربة ابن عامر والموالي برجوان، وكانت بينهم حروب شديدة.

ثم تجاوزوا واعتزل ابن عامر الأمور وتخلى بيده عن رسومه وجرياتاته، وقدم برجوان بتدبير الدولة.

وكان كاتب بن فهر بن إبراهيم يربيع وينظر في الظلامات ويطالعه، وولى على برقة يائس صاحب الشرطة مكان صندل.

ثم قتل برجوان ستة سبع وثمانين ورجع التدبير إلى القائد أبي عبد الله الحسين بن جوهر، وبقي ابن فهر على حاله.

وفي سنة تسعين انقطعت طرابلس عن منصور بن بلkin بن

من التصرف في الأسواق، ومنع من أكل الملوخيا.  
ورفع إليه أن جماعة من الروافض تعرضوا لأهل السنة  
التراويف بالرجم، وفي الجنازات، فكتب في ذلك سجلاً قرىء على  
المبرم مصر كأن فيه:

أما بعد فإن أمير المؤمنين يتلوا عليكم آية من كتاب الله  
البين، **﴿لَا إِكْرَاهٌ فِي الدِّينِ﴾** الآية.  
مضى أمس بما فيه، وأتى اليوم بما يقتضيه.  
معاشر المسلمين نحن الأئمة، وأنتم الأمة.

لا يحل قتل من شهد الشهادتين ولا يحل عرفة بين الاثنين  
تجمعها هذه الأخيرة، عصم الله بها من عصمه، وحرم لها ما حرم،  
من كل عمر من دم ومال ومنكح، الصلاح والأصلح بين الناس  
اصلاح، والفساد والإفساد بين العباد يستتبع.  
يطوى ما كان فيما مضى فلا ينشر، ويعرض مما انقضى  
فلا يذكر.

ولا يقبل على ما مر وأدبر من إجراء الأمور على ما كانت  
عليه في الأيام الخالية أيام آبائنا الأئمة المهتبين سلام الله عليهم  
الجيعين، مهديهم بالله وقادتهم بأمر الله، ومنتصرهم بالله  
ومعزهم لدين الله، وهو إذ ذاك بالمهدية والمتصورية، وأحوال  
القبروان تجري فيها ظاهرة غير خفية ليست بمستورة عنهم ولا  
مطوية.

يصوم الصائمون على حسابهم ويفطرون، ولا يعارض  
أهل الرؤوفة فيما هم عليه صائمون ومنطرون، صلاة الخمس  
للذين بها جاءهم فيها يصلون وصلاة الضحى وصلاة التراويف لا  
مانع لهم منها ولا هم عنها يدفعون.

يخصم في التكبير على الجنائز المحسنون، ولا يمنع من  
التكبير عليها المربعون.  
يؤذن بجي على خير العمل المؤذنون، ولا يؤذن من بهما لا  
يؤذنون.

لا يسب أحد من السلف ولا يحتسب على الراصف فيهم  
بما يوصف، والخالف فيهم بما خالف.

لكل مسلم مجتهد في دينه اجتهاده وإلى الله ربه ميعاده،  
عنه كتابه وعليه حسابه.

ليكن عباد الله على مثل هذا عملكم منذ اليوم، لا يستعلي  
مسلم على مسلم بما اعتقده، ولا يتعرض معتبرون على صاحبه  
فيما اعتمدته من جميع ما نصه أمير المؤمنين في سجله هذا، وبعده

زيري صاحب إفريقية، وولى عليها يائس العزيزي من موالي  
العزيز، فوصل إليها وأمكنته عامل المنصور منها، وهو عصولة بن  
بكار.

وجاء إلى الحاكم بأهله وولده وماله وأطلق يدي يائس على  
خلفه بطرابلس، يقال: كان له من الولد نيف وستون بين ذكر  
 وأنثى، ومن السراراي خمس وثلاثون فلقي بالمرة وهيئ له  
القصور ورتب له الجراية وقلده دمشق وأعمالها، فهلك بها لستة  
من ولاده.

وفي سنة اثنين وتسعين وصل الصريح من جهة فلقول بن  
خجزرون المغراوي في ارتجاع طرابلس إلى منصور بن بلکين،  
فجهزت المساكير مع يحيى بن علي الأندلسي الذي كان جعفر  
آخره عامل الزاب للعبيدين، وزرع إلى بي أمية وراء البحر.

ولم يزل هو وأخوه في تصريفهم إلى أن قتل المنصور بن أبي  
عامر جعفرًا منها، وزرع أخيه يحيى إلى العزيز بمصر فنزل عليه  
وتصرف في خدمته ويعشه الآن الحاكم في المساكير لما قدمه،  
فاعترضه بنر قرة ببرقة فقضوا جوعه، ورجع إلى مصر وسار يائس  
من برقة إلى طرابلس، فكان من شأنه مع عصولة ما ذكرناه.  
وبعد وفاة عصولة ولـي علي دمشق مفلح الخادم، وبعد  
علي بن فلاح سنة ثمان وتسعين.

وبعد مسيرة يائس ولـي على برقـة صندل الأسود.  
وفي سنة ثمان وتسعين عزل الحسين بن جوهر القائد وقام  
بتدبـر الدولة صالح بن علي بن صالح الرويـادي.

ثم نكبـ حـسين القـائد بـعـد ذـلـك وـقـتـلـ، ثـمـ قـتـلـ صالح بـعـدـ  
ذـلـكـ وـقـامـ بتـدـبـرـ الـدـوـلـةـ الـكـافـيـ بـنـ نـصـرـ بـنـ عـبـدـونـ، وـبـعـدـ زـرـعـةـ  
بـنـ عـيسـىـ بـنـ نـسـطـورـسـ، ثـمـ أـبـرـ عبدـ اللهـ الحـسـنـ بـنـ طـاهـرـ الـوـزـانـ.  
وكـثـرـ عـيـثـ الـحاـكـمـ فـأـهـلـ دـوـلـتـهـ وـقـتـلـ إـيـاهـ -ـ مـشـلـ  
الـجـرجـاـيـ وـقـطـعـ أـيـدـيـهـ، حـتـىـ أـكـثـرـ مـنـهـ كـانـواـ يـهـرـبـونـ مـنـ  
سـطـوـتـهـ، وـآخـرـونـ يـطـلـبـونـ الـأـمـانـ فـيـكـتـبـ لـهـ بـهـ السـجـلـاتـ.  
وـكـانـ حـالـهـ مـضـطـرـيـاـ فـيـ الجـوـرـ وـالـعـدـلـ وـالـإـخـافـةـ وـالـأـمـنـ  
وـالـسـنـكـ وـالـبـدـعـةـ.

وـأـمـاـ مـاـ يـرـمـيـ بـهـ مـنـ الـكـفـرـ وـصـدـورـ السـجـلـاتـ بـإـسـقـاطـ  
الـصـلـوـاتـ فـغـيرـ صـحـيـحـ، وـلـاـ يـقـولـ ذـوـ عـقـلـ، وـلـوـ صـدـرـ مـنـ الـحاـكـمـ  
بعـضـ ذـلـكـ لـقـتـلـ لـوـقـتـ، وـأـمـاـ مـنـهـ بـهـ فـإـنـ الـرـاـضـيـ فـمـعـرـفـ، وـلـقـدـ  
كـانـ مـضـطـرـيـاـ فـيـهـ مـعـ ذـلـكـ، فـكـانـ يـاذـنـ فـيـ صـلـةـ التـرـاوـيفـ ثـمـ يـنـهـيـ  
عـنـهـ، وـكـانـ يـرـىـ بـعـدـ النـجـومـ وـيـثـرـهـ، وـيـنـقـلـ عـنـهـ أـنـهـ مـنـ النـسـاءـ

من يد شبل الدولة نصر بن صالح وقتلها، وكان بينه وبين بني الجراح قبل ذلك وهو بفلسطين حروب، حتى هرب من الرملة إلى قيسارية فاعتصم بها وأخرب ابن الجراح الرملة وأحرقها.

وبعث السرايا فاتجهت إلى العريش وخشي أهل بليس وأهل القرافة على أنفسهم، فانتقلوا إلى مصر، وزحف صالح بن مرداس في جموع العرب لمحاربة دمشق وعليها يومئذ ذو القرنين ناصر الدولة بن الحسين.

وبعث حسان بن الجراح إليهم باللدد، ثم صاحروا صالح بن مرداس وانتقل إلى حصار حلب وملكها من يد شعبان الكتامي، وجردت العساكر من الشام مع الوزيري وكان ما تقدم وملك دمشق وأقام بها.

### وفاة الظاهر وولاية ابنه المستنصر

ثم توفي الظاهر لإعزاز دين الله أبو الحسن علي بن الحاكم متصرف شعبان سنة سبع وعشرين لست عشرة سنة من خلافته، فولى ابنه أبو تميم معد ولقب المستنصر بأمر الله، وقام بأمره وزير أبيه أبو القاسم علي بن أحد الجرجاوي، وكان بدمشق الوزيري وأسامي أقوش تكين وكانت البلاد صلحت على يديه لعلده ورافقه وبضطه، وكان الوزير الجرجاوي يجسده ويبيضه، وكتب إليه بإيعاد كتابه أبي سعيد، فلأنه إليه أنه يحمل الوزيري على الانتراض، فلم يحب الوزيري إلى ذلك واستوحش، وجاء جماعة من الجندي إلى مصر في بعض حاجاتهم فدخلتهم الجرجاوي في التورب به، ودس معهم بذلك إلى بقية الجندي بدمشق فتعلموا عليه فخرج إلى بعلبك سنة ثلاث وثلاثين فمنعه عاملها من الدخول، فسار إلى حماة فمنع أيضاً فقتل، وهو خلال ذلك ينهب فاستدعى بعض أوليائه من كفرطاب فوصل إليه في الفي رجل، وسار إلى حلب فدخلها وتوفي بها في جادى الآخرة من السنة، وفسد بعده أمر الشام وطبع العرب في نواحيه، وولي الجرجاوي على دمشق الحسين بن حداد فكان قصاري أمره منع الشام، وملك حسان بن مفرج فلسطين وزحف معز الدولة بن صالح الكلابي إلى حلب فملك المدينة، وامتنع عليه أصحاب القلعة ويعتبروا إلى مصر للنجدة فلم ينجد لهم، فسلموا القلعة لمعز الدولة بن صالح فملكها.

### مسير العرب إلى إفريقيا

كان المعز بن باديس قد انتقض دعوة العبيدلين بإفريقية

قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آتَيْنَا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيَبْيَكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ».

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كتب في رمضان سنة ثلاثة وسبعين وثلاثمائة.

### وفاة الحاكم وولاية الظاهر

ثم توفي الحاكم بأمر الله منصور بن العزيز نزار قتيلاً ببركة الجيش بمصر، وكان يركب الحمار ويطوف بالليل ويخلو بدار في جبل المنطم للعبادة، ويقال: لا تستزال روحانية الكواكب.

فتصعد ليلاً من ليلي لثلاثة بيدين من شوال سنة إحدى عشرة ركب على عادته ومشي معه راكبان فردهما واحداً بعد آخر في تصريف أموره، ثم افتقد ولم يرجع، واقاماً أياماً في انتظاره.

ثم خرج مظفر الصقلاني والقاضي وبعض الخواص إلى الجبل فوجدوا حماره مقطع اليدين، واتبعوا أثره إلى بركة الجيش فوجدوا ثيابه ممزورة وفيها عدة ضربات بالسكاكين فأيقنوا بقتله.

ويقال: إن أخته بلغه أن الرجال يتباون بها فتوعدوها فأرسلت إلى ابن دواس من قواد كتامة، وكان يخاف الحاكم فأغرقه بقتله، وهونته عليه لما يرميه به الناس من سوء العقيدة، فقد يهلك الناس ونهلك معه.

ووعده بالمنزلة والإقطاع، فبعث إليه رجلين فقتلاه في خلوته، ولما أيقنوا بقتله اجتمعوا إلى أخته سنت الملك فأحضرت علي بن دواس، وأجلس علي بن الحاكم صبياً لم يناهز الخامسة وسبعين له الناس، ولقب الظاهر لإعزاز دين الله، ونفذت الكتب إلى البلاد يأخذ البيعة له.

ثم حضر ابن دواس من الغد وحضر معه القراد فأمرت سنت الملك خادمها غلامه بالسيف أمامهم حتى قتلها وهو ينادي بشار الحاكم فلم يختلف فيه اثنان، وقادت بتدبير الدولة أربع سنين ثم ماتت.

وقام بتدبير الدولة الخادم معضاد وتأفه بن الوزان، وولي وزارته أبو القاسم علي بن أحد الجرجاوي وكان متغلباً على دولته، وانتقض الشام خلال ذلك، وتغلب صالح بن مرداس من بني كلاب على حلب، وعاد بنو الجراح في نواحيه، فبعث الظاهر سنة عشرين قائده الوزيري وإلي فلسطين في العساكر، وأوقع بصالح بن الجراح، وقتل صالح وابنه وملك دمشق، وملك حلب

مقتل ناصر الدولة بن حدان بعصر

كانت أم المستنصر متغلبة على دولته وكانت تصطفيه  
الوزراء وتوليهم، وكانوا يخذون المواري من الآتراك للتغلب على  
الدولة، فمن استوحشت منه أغرت به المستنصر فقتله، فاستوزرت  
أولاً أبي الفتاح الفلاحي، ثم استوحشت منه فقبض عليه المستنصر  
وقتله، و وزر عده أبي الرకات حسن بن محمد وعزم.

ثم ول الوزارة أبا محمد التازوري من قرية بالمرلة تسمى  
تازور، فقام بالدولة إلى أن قتل، ووزر بعده أبو عبد الله الحسين  
بن البالبي، وكان في الدولة من موالي السودان ناصر الدولة بن  
حمدان، وأستمالوا معهم كاتمة والمصادمة، وخرج العبيد إلى الضياع  
واجتمعوا في حسين ألف مقاتل، وكان الأتراك ستة آلاف، وشكروا  
إلى المستنصر فلم يشكمهم، فخرجوا إلى غرباتهم والتقطوا بكلور  
الريش، وأتمكن الأتراك للعبيد ولقرهم فانهزموا، وخرج كثيرون  
على العبيد وضربوا البرقات والكاسات فارتات العبيد وظنوه  
المستنصر فانهزموا، وقتل منهم وغرق نحو أربعين ألفاً.

وفدى الأتراك وتغلبوا، وعظم الافتراء فيهم فخللت  
المخزائن، وأضطربت الأمور وتجمع باقي العسكر من الشام وغيره  
إلى الصعيد، واجتمعوا مع العيد وكانوا خمسة عشر ألفاً وساروا  
إلى الجيزة فلقيهم الأتراك وعليهم ناصر الدولة بن حمدان فهزموهم  
إلى الصعيد، وعاد ناصر الدولة والأتراك ظافرين.

واجتمع العبيد في الصعيد وحضر الأتراك بدار المستنصر  
فأمرت أمه العبيد بالدار أن ينكروا يمقدمي الأتراك فقلعوا وهربوا  
إلى ظاهر البلد ومعهم ناصر الدولة، وقاتل أولياء المستنصر  
فهزهم، وملك الإسكندرية ودمياط وقطع الخطبة منها ومن  
ناس الريف للمستنصر، وراسل الخليفة العباسي ببغداد وافتقر  
الناس من القاهرة، ثم صالح المستنصر ودخل القاهرة واستبد عليه  
وصادر أمه على حسين الف دينار، وافتقر عنه أولاده وكثير من  
أهله في البلاد، ودس المستنصر لقواد الأتراك بأنه يحيى الدعوة  
فامتصروا لذلك وقصدوه في بيته، وهو آمن منهم، فلما خرج  
عليهم تناولوه بسيوفهم حتى قتلوا وجاؤوا برأسه، ومرروا على  
أخيه في بيته فقطعوا رأسه، وأتوا بهما جميعاً إلى المستنصر بذلك  
سنة خمس وسبعين، وولى عليهم الذكر منهم وقام بأمر الدولة.

## استيلاء بدر الجمالي على الدولة

أصل بدر هذا من الأرمن من صنائع الدولة بصر ومواليها،

وخطب للقائم العباسى، وقطع الخطبة للمستنصر العلوي سنة  
أربعين وأربعين، فكتب إليه المستنصر يهدده.

ثم إنه استوزر الحسين بن علي التاizerوري بعد الجرجاري ولم يكن في رتبته فخطابه العز دون ما كان يخاطب من قبله، كان يقول في كتابه إلهي عبدك، ويقول في كتاب التاizerوري صنيعته فقد ذلك، وأغرى به المستنصر، وأصلاح بين زبغة ورياح من بطون هلال ويعتهم إلى إفريقيا وملتهم كل ما يفتحونه، ويعث إلى العز: أما بعد فقد أرسلنا إليك خيلًا وحملنا عليها رجالًا فحرولاً ليقضى الله أمرًا كان مفعولاً.

فسروا إلى برقة فوجدوها خالية لأن المز كان أباد أهلها من زنانة، فاستوطن العرب برقة، واحقر المز شأنهم وأشترى العبيد واستكثر منهم حتى اجتمع له منهم ثلاثون ألفاً.

وزحف بنو زغبة إلى طرابلس فملقوها سنة ست وأربعين، وجازت رياح الأبيض وبنو عدي إلى إفريقيا، فأضمرمواها ناراً.

ثم سار أمراؤهم إلى المعرٰى وكثيرون مُؤنسين بنجاحٍ من بيتهِ  
مرداس من زيد فأكرّهم المعرٰى وأجزل لهم عطاياه فلم يفتن شيئاً  
وخرجوا إلى ما كانوا عليه من القساد، ونزل ياقوريقة بسلامٍ ينزل  
بها مثله، فخرج إليهم المعرٰى في جموعه من صنهاجة والسودان نحوَ  
من ثلاثة ألفاً، والعرب في ثلاثة آلاف فهزمه وانخسروا في  
صنهاجة بالقتل واستباحتهم، ودخل المعرٰى القبروان مهزوماً.

ثم يبتهم يوم النحر وهو في الصلاة فهزموه أعظم من الأولى، ثم سار إليهم بعد أن احتشد زناة معه فانهزم ثلاثة وقتل من عسكره نحو من ثلاثة آلاف، ونزل العرب بمصلى القيروان ووالوا عليهم المزائِم، وقتلتهم منهم أمم.

ثم أباح لهم المعز دخول القبروان للميرية فاستطاعت عليهم العامة فقتلوا منهم خلقاً وأداروا المعز السور على القبروان سنة ست وأربعين ثم ملك مؤنس بن يحيى مدينة باجة سنة ست وأربعين وأمر المعز أهل القبروان بالانتقال إلى المهدية للتحصن بها، وولى عليها ابنه تيماء سنة خمس وأربعين.

ثم انتقل إليها سنة تسعة وأربعين، وانطلقت أيدي العرب على القيروان بالنهب والتخريب، وعلى سائر الحصون والقرى كما يذكر في أخبارهم.

ثم كانت الخطبة للمستنصر ببغداد على يد الباسيري من مالك بن بويه عند اقراض دولتهم واستيلاء السلاجقة كما ذكره في أخبارهم.

وهو اسم تركي هكذا قال ابن الأثير، فزحف ستة ثلاث وتلائين بل وستين ففتح الرملة، ثم بيت المقدس وحاصر دمشق وعادت في نواحيها وبها المعلى بن حيدرة، ولم ينزل يوالى عليها البعض إلى ستة ثمان وستين، وكثر عسف المعلم باهلها مع ما هم فيه من شدة الحصار فثاروا به، وهرب إلى بلسيس، ثم لحق بمصر فجنس إلى أن مات.

ولما هرب من دمشق اجتاحت المصاومة ولوروا عليهم انتصار بن يحيى منهم ولقبه وزير الدولة، ثم اضطربوا بما هم فيه من الغلاء، وجاء أمير من القدس فحاصرهم حتى نزلوا على أمانه، وأنزل وزير الدولة بقلعة بانياس ودخل دمشق في ذي القعدة، وخطب فيها للمنتدي العباسي.

ثم سار إلى مصر سنة تسع وستين فحاصرها، وجمع بدر الجمالى العساكر من العرب وغيرهم، وقاتلته فهزمه وقتله أكثر أصحابه، ورجع إنسز منهزمًا إلى الشام فاتى دمشق، وقد صانوا خلفه فشكتهم ورفع عنهم خراج سنة تسع وستين، وجاء إلى بيت المقدس فوجدهم قد عاثوا في خلفه وحاصروا أهله وأصحابه في مسجد دارد عليه السلام، فحاصرهم ودخل البلد عنوة، وقتل أكثر أهله حتى قتل كثيراً في المسجد الأقصى.

ثم جهز أمير الجيوش بدر الجمالى العساكر من مصر مع قائده نصير الدولة، فحاصر دمشق وضيق عليها، وكان ملك السلجوقية السلطان ملك شاه قد أقطع أخاه تشن ستة سبعين وأربعين إقامة بلاد الشام، وما يفتحه منها فزحف إلى حلب وحاصرها وضيق عليها، ومعه جرود كبيرة من التركمان فبعث إليه إنسز من دمشق يستصرخه، فسار إليه، وأجفلت عساكر مصر عن دمشق، وخرج إنسز من دمشق للقائه فقتله وملك البلد، وذلك سنة إحدى وسبعين.

وملك ملك شاه بعد ذلك حلب واستولى السلجوقية على الشام أجمع، وزحف أمير الجيوش بدر الجمالى من مصر في العساكر، إلى دمشق وبها تاج الدولة تشن فحاصره وضيق عليه، وامتنع عليه ورجع، وزحفت عساكر مصر سنة اثنين وثمانين إلى الشام فاسترجعوا مدينة صور من يد أولاد القاضي عين الدولة بن أبي عقيل، كان أبوthem قد انتزع إليها، ثم فتحوا مدينة صيدا ثم مدينة جبيل وضبط أمير الجيوش البلاد وولي عليها العمال.

وفي سنة أربع وثمانين استولى الفريج على جزيرة صقلية، وكان أمير الجيوش قد ول على مدينة صور منير الدولة الجيوشى من طائفته، فانتقض سنة ست وثمانين، وبعث إليه أمير الجيوش

وكان حاججاً لصاحب دمشق، واستكشفاه فيما وراء بابه.

ثم مات صاحب دمشق فقام بالأمور إلى أن وصل الأمير على دمشق، وهو ابن منير فسار هو إلى مصر وترقى في الولايات إلى أن ولـى عكا وظهر منه كفابة وأضطلاع.

ولما وقع بالمستنصر ما وقع من استيلاء الترك عليه والفساد والتضييق، استقدم بدرًا الجمالى لولاية الأمور بالحضر، فاستأذن في الاستئثار من الجند لغدر من تغلب من جند مصر فاذن له في ذلك، وركب البحر من عكا في عشرة مراكب، ومعه جند كثيف من الأرمـن وغيرـهم، فوصل إلى مصر، وحضر عند الخليفة فولـاه ما وراء بـابـه، وخلـع عليه بالعقد المنظـوم بالجرـهـرـ مـكانـ الطـوقـ، ولـقبـهـ بالـسـيدـ الـأـجـلـ أـمـيرـ الـجـيـوـشـ، مـثـلـ ولـيـ دـمـشـقـ، وأـضـيفـ إلى ذلك كـافـلـ قـصـةـ الـمـسـلـمـينـ، وـداعـيـ دـعـةـ الـمـؤـمـنـينـ، وـرتـبـ الـرـوـزـارـةـ وزـادـهـ سـيفـهـ وـردـ الـأـمـورـ كـلـهـ إـلـيـهـ، وـمنـهـ إـلـىـ الـخـلـيـفـةـ، وـعـاصـهـهـ الـخـلـيـفـةـ عـلـىـ ذـلـكـ، وـجـعـلـ إـلـيـهـ لـوـلـيـةـ الدـعـاـةـ وـالـقـضـاءـ، وـكـانـ مـبـالـغاـ فيـ مـنـهـبـ الـإـمـامـيـةـ، فـقـامـ بـالـأـمـورـ وـاسـتـرـدـ مـاـ كانـ تـغـلـبـ عـلـيـهـ أـهـلـ الـنـوـاحـيـ مـثـلـ اـبـنـ عـمـارـ بـطـرـابـلـسـ وـابـنـ مـعـرـفـ بـعـسـقـلـانـ وـيـنـيـ عـقـلـ بـصـورـ.

ثم استرد من القواد والأمراء بمصر جميع ما أخذوه أيام الفتنة من المستنصر من الأموال والأمتمة.

وسار إلى دمياط وقد تغلب عليها جماعة من المفسدين من العرب وغيرهم، فأثخن في لواطه بالقتل والنهب في الرجال والنساء وسبى نساءهم وغضّ خيولهم.

ثم سار إلى جهة نوبة وقد ثاروا ومحهم قوم من بني جضر فلقيهم على طرح العليا سنة تسع وستين فهزمهم وأثخن فيهم وغضّ أموالهم.

ثم سار إلى أسوان وقد تغلب عليها كتز الدولة محمد فقتلها وملكها، وأحسن إلى الرعايا ونظم حالم وأسقط عنهم الخراج ثلاثة سنين، وعادت الدولة إلى أحسن ما كانت عليه.

## وصول الغز إلى الشام واستيلاؤهم عليه وحصارهم مصر

كان السلجوقيه وعساكرهم من الغز قد استولوا في هذا العصر على خراسان والعراقين وبنداد، وملکهم طغرليسك، وانتشرت عساكرهم في سائر الأقطار، وزحف إنسز بن أنسز من أمراء السلطان ملك شاه وسماء الشاميرن أنسفس وال صحيح هذا،

هذه للقتلة، ويقال: إن الحسين بن الصباح رئيس الإمامية بالعراق قصد المستنصر في زي تاجر، وسأله إقامة الدعوة له ببلاد العجم فاذن له في ذلك، وقال له الحسين: من إمامي بعدك؟ فقال: ابني نزار فسار ابن الصباح ودعا الناس ببلاد العجم إليه سراً.

ثم ظهر أمره وملك القلاع هنالك مثل قلعة الموت وغيرها كما ذكره في أخبار الإمامية، وهم من أجل هذا الخبر يقولون بإمامية نزار.

ولما ولى المستعلي خرج ثغر عن طاعته ورلي عليه واليه كشيلة ويعث المستعلي العساكر فحاصره، ثم اقتحموا عليه وحملوه إلى مصر قتل بها سنة إحدى وتسعين وأربعين.

وكان تشن صاحب الشام قد مات واختلف بعده ابناء رضوان ودقاق، وكان دقاق بدمشق ورضوان هلب خطيب رضوان في أعماله للمستعلي بالله أيامًا قلائل ثم عاود الخطبة للعباسين.

العواشر فثار به أهل المدينة، واقتحمت عليهم العساكر وبعث منبر الدولة إلى مصر في جماعة من أصحابه فقتلوا كلهم.

ثم توفي أمير الجيوش بدر الجمالي سنة سبع وثمانين في ربيع الأول لثمانين سنة من عمره.

وكان له موليان أمين الدولة لاويز ونصير الدولة أفتكتين، فلما قضى بدر غبه استدعى المستنصر لاويز ليقلده فأنكر ذلك أفتكتين وركب في الجبل وشعبوا على القصر وأسمعوا خشن الكلام فرجع إلى ولاية ولد بدر، وقدم للوزارة ابنه محمد الملك أبي القاسم شاه، ولقبه بالأفضل مثل لقب أبيه.

وكان أبو القاسم بن المقرى رديفًا لبدر في وزارته مما كان اختصه بذلك، فولى بعد موته الوزارة المقرى وكانت عندهم عبارة عن التوقيع بالقلم الغليظ.

وقام الأفضل أبو القاسم بالدولة وجرى على سنن أبيه في الاستبداد، وكانت وفاة المستنصر قريباً من ولادته.

## استيلاء الفرنج على بيت المقدس

## وفاة المستنصر وولاية ابنه المستعلي

كان بيت المقدس قد أقطعه تاج الدولة تش للأمير سليمان بن أرتق التركمانى، وقارن ذلك استفحال الفرنج واستطالتهم على الشام، وخروجهم سنة تسعين وأربعين، ومرروا بالقدسية وعبروا خليجها، وخلوا صاحب القدسية سليمان بحولوا بينه وبين صاحب الشام من السلاجقة والغز فنازلا أو لاً أنطاكية فأخذوها من يد باغيسيان، من قواد السلاجقة، وخرج منها هارباً فقتل بعض الأرمن في طريقه، وجاء برأسه إلى الفرنج بانتاكية.

وعظم الخطب على عساكر الشام وسار كربلا صاحب الموصل فنزل مرج دافق واجتمع إليه دقاق بن تشن، وسليمان بن أرتق، وطفتكين أتابك صاحب حصن وصاحب سنجار، وجمعوا من كان هنالك من الترك والعرب، وبادروا إلى أنطاكية ثلاثة عشر يوماً من حلول الفرنج بها.

وقد اجتمع ملوك الفرنج ومقدمهم بنميد، وخرج الفرنج وتصادموا مع المسلمين فانهزم المسلمون، وقتل الفرنج منهم الرفاء واستولوا على معسكلهم، وساروا إلى معمرة النعمان وحاصروها أيامًا، وهربت حاميتها، وقتلوا منها خمراً من مائة ألف، وصالحهم ابن منفذ على بلده شيزر، وحاصروا حصن فصالحهم عليها جناح الدولة، ثم حاصروا عكة فامتنعت عليهم، وأدرك العساكر الغز من الرهن ما لا يعبر عنه فطعموا أهل مصر بهم، وسار الأفضل بن بدر بالعواشر لاسترجاع بيت المقدس فحاصرها، وبها سقطمان وأبر

ثم توفي المستنصر معد بن الظاهر يوم التروية سنة سبع وثمانين لستين سنة من خلافته ويقال: لخمس وستين بعد أن لقيه أهواً وشدائد، وافتقت عليه فرق استهلك فيها أمواله وذخائره حتى لم يكن له إلا بساطه الذي يجلس عليه، وصار إلى حد العزل والخلع، حتى تدارك أمره باستقامه بدر الجمالي من عكا فتقوم أمره، ومكنته في خلافته.

ولما مات خلف من الولد أحد ونزاراً وأبا القاسم، وكان المستنصر فيما يقال قد عهد لنزار، وكانت بينه وبين أبي القاسم الأفضل عداوة، فخشى بادرته وداخل عنمه في ولاية أبي القاسم، على أن تكون لها كفالة الدولة، فشهدت بأن المستنصر عهد له بمحضر القاضي والداعي فبرع ابن ست، ولقب المستعلي بالله، وأكمله أخيه الأكبر على بيته، فقر إلى الإسكندرية بعد ثلاث، وبها نصير الدولة أفتكتين مولى بدر الجمالي الذي سعى للأفضل، فانتقض وبائع لنزار بعده ولقب المصطفى لدين الله.

وسار الأفضل بالعواشر وحاصرهم بالإسكندرية واستنزلهم على الأمان، وأعطيتهم اليدين على ذلك، وأركب نزاراً السفن إلى القاهرة وقتل بالقصر.

وجاء الأفضل ومعه أفتكتين أسيراً فاحتضره يوماً وينجح، فهم بالردد عليه قتل بالضرب بالعصي، وقال: لا يتناول اليدين

هزلية الفرج لعساكر مصر

ثم بعث الأفضل أمير الجيوش بمصر العساكر لقتال الفرنج  
مع سعد الدولة الفراسي أميراً ملوك أبيه، فلقي الفرنج بين الرملة  
ويافا ومقدهم بعذون فقاتلهم، وأنهزم وقتل واستولى الفرنج  
على معسكته فبعث الأنضل ابنه شرف المعالي في العساكر  
فبارزوهن قرب الرملة وهزمهم، واختفى بعذون في الشجر وغبا  
إلى الرملة مع جماعة من زعماء الفرنج، فحاصرهم شرف المعالي  
خمسة عشر يوماً حتى أخذتهم فقتل منهم أربعين ألفاً صبراً، وبعث  
ثلاثمائة إلى مصر ونجي بعذون للغزو، وسار بهم إلى عسقلان  
فهرب شرف المعالي وعاد إلى أبيه.

وملك الفرنج عسقلان وبعث العساكر في البر مع تاج العجم مولى أبيه إلى عسقلان، وبعث الأسطول في البحر إلى يافا مع القاضي ابن قادوس فبلغ إلى يافا واستدعاي تاج العجم وحبيبه.

ويُعثِّر جال الملك من مواليه إلى عسقلان مقدم العساكر الشامية.

ثم بعث الأفضل سنة ثمان وتسعين ابنه سنا الملك حسين وأمر جمال الملك بالسير معه لقتال الفرنج، فساروا في خمسة آلاف واستمدو طفتكين أبا ياك دمشق، فأمدتهم بالف وثلاثمائة، ولقوا الفرنج بين عسقلان ودمشق، ويفا فتقابلو بالقتل وتحاجروا، وافترق المسلمون إلى عسقلان ودمشق، وكان مع الفرنج بكتاش بن تشن عدل عنه طفتكن بالملك إلى ابن أخيه دقاق بن تشن، فلتحق بال распространен مغاضباً.

## استيلاء الفرنج على طرابلس وبيروت

كانت طرابلس رجعت إلى صاحب مصر وكان يحاصرها من الفرج ابن المرداني صاحب صيحيل، والمدد يأتيهم من مصر. فلما كانت سنة ثلاثة وخمسين وصل أسطول من الفرنج مع ويتدرين إلى صيحيل من قعدهم فنزل على طرابلس، وتشاجر مع المرداني فبادر بعذرين صاحب القدس وأصلاح بينهم، وزنلوا جيئاً على طرابلس والصقرا أبا رجهم بسورها، وتأخرت الميرية عنهم من مصر في البحر لركود البحر فاقتحمتها الفرج عنوة ثاني الأضحى من سنة ثلاثة وخمسين، وقتلوا ونبيوا وأسرروا وغثروا.

وكان واليها قد استأمن قبل فتحها في جماعة من الجنـد

الغازي إينا أرتن وابن أخيهما ياقوتى وابن عمها سوچ، ونصبوا عليهما نيفاً وأربعين منجنيناً، وأقاموا عليها نيفاً وأربعين يوماً، ثم ملکوها بالأمان في سنة تسعين.

وأحسن الأفضل إلى سقمان وأبي الغازى ومن معهما،  
وخلع سليمهم، فسار سقمان إلى بلد الراها وأبى الغازى إلى بلد  
العراق، وولى الأفضل على بيت المقدس ورجم إلى مصر.

ثم سارت الفرنج إلى بيت المقدس وحاصروه نفأً وأربعين يوماً، ونصبرا عليه برجين ثم اتّحوموها من الجانب الشمالي لسبعين بيّن من شعبان، واستباحوها أسبوعاً، وجلّ المسلمين إلى محرب داود عليه السلام واعتصموا به إلى أن استزدهم الفرنج بالأمان، وخرجوا إلى عسقلان وقتل بالمسجد عند الشجرة سبعون ألفاً، وأخذوا من المسجد نفأً وأربعين قتيلاً من الفضة يزن كل واحد منها ثلاثة آلاف وستمائة، وتتوّرا من الفضة يزن أربعين رطلاً بالشامي، ومائة وخمسين قتيلاً من الصفر وغير ذلك مما لا يكفي.

وأجلل أهل بيت المقدس وغيرهم من أهل الشام إلى بغداد باكين على ما أصاب الإسلام ببيت المقدس من القتل والسيء والنهب.

وبعث الخليفة أعيان العلماء إلى السلطان بركيارق وإخوته محمد وسنجر بالمسير إلى الجهاد فلم يتمكنا من ذلك، للخلاف الذي كان بينهم، ورجع الوند مؤسسين من نصرهم.

وفاة المستعلي وولادة ابنه الامر

ثم توفي المستعلي أبو القاسم أحد بن المستنصر متصرف صفر سنة خمس وستين لسبعين سنتين من خلافته، فبويوع ابنه أبو علي ابن خمس سنتين ولقب الأكسر باحكام الله، ولم يل الخلافة فيهم أصغر منه ومن المستنصر، فكان هذا لا يقدر على رکوب الفرس وحده.

من إقامة غيره والاعتماد عليه فيتعرض للخطر من مثلها إلى الامتناع منه.

ثم أشار عليه من مداخلة ثقته أبي عبد الله بن البطани في مثل ذلك فإنه يحسن تدبيره ويضع عليه من يغتاله، ويقتل به فيسلم عرضك.

وكان ابن البطани فرasha بالقصر، واستخلصه الأفضل ورقاه واستعجبه، فاستدعاه الامر وداخله في ذلك، ووعده بكلاته فوضع عليه رجلان فقتلاه مصر وهو سائر في موكيه من القاهرة متقدماً من خزانة السلاح في سنة خمس عشرة وخمسين، كان يفرق السلاح على العادة في الأعياد وثار الغبار في طريقه فانفرد عن المركب فبرده الرجال وطعنهم فسقط، وقتل، وحمله إلى داره وبه رقم فجاءه الامر متوجهاً وسأله عن ماله فقال: أما الظاهر فأبا الحسن بن أبي اسامة يعرفه، وكان أبوه قاضياً بالقاهرة وأصله من حلب، وأما الباطن فإن البطани يعرفه.

ثم قضى الأفضل نحبه لثمان وعشرين سنة من وزارته، واحتاط الامر على داره فوجده ستة آلاف كيس من الذهب العين، وخسرين أربداً من الورق، ومن الديساج الملون والماتع البغدادي والإسكندرى وطرف المند وأنواع الطيبون والعنبر والمسك ما لا يحصى، حتى لقد كان من ذخائره دكة عاج وأبنوس محللة بالفضة عليها عرم مثمن من العنبر زنته ألف رطل، وعلى العرم مثل طائر من الذهب بргلتين مرجاناً ومقنار زمرداً وعينان ياقوتان كان ينصبها في بيته ويوضع عرفها فيم التصر وصارت إلى صلاح الدين.

### ولاية ابن البطани

قال ابن الأثير: كان أبوه من جواسيس الأفضل بالعراق، ومات لم يخلف شيئاً، ثم ماتت أمه وتركه معلقاً، فتعلم البناء أولاً ثم صار يحمل الأمانة بالأأسواق، ويدخل بها على الأفضل فخف عليه واستخدمه مع الفراشين، وتقدم عنده واستعجبه، ولما قتل الأفضل ولاه الامر مكانه وكان يعرف بباب فاتت وابن القائد فدعاه الامر جلال الإسلام، ثم خليع عليه بعد ستين من ولادته للوزارة ولقبه المأمور، فجرى على سنتين الأفضل في الاستبداد ونكر ذلك الامر ونكر له، واستوحش المأمور وكان له أخ يلقب المؤمن فاستأذن الامر في بعثة إلى الإسكندرية لحمايةها ليكون له ردماً هنالك فاذن له، وسار معه القسروان وفيهم علي بن السمار وتابع الملك قاتلين، وستاً الملك الجمل ودرى الحروب وأمثالهم،

فلحقوا بدمشق، ووصل الأسطول بالمدد وكفاية سنة من الأقوات بعد فتحها ففرقوه في صور وصΐدا وبيروت، واستولى الفرنج على معظم سواحل الشام وإنما خصصنا هذه بالذكر في الدولة العلوية لأنها كانت من أعمالهم، وستذكر البقية في أخبار الفرنج إن شاء الله تعالى.

### استرجاع أهل مصر عسقلان

كان الأمير قد استولى على عسقلان وبها قائد من قوات شمس الخلافة، فدخل بغدوين صاحب بيت المقدس من الفرنج وهاده ليتمتع به على أهل مصر، وجهز أمير الجيوش عسكراً من مصر للقبض عليه إذا حضر وشعر بذلك، وانتقض وأخرج من عنده من أهل مصر، وخاف الأفضل أن يسلم عسقلان إلى الفرنج فاقره على عمله، وإرباب شمس الخلافة بأهل عسقلان والخذ بطالنة من الأرمن فاستوحش أهل البلد فثاروا به وقتلوا، ويعثروا إلى الامر والأفضل بذلك، فأرسل إليهم الوالي من مصر وأحسن إليهم واستقامت أحوالهم.

وحاصر بغدوين بعد ذلك مدينة صور وفيها عساكر الأرمن واشتد في حصارها بكل نوع، وكان بها عز الملك الأعز من أولياء الأمر فاستمد طفتين أتابك دمشق فامده بنفسه وطال الحصار، وحضر أوان الفلال فخشى الفرنج أن يفسد طفتين غلال بلدهم فأفروا جروا عنها إلى عكا وكفى الله شرهم.

ثم زحف بغدوين ملك الفرنج من القدس إلى مصر وبلغ ستين وسبعين في النيل فانتقض عليه جرح كان به، وعاد إلى القدس ومات، وعهد بملك القدس للقمص صاحب الرها، ولو لا ما نزل بملوك السلاجقة من الفتنة لكانتوا قد استرجعوا من الفرنج جميع ما ملكوه من الشام، ولكن الله خجا ذلك لصلاح الدين بن أيوب حتى فاز بذلك.

### مقتل الأفضل

قد قدمنا أن الامر ولاه الأفضل صغيراً ابن خس، فلما استجمع واشتد تذكر للأفضل ونقلت وطأته عليه فانتقل الأفضل إلى مصر ويني بها داراً ونزلاه، وخطب منه الأفضل ابنته فزوجها على كره منه وشارور الامر أصحابه في قتله، فقال له ابن عمه عبد المجيد وكان ملي عهده: لا تفعل وحذره سوء الأحداث لما اشتهر بين الناس من نصحه ونصح أبيه وحسن ولايتهما للدولة، ولابد

القاسم بن المستضيء معه، وقالوا: إن الأمر أوصى بأن فلانة حامل فدنته الرقبياً بأنها تلد ذكراً فهو الخليفة بعدي، وكفالته لم بد الحميد فاقاموه كافلاً ولقبوه الحافظ لدين الله، وذكروا من الوصية أن يكون هزير الملوك وزيراً والسعيد باس من موالي الأفضل صاحب الباب، وقرأوا السجل بذلك في دار الخلافة.

### ولاية أبي علي بن الأفضل الوزارة ومقتله

ولما تقرر الأمر على وزارة هزير الملوك، وخلع عليه أكثر ذلك الجندي وتولى كبر ذلك رضوان بن وخشن كبرهم. وكان أبو علي بن الأفضل حاضراً بالقصر فحشه برغش العادل على الخروج حسداً لصاحبه، وأوجده له السبيل إلى ذلك فخرج، وتعلق به الجندي وقالوا: هذا الوزير ابن الوزير، وتنصل فلم يقبلوا، وضرروا له خيبة بين القصرين وأحدقا به، وأغلقت أبواب القصر فتسوروه ووغلوا من طيقاته. واخضط الحافظ إلى عزل هزير الملوك، ثم قتله وولى أبو علي أحمد بن الأفضل الوزارة، وجلس بديست أخيه ورد الناس أموال الوزارة المقضية. واستبد على الحافظ ومنعه من التصرف، ونقل الأموال من الذخائر والقصر إلى داره، وكان إمامياً متشدداً فاشعار عليه الإمامية بإقامة الدعوة للقائم المنتظر.

وضرب الدراما باسمه دون الدناءة ونقش عليها: الله الصمد الإمام محمد، وهو الإمام المنتظر، وأسقط ذكر إسماعيل من الدعاء على المنابر، وذكر الحافظ وأسقط من الأذان حي على خير العمل، ونعت نفسه بعنوت أم الخطباء بذكرها على المنابر، وأراد قتل الحافظ حين قتله الأمر من أخوه، فإن الأمر أجهفهم عند نكبة الأفضل وقتلهم، فلم يقدر أبو علي على قتله فخلعه واعتقله.

وركب بنفسه في المواس وخطب للقائم مهراً فتذكر له أولياء الشيعة وعساياك الخلفاء، وداخل يائس الجندي من كاتمة وغيرهم في شأنه، واتفقوا على قتله، وترصد له قوم من الجندي فاعتراضوه خارج البلد، وهو في موكيه وهم يتلاعبون على الخيل، ثم اعتمدوه فطعنوه وقتلوه، وأخرجوا الحافظ من معقله وجددوا له البيعة بالخلافة، ونهب دار أبي علي.

وركب الحافظ وحمل ما بقي فيها إلى القصر واستوزر أبا الفتاح يائساً الحافظي، ولقبه أمير الجيوش، وكان عظيم المية بعيد

وأقام المأمون على استيحاش من الأمر وكثرت السعاية فيه وأنه يدعى أنه ولد نزار من جارية خرجت من القصر حاملاً به، وأنه بعث ابن محبيب الدولة إلى اليمن يدعو له، فبعث الأمر إلى اليمن في استكشاف ذلك.

### مقتل البطانجي

ولما كثرت السعاية فيه عند الأمر وتغير صدره عليه، كتب إلى القراط الذين كانوا مع أخيه بغير الإسكندرية بالوصول إلى دار الخلافة فهم لذلك على بن سلار فحضره، واستاذ المؤمن بعدiem في الوصول فاذن له.

وحضر رمضان من سنة تسع عشرة فجاؤوا إلى القصر للإفطار على العادة، ودخل المأمون والمؤمن قبض عليهم وحبسهما داخل القصر، وجلس الأمر من الغد في إيرانه وقرأ عليه وعلى الناس كتاباً بتعديل ذنبهما، وترك الأمر رتبة الوزارة خلواً، وأقام رجلين من أصحاب الدواوين يستخرجان الأموال من الخراج والزكاة والمكس، ثم عزّهما لظلمهما.

ثم حضر الرسول الذي بعثه إلى اليمن ليكشف خبر المأمون، وحضر ابن محبيب وداعيته فقتل وقتل المأمون وأخوه المؤمن.

### مقتل الأمر وخلافة الحافظ

كان الأمر مؤثراً للذاته طموحاً إلى العالي وقادعاً عنها، وكان يحدث نفسه بالنهوض إلى العراق في كل وقت، ثم يقصر عنه وكان يقرض الشعر قليلاً ومن قوله:

أصبحت لا لرجو ولا لقسى إلا إلهي ولله الفضل جدي نبي وأسامي أبيي ومن ذهبي التوحيد والمدل

وكانت الفداوية تحاول قتله فيتحرر منهم، وافتقد أن عشرة منهم اجتمعوا في بيته، وركب بعض الأيام إلى الروضة، ومر على الجسر بين الجزيرة ومصر فسبقوه فوقفوا في طريقه، فلما توسط الجسر انفرد عن المركب لضيقه، فوثبوا عليه وطعنوه وقتلوا لحيتهم، ومات هو قبل الوصول إلى منزله سنة أربع وعشرين وخمسة، لشغ وعشرين سنة ونصف من خلافته.

وكان قد استخلص ملوكين وهما برغش العادل وير عرار هزير الملوك، وكان يؤثر العادل منهم، فلما مات الأمر غيلوا في قيام المأمون عبد الحميد بالأمر وكان أقرب القرابة ستة وأربعين أبوه

واستقر رضوان في الوزارة ولقب بالأفضل وكان سنّيًّا، وكان أخوه إبراهيم إماميًّا، فاراد الاستبداد وأخذ في تقديم معارفه سيفاً وقلمًا.

وأسقط المكوس وعقب من تصدى لها، فتغير له الخليفة فاراد خلعه، وشاور في ذلك داعي الدعاة وفقهاء الإمامية قلم يعينه في ذلك بشيء.

وفضل له الحافظ فدم خسین فارساً ينادون في الطرقات بالشورة عليه، وبهضون باسم الحافظ فركب لوقته هارباً متصرف شوال سنة ثلاث وثلاثين، ونهبت داره، وركب الحافظ وسكن الناس، ونقل ما فيها إلى قصره.

وسار رضوان بريد الشام ليستجده الترك، وكان في جلته شاور وهو من مصطفيه، وأرسل الحافظ الأمير بن مصال ليرده على الأمان فرجع، وحبس في القصر، وقيل: وصل إلى سرحد فاكيره صاحبها أمين الدولة كمستكين، وأقام عنده ثم رجع إلى مصر سنة أربع وثلاثين فقاتلهم عند باب القصر وهزمهم.

ثم افترق عنه أصحابه وأرادوا العود إلى الشام فبعث عنه الحافظ بن مصال وجسه بالقصر إلى سنة ثلاث وأربعين ففُقد الجبس وهرب إلى الجيزة، وجمع المغاربة وغيرهم ورجع إلى القاهرة وزنل عند جامع الأقمر، وأرسل إلى الحافظ في المال لينفرقه فبعث عشرين ألفاً على عادتهم مع الوزير، ثم استزاد عشرين وعشرين، وفي خلال ذلك وضع الحافظ عليه جماعاً كثيراً من السودان فحملوا عليه وقتلوا وجاؤوا برأسه إلى الحافظ.

واستمر الحافظ في دولته مباشراً لأموره وأخلٍ رتبة الوزارة فلم يول أحداً بعده.

### وفاة الحافظ وولايته ابنه الظافر

ثم توفي الحافظ لدين الله عبد الحميد بن الأمير أبي القاسم أحمد بن المستنصر سنة أربع وأربعين لتنعم عشرة سنة ونصف من خلافته، وعن أبي العالية يقال: بلغ عمره سبعاً وسبعين سنة، ولم يزل في خلافته محجوراً في الوزارة، ولما مات ولد بعده ابنه أبو منصور إسماعيل بعده إليه بذلك ولقب الظافر بأمر الله.

### وزارة ابن مصال ثم ابن السلاط

كان الحافظ لما عهد لابنه الظافر أوصاه بوزارة ابن مصال فاستوزره أربعين يوماً وكان علي بن السلاط والياً على الإسكندرية

الغر، واستبد عليه فاستوحش كل متهم بما صاحبه. ويقال: إن الحاكم وضع له سنتاً في المستراح هلك به وذلك آخر ذي الحجة سنة ست وعشرين.

### قيام حسن بن الحافظ بأمر الدولة ومكره بأبيه ومهلكه

ولما هلك يائس أراد الحافظ أن يخلص دست الوزارة ليستريح من التعب الذي عرض منهم للدولة، وأجمع أن يفرض الأمور إلى ولده، وفوض إلى ابنه سليمان.

ومات لشهرين، فاقام ابنه الآخر حسناً فحدثه نفسه بالخلافة، وعزم على اعتقال أبيه، وداخل الأجناد في ذلك فاطاعوه، واطلع أبوه على أمره فقتله بهم يقال: إنه قتل منهم في ليلة أربعين، وبعث أبوه خادماً من القصر لقتله فهزمه حسن وبقي الحافظ محجوراً، وفسد أمره وبعث حسن بهرام الأرمي لخشداً الأرمن لاستظهار بهم على الجندي، وثاروا محسن وطلبوه من أبيه، ووقفوا بين القصرين وجعلوا الخطيب لإحراء القصر واستبشعوا الحافظ قتله بالحديد فأمر طبيه ابن فرقة عنه في ذلك سنة تسع وعشرين.

### وزارة بهرام ورضوان بعده

ومات حسن بن الحافظ ورحل بهرام لخشداً الأرمن اجتمع الجندي وكان بهرام كبيرهم ورأوا الحافظ على وزارته فوافقهم وخليع عليه وفوض إلى الأمور السلطانية، واستثنى عليه الشرعية، وتبعه تاج الدولة أفتکين في الدولة، واستعمل الأرمن وأهانوا المسلمين.

وكان رضوان بن ولحيش صاحب الباب، وهو الشجاع الكاتب من أولياء الدولة، وكان ينكر على بهرام وهزأ به، فولاه بهرام الغربية، ثم جمع رضوان وتأتي إلى القاهرة فقر بهرام وقد قُرُص في الفين من الأرمن، ووُجد أخيه قتيلًا فلم يعرض لأهل القرص، وباء بحق الخلافة، وصعد إلى أسوان فامتعمت عليه بكتز الدولة.

ثم بعث رضوان العساكر في طلبه مع أخيه الأكبر وهو إبراهيم الأوحد فاستنزله على الأمان له وللأرمن الذين معه، وجاء به فائزه الحافظ في القصر إلى أن مات على دينه.

في جماعة إلى بيت جدته، والعادل نائم فدخل إليه وضربه فلم يجهز عليه، وخرج إلى أصحابه.

ثم دخلوا جميعاً قاتلواه وجاؤوا برأسه إلى الظافر، ورجع عباس من بلبيس بالعساكر فاستوزره الظافر، وقام بالدولة وأحسن إلى الناس، وأيس أهل عسقلان من المدد فأسلموا أنفسهم ولله ثم بعد حصار طويل وكان ذلك كله سنة ثمان وأربعين.

### مقتل الظافر وأخوه وولاه ابنه الفائز

ولما ورز عباس للظافر، وقام بالدولة، كان ولده نصیر من ندمان الظافر، وكان يهواه كما تقدم.

وكان أسمة بن منقذ من خلصاء عباس وأصدقائه قبّع عليه سوء المقالة في ابنه، وأشار عليه بقتل الظافر فاستدعى ابنه نصيراً وقبّع عليه في شناعة الأحداث فيه بين الناس، وأغرىه بإغتال الظافر ليحرّو عنه ما يتحدث به الناس، فسأل نصیر من الظافر أن يأتي إلى بيته في دعوة فركب من القصر إليه فقتله نصير ومن جاء معه، ودفعهم في داره، وذلك في عمر ستة تسع وأربعين وياباً إلى القصر ولم ير الظافر، وسأل خدام القصر فأحسن العذر ورجع إلى أخرى الظافر يوسف وجبريل فخبرهما بركوب الظافر إلى دار نصیر فقالا له: خبر الوزير، فلما جاء عباس من الغد أخرجه بأنه ركب إلى بيته نصیر ابنه ولم يعد فاستشاط غيضاً عليه، ورماه بأنه داخل أخرىه في قتله.

ثم استدعاهم فقتلهم وقتل معهما ابنه هنالك لحسن بن الحافظ، ثم أخرج ابنه القاسم عيسى ابن حسن سنين وحمله على كتفه وأجلسه على سرير الملك وبايع له بالخلافة، ولقبه الفائز بالله ونقل عباس بسبب ذلك ما في القصر من الأموال والذخائر ما لا حد له.

وعند خروجه بأخره رأى القتلى فاضطرب وفزع وبقي سائر أيامه يعتاده الصراع.

### وزارة الصالح بن رزيك

ولما قتل الظافر وأخوه كما ذكرناه كتب النساء من القصر إلى طلائع بن رزيك وكان والياً على الأشمونين والبهنسة.

وجاء الخبر بأن الناس اختلفوا على عباس بسبب ذلك، فجتمع وقصد القاهرة ولبس السواد حزناً ورفع على الرماح الشعور التي بعث بها النساء حزناً.

ومعه بلارة بنت عمّه القاسم وابنه منها عباس وتزوجت بعده بابن السلاّر، وشبّ عباس وتقدّم عند الحافظ حتى ولـي الغريبة فلم يرض ابن السلاّر وزارة ابن مصال واتفق مع عباس على عزله، وبليغ الخبر إلى ابن مصال فشكى إلى الظافر فلم يشكه فقال ذوو الحروب: ليس هنا من يقاتل ابن السلاّر فغضب الظافر ودس عليه من بي على مصلحه فخرج إلى الصعيد، وقدم ابن السلاّر إلى القاهرة فاستوزره الظافر، وهو متكر له ولقبه العادل.

وبعث العساكر مع العباس ربيه في اتباع ابن مصال فخرج في طلبه.

وكان جماعة من لواتة السودان فتحصّنوا من عباس في جامع دولام فأحرقه عليهم، وقتل ابن مصال وجاء برأسه. وقام ابن سلاّر بالدولة وحفظ التراخيص وشد من مذاقه أهله.

وكان الخليفة مستوحشاً منه منكرأ له وهو مبالغ في الصيحة واللهم.

واستخدم الرجال لحراسته، فارتّاب له صيانته الخاص من حاشية الخليفة فاعتموا على قتله، وهي ذلك إليه فقبض على رؤوسهم فحبسهم، وقتل جماعة منهم وافتقرّوا، ولم يقدر الظافر على إنكار ذلك.

واحتُل ابن السلاّر بأمر عسقلان، ومنها من الفرنج وبعث إليها بالمد كل حين من الأقوات والأسلحة فلم يكن ذلك عنها، وملكها الفرنج وكان لذلك من الوهن على الدول ما تحدث به الناس.

ولما قتل العادل بن السلاّر صيانته الخاص تأكّد نكر الخليفة له، واشتهد قلقه.

وكان عباس بن أبي الفتوح صديقاً ملاطفاً له فكان يسكنه وبيهده، وكان لعباس ولد اسمه نصير، استخدمه الظافر واستدناه، ويقال كان يهواه، فقاوض العادل عباساً في شأن ابنه عن خالطة ابنه للظافر فلم يته ابنه، فنهى العادل جدته من السماح للولد أن يدخل إلى بيته فشق ذلك على نصير وعلى أبيه، وتنكر للعادل.

وزحف الفرنج إلى عسقلان فجهز العادل الجيوش والعساكر إليها مددًا مع ما كان يعدها به، ويعتمد مع عباس بن أبي الفتوح فارتّاب لذلك، وقاوض للظافر في قتل العادل وحضر معهم مؤيداً لدولته الأمير أسمة بن منقذ أحد أمراء شيزير، وكان مقرباً عند الظافر وصديقاً لعباس، فاستصوب ذلك وحثّ عليه، وخرج عباس بالعساكر إلى بلبيس، وأوصى ابنه نصير بقتله، فجاء

فوق اختياره على أبي محمد عبد الله بن يوسف قتيل عباس فبایع له بالخلافة وهو غلام، ولقبه العاضد لدين الله وزوجه ابنته وجهزها بما لم يسمع مثله.

### مقتل الصالح بن رزيك وولاية ابنه رزيك

ولما استفحلا أمر الصالح وعظم استبداده بجيشه الأموال والتصرف، وحجر العاضد تذكر له الحرم ودس إلى الأمراء بقتله. وتولت كبر ذلك عمة العاضد الصغرى التي كانت كافلة الفائز بعد أخيها.

وأجتمع قوم من القواد والسودان منهم الريفي الخادم وأبن الداعي والأمير بن قوام الدولة، وكان صاحب الباب وتوطئوا على قتله، ووقفوا في دهليز القصر، وأخرج ابن قوام الدولة الناس أمامه وهو خارج من القصر، واسترققه عنبر الريفي بمادته، وتقدم ابن رزيك فوق عليه جماعة منهم وجرحه، وضرب ابن الداعي الصالح فأثبته، وحمل إلى داره فبقي يحيى بنفسه يومه ذلك، وإذا أفاق يقول: رحمك الله يا عباس. ومات من اللد.

وبعد إلى العاضد يعتبه على ذلك فحلف على البراءة من ذلك، ونسبه إن العمدة، وأحضر ابنه رزيك وولاية الوزارة مكان أبيه، ولقبه العادل فأذن له في الأخذ بأمره، فقتل العمة وأبن قوام الدولة والأستاذ عنبر الريفي وقام بحمل الدولة، وأشير عليه بصرف شاور من قومن، وقد كان أبوه وأصهاره يقاتله وقال له: قد ندمت على ولائيه، ولم يكفي عزله، فصرقه وولى مكانه الأمير بن الرفعة فاضطرب شاور وخرج إلى طريق الراحتات وجمع وقصد القاهرة، وجاء الخبر إلى رزيك فعجز عن لقائه، وخرج في جماعة من غلمانه بعدة أحوال من المال والثياب والجوهر، وانتهى إلى طفيحة، واعتبره ابن النضر وبغض عليه، وجاء به إلى شاور فاعتقله واعتقل معه آخاه، فأراد المرب من محبسه فوشى به آخره فقتل لسنة من ولاته ولتسع سنين من ولاية أبيه.

### وزارة شاور ثم الضراغام من بعده

ودخل شاور القاهرة سنة ثمان وخمسين، ونزل بدار سعيد السعداء ومعه ولده طبن وشجاع والطازبي، وولاية العاضد الوزارة ولقبه أمير الجيوش، وأمكنته من أموال بني رزيك فاستتصفى معظمها، وزاد أهل الرواتب والجرایات عشرة أمثالها، واحتاجب عن الناس، وكان الصالح بن رزيك قد أنشأ في لوانة أمراء

ولما عبر البحر خرج عباس وولده ودفعوا ما قدرروا عليه من مال وسلاح من حاصل الدولة، ومعهما صديقهما أسامة بن منقد فاعتبر ضمهم الفرج، وقاتلوا فقتل عباس وأسر ولده ونجا أسامة إلى الشام، ودخل طلائع القاهرة في ربیع سنة تسعة وخمسين، وجاء إلى القصر راجلاً.

ثم مضى إلى دار عباس ومعه الخادم الذي حضر لقتله فاستخرجه من التراب ودفنه عند آبائه، وخلع الفائز عليه الوزارة ولقبه الصالح.

وكان إمامياً كاتباً أدبياً فقام بأمر الدولة، وشرع في جمع الأموال والنظر في الولايات.

وكان الأوحد بن عميم من قرابة عباس والياً على تيس، وكان لما سمع ب فعلة قربه عباس جمع وقصد القاهرة فسبقه طلائع، فلما استقل بالوزارة أعاده إلى عمله بدبياط وتيس.

ثم بعث في فداء نصير بن عباس من الفرج فجيء به وقتله وصلبه بباب زويلة.

ثم نظر في المزاحمين من أهل الدولة، ولم يكن أرفع رتبة من تاج الملوك قيماز وابن غالب، فوضع عليهم الجندي طلبيوهما فهربا وهب دورهمما، وتبعد كبراء الأمراء بفضل ذلك حتى خلا الجو، ووضع الرباء واللحجب على القصر، وقتل وطاته على الحرم، ودببت عمة الفائز في قتل الصالح، وفرقت الأموال في ذلك، وهي الخبر إليه فجاء إلى القصر، وأمر الأستاذين والصقالبة بقتلها فقتلواها سرآ، وصار الفائز في كفالة عمه الصغرى، وعظم اشتداد الفائز واستفحلا أمره، وأعطي الولايات للأمراء وافتقد مجلساً لأهل الأدب يسامرون فيه، وكان يفرض الشعر ولا يحييه.

وولى شاور السعدي على قرضه، وأشار عليه حجابه بصرفة، واستقدمه فامتنع وقال: إن عزلي دخلت بلاد النوبة.

وعلى عهده كان استيلاء نور الدين محمود الملك العادل على دمشق من يد ابن طغتكين أنسابك تشن سنة تسعة وأربعين وخمسة.

### وفاة الفائز وولاية العاضد

ثم توفي الفائز بننصر الله أبى القاسم عيسى بن الظافر إسماعيل سنة خمس وخمسين، لست سنتين من خلافته، وجاء الصالح بن رزيك إلى القصر وطلب الخدام بإحضار أبناء الخلفاء ليختار منهم، وعدل عن كبارهم إلى صغارائهم لكان استبداده،

ثم سار إلى الإسكندرية وهو يجيء الأموال في طريقه إلى أن وصلها، فاستأمن أهلها وملكتها، وولى عليها صلاح الدين يوسف بن أخيه نحيم الدين أيوب، ورجع إلى جبلة الصعيد.

واجتمع عساكر مصر والفرنج على القاهرة وأذاحوا عليهم وساروا إلى الإسكندرية وحاصروا بها صلاح الدين فسار أسد الدين إليهم من الصعيد، ثم خذله بعض من معه من التركمان بمدخلة شاور، وبعثوا له إنر ذلك في الصلح فصالحهم ورد إليهم الإسكندرية، ورجع إلى دمشق فدخلها آخر ذي القعدة من سنة اثنين وستين.

واستطاع الفرنج على أهل مصر وشرطوا عليهم أن يستنزلوا القاهرة وشحنته، وأن تكون أبوابها بآيديهم لثلاثة تدخل عساكر نور الدين، وقرر ضرورة يحملها كل سنة فاجابه إلى ذلك.

### رجوع أسد الدين إلى مصر ومقتل شاور وزارته

ثم طمع الإفرنج في مصر، واستطاعوا على أهلها وملكتها بلليس، واعترموا على قصد القاهرة.

وأمر شاور بتخريب مصر خشية عليها منهم فحرقت ونهب أهلها، ونزل الفرنج على القاهرة، وأرسل العااضد إلى نور الدين يستتجده، وخشي شاور من اتفاق العااضد ونور الدين، ف الداخل الفرنج في الصلح على النبي الف دينار مصرية معجلة وعشرة آلاف أردد من الرزوع، وحدّرهم أمر القهر إلى ذلك وكان فيه السفير الجليس بن عبد القوي وكان الشيخ الموفق كاتب السر وكان العااضد قد أمرهم بالرجوع إلى رايه وقال: هو رب الحرمة علينا وعلى آياتنا، وأهل النصيحة لنا.

فامر الكامل شجاع بن شاور القاضي الفاضل عبد الرحيم اليساني أن يائيه وشاوره، فقال له: قل لمولانا - يعني العااضد - إن تقرير الجزية للفرنج خير من دخول الغز للبلاد واطلاعهم على الأحوال.

ثم بعث نور الدين العساكر مع أسد الدين شيركوه مددًا للعااضد، كما سأله وبيعث معه صلاح الدين ابن أخيه وجامعة الأمراء، فلما سمع الفرنج بوصولهم أفرجوا عن القاهرة ورجعوا إلى بلادهم.

وقال ابن الطويل - مؤرخ دولة العبيدين -: إنه هزمهم على القاهرة ونهب معسكرهم ودخل أسد الدين إلى القاهرة في جادى

يسعون البرقية، وكان مقدمهم الضرغام، وكان صاحب الباب فائز شاور في الوزارة لستة أشهر من ولاته، وثار عليه وأخرجه من القاهرة، فلحق بالشام وقتل ولده علياً وكثيراً من أمراء المصريين حتى ضفت الدولة وخلت من الأعيان وأدى ذلك إلى خرابها.

### مسير شيركوه وعساكر نور الدين إلى مصر مع شاور

ولما لحق شاور إلى الشام نزل على الملك العادل نور الدين بدمشق صريباً، وشرط له ثلث الجباية على أن يقيم له العساكر، وجهز نور الدين شيركوه وكان مقدماً في دولته ويدرك سبب اتصاله به في موضعه، فساروا في جادى الآخرة ستة تسع وخمسين، وقد تقدم نور الدين إلى أسد الدين شيركوه بأن يبعد شاور إلى وزارته ويبيّن له من نازعه وسار نور الدين بعساكره إلى طرف بلاد الفرنج ليمنعهم من اعتراض أسد الدين إن همروا به، ولما وصل أسد الدين وشاور إلى بلليس لقيهم ناصر الدين همام وفخر الدين همام أبو الضرغام في عساكر مصر فهزمه، ورجع إلى القاهرة وقت رفقة الأمراء البرقية الذين أغروه بشاور.

ودخل أسد الدين القاهرة ومعه آخر الضرغام أسيراً وفر الضرغام قتل بالجسر عند مشهد السيدة نفيسة، وقتل آخراه وعاد شاور إلى وزارته وتذكر منها، ثم نكث عهده مع أسد الدين وسلطانه وصرفه إلى الشام.

### فتنة أسد الدين مع شاور وحصاره

ولما رجع أسد الدين من مصر إلى الشام أقام بها في خدمة نور الدين.

ثم استأنف نور الدين العادل ستة اثنين وستين في العود إلى مصر فاذن له، وجهزه في العساكر وسار إلى مصر ونازل بلاد الفرنج في طريقه.

ثم وصل إلى أقطبيع من ديار مصر، وعبر النيل إلى الجانب الغربي ونزل الحجزة، وتصرّف في البلاد الغربية نيفاً وخمسين، واستمد شاور الفرنج، وجاء بهم إلى مصر وخرج معهم للقاء أسد الدين شيركوه قادر كوه بالصعيد، فرجع للقائهم على رهب لكشة عددهم وصدقهم القتال فهزّهم على قلة من معه، فإنهم لم يبلغوا النبي فارس.

وقام صلاح الدين بوزارة مصر نائباً عن نور الدين يكتبه بالأمير الأصفهان ويشركه في الكتاب مع كافة الأمراء بالديار المصرية.

ثم استبد صلاح الدين بالأمور وضعف أمر العاضد وهدم دار المعرفة بصر، وكانت حسناً، وبنها مدرسة للشافعية وبني دار الغزل كذلك للملكية وعزل قضاة الشيعة وأقام قاضياً شافعياً في مصر، واستتاب في جميع البلاد.

### حصار الفرنج دمياط

ولما جاء أسد الدين وأصحابه إلى مصر وملكونها ودفعهم عنها، نذموا على ما فرطوا فيها، وانقطع عنهم ما كان يصل إليهم وخسروا غاللة الغز على بيت المقدس، وكتابوا الفرنج بصدقية والأندلس واستجدوهم، وجاءهم المدد من كل ناحية فنازلاً دمياط سنة خمس وستين وبها شمس الخواص منكورين فامدها صلاح الدين بالعساكر والأموال مع بهاء الدين قراقوش وأمراء الغز، واستمد نور الدين واعتذر عن المسير إليها بشأن مصر والشيعة فبعث نور الدين العساكر إليها شيئاً فشيئاً، وسار بنفسه إلى بلاد الفرنج بسواحل الشام فضيق عليهما، فأقلع الفرنج عن دمياط لخمسين يوماً من تزوالها فوجدوا بلادهم خراباً، وأثنى العاضد على صلاح الدين في ذلك.

ثم بعث صلاح الدين غرابة نجم الدين وأصحابه إلى مصر وركب العاضد للقائه تكريمه له.

### واقعة الخصيان وعمارة

ولما استقام الأمر لصلاح الدين بمصر غص به الشيعة وأولياً لهم، واجتمع منهم الموريش، وقاضي القضاة ابن كامل والأمير المعروف والكاتب عبد الصمد، وكان فصيحاً، وعمارة اليماني الشاعر الزبيدي، وكان متولى كبرها فاتنقروا على استدعاء الفرنج لخارج الغز من مصر، وجعلوا لهم نصيباً وأفراً من ارتفاعها، وعمدوا إلى شيء من خصيان القصر اسمه ثجاج ولقبه مؤمن الدولة، وكان قد ربي العاضد وصهره فاغروه بذلك، ورغبوا على أن يجمع رسول الفرنج بالعاضد فجمعاً معه في بيته ملباً بذلك، ولم يكن العاضد الذي حضر وأوهمه أنه عقد معه.

ثم اتصل الخبر بنجم الدين بن مصال من أولياء الشيعة، وكان نجم الدين قد اختصه صلاح الدين وولاية الإسكندرية، واستغرضه بهاء الدين قراقوش ببعض التزغات فظنوا أنه غصب

سنة أربع وستين وخليع عليه العاضد ورجع إلى معسكره، وفرضت له الجريات.

ويقى شاور على ريبة وخوف وهو ياطله فما يعين له من الأموال، ودس العاضد إلى أسد الدين بقتل شاور وقال: هذا غلامنا، ولا خير لك في بقائه ولا لنا، فبعث عليه صلاح الدين ابن أخيه، وعز الدين خرديك.

وجاء شاور إلى أسد الدين على عادته فوجده عند قبر الإمام الشافعي فسار إليه هنالك فاعترضه صلاح الدين وخرديك فقتلاه، ويعثأ برأسه إلى العاضد، ونهت العامة دوره، واعتقل أبناءه شجاع والطازري وجماعة من أصحابه بالقصر، وخليع عليه للوزارة واستقر في الأمر، وغلب على الدولة، وانقطع البلاط لعساكرة، واستعد أصحابه في لايها ورد أهل مصر إلى بلدتهم، وأنكر ما فعلوه في تخربيها.

ثم اجتمع بالعاضد مرة أخرى وقال له جوهر الأستاذ: يقول لك مولانا: لقد ثقنا أن الله ادخلك نصرة لنا على أعدائنا، فحلف له أسد الدين على النصيحة فقال له: الأمل فيك أعظم، وخليع عليه وحسن عنه موقع الجليس بن عبد القوي، وكان داعي الدعوة وقاضي القضاة فلقياه على مراته.

### وفاة أسد الدين وولاية صلاح الدين الوزارة

ثم توفي أسد الدين رحمه الله تعالى لشهرين في أيام قاتل من وزارته وقيل: لأحد عشر شهراً وأوصى أصحابه أن لا يفارقاً القاهرة.

ولما توفي كان معه جماعة من الأمراء التزيرية، منهم عين الدولة الفاروقى وقطب الدين نسال وعين الدين المشطوب المكاوى، وشهاب الدين محمود الحازمي، فتسارعوا في طلب الرياسة وفي الوزارة، وجمع كل أصحابه للمغابلة.

ومال العاضد إلى صلاح الدين لصغره وضعفه عنهم، ووافقه أهل دولته على ذلك بعد أن ذهب كثير منهم إلى دفع الغز وعساكرهم إلى الشرقية، ويولي عليهم قراقوش.

ومال آخرون إلى وزارة صلاح الدين، ومال العاضد إلى ذلك لكافأته عن خدمته السالفة، فاستدعاه ولاية الوزارة، وأضطرب أصحابه وكان الفقيه عيسى المكارى من خلصاء صلاح الدين فاستماهم إليه إلا عين الدولة الفاروقى، فإنه سار إلى الشام

من مصر والخطبة بها للمستضيء العباسى، وهو يماطل بذلك حذراً من استيلاء نور الدين عليه، ويغترب بتحقق المخالفة من أهل مصر في ذلك فلا يقبل.

ثم الزمه ذلك فاستاذن فيه أصحابه فأشاروا به، وأنه لا يمكن خلافة نور الدين.

ووفد عليه من علماء العجم الفقيه الخيشاني، وكان يدعى بالأخير العالم، فلما رأى إحجامهم عن هذه الخطبة قال: أنا أخطبها فلما كان أول جمعة من المحرم سنة سبع وستين وخمسة، صعد المنبر قبل الخطيب ودعا للمستنصر فلم يذكر أحد عليه، فامر صلاح الدين في الجمعة الثانية الخطباء بمصر والقاهرة أن يقطعوا خطبة العااضد وينقلوها للمستضيء ففعلاً، وكتب بذلك إلى سائر أعمال مصر.

وكان العااضد في شدة من المرض فلم يعلم أحد بذلك، وتوفي في عاشوراء من السنة، وجلس صلاح الدين للعزاء فيه واحتوى على قصر الخلافة بما فيه فحمله بهاء الدين قراقوش إليه، وكان في خزانتهم من النخيرة ما لم يسمع بمثله من أصناف الجواهر وال gioiaci والزمرد وحلي الثعب وآية الفضة والذهب، ووُجِد ماعون القصر من الموارد والطسوت والأباريق والقدور والصحاف والخوان وبالباقيل والنسائم والطيسافر والقباقب والأسورة، كل ذلك من الذهب.

ووُجِد من أنواع الطيوب واللباس والمنبهات والقرقيبات والمعلقات والوشي ما لا تُقْلِلُ الأوقار، ومن الكتب ما يناظر مائة وعشرين ألف سفر أعطاها للفاضل عبد الرحيم اليسانى كاتبه وقاضيه، ومن الظهر والكراع والسلام، ومن الخدم والوصائف خسین الفأ، ومن المال ما يملا مائة بيت.

ثم حبس رجالهم ونساءهم حتى ماتوا، وكانت بالدولة عند عهد العزيز والحاكم قد خلا جوها من رجالات كاتمة وتفرقوا في المشرق في سبيل ذلك الملك، وانقضوا بانقراض أمر الشيعة وموت العااضد آخر خلفائهم، وأكثتهم الأقطار والواقع شأن الدول كما ذكرناه من قبل.

ولما هلك العااضد وحول صلاح الدين الدعوة إلى العباسية، اجتمع قوم من الشيعة بمصر وبایعوا لدادود بن العااضد، وغبي خبرهم إلى صلاح الدين فقبض عليهم وقتلهم، وأخرج دادود من القصر وذلك سنة تسعة وستين وخمسة.

ثم خرج بعد حين ابنه سليمان بن دادود رضي الله تعالى عنه بالصعيد وبجهة، وتمكّن في قصره بخاطبه في قطع دعورهم

فأطلقه على شائهم، وأن يكون وزيراً وعمارة كاتب الدست وصاحب ديوان الإنشاء والمكاتب ممكان الفاضل بن كامل قاضي القضاة داعي الدعاة، وعبد الصمد جابي الأموال والموريس ناظراً عليه، فوافقهم ابن مصال ووشى بهم إلى صلاح الدين، فقبض عليهم وعلى رسول الفرج، وقررهم في عدة مجالس.

وأحضر زمام القصر وهو مختص بالغز ونكر عليه خروج العااضد إلى بيت نجاح فحلق على نفسه وعلى العااضد أن هذا لم يقع، وأخبر العااضد بطلب حضور نجاح مع مختص، فحضر وأعترف بالحق أن العااضد لم يحضر، فتحقق صلاح الدين براءته. وكان عمارة مجالس شمس الدولة تورنشاه فنقل لأخيه صلاح الدين أنه امتدحه بقصيدة يغري فيها بالمضي إلى اليمن، ويجعله على الاستبداد وأنه تعرض فيها للجانب التبسوبي، يوجب استباحة دمه وهو قوله:

فاختلق لنفسك ملكاً لا تضاف به إلى سواك وأور النصار في العلم هنا ابن تومرت قد كانت ولايته كما يقول الورى لحاماً على وضم وكان أول هذا الدين من رجال سعي إلى أن دعوه سيد الأمم فجمعهم صلاح الدين وشنفهم في يوم واحد بين القصرين، وأخر ابن كامل عنهم عشرين يوماً ثم شنقه، ومر عمارة بباب القاضي الفاضل، فطلب لقاءه فمنع فقال: وهو سائر إلى الشنقة: عبد الرحيم قد احتجب إن الخلاص هو العجب

وفي كتاب ابن الأثير: أن صلاح الدين إنما اطلع على أمرهم من كتابهم الذي كتبوه إلى الفرنجة، عشر على حامله وقريء الكتاب، وجيء به إلى صلاح الدين فقتل مؤمن الخليفة لقرينة، وعزل جميع الخدام واستعمل على القصر بهاء الدين قراقوش، وكان خصياً أيضاً، وغضب السودان لقتل مؤمن الخليفة وأجتمعوا في خسین الفأ وقاتلوا أجند صلاح الدين بين القصرين، وخلقوهم إلى بيوتهم فأضرموا ناراً، وأحرق أمراهم وأولادهم فانهزموا، وركهم السيف.

ثم استأموا وزلوا الجيزة وعبر إليهم شمس الدولة تورنشاه فاستلهمهم.

## قطع الخطبة للعااضد وانقراض الدولة العلوية بمصر

كان نور الدين العادل يوم استقل صلاح الدين بملك مصر وضعف أمر العااضد بها، وتحكم في قصره بخاطبه في قطع دعورهم

فاستباح معسكره وتردى على ابن حدون من بعض الشواهد فهلك سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة.

ولما انقضت فتنة أبي يزيد عقد النصور على المسيلة والزاب لمحفر بن علي بن حدون، وأنزله بها وأخاه بخي، واستجدوا بها سلطاناً ودولة، وبنوا القصور والمتزهات، واستفحلاً بها ملوكهم وقصدتهم بها العلماء والشعراء، وكان فيمن قصدهم ابن هانى شاعر الأندلس، وأمداحه فيهم معروفة مذكورة.

وكان بين جعفر هذا وبين زيري بن مناد عداوة جرتها المنافسة والمسامة في الدولة، فسأله أثر زيري فيه عند صدمته للمغرب وفتكه بزناته، وسعوا به إلى الخليفة والقبح له في جوانحه العداوة فكانت داعيته إلى زناته.

وتولى محمد بن خزر أمير مغراوة.

ثم إن المز لما اعتزم على الرحيل إلى القاهرة سنة اثنين وثلاثمائة استقدم جعفراً فاستراب جعفر وما بعaskره إلى زناته قبل قدومه، واقتصرت الرسائل بينه وبين صنهاجة والخليفة المعز، وشملت عليه زناته قبل قدومه واجتمعوا عليه، ودعا إلى تضض طاعة المز والدعاء للحاكم المستنصر، فوجدهم أقدم إجابة لها، وناهضهم زيري الحرب قبل استكمال التعبية، فكانت عليه من أمراء زناته فكباً بزيري فرسه فطاح، فقصوا رأسه ويعشاوا به مع جماعة من زناته إلى الحاكم المستنصر، فكرم الحاكم وفادتهم ونصب رأس زيري بسوق قربطة، وأسني جواهر الوفد ورفع منزلة بخي بن علي وأذن لجعفر في اللحاق بسته.

ولما علمت زناته أن يوسف بن زيري يطالبهم بدم أبيه أظهروا الغدر به، ورأى أن يتتجنب مجابيتهم لضيق ذات بيده، وعجز رؤساؤهم عن الذب والدفاع عنها، وقبضت الأيدي عن تناوله للذئب الفتنة ومراس العصبية، فألوخس الخليفة في نفسه والطف الخليفة في الفرار رغبة بمحيلته، وشحن السفن بما معه من المال والمتع والرقى، والخشيم وذخيرة السلطان، وأجاز البحر وطلق بسدة الخلافة من قربة وأجاز معه عظام الزانيين معطين الصفة على القيام بدعوه، والاحتطاب في جبل طاعته فكرم مثواهم وأجل وفادتهم وأحسن منصرفهم واتقلوا لمجده والتسبيع له، ومناغاة الأدارسة للقيام في خدمته بالغرب الأقصى، وبث دعورته، وتختلف عنهم أولاد علي بن حدون بالحضره وقاموا بسدة الخلافة، ونظموا في طبقات الوزراة وأجرت عليهم سنتين الأرزاق والتحقوا على حديث عهدهم بالقرم من أولياء الدولة.

ثم كان بعد ذلك شأن اعتمادهم على طريق التأديب

وظهر بعد حين مجدهم فاس بالغرب محمد بن عبد الله بن العاضد، ودعا هنالك وتسمى بالمهدي قتل وصلب.

ولم يبق للعبيد ذكر إلا في بلاد الحشيشة من العراق وهم دعاة الفداوية، وفي بلاد الإسماعيلية التي كانت فيها دعرتهم بالعراق.

وقام بها ابن الصباح في قلعة المرت وغيرها كما يذكر في أخبارهم، إلى أن انقضت تلك الدعوة أجمع باقطاع دعوة العابسين ببغداد على يد هولاكو من ولد جنكيزان ملوك التتر سنة حسن وحسين وستمائة، والأمر لله وحده.

هذه أخبار الفاطميين ملخصة من كتاب ابن الأثير ومن تاريخ دولتهم لابن الطوير وقليل من ابن المصححي جمعت ما أمكنني منها ملخصاً والله ولي العون.

## الخبر عن بنى حدون ملوك المسيلة والزاب بدعة العبيد ومال أمرهم

كان علي بن حدون أبوهم من أهل الأندلس وهو علي بن حدون بن سماك بن مسعود بن منصور الجذامي يعرف بابن الأندلس واتصل بعبيد الله وأبي القاسم بالشرق قبل شأن الدعوة، ويع فهو من طرابلس إلى عبد الله الشيعي فأحسن اللقاء والانصراف، وألزمهم أيام اعتمادهم بسجلماسة، فلما استفحلا ملوكهم جنباً أبا ضبيعة ورقوه إلى الرتب.

ولما راجع أبو القاسم من حرركه إلى المغرب سنة حسن عشرة وثلاثمائة، واختط مدينة المسيلة، استعمل علي بن حدون على بناتها وسمها الحمدية ولما تم بناؤها عقد له على الزاب وأنزله بها وسخنها بالأقوات التي كانت ميرة للعساكر عند محاصرة المتصور لأبي يزيد صاحب الحمار بجبل كاتمة.

ولم يزل والياً على الزاب وربى ابنه جعفرًا وبخي بدار أبي القاسم وكان جعفر سار إلى المز.

ولما كانت فتنة أبي يزيد وأضرمت إفريقيا ناراً وفتنة، وأهاب القائم بالأولياء من كل ناحية، كتب إلى ابن حدون أن يجند قبائل البربر ويواجهه، فنهض إلى المهديه في عسكر ضخم بقسطنطينة وهو يخشد كل من مر به في طريقه حتى وصل إلى شرق برارة.

ثم قارب باجة وكان بها أبيوب بن أبي يزيد في عسكر كبير من التكارية والبربر، فزحف إليهم وتناول الفريقان، ثم بعثه أبيوب

يزل بصر إلى أن هلك هنالك، والله وارث الأرض ومن عليها  
وهو خير الوارثين.

### الخبر عن القرامطة واستبداد أمرهم وما استقر لهم من الدولة بالبحرين وأخبارها إلى حين انفراطها

هذه الدعوة لم يظهرها أحد من أهل نسب العلوية ولا  
الطالبيين، وإنما قام بها دعاة المهدي من أهل البيت على اختلاف  
منهم في تعيين هذا المهدي كما ذكرنا.

وكان مدار دعوتهم على رجلين أحدهما يسمى الفرج بن  
عثمان القاشاني من دعاة المهدي ويسمى أيضاً كرويه بن مهديوه  
وهو الذي انتهى إليه دعائهم بسواد الكوفة، ثم بالعراق والشام،  
ولم يتم هؤلاء دولة، والأخر يسمى أبي سعيد الحسن بن بهرام  
الجوني، كانت دعورته بالبحرين واستقرت له هنالك دولة ولبيه.  
واتسب بعض مزاعمهم إلى دعاة الإمامية الذين كانوا  
بالقيروان كما ذكرنا.

ودعوى هؤلاء القرامطة في غاية الاضطراب مختلفة العقائد  
والقواعد، منافية للشريائع والإسلام في الكثير من مزاعمهم، وأول  
من قام بها بسواد الكوفة سنة ثمان وسبعين وستينين رجل أظهر  
الزهد والتتشف، وزعم أنه يدعو إلى المهدي وأن الصلوات  
المفروضة خسون كل يوم، واستجاب له جمع كبير ولقب فرمط  
وأصلها بالكاف، وكان يأخذ من كل من يحيي دعوته ديناراً  
للإمام، يجعل عليهم ثباته ومساهمة الحواريين، وشغل الناس  
بذلك عن شرورهم وحبسه عامل الناحية ففر من مجده ولم يوقف  
له على خبر، فازداد أتباعه فتنة فيه ثم زعم أنه الذي بشر به أحد  
بن محمد بن الحنفية، وأن أحد نبي.

وفشا هذا المذهب في السواد وقرأ بينهم كتاب زعموا أنه  
جاءهم من داعيه المهدي نصه بعد البسمة:

يقول الفرج بن عثمان: الحمد لله بكلمته وتعالى باسمه  
المنجد لأوليائه قل إن الأهلة مواقت للناس، ظاهرها تعلم عدد  
الستين والحساب والشهر والأيام، وباطنها أوليائي الذين عرفوا  
عبادي سيلي اتفقني يا أولي الأbab، وأنا الذي لا أسأل عما  
أفعل، وأنا العليم الحكيم، وأنا الذي أبلو عبادي وأستخبر خلقني،  
فمن صبر على بلاغي ومحني واحتباري قيتي في جنبي وأخلدته في  
نعمتي، ومن زال عن أمري وكذب رسلي أخلديه مهاناً في عذابي

لارتفاعاتهم أمراً خرقوا به حدود الآداب مع الخلافة،  
فاستدعوا إلى القصر واعتقلوا، ثم أطلقوا أيام قلائل لما انقضى  
الحكم في علة الفالج، وركدت ريح الرواية بالغرب، واحتاجت  
الدولة إلى رجالهم لسد الثغور ودفع العدو، واستدعي يحيى بن  
محمد بن هاشم من العدو، وكان والياً على فاس والمغرب، وأدله  
الحاجب المصفحي لجعفر بن علي بن حدون، وجعلوا بين الانفصال  
في مقارعة زناته بالعدوة والراحة مما يتوقع منه على الدولة عند من  
ولي الخلافة، لما كانوا صاروا إليه من الكبة وطرقوا الحنة فقدوا  
له وأخيه يحيى على المغرب، وخلعوا عليهما وأمكثهما من مال  
وكسى فاخرة للخلع على ملوك العدو، فنهض جعفر إلى المقرب  
سنة خمس وستين وسبعين، واجتمع إليه ملوك زناته منبني يفرن  
ومغراوة وسجلماسة.

ولما هلك الحكم وولي هشام، وقام بأمره المنصور بن أبي  
عامر، اقتصر لأول قيامه على سبعة من بلاد العدو فقضطها جند  
السلطان ورجال الدولة، وقلدها أرباب السيف والأقلام من  
الأولياء والخاصية وعدل في ضبطه على ما وراء ذلك على ملوك  
زناته وتقدthem بالجواز والخلع وصار إلى إكرام وفدهم وإثبات من  
رغبة الإثبات في ديوان السلطان منهم، فجذبوا في ولاية الدولة  
وبيت الدعوة، وفسد ما بين هذين الأمرين جعفر وأخيه، واقتطع  
يحيى مدينة البصرة لنفسه وذهب بأكثر الرجال، ثم كانت على  
جعفر الكبة التي تكبه بنو غراطة في غزارة إلقاء.

ثم استدعاه محمد بن أبي عامر لأول أمره لما رأى من  
الاستكانة إليه وشد أزره به وتقى عليه كراهته لما لقيه بالأندلس  
من الحكم، ثم أصبحه وتخلى أخيه عن عمل المغرب، وأجاز  
البحر إلى ابن أبي عامر فحل منه بالمكان الآخر.

ولما زحف بلکين إلى المغرب سنة تسع وستين زحفه  
المشهور خرج محمد بن أبي عامر من قرطبة إلى الجزيرة لمدافعته  
بنفسه، وأجاز جعفر بن علي إلى سبعة وعقد له على حرب بلکين  
وأمده بعنة حل من المال، وانضم إلى ملوك زناته ورجع عنهم  
بلکين كما ذكرنا.

ولما رجع إلى ابن أبي عامر اغتاله في بعض ليسالي معاقرتهم  
وأعد له رجالاً في طريقه من سمه إلى داره فقتلوه سنة وخلق  
يحيى بن علي بمصر ونزل بدار العزيز وتلقاه بالبررة والتكريم،  
وط跋 به ثواؤه واستكفى به العظام، ولما استصرخ فلفول بن  
خرزون بالحاكم في استرجاع طرابلس من يد صنهاجة المتغلبين  
عليه، دفع إليه العساكر وعقد عليها ليحيى بن علي، واعترضه بنو  
قرة من الahlلين ببرقة ففلوه وفضوا جموعه ورجع إلى مصر ولم

بن إسماعيل الإمام وكونه أبا القاسم ولقبه الشيخ.  
ثم حول اسمه وادعى أنه محمد بن عبد الله وأنه كان يكتب  
هذا الاسم، وأن ناته التي يركبها مأمورة ومن تبعها منصور،  
فزحف إليه سبک مولى المتضد في العساكر فهزمهما، وقتل فسار  
إليه محمد بن أحد الطائي في العساكر فانهزمت القرامطة وجيء  
بعضمهم أخيراً فاختصره المتضد وقال:

هل تزعمون أن روح الله وإنبياه تحمل فيكم فتعصمكم من  
الزلل، وتوقفكم لصالح العمل؟ فقال له: يا هذا أرأيتك لو حللت  
روح إيليس فما ينفعك فاترك ما لا يعنيك إلى ما يعنيك.

قال له: قل فيما يعني! فقال له: قبض رسول الله صلوات الله عليه وسلم  
وأبوكعب العباس حي فلم يطلب هذا الأمر ولا بابيه أحد، ثم  
نبض أبو بكر واستخلف عمر وهو يرى العباس لم يهد إلى  
عمر ولا جعله من أهل الشورى، وكانوا ستة وفيهم الأقرب  
والبعد، وهذا إجماع منهم على دفع جدك عنها، فبماذا تستحقون  
أنتم الخلافة؟ فامر المتضد به فعذب وخلعت عظامه ثم قطع  
مرتين ثم قتل.

ثم زحف القرامطة إلى دمشق وعليها طفح مولى ابن  
طهرون سنة تسعين، واستصرخ باين سيده مصر، فجاء العساكر  
لإمداده فقاتلتهم مراراً وقتل يحيى بن ذكريوه المسمى بالشيخ في  
خلق من أصحابه، واجتمع قلهم على أخيه الحسين وتسمى أهدا  
أبا العباس وكانت في وجهه شامة يزعم أنها مقدسة، فلقب  
صاحب الشامة المهدى أمير المؤمنين، وأباه ابن عمته عيسى بن  
مهدى وهو عبد الله بن أحد بن محمد بن إسماعيل الإمام ولقبه  
المذر، وعهد إليه، وزعم أنه المذكور في القرآن ولقب غلاماً من  
أهل المطروح.

ثم دعا الناس فأجابه كثير من أهل البوادي وسار إلى دمشق  
فحاصرها حتى صاحبوا على مال ودفعوه له.

ثم سار إلى حصن وحاة والمصرة وبعلبك، فخطب له بها  
وابتهاجا جميعاً.

ثم إلى سليمية وبها جماعة من بنى هاشم فاستلهمهم حتى  
الصياغ بالكتاب والبهائم.

ثم خرج المكتفي إليه وقدم عساكره، فكبّهم ولنجا قلهم إلى  
حلب، وانتهى المكتفي إلى الرقة، وقد سار بدر مولى ابن طهرون في  
اتباع القرامطة فهزمهما واثنخ فيهم وبعث المكتفي العساكر مع  
يعقوب بن سليمان الكاتب، وفيهم الحسين بن حمدان من بنى تغلب  
ومعهم بنو شيبان فوقعوا القرامطة سنة إحدى وستين فهزموهم،

وأقامت أجلي وأظهرت على السنة رسلي، فأنا الذي لا ينكح  
على جبار إلا وضعته، ولا عزيز إلا ذلته، فليس الذي أصر على  
أمره ودام على جهالته، وقال: لن نربح عليه عاكفين وبه مؤمنين،  
أولئك هم الكافرون.

ثم يركع ويقول في ركوعه مرتبين سبحانه رب العزة  
تعالى عما يصف الطالعون، وفي سجوده: الله أعلى مرتبين الله  
أعظم مرة، والصوم مشروع يوم المهرجان والتبريز والنبيذ حرام  
والخم حلال، والغسل من الجنابة كالوضوء، ولا يؤكل ذو ناب  
ولا ذو مخلب.

ومن خالق وحارب وجوب قتله ومن لم يحارب أخذت منه  
الجزية انتهى.

إلى غير ذلك من دعاوي شبيهة متعارضة يهدى بعضها  
بعضاً. وتشهد عليهم بالكذب.

والذي حملهم على ذلك إنما هو ما اشتهر بين الشيعة من  
أمر المهدى مستدين فيه إلى الأحاديث التي خرجها بعضهم وقد  
أربناك عللها في مقدمة الكتاب في باب الفاطمي فلهجوا به،  
 وبالدعاة إليه فمن الصادق فمين يعنيه وإن كان كاذباً في  
استحقاقه، ومنهم من بنى أمره على الكذب والاتحال، عسا  
يستولي بذلك على حظ من الدنيا ينال بها صفة.

وقد يقال: إن ظهور هذا الرجل كان قبل مقتل صاحب  
الزنج وإنه سار على الأمان، وقال له: إن ورائي مائة ألف سيف  
فناظرني لعلنا نتفق ونتعاون.

ثم اختلقا وانصرف قرمط عنه، وكان يسمى نفسه القائم  
بالحق.

وزعم بعض الناس أنه كان يرى رأى الأزارقة من الخارج.  
ثم زحف إليه أحد بن محمد الطائي صاحب الكوفة في

العواشر فأوقع بهم وفتوك بهم، وتسابع العساكر في السواد في  
طلبهم وأبادوهم، وفر هو إلى أحياه العرب فلم يحبه أحد منهم،  
فاختفى في التفر في جب بناه وانحده لذلك، وجعل عليه باب  
حديد وانخذل بجانبه تنوراً سحراً إن أرهقه الطلب فلا يفطن له.

ولما اختفى في الجب بعث أولاده في كلب بن دربة بأنهم من  
ولد إسماعيل الإمام مستجيرون بهم.

ثم دعوا إلى دعرتهم أثناء ذلك وكانت ثلاثة يحيى وحسين  
وعلي فلم يحبهم أحد إلى ذلك إلا بنو القليص بن ضمصم بن  
علي بن جناب، فبایعوا ليحيى على أنه يحيى بن عبد الله بن محمد

الصهايل ورجعوا.

ونهب القرامطة الحاج وقتلوهم بعد أن قاتلواهم ثلاثة على غير ماء فاستسلموا، وغنموا مأواهم وأموال التجار وأموال بنى طلولون كانوا نقلوها من مصر إلى مكة، ثم من مكة إلى بغداد عندما أجمعوا التقل إليها.

ثم حاصر القرامطة بقية الحاج في حصن، قبل فامتنعوا، وجهز المكتفي العساكر مع وصيف بن صوارتكين وجاءة من القراد، فساروا على طريق خفان، وأدركوا القرامطة فقاتلواهم يومين، ثم هزمواهم وضرب ذكره عليه رأسه فانهش وجيء به أسيراً وخلقيفة القاسم وابنه وكاته وزوجته، ومات لخمس أيام فسيق شلوه إلى بغداد، وصلب وبعث برأسه إلى خراسان من أجل الحاج الذين نهبوهم من أهلها، ونجا الفيل من أصحابه إلى الشام، فأوقع بهم الحسين بن حمدان واستلمهم، وتبعوا بالقتل في نواحي الشام والعراق، وذلك ستة أربعين وستين وثلاثة.

## خبير قرامطة البحرين ودولة بنى الجنابي منها

وفي سنة إحدى وثمانين ومائتين جاء إلى القطبي من البحرين رجل تسمى بيعيبي بن المهدى وزعم أنه رسول من المهدى، وأنه قد قرب خروجه وقدد من أهل القطيف علي بن المعلى بن أحد الدبادى، وكان متغلاً في التشيع فجمع الشيعة وأقر لهم كتاب المهدى، وشنع الخبر فيسائر قرى البحرين فأجابوا كلهم، وفيهم أبو سعيد الجنابي واسمه الحسن بن بهرام وكان من عظمائهم.

ثم غاب عنهم يحيى بن المهدى مدة ورجع بكتاب المهدى يشكرون على إجابتهم ويأمرهم أن يدفعوا ليعيبي ستة دنانير وثلاثين عن كل رجل فدفعوها.

ثم غاب وجاء بكتاب آخر يأمرهم أن يدفعوا إليه خمس أموالهم فدفعوها، وقام بتزدد في قبائل قيس.

ثم أظهر أبو سعيد الجنابي الدعوة بالبحرين ستة ثلاث وثمانين، واجتمع إليه القرامطة والأعراب، وسار إلى القطيف طالباً البصرة وكان عليها أحد بن محمد بن يحيى الواثقى فأدار السور على البصرة، وبعث المعتمد على بن عمر الشنوى، وكان على فارس فأقطعه اليمامة والبحرين، وضم إليه الفين من المقاتلة وسيره إلى البصرة فاحتشد وخرج للقاء الجنابي ومن معه، ورجع

وقتل منهم خلق من أصحاب القرمطي ونجا ابنه أبو القاسم بعض ذريته، وسار هو مستخفياً إلى ناحية الكوفة ومعه المدرس والمطرق وغلام له، وانتهوا إلى الرحبة فوشى بهم إلى العامل فقبض عليهم، وبعث بهم إلى المكتفي بالرقة ورجع إلى بغداد فقتلهم بعد أن ضرب صاحب الشامة مائي سوط.

وأما علي بن ذكريوه ففر بعد مقتل أخيه يحيى على دمشق إلى ناحية الفرات، واجتمع إليه فل من القرامطة فاستباح طبرية.

ثم لما اتبعهم الحسين بن حمدان فر إلى البصرة، واجتمع إليه دعاتهم هناك وتغلب على كثير من مدنه، وقدد صناعة فهرب عنها ابن يعفر فاستباحها وتخافى عن صعدة للذمة العلوية بينه وبينبني الرسسى، ونازل بي زيد بن ييد، ومات في نواحي اليمن، وفي خلال ذلك بعث أبوه ذكريوه إلى بني القليص بعد أن كانوا استكروا وأقاموا بالسماء، فبعث إليهم من أصحابه عبد الله بن سعيد ويسى أبي غام فجاءهم بكتابه ستة ثلاث وستين بأنه أوحى إليه بأن صاحب الشامة وأخاه الشيخ مقبلان، وأن إمامه يظهر من بعدهما ويملا الأرض عدلاً، وظهر وطاب أبو غام على إحياء كلب فاجتمع إليه جماعة منهم، وقدد صناعة بصرى وأذرعات، ونازل دمشق وعاملها برمذن أحد بن كيبلة وهو غائب بمصر في محاربة الجلبي الثائر من شيعة بني طلولون على عساكر المكتفي، وقابله خلفاؤه فهزهم وقتل بعضهم وسار إلى الأردن فقتل عاملها، ونهب طبرية وبعث المكتفي الحسين بن حمدان في العساكر ففر أبو غام إلى السماء وغرر مياهها، وابتعد العساكر إلى أن جدهم العطش.

ثم رجع الحسين بهم إلى الرحبة، وقبل: إنهم تقضوا على أبي غام وقتلوه، واقترب جعهم وذلك ستة ثلاث وستين.

## ظهور ذكريوه ومقتله

ثم اجتمع القرامطة إلى ذكريوه وأخرجوه من الجب الذي كان يختفيا فيه منذ عشرين سنة، وحضر عنده دعاتهم فاستخلف عليهم أحد بن القاسم بن أحد، وعرفهم بالله عليهم من الشنة، وأن رشادهم في امثال أمره، ورمز لهم في ذلك بآيات من القرآن حرفاً تأولها، وسار وهو محتجب يدعونه السيد ولا يرونـه، والقاسم يأشـر الأمور ويتولاها، وبعث المكتفي عساكره فهزـهم القرامطة بالسواد، وغنـموا مسـكـرـهم، وساروا لاعتراض الحاج ومرـوا بالصـوانـ، وحاـصـروا الراـقصـة فـامـتـعـتـ عـلـيـهـمـ، وـطـمـواـ الـكـارـ، وـالمـاءـ فيـ تـلـكـ النـواـحيـ وبـعـثـ المـكتـفيـ مـحـمـدـ بـنـ إـسـحـاقـ بـنـ كـدـاجـ

عنه عند اللقاء بنسو ضبة فانهزم وأسره الجنابي واحتوى على بغداد وسار هو إلى الرحمة واستباحها ودخل بلاد الجزيرة بسراياه.

وسار إلى هشت والكرفة، وقاتل الرقة فامتنعت عليه، وفرض الأئمّة على أعراب الجزيرة يحملونها إلى هجر، ودخل في دعوه جماعة من بنى سليم بن منصور وبني عامر بن صعصعة.

وخرج إليه هارون بن غريب الحال فانتصر أبو طاهر إلى البرية وظفر هارون بفريق منهم فقتلهم وعاد إلى بغداد.

وفي سنة سبع عشرة هجم على مكة وقتل كثيراً من الحاج ومن أهلها ونهب أموالهم جميعاً وقلع باب البيت والميزاب، وقسم كسوة البيت في أصحابه، وقتل الحجر الأسود واصرخ به وأراد أن يجعل الحج عنده، وكتب إليه عبيد الله المهدى من القيروان يومئذ على ذلك، ويتهده، فكتب إليه بالعجز عن رده من الناس ووعد برد الحجر، فرده ستة تسع وتلائين بعد أن خاطبه منصور إسماعيل من القيروان في رده فردوه، وقد كان الحكم المتغلب على الدولة ببغداد أيام المستكفي بذلك لم يحسن الفاً من النهب على أن يردوه فأبواه، وزعموا أنهم إنما حلوا به بأمر إمامهم عبيد الله، وإنما يردونه بأمره وأمر خليفته.

وأقام أبو طاهر بالبحرين وهو يتعاهد العراق والشام بالغزو حتى ضربت له الآثار ببغداد ويدمشق على بنى طفع.

ثم هلك أبو طاهر سنة اثنين وتلائين لإحدى وتلائين سنة من ملوكه، ومات عن عشرة منولد كبيرهم سابور، ولي آخره الأكبر أحمد بن الحسن، واختلف بعض العقدانية عليه وما زالوا إلى ولادة سابور بن أبي طاهر، وكانترا القائم في ذلك فجاء جوابه بولادة الأخ أحد، وأن يكون الولد سابور ولـي عهده، فاستقر أحد في الولاية عليهم وكثـرـوا منصور، وهو الذي رد الحجر الأسود إلى مكانه كما قلناه.

ثم قبض سابور على عمـهـ أبي منصور فاعتقلـهـ بمراقبـةـ إخـرـتهـ لهـ علىـ ذـلـكـ وـذـلـكـ سـنةـ ثـمـانـ وـخـسـينـ.

ثم ثارـهمـ آخرـهـ فـاخـرـجـهـ منـ الـاعـتـقالـ وـقـتـلـ سـابـورـ وـفـقـىـ إـخـرـتهـ وـأـشـيـاعـهـ إـلـىـ جـزـيرـةـ أـوـالـ.

ثم هلك أبو منصور ستة تسع وخمسين يقال مسموماً على يد شيعة سابور، وولي ابنه أبو علي الحسن بن أحد ويلقب الأعصم، وقيل: الأعنـمـ فـطـالـتـ مـدـتهـ وـعـظـمـتـ وـقـاتـعـهـ وـنـفـىـ جـمـعاـ

كثيرـاـ منـ ولـدـ أبيـ طـاهـرـ،ـ يـقـالـ:ـ اـجـتـمـعـ مـنـهـ بـجـزـيرـةـ أـوـالـ خـسـرـ منـ ثـلـاثـةـ نـهـارـ،ـ وـحـجـ حـدـثـ هـذـاـ الـأـعـصـمـ بـنـفـسـهـ وـلـمـ يـتـعـرـضـ لـلـحـاجـ وـلـاـ انـكـرـ الخطـبـةـ للـمـطـبـ.

عنـهـ عـنـ اللـقـاءـ بـنـسوـ ضـبـةـ فـانـهـزمـ وـأـسـرـهـ الـجـنـابـيـ وـاحـتـوىـ عـلـىـ معـسـكـرـ وـحـرـقـ الـأـسـرـىـ بـالـنـارـ.

ثمـ منـ عـلـىـ وـأـطـلـقـهـ فـسـارـ إـلـىـ الـأـبـلـةـ وـمـنـهـ إـلـىـ بـغـدـادـ،ـ وـسـارـ أـبـوـ سـعـيدـ إـلـىـ هـجـرـ فـمـلـكـهـ وـأـمـنـهـ،ـ وـاضـطـرـبـتـ الـبـرـصـةـ لـلـهـزـيـةـ وـهـمـ أـهـلـهـ بـالـأـرـحـالـ،ـ فـمـنـهـمـ الـرـاثـيـ.

وـمـنـ كـتـابـ أـبـنـ سـعـيدـ فـيـ خـبـرـ قـرـامـطـةـ الـبـحـرـيـنـ مـلـخـصـاـ مـنـ كـلـامـ الطـبـرـيـ فـلـعـلـهـ كـمـاـ ذـكـرـهـ.

قـالـ:ـ كـانـ اـبـدـاءـ أـمـرـ الـقـرـامـطـةـ سـنـةـ ثـمـانـ وـثـلـاثـمـائـةـ فـنـقـلـ الـكـلـامـ:ـ وـكـانـ أـبـوـ سـعـيدـ يـمـهـدـ لـابـنـهـ الـأـكـبـرـ سـعـيدـ فـلـمـ بـهـ وـثـارـ بـهـ أـخـرـ الـأـصـفـرـ الـظـاهـرـ سـلـيـمانـ فـقـتـلـهـ،ـ وـقـامـ بـأـمـرـهـ وـبـأـيـعـهـ الـعـقـدـانـيـةـ وـجـاءـ كـتـابـ عـيـدـ الـلـهـ الـمـهـدـيـ بـالـلـوـلـيـةـ.

وـفـيـ سـنـةـ سـتـ وـثـمـانـيـنـ وـصـلـ أـبـوـ القـاسـمـ القـاثـمـ إـلـىـ مـصـرـ،ـ وـاسـتـدـعـيـ أـبـاـ طـاهـرـ الـقـرـمـطـيـ وـاـنـتـظـرـهـ فـأـعـجلـهـ مـؤـنـسـ الـخـادـمـ عـنـ اـنـتـظـارـهـ وـسـارـ مـنـ قـبـلـ الـمـقـدـرـ فـهـزـمـهـ وـرـجـعـ إـلـىـ الـمـهـدـيـةـ.

ثـمـ سـارـ أـبـوـ الـطـاهـرـ سـنـةـ سـبـعـ إـلـىـ الـبـرـصـةـ فـاـسـتـبـاحـهـ وـرـجـعـ

وـاضـطـرـبـتـ بـغـدـادـ،ـ وـأـمـرـ الـمـقـدـرـ بـاـصـلـاحـ مـاـ تـلـمـ مـنـ سـورـهـ.

نـمـ زـحـفـ إـلـيـهـ أـبـوـ الـطـاهـرـ سـنـةـ إـحـدـيـ عـشـرـةـ فـاـسـتـبـاحـهـ

وـخـرـبـ الـجـامـعـ وـتـرـكـهـ خـرـبةـ.

ثـمـ خـرـجـ سـنـةـ اـثـنـيـ عـشـرـ لـاعـزـاضـ الـحـاجـ فـلـوـقـ بـهـ وـهـزـ

قـوـادـ السـلـطـانـ الـذـينـ كـانـواـ مـعـهـمـ،ـ وـأـسـرـ أـمـرـهـمـ أـبـاـ النـجـاهـ بـنـ حـمـدونـ وـاسـتـصـنـفـيـ النـسـاءـ وـالـصـيـبـانـ وـتـرـكـ الـبـاقـيـ بـالـبـرـيـةـ فـهـلـكـواـ.

ثـمـ خـرـجـ سـنـةـ أـرـبـعـ عـشـرـ إـلـىـ الـعـرـاقـ فـعـاثـ فـيـ السـوـادـ،ـ وـدـخـلـ الـكـرـفـةـ وـفـعـلـ فـيـهـ أـشـدـ مـنـ الـبـرـصـةـ.

وـفـيـ سـنـةـ أـرـبـعـ عـشـرـ وـقـعـ بـيـنـ الـعـقـدـانـيـةـ وـأـهـلـ الـبـحـرـيـنـ خـلـافـ فـخـرـجـ أـبـوـ الـطـاهـرـ وـبـيـنـ مـديـنـةـ الـأـحـسـاءـ وـسـمـاـهـ الـمـؤـنـيـةـ فـلـمـ تـعـرـفـ إـلـاـ بـهـ،ـ وـبـيـنـ قـصـرـهـ وـأـصـحـابـهـ حـولـهـ.

وـفـيـ سـنـةـ خـمـسـ عـشـرـ اـسـتـولـيـ عـلـىـ عـمـانـ وـهـرـبـ وـالـهـاـ فـيـ الـبـرـ إـلـىـ فـارـسـ.

وـزـحـفـ سـنـةـ سـتـ عـشـرـ إـلـىـ الـفـرـاتـ،ـ وـعـاثـ فـيـ بـلـادـهـ.

وـيـعـثـ الـمـقـدـرـ عـنـ يـوـسـفـ بـنـ أـبـيـ السـاجـ مـنـ اـذـريـجـانـ وـوـلـاهـ وـاسـطـ،ـ وـيـعـثـ لـحـرـيـهـ فـالـقـوـرـاـ بـظـاهـرـ الـكـرـفـةـ وـهـزـمـهـ أـبـوـ طـاهـرـ وـأـسـرـهـ.

وـأـرـجـفـ أـهـلـ بـغـدـادـ،ـ وـسـارـ أـبـوـ طـاهـرـ إـلـىـ الـأـنـبـارـ وـخـرـجـتـ

الـعـسـاـكـرـ مـنـ بـغـدـادـ لـدـفـاعـهـ مـعـ مـؤـنـسـ الـمـظـفـرـ وـهـارـونـ بـنـ غـرـبـ

الـحـالـ فـلـمـ يـطـيقـوـ دـفـاعـهـ،ـ وـتـوـافـقـوـ ثـمـ تـحـاجـزـوـ،ـ وـعـادـ مـؤـنـسـ إـلـىـ

## فتنة القرامطة مع المعز العلوي

الأعصم بطبرية منهزاً.

ثم ارتحل منها إلى الأحساء وأتکروا ما فعله الأعصم من الیعة لبني العباس، وانفقوا على إخراج الأمر عن ولد أبي سعيد الجنابي، وقدموا رجلىن منهم: وهما جعفر وإسحاق وسار بن أبي سعيد إلى جزيرة أوال.

وكان بنو أبي طاهر قبليهم فقتلوا كل من دخل إليهم من ولد أحد بن أبي سعيد وأشياعه.

ثم قام بأمر القرامطة جعفر وإسحاق هذان ورجعوا إلى دعوة العلوية وعازية بني بوبه، ورجعوا سنة أربع وستين إلى الكوفة فملکوها.

وبعث صمام الدولة بن بوبه العساكر إليهم فهزمهم على الفرات وقتل منهم خلق واتبعوهم إلى القadesية.

ثم اختلف جعفر وإسحاق وطبع كل منهما في الرياسة على صاحبه، وافتلق أمرهم وتلاشت دعوتهما إلى أن استولى الأصغر بن أبي الحسن الشعلاني سنة ثمان وعشرين عليهم، وملك الأحساء من أيديهم وأذهب دولتهم وخطب للطاغي واستقرت الدولة له ولبنيه.

## ذكر المغليين بالبحرين من العرب بعد القرامطة

كان باعمال البحرين خلق من العرب، وكان القرامطة يستجدونهم على أعدائهم ويستعينون بهم في حروبهم، وربما يحاربونهم ويقاطعونهم في بعض الأوقات، وكان أعظم قبائلهم هنالك بنو ثعلب وبني عقيل وبني سليم، وأظهراهم في الكثرة والعزّة بنو ثعلب.

ولما فشلت دولة القرامطة بالبحرين واستحكمت العداوة بينهم وبين بني بوبه بعد اقراض ملك بني الجنابي، وعظم اختلافهم عند القائم بدعاوة العباسية وكان خالصة للقرامطة وداعه إلى إذهاب دولتهم فأجابه، وداخل بني مكرم رؤساء عمان في مثل ذلك فاجابوه، واستولى الأصغر على البحرين وأورثها بنيه، واستولى بنو مكرم على عمان ثم غص بنو ثعلب بسلام واستعلنوا عليهم بني عقيل وطردوهم من البحرين، فساروا إلى مصر ومنها كان دخولهم إلى إفريقية كما يأتي.

ثم اختلف بنو ثعلب وبني عقيل بعد مدة وطردوهم بنو ثعلب إلى العراق فملکوا الكوفة والبلاد العراقية، وامتد ملك

ولما استولى جوهر قائد المعز لدين الله على مصر وعفتر بن فلاج الكتامي على دمشق طالب الحسن بالضريبة التي كانت له على دمشق فمنعوه ونابدوه، وكتب له المعز وأغلظ عليه ودس لشيعة أبي طاهر وبنيه أن الأمر لولده، وأطليع الحسن على ذلك فخلع المعز سنة اثنين وثلاثمائة وخطب للمطبي العبسي في متابرها ولبس السواد.

ثم زحف إلى دمشق وخرج جعفر بن فلاج لحربه، فهزمه الأعصم وقتله، وملك دمشق وسار إلى مصر فحاصر جوهر بها وضيق عليه.

ثم غدر به العرب وأجفلوا فأجفل معهم وعاد إلى الشام ونزل الرملة، وكتب إليه المعز سنة إحدى وستين بالفتح والتزيين، وعزله عن القرامطة وول بني أبي طاهر فخرجا من أوال ونبهوا الأحساء في غيبة، وكتب إليهم الطاعن العباسى بالتزام الطاعة، وأن يصلحوا ابن عمهم ويعيموا بمجزرها أوال وبعث من أحكم بينهم الصلح.

ثم سار الأعصم إلى الشام وخططاها دون صور فقاتلوه وراء الخندق، وبنزل جوهر المال للعرب فافتلقوا عنه، وانهزم ونهب مسكنه.

وجاء المعز من إفريقية ودخل القاهرة سنة ثلات وستين وسرح العساكر إلى الشام فاستولوا عليه، فنهض الأعصم إليهم فاواقع بهم، وأنخذ فيهم، وانتزع ما ملكوه من الشام، سار إلى مصر وبعث المعز لدين الله ابنه عبد الله فلقيهم على بليس وأنهزم الأعصم وفشا القتل والأسر في أصحابه فكانوا نحو من ثلاثة آلاف، ورجع الأعصم إلى الأحساء واستخلص المعز ببني البراج أمراء الشام من طبع حتى استرجع بهم ما غالب عليه القرامطة من الشام بعد حروب وحصار.

ثم مات المعز سنة خمس وستين، وطبع الأعصم في بلاد الشام، وكان أفتکين التركي مولى المعز الدولة بن بوبه لما انتقض على أبيه مختيار وهزمه ببغداد، سار أفتکين منهزاً إلى دمشق، وكانت ماضطرين فخرجا إليه وولوه عليهم، وصالح المعز إلى أن توفي فنابذ العزيز وبعث إليه جوهر في العساكر فحاصره، فكتب أفتکين إلى الأعصم واستدعاه فجاء إلى الشام سنة ست وستين.

ونخرج معه أفتکين، ونازلوا الرملة فملکوها من يد جوهر، وزحف إليهم العزيز وعزمهم، وتقپض على أفتکين، وخلف

(الأساء) بنانياً أبو طاهر القرمطي في المائة الثالثة، وسميت بذلك لما فيها من أحساء المياه في الرمال، ومراعي الإبل، وكانت للقرامطة بها دولة، وجالوا في أقطار الشام والعراق ومصر والخجاز وملكوا الشام وعمان.

(دارين) هي من بلاد البحرين ينسب إليها الطيب كما تنسب الرماح إلى الخط بجانبها فيقال: مسك دارين والرماح الخطية.

(عمان) وهي من ممالك جزيرة العرب المشتملة على اليمن والخجاز والشحر وحضرموت وعمان وهي خامسها، إقليم سلطاني متفرد على هجر فارس من غربه مسافة شهر، شرقها هجر فارس وجنوبها هجر الهند، وغريبهما بلاد حضرموت، وشماليها البحرين، كثرة النخل والفاواكه وبها مغناص المؤلو، سميت بعمان بن قحطان، أول من نزلها بولاية أخيه يعرب، وصارت بعد سهل العرم للأزرد.

وجاء الإسلام وملوكها بني الجلendi، والخوارج بها كبيرة. وكانت لهم حروب مع عمال بني بويه وقادتهم تروى، وملك عمان من البحر ملك فارس غير مرة، وهي في الإقليم الثاني، وبها مياه ويساتين وأسواق، وشجرها النخل. وكانت بها في الإسلام دولة لبني شامة بن لؤي بن غالب.

وكثير من نسبة قريش يدفعونهم عن هذا النسب، أو لهم بها محمد بن القاسم الشامي، بعثه المعتصم وأعانته ففتحها وطرد الخوارج إلى تروى قاعدة الجبال، وأقام الخطبة لبني العباس وتوارث ذلك بنوه، وأظهروا شعار السنة.

ثم اختلفوا سنة خمس وثلاثمائة وتحاربوا، ولحق بعضهم بالقرامطة، وأقاموا في فتنة إلى أن تغلب عليهم أبو طاهر القرمطي سنة سبع عشرة عند اقتلاعه الحجر وخطب بها لعبيد الله المهدي وتراجعت ولاة القرامطة عليها من سنة سبع عشرة إلى سنة خمس وسبعين.

فترهب وبأليها منهم، وزهد وملوكها أهل تروى الخوارج وقتلوا من كان بها من القرامطة والرافض، وبقيت في أيديهم ورياستها للأزرد منهم.

ثم سار بنو مكرم من وجوه عمان إلى بغداد، واستخدموها لبني بويه وأعلنوهم بالملأك من فارس، فملكوا مدينة عمان وطردوا الخوارج إلى جبالهم، وخطبوا لبني العباس.

ثم ضعفت دولة بني بويه ببغداد فاستبد بنو مكرم بعمان

الأصغر وطالت أيامه، وتغلب على الجزيرة والموصل وحارب بني عقيل سنة ثمان وثلاثين وأربعين سنة برأس عين من بلاد الجزيرة، وغض بشأنه نصير الدولة بن مروان صاحب ميافارقين وديار بكر فقام له، وجمع له الملوك من كل ناحية فهزمه واعتقله، ثم أطلقه ومات ويقي الملك متارشاً في بناته بالبحرين إلى أن ضعفوا وتلاشوا، وانقضت دولة بني عقيل بالجزيرة، وغلبهم عليها وعلى تلك البلاد أولئك الدولة السلاحقة، فتحولوا عنها إلى البحرين مواطنهم الأولى، ووجدوا بني ثعلب قد أدركهم الهرم، فغلبوا عليهم.

قال ابن سعيد: سالت أهل البحرين حين لقيتهم بالمدينة النبوية سنة إحدى وخمسين وستمائة عن البحرين، فقالوا: الملك فيها لبني عامر بن عوف بن عقيل وبنت ثعلب من جملة رعایاهم وبنت عصفور منهم أصحاب الأحساء.

و(الذكر) هنا نبذة في التعريف بكتاب القرامطة وأمصار البحرين وعمان لأن ذلك من توأمة أخبارهم.

(الكاتب): كان كاتبهم أبو الفتح الحسين بن محمد ويعرف بكشاجم، كان من أعلام الشعراء، وذكره الشعالي في الـبيتـة والـحـصـريـ في زـهـرـ الـآـدـابـ، وهو بـنـدـادـيـ الـمـولـدـ وـاشـتـهـرـ بـخـدـمـةـ القرامطة فيما ذكره البيهقي وكتب لهم بعده ابنه أبو الفتاح نصر، ولقبه كشاجم مثل أبيه وكان كاتباً للأعصم.

(البحرين): إقليم يسمى باسم مدنته، ويقال: هجر باسم مدينة أخرى منه وكانت حضرة، فخرتها القرامطة وبنو الأحساء وصارت حاضرة، وهذا الإقليم مسافة شهر على هجر فارس بين البصرة وعمان، شرقها هجر فارس، وغريبهما متصل باليمامة، وشماليها البصرة وجنوبها بعمان، كثيرة المياه يبطونها على القامة والقماتين، كثيرة البقل والفاواكه، مفرطة الحر منهالة الكبان، يغلب الرمل عليهم في منازلهم وهي من الإقليم الثاني، وبعضاها في الثالث، كانت في الجاهلية لعبد القيس وبكر بن وائل من ربيعة، وملكها للفرس، وعاملها من قبلهم المنذر بن ساوي التميمي.

ثم صارت رياستها صدر الإسلام لبني الجارودي ولم يكن ولاة بني العباس يتزرون هجر إلى أن ملكها أبو سعيد القرمطي بعد حصار ثلات سنين، واستباحها قتلاً وإحرافاً ونمريباً.

ثم بنى أبو طاهر مدينة الأحساء، وتولت دولة القرامطة وغلب على البحرين بنو أبي الحسن بن ثعلب، وبعدهم بنو عامر بن عقيل.

قال ابن سعيد: والملك الآن فيهم في بني عصفور.

## الخبر عن الإسماعيلية أهل الحصون بالعراق وفارس والشام

صلاة العيد بآخائهم فحبسهم الشحنة، ثم أطلقهم.

ثم استولوا بعد ذلك على الحصون والقلاع فأول قلعة

غابروا عليها قلعة عند فارس كان صاحبها على مذهبهم، فأتوا إليه  
وأجتمعوا عنده، وصاروا يخطفون الناس من السابلة وعظم

صرورهم بتلك التواحي.

ثم استولوا على قلعة أصفهان وأسمها شاه در، كان  
السلطان ملك شاه بناما وأنزل بها عامله، فاتصل به أحد بن  
غطاش، كان أبوه من مقدمي الباطنية وعنده أحد ابن الصباح  
وغيره منهم، وكان أحد هذا عظيماً فيهم لكان أبيه ورسوخه في  
العلم بينهم، فنظموه لذلك وتزوجوه وجعلوا له مالاً وقدموه  
عليهم، واتصل بصاحب القلعة فأثار مكانه وقلده الأمور حتى إذا  
توفي استول أحد بن غطاش على قلعة شاه در، وأطلق أيدي  
 أصحابه في نواحيها يخفون من كل ناحية.

ثم استولوا على قلعة الموت من نواحي قزوين وهي من  
بنيان الدليل، ومعنى هذا الاسم عندهم غسل العقاب، ويقال لتلك  
الناحية طالقان، وكانت في ضمانته الجعفري، فاستتاب بها عليراً  
وكان بالري أبو مسلم صهر نظام الملك، واتصل به الحسن بن  
الصباح، وكان بينهم عالماً بالتعاليم والتنجوم والسحر، وكان من  
جملة تلامذة ابن غطاش صاحب قلعة أصفهان، ثم اتهمه أبو  
مسلم بجماعة من دعاة المصريين عنده فهرب منه وجال في البلاد  
وانتهى إلى مصر فاكرمه المستنصر وأمره بدعاوة الناس إلى إمامته،  
وقال له الحسن: من الإمام بعدك؟ فأشار إلى إبنه نزار، وعاد من  
مصر إلى الشام والجزيرة وديار بكر وبلاط لرروم، ورجع إلى  
خراسان بقلعة الموت فنزل على العلوى، فاكرمه واعتقد البركة  
فيه، وأقام بها وهو يحاول إحكام أمره في مملكتها، فلما تم له من  
ذلك ما أراد أخرج العلوى منها وملكتها.

واتصل الخبر بنظام الملك فبعث العسكر لمحاربها فجدهم  
الحاصر، وبعث جماعة من الباطنية قاتلوا نظام الملك، ورجعت  
العساكر واستولوا أيضاً على قلعة طبس وما جاورها من قلاع  
قوهستان وهي زرون وقائد.

وكان رئيس قوهستان المور من أعقاب بني سيجور أمراء  
خراسان للسامانية، فطلبها عامل قوهستان وأراد اغتصاب إمامته،  
فاستدعي الإسماعيلية ومملكتهم هذه القلعة، واستولوا على قلعة  
خالنجان على خمسة فراسخ من أصفهان كانت لزيد الملك بن  
نظام الملك، وانتقلت إلى جاوي سقاور من أمراء الغز، وولي عليها  
بعض الترك فاتصل به بعض الباطنية وخدمه، وأهدى له حتى

وتارثوا ملوكها، وكان منهم مؤيد الدولة أبو القاسم علي بن ناصر  
الدولة الحسين بن مكرم، وكان ملكاً جواداً مدوحاً.

قال اليهقي: ومدحه مهيار الدليلمي وغيره، ومات سنة  
ثمان وعشرين وأربعين سنة بعد مدة طويلة في الملك.

وفي سنة اثنين وأربعين ضعف ملك بني مكرم وتغلب  
عليهم النساء والذكور، فزحف إليها الخوارج وملوكها، وقتلوا  
بقيهم وانقطع منها رسم الملك، وصار في حجر من مدر هذا  
الإقليم قلها هي عرصة عمان على بحر فارس من الإقليم الثاني  
وما يلي الشحر وحجار في شمالها إلى البحرين بينهما سبع  
مراحل، وهي في جبال منيعة، فلم تخرج إلى سور، وكان ملوكها  
سنة ثمان وأربعين ذكرياً بن عبد الملك الأزدي من ذرية رياسة.  
وكان الخوارج يتروى مدينة الشارة يديرون لهم، ويررون أنهم  
من ولد الجندي.

## الخبر عن الإسماعيلية أهل الحصون بالعراق وفارس والشام وسائر أمورهم ومصائرهم

هذا المنصب هو منصب القراءة وهو غلة الرافضة، وهو  
على ما رأيته من الاختلاف والاختلاف.  
ولم يزل متناقلًا في أهلها بالشام والعراق وخراسان وفارس  
والشام.

وأختلف بعضهم باختلاف الأعصار والأمسكار، وكأنوا  
يدعون أولاً قرامطة.

ثم قيل لهم بالعراق باطنية، ثم الإسماعيلية، ثم التزارية لما  
حدث من عهد المستضيء العلوي لابنه نزار، وقتلهم شيعتهم بمصر،  
ولم يبايعوا له، وكان عنده ابن الصباح من هؤلاء الإسماعيلية،  
ونهى الإمامة بهذه عن أئمتهم بمصر فسموا أصحابه لذلك تزارية.  
وكان هذا المنصب بعد موته ذكره وإنخلال عقدتهم، بقى  
منبثاً في الأقطار ويتناوله أهلها، ويدعون إليه ويكتمنه، ولذلك  
سموا باطنية، وفشت أذيهم بالأمسكار بما كانوا يعتقدونه من  
استباحة الدماء، فكانوا يقاتلون الناس ويبيحون لذلك جموع منهم  
يكمنون في البيوت ويتوصلون إلى مقاصدهم من ذلك.

ثم عظمت أمورهم أيام السلطان ملك شاه عندما استمر  
الملك للحج من الدليل والسلجوقية وعقل الخلفاء وعجزوا عن  
النظر في تحصين إمامتهم، وكف الغوايل عنهم، فاتشروا في هذه  
العصور وربما اجتمع منهم مجاعة بساواة بالشام همدان، فصلوا

أخيه فيما يرثونهم به من الاتحاد بهؤلاء الباطنية فاذن في قتلهم، وركب العسكر معه فتبعوهم بالقتل، حتى إن الأمير محمدًا من أعقاب علاء الدولة بن كاكيه، وكان صاحب مدينة يزد اتهم برأيهم فهو بقتل.

وكتب إلى بغداد في أبي إبراهيم الاسترابادي وكان بركيارق بعثه رسولاً فأخذ هنالك وقتل، واستلهموا في كل جهة واستلهم التهمن وانطلقت عليهم الأيدي في كل ناحية وذلك سنة ست وثمانين.

ولما استفحل أمر السلطان محمد بعد أخيه بركيارق زحف إلى قلعة شاه در التي بها أحد بن غطاش لقرها من أصفهان سرير ملكه، فجمع العساكر والأمم وخرج في رجب من أول المائة السادسة، وأحاط بجبل القلعة ودوّرها أربعة فراسخ، ورتب الأمراء لقتالهم ترتيباً.

ولما اشتد الأمر بهم سألوا فتوى الفقهاء في أمرهم وكثروا ما نصه: ما يقول السادة الفقهاء أئمة للدين في قوم يؤمنون بالله واليوم الآخر وكبه ورسله، وأن ما جاء به محمد ﷺ حق وصدق، وإنما يخالفون في الإمام هل يجوز للسلطان مساعدتهم ومراعاتهم وأن يقبل طاعتهم ويرسمهم من كل أذى أم لا؟ فأجاب أكثر الفقهاء بجواز ذلك، وتوقف بعضهم وجعوا للمناظرة، فقال السمنجاني من كبار الشافعية: يجب قتالهم ولا يجوز إقرارهم يمكنهم ولا ينفعهم التلفظ بالشهادتين، فلهم لا يرون خالفة إمامهم إذا خالف أحكام الشرع، وبذلك تباح دمائهم إجماعاً، وطالت المناظرة في ذلك.

ثم سألوا أن يأتينهم من العلماء من يناظرهم وعيروا أعياناً من أصفهان، وقصدوا بذلك المطاولة والتعلل، فبعثهم السلطان إليهم فعادوا من غير شيء، فاشتد السلطان إليهم في حصارهم واستأنموا على أن يعرضوا عن قلعتهم بقلعة خالنجان على سبعة فراسخ من أصفهان، وأن يؤجلوا في الرحيل شهراً فاجابهم، وأقاموا في تلك المدة يجمعون ما يقدرون عليه من الأطعمة ووبيوا على بعض الأمراء وسلم منهم فجدد السلطان حصارهم وطلبوا أن يتخللوا إلى قلعة الناظر وطبع، ويعتبر السلطان معهم من يوصلهم ويقيم الباقون بضرس من القلعة إلى أن يصل الأولون، ثم يبعث مع الآخرين من يوصلهم إلى ابن الصباح بقلعة الموت فاجابهم إلى ذلك، وخرج الأولون إلى الناظر وطبع، وخرب السلطان القلعة، وتمسّك ابن غطاش بالضرس الذي هو فيه، وعزّم على الاعتصام به، وزحف إليه الناس عامة وهرب بعضهم إلى السلطان، فدلّه على عورة المكان، فصعدوا إليه وقتلوا من وجدوا

صارت مفاتيح القلعة في يده، فدس لابن غطاش في قلعة شاه در فجاء في جمع من أصحابه ليلاً، وهرب التركى فملكها وقتل من كان بها وقوى بها على أهل أصفهان، وفرض عليهم القطائع.

ومن قلاعهم أرسيا وندبين الرمل وأمد، ملكوها بعد ملك شاه غدرًا، ومنها أردهر ملكها أبو الفتوح ابن أخت الحسن بن الصباح.

ومنها كردكوه، ومنها قلعة الناظر بموزستان وقلعة الطبرور قرب أرجان ملكها أبو حزة الإسكاف من أهل أرجان، وقد كان سافر إلى مصر فأخذ بمنهيم ورجع داعية لهم.

ومنها قلعة ملاوخان بين فارس وخراسن امتنع بها المفسدون نحوًا من مائة سنة لقطع الطريق، حتى فتحها عضد الدولة بن بويه، وقتل من بها.

فلما ملك ملك شاه أنططها للأمير أنز، فول عليها من قبله وداخله الباطنية الذين من أرجان في بعها منهم قابي، فقالوا: نرسل إليك من يناظرك حتى نرى الحق في مذهبنا، ويعتنا إليهم رجالاً منهم فاعتقلوا ملوكه حتى سلم لهم مفاتيح القلعة، وقبضوا على صاحبها وقويت شركهم.

وامتدت أيدي الناس إلى قتلهم واعتقلوا جهادهم وشاروا بهم في كل وجهة فقتلواهم وقتلتهم العامة بأصفهان، وكانتوا قد ظهروا بها عند محاصرة السلطان بركيارق أصفهان وبها آخره محمد وأمه خاتون الجلالية، وفشت فيها دعوتهم وكثير فيها الاغتيال من أتباعهم فثاروا بهم، وقتلواهم وحرقوا الأحاديد وأوقدوها بالثيران، وجعلوا يأتون بالباطنية فيلقنون فيها، وتمدد جاوي سقاور، وكان غالباً بفارس للجهاد فيه، وتحليل عليهم بجماعة من أصحابه أظهروا المروء لهم فوتقوهم وسار هو من بعد ذلك إلى همدان فأغراهم.

ثم صار الباطنية من بعد ذلك إلى همدان لقتل أمراء السلجوقة غدرًا فكان يقصد أحدهم أميراً من هؤلاء وقد استطعن خنجرًا واستمات.

حملهم على ذلك السلطان بركيارق، واستعلن بهم على أمر أخيه فكان أحدهم يعرض نفسه بين يدي الأمير حتى يمكن من طعنه فيطنه، وبهلك غالباً ويقتل الباقي لوقته، فقتلوا منهم كذلك جماعة، ولما ظهر بركيارق على أخيه محمد انتشروا في عسكره واستعملوا بطانة منهم، وتهددوا بالقتل على ذلك حتى ارتاب أمراء العسكر بأنفسهم، وخافوا عادتهم ولازموا حمل السلاح، وشكروا إلى بركيارق بذلك وما يلقونه منهم ومن عسكر

فيه، وكانوا ثمانين، وأخذ ابن عطاش أسيراً فسلخ وحشى جلده تبناً، وقتل ابنه وبعث برأسهما إلى بغداد، والقت زوجه نفسها من الشاهق فهلكت.

## بقية الخبر عن قلاع الإسماعيلية بالعراق

ولم تزل قلاع هؤلاء الإسماعيلية بالعراق عثةً لهذه الغواية، وسفطاً هؤلاء الحبات، منذ سار بها أحد بن عطاش والحسن بن الصباح، وكان لهذا الحسن مقالات في مذاهب الرافضة عريقة في الغلو داخلة من باب الكفر وتسميتها الرافضة المقالات الجديدة، ولا يدين بقيوها إلا الغلاة منهم.

وقد ذكرها الشهريستاني في كتاب الملل والنحل فعليك به إن أردت معرفتها.

ويقي الملوك يقصدونهم بالجهاد لما اشتهر عنهم من الفرار بالاغتيال.

ولما افترق أمر السلاجوقية واستبد ايتهم بالرئي وهمندان، سار إليهم سنة ثلاثة وستمائة إلى قلاعهم المجاورة لقزوين فحاصرها، وفتح منها خمس قلاع، واعتمز على حصار قلعة الموت فعرض له ما شغلته عن ذلك، ثم زحف إليهم جلال الدين منكيري بن علاء الدين وخوارزم شاه عندما رجع من الهند، وملك بلاد أذربيجان وأرمينية، فقتلوا بعض أمرائه مثل قتلهم فسار إلى بلادهم ودوخ نواحي الموت وقد مر ذكره.

وقلادهم التي يخراسان خربها واستباحها قتلاً ونهباً وكانوا منذ ظهر التتر قد شهروا على الجهات فأوقع بهم جلال الدين هذه الواقعية سنة أربع وعشرين وستمائة، وكففهم عمما سموا إليه من ذلك.

ولما استفحلا أمر التتر سار هولاكو عام الخمسين والستمائة من بغداد وخرب قلاعهم، وزحف الظاهر بعد ذلك إلى قلاعهم التي بالشام فخرب كثيراً منها وطروط ما بقي منها، وصارت مصياف وغيرها في طاعته وانفرض أمرهم إلا مغالين يستعملهم الملوك في قتل أعدائهم على بعد غدراء، ويسمون الفداوية أي الذين يأخذون فدية أنفسهم على الاستماتة في مقاصد من يستعملهم.

والله وارث الأرض ومن عليها.

## خبر الإسماعيلية بالشام

لما قتل أبو إبراهيم الاسترابادي ببغداد كما تقدم هرب بهرام ابن أخيه إلى الشام وقام هنالك داعية متحفياً، واستجاب له من الشام خلق، وكان الناس يتبعونهم لكثرة ما اتصفوا به من القتل غدراء.

وكان أبو الغازى بن أرتق محلب يتوصل بهم إلى غرضه في أعدائه، وأشار أبو الغازى على ابن طفتكن الأتابك بدمشق بقتل ذلك قبل رأيه، ونقل إليه فاطمة حينذاك شخصه، وأعلن بدعوه وأعانه الوزير أبو علي ظاهر بن سعد المزدغاني، لصلحتهم فيه فاستفحلا أمره، وكثير تابعوه، وخلف من عامة دمشق فطلب من ابن طفتكن وزيره أبي علي حصناً يأوي إليه، فاعطوه قلعة بانياس سنة عشرين وخمسين، وترك بدمشق خليفة له يدعو الناس إلى مذهبة فكروا وانتشروا، وملك هو علة حصون في الجبال منها القديموس وغيره.

وكان بودي التيم من أعمال بعلبك طائف من المجروس والنصرانية والدرزية وأميرهم يسمى الضحاك، فسار بهرام لقتالهم سنة ستة وأربعين، واستخلف على بانياس إسماعيل من أصحابه، ولقيهم الضحاك في الف رجل وكبس عسکره فهزمهم وقتلهم وعاد فلهم إلى بانياس، فآقام بأمرهم إسماعيل وجع شملهم وبث دعاته في البلاد، وعارضه المزدغاني وزير دمشق وانتصر له هذه الطائفة، وقام بدمشق خليفة لبهرام اسمه أبو الوفاء فقوى أمره، وكثير اتباعه، واستبدل على صاحبها تاج الملك بن طفتكن.

ثم أن المزدغاني راسل الفرنج أن يملكون دمشق على أن يعطوه صور، وتزدادوا ليوم عزمه، ودس للإسماعيلية أن يكونوا ذلك اليوم على أهبة، وهي المبر إلى إسماعيل فخاف أن يثور به الناس فأعطي بانياس للفرنج، وانتقل إليهم ومات ستة أربع وعشرين، وكان للإسماعيلية قلاع في تلك الجهات تتصل بعضها بعض أعظمها قلعة مصياف فسار صلاح الدين لما ملك الشام سنة اثنين وسبعين إليها وحاصر مصياف وضيق حصارها، وبعث سنان مقدم الإسماعيلية إلى خال صلاح الدين بحمة، وهو شهاب الدين الحادي أن يسأل صلاح الدين في الصلح معهم ويتهددونه على ذلك سراً، فسار إلى صلاح الدين وأصلاح أمرهم عنده

## الخبر عن دولة بنى الأخيضر باليمامنة من بنى حسن

الحسن وصالح ومحمد بن يوسف.  
فلما هلك إسماعيل ولـي من بعده آخره الحسن، وبعده ابنه  
أحمد بن الحسن.  
ولم يزل ملـكـهاـ فيـهمـ إـلـىـ أنـ غـلـبـ عـلـيـهـمـ القرـاطـةـ،ـ وـانـقـرـضـ  
أـمـرـهـ وـالـقـاءـ لـهـ.

وكان بمديـنةـ غـانـةـ منـ بلـادـ السـوـدـانـ بالـمـغـرـبـ ماـ يـلـيـ الـبـحـرـ  
الـمـعـيـطـ مـلـكـ بـنـ صـالـحـ،ـ ذـكـرـهـ صـاحـبـ كـاتـبـ زـجـارـ فـيـ الـجـغـافـيـ،ـ  
وـلـمـ نـقـفـ عـلـىـ نـسـبـ صـالـحـ هـذـاـ مـنـ خـبـرـ يـعـولـ عـلـيـهـ.  
وـقـالـ بـعـضـ الـمـؤـرـخـينـ:ـ إـنـ صـالـحـ بـنـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ مـوـسـىـ بـنـ  
عـبـدـ اللـهـ الـمـلـقـبـ أـبـاـ الـكـرـامـ بـنـ مـوـسـىـ الـجـونـ،ـ وـإـنـ خـرـجـ أـيـامـ  
الـمـأـمـونـ بـخـرـاسـانـ،ـ وـحـلـ إـلـيـهـ وـجـبـهـ وـابـهـ مـحـمـدـ مـنـ بـعـدـهـ،ـ وـلـخـتـ  
بـنـوـ بـلـادـ الـمـغـرـبـ فـكـانـ هـلـكـ مـلـكـ فـيـ بـلـادـ غـانـةـ.

وـلـمـ يـذـكـرـ اـبـنـ حـزـمـ فـيـ أـعـقـابـ مـوـسـىـ الـجـونـ صـالـحـ هـذـاـ بـهـذاـ  
الـنـسـبـ،ـ وـلـعـلـهـ صـالـحـ الـذـيـ ذـكـرـنـاهـ آـنـفـاـ فـيـ وـلـدـ يـوـسـفـ بـنـ مـحـمـدـ  
الـأـخـيـضـرـ وـالـلـهـ أـعـلـمـ.

## الخبر عن دولة السليمانيين من بنى الحسن مـكـةـ ثـمـ بـعـدـهـ بـالـيـمـنـ وـمـبـادـيـ أـمـرـهـ وـتـصـارـيفـ أـحـواـلـهـ

مـكـةـ هـذـهـ أـشـهـرـ مـنـ أـنـ نـعـرـفـ بـهـاـ أـوـ نـصـفـهـاـ،ـ إـلـاـ أـنـهـ لـمـ  
أـنـقـرـضـ سـكـانـهـاـ مـنـ قـرـيـشـ بـعـدـ الـمـائـةـ الثـانـيـةـ بـالـفـقـنـ الـرـاقـعـةـ بـالـحـجـازـ  
مـنـ الـعـلـوـيـةـ مـرـةـ بـعـدـ أـخـرـىـ،ـ فـاقـرـفـتـ مـنـ قـرـيـشـ وـلـمـ يـقـنـ بـهـاـ إـلـاـ  
أـتـيـاعـ بـنـ حـسـنـ أـخـلاـطـ مـنـ النـاسـ،ـ وـعـمـظـمـهـ مـرـاـلـ سـوـدـ مـنـ  
الـجـشـةـ وـالـدـلـيـلـ.

وـلـمـ يـزـلـ العـمـالـ عـلـيـهـ مـنـ قـبـلـ بـنـ العـبـاسـ وـشـيـعـتـهـ وـالـخطـبـةـ  
هـلـمـ إـلـىـ أـشـتـغـلـوـلـاـ بـالـفـقـنـ أـيـامـ الـمـسـتـعـنـ وـالـمـعـتـزـ وـمـاـ بـعـدـهـ،ـ  
فـحـدـثـ الـرـيـاسـةـ فـيـهـ بـنـ سـلـيـمانـ بـنـ دـاـوـدـ بـنـ حـسـنـ الشـشـيـ بـنـ  
الـحـسـنـ السـبـطـ.

وـكـانـ كـبـيرـهـ آـخـرـ الـمـائـةـ الثـانـيـةـ مـحـمـدـ بـنـ سـلـيـمانـ وـلـيـسـ هـرـ  
سـلـيـمانـ بـنـ دـاـوـدـ لـأـنـ ذـكـرـهـ اـبـنـ حـزـمـ أـنـ قـامـ بـالـمـدـيـنـةـ أـيـامـ  
الـمـأـمـونـ،ـ وـبـيـنـ الـعـصـرـيـنـ خـوـرـ مـنـ مـائـةـ سـنـةـ سـنـةـ إـحدـيـ وـثـلـاثـةـ  
أـيـامـ الـقـتـلـ،ـ وـخـلـعـ طـاعـةـ الـعـبـاسـيـةـ،ـ وـخـطـبـ فـيـ الـرـوـسـ قـفـالـ:ـ الـحـمـدـ  
لـهـ الـذـيـ أـعـادـ الـحـقـ إـلـىـ نـظـامـهـ،ـ وـأـبـرـزـ زـهـرـ الـإـيمـانـ مـنـ أـكـامـهـ،ـ  
وـكـمـ دـعـوـةـ خـيـرـ الرـسـلـ بـأـسـبـاطـهـ لـأـبـيـ أـعـمـامـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ  
وـعـلـىـ أـلـهـ الطـاهـرـيـنـ،ـ وـكـفـ عـنـ بـرـكـهـ أـسـبـابـ الـمـعـتـدـيـنـ،ـ وـجـعـلـهـاـ

كـانـ مـوـسـىـ الـجـونـ بـنـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ الـحـسـنـ الشـشـيـ بـنـ الـحـسـنـ  
الـسـبـطـ لـاـ اـخـتـفـىـ أـخـوـهـ مـحـمـدـ وـإـبرـاهـيمـ،ـ طـالـبـهـ أـبـوـ جـعـفرـ الـمـنـصـورـ  
بـاـحـضـارـهـمـ فـقـمـنـ لـهـ ذـلـكـ.

ثـمـ اـخـتـفـىـ وـعـثـرـ عـلـيـهـ الـمـنـصـورـ فـضـرـبـهـ أـلـفـ سـوـطـ،ـ فـلـمـ قـتـلـ  
أـخـوـهـ مـحـمـدـ الـمـهـدـيـ بـالـمـدـيـنـةـ اـخـتـفـىـ مـوـسـىـ الـجـونـ إـلـىـ أـنـ هـلـكـ.  
وـكـانـ مـنـ عـقـبـهـ إـسـمـاعـيلـ وـأـخـوـهـ مـحـمـدـ الـأـخـيـضـرـ اـبـنـ يـوـسـفـ  
بـنـ إـبـراهـيمـ بـنـ مـوـسـىـ،ـ فـخـرـجـ إـسـمـاعـيلـ فـيـ أـعـرـابـ الـحـجـازـ وـتـسـمـيـ  
الـسـفـاكـ سـنـةـ إـحدـيـ وـخـسـينـ وـمـاتـيـنـ.

ثـمـ قـصـدـ مـكـةـ فـهـرـبـ عـالـمـلـهاـ جـعـفـرـ بـسـيـاسـاتـ،ـ وـاتـهـبـ مـنـزـلـهـ  
وـمـنـازـلـ أـصـحـابـ الـسـلـطـانـ،ـ وـقـتـلـ جـمـاعـةـ مـنـ الـجـنـدـ وـأـهـلـ مـكـةـ وـأـخـذـ  
مـاـ كـانـ جـلـ للـإـصـلـاحـ مـنـ الـمـالـ،ـ وـمـاـ فـيـ الـكـعـبـةـ وـخـرـانـهـاـ مـنـ  
الـنـهـبـ وـالـفـضـةـ،ـ وـأـخـذـ كـسـرـةـ الـكـعـبـةـ وـأـخـذـ مـنـ النـاسـ خـوـرـاـ مـنـ  
مـائـيـ الـدـيـنـارـ.

ثـمـ نـهـيـهـاـ وـأـخـرـقـ بـعـضـهـ بـعـضـاـ،ـ وـأـقـامـ فـيـ ذـلـكـ خـسـينـ يـوـمـاـ.  
ثـمـ سـارـ إـلـىـ الـمـدـيـنـةـ فـتـوارـيـ عـالـمـلـهاـ وـحاـصـرـهـاـ حـتـىـ مـاتـ  
أـهـلـهـ جـوـعـاـ،ـ وـلـمـ يـصـلـ أـحـدـ فـيـ مـسـجـدـ رـسـوـلـ اللـهـ عـلـيـهـ الـسـلـيـلـ،ـ وـوـصـلـ  
عـساـكـرـ الـمـعـتـزـ إـلـىـ الـمـدـيـنـةـ فـأـفـرـجـ عـنـهـ وـرـجـعـ إـلـىـ مـكـةـ وـحاـصـرـهـاـ حـتـىـ  
جـهـدـهـاـ الـحـصـارـ،ـ وـرـحـلـ بـعـدـ مـقـامـهـ شـهـرـيـنـ إـلـىـ جـدـةـ فـأـخـذـ أـمـرـالـ  
الـتـجـارـ وـنـهـيـهـ مـاـ فـيـ مـرـاـكـبـهـ وـرـجـعـ إـلـىـ مـكـةـ،ـ وـقـدـ وـصـلـ إـلـيـهـ  
مـحـمـدـ بـنـ عـيـسـىـ بـنـ مـحـمـدـ الـمـخـزـومـيـ بـعـثـهـمـاـ  
الـمـعـتـزـ لـقـتـالـهـ فـتـرـأـقـعـوـاـ بـعـرـفـ،ـ وـاقـتـلـوـاـ وـقـتـلـ مـنـ الـحـاجـ خـوـرـ الـفـ،ـ  
وـسـلـبـوـاـ النـاسـ وـهـرـبـوـاـ إـلـىـ مـكـةـ،ـ وـبـطـلـ الـمـوقـفـ إـسـمـاعـيلـ وـأـصـحـابـهـ  
وـخـطـبـ لـنـفـسـهـ،ـ ثـمـ رـجـعـ إـلـىـ جـدـةـ وـاستـبـاحـرـهـ ثـانـيـةـ.

ثـمـ هـلـكـ لـسـتـهـ مـنـ خـرـوجـهـ بـالـجـدـرـيـ آخرـ سـنـةـ اـثـنـيـنـ  
وـخـسـينـ اـيـامـ حـرـبـ الـمـسـتـعـنـ وـالـمـعـتـزـ.

وـكـانـ يـتـرـدـدـ بـالـحـجـازـ مـنـدـ اـثـنـيـنـ وـعـشـرـينـ سـنـةـ،ـ وـمـاتـ وـلـمـ  
يـعـقـبـ،ـ وـوـليـ مـكـانـهـ أـخـوـهـ مـحـمـدـ الـأـخـيـضـرـ وـكـانـ أـسـنـ مـنـهـ بـعـشـرـينـ  
سـنـةـ،ـ وـنـهـضـ إـلـىـ الـيـمـانـ فـمـلـكـهـ،ـ وـأـخـذـ قـلـعـةـ الـحـضـرـمـيـ،ـ وـكـانـ لـهـ  
مـنـ الـوـلـدـ مـحـمـدـ وـإـبـراهـيمـ وـعـدـ اللـهـ وـيـوـسـفـ.

وـهـلـكـ فـوـلـيـ بـعـدـ اـبـنـهـ يـوـسـفـ،ـ وـأـشـرـكـ اـبـنـهـ إـسـمـاعـيلـ مـعـهـ فـيـ  
الـأـمـرـ مـدـيـنـةـ حـيـاتـهـ.

ثـمـ هـلـكـ وـانـفـرـدـ إـسـمـاعـيلـ مـلـكـ الـيـمـانـ وـكـانـ لـهـ مـنـ الـأـخـرـةـ

ثم ولـيـ المـسـكـنـيـ بـنـ الـمـكـنـيـ سـنـةـ ثـلـاثـ وـثـلـاثـيـنـ عـلـىـ يـدـ تـورـوزـ أـمـيرـ الـأـسـرـاءـ بـغـدـادـ فـخـرـجـ الـحـاجـ فـيـ هـذـهـ سـنـةـ لـهـادـنـةـ الـقـراـمـطـةـ بـعـدـ أـبـيـ طـاهـرـ.

ثم خطب للمطبع بن المقذر بعكة مع معز الدولة سنة أربع وثلاثين عندما استولى معز الدولة ببغداد وقلع عين المسكوني واعتقله.

ثم تعطل الحاج بسبب القرامطة وردوا الحجر الأسود سنة تسعة وثلاثين بأمر المنصور العلوى صاحب إفريقية وخطبه في ذلك لأميرهم أحمد بن أبي سعيد.

ثم جاء الحاج إلى بعكة سنة اثنين وأربعين مع أمير من العراق، وأمير من مصر، فوسمت الحرب بينهما على الخطبة لابن بويه ملك العراق، وابن الإخشيد صاحب مصر، فانهزم المصريون وخطب لابن بويه، واتصل ورود الحاج من يومئذ.

فلما كانت سنة ثمان وأربعين وجاء الحاج من بغداد ومصر كان أمير الحاج من العراق ومحمد بن عبيد الله فاجبه إلى ذلك.

ثم جاء إلى المبر مستعداً وأمر بالخطبة لابن بويه فوجم الآخر، وقت عليه الحلقة وعاقبه أميره كافور.

ويقال: قتله ووقع ابن بويه محمد بن عبيد الله باتصال إمارته على الحاج.

ولما كانت سنة ست وخمسين وصل برکب العراق أبو أحد الموسوي نقيب الطالبين، وهو والد الشريف الرضي ليحج بالناس، ونهب بنو سليم حاج مصر وقتل أميرهم.

وفي سنة ست وخمسين حج بالناس أبو أحد المذكور وخطب بعكة ليختبار بعد موته أبى الحسن معز الدولة وال الخليفة يومئذ المطبع، واتصل حج أبى أحد برکب العراق.

وفي سنة ثلاثة وخمسين خطب للقرامطي بعكة، فلما قتل أحد وقت الفتنة بين أبى الحسن القرامطي وخليط طاعة العبيدين وخطب للمطبع، وبعث إليه بالرایات السود، ونهض إلى دمشق فقتل جعفر بن فلاح قائد العلوين، وخطب للمطبع.

ثم وقت الفتنة بين أبى الحسن وبين جعفر، وحصلت بينهم دماء، وبعث المعز العلوى من أصلح بينهم، وجعل دية القتل الفاضلة في مال المعز، وهلك بمصر أبو الحسن فولى آخره عيسى.

ثم ولـيـ أبوـ الفتـوحـ الحـسـنـ بنـ جـعـفـرـ سـنـةـ أـرـبعـ وـثـلـاثـيـنـ. ثم جـاءـتـ عـساـكـرـ عـضـدـ الدـوـلـةـ فـقـرـ الـحـسـنـ بنـ جـعـفـرـ إـلـىـ

كلمة باقية في عقبه إلى يوم الدين، ثم أنشد:  
لأظلمن بسيفي ما كان للحق دينا  
وأسطون بقسوه بثوا وجاروا علينا  
يعذبون كل بلاد من العراق علينا

وكان يلقب بالزبيدي نسبة إلى محلته من مذاهب الإمامية، ويقي ركب العراق بتعاهد مكة إلى أن اعترضه أبو طاهر القرامطي سنة اثنتي عشرة، وأسر أبو الحجاج بن حدان والد سيف الدولة وجاء معه، وقتل الحاج وترك النساء والصبيان بالقرف فهلكراء، وانقطع الحاج من العراق بسبب القرامطة.

ثم أخذ المقذر سنة سبع عشرة منصور الديلمي من مواليه فواه يوم التروية بعكة أبو طاهر القرامطي فذهب الحاج، وقتلهم حتى في الكعبة والحرم، وامتلا زمز بالقتل، والحجاج يصيحون: كيف يقتل جيران الله؟ فيقول: ليس بجار من خالق أوامر الله ونواهيه، ويبلغ: «إِنَّمَا جَزَاءُ الظَّالِمِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ» الآية. وكان يخطب لعبيد الله المهدى صاحب إفريقية.

ثم قلع الحجر الأسود وحله إلى الأحساء وقلع بباب البيت وحمله، وطلع رجل يقلع الميزاب فقطق ومات، فقال: اتروكه فإنه محروس حتى يأتي صاحبه يعني المهدى، فكتب إليه ما نصه: والعجب من كتبك إلينا متنا علينا بما ارتكته واجترته باسمنا من حرم الله وجيشه بالأماكن التي لم تزل الجاهلية تحترم إراقة الدماء فيها، وإهانة أهلها، ثم تعديت ذلك وقلعت الحجر الذي هو يمين الله في الأرض يصافح بها عباده، وحملته إلى أرضك، ورجوت أن شكرك فلعلك الله ثم لعنك والسلام على من سلم المسلمين من لسانه ويده، وفعل في يومه ما عمل فيه حساب غذه اتهى.

فاحرفت القرامطة عن طاعة العبيدين لذلك.  
ثم قتل المقذر على يد مؤنس سنة عشرين وثلاثمائة وولي آخره القاهر، وحج بالناس أميره تلك السنة.

وانقطع الحاج من العراق بعدها إلى أن كاتب أبو علي يحيى الفاطمي سنة سبع وعشرين من العراق أبو طاهر القرامطي أن يطلق السبيل للحجاج على مكس يأخذ منه، وكان أبو طاهر يعظمه لدينه ويؤمله فاجبه إلى ذلك، وأخذ المكس من الحاج ولم يعهد مثله في الإسلام.

وخطب في هذه السنة بعكة للراضي بن المقذر.  
وفي سنة سبع وعشرين لأخيه المقفي من بعده.  
ولم يصل ركب العراق في هذه السنين من القرامطة.

المدينة.

ولم يحج من العراق في هذه السنين أحد.

وفي سنة اثنتي عشرة حجج بأهل العراق أبو الحسن محمد بن الحسن الأفاسي فقيه الطالبيين، واعتراضهم بنو نبهان من طبى، وأميرهم حسان بن عدي، وقاتلتهم فهزموهم وقتل أميرهم حسان.

وخطب في هذه السنة للظاهر بن الحاكم بمكة ولما كان الموسم سنة ثلاث عشرة وأربعينات ضرب رجل من قوم مصر الحجر الأسود بدببوس فصدهم وثلمه، وهو يقول: كم تبعد؟ كم تقبل؟ فتبارد إليه الناس فقتلوه، وثار أهل العراق بأهل مصر فنهبوا فتكروا فيهم.

ثم حج بركتب العراق سنة أربع عشرة التقى بهم الأفاسي وخشي من العرب، فعاد إلى دمشق الشام، وحج في السنة التي بعدها وبطل حج العراق.

ولما بيع القائم العباسي سنة اثنين وعشرين رام أن يجهز الحاج فلم يقدر لاستيلاء العرب والمغاربة أمر بني بويه.

ثم خطب بمكة للمستنصر بن الظاهر.

ثم توفى الأمير أبو الفتوح الحسن بن جعفر بن محمد بن سليمان رئيس مكة وبني سليمان، سنة ثلاثين وأربعين سنة من إمارته وولي بعده إمارة مكة ابنه شكر، وجرت له مع أهل المدينة خطوب ملك في أثناها المدينة وجمع بين الحرمين عليه انفرضت دولة بني سليمان سنة ثلاثين بمكة، وجاءت دولة الموارش كما يذكر.

وشكر هذا هو الذي يزعم بنو هلال بن عامر أنه تزوج المازية بنت سرحان من أمراء الأثباج منهم، وهو خبر مشهور بينهم في أقصاصهم، وحكايات يتناقلونها ويطرزونها باشعار من جنس لغتهم ويسموه الشريف بن هاشم.

وقال ابن حزم: غلب جعفر بن أبي هاشم على مكة أيام الأخشيديين وولي بنوه من بعده عيسى بن جعفر، وأبو الفتوح وابنه شكر بن أبي الفتوح، وقد انقرض لأن شكرًا لم يولد له، وصار أمر مكة إلى عبد كان له.

انتهى كلام ابن حزم وليس أبو هاشم الذي نسب جعفر إليه أبا الموارش الذي يأتي ذكرهم لأن هذا كان أيام الأخشيديين وذلك أيام المستضيء العبيدي وبينهما نحو من مائة سنة.

ولما مات العزيز بالرمليه وعاد بنو أبي طاهر وبنو أحد بن أبي سعيد إلى الفتنة فجاء من قبل الطائع أمير علوى إلى مكة، وأقام له بها خطبة.

وفي سنة سبع وستين بعث العزيز من مصر بادي بن زيري الصنهاجي وهو آخر بلکين صاحب إفريقية أميراً على الماج، فاستولى على الحرمين وأقام له الخطبة، وشغل عضد الدولة في العراق بفتنة مختار ابن عمه فبطل ركب العراق.

ثم عاد في السنة بعدها وخطب ضد الدولة أبو أحد الموسوي، وانقطعت بعدها خطبة العباسين عن مكة، وعادت لخلفاء مصر العبيديين إلى حين من النهر.

واعظم شأن أبي الفتوح واتصلت إمارته في مكة، وكتب إليه القادر سنة ست وتسعين في الإذن ل حاج العراق فأجابه على أن الخطبة للحاكم صاحب مصر.

وبعث الحاكم إلى ابن الجراح أمير طيء باعتراضهم، وكان على الحاج الشريف الرضي وأخوه المرتضى، فلاطفهم ابن الجراح وخلّى سبيلهم على أن لا يعودوا.

ثم اعترض حاج العراق سنة أربع وتسعين الأصغر الثعلبي عندما ملك الجزيرة فوعظه قارئان كانوا في الركب.

ثم اعتراضهم في السنة بعدها أعراب خفاجة ونهبوا، وسار في طلبهم علي بن يزيد أمير بني أسد فاقع بهم سنة اثنين وأربعينات.

ثم عادوا إلى مثل ذلك من السنة بعدها فعاد علي بن يزيد وأوقع بهم، وسمى له بذلك ذكر، وكان سبباً لملكه وملك قومه.

ثم كتب الحاكم سنة اثنين وأربعين إلى عماله بالبراءة من أبي بكر وعمر، ونكر ذلك أبو الفتوح أمير مكة، وانتقض له وحمل الوزير أبو القاسم المغربي على طلب الأمر لنفسه.

وكان الحاكم قتل أباه وأعمامه فخطب أبو الفتوح لنفسه، وتلقب الراشد بالله، وسار إلى مدينة الرملة لاستدعاء ابن الجراح أمير طيء لما خاضه بينه وبين الحاكم.

ثم سرب الحاكم أمواله في بني الجراح فانتقضوا على أبي الفتوح وأسلموه، وفر الوزير المغربي إلى ديار بكر من أرض الموصل ومعه ابن سبابة، وفر التهامي إلى الري وكان معه.

وقطع الحاكم الميرة عن الحرمين، ثم راجع أبو الفتوح الطاعة فعفا عنه الحاكم وأعاده إلى إمارته بمكة.

أن يعينهم على استرجاع ملوكهم، وبهؤلاء من مكة، فنهض  
وأنتهى إلى المهاجم.

وكان سعيد بن نجاح الأحواش موتور بنى الصبيحي قد جاء  
من الهند ودخل صنعاء، ثار بها واتبع الصبيحي في سبعين رجلاً،  
وهو في خمسة آلاف في بيته بالهجوم وقتلها.

ثم جمع محمد بن جعفر أجناداً من الترك وزحف بها إلى  
المدينة فأخرج منها بنى حسن، ولملكتها وجع بين الخربتين.

ثم مات القائم العباسi وانقطع ما كان يصل إلى مكة فقط  
محمد بن جعفر الخطبة للعباسين.

ثم جاء الزبي من قابل بالأموال فأعادها.

ثم بعث المقتدي سنة سبعين منيراً إلى مكة صنيعاً استجيد  
خشب، وتشغل عليه بالذهب اسمه.

وبعث على الحاج ختلن التركي وهو أول تركي تأمر على  
الحج، وكان والياً بالكرفة.

وقهر العرب مع جماعته فبعث المقتدي أميراً على الحاج  
فوقعت الفتنة بين الشيعة، وأهل السنة وكسر النبر وأحرق وتم  
الحج.

ثم عاودوا الفتنة سنة ثلاثة وسبعين وقطعت الخطبة  
للمستنصر وأعيدت للمقتدي، واتصلت إمارة ختلن على الحاج  
وبعده خارطكين إلى أن مات ملك شاه، ووزيره نظام الملك  
فانقطعت الخطبة للعباسين ويطرد الحاج من العراق باختلاف  
السلجوقي، وتغلب العرب.

ومات المقتدي خليفة بغداد ويربع ابنه المستظاهر ومات  
المستنصر خليفة مصر ويربع ابنه المستعلي من إمارته، وهو الذي  
اظهر الخطبة العباسية بحكمة، وبها ابتدأ أمره وكان يسطعها بعض  
الأحيان.

وولي بعده ابنه قاسم فكثر اضطرابه، ومهد بنو مزيد  
اصحاب الحلة طريق الحاج من العراق فاتصل حجهم.

وبح سنته الثانية عشرة وخمسة نظر الخادم من قبل  
المسترشد برزب العراق، وأوصل الخالع والأموال إلى مكة، ثم  
توفي قاسم بن محمد سنة ثمان عشرة وخمسة لثلاثين سنة من  
إمارته، وكانت في اضطراب وتغلب، وولي بعده ابنه أبو قلية  
بمكة، فافتتح بالخطبة العباسية وأحسن الثناء عليه بالعدل، ووصل  
نظر الخادم أميراً على الركب ومعه الأموال والخلع.

ثم مات أبو قلية سنة سبع وعشرين لعشر سنين من

## الخبر عن دولة المواشيم بحكمة من بنى الحسن وتصاريف أحواهم إلى انفراطها

هؤلاء المواشيم من ولد أبي هاشم محمد بن الحسن بن محمد  
بن موسى بن عبد الله أبي الكرام بن موسى الجحون ونسبة معروفة  
وقد مر.

وكانت بين هؤلاء المواشيم وبين السليمانيين فتن متصلة،  
ولما مات شكر ذهب الرئيسة من بنى سليمان لأنه لم يعقب.  
وتقصد فيما طراد بن أحمد، ولم يكن من بيت الإمارة وإنما  
كانوا يؤملونه لإقامته وشجاعته.

وكان رئيس المواشيم يومئذ محمد بن جعفر بن محمد وهو  
أبو هاشم المذكور، وقد ساد في المواشيم، وعظم ذكره فاتقلوا سنة  
أربع وخمسين بعد موته شكر فهزم المواشيم بنى سليمان وطردوهم  
عن الحجاز، فساروا إلى اليمن، وكان لهم بها ملك كما يذكر.

واستقى بامارة مكة الأمير محمد بن جعفر وخطب  
للمستنصر العبيدي.

ثم ابتدأ الحاج من العراق سنة ست وخمسين بنظر السلطان  
الب أرسلان ابن داود ملك السلاجوقية حين استولى على بغداد  
والخلافة، طلب منه القائم ذلك فبذل المال وأخذ رهائن العرب،  
وحج بالناس أبو الفتح نور الدين المهيبي تقى الطالبين.

ثم جاور في السنة بعدها واستعمال الأمير محمد بن جعفر  
عن طاعة العبيديين خطب لبني العباس سنة ثمان وخمسين،  
وانقطعت میرة مصر عن مكة فعذله أهله على ما فعل فرد الخطبة  
للعيديين.

ثم خاطبه القائم وعاته وبدل له أمراً خطب له سنة  
اثنتين وستين بالموسم فقط، وكتب إلى المستنصر بمصر معتذراً، ثم  
بعث القائم أبو الغافل الزبيني سنة ثلاثة وستين أميراً على الركب  
العربي، ومعه عسكر ضخم، ولأمير مكة من عند السب أرسلان  
ثلاثون ديناراً وتوريقاً بعشرة آلاف دينار.

واجتمعوا بالموسم وخطب الأمير محمد بن جعفر وقتل:  
الحمد لله الذي هدانا إلى أهل بيته بالرأي المصيب، وعرض بيته  
بلبسة الشباب بعد لبسة المشتبه، وأمال قلوبنا إلى الطاعة، ومتابعة  
إمام الجماعة.

فانحرف المستنصر عن المواشيم وما إلى السليمانيين.  
وكتب إلى علي بن محمد الصبيحي صاحب دعوتهما باليمن

فكان لإدريس ولدان قنادة النابغة وصرخة.  
 فاما صرخة فولده شيع يعرفون بالشكرة، وأما قنادة النابغة  
 فكان يكتنى أباً عزيز، وكان من ولده علي الأكبر وشقيقه حسن.  
 فمن ولد حسن إدريس وأحمد ومحمد وجحان، وإمارة ينبع في  
 أعقابهم ومنهم لهذا العهد أمران يتداولان إمارتها من ولد إدريس  
 بن حسن بن إدريس.  
 وأما أبو عزيز قنادة النابغة فمن ولد موالى عز أمراء مكة  
 لهذا العهد.  
 وكان بنو حسن بن الحسن كلهم مواطنين بنهر العلقمية من  
 وادي ينبع لعهد إمارة المهاشم بمكة، وكانتا ظرفاً عن بادية.  
 ولما نشأوا منهم قنادة هذا جمع قومه ذوي مطاعن، وأركبهم  
 واستبد بإمارتهم، وكان بوادي ينبع بنو خراب من ولد عبد الله  
 بن حسن بن الحسن، وبني عيسى بن سليمان بن موسى الجدون  
 فحاربهم بنو مطاعن هؤلاء، وأميرهم أبو عزيز قنادة وأخريهم،  
 وملك ينبع والصفراء واستكثروا من الجنود والماليك.  
 وكان على عهد المستنصر العباسى في أواسط المائة  
 السادسة.  
 وكان الأمراء يومئذ بمكة المهاشم من ولد جعفر بن هاشم  
 بن الحسن بن محمد بن موسى بن أبي الكرام عبد الله، وقد مر  
 ذكرهم، وكان آخرهم مكث بن عيسى بن قاسم الذي بنى القلعة  
 على جبل أبي قبيس، ومات سنة تسع وثمانين وخمسة.  
 فسار قنادة إلى مكة واتت بها من أيديهم وملكيها، وخطب  
 للناصر العباسى، وأقام في إمارتها نحوًا من أربعين سنة.

واستفحلاً ملكه واتسع إلى نواحي اليمن وكان قته أباً  
 عزيز.

وفي سنة ثلث وستمائة حج بالركب وجه السبع التركي  
 من عماليك الناصر وفر من طريقه إلى مصر فنهب الركب.

وفي سنة ثمان وستمائة وثبت شخص من حاج العراق على  
 شريف من قربة قنادة قتلته، فاتهم الشرفاء به أمراء الركب، فثاروا  
 بهم وقتلوا منهم خلقًا.

ثم بعث إليهم بالأموال من بغداد وبعث قنادة بعض أولاده  
 يستعيض فاعتبر.

وفي سنة خمس عشرة خطب بمكة للعادل بن أيوب بعد  
 الناصر الخليفة وللcamel بن العادل بعدهما.

وفي سنة ست عشرة كان خروج التر وكان قنادة عادلاً

إمارته، والخطبة للعباسيين وإمارة الحاج لنظر الخادم.  
 ثم كانت واقعة المسترشد مع السلطان مسعود ومقتله  
 وتعطل ركب الحاج.

ثم حج نظر الخادم في السنة بعدها.  
 ثم بعثت أسماء الصبيحية صاحبة اليمن لأمير مكة قاسم  
 بن أبي قليبة فتوعدته على قطع خطبة الحافظ، ومات فكه الله  
 شرها، وانقطع الركب العراقي في هذه السنين للقتن والغالباء.

ثم حج ستة أربع وأربعين نظر الخادم، ومات في طريقه،  
 فولي قيامز، واعتبره رهط من الأعراب فنهب الركب، وانصل  
 حج قيامز والخطبة لبني العباس إلى سنة خمس وخمسين قبله.  
 وبوبع المستجد خطب له كما كان لأبيه المتفاني.

ثم قتل قاسم بن أبي قليبة سنة ست وستين ويعت  
 المستضي بالركب طاننكين التركي، وانقرضت دولة العبيدين  
 بمصر، ووليها صلاح الدين بن أيوب، واستولى على مكة واليمن،  
 وخطب له بالحرمين ثم مات المستضي سنة خمس وسبعين وبوبع  
 ابنه الناصر، وخطب له بالحرمين، وحجب أنه بنفسها سنة خمس  
 وثلاثين، وكانت له آثار عظيمة ورجعت قائمته إلى الناصر بن  
 عيسى بن قاسم ما اطلعت عليه من أحواله فعزله عن إمارة مكة،  
 وولى أخيه مكث بن قاسم، وكان جليل القدر، ومات سنة تسع  
 وثمانين السنة التي مات فيها صلاح الدين.

وضعف أمر المهاشم، وكان أبو عزيز بن قنادة يناسبهم من  
 جهة النساء فورث أمرهم وملك مكة من أيديهم، وانقرضت  
 دولتهم والبقاء لله.

## الخبر عن بنى قنادة أمراء مكة بعد المهاشم

### ثم عن بنى أبي غير منهم أمراؤها لهذا العهد

كان من ولد موسى الجدون الذي مر ذكره في بنى حسن عبد  
 الله أبي الكرام، وكان له على ما نقل نسباتهم ثلاثة من الولد  
 سليمان وزيد وأحمد.

ومنه تشعبت ولده. فاما زيد فولده اليوم بالصحراء بنهر  
 الحسينية، وأما أحد فولده بالدهماء، وأما سليمان فكان من ولده  
 مطاعن بن عبد الكريم بن يوسف بن عيسى بن سليمان وكان  
 لطاعن إدريس ونجلب بالشالبة بالحجاج.

أبطل المستنصر بالله من أمر الجهاد وأفتاه العلماء بذلك.

ثم جهز المعتصم الحاج مع أنه ستة ثلاث وأربعين وشيعها إلى الكوفة، ولما حجت ضرب تركي في الموسم شيئاً وكتب راجح فيه إلى الخليفة فقاطعت يده وبطّل الحجّ بعد ذلك.

ثم قوي أمر الموطئ إمام الزيدية باليمين، واعترض على قطع الخطبة لبني العباس فضاق به المظفر بن عمر بن رسول، وكاتب المعتصم عرضه على تجهيز الحاج بسب ذلك.

ثم قوى أمر الموطيئ، إمام الزيدية باليمن.

وسائل حجاز بن حسن بن قتادة سنة إحدى وخمسين إلى  
الناصر بن العزيز بن الظاهر بن أيوب بدمشق مستجيشاً على أبي  
سعید، وسوار إلى مكة فقتل أبا سعید في الحرم، ونقض عهد  
الناصر، وخطب لصاحب اليمن.

قال ابن سعيد: وفي سنة ثلاث وخمسين بلغني وأنا بالمغرب أن راجح بن قتادة جاء إلى مكة وهو شيخ كبير السن وكان يسكن السدير على نهر اليمن فوصل إلى مكة، وأخرج منها جهاز بن أبي عزيز فلحقه بالشمس.

قال: وفي سنة اثنتين وستين وصل الخبر إلى المغرب بأن أمر مكة داير بين أبي غني بن أبي سعيد الذي قتل جاز به على إمارة مكة، وبين غالب بن راجح الذي أخرج أبوه جاز إلى الشام.

ثم استبد أبو غبي على أمر مكة ونفى قتلة أبيه أبي سعيد الـ الشمـ.

وهم إدريس وجاز وعمرد، وقد كان إدريس منهم ولـي أمر مكة قليلاً، فانطلقوا إلى البيبع وملکوره، وأعقاربهم أمراؤه لهذا العهد، وإنما أبو نخي أميراً بمكة خمراً من حسين سنة ولهلك على رأس المائة السابعة أو بعدها بستين وخلف ثلاثين ولداً.

إمارة بنى أبي غني بمكة

ولما هلك أبو غني قام من بعده بأمر مكة ابناه رميثة وحيضة وزانعهما عطية وأبو الغيث فاعتقلهما، ووافق ذلك وصول بيرس الحاشنكير كاپل الملك الناصر بعصر، لأول ولاته فطلقهما وولاهما، وبعث برميثة وحيضة إلى مصر، ثم ردهما السلطان إلى إماماً تبعها عبكرة مع عسكراً، وبعث الله بعطفة وأمر الغيث.

شئ طال تنازع عهيم وتعاقبهم في امارة مكة مرة بعد أخرى.

وَهُلْكَ أَبُو الْغَثَّ فِي بَعْضِ حَوْبَمْ بَطْرَنْ مَرْ.

وأمن الناس في أيامه، ولم يعد قط على أحد من الخلفاء ولا من الملوك، وكان يقول: أنا أحق بالخلافة، وكانت الأموال والمال خلص تحمل إليه، واستدعاء الناس في بعض السنين فكتب إليه:  
ولي كف ضر غلام أذل بسيطها وأشرى بها عز الورى وأبيع  
نقول ملوك الأرض تلثم ظهرها وفي بطئها للمجدين ربيع  
الجلعنها تحت الرجا ثم انتهى خلاصا لها إبني إذا لوضيئ  
وما أنا إلا المسك في كل بقعة يضوء وأما عندكم فبضيع  
وانتسبت دولته فملك ملك مكة والبيضاء وأطراف اليمن،  
ويensus أعمال المدينة وببلاد نجد، وكان يستكثر من الماليلك، وتوفي  
سنة سبع عشرة وستمائة، ويقال: سمه ابنه حسن ويقال: داخل  
ابنه حسن جاريته فأدخلته ليلاً ففتحت آباه، ثم قتلها وملك مكة  
وامتنع لذلك ابنه راجح بن أبي عزيز قنادة وشكاه إلى أمير حاج  
أتباش التركي عند وصوله فاشكاه، ووعده بالإنصاف منه، فاغلق  
حسن أبواب مكة وخرج بعض أصحابه إلى الأمير أقباش فلقوه  
عند باب الملي فقتلوه وعلقهو بالمسعى.

ثم جاء المسعود بن الكامل سنة عشرين من اليمن إلى مكة، فحج وقاتلته حسن بيعن المسعى فغلبه المسعود وملك مكة، ونصب راته وأزال رأية أمير الراكب، وكتب الخليفة من بغداد يعاتب أباه على ذلك، وعلى ما فعله في مكة والخلاف فكتب إليه أبوه: برئت يا أنسى من ظهر العادل إن لم أنقطع يمينك فقد نبذت وراء ظهرك دنياك ودينك، ولا ح Howell ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فغير ديات الشرفاء وأصحابه شلل في يده ومضى حسن بن  
قتادة إلى بغداد صريحاً بعد أن بقي طريراً الشام والجزيرة والعراق  
ثم جاء إلى بغداد دخلياً وهم الترك يقتله بأقباش أمير الركب  
فمنعوا منه.

ومات ببغداد سنة اثنتين وعشرين ودفن بشهد الكاظم.

ثم مات المسعود بن الكامل بمكة سنة ست وعشرين ودفن بالعلى وبقي على مكة قائد فخر الدين بن الشيخ، وعلى اليمن أمير الجيوش عمر بن علي، بن رسول.

وقصد راجح بن قتادة مكة سنة تسع وعشرين مع عساكر  
عمر بن رسول فملكها سنة ثلاثين من يد فخر الدين بن الشيخ،  
ولحق فخر الدين بمصر، ثم جاءت عساكر مصر سنة اثنين  
وثلاثين مع الأمير جبريل وملكوا مكة، وهرب راجح إلى اليمن.

تم جاءه عمر بن رسول معه بنفسه فهربت عساكر مصر،  
وملك راجح مكة وخطب لعمر بن رسول بعد المستنصر، ولما

ولاه صاحب مصر لعهده الملك الظاهر أبو سعيد برقوق على ما كان أبوه، وسير إليه بالخلع والتغريض على عادتهم في ذلك.

وكان في مجلس أحد جماعة من قرابة منهم أخوه محمد ومحمد ابن أخيه ثقة وعنان ابن عم مقام في آخرين.

فلما مات أحد هربوا من حبهم ولحقوا بهم فردوهم وأجلوا محمد بن عجلان منهم إلا عناناً فإنه لحق بمصر مستجيحاً على محمد وكيسن، فأنجده السلطان وبعثه مع أمير الركوب ليطالع أحواهم، واستصحب معه جماعة من الباطنية فتكوا بمحمد عند لقائه الحمل الذي عليه كسوة الكعبة بشارة الخليفة، وتقبيله الخف الذي يحمله على العادة في ذلك، وتركوه ضرباً في مكانه، ودخلوا إلى مكة فولى أمير الحاج عنان بن مقامه ولحق كيسن وشيعته بجدة، فلما انقضى الموسم ورجع الحاج جاء كيسن وأصحابه وحاصروا مكة، وكان بينهم وبين عنان حروب قتل كيسن في بعضها.

ثم لحق علي بن عجلان وأخوه حسن بالملك الظاهر صاحب مصر فرأى أن يجسم المادة بولايته، فولاه سنة تسع وثمانين مشاركاً لعنان بن مقامه في الإمارة، وسار مع أمير الركوب فلما وصلوا لكرمهد بكروا إلى مكة على العادة، وخرج عنان للقائهم، ثم نكس من بعض الطريق هارباً ودخل على مكة واستقل بamarتها، ولا انقض الموسم ورجع الحاج جاء عنان ومعه بنو عمه مبارك وجاء الشرفاء فحاصروا مكة على ونازعوه الإمارة ثم أفرجوا، ثم رجعوا وحملهم على ذلك متصل لهذا العهد.

ووفدوا على السلطان بمصر سنة أربع وتسعين فائزد على بالإمارة، وأفاض عليه العطاء وأكفل له الجندي المستخدمين وأبقى عنان بن مقامه عنده وأجرى عليه الرزق ونظمه في أهل دولته. ثم نفي إلى السلطان أنه يروم الفرار إلى الحجاز لينتزع أمير مكة علي بن عجلان فقبض عليه وحبسه، وقبض على بن عجلان على الأشراف الذين كانوا هنالك شيعة له.

ثم من عليهم وأطلقهم فعادوا إلى منازعته والقتلة معه لهذا العهد والله متول الأمور لا رب غيره.

ثم تنازع حبيبة ورميحة، وسار رميحة إلى الملك الناصر سنة خمس عشرة، واستمد بأمرائه وعساكره، وهرب حبيبة بعد أن استصفى أموال أهل مكة.

ثم رجع بعد رجوع العساكر إلى مكة ثم اصطلحوا وتوافقوا.

ثم خالف عطية سنة ثمان عشرة ووصل إلى السلطان، وجاء بالعسكر فملك مكة، وتقبض على رميحة فسجن أيام ثم أطلق سنة عشرين عند مقدم السلطان من حجه، وأقام بمصر.

ويقي حبيبة مثراً إلى أن استأمن السلطان فأمنه، وكان معه جماعة من المالكية فروا إليه من مصر أيام انتقاده، فشعروا بطاعته فخافوا على أنفسهم أن يحضرها معه فقتلوا وجاؤوا إلى السلطان يعتقدون ذلك وسيلة عنده فقاد رميحة منهم بأخيه فقتلوا الماشر لقتل، وعفا عن الباقي.

وأطلق رميحة إلى مكة مشاركاً لأخيه عطية في إمارتها. ثم هلك عطية سنة وأقام آخره رميحة بعده مستقلاً بإمارتها مكة إلى أن كبر وهرم، ثم هلك.

وكان ابنه ثقة وعجلان قد اتقسا معه إمارة مكة برضاه. ثم أراد الرجوع عن ذلك فلم يجده إلى شيء مما أراد، واستمرا على ولائهم معه.

ثم تنازعوا وخرج ثقة ويقي عجلان بمكة. ثم غلبه عليهما ثقة، ثم اجتمعوا بمصر سنة ست وخمسين فولى صاحب الأمر بمصر عجلان منهم، وفر ثقة إلى بلاد الحجاز فقام هنالك، وعاقبه إلى مكة مراراً.

وجاء عجلان سنةاثنين وستين بالمد من عسكر القاهرة. فنكبه ثقة وقتل أخاه وبعضاً من العسكر ولم يزل عجلان على إمارته سالكاً سبيل العدل والإنصاف في الرعية متغافياً عن الظلم مما كان عليه قومه من التعرض للتجار والمجاورين، وسمى في أيام إمارته في قطع ما كان لعيدهم على الحاج من المكس.

وثبت لهم في ديوان السلطان عليها عطاء يتعاهدهم أيام الموسم وكانت من حسنتات سلطان مصر.

وسعى هذا الأمير عجلان جزاء الله خيراً، وأقام على ذلك إلى أن هلك سنة سبع وسبعين، وولي ابنه أحد بعده.

وقد كان فوض إليه في حياته وقادسه في أمره، فقام أحد بأمر مكة وجرى على سنن أبيه في إثبات مراسيم العهد وإحياء معالمه، حتى شاع عنه ذلك في الآفاق كل السنة الحاج والمجاورين.

ولحق الحسن محمود بن سبكتكين فأقام عنده بخراسان، وهذا غلط لأن المسمحي مؤرخ العبيدين ذكر وفاة ظاهر بن مسلم في ستها كما قلناه، وولاية الحسن ابنه.

وقال: في سنة ثلث وثمانين وعامل المدينة الحسن بن ظاهر وبيلقب مهني والمسمحي أقعد بأخبار المدينة ومصر من العتبى، إلا أن أمراء المدينة لهذا العهد يتسبّبون إلى داود ويقولون: جاء من العراق فلعلهم لفتنا ذلك عنهم لا يعرّفه. ومؤرخ حة متى ينسب أحداً من أوليائهم فلما ينسبه إلى أبي داود والله أعلم.

وقال أبو سعيد: وفي سنة تسعين وثلاثمائة ملكها أبو الفتاح حسن بن جعفر أمير مكة من بني سليمان بأمر الحاكم العبيدي وأزال عنها إمارته بني مهني من بني الحسين، وحاول نقل الجسد النبوى إلى مصر ليلًا فأصابتهم ريح عاصفة أظلم لها الجلو، وكانت تقتلع البناء من أصله فردهم أبو الفتوح عن ذلك ورجع إلى مكة.

وعاد بني مهني إلى المدينة.

وذكر مؤرخ حة من أمرائهم منصور بن عمارة، ولم ينسب، وقال: مات سنة سبع وتسعين وأربعين وولى بعده ابنه.

قال: وهو من ولد مهني، وذكر منهم أيضًا القاسم بن مهني بن حسين بن مهني بن داود وكنته أبو قليمة، وأنه حضر مع صلاح الدين بن أيوب غزوة أنطاكية وقتها سنة أربع وثمانين وخمسة.

وقال الزنجاري مؤرخ الحجاز فيما ذكر عنه ابن سعيد حسين ذكر ملوك المدينة من ولد الحسين فقال: وأحقهم بالذكر جلاله قدره قاسى بن جاز بن قاسم بن مهنى، ولاه المستضيء فأقام خمساً وعشرين سنة ومات سنة ثلث وثمانين وخمسة، وولي ابنه سالم بن قاسم وكان شاعرًا، وهو الذي كانت بينه وبين أبي عزيز قتادة صاحب مكة وقمة المصارع، بدر سنة إحدى وستمائة، زحف أبو سرور عزيز من مكة وحاصره بالمدينة، واشتد في حصاره، ثم ارغل وجاء المدد إلى سالم من بني لام إحدى بطور همدان فادرك أبا عزيز بدر واقتلاه وهلك من الفريقين خلق، وانهزم أبو عزيز إلى مكة.

وفي سنة إحدى وستمائة جاء المعظم عيسى بن العادل فجدد المصانع والبرك، وكان معه سالم بن قاسم أمير المدينة جاء بشكر من قتادة فرجع معه، ومات في الطريق قبل وصوله إلى المدينة، وولي بعده ابنه شيخة، وكان سالم قد استخدم عسكراً من التركمان فمضى بهم جاز بن شيخة إلى قتادة وغلبه، وفر إلى

الخير عن بني مهني أمراء المدينة النبوية من بنى الحسن وذكر أوليائهم ومفتتح إمارتهم

كانت المدينة بلد الأنصار من الأوس والخزرج كما هو معروف.

ثم افترقا على أقطار الأرض في الفتوحات وانقرضوا، ولم يبق بها أحد إلا بقايا من الطالبين.

قال ابن الحسين في ذيله على الطبرى: دخلت المائة الرابعة والخطبة بالمدينة للمقتدر.

قال: وترددت ولاية بني العباس عليها والرياسة فيها بين بني حسين وبني جعفر إلى أن أخرجهم بنو حسين فسكنوا بين مكة والمدينة.

ثم أجلأهم بنو حرب من زيد إلى القرى والمحصون، وأجازوهم إلى الصعيد فهم هنالك إلى اليوم.

ويقي بنو حسين بالمدينة إلى أن جاءهم ظاهر بن مسلم من مصر فملوكه عليهم.

وفي الخبر عن وصول ظاهر هذا أن مسلماً آباه اسمه محمد بن عبيد الله بن ظاهر بن يحيى الحدث بن الحسن بن جعفر، ويسمى عند الشيعة حجة الله بن عبيد الله بن الحسين الأصغر بن زين العابدين، وكان مسلم هذا صديقاً لكافر المتغلب على الأشيشية بمصر، وكان يدبر أمره ولم يكن بمصر لعصره أوجه منه.

ولما ملك العبيديون مصر وجاء العز الدين الله ونزل بالقاهرة التي اختطها وذلك سنة خمس وستين وثلاثمائة، خطب يومئذ من مسلم هذا كريمهه البعض بنيه فرده مسلم، فسخطه العز ونكبه، واستصفى أمره وأقام في اعتقاله إلى أن هلك.

ويقال: فر من محبه فهلك في مفهه، ولحق ابنه ظاهر بن محمد بعد ذلك بالمدينة فقدمه بنو حسين على أنفسهم، واستقل بإمارتها سنتين.

ثم مات سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة، وولي مكانه ابنه الحسن.

وفي كتاب العتبى مؤرخ دولة ابن سبكتكين: أن الذي ولـي بعده هو صهره وابن عمـه داود بن القاسم بن عـيد الله بن ظـاهر، وكـنته أبو علي، واستـقل بها دون ابنـه الحـسن إلى أن هـلك، وـولي بـعده ابنـه هـاني ثم ابنـه مـهـنى.

## الخبر عن دولة بني الرسي أئمة الزيدية بصعدة وذكر أوليائهم ومصائر أحوالهم

قد ذكرنا فيما تقدم خبر محمد بن إبراهيم الملقب أبوه طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن حسن الدعى، وظهوره أيام المأمون وقيام أبي السرايا بيعته و شأنه كله.

ولما هلك وهلك أبو السرايا وانقرض أمرهم طلب المأمون أخاه القاسم الرسي بن إبراهيم طباطبا فقر إلى السندي، ولم ينزل به إلى أن هلك سنة خمس وأربعين وستين، ورجع ابنه الحسن إلى اليمن وكان من عقبة الأئمة بصعدة من بلاد اليمن أقاموا للزيدية بها دولة اتصلت آخر الأيام، وبصعدة جبل في الشرق عن صنعاء، وفيه حصون كثيرة أشهرها صعدة وحسن تلا وجبل مطابة، وتعرف كلها ببني الرسي.

وأول من خرج بها منهم يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي، دعا لنفسه بصعدة وتسمى بالفادي، وبويع بها سنة ثمان وثمانين في حياة أبي الحسين، وجمع الجموع من شيعتهم وغيرها، وحارب إبراهيم بن يعفر.

وكان أسعد بن يعفر السادس من أعقاب التباعة لصنعاء وكملًا فغلبه على صنعاء ونجران، فملكها وضرب السكة، ثم انتزعاها بنو يعفر منه، ورجع إلى صعدة، وتوفي سنة ثمان وتسعين عشر سنين من ولادته، هكذا قال ابن الحارث قال: وله مصنفات في الحلال والحرام.

وقال غيره: كان مجتهداً في الأحكام الشرعية، وله في الفقه آراء غريبة وتراث يُبين الشيعة معروفة.

قال الصولي: وولي بعده ابنه حسين المتجب، ومات سنة أربع وعشرين الناس عليه وهلك ستة عشرين وثلاثمائة لست وعشرين سنة من ولادته.

ولي بعده آخره الناصر أحد واستقام ملوكه، واطرد في بيته بعده، فولي بعده ابنه حسين المتجب، ومات سنة أربع وعشرين وولي بعده آخره القاسم المختار إلى أن قتله أبو القاسم الضحاك الهمданى سنة أربع وأربعين.

وقال الصولي: من بني الناصر الرشيد والمتجب ومات سنة أربع وعشرين.

وقال ابن حزم: لما ذكر ولد أبي القاسم الرسي فقال: ومنهم القائمون بصعدة من أرض اليمن، أو لهم يحيى المادي، له رأى في الفقه وقد رأيته، ولم يبعد فيه عن الجماعة كل البعد.

البنج وتحصن بها، وفي سنة سبع وأربعين قتل صاحب المدينة شيخة وولي ابنه عيسى، ثم قبض عليه أخوه، جاز سنة تسع وأربعين وملك مكانه.

قال ابن سعيد: وفي سنة تسع وخمسين كان بالمدينة أبو الحسن بن شيخة بن سالم.

وقال غيره: كان بالمدينة سنة ثلاث وخمسين أبو مالك، منيف بن شيخة ومات سنة سبع وخمسين وولي أخيه جاز، وطال عمره ومات سنة أربع وسبعين، وولي ابنه منصور، ولحق أخيه مقبل بالشام، ووفد على بيبرس بصر فاقطنه نصف أقطاع منصور، ثم أقبل إلى المدينة على حين غفلة من أخيه منصور وبهاب ابنه أبو كيسيه فملكها عليه، ولحق أبو كيسيه بأحياء العرب، ثم استجاشهم ورجم إلى المدينة سنة تسع فقتل عمده مقبلًا، وجاء منصور إلى محل إمارته وكان لم قبل ابن اسمه ماجد فأنقطع بعض إقطاع أبيه، فأقام مع العرب يحيل على المدينة وبخلاف منصوراً عنه إليها متى خرج عنها.

ووقع بين منصور وبين قاتدة صاحب البنج حرب سنة إحدى عشرة من أجله.

ثم جاء ماجد بن مقبل بالمدينة سنة سبع عشرة لقتال عمده منصور واستدرج منصور بالسلطان، فبعث إليه العساكر وحاصر ماجد بن مقبل بالمدينة، ثم قاتلهم وأنهزم وبقي منصور على إمارته، وتوفي سنة خمس وعشرين وولي ابنه كبيش بن منصور على إمارته، وطالت أيامه ونهازه ودي بن جاز وحاصره وولي بعده طفيلي، وقبض عليه جاز سنة إحدى وخمسين وولي عطية.

ثم توفي عطية سنة ثلاث وثمانين وولي بعده طفيلي وقبض عليه فامتنع، وولي جاز بن هبة بن جاز بن منصور وملوك الترك بصر يختارون لولايتها من هذين البيتين لا يعدلون عنهما إلى سواهما، وولايتها اليوم لجماز بن هبة بن جاز وإبن عمه عطية بن محمد بن عطية ينافذ لما يبيهان من المزارعة والمماقة قديماً وحديثاً شأن العجلين في الشور، وهو ما جيئاً على مذهب الإمامية من الرافضة ويقولون بالأئمة الائني عشر وما يناسب ذلك من اعتقادات الإمامية.

والله يخلق ما يشاء ويختار.

هذا آخر الخبر عن أمراء المدينة، ولم أقف على أكثر منه، والله المقدر بجميع الأمور سبحانه لا إله إلا هو.

المتصور سنة ثلاثين وستمائة عن عمر مدید، وترك ابنًا اسمه أحد ولاه الزيدية، ولم ينطروا له بالإمامية يتظرون على سنه، واستكمال شرطه، ولما كانت سنة خمس وأربعين بابع قوم من الزيدية لأحد الموطئ من بقية الرسي، وهو أحد بن الحسين من بي المادي لأنهم لما أخرجهم بنو سليمان من كرسى إمامتهم بصعدة آتوا إلى جبل قطابة بشرقي صعدة، فلم يزالوا هنالك، وفي كل عصر منهم إمام شائع يأن الأمر لهم إلى أن بابع الموطئ المطرئ، وكان فقيهاً أديباً عالماً بمنتهيهم، قواماً صواماً، بابع سنة خمس وأربعين وستمائة.

وأهم نور الدين عمر بن رسول شأنه فحاصره محسن تلا ستة، وامتنع عليه فافرج عنه، وحمل العساكر من الحصون المجاورة لحصاره.

ثم قتل عمر بن رسول وشغل ابنه المظفر محسن الدملو، فتمكن الموطئ، وملك عشرين حصنًا وتحف إلى صعدة فغلب السليمانيين عليها، وقد كانوا يابعوا لأحد ابن إمامهم عبد الله المتصور، ولقبوه المتوكل عندما بابع للموطئ بالإمامية في تلا لأنهم كانوا يتظرون استكمال سنه، فلما بابع الموطئ يابعه، ولما غلبهم على صعدة نزل أحد المتوكل إمامهم وبابع له وأمه وذلك سنة تسع وأربعين.

ثم حج سنة خمسين ويقي أمر الزيدية بصعدة في عقب الموطئ هذا وسمعت بصعدة أن الإمام بصعدة كان قبل الثمانين والسبعينة على بن محمد في أعقابهم، وتوفي قبل الثمانين والسبعينة على بن محمد من أعقابهم.

وولى ابنه صلاح، وبابعه الزيدية وكان بعضهم يقول: ليس هو يمام لعدم شرط الإمامية، فيقول: هو أنا لكم ما شتم إمام أو سلطان.

ثم مات صلاح آخر سنة ثلات وستين وقام بعده ابنه نحاج، وامتنع الزيدية من بيعته فقال: أنا محتب لله. هذا ما بلغنا عنهم ببصر أيام المقام فيها والله وارث الأرض ومن عليها.

### الخبر عن نسب الطالبين وذكر المشاهير من أعقابهم

وأما نسب هؤلاء الطالبين فأكثرها راجع إلى الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب، من فاطمة رضي الله عنها، وهذا سبط الرسول عليه السلام وإن أخيهما عمد بن الحنفية، وإن كان

كان لأبيه أحد الناصر بنون ولـي منهم صعدة بعده جعفر الرشيد، وبعده أخوه القاسم المختار ثم الحسن المتجب ومحمد المهدى.

قال: وكان اليماني القائم بمارة سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة يذكر أنه عبد الله بن أحد الناصر أخوه الرشيد والمختار والمتجب والمهدى.

وقال ابن الحاجب: ولم تزل إمامتهم بصعدة، مطردة إلى أن وقع الخلاف بينهم، وجاء السليمانيون من مكة عندما أخرجهم الموارش فقتلوا عليهم بصعدة، وانقرضت دولتهم بها في المائة السادسة.

قال ابن سعيد: وكان من بي سليمان حين خرجوا من مكة إلى اليمن أحد بن حمزة بن سليمان، فاستدعاهم أهل زيد لينصروهم على علي بن مهدي المخارجي حين حاصرهم، وبهذا فاتك بن محمد من بي نحاج، فأجابهم على أن يقتلوه فاتكا، فقتلوا سنة ثلاث وخمسينه وملكونا عليهم أحد بن حمزة، فلم يطق مقاومة علي بن مهدي ففر عن زيد وملكتها ابن مهدي.

قال: وكان عيسى بن حمزة أخوه أحد في عشرة باليمن، ومنهم غام بن يحيى.

ثم ذهب ملك بي سليمان من جميع التهائم والجبال واليمن على يد بي مهدي.

ثم ملكهم بن أيوب وقهروهم، واستقر ملكهم آخرًا في المتصور عبد الله بن أحد بن حمزة.

قال ابن النديم: أخذ الملك بصعدة عن أبيه واشتدت يده مع الناصر العباسي، وكان ينظره ويبعث دعاته إلى الدليل وجبلان حتى خطب له هنالك وصار له فيها ولا، وأنفق الناصر عليه أموراً في العرب باليمن ولم يظفر به.

قال ابن الأثير: جمع المتصور عبد الله بن حمزة أيام الزيدية بصعدة سنة اثنين وخمسين، وتحف إلى اليمن فخاف منه المعز بن سيف الإسلام طفتكن بن أيوب.

ثم تحف إليه المعز فهزمه، ثم جمع ثانية سنة اثنين عشرة وستمائة جواعاً من همدان وخولان، وارجعت له اليمن وخاف المسعود بن الكامل وهو يؤمن صاحب اليمن، ومعه الكرد والترك، وأشار أمير الجيوش عمر بن رسول بمعالجه قبل أن يملك الحصون.

ثم اختلف أصحاب المتصور ولقيه المسعود فهزمه، وتوفي

المتشي حين جاؤوا من مكة.

ثم غلبهم بنو الرسي عليهما، ورجعوا إلى إمامهم بصعدة  
وهم بها لهذا العهد ومنهم بنو سليمان بن داود بن حسن المتشي  
وابنه محمد بن سليمان القائم بالمدينة أيام المأمون.

قال ابن حزم: وعقبه بالمدينة لأبي جعفر المنصور، ولا  
عقب لزيد إلا منه.

وكان من عقبه محمد بن الحسن بن محمد بن إبراهيم بن  
الحسن بن زيد.

قام بالمدينة أيام المعتمد وجاهر بالنكرات والقتل إلى أن  
نطلت الجماعات.

ومن عقبه أيضاً القائم بطبرستان الحسن بن زيد بن محمد  
بن إسماعيل بن الحسن بن زيد وأخوه محمد القائم من بعده وقد  
مر خبرهما.

ومنهم الداعي الصغير بالري وطبرستان وهو الحسن بن  
القاسم بن علي بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد الطحانى بن  
القاسم بن الحسن بن زيد، وكانت بين هذا الداعي الصغير وبين  
الأطروش حروب، وقتل هذا الداعي ستة تسع عشرة وثلاثمائة.  
ومن عقبه أيضاً القاسم بن علي بن إسماعيل أحد قواد  
الحسن بن زيد.

وهم غيروا نعم أهل تلك الأفاق، وأذبوا مجتتهم وكأنوا  
سيّلاً لتدرد الدليل ببلاد الإسلام لما يستجيشونهم.  
وخرج معهم ومع الأطروش الحسني مakan بن كالي ملك  
الدليل.

وكان مرداويع وبنو بوريه من بعض رجاله، وكان لهم من  
عشيرهم قواد ورجال تسموا باسم الدليل من أجل مرياهم بينهم  
والله يخلق ما يشاء.

وأما الحسين وهو القتيل بالطعن أيام زيد بن معاوية، فعن  
ولده علي بن زين العابدين بن زيد الشهيد، ومحمد الباقر، وعبد  
الله الأزرق، وعمر والحسن الأعرج، فعن ولد الأزرق الحسين  
الكريكي ابن أحد بن محمد بن إسماعيل بن أحد بن عبد الله  
الأزرق، كان من قواد الحسن الأطروش بن الحسن بن علي القائم  
بن علي بن عمر، قام بأرض الطالقان أيام المعتصم، ثم هرب من  
سفك الدماء واستتر إلى أن مات وكان معزلياً.

ومنهم الأطروش أسلم على يديه الدليل وهو الحسن بن  
علي بن الحسن بن علي بن عمر، وكان فاضلاً حسن المنصب

لعله رضي الله عنه غيرهم من الولد إلا أن الذين طلبوا الحق في  
الخلافة وتتصبّت لهم الشيعة، ودعوا لهم في الجهات إنما هم الثلاثة  
لا غيرهم، فاما الحسن فمن ولده الحسن المتشي وزيد، ومنهما  
العقب المشهور له في الدعوة والإمامية.

ومن ولد حسن المتشي عبد الله الكامل وحسن الملث  
 وإبراهيم العمر وعباس وداود.

فاما عبد الله الكامل وبنوه فقد مر ذكرهم وأنسابهم عند  
ذكر ابنه محمد المهدي، وأخبارهم مع أبي جعفر المنصور.

وكان منهم الملك الأدارسة بالمنغرب الأقصى بنو إدريس بن  
إدريس بن عبد الله الكامل.

ومن عقبهم بنو حمود ملوك الأندلس الدائلون بها من بي  
أميمة آخر دولتهم.

ومنهم بنو حمود بن أحمد بن علي بن عبيد الله بن عمر بن  
إدريس، وسيأتي ذكر أخبارهم.

ومنهم بنو سليمان بن عبد الله الكامل.

كان من عقبه ملوك اليمامة بنو محمد الأخيضر بن يوسف  
بن إبراهيم بن موسى الجلون، ونهم بن صالح بن موسى بن عبد  
الله الساقى، وبلقب يابي الكرام بن موسى الجلون، وهم الذين  
 كانوا ملوكاً بغاية من بلاد السودان بال المغرب الأقصى، وعقبهم  
هناك معروفوون.

ومن عقبه أيضاً المواشم بنو أبي هاشم محمد بن الحسن بن  
محمد الأكبر بن موسى الثاني بن عبد الله أبي الكرام، كانوا أمراء  
مكة لعهد العبيدين وقد مر ذكرهم.

ومن أعقابهم بنو قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد  
الكريم بن موسى بن عيسى بن سليمان بن موسى الجلون، وملوكاً  
مكة بعد المواشم على يد قتادة أبيهم هذا.

فنهيم بنو غبي بن سعد بن علي بن قتادة أمراء مكة لعهدنا.  
ومن عقب داود بن حسن المتشي السليمانيون الذين كانوا  
بكمة وهم بنو سليمان بن داود وغلبهم عليها المواشم آخرًا  
وصاروا إلى اليمن فقاموا الزيدية بدعوتهم كما مر في أخبارهم.

ومن عقب حسن الملث بن حسن المتشي حسين بن علي بن  
حسن الملث الخارج على الهادي وقد مر ذكره.

ومن عقب إبراهيم العمر بن حسن المتشي بن طباطبا واسمه  
إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم كان منهم محمد بن طباطبا أبو  
الأئمة بصفة الذين غلبهم عليها بنو سليمان بن داود بن حسن

وزعم ابن حزم أن النبي عيد ملوك مصر ينسبون إليه وليس ذلك بصحيح.

ومن ولد جعفر الصادق إسماعيل الإمام، وموسى الكاظم، ومحمد الديباجة، فاما محمد الديباجة فخرج بمكة أيام المؤمن وباياع له أهل الحجاز بالخلافة وحمله المتخصص لما حج، وجاء به إلى المؤمن فعنده، ومات سنة ثلاط وثلاثين.

واما إسماعيل الإمام وموسى الكاظم فعليهما وعلى بنيهما مدار اختلاف الشيعة، وكان الكاظم على زي الأعراب مائلاً إلى السواد وكان الرشيد يؤثره ويتناهى عن السعاية فيه كما مر ثم حبسه.

ومن عقبه بقية الأئمة الاثني عشر عند الإمامية من لدن علي بن أبي طالب الوصي، ووفاته سنة خمس وأربعين، ثم أخوه الحسين ومقتله سنة إحدى وستين، ثم ابنه زين العابدين ووفاته ثم ابنه محمد الباقر ووفاته سنة إحدى وثمانين ومائة، ثم ابنه جعفر الصادق ووفاته سنة ثلاثة وأربعين ومائة، ثم ابنه موسى الكاظم ووفاته سنة ثلاثة وثمانين ومائة وهو سابع الأئمة عندهم.

ثم ابنه علي الرضا ووفاته سنة ثلاثة وثلاثين.

ثم ابنه محمد المقتفي ووفاته سنة عشرين وثلاثين.

ثم ابنه علي المادي ووفاته سنة أربع وخمسين وثلاثين.

ثم ابنه حسن العسكري ووفاته سنة ستين ومائة.

ثم ابنه محمد المهدي وهو الثاني عشر وهو عندهم حي متظر وأخبارهم معروفة.

ومن عقب موسى الكاظم من غير الأئمة ابنه إبراهيم المرتضى، ولاه محمد بن طباطبا وأبو السرايا على اليمن، فذهب إليها ولم يزل بها أيام المؤمن سفك الدماء حتى لقيه الناس بالجزار، وأنظهر الإمامة عندما عهد المؤمن لأنبيه الرضا.

ثم أتتهم المؤمن بقتله فجاهر وطلب نفسه.

ثم عقد المؤمن على حرب الفاطميين باليمن محمد بن زياد بن أبي سفيان لما بينهم من البغضاء فأوقع بهم مراراً، وقتل شيعتهم وفرق جماعتهم.

ومن عقبه موسى بن إبراهيم جد الشريف الرضي والمرتضى، واسم كل منهما علي بن الحسين بن محمد بن موسى بن إبراهيم.

ومن عقب موسى الكاظم ابنه زيد ولاه أبو السرايا على الأهواز، فسار إلى البصرة وملكتها وأحرق دور العباسين بها

عدلاً، ولي طبرستان وقتل سنة أربع وثلاثمائة، وقام بعده آخره محمد ومات.

وقام الحسين ابن أخيه محمد بن علي وقتل بها سنة ست عشرة وثلاثمائة، قتل جيوش نصر بن أحد بن إسماعيل بن أحد بن نوح بن أسد السامي صاحب خراسان.

ومن ولد الحسين الهرموج بن زين العابدين بن عبد الله العقيقي بن الحسين، كان من ولده الحسين بن محمد بن جعفر بن عبد الله العقيقي قتله الحسن بن زيد صاحب طبرستان.

ومنهم جعفر بن عبيد الله بن الحسين الأعرج كان شيعته يسمونه حجة الله وكان من عقبه الملقب بمسلم الذي دبر أمر مصر أيام كافور، وهو محمد بن عبيد الله بن طاهر بن مجيس المحدث بن الحسين بن يعفر حجة الله، وابنه طاهر بن مسلم.

ومن عقب طاهر هذا أمراء المدينة لهذا العهد بنو جاز بن هبة بن جاز بن منصور بن جاز بن شيخة بن هاشم بن القاسم بن مهني، ومهني بن مهني بن داود بن القاسم أخي مسلم وعمر طاهر.

وزعم ابن سعيد: أنبني جاز بن شيخة أمراء المدينة هؤلاء من ولد عيسى بن زيد الشهيد، وفيه نظر.

ومن ولد الحسين الحسن الأعرج وزيد هو القائم بالكوفة على هشام بن عبد الملك سنة إحدى وعشرين ومائة، وقتل وخرج ابنه مجيس سنة خمس وعشرين بخراسان وقتل، وقد انتهى صاحب الزنج في بعض أوقاته إليه.

وآخره عيسى بن زيد الذي حارب المتصور أول خلافته من ولد الحسين الذي كان من عقبه مجيس بن عمر بن مجيس القائم بالكوفة أيام المستعين، وكان حسن المذهب في الصحابة وإليه ينسب العمريون الذين استولوا على الكوفة أيام الديلم من قبل السلطان بغداد.

وعلي بن زيد بن الحسين بن زيد قاتم بالكوفة، ثم هرب إلى صاحب الزنج بالبصرة فقتلته وأخذ جارية له كان سبأها من البصرة.

ومن ولد محمد الباقر بن زين العابدين عبد الله الأفطح وجعفر الصادق، فكانت لعبد الله الأفطح شيعة يدعون إمامته: منهم زارة بن أعين الكوفي.

ثم قاتم بالمدينة وسأله عن مسائل من الفقه فألفاه جاملاً فرجع عن القول بإمامته فانقطعت الأفطحية.

فسمى زيد النار.

### الخبر عن دولة بني أمية بالأندلس من هذه الطبقات المنازعين للدعوة العباسية وبداية أمرهم وأخبار ملوك الطوائف من بعدهم

كان هذا القطر الأندلسي من العدوة الشمالية عن عدوة البحر الرومي، وبالجانب الغربي منها يسمى عند العرب أندلوش، وتسكه ألم من إفرنجية المغرب أشدتهم وأكثرهم الجلافة.

وكان القوط قد تملّكوا وغ libero على أمره لما تبن من السنين قبل الإسلام بعد حروب، كانت لهم مع الظبيين حاصروا فيها روما.

ثم عقدوا معهم السلام على أن تصرف القوط إلى الأندلس، فساروا إليها وملّكوا.

ولما أخذ الروم والظبيين لبلة النصرانية حلوا من وراءهم بالغرب من أهل إفرنجية والقوط عليها، فدأبوا بها وكان ملوك القوط يتزلون طليطلة وكانت دار ملكهم، وربما انتقلوا ما بينها وبين قرطبة وماردة وأشبيلية وأقاموا كذلك نحو أربعين سنة إلى أن جاء الله بالإسلام والفتح وكان ملكهم لذلك العهد يسمى لزريق وهو سمة لملوكيهم كجريجير سمة ملوك صقلية ونسب القوط وخبر دولتهم قد تقدم.

وكانت له خطوة وراء البحر في هذه العدوة الجنوبية خطوها من فرضة المجاز بطنجة، ومن زقاق البحر إلى بلاد البرير واستعبدوه.

وكان ملك البربر بذلك القطر الذي هو اليوم جبال غمارة يسمى بليان وكان يدين بطاعتهم وعلّمهم، وموسى بن نصير أمير العرب إذ ذاك عامل على إفريقية من قبل الرهيد بن عبد الملك، ومنزله بالقيروان.

وكان قد أغزى لذلك العهد عساكر المسلمين بلاد المغرب الأقصى ودرّوخ اقطاره وأوغل في جبال طنجة هذه حتى وصل خليج الزقاق، واستنزل بليان لطاعة الإسلام وخلف مولاه طارق بن زياد الليبي واليًا بطنجة، وكان بليان يتنفس على لزريق ملك القوط لعدهه بالأندلس لفعله بايته في داره كما زعموا، على عادتهم في بنات بطارقهم، فغضب لذلك وأجاز إلى لزريق فاختذ ابنته منه.

ثم لحق بطارق فكشف للعرب سوره القوط ودفع على غرة فيهم أمكنت طارقاً الفرصة، فانهزموا لرقته وأجاز البحر سنة

ومن عقبه زيد الجنة بن محمد بن زيد بن الحسن بن زيد النار من أفضل هذا البيت وصلاحهم، حمل إلى بغداد في معركة الفاطميين أيام المترك، ودفع إلى ابن أبي دواد ينتجه فشهد له وأطلقه.

ومن عقب موسى الكاظم ابنه إسماعيل ولاه أبو السرايا على فارس.

ومن عقب جعفر الصادق من غير الأئمة محمد وعلى ابنه الحسين بن جعفر، قاما بالمدينة سنة إحدى وسبعين ومائتين وستمائة واتهيا الأموال، واستلهموا آن جعفر بن أبي طالب وأقامت المدينة شهرًا لا تقام فيها جمعة ولا جماعة.

ومن عقب إسماعيل الإمام البيهقيون خلافة القيروان ومصر بنو عبيد الله المهدي بن محمد بن جعفر بن محمد بن جعفر بن محمد بن إسماعيل وقد مر ذكرهم.

وما للناس من الخلاف في نسبهم وهو مطروح كله وهذا أصح ما فيه.

وقال ابن حزم: إنهم من بني حسن البغدادي وهو عم المهدي وعنه أنها دعوى منهم.

وأما محمد بن الحنفية فكان من ولده عبد الله بن عباس، وأنوحوه علي بن محمد وابنه الحسن بن علي بن محمد، وكل ادعى الشيعة إمامته وخرج باليمين على المأمون ولد علي من غير هؤلاء عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب، ومن ولد جعفر بن أبي طالب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب القائم بفارس، وبويع بالكونفة وأراد بعض شيعة العباسية تحويل الدعوة إليه فمنع أبو مسلم من ذلك وكانت له شيبة يتظرون به، وساقوا الخليفة إليه من أبي هاشم بن محمد بن الحنفية بالوصية، وكان فاسقاً وكان معاوية ابنه نظير أخيه في الشر.

انتهى الكلام في أنساب الطالبيين وأخبارهم، فلنرجع الآن إلى أخبار بني أمية بالأندلس المنازعين للدعوة العباسية.

ثم نرجع إلى دول القائمين بالدعوة العباسية المستبددين عليهم من العرب والترك واليمن والجزيرة والشام والمغاربة والمغرب، والله المستعان.

الأخير عن دولة بنى أمية بالأندلس من هذه الطبقة المنازعين

وولي من بعده أبوبن حبيب اللخمي وهو ابن أخت  
موسى بن نصير فتولى عليها ستة أشهر.

ثم تابعت ولاة العرب على الأندلس فتارة من قبل الخليفة  
فتارة من قبل عامله على القيروان وأخنثوا في أمم الكفر وافتتحوا  
برسلونة من جهة الشرق وحصون قشتالة ويسانطها من جهة  
الجروف، وانقرضت أمم القوط وأرزا الجلالقة ومن بقي من أمم  
العجم إلى جبال قشتالة وأريزنة وأفواه الدروب، فتحصنتوا بها  
وأجازت عساكر المسلمين ما وراء برشلونة من دروب الجزيرة  
حتى احتلوا سانط وراماها، وتولعوا في بلاد الفرنجة وعصف ريح  
الإسلام بام الكفر من كل جهة، وربما كان بين جنود الأندلس من  
لغرب اختلاف وتنازع أوجب للعدو بعض الكرة فرجع الفرج  
ما كانوا غلبهم عليه.

وكان محمد بن يزيد عامل إفريقية لسليمان بن عبد الملك لما  
لله مهلك عبد العزيز بن موسى بن نصير، بعث إلى الأندلس  
حارث بن عبد الرحمن بن عثمان قدم الأندلس وعزل أليوب بن  
حبيب وولى ستين وثمانية أشهر.

ثم بعث عمر بن عبد العزيز على الأندلس السمح بن مالك الخوارزمي على رأس المائة من المجرة وأمره أن يخسم أرض الأندلس فخسمها ويني قنطرة قرطبة، واستشهد غازياً بأرض قفرنجة سنة اثنين وعشرين، فقدم أهل الأندلس عليهم عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي إلى أن قدم عتبة بن شحيم الكلبي من قبل زيد بن مسلم عامل إفريقية وكان أولهم عيسى بن سلمة الكلبي فنذه حنظلة بن صفوان الكلبي وإلي إفريقية لما استدعى منه أهل الأندلس والياً بعد مقتل عتبة فقدمها آخر سنة سبع وأقام في لاهاستين ونصفاً ولم ينزل ثم قدم إليها عثمان بن أبي والياً من بيل عبيدة بن عبد الرحمن السلمي صاحب إفريقية، وزعله لخسدة شهر جذريقة بن الأحوص العتي فوافاهما سنة عشر، وعزل قريباً قال: لست من ولايتك، واختلف هل تقدمه عثمان أم هو تقدم شعبان.

ثم ولد بعده الحيث بن عبيد الكلابي من قبل عبيدة بن عبد الرحمن أيضاً قدم في المحرم سنة إحدى عشرة وغزا أرض مقرشة فافتتحها وأقام عشرة أشهر.

· وتوفي سنة ثلاث عشرة لستين من ولاته، وقدم بعده محمد بن عبيد الله بن الحباب صاحب إفريقية فدخلها سنة ثلاث عشرة وغزا إفرنجية، وكانت له فيهم وقائع وأحبّ عسکره في رمضان سنة أربع عشرة قرولي ستين.

اثنين وتسعين، من المجرة بإذن أميره موسى بن نصیر في نحو ثلاثة من العرب، واتبهب معهم من البربر زهاء عشرة آلاف فصیرهم سکراً ونزل بهم جبل الفتح فسمی جبل طارق به، والآخر على طریف بن مالک التخنی ونزل بمكان مدینة طریف فسمی به، وأداروا الأسوار على أنفسهم للتحصین.

ويبلغ الخبر لزريق فنهض إليهم بغير أمم الأعاجم وأهل ملة النصرانية في زهاء أربعين الفاً فالتفتوا بفحص شريش فهزمه إليه ونفّلهم أموال أهل الكفر ورقابهم.

وكتب طارق إلى موسى بن نصير بالفتح وبالغناائم، فحركته الغيرة وكتب إلى طارق يتوعده بأنه يتغلب بغیر إذنه ویأمره أن لا يتجاوز مکانه حتى يلحق به، واستختلف على القیروان ولده عبد الله وخرج معه حسین بن ابی عبد الله المھدی الفھری.

ونهض من القيروان سنة ثلث وتسعين من المجرة في  
عسكر ضخم من وجوه العرب والموالي وعرفاء البربر، ووافى  
خليل الزقاق ما بين طنجة والبزبرقة الخضراء فأجاز إلى الأندلس.

وتلقاء طارق وانقاده، وقسم موسى الفتح وتغلب في الأندلس إلى برشلونة في جهة الشرق، وأربونة في الجروف وصنم قادس في الغرب، ودوخ أقطارها وجمع غنائمها.

وَجَعَ أَنْ يَأْتِيَ الْمُشْرِقَ عَلَىِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ وَيَتَجاوزَ إِلَىِ الشَّامِ  
وَدَرَبَ الْأَنْذِلِسَ وَخَوْضَ مَا بَيْنَهَا مِنْ بَلَادِ الْأَعْجَمِ أَمْ  
النَّصَارَى عَاهَدَا فِيهِمْ مُسْتَحْمَأْ لَهُمْ إِلَىَ أَنْ يَلْتَحِقُ دَارُ الْخَلَافَةِ.

وغي الخبر إلى الوليد فاشتغل قلقه بمكان المسلمين من دار الحرب، ورأى أن ما هم به موسى غرر بال المسلمين، فبعث إليه بالتبيخ والانصراف، وأسر إلى سفيرة أن يرجع بال المسلمين إن لم يرجع هو وكتب له بذلك عهده فقت ذلك في عزم موسى، وقتل عن الأندرس بعد أن أنزل الرابطة والخاتمة بتفورها، واستعمل ابنه عبد العزيز لزعوها، وجهاد أعدائهم، وأنزله بقبرطبة فاحتذها دار إمارة، واحتل موسى بالقيروان سنة خمس وستين وارتحل إلى الشرق سنة ست بعدها بما كان معه من الغنائم والذخائر والأموال على العجل والظهر.

يقال: كان من جملتها ثلاثون ألف فارس من السبي.

وولى على إفريقية ابنه عبد الله، وقدم على سليمان فسخطه نكمه.

وسرت عساكر الأندلس بابنه عبد العزيز باغراء سليمان  
قتلره لستين من ولايته، وكان خيراً فاضلاً، وافتتح في ولايته  
مدنان كثيرة.

وأهل فلسطين شدونة وهي شريش وسمها فلسطين، وأهل مصر تدمير وسمها مصر. وقبل ثعلبة إلى الشرق ولحق ببروان بن محمد وحضر حربه وكان أبو الخطاب أعرابياً عصبياً أفرط عند ولادته في التعصب لقومه من اليمانية وتحامل على المضرية، وأسخط قيساً وأمر في بعض الأيام بالضميل بن حاكم كبير القيسية، وكان من طوال بلخ وهو الضميل بن حاكم بن شمر بن ذي الجوشن، ورأس على الحصرية، فأمر به يوماً فاقم من مجلسه وتقطع، فقال له بعض الحجاج وهو خارج من القصر: أقم عمامتك يا أبي الجوشن، فقال: إن كان لي قوم فسيقيمونها. فسار الضميل بن حاكم زعيهم يومئذ، وألب عليه قمه، واستعان بالمحربين عنه من اليمانية فخلع أبو الخطاب سنة ثمان وعشرين لأربع سنين وستة أشهر من ولادته، وقدم مكانه ثوبة بن سلامة الجذامي وهاجت الحرب المشهورة.

وخطبوا بذلك عبد الرحمن بن حبيب صاحب إفريقية فكتب إلى ثوبة بعده على الأندلس، منسلاً رجب سنة تسعة وعشرين فضبط الأندلس، وقام بأمره الضميل واجتمع عليه الفريقان وهلك لستين من ولادته، ووقع الخلاف بإفريقية وتلاشت أمور بني أمية بالشرق وشنعوا عن قاصية المغرب بكثرة الخوارج، وعظم أمر المسودة بفتحي أهل الأندلس فوضى ونصروا للأحكام خاصة عبد الرحمن بن كثير.

ثم اتفق جند الأندلس على اقسام الإمارة بين المضرية واليمانية، وإدارتها بين الجنديين سنة لكل دولة.

وقدم المضري على أنفسهم يوسف بن عبد الرحمن الفهري سنة تسعة وعشرين، واستقر سنة ولادته بقرطبة دار الإمارة ثم واقتهم اليمانية لم يعاد ادالهم واقتين بمكان عهدهم وتراضيهم واتفاقهم، ففيتهم يوسف بمكان نزفهم من شقتنا من قرى قرطبة من الضميل بن حاتم والمضرية والمضرية فاستلحموهم، واستبد يوسف بما وراء البحرين عدوة الأندلس، وغلب اليمانية على أمرهم فاستكناها للغلبة، وتربيصوا بالدواير إلى أن جاء عبد الرحمن الداخل، فكان يوسف بن عبد الرحمن قد ول الضميل بن حاتم سرقسطة، فلما ظهر أمر المسودة بالشرق شارط الحباب بن رواحة الزهري بالأندلس داعياً لهم وحاصر الضميل بسرقسطة، واستمد يوسف فلم يمدد رجاء هلاكه بما كان يغضبه وأمدته القيسية فأنخرج عنه الحباب، وفارق الضميل سرقسطة فملكها الحباب وول يوسف الضميل على طليطلة إلى أن كان من أمر عبد الرحمن الداخل ما ذكره.

وقال الواقدي: أربع سنين، وكان ظلوماً جائراً في حكومته وغزا أرض البشكتش سنة خمس عشرة ومائة، وأوقع بهم وغنم، ثم عزل في رمضان سنة ست عشرة وولي عتبة بن الحاج السلوبي من قبل عبد الله بن الحجاج فقدم سنة سبع عشرة.

وأقام خمس سنين محمود السيرة مجاهداً مظفراً حتى بلغ سكنى المسلمين أرمونة، وصار مساكنهم على نهر ودونة. ثم قام عليه عبد الملك بن قطن الفهري سنة إحدى وعشرين فخلعه وقتلها.

ويقال: أخرجه من الأندلس وولي مكانه إلى أن دخل بلخ بن بشر بأهل الشام سنة أربع وعشرين كما مر فقلب عليه، وولي الأندلس سنة أو نحوها.

وقال الرازي: ثار أهل الأندلس بعقبة بن الحجاج أميرهم في صفر من سنة ثلاث وعشرين في خلافة هشام بن عبد الملك، وولوا عليهم عبد الملك بن قطن ولادته الثانية فكانت ولادة عقبة سنة أربعون واربع شهر.

وتوفي بسرقوسة في صفر سنة ثلاث وعشرين، واستقام الأمر لعبد الملك.

ثم دخل بلخ بن بشر من أهل الشام ناجياً من وقعة كالشوم بن عياض مع البربر فثار على عبد الملك وقتلها، وأخاز الفهريون إلى جانب فاتشعروا عليه وكاشفوه واجتمع عليهم من نكر فعلته بابن قطن وقام بأمرهم قطن وأمية ابن عبد الملك بن قطن، والتقدوا وكانت الدبرة على الفهريين، وهلك بلخ من الجراح التي أصابته في حربهم وذلك سنة أربع وعشرين لسنة أو نحوها من إمارته، ثم ول ثعلبة بن سلامة الجذامي، غلب على إمارة الأندلس بعد مهلك بلخ وأخاز عنه الفهريون فلم يطعوه، وولي سينين أظهر فيها العدل ودانت له الأندلس عشرة أشهر إلى أن ثار به العصبة اليمانية فكسر أمره، وهاجت الفتنة.

وقدم أبو الخطاط حسام بن ضرار الكلبي من قبل حنظلة بن صفوان عامل إفريقية، وركب إليها البحر من تونس سنة خمس وعشرين فدانت له أهل الأندلس وأقبل إليها ثعلبة وابن أبي سعد، وأبنا عبد الملك فلتقيهم وأحسن إليهم واستقام أمره.

وكان شجاعاً كريماً ذا رأي وحزم، وكثر أهل الشام عنده. ولم تخملهم قرطبة ففرقهم في البلاد، وأنزل أهل دمشق البيرة لشبيها بها وسمها دمشق، وأنزل أهل حمص إشبيلية وسمها حمص لشبيها بها، وأهل قنطرة حسان وسمها قنطرة، وأهل الأردن رية وهي مالقة وسمها الأردن.

## مسير عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس

### وتجديده الدولة بها

قرطبة فانكشف، ورجع إلى غرناطة فتحصن بها واتبعه الأمير عبد

الرحمن فنازله.

ثم رغب إليه يوسف في الصلح فقد له على أن يسكن

قرطبة وأقفله معه، ثم نقض يوسف عهده.

وخرج سنة إحدى وأربعين وحق بطيطلة، واجتمع إليه  
زهاء عشرين ألفاً من البربر، وقدم الأمير عبد الرحمن للقاء عبد  
الملك بن عمر الرواني، كان وفده عليه من الشرق، وكان أبوه عمر  
بن مروان بن الحكم في كفالة أخيه عبد العزيز بمصر، فلما هلك  
سنة خمس عشرة بقي عبد الملك بمصر، فلما دخلت المسودة أرض  
مصر خرج عبد الملك يوم الأندلس في عشرة رجال من بيته  
مشهورين بالباس والنجدة حتى نزل على عبد الرحمن سنة إحدى  
وأربعين، فقد له على إشبيلية ولابنه عمر بن عبد الملك على  
مورور.

وسار يوسف إليهما وخرجا إليه فلقياه وتناولوا الفريقيان  
فكانت الدبرة على يوسف، وأبعد الفرّ واغتاله بعض أصحابه  
بناحية طليطلة واحتز رأسه وقدم به إلى الأمير عبد الرحمن  
فاستقام أمره واستقر بقرطبة وبني القصر والمسجد الجامع، أفق  
ثمانين ألف دينار ومات قبل تمامه.

وبني مساجد ووند عليه جماعة من أهل بيته من المشرق،  
وكان يدعى للمنصور، ثم قطعها لما تم له الملك بالأندلس، ومهد  
أمرها وخلد لبني مروان السلطان بها، وجدد ما طمس لهم بالشرق  
من معالم الخلاة وأثارها.

واستلح الشوار في نواحها وقطع دعوة العباسين من  
منابرها وسد المذاهب منهم دونها.

وهلك سنة اثنين وسبعين ومائة، وكان يعرف بعد الرحمن  
الداخل لأن أول داخل من ملوك بني مروان هو، وكان أبو جعفر  
المصوري يسميه صقر بني أمية لما رأى ما فعل بالأندلس، وما ركب  
إليها من الأخطار، وأنه صمد إليها من أيام ديار المشرق من غير  
عصابة ولا قوة ولا انصار فغلب على أهلها وعلى أمرهم،  
وتناول الملك من أيديهم بقوة شكيمة ومضاه عزم، ثم تخلى  
وأطاع وأورثه عقبه.

وكان عبد الرحمن هذا يلقب بالأمير وعليه جرى بنوه من  
بعد فلم يدع أحد منهم بأمير المؤمنين إذ بايع الخلافة بمقر الإسلام  
ومبتدأ العرب، حتى كان عبد الرحمن الناصر وهو الشامن منهم  
على ما ذكره قسمى بأمير المؤمنين وتوارث ذلك بنوه واحداً بعد  
واحد.

لما نزل ما نزل ببني أمية بالشرق وغلبهم بنو العباس على  
الخلافة وأذرواهم عن كرسياها وقتل عبد الله بن محمد بن مروان  
بن الحكم آخر خلفائهم سنة اثنين وثلاثين ومائة وتتبع بنو مروان  
بالقتل، فطلبوا من بعدها بطن الأرض.

وكان من أفلت منهم عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن  
عبد الملك، وكان قومه يتحينون له ملكاً بالمغرب، ويررون فيه  
علامات لذلك يوثقونها عن مسلمة بن عبد الملك، وكان هو قد  
سمعها منه مشافهة.

فكان يحدث نفسه بذلك فخلص إلى المغرب، ونزل على  
آخره نفراً من برابرة طرابلس.

وشعر به عبد الرحمن بن حبيب وكان قتل أبيه الوليد بن  
عبد الملك لما دخلوا إفريقية من قبله، فلتحق عبد الرحمن بمغنية  
ويقال بمكتاسة، ويقال: نزل على قوم من زناته فأحسنوا قبوله  
واطمأنوا فيه.

ثم لحق بمليلية ويعثر بدراما مولاً، إلى من بالأندلس من  
موالي الروانيين وأشياعهم فاجتمع بهم، وبيتوا له بالأندلس دعوة  
ونشروا له ذكره.

ووافق ذلك ما قدمناه من الفتنة بين اليمنية والمصرية،  
فاجتمعت اليمنية على أمره، ورجع إليه بدر مولاً بالخبر فأجاز  
البحر سنة ثمان وثلاثين في خلافة أبي جعفر المصوري، ونزل  
بساحل السندي وأناه قوم من أهل إشبيلية فبايعوه.

ثم انتقل إلى كورة رحب فبايعه عاملها عيسى بن مسور، ثم  
رجع إلى شدونة فبايعه عتاب بن علامة اللخمي.

ثم آتى مورور فبايعه ابن الصباح ونهز إلى قرطبة واجتمع  
عليه اليمنية.

وغي خبره إلى وإلى الأندلس يوسف بن عبد الرحمن الفهري  
وكان غازياً بجليقة فالفض عسكره وسار إلى قرطبة وأشار عليه  
وزيره الصميم بن حاتم بالتطهير له والمكر به، فلم يتم له مراده  
وارتغل عبد الرحمن من المنكب فاحتل بالقلة فبايعه جندها، ثم  
برندة فبايعه جندها، ثم بشريش كذلك، ثم باشبيلية فتوافت عليه  
الأمداد والأمصال، وتسائلت المضري إليه حتى إذا لم يبق مع  
يوسف بن عبد الرحمن غير الفهري والقيسي لكان الضميم منه،  
زحف إليه حيثذا عبد الرحمن بن معاوية وناجزهم الحرب بظاهر

وكان لبني عبد الرحمن الداخل بهذه العدوة الأندلسية ملك جيان.

ضمخ ودولة متعدة اتصلت إلى ما بعد المائة الرابعة كما نذكر.

وبعث إليه العساكر فاقترب جمعه واستأمن قائمته، ثم خرج عليه سنة حسن غياث بن المستبد الأستدي، فجمع عامل باجة العساكر وسار إليه فهزمه وقتلته، وبعث برأسه إلى عبد الرحمن بقرطبة.

وفي هذه السنة شرع عبد الرحمن في بناء السور على قرطبة، ثم ثار رجل بشرق الأندلس من ببرير مكناة يعرف بشقنا بن عبد الواحد، كان يعلم الصبيان وادعى أنه من ولد الحسين الشهيد، وتسمى بعبد الله بن محمد وسكن شنة برية واجتمع إليه حلق من البرير، فسار إليه عبد الرحمن فهرب في الجبال، واعتصم بها فرجع وولى على طليطلة حبيب بن عبد الملك، فولى حبيب شنة برية سليمان بن عثمان بن مروان بن عثمان بن أبيان بن عثمان بن عفان، فسار إليه سليمان وقتله وغلب على ناحية قوربة، فسار إليه عبد الرحمن سنة اثنين وخمسين ومائة.

وأغاره أمره وصار ينتقل في البلاد ويهرز العساكر وكان سكن مخصن شيطران من جبال بلنسية فسار إليه عبد الرحمن سنة ست وخمسين واستخلف على قرطبة ابنه سليمان فأثار الخبر بعصيان أهل إشبيلية وثورة عبد الغفار، وحيوة بن فلاقس مع اليمانية فرجع عن شقنا، وهله أمر إشبيلية. وقدم عبد الملك بن عمر لتقلهم فساروا إليه ولقيهم مستمتياً فهزمهما وأخْنَفُوهُمْ.

ولحق عبد الرحمن فشكرها له وجراه خيراً ووصله بالصهر وولاه الوزارة، ونجا عبد الغفار وحيوة بن فلاقس إلى إشبيلية فسار عبد الرحمن سنة سبع وخمسين إليها فقتلهم وقتل خلقاً من كان معهم، واستراب من يومئذ بالعرب فرجع إلى اصطناع القبائل من سواهم وأخْنَافُوهُمْ.

ولما كانت سنة إحدى وستين غدر بشقنا رجالان من أصحابه وجاءوا برأسه إلى عبد الرحمن.

ثم سار عبد الرحمن بن حبيب الفهري المعروف بالقلعي من إفريقية إلى الأندلس مظهراً للدعوة العباسية، ونزل بتدمير، واجتمع إليه البرير.

وكان سليمان بن يقطان عاملاً على برشلونة فكتب إليه يدعوه إلى أمره فلم يجيئه فسار إليه في البرير، ولقيه سليمان فهزمه وعاد إلى تدمير وزحف إلى عبد الرحمن من قرطبة، فاعتصم بجبل بلنسية فبذل عبد الرحمن فيه الأموال فاغتاله رجل من أصحابه البرير، وحمل رأسه إلى عبد الرحمن وذلك سنة اثنين وستين.

وعندما شغل المسلمين بعد الرحمن وتمهيد أمره قوي أمر الخلافة، واستفحـل سلطـانه وتجهز فـرويلـة بن الأـدفـونـش مـلكـهمـ، سـارـ إلىـ تـغـورـ الـبـلـادـ فـأـخـرـجـ الـسـلـمـنـ مـنـهـاـ وـمـلـكـهـاـ مـنـ أـيـدـيـهـمـ، وـرـدـ مدـيـزـلـكـ وـبـرـيـعـالـ وـسـمـورـةـ وـسـلـمـقـةـ وـقـشـتـالـةـ وـسـقـونـةـ، وـصـارـ لـلـجـلـالـةـ حـتـىـ اـنـتـحـاـ الـمـصـوـرـ بـنـ أـبـيـ عـامـرـ رـئـيـسـ الدـوـلـةـ كـمـاـ نـذـكـرـ فـيـ أـخـبـارـهـ.ـ نـسـمـ استـعـادـوـهـ بـعـدـ مـنـ بـلـادـ الـأـنـدـلـسـ وـاسـتـولـواـ عـلـىـ جـيـعـهـاـ.

وكان عبد الرحمن عندما تمهد له الأمر بالأندلس، ودعا للسفر، ثم خلمه واستبد بأمره كما ذكرناه.

وجد هشام بن عبد ربه الفهري مخالفًا بطليطلة على يوسف من قبله، ويفي على خلافه، ثم أغراه عبد الرحمن سنة تسع وأربعين بدرًا مولاً وثمام بن علقة فحاصراه - ومعه حيوة بن الوليد الحصي، وحزة بن عبد الله بن عمر - حتى غلباه، وجاء بهم إلى قرطبة فصلبوها.

وسار من إفريقية سنة تسع وأربعين للعلا بن مغيث اليحصبي وتزل باجة من بلاد الأندلس، داعياً لأبي جعفر النصوص واجتمع إليه خلق فسار عبد الرحمن إليه، ولقيه بنواحي إشبيلية فقاتلته أيامًا.

ثم انهزم العلاء وقتل في سبعة آلاف من أصحابه، وبعث عبد الرحمن برسوس كبيرة منهـمـ إلى القـيرـوانـ وـمـكـةـ، فـأـلـقـيـتـ فـيـ أـسـوـاقـهـ سـرـأـ وـمـعـهـ اللـوـاءـ الـأـسـوـدـ.

وكاتب النصوص للعلا ثم ثار سعيد اليحصبي المعروف بالطوري بمدينة لبلة طالباً بثار من قتل من اليمينة مع العلاء وملك إشبيلية، وسار إليه عبد الرحمن فامتخض بعض المحسونون فحاصره، وكان عتاب بن علقة اللخمي بمدينة شدونة فأمد الطوري، وبعث عبد الرحمن بدرًا مولاً فحال دون المدد ودون الطوري.

ثم طال عليه الحصار وقتل في بعض أيامه، وولي مكانه بالقلعة خليفة بن مروان.

ثم استأمن من بالقلعة إلى عبد الرحمن وأسلموا إليه المحسن فخربه وقتل عبد الرحمن خليفة ومن معه.

ثم سار إلى غياث فحاصره بشدونة حتى استأمنوا فأنهم، وعاد إلى قرطبة فخرج عليه عبد الرحمن بن خراشة الأستدي بكورة

## وفاة عبد الرحمن الداخل وولاية ابنه هشام

ورجع عبد الرحمن إلى قرطبة.

ثم خرج دحية الغساني في بعض حصون اليرزة، فبعث إليه شهيد بن عيسى فقتله، وخالف البربر عليهم بحرة بن البرانس، فبعث بدرأ مولاه فقتله وفرق جروعهم.

وغر القائد الإسلامي من قرطبة إلى طليطلة وعصى بها فبعث حبيب بن عبد الملك، وحاصره فهلك في الحصار.

وزحف عبد الرحمن سنة أربعين وستين إلى سرقسطة وبها سليمان بن يقطان والحسين بن عاصي، وقد حاصرهما ثعلبة بن عبيد من قواه فامتنعت عليه، وبقى سليمان على ثعلبة وبعث إلى ملك الفرنج فجاء وقد تنفس عنه الحصار فدفع إليه ثعلبة.

ثم غالب الحسين على سليمان وقتلها، وانفرد فحاصره عبد الرحمن حتى صالحه وسار إلى بلاد الفرنج وال بشكتش ومن وراءهم من الملك، ورجع إلى وطنه وغدر الحسين بسرقسطة، فسار إليه عامله ابن علقة فأسر أصحابه، ثم سار إلى عبد الرحمن.

سنة ست وستين وملتها عنده وقتل الحسين وقتل أهل سرقسطة.

ثم خرج سنة ثمان وستين أبو الأسود محمد بن يوسف بن عبد الرحمن فلقيه ببسططرنة وهزمها، وأتى في أصحابه.

ثم لقيه ثانية سنة تسع وستين فهزمه، ثم هلك سنة سبعين في أعمال طليطلة وقام مكانه آخره قاسم وغزاه عبد الرحمن فحاصره فجاء بغير أمان فقتله.

ثم توفي عبد الرحمن سنة اثنين وسبعين ومائة ثلاثة وثلاثين سنة من إمارته.

## وفاة عبد الرحمن الداخل وولاية ابنه هشام

ولما هلك عبد الرحمن كان ابنه الأكبر سليمان والياً على طليطلة، وكان ابنه هشام على ماردة، وكان قد عهد له بالأمر.

وكان ابنه عبد الله المسكين حاضراً بقرطبة فأخذ البيعة لأنبيه هشام وبعث إليه بالخبر فسار إلى قرطبة، وقام بالدولة وغض بذلك آخره سليمان فاظهر الخلاف بطيطلة، ولحق به آخره عبد الله ويعث هشام في أثره فلم يلحق.

وسار هشام في العساكر فحاصرهم بطيطلة وخالقه سليمان إلى قرطبة فلم يظفر بشيء منها وبعث هشام بن عبد الملك في أثره فقصد ماردة فحاربه عامله وهزمه الله بغير أمان ودخل في طاعته تاكدنا قفراه خالية سبع سنين.

وفي سنة تسع وسبعين بعث هشام الحاجب عبد الملك بن

ثم بعث سنة أربع وسبعين ابنه معاوية لحصار أخيه سليمان

فقتلهم البرير بطليرة بشار كاتب لهم، وقتل عمروس الباقين واستقامت تلك الناحية.

واستعمل عمروس ابنه يوسف على مدينة طليطلة ولحق بالفرنج سنة تسع وثمانين بعض أهل الخرابة، وأطمعوا الفرنج في ملك طليطلة فزحفوا إليها وملكونها وأسروها أميرها يوسف وحبسوه بصخرة قيس، وسار عمروس من فوره إلى سرقسطة ليحميها من العدو، وبعث العساكر مع ابن عمه، فلقي العدو وهزمهم وسار إلى صخرة قيس وقد وهن الفرنج من المزمعة فافتتحها، وبعث عمروس نائبه وخالص يوسف وعظم صيته.

### وقعة الربض

كان الحكم في صدر ولايته قد انهنك في لذاته، واجتمع أهل العلم والورع بقرطبة مثل يحيى بن يحيى الليثي وطالوت الفقيه وغيرهما ثاروا به، وامتنع فخلموه وبايعوا محمد بن القاسم من عمومة هشام.

وكان بالربض الغربي من قرطبة محلة متصلة بقصره، وحصروه سنة تسعين ومائة وقاتلهم فغلبهم وافتلقوا، وهدم دورهم ومساجدهم ولحقوا بفاس من أرض العدو، ولحقوا بالإسكندرية، ونزل بها منهم جع وثاروا بها، فزحف إليهم عبد الله بن طاهر صاحب مصر وافتتحها وأجازهم إلى جزيرة أفريش كما مر.

وكان مقدمهم أبا حفص عمر البلوطى، فلم يزل رئيساً عليهم ولده من بعده إلى أن ملوكها الفرنج من أيديهم.

### وقعة الحفرة بطلطلة

كان أهل طليطلة يكررون الخلاف ونقوسمهم قوية لحصانة بلدتهم، فكانت طاعتهم ملائكة فأعيا الحكم أمرهم واستقدم عمروس بن يوسف من التبر، وكان أصله من أهل مدينة وشقة من المولدين، وكان عاملاً عليها فداخله في التدبير على أهل طليطلة، وكتب له بولايتها فأنسوا به واطمأنوا إليه.

ثم داخلهم في الخلع وأشار عليهم ببناء مدينة يعتزل فيها مع أصحاب السلطان فوافقوه، وأمضى رأيه في ذلك.

ثم بعث صاحب الأعلى إلى الحكم يستتجده على العدو فبعث العساكر مع ابنه عبد الرحمن والوزراء، ومرروا بطلطلة ولم يعرض عبد الرحمن للدخولها.

عبد الواحد بن مغيث في العساكر إلى جلية فانتهى إلى ميورقة فجمع ملك الجلاقة واستمد بالملوك، ثم خام عن اللقاء ورجع أدراجه، وأتبعه عبد الملك وتغل في بلادهم وكان هشام قد بعث الجيوش من ناحية أخرى فالتحقوا بعد الملك وأتاخروا في البلاد واعتراضهم عسكر الإفرنج فنالوا منهم بعض الشيء ثم خرجوا ظافرين سالمين.

### وفاة هشام وولاية ابنه الحكم

ثم توفي هشام بن عبد الرحمن سنة ثمانين وما تسع سنين من إمارته وقيل: ثمان سنين، وكان من أهل الخير والصلاح، وكان كثير الغزو والجهاد، وهو الذي أكمَل بناء الجامع بقرطبة الذي كان أبوه شرع فيه، وأخرج المصرف لأنْخَذِي الصدقَة على الكتاب والسنة.

ولما مات ولِي ابنه الحكم بعده فاستكثر من المالك وارتباط الخيل، واستغسل ملكه وبasher الأمور بنفسه.

ولأول ولاته أجاز ابنه عبد الله البنسي من عدو المغرب فملك بلنسية، ثم أخوه سليمان من طنجة فحاربهما الحكم سنة ثم ظفر بعده سليمان فقتله سنة أربع وثمانين.

وأقام عبد الله بنلسية وكف عن الفتنة وأرسل الحكم في الصلح على يد يحيى بن يحيى الفقيه وغيره فصالحه سنة ست وثمانين.

وفي خلال الفتنة مع عميه سليمان وعبد الله اغتنم الفرنج الفرصة واجتمعوا وقصدوا برشلونة فملكونها سنة خمس وثمانين، وتأخرت عساكر المسلمين إلى ما دونها.

وبعث الحكم العساكر إلى برشلونة مع الحاجب عبد الكريم بن مغيث إلى بلاد الجلاقة فأثخن فيها وخالفهم العدو إلى المضائق فرجع إلى التعبية وظفر بهم، ورجع إلى بلاد الإسلام ظافراً.

وفي سنة إحدى وثمانين ثار البهلوان بن مرزوق بناحية التغر، وملك سرقسطة، وفيها جاء عبد الله البنسي عم الحكم كما ذكرناه.

وفي هذه السنة خالف عبيدة بن عمير بطلطلة، وكان القائد عمروس بن يوسف من قواد الحكم بطلطلة فكتب إلى هشام بمصارعهم فحاصرهم.

ثم استعمال بني مخشي من أهل طليطلة فقتلوا عبيدة وبعشوا برأسه إلى عمروس فبعث به إلى الحكم، وأنزل بني مخشي عنده

وكان يقرب الفقهاء والعلماء والصالحين، وهو الذي وطأ الملك لعقبة بالأندلس.

ولما مات قام بأمره من بعده ابنه عبد الرحمن فخرج عليه لأول إمارته عبد الله البلاسي عم أبيه، وسار إلى تدمير يريد قرطبة فجهز له عبد الرحمن ف الخام عن اللقاء، ورجع إلى بلنسية ومات أثر ذلك فنقل عبد الرحمن ولده وأهله إلى قرطبة.

ثم غزا لأول ولاته إلى جليقة فأباعد وأطال الغيبة وأثخن في أم النصرانية هنالك ورجع.

وقدم عليه سنة ست ومائتين من العراق زرائب المغبي مولى المهدى ومعه إبراهيم الموصلى، واسمه علي بن نافع فركب لتلقيه وبالغ في إكرامه، وأقام عنده تغير حال، وأورث صناعة الفتاء بالأندلس وخلف ولده خلفه كبيرهم عبد الرحمن في صناعته وحظوظه.

وفي سنة سبع كانت وقعة بالغرف كان الحكم قد قبض على عاملها ربيع، وصلبه حياً لما بلغه من ظلمه، وهلك الحكم أثر ذلك فتوافقى المظلومون من رباع إلى قرطبة يطلبون ظلامتهم، ومعظمهم جند البيرة ووقفوا بباب القصر وشغبوا، وبعث عبد الرحمن من يسكتهم فلم يقلوا فركبت الساكن عليهم وأوقعوا بهم ولهم الفل منهم إلى البيرة وبالشر، وتبيّهم عبد الرحمن.

وفي هذه السنة نشأت الفتنة بين المضرية واليمانية واقتلون، فهلك منهم نحو من ثلاثة آلاف وبعث عبد الرحمن إليهم مجى بن عبد الله بن خالد في جيش كييف ليفهم عن الفتنة ففكوا عن القتال لما أحسوا بوصوله.

ثم عاودوا الحرب عند مفيه، وأقاموا على ذلك سبع سنين.

وفي سنة ثمان ومائتين أغار حاجبه عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث إلى البة والقلاع فخراب كثيراً من البلاد وانتسفاها، وفتح كثيراً من حصونهم وصالح بعضًا على الجزية وإطلاق أسرى المسلمين، وأنصرف ظافراً وفي سنة ثلاثة عشرة انتقض عليه أهل ماردة وقتلوا عامله فبعث إليه الساكن فافتتحوها وعاودوا الطاعة وأخذوا رهانهم وخربوا سورها، ورجعوا عنهم.

ثم أمر عبد الرحمن بنقل حجارة السور إلى النهر فعاودوا الخلاف وأسرموا العامل وأصلحوا سورهم فسار إليهم عبد الرحمن سنة أربع عشرة ومائتين وحاصرهم فامتنعوا عليه.

ثم بعث الساكن سنة سبع عشرة فحاصرها فامتنعوا ثم

ثم رجع العدو وكفى الله شره، فاعتزم عبد الرحمن على العود إلى قرطبة فأشار عمروس عند ذلك على أهل طليطلة بالخروج إلى عبد الرحمن فخرج إليه الوجه وأكرمه، ودس خادم الحكم كتابه إلى عمروس بالخيالة على أهل طليطلة، فأشار عليهم عمروس بأن يدخلوا عبد الرحمن البلد، وأنزله بداره وأخذ صنيعاً للناس واستعد له على موعد لذلك فكان يدخلهم من باب وينحرجهم من آخر خشبة الزحام فيدخلون إلى حفرة في القصر وينضرب رقابهم عليها إلى أن قتل معظمهم وفطن الباقون ففرروا وحسنست طاعتهم من بعد ذلك إلى أيام الفتنة كما ذكر، ثم عصى أصبح بن عبد الله بماردة وأخرج عامل الحكم فسار إليه الحكم وحاصره وجاءه الخبر بعصيان أهل قرطبة فرجع وقتلهم.

ثم استنزل أصبح من بعد ذلك وأنزله قرطبة.

وفي سنة التسعين وتسعين جمع لوريق بن قار له ملك الإفرنج وسار لحصار طرطوشة فبعث الحكم ابنه عبد الرحمن في المسارك فهزمه وفتح الله على المسلمين.

ثم عاود أهل ماردة الخلاف عن الحكم سنة أربع وتسعين فسار إليهم وقاتلهم ثلاث سنين.

وكثير عيث الفرنج في الشنور فسار إليهم سنة ست وتسعين فاحت الحصون، وخرب التواحي وأثخن في القتل والسي والسبي والنهب وعاد إلى قرطبة ظافراً.

وفي سنة مائتين بعث الحكم المسارك مع الحاجب عبد الكريم بن مغيث إلى بلاد الفرنج فسار فيها وخرابها ونهبها وهدم عدة من حصونها، وأقبل إليه ملك الجلالقة في جرع عظيمة وتناولوا على نهر واقتلون عليه أياماً، ونان المسلمين منهم أعظم الليل، وأقاموا على ذلك ثلاثة عشرة ليلة، ثم كثرت الأمطار ومد النهر وقفل المسلمون ظافرين.

## وفاة الحكم وولاية ابنه عبد الرحمن الأوسط

ثم توفي الحكم بن هشام آخر سنة ست ومائتين سبع وعشرين سنة من ولايته، وهو أول من جند بالأندلس الأجناد والمترفة، وجمع الأسلحة والعدد، واستكثر من الحشم والمواشي، وارتبط الحيوان على بايه وأخذ الماليك، وكان يسمىهم المخرس لمحتمهم، وبلغت عدتهم خمسة آلاف، وكان يباشر الأمور بنفسه، وكانت له عيون يطالعونه بأحوال الناس.

فكان ذلك سبباً لانتقامه، فعصى على عبد الرحمن وبعث إليه الجيوش مع الحارث بن بزيع فقتله موسى وأنهزم وقتل ابن عمه، ورجع الحارث إلى سرقسطة.

ثم زحف إلى تطليقة وحاصر بها موسى حتى نزل عنها على الصلح إلى أربط وأقام الحارث بتطليقة أيامه.

ثم سار لحصار موسى في أربط فاستنصر موسى بغرسية من ملوك الكفر فجاءه، وزحف الحارث وأكثروا له فتنهم على نهر بلبة، فخرجت عليه الكمائن بعد أن أجاز الهر وأوقعوا به وأسروه، وقد فتحت عينيه، واستشاط عبد الرحمن هذه الواقعه، وبعث ابنه محمدًا في العساكر سنة تسعة وعشرين.

وحاصر موسى بتطليقة حتى صالحه، وتقدم إلى ينبلونة فأوقع بالمشركين، عندها وقتل غرسية صاحبها الذي أخذ موسى على الحارث، ثم عاود موسى الخلاف، فزحفت إليه العساكر فرجع إلى المسالمة ورهن ابنه عند عبد الرحمن على الطاعة، وقبله عبد الرحمن وولاه تطليقة، فسار إليها واستقرت في عمالته.

ثم كان في هذه السنة خروج المجروس في أطرافبلاد الأندلس ظهروا ستة عشر وعشرين بساحل أشبيلية، وكانت بينهم وبين أهلها الحرب ثلاثة عشر يوماً، ثم تقدمو إل قادس، ثم إلى أشدونة، وكانت بينهم وبين المسلمين بها وقعة.

ثم قصدوا إشبيلية ونزلوا قريباً منها وقاتلوا أهلها متصرف الحرم من سنة ثمان وعشرين فهزمه المسلمون وغنموا، ثم مضوا إلى باجة ثم إلى مدينة أشبيلية، ثم أفلعوا من هناك وانقطع خبرهم وسكنت البلاد وذلك ستة ثلاثين، وتقدم عبد الرحمن الأوسط بإصلاح ما خربوه من البلاد، وأكثف الحامية بها.

وذكر بعض المؤرخين حادثة المجروس هذه سنة ست وأربعين وعشرين ولعلها غيرها والله أعلم.

وفي سنة إحدى وثلاثين بعث عبد الرحمن العساكر إلى جليقة فدؤخوها وحاصرها مدينة ليون ورموا سورها فلم يقدرها عليه، لأن عرضه سبعة عشر ذراعاً فتلموا فيه ثلثة ورجعوا.

ثم أغزى عبد الرحمن حاجبه عبد الكري姆 بن مغيث في العساكر إلى بلاد برشلونة فجاز في نواحيها، وأجاز الدروب التي تسمى السرب إلى بلاد الفرنجة فدوختها قتلاً وأسراً وسيماً، وحاصر مدتيتهم العظمى وعادت في نواحيها وقفل، وقد كان ملك القسطنطينية توفلس بن توفلس بن توفيل، بعث إلى الأمير عبد الرحمن سنة خمس وعشرين بهدية ويطلب مواصاته فكافأه عبد الرحمن عن هديته، وبعث إليه يحيى الغزال من كبار الدولة، وكان

حاصرها ستة عشرين وفتحها ونجا فلهم مع محمود بن عبد الجبار منهم إلى ملت شلوط فاعتصم بها ستة عشرين وعشرين، فبعث عبد الرحمن العساكر لحصاره فلحق بدار الحرب واستولى على حصن من حصنهم أقام به خمسة أعوام حتى حاصره أذفونش ملك الجلالقة، وفتح الحصن وقتل محموداً وجميع أصحابه سنة خمس وعشرين.

وفي سنة خمس عشرة خرج مجدية طليطلة هاشم الفسراي من أهل واقعة الريض واشتدت شوكه واجتمعت له الخلق وأوقع بأهل شنت بريه، فبعث عبد الرحمن العساكر لقتاله فلم يصيرا منه، ثم بعث عساكر أخرى فقتلوه بناحبي دورقة فهزمه وقتل هو وكثير من أصحابه واستمر أهل طليطلة على الخلاف.

وبعث عبد الرحمن ابنه أمية لحصارها فحاصرها مدة ثم أفرج عنها ونزل قلعة رياح وبعث عسكراً للإغارة عليها وكان أهل طليطلة قد خرجوها في اتباعه إلى قلعة رياح فكمن لهم فأوقعوا به فاغتم بذلك، وهلك لأيام قليلة.

وبعث عبد الرحمن العساcker لحصارها ثانية فلم يظفروا، وكمن المغيرون عليها بقلعة رياح يعاودونها بالحصار كل حين. ثم بعث عبد الرحمن أخيه الوليد في العساكر سنة اثنين وعشرين لحصارها، وقد أشرفوا على الهملة، وضعفوا عن المدافعة فاقتحمها عنوة وسكن أهلها وأقام إلى آخر ثلاثة وعشرين ورجع.

وفي سنة أربع وعشرين بعث عبد الرحمن قريبه عبيد الله بن البلنسي في العساcker لغزو بلاد آلية والقلاء، ولقي العدو فهزمه وكثي السبي والقتل.

ثم خرج لزريق ملك الجلالقة وأغار على مدينة سالم بالثغر. فسار إليه فرنون بن موسى وقاتلته فهزمه، وأكثر القتل في العدو والأسر ثم سار إلى الحصن الذي بناه أهل آلية بالثغر نكاية المسلمين فافتتحه وهدمه.

ثم سار عبد الرحمن في الجيوش إلى بلاد جليقة فدوخها وافتتح عدة حصون منها، وجال في أرضهم ورجع بعد طول المقام بالسي والغناائم.

وفي سنة ست وعشرين وعشرين بعث عبد الرحمن العساcker إلى أرض الفرنجة، وانهوا إلى أرض سرتانية، وكان على مقدمة المسلمين موسى بن موسى عامل تطليقة ولقيهم العدو فصبروا حتى هزم الله عدوهم، وكان موسى في هذه الغزارة مقام محمود ووُقعت بينه وبين قراد عبد الرحمن ملاحة، وأغلظ له القائد

ثم سار إليهم ستة ثلاث وأربعين فأوقع بهم ثانية وأثخن فيهم وخرب ضياعهم، فصالحوه ثم تكثروا.

وفي سنة خمس وأربعين ظهرت مراكب المجنوس، ونزلوا بأشبيلية والجزيرة وأحرقوا مسجدها، ثم عادوا إلى تدمير ودخلوا قصر أربولة، وساروا إلى سواحل الفرنجة وعاثوا فيها، وانصرفوا فلقيهم مراكب الأمير محمد فقاتلتهم وغنموا منهم مركبين، واستشهد جماعة من المسلمين.

ومضت مراكب المشركين إلى برشلونة، وأسرروا صاحبها غرسيه وفدي نفسه منهم بسبعين ألف دينار.

وفي سنة سبع وأربعين حاصر طليطلة ثلاثة أيام.

ثم بعث الأمير محمد سنة إحدى وخمسين أخاه المنذر في العساكر إلى نواحي البة والقلاع فاعتدا فيها، وجمع لزريق للقائهم فلقيهم وانهزم، وأثخن المسلمين في المشركين بالقتل والأسر، وكان فتحاً لا كفأ له.

ثم غزا الأمير محمد بنفسه ستة إحدى وخمسين بلاد الجالقة فأنهخن وخرب، وانتقض عليه عبد الرحمن بن مروان الجليقي فيمن معه من الملديين، وساروا إلى التخصم، ووصل بهم بأذفونش ملك جليفة فسار إلى الوزير هاشم بن عبد الرحمن في عساكر الأندلس سنة ثلاثة وستين فهزمه عبد الرحمن وحصل هاشم في أسره.

ثم وقت المراودة في الصلح على أن ينزل عبد الرحمن بطليوس ويطلق الوزير هاشماً فتم ذلك سنة خمس وستين، ونزل عبد الرحمن بطليوس وكانت خربة فشيدها وأطلق هاشماً بعد ستين ونصف من أمره.

ثم تغير أذفونش لعبد الرحمن بن مروان وفارقه، وخرج من دار الحرب بعد أن قاتله ونزل مدينة أنطاكية بجهات ماردة وهي خراب فحصتها، وملك ما إليها من بلاد اليون وغيرها من بلاد الجالقة، واستضافها إلى بطليوس، وكان مظفر بن موسى بن ذي النون المواري عاملاً بشتى برية فانتقض وأغار على أهل طليطلة فخرجا إليه في عشرين ألفاً، ولقيهم فهزهم وانهزم معهم مطرف بن عبد الرحمن، وقتل من أهل طليطلة خلق، وكان مطرف بن موسى فرداً في الشجاعة ومحلاً من النسب ولقي شنجة صاحب برشلونة أمير البشكنس فهزمه شنجة وأسره، وفر من الأسر ورجع إلى شنت برية فلم يزل بها قويم الطاعة إلى أن مات آخر دولة الأمير محمد.

وفي سنة إحدى وستين انتقض أسد بن الحارث بن بديع بتاكرنا وهي رندة فبعث إليهم الأمير محمد العساكر وحاصرورهم

مشهوراً في الشعر والحكمة، فاحكم بينهما المواصلة وارتفع لعبد الرحمن ذكر عند متارعيه من بني العباس.

وفي سنة ست وثلاثين هلك نصر الحفي القائم بدولة الأمير عبد الرحمن وكان يضعن على مولاه ويمالء ابنه عبد الرحمن على ابنه الآخر ولـي عهده بما كانت أم عبد الله قد اصطنعته، وكانت حظية عند السلطان ومنحرفة عن ابنه محمد ولـي العهد، فدافتلت نصراً هذا في أمرها، وداخل هو طبيب الدار في أن يسمـ محمدـاً ولـي العهد، ودسـ الطـيـبـ بذلكـ إلىـ الأمـيرـ معـ قـهـرـمانـةـ دـارـهـ وأنـ نـصـراـ أـكـرهـهـ علىـ إـذـابةـ السـمـ فيـهـ، وـباـكـرـ نـصـرـ القـصـرـ وـدخـلـ عـلـىـ السـلـطـانـ يـسـتـفـهـمـ عـنـ شـرـبـ الدـوـاءـ فـوجـدـ بـينـ يـدـيهـ، وـقـالـ لـهـ: إنـ نـفـسيـ قدـ بـعـثـتـهـ فـاـشـرـهـ أـنـتـ فـوـجـمـ، فـاقـسـمـ عـلـيـهـ فـلـمـ يـسـعـهـ خـلـافـهـ فـشـرـهـ وـرـكـبـ مـسـرـعاـ إـلـىـ دـارـهـ فـهـلـكـ لـحـيـهـ، وـحـسـمـ السـلـطـانـ عـلـىـ اـبـنـهـ عـبدـ اللـهـ وـكـانـ مـنـ بـعـدـهـ مـهـلـكـهـ.

### وفاة عبد الرحمن الأوسط وولاته ابنه محمد

ثم توفي عبد الرحمن الأوسط بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل في ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين ومائتين لإحدى وثلاثين سنة من إمارته، وكان عالماً بعلوم الشريعة والفلسفة، وكانت أيامه أيام هدوء وسكن، وكثرت الأموال عنده واحتذى القصور والمتزهات وجلب إليها الماء، وجعل له مصنعاً لختن الناس شريعة.

وزاد في جامع قرطبة رواقين، وما تقبل أن يستلمه، فاته ابنه محمد بعد، وبني بالأندلس جوامع كثيرة ورتب رسوم الملكة، واحتتجب عن العامة.

ولما مات ولـي مكانـهـ ابنـهـ محمدـ، فـبـعـثـ لأـولـ ولـايـهـ العـساـكـرـ معـ أخيـهـ الحـكـمـ إـلـىـ قـلـعـةـ رـيـاحـ لـاصـلاحـ أـسـوـارـهـ، وـكـانـ أـهـلـ طـلـيـطـلـةـ خـرـبـهـاـ فـرـمـهـاـ وـأـصـلـحـ حـالـهـاـ، وـتـقـدـمـ إـلـىـ طـلـيـطـلـةـ فـعـاثـ فـنـواـجـهاـ.ـ

ثم بعث الجيوش مع موسى بن موسى صاحب تطليطة فعاد في نواحي البة والقلاع، وفتح بعض حصونها ورجع، وبعث عساكر أخرى إلى نواحي برشلونة وما وراءها فاعتدا فيها، وفتحوا حصون برشلونة ورجعوا.

ثم سار محمد سنة أربعين في جيشه إلى طليطلة فاستمدوا ملك جليفة وملك البشكنس فساروا لإيجادهم مع أهل طليطلة فلقيهم الأمير محمد على وادي سليط وقد أكمن لهم فأوقع بهم، وبلغ عدته القتلى من أهل طليطلة والمشركين عشرين ألفاً.

واستقام على طاعته إلى أن هلك الأمير محمد.

وكان ملك روما والفرنجية لعهده اسمه فرليب بن لوزيني.

## وفاة الأمير محمد وولادة ابنه المنذر

ثم توفي الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل في شهر صفر من سنة ثلات وسبعين وما تسعين خمس وثلاثين سنة من إمارته، وولى بعده ابنه المنذر قاتل لأول ولاده هاشم بن عبد العزيز وزير أبيه، وسار في العساكر لحصار ابن حفصون فحاصره محسن يشتري ستة أربع وسبعين، وانتزع جميع قلاعه وحصونه وكان منها رية وهي مالقة، وقبض على واليها من قبله عيشون قاتله، ولما اشتد الحصار على ابن حفصون سأله الصلح فأجابه وأفرج عنه، فنكلت فرجع لحصاره وصالح ثم نكث مرتين فاقام المنذر على حصاره وهلك قريباً فانبرأ عن ابن حفصون.

## وفاة المنذر وولادة أخيه عبيد الله ابن الأمير محمد

ثم توفي المنذر حاصراً لابن حفصون بجبل يشتري ستة خمس وسبعين وما تسعين لستين من إمارته فولى مكانه آخره عبد الله ابن الأمير محمد، وقف بالعساكر إلى قرطبة وقد اضطربت نواحي الأندلس بالثوار، ولما كثر الثوار قلل الخراج لامتناع أهل النواحي من الأداء وكان خراج الأندلس قبله ثلاثة ألف دينار، مائة ألف منها للجيros، ومائة ألف للفقة في التوائب وما يعرض، ومائة ألف ذخيرة ووفرًا فأتفقوا الوفر في تلك السنين وقل الخراج.

## أخبار الثوار وأولهم ابن مروان ببطليوس وأشبونة

قد تقدم لنا أن عبد الرحمن بن مروان انتقض على الأمير محمد بن عبد الرحمن سنة خمس وخمسين في غزاته إلى بلاد الجالقة، واجتمع إليه المولدون وصار إلى التخيم، ووصل يده بأذفونش ملك الجالقة فعرف لذلك بالجلقي.

وذكرنا كيف سار إليه هاشم بن عبد العزيز سنة ثلاثين في عساكر الأندلس فهزمه ابن مروان وأسره.

ثم وقع الصلح على إطلاق هاشم وان يتزوج ابن مروان

حتى استقاموا على الطاعة.

وفي سنة ثلات وستين أغزى الأمير محمد ابنه المنذر إلى دار الحرب وجعل طريقه على ماردة، وكان بها ابن مروان الجليقي، ومرت طائفة من عسكر المنذر بماردة فخرج عليهم ابن مروان ومعه جم من المشركين استظهر بهم، فقتل تلك الطائفة عن آخرهم.

وفي سنة أربع وستين بعث ابنه المنذر ثانية إلى بلد ينبلونة، ومر بسرقسطة فقاتل أهلها، ثم تقدم إلى تطيلة وعادت في نواحيها وخرب بلادبني موسى، ثم مضى لوجهه إلى ينبلونة فدخلها ورجع.

وفي سنة ست وستين أمر الأمير محمد بإنشاء المراكب بنهر قرطبة ليدخل بها إلى البحر العظيم، و يأتي جلية من ورائهم، فلما تم إنشاؤها وجرت في البحر، أصابها الريح وقطعت فلم يسلم منها إلا القليل.

وفي سنة سبع وستين وما تسعين انتقض عمر بن حفصون بمحسن يشتري من جبال مالقة وزحف إليه عساكر تلك الناحية فهزمه، وقوى أمره وجاءت عساكر الأمير محمد فصالحهم ابن حفصون واستقام أمر الناحية.

وفي سنة ثمان وستين بعث الأمير محمد ابنه المنذر لقتال أهل الخلاف فقصد سرقسطة وحاصرها وعادت في نواحيها، وفتح حصن ربطه، ثم تقدم إلى دير بروجة، وفيه محمد بن لب بن موسى.

ثم قصد مدينة لادرة وقرطاجنة، ثم دخل دار الحرب وعادت في نواحي البة والقلاع وفتح منها حصوناً ورجع.

وفي سنة سبعين سار هاشم بن عبد العزيز بالعساكر لحصار عمر بن حفصون بمحسن يشتري واستنزله إلى قرطبة فاقام بها، وفيها شرع إسماعيل بن موسى ببناء مدينة لادرة، فجمع صاحب برشلونة لنفعه من ذلك، وسار إليه فهزمه إسماعيل وقتل أكثر رجاله.

وفي سنة إحدى وسبعين سار هاشم بن عبد العزيز في العساكر إلى سرقسطة فحاصرها هاشم وانتبهما، وزلوا جميعاً على حكمه، وكان في عسكره عمر بن حفصون واستدعاه من التغفار فحضر معه هذه الغزارة فهرب ولحق بيشتر فامتنع به، وسار هاشم إلى عبد الرحمن بن مروان الجليقي وحاصره محسن منت مولن، ثم رجع عنه فأغار ابن مروان على إشبيلية ولقتلت.

ثم نزل منت شلوط فامتنع فيه، وصالح عليه الأمير محمد،

## ثورة الأمير ابن حفصون في يشتر وملقة ورندة واليس

ثم خرجا من حصن شونة ولحقاً بأخر من أصحاب جدهما عبد الرحمن.

ثم اضطرب الأميران ببطليوس وتنازعوا وقتل أحدهما الآخر، واستقل ببطليوس، ثم تصور عبد الله منها سنة ست وثمانين قتلته وملك بطليوس، واستفحلا أمره والمعجل له الأمير عبد الله عليهما ونازل حصن البرابرة حتى طاعرا له، وحارب ابن تاكيت صاحب ماردة ثم اصطلحوا وأقاموا جميعاً طاعة الأمير عبد الله، ثم تحرريرا فاتصلت حروبهما إلى آخر دولته.

## ثورة لب بن محمد بسرقسطة وتطيلة

ثم ثار لب بن محمد بن موسى بسرقسطة سنة ثمان وخمسين ومائتين أيام الأمير محمد فتبددت إليه الغزوات حتى استقام وأسجّل له الأمير محمد على سرقسطة وتطليلة وطرسونة فاحسن حاليتها، واستفحلا إمارته فيها، ونازله ملك الجالقة أذفونش في بعض الأيام بطرسونة، فنزل إليه ورده على عقبه منهذاً وقتل نحواً من ثلاثة آلاف من قومه وانتقض على الأمير عبد الله وحاصر تطيلة.

## ثورة مطرف بن موسى بن ذي التون

### الهواري بشنة برية

كان لمطرف صيت من الشجاعة ومحلى من النسب والعصبية، ثار في شنت برية، وكانت بينه وبين صاحب يبلونة سلطان البشككش من الجالقة حروب أسره العدو في بعضها قفر من الأسر ورجع إلى شنت برية، واستقامت طاعته إلى آخر دولة الأمير محمد.

## ثورة الأمير ابن حفصون في يشتر وملقة

### ورندة واليس

وهو عمر بن حفصون بن عمر بن جعفر بن ديميان بن فرغلوش بن أذفونش القس هكذا نسبه ابن حيان أول ثائر كان بالأندلس، وهو الذي افتح الخلاف بها وفارق الجماعة أيام محمد بن عبد الرحمن في سن السبعين والماضين.

خرج بجبل يشتري من ناحية ربة وملقة، وانتضم إليه الكثير من جند الأندلس من في قلبه مرض في الطاعة.

بطليوس، فقسم ذلك سنة خمس وثلاثمائة ونزل عبد الرحمن بطليوس فشيدها وترس بالدولتين.

ثم تغير له أذفونش وقاتلته ففارق دار الحرب، ونزل مدينة أنطاكية بجهات ماردة فحصنه وهي خراب، وملك ما إليها من بلد الـيون وغیرها من بلاد الجالقة، واستضافها إلى بطليوس، واستعجل له الأمير عبد الله على بطليوس، وكان معه بدار الحرب سعدون السراسقي، وكان من الأبطال الشجعان، وكان دليلاً للغزو وهو من الخارجين معه.

فلما نزل عبد الله بطليوس انتزى سعدون ببعض الحصون ما بين قلنبرة وباجة ثم ملك قلنبرة وترس بأهل الدولتين إلى أن قتله أذفونش في بعض حروبه معه.

## ابن تاكيت ماردة

كان محمد بن تاكيت من مصمودة، وثار بناحية الثغر أيام الأمير محمد، ورحب إلى ماردة وبها يومئذ جند من العرب وكتماء، فأعمل الخليفة في إخراجهم منها، ونزلها هو وقومه مصمودة.

## بقية خبر ابن مروان

ولما ملك ابن تاكيت ماردة زحفت إليه العساكر من قربطة، وجاء عبد الرحمن بن مروان من بطليوس مددًا له فحاصروه ثم أشهروا ثم أقلموا.

وكان ماردة جموع من العرب ومصمودة وكتماء، فتحيل محمد بن تاكيت على العرب وكتماء وأقاربهم فأخرجهم واستقل ماردة هو وقبمه، وعظمت الفتنة بينه وبين عبد الرحمن بن مروان صاحب بطليوس بسبب مظاهرته عليه، وحاربه فهزمه ابن مروان مراراً كانت إحداها على لقتنه، استلهم فيها مصمودة فقصت من جحاج ابن تاكيت واستجاش سعدون السراسقي صاحب قلنبرة فلم يفته، وعلا كعب بن مروان عليهم وتوثق أمره، وطلب ابن حفصون في الولاية فامتنع ثم هلك إثر ذلك سنة أيام الأمير عبد الله، وولي ابنه عبد الرحمن بن مروان وأتّخن في البرابرة الجبارين له وهلك لشهررين من ولاته، فقد الأمير عبد الله على بطليوس لأميرين من العرب، ولحق من بقي من ولد عبد الرحمن بمحسن شونة، وكانا اثنين من أعقابه، وهم مروان وعبد الله ابنا إبيه محمد، وعمهما مروان.

ونزل إلى قرطبة بعد سنة من ولادته.

وخرج الناصر إلى يشتري فدخله وجال في أقطاره ورفع أشلاء عمر وابنه جعفر وسلمان فصلبهم بقرطبة، وخراب جميع الكنائس التي كانت في الحصون التي بنواها رية وأعمال مالقة ثلاثين حصنًا فأكثر، وافتراض أمر بني حفصون وذلك سنة خمس عشرة وتلثمانة والبقاء لله.

### ثوار إشبيلية المتعاقبون

ابن أبي عبيدة وابن خلدون وابن حجاج وابن مسلمة، وأول الثوار كان بإشبيلية أميّة، ابن عبد الله الغافر بن أبي عبيدة، وكان جده أبو عبد الله عاملًا عليها من قبل عبد الرحمن الداخل.

قال ابن سعيد - ونقله عن مؤرخي الأندلس: الحجازي ومحمد بن الأشعث، وابن حيان قال: لما اضطربت الأندلس بالفتنة أيام الأمير عبد الله وسمّا رؤساء البلاد إلى التغلب، وكان رؤساء إشبيلية المرشحون لهذا الشأن أميّة بن عبد الغافر، وكليب بن خلدون الحضرمي، وأخوه خالد وعبد الله بن حجاج، وكان الأمير عبد الله قد بعث على إشبيلية ابنه محمداً، وهو أبو الناصر والفر المذكورون يحرون على الاستبداد، فشارروا بمحمود ابن الأمير عبد الله، وحصروه في القصر مع أممه وانصرف ناجياً إلى أميه.

ثم استبد أميّة بولايتها على مداراهن ودس على عبد الله بن حجاج من قتلها، فقام أخوه إبراهيم مكانه فشاروا به وحاصروه في القصر، ولما أحبط به خرج إليهم مستمبًا بعد أن قتل أهله وأنتف موجوده فقتل، وعاثت العامة برأسه وذلك أعمام الثمانين والثلاثمائة.

وكتب ابن خلدون وأصحابه بذلك إلى الأمير عبد الله، وأن أميّة خلع وقتل فتقبل منهم للضرورة، وبعث عليهم عمّه هشام بن عبد الرحمن، واستبدلوا عليه وتولى كبر ذلك كريباً بن خلدون، واستبد عليهم بالرياسة.

قال ابن حيان: ونسبهم في حضرموت وهم بإشبيلية نهاية في النهاية، مقتسمين للرياسة السلطانية والعلمية.

وقال ابن حزم: إنهم من ولد وائل بن حجر، ونسبهم في كتاب «الجمهرة»، وكذلك قال ابن حيان في بني حجاج.

قال الحجازي: وما قتل عبد الله بن حجاج قام أخوه

وابنى قلعته المعروفة به هناك، واستولى على غرب الأندلس إلى رonda وعلى السواحل من الجهة إلى البيرة، وزحف إليه هاشم بن عبد العزيز الوزير فحاصره واستنزله إلى قرطبة سنة سبعين.

ثم هرب ورجع إلى حصن يشتري، ولما توفي الأمير محمد تغلب على حصن الحامة وريمة ورonda والشجنة، وغزاه المنذر سنة أربع وسبعين فافتتح جميع قلاعه وقتل عامله برية، ثم سال الصلح فعقد له المنذر.

ثم نكث ابن حفصون وعداد إلى الخلاف فحاصره المنذر إلى أن هلك محاصرًا له فرجع عنه الأمير عبد الله، واستقبح أمر ابن حفصون والثوار وتولّت عليه الغزوّات والمحاصر.

وكاتب ابن الأغلب صاحب إفريقيّة وهاداه وأظهر دعوة العباسية بالأندلس فيما إليه وتشاءل ابن الأغلب على إجابته لاضطرباب إفريقيّة، فامسك وأكثر الأجلاب على قرطبة وبني حصن بلایة قريباً منها، وغزاه عبد الله وافتتح بلایة والشجنة.

ثم قصده في حصنه فحاصره أيامًا وانصرف عنه فاتبعه ابن حفصون فكر عليه الأمير عبد الله وهزمه وأخْنَفَ فيه، وافتتح البيرة من أعماله، ووالى عليه الحصار في كل ستة. فلما كانت وثمانين عمر بن حفصون وخالص ملك الجالقة فتبّدأ إليه أمراؤه بالخصوص عهده، وسار الوزير أحد بن أبي عبيدة لحصاره في العساكر فاستتجد بإبراهيم بن حجاج الشائر بإشبيلية، ولقياه فهزمهما وراح ابن حجاج الطاعة، وعقد له الأمير عبد الله على إشبيلية، وبعث ابن حفصون بطاعته للشيعة عندما تغلبوا على القبروان من يد الأغالبة، وأظهر بالأندلس، دعوة عبد الله.

ثم راجع طاعة بني أميّة عندما هيأ الله للناصر ما هيأه من استفحال الملك، واستنزل الثوار، واستقام إلى أن هلك ستة وثلاثمائة لسيع وثمانين سنة من ثورته، وقام مكانه ابنه جعفر فاقره الناصر على أعماله، ثم دس إلىه أخوه سليمان بن عمر بعض رجالاتهم فقتلهم لستين أو ثلاثة من ولايته، وكان مع الناصر فرار إلى أهل يشتري وملكته مكان أخيه، وذلك ستة ثمان وثلاثمائة، وخطاب الناصر فقد له كما كان أخوه، ثم نكث وتحر إنكائه ورجوعه.

ثم بعث إليه الناصر وزيره عبد الحميد بن سبييل بالعساكر، ولقيه فهزمه وقتلته وجيء برأسه إلى قرطبة.

وقدم الملدوون أخاه حفص بن عمر فانتكث ومضى على العصيان، وغزاه الناصر وجهز العساكر لحصاره حتى استأمن له،

عند الأمير عبد الله بأنه بايع جماعة من سماة الشر لأخيه هشام بن محمد، ولقت بذلك شهادات اعتمد القاضي حينئذ قبولاً وأشار للساعين أن يجتمعوا في الجماعة للمشهود عليهم باليعة بعض أعدائه فتمت الحيلة، وقتل هشام أمية الوزير وذلك سنة أربع وثمانين.

### وفاة الأمير عبد الله بن محمد وولاته حافظه

عبد الرحمن الناصر بن محمد

ثم توفي الأمير عبد الله في شهر ربيع الأول من آخر المائة الثالثة لست وعشرين سنة من إمارته، وولي حافظه عبد الرحمن ابن أبيه محمد قتيل أخيه المطرف، وكانت ولاته من الغريب لأنه كان شاباً وأعماماً وأعماها عليه حاضرون فقصدوا إليها وحازها دونهم، ووُجِدَ الأندلس مضطربة فسكنها، وقاتل المخالفين حتى أذعنوا واستنزل الثوار وما أثر ابن حفصون كبيرهم، وحمل أهل طليطلة على الطاعة، وكانت معرفون بالخلاف والانفصال، واستقامت الأندلس وسائر جهاتها في نيف وعشرين سنة من أيامه، ودامت أيامه نحو من خمسين سنة استغل فيها ملكه ببني أمية بذلك التواحي، وهو أول من تسمى بأمير المؤمنين عندما تلاشى أمر الخلافة بالشرق، واستبدل موالي الترك على بي العباس، وبلغه أن المقدار قتله مؤسس المظفر مولاه سنة سبع وعشرين وثلاثمائة فلقي باللقب الخلفاء، وكان كثير الجهاد بنفسه والغزو إلى دار الحرب إلى أن انهزم عام الحندي سنة ثلاثة وثلاثين وثلاثمائة ومحض الله المسلمين فقد عن الغزو بنفسه، وصار يردد الصواف في كل سنة، فاوْطأ عساكر المسلمين من بلاد الفرنج ما لم يطأه قبل في أيام سلفه، ومدت إليه أمم الصرمانية من وراء الدروب بد الإذعان، وأوقفوا إليه رسالهم وهداياهم من روما والقدسية، وفي سبيل المهادنة والسلام والاحتلال فيما يعن من مرضاته.

ووصل إلى سنته ملوك الجلاقة من أهل جزيرة الأندلس المتاخرين لبلاد المسلمين، كجهات قشتالة وبنبلونة وما إليها من الشعور الجرفية، فقبلوا يده والتمسوا رضاه، واحتسبوا جوازه وامتطوا مرركه.

ثم سما إلى ملك العدوة فتناول سبعة من أيدي أهلها سنة سبع عشرة، وأطاعه بنو إدريس أمراء العدوة وملوك زناتة البربر، وأجاز إليه الكبير منهم كما ذكر في أخباره وبدأ أمره لأول ولاته بتخفيف المغارم عن الرعايا، واستحجب موسى بن محمد بن محبني، واستوزر عبد الملك بن جهور بن عبد الملك بن جوهر،

إبراهيم مقاومه، وظاهر بني خلدون، على قتل أمية وأنزل نفسه منهم منزلة الخديم واستبد كريب وعسف أهل إشبيلية، فنفر عنه الناس وتمكن لإبراهيم الغرض، وصار يظهر الرفق كلما أظهر كريب الغلطة، وينزل نفسه منزلة الشفيع والملاطف، ثم دس للأمير عبد الله بطلب الولاية ليشتبد بكتابه على كريب بن خلدون، وكتب له بذلك عهده فأظهره للعامة وثاروا جميعاً بكريبي قتلوا.

واستقام إبراهيم بن حجاج على الطاعة للأمير عبد الله وحسن مدينة قرطبة، وجعل فيها مرتبط خيوله، وكان يتزداد ما بينها وبين إشبيلية.

وهلك ابن حجاج واستبد ابن مسلمة ب مكانه.

ثم استقرت إشبيلية آخرأً يد الحجاج بن مسلمة، وقرطبة يد محمد بن إبراهيم بن حجاج، وعقد له الناصر، ثم انتقض وبعث له الناصر بالعساكر، وجاء ابن حفصون لظهوره ابن مسلمة فهو منه العساكر، وبعث له ابنه شفيعاً فلم يشفعه فبعث ابن مسلمة بعض أصحابه سراً، فدخل الناصر في المكر به وعقد له، وجاء بالعساكر وخرج ابن مسلمة للحدث معه فنذروا به وملكون، عليه أمره، وحلوه إلى قرطبة، وتزل عامل السلطان إشبيلية، وكان من الثوار على الأمير عبد الله قريبه، وغدر به أصحابه قتل.

### مقتل الأمير محمد ابن الأمير عبد الله ثم

مقتل أخيه المطرف

كان المطرف قد أكثر السعاية في أخيه محمد عند أبيهما، حتى إذا تذكرت سعايته وظهر سخطه على ابنه محمد لحق حينئذ بيد ابن حفصون.

ثم استأمن ورجع وبالغ المطرف في السعاية إلى أن جسده أبوه ببعض حجر القصر، وخرج لبعض غزواته واستخلف ابنه المطرف على قصره، فقتل أخيه في محبسه مفتاناً بذلك على أخيه، وحزن الأمير عبد الله على ابنه محمد، وضم ابنه عبد الرحمن إلى قصره وهو ابن يوم فربى مع ولده.

ثم بعث الأمير عبد الله ابنه المطرف بالصافحة سنة ثلاثة وثمانين ومائتين، ومعه الوزير عبد الملك بن أمية فقتل المطرف بالوزير لعداوة بينهما، وسطاً به أبوه الأمير عبد الله وقتل شر قتلة ثار فيها منه ب أخيه محمد وبالوزير، وعقد مكان الوزير لابنه أمية فسُجن على القراء بأنفه، وترفع على الوزراء فمقتلوه وسعوا فيه

يريد الخلاف والبيعة لنفسه.

وسعى القاضي في محمد بن عبد الجبار وأنه يروم الانتقام، واستطلع على الجلي من أمرهما وتحقق تفضيلهما سنة ثمان وثلاثمائة.

### سيطرة الناصر ببني إسحاق المروانيين

وهو إسحاق بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن الوليد بن إبراهيم بن عبد الملك بن مروان، دخل جدهم أول الدولة ولن يزال في إكرام وعز، واستقرت الرئاسة في إسحاق، وسكن إشبيلية أيام الفتنة عند ابن حجاج.

ثم هلك ابن حجاج وولي ابن مسلمة فاتهمه، وقبض عليه وعلى ولده وصهره يحيى بن حكم بن هشام بن خالد بن أبيان بن خالد بن عبد الله بن عبد الملك بن الحارث بن مروان فقتل الولد والصهر وكان عنده سفير لابن حفصون فشقق في الشيخ إسحاق وولده أحد.

ثم ملك الناصر إشبيلية من يد ابن مسلمة، فرحل إسحاق إلى قرطبة واستقر في الناصر واستقر به أسد وابنه محمد وعبد الله فتحروا الفتوحات، وكفروا الهمات، وعلت متاديرهم في الدولة وتزوي أبوهم إسحاق فورثوا مكانه في كل رفيعة، ثم هلك كثيرون عبد الله وكان مقدمهم عند الناصر، واستقر بهم الناصر بالخلاف وكثرت فيهم السعایات، وصاروا في مجال الظنو فسطوا بهم الناصر وغربهم في التواحي، فانزوى أمية منهم في تسترين سنة خمس وعشرين وثلاثمائة وخلع الطاعة وقصده الناصر في العساكر فدخل دار الحرب وأجاره زعيم ملك الجلالقة، ثم تغير له فجاء إلى الناصر من غير عهد وعفا عنه وبقي في غمار الناس إلى أن هلك.

وأما أحد فنزل عن سرقتة لما نكب أبوه وبقي خاماً منضياً، ثم تكاثرت السعاية فيه فقتل.

واما أحد فبقي في جلة الناصر حتى إذا تحرك إلى سرقة نبي عنه، ففر ولقي في مفره جماعة من أهل سرقة قتلوا.

### أخبار الناصر مع الثوار

كان أول فتحه أبيح له أسلحه بعث إليها بدرأً مولاً وحاجة فافتتحها من يد ابن حفصون سنة ثلثمائة، وغزا في أثرها بنفسه فافتتح أكثر من ثلاثين حصنًا من يد ابن حفصون منها البرية،

وأحمد بن عبد الملك بن سعد وأهدي له هديته المشهورة المتعددة الأصناف، ذكرها ابن حيان وغيره، وهي مما نقل من ضخامة الدولة الأموية واسع أحوالها، وهي خمسة ألف مقال من الذهب العين، وأربعون طرل من التبر ومصارفه خمسة وأربعون ألف دينار، ومن سبائكه الفضة مائتا بدرة وأئنا عشر طرلاً من العود الصمغى المتخير، ومائة طرل من العود الشبه المقسى، ومائة أوقية من المسك الذكي المفضل في جنسه، وخمسة وأربعون طرلاً من العنبر الأشهب المفضل في جنسه على خليقه من غير صناعة ومنها قطعة مملوكة عجيبة الشكل، وزن مائة أوقية، وثلاثة وأربعون الكافور المترفع الذكاء.

ومن اللباس ثلاثون شقة من الحرير المختم المرقوم بالذهب للباس الخلفاء، مختلفة الألوان والصناعات، وعشرة أفرقة من عالي جلود الفنك الخراسانية، وستة من السرادقات العراقية، وثمان وأربعون من الملحف البغدادية لزينة الخيل من الحرير والذهب، وثلاثون شقة الغزيون من الملحف لسروج المبات، وعشرة قناطير من السعور فيها مائة جلد، وأربعة آلاف طرل من الحرير المغزول، وألف طرل من الحرير التقسي للاستغزال، وثلاثون سساطاً من الصوف، وعشرون مائة منقة مختلفة، ومائة قطعة مصليات من وجوه الفرش المختلفة، وخمسة عشر من نماذج الخز المقطوع شطرها.

ومن السلاح والعدة ثمانمائة من تخفيف الزينة أيام البروز والمراكب، والف ترس سلطانية، ومائة ألف سهم من البنال البارعة الصنعة، ومن الظهر خمسة عشر فرساً من الخيل العرب المتخيرة لركاب السلطان فائقة النعمت، وعشرون من بغال الركاب مسرجة ملجمة بمراكب خلافية، وثلج بغال مجالس سروجها خرز جعفري عراقي، ومائة فرس من عتاق الخيل التي تصليح لسلامة في التصرف والغزو، ومن الرقيق أربعون وصيفاً، وعشرون جارية متخيرات بكسوهن وزيتنهن، ومن سائر الأصناف ومن الصخريات ما أنفق عليه في عام واحد ثمانون ألف دينار، وعشرون ألف عود من الخشب من أجل الخشب وأصلبه وأقدمه، قيمته خسون ألف دينار، وعرضت المدية على الناصر سنة سبع وعشرين فشكراها وحسن لديه موقعها.

### سيطرة الناصر بأخيه القاضي ابن محمد

كان محمد بن عبد الجبار ابن الأمير محمد، وعبد الجبار هو عم أبي الناصر قد سعى عنده في أخيه القاضي ابن محمد، وأنه

## أخبار طليطلة ورجوعها إلى الطاعة

قال ابن حبان: اخْطَطُهَا دِيرِنِيقِيوشُ الْجَبَارُ، وَكَانَ قَوَادُ رُومَةِ يَنْزَلُونَهَا دَارَ مَلْكٍ، ثُمَّ ثَارَ بِهَا بِرْيَاطٌ مِنْ خَجَانِيَّةِ فَمَلَكُهَا، وَأَخْتَلَفَ قَوَادُ رُومَةِ عَلَى حَصَارِهِ.

ثُمَّ وَثَبَ بِهِ بَعْضُ أَصْحَابِهِ قَتْلَهُ وَمَلَكُهَا.

ثُمَّ قُتِلَ وَرَجَعَ إِلَى قَوَادِ رُومَةِ، ثُمَّ اتَّقْضَى أَهْلُهَا وَوَلَوْا أَمِيرًا مِنْهُمْ اسْمُهُ أَنِيسٌ.

ثُمَّ قُتِلَ وَرَجَعَ إِلَى قَوَادِ رُومَةِ، وَقَامَ أَوْطَمُ شَتِيلَةُ، وَأَطَاعَهُ أَهْلَ الْأَنْدَلُسِ، وَامْتَنَعَ عَلَى مُلُوكِ رُومَةِ.

ثُمَّ غَزَاهُمْ وَحَاصَرُوهُمْ وَفَتَحُوهُمْ كَثِيرًا مِنْ بَلَادِهِمْ، وَرَجَعَ إِلَى طَلِيلَةِ، وَثَارَ عَلَيْهِ الشَّكِنْسُ فَظَهَرَ عَلَيْهِمْ وَأَوْقَعَ بَيْهُمْ، وَلَحَقُوا بِالْجَبَالِ، وَهَلَكَ شَتِيلَةُ بَعْدِ سَعْيٍ، وَمَلَكَ مَكَانَهُ عَلَى الْغَوْطَ بِسَيْلَةِ سَتِينِ، لَمْ يَغْنِ فِيهَا.

ثُمَّ وَلَيْلَيْهِمْ حَدَّسٌ، وَغَزَا إِفْرِيقِيَّةً، وَوَلَيْلَ بَعْدَهُ قَبَانُ، وَبَنَى الْكَنَاسَ وَبَلَغَهُ خَبْرُ الْمَبْعَثِ فَقَالَ لَهُ بِلَيَانُ، وَكَانَ مِنْ أَكَابِرِ الْغُرُوطِ وَأَعْظَامِهِمْ: وَجَدَتِ الْكَوَافِرُ فِي كِتَابِ مَطْرِيُوسِ الْعَالَمِ عَنْ دَانِيَالِ الَّذِي أَنْهَمَ بِهِمْ الْأَنْدَلُسَ.

ثُمَّ هَلَكَ فَتَبَادَرَ وَمَلَكَ ابْنَهُ سَتَّ عَشْرَةَ سَنَةً، وَكَانَ سَيِّدُ السِّيَرَةِ.

وَوَلَيْلَ بَعْدَهُ لِزَرِيقٍ ثُمَّ لَمْ تَزُلْ طَلِيلَةُ دَارَ فَتَتَةَ وَعَصْبَيَّةَ وَمَنْعَةَ، أَتَبَتْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الدَّاخِلُ سَبْعَ سَنِينَ، وَاتَّقْضَتْ عَلَى هَشَامَ وَالْحَكَمَ وَعَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَوْسَطَ، إِلَى أَنْ جَاءَ النَّاصِرُ فَأَدْخَلَهُمْ فِي الطَّاعَةِ كَرَهًا لَمَّا أَكْمَلَ فَسْحَةَ مَارَدَةِ وَبِطْلِيُوسِ وَتَسْتِرِينِ، سَارَ إِلَيْهِمْ فِي الْعَسَكِرِ وَحَاصِرَهُمْ، وَجَاءَ الطَّاغِيَّةِ يَظْهَرُهُمْ فَدَافَعُهُمُ الْنَّاصِرُ، وَجَسَمَ عَلَيْهَا فَخَرَجَ أَمِيرُهُمْ ثَلَبَةً بْنَ عَمَّارِ بْنِ عَبْدِ الْوَارِثِ إِلَى النَّاصِرِ فَاسْتَقَالَ وَاسْتَأْمَنَ فَأَمْنَهُ وَعَفَّا عَنْهُ، وَدَخَلَهُمُ الْنَّاصِرُ وَجَالَ فِي أَقْطَارِهِمْ وَرَجَعَ عَنْهُمْ، فَلَمْ يَرَالَوْا مُسْتَقِيمِينَ عَلَى الطَّاعَةِ بَعْدَ.

## أخبار الناصر مع أهل العدو

ثُمَّ سَمَا لِلنَّاصِرِ أَمْلَ في مَلْكِ عَدُوِّ الْبَرِيرِ مِنْ بَلَادِ الْمَغْرِبِ، فَاقْتَصَرَ أَمْرُهُ بِعُلُكَ سَبْتَةِ مِنْ بَيْنِ عَصَامِ وَلَاهِ، وَاسْتَدْعَى أَمْرَاءَ الْبَرِيرِ بِالْعَدُوِّ، وَبَلَغَ الْخَبْرُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ عَمَّارِ بْنِ إِدْرِيسِ فَبَسَادَ إِلَى سَبْتَةِ، وَحَاصِرَهَا أَنْفَسَةُ مِنْ عَبْرِ النَّاصِرِ إِلَيْهِمْ، ثُمَّ اسْتَقَالَ

وَدَوْخَ سَائِرَ أَقْطَارِهِ وَضَيَّقَ مُخْنَقَهُ بِالْحَصَارِ، وَاسْتَنْزَلَ سَعِيدَ بْنَ مَزِيلَ مِنْ حَصَنِ الْمَلَوْنِ وَحَصَنِ سَمَانَ.

وَفِي سَنَةِ إِحدَى وَثَلَاثَةِ مَلَكِ إِشْبِيلِيَّةِ مِنْ يَدِ أَحْمَدِ بْنِ مُسْلِمَةِ كَمَا ذَكَرْنَا.

ثُمَّ سَارَ سَنَةُ اثْنَيْنِ وَثَلَاثَةِ مَلَكِ فَنَازَلَ حَصَنُونَ ابْنَ حَصَنَوْنَ وَانْتَهَى إِلَى الْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ، وَضَبَطَ الْبَحْرَ وَنَظَرَ فِي أَسَاطِيلِهِ وَاسْتَكْثَرَ مِنْهَا، وَمَنَعَ ابْنَ حَصَنَوْنَ مِنِ الْبَحْرِ، وَسَالَهُ فِي الصَّلَحِ عَلَى لَسَانِ يَحْيَى بْنِ إِسْحَاقِ الْمَرْوَانِيِّ فَقَدَ لَهُ.

ثُمَّ أَغْزَى إِسْحَاقُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفَرْشَيِّ إِلَى الشَّوَّارِ بِمَرْسِيَّةِ وَبِلَنْسِيَّةِ فَأَتَخْنَ في تِرَاجِيَّهَا، وَفَتَحَ أَرْبُولَةَ وَأَغْزَى بَدْرَأَ مُولاَهُ إِلَى مَدِينَةِ لَبَّةِ، فَاسْتَنْزَلَ مِنْهَا عُثْمَانَ بْنَ نَصَرَ التَّائِرَ بِهَا وَسَاقَ مَقِيدًا إِلَى قَرْبَطَةِ، ثُمَّ أَغْزَى إِسْحَاقُ بْنُ مُحَمَّدٍ سَنَةَ حَسْنَ وَثَلَاثَةَ مَلَكَةَ قَرْبَطَةِ، ثُمَّ أَغْزَى بْنُ حَبِيبٍ بْنِ سَوارَةَ، كَانَ ثَائِرًا بِهَا.

وَفَتَحَ حَصَنَ سَمَرِيَّةَ سَنَةَ سَتَّ، وَحَصَنَ طَرَشَ سَنَةَ تَسْعَ، وَاطَّاعَهُ أَحْمَدُ بْنُ أَضْحَى الْمَهْدَانِيُّ التَّائِرُ، حَصَنُ الْجَامَةِ، وَرَهَنَ ابْنَهُ عَلَى الطَّاعَةِ، وَغَزَا ابْنَ حَصَنَوْنَ سَنَةَ أَرْبَعَ عَشَرَةَ فَرَدَتِهِ الْعَسَكِرُ الْجَمَرَةَ لِحَصَارِهِ، وَرَجَعَ وَيَعْثُ إِلَيْهِ حَصَنَ بِسْتَانِهِ فَأَمْنَهُ، وَجَاءَ إِلَى قَرْبَطَةِ وَمَلَكَ النَّاصِرِ يَشْتَرِي كَمَا مَرَ.

ثُمَّ اتَّقْضَى سَنَةَ حَسْنَ وَعَشْرِينَ أَمِيرًا بْنَ إِسْحَاقِ فِي تَسْتِرِينَ، وَقَدْ مَرَ ذَكْرُ أُولَئِيَّهُ وَمُحَمَّدُ بْنُ هَشَامِ التَّجِيَّبِيِّ فِي سَرْقَسْطَةِ، وَمَطْرِفِ بَنْ مَنْدِفِ التَّجِيَّبِيِّ فِي قَلْعَةِ أَيُوبِ فَغَزَاهُمُ الْنَّاصِرُ بِنَفْسِهِ، وَبِدَا بِقَلْعَةِ أَيُوبِ فَحَاصِرَهُ وَقُتِلَ مَطْرِفُ فِي أَوَّلِ جُولَةٍ عَلَيْهَا، وَقُتِلَ مَعَهُ يَوْنَسُ بْنُ عَبْدِ الرَّزِيزِ، وَجَلَّا أَخْوَهُ إِلَى الْقَصْبَةِ حَتَّى اسْتَامَنَ وَعَنَّهُ، وَقُتِلَ مِنْ كَانَ مِعَهُمْ مِنَ النَّصَارَيِّيَّةِ أَهْلَ الْبَةِ وَاقْتَضَى ثَلَاثَةَ مِنْ حَصَنَوْنَهُمْ، وَبِلَغَهُمْ طَوْطَةُ مَلَكَةِ الشَّكِنْسِ فَغَزَاهَا فِي بَنْبُولَةِ، وَدَوْخَ أَرْضَهَا وَاسْتَبَاحَهَا وَرَجَعَ.

ثُمَّ غَزَا سَنَةَ سَبْعَ وَعَشْرِينَ وَثَلَاثَةَ غَزْوَةَ الْخَنْدِقِ إِلَى جَلِيلَةِ فَانْهَزَمُ، وَأَصْبَيَتْ فِيهَا الْمُسْلِمُونَ وَأَسْرَ مُحَمَّدَ بْنَ هَشَامَ التَّجِيَّبِيِّ، وَحَارَلَ النَّاصِرُ إِلَطْلَقَهُ فَأَطْلَقَهُ بَعْدَ سَتِينَ وَثَلَاثَةَ أَشْهُرَ.

وَقَدِ النَّاصِرُ بَعْدَهَا عَنِ الْغَزوِ بِنَفْسِهِ وَصَارَ يَرْدَدُ الْبَعْثَ وَالصَّوَافِ.

وَثَارَ سَنَةُ ثَلَاثَةِ وَأَرْبَعِينَ بِجَهَاتِ مَارَدَةِ تَائِرٍ وَتَوَجَّهَتْ إِلَيْهِ الْعَسَكِرُ فَجَاؤُوا بِهِ وَبِأَصْحَابِهِ وَمُثِلِّهِمْ وَقُتِلُوا.

وكاتب الناصر بالولاية.

ثم اجتمعوا ثانية وخلعوا شانحة وأخرجوه عن مدينة ليون ففر إلى قاصية جليقة، وولى أخاه رذمير بن أردون على ملكه بغربي جليقة إلى فلنسيرية، وهلك شانحة إثر ذلك ولم يعقب. واستقل أذفونش وخرج على أخيه رذمير وملك مدينة سنت ماذاكش. ثم أكثروا عليه العذل في نزوعه عن الرهبانية فرجع إلى رهبانية.

ثم خرج ثانيةً وملك مدينة ليون وكان رذمير آخره غازياً إلى سمورة، فرجع إليه وحاصره بها حتى اقتحمها عليه عنوة سنة عشرين وثلاثمائة فحبسه، ثم سمله في جامعة من ولد أبيه أردون خافهم على أمره وكان غرسية بن شانحة ملك البشكنس لما هلك قام بأمرهم بعده أخته طروطة وكفلت ولده.

ثم انتقضت سنة خمس وعشرين فغزا الناصر بلادها وخراب نواحي بلدونة وردد عليها الغزوات.

وفي أثناء هذه الغزوات نازل محمد بن هشام التيجي سرقسطة حتى أطاع كما مر، وكذلك أمية بن إسحاق في تسعين، وكان الناصر سنة اثنين وعشرين قد غزا إلى وحشمة، واستدعي محمد بن هشام من سرقسطة فامتنع ورجع إليه، وافتتح حصنه وأخذ أخاه يحيى من حصن روتة.

ثم رحل إلى بيلونة فجاءته طروطة بنت أثير بطاعتها وعقدت لابنها غرسية بن شانحة على بيلونة.

ثم عدل إلى البلة وبساطتها فدخلها وخراب حصنها.

ثم اقتحم جليقة وملكتها يومئذ رذمير بن أردون فخام عن اللقاء ودخل هو وحشمه فنازله الناصر فيها، وهم برغث وكثيراً من معاقفهم، وهزهم مراراً ورجع.

ثم كانت بعدها غزوة الخندق ولم يغز الناصر بعدها بنفسه.

وكان يردد الصوانف وهابته أمم النصرانية ووفدت عليه سنة ست وثلاثين رسائل صاحب القسطنطينية وهديته وهو يومئذ قسطنطين بن ليون بن شل، واحتفل الناصر للقائهم في يوم مشهود، وكتب فيه العساكر بالسلاح في أكمل هيبة وزي، وزين القصر الخلافي بأنواع الزينة وأصناف الستور، وجمل السرير الخلافي بمقدار الأبنية والأخوة والأعمام والقرابة، ورتب الوزراء والخدمة في مواقعهم، ودخل الرسل فهالهم ما رأوا وقربوا حتى أدوا رسالتهم. وأمر يومئذ الأعلام أن يخطبوا في ذلك المحتف، ويعظموا أمر الإسلام والخلافة، ويشكروا نعمة الله على ظهور دينه وإعزازه، شانحة فانهزموا وافتقت كلمتهم.

وأما إدريس بن إبراهيم صاحب أرشكوك من الأدارسة فبادر بولالية الناصر، وكاتبته وأهدى إليه، وتقبل أثره في ذلك محمد بن خزر أمير مغراوة، وموسى بن أبي العافية أمير مكناسة، وهو يومئذ صاحب المغرب بعد أن ملك قواعد المغرب الأوسط، وهي تنس ووهران وشرشال والبطحاء.

وأهدوا إلى الناصر قبل وكافاهم وأحكם ولايهم، وبادر جماعة من الأدارسة إلى مثل ذلك منهم: القاسم بن إبراهيم والحسن بن عيسى، وأهدى صاحب فاس هدية عظيمة وعقد له الناصر على أهل بيته.

ولما فشت دعوة الناصر في المغرب الأقصى بعث عبد الله المهدى قائده أن يصل أمير مكناسة، وعامل تاهرت فزحف في العساكر إلى المغرب سنة إحدى وعشرين، وكتب موسى بن أبي العافية إلى الناصر يستتجده، فأنجح إليه قاسم بن طملس في العساكر، ومعه الأسطول فوصل إلى سبتة وبلغه الخبر بأن موسى بن أبي العافية هزم عساكر حيد فأقصى ورجع حسبما هو مذكور في أخبارهم.

## أخبار الناصر مع الفرنجة والجلالقة

وكان في أول المائة الرابعة ملك على الجلالقة أردون بن رذمير بن برميد بن قريولة بن أذفونش بن بيطر.

وخرج سنة اثنين وثلاثمائة إلى الغرب الجلوفي لأول ولاية الناصر، وعاد في جهات ماردة، وأخذ حصن الحنش، وبعث الناصر وزيره أحمد بن عبدة في العساكر إلى بلاده فدخلوها، ثم أغراه ثانية سنة خمس فنكث وقتل.

ثم أغزى بدراما مولاه فدخل ورجع.

ثم غزا بنفسه بلاد جليقة سنة ثمان واستتصر أردون بشانحة بن غرسية ملك البشكنس وصاحب بيلونة فهزهم الناصر، ووطئ بلادهم وخرابها، وفتح حصنهم وهدمها وردد الغزو بعد ذلك في بلد غرسية إلى أن هلك أذفونش وولي بعده ابنه فرويلة.

قال ابن حيان: لما ملك فرويلة بن أردون بن رذمير ملك الجلالقة سنة ثلاثة عشرة وثلاثمائة ملك أخوه أذفونش ونازعه أخوه شانحة واستقل غرسية بليون من قواعد ملتهم، وظاهر أذفونش على أمره ابن أخيه وهو أذفونش بن فرويلة، وصهره شانحة فانهزموا وافتقت كلمتهم.

وذلة عدوه فاستعدوا لذلك.

ولما وصل رسول كلدة ملك الإفرنجية بالشرق كما تقدم، وصل معه رسول مغيرة بن شبير ملك برشلونة وطركونة، راغباً في الصلح فأجابه الناصر ووصل بعده رسول صاحب روما يطلب المودة فأجيب.

### سطوة الناصر بابنه عبد الله

كان الناصر قد وشحه ابنه الحكم وجعله ولـي عهده وأثره على جميع ولده ودفع إليه كثيراً من التصرف في دولته وكان آخره عبد الله يساميه في الرتبة فغضض لذلك وأغراه الحسد بالنكتة فنـكـثـ وداـخـلـ منـ فيـ قـبـلـهـ مـرـضـ مـنـ أـهـلـ الدـوـلـةـ فـأـجـابـهـ،ـ وـكـانـ مـنـ هـمـ يـاسـرـ الـفـقـيـ وـغـيرـهـ.

وـغـيـ المـخـبـرـ بـذـلـكـ إـلـىـ النـاصـرـ فـاسـتـكـشـفـ أـمـرـهـ حـتـىـ وـقـفـ عـلـىـ الـجـلـلـيـ فـيـهـ،ـ وـقـبـضـ عـلـىـ اـبـنـهـ عـدـبـ الـلـهـ وـعـلـىـ يـاسـرـ الـفـقـيـ وـعـلـىـ جـيـعـ مـنـ دـاـخـلـهـ وـتـلـهـمـ أـجـيـعـنـ سـتـ ثـلـاثـ وـتـسـعـينـ.

### مباني الناصر

ولما استفحـلـ مـلـكـ النـاصـرـ صـرـفـ نـظـرـهـ إـلـىـ تـشـيدـ الـمـبـانـيـ والـقـصـورـ،ـ وـكـانـ جـدـهـ الـأـمـيـرـ مـحـمـدـ وـأـبـوـهـ عـبـدـ الـرـحـمـنـ الـأـوـسـطـ وـجـدـهـ الـحـكـمـ قـدـ اـخـتـلـفـ فـيـ ذـلـكـ،ـ وـبـنـواـ قـصـورـهـ عـلـىـ أـكـمـلـ الـاـنـقـاقـ وـالـضـخـامـةـ،ـ وـكـانـ مـنـهـاـ الـجـلـسـ الـزـاهـرـ،ـ وـالـبـهـ الـكـامـلـ وـالـقـصـرـ الـمـيـفـ فـبـنـيـ هـوـ إـلـىـ جـانـبـ الزـاهـرـ قـصـرـهـ الـظـيـيمـ،ـ وـسـمـاهـ دـارـ الـرـوـضـةـ،ـ وـجـلـبـ المـاءـ إـلـىـ قـصـورـهـ مـنـ الـجـبـلـ وـاسـتـدـعـيـ عـرـفـاءـ الـمـهـنـدـسـينـ وـالـبـانـيـنـ مـنـ كـلـ قـطـرـ،ـ فـوـفـدـوـ عـلـيـهـ حـتـىـ مـنـ بـغـادـ وـالـقـسـطـنـطـينـيـةـ.

ثم أخذـ فـيـ بـنـاءـ الـمـتـرـهـاتـ فـاـخـذـ مـيـنـاـ السـاعـورـةـ خـارـجـ القـصـورـ،ـ وـسـاقـ لـاـمـاءـ مـنـ أـعـلـىـ الـجـبـلـ عـلـىـ بـعـدـ الـمـسـافـةـ.

ثم اخـتـطـ مـدـيـنـةـ الـزـهـرـاءـ وـاـخـذـهاـ مـنـزـلـهـ وـكـرـسـيـاـ لـمـلـكـهـ،ـ فـائـشاـ فـيـهاـ مـنـ الـمـبـانـيـ وـالـقـصـورـ وـالـبـاسـيـانـنـ مـاـ عـلـاـ عـلـىـ مـبـانـيـمـ الـأـوـلـيـ وـاـخـذـ فـيـهاـ مـجاـلـاتـ لـلـرـوـحـشـ فـسـيـحةـ الـفـنـاءـ،ـ مـتـبـاعـدـةـ السـيـاحـ وـمـسـارـ الـطـيـورـ وـمـظـلـلـةـ بـالـشـبـاكـ وـاـخـذـ فـيـهاـ دـارـاـ لـصـنـاعـةـ آـلـاتـ مـنـ آـلـاتـ السـلاـحـ لـلـحـرـبـ وـالـحـلـيـ لـلـرـزـيـةـ وـغـيرـ ذـلـكـ مـنـ الـمـهـنـ.

وـأـمـرـ بـعـملـ الـقـلـةـ عـلـىـ صـحنـ الـجـامـعـ بـقـرـطـبةـ وـقـاـيـةـ لـلـنـاسـ مـنـ حـرـ الشـمـسـ.

ثم بـهـرـمـ هـوـلـ الـمـلـىـسـ فـرـجـعـوـاـ وـشـرـعـوـاـ فـيـ الغـزلـ فـارـجـ عـلـيـهـمـ،ـ وـكـانـ فـيـهـمـ أـبـوـ عـلـيـ الـقـالـيـ وـأـفـدـ الـعـرـاقـ،ـ كـانـ فـيـ جـلـةـ الـحـكـمـ وـلـيـ الـعـهـدـ،ـ وـنـدـبـهـ لـذـلـكـ اـسـتـثـارـاـ لـفـخـرـهـ،ـ فـلـمـ وـجـوـهـ كـلـهـمـ قـاـمـ مـنـذـ بـنـ سـعـيدـ الـبـلـوـطـيـ مـنـ غـيـرـ اـسـتـعـادـ وـلـاـ روـيـةـ وـلـاـ تـقـدـمـ لـهـ أـحـدـ فـيـ ذـلـكـ يـشـيـءـ فـخـطـبـ وـاسـتـخـفـرـ،ـ وـجـلـاـ فـيـ ذـلـكـ الـقصـدـ،ـ وـأـشـدـ آـخـرـهـ شـعـرـاـ طـرـيـلـاـ اـرـجـلـهـ فـيـ ذـلـكـ الـفـرـضـ فـقـازـ بـفـخـرـ ذـلـكـ الـمـلـىـسـ،ـ وـعـجـبـ النـاسـ مـنـ شـائـهـ أـكـثـرـ مـنـ كـلـ مـاـ وـقـعـ.

وـأـعـجـبـ النـاصـرـ بـهـ وـوـلـاـ الـقـضـاءـ بـعـدـهـ،ـ وـأـصـبـحـ مـنـ رـجـالـاتـ الـعـالـمـ،ـ وـأـخـبـارـهـ مـشـهـورـهـ وـخـطـبـهـ فـيـ ذـلـكـ الـيـوـمـ مـقـوـلـةـ كـتـبـ اـبـنـ حـيـانـ وـغـيرـهـ.

ثـمـ اـنـصـرـ هـؤـلـاءـ الرـسـلـ وـبـعـثـ النـاصـرـ مـعـهـ هـشـامـ بـنـ كـلـيـبـ إـلـىـ الـجـائـلـيـ لـجـدـ الـمـدـنـةـ،ـ وـيـؤـكـدـ الـمـوـدـةـ،ـ وـيـجـسـنـ الـإـجـابـةـ.

وـرـجـعـ بـعـدـ سـتـينـ وـقـدـ أـحـكـمـ مـنـ ذـلـكـ مـاـ شـاءـ،ـ وـجـاءـتـ مـعـهـ رـسـلـ قـسـطـنـطـيـنـ.

ثـمـ جـاءـ رـسـلـ مـلـكـ الصـقـالـبـ وـهـوـ يـوـمـنـدـ هـوـتـوـ،ـ وـآـخـرـ مـنـ مـلـكـ الـلـمـانـ،ـ وـآـخـرـ مـنـ مـلـكـ الـفـرـنـجـيـ بـقـاصـيـةـ الـمـشـرـقـ،ـ وـهـوـ يـوـمـنـدـ كـلـدـةـ.

وـاحـتـفـلـ الـسـلـطـانـ لـقـدـوـمـهـ وـبـعـثـ مـعـ رـسـلـ الصـقـالـبـ رـيفـاـ الـأـسـقـفـ إـلـىـ مـلـكـهـ هـوـتـرـ وـرـجـعـاـ بـعـدـ سـتـينـ.

وـفـيـ سـنـةـ أـرـبعـنـ وـأـرـبعـينـ جـاءـ رـسـلـ أـرـدـونـ بـنـ رـذـمـيرـ وـأـبـوـهـ رـذـمـيرـ وـهـوـ الـذـيـ سـمـلـ أـخـاهـ أـدـفـوـشـ وـقـدـ مـرـ ذـكـرـهـ،ـ بـعـثـ بـخـطـبـ الـسـلـمـ فـقـدـ لـهـ.

ثـمـ بـعـثـ فـيـ سـنـةـ خـمـسـ وـأـرـبعـينـ يـطـلـبـ إـدـخـالـ فـرـدـلـنـدـ بـنـ عـبدـ شـلـبـ قـوـمـسـ قـشـتـيلـةـ فـرـدـلـنـدـ وـقـدـ مـرـ ذـكـرـهـ،ـ وـمـالـ إـلـىـ أـرـدـونـ بـنـ رـذـمـيرـ كـمـاـ ذـكـرـنـاهـ.

وـكـانـ غـرـسـيـةـ بـنـ شـانـجـةـ حـافـدـ الطـوـطـةـ بـنـتـ أـسـيـنـ مـلـكـ الـبـشـكـسـ فـامـعـضـتـ خـلـ حـافـدـهـاـ غـرـسـيـةـ وـوـفـدـتـ عـلـىـ النـاصـرـ سـنـةـ سـيـعـ وـأـرـبعـينـ مـلـقـيـةـ بـنـفـسـهـاـ فـيـ عـقـدـ الـسـلـمـ هـاـ وـلـوـلـهـاـ شـانـجـةـ بـنـ رـذـمـيرـ الـمـلـكـ،ـ وـأـعـانـهـ حـافـدـهـاـ غـرـسـيـةـ بـنـ شـانـجـةـ عـلـىـ مـلـكـهـ وـنـصـرـهـ مـنـ عـدـوـهـ،ـ وـجـاءـ مـلـكـهـ جـلـيـقـةـ فـرـدـ عـلـيـهـ مـلـكـهـ وـخـلـعـ الـجـلـالـقـ طـاعـةـ أـرـدـونـ،ـ وـبـعـثـ إـلـىـ النـاصـرـ يـشـكـوـهـ عـلـىـ فـعلـتـهـ،ـ وـكـتبـ إـلـىـ الـأـمـمـ فـيـ النـواـحـيـ بـذـلـكـ،ـ وـمـاـ اـرـتـكـبـهـ فـرـدـلـنـدـ قـوـمـسـ قـشـتـيلـةـ وـعـظـيمـ قـوـامـهـ فـيـ نـكـثـهـ،ـ وـوـثـيـهـ،ـ وـقـرـ بـذـلـكـ عـنـ الـأـمـمـ وـلـمـ يـزـلـ النـاصـرـ عـلـىـ مـوـالـاتـهـ وـإـعـانـتـهـ إـلـىـ أـنـ هـلـكـ.

## وفاة الناصر وولاية ابنه الحكم المستنصر

ثم توفي الناصر سنة خمسين وثلاثمائة أعظم ما كان سلطانه، وأعز ما كان الإسلام عليه.

وكان له قضاة أربعة: مسلم بن عبد العزيز وأحمد بن يحيى بن مخلد، ومحمد بن عبد الله بن أبي عيسى ومنذر بن سعيد البلوطري.

ولما توفي الناصر ولـي ابنه الحكم وتلقب المستنصر بالله، ولـي على حجابه جعفر المصففي، وأهدى له يوم ولادته هدية كان فيها من الأنصاف ما ذكره ابن حيان في «القتبس» وهي مائة ملوك من الفرنج ناشطة على خيول صافية، كاملاً الشيشة والأسلحة من السيف والرماح، والدرق والتراس والقلابات الهندوبية، وثلاثمائة ونـيـف وعشـرـون درعاً مختلفة الأجناس، وثلاثمائة خوذة كذلك، ومائة يـضـة هندـية، وخـصـون خـوذـة حـشـيشـة من حـشـيشـيات الإفرـنجـية غيرـالـجـيشـ الـتي يـسـمـونـهاـ الطـلـاشـانـيةـ وـثـلـاثـمـائـةـ حرـبةـ إـفـرـنجـيةـ، وـمـائـةـ تـرسـ سـلـاطـانـيـةـ الجـنسـ، وـعـشـرـةـ جـواـشنـ نقـيـةـ مـذـهـبـةـ، وـخـمـسـةـ وـعـشـرـونـ قـرـنـاـ منهـبـةـ منـ قـرـونـ الجـامـوسـ، وـلـأـوـلـ وـفـاةـ النـاصـرـ طـمـعـ الـجـالـلـقـةـ فـيـ الشـغـورـ، فـغـزاـ الـحـكـمـ بـنـفـسـهـ وـاستـبـاحـهـ، وـقـفـلـ فـيـاـ بـدـارـوـاـ إـلـىـ عـقـدـ السـلـمـ مـعـهـ وـاقـبـضـوـاـ عـمـاـ كـانـواـ فـيـهـ.

ثم أغزى غالباً مولاه بلاد جليقة، وسار إلى مدينة سالم قبل الدخول لدار الحرب فجمع له الجاللقة، ولقيهم على أشنة فهزهم واستباحهم، وأوطاً العساكر بلاد فردلند القومس، ودوخها وكان شانحة بن رذمير ملك البشكنس قد انتقض، فأغاراه الحكم بخيي بن محمد التجبي صاحب سرقسطة في العساكر.

وجاء ملك الجاللقة لنصره فهزهم، وامتنعوا في حصنها، وعادت في نواحيها وأغزى الهذيل بن هاشم ومولاه غالباً، فعادت فيها وقفتاً وعظمت فتوحات الحكم وقود الثغور في كل ناحية، وكان من أعظمها فتح قلورة من بلاد البشكنس على يد غالب، فعمرها الحكم واعتنى بها.

ثم فتح قطريبة على يد قائد وشقة، وغنم ما فيها من الأموال والسلاح والآلات والأقوات. غنم ما في بسيطة من الغنم والبقر والرمك والأطعمة والسي ما لا يخصى.

وفي سنة أربع وخمسين سار غالب إلى بلاد آبة ومعه بخيي بن محمد التجبي وقاسم بن مطرف بن ذي النون، فأخذ حصن

غرماج، ودخل بلادهم وانصرف.

وظهرت في هذه السنة مراكب المجروس في البحر الكبير، وأفسدوا بساط أحشونة وناشبيهم الناس القتال، فرجعوا إلى مراكبهم.

وأخرج الحكم القواد لاحتراس السواحل، وأمر قائد البحر عبد الرحمن بن رماجن بتعجيل حركة الأسطول. ثم وردت الأخبار بأن العساكر نالت منهم من كل جهة من السواحل.

ثم كانت وفادة أردون بن أذفونش ملك الجاللقة، وذلك أن الناصر لما أعاد عليه شانحة بن رذمير وهو ابن عمّه وهو الملك من قبل أردون وحمل النصرانية، واستطهر أردون بظهوره فردلند قومس قشتيلية، ثم توقيع مظايرة الحكم لشانحة كما ظاهره أبوه الناصر، فبادر بالوفادة على الحكم مستجيراً به فاحتفل لقديمه، وكان يوماً مشهوداً وصفه ابن حيان كما وصف أيام الوفادات قبله.

ووصل إلى الحكم وأجلسه ووعده بالنصر على عدوه، وخلع عليه لما جاء ملقياً بنفسه، وعاقده على موالة الإسلام ومقاطعة فردلند القومس، وأعطى على ذلك صفة يمينه، ورهن ولده غرسية، ودفعت الصلات والحمولات له ولأصحابه، وانصرف معه وجوه نصارى الذمة بقبرطية ولبد بن مغيث القاضي، وأصبح بن عبد الله بن نبيل الجاثليق، وعبد الله بن قاسم مطران طليطلة ليوطروا له الطاعة عند رسميتها، ويقبضوا رهنه، وذلك سنة إحدى وخمسين.

وعند ذلك بعث ابن عمّه شانحة بن رذمير بيعته وطاعته مع قولب من أهل جليقة وسمورة وأساقفهم يرغب في قبوله، وبقي بما فعل أبوه الناصر معه فقبل بيعتهم على شروط شرطها كان منها هدم الحصون والأبراج القرية من ثغور المسلمين.

ثم بعث قومس الفرجنة برسل ومسيرة أثناء سير ملك برشلونة وطركونة وغيرها يسألان تجديد العهد، وإقرارهما على ما كانوا عليه، وبعثا بهدية وهي عشرون صبيباً من الصبيان الصقالبة وعشرون قطواراً من الصوف السمور، وخمسة قناطير من الفرقدس، وعشرة أذراع صقلية، وما تأسف إفرنجية، فقبل هديتهم وعقد لهم على أن يهدموا الحصون التي يقرب الثغور، وعلى أن لا يظهروا عليه أهل ملتهم وأن ينذروه بما يكون من النصارى في الإجلاب على المسلمين.

ثم وصلت رسائل غرسية بن شانحة ملك البشكنس في جماعة

لأحد من قبله ولا من بعده، إلا ما يذكر عن الناصر العباسى بن المستضي.

ولم تزل هذه الكتب بقصر قرطبة إلى أن يبع أكثراها في حصار البرير، أمر بياخراجها وبيعها الحاجب واضح من موالي المنصور بن أبي عامر، ونهب ما بقي منها عند دخول البرير قرطبة، واقتاحاهم إليها عنزة كما نشير إليه بعد، واتصلت أيام الحكم المستنصر، وأوطا عساكره أرض العدوة من المغرب الأقصى والأوسط، وتلقى دعوته ملوك زناته ومغراوة ومكتاسة فبئها في أعمالهم، وخطبوا بها على منابرهم، وزاجروا بها دعوة الشيعة فيما يليهم، ووفد عليه ملوكهم من آل خزر وبني أبي العافية، فأجزل صلتهم وأكرم وفادتهم.

### وفاة الحكم المستنصر وبيعة ابنه هشام

#### المؤيد

ثم أصابت الحكم العلة، فلزم الفراش إلى أن هلك سنة ست وستين وثلاثمائة لست عشرة سنة من خلاقه، وولي من بعده ابنه هشام صغيراً مناهز الحلم، وكان الحكم قد استوزر له محمد بن أبي عامر، نقله من خطبة القضاء إلى وزارته، وفرض إليه في أمره فاستقل وحسن حاله عند الحكم، فما توفى الحكم بريع هشام ولقب المؤيد بعد أن قتل ليلتذ أخو الحكم المرشح لأمره، تناول الفتاك به محمد بن أبي عامر هذا بعمالة جعفر بن عثمان المصحفي حاجب أبيه، وغالب مول الحكم صاحب مدينة سالم، ومن خصياب القصر ورؤسائهم فاتق وجودر، فقتل محمد بن أبي عامر المغيرة وبایع لهشام.

### أخبار المنصور بن أبي عامر

ثم سما محمد بن أبي عامر المتغلب على هشام مكانه في السن، وثار له رأي في الاستبداد فمكر باهل الدولة، وضرب بين رجالها، وقتل بعضها بعض.

وكان من رجال اليمينة من مغافر واسمها محمد بن عبد الله بن أبي عامر بن محمد بن عبدالله بن عامر بن محمد بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك المغاربي، دخل جده عبد الملك مع طارق، وكان عظيماً في قومه، وكان له في الفتح أثر، فاستوزره الحكم لابنه هشام كما ذكرنا.

فلما مات الحكم حجبه محمد وغلب عليه ومنع الوزراء من

من الأساقفة والقرواميس يسألون الصلح، بعد أن كان توقف فعقد لهم الحكم ورجعوا.

وفي سنة خمس وستين وثلاثمائة وردت أم لزريق بن بلاكتن القوسن بالقرب من جليقة، وهو القوسن الأكبر، فاخترع الحكم لتلقيتها، واحتفل لقدومها في يوم مشهود فوصلها وأسعفها، وعقد السلم لابنها كما رغبت وأحبت، ودفع لها مالاً تقسمه بين وذرتها، وحملت على بغلة فارهة بسرج وجام متقلبين بالصلات وملحفة دياج، ثم عاودت مجلس الحكم للوداع فعاودها بالصلات لسفرها وانطلقت.

ثم أوطا عساكره من أرض العدوة من المغرب الأقصى والأوسط وتلقى دعوته ملوك زناته من مغراوة ومكتاسة فبئها في أعمالهم، وخطبوا بها على منابرهم، وزاجروا بها دعوة الشيعة فيما بينهم.

ووفد عليه ملوكهم من آل خزر وبني أبي العافية فأجزل صلتهم وأكرم وفادتهم وأحسن منصوفهم واستنزل بي إدريس من ملوكهم بالعدوة في ناحية الريف، وأجازهم البحر إلى قرطبة، ثم أجلواهم إلى الإسكندرية حسبما نشير إلى ذلك كله بعد. وكان محباً للعلوم مكرماً لأهلها جماعة للكتب في أنواعها ما لم يجمعه أحد من الملوك قبله.

قال ابن حزم: أخبرني بكية الخصي وكان على خزانة العلوم والكتب بدار بي مروان، أن عدد الفهارس التي فيها تسمية الكتب أربعة وأربعون فهرسة، في كل فهرسة عشرون ورقة ليس فيها إلا ذكر أسماء الدواوين لا غير، فاتقاً للعلم والعلماء سلطاناً نفقت فيها بضائعه من كل قطر.

ووفد عليه أبو علي القالي صاحب كتاب «الأمال» من بغداد فأكرم مثراه وحسنست منزلته عند، وأورث أهل الأندلس علمه، واختص بالحكم المستنصر واستفاد علمه، وكان يبعث في الكتب إلى الأقطار رجالاً من التجار ويسرب إليهم الأموال لشرائها، حتى جلب منها إلى الأندلس ما لم يهدوه ويعث في كتاب «الاغاني» إلى مصنفه أبي الفرج الأصفهاني، وكان نسبة في بي أمية، وأرسل إليه فيه ألف دينار من الذهب العين، فبعث إليه بنسخة منه، قبل أن يغurge بالعراق.

وكذلك فعل مع القاضي أبي بكر الأبهري المالكي في شرحه لختصر ابن عبد الحكم، وأمثال ذلك وجعل بداره الخذاق في صناعة النسخ والمهرة في الضبط والإجادة في التجليد، فألواني من ذلك كله، واجتمعت بالأندلس خزائن من الكتب لم تكن

لسلطانه، وأجاز ابنه عبد الملك إلى ملوك مغراوة بفاس من آل خزر لما سخط زيري بن عطية ملكهم لما بلغه من إعلانه بالليل منه والغض من ملكهم، والتالق لحجر الخليفة هشام، فأوقع به عبد الملك سنة ست وثمانين، وزُلَّ بفاس وملكتها، وعقد للمرؤك زناة على المغرب وأعماله من سجلamas وغيرها على ما نشير إليه بعد، وشد زيري بن عطية إلى تاهرت، وأبعد المقر، وهلك في مفروه، ثم قفل عبد الملك إلى قرطبة واستعمل واصحاً على المغرب، وهلك المنصور أعظم ما كان ملكاً وأشد استيلاء سنة أربع وسبعين وثلاثمائة بمدينة سالم متصرفه من بعض غزواته، ودفن هناك وذلك لسبع وعشرين سنة من ملكته.

### المظفر بن المنصور

ولما هلك المظفر قام بالأمر من بعده أخيه عبد الرحمن، وتلقب بالناصر لدين الله، وجرى على سنن أخيه وأخيه في حجر الخليفة هشام، والاستبداد عليه والاستقلال بالملك دونه.

ثم ثاب له رأي في الاستئثار بما يقي من رسوم الخلافة، فطلب من هشام المؤيد أن يولييه عهده فأجابه، وأحضر لذلك الملا من أرباب الشورى وأهل الحل والعقد فكان يوماً مشهوداً، وكتب عهده من إنشاء أبي حفص بن برد بما نصه:

هذا ما عهد هشام المؤيد بالله أمير المؤمنين إلى الناس عامة، وعاهد الذي عليه من نفسه خاصة، وأعطي به صفة يحيى بيعة تامة بعد أن أمعن النظر وأطال الاستخاراة، وأهمه ما جعل الله إليه من الإمامة ونصب إليه من أمر المؤمنين واتقى حلول القدر بما لا يؤمن، وخفف نزول القضاء بما لا يصرف، وخشى إن هجم عنهم ذلك عليه، وزُلَّ مقدوره ولم يرفع هذه الأمة عملاً تأوي إليه، وملجاً تعطف إليه، أن يلقى ربه تبارك وتعالى مفترطاً ساهياً عن أداء الحق إليها، واعتبر عند ذلك من أحياه قريش وغيرها من يستحق أن يستند هذا الأمر إليه، ويعول في القيام به عليه من يستوجه بيده وأمانته، وهديه وصيانته، بعد اطراح الهوى والتحري للحق والتزلف إلى الله عز وجل بما يرضيه، وبعد أن قطع الأراضي وأسخط الأقارب فلم يجد أحداً يولييه عهده ويفرض إليه الخلافة بعده غيره لنفضل نسبة، وكرم خيمه، وشرف مرتبته، وعلو منصبه، مع تقاه وعفافه ومعرفته وحزمه وتفاوته، المأمون العيب الناصح الحبيب أبي المظفر عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر، وفقه الله تعالى إذ كان أمير المؤمنين قد ابتلاه واختبره، ونظر في شأنه واعتبره فرأه مسارعاً في الخبرات، سابقاً إلى

الوصول إليه إلا في النادر من الأيام يسلمون وينصرفون.

وارخص للجند في العطاء وأعلى مراتب العلماء وقمع أهل البدع، وكان ذا عقل ورأي وشجاعة وبصر بالحروب ودين متين، ثم تجرد لرؤساء الدولة من عانده وزاحمه، فمال عليهم وحطهم عن مراتبهم، وقتل بعضها بعض، كل ذلك عن أمر هشام وخطه وترقيعه حتى استصل بهم وفرق جرائمهم.

وأول ما بدأ بالصقالبة الخصيان الخدام بالقصر، فحمل الحاجب المصحفي على نكتبهم فنكبهم وأخرجهم من القصر، وكانت ثمانمائة أو يزيدون ثم أصهار إلى غالب مول الحكم، وبالغ في خدمته والتتصحّ له، واستعان به على المصحفي فنكب وعاً ثراه من الدولة.

ثم استuan على غالب مجعفر بن على بن حدون صاحب المسيلة الفازع إلى الحكم أول الدولة حين كان معه من زناة والبرير.

ثم قتل جعفر عماله ابن عبد الوود وابن جوهر وابن ذي التون وأمثالهم من أولياء الدولة من العرب وغيرهم.

ثم لما خلا الجو من أولياء الخلافة والمرشحين للريادة رجع إلى الجند فاستدعى أهل العدو من رجال زناة والبرابرة فرتب منهم جنداً واصطنع أولياء، وعرف عرفاء من صنهاجة ومغراوة، وبني يفرن وبني برزال ومكانسة وغيرهم، فتغلب على هشام وحجمه واستولى على الدولة، وملا الدنيا وهو في جوف بيته مع تعظيم الخلافة والخضوع لها، ورد الأمور إليها وترديد الغزو والجهاد، وقدم رجال البرابرة زناة، وأخر رجال العرب وأسقطهم عن مراتبهم فقسم له ما أراد من الاستقلال بالملك والاستبداد بالأمر، وابتلى نفسه مدينة فنزتها وسماتها الزاهرة، ونقل إليها خازن الأموال والأسلحة، وقدد على سرير الملك وأمر أن يحيى بفتحية الملوك وتسمى بالحاجب المنصور، ونفذت الكتب والأوامر والمخاطبات باسمه، وأمر بالدعاء له على المنابر، وكتب اسمه في السكة والطرز، وعمر ديوانه بما سوى ذلك.

وجند البرابرة والماليك واستكثر من العبيد والعلوج للاستيلاء على تلك الرغبة، وقهـر من يطـاولـ إلـيـهاـ منـ الغـلـبةـ فـظـفـرـ منـ ذـلـكـ بـماـ أـرـادـ وـرـدـ الغـزوـ بـنـفـسـهـ إـلـىـ دـارـ الـحـارـثـ، فـفـزـاـ اـثـتـيـنـ وـخـمـسـينـ غـزـوـةـ فـيـ سـائـرـ أـيـامـ مـلـكـهـ لـمـ يـنـكـسـ لـهـ فـيـهاـ رـايـهـ، وـلـاـ فـلـ لـهـ جـيشـ، وـلـاـ أـصـيبـ لـهـ بـعـثـ، وـلـاـ هـلـكـ سـرـيـةـ، وـأـجـازـ عـساـكـرـهـ إـلـىـ الـعـدـوـ، وـضـرـبـ بـيـنـ مـلـوـكـ الـبـرـابـرـ بـعـضـهـمـ فـيـ بـعـضـ، فـاسـتـونـ مـلـكـهـ بـالـمـغـرـبـ وـأـذـعـتـ لـهـ مـلـوـكـ زـناـتـةـ، وـأـنـقـادـواـ لـهـ حـكـمـهـ وـأـطـاعـهـ

وأعقاب الخلقاء، ولقبه المهدى وطار الخبر إلى الحاجب بمكانه من الشغى فانقض جمعه، وشقق إلى الحضرة مدلًا بمكانه زعيمًا بنفسه، حتى إذا قرب من الحضرة تسلل عنه الجند ووجوه البربر، ولحقوا بقرطبة وباييوا المهدى القائم بالأمر، وأغرقوه بالناصر واعتربوه منهم من تقبض عليه، واحتز رأسه وحمله إلى المهدى، وإلى الجماعة وذهبت دولة العامرين.

### ثورة البربر وبيعة المستعين وفرار المهدى

كان الجند من البرابرة وزنانة قد ظاهروا المنصور على أمره وأصبحوا شيبة لبنيه من بعده، ورؤساؤهم يومئذ زاوي بن مناد الصنهاجي وبينو ماكير ابن أخيه زيري، ومحمد بن عبد الله البرزالي، ونصيل بن حيد المكتسي الفاراع أبوه عن العبيدين إلى الناصر، وزيري بن غزانة المطيبي، وأبو زيد بن دوناس اليفرنى، وعبد الرحمن بن عطاف اليفرنى، وأبو نور بن أبي قرة اليفرنى، وأبو الفتوح بن ناصر وحزرون بن عصمن المغراوى، وبكساس بن سيد الناس، ومحمد بن ليلى المغراوى فيمن إليهم من عشائرهم، فلحقوا بمحمد بن هشام لما رأوا من انتقاض أمر عبد الرحمن وسوء تدبيره.

وكانت الأمورية تعتمد عليهم ما كان من مظاهرتهم العامرين، وتتبّع إليهم تقلب المنصور وبينه على أمرهم فخطّطهم القلوب، وخزرتهم العيون، وتفسّرت بذلك صدور الغوغاء من أذىال الدولة، ولفظت به السنة الدھماء من المدينة.

وأمر محمد بن هشام أن لا يركبوا ولا يتسلّحوا وردوا في بعض الأيام من باب القصر، واتّهبت العامة يومئذ دورهم، ودخل زاوي وابن أخيه حساسة وأبو الفتوح بن ناصر على المهدى شاكين بما أصابهم، فاعتذر إليهم وقتل من آذاهم من العامة في أمرهم، وكان مع ذلك مظهراً لبغضهم عماهراً بسوء الشاء عليهم.

ويلغّهم أنه سره الفتى بهم فقسمت رجالاتهم، وأسرّوا خبرواهم، واتفقوا على بيعة هشام بن سليمان ابن أمير المؤمنين الناصر لدين الله، وفتشا في الخاصة حدّيثهم، فعوجلوا عن أمرهم ذلك، وأغري بهم السرور الأعظم، فشاروا بهم وأزعجواهم عن المدينة، وتقبّل على هشام وأخيه أبي بكر، وأحضرها بين يدي المهدى فضرب عقّيهما، وطلق سليمان ابن أخيهما الحكم بمندو البربر وزنانة وقد اجتمعوا بظاهر قرطبة وتأمّروا في بايعوه ولقبوه المستعين بالله، ونهضوا به إلى ثغر طليطلة فاستجاش باين

الجليلات، مستولياً على الغایيات، جامعاً للمأثرات، ومن كان النصّور أباً والمظفر أخاه فلا غرو أن يبلغ من سبل البرّ مداده، ويعمّي من خلال الخير ما حواه. مع أن أمير المؤمنين أيدى الله بما طالع من مكنون العلم، ووعاه من مخزون الغيب، رأى أن يكون ولـي عهده القحطاني الذي حدث عنه عبد الله بن عمرو بن العاص، وأبـو هريرة أن النبي ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتـى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعـصـاه»، فلما استوى له الاختيار وتقابلت عنده الآثار، ولم يجد عنه مذهبًا ولا إلى غيره معدلاً خرج إليه من تدبـير الأمور في حياته، وفوض إلىـه الخليفة بعد وفاته، طائعاً راضياً مجتهداً، وأمضـى أمـير المؤـمنـينـ هذاـ وأـجاـزـهـ وـأـنـفـدـهـ،ـ وـلـمـ يـشـرـطـ فـيـهـ ثـيـاـ وـلـاـ خـيـارـاـ،ـ وـأـعـطـيـ عـلـىـ الـوفـاءـ بـهـ فـيـ سـرـ وـجـهـهـ،ـ وـقـرـلـهـ وـفـلـهـ،ـ عـهـدـ اللـهـ وـمـيـاثـاقـهـ وـذـمـةـ نـبـيـهـ ﷺـ،ـ وـذـمـةـ الـخـلـفـاءـ الرـاشـدـيـنـ مـنـ آـبـائـهـ،ـ وـذـمـةـ نـفـسـهـ أـنـ لـاـ يـبـدـلـ وـلـاـ يـغـيرـ وـلـاـ يـحـولـ وـلـاـ يـزـوـلـ.

وأشهد على ذلك الله والملائكة وكفى بالله شهيداً، وأشهد من أوقع اسمه في هذا، وهو جائز الأمر ماضي القول والفعل بمحضر من ولـي عهـدـهـ المـأـمـونـ أـبـيـ المـظـفـرـ عـبـدـ الرـحـمـنـ بـنـ الـنـصـورـ،ـ وـفـقـهـ اللـهـ تـعـالـىـ وـقـدـ لـهـ مـاـ قـلـدـهـ،ـ وـلـزـمـهـ نـفـسـهـ مـاـ فـيـ الـذـمـةـ.

وذلك في شهر ربيع الأول سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة، وكتب الوزراء والقضاة وسائر الناس شهادتهم بخطوط أيديهم.

وتسمى بعدها بولي العهد.

ونقم أهل الدولة عليه ذلك فكان فيه حتفه، وإنقراض دولته ودولة قومه والله وارث الأرض ومن عليها.

### ثورة المهدى ومقتل عبد الرحمن المنصور وانقراض دولتهم

ولما حصل عبد الرحمن المنصور على ولـيـةـ الـعـهـدـ،ـ وـنـقـمـ ذلكـ الأمـمـيونـ وـالـقـرـشـيـونـ وـغـصـواـ بـأـمـرـهـ وـاتـفـقـواـ عـلـىـ تـحـرـيـلـ الـأـمـرـ جـمـلةـ مـنـ الـمـضـرـةـ إـلـىـ الـيـمـنـةـ فـاـجـتـمـعـواـ لـشـائـهـ،ـ وـتـقـشـتـ مـنـ بـعـضـ إـلـىـ بـعـضـ رـجـالـهـمـ،ـ وـأـجـعـلـواـ أـمـرـهـ فـيـ غـيـةـ مـنـ الـحـاجـبـ النـاصـرـ بـلـادـ الـجـلـالـقـةـ فـيـ غـزـاهـ مـنـ صـوـافـىـ وـوـثـيـوـاـ بـصـاحـبـ الشـرـطةـ فـقـتـكـواـ بـمـقـعـدـةـ مـنـ بـابـ قـصـرـ الـخـلـفـاءـ سـنةـ تـسـعـ وـتـسـعـ وـثـلـاثـائـةـ،ـ وـخـلـعـواـ هـشـامـاـ الـمـؤـيدـ،ـ وـبـايـيـوـاـ مـحـمـدـ بـنـ هـشـامـ بـنـ عـبـدـ الـجـبارـ أـبـيـ الـمـلـكـ،ـ

أذفونش.

ذلك، بأن نزلوا له عن ثغور قشتالة التي كان المنصور اقتحمها فسكن عزمه، وسكن عن مظاهرتهم، ثم اتصل الحصار بمحنة البلد، وصدق البربرة القتال فاقتحمواها عنوة سنة ثلاث وأربعين، وفكروا بهشام المؤيد، ودخل المستعين ولحق بأهل قرطبة من البربرة في نسائهم ورجالهم وبناتهم وبنائهم ومنازلهم.

وظن المستعين أن قد استحكم أمره، وتثبتت البربرة والعيدي على الأعمال فولوا المدن العظيمة، وتقلدوا الأعمال الواسعة مثل باديس بن جبوس في غربانطة وحمد بن عبد الله البرزالي في قرمونة وأبوبن ثور بن أبي شبل بالأندلس، وصار الملك طوانف في آخرين من أهل الدولة مثل ابن عباد بإشبيلية، وابن الأفطس بطيليس وابن ذي الثرون بطيطلة، وابن أبي عامر ببلنسية ومرسيسة، وابن هود برقسطة ومجاهد العامري بدانية والجزائر منذ عهد هذه الفتنة، كما تذكر في أخبارهم.

### ثورة ابن حود واستيلاؤه وقومه على ملك قرطبة

ولما افترق شمل جماعة قرطبة وتغلب البربرة على الأمر، وكان علي بن حود وأخوه قاسم من عقب إدريس قد أجازوا معهم من العدوة فدعوا لأنفسهم وتعصب معهم الكثير من البربر، وملكوا قرطبة سنة سبع وأربعين، وقتلوا المستعين ومحوا ملكبني أمية، واتصل ذلك في خلق منهم سبع سنين.

ثم رجع الملك في بني أمية وفي ولد الناصر نحوه من سبع سنين، ثم خرج عنهم وافتقر الأمر في رؤساء الدولة من العرب والمالي والبربر، واقسموا الأندلس على كل دولاً وتلقبوا بالقباب الخلفاء كما تذكر ذلك كله مستوفى في أخبارهم.

### عود الملك إلى بني أمية وأولاد المستظهر

لما قطع أهل قرطبة دعوة الحموديين بعد سبع من ملوكهم، وزحف إليهم قاسم بن حود في جموع من البربر فهزهمم أهل قرطبة، ثم اجتمعوا واتفقوا على رد الأمر إلى بني أمية، واختاروا لذلك عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار أباً المهدى، وبايعوه في رمضان سنة أربع عشرة وأربعين، وتقبه المستظهر.

وقام بأمره المستكفي ثم شار على المستظهر لشهرين من خلافته محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الناصر أمير المؤمنين. كان المنصور بن أبي عامر قتل أبا عبد الرحمن لسعده في

ثم نهض في جموع البربرة والنصرانية إلى قرطبة، ويرز إليهم المهدى في كافة أهل البلد وخاصة الدولة، وكانت الدبرة عليهم، واستلهم منهم ما يزيد على عشرين ألفاً، وهلك من خيار الناس وأئمة المساجد وسدتها ومؤذنها عالم.

ودخل المستعين قرطبة خاتم المائة الرابعة ولحق ابن عبد الجبار بطيطلة.

### رجوع المهدى إلى ملکه بقرطبة

ولما استول المستعين على قرطبة خالقه محمد بن هشام المهدى إلى طيطلة واستجاش ابن أذفونش ثانية، فنهض معه إلى قرطبة وهزم المستعين والبربرة بعقة البقر من ظاهرها في آخر باب سبعة، ودخل المهدى قرطبة وملكها.

### هزيمة المهدى وبيعته للمؤيد هشام ومقتله

ولما دخل المهدى إلى قرطبة خرج المستعين إلى البربرة، وتفرقوا في البساط والقرى فينهبون ويقتلون ولا يقون على أحد، ثم ارتحلوا إلى الجزيرة الخضراء، فخرج المهدى وابن أذفونش واتبعهم المستعين والبربرة أتباع ذلك بمحاصرونهم، حتى خشي الناس من اقتحام البربرة عليهم فأغاروا أهل القصر وحاجبه المدبر بالهداي، وأن الفتنة إنما جاءت من قبله، وتولى كبر ذلك واضح العامر فقتلوا المهدى محمد بن هشام، واجتمعت الكافة على تجديد البيعة لشام المؤيد ليعتمدوا به من معرة البربرة، وما يسمونه به ملوكهم من سوء العذاب، وعاد هشام إلى خلافته وأقام واضح العامر لحجاته، وهو من موالي المنصور بن أبي عامر.

### حصار قرطبة واقتحامها عنوة ومقتل هشام

واستمر البربرة على حصار قرطبة والمستعين بينهم، ولم يفر عن أهل قرطبة، تبعه هشام المؤيد والبربرة يتذددون إليها ذاهبين وجائين بثواب الهب والفتى، إلى أن هلكت القرى والبساط، وعذمت المرافق وصافت أحوال أهل قرطبة وجهدهم الحصار.

وبعد المستعين والبربرة إلى ابن أذفونش يستقدمونه لظهورتهم، فبعث إليه هشام المؤيد وحاجبه واضحًا يكتفونه عن

وكان الأسن على الجزيرة الخضراء.  
وكان في نقوس المغاربة والبرابرة تشيع لأولاد إدريس  
متوارث من دولتهم بالعدوة كما ذكرناه.

واستقام أمر علي بن حود وكتن سلطانه، واتصلت دولته  
عامين إلى أن قتله صقالته بالحمام سنة ثمان وأربعين، فولي  
مكانه أخيه القاسم بن حود وتلقب بالمؤمن.

ونازعه في الأمر بعد أربع سنين من خلافته بيعي ابن أخيه  
علي بستة، وكان أمير الغرب ولي عهد أبيه، فبعث إليه أشياعهم  
من البربر ملاعاً مع جند الأندلس سنة عشر واحتل مالقة، وكان  
أخوه إدريس بها متذ عهد أبيهما، فبعث إلى سبعة ووصل إلى بيعي  
بن علي زاوي بن زيري من غرناطة، وهو عميد البرابرة ثانية  
يومئذ، فزحف إلى قرطبة فملكتها سنة اثنين عشرة، وتلقب المعتلي  
 واستوزر أبا بكر بن ذكروان، وفر المؤمن إلى إشبيلية وباع له  
القاضي محمد بن إسماعيل بن عباد.

واستمال بعضاً من البرابرة ثانية، واستجاشهم على ابن  
أخيه ورجع إلى قرطبة سنة ثلاثة عشرة.

ولحق المعتلي بعكane من مالقة وتغلب على الجزيرة الخضراء  
عمل المؤمن من لدن عهد المستعين، وتغلب أخيه إدريس على  
طنجة من وراء البحر، وكان المؤمن يعتدها حصناً ل نفسه وبينه،  
ويستروع بها ذخيته، وبلغ الخبر إلى قرطبة بتغلبه على قواعده  
وحصونه مع ما كان يتشدد على بني أمية، فاضطررت أمير المؤمن  
وثار عليه أهل قرطبة وتنقضوا طاعته، وبابعوا للمستظاهر، ثم  
للمنتكمي من بني أمية كما ذكرناه.

وتخيّز المؤمن ويرابره إلى الأرض فاعتاصموا به، وقاتلوا  
دونه وحاصروا المدينة خمسين يوماً.

ثم صمم أهل قرطبة لدافعتهم فأفجروا عن الأرض  
وانقضت جموعهم ستة أربع عشرة.

ولحق المؤمن بإشبيلية وبها ابنه محمد، ومحمد بن زيري من  
رجالات البربر فاطممه القاضي محمد بن إسماعيل بن عباد في  
الملك وأن ينتعوا من القاسم فمنعوه وأخروا إلى ابنه وضيّعوا  
بلدهم.

ثم اشتد ابن عباد وأخرج محمد بن زيري، ولحق المؤمن  
بشرش، ورجع عنه البربر إلى بيعي المعتلي ابن أخيه فباعوه سنة  
خمس عشرة.

وزحف إلى عمه المؤمن بشريش فتغلب عليه، ولم يزل عنده

الخلاف، فثار الآن محمد هذا وتبعه الغوغاء، وفتى بالمستظاهر  
واستقل بأمر قرطبة وتلقب بالمنتكمي.

## عود الأمر إلى بني حود

وبعد ستة عشر شهراً من بيعة المنتكمي رجع الأمر إلى  
بيعي بن علي بن حود، وهو المعتلي كما يذكر في أخبارهم، وفتر  
المنتكمي إلى ناحية الثغر ومات في مفره.

## المعتمد من بني أمية

ثم خلع أهل قرطبة المعتلي بن حود ثانياً سنة سبع عشرة،  
وبائع الوزير أبو محمد جهور بن جهور عميد الجماعة، وكثير  
قرطبة لهشام بن محمد أخي المرتضى، وكان بالثغر في لاردة عند  
ابن حود.

ولا بلغه خبر البيعة له انتقل إلى البربر، واستقر عند  
التغلب عليها محمد بن عبد الله بن قاسم، وكانت البيعة له انتقل  
سنة ثمان عشرة وأربعين، وتلقب المعتمد بالله، وأقام متربداً في  
الثغر ثلاثة أعوام، واشتلت الفتنة بين رؤساء الطوائف واتفقوا  
على أن ينزل دار الخلافة بقرطبة فاستقدمه ابن جهور والجماعة،  
وزلماً آخر سنة عشرين، وأقام بسيراً.

ثم خلعه الجندي سنة اثنين وعشرين، وفر إلى لاردة فهلك  
بها سنة ثمان وعشرين وانقطعت دولة الأموية والله غالب على  
أمره.

## الخبر عن دولة بني حود التي أدالت من دولة بني أمية بالأندلس وأولية ملوكهم وتصارييف أمورهم إلى آخرها

كان في جملة المستعين مع البربر والمغاربة أخوان من ولد  
عمر بن إدريس، وهما القاسم وعلي ابن حود بن ميمون بن أحد  
بن عبد الله بن عمر، كانوا في لفيف البرابرة في بلاد غماره  
واستجدوا بها رياسة استمرت في بي محمد وبيبي عمر من ولد  
إدريس فكانت للبربر إليهم صافية بسبب ذلك، وخلطة وقي  
الفخر منهم بتأزر غدره من غماره فأجازوا مع البربر، وصاروا في  
جملة المستعين مع أمراء العدو من البربر فقد لهم المستعين فيمن  
عقد له من المغاربة عقد على متهمها على طنجة وعملها، وللقاسم

أسيراً وعند أخيه إدريس من بعده بمقالقة إلى أن هلك في عبشه سنة سبع وعشرين وأربعين، واستقل بخيي المعتلي بالأمور، واعتقل حمداً والحسن ابن عم القاسم المأمون بالجزيره، ووكل بهما أبا الحاج من المغاربه، وأقاما كذلك.

ويقال: بل قتلته نحي، ورجع نحي إلى سبطة لحفظ ثغره، ومعه ولد حسن بن بخيي صبياً وترك السطيفي على وزارة حسن لثنته به، وبابته غرناطة وحملة من بلاد الأندلس.

وهلك حسن مسماً ييد ابنة عمه إدريس، ثارت بأخيها حسن سنة ثمان وثلاثين، فاعتقل السطيفي أخاه إدريس بن بخيي، وكتب إلى نحي وابن حسن المستنصر الذي كان عنده سبطة ليعقد له، واغتاله نحي وأجاز إلى مالقة، ودعى لنفسه، ووافقه البرير والجند.

ثم نهض إلى الجزيره ليستأصل حسناً ومحاماً أبي قاسم بن حور، ورجع خاستاً فاغتاله في طريقه بعض عبيد القاسم وقتلوه. ويبلغ الخبر إلى مالقة فثارت العامة بالسطيفي، وقتل وأخرج إدريس بن بخيي المعتلي من معتقله، وبربع له سنة اربع وثلاثين، وأطاعته غرناطة وقرونطة وما بينهما ولقب العالي، وولى على سبطة سكوت ورزق الله من عبيد أخيه، ثم قتل حمداً وحسناً ابن عمه إدريس، فثار السودان بدعاوة أخيهما محمد بمالقة، وامتنعوا بالقصبة، وكانت العامة مع إدريس، ثم أسلموا.

وبريع محمد بمالقة سنة ثمان وثلاثين وتلقب المهدى، وولى أخاه عهده ولقبه الساني، ثم نكر منه بعض التزعامات ونهاه إلى العدوة فأقام بين غماره، ولحق العالي بقمارش فامتنع بها وأقام يحاصر مالقة وزحف باديس من غرناطة منكراً على المهدى فعله فامتنع عليه، فبایع له وانتصرف وأقام المهدى في ملكه بمالقة، وأطاعته غرناطة وحيان وأعمالها إلى أن مات بمالقة سنة اربع وأربعين.

وبريع إدريس المخلوع ابن بخيي المعتلي من مكانه بقمارش، وبربع له بمالقة وأطلق أيدي عبيده عليها لختنه عليهم، فسر كثير منهم إلى أن هلك سنة سبع وأربعين، وبربع محمد الأصغر ابن إدريس المتأيد وتلقبه، وخطب له بمالقة والمرية ورندة.

ثم سار إليه باديس فتغلب على مالقة سنة تسعة وأربعين وأربعين، وسار محمد المستعلى إلى المرية مخلوعاً، واستدعاء أهل مليلة فأجاز إليهم وبايعوه سنة تسعة وأربعين، وبايعه بنو ورقدي وقلوع جارة ونواحيها وهلك سنة..... وأربعين.

وأما محمد بن القاسم المعطل بمالقة فقر هو من ذلك الاعتقال سنة اربع عشرة، ولحق بالجزيره الخضراء فملكها وتلقب

ثم خلع أهل قرطبة المستكفي، وصاروا إلى طاعة المعتلي واستعمل عليهم عبد الرحمن بن عطاف اليفرني من رجالات البرير، وفر المستكفي إلى ناحية التبر فهلك بمدينة سالم.

ثم نقض أهل قرطبة طاعة المعتلي سنة سبع عشرة وأربعين وصرفوا عامله عليهم ابن عطاف بايعوا للمعتمد أخي المرتضى، ثم خلعوه كما ذكرنا في خبره، واستبد بأمر قرطبة البرير ابن جهور بن محمد كما ذكره في أشعار ملوك الطوائف.

وأقام بخيي بن المعتلي بتخفيتهم ويردد العساكر لحصارهم إلى أن انفقت الكافنة على إسلام المداين والحاصورون له، فعلا سلطانه، واشتد أمره، وظاهره محمد بن عبد الله البرزالي على أمره فنزل عنده بقرونطة يحاصر فيها ابن عباد ياشيلية إلى أن هلك سنة ست وعشرين بمداخلة ابن عباد للبرزالي في اغتياله، فركب المعتلي خليل أغارت على مسكنه بقرونطة من جند ابن عباد، وقد أكمنوا له، فكبا به فرسه وقتل.

وتولى قته محمد بن عبد الله البرزالي وانقطعت دولة بنى هود بقرطبة.

وكان أحد بن موسى بن بقيه والخادم نحي الصقلي وزيري دولة الحموديين عند أولها، فرجعا إلى مالقة دار ملكهم، واستدعا رأيه إدريس بن علي بن حور من سبطة وطنجة، وبايعوه على أن يولي سبطة حسن ابن أخيه بخيي فقسم أمره بمالقة، وتلقب المتأيد بالله، وبابعه المرية وأعمالها ورندة والجزيره، وعقد حسن ابن أخيه بخيي على سبطة، ونهض معه نحي الخادم.

وكان له ظهور على ملوك الطوائف، وكان أبوه القاسم بن عباد قد استفحلا ملكه لذلك العهد، ومد يده إلى انتزاع البلاد من أيدي الثوار، وملك أشبيلية وأستجة من يد محمد بن عبد الله البرزالي، وبعث العساكر مع ابنه إسماعيل لحصار قرمنة فاستصرخ محمد بن عبد الله بالقائد هذا ويزاوي فجاء زاوي بنفسه، وبعث القائد هذا عساكره مع ابن بقيه فكانت بينهم وبين ابن عباد حروب شديدة، هزم فيها ابن عباد وقتل وحل رأسه إلى إدريس المتأيد، وهلك ليومين بعدها سنة إحدى وثلاثين وأربعين.

واعترض ابن بقيه على بيعة ابنه بخيي الملقب حبون فاعجله

المعتصم إلى أن مات سنة أربعين.

وهو الذي أحكم عقد ولايته، وكان محمد بن زيري من أقباط البربرة والياً على إشبيلية، فلما فر القاسم من قرطبة وقصده داخل بن عباد محمد بن زيري في غرناطة ففعل وطردوا القاسم، وطردوا بعده ابن زيري وصار الأمر شوري بينه وبين أبي بكر الزبيدي معلم هشام، وصاحب «مختصر العين» في اللغة، ومحمد بن برمح الألهاني، ثم استبد عليهم وجند الجند ولم يزل على القضاء. ولما منع القاسم من إشبيلية عدل عنها إلى قرمونة وزنل على محمد بن عبد الله البرزالي، وكان ول قرمونة أيام هشام والمهدى من بعده.

ثم استبد بها سنة أربع وأربعين سنة الفتنة فدخله ابن عباد في خلع القاسم والاستبداد بها.

ثم تتصح للقاسم فتحول إلى شريش واستبد محمد بن البرزالي بقرمونة واستبد أبو القاسم إلى أن هلك سنة ثلاث وثلاثين كما قلناه، وقام بأمره ابنه عباد وتلقب المعتصم، واستولى على سلطانه، واشتدت حربه وأيامه.

وتناول طائفه من المالك بعد بالأندلس، وانفتح أمهه وأول ما افتح أمره بدخوله محمد بن عبد الله البرزالي صاحب قرمونة في إفساد ما بينه وبين القاسم بن حمود حتى تحول عنه إلى شريش.

ثم تخارب مع عبد الله بن الأنطيس صاحب بطليوس وغزاه ابنه إسماعيل في عساكرة، ومعه محمد بن عبد الله البرزالي فلقيه المظفر بن الأنطيس فهزمهما وأسر المظفر بن البرزالي إلى أن أطلقه بعد حين.

ثم فسد ما بينه وبين البرزالي واتصلت الفتنة بينهما إلى أن قتله ابنه إسماعيل خرج إليه في سرية فاغار على قرمونة، وأكمم الكمان، فركب محمد البرزالي في أصحابه، واستطرد له إسماعيل إلى أن بلغ به الكمان فخرجوا عليه فقتلوه، وذلك سنة أربع وثلاثين.

ثم خالف عليه ابنه إسماعيل وأغاره العيد والبربرة بالملك، فأخذ ما قدر عليه من المال والذخيرة، وفر إلى جهة الجزيرة للتوبة بها، وكان أبوه ليثبت محسن الفرج، فأخذوا الخليفة في طلبه، فمال إلى قلعة الورد فقبضوا إليها عليه، وأنفذه إلى أبيه فقتله وقتل كتابه، وكل من كان معه.

ثم رجع إلى مطالبة البرير المستزين بالشغور وأول من نذكر منهم صاحب قرمونة وكان بها المستظاهر العزيز بن محمد بن عبد الله البرزالي، ولها بعد أبيه كما ذكرناه، وكانت له معها أستجة

ثم ملكها بعده ابنه القاسم الواقع إلى أن هلك سنة خمسين، وصارت الجزيرة للمعتضد بن عباد وكان سكوت البرغراطي الحاچب مولى القاسم الواقع محمد بن المعتصم، ويقال: مولى يحيى العتلي والياً على سبتة من قبلهم، فلما غالب ابن عباد على الجزيرة طلبه في الطاعة، وطلب هو ملك الجزيرة فامتاعت عليه واتصلت الفتنة بينهما إلى أن كان من أمر المرابطين وتغلبهم على سبتة على الأندلس ما سنتذكره، وبالبقاء لله وحده سبحانه وتعالى.

## الخبر عن ملوك الطوائف بالأندلس بعد الدولة الأموية

كان ابتداء أمرهم وتصارييف أحوالهم لما انتشر ملك الخلافة العربية بالأندلس، وافتقر الجماعة بالجهات، وصار ملكها في طوائف من الموالي والوزراء وأعيان الخلافة وكبار العرب والبربر، واقسموا خططها وقام كل واحد بأمر ناحية منها.

وتحل بعض على بعض استقل أخيراً بأمرها ملوك منهم استفحلا شأنهم، ولاذوا بالجزرة للطاغية أو يظاهرون عليهم أو يتزعونهم ملوكهم، حتى أجاز إليهم يوسف بن تاشفين أمير المرباطين، وغلبهم جميعاً على أمرهم فلتذكر أخبارهم واحداً بعد واحد.

## الخبر عن بنى عباد ملوك إشبيلية وغربي الأندلس وعمن تغلبوا عليه من أمراء الطوائف

كان أولهم القاضي أبو القاسم محمد بن ذي الوزارتين أبي الوليد إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن قريش بن عباد بن عمر بن أسلم بن عمر بن عطاف بن نعيم اللخمي، وعطاف هو الداخل إلى الأندلس في طوالع لحم وأصلهم من جند حمص وزنل عطاف إلى قرية طشانة بشرق إشبيلية ونسن بنها بها.

وكان محمد بن إسماعيل بن قريش صاحب الصلاة بطنانة ثم ولـ ابنه إسماعيل الوزارة بإشبيلية سنة ثلاث عشرة وأربعين، وولي ابنه أبو القاسم القضاـء بها والوزارة من سنة أربع عشرة وأربعين إلى أن هلك سنة ثلاث وثلاثين.

وكان أصل رياسته أنه كان له اختصاص بالقاسم بن حمود،

ثلاث وثلاثين، وأوصى إلى أخيه محمد وضايقه المعتصد فهرب إلى قرطبة واستبد بها ابن أخيه فتح بن خلف بن يحيى، واخلع للمعتصد سنة خمس وأربعين وصارت هذه كلها من مالك بنى عباد.

وتكلك المعتصد أيضًا مرسيه وثار بها عليه ابن رشيق البناء، وتسمى خاصة الدولة، وبقي ثمان سنين، ثم ثاروا عليه سنة خمس وخمسين ورجعوا لابن عباد.

وتكلك المعتصد مرثة من يد ابن طيفور سنة ست وثلاثين وكان تملكتها من يد عيسى بن نسب الجيش الشائر بها، وصارت هذه المالك كلها في ملك ابن عباد وكانت بينه وبين باديس بن جبوس صاحب غرناطة حروب إلى أن هلك سنة إحدى وستين، وولي من بعده ابنه المعتمد بن المعتمد بن إسماعيل أبو القاسم بن عباد وجرى على سنن أبيه، واستولى على دار الخلافة قرطبة من يد ابن جهور، وفرق أبناءه على قواعد الملك وأنزلهم بها، واستفحلا ملوكه بغرب الأندلس وعلت يده على من كان هناك من ملوك الطراوف، مثل ابن باديس بن جبوس بغرناطة وابن الأفطس بطيروس وابن صمادح بالمرية وغيرهم.

وكانوا يطلبون سلمه ويعملون في مرضاته وكلهم يدارون الطاغية ويقونون بالجزي إلى أن ظهر بالعدوة ملك المرابطين، واستفحلا أمر يوسف بن نافعين، وتعلقت أممال المسلمين في الأندلس بإعانته، وضايقه الطاغية في طلب الجزية فقتل ابن عباد ثقته اليهودي الذي كان يتردد إليه لأخذ الجزية بسبب كلمة أسف بها.

ثم أجاز البحر صريحًا إلى يوسف بن نافعين، وكان من إجازته إليه ومظاهرته إيه ما يأتي ذكره في أخباره، ثم طلب الفقهاء بالأندلس من يوسف بن نافعين رفع المكروس والظلamas عنهم، فتقدم بذلك إلى ملوك الطراوف فأجازوه بالاستراك حتى إذا رجع من بلادهم رجعوا إلى حاكمهم، وهو خلال ذلك يردد العساكر للجهاد.

ثم أجاز إليهم وخلع جميعهم ونقلهم إلى العدوة، واستولى على الأندلس كما يأتي ذكره في أخباره، وصار ابن عباد في قبضة حكمه بعد حروب ذكرها، ونقله إلى أغصان قرية مراكش سنة أربع وثمانين وأربعين، واعتلله هناك إلى أن هلك سنة ثمان وثمانين.

وكانت بالأندلس ثغور أخرى دون هذه، ولم يستول عليها ابن عباد فمنها بلد السهلة، استبد بها هذيل بن خلف بن رزن

والمرزو، وكان غوز ورواركش للوزير نوح الرموي من برابرة العدوة وشيعة المنصور، واستبد بها سنة أربعين، ومات سنة ثلات وثلاثين.

وولي ابنه عز الدولة الحاج أبو مياد محمد بن نوح ومات سنة..... وكان يزيد أبو ثور بن أبي قرة اليفرنبي استبد بها أيام الفتنة سنة خمسين من يد عامر بن فتوح من صنائع العلوين، ولم يزل المعتصد ضيache، واستدعاه بعض الأيام لولاه فحبسه، وكاد في ابنه بكتاب على لسان جاريته برندة، أنه ارتكب منها حرمًا، ثم أطلقه فقتل ابنه وشعر بالمكيدة فمات أسفًا سنة خمسين، وولي ابنه أبو نصر إلى أن غدر به في الحصن بعض أجناده فسقط من السور، ومات سنة تسع وخمسين.

وكان بشريش خزرون بن عبدون ثار بها سنة اثنين وأربعين فقبض عليه ابن عباد وطالبهم وطاف على حصونهم وصار يهاديمهم، وأسجل لهم بالبلاد التي يأديهم، فأسجل لابن نوح بأركش، ولابن خزرون بشريش، ولابن أبي قرة برندة، وصاروا في حزبه ووقوا به، ثم استدعاهم لوليمة وغدر بهم في حام استعملهم لهم على سبيل الكراهة وأطبقه عليهم فهلكوا جميعاً إلا ابن نوح فإنه سالم من بينهم لليد التي كانت له عنده في ملتها، ثم بعث من سلم معاقلهم وصارت في أعماله.

وخرج باديس لطلب ثارهم منه، واجتمعت إليه عشائرهم فنازلوه مدة ثم انصرفوا، وأجازوا إلى العدوة فاحتلوا بستة وطردهم سكرت فهلكوا في الجاعة التي صادفوا، وأحلوا بالغرب لذلك العهد.

واسقبل ابن عباد وكان بأونية وشلطليش عبد العزيز البكري، وكانت عساكر المعتصد ابن عباد تحاصره فشقق فيه ابن جهور للمعتصد فسالمه مدة.

ثم هلك ابن جهور فعاد إلى مطالبته إلى أن تخلى له عنها سنة ثلات وأربعين، فولى عليها ابنه المعتمد.

ثم سار إلى شلب وبها المظفر أبو الأصبع عيسى بن القاضي أبي بكر محمد بن سعد بن مزبن ثار بها سنة تسع عشرة، ومات سنة اثنين وأربعين فسار إليها المعتصد وملكتها من يد ابنه، ونقل إلى إليها المعتمد فترنطا وانخدعا دار إمارة.

ثم سار إلى شرت برية وبها المعتصم محمد بن سعيد بن هارون، فانخلع له عنها سنة تسع وثلاثين، وأضافها للمعتمد.

وكان ببلدة تاج الدين أبو العباس أحد بن يحيى التحصيني، ثار بها سنة أربع عشرة، وخطب له بأونية وشلطليش، ومات سنة

المعروف، ففرض التدبير إلى ابنه عبد الملك فأسماء السيرة، وتذكره إلى الناس.

وحاصره ابن ذي النون بقرطبة، فاستغاثت محمد بن عبد فامده بالجيش، ووصى عسكره بذلك فدخلوا أهل قرطبة وخلعوه سنة إحدى وستين وأخرجه عن قرطبة.

واعتقل بسلطانش إلى أن هلك سنة اثنين وسبعين.

وول ابن عبد على قرطبة ابنه سراج الدولة، وقدمها من بلنسية ودخلها إلى أن قتل بها مسوماً، وحمل إلى طليطلة فدفن بها، وخلف المعتمد بن عبد بعد ملوكه إلى قرطبة فملكها سنة تسع وستين وقتل ابن عكاشه واستخلف ابنه المأمون الفتح بن محمد، وصار غرب الاندلس كله في ملكه إلى أن دخل المرابطون الاندلس، وغلبوا عليهم سنة أربع وثمانين وأربعين قاتل الفتح وحل أيام المعتمد إلى آلامات كما ذكرناه ونذكره.

والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

## أخبار ابن الأفطس صاحب بطليوس من غرب الاندلس ومصاير أمره

ملك بطليوس من غرب الاندلس عند الفتنة واحتياجها أبو محمد عبد الله بن مسلمة التجبي المعروف بابن الأفطس، واستبد بها سنة إحدى وستين وأربعين فهلك، وولي من بعده ابنه المظفر أبو بكر، واستفحلا ملوكه، وكان من أعظم ملوك الطوائف.

وكانت بينه وبين ابن ذي النون حروب مذكورة، وكذا مع ابن عبد بسبب ابن يحيى صاحب مليلة، أعاده ابن عبد عليه فاستولى بسبب ذلك على كثير من ثوره ومعاقله، واعتصم المظفر بطليوس بعد هزيمتين هلك فيهما خلق كثير وذلك سنة ثلاث وأربعين.

ثم أصلح بينهما ابن جهور وهلك المظفر سنة ستين وأربعين، وتولى بعده ابنه المتركل أبو حفص عمر بن محمد المعروف ساجدة ولم يزل سلطاناً بها إلى أن قتله يوسف بن تاشفين أمير المرابطين سنة تسع وثمانين وأربعين.

وقتل معه أولاده، أغراه به ابن عبد فلما تحكمت الاسترابة من الموك خاطب الطاغية واستراح إليه مما دهمه.

وشعر به ابن عبد فكاتب يوسف بن تاشفين واستحبه لمعالجه قبل أن يتصل بالطاغية، ويحصل بالثغر فاغذر إليه السير

أول المائة الخامسة بدعوة هشام، تسمى مؤيد الدولة.

وذلك شهيداً سنة خمسين وأربعين وملك بعده أخيه حسام الدولة عبد الملك بن خلف، ولم يزل أميراً عليها إلى أن ملوكها المرابطون من يده عند تقبيلهم على الاندلس.

ومنها بلد البونت واللح تقلب عليها عبد الله بن قاسم الفهري أيام الفتنة، وتسمى نظام الدولة وهو الذي كان المعتمد عليه عندما ولا الجماعة بقرطبة ومن عنده جاء إليها، وهلك سنة إحدى وعشرين وولي ابنه محمد يمين الدولة، وكانت بينه وبين محمد حروب، وملك بعده ابنه أحمد عقد الدولة، وهلك سنة أربعين.

وملك أخيه عبد الله جناح الدولة إلى أن خلعه المرابطون سنة خمس وثمانين.

ولترجع إلى ذكر بقية الملوك الأكابر من الطرائف والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

## أخبار ابن جهور

كان رئيس الجماعة أيام الفتنة بقرطبة أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور بن عبد الله بن محمد بن المعمري بن يحيى بن أبي المغارف بن أبي عبد الله الكلي، هكذا نسبه ابن بشكوال وأبو عيدة هو الداشر إلى الاندلس، وكانت لهم وزارة الدولة العاصرية بقرطبة واستبد جهور هذا سنة اثنين وعشرين وأربعين فاستولى على المعتر آخر خلفاء بي إمية، ولم يدخل في أمور الفتنة، فاستولى على المملكة ورتب الأمور، ولم يتحول عن داره إلى قصر الخلافة.

وكان علي سنن أهل الفضل يعود المرضى، ويشهد الجنائز ويؤذن عند مساجدهم بالريض الشرقي، ويصللي التراويح ولا يجترب عن الناس فاستدروا أمرهم إليه إلى أن يوجد خليفة إلى أن خاطبهم محمد بن إسماعيل بن عبد الله يعرفهم أن هشاماً المؤيد عنده ياشيلية، وأكثر في ذلك فخطب له بقرطبة بعد مرارضات.

ثم أتى به إلى قرطبة فمنعوه الدخول وأضربوا عن ذكره في الخطبة وإنفرد ابن جهور بأمرهم إلى أن هلك في محرم سنة خمس وثلاثين وأربعين ودفن بداره وولي ابنه أبو الوليد محمد بن جهور باتفاق من الكافة فجرى على سنن أبيه.

وكان قد قرأ على مكي بن أبي طالب المكي وغيره فكان مكرماً لأهله.

واستوزر ثقته إبراهيم بن يحيى فكتفاه، وهلك كما هو

## الخبر عن بنى ذي النون ملوك طليطلة من الثغر الجوفي وتصاريف أمورهم ومصائر أحوالهم

جدهم إسماعيل الظافر بن عبد الرحمن بن سليمان بن ذي النون أصله من قبائل هوارة ورأس سلفه في الدولة الرومانية وكانت لهم رياضة في شترية ثم تغلب على حصن أفلتين أزمان الفتنة سنة تسع وأربعين.

وكانت طليطلة ليعيش بن محمد بن يعيش، واليها منذ أول الفتنة، فلما هلك سنة سبع وعشرين استدعاه إسماعيل الظافر من حصن أفلتين مع بعض أجناد طليطلة فمضى إليها وملكتها. وامتد ملكه إلى جنحالة من عمل مرسيمة ولم يزل أميراً بها إلى أن هلك سنة تسع وعشرين.

وولي ابنه المأمون أبو الحسن يحيى، واستفحَل ملكه وعظم بين ملوك الطوائف سلطنه، وكانت بينه وبين الطاغية مواقف مشهورة.

وفي سنة خمس وثلاثين غزى بلنسية وغلب على صاحبها المظفر ذي الساقين من ولد المتصور بن أبي عامر.

ثم غلب على قرطبة وملكتها من يد ابن عباد وقتل ابنه أبي عمر بعد أن كان ملوكها، وهلك الظافر بها مسحراً سنة سبع وستين كما ذكرنا.

وولي بعده على طليطلة حافظه القادر يحيى بن إسماعيل بن المأمون يحيى بن ذي النون، وكان الطاغية بن أوفونش قد استفحَل أمره لما خلا الجو من مكان الدولة الخلافية، وخف ما كان على كاهله من أمر العرب، فالتهم البسائط وضائق ابن ذي النون حتى غلب على طليطلة فخرج له القادر عنها سنة ثمان وسبعين وأربعين، وشرط عليه أن يظاهره على أحد بلنسية، وعليها عثمان القاضي بن أبي بكر بن عبد العزيز من وزراء ابن أبي عامر فخلعه أهلها خوفاً من القادر أن يكن منهم الفتن فدخلتها القادر وأقام بها ستين، وقتل سنة إحدى وثمانين على ما ذكر بعد إن شاء الله تعالى.

وواجهه سنة فقبض عليه وعلى بنيه وقتلهم يوم الأضحى حسبما ذكر في أخبارهم.

ورثاء ابن عبدون بقصيدته المشهورة وهي:  
الدهر بفتحه بعد العين بالآخر فما البقاء على الأشباح والصور  
عدد فيها أهل التكبات ومن عثر به الزمان بما يكفي الجماماد،  
ومن ذكر قصتهم في أخبار لتوته وقتهم الأندرس، والله يفعل ما  
يشاء ويحكم ما يريد.

## أخبار باديس بن حسون ملك غرناطة والبيرة

كان عميد صنهاجة في الفتنة البربرية زاوي بن زيري بن مناد أجاز إلى الأندرس على عهد المتصور، فلما هاجت الفتنة البربرية، وأخل نظام الخلافة، كان فعل ذلك الشول وكيش تلك الكتاب، وعمد إلى البيرة، ونزل غرناطة واحتلها داراً للملك، ولما بايع المولى العامريون للمرتضى الرواني وتولى كبر ذلك عماهدي العامري ومنتدر بن يحيى بن هاشم التجيبي وعمد إلى غرناطة فلقاهم زاوي بن زيري في جموع صنهاجة وهزهم سنة عشرين وأربعين وقتل المرتضى، وأصاب زاوي من ذخائرهم وأموالهم وعددهم ما لم يقتنه ملك.

ثم وقع في نفسه سوء آثار البربر بالأندرس أيام هذه الفتنة وحضر مغبة ذلك فارتحل إلى سلطان قومه بالقيروان، واستختلف على غرناطة ابنه فلير القبض على ابن رصين ومشيخة غرناطة إذا رجعوا عن أبيه، وشعروا بذلك فبعثوا إلى ابن أخيه ماكس بن زيري من بعض الحصون فوصل وملك غرناطة، واستبد بها إلى أن هلك سنة تسع وعشرين وأربعين وولي ابنه باديس، وكانت بينه وبين ذي النون وابن عباد حروب.

واستولى على سلطنه كاتبه وكاتب أبيه إسماعيل بن نعزلة الذمي، ثم نکبه وقتلته سنة تسع وخمسين، وقتل معه خلقاً من اليهود، وتوفي سنة سبع وستين وأربعين وولي حافظه المظفر أبو محمد عبد الله بن بلکين بن باديس، وولي أخاه ثيماً بمالقة بعهد جده.

وخلعهما المراطون سنة ثلاثة وثمانين وأربعين وحملوا إلى أغمات ووريكة، واستقرتا هنالك حسبما يذكر بعد في أخبارهم مع يوسف بن تاشفين والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

## الخبر عن بني هود ملوك سرقسطة من الطوائف صارت إليهم

بلنسية عثمان بن أبي بكر وأمكناها منها القادر خوفاً من استيلاء النصراني وذلك سنة ثمان وسبعين وأربعين.

ثم ثار على القادر سنة ثلاث وثمانين القاضي جعفر بن عبد الله بن حجاج وقتله واستبد بها.

ثم تغلب النصارى عليها سنة تسع وثمانين وقتلوا.

ثم تغلب المرابطون على الأندلس وزحف ابن ذي النون قائدتهم إلى بلنسية فاسترجعوا من أيديهم سنة خمس وستين وأربعين.

وأما من بن صالح قائد الوزير ابن أبي عامر فأقام بالمرية لما وله المنصور سنة ثمان وثمانين، وتسمى ذا الوزارتين.

ثم خلعه وولى ابنه المتصنم أبو يحيى محمد بن معن بن صمادح، واستبد بها أربعاً واربعين سنة، وثار عليه صاحب لورقة ابن شبيب، وكان أبوه معزولاً عليها، فجهز إليه المتصنم جيشاً واستبد ابن شبيب المنصور بن أبي عامر صاحب بلنسية ومرسية بالعدو، واستمد المتصنم بياidis، ونهض عمه صمادح بن باديis بن صمادح فقاتلوا حصوناً من حصون لورقة واستولوا عليها، ورجعوا ولم يزل المتصنم أميراً بالمرية إلى أن هلك سنة ثمانين.

وولي ابنه خلعله يوسف بن تاشفين أمير المرابطين سنة أربع وثمانين، وأجاز إلى العدوة ونزل على آل حاد بالقلعة، وبها مات ولده والله وارث الأرض ومن عليها.

## الخبر عن بني هود ملوك سرقسطة من الطوائف صارت إليهم من بني هاشم وما كان من أوليائهم ومصائر أمورهم

كان منذر بن مطرف بن يحيى بن عبد الرحمن بن محمد بن هاشم التجبي صاحب الثغر الأعلى، وكان بين المنصور وعبد الرحمن مناسبة على الإمارة والرياسة، وكانت دار إمارته سرقسطة، ولما بويح المهدى بن عبد الجبار وانقرض أمر العامريين، وجاءت فتنة البرير كان مع المستعين حتى قتل هشام مولاً، فامتضى لذلك وفارقته وباعي الروانى للمرتضى مع مجاهد ومن اجتمع إليه من المرالى والعامريين، وزحفوا إلى غرناطة فلقبهم زاوي بن زيري وهزمهم.

ثم ارتقوا بالمرتضى ووضعوا عليه من قتله مع خيران بالمرية، واستبد منذر هذا بسرقسطة والثغر وتلقب بالمنصور، وعندما بين طاغية جليلة ويرشونة وبينه، وهلك سنة أربع عشرة،

## الخبر عن ابن أبي عامر صاحب شرق الأندلس من بني ملوك الطوائف وأخبار الموالى العامريين الذين كانوا قبله وابن صمادح قائد بالمرية وتصارييف أحواهم ومصائرها

بويع للمنصور عبد العزيز بن عبد الرحمن الناصر بن أبي عامر بشاطبة سنة إحدى عشرة وأربعين، أقام الموالى العامريون عند الفتنة البربرية فاستبد بها.

ثم ثار عليه أهل شاطبة فأفلت ولحق بلنسية فملكتها وفرض أمره للموالى.

وكان من وزرائه ابن عبد العزيز وكان خيران العامري من مواليه، تغلب من قبل ذلك على أربولة سنة أربع، ثم ملك مرسيية سنة سبع، ثم حيان ثم المرية سنة تسع، وبايوا جميعاً للمنصور عبد العزيز.

ثم انتقض خيران على المنصور وسار من المرية إلى مرسيية وأقام بها ابن عمها أبي عامر محمد بن المظفر بن المنصور بن أبي عامر، خرج إليه من قرطبة من حجر القاسم بن حمود، وخلص إلى خيران بأموال جليلة، فجمع الموالى فأخذوا ماله وطرودو.

ثم وله خيران وسماه المؤقت ثم المتصنم.

ثم تنكر عليه وأخرجه من مرسيية ولحق بالمرية وأغري به الموالى فأخذوا ماله وطرودو، ولحق بغرب الأندلس إلى أن مات.

ثم هلك خيران بالمرية سنة تسع عشرة، وقام بالأمر بعده الأمير عميد الدولة أبو القاسم زهير العامري، وزحف إلى غرناطة فierz إلى باديis بن حبسو وهزمته، وقتل ظاهرها سنة تسع وعشرين فصار ملكه للمنصور عبد العزيز صاحب بلنسية، وملكتها من يده سنة سبع وخمسين.

ولما هلك المأمون بن ذي النون وولي حافذه القادر ولد على بلنسية أبي بكر بن عبد العزيز بقية وزراء ابن أبي عامر، فداخله ابن هود في الانتفاض على القادر ففعل واستبد بها، وضيّعها سنة ثمان وستين حين تغلب المقدّر على دائمة.

ثم هلك سنة ثمان وسبعين لعشرين سنتين من ولايته.

وولي ابنه القاضي عثمان، فلما سلم القادر بن ذي النون طليطلة زحف إلى بلنسية ومعه الفتن كما قلناه، وخليع أهل

والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

### الثغر عن مجاهد العامري صاحب دانية والجزائر الشرقية وأخبار بنيه ومواليهم من بعدهم ومصائر أمورهم

كان فتح مبورقة سنة تسعين وسبعين على يد عصام الخولاني، وذلك أنه خرج حاجاً في سفينة اخترها لنفسه فعصفت بهم الريح فأرسوا مجزرية مبورقة، وطال مقامهم هنالك واختبروا من أحواهم ما أطعهم في فتحها، فلما رجعوا بعد فرضه أخبروا الأمير بما رأى فيها، وكان من أهل النساء عنده في ملتها، فبعث معه القطايع في البحر، ونفر الناس معه إلى الجهاد، فحاصرها أياماً وفتحوها حسناً حسناً إلى أن كمل فتحها.

وكتب عصام بالفتح إلى الأمير عبد الله، فكتب له بولايته فوليها عشر سنين، وبني فيها المساجد والفنادق والحمامات.  
ولما هلك قدم أهل المجزرية عليهم ابنه عبد الله، وكتب له الأمير بولايته.

ثم زهد وتربّب وركب إلى الشرق حاجاً وانقطع خبره،  
وذلك سنة خمسين وثلاثمائة.

وبعث الناصر الروانى إليها المؤقت من المسوالى فأنشأ الأسطول وغزا ببلاد الإفرنج، وهلك سنة تسع وخمسين أيام الحكم المستنصر، وولي بعده كوثر من مواليه فجرى على سنن المؤقت في جهاده.

وذلك سنة تسع وثمانين أيام المنصور فولى عليها مقاتل من مواليه، وكان كثير الغزو والجهاد، وكان المنصور وابنه المؤيد يدعنه في جهاده، وهلك سنة ثلاث وأربعين سنة أزمان الفتنة.

وكان مجاهد بن يوسف بن علي من فحول المسوالى العامرين، وكان المنصور قد ربه وعلمه مع مواليه القراءات والحديث والعربية فكان مجيداً في ذلك، وخرج من قرطبة يوم قتل المهدى سنة أربعين، وبايع هو والموالي العامرين وكثير من جند الأندلس للمرتضى كما قدمته، ولقيهم زاوي بفحص غرناطة فهزهم وبعد شملهم.

ثم قتل المرتضى كما تقدم وسار مجاهد إلى طرطوشة فملكها، ثم تركها وانتقل إلى دانية واستقل بها، وملك مبورقة ومنورقة وباسة واستبد سنة ثلاث عشرة.

وولي ابنه وتلقب المظفر وكان أبو أيوب سليمان بن محمد بن هود الجذامي من أهل نسيبهم مستبداً عدينة قطيلة، ولاها منذ أول الفتنة، وجدهم هود هو الداخل للأندلس ونبيه الأزد إلى سالم مولى أبي حذيفة.

قال هود بن عبد الله بن موسى بن سالم: وقيل هود من ولد روح بن زنباع، تقلب سليمان على المظفر بجيبي بن المنذر وقتلته سنة إحدى وثلاثين، وملك سرقسطة والثغر الأعلى، وابنه يوسف المظفر لاردة.

ثم نشأت الفتنة بينهما وانتصر المقدار بالإفرنج وال بشكتش فجاؤوا ليجاهده فورقت الفتنة بين المسلمين وبينهم ثانية، وانصرفوا إلى يوسف صاحب لاردة فحاصرهم بسرقسطة، وذلك سنة ثلاث وأربعين.

وهلك أحد المقدار سنة أربع وسبعين لتبع وثلاثين سنة من ملكه، فولى بعده ابنه يوسف المؤعن، وكان قائماً على العلوم الرياضية، وله فيها تأكير مثل الاستهلال والمناظر ومات سنة ثمان وسبعين، وهي السنة التي استول فيها النصارى على طليطلة من يد القادر بن ذي التون.

وولي بعده المستعين وعلى يده كانت وقمة وشقة، زحف سنة تسع وثمانين في آلاف لا تُحصى من المسلمين، وهلك فيها خلق نحو عشرة آلاف، ولم يزل أميراً بسرقسطة إلى أن هلك شهيداً سنة ثلاث وخمسين بظاهر سرقسطة في زحف الطاغية إليها.

وولي بعده ابنه عبد الملك وتلقب سيف الدولة، وأنخرجه الطاغية من سرقسطة سنة اثنى عشرة فنزل روتة من حصونها وأقام بها إلى أن هلك سنة ثلاث عشرة.

وولي ابنه أحد وتلقب سيف الدولة والمستنصر، وبالغ الكباية في الطاغية، ثم سلم له روتة على أن يملكه بلاد الأندلس، فانتقل معه إلى طليطلة بحشمه وأنته، وهنالك هلك سنة ست وثلاثين وخمسين.

وكان من مالك بي هود هؤلاء مدينة طرطوشة، وقد كان بقايا من المواري العامرين فملكها سنة ثلاث وثلاثين وأربعين.

ثم هلك سنة خمس وأربعين وملكها بعده يعلي العامري ولم تطل مدة نه.

وملكها بعده شبيل إلى أن نزل عنها لعماد الدولة أحمد بن المستعين سنة ثلاث وخمسين، فلم تزل في يده وفي يد بنيه من بعده إلى أن غلب عليها العدو فيما غلب عليه من شرق الأندلس.

على بناء مدينة أخرى بعيدة من البحر فثاروا به وصفلوه، وبعثوا إلى علي بن يوسف فردهم إلى ولاية محمد بن علي بن إسحاق بن غانية المستولي صاحب غرب الأندلس، فبعث إليها أخيه محمد بن علي من قرطبة، كان والياً عليها فوصل إلى ميورقة فصفل أئور وبعث به إلى مراكش، وأقام في ولايتها عشر سنين إلى أن هلك أخوه يحيى سلطانهم علي بن يوسف.

واستقرت ميورقة في ملك بني غانية هؤلاء وسلطانهم وكانت لهم في زمان علي بن يوسف بها دولة، وخرج منها على ويحيى إلى جماعة وملوكها من الموحدين، وكانت لهم معهم حروب بإفريقية كما ذكر في أخبارهم بعد أخبار لتونة، وملك الإفرنج ميورقة من أيدي الموحدين آخر دولتهم، وبالبقاء لله والملك يوتبه من بشاء وهو العزيز الحكيم.

### الخبر عن ثوار الأندلس آخر الدولة المعتنوية واستبداد بني مردنيش ببنسيمة وزاحتهم لدولة بني عبد المؤمن من أولها إلى آخرها ومصائر أحواهم وتصاريفهم

لما شغل لتونة بالعدو، ومحرب الموحدين بعد عليهم الأندلس، وعادت إلى الفرقه بعض الشيء ثار ببنسيمة سنة سبع وثلاثين وخمسة وعشرين القاضي مروان بن عبد الله بن مروان بن حضاب، وخلعوه لثلاثة أشهر من ملكه، ونزل بالمرية.

ثم حل إلى ابن غانية يحيى ميورقة فسجن بها، وثار بمرسية أبو جعفر أحد بن عبد الرحمن بن ظاهر.

ثم خلع وقتل لأربعة أشهر من ولاته، وولي حاقد المستعين بن هود شهرین.

ثم ولـ ابن عياض وبسبعين أهل ببنسيمة بعد ابن حضاب للأمير أبي محمد عبد الله بن سعيد بن مردنيش الجذامي.

وأقام مجاهداً إلى أن استشهد في بعض أيامه مع النصارى سنة أربع وخمسة، قبور عبد الله بن عياض كان ثائراً بمرسية كما قدمناه.

وذلك سنة اثنين وأربعين قبور إلى ابن أخيه محمد بن أحد بن سعيد بن مردنيش، وملك شاطبة ومدينة شقر ومرسية، وكان إبراهيم بن همشك من قواده فبعث في أقطار الأندلس وأغار على قرطبة وغلق بها.

ونصب العيطي كما مر فأراد الاستبداد، ومنع طاعة مجاهد ومنعه أهل ميورقة من ذلك، فبعث عنه مجاهد، وقدم على ميورقة عبد الله ابن أخيه فولي حسن عشرة سنة.

ثم هلك، وكان غزوا سردانية في الأساطيل فاتتحمها، وأنخرج النصارى منها وتقبضوا على ابنه أسيراً ففداء بعد حين، وولي مجاهد على ميورقة بعد ابن أخيه مولاه الأغلب سنة ثمان وعشرين، وكان بين مجاهد صاحب دانية وبين خيران صاحب مرسيبة وابن أبي عامر صاحب بلنسية حروب إلى أن هلك مجاهد سنة ست وثلاثين.

ولي ابنه علي وتسمى إقبال الدولة، وأصهر إلى المقتدر بن هود وأخرجـه من دانية سنة ثمان وستين ونقلـه إلى سرقسطة، ولحقـ ابنه سراج الدولة بالإفرنجـة، وأسدـوه على شرـوط شـرطـها لهم، فـتغلـبـ على بعض حـصـونـه.

ثم مات فيما زعموا مسموماً بـحـيلةـ من المـقتـدرـ سـنةـ تـسـعـ.

وماتـ عليـ قـريـباًـ منـ وـفـاةـ المـقتـدرـ سـنةـ أـربعـ وـسـبعـينـ.ـ وـيـقـالـ:ـ بلـ فـرـ أـمـاـ المـقتـدرـ إـلـيـ جـمـاعـةـ،ـ وـنـزـلـ عـلـىـ صـاحـبـهاـ يـحـيـيـ بـنـ حـمـادـ،ـ وـمـاتـ هـنـاكـ،ـ وـأـمـاـ الـأـغـلـبـ مـولـيـ مجـاهـدـ صـاحـبـ مـيـورـقـةـ فـكـانـ صـاحـبـ غـزوـ وـجـهـادـ فـيـ الـبـحـرـ.

ولـ هـلـكـ مجـاهـدـ استـذـنـ اـبـنـ عـلـيـ فـيـ الـزـيـارـةـ فـاذـنـ لـهـ،ـ وـقـدـمـ عـلـىـ الـجـزـيرـةـ صـهـرـهـ اـبـنـ سـلـيـمانـ بـنـ مـشـكـيـانـ نـابـاـ عـنـهـ،ـ وـبـعـثـ عـلـىـ آـلـ الـأـغـلـبـ فـاسـتـعـاهـ وـأـقـامـ سـلـيـمانـ حـسـنـ سـنـينـ.

ثم ماتـ فـوـلـىـ عـلـىـ مـكـانـ مـبـشـراًـ وـتـسـمـىـ نـاصـرـ الـدـوـلـةـ،ـ وـكـانـ أـصـلـهـ مـنـ شـرـقـ الـأـنـدـلـسـ أـسـرـ صـنـيرـاًـ وـجـبـهـ الـعـدـوـ وـأـقـامـ بـدـانـيـةـ عـمـبـوـيـاـ يـجـاهـدـ فـيـ أـسـرـيـ دـانـيـةـ وـسـرـدـانـيـةـ،ـ وـاـصـطـفـاهـ فـرـلاـهـ بـعـدـ مـهـلـكـ سـلـيـمانـ فـوـلـىـ حـسـنـ سـنـينـ،ـ وـانـقـرـضـ مـلـكـ عـلـيـ وـتـنـلـبـ عـلـيـ المـقـتـدرـ بـنـ هـودـ فـاسـتـبـدـ مـبـشـرـ مـيـورـقـةـ،ـ وـفـتـنـتـهـ يـوـمـنـذـ غـرـوجـ بـنـ مـلـوكـ الـطـوـافـ،ـ وـبـعـثـ إـلـيـ دـانـيـةـ فـيـ تـسـلـيـمـ أـهـلـ سـيـدـهـ،ـ فـبـعـثـواـ إـلـيـ بـهـمـ وـأـلـاـهـمـ جـيـلاـ.

وـلـ يـزـلـ يـرـدـدـ الـفـرـزـوـ إـلـيـ عـلـيـ بـنـ يـوسـفـ صـاحـبـ الـمـغـرـبـ بـرـشـلوـنـةـ الـجـمـعـ وـنـازـلـهـ مـيـورـقـةـ عـشـرـ أـشـهـرـ.

ثم اـنـتـشـرـهاـ وـاسـتـبـاحـهاـ سـنـةـ مـنـ وـلـاتـهـ.

وـكـانـ بـعـثـ بـالـصـرـيـخـ إـلـيـ عـلـيـ بـنـ يـوسـفـ صـاحـبـ الـمـغـرـبـ مـنـ لـتوـنـةـ فـلـمـ يـوـافـهـ الـأـسـطـوـلـ بـالـلـدـ إـلـاـ بـعـدـ اـسـتـيـلـاهـ الـعـدـوـ.

فـلـمـاـ وـصـلـ الـأـسـطـوـلـ دـفـعـواـ الـعـدـوـ عـنـهـ وـوليـ عـلـيـ بـنـ يـوسـفـ مـنـ قـبـلـهـ أـبـنـ أـبـيـ بـكـرـ الـمـتـونـيـ فـعـسـفـ بـهـمـ وـأـرـادـهـ

بالأركه من نواحي بطليوس الواقعة المذكورة سنة إحدى وسبعين وخمسة، وأجاز ابنه الناصر من بعده سنة تسع فمحض الله المسلمين واستشهد منهم عدّة.

ثم تلاشت إمارة الموحدين من بعده وانتزى بالسادة بنواحي الأندلس في كل عمله، وضعف براكس فصاروا إلى الاستجاشة بالطاغية بقص، واستسلام حصن المسلمين إليه في ذلك فسمت رجالات الأندلس وأعقاب العرب من دولة الأموية، وأجمعوا إخراجهم فثاروا بهم لhin وأخرجوهم.

وتولى كبر ذلك محمد بن يوسف بن هود الجنامي الشائر بالأندلس.

وقام ببنسيمة زيان بن أبي الحملات مدافع بن يوسف بن سعد، من أعقاب دولة بنى مرديش وثوار آخرون.

ثم خرج علي بن هود في دولته من أعقاب دولة العرب أيضاً، وأهل نسبهم محمد بن يوسف بن نصرالمعروف بباب الآخر، وتلقب محمد هذا بالشيخ فحاريه أهل الجبل، وكانت لكل منها دولة أورثها بنيه.

فاما زيد بن مرديش فكان مع عشرة من بنى مرديش رؤساء بنسية، واستظهر الموحدون على إمارتها.

ولما ولتها السيد أبو زيد بن محمد بن أبي حفص بن عبد المؤمن بعد مهلك المستنصر كما ذكر في أخبارهم، وذلك سنة عشرين وستمائة، كان زياد هذا بطانة وصاحب أمره.

ثم انقض عليه سنة ست وعشرين عندما بريع ابن هود هرسية وخرج إلى أبداء فخشيه السيد أبو زيد، ويعث إلية يلاطفه في الرجوع فامتنع، ولحق السيد أبو زيد بطاغية برشلونة ودخل في دين النصرانية أعادنا الله من ذلك.

وملك زيان بنسية واتصلت الفتنة بينه وبين ابن هود، وخالف عليه بنو عمّه عزيز بن يوسف بن سعد في جزيرة شقر، وصاروا إلى طاعة ابن هود وزحف زيان للقائه على شريش فانهزم وبعه ابن هود ونازله في بنسية أيامه وامتنع عليه فاقلع، وتکالب الطاغية على ثبور المسلمين، ونازل صاحب برشلونة ليشهه ولملكتها، وزحف زيان إليها بجميع من معه من المسلمين سنة أربع وثلاثين ونفر معه أهل شاطبة وجزيرة شقر فكانت عليهم الواقعة العظيمة التي استشهد فيها أبو الربيع سليمان، وأخذ الناس في الاتصال عن بنسية، فبعث إليهم يحيى بن أبي زكريا صاحب إفريقية باللدد من الأموال والأسلحة والطعام مع قربه يحيى عندما نبذ دعوة بنى عبد المؤمن وأوفد عليه أعيان بنسية وهي محصورة

ثم استرجعت منه ثم غدر بغرناطة وملكتها من أبيدي الموحدين وحصرهم بالقصبة هو ابن مرديش.

ثم استخلصها عبد المؤمن من أيديهم بعد حروب شديدة دارت بينهم ب Finch غرناطة، لقيها ابن همشك وابن مرديش، وجوش من أمم النصرانية استعنوا بهم في المدافعة عن غرناطة، فهزمهم عبد المؤمن وقتلهم أبُرُّ قتل، وحاصر يوسف بن سيف خطيب الخليفة العباسي المستجد، وكانته فكتب له بالعهد والولاية.

ثم بايع للموحدين سنة ست وستين.

وكان المظفر عيسى بن المنصور بن عبد العزيز الناصر بن أبي عامر عندما انتصرف إلى ملك شاطبة ومرسية تغلب على بلنسية مدة، ثم هلك سنة حسن وحسين وخمسة، ورجعت إلى ابن مرديش.

وكان أحد بن عيسى تغلب على حصن مزيلة ثائراً بالرباطين من أتباعه فقلب متذر بن أبي وزير عليه، فأجاز سنة أربعين وخمسة إلى عبد المؤمن، ورغبه في ملك الأندلس فبعث معه البعوث وتغلبوا على بنى غانية أمراء المرابطين بالأندلس.

وكان ميورقة أيضاً منذ اضطراب أمر لتوة محمد بن علي بن غانية المستوى، ولها سنة عشرين وخمسة، واستشهد بها. ورحل عنها سنة سبع وثلاثين إلى زيارة أخيه يحيى بنسية واستخلف على ميورقة عبد الله بن تيمماً فلم يكث ثار عليه ثوار فرجع محمد بن غانية وأصلاح شأنها إلى أن هلك سنة سبع وستين. وولي ابنه إبراهيم أبو إسحاق وتوفي سنة إحدى وثمانين وخمسة.

وولي بعده أخوه طلحة وباييع للموحدين سنة إحدى وثمانين، وأوفد عليهم أهل ميورقة، فبعثوا معهم علي بن الريتير، فلما وصل إلى ميورقة ثار على طلحة بنو أخيه أبي إسحاق وهم علي ويجي ويعفر بن الريتير وخلعوا طلحة.

ثم بلغهم موت يوسف بن عبد المؤمن فخرجوا إلى إفريقية حسماً ذكر في أخبار دولتهم، فانقرضت دولة المرابطين بالغرب والأندلس وأدار الله منهاً منهم بالموحدين وقتلواهم في كل وجه، واستفحلا أمرهم بالأندلس واستعملوا فيها القرابة من بنى عبد المؤمن وكانوا يسمونهم السادة، واقسموا ولايتها بينهم.

وأجاز يعقوب المنصور منهم غازياً بعد أن استقر أهل العدوة كافة من زناته، فأوقع العرب بين أذفونش ملك الجلاطة

فرجع إلى دانية.

فتصدر ابن هود هذا للثورة، وهو من أعقاب بني هود من ملوك الطوائف، وكان يؤمل لها وربما امتحنه الموحدون لذلك مرات، فخرج في نفر من الأجناد سنة خمسة وعشرين، وجهز إليه وإليه مرسية يومئذ السيد أبي عمران موسى بن أبي عمران موسى بن أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن عسكراً فهزمهم. وزحف إلى مرسية فدخلها واعتقل السيد، وخطب للمستنصر صاحب بغداد لذلك العهد من بني العباس.

وزحف إليه السيد أبو زيد بن محمد بن أبي حفص بن عبد المؤمن من شاطبة، وكان واليه بها فهزمه ابن هود ورجع إلى شاطبة.

واستجاش بالمؤمن وهو يومئذ ياشبيلية بعد أخيه العادل فخرج في العساكر، ولقيه ابن هود فانهزم واتبعه إلى مرسية فحاصره مدة، وامتنع عليه فاقلع عنه ورجع إلى إشبيلية.

ثم انقضى على السيد أبي زيد ببلنسية زيان بن أبي الحملات مدافع بن حجاج بن سعد بن مردنيش، وخرج عنه إلى أبدة وذلك ستة ست وعشرين.

وكان بن مردنيش هؤلاء أهل عصابة وأولى بأس وقوته، فتوقع أبو زيد اختلال أمره، وبعث إليه ولاطفه في الرجوع فامتنع فخرج أبو زيد من بلنسية، ولحق بطاغية برشلونة ودخل في دين النصرانية، نعم بالله.

وباعي了一个 شاطبة لابن هود، ثم تابعه أهل جزيرة شقر حلهم عليها ولائهم بن عزيز بن يوسف عم زيان بن مردنيش، ثم بايعه أهل خيان وأهل قرطبة، وتسمى بأمير المسلمين، وباعيهم أهل إشبيلية عند رحيل المؤمن عنها إلى مراكش، وولى عليهم أخاه.

ونازعه زيان بن مردنيش، وكانت بينهما ملاقة انهزم فيها زيان سنة تسع وعشرين، وحاصره ابن هود ببلنسية.

ثم أقلى ولقي الطاغية على ماردة فانهزم ومحض الله المسلمين، وانهزم بعدها أخرى على الكروس.

ولم تزل غزوته متربدة في بلاد العدو كل سنة وحربه معهم سجالاً، والطاغية يلتقم الثغور والقواعد.

ثم استولى ابن هود على الجزيرة الخضراء وجبل الفتاح فرضي المجاز على سبعة من يد السيد أبي عمران موسى لما انقضى على أخيه المؤمن، ونازله سبعة فيأي هو لابن هود وأمكنته منها، ثم ثار بها اليشاichi على ما يذكر.

ثم أخذ الطاغية بلنسية سنة ست وثلاثين، وخرج زيان إلى جزيرة شقر وأقام بدعاية الأمير أبي زكرياء، وبعث إليه بيعتها مع كاته الحافظ أبي عبد الله محمد بن الأنباري فوصل إلى تونس، وأنشد قصيدته المشهورة على روبي السنين بلغ فيها من الإجاداة حيث شاء، وهي معروفة وسيأتي ذكرها في دولة بني حفص بأفريقية من الموحدين.

ثم هلك ابن هود وانتقض أهل مرسية على ابنه أبي بكر الرايق، وكان واليه بها أبو بكر بن خطاب، فبعثوا إلى زيان واستدعوه فدخلها واتهاب قصرها وحملهم على البيعة للأمير أبي زكرياء على ولاية شرق الأندلس كله، وذلك سنة سبع وثلاثين.

ثم انقضى عليه ابن عصام باريولة ولحق به قربة زيان بمدينة لقنت فلم يزل بها إلى أن أخذها منه طاغية برشلونة سنة أربع وأربعين فجاز إلى تونس، وبها مات سنة ثمان وستين.

وأما ابن هود فسيأتي الخبر عن دولته، وأما ابن الأخر فلم تزل الدولة في أعقابه لهذا العهد.

ونحن ذاكرون أخبارهم لأنهم من بقايا دولة العرب والله خير الوارثين.

## الخبر عن ثورة ابن هود على الموحدين بالأندلس ودولته وأولية أمره وتصاريف أحواله

هو محمد بن يوسف بن عبد العظيم بن أحمد بن سليمان المستعين بن محمد بن هود ثار بالصخيرات من عمل مرسية مما يلي رقوط عند فشل دولة الموحدين، واختلاف السادة الذين كانوا أمراء ببلنسية، وذلك عندما هلك المستنصر سنة عشرين.

وباعي الموحدون بمراكش لعمه المخلوع عبد الواحد بن أمير المؤمنين يوسف.

ثار العادل ابن أخيه المنصور بمرسيه ودخل في طاعة صاحب حيان أبو محمد عبد الله بن أبي حفص بن عبد المؤمن، وخالقهما في ذلك السيد أبو زيد أخوه ابن محمد بن أبي حفص. وتفاقمت الفتنة واستظهر كل على أمره بالطاغية، ونزلوا له عن كثير من الثغور وقلقت من ذلك ضمائر أهل الأندلس،

ثم ثار عليه بعدينة مرسيه محمد بن هود عم الموكيل سنة ثمان وثلاثين، وأخرج منها زيان بن مردنيش، وتلقب بهاء الدولة، وهلك سنة سبع وخمسين وستمائة.

وولي ابنه الأمير أبو جعفر، ثم ثار عليه سنة اثنين وستين أبو بكر الراقي الذي كان ابن خطاب خلمه، وهو الموكيل أمير المسلمين، ويقي بها أميراً إلى أن ضاق به الفتن والبرشلوني، فبعث إليه عبد الله بن علي بن إشبيلية، وتسلم مرسيه منه، وخطب بها لابن الأحر.

ثم خرج منها راجعاً إلى ابن الأحر فأوقع به البصري في طريقه، ورجع الراقي إلى مرسية ثلاثة فلم يزل بها إلى أن ملكها العدو من يده سنة ثمان وستين، وعرضه منها حسناً من عملها يسمى بس إلى أن هلك، والله خير الوارثين.

### الخبر عن دولة بن الأحر ملوك الأندلس هذا العهد ومبدأ أمرورهم وتصاريف أحوالهم

أصلهم من أرجونة من حصن قرطبة وهم فيها سلف في أبناء الجند ويعروفون ببني نصر، وينسبون إلى سعد بن عبادة سيد الخزرج، وكان كبارهم لآخر دولة الموحدين محمد بن يوسف بن نصر، ويعرف بالشيخ وأخوه إسماعيل، وكانت لهم وجاهة في ناحيتهم.

ولما فشل ربيع الموحدين وضعف أمرهم وكث الشوار بالأندلس، وأعطي حصونها للطاغية، واستقل بأمر الجماعة محمد بن يوسف بن هود الثاير بمرسيه، فأقام بدعوته العباسيه، وتغلب على شرق الأندلس أجمع فتصدى محمد بن يوسف لهذا للثورة على ابن هود وبriع له سنة تسع وعشرين وستمائة على الدعاء للأمير أبي زكريا صاحب إفريقية، وأطاعته حيان وشريش سنة ثلاثين بعدها، وكان يعرف بالشيخ ويلقب بأبي دبوس.

واستظره على أمره أولاً بقرباته من بني نصر وأصحابه بني إشبيلية عبد الله وعلى، ثم بايع لابن هود سنة إحدى وثلاثين عندما وصله خطاب الخليفة من بغداد.

ثم ثار بإشبيلية أبو مروان الباقي عند خروج ابن هود عنها، ورجوعه إلى مرسيه فداخله محمد بن الأحر في الصلح على أن يزوجه ابنته فاطماعه، ودخل إشبيلية سنة اثنين وثلاثين.

ثم فتك بابن الباقي وقتلها، وتناول الفتوك به على بن

ثم بريع للسلطان محمد بن يوسف بن نصر سنة تسع وعشرين بارجونة ودخلت قرطبة في طاعته، ثم قرموته ثم انتقض أهل إشبيلية وأخرجوا سالم بن هود وبايعوا لابن مروان أحمد بن محمد الباقي وجهز عسكراً للقاء ابن الأحر فانهزما وأسر قائد، ثم اتفق الباقي مع ابن الأحر على فتنة ابن هود وصالح ابن هود الفتن على فعلتهم على ألف دينار في كل يوم.

ثم صارت قرطبة إلى ابن هود وزحف إلى الباقي وابن الأحر فانهزما، ونزل ابن الأحر ظاهر إشبيلية.

ثم غدر الباقي فقتلها وتولى ذلك صهره وأشبيلية، وزحف سالم بن هود إلى إشبيلية فنازلاً وامتنعت عليه.

ووصل خطاب الخليفة المستنصر العباسي إلى ابن هود من بغداد سنة إحدى وثلاثين، وفديه أبو علي حسن بن علي بن حسن بن الحسين الكوفي الملقب بالكمال، وجاء بالرأبة والخلع والعهد ولقبه الموكيل، وقدم عليه بذلك في غرناطة في يوم مشهور، وبایع له ابن الأحر، وعندما غدر ابن الأحر بالباقي فر من إشبيلية شعيب بن محمد إلى البلد فاعتتصم بها، وتسمى العتصم فحاصره ابن هود وأنخذها من يده، ثم خرج العدو من كل جهة ونازلاً غنور المسلمين وأحاطوا بهم، وانتهت محلاتهم على الغنور إلى سبع.

ثم حاصر الطاغية مدينة قرطبة وغلب عليها سنة ثلاث وثلاثين وبایع أهل إشبيلية للرشيد من بني عبد المؤمن، ثم زحف ابن الأحر إلى غرناطة وملكتها كما يذكر، وبriع للرشيد سنة سبع وثلاثين.

وكان عبد الله أبو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الملك الأموي الرميبي وزير ابن هود، وكان يدعوه ذا الوزارتين ولاه المريدة من عمله، فلم يزل بها وقدم عليه الموكيل سنة خمس وثلاثين وستمائة فهلك بالحمام ودفن بمدحية.

ويقال: إنه قتله ثم استبد من بعده المؤيد، واستنزله عنها ابن الأحر سنة ثلاث وأربعين.

ولما هلك الموكيل ولد من بعده بمدحية ابنه أبو بكر محمد بعدهه إليه وتلقب بالراقي، وثار عليه عزيز بن عبد الملك بن خطاب سنة ست وثلاثين لأشهر من ولادته فاعتقله، وكان يلقب ضياء الدولة.

ثم تغلب زيان بن مردنيش على مرسيه وقتل ابن خطاب لأشهر من ولادته، وأطلق الراقي بن هود من اعتقاله.

بعد ذلك ابن محفوظ على شلب وطليبرة سنة تسع وخمسين.

إشبيلية.

ثم ملك مرتبة سنة خمس وستين ولم ينزل الطاغية يقطن  
ملك الأندلس كورة كورة وتفرأً تفرأً إلى أن أجاً المسلمين إلى  
سيف البحر ما بين رندة من الغرب والبيرة من شرق الأندلس،  
خوا عشر مراحل من الغرب إلى الشرق وفي مقدار مرحلة أو ما  
دونها في العرض ما بين البحر والجوف ثم سخط بعد ذلك الشيخ  
بن الأخر وطبع في الاستيلاء على كافة الجزيرة فامتنعت عليه  
وتلاحق بالأندلس غزاة من زناته الثاريين يومئذ من بي عبد الواحد  
وتوجهن ومحاوحة وبي مرين، وكان أعلامهم كعباً في ذلك وأكثراهم  
غزي بن مرين، فجاز أولًا أولاد إدريس بن عبد الحق وأولاده  
رحو بن عبد الله بن عبد الحق أعياص الملك منهم ستة ستين أو  
خوها، فقبل ابن الأخر إجازتهم ودفع بهم في نهر عدوه ورجعوا،  
ثم تهابوا إليه من بعد ذلك من كل بيت من بيوت بي مرين  
ومعظمهم الأعياص من بي عبد الحق لما تزاحمهم مناكب السلطان  
في قومهم وتضنه بهم الدولة فيتزعون إلى الأندلس مغنين بها من  
بابهم وشوكتهم في المدافعة عن المسلمين، ويخلصون من ذلك  
على حظ من الدولة بمكان.

ولم ينزل الشأن هذا إلى أن هلك محمد بن يوسف بن الأخر  
سنة إحدى وسبعين وستمائة، وقام بأمره من بعده ابنه محمد وكان  
يعرف بالفقير لما كان يقرأ الكتاب من بين أهل بيته، ويطالع كتب  
العلم.

وكان أبوه الشيخ أوصاه باستصراخ ملوك زناته من بي  
مررين الدالين بالغرب من الموحدين وأن يوثق عهده بهم ويحكم  
أراضي سلطانه بمداخلتهم، فأجاز محمد الفقيه ابن الأخر إلى  
يعقوب بن عبد الحق سلطان بي مرين سنة اثنين وسبعين وستمائة  
عندما تم استيلاؤه على بلاد المغرب، وتغلبه على مراكش، وافتقاده  
سرير ملك الموحدين بها فاجاب صريمه، وأجاز عساكر المسلمين  
من بي مرين وغيرهم إلى الجهاد مع ابنه متليل.

ثم جاء على أثرهم وأسكنه ابن هشام من الجزيرة الخضراء،  
كان ثاراً بها فسلسلها منه ونزل بها، وجعلها ركاباً لجهاده وينزل  
بها جيش الفزو.

ولما أجاز سنة اثنين وسبعين كما قلناه هزم زعيم النصرانية،  
ثم حذر ابن الأخر على ملكه فداخل الطاغية، ثم حذر الطاغية  
فتراجع وهو مع ذلك يده في نهر بشركة الأعياص الذين تزعوا  
إليه من بي مرين بما شاركوا صاحب المغرب من نسب ملكه  
وقاسموه في يسوسية قيائمه، فكان له بذلك مدفع عن نفسه

ثم راجع أهل إشبيلية بعدها لشهر دعوة ابن هود،  
وأخرجا ابن الأخر.

ثم تغلب على غرناطة سنة خمس وثلاثين بمداخلة أهلها ثم  
ثار ابن أبي خالد بدعوه في طليان ووصلته بيعتها، فقدم إليها أبا  
الحسن بن إشبيلية.

ثم جاء على أثره ونزلها واستقر بها بعد مهلك ابن هود،  
وبايح للرشيد سنة تسع وثلاثين ثم تناول المؤيد من يد محمد بن  
الرميمي فخلعه أهل البلد سنة ثلاثة وستين وبايعوا ابن الأخر.

ثم ثار أبو عمرو بن الجد وأسمه يحيى بن عبد الملك بن  
محمد الحافظ أبي بكر وملك إشبيلية، وبايح للأمير أبي زكريا بن  
حنص صاحب إفريقية سنة ثلاث وأربعين، وولى عليهم أبو زكريا  
أميراً، وقام بأمرهم القائد شغاف، والعدو أثناء ذلك يلتقم بلاد  
المسلمين وحصونهم من لدن عام عشرين أو قبله وصاحب  
برشلونة من ولد الطريق الذي استعمله الإفرنجية عليها لأول  
استرجاعهم لها من أيدي العرب فتغلب عليها، وبعد عن الفرجنة،  
وضعف لعده سلطانهم.

ووصلوا وراء الديوب وعجزوا فكانوا عن برشلونة  
وجاءتها أعز، فسما أهل طاغيتها منهم لذلك العهد وأسمه  
حاتمة إلى التغلب على ثور المسلمين واستولى على مارة سنة  
ست وعشرين وستمائة.

ثم مبورقة سنة سبع وعشرين وستمائة، ثم أجاز إلى  
سرفطة وشاطبة كان تملكتها منذ مائة وخمسين من السنين قبلها.

ثم بلنسية سنة ست وثلاثين وستمائة بعد حصار طويل  
وطوى ما بين ذلك من الحصون والقرى حتى انتهى إلى المرية  
وحاصلها، وابن أذفونش أيضاً ملك الجلاقة هو ابن الأدقونش  
الملقب بالحكيم وآباءه من قبله يتقرى الفرسية حصنًا حصنًا،  
ومدينة مدينة إلى أن طواها واستعبد ابن الأخر هذا لأول أمره بما  
كان بينه وبين الثوار بالأندلس من المنازعه فوصل يده بالطاغية في  
سبيل الاستظهار على أمره فوصله وشد عضده، وصار ابن الأخر  
في جلته وأعطيه ابن هود ثلاثة من الحصون أو خوها في كف  
غريبه عن ابن الأخر، وأن يعيشه على ملكه قرطبة فتلسمها، ثم  
تغلب على قرطبة سنة ثلاث وثلاثين وأعاد إليها خيرة الله كلمة  
الكافر، ثم نازل إشبيلية سنة ست وأربعين وابن الأخر معه مظهر  
الاعتراض لابن الجد وحاصرها ستين ثم دخلها صلحًا، وانتظم  
معها حصونها وثورتها وأخذ طليطلة من يد ابن كمامشة، وغلب

وبسمعهانة وكان أبوهما السلطان الفقيه استعمل على مالقة الرئيس أبي سعيد ابن عمه إسماعيل بن نصر، وطالت فيها إمارته، وهو الذي تملك سبتة وغدر بني الغربي بها على عهد المخلوع ويدعوته كما يذكر في أخبار سبتة ودولة بني مرين.

وكان أصهر إليه في ابنته وكان له منها ابنه أبو الوليد إسماعيل، فلما تملك الجيوش نصر غرناطة واستولى على سلطانهم بها ساءت سيرته وسيرة وزيره ابن الحاج وأحقد الأعياص من بني مرين، واستظهر الرعية بالقهر والعنف.

وكان بنو إدريس بن عبد الله بن عبد الحق أمراء على الغزارة بمالقة، وكان كثيرون عثمان بن أبي المعلى، فدخل أبو الوليد في الخروج على السلطان نصر، وتناول الأمر من يده لضعفه وسعفه بطاته وأثرياؤه فأعترموا على ذلك، ولم يتم لهم إلا باعتقال أبيه أبي الجيوش فاعتقلوه، وبايعوا أبو الوليد.

وثار بمالقة سنة سبع عشرة الرئيس أبي سعيد وزحفوا إلى غرناطة فهزمو عساكر أبي الجيوش وثارت به الدهماء من أهل المدينة، وأحيط به.

وصاحبهم على الخروج إلى وادي آش فلحق بها، وجد بها ملكاً إلى أن مات سنة اثنين وعشرين، ودخل أبو الوليد إلى غرناطة فأصل بها لنفسه وبنيه ملكاً جديداً، وسلطاناً فسيحاً.

ونازله ملك الصوارى الفشن بغراطة سنة ثمان عشرة وأبلى فيها بني أبي العلا.

ثم كان من تكيف الله تعالى في قتله وقتله رديفة، واستسلام جيوش النصرانية بظاهر غرناطة ما ظهرت فيه معجزة من معجزات الله.

وتعدد إلى أرض النصرانية بنفسه، غازياً مرات مع عساكر المسلمين من زناتة والأندلس، وكانت زناتة أعظم غناه في ذلك لقرب عهدهم بالتشفف والبداوـة التي ليست للناس.

ويبلغ أبو الوليد من العز والشوكـة إلى أن غدر به بعض قرابته من بني نصر سنة سبع وعشرين وبسمعهانة، طعنه غداراً عندما انقض مجلسه بباب داره فألفـه وحمل إلى فراشه، ولحق القادر بدار عثمان بن أبي العلى فقتله عليه وقتل الموالي المجاهـدين، فخرج عليهم ولحق بـانديـس فـتملكـها واستدعـى محمدـ بنـ الرئيسـ أبيـ سـعيدـ فيـ مـعقـلـهـ بـسـلـوـيـاشـةـ،ـ وـنصـبـهـ لـلـمـلـكـ فـلمـ يـتـمـ لـهـ مـرـادـهـ منـ ذـلـكـ.

ورجعوا آخرـاًـ للمـهـادـنةـ،ـ وـقـتـلـ السـلـطـانـ مـحـمـدـ وزـيـرـهـ ابنـ المـحـرـوقـ بـدـارـهـ غـدـرـاـ سـنـةـ سـبـعـ وـعـشـرـينـ،ـ وـاستـدـعـاهـ لـلـحدـيثـ عـلـىـ

ومرض في طاعة قرابته من بني إشقيقـلةـ،ـ كانـ عبدـ اللهـ منـهـمـ بـالـقـالـةـ وعلىـ بـوـيـادـيـ آـشـ وـلـيـاهـيمـ مـحـصـنـ قـمـارـشـ فالـثـانـوـاـ عـلـيـهـ،ـ وـدـاخـلـواـ يـعقوـبـ بنـ عبدـ الحقـ سـلـطـانـ بـنـيـ مـرـينـ فـكـانـ لـهـ عـمـهـ فـتـتـهـ،ـ وـأـمـكـنـتـهـ يـعـقوـبـ مـنـ الشـغـرـ الـقـيـهـ مـنـ بـعـدـ ذـلـكـ،ـ كـمـ نـذـكـرـ فـيـ أـخـبـارـ بـنـيـ مـرـينـ مـعـ بـنـيـ الـأـحـرـ.

وـصارـ بـنـوـ إـشـقـيقـلـةـ آـخـرـاـ وـقـرـابـتـهـمـ بـنـيـ الزـرقـاءـ إـلـىـ الـمـغـرـبـ،ـ وـنـزـلـواـ عـلـىـ يـعـقوـبـ بنـ عبدـ الحقـ وـأـكـرمـ مـثـواـمـهـ وـأـقـطـعـهـهـ وـاسـتـعـمـلـهـمـ فـيـ كـبـيرـ الـخـلـطـ لـلـدـوـلـةـ حـسـبـماـ يـذـكـرـ.

وـاسـتـبـدـ السـلـطـانـ الـفـقـيـهـ اـبـنـ الـأـحـرـ بـلـكـ مـاـ بـقـيـ مـنـ الـأـنـدـلـسـ وـأـورـثـهـ عـقـبـهـ مـنـ غـيرـ قـيـلـ وـلـاـ كـثـيرـ عـصـبـةـ،ـ وـلـاـ اـسـتـكـثـرـ مـنـ الـحـامـيـةـ إـلـاـ مـنـ يـأـخـذـهـ الـجـلـاءـ مـنـ فـحـولـ زـنـاتـةـ وـأـعـيـاصـ الـمـلـكـ فـيـزـلـوـنـ بـهـمـ غـزـىـ،ـ وـطـسـمـ عـلـيـهـمـ عـزـةـ وـتـغلـبـ وـسـبـبـ ذـلـكـ مـاـ قـدـمـنـاهـ فـيـ الـكـتـابـ الـأـوـلـ مـنـ إـفـقـادـ الـقـبـائـلـ وـالـعـصـابـ بـأـرـضـ الـأـنـدـلـسـ جـلـهـ فـلـاـ تـحـاجـ الـدـوـلـ هـنـالـكـ إـلـىـ كـبـيرـ عـصـبـةـ،ـ وـكـانـ لـلـسـلـطـانـ اـبـنـ الـأـحـرـ فـيـ أـوـلـ أـمـرـهـ عـصـبـةـ مـنـ قـرـابـتـهـ بـنـيـ نـصـرـ وـأـصـهـارـهـ بـنـيـ إـشـقـيقـلـةـ وـبـنـيـ الـمـوـلـىـ وـمـنـ تـبـعـهـمـ مـنـ الـمـوـالـيـ وـالـمـصـطـنـعـينـ كـانـتـ كـافـيـةـ فـيـ الـأـمـرـ مـنـ أـوـلـهـ مـعـ مـعـاـضـدـةـ الـطـاغـيـةـ عـلـىـ اـبـنـ هـودـ وـثـارـ الـأـنـدـلـسـ وـمـعـاـضـدـةـ مـلـكـ الـمـغـرـبـ عـلـىـ الـطـاغـيـةـ وـاسـتـظـهـارـ بـالـأـعـيـاصـ عـلـىـ مـلـكـ الـمـغـرـبـ،ـ فـكـانـ لـهـ بـذـلـكـ كـلـهـ أـقـدـارـ عـلـىـ بـلـوغـ أـمـرـهـ وـتـهـيـهـهـ،ـ وـرـبـاـ يـفـهـمـ فـيـ مـدـافـعـةـ الـطـاغـيـةـ اـجـمـاعـ الـخـاصـةـ وـالـعـامـةـ فـيـ عـدـاـوـتـهـ،ـ وـرـاهـبـهـ مـنـ بـاـهـ مـاـ هـوـ عـدـوـ لـلـدـينـ فـسـتـوـيـ القـلـوبـ فـيـ مـدـافـعـهـ وـمـخـافـهـ فـيـزـلـ ذـلـكـ بـعـضـ الشـيءـ مـنـزـلـةـ الـعـصـبـةـ.

وـكـانـتـ إـجازـةـ السـلـطـانـ يـعـقوـبـ بنـ عبدـ الحقـ إـلـيـهـ أـرـبعـ مـرـاتـ،ـ وـأـجـازـ اـبـنـ يـوسـفـ إـلـيـهـ بـعـدـ أـيـهـ.

ثـمـ شـعـلـتـهـ فـتـتـهـ مـعـ بـنـيـ يـغـرـاسـنـ إـلـىـ أـنـ هـلـكـ السـلـطـانـ الـفـقـيـهـ سـنـةـ إـحـدىـ وـبـسـعـمـانـةـ،ـ وـهـوـ الـذـيـ أـعـانـ الـطـاغـيـةـ عـلـىـ مـنـازـلـةـ طـرـيفـ وـأـخـذـهـ،ـ وـكـانـ بـيـرـ عـسـكـرـ مـدـةـ حـسـارـهـ إـيـاـهـ إـلـىـ أـنـ فـتـحـهـ سـنـةـ أـرـبعـ وـبـسـعـمـانـةـ لـاـ كـانـ رـكـابـ لـصـاحـبـ الـمـغـرـبـ،ـ مـتـىـ هـمـ بـالـجـلـوـزـ لـتـرـبـ مـسـافـةـ الـرـفـاقـ.

فـلـمـ مـلـكـهـ الـطـاغـيـةـ صـارـتـ عـيـنـاـ عـلـىـ مـنـ يـرـومـ الـجـوـازـ مـنـ الـغـزـاةـ فـصـبـعـ أـمـرـهـ عـلـيـهـمـ،ـ وـوـليـ مـنـ بـعـدـ اـبـنـهـ مـحـمـدـ الـمـخـلـوعـ،ـ وـاسـتـبـدـ عـلـيـهـ وـزـيـرـهـ مـحـمـدـ بـنـ الـحـكـمـ الـلـخـميـ،ـ مـنـ مـشـيخـةـ رـنـدةـ وـوزـرـائـهـ فـحـجـرـهـ وـاسـتـولـىـ عـلـىـ أـمـرـهـ،ـ إـلـىـ أـنـ ثـارـ بـهـ أـخـوـهـ أـبـوـ الـجـيـوشـ نـصـرـ بـنـ مـحـمـدـ فـقـتـلـ الـرـئـيسـ،ـ وـاعـتـقـلـ أـخـاهـ سـنـةـ ثـمـانـ

حضرن الحمراء، وتسروره وولج على الحاجب رضوان في داره قتله، وأخرج صهره إسماعيل ونصبه للملك ليلة سبع وعشرين من رمضان سنة ستين وسبعين.

وكان السلطان محمد هذا المخلوع بروضة خارج الحمراء، فلحق بوادي آش وأجاز منها إلى العدوة، ونزل على ملك المغرب السلطان أبي سالم ابن السلطان أبي الحسن فرعى له ذمته، وأحمد نزوله وارتاد شيخ الغزاة مجبي بن عمرو بالدولة ففر إلى دار الحرب ولحق منها بالمغرب ونزل على السلطان أبي سالم فأخذ نزوله، وولي مكانه على الغزاة بغرنطة من جهة إدريس بن عثمان بن أبي العلى، فقام الرئيس بأمر إسماعيل أخيه ودبر ملوكه.

ثم ترددت السعويات وأصدر الرئيس بالكببة فغدر بإسماعيل، وقتله وإنحرفه جيئاً سنة إحدى وستين.

وقام بملك الأندلس وبنى إلى الطاغية عهده ومنعه ما كان سلفه يعطونه من الجزية على بلاد المسلمين، فشعر الطاغية لحربه، وجهز العساكر إلى فاروق المسلمين بهم بوادي آش وعليهم بعض الرؤساء من قرابة السلطان فعظمت النكاثة.

وأرسل ملك المغرب إلى الطاغية في شأن محمد المخلوع ورده إلى ملوكه، فأركب الأساطيل وأجازه إلى الطاغية فلقيه ووعله المظاهره على أمره، وشرط له الاستئثار بما يفتح من حصون المسلمين.

ثم نقض فيما افتح منها فقارقه السلطان وأوى إلى الثغر المغربي في مملكة بني مرين، وأمكن من ثور رندة، فزحف منها إلى مالقة سنة خمس وستين فافتتحها، وفر الرئيس محمد بن إسماعيل من غرناطة ولحق بالطاغية وكأن معه إدريس بن عثمان شيخ الغزاة مجبيه إلى أن فر من مجسه بعد حين، كما يذكر في أخبارهم. وزحف السلطان محمد فيمن معه وأتوه بمحاجب الرئيس وقتله، واستلحض معه الرجال من الزعالة الذين قتلوا الحاجب وتسورووا قصور الملك.

ودخل السلطان محمد غرناطة واستولى على ملوكه، وقدم على الغزاة شيخهم مجبي بن عمر، واحتضن ابنه عثمان، ثم نكبهما لستة وسبعين بالطبق بالمرية، ثم غربهما بعد أعوام وقدم على الغزاة قريبهما علي بن بدر الدين بن محمد بن رحو.

ثم مات فقد مكانه عبد الرحمن بن أبي يغلوبن وتربع على السلطان أبي علي بن محمد ملك المغرب، وتغلب هذا السلطان محمد المخلوع أركمة ملكه بالحمراء متنعاً بالظهور والترف والعزة على الطاغية والجلالقة، وعلى ملوك المغرب بالعدوة بما نال

لسان عمه المتغلبة عليه مع ابن المخوق، وتناوله مع علوجه طعن بالخاجر إلى أن مات.

وقام السلطان بأباء ملوكه، ورجع عثمان بن أبي العلى إلى مكانه من بسوية الغزاة وزنانة، حتى إذا هلك قدم عليهم مكانه ابنه أبي ثابت، وأجاز السلطان محمد إلى المغرب صريحاً للسلطان أبي الحسن على الطاغية فوجده مشغولاً بفتنة أخيه محمد.

ومع ذلك جهز له العساكر وعقد عليها سنة ثلاثة وثلاثين.

واستراب بنو أبي العلى بمداخلة السلطان أبي الحسن، فشارروا في أمره وغدروا به يوم رحيله عن الجبل إلى غرناطة، فتقاضفوه بالرماح، وقدموا أخاه أبي الحاجاج يوسف، فقام بالأمر وشمر عن ساعده في الأخذ بثأر أخيه، فنكببني العلى وغريبهم إلى تونس، وقدم على الغزاة مكان أبي ثابت بن عثمان قريباً من بني رحو بن عبد الله بن عبد الحق، وهو مجبي بن عمر بن رحو، فقام بأمرهم وطال أمر رياسته.

واستدعى السلطان أبي الحاجاج السلطان أبي الحسن صاحب المغرب فأجاز ابنه عندما تم له الفتح بتلمسان، وعقد له على عساكر جهة من زناته والمطرعة فغراهم، وغنم وقتل راجعاً.

وتلاحت به جموع النصارى وبيتهم على حدود أرضهم، فاستشهد كثير من الزفارة، وأجاز السلطان أبي الحسن سنة إحدى وأربعين بكافة أهل المغرب من زناته ومغاروا والمترفة والمطرعة فنازل طريف، وزحف إليه الطاغية فلقيه بظاهرها فاكتشف المسلمون، واستشهد الكثير منهم، وهلك فيها نساء السلطان وحربيه وفسطاطه من معسكته، وكان يوم ابتلاء ومجيئه.

وتغلب الطاغية أثراها على القلعة ثغر غرناطة، ونازل الجبيرة الخضراء وأخذها صلحًا سنة ثلاثة وأربعين، ولم ينزل أبو الحاجاج في سلطانه إلى أن هلك يوم القطر سنة خمس وخمسين، طعنه في سجوده من صلاة العيد وغد من صفاعة البلد كان مجتمعاً.

وتولى ابنه واستبد عليه مولاهم رضوان حاجب أبيه وعمه فقام بأمره وغلبه عليه وحجبه.

وكان إسماعيل آخره ببعض قصور الحمراء قلعة الملك، وكانت له ذمة وصهر من محمد بن عبد الله بن إسماعيل بن محمد ابن الرئيس أبي سعيد، بما كان أبوه أنكبه شقيقة إسماعيل هذا.

وكان أبو مجبي هذا يدعى بالرئيس وجده محمد هذا هو الذي قدمنا أن عثمان بن أبي العلى دعاه من مكان اعتقاله للملك فدخل محمد هذا الرئيس بعض الرعالة من الغراء، وبيت

ابن الأخر عبد الرحمن بن أبي يغلوشن من محبيه فتقى ذلك عليه الوزير أبو بكر كافل الدولة بالغرب، واعترض على بعث الرؤساء من قرابة ابن الأخر إلى الأندلس لمنازعته، ومده بالمال والجيش.

ويبلغ ذلك ابن الأخر فما عجل عنه وسار في العسكر إلى فرضة المجاز، ونازل جبل الفتح، ومعه ابن أبي يغلوشن وأبن ماسي، وأركبهم السفن فنزلوا ببلاد فاضطرب المغرب، وأشتد الحصار على أهل جبل الفتح، واستأتموا لابن الأخر وأطاعوه.

وكان بيضة محمد بن عثمان بن الكاس صهر أبي بكر بن غازي وقربيه بعثه لضبط المراسي عندما نزل ابن الأخر على الجبل، وبطينة يومئذ جماعة من ولد السلطان أبي الحسن المرشحين محسوسون منذ عهد عبد العزيز، فوقع المراصلة من السلطان ابن الأخر ومحمد بن عثمان، ونكر عليه مبايعتهم لولد صغير لم يراهق.

وأشار بيضة واحد من أولئك المرشحين المحسوسين بطينة، ووعده بالظاهره والمدد بالمال والجيش، ووقع اختيار محمد بن عثمان على السلطان أبي العباس أحد، فاخترجه وبایع له.

وقد كان أولئك الفتية تعاهدوا في محبيهم أن من استولى منهم على الملك أطلق الباقين منهم، فرقى لهم السلطان أبو العباس لأول بيته، وأطلقهم من المحبس، ويعتبرهم إلى الأندلس، ونزلوا على السلطان ابن الأخر فاكرهم وجعلهم لنظره.

وبعث بالأموال والمعارك للسلطان أبي العباس ولوزيره محمد بن عثمان، وكتب إلى عبد الرحمن ابن أبي يغلوشن بمرافقتهما واجتمعهما على الأمر، فساروا جيماً ونزلوا دار الملك بفاس حتى استأمن أبو بكر بن غازي للسلطان أبي العباس، وأمكنه من البلد الجديد دار الملك فدخلها في محرم سنة ست وسبعين.

وشييع عبد الرحمن بن أبي يغلوشن إلى مراكش وأعمالها وسُوغ له ملكها كما كان الرفاق بينهما من قبل.

وبعث بالسعيد بن عبد العزيز المنصوب، واتصلت الموالة والهاداة بينه وبين ابن الأخر، وانتقض ما بينه وبين عبد الرحمن صاحب مراكش، ونهض مراراً، وحاصره ابن الأخر يمده تارة ويسعى بينهما في الصلح أخرى، إلى أن نهض إليه ستة أربع وثمانين وحاصره شهراً، واقتصر عليه حصنه عنترة وقتله ورجع إلى فاس ثم نهض، إلى تلمسان، و Herb صاحبها أبو أحمد سلطان بن عبد الواد، ودخل السلطان أبو العباس تلمسان.

دولتهم جميعاً من المرمي الذي يلحق الدول.

وأما الحالقة فانتقضوا على ملتهم بطرة بن أذفونش سنة ثمان وستين من لدن مهلك أيهم، ووقيت بين بطرة وبين ملك برشلونة بسبب إجرائه عليه فتن وحرروب حجر منها الحالقة، وكانت سبباً لانتقادهم على بطرة واستدعائهم لأخيه الفتش فجاء وبايغور، وأخغرفوا إليه جميعاً عن بطرة، فتحيز إلى ناحية بلاد المسلمين واستدعي هذا السلطان حمداً صاحب غرناطة لنصره من عدوه، وأغراه ببلاد الفتش ففتح كثيراً من معاقلها وخرتها مثل حياد وأبدة وأثر وغيرها، وعاد في بساطتها وزلل قرطبة وخرب نواحيها ورجع ظافراً عائلاً، ولحق بطرة سلطان الإفرنج الأعظم في ناحية الشمال من وراء جزيرة الأندلس، وهو صاحب جزيرة أركيلطرة وتسمى بنس غالس، وقد عليه صريخاً وزوجة انتبه، فبعث ابنه لنصره في أم الإفرنج.

وانهزم الفتش أمامهم، وارتجع بطرة البلاد حتى إذا رجعت عساكر الإفرنج، رجع الفتش فارتعج البلاد ثانيةً وحاصر أخاه بطرة في بعض حصون جليقة حتى أخذه وقتله واستول على ملتهم.

واغتنم السلطان صاحب غرناطة شغلهم بهذه الفتنة فأغار عليهم، ومنع الجزية التي كانوا يأخذونها من المسلمين منذ عهد سلفه فأقاموا من لدن سنة اثنين وسبعين لا يعطونهم شيئاً واستمر على ذلك وسعاً إلى مطالبتهم بنس غالس ملك الفرغنة من ورائهم الذي جاء لنصر بطرة، وأنكحه بطرة إيته، وولدت له ولداً فزع عمه أبوه هذا الملك أنه أحق بالملك من الفتش وغيره على عادة العجم في تلك الأسباط من ولد البطن.

وطالت الحرب بينهما وزلل الحالقة من ذلك شغل شاغل، واقتصر الكثير من ثغرهم وببلادهم، فمنهم ابن الأخر الجزية واعتبر عليهم كما ذكرناه، والحال على ذلك لهذا العهد.

واما ملوك المغرب فإن السلطان عبد العزيز ابن السلطان أبي الحسن لما استبد بملكه واستفحلا أمره، وكان عبد الرحمن بن أبي أبي يغلوشن مقدماً على الغزارة بالأندلس كما قلناه، وهو قسيمه في النسب ومراده في الترشيح للملك، فعن السلطان عبد العزيز على مكتابة بينه وبين أهل دولته، فارتبا وبعث إلى ابن الأخر في حبسه فحبسه، وجنس معه الأمير مسعود بن ماسي لكثرة خوضه في الفتنة، ومكتابته لأهل الدولة.

فلما توفي السلطان عبد العزيز سنة أربع وسبعين وبوبع ابنه محمد السعيد يافغاً وكفله وزير أخيه أبو بكر بن غازي الشائر أطلق

وامتنع السلطان لذلك ووّقعت المراسلة بينه وبين ابن ماسي على أن يباع بشرط الاستبداد عليه، واتفقا على ذلك. ولحق السلطان ابن ماسي ورجع به إلى دار الملك فبایع له واحد له البيعة من الناس وكانت معه حصة من جند السلطان ابن الأحرar مع مولى من مواليه فجدهم جميعاً وامتنع للذك السلطان فأركب أبا العباس البحر وجاء معه بنفسه إلى سبتة فدخلها وعساكر ابن ماسي عليها يحاصرونها، فبایعوا جميعاً للسلطان أبي العباس.

ورجع ابن الأحرar إلى غرناطة، وسار السلطان أبو العباس إلى فاس واعتبره ابن ماسي في العساكر فحاصره بالصفيحة من جبل غمار، وتحدث أهل عسكره في اللحاق بالسلطان أبي العباس ففرعوا إليه، وهرب ابن ماسي وحاصره السلطان شهراً حتى نزلوا على حكمه فقطع ابن ماسي بعد أن قتله ومثل به، وقتل سلطانه، واستلحام سائر بنى ماسي بالتنكيل والقتل والعذاب.

واستولى على المغرب واستبدل مملكته وأفرج السلطان ابن الأحرar على سبتة وأعادها إليه. وانتصت المولاية بينهما.

وأقام ابن الأحرar في اعتزازه ولم تطرقه نكبة ولا حادثة سائرة أيامه إلا ما بلغناه غيّر له عن ابنه ولـي عهده أبي الحاج يوسف أنه يوم الترتيب به، وكان على سفر في بعض نواحي الأندلس فقبض على ولده لحيـه، ورجع إلى غرناطة، ثم استكشف حاله فظهرت براءته فأطلقه وأعاده إلى أحسن أحواله، وإلا ما بلغنا أيضاً أنه لما سار من غرناطة إلى جبل القفتح شارياً لأحوال السلطان أبي العباس وهو بالصفيحة من جبال غمار، وبين ماسي، يحاصره، فنمي إليه أن بعض حاشيته من أولاد الوزراء وهو ابن مسعود البلنسي، ابن الوزير أبي القاسم بن حكيم وقد اتفقا على إغتياله، وأن ابن ماسي دس إلىهم بذلك ونصبت له على ذلك العلامات التي عرفها فقبض عليهم لحيـه، ولم يمهلهم وقت لهم وجميع من داخلهم في ذلك، ورجع إلى غرناطة وأقام متعتاً مملكته إلى أن ملك سنته ثلاثة وتسعين، فتولى مكانه ابن أبو الحاج وبإيعه الناس، وقام بأمره خالد مولى أبيه وقبض على إنحوته سعد وعمر ونصر فهلكوا في محبسهم، ولم يوقف لهم على خبر.

ثم سعى عنده في خالد القائم بدولته أنه أعد السـم لقتله، وأن يحيـي بن الصانع اليهودي طبيب دارهم داخله في ذلك فشك بخالد، وقتل بين يديه صبراً بالسيوف لستة أو نحوها من ملـكه، وجسـ الطيب فذبح في محبسه.

وكان جماعة من سماسرة الفتن قد سعوا ما بينه وبين السلطان ابن الأحرar بالفساد حتى أغرروا صدره، وخلوه على تقضـ دولـة السلطان أبي العباس بعض الأعـاصـ الذين عندـه، فاختار من أولـكـ الفتـيـةـ الـذـينـ نـزـلـواـ عـلـيـهـ مـنـ طـنـجـةـ مـوسـىـ ابنـ السـلـطـانـ أبيـ عـنـانـ، وـاستـورـرـ لهـ مـسـعـودـ بـنـ مـاسـيـ، وـركـبـ السـفـنـ مـعـهـ إـلـىـ سـيـنةـ فـبـادـرـ أـهـلـهاـ بـطـاعـةـ مـرسـىـ، وـأـتـوهـ بـيـعـتـهـمـ، وـارـتـحلـ عـنـهـمـ إـلـىـ فـاسـ وـعـدـ السـلـطـانـ مـوسـىـ إـلـىـ دـارـ الـمـلـكـ بـفـاسـ فـوـقـ عـلـيـهـ يـوـمـاـ، وـاسـتـأـمـنـاـ لـهـ آـخـرـ النـهـارـ فـدـخـلـهـ سـنـةـ سـتـ وـثـمـانـينـ، وـأـصـبـحـ جـالـسـاـ عـلـىـ سـرـيرـ مـلـكـهـ.

وطار الخبر إلى السلطان أبي العباس، وقد ارتحل من تلمسان لقصد أبي حمو وبني عبد الواد بمكانتهم من دار الملك فكر راجعاً، وأخذ السير إلى فاس، فلما تجاوز تازي وتوسط ما بينهما وبين فاس، افترق عنه بنو مرين وسائر عساكره، وساروا على رياطهم إلى السلطان موسى، ونهب مسكنه، ورجع هو إلى تازي فتوّت منه عاملها حتى جاء يريد السلطان من فاس فتقبض عليه، وحمله إلى فاس وأزعجه السلطان موسى إلى الأندلس ونزل على ابن الأحرار كما كان هو.

واستولى السلطان موسى على المغرب واستبدل عليه وزيره مسعود، وطلب ابن الأحرار بالتزول على سبتة فامتنع، ونشأت بينهما الفتنة، ودس ابن ماسي لأهل بيته بالثورة على حامية السلطان ابن الأحرار عندهم فثاروا عليهم، وامتنعوا بالقصبة حتى جاءهم المدد في أساطيل ابن الأحرار، فسكن أهل بيته واطمأنوا الحال، ونزع إلى السلطان ابن الأحرار جماعة من أهل الدولة، وسألوه أن يبعث لهم ملكاً من الأعاصي الذين عنده، فبعث إليهم الوائـنـ حـمـدـ بـنـ الـأـمـرـ أـبـيـ الـفـضـلـ بـنـ السـلـطـانـ أـبـيـ الـحـسـنـ وـشـيعـهـ فيـ الأـسـطـوـلـ إـلـىـ سـيـنةـ، وـخـرـجـ إـلـىـ غـمـارـةـ وـبلغـ الـخـبـرـ إـلـىـ مـسـعـودـ بـنـ مـاسـيـ، فـخـرـجـ إـلـيـهـ فـيـ الـعـسـكـرـ وـحاـصـرـهـ بـتـلـكـ الـجـبـالـ.

ثم جاءه الخبر بموت سلطانه موسى ابن السلطان أبي عنان بفاس فارتحل راجعاً.

ولما وصل إلى دار الملك نصب على الكرسي صبياً من ولد السلطان أبي العباس كان تركه بفاس، وجاء السلطان أبو عنان ابن الأمير أبي الفضل، ونزل بجبل زرهون قبالة فاس، وخرج ابن ماسي في العساكر فنزل قبالتـهـ، وكان متولـيـ أمرـهـ أـمـدـ بـنـ يـعقوـبـ الصـيـحـيـ، وـقـدـ غـصـ بـهـ أـصـحـابـهـ فـذـبـرـاـ عـلـيـهـ وـقـتـلـوـهـ أـسـامـ خـيـمةـ السلطانـ.

سيف البحر من جانب الجروف، وتجاوزوا السدروب وراء قشتالة،  
واجتمعوا بجبليةة وملکروا عليهم ثلاثة: ابن ناقله فاقام ملکاً تسع  
عشرة سنۃ، وهلک سنته ثلاثة وثلاثين ومائة، وولی ابنه قافلة  
ستین، ثم هلک فولوا عليهم بعدهما اذفونش بن بطرة، وهو  
الذی اتصل ملکه في عقبه لهذا العهد، ونسبهم في الجلالة من  
العجم كما تقدم.

ويزعم ابن حيان أنهم من أعقاب الغرط، وعندى أن ذلك ليس بصحيح فإن أمة الغرط قد دثرت وغابت وهلكت، وقل أن يرجع أمر بعد إدباره وإنما هو ملك مستجد في أمة أخرى والله أعلم.

فجمعهم أذفونش بن بطرا على حماية ما يقي من أرضهم  
بعد أن ملك المسلمين عامتها، وانهوا إلى جلية وأقصروا عن  
الفتح بعدها حتى نشلت الدولة الإسلامية بالأندلس، وارجع  
النصارى الكثير مما غلبوا عليه.

وكان مهلك أذفونش بن بطرة سنة اثنين وأربعين ومائة  
ثمان عشرة سنة من ملكه، وولى بعده ابنه فرويلية إحدى عشرة  
سنة قوي فيها سلطانه، وقارنه فيها شغل عبد الرحمن الداخل  
تمهيد أمره فاسترجع مدينة بك، ويرتقال وسمورة، وسلمقنة،  
وشقرنية، وقشتالة بعد أن كانت انتظمت للمسلمين في الفتاح  
ذلك ستة ثمان وخمسين، وولى ابنه شبلون عشرة سنين.

وذلك سنة ثمان وستين، فولوا مكانه أذفونش منهـم،  
ووثب عليه سمول ماط فقلـه وملك مكانـه سبع سـين، وعلى  
عقب ذلك استفحـل مـلك عبد الرحمن بالأندلـس، وأغـزى جـيوـشه  
رض، حلقة فتح وغـنم وأـسر.

شم ولی منهم اذفونش آخر سنه اثنتين و خمسين، وهلك سنه  
ثمان وستين فولوا مكانه اذفونش منهم، ووثب أحد ملوكهم  
لسعديين بأمرهم.

قال ابن حيان: كانت ولاية رذمير هذا عند ترثب أخيه زفونوش الملك قبله، وذلك سنة تسعة عشرة وثلاثمائة على عهد ناصر، وتهياً للناصر الظهور عليه إلى أن كان التمجيص على لسلمين في غزوة الخندق، وذلك سنة سبع وعشرين وثلاثمائة، وكانت الواقعة بالخندق وقرباً من مدينة شنت ماكس كما ذكر في خاره.

ثم هلك رذمير سنة تسع وثلاثين، وولي أمره شانخه وكان  
اما معجباً بطالاً فانتقض سلطانه، ووهن ملك قومه، وانتزى  
ل عليه قواص دولته فلم يتم لبني اذفونوش بعدها ملك مستبد في

ثم هلك سنة أربع وسبعين لستين أو خوتها من ملوكه  
ويوريث ابنيه محمد وقام بأمره محمد الخصاقي القائد من  
صناعي أبيه، والحال على ذلك لهذا المهد والله غالب على أمره.  
وقد انقضى ذكر الدولة الأموية المنازعين لبني العباس ومن  
بعهم من الملوك بالأندلس، فلنذكر الآن شيئاً من أخبار ملوك  
النصرانية الذين يهاجرون المسلمين بجزيرة الأندلس من سائر  
نواحيهم، وتلزم بطرف من أسبابهم ودولتهم.

الخبر عن ملوك بني أذفونش من الجلالقة  
ملوك الأندلس بعد الغوط ولعهد المسلمين  
وأخبار من جاورهم من الفرنجة والبشكينس  
والبرتغال والإسلام ببعض أخبارهم

والملوك لهذا العهد من النصرانية أربعة في أربعة من العمالات عيطة بعمالة المسلمين، قد ظهر إعجاز الله في مقاماتهم معهم وراء البحر بعدهما استرجعوا من أيديهم ما نظمه الفتح الإسلامي أول الأمر.

وأعظم هؤلاء الملوك الأربع: قشتالة وعمالاته عظيمة متعددة مشتملة على أعمال جليلة كلها، مثل قشتالة وغليسيه، والقرنطيرة وهي بسيط قرطبة وإشبيلية وطليطلة وجيان، آخذة في جوف الجزيرية من المغرب إلى المشرق. ويليه من جانب الغرب ملك البرتغال وعمالته صغيرة وهي أشبونة، ولا أدرى نسبة فيمن هو من الأئم.

ويغلب على الظن أنه من أعقاب القواميس الذين تغلبوا على عمالات بي آذفونش في العصور الماضية كما نذكر بعد، ولعله من أسباطهم وأولى نسبهم والله أعلم.

ولي ملك قشتالة هذا من جهة الشرق ملك نبرة، وهو ملك البشكنس وعمالته صغيرة فاصلة بين عماليات قشتالة وعمالة ملك برشلونة، وقاعدة ملك نبرة وهي مدينة بنبلونة، وملك برشلونة وما وراءها.

ونحن الآن نذكر أخبار هذه الأمم من عهد الفتح بما يظهر لك منه تفصيل أخبارهم:

وذلك أن النصرانية لما تغلب عليهم المسلمين عند الفتح سنتها تسعمين من الهجرة، وقتلوا زيريق ملك الغوط وانساحروا في نواحي جزيرة الأندلس، وأيقنت أمم النصرانية كلها أمامهم إلى

مدينة سمورة سنة تسع وثمانين، وولي عليها أيام الأحوص من بن عبد العزيز التجبي.

ثم سار إلى غرسية بن فرديناد صاحب البا، وكان أغان المخالفين على المتصور وكان فيمن أغان عليه حين خرج عليه فنازل المتصور مدينة أشبوة، قاعدة غليسية فملكتها وخرابها.

وذلك غرسية هذا فولى ابنه شانجة، وضرب المتصور عليهم الجربة وصار أهل جلقة جميعاً في طاعته، وكأنوا كالعمال له إلا بزمد بن أرذون ومسد بن عبد شلب قومس غليسية فإنهم كانوا أملك لأمرهما.

على أن مسداً بعث ابنته للمتصور سنة ثلاثة وثمانين وصبرها جارية له فأعنتها وتزوجها.

ثم انقضى بزمد وغزاه المتصور فبلغ شنت ياقب موضع حرج النصرانية ومدفن يعقوب الحواري من أقصى غليسية، وأصابها خالية فنهدها ونقل أبوابها إلى قرطبة فجعلها في سمت الزيادة التي أضافها إلى المسجد الأعظم.

ثم تظاهر بزمد بن أرذون في السلم وأنفذ ابنته يلانة مع معن بن عبد العزيز صاحب جلقة فوصل به إلى قرطبة وعقد له السلم وانصرف إلى أبيه.

والح المتصور على أرغومس من القوامين وكانتا في طرف جلقة بين سمورة وقشتالة، وقادتهم شنت برية فافتتحها سنة خمس وثمانين.

ثم هلك بزمد بن أرذون ملك بني أذفونش وولي ابنه أذفونش، وهو صاحب بسيط غرسية واحتكم إلى عبد الملك بن المتصور، فخرج أصبع بن سلمة قاضي النصارى للفصل بينهما، فقضى به لسد بن عبد شلب.

فلم يزل أذفونش بزمد في كفالته إلى أن قتل غيلة سنة ثمان، فاستبد أذفونش بأمره وطلب القواميس المقتدرات على أبيه وعلى من سلف من قومه برسوم الملك فحاز ذلك منهم لنفسه وبعث على نواحيهم من عنده، وأذعنوا له وسقط ذكرهم في وقته مثل بنى أرغومس وبني فرديناد الذين قدموا ذكرهم، وقد كان قيامهم أيام شانجة بن رذمير من بنى أذفونش كما قدموا.

جمعهم أذفونش للقاء عبد الملك المظفر بن المتصور فظاهرهم ملك البشكنس ولقيهم بظاهر فلوبنية فهزمهم وافتتح الحصن صلحاً.

ثم انقرض أمر المتصور وبنيه وجاءت الفتنة البربرية على

الجلالقة إلا من بعد أزمان الطوائف وملوكهم كما ذكرناه.

وكان اضطراب ملوكهم كما نقل ابن حيان على يد فرديناد بن عبد شلب قومس البا والقلابع، فكان أعظم القوامين، وهو ولادة الأعمال من قبل الملك الأعظم فانتقض على شانجة البا ظاهراً لهم ملك البشكنس على شانجة، وورد شانجة على الناصر بقربطة صريحاً فامده، واستولى بذلك الإمداد على سمورة فملكها، وأتول المسلمين بها واتصلت الحرب بين شانجة وبين فرديناد إلى أن أسر فرديناد في بعض أيام حربهم، وحصل في أسير ملك البشكنس على أن ينفذ إليه أسيره فرديناد بن عبد شلب قومس البا والقلابع فأبى من ذلك، وأطلقه.

ووند على المتصر أردون بن أذفونش القارع لشانجة صريحاً سنة إحدى وخمسين فاجبه، وأنفذ غالباً مولاه في مدد.

ثم هلك شانجة ملك بني أذفونش ببطليسوس، وقام بأمرهم بعده ابنه رذمير، وهلك أيضاً فرديناد بن عبد شلب قومس البا، وولي بعده ابنه غرسية، ولقي رذمير المسلمين بالشغر في بعض صواتهم وعظمت نكايته بعد هلاك الحكم المستنصر إلى أن قيسن الله هم المتصور بن أبي عامر حاجب ابنه هشام، فائخن في عمل رذمير، وغزاه مراراً وحاصره في سمورة.

ثم في ليون بعد أن زحف إلى غرسية بن فرديناد صاحب البا، وظاهر معه ملك البشكنس فغلبها.

ثم ظاهروا مع رذمير وزحفوا جميعاً للقائه بشنت ماكس فهزهم، واقتصرها عليهم وخرابها.

وتشام الجلالقة برذمير وخرج عليهم عميه بزمد بن أرذون، وافتلق أمرهم ثم رجع رذمير إلى طاعة المتصور سنة أربع وسبعين.

وهلك على أثرها فاطاعت أمره، واتفاق الجلالقة على بزمد بن أرذون، وعقد له المتصور على سمورة والعيون وما اتصل بهما من أعمال غليسية إلى البحر الأخضر واشتهرت عليه فقبل.

ثم امتعض بزمد لما نزل بالجلالقة حيث المتصور سنة ثمان وسبعين فافتتح حيون وحاصره في سمورة فقر عنها وأسلماها أهلها إلى المتصور فاستباحها ولم يبق للملك الجلالقة إلا حصون يسيرة بالجليل الحاجز بين بلدده وبين البحر الأخضر.

ثم اختالف حال بزمد في الطاعة والانتهاض والمتصور يردد إلى الغزو حتى أذعن وأخفر ذمه الخارج على المتصور فأسله إليه سنة خمس وثمانين، وضرب عليه الجربة وأوطن المسلمين

ثم انقض أمرهم على يد الموحدين وكان أمير النصارى لعهد المتصور يعقوب ابن أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن، كان دائراً بين ثلاثة من ملوكهم الفتن والبيسوج وابن الرند وكبارهم الفتن وهو أميرهم يوم الأرك الذي كان للملوك عليهم سنة إحدى وستين وخمسة، والبيسوج صاحب ليون هو الذي مكر بالناصر عام العقاب فداخله وقدم عليه وأنهى له التنصيب فبدل له أمولاً، ثم غدر به وكر عليه المزية يوم العتاب، ثم هلك الناصر وولى المستنصر وفشل ريح بي عبد المؤمن واستولى الفتن على جميع ما افتحه المسلمين من معاقل الأندلس وارجعواها.

ثم هلك الفتن وولى ابنه هرانية وكان أحول، وكان يلقب بذلك، وهو الذي ارتجع قرطبة وإشبيلية من أيدي بي هود، وعلى عهده زحف ملك أرغون فارجع شرق الأندلس كله شاطبة ودانية وبلينسية وسرقسطة، وسائر الثغور والقواعد الشرقية، وأخاز المسلمين إلى سيف البحر وملكوا عليهم ابن الأحر بعد ولادة ابن هود.

ثم هلك هرانية وولى ابنه ثم هلك ابنه وولى ابنه هرانية، وأخاز بنو مرين إلى الأندلس صريحاً لابن الأحر وسلطانهم يومئذ يعقوب بن عبد الحق، فلقيته جروع التصرانية براذلك وعليهم ذنبة من أباطيل بي أذفونش وزعمائهم فهزهم يعقوب بن عبد الحق، وبقيت فتن متصلة، ولم يلتفت يعقوب، وإنما كان يغزو بلادهم ويكثر فيها العبث إلى أن القره بالسلم، وخالف على هرانية ملك قشتالة هذا ابنه شانحة فوفد هرانية على يعقوب بن عبد الحق صريحاً، وقبل يده فقبل وقاده وأمده بالمال والجيش، ورهن في المال التاج المعروف من ذخائر سلفهم فلم يزل بدار بي عبد الحق من بي مرين لهذا العهد.

ثم هلك هرانية سنة ثلاثة وثمانين واستقل ابنه شانحة بالملك ووفد على يوسف بن يعقوب بالجزيرة الخضراء بعد مهلك أبيه يعقوب، وعقد معه السلام.

ثم انقض حاصل طريف وملكتها وهلك سنة ثلاثة وستين فولى ابنه هرانية.

ثم هلك سنة اثنتي عشرة وسبعين، فولى ابنه بطرة صغيراً، وكفله عمه جران وكان نزههما جيعاً على غرناطة عند زحفهما إليها سنة ثمان عشرة وسبعين، فولى ابنه المنشة بن بطرة صغيراً، وكفله زعامة دولتهم.

ثم استبد بأمره وزحف إلى السلطان أبي الحسن، وهو

رأس المائة الرابعة فاتهز الفرصة في المسلمين صاحب البة، وهو شانحة بن غرسية وصار يظاهر الفرقا الخارجية على الأخرى إلى أن أدرك بعض الأمل، وقتل ملك الشكنس سنة ست وأربعين، وتغلب النصارى على ما كان عليه بقتاله وجلقه، ولم ينزل أذفونش ملكاً على جلقة وأعمالها، واتصل الملك في عقبه إلى أن كان شأن الطوائف.

وتغلب المرابطون ملوك المغرب من لتوته على ملوك الطوائف، واستولوا على الأندلس وانقضوا منها ملك العرب أجمع.

وفي تاريخ لتوته وأجياله أن ملك قشتالة الذي ضرب الجزية على ملوك الطوائف سنة خمسين وأربعين هو البيطين، ويظهر أنه كان متغلباً على شانحة بن أمبرك الملك يومئذ من بي أذفونش، وهو مذكور في أخبارهم، وأنه لما هلك قام باسمه بنوه فرلن وغرسية ورميبر، وولى أميرهم فرلن واحتوى على شنت برية وعلى كثير من عمل ابن الأقطس.

ثم هلك وخليفة شانحة وغرسية والفتنة فتسارعوا ثم خلص الملك لأنفسهم وعلى عهده مات الظاهر إسماعيل بن ذي التون سنة سبع وستين وأربعين، وهو المستولي على طليطلة سنة ثمان وسبعين وهو يومئذ اعتزار التصرانية بجزيرة الأندلس، وكان من بطارقته وقاميس دولته البرهانس فكان يلقب الأنبندور، ومعناه ملك الملك، وهو الذي لقي يوسف بن تاشفين بالزلقة، وكانت الدائرة عليه، وذلك سنة إحدى وثمانين.

وحاصر ابن هود في سرقسطة، وكان ابن عمه رذمير منازعاً له فزحف إلى طليطلة وحاصرها فامتنعت عليه، وحاصر القسرية وغرسية المربة والبرهانس مرسيه وقسطون شاطبة وسرقسطة.

ثم استولى على بلنسية سنة تسع وثمانين، وارجعوا المغارطيون من يده بعد أن غلبو ملوك الطوائف على أمرهم.

ثم مات الفتنة سنة إحدى وخمسة، وقام باسم الجلاقة زوجته، وتزوجت رذمير ثم فارقته وتزوجت بعده قطماً من أقطاطها، وجاءت منه بولد كانوا يسمونه السليميين، وأوقع ابن رذمير باسم هود سنة ثلاثة وستين وخمسة الواقعه المشهورة التي استشهد فيها.

وملك ابن رذمير سرقسطة، وفر عماد الدولة وابنه إلى روطة فاقام إلى أن استوله السليميين، ونقله إلى قشتالة.

ثم كانت بين رذمير وأهل قشتالة حرب هلك فيها البرهانس سنة سبع وخمسة وذلك لآخر أيام المرابطون بلتوته.

وسرقسطة وبلنسية وجزيرة دائنة ومبورقة وبنورقة، ونسبهم في الفرنج، وسياق الخبر عن ملكهم ما نقل ابن حيان أن الغوط الذين كانوا بالأندلس كانوا قدّيماً في ملك الفرنج، ثم اعتزمو عليهم وامتنعوا ونبذوا إليهم عهدهم.

وكان برشلونة من ممالك الفرنج وعمالاتهم، فلما جاء الله بالإسلام وكان القتاع، قعد الفرنج عن نصر الغوط لتلك العداوة، فلما انقضى أمر الغوط زحف المسلمون إلى الفرنج فاز عجورهم عن برشلونة وملكرها.

ثم تجاوزوا الدروب من ورائهم إلى البساطة بالبر الكبير فملکوا من قواعدها جزيرة أربونة وما إليها من تلك البساطة.

ثم كانت فترة عند انقراض الدولة الأموية بالشرق وبداية الدولة العباسية افتتن فيها العرب بالأندلس، وانهزم الفرنج فر صتهم فارتعوا ببلادهم إلى برشلونة فملکوها لهذا العهد مائتين من الهجرة، وولوا عليهم من قبلهم، وصار أمرها راجعاً إلى ملك رومة من الفرنج، وهو قارله الأكبر، وكان من الجبارية.

ثم ركبهم من الخلاف والمنافسة في أوقات ضعفهم واختلاف إلى ملوكهم كالذى ركب المسلمين من ضعفت يده من الملك، فاقتطع الأمراء نواحيم بكل جهة، فكان ملوك برشلونة هؤلاء من اقطع عمله، وكان ملوك بي أمية لأول دولتهم يتراضون بهادنة هؤلاء الملوك أهل برشلونة حذراً من مدد صاحب رومة، ثم صاحب القسطنطينية من ورائهم.

فلما كانت دولة المنصور بن أبي عامر بين إنقطاع برشلونة عن ملك الفرنج، شمر المنصور لنزوهם واستباح بلادهم وأثخن في عمامتهم، وافتتح برشلونة وخربيها، وأنزل بهم التهمات وملکهم بعده بردويل بن سير وكانت حالة الظهور عليه كحاله مع سائر الملوك النصاري.

ولما هلك بردويل ترك من الولد فلبة وريند وأرمونقد. ثم انقضى أرمونقد على عبد الملك بن المنصور فغزاه وأخذه في بعض ثغوره صلحًا.

ثم كانت الفتنة البربرية وحضرها أرمونقد هلك في الوعة مع البربر سنة أربعينات، وانفرد بيمند بملك برشلونة إلى أن هلك بعد عشر وأربعينات، وملك ابن يلتغير وكفنته أمه وحاربت بمحبس بن متذر من ملوك الطوائف وهي التي تغلبت على ثغر طرسوشة، واتصل الملك في عقب بيمند.

وكان الملك منهم لآخر دولة الموحدين جامعة بن بطرة بن أذونش بن ريند، وهو الذي ارتجع بلنسية وملکهم بهذا العهد

عاصر لطريف سنة إحدى وخمسين وسبعينة فهلك في الطاعون الجارف، وملك ابنه بطرة وقرباته القمعت برشلونة فأجباره ملکها، وزحف إليه بطرة مراراً وتغلب على كثير من أعماله، وحاصر بلنسية مراراً.

ثم أتيح القلب للقمعت سنة ثمان وسبعين وسبعينة، فاستولى على بلاد قشتالة وزحفت إليه أمم الضرائية لما كانوا سُمُوا من عنف بطرة وسوء ملکه، ولحق بطرة بأمم الفرنجية الذين وراء قشتالة في الجوف مجاهات الليمانية وفرطانية إلى سيف البحر الأخضر، وجزيرة قدوخ شنت مزبن ملکهم الأعظم، وهو البلنس غالس وجاء معه مداداً بأمم لا تخصى حتى ملك قشتالة والقرنطيرة ورجعوا عنه إلى بلادهم بعد أن أصابهم وباء هلك الكثيرون منهم.

ثم اتصلت الحرب بين بطرة وأخيه القمعت إلى أن غلبه القمعت، واعتصم منه بطرة ببعض الحصون ونازله القمعت حتى إذا أشرف على أخذة، بعث بطرة إلى بعض الرعاء مسألاً لبيل التزول في جواره فأجابه، ووشى به لأنخيه القمعت فكتب في بيت ذلك الزعيم وقتلته سنة اثنين وسبعين وسبعينة.

واسْتولَ القمعت على ملك بي أذونش أجمع واستنزل ابن أخيه بطرة من قرمهونة.

وقد كان اعتصم بها بعد مهلك أخيه مع وزيره مرتين ليس هو واستقام له ملك قشتالة ونازعه البلنس غالس ملك الإفرنجية بالابن الذي هو من بنت بطرة على عادة العجم في تمليل ابن البت محتاجاً بأن القمعت لم يكن لرشدة، واتصلت الحرب بينهما وشغله، ذلك عن المسلمين فامتنعوا من الجزية التي كانت عليهم لمن قبله.

وذلك هذا القمعت سنة إحدى وثمانين وسبعينة، فملك ابنه شانحة وفر ابنه الآخر غرمس إلى غرناطة، ثم رجع إلى نواحي قشتالة والأمر على ذلك لهذا العهد، وفتحت لهم مع الفتن ملك الفرنج موصولة وعادتهم لذلك عن المسلمين مرفوعة، والله من ورائهم عحيط.

وأما ملك البرتغال بجهة أشبونة غرب الأندلس وملکته صغيرة، وهي من أعمال جليقة، وصاحبها لهذا العهد تميز بسمته، وملکه مشارك لابن أذونش في نسبة ولا أدرى كيف يتصل نسبة معهم.

وأما ملك برشلونة بجهة شرق الأندلس فعمالاتهم واسعة، وملکتهم كبيرة تشمل على برشلونة بجهة وارغون وشاطبة

فعزل عقبة عن إفريقية، وولى مولاه أبي المهاجر ديناراً سنة خمس وخمسين فغزا المغرب، وبلغ إلى تلمسان، وخراب قيروان عقبة وأساء عزله، وأسلم على يديه كسيلة الأوربي بعد حرب ظفر به فيها.

اسمه بطرة، ولم يلغني كيف اتصال نسبة بقومه.

وملك بعد العشرين من هذه المائة وهو حي لهذا العهد،  
وابنه غالب عليه لكبر سنّه.

والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

## عقبة بن نافع ثانياً

ولما استقل يزيد بن معاوية بالخلافة، رجع عقبة بن نافع إلى إفريقية سنة اثنين وستين فدخل إفريقية، وقد نشأت الردة في البراءة فزحف إليهم، وجعل مقدمته زهير بن قيس البلوي وفر منه الروم والفرنجة فقاتلتهم، وفتح حصونهم مثل ليس وباغابة، وفتح أذنة قاعدة الزاب بعد أن قاتله ملوكها من البربر فهزهم، وأصاب من غنائمهم وحبس أبي المهاجر فلم يزل في اعتقاله.

ثم رحل إلى طنجة فأطاعه بلبان ملك غماره، وصاحب طنجة وهاده وأتحفه، ودله على بلاد البربر وراء المغرب، مثل وليلي عند زرهون وببلاد المصادمة وببلاد السوس، وكانوا على دين المجرسيّة، ولم يدربوا بالنصرانية، فسار عقبة وفتح وغنّى واثنخ فنهم وانتهى إلى السوس.

وقاتل مسوقة من أهل اللشام وراء السوس، ووقف على البحر المتوسط وقتل راجحاً، وأذن لجيشه في اللحاق بالقيروان.

وكان كسيلة ملك أرورية والبرانس من البربر قد اضطُطُنَ عليه بما كان يعامله به من الاحصار، يقال: إنه كان يحاصره في كل يوم ويأمره بسلخ الغنم إذا ذبحت لطبيخه فانتهز فيه الفرصة، وأرسل البربر فاعتراضوا له في تهوده وقتلوه في ثلاثة من كبار الصحابة والتابعين، واستشهدوا كلهم وأسر في تلك الوقعة محمد بن أوس الأنصاري في نفر فخلصهم صاحب ققصة، وبعث بهم إلى القيروان مع من كان بها من المخلفين والدراربي.

ورجع زهير بن قيس إلى القيروان واعتمد على القتال وخالقه حنش بن عبد الله الصناعي وارتحل إلى مصر واتبعه الناس فاضطر زهير إلى الخروج معهم، وانتهى إلى برقة فأقام بها مرابطًا، واستأنف من كان بالقيروان إلى كسيلة فأنهم ودخل القيروان وأقاموا في عهده.

## زهير بن قيس البلوي

ولما ولّ عبد الملك بن مروان بعث إلى زهير بن قيس بمكالمة من برقة بالمدد، وولاه حرب البراءة فزحف ستة سبع وستين

## أخبار القائمين بالدولة العباسية من العرب

### المستدين بالتواحي ونبدأ منهم ببني الأغلب ولا إفريقية وأولية أمرهم ومصائر أحواهم

قد ذكرنا في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه شأن فتح إفريقية على يد عبد الله ابن أبي سرح، وكيف زحف إليها في عشرين ألفاً من الصحابة وكبار العرب، ففضّل جموع النصرانية الذين كانوا بها من الفرنجة والروم والبربر، وهدم سبيطة قاعدة ملوكهم وخرابها، واستبيحت أمرهم وسيطروا عليهم وبئسهم، وافتراق أمرهم وساندت خيول العرب في جهات إفريقية، وأثخنوا بها في أهل الكفر قتلاً وأسراً حتى لقد طلب أهل إفريقية من ابن أبي سرح أن يرحل عنهم بالعرب إلى بلادهم، ويعطّلوه ثلاثة قنطران من الذهب ففعل وقتل إلى مصر سنة سبع وعشرين.

## معاوية بن خديج

ثم أغزى معاوية بن أبي سفيان معاوية بن خديج السكوني، إفريقية سنة أربع وثلاثين، وكان عاملاً على مصر فغزواها ونازل جلولاً، وقاتل مدد الروم الذي جاءها، من قسطنطينية لقيهم بقصر الأحر فقتلهم، وأقلعوا إلى بلادهم، وافتتح جلولاً وغنّى واثنخ وقتل.

## عقبة بن نافع

ثم ول معاوية سنة خمس وأربعين عقبة بن نافع بن عبد الله بن قيس الفهري على إفريقية واقتطفها عن معاوية بن خديج، فبني القيروان وقاتل البربر وتغلّ في أرضهم.

## أبو المهاجر

ثم استعمل معاوية على مصر وإفريقية مسلمة بن خلل،

طمعوا، في البلاد فوجه البعض في النواحي، وبعث ابنه عبد الله في البحر إلى جزيرة مبورقة ففتنها وسي وعاد، ثم بعثه إلى ناحية أخرى وأبنه مروان كذلك، وتوجه هو إلى ناحية فتنم منها وسي وعاد، ويبلغ الخمس من المحن سبعين ألف رأس من السي.

ثم غزا طنجة وافتتح درعه وصحراء تافيلالت.

وأرسل ابنه إلى السوس وأذعن البرير لسلطانه ودولته وأخذ رهان المصامدة وأنزلهم بطونجة، وذلك سنة ثمان وثمانين، وولى عليها طارق بن زياد الليبي.

ثم أجاز طارق إلى الأندلس دعاه إليها بلبان ملك غمارة فكان فتح الأندلس سنة تسعين.

وأجاز موسى بن نصير على أثره فكم فتحها كما ذكرناه.

ثم قفل موسى إلى الشرق واستخلف على إفريقية ابنه عبد الله وعلى الأندلس عبد العزيز.

وهلك الوليد وولي سليمان سنة ست وتسعين فسخط موسى وحبسه.

### محمد بن يزيد

لما ولد سليمان وحبس موسى بن نصير عن ابنه عبد الله عن إفريقية ولد مكانه محمد بن يزيد مولى قريش فلم ينزل عليها حتى مات سليمان.

### إسماعيل بن أبي المهاجر

ولما مات سليمان استعمل عمر بن عبد العزيز على إفريقية إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر وكان حسن السيرة وأسلم جميع البرير في أيامه.

### يزيد بن أبي مسلم

ولما تولى يزيد بن عبد الملك، ولد على إفريقية يزيد بن أبي مسلم مولى الحاج وكاتبه قدم سنة إحدى ومائتين، وأساء السيرة في البرير، ووضع الجزية على من أسلم من أهل الذمة منهم تأسياً بما فعله الحاج بالعراق فقتل البرير لشهر من ولاته، ورجعوا إلى محمد بن يزيد مولى من الأنصار الذين كان عليهم قبل إسماعيل، وكتبوا إلى يزيد بالطاعة والعتد عن قتل ابن أبي مسلم فأجابهم بالرضا وأقر محمد بن أبي يزيد على عمله.

ودخل إفريقية ولقيه كليلة على ميس من نواحي القبروان فهزمه زعير بعد حروب صعبة، وقتلها واستلهم في الوعنة كثير من أشراف البرير ورجالاتهم.

ثم قفل زعير إلى المشرق زاعداً في الملك، وقال: إنما جئت للجهاد وأخاف أن نفسي تغسل إلى الدنيا، وسار إلى مصر واعتزضه بسواحل برقة أسطول صاحب قسطنطينية، جاؤوا لقتاله فقاتلهم واستشهد رحمة الله تعالى.

### حسان بن النعمان الغساني

ثم أن عبد الملك بن مروان بعد أن قتل عبد الله بن الزبير وصفا له الأمر، أمر حسان بن النعمان الغساني بغزو إفريقية، وأمده بالعساكر، ودخل القبروان وافتتح قرطاجنة عنوة وخربيها، وفر من كان بها من الروم والفرنج إلى صقلية والأندلس.

ثم اجتمعوا في صطورة ويتزرت وهزتهم ثانية، وأخاز الفيل إلى باجة وبونة ففتحصروا بها.

ثم سار حسان إلى الكاهنة ملكة جرارة جبل أوراس، وهي يومئذ أعظم ملوك البرير، فحاربها، وانهزم المسلمون وأسر منهم جماعة، وأطلقهم الكاهنة سروي خالد بن يزيد القيسى فإنها أمسكته وأرضعته مع ولديها وصبرته أثناً همها.

وأخرجت العرب من إفريقية وانتهى حسان إلى برقة، وجاءه كتاب عبد الملك بالمقام حتى يائمه المدد.

ثم بعث إليه المدد سنة أربع وسبعين فسار إلى إفريقية ودس إلى خالد بن يزيد يستعمله فأطاعله على خبرهم، واستحوثه فلقي الكاهنة وقتلها وملك جبل أوراس وما إليه، ودوخ نواحيه وانصرف إلى القبروان وأمن البرير.

وكتب الحاج عليهم وعلى من معهم من الروم والفرنج على أن يكون معه أثنا عشر ألفاً من البرير لا يفارقوه في مواطن جهاده ورجع إلى عبد الملك، واستخلف على إفريقية رجلاً اسمه صالح من جنده.

### موسى بن نصير

ولما ولد الوليد بن عبد الملك كتب إلى عميه عبد الله، وهو على مصر - ويقال عبد العزيز - أن يبعث بموسى بن نصير إلى إفريقية، وكان أبوه نصير من حرس معاوية بعثه عبد الله، وقد القبروان وبها صالح خليفة حسان فقد له، ورأى البرير قد

العاشر، وبعثه في أثر خالد، ولقيهم ميسرة والبرير بناحية طنجة  
فاقتلا قتالاً شديداً، ثم تهاجموا ورجع ميسرة إلى طنجة فكره  
البرير سوء سيرته فقتلوه، وولوا عليهم مكانه خالد بن حبيب  
الزناتي، واجتمع إليه البرير، ولقيه خالد بن حبيب في العرب  
وعساكر هشام فانهزموا، وقتل خالد بن حبيب وجماعة من العرب  
وسقطت بهم غزوة الأشراف، وانتقضت إفريقية على ابن  
الحجاج وبلغ الخبر إلى الأندلس فعززوا عامله عقبة بن الحجاج،  
وولوا عبد الملك بن قطن كما مرّ.

كُلثُوم بْن عِيَاض

ولما انتهى الخبر إلى هشام بن عبد الملك بهزيمة العساكر بالغرب استقصى ابن الحجاج وكتب إليه يستقدمه، وولى على إفريقيا ستة ثلاث وعشرين سنة كثوم بن عياض، وعلى مقدمته بلخ بن بشر القشيري، فأساء إلى أهل القิروان، فشكوا إلى حبيب بن أبي عبيدة وهو بتلمسان موافق للخبر، فكتب إلى كلثوم بن عياض ينهاه وينهده، فاعتذر وأغضى له عنها، ثم سار واستخلف على القิروان عبد الرحمن بن عقبة، ومر على طريق سبيبة، وانتهى إلى تلمسان ولقي حبيب بن عبيدة واقتلا، ثم اتفقا ورجعا جميعاً.

وزحف البرابرة إليهم على وادي طبقة، وهو وادي سوا  
فأنهزم بلخ في الطلائع وانهروا إلى كلثوم، فانكشف واشتبه القتال  
وقتل كلثوم وحبيب بن أبي عبيدة وكثير من الجندي، وتخيز أهل  
الشام إلى سبتة مع بلخ بن بشر، فحاصرهم البرابرة وأرسلوا إلى  
عبد الملك بن قطن أمير الأندلس في أن يجذزوا إليه، فأجابهم إلى  
ذلك بشرط أن يقيموا سنة واحدة، وأخذ رهفهم على ذلك،  
وافتضلت السنة وطالبهم بالشرط فقتلوه وملك بلخ الأندلس.

وكان عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع  
لما قتل أبوه حبيب مع كلثوم بن عياض، وأجاز بلخ إلى الأندلس  
فتملكها، فأجاز عبد الرحمن إلى الأندلس، محاول ملوكها.

فلما جاء أبو الحطار إلى الأندلس من قبل حنظلة أيس عبد الرحمن من أمرها، ورجع إلى تونس سنة ست وعشرين ومانة وقد توفى هشام وولي الوليد بن يزيد فدعا ل نفسه، وسار إلى القيروان ومنع حنظلة من قتاله، وبعث إليه وجوه الجندي فانهزم عبد الرحمن الفرصة فيها وافتتهم نسلا يقاتلها أصحابهم، وأخذ السير إلى القيروان فرحل حنظلة من إفريقيا ووقف إلى الشرق سنة سبع وعشرين، واستقل عبد الرحمن بملك إفريقيا وولي مروان بن محمد، وكتب له بولايته، ثم ثارت عليه المخواج في كل جهة فكان عمر

بشر بن صفوان الكلبي

ثم ول يزيد على إفريقية بشر بن صفوان الكلبي فقدمها  
سنة ثلاث و مائة، فمهدها و سكن أرجاءها، و غزا بنفسه  
صقلية سنة تسع و مائة و هلك مرجعه عنها.

عبيدة بن عبد الرحمن

ثم عزل هشام بن عبد الملك بشر بن صفوان عن إفريقيية  
وولى مكانه عبيدة بن عبد الرحمن السلمي وهو ابن أخي أبي  
الأعور فقدمها سنة عشر ومائة.

عبد الله بن الحبّاب

ثم عزل هشام عبيدة بن عبد الرحمن وولي مكانه عبيد الله بن الحجاج مولىبني سلول وكان والياً على مصر، فأمره أن يمضي إلى إفريقية، واستخلف على مصر ابنه أبي القاسم، وسار إلى إفريقية فقدمها ستة أربع عشرة، وبنى جامع تونس، واتخذ لها دار الصناعة لإنشاء المراكب البحرية.

وبعث إلى طنجة ابنه إسماعيل وجعل معه عمر بن عبيد الله المرادي وبعث على الأندلس عقبة بن حجاج القيسري.

ويُثحب حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع غازياً إلى المغرب فبلغ السوس الأقصى وأرض السودان، وأصاب من مغامر الذهب والفضة والسي كثيراً ودخل بلاد المغرب وقبائل البربر ورجع.

ثم أعزاه ثانية في البحر إلى صقلية سنة اثنين وعشرين،  
ومعه عبد الرحمن بن حبيب فنازل سرقسطة أعظم مدن صقلية،  
وضرب عليهم الجزية وألتحن في سائر الجزيرة.

وكان محمد بن عبيد الله بطنجة قد أساء السيرة في البرير، وأراد أن يخنس من أسلام منهم، وزعم أنه الفيء، فاجعواه الانتقام، وبلغهم مiser العساكر مع حبيب بن أبي عبيدة إلى صقلية فسار ميسرة المظفرى بدعاوة الصفرية من الخوارج، وزحف إلى طنجة فقتل عمر بن عبيد الله وملكتها، واتبعه البرير وبابعوه بالخلافة، وخطبوه بأمير المؤمنين، وفشت مقالته في سائر القبائل بفاريقية وبعث ابن الحجاج إليه خالد بن حبيب الفهري فيمن يقف معه من العساكر.

واستقدم حبيب بن أبي عبيدة من صقلية ومن معه من

ثم سار حبيب إلى تونس فملكها وجاءه عمه إلياس فقاتلته، وخالفه حبيب إلى القبروان فدخلها وفتح السجن فرجع إلياس في طلبه، وفارقه أكثر أصحابه إلى حبيب، فلما توافقا دعاه حبيب إلى البراز فتبارزا وقتلها حبيب ودخل القبروان وملكها آخر ستة ثمان وتلاثين، ونحا عمه الآخر عبد الوارث إلى وريجومة من قبائل البربر، وكثيرهم يومئذ عاصم بن جيل، وكان كاهناً ويدعي النبوة فاجار عبد الوارث، وقاتلهم حبيب فهزموه إلى قابس واستفحلا أمرهم وكتب من كان بالقبروان من العرب إلى عاصم بن جيل يدعونه للولاية عليهم، واستختلفوا على الحماية والدعاة للمنصور فلم يحب إلى ذلك، وقاتلهم فهزموهم، واستباح القبروان وخرب المساجد واستهانها.

ثم سار إلى حبيب بن عبد الرحمن بقبائله وهزمهم، ولحق حبيب بجيل أوراس فاجراه أهله، وجاء عاصم فقاتلهم فهزموه، وقتل جماعة من أصحابه.

وقام بأمر وريجومة والقبروان من بعده عبد الملك، وقتله سنة أربعين ومائة.

وكانت إمارة إلياس على إفريقية سنة ونصفاً، وإمارة حبيب ثلاثة سنين.

### عبد الملك بن أبي الجعد الوريجومي

ولما قتل عبد الملك بن أبي الجعد حبيب بن عبد الرحمن رجع في قبائل وريجومة إلى القبروان وملكها، واستولت وريجومة على إفريقية، وساروا في أهل القبروان بالعسف والظلم كما كان عاصم وأسوأ منه.

وافتراق أهل القبروان بتوحدي فراراً بأنفسهم، وشاع خبرهم في الأفاق فخرج بنواحي طرابلس عبد الأعلى بن السمح المغافري الأباشي منكراً لذلك وقد صدر طرابلس وملكها.

### عبد الأعلى بن السمح المغافري

ولما ملك عبد الأعلى مدينة طرابلس بعث عبد الملك بن أبي الجعد العساكر لقتاله سنة إحدى وأربعين، فلقيهم أبو الخطاب وهزمهم وأثخن فهم، واتبعهم إلى القبروان فملكها وأخرج وريجومة منها واستخلف عليها عبد الرحمن بن رستم، وسار إلى طرابلس للقاء العساكر القادمة من ناحية أبي جعفر.

بن عطاب الأزدي بطبياش، وعروة بن الوليد الصفري بتونس، وثبت الصنهاجي بياجة، وعبد الجبار بن الحارث بطرابلس على رأي الأباشي، فزحف عبد الرحمن إلىهما سنة إحدى وتلاثين فظفر بهما، وقتلها، وسرح أخيه إلياس لأن عطاب فهزمه وقتلها، ثم زحف إلى عروة بتونس فقتلها، وانقطع أمر الخوارج.

وزحف سنة خمس وتلاثين إلى جموع من البربر بتوحدي تلمسان فظفر بهم وقتل.

ثم بعث جيشاً إلى البحر إلى صقلية وآخر إلى سرداية فاختروا في أم القرننج حتى استقروا بالجزاء.

ثم دالت دوله بين العباس وبعث عبد الرحمن بطاشه إلى السفاح، ثم إلى أبي جعفر من بعده، ولحق كثير من بيته إلى إفريقية، وكان من قدم عليه القاضي، وعبد المؤمن إينا الوليد بن يزيد ومعهما ابنة عم لهما، فزوجها عبد الرحمن من أخيه إلياس، ثم بلغ عبد الرحمن عندهما السعي في الخلافة فقتلها، وامتنعت لذلك ابنته عمهم، فأغرت زوجها ب أخيه عبد الرحمن واستفسده.

وكان عبد الرحمن قد أرسل إلى أبي جعفر بهدية قليلة، وذهب يعتذر عنها فلم يحسن العذر، وأفحش في الخطاب فكتب إليه المنصور ينهده، وبعث إليه بالخلعة فانتقض هو ومزق خلعته على المنبر فوجد أحوه إلياس بذلك السبيل إلى ما كان يحاول عليه، وداخل وجهها من الجندي في القتك بعد الرحمن وإعادة الدعوة للمنصور، وما لا في ذلك آخره عبد الوارث، وفطن عبد الرحمن لهما فأمر إلياس بالسير إلى تونس، وجاء ليودعه ومعه آخره عبد الوارث فقتلاه في آخر سبع وتلاثين لعشرين من إمارته.

### حبيب بن عبد الرحمن

ولما قتل عبد الرحمن نجا ابنه حبيب إلى تونس فلحق به بعد أن طلبه وضطروا أبواب القصر ليأخذوه فلم يظفروا به، وكان عمه عمران بن حبيب بتونس فلحق به، واتبعه إلياس فاقتلاوا ملياً نم اصطلاحوا على أن يكون لحبيب فقصة وقصطيلة ونفراوة، ولعمران تونس وصطنور، وهي تبرزو والجزيرة، ولإلياس سائر إفريقية، وتم هذا الصلح ستة ثمان وتلاثين.

وسار حبيب إلى عمله ببلاد الجريد، وسار إلياس مع أخيه عمران إلى تونس فقدر بعمران وقتلها وجاءه من الأشراف معه، وعاد إلى القبروان، وبعث بطاشه إلى أبي جعفر المنصور مع عبد الرحمن بن زياد بن أبى قاضي إفريقية.

## عمر بن حفص هزارمود

## محمد بن الأشعث الخزاعي

ولما بلغ أبا جعفر المنصور قتل الأغلب بن سالم بعث على إفريقية مكانه عمر بن حفص هزارمود من ولد قبيصة بن أبي صفرة أخي الهلب، فقدمها سنة إحدى وخمسين فاستقامت أمره ثلاثة سنين.

ثم سار لبناء السور على مدينة طينة واستخلف على القิروان أبا حازم حبيب بن حبيب الهملي، فلما توجه لذلك ثار البربر بإفريقية وغلبوا على من كان بها وزحفوا إلى القิروان وقاتلوا أبا حازم قاتلوا واجتمع البربر الإيابية بطرابلس، وولوا عليهم أبا حاتم يعقوب بن حبيب الإيابي مولى كندة، وكان على طرابلس الجنيد بن بشار الأسيدي من قبل عمر بن حفص فأمده بالعساكر، وقاتلوا أبا حازم فهزموه وحصروا بقبابس، وانتقضت إفريقية من كل ناحية.

ثم ثاروا في عسكر إلى طينة وحاصروها بها عمر بن حفص، فيهم أبو قرة العقوبي في أربعين ألفاً من الصفرية وعبد الرحمن بن رستم في خمسة عشر ألفاً من الأبابية جاؤوا معه، والمصور الزناتي في عشرة آلاف من الأبابية وأعم من الخارج من صنهاجة وزنانة وهراوة ما لا يحصى، فدافعواهم عمر بن حفص بالأموال، وفرق كلمتهم، وبذل أصحاب أبي قرة مالاً فانصرفوا.

وأنضطر أبو قرة لatabعهم، فبعث عمر جيشاً إلى ابن رستم وهو بتهوانه إلى تاهرت وضعف الأبابية عن حصار طينة فاذرجوا عنها، وسار أبو حاتم إلى القิروان وحاصرها ثمانية أشهر، واشتد حصارها وسار عمر بن حفص وجهز العساكر لطينة فخالفه أبو قرة إلى طينة فهزموه.

ويبلغ أبا حاتم وأصحابه وهو على القิروان مسير عمر بن حفص إليهم فساروا للقاءه، فمال هو من الأربعين إلى تونس، ثم جاء إلى القิروان فدخلها واستعد للحصار واتبعه أبو حاتم والبربر فحاصروه إلى أن جهده الحصار، وخرج لتألمهم مستيناً فقتل آخر سنة أربع وخمسين، وولى مكانه أنوه لأمه حيد بن صخر فوادع أبا حاتم على أن يقيم دعوة العباسية بالقิروان وخرج أكثر الجندي إلى طينة وأحرق أبو حاتم أبواب القิروان وثلم سورها.

## يزيد بن حاتم بن قبيصة بن الهلب

ولما بلغ المنصور انتقاض إفريقية على عمر بن حفص وحصاره بطبقة ثم بالقิروان، بعث إليه يزيد بن أبي حاتم بن

كان أبو جعفر المنصور لما وقع بإفريقية ما وقع من الفتنة وملك قبائل وربجمة القิروان، وفد عليه رجالات من جند إفريقية يشكرون ما نزل بهم من ورجمة، ويستنصرونه فولى على مصر وإفريقية محمد بن الأشعث الخزاعي فنزل مصر ويعتلى على إفريقية أبا الأخصوص عمرو بن الأخصوص العجي.

وسار في مقدمته فلقيه أبو الخطاب عبد الأعلى بسرت، ودهمه بالعساكر ومعهم الأغلب بن سالم بن عقال بن خفاجة بن سوادة التميمي، فسار بذلك، وتلقى أبا الخطاب بسرت ثانية، فانهزم أبو الخطاب وقتل عامه أصحابه وذلك سنة أربع وأربعين. وبلغ الخبر إلى عبد الرحمن بن رستم بالقิروان ففر عنها إلى تاهرت وبنى هنالك مدينة ونزلها، وقام ابن الأشعث فافتتح طرابلس واستعمل عليها المخارق غفاراً الطائي، وقام بأمر إفريقية وضبطها.

وولى على طينة والزاب الأغلب بن سالم.

ثم ثارت عليه المضرية وأخرجوه سنة ثمان وأربعين فقفز إلى المشرق الأغلب بن سالم.

ولما قفل ابن الأشعث إلى المشرق ول على المضرية عيسى بن موسى الخراساني، فبعث أبو جعفر المنصور الأغلب بن سالم بن عقال بن خفاجة التميمي بعده على إفريقية، وكان من أصحاب أبي مسلم بخراسان.

وقدم مع ابن الأشعث فولاه على الزاب وطينة، فقدم القิروان وسكن الناس.

ثم خرج عليه أبو قرة اليفرني في جموع البربر فهرب وسكن أبو قرة اليفرني، فألبى عليه الجندي وخالعوه، وكان الحسن بن حرب الكندي بقياس فكتاب الجندي وتبطئهم عن الأغلب فلحقوا به وأنبل بهم إلى القิروان فملكلها ولحق الأغلب بقياس.

ثم رجع إلى إقبال الحسن بن حرب سنة حسين فهزمه، وسار إلى القิروان فذكر عليه الحسن دونها واقتلوه، وأصاب الأغلب سهم قاتله، وقدم أصحابه عليهم المغارب بن غفار الطائي الذي كان على طرابلس، وحملوا على الحسن فانهزم أمامهم إلى تونس، ثم لحق بكتامة وخيل المخارق في اتباعه، ثم رجع إلى تونس بعد شهرين فقتله الجندي، وقيل: أصحاب الأغلب قاتلوه في الموقف الذي قتل فيه الأغلب.

وقام بأمر إفريقية المخارق بن غفار إلى أن كان ما ذكره.

## ابنه الفضل بن روح

قيصمة بن المهلب بن أبي صفرة في ستين ألف مقاتل.

ولما توفي روح بن حاتم قام حبيب بن نصر مكاهن، وسار ابنه الفضل إلى الرشيد فولاه على إفريقيية مكان أخيه فعاد إلى القironان في حرم سنة سبع وسبعين، واستعمل على تونس المغيرة ابن أخيه بشر بن روح، وكان غلاماً غرّاً فاستخف بالجند، واسترحوها من الفضل لما أساء فيهم السيرة، وأخذهم بمرالاة حبيب بن نصر فاستعنوا بهم من المغيرة فلم يعهم، فانتقضوا وقدموا عليهم عبد الله بن الجارود، ويعرف بعد ربه الأباري، وبما يعوده على الطاعة، وأخرجوا المغيرة، وكتبوا إلى الفضل أن يولي عليهم من أراد فول عليهم ابن عمه عبد الله بن يزيد بن أبي حاتم، وسار إلى تونس، ولما قاربها بعث ابن الجارود جماعة لتلقيه، واستفهمه في أي شيء جاء فعدوا عليه وقتلوه انتقاماً بذلك على ابن الجارود، واضطرب إلى إظهار الخلاف، وتولى كبر ذلك محمد بن الفارسي من قواد الخراسانية، وكتب إلى القنوات والعمال في التوادي، واستفسدهم على الفضل، وكثير جموع ابن الجارود، وخرج الفضل فانهزم واتبعه ابن الجارود، واقتصر عليه القironان، ووكل به وبأهله من يوصلهم إلى قابس، ثم رده من طريقه وقتله متصرف ثمان وسبعين.

ورجع ابن الجارود إلى تونس، وامتنع لقتل الفضل جماعة من الجندي وفي مقدمتهم مالك بن المنذر ووثبوا بالقironان فملوكها، وسار إليهم ابن الجارود من تونس فقتلهم، وقتل مالك بن المنذر وجاءه من أعيانهم، ولحق فلائم بالأندلس، فقدمو عليهم الصلت بن سعيد، وعادوا إلى القironان وأضطربت إفريقيية.

## خرزعة بن أعين

ولما بلغ الرشيد مقتل الفضل بن روح، وما وقع بإفريقيية من الاضطراب، ولـ مـكانـهـ خـرـزـعـةـ بـنـ أـعـيـنـ،ـ وـبـعـثـ إـلـىـ إـبـنـ جـارـودـ عـمـيـنـ بنـ مـوسـىـ تـحـلـهـ عـنـ أـهـلـ خـراسـانـ.

ويقال: يقطبن يرغبه في الطاعة، فأجابه بشرط الفراغ من العلاء بن سعيد، وعلم يقطبن أنه يغالطه فداخل صاحبه محمد بن الفارسي، واستماله فترع عن ابن الجارود.

وخرج ابن الجارود من القironان فراراً من العلاء في حرم سنة تسعة وسبعين لسبعة أشهر من ولايته، وسار للقاء ابن الفارسي من القironان، وتراهما للقتال فدعاه ابن الجارود ابن الفارسي إلى خلوة، وقد دس رجالاً من أصحابه يقاتله في خلوتهما

وبلغ خبره عمر بن حفص فحمله ذلك على الاستئثار حتى قتل، وسار يزيد بن حاتم فقدم عليها وأبو حاتم يعقوب بن حبيب مستول عليها، فسار إلى طرابلس للقائه، واستختلف على القironان عمر بن عثمان القهري فانقض وقتل أصحابه.

وخرج المخارق بن غفار، فرجع إليهما أبو حاتم فقرأ من القironان ولحقاً بيجيل من سواحل كلامة فتركهما، واستخلف على القironان عبد العزيز بن السبع المغافري، وسار للقاء يزيد.

وسار يزيد إلى طرابلس فلحق أبو حاتم بجيال نفوسه، واتبعه عساكر يزيد فهزمهم فسار إليه يزيد بنفسه، وقاتلته قتالاً شديداً فانهزم البرير، وقتل أبو حاتم في ثلاثين ألفاً من أصحابه، وتبعهم يزيد بالقتل ثار عمر بن حفص.

ثم ارتحل إلى القironان فدخلها متصرف سنة خمس وخمسين، وكان عبد الرحمن بن حبيب بن عبد الرحمن القهري مع أبي حاتم فلحق بكتامته، وبعث يزيد في طلبه فحاصروه ثم ظفروا بهم.

وهرب عبد الرحمن وقتل جميع من كان معه وبعث يزيد المخارق بن غفار على الزاب، ونزل طبة واثخن في البرير في وقائع كثيرة مع ورجومة وغيرهم إلى أن هلك يزيد سنة سبعين ومائة في خلافة هارون الرشيد.

وقام بأمره ابنه داود فخرج عليه البرير، وأوقع بهم ورجع إلى القironان إلى أن كان من أمره ما ذكره.

## أخوه روح بن حاتم

ولما بلغ الرشيد وفاة يزيد بن حاتم، وكان أخوه روح على فلسطين استقدمه وعزاه في أخيه وولاه على إفريقيية فقدمها متصرف إحدى وسبعين، وسار داود ابن أخيه يزيد إلى الرشيد.

وكان يزيد قد أذل الخوارج ومهد البلاد فكانت ساكتة أيام روح، ورغم في موادعة عبد الوهاب بن رستم وكان من الوهبية فوادعه، نـمـ هـلـكـ رـوـحـ فـيـ رـمـضـانـ سـنـةـ أـرـبـعـ وـسـبـعـينـ،ـ وـكـانـ الرـشـيدـ قدـ بـعـثـ بـعـهـدـهـ سـرـاـ إـلـىـ نـصـرـ بـنـ حـبيبـ مـنـ قـرـابـتـهـ،ـ فـقـامـ بـالـأـمـرـ بـعـدـ رـوـحـ إـلـىـ أـنـ وـليـ الفـضلـ.

## إبراهيم بن الأغلب

ولما استوثق الأمر لمحمد بن مقاتل كره أهل البلاد ولايته، ودخلوا إبراهيم بن الأغلب في أن يطلب من الرشيد الولاية عليهم، فكتب إبراهيم إلى الرشيد في ذلك على أن يترك المائة الف دينار التي كانت من مصر إلى إفريقية، وعلى أن يحمل هو من إفريقية أربعين ألفاً.

وبلغ الرشيد غناه في ذلك واستشار فيه أصحابه فأشار هرثمة بولاته، فكتب له بالمهد إلى إفريقية متصرف أربع وثمانين فقام إبراهيم بالولاية، وضبط الأمور وقتل ابن مقاتل إلى الشرق، وسكنت البلاد بولاية ابن الأغلب، وباتى مدينة العباسية قرب القironان، وانتقل إليها بجملته.

وخرج عليه ستة ست وثمانين بتونس حديث من رجالات العرب، وزع السواد، فسرح إليه ابن الأغلب عمران بن مجالد في العساكر فقتلته وأنهزم حديث، وقتل من أصحابه نحو عشرة آلاف.

ثم صرف همه إلى غهيد المغرب الأقصى، وقد ظهر فيه دعوة العلوية بادريس بن عبد الله، وتوفي ونصب البربرة ابنه الأصغر، وقام مولاه راشد بكفالتة، وكبر بادريس واستفح أمره برashد، فلم يزل إبراهيم يدس إلى البربر ويسرّب فيهم الأموال حتى قتل راشد وسيق رأسه إليه.

ثم قام بامر بادريس بعده بهلول بن عبد الرحمن الظفر من رؤوس البربر فاستفح أمره، فلم يزل إبراهيم يتلطفه ويستميله بالكتب والمدايا، إلى أن اخترف عن دعوة الأدارسة إلى دعوة العباسية فصالحة بادريس، وكتب إليه يستعطفه بقرباته من رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تكف عنه.

ثم خالف أهل طرابلس على إبراهيم بن الأغلب سنة تسعة وثمانين، وثاروا بعاملهم سفيان بن المهاجر، وأخرجوه من داره إلى المسجد وقتلوا عامة أصحابه، ثم أمنوه على أن يخرج من طرابلس فخرج سفيان لشهر من ولايته، واستعملوا عليهم إبراهيم بن سفيان التميمي، فبعث إليهم إبراهيم بن الأغلب العساكر وهزّهم، ودخل طرابلس عسكراً.

ثم استحضر إبراهيم الذين تولوا كبر ذلك، فحضروا في ذي الحجة آخر السنة، وغافا عنهم وأعادهم إلى بلدتهم.

ثم انتقض عمران بن مجالد الريعي سنة خمس وسبعين على ابن الأغلب، وكان بتونس، واجتمع معه على ذلك قريش بن

قتله، وأنهزم أصحابه وسابق العلاء بن سعيد ويقطين إلى القironان فسبق إليها العلاء وملكها وقتكم في أصحاب ابن الجارود ولحق ابن الجارود بهرثمة فبعث به إلى الرشيد، وكتب إليه أن العلاء بن سعيد هو الذي أخرجه من القironان فأمره بأن يبعث بالعلاء إلى أن توفي به مع يقطين، فاعتقل ابن الجارود وأحسن إلى العلاء إلى أن توفي بمصر.

وسار هرثمة إلى القironان فقدمها ستة سبع وسبعين فامن الناس وسكنهم، وبين القصر الكبير بالمستير لستة من قدموه، وبين السور على طرابلس مما يلي البحر.

وكان إبراهيم بن الأغلب عاملاً على الزاب وطبة فهاداها، ولا طفة فعقد له على عمله قسام بأمره وحسن أمره.

ثم خرج عليه عياض بن وهب المواري وكليب بن جيم الكلبي، وجما الجموع فسرح هرثمة إليها يحيى بن موسى من قواد الحراسانية ففرق جويعهم، وقتل كثيراً من أصحابهم، ورجع إلى القironان.

ولما رأى هرثمة كثرة الشوار والخلاف بإفريقية استعنى الرشيد من ولايتها فاعفاه، ورجع إلى العراق لستين ونصف من ولايته.

## محمد بن مقاتل الكعبي

ثم بعث الرشيد على إفريقية محمد بن مقاتل الكعبي، وكان صنيعته، فقدم القironان في رمضان سنة إحدى وثمانين، فكان سبع السيرة، فاختلط عليه الجندي وقدموا مخلد بن مرة الأزدي، فبعث إليه العساكر فهزّم وقتل.

ثم خرج عليه بتونس تمام بن تميم التميمي سنة ثلاثة وثمانين، واجتمع إليه الناس، وسار إلى القironان فخرج إليه محمد بن مقاتل ولقيه فأنهزم أمامه ورجع إلى القironان، وتم في اتباعه إلى أن دخل عليه القironان، وأمنه تمام على أن يخرج عن إفريقية، فسار محمد إلى طرابلس، وبلغ الخبر إلى إبراهيم بن الأغلب بمكانته من الزاب فانتقض محمد، وسار بجامعة إلى القironان وهو رب تمام بين يديه إلى تونس، وملك القironان واستقل مد بن مقاتل من طرابلس، وأعاده إلى إمارته بالقironان آخر ثلاثة وثمانين، وصحف تمام لقتالهم فخرج إليه إبراهيم بن الأغلب بأصحابه فهزّم، وسار في اتباعه إلى تونس، واستأنف له تمام فامنه وجاء به إلى القironان وبعث به إلى بغداد فاعتقله الرشيد.

جماعة من الصالحين يشكون ظلامة.

فلم يصحع إليهم فخرج حفص يدعو عليه، وهم يؤذنون  
فاصابته قرحة في أذنه عن قريب هلك منها في ذي الحجة سنة  
إحدى ومائتين لخمس سنين من ولادته.

### أخوه زيادة الله

ولما توفي أبو العباس ولد مكانه أخيه زيادة الله، وجاءه  
التقليد من قبل المأمور، وكتب إليه يأمره بالدعاء بعد الله بن  
طاهر على منابره فغضب من ذلك، وبعث مع الرسول بدنانير من  
سكة الأدارسة يعرض له بتحويل الدعوة.

ثم استأنسه قرابته في الحج وهم آخره الأغلب وأبناء أخيه  
أبي العباس محمد وأبو محمد بهر وإبراهيم أبو الأغلب، فأذن لهم  
وأطلقوا لقضاء فرضهم فقضوا، وأقاموا بمصر حتى وقعت بين  
زيادة الله وبين الجندي الحروب فاستقدمهم، واستوزر آخاه الأغلب  
وهاجمت الفتن، واستولى كل رئيس بناية فملوكها عليه كلها  
وزحفوا إلى القبروان فحاصروه، وكان فاتحة الخلاف زياد بن سهل  
بن الصقلية، خرج سنة سبع ومائتين وجمع وحاصر مدينة باجة  
فسرح إليه العساكر فهزموه وقتلوا أصحابه.

ثم انتقض منصور الترمذى بطينة، وسار إلى تونس فملوكها  
وكان العامل عليها إسماعيل بن سفيان، وسفيان آخر الأغلب  
قتله لستخلص له طاعة الجندي.

وسرح زيادة الله العساكر من القبروان مع غلبون ابن عمه  
وزيره اسمه الأغلب بن عبد الله بن الأغلب وتهددهم بالقتل إن  
انهزموا فهزموه منصور، وخسروا على أنفسهم فصاروا الوزير  
غلبون، وافتقوها على إفريقية، واستولوا على باجة والجزيرة  
وصطقرة والأريض وغيرها.

واضطربت إفريقية، ثم اجتمعوا إلى منصور، وسار بهم إلى  
القبروان فملوكها، وحاصره في العباسية أربعين يوماً، وعمروا سور  
القبروان الذي خربه إبراهيم بن الأغلب.

ثم خرج إليه زيادة الله فقاتلته فهزمه، ولحق بتونس وحرب  
زيادة الله سور القبروان، ولحق قوات الجندي بالبلاد التي تغلبوا  
عليها، فلحق منهم عامر بن نافع الأزرق بسيبة.

وسرح زيادة الله سنة سبع ومائتين عسكراً مع محمد بن  
عبد الله بن الأغلب فهزمه عامر وعادوا، ورجع منصور إلى  
تونس ولم يبق على طاعة زيادة الله من إفريقية إلا تونس

التونسي، وكثرت جوعهم، وسار عمران إلى القبروان فملوكها،  
وقدم عليه قريش من تونس، وخدنق إبراهيم على نفسه بالعباسية  
فحاصروه سنة كاملة، كانت بينه وبينهم حروب كان الظفر في  
آخرها لابن الأغلب.

وكان عمران يبعث إلى أسد بن الفرات القاضي في الخروج  
إليهم وامتنع.

ثم بعث الرشيد إلى إبراهيم بمال فنادي في الناس بالعطاء،  
ولحق به أصحاب عمران، وانتقض أمره ولحق بالزاب، فقام به  
إلى أن توفي ابن الأغلب.

ثم بعث إبراهيم على طرابلس ابنه عبد الله سنة ست  
وتسعين، فثار عليه الجندي وحاصره بداره.

ثم أمنوه على أن يخرج عنهم فخرج، واجتمع إليه الناس  
ويذل العطاء واته البرير من كل ناحية، وزحف إلى طرابلس فهز  
جندها ودخل المدينة.

ثم عزله أبوه وولي سفيان بن المصاہ ثارت هوارة  
بطرابلس، وهجم الجندي فلحقوا بإبراهيم بن الأغلب وأعادوا معهم  
ابنه عبد الله في ثلاثة عشر ألفاً من العساكر فقط بهوارة وألتحن  
فيهم، وجدد سور طرابلس.

وبلغ الخبر إلى عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم فجمع  
البرير وجاء إلى طرابلس فحاصرها وسد عبد الوهاب بباب زناته،  
وكان يقاتل من باب هوارة.

ثم جاءه الخبر بوفاة أبيه فصالحهم على أن يكون البلد  
والبحر لعبد الله، وأعمالها لعبد الوهاب، وسار إلى القبروان،  
وكانت وفاة إبراهيم في شوال سنة ست وتسعين.

### ابنه أبو العباس عبد الله

ولما توفي إبراهيم بن الأغلب عهد لابنه عبد الله، وكان  
غائباً بطرابلس والبرير يحاصرونه كما ذكرناه، وأوصى ابنه الآخر  
زيادة الله أن يلبيه له بالإماراة فعل، وأخذ له البيعة على الناس  
بالقبروان.

وكتب إليه بذلك فقدم أبو العباس عبد الله في صفر سنة  
سبعين وتسعين، ولم يرع حق أخيه فيما فعله.

وكان يتقصده ولم يكن في أيامه فتنة مما مهد له أبو الأمر.  
وكان جائراً حتى قيل: إن مهلكه كان بدعة حفص بن  
حميد من الأولياء الصالحين من أهل حمود ومهرليك، وفُد عليه في

والساحل طرابلس ونفزاوة.

أساطيله إلى إفريقية مستجداً بزيارة الله، فبعث معهم العساكر واستعمل عليهم أسد بن الفرات قاضي القبروان فخرجا في ربيع سنة اثنتي عشرة فنزلوا بمدينة مازر، وساروا إلى بلاطة ولقيهم القائد وجبع الروم الذين بها استمدتهم فهزموا بلاطة والروم الذين معه، وغنموا أمراهم.

وهرب بلاطة إلى فلورنزة قتله، واستولى المسلمين على عدة حصون من الجزيرة ووصلوا إلى قلعة الكرات، وقد اجتمع بها خلق كثير فخادعوا القاضي أسد بن الفرات في المراودة على الصلح وأداء الجزية، حتى استعدوا للحصار، ثم امتنعوا عليه فحاصرهم وبعث السرايا في كل ناحية، وكثرت الغنائم وحاصروا سرقوسة برأ ومحراً، وجاءه المدد من إفريقية وحاصرها بليرم.

وزحف الروم إلى المسلمين وهو يحاصرون سرقوسة قد بعث لهم، واشتد حصار المسلمين بسرقوسة، ثم أصاب معاشرهم الوفاة وهلك كثير منهم، ومات أسد بن الفرات أميرهم ودفن بمدينة قصريانة، ومعهم القائد الذي جاء يستجددهم فخادعه أهل قصريانة وقلوه، وجاء المدد من القسطنطينية فتصافروا مع المسلمين وهزموهم، ودخل فلهم إلى قصريانة.

ثم توفي محمد بن الحواري أمير المسلمين، وولي بعده زهير بن عوف.

ثم محن الله المسلمين فهزموهم الروم مرات وحاصروهم في معاشرهم حتى جدهم الحصار، وخرج من كان في كبركيب من المسلمين بعد أن هدموها وساروا إلى مازر، وتعذر عليهم الوصول إلى إخوانهم وأقاموا كذلك إلى سنة أربع عشرة إلى أن أشرفوا على الأللاك، فوصلت مراكب إفريقية مداداً وأسطول من الأندلس خرجوا للجهاد، واجتمع منهم ثلاثة مركب فنزلوا الجزيرة، وأنزل الروم عن حصار المسلمين وفتح المسلمون مدينة بليرم بالأمان سنة سبع عشرة ومتين، ثم ساروا سنة تسعة عشرة إلى مدينة قصريانة وهزموا الروم عليها سنة عشرين ومتين، ثم بعشوا إلى طرميس.

ثم بعث زيادة الله الفضل بن يعقوب في سرية إن سرقوسة فغنموا، ثم سارت سرية أخرى واعتربها بطريق صقلية فامتنعوا منه في وعر وخبل من الشعراء، حتى ينس منهم وانصرف على غير طائل فحمل عليهم أهل السرية وانهزموا، وسقط الطريق عن فرسه فطعن وجح، وغنم المسلمين ما معهم من سلاح ودواب ومتاع.

ثم جهز زيادة الله إلى صقلية إبراهيم بن عبد الله بن

وبيعت الجند إلى زيادة الله بالأمان وأن يرتحل عن إفريقية، وبلغه أن عامر بن نافع يريد نفزاوة وأن برايتها دعوه، فسرح إليهم مائتي مقاتل لمنع عامر بن نافع فرجع عامراً عنها، وهزمه إلى قسطنطيل ورجع، ثم هرب عنها واستولى سفيان على قسطنطيل وضبطها، وذلك سنة تسعة ومتين، واسترجع زيادة الله قسطنطيل والزاب وطرابلس واستقام أمره.

ثم وقعت الفتنة بين منصور الطبendi وبين عامر بن نافع، لأن منصوراً كان يحسده ويغضنه عليه فاستعمال عامراً الجندي وحاصره بقصره بطنيدة حتى استأمن إليه على أن يركب إلى الشرق، وأجابه إلى ذلك وخرج منصور من طنيدة منهزم، ثم رجع فحاصره عامر حتى استأمن إليه ثانية على يد عبد السلام بن المفرج من قواد الجندي، وأخذ له الأمان من عامر على أن يركب البحر إلى المشرق فأجابه عامر وبعثه مع ثقائه إلى تونس وأوصى ابنه، وكان يغريه أن يقتله إذا مر به فقتله، وبعث برأسه ورأس ابنه، وقام عامر بن نافع بمدينة تونس إلى أن توفي سنة أربع عشرة.

ورجع عبد السلام بن المفرج إلى باجة فقام بها إلى أن انتقض فضل بن أبي العين بجزيرة شريك سنة ثمان عشرة ومتين، فسار إليه عبد السلام بن المفرج الربعي، وجاءت عساكر زيادة الله فقاتلوهما، وقتل عبد السلام، وانهزم فضل إلى مدينة تونس وامتن بها، وحاصرته العساكر حتى اتّحومها عليه، وقتلوا كثيراً من أهلها وهرب آخرون حتى أتمهم زيادة الله وعادوا.

وفي سنة تسعة عشرة ومتين فتح أسد بن الفرات صقلية، كانت صقلية من عمارات الروم وأمرها راجع إلى صاحب قسطنطينية، وولي عليها سنة إحدى عشرة ومتين بطريق اسمه قسطنطيل، واستعمل على الأسطول قائداً من الروم حازماً شجاعاً فغزا سواحل إفريقية وانتبهها.

ثم بعد مدة كتب ملك الروم إلى قسطنطيل يأمره بالقبض على مقدم الأسطول وقتله.

وغي الخبر إليه بذلك فانتقض، وتعصب له أصحابه، وسار إلى مدينة سرقوسة من بلاد صقلية فملكتها، وقاتلها قسطنطيل فهزمه القائد ودخل مدينة نطالية فأتبه جيشاً أخذوه وقلوه، واستولى القائد على صقلية فملكتها وخرطب بالملك.

وول على ناحية من الجزيرة رجالاً اسمه بلاطة، وكان ميخائيل ابن عم بلاطة على مدينة بليرم، فانتقض هو وابن عمه على القائد، واستولى بلاطة على مدينة سرقوسة، وركب القائد في

**ابنه أبو العباس محمد بن الأغلب بن إبراهيم**

ولما توفي أبو عقال الأغلب ولد بعده ابنه أبو العباس ودانت له إفريقية، وشيد مدينة بقرب تاهرت وسمها العباسية وذلك سنة سبع وعشرين، وأحرقها أفلح بن عبد الوهاب بن رستم، وكتب إلى صاحب الأندلس يتقارب إليه بذلك فبعث إليه عائنة الف درهم.

وفي أيامه ولـي سخنون القضاة سنة أربعين وثلاثين ومائتين بعد عزل ابن الجوارد، وضريه سخنون فمات.

ومات سخنون سنة أربعين ومائتين، وثار عليه آخره أبو جعفر وغله، ثم اتفقا على أن يستوزره فاستبد عليه، وقتل وزراءه ومكث على ذلك.

ثم أقام أبو العباس محمد بأمره واستبد ستة ثلاث وأربعين بعد أن استعد لذلك رجالاً، وحارب آخره أبو جعفر فقتلته محمد وانتقض عليه وأخرجـه من إفريقية إلى مصر سنة ست وأربعين ومائتين لـستة عشر شهراً من ولايته.

**ابنه أبو إبراهيم أحمد بن أبي العباس محمد**

لما توفي أبو العباس محمد بن أبي عقال سنة اثنين وأربعين، ولـي مكانه ابنه أبو إبراهيم أحمد فاحسن السيرة وأكثر العطاء للجند، وكان مولعاً بالعمارة فبني يافريقيـة خـواً من عشرة آلاف حصن بالحـجـارة والكلـس وأبوابـ الـحـديـد، وانـخذـ العـيـدـ جـنـداً وخرجـ عليهـ بـناـحةـ طـرابـلسـ خـوارـجـ منـ البرـيرـ فـنـلـبـهـ عـاملـهـ، وـهـ يـوـمـنـذـ آخـرـهـ عـبدـ اللـهـ بـنـ مـحـمـدـ بـنـ الـأـغـلـبـ، سـرـحـ إـلـيـهـ آخـاـهـمـاـ زـيـادـةـ اللـهـ يـهـارـبـهـ، وـاسـتـلـحـمـهـ، وـكـتـبـ إـلـىـ آخـيـهـ أـبـيـ إـبـراهـيمـ بالـفـتحـ.

وفي أيامه افتتحـ قـصـرـيـانـةـ منـ مـدـنـ صـقلـيـةـ فيـ شـوـالـ سـنـةـ أـرـبعـ وـأـرـبعـينـ، وـبـعـثـ بـفـتحـهـ إـلـىـ التـرـكـ، وـأـهـدـىـ لـهـ مـنـ سـبـيـهـ.

ثم تـوـيـ إـبـراهـيمـ هـذـاـ سـنـةـ تـسـعـ وـأـرـبعـينـ لـثـمـانـ سـنـينـ مـنـ وـلـايـهـ.

الأغلب في العساكر، وولاه أميراً عليها فخرج متصرف رمضان، وبعث أسطولاً فلقي أسطولاً للروم ففتحـهـ، وـقـتـلـ مـنـ كـانـ فـيـهـ.

وبعث أسطولاً آخر إلى قصـورـهـ فـلـقـيـ أـسـطـوـلـاـ فـتـحـهـ وـسـارـتـ سـرـيـةـ إـلـىـ جـبـلـ النـارـ وـالـحـصـونـ الـقـيـيـسـيـةـ فـيـ نـواـحـيـهـ، وـكـثـرـ السـيـ بـأـيـدـيـ الـسـلـمـيـنـ.

وبعث الأغلب سنة إحدى وعشرين أسطولاً نحو الجزائر فـتـحـهـ وـعـادـوـاـ.

وبعث سرية إلى قطـلـانـةـ وأـخـرـىـ إـلـىـ قـصـرـيـانـةـ كـانـ فـيـهـاـ التـحـيـصـ عـلـىـ الـسـلـمـيـنـ.

ثم كانت وقعة أخرى كان فيها الظفر للمسلمين.

وـغـنـمـ الـسـلـمـيـنـ مـنـ أـسـطـوـلـهـ تـسـعـ مـرـاكـبـ، ثـمـ عـشـرـ بـعـضـ الـسـلـمـيـنـ عـلـىـ عـورـةـ مـنـ قـصـرـيـانـةـ فـدـلـ الـسـلـمـيـنـ عـلـيـهـ، وـدـخـلـوـاـ مـنـهـاـ الـبـلـدـ، وـخـصـنـ الـمـشـرـكـوـنـ بـحـصـنـهـ حـتـىـ اـسـتـأـمـنـوـاـ وـفـتـحـهـ الـلـهـ، وـغـنـمـ الـسـلـمـيـنـ غـنـائـمـ، وـعـادـوـاـ إـلـىـ بـلـيرـ إـلـىـ أـنـ وـصـلـهـمـ الـخـبـرـ بـرـفـاةـ زـيـادـةـ اللـهـ فـوـهـنـاـ أـوـلـاـ، ثـمـ اـنـشـطـوـاـ وـعـادـوـاـ إـلـىـ الصـبـرـ وـالـجـهـادـ وـكـانـ وـفـاةـ زـيـادـةـ اللـهـ مـتـصـفـ سـنـةـ ثـلـاثـ وـعـشـرـينـ وـمـائـيـنـ لـإـلـدـيـ وـعـشـرـينـ سـنـةـ وـنـصـفـ مـنـ وـلـايـهـ.

**أخوهـماـ أبوـ عـقالـ الأـغـلـبـ بنـ إـبـراهـيمـ بنـ الأـغـلـبـ**

ولـماـ تـوـيـ زـيـادـةـ اللـهـ بـنـ إـبـراهـيمـ تـوـلـ آخـرـهـ الأـغـلـبـ، وـيـكـنـيـ أـبـاـ عـقالـ فـأـحـسـنـ إـلـىـ الـجـنـدـ، وـأـزـالـ الـظـالـمـ وـزـادـ الـعـمـالـ فـيـ أـرـزـاقـهـ وـكـفـهـ عـنـ الرـعـيـةـ! وـخـرـجـ عـلـيـهـ بـقـسـطـلـةـ خـوارـجـ زـوـاغـةـ وـلـوـانـةـ وـمـكـنـاسـةـ وـقـتـلـوـاـ عـاـمـلـهـاـ بـهـاـ، وـبـعـثـ إـلـيـهـمـ الـعـساـكـرـ فـقـتـلـهـمـ وـاسـتـأـصـلـهـمـ.

وبـعـثـ سـنـةـ أـرـبعـ وـعـشـرـينـ سـرـيـةـ إـلـىـ صـقلـيـةـ فـتـحـهـ وـعـادـوـاـ ظـافـرـيـنـ.

وـفـيـ سـنـةـ خـمـسـ وـعـشـرـينـ اـسـتـأـمـنـ الـسـلـمـيـنـ عـدـةـ حـصـونـ مـنـ صـقلـيـةـ فـأـمـنـهـمـ، وـفـتـحـوـهـاـ صـلـحـاـ وـسـارـ أـسـطـوـلـ الـسـلـمـيـنـ إـلـىـ قـلـورـيـةـ فـتـحـوـهـاـ، وـلـقـرـأـ أـسـطـوـلـ الـقـسـطـنـطـنـيـةـ فـهـرـمـوـهـ.

وـفـيـ سـنـةـ سـتـ وـعـشـرـينـ سـارـتـ سـرـيـانـةـ الـسـلـمـيـنـ بـصـقلـيـةـ إـلـىـ قـصـرـيـانـةـ، ثـمـ حـصـنـ الـقـيـرـوـانـ وـأـتـخـنـوـاـ فـيـ نـواـحـيـهـ كـمـاـ نـذـكـرـهـ.

ثـمـ تـوـيـ الأـغـلـبـ بـنـ إـبـراهـيمـ فـيـ رـبـيعـ مـنـ سـنـةـ سـتـ وـعـشـرـينـ وـمـائـيـنـ لـسـتـيـنـ وـسـبـعـةـ أـشـهـرـ مـنـ إـمـارـتـهـ.

**ابنه زيادة الله الأصغر بن أبي إبراهيم بن أحمد**

بعد أن حلوها جميع ما فيها.  
وفي سنة ثلاثة وثلاثين توفي أمير صقلية محمد بن عبد الله بن الأغلب، واجتمع المسلمون بعده على ولاية العباس بن الفضل بن عقوب بعد موت أميرهم.

وكتب له محمد بن الأغلب بعهده على صقلية، وكان من قبل يغزو ويبيت السرايا، وتانية الغنائم، ولما جاءه كتاب الولاية خرج بنفسه، وعلى مقدمته عمّه رياح فعاث في نواحي صقلية وردد البعوث والسرايا إلى قطانية وسرقوسة وبوطيف ورغوس فغنموا وخربوا وحرقوا، وافتتح حصوناً جدة، وهزم أهل قصريانة وهي مدينة ملك صقلية.

وكان الملك قبله يسكن سرقوسة فلما فتحها المسلمون كما ذكرناه انقل الملك إلى قصريانة.

وأخبر أن العباس كان يردد الغزو إلى نواحي سرقوسة وقصريانة شاتية وصافنة فيصيب منهم، ويرجع بالغنائم والأسرى.

فلما كان في شاتية منها أصاب منهم أسرى، وقدمهم للقتل فقال له بعضهم -وكان له قدر وهيبة-: استبني وأنا أملكك قصريانة، ودفهم على عورة البلد فجاؤوها ليلاً، ووقفهم على باب صغير فدخلوا منه، فلما توسطوا البلد وضعوا السيف، وفتحوا الأبواب ودخل العباس في العسكر فقتل المقائلة وسيى بنات البطارقة، وأصاب فيها ما يعجز الوصف عنه، وذل الروم بصقلية من يومئذ.

وبعث ملك الروم عسكراً عظيماً مع بعض بطارقته، وركبرا البحر إلى مرسي سرقوسة فجاءهم العباس من بليرم فقاتلهم وهزمهم، وألقع فلهم إلى بلادهم بعد أن غنم المسلمون من أسطولهم ثلاثة أو أكثر، وذلك سنة سبع وثلاثين.

وافتتح بعدها كثيراً من قلاع صقلية، وجاء مدد الروم من القسطنطينية وهو يحاصر قلعة الروم فنزلوا سرقوسة، وزحف إليهم العباس من مكانه وهزمهم، ورجع إلى قصريانة فحضرها وإنزل بها الحامية.

ثم سار سنة سبع وأربعين إلى سرقوسة فخمن ورجع، واعتلى في طريقه فهلك متصرف سنته، ودفن في نواحي سرقوسة، وأحرق الصارى شلوه وذلك لإحدى عشرة سنة من إمارته.

وانتصب الجهد بصقلية والفتح، وأجاز المسلمين إلى عدوة الروم في الشمال وغزوا أرض قلورية وانكربده، وفتحوا فيها حصوناً وسكن بها المسلمين.

ولما توفي أبو إبراهيم ولـي مكانه ابنه زيادة الله، ويعرف بزيادة الله الأصغر فجرى على سنن سلفه، ولم تطل أيامه. وتوفي سنة خمسين لحول من ولايته.

**أخوه أبو الغرانيق بن أبي إبراهيم بن أحمد**

ولما توفي زيادة الله كما قدمناه ولـي مكانه أخوه محمد ويلقب بأبي الغرانيق فغلب عليه الظهر والشراب، وكانت في أيامه حروب وفتن.

وفتح جزيرة مالطة سنة خمس وخمسين.

وتغلب الروم على مواضع من جزيرة صقلية، وبيني محمد حصنواً ومحارس على ساحل البحر بالملغرب على مسيرة خمسة عشر يوماً من برقة إلى جهة المغرب وهي الآن معروفة.

ثم توفي أبو الغرانيق متصرف إحدى وستين لإحدى عشرة سنة من ولايته.

**بقية أخبار صقلية**

وفي سنة ثمان وعشرين سار الفضل بن جعفر المدائني في البحر ونزل مرسي ميسينة وحاصرها فامتنعت عليه، وبشت السرايا في نواحيها فغنموا.

ثم بعث طائفة من عسكره وجاؤوا إلى البلد من وراء جبل مطل عليه، وهم مشغلون بقتاله فانهزموا، وأعطوا باليد ففتحها. ثم حاصر سنة اثنين وثلاثين مدينة لسى، وكانت أهلها بطريق صقلية يستمدونه فأجاههم وأعطاهم العلامة بياقان الدار على الجبل.

وبلغ ذلك الفضل بن جعفر فأوقد النار على الجبل، وأكتفى لهم من ناحيته فخرجوها واستطرد لهم حتى جاؤوا الكمين، فخرجوها عليهم، فلم ينج منهم إلا القليل، وسلموا البلد على الأمان.

وفي سنة ثلاثة وثلاثين أجاز المسلمين إلى أرض أنكربدة من البر الكبير، وملكونا منها مدينة وسكنوها، وفي سنة أربع وثلاثين صالح أهل رغوس، وسلموا المدينة للمسلمين فنهذموها.

شكوى المظلومين، فامتنت البلاد وبني الحصون والمارس بسواحل البحر حتى كانت النار ترقد في ساحل سبعة للتنير بالعدو فيحصل إيقادها بالإسكندرية في الليلة الواحدة وبني سور سوسة.

وفي أيامه كان مسیر العباس بن أحمد بن طولون مخالفًا على آليه صاحب مصر سنة خمس وستين ومائتين فملك برقة من يد محمد بن قهرب قائد ابن الأغلب ثم ملك لبلدة، ثم حاصر طرابلس واستمد ابن قهرب بقوسة فامدوه ولقي العباس بن طولون بقصر حاتم سنة سبع وستين فهزمه، ورجع إلى مصر.

ثم خالفت وزادجة ومنعوا الرهن، وفُيئت مثل ذلك هوارة، ثم لوانة، وقتل ابن قهرب في حربهم فسرح إبراهيم ابنه أبا العباس عبد الله إليهم في العساكر سنة تسعة وستين فائتخن فيهم.

وفي سنة ثمانين كثراً الخوارج وفرق العساكر إليهم فاستقاموا، واستركب العيد السودان واستكثروا منهم بلغوا ثلاثة آلاف.

وفي سنة إحدى وثمانين انتقل إلى سكنى تونس وأخذ بها القصور، ثم تحرك إلى مصر سنة ثلاث وثمانين لخمارية ابن طولون، واعترضته نفوسه فهزمه وأثخن فيهم.

ثم انتهى إلى سرت فافتضت عنه الخشود فرجع، وبعث ابنه أبا العباس عبد الله على صقلية سنة سبع وثمانين فوصل إليها في مائة وستين مرکباً.

وحضر طرابه وانتقض عليه بليرم وأهل كبركت، وكانت بينهم فتنة فأغاره كل واحد منهم بالآخرين، ثم اجتمعوا لحربه وزحف إلى أهل بليرم في البحر فهزمه واستباحهم، وبعث جماعة من وجوهها إلى أبيه، وفر آخرون من أعيانهم إلى القسطنطينية وأخرون إلى طرميس فاتبعهم وعادت في نواحيها.

ثم حاصر أهل قطانياً فامتنعوا عليه فأعرض عن قتال المسلمين.

وتحيز سنة ثمان وثمانين للغزو فغزا دمشق، ثم مسيبني. ثم جاء في البحر إلى ريو ففتحها عنوة وشحن مراكبه بغنائمها، ورجع إلى مسيبني فهدم سورها، وجاء مدد القسطنطينية في المراكب فهزمه وأخذ لهم ثلاثة مرکباً.

ثم أجزاء إلى عدوة الروم وأوقع باسم الفرجنة من وراء البحر. ورجع إلى صقلية.

وجاء في هذه السنة رسول المعتصم بعزيز الأمير إبراهيم

ولما توفي العباس اجتمع الناس على ابنه عبد الله وكتبوا إلى صاحب إفريقية، وبعث عبد الله السرايا ففتح القلاع، وبعد خمسة أشهر من ولادته وصل خفاجة بن سفيان من إفريقية على صقلية في منتصف ثمان وأربعين، وأخرج ابنه محموداً في سرية إلى سرقوسة فعاد في نواحيها، وخرج إليهم الروم فقاتلهم وظفر ورجع.

ثم فتح مدينة نوطروس سنة خمس وخمسين وسار إلى سرقوسة، وجلب النار، واستأمن إليه أهل طرميس، ثم غدروا فسرح ابنه محمدًا في العساكر وسي أهلها.

ثم سار خفاجة إلى رغوس وافتتحها، وأصابه المرض فعاد إلى بليرم.

ثم سار سنة ثلاث وخمسين إلى سرقوسة وقطانية فخرّب نواحيها، وأفسد زراعها، وبعث سراياه في أرض صقلية فامتلأت أيديهم من الغنائم.

وفي سنة أربع وخمسين وصل بطريق من القسطنطينية لأهل صقلية فقاتلهم جمع من المسلمين وهزموه، وعاد خفاجة في نواحي سرقوسة ورجع إلى بليرم.

وبعث سنة خمس وخمسين ابنه محمدًا في العساكر إلى طرميس وقد دله بعض العيون على بعض عوراتها فدخلوها وشرعوا في النهب.

وجاء محمد بن خفاجة من ناحية أخرى فظنوه مددًا للعدو فاجفلوا، ورآهم محمد مجفلين فرجع.

ثم سار خفاجة إلى سرقوسة فحاصرها وعاد في نواحيها، ورجع فاغتاله بعض عسكره في طريقه وقتلها، وذلك سنة خمس وخمسين، وولى الناس عليهم ابنه محمدًا وكتبوا إلى محمد بن أحد أمير إفريقية فاقره على الولاية وبعث إليه بعده.

## إبراهيم بن أحمد أبو أبي الغرانين

ولما توفي أبو الغرانين ولـي أبوه إبراهيم، وقد كان عهد لابنه أبي عقال، واستخلف أخيه إبراهيم أن لا ينزعه ولا يعرض له، بل يكون نائباً عنه إلى أن يكبر، فلما مات عدا عليه أهل القبروان وحملوه على الولاية عليهم، لحسن سيرته وعدله فامتنع ثم أجاب وترك وصية أبي الغرانين في ولده أبي عقال، وانتقل إلى قصر الإمارة وقام بالأمر أحسن قيام.

وكان عادلاً حازماً قطع البغي والفساد وجلس لسماع

## ظهور الشيعي بكتامة

وفي أيامه ظهر أبو عبد الله الشيعي بكتامة يدعوه للرضا من آل محمد وبطنه الدعوة لعيده الله المهدى من أبناء إسماعيل الإمام، واتبعه كتامة.

وهو من الأسباب التي دعته للتوبة والإقلال والخروج إلى صقلية.

وبعد أيامه موسى بن عياش صاحب صلة بالخبر، وبعث إبراهيم رسوله إلى الشيعي بأنكجان يهدده ويحذر فلم يقبل، وأجابه بما يكره.

فلما قربت أمرأ أبو عبد الله وجاء كتاب المعتمد لإبراهيم كما قدمها أظهر التوبة، ومضى إلى صقلية، وكانت بعده يافريقيا حروب أبو عبد الله الشيعي مع قبائل كتامة حتى استولى عليهم واتبعوه، وكان إبراهيم قد أسر ابنه أبي العباس في شأن الشيعي ونهاه عن عمارته، وأن يلحق به إلى صقلية إن ظهر عليه.

## ابنه أبو العباس عبد الله بن إبراهيم أخي محمد أبي الغرانيق

ولما هلك إبراهيم سنة تسع وثمانين كما قدمها، قدم حافظه زيادة الله بالجيوش على أبيه أبي العباس عبد الله فقام بأمر إفريقيا، وعظم غناو، وكتب إلى العمال كتاباً يقرأ على الناس بالوعد الجميل والعدل والرفق والجهاد، واعتقل ابنه زيادة الله هذا لما بلغه عنه من اعتقاده على اللذات والله، وأنه يروم التوبيخ عليه، وولى على صقلية مكانه محمد بن السرقوقسي، وكان أبو العباس حسن السيرة عادلاً بصيراً بالحروب، وكانت أيامه صالحة، وكان نزوله بتونس.

ولما توفي استولى أبو عبد الله الشيعي على كتامة ودخلوا في أمره كافة، وزحف إلى ميلة فافتتحها، وقتل موسى بن عياش.

وكانت فتح بن يحيى أمير مسالة من كتامة حارب أبو عبد الله طويلاً، ثم غلبه واستولى على قومه، ففتح فتح إلى أبي العباس وحرضه على قتال يكراخول، وإنما كان يكر على جفنة إذا نظر، وزحف إليه من تونس سنة تسع وثمانين وما تين ودخل سطيف ثم بلزمة، وقتل من دخل في دعوتهم ولقيه أبو عبد الله الشيعي فانهزم وهرب من تاوزرت إن أنكجان، وهدم أبو خول قصر الشيعي، ثم قاتلهم يوماً إلى الليل، فانهزم عسكر أبي خول ولحق

لشکرو أهل تونس به، فاستقدم ابنه أبي العباس من صقلية وارتحل هو إليها مظهراً لغربة الاتجاه.

مكذا قال ابن الرقيق.

وذكر أنه كان جائراً ظلماً سفاكاً للدماء، وأنه أصابه آخر عمره ماليخوليا أسرف بسيبه في القتل، فقتل من خدمه ونسائه وبناته ما لا يحصى.

وقتل ابنه أبي الأغلب لظن ظنه به.

وافتقد ذات يوم منديلاً لشرابه، فقتل بسيبه ثلاثة خادم.

وأما ابن الأثير فاثنى عليه بالعقل والعدل وحسن السيرة، وذكر أن فتح سرقوسة كان في أيامه على يد جعفر بن محمد أمير صقلية، وأنه حاصرها تسعة أشهر، وجاءهم المدد من قسطنطينية في البحر فهزهم. ثم فتح البلد واستباحها.

وانتقدوا كلهم على أنه ركب البحر من إفريقيا إلى صقلية فنزل طرابية، ثم تحول عنها إلى بليرم ونزل على دمشق وحاصرها سبعة عشر يوماً.

ثم فتح مسيني وهدم سورها.

ثم فتح طرميس آخر شعبان من سنة تسع وثمانين، ووصل ملك الروم بالقسطنطينية ففتحتها.

ثم بعث حافظه زيادة الله ابن ابنه أبي العباس عبد الله إلى قلعة ييقش فافتتحها، وابنه أبو محزز إلى رمطة فأعطوه الجزية.

ثم عبر إلى عدوة البحر وسار في بر الفرنج ودخل قلورية عنونة فقتل وسيبي، ورهب منه القرنجة.

ثم رجع إلى صقلية ورحب منه النصارى في قبول الجزية فلم يحب إلى ذلك.

ثم سار إلى كنسة فحاصرها واستأنوا إليه فلم يقبل.

ثم هلك وهو حاصل لها آخر تسع وثمانين لثمان وعشرين سنة من إمارته، فولى أهل العسكر عليهم حافظه أبي مصر ليحفظ العسكر والأسرور، إلى أن يصل ابنه أبو العباس، وهو يومنذ يافريقيا، فامن أهل كستة قبل أن يعلموا بموت جده، وقبل منهم الجزية، واقام قليلاً حتى تلاحت به السرايا من النواحي.

ثم ارتحل وحمل جده إبراهيم فدفنه في بليرم، وقال ابن الأثير: حمله إلى القبوران فدفنه بها.

تونس، ورجع بكتامة إلى مواضعهم.

ولما دخل أبو خول بآبيه جدد له العسكر وأعاده ثانية، وانتظمت إليه القبائل، وسار حتى نزل سطيف.

ثم ارتحل منها إلى لقائهم، وزحف إلى أبو عبد الله فهزمه، ورجع إلى سطيف.

ثم خرج أبو عبد الله الشيعي في عساكر كاتمة إلى باغية ثم إلى سكابة، ثم إلى سبيبة، ثم إلى حودة فاستولى على جميعها، وأمن أهلها ورحل ابن أبي الأغلب من الأربس.

ثم سار أبو عبد الله إلى قسطيله وقصصه فامتهم، ودخلوا في دعوته، وانصرف إلى باغية، ثم إلى إنكجان.

وزحف ابن أبي الأغلب إلى باغية فقاتلا، وامتنعت عليه ورجع إلى الأربس.

ثم زحف أبو عبد الله إلى الأربس سنة ست وتسعين في جادى، ومر بشق بنارية، وأمن أهلها إلى قمودة.

### ابنه أبو مضر زيادة الله

ولما أطلق زيادة الله من الاعتقال اجتمع أهل الدولة وبايعوا له، فقتل الخصيان الذين قتلوا آباء، وأقبل على اللذات واللهو ومعاشة المضحكون والصفاعين، وأهمل أمور الملك واستقل وكتب إلى أخيه أبي خول على لسان آبيه يستقدمه، وقدم فقتله وقتل عمومته وإخواته.

وقرى أمر الشيعي، وانتقل زيادة الله إلى رقاده ليلاً ليلة يخالفه الشيعي إليها.

وفتح الشيعي مدينة سطيف فسرح زيادة الله العساكر لحربه، وعقد عليها لإبراهيم بن حبيش من صنائعه، فخرج في أربعين ألفاً، وأقام بقسطيله ستة أشهر، فاجتمعت إليه مائة ألف، وزحف إلى كاتمة، وتلقوه بأجابة فاختزم عساكره وولت المزعة عليه.

وانتهى إلى باغية، ثم انتقل إلى القبروان وافتتح أبو عبد الله مدينة طبة، وقتل فتح بن يحيى المسالطي وكان بها.

ثم فتح بلزمة وهدم سورها.

ثم وصل عروبة بن يوسف من أمراء كاتمة إلى باغية، وأوقع بالعساكر التي كانت بها عجمة لحرفهم بنظر هارون بن الطبي.

وارسل أبو عبد الله الشيعي إلى تيجيسن فحاصرها، ثم انتحها صلحًا، وكث الأرجاف بالقبروان ففتح زيادة الله ديوان العطاء، واستلتحق واستركب وأجمع الخروج فخرج إلى الأربس سنة خمس وتسعين، فلما انتهى إليها تخوف غائلة الشيعي، وأشار عليه أهل بيته بالرجوع فرجع إلى رقاده، وقدم على العساكر إبراهيم بن أبي الأغلب من وجهه أهل بيته.

ثم زحف أبو عبد الله إلى باغية ففتحها صلحًا وهرب

### خروج زيادة الله إلى المشرق

ولما وصل الخبر إلى زيادة الله بوصول الشيعي إلى قمودة، حل أمواله وأتقائه ولحق بطرابلس معتمداً على الشرق.

وأقبل الشيعي إلى إفريقيا، وفي مقدمته عروبة بن يوسف وحسن بن أبي خنزير، ووصل إلى رقاده في رجب سنة ست وتسعين ومترين وتلقاء أهل القبروان وبايعوا لعبد الله المهدي كما ذكرناه في أخبارهم ودولتهم.

وأقام زيادة الله بطرابلس سبعة عشر يوماً، وانصرف ومعه إبراهيم بن الأغلب، وكان غني عنه أنه أراد الاستبداد لنفسه بالقبروان بعد خروج زيادة الله فأعرض عنه، واطرحه، وبلغ مصر فمنعه عاملها عيسى البرشدي من الدخول إلا عن أمر الخليفة، وأنزله بظاهر البلد ثمانية أيام وانصرف إلى ابن الفرات وزیر المقذر يستاذن له في الدخول فاته كتابه بالمقام في الرقة حتى يأتيه رأي المقذر فأقام بها سنة.

ثم جاءه كتاب المقذر بالرجوع إلى إفريقيا.

وأمر النوشري بإمداده بالرجال والمال لاسترجاع الدعوة يا فرقية، ووصل إلى مصر فاصبته بها علة مزمنة، وسقط شعره.

ويقال إنه سُمّ وخُرج إلى بيت المقدس ومات بها.

ونفرق بن الأغلب وانقطعت أيامهم والبقاء لله وحده.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

وأهل طرابنة فهزهم وقتلهم.

ثم استأمن إليه أهل طرابنة فامتهن وهدم أبوابها، وأمره المهدى بالغفو عنهم.

ثم ول المهدى على صقلية سالم بن راشد، وأولده سنة ثلاثة عشرة بالعساكر فعبر البحر إلى أرض إنكبردة فدخلوها، وفتحوا فيها حصنًا ورجعوا.

ثم عادوا إليها ثانية وحاصروا مدينة أدرنت أياماً ورحلوا عنها.

ولم يزل أهل صقلية يغرون على ما بآيدي الروم من جزيرة صقلية وقلورية، ويعثرون في نواحيها.

وبعث المهدى سنة اثنين وعشرين جيشاً في البحر مع يعقوب بن إسحاق، فعادت في نواحي جنوة ورجعوا.

ثم بعث جيشه من قابل ففتحوا مدينة جنوة، ومرروا بسردانة فأحرقوا فيها مراكب وإنصرفوا.

ولما كانت سنة خمس وعشرين وثلاثمائة انتقض أهل كبركىت على أميرهم سالم بن راشد وقاتلوا جيشه، وخرج إليهم سالم بنفسه فهزهم وحصرهم بيدهم.

واستمد القائم فأمده بالعساكر مع خليل بن إسحاق، فلما وصل إلى صقلية شكا إليه أهلها من سالم بن راشد واسترحته النساء والصبيان.

وجاءه أهل كبركىت وغيرها من أهل صقلية بمن ذلك فرق لشکواهم، ودس إليهم سالم بآن خليلأً إنما جاء للانتقام منهم من قتلوا من العساكر فماردوا على الخلاف، واحتخط خليل مدينة على مرسى المدينة، وسمها الخالصة.

وتحقق بذلك أهل كبركىت ما قال لهم سالم، واستعدوا للحرب، فسار إليهم خليل متصرف ست وعشرين وحصرهم ثمانية أشهر بقادتهم بالقتال وبرأوهم، حتى إذا جاء الشتاء رجع إلى الخالصة، واجتمع أهل صقلية على الخلاف، واستمدوا ملك القسطنطينية فامدهم بالمقاتلة والطعام.

واستمد خليل القائم فأمده بالجيش فافتتح قلعة أبي ثور وقلعة البلوط، وحاصر قلعة بلاطون إلى أن انقضت سنة سبع وعشرين فارتحل عنها وحاصر كبركىت.

ثم حبس عليها عسكراً للحصار مع أبي خلف بن هارون ورجل عنها، وطال حصارها إلى سنة تسعة وعشرين فهرب كثير من أهل البلد إلى بلد الروم واستأنف الباقون فامتهن على التزول

بقية أخبار صقلية ودولة بنى أبي الحسن الكلبيين بها

ولما استولى عيد الله المهدى على إفريقية ودانت له، وبعث العمال في نواحيها، بعث على جزيرة صقلية الحسن بن محمد بن أبي خنزير من رجالات كاتمة، فوصل إلى مازر سنة سبع وتسعين ومائتين في العساكر، فولى أخاه على كبركىت، وولى على القضاء بصفلية إسحاق بن المنهال، ثم سار سنة ثمان وتسعين ومائتين في العساكر إلى موش، فعادت في نواحيها ورجع.

ثم شكا أهل صقلية سوء سيرته وثاروا به وحبسوه، وكتبوا إلى المهدى معتذرين، فقبل عذرهم وولى عليهم أحمد بن قهرب. وبعث سرية إلى أرض قلورية فدخلوها ورجعوا بالغنائم والسي.

ثم أرسل سنة ثلاثة ابنه علياً إلى قلعة طربين المحدثة ليتخذها حصناً لحاشيته وأمواله، حذراً من ثورة أهل صقلية، فحضرها ابنه ستة أشهر.

ثم اختلف عليه العسكر فأحرقوا خيمه، وأرادوا قتله فمنعه العرب، ودعا هو الناس إلى طاعة المقدار فاجابوه. وقطع خطبة المهدى وبعث الأسطول إلى إفريقية، ولقوا أسطول المهدى وقاده الحسن بن أبي خنزير قاتلوا، وأحرقوا الأسطول.

وسار أسطول بن قهرب إلى صفاقس فخربوها وانهوا إلى طرابلس، وانتهى الخبر إلى القائم بن المهدى ثم وصلت الخاخ والألوية من المقدار إلى ابن قهرب، ثم بعث الجيش في الأسطول إلى قلورية فاعتروا في نواحيها ورجعوا، ثم بعث ثانية أسطولاً إلى إفريقية فظفر به أسطول المهدى فانتقض أمره، وعصى عليه أهل كبركىت، وكانتوا المهدى.

ثم ثار الناس بابن قهرب آخر الثلاثمائة وسبعينه، وأرسلوه إلى المهدى فأمر بقتله على قبر ابن خنزير في جماعة من خاصةه.

وول على صقلية أبي سعيد بن أحمد، وبعث معه العساكر من كاتمة فركب إليها البحر فنزل في طرابنة، وعصى عليه أهل صقلية من معه من العساكر فامتهنوا عليه، وقاتلته أهل كبركىت

عن القلعة.

الروم ففروا من غير حرب.

ونزل الحسن على قلعة قيشانة فحاصرها شهراً وصالحهم على مال ورجع بالأسطول إلى مسيئي فشتها بها.

وجاء أمر المتصور بالرجوع إلى قلورية فعبر إلى خراجة فلقي الروم والسردغرس فهزمه، وامتلاً من غنائمهم، وذلك يوم عرفة سنة أربعين وثلاثمائة.

ثم سار إلى خراجة فحاصرها حتى هادنه ملك الروم قسطنطين.

ثم عاد إلى ريو وبنى بها مسجداً وسط المدينة، وشرط على الروم أن لا يعرضوا له، وأن من دخله من الأسرى أمن.

ولما توفي المتصور وملك ابنه العز سار إليه الحسن، واستختلف على صقلية ابنه أحد، وأمره العز بفتح القلاع التي بقيت للروم بصفلية فغزاها، وفتح طرمين وغيرها سنة إحدى وخمسين، وأعيته رمطة فحاصرها فجاءها من القدسية أربعون ألفاً مداداً.

وبعث أحد يستمد العز بفتحه إلى المدد بالعساكر والأموال مع أبيه الحسن.

وجاء مدد الروم فنزلوا بمرسى ميسينة وزحفوا إلى رومطة، ومقدم الجيوش على حصارها الحسن بن عمار وابن أخي الحسن بن علي فاحتاط الروم بهم.

وخرج أهل البلد إليهم وعظم الأمر على المسلمين فاستمأروا وحملوا على الروم وعقرعوا فرس قاتلهم متوجل فسقط عن فرسه، وقتل جاعنة من البطارقة معه.

وانهزم الروم وتبعهم المسلمون بالقتل، وامتلأت أيديهم من الغنائم والأسرى والسي.

ثم فتحوا رمطة عنزة وغنموا ما فيها، وركب فل الروم من صقلية وجزيرة رفق في الأسطول ناجين بأنفسهم، فاتبعهم الأمير أحد في المراكب فحرقوا مراكبهم، وقتل كثير منهم، وتعرف هذه الواقعة برقعة الجاز، وكانت سنة أربعين وخمسين وأسر فيها ألف من عظمائهم ومائة بطريق.

وجاءت الغنائم والأسرى إلى مدينة بليرم، حاضرة صقلية، وخرج الحسن للقائهم، فأصابته الحمى من الفرج فمات، وحزن الناس عليه، وولي ابنه أحد باتفاق أهل صقلية بعد أن ول العز عليهم يعيش مولى الحسن فلم ينهض بالأمر، ووقعت الفتنة بين كتامة والقبائل، وعجز عن تسكينها.

ثم غدر بهم فارتاع لذلك سائر القلائع وأطاعوا ورجعوا خليل إلى إفريقية آخر سنة تسع وعشرين وحمل معه وجوه أهل كبركيت في سفينة، وأمر بحرقها في جلة البحر فغرقوا جميعهم.

ثم ول على صقلية عطاف الأزدي، ثم كانت فتنة أبي يزيد، وشغل القائم والمتصور بأمره، فلما انقضت فتنة أبي يزيد عقد المتصور على صقلية للحسن بن أبي الحسن الكلبي من صنائعهم ووجوه قواه وكنته أبو الغنائم، وكان له في الدولة محل كبير وفي مدافعة أبي يزيد غناه عظيم.

وكان سبب ولاته أن أهل بليرم كانوا قد استضعفوا عطافاً واستضعفهم العدو لعجزه، فوثب به أهل المدينة يوم الفطر من سنة خمس وثلاثين، وتولى كبر ذلك بنو الطير منهم.

ونجا عطاف إلى الحصن وبعث للمتصور يعلمه ويستمدده، فول الحسن بن علي على صقلية وركب البحر إلى مازر، وأرسى بها فلم يلقه أحد منهم.

وأناه في الليل جماعة من كتامة واعتذروا إليه عن الناس بالخروف من بيبي الطير.

وبعث بنو الطير عيونهم عليه واستضعفوه وواعدوه أن يعودوا إليه فسبق ميعادهم ودخل المدينة، ولقيه حاكم البلد وأصحاب الدواوين وأضطر بنو الطير إلى لقائه، وخرج إليهم كثيرهم إسماعيل ولحق به من الخرف عن بيبي الطير، فكثر جمعه.

ودرس إسماعيل بعض غلاماته، فاستغاث بالحسن من بعض عبيده أنه أكره أمرأه على الفاحشة، يعتقد أن الحسن لا يعاقب ملوكه، فتخشن قلوب أهل البلد عليه.

وفطن الحسن لذلك فدعا الرجل واستحلله على دعوه، وقتل عبيده فسر الناس بذلك، ومالوا عن الطيري وأصحابه، وافتراق جعهم وضيبي الحسن أمره، وخشي الروم بادرته فدفعوا إليه جزية ثلاثة سنين.

وبعث ملك الروم بطريقاً في البحر في عسكر كبير إلى صقلية، واجتمع هو والسردغرس.

واستمد الحسن بن علي المتصور فامده بسبعة الآف فارس وثلاثة الآف وخمسمائة راجل، وجمع الحسن من كان عنده وسار برأه وبهرأ.

وبعث السرايا في أرض قلورية، ونزل على أبراوه فحاصرها ورمح إلى فحاصرها ورمح إلى الروم فصالحه على مال أخذه، ورمح إلى

ويعرف بالأكحل فسكن الأضطراب واستقامت الأحوال، وفرض الأمور إلى ابنه ابن جعفر وجعل مقاليد الأمور بيده فأساء ابن جعفر السيرة، وتعامل على صقلية ومال إلى أهل إفريقيا.

وضج الناس وشكروا أمرهم إلى المعز صاحب القيروان، وأظهروا دعوته، فبعث الأسطول فيه ثلاثة فارس مع ولديه عبد الله وأيوب، واجتمع أهل صقلية وحصروا أميرهم الأكحل، وقتل رجل رأسه إلى المعز سنة سبع عشرة وأربعين سنة.

ثم ندم أهل صقلية على ما فعلوه وثاروا بأهل إفريقيا، وقتلوا منهم نحو من ثلاثة وأربعين.

ولولا المصاصم أخا الأكحل فاضطربت الأمور، وغلب السفلة على الأشراف.

ثم ثار أهل بلير على المصاصم وأخريجه، وقدموا عليهم ابن الثمنة من رؤوس الأجناد، وتلقب القادر بالله واستبد بمزار ابنه عبد الله قبل المصاصم، وغلب ابن الثمنة على ابن الأكحل فقتله واستقل بملك الجزيرة إلى أن أخذت من يده.

ولما استبد ابن الثمنة بصفلية تزوج ميمونة بنت الجراس، فتخيل له منها شيء ففاتها السم.

ثم تلاها وأحضر الأطباء فانعشوها، وأفاقت فندم واعتذر فأظهرت له القبور، واستذنته في زيارة أخيها بقبريانة، وأخبرت أخاه فلحف أن لا يردها، ووقدت الفتنة.

وحشد ابن الثمنة فهزمه ابن جراس فانتصر ابن الثمنة بالروم.

وجاء القمح وجاز ابن ينصر بن خبرة ومعه سبعة من إخواته وجمع من الإفرنج وعدهم بملك صقلية فدخل في بيع مية.

وقصد قبريانة وحكموا على مروا من المنازل، وخرج ابن جراس فهزمه ورجع إلى إفريقيا عمر بن خلف بن مكي فنزل تونس، وولي قضاها.

ولم يزل الروم يملكونها حتى لم يبق إلا المعاقل.

وخرج ابن الجراس بأهله وماهه صلحًا سنة أربع وستين وأربعين سنة.

ومتلکها رجار كلها وانقطعت كلمة الإسلام منها ودولة الكلبيين وهم عشرة ومدتهم خمس وستون سنة. ومات رجار في قلعة مليطاً من أرض قلورية سنة أربع وستين، وولي ابنه رجار الثاني وطالت أيامه.

وبلغ الخبر إلى المعز فرلى عليها أبو القاسم علي بن الحسن نيابة عن أخيه أحد.

ثم توفي أحد بطرابلس سنة تسعة وخمسين واستبد بالإماراة آخره أبو القاسم علي، وكان مدللاً عباً.

وسار إليه سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة ملك الفرنج في جموع عظيمة، وحاصر قلعة رمطة وملكتها، وأصاب سرايا المسلمين.

وسار الأمير أبو القاسم في العساكر من بلير يريدهم، فلما قاربهم خاف من اللقاء ورجع، وكان الفرنج في الأسطول يعيونه بعثوا بذلك للملك بردوبل فسار في اتباعه وأدركه فاقتلوه، وقتل أبو القاسم في الحرب.

وأقام المسلمين أمرهم فاستمروا، وقاتلوا الفرنج فهزموهم أربع هزيمة، ونجا بردوبل إلى خيامه برأسه، وركب البحر إلى رومة.

وولى المسلمين عليهم بعد الأمير أبي القاسم ابنه جابر فرحل بال المسلمين لوقته راجعاً، ولم يرجع على الغنائم.

وكانت ولاية الأمير أبي القاسم اثنى عشرة سنة ونصفاً. وكان عادلاً حسن السيرة.

ولما ولى ابن عمه جعفر بن محمد بن علي بن أبي الحسن، وكان من وزراء العزيز وندماكه استقامت الأمور، وحسنت الأحوال، وكان يحب أهل العلم وبميزل الحبات لهم.

وتوفي سنة خمس وسبعين وثلاثمائة وولي آخره عبد الله فاتبع سيرة أخيه إلى أن توفي سنة تسعة وسبعين وثلاثمائة، وولي إيه ثقة الدولة أبو الفتوح يوسف بن عبد الله بن محمد بن علي بن أبي الحسن، فأنهى بخلافه وفضائله من كان قبله منهم إلى أن أصابه الفالج، وقطع نصفه الأيسر سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة.

وولي ابنه تاج الدولة جعفر بن ثقة الدولة يوسف، فضبط الأمور وقام بحسن قيام وخالف عليه أخيه علي سنة خمس وأربعين سنة مع البرير والعييد، فزحف إليه جعفر فظفر به وقتل، ونفي البرير والعييد، واستقامت أحواله.

ثم انقلب حاله واختلت على يد كاته ووزيره حسن بن محمد الباقياني ثار عليه الناس بسيبهها، وجاؤوا حول القصر، وأخرج إليهم أبو الفتوح في محنة فنططف بالناس، وسلم إليهم الباقياني فقتلوه، وقتلوا حافظه أبو رافع، وخليع ابن جعفر، ورحل إلى مصر، وولي ابن جعفر سنة عشرة وأربعين سنة ولقبه بأسد الدولة بن تاج الدولة.

**أخبار اليمن والدول الإسلامية التي كانت فيه للعباسيين والعبيديين وسائر ملوك العرب وابتداء ذلك وتصاريفه على الجملة ثم تفصيل ذلك على مدنه ومالكه واحدة بعد واحدة**

قد كنا قدمنا في أخبار السير النبوية كيف صار اليمن في ملكة الإسلام بدخول عامله في الدعوة الإسلامية، وهو باذان عامل كسرى، وأسلم معه أهل اليمن.

وأمّرة النبي ﷺ على جميع مخالفها، وكان منزله صناعة كرسى التباعة.

ولما مات بعد حجّة الروداع قسم النبي ﷺ اليمن على عمال من قبله، وجعل صناعة لابنه شهريان بن باذان.

وذكرنا خبر الأسود العسلي، وكيف أخرج عمال النبي ﷺ من اليمن وزحف إلى صناعة فملكلها.

وقتل شهريان بن باذان وتزوج إمراته واستولى على أكثر اليمن، وارتدى أكثر أهله.

وكتب النبي ﷺ إلى أصحابه وعماله وإلى من ثبت على إسلامه فدخلوا زوجة شهريان بن باذان التي تزوجها في أمره، على يد ابن عمها فیروز.

وتولى كبر ذلك قيس بن عبد يفثوث المرادي، فبنته هر وفیروز وذاووه بياذن زوجته فقتلوه.

ورجع عمال النبي ﷺ إلى أعمالهم، وذلك قبيل الوفاة، واستبدل قيس بصناعة وجمع الفيل من جند الأسود فولأ أبو بكر على اليمن فیروز فيمن إليه من الأبناء، وأمر الناس بطاعة فقاتل قيس بن مكشوح وهزمه ثم ولأ أبو بكر المهاجر بن أبي أمية فقاتل أهل الردة باليمين، وكذلك عكرمة بن أبي جهل، وأمّرة أن يدا بالمرتدة ثم دعّته عائشة، فسار معها وحضر حرب الجمل.

وولى على اليمن عبيد الله بن عباس، ثم أخيه عبد الله، ثم ولـي معاوية على صناعة فـیروز الدـیلمـي، وـمات سـنة ثـلـاث وـخـسـينـ.

ثم جعل عبد الملك اليمن في ولاية الحجاج لما بعثه لـحـربـ ابن الزـبـيرـ سـنة اـثـتـيـنـ وـسـبعـينـ.

ولـهـ الفـ الشـرـيفـ أـبـوـ عـبـدـ اللـهـ الإـدـرـيـسيـ كـتـابـ «ـنـزـهـةـ المـشـاقـ فيـ أـخـبـارـ الـآـفـاقـ»ـ وـسـمـاهـ فـصـارـ رـجـارـ عـلـمـاـ عـلـيـهـ مـعـرـفـاـ بـهـ فـيـ الشـهـرـةـ وـالـلـهـ مـقـدـرـ الـلـيـلـ وـالـنـهـارـ.

**الخبر عن جزيرة إقريطيش وما كان بها المسلمين من الملك على يدبني البلوطى إلى أن استرجعوا العدو**

هذه الجزيرة من جزر البحر الرومي ما بين صقلية وقبرس في مقابلة الإسكندرية على يد الجالية أهل الريض.

وذلك أن أهل الريض الغربي من قرطبة، وكان محله متصلة بقصر الحكم بن هشام فنقموا عليه وثاروا به سنة اثنين ومائتين، فأوقع بهم الرقعة المشهورة واستحلّ لهم، وهدم ديارهم ومساجدهم، وأجلّى الفيل منهم إلى العدوة، ونزلوا بفاس وغيرها.

وغرب آخرين إلى الإسكندرية فنزلوا واقتروا في جوانبها، وتلاحمي رجل منهم مع جزار من سوقة الإسكندرية فنادوا بالثأر، واستحلّوا كثيراً من أهل البلد وأخرجوا بقيتهم وامتنعوا بها، وولوا عليهم أبا حفص عمر بن شعيب البلوطى ويعرف بأبي الفيض من أهل قرية مطروح، من عمل فحص البلوط المخار لقرطبة فقام برياستهم.

وكان على مصر يومئذ عبد الله بن طاهر فزحف إليهم، وحصّرهم بالإسكندرية فاستأمنوا له فأنعمهم وبعثهم إلى جزيرة إقريطيش فعمروها وأميرهم أبو حفص البلوطى.

وتداولها بنوه من بعده مدة من مائة وأربعين سنة إلى أن ملكها أريانوس بن قسطنطين ملك القسطنطينية من يد عبد العزيز بن شعيب من أعقابه سنة خمس وثلاثمائة، وأخرجوا المسلمين منها والله يعید الكرا وینهی آثار الكفرة، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

على الخلفاء مع ارتفاع اليمن ركب بالظلة شأن سلاطين العجم المستبدین.

وفي أيامه خرج باليمن يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي بن إبراهيم بن طباطبا بدعة الزيدية، جاء بها من السندي، وكان جده القاسم قد فر إلى السندي بعد خروج أخيه محمد مع أبي السرايا، ومهلكه كما مر فلحق القاسم بالسندي.

واعقب بها الحسين ثم ابنه يحيى باليمن ستة ثمان وثمانين، وزُنَل صعدة وأظهر دعوة الزيدية، وزحف إلى صنعاء فملكتها من يد أسعد بن يعفر، ثم استردها منه بنو أسد ورجع إلى صعدة.

وكان شيعته يسمونه الإمام، وعقبه الآن بها، وقد تقدم خبرهم:

وفي أيام أبي الجيش بن زياد أيضاً ظهرت دعوة العبيديين باليمن، فأقام بها محمد بن الفضل بعدن لاعة وجبل اليمن إلى جبال المديحنة سنة أربعين وثلاثمائة.

ويقي له باليمن من السرجنة إلى عدن عشرون مرحلة، ومن خلافة إلى صنعاء خمس مراحل.

ولما غابه محمد بن الفضل بهذه الدعوة امتنع أصحاب الأطراف عليه، مثل بني أسد بن يعفر بصنعاء، وسليمان بن طرف بعثر، والإمام الرسي بصعدة فسلك معهم طريق المهادنة. ثم هلك أبو الجيش سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة بعد أن انسعت جيشه وعظم ملكه.

قال ابن سعيد: رأيت مبلغ جيشه وهو ألف ألف مكررة مرتين، وثلاثمائة ألف وستة وستون ألفاً من الدنانير العشرية ما عدا ضرائب على مراكب السندي، وعلى العنبر الوacial بباب المندب وعدن أبين، وعلى مقاصص اللؤلؤ، وعلى جزيرة دهلك، ومن بعضها وصائف.

وكانت ملوك الحبشة من وراء البحر يهادونه وينظرون مواصلته.

ولما مات خلف صبياً صغيراً اسمه عبد الله، وقيل: إبراهيم وقيل: زياد، وكفلته أخته ومولاه رشيد الحشبي واستبد عليهم إلى أن انقضت دولتهم ستة سبع وأربعين سنة، ثم هلك هذا الطفل، فولوا طفل آخر من بني زياد أصغر منه.

وقال ابن سعيد: لم يعرف عمارة إسمه لتوالي الحجة عليه، وبعفي عمارة مؤرخ اليمن، وقيل: هذا الطفل الأخير اسمه إبراهيم، وكفلته عمته ومرجان من موالي الحسن بن سلامة.

ولما جاءت دولة بني العباس، ولـ السفاح على اليمن عمه داود بن علي حتى إذا توفى سنة ثلاث وثلاثين ومائة، ولـ مكانه محمد بن يزيد بن عبد الله بن عبد الملك عبد الدار.

ثم تعاقب الولاية على اليمن، وكانتوا يتزلون صنائع حتى انتهت الخلافة إلى المؤمن، وظهرت دعوة الطالبيين بالتواحي، وبابع أبو السرايا من بني شيبان بالعراق لحمد بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم أبو المهدى، النفس الزكية، محمد بن عبد الله بن حسن.

وكثـر الهرج وفرق العمال في الجهات، ثم قـل وبوسع محمد بن جعفر الصادق بالحجاز.

وظهر باليمـن إبراهيم بن موسى الكاظـم ستة مـاتـين، ولم يتم أمره، وكان يـعرف بالجزـار لـسفـكه الدـماء وـبعثـ المـأـمون عـساـكـره إـلـيـنـ فـدوـخـوا نـواـحـيـ وـحملـوا كـثـيرـاـ مـنـ وجـوهـ النـاسـ فـاستـقـامـ أمرـ الـيـنـ كـمـاـ نـذـكـرـهـ.

## دعاة زيد بالدعوة العباسية

ولـما وـفـدـ وـجوـهـ أـهـلـ الـيـنـ عـلـىـ الـمـأـمـونـ، كانـ فـيهـ مـحمدـ زـيـادـ وـلـدـ عـبـدـ اللهـ بنـ زـيـادـ بنـ أـبـيـ سـفـيـانـ فـاستـعـطـفـ الـمـأـمـونـ وـضـمـنـ لـهـ حـيـاطـةـ الـيـنـ مـنـ الـعـلوـيـنـ فـوصلـهـ، وـوـلـاهـ عـلـىـ الـيـنـ، وـقـدـمـهاـ سـنـةـ ثـلـاثـ وـمـاتـينـ.

وفـتحـ تـهـامـةـ الـيـنـ وـهـيـ الـبـلـدـ الـتـيـ عـلـىـ سـاحـلـ الـبـحـرـ الغـرـبـيـ، وـأـخـتـطـ بـهـ مـدـيـنـةـ زـيـدـ، وـنـزـلـهـ وـأـصـارـهـ كـرـسـيـاـ لـتـلـكـ الـمـلـكـةـ، وـوـلـ عـلـىـ الـجـبـالـ مـوـلـاهـ جـعـفـراـ، وـفـتحـ تـهـامـةـ بـعـدـ حـرـوبـ منـ الـعـربـ، وـاشـتـرـطـ عـلـىـ عـربـ تـهـامـةـ أـنـ لـاـ يـرـكـبـواـ الـحـيـلـ، وـاسـتـولـ عـلـىـ الـيـنـ أـجـعـ، وـدـخـلـتـ فـيـ طـاعـتـهـ أـعـمـالـ حـضـرـمـوتـ وـالـشـحـرـ وـدـيـارـ كـنـدـ، وـصـارـ فـيـ مـرـتـبةـ التـبـاعـةـ.

وـكـانـ فـيـ صـنـاعـةـ قـاعـدـةـ الـيـنـ بـنـ بـنـ جـعـفـرـ مـنـ حـيـرـ بـقـيـةـ الـلـوـكـ التـبـاعـةـ اـسـتـبـدـاـ بـهـ مـقـيـمـيـنـ بـالـدـعـوـةـ الـعـبـاسـيـةـ، وـلـهـمـ مـعـ صـنـاعـهـ سـحـانـ وـخـرـانـ وـجـرـشـ.

وـكـانـ أـخـوـهـ أـسـدـ بـنـ يـعـفـرـ، ثـمـ أـخـوـهـ قـدـ دـخـلـواـ فـيـ طـاعـةـ ابنـ زيـادـ، وـوـلـ بـعـدـ اـبـنـ إـبـراهـيمـ ثـمـ اـبـنـ زـيـادـ بـنـ إـبـراهـيمـ، ثـمـ أـخـوـهـ أبوـ الجـيشـ إـسـحـاقـ بـنـ إـبـراهـيمـ، وـطـالـتـ مـدـتـهـ إـلـيـ أـسـنـ وـبـلـغـ

وـقـالـ عـمـارـةـ مـلـكـ ثـمـانـيـنـ سـنـةـ بـالـيـنـ وـحـضـرـمـوتـ وـالـجـزـارـ الـبـحـرـيـةـ، وـلـماـ بـلـغـهـ قـتـلـ التـوـكـلـ وـخـلـعـ الـمـسـتعـنـ، وـاسـتـبـدـاـ الـمـوـالـيـ

وأجتمع بجماعة من قومه همدان كانوا معه، فدعاهم إلى النصرة والقيام معه فأجابوه وبايعوه، وكانتوا سنتين رجلاً من رجالات قومهم، فلما عادوا قام في مسار وهو حصن بذروة جبل حمام، وحصن ذلك الحصن، ولم يزل أمره ينمى.

وكتب إلى المستنصر صاحب مصر يسأله الإذن في إظهار الدعوة فأذن له، وأظهرها وملك اليمن كلها.

ونزل صنعاء واختط بها القصور وأسكن عنده ملوك اليمن الذين غلب عليهم، وهزم بي طرف ملوك عشرة وتهامة، وأعمل الحيلة في قتل نجاح مول بي زياد ملك زبيد، حتى تم له ذلك على يد جارية أهدتها إليه كما ذكرناه سنة اثنين وخمسين.

ثم سار إلى مكة بأمر المستنصر صاحب مصر ليحمو منها الدعوة العباسية والأماراة الحسينية.

واستخلف على صنعاء ابنه المكرم أحد، وحل معه زوجته أسماء بنت شهاب، قد سبأها سعيد بن نجاح لليلة البيات فكتبت إلى ابنها المكرم: إني حبلى من العبد الأحرول فأذركي قبل أن أضع، وإلا فهو العار الذي لا يمحوه الدهر، فسار المكرم من صنعاء سنة خمس وسبعين في ثلاثة آلاف، ولقي الحبشة في عشرين ألفاً فهزهم.

ولحق سعيد بن نجاح بمجزرة دهلك، ودخل المكرم إلى أمه وهي جالسة بالطاق الذي عنده رأس الصليحي وأخيه فائز لما ودفهما ورفع السيف، وولي خاله أسعد بن شهاب على أعمال تهامة كما كان، وأنزله بزيد منها، وارتخل بأمه إلى صنعاء وكانت تدير ملوكه.

ثم جمع أسعد بن شهاب أموال تهامة وبعث بها مع وزيره أحمد بن سالم ففرقتها أسماء على وفود العرب.

ثم هلكت أسماء سنة سبع وسبعين وأربعين، وخرجت زبيد من يد المكرم، واستردها سعيد بن نجاح سنة تسعة وسبعين وأربعين، ثم انتقل المكرم إلى ذي جبلة سنة ثمانين وأربعين، وولي على صنعاء عمران بن الفضل المداني فاستبد بها، وتوارثها عقبه، وتسمى ابنه أحد باسم السلطان وأشتهر به، وبعده ابنه حاتم بن أحد، وليس بعده بصنعاء من له ذكر حتى ملكها بنو سليمان لما غلبهم المواثق على مكة كما مر في أخبارهم.

ولما انتقل المكرم إلى ذي جبلة وهي مدينة اختطها عبد الله بن محمد الصليحي سنة ثمان وخمسين وأربعين، وكان انتقاله بإشارة زوجه سيدة بنت أحد التي صار إليها تدبر ملوكه بعد امته أسماء فتزلاها، وبين فيها دار العز، وتحيل على قتل سعيد بن نجاح

واستبد بأمرهم ودولتهم، وكان له موليان اسم أحدهما قيس، والآخر نجاح، فجعل الطفل الملك في كفالة وأنزله معه بزيدي، وولي نجاحاً على سائر الأعمال خارج زبيد ومنها الكرارة واللجم.

كان يؤثر قيساً على نجاح، ووقع بينهما تنازع، ورفع لقيس أن عمدة الطفل تميل إلى نجاح وتكلاته دونه فقبض عليها ياذن مولاه مرجان ودفعها حية، واستبد وركب بالملولة، وضرب السكة، وانتقض نجاح لذلك فزحف في العساكر ويرز قيس للقاء، فكانت بينهما حروب ووقائع، انهزم قيس في آخرها وقتل في حسنة آلاف من عسكره.

وملك نجاح زبيد سنة عشرة وأربعين ودفن قيساً ومولاه مرجاناً مكان الطفل والعمة، واستبد وضرب السكة باسمه، وكانت ديوان الخلافة ببغداد فعد له على اليمن.

ولم يزل مالكاً لتهامة قاهراً لأهل الجبال، وانتزع الجبال كلها من مولاه الحسن بن سلامه.

ولم تزل الملوك تتقى صولاته إلى أن قتله علي الصليحي القائم بدعوة العبيدين على يد جارية بعث بها إليه سنة اثنين وخمسين وأربعين، فقام بالأمر بعده بزيد مولاه كهلان.

ثم استولى الصليحي على زبيد وملوكها من يده كما يذكر.

## الخبر عن بنى الصليحي القائمين بدعوة العبيدين باليمين

كان القاضي محمد بن علي المداني ثم الصليحي رئيس حران من بلاد همدان، ويتسرب في بيـنـيـاـمـ، وـنـشـأـ لـهـ ولـدـ اـسـمـهـ علىـ، وـكـانـ صـاحـبـ الدـعـوـةـ بـوـمـذـ عـامـرـ بـنـ عـبـدـ اللهـ الزـوـاـيـيـ نـسـبةـ إلىـ زـوـاـيـةـ مـنـ قـرـىـ حـرـانـ، وـيـقـالـ إـنـ كـانـ عـنـدـهـ كـاـبـ «ـالـجـعـفـرـ»ـ مـنـ ذـخـارـ أـبـيـهـ بـزـعـمـهـ، فـزـعـمـواـ أـنـ عـلـيـ اـبـنـ القـاضـيـ مـحـمـدـ مـذـكـورـ فـقـرـأـ عـلـيـ عـاـمـلـ الدـاعـيـ، وـأـخـذـ عـنـهـ، وـلـمـ تـوـسـمـ فـيـ الـأـهـلـيـةـ أـرـاهـ مـكـانـ إـسـمـهـ فـيـ «ـالـجـفـرـ»ـ وـأـوـاصـافـ، وـقـالـ لـأـبـيـهـ القـاضـيـ: اـحـفـظـ بـاـبـنـكـ فـيـمـلـكـ جـيـعـ الـيـمـنـ.

وـنـشـأـ فـيـهـ صـالـحـاـ، وـجـعـلـ بـحـيـجـ بـالـنـاسـ عـلـىـ طـرـيقـ الطـائـفـ وـالـسـرـوـاتـ خـسـنـ ثـرـةـ سـنـةـ فـطـارـ ذـكـرـ، وـعـظـمـتـ شـهـرـتـهـ، وـالـقـىـ علىـ السـنـةـ النـاسـ أـنـ سـلـطـانـ الـيـمـنـ، وـمـاتـ الدـاعـيـ عـامـرـ الزـوـاـيـيـ، فـأـوـصـىـ لـهـ بـكـتـبـهـ، وـعـهـدـ إـلـيـهـ بـالـدـعـوـةـ.

ثـمـ حـيـجـ بـالـنـاسـ سـنـةـ ثـمـانـ وـعـشـرـينـ وـأـرـبعـانـةـ عـلـىـ عـادـتـهـ،

فتم له كما ذكر في أخبار ابن نجاح، وكان مشغولاً بذلكه محجوباً  
بزوجته.

صاحب عدن مائة ألف دينار.  
ولم يزل يبيع معاقله حصناً حصناً حتى لم يبق له غير معقل  
تعز، أخذه منه علي بن مهدي بعد أن ملك ثمانين سنة، وبلغ من  
العمر مائة سنة، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

### الخبر عن دولة بنى نجاح بزبيد موالي بنى زياد ومبادئ أمرهم وتصاريف أحواهم

ولما استولى الصليحي على زبيد من يد كهلان بعد أن  
أهلكه بالسم على يد الجارية التي بعثها إليه سنة التين وخمسين  
وأربعين سنة كما مر.

وكان لنجاح ثلاثة من الولد معارك وسعید وجیاش: فقتل  
معارك نفسه، ولحق سعید وجیاش بجزيرة دھلک وأقاما هنالک  
يتعلمان القرآن والأداب.

ثم رجع سعید إلى زبيد مغاضباً لأخيه جیاش، واحتفى بها  
في نفق احترفه تحت الأرض، ثم استقدم أخيه جیاشاً فقدم وأقاما  
هنالک في الاختفاء.

ثم إن المستنصر العبيدي الخليفة بمصر قطع دعوته بمكة  
محمد بن جعفر أميرها من الهواشم، فكتب إلى الصليحي يأمره  
بقتاله وحله على إقامة الدعوة العلوية مكة، فسار على الصليحي  
لذلك من صنعه، وظهر سعید وأخوه من الاختفاء وبلغ خبرهم  
الصليحي فبعث عسكراً نحواً من خمسة آلاف فارس، وأمرهم  
بقتلهم.

وقد كان سعید وجیاش خالفاً العسكري وساراً في اتباع  
الصليحي وهو في عساكره في بيته في اللجم وهو متوجه إلى مكة  
فانتقض عسكره وقتل. وتولى قتله جیاش بيده ستة ثلاث وسبعين  
وأربعين سنة.

ثم قتل عبد الله الصليحي أنا على في مائة وسبعين من  
بني الصليحي، وأسر زوجته أسماء بنت عمه شهاب في مائة  
وخمسة وثلاثين من ملوك القحطانيين الذين غلبوا باليمين.

وبعد ذلك ساروا لقتل سعید وجیاش فأنه�م  
واستخدمهم، ورحل إلى زبيد وعليها أسد بن شهاب آخر زوجة  
الصليحي، ففر أسد إلى صنعاء ودخل سعید إلى زبيد، وأسماء  
زوجة الصليحي أمامه في هودج، ورأس الصليحي وأخيه عند  
هودجهما، وأنزلها بدارها ونصب الرأسين قبالة طاقها في الدار،  
وامتلات القلوب منه رعباً، وتلقي نصير الدولة، وتغلب ولاة

ولما حضرته الوفاة سنة أربع وثمانين عهد إلى ابن عمه  
المتصور بن أحد المظفر بن علي الصليحي صاحب معقل أشیع،  
وأقام بعقله وسيدة بنت أحد بنى جبلة، وخطبها المتصور سباً  
وامتنعت منه فحاصرها بنى جبلة، وجاءها أشراؤها لأمها سليمان  
بن عامر وأخوها أن المستنصر زوجك منه، وأبلغها أمره بذلك،  
وتلا عليها: «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ  
أَمْرًا فَلَا يَكُونُ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ».

وأن أمير المؤمنين زوجك من الداعي المتصور أبي حير سبا  
بن أحد بن المظفر على مائة ألف دينار، وخسین الفا من أصناف  
التحف واللطائف فانعقد النکاح، وسار إليها من معقل أشیع إلى  
ذى جبلة، ودخل إليها بدار العز، ويقال: إنها شبہت بجارية من  
جواريها فقامت على رأسه ليتها كلها، وهو لا يرفع الطرف إليها  
حتى أصبح فرجع إلى معقله، وأقامت هي بنى جبلة، وكان المتولى  
عليها المفضل بن أبي البركات من بنى تام رهط الصليحي،  
واسندعى عشرته جيا، وأنزلتهم عنده بنى جبلة فكان يسطر بهم،  
وكانت سيدة تأني التفكير في الصيف، وبه ذخائرها وخرائزها، فإذا  
 جاء الشتاء رجعت إلى ذى جبلة.

ثم انفرد المفضل لقتال نجاح فرتب في حصن التفكير فقيها  
يلقب بـ الجمل، مع جماعة من الفقهاء أحدهم إبراهيم بن زيد بن  
عمر عمارة الشاعر، فباعوا الجمل على أن يمحو الدعوة الإمامية  
فرجع المفضل من طريقه وحاصرهم، وجاءت خولان لنصرتهم،  
وضايقهم المفضل وهلك في حصارهم سنة أربع وخمسين،  
فجاءت بعده الحرة سيدة وأنزلتهم على عهد فنزروا، ووفت لهم به  
وكلت عقب المفضل رولده، وصار معقل التفكير في يد عمران  
بن الذر المخواراني وأخيه سليمان، واستولى عمران على الحرة سيدة  
مكان المفضل.

ولما ماتت استبد عمران وأخوه بمحصن التفكير، واستولى  
المتصور بن المفضل بن أبي البركات على ذى جبلة حتى باعه من  
الداعي الظريعي صاحب عدن كما يأتى، واعتضم بمعقل أشیع  
الذي كان للداعي المتصور سباً بن أحد، وذلك أن المتصور توفى  
سنة ست وثمانين وأربعين، واختلف أولاده من بعده، وغلب  
ابنه علي منهم على المعقل، وكان ينزع المفضل بن أبي البركات  
والحررة سيدة، وأعيادها أمره، فتحيل المفضل باسم أودعه سفرجلأ  
أهداه إلى فمات منه، واستولى بنو أبي البركات على بنى المظفر في  
أشیع وحصونه، ثم باع حصن ذى جبلة من الداعي الظريعي

وبعد منصور إلى الفضل بن أبي البركات صاحب التucker فجاء  
لنصره مضمراً للغدر به.

ثم بلغه انتفاض أهل التucker عليه فرجع، ولم يزل منصور  
في ملكه يزيد إلى أن ور له أبو منصور عيد الله قتله مسموماً  
سنة سبع عشرة وخمسة.

ونصب فاتكابه طفلأ صغيراً واستبد عليه، وقام بضبط  
الملك وهان عليه التعرض لآل نجاح حتى هربت منه أم فاتك هذا،  
وسكنت خارج المدينة، وكان قرماً شجاعاً، ولو وقائع مع الأعداء.  
وحاربه ابن نحيب داعي العلوية فامتنع عليه، وهو الذي  
شيد المدارس للفقهاء بزياد واعتنى بالجاج.

ثم راود مفارك بنت جياش، ولم تجد بداً من إسعافه فامكته  
حتى إذا قضى وطه مسحت ذكره بعنديل مسموم فشر لحمه.  
وذلك سنة أربع وعشرين وخمسة.

وقام بأمر فاتك بعده زريق من موالى نجاح قال عمارة:  
كان شجاعاً فاتك قرماً، وكان من موالي أم فاتك المختفين بها.  
قال عمارة: وفي سنة إحدى وثلاثين وخمسة توفي فاتك  
بن المنصور، وولي بعده ابن عمه وسميه فاتك بن محمد بن فاتك،  
وسرور قائم بوزارته وتدير دولته ومحاربة أعدائه.

وكان يلازم المسجد إلى أن دس عليه علي بن مهدي  
الخارجي من قتلته في المسجد وهو يصلى العصر يوم الجمعة ثانية  
عشر صفر سنة إحدى وخمسين وخمسة وثلاثين بالسلطان  
قتل جماعة من أهل المسجد، ثم قتل واضطرب موالى نجاح  
بالدولة وشار عليهم ابن مهدي الخارجي وحاربهم مراراً،  
وحاصرهم طويلاً واستعنوا بالشريف المنصور أحد بن حزة  
السليماني، كان يملك صعدة فاغاثهم على أن يملكونه ويقتلوا  
سيدهم فاتك بن محمد، فقتلوه سنة ثلاثة وخمسين، وملكونا عليهم  
الشريف أحد، فعجز عن مقاومة ابن مهدي، وفر تحت الليل،  
وملكتها علي بن مهدي سنة أربع وخمسين وخمسة وثلاثين أمر  
آل نجاح والملك الله.

### الخبر عن دولة بنى الزريع بعدن من دعوة العبيدين باليمن وأولية أمرهم ومصائرهم

وعدن هذه من أمنع مداين اليمن، وهي على ضفة البحر  
المهني.

وما زالت بلد تجارة من عهد التابعة، وأكثر بنائهما

المصون على ما بايديهم.

ودس المكرم بن الصليحي بن سعيد بن نجاح بصنعاء على  
لسان بعض أهل الشور، وضمن له الظفر، فجاء سعيد لذلك في  
عشرين ألفاً من الجبنة.

وسار إليه المكرم من صنعاء وهزمه وحال بينه وبين زيد  
فهرب إلى جزيرة دهلك، ودخل المكرم زيد وجاء إلى أمه وهي  
جالسة بالطاقي وعندها رأس الصليحي وأخيه فائزهما ودفنهما.  
وولى على زيد خاله أسعد سنة سبع وتسعين وأربعين.

وكب المكرم إلى عبد الله بن يعفر صاحب حصن الشعر  
بأن يغري سعيداً بالكرم، وانتزاع ذي جبلة من يده لاشتغاله  
بلذاته، واستلاء زوجه سيدة بنت أسد عليه.

وأنه بلغ فتحت الجبلة فسار سعيد في ثلاثين ألفاً من الجبنة  
وأكل من له المكرم نحت حصن الشعر فثاروا به هناك، وانهزمت  
عساكره وقتل ونصب رأسه عند الطاق الذي كان فيها رأس  
الصلحي بزياد، واستولى عليها المكرم وانقطع منها ملك الجبنة،  
وهرب جياش ومعه وزير أخيه خلف بن أبي الظاهر المرواني،  
ودخلها عدن متذكرين.

ثم حلقا بالمند وأقاما بها ستة أشهر، ولقيا هناك كاهناً جاء  
من سمرقند فبشرهما بما يكون لهما فرجعا إلى اليمن، وتقدم خلف  
الوزير إلى زيد، وأشاع موت جياش واستأنف لنفسه، وحلق جياش  
فأقاما هناك مخففين، وعلى زيد يومئذ أسعد بن شهاب حال  
المكرم ومعه علي بن القم وزير المكرم، وكان حنقاً على المكرم  
ودولته، فداخله الوزير خلف ولاعب ابنه الحسين الشطريج، ثم  
انتقل إلى ملاعة أبيه فاغبط به، وأطلعه على رايته في الدولة،  
وكان يتشيع لآل نجاح.

وانتهى بعض الأيام وهو يلاعب، فسمعه علي بن القم  
واستكشف أمره، فكشف له القناع واستحلقه، وجياش أثناء ذلك  
يجمع أشياعه من الجبنة، وينفق فيهم الأموال حتى اجتمع له  
خمسة آلاف، فثار بهم في زيد سنة اثنين وثمانين وأربعين ونزل  
دار الإمارة ومنْ على أسعد بن شهاب وأطلقه لزمانه كانت به.

ويقى ملكاً على زيد يخطب للعباسين والصلحاجون  
بغطبون للعبيدين، والمكرم يبعث العرب للغارة على زيد كل حين  
إلى أن هلك جياش على رأس المائة الخامسة، وكانت كنيته ابن  
القططي، وكان موصوفاً بالعدل.

ولي بعده ابنه الفاتك صبياً لم يختلم، ودبروا ملكه.

وجاء عمه إبراهيم لقتاله، ويرزوا له فثار عبد الواحد بالبلد،

وولي ابنه عمران بن محمد بن سبا.

وكان ياسر بن بلال يدبر دولته، وتوفي سنة ستين وخمسة، وترك ولدين صغيرين، وهما محمد وأبو السعود فجسهما ياسر بن بلال في القصر، واستبد بالأمر وكان ياسر محمد كثير العطية للشعراء ومن وفده عليه ومدحه ابن قلاقس شاعر الإسكندرية ومن قصائده في مدحه:

سافر إذا حاولت قدرا سار الملايين فصار بسراً

وهو آخر ملوك الزريعين. ولما دخل سيف الدولة آخره صلاح الدين إلى اليمن سنة ست وستين وستمائة، واستولى عليها جاء إلى عدن فملكها وقبض على ياسر بن بلال، وانتقطعت دولته بني زريع.

وصار اليمن للمعز، وفيه ولاتهم بنو أبوب كما ذكر في

أخبارهم:

وكانت مدينة الجديدة قرب عدن اختطفها ملوك الزريعين، فلما جاءت دولته بني أبوب تركوها ونزلوا تعز من الجبال كما يأتي ذكره.

### أخبار ابن مهدي الخارجي وبنيه وذكر دولتهم باليمن و بدايتها و انقراضها

هذا الرجل من أهل العثر من سواحل زبيد، وهو علي بن مهدي الحميري.

كان أبوه مهدي معروفاً بالصلاح والدين، ونشأ ابنه على طريقته فاعتزل ونسك، ثم حج ولقي علماء العراق وأخذ الوعظ من عاظهم، وعاد إلى اليمن واعتزل ولزم الوعظ.

وكان حافظاً فصيحاً، ويخبر بمحادث أحواله فيصدق، فمال إليه الناس واغبطوا به، وصار يتردد للحج سنة إحدى وستين، ويعظ الناس في البرادي.

فإذا حضر الموسم ركب على نجيب له ووعظ الناس لما استولت أم فاتك على بني جياش أيام ابنها فاتك بن منصور، أحسنت فيه المعتقد وأطلقت له ولقواته وأصحابه خرجهم فحسن أحوالهم، وأثروا وركبوا الميل.

وكان يقول في وعظه: دنا الوقت! يشير إلى وقت ظهوره.

وأشهر ذلك عنه، وكانت أم فاتك تصل أهل الدولة عنه، فلما ماتت سنة خمس وأربعين جاءه أهل الجبال وحالفوه على

بالأشخاص، ولذلك يطرقوها تجاه الحميري كثيراً، وكانت صدر الإسلام دار ملك لبني معن يتسبون إلى معن بن زائدة، ملوكها من أيام المؤمن، وأمتهنوا على بني زياد، وقتلوا منهم بالخطبة والسلكة.

ولما استولى الداعي علي بن محمد الصليحي رعى لهم ذمام العروبية، وقرر عليهم ضريبة يعطونها ثم أخرجهم منها ابنه أحد المكرم.

وولى عليها بني المكرم من عشيرة جسم بن يام من همدان، وكانت أقرب عشائره إليه، فأقام في ولائهم زمناً.

ثم حدثت بينهم الفتنة وانقسموا إلى فترين بني مسعود بن المكرم وبني الزريع بن العباس بن المكرم. وغلب بنو الزريع بعد حروب عظيمة.

قال ابن سعيد: وأول مذكور منهم الداعي بن أبي السعد بن الزريع، أول من اجتمع له الملك بعد بني الصليحي، وورثه عنه بنوه، وحاربه ابن عميه علي بن أبي الغارات بن مسعود بن المكرم صاحب الزعزع، فاستولى على عدن من يده بعد مقاساة ونفقات في الأعراب.

ومات بعد فتحها بسبعة أشهر سنة ثلاث وثلاثين وخمسة.

وولي ابنه الأغر وكان مقيماً بمحسن الدملة المعقل الذي لا يرام.

وامتنع عليه بعده ابن بلال بن الزريع من مواليه، وخشي محمد بن سبا على نفسه ففر إلى منصور بن المفضل من ملوك الجبال الصليحيين بذري جبلة.

ثم مات الأغر قريباً فبعث بلال بن محمد بن سبا فوصل إلى عدن، وكان التقليد جاء من مصر باسم الأغر، فكتب مكانه محمد بن سبا وكان نعمته الداعي المعظم الشوج المكنى بسيف أمير المؤمنين فوافت كلامها عليهما.

وزوجه بلال بنته ومحنة من الأموال التي كانت في خزائنه. ثم مات بلال عن مال عظيم، وورثه محمد بن سبا وأنفقه في سبيل الكرم والمرؤات.

وأشتري حصن ذي جبلة من منصور بن المفضل بن أبي البركات كما ذكرناه.

واستولى عليه وهو دار ملك الصليحيين، وتزوج سيدة بنت عبد الله الصليحي، وتوفي سنة ثمان وأربعين.

الذين ستة ست وستين وخمسماة، واستولى على الدولة التي كانت باليمن، فقبض على عبد النبي وامتحنه وأخذ منه أموالاً عظيمة، وحمله إلى عدن فاستولى عليها ثم نزل زيد وأخذها كرسياً للملك.

ثم استوْخَنَا وسار في الجبال ومعه الأطباء يتخير مكاناً صحيحاً للهواة ليتخدُّ فيه سكناً، فوق اختيارهم على مكان تعرّز، فاختطف به المدينة وزرعاً، وقيمت كرسياً للملك وبنته ومواليهم بني رسول كما ذكر في أخبارهم.

وبانقراض دولة بني الهادي انقرض ملك العرب من اليمن وصار لغزًّا ومواليهم.

## قواعد اليمن

ولنذكر الآن طرفاً من الكلام على قواعد اليمن ومدنه واحدة واحدة كما أشار إليه ابن سعيد:

(اليمن): من جزيرة العرب يشتمل على كراسى سبعة للملك تهامة والجبال، وفي تهامة مملكتان: مملكة زيد ومملكة عدن. ولمعنى تهامة: ما امْحَضَ من بلاد اليمن مع ساحل البحر من البرين من جهة الحجاز إلى آخر أعمال عدن دورة البحر الهندي.

قال ابن سعيد: وجزيرة العرب في الإقليم الأول ومحيط بها البحر الهندي من جنوبها، وبحر السويس من غربها، وبحر فارس من شرقها.

وكانت اليمن قد ظهرت للتبايعة وهي أنصب من الحجاز، وأكثر أهلها القحطانية، وفيها من عرب وائل وملوكها لهذا العهد لبني رسول موالى بني أيوب، ودار ملكهم تعرّز، بعد أن نزلوا الحسرة أولًا، وصعدة من اليمن ثانية الزيدية، وبزيد وهي مملكة اليمن شمامها الحجاز وجنوبها البحر الهندي وغربها بحر السويس، اختطفها محمد بن زياد أيام الملائكة ستة أربع ومائتين، وهي مدينة مسورة تدخلها عن جارية، تحملها الملوك، وعلوها غيطان يسكنونها أيام الغلة، وهي الآن من ممالك بني رسول، وبها كان ملك بني زياد ومواليهم، ثم غلب عليهما بنو الصليحي وقد مر خبرهم.

(عثر وحلى والسرجة): من أعمال زيد في شمامها، وتعرف بأعمال ابن طرف، مسيرة سبعة أيام في يومين من السرجحة إلى حلّي، وملكة ثمانية أيام.

وعثر هي منبر الملك وهي على البحر، وكان سليمان بن طرف متعناً بها على أبي الجيش بن زياد.

النصرة.

وخرج من تهامة ستة ثمان وثلاثين وقصد الكودا فانهز وعاد إلى الجبال، وأقام إلى سنة إحدى وأربعين.

ثم أعادته المرة أم فاتك إلى وطنه، وماتت سنة خمس وأربعين فخرج إلى هوازن، ونزل ببطن منهم يقال له حيوان في حصن يسمى الشرف، وهو حصن صعب ليس يرتفع على مسيرة يوم من سفح الجبل، في طريقه أو عار في واد ضيق عقبة كثود.

وأصحابه سماهم الأنصار، وسمى كل من صعد معه من تهامة المهاجرين.

وأمر للأنصار رجلاً اسمه سبا وللمهاجرين آخر اسمه شيخ الإسلام، وإسمه التربة واحتتجب عنهم سراهم.

وجعل يشن الغارات على أرض تهامة، وأعانه على ذلك خراب النواحي بزيyd فأخراب سابلتها ونواحيها، وانتهى إلى حصن الدائر على نصف مرحلة من زيد، وأعمل الجبل في قتل مسروor مدبر الدولة قتيل كما مر، وأقام يخف زيد بالزحوف.

قال عمارة: زاحفها سبعين زحفاً، وحاصرها طويلاً، واستمدوا الشريف أحمد بن حمزة السليماني صاحب صدة فالمدهم وشرط عليهم قتل سيدهم فاتك قتلواه سنة ثلاث وخمسين. وملك عليهم الشريف ثم عجز وهرب عنهم.

واستولى علي بن مهدي عليهما في رجب سنة أربع وخمسين، وماتت ثلاثة أشهر من ولادته وكان يخطب له بالإمام الهادي أمير المؤمنين، وقامع الكفرة والملحدين، وكان على رأي الخوارج يتبرأ من علي وعثمان ويكتب بالنذور، وله قواعد وقراميس في مذهب بطول ذكرها وكان يقتل على شرب الخمر.

قال عمارة: كان يقتل من خالقه من أهل القبلة، وبيح نسائهم وأولادهم، وكانت يعتقدون فيه العصمة، وكانت أمواهems تحت يده ينفعها عليهم في مؤئمه ولا يملكون معه مالاً ولا فرساً ولا سلاحاً.

وكان يقتل المنهز من أصحابه ويقتل الزاني وشارب الخمر وسامع الغناء، ويقتل من تأخر عن صلاة الجمعة ومن تأخر عن وعظه يوم الاثنين والخميس وكان حنفياً في الفروع.

ولما توفي تولى بعده ابنه عبد النبي، وخرج من زيد واستول على اليمن أجمع، وبه يرمي خمس وعشرون دولة فاستولى على جميعها ولم يبق له سوى عدن ففرض عليها الجزية.

ولما دخل شمس الدولة تورشاه بن أيوب أخوه صلاح

(الجوة): اختطها ملوك الزريعين قرب عدن، ونزلها بنو أيوب ثم انتقلوا إلى تعز.

(حصن ذي جبلة): من حصون مخلاف جعفر اختطه عبد الله الصليحي آخر الداعي سنة ثمان وخمسين وأربعين، وانتقل إليه ابنه المكرم من حصن صنعاء، وزوجه سيدة بنت أحد المستبدة عليه، وهي التي تحكمت سنة ثمانين.

ومات المكرم وقد فرض الأمر في الملك والدعوة إلى سبا بن أحمد بن المظفر الصليحي، وكان في مقلع أشبع، وكانت تستظره بقبيل جنب، وكانتا خاملين في الجاهلية ظهروا بمخلاف جعفر. ثم وصل من مصر ابن نجيب الدولة داعياً ونزل مدينة جند، واعتصد بهمدان فحاربه السيدة بمنبج وخولان إلى أن ركب البحر وغرق.

وكان يتولى أمرها الفضل بن أبي البركات بعد زوجهما المكرم، واستولى عليها.

(التعكر): من مخلاف جعفر، كان لبني الصليحي، ثم لسيدة من بعدهم ثم طلبه منها الفضل بن أبي البركات فسلمته إليه، وأقام فيه إلى أن سار إلى زيد وحاصر فيها بني نحاج، وطال غيبته فثار بالتعكر جماعة من الفقهاء وتقلوا نائبه وبايعوا لإبراهيم بن زيدان منهم، وهو عم عمارة الشاعر.

واستظروا بخولان فرجع الفضل وحاصرهم كما ذكرنا ذلك من قبل.

(حصن خدد): كان لعبد الله بن يعلى الصليحي وهو من مخلاف جعفر، وكان الفضل قد أدخل من خولان في حصون المخلاف عدداً كثيراً في بني بحر وبني منه ورواح وشعب.

فلما مات الفضل وفي كفالته سيدة كما مر، وتب مسلم بن النمر من خولان في حصن خدد وملكه من يد عبد الله بن يعلى الصليحي، ولحق عبد الله بمحصن مصود ورشحته سيدة لمكان الفضل، واستخلصته الدولة من مدينة الجندي ومن اليمن بأمرها.

(حصن مصود): من حصون مخلاف جعفر وهي خمسة: ذو جبلة والتعكر وحصن خدد.

ولما غلت خولان على حصن خدد من يد عبد الله الصليحي، ولحق بمحصن مصود واستول عليه منهم زكريا بن شكيبر البحري، وكان بنو الكردي من حمير ملوكاً قبل بني الصليحي باليمن، وانتزع بنو الصليحي ملوكهم، وكان لهم مخلاف بمحصنة ومخلاف مغافر ومخلاف الجندي، وحصن سمندان.

وكان مبلغ ارتفاعه خمسةألف دينار، ثم دخل في طاعته وخطب له وحمل المال.

ثم صارت هذه المملكة للسلطانيين من بني الحسن من إمراء مكة حين طردتهم المهاشيم عن مكة، وكان غالباً بن يحيى منهم يؤذن الأئمة لصاحب زيد وبه استعان محمد مفلح الفاتكي من سور، ثم هلك بعدها، ثم عيسى بن حزة من بنية.

ولما ملك الغز اليماني، أخذ يحيى أنور عيسى أسيراً وسقى إلى العراق فحاول عليه عيسى فتخلاصه من الأسر، ورجع إلى اليمن فقتل أخيه عيسى وولي مكانه المهرج من أعمال زيد على ثلاثة مراحل عليها، وعربيها من العصيرة من حكم وجعفر قيلبين منهم، ويجلب منها الرغبيل.

(السرير): آخر أعمال تهامة من اليماني وهي على البحر دون سور، وبيوتها أشخاص وملوكها راجع بن قنادة سلطان مكة أعوام الخمسين وستمائة، وله قلعة على نصف مرحلة منها.

(الزرابي): من الأعمال الشمالية من زيد، وكانت لابن طرف واجتمع له فيها عشرون ألفاً من الجبشتين معه جميعاً. وقال ابن سعيد: في أعمال زيد والأعمال التي في الطريق الوسطى بين البحر والجبال.

وهي في خط زيد في شمالها، وهي الجادة إلى مكة. قال عمارة: هي الجادة السلطانية منها إلى البحر يوم أو دونه، وكذلك إلى الجبال، ويجتمع الطريقان الوسطى والساحلية في السرير ويفترقان.

(عدن): من ممالك اليمن في جوف زيد وهي كرسبي عملها، وهي على ضفة البحر الهندي.

وكانت بلد تجارة منذ أيام التباعية، وبعدها عن خط الاستواء ثلث عشرة درجة، ولا تبت زرعاً ولا شجراً ومعاشرهم السمك، وهي ركاب الهند من اليمن وأول ملوكها لبني معن بن زائد، استقاموا لبني زياد وأعطوه الأمانة، ولما ملك الصليحيون أقرهم الداعي، ثم أخرجهم ابنه أحد المكرم وولاه بني المكرم من جشم بن يام رهطه بهمدان، وصفى الملك فيها لبني الزريع منهم، وقع منهم بالأئمة حتى ملوكها من أيديهم شمس الدولة بن أيوب كما تقدم.

(عدن أبين): من بيات المدن وهي إلى جهة الشحر. (الزعزعاع): باودية ابن أيوب عدن، وكانت لبني مسعود بن المكرم المقارعين لبني الزريع.

- ثم استقرت لنصور بن المفضل بن أبي البركات وباعها من وأسعد بن يعفر. بني الزريع كما مر.
- (صنعاء): قاعدة التابعة قبل الإسلام، وأول مدينة احتطت باليمين، وبيتها فيما يقال عاد، وكانت تسمى أولى من الأولية بلغتهم.
- (تعمر): من أجل معاقل الجبال المطلة على تهامة، مازال حصنًا للملوك، وهو اليوم كرسي لبني رسول ومعدود في الأنصار، وكان به من ملوك اليمين منصور بن المفضل بن أبي البركات، وبنو المظفر، وورثها عنه ابنه منصور، ثم باعها حصنًا من الداعي بن المظفر والداعي الزريعي، إلى أن بقي بيده حصن تعمر فأخذته منه ابن مهدي.
- (معقل أشيج): من أعظم حصون الجبال وفيه خزائن بني المظفر من الصليحيين صارت له بعد المكرم ابن عمه صاحب ذي جبلة، وقلده المستنصر الدعوة وتوفي سنة ست وثمانين وأربعين. وغلب ابنه علي على معقل الملك أشيج، وأعيا المفضل أمره إلى أن تخيل عليه وقتله بالسم، وصارت حصنون بني المظفر إلى بني أبي البركات.
- ثم مات المفضل وخلف ابنه منصورة، واستقل بملك أبيه بعد حين وباع جميع الحصون تباع ذا جبلة من الداعي الزريعي صاحب عدن بمائة ألف دينار، وحصن صبر بعد أن كان حلف بالطلاق من زوجته أنه يستتبقيه، وطلق زوجته الحرة وتزوجها الزريعي، وطال عمره.
- ملك ابن عشرين ويقي في الملك ثمانين، وأخذ منه معقل علي بن مهدي.
- (صعدة): ملكتها تلو مملكة صنعاء، وهي في شرقها، وفي هذه المملكة ثلاثة قواعد: صعدة وجبل تطابة وحصن تلا وحصن أخرى، وتعرف كلها ببني الرسي، وقد تقدم ذكر خبره. وأما حصن تلا فمعنى كان ظهور الموطن الذي أعاد إمامية الزيدية لبني الرسي، بعد أن استولى عليها بنو سليمان، فأواى إلى جبل قطابة، ثم بايعوا لأحمد الموطن سنة حسن وأربعين وستمائة، وكان فقيها عابداً وحاصره نور الدين بن رسول في هذا الحصن سنة جر عليه عسكراً للتحصار.
- ثم مات ابن رسول سنة ثمان وأربعين واشتغل ابنه المظفر بمصارح حصن الدمرة، فتمكن الموطن، وملك حصنون اليمين، وزحف إلى صعدة وبايعه السليمانيون وإمامهم أحد التوكيل كما مر في أخبار بني الرسي، وأما قطابة فهو جبل شاهق مشرف على صعدة إلى أن كان ما ذكرناه.
- (قلعة كحلان): من أعمال صنعاء لبني يعفر من التابعة بناها قرب صنعاء إبراهيم وكانت له صعدة وغزان.
- واعتصم بنو يعفر بقلعة كحلان، وقال اليهقي: سيد قلعة كحلان أسعد بن يعفر، وحارب بني الرسي وبي زيد أيام أبي الجيش.
- (حصن الصمدان): من أعمال صنعاء كانت فيه خزائن بني الكريدي الحميريين إلى أن ملكه علي الصليحي ورد عليهم المكرم بعض حصنونهم إلى أن انفرض أمرهم على يد علي بن مهدي.
- وكان لهم مخلاف جعفر الذي منه مدينة ذي جبلة، ومعقل التفك وهو مخلاف الجندي، ومخلاف معافر مقر ملكهم السمدان وهو أحسن من الدملة.
- (قلعة منهاج): من قلاع صنعاء بالجبال ملكها بنو زريع واستبدل بها منهم الفضل بن علي بن راضي بن الداعي محمد بن سبا بن زريع، نعمه صاحب الجزيرة بالسلطان، وقال: كانت له قلعة منهاج وكان حياً سنة ست وثمانين وخمسة، وصارت بعده لأخيه الأغر أبي علي.
- (جبل الدبيجة): وهو بقرب صنعاء وقد احتط جعفر مولى بي زيد سلطان اليمين مخلاف جعفر فنسب إليه.
- (عدن لاءة): بجانب الدبيجة، أول موضع ظهرت فيه دعوة الشيعة باليمين، ومنها محمد بن المفضل الداعي، ووصل إليها أبو عبد الله الشيعي صاحب الدعوة بالغرب، وفيها قرأ على علي بن محمد الصليحي صبياً وهي دار دعوة اليمن.
- كان محمد بن المفضل داعياً على عهد أبي الجيش بن زيد

(بلاد بني نهد): في أجوف السروات وتبالة والسروات بين تهامة والجبال ونجد من اليمن والخجاز كسوة الفرس.

وبنونه نهد من قصاعة سكناها اليمن جوار خضم وهم كالوحش، والعامة تسميه السرو، وأكثراهم أخلاط من جبلة وخضم.

ومن بلادهم تبالة يسكنها قوم من نهر وايل وطم بها صولة، وهي التي ولبها الحجاج واستحررها فتركتها.

(البلاد المضافة إلى اليمن): أوطا النمامه.

قال البيهقي: هو بلد متقطع بعمله والتحقيق أنه من الخجاز كما هي نهران من اليمن.

وكذا قال ابن حوقل وهي دونها في المملكة، وأرضها تسمى العروض لاعتراضها بين الخجاز والبحرين.

وفي شرقها البحرين وغريها أطراف اليمن والخجاز، وجنوبها نهران، وشمالها نجد من الخجاز، وفي أطرافها عشرون مرحلة، وهي على أربعة أميال من مكة. وقاعدتها حجر بالفتح: ويلد اليمامة كانت مقراً ملوك بني حنيفة. ثم اخذن بنو حنيفة حجراً وبنوهما يوم وليلة، وبظواهرها أحباء من بني يربوع من غيم، وأحياء من بني عجل.

قال البكري: واسمها جو، سميت باسم زرقاء اليمامة، سماها بذلك تبع الآخر، وهي في الإقليم الثاني مع مكة، وبعدها عن خط الاستواء واحد، منازلها توسيع وقرقا.

وقال الطبرى: إن رمل عالج من اليمامة والشحر وهي من أرض وبار.

وكانت اليمامة والطائف لبني مزان بن يعفر والسكشك، وغلبتهم عليها طسم وجديس.

ثم غلبتهم بني مزان آخرًا وملوكها اليمامة وطسم وجديس في تبعهم، وأخر ملوك بني طسم عمليق.

ثم غلبت جديس ومنهم باليمامة التي سميت مدينة جو بها، وأخبارها معروفة.

ثم استولى على اليمامة بعد طسم وجديس بني حنيفة، وكان منهم هودة بن علي ملك اليمامة وتتوح.

ويقال: إنما كانت حرّيات هودة بن علي ملك اليمامة، على عهد النبي، وأسر وأسلم وثبت عند الردة.

وكان منهم مسيلة وأخباره معروفة، قال ابن سعيد:

(حران ومسار): أما حران فهو إقليم من بلاد همدان، وحران بطن من بطونهم، كان منهم الصليحي، وحسن مسار هو الذي ظهر فيه الصليحي وهو من إقليم حران.

قال البيهقي: بلادهم شرقية بجبال اليمن وتقربوا إلى الإسلام ولم يبق لهم قبيلة وفرقة إلا في اليمن، وهو أعظم قبائل اليمن وبهم قام الموطى، وملوكها جملة من حصون الجبال، وهم بها إقليم بكيل وإقليم حاشد، وهما أبناء جشم بن حيوان وأنسق بن همدان قال ابن حزم: ومن بكيل وحاشد افترقت قبائل همدان انتهى.

ومن همدان بنو الزريع أصحاب السلطنة والدعوة في عدن والجورة، ومنهم بنو يام من قبائل همدان انتهى.

ومن همدان بنو الزريع سبعة وهم الآن في نهاية من التشيع بلادهم وأكثرهم زيدية.

(بلاد خولان): قال البيهقي: هي شرقية من جبال اليمن، ومتعلقة ببلاد همدان، وهي حصون خدد والتغرك وغيرهما وهم أعظم قبائل اليمن مع همدان وهم بطون كثيرة.

وافتقو على بلاد الإسلام ولم يبق منهم ويربة إلا باليمن.

(خلاف بني أصح): هو بسوادي سحول ذو أصح الذي ينسبون إليه قد تقدم ذكره في أنساب حمير من التابعة والأتيال، وخلاف يخصب مجاور له وهو أخو أصح.

(خلاف بني وايل): مدينة هذا الخلاف شاحط وصاحبها أسعد بن وايل وبنوا وايل بطن من ذي الكلاع.

وذو الكلاع من سبا تغلبوا على هذه البلاد عند مهلك الحسن بن سلامة، حتى عادوا إلى الطاعة واحتضن مدينة الكدد على خلاف سهام، ومدينة المعلم على وادي دوال، ومات ستة اثنين وأربعين سنة.

(بلاد كندة): وهي من جبال اليمن مما يلي حضرموت، وجبال الرمل وكان لهم بها ملوك وقادتهم دمرون ذكرها أمرؤ القيس في شعره.

(بلاد مذحج): موالي جهات الجندي من الجبال ويتزها من مذحج عنس وزيد ومراد.

ومن عنس بافاريقية فرقه ويربة مع ظواعن أهلها، ومن زيد بالخجاز بنو حرب بين مكة والمدينة.

وبنو زيد الذين بالشام والجزيرة فهم من طبيع وليسوا من هؤلاء.

وملك بعده ابنه أطاب ثم مالك بن الحاف، وانتقل إلى عمان وبها كان سلطنه.

قال البيهقي: وملك مهرة بن حيدان بن الحاف بلاد قضاة وحارب عمه مالك بن الحاف صاحب عمان حتى غلبهم عليهما وليس لهم اليوم في غير بلادهم ذكر.

وببلاد الشحر مدينة مریاط وضفان على وزن نزال وضفان دار ملك التابعة، ومریاط بساحل الشحر، وقد خربت هاتان المدينتان.

وكان أحد بن محمد بن محمود الحميري، ولقبه الناخودة، وكان تاجراً كثير المال يعبر إلى صاحب مریاط بالتجارة، ثم استرزره ثم هلك فملك أحد الناخودة، ثم خربها وخرب ضفان سنة تسع عشرة وستمائة، وبنى على ساحل مدينة ضفان بضم الصاد المعجمة وسمها الأحمدية باسمه، وخرب القديمة لأنها لم يكن لها مرسى.

(خגרان): قال صاحب الكمامه: هي صقع منفرد عن اليمن، وقال غيره: هي من اليمن. قال البيهقي: سافتها عشرون مرحلة وهي شرقي صنعاء وشماليها وتولى الحجاز وفيها مدیتان: خجران وجرش، متقاربتان في القدر والعادية غالبة عليها، وسكانها كالأعراب، وبها كعبة خجران بنيت على هيبة عمدان كعبة اليمن، وكانت طائفة من العرب تجح إليها وتتهـر عندها، وتسمى التبر. وبها قس بن ساعدة، كان يتبعـد فيها. وزرها من القحطانية طائفة من جرهم ثم غلبـهم عليها حـير. وصاروا ولاة للتابعة.

وكان كل ملك منهم يسمى الأفعى. وكان منهم أفعى خجران واسمـه القـلـمـسـ بن عمـروـ بن هـمـدانـ بن مـالـكـ بن شـهـابـ بن زـيدـ بن وـائلـ بن حـيرـ، وـكانـ كـاهـنـاـ، وـهوـ الـذـيـ حـكـمـ بـينـ أـلـاـدـ نـزـارـ لـأـثـرـ حـسـبـيـ هوـ مـذـكـورـ.

وكان والياً على خجران لبنيـسـ، فبعثـهـ إلى سـليمـانـ عليهـ السلامـ، وـآمـنـ وـيثـ دـينـ اليـهـودـيـةـ فـيـ قـوـمـ وـطـالـ عمرـهـ.

ويقال: إن البحرين والمسلـلـ كانتـاـ لهـ قـالـ البيـهـقـيـ: ثـمـ نـزـلـ خـجـرـانـ بـنـوـ مـذـحـجـ، وـاسـتـولـواـ عـلـيـهـاـ وـمـنـهـ الـحـارـثـ بـنـ كـعبـ.

وقـالـ غـيرـهـ: لـاـ خـربـتـ الـيـمـانـيـةـ فـيـ سـيـلـ العـرـمـ مـرـواـ بـنـ خـجـرـانـ فـحـارـيـهـمـ مـذـحـجـ وـمـنـهـ اـنـتـرـقـواـ.

قال ابن حزم: وزـلـ فـيـ جـوارـ مـذـحـجـ بـالـصـلـحـ الـحـارـثـ بـنـ كـعبـ بـنـ عـبدـ اللهـ بـنـ مـالـكـ بـنـ نـصـرـ بـنـ الـأـزـدـ، ثـمـ غـلـبـواـ عـلـيـهـاـ.

وسائل عـربـ الـبـحـرـينـ وـبعـضـ مـذـحـجـ لـمـ الـيـمـانـيـةـ الـيـوـمـ؟ فـقـالـواـ: لـعـربـ مـنـ قـيـسـ عـيـلانـ، وـلـيـسـ لـبـيـ حـنـيفـ بـهـ ذـكـرـ.

(بلاد حضرموت): قال ابن حوقل: هي في شرقـيـ عـدـنـ بـالـبـحـرـ وـمـدـيـتـهـ صـغـيرـةـ، وـلـأـعـمـالـ عـرـيـضـةـ، وـبـيـنـهـاـ وـبـيـنـ عـمـانـ مـنـ الجـهةـ الـأـخـرـىـ رـمـالـ كـثـيرـ تـعـرـفـ بـالـأـحـقـافـ، وـكـانـ موـاطـنـ لـعـادـ.

وـبـيـهـاـ قـرـبـ هـوـدـ عـلـيـهـ السـلـامـ، وـفـيـ وـسـطـهـاـ جـبـلـ بـشـامـ، وـهـيـ فـيـ الإـقـلـيمـ الـأـلـوـلـ، وـبـعـدـهـ عـنـ خـطـ الـاـسـتـوـاءـ اـشـتـأـ عـشـرـةـ درـجـةـ، وـهـيـ مـعـدـوـدـةـ مـنـ الـيـمـنـ، بـلـ خـلـ وـشـجـرـ وـمـزـارـعـ، وـأـكـثـرـ أـهـلـهـ يـعـكـمـونـ بـأـحـكـامـ عـلـيـ وـفـاطـمـةـ، وـيـغـضـونـ عـلـيـهـ اللـتـحـكـيمـ.

وـأـكـبـرـ مـدـيـنـةـ بـهـاـ الـآنـ قـلـعـةـ بـشـامـ فـهـاـ خـيلـ الـمـلـكـ، وـكـانـ لـعـادـ مـعـ الشـحـرـ وـعـمـانـ، وـغـلـبـهـمـ عـلـيـهـاـ بـنـوـ يـعـربـ بـنـ قـطـحـانـ وـيـقـالـ: إـنـ الـذـيـ دـلـ عـادـاـ عـلـيـ جـزـيـرـةـ الـعـرـبـ هـوـ رـقـيمـ بـنـ إـرـمـ، كـانـ سـبـقـ إـلـيـهـاـ مـعـ بـنـيـ هـوـدـ فـرـجـعـ إـلـيـ عـادـ وـدـلـهـمـ عـلـيـهـاـ، وـعـلـىـ دـحـوـهـاـ بـالـجـوـارـ، فـلـمـ دـخـلـوـاـ غـلـبـواـ عـلـيـهـاـ.

ثـمـ غـلـبـهـمـ بـنـوـ يـعـربـ بـنـ قـطـحـانـ بـعـدـ ذـلـكـ، وـوـلـىـ عـلـىـ الـبـلـادـ فـكـانـ وـلـاـبـةـ اـبـهـ حـضـرـمـوتـ عـلـىـ هـذـهـ الـبـلـادـ، وـبـهـ سـمـيـتـ الشـحـرـ مـنـ مـالـكـ جـزـيـرـةـ الـعـرـبـ مـثـلـ الـحـجـازـ وـالـيـمـنـ.

وـكـانـ مـعـقـلـاـ عـنـ حـضـرـمـوتـ وـعـمـانـ وـالـذـيـ يـسـمـيـ الشـحـرـ قـصـبـتـ، وـلـاـ زـرـعـ فـيـهـ وـلـاـ خـلـ، إـنـاـ مـأـرـاـهـمـ الـإـبـلـ وـالـمـلـعـزـ، وـمـعـاشـهـمـ مـنـ الـلـحـومـ وـالـأـلـبـانـ، وـمـنـ السـمـكـ الصـعـارـ، وـيـلـفـونـهـاـ لـلـدـوـابـ.

وـتـسـمـيـ هـذـهـ الـبـلـادـ أـيـضـاـ بـلـادـ مـهـرـةـ، وـبـهـ الـإـبـلـ الـمـهـرـةـ، وـقـدـ يـضـافـ الشـحـرـ إـلـيـ عـمـانـ وـهـوـ مـلـاـصـقـ لـحـضـرـمـوتـ، وـقـيـلـ: هـوـ بـسـاطـهـاـ.

وـفـيـ هـذـهـ الـبـلـادـ يـرـجـدـ الـلـلـبـانـ، وـفـيـ سـاحـلـ الـعـنـبـ الـشـحـريـ وـهـوـ مـتـصلـ فـيـ جـهـةـ الـشـرـقـ، وـمـنـ غـرـبـهـاـ سـاحـلـ الـبـحـرـ الـهـنـدـيـ الـذـيـ عـلـيـهـ عـدـنـ، وـفـيـ شـرـقـهـاـ بـلـادـ عـمـانـ وـجـنـوـبـهـاـ بـهـرـ الـهـنـدـ مـسـطـيـلـةـ عـلـيـهـ، وـشـمـالـهـاـ حـضـرـمـوتـ كـانـهـاـ سـاحـلـ هـاـ، وـيـكـونـانـ مـعـاـ مـلـكـ وـاحـدـ وـهـيـ فـيـ الإـقـلـيمـ الـأـلـوـلـ وـأـئـدـ حـرـأـ مـنـ حـضـرـمـوتـ.

وـكـانـتـ فـيـ الـقـدـيمـ لـعـادـ وـسـكـنـهـاـ بـعـدـهـمـ مـهـرـةـ مـنـ حـضـرـمـوتـ أوـ مـنـ قـضـاعـةـ، وـهـمـ كـالـلـوحـوشـ فـيـ تـلـكـ الـرـمـالـ وـدـيـنـهـمـ الـخـارـجـيةـ عـلـىـ رـأـيـ الـإـبـاضـيـهـ مـنـهـمـ.

وـأـوـلـ مـنـ نـزـلـ بـالـشـحـرـ مـنـ القـطـحـانـيـةـ مـالـكـ بـنـ حـيـرـ، وـخـرـجـ عـلـىـ أـخـيـهـ مـالـكـ وـهـوـ مـلـكـ بـقـصـرـ غـمـدانـ فـحـارـيـهـ طـوـبـلـاـ، وـمـاتـ مـالـكـ فـرـليـ بـعـدـهـ اـبـهـ قـضـاعـةـ بـنـ مـالـكـ فـلـمـ يـزـلـ السـكـسـكـ يـحـارـيـهـ إـلـيـ أـنـ قـهـرـهـ، وـاقـتـصـرـ قـضـاعـةـ عـلـيـ بـلـادـ مـهـرـةـ.

الثلاثة في بطون بني ثعلب في كتاب الجمهرة.

ووُقِّتَ عَلَى حاشيةِ فِي هَذَا الْمَرْضِ مِنْ كِتَابِهِ فِيهَا ذَكْرُ هُؤُلَاءِ الْثَّلَاثَةِ كَالْسَّلْحَاقِ عَلَيْهِ، وَقَالَ فِي بَنِي حَدَانٍ: وَقَبْلَ إِنْهِمْ مُوَالِيِّ بْنِ أَسْدٍ. ثُمَّ قَالَ: آخِرُ الْحَاشِيَةِ إِنَّهُ مِنْ خَطِّ الْمَصْنُفِ يَعْنِي أَبْنَ حَزْمٍ.

وَلَا فِي دِينِ الْخَارِجِيَّةِ بِالْجَزِيرَةِ أَيَامُ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكْمَ، فَرَقَ جَرْعَهُ وَمَا أَتَاهُ تِلْكَ الدُّعَوَةِ.

ثُمَّ ظَهَرَ فِي الْجَزِيرَةِ بَعْدَ حِينِ أَثْرَ مِنْ تِلْكَ الدُّعَوَةِ، وَخَرَجَ مَسَاوِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ مَسَاوِرِ الْبَجْلِيِّ مِنِ السَّرَّاتِ أَيَامَ الْفَتَنَةِ بَعْدَ مَقْتَلِ التَّوْكِلِ وَاسْتَولَ عَلَى أَكْثَرِ أَعْمَالِ الْمُرْصَلِ، وَجَعَلَ دَارَ هَجْرَتِ الْحَدِيثَةِ.

وَكَانَ عَلَى الْمُرْصَلِ يَوْمَئِذٍ عَقْبَةُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ جَعْفَرٍ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْأَشْعَثِ الْخَازِعِيِّ الَّذِي وَلَى الْمُنْصُورَ جَدَهُ مُحَمَّدًا عَلَى إِفْرِيقِيَّةِ، وَعَلَيْهِ خَرَجَ مَسَاوِرُ.

ثُمَّ وَلِيَ عَلَى الْمُرْصَلِ أَيُوبُ بْنُ أَحْمَدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ الْتَّعْلِيِّ سَنَةً أَرْبِيعَ وَخَسِينَ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَيْهِ ابْنَهُ الْحَسَنِ فَسَارَ إِلَى مَسَاوِرَ فِي جَمْعِ قَوْمِهِ، وَفِيهِمْ حَدَانُ بْنُ الْحَارِثِ فَهَزَمُوهُمْ بِالْخَوَارِجِ وَفَرَقُوهُمْ بَعْدَهُمْ.

ثُمَّ وَلِيَ أَيَامَ الْمُهَنْدِيِّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلِيمَانَ بْنُ عَمْرَانَ الْأَزْدِيِّ فَغَلَبَ الْخَوَارِجَ، وَمَلَكَ مَسَاوِرَ الْمُرْصَلِ وَرَجَعَ إِلَى الْحَدِيثَةِ.

ثُمَّ انْتَقَضَ أَهْلُ الْمُرْصَلِ أَيَامَ الْمُعْتَمِدِ سَنَةَ تِسْعَ وَخَسِينَ، وَأَخْرَجُوا الْعَالِمَ وَهُوَ ابْنُ أَسَاتِّيْنِ الْمَهِيشِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُعْتَمِدِ الْعَدُوِيِّ مِنْ بَنِي ثُعلَبٍ، فَامْتَعَنُوا عَلَيْهِ وَوَلَوْا مَكَانَهُ إِسْحَاقَ بْنَ أَيُوبَ مِنْ آلِ الْخَطَّابِ، فَزَحَفَ وَمَعَهُ حَدَانُ بْنُ حَدَانٍ وَحَاصِرَهَا مَدْهَدَهَا.

ثُمَّ كَانَتْ فَتَنَةُ إِسْحَاقِ بْنِ كَنْدَاجَقِ وَانتِقَاضُهُ عَلَى الْمُعْتَمِدِ، وَاجْتَمَعَ لِمَدَافِعَتِهِ عَلَيِّ بْنِ دَاؤِدَ صَاحِبِ الْمُرْصَلِ، وَحَدَانُ بْنُ حَدَانٍ وَإِسْحَاقُ بْنُ أَيُوبَ فَهَزَمُوهُمْ إِسْحَاقُ بْنُ كَنْدَاجَقَ، وَافْتَرَقُوا فَاتَّبَعَ إِسْحَاقُ بْنُ أَيُوبَ إِلَى نَصِيبِهِ ثُمَّ إِلَى آمَدَ.

وَاسْتَجَارَ فِيهَا بِعِيسَى بْنِ الشَّيْخِ الشَّيَّانِيِّ وَيُبَعَثُ إِلَى الْمَعْزِ مُوسَى بْنِ زَرَارةَ صَاحِبِ أَرْزَنَ فَامْتَعَنُوا بِأَنْجَادِهِمَا.

ثُمَّ وَلِيَ الْمُعْتَمِدُ بْنُ كَنْدَاجَقَ عَلَى الْمُرْصَلِ سَنَةَ سِبْعَ وَسِتِّينَ فَاجْتَمَعَ لِحَرِبِهِ إِسْحَاقُ بْنُ أَيُوبَ وَبِعِيسَى بْنِ الشَّيْخِ وَأَبُو الْعَزِّ بْنِ زَرَارةَ وَحَدَانُ بْنِ حَدَانٍ فِي رِبِيعَةِ ثُعلَبٍ وَهَزَمُوهُمْ أَبْنَ كَنْدَاجَقَ، وَحَاصِرُهُمْ هُوَ وَجَزِّوْا إِلَى آمَدَ عَنْدَ عِيسَى بْنِ الشَّيْخِ الشَّيَّانِيِّ،

مَذْحِجاً وَصَارَتْ لَهُ رِيَاستُهَا.

وَدَخَلَتِ النَّصَارَى نَجْرَانَ مِنْ قِيمُونَ، وَخَبَرَهُ مَعْرُوفٌ فِي كِتَابِ السِّيرِ، وَانْتَهَتِ رِيَاسَةُ بَنِي الْحَارِثِ فِيهَا إِلَى بَنِي الرِّيَانِ ثُمَّ صَارَتِ إِلَى بَنِي عَبْدِ الْمَدَانِ.

وَكَانَ يَزِيدُ مِنْهُمْ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَسْلَمَ عَلَى يَدِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، وَوَفَدَ مَعَ قَوْمِهِ وَلَمْ يَذْكُرْهُ أَبْنَ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ وَهُوَ مَسْتَدِرُ عَلَيْهِ، وَابْنُ أَخِيهِ زِيَادُ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ الْمَدَانِ خَالِ السَّفَاحِ، وَلَا هُنْ بَنِي الْمَدَانِ وَالْيَمَامَةِ، وَخَلَفَ أَبْنَيْهِ مُحَمَّداً وَيَحْيَى.

وَدَخَلَتِ الْمَائِدَةُ الْرَّابِعَةُ وَالْمَلْكُ بِهَا لَبِنِي أَبِي الْجَرْوَدِ بْنِ عَبْدِ الْمَدَانِ، وَاتَّصَلَ فِيهِمْ وَكَانُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْفَاطِمِيِّينَ حَرَوْبُ وَرِعَايَةُ بَنِيِّهِمْ بَعْضُ الْأَحْيَانِ عَلَى نَجْرَانَ وَكَانَ أَخَرُهُمْ عَبْدُ الْقَيْسِ الَّذِي أَخْذَ عَلَيْهِ بَنُو مَهْدِيِّ الْمَلْكِ مِنْ يَدِهِ، ذَكْرُهُ عَمَارَةٌ وَأَنْتَ عَلَيْهِ وَاللَّهُ سَيِّحَهُ وَتَعَالَى عَلَيْهِ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ.

## الخبر عن دولة بني حدان المستبددين بالدعوة العباسية بالدعوة العباسية من العرب بالموصل والجزيرة والشام ومبادئ أمرهم وتصاريف أحواهم

كَانَ بَنُو ثُعلَبٍ بْنُ وَاعِلٍ مِنْ أَعْظَمِ بَطُونِ بَنِي رِبَعَةَ بْنِ نَزَارٍ، وَلَهُمْ مَحْلٌ فِي الْكُثُرَةِ وَالْعَدَدِ، وَكَانُوا مَوَاطِنَهُمْ بِالْجَزِيرَةِ فِي دِيَارِ رِبَعَةَ، وَكَانُوا عَلَى دِينِ النَّصَارَى فِي الْجَاهْلِيَّةِ، وَصَاغِيَتِهِمْ مَعَ قِصْرِهِمْ.

وَحَارَبُوا الْمُسْلِمِينَ مَعَ غَسَانَ وَهَرْقَلَ أَيَامَ الْفَتوَحَاتِ فِي نَصَارَى الْعَرَبِ يَوْمَئِذٍ مِنْ غَسَانَ وَإِيَادَ وَقَضَاعَةَ وَزَابَلَةَ وَسَائِرِ نَصَارَى الْعَرَبِ، ثُمَّ ارْتَحَلُوا مَعَ هَرْقَلَ إِلَى بَلَادِ الرُّومِ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى بَلَادِهِمْ، وَفَرَضُ عَلَيْهِمْ عَمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْجَزِيرَةَ. فَقَالُوا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَذَلَّنَا بَيْنَ الْعَرَبِ بِاسْمِ الْجَزِيرَةِ، وَاجْعَلْهَا صِدْقَةً مَضَاعِفةً فَفَعَلَ.

وَكَانَ قَائِدُهُمْ يَوْمَئِذٍ حَنْظَلَةُ بْنُ قَيْسِ بْنِ هَرِيرَ مِنْ بَنِي مَالِكٍ بْنِ بَكْرٍ بْنِ حَبِيبٍ بْنِ عَمْرُو بْنِ غَنْمٍ بْنِ ثُعلَبٍ وَكَانَ مِنْ رَهْطِهِ عَمَرُ بْنُ بَسْطَامَ صَاحِبِ السَّنَدِ أَيَامَ بَنِي أَمِيَّةَ.

ثُمَّ كَانَ مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْإِسْلَامِ ثَلَاثَةُ بَيْوتٍ: أَلَّا عَمَرَ بْنَ الْخَطَّابَ الْعَدُوِيَّ، وَأَلَّا هَارُونَ الْمَغْمُرَ، وَأَلَّا حَدَانُ بْنُ حَدَانٍ الْبَيْرُوتِ الْحَارِثُ بْنُ لَقَمَانَ بْنِ أَسْدٍ، وَلَمْ يَذْكُرْ أَبْنَ حَزْمٍ هُؤُلَاءِ الْبَيْرُوتِ.

واشتreq له إطلاع ابته إن جاء بهارون.

فاطمة وأسره وجاء به إلى المعتصد فخلع عليه وعلى إخوته

و طرقه و فك القيد عن حدان و وعده باطلاقه.

مات اسحاق، بن أبوب العدوى و كان على ديار ربيعة،

فاما، المعتصد مكانه عبد الله بن الهشيم بن عبد الله بن المعتمد.

مبدأ لدولة ولادة أبي الهيجاء عبد الله بن

حمدان على الموصل

ولما ول المكتفي عقد لأبي الميجاء عبد الله بن حدان على  
الموصل وأعمالها، وكان الأكراد المدربية قد عاثروا في نواحيها  
وقد مقدمهم محمد بن سلال فقاتلهم وعبر ورائهم إلى الجانب  
الآخر، فقتلهم على الشاطئ، وقاموا لامسوا بهم.

ثم أ美的 الخليفة فسّار في أثرهم سنة أربع وتسعين وقاتلهم على أذربيجان وهزم محمد بن سلال باهله وولده، واستباحهم ابن حدان.

ثم استأمن محمد وجاءه إلى الموصل، واستأمن سائر الأكراد  
الحميدية، واستقام أمر أبيه في الميجاء.

ثم كانت فتنة الخالع ببغداد سنة ست وتسعين، وقتل الوزير العباس بن الحسن، وخليع المقتدر وبهيع عبد الله بن المعتز يوماً أو بعض يوم، وعاد المقتدر كما مر ذلك كله في أخبار الدولة العباسية.

وكان الحسين بن حدان على ديار ربيعة وكان من تولى كبر هذه الفتنة مع القواد، وباشر قتل الوزير مع من قتله فهرب، وطلب المقتدر وبعث في طلبه القاسم بن سيماء وجماعة من القواد فلم يظفروا به، فكتب إلى أبي الميجاء وهو على الموصل فسار مع القاسم ولقيهم الحسين عند تكريت فانهزم واستأمن فأمه المقتدر، وخلع عليه وولاه أعمال قم وقاشان. ثم رده بعد ذلك إلى ديار

انتقام، أي، الهجاء ثم الحسين بن حدان

ولما كانت سنة سبع وتسعين ومائتين خالف أبو الهيجاء بالوصول إلى سنة اثنين وثلاثمائة، وكان الحسين بن حمدان على ديار ربيعة كما قدمناه، فطالبه الوزير عيسى بن عيسى بحمل المال دفاعه، فأمره بتسليم البلاد إلى العمال فامتنع، فجهز إليه الجيش

وحاصرهم بها وتواتت عليهم الحروب وهلك مساور الخارجي  
أثناء هذه الفتنة في حرية مع العساكر سنة ثلاث وستين.

وأجتمع الخوارج بعده على هارون بن عبد الله البجلي واستقاموا عليه، وكتبوا تابعه.

وخرج عليه محمد بن خردان من أصحابه فغلبه على الموصل، فقصد حдан بن حدون مستجدأً به، فسار معه ورده إلى الموصل ولحق محمد بالخلافة، ورجع أصحابه إلى هارون، ثم سار هارون من الموصل إلى محمد فنأوقن به وقتلته وعاث في الأكراد الحالية أصحابه، وغلب على القرى والرساتيق، وجعل رجله يأخذ الزكاة والعشر.

ثم زحف بنو شيبان لقتاله سنة اثنين وسبعين، فاستتجد  
بمحمدان بن حدون، وأنهزم قبل وصوله إليه.

ثم كانت الفتنة بين إسحاق بن كنداجق ويوسف بن أبي الساج، وأخذ ابن أبي الساج بدعة ابن طولون، وغلب على الجzierة والموصل، ثم عاد وملكها لابن كنداجق وولى عليها هارون بن سيماء سنة تسع وسبعين ومائتين، فطرده أهلها، واستتجد بيبي شيبان فساروا معه إلى الموصل، واستمد أهلها الخوارج وفي ثعلب فخار لإمدادهم هارون الساري وحدان فهزمهم بني شيبان، وخاف أهل الموصل من ابن سيماء فبعثوا إلى بغداد، وولى عليهم المعتمد على، بن داود الأزدي.

ولما بلغ المعتمد ملأة حدان بن حمدون هارون الساري،  
وما فعله بنو شيبان، وقد كان خرج لإصلاح الجزيرة، وأعطيه بنو  
شيبان رهنهم على الطاعة، زحف إلى حدان وهزم فلحق بماردين  
من إقليم ما زاده الحسين.

وهرب فسار مع وصيف ونصر القسوري، ومرروا بدير  
الزغفران وبه الحسين بن حمدان فاستأنف لهم، ويعشاوا به إلى  
المتضدد وأمر بهدم القلعة، ولقي وصيف حدان فهزمه، وعبر إلى  
الآن بالغاً.

ثم سار إلى معسكر المعتقد، وكان إسحاق بن أيوب الشاعري قد سبق إلى طاعة السلطان وهو في معسكره، فقصد خيمته ملأ آذنه وعلقها، فلما رأى ذلك عز الدين انتقام منه.

ثم سار نصر القسوري في أتباع هارون فهزم الخوارج ولحق بأذربيجان، واستأمن آخرهم إلى المتضد ودخل هارون الربة.

ثم سار المعتصد ستة ثلاثة وثمانين في طلب هارون وبعث  
في مقدمته وصفاً وسرح معه الحسين بن حمدان بن يكربلا

فهزمهم

فكتب إلى مؤنس العجلاني، وهو مصر يقاتل عساكر العلوية،  
بأن يسير إلى قتال الحسين بعد فراغه من أمره، فسار إليه سنة

ثلاث وثلاثمائة، فارتحل بأهله إلى أربمية وترك البلاد.

وبعث مؤنس العساكر في أثره فأدركوه، وقاتلوه فهزموه  
وأسر هو وأهله عبد الوهاب وأهله وأصحابه، وعاد به إلى بغداد  
فأدخل على جمل، وقبض المقتدر يومئذ على أبي الهيجاء وجمع بي  
حمدان فحسهم جميعاً.

ثم أطلق أبو الهيجاء سنة خمس وثلاثمائة بعدها وقتل  
الحسين سنة ست، وولى إبراهيم بن حمدان سنة سبع على ديار  
ربعة، وولى مكانه داود بن حمدان.

## ولاية أبي الهيجاء ثانية على الموصل ثم

### مقتله

ثم ول المقتدر أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان على الموصل  
سنة اربع عشرة وثلاثمائة فبعث ابنه ناصر الدولة الحسين عليهما  
وأقام هو ببغداد.

ثم بلغه إفساد العرب والأكراد في نواحيها وفي نواحي عمله  
الآخر بخراسان، فبعث إلى أبيه ناصر الدولة فأوقع بالعرب في  
الجزرية وتكل بهم.

وجاءه في العساكر إلى تكريت فخرج ورحل بهم إلى  
شهرزور، وأوقع بالأكراد الجلالية حتى استقاموا على الطاعة.  
ثم كان خلع المقتدر سنة سبع عشرة وثلاثمائة باخيه  
القاهر.

ثم عاد ثانية يوم وأحيط بالقاهر في قصره فتدمر بآبي  
الهيجاء، وكان عنده يومئذ، وأطال المقام يحاول على النجاة به فلم  
يتمكن من ذلك، وانتقض الناس على القاهر ومضى أبو الهيجاء  
يفتش عن بعض المنافق في القصر يخلص منه فاتبعه جماعة وقترا  
به وقتلوه متصرف المحرم من السنة.

ولوى المقتدر مولاه تحريراً على الموصل.

## ولاية سعيد ونصر بي حمدان على الموصل

ثم ان أبو العلاء سعيد بن حمدان ضمن الموصل وديار  
ربعة، وما يد ناصر الدولة فرلاه الراضي سنة ثلاث وعشرين

### مسير الراضي إلى الموصل

وفي سنة سبع وعشرين وثلاثمائة تأخر ضممان البلاد من  
ناصر الدولة فخضب الراضي، وسار ومدير دولته تحكم.

وسار إلى الموصل، وتقدم تحكم إلى تكريت فخرج إليه  
ناصر الدولة فانهزم أصحابه، وسار إلى نصيبيين، واتبعه تحكم  
فلحق به وكتب تحكم إلى الراضي بالفتح فسار في السفن يريد  
الموصل.

وكان ابن رائق مختيناً ببغداد منذ غلبه ابن البريدي على  
الدولة، ظهر عند ذلك واستول على بغداد.

وبلغ الخبر إلى الراضي فأصعد من الماء إلى البر، واستقدم  
تحكم من نصيبيين واستعاد ناصر الدولة ديار ربعة وهو يعلم بخبر  
ابن رائق، ويعت في الصلح على تعجيل خمسة ألف درهم  
فاجابه إلى ذلك.

وسار الراضي وتحكم إلى بغداد، ولقيهم أبو جعفر محمد بن  
يعين بن سريق رسولاً من ابن رائق في الصلح، وعلى أن يولي  
ديار مصر، وهي حران والرها والرققة.

وتضاف إليها قنسرين والعواصم فاجيب إلى ذلك وسار  
عن بغداد إلى ولاته ودخل الراضي وتحكم بغداد ورجع ناصر  
الدولة بن حمدان إلى الموصل.

## مسير المتقي إلى الموصل وولاية ناصر الدولة

### إماراة الأمراء

كان ابن رائق بعد مسيره إلى ديار مصر والعواصم سار إلى الشام ومملك دمشق من يد الإخشيد، ثم الرملة ثم لقبه الإخشيد على عريش مصر وهزمها، ورجع إلى دمشق ثم اصطلحوا على أن يجعلوا الرملة تحماً بين الشام ومصر وذلك سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة.

ثم توفي الراضي سنة تسع وعشرين، وولى المتقي وقتل تحكم وجاء البريدي إلى بغداد، وهرب الأتراك التحكيمية إلى الموصل، وفيهم تورون وجحاج.

ثم لحقوا بابي بكر محمد بن رائق واستجذبوا إلى العراق، وغلب بهم على الخلافة الأتراك الدليمية، وجاء أبو الحسن البريدي من واسط فقام ببغداد أربعة وعشرين يوماً أمير الأمراء.

ثم شغب عليه الجندي فرجع إلى واسط وغلب كورتكين.

ثم حجر المتقي وكتب إلى ابن رائق يستدعيه فسار من دمشق في رمضان سنة تسع وعشرين، واستخلف على أبي الحسن أحمد بن علي بن حمدان على أن يحمل إليه مائة ألف دينار، وسار ابن رائق إلى بغداد، وغلب كورتكين والدليمية وحبس كورتكين بدار الخلافة.

ثم شغب عليه الجندي وبعث أبو عبد الله البريدي أخيه أبي الحسن إلى بغداد في العساكر فغلبوا عليهما، وهرب المتقي وابنه أبو منصور، وزاد في الملة فنشر الدراهم على ابن الخليفة، وبالغ في مبرته حتى ركب للانصراف.

وأنسك ابن رائق للحديث معه فاستدعاه المتقي، وخلع عليه، ولقبه ناصر الدولة، وجعله أمير الأمراء، وخلع على أخيه أبي الحسن ولقبه سيف الدولة.

وكان قتل ابن رائق لتسع بقين من رجب، وولاية ناصر الدولة مستهل شعبان من سنة ثمانين، ثم سار الأخشيدي من مصر إلى دمشق فلكلها من يد عامل ابن رائق، وسار ناصر الدولة مع المتقي إلى بغداد.

### أخبار بني حمدان ببغداد

ولما قتل ابن رائق وأبو الحسن البريدي على بغداد، وقد سخطه العامة والخاصة فهرب جحاج إلى المتقي، وأجمع تورون

وأصحابه إلى الموصل، واستجذبوا المتقي وناصر الدولة فالجندوهم إلى بغداد، وولى على الخراج والضياع بديار مصر وهي الراها وحران والرقة أبا الحسن علي بن خلف بن طياب، وكان عليها أبو الحسن علي بن أحد بن مقاتل من قبل ابن رائق، فقاتلته ابن طياب وقتلها.

ولما قرب المتقي وناصر الدولة من بغداد هرب أبو الحسن بن البريدي إلى واسط بعد مقامه مائة يوم وعشرة أيام، ودخلت المتقي بغداد ومعه بنو حمدان، وقلد تورون شرطة جانبى بغداد وذلك في شوال من السنة.

ثم سار بنو حمدان إلى واسط فنزل ناصر الدولة بالمدائن، ويعث أخاه سيف الدولة إلى قتال البريدي، وقد سار من واسط إليهم فقاتلوه تحت المدائن ومعهم تورون وجحاج والأتراك فانهزموا أولاً.

ثم أدمى ناصر الدولة من كان معه من المدائن فانهزم البريدي إلى واسط، وعاد ناصر الدولة إلى بغداد متصرف ذي الحجة وبين يديه الأسرى من أصحاب البريدي.

وأقام سيف الدولة بموضع المعركة حتى اندملت جراحه وذهب عنه.

ثم سار إلى واسط فلحق البريدي بالبصرة، واستولى على واسط فقام بها معزماً على اتباع البريدي إلى البصرة، واستمد أخاه ناصر الدولة في المال فلم يده، وكان للأتراك عليه استطالة وخصوصاً تورون وجحاج ثم جاء أبو عبد الله الكوفي بالمال من قبل ناصر الدولة ليفرقه في الأتراك فأعترضه تورون وجحاج، وأراد البطش به فأخذوه سيف الدولة عنهم ورده إلى أخيه.

ثم شار الأتراك بسيف الدولة سلخ شعبان فهرب من معسكره إلى بغداد ونهب سواده قتل جماعة من أصحابه وكان أبو عبد الله الكوفي لما وصل إلى ناصر الدولة وأخبره خبر أخيه، أراد أن يسير إلى الموصل فركب المتقي إليه واستمهله، وعاد إلى قصره فأعاد السير إلى الموصل بعد ثلاثة عشر شهراً من إمارته، وثار الدليم والأتراك ونهبوا داره.

ولما هرب سيف الدولة من معسكره بواسط عاد الأتراك إلى معسكرهم، وولوا تورون أميراً وجحاج صاحب جيش، ولحق سيف الدولة ببغداد متصرف رمضان بعد مسيرة أخيه، وبلغه خبر تورون.

ثم اختلف الأتراك وقبض تورون على جحاج وسلمه، وسار سيف الدولة ولحق أخيه بـالموصل وولى تورون إمارة

الأمراء ببغداد.

وقارن ذلك اتصال ابن شيرزاده بتورون ومسيره إليه بواسطه، ذكرروا الخليفة بما فعل ابن البريدي معه في المرة الأخرى وخوفوه عاقبة أمرهم، فكتب إلى ابن حдан أن ينفذ إليه عسكراً سير صحبه إليهم فأنفذ مع ابن عمه الحسين بن سعيد بن حدان، ووصلوا إلى بغداد سنة اثنين وثلاثين وخرج المتقى معهم بأهله وأعيان دولته، ومعه الوزير ابن مقلة، وانتهى إلى تكريت فلقيه سيف الدولة هنالك.

وجاء ناصر الدولة فأصعد المتقى إلى الموصل.

ولما بلغ الخبر إلى تورون سار نحو تكريت فلقيه سيف الدولة عندها فقاتله ثلاثة أيام، ثم هزمه تورون ونهب سواده وسوداد أخيه، وسار سيف الدولة إلى الموصل وتوزون في اتباعه، فخرج ناصر الدولة والمتقى وجملته إلى نصبيين، ثم إلى الرقة، ولحقهم سيف الدولة إليها.

وملك تورون الموصل.

وبعث إليه المتقى يعاتبه على اتصاله بابن البريدي، وأنه إنما استوحش من ذلك فإن آخر رضاه واصل ابن حدان فأجاب تورون إلى ذلك، وعقد الضمان لناصر الدولة على ما بيده من البلاد لثلاث سنين، كل سنة بثلاثة آلاف الف وستمائة ألف، وعاد تورون إلى بغداد وأقام المتقى بالرقة، ثم أحسن من ابن حدان ض杰راً به، وبلغ سيف الدولة أن محمد بن نياز الترحان أغري المتقى بسيف الدولة، وهو الذي كان أنسد بين المتقى وتورون فقبض عليه سيف الدولة وقتلها، وارتبا المتقى بذلك فكتب إلى تورون يستصلاحه.

وكتب إلى الإخشيد محمد بن طنج صاحب مصر يستقدمه، فسار إليه الإخشيد.

ولما وصل إلى حلب وعليها من قبل سيف الدولة ابن عمهم أبو عبد الله سعيد بن حدان فرحل عنها، وتختلف عنه ابن مقاتل الذي كان بدمشق مع ابن رائق.

ولما وصل الإخشيد إلى حلب لقيه ابن مقاتل فأكرمه واستعمله على خراج مصر.

ثم سار إلى المتقى بالرقة فلقيه متصرف ثلاث وثلاثين فالغ المتقى في إكرامه وبالغ هو في الأدب معه، وحمل إليه المدايا وإلى وزيره وحاشيته، وسأله المسير إلى مصر أو الشام فأبى، فأشار عليه أن لا يرجع إلى تورون فأبى.

وأشار على ابن مقلة أن يسير معه إلى مصر ليحكمه في دولته، وخوفه من تورون فلم يعمل، وجاءهم رسول تورون في

## خبر عدل الحكمي بالرحبة

كان عدل هذا مولى تحكم، ثم صار مع ابن رائق وأصعد معه إلى الموصل، ولما قتل ابن رائق صار في جلة ناصر الدولة بن حدان فبعثه مع علي بن خلف بن طياب إلى ديار مصر فاستولى ابن طياب عليها، وقتل نائب ابن رائق وكان بالرحبة من ديار مصر رجل من قبل ابن رائق يقال له مسافر بن الحسين فامتنع بها، وجيء خراجها واستول على تلك الناحية، فأرسل إليه ابن طياب عدل الحكمي فاستول عليها، وفر مسافر عنها.

واجتمع التحكيمية إلى عدل واستولى على طريق الفرات وبعض الخابور ثم استنصر مسافر بجمع من بيته غير وسار إلى قرقيسيا وملكتها وارتعتها عدل من يده.

ثم اعتزم عدل على ملك الخابور وانتصر أهله ببني غير فأعرض عدل عن ذلك حيناً حتى أمنوا.

ثم أسرى إلى فسيح سمحاب وهي من أعظم قرى خابور فقتالها ونقب السور وملكها ثم ملك غيرها، وأقام في الخابور ستة أشهر وجيء الأموال وقوى جمعه واتسعت حاليه.

ثم طمع في ملك بني حدان، فسار بريد نصبيين لغنية سيف الدولة عن الموصل وببلاد الجزيرة، ونكب عن الرحبة وحران لأن يائس المؤنسى كان بها في عسكر، ومعه جمع من بيته فجحد عنها إلى رأس عين، ومنها إلى نصبيين، وبلغ الخبر إلى أبي عبد الله الحسين بن سعيد بن حدان فجتمع وسار إليه، فلما التقى الجمعان استأمن من أصحاب عدل إلى ابن حدان، ولم يبق معه إلا القليل فقبض عليه وسلمه، وبعث به مع ابنه إلى بغداد في آخر شعبان ستة إحدى وثلاثين ومترين.

## مسير المتقى إلى الموصل وعوده

ولما انصرف ناصر الدولة وسيف الدولة عن المتقى من بغداد جاء تورون من واسط واستولى على الدولة، ثم رجع إلى واسط ووقعت بينه وبين ابن البريدي بالبصرة مواصلة وصهر استوحش لها المتقى.

وكان بعض أصحاب تورون منافقاً له، فاكتثر فيه السعاية عند المتقى والوزير ابن مقلة، وخوفهما اتصال يده بابن البريدي.

### الفتنة بين ابن حمدان وابن بوه

ولما خلع معز الدولة بن بوه المستكفي عند استيلائه على بغداد امتنع ناصر الدولة بن حمدان لذلك وسار من الموصل إلى العراق، وبعث معز الدولة بن بوه قواده، فالتحق الجمعان بعكرا، واقتلوها وخرج معز الدولة مع المطیع إلى عكرا و كان ابن شيرزاده يبغداد وأقام بها، ولحق بناصر الدولة بن حمدان، وجاء بعساكره إلى بغداد فنزلوا بالجانب الغربي، وناصر الدولة بالجانب الشرقي، ووقع الغلام في معسكر معز الدولة، والخلفية لانتقطاع الميرة، وبقي عسکر ابن حمدان في رخاء من العيش لاتصال الميرة من الموصى. واستعان ابن شيرزاده بالعامة والعبيارين على حرب معز الدولة والدليل، وضاق الأمر بمعز الدولة حتى اعتزم على الرجوع إلى الأمواء.

ثم أمر أصحابه بالعبور من قطريال بأعلى دجلة، وتسابق أصحاب ناصر الدولة إلى مدافعتهم ومنعهم، وبقي في خف من الناس، فأجاز إليه شجاعان الديلم من أقرب الأماكن فهزمه، ثم ملك معز الدولة الجانب الشرقي، وأعاد المطیع إلى داره في عرم سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة.

ورجع ناصر الدولة إلى عكرا وأرسل في الصلح، فوقف الآتراك التورونية الذين معه على خبر رسالته فهموا بقتله، فأخذ السير إلى الموصى ومعه ابن شيرزاده وأحكם الصلح مع معز الدولة.

### استيلاء سيف الدولة على دمشق

وفي سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة توفي الإخشيد أبو بكر محمد بن طفع صاحب مصر والشام، فتنصب للأمر بعده ابنه أبو القاسم أنوجور، واستولى عليه كافور الأسود وخادم أبيه، وسار بهما إلى مصر.

وجاء سيف الدولة إلى دمشق فملكها، وارتبا به أهلها فاستدعوا كافوراً فجاءهم، وخرج سيف الدولة إلى حلب، ثم اتبعوه فعبر إلى الجزيرة وأقام أنوجور على حلب.

ثم انقضوا واصطلحوا، وعاد أنوجور إلى مصر وسيف الدولة إلى حلب، وأقام كافور بدمشق قليلاً، ثم عاد إلى مصر واستعمل على دمشق بدرأ الإخشيد ويعرف ببدير، ثم عزله بعد سنة وولي أبو المظفر طفح.

الصلح وأنهم استحلفو للخلفية والوزير، فاخدر المتقي إلى بغداد آخر المحرم، وعاد الإخشيد إلى مصر.

ولما وصل المتقي إلى هيت لقيه تورون فقبل الأرض ورأى أنه تحمل عن بيته بذلك الطاعة، ثم وكل به وسلم المتقي ورجع إلى بغداد فباع للمستكفي.

ولما ارتحل المتقي عن الرقة ولـ عليها ناصر الدولة ابن عم أبي عبد الله بن سعيد بن حمدان، وعلى طريق الفرات وديار مصر وقسررين وجند والعواصم ومحص.

فلما وصل إلى الرقة طمع أهلها فيه فقاتلهم وظفر بهم ورجـع إلى حلب وقد كان ولـ على هذه البلاد قبله أبا بكر محمد بن علي بن مقاتل.

### استيلاء سيف الدولة على حلب ومحص

ولما ارتحل المتقي من الرقة، وانصرف الإخشيد إلى الشام بقى يائس المؤمني بحـلـ فقصدـه سيفـ الـدولـةـ وـملـكـهـ منـ يـدـهـ،ـ ثـمـ سـارـ إـلـىـ حـصـنـ فـلـقـيـهـ بـهـ كـافـورـ مـولـ الإـخـشـيدـ فـهـزـمـهـ سـيفـ الـدولـةـ وـسـارـ إـلـىـ دـمـشـقـ فـامـتـعـنـاـ عـلـيـهـ فـرـجـعـ،ـ وجـاءـ الإـخـشـيدـ مـنـ مـصـرـ إـلـىـ الشـامـ،ـ وـسـارـ إـلـىـ تـابـعـ سـيفـ الـدولـةـ فـاصـطـفـاـ بـقـسـرـيـنـ،ـ ثـمـ تـحـاجـزـوـاـ وـرـجـعـ سـيفـ الـدولـةـ إـلـىـ الـجـزـيرـةـ وـالـإـخـشـيدـ إـلـىـ دـمـشـقـ.

ثم سار سيف الدولة إلى حلب فملكها وسارت عساكر الروم إليها فقاتلهم وظفر بهم.

ثم بلغ ناصر الدولة بن حمدان ما فعله تورون من سمل المتقي وبيعه المستكفي، فامتنع من حل المال وهرب إليه غلمان تورون فاستخدمهم ونقض الشرط في ذلك.

وخرج تورون والمستكفي قاصدين الموصى، وترددت الرسل بينهما في الصلح، فتم ذلك آخر سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة وعاد المستكفي وتوزون إلى بغداد فتوفى تورون إنـزـ عـودـهـ،ـ وـولـيـ الـأـمـرـ بـعـدـهـ أـبـنـ شـيرـزاـدـهـ،ـ وـاسـتـعملـ عـلـىـ وـاسـطـ قـائـدـاـ،ـ عـلـىـ تـكـرـيـتـ آـخـرـ.

فاما الذي على واسط فكتب معز الدولة ابن بوه، واستقدمه فقدم بغداد واستولى على الدولة، فخلع المستكفي وبايع للمطیع، وأما الذي على تكريت فسار إلى ناصر الدولة بن حمدان بالموصل وسار معه وولاه عليها من قبله.

بويه وسار إليه معز الدولة من بغداد سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة فسار هو من الموصل إلى نصبيين وملك معز الدولة الموصل فظلم الرعاعيا وأخذ أموالهم، وأجع الاستيلاء على بلاد ابن حدان كلها، فجاءه الخبر بأن عساكر خراسان قصدت جرجان والري، وبعث أخوه ركن الدولة يستمدده فصالح ناصر الدولة عن الموصل والجزرية والشام على ثمانية آلاف ألف درهم كل سنة، وعلى أن ينطب له وأخوه عماد الدولة وركن الدولة، وعاد إلى بغداد في ذي الحجة آخر سبع وثلاثين وثلاثمائة.

### غروات سيف الدولة

كان أمر الثغور راجعاً إلى سيف الدولة بن حدان ووقع الفداء سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة في الغنائم من الأسرى على يد نصر النملي، ودخل الروم سنة اثنين وثلاثين مدينة واسرغين ونهبوا وأقاموا بها ثلاثة وهم في ثمانين ألفاً مع الدمستق ثم سار سيف الدولة سنة سبع وثلاثين غازياً إلى بلاد الروم فقاتلوه وهزموه.

ونزل الروم على مرعش فأخذوها وأوقعوا بأهل طرسوس، ثم دخل سنة ثمان وثلاثين وتغل في بلاد الروم وفتح حصوناً كثيرة وغنم وسباً.

ولما قفل أخذت الروم عليه المضائق وألتحوا في المسلمين قتلاً وأسراً واستردوا ما غنموه، ونجا سيف الدولة في قل قليل ثم ملك الروم سنة إحدى وأربعين مدينة سروج واستباحوها.

ثم دخل سيف الدولة سنة ثلاثة وأربعين إلى بلاد الروم فائخن فيها وغنم وقتل قسطنطين بن الدمستق فيم قتل، فجمع الدمستق عساكر الروم والروس وبيلار وقصد الثغور، فسار إليه سيف الدولة بن حدان والتقوا عند الحارث فانهزم الروم واستباحهم المسلمون قتلاً وأسراً، وأسر صهر الدمستق، وبعض أسباطه وكثير من بطارقه ورجع سيف الدولة بالظفر والغنيمة.

ثم دخل بلاد الروم النصرانية ثم رجع إلى آذنة، وأقام بها حتى جاءه نابه على طرسوس فخلع عليه، وعاد إلى حلب واعتضع الروم لذلك فرجعوا إلى بلادهم.

ثم غزا الروم طرسوس والرها واعثاروا في نواحيها سبياً وأسراً ورجعوا.

ثم غزا سيف الدولة بلاد الروم سنة ست وأربعين وأثنتين فيها وفتح عدة حصون وامتلاكت أبيدي عسکره من الغنائم

### الفتنة بين ناصر الدولة بن حدان وبين تكين والأتراك

كان مع ناصر الدولة جماعة من الأتراك أصحاب تورون فروا إليه كما قدمنا، فلما وقعت المراسلة بينه وبين معز الدولة في الصلح ثاروا به، وهرب منهم وعبر إلى الجانب الغربي ونزل الموصل واستجر القرامطة فأغاروه، ويعشا معه إلى مامته، في جملة ابن شيرزاده فقبض ناصر الدولة عليه، واجتمع الأتراك بهذه فقدموا عليهم تكين الشيرازي، وقبضوا على من مختلف من أصحاب ناصر الدولة واتبعوه إلى الموصل فسار عنها إلى نصبيين ودخل الأتراك الموصل.

وبعث ناصر الدولة إلى معز الدولة يستصرخه، فبعث إليه الجيش مع وزير أبي جعفر الصميري وخرج الأتراك من الموصل في اتباع ناصر الدولة إلى نصبيين فمضى إلى سنجار ثم إلى الحديدة إلى السن، وهو في اباعه، وبقي هنالك العساكر فقاتلوا الأتراك وهزموهم، وسيق قائلهم تكين إلى ناصر الدولة فسمله لوقته ثم حبسه.

وسار مع الصimirي إلى الموصل فأعطيه ابن شيرزاده وارحل به إلى بغداد.

### انتقام جمان بالرحة ومهلكه

كان جمان هذا من أصحاب تورون وسار إلى ناصر الدولة بن حدان، فلما كان في محاربة معز الدولة ببغداد، استراب بن معه من الدليل وجعلهم على جمان هذا، وأخرجه إلى الرحبة وإلياً فعظم أمره، وانتقض سنة ست وثلاثين وثلاثمائة على ناصر الدولة، وحدثه نفسه بالغلب على ديار مصر، فسار إلى الرقة وحاصرها سبعة عشر يوماً، وانهزم عنها.

ووثب أهل الرحبة بأصحابه وعماله فقتلوهم لسوء سيرتهم، وجاء من الرقة فائخن فيهم وبعث ناصر الدولة بن حدان حاجبه باروخ مع عسكر فاقتلوه على الفرات وانهزم جمان فغرق في الفرات واستأمن أصحابه إلى باروخ فأنهم ورجعوا إلى ناصر الدولة.

### فتنة ناصر الدولة مع معز الدولة

ثم وقعت الفتنة بين ناصر الدولة بن حدان ومعز الدولة بن

الروم على عين زربة وملك الجبل المطل عليها، وضيق عليها حصارها ونصب عليها المجنحقات، وشرع في التقب فاستأنفوا دخول المدينة، ثم ندم على تأمينهم لما رأى من اختلال أحوالهم، فنادى فيهم أن يخرجوا جميع أهاليهم إلى المسجد فمات منهم في الأبراب بكض الزحام خلق، ومات آخرؤون في الطرقات، وقتل من وجدوا آخر النهار، واستولى الروم على أموالهم وأمعتهم وهدموا سور المدينة، وفتحوا في نواحي عين زربة أربعة وخمسين حصنًا.

ورحل الدمستق بعد عشرين يوماً بنيت العود، وخلف مجشه بقيسارية وكان ابن الزيارات صاحب طرسوس قد قطع الخطبة لسيف الدولة بن حمدان، واعتراضه الدمستق في بعض مذاقه فأوقع به، وقتل أخاه وأعاد أهل البلد الخطبة لسيف الدولة، وألقى ابن الزيارات نفسه في النهر فغرق.

ثم رجع الدمستق إلى بلاد الشغور، وأخذ السير إلى مدينة حلب، وأعجل سيف الدولة عن الاحتشاد فقاتلته في خف من أصحابه فانهزم سيف الدولة، واستلجم آل حمدان واستول الدمستق على ما في داره خارج حلب من خزائن الأموال والسلاح وخرب الدار وحضر المدينة، وأحسن أهل حلب مدافعته فناخر إلى جبل حيوش.

ثم انطلقت أيدي الد Guar بالبلد على النهب، وقاتلهم الناس على متعاهم، وحررت الأسوار خلُوها من الحامية فجاء الروم ودخلوها عليهم وبادر الأسرى الذين كانوا في حلب وأثخروا في الناس، وسي من البلد بضعة عشر ألفاً ما بين صبي وصبية واحتمل الروم ما قدروا عليه وأحرقوا الباقى.

وجل المسلمين إلى قصبة البلد فامتنعوا بها، وتقدم ابن أخت الملك إلى القلعة يحاصرها فرمي بمجر من حيث فمات وقتل الدمستق به من كان معه من أسرى المسلمين كانوا ألفاً ومائتين. وارحل الدمستق عنهم ولم يعرض لسواد حلب وأمرهم بالعمارة على أنه يعود ابن عمه عن قريب فخيّب الله ظنه.

وأعاد سيف الدولة عين زربة وأصلاح أسوارها وغزا حاجبه مع أهل طرسوس إلى بلاد الروم فاثخروا فيها ورجعوا، فجاء الروم إلى حصن سبة فملقوه وملقوه أيضًا حصن دلوكة وثلاثة حصون مجاورة لهم، ثم سار نحو غلام سيف الدولة إلى حصن زياد فلقيهم جموع من الروم فانهزم الروم وأسر منهم خمسة وسبعين رجلاً.

وفي هذه السنة أسر أبو فراس بن سعيد بن حمدان وكان عاملًا على منبع وفيها سار جيش من الروم في البحر إلى جزيرة

والسي، وانتهى إلى أسر وشنطة ورجع وقد أخذت الروم عليه المضائق، فقال له أهل طرسوس: ارجع معنا فإن الدروب التي دخلت منها قد ملكها الروم عليك فلم يرجع إليهم، وكان معجباً برأيه فظهر الروم عليه في الدرب واستردا ما أخذوا منه ونجا في قل قليل يناظرون الثلاثمائة ثم دخل ستة حسين قائد من موالي سيف الدولة إلى بلاد الروم من ناحية ميافارقين ففتح وسبا وخرج سالمًا.

### الفترة بين ناصر الدولة ومعز الدولة بن

بويه

قد تقدم لنا ما وقع من الصلح بين ناصر الدولة وبين معز الدولة بن بويه، وطالبه في المال فانقض.

وسار إليه معز الدولة إلى الموصل متصرف السنة وملوكها، وفارقهها ناصر الدولة إلى نصيبين وحمل نوابه ومن يعرف وجوه المال وحماته، وأنزلهم في قلائع مثل الرزغراني وكواشى ودس إلى العرب بقطع الميرة عن عسكر معز الدولة فضاقت عليهم الأقوات، فرجل معز الدولة إلى نصيبين لما بها من الغرب السلطانية، واستخلف سبكتين الحاجب الكبير على الموصل، وبلغه في طريقه أن أبا الرجاء عبد الله ابن ناصر الدولة مقيمان بسنجر فقصدهما فهربا، وخلقا أناهلاهما وانهبت المسكر خيامهما. ثم عادا إلى معسكر معز الدولة وهم غازون فتناولوا منهم، ورجعوا إلى سنجر، وسار معز الدولة إلى نصيبين ففارقهها ناصر الدولة إلى ميافارقين، واستأمن كثير من أصحابه إلى معز الدولة، فسار ناصر الدولة إلى أخيه سيف الدولة بحلب، فقام بخدمته وبما شرها بنفسه، وأرسل إلى معز الدولة في الصلح بينه وبين أخيه، فامتنع معز الدولة من قبول ناصر الدولة لانتقاده وإخلافه، فضمن سيف الدولة البلاد باتفاق ألف وتسعمائة ألف درهم، وأطلق معز الدولة أسرى أصحابهم.

وتم ذلك في حرم سنة ثمان وأربعين ورجع معز الدولة إلى العراق وناصر الدولة إلى الموصل.

### استيلاء الروم على عين زربة ثم على مدينة حلب

وفي الحرم من سنة إحدى وخمسين نزل الدمستق في جموع

وأخذ كثيراً من أموال أبي الورد وقتلها، ثم انتقض على سيف الدولة.

واتفق أن معز الدولة بن بويه استولى على الموصل ونصيبين فكتابه نجأ يعده المساعدة على بني حمدان، ثم صالحه ناصر الدولة ورجع إلى بغداد فسار سيف الدولة إلى نجأ فهرب منه بين يديه واستولى على جميع البلاد التي ملكها من أبي الورد واستأنف إليه نجا وأخوه وأصحابه، قاتلهم وأعاد نجا إلى مرتبته، ثم وُثب عليه غلامه وقتلوه في داره بـميافارقين في رباعي سنة ثلاث وخمسين.

### مسير معز الدولة إلى الموصل وحررته مع

#### ناصر الدولة

كان الصالح قد استقر بين ناصر الدولة ومعز الدولة على ألف الف درهم في كل سنة.

ثم طلب ناصر الدولة دخول ولده أبي ثعلب المظفر في اليمن على زيادة بذله، وامتنع سيف الدولة من ذلك وسار إلى الموصل متصرف سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة ولحق ناصر الدولة بنصيبين وملك معز الدولة الموصل، وسار عنها في أتباع ناصر الدولة بعد أن استخلف على الموصل في الجباية والخرب فلم يثبت ناصر الدولة، وفارق نصيبين وملكها معز الدولة.

وخلاله أبو ثعلب إلى الموصل وعاد في نواحيها، وهزمه قواد معز الدولة بالموصل فسكنت نفس معز الدولة.

وأقام ببر تعييد يتربّط أخباره، وخالف ناصر الدولة إلى الموصل فأوقع بأصحابه وقتلهم، وأسر قواده واستولى على مخلفه من المال والسلاح وحمل ذلك كله إلى قلعة كوشى.

وبلغ الخبر إلى معز الدولة فلحق بالتواب، وأعايا معز الدولة أمرهم.

ثم أرسلوا إليه في الصالح فأجاب، وعقد لناصر الدولة على الموصل وديار ربيعة، وبجميع أعماله يقرّها المعلوم، وعلى أن يطلق الأسرى الذين عنده من أصحاب معز الدولة ورجوع معز الدولة إلى بغداد.

### حصار المصيصة وطرسوس واستيلاء الروم عليها

وفي سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة خرج الدمشقي في جموع

إغريطش، وبعث إليهم المعز بالمدّ فأسر الروم وانهزم من بقي منهم، ثم ثار الروم في اثنين وخمسين بعدها على كلّهم فقتلوه وملأوا غيره وصار ابن السميسرة دمستقاً.

### انتهاض أهل حران

كان سيف الدولة قد ول هبة الله ابن أخيه ناصر الدولة غيرها من ديار مصر، فساء أثره فيها وطرح الأمّة على التجار وبالغ في الظلم فانتظروا به غيته عند عمه سيف الدولة وثاروا بعماله ونوابه فطربوهم، فسار هبة الله إليهم وحاصرهم شهرين وأفاحش في القتل فيهم.

ثم سار سيف الدولة فراجعوا الطاعة ودخلوا هبة الله وأفاحش في القتل واستقاموا.

### انتهاض هبة الله

وفي هذه السنة بعث سيف الدولة الصواف إلى بلاد الروم، فدخل أهل طرسوس من درب وملواه نجا من درب، وأقام هو ببعض الدروب لأنه كان أصحابه الفالج قبل ذلك بستين، فكان يعاني منه شدة إذا عاوده وجعه، وتغلب أهل طرسوس في غزوتهم وبلغوا قونية، وعادوا فعاد سيف الدولة إلى حلب واشتاد وجعه، فأرجف الناس بموجته فوثب هبة الله ابن أخيه، وقتل ابن دنجا النصراوي من غلامي سيف الدولة ولما تيقن حياة عمه رحل إلى حران وامتنع بها، وبعث سيف الدولة غلامه ف جاء إلى حران في طلبه، فلتحق هبة الله باليه بالموصل ونزل نجا على حران آخر شوال من سنة اثنين وخمسين، وتصادر أهلها على ألف الف درهم وأخذها منها في خمسة أيام بالضرب والنكال، وبايعوا فيها ذخائرهم حتى أملقوها، وصاروا إلى ميافارقين وزنّها شاغرة فسلط العيارون على أهلها.

### انتهاض نجا بـميافارقين وأرمينية واستيلاء سيف الدولة عليها

ولما فعل نجا بأهل حران ما فعل، واستولى على أمرها فقرى بها وبطر، وسار إلى ميافارقين، وقصد بلاد أرمينية، وكان قد استولى على أكثرها رجل من العراق يعرف بأبي الورد فغلبه نجا على ما ملك منها، وأخذ قلاعه وبلاذه فملك خلاط وملاذك رد

## وفاة سيف الدولة ومحبس أخيه ناصر الدولة

وأوهم أنه علىوي وتسمى هو بالأشاد وأسأء السيرة في أهل أنطاكية، وقصدتهم عرقوبة من حلب فهزموه.

ثم جاء سيف الدولة من ميافارقين إلى حلب وخرج إلى أنطاكية، وقاتل وزيرًا وابن الأهوazi أيامًا.

وجيء بهما إلى أسيرين فقتل وزيرًا وحبس ابن الأهوazi أيامًا وقتلها، وصلح أمر أنطاكية.

ثم ثار بمحص مروان القرمطي كان من متابعة القرامطة، وكان يقلد السواحل لسيف الدولة، فلما تمكن ثار بمحص فملكها وملك غيرها في غية سيف الدولة عيافارقين، وبعث إليه عرقوبة مولاه بدرًا بالعساكر فكانت بينهما عدة حروب أصب فيها مروان بسهم فثبت، وبقي أيامًا يجود بنفسه والقتال بين أصحابه وبين بدر، وأسر بدر في بعض تلك الحروب فقتله مروان وعاش بعده أيامًا ثم مات وصلح أمرهم.

## خروج الروم إلى التغور واستيلاؤهم على

دارا

وفي سنة خمس وخمسين وثلاثمائة خرجت جموع الروم إلى التغور فحاصروا آمد ونالوا من أهلها قتلاً وأسراً فامتنعت عليهم فانتصروا إلى دارا قريباً من ميافارقين فاخذوها، وهرب الناس إلى نصبيين وسيف الدولة يومئذ بها فهم بالمرهوب، وبعث عن العرب ليخرج معهم ثم انصرف الروم وأقام هو بمكانه، ساروا إلى أنطاكية فحاصروها مدة، وعاثروا في جهاتها فامتنعت فعاد الروم إلى طرسوس.

## وفاة سيف الدولة ومحبس أخيه ناصر

الدولة

وفي صفر من سنة خمس وخمسين وثلاثمائة توفي سيف الدولة أبو الحسن علي بن أبي الهيجاء عبدالله بن حдан جلب، وحمل إلى ميافارقين فدفن بها وهي مكانه بعده ابنه أبو المعالي شريف.

ثم في جادي الأولى منها حبس ناصر الدولة آخره بقلعة الموصى، حبسه ابنه أبو نعلب فضل الله الغضنifer وكان كبير ولده، وكان سبب ذلك أنه كبر وساعت أخلاقه، وخالف أولاده وأصحابه في المصالح، وضيق عليهم فضجروا منه، ولا بلغهم معز

الروم فنازل المصيصة، وشد حصارها وأحرق رسائقيها، وبلغ إلى نقب السور فدافنه أهلها أشد مدافعتهم.

ثم رحل إلى آذنة وطرسوس، وطال عليه في نواحيها، وأكثر القتل في المسلمين، وغلت الأسعار في البلاد، وقتلت الأقوات.

وعاود سيف الدولة مرضًّا فمنعه من النهوض إليهم، وجاء من خراسان خمسة آلاف رجل غزاة فبلغوا إلى سيف الدولة، فارتخل بسيفهم للدفاع فوجد الروم انصرفاً ففرق هؤلاء الغزاة في التغور من أجل الغلاء، وكان الروم قد انصرفوا بعد خمسة عشر يوماً.

وبعث الدمستق إلى أهل المصيصة وأذنه وطرسوس يهددهم بالعود، ويأمرهم بالرحيل من البلاد.

ثم عاد إليهم وحاصر طرسوس فقاتلهم أشد قتال وأسروا بطريقاً من بطارقة وسقط الدمستق إلى أهل المصيصة ورجعوا إلى بلادهم.

ثم سار تغور ملك الروم من القسطنطينية سنة أربع وخمسين إلى التغور، وبنى بقيسارية مدينة وزنلها، وجهز عليها العساكر وبعث أهل المصيصة وطرسوس في الصلح فامتنع، وسار بنفسه إلى المصيصة فدخلها عنوة واستباحها، ونقل أهلها إلى بلاد الروم وكانتوا نحواً من مائتي ألف.

ثم سار إلى طرسوس واستنزل أهلها على الأمان، وعلى أن يحملوا من مواههم وسلاحهم ما قدروا عليه، وبعث معهم حامية من الروم يبلغونهم أنطاكية، وأخذوا في عمارة طرسوس وتحصينها وجلب الميرة إليها.

ثم عاد إلى القسطنطينية وأراد الدمستق بن شمس الدين أن يقصد سيف الدولة في ميافارقين ومنعه الملك من ذلك.

## انتهاض أهل أنطاكية ومحص

ولما استول الروم على طرسوس لحق الرشيق العيمسي من قوادهم وأولي الرأي فيهم بأنطاكية في عدد وقوة، فاتصل به ابن أبي الأهوazi من الجبلة بأنطاكية، وحسن له العصيان وأراده أن سيف الدولة بميافارقين عاجز عن العود إلى الشام بما هو فيه من الزمانة، وأعانه بما كان عنده من مال الجبلة، فأجتمع رشيق الانهاض، وملك أنطاكية وسار إلى حلب وبها عرقوبة وجاء الخبر إلى سيف الدولة بأن رشيقاً أجمع الانهاض، ونجا ابن الأهوazi إلى أنطاكية فأقام في إمارتها رجلاً من الدليم اسمه وزير ولقبه الأمير

ثم مات ناصر الدولة في محبسه سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة دفن بالموصل.

وبعث أبو ثعلب أخيه أبي البركات إلى حدان بالرجبة فافترق عنه أصحابه، وقصد العراق مستجراً بخيار، فدخل بغداد في شهر رمضان من ستة، وحل إلى المدايا.

وبعث بخيار إلى أبي ثعلب النقيب أبي أحمد والد الشريف الرضي في الصلح مع أخيه حدان فصالحه، وعاد إلى الرجبة متصرف سنة تسع وخمسين وثلاثمائة وفارقه أبو البركات، ثم استقدمه أبو ثعلب فامتنع من القدوم عليه، فبعث إليه أخيه أبي البركات ثانياً في العساكر، فخرج حدان إلى البرية، وترك الرجبة فملكتها أبو البركات واستعمل عليها، وسار إلى الرقة، ثم إلى عربان.

وخلاله حدان إلى الرجبة فكبسها وقتل أصحاب أبي ثعلب بها فرجم إليه أبو البركات، وتقاتلا فضرب أبي البركات على رأسه فشجه، ثم القاه إلى الأرض وأسره ومات من يومه. وحل إلى الموصل دفون بها عند أبيه.

ووجه أبو ثعلب إلى حدان وقدم أخيه أبي فراس محمداً إلى نصبيين، ثم عزله عنها لأنه داخل حدان وما لاه عليه، فاستدعاه وقبض عليه وحبسه بقلعة ملاشي من بلاد الموصل فاستوحش آخره إبراهيم والحسن، ولحقاً بأخيهما حدان في شهر رمضان، وساروا جيعاً إلى سنمار.

وسار أبو ثعلب من الموصل في أثرهم في شهر رمضان سنة ستين وثلاثمائة فخامرها عن لقائه، واستأنس إلى آخره إبراهيم والحسن خديعة ومكرًا فائنهما، ولم يعلم، وبعدهما كثير من أصحاب حدان، وعاد حدان من سنمار إلى عربان وأطلع أبو ثعلب على خديعة أخيه فهرياً منه.

ثم استأنس الحسن ورجع إليه، وكان حدان أقام نائباً بالرجبة غلامه نجا، فاستولى على أمواله وهرب بها إلى حران وبها سلامة البرقيدي من قبل أبي ثعلب فرجع حدان إلى الرجبة، وسار أبو ثعلب إلى قرقيسيا، وبعث العساكر إلى الرجبة فعبروا الفرات، واستولوا عليها، ونجا حدان بنفسه، ولحق بسنمار مستجراً به، ومعه آخره إبراهيم فاكترمها ووصلهما وأقاما عنده.

ورجع أبو ثعلب إلى الموصل وذلك كله آخر سنة ستين وثلاثمائة.

الدولة بن بويه اعتزم أولاده على قصد العراق فنهاهم ناصر الدولة، وقال لهم: أصبروا حتى ينفع بخيار ما خلف أبوه معز الدولة من الذخيرة فتظفرروا به، وإلا استظره عليكم وظفر بكم فلجلوا في ذلك، ووتب به أبو ثعلب بموافقة البطانة، وجسمه بالقلعة، ووكل بخدمته، وخلاله بعض إخوته في ذلك واستطراب أمره، واضطرب إلى مداراة بخيار بن معز الدولة، وأرسل له في تجديد الضمان ليحتاج به على إخوته فضمته بألفي الف درهم في كل سنة.

### ولاية أبي المعالي بن سيف الدولة بحلب

#### ومقتل أبي فراس

ولما مات سيف الدولة كما ذكرناه ولد بعده ابنة أبو المعالي شريف، وكان سيف الدولة قد ولد لها فراس بن أبي العلاء سعد بن حدان عندما خلصه من الأسر الذي أسره الروم في متبعه فاستفاده في الفداء الذي بينه وبين الروم سنة خمس وخمسين وثلاثمائة وولاه على حصن.

فلما مات سيف الدولة استوحش من أبي المعالي بهذه ففارق حصن، ونزل في صدد قرية في طرف البرية قريباً من حصن، فجمع أبو المعالي الأعراب من بي كلام وغيرهم، وبعثهم مع عرقوبة في طلبه فجاء إلى صدد، واستأنس له أصحاب أبي فراس، وكان في جلتهم فامر به عرقوبة فقتل، واحتمل رأسه إلى أبي المعالي وكان أبو فراس خاله.

### أخبار أبي ثعلب مع إخوته بالموصل

كان لناصر الدولة بن حدان زوجة تسمى فاطمة بنت أحد الكردية، وهي أم أبي ثعلب وهي التي دبرت مع ابنها أبي ثعلب على أخيه، فلما حبس ناصر الدولة، كاتب ابنه حدان يستدعيه ليخلصه مما هو فيه.

وظفر أبو ثعلب بالكتاب، فقتل أباه إلى قلعة كواشي واتصل ذلك بحمدان، وكان قد سار عند وفاته عم سيف الدولة من الرجبة إلى الرقة فملكتها.

ولما اتصل به شأن الكتاب سار إلى نصبيين وجمع الجموع، وبعث إلى إخوته في الإفراج عن أيهم فسار أبو ثعلب لحربيه، وأنهزم حدان قبل اللقاء للرقة فحاصره أبو ثعلب أشهرها، ثم اصططلاعاً وعاد كل منهما إلى مكانه.

## خروج الروم إلى الجزيرة والشام

من معسكته فبعث إليها يلاطفها فأعادت إليه بعض ما نهب، وحملت إليه مائة ألف درهم وأطلقت الأسرى فرج عنها.

### استيلاء الروم على أنطاكية ثم حلب ثم ملاذكرد

وفي سنة تسع وخمسين خرج الروم إلى أنطاكية فمروا بمحصن الرفاء بقربها، وهم نصارى فحاصروهم، واتفقوا على أن يرحلوا إلى أنطاكية، فإذا نزل الروم عليهم ثاروا من داخل، واتنقل أهل الرفاء ونزلوا ببابل أنطاكية.

وجاء بعد شهرين آخر نفور ملك الروم في أربعين ألفاً من جموع الروم، ونازلاً أنطاكية فاحتلوا له أهل الرفاء السور من ناحيتهم، وملكروا البلد وسبوا منها عشرين ألفاً. ثم انفذ ملك الروم جيشاً كثيناً إلى حلب، وأبو العالى بن سيف الدولة عليها يحاصرها فقارتها أبو المعالي، وقصد البرية وملك الروم حلب.

وتحصن قرعويه وأهل البلد بالقلعة فحاصروها مدة ثم ضربوا المدنة بينهم على مال يحمله قرعويه، وعلى أن الروم إذا أرادوا المبارة من قرى الفرات لا يعنونهم منها. ودخل في هذه المدنة حصص وكفرطاب والمعرة وأقامية وشيزر، وما بين ذلك من الحصون والقرى، وأعطاهم رهنهم على ذلك الروم، وأفجع الروم عن حلب. وكان ملك الروم قد بعث جيشاً إلى ملاذكرد من أعمال أرمينية فحاصروها وفتحوها عنوة، ورعب أهل الشور منهم في كل ناحية.

### مقتل نفور ملك الروم

كان نفور ملكاً بالقسطنطينية، وهي البلاد التي يد بني عثمان لهذا العهد، وكان من يليها يسمى الدمشقي.

وكان نفور هذا شديداً على المسلمين، وهو الذي أخذ حلب أيام سيف الدولة، وملك طرسوس والمسينة وعين زربة، وكان قتل الملك قبله وتزوج امرأته، وكان له منها ابنان فكفلهما نفور وكان كثيراً ما يطرق بلاد المسلمين ويدخوها في ثور الشام والجزيرة، حتى هابه المسلمون وخافوه على بلادهم. ثم أراد أن يجيب ربيبه ليقطع سلالمها فقررت أمها من

وفي سنة خمس وثمانين وثلاثمائة دخل ملك الروم الشام فسار في نواحيها، ولم يجد من يدافعه فعاد في نواحي طرابلس، وكان أهلها قد أخرجوا عاملهم إلى عرقه لسوء سيرته فنهب الروم أمواله، ثم حاصر الروم عرقه فملقوها ونهبواها.

ثم قصدوا حصن وقد انتقل أهلها عنها فاقرقوها، ورجعوا إلى بلاد السواحل وملكوا منها ثمانية عشر بلداً، واستباحوا عامة القرى، وساروا في جميع نواحي الشام ولا مدفع لهم، إلا أن بعض العرب كانوا يغبون على أمرائهم.

ثم رجع ملك الروم بجامعة حصار حلب وأنطاكية، وبله استعدادهم فرجل عنهم إلى بلاده ومعه من السي مائة ألف رأس. وكان بطلب قرعويه مولى سيف الدولة فمانعهم، وبعث ملك الروم سراياه إلى الجزيرة فبلغوا كفترثاً وعائداً في نواحيها، ولم يكن من أبي ثعلب مدافعة لهم.

### استبداد قرعويه بحلب

كان قرعويه غلام سيف الدولة، وهو الذي أخذ البيعة لابن أبي العالى بعد موته، فلما كان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة انتقض على أبي العالى وأخرجه من حلب واستبد بملكها. وسار أبو العالى إلى حران فمنعه أهلها، فسار إلى والدته ميافارقين وهي بنت سعيد بن حدان أخت أبي فراس.

ولحق أصحابه بأبي ثعلب، وبلغ أمه ميافارقين وهي بنت سعيد بن حدان أخت أبي فراس أنه يريد القبض عليها فمنعته أيام من الدخول، حتى استنقذت نفسها وأذلت له ولبن رضيته، وأطلقت لهم الأرزاق ومنتت الباقين وسار أبو العالى لقتال قرعويه بحلب فامتنع عليه، ثم لحق أبو العالى بمحمة، وأقام بها وبقيت الخطيبة بمحران له ولا ولـي عليهم من قبله، فقدموا عليهم من يحكم بينهم.

### مسير أبي ثعلب من الموصل إلى ميافارقين

ولما سمع أبو ثعلب بخروج أبي العالى من ميافارقين إلى حلب لقتال قرعويه، سار إليها وامتنعت زوجة سيف الدولة منه، واستقر الأمر بينهما على أن تحمل إليه مائة ألف درهم.

ثم غي إليها أنه يحاول على ملك البلد فكبسته ليلة، ونالت

وسار جماعة من أهل تلك البلاد إلى بغداد مستقرين، وجلسوا إلى الناس في المساجد والمشاهد يصفرون ما جرى على المسلمين، وخوفهم عاقبة أمرهم فقدمهم أهل بغداد إلى دار الطاعن الخليفة، وأرادوا المحروم عليه فأغلقت دونهم الأبواب فأعلنوا بشتمه، ولحق آخرون من أهل بغداد بختيار وهو بنواحي الكوفة يستغثونه من الروم، فوعدهم بالجهاد، وأرسل إلى الحاكم سبكتين يأمره بالتجهيز للغزو، وأن يستقر العامة، وكتب إلى أبي ثعلب بن حدان بإعداد الميرة والعلوفات والتجهيز، وأنه عازم على الغزو.

ووقدت بسبب ذلك فتنة في بغداد من قبل اشتغال العامة بذلك أدت إلى القتل والنهب بين عصائب الفتيان والعابرين.

### أسر الدمستق وموته

ولما فعل الدمستق في ديار مصر والجزيره ما فعل، قوي طبعه في فتح أمد فسار إليه أبو ثعلب، وقدم أخاه أبا القاسم هبة الله، واجتمعوا على حرب الدمستق ولقياه في رمضان سنة اثنين وستين.

وكانت الجولة في مضيق لا تتحرك فيه الخيل، وكان الروم على غير أهبة فانهزموا، وأخذ الدمستق أسرى، فلم يزل محبوساً عند أبي ثعلب إلى أن مرض سنة ثلاثة وستين ويبلغ في علاجه وجمع له الأطباء فلم يتتفع بذلك ومات.

### استيلاء بختيار بن معز الدولة على الموصل

#### وما كان بيته وبين أبي ثعلب

قد تقدم لنا ما كان بين أبي ثعلب وأخوه حدان وإبراهيم من الحروب، وأنهما سارا إلى بختيار بن معز الدولة صريخيين فوعدهما بالنصرة، وشغل عن ذلك بما كان فيه فابتلاه الله، وهرب إبراهيم ورجع إلى أخيه أبي ثعلب فتحرك عزم بختيار على قصد الموصل، وأغرى وزير ابن بقية لتقصيده في خطابه فسار، ووصل إلى الموصل في ربيع سنة ثلاثة وستين وثلاثمائة ولحق أبو ثعلب بسنجار وأخلي الموصل من الميرة ومن الدواوين.

وخلال بختيار إلى بغداد، ولم يحدث فيها حدثاً من نهب ولا غيরه، وإنما قاتل أهل بغداد فحدث فيها الفتنة بسبب ذلك بين عامتها، واضطرب أمرهم وخاصةً الجانب الغربي.

وسمع بختيار بذلك فبعث في أثره وزير ابن بقية

ذلك، وأرسلت إلى الدمستق بن الشميشق وداخلته في قتله وكان شديد الحرف من نفور.

وهذا كان أبوه مسلماً من أهل طرسوس يعرف بابن العاشش تصر ولحق بالقططنية، ولم ينزل بترقى في الأطوار إلى أن نال من الملك ما ناله.

وهذه غلطة ينبغي للعقلاء أن يتذمروا عنها، ولا ينال الملك من كان عريقاً في السوق، وفقداً للعصابة بالكلية وبعيداً عن نسب أهل الدولة، فقد تقدم من ذلك في مقدمة الكتاب ما فيه كفاية.

### استيلاء أبي ثعلب على حران

وفي منتصف سنة تسع وخمسين وثلاثمائة سار أبو ثعلب إلى حران وحاصرها نحواً من شهر، ثم جنح أهلها إلى مصالحته واضطربوا في ذلك، ثم توافقوا عليه وخرجوه إلى أبي ثعلب وأعطوه الطاعة، ودخل في إخوانه وأصحابه فصلى الجمعة ورجع إلى مسكنه.

واستعمل عليهم سلامه البرقيدي، وكان من أكابر أصحابه بني حدان.

ويبلغ الخبر بأن ثيراً عاثراً في بلاد الموصل وقتلوا العامل برقيد فاسرع العود.

### مصالحة قرعويه لأبي المعالي

قد تقدم لنا استبداد قرعويه مجلب سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة وخروج أبي المعالي ابن سيف الدولة منها، وأنه لحق بأمه بيكافارقين، ثم رجع لحصار قرعويه مجلب.

ثم رجع إلى حلب ونزل بها ثم وقع الاتفاق بينه وبين قرعويه على أن يخطب له مجلب ويخطبان جميعاً للمعز العلوي صاحب مصر.

### مسير الروم إلى بلاد الجزيره

وفي سنة إحدى وستين سار الدمستق في جموع الروم إلى الجزيره فأغار على الرها ونواحيها، ثم تنقل في نواحي الجزيره، ثم بلغ نصبيين واستباحها ودوخها، ثم سار في ديار بكر ففعل فيها مثل ذلك.

ولم يكن لأبي ثعلب في مدافعتهم أكثر من حل المال إليهم،

و هزم بختيار ابن عمه معز الدولة، سار بختيار في الفيل إلى الشام ومعه حدان بن ناصر الدولة آخر أبي ثعلب فحسن له قصد الموصل على الشام، وقد كان عضد الدولة عاشه أن لا يتعرض لأبي ثعلب لمردة بينهما فنكث وقصدها.

ولما انتهى إلى تكريت أتاه رسول أبي ثعلب بالصلح، وأن يسير إليه بنفسه وعساكره، ويعيده على ملك بغداد على أن يسلم إليه أخاه حدان فسلمه إلى رسول أبي ثعلب فجسسه، وسار بختيار إلى الحديدة ولقي أبا ثعلب وسار معه إلى العراق في عشرين ألف مقاتل.

وزحف خورهمما عضد الدولة، والتقووا بنواحي تكريت في شوال سنة ست وستين فهزمهما عضد الدولة، وقتل بختيار ونجا أبو ثعلب إلى الموصل فاتبعه عضد الدولة، وملك الموصل في ذي القعدة، وحمل معه الميرة والعلوفات للإقامة، وبث السرايا في طلب أبي ثعلب ومعه المريزيان بن بختيار وأخوه أبو إسحاق وظاهر ابنها معز الدولة والذئهم.

وسار لذلك أبو الوفاء ظاهر بن إسماعيل من أصحابه. وسار حاجبه أبو ظاهر طغان إلى جزيرة ابن عمر ولحق أبو ثعلب بنصبين.

ثم انتقل إلى ميافارقين فقام بها، وبلغه مسيير أبي الوفاء إليه فقارتها إلى تفليس وجاء أبو الوفاء إلى ميافارقين فامتنعت عليه فتركها وطلب أبو ثعلب فخرج من أرزن الروم إلى الحسينية من أعمال الجزيرة، وقصد إلى قلعة كوشي وغيرها من قلاعه، وتقل منها ذخيرته، وعاد فعاد أبو الوفاء إلى ميافارقين وحاصرها.

و اتصل بعضاً الدولة مجنه إلى القلاع، فسار إليه ولم يدركه، واستأنف إليه كثير من أصحابه.

وعاد إلى الموصل وبعث قائده طغان إلى تفليس فهرب منها

أبو ثعلب واتصل بملكهم المعروف بورد الرومي، وكان ممتازاً لملكهم الأعظم في الملك، فوصل ورد يده بيد أبي ثعلب، وصاحبها ليستعين به وابعه في مسيرة عسکر عضد الدولة، وأدركه فهزمهما وأخن فيهم، ونجا فلهم إلى حصن زياد ويسمى خرت برت.

وأرسل إلى ورد يستمدده فاعتذر بما هو فيه ووعده بالنصر.

ثم انهزم ورد أمام ملك الروم فليس أبو ثعلب من نصره، وعاد إلى بلاد الإسلام وزنل بأمده حتى جاء خبر ميافارقين.

وكان أبو الوفاء لما رجع من طلب أبي ثعلب حاصر ميافارقين، والوالى عليها هزار مرد فضبط البلد ودافع أبا الوفاء ثلاثة أشهر.

وبختير، فدخل ابن بقية بغداد وأقام سبكتكين في الضاحية، وتاخر أبو ثعلب عن بغداد وحاربه يسير، ثم دخله في الانقضاض واستيلاء سبكتكين على الأمر.

ثم أقصر سبكتكين عن ذلك وخرج إليه ابن بقية، وراسلوا أبا ثعلب في الصلح على مال يضممه ويرد على أخيه حدان إقطاعه ما سوى ماردين، وكتبوا بذلك إلى بختيار.

وارتحل أبو ثعلب إلى الموصل وأشار ابن بقية على سبكتكين باللحاق بختيار فتقاعد، ثم سار.

وارتحل بختيار عن الموصل بعد أن جهد منه أهل البلد بما نالم من ظلمه وعسفه، وطلب منه أبو ثعلب الإذن في لقب سلطاني وأن يحيط عنه من الضمان فأجابه وسار.

ثم بلغه في طريقه أن أبا ثعلب تقضى وقتل بعضاً من أصحاب بختيار عادوا إلى الموصل لنقل أهاليهم، فاستشاط بختيار واستدعى ابن بقية وسبكتكين في العساكر، وعادوا جميعاً إلى الموصل.

وفارقها أبو ثعلب وبعث أصحابه بالاعتزاز والخلاف على إنكار ما بلغه قبل، وبعث الشريف أبا أحد الموسوي لاستحلافه.

وتم الصلح ورجع بختيار إلى بغداد فجهز ابته إلى أبي ثعلب وقد كان عقد له عليها من قبل.

## عود أبي المعالي بن سيف الدولة إلى حلب

قد تقدم لنا أن قرعية مولى أبيه سيف الدولة كان تغلب عليه، وأخرجه من حلب سنة سبع وخمسين وثلاثمائة، فسار إلى والدته ميافارقين، ثم إلى حمة فنزلها وكانت الروم قد أمانت حصن، وكثير أهلها.

وكان قرعية قد استتاب بمنصب مولاه بكجور فقوى عليه وحبسه في قلعة حلب، وملكها سين فكتب أصحاب قرعية إلى أبي المعالي واستدعوه، فسار وحاصرها أربعة أشهر، وملكها وأصلاح أحوالها، وازدادت عمارتها حتى انتقل إلى ولاية دمشق كما يذكر.

## استيلاء عضد الدولة بن بوه على الموصل

### وسائر ملوك بني حدان

ولما ملك عضد الدولة بن ركن الدولة بن بوه بغداد،

ثم حدثت الفتنة بين دغفل وقسام وأخريهم، واتصروا بأبي ثعلب فنزل بجوارهم خافة دغفل والفضل القائد الذي يحاصر دمشق.

ثم ثار أبو ثعلب في بيته عقيل إلى الرملة في حرم سنة تسع وستين، فاستراب به الفضل ودغفل وجمعوا لحربه فقر بنو عقيل عنه، ويقي في سبعمائة من غلمانه وغلمان أبيه، وولي منه ما فلحقه الطلب فوقف يقاتل، فضرب وأسر وحمل إلى دغفل، وأراد الفضل حله إلى العزيز فخاف دغفل أن يصطنه كما فعل بأفتكين قتله، وبعث الفضل بالرأس إلى مصر، وحمل بنو عقيل أخته جبلا وزوجته بنت سيف الدولة إلى أبي العالى مخلب فبعث بجملة إلى الموصل وبعث بها أبو الوفاء إلى عضد الدولة بغداد فاعتقلها.

### وصول ورد المنازع للملك الروم إلى ديار بكر مستجيراً

كان ملك الروم أرمانوس لما توفي خلف ولدين صغيرين وهو ما يسيل وقسطنطين، ونصب أحدهما للملك وعاد حيث نشأ الدمشقي تغور من بلاد الإسلام بعد أن عاث في نواحيها وبالغ في النكابة، فاجتمع إليه الروم ونصبوه للنيابة عن أبي أرمانوس فداخلت أحهها ابن الشيشق على الدمشقية، وقبض على لا وون أخيه دستق وعلى ابنه ورديس بن لا وون واعتقلهما في بعض القلاع.

وسار إلى بلاد الشام وأعظم فيها النكبة ومر بطرابلس فحاصرها، وكان لوالده الملك آخر خصي وهو يومند وزير، فرضع على ابن الشيشق من سقاء السم، وأحس به من نفسه فاغذر السير إلى القسطنطينية فمات في طريقه.

وكان ورد بن منير من عظماء البطارقة في الأمر، وصاهر أبي ثعلب بن حدان واستجاشه بال المسلمين من الغفور، وقصد الروم ووالي عليهم المزاحم فخافه الملكان، وأطلقوا ورديس بن لا وون وبعثاه على الجيوش لقتال الورد فقاتلاته فانهزم إلى ديار بكر سنة تسعة وستين وثلاثمائة، ونزل بظاهر ميافارقين، وبعث أخاه إلى عضد الدولة مستمراً به.

وبعث ملك الروم بالقسطنطينية إلى عضد الدولة فاستماله فرجع جانبهما، وأمر بالقبض على ورد وأصحابه فقبض عليه أبو علي التميمي عامل ديار بكر، وعلى ولده وأخيه وأصحابه وأودعهم السجن بميافارقين ثم بعثهم إلى بغداد فجسوا بها إلى أن

ثم مات وولي أبو ثعلب مكانه مؤنساً من موالي الحمدانية، ودس أبو الوفاء إلى بعض أعيان البلد فاستماله فبعث له في الناس رغبة.

وشعر بذلك مؤنس فلم يطق مخالفتهم فانقاد واستأمن، وملك أبو الوفاء البلد وكان في أيام حصاره قد افتتح سائر حصونه فاستولى على سائر ديار بكر وأمن أصحاب أبي ثعلب وأحسن إليهم ورجع إلى الموصل.

وبلغ الخبر إلى أبي ثعلب متقلبه من دار الحرب فقصد الرحمة، وبعث إلى عضد الدولة يستعطفه فشرط عليه المسير إليه فامتثل.

ثم استولى عضد الدولة على ديار مصر وكان عليها من قبل أبي ثعلب سلامه البرقيدي من كبار أصحاب بني حدان وكان أبو العالى بن سيف الدولة بعث إليها جيشاً من حلب فحاربواها وامتنعت عليهم، وبعث أبو العالى إلى عضد الدولة وعرض بنفسه عليه فبعث عضد الدولة القىب لبا أحد الموسوي إلى سلامه البرقيدي، وتسلّمها بعد حروب، وأخذ لنفسه منها الرقة، ورد باقيها على سعد الدولة فصارت له.

ثم استولى عضد الدولة على الرحمة، وتفرغ بعد ذلك لفتح قلاعه وحصونه.

واستولى على جميع أعماله واستخلف أبا الوفاء على الموصل، ورجع إلى بغداد في ذي القعدة سنة ثمان وستين.

ثم بعث عضد الدولة جيشاً إلى الأكراد المكارية من أعمال الموصل فحاصر وهم حتى استقاموا وسلموا قلاعهم، ونزلوا إلى الموصل فحال الثلوج بينهم وبين بلادهم فقتلهم قائد الجيش، وصلبهم على جانبي طريق الموصل.

### مقتل أبي ثعلب بن حدان

ولا يليس أبو ثعلب بن حدان من إصلاح عضد الدولة، والرجوع إلى ملوكه بالموصل سار إلى الشام، وكان على دمشق قسام داعية العزيز العلوي غالب عليها بعد افتکين وقد تقدم ذلك، وكيف ول أفتکين على دمشق، فخاف قسام من أبي ثعلب ومنه من دخول البلد فاقام بظاهرها، وكانت العزيز، وجاء الخبر بأنه يستقدمه، فرجل إلى طبرية بعد مداوشة حرب بيته وبين قسام وجاء الفضل قائد العزيز لحضار قسام بدمشق، ومر ببابي ثعلب ووعده عن العزيز بكل جيل.

حيثند العزيز، فكتب إلى نزال بطرابلس وغيره من ولاة الشام أن يدلوه ويكونوا في تصرفه.

ومن إليهم عيسى بن نسطورس النصراني وزير العزيز في المباعدة عنه لعداوتة مع ابن كلس الوزير قبله، وتجديدها مع ابن منصور هذا فكتب نزال إلى بكجور يواعده بذلك في يوم معلوم، وأخلفه وسار بكمور من الرقة وبلغ خبر مسيره إلى أبي المعالي فسار من حلب ومعه لولو الكبير مولى أبيه، وكتب إلى بكجور يستميله وينكره الخرق، وأن يقطعه من الرقة إلى حصن قلم يقبل وكتب أبو المعالي إلى صاحب أنطاكية يستمدءه فأمده بجيش الروم، وكتب إلى العرب الذين مع بكجور يرغبهم في الأموال والإقطاع فوعدهم خذلان بكجور عند اللقاء.

فلما التقى العسكريان وشغل الناس بالحرب، عطف العرب على سواد بكجور فنهبوا وלחقوا بأبي المعالي فاستمات بكجور وحل على موقف أبي المعالي يريديه، وقد أزاله لولو عن موقفه، ووقف مكانه خشبة عليه، وحل ذلك فلما انتهى بكجور لحملته برب إليه لولو وضربه فائته، وأحاط به أصحابه فول منهزمًا وجاء بعضهم إلى أبي المعالي فشارطه على تسليميه إليه فقبل شرطه، وأحضره قتله وسار إلى الرقة، وبها سلامه الرشقي مولى بكجور وأولاده وأبو الحسن علي بن الحسين المغربي وزيره فاستأمنوا إليه فأنهم وزلوا عن الرقة فملكتها واستكثروا ما مع أولاد بكجور فقال له القاضي ابن أبي الحصين: هو مالك، وبكمور لا يملك شيئاً ولا حنت عليك.

فاستصفى مالهم أجمع وشفع فيهم العزيز فاسأله عليه الرد، وهرب الوزير المغربي إلى مشهد علي.

### خبر باد الكردي ومقتله على الموصل

كان من الأكراد الحميدية بنواحي الموصل ومن رؤسائهم رجل يعرف بباد، وقيل: باد لقب له، وأسمه أبو عبد الله الحسين بن ذوشتك، وقيل باد اسمه وكتبه أبو شجاع ابن ذوشتك، وإنما أبو عبد الله الحسين آخره.

وكان له بأس وشدة وكان يخيف السالمة، ويندل ما تجمع له من النهب في عشائره فكثرت جوعه، ثم سار إلى مدينة أربينية فملك مدينة أرجيش.

ثم رجع إلى ديار بكر، فلما ملك عضد الدولة الموصل حضر عنده في جملة الوفود وخافه على نفسه فعدا وأبعد في منتهيه، وبلغ عضد الدولة أمره فطلبه فلم يظفر به.

أطلقهم بهاء الدولة بن عضد الدولة سنة خمس وسبعين وثلاثمائة وشرط عليه إطلاق عدد من المسلمين وإسلام سبعة من المخصوص برساتيقها، وأن لا يتعرض لبلاد المسلمين ما عاش وجهازه فسار وملك في طريقه ملطيبة وقوي ما فيه وصالحة ورديس بن لا وون على أن يكون قسطنطينية وجانب الشمال من الخليج له وحاصر قسطنطينية، وبها المكان ابن أرمانتوس وهو بسيل وقسطنطين في ملوكها، وأقرأ ورداً على ما بيده قليلاً.

ثم مات وتقدم بسيل في الملك ودام عليه ملكه وحارب البلغار خمساً وثلاثين سنة، وظفر بهم وأجلهما عن بلادهم وأسكنها الروم.

### ولاية بكجور على دمشق

قدمنا ولاية بكجور على حصن لأبي المعالي بن سيف الدولة وأنه عمرها وكان أهل دمشق يتكللون إليها لما نالم من جور قسام، وما وقع بها من الغلاء والوباء، وكان بكجور يحمل الأقوات من حصن تقرباً إلى العزيز صاحب مصر، وكانته في ولاته فروعه بذلك.

ثم استوحش من أبي المعالي سنة ثلاثة وسبعين، وأرسل إلى العزيز يستتجز وعده في ولاية دمشق فمنع الوزير بن كلس من ولايته ريبة به، وكان بدمشق من قبل العزيز القائد بل يكنى بعثه فمنع الوزير بعد قسام وساه أثر ابن كلس في الدولة، واجتمع الكتاميون بمصر على التوبيخ بابن كلس ودعوه الضرورة لاستقدام بل يكنى من دمشق فأمر العزيز باستقدامه، وولى بكجور مكانه فدخلها في رجب سنة ثلاثة وسبعين وثلاثمائة وأسأله السيرة فيها وعاد في أصحاب الوزير بن كلس وأقام على ذلك ستة.

وعجز أهل دمشق منه وجهزت العساكر من مصر مع القائد منير الخادم، وكوتب نزال والي طرابلس بمعاشرته فسار في العساكر، وجمع بكجور عسكراً من العرب وغيرهم، وخرج للقاء فهزمه منير واستأمن إليه بكجور على أن يرحل عن دمشق فأنهه ورحل إلى الرقة واستولى عليها، وتسلم منير دمشق وأقام بكجور بالرقة واستولى على الرحبة وما يجاور الرقة، وراسل بهاء الدولة بن عضد الدولة بالطاعة وباد الكردي المتغلب على ديار بكر والموصل بالمسير إليه، وأبا المعالي سعد الدولة صاحب حلب بالعود إلى طاعته على أن يقطعه حصن، فلم يجيء أحد إلى شيء فأقام بالرقة يراسل موالى سعد الدولة أبي المعالي، ويستمهله في النذر به فأجابوه، وأخبروه أن أبي المعالي مشغول بلداته فاستمد

## عود بني حمدان إلى الموصل ومقتل باد

كان أبو طاهر إبراهيم وأبو عبد الله الحسن ابنا ناصر الدولة بن حمدان قد لحقاً بعد مهلك أخיהם أبي ثعلب بالعراق، وكانتا يبغداد، واستقرا في خدمة شرف الدولة بن عضد الدولة، فلما تولى شرف الدولة خروشاده في الموصل بعثهما إليها، ثم انكر ذلك عليه أصحابه فكتب إلى خروشاده عامل الموصل فمنعهما، فكتب إليهما بالرجوع عنه فلم يجدهما، وأغدا السير إلى الموصل حتى نزل بظاهرها.

وثار أهل الموصل بالديلم والأتراك الذين عندهم وخرجوا إلى بني حمدان.

وزحف الديلم لقتالهم فانهزما وقتل منهم خلق، وامتنع باقيهم بدار الإمارة، وأراد أهل الموصل استلحامهم فمنعهم بنو حمدان وأخرجوا خروشاده ومن معه على الأمان إلى بغداد، وملكوا الموصل، وتسلّل إليهم العرب من كل ناحية، وأراد أهل الموصل استلحامهم فمنعهم بنو حمدان، وأخرجوا خروشاده ومن معه على الأمان إلى بغداد وملكوا الموصل، وتسلّل إليهم العرب من كل ناحية وبلغ الخبر إلى باد وهو بديار بكر مهلك الموصل، وجع فاجتمع إليه الأكراد البشريّة أصحاب قلعة فسك، وكان جمعهم كثيراً.

واستعمال أهل الموصل بكتبه فأجابه بعضهم، فسار ونزل على الموصل، وبعث أبو طاهر وأبو عبد الله ابنا حمدان إلى أبي عبد الله محمد بن المسيب أمير بني عقيل مستنصراته، وشرط عليهما جزيرة ابن عمر ونصيبين فقبل شرطه.

وسار أبو عبد الله صريحاً، وأقام آخره أبو طاهر بالموصل وباد يحاصره.

وزحف أبو الرواد في قومه مع أبي عبد الله بن حمدان، وعبروا دجلة عند بدر، وجاؤوا إلى باد من خلفه.

وزخر أبو طاهر والحمدانية من أمامه، والتحم القتال ونكب بيد فرسه فوقع طریحاً، ولم يطق الرکوب وجهض العدو عنه أصحابه فتركوه قتله بعض العرب، وحمل رأسه إلى بني حمدان ورجعوا ظافرين إلى الموصل وذلك ستة ثمانين وثلاثمائة.

ولما هلك عضد الدولة سار باد إلى ديار بكر فملك أمره و Miafarqin.

ثم ملك نصيبين فجهز صمّاص الدولة العساكر إليه مع الحاجب أبي القاسم سعيد بن محمد فلقيه على خاور الحسينية من بلاد كرواشي فانهزم الحاجب وعساكره، وقتل كثير من الدليل، ولحق الحاجب سعيد بالموصل وباد في اتباعه.

وثارت عامة الموصل بالحاجب لسوء سيرته فآخر جوه، ودخل باد الموصل سنة ثلاثة وسبعين وقوي أمره وسمى إلى طلب بغداد وأهم صمّاص الدولة أمره ونظر مع وزيره ابن سعدان في توجيه العساكر إليه وانفذ كبير القراد زياد بن شهراً كونه، فتجهز لحربه وبالغوا في مده وإزاحة علله فلقيهم في صفر سنة أربع وسبعين.

وانهزم باد وقتل كثير من أصحابه وأسر آخرون، وطيف بهم في بغداد.

واستولى الديلم على الموصل، وأرسل زياد القائد عسكراً إلى نصيبين فاختلقو على مقدمهم.

وكتب ابن سعدان وزير صمّاص الدولة إلى أبي المعالي بن حمدان صاحب حلب يومئذ بولاية ديار بكر، وإدخالها في عمله، فسیر إليه أبو المعالي عسكره إلى ديار بكر فلم يكن له طاقة بأصحاب باد، فحاصرها ميافارقين أيام ورجعوا إلى حلب.

وبعث سعد الحاجب من يتول غدر باد فدخل عليه رجل في خيمته وضربه بالسيف على ساقه يظنه رأسه فنجا من المهمة ثم بعث باد إلى زياد القائد، وسعد الحاجب بالموصل بطلب الصلح فأتمروا بينهم على أن تكون ديار بكر لباد، والنصف من طور عدين.

فخلصت ديار بكر لباد من يومئذ وأخذ رأس زياد القائد إلى بغداد، وأقام سعد الحاجب بالموصل إلى أن توفي سنة سبعين، فطمع باد في الموصل، وبعث إليها شرف الدولة بن بويه أبا نصر خروشاده في العساكر، فزحف إليه باد وتأمر المدد عن أبي نصر فبعث عن العرب من بني عقيل وبني نمير لمدافعة باد، وأقطعهم البلاد.

واستولى باد على طور عدين آخر الجبال ولم يضجر، وأرسل أخيه في عسكر لقتال العرب فقط، وانهزم عسكره وأقام باد قبلة خروشاده حتى جاء الخبر بموت شرف الدولة بن بويه، فزحف خروشاده إلى الموصل وقامت العرب بالصحراء وبساد بالجبال.

## مهلك أبي طاهر بن حمدان واستيلاء أبي عقيل على الموصل

ونزل أبو الفضائل ولوّل من القلعة إلى مدينة حلب فقتل ما فيها من الغلال، وأحرق الباقى وعاد منجوتين إلى حصارهم بحلب.

وبعث ولوّل إلى أبي الحسن المغربي في الرساطة هم في الصلح فصالحهم منجوتين، ورحل إلى دمشق حجراً من الحرب وتعذر الأقوات، ولم يراجع العزيز في ذلك فقضب العزيز، وكتب إليه برفعه ويأمره بالعودة لحصار حلب فعاد وقام عليها ثلاثة عشر شهراً.

فبعث أبو الفضائل ولوّل مراسلة للملك الروم وحرضوه على أنطاكية، وكان قد توسط بلاد البلغار فرجع عنها وأجفل في الحشد، ورجع إلى حلب.

وبلغ الخبر إلى منجوتين فأجفل عنها بعد أن أحرق خيامه وهدم مبانيه، وجاء ملك الروم وخرج إلى أبو الفضائل ولوّل فشكراً له ورجعوا، ورحل ملك الروم إلى الشام ففتح حمص وشیراز ونهبها، وحاصر طرابلس فامتنعت عليه فاقام بها أربعين ليلة، ثم رحل عائداً إلى بلده.

### النراضي بني حمدان بحلب واستيلاء بني كلاب عليها

ثم إن أبي نصر ولوّل مولى سيف الدولة عزل أبا الفضائل مولاً بحلب، وأخذ البلد منه ومحا دعوة العباسية، وخطب للحاكم العلوي مصر ولقبه مرتضى الدولة.

ثم فسد حاله معه فطمع فيه بنو كلاب بن ربيعة وأميرهم يومئذ صالح بن مرداس وتقبض ولوّل على جماعة منهم دخلوا إلى حلب، كان فيهم صالح فاعتقله مدة وضيق عليه.

ثم فر من حمسة ونجا إلى أهله وزحف إلى حلب ولوّل فيها وكانت بينه وبينهم حروب هزم صالح آخرها، وأسره ستة سنتين وأربعين سنة.

وخلص أخوه نجا إلى حلب فحفظها وبعث إلى صالح في فدية أخيه وشرط له ما شاء فأطلقه، ورجع إلى حلب واتهم مولاً فتحاً، وكان نائبه على القلعة بالمدخلة في هزيمته فاجمع نكتبه.

وغي إلى الخبر، فكاتب الحاكم العلوي وأنهروا دعوه، وانتقض على ولوّل فاقطعه الحاكم صيدا وبيروت، ولحق ولوّل بالروم في أنطاكية فاقام عندهم ولحق فتح بصيدا.

واستعمل الحاكم على حلب من قبله، وانقرض أمر بني

لاملك باد طمع أبو طاهر وأبو عبد الله ابن حمدان في استرجاع ديار بكر، وكان أبو علي بن مروان الكردي، وهو ابن أخت باد قد خلص من المعركة، ولحق بمحسن كفنا، وبه أهل باد وما له، وهو من أمنع المعاقل فتزوج امرأة خاله، واستولى على ماله وعلى المحسن، وسار في ديار بكر فملك ما كان خاله فيها تليداً.

وبينما هو يحاصر ميافارقين زحف إليه أبو طاهر وأبو عبد الله ابن حمدان يحاربه فهزمهما وأسر عبد الله منها، ثم أطلقه ولحق بأخيه أبي طاهر وهو يحاصر آمد، فزحفاً لقتال ابن مروان فهزمهما وأسر أبو عبد الله ثانية إلى أن شفع فيه خليفة مصر فأطلقه، واستعمله الخليفة على حلب إلى أن هلك.

وأما أبو طاهر فلحق بنصبين في قل من أصحابه، وبها أبو الدرداء محمد ابن المسيب أمير بني عقيل وسار إلى الموصل فملكها وأعمالها، وبعث إلى بهاء الدولة أن ينفذ إليه عامله من قبله، بعث إليها قائداً كان تصرفه عن أبي الدرداء، ولم يكن له من الأمر شيء إلى أن استبد أبو الدرداء واستغنى عن العامل، وانقرض ملك بني حمدان من الموصل والبقاء لله.

## ملك سعد الدولة بن حمدان بحلب وولاية ابنه أبي الفضائل واستبداد ولوّل عليه

ولما هزم سعد الدولة مولاً بكجور، وقتله حين سار إليه من الرقة، رجع إلى حلب فأصابه فالج وهلك سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة وكان مولاً ولوّل كبير دولته فنصب ابنه أبا الفضائل، وأخذ له العهد على الأجناد، وتراجعت إليهم العساكر.

وبلغ الخبر إلى الحسن المغربي وهو مشهد على فسار إلى العزيز مصر، وأغراه ملك حلب واعتضم أبو الفضائل ولوّل بالقلعة بعث إليها قائده منجوتين في العساكر وحاصرها، ثم ملك البلد، واعتضم أبو الفضائل ولوّل بالقلعة، وبعث أبو الفضائل ولوّل إلى ملك الروم يستجدانه، وفارس في خمسين البلغار، فأرسل إلى نائبه بأنطاكية أن يسير إليهم، فسار في خمسين ألفاً ونزل جسر الحديد على وادي العاصي، ففر إلى منجوتين في عساكر المسلمين وهزم الروم إلى أنطاكية، واتبعهم فنهب بلادها وقرها وأحرقها.

واستمدهم فساروا معه ونزلوا على الموصل، وخرج إلى المقلد من كان استماله من الدليم واستمأن إليه أبو جعفر قائد الدليم فأمنوه، وركب السفن إلى بغداد واتبعوه فلم يظفروا منه بشيء، وقتل المقلد ملك الموصل.

### فتنة المقلد مع بهاء الدولة بن بويه

كان المقلد يتول حماية غربى الفرات وكان له ببغداد نائب فيه تهور وجرى بينه وبين أصحاب بهاء الدولة مشاجرة، وكان بهاء الدولة مشغولاً بفتنة أخيه، فكتب نائب المقلد إليه يشكرو من أصحاب بهاء الدولة، فجاء في العساكر، وأوقع بهم، ومد يده إلى جباية الأموال، وخرج نائب بهاء الدولة ببغداد، وهو أبو علي بن إسماعيل عن ضمان القصر وغيره فغالط بهاء الدولة، وأنفذ أبا جعفر الحجاج بن هرمز للقبض على أبي علي بن إسماعيل ومصالحة المقلد بن المسيب، فصالحه على أن يحمل إلى بهاء الدولة عشرة آلاف دينار ويخطب له ولأبي جعفر بعده، وياخذن من البلاد رسم الحماية، وأن يخلع على المقلد الخانع السلطانية وبلقب حسام الدولة، ويقطع الموصل والكوفة والقصر والجامعين وجلس له ولأبي جعفر القادر بالله فاستولى على البلاد، وقصده الأعيان والأمائـل، وعظم قدره وقبض أبو جعفر على أبي علي بن إسماعيل ثم هرب ولحق بهذب الدولة.

### القبض على علي بن المسيب

كان المقلد بن المسيب قد وقعت المشاجرة بين أصحابه وأصحاب أخيه في الموصل قبل مسيره إلى العراق، فلما عاد إلى الموصل أجمع الانتقام من أصحاب أخيه، ثم نوى أنه لا يمكنه ذلك مع أخيه، فاعتزل الحياة في قض أخيه، وأحضر عسركه من الدليم والأكراد، وورى بقصص دفقة واستحلفهم على الطاعة.

ثم نسب دار أخيه وكانت ملاصقة له، ودخل إليه فقبض عليه وحبسه، وبعث زوجته ولديه قرواش وبدران إلى تكريت، واستدعى رؤساء العرب وخليع عليهم وأقام فيهم العطاء فاجتمعت له زهاء ألفي فارس، وخرجت زوجة أخيه بولديها إلى أخيها الحسن بن المسيب، وكانت أحيازه قريباً من تكريت، فاستجاش العرب على المقلد وسار إليه في عشرة آلاف، فخرج المقلد عن الموصل واستشار الناس في عمارية أخيه فأشار رافع بن محمد بن معز بالحرب، وأشار آخوه غريب بن محمد بالموافقة

حمدان من الشام والجزيرة أجمع، وبقيت حلب في ملك العبيدين، ثم غلب عليها صالح بن مرداد الكلابي، وكانت بها دولة له ولقومه، وورثها عنه بنوه كما يذكر في أخبارهم.

### الخبر عن دولة بنى عقيل بالموصل وابتداء أمرهم بأبي الدرداء وتصاريف أحواهم

كان بنو عقيل وبنو كلاب وبنو غير وبنو خفاجة، كلهم من عامر بن صعصعة وبنو طعن من كهلان، قد انتشروا ما بين الجزيرة والشام في عدوة الفرات.

وكانوا كالرعب لبني حمدان يؤذون إليهم الآثار وينفرون معهم في الحروب.

ثم استفحـل أمرهم عند فشـل دولة بنـي حـمدان، وسـاروا إلى مـلك الـبلاد.

ولما انـهـزم أـبـر طـاهـرـ بنـ حـمدـانـ أـمـامـ عـلـيـ بنـ مـروـانـ بـديـارـ بـكـرـ كـمـاـ قـدـمـنـاهـ سـنـةـ ثـمـانـيـنـ وـثـلـاثـمـائـةـ وـلـخـنـ بـنـصـبـيـنـ وـقـدـ اـسـتـولـ عـلـيـهـاـ أـبـوـ الدـرـداءـ مـحـمـدـ بـنـ الـسـيـبـ بـنـ رـافـعـ بـنـ مـقـلـدـ بـنـ جـعـفـرـ بـنـ عـمـرـ بـنـ مـهـنـدـ أـمـيرـ بـنـيـ عـقـيلـ بـنـ كـعـبـ بـنـ رـيـبعـ بـنـ عـامـرـ، فـقـتـلـ أـبـاـ طـاهـرـ وـأـصـحـابـهـ وـسـارـ إـلـىـ الـمـوـصـلـ فـمـلـكـهـاـ.

وبعـثـ إـلـىـ بهـاءـ الـدـوـلـةـ بـنـ بـوـيـهـ الـسـيـدـ عـلـىـ الـخـلـيـفـةـ بـالـعـرـاقـ، فـيـ أـنـ يـبـعـثـ عـامـلـاـ عـلـىـ الـمـوـصـلـ فـبـعـثـ عـامـلـاـ مـنـ قـبـلـهـ، وـالـحـكـمـ رـاجـعـ لـأـبـيـ الدـرـداءـ، وـأـقـامـ عـلـىـ ذـلـكـ سـتـينـ.

وبـعـثـ بهـاءـ الـدـوـلـةـ سـنـةـ ثـمـانـيـنـ وـثـلـاثـمـائـةـ عـسـاـكـرـهـ إـلـىـ الـمـوـصـلـ معـ أـبـيـ جـعـفـرـ الـحـجـاجـ بـنـ هـرـمزـ فـغـلـبـ عـلـيـهـاـ أـبـيـ الدـرـداءـ، وـمـلـكـهـاـ.

وزحفـ لـهـ أـبـوـ الدـرـداءـ فـيـ قـوـمـهـ وـمـنـ اـجـتـمـعـ إـلـيـهـ مـنـ الـعـرـبـ فـكـانـ بـيـنـهـ حـرـوبـ وـوـقـائـعـ، وـكـانـ الـظـفـرـ فـيـهـ لـدـلـيمـ.

### مهلك أبي الدرداء وولادة أخيه المقلد

ثم مات أـبـوـ الدـرـداءـ سـنـةـ سـتـ وـثـمـانـيـنـ وـولـيـ إـمـارـةـ بـنـيـ عـقـيلـ مكانـهـ آخـوهـ عـلـيـ بـعـدـ أـنـ تـطاـولـ إـلـيـهـ آخـوهـمـاـ الـمـقـلـدـ بـنـ الـسـيـبـ، وـأـمـتـعـ بـنـوـ عـقـيلـ لـأـنـ عـلـيـاـ كـانـ أـسـنـ مـنـ نـصـرـ المـقـلـدـ وـجـهـهـ إـلـىـ مـلـكـ الـمـوـصـلـ، وـاسـتـمـالـ الدـلـيمـ الـذـيـنـ فـيـهـ مـعـ أـبـيـ جـعـفـرـ بـنـ هـرـمزـ فـمـالـلـوـاـ إـلـيـهـ، وـكـتبـ إـلـىـ بهـاءـ الـدـوـلـةـ أـنـ يـضـمـنـهـ الـمـوـصـلـ بـالـفـيـ الفـ درـهـ كـلـ سـنـةـ.

ثـمـ ظـهـرـ لـأـخـيهـ عـلـيـ وـقـومـهـ أـنـ بهـاءـ الـدـوـلـةـ قـدـ وـلـاهـ،

وصلة الرحم.

بالأنبار، فخاف نابه فيها عبد الله بن إبراهيم بن شاروبيه بادرة عمه الحسن، وراسل أبا منصور بن قراد، وكان بالستنية، وقاسمته في مختلف المقلد على أن يدافع الحسن إن قصده، فأجابه إلى ذلك، وأرسل عبد الله إلى قرواش يستحثه فرصل، ووفى لابن قراد بما عاهده عليه نابه عبد الله، وأقام ابن قراد عنده.

ثم إن الحسين بن المسيب جاء إلى مشايخبني عقيل شاكياً ما فعله قرواش وابن قراد عنده، فسعوا بينهم في الصلح، واتفق الحسن وقرواش على الغدر بابن قراد، وأن يسير أحدهما إلى الآخر متحاربين، فإذا تلاقياً قبضا على ابن قراد ففعلا ذلك.

فلما تراءى الجماعان غي الخبر إلى ابن قراد فهرب، واتبعه قرواش والحسن ولم يدركاه، ورجع قرواش إلى بيته فاختناها بما فيها من الأموال، فوجه الأموال إلى أن أخذها أبو جعفر الحاجاج بن هرمز.

وبينما هو في ذلك إذ جاءت أخته رميلة بنت المسيب شاعفة في أخيها علي فاطلقة، ورد عليه ماله وتزوج الناس، وعاد المقلد إلى الموصل وتجهز لقتال علي بن مزيد الأسدي بواسطه، لأنه كان مغبباً لأبي الحسن، فلما قصد الحللة خالفه علي إلى الموصل فدخلها وعاد إليه المقلد، وتقدمه أخوه الحسن مشفقاً عليه من كثرة جموع المقلد فأصالح ما بينهما، ودخل المقلد إلى الموصل وأخوه معه ثم خاف علي فهرب، ثم وقع الصلح بينهما على أن يكون أحدهما بالبلد.

ثم هرب علي فقدده المقلد ومعه بنو خنجاجة فهرب إلى العراق، واتبعه المقلد فلم يدركه ورجع عنه.

ثم سار المقلد إلى بلد علي بن مزيد فدخله ثانية ولحق ابن مزيد بهذب الدولة صاحب الطيبة فأصالح ما بينهما.

## فتنة قرواش مع بهاء الدولة بن بويه

ولما كانت سنة اثنين وتسعين وثلاثمائة بعث قرواش بن المقلد جمعاً من بي عقيل إلى المدائن فحضروها، نبعث أبو جعفر بن الحاجاج بن هرمز نائب بهاء الدولة بعداد عسكراً إليهم فدفعوهم عنها، فاجتمعت عقيل وبني أسد وأميرهم علي بن مزيد، وخرج أبو جعفر إليهم واستجاش بخجاجة، وأحضرهم من الشام فانهزم واستبيح عسكره، وقتل وأسر من الأتراك والديلم كثير.

ثم جمع العساكر ثانياً ولقيهم بتواحي الكوفة فهزهم، وقتل وأسر وسار إلى أخيه بني مزيد، ونهب منها ما لا يقدر قدره.

ثم سار قرواش إلى الكوفة سنة سبع وتسعين، وكانت لأبي علي بن ثمال الخفاجي، وكان غالباً عنها فدخل قرواش الكوفة وصادرهم.

ثم قتل أبو علي سنة تسع وتسعين وثلاثمائة، وكان الحاكم صاحب مصر قد لاه الرجة فسار إليها، وخرج إليه عيسى بن خلاط العقيلي فقتله وملكتها.

ثم ملكها بعده غيره إلى أن ولـي أمرها صالح بن مرداد الكلابي صاحب حلب.

## قبض قرواش على وزرائه

كان معتمد الدولة قرواش بن المقلد قد استوزره أبا القاسم

## استيلاء المقلد على دقرنا

ولما فرغ المقلد من شأن أخويه وابن مزيد، وسار إلى دقرنا فملكها، وكانت نصرانيين قد استعبدوا أهلها وملكها من أيديهم جبريل بن محمد من شجعان بغداد، أعاده عليها مهذب الدولة صاحب الطيبة، وكان مجاهداً يحب الغزو فملكها، وقبض على النصاريين وعدل في البلد.

ثم ملكها المقلد من يده، وملكها بعده محمد بن نخبان، ثم بعده قرواش بن المقلد.

ثم انتقلت إلى فخر الملك أبي غالب فعاد جبريل واستجاش بموشك بن حكويه من أمراء الأكراد، وغلب عليها عمال فخر الدولة.

ثم جاء بدران بن المقلد فغلب جبريل وموشك عليها وملكتها.

## مقتل المقلد وولاته ابنه قرواش

كان للمقلد موالي من الأتراك فهربوا منه، واتبعهم فظفر بهم، واتبعهم وقتل وقطع وأفخش في الملة، فخاف إخوانهم منه، وأغتصموا غفلته فقتلوا فيها بالأنبار سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة.

وكان قد عظم شأنه وطبع في ملك بغداد.

ولما قتل كان ولده الأكبر قرواش غالباً وكانت أمواله

معن فاطلقة، ولحق بسلطان بن الحسن من عمال أمير خفاجه وأتبعه عسكر من الترك وقاتلهم غربي الفرات، وأنهزم هو سلطان، وعاد العسكر في أعماله فبعث إلى بغداد بمراجعة الطاعة وقبل.

ثم كانت الفتنة بينه وبين أبي أسد وخفاجة سنة سبع عشرة وأربعينات لأن خفاجة تعرضاً لأعماله بالسوداد، فسار إليه من الموصى وأميرهم أبو القتيل منيع بن حسان، فاستجاش بدليس بن علي بن مزيد فجاءه في قومه بي أسد، وعسكر من بغداد والتقدوا بظاهر الكوفة، وهو يومئذ لقرواش، فخاف قرواش عن لقائهم وأجفل ليلاً للأنبار، واتبعوه فرحاً عنها إلى حملة، واستولى القوم على الأنبار وملوكها، ثم فارقوها، وافتقرقا فاستعادها قرواش.

ثم كانت الحرب بينه وبين بي أسد عقب في هذه السنة، وكان سببها أن الأثير عنبر الخادم حاكم دولة بي بويه انتقض عليه الجندي، وخفافهم على نفسه فلتحق بقرواش فجاء قرواش وأخذ له أقطاعه وأملاكه بالقيروان، فجمع مجد الدولة بن قراد رواض بن الحسين جماعاً كبيراً من بي عقيل وانضم إليهم بدران آخر قرواش وساروا لحربيه وقد اجتمع هو وغريب بن منع والأثير عنبر، وأمدhem ابن مروان فكثروا في ثلاثة عشر ألفاً، والتقدوا عند بلدتهم فلما تصافروا والتحم القتال خرج بدران بن المقلد إلى أخيه قرواش فصالحه وسط المصالح، وفعل ثوران بن قراد كذلك مع غريب بن منع فتوادعوا جميعاً واصطلحوا، وأعاد قرواش إلى أخيه بدران مدينة الموصى.

ثم وقعت الحرب بين قرواش وبين خفاجة ثانية.

وكان سببها أن منيع بن حسان أمير خفاجه وصاحب الكوفة سار إلى الجامعين بلد بدليس ونهبها فخرج دييس في طلبه إلى الكوفة فقصد الأنبار، ونهبها هو وقومه، فسار قرواش إليهم ومعه غريب بن منع الأنبار.

ثم مضى في اتباعهم إلى القصر فخالفوه إلى الأنبار ونهبها وأحرقوها واجتمع قرواش ودييس في عشرة آلاف وخامسوا عن لقاء خفاجة فلم يكن من قرواش إلا بناء السور على الأنبار.

ثم سار منيع بن حسان الخاجي إلى الملك كليجار والتزم الطاعة وخطب له بالكوفة وأزال حكم بي أسد عقيل عن سقي الفرات.

ثم سار بدران بن المقلد في جموع من العرب إلى نصبيين وحاصرها وهي لتصير الدولة بن مروان فجهز لهم الجندي، وبعثهم إليها فقاتلوا بدران فانهزم أولًا، ثم عطف عليهم فانهزموا وأنهزم

الحسين بن علي بن الحسين المغربي، وكان من خبره أن أباء من أصحاب سيف الدولة بن حدان ذهب عنه إلى مصر وولي بها الأعمال، وولد ابنه أبي القاسم ونشأ هنالك.

ثم قتلته الحاكم فلتحق أبو القاسم بدليس بن مفرج بن الجراح الطائي بالشام، وأغاره بالانتهاض والبيعة لأبي الفتوح الحسن بن جعفر صاحب مكة فقتل ذلك، ولم يتم أمر أبي الفتوح ورجع إلى مكة ولحق أبو القاسم المغربي بالعراق واتصل بأخوه الملك فارتاب به القادر لاتسابه إلى العلوية فأباذه فخر الملك، فقصد قرواش بالموصى فاستوزره، ثم قبض عليه سنة إحدى عشرة وأربعينات، وصادره على مال زعم أنه ببغداد والكوفة فاحضره، وترك سبليه فعاد إلى بغداد ووزر لشرف الدولة بن بويه بعد وزیره مؤید الملك الرخجي، وكان مداخلاً لعنبر الخادم الملقب بالأثير المستولي على الدولة يومئذ.

ثم سخطه الأتراك وسخطوا الأبهر فأشار عليه بالخروج عن بغداد فخرج الوزير وأبو القاسم معه إلى السنديه وبها قرواش فائزهم، وساروا إلى أوانا وبعث الأتراك إلى الأثير عنبر بالاستعباب فاستعبد، ورجع وهرب أبو القاسم المغربي إلى قرواش سنة خمس عشرة وأربعينات لعشرين أشهر من وزارته.

ثم وقعت الفتنة بالكوفة كان منشأها من شهره ابن أبي طالب، فأرسل الخليفة إلى قرواش في إبعاده عنه، فأباذه وسار إلى ابن مروان إلى ديار بكر، وهنالك يذكر بقية خبره.

ثم قبض معتمد الدولة قرواش على أبي القاسم سليمان بن فهر عامل الموصى له ولأبيه، وكان من خبره أنه كان يكتب في حداته بين يدي أبي إسحاق الصابني، ثم اتصل بالمقلد بن المسب، وأصعد معه إلى الموصى واقتني بها الضياع.

ثم استعمله قرواش على الجباريات فظلم أهلها وصادرهم فحبسه، وطالبه بماله فعجز وقتل.

## حروب قرواش مع العرب وعساكر بغداد

وفي سنة إحدى عشرة وأربعينات اجتمع العرب على فتن قرواش، وسار إليه دييس بن علي بن مزيد الأسدي وغريب بن معن، وجاءهم العسكر من بغداد فقاتلوا عند سر من رأي، ومعه رافع بن الحسين فانهزم ونهبت ألقائه وخراشه، وحصل في أمرهم، وفتحوا تكريت عنوة من أعماله.

ورجعت عساكر بغداد إليها واستجار قرواش بغريب بن

إليهم الأكراد البشريّة أصحاب فنك فأدركوهم فاستمات الغز  
وقاتلواهم، ثم تجاوزوا.

وتوجهت العرب إلى العراق للمتشّي، وأخربت الغز ديار  
بكر، ودخل قرواش الموصل ليدفعهم عنها لما بلغه أن طائفة منهم  
قصدوا بلدته.

فلما نزلوا برعيده عزم على الإغارة عليهم، فتقدموا إليه  
فرجع إلى مصانعهم بمال على ما شرطوه.

وبينما هو يجمع لهم المال وصلوا إلى الموصل فخرج قرواش  
في عسكره وقاتلهم عامة يومه.

وعادوا للقتال من الغد فانهزمت العرب وأهل البلد،  
وركب قرواش سفينة في الفرات، وخلف جميع ماله.

ودخل الغز البلد ونهبوا ما لا يخصى من المال والجوهر  
والحلي والأثاث، ونحو قرواش إلى السندي، وبعث إلى الملك جلال  
الدولة يستتجده، وإلى ديس بن علي بن مزيد وأمراء العرب  
والأكراد يستمدّهم وأفحش الغز في أهل الموصل قتلاً ونهباً وعيشًا  
في الحرم، وصانع بعض الدروع والمحال منها عن أنفسهم مال  
ضمنه فكروا عنهم وسلموا.

وفرضوا على أهل المدينة عشرين ألف دينار فقبضوها، ثم  
فرضوا أربعة آلاف آخر وشرعوا في تحصيلها فثار بهم أهل  
الموصل، وقتلوا من وجداً منهم في البلد.

ولما سمع إخوانهم اجتمعوا ودخلوا البلد عنوة متصرف  
ستة خمس وثلاثين وأربعين سنة في السيف في الناس  
واستباحوها اثنى عشر يوماً، وانسدت الطرق من كثرة القتلى حتى  
واروهن جماعات في الحفائر.

وطلبوا الخطبة للخلفية ثم لطغرليك، وطال مقامهم بالبلد،  
فكتب الملك جلال الدولة بن بويه ونصير الدولة بن مروان إلى  
السلطان طغرليك يشكّون منهم، فكتب إلى جلال الدولة متذمراً  
بأنهم كانوا عبيداً وخداماً لنا فأنسدوها في جهات الري فخافوا على  
أنفسهم وشدوا، وبعده بأنه يبعث العساكر إليهم، وكتب إلى نصير  
الدولة بن مروان يقول له: بلغني أن عيادنا قصدوا بلادك  
فاصنعتهم بمال، وأنت صاحب ثبور ينبغي أن تعطي ما تستعين  
به على الجهاد، وبعده أنه يرسل من يدفعهم عن بلاده.

ثم سار ديس بن مزيد إلى قرواش مددًا، واجتمعت إليه بنو  
عقيل، وساروا من السن إلى الموصل فتأخر الغز إلى تل أغير،  
وارسلوا إلى أصحابهم بديار بكر ومقدمتهم ناصفلي وبرقا  
فوصلوا إليهم وتراحو مع قرواش في رمضان سنة خمس وثلاثين

فيهم، وبلغه الخبر أن آخاه قرواش قد وصل إلى الموصل فاجفل  
خوفاً منه.

## استيلاء الغز على الموصل

كان هؤلاء الغز من شعوب الترك بمنازة بخارى، وكثير  
فسادهم في جهاتها فأجاز إليهم محمود بن سبكتكين، و Herb  
صاحب بخارى وحضر عنده أميرهم أرسلان بن سلوجوق فقبض  
عليه وحبسه بالهند، ونهب أحياءهم وقتل كثيراً منهم فهربوا إلى  
خراسان وأفسدوا ونهبوا بفتح إليهم العساكر فائخنا فيهم  
وأجلوهم عن خراسان.

ولحق كثير منهم بأصحابه وقاتلوا أصحابها وذلك سنة  
عشرين وأربعين سنة.

ثم افترقا فسارت طائفة منهم إلى جبل بكجار عند خوارزم  
ولحقت طائفة أخرى بأذربيجان وأميرها يومشاد وهشودان  
فاكرهم، ووصلهم ليكفوا عن فسادهم فلم يفعلوا.

وكان مقدموهم أربعة: توقا وكوركاش ومنصور ودان  
فدخلوا مراغة سنة تسعة وعشرين وأربعين، ونهبوا وأنهضوا في  
الأكراد المدانية، وسارت طائفة منهم إلى الري فحاصروها  
وأميرها علاء الدين بن كاكزية واتحتموا عليه البلد وأفحشوا في  
النهب والقتل، وفعلوا كذلك في الكرخ وقزوين.

ثم ساروا إلى أرمينية وعاثوا في نواحيها وفي أ Kardashian، ثم  
عاثوا في الدينور سنة ثلاثين.

ثم أوقع وهشودان صاحب تبريز بجماعة منهم في بلده  
وكانوا ثلاثين ومقدمهم، فضعف الباقون وأكثر فيهم القتل.

وأجتمع الغز الذين بأرمينية، وساروا نحو بلاد الأكراد  
المكارية من أعمال الموصل فائخنا فيهم، وعاثوا في البلاد.

ثم كر عليهم الأكراد فنالوا منهم وافتقو في الجبال  
وتمزقوا.

وبلغتهم مسير نبال أخي السلطان طغرليك وهو في الري  
وكانوا شاردين منه فأجفلوا من الري، وقصدوا ديار بكر والموصل  
سنة ثلاثة وثلاثين وأربعين سنة ونزلوا جزيرة ابن عمر، ونهبوا  
باقردي وبازندى والحسينية وغدر سليمان بن نصير الدولة بن  
مروان بأمير منهم، وهو منصور بن عزعنيل فقبض عليه وحبسه،  
وافتلق أصحابه في كل جهة وبفتح نصير الدولة بن مروان عساكرًا  
في اتباعهم، وأملهم قرواش صاحب الموصل بعسكر آخر، وانضم

## فتنة قرواش وجلال الدولة وصلحهما

كان قرواش قد بعث عسكره ستة إحدى وثلاثين لخصار خيس بن ثلبل بتكريت، واستجبار خيس بجلال الدولة بعثت إليه بالكف عنه فلم يفعل، فسار بنفسه بمحاصرة، وكتب إلى الآتراك ببغداد يستفسدهم عن جلال الدولة.

وسار جلال الدولة إلى الأنبار فامتنعت عليه، وسار قرواش للقاء وأعززت عساكر جلال الدولة الأقوات.

ثم اختلفت عقيل على قرواش، وبعث إلى جلال الدولة بمعاودة الطاعة، فتحالفاً وعاد كل إلى بلده.

## أخبار ملوك القسطنطينية هذه العصور

كان سبيل وقسطنطين قد تزوج أبوهما أمهما في يوم عيد، ركب إلى الكنيسة فرأها في النظارة فشغف بها.

وكان أبوها من أكابر الروم فخطبها منه، وتزوجها ولدت الولدين ومات أبوهما وهو صغيران، وتزوجت بعده بمن ناقفور، وملك وتصرف وأراد أن يحب ولديها، وأغارت الدمستق بقتله فقتله وتزوجت به، واقامت معه ستة، ثم خافها وأخرجها بولديها إلى دير بعيد فأتامت فيه ستة أخرى.

ثم دست إلى بعض الرهبان ليقتل الدمستق، فقام بكتيبة الملك يتحيل لذلك، حتى جاء الملك واستطعه القربان في العيد من يده، فدس له معه سماً ومات.

وجاءت هي قبل العيد بليال إلى القسطنطينية فملك ولديها سبيل واستبدلت عليه لصغرها.

فلما كبر سار لقتل البلغار في بلادهم، وبلغه وهو هناك وفاتها فأمر خادماً له بتدير الأمر في غيبته بالقسطنطينية.

وأقام في قتال البلغار أربعين سنة، ثم انهزم وعاد إلى القسطنطينية وتحيز ثانية، وعاد إليهم فظفر بهم وقتل ملكهم وملك بلادهم، ونقل أهلها إلى بلاد الروم.

قال ابن الأثير: وهو لاء البلغار الذين ملك بلادهم سبيل غير الطائفة المسلمة منهم، وهو لاء أقرب من أولئك إلى بلاد الروم بشهرين، وكلاهما بلغار انتهى.

وكان سبيل عادلاً حسن السيرة، وملك على الروم نيفاً وسبعين سنة.

ولما مات الملك آخره قسطنطين، ثم مات وخلف بنا

وأربعونات قاتلواهم إلى الظهر، وكشفوا العرب عن حلتهم ثم استماتت العرب فانهزمت الغز وأخذهم السيف ونهب العرب أحياهم، وبعثوا برسوس القتلى إلى بغداد واتبعهم قرواش إلى نصبيين ورجع عنهم، وقصدوا ديار بكر فنهبواها، ثم أرزن الروم كذلك ثم أذربيجان، ورجع قرواش إلى الموصل.

## استيلاء بدران بن المقلد على نصبيين

قد تقدم لنا محاصرة بدران نصبيين ورحيله عنها من أخيه قرواش.

ثم اصطلحوا بعد ذلك واتفقا وتزوج نصير الدولة ابنة قرواش فلم يعدل بينها وبين نسائه، وشكك إلى أخيها فبعث عنها.

ثم هرب بعض عمال ابن مروان إلى قرواش وأطعمه في الجزيرة فتعلل عليه قرواش بصدق ابنته، وهو عشرون ألف دينار، وطلب الجزيرة ونصبيين لأخيه بدران فامتنع ابن مروان من ذلك، فبعث قرواش جيشاً لخصار الجزيرة وآخر مع أخيه بدران لخصار نصبيين.

ثم جاء بنفسه وحاصرها مع أخيه، وامتنع عليه وسللت العرب والأكراد إلى نصير الدولة بن مروان ميافارقين.

وطلب منه نصبيين فسلمها إليه، وأعطي قرواش من صداق ابنته خمسة عشر ألف دينار.

وكان ملك ابن مروان في دقوقا، فزحف إليه أبو الشوك من أمراء الأكراد فحاصره بها، وأخذه من يده عنوة، وعفا عن أصحابه.

ثم توفي بدران ستة خمس وعشرين وأربعين و جاء ابنه عمر إلى قرواش فأقره على ولاية نصبيين، وكان بنو نمير قد طمعوا فيها وحاصروه، فسار إليهم ودافعهم عنها.

## الفتنة بين قرواش وغريب بن معن

كانت تكريت لأبي السيف رافع بن الحسين من بني عقيل، فجمع غريب جماعاً من العرب والأكراد، وأمده جلال الدولة بعسكر، وسار إلى تكريت فحاصرها وكان رافع بن الحسين عند قرواش بالموصل، فسار لنصره بالعساكرة، ولقيه غريب في نواحي تكريت فانهزم، واتبعه قرواش ورافع، ولم يتعرضوا لخلته وما له ثم تراسلوا وأصطلحوا.

وكان قرواش وأخوه زعيم الدولة أبو كامل مشغولين بالعراق فنكرا ذلك لما بلغهما، ورجعا إلى الموصل، فطلب قرواش من الحميدي والمدباري التوجة على نصیر الدولة بن مروان، فجاء الحميدي بنفسه، وبعث المدباري أخيه، وأصلح قرواش ونصیر الدولة، ثم قبض على عکشان وصالحه على إطلاق أبي الحسن بن موشك، وأمتنع أخوه أبو علي وكان عکشان عرناً عليه، فأجاب ورهن في ذلك ولده.

ثم أرسل أبي علي في ذلك الأمر، وحضر بالموصل ليسلم أربيل إلى أخيه أبي الحسن، وسلم قرواش إليه قلاعه.

وخرج ابن عکشان وأبو علي ليسلما إلى أبي الحسن بن موشك، فندرأ به وبقىا على أصحابه، وهرب هو إلى الموصل وتأكدت الوحشة بينهما وبين قرواش.

### خلع قرواش بأخيه أبي كامل ثم عوده

ثم وقعت الفتنة بين معتمد الدولة قرواش وأخيه زعيم الدولة أبي كامل، وكان سببها أن قريشاً ابن أخيهما بدران فتن عمّه أبي كامل، وجمع عليه الجموع وأعانه عمّه الآخر.

واستمد قرواش بنصیر الدولة بن مروان فبعث إليه بابنه سليمان، وأمده الحسن بن عکشان وغيرهما من الأكراد وساروا إلى معلباً فنهبوا وأحرقواها.

ثم اقتتلوا في المحرم سنة إحدى وأربعين يوماً وثانية، ووقفت الأكراد ناحية عن المصادف ولم ينشروا المجال.

وتسلل عن قرواش بعض جوعه من العرب إلى أخيه، وبلغه أن شيعة أخيه أبي كامل بالأبار وثبتوا فيها وملوكها فضعف أمره، وأحسن من نفسه الظهور عليه ولم يبرح فركب آخره أبو كامل وقصد حلته، فركب قرواش للقائه، وجاء به أبو كامل لحلته ثم بعث به إلى الموصل ووكل به.

وملك أبو كامل الموصل واشتغل عليه العرب فخاف العجز والفضيحة أن يراجعوا طاعة أخيه فسبّهم إليها، وأعاده إلى ملكه وبابعه على الطاعة، ورجع قرواش إلى ملكه.

وكان أبو كامل قد أحدث الفتنة بين الباسيري كافل الخلافة ببغداد، وملك الأمراء بها لما فعله بنو عقبيل في العراق العجم من التعرض لاقطاعه، فسار إليهم الباسيري، وجمع أبو كامل بي عقيل ولقيه فاقتتلوا قتالاً شديداً ثم حاجزوا.

فلما رجع قرواش إلى ملكه نزع جماعة من أهل الأبار إلى

ثلاثة فملكت الكبرى وتزوجت بأرماتوس من بيت ملتهم، وهو الذي ملك الرها من المسلمين، وكان له من قبل الملك رجل يخدمه من السوفة الصيارة اسمه ميخائيل فاستخلصه وحكمه في دولته، فماتت زوجة أرماتوس إليه، وأعملوا الحيلة في قتل الملك أرماتوس فقتلاه خنقاً وتزوجته على كره من الروم.

ثم عرض ميخائيل هذا مرض شو خلقته فعهد بالملك إلى ابن أخيه واسمه ميخائيل، فملك بعده وقبض على آخر واله وإنخرتهم وضرب الدنانير باسمه سنة ثلاثة وثلاثين وأربعين سنة.

ثم أحضر زوجته بنت الملك وحلها على الرهبانية والمنزوج له عن الملك، وضربها ونفتها إلى جزيرة في البحر.

ثم اعتزم على قتل البطريرك للراحة من تحكمه، فامر بالخروج إلى الدير لعمل وليمة يحضرها عنده، وأرسل جماعة من الروم وبغار لقتله، فبذل لهم البطريرك مالاً على الإبقاء، ورجع إلى بيته، وحل الروم على عزل ميخائيل، فارسل إلى زوجته الملكة من الجزيرة التي نفتها إليها فلم تفعل، وأقبلت على رهابيتها فخلعها البطريرك من الملك، وملكت أختها الصغيرة بدرونة، وأقاموا من خدم أبيها من يدبر ملوكها، وخلعوا ميخائيل، وقاتل أشياعه أشياع بدرونة فظفر بهم أشياع بدرونة ونهبوا ممتلكاته.

وفزع الروم إلى التماس ملك يدبرهم، وقارعوا بين المرشحين فخرجت القرعة على قسطنطين فملكته وتزوجته الملكة الكبرى، وزنلت لها الصغيرة عن الملك سنة أربع وثلاثين وأربعين سنة.

ثم خرج خارجي من الروم اسمه ميناس وكثير جمعه وبلغ عشرين ألفاً، وجهز قسطنطين إليه العساكر فقتلوه وسقى رأسه إليه، وافتقر أصحابه.

ثم ورد على القسطنطينية سنة خمس وثلاثين مراكب لسلام وقعت منها محاورات تكرها الروم فحاربواهم، وكانت قد فارقوا مراكبهم إلى البر فاحتقرها وقتلوا الباقين.

### الوحشة بين قرواش والأكراد

كان للأكراد عدة حصون تجاور الموصل، فمنها للحميدية قلعة العقر وما إليها، وصاحبها أبو الحسن بن عکشان؛ وللهدبانية قلعة إربيل وأعمالها، وصاحبها أبو الحسن بن موشك، وناظعه آخره أبو علي بن أربيل فأخذها منه باعاته ابن عکشان، وأسر أخيه أبي الحسن.

البساسيي شاكرين شاكرين سيرة قرواش، وطلبو أن يبعث معهم عسكراً وعاملأً إلى بلدتهم ففعل ذلك، وملكتها من يد قرواش وأظهر فيهم العدل.

### حرب قريش بن بدران والبساسيي ثم اتفاقيهما وخطبة قريش لصاحب مصر

كان قريش بن بدران قد بعث بطاعته إلى طغribك وهو بالري، وخطب له بجميع أعماله، وبغض على الملك الرحيم. وكان قريش معه فنهب مسكنه واختفى، وسمع به السلطان قامه ووصل إليه فأكرمه ورده إلى عمله. وكان الباساسيي قد فارق الملك الرحيم عند مسيره من واسط إلى بغداد، ومسير طغribك من حلوان. وقصد نور الدولة ديس بن مزيد للمصاهرة بينهما.

وكان سبب مفارقة الباساسيي للملك الرحيم كتاب القائم له ببعاده لبغداد وعظم استيلاء السلطان طغribk على الدولة، بن بدران إلى بغداد وعظم استيلاء السلطان طغribk على الدولة، بعث جيشاً وزحف الباساسيي للقائهم ومعه نور الدولة ديس، فالتقوا بسنجر، فأنهزم قريش وقطلهم وأصحابهما، وقتل كثيراً منهم واعتقل أهل سنجر فيهم، وسار بهم إلى الموصل وخطب بها للمستنصر خليفة مصر، وقد كانوا بعثوا إليه بطاعتهم من قبل، فبعث إليهم بالخلع ولقربيش جلتهم.

### استيلاء طغribk على الموصل وولاية أخيه نياز عليها ومعاودة قريش الطاعة

كان السلطان طغribk لما طال مقامه ببغداد، ساء أثر عساكره في الرعایا، فأبعث القائم وزير رئيس الوزراء أن يحضر عميد الملك الكندي وزير طغribk ويعظه في ذلك، ويهدده برحيل القائم عن بغداد بلغه خلال ذلك شأن الموصل، فرحل إليها وحاصر تكريت ففتحتها وقبل من صاحبها نصر بن عيسى من بي عقيل ما لا بد له منه.

ورحل عنه فمات نصر وولى بعده أبو الغنائم بن البحلبان فأصلاح حاله مع رئيس الوزراء، ورحل السلطان من الباريج وكان في انتظار أخيه ياقوت بن تكريت.

ثم توجه السلطان إلى نصيبيين وبعث هزارسب إلى البرية لقتال العرب وفيهم قريش وديس وأصحاب حران والرقعة من نمير فأوقع بهم، ونان منهم وأسر جماعة فقتلهم.

كان قرواش لما أطاعه أخيه أبو كامل بقي معه كالوزير يتصرف، إلا أن قرواش أتف من ذلك وأعمل الخليفة في التخلص منه، فخرج من الموصل سائراً إلى بغداد، وشق ذلك على أخيه أبي كامل فارسل إليه أعيان قومه ليبردوه طرعاً أو كرهاً فلا طفوه أولاً، وشعر منهم بالذخيلة فأجاب إلى العود وشرط سكنى دار الإمارة، فلما جاء إلى أبي كامل قام بمبرته وإكرامه ووكل به من يعنده النصر.

### خلع قرواش ثانية واعتقاله

كان قرواش لما أطاعه أخيه أبو كامل بقي معه كالوزير يتصرف، إلا أن قرواش أتف من ذلك وأعمل الخليفة في التخلص منه، فخرج من الموصل سائراً إلى بغداد، وشق ذلك على أخيه أبي كامل فارسل إليه أعيان قومه ليبردوه طرعاً أو كرهاً فلا طفوه أولاً، وشعر منهم بالذخيلة فأجاب إلى العود وشرط سكنى دار الإمارة، فلما جاء إلى أبي كامل قام بمبرته وإكرامه ووكل به من يعنده النصر.

### وفاة أبي كامل وولاية قريش بن بدران

لما ملك قريش بن بدران وحبس عمه بقلعة الجراحية، ارتحل بطلب العراق سنة أربع وأربعين وأربعين فانتقض عليه آخره المقلد، وسار إلى نور الدولة ديس بن مزيد فنهب قريش حله، وعاد إلى الموصل، واختلف العرب عليه، ونهب عمال الملك الرحيم ما كان لقربيش بنواحي العراق.

ثم استمال قريش العرب عليه، ونهب عمال الملك الرحيم ما كان لقربيش بن المسمى صاحب الحظيرة مخالفًا عليه.

وبعث قريش بعض أصحابه فلقائهم، وأوقع بهم فساد إليه قريش، ولقيه فهزمه واتبعه إلى حل بلاد ابن غريب ونهبها.

ودخل العراق وبعث إلى عمال الملك الرحيم بالطاعة وضمان ما كان عليه في أعماله فأجابوه إلى ذلك لشغف الملك الرحيم بخوزستان فاستقر أمره وقوى.

(وفاة قرواش) وفي سنة أربع وأربعين وأربعين وهذه توفي معتمد الدولة أبو منيع قرواش بن المقلد مجسسه في قلعة الجراحية وحمل إلى الموصل ودفن بها ببلد نبوى شرقية، وكان من رجال العرب.

### استيلاء قريش على الأنبار

وفي سنة ست وأربعين وأربعين زحف قريش بن بدران من الموصل ففتح مدينة الأنبار وملكتها من يد عمال الباساسيي

ونزلوا بجوانب بغداد، ونزل عميد العراق بالعسكر قبلة الباسيري ورئيس الرؤساء وزير الخليفة قبلة الآخرين.

وخطب الباسيري للمستنصر صاحب مصر بجمامع بغداد وأذن بـ «حي على خير العمل».

ثم استعجل رئيس الرؤساء الحرب فاستجده القوم، ثم كروا عليه فهزموه واقحموا حريم الخليفة، وملوكوا القصور بما فيها، ونهب الخليفة فوجد عميد العراق قد استأمن إلى قريش بن بدران فاستأمن هو كذلك، وأمنهما قريش وأعادهما.

وعذله الباسيري في الانفراد بذلك دونه، وقد تعاهدا على خلاف ذلك فاستعبد به بالوزير رئيس الوزراء، ودفعه إليه وأقام الخليفة والعميد عنه، فقتل الباسيري الوزير ابن عبد الرحيم، وبعث قريش بال الخليفة القائم مع ابن عممه مهارش بن نجلى إلى حدبة عانة فأنزله بها مع أهله وحرمه وحاشيته، حتى إذا فرغ سار لستنجار لأجل واقعته مع قريش وديس، فأبعث العساكر إليها واستباحهم وقتل أميرها علي بن مرحأ وخلق كثير من أهلها رجالاً ونساء، وشفع إبراهيم نبال في الباقين فكشف عنهم، وأقطع سنجار والموصل وتلك الأعمال كلها لأخيه إبراهيم نبال، وعاد إلى بغداد فدخلها في ذي القعدة سنة تسع وأربعين بغداد في ذي القعدة سنة إحدى وخمسين وأربعين.

وشمل النهب مدينة بغداد وضواحيها من بني شيبان وغيرهم، وبعث السلطان طغribك الإمام أبي بكر محمد بن فورك إلى قريش بن بدران يشكروه على فعله بال الخليفة وبابته زوجة الخليفة أرسلان خاتون، وأنه بعث ابن فورك لإحضارهما، وكتب قريش إلى مهارش ابن عميه بأن يلحق به هو وال الخليفة في البرية.

فأبى، وسار الخليفة إلى العراق وجعل طريقه على الري، ومر بيدر بن مهلهل فخدم القائم وخرج السلطان للقاء الخليفة، وقدم إليه الأموال والآلات، وعرضه أرباب الوظائف ولقيه بالهروان، وجاء معه إلى قصره كما تقدم في أخباره.

وبعث السلطان خبار تكين الطغرائي في العساكر لاتباع الباسيري والعرب، وجاء إلى الكوفة واستصحب سرايا ابن منيع ببني خفاجة.

وسار السلطان في أثرهم وصاحت السرية الباسيري في حلقة ديس بن يزيد فنهبها، وفر ديس، وقاتل الباسيري وأصحابه قتيل في المعركة.

### وفاة قريش بن بدران وولاية ابنه مسلم

ثم توفي قريش بن بدران سنة ثلاث وخمسين وأربعين ودفن بنصبين، وجاء فخر الدولة أبو نصر بن محمد بن جهير من

وعاد إلى السلطان طغribk فبعث إليه قريش وديس بطاعتهما، وأن يتوسط لهما عند السلطان، فعفا السلطان عنهما، وقال للباسيري: ردهما إلى الخليفة فيري ما عندهما.

فرحل الباسيري عند ذلك إلى الرحمة وتبعه أتراء بغداد ومقبل بن المقلد وجاعة من بني عقيل، وبعث السلطان إلى قريش وديس هزارسب بن تنكير ليقضي ما عندهما وبمحضرهما، وكان ذلك بطلبهما ثم خاف على أنفسهما، فأبعث قريش أبا السيد هبة الله بن جعفر وديس ابنه بهاء الدولة منصورةً قبلهما السلطان، وكتب لهم بأعمالهما، وكان لقريش من الأعمال: الموصى ونصبين وتكريت وأوانا ونهر بيطرو وهيت والأبار ويدرونا ونهر الملك.

ثم قصد السلطان ديار بكر ووصل إليه آخره إبراهيم نبال، وأرسل هزارسب إلى قريش وديس يجدرهما منه.

وسار لستنجار لأجل واقعته مع قريش وديس، فأبعث العساكر إليها واستباحهم وقتل أميرها علي بن مرحأ وخلق كثير من أهلها رجالاً ونساء، وشفع إبراهيم نبال في الباقين فكشف عنهم، وأقطع سنجار والموصل وتلك الأعمال كلها لأخيه إبراهيم نبال، وعاد إلى بغداد فدخلها في ذي القعدة سنة تسع وأربعين وأربعين.

### مقارنة نبال الموصى وما كان لقريش فيها

### وفي بغداد مع الباسيري وحبسهما القائم

وفي سنة خمسين وأربعين خرج إبراهيم نبال من الموصى إلى بلاد الروم، فخشى طغribk أن يكون متقدماً، وبادر بكتابه وكتاب الخليفة إليه، فرجع وخرج الوزير الكندي للقاء.

وخلاله الباسيري وقربيش إلى الموصى فملكها وحاصر القلعة حتى استأمن أهلها على يد ابن موسك وصاحب أريد فامتناه وهدمها القلعة.

وسار السلطان طغribk من وقته إلى الموصى ففارقهها، واتبعها إلى نصبين ففارقها آخره نبال في رمضان سنة خمسين وأربعين.

وسار السلطان طغribk في أثره وحاصره بهمدان، وجاء الباسيري إلى بغداد وكان هزارسب بواسطه، وديس ببغداد قد استدعاه الخليفة للدفاع فسلم المقام، ورجع إلى بلده، وجاء الباسيري وقربيش ووزير بني بوه أبو الحسن بن عبد الرحيم

على تسليم البلد للترک، فبادر إلى حران وصالح في طريقه ابن ملاعِب صاحب حصن، وأعطاه سليمية ورفسة، وحاصر حران وخرب أسوارها، واقتضمها عنوة وقتل القاضي وبنته.

### حرب ابن جهير مع مسلم بن قريش واستيلاؤه على الموصل ثم عودها إليه

كان فخر الدولة أبو نصر محمد بن أحمد بن جهير من أهل الموصل، واتصل بخدمة بني المقلد ثم استوحش من قريش بن بدران واستجار بعض رؤسائه ببني عقيل فأجراوه منه، ومضى إلى حلب فاستوزره معاً الدولة أبو ثمال بن صالح، ثم فارقه إلى نصیر الدولة بن مروان بديار بكر فاستوزره. ولما عزل القائم وزيبه أبا الفتح محمد بن منصور بن دارس استدعاه للوزارة، فتحيل في المسير إلى بغداد، واتبعه ابن مروان فلم يدركه.

ولما وصل إلى بغداد استوزره القائم سنة أربع وخمسين وأربعين وسبعين وهو السلطان المستبد على الخلفاء. واستمرت وزارته وتخللها العزل في بعض المرات إلى أن مات القائم، وولي المقىدي، وصارت السلطة إلى ملك شاه فعزله المقىدي سنة إحدى وسبعين وأربعين وسبعين بشكوى نظام الملك إلى الخليفة به، وسؤاله عزله فعزله، وسار ابنه عميد الدولة إلى نظام الملك بأصفهان واستصلحه وشفع فيه إلى المقىدي، فأعاد ابنه عميد الدولة، ثم عزله سنة ست وسبعين وأربعين فبعث السلطان ملك شاه ونظام الملك إلى المقىدي بتخلية سبيل بني جهير إليه فرفدوا عليه بأصفهان، ولقرا منه مبرة وتكرمة.

وعقد السلطان ملك شاه لفخر الدولة على ديار بكر، وبعث معه العساكر وأمره أن يأخذ البلاد من ابن مروان، وأن يخطب لنفسه بعد السلطان ويقتضي اسمه على السكة كذلك فسار لذلك، وتوسط ديار بكر ثم أرده السلطان سنة سبع وسبعين وأربعين بالعساكر مع الأمير أرتق جد الملوك بماردين لهذا المعهد، وكان ابن مروان عندما أحسن مسیر العساكر إليه، بعث إلى شرف الدولة مسلم بن قريش يستتجده على أن يعطيه آمد من أعماله.

فجاء إلى آمد وفخر الدولة بنواحيها، وقد ارتبا من اجتماع العرب على نصرة ابن مروان ففتر عزمها عن لقائهم، وسارت عساكر الترك الذين معه فصبّحوا العرب في أحياائهم فانهزموا، وغنموا أمراهم ومواشيهم، ونجا شرف الدولة إلى آمد،

دارا وجمع بني عقيل على ابنه أبي المكارم مسلم بن قريش فلوه عليهم، واستقام أمره واقطعه السلطان سنة ثمان وخمسين الأنبار وهبت وحريم والسن والباريحة، ووصل إلى بغداد فركب الوزير ابن جهير في المركب للقاءه.

ثم سار سنة ستين وأربعين إلى الرحبة فقاتل بها بني كلاب وهم في طاعة المستنصر العلوي فهزهم وأخذ أسلامهم، وبعث بالشماميون وعليها سمات العلوية فظيف بها منكبة بغداد.

### استيلاء مسلم بن قريش على حلب

وفي سنةاثنتين وسبعين وأربعين سار شرف الدولة مسلم بن قريش صاحب الموصل إلى مدينة حلب فحاصرها، ثم أفرج عنها فحاصرها تشن بن الـ ارسلان، وقد كان ملك الشام سنة إحدى وسبعين قبلها فاقام عليها أيامأ.

ثم أفرج عنها وملك بزاغة والبيرة، وبعث أهل حلب إلى مسلم بن قريش بأن يمكنه من بلدهم ورئيسها يومذ ابن الحسين العباسى، فلما قرب منهم امتنعوا من ذلك فترصد لهم بعض التركمان وهو صاحب حصن بنواحيها، وأقام كذلك أيامأ حتى صادف ابن الحسين يتتصيد في ضيبيته فأسره، وبعث به إلى مسلم بن قريش فأطلقه على أن يسلموا له البلد، فلما عاد إلى البلد ثم له ذلك، وسلم له البلد.

فدخله سنة ثلاث وسبعين، وحضر القلعة واستنزل منها سابعاً وثواباً أباً محمد بن مرداس، وبعث ابنه إبراهيم وهو ابن عمة السلطان إلى السلطان يخبره بذلك حلب وسأل أن يقدر عليه ضمانه فأجابه السلطان إلى ذلك، وأقطع ابنه محمدأ مدينة بالس.

ثم سار مسلم إلى حران وأخذها من بني وثاب التمرينين وأطاعه صاحب الـ رها ونقش السكة باسمه.

### حصار مسلم بن قريش دمشق وعصيان

#### أهل حران عليه

وفي سنة ست وسبعين وأربعين سار شرف الدولة إلى دمشق فحاصرها، وصاحبها تشن فخرج في عسكره وهزم مسلم بن قريش فارتحل عنها راجعاً إلى بلاده.

وقد كان استمد أهل مصر فلم يدروه، وبلغ الخبر بأن أهل حران نقضوا الطاعة، وأن ابن عطية وقاضيها ابن حليلة عازمان

وحاصره فخر الدولة فيمن معه من العساكر.

أعمال أنطاكية في صفر سنة ثمان وسبعين وأربعين.

ولما التقوا مال الأمير جق بن معه من التركمان إلى سليمان فاختل مصاف مسلم بن قريش، وانهزمت العرب عنه وثبت قتل في أربعينات من أصحابه، وكان ملكه قد اتسع من نهر عيسى وجميع ما كان لأبيه وعمه قرواش من البلاد.

وكانت أعماله في غاية الخصب والأمن، وكان حسن السياسة كثير العدل.

ولما قتل مسلم اجتماع بنو عقيل وأخرجوا أحاه إبراهيم من عبشه، بعد أن مكث فيه سنتين مقيداً حتى أنسد القيد مشتبه، فاطلقه وولوه على أنفسهم مكان أخيه مسلم.

ولما قتل مسلم سار سليمان بن قطلمش إلى أنطاكية وحاصرها شهرين فامتنعت عليه ورجع.

وفي سنة تسع وسبعين وأربعينات بعدها بعث عميد العراق عسكراً إلى الأبار فملكها من يد بي عقيل.

وفيها انقطع السلطان ملك شاه مدينة الرحبة وأعمالها وحران وسروج والرقة والخابور لحمد بن شرف الدولة مسلم بن قريش، وزوجه باخته خاتون زليخة فسلم جميع هذه البلاد، وامتنع حمد بن الشاطر من تسليم حران فأكرمه السلطان على تسليمه.

## نكتة إبراهيم وتنازع محمد وعلي ابنه مسلم بعده على ملك الموصل ثم استيلاء علي عليها

لم يزل إبراهيم بن قريش ملكاً بالموصل وأمراً على قومه بني عقيل، حتى استدعاه السلطان ملك شاه سنة اثنين وثمانين فلما حضر اعتقله، وبعث فخر الدولة ابن جهير على البلاد فملك الموصل وغيرها، وانقطع السلطان عنده صفة مدينة بلد، وكانت زوجاً لمسلم بن قريش ولها منه ابنه علي، وتزوجت بعده باخه إبراهيم.

فلما مات ملك شاه ارتحلت صفة إلى الموصل ومعها ابنها علي بن مسلم، وجاءه أخوه محمد بن مسلم وتنازعاً في ملك الموصل وانقسمت العرب عليهما، واقتلاوا على الموصل فانهزم محمد وملك علي ودخل الموصل وانتزعها من يد ابن جهير.

وبعث مسلم بن قريش إلى الأمير أرتق يغضي عنه في الخروج من آمد على مال بذلك له فأغضي له وخرج إلى الرقة.

وسار أحد بن جهير إلى ميافارقين بلد ابن مروان لحصارها، ففارقته بهاء الدولة منصور بن مزيد وابنه سيف الدولة صدقة إلى العراق، وسار ابن جهير إلى خلاط وكان السلطان ملك شاه لما بلغه الحصار مسلم بن قريش بأمد، بعث عميد الدولة آقسقير جد الملك العادل محمود في عساكر الترك، ولقيهم الأمير أرتق في طريقهم سائراً إلى العراق فعاد معهم وجاءوا إلى الموصل فملقوها، وسار السلطان في عساكره إلى بلاد مسلم بن قريش وانتهى إلى الباريغ، وقد خلص مسلم بن قريش من الحصار بأمد، ووصل إلى الرحبة، وقد ملكت عليه الموصل، وذهبت أمواله فراسل مزيد الملك بن نظام الملك فتوسل به بقتل وسيله وأنذ له في الوصول إلى السلطان بعد أن أعطاه من العهد ما راضى به وسار مسلم بن قريش من الرحبة فأحضره مزيد الملك عند السلطان، وقدم هدية فاخرة من الخيل وغيرها، ومن جلتها فرسه الذي خجا عليه، وكان لا يجرأ فوق من السلطان موقعًا وصالحة وأقره على بلاده فرجع إلى الموصل وعاد السلطان إلى ما كان بسيله.

## مقتل مسلم بن قريش وولاية ابنه إبراهيم

قد قدمنا ذكر قطلمش قرب السلطان طغرل بك، وكان سار إلى بلاد الروم فملكها، واستولى على قونية وأقصر اي، ومات فملك مكانه ابنه سليمان، وسار إلى أنطاكية سنة سبع وسبعين وأربعينات، وأخذها من يد الروم كما ذكر في أخباره.

وكان لشرف الدولة مسلم بن قريش، بأنطاكية جزية يؤديها إليه صاحبا القردروس من زعماء الروم، فلما ملكها سليمان بن قطلمش بعث إليه بطالبه بتلك الجزية، ويخوفه معصبة السلطان فأجابه باني على طاعة السلطان وأمرى فيها غير خفي، وأما الجزية فكانت مضروبة على قوم كفار يعطونها عن رؤوسهم، وقد أدار الله منهم بال المسلمين ولا جزية عليهم فسار شرف الدولة، ونهب جهات أنطاكية.

وسار سليمان فنهب جهات حلب وشكّت عليه الرعایا فرد عليهم.

ثم جمع شرف الدولة جموع العرب وجموع التركمان مع أميرهم جق، وسار إلى أنطاكية فسار سليمان للقاءه والتقيا في

وبعث كريوقا إليه عسكراً مع أخيه التوتاش فرده مهزوماً إلى الجزيرة فتمسك بطاعة كريوقا، وجاء مددأً له على حصار الموصل.

واشتد الحصار على بن مسلم فخرج من الموصل، ولحق بصدقه بن مزيد بالحلة، وملك كريوقا بلد الموصل بعد حصار تسعة أشهر.

وانقرض ملك بني المسب من الموصل وأعمالها واستولى عليها ملوك الغز من السلاجقية أمراؤهم والبقاء لله وحده.

### دولة بني صالح

**الخبر عن دولة بني صالح بن مرداش بحلب  
وابتداء أمرهم وتصاريف أحوالهم**

كان ابتداء أمر صالح بن مرداش ملك الرحمة، وهو من بني كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وجالاتهم بضواحي حلب. وقال ابن حزم: إنه من ولد عمرو بن كلاب، وكانت مدينة الرحمة لأبي علي بن شمال الحفاجي، فقتلته عيسى بن خلال العقيلي وملكتها من يده، وبقيت له مدة، ثم أخذها منه بدران بن المقلد.

وزحف لؤلؤ الساري نائب الحاكم بدمشق فملك الرقة، ثم الرحمة من بد بدران، وعاد إلى دمشق، وكان رئيس الرحمة ابن مجلكان فاستبد بها، وبعث إلى صالح بن مرداش يستعين به على أمره فأقام عنده مدة، ثم فسد ما بينهما، وقاتلته صالح، ثم اصطلحوا، وزوجه ابن مجلكان ابنته ودخل البلد، ثم انتقل ابن مجلikan إلى عانة بأهلها وما له بعد أن أطاعوه وأخذ رهنهم، ثم تقضوا وأخذدوا ماله وسار إليهم ابن مجلikan مع صالح فوضع عليه صالح من قتلها، وسار إلى الرحمة فملكتها واستولى على أموال ابن مجلikan وأقام دعوة العلويين بمصر.

### ابتداء أمر صالح في ملك حلب

قد قدمنا أن لؤلؤاً مولى أبي المعالي بن سيف الدولة استبد بحلب على ابنه أبي الفضائل، وأخذ البلد منه وحا دعوة العباسية وخطب للحاكم العلوي مصر، ثم فسد حاله معه وطمع صالح بن مرداش في ملك حلب.

### عود إبراهيم إلى ملك الموصل ومقتله

ولما مات ملك شاه واستبدت تركمان خاتون بعده بالأمور، وأطلقت إبراهيم من الاعتقال، فبادر إلى الموصل، فلما قاربه سمع أن علي ابن أخيه مسلم قد ملكها ومعه أمه صفية عمة ملك شاه فبعث إليها، وتلطّف بها فندقت إلى ملك الموصل فدخلتها وكان تشن صاحب الشام آخر ملك شاه قد طمع في ملك العراق، واجتمع إليه الأمراء بالشام وجاء أقساطر صاحب حلب، وسار إلى نصبين فملكتها وبعث إلى إبراهيم أن يخطب له ويسهل طريقه إلى بغداد، فامتنع إبراهيم من ذلك فسار تشن ومعه أقساطر وجوع الترك، وخرج إبراهيم للقائه في ثلاثين ألفاً.

والتحق الفريقان بالغيم فانهزم إبراهيم، وقتل وغنم الترك حللهم وقتل كبير من نساء العرب أنفسهن خوفاً من الفضيحة، واستولى تشن على الموصل.

**ولاية علي بن مسلم على الموصل ثم استيلاء كريوقا وانتزاعه إياها من يده  
وانقرض أمر بني المسب من الموصل**

ولما قتل إبراهيم وملك تشن الموصل ولـى عليها علي بن أخيه مسلم بن قريش فدخلتها مع أمه صفية عند ملك شاه، واستقرت هي وأعمالها في ولايته. وسار تشن إلى ديار بكر فملكتها، ثم إلى آذربيجان فاستولى عليها.

وزحف إليه بركيارق وابن أخيه ملك شاه، وتقاتلا فانهزم تشن، وقام بمكانه ابنه رضوان، وملك حلب وأمره السلطان بركيارق بإطلاق كريوقا فاحتله.

واجتمعت عليه رجال، وجاء إلى حران فملكتها، وكانته محمد بن مسلم بن قريش وهو بنصبين ومعه سوران بن وهيب وأبو الهيجاء الكردي يستنصرونه على علي بن مسلم بن قريش بالموصل، فسار إليهم وقبض على محمد بن مسلم وسار به إلى نصبين فملكتها.

ثم سار إلى الموصل فامتنعت عليه ورجع مدينة بلد، وقتل بها محمد بن مسلم غريضاً، وعاد إلى حصار الموصل. واستدرج علي بن مسلم بالأمير جكرومـش صاحب جزيرة ابن عمر فسار إليه منجدأً له.

ولما وقعت هذه الواقعة طمع الروم أهل أنطاكية في حلب فزحفوا إليها في عدد كبير.

### مسير الروم إلى حلب وهزيمتهم

ثم سار ملك الروم إلى حلب قي ثلاثة الف مقاتل، ونزل قريباً من حلب ومعه ابن الدوقس من أكابر الروم، وكان منافراً له، فخالفه وفارقه في عشرة آلاف مقاتل، ونفي إليه أنه يروم الفتاح به، وأنه دس عليه فكر راجعاً، وقبض على ابن الدوقس واضطرب الروم واتّهم العرب وأهل السواد الأرمن، ونهبوا اثقال الملك أربعين حمل، وهلك أكثر عسكره عطشاً.

ثم أشرف بعض العرب على معسكره فهربوا وتركوا سوادهم وأموالهم وأكرم الله المسلمين بالفتح.

### مقتل نصر بن صالح واستيلاء الوزيري على حلب

وفي سنة تسعة وعشرين وأربعين زحف الوزيري من مصر إلى العساكرة إلى حلب وخليفتهم يومئذ المستنصر، ويزد إليه نصر فالتقوا عند حماة، وانهزم نصر وقتل ملك الوزيري حلب في رمضان من هذه السنة.

### مهمة الوزيري وولاية ثمال بن صالح

ولما ملك الوزيري حلب واستولى على الشام عظم أمره واستكثر من الأتراك في الجندي، ونفي عنه إلى المستنصر بמצרים الوزير الجرجاوي أنه يروم الخلاف فدس الجرجاوي إلى جانب الوزيري والجند بدمشق في الثورة به، وكشف لهم عن سوء رأي المستنصر فثاروا به، وعجز عن مدافعتهم فاحتلوا اثقاله، وسار إلى حلب، ثم إلى حماة فمنع من دخولها فكاتب صاحب كفرطاب فسار إليه وتبعه إلى حلب ودخلها، وتوفي سنة ثلاثة وأربعين وأربعين فسداً أسر الشام وأدخل النظام وتزايد طمع العرب.

وكان معز الدولة ثمال بن صالح بالرحبة منذ مهمته أبه وأخيه فقد حلب، وحاصرها فملك المدينة وامتنع أصحاب الوزيري بالقلعة واستمدوا أهل مصر وشغلوا بدمشق بعد الوزيري، وهو الحسين بن حдан لحرب حسان بن مفرج صاحب

وذكروا هنالك ما كان بين صالح ولؤلو من المخروب، وأنه كان له مولى اسمه فتح وضعه في قلعة حلب حافظاً لها، فاستوحش وانتقض على لؤلو بعمالة صالح بن مرداش، وبایع للحاكم على أن يقطعه صيداً وبيروت، وسوغه ما كان في حلب من الأموال، ولحق لؤلو بانطاكية وأقام عند الروم، وخرج فتح بحرم لؤلو وأمه وتركتهن في منيجة، وترك حلب وقلعتها إلى نواب الحاكم وتداولت في أيديهم حتى وليها بعضبني حدان من قبل الحاكم يعرف بعزيز الملك، أصطنعه الحاكم وولاه حلب ثم عصى على ابنه الظاهر، وكانت عمته بنت الملك مدبرة لدولته، فوضعت على عزيز الملك من قتلها، وولوا على حلب عبد الله بن علي بن جعفر الكتامي، ويعرف باين شعبان الكتامي وعلى القلعة صفي الدولة موصوفاً الخادم.

### استيلاء صالح بن مرداش على حلب

ولما ضعف أمر العبيدين بمصر من بعد المائة الرابعة وانقرض أمربني حدان من الشام والجزيرة، تطاولت العرب إلى الاستيلاء على البلاد فاستولى بنو عقبيل على الجزيرة، واجتمع العرب الشام فتقاسموا البلاد على أن يكون حسان بن مفرج بن دغفل وقرمه طيء من الرملة إلى مصر، ولصالح بن مرداش دمشق وأعمالها وكان العامل على هذه البلاد من قبل الظاهر خليفة مصر أنشوشكين إلى عسقلان، وملكتها ونهبها حسان وسار صالح بن مرداش إلى حلب فملكها من يد ابن شعبان، وسلم له أهل البلد ودخلها.

وتصد ابن شعبان إلى القلعة فحصرهم صالح بالقلعة حتى جدهم الحصار، واستأنفوا وملك القلعة وذلك سنة أربع وعشرين وأربعين، واتسع ملوكه ما بين بعلبك وعانا.

### مقتل صالح وولاية ابنه أبي كامل

ولم يزل صالح مالكاً لحلب إلى سنة عشرين وأربعين فجهز الظاهر العساكرة من مصر إلى الشام لقتال صالح وحسان، وعليهم أنشوشكين الدربيدي فسار لذلك، ولقيهما على الأردن بطربة، وقاتلهما فانهزم، وقتل صالح وولده الأصغر، ونجا ولده الأكبر أبو كامل نصر بن صالح إلى حلب، وكان يلقب شبل الدولة.

### رجوع ثمال بن صالح إلى ملك حلب وفار

محمد بن نصر عنها

ما هزم محمود بن حمدان وأخذ القلعة من يد ابن ملهم، وكان معز الدولة ثمال بن صالح ينصر من سلمها للستة تسع وأربعين فسراحة المستنصر الآن، وأذن له في ملك حلب من ابن أخيه، فحاصره في ذي الحجة من سنة اثنين وخمسين وأربعين وانتجد محمود بخاله منيع بن شبيب بن وثاب التميري صاحب حران، فأمده بنفسه، وجاء لتصيره فأخرج ثمال عن حلب وسار إلى البرية في محرم سنة ثلاث وخمسين، ثم عاد منيع إلى حران وملك ثمال حلب في ربيع سنة ثلاث وخمسين وغزا بلاد الروم فظفر وغنم.

### وفاة ثمال وولاية أخيه عطية

ثم توفي ثمال بحلب قريباً من استيلائه، وذلك في ذي القعدة سنة أربع وخمسين وأربعين وعهد بحلب لأخيه عطية بن صالح وكان بالرحبة من لدن مسير ثمال إلى مصر فسار وملكتها.

### عود محمود إلى حلب وملكه إياها من يد

عطية

ولما ملك عطية حلب وكان ذلك عند استيلاء السلاجوقية على ممالك العراق والشام وافتراقهم على العمالات، ونزل به قوم منهم فاستخدموهم وقوى بهم.

ثم خشي أصحابه غائتهم فأشاروا بقتالهم، فسلط أهل البلد عليهم فقتلوا منهم جماعة وخجا الباقيون، فقصدوا محمود بن نصر بحران فاستهضوه لملك حلب، وجاءهم فحاصرها وملكتها في رمضان سنة خمس وخمسين وأربعين واعتداد أمره.

ولحق عطية عمه بالرقعة، فملكتها إلى أن انتدتها منه شرف الدولة مسلم بن قريش سنة ثلاثة وستين وأربعين، فسار إلى بلد الروم سنة خمس وستين وأربعين واستقام أمر محمود بن نصر في حلب.

وبعث الترك الذين جاؤوا في خدمته مع أميرهم ابن خان سنة ستين وأربعين إلى بعض قلاع الروم فحاصروها وملكتها. وسار محمود إلى طرابلس فحاصرها وصالحه على حال

فلسطين، فاستأمن أصحاب الوزيري إلى ثمال بن صالح بعد حصاره إليها حولاً فأنهم، وملكتها في صفر سنة أربعين وثلاثين وأربعين، فلم يزل ملكاً عليها إلى أن زحفت إليه العساكر من مصر مع أبي عبد الله بن ناصر الدولة بن حمدان، وبليت جموعهم خمسة آلاف مقاتل فخرج إليهم ثمال، وقاتلهم وأحسن دفاعهم، وأصحابهم سيل كاد يذهب بهم فأفروا عن حلب، وعادوا إلى مصر.

ثم عادت العساكر ثانية من مصر سنة إحدى وأربعين مع رفق الخادم فقاتلهم ثمال وهزمهم، وأسر الخادم رفقاً ومات عنده.

### رغبة ثمال عن حلب ورجوعها لصاحب

مصر وولاية ابن ملهم عليها

لم تزل العساكر تردد من مصر إلى حلب، وتفضت عليها حتى ستم ثمال بن صالح إمارتها، وعجز عن القيام بها، فبعث إلى المستنصر بضروره وصالحة على أن ينزل له عن حلب، فبعث عليها مكين الدولة أبا علي الحسن بن ملهم، فتلتها آخر سنة تسع وأربعين.

وسار ثمال إلى مصر ولحق أخوه عطية بن صالح بالرحبة، واستولى ابن ملهم عليها.

### ثورة أهل حلب بابن ملهم وولاية محمود

بن نصر بن صالح

وأقام ابن ملهم بحلب ستين أو نحوها، ثم بلغه عن أهل حلب أنهم كاتبوا محمود بن نصر بن صالح فقبض عليه، فشار به أهل حلب وحصروه بالقلعة، ويعشا إلى محمود فجاء متصرف اثنين وخمسين وأربعين واحتله وحاصره معهم بالقلعة.

واجتمعت معه جموع العرب واستمد ابن ملهم المستنصر، فكتب إلى أبي محمد الحسن بن الحسين بن حمدان أن يسير إليه في العساكر، فسار إلى حلب وأجلل محمود عنها، ونزل ابن ملهم إلى البلد ودخلها ناصر الدولة ونهبها عساكره، وابن ملهم.

ثم تموقع محمود وناصر الدولة بظاهر حلب فانهزم ناصر الدولة بن حمدان وأسر فرجع به محمود إلى البلد وملكتها وملك القلعة في شعبان من هذه السنة، وأطلق أحد بن حمدان وابن ملهم فعاد إلى مصر.

إلى أن ملكها السلطان من بعده.

فأخرج عنهم.

## استيلاء السلطان ملك شاه على حلب وولاية أقسنقر عليها

قد تقدم لنا أن مسلم بن قريش قتل سليمان بن قطلمش كما مر في أخبار مسلم، فلما قتله أرسل إليه ابن الحسين العابسي مقدم أهل حلب يطلب تسليمه إليها. وكان تشن أيضاً قد حاصرها وضيق عليها يطلب ملكها فرود كلاً منها.

ونفي الخبر إلى تشن فسار إلى حلب، وجاءه سليمان بن قطلمش فاقتلا، وقتل سليمان سنة تسع وسبعين وأربعين وسبعين برأسه إلى ابن الحسين، فكتب أنه يشاور السلطان ملك شاه في ذلك، فغضب تشن وحاصره، وداخله بعض أهل البلد فغدر به وأدخله ليلاً فملك تشن مدينة حلب، وشقق الأمير أرتقى بن أكسل من أمراء تشن في ابن الحشبي وامتنع بالقلعة سالم بن مالك بن بدران ابن المقلد فحاصره تشن وكان ابن الحشبي قد كاتب السلطان ملك شاه واستدعاه ملك حلب عندما خاف من أخيه تاج الدولة تشن، فسار إليها من أصفهان سنة تسع وأربعين وأربعين ومر بالمرصل، ثم تسلم حران من يد ابن الشاطر، واقطعها محمد بن قريش، ثم سار إلى الراها فملكها من يد الروم. وكانت اشتراكها من ابن عطية، وسار إلى قلعة جعفر فملكها وقتل من بها من بي قشير وأخذ صاحبها جعفرأً شيئاً أعمى ولدين له، وكانتا يفسدون السابلة ويرجعون إليها.

ثم سار إلى منبع فملكتها وسار إلى حلب وأخوه تشن يحاصر القلعة سبعة عشر يوماً من حصارها، وعاد إلى دمشق وملك السلطان مدينة حلب وقاتل القلعة ساعة من نهار رشقاً بالسهام، فاذعن سالم بن مالك بن بدران بالطاعة والتزول عنها على أن يقطنه قلعة جعفر، فأقفلها له السلطان فلم تزل يده ويد بيته إلى أن ملكها منهم نور الدين الشهيد. وبعث نصر بن علي بن منقذ الكناناني صاحب شizer بالطاعة، وولى على حلب قسم الدولة أقسنقر جد العادل نور الدين الشهيد، وارتغل عائداً إلى العراق.

وسأله أهل حلب أن يعيدهم من ابن الحشبي فاستصلحه، وأرسله إلى ديار بكر فنزلها إلى أن توفي على حال شديدة من الفقر والإلحاد.

ثم سار إلى السلطان الب أرسلان بعد فراغه من حصار ديار بكر وأمد والرها، ولم يظفر بشيء منها كما ذكر في أخبارهم. وجاء إلى حلب وحاصرها وبها محمد بن نصر.

وجاءت رسالة الخليفة القائم بالرجوع إلى الدعوة العباسية فأعادها وسأل من الرسول أزهر أبو الفراس طراد النبوي أن يعيده السلطان من المضمر عنده فأتي السلطان من ذلك، واشتد الحصار على محمود وأخوه حجارة الجانق، فخرج ليلاً ومعه والدته منيعة بنت وثاب متطرحين على السلطان، فخلع على محمود في حلب آخر ثمان وستين وأربعين وعهد لابنه شبيب إلى الترك الذين ملكوا أيامه وهم بالحاضر، وقد بلغه عنهم العيوب والفساد، فما دنا من حلتهم تلقوه فلم يجيئهم، وقاتلهم وأصيّب بهم في تلك الجولة ومات.

## مهلك نصر بن محمود وولاية أخيه سابق

ولما هلك نصر ملك آخره سابق.

قال ابن الأثير: وهو الذي أوصى له أبوه بالملك، فلم ينفذ عهده لصغره، مما ولّ استدعى أحد شاه مقدم التركمان الذين قتلوا آباء فخلع عليه، وأحسن إليه وبقي فيها ملكاً.

## استيلاء مسلم بن قريش على حلب من يد سابق وإنقراض دولة بني صالح بن مرداد

ولما كانت سنة اثنين وسبعين وأربعين زحف تشن بعد أن ملك دمشق إلى حلب فحاصرها أياماً ووصل أهل حلب من ولاية الترك فبعثوا إلى مسلم بن قريش ليملكوه ثم بدا لهم في أمره ورجع من طريقه، وكان مقدمهم يعرف بابن الحسين العابسي وخرج ولده متصدراً في ضيحة له فارسل له بعض أهل القلاع بنواحي حلب من التركمان، وأسره وأرسله إلى مسلم بن قريش فعاذه على تكميده من البلد، وعاد إلى أبيه فسلم البلد إلى مسلم بن قريش وملكتها سنة ثلاثة وسبعين وأربعين وسبعين سابقاً بن محمود وأخوه وثاب إلى القلعة واستقروا بعد أيام على الأمان واستولى على نواحيها.

وبعث إلى السلطان ملك شاه بالفتح، وأن يضممن البلد على العادة فأجاهه إلى ذلك، وصارت في ولاية مسلم بن قريش

والله مالك الأمور لا رب غيره.

بن حسان وسار إلى الجامعين فنهبها وملك الكوفة.  
وصار أمر دبيس وقراوشا إلى الوفاق واستوى الأمر على  
ذلك ومنت خفاجة بني عقيل من سقي الفرات.

### استيلاء منصور بن الحسين على الجزيرة

#### الدييسية

كانت الجزيرة الدييسية قد استقرت لطراد بن دبيس، وكان منصور بن الحسين من شعوببني أسد تغلب عليهما، وأخرج طراد بن دبيس عنها سنة ثمان عشرة وأربعين سنة ثم مات طراد فسار ابنه أبو الحسن إلى جلال الدولة بغداد، وكان منصور بن الحسين قد خطب للملك أبي كاليجار، وقطع الخطبة لجلال الدولة فسأل منه علي بن طراد أن يبعث معه عسكراً ليخرج منصوراً من الجزيرة، فأنفذ معه العسكر، وسار إلى واسط.  
ثم أغذ السير وكان منصور جمع للقائه، وأعنه بعض أمراء الترك، وهو أبو صالح كركبر.

وكان قد هرب من جلال الدولة إلى أبي كاليجار فأعاد منصوراً على شأنه، ولقوا علي بن طراد فهزمه، وقتلوا وجماعة من الترك الذين بعثهم جلال الدولة لنصرته، واستقر ملك الجزيرة الدييسية لمنصور بن الحسين.

### فتنة دبيس مع جلال الدولة وحروهه مع قومه

كان المقلد أخو دبيس بن مزيد قد لحق ببني عقيل كما ذكرناه، وكانت بينه وبين نور الدولة دبيس عداوة، فسار إلى منيع بن حسان أمير خفاجة، واجتمعا على قتال دبيس وعلى خلافة جلال الدين، وخطب لأبي كاليجار واستقدمه للعراق فجاء إلى واسط، وبها ابن جلال الدولة فثارقاها وقصد التعمانية ففجر عليه الشوق من بلده.

وارسل أبو كاليجار إلى قراوشا صاحب المصلى، والأثير عنبر الخادم أن ينحدروا إلى العراق فانحدروا إلى الكحيل.  
ومات بها الأثير عنبر وجمع جلال الدولة عساكره واستتجد أبا الشوك صاحب بلاد الأكراد، فأخرجها والمدر إلى واسط، وأقام بها وتتابع الأمطار والأحوال فسار جلال الدولة إلى الأهواز بلد أبي كاليجار لينهياها.

### الخبر عن دولة بنى مزيد ملوك الحلة

#### وابتداء أمرهم وتصارييف أحوالهم

كان بنو مزيد هؤلاء من بني أسد، وكانت مخلتهم من بغداد إلى البصرة إلى نجد وهي معروفة.

وكانت لهم التعمانية، وكانت بنو دبيس من عشائرهم في نواحي خوزستان في جزائر معروفة بهم.  
وكان كبير بنو مزيد أبو الحسن علي بن بن مزيد وأخوه أبو الغنائم.

وسار أبو الغنائم إلى بني دبيس فآقام عندهم، وفر فلم يدركه، ولحق بناحية أبي الحسن فسار إليه أبو الحسن، واستمد عميد الجيوش فامده بعسكر من الدليل في البحر، ولقيهم فانهزم أبو الحسن وقتل أبو الغنائم وذلك سنة إحدى وأربعين سنة.

فلما كانت سنة خمس وأربعين سنة جمع أبو الحسن وسار إليه لادراك الثار بأخيه، وجمع بني دبيس وهم مصر وحسان ونبهان وطراد فاجتمع إليهم العرب ومن في نواحיהם من الأكراد الشاهجان والحادانية، وتراحووا ثم انهزم بنو دبيس، وقتل حسان ونبهان واستولى أبو الحسن بن مزيد على أموالهم وحللهم، ولحق الفيل منهم بالجزيرة وقلده فخر الدولة أمر الجزيرة الدييسية واستثنى منها الطيب وقربون، وآقام أبو الحسن هناك.

ثم جمع مصر بن دبيس جمعاً وكبسه فنجا في فل يسير ولحق بيلد النيل منهاماً، واستولى مصر على أمواله وعلى الجزيرة وملكتها.

### وفاة علي بن مزيد وولاية ابنه دبيس

ثم توفي أبو الحسن بن مزيد سنة ثمان وأربعين سنة وقام الأمر مكانه ابنه نور الدولة أبو الأغر دبيس، وقد كان أبوه عهد لأخيه في حياته، وخلع عليه سلطان الدولة، وأذن في ولايته.

فلما ول بعد أخيه نزع أخيه المقلد إلى بني عقيل فأقام بينهم، وكانت بسبب ذلك بين دبيس وقراوشا أمير بني عقيل فتن حروب.

وجمع دبيس عليه بني خفاجة، وملك الأنبار من يده سنة سبع عشرة وأربعين سنة ثم انتقض خفاجة على دبيس وأميرهم منيع

### الفتنة بين دبيس وعسكره واستطاعه

كان الملك الرحيم قد أقطع دبيس بن مزيد سنة إحدى وأربعين وأربعينمائة حماية نهر الصلة ونهر الفضل، وهي من إقطاع جند واستطاع فسخطاً ذلك، واجتمعوا ويعثروا إليه بالتهذيد فراجعهم إلى حكم الملك الرحيم، فقضوا ورثقوه إليه فلقيهم وأكمن لهم فهزهم وأثخن فيهم، وغنم أمرالهم ودواهم ورجعوا إلى واستطاعون جند بغداد، ويرغبون من البشّيري في المدّاعة عنهم ويطره نهر الصلة ونهر الفضل.

### إيقاع دبيس بخفاجه

وفي ستة ست وأربعين وأربعينمائة قصد بنو خفاجة الجامعين من أعمال دبيس فأغاروا فيها من غربي الفرات، وكان دبيس في شرقه فاستجدى البشّيري فجاء بنفسه، وعبر دبيس الفرات معه وقاتل خفاجة وأجلهم عن الجامعين فسلكوا البرية، ورجع عليهم ثم عادوا للفساد فعاد إليهم فدخلوا البرية فاتبعهم إلى حصن خفان فارق بهم، وأثخن فيهم وحاصر خفان ثم اقتحمه، وأخرجهم ورجع إلى بغداد ومعه أسرى من خفاجة فصلبوا.

ثم سار إلى جري فحاصرها ووضع عليهم سبعة آلاف دينار فالتزمواها وأمنهم.

### حرب دبيس مع الغز وخطبته للعلوي

#### صاحب مصر وعوادته الطاغية

ولما انقرض أمربني بوريه وغلب عليهم الغز، وصارت الدولة للسلطان طغريلك سلطان السلاجوقية، وجاء السلطان طغريلك إلى بغداد، واستولى على الخلافة، وخطب له على منابر الإسلام، وبقي على الملك الرحيم آخر ملوكبني بوريه حسبما ذلك كله مذكور في أخبارهم.

وكان البشّيري قد فارق الملك الرحيم قبل مسيره من واستطاع إلى بغداد للقاء طغريلك مجتمعًا على الخلاف على الغز مع قطلمش ابن عم طغريلك جد الملوك ببلاد الروم أولاد قلبج أرسلان، ومعه متمم الدولة أبي الفتح عمر، وسار معهم قريش بن بدران صاحب الموصى فلقيهم دبيس والبشّيري على سنجار، وهزمهم ورجع قريش إلى دبيس جريحاً فخلع عليه، وسار معهم

وبعث أبو كليجار إليه بأن عساكر محمود بن سبكتكين قد قصّت العراق لبرده عن الأهواز فلم يلتقط إلى ذلك، وسار ونهب الأهواز، وبلغ الخبر إلى أبي كليجار فسار إلى مدافعته، وتختلف عنه دبيس خوفاً على حمله من خفاجة.

والتحق أبو كليجار وجلال الدولة فانهزم أبو كليجار وقتل من أصحابه كثير.

واستولى جلال الدولة على واستطاع إعادتها ابنه عبد العزيز كما كان.

ولما فارق دبيس أبي كليجار وجد جماعة من عشيرته قد خالقوه عليه، وعاثوا في نواحي الجامعين فقاتلهم وظفر بهم، وأسر منهم جماعة منهم: أبو عبد الله الحسين ابن عم أبي الغنائم، وشبيب وسراباً ووهب وبنو عمّه حماد بن مزيد وجبيه بالجلوس.

ثم جمع المقلد أخوه جواعاً من العرب واستمد جلال الدولة فامده بعسكر، وقصدوا دبيس فانهزم وأسر جماعة من أصحابه، وزُلزل المعتقلون بالجرسق فنهبوا حمله.

ولحق دبيس بالشريد منهزمًا فسار به إلى مجد الدولة، وضمن عنه المال المقرر في ولايته فأجيب إلى ذلك، وخلع عليه، واستقام حاله.

وذهب المقلد مع جماعة من خفاجة فنهبوا مطير أيام والنيل أتيح لهم، وعاثوا في مساراتها، ولم تكن الحلة بنيت يومئذ، وعبر المقلد دجلة إلى أبي الشوك فاقام عنده حتى أصلح أمره.

### الفتنة بين دبيس وأخيه ثابت

كان أبو قواوم ثابت بن علي بن مزيد متصلًا بالبشّيري سنة أربع وعشرين وأربعينمائة وتزحزح لهم دبيس عن البلاد وملك ثابت النيل وأعمال دبيس.

وبعث دبيس طائفة من أصحابه لقتال ثابت فانهزموا فسار دبيس عن البلاد، وتركها لثابت حتى رجع البشّيري إلى بغداد فسار في جموع بني أسد وخفاجة، ومعه أبو كامل منصور بن قراد وتركوا حملهم بين حصني خفان وجري.

وساروا جريدة ولقيهم ثابت عند جرجرا، فاقتتلوا مليأً، ثم تماجروا واصطلحوا على أن يعود دبيس إلى أعماله، ويقطع أشلاء ثابتًا بعض تلك الأعمال، وتماكلوا على ذلك وافتقدوا وجاء البشّيري منجددًا ثابت فبلغه الخبر بالنعمة فرجم.

الشعراء بعد وفاته بأكثر مما مذحوه في حياته.

وذهب بهم إلى الموصل.

ولما مات ولی في أعماله وعلى بني أسد ابنه أبو كامل منصور، ولقب بهاء الدولة.

وخرج ديس وقریش والبسیسری إلى البرية، ومعهم جماعة من بني تمیز أصحاب حران والرقة.

وسار إلى السلطان ملك شاه فاقره على أعماله وعاد في صفر سنة خمس وسبعين وأربعين فأحسن السيرة.

وابتهم عساکر السلطان مع هزارسپ من أمراء السلجوقية فأوقع بهم، ورجع بالغنائم والأسرى.

وأرسل ديس وقریش إلى هزارسپ أن يستعطف بهم السلطان ففعل.

### وفاة منصور بن ديس وولاية ابنه صدقة

نُم توفي بهاء الدولة أبو كامل منصور بن ديس بن علي بن مزید صاحب الحلة والنيل وغيرهما في ربيع الأول سنة تسعة وسبعين، فارسل الخليفة تقبّل العلوين أبا الغنائم إلى ابنه سيف الدولة صدقة يعزّيه، وسار صدقة إلى السلطان ملك شاه فخلع عليه وواله مكان أبيه.

ويُبعث ديس ابنه بهاء الدولة مع وافد قریش فأكرمههما السلطان طغریل.

ثم انتقض عليه آخره نیال بهمندان فسار لخربه، وترك بغداد وخالفه البسیسری إليها وبعث الخليفة القائم عن ديس ليقيم عنده بيغداد، فاعتبر بأن العرب لا تقيم، وطلب الخليفة في الخروج إليه حتى يجتمع عليه هو وهزارسپ، ويدافعوا عن بغداد.

وجاء البسیسری ودخل بغداد ومعه قریش بن بدران فملكتها سنة خمسين وأربعين وسبعين وخطب فيها للعلويين واستند الخليفة القائم بقريش بن بدران فاذمه، ويُبعث إلى عاتة عند مهاوش العقيلي من بني عمه و فعل البسیسری وجموعه في بغداد الأفعاعي، وأطاعه ديس بن علي بن مزید وصدقة بن منصور بن الحسين صاحب الجزيرة الديسية، وكان ولی بعد أبيه وقد تقدم ذكر هذا كلّه.

ثم رجع السلطان من همندان بعد قتل أخيه، وقضى أشغاله فأجلّ البسیسری وأصحابه من بغداد، وتحقّق ببلاد ديس وقارقه صدقة بن منصور إلى هزارسپ بواسط.

وأعاد طغریل الخليفة إلى داره، وسار السلطان في اتباعه وفي مقدمته خارثکین الطغرائي في الفي فارس، ومعه سرايا بن منيع المخاجي فصبت المقدمة ديس بن مزید والبسیسری، فهرب ديس ووقف البسیسری فقتل وذلك سنة إحدى وخمسين وأربعين ورجع السلطان إلى بغداد ثم انحدر إلى واسط.

وجاءه هزارسپ بن تكين فاصلح عنده حال ديس بن مزید وصدقة بن منصور بن الحسين، وحضرها عند السلطان وجاءه في ركباه إلى بغداد فخلع عليهما وردهما إلى عمالتهما.

### انتقام صدقة بن منصور بن ديس على السلطان برکیارق

وكان السلطان برکیارق قد نجح عليه آخره محمود بن ملك شاه بنازعه في الملك، وكانت بينهما عدة وقفات، ولم ينزل صدقة بن منصور على طاعته وبخض حروبه تارة بنفسه، وتارة يبعث إليه العساکر مع ابنه سنة أربع وستين وأربعين.

فبعث إليه وزير السلطان برکیارق وهو الأغر أبو الحسن الدهستاني يطلب فيما تختلف عنده من المال، وهو ألف ألف دينار، ويتهدهد عليه فقطع صدقة الخطبة لبرکیارق، وعاد إلى بغداد في هذه السنة منهذاً أمام أنجوره محمد وستجر، فبعث الأمير آیاز من أكبر أصحابه، وطرد نائب السلطان عن الحکومة واستضافها إليه.

### استيلاء صدقة على واسط وهبت

كان السلطان محمد في سنة ست وستين وأربعين مستولياً على بغداد والخطبة بها وشحته فيها الغازی بن أرتق، وصدقة بن ديس على طاعته ومظاهرته.

ثم ظهر في هذه السنة برکیارق على محمد، وحاصره بأصفهان فامتنع عليه فأنجح عنه إلى همندان، ويُبعث كمستكين القصیر شحنة إلى بغداد فاستدعى أبو الغازی آخاه سقمان بن أرتق من حصن كیفا يستعين به في مدافعة كمستكين.

### وفاة ديس وإمارة ابنه منصور

ولم ينزل ديس على أعماله إلى أن توفي سنة أربع وسبعين وأربعين لسيع وخمسين سنة من إمارته، وكان معدوباً، ورثاه

من السلاجقية، أقام فيها عشر سنين وعظم تمكنه للخلافة الواقع  
بين بركيارق ومحمد، وكان يظهر طاعة صدقة وموافقتها.

فَلِمَا صَفَا الْأَمْرُ لَهُمْ وَغَيْرُهُمْ صَدْقَةٌ فِي إِيمَانِهِ فَأَيْقَاءٌ.

ويُعَثِّرُ السُّلْطَانُ مُحَمَّدٌ عَامِلًا عَلَى خَاصَّةِ الْبَصَرَةِ فَمَنَعَهُ إِسْمَاعِيلُ، فَأَمَرَ السُّلْطَانَ صَدِقَةً بِأَخْذِ الْبَصَرَةِ مِنْهُ.

وأظهر منكربس الخلاف فشغلا عن البصرة، وبعث إليه صدقة بتسليم الشرطة إلى مهذب الدولة بن أبي الخبر فمنع من ذلك، فسار صدقة إليه، وحصن إسماعيل القلاع التي استجد لها حوالي البصرة، واعتقل وجوه البلد من العباسين والعلويين، والقاضي والمدرس والأعيان، وحاصرها صدقة وخرج إسماعيل لقتاله، وخالقه طافحة من أصحاب صدقة إلى مكان آخر من البلد فاقتحمها، وأنهزم إسماعيل إلى قلعة الجزيرة فامتنع بها، ونهبت البلد وأخدر المذهب بن أبي الخبر في السفن فاختذ القلعة التي كانوا في إسماعيل بطراب، ثم استأمد إسماعيل إلى صدقة فألمته.

كانت لإسماعيل بعثارات، ثم استأمن إسماعيل إلى صدقة فامنه.

و جاء صدقة فامن أهل البصرة و رتب عندهم شحنة، و عاد إلى الحاله متصرف تسع و تسعين وأربعينه لستة عشر يوماً من مقامه بالبصرة.

وسائل إسماعيل نحو فارس فطرقه المرض في راهمه ومات وكان صدقة قد استعمل على البصرة مملوك جده ديس، وأسمه اليونشاش ورتب معه مائة وعشرين فارساً، فاجتمعت ربعة والثمانين وقصدوا البصرة فدخلوها بالسيف، وأسرروا اليونشاش وأقاموا بها شهراً ينهبون ويغрабون، وبعث صدقة عسكراً فوصل بعد خروجهم من البلد فانتزع السلطان البصرة من صدقة وبعث إليها شحنةً وعميداً واستقام أمرها.

استیلاء صدقہ علی تکریت

كانت تكريت لبني معن من بني عقيل، وكانت إلى آخر سبع وعشرين وأربعين يد رافع بن الحسين بن معن، فلما مات ولها ابن أخيه أبو منة بن ثعلب بن حداد ووجد بها خمسة ألف دينار.

وتوفي سنة خمس وثلاثين، ووليهما ابنه أبو غلام إلى سنة أربع وأربعين فرثب عليه أخيه عيسى فحبسه وملك القلعة والأموال.

فما اجتاز به طغربلک سنة ثمان وأربعين صالحه على بعض  
المال فرجل عنه، ومات عيسى إثر ذلك وخافت زوجته من عود

وجاء كمستكين إلى بغداد وخطب بها لبركيارق وخرج أبو الغازى وسقمان إلى دجبل فأقاما به مجرى وجاء صدقية بن مزيد إلى صرصر بعد أن جاءه رسول الخليفة في طاعة أبي الغازى وسقمان فعادا وعاثت عساكرهما في نواحي دجبل، وتقدما إلى بغداد وبعث معهما صدقية ابنه ديبساً فخيموا بالمرملة، وقاتلهم العامة وكثير المفرج، وبعث الخليفة إلى صدقية يعظم عليه الأمر فاشار بخروج كمستكين القيصري من بغداد لتصبح الأحوال، فأخرج إلى النهرawan في رباع سنة ست وتسعين وأربعينه وعاد صدقية إلى الحللة وأعيدت خطبة السلطان محمد ببغداد ولحق القيصري بواسط، وخطب بها محمد فسار إليه صدقية وأخرجه وجاء أبو الغازى واتبعوا القصصري واستأمن إلى صدقية فاكربه وأعيدت خطبة السلطان محمد بواسط، وبعده لصدقية وأبي الغازى.

وول كل واحد منهما ولده على واسط، وذهب أبو الغازى إلى بغداد وعاد صدقة إلى الحلة، وأرسل ابنه منصراً مع أبي الغازى إلى المستنصر ليستظر رضاه فرضي عنه.

ثم استولى صدقة على هيت، وكان بركيارق أقطها لبهاء الدولة ترaran بن تهيبة وكان مقيناً في جماعة من بنى عقيل عند صدقة.

ثم تشاوراً ومال بنو عقيل إلى صدقة، وحج عقب ذلك،  
ورجم فركل به صدقة.

ويبعث ابنه ديبس ليسلم هيـت فـمنـعـه نـائـبـ تـورـانـ بـهـاـ، وـهـوـ  
عـمـدـ بـنـ رـافـعـ بـنـ مـنـيـعـةـ بـنـ مـالـكـ بـنـ الـمـلـدـ.

فلمَا أخذ صدقة واسطاً سار إلى هيت وبها منصور بن كثير  
ناشأ عن عمه توران، فلقي صدقة وحاربه.

ثم انقضت جماعة من أهل البلد وفتحوا لصدقة فملكها،  
وخلع على منصور وأصحابه عاد إلى الخلة، واستخلف على  
هيت ابن عممه ثابت بن كامل.

ثم اصطلاح السلطان محمد ويركيارق وسار صدقة في شوال  
إلى واسط فملكتها وأخرج الترك الذين كانوا بها وأحضر مهذب  
الدولة بن أبي الحير فضمهن البلد لثلاثة أشهر بقيت من السنة  
خمسمائة ألف دينار وعاد إلى الحلية.

استيلاء صدقة بن مزيد على البصرة

كانت البصرة منذ سنين في ولاية إسماعيل بن أرسلان حتى

وعظم أمر مهذب الدولة وصیر کوھرایین أمیر البطحة،  
وصارت جماعته لحكمة.

وكان حاد شباباً، وكان مهذب الدولة يدار به بجهده، وهو يضم نفسه، فلما مات کوھرایین انقض حاد عن مهذب الدولة وأظهر ما في نفسه، واجتهد مهذب الدولة في استصلاحه، فلم يقدر وجع ابنه القيس وقصد حاداً فهرب إلى صدقة بالحللة، وبعث معه مددًا من السكر، وحشد مهذب الدولة وسار في العساكر برأه وجرأ، وأکمن حاد لهم واصحابه واستطردوا بين أيديهم، ثم خرجت عليهم الكمان فانهزموا.

وارسل حاد يستمد صدقة فيبعث إليه مقدم جيشه، وجعلوا السفن وكان مهذب الدولة جرادة، فيبعث إلى مقدم الجيش بالإنعامات والصلات فمال إليه، وأشار عليه أن يبعث ابن التفيس إلى صدقة فرضي عنه وأصلح بينه وبين حاد ابن عمّه، وذلك آخر المائة الخامسة.

### مقتل صدقة وولایة ابنه دبیس

كان صدقة بن منصور بن مزید شیعہ للسلطان محمد بن ملك شاه على أخيه برکیارق، ومن أعظم أنصاره.

وطا هلق برکیارق واستبد السلطان محمد بالملك رعن وسائله في ذلك، وأقطعه واستطأ واذن له في ملك البصرة، وأنزله منزل المصافة حتى كان يعبر عليه.

وسخط مرة على سرخاب بن کیخسرو وصاحب سارة فلجا إليه مستجيراً به فاجراه، وطلبه السلطان فمنعه.

وكان العميد أبو جعفر يستبدل السلطان لكترة السعاية ويغريه به وينکر دالته وتبيّنه تعین السلطان وسار إلى العراق وأرسل إلى صدقة فاستشار صدقة أصحابه فأشار ابنه دبیس بملاظته واستعطافه بالهدایا، وأشار سعید بن حید صاحب جيشه بالحرابة، فججع إلى رأيه واستطاع في الخطاب وجع الجندي وأفاض فيهم العطاء واعتراضهم ف كانوا عشرين ألف فارس وثلاثين ألف راجل.

وبعث إليه المستظر مع علي بن طراد الزینی نقيب القباء يعظه في المخالفه، ويخصه على لقاء السلطان، فاعتذر بالخروف منه.

ثم بعث إليه السلطان قاضی القضاة أبا سعید الهروي ليؤمه، ويستقره لجهاد الفرج في جلته فامتنع، ووصل السلطان إلى بغداد في ربيع من سنة إحدى وخمسين، ومعه وزيره أحد بن

أخيه أبي غشام إلى الملك فقتلته في محبه.

ولدت على القلعة أبا الغنائم بن الجلبان فسلمها إلى أصحاب طغرلیک، وسارت هي إلى الموصل فقتلها ابن أبي غشام باليه، وأخذ سلم بن قریش مالها، وولى طغرلیک على قلعة تكريت أبا العباس الرازي، فمات لستة أشهر، فولى عليها المهریاط وهو أبو جعفر محمد بن أحد بن غشام من بلد الشتر، فاتقام بها إحدى وعشرين سنة، ومات فولیها ابنه ستين، وأخذتها من تركمان خاتون وولت عليها کوھرایین الشحنة.

ثم مات ملك شاه فملکها قسم الدولة آقسنقر صاحب حلب، فلما قتل صارت للأمير کمستکین الجاندار، فولى عليها رجالاً يعرف بأبي نصر المصارع، ثم عادت إلى کوھرایین إقطاعاً.

ثم أخذتها منه محمد الملك الباسلاني فولى عليها لقا بن هزارب الدیلمی وأقام بها اثنى عشرة سنة، فظلم أهلها، وأساء السیرة، فلما أجاز به سقمان بن ارتق سنة ست وسبعين وأربعين نهیها، وكان کیقباذ ينهیها لیلاً وسقمان ينهیها نهاراً.

فلما استقر السلطان محمد بعد أخيه برکیارق اقطعها للأمير آقسنقر البرسقی شحنة بغداد، فسار إليها وحضرها مدة تزيد على سبعة أشهر حتى ضاق على کیقباذ الأمر، فراسل صدقة بن مزید لیسلمها إليه، فسار إليها في صفر من هذه السنة، وتسلّمها منه.

وأخذ برکیارق ولم يملکها ومات کیقباذ بعد نزوله من القلعة بثمانية أيام، وكان عمره ستين سنة، واستتاب صدقة بها ورام بن أبي قریش بن ورام وكان کیقباذ ينسب إلى الباطنية.

### الخلف بين صدقة وصاحب البطحة

قد كنا قدمنا أن السلطان محمد أقطع صدقة بن مزید مدينة واسط، فضمنها صدقة لمهذب الدولة بن أبي الحیر، وولى في أعمالها أولاده، فبذروا الأموال، وطالبه صدقة عند انتقامه بالمال وحبسه، وسعى في خلاصه بدران بن صدقه، وكان صهراً لمهذب الدولة، وأعاده إلى البطحة.

و ضمن حاد والمختتم محمد والد مهذب الدولة كانا أخوين وهما ابنان أبي الحیر وكانت لهما ریاسة قومهما وهلک المصطنع وقام ابنه أبو السيد المظفر والد حاد مقامه.

و هلک المختتم محمد وقام ابنه مهذب الدولة مقامه، ونزا عا ابراهیم صاحب البطحة حتى غلبه مهذب الدولة وقبض عليه، وسلمه إلى کوھرایین، فحمله إلى أصفهان فهلك في الطريق.

## خبر دبیس مع البرسقی ومع الملك مسعود

ونجا ابنه بدران إلى الخلة، ومنها إلى البطیحة عند صهره مهذب الدولة، وأسر سرجان بن کیخسرو والمستجير بصدقه على السلطان، وسعید بن حید العمدی صاحب الجيش.

وكان مقتل صدقه لإحدى وعشرين سنة من إمارته وهو الذي بنى الخلة بالعراق، وكان قد عظيم شأنه وعلا قدره بين الملوك، وكان جواداً حليماً صدوقاً عادلاً في رعيته.

وكان يقرأ ولا يكتب، وكانت له خزانة كتب منسوبة الخط الوف مجلدات، ورجع السلطان إلى بغداد من دون الخلة، وأرسل أماناً لزوج صدقه فجاءت إلى بغداد، وأمر السلطان الأمراء بتلقّيها، وأطلق لها وللها دبیساً، واعتذر لها من قتل صدقه، واستحلف دبیساً على الطاعة، وأن لا يحدث حدثاً، وأقام في ظله وأقطعه السلطان إقطاعاً كثيراً.

ولم يزل دبیس مقيماً عند السلطان محمد إلى أن توفي، وملك ابنه محمود سنة إحدى عشرة وخمسين، فرغم دبیس من السلطان محمود أن يسرحه إلى بلده، فسرحه، وعاد إليها فملكتها واجتمع عليه خلق كثير من العرب والأكراد واستقام أمره.

## خبر دبیس مع البرسقی ومع الملك مسعود

لما توفي الخليفة المستظره سنة اثنى عشرة وخمسين، وبويع ابنه المسترشد خاف ابنه الآخر من غالاته أخيه وأخادر في البحر إلى المدائن، وسار منها إلى الخلة فلما أتى يكرره فلطف علي بن طراد أخي الخليفة فأجاب، وتكلل دبیس بما يطلب، ويبينما هو في خلال ذلك بز البرسقی من بغداد مجبراً على دبیس الجموع، وسار آخر الخليفة إلى واسط فملكتها في صفر سنة ثلث عشرة وخمسين، وقوى أمره وكثرت جموعه فبعث الخليفة إلى دبیس في شأنه، وأنه خرج عن جواره فلقي أمره بالطاعة، وبعث إليه وهو بواسط عسكراً من قبله فتلقاء وقبض عليه، وبعثه إلى أخيه المسترشد.

وكان مسعود أخو السلطان محمد بالموصل ومعه أباً لـکه حیوس بك، فأعزما على قصد العراق لغيبة السلطان محمود عنه، فسار لذلك ومعه وزيره فخر الملك أبو علي بن عمار صاحب طرابلس، وقسم الدولة زنکی بن أقسیر أبو المعالی أبو الملك العادل، وكروباوی بن خراسان التركمانی صاحب الباریخ وأبو المیجاد صاحب أربيل وصاحب سنجار، فلما قاربوا بغداد خاف البرسقی شانهم وبعث إلى الملك مسعود وحیوس بك أنهم إنما جاؤوا نجدة على دبیس، وكان البرسقی إنما ارتات من حیوس بك فصالهم، ودخل مسعود بغداد ونزل دار الملكة.

نظام الملك، فقدم البرسقی شحنة بغداد في جماعة من الأمراء فنزلوا بصرصر سلحة لقلة عسكر السلطان.

وإنه إنما جاء في الفی فارس للإصلاح والاستلاف، فلما تبين له حاج صدقه أرسلي إلى الأمراء بأصفهان بأن يستجيشوا ويقدموا، فكتب صدقه إلى الخليفة بالمقارنة وموافقة السلطان.

ثم رجع صدقه عن رأيه، وقال: إذا رحل السلطان عن بغداد مددته بالأموال والرجال لجهاده.

وأما الآن وعساکرها متصلة فلا وفاق عندي، وقد أرسلي إلى جاوي سکار، وصاحب الموصل وأبلغازی بن أرتق صاحب ماردین بالانتصاف على السلطان وأیس السلطان من استقامته.

ووصل إليه بيغان قرواش شرف الدولة وكروباوی بن خراسان التركمانی، وأبو عمران فضل بن ریعة بن خادم بن الجرج الطائی، وكان آباء أصحاب البلقاء ویت المقدس، ومهمن حسان بن مفرج، وطرده كفرتکن اتابک دمشق لما كان عليه من الأجلاب تارةً مع الفرنج، وتارةً مع أهل مصر.

فلجاً إلى صدقه وقبله وأكرمه، وأجزل له العطاء سبعة آلاف دینار.

فلما كانت هذه الحادثة رغب عن صدقه وسار في طلائعه فهرب إلى السلطان فخلع عليه وعلى أصحابه، وسogue دار صدقه عن الهروب، وأذن له فعبر من الأبار و كان آخر العهد به.

ثم أندى السلطان في جاهي الأول إلى واسط الأمير محمد بن برقا التركمانی فملكتها وأخرج منها أصحاب صدقه، وأندى خيله إلى بلد قوسان من أعمال صدقه، فنهبه وأقام أياماً، حتى بعث صدقه ابن عمده ثابت بن سلطان في عسكر، فخرج منها الأمير محمد وملكتها ثابت.

وأقاموا على دجلة وخرج ثابت لقتالهم فهزموه واقتسموا البلد، ومنهم الأمير محمد من النهب ونادي بالأمان، وأمر السلطان الأمير محمد بن بهب ببلاد صدقه، فسار إليها وأقطع مدينة واسط لقسم الدولة البرسقی. ثم سار السلطان من بغداد آخر رجب ولقيه صدقه واشتد القتال وتقاذلت عنده عبادة وخفاجة، ورفع صوته بالابتهاج بالناشرة بالعرب، ورغب الأكراد بالماعد، ثم غشیه الترك فحمل عليهم وهو ينادي: أنا ملك العرب أنا صدقه فاصابه سهم أنته وتعلق به غلام تركي يسمى برغش فجذبه إلى الأرض، فقال: يا برغش إرفق قتله وحل رأسه إلى السلطان فأنفذه إلى بغداد، وأمر بدن شلوه، وقتل من أصحابه ثلاثة آلاف أو يزيدون، ومن بي شیان نحو مائة، وأسر ابنه دبیس،

## فتحة ديس مع السلطان محمود وإجلاؤه عن بغداد ثم معاودته الطاعة

كان ديس بن صدقة كثيراً ما يكتب حيوس بك أتابك الملك مسعود، ويغريه بطلب السلطة ويعده بالمساعدة ليحصل له بذلك على اليد كما كان لأبيه مع بركيارق وحمد أبي ملك شاه.

وكان قسيم الدولة البرسقي شحنة بغداد قد سار للملك مسعود، وأقطعه مراحة مع الرحمة، وكانت بينه وبين ديس عداوة مستحكمة فاغراه ديس بالقبض عليه، فقاربهم البرسقي إلى السلطان محمود فأكرمه.

ثم اتصل الأستاذ أبو إسماعيل الحسين بن علي الأصفهاني بالملك مسعود، وكان والده أبو المؤيد محمد يكتب الطغرائي عن الملك مسعود.

فلما وصل أبوه عزل أبا علي بن عمار صاحب طرابلس واستوزره، وحسن لهم ما أشار به ديس فعزما عليه. وغى الخبر إلى السلطان محمود فكتابهم بالوعيد فاظهروا عليهم وخطبوا للملك مسعود بالسلطنة، وضربوا له التوب الخمس.

وبلغهم أن عساكر محمود متفرقة فأغذوا السير لخارته، والقوا عند عقبة استرداد في ربيع ستة أربع عشرة، وأللي البرسقي وكان في مقدمته.

ثم انهزم مسعود وأصرّ كثير من أصحابه، وجيء بالوزير أبي إسماعيل الطغرائي فأمر بقتله لسنة من ولادته، وكان حسن الكتابة والشعر وله تصانيف في صنعة الكيمياء، وسار مسعود بطلب الموصل بعد أن استأمن البرسقي وأدركه فرده إلى أخيه، وعفا عنه وعطف عليه، ولحق حيوس بك بالموصى.

ثم بلغه فعل السلطان محمود ومعه ألف سفينة لعبوره، فنادر ديس لطلب الأمان بعد أن أرسل حرمه إلى البطيحة، وسار بأمواله عن الحلة وأمر بنهاها، ولحق ببلغازي بن أرتق بارددين، ووصل السلطان إلى الحلة فوجدها خاوية على عروشها فرجع عنها.

وأرسل ديس أخاه منصوراً من قلعة صند في عسكر إلى العراق فمر بالحلة والكوفة، وأخدر إلى البصرة وبعث إلى برقش الزكوري في صلاح حالمها مع السلطان محمود فقبض على منصور أخي ديس وولده، وحبسهما بعض القلاع حداء الكرخ.

وجاء منكيرس في العساكر فسار البرسقي عن بغداد لخارته ودفعه فمال إلى العمانية، وعبر دجلة واجتمع مع ديس بن صدقة.

وكان ديس قد صان مسعوداً وصاحبه بالهدايا والألطاف مدافعاً عن نفسه، فلما لقيه منكيرس اعتقد به، وسار الملك مسعود والبرسقي وحيوس بك إلى المدائن للقاتهما.

ثم خاموا عن لقائهما لكتلة جموعهما، ونكبا عن المدائن وعبروا نهر صرصر، وأكثروا النهب في تلك التواحيدي من الطائفتين.

وبعث إليهم المسترشد بالوعظة ويأمرهم بالمواعدة والمصالحة فأجابوا إلى ذلك.

ثم بلغهم أن ديساً ومنكيرس قد بعثا العساكر مع منصور أخي ديس وحسين بن أوزبك ربيب منكيرس ليخلصوه إلى بغداد فخلوها من الحامية، فأغذى البرسقي السير إلى بغداد وترك ابنه عز الدين مسعود على العسكنر وصحبه عماد الدين زنكي بن أفسてる وانتهى إلى دليل، ومنع العسكنر من العبور.

ثم جاءه الخبر ليومين بصلح الفريقين كما أشار الخليفة ففتر نشاطه وعبر إلى الجانب الغربي من بغداد.

وجاء في أثره منصور آخر ديس وحسين ربيب منكيرس فنزل في الجانب الشرقي من بغداد.

وأغار البرسقي على نعم الملك مسعود فأخذها، وعاد فخيم بجانب آخر من بغداد، وخيم مسعود وحيوس بك من جانب آخر وديس ومنكيرس من جانب ومعهما عز الدولة بن البرسقي متفرداً عن أخيه.

وكان حيوس بك قد بعث إلى السلطان محمود بطلب الزيادة له وللملك مسعود فجاء كتاب مع رسالته يذكر بأن السلطان كان أقطفهم أذربيجان، حتى إذا بلغه مسيرهم إلى بغداد يثأر عن ذلك، وقد جهز العساكر إلى الموصى.

ووقع الكتاب بيد منكيرس فبعث إلى حيوس بك وضمنه لإصلاح الحال، وكان يؤثر مصلحته إذ كان متزوجاً بأمه فتم الصلح وافتقر عن البرسقي أصحابه، وبطْل ما كان يحدث به نفسه من الاستبداد بالعراق، وصار مع الملك مسعود واستقر منكيرس شحنة بغداد، ورجع ديس إلى الحلة.

البصرة، فتجهز البرسيق للالمختار إليها فقاربها ديبس، ولحق بقلعة  
جعبر وصار مع الفرنج وأطعمهم في حلب وسار معهم لحصارها  
سنة ثمان عشرة وخمسة فامتنعت عليهم فعادوا عنها، ولحق هو  
بالمملك طغيلك ابن السلطان محمد فأغراه بالمسير إلى العراق كما  
نذكر.

مسیر دبیس إلى الملك طغول

لما سار ديس من الشام إلى الملك طغرل بأذربيجان تلقاه بالبرة والتكرمة، وأنظمه في خواصه ووزرائه، وأغراه ديس بالعراق، وضمن له ملكه فسار معه لذلك، واتهرا إلى دنقلا في عساكر كثرة.

وكتب مجاهد الدين بهروز صاحب تكريت إلى المسترشد بالخبر فتجهز لمدافعتهم، وجمع العساكر فبلغوا أثني عشر ألف فارس، ويرز من بغداد في صفر سنة تسع عشرة وخمسماة وفي مقدمته برتشن الركوي ونزل الحالص، وانتهى إلى طفرل خروج المسترشد فعدل إلى طريق خراسان ونزل جلولاً، وتفرق أصحابه للنهب.

ويُرِز إِلَيْهِ الْوَزِيرُ جَلَالُ الدِّينِ بْنُ صَدِيقٍ فِي عَسْكَرِ كَبِيرٍ  
فَنَزَلَ الدِّسْكُرَرَةَ، وَلَقَهُ الْمُسْتَرْشِدُ وَكَانَ مَعَهُ، وَرَحَلَ طَغْرَلَ وَدِيَسَ  
إِلَى الْهَارُونِيَّةِ.

ثم سارا إلى تامرا ليقطعا جسر الهروان فحفظ ديبس  
المعابر، وتقدم طغول إلى بغداد وملكها ونهاها، ثم رحل ديبس من  
تامرا وأقام طغول لحمي أصابته، وحالت بينهما الأمطار والسيول.  
ثم أخذ ديبس ثقلا جاء للخليفة فيه ملبوس وطعام كثير،  
وكان لحقة الجروح والتعب والبرد فأخذ من ذلك الملبوس ولبسه،  
وأكل من الطعام كثيراً واستقبل الشمس فأخذه النوم ورقد.

وأما الخليفة لما بلغه الخبر بأخذ القتل رجع إلى بغداد، ففي حال سيره عشر على ديسن وهو نائم فوق واقفه، فجعل عينيه ورأي الخليفة فبادر بتفصيل الأرض على العادة، وسال العفو، فرق له الخليفة وثناء الوزير ابن صدقة عن ذلك، ووقف ديسن أزاء عسكر بررتش بحادثهم، ثم مدوا الجسر آخر النهار للعبور فسلل ديسن عليهم، ولحق بالملك طغرل، وسار معه إلى عمه الملك سنجر، وعاشروا في أعمال همدان واتبعهم السلطان محمود فلم يظفر بهم.

ثم أذن ديسس بجماعة من أصحابه بالمسير إلى أقطارهم  
بواسط فتحهم أراك واسط، فبعث إليهم عسكراً مع مهلل بن  
أبي العسكرية، وأمر مظفر بن أبي الخير فساعده، واستمد أهل  
واسط البرسيق فامدهم بعسكـر.

وسائل مهلهل للقاهم قبل جبي المظفر فهزم وأخذ أسيراً في  
جماعة من أصحابه، وأصعد المظفر من البطيحة ينهب ويفسد حتى  
قارب واسط، وسمع بالهزيمة فألسن منحدراً وقع على كتاب يخاط  
ديبس إلى مهلهل يأمره بالقبض على مظفر بن أبي الحير، ومطالبه  
بالأموال، فعثروا به إلى المظفر.

وسار معهم وبليغ ديبيس أن السلطان كحل أخيه فلبس السواد، ونذهب البلاد، وأخذ للمسترشد بهر الملك، وأجفل الناس إلى بغداد وسار عسكر واسط إلى التعمانية، فأوقعوا عن هنالك من عساكر ديبيس وأجلوهم عنها.

وكان ديس قد أسر في واقعة البرستي عفيفاً خادم الخليفة فاطلقة، وحله إلى المسترشد عقاباً ووعيداً على كحل أخيه فنضب الخليفة، وقدم إلى البرستي بالخروج لحرب ديس، وخرج بنفسه في رمضان سنة عشرة وخمسة وأنانة سليمان بن مهارش من الحديثة في جماعة من بني عقيل وقرיש بن مسلم صاحب الموصل في كافة بني عقيل.

وامر المسترشد باستفار الجندي كافة، وفرق فيهم الأموال والسلاح، وجاء ديساً ما لم يكن يحتسبه فرجع إلى الاستعطاف ويرز الخاتمة آخر ذي الحجة، وعبر دجلة وهو في أكمل زيه، ومعه وزير نظام الدين أحد بن نظام الملك ونقيب الطالبيين ونقيب القباء علي بن طراد، وشيخ الشيرخ صدر الدين إسماعيل. ويبلغ البرسقى مسير المسترشد فعاد إلى خدمته ونزل معه بالحدثية.

ثم سار إلى الموصل على سبيل التعبية والبرسقي في القيادة،  
وعنى ديبس أصحابه صفاً واحداً وجعل الرجالية بين يدي الخيالة.  
وقد كان وعد أصحابه بنهب بغداد وسيطرة حريتها، فالتفى  
الفريقان فانهزم عسكر ديبس وأسر جماعة من أصحابه فقتلوا صبراً  
وسبيت حرمته، ورجع المسترشد إلى بغداد يوم عاشوراء من سنة  
سبعين عشرة وخمسماة.

وَمُحَاذِيَّهُنَّ وَعَبْرَ الْفَرَاتِ، وَقَصْدَ غَزَّةِ مِنْ عَرَبِ نَجَدِ  
مُسْتَنْصِرًا بِهِمْ فَأَبْلَوْا عَلَيْهِ، فَسَارَ إِلَى الْمُتَفَقِّهِ وَحَالَفَهُمْ عَلَى أَخْذِ  
الْبَصْرَةِ فَدَخَلُوا وَنَهَرُوا أَهْلَهَا، وَقُتِلَ مَقْدُمُ عَسْكَرِهَا.

ويعد المسترشد إلى البرسقي بالعتاب على إهمال أمر

## مسير ديس إلى السلطان سنجر

فتوفي في هذه السنة، وخلف سرية له فاستولت على القلعة، وأرادت أن تم أمرها برجل له قوة ونجدة فوصف لها ديس، وحاله في العراق وكثرة عشيرته، فكبت تستدعيه لتتزوج به، وغلّكه القلعة بما فيها فلتحق الكتاب بعد مفارقته البصرة.

وقفل من العراق إلى الشام، ومعه الأدلاع ومر بم دمشق فجسسه إليها عنده، وبعث فيه عماد الدين زنكي وكان عدوه، وكان عنده ابن تاج الملوك مأسوراً في واقعة كانت بينهما، فطلب أن يبعث إليه ديس، ويفادي به ابنه والأمراء الذين معه ففعل ذلك تاج الملوك، وحصل ديس في يد زنكي، وقد أيقن بالملك فأطلقه زنكي وجعل له الأموال والدواب والسلاح وغيرها الأمتعة كما يفعل مع أكابر الملوك وبلغ المسترشد خبره فبعث سعيد الدين بن الأبيار يطلب منه من تاج الملوك فسار لذلك من جزيرة ابن عمر، وبلغه في طريقه أنه بعثه إلى زنكي وأنه فاته القصد منه.

### مسير ديس إلى بغداد مع زنكي وانهزامهما

لما توفي السلطان محمود سنة خمس وعشرين وخمسين وليلي وبعد داود، ونازعه عمومته مسعود سلجوقي، ثم استقرت السلطة لمسعود، وكان آخرهما طغرل عند عمه سنجر بخراسان، وكان كبير بيت أهل السلوقيّة، وله الحكم على ملوكهم فتكر على السلطان محمود لقتاله سلجوقي وطغرل، وسار به إلى العراق، وانتهى إلى همدان.

وبعث إلى عماد الدين زنكي فولاه شحنة بغداد، وإلى ديس بن صدقة وهو عند زنكي فأقطعه الحلة وتتجهز السلطان محمود لقتال سنجر وطغرل، واستدعي الخليفة للحضور معه فخرج من بغداد وعاجلهم، ورجع المسترشد إلى بغداد وقد سمع بوصول زنكي وديس إليها ولقيهم بالمباسية فهزّهم، وقتل من معسكراً ودخل بغداد وسار ديس إلى بلاد الحلة، وكانت يد أبيان خادم المسترشد فبعث إليها بالمدد فهزّموا ديساً ونجا من المعركة.

ثم جمع جماعاً وقصد واسط وانضم إليه عساكرها وأبن أبي الخير صاحب الطبيحة، وملكتها إلى سنة سبع وعشرين وخمسين فبعث أبيان الخادم وبرتقش الشحنة العساكر إلى ديس فلقيهم في عسكر واسط، وانهزّم وسار إلى السلطان مسعود فقام عنده.

لما أليس طغرل من ملك العراق عندما سار إليه مع ديس عاد منه، وسار هو وديس إلى السلطان سنجر، وهو يومئذ صاحب خراسان، والمقدم على بني ملك شاه، فشكى إليه طغرل ودبّس من المسترشد، وبرتقش الشحنة، ووعدهم النصفة منهم، ثم دخله ديس وأطعمه في ملك العراق، وخيل له أن المسترشد والسلطان محمود متفقان على مبادرته، ولم يزل يقتل له في النزوة والغارب حتى حرك حفيظه لذلك، وسار إلى العراق سنة اثنين وعشرين وخمسين فوصل إلى الري، واستدعى السلطان محموداً من همدان يختبر ما خيل له ديس، فجاء محمود مبادراً وأكذب ديساً فيما خيل، وأمر السلطان سنجر العساكر بتلقي السلطان محمود، وأجلسه معه على التخت، وأقام عنده إلى آخر سنة اثنين وعشرين ثم عاد إلى خراسان وأوصاه بإعادة ديس إلى بلده، فرجع السلطان محمود إلى همدان ودبّس معه، ثم سار إلى بغداد في حرم سنة ثلات وعشرين وخمسين وأنزل ديس بداره، واسترضى له الخليفة فرضي عنه، وامتنع من ولائه، وبذل ديس مائة ألف دينار لذلك فلم يقبله، وعاد السلطان محمود إلى همدان متتصف السنة.

### فترة ديس مع محمود وأسره

كانت زوجة السلطان محمود وهي ابنة عميه سنجر تعين بأمر ديس، فماتت عند رحيل السلطان إلى همدان فالخل أمره. ثم مرض السلطان فأخذ ديس ابنه الصغير، وقصد العراق فجمع المسترشد ل الدفاع عنه. وكان بهروز شحنة بغداد بالحلة فهرب عنها، وملكتها ديس في رمضان سنة ثلات وعشرين وخمسين. وبلغ الخبر إلى السلطان محمود، فأحضر الأمير ابن قزل والأحدبلي، وكانت ضمناً ديس فطالبهما بالضمان فسار الأحدبلي في أثره.

و جاء السلطان إلى العراق فبعث إليه ديس بهدايا عظيمة كان فيها مائتا ألف دينار، وثلاثمائة فرس سرور مقلة بالذهب. ثم جاء إلى البصرة ونهبها وأخذ ما في بيوت الأموال.

وبعث السلطان في أثره العساكر فدخل البرية، وجاءه عند مفارقه البصرة فاصداً من صرصر يستدعيه، وكان صاحبها خصياً

صدقه وأصلاح حاله معه ولزم بابه.

**مقتل دبيس وولايته ابنه صدقه****مقتل صدقه وولایة ابنته محمد**

ولما قتل المسترشد ولـي ابـنه الرـاشـد بإـشارـة السـلـطـان مـسـعـودـ، ثـم حـدـثـتـ الفتـنـةـ بيـنـهـ وـبـينـ المـسـترـشـدـ، وـمـاتـ أخـوهـ طـغـرـ كـمـاـ هوـ مـذـكـورـ فيـ أخـبارـهـ وـسـارـ مـسـعـودـ إـلـىـ هـمـذـانـ بـعـدـ مـوـتـ أخـوهـ طـغـرـ فـمـلـكـهـ، وـفـارـقـهـ جـمـاعـةـ مـنـ أـعـيـانـ أـمـرـائـهـ، وـمـعـهـ دـبـيـسـ بـنـ صـدـقـهـ مـسـتـرـحـشـينـ مـنـهـ.

وبـاعـ السـلـطـانـ مـسـعـودـ لـلـمـقـتـفـيـ سـنـةـ ثـلـاثـيـنـ وـخـمـسـيـةـ وـخـلـعـ الرـاشـدـ فـفـارـقـ المـوـصـلـ، وـسـارـ الـأـمـرـاءـ الـذـيـنـ كـانـواـ مـعـ دـاـوـدـ إـلـىـ السـلـطـانـ مـسـعـودـ، وـرـضـيـ عـنـهـمـ، وـرـجـعـ إـلـىـ هـمـذـانـ وـاذـنـ للـعـساـكـرـ فـالـعـودـ إـلـىـ بـلـادـهـمـ، وـغـسـكـ بـصـدـقـهـ بـنـ دـبـيـسـ وـزـوـجـهـ اـبـتـهـ.

وـسـارـ الرـاشـدـ مـنـ المـوـصـلـ إـلـىـ أـذـرـيـجـانـ قـاصـدـاـ الـمـلـكـ، وـاجـتـمـعـ إـلـيـهـ صـاحـبـ فـارـسـ وـخـوزـسـتـانـ وـجـمـاعـةـ الـأـمـرـاءـ، فـسـارـ إـلـيـهـ السـلـطـانـ مـسـعـودـ وـهـزـمـهـمـ، وـأـخـذـهـ صـاحـبـ فـارـسـ الـأـمـيرـ مـنـكـبـرـ فـقـتـلـهـ صـبـرـاـ.

وـتـسـلـلـ صـاحـبـ خـوزـسـتـانـ وـعـبـدـ الرـحـمـنـ طـغـاـيـرـكـ صـاحـبـ خـلـخـالـ إـلـىـ السـلـطـانـ مـسـعـودـ وـهـوـ فـيـ خـفـفـةـ مـنـ النـاسـ فـحـمـلـوـاـ عـلـيـهـ وـهـزـمـهـ، وـقـبـضـوـاـ عـلـىـ جـمـاعـةـ الـأـمـرـاءـ الـذـيـنـ مـعـهـ فـقـتـلـهـ مـنـكـبـرـ: فـيـهـمـ صـدـقـهـ بـنـ دـبـيـسـ وـعـبـرـ بـنـ أـبـيـ الـعـسـكـرـ.

وـذـهـبـ دـاـوـدـ إـلـىـ هـمـذـانـ فـمـلـكـهـ، وـاـسـتـقـالـ السـلـطـانـ مـسـعـودـ مـنـ عـرـثـةـ، وـوـلـيـ عـلـىـ الـخـلـةـ مـحـمـدـ بـنـ دـبـيـسـ، وـجـعـلـ مـعـهـ مـهـلـهـلـ بـنـ أـبـيـ الـعـسـكـرـ أـخـاـ غـيـرـ بـرـبـرـةـ، وـاـسـتـقـامـ أـمـرـهـ بـالـخـلـةـ، وـكـانـ مـنـ شـانـ الرـاشـدـ وـالـسـلـجـوـقـيـةـ مـاـ نـذـكـرـهـ فـيـ أـخـبـارـهـ.

**تغلب علي بن دبيس على الخلة وملكه إياها من أخيه محمد**

ثـمـ خـرـجـ عـلـىـ السـلـطـانـ مـسـعـودـ سـنـةـ سـتـ وـأـرـبعـينـ وـخـسـمـانـ بـوـزـاـيـةـ صـاحـبـ فـارـسـ وـخـوزـسـتـانـ وـبـاـلـيـعـ لـلـسـلـطـانـ عـمـدـ اـبـنـ السـلـطـانـ مـحـمـودـ، وـسـارـ مـعـهـ عـبـاسـ صـاحـبـ الـرـيـ، وـمـلـكـوـاـ كـبـيـراـ مـنـ الـبـلـادـ، فـسـارـ السـلـطـانـ مـسـعـودـ إـلـيـهـمـ مـنـ بـغـدـادـ وـاـسـتـخـلفـ بـهـاـ الـأـمـيرـ مـهـلـهـلـ اـبـنـ أـبـيـ الـعـسـكـرـ وـنـظـرـ الـخـادـمـ، وـأـشـارـ مـهـلـهـلـ عـلـىـ السـلـطـانـ مـسـعـودـ عـنـ رـحـيـلـهـ مـنـ بـغـدـادـ أـنـ بـجـسـ عـلـيـ بـنـ دـبـيـسـ بـقـلـعـةـ تـكـرـيـتـ.

وـغـيـ إـلـيـهـ الـخـيـرـ فـهـرـبـ فـيـ نـفـرـ قـلـيلـ، وـمـضـىـ إـلـىـ بـنـيـ أـسـدـ

لـمـ يـزـلـ دـبـيـسـ مـقـيـماـ عـنـدـ السـلـطـانـ مـسـعـودـ إـلـىـ أـنـ حـدـثـ الفتـنـةـ بيـنـهـ وـبـينـ المـسـترـشـدـ، وـمـاتـ أـخـوهـ طـغـرـ كـمـاـ هوـ مـذـكـورـ فيـ أـخـبـارـهـ وـسـارـ مـسـعـودـ إـلـىـ هـمـذـانـ بـعـدـ مـوـتـ أـخـوهـ طـغـرـ فـمـلـكـهـ، وـفـارـقـهـ جـمـاعـةـ مـنـ أـعـيـانـ أـمـرـائـهـ، وـمـعـهـ دـبـيـسـ بـنـ صـدـقـهـ مـسـتـرـحـشـينـ مـنـهـ.

وـاستـأـمـنـاـ لـلـخـلـيقـةـ فـحـذـرـ مـنـ دـبـيـسـ، وـلـمـ يـقـبـلـهـ فـمـضـواـ إـلـىـ خـوزـسـتـانـ، وـاـنـفـقـرـاـ مـعـ بـرـسـتـ بـرـسـتـ.

ثـمـ تـدـارـكـ الـخـلـيقـةـ رـايـهـ وـبـعـثـ إـلـىـ الـأـمـرـاءـ الـذـيـنـ مـعـ دـبـيـسـ بـالـأـمـانـ، وـكـانـوـاـ لـمـاـ رـدـهـمـ الـخـلـيقـةـ بـسـبـبـ دـبـيـسـ أـجـمـعـواـ الـقـبـضـ عـلـيـهـ، وـخـدـمـةـ الـخـلـيقـةـ بـهـ، وـشـعـرـ بـهـمـ وـهـرـبـ إـلـىـ السـلـطـانـ مـسـعـودـ.

وـبـرـزـ الـخـلـيقـةـ مـنـ بـغـدـادـ فـيـ رـجـبـ مـنـ سـنـةـ تـسـعـ وـعـشـرـينـ وـخـسـمـانـ لـقـتـالـ مـسـعـودـ، وـكـتـبـ إـلـيـهـ أـكـثـرـ أـهـلـ الـأـعـمـالـ بـالـطـاعـةـ.

وـأـرـسـلـ إـلـيـهـ دـاـوـدـ بـنـ السـلـطـانـ مـحـمـودـ مـنـ أـذـرـيـجـانـ بـانـ يـقـصـدـ الـمـسـتـرـشـدـ الـدـيـنـوـرـ لـيـحـضـرـ دـاـوـدـ حـرـبـ فـأـبـيـ، وـسـارـ عـلـىـ التـعـبـةـ حـتـىـ بـلـغـ وـأـرـعـجـ فـالـتـقـرـاـ هـنـالـكـ.

وـاـنـهـزـمـتـ عـسـاـكـرـ الـمـسـتـرـشـدـ وـأـخـذـ أـسـيـرـاـ وـمـعـهـ وـزـيـرـهـ شـرـفـ الـدـيـنـ عـلـيـ بـنـ طـرـادـ، وـقـاضـيـ الـقـضـاءـ، وـبـنـ الـأـبـارـيـ، وـجـمـاعـةـ مـنـ أـعـيـانـ الـدـوـلـةـ، وـغـنـمـ مـاـ فـيـ عـسـكـرـهـ وـعـادـ السـلـطـانـ إـلـىـ بـغـدـادـ.

وـبـعـثـ الـأـمـيرـ بـكـاـيـةـ شـحـنةـ إـلـىـ بـغـدـادـ، وـكـثـرـ الـعـوـيلـ وـالـبـكـاءـ وـالـضـجـيجـ بـيـغـدـادـ عـلـىـ الـخـلـيقـةـ، وـجـعـلـ الـخـلـيقـةـ فـيـ خـيـمـةـ وـوـكـلـ بـهـ، وـرـاسـلـهـ السـلـطـانـ مـسـعـودـ فـيـ الصـلـحـ، وـشـرـطـ عـلـيـهـ مـاـلـاـ يـؤـدـيـهـ، وـلـاـ جـمـعـ الـعـسـاـكـرـ وـلـاـ يـخـرـجـ مـاـ دـارـهـ مـاـ بـقـيـ، وـاـنـقـدـ ذـلـكـ بـيـهـمـاـ.

وـبـيـنـاـ هـمـاـ فـيـ ذـلـكـ وـصـلـ رـسـوـلـ السـلـطـانـ سـنـجـرـ فـرـكـ السـلـطـانـ مـسـعـودـ لـلـقـاهـ، وـاـنـفـقـرـاـ مـعـ الـمـسـتـرـشـدـ فـدـخـلـ عـلـيـهـ خـيـمـتـهـ آخـرـ ذـيـ القـعـدـةـ مـنـ سـنـةـ تـسـعـ وـعـشـرـينـ وـخـسـمـانـ جـمـاعـةـ الـبـاطـنـيـةـ، وـقـتـلـوـاـ مـعـهـ جـمـاعـةـ مـنـ أـصـحـابـهـ.

وـلـاـ قـتـلـ الـمـسـتـرـشـدـ اـتـهـمـ السـلـطـانـ مـسـعـودـ أـنـ دـبـيـسـ بـنـ صـدـقـهـ دـسـ أـولـنـكـ الـنـفـرـ عـلـيـهـ فـأـمـرـ بـقـتـلـهـ، وـقـصـدـهـ غـلـامـ فـوـقـعـهـ عـلـيـ رـأـسـهـ عـنـ بـابـ خـيـمـتـهـ، وـهـوـ يـنـكـثـ الـأـرـضـ بـاـصـبـعـهـ فـأـطـلـرـ رـأـسـهـ وـهـوـ لـاـ شـعـرـ.

وـبـلـغـ الـخـبـرـ إـلـىـ اـبـنـهـ صـدـقـهـ وـهـوـ بـالـخـلـةـ، فـاجـتـمـعـتـ إـلـيـهـ عـسـاـكـرـ أـبـيـهـ وـعـالـيـكـهـ، وـاـسـتـأـمـنـ إـلـيـهـ الـأـمـيرـ قـطـلـعـ تـكـيـنـ رـأـسـهـ السـلـطـانـ مـسـعـودـ الشـحـنةـ بـكـ أـبـهـ بـمـعـاجـلـتـهـ، وـأـخـذـ الـخـلـةـ مـنـ يـدـهـ إـلـىـ أـنـ قـدـ السـلـطـانـ بـغـدـادـ سـنـةـ إـحـدـىـ وـثـلـاثـيـنـ وـخـسـمـانـ قـصـصـهـ.

ولما علم التقشكنجر بذلك نهب النهروان وقبض على علي بن دبیس، وهرب الطرنطي إلى التعمانية.

ثم وصل السلطان مسعود إلى بغداد فرحل التقشكنجر من النهروان وأطلق علي بن دبیس فسار إلى السلطان مسعود فلقيه ببغداد واستعطفه فرضي عنه.

### وفاة علي بن دبیس وانقراض بنی مزید

ثم توفي علي بن دبیس صاحب الخلة علياً بسعدآباد، وانهم طبیه محمد بن صالح بالادهان فيه فمات بعده بقليل، ثم مات السلطان مسعود آخر ملوك السلجوقية الأعظم، ويوبع ملك شاه ابن أخيه محمود بعهده، واستبد المقتني على ملوك السلجوقية بعده.

وبعث السلطان ملك شاه سلارکرد إلى الخلة فملكتها، ولحق به مسعود بلاك شحنة بغداد، وهرب منها عند موت السلطان مسعود، وأظهر لسلامرکرد الوفاق.

ثم قبض عليه وغرقه، واستبد بالخلة، وبعث المقتني إليه العساکر مع الوزیر عرون الدين بن هبیرة، فبرز مسعود بلاك للقائهم، فانهزم وعاد إلى الخلة فمنعه أهلها من الدخول، فسار إلى تكريت، وملك ابن هبیرة الخلة، وبعث العساکر إلى الكوفة وواسط فملكونها.

ثم جات عساکر السلطان ملك شاه إلى واسط، وخرجت منها عساکر المقتني إلى واسط فملكتها، ثم إلى الخلة كذلك.

ثم عاد إلى بغداد آخر ذي القعدة سنة سبع وأربعين وخمسة، ثم قبض الأمراء على ملك شاه سنة ثمان وأربعين وخمسة.

ويابعوا لأخيه محمد وطلب الخطبة من المقتني فمنع منها، فسار السلطان محمد بن محمود إلى العراق سنة إحدى وخمسين وخمسة.

واضطرب الناس ببغداد واهتم المقتني بالاحتشاد، وجاءته عساکر واسط، وبعث السلطان مهلهل بن أبي العسکر إلى الخلة فملكتها، وحاصر السلطان محمد بغداد سنة اثنين وخمسين وخمسة وامتنع عليه فرجع، وتوفي المقتني سنة خمس وخمسين وخمسة ويوبع ابنه المستجند، واستبد بأمره كما كان أبوه.

ومنع خطبة السلجوقية من بغداد، وكان في نفسه شيء من بني أسد لإجلائهم على بغداد مع مهلهل بن أبي العسکر، أيام

فجمعهم فسار إلى الخلة فبرز إليه محمدأً آخره فهزمه علي، وملك الخلة واستهان السلطان أمره أولاً فاستفحلاً وضم إليه جماعة من غلمانه وغلمان آبيه وأهل بيته وعساکرهم، وكثير جمعهم فسار إليه مهلهل فيما معه في بغداد من العسكر، وضربوا عليه مصافحة وكسرهم، وعادوا منهزمين إلى بغداد.

وكان أهلها يتعصبون لعلي بن دبیس فكانوا يعطون إذا ركب مهلهل أو بعض أصحابه: يا علي كله.

فكثُر ذلك منهم بحيث امتنع مهلهل من الركوب، ويد علي فوق كل يد في أوضاع الأمراء بالخلة وتصرف فيها وصار شحنة بغداد ومن فيها على وجل منه، ووضع الخليفة الخامسة على الأسوار وأرسل إلى علي يمحضه على الاستقامة فأجاب بالأمال والطاعة فسكن الناس.

### أخذ السلطان الخلة من يد علي وعوده إليها

كان علي بن دبیس كثير العسف بالرعية والظلم لهم، وارتئت شکوی الرعية به إلى السلطان مسعود سنة اثنين وأربعين وخمسة، فاشکاهم، وقطع الخلة سلارکرد فسار إليها من هذدان.

وجع عسکراً من بغداد وقصد الخلة، واحتاط على أهل علي، وأقام بالخلة في ماليكه وأصحابه.

ورجعت عنه العساکر ولحق علي بن دبیس بالتقشكنجر وكان في أقطاعه باللحف متجميناً على السلطان مسعود، فاستجده على فائجه، وسار معه إلى واسط، وسار معهما الطرنطي صاحب واسط فانتزعوا الخلة من سلارکرد ورجع إلى بغداد آخر اثنين وأربعين، واستولى علي على الخلة.

### نکبة علي بن دبیس

ثم انتقض على السلطان مسعود سنة أربع وأربعين وخمسة جماعة من الأمراء منهم التقشكنجر والطرنطي وعلى بن دبیس، ويابعوا ملك شاه ابن السلطان محمود، وساروا به إلى العراق، وراسلوا المقتني في الخطبة له فامتنع، وجع العساکر وحسن بغداد وأرسل إلى السلطان مسعود بالخبر فشغل عنهم بلقاء عمه السلطان سنجر، كان سار إليه بالري.

ثم كان من بعد ذلك يبعث معاوية بن خديج ففتح وبخن إلى أن استملك فتح إفريقية.  
ووفد على عثمان آخر أيامه عندما احتاج الفتنة، وكثير الطعن عليه من جماعة جند مصر يتغلبون بالشكوى من ابن أبي سرح مع وفد من الجند شاكين من عمامهم بالأمسار.  
وعزله عثمان يسترضيهم به فكانت قضية الكتاب المنسوب إلى مروان وحاصارهم عثمان بداره.  
وخرج عبد الله من مصر مددًا لعثمان فخالفه محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة إلى مصر واتزى بها.  
ورجع عبد الله من طريقه فمنع الدخول فسار إلى عسقلان، وأقام بها حتى قتل عثمان.

ثم سار إلى الرملة وكانت من مهماته فأقام بها هرباً من الفتنة حتى مات، ولم يأباه عليها ولا معاوية.  
ثم قتل عمرو بن العاص محمد بن أبي حذيفة، وفي كيفية قتله إيه اضطراب.

ثم ولّ علي على مصر قيس بن سعد بن عبادة، وكان ناصحاً له شديداً على عدوه، واستماله معاوية، فأساء في الرد عليه.

وأشاع معاوية خلاف ذلك عنه فعزله علي من أجل ذلك، وولى بعد ذلك الأشتر النخعي، واسمه مالك بن الحارث بن يغوث بن سلمة بن ربيعة بن الحارث بن خزيمة بن سعد بن مالك بن النخع.  
وسار إليها فمات بالقلزم قريباً منها سنة سبع وثلاثين، فولى علي مكانه محمد بن أبي بكر، وكان نشا في حجره.

ثم بعث معاوية إلى عمرو بن العاص وهو يفلسطين قد اعتزل الناس بعد مقتل عثمان، واستماله واجتمع معه على قتال علي وولاه مصر فسار إليها بعد انتصاراته أمر صفين وأمر الحكيمين.  
وطلب معاوية الخلافة وقد اضطرب الأمر على محمد بن أبي بكر وخرج عليه معاوية بن خديج السكوني مع جماعة من العثمانية بنواحي مصر فكاتب عمرو العثمانية، وسرح الكاتب إلى مصر، وفي مقدمتها معاوية بن خديج فهزموا عساكر محمد، وافتلق عنه أصحابه وقتل كما هو معروف في أخباره.

ودخل عمرو بن العاص الفسطاط، وملك مصر، إلى سنة ثلاث وأربعين ومائة فتوبي، وملك مكانه ابنه عبد الله.  
ثم عزله معاوية وولى أخيه عتبة بن أبي سفيان، وتوفي سنة

حصار السلطان محمد لها، فأمر بردن بن قماح بقتالهم وإجلائهم، وكانوا متشردين في البطائع، ولا يقدر عليهم، وجمع عساكره وبعث عن ابن معروف مقدم المتفق من أرض البصرة فجاءه في جمع كبير، وحاصرهم حتى أخسر الماء عنهم.

وابطا أمرهم على المستجد بفتحه إلى بردن يعتبه وينسبه إلى مواقفهم في التشيع فجهد هو وابن معروف في قتالهم، وسد مسالكهم في الماء، واستسلموا فقتل منهم أربعة آلاف، ونودي عليهم بالجلاء من الحلة فاذتقوا في البلاد، ولم يبق منهم بالعراق من يعرف، وسلمت بطائحهم وبلادهم إلى ابن معروف والمتفق وانقرضت دوله بني مزيد والبقاء لله.

## الخبر عن ملوك العجم القائمين بالدعوة العباسية في ممالك الإسلام والمستبددين على الخلفاء ونبدأ منهم أولاً بدولة ابن طولون مصر وبداية أمرهم ومصاير أحواهم

قد تقدم لنا عند ذكر الفتوحات فتح مصر على يد عمرو بن العاص ستة عشر من المجرة في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بإذنه، وولاه عليها، وافتتح ما وراءها في المغرب إلى طرابلس وودان وغزامس حسبما ذكر ذلك مذكور هنا، وأقام عمرو في ولادتها أيام عمر كلها وولى عثمان على الصعيد عبد الله بن أبي سرح، وأفردها بالولاية، وكان يعود على عمرو فقضب عمرو، وأبن من الرجوع إلى ولاية مصر، فضمها عثمان بعد الله بن أبي سرح وولاه عليها.

وكانت في أيامه غزوة الصواري، جاءت مراكب الروم من القسطنطينية في ألف مركب ونزلوا بسواحل الإسكندرية.  
وانتقض أهل القرى، ورحب أهل الإسكندرية من عثمان أن يذهب عمرو بن العاص فبعثه، وزحف إليهم في العرب ومعه المقوس في القبط، وخرجوا من البحر ومعهم من انتقض من أهل القرى، ففتح الله على المسلمين، وهزموا الروم إلى الإسكندرية.  
وأنقض عمرو في قتلهم ورد على أهل القرى ما غنم المسلمين منهم، وعذرهم بالإكراه، ورجع إلى المدينة وأقام عبد الله في ولادتهم، وغزا إفريقية وافتتحها.

ثم غزا بلد التوبية، ووضع عليهم الجزية المعروفة الباقي على الأيام وذلك سنة إحدى وثلاثين.

في رجب سنة إحدى وثلاثين ومائة، وولي المغيرة بن عبد الله بن مسعود الغزارى، ثم مات في جمادى سنة ست وثلاثين، واستخلف ابنه الوليد.

ولي مروان بن عبد الملك موسى بن نصير فأمر بالأخذ المتابر في الكور، وإنما كانوا يخطبون على العصى. ثم قدم مروان بن محمد إلى مصر، وكان فيها مهلكه كما هو معروف.

ثم جاءت الدولة العباسية فولى السفاح على مصر عممه صالح بن علي سنة أربع وثلاثين ومائة، وبقيت في ولايته يستخلف عليها، فاستخلف أولاً محسن بن فاني الكلذى ثمانية أشهر.

ثم أبا عون عبد الملك بن يزيد مولى منه ثمانية أشهر.

ولي داود بن يزيد بن حاتم بن قيصة في حرم سنة أربع وسبعين، ثم عزله في حرم سنة خمس وسبعين لسنة من ولايته، وأعاد إليها موسى بن عيسى، ثم صرفة في ربيع سنة ست وسبعين وولي ابن عمه إبراهيم بن صالح وتوفي لثلاثة أشهر من ولايته، وقام بالأمر بعده ابنه صالح فول الرشيد عبد الله بن المسيب بن زهير الضبي في رمضان سنة ستة وسبعين ومائة، ثم عزله بعد الحول، وولي هرثمة بن أعين، ثم أسره بالمسير إلى إفريقية لثلاثة أشهر من ولايته سلخ ثمان وسبعين ومائة، وولي أخيه عبيد الله بن المسيب.

ثم أعاد موسى بن عيسى في رمضان سنة تسع وسبعين ومائة فاستخلف ابنه يحيى.

ثم صرف موسى في متصف سنة ثمانين لعشرة أشهر من ولايته، وأعيد عبيد الله بن المهدى.

ثم صرفة في رمضان سنة إحدى وثمانين ومائة وأعيد إسماعيل بن صالح بن علي من العمومة فاستخلف، ثم صرف في متصف اثنين وثمانين ومائة وأعيد لعشرة أشهر من ولايته. وولي الليث بن الفضل من أهل أسبورد فولها أربع سنين ونصفاً وعزل.

ثم ول الرشيد من قرابته أحد بن إسماعيل بن علي متتصف سبع وثمانين ومائة فبقى عليها ستين وشهرين. ثم ول مكاهن عبد الله بن محمد بن الإمام إبراهيم بن محمد ويعرف بابن زينب، وصرفة عنها آخر شعبان من سنة تسعين ومائة لسنة وشهرين من ولايته.

أربع وأربعين وولى مكانه عقبة بن عامر الجهني، ثم عزله سنة سبع وأربعين ومائة وولي مكانه معاوية بن خديج.

ثم اقطع عنه إفريقية سنة خمسين وولي عليها عقبة بن نافع. ثم جمع مصر وإفريقية لسلمة بن خلد الأنصاري، فبعث سلامة على إفريقية مولاها أبو المهاجر، وأساء عزل عقبة كما هو معروف.

ثم مات معاوية وولي ابنه يزيد، واضطربت الأمور، وبرىء عبد الله بن الزبير بمكة، وانتشرت دعوته في الممالك الإسلامية فبعث على مصر عبد الرحمن بن جحدم القرشي، وهو عبد الرحمن بن عقبة بن أبياس بن الحارث بن عبد بن أسد بن جحدم الفهري، ثم بربع مروان واتقضى ابن الزبير وسار مروان إلى مصر فأخرج منها عبد الرحمن بن جحدم وولي عليها عمر بن سعيد الأشدق.

ثم بعثه للقاء مصعب بالشام، وولي مكانه على مصر ابنه عبد العزيز بن مروان ثم هلك ستة خمس وكان مروان قد مات فولي مكانه ابنه عبد الله بن عبد الملك.

ثم عزله الوليد سنة تسع وثمانين وولي عليها مرة بن شريك بن الحارث العبسي، ومات سنة خمس وسبعين فول الوليد مكانه عبد الله بن رفاعة سنة تسع وسبعين، وكان قد استخلفه عند موته ويفقال: بل ول قبله أسامه بن زيد التتوخي.

ثم عزل عمر بن عبد العزيز عبد الملك بن رفاعة سنة تسع وسبعين وولي مكانه أيوب بن شرحبيل بن أكرم بن أبرهة بن الصباح الأصبهجي.

ثم عزله يزيد بن عبد الملك، وولي مكانه بشر بن صفوان، وأقره يزيد، ثم عزله هشام بن عبد الملك وولي عبد الملك بن رفاعة وتوفي بعد خمس عشرة ليلة.

واستخلف أخاه الوليد بن رفاعة، وأقره هشام فأقام سبعة أشهر، ثم عزله وولي حنظلة بن صفوان في الحرم سنة أربع وعشرين ومائة وأقره هشام.

ثم استعفى مروان بن محمد حين ول قاعفاه، وولي مكانه حسان بن عاتمة بن عبد الرحمن السجحي، وكان بالشام فاستخلف حمير بن نعيم الحصري بمصر ثم قدم ورفض ولايتها، فولي مكانه حفص بن الوليد لستة عشر يوماً من ولايته.

ويقى حفص شهرین، ثم ول مروان المؤذنة بن سهل بن العجلان الباهلي في حرم سنة ثمان وعشرين ومائة ثم صرف عنها

المظفر.

ولما صارت الخلافة للمعتصم وللإمام مولاه أشناس، ويكتفى أبا جعفر في رجب سنة ثمان عشرة، فاستخلف عليها موسى بن أبي العباس ثابت من بني حنيفة من أهل الشاش في رمضان سنة تسع عشرة وثلاثين، واستخلف ابنه المظفر فأقام مستخلفاً لأنشاس أربع سنين ونصفاً.

ثم عزله بعد ستين، واستخلف مالك بن كيد بن عبد الله الصفدي، فقدم في ربيع سنة أربع وعشرين وثلاثين ثم عزله بعد ستين واستخلف علي بن يحيى الأرمني، وقدم في ربيع سنة ست وعشرين وثلاثين.

ثم عزله بعد ستين وثمانية أشهر، واستخلف عيسى بن منصور الذي كان مستخلفاً للمعتصم أيام المؤمن، وسخطه المؤمن عند قدمه مصر فقدم عيسى في محرم سنة تسع وعشرين وثلاثين. ثم مات أشناس بعد الثلاثين، وقد استخلف على مصر إتياخ مول المعتصم وأقيم إتياخ مكان أشناس فاقر الرايق إتياخ على مصر، فاقر إتياخ عيسى بن منصور في ربيع سنة ست وثلاثين وثلاثين فيقيه أربعة أشهر.

ثم استخلف إتياخ هرثمة بن النضر الجبلي فقدم متصرف سنة ثلاث وثلاثين وثلاثين، وأقام سنة، ثم مات سنة أربع وثلاثين وثلاثين، وقام بأمره ابنه حاتم رضي الله تعالى عنه، فاستخلف إتياخ علي بن يحيى الأرمني في رمضان سنة أربع وثلاثين وثلاثين. ثم صرف إتياخ عن ولاية مصر في محرم سنة خمس وثلاثين وثلاثين بعد وفاة المعتصم.

وولي المتركل على مصر ابنه المستنصر فاستخلف عليها إسحاق بن يحيى بن معاذ الختلي، وقدم في ذي القعدة من ستة وفي أيامه أخرج ولد علي من مصر إلى العراق، ثم صرف في ذي القعدة من سنة ست وثلاثين وثلاثين، واستخلف المستنصر عليها عبد الرحمن بن يحيى بن منصور بن طلحة وريق، وهو ابن عم طاهر بن الحسين، وقدم في ذي القعدة سنة ست وثلاثين وثلاثين. ثم صرفه واستخلف عنبه بن إسحاق بن عيسى بن عبسة من أهل هرآة.

ويكتفى أبا حاتم في صفر سنة ثمان وثلاثين وثلاثين.

وفي ولايته كبس الروم ديماط يوم عرفة من سنة ثمان وثلاثين وثلاثين، واستخلف يزيد بن عبد الله بن دينار من موالיהם، ويكتفى أبا خالد، وفي أيامه منع العلوبيون من ركوب

وولي حاتم بن هرثمة بن أعين، فقدم في شوال سنة أربع وعشرين وثلاثة أشهر من ولايته، وولي جابر بن الأشعث بن يحيى بن النعمان الطائي متصرف خمس وعشرين وثلاثة فاخرجه الجندي منها سنة وست وعشرين وثلاثة لسنة من ولايته.

ثم ولي المؤمن عليها عباد بن محمد بن حيان البلاخي مول كندة، ويكتفى أبا نصر.

ثم عزله لسنة ونصف من ولايته في صفر سنة ثمان وعشرين وثلاثة، وولي المطلب بن عبد الله بن مالك بن الهيثم المخزاعي، وقدمها من مكة في متصرف ربيع الأول.

ثم صرفه في شوال لثمانية أشهر من ولايته، وولي من عمومته العباس بن عيسى بن عيسى فبعث عليها ابنه عبد الله، ومعه الإمام محمد بن إدريس الشافعي رضي الله تعالى عنه، فأقام عليها شهرين ونصفاً، فقتل الجندي يوم النحر سنة ثمان وعشرين وثلاثة، وولوا عليهم المطلب بن عبد الله.

ثم جرت بينه وبين السدي وبين الحكم بن يوسف مول بني ضبة من أهل بلخ من قوم يقال لهم الزط، وجرت بينه وبين أهل المطلب حروب، وخرج هارباً إلى مكة بعد ستة وثمانية أشهر من ولايتها ووليها السري بإجماع الجندي في رمضان سنة ماتين.

ثم وُثب به الجندي بعد ستة أشهر وولوا سليمان بن غالب بن جبريل بن يحيى بن قرة العجلبي في ربيع الأول سنة إحدى عشرة وثلاثين.

وولي عبد الله بن طاهر بن الحسين مول خزاعة فأقام عشرة.

ثم ولي المؤمن عليها أخيه أبا إسحاق الملقب في خلافته بالمعتصم، فاقر عيسى الجلودي، وبعده عمير بن الرؤيد التميمي في صفر سنة أربع عشرة وثلاثين ثم قتل بعد شهرين، واستخلف ابنه محمد بن عمير شهراً، ثم أعاد عيسى الجلودي.

ثم جاء أبو إسحاق المعتصم إلى الفسطاط، وعاد إلى الشام، واستخلف عبدوه بن جبلة في المحرم فاتح خمس عشرة فأقام سنة، وولي عيسى بن منصور بن موسى الخراساني الرافعي مول بني نصر بن معاوية.

ثم قدم المؤمن مصر لسنة من ولايته، فسخط على عيسى بن منصور، وعمر المقاييس وجسر آخر بالفسطاط، وولي كندر بن عبد الله بن نصر الصفدي، ويكتفى أبا مالك، ورجع إلى العراق ومات كندر في ربيع سنة تسع عشرة وثلاثين، واستخلف ابنه

الخيل واقتقاء العبيد.

ثم ولـي المستنصر الخليفة في شوال سنة سبع وأربعين  
وماتين فاقر يزيد على ولاية مصر، ثم صرف عنها في ربيع سنة  
ثلاث وخمسين لعشر سنين من ولايته.

وولـي المعـز مكانـه مزاـحـمـ بنـ خـاقـانـ اـبـنـ عـزـطـرـوجـ السـتـرـكـيـ فيـ  
رـبـيعـ سـنةـ أـرـبـعـ وـخـسـنـ،ـ وـعـهـدـ إـلـىـ أـلـجـورـ بـنـ أـلـغـرـ طـرـخـانـ التـرـكـيـ  
فـاقـامـ خـسـنـةـ أـشـهـرـ وـخـرـجـ حـاجـاـ فيـ رـمـضـانـ سـنةـ أـرـبـعـ وـخـسـنـ.

وـولـيـ أـحـدـ بـنـ طـوـلـونـ،ـ وـاسـتـفـحـلـ بـهـ أـمـرـهـ،ـ وـكـانـ لـهـ وـلـيـهـ  
بـهـ دـوـلـةـ كـمـاـ نـذـكـرـ الـآنـ أـخـبـارـهـ.

وقـالـ اـبـنـ عـبـدـ الـظـاهـرـ:ـ وـقـتـ عـلـىـ سـيـرـةـ لـلـأـخـشـيدـ قـدـيـمةـ  
عـلـيـهـ خـطـ الفـرـاغـانـيـ وـفـيـهـ:ـ أـنـ أـحـدـ هـوـ اـبـنـ النـجـ منـ الـأـتـرـاكـ،ـ كـانـ  
طـوـلـونـ صـدـيقـ أـيـهـ وـمـنـ طـبـقـتـهـ.

فـلـمـاـ مـاتـ النـجـ رـيـاهـ طـوـلـونـ وـكـنـلـهـ،ـ فـلـمـاـ بـلـغـ مـنـ الـحـدـاـثـةـ  
مـشـيـ مـعـ الـخـشـوـيـةـ وـغـزـاـ،ـ وـتـنـقـلـ بـهـ الـأـحـرـالـ إـلـىـ أـنـ صـارـ مـعـدـوـدـاـ  
فـيـ النـقـاتـ،ـ وـولـيـ مـصـرـ وـاسـتـقـرـ بـهـ.

قال صدر الدين بن عبد الظاهر: لم أر ذلك لغيره من  
المؤرخين انتهى.

ولـاـ وـقـعـ اـضـطـرـابـ التـرـكـ بـيـنـدـادـ وـقـلـ المـسـتـعـنـ وـولـيـ المـعـزـ  
وـاسـتـبـدـ عـلـيـهـ الـأـتـرـاكـ وـزـعـيمـهـ يـوـمـذـ باـكـ باـكـ وـوـلاـهـ  
وـنـظـرـ فـيـمـ يـسـتـخـلـفـهـ عـلـيـهـ،ـ فـرـقـ اـخـتـيـارـهـ عـلـىـ أـحـدـ بـنـ طـوـلـونـ  
فـبـعـثـهـ عـلـيـهـ،ـ وـسـارـ مـعـ أـحـدـ بـنـ عـمـدـ الـوـاسـطـيـ،ـ وـيـقـرـبـ بـنـ  
إـسـحـاقـ،ـ وـدـخـلـهـ فـيـ رـمـضـانـ سـنةـ أـرـبـعـ وـخـسـنـ وـمـاتـينـ وـولـيـهـ  
الـخـوارـجـ بـهـ أـحـدـ بـنـ الـدـبـرـ،ـ وـعـلـىـ الـبـرـيدـ سـفـيرـ مـوـلـيـ قـيـمةـ فـاهـدـيـ  
لـهـ بـنـ الـدـبـرـ،ـ ثـمـ اـسـتـوـحـشـ مـنـهـ،ـ وـكـاتـبـ الـمـعـزـ بـاـنـ بـنـ طـوـلـونـ  
بـرـوـمـ الـعـصـيـانـ وـكـاتـبـ صـاحـبـ الـبـرـيدـ بـمـثـلـ ذـلـكـ،ـ فـسـطاـ بـسـفـيرـ  
صـاحـبـ الـبـرـيدـ وـمـاتـ مـنـ غـدـهـ.

ثـمـ قـتـلـ الـمـعـزـ وـولـيـ الـمـهـدـيـ فـقـتـلـ باـكـ باـكـ،ـ وـرـتـبـ مـكـانـهـ  
بـارـجـوجـ،ـ وـوـلاـهـ مـصـرـ.

وـكـانـ بـيـهـ وـبـيـنـ أـحـدـ بـنـ طـوـلـونـ مـوـدـةـ أـكـيـدةـ،ـ فـاستـخـلـفـهـ  
عـلـىـ مـصـرـ،ـ وـأـطـلـقـ يـدـهـ عـلـىـ الـإـسـكـنـدـرـيـةـ وـالـصـعـيدـ بـعـدـ أـنـ كـانـ  
مـقـصـراـ عـلـىـ مـصـرـ قـفـقـطـ،ـ وـجـعـ إـلـىـ الـخـرـاجـ فـسـقـطـتـ رـتـبـةـ اـبـنـ  
الـدـبـرـ.

ثـمـ أـعـادـهـ الـمـعـتـدـ قـلـمـ يـنهـضـ إـلـىـ مـسـاماـةـ بـنـ طـوـلـونـ وـلاـ  
مـنـازـعـهـ.

ثـمـ كـتـبـ إـلـىـ الـمـعـتـدـ بـضـبـطـ عـيـسـىـ بـنـ شـيـخـ الشـيـانـيـ،ـ وـكـانـ  
يـتـقـلـدـ فـلـسـطـينـ وـالـأـرـدنـ،ـ وـتـغـلـبـ عـلـىـ دـمـشـقـ،ـ وـطـمـعـ فـيـ مـصـرـ وـمـنـ  
الـحـلـمـ،ـ وـاعـتـرـضـ حـلـ اـبـنـ الـدـبـرـ،ـ وـكـانـ خـسـنـ وـسـعـيـنـ حـلـاـ مـنـ  
الـذـهـبـ فـاخـذـهـ،ـ فـكـتـبـ إـلـىـ الـمـعـتـدـ يـوـمـذـ بـوـلـاـيـةـ عـمـالـهـ فـادـعـيـ  
الـعـجزـ،ـ وـأـنـكـرـ مـالـ الـحـلـ وـنـزـعـ السـوـادـ،ـ وـأـنـفـذـ أـنـجـورـ مـنـ الـحـضـرـةـ  
فـيـ الـعـسـاـكـرـ إـلـىـ دـمـشـقـ سـنةـ سـبـعـ وـخـسـنـ.

ثـمـ خـرـجـ أـحـدـ بـنـ طـوـلـونـ إـلـىـ الـإـسـكـنـدـرـيـةـ وـمـعـ أـخـوـهـ  
مـوسـىـ وـكـانـ يـتـجـنـىـ عـلـيـهـ،ـ وـبـرـىـ أـنـ لـمـ يـرـفـ بـحـقـهـ،ـ وـظـهـرـ ذـلـكـ مـنـهـ

## الـخـبـرـ عـنـ دـوـلـةـ أـحـدـ بـنـ طـوـلـونـ بـعـصـرـ وـبـنـيـهـ وـمـوـالـيـهـ بـنـيـهـ طـفـجـ وـابـنـدـاءـ أـمـرـهـ وـتـصـارـيفـ أـحـوـالـهـ

قال ابن سعيد -ونقلـهـ مـنـ كـاتـبـ اـبـنـ الدـاـيـةـ فـيـ أـخـبـارـ بـنـيـهـ  
طـوـلـونـ:ـ كـانـ طـوـلـونـ أـبـوـ أـحـدـ مـنـ الـطـفـزـ،ـ غـزوـهـ التـرـكـ.

حـلـهـ نـوـحـ بـنـ أـسـدـ عـاـمـلـ بـخـارـيـ إـلـىـ الـسـامـونـ فـيـ وـظـيـفـتـهـ مـنـ  
الـمـالـ وـالـرـقـيقـ وـالـبـرـاذـنـ،ـ وـوـلـدـ لـهـ أـحـدـ سـنةـ عـشـرـيـنـ وـمـاتـيـنـ مـنـ  
جـارـيـةـ اـسـمـهـ نـاسـمـ.

وـتـوفـيـ طـوـلـونـ سـنةـ أـرـبـعـينـ وـمـاتـيـنـ،ـ وـكـفـلـ رـفـقـاءـ أـيـهـ بـدارـ  
الـمـلـكـ حـتـىـ ثـبـتـ مـرـبـتـهـ،ـ وـتـصـرـفـ فـيـ خـدـمـةـ السـلـطـانـ،ـ وـاـنـتـشـرـ لـهـ  
ذـكـرـ اـلـأـوـلـيـاءـ فـاقـ بـهـ عـلـىـ أـهـلـ طـبـقـتـهـ،ـ وـشـاعـ بـنـ الـتـرـكـ صـونـهـ  
وـدـيـنـهـ وـأـمـانـهـ عـلـىـ الـأـسـرـاـرـ وـالـأـمـوـالـ وـالـفـرـوـجـ.  
وـكـانـ يـسـتـصـفـ عـقـولـ الـأـتـرـاكـ،ـ وـبـرـىـ أـنـهـ لـيـسـواـ بـأـهـلـ  
لـلـرـتـبـ،ـ وـكـانـ يـمـبـ الجـهـادـ.

وـطـلـبـ مـنـ مـحـمـدـ بـنـ أـحـدـ بـنـ خـاقـانـ أـنـ يـسـأـلـ مـنـ عـبـدـ اللـهـ  
الـوـزـيـرـ أـنـ يـكـتـبـ هـلـمـاـ يـأـرـزـاقـهـ إـلـىـ الـغـرـ،ـ وـيـقـيـمـهـ هـنـالـكـ مـحـاـدـدـيـنـ.  
وـسـارـ إـلـىـ طـرـسـوـسـ،ـ وـأـعـجـبـهـ مـاـ عـلـيـهـ أـهـلـ الحـسـقـ مـنـ تـغـيـيرـ

الـنـكـرـ وـإـقـامـةـ الـحـقـ فـائـسـ،ـ وـعـكـفـ عـلـىـ طـلـبـ الـمـدـيـثـ.

ثـمـ رـجـعـ إـلـىـ بـغـدـادـ وـقـدـ اـمـتـلـأـ عـلـمـاـ وـدـيـنـاـ وـسـيـاسـةـ.  
وـلـاـ تـنـكـرـ الـأـتـرـاكـ لـلـمـسـتـعـنـ وـيـأـبـعـاـ الـمـعـزـ،ـ وـأـلـ أـمـرـ الـمـسـتـعـنـ  
إـلـىـ الـخـلـعـ وـالـتـغـيـرـ إـلـىـ وـاسـطـ،ـ وـكـلـواـ بـهـ أـحـدـ بـنـ طـوـلـونـ فـاحـسـنـ  
عـشـرـتـهـ،ـ وـوـسـعـ عـلـيـهـ،ـ وـالـزـمـهـ أـحـدـ بـنـ عـمـدـ الـوـاسـطـيـ يـوـمـهـ،ـ وـكـانـ  
حـسـنـ الـعـشـرـةـ فـكـهـ الـجـالـسـ.

وـلـاـ اـعـتـمـواـ عـلـىـ قـتـلـهـ بـعـثـاـ إـلـىـ أـحـدـ بـنـ طـوـلـونـ أـنـ يـمـضـيـ

## ولاية أحد بن طولون على النغور

في خطابه فأوقع به ونفاه، وحبس كاتبه إسحاق بن يعقوب، واتهمه بأنه أفضى بسره إلى أخيه. سليمان بن وهب، وأودع كتاب عهدهما في الكعبة.

وسار الموفق لحرب الزنج، واضطرب الشرق، وقدد الولاة عن الحمل، وشك الموفق الحاجة إلى المال.

وكان ابن طولون يبعث الأموال إلى المعتمد يصطنه بذلك، فأنفذ الموفق تحريراً خادم الموكيل إلى أحد بن طولون يستحسن تحمل الأموال والطراز والرقيق والخيل، ودس إليه أن يعتقله واطلع على الكتب، وقتل بعض القواد وعاتب آخرين وبعث مع خبره النبي ألف ومائتي ألف دينار ورقيناً وطربزاً، وجمع الرسم وبعث معه من أسلمه إلى الشقة أناجور صاحب الشام.

ولما فعل ابن طولون بتحرير ما فعل، كتب الموفق إلى موسى بن بغا بصرف أحد بن طولون عن مصر وتقليلها أناجور.

فكتب إلى أناجور بتقليلها فعجز عن منهضة أحد، فسار موسى بن بغا ليسلم إليه مصر، وبلغ الرقة واستحوذ أحد في الأموال، فتهاها أحد لحربه، ومحض الجزيرة معلقاً لحربه وذبحه.

وأقام موسى بالرقة عشرة أشهر، واضطرب عليه الجندي شعبيراً وطالبوه بالأرزاق واختفى كاتبه موسى بن عبيد الله بن وهب، فرجع وتوفي سنة أربع وستين ومائتين ثم كتب الموفق إلى ابن طولون باستقال ما حله من المال، وعنه وهدده فأساه ابن طولون جوابه، وأن العمل لجعفر بن المعتمد ليس لك فاحفظ ذلك الموفق، وسأل من المعتمد أن يولي على النغور من يحفظها، وأن ابن طولون لا يؤمن عليها لقلة اهتمامه بأمرها، فبعث محمد بن هارون التلبي عامل الموصل، وركب السفن فالقته الرياح بشاطئ دجلة، فقتله الرياح أصحاب مساواه الساري.

## ولاية أحد بن طولون على النغور

وكانت أمهات النغور يومئذ أنطاكية وطرسوس والمصيصة وملطية، وكان على أنطاكية محمد بن علي بن يحيى الأرمني، وعلى طرسوس سيماء الطويل وإليه أمر النغور.

وجاء في بعض أيامه إلى أنطاكية فمنعه الأرمني من الدخول فدس إلى أهل البلد بقتله فقتلوه، وألحق ذلك الموفق فول على النغور أرجون بن أولون طرخان التركي، وأمره بالقبض على سيماء الطويل فقام بالنغور، وأساء التصرف، وحبس الأرزاق عن أهلها.

وكانت قلعة لوزلة من قلاع طرسوس في نهر العدو، وألهم أهل طرسوس أمرها، فبعثوا إلى حاميتها خمسة آلاف دينار رزقاً من عندهم، فأخذها أرجون لنفسه، وضاعت حاميتها واقتروا.

في خطابه فأوقع به ونفاه، وحبس كاتبه إسحاق بن يعقوب، واتهمه بأنه أفضى بسره إلى أخيه.

وخرج أحمر حاجاً، وسار من هناك إلى العراق، ووصف أحمر بالجميل فحظي بذلك عند الموفق.

واسفلح أمر أحد واستكثر من الجندي وخافه أناجور بالشام.

وكب الموفق يعزره بشائه وأنه يخشى على الشام منه.

ثم كتب الموفق إلى ابن طولون بالشخصوص إلى العراق لتثبيت أمر السلطان، وأن يستخلف على مصر فشعر ابن طولون بالكيدية في ذلك، فبعث كاتبه أحد بن محمد الواسطي إلى يارجوج ولـي الوزير، وحمل إليها الأموال والمدايا.

وكان يارجوج متوكلاً في الدولة فسعي في أمره، وأعفاه من الشخصوص وأطلق ولده وحرمه، واشتدت وطأة ابن طولون وخافه أحد بن المدير، فكتب إلى أخيه إبراهيم أن يتلطف له في الاتصاف عن مصر فورد الكتاب بتقليله خراج دمشق وفلسطين والأردن، وصانع ابن طولون بضياعه التي ملكها، وسار إلى عمله بمصر وشيعه ابن طولون ورضي عنه وذلك سنة ثمان وخمسين ومائتين وولي الوزير على الخراج من قبله، وتقدم لابن طولون باستئثاره، فتبايع حل الأموال إلى المعتمد.

ثم كتب ابن طولون بأن تكون جباية الخراج له فاسعف بذلك، وأنفذ المعتمد نفسيًا الخادم بتقليله خراج مصر وضربيتها، وخارج الشام.

وبعث إليه نقيس الخادم ومعه صالح بن أحد بن حبل قاضي النغور، ومحمد بن أحد الجوزي قاضي واستط شاهدين ياعقانه ما زاد على الرسم من المال والطراز.

ومات يارجوج في رمضان سنة تسعة وخمسين وكان صاحب مصر، ومن أقطاعه، ويدعى له قبل ابن طولون، فلما مات استقل أحد بمصر.

## فتنة ابن طولون مع الموفق

لما استأمن الزنج وتنبلاوا على نواحي البصرة، وهزموا العساكر بعث المعتمد إلى الموفق، وكان المهدى نفاه إلى مكة، فعهد له المعتمد بعد ابنه المفترض، وقسم مالك الإسلام بينهما، وجعل الشرق للموفق ودفعه لحرب الزنج، وجعل الغرب للمفترض، واستخلف عليه موسى بن بغا، واستكتب موسى بن عبيد الله بن

من الشجعان وسار إلى معسکر موسى فأکمن بعضهم ودخل بالباقين بعض الخيام فعقدت، واهتاج العسكر، وهرب أبو الأغر واتبعه فخرج عليهم الكمين فهزموهم وأسر موسى، وجاء به أبو الأغر إلى ابن جيعرنة قائد ابن طولون فاعتقله وعاد إلى مصر سنة ست وستين ومائتين.

وكتب الموفق إلى أهـد بن طولون بتقليد الشغور، وأن يبعث عليها من قبله فيبعث من قبله طحشى بن بكروان، وحيث حاصله وطلب منه ملك الروم المدنة، واستأذن في ذلك ابن طولون فمنعه، وقال: إنما حملهم على ذلك تحريركم لقلاعهم وحصونهم فيكون في الصلح راحة لهم فحاش الله منه، وأمره برم الشغور وأرزاق الغزارة.

### الخبر عن انتهاض العباس بن أهـد بن طولون على أبيه

### استيلاء أهـد بن طولون على الشام

لما رحل أهـد بن طولون إلى الشام واستخلف ابنه العباس، وكان أهـد بن الواسطي حكماً في الدولة.

وكان للعباس بطانة يدارسوه الأدب والتحو، وأراد أن يولى بعضهم الوظائف، ولم يكتنوا يصلحون لها، فمنع الواسطي من ذلك خشية الخلل في الأعمال، فحمل هؤلاء البطانة عليه عند العباس وأغاروه به، وكتب هو إلى أهـد يشكرون فاجابه بمداراة الأمور إلى حين وصوله.

وكان محمد بن رجاء كاتب أهـد مدائلاً لابنه العباس فكان يبعث إليه بكتب الواسطي يتزل له، فاطلع على جواب أبيه عن كتبه بالمداراة، فازداد خوفاً وحمل ما كان هنالك من المال والسلاح، وهو ألف ألف دينار.

وتسلف من التجار مائتي ألف أخرى، واحتمل أهـد بن محمد الواسطي وأمين الأسود مقيدين، وسار إلى برقة.

ورجع أهـد إلى مصر وبعث له جماعة منهم القاضي أبو بكرة بكار بن قبية والصابوني القاضي وزيد المري مولى أشهب، فتلطفوا به بالموعظة حتى لان، ثم منه بطانته وخروفه فقال لبكرا: ناشدتك الله هل تأمنه على؟ فقال: هو قد حلف، وأنا لا أعلم فمضى على ربيته.

ورجـع القوم إلى أبيه وسارـ هو إلى إفريقيـة بطلب ملكـها، وسهل عليه أصحابـه أمرـ إبراهـيمـ بنـ أهـدـ بنـ الأـغلـبـ صـاحـبـهاـ، وكتبـ إلىـهـ بـأنـ المعـتمـدـ قـلـدهـ إـفـرـيقـيـةـ،ـ وـأـنـ أـقـرـهـ عـلـيـهـ.

وـأـتـهـىـ إـلـىـ الـمـدـنـةـ لـبـلـةـ،ـ فـخـرـجـ عـلـيـهـ عـاـمـلـ إـنـ الـأـغـلـبـ فـقـبـضـ عـلـيـهـ،ـ وـنـهـبـ الـبـلـدـ وـقـتـلـ أـهـلـهـ،ـ وـفـضـحـ نـسـاءـهـ فـأـسـتـغـاثـواـ بـالـيـاسـ بـنـ مـنـصـورـ كـبـيرـ نـفـوسـ وـرـئـيـسـ الـأـبـاضـيـةـ،ـ وـقـدـ كـانـ خـاطـبـهـ يـتـهـدـهـ عـلـىـ الطـاعـةـ.

وـبـلـغـ الـخـبـرـ إـلـىـ إـبـنـ الـأـغـلـبـ فـبـعـثـ الـعـاسـكـرـ مـعـ خـادـمـهـ بـلـاغـ،ـ وـكـبـ إلىـ مـحمدـ بـنـ قـهـرـبـ عـاـمـلـ طـرـابـلـسـ بـأـنـ يـظـاهـرـ مـعـهـ عـلـىـ

قد تقدم لنا ولاية أناجور على دمشق سنة سبع وخمسين وما ترين وما وقع بينه وبين أهـدـ بنـ طـولـونـ.

ثم توفـيـ أناجـورـ فيـ شـعـبـانـ سـنـةـ أـرـبعـ وـسـتـينـ وـمـائـيـنـ وـنـصـبـ ابنـهـ عـلـىـ مـكـانـهـ،ـ وـقـامـ يـدـيرـ أـمـرـهـ أـهـدـ بنـ بـنـ يـحيـيـ بـنـ وـهـبـ.

وـسـارـ إـلـىـ الشـامـ مـوـرـيـاـ بـمـشارـفـ الشـغـورـ،ـ وـاستـخـلـفـ ابنـهـ العـبـاسـ عـلـىـ مـصـرـ،ـ وـضمـ إـلـىـهـ أـهـدـ بنـ مـحـمـدـ الوـاسـطـيـ،ـ وـعـسـكـرـ فـيـ مـيـةـ الـإـصـبـعـ،ـ وـكـبـ إـلـىـ عـلـيـ بـنـ أناجـورـ يـقـاـمـةـ الـمـيـةـ لـلـعـسـاـكـرـ فـأـجـابـ الـأـمـالـ.

وـسـارـ ابنـ طـولـونـ إـلـىـ الرـمـلـةـ،ـ وـبـهـ مـحـمـدـ بـنـ أـبـيـ رـافـعـ منـ قـبـلـ أناجـورـ،ـ وـمـدـبـرـ دـوـلـتـهـ أـهـدـ بـنـ هـنـالـكـ مـنـ ذـنـاهـ الـهـتـدـيـ فـأـكـرـمـهـ.

ثم سـارـ عـنـ دـمـشـقـ،ـ وـاستـخـلـفـ عـلـيـهـ أـهـدـ بـنـ دـوـغـيـاشـ،ـ وـرـحـلـ إـلـىـ حـصـنـ وـبـهـ أـكـبـرـ قـوـادـ أناجـورـ فـشـكـتـ الرـعـيـةـ مـنـ فـعـلـهـ،ـ وـوـلـيـ عـلـىـ التـرـكـيـ.

ثم سـارـ إـلـىـ أـنـطـاكـيـةـ وـقـدـ اـمـتـعـ بـهـ سـيـماـ الطـوـبـيلـ بـعـدـ أـنـ كـتـبـ بـالـطـاعـةـ،ـ وـأـنـ يـنـصـرـ عـنـهـ فـأـبـيـ وـحـاصـرـهـ وـشـدـ حـصـارـهـ.

وـضـجـرـ أـهـلـهـ مـنـ سـيـماـ فـدـخـلـ بـعـضـهـ أـهـدـ بـنـ طـولـونـ وـدـلـوـلـهـ عـلـىـ بـعـضـ السـارـبـ فـدـخلـهـ مـنـهـ فـيـ فـاتـحةـ خـسـ وـسـتـينـ وـقـتـلـ سـيـماـ الطـوـبـيلـ وـقـبـضـ عـلـىـ أـمـرـاهـ وـكـاتـبـهـ.

ثم سـارـ إـلـىـ طـرـوسـ فـمـلـكـهـ،ـ وـدـخـلـهـ فـيـ خـلـقـ كـثـيرـ،ـ وـشـيعـ فـيـ الدـخـولـ إـلـىـ بـلـادـ الـرـوـمـ لـلـغـزوـ.

وـبـيـنـماـ هوـ بـرـوـمـ ذـلـكـ جـاءـهـ الـخـبـرـ بـأـنـتـهـاـضـ ابنـهـ العـبـاسـ الذـيـ استـخـلـفـهـ بـصـرـ فـرـجـعـ،ـ وـبـعـثـ عـسـكـرـاـ إـلـىـ حـرـانـ،ـ وـكـانـتـ مـحـمـدـ بـنـ آـنـشـرـ فـأـخـرـجـهـ عـنـهاـ وـهـزـمـهـ.

وـبـلـغـ الـخـبـرـ إـلـىـ أـخـيـهـ مـوـسـىـ،ـ فـسـارـ إـلـىـ حـرـانـ وـكـانـ شـجـاعـاـ،ـ وـكـانـ مـقـدـمـ الـعـسـكـرـ بـحـرـانـ بـنـ جـيـعـونـ فـأـهـمـهـ أـمـرـهـ،ـ فـقـالـ لـهـ أـبـوـ الـأـغـرـ مـنـ الـعـربـ:ـ أـنـ آـتـيـكـ بـمـوـسـىـ وـاخـتـارـ عـشـرـيـنـ فـارـسـاـ

## انتفاض لولو على ابن طولون

ثم بعث ابن طولون العسكر إلى العمري فلقي قادتهم وقال: إني لم أخرج بالفساد ولا يؤذى مسلم ولا ذمي وإنما خرجت للجهاد فشاور أميرك في فابي، وناجه الحرب فانهزم العسكر، ورجعوا إلى ابن طولون فأخبروه بشأنه فقال: هلا كتم شاورغوني فيه؟ فقد نصره الله عليكم بيعكم.

ثم ثب عليه بعد مدة غلامان له فقتلاه وجاء برأسه إلى أحد بن طولون فقتلهم.

### انتفاض برقه

وفي سنة إحدى وستين ومائتين ثب أهل برقة بعاملهم محمد بن فرج الفرغاني فآخر جره، ونقضوا طاعة ابن طولون فبعث إليهم العسكر مع غلامه لولو، وأمره بالملائنة فحاصرهم أيامًا وهو يلين لهم حتى طمعوا فيه، وتالوا من عسكره فبعث إلى أحد بخبره فأمره بالاشتداد فشد حصارهم، ونصب عليهم المجانق فاستأذنا، ودخل البلد وقبض على جماعة من أعيانهم فضربهم وقطعهم، ورجع إلى مصر واستعمل عليهم مولى من مواليه، وذلك قبل خلاف العباس على أبيه.

### انتفاض لولو على ابن طولون

كان ابن طولون قد ول مولاه لولوًا على حلب ومحصن وقنسرين وديار مصر من الجزيرة، وأنزله الرقة، وكان يتصرف عن أمره.

ومنى وقع في خالفته عاصب ابن سليمان كاتب لولو فسقط لولو في المآل، وقطع الحبل عن أحد بن طولون.

وخف الكاتب محبة ذلك، فحمل لولوًا على الخلاف، وأرسل إلى الموقر بعد أن شرط على المعتمد شروطًا أجابه الموقر إليها، وسار إلى الرقة وبها ابن صفوان العقيلي، فحاربه وملكتها منه وسلمها إلى أحد بن مالك بن طرق.

وسار إلى الموقر فوصل إليه بمكانته من حصار صاحب الزنج وأقبل عليه، واستعن به في تلك الحرب، وولاه على الموصل.

ثم قبض عليه سنة ثلاث وسبعين ومائتين وصادره على أربعين ألف دينار فافتقر وعاد إلى مصر آخر أيام هارون بن خارويه فقيراً غريداً.

قتال العباس فسار ابن قهرب وناوش القتال من غير مساعدة.

ثم صحفهم الياس في الثاني عشر الفاً من قومه.

وجاء بلاغ الخادم من خلفه فاجفل، واستبيح أمره وذخائره، وقتل أكثر من كان معه، وأفلت مجازيته، وانطلق أئم الأسود من القيد ورجع إلى مصر.

وجاء العباس إلى برقة مهزوماً وكان قد أطلق أحد الواسطي بعد أن ضمن حزب برقة إحضاره، فلما رجع أعاده إلى محبسه فهرب من الحبس، ولحق بالفسطاط ووجد أحد بن طولون قد سار إلى الإسكندرية عازماً على الرحيل إلى برقة، فهون أمره، ومنه من الرحيل بنفسه، وخرج طارجي وأحمد الواسطي فجاوزوا به مقيداً على بغل، وذلك سنة سبع وستين ومائتين وقبض على كاتبه محمد بن رجاء وحبسه لما كان يطلع ابنه العباس على كتبه، ثم ضرب ابنه وهو باك عليه وحبسه.

### خروج الصوفي والعمري مصر

كان أبو عبد الرحمن العمري بمصر، وهو عبد الحميد بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر، مقيماً بالقصبة من الصعيد، وكان الجابة يغيرون في تلك الأعمال ويعيشون فيها.

وجاؤه يوم عيد فنهبوا وقتلوا، فخرج هذا العمري غضباً الله، وأكمن لهم في طريقهم فقتلوك بهم، وسار في بلادهم حتى أعطوه الجزية، وشتلت شركته.

وزحف العلوى للقاء فهزمه العمري، وذلك سنة ستين ومائتين.

وكان من خبر هذا العلوى أنه ظهر بالصعيد سنة سبع وخمسين ومائتين وذكر أن اسمه إبراهيم بن محمد بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب، ويعرف بالصوفي، فملك مدينة أستنا ونهاها، وعاش في تلك الناحية.

وبعث إليه ابن طولون جيشاً فهزمه، وأسر مقدم الجيش فقطعه فأعاد إليه جيشاً آخر، وانهزم إلى الواحات.

ثم عاد إلى الصعيد سنة تسع وخمسين ومائتين وسار إلى الأشمونين.

ثم سار للقاء العمري وانهزم إلى أسوان، وعاش في جهاتها.

وبعث إليه ابن طولون العسكر فهرب إلى عينتاب، وعبر البحر إلى مكة فقبض عليه الواли بمكة، وبعث به إلى ابن طولون فحبسه مدة، ثم أطلقه ومات بالمدينة.

## مسير المعتمد إلى ابن طولون وعوده عنه من الشام

### اضطراب الشغور ووصول أحمد بن طولون إليها ووفاته

كان عامل أحد بن طولون على الشغور طلخشي بن بلدان، واسمه خلف، وكان نازلاً بطرسوس. وكان مازيار، الخادم مولى فتح بن خاقان معه بطرسوس وارتاب به طلخشي فحبسه فوثب جماعة من أهل طرسوس واستقدموا مازيار من يده وولوه. وهرب خلف وتركوا الدعاء لابن طولون فسار ابن طولون من مصر وانتهى إلى أذنة، وكاتب مازيار واستماله فامتبعه واعتضم بطرسوس فرجع ابن طولون إلى حصن ثم إلى دمشق فقام بها.

ثم رجع وحاصره في فصل الشتاء بعد أن بعث إليه يدعوه وانساح على معسكر أحد وخيمه، وكادوا يهلكون، فتأخر ابن طولون إلى أذنة، وخرج أهل طرسوس فنهبوا العسكرية، وطال مقام أحد بأذنة في طلب البرد. ثم ثار إلى المصيصة فقام بها ومرض هناك.

ثم تأسك إلى أنطاكية فاشتد وجعه ونهاه الطبيب عن كثرة الغذاء فتناوله سراً، فكثر عليه الاختلاف، لأن أصل علته هيضة من لعن الجواميس.

وشقق عليه الركوب فحملوه على العجلة بلغ الفرمار، وركب من ساحل الفسطاط إلى داره، وحضره طبيه فسهل عليه الأمر وأشار بالحمية فلم يداوم عليها وكثر الإسهال وحيث كبده من سوء الفكر فسأله أفالله.

وضرب بكار بن قيبة القاضي، وأقامه للناس في الميدان، وخرق سواده وأوقع بابن هرثمة وأخذ ماله وحصنه، وقتل سعيد بن نوفل مضروباً بالسياط.

ثم جمع أولياءه وعلمائه وعهد إلى ابنه أبي الجيش خارويه، وأوصاهم بإنتظاره وحسن النظر فسكنوا إلى ذلك خروفهم من ابنه أبي العباس المعقل.

ثم مات سنة ست وسبعين ومتين لست وعشرين سنة من إمارته، وكان حازماً سائساً وبنى جامعه بمصر وأنفق فيه مائة وعشرين ألف دينار، وبنى قلعة يافا، وكان يميل إلى مذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه.

وخلف من المال عشرة آلاف إلى ألف دينار، ومن المرافق

كان ابن طولون يدخل المعتمد في السر ويكتبه، ويشكوا إليه المعتمد ما هو فيه من الحجر والتضييق عليه من أخيه المرفق، والمرفق بسبب ذلك ينافر ابن طولون ويسعى في إزالته عن مصر. ولما وقع خلاف إلى لولو على ابن طولون خاطب المعتمد وحرفه المرفق واستدعاه إلى مصر، وأن الجيوش عنده لقتال الفرنج.

فأجابه المعتمد إلى ذلك، وأراد لقاءه بجميع عساكره فمنعه أهل الرأي من أصحابه، وأشاروا عليه بالعدول عن المعتمد جملة، وأن أمره يؤؤل معه إلى أكثر من أمر المرفق، من أجل بطانته التي يؤثرها على كل أحد.

ووصلت الأخبار بأن المرفق شارف القبض على صاحب الزنج، فبعث ابن طولون بعض عساكره إلى الرقة لانتظار المعتمد، واغتنم المعتمد غيبة المرفق وسار في جمادي، سنة ثمان وستين ومائتين ومعه جماعة من قواده الذين معه قبض عليهم وقيدهم.

وقد كان ساعد بن مخلد وزير المرفق خطابه في ذلك عن المرفق فاظهر طاعتهم حين صاروا إلى عمله، وسار معهم إلى أول عمل أحد بن طولون فلم يرحل معهم حين رحلوا.

ثم جلس معهم بين يدي المعتمد وعدهم في المسير إلى ابن طولون ودخلوهم تحت حكمه وحجره.

ثم قام بهم عند المعتمد ليناظرهم في خلوة فلما دخلوا خيمته قبض عليهم.

ثم رجع إلى المعتمد فعزله في الخروج عن دار خلافته، وفرق أخيه وهو في قتال عدوه، ثم رجع بالمعتمد والذين معه حتى ادخلهم سر من رأي.

وبلغ الخبر إلى ابن طولون فقطع خطبة المرفق وعما اسمه من الظرز، فتقدم المرفق إلى المعتمد بلعن ابن طولون في دار العامة، فأمر بلعنه على المتأبر وعزله عن مصر وفرض إليه من باب الشاتية إلى إفريقيا، وبعث إلى مكة بلعنه في الموسم فوقست بين أصحاب ابن طولون وعامل مكة حرب، ووصل عسكر المرفق مع جعفر الباعري، فانهزم فيها أصحاب ابن طولون وسلبوا وأمر جعفر المصريين وقرأوا الكتاب في المسجد بلعن ابن طولون.

سبعة آلاف، ومن الغلمان أربعة آلاف، ومن الخيل المرتبطة مائة،  
ومن الدواب لركابه مائتين وثلاثين.

العامل الذي انتقض بها.  
ثم سار العسكر إلى شيزر فقام عليها قبالة إسحاق وابن أبي الساج، وهما يتظاران المدد من العراق.

ثم هجم الشاه ففرق عسكر خارويه في دور شيزر ووصل العسكر من العراق مع أبي العباس أحمد بن الموفق الذي صارت إليه الخلافة ولقب المعتصم فتكبسو عسكر خارويه في دور شيزر وفكروا فيهم.

ونجا الفيل إلى دمشق والمعتصم في اتباعهم فارتخلوا عنها،  
وملكها المعتصم في شعبان سنة إحدى وسبعين ومترين.

ولحق عسكر خارويه بالرملة فأقاموا بها وكثروا إلى خارويه بالخبر، وسار المعتصم نحوهم من دمشق، وبلغه وصول خارويه وكثرة عساكره، فهم بالعود ومعه أصحاب خارويه الذين خالفوا عليه، ولحقوا به وكان ابن كندة وابن أبي الساج متوجهين من المعتصم لسوء معاملته لهما.

والتحق العسكران على الماء الذي عليه الطراحين بالرملة، فنزل خارويه منهزاً مع عصابة معه ليس لهم درية بالحرب، ومضى إلى مصر بعد أن أكمن مولاه سعداً الآيس في عسكر.

وجاء المعتصم فملك خيام خارويه وسراديه وهو يظن الظرف، فخرج سعد الآيس من كمينه وقصد الخيام وظن المعتصم أن خارويه قد رجع فركب وانهزم لا يلوي على شيء.

وجاء إلى دمشق فمنعوه الدخول فقضى إلى طرسوس، ولما افتقد سعد الآيس خارويه نصب أخيه أبو العشار لقيادة العساكر، ووضع العطاء، ووصلت البشائر إلى مصر فسر خارويه بالظفر، وخجل من المزعزعة، وأكثر الصدقة وأكرم الأسرى وأطلقهم.

وسارت عساكره إلى الشام فارتبعره كله من أصحابه فآخر جوهم، ولحقوا بالعراق وغزوا بالصافنة هذه السنة مازيار صاحب الثغر، وغنم وعاد، ثم غزا كذلك سنة ثلاثة وسبعين ومترين.

## فتنة ابن كندة وابن أبي الساج والخطبة لابن طولون بالجزيره

كان ابن أبي الساج عاملًا على قنسرين وإسحاق على الجزيره والموصل فتنافسوا في الأعمال واستظهر ابن أبي الساج بخارويه، وخطب له بأعماله، وبعث ابنه رهينة إليه، فسار في عساكره بعد أن بعث إليه الأموال وانتهى إلى السن، وعبر ابن أبي

وكان خراج مصر لأيامه مع ما ينضاف إليها من ضياع الأمراء لحضرته السلطان أربعة آلاف إلى ألف دينار وثلاثمائة ألف دينار، وعلى المارستان وأوقافه ستين ألف دينار، وعلى حصن الجزيره والجزيره وهي المسماة لهذا المهد بقلعة الروضة ثمانين ألف دينار، وخربت بعد موته وجددها الصالح نجم الدين بن أيوب.

ثم خربت ثانية، ولم يبق منها إلا أطلال دائرة، وكان يصدق في كل شهر بalf دينار، ويجري على المسجونين خمسة دينار في كل شهر، وكانت نفقة مطابخه وعلوقة ألف دينار في كل يوم.

## ولاية خارويه بن أحمد بن طولون

ولما توفي أحمد بن طولون اجتمع أهل الدولة وخواص الأولياء وكبارهم أحمد بن محمد الواسطي والطالب على الدولة الحسن بن مهاجر، فاتفقوا على بيعة ابنه أبي الجيش خارويه، وأحضروا ابنه العباس من عبشه وزعزع الواسطي وهم يكتبون.

ثم قال: بايع لأخيك قابلي، فقام طبارجي وسعد الآيس من المولى، وسحبوه إلى حجرة في القصر فاعتقلوه بها، وأخرج من الغد ميتاً، وأخرجوا أحمد إلى مدنه وصلى عليه ابنه أبو الجيش، وواراه ورجع إلى القصر مقيناً لأمر سلطانه.

## مسير خارويه إلى الشام وواقعته مع ابن الموقف

ولما توفي أحمد بن طولون كان إسحاق بن كندة عاملًا على الجزيره والموصل، وابن أبي الساج على الكوفة، وقد ملك الرجحة من يد أحمد بن مالك فطمعاً في ملك الشام، واستأذنا الموقف فاذن لهم ووعدهما بالمدد.

وسار إسحاق إلى الرقة والثور والعواصم فملكها من يد ابن دعاش عامل ابن طولون.

واستول إسحاق على حمص وحلب وأنطاكية، ثم على دمشق.

وبعث خارويه العساكر إلى الشام فملکوا دمشق وهرب

أن لا مانع لهم من العبور سار إلى الرقة إلى بغداد، وقدم على الموفق سنة ست وسبعين فأقام عنده إلى أن ولاد أذربيجان في ستة وأستولى ابن كندياج على ديار ربيعة وديار مصر، وأقام الخطبة فيها خاروبيه.

الساج الفرات ولقي إسحاق بن كندياج على الرقة فهزمه، وجاز خاروبيه من بعده فعبر الفرات إلى الرايقية، ونجا إسحاق إلى ماردین، وحصره ابن أبي الساج. ثم خرج وسار إلى الموصل فقصد ابن أبي الساج عنها، وهزمه فعاد إلى ماردین.

### عود طرسوس إلى إيلاتة خاروبيه

قد كنا قدمنا أن مازيار الخادم شارط طرسوس سنة سبعين ومائتين وحاصره أحد بن طلوبن فامتنع عليه، فلما ول خاروبيه وفرغ من شواغله، أشتد إلى مازيار سنة سبع وسبعين ومائتين ثلاثة ألف دينار وخمسة شوب وخمسة مطرف، واصطنه فرجع إلى طاعته وخطب له بالغور.

ثم دخل بالطائفة سنة ثمان وسبعين ومائتين وحاصرها أسكند فاصابه منها حجر من جنيد رث، ورجع إلى طرسوس فمات بها.

وقام بأمر طرسوس ابن عجيف، وكتب إلى خاروبيه فأقره على ولايتها، ثم عزله واستعمل مكانه محمد ابن عميه موسى بن طلوبن، وكان من خبره أن آباء موسى لما ملك أحد أخوه مصر تبسط عليه بدلالة القرابة وذوي الأرحام، فلم يتحمله له أحد ورده عليه، وكسر جاهه فاغترف موسى وسخط دولته.

ثم خطبه في بعض مجالسه بما لا يحتمله السلطان فضربه وتفاه إلى طرسوس، وبعث إليه مجال بتزوده فآتى من قبولة، وسار إلى العراق، ورجع إلى طرسوس فأقام بها إلى أن مات وترك ابنه محمد.

وولاه خاروبيه وبعث إلى أميرهم راغب فاكترمته خاروبيه وأنس به، وطالت إقامته عنده وشاع بطرسوس أن خاروبيه جبشه فاستعظم الناس ذلك، وثاروا بأميرهم محمد بن موسى وسجنه رهينة في راغب.

وبلغ الخبر إلى خاروبيه فسرحه إلى طرسوس، فلما وصلها أطلقوا أميرهم محمد بن موسى، وقد سخطهم، فسار عنهم إلى بيت المقدس.

وعاد ابن عجيف إلى ولايته بدعة خاروبيه.

وغزا سنة ثمانين ومائتين بالطائفة ودخل معه بدر الحمامي ظفروا وغنموا ورجعوا.

ثم دخل بالطائفة سنة إحدى وثمانين ومائتين من طرسوس طنج بن جف الفرغاني من قبل خاروبيه في عساكره طرابزون

واستولى ابن أبي الساج على الجزيرة والموصل، وخطب في أعمالها خاروبيه، ثم لنفسه بعده.

وبعث العساكر مع غلامه فتح جباه نواحي الموصل فأوقع بالشراة العقوبة ومكرب لهم. وعلم أصحابهم بما فعل معهم فجاؤوا إليه، وهزموا واستلجموا أصحابه، ونجا ابن أبي الساج في قليل.

ثم انتقض ابن أبي الساج على خاروبيه سنة خمس وسبعين ومائتين وذلك أن إسحاق بن كندياج سار إلى خاروبيه بمصر وصار في جملته فانتقض ابن أبي الساج.

وسار خاروبيه إليه فلقيه على دمشق في المحرم فانهزم ابن أبي الساج، واستبيح معسكره وكان وضع يحصن خزاناته، فبعث خاروبيه عسكراً إلى حصن فمنعوه من دخولها، واستولوا على خزاناته.

ومضى ابن أبي الساج إلى حلب، ثم إلى الرقة وخاروبيه في اتباعه.

ثم فارق الرقة إلى الموصل، وعبر خاروبيه الفرات واحتل مدينة بلد، وأقام بها، وسار ابن أبي الساج إلى الحديثة.

وبعث خاروبيه عساكره وقاده مع إسحاق بن كندياج في طلب ابن أبي الساج فعبر دجلة، وأقام بتكريت وإسحاق في عشرين ألفاً، وأبن أبي الساج في القرين، وأقاموا يتراamon في العدوتين.

ثم جمع ابن كندياج السفن لميد الجسر للعبور، فخالفهم ابن أبي الساج إلى الموصل ونزل بظاهرها فرحلوا في اتباعه فسار لقتاهم فانهزم إسحاق إلى الرقة وتبعه ابن أبي الساج.

وكتب إلى الموفق يستأذنه في عبور الفرات إلى الشام وأعمال خاروبيه فأجابه بالترخيص وانتظار المدد.

ولما انهزم إسحاق سار إلى خاروبيه وبعث معه العساكر، ورجع فنزل على حد الفرات من أرض الشام، وأبن أبي الساج قالته على حدود الرقة، فعبرت طائفة من عساكر ابن كندياج لم يشعروا بهم، وأوقعوا جميع من عساكر ابن أبي الساج، فلما رأى

ثم وثبوا بجيش فقتلوه ونهبوا داره، ونهبوا مصر وحرقوه،  
وبياعرا لأخيه هارون وذلك لستة أشهر من ولادته.

وفتح مكردية.

### صهر المعتصد مع خارويه

#### فتنة طرسوس وانتقاضها

قد تقدم لنا أن راغباً مولى الرفق نزل طرسوس للجهاد  
فأقام بها، ثم غلب عليها بعد ابن عييف.  
ولما ولّ هارون بن خارويه سنة ثلاثة وثمانين ومائتين ترك  
الدعاء له، ودعا لبشر مولى المعتصد، وقطع طرسوس والغور من  
عمالة بي طرلون.

ثم بعث هارون بن خارويه إلى المعتصد أن يقاطعه على  
أعماله بمصر والشام بأربعمائة ألف وخمسين ألف دينار، ويسلم  
قنسرين والمواصيم، وهي الثغور للمعتصد فأجابه إلى ذلك.

وسار من آمد وكان قد ملكها من يد محمد بن أحد بن  
الشيخ، فاستخلف ابنه المكتفي عليها، وسار سنة ست وثمانين  
ومائتين فتسلم قنسرين والغور من يد أصحاب هارون وجعلها  
مع الجزيرة في ولاية ابنه المكتفي.

#### ولاية طفع بن جف على دمشق

ولما ولّ هارون بعد أخيه جيش على ما ولّ عليه من  
اختلاف القراد وقرة أيديهم، خشي أهل الدولة من انتراق الكلمة  
ففرضوا أمرها إلى أبي جعفر بن إيان.

كان مقدماً عند أحد وخارويه فأصالح ما استطاع، وبقي  
يرتّن الفرق ويغير الصدع، ثم نظر إلى الجنديين كانوا خالدوا  
بدمشق مع طفع بن جف فبعث إليهم بدرًا الحمامي والحسين بن  
أحمد المداراني فأصالحاً مورد الشام وأفرد طفع بن جف بولاية  
دمشق، واستعمله في سائر الأعمال، ورجعاً إلى مصر والأمور  
مضطربة والقراد طائف لا يقاد منهم أحد إلى أحد إلى أن وقع  
ما ذكر.

#### زحف القراءة إلى دمشق

قد تقدم لنا ابتداء أمر القراءة وما كان منهم بالعراق  
والشام، وأن ذكروه بن مهداويه داعية القراءة لما هزم بسوان  
الكوفة وأفني أصحابه القتل، لحق ببني القليص بن كلب بن وبرة  
في السماءة فيابعوه، ولقبه الشيخ وسموه يحيى، وكثره أبا القاسم:  
منهم.

ولما ولّ المعتصد الخلافة بعث إلى خارويه خطاباً قطر الندى  
ابنته، وكانت أكمل نساء عصرها في الجمال والأداب.

وكان متولى خطيبها أمينه الخصي ابن عبد الله ابن  
الجصاص، فزوجه خارويه بها، وبعثها مع ابن الجصاص، وبعث  
معها من الهدايا ما لا يوصف.

وقدمت ستة تسع وسبعين ومائتين فدخل بها، وفتح بمحالها  
وآدابها، وعُيّن سلطانه في مصر والشام والجزيرة إلى أن هلك.

#### مقتل خارويه وولاية ابنه جيش

كان خارويه قد سار سنة اثنين وثمانين ومائتين إلى دمشق  
فأقام بها أياماً، وسعى إليه بعض أهل بيته بأن جواريه يتخلون  
الخسيان يفترشون، وأراد استعلام ذلك من بعضهن، فكتب إلى  
نائبه بمحسر أن يقرر بعضهن، فلما وصله الكتاب قرر بعض  
الجواري وضربيهن.

وخف الخسيان ورجع خارويه من الشام، ويات في مخدعه  
فأثاره بعضهم وذمه على فراشه في ذي الحجة سنة اثنين وثمانين.  
وهرب الذين ترلوا ذلك، فاجتمع القراد صبيحة ذلك  
اليوم، وأجلسوا ابنه جيش بن خارويه على كرسى سلطانه،  
وأيقض العطايا لهم، وسيق الخدم الذين ترلوا قتل خارويه فقتل  
منهم نيف وعشرون.

#### مقتل جيش بن خارويه وولاية أخيه هارون

ولما ولّ جيش كان صبياً غرّاً فعكف على لذاته وقرب  
الأحداث والسفلة، وتذكر لكتبار الدولة، ويسقط فيهم القول،  
وصرح لهم بالوعيد، فاجعوا على خلعة.

وكان طفع بن جف مولى أبيه من كبار الدولة، وكان عاملاً  
لهم على دمشق فانتقض وخليع طاعته.

وسار آخرون من القراد إلى بغداد، منهم إسحاق بن كنداح  
وخاقان المفلجي، وبدر بن جف أبو طفع، وقدموا على المعتصم  
فخلع عليهم، وقام سائر القراد بمحسر على انتقاضهم وتقتل قائداؤها  
منهم.

ثم أمره المكتفي باتباع القرامطة، وأقام بالرقة فسار حتى لقيهم وقاتلهم حتى هزمهم واستلتهمهم، ودفع عن الشام ضررهم، ورجع بالقرمطي صاحب الشامة وأصحابه أسرى إلى المكتفي بالرقة فرجع إلى بغداد، وقتلهم هنالك وشفى نفسه ونفس المسلمين منهم.

وكان محمد بن سليمان لما تخلف عن المكتفي عند وصوله إلى بغداد فامر به بالعود، وبعث معه جماعة من القرواد، وأمده بالأموال، وبعث ديماتنة غلام مازيار في الأسطول، وأمره بالمسير إلى سواحل مصر، ودخول نهر النيل، والقطع عن أهل مصر فقتل وضيق عليهم.

وسار محمد بن سليمان والعساكر واستولى على الشام وما وراءه، فلما قارب مصر كاتب القواد يستميلهم، فجاء إليه بدر الحمامي وكان رئيسهم فكسر ذلك من شوكتهم، وتتابع إليه القواد مستأمنين، فبرز هارون لقتالهم فيمين معه من العساكر، وأقام بقائهم واضطرب عسكره في بعض الأيام من فتنه وقتت بينهم.

واقتلونه فركب هارون ليسكتهم فأصابته حرية من بعض المغاربة كان فيها حتفه، ققام عمه شيان بن أحمد بن طولون بعده بالأمر، وبذل الأموال للجند من غير حساب ولا تقدير، ثم أباح نهب ما باقي منه بقطنه لهم بذلك، فنهبوا في ساعة واحدة، وتشوف إلى جمع المال فعجز عنه واضطرب، وفسد تدبيره، وتسابيل إلى محمد بن سليمان جنده، وفاوض أعيان دولته في أمره، فانتقدوا على الاستئمان إلى محمد بن سليمان، بعث إليه مستأماناً فسار إليه ثم تبعه قواده وأصحابه، فركب محمد إلى مصر واستولى عليها، وقيد بني طولون وحبسهم، وكانت سبعة عشر رجلاً وكتب بالفتح فامر المكتفي بإashخاص بني طولون جميعاً من مصر والشام إلى بغداد، فبعث بهم.

ثم أمر بإحرق القطائع التي بناها أحمد بن طولون على شرق مصر، وكانت ميلاً في ميل فاحتقت ونهب الفسطاط.

## ولاية عيسى التوشري على مصر وثورة الخليجي

ولما انتزت محمد بن سليمان على الرجوع إلى بغداد وكان المكتفي قد ولأه على مصر، فول المكتفي عيسى بن محمد التوشري، وقدم في متصرف سنة اثنين وتسعين ومائتين ثم ثار

وزعم أنه محمد بن عبد الله بن المكتوم بن إسماعيل الإمام فلقبه المذر، وزعم أنه المشار إليه في القرآن، ولقب غلاماً من أهلة المطرق.

وسار من حصن إلى حمة ومرة النعمان إلى بعلبك، ثم إلى سلمية فقتل جميع من فيها حتى النساء والصبيان والبهائم، ونهبسائر القرى من كل النواحي.

وعجز طفعن بن جف وسائر جيشه وصاحب هارون عن دفاعهم.

وتوجه أهل الشام ومصر إلى المكتفي مستعينين، فسار إلى أهل الشام ستة تسعين ومائتين ومر بالموصل، وقدم بين يديه أبا الأغر من بني حدان في عشرة آلاف رجل، ونزل قريباً من حلب وكبس القرمطي صاحب الشامة فقتل منهم جماعة وخا أبو الأغر إلى حلب في قل من أصحابه، وحاصره القرمطي، ثم أخرج عنه، وانتهى المكتفي إلى الرقة.

وبعث محمد بن سليمان الكاتب في العساكر، ومعه الحسين من بني حدان وبني شيان، فناهضه في الحرم ستة إحدى وتسعين ومائتين على حمة، وانهزم القرامطة، وأخذ صاحب الشامة أسيراً فبعث به إلى الرقة وبين يديه المذر والمطرق، وتقى المكتفي إلى بغداد ولحقه محمد بن سليمان بهم، فأمر المكتفي بضربيهم وقطفهم، وضرب أعناقهم وحسم دمائهم، حتى ظهر منهم من ظهر بالبحرين.

## استيلاء المكتفي على الشام ومصر وقتل هارون وشيان ابني خارويه وانقراض دولة بني طولون

وبنداً أولًا يخبر محمد بن سليمان المتولي بتحويل دولة بني طولون، كان أصله من ديار مصر من الرقة اصطنهه أحمد بن طولون وخدمه في مصر، ثم تذكر له وعامله في جاهه وأقاربه بما أحفظه، وخشي على نفسه فلحق ببغداد، ولقي بها مبرة وتكرمة، واستخدمه الخلفاء وجعلوه كاتباً للجيش، فما زال يغريهم بملك مصر إلى أن ول هارون بن خارويه، وفشل دولة بني طولون بالشام، وعاد القرامطة في نواحيه وعجز هارون عن مدافعتهم، ووصل صريح أهل الشام إلى المكتفي فقام لدفع ضررهم عن المسلمين، ودفع محمد بن سليمان لذلك، وهو يرمي بذلك من أعظم قرادة، فسار في العساكر في مقدمةه.

بنواحي مصر لابراهيم الخليجي، وكان من قواد بني طلدون، إلى المغرب فقتل المهدى حامسة وعاد مؤنس إلى بغداد. وتختلف عن محمد بن سليمان.

### ولاية ذكاء الأعور

لم يزل تكين الخزري والياً على مصر استخلفاً إلى أن صرف آخر اثنين وثلاثمائة، فوق المقدر مكانه أبا الحسن ذكاء الأعور، وقدم متصرف صفر من سنة ثلاثة فلم يزل والياً عليها إلى أن توفي سنة سبع وثلاثمائة لأربع سنين من ولايته.

### ولاية تكين الخزري ثانية

لما صرف المقتدر ذكاء، ول مكانته أبا منصور تكين الخزري ولاية ثانية، فقدم في شعبان سنة سبع وثلاثمائة وكان عبيد الله المهدى قد جهز العساكر مع ابنه أبي القاسم، ووصل إلى الإسكندرية في ربيع من سنة سبع وثلاثمائة وملكتها.

ثم سار إلى مصر وملك الجزيرة والأشمونين من الصعيد وما إليه، وكتب أهل مكة بطاعته، وبعث المقتدر من بغداد مؤنساً الخادم في العساكر ف الواقع أبا القاسم عدة وقعت، وجاء الأسطول من إفريقية إلى الإسكندرية في ثمانين مركباً مددأً لأبي القاسم، وعليه سليمان بن الخادم، وبعقوب الكتامي، فسار إليهم في أسطول طرسوس في خمسة وعشرين مركباً، وفيها النفط والمدد، وعليها أبو اليمين، فالتفت العساكر في الأسطبل في مرسي رشيد، فظفر أسطول طرسوس بأسطول إفريقية وأسر كثير منهم.

وقتل بعضهم وأطلق البعض، وأسر سليمان الخادم فهلك في محبه مصر، وأسر بعقوب الكتامي وحمل إلى بغداد فهرب منها إلى إفريقية، واتصل الحرب بين أبي القاسم مؤنس، وكان الفخر مؤنس، ووقع الغلاء والوباء في عسكر أبي القاسم ففني كثير منهم بالموت.

ووقع الموتان في الخليج فعاد العساكر إلى المغرب، واتبعهم عساكر مصر حتى أبعدوا فرجعوا عنهم، ووصل أبو القاسم إلى القيروان متصرف السنة.

ورجع مؤنس إلى بغداد وقدم تكين إلى مصر كما مر، ولم يزل والياً عليها إلى أن صرف في ربيع من سنة سبع وثلاثمائة.

### ولاية أحد بن كيغلغ

ولا المقتدر بعد هلال بن بدر، فقدم في جادى وصرف

وكتب إلى المكتفي عيسى التوشزي بالخبر وكثرت جموع الخليجي، وزحف إلى مصر، فخرج التوشزي هارباً إلى الإسكندرية وملك الخليجي مصر، وبعث المكتفي العساكر مع فاتك مولى أبيه المعتصد وبدر الحمامي، وعلى مقدمتهم أحد بن كيغلغ في جماعة من القواد، ولقيهم الخليجي على العريش في صفر سنة ثلاث وستين ومائتين فهزمه.

ثم تراجعوا وزحفوا إليه وكانت بينهم حروب ففيها أكثر أصحاب الخليجي وانهزم الباقيون، فظفر عسكر بغداد، وخنا الخليجي إلى الفسطاط واختفى به، ودخل قواد المكتفي المدينة وأخذوا الخليجي وحبسوه.

وكان المكتفي عندما بلغته هزيمة ابن كيغلغ، وسار ابن كيغلغ في ربيع ويرز المكتفي من ورائهم يسير إلى مصر، فجاءه كتاب بالخبر وبمحبس الخليجي، فكتب المكتفي بحمله ومن معه إلى بغداد، ويرز من تكريت فيبعث كتاب بهم، وحبسوا ببغداد. ورجع عيسى التوشزي إلى مصر في متصرف ثلاثة وستين ومائتين فلم يزل والياً عليها إلى أن توفي في شعبان سنة سبع وستين ومائتين لخمس سنين من ولايته وشهرين، وقام بأمره ابنه محمد، وولى المقتدر على مصر أبا منصور تكين الخزري، فقد منها آخر شوال من سنة سبع وستين ومائتين، وقام والياً عليها، واستفحلت دولة العلوين بالمغرب.

وجهز عبيد الله المهدى العساكر مع ابنه أبي القاسم سنة إحدى وثلاثمائة، فملك برقة في ذي الحجة آخرها.

ثم سار إلى مصر وملك الإسكندرية والفيوم، وبلغ الخبر إلى المقتدر، فقلد ابنه أبي العباس مصر والمغرب وعمره يومئذ أربع سنين، وهو الذي ول الخلافة بعد ذلك ولقب الراضي.

ولما قلده مصر استخلف له عليها مؤنساً الخادم، وبعثه في العساكر إلى بصر وحاربهم فهزمه.

ورجعوا إلى المغرب فأعاد عبيد الله العساكر سنة اثنين مع قائده حامسة الكتامي.

وجاء في الأسطول فملك الإسكندرية، وسار منها إلى مصر، وجاهه مؤنس الخادم في العساكر فقاتله وهزم.

ثم كانت بينهم وقعت، وانهزم أصحاب المهدى آخرأ في متصرف اثنين وثلاثمائة وقتل منهم نحواً من سبعة آلاف، ورجعوا

عبد الله مولى الإخشيد ويلقب بتدبر فملكتها ابن رائق من يده،  
وسار إلى الرملة يريد مصر.

ويierz الإخشيد من مصر فالتحقوا بالعرش وأكمن له  
الإخشيد، ثم التقى فانهزم الإخشيد أولاً، وملك أصحاب ابن  
رائق سواده وتزلوا في خيامهم، ثم خرج عليهم كمين الإخشيد  
فانهزموا، ونجا ابن رائق إلى دمشق في قل من أصحابه.

بعث إليه الإخشيد أخيه أبا نصیر بن طفع في العسكر،  
فبز إليهم ابن رائق وهزهم، وقتل أبو نصیر في المعركة، فبعث  
ابن رائق شلوه إلى مصر مع ابنه مزاحم بن محمد بن رائق وكتب  
إليه بالعزاء والاعتزاز، وأن مزاحماً في فدائه، فخلع عليه ورده إلى  
أبيه، وتم الصلح بينهما على أن تكون الشام لابن رائق ومصر  
للإخشيد، والتزم بيتهما للرملة.

وحل الإخشيد عنها مائة وأربعين ألفاً كل سنة، وخرج  
الشام عن حكم الإخشيد وبقي في عمالة ابن رائق إلى أن قتل  
تحكم والبريدي.

وعاد ابن رائق من الشام إلى بغداد، فاستدعاه المنقى وصار  
أمير الأمراء بها، فاستختلف على الشام أبا الحسن علي بن أحد بن  
مقاتل.

ولما وصل إلى بغداد قاتله كورتكين القائم بالدولة فظفر به،  
وحبسه، وقاتل عنه أصحابه من الدليل.

وزحف إليهم البريدي من واسط سنة ثلاثين وثلاثمائة  
فانهزم المنقى وابن رائق، وسار إلى الموصل وكان المنقى قد است炳د  
ناصر الدولة بن حдан، بعث إليه أخيه سيف الدولة ولقبه المنقى  
بتكريت، ورجع معه إلى الموصل، وقتل ناصر الدولة بن حدان  
محمد بن رائق، وولي إمارة الأمراء للمقفي.

فلما سمع الإخشيد بمقتل ابن رائق سار إلى دمشق، ثم  
استولى يوسف بعد ذلك عليها سنة اثنين وثلاثين وثلاثمائة وولي  
ناصر الدولة بن حدان في ربيع سنة اثنين وثلاثين وثلاثمائة على  
أعمال ابن رائق كلها، وهي طريق الفرات وديار مصر وجند  
قنسرين والعواصم وحصن أبا بكر محمد بن علي بن مقاتل،  
وأنفذه إليها من الموصل في جماعة من القواد.

ثم ولد بعده في رجب ابن عم أبا عبد الله الحسين بن  
سعید بن حدان على تلك الأعمال، وامتنع أهل الكوفة من طاعته  
فظفر بهم وملكها.

وسار إلى حلب، وكان المنقى قد سار إلى الموصل سنة  
إحدى وثلاثين وثلاثمائة مخاضاً لأمير النساء تورون فأقام

خمسة أشهر من ولادته.

وأعيد تكين المرة الثالثة، فقدم في عاشوراء سنة ثلاث عشرة  
وثلاثمائة، وأقام والياً عليها تسع سنين إلى أن توفي في منتصف  
ربيع الأول سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة.

وفي أيامه جدد المقترن عهده لابنه أبي العباس على بلاد  
المغرب ومصر والشام، واستخلف له مؤسساً، وذلك سنة ثمان  
عشرة وثلاثمائة.

وقال ابن الأثير: وفي سنة إحدى وعشرين توفي تكين  
الخزري بمصر فولى عليها مكانه ابنه محمد، وبعث له القاهر بالخلع  
وثار به الجند فظفر بهم انتهى.

## ولاية أحمد بن كيغلغ الثانية

ولاه القاهر في شوال سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة بعد  
أن كان ولد محمد بن طفع، وهو عامل دمشق وصরفة لشهر من  
ولادته قبل أن يتسلم العمل، ورده إلى أحمد بن كيغلغ كما قلناه،  
فقدم مصر سنة اثنين وعشرين وثلاثمائة ثم عزل آخر  
رمضان من سنة ثلاش وعشرين وثلاثمائة ووليراضي الخليفة  
بأن يدعى على المنبر باسمه ويزداد في القاب الإخشيد فقام بولاية  
مصر أحسن قيام ثم انتزع الشام من يده كما يذكر.

## استيلاء ابن رائق على الشام من يد الإخشيد

كان محمد بن رائق أمير الأمراء ببغداد وقد مر ذكره، ثم  
نازعه مولاه تحكم وولي مكانه سنة ست وعشرين وثلاثمائة  
وهرب ابن رائق ثم استقر ببغداد، واستولى عليها، ورجع الخليفة  
من تكريت بعد أن كان قد تحرر تحكم، ثم كتب إليه واسترده، وقد  
عقد الصلح مع ناصر الدولة بن حدان من قبل أن يسمع بخبر ابن  
راق.

ثم عادوا جميعاً إلى بغداد، وراسلهم ابن رائق مع أبي جعفر  
محمد بن يحيى بن شيرزاد في الصلح، فأجاب وقلبه الراضي طريق  
الفرات وديار مصر التي هي حران والرها وما جاورها، وجند  
قنسرين والعواصم، فسار إليها واستقر بها.

ثم طمحت نفسه سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة إلى ملك  
الشام، فسار إلى مدينة حصن فملكتها، وكان على دمشق بدر بن

## وفاة أنوجور ووفاة أخيه علي واستبداد كافور عليه

ثم علت سن أبي القاسم أنوجور، ورماه الاستبداد بأمره وإزالة كافور فشعر به وقتلته فيما قيل مسموماً سنة ونصب أخيه علياً للأمر في كفالتة، وتحت استبداده إلى أن هلك.

## وفاة علي بن الإخشيد وولاية كافور

ثم توفي علي بن الإخشيد سنة خمس وخمسين وثلاثمائة فاعلن كافور بالاستبداد بالأمر دون بني الإخشيد، وركب بالملة وكتب له المطبع بعده على مصر والشام والحرمين وكناه العالى بالله، فلم يقبل الكتبة، واستوزر أبو الفضل جعفر بن الفرات، وكان من أعاظم الملوك جواداً معدواً سيوساً كثير الخشية لله والخوف منه.

وكان يداري المعز صاحب المغرب وبيهاديه، وصاحب بغداد وصاحب اليمن، وكان مجلس للمظالم في كل سبت إلى أن هلك.

## وفاة كافور وولاية أحمد بن علي بن الأخشيد

ثم توفي كافور متتصف سبع وخمسين وثلاثمائة لعشرة سنين وثلاثة أشهر من استبداده منها ستان وأربعة أشهر مستقلأً من قبل المطبع، وكان أسود شديد السوداد وأشهار الإخشيد بشمانية عشر ديناراً، ولها هلك اجتمع أهل الدولة ولو لا أحد بن علي بن الإخشيد وكنيته أبو الفوارس، وقام بتدبير أمره الحسن بن عمّه عبد الله بن طفح، وعلى العساكر شمول مولى جده، وعلى الأموال جعفر بن الفضل، واستوزر كاتبه جابر الرياحي، ثم أطلق ابن الفرات بشفاعة ابن مسلم الشريف، ففرض أمر مصر إلى ابن الرياحي.

## مسير جوهر إلى مصر وانقراض دولة بنى طفح

ولما فرغ المعز لدين الله من شواغل المغرب بعث قادنه جوهر الصقلي الكاتب إلى مصر، وجهزه في العساكر، وأزاح

بالموصل عند بنى حدان.

ثم سار إلى الرقة فآقام بها، وكتب إلى الإخشيد يشكوا إليه ويستقدمه، فأناهاما النصر، ومر ملحب فخرج عنها الحسين بن سعيد بن حدان، وتختلف عنه أبو بكر بن مقاتل للقاء الإخشيد فاكرمه، واستعمله على خراج مصر، وولى على حلب يائس المؤنسى.

وسار الإخشيد من حلب إلى الرقة في محرم سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة وأهدى له ولوزيره الحسين بن مقلة وحاشيته، وأشار عليه بالمسير إلى مصر والشام ليقوم بخدمته فأبى فخرفة من تورون، وأن يلزم الرقة.

وكان قد أنذر رسle إلى تورون في الصلح وجاؤوه بالإجابة فلم يرجع على شيءٍ من إشارته.

وسار إلى بغداد وانصرف الإخشيد إلى مصر وكان سيف الدولة بالرقة معهم فسار إلى حلب وملكتها.

ثم سار إلى حمص وبعث الإخشيد عساكره إليها مع كافور مولاً، فلقيهم سيف الدولة إلى قفسرين، والتقيا هنالك ومحاريا، ثم افترقا على منعة وعاد الإخشيد إلى دمشق وسفيف الدولة إلى حلب، وذلك سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة وسارت الروم إلى حلب وقاتلهم سيف الدولة ظفر بهم.

## وفاة الإخشيد وولاية ابنه أنوجور واستبداد كافور عليه واستيلاء سيف الدولة على دمشق

ثم توفي الإخشيد أبو بكر بن طفح بدمشق سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة وقيل خمس وولى مكانه أبو القاسم أنوجور وكان صغيراً فاستبد عليه كافور، وسار من دمشق إلى مصر فخالقه سيف الدولة، فسار إلى حلب، وزحف أنوجور في العساكر إليه فعبر سيف الدولة إلى الجزيرة، وحاصر أنوجور حلب أيامها.

ثم وقع الصلح بينهما، وعاد سيف الدولة إلى حلب وأنوجور إلى مصر، ومضى كافور إلى دمشق وولى عليها بدرأً الأخشيدي المعروف بتدبير، فرجع إلى مصر فآقام بتدبر بها سنة، ثم عزل عنها وولي أبو المظفر طفح وقضى على تدبر.

وقتل في المعركة، وقد مر الخبر عن ذلك كله.

فلما قتل خلص ابن اخته أبو علي بن مروان من المعركة، ولحق بمحصن كيفاً، وبه أهل باد وذخيرته، وهو من أمم العائلة فتحيل في دخوله باخاله أرسله، واستولى عليه وتزوج امرأة خاله.

ثم سار في ديار بكر فملك جميع ما كان خاله باد، وزحف إلى إبنا حمدان وهو يحاصر ميافارقين فهزمهما.

ثم رجعا إليه وهو يحاصر آمد فهزمهما ثانيةً، وانقرض أمرها من الموصل، وملك أبو علي بن مروان ديار بكر وضبطها، واستطاع عليه أهل ميافارقين، وكان شيخها أبو الأصغر فتركهم يوم العيد حتى أصحوا وكسبهم بالصحراء، وأخذ أبو الأصغر فالقاء من السور، ونهب الأكرااد عامة البلد، وأغلق أبو علي الأبراب دونهم، ومنهم من الدخول فذهبوا كل منصب، وذلك كله ستة ثمانين وثلاثمائة.

### مقتل أبي علي بن مروان وولاته أخيه أبي منصور

كان أبو علي بن مروان قد تزوج بنت سعد الدولة بن سيف الدولة، وزفت إليه من حلب وأولاد البناء بها بأمد فخاف شيخها أن يفعل به وبهم ما فعل في ميافارقين فحضر أصحابه منه، وأشار عليهم أن يثروا الدنانير والدرامن إذا دخل، ويقصدوا بها وجهه فيضررها فكان كذلك.

ثم أغفله وضرب رأسه واختلط أصحابه، فرمى برأسه إليهم، وكر الأكرااد راجعين إلى ميافارقين فاستراب بهم مستحفظها أن يملكونها عليه، ومنهم من الدخول.

ثم وصل مهد الدولة أبو منصور بن مروان ثم أخوه أبي علي إلى ميافارقين فامكنته المستحفظ من الدخول فملكه، ولم يكن له فيه إلا السكّة والخطبة، ونازعه آخره أبو نصر فأقام بها مضيقاً عليه فغلبه أبو منصور، وبعده إلى قلعة أسرع فأقام بها مضيقاً عليه وأمامه تغلب عليها عبد الله شيخهم أيامه، وزوج ابنته من ابن دمنة الذي تولى قتل أبي علي بن مروان فقتلته ابن دمنة، وملك آمد وبني نفسه قسراً ملاصقاً للسور، وأصلاح أمره مع مهد الدولة بالطاعة، وهادي ملك الروم وصاحب مصر وغيرهما من الملوك، وانتشر ذكره.

وسار جوهر من القیروان إلى مصر، ومر ببرقة وبها أفلح مولى المعز فلقيه، وترجل له فملك الإسكندرية، ثم الجزاية.

ثم أجاز إلى مصر وحاصرها، وبها أحد بن علي بن الإخشيد وأهل دولته.

ثم افتحها سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة وقتل أبا الفوارس، وبعث بضائعهم وأموالهم إلى القیروان صحبة الروفد من مشيخة مصر وقضاتها وعلمائها، وانقرضت دولة بني طفحج، وأذن سنة تسع وخمسين في جامع ابن طولون بـ «حي على خير العمل»، وتحولت الدعوة بمصر للعلوية، وانخرط جوهر مدينة القاهرة في موضع المسكر.

وسير جعفر بن فلاح الكسامي إلى الشام فقلب القرامطة عليه كما تقدم ذلك في أجيالهم.

### الخبر عن دولة بنى مروان بدار بكر بعد بنى حمدان ومبادي أمورهم وتصاريف أحوالهم

كان حق هذه الدولة أن نصل ذكرها بدولة بنى حمدان كما فعلنا في دولة بنى المقلد بالموصل، وفي صالح بن مرسداس محلب، لأن هذه الدول الثلاث إنما نشأت وتفرعت عن دولتهم، إلا أن بنى مروان هؤلاء ليسوا من العرب، وإنما هم من الأكراد فآخرنا دولتهم حتى نسقها مع العجم.

ثم أخريناها عن دولة بنى طولون لأن دولة بنى طولون متقدمة عنها في الزمن بكثير.

فلنشرع الآن في الخبر عن دولة بنى مروان وقد كان تقدم لنا خبر باد الكردي واسمي الحسين بن دوشك، وكنته أبو عبد الله وقتيل كنته أبو شجاع، وأنه خال أبي علي بن مروان الكردي، وأنه تغلب على الموصل وعلى ديار بكر، ونمازع فيها الدليل ثم غلبه عليها وأقام بجبل الأكراد.

ثم مات عضد الدولة وشرف الدولة.

ثم جاء أبو طاهر إبراهيم وأبو عبد الله الحسن إلى الموصل فملكاكها.

ثم حدثت الفتنة بينهما وبين الدليل وطبع باد في ملك الموصل، وهو بدار بكر فسار إلى الموصل فتنبه إبنا ناصر الدولة،

## مقتل مهد الدولة بن مروان وولاية أخيه

### أبي نصر

وحضر بعض الأيام مع زنك في صنع، وحضر ابن النائب الذي قتله فحمله زنك على الأخد بثاره فاتبعه لما خرج، ونادى بالثار واستفر أهل السوق فقتلوه في ثلاثة نفر وكمن له بنو غير خارج البلد وبعثوا من يغير منهم عليه، فخرج زنك في العسكر، ولما جاوز الكمين خرجن عليه وقاتلوه وأصابه حجر فمات من ذلك فاتح نمان عشرة وأربعينه وخلصت الراها لنصير الدولة.

ثم شفع صالح بن مرداس في ابن عطير وابن شبل فرد إليهما البلد إلى أن باعه ابن عطير من الروم كما يأتي.

### حصار بدران بن مقلد نصبيين

كانت نصبيين لنصير الدولة بن نصر بن مروان، فسار إليها بدران بن المقلد في جموع بي عقل، وحاصرها فظهر على العساكر الذين بها، وأمدhem نصير الدولة بعسكر آخر، فبعث بدران من اعترضهم في طريقهم وهزمهم، فاحتفل ابن مروان في الاحتضان ويouth العساكر إلى نصبيين، فخرجن عليه فهزمه أولاً.

ثم كر عليهم فتك فيهم، واقام يقاتلهم حتى سمع بأن إخاه قرواش وصل إلى الموصل فخشى منه وارتحل عنها.

### دخول الغز إلى ديار بكر

مؤلاء الغز من طوائف الترك، وهم الشعب الذين منهم السليجوقية، وقد تقدم لنا كيف أجازوا إلى خراسان لما قبض محمد بن سبكتكين على أرسلان بن سلجم منهم فحبسه، وما ظهر من فسادهم في خراسان وكيف أوقع بهم مسعود بن سبكتكين من بعد أخيه محمود، ففرروا إلى البرية يريدون أذربيجان واللهاق بهن تقدم منهم هنالك، ويسمون العراقية بعد أن عاثوا في همدان وقردون وأرمينية.

وعاث الآخرون في أذربيجان وقتل وهشودان صاحب تبريز منهم جماعة، ثم عاثوا في الأكراد واستباحوهم.

ثم جاءهم الخبر بأن نيل إبراهيم أخا السلطان طغربلك سار إلى الري فأجللوا منها سنة ثلاث وثلاثين وأربعينه ووصلوا إلى أذربيجان واتصلت الأخبار بأن نيل في أثرهم، فأجللوا ثانية خوفاً منه، لأنهم كانوا له والإخوة رعية، ولما أجللوا سلك بهم الدليل في الجبال على الزوزان،

ثم إن مهد الدولة أقام ببابارقين، وكان قائده شروة متحكمًا في دولته، وكان له مولى قد لاه الشرطة، وكان مهد الدولة يبغضه ويهم بقتله مراراً، ثم يتركه من أجل شروة، فاستفسد مولاه شروة على مهد الدولة لحضوره.

فلما حضر عنده قتله وذلك سنة اثنين وأربعينه ثم خرج على أصحابه وقرباته يقضى عليهم كانه بأمر مهد الدولة ثم مضى إلى ببابارقين ففتحوا له يظنونه مهد الدولة فملكها، وكتب إلى أصحاب القلاع يستدعهم على لسان مهد الدولة، وفيهم خواجه أبو القاسم صاحب أرزن الروم، فسار إلى ببابارقين، ولم يسلم القلعة لأحد.

وسمع في طريقه بقتل مهد الدولة فرجع من الطريق إلى أرزن الروم، وأحضر أبا نصر بن مروان من أسعد، وجاء به إلى أبيهم مروان.

وكان قد أضر ولزم قبر ابنه أبي علي بارزن هو وزوجته فأحضره خواجه عند، واستخلفه عند أبيه وقبر أخيه، وملك أرزن.

ويouth شروة من ببابارقين إلى أسعد عن أبي نصر بن مروان، ففاته إلى أرزن، فلما قاتل ملك ببارزون، وله انتشار

ثم ملك أبو نصر سائر ديار بكر، ولقب نمير الدولة، ودامت أيامه، وأحسن السيرة وقصده العلماء من سائر الآفاق وكثروا عنده.

وكان من قصده أبو عبد الله الكازاروني، وعنه انتشر مذهب الشافعي بديار بكر، وقصده الشعراء ومدحوه وأجزل جوازهم، وأقامت التغور معه آمنة، والرغبة في أحسن ملامة إلى أن توفي.

### استيلاء نمير الدولة بن مروان على الراها

كانت مدينة الراها يد عطير، وكانت أبا نصر بن مروان أن يملكونه فبعث نابه بأمد ويسمى زنك فملكها، واستشنع عطير بصالح بن مرداس صاحب حلب إلى ابن مروان فأعطاه نصف البلد، ودخل إلى نمير الدولة ببابارقين فاكرمه، ومضى إلى الراها فآتاه بها مع زنك.

صديقاً لسليمان فكان مما استماله به موشك أن زوجه بابنة أبي طاهر فاطمان موشك إلى سليمان، وسار إلى غزو الروم بأرمينية. وأمده نصير الدولة ابن مروان بالعساكر والمدايا، وقد كان خطب له من قبل ذلك، وأطاعه فشفع عنده في موشك قتله سليمان، وقال لطغريبك أنه مات.

وشكر له أبو طاهر حيث كان صهره واتخذها ذريعة إلى قتلها، فخافه سليمان، وتبرأ إليه مما وقع فأظهر القبول، وولي الاجتماع ونزل من حصنه فنك ذلك.

وخرج سليمان إليه في قلة من أصحابه فقتلته عيد الله وأدرك من تار أخيه وبلغ الخبر إلى نصير الدولة فبسادر بابنه نصير، وبعث معه العساكر لحماية الجزيرة.

وسمع قريش بن بدران صاحب الموصى فطمطم في ملك جزيرة ابن عمر فسار إليها، واستمال الأكراد الحسينية والبيوية، واجتمعوا على قتال نصير بن مروان فأحسن المدافعة عن بلده، وقاتلهم وجرح قريش جراحًا عديدة، ورجع إلى الموصى وأقام نصير بن مروان بالجزيرة والأكراد على خلافه.

### مسير طغريبك إلى ديار بكر

ولما انصرف طغريبك من الموصى وملكتها وفر قريش عنها ثم عاود الطاعة وذلك سنة ثمان وأربعين وأربعين، فسار طغريبك بعدها إلى ديار بكر وحاصر جزيرة ابن عمر.

وكان ابن مروان في خدمته وهداباه متراوحة عليه في مسيره إلى الموصى وعوده، فبعث إليه بالمال مفادة عن الجزيرة، ويدرك ما هو بصدده من الجهاد وحماية الثغر فأنزج عنه طغريبك، وسار إلى سنجار كما ذكرناه في أخبار قريش.

### وفاة نصير الدولة بن مروان وولايته ابنه

#### نصر

وفي سنة ثلاث وخمسين وأربعين توفي نصير الدولة أحد بن مروان الكردي صاحب ديار بكر، وكان لقبه القادر بالله، ومات لاثتين وخمسين سنة من ولادته.

وكان قد عظم استيلاؤه، وترفعت أمواله، وحسن في عمارة الثغر وضبطها أثره.

وكان يهادي السلطان طغريبك بالمدايا العظيمة، ومنها حجل

وأسهلوا إلى جزيرة ابن عمر، فسار بعضهم إلى ديار بكر، ونهبوا قزوين ويزادي والحسينية، وبقي آخرون بالجانب الشرقي من الجزيرة، وسار آخرون إلى الموصل.

وكان سليمان بن نصير الدولة قياماً بها فراس لهم في الصلح على أن يسير معهم إلى الشام فقبلوا.

ثم صنع سليمان صنيعاً ودعا إليه ابن غز علي وقبض عليه وحبسه.

وأجفل الغز في كل ناحية واتبعهم عساكر نصير الدولة وقوراش والأكراد البيوية.

ثم قصدت العرب العراق للمنتقى، وعاد النز إلى جزيرة ابن عمر فحضروها، وخرموا ديار بكر نهاها وقتلوا.

وصناعهم نصير الدولة ياطلاق متصور بين غز علي الذي حبسه سليمان فلم يكف إطلاقه من فسادهم، وساروا إلى نصين وسنجار والخابور، ودخل قرواش الموصى كما نبهنا، واتبع طائفة منهم فكان من خبره معهم ما قدمناه في أخباره.

### مسير الروم إلى بلد ابن مروان ثم فتح

#### الراها

ولما كانت الدعوة العلوية قد انتشرت في الشام والجزيرة، وكان سبب ذلك أن وثاباً النميري صاحب حران والرقة يخطب لهم، فلما ولـي الوزيري للعلويين على الشام، بعث إلى ابن مروان بالتهديد، وأنه يسير إلى بلاده، فاستمد ابن مروان قرواش صاحب الموصى وشبيب بن وثاب صاحب الرقة، ودعاهما إلى الماقفة، وقطع الدعوة العلوية، فأجابوه وخطبوا للقائم وقطعوا الخطبة للمستنصر، وذلك سنة ثلاثين وأربعين.

فقام الوزيري في ركبـه وتهـدهـمـ، وأعاد ابن وثـاب خطبة العلوية بحران في ذي الحجة آخر السنة.

### مقتل سليمان بن نصير الدولة

كان نصير الدولة قد ولـ ابنـهـ سليمانـ،ـ ويـكـنـيـ أـبـاـ حـربـ الأمـورـ وـكانـ يـجاـورـهـ فيـ الـجـزـيـرـةـ بـشـرـموـشـكـ بـنـ الـحـلـيـ زـعـيمـ الأـكـرـادـ فيـ حـصـونـ لـهـ هـنـالـكـ مـنـيـعـةـ،ـ وـوـقـعـتـ بـيـنـهـمـ مـنـافـرـةـ.

ثم استـمالـهـ سـليمـانـ وـمـكـرـهـ،ـ وـكـانـ الـأـمـيرـ أـبـوـ طـاهرـ الـبـشـويـ صـاحـبـ قـلـعـةـ فـنكـ وـغـيرـهـ،ـ وـهـوـ اـبـنـ أـخـتـ نـصـيرـ الـدـوـلـةـ،ـ وـكـانـ

منها للوزارة فوزر بعد محمد بن منصور بن جلال ثم تداول العزل والولاية مرات هو وابنه عميد الملك واستخدم لنظام الملك والسلطان طغريك.

وكان شفيع عند الخليفة، فلما عزل ابنه آخرًا بعث عنه السلطان ونظام الملك وعن ابنه وجبيع أقاربه، وسار إليه بأصفهان ولقاء مبرة وتقريعاً.

وبعده في العساكر لفتح ديار بكر، وأخذها من يد بني مروان، وأعطاء الآلات وأذن له أن يخطب لنفسه بعد السلطان، وينشق اسمه على السكة فسار لذلك سنة ست وسبعين وأربعين.

### استيلاء ابن جهير على آمد

قد ذكرنا مسير فخر الدولة بن جهير في العساكر إلى ديار بكر، ثم أمده السلطان سنة سبع وسبعين وأربعين بارتق بن أسكك في العساكر.

واستجدة نصر بن مروان شرف الدولة مسلم بن قريش على أن يعطيه آمد فأخذته، وسار بظاهرته فأقصى فخر الدولة بن جهير عن حربهم عصبة للعرب.

وخلاله أرتق وسار في الترك إليهم وهزمهم، ولحق مسلم بأمد وحاصره بها فبذل المال لأرتق.

وخلص من أمره، ولحق بالرقعة وسار ابن جهير إلى ميافارقين فرجع عنه منصور بن مزيد وابنه صدقة ومن معهما من العرب.

وسار فخر الدولة المعروف بالقرم فنزل عليها، وشد حصارها ونزل يوماً بعض الحامية من السور، وأخلى مكانه فوقف فيه بعض العامة، ونادى بشعار السلطان، واتبعه سائر الحامية بالسورة.

ويعثوا إلى زعيم الرؤساء ابن جهير فركب إليهم وملك البلد، وذلك سنة ثمان وسبعين وأربعين.

ونصب أهل البلد بيوت النصارى الذين كانوا يستخدمون لبني مروان في الجبابات، واتقموا منهم، والله أعلم.

الياقوت الذي كان لبني بويه، اشتراه من أبي منصور بن جلال الدولة، وأرسل معه مائة ألف دينار فحسن حاله عنده وكان يناغي عظامه الملوك في الترف، فيشتري الجارية بمائة دينار وأكثر، واجتمع عنده مئون للافتراش والاستخدام أزيد من ألف.

واقتنى من الأواني والآلات ما تزيد قيمتها على مائة ألف دينار.

ووجه في عصمه بناة الملك، وأرسل طباخين إلى الديار المصرية، وأنفق عليهم جملة حتى تعلموا الطبخ هنالك.

ووفد عليه أبو القاسم بن المغربي من أهل الدولة العلوية بصر، وفخر الدولة بن جهير من الدولة العباسية، فأقبل عليهما واستوزرهما.

ووفد عليه الشعراء فوصلهم، وقصده العلماء فحمدوا عنده مقامهم، ولما توفي في كان الظرف فيها للنصر واستقر ببابقارقين وممضى آخره سعيد إلى آمد فملكها واستقر الحال بينهما على ذلك.

### وفاة نصر بن نصير الدولة وولايته ابنه منصور

ثم توفي نظام الدين نصر بن نصير الدولة في ذي الحجة سنة اثنين وسبعين وأربعين وليل ابنه منصور، ودبر دولته ابن الأباري، ولم يزل في ملكه إلى أن قدم ابن جهير وملك البلاد من يده.

### مسير ابن جهير إلى ديار بكر

كان فخر الدولة أبو نصر محمد بن محمد بن جهير من أهل الموصل، واستخدم بخارية قراواش ثم لأنخيه بركة، وسار عنه بالموائد إلى ملك الروم.

ثم استخدم لقريش بن بدران وأراد حبسه، فاستجار ببعض بي عقيل، ومضى إلى حلب فوزر لمعز الدولة أبي ثمال بن صالح.

ثم مضى إلى عطية ولحق منها بنصير الدولة بن مروان، واستوزره وأصلح حال دولته.

ولما توفي سنة ثلاثة وخمسين وأربعين دبر أمر ابنه نصر القائم بعده.

ثم هرب إلى بغداد سنة أربع وخمسين وأربعين استدعي

وأجتمع المطوعة على يعقوب بن الليث قائد، وكان درهم يكاتب المعترض ساله ولائيها، وأن يقلده حرب الخوارج فكتب له بذلك، وأحسن الثناء في حرب الشراة، وتجاوزه إلى سائر أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثم سار من سجستان إلى خراسان سنة ثلث وخمسين ومائتين وعلى الأنباء ابن أوس فجمع لخاربة يعقوب، وسار إليهم في التعبية، فاقتلوه وانهزم ابن أوس، وملك يعقوب هرارة وبوشنج، وعظم أمره، وهابه صاحب خراسان وغيرها من الأطراف.

### استيلاء يعقوب الصفار على كرمان ثم على فارس وعدها

كان على فارس علي بن الحسين بن شبل، وكتب إلى المعترض يطلب كرمان، ويدرك عجز ابن طاهر عنها.

وكان قد أبطأ عن حرب الخوارج فكتب له المعترض بولاية كرمان، وكتب ليعقوب الصفار أيضاً بولائيها بقصد التضريب بينهما لتمحص طاعتها أو طاعة أحدهما.

فارسل علي بن الحسين من فارس على كرمان طوق بن المفلس من أصحابه فرسق إليه يعقوب وملكتها.

وجاء يعقوب فأقام قريباً منها شهرين يترقب خروج طرق إليه، ثم ارتحل إلى سجستان ووضع طوق أوزار الحرب، وأقبل على الله واتصل ذلك بيعقوب في طريقه فكر راجعاً، وأخذ السير ودخل كرمان، وحبس طرقاً.

وببلغ الخبر إلى علي بن الحسين وهو على شيراز فجمع عسكره وزلل مضيق شيراز.

وأقبل يعقوب حتى نزل قبالتها، والمضيق متواز بين جبل ونهر ضيق السلك بينهما فاقتحم يعقوب النهر بأصحابه، وأجاز إلى علي بن الحسين وأصحابه فانهزموا.

وأخذ علي بن الحسين أسرىًّا، واستولى على سواده، ودخل شيراز وملكتها وجبي الخراج وذلك سنة خمس وخمسين ومائتين وقيل: قد وقع بينهما بعد عبور النهر حروب شديدة، وانهزم آخرها على وكان عسكره ثخواً من خمسة عشر ألفاً من الموالين والأكراد، فرجعوا منهزمين إلى شيراز آخر يومهم، وازدحروا في الأبراب، وبلغ القتلى منهم خمسة آلاف.

### استيلاء ابن جهير على ميافارقين وجزيرة ابن عمر وانقراض دولة بني مرwan

كان فخر الدولة بن جهير لما بعث ابنه إلى آمد، سار هو إلى ميافارقين، وأقام على حصارها منذ سنة سبع وسبعين وأربعين وجاوه سعد الدولة كوهريين مدةً واشتاد الحصار، واندلس السور في بعض الأيام فنادي أهلها بشعار ملك شاه.

ودخل فخر الدولة مملك البلد، واستولى على أموال بني مروان وذخائرهم، وبعثها إلى السلطان ملك شاه مع ابنه زعيم الرؤساء، فوصل أصفهان في شوال سنة ثمان وسبعين وأربعين وسار فخر الدولة كوهريين إلى بغداد، وكان قد بعث عسكراً لحصار جزيرة ابن عمر، فحضروها، وثار بها أهل بيته من أعيانها يعرفون ببني رهان، وفتحوا باباً صغيراً للبلد كان منفذًا للرجال، وأدخلوا العسكر منه، وملكته بدعة السلطان ملك شاه.

وافتقرت دولة بني مروان ولحق منصور بن نظام الدين نصر بن نصير الدولة بالجزيرة، وأقام في إيلاء الغز. ثم قبض عليه جكاش وحبسه بدار يهودي فمات بها سنة تسعة وثمانين وأربعين وأربعين وبايَّنَهُ وله وحدة.

### الخبر عن دولة بني الصفار ملوك سجستان المتغلبين على خراسان ومبادي أمرهم وتصاريف أحواهم

كان أهل هذه الدولة قوماً اجتمعوا بنواحي سجستان، ونسدوا لقتال الخوارج الشرة تلك الناحية عندما اضطربت الدولة بغداد لقتل المترك، وسموا أنفسهم المطوعة.

وكان اجتماعهم على صالح بن نصير الكناني، ويقال له صالح المطوعي وصحبه جماعة منهم درهم بن الحسن ويعقوب بن الليث الصفار وغلبوا على سجستان وملكتها. ثم سار إليهم طاهر بن عبد الله أمير خراسان وغلبهم عليها وأخرجهم منها.

ثم هلك صالح إثر ذلك، وقام بأمره في المطوعة درهم بن الحسن فكثر أتباعه. وكان يعقوب بن الليث قائد، وكان درهم مضعفاً فتحيل صاحب خراسان عليه حتى ظفر به، ويعثه إلى بغداد فحبس بها،

ثم افترقا في نواحي فارس وانهوا الأموال.

محمد الطيسين وقهستان.

ثم بعث يعقوب إلى محمد في طلبه فأجباره، وأحفظ ذلك يعقوب فسار إلى محمد بنисابور، فخان محمد عن لقائه، ونزل يعقوب بظاهر نيسابور، وخرج إليه قربة محمد وعمومته وأهل بيته، ودخل نيسابور واستعمل عليها، وذلك سنة تسعة وخمسين ومائتين، وكتب إلى المعتمد بأن أهل خراسان استدعاوه لعجز ابن طاهر وتغريمه في أمره.

وغلبه العلوي على طبرستان فكتب إليه المعتمد بالتكير والاقتصار على ما يده، وإلا سلك به سبيل المخالفين.

وقيل في ملكه نيسابور غير ذلك: وهو أن محمد بن طاهر لما أصاب دولته العجز والإذلال، كاتب بعض قواته يعقوب بن الليث الصفار، واستدعاوه فكتب يعقوب إلى محمد بن طاهر مجئه إلى ناحيته موريأً بقصد الحسن بن زيد في طبرستان.

وأن المعتمد أمره بذلك، وأنه لا يعرض لشيء من أمر خراسان، وبعث بعض قواده عيناً عليه، وعنه على الإهمال والعجز، وبعث على جميع أهل بيته نحوه من مائة وستين رجلاً وحملهم جميعاً إلى سجستان وذلك لإحدى عشرة سنة من ولاية محمد.

واستول يعقوب على خراسان وهرب منازعه عبد الله السجزي إلى الحسين بن زيد صاحب طبرستان، وقد كان ملكها من لدن سنة إحدى وخمسين ومائتين، فأجراه الحسين وسار إليه يعقوب سنة ستين ومائتين، وحاربه فانهزم الحسين إلى أرض الديلم، وأعتصم بجبل طبرستان وملك يعقوب سارة وآمد ورجع في طلب السجزي إلى الري وتهدد العامل على دفعه إليه فبعث به وقتله يعقوب.

### استيلاء الصفار على فارس

تقدما لن غالب محمد بن واصل على فارس سنة ست وخمسين ومائتين ومسير الصفار إليه سنة سبع وثلاثمائة ورجوعه عنها، وأنه أعادها عنها بلخ وطخارستان.

ثم إن المعتمد أضاف فارس إلى موسى بن بنا مع الأهواز والبصرة والبحرين واليامنة، وما بده من الأعمال، فولي موسى على فارس من قبله عبد الرحمن بن مفلح وبعثه إلى الأهواز وأمده بطاشمر.

وزحفوا إلى ابن واصل وسار لحرب موسى بن بنا براسط،

ولما دخل يعقوب شيراز وملك فارس امتحن عليه وأخذ منه ألف بدرة ومن الفرش والسلاح والألة ما لا يحصى، وكتب للخلفية بطانته، وأهدى هدية جليلة منها عشرة بازات بيفن، وباز أبلق صيفي، ومائة نافجة من المسك، وغير ذلك من الطرف، ورجمع إلى سجستان ومعه على وطرق في اعتقاله، ولما فارق فارس بعث المعتر عماله إليها.

### ولاية يعقوب الصفار على بلخ وهرة

ولما انصرف يعقوب عن فارس ول عليها المعتر من قبله، والخلافاء بعده، ولها الحارث بن سيماء، فوثب به محمد بن واصل بن إبراهيم التميمي من رجال العرب، وأحمد بن الليث من الأكراد الذين بنواخيها قتلاه، واستول ابن واصل على فارس سنة ست وخمسين ومائتين وأظهر دعوة المعتمد، ويعتليها المعتمد الحسين بن النياض، فسار إليه يعقوب بن الليث سنة سبع وخمسين ومائتين، وكتب إليه المعتمد بالتكير على ذلك.

وبعث إليه الموفق بولاته بلخ وطخارستان فملكتها، وخرب المبني التي بناها داود بن العباس بظاهر بلخ، وتسمى بأساديماج.

ثم سار إلى كابل واستول عليها، وبعث على رتيل، وبعث بالأصنام التي أخذها من كابل، وملك البلاد إلى المعتمد.

وأهدى إليه هدية جليلة المقدار، وعاد إلى بست معتزماً على العود إلى سجستان فأحافظه بعض قواده بالحريل قبله فغضبه، وأقام منه إلى سجستان، ثم سار إلى خراسان وملك هرة.

ثم إلى بوشنج فملكتها وبعث على عاملها الحسين بن علي بن طاهر الكبير، وكان كبير بينهم، وشفع له فيه محمد بن طاهر صاحب خراسان فأبى من إسعافه، وبقى في قلبه، وولى على هرة ويوشنج وباذغيس ورجع إلى سجستان.

### استيلاء الصفار على خراسان وانقراض أمر بنى طاهر

كان بسجستان عبد الله السجزي بناتع يقارب بن الليث، فلما قوي يعقوب واستفحله، سار عبد الله إلى خراسان، وطمع في ملكها، وحاصر محمد بن طاهر في كرسى ولايته نيسابور.

ثم تردد الفقهاء بينهم في الصلح حتى تم بينهما، وولاه

انهزموا، وخرج الصفار، واتبعهم أصحاب الموفق، وغنموا من عسكره نحوًا من عشرة آلاف من الظهر، ومن الأموال والمسك ما يُؤود حمله.

وكان محمد بن طاهر معتقلًا في العسكر منذ قبض عليه بخراسان، فتخلص ذلك اليوم، وجاء إلى الموقن، وخلع عليه وولاه الشرطة ببغداد.

وسار الصفار إلى خوزستان فنزل جند نيسابور، وراسله صاحب الزنج على الرجوع، ويعده المساعدة فكتب له «فُلَّ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ» السورة.

وكان ابن واصل قد خالف الصفار إلى فارس وملكتها، فكتب إليه المعتمد بولايته، وبعث إليه الصفار جيشاً مع عمر بن السري من قواه، فاخترجه عنها وولى على الأهواء محمد بن عبيد الله بن هزارمود الكردي.

ثم رجع المعتمد إلى سامرا والموقن إلى واسط، واعترض الموقن على اتباع الصفار فعقد به المرض عن ذلك.

وعاد إلى بغداد ومعه مسرور البلخي، وأقطعه ما لأبيه الساج من الضياع والمنازل، وقدم معه محمد بن طاهر قمام بولابة الشرطة ببغداد.

### انتقاض الحجاجياني بخراسان على يعقوب الصفار وقيامه بدعة بنى طاهر

كان من أصحاب محمد بن طاهر ورجالاته أحمد بن عبد الله بن خجستان، وكان متولياً على وهي من جبال سراة وأعمال باذغين.

فلما استولى الصفار على نيسابور وخراسان، انضم أحمد هذا إلى أبيه علي بن الليث، وكان شرك الحمال قد تغلب على مرو ونواحيها سنة تسع وخمسين وثلاثين وتغلب على نيسابور سنة ثلاث وستين وثلاثين وأخرج منها الحسين بن طاهر، وكان لشريك ثلاثة من الولد: إبراهيم وهو أكبرهم، وأبو حفص يعمر، وأبو طلحة منصور، وكان إبراهيم قد ألبى في واقعة المغار مع الحسن بن زيد بجرجان، فقدمه الصفار، وحسنه أحد الحجاجياني فخرفه عادية الصفار، وزين له المذهب.

وكان يعمر آخره محاصراً لبعض بلاد بلخ، فاتفق إبراهيم وأحمد الحجاجياني في الخروج إلى يعمر، وسبقه إبراهيم إلى الموقن ولم يلقه فسار إلى سرخس.

فولى على الأهواء مكانه أبا الساج وأمره بمحاربة الزنج فبعث صهره عبد الرحمن لذلك، فلقيه علي بن أبيا ز قائد الزنج، وهزمه وقتل.

وملك الزنج الأهواء وعاثوا فيها وأدبل من أبي الساج بإبراهيم بن سيماء، وسار لحرب ابن واصل، واضطربت الناحية على موسى بن بغَا فاستغنى من ولاليتها، وأعفاء المعتمد وطبع بعقوب الصفار في ملك فارس، فسار من سجستان مبدأ، ورجع ابن واصل من الأهواء إليه، وترك محاربة ابن سيماء، وأخذ السير ليتجاهه على بفتحة، فقطلن له الصفار وسار إليهم وقد أغيبوا وتعربوا من شدة السير والعطش، ولما تراءى الجماعان تحاذل أصحاب ابن واصل وإنهزموا من غير قتال، وغضب الصفار في معسكره وما كانوا أصابوا لابن مفلح، واستولى على بلاد فارس ورتب بها العمال وأوقع بأهل ذم لإعانتهم ابن واصل، وطبع في الاستيلاء على الأهواء وغيرها.

### حروب الصفار مع الموقن

ولا ملك الصفار خراسان من يد ابن طاهر وقبض عليه وملك فارس من يد ابن واصل، وكان المعتمد نهاده عن تلك، فلم يته، صرخ المعتمد بأنه لم يوله، ولا فعل ما فعل بإذنه، وأحضر حاج خراسان وطبرستان والري، وخطبهم بذلك فصار الصفار إلى الأهواء ستة اثنين أصحابه الذين أسروا بخراسان، فأبى إلا العزم على الرصول إلى الخليفة ولقائه، وبعث حاجبه درهماً يطلب ولية طبرستان وخراسان وجرجان والري وجراس والشرطة ببغداد، فولاه المعتمد ذلك كله مضافاً إلى سجستان وكرمان، وأعاد حاجبه بذلك، ومعه عمرو بن سيماء فكتب يقول: لا بد من الحضور بباب المعتمد، وارتحل من عسكر مكرم جائياً.

وخرج أبو الساج من الأهواء لتلقيه لدخول الأهواء في أعماله، فأكرمه ووصله.

وسار إلى بغداد ونهض المعتمد من بغداد فعسكر بالزعرانة، وواجه مسرور البلخي من مكانه من مواجهة الزنج، وجاء يعقوب إلى واسط فملكتها، ثم سار منها إلى دير العاقول. وبعث المعتمد أبا الساج الموقن لمحاربته وعلى مينته موسى بن بغَا، وعلى ميسره موسى البلخي، فقاتله متصرف رجب وانهزم ميسرة الموقن وقتل فيها إبراهيم بن سيماء وغيره من القواد ثم تراجعوا واشتلت الحرب وجاء للموقن محمد بن أوس والدواني مددًا من المعتمد، وفشل أصحاب الصفار، ولما رأوا مدد الخليفة

## وفاة يعقوب الصفار وولادة عمرو أخيه

ثم توفي يعقوب الصفار في شوال سنة خمس وستين بعد أن افتتح الزنج، وقتل ملكها وأسلم أهلها على يده، وكانت مملكة واسعة الخودود.

وافتتح زابلستان وهي غزنة وأعمالها، وكان المعتمد قد استماله وولاه على سجستان والستن، ثم تغلب على كرمان وخراسان وفارس، وولاه المعتمد على جميعها.

ولما مات قام مكانه أخوه عمرو بن الليث، وكتب إلى المعتمد بطاعته، فولاه الموفق من قبل أعمال أخيه، وهي خراسان وأصفهان وسجستان والستن وكرمان والشطرة ببغداد.

وبعث إليه بالخلع، فولى عمرو بن الليث على الشرطة بغداد وسر من رأى من قبله عبيد الله بن عبد الله بن طاهر.

وخلع عليه الموفق وعمرو بن الليث وولى على أصفهان من قبله أحد بن عبد العزيز بن أبي دلف، وولى على طريق مكة والحرمين محمد بن أبي الساج.

## مسير عمرو بن الليث إلى خراسان لقتال الحجستانى

قد تقدم ذكر الحجستانى وتغلبه على نيسابور وهراة بدعاوة بني طاهر سنة ثنتين وستين ومائتين فلما توفي يعقوب سار عمرو إلى خراسان سنة خمس وستين ومائتين واستولى على هراة.

وسار الحجستانى بنيسابور فقاتلته فانهزم عمرو، ورجع إلى هراة.

وكان الفقهاء بنيسابور يشيعون لعمور لولاية الخليفة إيهاد فاوقع الحجستانى الفتنة بينهم بالليل إلى بعضهم، وتكرمتهم عن بعض ليشغلهم بها.

ثم سار إلى هراة سنة سبع وستين ومائتين، وحاصر عمرو بن الليث فلم يظفر بشيء فتركه، وخالقه إلى سجستان.

ووتب أهل نيسابور بناية عليهم، وأدمهم عمرو بن الليث بمنتهى قبضوا على نائب الحجستانى وأقاموا بها، ورجع الحجستانى من سجستان فاخرجهم وملكها.

وكان أبو منصور طلحة بن شركب محاصراً للبغ من قبل ابن طاهر، وكاتبته عمرو بن الليث واستقدمه، وأعطاه أمراء

ولما عاد الصفار إلى سجستان سنة إحدى وستين ومائتين ول على هراة أخيه عمرو بن الليث فاستخلف عليها طاهر بن حفص الباذغىسي، وجاء الحجستانى إلى علي بن الليث وزين له أن يقيم بخراسان نائباً عنه في أمره وأقطعاه، فطلب ذلك من أخيه يعقوب فأذن له.

فلما ارتحلوا عن خراسان جمع أحد الحجستانى وأخرج علي بن الليث من بلده سنة إحدى وستين ومائتين وملك تونس وأعاد دعوة بني طاهر، وملك نيسابور سنة ثنتين وستين واستقدم رافع بن هرثمة من رجالات بني طاهر فجعله صاحب جشه وسار إلى هراة فملكتها من يد طاهر بن حفص وقتلها، ثم قتل يعمر بن شركب، واستولى على بلاد خراسان وما منها دعوة يعقوب بن الليث.

ثم جاء الحسن بن طاهر أخوه محمد بأصفهان ليخطب له فأبي خطب له أبوا طلحة بن شركب ببنيسابور، وانتقض الحجستانى وأضطربت خراسان فتنة، وزحف إليها الحسن بن زيد فقاتلوه وهزموه.

ثم ملك نيسابور من يد عمرو بن الليث، وترك الخطبة لمحمد بن طاهر، وخطب للمعتمد لنفسه من بعده كما هو مشروح في أخبار الحجستانى.

## استيلاء الصفار على الأهواز

قد تقدم لنا استيلاء الصفار على فارس بعد خراسان.

ثم سار منها إلى الأهواز وكان أحد بن لسوقة قائد مسرور البلخي على الأهواز قد نزل تستر، فرحل عنها ونزل يعقوب جنديسابور ورفت عساكر السلطان من تلك التواحي.

وبعث يعقوب بالحضر بن العين إلى الأهواز وعلى بن أبان والزنج يحاصرونها، فتأخروا عنها إلى نهر السدرة، ودخل الحضر الأهواز وملكتها بدعاوة الصفار، وكان عسكره وعسكر الزنج يغير بعضهم على بعض.

ثم أوقع الزنج بعسكره ولحق الحضر بعسكر مكسر، واستخرج ابن أبان ما كان في الأهواز، ورجع إلى نهر السدرة، وبعث يعقوب الإمداد إلى الحضر، وأمره بالكف عن قتال الزنج والمقام بالأهواز فوادع الزنج، وشحن الأهواز بالأقواف وأقام

فرحف إليه عمرو في خمسة عشر الفاً من المقاتلة فهزمه أحد بن عبد العزيز والعساكر واستباحوا معسكراً، ودفعوه عن أصفهان والري.

وكان المعتمد لما عزله ولعنه بعث صاعد بن خلده في العساكر إلى فارس لقتال عمرو بن الليث وإخراجه من فارس، فسار لذلك ولم يظفر، ورجع سنة اثنين وسبعين ومائتين.

ثم سار الموقن سنة أربع وسبعين ومائتين إلى فارس لخرب عمرو بن الليث، فسير عمرو قائد عباس بن إسحاق إلى شيراز، وابنه محمد بن عمرو إلى أرچان وبعث على مقدمته أبي طلحة بن شركب صاحب جيشه، فاستأمن أبو طلحة إلى الموقن وفت ذلك في عضد عمرو، وخام عنلقائه.

وسار الموقن إلى شيراز وارتاد ببابي طلحة فقبض عليه، وملك الموقن فارس، وعاد عمرو إلى كرمان فسار الموقن في طلبه، فلحق بسجستان على المقارنة، وتوفى ابنه محمد بن عمرو بها.

وامتنعت كرمان وسجستان على الموقن فعاد إلى بغداد.

وارتاد عمرو بن الليث بأخيه علي فحبسه بكرمان، وحبس معه ابنه المعدل والليث فهربوا من حبسهم، ولحقوا برافع بن الليث عندما ملك طبرستان وجرجان من محمد بن زيد العلوي سنة سبع وسبعين ومائتين فأقاموا عنده، وهلك علي بن الليث ويقي ولداته عنده.

ثم رضي المعتمد عن عمرو بن الليث وولاه الشرطة بغداد، وكتب اسمه على الأعلام والترسفة سنة ست وسبعين ومائتين واستخلف في الشرطة عبيد الله بن عبد الله بن طاهر، ثم سخطه لستة ومحا اسمه من الأعلام.

### ولاية عمرو بن الليث على خراسان ثانية

#### ومقتل رافع بن الليث

ثم سخط المعتمد رافع بن الليث لامتاعه عن تخلية قرى السلطان بالري بعد أن أمره بذلك، فكتب إلى أحد بن عبد العزيز بن أبي دلف يأمره محاربة رافع وإخراجه عن الري وكتب إلى عمرو بن الليث بولاية خراسان.

وحارب أحد بن عبد العزيز سنة ثمانين ومائتين فقاتلته أخرىه عمر ويكرأ أبي عبد العزيز فهزمهما إلى أصفهان، وأقام بالري باقي ستة.

ثم سار إلى أصفهان فلكلها سنة إحدى وثمانين ومائتين

واستخلفه على خراسان، ورجع إلى سجستان.

وبقي أبو طلحة بخراسان والمجستاني يقاتله إلى أن قتل المجستاني سنة ثمانين وستين ومائتين قتله بعض مواليه كما مر في أخباره مع رافع بخراسان.

كان رافع بن هرثمة من قوادبني طاهر بخراسان، فلما ملكتها يعقوب سار إليه واستقر في منزله بتأمين من قرئي باذغيس.

فلما قتل المجستاني اجتمع الجيش على رافع وهو بهرة فأقره عليهم.

وكان أبو طلحة بن شركب قد سار من جرجان إلى نيسابور، فسار إليه رافع وحاصرها، وخرج عنها أبو طلحة إلى مرو، وخطب بها وبهرة محمد بن طاهر، وولى على هرمة من قبله.

ثم زحف إليه عمرو بن الليث فغلبه عليها، وولى عليها محمد بن سهل بن هاشم.

ورجع بعث أبو طلحة إلى إسماعيل بن أحد يستتجده فأنجده بعسكر سار بهم إلى مرو، وأخرج منها محمد بن سهل وخطب لعمرو بن الليث وذلك في شعبان سنة إحدى وسبعين ومائتين.

ثم عزل المعتمد عمرو بن الليث عن سائر أعمال خراسان وقلده الموقن محمد بن طاهر، وهو مقيم ببغداد، فاستخلف محمد عليها رافع بن هرثمة، وأقر نصر بن محمد أحد الساماني على ما وراء الهراء، فسار رافع إلى إسماعيل يستتجده على أبي طلحة فجاءه في أربعة آلاف مدة.

واستقدم رافع أيضاً علي بن الحسين المروري، وساروا جيئاً إلى أبي طلحة وهو بمرو سنة اثنين وسبعين ومائتين وغلوبو عليها ولحق بهرمة وعاد إسماعيل إلى خوارزم فجيئ أموالها ورجع إلى نيسابور.

### حروب عمرو مع عساكر المعتمد ومع الموق

ولما عزل المعتمد عمرو بن الليث عن خراسان أمر بعلمه على المنابر، وأعلم حاج خراسان بذلك، وقلد محمد بن طاهر أعمالها فاستخلف عليها رافع بن الليث، وكتب المعتمد إلى أحد بن عبد العزيز بن أبي دلف بعزله عن أصفهان والري.

وبعث إليه العساكر لقتاله سنة إحدى وسبعين ومائتين

## ولاية طاهر بن محمد بن عمرو على سجستان وكرمان ثم على

وعاد إسماعيل إلى بخارى وتجهز للسير إلى إسماعيل، وسار إلى بلخ.

وبعث إليه إسماعيل: إنك قد حزت الدنيا العريضة فاتركى في هذا التغر فأبى.

وعبر إسماعيل وأخذ عليه الجهات فصار مخصوصاً، وندم وطلب المحاجزة فأبى إسماعيل، وقاتلته فانهزم عمرو ونكب عن طريق العسكر إلى مضيق ينفرد فيه وتسارى في أجرة فوصلت به دابته، ولم يتضطر له أصحابه، فأخذ أسرى وبعث به إسماعيل إلى المتضدد، بعد أن خيره فاختار السير إليه، ووصل إلى بغداد سنة ثمان وثمانين وثمانين وثمانين وأدخل على جل وحبس.

وبعث المتضدد إلى إسماعيل بولايته خراسان إلى أن توفي المتضدد.

وجاء المكتفي إلى بغداد، وكان في نفسه إصطناعه، وكره ذلك الوزير القاسم بن عبيد الله فوضع عليه من قتلته سنة تسعة وثمانين وثمانين.

## ولاية طاهر بن محمد بن عمرو على

### سجستان وكرمان ثم على فارس

ولما أسر عمرو وسار إلى محبسه، قام مكانه بسجستان وكرمان حافظه طاهر بن محمد بن عمرو، وهو الذي مات أبوه محمد بمفارقة سجستان عندما هرب عمرو أمام الموقف من فارس، ثم سار طاهر إلى فارس، وسار إليها في الجيوش سنة ثمان وثمانين وثمانين واعتراضه بدر، فعاد طاهر إلى سجستان، وملك بدر فارس وجبي أمواها.

ثم بعث طاهر بن محمد سنة تسعة وثمانين وثمانين يطلب المقاطعة على فارس بمال يحمله، وكان المتضدد قد توفي، فعقد له المكتفي عليها، وتشاغل طاهر بالصيد واللهو، ومضى إلى سجستان فتغلب على الأمر بفارس الليث ابن عممه علي بن الليث، وسيكري مولى جده عمرو، وكان معهما أبو قابوس قائد طاهر، فلتحق بالخلافة المكتفي وكتب طاهر رده بما جاءه من المال، ويحتب له من جملته فلم يجب إلى ذلك.

وعاد إلى جرجان، ووافي عمرو بن الليث خراسان واليًا عليها بمجموعه.

وتورط رافع بن الليث ورجع إلى مصالحة محمد بن زيد، على أن يعيد إليه طبرستان فصالح محمد بن زيد، وخطب له بطبرستان سنة اثنين وثمانين وثمانين على أن يمده بأربعة آلاف من الدليم.

وسار عن طبرستان إلى نيسابور سنة ثلاثة وثمانين وثمانين فحاربه عمرو وهزمه إلى أببورد، وأخذ منه المعدل والليث ابن أخيه.

ثم أراد رافع السير إلى هراة فأخذ عليه عمرو الطريق لسرخس وسررب رافع في المضائق ونكب عن جهور الطريق فدخل نيسابور وحاصره فيها عمرو بن الليث.

ثم برز للقائه واستأمن بعض قواد رافع إلى عمرو، فانهزم رافع وأصحابه، وبعث إلى محمد بن وهب يستمدده كما شرط له. وكان عمرو قد حذر محمد بن زيد من إسداده فاقصر من ذلك، وتفرق عن رافع أصحابه وعلماته، وكانتوا أربعة آلاف غلام.

وفارق محمد بن هارون إلى أحد بن إسماعيل بن سمان بخارى، وخرج رافع منهزاً إلى خوارزم في فل من العسكرية، وحل بقية المال والألة، وذلك في رمضان سنة ثلاثة وثمانين وثمانين.

فلما رأه صاحب خوارزم أبو سعيد الغرغاني في قلته من العسكرية، غدر به وقتل في أول شوال، وحل رأسه إلى عمرو بن الليث بنيسابور فأقتله عمرو إلى بغداد.

فكتب إليه المتضدد بولاية الري مضافة إلى خراسان، وأنفذ له الألوية والخلع سنة أربع وثمانين وثمانين.

## استيلاء بني سامان على خراسان وهزيمة

### عمرو بن الليث وحبسه ثم مقتله

لما بعث عمرو بن الليث برأس رافع بن هرثمة إلى المتضدد، طلب ولاية ما وراء النهر فلواه وبعث إليه بالخلع واللواء، فسرح عمرو الجيوش من نيسابور مع قاتله محمد بن بشير وغيره من قواده لمحاربة إسماعيل بن أحد، وانتهوا إلى آمد فعبر إسماعيل جيرون وهزمهم، وقتل محمد بن بشير وغيره من قواده، ورجع الفيل إلى عمرو بنيسابور.

## استيلاء الليث على فارس ثم مقتله واستيلاء سيكري

وسر أحد بن إسماعيل بن سامان إلى الري فبعث منها جيوشه إلى سجستان سنة ثمان وتسعين ومائتين مع جماعة من قواده وعليهم الحسن بن علي المروروذى.

وكانت سجستان لما أسر طاهر سنة سبع وتسعين ومائتين ولها بها بعده الليث بن علي بن الليث.

فلما أسر الليث كما تقدم ولها بعده آخره العدل بن علي بن الليث، فلما بلغه مسير هذه العساكر إليه من قبل أحد بن إسماعيل بعث أخاه أبي علي بن الليث محمد بن علي بن الليث إلى بست والرخرج ليجيئهما، ويبعث منها إلى سجستان بالمرة، فسار إليه أحد بن إسماعيل بن سامان، وعلى سجستان أبو صالح منصور ابن عمته إسحاق بن أحد بن إسماعيل بن سامان لما بلغه مسير سيكري من فارس إلى سجستان في المفازة، فبعث إليه جيشاً فأخذته، وكتب الأمير أحد إلى المقدار بالخبر وبالفتح، فأمره بحمل سيكري والليث، فبعث بهما إلى بغداد وحبهما.

### ثورة أهل سجستان بأصحاب ابن سامان ودعوتهم إلىبني عمرو بن الليث بن الصفار ثم عودهم إلى طاعة أحد بن إسماعيل بن سامان

كان محمد بن هرمز ويعرف بالمولى الصندي خارجياً وهو من أهل سجستان.

خرج أيام بني سامان وأقام بخارى، وسخط بعض الأعيان بها فسار إلى سجستان، واستمال جماعة من الخوارج رئيسهم ابن الحفار فخرجوا، وقبضوا على منصور بن إسحاق عاملهم من بني سامان وحبسوه، وولوا عليهم عمرو بن يعقوب بن محمد بن الليث، وخطبوا له، فبعث أحد بن إسماعيل الجيوش ثانيةً مع الحسين بن علي سنة ثلاثة، وحاصرها ستة أشهر، ومات الصندي فاستأمن عمرو بن يعقوب الصفار ز ابن الحفار إلى الحسين بن علي، وخرج منصور بن إسحاق من محبسه.

واستعمل أحد بن إسماعيل على سجستان سيمجرور الدواني، ورجع الحسين بالجيوش إلى الأمير أحد ومهه يعقوب ز ابن الحفار في ذي الحجة سنة ثلاثة.

ولما تغلب سيكري على فارس لحق الليث بن علي بظاهر ابن عمته وزحف ظاهر إلى فارس فهزمه السيكري وأسره، وبعث به وب أخيه يعقوب إلى المقدار سنة سبع وتسعين ومائتين وضمن فارس بالحمل الذي كان قره فراه على فارس.

ثم رجح إلى الليث بن علي بن الليث فملك فارس الليث للقائهم وجاهه الخبر بان الحسين ابن حمدان صار من قم مداداً مؤنس، فركب لاعتراضه، ونها الدليل عن الطريق فأصبح على مسکر مؤنس فثاروا واقتلوه وأنهزم عسكر الليث، وأخذ أسرى، وأشار أصحاب مؤنس بان يقبض على سيكري معه، ويملك بلاد فارس، ويقره الخليفة فوعدهم بذلك، ودس إلى سيكري بان يهرب إلى شيراز.

وأصبح يلوم أصحابه على ظهور المثير من جهتهم، وعاد بالليث إلى بغداد واستول سيكري على فارس، واستبد كاتبه عبد الرحمن بن جعفر على أمره، فسعى فيه أصحابه عند سيكري حتى قبض عليه، وحلوه على العصياني فمنع العمل، فكتب هو من محبسه إلى الوزير ابن الفرات يعرف بأمرهم وكتب ابن الفرات إلى مؤنس وهو بواسطه يأمره بالعود إلى فارس ويعاتبه حيث لم يقبض على سيكري فسار مؤنس إلى الأهواز، وراسله سيكري وهاده.

وعلم ابن الفرات بجيء مؤنس إليه فأنهذ وصيفاً وجماعة من القواد ومعهم محمد بن جعفر وأمرهم بالتعويل عليه في فتح فارس وكتب إلى مؤنس باستصحاب الليث إلى بغداد ففعل، وسار محمد بن جعفر إلى فارس ودافع سيكري على شيراز فهزمه، وحاصره بها وحاربه ثانية فهزمه ونهب أمواله، ودخل سيكري مفازة خراسان فظفرت به جيوش خراسان وأسروه، ويعثروا به إلى بغداد. وولي على فارس فتح خادم الأفتشين.

## انقراض ملك بني الليث من سجستان وكرمان

وفي سنة ثمان وتسعين ومائتين توفي فتح صاحب فارس، فولى المقدار مكانه عبد الله بن إبراهيم المسمعي وأضاف إليه كرمان من أعمال بني الليث.

وغم عمرو الباقي وملك كرمان وجبي الأموال.  
وكان صمّاص الدولة صاحب فارس، فبعث العساكر إلى  
عرتاش مع أبي جعفر وأمره بالقبض عليه لاتهامه بالليل إلى أخيه  
بهاء الدولة، فسار وبقض عليه، وحله إلى شيراز.

وسار بالعساكر إلى عمرو بن خلف فقاتلته عمرو بدار زين  
وانهزم الدليم وعادوا على طريق جيرفت، وبعث صمّاص الدولة  
عسكراً آخر مع العباس بن أحمد من أصحابه، فلقو عمرو بن  
خلف بالسيرجان في المحرم سنة اثنين وثمانين وثلاثمائة فهزمه  
وعاد إلى أخيه سجستان مهزوماً، ووجهه ثم قتله.

ثم عزل صمّاص الدولة العباس عن كرمان فاشاع خلف  
بأن أستاذ هرمز سمه، واستقر الناس لغزو كرمان، ويعتمد مع ابنه  
طاهر، فاتّهوا إلى برامشir وملكونها من الدليم، ولحق الدليم  
بجيرفت واجتمعوا بها، ويعثروا بها إلى بردشير حامية من العسكر،  
وهو أصل بلاد كرمان ومصرها فحصرها طاهر ثلاثة أشهر،  
وضيق على أهلها، وكبووا إلى أستاذ هرمز يستمدونه قبل أن  
يغلبهم عليها طاهر، فخاطر بنفسه، وكتب إليهم المضائق والأوغار  
حتى دخلها، وعاد طاهر إلى سجستان واستقر الناس لغزو الدليم  
بجيرفت، واجتمعوا بها ويعثروا بها إلى بردشير حامية من العسكر، وهو  
أصل بلاد كرمان، وذلك سنة أربع وثمانين وثلاثمائة.

### استيلاء طاهر بن خلف على كرمان وعوده عنها ومقتله

كان طاهر بن خلف من العقوق لأبيه على عظيم وانتقض  
عليه وجرت بينهما وقائع كان الظفر بها خلف، ففارق طاهر  
سجستان وسار إلى كرمان، وبها الدليم عسكراً بهاء الدولة فصعد  
إلى جبالها، واحتوى بقوم هنالك كانوا عصاة، وزُل على جيرفت  
فملكها، ولقيه الدليم فهزمه، واستول على الكثير مما بأيديهم  
فبعث بهاء الدولة عسكراً مع أبي جعفر بن أستاذ هرمز، فغلب  
طاهراً على كرمان فعاد إلى سجستان، وقاتل أبوه فهزمه، وملك  
البلاد وامتنع أبوه خلف ببعض حصونه، وكان الناس قد سمعوا  
منه لسوء سيرته، فرجع إلى مخادعة ابنه، فتواعد اللقاء تحت القلعة،  
وأكمن له بالقرب كميناً، فلما لقيه الكمين واستمكناً منه أبوه  
خلف فقتله أبوه.

### استيلاء خلف بن أحمد بن علي على سجستان ثم انتقامتهم عليه

كان خلف بن أحد من ذرية عمرو بن الليث الصفار، وهو  
بسطة برسمه بانوا ولا فشل أمر بني سامان استولى على سجستان  
وكان من أهل العلم وبحالهم.

ثم حج ستة ثلاث وخمسين وثلاثمائة، واستخلف على  
أعماله طاهر بن الحسين من أصحابه.

فلما عاد من الحج انتقض عليه طاهر بن الحسين من  
 أصحابه، فسار خلف إلى بخارى مستجيشاً بالأمير منصور بن  
سامان، فبعث معه العساكر وملك سجستان، وکشت أمواله  
وجنوده.

وقطع ما كان يحمله إلى بخارى، فسارت العساcker إليه  
ومقدمهم وحاصرها خلف بن أحد في حصن أول من أمنع  
الخصوص وأعلامها.

ولما اشتد به الحصار ونفيت الأموال والآلات، كتب إلى  
نوح بن منصور صاحب بخارى بأن يستأنه، ويرجع إلى دفع  
الحمل، فكتب نوح بن منصور إلى أبي الحسن بن سيمجور عامله  
على خراسان وقد عزل بالسرير إلى حصار خلف، فسار من  
قهستان إلى سجستان وحاصر خلف، وكانت بينهما مسودة، فأشار  
عليه سيمجور بتسليم حصن أرك للحسن لتفرق الجيوش عنه إلى  
بخارى، ويرجع هو إلى شأنه مع صاحبه، فقبل خلف مشورته.

ودخل سيمجور إلى حصن أرك وخطب فيه للأمير نوح.  
ثم سلمه للحسن بن طاهر وانصرف إلى بخارى، وكان هذا  
أول وهن دخل على بني سامان من سوء طاعة أصحابهم.

### استيلاء خلف بن أحمد على كرمان ثم انتزاع الدليم لها

ولما استفحلا أمر خلف بسجستان حدث نفسه بملك  
كرمان، وكانت في أيدي بني بويه وملكونها يومئذ عضد الدولة،  
فلما وهن أمرهم، وقع الخلف بين صمّاص الدولة وبهاء الدولة  
أبي عضد الدولة، جهز العساcker إلى كرمان وعليهم عمرو ابنه  
وقادهم يومئذ عرتاش من الدليم.

فلما قاربها عمرو هرب عرتاش إلى بردشير وحل ما أمكنه،

## استيلاء محمود بن سبكتكين على سجستان ومحو آثار بني الصفار منها

نيسابور، وانقرض ملك بني الصفار وذريهم من سجستان والبقاء  
لله وحده.

### الخير عن دولة بني سامان ملوك ما وراء النهر المقيمين بها الدولة العباسية وأولية ذلك ومصادره

أصل بني سامان هؤلاء من العجم، كان جدهم أسد بن سامان من أهل خراسان وببرتها، ويتسبغون في الفرس إلى بهرام حشيش الذي ولاه كسرى أنورشوان مرزبان أذربيجان. وبهرام حشيش من أهل الري ونسبهم إليه هكذا أسد بن سامان خذاء بن جثمان بن طغان بن نوشريدين بن بهرام خرين بن بهرام حشيش، ولا ثائق لنا بضبط هذه الأسماء.

وكان لأسد أربعة من الولد: نوح وأحمد ومجيسي والياس، وأصل دولتهم هذه فيما وراء النهر أن المؤمن لما ول خراسان اصطبغ بني أسد هؤلاء، وعرف لهم حق سلفهم واستعملهم. فلما اتى من قرابة الفضل بن طاهر، مكان ابنه إسحاق ومحمد بن الياس، ثم مات أحد بن أسد بفرغانة سنة إحدى وستين، وكان له من الولد سبعة: نصر وبغور ومجيسي وإسماعيل وإسحاق وأسد، وكنيته أبو الأشعث، وحيد وكنيته أبو غام.

ولما توفي أحد وكانت سمرقند من أعماله، استخلف عليها ابنه نصراً، وأقام في ولايتها أيام بني طاهر وبعدهم. وكان يلي أعماله من قبل ولادة خراسان إلى حين انقراض أمر بني طاهر واستولى الصفار على خراسان.

### ولاية نصر بن أحد على ما وراء النهر

ولما استولى الصفار على خراسان، وانقرض أمر بني طاهر، عقد المعتمد لنصر بن أحد على أعمال ما وراء النهر، فبعث جيوشه إلى شط جيرون مسلحة من عبر الصفار فقتل مقدمهم، ورجعوا إلى بخارى، وخشيهم إليها على نفسه فكسر عنها، وولوا عليهم ثم عزلوها، ثم ولوا ثم عزلوها، فبعث نصر أخيه إسماعيل على شط بخارى، وكان يعظم عمله ويقف في خدمته. ثم ول على غزنة أبا إسحاق بن التكين.

كان خلف بن أحد قد بعث ابنه طاهراً إلى قستان فملكها. ثم إلى بشنج كذلك وكانت هي وهرة لغراجع عم محمود، وكان محمود مشغلاً بالفتنة مع قراد بني سامان، فلما فرغ منها استأنه عمه في إخراج طاهر بن خلف فاذن له.

وسار إليه سنة تسعين وثلاثمائة ولقيه بنواحي بشنج فهزمه، ولح في طلبه ذكر عليه طاهر وقلبه، فباء ذلك محموداً وجمع عساكرة وسار إلى خلف بن أحد، وحاصره محسن أصبهيل، وضيق عليه حتى بذل له أموالاً جليلة، وأعطاوه الرهن عليها فافرج عنه.

ثم عهد خلف بملكه إلى ابنه، وعكف على العبادة والعلم خوفاً من محمود بن سبكتكين فلما استول طاهر على الملك عتق أبياه وكان من أمره ما تقدم. ولما قتل طاهر تغيرت نيات عساكرة، وساقت فيه ظنونهم، واستدعوا محمود بن سبكتكين وملكته مدعيتهم.

وقد خلف في حصنه وهو حصن الطاق، له سبعة أسوار محكمة، وعليها خندق عتيق له جسر يرفع ويحط عند الحاجة، فحاصره محمود سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة وطم الخندق بالأعواد والتراب في يوم واحد، وزحف لقتاله بالقوiol.

وتقدم عظيمها فاقتلع باب الحصن بنابه والقا، وملك محمود السور الأول ودفع عنه أصحاب خلف إلى السور الثاني، ثم إلى الثالث كذلك فخرج خلف واستأمن، وحضر عنده محمود وخيروه في المقام حيث شاء من البلاد فاختار الجوزجان، وأقام بها أربع سنين.

ثم نقل عنه الخوض في الفتنة، وأنه راسل إيلخان بغريف محمود، فنقله إلى جردin وحبسه هناك إلى أن هلك سنة تسع وتسعين وثلاثمائة، وورثه ابنه أبو حفص.

ولما ملك محمود سجستان واستنزل خلف من حصن الطاق، ول على سجستان أحد الفتاحي من قرادي.

ثم انتقض أهل سجستان فسار إليهم محمود سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة في ذي الحجة، وحصره في حصن أرك واقتله عليهم عنوة وقتل أكثرهم وسي باقיהם حتى خلت سجستان منهم، وصفا ملكها له فأقطعها أخاه نصراً مضافة إلى

جرجان وقد وصل كتاب المتضدد إلى إسماعيل بولاية خراسان، فكتب إليه ينهاه عن المسير إليها فأبى، فسرح إليه محمد بن هارون قائد رافم، وكان قد فارقه عند هزيمته ومقتله.

ولحق بإسماعيل فسرحة في العساكر لقتل محمد بن زيد  
العلوي ولقيه على بوجان فانهزم محمد بن زيد وغنم ابن هارون  
عسكره، وأصابت محمد بن زيد جراحات هلك لأنما مهاه، وأسر  
ابنه زيد فأنزله إسماعيل بخاري وأجري عليه، وسار محمد بن  
هارون إلى طيرستان فملكتها، وخطب فيها لإسماعيل وولاه  
إسماعيل عليها.

استيلاء إسماعيل على الري

كان محمد بن هارون قد انتقض في طبرستان على إسماعيل وخلع دعوة العباسية وكان الوالي على أهل الري من قبل المكفي وأغترّت التركي، وكان سبعي السيرة فيهما فاستدعوا محمد بن هارون من طبرستان فسار إليها، وحارب أغترّش فقتلها، وقتل بنين له وأنفخ كيغلغ من قواد المكفي، واستولى على الري فكتب المكفي إلى إسماعيل بولاية الري، وسار إليها فخرج محمد بن هارون عنها إلى قزوين وزنجان وعاد إلى طبرستان، واستعمل إسماعيل بولاية الذين على جرجان فارس الكبير والزمه بإحضار محمد بن هارون، فكتبه فارس، وضمن له إصلاح حاله، فقبل قوله وانصرف عن حسان الدليمي إلى مخارق في شعبان سنة تسعين وسبعين، ثم قبض في طريقه وأدخل إلى مخارق مقيداً، فمحس بها ومات لشهرين.

وفاة إسماعيل بن أحمد وولايته ابنه أحمد

ثم ترقى إسماعيل بن أحمد صاحب خراسان وما وراء النهر في متصرف سنة خمس وستين وسبعين ومائتين، وكان يلقب بعد موته بالماضي، وولى بعده أبو نصر أحد، وبعث إليه المكتفي بالولاية، عقد له لاءً بيده، وكان إسماعيلاً عادلاً حسن السرة حليماً.

وخرجت الترك في أيامه سنة إحدى وتسعين ومائتين إلى ما  
وراء النهر في عدد لا يحصى، يقال كان معهم سبعمائة قبة، وهي  
لا تكون إلا للرؤساء، فاستقر لهم إسماعيل الناس، وخرج من  
44: المطربة خاتمة كتاب

وخرجوا إلى الترك وهم غارون فكبسوهم مصيحيين، وقتلوا  
منهم ما لا يحصى وأنهزم الباقيون، واستبيح عسكرهم.

ثم ول على خراسان من بعد ذلك رافع بن هرثمة بولاية  
بني طاهر وأخرج عنها الصفار.

وتحصلت بينه وبين إسماعيل أعمال خوارزم فرولاه إياها، وفسد ما بين إسماعيل وأخيه نصر، ومحفظ إلى سنة اثنين وسبعين فأرسل قائد حربه بن علي إلى رافع يستتجده، فسار إليه

ثم انتقض ما بينهما وتحاربا سنة خمس وسبعين، وظفر إسماعيل بنصر.

ولما حضر عنده ترجل له إسماعيل وقبل يده ورده إلى  
كرسي إمارته بسمرقند، وأقام نائباً عنه بيخاري، وكان إسماعيل  
خيراً مكمراً لأهل العلم والدين.

## وفاة نصر بن أحمد وولادة أخيه إسماعيل علي ما وراء النهر

ثم توفي نصر سنة تسعة وسبعين ومائتين، وقام مكانه في سلطان ما وراء النهر آخره إسماعيل وولاه المتضد، ثم ولاه خراسان سنة سبع وثمانين ومائتين.

وكان سبب ولاته على خراسان أن عمرو بن الليث كان  
المتضد ولاه خراسان، وأمره بمحرب رافع بن هرثمة فحاربه وقتلته،  
ويبعث برأسه إلى المتضد، وطلب منه ولاته ما وراء النهر، فولاه  
وسير العساكر لخاربة إسماعيل بن أحمد مع محمد بن بشير من  
خواصه، فاقتتلوا إلى آمد بسط جيرون.

وعبر إسماعيل فهزمهم وقتل محمد بن بشير، ورجع إلى بخارى فسار عمرو بن الليث من نيسابور إلى بلخ يريد العبور إلى ما وراء النهر، فبعث إليه إسماعيل يستعطفه بأن الدنيا العريضة في يدك وإنما لي هذا الشغر فلبي ولحق، وعبر إسماعيل النهر وأحاط به، وهو على نجد فصار عصوراً وسال المحاجزة فلبي إسماعيل، وقاتلته فهزمه، وأخذله بعض العسكر أسريراً، وبعث به إلى سمرقند، ثم خبره في إنفاذة إلى المعتصد فاختاره، فبعث به إليه، ووصل إلى بغداد سنة ثمان وثمانين ومائتين وأدخل على جل وحسن وأرسل المعتقد إلى إسماعيل بولاية خراسان كما كانت لهم فاستولى عليها، وصارت بيده.

وَلَا قُتِلَ عُمَرُ بْنُ الْلَّيْثَ طَمْعَ مُحَمَّدَ بْنَ زَيْدَ الْعَلْوَى  
صَاحِبَ طَبْرَانَ وَالدِّيلِيمَ فِي مَلْكِ خَرَاسَانَ، فَسَارَ إِلَيْهَا وَهُوَ يَظْنُ  
أَنَّ اسْمَاعِيلَ بْنَ أَحْمَدَ لَا يَرْدِنُهَا وَلَا يَتَحَجَّهُ؛ عَمْلِهِ، فَلَمَّا سَارَ إِلَيْهَا

وَلَا مات ولي ابته أبو نصر أحد واستوثق أمره ببخارى والهدايا.  
ثم انتقض أهل سجستان على سيجور الدواني وولوا منصور ابن عمه إسحاق على نيسابور.

بعث عن عمه إسحاق بن أحد من سمرقند فقبض عليه وجسده. ثم عبر إلى خراسان ونزل نيسابور، وكان فارس الكبير مولى أبيه عاملًا على جرجان.

### مقتل أبي نصر أحد بن إسماعيل وولاية ابنه نصر

ثم قتل أبو نصر أحد صاحب خراسان وما وراء الهر آخر جادى الآخرة سنة إحدى وثلاثمائة، وكان مولعاً بالصيد، فخرج إلى ببر متصدأ، وكان له أسد يربط كل ليلة على باب خيمته فاغفل ليلة، فدعا عليه بعض غلاماته وذمحوه على سريره، وحمل إلى بخارى فدفن بها ولقب الشهيد، وقتل من وجد من أولئك الغلمان.

وولى الأمير مكانه ابنه أبي الحسن نصر بن أحد، وهو ابن ثمان سنين، ولقب السعيد.  
وتولى الأمور له أصحاب أبيه ببخارى، وحمله على عاته أحد بن الليث مستولى الأمور، وانتقض عليه أهل سجستان، وعم أبيه إسحاق بن أحد بسمرقند.

وابناته منصور والياس ومحمد بن الحسين ونصر بن محمد وأبو الحسين بن يوسف والحسن بن علي المروروذى وأحد بن سهل وليلي بن التعمان من الدليم صاحب العلوين بطبرستان، ومعه سيجور وأبو الحسين بن الناصر الأطروش وقراتكين، وخرج عليه إخوهه بخي ومنظور وإبراهيم بنو أبيه، وجعفر بن داود ومحمد بن الياس، ومرداويح ووشمكير ابنا زياد من أمراء الدليم، وكان السعيد نصر مظفراً على جميعهم.

### انتقض سجستان

وَلَا قُلْ أَحَدْ بْنْ إِسْمَاعِيلَ انتَضَى أَهْلَ سِجْسَتَانَ وَبِإِيْغَرَا لِلْمُقْتَدِرِ، وَبَعْثَ إِلَيْهِ وَأَخْرَجُوهَا سِيجُورُ الدُّوَانِي، فَأَصْفَاهَا الْمُقْتَدِرُ إِلَى بَدْرِ الْكَبِيرِ، وَأَنْفَدَ إِلَيْهَا الْفَضْلَ بْنَ حَيْدَ وَابْنَ يَزِيدَ مِنْ قَبْلِ السَّعِيدِ نَصَرَ وَسَعِيدَ الطَّالقَانِيَ بِغَزَّةٍ كَذَلِكَ فَقَصَدَهَا الْفَضْلُ وَخَالَدُ وَاسْتَوْلَاهَا عَلَى غَزَّةٍ وَسَيْنَةٍ وَقَبَضَا عَلَى سَعِيدَ الطَّالقَانِيَ وَبَعْثَاهُ إِلَى بَغْدَادَ وَهَرَبَ عَيْدَ اللَّهِ الْجَهْسَانِيَ ثُمَّ اعْتَلَ الْفَضْلَ وَانْفَرَدَ خَالَدُ بِالْأَمْرِ.

ثم انتقض فأنْفَدَ إِلَيْهِ الْمُقْتَدِرَ أَخَا طَفْجَ الْطَّرَلُونِيَ فَهَزَمَهُ

وكان ظهر له أن أباه عزله عن جرجان بفارس هذا، وكان فارس قد ولـي الـري وطـبرستان، وبـعـثـ إلى إـسمـاعـيلـ بنـ أحدـ بشـمائـلـ حـلـاـ منـ المـالـ، فـلـمـ سـمعـ بـوفـاةـ إـسمـاعـيلـ استـرـدـهاـ منـ الطـريقـ، وـحـقـدـ لـهـ أـبـوـ نـصـرـ ذـلـكـ كـلـهـ، فـخـافـهـ فـارـسـ.

فـلـمـ نـزـلـ أـبـوـ نـصـرـ نـيـساـبـورـ كـتـبـ فـارـسـ إـلـىـ الـمـكـنـيـ يـسـأـلـهـ فـيـ الـمـسـيرـ إـلـيـهـ، وـسـارـ فـيـ أـرـبـعـةـ أـلـافـ فـارـسـ، وـاتـبـعـ أـبـوـ نـصـرـ فـلـمـ يـدـرـكـ.

وـتـحـصـنـ مـنـهـ عـامـلـ أـبـيـ نـصـرـ بـالـرـيـ، وـوـصـلـ إـلـىـ بـغـدـادـ فـوـجـدـ الـمـقـدـرـ قـدـ ولـيـ بـعـدـ الـمـكـنـيـ، وـقـدـ وـقـعـتـ حـادـثـةـ اـبـنـ الـمـيـنـ فـوـلـاـهـ الـمـقـدـرـ دـيـارـ رـيـعـةـ، وـيـعـشـ فـيـ طـلـبـ بـنـيـ هـدـانـ، وـخـشـيـ أـصـحـابـ الـمـقـدـرـ أـنـ يـقـدـمـ عـلـيـهـ فـرـضـعـرـاـ عـلـيـهـ غـلـامـاـ لـهـ فـسـمـهـ وـهـاتـ بالـمـوـصـلـ، وـتـزـوـجـ النـلـامـ اـمـرـأـهـ.

### استيلاء أحد بن إسماعيل على سجستان

كـانـتـ سـجـسـتـانـ فـيـ وـلـاـيـةـ الـلـيـثـ بـنـ عـلـيـ بـنـ الـلـيـثـ، وـخـرـجـ إـلـىـ طـلـبـ فـارـسـ فـأـسـرـ مـؤـنـسـ الـخـادـمـ، وـجـبـسـ بـغـدـادـ وـولـىـ عـلـىـ سـجـسـتـانـ أـخـوهـ الـمـعـدـلـ، ثـمـ سـارـ أـبـوـ نـصـرـ أـحـدـ بـنـ إـسـمـاعـيلـ سـنـةـ سـيـعـ وـتـسـعـينـ مـنـ بـخـارـىـ إـلـىـ الـرـيـ، ثـمـ إـلـىـ هـرـةـ وـطـمـعـ فـيـ مـلـكـ سـجـسـتـانـ، فـبـعـثـ إـلـيـهـ الـعـسـكـرـ فـيـ عـمـ سـنـةـ ثـمـانـ وـتـسـعـينـ مـعـ أـعـيـانـ قـرـادـهـ: أـحـدـ بـنـ سـهـلـ وـمـحـمـدـ بـنـ الـمـظـفـرـ وـسـيـجـورـ الدـوـانـيـ وـالـحـسـينـ بـنـ الـمـرـوـرـوـذـىـ.

فـلـمـ بـلـغـ الـخـبـرـ إـلـىـ الـمـعـدـلـ بـعـثـ أـخـاهـ مـحـمـدـ بـنـ عـلـيـ إـلـىـ بـسـتـ وـالـزـنـجـ فـحـاصـرـتـهـ سـاـكـرـ سـجـسـتـانـ وـسـارـ أـحـدـ بـنـ إـسـمـاعـيلـ إـلـىـ بـسـتـ فـمـلـكـهـ، وـأـسـرـ مـحـمـدـ بـنـ عـلـيـ، وـبـلـغـ الـخـبـرـ إـلـىـ الـمـعـدـلـ فـاسـتـامـ إـلـىـ الـحـسـينـ فـمـلـكـهـ، وـحـلـ الـمـعـدـلـ مـعـ إـلـىـ بـخـارـىـ.

وـولـىـ الـأـمـرـ عـلـىـ سـجـسـتـانـ أـبـاـ صـالـحـ مـنـصـورـ بـنـ عـمـ إـسـحـاقـ بـنـ أـحـدـ، وـكـانـ قـدـ قـبـضـ عـلـىـ إـسـحـاقـ لـأـوـلـ وـلـايـةـ، ثـمـ أـطـلقـهـ الـآنـ وـأـعـادـهـ إـلـىـ سـمـرـقـنـدـ وـفـرـغـانـةـ.

وـقـدـ كـانـ سـيـكـرـيـ هـزـمـتـهـ سـاـكـرـ الـمـقـتـدـرـ بـفـارـسـ، وـخـرـجـ إـلـىـ مـقـازـةـ سـجـسـتـانـ فـبـعـثـ الـحـسـينـ عـسـكـرـاـ لـأـعـتـارـاسـهـ، وـأـخـذـ أـسـيـرـاـ، وـبـعـثـاهـ بـهـ وـبـمـحـمـدـ بـنـ عـلـيـ إـلـىـ بـغـدـادـ، وـبـعـثـ الـمـقـتـدـرـ إـلـىـ أـحـدـ بـالـخـلـعـ

## انتهاض منصور بن إسحاق العم والحسين والمورودي

خالد، وسار إلى كرمان، فأنفذ إليه بدر الجيش فأخذ أسيراً ومات، وحمل إلى بغداد. ثم أنضم وعاد إلى آمد وسار إليهم الحسن بن القاسم العلوي الداعي صهر الأطروش فقتله متولاً عليهم بأنه لم يحضر لعهدهم.

واستولى الأطروش على طبرستان سنة إحدى وثلاثمائة أيام السعيد نصر، وخرج صعلوك إلى الري متولاً عليهم، ومنها إلى بغداد. وكان الذين أسلموا على يد الأطروش الدليل من وراء أسفنجاب إلى آمد، فيهم شيعة زيدية. وكان الأطروش زيدياً، وخرجت طبرستان يومئذ من ملكبني سامان.

## انتهاض منصور بن إسحاق العم والحسين والمورودي

كان الأمير أحد بن إسماعيل لما افتتح سجستان ول عليها منصور ابن عمه إسحاق، وكان الحسين بن علي هو الذي تولى تتها وطبع في لاهيا.

ثم افتحها ثانيةً كما ذكرنا فوليا سيجور الدواني، فاستوحش الحسين لذلك، ودخل منصور بن إسحاق في الانتفاضة، على أن تكون إمارة خراسان لمنصور والحسين بن علي خليفته على أعماله.

فلما قتل الأسير أحد انتقض الحسين بهرة، وسار إلى منصور بن نيسابور فانتقض أيضاً، وخطب لنفسه سنة اثنين وثلاثمائة وسار القائد حويه بن علي من بخاري في العساكر لمحاربته، ومات منصور قبل وصوله.

فلما قارب حويه نيسابور سار الحسين عنها إلى هرة، وأقام بها، وكان محمد بن جند على شرطته من ملة طربلة، وبعث من بخاري بالنکير، فخشى على نفسه، وعدل عن الطريق إلى هرة فسار الحسين بن علي من هرة إلى نيسابور، بعد أن استخلف عليها أخيه منصوراً فملك نيسابور، فسار إلى بخاري من بخاري أحمد بن سهل فحاصر هرة وملكتها من منصور على الأمان.

ثم سار إلى نيسابور فحاصر بها الحسين وملكتها عنزة، وأسر الحسين سنة اثنين وثلاثمائة.

وأقام أحد بن سهل بن نيسابور وجاءه ابن جيد مزمر وقبض

## انتهاض إسحاق العم وابنه الياس

كان إسحاق بن أحد عم الأمير أحد بن إسماعيل واليَا على سمرقند، فما بلغه مقتل الأمير أحد، ولولية ابنه السعيد نصر، دعا لنفسه بسميرقند، وتابعه ابنه الياس على ذلك.

وساروا إلى بخاري فierz إليهم القائد حويه بن علي فهزمهم إلى سمرقند.

ثم جعوا وعادوا فهزمهم ثانية، وملك سمرقند من أيديهم عنزة.

واختفى إسحاق وجده حويه في طلبه فضاق به مكانه، واستأتم إلى حويه وحله إلى بخاري وأقام بها إلى أن هلك، ولحق الياس بفرغاته فأقام بها إلى أن خرج ثانيةً كما يأتي.

## ظهور الأطروش واستيلاؤه على طبرستان

قد تقدم لنا في أخبار العلوية شأن دولة الأطروش وبينه بطرستان، وهو الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن عمرو بن علي بن الحسن السبط، وأنه استعمل الأمير أحد، على طبرستان مكانه أبا العباس أحد عبد الله بن محمد بن نوح فأحسن السيرة، وعدل في الرعية وأكرم العلوية وبالغ في الإكراه والإحسان إليهم.

واستمال رؤساء الدليل وهادهم، وكان الحسن الأطروش قد دخل إليهم بعد قتل محمد بن زيد وأقام فيهم ثلاث عشرة سنة يدعوه إلى الإسلام، ويقتصر منهم على العشر، ويدافع عنهم ملوكهم ابن حسان، فأسلم منهم خلق كثير، واجتمعوا إليه، وينبئ في بلادهم المساجد، ودعاهم للمسير معه إلى طبرستان فلم يجيئوه إلى ذلك.

ثم عزل أبو العباس، وتولى سلام فلم يحسن سياسة الدليل فخرجا عليه، وقاتلوه فهزمهم، واستعلن بالأمير أحد السعيد، فأعاد الأمير أحد إليها ابن نوح، فاستعمل عليها أبا العباس محمد بن إبراهيم صعلوك، ففسد ما بينه وبين الدليل بإساءة السيرة وعدم السياسة.

فطلبهم الأطروش في الخروج معه فخرجا، ولقيهم ابن صعلوك على مرحلة من سالوس وهي ثغر طبرستان فانهزم وقتل

إليها في ذي الحجة سنة ثمان وثلاثمائة فملكتها، وأقام بها الخطبة للداعي الحسين بن القاسم، وأنفذ السعيد نصر العساكر من بخارى مع حموه بن علي ومحمد بن عبيد الله البلغمي وأبي جعفر صعلوك، وخوارزم شاه وسيجور الدواني، فانهزم أكثر أصحاب حموه وثبت القواد، وجالت العساكر جولة فانهزم ليلى ودخل آمد.

وللقه بقراخان ملك الترك جاء مع العساكر مددًا فقبض على ليلى في آمد، وبعث إلى حموه بذلك، فبعث إليه من قطع رأس ليلى في ربى سنة تسع وثلاثمائة.

وبعث به إلى بخارى وطلب قواد الديلم الذين كانوا مع ليلى الأمان فأمنوهم بعد أن أشار حموه بقتلهم والراحة منهم، فلم يوافقوه.

وهو زلاء القواد هم الذين خرجنوا بعد ذلك على الجهات وملкроها مثل: أسفار ومداريج وأنوشكين وبني بويه وستاني أخارهم وبقي فارس غلام قراتكين بجرجان والياً عليها.

ثم جاءه قراتكين واستأمن إليه غلامه فارس فامنه، ثم قتله سنة ست عشرة وثلاثمائة وانصرف عن جرجان.

### حرب سيجور مع ابن الأطروش

ولما قتل قراتكين غلامه سنة ست عشرة وثلاثمائة وانصرف عن جرجان سار إليها أبو الحسن بن ناصر الأطروش من أستراباذ فملكتها.

وانفذ السعيد لحربه سيجور الدواني في أربعة آلاف فارس فنزل على فرسخين من جرجان، وخرج إليه أبو الحسن في ثمانية آلاف راجل من الديلم فاقتلا، وكان سيجور قد أكمن لهم وأبطأ عليه الكمين فانهزم واتبعه سرخاب، وشنقل عسكر أبي الحسن بالنهب.

ثم خرج عليهم الكمين بعد ساعة فانهزم أبو الحسن وقتل من عسكره نحو من أربعة آلاف، وركب البحر إلى أستراباذ واجتمع إليه قل من أصحابه، وجاءه سرخاب بعد أن رجع عن سيجور، وجمع عيال أصحابه وخلفهم وقدم بهم وأقام سيجور بجرجان.

ثم مات سرخاب ورجع ابن الأطروش إلى سارية بعد أن استخلف ما كان بن كالي على أستراباذ، واجتمع إليه الديلم وأمره.

عليه وسيره والحسين بن علي إلى بخارى فاما ابن جيد مزمر فسير إلى خوارزم ومات بها، وأما الحسين فحبس.

ثم خلصه أبو عبد الله الجhani مدبر الدولة، وعاد إلى خدمة السعيد نصر.

### انتقام أحد بن سهل بنيسابور وفتحها

كان الأمير أحد بن سهل من قواد إسماعيل، ثم ابنه أحد، ثم ابنه نصر بن أحد.

قال ابن الأثير: وهو أحد بن سهل بن هاشم بن الوليد بن جبلة بن كامكان بن يزدجرد بن شهران الملك.

قال: وكان كامكان دهقان بنواحي مرو.

قال: وكان لأحد إخوة ثلاثة وهم: محمد والفضل والحسين قتلوا في عصبية العرب والعجم وكان خليفة عمرو بن الليث على مرو فخطه وحسب سجستان.

ثم قر من محبسه ولحق بعرو فملكتها واستأمن إلى أحد بن إسماعيل، وقام بدعورته فاستدعاه إلى بخارى وأكرمه ورفع منزلته، ونظمه في طبة القواد وفقي في خدمته وخدمة بيته، فلما انتقض الحسين بن علي على بنيسابور على السعيد نصر بن أحد بن إسماعيل سنة اثنين وثلاثمائة، سار إليه أحد بن سهل في العساكر وظفر به كما مر، وول السعيد نصر بن أحد بن إسماعيل على نيسابور قراتكين مولاهم.

### مقتل ليلي بن النعمان ومehrake

كان ليلي بن النعمان من كبار الديلم، ومن قواد الأطروش، وكان الحسن بن القاسم الداعي قد ولأه على جرجان سنة ثلاث وثلاثمائة، وكان أولاد الأطروش يملونه في كتابهم بالمؤيد لدين الله المتصر لأولاد رسول الله عليه السلام، وكان كريماً شجاعاً.

ولما ول جرجان سار إليه قراتكين وقاتلته على عشرة فراسخ من جرجان، فانهزم قراتكين، واستأمن غلامه فارس إلى ليلي في ألف رجل من أصحابه، فامنه وأكرمه وزوجه أخته، واستأمن إليه أبو القاسم بن حفص ابن اخت سهل، وحرضه على المسير إلى نيسابور وبها قراتكين، وكان أجناده قد كثروا وضاقت عليهم الأموال فاستأذن الداعي في المسير إلى نيسابور، فاذن له، وسار

وحاربه فقتله، واستولى على الري ثم استدعاه المقدار سنة أربع عشرة وثلاثمائة إلى واسط لقتال القرامطة، وكتب إلى السعيد نصر بن أحد بولالية الري فاستخلف عليها وأمره بالمسير إليها، وأخذها فاتك مولى يوسف بن أبي الساج فسار نصر السعيد لذلك أول سنة أربع عشرة وأربعين سنة فلما وصل إلى جبل قارن منه أبو نصر الطبرى من الاجتياز به، فبذل له ثلاثين ألف دينار واسترضاه.

وسار إلى الري فخرج عنها فاتك، واستولى عليها السعيد متتصف السنة، وأقام بها شهرين.

ثم عاد عنها إلى بخارى واستعمل عليها محمد بن علي الملقب صعلوك، فقام بها إلى شعبان سنة ست عشرة، وفرض كتاب الداعي وما كان بن كالي في القديم ليس لم الري. فقدموا واستولوا على الري وسار صعلوك عنها فمات في طرفة، وأقام الحسن الداعي بالري مالكا لها، واستولى معها على قزوين وزنجان وأبهر وقم ومعه ما كان.

وكان أسفار قد استولى على طبرستان، فسار الداعي وما كان إليه، والتقا على سارية فانهزم، وقتل الداعي كما مر في أخبار العلوية بطبرستان.

## ولاية أسفار على جرجان والري

كان أسفار بن شيرويه من أعيان الدليل وكان من أصحاب ما كان بن كالي.

وقد تقدم لنا أن أبا الحسن بن الأطروش ولـ ما كان على أستراباذ وأن الدليل اجتمعوا إليه وأمروه، وأنه ملك جرجان واستولى بعدها على طبرستان، وولى أخيه أبا الحسن بن كالي على جرجان.

وكان أسفار بن شيرويه من قواده، فانصرف مغاضباً عنه سنة خمس عشرة وثلاثمائة إلى بكر بن محمد بن اليسع بنيسابور فبعث بكر إلى جرجان ليقتله، وأضطرب أمر جرجان لأن ما كان ابن كالي اعتقل بها أبا علي الأطروش بنظر أخيه ابن كالي، فوثب الأطروش على أخيه أبي الحسن وقتلته ومملكته جرجان. واستقدم أسفار بن شيرويه فقدم وضبط أمره، وسار إلىهم ما كان من طبرستان في جيشه فهزمه، واتبعوه إلى طبرستان فملقوها، وأقاموا بها.

وذلك أبو علي بن الأطروش بطبرستان، فعاد ما كان بن كالي وإنخرج أسفار بن شيرويه من طبرستان.

ثم سار إلى أستراباذ ومعه محمد ليظهر غناهم فخرج من سارية، وولوا عليها بقراخان، ووصلوا إلى جرجان ثم إلى نيسابور ورجع ما كان إلى أستراباذ مع جرجان ولحق بقراخان بنيسابور. وهذا كان مبدأ أمر ما كان بن كالي وستانى أخباره.

## خروج الياس بن إسحق

قد تقدم لنا انتصارات إسحاق وابنه الياس بسمرقند سنة إحدى وثلاثمائة، وكيف غلبهم القائد حمود، وسار بإسحاق إلى بخارى ومات بها.

ولحق ابنه الياس بفرغانة فقام بها إلى سنة ست عشرة وثلاثمائة، وأجمع المسير إلى سمرقند واستظهر محمد بن الحسين برمت من قواد بي سامان، واستمد أهل فرغانة من الترك فامدوه، واجتمع إليه ثلاثة ألف فارس، وقصد سمرقند وبعث السعيد للدفاع عنها أبا عمرو ومحمد بن أسد وغيره في الفين وخمسين راجل.

فلما ورد الياس كمنا له بين الشجر حتى إذا اشتغل عساكره بضرب الآية خرجوا عليه، فانهزم الحسن بن ست وخلق بأسيفجان ومنها إلى ناحية طراز وكريت فلقيه دهقان الناحية فقتلته، وأنفذ رأسه إلى بخارى.

ثم استمد الياس صاحب الشاش، وهو أبو الفضل بن أبي يوسف فامده بنفسه وبعث إليه اليسع بالمد، وعاود محاربة الوالي بسمرقند، فانهزم إلى كاشغر، وأسر أبو الفضل وحمل إلى بخارى فمات بها.

وسار الياس إلى كاشغر وصاحبها طغاتكين من ملوك الترك فصاهره بابنته وأقام معه.

## استيلاء السعيد على الري

كان المقدار قد عقد على الري ليوسف بن أبي الساج، وسار إليه سنة إحدى عشرة وثلاثمائة فملكه من يد أحد بن علي أخيه صعلوك، وقد كان فارق أخيه صعلوكاً وسار إلى المقدار فولاه على الري.

ثم انتقض على المقدار ووصل يده بما كان بن كالي قائد الدليل وأولاد الأطروش وهم بطبرستان وجرجان.

وقرار طاعة المقدار، فسار إليه يوسف بن أبي الساج

ثم زحف أسفار إلى الداعي وما كان والتقوا على السيارة معهم في الحبس من العلوين والديلم والعيارين. فانهزم الداعي وما كان وقتل الداعي.

وأجتمع إليهم من كان واقفهم من العسكر والقراط وأسهم شرورين الجبلي، وسايعوا يجسّى ابن الأمير أحمد، ونهوا خزائن السعيد وقصوره.

وقدم يحيى أبا بكر الخباز، وبلغ الخبر إلى السعيد فعاد من نيسابور إلى بخارى.

وكان أبو بكر محمد بن المظفر بن محتاج صاحب خراسان مقیماً بجرجان، فاستدعاي ماكان بن کالی وصاهره، وولاه نيسابور فسار إليها.

ولما جاء السعيد إلى بخارى اعترضه أبو بكر الخباز عند النهر فهزمه السعيد، وأسره ودخل بخارى فعنده وأحرقه في توره الذي كان يغمر فيه.

ولحق يحيى بسمارقند ثم من بنواحى الصفانيان، وبها أبو علي بن أحد بن أبي بكر بن المظفر بن محتاج صاحب خراسان مقیماً بجرجان، فاستدعاي ماكان بن کالی إلى جرجان، ولقوا بها محمد بن الیاس، وقوى أمره، فلما جاء يحيى إلى نيسابور خطب له وأظهر دعورته.

ثم قصدتهم السعيد فافتقر، ولحق ابن الیاس بكرمان، ولحق يحيى وقراتكين بیست والرخیج، ووصل السعيد إلى نيسابور سنة عشرين وثلاثمائة واصطلح قراتكين وأمنه وولاه بلخ، وذهبت الفتنة.

وأقام السعيد بنيسابور إلى أن استأمن إليه أخوه يحيى ومنصور وحضر عنده وهلاكا، وفر إبراهيم إلى بغداد، ومنها إلى الموصل، وهلك قراتكين بیست، وصلحت أمور الدولة.

وكان جعفر بن أبي جعفر بن داود والیاً لبني سامان على كل الختل، فاستраб به السعيد، وكتب إلى أبي علي أحد بن أبي بكر محمد بن المظفر وهو بالصفانيان أن يسير إليه، فسار إليه وحاربه وكسره، وجاء به إلى بخارى فحبس بها، فلما فتق السجن خرج مع يحيى وصحبهم.

ثم لما رأى تلاشي أمره استأنه في المسير إلى الختل فأذن له فسار إليها، وآقام بها، ورجع إلى طاعة السعيد سنة ثمان عشرة وصلح حاله.

(والختل بناء معجمة مضمومة وتأمّل مشاة فوقانية مشددة مفتوحة).

ودعا للسعيد نصر بن أحد صاحب خراسان واستعمل على آمد هارون بن بهرام يريد استخلاصه لنفسه، لأن هارون كان يخطب لأبي جعفر من ولد الأطروش فولاه آمد وزوجه بعض النساء الأعيان فبني بها.

وحضر عرسه أبو جعفر وغيره من العلوين، فهجم عليه أسفار يوم العرس فقبض على أبي جعفر والعلوين وحملهم إلى بخارى فاعتقلوا بها، واستحلّ أمر أسفار وانتقض على السعيد صاحب خراسان وعلى الخليفة المقتدر.

وسار السعيد من بخارى إلى نيسابور لمارته وأشار عليه وزيره محمد بن مطرف البرجاني بطاعة السعيد، وخرفه منه، فقبل إشارته ورجع إلى طاعة السعيد، وقبل شروطه من حل المال وغيره ثم انتقض عليه مرداويح واستدعاي ماكان من طبرستان وهزم أسفار وقتلها، وملك ما بيده من الأعمال كما يذكر في أخبار الديلم.

ثم ملك طبرستان وجرجان من يد ماكان، فاستمد ماكان السعيد فامده بابي علي بن محمد المظفر فهوها مرداويح، وعاد أبو علي إلى نيسابور وماكان إلى خراسان.

## خروج أولاد الأمير أحمد بن إسماعيل على أخيهم السعيد

كان السعيد نصر بن أحد لما ولّ استراب بخارى، وكانت ثلاثة: أبو زكريا يحيى وأبو صالح منصور وأبو إسحاق إبراهيم أولاد الأمير أحمد بن إسماعيل، فحبسهم في القندھان ببخارى ووكل بهم.

فلما سار السعيد إلى نيسابور سنة خمس عشرة فتقوا السجن وخرجوا منه على يد رجل خباز من أصفهان يسمى أبا بكر، داخلهم في عبسهم بتسهيل نفقتهم التي كانت على يده.

و جاء إلى القندھان قبل يوم الجمعة الذي كان ميقاتاً لفتحه، وأقام عندهم مظهراً للزهد والدين، وبذل للباب دنانير على أن يفرجه ليلحق الصلاة في الجماعة، ففتح له الباب وقد أعد لهم جماعة للوئوب، فحبسوا الباب، وأخرجوا أولاد الأمير أحمد ومن

## ولاية ابن المظفر على خراسان

ووصل إلى نيسابور بعد أن كان محمد بن المظفر قد استولى عليها، بعث إليه مددًا فهزمه عساكر وشمير فاتصر ما كان عن حربهم، وأقام بنيسابور وجعلت ولايتها له، وذلك أول سنة أربع وعشرين وثلاثمائة ثم صفت كرمان محمد بن الياس بعد حروب مع جيش نصر كان له الظفر فيها آخرًا.

### استيلاء ما كان على كرمان وانتقامه

لما ملك ما يخين جرجان وأقام ما كان بنيسابور وجعلت ولايتها له وهلك ما يخين لأيام من دخوله جرجان، استقر محمد المظفر مكان المسير إلى جرجان فاعتزل بالخروج بجميع أصحابه وسار إلى أسفارين، فأنفذ عسكراً إلى جرجان واستولى عليها. ثم انتقض وسار إلى نيسابور وبها محمد بن المظفر وكان غير مستعد للحرب فسار نحو سرخس، ودخل ما كان بنيسابور سنة أربع وعشرين وثلاثمائة ثم رجع عنها خوفاً من اجتماع العساكر.

### ولاية علي بن محمد على خراسان وفتحه

جرجان

كان أبو بكر محمد بن المظفر بن محتاج صاحب خراسان من ولاة السعيد عليها سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة فلما كانت سنة سبع وعشرين وثلاثمائة اعتزل أبو بكر وطال به مرضه، وقصد السعيد راحته فاستقدم ابنه أبي علي من الصبغيان، وبعثه أميراً على خراسان واستدعى أبوه أبي بكر فلقي ابنه أبي علي على ثلاثة مراحل من نيسابور فوصله وحمله حلاً من سياساته. وسار إلى مخارق ودخل ابنه أبو علي نيسابور من السنة فأقام بها أيامًا.

ثم سار في حرم سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة إلى جرجان وبها ما كان بن كالي مستنقضاً على السعيد، وقد غروا المياه في طريقه فسلك إليهم غمرة حتى نزل على فرسنه من جرجان، وحاصرها وضيق عليها وقطع الميرة عنها حتى جدهم الحصار. وبعث ما كان بن كالي إلى وشمير وهو بالري، فأمده بقائد من قواه فلما وصل إلى جرجان شرع في الصلح بينهما لينجو فيه ما كان قتل ذلك، وهرب ما كان إلى طبرستان واستول أبو علي على جرجان سنة ثلاثة عشر وعشرين وثلاثمائة واستخلف عليها إبراهيم بن سيجور الدواني.

## ولاية ابن المظفر على خراسان

كان أبو بكر محمد بن المظفر والياً للسعيد نصر على جرجان.

ولما استفحلا أمر مرداويع بالري كما يأتي في أخبار الدليم، خرج عنها ابن المظفر ولحق بالسعيد نصر في نيسابور وهو مقسم بها، فسار السعيد في عساكره نحو جرجان، ووقعت المكابحة بين محمد بن عبيد الله البلغمي مدبر دولته، وبين مطرف بن محمد، واستعمله محمد فمال إليه مطرف وقتل سلطانه مرداويع.

ثم بعث محمد يتتصح لمراويع ويدركه نعمة السعيد عنده في اصطناعه وتولته، وتفرق العار في ذلك المطرف الوزير الهاكل ويهدول عليه أمر السعيد ويغوفه ويشير عليه بمسالة جرجان إليه، وصالحة السعيد عليها.

ولما فرغ السعيد من أمر جرجان وأحكمه استعمل محمد بن المظفر بن محتاج على جيوش خراسان سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة ورد إليه تدبير الأمور بجميع نواحيها، وسار إلى كرسى ملكه بخاري واستقر بها.

### استيلاء السعيد على كرمان

كان محمد بن الياس من أصحاب السعيد، ثم سخطه وحبسه، وفع فيه محمد بن عبيد الله البلغمي فاطلقه، وسيره محمد بن المظفر إلى جرجان.

ثم سار إلى بيجي وانحبوه عندما توبيوا بخاري فكان معه في الفتنة، وخطب له بنيسابور كما مر.

فلما حُفِّ السعيد إليهم فارق بيجي ولحق بكرمان، واستولى عليها.

ثم خرج إلى بلاد فارس وبها ياقوت مولى الخلفاء فوصل إليه باصطخر يريد أن يستأمان له، وأططلع ياقوت على مكره، فرجع كرمان ثم بعث السعيد ما كان بن كالي في العساكر سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة وقاتل ابن الياس وهزمه وملك كرمان بدعوة السعيد نصر بن أحد وسار الياس إلى الديور.

ثم رجع ما كان عن كرمان على ما ذكره بعد، فرجع إليها ابن الياس، وسبب خروج ما كان أن السعيد بعد قتل مرداويع كتب إليه وإلى محمد بن المظفر صاحب خراسان أن يقصد جرجان والري وبها وشمكير نحو مرداويع، فجاء ما كان على المفارة

## استيلاء أبي علي على الري وقتل ماكان بن كالي

ولما ملك أبو علي جرجان أصلح أمورها.

ثم استخلف عليها إبراهيم بن سفيجور وسار إلى الري في  
ربيع سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة، وبها وشمكير بن زياد أخوه  
مرداويج قد تغلب عليها من بعد أخيه.

وكان عماد الدولة وركن الدولة ابناً بويه يكتابان ابنًا على صاحب خراسان، ويستحثانه لقصد الري بأنّ ابنًا على لا يقيم بها لسعة ولا يتهيّق فتصفو لهما.

فلمسا سار أبو علي لذلك بعث وشمكير إلى مكان بن كالي يستتجده، فسار إليه من طبرستان وسار أبو علي، وجاءه مدد ركن الدولة بن بويه والتقى بتوأمي الري فأنهزم وشمكير وما كان.

ثم ثبت مكان، ووقف مستميّناً فأصابه سهم قتله، وهرب وشمير إلى طبرستان فاتّقها واستولى أبو علي على الري سنة تسع وعشرين وثلاثمائة وأنفذ رأس مكان والأسرى معه إلى بخاري فأقاموا حتى دخل وشمير في طاعة بنى سامان.

وسار إلى خراسان سنة ثلاثين وثلاثمائة واستوّه بهم الأسرى فأطلقوا له وبقي الرأس ببخاري ولم يُعمل إلى بغداد.

استيلاء أبي علي على بلد الجبل

ولما ملك أبو علي بن محتاج صاحب خراسان بلد الري والجبل من يد وشمكير، وأقام بها، دعوة السعيد نصر بعث العساكر إلى بلد الجبل ففتحها، واستولى على زنجان وألبهر وقزوين وقم وكربلا وهمدان ونهادن والدينور إلى حدود حلوان، ورتب فيها العمال وجهم، والأموال.

وكان الحسن بن الفيزان بسارية وهو ابن عم ماikan بن  
كالي وكان وشمير يطمع في طاعته له وهو يتمتع، فقصده  
وشمير وخاصة بسارية وملكها عليه.

واستجد الحسن أبا علي بن محتاج فسأله لخسار  
وشمكير بسارية سنة ثلاثين وثلاثمائة، وضيق عليه حتى سأله  
المراودة، فصالحه أبو علي على طاعة المستبد نصر، وأخذ رهنه،  
ورحل عنه إلى عربجان سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة.

ثم بلغه موت السعيد فعاد أبو علي إلى خراسان فملكتها  
ورأسه الحسين بن الفرزان مستعملة ورد عليه الله تعالى نسلام الهمة

لِيُسْتَعِينَ بِهِ عَلَى الْخَرَاسَانَيْةِ، فَوَعْدَهُ وَأَطْمَمَهُ.

ولما ملك وشكمير الري طمع فيه بنو بوبه لأنه كان قد اختلس أمره بمحادته مع أبي علي، فسار الحسن بن الفيزان إلى الري، وقاتل، وشكمير فهزمه، واستأمن عليه الكثير من جنده.

وسار وشمكير إلى الري فاعترضه الحسن بن الفيروز من  
جرجان وهزمه إلى خراسان، وراسل الحسن ركناً الدولة وتزوج  
بناته واتصل، ما بينهما.

وفاة السعيد نصر ولاية ابنه نوح

ثم أصحاب السعيد نصراً صاحب خراسان وما وراء النهر  
مرض السل، فاعتل ثلاثة عشرة شهراً ومات في شعبان سنة  
إحدى وثلاثين وثمانمائة لثلاثين سنة من ولادته.  
وكان يؤثر عنه الكرم والحلم، وأخلص في مرضه التوبة إلى  
أن توفي.

ولما مات ولی مكانه ابته نوح، وكان يؤثر الكرم والحلم عنه،  
ويابيه الناس ولقب الحميد، وقام بتثبيت ملکه أبو الفضل أحد بن  
حريوه وهو من أكابر أصحاب أبيه، كان أبوه السعيد ولی ابته  
إسماعيل بخاری في كفالة أبي الفضل وولايته، فاساء السيرة مع  
نوح وحقد له ذلك.

وتوفي إسماعيل في حياة أبيه، وكان يؤثر أبا الفضل فحضره من ابنه نوح.

فَلَمَّا وَلِي نَرْحُ سَارُ أَبْرُ الْفَضْلُ مِنْ مَخَارِيٍّ وَعَبَرَ جِيحُونَ إِلَى  
آمِدٍ.

وكان بينه وبين أبي علي بن محتاج صهر، فبعث إليه يخبره  
قدومه فنهاه عن القدوة عليه.

ثم كتب له نوح بالأمان وولاه سمرقند وكان على الحاكم  
الإمامية والراية، والأئمة يكتفون بالعلم والدين

ثم انتقض عبد الله بن أشكام بخوارزم على الأمير نوح  
نسار من بخارى إلى مرو سنة اثنين وثلاثين وثلاثمائة وبعث إليه  
جيشاً مع إبراهيم بن فارس فمات في الطريق.

وأستجار ابن أشكام على ملك الترك، وكان ابنه محبوساً بمخارق  
بعث إليه نوح بإطلاق ابنه على أن يقبض على ابن أشكام،  
وأجابه ملك الترك بذلك:

ولما علم بذلك ابن أشكام عاد إلى طاعة شرح وعفافه

وأكرمه.

## انتقام أبي علي وولاية منصور بن قراتكين على خراسان

قد تقدم لنا أن الأمير نوحأ عزل أبي علي بن محتاج عن خراسان، وكان من قبلها عزله عن ديوان الجندي وهو لنظره، وبعث من يستعرض الجندي فمحا وأثبت وزاد في العطاء ونقص فاستوحش لذلك كله، واستوحش الجندي من التعرض إليهم بالإسقاط، ولأرزاقهم بالقصاص.

وخلص بعضهم إلى بعض بالشكوى، واتفقوا في سيرهم إلى الري وهم بهمندان على استقادام إبراهيم بن أحد أخي السعيد الذي كان قد هرب أمامه إلى الموصل كما تقدم.

وظهر أبو علي على شانهم، فذكر عليهم فتهدوه، وكانتروا إبراهيم واستدعوه، وجاء إليهم بهمندان في رمضان سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة وكانته أبو علي، وكتب آخره الفضل سراً إلى الأمير نوح بذلك، وفي خبر كتابه إلى أخيه أبي علي فقبض عليه، وعلى متولي الديوان.

وسار إلى نيسابور، واستخلف على الري والجبل، وبلغ الخبر إلى الأمير نوح، فنهض إلى مرو وأضطرب الناس عليه، وشكوا من محمد بن أحد الحاكم مدبر ملكه، ورأوا أنه الذي أوحش أبي علي وأفسد الدولة، فنفوا ذلك عليه، واعتلوه عليه فدفع إليهم الحاكم قتلوه متصرف خس وثلاثين وثلاثمائة.

ووصل أبو علي إلى نيسابور وبها إبراهيم بن سيجور ومنصور بن قراتكين وغيرهما من القواد فاستلمهم، وساروا معه، ودخلها في حرم سنة ست وثلاثين وثلاثمائة ثم ارتاب بمنصور بن قراتكين فحبسه، وسار من نيسابور ومعه العسم إبراهيم إلى مرو، و Herb آخره الفضل في طريقه من محبسه، ولحق بهستان.

ولما قاربوا مرو أضطرب عسكر الأمير نوح، وجاء إليهم أكثرهم، واستولى عليها وعلى طخارستان، وبعث نوح العساكر من بخاري مع الفضل أبي علي إلى الصغانيان فأقام بها، ودس إليهم أبو علي فقضوا على الفضل وبعثوا به إلى بخاري وعاد أبو علي من طخارستان إلى الصغانيان فأقاموا بها في ربيع سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة وقاتل العساكر فغلبوه، ورجع إلى الصغانيان، ثم تجاوزها وأقام قريباً منها، ودخلتها العساكر فخربوا قصصه ومساكنه، وخرجوا في اتباعه، فرجع وأخذ عليهم المسالك، فضاقت أحواهم، وجنحوا إلى الصلح معه على أن يبعث بابنه أبي المظفر عبد الله إلى الأمير نوح رهينة، فانعقد ذلك متصرف سنة

## استيلاء أبي علي على الري ودخول جرجان في طاعة نوح

ثم إن الأمير نوحأ سار إلى مرو وأمر أبي علي بن محتاج أن يسير بعساكر خراسان إلى الري ويترعوا من يد ركن الدولة بن بريه فسار بذلك، ولقي في طريقه وشمكير وأفاداً على الأمير نوح بفتحه إليه.

وسار أبو علي إلى بسطام فاضطرب جنوده، وعاد عنه منصور بن قراتكين من أكبر أصحاب نوح، فقصدوا جرجان وصلهم الحسن بن الفيزران فانصرفوا إلى نيسابور، وسار إلى الأمير نوح عمرو فأعاده وأمده بالعساكر.

وسار من نيسابور في متصرف ثلاث وثلاثين وثلاثمائة وعلم ركن الدولة بكثرة جموعه، فخرج من الري واستولى أبو علي عليها، وعلى سائر أعمال الجبال، وأفذ نوابه إلى الأعمال وذلك في رمضان من ستة.

ثم سار الأمير نوح من مرو إلى نيسابور، وأقام بها، ووضع جماعة من الغوغاء وال العامة يستغيثون من أبي علي ويشكون سوء السيرة منه ومن نوابه، فولى على نيسابور إبراهيم بن سيجور وعاد عنها وقد أدى أن يقيم أبو علي بباري لحسن دفاعه عنها وينقطع طمعه عن خراسان، فاستوحش أبو علي للعزل وشق عليه.

وبعث أخاه أبا العباس الفضل بن محمد إلى كور الجبال، وولاه بهمندان، وخلافة العساكر، فقصد الفضل نساوند والدينور، واستولى عليها واستأنف إليه رؤساء الأكراد بتلك التواحيدي، وأعطوا رهنهم على الطاعة وكان وشمكير لما وفد على الأمير نوح عمرو كما قدمته استمدته على جرجان، فأمده بعسكر، وبعث إلى أبي علي بمساعدته، فلقي أبي علي منصরه في المرة الأولى من الري إلى نيسابور، بعث معه جميع من بقي من العسكر، وسار وشمكير إلى جرجان وقاتل الحسن بن الفيزران فهزمه واستول على جرجان بدعوة نوح بن السعيد وذلك في صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة.

سبع وثلاثين وثلاثمائة، وبعث بابنه إلى مخارى فأمر نوح بلقائه، فاعتقلوا بها.

ولما وصل محمد بن عبد الرزاق إلى ركن الدولة بن بوه  
أفاض عليه العطاء وسرحه إلى محاربة المربزان بأذربيجان كما يائي.

### استيلاء ركن الدولة بن بوه على طبرستان وجرjan ومسير العساكر إلى جرجان والصلاح مع الحسن بن الفيزان

ولما وقع من الاضطراب ما وقع بخراسان، اجتمع ركن الدولة بن بوه والحسن بن الفيزان، وقصدوا بلاد شمكير فهزموه، وملك ركن الدولة طبرستان.

وسار إلى جرجان فملكتها، وأقام بها الحسن بن الفيزان.  
واستأمن قرداد وشمكير اليهم فامتهنهم وسار وشمكير إلى خراسان مستجداً بصاحب خراسان، فسار معه منصور بن قراتكين في عساكر خراسان إلى جرجان، وبها الحسن بن الفيزان.  
واسترهن ابنه، ثم أبلغه عن الأمير نوح ما ألقاه فأعاد على الحسن ابنه وعاد إلى نيسابور وأقام وشمكير بارز.

### مسير ابن قراتكين إلى الري وعدوه إليه

ثم سار منصور بن قراتكين سنة سبع وثمانين وثلاثمائة إلى الري بأمر الأمير نوح لغية ركن الدولة بن بوه في نواحي فارس، فوصل إلى الري، واستولى عليها وعلى الجبل إلى قرميسين نكبس الذين بها من العسكر وهم غازون وأسروا مقدمهم محكماً وجنس ب بغداد، ورجع الباقون إلى همدان.

فسار سبكتكين نحوهم، وجاء ركن الدولة إثر الانهزام، وشاور وزيره أبي الفضل بن العميد فشار عليه بالثبات.  
ثم أقبل عسكر خراسان إلى الري لانقطاع الميرة عنهم، وكان ذلك سواء بين الفريقين، إلا أن الدليل كانوا أقرب إلى البداوة، فكانوا أصبر على الجروح والشظف، فركب ركن الدولة واحتوى على ما خلفه عبكر خراسان.

قال ابن الأثير: هذا الذي ذكره مؤرخو خراسان في هذه القصة، وأما أهل العراق فقالوا: إن أبي علي لما سار نحو الري استمد ركن الدولة بن بوه أخيه عماد الدولة فكتب بشير عليه بالخروج عن الري وملكتها أبو علي، وكتب عماد الدولة إلى نوح سراً ينزل له في الري في كل سنة مائة ألف دينار وزيادة على ضمان أبي علي، ويجعل له ضمان سنة وسجله عليه.

ثم دس عماد الدولة إلى نوح في القبض على أبي علي وخوفه منه، فألقي بهما نوح إلى ذلك، وبعث تقرير الضمان، وأنخذ المال، ودس ركن الدولة إلى أبي علي بهمدان ورجع به على خراسان.

وعاد ركن الدولة إلى الري واخضطت خراسان، ومنع عماد الدولة مال الضمان خوفاً عليه في طريقه من أبي علي، وبعث إلى أبي علي يحرضه على اللقاء وبعده بالدد.

وفسد ما بينه وبين إبراهيم، وانقض عنهم، وأن الأمير نوح سار إلى مخارى عند مفارقتها أبي علي.

وحارب إبراهيم العم فقارقه القواد إلى الأمير نوح فأخذ أسيراً وسلمه الأمير نوح وجاءه من أهل بيته والله أعلم.

### انتقام ابن عبد الرزاق بخراسان

كان محمد بن عبد الرزاق عاملًا بطرس وأعمالها وكان أبو علي استخلفه بنيسابور عندما زحف منها إلى الأمير نوح، فلما راجع الأمير نوح ملكه انتقم ابن عبد الرزاق واتفق وصول الأمير نوح على خراسان محمد بن منصور عبد الرزاق واتفق وصول شمكير منهزمًا من جرجان أمام الحسن بن الفيزان، واستمد الأمير نوح فخرج معه منصوراً في العساكر وأمرهما بمعاجلة ابن عبد الرزاق، فخرج ستة سنتين وثلاثين وثلاثمائة إلى استرآباد ومنصور في اتباعه فلحق بجرجان واستأنف إلى ركن الدولة بن بوه ومضى إلى الري.

وسار منصور بن قراتكين إلى طرس، وحاصر رافع إلى قلعة أخرى فحاصره منصور بها حتى استأنف إليه، وجمع ما معه فأنبه أصحابه.

وخرج معه فاقتربوا في الجبال واحتوى منصور على ما وجد بالحصن وحمل عيال محمد بن عبد الرزاق وأمه إلى مخارى أصحابه.

## وفاة ابن قراتكين ورجوع أبي علي بن محتاج إلى ولاية خراسان

الفرغاني، وبعث أبو علي بعتذر فلم يقبل. وأرسل جماعة من أعيان نيسابور يسائلون إيقاً، فلِمْ يجيئوا، فانتقض أبو علي وخطب لنفسه بنيسابور وكتب نوح إلى شمكير والحسن بن الفيزان بأن يتفقا ويتعاوضا على أولياء ركن الدولة حيث كانوا فعلاً ذلك، فارتَاب أبو علي بأمره ولم يمكنه العود إلى الصغانيان، ولا المقام بخراسان، فصرف وجهه إلى ركن الدولة واستأنفه في المسير إليه فاذن.

وسار أبو علي إلى الري سنة ثلاثة وأربعين وثلاثمائة فاكرمه ركن الدولة وأنزله معه واستولى بكر على خراسان.

## وفاة الأمير نوح وولادة ابنه عبد الملك

ثم توفي الأمير نوح بن نصر ولقبه الحميد في ربيع الآخر سنة ثلاثة وأربعين وثلاثمائة لاثتي عشرة سنة من ولايته، ووري بعده ابنه عبد الملك.

وقام بأمره بكر بن مالك الفرغاني فلما قرر أمر دولته، وثبت ملكه، أمر بكرًا بالمسير إلى خراسان فكان من شأنه مع أبي علي ما قدمناه.

## مسير العساكر من خراسان إلى الري وأصفهان

ثم زحفت عساكر خراسان إلى الري سنة أربع وأربعين وثلاثمائة وبها ركن الدولة بن بوه قدم إليها من جرجان، واستمد أخاه معز الدولة ببغداد، فأمده بالحاجب سبكتكين.

وبعث بكر عسكراً آخر من خراسان مع محمد بن ما كان على طريق المقابلة إلى أصفهان.

وكان بأصفهان أبو منصور علي بن بوه بن ركن الدولة فخرج عنها بحرم أبيه وفي خزاناته.

وانتهى إلى خالنجان، ودخل محمد بن ما كان أصفهان وخرج في اتباع ابن بوه، وأدرك الخزائن فأخذها وسار فأدركه.

ووافق وصول أبي الفضل بن العميد وزير ركن الدولة في تلك الساعة فقاتلته ابن ما كان وهزم أصحابه، وثبت ابن العميد، وشنَّ عسكر ابن ما كان بالنهب، فاجتمع على ابن العميد ملة من العسكر فاستمات، وحمل على عسكر ابن ما كان فهزمه وأسر ابن ما كان.

ثم توفي منصور بن قراتكين صاحب خراسان بالري بعد عوده من أصفهان في ربيع سنة أربعين، وحملت جنازته إلى أسفنجاب فدفن بها عند والده، فول الأمير نوح على خراسان أبا علي بن محتاج، وأعاده إلى نيسابور.

وقد كان منصور يستقبل من ولاية خراسان لما يلقى بها من جندتها، ويستفي نوحًا المرة بعد المرة، وكان نوح يعد أبا علي بعوده إلى ولايته.

فلما توفي منصور بعث إليه بالخلع واللواء، وأمره بالمسير وأقطعه الري وأمره بالمسير إليها فسار عن الصغانيان في رمضان سنة أربعين وثلاثمائة واستخلف مكانه ابنه أبي منصور وانتهى إلى مرو فقام إلى أن أصلح أمر خوارزم وكانت شاغرة.

ثم سار إلى نيسابور فاقام بها. ولما كانت سنة اثنين وأربعين وثلاثمائة كتب وشمكير إلى الأمير نوح بأمر أبي علي بن محتاج بالمسير معه في عساكر خراسان، فساروا في ربيع من السنة، وخام ركن الدولة عن لقائهم، فامتنع بطرز وأقام عليه أبو علي عدة شهور يقاتله حتى سُنم العسکر، وعجّفت دواهيم فمال إلى الصلح، وسعى بينهما فيه محمد بن عبد الرزاق المقدم ذكره، فصالحا على مائتي ألف دينار ضريبة يعطها ركن الدولة في كل سنة، ورجع أبو علي إلى خراسان وكتب وشمكير إلى الأمير نوح بإن أبي علي لم يتصح في الحرب، وأن بيته وبين ركن الدولة مداخلة.

وسار ركن الدولة بعد انصراف إلى أبي علي نحو وشمكير فانهزم إلى أسفرايين، واستولى ركن الدولة على طبرستان.

## عزل الأمير أبي علي عن خراسان ومسيره إلى ركن الدولة وولادة بكر بن مالك مكانه

ولما ت McKنت سعاية وشمكير من أبي علي عند الأمير نوح، كتب إليه بالعزل عن خراسان سنة اثنين وأربعين وثلاثمائة، وكتب إلى القواد بمثل ذلك.

واستعمل على الجيوش مكانه أبا سعيد بكر بن مالك

يوماً ليتصيد فاعتراضه خنزير، فأجلف فرسه وسقط إلى الأرض وإنهش ومات، وذلك في الحرم سنة سبع وخمسين وثلاثمائة وانتقض ما كانوا فيه، وقام يسون بن وشمكير مقام أبيه، وراسل ركن الدولة وصالحة، فأمده ركن الدولة بالمال والرجال.

### خبر ابن الياس بكerman

كان أبو علي بن الياس قد ملك كرمان بدعة بني سامان، واستبد بها وأصحابه فالج وأزمن به.

وكان له ثلاثة من الولد: اليسع والياس وسلامان فمهد إلى اليسع وبعده الياس وأمر سليمان بالعود إلى أرضهم ببلاد الصدد، يقيم بها فيما لهم هنالك من الأموال لعداوة كانت بين سليمان واليسع فخرج سليمان لذلك، واستولى على السيرجان، فأنفذ إليه أبوه أبو علي ابنه الآخر في عسكر، وأمره بإجلائه عن البلاد، ولا يمكنه من قصد الصدد إلى طلبه، فسار وحاصره. ولما ضاق الحصار على سليمان جمع أمواله ولحق بخراسان.

وملك اليسع السيرجان وسار إلى خراسان.

ثم لحق أبو علي بخارى ومعه ابنه سليمان فأكرمه الأمير أبو الحارث وقربه.

وأغذاه أبو علي بالري، وتجهيز العساكر إليه كما ذكرناه، وأقام عنده إلى أن ترقى سنة ست وخمسين وثلاثمائة كما ذكر في أخباره.

ولحق اليسع بخارى فآتاه، ثم سعى سليمان عند الأمير أبي الحارث منصور مستجيشاً به على بيته بوبيه، فحضره على قصد الري وحذره من الاستهلاك في ذلك إلى عماله كما أخبره وشمكير، ويعث إلى الحسن بن الفيزران بالغير مع عساكره.

ثم أمر صاحب جيوش خراسان أبا الحسن بن محمد بن سيجور الدواني بالمسير إلى الري وأوصاه بالرجوع إلى رأي وشمكير. ولبلغ الخبر إلى ركن الدولة، فاضطرب وبعث بأهله وولده إلى أصفهان.

### انعقاد الصلح بين منصور بن نوح وبين بني بوبيه

ثم انعقد الصلح بين الأمير أبي الحارث منصور بن نوح صاحب خراسان وما وراء النهر، وبين ركن الدولة وزوجه ابنته،

وسار ابن العميد إلى أصفهان فملكتها، وأعاد حرم ركن الدولة وأولاده إلى حيث كانوا من أصفهان.

ثم بعث ركن الدولة إلى بكر بن مالك صاحب الجيوش بخراسان وقرر معه الصلح على مال يحمله ركن الدولة إليه على الري وبلد الجبل، فتقرر ذلك بينهما، ويعث إليه من عند أخيه ببغداد بالخلع واللواه بولاية خراسان، فوصلت إليه في ذي القعدة سنة أربع وأربعين وثلاثمائة.

### وفاة عبد الملك بن نوح صاحب ما وراء النهر وولاية أخيه منصور

ثم توفى الأمير عبد الملك لإحدى عشرة خلت من شوال سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة، لسبعين سنين من ولادته.

وولى بعده أخوه أبو الحارث منصور بن نوح، واستولى ركن الدولة لأول أيامه على طبرستان وجرجان فملكتهما، وسار وشمكير عنها فدخل بلاد الجبل.

### مسير العساكر من خراسان إلى الري ووفاة وشمكير

قد ذكرنا من قبل أن وشمكير كان يقدح في عمال بني سامان بائهم لا ينصحون لهم، ويدخلون عدوهم من الدين.

ووفد أبو علي بن الياس صاحب كرمان على الأمير أبي الحارث منصور مستجيشاً به على بيته بوبيه، فحضره على قصد الري وحذره من الاستهلاك في ذلك إلى عماله كما أخبره وشمكير، ويعث إلى الحسن بن الفيزران بالغير مع عساكره.

ثم أمر صاحب جيوش خراسان أبا الحسن بن محمد بن سيجور الدواني بالمسير إلى الري وأوصاه بالرجوع إلى رأي وشمكير.

وبلغ الخبر إلى ركن الدولة، فاضطرب وبعث بأهله وولده إلى أصفهان.

واستمد ابنه عضد الدولة بفارس، وبختيار ابن أخيه عز الدولة ببغداد، فبادر عضد الدولة إلى إمداده ويعث العساكر على طريق خراسان يريد قصدها لخلوها من العسكر، فاجهفت عساكر خراسان، واتهروا إلى الدامغان، فأقاموا، ويرز ركن الدولة غورهم في عساكره من الري، وبينما هم في ذلك ركب وشمكير

وحمل إليه المدابا والتحف ما لم يحمل مثله.

عليه، وعوتب في ذلك، وعزل عن خراسان بأبي العباس تاش فكتب يعتذر ورحل إلى قهستان يتظر جواب كتابه، فجاءه كتاب الأمير نوح بالمسير إلى سجستان فسار، واستنزل خلفاً من معقله للحسين بن طاهر، وسار خلف إلى حصن الطاق، وداخله ابن سيجور وأقام خطبة لرضا نوح به وانتصر.

ولما ول الأمير نوح الحاجب أبي العباس تاش قيادة خراسان سار إليها سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة فلقي هنالك فخر الدولة ابن ركن الدولة، وشمس المعالي قابوس بن وشمكير ناجين من جرجان، وكان من خبرهما أن عضد الدولة لما استول على بلاد أخيه فخر الدولة وهزمها، ولحق فخر الدولة بقابوس، وبعث عضد الدولة في طلبه ترغيباً وترهيباً فأجباره قابوس، وبعث عضد الدولة في طلبه أخاه مؤيد الدولة في العساكر إلىهم، ولقيهم قابوس فهزمه فسار إلى بعض قلاعه، واحتل منها ذخائره ولحق بنيسابور.

ولحق به فخر الدولة تاجياً من المعركة فأكراهم أبو العباس تاش، وأنزلهم خير متزل، وأقاموا عنده واستولى مؤيد الدولة على جرجان وطبرستان.

### مسير أبي العباس في عساكر خراسان إلى جرجان ثم مسيرة إلى بخارى

ولما وصل قابوس بن وشمكير وفخر الدولة بن ركن الدولة إلى أبي العباس تاش مستجيرون بالأمير نوح على استرجاع جرجان وطبرستان من يد مؤيد الدولة، كتب بذلك إلى الأمير نوح ببخارى فامرءه بالمسير معهما، وإعادتهما إلى ملكهما، فسار معهما لذلك في العساكر، ونازلا جرجان شهرین حتى ضاق عليهم الحصار، وداخل مؤيد الدولة فاقتما من قواه خراسان ورغبه فوعده بالانهزم.

ثم خرج مؤيد الدولة من جرجان في عساكره مستعيناً فهزهم، ورجموا إلى نيسابور وكبووا إلى بخارى بالخبر فأجابهم الأمير نوح بالوعد.

واستنصر العساكر من جميع الجهات إلى نيسابور للمسير مع قابوس وفخر الدولة، فاجتمعوا هنالك.

ثم جاء الخبر بقتل الوزير أبي الحسن العتبى، وكان زمام الدولة بيده، فيقال: إن أبو الحسن محمد بن إبراهيم بن سيجور وضع عليه من قتلها، وذلك سنة ثنتين وسبعين وثلاثمائة وما قتل

وكتب بينهم كتاب الصلح، شهد فيه أعيان خراسان وفارس والعراق، وتم ذلك على يد أبي الحسن محمد بن إبراهيم بن سيجور صاحب الجيوش بخراسان من جهة الأمير أبي الحارث في سنة إحدى وستين وثلاثمائة.

### وفاة منصور بن نوح وولاية ابنه نوح

ثم توفي الأمير أبي الحارث منصور ببخارى متصرف سنة ست وستين وثلاثمائة، وولي بعده ابنه أبو القاسم نوح صبياً لم يبلغ الحلم، فاستوزر أبو الحسن العتبى، وجعل على حجاجة بابه مولاه أبي العباس قاسماً، وكان من موالي أبي الحسن العتبى فناهداه إلى الأمير أبي صالح وشركهما في أمر الدولة أبو الحسن فاتق، وأقر على خراسان أبي الحسن محمد بن إبراهيم بن سيجور واطردت أمور الدولة على استقامتها.

### عزل ابن سيجور عن خراسان وولاية أبي العباس تاش

قد تقدم لنا شأن خلف بن أحد الليثي صاحب سجستان وانتصاره بالأمير منصور بن فرج على قريبه طاهر بن خلف بن أحمد بن الحسين المتفضل عليه لسنة أربع وخمسين وثلاثمائة وأنه مده بالسكنى ورده إلى ملوكه.

ثم انتقض طاهر ثانياً بعد انصراف العسكر عن خلف، وبعث مستجيحاً فآمده ثانياً. وقد هلك طاهر وولي ابنه الحسين فحاصره خلف، وأرعنقه الحصار فنزل خلف عن سجستان ولحق بالسعيد نوح بن منصور. وأقام خلف دعوة نوح في سجستان وحمل المال متقرراً عليه كل سنة.

ثم قصر في الطاعة والخدمة، وصار يتلقى الأوامر بالإعراض والإهمال فرمي بالحسين بن طاهر في جوش خراسان وحاصره بقلعة أرك وطال الحصاره وأمد العتبى الوزير بجماعة القواد كالحسن بن مالك وبكتاش فأقاموا عليه سبع سنين حتى فنيت الرجال والأموال.

وكان ابن سيجور بخراسان وكانت أيامه قد طالت بها فلا بطيخ السلطان إلا فيما يراه. وكان خلف بن أحد صاحبه فلم يغن

كتب الأمير نوح بن منصور إلى الحاجب أبي العباس تاش بنيسابور، وجاءه مدد آخر من فخر الدولة ويرز ابن سيجور للقائهم فهزمه وغنموا منه.

واستول أبو العباس على نيسابور، وكتب إلى الأمير نوح يستعطفه، ولرج ابن عزيز في عزله، ثم ثاب لابن سيجور رأيه، وعادت إليه قوته، وجاءه الأمراء من بخارى مددًا.

وكاتب شرف الدولة أبا الفوارس بن عضد الدولة بفارس يستمدده فأمده بالفقي فارس مراغمة لعمه فخر الدولة.

فلما كتف جمه زحف إلى أبي العباس وقاتلته فهزمه، ولحق بفخر الدولة ابن بويه بجرجان فأكمله وعظمته، وترك له جرجان وهستان واسترثا بذلك إقطاعاً.

وسار عنها إلى الري، وبعث إليه من الأموال والآلات ما يخرج عن الحد، وأقام أبو العباس بجرجان، ثم جمع العساكر وسار إلى خراسان، فلم يقدر على الوصول إليها وعاد إلى جرجان وأقام بها ثلاثة سنين، ومات سنة سبع وسبعين وثلاثمائة.

وقام أهل جرجان باصحابه لما كانوا يعتقدون عليهم من سوء السيرة فقاتلهم أصحابه، واستباحوهم حتى استأمنوا وكفوا عنهم.

ثم افترق أصحابه وسار أكثرهم وهو كبار الخواص والغلمان إلى خراسان، وقد كان صاحبها أبو الحسن سيجور مات فجأة، وقام بأمرها مكانه ابنه أبو علي، وأطاعه إخوه وكثيرهم أبو القاسم، ونازعه فاتق الولاية فلحق به أصحاب أبي العباس واستكثروا بهم لشأنه.

### ولاية أبي علي بن سيجور على خراسان

قد تقدم اتفاق أبي الحسن بن سيجور وأبي العباس تاش وفائق على أن تكون نيسابور وقيادة خراسان لتأش، وبلغ لفائق، وهرة لأبي علي بن أبي الحسن سيجور.

ثم عزل تاش بسعادة الوزير ابن عزيز وول أبو الحسن وكانت بينهما الحرب التي مر ذكرها.

وانهزم تاش إلى جرجان فاستقر أبو علي بهرة وفائق ببلخ، وكان ابن عزيز يستحث الحسن لقصد جرجان.

ثم عزل ابن عزيز وتنفي إلى خوارزم، وقام مكانه أبو علي محمد بن عيسى الداماقي.

ثم عجز لما نزل بالدولة من قلة الخراج وكثرة المصاريف، فصرف عن الوزارة يابي نصر بن أحد بن محمد بن أبي يزيد، ثم

### رد أبي العباس إلى خراسان ثم عزله وولاته

#### ابن سيجور

ولما سار أبو العباس إلى بخارى وكان أبو الحسن بن سيجور من حين سار إلى سجستان كما مر مقيمًا بها، ثم رجع آخرًا إلى قهستان.

فلما سار أبو العباس تاش إلى بخارى، وكتب ابن سيجور إلى فاتق يطلب مظاهرته على ملك خراسان، أجابه إلى ذلك، واجتمعا بنيسابور واستوليا على خراسان، وسار إليهما أبو العباس تاش في العساكر.

ثم تراسلوا كلهم واتفقوا على أن يكون بنيسابور، وقيادة العساكر لأبي العباس تاش، وبلغ لفائق، وهرة لأبي الحسن بن سيجور، وانصرف كل واحد إلى ولائه.

وكان فخر الدولة بن بويه خلال ذلك معهما بنيسابور يتظر النجدة إلى أن هلك أخوه مؤيد الدولة بجرجان في شعبان سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة.

واستدعاه أهل دولته للملك فكاتب الصاحب ابن عباد وغيره فسار إليهم، واستول على ملك أخيه بجرجان وطبرستان، وكان الأمير نوح لما سار أبو العباس من بخارى إلى نيسابور استوزر مكانه عبد الله بن عزيز، وكانت بينه وبين أبي الحسن التي منافسة وعداؤه.

ثم لما ولى الوزارة تقدم على عزل أبي العباس عن خراسان وكتب إلى أبي الحسن محمد بن إبراهيم بخراسان بولاية نيسابور.

#### انتفاض أبي العباس وخروجه مع ابن سيجور ومهلكه

ولما عزل أبو العباس تاش عن خراسان كتب إلى الأمير نوح يستعطفه فلم يجده، فانتقض.

وكتب إلى فخر الدولة يستمدده على ابن سيجور فأمده بالأموال والعساكر مع أبي محمد عبد الله بن عبد الرزاق، وسار إلى نيسابور في عساكره وعساكر الديلم، وتحصن ابن سيجور

## عود ابن سيجور إلى خراسان

ويبلغه مسیر بقراخان عن بخارى فاغذر السیر إلیها، وعاد  
الجلوس على كرسي ملکه، وتباشر الناس بقدومه.

ثم بلغه مهلك بقراخان فتزأيد سرورهم، ولما عاد الأمير  
نوح إلى بخارى ندم أبو علي على ما فرط فيه من نصرته، وأجمع  
الاستظهار بفائق، فازاحوه عن ملکه وملکوها، ولحق فائق بأبي  
علي بن سيجور، وتظاهرها على الأمير نوح وذلك ستة أربع  
وثمانين وثلاثمائة.

## عزل أبي علي بن سيجور عن خراسان وولاية سبكتكين

ولما اجتمع أبو علي بن سيجور وفائق على مناقبة الأمير  
نوح وعصيائه، كتب الأمير نوح إلى سبكتكين، وكان أميراً على  
غزنة ونواحيها يستقدمه لنصره منهمما، وإنجاده عليهما، وولاه  
خراسان.

وكان سبكتكين في شغل عن أمرهم بما هو فيه من الجهاد  
مع كفار الهند.

فلما جاءه كتاب نوح ورسوله بادر إليه، وتلقى أمره في  
ذلك، وعاد إلى غزنة فجمع العساكر، ويبلغ الخبر أبا علي وفائقاً،  
فيبعث إلى فخر الدولة بن بوريه يستجدانه، واستعانا في ذلك بوزيره  
الصاحب بن عباد، فبعث إليهما مددًا من العساكر.  
ثم سار سبكتكين وأبنه محمود نحو خراسان ستة أربع  
وثمانين وثلاثمائة.

وسار الأمير نوح واجتمعوا ولقوا أبا علي وفائقاً بنواحي  
هراء، وكان معهما دارا بن قابوس بن وشمكير، فتنزع إلى الأمير  
نوح، وأنهزم أصحاب أبي علي وفائق وفتى بهم أصحاب  
سبكتكين واتبعوهم إلى نيسابور، فلحقا بهرجان، وتلقاهم فجر  
الدولة بالهدايا والتحف والأموال، وأنزلهما بهرجان.

واستولى نوح على نيسابور، واستعمل عليها وعلى جيوش  
خراسان محمود بن سبكتكين، ولقبه سيف الدولة، ولقب أبا  
سبكتكين ناصر الدولة، وعاد نوح إلى بخارى وترك سبكتكين بهراء  
ومحمود بن نيسابور.

## عود ابن سيجور إلى خراسان

لما افترق نوح وسبكتكين طمع أبو علي وفائق في خراسان،

عزل وأعيد أبو علي الدامغانى، وهلك أبو الحسن بن سيجور  
خلال ذلك، وقام ابنه أبو علي مقامه.

وكاتب الأمير نوح بن منصور يطلب أن يعقد له الولاية  
كما كانت لأبيه فاجيب إلى ذلك ظاهراً، وكتب لفائق بولاية  
خراسان، وبعث إليه بالخلع والألوية.

وكان أبو علي يظن أنها له، فلما بدا له من ذلك ما لم  
يخحسب، جمع عسكره وأخذ السير، وأوقع بفائق ما بين هرة  
ويوشنج، فانهزم فائق إلى مرو الروذ، وملك أبو علي مرو،  
ووصله عهد الأمير نوح بقيادة الجبيوش ولولاية نيسابور وهرة  
وقهستان ولقبه عماد الدولة، ثم رقاه الأمير نوح.

واستولى على سائر خراسان، واستبدل بها على السلطان  
حتى طلب نوح في بعض أعمالها لتفنته فمنعه، وأقام مظهراً  
لطاعته، وخشي غالبة السلطان من طلبة نوح فكاتب بقراخان  
ملك الترك ببلاد كاشغر وشاغور يغريه ويستحثه لملك بخارى وما  
وراء النهر على أن يستقر هو بخراسان.

## خبر فائق

وأقام بعد انهزامه أمام أبي علي بمره الروذ حتى اندملت  
جراحه، واجتمع إليه أصحابه، وسار إلى بخارى قبل أن يستأذن،  
فارتاب به الأمير نوح فسرح إليه العساكر مع أخي الحاجب،  
ويكترون فانهزم وعبر النهر إلى بلخ، فاقام بها أيام، وسار إلى  
ترمذ وكانت بقراخان يستحثه.

وكتب الأمير نوح إلى والي الجوزجان أبي الحارث أحد بن  
محمد التيرقوني بقصد فائق، فقصده في جوعه، وسرح فائق إلى  
بعض عسكره فهزمه وعاد إلى بلخ.

وكان طاهر بن الفضل قد ملك الصغانيان على أبي المظفر  
محمد بن أحد، وهو واحد خراسان فانقطع أبو المظفر إلى فائق  
صريحاً، فأمده وسار إلى طاهر بعسكر فائق، واقتلاوا فانهزم طاهر  
وقتل، وصارت الصغانيان لفائق.

## استيلاء الترك على بخارى

ولما خرج الأمير نوح عن بخارى عبر النهر واستقر بأهل  
الشط، وكاتب أبا علي بن سيجور يستحثه للنصرة، وكاتب فائقاً  
 ايضاً يستصرخه فلم يصرخ أحد منها.

### وفاة الأمير نوح ولاية ابنه منصور وولاية

#### بكثزون على خراسان

ثم توفي الأمير نوح بن منصور متصرف سبع وثمانين وثلاثمائة لإحدى وعشرين سنة من ملكه، وانتقض عورته ملك بني سامان وصار إلى الأخلاص.

ولما توفي قام بالملك بعده ابنه أبو الحارث منصور، وتابعه أهل الدولة واقتفوا على طاعته، وقام بتدبیر دولته بكثزون.

واستوزر إبا طاهر محمد بن إبراهيم، وبلغ خبر وفاة نوح إلى إيلك خان، فطمطع في ملوكهم، وسار إلى سمرقند، وبعث من هناك فاتقاً والخاصة إلى بخارى فاضطراب منصور وهرب عن بخارى وقطع النهر.

ودخل فاتق بخارى وأعلم الناس أنه إنما جاء لخدمة الأمير منصور، فبعث مشياخ بخارى بذلك إلى منصور ودخل.

واستقدموه بعد أن أخذوا له مواثيق المهدود من فاتق، فاطمأن وعاد إلى بخارى، وأقام فاتق بتدبیر أمره وتحكم في دولته وأبعد بكثزون إلى خراسان أميراً، وقد كان سبكتكين توفي في شعبان من هذه السنة، ووقيعت الفتنة بين ابنيه إسماعيل ومحمود فقدم بكثزون أيام فتنتهما واستولى على خراسان.

### عود أبي القاسم بن سيجور إلى خراسان

#### وخيته

قد ذكرنا مسير بكثزون إلى خراسان عند مفره أيام محمود بن سبكتكين من خراسان وأقام عند فخر الدولة، وعند أبيه مجد الدولة واجتمع عنده أصحاب أبيه، وكتب إليه فاتق من بخارى يغريه بكثزون ويأمره بقصد خراسان ويندرج بكثزون منها فسار عن جرجان إلى نيسابور، وبعث جيشاً إلى أسفرايين فملكونها من بد أصحاب بكثزون، ثم تردد السفراء بينهما، ووقع الصلح وال歇ه وعاد بكثزون إلى نيسابور.

### انتقام محمود بن سبكتكين وملكه

#### نيسابور ثم خروجه عنها

لما فرغ محمود بن سبكتكين من أمر الفتنة بينه وبين أخيه إسماعيل، واستولى على ملك غزنة، وعاد إلى بلخ وجد بكثزون

فسار عن جرجان إلى نيسابور في ربیع سنة خمس وثمانين وثلاثمائة ويرز محمود للقائهم بظاهر نيسابور، وأعجلوه عن وصول المدد من أبيه سبكتكين، وكان في قلة، وانهزم إلى أبيه، وغنموا سواده.

وأقام أبو علي بن نيسابور وكان الأمير نوح يستميله ويتلطف في العذر مما كان سبكتكين فعل بخيه إلى ما طلب.

### ظهور سبكتكين وابنه محمود على أبي علي

#### وفائق ومقتل أبي علي

ولما دخل أبو علي نيسابور، وانهزم عنها محمود، جمع سبكتكين العساكر وسار إليه، فالتقوا بطرس، وجاء محمود على أثره مددًا، فانهزم هو وفائق إلى إبورد، فاتجهما سبكتكين بعد أن استخلف ابنه محموداً بن نيسابور فلحقاً به، ثم آمن الشط، وكتب إلى الأمير نوح يستعطفانه، فشرط على أبي علي أن يتزل بالجرجانية ويفارق فاتقاً ففعل.

ونزل قريباً من خوارزم بالجرجانية، فأكرمه أبو عبد الله خوارزم شاه وسكن إليه، وبعث من ليلته من جاء به واعتقله وأعيان أصحابه.

وبلغ الخبر إلى مأمون بن محمد صاحب الجرجانية فاستعظم ذلك، وسار بعساكره إلى خوارزم شاه وافتتح مدنه وتسمى كاش عنده، وخلص أبا علي من محبسه، وعاد إلى الجرجانية واستخلف بعض أصحابه على بلاد خوارزم.

ولما عاد إلى الجرجانية أخرج خوارزم شاه وقتلته بين يدي أبي علي بن سيجور، وكتب إلى الأمير نوح يشفع في أبي علي فشفعه.

واستدعى أبا علي إلى بخارى فسار إليها وأمر الأمراء والعساكر بتلقيه، فلما دخل عليه أمر مجسه، وشفع سبكتكين فيه فهرب ولحق بفخر الدولة، وأقام عنده.

وأما فاتق فلما فارقه أبو علي كما شرط عليه الأمير نوح سار إلى إيلك خان ملك الترك بكاشغر، فأكرمه وكتب إلى نوح يشفع فيه قبل شفاعةه وولاه عليها وأقام بها.

### استيلاء ايلك خان على بخارى وانقراض

#### دولة بني سامان

ولما ملك محمد خراسان ولحق عبد الملك ببخارى اجتمع إلى فاتق وبكثرون وغيرهما من الأمراء، وأخذوا في جمع العساكر لمناهضة محمود بخراسان.

ثم مات فاتق في شعبان من هذه السنة فاضطربوا ووهنوا لأنه كان المقدم فيهم، وكان خصياً من موالي نوح بن نصر فطبع ايلك خان في الاستيلاء على ملوكهم، كما ملأه بقراخان قبله، فسار في جوع الترك يظهر المدافعة لعبد الملك عنه فاطمئناً للذلل، وخرج بكثرون وغيره من الأمراء والقواد للقائه فقبض عليهم جميعاً، ودخل بخارى عاشر ذي القعدة، ونزل دار الأمارة واحتضن عبد الملك فبعث العيون عليه حتى ظفر به وأودعه السجن في أرزكى فمات.

وحبس معه أخاه أبي الحارث منصوراً المخلوع وإخوته الآخرين أبي إبراهيم إسماعيل وأبا يعقوب، وأعمامه أبي زكريا وأبا سليمان وأبا صالح القاري وغيرهم من بني سامان.

وانتقضت دولتهم بعد أن كانت انتشرت في الآفاق ما بين خوارزم وببلاد الترك، ووراء النهر، وكانت من أعظم الدول وأحسنها سياسة.

### خروج إسماعيل بن نوح بخراسان

ثم هرب أبو إبراهيم إسماعيل بن نوح من محبسه في ذي أرطأة كانت تتعاهد خدمته فاختفى ببخارى.

ثم لحق خوارزم وتلقب المتصر، واجتمع إليه بقايا القواد والأجناد، ويعث قابوس عسكراً مع ابنه متوجهاً وداراً.

ووصل إسماعيل إلى نيسابور في شوال سنة إحدى وستين، وجيء أمراءها، ويعث إليه محمد مع الترتاش الحاجب الكبير صاحب هرآة، فلقيهم فانهزم المتصر إلى آيوورد وقصد جرجان فمنعه قابوس منها فقصد سرخس وجبي أمراءها وسكنها في ربيع سنة اثنين وستين وثلاثمائة.

فأرسل إليها محمد العساكر مع منصور، والتقوا فانهزم إسماعيل وأسر أبو القاسم بن سيجور في جماعة من أعيان العساكر، فبعث بهم منصور إلى غزنة، وسار إسماعيل حائراً فرأى أحياء الغز بنواحي بخارى فعصبوا عليه، وسار بهم إلى

والياً على خراسان كما ذكرناه فبعث إلى الأمير منصور بن نوح يذكر وسائله في الطاعة والمخابرة، ويطلب ولادة خراسان، فاعتذر له عنها وولاه ترمذ وبليخ وما وراءهما من أعمال بست، فلم يرض ذلك، وأعاد الطلب فلم يجيب، فسار إلى نيسابور وهرب منها بكثرون وملكتها محمود سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة فesar الأمير منصور من بخارى إليه فخرج عنها إلى مرزالروذ وأقام بها.

### خلع الأمير منصور وولاية أخيه عبد الملك

ولما سار الأمير منصور عن بخارى إلى خراسان لمدافعة محمود بن سبكتكين عن نيسابور، سار بكثرون للقائه فلقيه سرخس، ثم لم يلق من قبيله ما كان يؤمله، فشكى ذلك إلى فاتق فالقاء واجداً مثل ذلك فخالصاً في خواصها، واتفقا على خلعه وإقامة أخيه عبد الملك مقامه، ووافقهما على ذلك جماعة من أعيان العسكر، ثم قبضوا عليه وسلموه أول سنة تسعين لعشرين شهراً من ولايته، وولي مكانه أخيه عبد الملك.

وبعث محمود إلى فاتق وبكثرون يصبح عليهم فعلهما، وسار نحوهما طاماً في الاستيلاء على الملك.

### استيلاء محمود بن سبكتكين على خراسان

ثم سار محمود بن سبكتكين إلى فاتق وبكثرون ومعهما عبد الملك الصبي الذي نصبوه فساروا إليه، والتقدوا بمره سنة تسعين وثلاثمائة وقاتلهم فهزهم وافتقوها.

ولحق عبد الملك ببخارى ومعه فاتق، ولحق بكثرون بنيسابور، ولحق أبو القاسم بن سيجور بقهستان وقصد محمد نيسابور، وانتهى إلى طرسوس قرب بكثرون إلى جرجان، ويعث في إثره أرسلان الحاجب إلى أن وصل جرجان، ورجع فاستخلفه محمد على طرسوس، وسار إلى هرة فخالص بكثرون إلى نيسابور وملكتها.

ورجع إليها محمد فأجلل عنها، ومر بمر فنهبها ولحق ببخارى واستقر محمود بخراسان وأزال عنها ملك بني سامان، وخطب فيها للقادر العباسي، واستدعى الولاية من قبله فبعث إليه بالمهد عليها والخلع لبني سيجور، وأنزله نيسابور وسار هو إلى بلخ كرسى أخيه فانقذه واتفق أصحاب الأطراف بخراسان على طاعته مثل آل أفريقون بالجوزجان والشاه صاحب غرسيان وبني مامون خوارزم.

بني سامان عليه في عدوتي جيرون وما وراء النهر، وخراسان، وعرق العجم، وببلاد الترك، وزيادة بلاد الهند، وكان مبدأ أمرهم عن غزة، وذلك أن سبكتكين من موالي بني التيكين، وكان التيكين من موالي بني سامان، وكان في جملة، وولاه حجاجته، وورد بخارى أيام السعيد مصوّر بن نوح وهو إذ ذاك حاجبه، ثم تفوي التيكين هذا وعقد له السعيد منصوري بن نوح سنة خمس وستين وثلاثمائة، وولى ابنه نوح ويكتى أبا القاسم واستوزر أبا الحسن العتى، وولى على نسابر أبا الحسن محمد بن سيجور، وكان سبكتكين شديد الطاعة له، والقيام بمحاجاته.

وطرقت دولة بني سامان التكبة من الترك، واستولى بقرارخان على بخارى من يد الأمير نوح.

ثم رجع إليها، ومات أبو الحسن بن سيجور وولي مكانه بخراسان ابنه أبو علي، واستبد على الأمير نوح في الاستيلاء على خراسان عند تكبة الترك.

فلما عاد الأمير نوح إلى كرسيه وثبت في الملك قدمه، كاشفه أبو علي في خراسان بالانتقام، واستند على أبي منصور سبكتكين يستمدّه على أبي علي ويستعين به في أحوال الدولة فبادر لذلك، وكان له المقام الحمود فيه، وولاه الأمير نوح خراسان، فدفع عنها أبا علي.

ثم استبد بعد ذلك على بني سامان بها.

ثم غلبهم على بخارى وما وراء النهر، ومحا أثر دولتهم وخلفهم أحسن خلف، وأورث ذلك بنيه، واتصلت دولتهم في تلك الأعمال إلى أن ظهر الغز، وملك الشرق والغرب بمن سلجوق منهم فغلبهم على أمرهم، وملكوا تلك الأعمال جميعاً من أيامهم حسبما يذكر ذلك كله.

ولنبدأ الآن بسبكتكين من الجهد في بلاد الهند قبل ولادته خراسان. ثم نأتي بأخبارهم.

إيلك خان في شوال سنة ثلات وتسعين وثلاثمائة فلقىه بنواحي سمرقند.

وانهزم إيلك واستولى الغز على سواد وأمواله، وأسرى من قواده ورجعوا إلى أحياهم وتفاوضوا في إطلاق الأسرى من أصحاب إيلك خان، وشعر بهم إسماعيل فسار عليهم خائفاً وعبر النهر إلى آمل الشط، وبعث إلى مرو ونسا وخوارزم فلم يقبلوه، وعادوا العبور إلى بخارى وقاتلهم وبأبيه فانهزم إلى دبوسية وجع بها، ثم عاد فانهزم من عساكر بخارى وقاتلهم وبأبيها.

وجاءه جماعة من فتيان سمرقند فصاروا في جملة.

وبعث إليه أهله بأموال وسلاح ودواب، وسار إليه إيلك خان بعد أن استرعب في الخشد ولقيه بنواحي سمرقند في شعبان سنة أربع وتسعين وثلاثمائة وظاهر الغز إسماعيل فكانت الدبرة على إيلك خان، وعاد إلى بلاد الترك فاحتشد، ورجع إلى إسماعيل وقد افترقت عنه أحياه الغز إلى أوطانهم، وخف جمعه، فقاتلهم بنواحي مروسية فهزمه وفتح الترك في أصحابه.

وعبر إسماعيل النهر إلى جوزجان فنهبها، وسار إلى مرو وركب الملاحة إلى قنطرة راغول، ثم إلى بسطام، وعساكر محمود في اتباعه مع أرسلان الحاجب صاحب طوس، وأرسل إليه قابوس عسكراً مع الأكراد الشاهجهانية فأزعجه عن بسطام، فرجع إلى ما وراء النهر وأدرك أصحابه الكل والملال فثارقه الكثير منهم وأخبروا أصحاب إيلك خان وأعلموهم بمكانه فكبسه الجندي فطاردهم ساعة، ثم دخل في حي من أحياه العرب بالفلة من طاعة محمود بن سبكتكين يعرف أميرهم بابن بهيج، وقد تقدم إليهم محمود في طلبه فأنزله عندهم حتى إذا جن الليل وتبوا عليه وقتلوه وذلك سنة خمس وستين وثلاثمائة وانقضى أمر بني سامان وأختفت آثار دولتهم.

والبقاء لله وحده.

## الخبر عن دولة بني سبكتكين ملوك غزة وما ورثوه من الملك بخراسان وما وراء النهر عن مواليهم وما فتحوه من بلاد الهند وأول أمرهم ومصائر أحواهم

هذه الدولة من فروع دولة بني سامان وناشئة عنها، وبلغت من الاستطالة والعز المبالغ العظيمة، واستولت على ما كانت دولة

كانت بست هذه من أعمال سجستان وفي ولادتها ولما فسد نظام تلك الولاية بانفراط دولة بني الصفار واخترق تلك العملات طائف فانفرد بست أمير اسمه طفان.

ثم غلب عليها آخر اسمه كان، يكى بابي ثور فاستصرخ طفان سبكتكين على مال ضممه على الطاعة والخدمة، فسار سبكتكين إلى بست وفتحها، وأخذ الوزير أبا الفتح علي بن محمد

## فتح بست

يستدعيه للنصرة عليهم، وعقد له على خراسان وأعمالها، وكان في شغل شاغل من الجهد بالهند كما ذكرناه فبادر بذلك، وسار إلى نوح فلقيه واتفق معه، ثم رجع إلى غزنة واحتشد وسار هو وابنه محمود ولقياً الأمير نوحًا بخراسان في الموضع الذي تواعد معه، ولقيهم أبو علي بن سيجور وفائق فهزمهما.

وفتك فيهم أصحاب سبكتكين واتبعوهم إلى نيسابور، نسخ صدوم عنها إلى جرجان واستولى نوح على نيسابور واستعمل عليها وعلى جيوش خراسان محمود بن سبكتكين وأنزله بها، ولقبه سيف الدولة، وأنزل أباه سبكتكين بهراة ولقبه ناصر الدولة ورجع إلى مخارى.

### الفتنة بين سيجور وفائق بخراسان وظهور

#### سبكتكين وابنه محمود عليهم

ولما رجع نوح إلى مخارى وطمع أبو علي بن سيجور وفائق في انتزاع خراسان من يد سبكتكين وابنه، وبادروا إلى محمود بن سبكتكين بن نيسابور سنة خمس وثمانين وثلاثمائة وأجلوه عن وصول اللدد إليه من أباه سبكتكين. وكان في قلة فانهزم إلى أبيه بهراة، وملك أبو علي نيسابور، وسار إليه سبكتكين في العساكر، والتقدوا بطروس، فانهزم أبوه وفائق حتى انتهى إلى آمل الشط.

واستعطف أبو علي الأمير نوحًا فاستدعاه وحبسه.

ثم بعث به إلى سبكتكين وحبسه عنده، ولحق فاتق بملك الترك إيلك خان في كاشغر، وشفع فيه إلى الأمير نوح فنلاه سمرقند كما مر ذلك كله في أخبارهم.

وكان أبو القاسم أنور أبي علي قد نزع إلى سبكتكين يوم اللقاء فأقام عنده مدة مديدة.

ثم انقض وزحف إلى نيسابور فجاء محمود بن سبكتكين فهرب ولحق بمنخر الدولة بن بوريه فأقام عنده، واستولى سبكتكين على خراسان.

### مزايدة سبكتكين وايلك خان

كان إيلك خان ولد بعد بقراخان على كاشغر وشاغور، وعلى أم الترك وطبع في أعمال الأمير نوح كما طمع أبوه، ومد يده إليها شيئاً فشيئاً.

البيبي الشاعر المشهور فاحضره واستكتبه، وكتب لابنه محمود من بعده.

ثم استخلف سبكتكين وسار إلى قصدار من ورائها فملكتها وتقبض على صاحبها، أعاده إلى ملكه على مال يؤديه وطاعة يذها له.

### غزو الهند

ثم سار سبكتكين بعدما فتح بست وقصد غازياً بلاد الهند، وتتوغل فيها حتى افتح بلا دام يدخلها أحد من بلاد الإسلام.

ولما سمع به ملك الهند سار إليه في جيشه وقد عبس العساكر والفيلة على عادتهم في ذلك بالتعيبة المعروفة بينهم، وانتهى إلى مغان من نغوره ونجاوزه، وزحف إليه سبكتكين من غزنة في جوع المسلمين، والتقي الجماعان ونصر الله المسلمين، وأسر ملك الهند وفدى نفسه على ألف ألف درهم، وخسین فيلاً ورهن في ذلك من قومه، وبعث معه رجالاً لقبض ذلك فدرأ بهم في طريقة، وتقبض عليهم، فسار سبكتكين في تعيته إلى الهند، فقبض كل من لقيه من جويعهم، وأثخن فهيم، وفتح مغان وهدمها وهي ثغر الهند مما يلي غزنة، فاهتز لذلك جبار واحتشد، وسار إلى سبكتكين، فكانت بينهم حرب شديدة، وانهزم جبار وجوع الكفر، وخدمت شوكتهم، ولم يتم للسوق الهند بعدها منه قائمة.

ثم صرف وجهه إلى إعانة سلطانه الأمير نوح كما نذكر.

### ولاية سبكتكين على خراسان

قد قدمنا أن الأمير نوح بن منصور لما طرقه التكبة بمخارى من الترك، وملكتها عليه بقراخان عبر النهر إلى آمل الشط، واستصرخ ابن سيجور صاحب خراسان وفائقاً صاحب بلخ، فلم يصرخا، وبلهه مسير بقراخان عن مخارى فأغذ السير إليها، وارجع ملكه كما كان.

وهلك بقراخان فثبت قدمه في سلطانه.

وارتاب أبو علي وفائق بأمرهم عنده، وغلط فاتق بالمبادرة إلى مخارى للتهنة والتقديم في الدولة من غير إذن في ذلك، فسرح الأمير نوح علمانه ومواليه فحاربوه، وملكونا بلخاً من يده، ولحق بالي علي بن سيجور، فاستظهر به على فتنة الأمير نوح وذلك سنة أربع وثمانين، فكتب الأمير نوح عند ذلك إلى سبكتكين

بها قليلاً طرقه المرض، فبادر به إلى غزنة، وهلك في طريقه في  
شعبان سنة سبع وثمانين وثلاثمائة لعشرين سنة من ملكه في غزنة  
وخراسان، ودفن بغازنة.  
وكان عادلاً خيراً حسن المعهد محافظاً على الوفاء كثيراً  
الجهاد.

ولما هلك بايع الجندي لابنه إسماعيل بعهده إليه، وكان أصغر  
من محمود فأفاض فيهم العطاء وانعقد أمره بغازنة.

### استيلاء محمود بن سبكتكين على ملك أبيه وظفره بأخيه إسماعيل

ولما ول إسماعيل بغازنة استضعف الجندي واستولوا عليه،  
واشتبوا عليه في الطلب حتى أندى خزانة أبيه، وكان آخره محمود  
بنيسبور فبعث إليه أن يكتب له بالأعمال التي لنظره مثل بلخ  
فأبى، وسعى أبو الحرب وإلى الجوزجان في الإصلاح بينهما فامتنع  
إسماعيل، فسار محمود إلى هراة متزاماً عليه، وتحيز معه عمه  
بغراجق.

ثم سار إلى بست وبها أخوه نصر فاستماله، وساروا جميعاً  
إلى غزنة، وقد كتب إليه الأمراء الذين مع إسماعيل واستدعوه  
وعوده بالطاعة.

وأغذ السير ولقيه إسماعيل بظاهر غزنة فاقتلوه قسلاً  
شديداً.

وانهزم إسماعيل واعتصم بقلعة غزنة، واستول محمود على  
الملك وحاصر أخاه إسماعيل حتى استنزله على الأمان فاكرمه  
وأشركه في سلطانه، وذلك لسبعة أشهر من ولاية إسماعيل،  
 واستقامت المالك محمود ولقب بالسلطان، ولم يلقب به أحد قبله.  
ثم سار إلى بلخ.

### استيلاء محمود على خراسان

لما ول أبو الحارث منصور بعد نوح استوزر محمد بن  
إبراهيم، وفوض أمره إلى فاتق كفالة وتدبيراً لصغره.

وكان عبد الله بن عزيز قد هرب من بخاري عند قدوم  
محمد إليها في استحثاث الأمير نوح للقاء إيلك خان كما مر، فلما  
مات الأمير نوح وول إبهه منصور أطمع عزيز أبا منصور محمد بن  
الحسين الأسيجياني في قيادة الجيش بخراسان وحمله على الانحدار

ثم اعتزم على الزحف إليه فكتب الأمير نوح إلى سبكتكين  
بخراسان يستجشه على إيلك خان، فاحتشد وعبر النهر وأقام بين  
نفس وكشف حتى لحقه ابنه محمود بالخشود من كل جهة،  
وهلالك وصله أبو علي بن سيجور مقيداً، بعث به إلى الأمير نوح  
فأبى من ذلك، وجع إيلك خان أمم الترك من سائر التواحي.

وبعث سبكتكين إلى الأمير نوح يستحثه فخام عن اللقاء،  
وبعث قوله وجميع عساكره، وجعلهم لنظره وفي تصريفه فاللح  
عليه سبكتكين، وبعث أخاه بغراجق وابنه محموداً لاستئثاره  
فهرب الوزير ابن عزيز خوفاً منهم، وتفادي نوح من اللقاء  
فتركته، وقت ذلك في عزم سبكتكين، وبعث إيلك خان في  
الصلح فبادر سبكتكين وبعث أبا القاسم.

ثم ارتقاب به عند عبوره إلى إيلك خان، فجسسه مع أبيه  
عليه وأصحابه حتى رجع سبكتكين من طوس إلى بلخ، فبلغ الخبر  
بمقتلهم، ووصل نعي مأمون بن محمد صاحب الجرجانية بخوارزم  
غدر به صاحب جيشه في صنع أعده له وقتلها، وصل خبر الأمير  
نوح أثرهما وأنه هلك متتصف رجب سنة سبع وثمانين  
وثلاثمائة.

### أخبار سبكتكين مع فخر الدولة بن بويه

كان أبو علي بن سيجور وفاته لما هزمها سبكتكين لحقاً  
بحرجان عند فخر الدولة بن بويه، ثم لما أجلب أبو القاسم على  
خراسان، وسار إليه محمود بن سبكتكين، وعمه بغراجق وكان معه  
أبو نصر بن عمود الحاجب فهربا إلى فخر الدولة وأقاما في نزله  
وتحت حرابة بقومس والدامغان وجرجان وأنان سبكتكين على  
طوس.

ثم وقت المهادة بينه وبين فخر الدولة بن بويه صاحب  
الري، وكان آخر هدية من سبكتكين جاء بها عبد الله الكاتب من  
تعبة.

ونفي إلى فخر الدولة أنه يتجلس عدد الجندي، وغواصض  
الطرق، فبعث إلى سبكتكين بالعتاب في ذلك.

ثم ضعف الحال بينهما، واتصل ما بين فخر الدولة والأمير  
نوح على يد سبكتكين.

### وفاة سبكتكين وولاية ابنه إسماعيل

ولما فرغ سبكتكين من أمر إيلك خان ورجع إلى بلخ، وأقام

به إلى بخارى مستعيناً بملك خان على غرضه، فنهض بملك خان بالخلع والألوية على العادة.  
لصاحبهما وسار بهما كانه يريد سيرفند.  
وكان بين يديه السماطان واستوثق له ملك خراسان وبقي يردد الغزو إلى الهند كل سنة.

### استيلاء محمود على سجستان

كان خلف بن أحد صاحب سجستان في طاعة بني سامان  
ولما شغل عنه بالفتنة استفحلا أمره، وشغل للإسْبَادَادِ.  
فلما سار سبكتكين للقاء ملك الهند كما مر، اعتزم الفرصة  
من بست ويعث إليها عسكراً فملوكها وجبوها.  
ولما رجع سبكتكين من الهند ظافراً تلقاه بالمعاذير والتعزية  
والهدايا والطاعة فقبل وأعرض عنه، وارتھن عنده على طاعته،  
وسار معه الحارث أبو علي بن سيجور بخراسان فملاً يده ويد  
عسكره بالعلاء، ويقدمه لقتال بملك خان بما وراء النهر كما مر،  
فدس إلى بملك خان يغريه بسبكتكين.

وعاتم سبكتكين على غزو سجستان، ثم أدركه الموت  
فاغتنم خلف الفرصة ويعث ظاهراً إلى قهستان وبوشنج فملوكها،  
وكاتب البغراچق أناخا سبكتكين.

فلما فرغ محمود من شأن خراسان بعث لبغراجق عمه  
باتنزاع قهستان وبوشنج، فسار إلى ظاهر فهزمه واتبعه، وكسر عليه  
ظاهر قتله وانهزم الفريقان، وزحف محمود إلى خلف ستة تسعين  
وثلاثمائة، فامتنع في أحصن بلد وهي قلعة عالية متينة، وحاصره  
بها حتى لاذ بالطاعة.

ويذل مائة ألف دينار فأخرج عنه وسار إلى الهند فتوغل فيها،  
واتهنى في إثنى عشر ألف فارس وثلاثين ألف راجل، فاختار  
محمود من عساكره خمسة عشر ألفاً، وسار لقتال جيجال فهو زمه  
واسره في بيته وحدهاته وكثير من قرابته.

ووُجِدَ في سليه مقلد من فصوص يساوي مائة ألف دينار  
وأمثال ذلك، فوزعها على أصحابه، وكان الأسرى والسي  
خمسة عشر ألف رأس وذلك ستة اثنين وتسعين وثلاثمائة وفتح من  
بلاد الهند بلاداً أوسع من بلاد خراسان.

ثم فادي جيجال ملك الهند نفسه خمسين رأساً من الفيلة  
ارتھن فيها ابنه وحافده وخرج إلى بلده، فبعث إلى ابنه أندبال  
وشاهينة وراء سيجور فأعطيوه تلك الفيلة، وسار لا يعود له ملك،  
وسار السلطان محمود إلى وجهنـد فحاصرها وافتتحها، ويعث  
العاـسـكـرـ لـتـدوـيـخـ نـواـجيـهاـ فـأـتـخـنـوـاـ فـيـ القـتـلـ فـيـ أـوـيـاشـ كـانـوـاـ عـجـمـعـيـنـ

ثم قبض على أبي منصور وأبن عزيز، وأحضر فائقاً وأمره  
بالسير على مقدمته إلى بخارى، فهرب أبو الحارث وملك فاق  
بخارى ورجع بملك خان.

واستدعى فاق أبو الحارث فاطمان، وبعث من مكانه  
بكثرون الحاجب الأكبر على خراسان ولقبه بستان الدولة، ورجع  
إلى بخارى فتلقاء فاق، وقام بتدبیر دولته.

وكانت بينه وبين بكثرون ضفن فاصلاح أبو الحارث  
بيهـماـ، وأقامـ بكـثـرـونـ وجـيـ الـأـمـوـالـ، وزـحـفـ إـلـيـ أـبـوـ القـاسـمـ بنـ  
سيـجـورـ، وكانتـ بينـهـماـ الفتـنـةـ التيـ مـرـ ذـكـرـهاـ.

وجاءـ محمودـ إلىـ بلـخـ بـعـدـ فـرـاغـهـ مـنـ فـتـنـةـ أـجـيـهـ إـسـمـاعـيلـ،  
فـبـعـثـ إـلـيـ أـبـوـ الحـارـثـ مـنـصـورـ رـسـلـهـ وـهـدـيـاـهـ، فـقـدـ لـهـ عـلـىـ بلـخـ  
وـتـرـمـدـ وـهـرـةـ وـيـسـتـ.

واعتذر عن نيسابور فراجعه مع تنتهـ أـبـيـ الحـسـنـ الحـمـوليـ  
فـاسـتـلـصـهـ أـبـوـ الحـارـثـ لـوزـارـتـهـ، وـقـدـ عـنـ رسـالـةـ صـاحـبـهـ فـاقـيلـ  
مـحـمـدـ إـلـىـ نـيـسـابـورـ، وـهـرـبـ عـنـهـ بـكـثـرـونـ فـنـهـضـ أـبـوـ الحـارـثـ إـلـىـ  
نيـسـابـورـ، فـغـرـحـ مـحـمـدـ عـنـهـ إـلـىـ مـرـوـ الرـوـذـ، وـجـعـ أـبـوـ الحـارـثـ  
وـكـحـلـةـ بـكـثـرـونـ، وـبـاـيـعـاـ لـأـخـيـهـ عـبـدـ الـلـكـ بـنـ نـوـحـ.

وـبـعـثـ مـحـمـدـ إـلـىـ فـاقـ وـبـكـثـرـونـ بـالـعـاـبـ علىـ صـنـيـعـهـاـ  
بـالـسـلـطـانـ، وـزـحـفـ إـلـيـهـماـ فـبـرـزاـ مـنـ مـرـوـ لـلـقـاءـ، ثـمـ سـائـرـهـ الـبـقاءـ  
فـأـجـابـ وـارـجـلـ عـنـهـمـ، وـبـعـضـ أـبـيـاـشـهـ فـيـ اـعـقاـبـهـ فـرـجـعـ إـلـيـهـمـ.

وـحـشـدـواـ النـاسـ لـلـقـاءـ فـهـزـمـهـ وـاقـرـقـواـ، فـسـارـ عـبـدـ الـلـكـ  
إـلـىـ بـخـارـىـ وـبـكـثـرـونـ إـلـىـ نـيـسـابـورـ وـكـانـ مـعـهـ أـبـوـ القـاسـمـ بـنـ  
سيـجـورـ، وـلـحـقـ بـقـهـسـانـ وـاسـتـولـ مـحـمـدـ عـلـىـ خـرـاسـانـ وـذـلـكـ سـنـةـ  
تـسـعـ وـنـمـانـ وـثـلـاثـمـائـةـ.

ثـمـ سـارـ إـلـىـ طـوـسـ وـهـرـبـ بـكـثـرـونـ إـلـىـ جـرـجانـ، وـبـعـثـ  
مـحـمـدـ أـرـسـلـانـ الحاجـبـ فـيـ أـئـرـهـ فـأـخـرـجـهـ مـنـ نـوـاـيـيـ خـرـاسـانـ، فـوـلـ  
أـرـسـلـانـ عـلـىـ طـوـسـ وـسـارـ إـلـىـ هـرـةـ لـطـالـعـةـ أـعـواـلـاـ، فـخـالـفـهـ  
بـكـثـرـونـ إـلـىـ نـيـسـابـورـ وـمـلـكـهـ، وـرـجـعـ فـطـرـدـ عـنـهـ أـبـوـ القـاسـمـ بـنـ  
سيـجـورـ وـمـلـكـهـ.

وـوـلـيـ مـحـمـدـ أـخـاـهـ نـصـرـ بـنـ سـبـكـتـكـينـ قـيـادـةـ الـجـيـوشـ بـخـرـاسـانـ  
وـأـنـزـلـهـ بـنـيـسـابـورـ، ثـمـ سـارـ إـلـىـ بـلـخـ فـانـزـلـ بـهـ سـرـيرـهـ.

ثـمـ اـسـتـرـابـ بـأـخـيـهـ إـسـمـاعـيلـ فـاعـتـلـهـ بـعـضـ الـقـلـاعـ مـوـسـعـاـ  
عـلـيـهـ، وـكـتـبـ بـالـيـعـةـ لـلـقـادـرـ الـخـلـيفـةـ مـنـ بـنـيـ الـعـبـاسـ، فـبـعـثـ إـلـيـهـ

وأما عند ابن الأثير فعلى ما وقع في أخبار دولة بني الصفار.

## غزوة بهاطية والملتان وكوكبر

ولما فرغ السلطان محمود من سجستان اعتمد على غزو بهاطية من أعمال الهند، وهي وراء الملتان، مدينة حصينة عليها نطاق من الأصبار وآخر من الخنادق، بعيدة المهوى. وكانت مشحونة بالمقاتلة والعدة، واسم صاحبها بجير، فعبر السلطان إليها جيحرن ويرز إلى بجير فاقتلاها بظاهر بهاطية ثلاثة أيام.

ثم انهزم بجير وأصحابه في الرابع وتبعهم المسلمون إلى باب البلد فملأوه عليهم، وأخذتهم السيف من أمامهم ومن ورائهم فبلغ القتل والسي والسلب والنهب فهم مبالغة. وسار بجير في رؤوس الرجال فستر في شعابها وبعث السلطان سرية في طلبه فأحاطوا به، وقتلوا من أصحابه. وطا أيقن بالحلكة قتل نفسه مجذج معه.

وأقام السلطان محمود في بهاطية حتى أصلح أمرها، واستخلف عليها من يعلم أهلها قواعد الإسلام، ورجع إلى غزنة فلقي في طريقه شدة من الأمطار في الورلح وزنادة المدد في الأنهار، وغرق كثير من عسكره.

ثم بلغه عن أبي الفتوح والي الملتان أنه ملحد، وأنه يدعوا أهل ولايته إلى مذهبة فاعتزم على جهاده، وسار كذلك ومنعه سيجور من العبور لكنه المدد، فبعث السلطان إلى أندبال ملك الهند في أن يبيع له العبور إلى بلاده لغزو الملتان فأبي، فبدأ بجهاده، وسار في بلاده ودوجهها وفر أندبال بين يديه، وهو في طلبه إلى أن بلغ كشمير.

ونقل أبو الفتوح أمواله على الفيول إلى سرنديب، وتترك الملتان فقصدتها السلطان، وامتنع أهلها فحاصرهم حتى افتحها عنوة، وأغارهم عشرين ألف ألف درهم عقوبة لهم على عصيانهم.

ثم سار إلى كوكبر واسم صاحبها يبدا، وكان بها ستمائة صنم فاتتحها وأحرق أصنامها.

وهرب صاحبها إلى قلعته وهي كاليجار وهو حصن كبير يسع خمسة ألاف إنسان، وفيه خسمائة وعشرون ألف راية، وهو مشحون بالأقواف والمسالك إليه متعدنة بخمر الشجر، وملتف

للفساد مستترتين بخمر الغياض فاستلهموهم.

ورجع السلطان محمود إلى غزنة وكان خلف بن أحمد عند منصرف السلطان عنه أظهر النسك، وولى ابنه طاهراً على سجستان، فما طالت غيبة السلطان أراد الرجوع إلى ملكه فلم يمكنه ابنه، فتعرض ويعث إلى بالحضور للوصية والاطلاع على خباباً الذخيرة، فلما حضر اعتقله ثم قتله كما مر.

وجزعت نفوسه وبلغت ضمائر قواده لذلك، وخافوه، ويعثوا للسلطان محمود بطاعتهم ما بقيت له الدعوة في سجستان سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة وسار السلطان محمود إلى خلف فامتنع منه في معقله حصن الطاق، وهو في رأس شاهن تحيط به سبعة أسوار عالية، ويحيط به خندق بعيد المهوى، وطريقه واحدة على جسر، فجثم عليه أشهرأ.

ثم فرض على أهل العسكر قطع الشجر التي تليه وطم بها الخندق، ورمح إليه وقدم الفيول بين يديه على تعبيتها فحطمت الفيل الأعظم على باب الحصن فقلعه ورمي به، وفشا القتل في أصحاب خلف وعاصروا داخل الباب يتناضلون بأحجار المجنح والسيام والحراب، فرأى خلف هول المطلع فأثاب واستأمن، وخرج إلى السلطان وأطعاه كثيراً من الذخيرة، فرفع من قدره وخربه في مقاماته فاختار الجوزجان فاذن له في المسير إليها على ما بينه وبين إيلك خان من المداخلة.

ثم هلك خلف سنة تسعة وستين وثلاثمائة وأبقى السلطان على ولده عمر، وكان خلف كثير العاشية من الرواندين والعلماء، وكان محسناً لهم، الف تفسيراً جمع له العلماء من أهل إيلاته، وأتفق عليهم عشرين ألف دينار، ووضعه في مدرسة الصابوني بنيسابور، ونسخه يستفرق عمر الكاتب، إلا أن يستقر في النسخ. واستخلف السلطان على سجستان أحد الفتخي من قواد أبيه ورجع إلى غزنة.

ثم بلغه انقضاض أحد سجستان فسار إليهم في عشرة آلاف، ومعه أنحوه صاحب الجيش أبي المظفر نصر والتواتش الحاجب، وزعيم العرب أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الطائي فحاصرهم، وفتحها ثانية، وولى عليها أخيه صاحب الجيش نصر بن سبكتكين مضافة إلى نيسابور فاستخلف عليها وزيره أبي منصور نصر بن إسحاق.

وعاد السلطان محمود إلى بلخ مضمراً غزو الهند. هكذا مساق خبر السلطان محمود مع خلف بن أحد وخبر سجستان عند العبي.

انتهى إلى جرجان فقصد عنها، وركب قلل الجبال والغياض، وتسقط الكراكلة على أقالته ورجاله، واستأمان طوائف من أصحابه إلى قابوس لعدم الظهر.

ثم عاد إلى نسا وأصدر ما معه إلى خوارزم شاه أبي الحسن علي ابن مأمون، ودبعة لايلك خان، واقتصر المفازة إلى مرو، فسار السلطان لاعتراضه ورمه محمد بن سبع بعثة من القواد حلوا إلى غزنة.

ونجا سباسي تكين في قل من أصحابه، فعبر النهر إلى ايلك خان، وقد كان ايلك خان بعث أخيه جعفر تكين في ستة آلاف راجل إلى بلخ ليفتر من عزيمة السلطان عن قصد سباسي تكين فلم يفتر ذلك من عزمه، حتى أخرج سباسي من خراسان.

ثم قصدهم فانهزموا أمامه، وتبعهم آخره نصر بن سبكتكين صاحب جيش خراسان إلى ساحل جيحون، فقطع دابرهم.

ولما بلغ الخبر إلى ايلك خان قام في ركابه وبعث بالصريح إلى ملك الختل وهو قدرخان بن بقرخان لقربانة بينهما وصهر، فجاءه بنفسه وتقدّم معه، واستجاش أحياه التزل ودهاقين ما وراء النهر، وعبر النهر في حسين الفأ، وانتهى إلى السلطان خبره وهو بطخارستان فقدم إلى بلخ، واستعد للحرب، واستنصر جموع الترك والجند والخلنجية والأفغانية والفارسية.

وعسكر على أربعة فراسخ من بلخ، وتراحو على التعبة، فجعل السلطان في القلب أخيه نصرًا صاحب الجيش بمخراسان، وأبا نصر بن أحد الفريغوني صاحب الجوزجان، وأبا عبد الله بن محمد بن إبراهيم الطائي في كمة الأكراد والعرب والهنود، وفي الميمنة حاجي الكبير أبا سعيد التمرتاشي، وفي الميسرة أرسلان الحاجب، وحضر الصدوق بخمسة من الفيلة.

وجعل ايلك خان على ميمنته قدرخان ملك الختل وعلى ميسرته أخيه جعفترتكين، وهو في القلب.

وطالت الحرب، واستمرت الفريقيان ونزل السلطان وغفر خذه بالأرض متضرعاً.

ثم ركب وحمل في فليته على القلب فازاله عن مكانه، وانهزم الترك، واتبعوهم يقتلون ويأسرون إلى أن عبروا بهم النهر، وأكثر الشعراة تهتهة السلطان بهذا الفتح وذلك ستة سبع وستين وثلاثمائة.

ولما فرغ السلطان من هذه الحرب سار للهند للإيقاع بتواسه شاه أحد أولاد الملوك، كان أسلم على يده واستخلفه على بعض

الغياض، فأمر بقطع الأشجار حتى اتضحت المسالك.

وعترضه دون الحصن واد بعيد المهوى، فنظم منه عشرين ذراعاً بالأجرية المشورة بالتراب، وصيده جسرًا، ومضى منه إلى القلعة، وحاصرها ثلاثة وأربعين يوماً حتى جنح صاحبها إلى السلم.

وبلغ السلطان أن ايلك خان جمع غزو خراسان، فصالح ملك الهند على حسين فيلاد وثلاثة آلاف من الفضة، وخلع عليه السلطان فليس خلعته وشد منطقته.

ثم قطع خلعته وأنفذها إلى السلطان، وتبعه بما عقد معه وعاد السلطان إلى خراسان بعد أن كان عازماً على التوغل في بلاد الهند.

### مسير ايلك خان إلى خراسان وهزيمته

كان السلطان محمود لما ملك ايلك خان بخارى كما مر، وكتب إليه مهنياً، وتردد السفراء بينهما في الوصلة، وأوفد عليه سهل بن محمد بن سليمان الصعلوكى إمام الحديث، ومعه طفان جق وإلى سرخس في خطبة كرمته بهدية فاخرة من سباتك العقيان والبيراقيت والدر والمرجان واللوشى والحر، وصوانى الذهب مملوئة بالعنبر والكافور والعود والنصول، وأمامه الفيول تحت المخروج المنشاة، فقربلت المدية بالقبول، والواحد بالتعظيم له ولن أرسله، وزفت المخطوبية بالهدايا والأنطاف، وانحدرت الحال بين السلطانيين.

ولم يزل السعاة يغرون ما بينهما حتى فسد ما بينهما، فلما سار السلطان محمود إلى الملنات اختتم ايلك خان الفرصة، وبعث سباسي تكين قريبه وقائد جيشه إلى خراسان، وبعث معه أخيه جعفترتكين وذلك ستة سبعين وثلاثمائة فملك بلخا وأنزل بها جعفتر تكين، وكان أرسلان الحاجب يهراة أنزله السلطان بها، وأمره إذا دهمه أن ينحاز إلى غزنة.

وقصد سباسي هراة وسكنها، ونذب الحسين بن نصر إلى نيسابور فملكتها، ورتب العمال، واستخرج الأموال.

وطار الخبر إلى السلطان بالهند، وقصد بلخ فهرب جعفتر تكين إلى ترمذ، واستقر السلطان بلخ، وسرح أرسلان الحاجب في عشرة آلاف من العساكر إلى سباسي تكين بهراة فسار سباسي إلى مرو، واعترضه التركمان، وقاتلهم فهزهم وأنخذ فيهم.

ثم سار إلى أببورد، ثم إلى نسا وأرسلان في اتباعه حتى

المعاقل التي افتحها، فارتدى ونبذ الإسلام، فأغذ السير إليه ففر بasmine، ونال عنده بذلك فوق ما أمل.

اما، واحتوى على المعاقل التي كانت في يده من أصحابه، وانقلب إلى غزنة ظافراً وذلك سنة سبع وتسعين وثلاثمائة.

### غزوة بارين

ثم سار السلطان محمود على رأس المائة الرابعة لغزو بلاد الهند فدخلوها واستباحها، وأوقع ملوكها، ورجع إلى غزنة فبعث إليه ملك الهند في الصلح على جزية مفروضة، وعسكر مقرر عليه، وعلى تعجيل مال عظيم، وهدية فيها خسون فبلاء، وتقرر الصلح بينهما على ذلك.

### غزوة الغور وقصران

بلاد الغور هذه تجاور بلاد غزنة، وكانتا يفسدون السابلة ويكتعنون بمحالهم وهي ورة وضيق، واقاموا على ذلك متربدين على كفرهم وفسادهم، فامتنع السلطان محمود، وسار لسم عليهم سنة إحدى وأربعين سنة وفي مقدمته التوتشش الحاجب والي هرآة وأرسلان الحاجب والي طرس.

وانهروا إلى مضيق الجبل وقد شحذوه بالمقاتلة فنازلتهم الحرب ودهمهم السلطان فارتدوا على أعقابهم، ودخل عليهم بلادهم ولملكتهم.

ودخل حصناً في عشرة آلاف واستطرد لهم السلطان إلى فسيح من الأرض.

ثم كر عليهم فهزمهم وأثخن فيهم وأسر ابن سوريا وقرباته وخواصه، وملك قلعتهم وغنم جميع أموالهم، وكانت لا يعبر عنها.

وأنسف ابن سوريا على نفسه فتناول سماً كان معه ومات.

ثم سار السلطان ستة اثنين وأربعين سنة لغزو قصران وكان صاحبها يحمل ضمانه كل سنة، فقطع الحمل وامتنع بموالاة إيلك خان، وسار إليه فبادر باللقاء وتنصل واعتذر، وأهدى عشرين فبلأ والزمه السلطان خمسة عشر ألف درهم، ووكل بقبضها ورجع إلى غزنة.

### خبر اليشار واستيلاء السلطان على

#### غرشستان

كان اسم اليشار عند الأعلام لقباً على ملك غرشستان، كما

### فتح بهيم نقرا

ثم سار السلطان سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة في ربيع منها غازياً إلى الهند فانتهى إلى سبط وبهند، فلقيه هناك ابن هربال ملك الهند في جيوش لا تُحصى، فصدقهم السلطان القتال فهزمهم، واتبعهم إلى قلعة بهيم نقرا وهي حصن على حصن عالية اخذها أهل الهند خزانة للصنم، ويدعون به أنواع الذخائر والجواهر التي يتقارب بها للصنم، فدافع عنه خزانة أيامها.

نعم استأمنوا وأمكناً السلطان من القلعة، فبعث عليه أيام نصر الفريغوني وحاجه الكبير ابن التتراتش، وواسع تكين، وكلفهم بنقل ما في الخزائن، فكان مبلغ المنقول من الوزن سبعين ألف ألف شامية، ومن الذهبيات والفضيات موزونة، والديباج السوسي ما لا عهد بثله، ووجد في جلتها بيت من الفضة الخالصة طوله ثلاثون ذراعاً في خمسة عشر، صفات مضرورة ومعالق للطي والنشر، وشرع من ديбاج طوله أربعون ذراعاً في عرض عشرين بقائمتين من ذهب، وقائمتين من فضة، فركلهمما محفظ ذلك.

ومضوا إلى غزنة فأمر بساحة داره ففرشت بذلك الجواهر، واجتمعت وفود الأطراف لمشاهدتها، وفيهم رسول طغان أخي إيلك خان.

### خبر الفريغون واستيلاء السلطان على

#### الجوزجان

وكان بنر فريغون هرؤاء ولاة على الجوزجان أيام بيبي سامان بتوارثونها، وكان لهم شهرة مكارم.

وكان أبو الحارث أحد بن محمد غرتهم، وكان سبكيكين خطب كريمه لأبنه محمود وأنجح كريمه أخت محمود لأبنه أبي نصر فالتحق بينهما.

وهلك أبو الحارث فأقر السلطان محمود ابنه أبي نصر على ولايته إلى أن مات سنة إحدى وأربعين سنة، وكان أبو الفضل أحد بن الحسين المدائني المعروف بالديباج يؤلف له التأكيد ويجعلها

أن كسرى على ملك الفرس وقيصر على ملك الروم ومعناه طغان خان فراسل السلطان محمود وصالحة. وقال له: اشتغل أنت بغزو الهند، وأنا بغزو الترك فأجابه إلى ذلك.

وانتقطعت الفتنة بينهما وصلحت الأحوال، ثم خرجت طوائف الترك فأجابه إلى ذلك، وانتقطعت الفتنة بينهما وصلحت الأحوال.

ثم خرجت طوائف الترك من جانب الصين في مائة ألف خرقة وقصدوا بلاد طغان، فهال المسلمين أمرهم فاستنصر طغان من الترك أزيد من مائة ألف، واستقبل جموع الكفرة فهزتهم وقتل نحوًا من مائة ألف وأسر مئلها، ورجع الباقون متهزمين.

وذلك طغان إنما ذلك، وملك بعده آخره أرسلان خان سنة ثمان وأربعين، وخلص ما بينه وبين السلطان محمود، وخطب بعض كرائمه للسلطان مسعود ولده فأجابه.

وعقد السلطان لابنه على هرارة فسار إليها سنة ثمان وأربعين.

ثم سار السلطان سنة ثمان وأربعين وفتحت الشتاء غازياً إلى الهند، وتغل فيها مسيرة شهرين، وامتنع عظيم الهند في جبل صعب المرتفع ومنع القتال، واستدعي المندوب وملك عليهم الفيلة وفتح الله بارين وكثرت الأسرى والغنائم ووُجِدَ به في بيت البدجي حجر منقوش، قال التراجمة كتابته إنه مبني منذ أربعين ألف سنة.

ثم عاد إلى غزنة وبعث إلى القادر يطلب عهد خراسان وما بيده من المالك.

وكان أليشار أبو نصر محمد بن إسماعيل بن أسد ملكها إلى ذلك. أن بنع ولده محمد بن النجاشي فغلب على أبيه، وانقطع أبو نصر للنظر في العلوم لشغفه بها، وصاحب خراسان يومئذ أبو علي بن سبجور.

ولما انقضى على الرضى نوح خطبهم لطاعته وولاته فأبوا من ذلك لانتقامه على سلطانه، فبعث العساكر إليهم وحاصرهم زماناً.

ثم نهض سبكتكين إلى أبي علي بن سبجور، وانضاف إلى أليشار إلى سبكتكين في تلك الفتنة كلها، فلما ملك السلطان محمود خراسان وأذعن له ولادة الأطراف والأعمال بعث إليهم في الخطبة فأجابوه.

ثم استنصر محمد بن أبي نصر في بعض غزواته فقد عد عن التبر، فلما رجع السلطان من غزنته بعث حاجبه الكبير أبي سعيد التوتاش في العساكر وأرداه بارسلان الحاجب وإلي طوس لمناهضة أليشار ملك غرشان.

واستصحبا معهما أبا الحسن المنيعي الزعيم بمرو والرود لعلمه بمخادع تلك البلاد، فلما أبوا نصر فاستأتم إلى الحاجب، وجاء به إلى هرارة مرفهاً محاطاً عليه.

وأما ابنه محمد فتحصن بالقلعة التي بناها أيام ابن سبجور فحاصروها طويلاً، واقتصرها عنوة وأخذ أسريراً، فبعث به إلى غزنة، واستصرفت أمواله وصودرت حاشيته.

واستخلف الحاجب على الحصن ورجع إلى غزنة فامتحن الولد بالبساط، واعتقله مرفهاً واستقدم أبا نصر من هرارة فآتاه عنه في كرمته إلى أن هلك سنة ست وأربعين.

## وفاة أيلك خان وصلاح أخيه طغان خان مع السلطان

كان أيلك خان بعد هزيمته بخراسان يواصل الأسف، وكان أحوجه طغان يكبر عليه على فعلته، ونقضه العهد مع السلطان. وبعث إلى السلطان يتبرأ ويغتذر فنافره أيلك خان بسبب ذلك وزحف إليه ثم تصاحلها.

ثم هلك أيلك خان سنة ثلاثة وأربعين وولى مكانه أخوه

## فتح بارين

ثم سار السلطان سنة ثمان وأربعين وفتحت الشتاء غازياً إلى الهند، وتغل فيها مسيرة شهرين، وامتنع عظيم الهند في جبل صعب المرتفع ومنع القتال، واستدعي المندوب وملك عليهم الفيلة وفتح الله بارين وكثرت الأسرى والغنائم ووُجِدَ به في بيت البدجي حجر منقوش، قال التراجمة كتابته إنه مبني منذ أربعين ألف سنة.

ثم عاد إلى غزنة وبعث إلى القادر يطلب عهد خراسان وما بيده من المالك.

## غزوة تبيرة

كان صاحب تبيرة عالياً في الكفر والطغيان، وانتهى الخبر إلى السلطان في ناحيته من الفيلة قبيلة من الفيتلمان الموصوفة في الحروب، فأعترض السلطان على غزوه، وسار إليه في مسالك صعبة وعرة بين أودية وقفارات حتى انتهى إلى نهر طام قليل المخاضة وقد استندوا من ورائه إلى سفح جبل، فسررب إليهم جماعة من الكلمة خاضوا النهر وشغلوهم بالقتال حتى تعدد بقية العسكر. ثم قاتلواهم وانهزموا، واستباحهم المسلمون وعادوا إلى

ثم اعتزم على غزو الهند سنة سبع وأربعين، وكان قد دوخ بلادها كلها، ولم يبق عليه إلا كشمير ومن دونها الفيافي والمصاعب، فاستفر الناس من جميع الجهات من المترقبة والمنظورة.

وسار تسعين مرحلة وعبر نهر جيحون وحيلم وخيانا، هو وأمراؤه، وبث عساكره في أودية لا يعبر عن شدة جريها وبعد أعمقاها، وانتهى إلى كشمير.

وكانت ملوك الهند في تلك الممالك تبعث إليه بالخدمة والطاعة، وجاهه صاحب درب كشمير وهو جنكي بن شاهي وشهي فأقر بالطاعة، وضمن دلاله الطريق، وسار أمام العسكر إلى حصن مامون لعشرين من رجب، وهو خلال ذلك يفتح القلاع إلى أن دخل في ولاية هرتدت، أحد ملوك الهند فجاء طائعاً مسلماً.

ثم سار السلطان إلى قلعة كلنجد من أعيان ملوكهم، فبرز للقائه، وانهزم، واعتبرهم أنهار عميقа سقطوا فيها وهلكوا قتلاً وغرقاً، يقال: هلك منهم خسون الفاً.

وغنم السلطان منهم مائة فيل وخمسة إلى غير ذلك مما جل عن الوصف ثم عطف إلى سقطالتقيد وهو بيت مبني بالصلخور الصم يشرع منها بابان إلى الماء المحيط، موضوعة أبنيته فوق التلال، وعن جنبيه ألف قصر مشتملة على بيوت الأصنام.

وفي صدر البلد بيت أصنام منها خمسة من الذهب الأحمر مضرورة على خمسة أذرع في الهواء قد جعلت عينا كل واحدة منها ياقوتين تساويان خمسين ألف دينار، وعين الآخر قطعة ياقوت أزرق تزن أربعين مثقالاً، وفي وزن قدمي الصنم الواحد أربعة آلاف وأربعين مثقال، وجملة ما في الأشخاص من الذهب ثمانية وتسعين ألف مثقال.

وزادت شخصوص الفضة على شخصوص الذهب في الوزن، فهدمت تلك الأصنام كلها، وخرست.

وسار السلطان طالياً فتوّج، وخرب سائر القلاع في طريقه، ووصل إليها في شعبان سنة سبع وأربعين وفديه فارقتها زوجها حين سمع بقدومه، وعبر نهر كنك الذي تفرق المندوب فيه أنفسهم ويذرون فيه رماد الحرقين منهم.

وكان أهل الهند واقفين بقرج وهي سبع قلاع موضوعة على ذلك الماء، فيها عشرة آلاف بيت للأصنام، ترعم المندوب أن تاريجها منذ مائتي ألف سنة، أو ثلاثة الف سنة، وأنها لم تزل متعدداً لهم.

فلما وصلها السلطان ألقاها خالية قد هرب أهلها، ففتحها

غزنة ظافرين ظاهرين.

ثم غزا السلطان على عادته فضل الأدلة طريقهم فوق السلطان في مخاضات من المياه غرق فيها كثير من العسكر، وخاض الماء بنفسه أيامًا حتى خلص ورجع إلى خراسان.

## استيلاء السلطان على خوارزم

كان مأمون بن محمد صاحب الجرجانية من خوارزم، وكان مخلصاً في طاعة الرضى نوح أيام مقامه في آمد كما مر، فأضاف نسا إلى عمله فلم يقبلها لمردة بيته وبين أبي علي ابن سيجور. وكان من خبره مع ابن سيجور واستقادة إيهام من أسر خوارزم شاه سنة ست وثمانين وثلاثمائة ما مر ذكره، وصارت خوارزم كلها له.

ثم هلك وملك مكانه أبو الحسن علي.

ثم هلك وملك مكانه ابنه مأمون، وخطب إلى السلطان محمود بعض كرامته فزوجه اخته.

وأخذ الحال بينهما إلى أن هلك، وولي مكانه أبو العباس مأمون، ونكح اخته كما تكحها آخره من قبله.

ثم دعاه إلى الدخول في طاعته، والخطبة له، كما دعا الناس، فمنعه أصحابه وأتباعه، وترجم الخيبة من السلطان في ذلك، فرجعوا إلى الفتاك به، فقتلوه وبایعوا ابنه داود. وزاد خوفهم من السلطان في ذلك، فتعاهدوا على الامتناع ومقدمهم التكين البخاري.

وسار إليهم السلطان في العساكر حتى أنساخ عليهم وبيتوا محمد بن إبراهيم الطائي، وكان في متقدمة السلطان قاتلهم إلى أن وصل السلطان فهزمه، وأنحن فيهم بالقتل والأسر، وركب التكين السفن ناجياً فندره الملحوظ وجاؤوا به إلى السلطان فقتلهم في جماعة من القواد الذين قتلوا مأموناً على قبره.

ويعثر بالباقين إلى غزنة، فاخرجوا في البعوث إلى الهند وأنزلوا هنالك في حامية الشور وأجريت لهم الأرزاق، واستخلف على خوارزم الحاجب الترتناش ورجع إلى بلاده.

## فتح كشمير وقنج

ولما فرغ السلطان من أمر خوارزم، وانضافت إلى ملكته، عدل إلى بست، وأصلاح أحوالها ورجع إلى غزنة.

جلته، ووعدهم برد ما غلبهم عليه السلطان محمود، وغى الخبر بذلك إليه فامتعض، وسار إلى يندو فغلبه على ملوكه.

وكان ابتداؤه في طريقه بالأفقارية طائف من كفار الهند معتصمون بقليل الجبال، ويفسدون السايلة، فسار في بلادهم ودخولها، وعبر نهر كنك، وهو واد عميق، وإذا جيال من وراءه، فعبر إليه على عسر العبور فانهزم جيال، وأسر كثير من أصحابه، وخلص جريحاً واستأنف إلى السلطان فلم يؤمن إلا أن يسلم، فسار ليلحق بيدو، فتدار به بعض المئود وقتله.

فلما رأى ملوك الهند ذلك تابعوا رسملهم إلى السلطان في الطاعة على الأتاوة، وسار إلى مدينة باري من أحسن بلاد الهند فالقاما خالية، فأمر بتخريبيها وشر قلاع مجاورة لها، وقتل من أهلها خلقاً وسار في طلب بيدو، وقد تحصن بنهر أدار ماء عليه من جميع جوانبه، ومعه ستة وخمسون ألف فارس وثمانون ألف راجل وسبعينه وخمسون فيلاً، فقاتلهم هنالك يوماً، وحجز بينهم الليل فأغفل بيدو، وأصبحت، دياره بلا قاع، وترك خزائن الأموال والسلاح فتنمها المسلمين وتبعوا آثارهم فوجدوهم في الغياض والأكام، فأكثروا فيهم القتل والأسر، ونجا بيدو بدماء نفسه، ورجع السلطان إلى غزة ظافراً.

## فتح سونات

كان للهند صنم يسمونه سونات، وهو أعظم أصنامهم في حصن حصين على ساحل البحر بحيث تلتفه أمراجه والصنم مبني في بيته على ستة وخمسين سارية من الساج المصلح بالرصاص، وهو من حجر طوله خمسة أذرع، منها ذراعان غائصان في البناء وليس له صورة مشخصة.

والبيت مظلم يضيء بقداديل الجوهر الفائق، وعنه سلسلة ذهب يجرس وزنها مائة من تمرك بادوار معلومة من الليل فيقوم عباد البرهمين لعبادتهم بصوت المجرس.

وعنه خزانة فيها عدد كثير من الأصنام ذهبًا وفضة، عليها ستور معلقة بالجوهر منسوجة بالذهب، تزيد قيمتها على عشرين ألف ألف دينار.

وكانوا يمحجون إلى هذا الصنم ليلة خسوف القمر فجتمع إليه عالم لا يُحصى.

وتزعم الهند أن الأرواح بعد المفارقة تجتمع إليه فيین شاء بناء على التناصح، والمد والجزر عندهم هو عبادة البحر.

كلها في يوم واحد، واستباحها أهل عسكره.

ثم أخذ في السير منها إلى قلعة لنج، وتعرف بقلعة البراهمة، فقاتلوا ساعة، ثم تساقطوا من أعلىها على سينا الرماح وضياء الصفاح.

ثم سار إلى قلعة أسا وملكها جندبال فهرب وتركها، وأمر السلطان بتخريبيها.

ثم عطف على جندرائي من أكبر الهند في قلعة منيعة، وكان جيال ملك الهند من قبل ذلك يطلب للطاعة والألفة فيمتنع عليه.

ولحق جيال بنهوجد أحد المغوروين بمصانة العقل، فجاء بنفسه.

ورام جندرائي المدافعة وثوقاً باستناع قلعته، ثم تتصحّ له جيبيال ومنعه من ذلك، فهرب إليه أمواله وأنصاره إلى جبال وراء القلعة، وافتتحها السلطان وحصل منها على غنائم.

وسار في أتباع جندرائي وأخذهن فيهم قتلاً ونهباً، وغنم منهم أموالاً وفيرةً، وببلغت الغنائم ثلاثة آلاف الف درهم ذهبًا وفضة، ويواقت واسبي كثير، وبيع بدرهمين إلى عشرة، وكانت الفرس تسمى عندهم جندلادي داد.

ثم فرض السلطان جهاده ورجع إلى غزة فابتني مسجدها الجامع وجلب إليه جذوع الرخام من الهند، وفرشه بالمرمر، وأعلى جدرانه بالأصباغ وصباب الذهب المفرغة من تلك الأصنام، واحتضر بناء المسجد بنفسه، ونقل إلى الرخام من نيسابور، وجعل أمام البيت مقصورة تسع ثلاثة آلاف غلام، وبنى بأزار المسجد مدرسة احتوت فيها الكتب من علوم الأولين والآخرين، وأجريت بها الأرزاق، واختصت لنفسه يقضى منه إلى في الأمان من العيون، وأمر القراد والحجاب وسائر الخدام فبنوا بجانب المسجد من الدور ما لا يُحصى.

وكانت غزة تحتوي على مربط ألف فيل يحتاج كل واحد منها لسياسته وما دادته خطة واسعة.

## غزوة الأفقارية

لما رجع السلطان إلى غزة راسل بيدو وإلى قنوج وأسمه راجان بدله وطال بينهما العتاب وأآل إلى القتال فقتل وإلى قنوج، واستلهمت جنوده.

وطغى بيدو، وغلب على الملوك الذين معه، وصاروا في

إليها، ثم رجع عنها وقصد المتصورة، وكان صاحبها ارتد عن الإسلام، ففارقها وتسرّب في غياض هناك، فأحاطت عساكر السلطان بها، وتبعوهم بالقتل، فأنهوا.

ثم سار إلى بهاطية فدان أهلها بالطاعة ورجع إلى غزنة في صفر سنة سبع عشرة وأربعينات.

## دخول قابوس صاحب جرجان وطبرستان في ولاية السلطان محمود

قد قدمنا وفادة قابوس على الأمير نوح بن منصور بن سامان، وعامله بخراسان أبي العباس تاش مستوراً على بي بويه عندما ملوكوا طبرستان وجرجان من يده سنة إحدى وسبعين، وأقام بخراسان ثمانى عشرة سنة وهم يدعونه بالنصرة والمدد حتى يش نهم.

ولما جاء سبكتكين ووعده بمثل ذلك.

ثم شغل شغلبني سيجور، ثم وعده السلطان محمود وشغلته فتنه أخيه، واستولى أبو القاسم بن سيجور على جرجان بعد مهلك فخر الدولة بن بويه.

ثم أمر من بخاري بالمسير إلى خراسان، فسار إلى أسفرايين واستمد قابوس رجال الدليم والجبل، فأمدوه وظاهروه على أمره حتى غالب على طبرستان وجرجان، وملكها كما يذكر في أخبار الدليم والجبل.

وكان نصر بن الحسن بن الفيزان وهو ابن عم ما كان بن كالي ينزعه فيما، فاك الحال بنصر إلى أن اعتقله بنو بويه باري، واستقل قابوس بولاية جرجان وطبرستان وديار الدليم كلها من مالك محمود.

## استيلاء السلطان محمود على الري والجبل

كان مجذ الدولة بن فخر الدولة صاحب الري، وكان قد ضعف أمره وأدبرت دولته، وكان يشاغل النساء والكتاب نسخاً ومطالعة.

وكانت أمه تدير ملكه، فلما توفيت انتقضت أحواله وطبع فيه جنده، وكتب إلى محمود يشكّر ذلك ويستدعي نصرته، فبعث إليه جيشاً عليهم حاجبه، وأمره أن يقبض على مجذ الدولة فقبض عليه وعلى ابنه أبي دلف عند وصوله.

وكانوا يقربون إليه كل نقيس، وذخائرهم كلها عنده ويعطرون سنته الأموال الجليلة.

وكان له أوقاف تزيد على عشرة آلاف ضبيعة، وكان نهرهم المسحي كثك الذي يزعمون أن مصبه في الجنة، ويلقون فيه عظام الموتى من كبرائهم، وبينه وبين سومنات ماتا فرسخ، وكان يحمل من مائه كل يوم لغسل هذا الصنم، وكان يقسم عند الصنم من عباد البرهيمين ألف رجل في كل يوم للعبادة، وثلاثمائة حلق رؤوس الزوار والحاهم، وثلاثمائة رجل وخمسة مائة امرأة يغترون ويرقصون، وله على ذلك الجرایات الواقرة، وكان كلما فتح محمود بن سبكتكين من الهند فتحاً أو كسر صنماً، يقول أهل الهند: إن سومنات ساخت عليهم، ولو كان راضياً عنهم لأهلك محموداً دونه.

فاعتزم محمود بن سبكتكين إلى غزوه، وتكذيب دعاويمه في شأنه، فسار من غزنة في شعبان سنة ست عشرة وأربعينات في ثلاثين ألف فارس سوى المطوعة، وقطع القفر إلى الملة والنيل وتزود له من القوت والماء قدر الكفاية، وزيادة عشرين ألف حمل.

وخرج من المفارة إلى حصون مشحونة بالرجال قد غروا أيامهم مخافة الحصار، فخذل الله الرعب في قلوبهم، وفتحها وقتل سكانها وكسر أصنامها، واستقى منها الماء.

وسار إلى أنهلواران وأجلف عنها صاحبها بهيم، وسار إلى بعض حصونه، وملك السلطان المدينة، ومر إلى سومنات ووجد في طريقه حصوناً كثيرة فيها أصنام وضعوها كالتنباء والخدمة لسومنات، ففتحها وخربها وكسر الأصنام.

ثم سار في قفر معطش، واجتمع من سكانه عشرون ألفاً للدفاع، فقاتلهم سراياه، وغنموا أموالهم، وانهوا إلى دبلواه على مرحلتين من سومنات، فاستولى عليها وقتل رجالها.

ووصل إلى سومنات متصرف ذي القيمة، فوجد أهلها محظفين في أسوارهم، وأعلنوا بكلمة الإسلام فرقها، فاشتد القتال حتى حجز بينهم الليل.

ثم أصبحوا إلى القتال وأثخنوا في المهد، وكانوا يدخلون إلى الصنم فيعنونه وبكون يتضرعون إليه، ويرجعون إلى القتال.

ثم انهزموا بعد أن أفنائهم القتل، وركب فلام السفن فأدركوا، وانقسموا بين النهب والقتل والغرق، وقتل منهم نحو من خمسين ألفاً، واستولى السلطان على جميع ما في البيت.

ثم بلغه أن بهيم صاحب أنهلواران اعتصم بقلعة له تسمى كندهة في جزيرة على أربعين فرسخاً من البر، فرام خوض البحر

وكان بينه وبين ايلك خان وأخيه بقراخان حروب وفتن  
وبسبب استظهار بني سامان بهم.

فلما ملك ايلك خان بخاري عرف لأرسلان بن سيجور  
حقة روف محله، وهو مع ذلك مستوحش.

وكان على تكين آخر ايلك خان، وحبس أرسلان ولحق  
ببخارى فاستولى عليها، وطلب موالاة أرسلان بن سيجور فوالاً،  
واستخلص أمرهم، ونهض إليهما ايلك خان وقاتلها فهزمه.

واستثنى أمر تكين في بخاري وكان يسيء جوار السلطان  
محمود بن سبكتكين في أعماله، وبعرض رسle المترددين إلى ملوك  
الترك فأحافظ ذلك السلطان، وأجمع المسير إليه، فنهض من بلخ  
سنة عشرين وأربعين، وعبر النهر وقصد بخاري، فهرب منها إلى  
تكين ولحق بـايلك خان، ودخل السلطان بخاري وملك سائر  
أعمالها، وأخذ الجزية من سمرقند، وأجلفت أحياه الغز وأرسلان  
بن سلوجوق، وتلطف في استدعائه.

فلما حضر عنده تقبض عليه، وبعثه إلى بعض قلاع المند  
وحبسه بها، وسار إلى أحياه الغز فنهبهم، وأتختن فيهم قتلاً وأسرًا،  
ورجع إلى خراسان.

## خبر السلطان محمود مع الغز بخراسان

لما حبس السلطان أرسلان بن سلوجوق، ونهب أحياههم،  
أجلهم عن ضواحي بخاري، فعبروا نهر جيحون إلى خراسان،  
وامتدت فهم أيدي العمال بالظلم والتعدى في أموالهم وأولادهم  
فتفقرقوا، وجاءت منهم طائفة في أكثر من ألفي خركاه إلى كرمان،  
ثم إلى أصفهان، وكان يسمون العراقية، وطائفة إلى جبل بکجان  
 عند خوارزم القديمة، وعادت كل منهم فيما سار فيه من البلاد.

ويعث السلطان إلى علاء الدولة بأصفهان لرد الذين ساروا  
إليه إلى الري وقبلهم، وحاول ذلك بالغدر فلم يستطع، وحاربهم  
فهزمه وساروا عنه إلى أذربيجان، وأنسئهم، وكان مقدموهم:  
برقا وكركاش ومنصور ودان، وأما الذين ساروا إلى خوارزم  
القديمة فكثر عيّفهم في تلك التواحي.

وأمر السلطان محمود صاحب طوس أرسلان الحاجب أن  
يسير في طلبهم فاتبعهم ستين.

ثم جاء السلطان على أثره فشدّهم على نواحي خراسان،  
واستخدم بعضهم، وكان أمراؤهم: كوكاش وبرقا وقزل ويعمر

وطير بالخبر إلى السلطان، فسار في ربيع من سنة عشرين  
وأربعين ودخل الري وأخذ أموال مجد الدولة، وكانت ألف الف  
دينار، ومن الجواري قيمة خمسة عشر ألف دينار، ومن الثياب ستة  
آلاف ثوب، ومن الآلات ما لا يحصى.

ووجد له خسين زوجة ولدن نيفاً وثلاثين ولداً، فسئل عن  
ذلك فقال: هذه عادة.

واحضر مجد الدولة وعفه، وعرض له بتسيفي رأيه في  
الانتصار عن جنديه منه، وبعثه إلى خراسان فحبس بها.

ثم ملك السلطان قزوين وقلاعها، ومدينة ساوه وأوه،  
وصلب أصحاب مجد الدولة من الباطنية ونفي المعتزلة إلى  
خراسان، وأحرق كتب الفلسفة والاعتزال والنجموم، وأخذ ما  
سوى ذلك من الكتب مائة حمل.

وتحصن منه منوجه بن قابوس ملك الجبل بالجبل الوعرة  
قصده فيها، ولم تصعب عليه فهرب منوجه وتحصن بالغياض،  
وبعث له بمائة ألف ديناراً استصلاحاً قبله ورجع عنه إلى  
نيسابور.

وتوفي منوجه عقب ذلك، وولى بعده ابنه أنوشروان فأقره  
السلطان على ولايته، وقرر عليه مائة ألف دينار ضريبة.

وخطب للسلطان محمود في بلاد الجبل إلى أرمينية.

وافتتح ابنه مسعود زنجان وأبهر من يد إبراهيم السيلاني بن  
المزيان من عقب شوزان بن محمد بن مسافر الديلمي، وجميع  
قلاعه، ولم يبق بيده إلا شهرزان، قرر عليه فيها ضريبة، كما يأتي  
في أخبار الديلم.

ثم أطاعه علاء الدولة بن كاكيه بأصفهان، وخطب له،  
وعاد السلطان إلى خراسان، واستخلف باليه ابنه مسعوداً فقصد  
أصفهان وملكتها من علاء الدولة، واستخلف مسعود عليها بعض  
أصحابه وعاد عنها فشار أهلها بعامله وقتلوه، فرجع إليه  
واستباهم، ثم عاد إلى الري فاقام بها.

## استيلاء السلطان محمود على بخاري ثم عوده عنها

كان ايلك خان ملك الترك وصاحب تركستان لما ملك  
بخاري من يد بني سامان سنة تسعين وثلاثمائة، ولل عليها ورجع  
إلى بلاده كما مر، وكان الغز أحياه بادية بضواحي بخاري  
وزعيمهم أرسلان بن سلوجوق عم السلطان طغرليك.

أخبارهم فيها وما كل أمرهم إلى الملك والدولة ما يأتي ذكره.

وتصفلي.

### افتتاح نرسی من الهند

كان السلطان محمود قد استخلف على الهند من مواليه أحد نيار تكين، فغزا سنة إحدى وعشرين مدينة نرسی من أعظم مدن الهند في مائة ألف مقاتل، فنهب وخرب الأعمال واستباحها.

وجاء إلى المدينة فدخلها من أحد جوانبها، واستباحها يوماً ولم يستوعبها حتى خرجوا فباتوا بظاهرها خوفاً على أنفسهم من أهل البلد، وقسموا الأموال كيلاً، وأرادوا العود من الغد فدافنهم أهلها، ورجع أحد نيار بعساكره إلى بلده.

### وفاة السلطان محمود وولاه ابنه محمد

ثم توفي السلطان محمود في ربيع سنة إحدى وعشرين وأربعين، وكان ملكاً عظيماً استولى على كثير من المالك الإسلامية، وكان يعظم العلماء ويكرمهم، وقصدوه من أقطار البلاد، وكان عادلاً في رعيته رفقاً بهم عسناً إليهم، وكان كثير الغزو والجهاد، وفتحاته مشهورة.

ولما حضرته الوفاة أوصى بالملك لابنه محمد وهو يبلغ، وكان أصغر من مسعود إلا أنه كان مقللاً عليه ومعرضًا عن مسعود.

فلما توفي بعث أعيان الدولة إلى محمد مخبر الوصبة واستחוذه، وخطب له في أقصاص الهند إلى نيسابور، وسار إلى غزنة فوصلها لأربعين يوماً، واجتمعت العساكر على طاعته وقسم فيها الأعطيات.

### خلع السلطان محمد ابن السلطان محمود وولاه ابنه الآخر مسعود الأكبر

لما توفي السلطان محمود كان ابنه مسعود بأصفهان، فسار إلى خراسان، واستخلف على أصفهان، فثار أهلها بخليفة وعساكره قتلواهم، فعاد إليهم مسعود وحصروا وفتحوا عنوة واستباحها. ثم استخلف عليها وسار إلى الري ومنها إلى نيسابور، وكتب إلى أخيه محمد بالخبر وأنه لا ينزعه، ويقتصر على فتحه من طبرستان وبلد الجبل وأصفهان، ويطلب تقديه على محمد في الخطبة فحافظه ذلك، واستخلف العساكر.

ولما مات السلطان محمود استخدمهم ابنه مسعود أيضاً، وساروا معه من غزنة إلى خراسان فسألوه فيمن يقتى منهم بخليفة ب汗 عند خوارزم فاذن لهم أن يسلهلو إلى السلطنت على شرط الطاعة.

ثم انتقض أحد نيار عامل الهند فسار مسعود إليه، وولى على خراسان تاش، وكثر عيش هؤلاء الغز في البلاد فأوقع بهم تاش، وقتل أميرهم يغمر.

وبعث السلطان مسعود من إجلائهم عن البلاد، ومثل بهم بالقتل والقطع والصلب.

فساروا إلى الري طالبين أذربيجان للحاق بالعراقية منهم كما مر ذكرهم فملكون الدامغان ونهبواها، ثم سistan.

ونهبوا جوار الري وإيجياباز ومشكورة من أعمال الري، وخربوا كل ما مروا عليه من القرى والضياع فاجتمع لحربيهم تاش وأبو سهل الحمدوني صاحب الري.

وسار إليهم تاش في العساكر والقيلة على التعبئة، ولقوه مستمبين، وسبق إليه أحياوه فهزموه وقتلوا.

ثم ساروا إلى الري فهزموا أبا سهل الحمدوني وعسكره، ولحق بقلعة طبول، ونهبوا الري واستباحوا أمراها، وجاء عسكر من جرجان فاعتربوه وكبسوه، وانخروا فيهم قتلاً وأسرًا، ومضوا إلى أذربيجان ليجتمعوا بالعراقية.

ثم رجع علاء الدولة بن كاكويه إلى أصفهان بعد مسيرهم من الري، وطلبوا مولاهم أبا سهل على طاعة مسعود فلم يتم وعاث الغز في أذربيجان وأوقع بهم وهشوان وقتل منهم وجع عليهم أهل أذربيجان وأوقع بهم فقارقوها إشفاقاً من نيار وأنجي طغرليك، وافتربوا بين الموصل وديار بكر فملكونها ونهبوا وعاثوا في تواجدهما كما مر ذكره في أخبار قرواش صاحب الموصل وابن مروان صاحب ديار بكر.

هذه أخبار أرسلان بن سلحوق مفصلة إلا ما اختصر منها بالري وأذربيجان فإنه يأتي في مواضعه من دولة الدليم.

وأما طغرليك وإيجيابه داود، وبيقو وأخوه لأمه نيار المسمى بعد الإسلام إبراهيم فانهزموا وأقاموا بعد سلحوق ببلاد ما وراء النهر.

وكان بينهم وبين علي تكين صاحب بخاري حروب ظهر عليهم فيها فعبروا جيحون إلى خوارزم وخراسان، وكان من

وسار إلى مسعود، وكان أكثر العساكر ييلون إلى مسعود لقوته وشجاعته وعلو سنه.

ولما توفي السلطان محمود جمع قتاله جمعاً من الدليل والأكرااد، وقصد الري وقاتلته نائبه مسعود فهزمه، ودفعه عن الري وقت في عسكره قتلاً وأسرأ.

وعاد قتاله إلى بلده، وبلغ الخبر إلى علاء الدولة بممات السلطان محمود وهو عند أبي كاليجار بخوزستان، وقد أيس من النصر، فبادر إلى أصفهان فملكتها، ثم همدان.

وقصد الري فقاتلته نائب مسعود، ورجع إلى أصفهان.

ثم اقتحموا عليه البلد عنوة ونجا علاء الدولة إلى قلعة قردخان على خمسة عشر فرسخاً من همدان، وخطب لمسعود بالري وجرجان وطبرستان.

**فتح الشيز ومكران وكرمان ثم عود كرمان لأبي كاليجار**

كان صاحب الشيز ومكران لما توفي خلف ولدين أبي العساكر عيسى، واستبدل عيسى منها بالملك فسار أبو العساكر إلى خراسان مستجداً بمسعود فبعث معه عسكراً ودعوا عيسى إلى الطاعة فامتنع، وقاتلوه فاستأمن كثير من أصحابه إلى أبي العساكر فانهزم عيسى وقتل في المعركة.

واستولى أبو العساكر على البلاد وملكتها، وخطب فيها للسلطان مسعود، وذلك سنة اثنين وعشرين وأربعين وستة وفي هذه السنة ملك السلطان مسعود كرمان وكانت للملك أبي كاليجار بن سلطان الدولة فبعث إليها السلطان مسعود عساكر خراسان فحاصروها مدينة بردى، وشدوا في حصارها، واستبدل إلى أطراف إلى البلاد، ثم وصل عسكراً إلى كاليجار إلى جيرفت واتبعوا الخراسانية بأطراف البلاد فقاود هزيمتهم، ودخلوا المفازة إلى خراسان وعادت العساكر إلى فارس.

**فتنة عساكر السلطان مسعود مع علاء الدولة بن كاكويه وهزيمته**

قد تقدم لنا هزيمة علاء الدولة أبي جعفر بن كاكويه من الري ونجاته إلى قلعة قردخان.

ثم سار منها إلى بزدجرد ومعه فرهاد بن مرداويح مددأ له.

وبعث صاحب الجيروش بخراسان عسكراً مع ابن عمران

وارسل التوتناش صاحب خوارزم، وكان من أصحاب السلطان محمود يشير على محمد بن زك الخلاف فلم يسمع، وسار فانتهى إلى بيكياباد أول رمضان من ستة، وأقام، وكان مشغلاً باللعبة عن تدبير الملك، فتساووا جنده في خلمه والإدلة منه بأخيه مسعود.

وتولى كبر ذلك عمه يوسف بن سبكتكين، وعلى خشاوند صاحب أبيه.

وحبسوا مهمناً بقلعة بيكياباد وكتبوا بالخبر إلى مسعود، وارحلوا إليه بالعساكر فلقوا بهراة فقبض على عمه وعلى صاحب أبيه، وعلى جماعة من القادة.

واستقر في ملك أبيه شهر ذي القعدة من ستة، وأنخرج الوزير أبي القاسم أحمد بن الحسن السيمendi من محبه وفرض إليه الوزارة وأمور المملكة.

وكان أبوه قبض عليه سنة ست عشر وأربعين وصادره على خمسة آلاف دينار، ثم سار إلى غزنة فوصلها متصرف اثنين وعشرين وأربعين وسنة ووفدت عليه رسائل جميع الملوك من جميع الآفاق، واجتمع له ملك خراسان وغزنة والهند والستان وسجستان وكرمان ومكران والري وأصفهان والجليل، وعظم سلطانه.

**عود أصفهان إلى علاء الدولة بن كاكويه ثم رجوعها للسلطان مسعود**

كان قاتل مجد الدولة بن بويه صاحب أصفهان، وملكها السلطان محمود من يده فهرب عنها، وامتنع محسن قصران.

وانزل السلطان محمود ابنه مسعود بأصفهان، وأنزل معه علاء الدولة بن كاكويه فاستقل بها، وسار عنه مسعود، ثم زحف إليه وملكها من يده.

ولحق علاء الدولة بخوزستان يستجدة أبي كاليجار بن سلطان الدولة.

وسار عنه إلى تستر ليستمد له من أخيه جلال الدولة العساكر لمعاودة أصفهان.

وكان ذلك عقب فتنة وحرب بين أبي كاليجار وأخيه جلال الدولة فوعده أبوه بذلك إذا اصطلحا، وأقام عنده إلى أن توفي

لذاهب عليه.

فَلَمَا قاتَلَهُ الْجَيُوشُ انْهَزَمَ وَمَضَى هَارِبًا إِلَى مِلَّتَانَ، وَقَصَدَ  
نَبَّهَا بِهَاطِيَّةٍ وَهُوَ فِي جَمْعِ فَلَمْ يَقْدِرْ مَلِكُ بِهَاطِيَّةٍ عَلَى مُنْعِهِ.  
وَأَرَادَ عَبُورَ نَهْرِ السَّنْدِ فِي السَّفَنِ، فَهَيَا لَهُ الْمَلِكُ لِيَعْبُرَ إِلَى  
جَزِيرَةٍ وَسَطَ النَّهْرِ ظَنِّهَا مَتَّصِلَةً بِالْبَرِّ، وَأَوْصَى الْمَلِكُ الْمَلَاحِينَ أَنْ  
تَنْزِلُوهُ بِهَا وَبِرْجِعُوا عَنْهُ.

وعلموا أنها منقطعة، فضجعت نفوسهم وأقاموا بها سبعة أيام، فبنيت أزواجهم وأكلوا دوابهم، وأوهنهم الجوع.  
وأجاز إليهم ملك بهاطية فاستوعبهم بالقتل والفرق والأسر  
قتل أحد نفسه.

فتح جرجان و طبرستان

كانت جرجان وطبرستان وأعمالهما للدارا بن منوجهر بن قابوس، وكان السلطان مسعود قد أقره عليهما، فلما سار السلطان إلى الهند وانتشر الغز في خراسان منع الحمل، ودخل علاء الدولة بن كاكو به وفهاد بن مakan في المصيان.

فلمما عاد مسعود من الهند وأجلى الغز عن خراسان سار إلى  
جرجان سنة ست وعشرين وأربعين فملكها ثم سار إلى آمد  
فملكها وفاز بها أصحابها، واقتربوا في الغياض قبتهم، وقتل منهم  
واسير.

ثم راسله دارا في الصلح وتقدير البلاد عليه، وحل ما بقي  
عليه، فأجايه السلطان إلى ذلك ورجم إلى خراسان.

مسیر علاء الدولة إلى أصفهان وهزيمته

كان أبو سهل الحمدوني قد أنزله السلطان بأصفهان وذهب  
على النواحي الفريبة من علاء الدولة فأوقع بهم وغنم ما معهم،  
وقوى طمعه بذلك في أصفهان، فجمع الجموع، وسار إليها،  
وخرج إليهم أبو سهل وقاتلهم.

وتحيز من كان مع علاء الدولة من الأترال إلى أبي سهل،  
فانهزم علاء الدولة، ونهب سواده، وسار إلى بروجرد، ثم إلى  
لظرم فلم يقبله ابن السلاط صاحبها.

الديلمي لاعتراضهما، فلما قاربهما العسكر فر فرهاد إلى قلعة شكمين، ومضى علاء الدولة إلى سابور خرات، وملك علي بن عمران يزدجرد.

ثم أرسل فرهاد إلى الأكراد الذين مع علي بن عمران  
وداخلهم في الفتى به، وشعر بذلك فسار إلى همدان، ولحقه فرهاد  
فاعتضم بقلعة في طريقه منيعة، وكادوا يأخذونه لولا عوائق الثلوج  
والملط في ذلك اليوم، وكانتا ضاحين من الخيام فتركوه ورجعوا  
عنده.

ويبعث ابن عمران إلى تاش قفرواش صاحب جيوش خراسان يستشهد في العسكر إلى همدان، ويبعث علاء الدولة يستدعي إبا منصور ابن أخيه من أصفهان بالسلاح والأموال ففعل.

وسائل علي بن عمران من همدان لاعتراضه، فكبش بجر  
باذقان وغنم ما معه وقتل كثيراً من عسكره وأسره، وبعث به إلى  
تاش قرواش ضاحب جيوش خراسان.

وسار إلى همدان و زحف إليه علماء الدولة و فرهاد،  
فأنقسموا عليه و جاؤوه من ناحيتين، فانهزم علماء الدولة و نجا إلى  
اصفهان و فر هاربًا إلى لقلعة شكين فتحصن بها.

## مسير السلطان مسعود إلى غزنة والفتح بالرثي والجبل

لما استولى السلطان على أمره سار من غزنة إلى خراسان  
لتمهيد أمرها، وكان عامله وعامل أبيه على المند أحد نبال تكين  
قد استحل فيها أمره وحدثته نفسه بالاستبداد فمنع العمل وأظهر  
الانتقام.

فصار السلطان إلى الهند ورجع أحمد نصار إلى الطاعة، وقام علاء الدولة بأصفهان وأظهر الانتصارات، ومعه فرهاد بن مراد دوج، فزحف إليهم أبو سهل وهزمهم، وقتل فرهاد ونها علاء الدولة إلى جبال أصفهان وجربادقان فامتنع بها، وصار أبو سهل إلى أصفهان فملكتها سنة خمس وعشرين وأربعين ونهب خزانات علاء الدولة وحمل كتبه إلى غزنة وأحرقها الحسين الغوري، بعد ذلك

عبد الله نصار

غلا عاد السلطان إلى خراسان لقتال الغزنوي، عاد أحمد نصار

بعض ملوك الخانية دفناً لشره، وأقطع خوارزم ولحق إسماعيل بظفرليك.

ثم أراح السلطان مسعود وفرغ من خوارزم والخانية، فبعث السلطان سباسي، فسار إليهم في العساكر فلم يشف نفسه، ونزل سرخس، وعدلوا عن لقائه، ودخلوا المفارزة التي بين مرسو وخوارزم، واتبعهم السلطان مسعود ورافقهم في شعبان من هذه السنة، فهزمهم فما بعدوا حتى عادوا في نواحيه، ف الواقع بهم أخرى، وكان القتلى فيها منهم الفاً وخمسة، وهرسوا إلى المفارزة، وثار أهل نيسابور من عندهم وتقطلوا، ولحق قاتلهم باصحابهم في المفارزة.

وعدل السلطان إلى هراة ليجهز العساكر لبطليهم، فبلغ الخبر بأن طغرليك سار إلى أستراباذ، وأقام بها في فصل الشتاء يظن أن الثالج ينفهم عنه، فسار السلطان إليه هناك، فقارتها طغرليك وعدل عن طوس إلى جبال الري التي كان فيها طغرليك وأصحابه، وقد انتعلوا بجيالهم خوفاً من السلطان لما كان منهم من موالة السلجوقية، فأخذ إليهم التبر، وصبهم فتركوا أملاهم وأموالهم واعتتصموا بودر الجبل، وغنم عساكرة جميع ما استولوا عليه.

ثم صعد إليهم بنفسه وعساكره وهلك كثير من العسكر بالثلج في شباب الجبل ثم ظفروا بهم في قمة الجبل واستحلبوا، وسار مسعود إلى نيسابور في جادي سنة إحدى وثلاثين وأربعين واثنتين ليريح ويخرج في فصل الربيع لطلبهم في المفارزة.

ثم عاد طغرليك وأصحابه من المفارزة وبعث إليهم السلطان بالوعيد، ف وقال: إن طغرليك قال لكابنه أكتب إليه: «**فَلِلَّهِمْ مَا مَلَكَ الْمُلْكُ**» الآية، ولا ترده عليها.

ولما ورد الكتاب على السلطان مسعود، كتب إليه وآتته بالمواعيد وبعث إليه بالخلع، وأمره بالرحيل إلى أمل الشط على جيحون، وأقطع نسا لطغرليك ودهستان للداود وبدارلة ليقو، ونسن كل واحد منها بالدهقان، فلم يقبلوا شيئاً من ذلك ولا وتقروا به.

**وأكثروا من العيذ والفساد.**

ثم كفوا عن ذلك، ويعشا إلى السلطان مسعود يخادعونه بالطاعة بيلخ، ورغبوه في أن يسرح إليهم أخاهم أرسلان المجرس بالهند، فبعث إليه السلطان مسعود وجاؤوا برسلان من الهند، ولما لم يتم بهم أمر بإعادته إلى خراسان.

## استيلاء طغرليك على خراسان

كان طغرليك وأخوه يقو وخربيك، واسم طغرليك محمد، ولما أسر السلطان محمود أرسلان بن سلوجوق وحبسه كما وأجاز أخيه من الغز إلى خراسان لكنه من أخبارهم ما قدمناه، وأقام طغرليك وإخوه في أخيائهم بنواحي بخاري.

ثم حدثت الفتنة بينهم وبين علي تكين صاحب بخاري، وكانت بينهم حروب ووقائع، وأوقعوا بعساكره مراراً فجتمع أهل البلاد عليهم، وأوقع بهم واستحلبهم واستباهم، فانحازوا إلى خراسان سنة ست وعشرين وأربعين، واستخدمو الصاحب خوارزم وهو هارون بن التوتاش.

وغرر بهم، فساروا عنه إلى مفارزة نسا، ثم قصدوا مرو وطلبو الأمان من السلطان مسعود على أن يضمهم أمان السابلة، فقبض على الرسل ولم يجدهم على ما سالوا.

وبعث العساكر فأوقعوا بهم على نسا، ثم طار شررهم في البلاد وعم ضررهم.

وسار السلطان الب أرسلان إلى نيسابور فقارها أبو سهل الحمدوني فيمن معه، واستنزل عليها داود.

وجاء أخوه طغرليك على أثره وليهم رسول الخليفة إليهم ولل العراقيتين قتلهم بالري وهمدان، يقتلهم وينهاهم عن الفساد ويطمعهم، فتلقوا الرسل بالإعظام والتكرمة.

ثم امتدت عين داود إلى نهب نيسابور فمنعه طغرليك، وعرض له بشهر رمضان، ووصية الخليفة، فلنج فقري طغرليك في المنع وقال: والله لن نهبت لأقتلن نفسي، فكف داود عن ذلك.

وقطعوا على أهل نيسابور ثلاثين ألف دينار، فرقوها في أصحابهم.

وجلس طغرليك على سرير ملك مسعود بدار الملك، وصار يقدح للمظالم يومياً في الأسبوع على عادة ولاة خراسان، وكانتوا يخطبون للملك مسعود مغافلة وإيهاماً.

## مسير السلطان مسعود من غزنة إلى خراسان واجلاء السلجوقية عنها

ولما بلغ الخبر إلى السلطان مسعود باستيلاء طغرليك والسلجوقية على نيسابور، جمع عساكره من غزنة وسار إلى خراسان قاتل بليخ في صفر سنة ثلاثين وأربعين وأمهلوا إلى

## هزيمة السلطان مسعود واستيلاء طغribk

### على مدان خراسان وأعمالها

ثم رجع إلى العسكر وقد غنم أصحابه فتأثراً بالغنائم، وقسم فيما حصل له وقعد على كرسي السلطان، وأقام عسكره ثلاثة أيام وليلتها خشية من كر العساكر السلطانية عليهم.

ونجا السلطان إلى غزنة فدخلها في شوال سنة إحدى وثلاثين وأربعين وسبعين وبقي على سباسي وغيره من الأمراء، وسار طغribk إلى نيسابور فملكها آخر إحدى وثلاثين وأربعين، ونهب عسكره أهلها، وكان بها هرج عظيم من الدعارة، وكانت إيلاتون من الناس بالنهب والزنا والقتل فارتدعوا لذلك هيبة طغribk، وسكن الناس.

وملك السلاجوقية البلاد فسار يعقوب إلى هرة فملكها وسار داود إلى بلخ وبها الحاجب التوتاش فاستخلفه السلطان عليها، فأرسل إليه داود في الطاعة فسجن الرسل، وحاصره داود.

وبعث السلطان مسعود جيشاً كثيفاً لإمداده، ودفع السلاجوقية عن البلاد، فسار فريق منهم إلى الرخ، فدفعوا من كان بها من السلاجوقية وهزموا، وأنحشوا في قتلهما وأسرهم.

وسار فريق منهم إلى ياقوت في هرة فقاتلوا ودفعوه عنها ثم بعث السلطان ابنه مودود بعسكر آخر، وجعل معه وزير أبي نصر أحد بن محمد بن عبد الصمد يدبره، فسار عن غزنة ستة اثنين وثلاثين وأربعين فلما قارب بلخ وداود يحاصرها، بعث داود جماعة من عسكره فلقو طلائع مودود فهزموهم، فلما وصلت منهزمة تأخر مودود عن نهايته، وأقام وسمع التوتاش بإحجام مودود عنه فأطاع داود وخرج إليه.

## خلع السلطان مسعود ومقتله وولاته أخيه

محمد مكانه

ولما بعث السلطان ولده مودود إلى خراسان لمدافعة السلاجوقية عنها، وأقام بعده سبعة أيام، وخرج من غزنة في ربيع سنة اثنين وثلاثين وأربعين بريد الهند للمشتى به على عادة أخيه، ويستقر الهند لقتال السلاجوقية، واستصحب أخيه محمد المسمول معه.

وكان أهل الدولة قد ضجروا منه فقاووا في خلعة ولالة أخيه محمد، وأجمعوا ذلك.

فلما عبروا نهر سيجون وتقدم بعض الخزائن فتختلف أنوش تكين البلخي في جماعة من الغلمان الفداوية، ونهبوا بقية الخزائن، وبايعوا محمد المسمول وذلك في منتصف ربيع الآخر من

ولما تغلبت السلاجوقية على نواحي خراسان، وقضوا عساكر السلطان وهزموا الحاجب سباسي، اهتز السلطان لذلك، واجتمع خراسان الخشد وبث العطاء، وازاح العلل، وسار من غزنة في الجيوش الكثيفة والقبيلة العديدة على التعبية الملاوفة، ووصل إلى بلخ، ونزل بظاهرها، وجاء داود بأحياه فنزل قريباً منه، وأغار يوماً على عسكره فساق من باب الملك مسعود عدة من الجنائز المقربيات، معها الفيل الأعظم، وارتاح الملك لذلك، وارتحل مسعود من بلخ في رمضان سنة تسع وعشرين وأربعين ومعه مائة ألف مقاتل.

ومر بالجوزجان فصلب الوالي الذي كان بها للسلاجوقية، وانتهى إلى مرو الشاهجان.

ومضى داود إلى سرخس واجتمع معه أخوه طغribk وبيقو، وبعث إليهم السلطان في الصلح، فوفد عليه يعقوب فاكربه السلطان وخليع عليه، وأجابه هو عن أصحابه بالامتناع من الصلح للخوف من السلطان.

وسار من عند السلطان فسقط في يده وسار في اتباعهم من هرة إلى نيسابور، ثم سرخس، كلما تبعهم إلى مكان هربوا منه إلى آخر، حتى أذلهم فضل الشتاء فأقاموا بنيسابور يتظرون اسلامه فانسلخ، والسلطان عاكس على طره غافل عن شأنه حتى انقضى زمن الربع.

واجتمع وزراؤه وأهل دولته وعذلوه في إهمال أمر عدوه، فسار من نيسابور إلى مرو في طلبهم فدخلوا المازدة، فدخل وراءهم مرحلتين وقد ضجر العسكر من طول السفر وعنائه.

وكانتا منذ ثلاث سنين متقلبين فيه منذ سفرهم مع سباسي فنزل بعض الأيام في منزلة على قليل من الماء، وازدحم الناس على الورود واستثار به أهل الدولة والخاشبة، فقاتلتهم عليه الجمهور، ووقيعت في العسكر لذلك هيبة، وخالفتهم الدعارة إلى الحياة ينهبون ويختطفون.

وكان داود وأحياه متابعاً للعسكر على قرب يتحظف الناس من حولهم، فشعر بتلك الهيبة فركب في قرمه وصلم العسكر وهم في تلك الحال فولوا منهزمين، والسلطان والوزير ثابتان في موقفهما يحرسان الناس على الثبات، فلم يثبت أحد، فانصرفاً مع المنزهمين في قل واتبعهم داود وأتى بهم بالقتل.

إلى المند أميراً عليها سنة ست وعشرين وأربعين فلما بلغه موته أبى بابع لنفسه وقتل إلى هارون والملتان فلكلهما، وأخذ الأموال وجع المساكير وأظهر الخلاف على أخيه مودود.

وحضر عيد الأضحى فأصبح ثالثه ميتاً بلهارور، بعد أن كان مودود يجهز العساكر من غزنة لقتاله، وهو في شغل شاغل من أمره، ففرغ عن الشواغل ورسخت قدمه في ملكه، وخالقه السلوجوقية بخراسان وخاطبه خان الترك من رواه النهر بالانتياد والمتابعة.

### استيلاء طغرل بك على خوارزم

كانت خوارزم من مالك محمود بن سبكتكين وبابه مسعود من بعده، وكان عليها التوتاش حاجب محمد محمود من أكابر أمرائه، ووليهما لها معاً، ولما شغل مسعود بفتنة أخيه محمد عند مهلكيهما أغمار على تكين تكين صاحب بخاري من أطراف البلاد وغيرهما. فلما فرغ مسعود من مراجعة محمد واستقل بالملك بعث إلى التوتاش بالسير إلى أعمال علي وانتزاع بخاري وسمرقند منه، وأمده بالعساكر فغير جيحون سنة أربع وعشرين وأربعين وأخذ من بلاد تكين كثيراً فقام بها، وهرب تكين بين يديه.

ثم دعته الحاجة إلى الأموال للعساكر، ولم يكن في جيشه ذلك البلاد.

وجاء بها فاستاذن في العود إلى خوارزم، وعاد واتبعه على تكين وكبسه على غرة، ثبت وانهزم على تكين ونجا إلى قلعة دبوسية.

وحاصره التوتاش وضيق عليه فبعث إليه واستعطفه فأفرج عنه، وعاد إلى خوارزم، وكانت به جراحة من هذه الوعنة، فانتقض عليه ومات وترك من الولد ثلاثة وهم: هارون ورشيد وإسماعيل، وضبط وزيره أحد بن عبد الصمد البلد والخزان حتى جاء هارون الأكبر من الولد من عند السلطان بعده على خوارزم، ثم توفي التميدي وزير السلطان مسعود، وبعث على أبي نصر لوزارته، واستتاب أبو نصر عند هارون بخوارزم ابنه عبد الجبار.

ثم استوحش من هارون وسخطه وأظهر العصيان في رمضان سنة خمس وعشرين وأربعين فاختفى عبد الجبار خوفاً من غاثاته، وسعى عند السلطان مسعود.

وكتب مسعود إلى شاه ملك بن علي أحد ملوك الأطراف

السنة.

وافتقر العسكر واقتلاوا وعظم الخطب وانهزم السلطان مسعود، وحاصروه في رباط هناك.

ثم استنزلوه على الأمان وخيه أخيه محمد في السكنى فاختار مسعود قلعة كيدي فبعث إليها، وأمر بإكرامه، ورجع محمد بالعساكر إلى غزنة.

وفرض إلى ابنه أحد أمر دولته وكان أهوج فاعترض على قتل عمه مسعود، ودخل في ذلك عمه يوسف، وعلى خشاوند فراقوه عليه، وحرضوه فطلب من أخيه خاقنه ليختتم به بعض خزاناتهم، وبعث بهم إلى القلعة مع بعض خدمته ليؤدي رسالة مسعود، وهو بخراسان يعتذر بأن أولاد أحد نواب تكين قتلوا السلطان مسعود قصاصاً بأبيهم، فكتب إليه يتوعده.

ثم طمع الجندي في السلطان محمد ومدوا أيديهم إلى الرعایا ونهبها، وخربت البلاد وارتحل عنها محمد.

وكان السلطان مسعود شجاعاً كريماً غزير الفضل حسن الخط، سخيّاً عمباً للعلماء مقرباً لهم محسناً إليهم وإلي غيرهم من ذوي الحاجات، كثير الصلات والعطاء والجوائز للشعراء، حلست تصانيف العلوم باسمه، وكثرت المساجد في البلاد بمعمارتها.

وكان ملكه فسيحاً، ملك أصفهان وهمدان والري وطبرستان وجرجان وخراسان وخوارزم وببلاد الدارون وكerman وسجستان والستان والرخيج وغزنة وببلاد الغور، وأطاعه أهل البر والبحر وقد صنف في أخباره ومناقبه.

### مقتل السلطان محمد وولاية مودود ابن أخيه مسعود

#### أخيه مسعود

لما بلغ الخبر بمقتل السلطان مسعود إلى ابنه مودود بخراسان سار مجدداً في عساكره إلى غزنة فلقيه عمه محمد في شعبان سنة اثنين وثلاثين وأربعين وأنهزم محمد وقبض عليه وعلى أخيه أحد عبد الرحمن، وعلى أبوه تكين البلخي الحفصي، وعلى على خشاوند وقتلهم جميعاً، إلا عبد الرحمن لرفقه يأبه مسعود عند القبض عليه.

وقتل كل من داشر في قبض أخيه وخلعه، وسار سيرة جده محمود، وبلغ الخبر إلى أهل خراسان ثار أهل هراة بمن عندهم من السلوجوقية فآخر جوهم، وتشوف أهل خراسان للنصر على الغز من قبل مودود، وكان أبوه السلطان مسعود قد بعث ابنه الآخر

هربابة فانهزم منهم، وامتنع بقلعة له هو وعساكره، وكانت رخسة آلاف فارس وسبعين ألف راجل، وحاصرهم المسلمون، حتى استأمنوا وسلموا ذلك الحصن وبجمع الحصون التي من أعمال الملك، وغنموا أموالهم، وأطلقوا من كان في الحصن من أسرى المسلمين بعد أن أعطوه حسنة آلاف، ثم ساروا إلى ولاية الملك الآخر وأسمه باسم الري فقاتلوا وهزموا، وقتل في المعركة هر وحشة آلاف من قومه، وأسر الباقون، وغنموا المسلمين ما معهم، وأذعن ملوك الهند بعدها بالطاعة، وحلوا الأموال وطلبو الأمان والإقرار على بلادهم فأجبوا

بنواحي خوارزم بالسير لقتال إسماعيل فسار وملك البلد فهزمها، وهرب إسماعيل وشكر إلى طغرل بك وداود صريخين، فسار داود إلى خوارزم فلقيهما شاه ملك وهزمها.

ثم قتل مسعود وملك ابنه مودود فدخل شاه ملك بأمواله وذخائره في المقاوز إلى دهستان ثم إلى طبس، ثم إلى نواحي كرمان ثم إلى أعمال البتر ومكران.

وقصد أرتاش أبا إبراهيم نياں وهو ابن عم طغرل بك في أربعة آلاف فارس، فأسره وسلمه إلى داود واستأثر هو بما غنم من أمواله.

ثم أعاد أرتاش إلى باذغيس، وأقام على حاصرة هراة على طاعة مودود بن مسعود فاتمتعوا منه خوفاً من معرة هجومه عليهم.

### وفاة مودود وولاية عمه عبد الرشيد

ثم توفي أبو الفتح مودود بن مسعود بن محمد بغزنة لعشر سنين من ولادته في رجب سنة إحدى وأربعين وأربعين، وقد كان كاتب فاجابوه وجمع أبو كالigar صاحب أصفهان العساكر، وسار في المقاوزة لنصره فمرض في طريقه ورجع.

وسار خاقان إلى ترمذ لنصره، وطافته أخرى مما وراء النهر إلى خوارزم.

وسار مودود من غزنة فعرض له بعد رحيله من غزنة مرض القرنيج، فعاد إلى غزنة، وبعث إلى وزيره أبي الفتح عبد الرزاق بن أحد التميمي في العساكر إلى سجستان لاتزاعها من الغز.

ثم اشتد وجعه فمات ونصب ابنه للأمر خمسة أيام.

ثم عدل الناس عنه إلى عمه علي بن مسعود، وكان مسعود لأول ولادته قبض على عمه عبد الرشيد أخي محمد وجسه بقلعة بطريق بست.

فلما قاربهما الوزير أبو الفتح وبنته وفاة مودود، نزل عبد الرشيد إلى العسكر فباعوا له ورجعوا به إلى غزنة فهرب علي بن مسعود، واستقر الأمر لعبد الرشيد، ولقب سيف الدولة وقيل جمال الدولة، واستقام أمر السلجوقية بخراسان، واندفع العوائق عنهم.

### مقتل عبد الرشيد وولاية فرخزاد

كان مودود صاحب اسمه طغرل، وجعله حاجياً بباباً

### مسير العساكر من غزنة إلى خراسان

ولما ملك الغز خراسان واستولوا على سائر أملاكها وأعمالها.

واستول طغرل بك على جرجان وطبرستان وخوارزم، وإبراهيم نياں على همدان وعلى الري والجليل، وولى على خراسان وأعمالها داود بن ميكائيل، وبعث السلطان أبو الفتح مودود عساكره مع بعض حجاجه إلى خراسان سنة خمس وثلاثين، فسرح إليهم داود ابنه ألب أرسلان في العساكر فقاتلوا، وكان الغلوب لألب أرسلان.

وعاد عسكر غزنة مهزوماً، وسار عسكر من الغز إلى نواحي بست، وعاثوا وأفسدوا، فبعث أبو الفتح مودود إليهم عساكرًا فقاتلهم، وانهزموا وظفر عسكر مودود بهم وأنهروا فيهم.

### مسير الهند لحصار هاور وامتناعها وفتح حصون أخرى من بلادهم

وفي سنة خمس وثلاثين اجتمع ثلاثة من ملوك الهند على هاور، فجتمع مقدم العساكر الإسلامية هناك عسكروه وبعثهم للدفاع عنها.

وبعث إلى السلطان مودود وحاصرها ثلاثة ملوك، ثم أفرج الأئران وعادوا إلى بلادهم.

وسارت عساكر الإسلام في اتباع أحدهم وهو دوابي

خسرو شاه وأنكحه ابنته وسogue ما يريد من الإقطاع على أن يخرج إليه ويختطب لأخيه فائى من ذلك.

وأقام شهاب الدين يحاصره حتى ضاق مخنقه، وخذله أهل البلد، فبعث القاضي والخطيب يستأمانان له فأمنه ودخل شهاب الدين، وبقي خسرو شاه عنده مكرماً، وبقي شهرين يتظاهر المورنة من يد غيات الدين، فأنفذ خسرو شاه إليه فارتبا من ذلك، وأمنه شهاب الدين وخلف له، وبعث به وبأهلة ولده مع جيش يخظرونهم.

فلما وصلوا بلد الغور حبسهم غيات الدين ببعض قلاعه، فكان آخر المهد به.

وانتقضت دولة بنى سبكتكين بموته، وكان مبدؤها سنة ست وستين وثلاثمائة، ف تكون مدة الدولة مائتين وثلاث عشرة سنة.

## دولة الترك الخير عن دولة الترك في كاشغر وأعمال تركستان وما كان لهم من الملك في الملة الإسلامية بتلك البلاد وأولية أمرهم ومصائر أحواهم

كان هؤلاء الترك ملوك تركستان، ولا أدرى أولية أمرهم بها إلا أن أول من أسلم منهم سبق قراخان، وتسمى عبد الملك، وكانت له تركستان وقادتها كاشغر، وساغون وخيمو وما يتصل بها إلى أوان المقارنة المتصلة بالصين في ناحية الشمال عنهم، أعمال طراز والشاش وهي للترك أيضاً.

إلا أن ملوك تركستان أعظم ملكاً منهم بكثير.

وفي المغرب عنهم بلاد ما وراء النهر التي كان ملوكها لبني سامان وكرسيهم بخاري.

ولما أسلم ملوكهم عبد الكريم سبق أقام على ملكه بتلك الناحية، وكان يطبع بني سامان هو وعقبه يستغرونهem في حربهم إلى أن ملك عهد الأمير نوح بن منصور في عشر التسعين والثلاثمائة على حين اضطراب دولة بنى سامان، وانتقاض عمائم بخاراسان.

وانتقض أبو علي بن سيجور فراسل بقراخان وأطمعه في ملك بخاري فطبع بقراخان في البلاد ثم قصد أعمال بني سامان ولملوكها شيئاً فشيئاً.

وكان السلاجوقية قد ملكوا سجستان وصارت في قسم يقو أخى طغرل بك، وولى عليها أبا الفضل من قبله، فأشار طغرل بك على عبد الرشيد بانتزاعها منهم، واللح عليهem في ذلك، فبعث إليها، طغرل في ألف فارس، فحاصر حصن الطاق أربعين يوماً.

وكتب أبو الفضل من سجستان يستتجده، وسار طغرل، ولما سمع أصوات البوقات والدبادب، وأخبر أنه يقر، فتحاجزوا، وعلم أنه ترور طغرل وليهم مستمتياً فهزمهم وسار إلى هرة.

وابتهم طغرل فرسخين وعاد إلى سجستان فملكتها، وكتب إلى عبد الرشيد بالخبر، واستمد لها لغزو خراسان فآمنه بالعساكر.

ثم حدثه نفسه بالملك، فأغذ السير إلى غزنة حتى كان على خمسة فراسخ منها، كتب إلى عبد الرشيد باستيجاش العسكر وطلبهم الزيادة في العطاء، فشاروا أصحابه فكشفوا له وجه المكيدة في ذلك وحدروه من طغرل، فقصد إلى قلعة غزنة ومحصن بها.

وجاء طغرل من الغد فنزل في دار الإمارة، وأرسل أهل القلعة في عبد الرشيد فأسلموه إليه فقتلته واستولى على ملوكهم، وتزوج ابنة السلطان عبد الرشيد ويخضمهم على الأخذ بشاره فاجابوا.

ودخلوا عليه في مجلسه، وقتلوه وجاء خرجيز الحاجب لخمسة أيام من قتلهم، وجمع وجوه القواد وأعيان البلد، وبيان فرخاد ابن السلطان مسعود، وقام بتديير دولته وقتل الساعين في إلى غزنة ولقي الغز وهزمهم.

ودخل غزنة فملكتها من أيديهم. ثم سار من غزنة إلى كرمان وسوران فملكتها وكرمان هذه بين غزنة والهند، وليست كرمان المعروفة.

ثم سار غيات الدين إلى نهر السند ليعبر إلى هاور كرسبي خسرو شاه بن بهرام شاه، فنادر خسرو شاه ومنه العبور فرجع وملك ما يليه من جبال الهند وأعمال الأنبار.

وولى على غزنة أخيه شهاب الدين ورجع إلى بيروزكوه.

## استيلاء الغورية على هاور ومقتل خسرو شاه وانقراض دولة بنى سبكتكين

ولما ول شهاب الدين الغوري غزنة أحسن السيرة فيه، وافتتح جبال الهند مما يليه فاستفحمل ملكه، وقطاروا إلى ملك هاور قاعدة الهند من يد خسرو شاه، فسار سنة سبع وسبعين وأربعين في عسكري غزنة والغور، وعبر إليها وحاصرها، وينزل الأمان

وأخوه الآخرين إسماعيل ويوسف أبني نوح، وأعمامه محموداً وداود وغيرهم، وانقرضت دولة بني سامان والبقاء لله.

### ثورة إسماعيل إلى بخارى ورجوعه عنها

قد تقدم لنا أن إسماعيل فر من محبه ولحق بخوارزم، واجتمع إليه قوادهم وبابعوه، ولقبوه المستنصر.

وبعث قاتلها من أصحابه إلى بخارى فقر من كان بها من عساكر ايلك خان فهزهم، وقتل منهم وحبس.

وكان النائب بها جعفر تكين أخي ايلك خان فحبسه، واتبع المهزمين إلى سمرقند، ولحق إسماعيل بأحياء الغز، وجاء ايلك خان في جبوشه، والتقوا فانهزم ايلك خان وأسرروا قواده، وغنموا سواده، ورجعوا إلى بلادهم، وتشاوروا في الأسرى فارتبا بهم إسماعيل، وعبر النهر وانضم إلى فتيان سمرقند.

وانتقل الخبر بایلک خان فجمع والتقي هو وإسماعيل وهزم بنواحي أسرورشة، وعبر النهر إلى نواحي الجوزجان، ثم إلى مرو، وبعث محمود العساكر في أثره من خراسان، وكذلك قابوس من جرجان فعاد إلى ما وراء النهر وقد ضجر أصحابه، ونزل بحي من العرب فأمهله الليل وقتلوه.

واستقرت بخارى في ملك ايلك خان، وولى عليها أخوه علي تكين.

### عبور ايلك خان إلى خراسان

قد تقدم لنا ما كان انعقد بين ايلك خان ومحمود من المواصلة، ثم دبت عقارب السعاية بينهما، وأكثر محمود من غزو بلاد الهند.

ولما سار إلى الملاitan اغتنم ايلك خان الفرصة في خراسان وبعث سباسي تكين صاحب جيشه وأخاه جعفر تكين إلى بلخ في عدة من الأمراء وأرسلان الحاجب.

فسار أرسلان إلى غزنة وملك سباسي هرة وأقام بها، وبعث إلى نيسابور عسكراً فاستولى عليها ويادر محمد بالرجوع من الهند، وفرق العطايا وأزاح العلل واستفر الأتراك الخليجية.

وسار إلى جعفر تكين يبلغ فقارتها إلى ترمذ، وبعث العساكر إلى سباسي بهراء، ففارقتها إلى مرو ليعبر النهر، فاعتراضه التركمان فأوقع بهم، وسار إلى أبيورد والعساكر في اتباعه.

وبعث الأمير نوح إلى العساكر مع قاتلها أنج فلقيمهم بقراخان وهزمهم وأسر أنج وجاءة من القواد.

وسار فاتق إلى بقراخان واحتضن به، وصار في جملته، ورجع الأمير نوح إلى بخارى كما مر من قبل، وهلك بقراخان في طريقه.

### وفاة بقراخان وملك أخيه ايلك خان سليمان

ولما ارتحل بقراخان من بخارى وهو على ما به من المرض، أدركه الموت في طريقه، فمات سنة ثلاثة وثمانين وأربعين.

وكان ديناً عادلاً حسن السيرة، عبأ للعلماء وأهل الدين مكرماً لهم، متشيئاً سيناً.

وكان موالياً لآل رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه، ولما مات ولديه أخوه ايلك خان سليمان، ولقبه شهر الدولة، واستوثق ملكه، بتركستان وأعمالها، ووفد عليه فاتق بعد حربه بخراسان مع جيوش الأمير نوح، وسبكتكين وابنه محمود، ولحق به مستصرحاً فاكتمه ووعده، وكتب إلى الأمير نوح يشفع في فاتق وأن يوليه سمرقند فولاه عليها وأقام بها.

### استيلاء ايلك خان على ما وراء النهر

لما عاد بقراخان على بخارى وعد إليها الأمير نوح، وقد كان من أبي علي بن سيجور وإجلائه عن خراسان ما كان، استدعي الأمير نوح مولاه سبكتكين بعد ذلك، واختلف ابناه بكثرون ومنصور كما تقدم ذلك سنة خمس وثمانين وأربعين، ثم هلك سبكتكين كما تقدم ذلك كله قبل.

ثم استوحش بكثرون من منصور واتفق مع فاتق على خلعه، فخلعه وسلمه بخراسان سنة تسعة وثمانين وأربعين وكان فاتق خصياً من موالى نوح بن منصور.

وهذه الأخبار كلها مستوفاة في دولة بني سامان.

ثم بلغ الخبر إلى ايلك خان، فطمع في ملك بخارى وأعمالها، وسار في جموع الترك إلى بخارى موريا بالحاماة عن عبد الملك والنصرة له، وخرج بكثرون والأمراء والقواد للقاء، فقبض عليهم، وسار فدخل بخارى عاشر ذي القعدة من سنة تسعة وثمانين وأربعين، ونزل دار الإمارة، وظفر بعد الملك فحبسه فانكسر حتى مات، وحبس معه أخاه المخلوع أبا الحارث منصور،

وأربعمائة وكاتب السلطان محمود صاحب خراسان يستظفه به على أرسلان خان فعقد السلطان على جيرون جسراً من السفن حكمة الرابط بسلامسل الجديد وعبر إليه.

ثم خام عن لقائه فعاد إلى خراسان، وانقطعت الولاية بينه وبين أرسلان خان، وتصالح مع قراخان واتفقا على محاربة السلطان محمود، والمسير إلى بلاده، فسار إلى بلخ، وقاتلهمما السلطان قتالاً شديداً حتى انهزم الترك، وعبروا النهر إلى بلادهم، وكان من غرق أكثر من نجا وعبر السلطان في ثورهم ثم رجع عنهم.

أخبار قوانغان

الذى يظهر من كلام ابن الأثير: أن قراخان ولـى بلاد الترك بتركستان وساغرون، فإنه ذكره عقب هذا الخبر بالعدل وحسن السمة وكـة الحـمـاد.

ثم قال عقب كلامه: فمن فتوحاته ختن بين الصين  
وتركستان وهم، كثرة العلماء والفضلاء.

ثم قال: وبقي كذلك إلى سنة ثلاثة وعشرين وأربعين فتوفى فيها.

ولما توفي خلف ثلاثة بنين: أرسلان خان وكتبه أبو شجاع ولقبه شرف الدولة، وبيراخان، ولم يذكر الثالث والظاهر أنه شرف الدولة.

قال: وكان لأرسلان كاشر وختن وساغون، وخطب له على منابرها، وكان عادلاً مكرماً للعلماء وأهل الدين، حسناً هم، وقصده كثير منهم فاكراً مهم.

قال: وكان لبـراخان طراز وأسفنجاب، ووـقعت الفتنة بين  
بـراخان وأرسلان فـغلـمه بـراخان وحـسـه وـمـلـكـ بلاـدـهـ.

وقال في موضع آخر: كان يقنع من إخوته وأقاربه بالطاعة  
فقسم البلاد بينهم، وأعطي أخاه أرسلان تكين كثيراً من بلاد  
الترک، وأعطي أخاه طراز وأسفيجاب، وأعطي عمه طغان خان  
فرغانة باسرها، وأعطي ابنه علي تكين هخاري وسمرقند وغيرهما،  
وقدم هو ببلاد ساغون وكاشغر.

قال: وفي سنة خمس وثلاثين وأربعين أسلم كثير من كفار الترك الذين كانوا يطردون بلاد الإسلام بنواحي ساغون وكاشغر، وبعثيون فيها وصيرون ببلاد بلخار فأسلموا وافترقا في البلاد، وبقي من لم يسلم، التز والخطا في نواحي الصين انتهى.

ثم سار إلى خراسان فاعتبره محمود وهزمه، وأسر أخاه  
وجماعة من قواده، وعبر النهر إلى إيلك، وأجلى عساكره وأصحابه  
عن خراسان، فبعث إيلك خان إلى قراخان ملك الختل، فاستنصر  
الترك الفزية والخانجية والمنزد، وعسکر على فرسخين من بلخ،  
وتقىد إيلك وقراخان في عساكرهما، وزنلوا قبائنه، واقتلاوا يربماً  
إلى الليل، ومن الغد اشتدت الحرب وتزلا الصبر.  
ثم حل محمود في الفيلة على إيلك خان في القلب، فاختل  
الصف، وأنهزم الترك، واتبهم عساكر محمود وأثخناه فيهم القتل  
والأسر إلى أن عبر النهر، وانقلب ظافراً غائماً وذلك سنة سبع  
وستين وثلاثمائة.

## وفاة ايلك خان و ولایة أخيه طغان خان

ثم هلك ايلك خان سنة ثلاط وأربعينه وكان مواليًّا

للسلطان محمود ومظاهرنا له على أخيه طغاف خان.  
فلمما ولی تجدد ما بينه وبين السلطان من الولاية، وصلحت  
الأحوال واغتخت آثار الفتنة في خراسان وما وراء النهر.

وفاة طغان خان و ولایة أخيه ارسلان خان

ثم توفي طغان خان ملك الترك ستة ثمان وأربعين سنة بعد أن  
كان له جهاد مع أسم من الترك خرجوا من الصين في زمام  
ثلاثمائة ألف وقصدوا بلاده في ساغون وهال المسلمين أمرهم  
فاستقر طغان طوائف المسلمين وغيرهم، واستقبلهم فهزمهم،  
وقتل منهم نحو مائة ألف وأسر منها، ورجم الباقون منهزمين.

ومات طغان إثر ذلك، وولى بعده آخره أرسلان وكان من الغريب الدال على قصد إيمان طغان، أنه كان عند خروج الترك إلى بلاد ساغون عليلاً، فلما بلغه الخبر تضرع الله أن يعانيه حتى يستقم من هؤلاء الكفارة ويدفعهم عن البلاد، فاستجاب الله دعاءه. وكان عبّا لأهل العلم والدين.

ولما توفى واصل أرسلان خان الولاية مع السلطان محمود، وأظهر إلى ابنه مسعود في بعض كرائمه فاستحکم الاتصال بينهما.

انتقاد قرائیان علی، ارسلان و صلحہ

كان أرسلان خان قد ولّ على سمرقند فراح يسكن بن  
بخاراً هارون الذي ملك بخاري، فانتقض عليه سنة تسمى

متصف سنة خمس وستين وأربعين سنة فلقيه التكين وهزمه وغرق كثير من أصحابه في النهر.

ثم استقامت الأمور للسلطان ملك شاه فسار إلى ترمذ سنة ست وستين وأربعين سنة وحاصرها وزرماها بالمنجنيق، وطم خندقها حتى استأمن أهلها واعتصم بقلعتها آخر التكين، ثم استأنم وأطلقه السلطان إلى أخيه.

ثم سار ملك شاه إلى سمرقند فثارتها، وبعث آخره السلطان في الصلح فأجابه ورده إلى سمرقند ورجع السلطان إلى خراسان انتهى.

قال ابن الأثير: ثم مات شمس الدولة وولي بعده آخره خضرخان.

ثم مات خضرخان فولى بعده ابنه أحمد خان.

وكان أحد هذا أسرة ملك شاه في سمرقند لما قتله، ووكل به جماعة من الدليل، فلعن عليهم معتقدات الإباحة والزندة.

فلما ولّي أظهر الأخلاص، فأعزتم جنده على قتلهم، وقاوموا في ذلك مع نائب بقلعة قاشان، فأظهر العصيان عليه، فسار في العساكر وحاصر القلعة، وتمكن جنده منه فقبضوا عليه ورجعوا به إلى سمرقند فدفعوه إلى القضاة وقتلوه بالزندة، وولوا مكانه مسعود خان ابن عممه.

قال ابن الأثير: وكان جده من ملوكهم وكان أصم.

وقصده طغان خان بن قراخان صاحب طراز فقتله واستولى على الملك، وولي على سمرقند أبا المعالي محمد بن محمد بن زيد العلوي فولوها ثلاثة سنين، ثم عصى عليه فحاصره وأخذه فقتله. ثم خرج طغان خان إلى ترمذ فلقيه السلطان سنجير وظفر به وقتل، وأخذه منه عمرخان وملك سمرقند ثم هرب من جنده إلى خوارزم فظفر به السلطان أحد.

ولي سمرقند محمد خان، وولي بخارى محمد تكين.

وقال ابن الأثير في ذكر كاشغر وتركستان: إنها كانت لأرسلان خان بن يوسف قدرخان كما ذكرنا.

ثم صارت لعمود نوراخان صاحب طراز والشاش فملكتها سنة وثلاثة أشهر، ثم مات، فولى بعده طغراخان بن يوسف قدرخان، وملك بلاد ساغون وأقام ست عشرة سنة، ثم توفي فملك ابنه طغراخان تكين شهرين.

ثم جاء هارون بقراخان بن طفلاج نوراخان وهو آخر يوسف طغراخان فملك كاشغر، وقبض على هارون واستولى

ورجع إلى بقراخان الأول وقال فيه: حبس أخاه أرسلان خان وملك بلاده، ثم عهد بملك لولده الأكبر وأسمه حسين جعفر تكين، وكان له ولد آخر أصغر من حسين اسمه إبراهيم، فغارت أمه لذلك، وقتلته بقراخان بالسم، وخافت أخاه أرسلان في محبسه.

ثم استلحمت وجوه أصحابه وأمراته، وملكت ابنتها إبراهيم سنة تسعة وثلاثين وأربعين سنة وبعثت في العساكر إلى برسخان، مدينة بنواحي تركستان، وكان صاحبها يسمى نياز تكين.

فأنهزم إبراهيم وظفر به نياز تكين وقتلته وانتظر أولاد بقراخان وفسد أمرهم، وقصدتهم طفلاج خان صاحب سمرقند وفرغاته، فأخذ من أولاد بقراخان الملك من أيديهم.

### الخبر عن طفلاج خان وولده

كان بسمرقند وفرغاته أيام بني بقراخان وإخوته ملك من الترك الثانية اسمه نصر إيلك، وبلقب عماد الدولة ويكنى أبا المظفر.

ثم فلّج سنة اثنين وأربعين سنة، وقد عهد بملكه لابنه شمس الدولة نصر، فقصده آخره طغان خان ابن طفلاج وحاصره بسمرقند وبنته شمس الدولة فهزمه وظفر به، وكان ذلك في حياة أبيهما.

ثم جاء بعد عاته إلى عمارية شمس الدولة بقراخان هارون بن قدرخان يوسف وطغرى خان، وكان طفلاج قد استولى على مالكه وحاصره بسمرقند، ولم يظفروا به ورجعوا عنه، وصارت أعمال الخانية كلها في أيديهما، والأعمال المتاحة لسبحون لشمس الدولة، والتخلّم بيديهما خجنة.

وكان السلطان الـبـ أرسلان قد تزوج بابنة قدرخان، وكانت قبله زوجاً لمسعود بن محمود بن سبتكين.

وتزوج شمس الدولة بابنة الـبـ أرسلان شمس الملك، وذلك سنة خمس وستين وأربعين سنة وملكتها وتقلّذ ذخائرها إلى سمرقند.

وخفّ أهل بلخ منه فاستأمنوا إليه وخطبوا له فيها، لأن أرباس الـبـ أرسلان سار إلى الجوزجان، وجاء إليها التكين، وولي عليها وعاد إلى ترمذ فثار أهل بلخ باصحابه وقتلهم فرجع إليهم، وأمر بإحرق المدينة ثم عفا عنهم وصادر التجار، وبلغ الخبر إلى الـبـ أرسلان فعاد من الجوزجان وسار في العساكر إلى ترمذ في

على ختن، وما يتصل به إلى ساغون، وأقام عشرين سنة، وتوفي ذلك، ووقوا بعدها النهر حتى وافى محمد خان بشرطه وسكنى سنة ست وستين وأربعين، فولى بعده أحمد بن أرسلان خان، الفتنة، وبعث إليه المستظہر بالخلم، ولقبه نور الدولة.

## استيلاء السلطان سنجر على سمرقند

كان السلطان سنجري لما ملك سمرقند ول عليةاً أرسلان  
خان بن سليمان بقراخان داود، فأصابه الفالج، واستتاب ابنه نصر  
خان فوثب به أهل سمرقند وقتلوا.

وتولّ كبر ذلك اثنان منهم أحدهما علوي، وكان أبوه محمد  
الفلوج غابياً فعظم عليه، وبعث عن ابنه الآخر من تركستان فجاء  
وقتاً العلوي وصاحبه.

وكان والد أرسلان خان قد بعث إلى السلطان سنجر يستحوذ قبل قيوم ابنه الآخر فسuar سنجر لذلك.

فلياً قدم إلى أبيه أرسلان وقتل قاتلي أخيه، بعث أرسلان إلى السلطان سنجر يعرفه، ويسأله العود إلى بلده فغضب لذلك، وأقام أياماً ثم جيء إليه بأشخاص واعترفوا بانه محدثاً، خان بهتهم قتله فغضب، وسار إلى سمرقند فملكتها عنوة، وتخصص محمد خان بعض الحصون حتى استنزله سنجر بالأمان بعد مدة وأكرمه، وكانت بنته تحبى، فعشة إليها وأقام عندها.

وولی علی سمرقند حسین تکین، ورجم ایل خراسان.

ومات حسين تكين فولی بعده عليها محمد بن محمد خان  
اخا زوجته.

# استيلاء الخطا على تركستان وبلاط ما وراء النهر وانقراض دولة الخانية

نقل ابن الأثير هذا الخبر عن اضطراب عنده فيه، على أن  
أنتشار هذه الدولة المخانية في كتابه ليست جلية ولا متضحة، وأرجو  
إن مد الله في العبر أن أحقن أخبارها بالوقوف عليها في مظان  
الصحة وأخلصها من ربطة، فإني لم أوفها حقها من الترتيب، لعدم  
وضب حفتها في نقله.

وحاصل ما قرر في هذا الخبر من أحد طرقه أنه قال: إن  
بلاد تركستان وهي كاشغر وبلاد ساغون وختن وطراز وغيرها مما  
يحيورها من بلاد ما وراء النهر كانت يهدى الملك الخانية من الترك،  
وهم من نسل فراسيب ملوكهم الأول المنازع للملك اليكينية من  
الفرس، وأسلم جدهم الأول سبق قراخان.

مقتل قدرخان صاحب سمرقند

قال ابن الأثير سنة خمس وسبعين وأربعين: ولما سار سنجر إلى بغداد مع أخيه السلطان محمد، طمع قدرخان جبريل بن عمر صاحب سمرقند في خراسان، فخالف إليها سنجر بعد رجوعه إليها، وقد عظّم الخلاف بين بركيارق وأخيه محمد وكان بعض أمراء سنجر اسمه كنذوري يكاتب قدرخان ويغرسه ويستحثه إلى البلاد، فسار قدرخان إلى بلخ سنة سبع وسبعين وأربعين في مائة ألف.

ويادر سنجري إليها في ستة آلاف، فلما تقاربا لحق كندراري بقدريخان، فبعثه إلى ترمذ وملكتها وجاء الخبر إلى سنجري بأن قدرخان نزل قرباً من بلخ، وأنه خرج متصدراً في ثلاثةمائة فارس، فجرد إليه عسكراً مع أميره برغش فهزمهم، وجاء بكندراري وقدريخان أسرى.

وقيل: إنه وقع بينهما مصاف، وانهزم قدرخان وأسر فكتله  
سنجر، وسار إلى ترمذ فحاصرها حتى استأمن إليه كنذعرى فأمنه،  
ولحق بغزنة وكان محمد أرسلان خان بن سليمان بن داود بقراخان  
نازاً بمنبره فبعث عنه السلطان سنجر، ووالاه على سمرقند وهو  
من نسل الخانية لما وراء النهر، وأمه بنت السلطان سنجر، وهي  
ملكة شاه دفع عن ملك آبائه فقصد مسرو، وأقام بها، فلما تقل  
قدرخان ولاه سنجر أعماله، وبعث معه العساكر الكثيرة فاستولى  
عليها، واستفحلا ملكه، ثم انتقض عليه من أمراء الترك  
تيمورلنك، وجمع وسار إلى محمد خان بسمرقند وغيرها، فاستتجد  
محمد خان بالسلطان سنجر فائجه بالعساكر، وسار إلى تيمورلنك  
ففهمه، وفرض جوشه، ورجعت العساكر إليه.

## انتقام محمد خان عن سنجار

ثم بلغ السلطان سنجق سوء سيره محمد في رعيته وإهماله لأوامر السلطان، فسار إليه سنة سبع وخمسين فخاف محمد خان خائفًا، وبعث إلى الأمير قماح أعظم أمراء سنجق يعتذر ويسلامه الصالح، فشرط عليه الحضور عند السلطان، فأعتذر باللورف، وأنه يقف من وراء جيرون ويقبل الأرض من هناك فأجاب إلى

وكان سبب خروجهم من الصين وزروهم ساغون، أن أرسلان محمد كان يستجدهم بهم ويجرري عليهم الأرزاق والإقطاعات، ويتزفهم مصالح في ثغوره.

ثم استوحشوا منه ونفروا وطلبو الرحلة إلى غير بلده، وارتدوا البلاد واختاروا منها بلد الساغون فساروا إليها وردد عليهم أرسلان الغزو.

ولما جاء كورخان ملك الصين صاروا في جملته حتى إذا رجع زحفوا إلى بلاد تركستان فملوكها بلدًا بلدًا.

وكانت إذا ملوكها المدينة يأخذون ديناراً من كل بيت ولا يزيدون عليه، ويكلفون من بطاعهم من الملوك أن يعلق في منطقته لوحًا من فضة عالمة على الطاعة.

ثم ساروا إلى بلاد ما وراء النهر سنة إحدى وثلاثين وخمسة.

ولقيهم محمود خان بن أرسلان خان فهزمه إلى سمرقند وبخاري، واستجده بالسلطان سنجر ودعاه لنصر المسلمين، فجمع العساكر واستجده صاحب سجستان ابن خلف والغوري صاحب غزنة، وملوك ما وراء النهر وغيرهم. وسار للقائهم وعبر النهر في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين وخمسة.

وشكا إليه محمود من القارغالية، فرار أخذهم فهربوا إلى كورخان، وسألوه أن يشفع لهم عند السلطان سنجر، وكتب إليه يشفع لهم فلم يشفعه.

وكتب إليه يدعوه إلى الإسلام وينهدده. ولما بلغ الكتاب إلى كورخان عاصب الرسول، وسار للقاء سنجر في أمم الترك والقارغالية، فلقىه السلطان سنجر أول صفر سنة ست وثلاثين وخمسة وعلى ميمنته قماح وعلى ميسرتها صاحب سجستان، وألبى ذلك اليوم وسأله أثر القارغالية في تلك الحرب، وانهزم السلطان سنجر والمسلمون، واستمر القتل فيهم.

وأسر صاحب سجستان والأمير قماح وزوجة السلطان ابنة أرسلان خان محمد، وأطلقهم الكفار.

ولم يكن في الإسلام وقعة أعظم من هذه ولا أفحش قتلاً. واستقرت الدولة فيما وراء النهر للخطأ والترك، وهو يرمي على دين الكفر، وانقضت دولة الخانية المسلمين الذين كانوا فيها. ثم هلك كورخان متصرف سبع وثلاثين وكان جيلاً حسن الصوت، ويلبس الحرير الصيني، وكان له هيبة على أصحابه ولا

ويقال: سبب إسلامه أنه رأى في منامه رجالاً نزل من السماء، فقال له باللسان التركي ما معناه: أسلم تسلم في الدنيا والأخرة فأسلم في منامه، وأصبح مظهراً لإسلامه.

ولما مات قام مقامه ابنه موسى واتصل الملك في عقبه إلى أرسلان خان بن محمد بن سليمان سبق فخرج عليه قدرخان في ملكه سنة أربع وتسعين وأربعين.

واجتمع الترك عليه وكانت طائف فكان منهم القارغالية، وبقي الغز الذين عبروا إلى خراسان ونهبوا على ما مر.

وكان لأرسلان ابن اسمه نصرخان، وفي صحبته شريف علوى اسمه الأشرف محمد بن أبي شجاع السمرقندى، فحسن له طلب الملك من أخيه وأطعمه فيه فقتلهما أرسلان.

ثم وقعت بينه وبين القارغالية من الترك وحشة دعتهم إلى الانقضاض والعصيان، واستجده بالسلطان سنجر فعبر جيحون بعساكره سنة أربع وعشرين وخمسة، ووصل إلى سمرقند وهرب القارغالية بين يديه.

ثم عشر على رجاله استراب بهم فقبض عليهم، وتهدهم فذكروا أن أرسلان خان وضعهم على قتله فرجع إلى سمرقند، وملك الكلمة وبعث أرسلان أميراً إلى بلخ فمات بها. وقيل: إنه اخت ragazzo منه، ووضع هذه الحكاية وسيلة لذلك.

ثم ول السلطان سنجر على سمرقند فلتح طمعاج، وهو أبو المعالي الحسن بن علي المعروف بحسين تكين، كان من أعيان بيته الخانية فلم تطل أيامه، ومات فولى سنجر مكانه محمود ابن أخيه، وهو ابن السلطان أرسلان. فقام ملكاً عليها.

وكان ملك الصين كورخان قد وصل إلى كاشغر سنة اثنين وعشرين وخمسة في جيوش كثيفة. ومعنى كورخان أهل الصين: أعظم، وخان سمة ملوك الترك.

وكان أعمور وكان يلبس لبسة ملوك الترك، وهو مانوي المذهب.

ولما خرج من الصين إلى تركستان انضاف إليه طوائف الخطأ من الترك، وكانت قد خرجوا قبله من الصين، وأقاموا في خدمة الخانية أصحاب تركستان فانضموا إلى كور ملك الصين وكشف جمعه بهم.

وزحف إليه صاحب كاشغر، وهو الخان أحمد بن الحسين بجموعه فهزمه، وأقامت طوائف الخطأ معه في تلك البلاد.

الغدر به، وشعر بذلك بهرام فحبسه ثم قتله، واستوحش الغورية لذلك.

### مقتل محمد بن الحسين الغوري وولاه أخيه الحسين شاه ثم أخيه شوري

ولما قتل محمد ولی من بعده آخره شاه بن الحسين، ثم كانت الرؤقة.

وملك بعده آخره شوري بن الحسين، وأجمع الأخذ بشار أخيه من بهرام شاه فجتمع له، وسار إلى غزنة سنة ثلاث وأربعين وخمسة فملكتها، وفارقتها بهرام شاه إلى بلاد الهند فجتمع عскروه التي هناك، ورجع إلى غزنة وعلى مقدمته السلاطين الحسين، وأمير هندوخان إبراهيم العلوي.

وسار شوري للقائه فانقض عنده عسكر غزنة إلى بهرام شاه فانهزم وأسره بهرام، ودخل غزنة في حرم ستة أربع وأربعين وخمسة، وصلب شوري على باب غزنة واستقر في ملوكه.

### مقتل شوري بن الحسين وولاه أخيه علاء الدين ابن الحسين واستيلاؤه على غزنة

وانتزاعها منه

لما هلك شوري بن الحسين ملك الغور من بعده آخره الحسين، وبلقب علاء الدولة واستولى على جبال الغور ومدينة بيروزکوه المجاورة لأعمال غزنة من بلاد الهند، وهي تقارب في اتساعها بلاد خراسان فاستفحلا ملوكه، وطمئن في ملوك خراسان وسار إلى هراة باستدعاء أهلها، فحاصرها ثلاثة ثم ملكها بالأمان وخطب فيها للسلطان سنجري.

وسار إلى بلخ وبها الأمير قماج من قبل السلطان سنجري، فغدر به أصحابه، فملك علاء الدولة بلخ، وسار إلى السلطان سنجري وقاتلته وظفر به فأسره ثم خلع عليه ورده إلى بيروزکوه.

ثم سار علاء الدين يزيد غزنة سنة سبع وأربعين وخمسة ففارقتها صاحبها بهرام شاه، وملكتها علاء الدولة، وأحسن السيرة واستختلف عليهم أخاه سيف الدولة، وعاد إلى بلاد الغور، فلما جاء فصل الشتاء وسد الثلج الممالك، كتب أهل غزنة إلى بهرام شاه واستدعاوه، فلما وصل وثبرا بسيف الدولة وصلبوه، وبايعوا بهرام شاه وملكونه عليهم كما كان.

يقطع أحداً منهم خوفاً على الرعية من العسف، ولا يقدم أميراً على فوق مائة فارس خشية أن تخذله نفسه بالصبيان، وينهى عن الظلم وعن السكر ويعاقب عليه، ولا ينهى عن الزنا ولا يقبحه.

ولما مات ملكت بعده ابنته وماتت قريباً فملكت بعدها أمها زوجة كوخان، وفيما وراء النهر يهد الخطأ إلى أن غلبهم عليه علاء الدين محمد بن خوارزم شاه صاحب دولة الخوارزمية سنة اثنين عشرة وستمائة على ما يأتي في أجيال دولتهم.

### إجلاء القارغالية من وراء النهر

لما ملك ما وراء النهر سمرقند وبخاري جقري خان بن حسين تكون من بيت الحانية، وأمره سنة تسع وخمسين وخمسمائة ياجلة الترك القارغالية من أعمال بخاري وسمرقند إلى كاشغر، وإلزامهم الفلاحة ومحابية حل السلاح فامتعوا من ذلك.

واللح عليهم جقري خان فامتعوا واجتمعوا لحربه.

وسار إلى بخاري فبعث إليهم بالوعظ في ذلك والوعد الجميل بخلال ما يجيء بقراخان، وكسبهم على بخاري فانهزموا، وأنجذب فهم وقطع دابرهم وأجلهم عن نواحي سمرقند، وصلحت تلك التواحي والله أعلم.

### الخبر عن دولة الغورية القائمين بالدولة

العباسية بعد بني سبكتكين وما كان لهم من السلطان والدولة وابتداء أمرهم ومصائر أحوالهم

كان بنو الحسين أيام سبكتكين ملوكاً على بلاد الغور لبني سبكتكين وكانت لهم شدة وشوكة.

وكان منهمآخر دولة بني سبكتكين أربعة أمراء قد اشتهروا واستفحلا ملوكهم: وهم محمد وشوري والحسين شاه وسام بنو الحسين، ولا أدرى إلى من ينسب الحسين وأظهراهم إلى بهرام شاه آخر ملوك بني سبكتكين، والتبحر به فعظم شأنه.

ثم كانت الفتنة بين بهرام وأخيه أرسلان فمال محمد إلى أرسلان، وارتبا بهرام لذلك.

ثم انقضى أمر أرسلان، وسار محمد بن الحسين في جوشه إلى غزنة سنة ثلاث وأربعين وخمسة، مورياً بالزيارة وهو يزيد

وافتتح جبال الهند ما يليه فاستفحمل ملكه، وتطاول إلى ملك هاوار قاعدة الهند من يد خسروشاه، فسار سنة تسع وسبعين وخمسة في عساكر خراسان والغور وعبر إليها وحاصرها، وبذل الأمان خسروشاه وأنكحه ابنته وسوغه ما يزيد من الأقطاع على أن يخرج إليه ويخطب لأخيه فأبى من ذلك، وبقي شهاب الدين يحاصره حتى صاق مخنه بالحصار وخذه أهل البلد، فبعث بالقاضي والخطيب يستأمانه لفمهه ودخل شهاب الدين البلد، وبقي خسروشاه عنده مكرماً، وبعد شهرين وصل الأمر من غياث الدين يناديه خسروشاه إليه، فارتبا في ذلك فامنه شهاب الدين، وحلت له بيتها وباهله وولده مع جيش يعذبهن، فلما وصلوا بلاد الغور حبسهم غياث الدين ببعض قلاعه، فكان آخر العهد به وبابته.

### استيلاء غياث الدين على هواره وغيرها

#### من خراسان

ولا استقر ملك غياث الدين بلهار كتب إلى أخيه شهاب الدين الذي تولى فتحها أن يقسم الخطة له، ويلقبه بالقاب السلطان، فلقبه غياث الدين والدين معين الإسلام والمسلمين، قسيم أمير المؤمنين، ولقب أخيه شهاب الدين بزع الدين. ثم لما فرغ شهاب الدين من أمرور هاوار وسار إلى أخيه غياث الدين بيروزكوه واتفق رأيهما على المسير إلى هرة من خراسان سار في العساكر فحاصرها، وبها عسكر السلطان سنجر وأمراؤه فاستأمنوا إلينهما، وملكا هرة.

وسار إلى بوشنج فملكها، ثم إلى باذغيس كذلك. وولي غياث الدين على ذلك وعاد إلى بيروزكوه وشهاب الدين إلى غزنة ظافريين غائبين.

### فتح أجرة على يد شهاب الدين

لما عاد شهاب الدين إلى غزنة راح بها أياماً حتى استراحت عساكره.

ثم سار غازياً إلى بلاد الهند سنة سبع وأربعين وخمسة وحاصر مدينة أجرة وبها ملك من ملوكهم فلم يظفر منه بطائل، فراسل امرأة الملك في أنه يتزوجها إذا ملك البلد، فأجابت بالعذر، ورغبت في ابنتها فأجلب قتلت زوجها بالسم وملكته البلد، فأخذ الصبية وأسلمت، وحملها إلى غزنة ووضع عليها الجراية، ووكل بها

### انتقام شهاب الدين وغياب الدين على عهدهما علاء الدولة

لما استفحمل أمر علاء الدولة واستفحمل ملكه استعمل على البلاد العمال وكسان فيمن ولاه بلاد الغور ابن أخيه سالم بن الحسين، وهو غياث الدين وشهاب الدين، فأحسنوا السيرة في عملهما، وما إلىهما الناس، وكثرت السعاية فيما عند عميهما بأنهما يربدان الوثوب فبعث عنهما فامتاعاً، فجهز إلىهما العساكر فهزماها وأظهرا عصياني، وقطعوا خطيبته فسار إلىهما فقاتلاه قتالاً شديداً حتى انهزم فاستأمن إلىهما فأجلساه على التخت، وقاما بخدمته.

وزوج غياث الدين أحدهما بتناً له، وبقي مستبداً على عمه علاء الدولة، ثم عهد إليه بالأمر من بعده ومات.

### وفاة علاء الدولة وولاية غياث الدين ابن أخيه من بعده وتغلب الغز على غزنة

ثم توفي علاء الدولة ملك الغورية سنة ست وخمسين، وقام بالأمر من بعده بيروزكوه غياث الدين أبو الفتح ابن أخيه سالم، وطبع الغز بموته في ملك غزنة فملوكها من يده، وبقي غياث الدين في كرسيه بيروزكوه وأعمالها، وابنه سيف الدين محمد في بلاد الغور.

ثم أساء السيرة الغز في غزنة بعد مقامهم فيها خمس عشرة سنة، واستفحمل أمر غياث الدين فسار إلى غزنة سنة إحدى وسبعين وخمسة في عساكر الغورية والخلج والخراسانية ولقي الغز فهوذهم وملك غزنة من أيامهم، وسار إلى كرمان وشنوار فملكهما، وكرمان هذه بين غزنة والهند، ليست كرمان المعرفة.

ثم سار غياث الدين إلى هاوار ليملكها من يد خسروشاه بن بهرام، فبادر خسروشاه إلى نهر المد ومنعه العبور منه، فرجع وملك ما يليه من جبال الهند وأعماله الأنبار، وولي غزنة أخيه شهاب الدين ورجع إلى بيروزكوه.

### استيلاء شهاب الدين الغوري على هاوار ومقتل خسروشاه صاحبها

ولما ولي شهاب الدين الغوري غزنة أحسن السيرة فيهـ،

وذلك كله سنة ثمان وأربعين وخمسة.

### مقتل ملك الفور محمد بن علاء الدين

قد تقدم لنا أن محمد بن علاء الدين ملك الفور بعد أبيه، واتّهام ملوكاً عليها.

ثم سار سنة ثمان وخمسين وخمسة بعد أن احتفل في الاحتشاد وجع العساكر، وقصد بلخ وهي يومئذ لغز فزحفوا إليه.

وجاءهم بعض العبيون بأنه خرج من معسكره لبعض الوجه في خف من الجندي، فركبوا لاعتراضه، ولقوه فقتلوه في نفر من أصحابه، وأسرموا منهم آخرين، ونجا الباقون إلى المعسكر فارتحلوا هاربين إلى بلادهم، وتراكوا معسركهم بما فيه فغتمه الغز وانقلبوا إلى بلخ ومرروا ظافرين غائبين.

### الفتنة بين الفورية وبين خوارزم شاه على ما

#### ملكوه من بلاد خراسان

قد تقدم لنا أن غياث الدين وشهاب الدين ابن أبي الفتح سام بن الحسين الفوري رجعوا إلى خراسان سنة سبع وأربعين وخمسة فملوكها هرآة وبروشنج وباذغيس وغيرها، وذلك عند انهزام سنجر أمام الغز، وافتلق ملوكه بين أمرائه ومواليه فصاروا طراف، وأظهراهم خوارزم شاه بن أنس بن محمد بن أتوشتنين صاحب خوارزم.

فلما كان سنة خمس وسبعين وخمسة قام بأمره ابنه سلطان شاه، ونمازعه أخوه علاء الدين تكش فغلبه على خوارزم، وخرج سلطان شاه إلى مرو فملكتها من يد الغز، ثم آخر جره منها فاستجاش بالخطا وأخرجهم من مرو وسرخس ونسا وأبيورد، وملكتها جميعاً، وصرف الخطأ إلى بلادهم.

وكتب إلى غياث الدين أن يتزل له عن هرآة وبروشنج وباذغيس وما ملكه من خراسان وهدده على ذلك فراجعه بإقامة الخطبة له ببرو وسرخس وما ملكه من خراسان، فامتنع ذلك سلطان شاه وسار إلى بروشنج فحاصرها واعاث في نواحيها.

وجهز غياث الدين عساكره مع صاحب سجستان وأبن أخيه بهاء الدين سام بن باميان لغزية أخيه شهاب الدين في الهند، فساروا إلى خراسان، وكان سلطان شاه يحاصر هرآة فخام عن

من يعلمها القرآن حتى توفيت والدتها، وتوفيت هي من بعدها عشر سنين، وما ملك البلد سار في نواحي الهند فدخلوها، وفتح الكثير منها، وبلغ منها ما لم يبلغه أحد قبله.

### حروب شهاب الدين مع الهند وفتح دلهي ولاية قطب الدين أبيك عليها

ولما اشتتدت نكبة شهاب الدين في بلاد الهند، تراسل ملوكهم وتلاوموا بينهم وتظاهرها على المسلمين، وحشدوا عساكرهم من كل جهة، وجاؤوا بقضفهم وقضفهم في حكم امرأة ملكت عليهم، وسار هو في عساكره من الفورية والخلخ والحاجنة والخراسانية وغيرهم، والتقووا بمحض الله المسلمين وأنجن فيهم الكفرة بالقتل.

وضرب شهاب الدين في يده اليسرى فشلت، وعلى رأسه سقط عن فرسه، وحجز بينهم الليل وحمله جماعة من غلمانه إلى منجاته بيده.

وسمع الناس بنجاته فتبشروا ووفدوا عليه من كل جهة، وبعث إليه أخوه غياث الدين بالعساكر، وعذله في عجلته.

ثم ثارت الملكة ثانية إلى بلاد شهاب الدين بالعساكر، وبعثت إلى شهاب الدين بالخروج عن أرض الهند إلى غزنة، فأجاب إلى ذلك بعد أن يستاذن أخيه غياث الدين وينظر جوابه.

وأقاموا على ذلك وقد حفظ الهند مخاضات النهر بينهم وهو يحاول العبور فلا يجد، وبينما هو كذلك جاءه بعض الهند، فدلله على مخاضة فاستراب به حتى عرفه قوم من أهل أجرة والمليان.

وبعث الأمير الحسن بن حرميد الغوري في عسكر كثيف، وعبر تلك المخاضة ووضع السيف في الهند فاجفل الملوكون بالمخاضات.

وعبر شهاب الدين ويأتي العساكر وأحاطوا بالهند، ونادوا بشعار الإسلام فلم ينج منهم إلا الأقل، وقتل ملوكهم وأسروا منهم أمراً.

وتمكن شهاب الدين بعدها من بلاد الهند وحملوا له الأموال وضررت عليهم الجزية فصالحوه وأعطوه الرهن عليها.

وأنقطع قطب الدين أبيك مدينة دلهي، وهي كرسى المالك التي فتحها، وأرسل عسكراً من الخلخ مختارين فتحوا من بلاد الهند ما لم يفتحه أحد، حتى قاربوا حدود الصين من جهة الشرق،

كركه، فملك عليهم مدينة تبرندة ومدينة أسرستي وكوه رام، فامتنع الملك وسار للقاء المسلمين ومعه أربعة عشر فيلاً ولقيهم شهاب الدين في عساكر المسلمين، فانهزمت ميمنته وميسرته، وحمل على الفيلة قطعن منها واحداً، ورمي محربة في ساعده فسقط عن فرسه، وقاتل أصحابه عليه، فخلصوه وانهزموا، ووقف الهنود يمكنهم ولا أبعد شهاب الدين عن المعركة نزف من جرحه الدم فأصحابه الشئ، وحمل القوم على اكتافهم في حفنة أخذوها من اللبود ووصلوا به إلى هاور، ثم سار منها إلى غزنة فاتحاً إل ستة ثمان وثمانين وخمسة.

وخرج من غزنة غازياً لطلب الثار من ملك الهند، ووصل إلى برساور وكان وجوه عسكره في سخطة منه منذ انهزموا عنه في التوبة الأولى، فحضرروا عنده واعتذروا ووعدوا من أنفسهم الثبات، وتضرعوا في الصفح قبل منهم، وصفح عنهم، وصفح عنهم حتى انتهوا إلى موضع المصاف الأول وتجاوزوه باربع مراحل، وفتح في طريقه بلادًا وجمع ملك الهند وسار للقاء فكر راجعاً إلى أن قارب بلاد الإسلام بثلاث مراحل، وخلفه الهنود قريباً من بربور فبعث شهاب الدين سبعين ألفاً من عسكره ليأتوا العدو، من ورائهم، وواعدهم هو الصباح، وأسرى هو ليلة فضائحهم فذهلوا، وركب الملك فرسه للهروب فتمسّك به أصحابه، فركب الفيل واستماتت قومه عنده، وكثُر فيهم القتل، وخلص إليه المسلمين فأخذوه أسرى، وأحضاروه عند شهاب الدين.

فوقف بين يديه وجنبراً بلحيته حتى قبل الأرض، ثم أمر بهقتل ولم ينج من الهنود إلا الأقل، وغضّ المسلمين جميع ما معهم وكان في جملة الغنائم الفيل.

ثم سار شهاب الدين إلى حصنه الأعظم وهو أجير فتحه عنوة، وملك جميع البلاد التي تقاربه، واقطعها كلها لملوكه أياك نائبه في دلهي وعاد إلى غزنة.

### غزوة بناوس ومقتل ملك الهند ثم فتح

#### بهنكر

كان شهاب الدين ملك غزنة قد أمر ملوكه قطب الدين أياك خليفة على دلهي أن يغزو بلاد الهند من ناحيته، فسار فيها ودorghا وعاد في نواحيها.

وسمع ملك بناوس وهو أكبر ملوك الهند، وولايته من تجوم الصين إلى بلاد ملاوا طولاً، ومن البحر الأخضر إلى عشرة

لقائهم ورجع إلى مرو، وعاد في البلاد في طريقه، وأعاد الكتاب إلى غياث الدين بالتهديد فاستقدم أخيه شهاب الدين من الهند، فرجع مسرعاً، وساروا إلى خراسان.

وجمع سلطان شاه جوغاً وزنزل الطالقان، وترددت الرسل بين سلطان شاه وغياث الدين حتى جمع إلى الصلح بالتزول له عن بوشنج وبادغيس، وشهاب الدين يجتمع إلى الحرب، وغياث الدين يكتفهم.

وجاء رسول سلطان شاه لإقامة العقد، فقام شهاب الدين العلوي وقال: لا يكون هذا أبداً، ولا تصالحوه، وقام شهاب الدين ونادي في عسكره بالحرب، والتقدم إلى مرو الروذ.

وتواقع الفرقان فانهزم سلطان شاه ودخل إلى مرو في عشرين فارساً، وبلغ الخبر إلى أخيه فسار لتعرضه عن جيحومن وسمع سلطان شاه يتعرض أخيه له فرجع عن جيحومن، وقصد غياث الدين فأكرمه وأكرم أصحابه، وكب آخره علاء الدين في رده إليه، وكتب إلى نائب هرة يتهدده، فامتنع غياث الدين لذلك، وكتب إلى خوارزم شاه بأنه غير وشقيق له، ويطلب بلاده وميراثه من أخيه، ويسقطن له الصلح مع أخيه سلطان شاه.

وطلب منه مع ذلك أن ينطب له بخوارزم، ويزوج ابنته من شهاب الدين فامتنع علاء الدين لذلك، وكتب بالتهديد فسرح غياث الدين جميع عساكره مع سلطان شاه إلى خوارزم شاه، وكتب إلى المؤيد أخيه صاحب نيسابور يستجدده، فجمع عساكره وقام في انتظارهم، وسمع بذلك علاء الدين تكش، وهو زاحف للقاء أخيه سلطان شاه، وعساكر الغورية، فخشى أن يخالقه إلى خوارزم وكر إليها راجعاً.

واحتمل أمواله وعبر إلى الخطا وقدم فقهاء خوارزم في الصلح والصهر، ووعظه الفقهاء وشكوا إليه بأن علاء الدين يستجيش بالخطأ، فإما أن تتخذ مرو كرسياً لك فتمتنا منهن، أو تصالحه، فأجاب إلى الصلح، وترك معاوضة البلاد ورجع إلى كرسيه.

### غزوة شهاب الدين إلى الهند وهزيمة المسلمين بعد الفتح ثم غزوته الثانية وهزيمتها الهند وقتل ملوكهم وفتح أحمر

كان شهاب الدين قد سار سنة ثلاثة وثمانين وخمسة إلى الهند، وقصد بلاد أحمر وتعرف بولاية السراك، وأاسم ملوكهم

وحاصر الخطأ بهاء الدين فاشتدت الحرب وثبت المسلمين. وجاء المدد من عند غياث الدين، ثم حلوا جميعاً على الخطأ نهزمونهم إلى جيجون والتي الكثير منهم أنفسهم في الماء، فهلك منهم نحو اثني عشر ألفاً، وعظم الأمر على ملك الخطأ، وبعث إلى علاء الدين تكش صاحب خوارزم يطرقه النسب ويطالبه بدية القتلى من أصحابه، وألزمته الخضور عنده، فبعث علاء الدين تكش يشكرو ذلك إلى غياث الدين فرد جوابه باللوم على عصياني الخليفة، ودعا ذلك علاء الدين إلى الفتنة مع الخطأ واتزاعه بخارى من أيديهم كما يأتي في أخبارهم.

### استيلاء الغورية على ملك خوارزم شاه

#### بخراسان

ثم توفي علاء الدين تكش صاحب خوارزم وكان قد ملك بعض خراسان وبلاط الري والبلاد الجبالية، فولى بعده ابنه قطب الدين، ولقب علاء الدين بلقب أبيه، وولي علاء الدين أخيه علي شاه خراسان، وأقطعه نيسابور.

وكان هندوخان ابن أخيهما ملك شاه فخاف عمه فلحقه ببره، وجمع الجموع وبعث إليه عمه محمد العسكري مع جنرال التركي فهرب هندوخان، ولحق بغياث الدين مستجدًا به على عمه فأكرمه ووعده.

ودخل جنقر إلى مرو، وحل منها ولدخان وأمه مكرمين إلى خوارزم وأرسل غياث الدين إلى صاحب الطالقان محمد بن خريك بأن ينهدد جنقر، فسار من الطالقان واستولى على مرو الروذ وبعث إلى جنقر يأمره بالخطبة ببره لغياث الدين أو يفارقهها، فأساء الجواب ظاهراً، وأستانمن إلى غياث الدين سراً، ولما علم غياث الدين بذلك قوي طمعه في البلاد، وكتب إلى أخيه شهاب الدين بالمير إلى خراسان، فسار من غزنة في عساكره في متصرف سنة ست وستين وخمسة وستمائة ولما انتهى إلى الطالقان استثنى جنقر صاحب مرو للبلد، وأخبره بطاعته حتى إذا وصل إليه خرج في العساكر فقاتله، وهزم شهاب الدين، وزحف بالفيلة إلى السور فاستسلم من جنقر وخرج إليه، وملك شهاب الدين مرو وبعث بالفتح إلى غياث الدين فجاء إلى مرو، وبعث جنقر إلى هرآة مكرماً، وسلم مرو إلى هندوخان ابن ملك شاه المستجد به، وأوصاه بالإحسان إلى أهلهما.

وسار إلى سرخس فحاصرها ثلاثة وملكتها على الأمان،

أيام من طاول عرضًا وأهل تلك البلاد من أيام السلطان محمود مقيمون على إسلامهم، فاستقر معه مسلمون كانوا في تلك البلاد، فسار إلى شهاب الدين سنة تسعة وخمسة والتسعوا على ماحرون نهر كبير يقارب دجلة فاقتلاه، وتزل الصبر.

ثم نصر الله المسلمين واستلم المند، وقتل ملوكهم، وكسر البي في جواريه والأسرى من أبنائهم، وغنموا منهم تسعين فللا، و Herb بقية القبور وقتل بعضها. ودخل شهاب الدين بلاد بناوس، وحمل من خزائتها الفأ وأربعين حمل، وعاد إلى غزنة.

ثم سار سنة اثنين وستين وخمسة إلى بلاد الهند وحاصر قلعة بهنكر حتى تسللها على الأمان، ورتب فيها الحامية.

وسار إلى قلعة كواكير، وبينهما خمس مراحل يعترضها نهر كبير فحاصرها شهراً حتى صالحوه على مال يحملونه، فحملوا إليه حل فيل من الذهب، فرحل عنهم إلى بلاد أبي رسود فاغار ونهب وسي وسر، وعاد إلى غزنة ظافراً.

### استيلاء الغورية على بلخ وفتنتهم مع الخطأ

#### بخراسان

كان الخطأ قد غلبوا على مدينة بلخ وكان صاحبها تركياً اسمه ازية يحمل إليهم المخراج كل سنة وراء النهر، فتوفي أزية سنة أربع وستين وخمسة وستمائة وكان بهاء الدين سام بن محمد بن مسعود صاحب باميان من قبل خاله غياث الدين فسار إلى بلخ، وقطع الحمل للخطأ، وخطب لغياث الدين وصارت من جملة بلاد الإسلام بعد أن كانت في طاعة الكفار، فامت penet الخطأ لنذلك، واعتزموا على فتنة الغورية.

وافتقد أن علاء الدين تكش صاحب خوارزم بعث إليهم بغيرهم ببلاد غياث الدين.

وكان سبب ذلك أنه ملك الري وهمدان وأصفهان وما بينهما، وتعرض لعساكر الخليفة، وطلب الخطبة والسلطنة ب بغداد مكان ملوك السلاجقة، فبعث الخليفة بشكوه إلى غياث الدين يصبح فعله وينهاء عن قصد العراق، ويتهدم بسلطان شاه وأخذ بلاده، فألف من ذلك وبعث إلى الخطأ بغيرهم ببلاده، فجهز ملك الخطأ جيشاً كثيناً مع مقدم عساكره وعبروا النهر إلى بلاد الغور.

وسار علاء الدين تكش إلى طوس لحصارها، لأن غياث الدين عاجز عن الحركة بعلة القرفص، فاعثار في بلاده ما شاء الله

وسار إليه علاء الدين صاحب خوارزم آخر سنة تسع وستين وخمسة.

فلما انتهى إلى نسا وأبيورد هرب هندوخان ابن أخيه، ولحق بغياث الدين في فیروزکوه وملك علاء الدين مدينة مرو وسار إلى نيسابور وحاصرها شهرين، فلما أبطأ عن ناتها المدد من غياث الدين استأمن لصاحب خوارزم، وخرج إليه هو وأصحابه فاحسن إليهم، وطلب علاء الدين أن يسعى في الصلح بينه وبين غياث الدين وأخيه، فوعده بذلك، وسار إلى هرة فاقم بها ولم يمض إلى غياث الدين سخطه لتأخر المدد عنه.

واختص صاحب خوارزم الحسن بن حرميل من أعيان الغورية، واستخلفه أن يكون معه عند غياث الدين.

ثم سار إلى سرخس وبها الأمير زنكي، فحاصره أربعين يوماً، وتعددت بينهما حروب.

ثم بعث ابنه زنكي بأن يتاخر عن البلد قليلاً حتى يخرج هو وأصحابه، فتاخر بأصحابه، وخرج زنكي فشحن البلد بالأقواف والخطب، وأخرج من ضاقد به الحصار، وتخصن فندم صاحب خوارزم على تأخره، وجهز عسكراً لحصاره ورجع.

فلما بعد سار محمد بن خربك من الطالقان، وأرسل إلى زنكي بأن يكتب العسكر الذي عليه.

ونذر بذلك أهل العسكر، فافتوجوا من سرخس وخرج زنكي ولقي محمد بن خربك في مرو، وجبوا خراج تلك الناحية، وبعث إليهم صاحب خوارزم عسكراً من ثلاثة آلاف فارس فلقيهم محمد بن خربك في تسعمائة فهزمه، وغنمت مسكنهم، وعاد صاحب خوارزم إلى بلده وأرسل إلى غياث الدين في الصلح.

فأجابه مع أمير من أكبر الغورية اسمه الحسن بن محمد المرغنى قبض عليه صاحب خوارزم وجسه. ومرغن من قرى الغور.

## حصار هرة

لما بعث صاحب خوارزم إلى غياث الدين في الصلح وجاءه عند الحسن المرغنى تبين عنه المغالطة فحبسه، وسار إلى هرة وحاصرها، وكان بها أنخوان من خدمة السلطان شاه تكش، فكتبا إلى صاحب خوارزم ووعده بالثورة له في البلد، وكانتا يليان مفاتحة الأبواب وأمور الحصار من داخل، فاطلع الأمير الحسن المرغنى

وأرسل إلى علي شاه نائب علاء الدين محمد بن نيسابور، وبشذره الحرب إن امتنع من الطاعة فاستعد للحصار، وخرموا العمار بظاهرها وقطعوا الأشجار، وحمل محمود بن غياث الدين فصايق البلد، وملك جانبها ورفع راية أخيه على السور.

وحمل شهاب الدين من الناحية الأخرى، فسقط السور بين يديه وملك البلد ونهب الجنادل عاصتها.

ثم نادوا بالأمان ورفع النبه، واعتصم الخوارزميون بالجامع فأخرجهم أهل البلد إلى غياث الدين.

ثم سار إلى قهستان، فذكر له عن قرية في نواحيها أن أهلها إسماعيلية فدخلها وقتل المقاتلة وسبى النزية، وخرب القرية، ثم سار إلى مدينة أخرى، ذكر له عنها مثل ذلك، وأرسل صاحب قهستان إلى غياث الدين يستغثون من شهاب الدين وينذرونوه العهد، فأرسل غياث الدين إلى أخيه شهاب الدين بالرجوع عنهم طوعاً أو كرهاً، ووصل الرسول بذلك فامتنع، فقطع طب خيمته ورحل العسكر فرحل شهاب الدين كرهاً ورجع إلى غزنة.

## فتح نهر واكد من الهند

لما رجع شهاب الدين من خراسان غاضباً من فعل أخيه، لم يرجع على غزنة، ودخل بلاد الهند غازياً سنة ثمان وستين وخمسة وسبعين وبعث في مقدمته مملوكه قطب الدين أيك، ولقيه عساكر الهند دون نهر واكد فهزمهم أيك، واستباحهم وتقدم إلى نهر واكد فملكتها عنزة، وفارقتها ملكها وجع، ورأى شهاب الدين أنه لا يقوم بمحابيتها إلا مقامه فيها، فصالح ملكها على مال يؤديه إليها عنها، ورجع إلى غزنة.

## إعادة علاء الدين محمد صاحب خوارزم ما

### أخذه الغورية من خراسان

لما فصل الغورية عن خراسان وملكونا ما ملكوه منها، وسار شهاب الدين إلى الهند غازياً، بعث علاء الدين محمد صاحب خوارزم إلى غياث الدين يعاتبه على ما فعل في خراسان، ويطلب إعادة بلده، ويهده باستدعاء عساكر الخطأ، فصانعه في الخطأ حتى قدم شهاب الدين فطبع بالقصانعة.

وبعث إلى نوابهم بخراسان يأمره بالرحيل عن نيسابور، وينهده، فكتب إلى غياث الدين بذلك، وعجل أهل نيسابور إلى عدوهم، فرعده النصر.

وجاءه محمد ابن أخيه غياث الدين فولاه على بست وأسفرابين وتلك الناحية وأبعده عن الملك جملة.

وكانت لغاث الدين زوجة مغنية شفف بها وتزوجها، فقبض عليها شهاب الدين وضررها ضرباً مبرحاً وضرب ولدها غياث الدين وزوج اختها واستصفاهن وغربيهم إلى بلاد الهند، وكانت بنت مدرسة ودفنت فيها أباها، فخربيها وبنيت قبورهم ورمي بعظامهم.

وكان غياث الدين ملكاً عظيماً مظفراً على قلة حروبه، فإنه كان قليل المباشرة للحروب، وكان ذا هيبة جواداً حسن العقبة، كبير الصدقية، بين بحراسان وغيرها المساجد والمدارس للشافعية، وبني الخوانق في الطرق، وبنى على ذلك الأوقاف الكثيرة، وأسقط المكروس، وكان لا يتعرض إلى مال أحد، ومن مات ووارثه غائب دفعه إلى أهل التجارة من أهل بلد ليوصلوه إلى ورثته، فإن لم يجد تاجرًا ختم عليه القاضي إلى أن يصل مستحقه، وإن كان لا وارث له تصدق عنه بهاله.

وكان يحسن إلى أهل البلد إذا ملكتها، ويفرض الأعطيات للفقهاء كل سنة من خزاناته، ويفرق الأموال على الفقراء، ويصل العلوية والشعراء.

وكان أدبياً بليناً بارعاً الخط ينسخ المصاحف ويفرقها في المدارس التي بناها.

وكان شافعي المذهب من غير تعصب لهم، ويقول: التعصب في المذهب هلاك.

### فتنة الفورية مع محمد بن تكش صاحب

**خوارزم وحضاره ثم حصارهم خوارزم**

### وحروب شهاب الدين مع الخطأ

لما هلك غياث الدين ملك آخره شهاب الدين بعده، فطمع محمد بن تكش صاحب خوارزم في ارتجاع هرآة.

وكان قد راسل شهاب الدين في الصلح فلم يتم وسار شهاب الدين عن غزنة إلى طاور غالياً، فسار حيثذاك محمد بن تكش إلى هرآة متصرف ستة ستمائة، وحاصرها وكان بها ألب غاري ابن اخت شهاب الدين.

وطال حصارها إلى سلخ شعبان، وقتل بين الفريقين خلقاً منهم رئيس خراسان القمي يومئذ مُشهد طوس.

المحبوس عند صاحب خوارزم على أمرهما، فبعث بذلك إلى أخيه بذلك عمر صاحب هرآة فاعتقلهما.

وبعث غياث الدين العساكر مددًا هرآة مع ابن أخيه ألب غاري فنزل على خسعة فراسخ منها، ومنع الميرة عن عسكر صاحب خوارزم بعث صاحب خوارزم عسكراً إلى الطالقان للغارة عليها، فقاتلهم الحسن بن خريك ظفر بهم، ولم يفلت منهم أحد.

ثم سار غياث الدين في عساكره ونزل قريباً من هرآة، فأعترض صاحب خوارزم على الرحيل بعد حصار أربعين يوماً لمزيمة أصحابه بالطالقان، ومسير العساكر مع ألب غاري، ثم مسيرة غياث الدين، ثم توقيعه عود شهاب الدين من الهند.

وكان قد وصل إلى غزنة متصرف ثمان وتسعين وخمسة فراسيل أمير هرآة وصالحة على مال حمله إليه، وارتحل عن البلد وبلغ الخبر شهاب الدين، وجاء إلى طوس وشتي بها عازماً على حصار خوارزم، فجاء الخبر بوفاة أخيه غياث الدين، فلائى عزمه وسار إلى هرآة.

### وفاة غياث الدين وانفراد شهاب الدين بالمملك

ثم توفي غياث الدين أبو الفتح محمد بن سام صاحب غزنة وبعض خراسان وفيروزكوه وطهار ودهلي من الهند وكان آخره شهاب الدين بطرس كما ذكرنا فسار إلى هرآة، وأظهر وفاة أخيه، وجلس للعزاء، وخلف غياث الدين ابنه اسمه محمود، فلقب غياث الدين.

ولما سار شهاب الدين عن طوس استخلف بحرو الأمير محمد بن خريك، وبعث إليه صاحب خوارزم العساكر، فيتهم ولم ينج منهم إلا القليل، وأنفذ بالأساري والمرؤوس إلى هرآة وأعاد إليه صاحب خوارزم الجيوش مع منصور التركي، فلقيهم على عشرة فراسخ من مرو فهزمه وحاصروه خمسة عشر يوماً حتى استأمن إليهم وخرج فقتلوه.

وتراجعت الرسل بين شهاب الدين وصاحب خوارزم في الصلح فلم يتفق بينهما أمر.

ولما اعتزم شهاب الدين على العود إلى غزنة ولد على هرآة ابن أخيه ألب غاري وقلد علاء الدين محمد الغوري مدينة فيروزكوه وبلد الغور، وجعل إليه حرب خراسان وأمور الملكة

## حروب شهاب الدين مع بنى كوكر والغرايبة

كان بنو كوكر هؤلاء موطنين في الجبال بين لهاور والملاitan معتصمين بها لمعتها، وكانتوا في طاعة شهاب الدين، يحملون إليه الخراج، فلما وقع الإرجاف بمورته، انتقضوا ودخلوا صاحب جبل الجودي وغيره من أهل الجبال في ذلك وجاهرو بالعيث والفساد وقطع السابلة ما بين غزنة ولهاور وغيرها.

وبعث شهاب الدين إلى محمد بن أبي علي بلهاور والملاitan يأمره بحمل المال بعد أن قتل ملوكه أياك.

قال: ومهد البلاد فاعتذر بنو كوكر فبعث شهاب الدين ملوكه أياك إلى بنى كوكر يتهددهم على الطاعة، فقال كيرهم: لو كان شهاب الدين حياً لكان هو المرسل إلينا، واستخفوا أمر أياك، فعاد الرسول بذلك، فأمر شهاب الدين بتجهيز العساكر في قرى سابور.

ثم عاد إلى غزنة في شعبان سنة إحدى وستمائة ونادي بالمسير إلى الخطأ.

ورجع بنو كوكر إلى حالم من إخافة السابلة ودخل معهم كثير من المندوب في ذلك وخشي على انتفاضة البلاد فائتى عزمه عن الخطأ وسار إلى غزنة، وزحف إلى جبال بني كوكر في رباع الأول سنة اثنين وستمائة ولا انتهى إلى قرى سابور أغذ السير وبكس بني كوكر في حالم، وقد نزلوا من الجبال إلى البسيط يرجمون القاء، فقاتلوا يوماً إلى الليل، وإذا بقطب الدين أياك في عساكره متدين بشعار الإسلام فحملوا عليهم، وانهزموا وقتلوا بكل مكان.

واستجروا بأجمة فأضرمت عليهم ناراً، وغم المسلمون أهاليهم وأموالهم حتى بيع الملك خمسة بدينار.

وقتل كبير بني كوكر الذي كان ملوكاً عليهم، وقصد دانيال صاحب الجند الجودي، وسار إليها فآقام بها متصرف رجب، وهو يستنفر الناس.

ثم عاد نحو غزنة وأرسل بهاء الدين سام صاحب باميان بالنفير إلى سمرقند، وأن يتخذ الجسر لمبور العساكر.

وكان أيضاً من دعاه هذا الإرجاف إلى الانتفاض التراهية وهم قوم من أهل الهند بنواحي قرى سابور، دينهم الجبوسية ويقتلون بنائهم بعد النداء عليهم للتزويج، فإذا لم يتزوجها أحد

وكان الحسين بن حرمييل من أعيان الغورية بموريان وهو، فمكر بصاحب خوارزم، وأظهر له الموالة وأشار بأن يبعث إليه فوارس بعطيتهم بعض الفيلة.

وقد لهم هو والحسين بن محمد المرغني بالمرصاد، فاستلهموه.

ثم مات ألب غازي وضجر صاحب خوارزم محمد من الحصار فارتغل إلى سرخس وحاصرها، وبلغت هذه الأخبار شهاب الدين ببلاد الهند، فكر راجعاً وقصد مدينة خوارزم، فاغذر محمد بن تكش السير من سرخس، ونزل أفاله وسبقه إليها وقاتلته الخوارزمية قتالاً شديداً وفتكتوا فيه.

وذلك من الغورية جماعة: منهم الحسين بن محمد المرغني وأسر جماعة من الخوارزمية فأمر شهاب الدين بقتلهم.

ثم بعث خوارزم شاه إلى الخطأ يستجدهم أن يخالفوا شهاب الدين إلى بلاد الغورية فساروا إليها.

ولما سمع شهاب الدين كر راجعاً إلى البلاد، فلقي مقدمة عسكره بصحراء أيدخوري في صفر سنة إحدى وستمائة، فلما وقع بهم وأثخن فيهم، وجاءت ساعتهم على أثر ذلك، فلم يكن شهاب الدين بهم قبل فانهزم، ونهيت أفاله، وقتل الكثير من أصحابه، ونجا في الفيل إلى أيدخوري وحاصره حتى أعطاهم بعض الفيلة وخلص وكثير الإرجاف في بلاد الغور بهلكه، ووصل إلى الطالقان في سبعة نفر، وقد لحق بها نائبه الحسين بن حرمييل ناجياً من الرقة، فاستكثر له من الزاد والعلوة وكفاه مهمه.

وكان مستوحشًا مع من استوحش من الأمراء بسبب انهزامهم عن شهاب الدين، فحمله شهاب الدين إلى غزنة تائيساً له، واستحجه، ولما وقع الإرجاف بموت شهاب الدين جمع مولاه تاج الدين العسكر وجاء إلى غزنة طاماً في ملوكها، فمنعه مستحقوظها فرجع إلى إقطاعه، وأعلن بالفساد، وأغرى بالخلج من الترك فذكر عيئهم.

وكان له مولى آخر اسمه أياك فلحق بالهند عند نجاته من المعركة، وأرجف بموت السلطان واستولى على الملاitan، وأساء فيها السيرة.

فلما وصل خبر شهاب الدين جع تاج الدين الذر - وهو ملوك اشتراه شهاب الدين - الناس من سائر التواحي ثم جمع شهاب الدين لغزو الخطأ والثار منهم.

قتلوها، وتزوج المرأة عندهم بعدة أزواج.

فرسه، وقبل الأرض بين يدي المخفة.  
ثم كشف عن وجهه فمزق ثيابه وأجد بالبكاء حتى رحه الناس.

وكان شهاب الدين شجاعاً فرماً عادلاً كبيراً للجهاد، وكان القاضي بغزنة يحضر داره أربعة أيام في كل أسبوع، فيحكم بين الناس وأمراء الدولة ينفذون حكماته، وإن رافع أحد خصمه إلى السلطان سمع كلامه ورده إلى القاضي، وكان شافعي المذهب.

### قيام الذر بدعوة غياث الدين محمود ابن

#### السلطان غياث الدين

كان تاج الدين الذر من موالى شهاب الدين وأخصهم به، فلما قتل طمع في ملك غزنة وأظهر القيام بدعوة غياث الدين محمود ابن السلطان غياث الدين، وأنه كتب إليه بالبيابة عنه بغزنة لشغله بأمر خزانة.

وسلم الخزائن من الوزير وسار إلى غزنة فدفن شهاب الدين بتربيته في المدرسة التي أنشأها، وذلك في شعبان من سنة اثنين وستمائة وأقام بغزنة.

### مسير بهاء الدين سام إلى غزنة وموته

#### وملك بهاء الدين ابنه بعده غزنة

كان بهاء الدين قد أقطع باميأن ابن عمه شمس الدين محمد بن مسعود عندما ملكها، وأنكره أخيه فرلدت ابنه هو سام، وكان له ابن آخر من امرأة تركية اسمه عباس، فلما مات ملك ابنه الأكبر عباس، فغضب غياث الدين وشهاب الدين لابن اختهما، وزلوا عباساً ولوه مكانه على باميأن، فنظم شأنه، وجمع الأموال، وترشح للملك بعد أخواله لليل أمراء الغز إلى به بعد أخواله.

فلما قتل شهاب الدين كان في قلعة غزنة نائب اسمه أميردان فبعث ابنه إلى بهاء الدين محمود ابن السلطان غياث الدين، وابن حرمييل عامل هرة بحفظ أعمالها، وإقامة الخطبة له بها والغورية والأتراك على ما ذكرناه من الاختلاف فسار في عساكرة إلى غزنة ومعه ابنا علاء الدين وأمرهما جميعاً بالمسير إلى غزنة، وببلاد المهد.

فلمات ثار ابنه في غزنة وخرج أمراء الغورية لغيات

وكانوا يفسدون في نواحي قرى سابر، ويكترون الغارة عليها، وأسلم طائفة منهم آخر أيام شهاب الدين الغوري.

ثم انقضوا عند هذا الإرجاف وخرجوا إلى حدود سوران ومكران، وشنوا الغارة على المسلمين فسار إليهم الخلخي نائب تاج الدين الذي بتلك الجهة، فاقع بهم واثلن فيهم وبعث برؤوس الأعيان منهم فلقت ببلاد الإسلام وصلح أمر البلاد.

### قتل شهاب الدين الغوري وافتراق المملكة

#### بعده

لما قضى شهاب الدين شأنه من بلاد الغور وأصلح ما كان بها من الفساد، ارتحل من طهور عائداً إلى غزنة عازماً على قصد الخطا بعد أن استقر أهل المهد وأهل خراسان، فلما نزل بدلميل قريباً من طهور طرق خيمته جماعة من الدعاة قتلوا بعض المحرس، وثار بهم الناس وذهل باقي المحرس بالمبيعة فدخل منهم البعض على شهاب الدين وضربوه في مصلاه وقتلوه ساجداً، وقتلوا عن آخرهم أول شعبان سنة اثنين وستمائة.

فيقال إن هذه الجماعة من الكوكرية الذين أحفظهم ما فعل بهم، ويقال من الإسماعيلية لأنهم كانوا غلوا منه، وكانت عساكرة تعاصر قلاعهم.

ولما قتل اجتمع الأمراء عند وزيره مؤيد الدين خواجه سحتا، واتفقوا على حفظ المال إلى أن يقوم بالأمر من يتولاه من أهله، وتقدم الوزير إلى أمير العسكر بضبط العسكر، وحملت جنازة شهاب الدين في المخفة، وحملوا خزاناته، وكانت الفين ومائتي حمل، وتطاول الموالي مثل صونج صهر الذر وغيره إلى نهب المال، فمنهم الأمراء الكبار، وصرفوا الجند الذين أطاعهم عند قطب الدين أيك ببلاد المهد أن يعودوا إليه، وساروا إلى غزنة متوجهين إلى الملك بين غياث الدين محمود ابن السلطان غياث الدين، وبين بهاء الدين سام صاحب باميأن ابن اخت شهاب الدين فيملك الخزانة والأتراك يريدون طريق سوران ليقربوا من فارس.

وكان هو الوزير مؤيد الملك مع الأتراك، فلما ينزل بالغورية حتى إذا وصلوا طريق كرمان ساروا عليها، ولقوا بها مشقة من غارات التراهية واقعن وغيرهم.

ولما وصلوا إلى كرمان استقبلهم تاج الدين الذر ونزل عن

من ولد ملوك الغور وسمرقند فانقو من خدمته، وانصرفوا إلى علاء الدين وأخيه في باميان، وأرسل غياث الدين محمود أن يصهر إليه في بيته بابنه فابي من ذلك.

ثم جاء في عسكر من الغوريين من باميان، وأرسل غياث الدين وفرق في أهلها الأموال، واستوزر مؤيد الملك فوزر له على كره.

الذين وتلقهموا والأتراك معهم مغلبين فملكو البلد، وزلوا دار السلطنة مستهل رمضان، من سنة اثنين وستمائة، واعترم الأتراك على منهم، وعاد لهم الأمير مؤيد الملك لاشتغال غياث الدين منهم بابن حرميin عامل هرة فلم يرجعوا، وبندوا إلى علاء الدين وأخيه العهد وأذنوهما بالحرب إن لم يرجعوا، فبعشا إلى تاج الدين الذر، وهو ياقطعه يستدعيانه ويرغبانه بالأموال والمراتب السلطانية والرثي في الدولة.

### أخبار غياث الدين بعد مقتل عمه

لما قتل السلطان شهاب الدين، كان غياث الدين محمود ابن أخيه السلطان غياث الدين في أقطاعه يسب.

وكان شهاب الدين قد ولى على بلاد الغور علاء الدين محمد بن أبي علي من أكابر بيوت الغورية، وكان إمامياً غالباً، فسار إلى بروزكوه يساب إليها غياث الدين.

وكان الأمراء الغوريه أميل إلى غياث الدين، وكذا أهل بروزكوه، فلما دخل خوارزم دعا محمد المغربي ومحمد بن عثمان من أكابر الغورية، واستخلفهم على قتال محمد بن نتش صاحب خوارزم.

وأقام غياث الدين بمدينته يست يتظر مآل الأمر لصاحب باميان لأنهما كان بينهما العهد من أيام شهاب الدين أن تكون خراسان لغياث الدين، وغزنة والمند لبهاء الدين صاحب باميان بعد موت شهاب الدين، فلما بلغه موت شهاب الدين دعا لنفسه، وجلس على الكرسي في رمضان سنة ثلاثة وستمائة، واستخلف الأمراء الذين في أثره فأدركوه وجاؤوا به، وملك بروزكوه وبقى على جماعة من أصحاب علاء الدين، وما دخل بروزكوه جاء إلى الجامع فصل فيه.

ثم ركب إلى دار أبيه فسكنها وأعاد الرسوم، وقدم عليه عبد الجبار محمد بن العشرين إلى وزير أبيه فاستوزره، واتقى باليه في العدل والإحسان.

ثم كاتب ابن حرميin بهرة ولاطفه في الطاعنة، وكان ابن حرميin لما بلغه مقتل السلطان بهرة خشي عادية خوارزم شاه، فجمع أعيان البلد وغيرهم، واستخلفهم على الإنجاد والمساعدة. وقال القاضي ابن زياد: يخلف كل الناس إلا ابن غياث الدين، ويُنظر عسكر خوارزم شاه، وشعر غياث الدين بذلك من بعض عيونه، فأعترم على المسير إلى هرة.

واستشار ابن حرميin القاضي ابن زياد، فأشارا عليه بطاقة

### استيلاء الذر على غزة

كان الذر بكرمان لما بلغه مقتل شهاب الدين، تسلم الأموال والخزائن من الوزير، وأظهر دعوة غياث الدين ابن مولاه السلطان غياث الدين، وسار بهاء الدين سام من باميان كما ذكرنا، ومات في طريقه، وملك ابنه علاء الدين بغزنة كما ذكرنا، واستعطف الأتراك وبعث إلى الذر يرغبه ويسترضيه فابي من طاعته، وأساء الرد عليه.

وسار عن كرمان في عساكر كثيفة من الترك والخلخ والغز وغيرهم، ويعث إلى علاء الدين وأخيه بالتنبر، فارسل علاء الدين وزيره ووزير ابنه صلة إلى باميان وبلغ وترمى ليحيث العساكر، ويعث الذر إلى الأتراك الذين بغزنة بآن مولاهم غياث الدين.

وأجتمعت جماعة الغورية والأتراك فالتقوا في رمضان، ونزع الأتراك إلى الذر فانهزم محمد بن حدرون وأسر.

ودخل عسكر الذر المدينة فنهوا بيوت الغورية والباميانية. واعتضم علاء الدين بالقلعة، وخرج جلال الدين في عشرين فارساً إلى باميان، وحاصر الذر القلعة حتى استأمن علاء الدين في المسير من بغزنة إلى باميان ولما نزل من القلعة تعرض له بعض الأتراك فأرجلوه عن فرسه وسلبوه، فبعث إلى الذر بالمال والمركب والثياب، فوصل إلى باميان، فشرع في الاحتشاد. وأقام الذر بغزنة يظهر طاعة غياث الدين، ويترجم على شهاب الدين، ولم ينطب له ولا أحد.

وقبض على داود وإلي القلعة بغزنة، وأحضر القضاة والفقهاء، وكان رسول الخليفة مجد الدين أبو علي بن الريبع الشافعى مدرس النظامية ببغداد وفدى على شهاب الدين رسولـاً من قبل الخليفة، وأحضره الذر ذلك اليوم، وشاورهم بالجلوس على التخت والمخاطبة بالألقاب السلطانية، وأمضى ذلك.

واستوحش الترك حتى بكى الكثيرون منهم، وكان هناك جماعة

وأما بلخ فإن خوارزم شاه لما بلغه مقتل شهاب الدين أطلق أسري الغوريين الذين كانوا عنده، وخلع عليهم واستألهم، وبعث أخاه علي شاه في العساكر إلى بلخ فقاتله عمر بن الحسين الغوري نائبه، ونزل منها على أربعة فراسخ.

وجاءه خوارزم شاه مددداً بنفسه آخر ستة اثنين وستمائة فحاصرها، فاستمد عمر بن الحسين علاء الدين وجلال الدين من باميان، وشغلوا عنه بغزنة، فأقام خوارزم شاه حاصراً له أربعين يوماً، وكان عنده محمد بن علي بن بشير، وأطلقه في أسري الغورية وأقطعه، بعثه إلى عمر بن الحسين صاحب بلخ في الطاعة فلقي من ذلك، واعتزم خوارزم شاه على المسير إلى هرة، ثم بلنه ما وقع بين النر وبين علاء الدين وجلال الدين، وأن النر ليحاصرها، وبها علي بن أبي علي فوقعت المراوضة بينهما.

ثم انصرف عن جورقان وتركها لابن حر米尔، واستدعي عمر بن الحسين الغوري وصاحب بلخ فقبض عليه، وبعثه إلى خوارزم، ومضى إلى بلخ فملكتها، وولى عليها جعفرأ التركي ورجع إلى خوارزم.

### استيلاء علاء الدين ثانياً على غزنة ثم

#### انتزاع النر إليها من يده

قد تقدم لنا استيلاء النر على غزنة وإخراجه علاء الدين وجلال الدين منها إلى باميان، فأقام بها شهرين، ولحق كثير من الجند بعلاء الدين أصحابهم، وأقام النر بغزنة متوقعاً عن الخطبة لغياث الدين يروم الاستبداد، وهو يعلن الأتراك برجوع رسوله من عند غياث الدين مخافة أن ينضوا عنه.

فلما ظفر بعلاء الدين وملك القلعة أظهر الاستبداد وجلس على الكرسي وجمع علاء الدين وجلال الدين العساكر وساروا من باميان إلى غزنة، وسرح النر عساكرة للقتالها فهزماها وأثخناها.

وهرب النر إلى بلد كرمان واتبعه بعض العسکر فقاتلهم ودفعهم.

وسار علاء الدين وأخوه إلى غزنة وملكوها، وأخذوا خزانة

غياث الدين على مكر ابن حر米尔، وميله إلى خوارزم شاه، وحشه على قصد هرة ليكون ذلك حجة عليه فعل، وبعث به مع ابن زياد.

ثم كاتب غياث الدين صاحب الطالقان وصاحب مرو يستدعيهما فتوقفوا عن إجابتة.

فقال أهل مرو لصاحبيها: إن لم تسلم البلد إلى غياث الدين وتوجه ولا سلمناك وقيتناك وأرسلناك إليه فاضطر إلى المحب إلى فيروزكوه.

فخلع عليه غياث الدين ووفر له الإقطاع، وأقطع الطالقان لسونج مولى أبيه المعروف بأمير شكار.

### استيلاء خوارزم شاه على بلاد الغورية

#### بخراسان

كان الحسن بن حر米尔 نائب الغورية بهرة متყضاً عليهم كما ذكرنا، ومداخلاً خوارزم شاه في الباطن، واستدعي العساكر من عنده، وبعث ابن زياد يستوثن له من غياث الدين، وأقام يقدم رجلاً ويؤخر أخرى.

ووصل ابن زياد بالولاية والخلع، فلم يشه ذلك عما هو فيه من المكاذبة لهم.

ثم وصل عسکر خوارزم شاه فلتلقاهم وأكرهم.

وبلغه أن خوارزم شاه في أمرهم على أربع فراسخ من بلخ، فندم في أمره ورد إليه عسکر، وبلغ غياث الدين عسکر خوارزم شاه ووصولهم إلى هرة، فاستدعي ابن حر米尔 فقبض على أملاكه، ونكب أصحابه، ورد أنطاكه فاعتزم أهل هرة على القبض عليه، وكتب القاضي وابن زياد بذلك إلى غياث الدين.

ونفي الخبر إلى ابن حر米尔 فخشى على نفسه منهم، وأوههم أنه يكاتب غياث الدين وطلبهم في الكتاب مع رسوله، وأوصى الرسول أن يعدل إلى طريق خوارزم شاه.

ولحق بهم فردهم وأصيروا على البلد لرابعة يوم من سفر الرسول فادخلهم ابن حر米尔 البلد، وأسكنهم من أبوابها.

وقبض على ابن زياد وسلمه، وأخرج القاضي فلحق بغياث الدين في بيروزكوه، ونفي الخبر بذلك إلى غياث الدين فاعتزم على المسير بنفسه، فبلغه سير علاء الدين صاحب باميان إلى غزنة فاقتصر عن ذلك وأقام يتضرر شأنه مع النر.

## انتهاض عباس في باميان ثم رجوعه إلى الطاعة

لما أسر علاء الدين وجلال الدين كما قلناه في غزنة وصل الخبر إلى عمهم عباس في باميان ومعه وزير أبيهما.

وسار الوزير إلى خوارزم شاه يستتجده على النزول يخلص صاحبيه، فاغتصم عباس غيته وملك القلعة، وكان مطاعاً، وأخرج أصحاب علاء الدين وجلال الدين، فرجع الوزير من طريقه فحاصره بالقلعة، وكان مطاعاً في تلك المالك من لدن بهاء الدين ومن بعده.

لما خلص جلال الدين من أسر النزول، وصل إلى مدينة باميان واجتمع مع الوزير، وبعثوا إلى عباس ولادفته حتى نزل عما كان استولى عليه من القلائع، وقال: إنما أردت حفظها من خوارزم شاه.

## استيلاء خوارزم شاه على ترمذ ثم الطالقان

### من يد الغوري

كان خوارزم شاه لما ملك بلخ من يد عمر بن الحسين الغوري سار منها إلى ترمذ وبها ابنه.

وقدم إليه محمد بن بشير بما كان من نزول أبيه عن بلخ، وأنه انتظم في أهل دولته.

وبعث إلى خوارزم مكرماً، ورغبه بالإقطاع والمواعيد، وكان قد ضاق ذرعه من الخطا ووهن من أسر النزول أصحابه بغزنة، فأطاع واستأمن وملك خوارزم شاه ترمذ ورأى أن يسلمه للخطا ليتمكن بذلك من خراسان، ثم يعود عليهم فيتزعمها منهم.

ولما فرغ من ذلك سار إلى الطالقان وبها سونج نابشاً عن غياث الدين محمود، وأرسل من يسميه، فلتح سوار طربه حتى إذا التقى نزل عن فرسه وسائل العفو فنمه بذلك، وأخذ ما كان بالطالقان بعض أصحابه، وسار إلى قلاع كاكرين وسوار، فخرج إليه حسام الدين علي بن أبي علي صاحب كاكرين وفاته، وطالبه في تسليم البلاد فأبى، وسار خوارزم شاه إلى هراة ونزل بظاهرها وابن حرميل في طاعته، فكف عساكره عن أهل هراة، ولقيه هناك رسول غياث الدين بالهدايا.

ثم سار ابن حرميل إلى أسفرايين في صفر، وقد كان صاحبها سار إلى غياث الدين فحاصرها حتى استأمن إليه وملك

شهاب الدين التي كان النزول أخذها من يد الوزير مؤيد الدين عند مقدمه بزيارة شهاب الدين إلى كرمان كما مر.

ثم اعتزم علاء الدين وأخوه على العود إلى غزنة وأهلها متزقعن النهب من عسكرهم والفيء، وكان بينهم رسول الخليفة مجذ الدين بن الريبع مدرس النظامية، جاء إلى شهاب الدين فقتل وهو عنده.

وأقام بغزنة فقصده أهل غزنة أن يشفع فيهم، فشفع وسكن الناس وعاد علاء الدين وأخوه إلى غزنة.

ثم وقع بينهما تشارجر على اقسام المخازنة، وعلى وزارة مؤيد الدين فندم الناس على طاعتهم.

وسار جلال الدين ومعه عباس إلى باميان، ويقي علاء الدولة بغزنة، وأساء وزيره السيرة في الجندي والرعيه، ونهب الأموال حتى باعوا أمهات أولادهم.

ويشكرون فلا يشكيم أحد، فسار النزول في جموع الأتراك والغز والغورية، فكبشهم إيدكين الشرفي مول شهاب الدين في الفين وملك كرمان.

وجاء النزول إثر ذلك وأنكر على إيدكين وملك كرمان، وأحسن إلى أهلهما.

وبلغ الخبر إلى علاء الدين بغزنة، فبعث وزيره إلى أخيه جلال الدين في باميان، وكانت عساكر الغورية قد فارقوه وخلفوا بغيات الدين، ووصل النزول آخر سنة اثنين وستمائة إلى غزنة فملكتها، وامتنع علاء الدين بالقلعة، فسكن النزول الناس وأهله، وحاصرها القلعة.

وجاء الخبر إلى النزول بأن جلال الدين قادم عليك بعساكره، ولحق سليمان بن بشير بغيات الدين ببيروزكوه فاكرمه، وجعله أمير داره، وذلك في صفر سنة ثلاثة وستمائة ومسار النزول فلقى جلال الدين وهزمه، وسيق أسيراً إليه، ورجع إلى غزنة وتهدد علاء الدين بقتل الأسرى إن لم يسلم القلعة.

وقتل منهم أربعمائة أسير فبعث علاء الدين يستأمه، فأنه.

ولما خرج قبض على وزيره عماد الملك وقتلته، ويعث إلى غياث الدين بالفتح.

وكتب إلى أبيك يستأذنه في المسير إلى غزة ومحاربة النز  
فأذن له بمحاربته، ووصل إلى دين في رجب سنة ثلاث وستمائة  
وخطب لغاث الدين بغزة، وأمتعت عليه القلعة فذهب البلد،  
ووصل الخبر إلى النز بشأن إيدكين في غزة ومراسلة أبيك له فقط  
ذلك في عضده، وخطب لغاث الدين في بكتاباد وأسقط اسمه  
ورحل إلى غزة فرحة إيدكين عنها إلى بلد الغور، وأقام في غزوان،  
وكتب إلى غاث الدين بالخبر وأنفذ إليه أمراؤه، فبعث إليه غاث  
الدين بالخلع وأعتقه وخطبه بملك الأمراء.  
وسار غاث الدين إلى بست وأعمالها فاستردها وأحسن إلى  
أهلها وأقام النز بغزة.

مقتل ابن حرميل واستيلاء خوارزم شاه  
علي هراة

كان ابن حر米尔 كما قدمناه استدعي عسکر خوارزم شاه  
إلى هراة وأنزلهم معه بهراة، فباء أمرهم في الناس وكثُر عيئهم  
فجيئهم، وبعث إلى خوارزم شاه بتصنيفهم ويعدده، وكان مشتغلًا  
بقتال الخطا، فكتب إليه يحسن فعله ويستدعي الجناد الذين  
جئهم.

ويُعث إلى عز الدين خلذك أن يجتاز في القبض على ابن حرميل، فسار في الفي فارس، وكان خلذك أيام السلطان سنجر والياً على هرآة، فلما قدم خرج ابن حرميل لتلقينه، فنزل كل واحد منهما إلى صاحبه، وأمر خلذك أصحابه بالقبض على ابن حرميل فقبضوا عليه، وانقض عنهم أصحابه إلى المدينة، فأمر الوزير خواجه الصاحب بغلق الأبواب والاستعداد للحصار، ونادي بشعار غيث الدين محمود فحاصره خلذك وبذل له الأمان وتهده بقتل ابن حرميل، وخاطبه بذلك ابن حرميل فقبل، وكتب بالخبر إلى خوارزم شاه فبعث ولاته بخراسان يأمرهم بمحصار هرآة، فساروا في عشرة آلاف وامتنعت هرآة عليهم.

وكان ابن حرميل قد حصنها بأربعة أسوار محكمة وخدق،  
وشحنتها بالillery، وصار يعدهم إلى حضور خوارزم شاه، وأسره  
آيامًا حتى فادى نفسه ورجع إلى خوارزم كما يذكر في أخبار  
دولته، وأرجف بموته في خراسان قطعه آخره على في طبرستان،  
وكزل خان في نيسابور إلى الاستبداد بالملك، فلما وصل خوارزم  
شاه هرب آخره على شاه ولحق بشهاب الدين في بروزكوه، فلتقاء  
واكرمه، وسار خوارزم شاه إلى نيسابور وأصلاح أمرها واستعمل  
اعليها، وسار إلى هراة وعسكره على حصارها، وقيل للوزير قد

ثم أرسل إلى صاحب سجستان بطاعة خوارزم والخطبة له، فاجاب إلى ذلك بعد أن طلبه في ذلك غياث الدين فامتنع. وعند مقام خوارزم شاه على هرارة عاد إليها القاضي صاعد بن الفضل الذي كان ابن حرميل أخرجمه منها فلتحق بشهاب الدين، ثم رجع من عنده إلى خوارزم شاه فسعي به ابن حرميل عنده حتى سجه بقلعة زوزن، وولى على القضاء بهرة الصفي أبا بكر محمد بن السرخسي.

**خبر غياث الدين مع الدر وأييك مولى أبيه**

لما ملك النزغة وأسر علماء الدين وأخاه جلال الدين  
كتب إليه غياث الدين يأمره بالخطبة، وطاول في ذلك فبعث إليه  
يستحسنها بأمر الخطيب بالترجم على شهاب الدين والخطبة لنفسه،  
فاستراب الأتراك به، وبعث هو يشترط على غياث الدين العتق  
فأطلقه إلى ذلك بعد توافق.

وكان عزمه على أن يصلح خوارزم شاه ويستمدء على الذر، فلما طلب العتق أعتقه، وأعتق قطب الدين أيلك ملوك عمه شهاب الدين وناته ببلاد الهند.

وارسل إلى كل منهما هدية ورد الخبر واستمر النزاع على مراوغته وأيّك على طاعته، فاستمد غياث الدين خوارزم شاه على النزاع فامده على أن يرد ابن حرميبل صاحب هرة إلى طاعته، وأن يقسم الغنيمة ثلاثة بينهما وبين العسكر.

ويبلغ الخبر إلى النزفه إلى بكتاباد فملكتها، ثم إلى بست وأعمالها كذلك، وقطع خطبة غياث الدين منها، وأرسل إلى صاحب سجستان بقطع خطبة خوارزم شاه، وإلى ابن حر米尔 كذلك وينهدهما، وأطلق جلال الدين صاحب باميان وزوجه بيته، وبعث معه خمسة آلاف فارس مع إيدكين ملوك شهاب الدين ليعدوا جلال الدين إلى ملكه باميان، ويتذروا ابن عمهم.

فليما سار معه يذكرين أغراه بالعود إلى غزنة وأعلمته أن  
الأتراك مجتمعون على خلاف النز، فلم يجيء جلال الدين إلى ذلك  
فرجع عنه يذكرين إلى إقطاعه بقابل، ولقيه رسول من قطب الدين  
أبيك إلى النز يهدده على عصيانه على غياث الدين، ويأمره  
بالخطبة له، ووصل معه المدايا والألطاف إلى غياث الدين.

وأشار عليه أليك بياجابة خوارزم إلى جميع ما طلب حتى يفرغ من أمر غزنة.

مدينة هاور، ثم سار إلى الهند ليملك مدينة دلهي وغيرها من بلاد المسلمين، وكان قطب الدين أبيك صاحبها قد مات، وولىها بعده مولا شمس الدين فساري، والتقيا عند مدينة سمابابا. واقتلاه فانهزم الذر وعسكره وأسر فقتل.

وكان محمود السيرة في ولايته كثير العدل والإحسان إلى الرعية لاسيما التجار والغرباء.

وكان بملكه انقرضن دولت الغورية والبقاء لله وحده.

### الخبر عن دولة الديلم وما كان لهم من الملك والسلطان في ملة الإسلام ودولة بنى بويه منهم المتغلبين على الخلفاء على العباسين ببغداد وأولية ذلك ومصائره

قد تقدم لنا نسب الديلم في أنساب الأمم وأنهم من نسل ماذاي بن يافث، وماذاي معدود في التوراة من ولد يافث.

وذكر ابن سعيد ولا أدرى عمن نقله: أنهم من ولد سام بن باسل بن آشور بن سام، وأشور مذكور في التوراة من ولد سام. وقال: إن الموصلى من جرموق بن آشور، والفرس والكرد والخزر من إيران بن آشور، والبط والنميرييان من نبط بن آشور. وهكذا ذكر ابن سعيد والله أعلم.

والجبل عند كافة النسبيين إخوانهم على كل قول من هذه الأقوال، وهو أهل جبلان جميعاً عصبية واحدة من سائر أحوالهم. وموطن هؤلاء الديلم والجبل يحيط طبرستان وجرجان إلى جبال الري وكيلان ومحفافي البحيرة المعروفة ببحيرة طبرستان من لدن أيام الفرس وما قبلها، ولم يكن لهم ملك فيما قبل الإسلام.

ولما جاء الله بالإسلام وافتراضت دولته الأكاسرة واستفتحلت دولته العرب وافتتحوا الأقاليم بالشرق والمغرب والجنوب والشمال كما مر في الفتوحات، وكان من لم يدخل من الأمم في دينهم دان لهم بالجزية، وكان هؤلاء الديلم والجبل على دين الموسوية، ولم تفتح أرضهم أيام الفتوحات، وإنما كانوا يزدرون الجزية.

وكان سعيد بن العاص قد صالحهم على مائة ألف في السنة، وكانت يعترضونها وربما يمنعونها، ولم يأت جرجان بعد سعيد أحد، وكانتوا يعنون الطريق من العراق إلى خراسان على قومس. ولما ولي بزيد بن المهلب خراسان سنة ست وثمانين

وصل خوارزم شاه لما وعدته.

وتحدث في ذلك جماعة من أهل البلد فقبض عليهم، ووقيعت بذلك هيبة وشعر بها خوارزم شاه فزحف إلى السور وخرب برجين منه، ودخل البلد فملكه وقتل الوزير وولى على هراة من قبله، وذلك سنة خمس وستمائة ورجع إلى قتال الخطأ.

### مقتل غياث الدين محمود

لما ملك خوارزم شاه مدينة هراة وولى عليها خاله أمير ملك، وأمره أن يسير إلى بيروزكوه ويقبض على صاحبها غياث الدين محمود بن غياث الدين الغوري، وعلى أخيه علي شاه بن خوارزم شاه، فسار أمير ملك واستأنف له محمود فآمنه وخرج إليه هو وعلى شاه فقبض عليهما أمير ملك وقتلهما، ودخل بيروزكوه سنة خمس وستمائة وصارت خراسان كلها لخوارزم شاه.

### استيلاء خوارزم شاه على غزنة وأعمالها

ولما استولى خوارزم شاه على عامة خراسان وملك باميان وغيرها أرسل إلى تاج الدين الذر صاحب غزنة في الخطبة والسكنة وأن يقرر الصلح على غزنة بذلك فشاور أهل دولته، وفيهم قطلوتكن من موالي شهاب الدين، وهو النائب عن الذر بغزنة، فأشار عليه بطاعته، وأعاد الرسول بالإجابة، وخطب له وسار عن غزنة متصدباً، وبعث قطلوتكن إلى خوارزم شاه سراً أن يبعث إليه من يسلمه غزنة، فجاء بنفسه وملك غزنة، وهرب الذر إلى هاور.

ثم أحضر خوارزم شاه قطلوتكن وقتلته بعد أن استصفاه وحصل منه على أموال جمة، وولى على غزنة ابنه جلال الدين، وذلك سنة ثلاثة عشرة وستمائة ورجع إلى بلده.

### استيلاء الذر على هاور ومقتله

لما هرب الذر من غزنة أيام خوارزم شاه لحق بهماور، وكان صاحبها ناصر الدين قباجة من موالي شهاب الدين وله معها ملتان وأمد والديليل إلى ساحل البحر، وله من العسکر خمسة عشر ألف فارس، وجاءه الذر في ألف وخمسة قفائله على التعبئة ومعه الفيلة، فانهزم الذر أولاً، وأخذت ف يوله.

ثم كانت له الكورة وحمل فيل له على علم قباجة بإغراء الفيال، وصدق هو الحيلة فانهزم قباجة وعسكره، وملك الذر

الأفشنين مولى المعتصم وكبير دولته، طمعه في ولاية خراسان بما كان يضطغون ابن طاهر صاحب خراسان، فدس إليه بذلك كتاباً ورسالة حتى امتنع.

وجهز عبد الله بن طاهر العساكر لحرسه مع عمه الحسن ومولاه حيان بن جبلة.

وسرح المعتصم العساكر يردد بعضها بعضاً حتى أحاطوا بهم بالله من كل ناحية، وكان قارن بن شهريار آخر مازيار على سارية فدس إلى قواد ابن طاهر بالرجوع من كل ناحية، وكان قارن قد أتى إلى الطاعة والتزول لهم عن سارية على أن يملكونه جبال آبائه، وأسجل له ابن طاهر بذلك، فقبض على عمه قارن في جماعة من قواد مازيار، وبعث بهم فدخل قواد ابن طاهر جبال قارن وملكونا سارية.

ثم استأمن إليهم قرهيار آخر مازيار ووعدهم بالقبض على أخيه على أن يلوجه مكانه، فأسجل له ابن طاهر بذلك، فقبض على أخيه مازيار، وبعث به إلى المعتصم ب بغداد فصلبه، واطلع منه على دسيسة الأنثرين مولاه فنكبه وقتله.

وواثب ماليك مازيار بقرهيار فشاروا منه بأخيه وفرروا إلى الديلم، فاعتبرتهم العساكر وأخذنوا جميعاً، ويقال: إن الذي كان غدر بمازيار هو ابن عمه، كان يضطغون عليه عزله عن بعض جبال طيرستان، وكان مولاه ورأيه عن رأيه.

ثم تلاشت الدعوة العباسية بعد المترك وتقلص ظلها. واستبد أهل الأطراف بأعمالهم وظهرت دعوة العلوية في النواحي إلى أن ظهر بطيرستان أيام المستعين الحسن بن زيد الداعي العلوي من الزيدية، وقد مر ذكره.

وكان على خراسان محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر، وقد ول على طيرستان عمه سليمان بن عبد الله بن طاهر فكان محمد بن أوس ينوب عنه مستبداً عليه فأسأله السرقة، وانتقض لذلك بعض عمال أهل الأعمال ودعوا جيرانهم الديلم إلى الانتقام.

وكان محمد بن أوس قد دخل بلادهم أيام السلم وأخذه فيها بالقتل والسي، فلما استجدهم أولئك الثوار لحرب سليمان وناته محمد بن أوس نزعوا لاجباتهم واستدعوا الحسن بن زيد من مكانه، وبايعوه جميعاً وزحفوا به إلى آمل فملكونها.

ثم ساروا إلى سارية فهزموا عليها سليمان وملكونها. ثم استولى الحسن الداعي على طيرستان وكانت له ولأخيه

للهجرة، ولم يفتح طيرستان ولا جرجان، وكان يزيد بن الهلب يعيره بذلك إذا قصت عليه أخباره في فتوحات بلاد الترك ويقول: ليست هذه الفتوح بشيء، والشأن في جرجان التي قطعت الطريق وأفسدت قوماً ونيسابور، فلما ولاه سليمان بن عبد الملك خراسان سنة تسع وستين، أجمع على غزوها ولم تكن جرجان يومئذ مدينة إنما هي جبال ومحاصر، يقوم الرجل على باب منها فيمنعه، وكانت طيرستان مدينة وصاحبها الأصبهيد.

ثم سار إلى جرجان مولاه فراسة، وسار الهادي إليهما وحاصرهما حتى استقاما على الطاعة.

ثم بعث المهدي سنة ثمان وستين يحيى الحرشفي في أربعين ألفاً من العساكر فنزل طيرستان وأذعن الديلم.

ثم لحق بهم أيام الرشيد يحيى بن عبد الله بن حسن المثنى فأجاروه، وسرح الرشيد الفضل بن يحيى البرمكي لحربيه، فسار إليهم سنة خمس وستين وماة فأجاربوه إلى التمكين منه على مال شرطوه وعلى أن يحيى يحيط الرشيد وشهادة أهل الدولة من كبار الشيعة وغيرهم، فبذل لهم المال، وكتب الكتاب.

وجاء الفضل يحيى فحبسه عند أخيه جعفر حسبما هو مذكور في أخباره.

وفي سنة تسع وثمانين وماة كتب الرشيد وهو بالري كتاب الأمان لسروين بن أبي قارن ورنداهرمز بارخشان صاحب الديلم، وبعث بالكتاب مع حسن الخادم إلى طيرستان فقدم بارخشان ورنداهرمز وأكرمهما الرشيد وأحسن إليهما، وضمن رنداهرمز الطاعة والخروج عن سروين بن أبي قارن.

ثم مات سروين وقام مكانه ابنه شهريار، ثم زحف سنة إحدى وثمانين وماة عبد الله بن أبي خردابه وهو عامل طيرستان إلى البلاد والسيزير من بلاد الديلم، فافتتحها وافتتح سائر بلاد طيرستان، وأنزل شهريار بن سروين عنها.

وأشخص مازيار بن قارن ورنداهرمز إلى الأمون وأسر أبو ليلى ثم مات شهريار بن سروين سنة عشر ومائتين وقام مكانه ابنه ساپور، فحاربه مازيار بن قارن بن رنداهرمز وأسره، ثم قتله.

ثم انتقض مازيار على المعتصم وحمل الديلم وأهل تلك الأعمال على بيعته كرهاً، وأخذ رهنهم وجيء خراجهم، وخرب جرسان آمل وسارية، ونقل أهلها إلى الجبال وبنى على حدود جرجان سوراً من طين إلى البحر مسافة ثلاثة أميال وحصنه بمثقب، وكانت الأكاسرة بنته سداً على طيرستان من الترك.

وقد نقل أهل جرجان إلى نيسابور وأملأوا له في انتقامه

بعده الدولة المعروفة، كما هو معروف في أخبارهم، أقامت قريباً من أربعين سنة، ثم اقرضت بقتل محمد بن زيد.

ودخل الديلم الحسن الأطروش من ولد عمر بن زين العابدين وكان زيدي المنصب فنزل فيما وراء السعيد دوى إلى آمل، ولبث في الديلم ثلات عشرة سنة وملكهم يومذ حسان بن وهشوان وكان يدعوهم إلى الإسلام ويأخذ منهم العشر ويدافع عنهم ملتهم ما استطاع، فأسلم على يديه منهم خلق كثير، وبنى لهم المساجد، وزحف بهم إلى قزوين فملكها، وسالوس من نصور المسلمين فاطعوه، وملك آمل ودعاهم إلى غزو طبرستان وهي في طاعة ابن سامان فأجابوه وساروا إليها سنة إحدى وثلاثمائة.

ويرز إليها عاملها ابن صعلوك فهزمه الأطروش واستلح سائر أصحابه، ولحق ابن صعلوك بالري، ثم سار إلى بغداد واستول الأطروش على طبرستان وأعمالها، وقد ذكرنا دولته وأخبارها في دول العلوية، وكان استظهاره على أمره بالدليل وقواده في حرثه وولاته على أعماله منهم.

ثم قتل جيوش السعيد بن سامان سنة أربع وثلاثمائة، ودار الأمر بين عقبة قواد الديلم كما هو مذكور في أخبارهم.

### الخبر عن دولة الديلم وتغلبهم على أعمال الخلفاء بفارس والعرaciون

كان للدليل جماعة من القواد بهم استظهر الأطروش وبنوه على أمرهم: منهم سرخاب بن وهشوان آخر حسان، وهو معدود في ملتهم، وكان صاحب جيش أبي الحسين بن الأطروش.

ثم أخوه علي، ولاه المقدار على أصفهان. ثم ليلي بن النعمان من ملوكهم أيضاً وكان قائداً للأطروش وولاه بعد صهره الحسن المعروف بالداعي الصغير على جرجان.

ثم ما كان بن كالي، وهو ابن عم سرخاب وحسان أبي وهشوان، وولاه أبو الحسين بن الأطروش مدينة أستراذ وأعمالها.

ثم كان دون هؤلاء جماعة أخرى من القواد فمنهم من أصحاب ما كان بن كالي أسفار بن شيرويه ومداويخ بن زيار بن بادر وأخوه شمكير وشكري.

ومن أصحاب مداويخ بنو بوبه الملوك الأعظم بمقداد

### أخبار ليلي بن النعمان ومقتله

كان ليلي بن النعمان من قواد الديلم وكان أولاد الأطروش يعنونه في كتابهم إلى المؤيد لدين الله المتصر لأولاد رسول الله صلوات الله عليه وسلم.

وكان كريماً شجاعاً قد ولاه الحسن بن القاسم الداعي الصغير على جرجان بعد الأطروش سنة ثمان وثلاثمائة، فسار من جرجان إلى الدامغان وهي في طاعة ابن سامان، وعليها مولاه قراتكين، فنierzوا إليه وقاتلوه هزمهم وأتّخن فيهم، وعاد إلى جرجان، فابتلى أهل الدامغان حصاناً يمتنعون به.

وسار قراتكين إلى ليلي فبرز إليه من جرجان وقاتلته على عشرة فراسخ فأنهزم قراتكين وأتّخن في عسكره، وسار إليه فارس مولى قراتكين فاكربه وزوجه أخيه وكرت أجناده، وضاقت أمره فأغاره أبو حفص القاسم بن حفص بن ساير، وأمره الحسن الداعي بالمسير إليها فسار وملكها آخر نهان وثلاثمائة وخطب بها للداعي.

وكان سُيُّ الخلق صعب العشرة وأخرجه ما كان من عسكره فاتصل بيكر بن محمد بن يسع في نيسابور وهو عامل عليها من قبل ابن سامان فأكرمه واختصه في العساكر سنة حسن عشرة وثلاثمائة لفتح جرجان وكان ما كان بن كالي يومئذ بطرستان، وولى على جرجان أبا الحسن بن كالي، واستراح بالي علي بن الأطروش فحبسه برجان فجعله عنده في البيت، وقام ليلة إليه ليقتلته فأظفر الله العلوى به وقتلته، وتسرب من الدار وأرسل من الغد إلى جماعة من القواد فجاؤوا إليه وباعوه والبسروه القلسورة، وولى على جيشه علي بن خرشية وكاتبوا أسفار بن شريويه بذلك وهو في طريقه إليهم، واستدعوه فاستأذن بيكر بن محمد وسار إليهم، وسار علي بن خرشية في القيام بأمر جرجان بدعاوة العلوى الذي معهم وضبط ناجيتها.

وسار إليهم ما كان بن كالي في العساكر من طبرستان وقاتلته فهزمه واتبعه إلى طبرستان فملكوها من يده وقاموا بها. ثم هلك أبو علي الأطروش وعلي بن خرشية صاحب الجيش وانفرد أسفار بطرستان وسار بيكر بن محمد بن يسع إلى جرجان فملكها وأقام فيها دعوة نصر بن سامان. ثم رجع ما كان إلى طبرستان وبها أسفار فحاربه وغلبه، وملك طبرستان من يده ولحق أسفار برجان فاقام بها عند بيكر بن يسع إلى أن توفي بيكر، فولاه السعيد على جرجان سنة حسن عشرة وثلاثمائة ثم ملك نصر بن سامان الري بولاية المقدار وولى عليها محمد بن علي بن صالحوك فطرقه المرض في شعبان ستة عشرة وثلاثمائة.

وكاتب الحسن الداعي أسفار ملك جرجان بولاية نصر بن سامان، فاستدعي مرداويع بن زيار من ملوك الجبل وجعله أمير جيشه وسار إلى طبرستان فملكها.

### استياء أسفار على الري واستفحال أمره

ما استولى أسفار على طبرستان ومرداويع معه، وكان يومئذ على الري وملكتها من يد صالحوك كما ذكرناه. واستولى على قزوين وزنجان وأبهر وقم والكرخ ومعه الحسن بن القاسم الداعي الصغير وهو قائم بدعونه.

فلما خالفه أسفار إلى طبرستان وملكتها واستضافها إلى جرجان سار إليه ما كان والداعي وبسارية واقتلوها، وانهزم ما كان وقتل الداعي، وكانت هزيمته بتخاذل الدليل عنه فإن الحسن

وأنفذ السعيد نصر بن سامان عساكره من بخارى مع قواه حويه بن علي ومحمد بن عبد الله البلغمى وأبو حفص بنى سابور وأبو الحسن صالحوك وسيجور الدوانى، فقاتلوا ليلى بن النعمان عن طرس وهزمه، فلحق بأهل وآخضى فيها، وجاءه بقراخان وأخرجه من الاختفاء وأنفذ بالخبر إلى حويه، فامر به قتله وتمام أصحابه، فقتل وحمل رأسه إلى بغداد، وذلك في ربىع سنة تسع وثلاثمائة، وبقي فارس غلام قراتكين برجان، وعاد قراتكين إلى جرجان فاستأمن إليه مولاه فارس فقتلته قراتكين وانصرف عن جرجان.

### أخبار سرخاب بن وهشودان ومهلكه وقيام ما كان بن كالي بمكانه

كان سرخاب بن وهشودان الديلمى من قراد الأطروش وبنيه، وباع ل أبي الحسن بن الأطروش الناصر بعد مهلك أبيه بطرستان وأسترباذ وكان صاحب جيشه، ولما انصرف قراتكين عن جرجان بعد مهلك ليلى بن النعمان، سار إليها أبو الحسن بن الأطروش وسرخاب فملكوها، وأنفذ السعيد نصر بن سامان سنة عشر سيجور الدوانى في أربعة آلاف فارس لقتاله، ونزل على فرسخين من جرجان وحاصرها شهرًا، ثم بزوا إليه، وأكمَن لهم سيجور كميناً فباتوا الكمين وانهزم سيجور واتبعه سرخاب.

ثم خرج الكمين بعد حين وانهزم أبو الحسن إلى أسترباذ وترك جرجان، واتبعه سرخاب في الفل بمختلفه وخلف أصحابه ورجع سيجور إلى جرجان فملكها.

ثم مات سرخاب ولحق ابن الأطروش بسارية فاقام بها واستخلف ما كان بن كالي وهو ابن عم سرخاب، فسار محمد بن عبد الله البلغمى وسيجور لحصاره وأقاموا عليه طربلا.

ثم بذلوا له مالاً على أن يخرج لهم عنها فتقorum لهم بذلك حجة عند ابن سامان ثم يعود ففعل ذلك، وخرج إلى سارية ثم نزل إلى الشمانية عن أسترباذ، وولوا عليها بقراخان فعاد إليها ما كان وملكتها ولحق بقراخان بأصحابه في نيسابور.

### بداية أسفار بن شريويه وتغلبه على جرجان

#### ثم طبرستان

كان أسفار هذا من الدليل من أصحاب ما كان بن كالي،

ذلك فرجع وشرط عليه الخطبة والطاعة فقبل، وانتظم الحال بينهما ورجع إلى السلطة بأهل الري.

ولما كانوا عابوا عليه عسكر القتال ففرض عليهم الأموال وعففهم، وخص أحيل قزوين بالذهب لما تولوا من ذلك، وسلط عليهم الدليل فضاقت بهم الأرض.

### مقتل أسفار وملك مرداویج

كان مرداویج بن زیار من قواد أسفار وكان قد سنم عسفة وطغیانه كما سنم الناس، وبعثه أسفار إلى صاحب سیران الطر الذي ملك أذربیجان بعد ذلك يدعوه إلى طاعته، فقاویه في أمر أسفار وسوء سيرته في الناس، واتفقا على الرثوب عليه به فأجبهوه وفيهم مطرف بن محمد وزير فسار هو وسلاط إليه، وبلغه الخبر فثار به الجندي فهرب إلى الري، وكتب إلى ماکان بن کالی بطرستان يستالفه على أسفار فسار إليه ماکان فهرب أسفار من يهق إلى بست، ثم دخل مقاومة الري قاصداً قلعة الموت التي حصن بها أهله وذريته.

وتفلف عنه بعض أصحابه في المقاومة، وجاء إلى مرداویج يخبره، فسار إليه وتقدم بين يديه بعض القراد فلقي أسفار وساله عن قواده، فأخبره أن مرداویج قتلهم فسر بذلك.

ثم حل القائد إلى مرداویج فلراد أن يحبسه باري فحضره بعض أصحابه غائله، فامر بقتله ورجع إلى الري ولما قتل أسفار تنقل مرداویج في البلاد يملکها، فملك قزوین، ثم الري، ثم همدان، ثم کنکور، ثم الدینور، ثم درجد، ثم قم، ثم قاشان، ثم اصفهان، ثم جریاد، واستحفل ملکه وعشا ونکر، وجلس على سریر النہب، وأجلس اکابر قواده على سریر الفضة، وتقدم لعسكره بالوقوف على البعد منه، ونودي بالخطاب بينهم وبين حاجبه.

### استیلاء مرداویج على طبرستان وجرجان

قد ذكرنا أن الألفة الواقعه بين مرداویج وماکان وظهورهما على أسفار حتى قتل وثبت مرداویج في الملك، واستحفل أمره فتطاول إلى ملك طبرستان وجرجان.

وسار إليهما سنة ست عشرة وثلاثمائة فانهزم ماکان أمامه واستول مرداویج على طبرستان، وولى عليها اسپهسلان، وأمر على عسكره أبا القاسم، وكان حازماً شجاعاً.

كان يشتند عليهم في النهي عن التکر فنکروه، واستقدموا حال مرداویج من الجبل وأسمه هزرسندان وكان مع أحد الطویل بالدامغان، فمکروا بالداعی واستقدامه للاستظهار به، وهم يضمرون تقدیمه عوض ماکان، ونصب أبي الحسن بن الأطروش عوض الحسن الداعی، ودس إلىه بذلك أحد الطویل صاحب الدامغان بعد موت صعلوك، فخذلهم حتى إذا قدم هزرسندان أدخله مع قواد الدیلم إلى قصره بجرجان، ثم قبض عليهم وقتلهم جميعاً، وأمر أصحابه بنهب أموالهم، فامتنع لذلك سائر الدیلم وأقاموا على مضمض حتى إذا كان يوم لقاءه أسفار خذلوه فقتل.

وغر ماکان واستول أسفار على ما كان لهم من الري وقزوین وزنجان وأبهر وقم والکرخ واستضافها إلى طبرستان وجرجان، وأقام فيها دعوة السعید بن سامان.

ونزل سارية واستعمل على الري هارون بن بهرام صاحب جناح، وكان يخطب فيها لأبی جعفر العلوی، فاستدعاه إليه وزوجه من آمل.

وجاء أبو جعفر لولیته مع جماعة من العلوبین فكبسهم أسفار وبعث بهم إلى بخاری فحبسهم بها إلى أن خلصوا مع محبی أخي السعید، وكأنوا في فتیة حسبما ذكرناه.

ولما فرغ أسفار من الري تطاول إلى قلعة الموت ليحصل بها عیاله وذريته، وكانت لسیاه جشم بن مالک الدیلمی ومعه الأسود العین، فاستقدمه أسفار وولاہ قزوین، وساله في ذلك فأجابه فنقل عیاله إليها وسرب الرجال إليهم لخدمتم حتى كملوا مائة.

ثم استدعاه فقبض عليه، وثار أولئک بالقلعة فملکوها، وكان في طريقه إلى الري استأمن إليه صاحب جبلی نهاؤند وقم ابن أمیر کان فملکها، ومر بسممان فاتنت منه صاحبها محمد بن جعفر، وبعث إليه من الري بعض أصحابه فاستأمن إليه وخدعه حتى قتله وتبدل من ظهر القلعة.

ثم استحفل أمر أسفار وانتقض على السعید بن سامان، وأراد أن يتوجه وجلس على سریر النہب، واعتم على حرب ابن سامان والخلیفة، فبعث المقتدر العساکر إلى قزوین مسع هارون بن غریب الحال فقاتلته أسفار وهزمها.

ثم سار بن سامان إلى نیسابور لحربه، فأشار على أسفار وزیره مطرف بن محمد الجرجانی بمسالمة وطاعتة، وبذل الأموال له فقبل إشارته.

وبعث بذلك إلى ابن سامان وتلطّف أصحابه في رجوعه إلى

## استیلاء مرداویج علی اصفهان

ثم بعث مرداویج عسکراً آخراً إلی أصفهان سنة تسع عشرة فملکوها وجلدوا له مساکن احمد بن عبد العزیز بن ابی دلف فنزها وعکسره یومذت اربیعون او خسون القاء، ثم بعث عسکراً ایلی الأهواز وخوزستان فملکوها وجیوا اعمالها، وبعث إلی المقدّر وضمن هذه البلاد عما تی ایل الف دینار في كل سنة فقررت عليه، وأقطعه المقدّر همدان ورماد الكوفة.

## قدوم وشکیر علی أخيه مرداویج

وفي سنة ست عشرة وثلاثمائة بعث مرداویج رسوله من الجند لیائیه بأخيه وشکیر، فبعث إلیه وأبلغه رسالة أخيه واعلمه بمقامه في الملك، فاستبعد ذلك، ثم استغیره وذكر على أخيه مشایعته للمسودة، لأن الدیلم والجبل كانوا شیعة للعلویة بطریستان، فلم يزل الرسول به حتى سار به إلی أخيه، فخرج به إلى قزوین والبسه السواد بعد مراوحة.

وقدم على أخيه بدوساً حافیاً مستوحشاً فلم يكن إلا أن رهف الملك أعطاوه فأصبح أرق الناس حاشیة وأكثر الناس معرفة بالسياسة.

## خبر مرداویج مع ابن سامان علی جرجان

كان أبو بکر المظفر صاحب جبوش ابن سامان بخراسان قد غلب على جرجان واتّزعها من ملکه مرداویج، فلما فرغ مرداویج من أمر خوزستان والأهواز رجع إلى الري وسار منها إلى جرجان، فخرج ابن المظفر عن جرجان إلى نیسابور وبها يومذ السعید نصر بن سامان، فسار لدعاقة مرداویج عن جرجان، وكاتب محمد بن عبد الله البلغمی من قداد ابن سامان مطرف بن محمد وزیر مرداویج واستماله.

وشعر بذلك قتل وزیره وبعث إليه البلغمی يعتذر في قصد جرجان، ويطرق ذلك بالوزیر مطرف، ويدركه حقوق السعید بن سامان قبله وقصور قدرته عنه، ويشير عليه بالنزول له عن جرجان وتقریر المال عليه بالري، فقبل مرداویج إشارته وعاد عن جرجان وانتظم الحال بينهما.

ثم سار إلى جرجان فهرب عامل ماکان عنها وملکها مرداویج، وولى عليها صهره أبي القاسم المذکور خلیفة عنه، ورجع إلى أصفهان ولحق أبو القاسم وهزم، فرجع السائر إلى الدیلم ولحق ماکان بنسابور، واستمدّ أبو علي بن المظفر صاحب جبوش ابن سامان، فسار معه في عساکره إلى جرجان فهزمهما أبو القاسم ورجعا إلى نیسابور.

ثم سار ماکان إلى الدامغان فدفعه عنها أبو القاسم فعاد إلى خراسان.

## استیلاء مرداویج علی همدان والجبل

### وحروبه مع عساکر المقدّر

لما ملك مرداویج بلاد الري أقبلت الدیلم إليه، فأناضل فيهم العطاء، وعظمت عساکره فلم تکفه جباية أعماله، وامتدت عنه إلى الأعمال التي تجاوره، فبعث إلى همدان سنة تسع عشرة جيشاً كثيفاً مع ابن أخته، وبها محمد بن خلف وعسکر المقدّر، فاقتلوها وأعوان على همدان عسکر الخلیفة ظفروا بعسکر مرداویج، وقتلوا ابن أخته، فسار إليهم مرداویج من الري وهرب عسکر الخلیفة من همدان ودخلها عنزة، فأنخر فيها واستلهمهم وبها، ثم أتتهم، وزحفت إليه عساکر المقدّر مع هارون بن غرب الحال فهزمهم بنواحي همدان، وملك بلاد الجبل وما وراء همدان، وبعث قائداً من أصحابه إلى الدينور فقتلها عنزة، وبلغت عساکره نحو حلوان، وامتناعوا عليهم من النهب والسي ورجعوا.

## خبر لشکری في أصفهان

كان لشکری من الدیلم ومن أصحاب أسفار، واستأمن بعد قتلہ إلى المقدّر، وصار في جند هارون بن غرب الحال.

ولما هزم هارون أمام مرداویج سنة تسع عشرة وثلاثمائة، أقام في قرقلين يتظر مدد المقدّر، وبعث لشکری هذا إلى نهادند بیته بمال منها، فتغلب عليها وجمع بها جنداً، ثم ضرس إلى أصفهان في متصرف السنة وبها أحد بن كیفلخ فحاربه وهزم، وملك أصفهان، ودخل إليها عسکرها، وأقام هو بظاهرها، فرأى لشکری فقصده يظنه من بعض جنده أي أحد، فلما تراءى دافع أحد بن كیفلخ عن نفسه فقتل وهرب أصحابه ورجع ابن كیفلخ إلى أصفهان.

## بداية أمر بنى بويه

وأن أبا شجاع استبعد ذلك واستتركته لما كانوا عليه من توسط الحال في المعيشة، فرجع العبر إلى السؤال عن وقت مواليدهم فأخبروه بها، وكان منجماً فعدل طوالعهم وقضى لهم جميعاً فروعدهم وانصرف.

ولما خرج قواد الدليم لملك البلاد واتشروا في الأعمال مثل ليلى وما كان وأسفار ومراوديوج خرج مع كل واحد منهم جر ع من الدليم رؤوس وأتباع، وخرج بنو أبي شجاع هؤلاء في جلة قواد مكان، فلما اضطرب أمره وغلبه مراوديوج عن طبرستان وجرجان مرة بعد مرة حتى آخر بنسابور مهزوماً فاعتزم بنو بويه على فراقه واستأذنوه في ذلك، وقالوا إنما تفارقك تحقيقاً عليك فإذا صلح أمرك عدنا إليك.

وساروا إلى مراوديوج، وتبعتهم جماعة من قواد مكان فقبلهم مراوديوج، وقلد كل واحد منهم ناحية من نواحي الجبل، وقلد على بن بويه كرس وكتب لهم العهود بذلك.

وساروا إلى الري وبها يومذا أخوه وشمكير ومعه وزيره الحسين بن محمد العميد والد أبي الفضل.

ثم بدا لمراوديوج في ولاية هؤلاء القواد المستأذنة فكتب إلى أخيه وشمكير ووزيره العميد بردهم عن تلك الأعمال.

وكان علي بن بويه قد أسلف عند العميد يداً في بغلة فارهة عرضها للبيع، واستأذنها العميد فوهبها له فرعى له العميد هذه الوسيلة.

فلما قرأ كتاب مراوديوج دس إلى ابن بويه بأن يغدو السير إلى عمله فسأله من حيث.

وقدما وشمكير على بقية القواد، فاستعاد العهود من أيديهم، وأمر ابن بويه وأشار عليه أصحابه بترك ذلك لما فيه من الفتنة فتركه.

### ولاية عماد الدولة بن بويه على كرج وأصفهان

ولما وصل عماد الدولة إلى كرج ضبط أمورها وأحسن السياسة في أهلها وأعمالها، وقتل جماعة من الخرمية كانوا فيها وفتح قلاعهم، وأصاب فيها ذخائر كثيرة فألفوها في جنده فشاع ذكره وحدت سيرته، وكسب أهل الناحية إلى مراوديوج بال八卦، وجاء من طبرستان إلى الري وأطلق مالاً لجماعه من قواده على كرج فاستأذنهم عماد الدولة وأحسن إليهم، فاقاماً عنده.

وكانوا إخوة ثلاثة أكبرهم عماد الدولة أبو الحسن علي، وركن الدولة الحسن، ومعز الدولة أبو الحسن أحد.

لتهم بهذه الألقاب الخلفاء عندما ملكوا الأعمال، وقلدوهم إياها على ما ذكر بعد، وهم الذين تولوا حجر الخلفاء بعد ذلك ببغداد كما يأتي.

وابوهم أبو شجاع بويه بن قناخس وللناس في نسبهم خلاف: فأبوا نصر بن ماكولا ينسبهم إلى كوهي بن شيرزيك الأصغر ابن شيركيه بن شيرزيك الأكبر ابن سران شاه بن سيرقند بن سيسانشاه بن سير بن فیروز بن شروزيل بن سنساد بن هراهم جور، وبقية النسب مذكور في ملوك الفرس.

وابن مسکويه قال: يزعمون أنهن من ولد يزدجرد بن شهريار آخر ملوك الفرس.

والحق أن هذا النسب مصنوع تقرب إليهم به من لا يعرف طبائع الأنساب في الوجود، ولو كان نسبهم ذا خلل في الدليم لم تكن لهم تلك الرياسة عليهم، وإن كانت الأنساب قد تتغير وتختفي وتنتقل من شعب إلى شعب ومن قوم إلى قوم فإنما هو بطول الأعصار وتناقل الأجيال واندراس الأزمان والأحقب.

اما هؤلاء فلم يكن بينهم وبين يزدجرد وانقطاع الملك من الفرس إلا ثلاثة سنة، فيها سبعة أجيال أو ثمانية أجيال ميزت فيها أنسابهم وأحصيت أعقابهم فكيف يدرك مثل هذه الأنساب الخفاء في مثل هذه الأعصار.

وإن قلنا كان نسبهم إلى الفرس ظاهراً منع ذلك من رياستهم على الدليم فلا شك في هذه التقادير في ضعة هذا النسب والله أعلم.

وأما بدايتها فانهم كانوا من أوسط الدليم نسباً وحالاً. وفي أخبارهم أن أباهم أبا شجاع كان قفيراً، وأنه رأى في منامه أنه يبول فخرج من ذكره نار عظيمة فاستضاءت الدنيا بهاء، فاستطالت وارتقت إلى السماء، ثم افترقت ثلاثة شعب ومن كل شعب عدة شعب فاستضاءت الدنيا بها والناس خاضعون لتلك النيران.

وان عابراً عبر له الرؤيا بأنه يكون له ثلاثة أولاد يملكون الأرض، ويعلو ذكرهم في الآفاق كما علت النار، ويولد لهم ملوك بقدر الشعب.

عبوره، واضطربه للحرب، فتحاربوا واستأمن جماعة من أصحاب ابن بويه إلى ياقوت فقتلهم، فخشبة الباقون واستمروا.

وقدم ياقوت أيام عسركه رجاله بقوار الفط، فلما أشعلاها وقذفت أعادتها الريح عليهم فعلقت بهم فاضطربوا، وخالطتهم أصحاب ابن بويه في موقفهم وكانت الدبرة على ياقوت.

ثم صعد إلى ربوة ونادي في أصحابه بالرجوع، فاجتمع إليه نحو أربعة آلاف فارس، وأراد الحملة عليهم لاشتغالهم بالتهب فقطعوا له، وتتركوا التهب وقصدوه فانهزم واتبعوه فائثروا فيهم، وكان معز الدولة أحد بن بويه من أشد الناس بلاء في هذه

الحرب، ابن تسع عشرة سنة لم يطر شاربه.

ثم رجعوا إلى السواد فنهبوا وأسرموا جماعة منهم، فأطلقهم ابن بويه وخيرهم، فاختاروا المقام عنده فأحسن إليهم، ثم سار إلى شيراز فأنتمها ونادي بالمنع من الظلم، واستولى على سائر البلاد وعرفوه بذخائر في دار الإمارة وغيرها من ودائع ياقوت وذخائر بيبي الصفار، فنادي في الخند بالعطاء وأذاج عللهم، وامتلأت خزاناته، وكتب إلى الراضي وقد أفضت إليه الخلافة، وإلى وزيره أبي علي بن مقلة تقرير البلاد عليه بالف درهم فأجيب إلى ذلك، وبعثوا إليه بالخلع واللواء، وكان محمد بن ياقوت قد فارق أصفهان بعد أن جاها شهررين، وسار إلى أرjan وكان أبو بكر بن ياقوت من أصفهان والياً عليها، ففضل عنها.

ولما بلغ خبر أصفهان إلى مرداويج اضطرب، وكتب إلى عماد الدولة بن بويه يعاتبه ويستميله، ويطلب منه إظهار طاعته، ويعده بالعساكر في البلاد والأعمال، ويخطب له فيها.

وأستراب مرداويج فكتب إلى عماد الدولة في استدعائهم، فدائعه وحمله منه فحدروا.

ثم استأمن إليه سيراذ من أعيان قواد مرداويج، فكشف به جمه وسار إلى أصفهان وبها المظفر بن ياقوت من قبل القاهر، في عشرة آلاف مقاتل، وعلى خراجها أبو علي بن رستم، فاستأذنها في الانحياز إليهم، والدخول في طاعة الخليفة، فأعراض عنهم، ومات خلاد ذلك ابن رستم ويرز ابن ياقوت من أصفهان لما دفعته، واستأمن إليه من كان مع ابن ياقوت من الجبل والدليم، ثم لقيه عماد الدولة في تسمانة فهزمه وملك أصفهان.

### استيلاء ابن بويه على أرjan وأخواتها ثم على شيراز وببلاد فارس

ولما بلغ خبر أصفهان إلى مرداويج اضطرب، وكتب إلى عماد الدولة بن بويه يعاتبه ويستميله، ويطلب منه إظهار طاعته، ويعده بالعساكر في البلاد والأعمال، ويخطب له فيها.

وأجهز له أخاه وشمكير في جيش كثيف ليكبسه وهو مطئن إلى تلك الرسالة، وشعر ابن بويه بالنكبة فرحل عن أصفهان بعد أن جاها شهررين، وسار إلى أرjan وكان أبو بكر بن ياقوت من أصفهان والياً عليها، ففضل عنها.

ولما ملك ابن بويه أرjan كاتبه أهل شيراز يستدعونه إليهم، وعليهم يومئذ ياقوت عامل الخليفة، وقتلت وطأته عليهم وكشر ظلمه، فاستدعاهم ابن بويه وخام عن المسير إليهم، فأعادوا إليه الكتاب بالحث على ذلك، وأن مرداويج طلب الصلح من ياقوت فعاجل الأمر قبل أن يجتمعوا، فسار إلى نوبندجان في ربیع سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة وسبقه إليها مقدمة ياقوت في النين من شجعان قومه.

فلما وفاهم ابن بويه انهزموا إلى كرمان وجاءهم ياقوت هنالك في جميع أصحابه.

وأقام عماد الدولة بالنوبندجان، وبعث أخاه ركن الدولة الحسن إلى كازرون وغيرها من أعمال فارس، فلقي هنالك عسركاً لياقوت فهزمه وجيئ تلك الأعمال ورجع إلى أخيه بالأموال.

ثم وقعت المراسلة بين مرداويج وياقوت في الصلح وسار وشمكير إليه عن أخيه ليصيدهما فخشبيهما عماد الدولة وسار من نوبندجان إلى اصطخر، ثم إلى البيضاء وياقوت في اتباعه.

وسقه ياقوت إلى قطرة على طريق كرمان فصده عن

### استيلاء مakan بن كالي على الري

قد ذكرنا في دولة بني سامان أن آبا عليي محمد بن الياس كان سنة اثنين وعشرين وثلاثمائة بكرمان متقطضاً على السعيد، فبعث إليه في هذه السنة جيشاً كثيفاً فاستولى على كرمان، وأقام فيها الدعوة لابن سامان، وكان أصل محمد بن الياس من أصحاب السعيد فسخطه وحبسه ثم أطلقه بشفاعة البلغمي.

وبعث مع صاحب خراسان محمد بن المظفر إلى جرجان حتى إذا خرج أخوه السعيد من مجسمهم، وبايعوا ليعيسى منهم، كان محمد بن الياس معهم حتى تلاشى أمرهم، ففارقه ابن الياس من تيسابور إلى كرمان فاستولى عليها إلى هذه القافية فازله عنها مكاناً ولحق بالدينور وأقام مكاناً والياً بكرمان بدعوة بني سامان.

فاغلق باب الحمام ودعنه من ورائه بسرير الخشب الذي كان صاعداً عليه، فصعدوا إلى السطح وكسروا الجامات ورموه بالسهام فالخجر في زوايا الحمام وكسروا الباب عليه وقتلوه.

وكان الذي تولى كبر ذلك جماعة من الأتراك، وهم تورون الذي صار بعد ذلك أمير الأمراء ببغداد، وبفارق بن بقاراخان ومحمد بن نسال الترجان ومحكم الذي ول إمارة الأمراء قبل تورون.

ولما قتلوه خرجوا إلى أصحابهم فركبوا ونهبوا قصر مرداویج وهربوا.

وكان الديلم والجبل بالمدينة فركبوا في أثرهم فلم يدركوا منهم إلا من وقت ذاته فقتلواهم، وعادوا لنهب الخزائن، فوجدوا العميد قد أضرمها ناراً.

ثم اجتمع الديلم والجبل وباعوا أخاه وشکیر بن زيارة وهو باليزي، وحملوا معهم جنازة مرداویج، فخرج وشکیر وأصحابه لتلقיהם على أربع فراسخ حفاة، ورجع العسكر الذي كان بالأهواز إلى وشکیر واجتمعوا عليه، وتركوا الأهواز لياقتلون فملكتها، وقام وشکیر بذلك أخيه مرداویج في الديلم والجبل، واقام باليزي، وجرجان في ملكه.

وكتب السعيد بن سامان إلى محمد بن المظفر صاحب خراسان، وإلى مكان بن كالي صاحب كرمان بالمسير إلى جرجان والري، فسار ابن المظفر إلى قومس ثم إلى بسطام، وسار مكان على المقابلة إلى الدامغان واعتبره الديلم من أصحاب وشکیر في جيش كثيف فهزموهم ولحق بنيسابور آخر ثلاث وعشرين وثلاثمائة، وجعلت ولادتها لاماكان بن كالي فآقام بها.

وسار أبو علي بن الياس إلى كرمان بعد انتصار ما كان عنها فملكتها وصفت له بعد حروب شديدة طويلة مع جيوش السعيد بن سامان، وكان له الظفر آخرأ.

وأما الأتراك الذين قتلوا مرداویج فانترقوا في هزيمتهم فرقتين، فسارت فرقة إلى عماد الدولة بن بويه وهو الأقل، وفرقة إلى الجبل مع محكم وهم الأكثر فجعوا خراج الدينور وغيره.

ثم ساروا إلى النهروان وكانت الراضي في المسير إلى بغداد فأذن لهم واستراب الحجرية بهم، فردهم الوزير ابن مقلة إلى بلد الجبل وأطلق لهم مالاً فلم يرضوا به، فكابتهم ابن رائق وهو يومئذ صاحب واسط والبصرة فلحقوا به، وقدم عليهم محكم، فكاتب الأتراك من أصحاب مرداویج قدم عليه منهم عدة وافرة، واحتضن محكم وتولاه ونعته بالرافق نسبة إليه، وأمره أن يرسمها

## مقتل مرداویج وملک أخيه وشکیر من

بعد

لما استفحلا أمر مرداویج كما قلنا عننا وتجبر وتوسج بتاج مرصع على هيئة تاج كسرى، وجلس على كرسى الذهب وأجلس أكابر قواده على كراسى الفضة، واعتزم على قصد العراق، وبني المدائن وقصور كسرى وأن يدعى بشاه.

وكان له جند من الأتراك، كان كثير الإساءة إليهم، وسميمهم الشياطين والمردة فقتلوا وطائفه على الناس، وخرج ليلة الميلاد من سنة ثلات وعشرين وثلاثمائة، إلى جبال أصفهان وكانتوا يسمونها ليلة الوقود لما يضرم فيها من النيران.

فأمر جميع الخطب على الجبل من أوله إلى آخره أمثال الجبال والتلال، وجمع الفي طائر من الغربان والحدأت، وجعل النفط في أرجلها ليضرم الجبل ناراً حتى يضيء الليل. واستكثر من أمثال هذا اللعب، ثم عمل سماتاً للأكل بين يديه فيه مائة فرس ومائتا بقرة وثلاثة آلاف كبش وعشرة آلاف من الدجاج وأنواع الطير، وما لا يخصى من أنواع الحلوى، وبهذا ذلك كله لياكل الناس، ثم يقرونوا إلى مجلس الشرب والنذمان فتشعل النيران.

ثم ركب آخر النهار ليطوف على ذلك كله بنفسه، فاختصره وسخط من تولى ترتيبه، ودخل خيمته مغضباً ونام، فارجف القوارد يومته فدخل إليه وزيره العميد وأيقظه، وعرفه بما الناس فيه، فخرج وجلس على السساطة وتناول لفمتين ثم ذهب، وعاد إلى مكانه، فقام في مسكنه بظاهر أصفهان ثلاثة لا يظهر للناس.

ثم قام في اليوم الرابع ليعود إلى قصره بأصفهان فاجتمعت العساكر ببابه، وكثير صهيل الخيل ومراحها فاستيقظ لكثره الضجيج، فازداد غضبه وسأل عن أصحاب الدواب، فقيل إنها للأتراك نزلوا للخدمة وتركوها بين يدي الغلمن، فأمر أن تحمل عنها السروج، وتجعل على ظهور الأتراك ويقودونهم إلى أصطبغات الخيل، ومن امتنع من ذلك ضرب، فأمسكوا ذلك على أربع الميتات، وأصطنعوا بذلك عليه، واتفقوا على الفتاك به في الحمام.

وكان كورتكين يحرسه في خلواته وحامه، فسخطه ذلك اليوم وطرده، فلم يتقدم إلى الحرس لمراعته ودخلوا الخادم الذي يتولى خدمته في الحمام في أن يفقده سلاحه، وكان يحمل خنجراً فكسر حديد الخنجر وترك الصابب لمرداویج، فلم يجد له حداً

في كتابه.

## استيلاء ما كان على جرجان وانتقامه على

ابن سامان

## مسير معز الدولة بن بوه إلى كرمان

### و هزيمته

قد ذكرنا انه زام ما كان على جرجان أيام باغين الدليمي ورجعه إلى نيسابور، فقام بها ثم بلغ الخبر بهلك باغين بجرجان فاستاذن ما كان محمد بن المظفر في الخروج لاتباع بعض أصحابه هرب عنه وطالبه به عارض الجيش فأذن له، وسار إلى أسفريين وبعث معه جماعة من عسكره إلى جرجان فاستولى عليها. ثم أظهر لوقته الانتقام على ابن المظفر وسار إليه بنيساپور، فتخاذل أصحابه وهرب عنها إلى سرخس، وعاد عنها مكان خوفاً من اجتماع العساكر عليه. وذلك في رمضان سنة أربع وعشرين وثلاثمائة.

**الخبر عن دولة بنى بوه من الدليم المغلبين على العراقيين وفارس والمستبدین على الخلافاء ببغداد من خلافة المستكفي إلى أن صاروا في كفالتهم وتحت حجرهم إلى انقراض دولتهم وأولية ذلك ومصائره**

قد تقدم لنا التعريف ببني بوه وذكر نسيبهم وهم من قرداد الدليم الذين تطاولوا للاستيلاء على أعمال الخلافاء العباسيين، ولما لم يروا عنها مدافعاً ولا لها حامية فتقىلوا في نواحيها، وملك كل واحد منهم أعملاً منها. واستولى بنو بوه على أصفهان والري، ثم انعطروا على بلاد فارس فملوكها أرجنان وما إليها.

ثم استولوا على شيراز وأعمالها وأحاطوا بأعمال الخلافة بتوسيع بغداد من شرقها وشمالها، وكانت الخلافة قد طرقتها الإعلال، وغلب عليها الموالي والصنائع، وقد كان أبو بكر محمد بن رائق عملاً بواسطه، واضطرب حال الراضي ببغداد فاستقدمه وقلده إمرة الجوش، ونعته أمير الأمراء.

وكان بنو البريدي في خوزستان والأهواز فغضوا به، ووقدت الوحشة بينه وبينهم فبعث ابن رائق بدرًا الخرشني ويحكم الذي نزع إليه أتراك مرداويج، فساروا في العسكر لقتال ابن البريدي، واستولوا على الأهواز سنة خمس وعشرين وثلاثمائة ولحق ابن البريدي بعماد الدولة بن بوه لما ملك العراق، وسهل

لما ملك عماد الدولة بن بوه وأخوه ركن الدولة بلاد فارس والجبل، بعثا أناهما الأصغر معز الدولة إلى كرمان خالصة له، فسار في العسكر إليها سنة أربع وعشرين وثلاثمائة واستولى على السيرجان وكان إبراهيم بن سيجور الدواني قائد ابن سامان يحاصر محمد بن الياس بن اليسع في قلعته هنالك.

فلما بلغه خبر معز الدولة سار من كرمان إلى خراسان، وخرج محمد بن الياس من القلعة التي كان محاصراً بها إلى مدينة قم على طرف المقازة بين كرمان وسجستان فسار إلى جيرفت وهي قبة كرمان. وجاء رسول علي بن أبي الزنجي المعروف بعلي بن كلونة أمير القفص والبلوص، كان هو وسلفة متغلبين على تلك الناحية ويعطون طاعتهم للأمراء والخلفاء على بعد ويخملون إليهم المال.

فلما جاء رسوله بالمال امتنع معز الدولة من قبوله إلا بعد دخول جيرفت، فلما دخل جيرفت صالحه وأخذ رنه على الخطبة له.

وكان علي بن كلونة قد نزل بمكان صعب المسالك على عشرة فراسخ من جيرفت، فأشار على معز الدولة بعض أصحابه أن يغدر به ويكبسه ففعل ذلك، وأتى لعلي بن كلونة عيونه بالخبر، فأරصد جماعة معز الدولة بمضيق في طريقه، فلما مر بهم سارياً ثاروا به من جوانبه وقتلوا من أصحابه وأسرموا وأصابته جراح كبيرة، وقطعت يده السرى من نصف الذراع، وأصابع يده اليمنى وسقط بين القتلى، وبلغ الخبر إلى جيرفت فهرب أصحابه منها، وجاء علي بن كلونة فحمله من بين القتلى إلى جيرفت وأحضر الأطباء لعلاجه، وكتب إلى أخيه عماد الدولة يعتذر ويبدل الطاعة فاجابه وأصلحه، وسار محمد بن الياس من سجستان إلى بلد خبابة فترجه إليه معز الدولة وهزم وعاد ظافراً، ومر بابن كلونة فقاتله وهزم واثنخ في أصحابه، وكتب إلى أخيه عماد الدولة يخبره مع ابن الياس وأبن كلونة، فبعث قائداً من قرداد واستقدمه إليه بفارس فأقام عنده بإصطخر إلى أن قدم عليهم أبو عبد الله البريدي منهزاً من ابن رائق ويحكم المتغلبين على الخلافة ببغداد، فبعث عماد الدولة أخاه معز الدولة وجعل له ملك العراق عرضاً عن ملك كرمان كما يذكر بعد.

عليه أمره.

وذلك عند رجوع أخيه معز الدولة من كرمان وامتناعها عليه كما ذكرناه فبعث معه العساكر.

الدليل، وأن الوزير أبا جعفر الصيمرى كان على خراجها مختصراً بقلعة السوس، فسار ركن الدولة إلى السوس وهرب عساكر ابن البريدي بين يديه.

ثم سار إلى واسط ليستولي عليها لأنه قد خرج عن أصفهان وليس له ملك يستقل به، فنزل بالجانب الشرقي وسار الراضي ويحكم من بغداد لحربه، فاضطرب أصحابه، واستأمن جماعة منهم لابن البريدي فخام ركن الدولة عن اللقاء، ورجع إلى الأهواز فسار إلى أصفهان، وهزم عسکر وشکیر بها وملکها.

وكان هو وأخوه عماد الدولة بعثا لابن عحتاج صاحب خراسان بمحضاته على مكان ووشمکیر، واتصلت بينهم مودة.

### مسير معز الدولة إلى واسط والبصرة

كان ابن البريدي بالبصرة وواسط قد صالح يحكم أمير الأماء ببغداد، وحرضه على المسير إلى الجبل ليرجعها من يد ركن الدولة بن بويه، ويسير هو إلى الأهواز فيرجمها من يد معز الدولة.

واستعد يحكم فأمده بخمسةمائة رجل، وسار إلى حلوان في انتظاره.

وأقام ابن البريدي يترىص به، ويتضرر أن يبعد عن بغداد فيهجم هو عليها، وعلم يحكم بذلك فرجع إلى بغداد، ثم سار إلى واسط فانتزعاها من يد ابن البريدي، وذلك لسنة ثمان وعشرين وثلاثمائة وولي الخليفة المتقى، وكان ظل الدولة العباسية قد نقص حتى قارب التلاشي والاضمحلال وتحكم على الدولة بعد مولاه ابن رائق وابن البريدي الذي كان يراوحه في التغلب على الدولة، فبعث عساكره من البصرة إلى واسط، فسرح إليه يحكم العساكر مع مولاه تورون فهو زمهم، وجاء يحكم على أثره، ولقيه خبر هزيمتهم، فاستقام أمره، وطفق يتصدى في تلك النواحي إلى أن عرض له بعض الأكراد من له عنده شار وهو منفرد عن عسکره قتله، وافتلق أصحابه فلحق جماعة من الآتراك بالشام، وقدمهم تورون.

وول الباقيون عليهم يكسك مولى يحكم.

وكان الدليل عند مقتله قد ولوا عليهم باسوار بن ملك بن مسافر بن سلار وسلام جده صاحب شميران الطرم الذي داخل مرداويج في قتل أسفار وملك ابنه محمد بن مسافر بن سلار أذربيجان، فكانت له ولولته بها دولة.

### استيلاء معز الدولة بن بويه على الأهواز

ما لحق أبو عبد الله البريدي بعماد الدولة ناجياً من الأهواز، مستجداً له، بعث أخاه معز الدولة في العساكر بعد أن أخذ منه ابنه أبا الحسن عماداً وأبا جعفر الفياض رهناً.

وسار معز الدولة سنة ست وعشرين وثلاثمائة فانتهى إلى أرجان ويحكم جاء للقاهم، وانهزم أمامهم إلى الأهواز فاتّم بها، وأنزل بها بعض عسکره في عسکر مكرم، فقاتلوا معز الدولة ثلاثة عشر يوماً ثم انهزموا إلى تستر، فرحل معز الدولة إلى عسکر مكرم، وأنفذ ابن البريدي خليفته إلى الأهواز.

ثم بعث إلى معز الدولة بآن ينتقل إلى السوس، ويعود عنه فيؤمن له الأهواز فعزله وزيره أبو جعفر الصيمرى، وغيره من أصحابه، وأرزوه أن البريدي يخادعه، فامتنع معز الدولة من ذلك، وبلغ احتلالهم إلى يحكم، فبعث عسکراً من قبله فاستولى على الناس وجد نيسابور وبقية الأهواز بيد ابن البريدي وعسکر مكرم بيد معز الدولة.

وضاق حال جنده وخدموا في الرجوع إلى فارس فراغدهم شهر، وكتب إلى أخيه عماد الدولة بالخبر، فبعث إليه مددًا من العسکر، فعادوا واستولوا على الأهواز.

وسار يحكم من واسط فاستولى على بغداد وقلده الراضي إمارة الأماء، وهرب ابن رائق فاختفى ببغداد.

### انتزاع وشکیر أصفهان من يد ركن الدولة ومسيره إلى واسط ثم استرجاعه أصفهان

قد ذكرنا أن وشکیر المستولى بعد أخيه مرداويج على الري، وكان عماد الدولة استولى على أصفهان ودفعها إلى أخيه ركن الدولة فبعث إليها وشکیر سنة سبع وعشرين وثلاثمائة جيشاً كثيفاً من الري فملکوها من يده وخطبوا فيها لوشکیر.

ثم سار وشکیر إلى قلعة الموت فملکوها، ورجع فلتحق ركن الدولة بياضطخر، وجاءه هنالك رسول أخيه معز الدولة من الأهواز بآن ابن البريدي أنفذ جيشاً إلى السوس وقتل قائدها من

تورون والمستكفي لدفاعه، ففارقاها وعاد إلى الأهواز.

### استيلاء معز الدولة بن بویه على بغداد واندراج أحكام الخلافة في سلطانه

ثم إن تورون في فاتح سنة أربعين وثلاثين عقد الأتراك الرياسة عليهم لابن شيرزاد، ولولاه المستكفي إمرة الأمراء في الأرزاق، فضاقت الجبايات على العمال والكتاب والتجار، وأامتدت الأيدي إلى أموال الرعايا، وفشا الظلم وظهرت اللصوص، وكبسو المأذل وأخذ الناس في الجلاء عن بغداد.

ثم استعمل ابن شيرزاد على واصل نیال کوشہ، وعلى تكريت الفتح البشکری فانتقض، وسار الفتح لابن حدان فولاہ على تكريت من قبله وبدعوته، ویبعث نیال کوشہ إلى معز الدولة وقام بدعوته.

واستدعاه ملك بغداد فزحف إليها في عساكر الدیلم، ولقبه ابن شیرزاد والأکراد فهزهم، وحقروا بالموصل وأخفي المستكفي وقدم معز الدولة کاتبه الحسن بن محمد المھلی إلى بغداد فدخلها، وظفر الخليفة من الاختفاء، وحضر عند المھلی فبايع له عن معز الدولة أحد بن بویه، وعن أخيه عماد الدولة ورکن الدولة الحسن وولاه المستكفي على أعمالهم ولقبهم بهذه الألقاب ورسوها على سکته.

ثم جاء معز الدولة إلى بغداد فملكها وصرف الخليفة في حکمها، واحتضن باسم السلطان، ویبعث إليه أبو القاسم البریدی صاحب البصرة فضم واسط وأعمالها وعقد لها عليها.

### خلع المستكفي وبيعة المطیع وما حدث في الجباية والإقطاع

و بعد أشهر قلائل من استيلاء معز الدولة على بغداد غي إلى أن المستكفي يريد الإدالة منه فشكرا له، وأجلسه في يوم مشهود للقاء وافقه أصحاب خراسان، وحضر معز الدولة في قومه وعشائره، وأمر رجالين من قباه الدیلم بالفتک بالخلافة، فتقدما ووصلاه ليقبلان يد المستكفي، ثم جذباه عن سريره وقاداه ماشيأ واعتقلاه بداره، وذلک في متصرف أربع وثلاثين وثلاثمائة فاضطرب الناس وعظم النهب، ونهبت دار الخلافة.

وبایع معز الدولة للفضل بن المقدّر ولقبه المطیع الله،

ووقعت الفتنة بين الدیلم والأتراك فقتله الأتراك، وول الدیلم مكانه کورتكین، ولحقوا بابن البریدی فزحف بهم إلى بغداد.

ثم تنکروا واتفقوا مع الأتراك على طردہ فلحقوا بواسط، واستفحلا الدیلم وغلبوا الأتراك وقتل کورتكین كثيراً من الدیلم، واستبدل بامرأة الأمراء ببغداد.

ثم جاء تورون من الشام بابن رائق وهزم کورتكین الدیلم وقتل أكثرهم، وانفرد ابن رائق بامرأة الأمراء ببغداد سنة اثنين وثلاثمائة.

وكان ابن البریدی في هذه الفترة بعد میکم قد استولى على واسط، فبعث إليه ابن رائق واستوزره فعمل على أن يقيس بمكانه ويستخلف ابن شیرزاد ببغداد، ثم سار إليهم إلى واسط فهرب ابن رائق والمقتفي إلى الموصل، وتختلف عنهم تورون، وغاث أصحاب ابن البریدی في بغداد، فشكرا له الناس.

ولما وصل المقتفي إلى ابن حدان إمرة المرأة بمكانه، وقصدوا بغداد فهرب، وخالقه تورون إلى المقتفي وابن حدان وملکوا بغداد.

وسار سيف الدولة أمام ابن البریدی وخرج ناصر الدولة في اتباعه، فنزل المداين وانكشف سيف الدولة أمام ابن البریدی حتى انتهوا إلى أخيه ناصر الدولة بالمداين، فأملأه ورجع فهزם ابن البریدی وغلبه على واسط فملکها، وتحقیق ابن البریدی بالبصرة وأقام سيف الدولة بواسط يتظاهر المدد ليسير إلى البصرة، وجاءه أبو عبد الله الكوفي بالأموال، فشنق عليه الأتراك في طلب المال وثاروا به، ومقدمهم تورون، فهرب إلى بغداد وهم في اتباعه، وكان آخره قد انصرف إلى بغداد، ثم إلى الموصل فلحق به، ودخل تورون بغداد وولي الأمر بها.

ثم استوحش من المقتفي وتریص مسیره إلى واسط لقتال ابن البریدی، وسار إلى الموصل سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة ومعز الدولة بن بویه في أثناء هذا كله مقیم بالأهواز، مطل على بغداد وأعمال الخليفة يروم التغلب عليها، وأخوه عماد الدولة بفارس، ورکن الدولة بأصفهان والری، فلما سار المقتفي من الرقة إلى تورون خلمه وسلمه ونصب المکتفی.

وقد قدمنا هذه الأخبار كلها مستوعبة في أخبار الدولة العباسية وإنما أعدناها توطئة لاستيلاء بنی بویه على بغداد واستبدادهم على الجلالة.

ثم عاد معز الدولة إلى واسط سنة ثلاث وثلاثين نسار

شيرزاد فاستحثه إلى بغداد سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة وخالفه معز الدولة إلى تكريت ونهاها، وتسابقاً إلى بغداد، فنزل معز الدولة والمطیع بالجانب الشرقي وابن حدان بالجانب الغربي، فقطع الميرة عن معسکر معز الدولة فغلت الأسعار وعزت الأقواء، ونهب عسکره مراراً فضاق به الأمر واعتنم على العود إلى الأهواز فأمر وزيره أبي جعفر الصimirي بالعبور في الساکر لقتال ابن حدان فظفر به الصimirي وغنم الديلم أمواهم وظهرهم.

ثم أمن معز الدولة الناس وأعاد المطیع إلى داره في حرم سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة ورجع ابن حدان إلى عكرا، وأرسل في الصلح سراً فتكر عليه الآراك التورونية وعمروا بقلته، وفر إلى الموصل ومعه ابن شيرزاد، ثم صالحه معز الدولة كما طلب.

ولما فر عن الآراك التورونية أعلمهم تكين الشيرازي فقبضوا على من تخلف من أصحابه، وساروا في اتباعه وقبض هر في طريقه على ابن شيرزاد، وتجاوز الموصل إلى نصبيين فملكتها تكين، وسار في اتباعه إلى السندي، فلحقه هناك عسکر من معز الدولة كما طلب، وأمده به مع وزيره أبي جعفر الصimirي، وقاتل الآراك فهزمه، وسار إلى الموصل هر والصimirي فدفع ابن شيرزاد إلى الصimirي وحمله إلى معز الدولة، وذلك سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة.

## استيلاء معز الدولة على البصرة والموصل وصلحه مع ابن حدان

وفي سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة انتقض أبي القاسم بن البريدي بالبصرة، فجهز معز الدولة الجيش إلى واسط ولقيهم جيش ابن البريدي في الماء وعلى الظهر، فانهزما إلى البصرة وأسروا من أعيانهم جماعة.

ثم سار معز الدولة ستة ست وثلاثين وثلاثمائة إلى البصرة ومعه المطیع كارهاً من قاتل أبي القاسم البريدي، وسلكوا إليها البرية وبعث القرامطة يعللون في ذلك معز الدولة، فكتب يتهددهم، ولما قارب البصرة استأمنت، إليه عساکر أبي القاسم، وهرب هو إلى القرامطة فاجاروه وملك معز الدولة البصرة ثم سار هو منها إلى الأهواز ليلقى أخاه عماد الدولة، وترك المطیع وأبا جعفر الصimirي بالبصرة، وانتقض على معز الدولة كركير من أكبر الديلم، فقاتله الصimirي وهزمه وأسره، وحبسه معز الدولة بقلعة رامهرمز.

وأحضر المستكفي فأشهد على نفسه بالخلع، وسلم على المطیع بالخلافة، وسلب الخليفة من معانى الأمر والنهي وصیرت الوزارة إلى معز الدولة يولى فيها من يرى.

وصار وزير الخليفة مقصورة النظر على إقطاعه ومقنات داره، وتسلم عمال معز الدولة وجنده من الديلم وغيرهم أعمال العراق وأراضيه ولاية وإقطاعاً حتى كان الخليفة يتناول الإقطاع بمراسيم معز الدولة، وإنما يفرد بالسرير والثبر والسكة والختم على الرسائل والصكوك، والجلوس للوفد وإجلال التحية والخطاب.

ويقومون مع ذلك بأوضاع القائم على الدولة وترتبية وكان القائم منهم على الدولة ففرد في دولة بين بوبه والسلجوقية بلقب السلطان ولا يشاركه فيه غيره، ومعانى الملك من القدرة والأبهة والعز وتصريف الأمر والنهي حاصل للسلطان دون الخليفة.

وكانت الخلافة حاصلة للعباسي المنصوب لفظاً مسلوبة عنه معنٍ.

ثم طلب الجندي أرزاقهم بأكثر من العادة لتجدد الدولة فاضطر إلى ضرب المكوس، ومد الأيدي إلى أموال الناس، وأقطعت جميع القرى والضياع للجند، فارتفعت أيدي العمال وبطلت الدواوين لأن ما كان منها بآيدي الرؤساء لا يقدرون على النظر فيها، وما كان بآيدي الأتباع خرب بالظلم والمصادرات والحيف في الجباية وإهمال النظر في إصلاح الفناطر وتعديل المشارب، وما خرب منها عرض صاحبه عنه بآخر، فيخرقه كما يخرق الآخر.

ثم إن معز الدولة أفرد جعها من المكوس والظلمات وعجز السلطان عن ذنكرة يعدها لنوابه، ثم استكثر من المواري ليغتصب على قومه، وفرض لهم الأرزاق والأقطاع فحدثت غيرة قومه من ذلك، وأآل الأمر إلى المتأفة كما هو الشأن في الدول.

## مسير ابن حدان إلى بغداد وانهزامه أمام معز الدولة

ولا بلغ استيلاء معز الدولة على بغداد، وخلعه المستكفي إلى ناصر الدولة بن حدان امتنع لذلك وسار من الموصل إلى بغداد في شعبان سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة فقدم معز الدولة عساکرها فأوقع بها ابن حدان بعكرا.

ثم سار معز الدولة ومعه المطیع إلى مدافعته ولحق به ابن

## وفاة عماد الدولة بن بوه وولاية عضد الدولة ابن أخيه

الحسن بن الفيروزان وزوجته ابنته، وعسكر بموارصلته ومورثه واستفحل بذلك ملكه بني بوه وامتنع وصارت لهم أعمال الري والجبل وفارس والأهواز والعراق، ويحمل إليهم ضمان الموصل وديار بكر، ثم سار ركن الدولة بن بوه إلى بلاد وشمكير سنة ست وثلاثين وثلاثمائة وهمة الحسن بن الفيروزان مددأ، ولقيهما وشمكير فانهزم أمامهما، ولحق بخراسان مستجدًا بابن سامان، وملك ركن الدولة طبرستان وسار منها إلى جرجان فأطاعه الحسن بن الفيروزان وولاه ركن الدولة عليها، واستأمن إليه قواد وشمكير ورجع إلى أصفهان.

### بداية بني شاهين ملوك البطيحة أيام بني

بوه

كان عمران بن شاهين من أهل الجامدة وكان يتصرف في الجبالة، وحصل منها بيده مال فصرفه وهرب إلى البطيحة متعملاً من الدولة.

وأقام هنالك بين القصب والأجاص يقتات بسمك الماء وطيره، ويأخذ الرفاق الذي تمر به، واجتمع إليه لصوص الصبادين فقروي وامتنع على السلطان وعسكر بطاعة أبي القاسم بن البريدي بالبصرة فقلده حياة الجامدة وحماية الباطائح وتراوحتها، فعز جانبه وكثير جمعه وسلاحه، وأخذ معاقل على التلال بالبطيحة وغلب على تلك التواحي.

وأهمل معز الدولة أمره وبعث وزيره أبي جعفر الصيميري في العساكر سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة وحضره، وأيقن بالهلاك وما نفس عن خنقه إلا وصول الخبر بوفاة عماد الدولة بن بوه، ومبادرته الوزير الصيميري إلى شيراز، فعاد عمران إلى حاله وقوى أمره كما يأتي في أخبار دولته.

### وفاة عماد الدولة بن بوه وولاية عضد الدولة ابن أخيه على بلاد فارس مكانه

ثم توفي عماد الدولة أبو الحسن علي بن بوه بمدينة شيراز كرسي مملكة فارس في منتصف سنة ثلات وثلاثين وثلاثمائة بعد أن كان طلب من أخيه ركن الدولة أن ينفذ إليه ابنه عضد الدولة، فتأخر ليوليه عهده إذ لم يكن له ولد ذكر، فأنفذه إليه ركن الدولة في جماعة من أصحابه لستة بقيت من حياته.

ثم لقي أخيه معز الدولة بأرجنان في شعبان من السنة، وسلك في تعظيمه وإجلاله من وراء الغاية، وكان عماد الدولة يأمره بالجلوس في مجلسه فلا يفعل.

ثم عاد معز الدولة والمطیع إلى بغداد، ونودي بالمسير إلى الموصل فترددت الرسل من ابن حдан في الصلح وحمل المال.

ثم سار إليه سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة في شهر رمضان واستولى على الموصل، وأراد الإتيان في بلاد ابن حدان فجاءه الخبر عن أخيه ركن الدولة بأن عساكر خراسان قصدت جرجان، واضطرب إلى الصلح، واستقر الصلح بينهما على أن يعطي ابن حدان عن الموصل، والجزيرة والشام ثمانية آلاف ألف درهم كل سنة، ويخطب لعماد الدولة ومعز الدولة في بلاده، وعاد إلى بغداد.

### استيلاء ركن الدولة على الري ثم طبرستان وجرجان ومسير عساكر ابن سامان إليها

قد تقدم لنا استيلاء ركن الدولة على أصفهان من يد وشمكير حين بعث عساكره مددًا لما كان بن كالي، وكان ركن الدولة وأخوه عماد الدولة بعثا إلى أبي علي بن محتاج قائد بني سامان بحرضانه على ما كان ووشمكير، وبعدانه المظاهرة عليهما، فسار أبو علي إلى وشمكير بالري ولقيه ركن الدولة بنفسه.

واستمد وشمكير ما كان فجاءه في عساكره والتقوا فانهزم وشمكير ولحق بطبرستان، ثم سار بعساكره إلى بلد الجبل فاتحهما واستولى على زنجان وأبهر وقزوين وقم وكرج وهمدان ونهاند والدينور إلى حدود حلوان، ورتب فيها العمال وجيبي أمراءها.

ثم وقع خلاف بين وشمكير والحسن بن الفيروزان ابن عم ما كان، واستنجد الحسن بائي علي بن محتاج فأذنله حتى وقع بينهما صلح، وعاد أبو علي إلى خراسان وصحبه الحسن بن الفيروزان، ولقيه في طريقه رسول السعيد بن سامان، وأمر أبا علي بن محتاج سنة ثلاط وثلاثين وثلاثمائة بغدر الحسن بائي علي ونهب سراوه وعاد إلى جرجان فملكها وملك معها الدامغان وسمنان، وسار وشمكير من طبرستان إلى الري فاستولى عليها أجمع، وكان في قل من العسکر لفناء رجاله في حرشه مع أبي علي بن محتاج والحسن بن الفيروزان، فتطاول حيشه ركن الدولة إلى الاستيلاء على الري، وسار إلى الري وقاتل وشمكير فهزمه، فلحق بطبرستان واستولى ركن الدولة على الري، وأجمع غالصة

بهمدان، فعدل منصور بن قراتكين إلى أصفهان فملكتها، وسار إليها ركن الدولة سبكتكين في مقدمته، وشغب عليه بعض الآتراك فأوقع بهم وتردوا في تلك الناحية.

وكتب معز الدولة إلى ابن أبي الشوك الكردي يتبعهم قتيل منهم وأسر، وخجا بعض إلى الموصل.

وترک رکن الدولة قریباً من أصفهان، وجرت بينه وبين منصور حروب، وضاقت الميرة على الفريقين إلا أن الدیلم کانوا أصبر على الجروح وشظف العيش من أهل خراسان لقرب عهدهم بالبداوة.

ومع ذلك فهم رکن الدولة بالفرار لولا وزير ابن العميد كان يثبته ويريه أنه لا يغنى عنه، وأن الاستمامة أول به فصر، وشغب على منصور بن قراتكين جنده وانقضوا جميعاً إلى الري وتکروا مختلفهم بأصفهان، فاحتوى عليه رکن الدولة، وذلك فاتح سنة أربعين وثلاثمائة وما ت منصور بن قراتكين بالري في ربیع الأول من السنة، ورجعت العساکر إلى نيسابور.

### استيلاء رکن الدولة ثانياً على طبرستان وجرجان

قد كنا قدمنا استيلاء رکن الدولة على طبرستان وجرجان ستة ست وثلاثين، وثلاثمائة وأنه استخلف على جرجان الحسن بن الفیزان.

وسار وشمير إلى خراسان مستجداً بين سامان، فسار معه صاحب جيوش خراسان منصور بن قراتكين، وحاصر جرجان، فصالحه الحسن بن الفیزان بغير رضاً من وشمير لأنحرافه عنه وعن الأمير نوح.

ورجع إلى نيسابور وأقام وشمير بجرجان والحسن بوزن. ثم سار رکن الدولة ستة أربعين وثلاثمائة من الري إلى طبرستان وجرجان فقارتها وشمير إلى نيسابور، واستولى رکن الدولة عليها، واستخلف بجرجان الحسن بن الفیزان وعلى بن كثامة، وعاد إلى الري فقصدهما وشمير وانهزما منه، واسترد البلاد من رکن الدولة، وكتب الأمير نوح يستجده على رکن الدولة، فامر أبو علي بن محتاج بالمسير معه في جيوش خراسان، فسار في ربیع ستة اثنين وأربعين وثلاثمائة وامتنع رکن الدولة بعض معاقله، وحاربه أبو علي بن محتاج في جيوش خراسان حتى ضجرت عساکره وأظلهم فضل الشقاء، فراسل رکن الدولة في

وركب عماد الدولة للقاءه ودخل به إلى داره في يوم مشهود، وأجلسه على السرير وأمر الناس أن يحيوه بتحية الملك.

وكان في قواد عماد الدولة جماعة أكابر لا يستكينون لعماد الدولة فضلاً عن عضد الدولة مكانه بفارس، واختلف عليه أصحابه، فجاء إليه رکن الدولة أبوه من الري بعد أن استخلف عليها علي بن كثامة، وكتب معز الدولة إلى وزير الصimirي بأن يترك حرابة ابن شاهرين ويسيء إلى شيراز مددًا لعضد الدولة.

وأقام رکن الدولة في شيراز تسعة أشهر، وبعث إلى أخيه معز الدولة بهدية من الأموال والسلاح، وكان عماد الدولة هو أمير الأمراء وإنما كان معز الدولة نائباً عنه في كفالة الأموال وولاية أعمال العراق، فلما مات عماد الدولة اقلبت إمرة الأمراء إلى رکن الدولة، ويقي معز الدولة نائباً عنه كما كان عن عماد الدولة لأنه كان أصغر منها.

### وفاة الصimirي ووزارة المهدى

كان أبو جعفر أحمد الصimirي وزير معز الدولة قد عاد من فارس إلى أعمال الجامدة، وأقام بحصار عمران بن شاهرين إلى أن هلك متصرف سبع وثلاثين وثلاثمائة وكان يستخلف بمحضره معز الدولة في وزارته آبا محمد الحسن بن محمد المهدى، فاستوزره مكان الصimirي فحسن أثره في جمع الأموال وكشف الظلمات وتقريب أهل العلم والأدب والإحسان إليهم.

### مسير عساکر ابن سامان إلى الري ورجوعها

لما سار رکن الدولة إلى بلاد فارس بعث الأمير نوح بن سامان إلى منصور بن قراتكين صاحب جيوشه بخراسان أن يسير إلى الري، فسار إليها ستة سبع وثلاثين وثلاثمائة وكان بها على بن كثامة خليفة رکن الدولة فقارتها إلى أصفهان وملك منصور الري، وبث العساکر في البلاد فملکوا الجبل إلى قرميس، واستولوا على همدان، وبعث رکن الدولة من فارس إلى أخيه معز الدولة بإنفاذ العساکر إلى مدافعتهم، فبعث سبكتكين الحاجب في جيش كيف من الدیلم وغيرهم، فكبشهم وأسر مقدمهم فأعادوا إلى همدان. ثم سار إليهم فقارقوها، وملکها وورد عليه رکن الدولة

وخرج في طلب ابن بويه، واتفق وصول الوزير أبي الفضل بن العميد فلقيه محمد بن ماكان فهزمه، وعاد أولاد ركن الدولة وحرمه إلى أصفهان.

وراسل ركن الدولة بكر بن مالك صاحب العساكر  
خرسان في الصلح على مال يحمله إليه، وتكون الري وبلد الجبل  
في ضمانه، فأجابه بكر بن مالك إلى ذلك وصالحه عليه، وكتب  
ركن الدولة إلى أخيه معز الدولة بأن يبعث إلى بكر بن مالك خلماً  
ولباء بولاية خراسان فيبعث بها في ذي القعدة من السنة.

## خروج روزبهان على معز الدولة وميل الدليل إليه

كان روزبهان ونداد خوشید من كبار قواد الديلم، وكان  
معز الدولة قد رفعه وتوه بذكره، فخرج سنة حس وأربعين  
بالآهواز ومعه أخوه أسفار، وخرج آخره بلكا بشزار.

ولما خرج روزبهان زحف إلى الوزير الملهي لقتاله فتنز  
الكثير من أصحابه إلى روزبهان فالخاز عنده، وبعث بالخبر إلى معز  
الدولة فسار إليه وانختلف عليه الدليل ومالوا مع روزبهان  
وفصل معز الدولة من بغداد خامس شعبان من السنة قاصداً  
لحربيه، وبلغ الخبر إلى ناصر الدولة بن حمدان، فأبعث ابنه أبا  
الرجال في العساكر للاستيلاء على بغداد، فخرج الخليفة عنها  
منحدراً، وأعاد معز الدولة سبكتين الحاجب وغيره للدفاعة ابن  
حمدان عن بغداد.

وسرى إلى أن قارب الأهواز والدليل في شغب عليه وعلى عزم اللحاق بروزبهان إلا فنراً يسيراً من الدليل كانوا خالصة، فكان يعتمد عليهم وعلى الآذاك، وكان يفيض العطاء في الدليل فمسكون عمما بهم من به.

ثم ناجز روزیهان الحرب سلخ رمضان فانهزم وأخذ أسرى،  
وعاد إلى بغداد إلى أبي الرجال بن حдан، وكان يعکبراً فلم يجد  
لأنه بلغه خبر روزیهان فلسرع العود إلى المروصل ودخل معز  
الدولة بغداد وغرق روزیهان وكان آخره بلكاً الخارج بشيراز  
أزعج عنها عضد الدولة، وسار إليه أبو الفضل بن العميد وقاتلته  
فظفر به، وعاد عضد الدولة إلى ملكه وأتحى أثر روزیهان  
وإخرته، وبقض معز الدولة على جماعة منهم من ارتاب بهم،  
واصطنم الأتراك وقدمهم وأقطع لهم فاعترروا وامتدت أيامهم.

الصلح على أن يعطيهم ركن الدولة مائتي ألف دينار في كل سنة،  
وعاد إلى خراسان وكتب وشمير إلى الأمير نوح بأن ابنه يحتاج لم  
يتصح في أمر ركن الدولة، وأنه محالى، ففسخه من أجل ذلك  
وعزله عن خراسان.

وَلَا عَادَ أَبْنَى مُحَاجَّةً عَنْ رَكْنِ الدُّولَةِ سَارَ هُوَ إِلَى وَشَمَكِيرَ فَانْهَزَمَ وَشَمَكِيرَ إِلَى أَسْفَارِيَنْ، وَاسْتَولَى رَكْنِ الدُّولَةِ عَلَى طَرْسَانَ.

إقامة الدعوة لبني بویه بخراسان

ولما عزل الأمير نوح أبا علي بن محتاج عن خراسان  
استعمل مكانه أبا سعيد بكر بن مالك الفرغاني، فانتقض حيشهذ  
وخطب لنفسه بنيسابور، وتحيز عنه ابن الفرزان مع وشمكير إلى  
الأمير نوح، فخاف ابن محتاج عن عداوتهم، واستأذن ركن الدولة  
ف، المسير الله.

ثم سار سنة ثلاثة وأربعين وثلاثمائة فلقاءه بأنراع الكرامات وسأل منه ابن عتاج أن يتفضي له عهد الخليفة، بولادة خراسان، فبعث ركن الدولة في ذلك إلى أخيه معز الدولة ببغداد، وجاءه العهد والمدد، فسار إلى خراسان فخطب بها للخليفة وركن الدولة.

ثم مات نوح خلال ذلك وهي ابته عبد الملك ببعث بكر بن مالك من مخارق إلى خراسان لإخراج ابن محتاج منها، فسار إليه وهرب ابن محتاج إلى الري فأواه ركناً الدولة وأقام عنده، واستقر بكر بن مالك على خراسان.

ثم سار رکن الدولة إلى جرجان ومعه ابنحتاج فتركها  
وملكها، ولحق وشميرخ خراسان.

## مسیر عساکر ابن سامان ای الری وأصفهان

ولما فرغ بكر بن مالك من أمر خراسان وأخرج منها ابن  
محاجة، وسار منها سنة أربع وأربعين وثلاثمائة في أتباعه إلى الري  
وأصفهان، وكان ركن الدولة غالباً بيرجان فملكتها ورجح إلى  
الري في المحرم من السنة، وكتب إلى أخيه معز الدولة يستمدء  
فأمده بالعساكر مع ابن سبكتكين، وجاء مقدمة العساكر من  
خراسان إلى أصفهان من طريق المفارزة وبها الأمير منصور بن بويه  
بن ركن الدولة، ومقدم العساكر محمد بن ماكان فملك أصفهان

وشمكير برجان وترك طبرستان فملكتها ركن الدولة وأصلاح أمرها، ثم سار إلى جرجان فخرج عنها وشمكير واستولى عليها ركن الدولة، واستأنف إليه من عسكر وشمكير ثلاثة آلاف رجل فازداد بهم قوة، ودخل وشمكير بلاد الجبل مسلوبًا واهنًا.

### ظهور البدعة ببغداد

وفي هذه السنة كتب الشيعة على المساجد بأمر معز الدولة لعن معاوية بن أبي سفيان صريحة، ولعن من غصب فاطمة فدك، ومن منع أن يدفن الحسن عند جده، ومن نهى أبي ذر الغفارى ومن أخرج العباس من الشورى، ونسب ذلك كله لمعز الدولة لعجز الخليفة.

ثم أصبح محروماً وأراد معز الدولة إعادته، فاشترى عليه الوزير المهمي بان يكتب مكانه لعن الله الظالمين لأن رسول الله ﷺ، ولا يذكر أحداً للعن إلا معاوية رضي الله عنه.

### وفاة الوزير المهمي

وفي سنة اثنين وخمسين سار المهمي وزير معز الدولة إلى عمان ليفتتها، فلما ركب البحر طرقه المرض فعاد إلى بغداد، ومات في طريقه في شعبان من السنة، ودفن في بغداد.

وقضى معز الدولة أمره وذخائره وقبض على حواشيه وحبسهم، ونظر في الأمور بعده أبو الفضل بن العباس بن الحسن الشيرازي وأبو الفرج محمد بن العباس بن فساحج، ولم يتمسوا باسم الوزارة.

### استيلاء معز الدولة ثالثاً على الموصل

كان ناصر الدولة بن حдан قد ضمن الموصل كما تقدم، وأجابه معز الدولة إلى ضمانه، فبذل له ناصر الدولة زيادة على أن يدخل معه في الضمان أبو ثعلب فضل الله الغضنفر، ويختلف لهما معز الدولة فأبا من ذلك، وسار إلى الموصل متصرف ثلاثة وخمسين وثلاثمائة فقارقه ابن حدان إلى نصبيين وملكتها معز الدولة.

ثم خرج إلى طلب ابن حدان متصرف شعبان واستخلف على الموصل بكتoron وسبككين العجمي وسار ابن حدان عن نصبيين وملكتها معز الدولة، وخالقه ابن حدان إلى الموصل

### استيلاء معز الدولة على الموصل ثم عودها

كان ناصر الدولة بن حدان قد صالح معز الدولة على النبي الف درهم كل سنة، ثم لم يحمل، فسار إليه معز الدولة سبع وأربعين وثلاثمائة فرارق الموصل إلى نصبيين، وحل معه سائر أهل دولته من الوكلاء والكتاب ومن يعرف وجوه المال، وأنزلهم في قلاعه: كقلعة كواشي والزعران وغيرهما.

وقطع الميرة عن عسكر معز الدولة فضاقت عليهم الأقواء، فسار معز الدولة إلى نصبيين للميرة، وبلغه أن أبا الرجال وهبة الله في عسكر سنجرار، فبعث إليهم بعض عساكره وكيسوهم فهربوا، واستول العسکر على مخلفهم، ونزلوا في خيالهم، وكر عليهم أولاد ناصر الدولة وهم غارون فائخوا فيهم وأقاموا بستجار.

وسار معز الدولة إلى نصبيين فلحق ناصر الدولة ببيفارقين، واستأنف الكثير من أصحابه إلى معز الدولة فلحق باخيم سيف الدولة مطلب، فإبلغ في تكريمه وخدمته، وتوسط في الصلح بينه وبين معز الدولة ثلاثة آلاف ألف فأجابه معز الدولة وتم ذلك بينهما، ورجع معز الدولة إلى العراق في حرم سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة.

### العهد لختيار

وفي سنة خمس وأربعين وثلاثمائة طرق معز الدولة مرض استكان له وخشي على نفسه، فأراد العهد لابنه بختيار، وعهد إليه بالأمر وسلم له الأموال، وكان بين الحاجب سبكتكين والوزير المهمي منافرة فأصالح بينهما ووصاهما بابنه بختيار، وعهد إليه بالأمور وأعتمد على العود إلى الأهواز مستوحشاً هواء بغداد، فبلغ كلواذاً اجتمع به أصحابه وسفهوا رأيه في الانقال من بغداد على ملكه، وأشاروا عليه بالعود إليها وأن يستطيب الهواء في بعض جوانبها المرتفعة وينبئ بها دوراً لسكنه ففعل، وأنفق فيها ألف الف دينار وصارد فيها جماعة من أصحابه.

### استيلاء ركن الدولة على طبرستان وجرجان

وفي سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة سار ركن الدولة إلى طبرستان وبها وشمكير فحاصره بمدينة سارية وملكتها، ولحق

الأبلة في رمضان من السنة، وجهز المراكب إلى عمان مائة قطعة، وبعث فيها الجبوش بن نظر أبي الفرج محمد بن العباس، وتقدم إلى ضد الدولة بفارس أن يمدthem بالعساكر من عنده فوافاهم المدد بسيراف وساروا إلى عمان فملكونها يوم الجمعة يوم عرفة من السنة، وقتروا فيها بالقتل، وأحرقوا لهم تسعين مركباً، وخطب لعز الدولة وصارت من أعماله.

### وفاة معز الدولة وولايته ابنه بختيار

كان معز الدولة قد سار سنة خمس وخمسين وثلاثمائة إلى واسط لمحاربة عمران بن شاهين فطرقه المرض سنة ست وخمسين وثلاثمائة فesar إلى بغداد، وخلف أصحابه بواسط على أن يعود إليهم فاشتد مرضه ببغداد، وجدد العهد لابنه بختيار.

ثم مات متتصف ربيع الآخر من السنة فقام ابنه معز الدولة بختيار مكانه، وكتب إلى العساكر بمصالحة عمران بن شاهين ففعلوا وعدوا.

وكان فيما أوصى به معز الدولة ابنه بختيار طاعة عمه ركن الدولة والرقوف عند إشارته وابن عمه عضد الدولة لعلو سنه عليه وتقدمه في معرفة السياسة، وأن يحفظ كتابيه أبا الفضل العباس بن الحسن وأبا الفرج بن العباس وال حاجب سبكتكين، فخالف جميع أصحابه وعكف على اللهو وعشرة النساء والبنين والصفاعين، فأوحش الكاتبين وال حاجب، فانقطع الحاجب عن حضور داره.

ثم طرد كبار الدليل عن ملكته طمماً في اقطاعاتهم، فشتب عليه الصغار واقتدى بهم الآتراك في ذلك، وطلعوا الزيدات، وركب الدليل إلى الصحراء وطلعوا إعادة من أسقط من كبارهم.

ولم يجد بدأً من إجازتهم لاحتراف سبكتكين عنه، فاضطربت أمره وكان الكاتب أبو الفرج العباس في عمان منذ ملوكها، فلما بلغه موته معز الدولة خشي أن يفرد عنه صاحبه أبو الفضل العباس بن الحسن بالدولة، فسلم عمان لعاصد الدولة، ويادر إلى بغداد فرجد أبا الفضل قد انفرد بالوزارة ولم يحصل على شيء.

### مسير عساكر ابن سامان إلى الري ومهلك

#### وشكير

كان أبو علي بن الياس قد سار من كرمان إلى محاري

وحارب عساكر معز الدولة فيها فهزموه، وجاء الخبر إلى معز الدولة، فظفر أصحابه بابن حدان، وسار ونزل جزيرة ابن عمر، فسار في اتباعه، فوصل السادس رمضان فوجده قد جمع أولاده وعساكره إلى الموصل، ف الواقع بأصحاب معز الدولة وأسر الأميرين الذين خلفاها، واستولى على ما خلفوه من مال وسلاح، وحمل الجميع مع الأسرى إلى مكان في اتباعه، فأعادوا معز الدولة أمره وهو من مكان إلى مكان في اتباعه، فأعادوا إلى الصلح وعقد عليه ضمان الموصل وديار ربيعة والرحبة بمال قره، فاستقر الصلح على ذلك، وأطلق ابن حدان الأسرى، ورجع معز الدولة إلى بغداد.

### استيلاء معز الدولة على عمان

قد تقدم لنا أن عمان كانت ليوسف بن وجيه وأنه حارببني البريدي بالبصرة حتى قارب أحذها حتى عملوا الحيلة في إضرام النار في سنته فول هارياً في حرم سنة اثنين وثلاثين وثلاثمائة وأنه ثار عليه مولاه في هذه السنة فغلبه على البلد وملكها من يده.

ولما استرحوش معز الدولة من القرامطة، كتب إليهم ابن وجيه صاحب عمان يطمئنهم في البصرة، واستشهدم في البر وسار هو في البحر سنة إحدى وأربعين، وسابقه الوزير المهلي من الأهواز إليها، وأمده معز الدولة بالعساكر والمال فاقتلاوا أيام، ثم ظفر المهلي بمراته وما فيها من سلاح وعدة.

ولم يزل القرامطة يناورونها حتى غلروا عليها سنة أربع وخمسين وثلاثمائة واستولوا عليها و Herb رافق عنها.

وكان له كاتب يعرف بعلي بن أحد ينظر في أمور البلد، والقramate بمكانتهم من هجر، فافتلق قاضي البلد وكان ذا مشير وعصابة على أن يصيروا للنظر في أمرهم أحد قوادهم، فقدموا لذلك ابن طغان فتنك الجميع القراد الذين معه، وثار منه بعض قرائبهم فقتلوه، فاجتمع الناس على تقديم عبد الوهاب بن أحد بن مروان من قرابة القاضي مكانه فولوه، واستكتب على بن أحد كاتب القرامطة قبله من الجندي فامتعضوا لذلك فدعاهم إلى بيته فأجابوه وسواهم في الطعام مع البيض فسخط البيض ذلك، ودارت بهم حرب سكنا آخرها واتفقا وأخرجو عبد الوهاب من البلد، واستقر علي بن أحد الكاتب أميراً فيها.

ثم سار معز الدولة إلى واسط سنة خمس وخمسين وثلاثمائة وقدم إليه نافع مولى ابن أخيه الذي كان ملكها بعد مولاها، فأحسن إليه واقام عنده حتى فرغ من أمر عمران بن شاهين، وأخدر إلى

ولما وصل البيس إلى بخارى أتذر بنى سامان على تقاعدهم عن نصره فوثبوا عليه فنفوه إلى خوارزم، وكان قد خلف أثقاله بنواحي خراسان فاستولى عليها أبو علي بن سيجور، وأصاب البيس رمد اشتد به بمورازم فضجر منه وقطع عرقه بيده.

وكان ذلك سبب هلاكه، ولم يعد لبني الياس بكرمان بعده ملك.

### مسير ابن العميد إلى حسنويه ووفاته

كان حسنويه بن الحسين الكردي من رجالات الكرة، واستولى عن نواحي الدینور واستفحـل أمره، وكان يأخذ الخفارة من القوافل التي تمر به ويخيف السابلة، إلا أنه كان فتاـة للديلم على عساكر خراسان متـى قصـدهم.

وكان ركـن الدولة يرعـي له ذلك ويعـضـي عن إـسـاءـته.

ثم وقـتـ بينـةـ وبينـ سـلـارـ بنـ مـاسـفـرـ بنـ سـلـارـ، فـتـةـ وـحـربـ فـهـزـهـ حـسـنـوـيـهـ وـحـصـرـهـ وأـصـحـابـهـ منـ الـدـيـلـمـ فيـ مـكـانـ، ثـمـ جـعـ الشـوـكـ وـطـرـحـ بـقـرـبـهـ وأـضـرـمـهـ نـارـاـ حتـىـ نـزـلـواـ عـلـىـ حـكـمـ فـاحـذـهـ، وـقـتـلـ كـثـيرـاـ نـهـمـ، فـلـحـقـ رـكـنـ الدـوـلـةـ الغـيـرـةـ لـعـصـيـةـ الـدـيـلـمـ، وـأـمـرـ زـيـرـهـ أـبـاـ النـفـلـيـ بـالـمـسـيرـ إـلـيـ فـسـارـ فـيـ حـمـرـ سـنـةـ تـسـعـ وـخـمـسـ وـثـلـاثـةـ وـأـلـفـ، وـقـدـ اـبـنـ أـبـرـ الفـتـحـ، وـكـانـ شـابـاـ مـلـحـاـ قدـ أـبـطـرـهـ العـزـ وـالـدـالـلـاـ عـلـىـ أـيـهـ، وـكـانـ يـتـعـرـضـ كـثـيرـاـ لـيـنـضـبـهـ.

وـكـانـ بـأـبـيـ الـفـضـلـ عـلـةـ الـقـرـسـ فـتـرـيـاتـ عـلـيـهـ وـأـفـحـشـتـ عـلـيـهـ، وـلـمـ وـصـلـ إـلـىـ هـمـذـانـ تـوـفـيـ بـهـ لـأـرـبـعـ وـعـشـرـ سـنـةـ مـنـ وزـارـتـهـ، وـأـقـامـ اـبـنـ أـبـرـ الفـتـحـ مـقـامـهـ وـصـالـحـ حـسـنـوـيـهـ عـلـىـ مـالـ أـخـذـهـ مـنـهـ، وـعـادـ إـلـىـ الـرـيـ إـلـىـ مـكـانـ مـنـ خـدـمـةـ رـكـنـ الدـوـلـةـ.

وـكـانـ أـبـوـ الـفـضـلـ بـنـ الـعـمـيدـ كـاتـباـ بـلـيـغاـ، وـعـالـماـ فـيـ عـدـةـ فـنـونـ مـعـيـداـ فـيـهاـ وـمـطـلـعاـ فـيـ عـلـومـ الـأـوـاـلـ، وـقـائـماـ بـسـيـاسـةـ الـمـلـكـ مـعـ حـسـنـ الـخـلـقـ وـلـيـنـ الـعـشـرـةـ، وـالـشـجـاعـةـ الـمـعـروـفـةـ بـتـدـبـيرـ الـحـرـوبـ، وـمـنـهـ تـعـلـمـ عـضـدـ الـدـوـلـةـ السـيـاسـيـةـ وـبـهـ تـادـبـ.

### انتقاض كرمان على عضد الدولة

ولـاـ مـلـكـ عـضـدـ الـدـوـلـةـ كـرـمـانـ كـمـاـ قـلـاـهـ اـجـتـمـعـ الـقـفـصـ وـالـبـلـوـصـ وـفـيـهـ أـبـوـ سـعـيدـ وـأـوـلـادـهـ وـأـنـقـذـهـ عـلـىـ الـانـقـاضـ وـالـخـلـافـ.

وـاسـتـمـدـ عـضـدـ الـدـوـلـةـ كـرـتـكـينـ بـنـ حـسـانـ بـعـاـبـدـ بـنـ عـلـيـ،

مستـبـجاـ بـالـأـمـيرـ مـنـصـورـ بـنـ نـوـحـ بـنـ سـامـانـ، فـتـلـقـاهـ بـالـتـكـرـمـ فـأـغـرـاهـ اـبـنـ الـيـاسـ بـمـالـكـ بـنـ بـوـيهـ وـأـشـارـ لـهـ قـوـادـهـ فـيـ أـمـرـهـ فـصـدـقـ ذـلـكـ عـنـدـمـاـ كـانـ يـذـكـرـ وـشـمـكـيرـ عـنـهـمـ، وـتـقـدـمـ إـلـىـ وـشـمـكـيرـ وـالـحـسـنـ بـنـ الـفـرـيزـانـ بـالـمـسـيرـ مـعـ عـساـكـرـهـ إـلـىـ الـرـيـ.

ثـمـ جـهـزـ عـساـكـرـ مـعـ صـاحـبـ خـرـاسـانـ أـبـيـ الـحـسـنـ مـحـمـدـ بـنـ إـبرـاهـيمـ بـنـ سـيـجـورـ الـدـوـانـيـ وـأـمـرـهـ بـطـاعـةـ وـشـمـكـيرـ وـقـبـولـ إـشـارـتـهـ فـسـارـ لـذـلـكـ سـنـةـ سـتـ وـخـمـسـ وـثـلـاثـةـ وـأـلـفـ رـكـنـ الـدـوـلـةـ أـهـلـهـ بـأـصـفـهـانـ، وـكـتـبـ إـلـىـ اـبـنـ عـضـدـ الـدـوـلـةـ بـفـارـسـ إـلـىـ اـبـنـ أـخـيـهـ عـزـ الـدـينـ بـخـيـتـارـ بـغـدـادـ يـسـتـجـدـهـمـ، فـأـنـقـذـ عـضـدـ الـدـوـلـةـ عـساـكـرـهـ عـلـىـ طـرـيقـ خـرـاسـانـ لـيـخـالـفـهـ إـلـيـهـ، فـأـحـجـمـوـاـ وـتـوـقـفـوـاـ إـلـىـ الـدـامـقـانـ، وـقـصـدـهـمـ رـكـنـ الـدـوـلـةـ فـيـ عـساـكـرـهـ مـنـ الـرـيـ، وـبـيـنـمـاـ هـمـ ذـلـكـ هـلـكـ وـشـمـكـيرـ، عـنـدـمـاـ اـسـتـعـرـضـ خـيـلـاـ وـاخـتـارـ مـنـهـ وـاحـدـاـ وـرـكـبـ لـلـصـيدـ، وـاعـتـرـضـهـ خـتـرـيـ فـرـمـاهـ بـجـرـبةـ، وـحـلـ الـخـتـرـيـ عـلـيـهـ فـضـرـبـ الـفـرـسـ فـسـطـقـ إـلـىـ الـأـرـضـ وـسـقـطـ وـشـمـكـيرـ مـيـتاـ وـانـقـضـ جـمـيعـ مـاـ كـانـوـاـ فـيـ وـرـجـعواـ إـلـىـ خـرـاسـانـ.

### استيلاء عضد الدولة على كرمان

كان أـبـوـ عـلـيـ بـنـ الـيـاسـ قـدـ مـلـكـ كـرـمـانـ بـدـعـةـ بـنـ سـامـانـ، وـاسـتـبـدـ بـهـ كـمـاـ مـرـ فـيـ أـخـبـارـهـ، ثـمـ أـصـابـهـ فـالـحـاجـ وـأـلـزـمـ بـهـ وـعـهـدـ إـلـىـ اـبـنـ الـيـسـعـ نـمـ لـالـيـاسـ مـنـ بـعـدـهـ، وـأـمـرـهـمـ بـإـجـلـاءـ أـنـيـهـمـ سـلـيـمانـ إـلـىـ أـرـضـهـ بـلـادـ الـرـوـمـ يـقـيمـ لـهـ مـاـ هـنـالـكـ مـنـ الـأـمـوـالـ، لـعـدـاوـةـ كـانـتـ بـيـنـ سـلـيـمانـ وـالـيـسـعـ فـلـمـ يـرـضـ سـلـيـمانـ ذـلـكـ، وـخـرجـ فـوـبـ عـلـىـ السـيـرـجـانـ فـمـلـكـهـ، فـسـارـ إـلـىـ أـخـوـهـ الـيـسـعـ فـجـبـهـ. وـهـرـبـ مـنـ حـسـبـهـ وـاجـتـمـعـ إـلـىـ الـعـسـكـرـ وـأـطـاعـهـ، وـمـالـواـ إـلـيـهـ مـعـ أـيـهـ.

ثـمـ إـنـ أـبـاـ عـلـيـهـ هـمـ أـنـ يـلـحـقـ بـخـرـاسـانـ فـلـحـقـ، ثـمـ سـارـ إـلـىـ الـأـمـيرـ أـبـيـ الـحـارـثـ بـيـخـارـيـ وـأـغـرـاهـ بـالـرـيـ كـمـاـ مـرـ، وـتـوـقـيـ سـنـةـ سـتـ وـخـمـسـ وـثـلـاثـةـ وـأـلـفـ رـكـنـ لـالـيـسـعـ.

وـكـانـ عـضـدـ الـدـوـلـةـ مـزاـحاـ لـلـيـسـعـ فـيـ بـعـضـ حـدـودـ عـلـمـهـ، مـدـلاـ بـجـهـلـ الشـيـابـ، فـاسـتـحـكـمـتـ الـقـطـيـعـةـ بـيـنـهـمـ وـهـرـبـ بـعـضـ أـصـحـابـ عـضـدـ الـدـوـلـةـ إـلـيـهـ، فـزـحـ إـلـيـهـ وـاسـتـأـمـنـ إـلـيـهـ أـصـحـابـهـ، وـبـقـيـ فـيـ قـلـ مـنـ أـصـحـابـهـ فـاحـتـمـلـ أـهـلـهـ وـأـمـوـالـهـ، وـلـحـقـ بـيـخـارـيـ. وـسـارـ عـضـدـ الـدـوـلـةـ إـلـىـ كـرـمـانـ فـمـلـكـهـ، وـلـقـبـ شـرـفـ الـدـوـلـةـ، وـاسـتـخـلـفـ عـلـيـهـ كـورـتـكـينـ بـنـ خـشـتـانـ وـعـادـ إـلـىـ فـارـسـ وـبـعـثـ إـلـيـهـ صـاحـبـ سـجـستانـ الطـاعـةـ وـخـطـبـ لـهـ.

العيارون وتزايد شرهم وفسادهم. وعزم الانتلاف بين بختيار والأترالك، ومقدمهم يومئذ سبكتكين، وتزايدت نفقة ثم سعى ابن بقية في إصلاحه وجاء به إلى بختيار ومعه الأترالك فصالحه بختيار، ثم قام غلام ديلمي فرمي وتبهه مجرية في يده فأثبته، فصالح سبكتكين بغلمانه فأخذوه ويطعن أنه وضع قنه، وقرره فلم يعترض، فبعث إلى بختيار فأمر بهقتل، فعظم ارتياه وأنه إنما قتل حذرًا من إفشاء سره، فعظمت الفتنة، وقصد الدليل قتل سبكتكين، ثم أرضاهم بختيار بالمال فسكنوا.

### استيلاء بختيار على الموصل ثم رجوعه عنها

فلما قبض أبو ثعلب بن ناصر الدولة بن حدان على أبيه وحسنه، واستقل بملك الموصل وعصى عليه إخوته من سائر النواحي غلبهم، ولحق آخره أحمد وإبراهيم بختيار فاستصرخاه فوعدهما بالمسير معهما، وأن يضمّن حدان البلد. ثم أبطأ عليهم فرجع إبراهيم إلى أخيه أبي ثعلب، وقارن ذلك وزارة ابن بقية، وقصر أبو ثعلب في خطابه فاغرى به بختيار فسار إليه، ونزل الموصل، وفارقه أبو ثعلب إلى سنجار وأخلاقها من الميرة والكتاب والدواين.

ثم سار من سنجار إلى بغداد فحاربها، ولم يحدث في سعادها حدث، وبعث بختيار إثره العساكر مع ابن بقية وال حاجب سبكتكين، فدخل ابن بقية بغداد، وأقام سبكتكين بمجدى.

وثار العيارون وأضطربت الفتنة بين أهل السنة والشيعة، وضربوا الأمثال لشتذ على الوزير بمحرب الجمل، وهذا كله في الجانب الغربي.

ونزل أبو ثعلب هذه سبكتكين بمجدى واتفقا في سر على خلع الخليفة ونصب غيره والقبض على الوزير وعلى بختيار وتكون الدولة لسبكتكين ويعود أبو ثعلب إلى الموصل ليتمكن من بختيار.

ثم قصر سبكتكين عن ذلك وخشي سوء المغبة، واجتمع به الوزير بن بقية وصالحوا أبا ثعلب على ضمان أعماله كما كانت، وزيادة ثلاثة آلاف كر من الغلة لبختيار، وأن يرد على أخيه حدان أملاكه وأقطعه إلا ماردين، وأرسلوا إلى بختيار بذلك.

ودخل أبو ثعلب إلى الموصل، فلما نزل الموصل وبختيار بالجانب الآخر فقضب أهل الموصل لأبي ثعلب لما ناهم من عسف بختيار، فراسلوا في الصلح ثانية، وسأل أبو ثعلب لقباً

فسارا في العساكر إلى جيرفت وحاربوا أولئك الخوارج فهزموهم وأثخنوا فيهم وتلوا من شجاعتهم، وفيهم ابن لأبي سعد.

ثم سار عابد بن علي في طلبهم وأوقع بهم عدة وقائع وأثخن فيهم، وانتهى إلى هرمز فملكها واستولى على بلاد التيز ومكران وأسر منهم ألف أسير حتى استقاموا على الطاعة وإقامة حدود الإسلام.

ثم سار عائداً إلى طائفة أخرى يعرفون بالخرمية والجاسكية يخيفون السبيل برأ وجرأ، وكانت قد تقدمت لهم إعابة سليمان بن أبي علي بن إلياس، فلما أوقع بهم أثخن فيهم حتى استقاموا على الطاعة وصلحت تلك البلاد مدة.

ثم عاد البلوص إلى ما كانوا عليه من إخافة السبيل بها، فسار عضد الدولة إلى كرمان في ذي القعدة سنة اثنين وانتهى إلى السيرجان وسرح عابد بن علي في العساكر لاتباعهم، فأوغروا في المهر ودخلوا إلى مضائق يحبونها تمنعهم، فلما زاحتهم العساكر بها آخر ربيع الأول من سنة إحدى وستين وثلاثمائة صابروا يوماً، ثم انهزوا آخره فقتل مقاتلهم وسيط ذاريهم ونسائهم، ولم ينج منهم إلا القليل.

ثم استأنوا فأنروا ونقلوا من تلك الجبال، وأنزل عضد الدولة في تلك البلاد أكرة وفلاحين، ثم شملوا الأرض بالعمل وتنبع العابد أثر تلك الطرافف حتى بدد شملهم، ومحا ما كان من الفساد منهم.

### عزل أبي الفضل ووزارة ابن بقية

كان أبو الفضل العباس بن الحسن وزيراً لوزر الدولة ولابنه بختيار من بعده، وكان سفيه التصرف وأحرق في بعض أيامه الكرخ ببغداد فاحترق فيه عشرون ألف إنسان وثلاثمائة دكان وثلاثة وثلاثين مسجداً، ومن الأموال ما لا يحصى، وكان الكرخ معروفاً بسكنى الشيعة، وكان هو يزعم أنه يتصبب لأهل السنة، وكان كثير الظلم للرعاية غصاناً للأموال مفرطاً في أمر دينه، وكان محمد بن بقية وضيقاً في نفسه من الفلاحين في أواناً من ضياع بغداد، واتصل بختيار وكان يتولى الطعام، بين يديه، ويتولى الطبخ ومنديل الخوان على كتفه: فلما ضاقت الأحوال على الوزير أبي الفضل وكثرت مطالبه بالأرزاق والنفقات عزله بختيار وصادره وسائر أصحابه على أموال عظيمة أخذت منهم، واستوزر محمد بن بقية فاستقامت أموره وغدت أحواله بتلك الأموال، فلما نفذت عاد إلى الظلم، ففسدت الأحوال وخربت تلك النواحي، وظهر

سلطانياً وتسلّم زوجته ابنة بختيار فابي ذلك، ورحل عنه إلى بغداد.

الأتراك في دور الدليل، وثار العامة بنصر سبكتكين وأوقعوا بالشيعة وقتلوهم وأحرقوا الكرخ.

## مسير بختيار لقتال سبكتكين وخروج سبكتكين إلى واسط ومقتله

ولما انتقض سبكتكين انتقض الأتراك في كل جهة حتى اضطرب على بختيار علمانه الذين يداره، وعاتبه مشيخ الأتراك على فعلته، وعذله الدليل أصحابه وقالوا: لا بد لنا من الأتراك ينصحون عنا، فأطلق المعتقلين منهم ورجعوا؛ وجعل أردوبي صاحب الجيش مكان سبكتكين، وكتب إلى عمده ركن الدولة وابنه عضد الدولة يستجدهما، وإلى أبي ثعلب بن حدان يستمدده بنفسه، ويسقط عنه مال الضمان، وإلى عمران بن شاهين بان يمده بعسكر، فبعث عمده ركن الدولة العساكر مع وزير أبي الفتح بن العميد، وأمر ابنته عضد الدولة بالمسير معهم، فترىص به ابن العميد.

وأنفذ أبو ثعلب بن حدان أخيه أبي عبد الله الحسين بن حدان إلى تكريت، وأقام ينتظر خروج سبكتكين والأتراك عن بغداد فيملّكتها: وأخذ سبكتكين ومعه الأتراك إلى واسط وحمل معه الخليفة الطائع الذي نصبه وأباه الطيع مكانه أنتكين وساروا إلى بختيار ونازلوه بواسط حسين يوماً وال Herb بينهم متصلة والظفر للأتراك في كلها، وهو يتبع الرسل إلى عضد الدولة ويستحثه.

## استيلاء عضد الدولة على العراق واعتقال

### بختيار ثم عوده إلى ملكه

ولما بلغ عضد الدولة ما فعله الأتراك مع بختيار اعتم على المسير إليه بعد أن كان يرىص به فشار في عساكر فارس وسار معه أبو القاسم بن العميد وزير أبيه من الأهواء في عساكر الري وقصدوا واسط ورجع أنتكين والأتراك إلى بغداد وكان أبو ثعلب عليها فاجفل، وكتب بختيار إلى طبة الأسد صاحب عين التمر، ولالي بنى شيبان يمنع الميرة عن بغداد وإفساد سابلتها، فعدمت الأقوات وسار عضد الدولة إلى بغداد، ونزل في الجانب الشرقي وبختيار في الجانب الغربي.

وخرج أنتكين والأتراك لعضد الدولة فلقاهم بين دبابي والمداين متتصف بجاذبيّة سنة أربع وسبعين وثلاثمائة فهزّهم وغرق

وببلغه في طريقه أن أبي ثعلب قتل مخلفين من أصحاب بختيار، فاقام بالكجول وبعث بالوزير ابن بقية وسبكتكين فجاوزه في العساكر، ورجع إلى الموصل وفارقاها أبو ثعلب، وبعث إلى الوزير كاتبه ابن عرس وصاحب ابن حرقيل متذرراً وحلقا عنه عن العلم بما وقع، فاستحكم بينهم صلح آخر.

وانصرف كل منهم إلى بلده، وبعث بختيار إليه زوجته واستقر أمرهما على ذلك.

## الفتنة بين الدليل والاتراك وانتقاض سبكتكين

كان جند بختيار وأبيه معز الدولة طائفتين من الدليل عشيرتهم والأتراك المستجددين عندهم، وعظمت الدولة وكثرت عطاياها وأرذاق الجندي حتى ضاقت عنها الجباية وكثير شغب الجندي، وساروا إلى الموصل لسد ذلك فلم يقع لهم ما يسد، فترجعوا إلى الأهواء صحبة بختيار ليظفروا من ذلك بشيء، واستخلف سبكتكين على بغداد، فلما وصلوا إلى الأهواء صحبة بختيار حمل إليه حللين من الأموال والهدايا ملأ عينيه، وهو مع ذلك يتتجنى عليه.

ثم تلاخي خلال ذلك عاملان ديلي وتركي، وتضاربا ونادي كل منهما بيومه فركبوا في السلاح بعضهم على بعض، وسالت بينهما الدماء، وصاروا إلى التزاع، واجهدوا في تسكين الناس فلم يقدروا.

وأشار عليه الدليل بالقبض على الأتراك، فاضطرب رؤسائهم واعتقلهم، وانطلقت أيدي الدليل على الأتراك فاقتربوا، ونودي في البصرة بياحة دماتهم، واستولى بختيار على إقطاع سبكتكين، ودس بأن يرجموا بمورته، فإذا جاء سبكتكين للعزاء قبضوا عليه.

وقيل كان وطاهم على ذلك قبل سفره، وجعل موعده قضيه على الأتراك، فلما أرجعوا موطنه ارتاب سبكتكين بالخبر، وعلم أنها مكيدة ودعاه الأتراك للأمر عليهم فابي، ودعا ابن معز الدولة أبي إسحاق إليها فمنعه أمه، فركب سبكتكين في الأتراك وحاصرها بختيار يومين.

ثم أحرقوها وبعث لأبي إسحاق وأبي ظاهر ابني معز الدولة، وسار بهما إلى واسط فاستولى على ما كان لبختيار، وأنزل

كثير منهم.

## أخبار عضد الدولة في ملك عمان

لما توفي معز الدولة كان أبو الفرج بعمان، فسار عنها لبغداد وبعث إلى عضد الدولة بأن يتسلمه فوليلها عمر بن نبهان الطائي بدعة عضد الدولة، ثم قتلته الزنج وملكوا البلد.

وبعث عضد الدولة إليها جيشاً من كرمان مع قياده أبي حرب طغان، وساروا في البحر وأرسوا على صحار وهي قصبة عمان، ونزلوا إلى البر فقاتلوا الزنج وظفروا بهم، واستولى طغان على صحار سنة اثنين وستين وثلاثمائة.

ثم اجتمع الزنج إلى مدين رستاق على مرحلتين من صحار، فأوقع بهم طغان واستلهمهم وسكنت البلاد، ثم خرج بجيال عمان طوائف الشراة مع ورد بن زياد منهم، وبايعوا لحفص بن راشد، واشتدت شوكتهم، وبعث عضد الدولة المظفر بن عبد الله في البحر فنزل في أعمال عمان وأوقع بأهل خرخان.

ثم سار إلى دما على أربع مراحل، وقاتل الشراة فهزهم وهرب أميرهم ورد بن حفص إلى يزوة، وهي حصن تلك الجبال، ولحق حفص باليمن فصار فيه معلماً، واستقامت البلاد ودانت لطاعة عضد الدولة.

## اضطراب كرمان على عضد الدولة

كان ظاهر بن الصندم من الحروميين، وهي البلاد الحارة، قد ضمن من عضد الدولة ضمادات واجتمعت عليه أموال.

ولما سار عضد الدولة إلى العراق وبعث وزيره المظفر بن عبد الله إلى عمان خلت كرمان من العساكر، فطمع فيها ظاهر وجمع الرجال الحرمونية.

وكان بعض مواليبني سامان من الأترالاك واسمه مؤتمر استوحش من ابن سيجور صاحب خراسان فكتبه ظاهر وأطعمه في أعمال كرمان، فسار إليه وجعله ظاهراً.

ثم شغب عليه بعض أصحاب ظاهر، فارتبا له مؤتمر وقاتلته فظفر به وب أصحابه، وبلغ الخبر إلى الحسين بن علي بن الياس بخراسان فطمع في البلاد وسار إليها، واجتمعت عليه جموع وكتب عضد الدولة إلى المظفر بن عبد الله وقد فرغ من أمر عمان بالمسير إلى كرمان، فسار إليه سنة أربع وستين وثلاثمائة ودخل البلاد في طريقه وكبس مؤمراً بنواحي مدينة قم فلحق بالمدينة وحصره فيها حتى استأمن، وخرج إليه ومعه ظاهر فقتلته المظفر

وساروا إلى تكريت، ودخل عضد الدولة بغداد ونزل دار الملك، واسترد الخليفة الطائع من أنتكين والأترالاك، وكانوا أكثر هؤلاء على الخروج معهم، وخرج للقاء في دجلة وإنزله بدار الخلافة وحدته نفسه بملك العراق، واستضعف مختيار ووضع عليه الجندي طالبونة بارزاً لهم، ولم يكن عنده في خزانته شيء.

وأشار عليه بالزهد في إمارتهم يتتصح له بذلك سراً، والرسل تردد إلى مختار والجندي فلا يقبل عضد الدولة تقربيهم.

ثم تقضى عليه آخرأً ووكل به، وجع الجندي وواعدهم بالإحسان والنظر في أمورهم فنكثوا، وبعث عضد الدولة عسكره إلى ابن بقية ومعه عسكر ابن شاهين فهزموا عسكر عضد الدولة، وكانتوا ركناً الدولة، فكتب إليه بالثبات على شأنهم.

فلما علم أهل النواحي بإنزال عضد الدولة اضطربوا عليه وانقطعت عنه مواد فارس، وطبع فيه الناس حتى عامة بغداد، فحمل الوزير أبا الفتح بن العميد إلى أبيه ركناً الدولة الرسالة بما وقع، ويضعف مختار وأنه إن عاد إلى الأمر خرجت الملكة والخلافة عنه، وأنه يضمّن أعمال العراق بثلاثين ألف درهم في كل سنة، وبعث إليه مختار باليه وإلا قتلت مختار وأخوه جميع شيعتهم وترك البلاد، فخشى ابن العميد من هذه الرسالة، وأشار بأن يبعث بها غيره وبعضاً هو إلى ركناً الدولة فيحاول على مقاصد عضد الدولة، فمضى الرسول إلى ركناً الدولة فحجبه أولاً، ثم أحضره وذكر له الرسالة فهم بقتله، ثم رده وحمله من الإساءة في الخطاب فوق ما أراد.

وجاء ابن العميد، فحجبه ركناً الدولة وأنفذ إلى بالوعيد، وشفع إليه أصحابه واعتذر بأنه إنما جعل رسالة عضد الدولة طريقة إلى الخلاص منه فاحضره، وضمن له ابن العميد إطلاق مختار.

ثم سار إلى عضد الدولة وعرفه بغضبه أبا الفاطل مختار من محبه ورده إلى ملكه على أن يكون نائباً عنه ويخطب له، ويجعل أخيه أباً إسحاق أمير الجيش لضعفه عن الملك.

وخلف أبا الفتح بن العميد لقضاء شؤونه فتشغل هو مع مختار فيما كان فيه من اللذات عن ركناً الدولة، وجاء ابن بقية فاقد الوحوشة بين مختار وعضد الدولة وجيء الأموال واحتزنهما، وأساء التصرف واحتزز من مختار.

الدولة فانهزم بختيار ولحق بواسط، ونهب سواده وملفته، وبعث إليه ابن شاهين بأموال وسلاح وهداه وأخلفه، فسار إليه إلى البطيحة وأصعد منها إلى واسط، وانختلف أهل البصرة فمالت مصر إلى عضد الدولة وريبيعة مع بختيار، ضربت مصر عند انهزامه، وكانتوا عضد الدولة فبعث إليهم عسكراً واستولوا على البصرة، وأقام بختيار بواسط، وبقبض الوزير ابن بقية لاستبداده واحتجازه الأموال، وليرضى عضد الدولة بذلك.

وتزدادت الرسل بينهم في الصلح، وتزداد بختيار في إمضاءه.

ثم وصله ابنا حسنيه الكردي في الف فارس مددأً فاعتزم على محاربة عضد الدولة، ثم بذاته وسار إلى بغداد فاقام بها، ورجع ابنا حسنيه إلى أيهما، وسار عضد الدولة إلى البصرة فأصلاح بين ربيعة ومضر بعد اختلافهما مائة وعشرين سنة.

### نكرة أبي الفتح بن العميد

كان عضد الدولة يجحد على أبي الفتح بن العميد مقامه عند بختيار ببغداد ومحالته له، وما عقده معه من وزارته بعد ركن الدولة.

وكان ابن العميد يكاتب بختيار بأحواله وأحوال أبيه، وكان لعضد الدولة عين على بختيار يكتبه بذلك ويغريه.

فلما ملك عضد الدولة بعد أبيه كتب إلى أخيه فخر الدولة بالري بالقبض على ابن العميد وعلى أهله وأصحابه، واستصنفت أموالهم ومحبت آثارهم، وكان أبو الفضل بن العميد ينذرهم بذلك لما يرى من مخاليل أبي الفتح وإنكاره عليه.

### استيلاء عضد الدولة على العراق ومقتل

بختيار وابن بقية

ولما دخلت سنة سبع وستين سار عضد الدولة إلى بغداد وأرسل إلى بختيار يدعوه إلى طاعته، وأن يسير عن العراق إلى أبي جهة أراد فيمده بما يحتاج إليه من مال وسلاح، فضعمت نفسه فقلع عينه وبعثها إليه، وخرج بختيار عن بغداد متوجهاً إلى الشام. ودخل عضد الدولة بغداد وخطب له بها، ولم يكن خطبه لأحد قبله، وضرب على يابه ثلاث نوبات ولم يكن لمن تقدمه، وأمر أن يلقى ابن بقية بين أرجل الفيلة فضربته حتى مات وصلب على رأس الجسر في شوال سنة سبع وستين وثلاثمائة، ولما انتهى

وحبس مؤقتاً بعض القلاع، وكان آخر العهد به ثم سار إلى ابن إلبياس وقاتلته على باب جيرفت وأخذه أسيراً وضع بعد ذلك خبره، ورجع المظهر ظافراً وصلحت كرمان لعضد الدولة.

### وفاة ركن الدولة وملك ابنه عضد الدولة

كان ركن الدولة ساختطاً على ابنه عضد الدولة كما قدمته وكان ركن الدولة بالري فطرقه المرض سنة خمس وستين وثلاثمائة فسار إلى أصفهان، وتلطّف الوزير أبو الفتح بن العميد إليه في الرضا عن ابنه عضد الدولة، وأن يحضره ويعهد إليه، فحضره من فارس وجمع سائر ولده.

وكان ركن الدولة قد خف من مرضه فعمل الوزير ابن العميد بداره صبيعاً وأحضرهم جميعاً، فلما قصوا شأن الطعام خاطب ركن الدولة أحد أولاده بولاية أصفهان وأعمالها نياية عن أخيه عضد الدولة، وخلع عضد الدولة في ذلك اليوم على سائر الناس الأقبية والأكسيبة بزي الدليل.

وحياة إخوته والقرواد بتحية الملك المعتمد لهم، وأوصاهم أبوهم بالاتفاق وخلع عليهم من الخاص، وسار عن أصفهان في رجب من السنة.

ثم اشتد به المرض في الري توفى في حرم سنة ست وستين وثلاثمائة لأربع وأربعين سنة من ولادته. وكان حليماً كريماً واسع المعرفة حسن السياسة لجنده ورعايته، عادلاً فيهم، متجرحاً من الظلم عفيفاً عن الدماء، بعيد الحمة عظيم الجد والسعادة، حمساً لأهل البيوتات، معتظماً للمساجد متفقداً لها في المراسيم، متفقداً أهل البيت بالبر والصلات، عظيم الهيئة لين الجانب مقرباً للعلماء حمساً إليهم، معتقداً للصلحاء برأ بهم رحمة الله تعالى.

### مسير عضد الدولة إلى العراق وهزيمة بختيار

ولما توفي ركن الدولة ملك عضد الدولة بعده، وكان بختيار وابن بقية يكتسبان أصحاباً قاصيدين مثل فخر الدولة أخيه وحسنيه الكردي وغيرهم للتظاهر على عضد الدولة، فحركه ذلك لطلب العراق، فسار لذلك واحدراً بختيار إلى واسط لمدافعته، وأشار عليه ابن بقية بالتقدم إلى الأهواز، واقتتلوا في ذي القعدة من سنة ست وستين وثلاثمائة ونزع بعض عساكر بختيار إلى عضد

### إيقاع العساكر ببني شيبان

كان بني شيبان قد طال إفسادهم للسابلة، وعجز الملك عن طلبهم، وكانتوا يمتنعون بجبال شهرزور لما بينهم وبين أكرادها من المواصلة، فبعث عضد الدولة العساكر سنة تسع وستين وثلاثمائة فنازلوا شهرزور واستولوا عليها وعلى ملكها رئيس بني شيبان، فذهبوا في البسيط، وسار العساكر في طلبهم فسارعوا بهم واستباحوا أموالهم ونساءهم، وجيء بهم إلى بغداد بثلاثمائة أسير، ثم عاودوا الطاعة والمحسنت عليهم.

### وصول ورد بن منير البطريق الخارج على ملك الروم إلى ديار بكر والقبض عليه

كان أرمانوس ملك الروم لما توفى خلف ولدين صغيرين ملكاً بعده، وكان تقفور وهو يومنذ الدمستق غالباً ببلاد الشام، وكان نكاه فيها، فلما عاد حمله الجندي وأهل الدولة على التباهي عن الولدين فامتنت.

ثم أجاب وأقام بدولة الولدين وتزوج أمهما ولبس التاج، ثم استحوشت منه فراسلت ابن الشمسين في قته، وبيته في عشرة من أصحابه فقتلوا تقفور واستولوا ابن الشمسين على الأمر، واستولى على الأولاد وعلى ابنته ورديس واعتقلهم في بعض القلاع، وسار في أعمال الشام فمات فيها وحاصر طرابلس فامتنت عليه.

وكان لوالد الملك أخٌ خصي وهو الوزير يومنذ فرضع عليه من سقاهم السُّم، وأحسن به فأسرع العود إلى القسطنطينية ومات في طريقه، وكان ورد بن منير من عظاماء البطارقة فطمَّع في الملك، وكاتب أبي ثعلب بن حدان عند خروجه بين يدي عضد الدولة وظاهره، واستجاش بال المسلمين بالغثور وساروا إليه وقصد القسطنطينية، وبرزت إليه عساكر الملkin فهزمهم مرة بعد أخرى، فاطلق الملكان ورديس بن لاون وبعثاه في العساكر لقتال ورد فهزمهم بعد حروب صعبة، ولحق ورد ببلاد الإسلام ونزل ميافارقين، ويعث أخاه إلى عضد الدولة ببذل الطاعة ويطلب النصرة.

وبعث إليه ملك الروم واستسلامه فجنج إليهم، وكتب إلى عامله ميافارقين بالقبض على ورد وأصحابه، فنسوا منه، وتسللوا عنه، فبعث أبو علي الغنماني عنه إلى داره للحديث معه، ثم قبض عليه وعلى ولده وأخيه وجاءه من أصحابه، واعتقلهم ميافارقين،

بحتيار إلى عكbra وكان معه حدان بن ناصر الدولة بن حدان فزبن له قصد الموصل، واستسلامه إليه عن الشام، وقد كان عقد معه عضد الدولة أن لا يقصد الموصل لمواصلة بيته وبين أبي ثعلب، فسار هو إلى الموصل ونقض عهده، وانتهى إلى تكريت فبعث إليه أبو ثعلب يعدد المسير معه لقتال عضد الدولة، وإعادة ملكه على أن يسلم إليه أخاه حدان، فقبض بحتيار عليه وسلمه إلى سفاته وحبسه أبو ثعلب، وسار بحتيار إلى الحديثة، ولقيه أبو ثعلب في عشرين ألف مقاتل، ورجع معه إلى العراق ولقيهما عضد الدولة بنواحي تكريت فهزمهما، وجيء بحتيار أسيراً، فشار أبو الروافد ظاهر بن إسماعيل كبير أصحاب عضد الدولة بقتله فقتل لاثنتي عشرة سنة من ملكه.

واستسلم كثير من أصحابه، وانهزم أبو ثعلب بن حدان إلى الموصل.

### استيلاء عضد الدولة على أعمال بني حдан

ولا انهزم أبو ثعلب سار عضد الدولة في أثره فملك الموصل متصرف ذي القعدة سنة ست وستين وثلاثمائة وكان حل معه الميرة والعلوفات خوفاً أن يقع به مثل ما وقع بسلفة، فقام بالموصل مطمئناً وبيث السرايا في طلب أبي ثعلب، ولحق بنصبيين ثم ميافارقين، فبعث عضد الدولة في أثره سرية عليها أبو ظاهر بن محمد إلى سنجار، وأخرى عليها الحاجب أبو حرب طغان إلى جزيرية ابن عمر، فترك أبو ثعلب أهله ميافارقين وسار إلى تدلس ووصل أبو الروافد في العساكر إلى ميافارقين فامتنت عليه، فسار في اتباع أبي ثعلب إلى أرزن الروم ثم إلى الحسينية من أعمال الجزيرة، وصعد أبو ثعلب إلى قلعة كواشي فأخذ أمواله منها وعاد أبو الروافد وحاصره ميافارقين، وسار عضد الدولة وقد افتح سائر ديار بكر.

وسار أبو ثعلب إلى الرحبة ورجع أصحابه إلى أبي الروافد فامتهن وعاد إلى الموصل، فسلم ديار مصر من يده.

وكان سعد الدولة على الرحبة وتقرى أعمال أبي ثعلب وحصونه، مثل هوا والملاسي وفرقى والسفيني وكراشي بما فيها من خزاناته وأمواله، واستخلف أبو الروافد على الموصل وجمع أعمال بني ثعلب وعاد إلى بغداد، وسار أبو ثعلب إلى الشام فكان فيه مهلكه كما مر في أخباره.

ثم بعث بهم إلى بغداد فحبسوها.

### دخول بنى حسنيه في الطاعة وبداية أمرهم

شأن مختار وابن حدان وحسنيه، وعظم استيلاؤه أراد إصلاح الأمر بينه وبين أخيه قابوس بن شمسكير، فكاتب مؤيد الدولة وفخر الدولة يعتبه ويستميله، وكان الرسول خواشاده من أكبر أصحاب عض الدولة، فاستمال أصحاب فخر الدولة وضمن لهم الإقطاعات، وأخذ عليهم العهود، واعترض عض الدولة على المسير إلى الري وهمدان، وسرق العساكر إليها مسللة، فأبوا الوفاء طاهر في عسكر، وخواشاده في عسكر، وأبوا الفتح المظفر بن أحد في عسكر.

ثم سار عض الدولة في أثرهم من بغداد، ولما أطلت عساكره استأمن قرادة فخر الدولة وبنت حسنيه وزيره أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن حدوة، ولحق فخر الدولة ببلاد الدليم، ثم بيرجان، ونزل على شمس المعالي قابوس بن شمسكير مستجيرًا، فأنهه وأواه وحمل إليه فوق ما أمله، وشاركه فيما يبيده من الملك وغيره.

وملك عض الدولة همدان والري وما بينهما من الأعمال، وأضافها إلى أخيه مؤيد الدولة بن بوريه صاحب اصفهان وأعمالها.

ثم عطف على ولاية حسنيه الكردي وفتح نهاروند والدينور سرماج، وأخذ ما كان فيها لبني حسنيه، وفتح عدة من قلاعهم، وخلع على بدر بن حسنيه وأحسن إليه وولاه رعاية الأكراد، وقبض على إخوه عبد الرزاق وأبي العلاء وأبي عدنان. ولما لحق فخر الدولة بيرجان وأجاره قابوس بعث إليه إخوه عض الدولة في طلبه، فأجاره وامتنع من إسلامه.

فجهز إلى عض الدولة أخاه مؤيد الدولة صاحب اصفهان بالعساكر والأموال والسلاح، فسار إلى جرجان، ويرز قابوس للقاء، والتقدوا بتراحيي أستراباذ في متصرف إحدى وسبعين وثلاثمائة فانهزم قابوس ومر بعض قلاعه فاحتل منها ذخيرته ولحق بنيسابور.

وجاء فخر الدولة منهزمًا على أثره، وكان ذلك لأول ولاية حسام الدولة تاش خراسان من قبل أبي القاسم بن منصور من بي سامان، فكتب بخبرهما إلى الأمير نوح وزيره العتبى أبي العباس تاش، فجاءه الجواب بنصرهما، فجمع عساكر خراسان وسار معهما إلى جرجان فحاصروا بها مؤيد الدولة شهرین حتى ضاقت أحوال مؤيد الدولة، واعترض هو وأصحابه على الخروج والاستئناف بعد أن كاتب فاتحًا الخاصة الساماني، ورغبه، فوعده بالانهزام عند اللقاء.

وخرج مؤيد الدولة، وانهزم فائق وتبغ العساكر وثبت تاش

كان حسنيه بن حسن الكردي من جنس البرز فكان من الأكراد من طائفة منهم يسمون الذولنية وكان أميراً على الierz مكان خاله ونداد، وكان ابنًا أحد بن علي من طائفة أخرى من البرز، فكانوا يسمون العيشانية وغلباً على أطراف الدينور وهمدان ونهاروند والدامغان وبعض أطراف آذربيجان إلى حد شهرزور، وبقيت في أيديهم خمسين سنة، وكانت تختتم عليها من الأكراد جمع عظيمة، ثم توفي عام ست وخمسين وثلاثمائة.

وكانت له قلعة بستان وغانم أباد وغيرها، فملكتها بعده ابنته أبو سالم إلى أن غله الوزير أبو الفتح بن العميد. وتوفي ونداد سنة تسع وأربعين وثلاثمائة وقام ابنه عبد الوهاب أبو الغنائم مقامه، وأراد الساذجان، وأسلمته إلى حسنيه فاستولى على أملاكه وقلاعه.

وكان حسنيه عظيم السياسة حسن السيرة، وبنى أصحابه حصن التلصص، وهي قلعة سرماج بالصخور المهدسة، وبنى بالدينور جامعاً كذلك، وكان كثير الصدقة بالحرمين.

ثم توفي سنة تسع وستين وثلاثمائة وافتقر أولاده من بعده، فبعضهم صار إلى طاعة فخر الدولة صاحب همدان وأعمال الجبل، والآخرون صاروا إلى عض الدولة وكان مختاراً منهم بقلعة سرماج ومعه الأموال والذخائر، فكاتب عض الدولة بالطاعة، ثم انقض.

فبعث عض الدولة عسكراً فحاصروه وملكوا القلعة من يده والقلاع الأخرى من إخوته.

واستولى عض الدولة على أعمالهم واصطنع من بينهم أبي النجم بن حسنيه، وأمده بالعساكر فقضى تلك التراحي، وكف عادية الأكراد بها واستقام أمرها.

### استيلاء عض الدولة على همدان والري من يد أخيه فخر الدولة وولاية أخيهما مؤيد الدولة عليها

قد تقدم أن رکن الدولة عهد إلى ابنه فخر الدولة، وكان يكاتب مختاراً، وعلم بذلك عض الدولة فأغضى، فلما فرغ من

فخلع على أخيه أبي الحسن أحمد وأبي ظاهر فiroz Shah وأقطعهما فارس وبعثهما إليها.

### استيلاء شرف الدولة بن عضد الدولة على

#### فارس واقتطاعها من أخيه صمصاص الدولة

كان شرف الدولة أبو الفوارس شرزيك قد ولأه أبوه عضد الدولة قبل موته كرمان ويعث إلى، فلما بلغه وفاة أبيه سار إلى فارس فملكتها وقتل نصر بن هارون النصراوي وزير أبيه لأنه كان يسيء عشرته، وأطلق الشرف أبي الحسن محمد بن عمر العلوي، كان أبوه حبسه بما قال عنه وزيره المظفر بن عبد الله عند قتله نفسه على البطيخة.

وأطلق القبيح أبي أحد والد الشريف الرضي والقاضي أبي محمد بن معروف وأبا نصر خواشادة، وكان أبوه حبسهم وقطع خطبة أخيه صمصاص الدولة وخطب نفسه، وتلقب بأشخى الدولة ووصل آخره أبو الحسن أحد وأبو ظاهر فiroz Shah اللذان أقطعهما صمصاص الدولة بشيراز فبلغهما خبر شرف الدولة بشيراز فدل إلى الأهواز، وجمع شرف الدولة وفرق الأموال، وملك البصرة وولى عليها أخيه أبي الحسين.

ثم بعث صمصاص الدولة العساكر مع ابن تشن حاجب أبيه، وأنفذ مشرف الدولة مع أبي الآخر ديبس بن عفيف الأسدية، والتقيا بظاهر عقرقوف، وانهزم عسكر صمصاص الدولة وأسر ابن تشن الحاجب واستولى حيثذا الحسين بن عضد الدولة على الأهزار ورامهرمز وطعم في الملك.

### وفاة مؤيد الدولة صاحب أصفهان والري

#### وجرجان وعد فخر الدولة إلى ملكه

ثم توفي مؤيد الدولة يوسف بن بويه بن ركن الدولة صاحب أصفهان والري بجرجان سنة ثلاط وسبعين وثلاثمائة واجتمع أهله للشورى فمن يولوه، فأشار الصاحب إسماعيل بن عباد بإعادة فخر الدولة إلى ملكه لكبر سنّه.

وتقدم إمارته بجرجان وطبرستان، فاستدعوه من نيسابور، ويعث ابن عباد من استخلفه ل نفسه، وتقدم إلى جرجان فلتقاء العسكر بالطاعة وجلس على كرسيه وتقادى ابن عباس من الوزارة فمنعه واستوزره، والتزم الرجوع إلى إشارته في القليل

وفخر الدولة وقادوس إلى آخر النهار، ثم انهزموا ولحقوا بنيسابور، ويعثوا بالخبر إلى الأمير نوح، فبعث إليهم بالعساكر ليعود إلى جرجان، ثم قتل الوزير العتي كما تقدم في أخبار دولتهم وانتقض ذلك الرأي.

### استيلاء عضد الدولة على بلاد الهكارية

#### وقلعة سندة

كان عضد الدولة قد بعث عساكره إلى بلاد الأكراد الهكارية من أعمال الموصل، فحاصر قلاعهم وضيق عليهم، وكمانوا يؤمليون نزول الثلوج فترحل عنهم العساكر، وتاخر نزوله فاستأنمنا ونزلوا من قلاعهم إلى الموصل، واستولت عليهما العساكر وغدر بهم مقدم الجيش فقتلهم جميعاً، وكانت قلعة بنواحي الجبل لأبي عبد الله المري مع قلاع أخرى، وله فيها ساكن نفيسة، وكان من بيت قديم، فقبض عليه عضد الدولة وعلى أولاده واعتقلهم وملك القلاع.

ثم أطلقهم الصاحب بن عباد فيما بعد واستخدم أبا طاهر من ولده واستكبه وكان حسن الخط واللقطة.

### وفاة عضد الدولة وولاية ابنه صمصاص

#### الدولة

ثم توفي عضد الدولة ثامن شوال سنة اثنين وسبعين خمس سنتين ونصف من ولايته العراق، وجلس ابنه صمصاص الدولة أبو كاليجار المربزيان للعزاء، فجاءه الطائع معزياً، وكان عضد الدولة بعد المدة شديد الهيبة حسن السياسة ثاقب الرأي محباً للفضائل وأهلها، وكان كثير الصدقه والمحروف ويدفع المال لذلك إلى القضاة ليصرفوه في وجهه.

وكان حباً للعلم وأهله مقرباً لهم حمسنا إليهم، وجلس معهم ويناظرهم في المسائل، فقصده العلماء من كل بلد، وصنفت الكتب باسمه كاليإياضاح في النحو والمحجة في القراءات والملكي في الطبع والتأثريح في التواريخ وعمل اليمارستانات وبني القنطرة.

وفي أيامه حدثت الكوس على المبعثات، ومنع من الاحتراز ببعضها، وجعلت متجرأً للدولة.

ولما توفي عضد الدولة اجتمع القواد والأمراء على ابنه أبي كاليجار المربزيان وولوه الملك مكانه، ولقبوه صمصاص الدولة،

وملك باد سنة ثلات وسبعين وثلاثمائة الموصى، وحدث نفسه بملك بغداد، وأخرج الدليل عنها.

واهتم صمصم الدولة بأمره، وبعث زياد بن شهراكونه من أكبر قواد الدليل لقتاله، واستكثر له من الرجال والعدد والمال، وسار إلى باد فلقيه في صفر سنة أربع وسبعين وثلاثمائة وانهز باد وأسر أكثر أصحابه، ودخل زياد بن شهراكونه الموصى، وبعث سعيد الحاجب في طلب باد فقد صد جزيرة ابن عمر وعسكر آخرًا في نصبيين.

وجمع باد الجموع بديار بكر، وكتب صمصم الدولة إلى سعد الدولة بن سيف الدولة بتسليم ديار بكر له، بعث إليها عساكره من حلب وحاصروها ميافارقين وخامروا عن لقاء باد فرجعوا عن حلب، ووضع سعيد الحاجب رجلاً لقتل باد، فدخل عليه وضربه في خيمته فأصابه وأشرف على الموت منها، فطلب الصلح على أن يكون له ديار بكر والنصف من طور عبيدين، فألجهه الدليل إلى ذلك، واخدرها إلى بغداد وأقام سعيد الحاجب بالموصل إلى أن توفي سنة سبع وسبعين وثلاثمائة أيام مشرف الدولة فتجدد الكردي وطمع في الموصى، وولى مشرف الدولة عليها ابن نصر خواشاده، وجهزه بالعساكر، ولما زحف إليه باد الكردي كتب إلى مشرف الدولة يستمد العساكر والأموال، فابطا علىه المدد، فاستدعى العرب من بيتي عقيل وبيتي غير وأقطعهم البلاد ليدافعوا عنها، واخدر باد واستول على طور عبيدين ولم يقدر على التزول على الصحراء، وبعث أخاه في عسكر لقتال العرب فهزمه وقتلوا.

ثم أتاهم الخبر بموت مشرف الدولة، فعاد خواشاده إلى الموصى وأقامت العرب بالصحراء ينتظرون باد من التزول ويتظرون خروج خواشاده لدافعته باد وحربيه، وبينما هم في ذلك جاء إبراهيم وأبو الحسين ابننا ناصر الدولة بن حдан فملكوا الموصى كما ذكرنا في أخبار دولتهم.

### استيلاء صمصم الدولة على عمان ورجوعها لمشرف الدولة

كان مشرف الدولة استولى على فارس وخطب له بعمان، وولى عليها أستاذ هرمز فانتقض عليه وصار مع صمصم الدولة وخطب له بعمان بعث مشرف الدولة إليه عسكراً فهزمه أستاذ هرمز وأسره، وحبس بعض القلاع وطلوب بالأموال، وعادت عمان إلى مشرف الدولة.

والكثير، وأرسل صمصم الدولة وعاشه على الاتحاد والمظاهره. ثم عزل الأمير نوح أبا العباس تاش عن خراسان، وولى عليها ابن سيجور، فانتقض تاش ولقيه ابن سيجور فهزمه فلتحق بمرجان، فكافأه فخر الدولة وتركه جرجان ودهستان وأستاذ وسار عنها إلى الري وأمده بالأموال والآلات، وطلب خراسان فلم يظفر بها فأقام بمرجان ثلاثة سنين. ثم مات سنة سبع وسبعين وثلاثمائة كما ذكرنا في أخبار بني سامان.

### انتفاض محمد بن غام على فخر الدولة

قد تقدم لنا ذكر غام البرزيكاني خال حسنيه، وأنهم كانوا رؤساء الأكراد، وأنه مات سنة خمسين وثلاثمائة وكان ابنه دليسيم مكانه في قلاعه فستان وغام أبا، وملكتها منه أبو الفتح بن العميد، ولما كانت سنة ثلات وسبعين وثلاثمائة انتقض محمد بن غام بنايةة كردون من أعمال قم على فخر الدولة، ونهبت غلات السلطان وامتنع محسن الفهجان واجتمع إليه البرزيكاني.

وسارت العساكر لقتاله في شوال فهزتها مرة بعد أخرى إلى أن بعث فخر الدولة إلى أبي النجم بدر بن حسنيه بالتكير في ذلك، فصالحة أول أربع وسبعين وثلاثمائة ثم سارت إليه العساكر سنة خمس وسبعين وثلاثمائة فقاتلها وأصيب بطعنة، ثم أخذ أسرًا ومات بطعنته.

### تغلب باد الكردي على الموصى من يد الدليل ثم رجوعها إليهم

قد تقدم لنا استيلاء عضد الدولة على الموصى وأعمالها، وتقدم لنا ذكر باد الكردي خال بني مروان، وكيف خان عضد الدولة لما ملك الموصى، وطلب فشار يخيف بدار بكر ويغير عليها حتى استفحلا أمره وملك ميافارقين كما ذكرنا ذلك كله في أخبار بني مروان، وأن صمصم الدولة جهز إليه العساكر مع أبي سعيد بهرام بن أردشير، فهزمه باد وأسر أصحابه، فأعاد صمصم الدولة إليه العساكر مع أبي سعيد الحاجب، وقت باد في الدليل بالقتل والأسر.

ثم اتى سعيد خانور الحسينية من بلد كواشي فانهزم سعيد الحاجب إلى الموصى وثارت العامة بالدليل.

## استيلاء مشرف الدولة على الأهواز ثم على بغداد واعتقال صمصاص الدولة

ثم سار مشرف الدولة أبو الفوارس بن عضد الدولة من فارس لطلب الأهواز، وقد كان آخره أبو الحسين تغلب عليها عند انهزام عساكر صمصاص الدولة سنة اثنين وسبعين، وكان صمصاص الدولة عندما ملك بعث أبي الحسين وأبا ظاهر أخيه على فارس كما قدمناه، فرجداً أخاهما مشرف الدولة قد سبقهما إلى ملكها. وعندما ملك فارس والبصرة ولاهما على البصرة، فلما انهزمت عساكر صمصاص الدولة أمام عسكر مشرف الدولة بعث أبو الحسين على الأهواز فملكها وأقام بها، واستخلف على البصرة أخيه أبو ظاهر، فلما سار مشرف الدولة هذه السنة إلى الأهواز قدم إليه الكتاب بأن يسير إلى العراق، وأنه يقره على عمله، فشق ذلك على أبي الحسين، وتجهز للدفاع، فعاجله مشرف الدولة عن ذلك.

وأخذ السير إلى أرجان فملكتها، ثم راهممز، وانتقض أجناده ونادوا بشعار مشرف الدولة، فهرب إلى عمّه فخر الدولة بالري، وائزنه باصفهان ووعده بالنصر، وأيضاً عليه فشار في أصفهان بدعاوة أخيه مشرف الدولة فقبض عليه جندها وبعشوا به إلى الري، فحبسه فخر الدولة إلى أن مرض واشتد مرضه فأرسل من قته في محبسه.

ولما هرب أبو الحسين من الأهواز سار إليها مشرف الدولة، وأرسل إلى البصرة قاتلاً فملكتها، وقبض على أخيه أبي ظاهر وبعث إليه صمصاص الدولة في الصلح، وأن يخطب له ببغداد، وسارت إليه المخلع والألقاب من الطائع، وجاء من قبل صمصاص الدولة من يستخلفه، وكان معه الشريف أبو الحسن محمد بن عمر الكوفي، فكان يستحثه إلى بغداد.

وفي خلال ذلك جاءته كتب القواد من بغداد بالطاعة، وبعث أهل بطايعتهم فامتنع من إقامت الصلح، وسار إلى واسط فملكتها وأرسل صمصاص الدولة أخيه أبو نصر يستعطفه بالسلامة فلم يعطف عليه.

وشغب الجند على صمصاص الدولة فاستشار صمصاص الدولة أصحابه في طاعة أخيه فهو.

وقال بعضهم: نصعد إلى عكرا وتنتين الأمر، وإن دهمنا ما لا نقوى عليه سرنا إلى الموصل ونتنصر بالدليل، وقال آخرون: نقصد فخر الدولة بأصفهان، ثم خالفه إلى فارس فتحتوى على

## خروج أبي نصر بن عضد الدولة على أخيه صمصاص الدولة وانهزامه وأسره

كان أسفار بن كردويه من أكابر قواد الدليم واستوحش من صمصاص الدولة فمال عن طاعته إلى أخيه مشرف الدولة وهو بفارس، ودخل رجال الدليم في صمصاص الدولة وأن ينصبوا بها الدولة أبو نصر بن عضد الدولة ثانياً عن أخيه مشرف الدولة حتى يقدم من فارس، وتتمكن أسفار من الخوض في ذلك، فمرض صمصاص الدولة وتآخر عن حضور الدار وراسله صمصاص الدولة أنه لا ذنب له لأنّه كان صبياً، فاعتقله مكرماً، وسعى إليه بيان سعدان وزيره أوهواه كان معهم فعزله وقتلته ومضى أسفار إلى أبي الحسن بن عضد الدولة بالأهواز وممضى بقية العسكر إلى مشرف الدولة بفارس.

## استيلاء القرامطة على الكوفة بدعاوة شرف الدولة ثم انتزاعها منهم

كان للقرامطة محل من البأس والهيبة عند أهل الدول، وكانت يداً فرعونهم في أكثر الأوقات بالمال، وأنقطعهم معن الدولة وابنه بختيار ببغداد وأعمالها، وكان يأتيهم ببغداد أبو بكر بن ساهريه يختار بحكم الوزراء، فقبض عليه صمصاص الدولة وكان على القرامطة في هجر ونيسابور مشتركان في إمارتها، وهما إسحاق وجعفر.

فلما بلغهما الخبر سارا إلى الكوفة فملكتها وخطباً لشرف الدولة، وكانتهما صمصاص الدولة بالعتب فذكراً أمرهما ببغداد، وانتشر القرامطة في البلاد وجروا الأموال، ووصل أبو قيس الحسن بن المنذر من أكابرهم إلى الجامعين فسرح صمصاص الدولة العسكر ومعهم العرب، فعبروا الفرات وقاتلوا فهزموه وأسرروه، وقتلوا جماعة من قواد القرامطة.

ثم عاودوا عسكراً آخر ولقيتهم عساكر صمصاص الدولة بالجامعين فانهزم القرامطة وقتل مقدمهم وغيره، وأسروا منهم العسacker وساروا في اتباعهم إلى القادسية فلم يدركوه.

حسنيه مليله مع عمه فخر الدولة، ببعثه إليه في العسكر سنة سبع وسبعين وثلاثمائة فهزمه بدر بوادي قرمسين بعد أن هزم قراتكين أولاً.

ونزل العسكر فكر عليهم بدر فهزهم وأتمن فهم ونجا قراتكين في الفل إلى جسر النهروان حتى اجتمع إليه المهزومون، ودخل بغداد واستولى بدر على أعمال الجبل.

ولما رجع قراتكين أغري الجندي بالشغب على الوزير أبي منصور بن صالحان، فاصلح مشرف الدولة بينه وبين قراتكين. وقدها له قبض عليه بعد أيام وعلى جماعة من أصحابه، واستصفى أمراءهم وشعب الجندي من أجله قتله، وقدم عليهم مكانه طنان الحاجب.

ثم قبض سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة على شكر الخادم خالصة أخيه عضد الدولة وخالصته، وكان يخدد عليه من أيام أخيه من ساعاته فيه منها إخراجه من بغداد إلى كرمان تقرباً إلى أخيه مصمم الدولة بإخراجه.

فلما ملك مشرف الدولة بغداد اختفى شكر فلم يعثر عليه، وكان معه في اختفائه جارية حسنة فلقت بغيره، وفطن لها فصربيها فخرجت مغاضبة له.

وجاءت إلى مشرف الدولة فدللت عليه فأحضره وهم بقتله، وشقق فيه خبر الخادم حتى وبه له.

ثم استاذن في الحج وسار من مكة إلى مصر فاختصه خلفاء الشيعة وأتذله عندهم بالنزلة الرفيعة.

## وفاة مشرف الدولة وولايته أخيه بهاء

### الدولة

ثم توفي مشرف الدولة أبو الفوارس سرديك بن عضد الدولة ملك العراق في منتصف سبع وسبعين وثلاثمائة لشامية أشهر وستين من ملكه، ودفن بمشهد علي.

ولما اشتتدت عليه بعث ابنه أبي علي إلى بلاد فارس بالخزائن والعدد مع أمه وجواريه في جماعة عظيمة من الأتراك، وسأله أصحابه إن يعهد فقال: أنا في شغل عن ذلك، فصالوه نيابة أخيه بهاء الدولة ليسكن الناس إلى أن يستيقن من مرضه، فولاه نيابة.

ولما جلس بهاء الدولة في دست الملك، ركب إليه الطائع فعزاه وخلع عليه خلع السلطنة، وأقر بهاء الدولة أبي منصور بن

خزائن مشرف الدولة وذخائره في صالح كرهاً فأعرض عنهم، وركب مصمم الدولة إلى أخيه مشرف الدولة في خواصه فلقاه بالمرأة، ثم قبض عليه وسار إلى بغداد فدخلها في رمضان سنة ست وسبعين وثلاثمائة وأخوه مصمم الدولة في اعتقاله بعد أربع سنين من إمارته بالعراق.

## أخبار مشرف الدولة في بغداد مع جنده ووزرائه

لما دخل مشرف الدولة بغداد كان الدليم معه في قوة وعد، تنهي عدتهم إلى خمسة عشر ألفاً، والأتراك لا يزيدون على ثلاثة آلاف.

فاستطاع الدليم بذلك وجرت بين اتباعهم لأول دخولهم بغداد مصادرة أكت إلى الحرب بين الفريقيين، فاستظهر الدليم على الترك وتنددوا بإعادة مصمم الدولة إلى ملكه، فارتبا بهم مشرف الدولة ووكل بضم مشرف الدولة من يقتله إن هموا بذلك. ثم أتيحت الكورة للأتراك على الدليم وفتوكوا فيهم، واقتروا واعتضم بعضهم ب嗾 مشرف الدولة.

ثم دخل من الغد إلى بغداد فقبله الطائع وهناء بالسلامة. ثم أصلح بين الطائفتين واستخلفهم جميعاً، وهل مصمم الدولة إلى قلعة ورد بفارس فاعتقل بها، وكان خبر الخادم بشير بقتله فلا يحييه أحد، واعتقل سنة تسعة وسبعين وثلاثمائة وأشرف على الهلاك، ثم أشار خبر في قتله أو سمله، بعث بذلك من يتق به فلم يقدم على سمله حتى استشار أبا القاسم بن الحسن الناظر هناك فأشار به فسمله.

وكان مصمم الدولة يقول: إنما أعماني العلاء لأنه في معنى حكم سلطان ميت.

ولما فرغ مشرف الدولة من فتنة الجندي صرف نظره إلى تهذيب ملكه، فرد على الشريف محمد بن عمر الكوفي جميع أملائه، وكانت تغل في كل سنة الفي ألف وخمسة ألف درهم، ورد على القبيب أبي أحمد والد الرضي جميع أملائه.

وأقر الناس على مراتبهم، وكان قبض على وزيره أبي محمد بن فاسنجس وأفرج عن أبي منصور الصاحب، واستوزره فأقره على وزارته ببغداد.

وكان قراتكين قد أفرط في الدولة والضرب على أيدي الحكام فرأى أن يخرجه إلى بعض الوجه، وكان حتفاً على بدر بن

ثم ارتاب فخر الدولة بالصاحب بن عباد خشية من ميله مع أولاد عضد الدولة فاستعاده، وساروا جميعاً إلى الأهواز فملكتها فخر الدولة وأساء السيرة في جندها وجنته، وحبس عنهم العطاء فتخاذلوا وكان الصاحب منذ اتهمه ورده عن طريقه معرضأً عن الأمور ساكتاً، فلم تستقم الأمور بإعراضه.

ثم بعث بهاء الدولة عساكره إلى الأهواز فقاتلوا هم وزادت دجلة إلى الأهواز، وانفقت أنهاها رفاهيتها الجندي وحسبوها مكيدة فانهزموا، وأشار عليه الصاحب بإطلاق الأموال فلم يفعل، فانقضت عنه عساكر الأهواز، وعاد إلى الري وقبض في طريقه على جماعة من قواد الدليم والري، وعادت الأهواز إلى دعوة بهاء الدولة.

### مسير بهاء الدولة إلى أخيه صمصم الدولة بفارس

ثم سار بهاء الدولة سنة ثمانين وثلاثمائة إلى خوزستان عازماً على تصدى فارس، وخلف ببغداد أبا نصر خواشاده من كبار قواد الدليم، ومر بالبصرة فدخلها، وسار منها إلى خوزستان، وأناه نعي أخيه أبي ظاهر فجلس لعزائه، ودخل أرجان وأخذ جميع ما فيها من الأموال، وكانت ألف الف دينار وثمانمائة ألف الف درهم، وهرعت إليه الجنود وتفرقوا فيما تلك الأموال كلها.

ثم بعث مقدمته أبا العلاء بن الفضل إلى التوبندجان فهزموا بها عسكر صمصم الدولة، فأعاد صمصم الدولة العساكر مع فولاد بن ماندان فهزموا أبا العلاء بمبراسلة وخديعة من فولاد، كبسه في أثرها، فعاد إلى أرجان مهزوماً.

ولحق صمصم الدولة من شيراز بفولاد.

ثم ترددت الرسل في الصلح على أن يكون لصمصم الدولة بلاد فارس وأرجان وبهاء الدولة خوزستان والعراق، ويكون لكل منهما انقطاع في بلد صاحبه، فتم ذلك بينهما وتحالفاً عليه، وعاد بهاء الدولة إلى الأهواز، وبلغه ما وقع ببغداد من العيارات وبين الشيعة وأهل السنة وكيف نهبت الأموال وخرجت المساكين فأعاد السير إلى بغداد وصلحت الأحوال.

### القبض على الطائع ونصب القادر للخلافة

قد ذكرنا أن بهاء الدولة وقد شغب الجندي عليه لقلة الأموال، وقبض وزيره فلم يعن عنه.

صالحان على وزارته.

### و ثوب صمصم الدولة بفارس وأخباره مع أبي علي ابن أخيه مشرف الدولة

قد تقدم لنا أن صمصم الدولة اعتقله آخره مشرف الدولة بقلعة ورد قرب شيراز من أعمال فارس عندما ملك بغداد سنة ست وسبعين وثلاثمائة.

فلما مات مشرف الدولة وكان قد بعث ابنه أبي علي إلى فارس، ولحقه موت أبيه بالبصرة فبعث ما معه في البحر إلى أرجان، وسار إليها في البر مخفياً.

والتف عليه الجندي الذين بها، وكانته العلاء بن الحسن من شيراز مخبر صمصم الدولة، فسار إلى شيراز واختلف عليه الجندي، وهو الدليم بإسلامه إلى صمصم الدولة، فتحرك الأتراك وقاتل الدليم أيامه، ثم سار إلى نسا والأترار معه، فأخذوا ما بها من المال وقتلوا الدليم ونهبوا أموالهم وسلاحهم.

وسار أبو علي إلى أرجان، ويعث الأتراك إلى شيراز فقاتلوا صمصم الدولة والدليم ونهبوا البلد، وعادوا إليه بارجان.

وجاءه رسول عمه بهاء الدولة من بغداد بالمواعيد الجميلة، ودس مع رسوله إلى الأتراك، واستلمهم فحسنوا لأبي علي المسير إلى عمه بهاء الدولة، فسار إليه ولقيه بواسط متصف ثمانين وثلاثمائة وقد أعد له الكرامة والتزوّل، ثم قبض عليه لأيام وقتلته، وتمهّز للمسير إلى فارس.

### مسير فخر الدولة صاحب الري وأصفهان وهمدان إلى العراق وعوده

كان الصاحب أبو القاسم إسماعيل بن عباد وزير فخر الدولة بن ركن الدولة يحب العراق ويريد بغداد، لما كان بها من الحضارة واستثنى الفضائل.

فلما توفي مشرف الدولة سلطان بغداد رأى أن الفرصة قد تحكت فدس إلى فخر الدولة من يغريه بملك بغداد، حتى استشاره في ذلك، فلما طاف في الجواب بأن أحالة على سعادته فقبل إشارته، وسار إلى حدان ووفد عليه بدر بن حسنيه ودييس بن عفيف الأسدى، وشاوروا في المسير فسار الصاحب بن عباد ويدر في المقدمة على الجادة، وفخر الدولة على خوزستان.

وحل ذخائر الخلافة إلى داره، ثم حمله على نكبة وزيره أبي نصر سابور واسترزر أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف، وبعد مرجه من خوزستان قضى على أبي خواشاده وأبي عبد الله بن ظاهر سنة إحدى وثمانين وتلائمة لأنهما لم يوصلَا لابن المعلم هداياهما، فحمل بهما الدولة على نكبهما.

ولما استطال على الناس وكثُرَتِ الصُّورَ منه شُغبَ الجنُدِ على  
بِهاءِ الدُّولَةِ وطالبُوهُ بِياسِلَامِ إِلَيْهِمْ، ورَاجَعُهُمْ فَلَمْ يَقْبِلُوْا، فُقْبِضُ  
عَلَيْهِ وَعَلَى سَائِرِ أَصْحَابِهِ لِيُسْتَرْضِيَهُمْ بِذَلِكَ فَلَمْ يَرْضُوا إِلَّا بِهِ،  
فَأَسْلَمُوهُ إِلَيْهِمْ وَقُتُلُوهُ.

ثم اتهم الوزير أبا القاسم بـ«دخوله الجندي في الشغب على الوزير، فقبض عليه واستوزر مكانه أبا نصر سابر وأبا نصر بن الوزير الأولين وأقاما شريken في الوزارة.

خروج أولاد بختيار وقتلهم

كان عضد الدولة قد حبس أولاد مختيار فأقاموا معقلين  
مدة أيامه وأيام صمصم الدوّلة من بعده.  
ثم أطلقهم مشرف الدوّلة وأحسن إليهم وأنزلهم بشيراز  
وأقطلهم.

فَلَمَّا مات مُشْرِفُ الدُّوَلَةِ حَبْسُوا فِي قَلْعَةِ بِيلَادِ فَارِسِ،  
فَاسْتَمْالُوا إِلَى الْمُرْكَلِ الَّذِي عَلَيْهِمُ الْجَنْدُ الَّذِي مَعَهُمْ مِنَ الدِّيْلَمِ،  
فَأَفْرَجُوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ سَنَةُ ثَلَاثَةِ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثَمَائَةِ. وَاجْتَمَعُ إِلَيْهِمْ  
أَهْلُ تَلْكَ التَّوَاحِي وَأَكْثَرُهُمْ رِجَالٌ، وَبَلَغَ الْخَبَرُ إِلَى صَمْصَامِ الدُّوَلَةِ  
فَبَعْثَ أَبَا عَلِيِّ بْنِ أَسْتَاذِ هَرْمَزِ فِي عَسْكَرٍ، فَاقْفَرَتْ تَلْكَ الْجَمْعَ  
وَخَصَنْ بَنْ بَخْتَارِ وَمِنْ مَعْهُمْ مِنَ الدِّيْلَمِ، وَحَاصِرُهُمْ أَبُو عَلِيِّ،  
وَأَرْسَلَ أَحَدَ الدِّيْلَمِ فَاصْعَدُهُمْ سَرَّاً وَمَلَكُوكُوا الْقَلْعَةَ وَقُتْلُوا  
أَوْلَادُ بَخْتَارِ.

استيلاء صمصاص الدولة على الأهواز

و رجعوا منه

ثم انقضى الصلح سنة ثلاط وثمانين وثلاثمائة بين بهاء الدولة صاحب بغداد وأخيه صمّام الدولة صاحب خوزستان، وذلك أن بهاء الدولة بعث أبا العلاء عبد الله بن الفضل إلى الأهران، وأسر إليه أن يبعث العساكر متفرقة، فإذا اجتمعوا عنده صدر بهم بلاد فارس.

وكان أبو الحسن بن المعلم غالباً على هرآه، فاطممه في مال الطائع، وزين له القبض عليه.

فارسل إليه بهذه الدولة في الحضور عنده، فجلس على العادة، ودخل بهذه الدولة في جمع كبير وجلس على كرسيه، وأهوى بعض الدليل إلى يد الطائع ليكتبه، ثم جذبه عن سريره، وهو يستغيث ويقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، واستصفيت خرائن دار الخلافة فمشى بها الحال أيامًا ونهب الناس بعضهم بعضاً.

ثم أشهد على الطائع بالخلع ونصبوا للخلافة عمه القادر أبا العباس أحمد المقدار، استدعوه من البطحية وكان فر إلها أيام الطائع كما تقدم في أخبار الحلقاء، وهذا كله ستة إحدى وثمانين وثلاثمائة.

رجوع الموصل إلى بعاء الدولة

كان أبو الرواد محمد بن المسيب أمير بنى عقيل قتل أبا طاهر بن حدان آخر ملوك بني حدان بالموصل وغلب عليهما، وقام بها طاعة معروفة لبهاء الدولة، وذلك سنة ثمانين ولائحة كما مر في أخبار بني حدان وبني المسيب.

ثم بعث بهاء الدولة أبي جعفر الحجاج بن هرمز من قواد  
الدليم في عسكر كبير إلى الموصل فملأكمها آخر إحدى وثمانين  
فاجتمعت عقبيل مع أبي الرواد على حرمه وجرت بينهم عدة  
وقائع، وحسن فيها بلاء أبي جعفر بالقبض عليه، فخشى اختلاف  
أمره هناك وراجم في أمره، وكان يغاره ابن المعلم وسباته.

ولما شعر الوزير بذلك صالح أبا الرواد وأخذ رهنه، وأعاده إلى بغداد فوجد بهاء الدولة قد نكب ابن المعلم.

أخبار ابن المعلم

هو أبو الحسن بن العلّم قد غلب على هوى بهاء الدولة  
وتحكم في دولته، وصدر كثير من عظام الأمور يشار إليه، فمنها  
نكبة أبي الحسن محمد بن عمر الغلوي، وكان قد عظّم شأنه مع  
مشرف الدولة وكثير أملاكه.

فَلَمَّا وَلِيْ بَهَاءُ الدُّوْلَةِ سعىْ بِهِ عَنْهُ وَأَطْمَعَهُ فِي مَالِهِ، فَقُبِضَ عَلَيْهِ وَاسْتُصْنِفَ سَائِرَ أَمْلَاكِهِ، ثُمَّ حَلَّهُ عَلَى نَكْبَةٍ وَزِيرَ أَبِي مُنْصُورِ بْنِ صَالَحَانِ سَنةِ ثَمَانَ وَاسْتُوزَرَ إِبَا النَّصْرِ سَابُورَ بْنَ ارْدَشِيرَ قَبْلَ مُسْرِيْرَ إِلَى خُوزَسْتَانِ، ثُمَّ حَلَّهُ عَلَى خَلْمِ الطَّاطَنِ وَاسْتُصْنِفَ، أَمَّا الْهَ

الدولة عن اللقاء، فرجع إلى الأهواز، ثم سار إلى البصرة ونزل بها، واتهى خبره إلى ابن مكرم، فعاد إلى عسكر مكرم واتبعه العلاء والديلم فأجلوه عنها إلى قرب تسر.

وتكررت الواقائع بين الفريقين، فكان يد الأتراك من تسر إلى راهمرمز، ويد الديلم من راهمرمز، ورجع الأتراك واتبعهم العلاء فوجدهم قد سلكوا طريق واسط فرجع عنهم، وأقام بعسكر مكرم.

ورجع بهاء الدولة إلى بغداد، وكان مع العلاء قائد من قواد الديلم اسمه شكرستان، فاستأمن إليه من الديلم الذين مع بهاء الدولة نحو من أربعين رجل فاستكثروا بهم، وسار إلى البصرة وحاصرها، وما إلهم أبو الحسن بن جعفر العلوي من أهل البصرة، وكانترا يحملون الميرة.

وعلم بهاء الدولة فلأنه من يقبض عليهم فهربوا إلى ذلك القائد وقوي بهم، وجعلوا له السفن فركبها إلى البصرة، وقاتل أصحاب بهاء الدولة وهزمهم وملك البصرة واستباحها.

وكتب بهاء الدولة إلى مهذب الدولة صاحب البطيخة بأن يرجمها من يد الديلم ويتو لها، فأمدله عبد الله بن مرزوق، وأجل الديلم عنها، ثم رجع للقاء شكرستان، وحجم عليها في السفن فملكتها وكانت بهاء الدولة بالطاعة والضمان فاجابه وأخذ ابنه رهينة، وكان يظهر طاعة بهاء الدولة وصمصام الدولة.

## وفاة الصاحب بن عباد

وفي سنة خمس وثمانين وثلاثمائة توفي أبو القاسم إسماعيل بن عباد وزير فخر الدولة بالري، وكان أول ذمته علمًا وفضلاً ورياسة وراياً وكرماً وعرفًا بتراث العلوم، عارفًا بالكتابة ورسائله مشهورة مدونة.

وجمع من الكتب ما لم يجمعه أحد حتى يقال: كانت تنقل في أربعينية حل.

وزرر بعد لفخر الدولة أبو العباس أحمد بن إبراهيم الضبي الملقب بالكافي.

ولما توفي استضافه فخر الدولة أمواله بعد أن أوصاه عند الموت، فلم ينفذ وصيته.

وكان الصاحب قد احسن إلى القاضي عبد الجبار المعتملي وقدمه وواله قضاة الري وأعمالها.

فلما مات قال عبد الجبار: لا أرى الترحم عليه لأنّه مات

فسار أبو العلاء، وتشاغل بهاء الدولة عن ذلك، وظهر الخبر فجهز صمصام الدولة عسكراً إلى خوزستان، واستمد أبو العلاء بهاء الدولة فتوافت عساكره، والتقي العسكري وانهزم أبو العلاء وأخذ أسيراً، فأطلقته أم صمصام الدولة.

وقلق بهاء الدولة لذلك، واقتدى الأموال فارسل وزيره أبو نصر ساپور إلى واسط، وأعطيه جواهر وأعلافاً يسترهنها عند مهذب الدولة صاحب البطيخة فاسترهنها، ولما هرب الوزير أبو نصر استغنى ابن الصالحان من الانفراد بالوزارة فأغفى.

واستوزر بهاء الدولة أبي القاسم علي بن أحد، ثم عجز وهو رهيب.

وعاد أبو نصر ساپور إلى الوزارة بعد أن أصلح الديلم.

ثم بعث بهاء الدولة طغان الترك إلى الأهواز في سبعينات من المائة فملكو السوس، ورحل أصحاب صمصام الدولة عن الأهواز، وانتشرت عساكر طغان في أعمال خوزستان، وكان أكثرهم من الترك، فخص الديلم بهم الذين في عسكر طغان، فضل الدليل وأصبح على بعد منهم، ورأهم الأتراك فركبوا إليهم وأكمن الرفا، واستأمن كثير منهم وأمنهم طغان حتى نزلوا، بأمر الأتراك قتلواهم كلهم، واتهى الخبر إلى بهاء الدولة بواسطه، وسار إلى الأهواز وسار صمصام الدولة إلى شيراز وذلك ستة أربع وثمانين وثلاثمائة، فقتل منها جماعة وهو رهيب بلاد فارس سنة خمس وثمانين وثلاثمائة، فقتل منها جماعة وهو رهيب بلاد الباقون، فاعتاروا في البلاد ولحقوا بكرمان، ثم ببلاد السندي حتى توسيطهم الأتراك فأطبقوا عليهم واستحلوهم.

## استيلاء صمصام الدولة على الأهواز ثم على البصرة

ثم بعث صمصام الدولة عساكره الديلم سنة خمس وثمانين وثلاثمائة إلى الأهواز، وكان سائب بهاء الدولة قد توفي وعزّم الأتراك على العود إلى بغداد، فبعث بهاء الدولة مكانته أبي كاليجار المرزيان بن سفيهون، وأنفذ أبو محمد الحسن بن مكرم إلى راهمرمز مددًا لتأبهها لفتكون، وقد انهزم إليها أمام عسكر صمصام الدولة، فترك أبياً محمد بن مكرم بها، ومضى إلى الأهواز وسار إلى خوزستان، فكتبه العلاء بن الحسن يخادعه، ثم سار إلى راهمرمز وحارب ابن مكرم وفتكون وبعث بهاء الدولة ثمانين من الأتراك يائرون من خلف الديلم، فشعروا بهم وتلتهم جميعين، ونام بهاء

ونزل القنطرة البيضاء، وجرت بينه وبين أبي علي بن أستاذ هرمز وقائع، وانقطعت الميرة عن عسكر بهاء الدولة، فاستمد بدر بن حسنيه فامده ببعض الشيء، وكثرت سعاية الأعداء في أبي علي بن إسماعيل فكاد ينكهم، وبينما هم على ذلك بلغهم مقتل صمصاص الدولة فصلحت الأحوال واجتمعت الكلمة.

## مقتل صمصاص الدولة

كان أبو القاسم وأبو نصر ابنا مختيار محبسين كما تقدم، فخدعا الترکلين بهما في القلعة، وخرجوا فاجتمع إليهما لفيف من الأكراد، وكان صمصاص الدولة قد عرض جنه وأسقط منهم نحواً من الف لم يثبت عنده نسبهم في الدليل فبادروا إلى ابني مختار والتقوا عليهما في أرجان.

وكان أبو جعفر أستاذ هرمز مقيماً، فثار به الجنديون بهار داره فاختفى، ثم انقضوا على صمصاص الدولة ونهبوا، وهرب إلى الرودمان على مرحلتين من شيراز فقبض عليه صاحبه، وجاء أبو نصر بن مختار فأخذه منه وقتلته في ذي الحجة سنة ثمان لتسع سنين من إمارته بفارس، وأسلمت أمه إلى بعض قواد الدليم فقتلها ودفنتها بداره حتى ملك بهاء الدولة فارس، فنقلها إلى تربة أبيه بوريه.

## استيلاء بهاء الدولة على فارس وخرستان

ولما قتل صمصاص الدولة وملك ابنها مختار فارس بعثا إلى أبي علي بن أستاذ هرمز يستميلانه، ويأمرانه بأنخذ العهد لهما على الذين معه من الدليم، ومحاربة بهاء الدولة.

وكتب إليه بهاء الدولة يستميله ويؤمنه ويؤمن الدليم الذين معه ويرغبهم، واضطرب رأي أبي علي لخوفه من ابني مختار لما أسلف من قتل إخوتهم وحبسهما فمال عنهم، ومال الدليم عن بهاء الدولة خوفاً من الآتراك الذين معه، فما زال أبو علي بهم حتى يعنوا جماعة من أعيانهم إلى بهاء الدولة، واسترثروا مينه وزنلوا إلى خدمته، وساروا إلى الأهواز ثم إلى راهيمز وأرجان.

واستولى بهاء الدولة على سائر بلاد خوزستان ويعث وزيره أبي علي بن إسماعيل إلى فارس، فنزل بظاهر شيراز وبها ابنا مختار فحاربهم، وما بعث أصحابهم إليه.

ثم انقضوا عنهم إلى أبي علي وأطاعوه، واستولى على شيراز وحقّ أبو نصر بن مختار ببلاد الدليم وأخوه أبو القاسم

على غير توبة ظهرت منه، فنسب إليه قلة الوفاء بهذه المقالة. ثم صادر فخر الدولة عبد الجبار فباع في المصادر الف طيلسان والق ثوب من الصوف الرقيق. ثم تتبع فخر الدولة آثار ابن عباد وأبطل ما كان عنده من المساحات، وقبض على أصحابه والبقاء لله وحده.

## وفاة فخر الدولة صاحب الري وملك ابنه

### مجد الدولة

ثم توفي فخر الدولة بن ركن الدولة بن بوريه صاحب الري وأصفهان وهمدان في شعبان سنة خمس وثلاثين وأربعين سنة بقلعة طبرك، ونصب للملك من بعده ابنه مجد الدولة أبو طالب رستم وعمره أربع سنين، نصبه الأمراء وجعلوا أخيه شمس الدولة بهمدان وقرميس إلى حدود العراق.

وكان زمام الدولة يد أم رستم مجد الدولة وإليها تدبر ملكه، وبين يديها في مباشرة الأعمال أبو ظاهر صاحب فخر الدولة، وأبو العباس الضبي الكافي.

## وفاة العلاء بن الحسن صاحب خوزستان

ثم توفي العلاء بن الحسن عامل خوزستان لصمصاص الدولة بعسكر مكرم، فبعث صمصاص الدولة أبا علي بن أستاذ هرمز بالمال ففرقه في الدليم، ودفع أصحاب بهاء الدولة عن جند نيسابور بعد وقائع كان الظفر فيها له، ثم دفعهم عن خوزستان إلى واسط واستعمال بعضهم فتنزعوا إليه، ورتب العمال في البلاد وجبي الأموال سنة سبع وثمانين وثلاثة.

ثم سار أبو محمد بن مكرم من واسط مع الآتراك فدافعهم، وكانت بينه وبينهم وقائع.

ثم سار بهاء الدولة في أثرهم من واسط، وكان حقّ بهم في واسط أبو علي بن إسماعيل الذي كان نائباً ببغداد عند مسيره إلى الأهواز سنة ست وثمانين وثلاثة وجاء المقلد بن المسيب من الموصل للعيش في جهات بغداد، فبرز أبو علي لقتاله، فنكر ذلك بهاء الدولة مغالطة، وبعث من يصالحه وينقض على أبي علي، فهرب أبو علي إلى البطيحة، ثم حقّ بهاء الدولة وهو بواسط فوزر له وزيره وأشار عليه بالسير إلى نجاد أبي محمد بن مكرم في قتال أبي علي بن أستاذ هرمز بخرستان، فسار بهاء الدولة

## مسير ظاهر بن خلف إلى كرمان واستيلاؤه

### عليها ثم ارتجاعها

قد تقدم لنا أن ظاهر بن خلف خرج عن طاعة أبيه خلف بن أحد السجستاني، وحاربه فظفر به أبوه، فسار إلى كرمان يرثوم التربّث عليها، وتخاصل عاملها عن أمره، فكثر جمعه واجتمع إليه حماساً كثيراً من المخالفين، فنزل بهم إلى جيرفت فملكتها وملك غيرها سنة إحدى وستين وثلاثمائة.

وكان بكرمان أبو موسى سياه جشم، فسار إليه من معه من الدليل فهزمه ظاهر وأخذ ما بقي بيده، فبعث بهاء الدولة أباً جعفر أستاذ هرمز في العساكر إلى كرمان فهزمه ظاهراً إلى سجستان وملك كرمان وعادت الدليل.

## حروب عساكر بهاء الدولة مع بني عقيل

كان قرواش بن المقلد قد بعث جمّاً من بني عقيل سنة ثلاث وستين وثلاثمائة فحاصروا المدائن، وبعث أبو جعفر الحجاج بن هرمز وهو بغداد نائب بهاء الدولة عساكره فدفعوه عنها، فاجتمع بني عقيل وأباً الحسن بن مزيد من بني أسد، ويرز إليهم الحجاج، واستدعي خفاجة من الشام وقاتلهم فانهزم واستبيح عسكنه، وانهزم ثانيةً، ويرز إليهم فالتقوا بنواحي الكوفة فهزمه وأثخن فيهم ونهب من حلّ بيّ يزيد ما لا يعبر عنه من العين والمصاغ والثياب.

## الفتنة بين أبي علي وأبي جعفر

لما غاب أبو جعفر الحاج عن بغداد قام بها العيارون وأشتد فسادهم وكثير القتل والنهب، فبعث بهاء الدولة أباً علي بن جعفر المعروف بأستاذ هرمز لحفظ العراق، فانهزم أبو جعفر بنواحي الكوفة مغضباً.

ثم جمعوا الجموع من الدليل والأتراك والعرب، فانهزم أبو جعفر وأمن أبو علي جانبه، فسار إلى خوزستان وبلغ السوس. فتاه الخبر بأن أباً جعفر عاد إلى الكوفة ذكر راجعاً، وعادت الحرب بينهم، وبينما هم على ذلك أرسل بهاء الدولة إلى أبي علي يستدعيه سنة ثلاث وستين وثلاثمائة لحرب ابن واصل بالبصرة فسار إليه، وكانت الحرب بينه وبين ابن واصل كما يأتي في أخبار ملوك البطيحة، ورجع إلى بغداد ونزل أبو جعفر على فلح حامي

بدر بن حسنيه ثم بالبطيحة.

وكتب الوزير أبو علي إلى بهاء الدولة بالفتح، فسار إلى شيراز وأمر بنهب قرية الرودمان فملكتها، وأقام بهاء الدولة بالأهواز، واستخلف بغداد أباً علي بن جعفر المعروف بأستاذ هرمز ولقبه عميد العراق.

ويقي ملوك الدليل بعد ذلك يقيمون بفارس والأهواز ويستخلفون على العراق مدة طيبة.

## مقتل ابن بختيار بكرمان واستيلاء بهاء الدولة عليها

لما استقر أبو نصر بن بختيار ببلاد الدليل كاتب جند الدليل بفارس وكرمان واستملهم، فاستدعاه إلى فارس، فاجتمع إليه كثير من الريض والدليل والأكراد.

ثم سار إلى كرمان وبها أبو جعفر بن السيرجان، ومضى ابن بختيار إلى جيرفت فملكتها وملك أكثر كرمان، فبعث بهاء الدولة وزير الموقر أباً علي بن إسماعيل في العساكر، ولما وصل جيرفت استأمن إليه أهلها وملكتها، وهرب ابن بختيار فاختار الوزير من أصحابه ثلاثة رجال وسار في أتباعه، وترك باقي العساكر مجبرة.

ولما أدركه أوقع به وغدر بابن بختيار بعض أصحابه فقتلته، وجاء برأسه إلى الموقر، واستسلم الباقي، وذلك سنة تسعين وثلاثمائة.

واستول الموقر على كرمان، وول عليها أباً موسى سياه جشم، وعاد إلى بهاء الدولة فقبض عليه واستصفاه، وكتب إلى وزيره سابر بالقبض على أنسابه وأصحابه، فدس إليهم سابر بذلك وهريراً.

ثم قتل بهاء الدولة الموقر سنة أربع وسبعين وثلاثمائة، ثم استعمل بهاء الدولة على خوزستان وأعمالها أباً علي الحسن بن أستاذ هرمز، ولقبه عميد الجيوش، وعزل عنها أباً جعفر الحاج بن هرمز لسوء سيرته، وفساد أحواهها بولايتها، وبكثرة مصادراته، فصلحت حالها بولاية أبي علي، وحصل إلى بهاء الدولة منها الأموال مع كثرة العدل.

فلما عادت إلى حالها هرب أبو حفص إليها من العراق، فأعادته إلى أصفهان، ورسخ فيها ملكه وملك بنيه كما يأتي في أخبارهم.

### وفاة عميد العراق وولاية فخر الملك

كان أبو جعفر أستاذ هرمز من حجاب عضد الدولة وخواصه، وصیر ابنه أبي علي في خدمة ابنه صصاص الدولة، فلما قتل صصاص الدولة رجع إلى بهاء الدولة، وبلغه ما وقع ببغداد في مغبة من المرج وظهور العيارين، فبعث بهاء الدولة مكانه على العراق فخر الملك أبي غالب، وأصعد إلى بغداد فليقيه الكتاب والقاد والأعيان في ذي الحجة من السنة، وبعث المساكير من بغداد لقتل أبي الشوك حتى استقام.

وكانت الفتنة قد وقعت بين بدر بن حسنيه وابنه هلال، واستجده بدر بهاء الدولة فأنجده من يده وأخذ ما فيها من الأموال، وفتح دير العاقول، وجاء سلطان وعلوان ورجب بنو ثمال الخفاجي في أعيان قومهم، وضمّنوا حاتمة سقي الفرات من بي عقيل، وساروا معه إلى بغداد فبعثهم مع ذي السعادتين الحسن بن منصور للأنبار فعاذوا في تراخيها، وحبس ذو السعادتين نفراً منهم.

ثم أطلقهم فهموا بقبضه، وشعر بهم فحاول عليهم حتى قبض على سلطان منهم وحبسهم ببغداد.

ثم شفع فيهم أبو الحسن بن مزيد فأطلقهم، فاعتبرضاوا الحاج سنة اثنين وأربعين ونهبوا هلاكياً ثم شفع فيهم أبو الحسن بن مزيد بالانتقام منهم، فلحقهم بالبصرة فأوقع بهم وأخن فيهم، واسترد من أموال الحاج ما وجد وبعث به وبالأسرى إلى فخر الملك.

ثم اعتربوا الحاج مرة أخرى ونهبوا سواد الكوفة فأوقع بهم أبو الحسن بن مزيد مثل ذلك، وبعث بأسرهم إلى بغداد.

### وفاة بهاء الدولة وولاية ابنه سلطان الدولة

ثم توفي بهاء الدولة أبو نصر بن عضد الدولة بن بويه هلك بالعراق متصرف ثلاثة وأربعين سنة بارجان، وحمل إلى تربة أبيه مشهد علي فدفن بها لأربع وعشرين سنة من ملكه، وملك بعده ابنه سلطان الدولة أبو شجاع، وسار من أرجن إلى شيراز، وولى آخاه جلال الدولة أبي ظاهر على البصرة وأخاه أبي القوارس على

طريق خراسان وأقام هنالك، وكان فلح مبايناً لعميد الجيوش أبي علي، وتوفي سلخ سنة سبع وتسعين وثلاثمائة فول أبو علي مكانه أبو الفضل بن عنان، وكان بهاء الدولة في محاربة ابن واصل بالبصرة، فأناهم الخبر بظهور بهاء الدولة عليه، فاولهم ذلك منهم وافتقروا ولحق ابن مزيد بيده، وسار أبو جعفر وابن عيسى إلى حلوان.

وارسل أبو جعفر في إصلاح حاله عند بهاء الدولة فاجابه إلى ذلك، وحضر عنده بستر، فأعرض عنه خوفاً أن يستوحش أبو علي.

وقد بعث بهاء الدولة لبدر بن حسنيه فساري، وبعث إليه بدرأ في المصالحة فقبله وانصرف، وتوفي أبو جعفر الحاج بن هرمز بالأهواز سنة إحدى وأربعين.

### الفتنة بين مجد الدولة صاحب الري وبين أمه واستياء ابن خالها علاء الدين بن كاكويه على أصفهان

قد تقدم لنا ولاية مجد الدولة أبي طالب رستم بن فخر الدولة على همدان قرمسين إلى حدود العراق، وتدير الدولتين لأمه وهي متحكمة عليهما، فلما وزر مجد الدولة الخظير أبو علي بن علي بن القاسم استسلام الأمراء عنها وحروف مجد الدولة منها، فاستربت وخرجت من الري إلى القلعة، فوضع عليها من يحفظها فأعملت الحيلة حتى لحقت بدر بن حسنيه مستجدة به.

وجاءها ابنها شمس الدولة في عساكر همدان وسار معهما بدر، وذلك سنة سبع وتسعين وثلاثمائة فحاصرها أصفهان وملوكها عنوة.

وعاد إليها الأمر فاعتقلت مجد الدولة ونصبت شمس الدولة للملك، ورجع بدر إلى بلده ثم بعد سنة استربت بشمس الدولة، فأعادت مجد الدولة إلى ملوكه.

وسار شمس الدولة إلى همدان، وانتقض بدر بن حسنيه لذلك، وكان فيشغل بنته ولده هلال.

واستمد شمس الدولة فائده بعسكر وحاصر قم فاستصعبت عليه، وكان علاء الدين أبو حفص بن كاكويه ابن خال هذه المرأة، وكاكويه هو الحال بالفارسية، فلذلك قيل له ابن كاكويه، وكانت قد استعملته على أصفهان، فلما فارق أمرها فسد حاله، فساري هو إلى بهاء الدولة بالعراق، وأقام عنده.

## انتقاض أبي الفوارس على أخيه سلطان الدولة

والفنن بها فقتل جماعة منهم وأصلاحها، وبلغه ما ي بغداد من الفتنة فسار إليها ودخلها في ربيع من السنة، وهرب منه العيارون وتفرق جماعة من العباسين وإبا عبد الله بن التعمان فقيه الشيعة، وأنزل الدليم بأطراف البلد فكثر فسادهم وفساد الآتراك، وساروا إلى سلطان الدولة بواسط شاكين من ابن سهلان فوعدهم وأمسكهم، وبعث عن ابن سهلان فارتبا وهرب إلى بني خفاجة، ثم إلى الموصل، ثم استقر بالبطيخة.

وبعث سلطان الدولة العساكر في طلبه فأجراه وبهـا الشرابي وهزم العساكر وكان ابن سهلان سار إلى جلال الدولة بالبصرة ثم أصلح الرجحي حاله مع سلطان الدولة ورجع إليه، وضعف أمر الدليم في هذه السنة ببغداد وواسط، وثارت لهم العامة فلم يطغوا مدافعتهم، ثم قبض سلطان الدولة على وزيره فسالخس وأخوه، واستوزر أبا غالب ذا السعادتين الحسن بن منصور، وقبض جلال الدولة صاحب البصرة على وزيره أبي سعد عبد الواحد علي بن ماكولا.

## انتقاض أبي الفوارس على أخيه سلطان الدولة

كان سلطان الدولة قد ول أخاه إبا الفوارس على كرمان فاجتمع إليه بعض الدليم وداخلوه في الانتقاض فانتقض، وسار إلى شيراز فملكها سنة سبع وأربعين.

وسار سلطان الدولة فهزمه إلى كرمان، وسار في اتباعه فلحق بمحمود بن سبكتكين بست ووعلده بالنصرة، وبعث معه أبا سعيد الطائي في العساكر إلى كرمان، وقد انصرف عنها سلطان الدولة إلى بغداد فملكها أبو الفوارس وسار إلى بلاد فارس فملكها، ودخل إلى شيراز فسار سلطان الدولة إليه فهزمه فعاد إلى كرمان سنة ثمان وأربعين.

وبعث سلطان الدولة في أثره فملكوها عليه كرمان، ولحق بشمس الدولة صاحب همدان لأنه كان أساء معاملة أبي سعيد الطائي، فلم يرجع إلى محمود بن سبكتكين.

ثم فارق شمس الدولة إلى مهدب الدولة صاحب البطيخة فبالغ في تكرمه وأنزله بداره، وأنذر إليه أخوه جلال الدولة مالاً، وعرض عليه المسير إليه قابـ، ثم ترددت الرسل بينه وبين أخيه سلطان الدولة فعاد إلى كرمان وبعث إليه التقليد والخلع.

## استيلاء شمس الدولة على الري من يد أخيه مجد الدولة ورجوعه عنها

قد تقدم لنا أن شمس الدولة بن فخر الدولة كان ملك همدان وأخوه مجد الدولة ملك الري بنظر أنه، وكان بدر بن حسنيه أمـ الأكراد وبينه وبين ولده هلال فتـة وحروبـ نذكرـها في أخبارـهم.

واستولـ شـمسـ الـدـولـةـ عـلـىـ كـثـيرـ مـنـ بـلـادـهـ وـأـخـذـ مـاـ فـيهـ مـنـ أـمـوـالـ كـمـاـ يـذـكـرـ فـيـ أـخـبـارـهـ.

ثم سار إلى الـريـ يـرومـ مـلـكـهاـ فـقارـهـاـ أـخـوهـ مـجـدـ الـدـولـةـ وـمعـهـ أـمـهـ إـلـىـ دـبـاـوـنـدـ وـاستـولـ شـمسـ الـدـولـةـ عـلـىـ الـرـيـ وـسـارـ فيـ طـلـبـ أـخـيهـ وـأـمـهـ فـشـغـبـ الجـنـدـ عـلـيـهـ وـطـالـبـهـ بـأـرـزـاقـهـ،ـ فـعـادـ إـلـىـ هـمـدانـ وـعـادـ أـخـوهـ مـجـدـ الـدـولـةـ وـأـمـهـ إـلـىـ الـرـيـ.

## مقتل فخر الملك ووزارة ابن سهلان

ثم قبض سلطان الدولة على نائبـ بالـعـراـقـ وزـيـرـهـ فـخرـ الملـكـ أـبـيـ غالـبـ وـقتـلهـ فـلـخـ رـيـ بـعـدـ الـأـوـلـ سـنـةـ سـتـ وـأـربعـعـةـ لـخـسـ سـنـينـ وـنـصـفـ مـنـ لـوـلـيـهـ،ـ وـاستـصـفـيـ أـمـوـالـهـ،ـ وـكـانـ الـفـ الـفـ دـيـنـارـ سـوـىـ الـعـروـضـ وـمـاـ نـهـبـ.

وـولـ مـكـانـهـ بـالـعـراـقـ أـبـاـ مـحـمـدـ الـحـسـنـ بـنـ سـهـلـانـ وـلـقـبـهـ عـمـيدـ الـجـبـوشـ،ـ وـاستـوزـرـ مـكـانـهـ الرـجـحيـ بـعـدـ أـنـ كـانـ أـبـنـ سـهـلـانـ هـرـبـ إـلـىـ قـرـواـشـ فـأـقـامـهـ عـنـدـ بـهـيـتـ،ـ وـولـ سـلـطـانـ الـدـولـةـ مـكـانـهـ فـيـ الـوـزـارـةـ أـبـاـ القـاسـمـ جـعـفرـ بـنـ فـسـالـخـ.

ثم رجـعـ ابنـ سـهـلـانـ إـلـىـ سـلـطـانـ الـدـولـةـ.

فـلـمـ قـتـلـ فـخرـ مـلـكـ وـلـاـهـ مـكـانـهـ،ـ فـسـارـ إـلـىـ الـعـراـقـ فـيـ حـرـمـ سـنـةـ تـسـعـ وـأـربعـعـةـ،ـ وـمـرـ فـيـ طـرـيقـ بـيـنـ أـسـدـ فـرـائـيـ أـنـ بـشـارـ مـنـهـ مـنـ مـضـرـ بـنـ دـبـيـسـ بـاـ كـانـ قـدـ قـبـضـ عـلـيـهـ قـدـيـأـ بـاـمـرـ فـخرـ الـمـلـكـ،ـ فـاسـرـىـ إـلـىـ وـالـ أـخـيـهـ مـهـارـشـ،ـ وـفـيـ جـلـتـهـ أـخـوـهـ طـرـادـ،ـ وـاتـبـعـهـمـ حـتـىـ أـدـرـكـهـمـ،ـ وـقـاتـلـهـ رـجـالـ الـحـيـ فـقـتـلـ جـمـاعـةـ مـنـ الـدـلـيمـ وـالـآـتـرـاـكـ.

ثـمـ آنـهـمـواـ وـنـهـبـ أـبـنـ سـهـلـانـ أـمـوـالـهـ وـسـيـ حـرـيـهـ،ـ وـبـذـلـ الـأـمـانـ لـمـضـرـ وـمـهـارـشـ وـأـشـرـكـ بـيـنـهـمـ وـبـيـنـ طـرـادـ فـيـ الـجـزـيرـةـ.

وـنـكـرـ عـلـيـهـ سـلـطـانـ الـدـولـةـ ذـلـكـ،ـ وـرـحـلـ هـرـوـإـلـ وـاسـطـ

الدولة فدفعهم، ولحق علاء الدولة بجرياذقان فهلك الكثير من عسكره بالبرد وسار تاج الملك الفوهي إلى جرياذقان فحاصر بها علاء الدولة حتى استمال بها قوماً من الأتراك الذين مع تاج الملك.

وخلص من الحصار وعاد المسير إلى همدان، فهز عساكرها وهرب القائد تاج الملك، واستولى علاء الدولة على سماء الدولة فأبقي عليه رسم الملك، وحمل إليه المال، وسار فحاصر تاج الملك في حصنه حتى استأمن إليه فأنمه وسار به وبسماء الدولة إلى همدان فملكها، وملك سائر أعمالها، وقبض على جماعة من أمراء اليليم فجسدهم وقتل آخرين وضبط الملك، وقصد أبو الشوك الكردي فشفع فيه مشرف الدولة فشفعه وعاد عنه، وذلك ستة أربع عشرة وأربعينات.

### وزارة أبي القاسم المغربي لمشرف الدولة ثم عزله

كان عنبر الخادم مستولياً على دولة مشرف الدولة بما كان حظيًّا إليه وجده، وكان يلقب بالأثير، وكان حاكماً في دولة بني بويه مسموع الكلمة عند الجندي.

وعقد الوزير مؤيد الملك الرجحي على بعض اليهود من حواشيه مائة ألف دينار، فسعي الأثير الخادم وعزله في رمضان سنة أربع عشرة وأربعينات واستوزر لناصر الدولة بن حдан، وتزوج عنه إلى خلقه العبيد، وولاه الحاكم بمصر.

وولد له بها ابنه أبو القاسم الحسين، ثم قتله الحاكم فهرب ابنه أبو القاسم إلى مفروج بن الجراح أمير طين بالشام، ودخله في الانقضاض على العبيدين بابي الفتوح أمير مكة فاستقدمه وبايع له بالمرملة.

ثم صونع من مصر بالمال فأخذ ذلك الأمر ورجع أبو الفتوح إلى مكة، وقصد أبو القاسم العراق واتصل بالعميد فخر الملك أبي غالب، فأمره القادر ببابعاده، فقصد الموصل واستوزر صاحبها، ثم نكبه وعاد إلى العراق، وتقلب به الحال إلى أن وزر بعد مؤيد الملك الرجحي، فسأله تصرفه في الجندي وشعب الأتراك عليه وعلى الأثير عنبر بسيبه، فخرجا إلى السنديه، وخرج معهما مشرف الدولة فائز لهم قراوش.

ثم ساروا إلى أوان، وندم الأتراك فبعثوا المرتضى وأبا الحسن الزيني يسائلون الإقالة، وكتب إليهم أبو القاسم المغربي بأن

### وثوب مشرف الدولة على أخيه سلطان الدولة ببغداد واستبداده آخرًا بالملك

ثم شغب الجندي على سلطان الدولة ببغداد سنة إحدى عشرة وأربعينات، ونادوا بولاية مشرف الدولة أخيه نهم بالقبض عليه فلم يتمكن من ذلك، ثم أراد الانحدار إلى واسط لبعض شؤون الدولة فطلب الجندي أن يستخلف فيه أخيه مشرف الدولة فاستخلفه، ورجع من واسط إلى بغداد.

ثم اعتمز على قصد الأهواء فاستخلف أخيه مشرف الدولة ثانيةً على العراق بعد أن كانوا تحالفوا أن لا يستخلف أحد منها ابن سهلان.

فلما بلغ سلطان الدولة تستر واستوزر ابن سهلان فاستوحش من مشرف الدولة.

ثم بعث سلطان الدولة إلى الأهواء فنهبها، فدافع عنها الأتراك الذين بها، وأعلنا بدعوة مشرف الدولة، فانصرف سلطان الدولة عنهم.

ثم طلب الدبلوم من مشرف الدولة المسير إلى بيته بمخرستان فاذن لهم وبعث معهم وزيره أبي غالب، ولحق الأتراك الذين كانوا معه بطراد بن ديس الأسدي بجزيرة بني ديس وذلك لسنة ونصف من ولايته الوزارة، وصودر ابنه أبو العباس على ثلاثين ألف دينار وسر سلطان الدولة بقتل أبي غالب، وبعث أبا كالبيجار إلى الأهواء فلكلها.

ثم تراسل سلطان الدولة ومشرف الدولة في الصلح، وسعى فيه بينهما أبو محمد بن مكرم صاحب سلطان الدولة ومؤيد الملك الرجحي وزير مشرف الدولة، على أن يكون العراق لشرف الدولة وفارس وكرمان لسلطان الدولة، وتم ذلك بينهما سنة ثلاثة عشرة وأربعينات.

### استيلاء ابن كاكويه على همدان

كان شمس الدولة بن بويه صاحب همدان قد توفي وولي مكانه ابنه سماء الدولة، وكان فرهاد بن مرداويح مقطع يزدجرد، فسار إليها سماء الدولة وحاصره، فاستدرج بعلاه الدولة بن كاكويه، فأتجه بالعساكر، ودفع سماء الدولة عن فرهاد.

ثم سار علاء الدولة وفرهاد إلى همدان وحاصره، وخرجت عساكر همدان مع عساكر تاج الملك الفوهي قائد سماء

## وفاة مشرف الدولة وملك أخيه جلال الدولة

ثم توفي مشرف الدولة أباً علي بن بهاء الدولة بن بويه سلطان بغداد في ربيع الأول سنة ست عشرة وأربعين، لخمس سنين من ملكه.

ولما توفي خطب بغداد لأنبيه جلال الدولة وهو بالبصرة، واستقدم فلم يقدم، وانتهى إلى واسط فأقام بها يخطب لأبي كاليلجاري ابن أخيه سلطان الدولة، وهو يومئذ خوزستان مشغول بحرب عمه أبي الفوارس كما قدمناه.

فحيث أن سرع جلال الدولة من واسط إلى بغداد، فسار الجندي ولقوه بالتهروان وردوه كرهاً بعد أن نهبوه بعض خزاناته، وقبض على وزيره أبي سعيد بن ماكولا واستوزر ابن عمه أبي علي، واستحوذ الجندي أبو كاليلجاري فعلهم بالوعد وشغل بالحرب، وكثير الهرج ببغداد من العيارين، وانطلقت أيديهم وأحرقوا الكرخ، ونهيهم الأمير عنبر عن ذلك قلم يتهاوا، فخافهم على نفسه، فلحق بقراوشا في الموصل وعظمت الفتنة ببغداد.

## استيلاء جلال الدولة على ملك بغداد

ولما عظم الهرج ببغداد ورأى الأتراك أن البلاد تخرب وأن العرب والأكراد والعاشرة قد طمعوا فيها، ساروا جميعاً إلى دار الخليفة مستعينين ومعذرين مما صدر منهم من الانفراد باستقدام جلال الدولة ثم رده واستقدم أبي كاليلجاري مع أن ذلك ليس لنا وإنما هو للخليفة، ويرغبون في استدعاء جلال الدولة لتجتمع الكلمة ويسكن الهرج، ويسالون أن يستخلف فأجابهم الخليفة القادر، وبعث إلى جلال الدولة، فسار من البصرة، فبعث الخليفة القاضي أبي جعفر السمناني لتلقيه، ويستخلفه لنفسه، فسار ودخل بغداد سنة ثمان عشرة وأربعين، وركب الخليفة لتلقيه، ثم سار إلى مشهد الكاظم ورجع، ودخل دار الملك وأمر بضرب التوب الخمس، فراسله القادر في قطعها غصباً، ثم أذن له في إعادتها، وبعث جلال الدولة مؤيد الملك أبي علي الرجحي إلى الأمير عنبر الخادم عند قراوشا بالتأثير والمحبة والعذر عن فعل الجندي.

أرزاقكم عند الوزير مكرأً به.  
وشعر بذلك فهرب إلى قراوشا لعشرة أشهر من وزارته، وجاء الأتراك إلى مشرف الدولة والأثير عنبر فردهما إلى بغداد.

## وفاة سلطان الدولة بفارس وملك ابنه أبي كاليلجاري وقتل ابن مكرم

ثم توفي سلطان الدولة أبو شجاع بن بهاء الدولة صاحب فارس بشيراز، وكان محمد بن مكرم صاحب دولته، وكان هواه مع ابنه أبي كاليلجاري، وهو يومئذ أمير على الأهواز، فاستقدمه للملك بعد أبيه وكان هو الأتراك مع عمه أبي الفوارس صاحب كرمان فاستقدموه.

وخشى محمد بن مكرم جانبه وفر عنه أبو المكارم إلى البصرة، وسار العادل أبو منصور بن مافنة إلى كرمان لاستخدام أبي الفوارس وكان صديقاً لابن مكرم فحسن أمره عند أبي الفوارس، وأحال الأجناد بحق البيعة على ابن مكرم فضجر وماطلهم، فقبض عليه أبو الفوارس وقتله.

ولحق ابنه القاسم بأبي كاليلجاري بالأهواز فجهز إلى فارس، وقام بتربيته بابن مزاحم صندل الخادم.

وسار في العساكر إلى فارس ولقيهم أبو منصور الحسن بن علي النسوبي وزير أبي، الفوارس فهزمه وغنموا مسكنه وهرب أبو الفوارس إلى كرمان وملك أبو كاليلجاري بشيراز واستولى على بلاد فارس، وتنكر للديلم الذين بها، فيشعوا إلى من كان منهم بمدينة نسا فتمسكون ببطاعة أبي الفوارس.

ثم شعب عسکر أبي كاليلجاري عليه، وطالبوه بالمال ظاهرهم الديلم، فسلم إلى التورندجان ثم إلى شعب بوان، وكانت الدليل بشيراز أبي الفوارس يستحثونه، ثم أصلحوا بينهما على أن تكون لأبي الفوارس كرمان، ويعود أبو كاليلجاري لفارس لما فارقه بها من نعمته.

وكان الديلم يطعونه فساروا في العساكر وهزموا أبي الفوارس، فلحق بداراجيرد واستولى أبو كاليلجاري على فارس.

ثم زحف إليه أبو الفوارس في عشرة آلاف من الأكراد فاتكلوا بين اليضاء وإصطخر، فأنهزم أبو الفوارس ولحق بكرمان، واستولى أبو كاليلجاري على فارس واستقر ملوكه بها ستة سبع عشرة وأربعين.

الكوفة وقصد الأئم من أعمال قرواش فحاصرها أيام، ثم افتتحها وأحرقها، وجاء قرواش ل الدفاع عنه وعمر بن فلم يجدوه فمضوا إلى القصر فخالفتهم منيع إلى الأئم فعاد فيها ثانية.

فسار قرواش إلى الجامعين واستجده ديس بن صدقة فسار معه في بيته أسد، ثم خاموا عن لقاء منيع فافتقدوا ورجع قرواش إلى الأئم فأصلاحها، ورميأسارها.

وكان ديس وقرواش في طاعة جلال الدولة، فسار منيع بن حسان إلى أبي كاليجار بالأهواز فاطاعه وخلى عليه ورجع إلى بلده يخطب له بها.

### شعب الأتراك على جلال الدولة

ولما استقل جلال الدولة بملك بغداد وكثير جنده من الأتراك واتسعت أرذاقهم من الديوان، وكان الوزير أبو علي بن ماكولا فطالب به بأرذاقهم فعجز عنها، وأخرج جلال الدولة صياغات وباعها وفرقتها في الجندي.

ثم ثاروا عليه وطالبوه بأرذاقهم وحاصروه في داره حتى فقد القوت والماء وسائل الإنزال إلى البصرة وخرج باهله ليركب السفن إلى البصرة وقد ضرب سرادقاً على طريقهم ما بين داره والسفن، فقصد الأتراك السراقد فامتصض جلال الدولة لحرمه، ثم نادى في الناس وخرج الجنديون ونادوا بشعاره ثم شعبوا عليه بعد أيام قلائل في طلب أرذاقهم، وأاضطرب جلال الدولة إلى بيع ملبوسه وفرشه وخيماته، وفرق أنثامها فيهم.

وعزل جلال الدولة وزيره أبي علي واستوزر أبي طاهر، ثم عزله بعد أربعين يوماً وولى سعيد بن عبد الرحيم وذلك سنة تسع عشرة واربعمائة.

### استيلاء أبي كاليجار على البصرة ثم على كرمان

ولما أصعد جلال الدولة إلى بغداد استختلف على البصرة ابنه الملك العزيز أبي منصور، وكان بين الأتراك وبين الدليم من الفتنة ما ذكرناه، فتجددت بينهم الفتنة فغلب الأتراك، وأخرجوا الدليم إلى الأبلة مع مختار بن علي، فسار إليهم الملك العزيز ليرجعهم فحاربوه ونادوا بشعار أبي كاليجار بن سلطان الدولة وهو بالأهواز فعاد منهزاً.

### أخبار ابن كاكويه صاحب أصفهان مع الأكراد ومع الأصبهين

كان علاء الدولة بن كاكويه قد استعمل أبا جعفر علياً ابن عمده على نيسابور خوست ونواحيها، وضم إليه الأكراد الجوردنان ومقدمهم أبو الفرج البابوني.

فجررت بين أبي جعفر وأبي الفرج البابوني مشاجرة، وترافقاً إليه فأصلح بينهما علاء الدولة وأعادهما.

ثم قتل أبو جعفر أبا الفرج فانتقض الجوردنان وعظم فسادهم، فبعث علاء الدولة عسكراً وأقاموا أربعة أيام ثم ف kedداوا الميرة، وجاء علاء الدولة وأعطاهم المال فافتقدوا واتبعهم.

وجاء إليه بعض الجوردنان وانتهى في اتباعهم إلى وند وقاتلوا عندها فهزهم وقتل أبي ولكن في المعركة، ونجا هو في الفل إلى جرجان، وأسر الأصبهين وابنان له ووزيره، وهلك في الأسر متصرف سنة تسع عشرة وأربعمائة وتحصن علي بن عمران بقلعة كتكور فحاصره بهاء الدولة، وصار ولكن إلى صهره منوجهر قابوس وأطعمه في الدخنة.

وكان ابنه صهر علاء الدولة على ابنته وأنقطعه مدينة قم فعصى عليه وبعث إلى أبيه ولكن.

فسار بعساكره وعساكر منوجهر ونازلوا مجد الدولة بن بوري بالري وجرت بينهم وقائع فصالح علاء الدولة علي بن عمران ليسير إليهم فارتحلوا عن الري.

وجاء علاء الدولة إليها وأرسل إلى منوجهر يوجهه ويتهدهد فسار منوجهر وتحصن بكتكور وقتل الذين قتلوا أبا جعفر ابن عمده وقبل الشرط، وخرج إلى علاء الدولة فأقطعه الدينور عوضاً عن كتكور، وأرسل منوجهر إلى علاء الدولة في الصلح فصالحة.

### دخول خفاجة في طاعة أبي كاليجار

كان هؤلاء خفاجة وهم من بنى عمرو بن عقبة موطنين بضواحي العراق، ما بين بغداد والكوفة وواسط والبصرة. وأميرهم بهذه العصور منيع بن حسان، وكانت بينه وبين صاحب الموصل منافسات جرتها الماهاضنة والجوار، فترددت الرسل بين السلام وال الحرب.

وسار منيع بن حسان سنة سبع عشرة وأربعمائة إلى الجامعين من أعمال ديس فنهبها، وسار ديس في طلبه ففارق

ورجع قرواش وجمع جلال الدولة العساكر واستجده أبا الشوك وغيره وسار إلى واسط، وضاقت عليه الأمور لقلة المال. وأشار عليه أصحابه بمخالفة أبي كالبيجار إلى الأهاواز لأخذ أمواله، وأشار أصحاب أبي كالبيجار بمخالفة جلال الدولة إلى العراق.

وبينما هم في ذلك جاءهم الخبر من أبي الشوك بمسير عساكر محمود بن سبكتكين إلى العراق.

ويشير بإجماع الكلمة. وبعث أبو كالبيجار بكتابه إلى جلال الدولة فلم يرجع عليه، وسار إلى الأهاواز ونهبها وأخذ من دار الإمارة خاصة مائة ألف دينار سوى أموال الناس، وأخذت والدة أبي كالبيجار وبناته وعياله وحملن إلى بغداد.

وسار جلال الدولة لاعتراضه وتختلف عنه دليس بن مزيد خطيبة على أحيانه من خفاجة، والتى أبو كالبيجار وجلال الدولة في ربيع سنة إحدى وعشرين وأربعين فاقتلاوا ثلاثة، ثم انهزم أبو كالبيجار وقتل من أصحابه نحو من الفين ورجع إلى الأهاواز. وأناه العادل بن مافعة بمال اتفقه في جنده ورجع جلال الدولة إلى واسط واستولى عليها وأنزل ابنه العزيز بها ورجع.

### استيلاء محمود بن سبكتكين صاحب خراسان على بلاد الري والجبل وأصفهان

كان مجذ الدولة بن فخر الدولة متشاغلاً بالنساء والعلم، وتدبر ملوكه لأمه، وتوفيت سنة تسع عشرة وأربعين فاختلفت أمواله وطبع فيه جنده، فكتب إلى محمود بن سبكتكين يشكو إليه، فأبعث إليه عسكراً مع حاجبه، وأمره بالقبض عليه، فركب مجذ الدولة لتلقىه فقبض عليه وعلى ابنه أبي دلف وطير بالخبر إلى محمود فجاء إلى الري ودخلها في ربيع الآخر سنة عشرين وأربعين وأخذ منها سال مجذ الدولة ألف الف دينار، ومن الجوهر قيمة خمسة وألف دينار وستة آلاف ثوب، ومن الحرير والألات ما لا يحصى، وبعث مجذ الدولة إلى خراسان فاعقل بها.

ثم ملك قزوين وقلاعها ومدينة ساوة وآوة ويافت وقبض على أصحابها ولكن ويعث به إلى خراسان، وقتل من الباطنية خلقاً وفقى المترلة إلى خراسان، وأحرق كتب الفلسفة والاعتزال والتจำกامة، وملك حدود أرمينية وخطب له علماء الدولة بن كاكوبه بأصفهان، واستخلف على الري ابنه مسعوداً فافتتح زنجان وأبهر،

ونهب الديلم الأبلة ونهب الأتراك البصرة. وبلغ الخبر إلى أبي كالبيجار فبعث من الأهاواز عسكراً إلى محياتي والبصرة والديلم، فاقتلاوا الملك العزيز وأخرجوه، فلحق بواسط وملكوا البصرة ونهبوا أسواقها سنة تسع عشرة وأربعين وهم بمنصب أرباب الأموال، وبالسير إليهم وطلب المال للجند وشغل بمقدمة أرباب الأموال، وبلغ خبر استيلاء أبي كالبيجار على البصرة إلى كرمان وكان بها عمه قوام الدولة أبو الفوارس، وقد تميّز لقصد بلاد فارس قادره أجله فمات، فنادى أصحابه بشعار أبي كالبيجار واستدعوه، فسار ملك بلاد كرمان، وكان أبو الفوارس سبي السيرة في رعيته وأصحابه.

### قيامبني دليس بدعوة أبي كالبيجار

كانت جزيرة بني دليس بنواحي خوزستان لطراد بن دليس، وغلب عليه فيها منصور وخطب فيها لأبي كالبيجار، ومات طراد فسار إلى منصور ابنه علي، واستجده جلال الدولة عليه فامده بعسكر من الأتراك وسار عجلة.

وانفق أن أبي صالح كوكين هرب من جلال الدولة إلى أبي كالبيجار فأراد أن يفتح طاعته باعتراض أصحاب جلال الدولة فسار إلى منصور بالجزيرة.

وخرجوا لقتال علي بن طراد ولقوه بمبرود فهزمه وقتلسوه، واستقر منصور الجزيرة على طاعة أبي كالبيجار.

### استيلاء أبي كالبيجار على واسط ثم انهزامه وعددها جلال الدولة

ثم إن نور الدولة دليس على صاحب حلب والنيل، خطب لأبي كالبيجار في أعماله لما بلغه أن ابن عميه المقلد بن الحسن ومنيع بن حسان أمير خفاجة سارا مع عساكر بغداد إليه، فخطب هو لأبي كالبيجار واستدعاه فسار من الأهاواز إلى واسط، وقد كان لحق بها الملك العزيز بن جلال الدولة ومعه جماعة من الأتراك. فلما وصل أبو كالبيجار فارقها الملك العزيز إلى التعمانية، واستولى أبو كالبيجار على واسط.

ووفد عليه دليس وبعث إلى قرواش صاحب الموصل والأثير عنبر عنده، وأمرهما أن ينحدرا إلى العراق فأخذرا، ومات الأثير عنبر بالكھيل.

الحمدوني أن يضممه على البلد مالاً فابن فارسل علاء الدولة يستدعي الغز فرجع إليه بعضهم وأقام عنده.

ثم استوحوشوا منه وعادوا إلى العيش بنواحي البلاد، فكرر علاء الدولة مراسلة أبي سهل في الضمان ليكون في طاعة مسعود بن سبكتكين.

وكأن أبو سهل بطبرستان فاجابه وسار إلى نيسابور وملك علاء الدولة الري.

ثم اجتمع أهل أذربيجان ل الدفاع عن الغز الذين طرقوا بلادهم وانتقموا من الغز، فافتقرت فسارت طائفة إلى الري ومقدمهم يرفا وطائفة إلى همدان ومقدمهم منصور وكوكاش فحاصروا بها آبا كاليجار بن علاء الدولة، وألجمده أهل البلاد على دفاعهم وطال حصارهم ل همدان حتى صالحهم أبو كاليجار وصاهر كوكاش.

وأما الذين قصدوا الري فحاصروا بها علاء الدولة بن كالكريه وانضم إليهم فناخسرو بن مجذ الدولة وكامل صاحب ساوه، فطال حصارهم وفارق البلد في رجب ليلاً إلى أصفهان، وأجلف أهل البلد وتعزقوا ودخلوها الغز من الليل واستباحوها.

واتبع علاء الدولة جماعة منهم فلم يدركوه فعدلوا إلى كرج ونبورها، ومضى ناصفيه منهم إلى قزوين فقاتلهم حتى صالحوه على سبعة آلاف دينار وصاروا إلى طاعته.

ولما ملكوا الري رجعوا إلى حصار همدان ففارقها أبو كاليجار وصحبه الوجوه والأعيان وتخصروا بكتكون وملك الغز همدان ومقدمهم كوكاش ومنصور ومعهم فناخسرو بن مجذ الدولة في عدد من الدليم فاستباحوها، وبلغت سرایاهم إلى أستراباذ وقرى الدينور وقاتلهم صاحبها أبو الفتح ابن أبي الشوك فهزهم وأسر منهم حتى صالحوه على إطلاقهم فاطلقهم.

ثم راسلوا آبا كاليجار بن علاء الدولة في التقدم عليهم يدبر ملتهم بهمدان، فلما جاءهم وثبوا به فنهبوا ماله وانهزم وخرج علاء الدولة من أصفهان فوق في طريقه بطائفة من الغز فظفر بهم ورجع إلى أصفهان منصراً.

ولما أجاز الفريق الثاني من الغز السلاجوقية من وراء النهر، وهم أصحاب طغرل بك وداود وجفر ييك وبيقوا وأخوه إبراهيم نياں في العسكر لاتبع هؤلاء الذين بالري وهمدان وساروا إلى أذربيجان وديار بكر والموصل، وافتقرت عليهم وفعلوا فيها الأفعال كما تقدم في أخبار قرواش صاحب الموصل وابن مروان صاحب ديار بكر، وكما يأتي في أخبار ابن وهشودان.

ثم ملك أصفهان من يد علاء الدولة، واستخلف عليها بعض أصحابه فثار به أهل أصفهان وقتلوا، فسار إليها وقتله فيهم، ويقال: قتل منهم خمسة آلاف قتيل وعاد إلى الري فقام بها.

## أخبار الغز بالري وأصفهان وأعمالها وعودهما إلى علاء الدولة

قد تقدم لنا في غير موضع بداية هؤلاء الغز، وأنهم كانوا بمفارزة بناري وكانتوا فريقين: أصحاب أرسلان بن سلوجوق وأصحاب بني أخيه ميكائيل بن سلوجوق، وأن مين الدولة محمود بن سبكتكين لما ملك بناري وما وراء النهر قبض على أرسلان بن سلوجوق، وسجنه بالمند ونهب أحياءه.

ثم نهض إلى خراسان ولحق بعضهم بأصفهان، وبعث محمود في طلبهم إلى علاء الدولة بن كالكريه فحاول على أخذهم، وشعروا فجروا إلى نواحي خراسان، وذكر عليهم فأوقع بهم تاش الفوارس قائد مسعود بن سبكتكين فساروا إلى الري قاصدين أذربيجان، وكانتوا يسمون العراقية، وكان أمراء هذه الطائفة كوكاش ويرفا وقرل ويعمر وناصفي، فلما انتهوا إلى الدامغان خرج إليهم عسكرها فلم يطيقوا دفاعهم فتحصروا ببابل.

ودخل الغز البلد ونهبوا، ثم فعلوا في سمنان مثل ذلك، ثم في جوار الري وفي إسحاق آباد وما جاورها من القرى، ثم ساروا إلى مسكنويه من أعمال الري فنهبوا.

وكان تاش الفوارس قائد بني سبكتكين بخراسان ومعه أبو سهل الحمدوني من قوادهم فاستدرجوا مسعود بن سبكتكين وصاحب جرجان وطبرستان فألجمدهم وقاتلوا الغز فانهزموا وقتل تاش الفوارس.

وسار إلى الري أبو سهل الحمدوني فهزمه وتحصن بقلعة طبرك، ودخل الغز الري ونهبها.

ثم قاتلوا ثانية فأسروا منهم ابن أخت لعمر من قوادهم فبذلوا فيه ثلاثة ألف دينار وإعادة ما أخذوا من عسكر تاش من المال والأسرى فأبى أبو سهل من إطلاقه، وخرج الغز من الري ووصل عسكر جرجان وقاتلوا الغز عندما قاربوا الري وأسرموا قائدتهم والقين معه، وساروا إلى أذربيجان وذلك، سنة سبع وعشرين وأربعين.

ولما سار الغز إلى أذربيجان سار علاء الدولة إلى الري فدخلها بدعاوة مسعود بن سبكتكين، وأرسل إلى أبي سهل

غلمانه اطلع له على ريبة وخشيه قتله. وكان قد أحدث في ولادته رسوماً جائزة من المكوس، ويعين فيها، ولما بلغ خبره إلى جلال الدولة استوزر مكانه ابن عم أبي سعد عبد الرحيم، وبعث الأجناد لنصرة الذين كانوا معه فملکوا البصرة في شعبان سنة إحدى وعشرين وأربعين وأربعينات ولحق بختيار بالأبلة في عساكره واستمد أبا كاليلجار ببعث إلى أبي العساكر مع وزيره ذي السعادات أبي الفرج بن فضاليس فقاتلوا عساكر جلال الدولة بالبصرة، فانهزم بختيار أولاً وأخذ كثير من سنه.

ثم اختلف أصحاب جلال الدولة بالبصرة وتسازعوا واقتروا واستأمن بعضهم إلى ذي السعادات فركبوا إلى البصرة وملکوها، وعادت لأبي كاليلجار كما كانت.

### وفاة القادر ونصب القائم للخلافة

وفي ذي الحجة سنة اثنين وعشرين وأربعين توفى الخليفة القادر لإحدى وأربعين سنة من خلافته، وكان مهيأً عند الدليل والأتراء.

ولما مات نصب جلال الدولة للخلافة ابنه القائم بأمر الله أبا جعفر عبد الله بعد أبيه ولقبه القائم، وبعث القاضي أبي الحسن الماوردي إلى أبي كاليلجار في الطاعة، فبأيعي وخطب له في بلاده وأرسل إليه بهدايا جلية وأموال، ووَقَّعَت الفتنة ببغداد في تلك الأيام بين السنة والشيعة، ونُهِتْ دور اليهود وأحرقت من بغداد أسواق، وقتل بعض جماعة المكس، وثار العيارون.

ثم هُمُ الجند بالوثوب على جلال الدولة وقطع خطبه، ففرق فيهم الأموال فيسبتو، ثم عاودوا، فلزم جلال الدولة الأصغر فشكوا من قواده الأكابر وما يسلطان ويلدوه، وأنهما استأثراً بالأموال فاستوحشا لذلك، وطالهما الغلامان بعلوتهما وجرابياتهما فسارا إن المدائن، وندم الأتراء على ذلك.

وبعث جلال الدولة مؤيد الملك الرجحي فاسترضاهما ورجعا.

وزاد شغب الجند عليه ونبوا دوابه وفرشه، وركب إلى دار الخليفة مغضباً من ذلك وهو سكران، فلطفنه ورده إلى بيته.

ثم زاد شغبهم وطالبوه في الدواب لركوبهم فضجر وأطلق ما كان في اسطبله من الدواب، وكانت خمس عشرة وتركتها عائرة، وصرف حواشيه وأتباعه لانقطاع خزانته فعوتب بتلك الفتنة، وزعزع وزيره عميد الملك، وزعزع بعده أبو الفتح عمد بن الفضل

### استيلاء مسعود بن سبكتكين على همدان وأصفهان والري ثم عودها إلى علاء الدولة بن كاكويه

ولما فارق الغز همدان بعث إليها مسعود بن سبكتكين عسكراً فملکوها وسار هو إلى أصفهان فهو رب عنها علاء الدولة واستولى على ما كان بها من الذخائر، ولحق علاء الدولة إلى أبي كاليلجار بستر يستتجده عقب انهزامه أمام جلال الدولة سنة إحدى وعشرين وأربعينات وأربعينات كما قدمنا فوعده بالنصر إذا اصطلح مع عمه جلال الدولة.

ثم توفي محمود بن سبكتكين ورجع مسعود من خراسان، وكان فناخسرو بن مجد الدولة معتصماً بعمران، فطمع في الري وجمع جماعاً من الدليل والأكراد وقصدها فهزمه نائب مسعود بها.

وقتل جماعة من عسكره وعاد إلى حصنه.

وعاد علاء الدولة من عند أبي كاليلجار، وقد كان خالفاً من مسعود أن يسير إليهم ولا طاقة لهم به، فجاء بعد موته محمود، وملك أصفهان وهمدان والري وتجاوز إلى أعمال أشوروان وسرروا إليه بالري واشتغل القتال وغلبوا على الري ونهبوا ونجوا علاء الدولة جرحاً إلى قلعة فردخان على خمسة عشر فرسخاً من همدان فأعتصم بها، وخطب بالري وأعمال أشوروان لمسعود بن سبكتكين، وولى عليها تاش القوارس فأساء السيرة فولى علاء الدولة.

### استيلاء جلال الدولة على البصرة ثم عودها لأبي كاليلجار

كنا قدمنا أن جلال الدولة خالف أبا كاليلجار إلى الأهواز واتبعه أبو كاليلجار من واسط فهزمه جلال الدولة، ورجع إلى واسط فارتجعها.

وبعث أبو منصور بختيار بن علي نائباً لأبي كاليلجار ببعث أربعينات سفينة للقائهم مع عبد الله السراني الركاري صاحب الطبيحة فانهزموا وعزم بختيار على المرب، ثم ثبت وأعاد السفن لقتالهم والعسكر في البر، وجاء الوزير أبو علي لحربيهم في سفينة، فلما وصل نهر أبي الحصib وبه عساكر بختيار رجع مهزوماً، وتبعه أصحاب بختيار، ثم ركب بختيار بنفسه وأخذوا سفن أبي علي كلها وأخذوه أسرى ويعده بختيار إلى أبي كاليلجار فقتله بعض

جلال الدولة الوزير أبي القاسم فاستوحش الجندي، واتهموه بال تعرض لأموالهم فهجموا عليه في دار الملك وأخرجوه إلى مسجد في داره، فاحتفل جلال الدولة الوزير أبي القاسم وانتقل إلى الكرخ، وأرسل إليه الجندي بأن ينحدر عنهم إلى واسط على رسمه، ويقسم لإمارتهم بعض ولده الأصغر فأجاب، وبعث إليهم واستأذنهم فرجعوا عن ذلك واستردوه إلى داره، وحلفوا له على المصادقة.

وأستوزر عميد الدولة أبي سعد سنة خمسة عشرين وأربعين عوضاً من ابن ماكولا فاستوحش ابن ماكولا، وسار إلى عكبرا فرده إلى وزارته، وعزل أبي سعد فبقى أياماً، ثم فارقه إلى أوانا فأعاد أبو سعد عبد الرحيم إلى وزارته.

ثم خرج أبو سعد هارياً من الوزارة ولحق بابي الشوك، ووزر بعده أبو القاسم فكثرت مطالبات الجندي له وهرب لشهرين فحمل إلى دار الخليفة مكتوف الرأس، وأعيد أبو سعد إلى الوزارة، وعظم فساد العبارين بینداد وعجز عنهم التواب، فولى جلال الدولة البصري من قواد الديلم حماية الجانب الغربي بيغداد فحسن فيه غناوة، وأخل أمر الخليفة والسلطنة بيغداد حتى أغارت الأكراد والجندي على بستان الخليفة، ونهبوا ثمراته وطلب أولئك الجندي جلال الدولة فعجز عن الاتصال بهم أو إسلامهم لل الخليفة، فتقدم الخليفة إلى القضاة والشهداء والفقهاء بتعطيل رسومهم فوجم جلال الدولة، وحمل أولئك الجندي بعد غيابهم أياماً إلى دار الخليفة فاعتبرتهم أصحابهم وأطلقوا عليهم، وعجز التواب عن إقامة الأحكام في العبارين بيغداد، وانشر العرب في ضواحي بغداد وعاثوا فيها حتى سلبا النساء في المقابر عند جامع المنصور، وشغب الجندي ستة سبع وعشرين وأربعين سنة بجلال الدولة فخرج متذمراً في ميسما بدوي إلى دار المرتضى بالكرخ، ولحق منها برافع بن الحسين بن معن بتكريت، ونهب الأتراك داره وخربوها، ثم أصلح القائم أمر الجندي وأعاده.

### فتنة بادسطفان ومقتله

قد قدمنا ذكر بادسطفان هذا وأنه من أكبر قواد الديلم ويلقب حاجب الحجاب، وكان جلال الدولة ينسبه لفساد الأتراك والأتراك ينسبونه إلى إنجاز الأموال فاستوحش واستجار بال الخليفة متذمراً سبع وعشرين وأربعين سنة فأغاره وكان يراسل أبي كاليجار ويستدعيه، وبعث أبو كاليجار عسكراً إلى واسط وثار معهم العساكر الذين بها وأخرجوا العزيز بن جلال الدولة إلى بغداد،

لياماً ولم يستقم أمره فعزله، ووزر بعده أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الحسين السهيلي وزير مأمون صاحب خوارزم وهرب لخمسة وعشرين يوماً.

### وثوب الأتراك ببغداد بجلال الدولة بدعة أبي كاليجار ثم رجوعهم إلى جلال الدولة

ثم تجددت الفتنة بين الأتراك وجلال الدولة سنة ثلاث وعشرين وأربعين في ربيع الأول فاغلق بابه، ونهب الأتراك داره وسلبا الكتاب وأصحاب الدواوين، وهرب الوزير أبو إسحاق السهيلي إلى حي غريب بن محمد بن معن.

وخرج جلال الدولة إلى عكبرا وخطبوا لأبي كاليجار واستدعوه من الأهواز فمنعه العادل بن مافقه إلى أن يحضره بين قوادهم فعادوا إلى جلال الدولة وتطارحوه عليه، فعاد لثلاث وأربعين يوماً من غيبة، واستوزر أبي القاسم بن ماكولا ثم عزله لفتنة الأتراك به، وإطلاق بعض المصادر من يده.

### استيلاء جلال الدولة على البصرة ثانياً ثم عودها لأبي كاليجار

ثم توفي أبو منصور مختيار بن علي نائب أبي كاليجار بالبصرة متصرف أربع وعشرين وأربعين سنة فقام مكانه صهره أبو القاسم لاضطلاعه وكفائه، واستبد بها ونكر أبو كاليجار استبداده، وبعث بعزله فامتنع وخطب بجلال الدولة، وبعث لابنه يستدعيه من واسط فجاء وملك البصرة وطرد عساكر أبي كاليجار.

ثم فسد ما بين أبي القاسم والعزيز واستجار منه بعض الديلم بالعزيز، وشكوا منه فأخرجه العزيز عن البصرة وأقام بالأبلة، ثم عاد إلى محاربة العزيز حتى أخرجه عن البصرة ورجع أبو القاسم إلى طاعة أبي كاليجار.

### إخراج جلال الدولة من دار الملك ثم عوده

وفي رمضان من سنة أربع وعشرين وأربعين استقدم

وملوكها، وبقى على الظاهر واستصفيت أمواهه، وصودر على تسعين ألفاً فحملها في عشرة أيام، ثم على مائة ألف وعشرة آلاف فحملها كذلك، ووصل الملك أبو كاليجار إلى البصرة سنة إحدى وثلاثين وأربعين وأنزل بها ابنه عز الملوك والأمير أبي الفرج بن فاسنجس وعاد إلى الأهواز ومعه الظاهر أبو القاسم.

## أخبار عمان وابن مكرم

قد قدمنا خبر أبي محمد بن مكرم وأنه كان مدير دولة بهاء الدولة وقبله ابنه أبو الفوارس، وأن ابنه أبي القاسم كان أميراً بعمان منذ ستة خمس عشرة وأربعين سنة ثم توفي سنة إحدى وثلاثين وأربعين وخلفه بين أربعة وهم: أبو الجيش والمذهب وأبو محمد وأخوه صغير لم يذكر اسمه.

وكان علي بن هطال صاحب جيش أبي القاسم فأقره أبو الجيش وبالغ في تعظيمه حتى كان يقوم له إذا دخل عليه في مجلسه فتكر ذلك المذهب على أخيه، وحقدنا له ابن هطال فعمل دعوة واستاذن أبي الجيش في إحضار أخيه المذهب لها، وأحضره وبالغ في خدمته حتى إذا طعموا وشربوا وانتشروا فاووضه ابن هطال في التربة بأخيه أبي الجيش واستكتبه بما يوليه من المراتب ويعطيه من الإقطاع على مناصحته في ذلك.

ثم وقف أبو الجيش على خطبة أخيه أنه لم يوافقه ثم قال له: وسيب ذلك كان نكيره عليك في شأني، فقبض أبو الجيش على أخيه واعقله ثم خنقه.

ثم توفي أبو الجيش بعد ذلك بيسير وهو ابن هطال بتألية أخيه محمد فاختفت أمره حذراً عليه، ورفعت الأمر إلى ابن هطال فولى عمان وأسأله السيرة وصادره التجار، وبلغ ذلك إلى أبي كاليجار فأمر العادل ابن مكرم بجبل عمان، ويازمه بقصد ابن هطال في عمان، وبعث إليه العساكر من البصرة، فسار إلى عمان وحاصرها واستولى على أكثر أعمالها.

ثم دس إلى خادم كان لابن مكرم وصار لابن هطال وأمره باغتياله فاغتاله وقتلته.

ومات العادل أبو منصور بهرام بن مافنة وزير أبي كاليجار سنة ثلاث وثلاثين وأربعين ووزر بعده مذهب الدولة وبعد زيادة ثلاثين ألف دينار في ضمان البصرة فلقيه إلى ذلك، وجهز له أبو كاليجار العساكر مع العادل أبي منصور بن مافنه وجاء أبا الجيش بعساكره في البحر من عمان وحاصروا البصرة برأ وبحراً فاصلح فسادهم.

وكشف بادسطفان القناع في الدعاء لأبي كاليجار وحمل الخطباء على الخطبة لامتناع الخليفة منها، وجرت بينه وبين جلال الدولة حرب.

وسار إلى الأنبار وفارقه قرواش إلى الموصل، وبقى بادسطفان على ابن فاسنجس، فعاد منصور بن الحسين إلى بلده.

ثم جاء الخبر بأن أبي كاليجار سار إلى فارس فانتقض عن بادسطفان الديلم الذين كانوا معه، وترك ماله وخدمه وما معه بدار الخليفة القائم وأخذ إلى واسط، وعاد جلال الدولة إلى بغداد وبعث الباسيري وسي خفاجة في طلب بادسطفان وسار هو وديس في اتباعهم فلحقوه بالخيزرانية فقاتلوه وهرموا، وجاوزوا به أسيراً إلى جلال الدولة إلى بغداد، وطلب من القائم أن ينطب له ملك الملوك فوقف عن ذلك إلا أن يكون بفتوى الفقهاء فأفاته القضاة أبو الطيب الطبراني وأبو عبد الله الصيمراني وأبو القاسم الكركي بالجواز ومنع أبو الحسن الماوردي، وجرت بينهم مناظرات حتى رجحت فتواهم وخطب له بملك الملوك.

وكان الماوردي من أخص الناس بجلال الدولة فخرج وانقطع عنه ثلاثة أشهر، ثم استدعاه وشكر له إيثار الحق وأعاده إلى مقامه.

## مصالحه جلال الدولة وأبي كاليجار

ثم ترددت الرسل بين جلال الدولة وأبي كاليجار ابن أخيه، وتولى ذلك القاضي أبو الحسن الماوردي وأبو عبد الله المردوسي، فانعقد بينهما الصلح والصهر لأبي منصور بن أبي كاليجار على ابنه جلال الدولة، وأرسل القائم إلى أبي كاليجار بالخلع التفيسة.

## عزل الظهير أبي القاسم عن البصرة واستقلال أبي كاليجار بها

قد قدمنا حال الظهير أبي القاسم في ملك البصرة بعد صهره أبي منصور بختيار، وأنه عصى على أبي كاليجار بدعة جلال الدولة، ثم عاد إلى طاعته واستبدل بالبصرة، وكان ابن أبي القاسم بن مكرم صاحب عمان يكتب أبا الجيش وأبي كاليجار بزيادة ثلاثين ألف دينار في ضمان البصرة فأليج إلى ذلك، وجهز له أبو كاليجار العساكر مع العادل أبي منصور بن مافنه وجاء أبا الجيش بعساكره في البحر من عمان وحاصروا البصرة برأ وبحراً

## وفاة جلال الدولة سلطان بغداد وولاية أبي

## كاليجار

قرداش.  
وافتقروا من يزدجرد فمضى أبو جعفر إلى نيسابور عند الأكراد الجردقان وصعد فرهاد إلى قلعة سمكيس واستمال الأكراد الذين مع علي بن عمران وحملهم على الفتكت به، فشعر علي وسار إلى همدان، واتبعه فرهاد والأكراد فمحضوه في قرية بطيقه فامتنع عليهم بكثرة الأمطار ورجعوا عنه، وبعث علي بن عمران إلى الأمير تاش يستمده وعلاء الدولة إلى ابن أخيه بأصفهان يستمد المال والسلاح فأعترضه علي بن عمران من همدان وكبشه بيردقان وغنم ما معه وأسره، وخالفه علاء الدولة واقتله على أصفهان على ضمان معلوم وكذلك قابوس في جرجان وطبرستان وولى على الري أبي سهل الحمدوني وأمر تاش قرواش صاحب خراسان بطلب شهربيوس بن ولكن صاحب ساوة، وكان يفسد السبلة وبعرض الملاج، وسار إلى الري وحاصرها بعد موت محمود، بعثت تاش العساكر في أثره وحاصروه بيعض قلاع قم وأخذوه أسيراً فامر بصلبه على ساوة، ثم اجتمع علاء الدولة بن كاكويه وفرهاد بن مرداويح على قتال أبي سهل الحمدوني وقد زحف في العساكر من خراسان فقتلاه وقتل فرهاد وأنهزم علاء الدولة إلى جبل بين أصفهان وجرجان فاعتضم به.

ثم لحق بآيدج وهي للملك أبي كاليجار، واستولى أبو سهل على أصفهان ونهب خزائن علاء الدولة وحلت كتبه إلى غزنة إلى أن احرقها الحسين بن الحسين الغوري، وذلك سنة خمس وعشرين وأربعين سنة ثم سار علاء الدولة سنة سبع وعشرين وأربعين وحاصر أبي سهل في أصفهان وغدرته الأتراك فخرج إلى يزدجرد ومنها إلى الطرم فلم يقبله ابن السلاط خوفاً من ابن سبكتكين، فسار عنه، ثم غلبه طغرل بك على خراسان سنة سبع وعشرين وأربعين وارتجعها مسعود سنة ثلاثين وأربعين كما ذكرناه ونذكره.

## وفاة علاء الدولة أبي جعفر بن كاكويه

ثم توفي علاء الدولة شهريان بن كاكويه في محرم سنة ثلاث وأربعين وقد كان عاد إلى أصفهان عند شغل بن سبكتكين بفتحة طغرل بك فملكتها.

ولما توفي قام مكانه بأصفهان ابنه الأكبر ظهير الدين أبو منصور قرامد.

وسار ولده الآخر أبو كاليجار كرشاسف إلى نهاوند فملكتها، وضبط البلد وأعمال الجبل.

ثم توفي جلال الدولة ببغداد في شعبان سنة خمس وثلاثين وأربعين سنة لسبعين عشرة سنة من ملكه، وقد كان بلغ في الضعف وشغب الجندي عليه واستبداد الأمراء والنواب فوق الغاية.

ولما توفي أخذل الوزير كمال الملك عبد الرحيم وأصحاب السلطان الأكابر إلى حريم دار الخلافة خوفاً من الأتراك والغاية، واجتمع قواد العسكري فمنعوهم من النهب.

وكان ابنه الأكبر العزيز أبو منصور بواسط فكتابه الجندي بالطاعة، وشرطوا عليه تعجيل حق البيعة فأبطأ عنهم، وبادر أبو كاليجار صاحب الأهواء فكتابتهم ورغبتهم في المال وتعجلهم فعدلوا عن الملك العزيز إليه.

وأصعد بعد ذلك من الأهواء فلما انتهى إلى التعمانية غادر به أصحابه فرجع إلى واسط، وخطب الجندي ببغداد لأبي كاليجار.

وسار العزيز إلى دييس بن مزيد، ثم إلى قرواش بن المقلد بالمرصل، ثم فارقه إلى أبي الشوك لصهر بيتهما فضدر به، وألزمته على طلاق بنته، فسار إلى إبراهيم نبال أخي طغرل بك، ثم قدم بغداد خفياً بروم الثورة بقتل بعض أصحابه فقر ولحق بتصدير الدولة بن مروان فتوفي عنده ميافقرين، وقدم أبو كاليجار بغداد في صفر سنة ست وثلاثين وأربعين، وخطب له بها واستقر سلطانه فيها بعد أن بعث بأموال فرقته على الجندي ببغداد وبعشرة آلاف دينار وهدايا كثيرة للخليفة، وخطب له فيها أبو الشوك ودييس بن مزيد كل ب أعماله، ولقبه الخليفة بمحبي الدولة، وجاء في قلة من عساكره خوفاً أن يسترب به الأتراك فدخل بغداد في شهر رمضان ومعه وزيره أبو السعادات أبو الفرج محمد بن جعفر بن فساحن، واستعفى القائم من الركوب للقاءه، وتقدم بإخراج عمه من بغداد، فمضيا إلى تكريت وخلع على أصحاب الجيوش وهو الباسيري والسارى والهمام أبو اللقاء وثبت قدمه في الملك.

أخبار ابن كاكويه مع عساكر مسعود  
وولايته على أصفهان ثم ارتجاعه منها

قد تقدم انهزام علاء الدولة بن كاكويه من الري ومسيره جريحاً ومعه فرهاد بن مرداويح الذي جاءه إلى قلعة فردخان مددأ وساروا منها إلى يزدجرد، واتبعهم علي بن عمران قائد تاش

طاعته.

ثم بعث إلى كركاش وموقا من الغز العراقية الذين تقدموا إلى الري واستدعاهم من نواحي جرجان فارتسبوا وشردوا خوفاً منه.

ثم بعث إلى ملك الديلم يدعوه إلى الطاعة ويطلب منه المال، فاجاب وحمل، وبعث إلى سلار الطرم بمثل ذلك فاجاب وحمل مائتي ألف دينار وقرر عليه ضماناً معلوماً.

ثم بعث السرايا إلى أصفهان وخرج من الري في اتباعها فصانعه قرامد بالمال فرجع عنه.

وسار إلى همدان فملكها، وقد كان سار إليه كرشاسف بن علاء الدولة وهو بالري فأطاعه، وسار معه إلى آهوز زنجان فملكهما، وأخذ منه همدان وتفرق عنه أصحابه.

وطلب منه طغرليك قلعة كشكور فارسل إلى مستحفظتها بتزويهم عنها فامتنعوا، واتبعه طغرليك إلى الري واستختلف على همدان ناصر الدين العلوبي، وكان كرشاسف قد قبض عليه فاخرجه طغرليك وجعله ريفاً للذي ولاه البلد من السلاجقية، ثم نزل كرشاسف على كشكور سنة ست وثلاثين وأربعين و جاء إلى همدان فملكها وطرد عنها عمال طغرليك وخطب للملك أبي كاليجار بفتح طغرليك أخاه إبراهيم نبال سنة سبع وثلاثين وأربعين إلى همدان، ولحق كرشاسف بشهاب الدولة أبي الغوارس منصور بن الحسين صاحب جزيرة بي دييس، وارتاع الناس بالعراق لوصول إبراهيم نبال إلى حلوان، وبلغ الخبر إلى أبي كاليجار فأراد التجمع لإبراهيم نبال فمنعه قلة الظهر.

وحدثت فتنة بين طغرليك وأخيه إبراهيم نبال وأخذ الري وببلاد الجيل من يده.

ثم سار إلى أصفهان فحاصرها في حرم سنة اثنين وأربعين، وبعث السرايا فبلغت البيضاء، وأقام يحاصرها حولاً كاماً حتى جدهم الحصار، وعدموا الأقوات وحرقوا السقف لقوادهم حتى سقف الجامع، ثم استأمنوا وخرجوا إليه وملك أصفهان سنة ثلاثة وأربعين وأربعين واقتصر صاحبها أبا منصور وأجناده في بلاد الجيل ونقل أمواله وسلاحه من الري إليها وجعلها كرسياً لملكه، وانقرضت دولة فخر الدولة بن بويه من الري وأصفهان وهمدان، ويقي منهم بالعراق وفارس أبو كاليجار والبقاء لله وحده.

وبعث أبو منصور قرامد إلى مستحفظ قلعة نظيراً التي كان فيها ذخائر أبيه وأمواله فامتنع بها وعصى، وسار أبو منصور لحصاره ومعه آخره أبو حرب فلحق أبو حرب بالمستحفظ، ورجع أبو منصور إلى أصفهان.

وبعث أبو حرب إلى السلاجقية بالري يستجدهم، فسارت طائفته منهم إلى جرجان فنهبها وسلموها لأبي حرب.

فسير أبو منصور العساكر وارتجعها، فجمع أبو حرب فهزمه، وحاصروا أبي حرب بالقلعة فأسري من القلعة ولحق بالملك أبي كاليجار صاحب فارس، واستجده على أخيه أبي منصور فانげه بالعساكر وحاصروا أبي منصور وأوقعه عدا وفاته، ثم اصطلحوا آخرًا على مال بعده أبو منصور إلى أبي كاليجار، وعاد أبو حرب إلى قلعة نظير واشتد الحصار عليه.

ثم صالح أخاه أبي منصور على أن يعطيه بعض ما في القلعة وتبقي له فانتفقا على ذلك. ثم سار إبراهيم نبال إلى الري وطلب المودعة من أبي منصور فلم يسمه، فسار إلى همدان ويزدجرد فملكهما وسعى الحسن الكيا في اتفاقه مع أخيه أبي حرب فانتفقا، وخطب أبو حرب لأخيه أبي منصور في بلاده، وأقطعه أبو منصور همدان.

ثم ملك طغرليك البلاد من يد ابن سبكتكين واستول على خوارزم وجرجان وطبرستان.

وكان إبراهيم نبال عندما استول طغرليك على خراسان وهو آخره لأمه تقدم في عساكر السلاجقية إلى الري فاستول عليها.

ثم ملك يزدجرد، ثم قصد همدان سنة أربع وثلاثين وأربعين ففارقه صاحبها ابن علاء الدولة إلى نيسابور، وجاء إبراهيم إلى همدان بطلب طاعتهم فشرطوا عليه استيلاده على عساكر كرشاسف، فسار إليها وتحصن في ساپور خواسط وملك عليه البلاد وعاش في نواحيها، وتحصن هو بالقلعة وعاد هو إلى الري.

وقد صمم طغرليك على قصدها، فسار إليه وترك همدان ورجع كرشاسف وملك طغرليك الري من يد إبراهيم.

وبعث إلى سجستان وأمر بعمارة ما خرب من الري، ووجد بدار الإمارة مراكب ذهب مرصعة بالجواهر، وبرنيتين من النحاس ملبوتين جواهر وذخائر مما سوى ذلك وأمراً كثيرة.

ثم ملك قلعة طبرك من يد مجد الدولة بن بويه، وأقام عنده مكرًا وملك قزوين فصالحة صاحبها بثمانين ألف دينار وصار في

## ملك الملك الرحيم بن أبي كاليجار ومواعده

قد تقدم لنا أن أبي منصور فلاستون بن أبي كاليجار، سار إلى فارس بعد موت أبيه فملكتها، وأنه بعث أخيه أبي سعيد بالعاشر قفبضوا عليه وعلى أمه، ثم انطلق ولحق بقلعة إصطخر ببلاد فارس، فصار الملك الرحيم من الأهواز في اتباعه سنة إحدى وأربعين وأطاعه أهل شيراز وجندها، ونزل قريباً منها.

ثم وقع الخلاف بين جند شيراز وبين جند بغداد، وعادوا إلى العراق فعاد معهم الملك الرحيم لاريابه بجند شيراز، وبعث الجندي والدليم جميعاً ببلاد فارس، إلى أخيه فلاستون ولما عاد استخلف العساكر وسار إلى أرجن عازماً على قصد الأهواز.

وعاد الملك الرحيم للقائه من الأهواز في ذي القعدة من السنة واقتلوه وانهزم الملك الرحيم، وعاد إلى واسط منهزاً.

وسار بعض إلى الملك الرحيم يست gioسون به للرجوع إلى فارس، فأرسل إلى بغداد واستقر الجندي وسار إلى الأهواز فبلغه طاعة أهل فارس وأنهم متظرون قدوة، فأقام بالأهواز يتظر العساكر ببغداد.

ثم سار إلى عسكر مكرم فملكتها سنة ثلاثة وأربعين وأربعين.

ثم اجتمع جمع من العرب والأكراد مقدمهم طراد بن منصور ومذكور بن نزار فقصدوا سرف فهوها ونهوا درق.

وبعث الملك الرحيم بعساكره في حرم سنة ثلاثة وأربعين فهزموا العرب والأكراد وقتل مطارد وأسر ابنه واسترد النهب.

وبلغ الخبر إلى الملك الرحيم وهو بعسكر مكرم فتقدم إلى قنطرة أربق ومعه دبيس بن مزيد والبسيري وغيرهما.

ثم سار هزارسب بن تنكر ومنصور بن الحسين الأسدى بن معهما من الدليم والأتراك من أرجن إلى تستر، فسابقهم الملك الرحيم فكان الظفر له.

ثم زحف في عسكر إلى رامهرمز وبها أصحاب هزارسب فهزموهم وأثخنوا فيهم، وتحيزوا إلى رامهرمز في طاعة الملك الرحيم.

ثم قبض هزارسب عليهم وأرسل إلى الملك الرحيم بطاعته، فبعث أخيه أبي سعيد إليه فملكت إصطخر، وخدمه أبو نصر بعساكره وماله، وأطاعته جموع من عساكر فارس من الدليم والترك.

## موت أبي كاليجار

ولما رأى أبو كاليجار استيلاء طغرل بك على البلاد، وأخذه الري وأصفهان وهمدان والجبل من قومه، وإزالة ملکهم راسله في الصهر والصلح، بأن يزوجه ابنته، وزوج داود آخر طغرل بك ابنته من أبي منصور بن أبي كاليجار، وانعقد ذلك بينهما في منتصف تسع وتلathin وأربعينات وكتب طغرل بك إلى أخيه إبراهيم نياں عن العراق وأعماله ابن سكرستان من الدليم، وقرر عليه مالاً فطاول في حمله، ورافع فشكراً له أبو كاليجار، وانتزع من يده قلعة يزدشير وهي تعلقه ثم استعمل أجناده قتيلهم بهرام، واستوحش فسوار إليه أبو كاليجار، وانهى إلى قصر مجتمع من خراسان فطرقه المرض وضعف عن الركوب فرجعوا به إلى مدينة خبايا وتوفى بها في جادى الأولى سنة أربعين وأربعينات، لأربع سنين وتلاته أشهر من ملكه العراق.

ولما توفي نهب الأتراك خزاناته وسلاحه ودوابه واتقل ولده أبو منصور فلاستون إلى خيم الوزير أبي منصور وكانت منفردة عن العسكر فأقام عنده، واختلف الأتراك والدليم وأراد الأتراك نهب الأمير والوزير فمنعهم الدليم، واختلفوا إلى شيراز فملكتها الأمير أبو منصور وامتنع الوزير بقلعة حزقة، وبلغ وفاة أبي كاليجار إلى بغداد وبها ابنه أبو نصر، فاستخلف الجندي وأمر القائم بالخطبة على عادة قومه.

وسائل أن يلقب بالرحيم فمنع الخليفة من ذلك أبداً ولقبه به أصحابه واستقر بالعراق وخرستن والبصرة. وكان بالبصرة أخوه أبو علي فاقره عليها.

ثم بعث أخيه أبي سعد في العساكر في شوال من السنة إلى شيراز فملكتها وخطبوا له بها وقضوا على أخيه أبي منصور وأمه وجاؤوا بها إليه.

وكان الملك العزيز بن جلال الدولة عند إبراهيم نياں لحت به بعد مهلك أبيه.

فلما مات أبو كاليجار زحف إلى البصرة طاماً في ملوكها فدافعه الجندي الذين بها، وبلغه استقامة الملك ببغداد للرحيم فاقطع وذهب إلى ابن مروان فهلك عنده كما مر.

ثُمَّ قبض هزارسب عليهم وأرسل إلى الملك الرحيم بطاعته، فبعث أخيه أبي سعيد إليه فملكت إصطخر، وخدمه أبو نصر بعساكره وماله، وأطاعته جموع من عساكر فارس من الدليم والترك.

فملوكها، وجاء على أثرهم فاصلح أحوالها.  
وزحف قريش إليها سنة ست وأربعين فملكها وخطب فيها  
لطغليك، ونهب ما كان فيها للبساسيري، ونهب حلل أصحابه  
بأشخاص، وجمع البسييري وقصد الأنبار وخري فاستعادها من يد  
قريش ورجع إلى بغداد.

### استيلاء الخوارج على عمان

كان أبو المظفر بن أبي كاليجار أميراً على عمان، وكان له خادم مستبد عليه فأساء السيرة في الناس ومد يده إلى الأموال فنفروا منه، وعلم بذلك الخوارج في جيالها فجمعهم ابن رشد منهم وسار إلى المدينة فبرز إليه أبو المظفر وظفر بالخوارج.  
ثم جمع ثانية وعاد لقتال أبي المظفر والديلم وأعانه عليهم أهل البلد لسوء سيرتهم فهزهم ابن رشد وملك البلد، وقتل الخادم وكثيراً من الدليم والعمال، وأخرب دار الإمارة وأسقط المكوس، واقتصر على ربع العشر من أموال التجار والواردين، وأظهر العدل ولبس الصوف وبنى مسجداً لصلاته، وخطب لنفسه وتلقب الراشد بالله.  
وقد كان أبو القاسم بن مكرم بعث إليه قبل ذلك من حاصره في جبله وأزال طمعه.

### الفتنة بين العامة ببغداد

وفي صفر من سنة ثلاثة وأربعين وأربعين تجددت الفتنة ببغداد بين أهل السنة والشيعة وعظمت، وظهور الشيعة بذاته لهم وكثروا بعض عقائدهم في الأبواب، وأنكر ذلك أهل السنة، واقتلونا وأرسل القائم تقبي العباسية والعلوية لكشف الحال فشهدوا للشيعة، ودام القتال وقتل رجل من الماشمية من أهل السنة، فقصدوا مثبه بباب النصر ونبأوا ما فيه وأحرقوا ضريح موسى الكاظم وحاده محمد المقني وضرائحبنيه وبويه وبعض خلقه بنى العباس، وهموا بنقل شلو الكاظم إلى مقبرة أحمد بن حنبل، فحال دون ذلك جهفهم بين الجدال.

وجاء نقيب العباسية فمنع من ذلك، وقتل أهل الكرخ من الشيعة أبا سعيد السرخيسي مدرس الحنفية.

وآخرقا حال القهاء ودورهم، وتعدت الفتنة إلى الجانب الشرقي، وبلغ إحراق المشهد إلى دليس فنظم عليه، وقطع خطبة القائم لأنه وأهل ناحيته كانوا شيعة، وعوبت في ذلك فاعتذر بان

والعرب والأكراد وحاصروا قلعة بهندر فخالقه هزارسب ومنصور بن الحسين الأسدى إلى الملك الرحيم فهزمه.  
وفارق الأهواز إلى واسط وعاد إلى سعد بشيراز فقاتلهم وهزهم.

ثم عاودوا القتال فهزهم وأثخن فيهم واستأمن إلى كثير منهم، وصعد فلاستون إلى قلعة بهندر فامتنع بها، وأعيد الخطبة للملك الرحيم بالأهواز.

ثم مضى فلاستون وهزارسب إلى يدج وبعثوا بطاعتهم إلى السلطان طغليك واستمدوه، وبعث إليهم العساكر والملك الرحيم بعسكر مكرم وقد انصرف عنه البسييري إلى العراق، ودبیس بن مزيد والعرب والأكراد، وبقي معه دليس الأهواز، وأنزل بغداد فسار من عسكر مكرم إلى الأهواز وحاصروه بها فبعث أخاه أبا سعد صاحب فارس حين طلب صاحب إصطخر ليفت في عضد فلاستون وهزارسب ويرجعوا عنه.

فلم يهزم ذلك وساروا إلى الأهواز وقاتلوا فهزمه، ولحق في الفل بواسط ونهبت الأهواز، وقد في الواقعة الوزير كمال الملك أبو العالى بن عبد الرحيم وكانت السلجوقة قد ساروا إلى فارس، فاستولى الب ارسلان ابن أخي طغليك على مدينة نسا واعثروا فيها وذلك سنة ثلاثة وأربعين وأربعين.  
ثم ساروا سنة أربعين وأربعين وأربعين إلى شيراز ومعهم العادل بن مافه وزیر فلاستون فقبضوا عليه وملکوا منه ثلاث قلاع وسلموها إلى أبي سعد أخي الملك الرحيم، واجتمعت عساكر بشيراز فهزموا الغز الذين ساروا إليها وأسروا بعض مقدمهم.

ثم ساروا إلى نسا وقد كان تغلب عليها بعض السلجوقة فاخرجوهم عنها وملکوها.

### الفتنة بين البسييري وبني عقيل واستيلاؤه

#### على الأنبار

لما سار الملك الرحيم إلى شيراز سنة إحدى وأربعين شار بعض بني عقيل باردوا فنهبوا واعثروا فيها وكانت من أقطاع البسييري، فلما عاد من فارس سار إليهم من بغداد فأوقع بأبي كامل بن المقلد، واقتلونا قتالاً شديداً.

ثم تجاوزوا ورفع إلى البسييري إن قرواش أساء السيرة في أهل الأنبار، وجاء أهلها مظليمين منه، فبعث معهم عسكراً

أبا سعيد عنهم إلى الأهواز، ودخل أبو منصور إلى الأمواز فملكها وخطب لطغرل بك وللملك الرحيم ثم لنفسه بعدهما.

### و قانع البساسيري مع الأعراب والأكراد لطغرل بك

لما استولى طغرل بك على التواحي وأحاط بأعمال بغداد من جهاتها، وأطاعه أكثر الأكراد إلى حلوان وكثير فسادهم وعيتهم، والتفت عليهم الأعراب وأهم الدولة شأنهم فسار إليهم البساسيري واتبعهم إلى البواريج فظفر بهم وقتل وغنم، وعبروا الزاب، وجاء الدليل فتمكن من العبور إليهم وذلك سنة خمس وأربعين وأربعين وسبعين ثم دعاهم ديس صاحب الحلة إلى قتال خفاجة، وقد عاثوا في بلاده، فاستجده به وسار إليهم فأجلهم عن الجامعين، ودخلوا المفارة واتبعهم فادركم بمخنان فاوقع بهم وغنم أمراهم وأنعامهم، وحاصر حصن خفان وقتله وخربه، وأراد تحرير القائم الذي به، وهو بناء في غاية الارتفاع كالعلم يهتدى به.

قيل: إنه وضع هداية السفن لما كان البحر إلى النجف، فصانعه ربعة بن مطاعم بالمال وترك له، وعاد إلى بغداد فصلب من كان معه من أسرى العرب.

ثم سار إلى خوي فحضرها وقرر عليها سبعة آلاف دينار.

### فتنة الأتراك واستيلاء عساكر طغرل بك على التواحي

كان الأتراك من جند بغداد قد استقبح أمرهم على الدولة، واشطروا وتطاولوا إلى الفتنة عندما هبت ريحها بظهور طغرل بك واستيلائه على التواحي، فطالعوا الوزير في محرم سنة ست وأربعين وأربعين وسبعين مبلغ كبير من أرزاقهم ورسومهم وأرهقوه، واختفى في دار الخلافة فاتبعوه وطلبوه من أهل الدار فجحدوه فشغلا على الديوان، وتعدوا إلى الشكوى من الخليفة، وساء الخطاب بينهم وبين أهل الديوان وانصرفوا، وشاع بين الناس أنهم مخاضرون دار الخلافة فانزعجوا، وركب البساسيري وهو النائب يومئذ ببغداد إلى دار الخلافة، وطلب الوزير وبكس الدور من أجله، فلم يوقف له على خبر.

وشغب الجنديون بهروا دار الروم وأحرقوا البيع، وكبسوا دار

أهل التاخية تغري القائم بأهل السنة، وأعاد الخطبة مجدها. ثم عظمت الفتنة سنة خمس وأربعين وأربعين وسبعين وأطهروا مراقبة السلطان ودخل معهم طوائف من الأتراك وقتل بعض العلوية فخر الصباء بشاره، واجتمع السواد الأعظم، وركب القواد لتسكين الفتنة فقاتلهم أهل الكرخ قتالاً شديداً، وحرقت أسواق الكرخ ثم منع الأتراك من الدخول بينهم فسكنوا قليلاً.

### استيلاء الملك الرحيم على البصرة

قد قدمتنا أن الملك الرحيم لما تولى بغداد بعد أبيه أقر أخيه أبا علي على إمارة البصرة، ثم بدا منه العصيان، فبعث إليه العساكر مع البساسيري القائم بدولته، فزحف أخيه إلى البصرة ويرزوا إليه في الماء فقاتلهم عدة أيام ثم هزمهم وملك عليهم الأنهر، وصارت العساكر في البر إلى البصرة، واستأنفت ربعة ومضر فاتنهم وملك البصرة، وجاءته رسائل الدليل بخوزستان يعتذرون، ومضى أبو علي فتحقق بشط عثمان وخدق عليه فمضى الملك الرحيم إليه وملكه، ومضى أبو علي وابنه إلى عبادان. ولحق منها إلى جرجان متوجهاً إلى السلطان طغرل بك.

لما وصل إليه باصفهان لقاء بالتكريم وأنزله بعض قلاع جرياذقان، وأقطع له في أعمالها وأقام الملك الرحيم بالبصرة أيام واستبدل من أجداد أخيه أبي علي بها، واستختلف عليها البساسيري، وسار إلى الأهواز وترددت الرسل بينه وبين منصور بن الحسين وهزارسب فدخلوا في طاعته، وصارت تستر إليه، وأنزل بارجان فولاد بن خسرو الديلمي، فسار في أعمالها وحمل التغلبين هناك على طاعة الملك الرحيم حتى أذعنوا.

### استيلاء فلاستون على شيراز بدعة طغرل بك

قد قدمنا أنه كان بقلعة إصطخر أبو نصر بن خسرو مستولياً عليها، وأنه أرسل بطاعته سنة ثلاث وأربعين وأربعين وسبعين ملك رامهرمز، واستدعى منه أخيه أبا سعيد ليملكه بلاد فارس، فسار إليه بالعساكر وملك البلاد، ونزل شيراز، وكان معه عميد الدولة أبو نصر الظهير قد استبد في دولته، وسامت سيرته في جنده، وأوحش أبا نصر مستدعيهم للملك فانتقض عليهم، ودخل الجنديون في الانقضاض فشغلا وقبضوا على عميد الدولة، ونادوا بدعة أبي منصور فلاستون، واستدعوه وأخرجوا

### ثوب الأتراك بالبساصيري ونهب داره

كان هذا البساسيري ملوكاً لبعض تجار بسا من مدائن فارس فنسب إليهم، ثم صار ليهاء الدولة بن عضد الدولة، ونشأ في دولته وأخذت النجابة بضبعه، وتصرف في خدمة بيته إلى أن صار في خدمة الملك الرحيم، وكان يعشه في المهمات ومدافعة هذه الفتن.

فدافع الأكراد من جهة حلوان، ودافع قريش بن بدران من الجانب الغربي وهو ما قائمان بدعة طغولبك.

ثم سار إلى الملك الرحيم بواسط وقد تأكدت الوحشة بينه وبين الوزير رئيس الرؤساء كما تقدم.

ويبعث إليه وزيره أبو سعد النصراني بجرار خر، فدس عليها الوزير قوماً ببغداد كانوا يقومون في تغيير المنكر فكسروها، وأراقوها خرها فتأكّدت الوحشة بذلك، واستفتشي البساسيري الفقهاء الخفيفي في ذلك فاقته باحترام مال النصراني، ولا يجوز كسرها عليه ويغزم من أتلفها.

وتأكّدت الوحشة بين الوزير وبين البساسيري وكانت الوحشة بينه وبين الأتراك كما مر.

فسد الوزير بالشغب على البساسيري فشغبوا، واستأذنوا في نهب دوره، فاذن لهم من دار الخلافة فانتطلقت أيدي النهب عليهما، وأنشاع رئيس الرؤساء أنه كاتب المستنصر العلوي صاحب مصر، واتسع الخرق، وكاتب القائم الملك الرحيم بإبعاد البساسيري، وأنه خلع الطاعة وكاتب المستنصر العلوي فأباده الملك الرحيم.

### استيلاء طغولبك على بغداد والخلفية ونكبة الملك الرحيم وانقراض دولة بني بويه

كان طغولبك قد سار غازياً إلى بلاد الروم فائتخن فيها، ثم رجع إلى الري فأصلاح فسادها، ثم وصل همدان في الحرم سنة سبع وأربعين وأربعينه عاملاً على الحج، وأن يمر بالشام ويزيل دولة العلوية بمصر.

وتقىد إلى أهل الدينور وقرميس وغيرهما بإعداد العلوفات والزاد في طرقه، وعظم الإرثاف بذلك في بغداد وكثير شعب الأتراك، وقصدوا ديران الخلافة يطلبون القائم في الخروج معهم للمدافعة، وعسكروا بظاهر البلد.

ابن عبد وزير البساسيري، ووقف أهل الدروب لمنع بيوتهم من الأتراك فنهبوا الواردين، وعدمت الأقوات، والبساصيري في خلال ذلك مقيد بدار الخلافة إلى أن ظهر الوزير، وقام بهم بما عليهم من أثمان دوابه ومقاشه.

وأتصل المهرج وعاد الأعراب والأكراد إلى العيش والإغارة والنهب والقتل، وجاءت أصحاب قريش صاحب الموصل فكبساوا حل كامل ابن عمه بالبردون، ونهبوا منها دواب وحالاً من البخاتي، كانت هناك للبساصيري فتضاعف المهرج وأدخل نظام الملك.

ووصل عساكر الغز إلى الدسكرة مع إبراهيم بن إسحاق من أمراء طغولبك وروستارد فاستباحوها.

ثم تقدّموا إلى قلعة البردون وقد عصى أصحابها سعدي على طغولبك فامتتّعت عليهم، فعاشروا في نواحيها وخربت تلك الأعمال وإنجلي أهلها. وسارت طائفة أخرى إلى الأهواز فخربوا نواحيها، وقوى طمع السلاجقة في البلاد وخفّفت الدليل ومن معهم من الأتراك وضعفت نفوسهم، ثم بعث طغولبك أبا علي بن أبي كالبيjar الذي كان صاحب البصرة في عساكر السلاجقة إلى خوزستان، فانتهى إلى سبور خواست وكاتب الدليل بالوعد والوعيد فترع إلى أكثرهم واستول على الأهواز، ونهبها عساكر السلاجقة وصادروا أهلها و Herb أهلها منهم.

### الوحشة بين القائم والبساصيري

قد قدمنا ما وقع من قريش بن بدران في نهب حلل البساسيري أصحابه سنة ست وأربعين وأربعينه ثم وصل إلى بغداد أبو الغنائم وأبو سعد ابنا الجلبان صاحب قريش ودخل في خفية، فهم البساسيري باخذهما، فاجارهما الوزير رئيس الرؤساء عليه، فقضى وسار إلى خوي والأبار فملكمها ورجع ولم يرجع على دار الخلافة وأسقط مشاررات القائم والوزير وحواشي الدار من دار الضرب، ونسب إلى الوزير مكتبه طغولبك.

ثم سار في ذي الحجة من سنة ست وأربعين وأربعينه إلى الأنبار وبها أبو الغنائم بن الجلبان، ونصب عليها الجانبي ودخلها عنده وأسر أبو الغنائم في خسمائه من أهلها، ونهب البلاد وعاد إلى بغداد وقد شهر أبو الغنائم وهم بصلبه، فشقق فيه ديس بن صدقه، وكان قد جاء مددًا له على حصار الأنبار فشفّعه وصلب جماعة من الأسرى.

إلى دليس يابعاده، فلحق بالرحبة وكاتب المستنصر صاحب مصر بالطاعة.

وخطب دليس لطغريبك في بلاده وانتشر الغز في سواد بغداد فنهبوا، وفشا الخراب فيه، والجليل أهلها، وولى طغريبك البصرة والأهواز هزارسب فخطب لنفسه بالأهواز فقط، وانقطع الأمير أبا علي ابن الملك أبي كاليجار قرميسين وأعمالها، وأمر أهل الكرج أن يؤذنوا في مساجدهم في نداء الصبح: الصلاة خير من النوم، وأمر بعمارة دار الملك فعمرت على ما اقترحة، وانتقل إليها في شوال سنة سبع وأربعين وأربعين واستقرت قدمه في الملك والسلطان، وكانت له الدولة التي ورثها بنوه وقورمه السلوقيه ولم يكن للإسلام في العجم أعظم منها، والملك الله يرثيه من شاء.

### الخبر عن دولة وشمير وبنيه من الجيل إخوة الدليم وما كان لهم من الملك والسلطان بجرجان وطبرستان وأولية ذلك

#### ومصادر

قد تقدم لنا ذكر مرودايچ بن زيار، وأنه كان من قواد الديلم للأطروش، وأنه من الجيل إخوة الدليم، وكانت حامله واحدة.

وكان منهم قواد للعلوية استظروا بهم على أمرهم حتى إذا انقضت دولة الأطروش وبينه على حين فشل الدولة العباسية، وعي أعمالها من السلطان، ساروا في التواحي لطلب الملك متفرقين فلما فملوكها الري وأصفهان وجرجان وطبرستان والعراقين وفارس وكرمان، وكل منهم في ناحية وتغلب بنو بويه على الخليفة وحجزوه إلى آخر أيامهم.

وذكروا أن مرداويج عندما استقفل ملكه بعث عن أخيه وشمير من بلاد كيلان سنة عشرين وأربعين فاستظهر به على أمره، وولاه على الأعمال الجليلة، وكان قد استولى على أصنهاي والري وأصبح من أعظم الملوك، وكان له أموال من الأتراك تتکروا له لشدته عليهم فاغتالوه، وقتلوا في حرم سنة ثلاث وعشرين وتلثمانة، فاجتمعت العساكر بعده على أخيه وشمير بالري، وبعث إلى ما كان بين كلٍ وهو بكرمان بعدما ملكها من أبي علي بن إلياس بالمسير إليه بالري مع ابن محتاج.

وسار ما كان على المفارة إلى الدامغان وبعث وشمير قائد

فوصل طغريبك إلى حلوان وانتشر أصحابه في طريق خراسان وأجفل الناس إلى غربى بغداد، وأصعد الملك الرحيم من واسط بعد أن طرد عنه البساسيرى بأمر القائم، فلحق بدليس بن صدقة صاحب الحللة لصهر بنهما.

وبعث طغريبك إلى القائم بطاعته وإلى الأتراك بالمواعيد الجميلة، فرد الأتراك كتابه وسألوا من القائم رده عنهم فأعراض، وجاء الملك الرحيم يعرض نفسه فيما يختاره فأمر بتقويض الأتراك خيالهم، وأن يعثروا بالطاعة لطغريبك ففعلوا وأمر القائم الخطباء بالخطبة لطغريبك، فبعث إلى طريقهم الوزير أبا نصر الكندري، وأمر الأجناد ثم دخل طغريبك بغداد يوم الخميس ليومين من رمضان، ونزل بباب الشامية، ووصل قريش صاحب الموصل وكان في طاعته قبل ذلك.

ثم انتشرت عساكر طغريبك في البلد وأسواقها فرقعت المية، وظن الناس أن الملك الرحيم أذن بقتل طغريبك فاتبلا من كل ناحية، وقتلوا الغز في الطرقات إلا أهل الكرج فأنهم أمرتهم، وأجاروهم وشكروا الخليفة لهم ذلك، وقادى العامة في ثورتهم وخرجوا إلى معسكر طغريبك.

ودخل الملك الرحيم بأعيان أصحابه إلى دار الخلافة فنادياً من ظنه به، وركبت عساكر طغريبك فهزموا العامة وكسروهم، ونهبوا بعض الدروب ودورب الخلفاء والرصفة ودرب الدروب. وكانت هذه الدروب قد نقل الناس إليها أمرالمهم نقاء باحترامها، وفشا النهب واتسع الخرق، وأرسل طغريبك من الغد إلى القائم بالتعجب على ما وقع، ونسبه إلى الملك الرحيم ويطلب حضوره وأعيان أصحابه فيكون براءة لهم، فامرهم الخليفة بالركوب إليه، وبعث معهم رسوله ليزرهم فساروا في ذمامه، وأمر طغريبك بالقبض عليهم ساعة وصوفهم.

ثم حل الملك الرحيم إلى قلعة السيروان فحبس بها وذلك لست سنين من ولاته، وانقضت أمر بني بويه ونهب في المية حلة قريش صاحب الموصل.

ونجا سليمان إلى خيمة بدر بن مهلهل فأجاراه، ثم خلع عليه طغريبك ورده إلى حله.

ونقم القائم على طغريبك ما وقع، وبعث في إطلاق المحبسين فأنهم في ذمامه، وهدد بالرجل عن بغداد فأطلق بعضهم وما عسكر الرحيم من الدواوين، وأذن لهم في السعي في معاشهم، فلحق كثير منهم بالساسيرى فكثر جمعه.

واستصفى طغريبك أموال الأتراك ببغداد من أجله، وبعث

رهينة بذلك ورجع هو والحسن إلى خراسان وهو مكابده للصلح، ولقيهما موت سعيد بن سامان فثار الحسن بابي علي بن محتاج ونهب سواده وأخذ ابن وشمير الذي كان عنده، ورجع فملكتها من يد إبراهيم بن سيجور الدواني ولحق ابن سيجور بنисابور فعصى أبو علي بن محتاج كما مر في أخبارهم.

### رجوع الري لشمير واستيلاء ابن بويه

#### عليها

ما انصرف أبو علي إلى خراسان وفعل به الحسن ما ذكرناه، سار وشمير إلى الري فملكتها وراسله ابن الفرزان يستميله، ورد عليه ابنه سلار فصانعه ولم يبالغ حماقته على عهد ابن محتاج.

ثم طمع ركن الدولة بن بويه في ملك الري خلوا يده وقلة عساكره فسار إليه وهزمه، واستأنف كثير من عساكره إليه وملك الري، ورجع وشمير إلى طبرستان فاعترضه الحسن وهزمه فلحق بخراسان، وراسل ابن الفرزان ركن الدولة بن بويه وواصله.

### استيلاء وشمير على جرجان

ما ملك ابن بويه الري من يد وشمير ولحق طبرستان واعتراضه ابن الفرزان وهزمه، ولحق بخراسان سار إلى نوح بن سامان مستجداً به، وبعث معه عساكرة، وأرسل إلى ابن محتاج صاحب خراسان بمظاهرته، فبعثه فيمن معه إلى جرجان وبها الحسن بن الفرزان فهو زمه وشمير وملك جرجان.

### استيلاء ركن الدولة على طبرستان

#### وجرجان

ما ملك وشمير جرجان من يد الحسن بن الفرزان سار إلى ركن الدولة بن بويه، وأقام عنده بالري ثم سار سنة ست وثلاثين وثلاثمائة إلى بلاد وشمير ولقيهم فهزمه وملك ركن الدولة طبرستان، وسار منها إلى جرجان، واستأنف إليه قواد وشمير وولى الحسن بن الفرزان على جرجان ورجع إلى الري وسار وشمير إلى خراسان مستجداً بابن سامان، فأمر منصور بن قراتكين صاحب خراسان أن يستوفد العساكر لإغعاده فسار معه وكان مصططاً عليه، وكتب وشمير إلى ابن سامان يشكوا من ابن قراتكين، ثم كتب لأمير نوح إن أبي علي بن محتاج أن يسير معه

تاجيرز الديلمي مع جيش كيف لا عراضه، ومع ما كان عسراً بين مظفر مددأ له، فقاتلوا وهمهم تاجرز فعادوا إلى نيسابور، وجعلت ولايتها لما كان وقد مر ذكر ذلك كله.

ثم سار تاجرز إلى جرجان وأقام بها، ثم هلك آخر السنة من سقطة عن فرسه، فاستولى عليها ما كان وحاصره ابن محتاج سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة فملكتها وسار ما كان إلى طبرستان فأقام بها.

وكان ركن الدولة بن بويه غالب على أصفهان فبعث وشمير عساكره إلى ما كان مددأ له في حربه مع ابن محتاج، فاغتنم ركن الدولة خلو وشمير من العساكر فسار إلى أصفهان فملكتها، واتصل ما بينه وبين صاحب خراسان وانفرد وشمير بملك الري.

### استيلاء عساكر خراسان على الري والجبل وملك وشمير طبرستان

ما ملك ركن الدولة أصفهان وصل يده بابي علي بن محتاج صاحب خراسان، هو وأخوه عماد الدولة صاحب فارس، وحرضاه على أخذ الري من وشمير رجاءً أن يكون طرقاً لعمله فيتمكن به من ملكها، فسار أبو علي لذلك، واستمد وشمير ما كان للمدافعة فجاء بنفسه.

وبعث ركن الدولة مددأ لأن بن محتاج فلقوه بإسحاقabad وقتلوا فائزهم وشمير ولحق بطرستان فملكتها، وقتل من كان بالمعركة واستولى أبو علي على الري.

ثم بعث أبو علي العساكر إلى بلد الجبل فاستول على زنكان وأبهر وقرزون وكرج وهمندان ونهواند والدينور إلى حلوان.

### استيلاء الحسن بن الفرزان على جرجان

كان الحسن بن الفرزان ابن عم ما كان، وكان مناكسه في الصرامة، فلما قتل ما كان وملك وشمير طبرستان بعث إليه بالدخول في طاعته فابي، ونسبه إلى المواتأة على قتل ما كان فقصده وشمير ففارق سارية وسار إلى ابن محتاج صاحب خراسان.

واستجده فesar معه ابن محتاج وحاصر وشمير بسارية حولاً كاملاً حتى رجع إلى طاعة ابن سامان، وأعطي ابنه سلار

ع ضد الدولة وولى ابنه فخر الدولة على همدان وأعمال الجبل، وابنه مؤيد الدولة على أصفهان، وكان اختيار بن معز الدولة ببغداد فاستولى عليه.

ثم سار إلى أخيه فخر الدولة بهمدان فهرب إلى قابوس ونزل ع ضد الدولة الري، وبعث إلى قابوس في طلب أخيه فخر الدولة فأبى، فأمر أخاه مؤيد الدولة بخراسان أن يسير إليه، وأمده بالآموال والعساكر.

و سار إلى جرجان سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة ولقيه فخر الدولة بخراسان عندما ولها حسام الدولة أبو العباس تاش من قبل الأمير أبي القاسم بن نوح، وكسب إلى العباس تاش يأمره بالأخذ قابوس بن وشمير وفخر الدولة على مؤيد الدولة، وإعادة قابوس إلى بلده، فزحف في العساكر إلى جرجان وحاصرها شهرين حتى صافت أحواهم. وكانت مؤيد الدولة فاتحة الخاصة من قواد خراسان واستماله فوعده أن ينهرم عن معه يوم اللقاء.

وخرج مؤيد الدولة فقاتلهم وانهزم فانقذ عن معه كما وعد، ووقف حسام الدولة وفخر الدولة قليلاً، ثم اتبعوه منهزمين إلى خراسان.

ثم استدعى تاش لتثبيت الدولة بخاري بعد قتل الوزير العتي، فسار إليه سنة اثنين وسبعين وثلاثمائة مؤيد الدولة وكان من خبر وفاته ما قدمناه.

وقعت الفتنة بين تاش وابن سيجور وانهزم تاش إلى جرجان، وقابله فخر الدولة بكثير من الكراهة والنصرة بما لم يعهد مثله حسماً من في أخبارهم.

ولما ملك فخر الدولة جرجان وطبرستان والري اعتزم على رد جرجان وطبرستان إلى قابوس رغبةً لما كان بينهما كما بدار الغربية، وأنه الذي جر على قابوس الخروج عن ملكه فشاور عن ذلك وزيره الصاحب ابن عباد فلم يوافقه، وبقي مقيناً بخراسان، وأخذ به بنو سامان بالعساكر المرة بعد المرة فلم يقدر له الظفر حتى كان استيلاء سبكتكين.

## عودة قابوس إلى جرجان وطبرستان

ولما ولي سبكتكين خراسان وعد قابوس برده إلى ملكه جرجان وطبرستان، ثم مضى إلى بلخ فمات سنة سبع وثمانين وثلاثمائة فقام قابوس إلى سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة ببعث الأصبهين إلى جبل شهريار وعليه رستم بن المرزبان خال مجذ

إلى الري فسار معه وقاتلوا ركن الدولة فلم يظفروا به حتى صالحهم كما تقدم، ورجع إلى وشمير فانهزم أمامه إلى أسفاريين، وملك ابن بويه طبرستان وحاصر ساربة وملكتها، ولحق وشمير بجرجان وسار إلى جرجان في طلب وشمير إلى بلد الجبل واستولى ابن بويه عليها.

## وفاة وشمير وولاية ابنه بهستون

لما غلب بنو بويه على كرمان من يد أبي علي بن إلياس لحق وشمير بالأمير منصور بن نوح بخاري مستمراً به، وأطعمه في مالك بني بويه.

وأسرَ إليه أن قواده بخراسان لا يناصحونه في شأنه فكتب إلى أبي الحسن محمد بن إبراهيم بن سيجور صاحب خراسان بالمسير إلى الري بطااعة وشمير والتصرف عن رأيه، واستعد ركن الدولة للقائهم واستتجد ابنه ع ضد الدولة وخالفهم إلى خراسان وبلنهم الخبر توافقوا بالdamغان يستطلعون الأخبار وركب وشمير للصيد فاعتربه خنزير فرماد بحرياً من يده فحمل عليه الخنزير فشب الفرس وسقط وشمير إلى الأرض ومات من سقطه في عمر سنة سبع وخمسين وأربعين وانتقض جميع من كانوا معه، ولما مات وشمير قام ابنه بهستون مقامه، وراسل ركن الدولة وصالحه فأنهله بالعساكر والأموال.

## وفاة بهستون وولاية أخيه قابوس

ثم توفي بهستون بن وشمير بجرجان سنة ست وستين وثلاثمائة لسيع سنتين من ولادته، وكان أخوه قابوس عند خاله رستم بجبل شهريار، وترك بهستون ابنًا صغيراً بطبرستان في كفالة جده لأمه فطمع له جده في الملك وياذر به إلى جرجان وقبض على من كان عنده ميل إلى قابوس من القواد، وفي خلال ذلك وصل قابوس فخرج الجيش إليه واجتمعوا عليه وملكته، وهرب أصحاب ابن منصور فكفله عمّه قابوس وجعله أسرة بنيه، وقام بذلك جرجان وطبرستان.

## استيلاء ع ضد الدولة على جرجان وطبرستان

لما توفي ركن الدولة سنة ست وستين وثلاثمائة وعهد لابنه

يتظروا رد الجواب وساروا إليه فدخلوا عليه البيت وجردوه من ثيابه، فما زال يستغيث حتى مات من شدة البرد، وذلك سنة ثلاث وأربعين سنة لخمس عشرة سنة من استيلاته، وقام بالملك ابنه منوجهر وخطب له على منابرها ولم يزل في التدبير على الرهط الذين قتلوا أباه حتى أباه كثيراً منهم وشرد الباقين.

### وفاة منوجهر وولاية ابنه أنوشروان

ولما سار محمود بن سبكتكين سنة عشرين وأربعين سنة عندما قبض حاجبه على مجد الدولة، وملك الري بدonna محمد، وسار إليه محمد فهرب منوجهر بن قابوس من جرجان، وبعث إليه بأربعين سنة ألف دينار ليصلحه، وتحصن منه بجبل وغرة. ثم أبعد المذهب ودخل في الغياض الملتقة، وأجا به محمود فبعث إليه منوجهر بالمال ونكب عنه في رجوعه إلى نيسابور.

ثم توفي منوجهر إثر ذلك سنة ست وعشرين وأربعين سنة وولي بعده ابنه أنوشروان، فأقره محمود على ولايته وقرر عليه خمسين سنة ألف أمير، وخطب لعمود في بلاد الجبل إلى حدود أرمينية.

ثم استولى محمود بن محمد أعون الثلاثين على جرجان وطبرستان، وما دولة بني قابوس كان لم تكن والبقاء لله وحده.

### الخبر عن دولة مسافر من الديلم بأذربيجان

#### ومصائره

كانت أذربيجان عند ظهور الديلم واتشارهم في البلاد واستيلائهم على الأعمال أعون الثلاثين والثلاثين بيد رستم بن إبراهيم الكردي من أصحاب يوسف بن أبي الساج، وكان من خبره أن أباه إبراهيم من الخوارج من أصحاب هارون الشاري الخارج بالملوصل هرب بعد مقتله إلى أذربيجان. وأصهرب في الأكراد إلى بعض رؤسائهم، فولد له ابنه رستم ونشأ في أذربيجان وما كبر استضافه ابن أبي الساج، وتنتقل في الأطوار إلى أن استولى على أذربيجان بعد يوسف بن أبي الساج، وكان معظم جيوشه الأكراد.

ولما استولى الديلم على البلاد وملك وشمير الري ولأعمال الجبل لشكري وجع الأموال والرجال، وسار لشكري إلى أذربيجان ليملكها سنة ست وعشرين وثلاثين، وحاربه دسيم في

الدولة، وجمع له فقاتله وانهزم رستم واستولى أصبهند على الجبل، وخطب فيه لشمس المعالي قابوس.

وكان نائب ابن سعيد بن أخيه الاستنداوية وكان يميل إلى شمس المعالي فسار إلى آمد وطرد عنها عسكر مجد الدولة واستولى عليها، وخطب فيها لقابوس وكتب إليه بذلك.

ثم كتب أهل جرجان إلى قابوس يستدعونه فسار إليهم من نيسابور، وسار أصبهند، وبائي ابن سعيد إليها من مكانهما فخرج إليهما عساكر جرجان فقاتلواهما فانهزم العساكر، ورجعوا إلى جرجان فلقوا مقدمة قابوس عندها فانهزموا ثانية إلى الري.

ودخل شمس المعالي قابوس جرجان في شعبان سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة وجاءت العساكر من الري لخصاره فأقاموا ودخل فصل الشتاء وتواترت عليهم الأمطار وعدمت الأقواف فارتحلوا وتبعهم قابوس وقاتلهم فهزهم وأسر جماعة من أعيانهم، وملك ما بين جرجان وأستراباذ.

ثم أن الأصبهند حديث نفسه بالملك، وأغتر بما اجتمع له من الأموال والذخائر فسارت إليه العساكر من الري مع المرزبان حال مجد الدولة فهزمه وأسروه، وأظهروا دعوة شمس المعالي بالجبل لأن المرزبان كان مستوحشاً من مجد الدولة، فانضفت علامة الجبل جميعاً إلى مملكة جرجان وطبرستان، وولي عليها قابوس ابنه منوجهر ففتح الري وآيات وشالوش وقارن ذلك استيلاء محمود بن سبكتكين على خراسان، فراسله قابوس وهاده وصالحه على سائر أعماله.

### مقتل قابوس وولاية ابنه منوجهر

كان شمس المعالي قابوس قد استفحلا ملوكه، وكان شديد السلطة مرهف الحد فنظمت هيئته على أصحابه وتزايدت حتى انقلبت إلى العتو، فأجعوا على خلعه، وكان بعض القلاع فسروا إليه ليسكنوه بها فامتنع عليهم فانتهرا موجودة، ورجعوا إلى جرجان وجاهروا بالخلعان، واستدعوا ابنه من طبرستان فاسرع إليهم خافة أن يولوا غيره، واتفقوا على طاعته بأن يخلع أباه فاجاب إلى ذلك كرهاً.

وسار قابوس من حصنه إلى بسطام يقيم بها حتى تضمحل الفتنة فساروا إليه، وأكثروا منوجهر على السير معهم وينفرد هو للعبادة بقلعة أخيها وأذن له أبوه بالقيام بالملك حذرًا من خروجه عنهم، ويفي المتلوسون لغير تلك الفتنة من الجناد مرتابين من قابوس، وكثروا من جرجان إلى منوجهر يستأذونه في قتله، ولم

الدليل وغليهم، واستدعى صعلوك بن محمد من قلعة أبيه الطرم فجاء إليه جماعة من الدليل وسار بهم إلى التي تغلب عليها الأكراد فانتزعها منهم، وبقى على جماعة منهم.

ثم استوحش منه وزيره أبو القاسم علي بن جعفر من أهل أذربيجان فهرب إلى الطرم ونزل على محمد بن مسافر عندما استوحش منه ابنه وهشودان والمربزيان، وغالباً على بعض قلاعه.

ثم قبضوا عليه وانتزعوا منه أمواله وذخائره فقترب الوزير على بن جعفر إلى المربزيان وكان يشاركه في دين الباطنية، وأطعمه في أذربيجان فاستوزره المربزيان، وكانت الدليل الذين عند دسيم وغيره من جنده واستمامهم فأجابوه، وسار المربزيان إلى أذربيجان ويزد دسيم للقاءه فنزع الدليل إلى المربزيان، واستأنف إليه كثير من الأكراد، وهو دسيم إلى أرمينية ونزل على صاحبها حاجق بن الديرياني.

وملك المربزيان أذربيجان سنة ثلاثين وثلاثمائة، وأسأله وزيره علي بن جعفر السيرة مع أصحابه فظافروا عليه وشرعوا في السعاية فيه، فأطمع المربزيان في أموال بتريريز يضمها له، وسار إليها في عسكر من الدليل وأسر لأهلاها أنه جاء لصادرتهم، فوثبوا بن معه من الدليل وقتلوهم، واستدعوا دسيم بن إبراهيم فجاء إلى تبريز وملكته، ولحق به الأكراد الذين استأنفوا إلى المربزيان، فسار المربزيان في عساكره وحاصرهم دسيم بتبريز، وكاتب على بن جعفر وحلف له على الرفقاء بما يرونه منه فطلب منه السلام، وترك العمل وأجابه و Ashton الحصار على دسيم فهو رب من تبريز إلى أردبيل، وخرج الوزير إليه فوفى له المربزيان.

ثم طلب دسيم أن ينزله باهله بقلعة من قلاع الطرم ففعل وأقام المربزيان فيها.

## استيلاء الروس على مدينة بردعة وظفر المربزيان بهم

هؤلاء الروس من طوائف الترك ويجاورون السروم في مواطنهم وأخذوا بين النصارى منهم معهم منذ أيام متطاولة وبладهم تجاور بلاد أذربيجان فركبت طائفة منهم البحر سنة اثنين وثلاثين وثلاثمائة، ثم صعدوا من البحر في نهر اللکھر، وانتهوا إلى مدينة بردعة من بلاد أذربيجان وبها المربزيان فخرج إليهم في نحو خمسة آلاف مقاتل من الدليل وغيرهم فهزهم الروس، وقتلوا الدليل وتبعوهم إلى البلد فملكته ونادوا بالأمان، وأحسنوا السيرة،

بعض جهات أذربيجان، واستولى لشكري على سائر بلاد أذربيجان إلا أردبيل، فإن أهلها امتنعوا ثقة بمحصن بلادهم.

وراسلهم فلم يجيئو وحاصرها وشد حصارها، وثلث سورها وملتها أيامًا يدخل نهارًا ويخرج إلى عساكرة ليلاً، ثم سدوا ثلم السور وامتنعوا وعادوا إلى الحصار.

واستدعوا دسيماً فجاء لقتال لشكري من ورائه، وناشته أهل أردبيل القتال من أمامه فانهزم وقتل عامه أصحابه، وتغىزوا إلى موقان.

واستجد أصبهذ بن دوالة فجمعوا وساروا إلى دسيم فانهزم أمامهم، وعبر نهر أرس، وقصد وشمكير في الري واستتجده، وضمن له مالًا كل سنة، بعثت معه عسكراً واستمال عسكر لشكري فداخلوه وكانترا وشمكير بالطاعة.

وعلم بذلك لشكري فناخر إلى الزوزن عازماً على الموصل أن يملكونها، ومر بأرمينة فذهب وسي، ولما انتهى إلى الزوزن لقيه بعض الرؤساء من الأرمن وصانعه بالمال على بلدته حتى كف عنها وأكمن له في مضيق بطيقه، ودس لبعض الأرمن أن يهبو شيئاً من قلته، ويسلكوا الضيق، وكتب لشكري في أثرهم فقتله الكمين ومن معه، وقدم أهل العسكر عليهم ابنه الشكرستان، ورجعوا إلى بلد الطرم الأرميني ليثاروا من الأرمن بصالحهم.

وكان أكثر بلده مضائق فقاتلهم الأرمن عليها وفتروا فيهم، ولحق العسكر والشكرستان في الفيل بالموصل فاقام بها عند ناصر الدولة بن حдан، وكانت له معادن أذربيجان وول علىها ابن عمه إبا عبد الله الحسين بن سعيد بن حدان، وبعثت معه الشكرستان وأصحابه فقاتلهم دسيم على المعادن، وغلبهم عليها ورجعوا واستولى دسيم على أذربيجان.

## استيلاء المربزيان بن محمد بن مسافر على أذربيجان

كان محمد بن مسافر من كبار الدليل وكان صاحب الطرم وكان له أولاد كثيرون منهم سلاط ومنهم صعلوك ومنهم وهشودان والمربزيان أمه بنت حسان و وهشودان ملك الدليل وقد مر خبره، وكان دسيم بن إبراهيم الكردي بعد مدفعه لشكري وأبنته عن أذربيجان أقام عنده بعض الدليل من عسكر وشمكير الذين أخجوه على شأنه، ثم إن قومه من الأكراد استبدوا عليه بأطراف أعماله، وملكونا بعض القلاع فاستظهر عليهم بأولئك

السيرة فهموا بقتله، وكان ابنه وهشودان قد هرب منه واعتتصم بمحصن له فلتحق به أبوه محمد قبض عليه وهشودان وضيق عليه حتى مات.

ثم استدعي دسيم الكردي من مكانه بقلعة الطرم حيث أنزله المريزان عند ظفره به، وبعثه إلى محمد بن عبد الرزاق، وأقام بنواحي أذربيجان، ثم رجع إلى الري سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة واستعبت إلى سلطانه نوح بن سامان فأعتبه وعاد إلى طوس.

واستولى دسيم على أذربيجان لرالي القلعة حتى تمكنوا من قتلها فقتلها المريزان، ولحق بأخيه وهشودان سنة اثنين وأربعين وثلاثمائة.

وكان علي بن منكلى من قواد ركن الدولة قد لحق بوهشودان، وأغاره بدسیم، فبعث وهشودان في العساكر، وكانت الدليل واستعملهم، وسار إليه دسيم وخلف وزيره أبي عبد الله التعميقي بأردبيل فجمع مالاً كان صادره عليه، وهرب بما معه من المال إلى علي بن منكلى.

وبلغ الخبر إلى دسيم عند أذربيجان، فعاد إلى أردبيل، وشعب عليه الدليل فرق فيهم ما كان معه من المال، وسار للقاء علي بن منكلى فالتقى، وهرب الدليل الذين معه إلى علي بن منكلى، وانهزم هو إلى أرمينية.

ثم جاءه الخبر بأن المريزان تخلص من محبه بقلعة سيرم وملك أردبيل، واستولى على أذربيجان.

وألفد العساكر في طلبه ففهم دسيم إلى بغداد فأكرمه معز الدولة وأقام عنده.

ثم استدعاه شيعته بأذربيجان سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة فسار إليهم وطلب من معز الدولة المدد لأن أخاه ركن الدولة كان قد صالح المريزان، فسار دسيم إلى ناصر الدولة بن حمدان بالموصل، واستنجد به فلم ينجدوه، فسار إلى سيف الدولة، فأقام عنده بالشام.

فلما كان سنة أربعين وأربعين خرج على المريزان خارج بباب الأبواب فسار إليه، وخالفه دسيم إلى أذربيجان فاستدعاه مقدم من الأكراد وملك سلماس فبعث إليه المريزان قالداً من قواته فهزمه دسيم.

ولما فرغ المريزان من أمر الخارج وعاد إلى أذربيجان هرب دسيم إلى أرمينية واستجاش بابن الديرياني، وكتب إليه المريزان بحمل دسيم إليه، فسلمه وحبسه حتى إذا توفى المريزان قتله بعض أصحابه حذراً من فتنته.

وجاءت العساكر الإسلامية من كل ناحية فلم يقدر عليهم. وظاهرهم العوام والرعايا، فلما انصرفت العساcker غدرت الروسية بهم فقتلواهم، ونهبوا أموالهم واستبدوا بهم.

وأحزن المسلمين ذلك واستقر المريزان الناس وسار لهم وأكمن لهم كميناً، وزحف إليهم، وخرجوا إليه واستطروا لهم حتى جاؤوا موضع الكمين، فاستمر أصحابه على المزينة ورجع هو مع أخيه وصاحب له مستعينين، وخرج الكمين من وراءهم واستلح الروسية وأميرهم، ونجا فلهم إلى البلد فاعتصموا بمحصنه، وكانت قد نقلوا إليه السي والأموال، وحاصرهم المريزان وصابروه.

ثم إن ناصر الدولة بن حمدان صاحب الموصل بعث إلى ابن عمه الحسين بن سعد بن حمدان في هذه السنة إلى أذربيجان ليملكتها، فبلغ الخبر إلى المريزان بأنه انتهى إلى سلماس، فجهز عسكراً إلى الروس وسار لقتال ابن حمدان، فقاتلته أياماً ثم استدعاه ابن عمه ناصر الدولة من الموصل وأخبره بموت تورون وأنه سار إلى بغداد، وأمره بالرجوع فرجع.

وأما الروس فحاصرهم العساكر أياماً واشتدى عليهم الوباء فانتقضوا من الحصن ليلاً وحملوا ما تدرروا عليه من الأموال ولحقوا بالملكون فركبوا سفههم ومضوا إلى بلادهم، وطهر الله البلاد منهم.

### مسير المريزان إلى الري وهزيمته وحبسه

ولما سارت عساكر خراسان إلى الري وظن المريزان أن ذلك يشغل ركن الدولة بن بويه عنه، وكان قد بعث رسوله إلى معز الدولة ببغداد فنصره مذموماً مذحوراً، فاعتزم على غزو الري، وطبع في ملكه واستأمن إليه بعض قواد الري وأغاره بذلك.

وراسلته ناصر الدولة بن حمدان يستحثه لذلك، ويشير عليه ببغداد قبل الري، وكتب ركن الدولة إلى آخره عماد الدولة ومعز الدولة يستجدهما، فبعثوا إليه بالعساكر، وسار بها من بغداد سبكتين الحاجب.

ولما انتهى إلى الدينور انتقض عليه الدليل ووثبوا به، فركب في الأتراك فتخاذل الدليل وأعطوه الطاعة.

وكان المريزان قبل وصول العساكر زحف إلى الري وهزم ركن الدولة وحبسه، ورجع الفيل إلى أذربيجان ومعهم محمد بن عبد الرزاق.

واجتمع أصحاب المريزان على أبيه محمد بن مسافر، وأسأله

سرمان بن قتال إبراهيم براوغة وبعث إليه بالملد.  
وانضم إبراهيم إلى نواحي أرمينية سنة تسع وأربعين  
فاستولى ابن سرمان على مراغة واستضافها إلى أرمينية، وجاء  
إبراهيم، وكانت ملكوك أرمينية من الأرمن والأكراد، وأصلاح  
خستان بن سرمان.

ثم جاء الخبر بوفاة إسماعيل ابن عمه فسار إلى أربيل  
فملكها، وانصرف ابن منكلي إلى وهشودان، وزحف إليهم  
إبراهيم وهزمهم، فلتحق بيلاط الدليم، واستولى إبراهيم على  
أعمال وهشودان.

ثم جمع وهشودان وعاد إلى قلعته بالطرم، وبعث أبو القاسم  
بن منكلي العساكر لقتال إبراهيم فهوذمه، ونجا إلى الري مستجداً  
بركن الدولة لصهر بينهما.

### استيلاء إبراهيم بن المرزبان ثانياً على أذربيجان

قد تقدم هزيمة إبراهيم بن المرزبان أمام عساكر ابن منكلي،  
وأنه لحق بركن الدولة مستجداً به، فبعث معه الأستاذ إبا الفضل  
بن العميد في العساكر فاستولى على أذربيجان، وحمل أهلها على  
طاعة إبراهيم، وقاد له خستان بن سرمان وطائفة الأكراد  
فتمكن من البلاد وكتب ابن العميد إلى ركن الدولة أن يعطيه  
ملكيها.

ولعله يعرض إبراهيم عنها لكتلة جبارتها وقلة معرفة  
إبراهيم بالجباية، وأن يشهد فيها بالخروج عن ملوكه فأبى من ذلك،  
وقال: لا أفعل ذلك من استجار بي فسلم له ابن العميد البلاد  
ورجع.

(تبنيه): أخباربني مسافر المعروفين ببني السلاطين ملكوك  
أذربيجان نقلتها من كتاب ابن الأثير وإلى هنا انتهى في أخبارهم  
وأحال على ما بعده فقال بعد ذلك: وكان الأمير كما ذكر ابن  
العميد قد أخذ إبراهيم وحبسه على ما ذكره، ولم تتفق على ذكر  
شيء من أخبار إبراهيم بعد ذلك ولا من خبر قومه.

وذكر أن محمود بن سبكتكين بعد خبر استيلائه على الري  
سنة عشرين وأربعين أنه بعث إلى المرزبان بن الحسين بن حرائيل  
من أولاد ملوك الدليم، والتجأ إلى محمود فبعثه إلى بلاد السلاطين،  
وهو إبراهيم بن المرزبان بن إسماعيل بن وهشودان بن محمد بن  
مسافر الدليمي، وكان له من البلاد شهرخان وزنجان وشهرزور

### وفاة المرزبان وولاية ابنه خستان

ثم توفي المرزبان صاحب أذربيجان سنة خمس وأربعين  
وثلاثمائة وعهد بالملك إلى أخيه وهشودان وبعده لابنه خستان،  
وكان قد أوصى نوابه بالقلاع أن يسلموها لابنه خستان، ثم  
لأخوه إبراهيم وناصر، ثم إلى أخيه وهشودان عندما عهد بالمهed  
الثاني إلى أخيه عزف يامارات بينه وبين نوابه برجعون إليها في  
ذلك.

وبعث إلى النواب عبد الله التيعي وهرب وهشودان من  
أربيل فلتحق بالطرم وجاء قواد المرزبان إلى خستان بن شرمنول  
فإنه كان مقيناً على أرمينية فانتقض بها.

### مقتل خستان وإخوته واستيلاء عمهم وهشودان على أذربيجان

ولما ول خستان بن المرزبان انغمى في لذاته وعكف على  
الله، وقبض على وزيره أبي عبد الله التيعي، وكان خستان بن  
برسموه منتصضاً بارمينية وقد ملكها، وكان وزيره أبو الحسن عبد  
الله بن محمد بن حدوه صهراً للوزير التيعي فاستوحش لكتبه،  
وحل صاحبه ابن سرمان على مکاتبة إبراهيم بن المرزبان،  
فاطممه في الملك وسار به إلى مراغة فملكها فراسله أخوه خستان،  
وسار إلى موكان وكان بأذربيجان رجل من ولد المكتفي متكرراً  
يدعو للرضا من آل محمد ويأمر بالعدل، وبلقب بالمجير، وكثرت  
جوعه، فبعث إليه التيعي من موكان وأطعمه في الخلافة، وأن  
يملكه أذربيجان على أن يقصد بغداد ويترك طム أذربيجان، فسارا  
إليه خستان وإبراهيم ابن المرزبان فهوذمه وقتلاه فلما رأى  
وهشودان الخلاف بين بني أخيه المرزبان استمال إبراهيم، وسار  
ناصر إلى موكان وطعم الجندي في المال فساروا إلى ناصر وملكوها بهم  
أربيل.

وطالبه الجندي بالمال فعجز وقعد عمه وهشودان عن نصره  
وتبيّن له أنه كان يخادعه، فاجتمع مع أخيه خستان وأضطررت  
عليهما الأمور وانتقضت أصحاب الأطراف فاضطربوا الحال إلى  
طاعة عهدهما وهشودان وراسلاه في ذلك، واستخلفاه وقدما عليه  
مع أمهما، فغدر وقبض عليهم، وعقد الإمارة على أذربيجان لابنه  
إسماعيل، وسلم له أكثر قلاعه.

ولحق إبراهيم بن المرزبان براوغة، وجمع لاستنقاذ أخيه  
ومنازعة إسماعيل قتله وهشودان أخيه وأمهما، وأمر خستان بن

## الخبر عن بنى شاهين ملوك البطيةحة ومن ملکها من بعدهم

الغز بالموصل، ولم يعد ابن الأثير لبني المرزبان ملوك أذربيجان ذكرًا إلى أن ذكر استيلاء طغرليك على البلاد، والمفهوم من فحوى الأخبار أن الأكراد استولوا عليها بعد بنى المرزبان والله أعلم.

### استيلاء طغرليك على أذربيجان

قال ابن الأثير: وفي سنة ست وأربعين وأربعينات سار طغرليك إلى أذربيجان وقصد تبريز، وصاحبها الأمير منصور بن وهشودان بن محمد الروادي فأطاعه وخطب له وحمل إليه، ورعن عنده ولده، فسار طغرليك عنه إلى الأمير أبي الأسوار صاحب جنزة فاطح وخطب، وكذلك سائر التواحي أرسلاوا إليه بيذلون الطاعة والخطبة، وانقاد العساكر إليه فآتى عليهم بلادهم، وأخذ رهنهم وسار إلى أرمينية كذلك، وقصد ملاذكرد وهي للنصرانية، فعاد في بلادها وخرب أعمالها، وغزا من هنالك بلاد الروم وانتهى إلى أرزن الروم فأتأخن في بلادهم ودوخها، وعاد ابن السلاور إلى العراق وذكر ابن الأثير خلال هذا غزوه فضلون الكردي إلى الخزر من التركمان على ما مر أول الكتاب فقال: كان ييد فضلون الكردي قطعة كبيرة من أذربيجان فغزا إلى الخزر سنة إحدى وعشرين وأربعينات ودورج البلاد وقل، فجاوزوا في أمره وكبوه وقتلوا أيضًا بخبط ملك الإنخاز إلى مدينة تفليس فقال: وفي سنة تسع وعشرين وأربعينات زحف ملك الإنخاز إلى أذربيجان ليتعرف المسلمين على حين وصول الغز إلى أذربيجان وما فعلوه فيها، وسمع الأنخاز بأخبارهم فاجفلوا عن مخلفهم، ووصل وهشودان صاحب أذربيجان وصرف نظره إلى ملاطفة الغز ومصايرتهم ليستعين بهم كما مر.

هذا آخر ما وجدناه من أخبار ملوك أذربيجان، والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

### الخبر عن بنى شاهين ملوك البطيةحة ومن ملکها من بعدهم وغيرهم

#### وابتداء ذلك ومصادره

كان عمران بن شاهين من المصامدة، وكان يتصرف في الجباية، وحصل بيده منها مال فتخوف واللح عليه الطلب فهرب إلى البطيةحة ممتنعاً من الدولة.

وكان له نجدة وبأس وصبر على الشظف فقام هنالك بين القصب والأجام يقات بسمك الماء والطير، ويعرض للرفاق التي

وغيرها فقصدتها واستمال الدبلم.

وعاد محمود إلى خراسان فسار السلاور إبراهيم إلى قزوين فملكتها وقتل من عساكر محمود الذين بها وتحصن بقلعة الري، وكان بينهما وقائع ظهر فيها السلاور، ثم استمال مسعود بن محمود طوائف من عساكره وجاؤوا إليه ودلوه على عورة الحصن الذي فيه السلاور وسلكوا بعسركه من طرق غامضة.

ويبعث إليه العساكر في رمضان سنة ست وعشرين وأربعينات فانهزم، وقبض عليه مسعود وحمله إلى سرجهار وبها ولده، وطالب أن يسلم إليه القلعة فأبى، وعاد عنده، وتسلم بقيمة قلاعه، وأخذ أمواله وقرر على ابنه بسرجهار مالاً وعلى الأكراد الذين في جواره، وعاد إلى الري، وهذا السلاور الذي ذكر غير السلاور الأول، ولم يتصل الخبر بالآخر المتقدم.

ثم ذكر أخبار الغز الذين تقدموها بين يدي السلاجقة وانتشروا في بلاد الري وملكونها كثير من بلادها، ووصلت طائفة منهم إلى أذربيجان الذين كان مقدمهم بوقا وكركتاش ومنصور ودان.

### دخول الغز أذربيجان

يقال: دخل هؤلاء الغز إلى أذربيجان وسمى صاحبها يومئذ وهشودان بن غلاك، فاكرمههم وصاهرهم يدافع شرهם بذلك، ويستميلهم لنصرته فلم يحصل من ذلك بطالن.

وعاثروا في البلاد أشد العيش ودخلوا مراجعة سنة تسع وعشرين وأربعينات فقتلوا أهلها وحرقوا مساجدها.

وفعلوا كذلك بالأكراد المندانية، فاتفق أهل البلاد على مدافعتهم.

وأصلاح أبو الهيجاء ابن رئيس الدولة ووهشودان صاحباً أذربيجان، واتفاق كل منهما واجتماع معهما أهل هنдан فانصرف تلك الطائفة عن أذربيجان، وافتقرت على الري كما تقدم في أخبارهم.

وبقي الغز الذين تقدموها قبلهم، فقادس منهم أهل أذربيجان شدة، وفتكت بهم وهشودان بتبريز سنة اثنين وثلاثين وأربعينات فتكه أوهنت منهم.

ودعا منهم جمأً كثيراً إلى صنيع، وقبض على ثلاثة من مقدمهم فقتلهم، وفر الباقون من أرمينية إلى بلاد المكارية من أعمال الموصل، وكانت بينهم وبين الأكراد وقائع ذكرناها في أخبار

وخمسين وثلاثمائة، فبعث العساكر من هنالك لقتال عمران مع أبي الفضل العباس بن الحسن، وقدم عليه نافع مولى ابن وجيه صاحب عمان يستجده عليهما، فأخذ إلى الأبلة، وبعث معه الراكب إلى عمان، وسارت عساكره إلى البطائح، فنزلوا الجامدة وسدوا الأنهار التي نصب إليها.

ثم رجع معز الدولة من الأبلة وطرقه المرض فجهز العساكر لقتال عمران، وعاد إلى بغداد فهلك، وولى بعده ابنه عز الدولة بختيار فأعاد العساكر المجمرة على عمران، وعقد معه الصلح فاستمر حاله.

ثم زحف بختيار إليه سنة تسع وخمسين وثلاثمائة وأقام بواسطه بتصيد شهرًا، ثم بعث وزيره إلى الجامدة وطرق البطيحه فسد مجاري المياه وقللها إلى أنهارها، وهي الجسور إلى العراق، ثم جاء المد من دجلة وخرب جميع ذلك.

ثم انتقل عمران إلى معقل آخر ونقل ماله إليه حتى إذا حسر المياه واتجهت الطرق فقدوا عمران من مكانه، وطال عليهم الأمر وشغب الجندي على الوزير فامر بختيار بصالحته على ألف درهم، ولما رحل العساكر عنه ثار أصحابه في أطراف الناس فنهبوا كثيراً من العساكر ووصلوا إلى بغداد سنة إحدى وستين وثلاثمائة.

### وفاة عمران بن شاهين وقيام ابنه الحسن مقامه ومحاربته عساكر عضد الدولة

ثم توفي عمران بن شاهين فجأة في حرم سنة تسع وستين وثلاثمائة لأربعين سنة من ثورته بعد أن طلب الملوك والخلفاء ورددوا عليه العساكر فلم يقدروا عليه.

ولما هلك قام بعده ابنه الحسن فطمع بزعيم عضد الدولة فيه وجه العساكر مع وزيره وسدوا عليه المياه وأنفق فيها أموالاً وجاء المد فأذلاها، ويقولوا كلما سدوا فوهة فتح الحسن أخرى وفتح الماء أمثلاً لها، ثم وافقهم في الماء فاستظهر عسكر الحسن وكان معه المظفر أبو الحسن ومحمد بن عمر العلوي الكوفي، فاتهمه بمراسلة الحسن وإفشاء سره إليه، وخاف أن تقصص منزلته عند عضد الدولة فطعن نفسه فمات، وأدرك بأخر رمق فقال: محمد بن عمر حلقي على هذه، وحمل إلى ولده بكازرون دفون هنالك، وأرسل عضد الدولة إلى العساكر من رجمة إليه وصالح الحسن بن عمران على مال يحمله وأخذ رهنه بذلك.

تم بالطريق فيأخذها.

وأجتمع إليه لصور الصيادين فقوى وأمتنع على السلطان، وتسلك بخدمة أبي القاسم بن البريدي صاحب البصرة فامته، ووصل جيل الطاعة بيده وقلده حماية تلك النواحي إلى الجامدة دفعاً لضرره عن السابلة، فعز جانبه وكثُر جعه وسلامه، وأخذ معاقل على التلال بالبطائح وغلب على تلك النواحي، ولما استولى معز الدولة على بغداد، وقام بكتابة الخلافة والنظر في أمرها، أهمه شأن عمران هذا وامتناعه في معاقله في نواحي بغداد، فجهز إليه وزيره أبي جعفر الصميري في العساكر، وسار إليه سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة وتعددت بينهما الحروب والواقع، ثم هزم الصميري.

ثم آتاه الخبر بمسيره إلى شيراز كما تقدم في أخبار دولتهم.

### مسير العساكر إلى عمران بن شاهين وانهزامها

ولما انصرف الصميري عن عمران عاد إلى حاله فبعث معز الدولة لقتاله روزبهان من أعيان الدليم في العساكر، فتحصن منه في مضائق البطائح، فطاوله فضجر روزبهان واستجل قتاله فهزمه عمران وغنم ما معهم، فاستحصل وقوفي وأفسد السابلة.

وكان أصحابه يطلبون الخفارة من جند السلطان إذا مروا بهم إلى ضياعهم ومعايشهم بالبصرة، فبعث معز الدولة بالعساكر مع المهلي، وزحف إلى البطائح سنة أربعين وثلاثمائة ودخل عمران في مضائقه، وأشاروا عليه بالهجوم فلم يفعل، فكتب إليه معز الدولة بذلك بإشارة روزبهان فدخل المهلي المضائق بجبيع عسكره، وقد أكمن لهم عمران، فخرج عليهم الكمين وتقسموا بين القتل والغرق والأسر، ونجا المهلي ساجحاً في الماء.

وكان روزبهان متاخراً في الزحف فسلم، وأسر عمران كثيراً من قواده الأكابر فقاداه معز الدولة من في أسره من أهله وأصحابه، وقلده ولایة البطائح فاستحصل أمره.

ثم انتقض سنة أربع وأربعين وثلاثمائة لغير بلغه عن مرض طرق معز الدولة، وأرجف أهل بغداد بموته، ومر به مال من الأموال يحمل إلى معز الدولة ومعه جماعة من التجار فكبسهم وأخذ جميع ما معهم.

ثم رد ذلك بعد إيلال معز الدولة من مرضه، وفسد ما بينهما من الصلح. ثم سار معز الدولة إلى واسط سنة خمس

## وفاة المظفر وولاية مهذب الدولة

ثم توفي الحاجب المظفر صاحب البطيحة سنة ست وسبعين وثلاثمائة لثلاث سنين من ولادته، وولي بعده ابن أخيه أبو الحسن علي بن نصر بعهده إليه كما مر.

وكتب إلى شرف الدولة سلطان بغداد بالطاعة، فقلده ولقبه مهذب الدولة، فأحسن السيرة وبنى المعروف وأجار الخائف، فقصده الناس وأصبحت البطيحة معقلًا، واتخذها الأكابر وطأها، وبنوا فيها الدور والقصور.

وكاتب ملوك الأطراف وصاهره بهاء الدولة بابته، وعظم شأنه واستجبار به القادر عندما خاف من الطائع، وهرب إليه فأغاره، ولم يزل عنده بالبطيحة ثلاثة سنين إلى أن استدعي منها للخلافة سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة.

## بعث ابن واصل على البطيحة وعزل مهذب الدولة

كان من خبر أبي العباس بن واصل هذا أنه كان يترب عن رزبוק الحاجب، وارتفاع معه ثم استوحش منه ففارقه وسار إلى شيراز، واتصل بخدمة فولاد وتقدم عنده، ثم قبض على فولاد فعاد إلى الأهواز.

ثم أصعد إلى بغداد، ثم خرج منها وخدم أبي محمد بن مكرم، ثم انتقل إلى خدمة مهذب الدولة بالبطيحة وتقدم عنده.

ولما استولى السكرستان على البصرة بعثه مهذب الدولة في العساكر لحربه فقتله وغلبه، وممضى إلى شيراز فأخذ سفن محمد بن مكرم وأمواله، ورجع إلى أساقف دجلة فتغلب عليها، وخلع طاعة مهذب الدولة، فارسل إليه مائة سميرية مشحونة بالمقاتلة ففرق بعضها وأخذ ابن واصل الباقى وعاد إلى الأبلة فبعث إليه أبي سعيد بن ماكولا فهزمه ثانية، واستولى على ما معه وأصعد إلى البطيحة وخرج مهذب الدولة إلى شجاع بن مروان وابنه صدقة فغدروا به، وأخذوا أمواله، ولحق بواسطه، واستولى ابن واصل على البطيحة وعلى أموال مهذب الدولة، وجمع ما كان لزوجه ابنة بهاء الدولة، وبعث به إلى أبيها وكانت قد لحقت ببغداد.

ثم اضطرب عليه أهل البطائح وبعث سبعمائة فارس إلى البلاد المجاورة فقاتلهم أهلها وظفروا بهم، وخشي ابن واصل على نفسه فعاد إلى البصرة وترك البطائح فرضى، ونزل البصرة في قوة

## مقتل الحسن بن عمران وولاية أخيه أبي الفرج

كان الحسن بن عمران آسفاً على أخيه أبي الفرج وحشاً عليه، ولم يزل يتحيل عليه إلى أن دعاه إلى عيادة أخت هما مرضت، وأكمن في بيتها جاعلاً أعدها لقتله، فدخل الحسن منفراً عن أصحابه، فاغلقوا الباب دونهم وقتلوه، وصعد أبو الفرج إلى السطح فاعلماً بهم بقتله ووعدهم فسكتوا.

ثم بذل لهم المال فأقرؤوه، وكتب إلى بغداد بالطاعة، فكتب له بالولاية، وذلك لثلاث سنين من ولاية الحسن.

## مقتل أبي الفرج وولاية أبي المعالي بن الحسن

ثم إن أبي الفرج لما قتل أخاه الحسن قدم الجماعة الذين قتلوا على أكبر القواد، وكان الحاجب المظفر بن علي كبير قواد عمران والحسن، فاجتمع إليه القواد وشكوا إليه فسكنهم فلم يرضوا وحملوه على قتل أبي الفرج فقتله، ونصب أبي المعالي ابن أخيه الحسن مكانه لأشهر من ولادته.

نعم تولى تدبیره بنفسه لصغره، وقتل من كان يخافه من القواد واستولى على أمره كلها.

## استياء المظفر وخلع أبي المعالي

ثم إن المظفر بن علي الحاجب القائم بأمر أبي المعالي طمع في الاستقلال بأمر البطيحة فصنع كتاباً على لسان صمصم الدولة سلطان بغداد بولايته، وجاء به ركابي عليه أثر السفر وهو بدست إمارته فتقراه بمحضرتهم، وتلقاه بالطاعة وعزل أبي المعالي وأنجرجه مع أمه إلى واسط وكان يصلهما بالفقة.

وأحسن السيرة بالناس، وانقرض بيت عمران بن شاهين، ثم عهد إلى ابن أخيه علي بن نصر ويكتنى بها الحسن، وتلقب بالأمير المختار، وبعد ذلك إلى ابن أخيه الأخرى ويكتنى بها الحسن ويسمى علي بن جعفر.

واستفحال.

واستحلفهم لنفسه.

وبلغه قبل وفاة خاله أن ابنه أبي الحسن أحمد داخل بعض الجندي في البيعة له بعد أبيه فاستدعاه، وحمله إليه الجندي فقبض عليه، ودخلت إليه أمه فخبرته الخبر فلم يزد على الأسف له. وتوفي مهذب الدولة من الغد، وولي أبو محمد بن نسي مكانه وقتل أبو الحسين ابن خاله لثلاث من وفاة أبيه.

### وفاة ابن نسي وولاية السراني

ثم توفي أبو عبد الله محمد بن نسي ثلاثة أشهر من ولايته، واتفق الجندي على ولاية أبي محمد الحسين بن بكر السراني من خواص مهذب الدولة فولوه عليهم، وينزل لسلطان الدولة ملك بغداد مالاً فاقره على ولايته.

### نكبة السراني وولاية صدقة المازياري

وأقام أبو محمد السراني على البطيحة إلى سنة عشر وأربعين، وبعث سلطان الدولة صدقة بن فارس المازياري فنكل به ملك البطيحة، وبقي عنده أسرىً إلى أن توفي صدقة وخلص على ما يذكر.

### وفاة صدقة وولاية سابور بن المرزيان

ثم توفي صدقة بن فارس المازياري في محرم لاثني عشرة سنة من ولايته، وكان سابور بن المرزيان بن مردان قائد جيشه. وكان أبو الميجاء محمد بن عمران بن شاهين قد تقلل بعد موته أبيه في البلاد بمصر، وعند بدر بن حسنيه حتى استقر عند الوزير أبي غالب، ونفق عنده بما كان لديه من الأدب.

### عزل سابور وولاية أبي نصر

ثم إن أبي نصر بن مردان زاد في المقاطعة ولم يلغها سابور، وتخلى عن الولاية وفارق البطيحة إلى جزيرةبني ديس، واستقر أبو نصر في ولاليتها. ثم عادت إلى أبي عبد الله الحسين بن بكر السراني.

وخشى أهل التواحي عاديه فسار بهاء الدولة من فارس إلى الأهواز ليتلافى أمره، واستدعي عميد الجيوش من بغداد وسيره في الساكن إليه فجاء إلى واسط، واستكثر من السفن وسار إلى البطيحة وسار إليه ابن واصل من البصرة فهزمه وغنم ثقله وخيمه ورجع ابن واصل مفلولاً.

### عود مهذب الدولة إلى البطيحة

ولما انهزم عميد الجيوش أقام بواسط فجمع عساكره لمعاودة ابن واصل، ثم بلغه أن نائب بن واسط بالبطائحة قد خرج منها مجفلاً، فبعث إلى بغداد ويعث بالعساكن، وهو بالانتقاد فاستدعي عميد الجيوش مهذب الدولة من بغداد، وبعثه بالعساكن في السفن إلى البطيحة سنة خمس وستين وثلاثمائة فاستولى عليها.

واجتمع عليه أهل الولايات وأطاعوه، وقرر عليها بهاء الدولة حسين الف دينار في كل سنة، وشغل عن ابن واصل بتجهيز العساكن إلى خوزستان وطبع في الملك واجتمع عنده كثير من الديلم وأصناف الأجناد. وسار إلى الأهواز وسیر بهاء الدولة عسكراً للقائه فهزمه، ودخل دار الملك وأخذ ما كان فيها، وبعث إلى بهاء الدولة في الصلح فصالحه وزاد في أقطاعه.

ثم بعث بهاء الدولة العساكن للقائه وسار إلى الأهواز وزحف إليها ابن واصل ومعه بدر بن حسنيه، فبعث بهاء الدولة الوزير بالبطيحة فهزمه الوزير ثانية، فمضى مع حسان بن محال الخفاجي الكوفي وملك إلى الكوفة، وملك البصرة.

وسار ابن واصل إلى دجلة قاصداً بدر بن حسنيه فبلغ جامعين فأنزله أصحاب بدر، وكان أصحاب أبي الفتح بن عنان قريباً منه فكبسه، وجاء به إلى بغداد فبعثه عميد الجيوش إلى بهاء الدولة فقتلته سنة ست وسبعين وثلاثمائة كما مر في أخبار الدولة.

### وفاة مهذب الدولة وولاية ابن اخته عبد الله بن نسي

ثم توفي مهذب الدولة عبد الله بن علي بن نصر في جمادي سنة ثمان وأربعين، وكان ابن أخيه أبو عبد الله محمد بن نسي قائماً بأمره ومرشحاً للولاية مكانه، وقد اجتمع عليه الجندي

## عصيان أهل البطحاء على أبي كاليجار

أيام كوهراين الشحنة ببغداد، وكان بنو عمّه وعشيرته تحت حكمه.

وأقطع السلطان محمد سنة خمس وستين وخمسة مائة مدينة واسط لصدقة بن مزيد صاحب البطحاء والحللة فضمنها منه مذهب الدولة أحد بن أبي الخير صاحب البطحاء، وفرق أولاده في الأعمال وطالبه صدقة بالأموال وحبسه وضمن حماد ابن عمّه واسط.

وكان مذهب الدولة يصانع حماد ابن عمّه إسماعيل ويداريه، وحماد يطبع إلى رياسته، فلما هلك كوهراين نازع حماد مذهب الدولة ابن عمّه، واجتهد مذهب الدولة في إصلاحه فلم يقدر، فجمع النفيس بن مذهب الدولة فهرب حماد إلى صدقة مستجيئاً به، فعاد بالجيش وحاربه مذهب الدولة وزاده صدقة المدد، فانهزم مذهب الدولة وهلك أكثر عسكره وقوى طمع حماد. واستمد صدقة فامده بالعساكر مع مقدم جيشه حميد بن سعيد.

وبعث مذهب الدولة لصاحب الجيش بالإقامات والصلات فمال إليه، وأصلاح ما بينه وبين صدقة.

وبعث مذهب الدولة ابنه النفيس إلى صدقة فاصلح بينهم وبين حماد ابن عمّهم، وكان ذلك أعوام الثلاثين.

## ولاية نصر بن النفيس والمظفر بن حماد من بعده على البطيحة

ثم كان انتقاض دبس بن صدقة أيام المسترشد والسلطان محمود، وكان البرسقي شحنة ببغداد فانتزع السلطان البطحاء من يد دبس وأطعها إلى سجان الخادم مولاً، فولى عليها نصر بن النفيس بن مذهب الدولة أحد بن أبي الخير.

وأمر السلطان محمود البرسقي بالسير لقتال دبس فاحتشد وسار لذلك ومعه نصر بن النفيس صاحب البطحاء، وابن عمّه المظفر بن حماد بن إسماعيل بن أبي الخير، وبينهما من العداوة المتأورة ما كان بين سلفهما.

والبرسقي ودبس وهزمه دبس وجاءت العساكر منهزمة، وبقي نصر بن النفيس وابن عمّه حماد عند سبات النهر فقتله، ولحق بالبطحاء فملكتها، وبعث إلى دبس بطاقة، وبعث دبس إلى الخليفة يصانعه بالطاعة على البعض، وبلغ الخبر إلى السلطان محمود قبض على منصور بن صدقة أخي دبس وولده

ويبعث أبو كاليجار سنة ثمان عشرة وأربعينه وزير أبا محمد بن نابهشاد إلى البطحاء، ومقدمها يرمي أبو عبد الله الحسين بن بكر السراني فسف بالناس في أمرهم، وقطط عليهم مقادير تؤخذ منهم فانجلوا إلى البلاد.

وعزم الباقيون على قتل السراني، وإنما الخبر إلى السراني فجاء إليهم واعتذر إليهم، وأوعدهم بالمساعدة وأشار عليه الوزير بإصلاح السفن حتى زحزحها بحيث لا يمكن منها ثم وثبوا به فاخترجوه، وكان عندهم جماعة من عسكر جلال الدولة محبوسين فأخرجوهم، واستعادوا بهم وعادوا إلى الامتناع الذي كانوا عليه أيام مذهب الدولة فتم لهم ذلك.

ثم جاء ابن العبراني فغلب على البطحاء وأخرج منها السراني فلتحق بيزيد بن مزيد، وأقام بها ابن العبراني سنة ثلاث وثلاثين وأربعينه فزحف إليه أبو نصر بن الميثيم فغلبه عليه ونهبها واستقر في ملكها على مال يؤديه لجلال الدولة.

## استيلاء أبي كاليجار على البطحاء

ولما كانت سنة تسع وثلاثين وأربعينه بعث أبو كاليجار أبا الغنائم أبا السعادات الوزير في عسكر لحصار البطحاء فحاصرها، وبها أبو منصور بن الميثيم حتى جنح إلى الصلح، واستأنف نفر من أصحابه إلى أبي الغنائم وأخبروه بضعفه وعزمه على الهرب، فحفظ عليه الطريق ولما كان شهر صفر من السنة واقعهم أبو الغنائم فظفر بهم، وقتل من أهل البطحاء خلقاً كثيراً وغرقت منهم سفن متعددة وتفرقوا في الأرجاء، وركب ابن الميثيم السفن ناجياً بنفسه وأحرقت داره ونهب ما فيها.

## ولاية مذهب الدولة بن أبي الخير على البطحاء

ثم كان بعد ذلك لبني أبي الخير ولاية على البطحاء فيما قبل المائة الخامسة وما بعدها ولا أدرى من هؤلاء بنو أبي الخير، إلا أن ابن الأثير قال: كان إسماعيل ولقبه المصطنب، وحمد ولقبه المختص، هما أبناء أبي الخير، ولهما رئاسة قومهما، وهلك المختص وقام مكانه ابنه مذهب الدولة.

ونازع ابن الميثيم صاحب البطحاء إلى أن غلبه مذهب الدولة

بالريزنكاس، وعشيرة منهم يسمون الديوليتية، وكان مالكًا قلعة سرياج وأميراً على البروفكان.

ورث الملك عن خاليه ونداد وغامق أبي أحمد بن علي، وكان صنفهم من الأكراد يسمون العباية وغلبا على أطراف الدينور وهمنان ونهانوند والصامغان، وبعض نواحي آذربيجان إلى حدود شهرزور فملوكها نعواً من خسین سنة، ولكن واحد منها الوف من العساكر، وتوفي ونداد بن أحد سنة تسع وأربعين وثلاثمائة وقام مقامه ابنه أبو الغنائم عبد الوهاب إلى أن أسره الشادغان من طائف الأكراد، وسلموه إلى حسنويه فأخذ قلاعه وأملأه.

وتوفي غامق سنة خسین وثلاثمائة فقام ابنه أبو سالم دسيم مكانه بقلعة فتنان إلى أن أزاله أبو الفتح بن العميد، واستنصر قلاعه المسماة بستان وغامق أفاق وغيرهما.

وكان حسنويه حسن السيرة ضابطاً لأمره، وبني قلعة سرماج بالصخور الهندسة وبني بالدينور جاماً كذلك، وكان كثير الصدق للحرمين.

ولما ملك بنو بويه البلاد واختص ركن الدولة بالري وما يليه كان شيعة ومددًا على عدوه فكان يرعى ذلك، ويغضي عن أمره إلى أن وقعت بين ابن مسافر من قواد الدليم وكبارهم وقعة هزمه فيها حسنويه، وتخصل بمكان فحاصره فيه وأضرمه عليه ناراً فقاد بهلوك.

ثم استأمن له فغدر به وامتنع لذلك ركن الدولة وأدركته نورة العصبية، وبعث وزيره أبي الفضل بن العميد في العساكر سنة تسع وخمسين وثلاثمائة فنزل همنان وضيق على حسنويه، ثم مات أبو الفضل فصالحه ابنه أبو الفتح على مال ورجع عنه.

### وفاة حسنويه وولاية ابنه بدر

ثم توفي حسنويه سنة تسع وستين وثلاثمائة وافتقر ولده على عهد الدولة لقتال أخيه محمد وفخر الدولة، وكانت جماعة أبو العلاء عبد الرزاق وأبو النجم بدر وعاصم وأبو عدنان وبخيار عبد الملك.

وكان بخيار بقلعة سرماج ومعه الأموال والذخائر فكاتب عهد الدولة ورغب في طاعته، ثم رغب عنه فسير إليه عهد الدولة جيشاً وملك قلعته وغيرها من قلاعهم.

ولما سار عهد الدولة لقتال أخيه فخر الدولة وملك همنان

فكلهم فاستشاط ديس وساده أثره في البلاد، وبعث إلى أخيه مقدم عساكره في جيش، وكتب إلى المظفر بن حماد صاحب البطيحة بمعاشرته على قتال واسط فتجهز وأصعد، وعاجل مهلل الحرب قبل وصوله فهزمه أهل واسط وغنموا ما معه، وكان في جلتها بخط ديس وصار معهم، وساعت آثار ديس في البلاد، ولم يزل حال البطيحة على ذلك.

ثم صار أمرها لبني معروف وأجلهم الخلفاء عنها.

### إجلاء بني معروف من البطيحة

كان بنو معروف هؤلاء أمراء بالبطيحة في آخر المائة السادسة، ولا أدرى من هم.

فلما استجمعت للخلفاء أمرهم وخرجوا عن استبداد ملوك السلجوقيه واقطعوا الأعمال من أيديهم شيئاً فشيئاً فصار لهم الحلة والكوفة وواسط والبصرة وتكريت وهيت والأبيار والحديثة، وجاءت دولة الناصر وبنو معروف على البطيحة وكبارهم على.

قال ابن الأثير: وهو قوم من ربيعة، كانت بيتهم غربي الفرات تحت سروا وما يصل بها من البطائع، وكثرت أذایتهم وإفسادهم في النواحي.

وبلغت الشكرى بهم إلى الديوان فأمر الخليفة الناصر مغادراً الشريف متولي بلاد واسط أن يسرى إلى قتالهم فاستعد لذلك، وجمع من سائر تلك الأعمال، فسار إليهم سنة ست عشرة وستمائة بالغير من بلاد البطيحة وقتلوا بينهم.

ثم انهزم بنو معروف، وتفرقوا بين القتل والأسر والفرق، واستبيحت أمرهم وانتظمت البطيحة في أعمال الناصر، ولم يبق بها ملك ولا دولة.

**الخبر عن دولة بنى حسنويه من الأكراد  
القائمين بالدعوة العباسية بالدينور  
والصامغان ومبدأ أمرهم وتصارييف  
أحوالهم**

كان حسنويه بن الحسين الكردي من طائفة الأكراد يعرفون

السابلة فعظم عمله وسار ذكره.

### مسير ابن حسنويه لخصار بغداد مع أبي

جعفر بن هرمز

كان أبو جعفر الحجاج بن هرمز نائباً بالعراق عن بهاء الدولة، ثم عزله فدال منه بأبي علي بن أبي جعفر أستاذ هرمز، وتلقب عميد الجيوش فاتماً أبو جعفر بنواحي الكوفة، وقاتل عميد الجيوش فهزمه العميد.

ثم جرت بينهما حروب ستة ثلاث ستين وثلاثمائة وأقاما على الفتنة والاستنجاج بالعرب من بي عقيل وخفاجة وبي أسد، وبهاء الدولة مشتغل بمحرب ابن واصل في البصرة.

وأصل ذلك إلى ستة سبع وستين وثلاثمائة وكان ابن واصل قد قصد صاحب طريق خراسان وهو قلچ، ونزل عليه واجتمعا على فتنة عميد الجيوش.

وتوفي قلچ هذه السنة فول عميد الجيوش مكانه أبا الفتح محمد بن قلچ عنان عدو بدر بن حسنويه.

وفحل الأكراد السامي لبدر في الشؤون وهو من الشادنجان من طراف الأكراد، وكانت حلوان له فقضى بذلك بدر ومال إلى أبي جعفر، وجمع له الجميع من الأكراد مثل الأمير هندي بن سعدي، وأبي عيسى سادي بن محمد وورام بن محمد وغيرهم، واجتمع له معهم علي بن مزيد الأسدي، وزحفوا جميعاً إلى بغداد ونزلوا على فرسخ منها.

ولقى أبو الفتح بن عنان بعميد الجيوش، وأقام معه ببغداد حامياً ومدافعاً إلى أن وصل الخبر بهزيمة ابن واصل وظهور بهاء الدولة عليه، فأجلفوا عن بغداد.

وسار أبو جعفر إلى حلوان ومعه أبو عيسى، وراسل بهاء الدولة، ثم سار ابن حسنويه إلى ولاية رافع بن معن من بي عقيل يجتمع مع بي المسب في المقلد، وعاد فيها لأنه كان آوى أبا الفتح بن عنان حين أخرجه بدر من حلوان وقرميسين، واستولى عليها فارسل بدر جيشاً إلى أعمال رافع بالجناب ونهبها وأحرقوها.

وسار أبو الفتح بن عنان إلى عميد الجيوش ببغداد فوعده النصر حتى إذا فرغ بهاء الدولة من شأن ابن واصل وقتلها، أمر عميد الجيوش بالسير إلى بدر بن حسنويه لإعاته على بغداد وإمداده ابن واصل فسار لذلك، ونزل جنديساپور وبعث إليه بدر في الصلح على أن يعطيه ما أتفق على العساكر فحمل إليه ورجع

والري وأضافهما إلى أخيه مؤيد الدولة، ولقى فخر الدولة بقايوس بن وشمكير عرج ضد الدولة إلى ولاية حسنويه الكردي فافتتح نهاوند والدينور وسرماج وأخذ ما فيها من ذخائر، وكانت جليلة المقدار وملك معها عدة من قلاع حسنويه ووفد عليه أولاد حسنويه فقبض على عبد الرزاق وأبي العلاء وأبي عدنان، وأصطنع من بينهم أبا النجم بدر بن حسنويه وخلع عليه وولاه على الأكراد وقاراه بالرجال فقضى ملك التواحي وكف عادية الأكراد بها.

واستقام أمره فحسده أخوه، وأظهر عاصم وعبد الملك منهم العصيان، وجمعوا الأكراد المخالفين ويعث ضد الدولة العساكر فأوقعوا بعاصم وهزموه وجاؤوا به أخيراً إلى همدان، ولم يوقف له بعد ذلك على خبر، وذلك ستة سبعين وثلاثمائة وقتل جميع أولاد حسنويه وأقر بدرأ على عمله.

### حروب بدر بن حسنويه وعساكر مشرف الدولة

ولما توفي ضد الدولة وملك ابنه صمصم الدولة ناز عليه أخوه مشرف الدولة بفارس، ثم ملك بغداد، وكان فخر الدولة بن ركن الدولة قد عاد من خراسان إلى مملكة أصفهان والري بعد وفاة أخيه مؤيد الدولة، وأوقع بينه وبين مشرف الدولة فكان مشرف الدولة يجدد عليه.

فلما استقر ببغداد وانتزعها من يد صمصم الدولة، وكان قائده قراتكين الجهشاري مدلأ عليه متحكماً في دولته، وكان ذلك يقل على مشرف الدولة، جهزه في العساكر لقتال بدر بن حسنويه بروم إحدى الراحين، فسار إلى بدر ستة سبع وستين وثلاثمائة ولقيه على وادي قرميسين، وانهزم بدر حتى توأري ولم يتلقوه ونزلوا في خيامة، ثم كر بدر فأعجلهم عن الركوب، وفتك فيهم وأحتوى على ما معهم.

ونجا قراتكين في فل إلى جسر النهروان فلحق به المهزومون، ودخل بغداد واستولى بدر على أعمال الجبل وقويت شوكته واستفحلاً أمره.

ولم يزل ظاهراً عزيزاً وقلد من ديوان الخلافة ستة ثمان وثمانين وثلاثمائة أيام السلطان بهاء الدولة ولقب ناصر الدولة. وكان كثير الصدقات بالحرمين، وكثير الطعام للعرب بالحجاز لخمار الحاج، وكف أصحابه من الأكراد عن إفساد

## استياء ظاهر بن هلال على شهرزور

كان بدر بن حسنيه قد نزل عن شهرزور لعميد الجيوش بغداد، وأنزل بها نوبة، فلما كانت سنة أربعين واربعمائة، وكان هلال بن بدر معتقلًا سار ابنه ظاهر إلى شهرزور، وقاتل عساكر فخر الملك متصرف السنة وملكتها من أيديهم. وأرسل إليه الوزير يعاته ويأمره بإطلاق من اسر من أصحابه ففعل، وبقيت شهرزور بيده.

## مقتل بدر بن حسنيه وابنه هلال

ثم سار بدر بن حسنيه أمير الجبل إلى الحسن بن مسعود الكردي ليملك عليه بلاده، وحاصره محسن كوسجة، وأطاح حصاره فغدر أصحاب بدر وأجمعوا قتله. وتولى ذلك الجورقان من طائف الأكراد فقتلوه وأجفلوا فدخلوا في طاعة شمس الدولة بن فخر الدولة صاحب همدان وتولى الحسين بن مسعود تكفين بدر ومواراته في مشهد علي. ولما بلغ ظاهر بن هلال مقتل جده وكان هارباً منه بنواحي شهرزور، وجاء لطلب ملكه، فقاتله شمس الدولة فهزمه وأسره وحبسه بهمدان، واستولى على بلاده، وصار الكريمة والشاذغان من الأكراد في طاعة أبي الشوك.

وكان أبوه هلال بن بدر محبوساً عند سلطان الدولة ببغداد فاطلقه وجهز معه العساكر ليستعيد بلاده من شمس الدولة، فسار ولقيه شمس الدولة فهزمه وأسره وقتل، ورجعت العساكر منهزمة إلى بغداد.

وكان في ملك بدر ساپور خواست والدينور وبروجرد ونهاوند وأستراباذ وقطعة من أعمال الأهواز وما بين ذلك من القلاع والولايات، وكان عادلاً كبيراً معروفاً عظيم الملة.

ولما هلك هو وابنه هلال بقي حافظه ظاهر محبوساً عند شمس الدولة بهمدان.

## مقتل ظاهر بن هلال واستياء أبي الشوك على بلادهم ورياستهم

كان أبو الفتح محمد بن عنان أمير الشاذغان من الأكراد، وكانت بيده حلوان واقام عليها أميراً وعلى قومه عشرين سنة.

## انتقام هلال بن بدر بن حسنيه على أبيه وحربهما

كانت أم هلال هذا من الشاذغان رهط أبي الفتح بن عنان وأبي الشوك بن مهالهل، واعتبرها أبوه لأول ولاده فنشأ مبعداً عن أبيه، واصطفى بدر ابنه الآخر أبي عيسى وأقطع هلالاً الصاذغان، فاساء مجاورة ابن المضاطي صاحب شهرزور وكان صديقاً لبدر فنهاه عن ذلك فلم يتنه وبعث ابن المضاطي بهده فبعث إليه أبوه بالوعيد فجمع وقصد ابن المضاطي وحاصره في قلعة شهرزور حتى فتحها، وقتل ابن المضاطي واستباح بيته.

فاتسع الخرق بينه وبين أبيه، واستمال أصحاب أبيه بدر، وكان بدر نسيكاً فاجتمعوا إلى هلال وزحف لحرب أبيه والتقيا على الدينور، وإنهزم بدر وحل أسيراً إلى ابنه هلال فرده في قلعته للعبادة، وأعطاه كفافته بعد أن ملك الحصن الذي تحكمه بما فيه. فلما استقر بدر بالقلعة حصنه وأرسل إلى أبي الفتح بن عنان وإلى أبي عيسى سادي بن محمد بأستراباذ وأغراهما باعمال هلال، فسار أبو الفتح إلى قرميسين وملكتها، وأساء الدليل فاتبعه هلال إليها ووضع السيف في الدليل.

وأمكنته ابن رافع من أبي عيسى فعفا عنه وأخذه معه، وأرسل بذن من قلعته يستدرج بهاء الدولة فبعث إليه الوزير فخر الملك في العساكر، واتجه إلى ساپور خواست. واستشار هلال أبي عيسى بن سادي فأشار عليه بطاعة بهاء الدولة وإلا فالمطاولة وعدم العجلة باللقاء فأنهمه وسار العساكر ليلاً فكبسها.

وركب فخر الملك في العساكر وثبت، فبعث إليه هلال بأني إنما جئت للطاعة.

ولما عاين بدر رسوله طرده وأخبر الوزير أنها خديعة فسر بذلك، وانتفت عنه الطلبة ببدر، وأمر العساكر بالزحف فلم يكن باسرع من عجي، هلال أسيراً فطلب منه تسليم القلعة لبدر فأجاب على أن لا يمكن أبوه منه، واستأمنت أنه ومن معها بالقلعة فأنهم الوزير وملك القلعة، وأخذ ما فيها من الأموال يقال أربعون ألف بدرة دنانير، وأربعين ألف بدرة دراهم سوى الجوادر والثياب والسلاح، وسلم الوزير فخر الملك القلعة لبدر وعاد إلى بغداد.

## الفتنة بين أبي الفتح بن أبي الشوك وعمه مهلهل

كان أبو الفتح بن أبي الشوك نائباً عن أبيه بالدينور، واستفحل بها وملك قلاعاً عدّة، وهي أعماله من الغز فاعجب بنفسه ورأى التفرق على أبيه.

وسار في شعبان سنة إحدى وثلاثين وأربعين إلى قلعة يكروا من قلاع الأكراد وصاحبها غائب وبها زوجته فراسلت مهلهلاً لتسليم له القلعة نكابة لأبي الفتح، وكانت حلة مهلهل في نواحي الصامغان فانتظر حتى عاد أبو الفتح عن القلعة وجمع العساكر لحصارها، وسار إليها أبو الفتح فوراً له عن قصده، ورجع فاتبعه أبو الفتح فقاتلته عمه مهلهل، ثم ظفر به وأسره وحبسه، وجمع أبو الشوك وقصد شهرزور وحاصرها.

ثم قصد بلاد مهلهل وطال الأمر ولحق مهلهل في شأنه وأغرى علاء الدولة بن كاكويه ببلد أبي الفتح فملك عليه الدينور وقرميسين سنة اثنين وثلاثين.

ثم سار أبو الشوك إلى دنقلاً وقدم إليها ابنه سعدي فحاصرها وجاء على أثره فنقبوا سورها وملكتها عنوة، وبهب بعض البلد وأخذت أسلحة الأكراد وثيابهم، وأقام أبو الشوك بها ليلة.

ثم بلغه أن أخيه سرخاب بن محمد قد أغارت على مواضع من ولاته فخاف على البنديرين.

وأرجع وبعث إلى جلال الدولة سلطان بغداد يستتجده، فبعث إليه العساكر وأقاموا عنده، وسار مهلهل إلى علاء الدولة بن كاكويه يستصرخه على أخيه أبي الشوك على الاعتصام بقلعة السيروان.

ثم بعث إلى علاء الدولة يعرض له بالرجوع إلى جلال الدولة صاحب بغداد فصالحه على أن يكون الدينور لعلاء الدولة ورجع عنه.

ثم سار أبو الشوك إلى شهرزور فحاصرها وعادت في سوادها، وحصر قلعة بيزاز شاه فدافعته أبو القاسم بن عياض عنها، وووجهه بخلاص ابنه أبي الفتح من أخيه مهلهل، فسار من شهرزور إلى نواحي سند من أعمال أبي الشوك، وما بعث إليه ابن عياض بالصلح مع أخيه أبي الشوك امتنع فسار أبو الشوك من حلوان إلى الصامغان.

وكان يزاحم بدر بن حسنيه وبنيه في الولايات والأعمال بالجبل.

وذلك سنة إحدى وأربعين وقام مكانه ابنه أبو الشوك، وطلبته العساكر من بغداد فقاتلتهم وهزموه، فامتنع محلوان إلى أن أصلاح حاله مع الوزير فخر الملك لما قدم العراق بعد عميد الجيوش من قبل بهاء الدولة.

ثم إن شمس الدولة ابن فخر الدولة بن بويه أطلق ظاهر بن هلال بن بدر من محبسه بعد أن استخلفه على الطاعة، وولاه على قرمه وعلى بلاده بالجبل، وأبو الشوك صاحب حلوان والسهل، وبينهما المنافسة القديمة، فجمع ظاهر وحارب أبي الشوك فهزمه وقتل سعدي بن محمد أخيه.

ثم جمع ثانية فانهزم أبو الشوك أيضاً وامتنع محلوان وملك ظاهر عامة البسيط، وأقام بالنهروان.

ثم تصالحاً وتزوج ظاهر اخت أبي الشوك فلما أمنه ظاهر وثبت عليه أبو الشوك فقتله بثار أخيه سعدي ودفعه أصحابه بمقابر بغداد، وملك سائر الأعمال وتزل الدينور.

وملا استولى علاء الدولة بن كاكويه على همدان سنة أربع عشرة وأربعين عندما هزم عساكر شمس الدولة بن بويه واستبد عليه، سار إلى الدينور فملكها من يد أبي الشوك، ثم إلى ساپورخواست وسائر تلك الأعمال.

وسار في طلب أبي الشوك فأرسل إليه مشرف الدولة سلطان بغداد وشفع فيه فعاد عنه علاء الدولة.

ولما زحف الغز إلى بلاد الري سنة عشرين وأربعين وملکوا همدان وعاثوا في نواحيها إلى أستراباذ وقرى الدينور، خرج إليهم أبو الفتح بن أبي الشوك وقاتلهم فهزّهم وأسر منهم جماعة، ثم عقد الصلح معهم على إطلاق أسرهم ورجعوا عنه.

ثم استولى أبو الشوك سنة ثلاثين وأربعين على قرميسين من أعمال الجبل، وقبض على أصحابها من الأكراد الترهيبة وسار نحوه إلى قلعة أرمينة فاعتصم بها من أبي الشوك، وكانت لهم مدينة خولنجان، فبعث إليها عسكراً فلم يظفروا وعادوا عنها.

ثم جهز آخر ويعهم ليرههم يسابقون جندهم، ومرروا بأرمينة فنهبوا ريشها، وقاتلوا من ظفروا به، وانهوا إلى خولنجان فكبسوها على حين غفلة واستأمان إليهم أهلها ومحصن الخامدة بقلعة وسط البلد فحاصروها وملکوها عليهم في ذي القعدة من السنة.

ولما استول مهلهل بعد موت أخيه أبي الشوك وكان نبال عندما غدا من حلوان ول عى قرميسين بدر بن ظاهر بن هلال بن بدر بن حسنيه، فسار إليها مهلهل سنة ثمان وثلاثين وأربعين، فهرب بدر عنها وملكتها وبعث ابنه محمدًا إلى الدينور وبها عساكر نبال فهزهم وملكتها.

ونهب ولاية مهلهل كلها وأجفل مهلهل بين يديه. ثم تردد الناس بينهما في الصلح وعاد عنه أبو الشوك.

### استيلاء نبال أخي طغرليك على ولاية أبي الشوك

#### استيلاء سعدي بن أبي الشوك على أعمالهم بدعة السلاجوقية

ولما ملك مهلهل بعد أخيه أبي الشوك تزوج بام سعدي وأهله وأساء معاملة الأكراد الشاذخان فراسل سعدي نبال. وسار إليه بالشاذخان فبعث معهم عسكراً من الغز سنة تسع وثلاثين وأربعين فملك حلوان وخطب فيها لإبراهيم نبال. ورجع إلى مابدشت، فخالفه عممه مهلهل إلى حلوان فملكها، وقطع منها خطبة نبال فعاد سعدي إلى عمه سرخاب فكبسه ونهب حلله وسرى إلى البنديجين جعماً فقبضوا على نائب سرخاب ونهبوا، وصعد سرخاب إلى قلعة دوربلونة، وعاد سعدي إلى قرميسين، وبعث مهلهل ابنه بدرًا إلى حلوان فملكها، فجمع سعدي وأكثر من الغز، وسار فملك حلوان، وتقدم إلى عمه مهلهل فلحق بيزارشاه من قلاع شهرزور واستباح الغز سائر تلك التواحي.

وحاصر سعدي بيزارشاه ومعه أحد بن ظاهر قائد نبال، ونهب الغز حلوان وأراد مهلهل أن يسير إلى ابن أخيه فتكاسلو، ثم قطع سعدي البنديجين لأبي الفتح بن دارم على أن يحاصر معه عمه سرخاب بقلعة دوربلونة، فساروا إليها وكانت ضيقة المسلك، فدخلوا الضيق فلم يخلصوا، وأسر سعدي وأبو الفتح وغيرهما من الأعيان، ورجع الغز عن تلك التواحي بعد أن كانوا ملوكها.

#### نكبة سرخاب واستيلاء نبال على أعمالهم كلها

ثم إن سرخاب لما قبض سعدي ابن أخيه أبي الشوك غاضبه ابنه أبو العسكر واعتزله، وكان سرخاب قد أساء السيرة في الأكراد فاجتمعوا وقضوا عليه وحلوه إلى نبال، فاقتلع عنده وطالبه بإطلاق سعدي بن أبي الشوك فأطلقه أبو العسكر ابنه واستحلقه على السعي في خلاص أبيه سرخاب، فانطلق سعدي،

ثم سار إبراهيم نبال بامر أخيه طغرليك من كرمان إلى همدان فملكها، ولحق كرساشف بن علاء الدولة بالأكراد الجورقان وكان أبو الشوك حيثذا بالدينور فقارقها إلى قرميسين وملكتها نبال.

وسار في اتباعه إلى قرميسين فقارقها إلى حلوان وترك كل من في عسكره من الدليم والأكراد الشاذخان.

وسار إليها نبال وملكتها عليهم عنوة واستباحها وقتله في العسكرية ولحق فلتهم بأبي الشوك في حلوان فقدم أهله وذريته إلى قلعة السيروان واقام.

ثم سار نبال إلى الصيمرة فملكها ونهبها، وأوقع بالأكراد المجاورين لها في الجورقان فانهزموا.

وكان عندهم كرساشف بن علاء الدولة فلحق بيلد شهاب الدولة وشرد أهلها في البلاد، ووصل إليها نبال آخر شعبان فملكها وأحرقها، وأحرق دار أبي الشوك.

وسارط طافحة من الغز في أثر جماعة منهم فأدركوه بمناقن فغنموا ما معهم، وانتشر الغز في تلك التواحي.

وتراسل أبو الشوك وأخوه مهلهل وكان ابنه أبو الفتح قد مات في سجن مهلهل، فبعث مهلهل ابنه وحلف له أنه لم يقتلته، وإن ثبت فقتل أبي الغنائم بشاره فقبل ورضي، واصطلحا على دفاع نبال عن أنفسهما.

وكان أبو الشوك قد أخذ ممتلكات سرخاب أخيه ما عدا قلعة دوربلونة، وقطاعها لذلك، فسار سرخاب إلى البنديجين وبها سعدي بن أبي الشوك، فقارقها سعدي إلى أبلة ونهبها سرخاب.

### وفاة أبي الشوك وقيام أخيه مهلهل مقامه

ثم توفي أبو الشوك فارس بن محمد سنة سبع وثلاثين وأربعين بقلعة السيروان من حلوان وقام مقامه أخوه مهلهل واجتمع إليه الأكراد مائلين إليه عن ابن أخيه سعدي بن أبي الشوك فلحق سعدي ب وبال أخي طغرليك يستدعيه لملك البلاد.

واجتمع عليه كثير من الأكراد، وسار إلى نبال فاستوحش منه، الغز وقتلهم جميعاً.  
وسار إلى الدسكرة وكاتب أبي كاليجار بالطاعة.

### بقية أخبار مهلل وابن أبي الشوك وانقراض أمرهم

ثم سار مهلل أخو أبي الشوك إلى السلطان طغريك سنة ثلاث وأربعين وأربعين فأحسن إليه وأقره على أقطاعه السيروان ودقوقاً وشهرزور والصامفان، وسعى في أخيه سرخاب وكان محبوساً عنده فاطلقه وسogue قلعة الماهكي، وكانت له فسارة إليها، وأقطع سعدي بن أبي الشوك الرادندين ثم بعثه ست وأربعين في عسكر من الغز إلى نواحي العراق، فنزل عابدشت وسار منها إلى أبي دلف الجاوي، فهرب بين يديه وأدركه فهرب أمواله وقتل بنفسه.

وكان خالد ابن عمه مع الوزير ومطر أبي علي بن معن العقيلي، فرفد أولادهم على سعدي يشكرون مهللاً فوعدهم النصر، ورجعهم من عنده فاعتبر لهم أصحاب مهلل فأسرهم بنو عقيل فقادهم مهلل وأوقع بهم على تل عكيراً ونهبهم، فصاروا إلى سعدي وهو يسامرها، وأتيح لهم مهللاً وظفر به وأسره وأسر مالكاً ابنه، ورد غنائم بنى عقيل ورجع إلى حلوان.  
واضطربت بغداد واجتمعت عساكر الملك الرحيم ومعهم أبو الأغر دييس بن مزيد يسعى عند سعدي في أبيه.

وكان ابن سعدي عند السلطان طغريك رهينة فرده على أبيه عرضًا عن مهلل، وأمره بإطلاق مهلل، فامتنع ذلك سعدي وعصى على طغريك.

وسار إلى حلوان فامتنعت عليه، واتّم يتردد بين رشقاد والبردان.

وأظهر خالفة طغريك، ورجع إلى طاعة الملك الرحيم، فبعث طغريك العساكر مع بدران بن مهلل إلى شهرزور، ووجد إبراهيم بن إسحاق من قاده فأوقعوا به، ومضى إلى قلعة رشقاد.  
وسار بدر بن مهلل إلى شهرزور ورجع إبراهيم بن إسحاق إلى حلوان فآقام بها، ثم نهض ستة وأربعين إلى الدسكرة فنهبها واستباحها، وسار إلى رشقاد وهي قلعة سعدي وفيها ذخائره، وفي القلعة البردان فامتنعت عليه فخرّب أعماله ووهن الدليل في كل ناحية.

وبعث طغريك أبي علي بن أبي كاليجار صاحب البصرة في عسكر من الغز إلى الأهوار فملكتها، ونهبها الغز ولقي الناس منهم

ثم سار إبراهيم نبال إلى قلعة كلجان وامتنع عليهم، ثم حاصروا قلعة دوريلونة فتقدمت طائفة إلى البدنخين فنهبوا، وسار إبراهيم فيها بالنهب والقتل والعقوبة في المصادر حتى يموتها.

وتقدمت طائفة إلى الفتح فهرب وترك حله، فرجعوا عليها واتبعوه فقاتلهم وظفر بهم، وبعث مستجدًا فلم ينجده، فغير وأمر بنزول حله إلى جانب الغز.

وكان سعدي بن أبي الشوك نازلاً على فرسخين من باجس فكبسه الغز فهرب وترك حله وغمها الغز ونهبوا تلك الأعمال والدسكرة والماهونية وقصر سابر، وتقسم أهلها بين القتل والفرق والهلاك بالبرد.

ووصل سعدي إلى دبال ولحق منها بـأبي الأغر دييس بن مزيد، فاتّم عنده وحاصر نبال قلعة السيروان وضيق عليها وضررت سراياه في البلاد وانتهت إلى قرب تكريت.

ثم استأنف أهل قلعة السيروان إلى نبال فملكتها وأخذ منها ذخيرة سعدي، وولى عليها من أصحابه.

ثم مات صاحب قلعة السيروان وبعث وزيره إلى شهرزور فملكتها، وهرب مهلل وأبعد في المهر، وحاصر عسكر نبال قلعة هوازانشاه.

ثم رأس مهلل أهل شهرزور بالتّوثّب بالغز الذين عندهم قتلواهم ورجع قائد نبال فقتلك فيهم.

ثم سار الغز المقيمون بالبدنخين إلى نهر سليلي، وقاتلوا أبا دلف القاسم بن محمد الجاوي فهزمهم وظفر بهم وغنم ما معهم، وسار في ذي الحجة جمع من الغز إلى بلد علي بن القاسم فعاثروا فيها، فأخذ عليهم المضيق فأوقع بهم واسترد ما غنموه.

ولم يزل أحد بن ظاهر قائد نبال محاصرًا قلعة تيزاشاه في شهرزور إلى أن دخلت ستة وأربعين وأربعين، ووقع الموتان في عسكره واستمد نبال فلم يمده، فرحل عنها إلى مایدشیر، وبلغ ذلك مهللاً فبعث أحد أولاده إلى شهرزور فملكتها، وأجفل الغز من السيروان، وسارت عساكر بغداد إلى حلوان وحاصرها قلعتها ولم يظفروا بها فنهبوا مختلف الغز وخربوا الأعمال، وسار مهلل إلى بغداد فأنزل أهله وأمواله بها، وأنزل حله على ستة فراسخ منها، فسار عسكر من بغداد إلى البدنخين وقاتلوا الغز الذين بها فهزمهم

يأجوج ومأجوج.

وقد قيل: إنهم من شعوب الترك وأخر مواطنهم من جهة الغرب بلاد الصقالبة المجاورين للإفرنج مما يلي روما إلى خليج القسطنطينية وأول مواطنهم من جهة الجنوب بلاد الفورجا المجاورة للنهر ثم خراسان وأذربيجان وخليج القسطنطينية وأخراها من الشمال بلاد فرغانة والشاش وما وراءها من البلاد الشمالية المجهولة لعدها.

وما بين هذه الحدود من بلاد غزنة ونهر جيحون وما يحافيه من البلاد وخوارزم ومحاوز الصين وبلاط الفوجق والروس حفافي خليج القسطنطينية من جهة الشمال الغربي قد اغتصب لهذه البساطة منهم أمم لا يحيط بهم إلا خالقهم رحالة متقللون فيها مستجعين مساقط الغيث في نواحه يسكنون الخيام المتخلدة من اللبود لشدة البرد في بلادهم فقرروا عليها.

ومر بديار بكر وخرج إليه صاحبها نصر بن مروان وحمل مائة ألف دينار لتفقة فلما سمع أنه تقبضها من الرعايا ردتها عليه ثم من بناءه وأمنها وأطاف على السور وجعل يمسحه بيده وير بما على حدوده تبركاً يبشر المسلمين ثم من بالرها وحاصرها فامتنعت عليه.

ثم سار إلى حلب فبعث إليه صاحبها محمود ريفول القائد الذي عنده يخبر بطاعته وخطبه ويستعينه من الخروج إليه منكراً منه الأذى ويد «حي على خير العمل» فقال: لابد من خروجه.

واشتد الحصار فخرج محمود ليلاً مع أمه بنت وثايم المنس متظارحاً على السلطان فاكرم مقدمها وخلع عليه وأعاده إلى بلده.

## غزوة السلطان ألب أرسلان إلى خلاط

### وأسر ملك الروم

كان ملك الروم بالقسطنطينية لهذا العهد اسمه أرمانوس وكان كثيراً ما يخيف ثغور المسلمين.

وتوجه في سنة اثنين وستين في عساكر كثيرة إلى الشام وزلل على مدينة منيغ واستباها، وجمع له محمود بن صالح بن مرداش الكلابي وأبن حسان الطائي قومهما ومن إلهم من العرب فهزمهما الروم.

ثم رجع أرمانوس إلى القسطنطينية واحتشد الروم والفرنج والروس والكرج ومن يليهم من العرب والطواوف وخرج إلى بلاد كرد من أعمال خلاط.

عيتاً بالنهب والمصادرة، وأحاطت دعوة طغرل بك ببغداد من كل ناحية، وانقرض الأكراد من أعمالهم واندرجوا في جملة السلطان طغرل بك، تلك الأيام تداولها بين الناس والله يؤتي ملكه من يشاء والله يرى الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين لا راد لأمره.

## الخبر عن الدولة السلجوقية من الترك

المستولين على مالك الإسلام ودوله بالشرق كلها إلى حدود مصر مستبدلين على الخليفة ببغداد من خلافة القائم إلى هنا الزمان وما كان لهم من الملك والسلطان في أقطار العالم وكيف فعلوا بالعلماء وحرجوهم وما تفرق عن دولتهم من الدول قد تقدم لنا ذكر أنساب الأمم والكلام في أنساب الترك وأنهم من ولد كومر بن يافت أحد السبعة المذكورين من بني يافت في التوراة وهم مأواتي ومذاي وмагوغ وقطيبال وماشخ وطيراش.

وعد ابن إسحاق منهم ستة ولم يذكر مذاي. وفي التوراة أيضاً: أن ولد كومر ثلاثة: توغرما واشكان وريعاش.

ووقع في الإسرائيليات أن الإفرنج من ريعات الصقالبة من أشكال والخزر من توغرما والصحيح عند نسبة الإسرائيليين أن المفتر هم التركمان، وشعوب الترك كلهم من ولد كومر ولم يذكر من أي ولده الثلاثة والظاهر أنهم من توغرما.

وزعم بعض النساء أنهم من طيراش بن يافت ونسبهم ابن سعيد إلى ترك بن غامور بن سوبل والظاهر أنه غلط وأن غامور تصحيف كما مر وأما سوبل فلم يذكر أحد أنه من بني يافت وقد مر ذكر ذلك كله.

والترك أجناس كثيرة وشعوب فنهم الروس والإعلان ويقال: إيلان والخفشاخ وهم الفوجق والهياطلة والخلج والغز الذين منهم السلجوقية والخطا و كانوا بأرض طمغاج ويك والفور وتزكس واركس والططر ويقال: الطغرغر وأنكر وهم مجاورو الروم.

واعلم أن هؤلاء الترك أعظم أمم العالم وليس في أجناس البشر أكثر منهم ومن العرب في جنوب العمور وهؤلاء في شماله قد ملكوا عامة الأقاليم الثلاثة من الخامس والسادس والسابع في نصف طوله مما يلي المشرق فأول مواطنهم من الشرق على البحر بلاد الصين وما فوقها جنوباً إلى الهند وما تحتها شمالاً إلى سد

## استيلاء السلجوقية على دمشق وحصارهم مصر ثم استيلاء تتش ابن السلطان ألب أرسلان على دمشق

قد تقدم لنا ملك انسز الرملة وبيت المقدس وحصاره دمشق سنة إحدى وستين شم عاد عنها وجعل يتعاهد نواحيها بالعيش والإفساد كل سنة.

ثم سار إليها في رمضان سنة سبع وستين وحاصرها ثم عاد عنها وهرب منها أميرها من قبل المستنصر العلوي صاحب مصر المعلى بن حيدرة لأنه كثر عسفه بالخند والرعاية وظلمه فشاروا به فهرب إلى بانياس ثم إلى صور ثم إلى مصر فحبس ومات بها محبوساً.

واجتمعت المصامدة بدمشق وولي عليهم أنصار بن يحيى الصمودي ويلقب نصير الدولة.

وغلت الأقوات عندهم وأضطربوا فناد إليها أنسز في شعبان سنة ثمان وستين فاستأنما إليه وعرض انتصاراً منها بقلعة بانياس ومدينة يافا من الساحل ودخلها في ذي القعدة وخطب بها للمقتدي ومنع من النداء بمحبيه على خير العمل وتغلب على كثير من مدن الشام.

ثم سار سنة تسعة وستين إلى مصر وحاصرها وضيق عليها واستجدد المستنصر بالبادوي من نواحيها فروعده بالنصر.

وخرج بدر الجمالي في العساكر التي كانت بالقاهرة وجاء أهل البلاد ليغادهم فانهزم أنسز وعاشروه ونجا إلى بيت المقدس فوجدهم قد يخلفه فتحصروا منه بالمعاقل فافتتحها عليهم عنوة واستباحها حتى قتلهم في المسجد، وقد تقدم ضبط هذا الاسم وأنه عند أهل الشام أنسيس والصحيح أنسز وهو اسم تركي.

ثم إن السلطان ملك شاه أقطع أخاه تتش بن ألب أرسلان بلاد الشام وما يفتحه من تلك النواحي سنة سبعين وأربعين فقصد حلب أولاً وحاصرها ومعه جموع من التركمان.

وكان بدر الجمالي المستولى على مصر قد بعث العساكر لحصار دمشق وبها أنسز فبعث إلى تتش وهو على حلب يستتجده فسار إليه وأخرت عساكر مصر عنه منهزمين.

ولما وصل إلى دمشق قد أنسز على لقائه وانتظر قدومه فلقيه عند سور وعاته على ذلك فتساهل في العذر فقتله لوقته وملك البلد واستول على الشام أجمع كما سيأتي وكان يلقب ناج

وكان السلطان ألب أرسلان بمدينة حوف من أذريجان متقلباً من حلب فبعث بأهله وأقاله إلى همدان مع وزيره نظام الملك وسار هو في خمسة عشر ألف مقاتل وتوجه نحوهم متهدأ ولقيت مقدمته الروس فهزموهم وجاؤوا بملتهم أسيراً إلى السلطان فجدهم وبعث إسلامهم إلى نظام الملك.

ثم توجه إلى سمرقند فقارتها التكير وأرسل في الصلح ويعذر عن تومرق فصالحة ملك شاه وأقطع بلخ وطخارستان لأخيه شهاب الدين مكين إلى خراسان ثم إلى الري.

## فتنة قاروت بك صاحب كرمان ومقتله

كان بكرمان قاروت بك آخر السلطان ألب أرسلان أميراً عليها فلما بلغه وفاة أخيه سار إلى الري لطلب الملك فسبقه إليها السلطان ملك شاه ونظام الملك ومعهما مسلم بن قريش ونصرور بن ديس وأمراء الأكراد، والتقدوا على نهرمان فانهزم قاروت بك وجيء به إلى أيام سعد الدولة كوهراس فقتلته خلقاً، وأمر كرمان بسير بيته ويعثر عليهم بالخلع وأقطع العرب والأكراد مجازة لما أبلوا في الحرب.

وقد كان السلطان ألب أرسلان شافعاً فيه على الخليفة فلقيهم خبر وفاة ألب أرسلان في طريقهم فمروا إلى ملك شاه وسيق إليه مسلم بطاعته.

وأما بهاء الدولة منصور بن ديس فإن آباء أرسله بالمال إلى ملك شاه فلقيه سائراً للحرب فشهدها معه.

ثم توفي أياز آخر السلطان ملك شاه بيلخ سنة خمس وستين فكتله ابنه ملك شاه إلى ستة سبع وستين.

وتوفي القائم متصرف شعبان منها لخمس وأربعين سنة من خلافته ولم يكن له يرمذ ولد وإنما كان له حافظ وهو المقتدي عبد الله بن محمد، وكان أبوه محمد بن القائم ولـي عهده وكان يلقب ذخيرة الدين ويكنى أبي العباس.

وتوفي سنة وعهد القائم لحافظه فلما توفي اجتمع أهل الدولة وحضر مؤيد الملك بن نظام الملك والوزير فخر الدولة بن جهير وابنه عميد الدولة والشيخ أبو إسحاق الشيرازي ونقيب النقابة طراد وقاضي القضاة الدامغاني فباعيده بالخلافة لعهد جده إليه بذلك، وأقر فخر الدولة بن جهير على الوزارة وبعث ابنه عميد الدولة إلى السلطان ملك شاه لأنخذ بيته والله الموفق للصواب.

## سفارة الشيخ أبي إسحاق الشيرازي عن الخليفة

الدولة.

ثم سار في سنة اثنين وسبعين إلى حلب فحاصرها أياماً وأخرج عنها وملك مراة والبيرة وعاد إلى دمشق.

وخلاله مسلم بن قريش إلى حلب فملكتها كما تقدم في أخباره وضمنها للسلطان ملك شاه فولاه إياها.

وسار مسلم بن قريش فحاصرها آخر سنة أربع وسبعين، ثم أخرج عنها فخرج تش وقصد طرسوس من الساحل فافتتحها ورجع، ثم حاصرها مسلم ثانية سنة تسعة وسبعين، ويبلغه أن تاج الدولة تشن سار إلى بلاد الروم غازياً فخلاله إلى دمشق وحاصرها معه العرب والأكراد، وبعث إليه العلوى صاحب مصر بعده بالمد.

وبلغ الخبر إلى تشن فكر راجعاً وسبقه إلى دمشق فحاصرها أياماً، ثم خرج إليه تشن في جموعه فهزمه وأضطرط أمره ووصله الخبر بانتفاض أهل حران فرحل من مرج الصفر راجعاً إلى بلاده.

ثم سار أمير الجيوش من مصر في العسكر إلى دمشق سنة ثمان وسبعين وحاصرها فامتنعت عليه ورجع، فلحقوا بأخيه تكش في فقهي به وأظهره العصياني واستولى على مرو الروذ ومرو الساهجان وغيرهما وسار إلى نيسابور طاماً في ملك خراسان.

وبلغ الخبر إلى السلطان فسبقه إلى نيسابور فرجع تشن ومحصن برمد، وحاصره السلطان حتى سأله الصلح وأطلق من كان في أسره من عسكر السلطان ونزل عن ترمذ وخرج إليه فاكيره، ثم عاود العصياني سنة سبع وسبعين وملك مرو الروذ ووصل قريباً من سرخس وحاصر قلعة هناك لمسعود ابن الأمير فاخر.

ونخيل أبو الفتوح الطوسي صاحب نظام وهو بنисابور على ملقطها ووضعها على شبه خط نظام الملك ينطاطب فيها صاحب القلعة بأنه واصل في ركب السلطان ملك شاه وأنه مصالح للقلعة.

وتعرض حاملها لأهل العسكر حتى أخذوا كتابه بعد الضرب والعرض على القتل، وحدثهم بمثل ما في الصحيفة وأن السلطان وحاصره في الري فأجلزوا لوقتهم إلى قلعة ريح، وخرج أهل المحصن فأخذوا ما في العسكر وجاء السلطان بعد ثلاثة أشهر فحاصره في قلعته حتى افتحها وحده ودفعه إلى ابنه أحد فسلمه وحبسه فخرجا من بيته معه.

كان الخليفة المقidi وكان عميد العراق أبو الفتح بن أبي الليث يسيء معاملة الخليفة فبعث المقidi الشيخ أبي إسحاق الشيرازي إلى السلطان ملك شاه ووزيره نظام الملك بأصفهان شاكياً من العميد.

فسار الشيخ لذلك ومعه الإمام أبو بكر الشاشي وغيره من الأعيان، ورأى الناس عجبًا في البلاد التي عر بها من إقبال الخلق عليه وازدحامهم على محفظته يتمسحون بها ويلتمسون أذليها وينشرون موجودهم عليها من الدرهم والدنار لأهلها والمصنوعات لأهل الصنائع والبضائع للتجار والشيخ في ذلك يكفي ويستحب.

ولما حضر عند السلطان أظهر الحمرة وأجابه إلى جميع ما طلبه، ورفعت يد العميد عن كل ما يتعلّق بال الخليفة، وحضر الشيخ مجلس نظام الملك فجرت بينه وبين إمام الحرمين مناظرة خبرها معروفة.

## اتصال بني جهير بالسلطان ملك شاه ومسیر فخر الدولة لفتح ديار بكر

كان فخر الدولة أبو نصر بن جهير وزير المقidi قد عزل سنة إحدى وسبعين على يد نظام الملك ولحق به ابنه عميد واسترضاه فرضي نظام الملك وشفع إلى الخليفة فاعتمد عميد الدولة دون أخيه كما تقدم في أخبار الخلفاء.

ثم أرسل المقidi سنة أربع وسبعين فخر الدولة إلى ملك شاه يخطب له ابنته فسار إليها أصفهان وعقد له نكاحها على خسین الف دينار معجلة وعاد إلى بغداد.

ثم عزل المقidi ابنه عميد الدولة عن الوزارة سنة ست وسبعين وكانتا قد علقوها بمنطقة من نظام الملك فبعث عن نفسه وعن ملك شاه يطلب حضور بني جهير عندهم فسروا بأهليهم فعظمت حظرتهم عند السلطان، وعقد لفخر الدولة على ديار بكر وبعث معه العسكر لقتلها من يد بني مروان وأذن له اتخاذ الآلة وأن ينطب لنفسه وكتب اسمه على السكة فسار في العسكر السلطانية.

## استيلاء ابن جهير على الموصل

عنهم وملك القلعة وغنم من أموالهم ما لا يحصى، وأحسن إلى أهلها وأمر لهم بعمارة ما خرب وأرسل إلى السلطان ملك شاه بالفتح.

ثم بعث إليه مسلم بن قريش يطلب منه ما كان يحمل إليه الفردوس ملك أنطاكية من المال وبخاصة معصية السلطان فأجابه بتقرير الطاعة للسلطان ويأن الجزرة لا يعطيها مسلم فسار مسلم ونهب نواحي أنطاكية فنهب سليمان نواحي حلب.

ثم جمع سليمان العرب والتركمان وسار لنواحي أنطاكية ومعه جاهير التركمان، وجمع سليمان كذلك والقى آخر صفر سنة ثمان وسبعين وأخاز جقًّا إلى سليمان فانهزمت العرب وقتل مسلم وسار سليمان بن قطلمش إلى حلب وحاصرها فامتنعت عليه وأرسل إليه ابن الحيثي العباسي كبير حلب بالأموال وطالبه أن يهله حتى يكتاب السلطان ملك شاه ودس إلى ناج الدولة تشن صاحب دمشق يستدعيه لملوكها فجاء لذلك ومعه أرسوس أسكوك وكان خائفاً على نفسه من السلطان ملك شاه ل فعلته في أمر فاستجار بتشن وأقطعه المورس وسار معه هذه الحرب، وبادر سليمان بن قطلمش إلى اعتراضهم وهو على تبة.

وابلى أرتق في هذه الحرب واتزمه سليمان وطعن نفسه بخنجر فمات وغنم تشن مسكنه وبعث إلى ابن الحيثي العباسي فيما استدعاه إليه فاستحمله إلى مشورة السلطان ملك شاه وأغليظ في القول فقضى تشن وداخله بعض أهل البلد قفسوها ولملوها، واستجار ابن الحيثي بالأمير أرتق فأجراه وسمع له.

## استيلاء ابن جهير على ديار بكر

ثم بعث ابن جهير سنة ثمان وسبعين ابنه زعيم الرؤساء أبا القاسم إلى حصار آمد ومعه جناح الدولة أسلار فحاصرها واقتلع شجرها وضيق عليها حتى جدهم الجوع وغير بعض العامة في ناحية من سورها ونادي بشعار السلطان واجتمع إليه العامة لما كانوا يلقون من عسف العمال التنصاري فبادر زعيم الرؤساء إلى البلد ولملوها وذلك في الحرم وكان أبوه فخر الدولة حاصراً لميافارقين ووصل إليه سعد الدولة كوهرينين شحنة بغداد بمدد العساكر فاشتد الحصار وسقطت من السور ثم في السادس جادى فنادوا بشعار السلطان ومنعوا ابن جهير من البلد واستولوا على أموال بيبي مروان وبعثوا مع ابنه زعيم الرؤساء إلى السلطان فسار مع كوهرينين إلى بغداد، ثم فارقه إلى السلطان بأصبهان.

ولما انقضى أمر ميافارقين بعث فخر الدولة جيشاً إلى جزيرة

ولما سار فخر الدولة ابن جهير لفتح ديار بكر استدرج ابن مروان مسلم بن قريش وشرط له أمراً وخالفها على ذلك واجتمعا لحرب ابن جهير.

وبعث السلطان الأمير أرتق بن أسكوك في العساكر مددًا لابن جهير فجع ابن جهير إلى الصلح وبادر أرتق إلى القتال فهزم العرب والأكراد وغنم مسكنهم.

ونجا مسلم بن قريش إلى آمد وأحاطت به العساكر فلما اشتد محنقة راسل الأمير أرتق في الخروج على مال بذلك له قبله وكانت له حراسة الطريق فخر إلى الرقة، وسار ابن جهير إلى ميافارقين وفارقه منصور بن مزيد وابنه صدقة فعاد منها إلى خلاط.

ولما بلغ السلطان المختار مسلم في آمد بعث عميد الدولة في جيش كثيف إلى الموصل ومعه أستقر قسم الدولة الذي انتبه بعد ذلك حلب.

وساروا إلى الموصل فلقيهم أرتق ورجع معهم، ولما نزلوا على الموصل بعث عميد الدولة إلى أهلها بالترغيب والترهيب فاذعنوا واستولوا عليها وجاء السلطان في عساكره إلى بلاد مسلم بن قريش وقد خلص من المختار وهو مقيم قبلة الرحمة فبعث إليه مؤيد الكتاب ولطف السلطان واسترضاه ووفد إليه بالغوارح ورده السلطان إلى أعماله وعاد لحرب أخيه تشن الذي ذكرناه آنفاً.

## فتح سليمان بن قطلمش أنطاكية والخبر

### عن مقتله ومقتل مسلم بن قريش واستيلاء تشن على حلب

كان سليمان بن قطلمش بن إسرائيل بن سلوجوق قد ملك قرسة وأقصروا وأعملوا من بلاد الروم إلى الشام.

وكانت أنطاكية بيد الروم من سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة، وكان ملكها لعهداته الفردوس فأثناء السيرة إلى جنده ورعايه وتذكر لابنه وحبسه فداخل الشحنة في تكين سليمان من البلد فاستدعره سنة سبع وسبعين فركب إليها البحر وخرج إلى البر في أقرب السواحل إليها في ثلاثة ألف فارس ورجل كثير، وسار في جبال وأوعار قلماً انتهى إلى السور وأمكنه الشحنة من تسمى السور دخل البلد وقاتل أهلها فهزمه وقتل كثيراً منهم، ثم عفا

ليلًا، ثم دخل إليه في مجلسه نهاراً وألقى ضرب عليه الخلع، وسلم أمراء السلجوقية على الخليفة ونظام الملك قائم بغيرهم واحداً واحداً ويعرف بهم، ثم صرخ المقتدي للسلطان ملك شاه بالتفريض وأوصاه بالعدل فقبل يده ووضعها على عينيه وخلع الخليفة على نظام الملك وجاء إلى مدرسته التي فيها الحديث وأملأ.

ابن عمر فحاصرها وقام بعض أهلها بدعاوة السلطان وفتحوا ما بليهم باباً قريباً دخل منه العسکر فملأوا البلد، وانقرضت دولة بيروان من ديار بكر والبقاء لله.

ثم أخذ السلطان ديار بكر من فخر الدولة بن جهير وسار إلى الموصل فأقام بها إلى أن توفي سنة ثلث وثمانين.

### خبر الزفاف

قد قدمنا أن السلطان ملك شاه زوج ابنته من الخليفة المقتدي سنة أربع وسبعين بخطبة الوزير بن جهير فلما كان سنة ثمانين في المحرم نقل جهازها للزفاف إلى دار الخلافة على مائة وثلاثين جلاً مجللة بالديباج الرومي أكثرها ذهب وفضة ومهـ ثلـاث عـمارـياتـ وـمعـهاـ أـربعـ وـسبـعينـ بـغـلاـ جـمـلـةـ بـأـثـاعـ الـدـيـبـاجـ الـمـكـيـ وـقـلـائـدـهاـ الـذـهـبـ وـعـلـىـ سـتـةـ مـنـهـ اـثـنـاـعـشـرـ صـنـدـوقـاـ مـنـ فـضـةـ مـلـوـءـةـ بـالـحـلـيـ وـالـجـواـهـرـ وـمـهـدـ عـظـيمـ مـنـ ذـهـبـ.

وسار بين يدي الجهاز سعد الدولة كوهراين والأمير أرتق وغيرهما من الأمراء والناس يشرون عليهم الدنائر والثياب.

وبعث الخليفة وزيره أبا شجاع إلى زوجة السلطان تركمان خاتون ومعه خادمه ظفر بمصحف لم ير مثلها ومعهم ثلثمائة من الشمع المركف ومثلها مشاعل، وأوقدت الشمع في دكاكين الحرير الخلافي، وقال الوزير لخاتون: سيدنا أمير المؤمنين يقول: إن الله يأمركم أن تودعوا الأذانات إلى أهلها وقد أذن في نقل الوديعة إلى داره فقالت: سمعاً وطاعةً، ومشى بين يديها أعيان الدولة مع كل واحد الشمع والمشاعل يحملها الفرسان، ثم جاءت المأمور من بعدهم في مصحف مجللة عليها من الذهب والجواهر ما لا يجد وبحيط بالمحفظة ماتا جارية من الأثراء على مراكب رائعة، وأولم الخليفة وليمة لم يسمع بمثلها، ثم أطلع للناس من الغد سماط مائدة عليها أربعون ألفاً من السكر وخلع على أعيان العسکر وعلى جميع الحواشي.

### استيلاء السلطان ملك شاه على ما وراء النهر

كان صاحب سمرقند لهذا العهد من الخانية أحد خان بن خضر خان أخي شمس الملك الذي كان أميراً عليها وعمته خاتون زوجة ملك شاه، وكان رديء السيرة فبعثوا إلى السلطان يسألونه

### استيلاء السلطان ملك شاه على حلب وولاية أقسندر عليها

لما ملك تاج الدولة تشن مدينة حلب وكان بها سالم بن ملك بن مروان ابن عم مسلم بن قريش وامتنع بالقلعة وحاصره تشن سبعة عشر يوماً حتى وصل الخبر بمقبرة أخيه السلطان ملك شاه وقد كان ابن الحشبي كتب إليه يستدعيه لما خاف من تشن فسار من أصفهان متصرف تسع وسبعين وفي مقدمته برشق وبدران وغيرهما من الأمراء، ومر بالوصل في رجب.

ثم سار إلى هرة وبها ابن الشاطيء فملكها وأقطعها لحمد بن شرف الدولة مسلم بن قريش وأقطعه معها مدينة الرحبة وأعمالها، وحران وسروج والرققة وخابور وزوجه أخته زليخا خاتون.

ثم سار إلى الراها وافتتحها من الروم وكانتوا اشترواها من ابن عطيه كما مر، وسار إلى قلعة جعفر فملكها وقتل من كان بها من بي قشير وكان صاحبها جعفر أعمى وكان يخيف السابلة هو وولده فازال ضررهم.

ثم ملك منبع وعبر الفرات إلى حلب فاجفل تشن عن المدينة ودخل ومعه الأمير أرتق، ورجع إلى دمشق فلما وصل السلطان إلى حلب ملكها ثم إلى القلعة فملكها من سالم بن ملك على أن يعطيه قلعة جعفر فلم تزل يهد عقبة إلى أن ملكها منهم نور الدين الشهيد.

ثم بعث إليه نصر بن علي بن منقذ الكاني بالطاعة فاقره على شيراز وتسلم منه اللاذقية ويعرباط وأقامية ورجع.

ثم رجع السلطان بعد أن ول على حلب قسيم الدولة أقسندر.

ورغب إليه أهل حلب أن يعطيهم من ابن الحشبي فآخرجه عنهم إلى ديار بكر وتوفي بها.

ثم رجع السلطان إلى بغداد فدخلها في ذي الحجة من ستة ونزل بدار الملكة وأهدى للخلافة هدايا كبيرة، واجتمع بالخلافة

فرسخاً بعساكر لا تخصى فكبس ملك كاشغر وأسره فأطلقوا يعقوب، ثم خشي السلطان شان طفرل بن نياں وكثرة عساكره فرجع على البلد ودس تاج الملك في استصلاح يعقوب فشفع له ورده إلى كاشغر ورد الطغرل ورجع هو إلى خراسان.

ثم قدم إلى بغداد سنة أربع وثمانين العزمية الثانية ووجد عليه آخره تاج الدولة تشن صاحب الشام وقسم الدولة أقسّر صاحب حلب وبوران صاحب الراها عمال الأطراف وأقام صنيع الميلاد ببغداد وتأتى بما لم يعهد مثله وأمر وزيره نظام الملك وأمراءه ببناء الدور ببغداد لنظم ورجع إلى أصفهان.

### استيلاء تشن على حصن وغيرها من سواحل الشام

لما قدم السلطان سنة أربع وثمانين وفدى عليه أمراء الشام كما قدمنا فلما انصرفوا من عنده أمر آخاه تاج الدولة تشن أن يذهب دوله العلوين من ساحل الشام ويفتح بلادهم، وأمر أقسّر وبوران أن يسيرا لإنجاده.

فلما رجعوا إلى دمشق سار إلى حصن وبها صاحبها ابن ملاع وقد عظم ضرره وضرر ولده على الناس فحاصرها وملكتها.

ثم سار إلى قلعة عرفة فملكتها عنزة ثم إلى قلعة أقابية فاستأمين إليه خادم كان بها فأرسل إلى أمراء تشن في إصلاح حاله فسدوا عليه المذاهب فأرسل إلى وزير أقسّر يسعى له عند صاحبه وعمل له على ثلاثين ألف دينار ومثلها عروضاً فجئن إلى مصالحه واختلف مع تشن على ذلك وأغلظ كل منهما لصاحب في القتول فرحل أقسّر مغاضباً وأضطر الباقون إلى الرحيل وانتقض أمرهم.

### ملك اليمن

كان فيمن حضر عند السلطان ببغداد كما قدمناه عثمان جق أمير التركمان صاحب الحجاز واليمن فيظهر أمرهم هناك، وفوضى إلى سعد الدولة كوهرين شحنة بغداد فولى عليهم أمير اسمه ترشك.

وسار إلى الحجاز فاستولى عليه وأساء السيرة فيه حتى جاء أمير الحجاز محمد بن هاشم مستغيثاً منهم.

الرجوع إلى إياته.

و جاء بذلك مفتى سمرقند أبو طاهر الشافعي قدم حاجاً وأسر ذلك إلى السلطان فسار من أصفهان سنة اثنين وثمانين و معا رسول الروم بالخرج المقدار عليهم فاستعجم وأحضر للفتح. ولما انتهى إلى خراسان جمع العساكر وعبر النهر بجيوش لا تخصى وأخذ ما في طريقه من البلاد، ثم انتهى إلى بخارى فملكتها وماجاورها.

ثم سار إلى سمرقند فحاصرها وأخذ بهجتها ثم راماها بالمنجنيق وتلثم سورها ودخل من الثلمة وملك البلد.

واختفى أحمد خان ثم جيء به أسريراً فأطلقه ويعثر به إلى أصفهان وولى على سمرقند أباً طاهر عميد خوارزم وسار إلى كاشغر فبلغ إلى نور وكمي ويعثر إلى كاشغر بالخطبة وضرب السكة فاطاع وحضر عند السلطان فاكيره وخليع عليه وأعاده إلى بلده، ورجع السلطان إلى خراسان، وكان بسمرقند عساكر يعرفون بالحكمة فأرادوا التوب بالعميد نائب السلطان فلاظفهم ولحق بيده خوارزم.

### عصيان سمرقند وفتحها ثانية

كان مقدم الحكمة بسمرقند اسمه عين الدولة وخف السلطان لهذه الحادثة فكتب يعقوب تكين أخيه ملك كاشغر وكانت مملكته تعرف بإيراسي فاستحضره وملكه.

ثم شكر له يعقوب وحمل أعداءه من الرعية على طلب الثار منه وقتلته بقتاوي الفقهاء واستبد بسمرقند وسار السلطان ملك شاه إليها سنة اثنين وثمانين.

فلما انتهى إلى بخارى هرب يعقوب إلى فرغانة ولحق بولايته، وجاء بعسركه مستأمين إلى السلطان فلقه بالطواويس من قرى بخارى ووصل السلطان إلى سمرقند وولى عليها الأمير أنس وأرسل العساكر في طلب يعقوب وأرسل إلى ملك كاشغر بأخذ في طلبه، وشعب على يعقوب عساكره ونهبوا خزائنه ودخل على أخيه كاشغر مستجيراً به، ويعثر السلطان في طلبه منه فتردد بين المخافة والأفتقـة.

ثم غلب عليه الحرف فقبض على أخيه يعقوب ويعشه مع ابنه وأصحابه إلى السلطان وأمرهم أن يسلمه في طريقه فإن قنع السلطان بذلك وإن أسلمه إليه فلما قربوا على السلطان وعزموا على سلمه بلغهم الخبر بأن طفرل بن نياں أسرى من ثمانين

تنا في عضدي.  
ومضى تكبرد فصدق السلطان الخبر وجاء الآخرون  
وحاولوا الكتمان فلم يسعهم لما وشي تكبرد بجلبة القول فصدقواه  
كما صدقه.

ومات نظام الملك بعدها بقليل ومات السلطان بعده بتحوط  
شهر وكان أصل نظام الملك من طرس من أبناء الدهاقن اسمه  
أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق ذهبت نعمة أبيه وماتوا فتشا  
يتيمًا ثم تعلم وحذق في العلوم والصناعات وعلق بالخدم السلطانية  
في بلاد خراسان وغزنة ولبع، ثم لازم خدمة أبي علي بن شاذان  
وزير آلب أرسلان، ومات ابن شاذان فلاؤصي به السلطان آلب  
رسلان، وعرفه كفافيه فاستخدمه ققام بالأمور أحسن قيام  
فاستوزره، ثم هلك السلطان آلب أرسلان وهو في وزارته.

ثم استوزر ملك شاه بعد أبيه وكان عالياً جواداً صفوحاً  
مكرماً للعلماء وأهل الدين ملازمًا لهم في مجلسه، شيد المدارس  
وأجرى فيها الجريات الكثيرة.

وكان علي الحديث وكان ملازمًا للصلوات محافظاً على  
أوقاتها، وأسقط في أيامه كثيراً من المكرس والضرائب وأزال لعن  
الأشعرية من المتأخر بعد أن فعله الكندرى من قبله وحمل عليه  
السلطان طفرليك وأبراهيم مجرى الرافضة وفارق إمام الحرمين  
وأبو القاسم الشيرازي البلاط من أجل ذلك فلما ولى آلب أرسلان  
حمل نظام الملك على إزالة ذلك ورجع العلماء إلى أوطانهم  
ومناقبه كثيرة وحسبك من عكوف العلماء على مجلسه  
وتذريتهم الدواوين باسمه، فعل ذلك إمام الحرمين وأشياهه.  
وأما مدارسه فقد بني النظامية ببغداد وناهيك بها ورتب  
الشيخ أبي إسحاق الشيرازي للتدرس بها.

وتوفي سنة ست وسبعين فرتب ابنه مؤيد الملك مكانه إبا  
سعيد المتولي فلم يرضه نظام الملك وول فيها الإمام أبو نصر  
الصياغ صاحب الشامل ومات أبو نصر في شعبان من تلك السنة  
فول أبو سعيد من ستة ثمان وسبعين ومات فدرس بعده الشريف  
العلوي أبو القاسم الدبوسي وتوفي سنة اثنين وثمانين وول  
تدريسه بعدها أبو عبد الله الطبرى والقاضى عبد الوهاب  
الشيرازي بالنوبة يوماً بيوم.

نم ول تدريسها الإمام أبو حامد الغزالى سنة أربع وثمانين  
وانتصل حكمها على ذلك، وفي أيامه عكفت الناس على العلم  
واعتنوا به لما كان من حسن أثره في ذلك والله أعلم.

ثم ساروا ستة خمس وثمانين إلى اليمن وعائدو في نواحيه  
وملوكها عدن وأساؤوا السيرة في أهلها وأهلوكوا ترشك سابع  
دخولها وأعاده أصحابه إلى بغداد فدفنوه بها.

## مقتل الوزير نظام الملك

ثم ارتحل السلطان ملك شاه إلى بغداد ستة خمس وثمانين  
فانهى إلى أصفهان في رمضان وخرج نظام الملك من بيته بعد  
الإفطار عامداً إلى خيمته فاعتربه بعض الباطنية في صورة متظاهر  
فلما استدناه لسماع شکوهه طعنه بمنجر فأشواه، وعشر الباطنى في  
أطباب الحياة ودخل نظام الملك الحيمة فمات ثلاثة سن من  
وزارته.

وأهتج عسكره فركب إليه السلطان وسكن الناس، ويقال:  
إن السلطان ملك شاه وضع الباطنى على قتله لما وقع منه ومن  
بنيه من الدالة والتحكم في الدولة.

وقد كان السلطان دس على ابنه جمال الدين من قتله سنة  
خمس وسبعين.

كان بعض حواسى السلطان سعى به فسطوا به جمال الدين  
وقتله فأخذ السلطان بذلك وأخذ عميد خراسان فقتله خلقاً  
فسد خادم من خدم جمال الدين بذلك وأنهى إذا تزروا قتله  
بأنفسهم كان أحفظ لعمتهم فسقاه الخادم سماً ومات.

وجاء السلطان إلى نظام الملك وأغراء به، وما زال بطانة  
السلطان يغضون منه ويحاولون السعاية فيه إلى أن ول حافظه  
عثمان بن جمال الملك على مردو وبعث السلطان إليها كردن من  
أكبر الملوك والأمراء شحنة، ووافت بينه وبين عثمان منازعة في  
بعض الأيام فاعتله وجبيه ثم أطلقه، وجاء إلى السلطان شاكياً  
فاستشاط غضباً وبعث فخر الملك آلب أرسلان إلى نظام الملك  
وأغراء به وما زال يقول: إن كنتتابعاً فقف عند حذك وإن كنت  
شريكى في سلطانى فاقغل ما بدا لك.

وقرر عليه فعل حافظه وسائر بناته في ولائهم وأرسل معه  
نكرذ من خوارصه ثقة على ما يؤديه من القول وبخيه الآخر  
فأنبسط لسان نظام الملك يعدد الوسائل منه والمدافع عن السلطان  
وجمع الكلمة وفتح الأمصار في كلام طويل حلته عليه الدالة.

وقال في آخره: إن شاء فله مؤيد مروأته ومتى أطعت هذه  
زالت تلك فليأخذ حذره.

ثم زاد في انبساطه وقال: قولوا عني ما أردتم فإن توبيخكم

## وفاة السلطان ملك شاه وولاية ابنه محمود

بورجين ليتزل منها الأموال وامتنع فيها ونهب العسكر خزانته وساروا إلى أصفهان وقد سار بركيارق والنظامية إلى الري فأطاعوه أرغش النظامي في عساكره وفتحوا قلعة طغرل عنوة وبعثت خاتون العساكر لقتال بركيارق فتنزع إليه سبکرد وكمستكן الجاندار وغيرهما من أمراء عساكره ولقيهم بركيارق فهزمهم وسار في أثرهم إلى أصفهان فحاصرهم بها وكان عز الملك بأصفهان، وكان والياً على خوارزم فحضر عند السلطان قبل مقتل أبيه ويقي هناك بعد وفاة السلطان فخرج إلى بركيارق ومعه جماعة من إخوانه فاستوزره بركيارق وفرض إليه الأمر كما كان أبوه.

## مقتل تاج الملك

وهو أبو الغاثيم المربزيان بن خسرو فیروز كان وزيراً لخاتون وابنها، ولما هرب إلى قلعة بورجين خوفاً من العسكر كما قدمنا وملكت خاتون أصفهان عاد إليها واعتذر بأن صاحب القلعة جسسه فقبلت عذرها وبعثته مع العساكر لقتال بركيارق.

فلما انهزموا محل أسيراً عنده وكان يعرف كفاءته فثار دأ أن يستوزره وكان النظامية ينافرونه ويتهمونه بقتل نظام الملك وبين ذلك أمراً فلم يغدو ووشوا به فقتلوه في المحرم سنة ست وثمانين. وكان كثير الفضائل جم المناقب وإنما غطى على محاسنه مالاته على قتل نظام الملك، وهو الذي بنى تربة الشيخ أبي إسحاق الشيرازي والمدرسة ببازائتها ورتب بها آيا يكر الشاشي مدرساً.

## مملك محمود

ثم هلك السلطان محمود وهو عاصر بأصفهان لسنة من ولاته، واستقل بركيارق بالملك.

## منازعة تشن الـ أرسلان وأخباره إلى حين انهزامه

كان تاج الدولة تشن آخر السلطان ملك شاه صاحب الشام وسار إلى لقاء أخيه ملك شاه بغداد قبيل موته فلقيه خبر موته بهيت فاستولى عليها وعاد إلى دمشق فجمع العساكر وبين الأموال وأخذ في طلب الملك فبدأ بجلب ورأي صاحبها قسم الدولة أفسق اختلاف ولد ملك شاه وحرقهم فاطاع تاج الدولة

ثم لما سار السلطان بعد مقتل نظام الملك إلى بغداد ودخلها آخر رمضان وكان معه في الدولة أبو الفضل المروسطاني وزير روجته الخاتون الجلالية من الملوك الخالدة فيما وراء النهر وكان من أشد الناس سعاية في نظام الملك وعزم السلطان أن يستوزره لأول دخوله بغداد فعاقت المية عن ذلك وطرقه المرض ثالث القطر وهلك متتصف شوال سنة خمس وثمانين.

وكانت زوجته تركمان خاتون الجلالية عنده في بغداد وابنها محمد غالباً في أصفهان فكتمت موته وسارت بشلوه إلى أصفهان وتاج الملك في خدمتها وقدمت بين يديها قوام الدين كريوقا الذي ولـي الموصـل من بعد وأرسلـته بـخاتـونـ السـلطـانـ إـلـىـ مـسـتـحـفـظـ القـلـعـةـ فـمـلـكـهـ وـجـاءـتـ عـلـىـ أـثـرـهـ وـقـدـ اـفـاضـتـ الـأـمـوـالـ فـعـلـكـهـ وـعـادـهـ وـدـعـتـهـ إـلـىـ بـيـعـةـ وـلـدـهـ مـحـمـدـ وـهـوـ اـبـنـ أـربعـ سـيـنـ فـأـجـابـوـ إـلـىـ ذـلـكـ وـيـاـبعـوـ وـأـرـسـلـتـ إـلـىـ الـقـدـرـ فـأـجـابـهـ عـلـىـ أـنـ يـكـونـ الـأـمـيـرـ اـنـ قـائـمـ بـتـبـيـرـ الـمـلـكـ وـجـدـ الـمـلـكـ مـشـيـراـ وـلـهـ الـنـظـرـ فـتـكـرـتـ ذـلـكـ أـمـهـ خـاتـونـ وـكـانـ السـفـيرـ أـبـاـ حـامـدـ النـزاـلـيـ فـقـالـ هـاـ إـنـ الشـرـعـ لـاـ يـجـيزـ وـلـاـيـةـ اـبـنـكـ.ـ فـقـبـلـتـ الـشـرـطـ وـخـطـبـ لـهـ آخـرـ شـوـالـ سـنـةـ خـسـ وـثـلـاثـيـنـ وـأـرـسـلـتـ تـرـكـمانـ خـاتـونـ إـلـىـ أـصـفـهـانـ فـقـبـلـهـ عـلـىـ بـرـكـيـارـقـ فـجـبـسـ بـأـصـفـهـانـ.ـ وـكـانـ السـلـطـانـ مـلـكـ شـاهـ مـنـ أـعـظـمـ مـلـوـكـ السـلـجـوـقـيـةـ مـلـكـ منـ الصـينـ إـلـىـ الشـامـ وـمـنـ أـنـصـىـ الشـامـ إـلـىـ الـيـنـ وـحـلـ إـلـىـ الـمـلـوكـ الـرـومـ الـجـزـيـةـ وـمـنـاقـبـهـ عـظـيـمةـ مـشـهـورـةـ.

## منازعة بركيارق لأخيه محمود وانتظام

### سلطانه

كان بركيارق أكبر أولاد السلطان ملك شاه وكانت أمه زبيدة بنت ياقوتى بن داود وياقوتى عم ملك شاه. ولا جنس بركيارق وخافت عليه أمه زبيدة دست لماليك نظام الملك فتعصبوا له وكانت خاتون غالبة ببغداد مع ابنها محمود لقد سلطانه فرثب المالكين النظامية على سلاح لتنظيم الملك بأصفهان.

وأخرجوا بركيارق من محبه وخطبوا له وبلغ الخبر إلى خاتون فسارت من بغداد. وطلب العسكر تاج الملك في عطائهم فهرب إلى قلعة

كان توران شاه بن قاروت بك صاحب فارس وأرسلت خاتون الجلالية الأمير أثر لفتح فارس سنة سبع وثمانين فهزمه أولاً، ثم أساء السيرة مع الجندي فلحقوا بتوران شاه ورمح إلى أثر فهزمه واسترد البلد من يده وأصاب توران شاه في المعركة بسهم هلك معه بعد شهرين.

تش وتبعه في طاعته.

ويُبعث إلى باغي يسار صاحب أنطاكية وإلى مران صاحب الراها وحران يشير عليهما بمثل ذلك فاجاباه وخطبوا لشاج الدولة تش في بلادهم وساروا معه إلى الرحب فملكتها ثم إلى نصبيين فملكها واستباحها وسلمها لحمد بن شرف الدولة مسلم بن قريش.

## وفاة المقaldi وخلافة المستظاهر وخطبته لبركيارق

ثم توفي المقaldi متصرف حرم سنة سبع وثمانين وكان بركيارق قد قدم ببغداد بعد هزيمة عمته تش فخطب له وحلف إليه الخلع فلبسها وعرض التقليد على المقaldi فقرأه وتذربه وعلم فيه وتوفي فجأة ويوรث لابنه المستظاهر بالخلافة فأرسل المخلع والتقليد إلى بركيارق وأخذت عليه البيعة للمستظاهر.

## استيلاء تش على البلاد بعد مقتل أفسنقر ثم هزيمة بركيارق

لما عاد تش منهزاً من أذربيجان جمع العساكر واحتشد الأمم وسار من دمشق إلى حلب سنة سبع وثمانين واجتمع قسيم الدولة أفسنقر ويوران وجاء كريباً مددًا من عند بركيارق وساروا لحرب تش ولقوه على سترة فراسخ من حلب فهزمهم وأخذوا أفسنقر أسرىً فقتله ولحق كريباً ويوران بحلب واتبعهما تش فحاصرهما وملك حلب وأخذهما أسرى ويعُث إلى حران والراها في الطاعة فامتنعوا ببعث إليهم برأس بوران وملك البلدين ويعُث بكريباً إلى حصن فوجسه بها.

وسار إلى الجزيرة فملكتها ثم إلى ديار بكر وخلط فملكتها ثم إلى أذربيجان.

ثم سار إلى همدان ووجد بها نهر الدولة ابن نظام الملك جاء من خراسان إلى بركيارق فلقيه الأمير قماح من عسكر محمد وباصفهان فنهب ماله ونجا إلى همدان فصادف بها تش فآزاد قته وشفع فيه باجي يسار وأشار بوزارته ليل الناس إلى بيته واستوزره. وكان بركيارق قد سار إلى أفسنقر فخالفه تش إلى أذربيجان وهمدان فسار بركيارق من نصبيين وغير دجلة من فوق الموصل إلى إربيل.

فلما تقارب العسكران أشرف الأمير يعقوب بن أنت من

وساروا إلى الموصل وقدم عليه الكافي بن فخر الدولة بن جهير من جزيرة ابن عمر فاستوزره وكانت الموصل قد ملكها علي بن شرف الدولة مسلم بن قريش وأمه صفية عمة ملك شاه وأطلقت تركمان خاتون عمته إبراهيم فجاءه وملك الموصل من يده كما تقدم في أخباربني المقaldi ببعث اليه تش في الخطبة وأن يهسيء له الطريق إلى بغداد فامتنع وزحف لحربه فانهزم العرب وسيق إبراهيم أسرىً إلى تش في جماعة من أمراء العرب فقتلوا صبراً ونهبت أمراهم واستولى تش على الموصل وغيرها، واستتاب عليها علي بن مسلم وهو ابن صفية عمة أخيه.

ويعُث إلى بغداد في الخطبة ووافقه كرهان الشحنة وحرر الجنوب بانتظار الرسل من العسكر فسار تش إلى ديار بكر فملكتها.

ثم سار إلى أذربيجان وزحف بركيارق يعتذر من سعيه مع تش فعزله بركيارق بسعادة كمستكן الجناندار بقسم الدولة وأقام عوضه شحنة ببغداد الأمير مكرد وأعطاه أقطاعه وسار إلى بغداد ثم رده من دفوقاً ل الكلام بلغه عنه وقتلته وولى على شحنة بغداد ف تكون حب.

## مقتل إسماعيل بن ياقوتي

كان إسماعيل بن ياقوتي بن داود بن عم ملك شاه وخال بركيارق أميراً على أذربيجان ببعث تركمان خاتون إليه فاطمعته في الملك وأنها تتزوج به فجمع جموعاً من التركمان وغيرهم وسار لحرب بركيارق فلقيه عند كريخ ونزع عنه مكرد إلى بركيارق فانهزم إسماعيل إلى أصفهان فخطب لها خاتون وضررت اسمه على الدنائير بعد ابتها محمود، وأرادت العقد معه فمنعها الأمير أثر ملبر الدولة وصاحب العسكر وخوفهم وفارقهم، ثم أرسل أخته زبيدة أم بركيارق فأصلاحت حاله مع ابتها وقدم عليه فاكرمه.

وأجتمع به رجال الدولة كمستكן الجناندار وأفسنقر ويوران وكشفوا سره في طلب الملك، ثم قتلوه وأعلموا بركيارق فناهدر

## استياءً أرسلان أرغون أخي السلطان ملك شاه على

وكان بنصبين أخوه محمد بن مسلم ومعه مروان بن وهب وأبو الهيجاء الكردي وهو يريد الزحف إلى الموصل فكاتب كريباً واستدعاه للنصرة ولقيه على مرحلتين من نصبين فقبض عليه كريباً وسار إلى نصبين وحاصرها أربعين يوماً وملكتها ثم سار إلى الموصل فامتنع عليه فتحول عنها إلى بلد وقتل بها محمد بن شرف الدولة تغريقاً وعاد إلى حصار الموصل ونزل منها على فرسنه واستتجد علي بن مسلم بالأمير مكرس صاحب جزيرة ابن عمر فجاء لإنجاده واعتبره التوسيط فهزمه ثم سار إلى طاعة كريباً وأعانه على حصار الموصل ولما اشتدَّ بصاحب علي بن مسلم الحصار بعد تسعه أشهر هرب عنها ولحق بصدقة بن مزيد ودخل كريباً إلى الموصل وعاد التوسيط في أهل البلد ومصادرهم واستطاع على كريباً فامر بقتله ثالثة دخوله سنة تسعمائين وسار كريباً إلى الرحبة فملكتها وعاد فاحسن السيرة في أهل الموصل ورضوا عنه، واستقامت أموره.

## استياءً أرسلان أرغون أخي السلطان ملك

### شاه على خراسان ومقتله

كان أرسلان أرغون مقيناً عند أخيه السلطان ملك شاه ببغداد فلما مات ووري ع ابنه محمود سار إلى خراسان في سبعة من مواليه واجتمعت عليه جماعة وقد نسبابور فامتنع عليه فعاد إلى مرو وكان بها شحنة الأمير قودر من موالى السلطان ملك شاه وكان أحد الساعين في قتل نظام الملك فمال إلى طاعة أرغون ولائه البلد وسار إلى بلخ وكان بها فخر الدين بن نظام الملك ففرّ عنها ووصل إلى همدان ووزر لتابع الدولة تشن كما مرّ.

وملك أرسلان أرغون بلخ وترمذ ونيسابور وسائر خراسان وأرسل إلى السلطان بركيارق وزيره مؤيد الملك في تحرير خراسان عليه بالضمان كما كانت بلجده داود ما عدا نيسابور فأعراض عنه بركيارق لاشغاله بأخيه محمود وعده تشن ثم عزل بركيارق مؤيد الملك عن الزيارة بأخيه فخر الملك.

واستولى فخر الملك ألب أرسلان على الأمور فقطع أرسلان مراسلة بركيارق فيعث حيث ذكره برسوس في العساكر لقتاله فانهزم أرسلان إلى بلخ وأقام برسوس بهراة وسار أرسلان إلى مرو وفتحها عنوة وخربها واستباحها وسار إليه برسوس من هراة سنة ثمان وثمانين وكان معه مسعود بن تاجر الذي كان أبوه مقدم عساكر داود ومعه ملك شاه من أعاظم الأمراء فبعث إليه أرسلان واستمالة فمال إليه ووثب لمسعود بن تاجر وابنه فقتلهم

عسكر تشن فكبس بركيارق وهزم ونهب سواده ولم يبق معه إلا برسق وكمسكين الجاندار والبارق من أكابر الأمراء فلجلأوا إلى أصفهان وكانت خاتون أم محمود قد ماتت فعنده محمود وأصحابه من الدخول، ثم خرج إليه محمود وأدخله إلى أصفهان واحتاطوا عليه وأرادوا أن يسلموه فرفض محمود فابقوه.

## مقتل تشن واستقلال بركيارق بالسلطان

ثم مات محمود منسلخ شوال سنة سبع وثمانين واستول بركيارق على أصفهان.

وجاء مؤيد الملك بن نظام الملك فاستوزره عرض أخيه عز الملك وكان قد توفى بنصبين فكاتب مؤيد الملك الأمراء واستعملهم فرجعوا إلى بركيارق وكشف جمعه.

وبعث تاج الملك تشن بعد هزيمة بركيارق يوسف بن أنت التركماني شحنة إلى بغداد في جمع التركمان فمنع من دخول بغداد.

وزحف إلىه صدقة بن مزيد صاحب الخلة فقاتلته في بعقوب وانهزم صدقه إلى الخلة ودخل يوسف بن أنت بغداد وأقام بها وكان تشن لما هزم بركيارق سار إلى همدان وقد تحصن بها بعض الأمراء فاستأمن إليه واستول على همدان وسار في نواحي أصفهان وإلى مرو.

ورأس الأمراء بأصفهان يستعينهم فأجابوه بالقاربة والوعد ويركيارق مريض، فلما أفاق من مرضه خرج إلى جرياذقان واجتمع إليه من العسكر ثلاثة ألفاً ولقيه تشن فهزمه بركيارق وقتله بعض أصحابه أفسر بثار صاحبه.

وكان فخر الملك بن نظام الملك أسرىًّا عنده فانطلق عند هزيمته واستقامت أمور بركيارق وبلغ الخبر إلى يوسف.

## استياءً كريباً على الموصل

قد كنا قدمتنا أن تاج الدولة تشن أسر قواه أبا سعيد كريباً وحبسه بعدها قتل أفسر بوزان فاتنام محبوساً على حلب إلى أن قتل تشن واستول رضوان ابنه على حلب فامرته السلطان بركيارق بإطلاقه لأنه كان من جهة الأمير أثر فاطلقه رضوان وأطلق أخاه التوسيط فاجتمعت عليهم العساكر وكان بالموصل علي بن شرف الدولة مسلم منذ ولاه عليها تشن بعد وقعة المصيبي.

السلطان وكان قد بلغه في طريقه خروج الأمير أنس بفارس عن طاعته فمضى إلى العراق وأعاد داود الحبيسي بن التونطاق في العساكر لقتالهما فسار إلى العراق من هرة وأقام في انتظار العسكر فعاجله فهرب أماههما وهرب جيرون وتقدم بارقطاش قبل توند وقاتلته فهزمه داود وأسره وبلغ الخبر إلى توند فثار به عسكره ونهبوا أثقاله ولحق سنجري فقبض عليه صاحبها ثم أطلقه فلحق بالملك سنجري يبلغ فقتله سنجري وأفرغ هو طاعته في نظمه وجمع العساكر على طاعته، ثم مات قريباً وبقي بارقطاش أسيراً عند داود إلى أن قتل.

في خيمته فضعف أمر بورسوس وانقض الناس عنه وجيء به أسيراً إلى أخيه بخلان أرغون فحبسه بترمد ثم قتله في محبسه بعد سنة وقتل أكابر خراسان وخرب أسوارها: مثل سودان ومرو الشاهجان وقلعة سرخس ونهاوند ونيسابور وصادر وزيره عماد الملك بن نظام الملك على ثلمائة ألف دينار ثم قتله واستبد بخراسان وكان مرتفع الحدة كثیر العقربة لمواليه وأنكر على بعضهم يوماً بعض فعلاته وهو خلوة وضربه فطعنه الغلام بمنجر معه فقتله وذلك في المحرم من سنة تسعين.

### ولاية سنجري على خراسان

#### بداية دولة بني خوارزم شاه

كان أبو شكين ملكاً لبعض أمراء السلوجوقية واشتراه من بعض أهل غرشقان فدعى أبي شكين غرشه ونشأ على حال مرضية وكان مقدماً وولده له ابنه محمد فأحسن تربيته وتقدم هو بنفسه وصار الأمير داود الحبيسي إلى خراسان كما صار محمد في جمله فلما مهد خراسان وأزال الخوارج نظر فيما يوليه خوارزم وكان نابتها أكججي قد قتله كما مرّ فوق اختياره على محمد بن أبي شكين فولاه ولقبه خوارزم شاه فحسنت سيرته وارتفع حمله وأقره السلطان سنجري وزاده عنابة بقدر كفائه وأضطلاعه وغاب في بعض الأيام عن خوارزم فقصدتها بعض ملوك الأتراك وكان طغرلتكين محمد الذي كان أبوه أكججي ناباً خوارزم ويادر محمد بن أبي شكين إلى خوارزم بعد أن استمد السلطان سنجري وصار بالعسكر مددًا له وتقدم محمد بن أبي شكين فتاجر الأتراك إلى مقتلاع ورحل طغرلتكين إلى جرجان وازداد محمد بذلك عنابة عند سنجري وما توفي ولـ ابنه بعده أنس وأحسن السيرة وكان قد قاد الجيوش أيام أبيه وبإشر الحروب فملك مدينة مقتلاع وما توفي أخصمه السلطان سنجري وكان يصاحبه في أسفاره وحربه واتصل الملك في بيـن محمد بن أبي شكين خوارزم شاه وكانت لهم الدولة وقت دولة بيـن ملك شاه وعلـها كان ظهور الطـر بعد المائة السادسة ومنهم أخذـوا الملك كما سيـائي في أخبارـهم.

#### استيلاء الإفرنج على أنطاكية وغيرها من سواحل الشام

كان الإفرنج قد ظهر أرمـهم في هذه السنـين وتغلـوا على

ولـا قـتل أرسـلان أرغـون مـلك أـصحابـه من بـعـده صـبيـأً صغـيراً مـن ولـده وـكان السـلطـان برـكيـارـق قـد جـهز العـساـكرـ لـلـقـتـالـ وـمعـهـ الأـتابـكـ قـمـاجـ وـوزـرـهـ عـلـيـ بنـ الـحـسـنـ الـطـغـرـائـيـ وـانتـهـ إـلـيـ مـقـتـلـ أـرسـلانـ بـالـدـامـغـانـ فـاقـامـواـ حـتـىـ لـخـفـهـ السـلـطـانـ بـرـكـيـارـقـ وـسـارـواـ إـلـىـ نـيـسـابـورـ فـمـلـكـهـ فـيـ جـادـيـ سـنـةـ تسـعينـ وـأـرـسـلانـ قـدـ هـرـبـواـ بـاـبـهـ الـذـيـ نـصـبـهـ لـلـمـلـكـ إـلـىـ جـبـلـ طـخـارـسـتـانـ وـبـعـثـواـ يـسـتـامـنـوـنـ لـهـ وـلـهـ فـأـمـهـمـ السـلـطـانـ وـجـاؤـواـ بـالـصـبـيـ فيـ آـلـافـ منـ العـساـكـرـ فـاـكـرـهـ السـلـطـانـ وـأـنـطـعـهـ مـاـ كـانـ لـأـيـهـ آـيـهـ مـلـكـ شـاهـ وـانـضـعـهـ السـعـكـرـ الـذـيـ كـانـواـ مـعـهـ وـافـتـقـواـ عـلـىـ أـمـرـاءـ السـلـطـانـ وـأـفـرـدـهـ فـصـمـتـهـ أـمـ السـلـطـانـ إـلـيـهـ وـأـقـامـتـ مـنـ يـتـولـ رـتـبـهـ وـسـارـ السـلـطـانـ إـلـىـ تـرـمـذـ فـمـلـكـهـ وـخـطـبـ لـهـ بـسـمـرـقـندـ وـدـانـتـ لـهـ الـبـلـادـ وـأـقـامـ عـلـىـ بـلـغـ سـبـعةـ أـشـهـرـ ثـمـ رـجـعـ وـتـرـكـ أـشـاهـ سـنجـرـ نـابـاـ بـخـرـاسـانـ.

#### ظهور المخالفين بخراسان

لـاـ كانـ السـلـطـانـ بـخـرـاسـانـ خـالـفـ عـلـيـ حـمـودـ بـنـ سـلـيـمانـ مـنـ قـرـابـهـ وـيـعـرـفـ بـأـمـيرـانـ وـسـارـ إـلـىـ بـلـغـ وـاسـتـمـدـ صـاحـبـ غـزـنةـ مـنـ بـيـنـ سـبـكـتـكـينـ فـأـمـهـ بـالـعـساـكـرـ وـالـفـيـوـلـ عـلـىـ أـنـ يـخـطـبـ لـهـ فـيـماـ يـفـتـحـ مـنـ خـرـاسـانـ فـقـوـيـتـ شـوـكـهـ فـسـارـ إـلـيـهـ الـمـلـكـ سـنجـرـ وـكـبـهـ فـانـهـمـ وـجـيـءـ بـهـ أـسـيـأـ فـسـلـيـمـهـ وـلـاـ انـصـرـ السـلـطـانـ عـنـ خـرـاسـانـ سـارـ نـابـ خـوارـزمـ وـاسـمـهـ أـكـجـيـ فـيـ اـتـيـهـ وـسـبـقـ إـلـىـ مـرـوـ فـتـشـاـغـلـ بـلـدـائـهـ وـكـانـ بـهـ الـأـمـيرـ تـورـدـ قـدـ تـشـاـغـلـ عـنـ السـلـطـانـ وـاعـتـدـ بـالـمـرـضـ فـدـاـخـلـ بـارـقطـاشـ مـنـ الـأـمـرـاءـ فـيـ قـتـلـ أـكـجـيـ صـاحـبـ خـوارـزمـ فـكـبـهـ فـيـ طـافـةـ مـنـ أـصـحـابـ وـقـتـلـوـهـ وـسـارـواـ إـلـىـ خـوارـزمـ فـمـلـكـهـ مـظـهـرـهـ أـنـ السـلـطـانـ وـلـأـهـمـاـ عـلـيـهـ وـبـلـغـ الـخـبـرـ إـلـىـ

## انتقام الأمير أنز وقتلها

لما سار السلطان بركيارق إلى خراسان ولّى على بلاد فارس  
لـالأمير أنز وكانت قد تغلبت الشوانكار واستظهروا بإيران شاه بن  
قارورت بك صاحب كرمان فلما سار إليهم أنز قاتلوه فهزمهو  
ورجع إلى أصفهان فاستأذن السلطان فأمره بالبقاء هناك ولـلهـ  
إمارة العراق وكانت العساكر في جواره بطاعته وجاء مؤيد الملك  
بن نظام الملك من بغداد على الحلة فاغراه بالخلاف وخرقه غائله  
بركيارق وأشار عليه بمكتبة محمد بن ملك شاه وهو في كتجة  
وشاع عنه ذلك فازداد خوفه وجمع العساكر وسار من أصفهان إلى  
الاري وجهـرـ السلطان بالخلاف وطلب منه أن يسلم إليه فـخـرـ  
الملك البـلـ أرسـلـانـ وبينـماـ هوـ فيـ ذـكـ إـذـ هـجـمـ عـلـيـهـ ثـلـاثـةـ نـفـرـ منـ  
الـأـتـراكـ الـمـلـدـينـ مـخـوارـزمـ مـنـ جـنـدـهـ فـطـعـنـوـهـ فـقتـلـوـهـ وـاهـتـاجـ عـسـكـرـهـ  
فـهـبـرـاـ خـرـائـتهـ وـحـلـ شـلـوهـ إـلـىـ أـصـفـهـانـ نـدـفـنـ بـهـ وـاشـهـرـ خـبـرـ قـتـلـهـ  
وـحـمـلـ إـلـىـ السـلـطـانـ فـيـ أحـواـزـ الـارـيـ وـهـ مـاـئـرـ لـقـتـالـهـ فـسـرـ بـذـلـكـ  
هـ وـفـخـرـ الـمـلـكـ الـبـلـ أـرسـلـانـ وـذـلـكـ فـيـ سـنـةـ اـثـتـيـنـ وـتـسـعـينـ وـكـانـ  
مـحـمـودـ الـمـذـاهـبـ كـبـيرـ الـنـاقـبـ وـلـاـ قـلـ هـرـبـ اـصـهـرـ صـبـارـ إـلـىـ دـمـشـقـ  
فـاقـامـ بـهـ مـدـةـ ثـمـ قـدـمـ عـلـىـ السـلـطـانـ مـعـمـدـ سـنـةـ إـحـدىـ وـخـمـسـمـائـةـ  
فـاكـرـمـ وـأـقـطـعـهـ رـحـبـةـ مـالـكـ بـنـ طـرـقـ.

استيلاء الفرنج على بيت المقدس

كان بيت المقدس لتابع الدولة تشن وأقطعه الأمير سقطمان  
من أرقة التركمانى وكان تشن ملكه من يد العلوين أهل مصر  
لتماماً وهن الاتراك براغعة أنطاكية طمع المصريون في ارتجاعه وسار  
صاحب دولتهم الأفضل بن بدر الجمالى وحاصر الأمير سقطمان  
رأخاه ابلغارى وابن أخيهما ياقوتى وابن عمهم سونج ونصب  
المجاذيف قتلوا سورة ثم ملكوه بالأمان لأربعين يوماً من حصاره  
في شعبان سنة تسع وثمانين وأحسن الأفضل إلى سقطمان ابلغارى  
ومن معهما وأطلقهم فاتق سقطمان بيلد الرُّها وسار ابلغارى إلى  
العراق وولى الأفضل على بيت المقدس افتخار الدولة من  
أمرائهم ورجع إلى مصر فلما رجع الإفرنج من عكا وجاؤوا إلى  
بيت المقدس فحاصروه أربعين يوماً واتحدهم من جهة الشمال  
آخر شعبان من سنة اثنين وتسعين وعاشرًا في أهله واعتضم فلهם  
محراب داود عليه السلام ثلاثة حتى استأمنوا وخرجوا ليلاً إلى  
عسقلان.

وُقْتَلَ بِالْمَسْجِدِ سَبْعُونَ أَلْفًاً أَوْ يَزِيدُونَ مِنَ الْمُجَاوِرِينَ فِيهِمْ

صتنية واعتزموا على قصد الشام وملك بيت المقدس وأرادوا المسير إليها في البر فراسلوا ملك الروم بالقسطنطينية أن يسهّل لهم الطريق إلى الشام فأجابهم على أن يعطوه أنطاكيه فعبروا خليج القسطنطينية سنة تسعين وأربعين.

رسار ارسلان بن سليمان بن قطلمش صاحب مرقية وبلاد الروم لمدافعتهم فهزموه.

ثم مرّوا ببلاد ابن ليون الأرمني ووصلوا إلى أنطاكية فحاصروها تسعة أشهر واصبحها يومئذ باغي سياه فأحسن الدفاع عنها ثم ثبّروا البلد بمداخلة بعض الحامية أصعدهم السور بعد أن رغبوا بالأموال والأقطاع وجاؤوا إلى السور فدلّهم على بعض المخادع ودخلوا منه وتفخروا البوّاق فخرج باغي سياه هارباً حتى إذا كان على أربعة فراسخ راجع نفسه ونند فسقط مغشيا عليه ومرّ به أرمني فحمل رأسه إلى أنطاكية وذلك سنة إحدى وتسعين وأربعين.

واجتمعت عساكر المسلمين وزحفوا إلى أنطاكية من كل ناحية ليرتجموها من الإفرنج وجاء قواهم الدين كربوقة إلى الشام واجتمعت عليه العساكر ببرج دابق فكان معه دقاق بن تشن وطغرلتكين أتابيك وجناح الدولة صاحب حصن وأرسلان تاش صاحب سنجر وسقمان بن أرتق وغيرهم وساروا إلى أنطاكية فنازولوها واسترثروا الأمراء من كربوقة وأنفروا من ترقمه عليهم وضيقوا الحصار بالافتحة لعدم الأقتات لأن المسلمين عاصلهم

ووصى الحضار بالهجرة بعدم انتشار دلائل استسلام حاتم جيروم عن الاستعداد فاستأنوا كريباً فمنعهم الأمان وكان معهم من الملوك بردويل وصنجيل وكدميري والقمح صاحب الرها وسمند صاحب أنطاكية وهو مقدّم العساكر فخرجوه مستسلمين وضرروا مصاف وتحاول الناس لما في قلوبهم من الأضغان لكريباً فتمت المزعة عليهم وأخر من انهزم سقمان بن أرتق واستشهد منهم العرب وغنم العدو سوادهم بما فيه وساروا إلى معرة النعمان فملوكها وأفحشوا في استباحتها ثم ساروا إلى غزة فحاصروها أربعة أشهر واستنعت عليهم وصالحهم ابن متقد على بلده شيراز وحاصروا حصن فصالحهم صاحبها جناح الدولة ثم ساروا إلى عكا فامتنعت عليهم وكان هذا بداية الإفرنج بسواحل الشام ويقال إن المصريين استابوا رجلاً يُعرف بافتخار الدولة من خلفاء العميد بن نصر لما خشوا من السلجوقيه عند استيلائهم على الشام إلى غزة وزحف الأقبسيين من أمرائهم إلى مصر وحاصرها وراسلوا الإفرنج واستدعوه لملك الشام ليشنلورهم عن أنفسهم ويعولوا بهم وبين مصر والله سبحانه وتعالى أعلم.

فلم يقبل وكان سعد الدولة كوهراين شحنة بغداد قد استرخى من بركيارق فاتفق هو وكريباً صاحب الموصل وجكرمش صاحب جزيرة ابن عمر وسرخاب بن بدر صاحب كنكسون وساروا إلى السلطان محمد بقسم فخلع عليهم ورد كوهراين إلى بغداد في شأن الخطبة فخطب له بال الخليفة ولقبه حياة الدين والدنيا وسار كريباً وجكرمش مع السلطان محمد إلى أصفهان والله سبحانه وتعالى أعلم.

### مقتل البارساني

كان أبو الفضل سعد البارساني ويلقب مجد الملك متوكلاً عند السلطان بركيارق ومتوكلاً في دولته ولا فشا القتل في أمرائه من الباطنية استرخوا ونسروا ذلك للبارساني وكان من أعظم من قتل منهم الأمير برسق فاتهم ابنه زنكي وأقوبرني البارساني في قتله وزرعوا عن بركيارق إلى السلطان محمد فاجتمع الأمراء ومقتهم أمير الحيرة لكابك وطغايبرك من الرور وبعثوا إلى بني برسق يستدعونهم للطلب بثار أيهم فجاؤوا واجتمعوا قرابةً من هذان واقفهم العسكر جميعاً على ذلك وبعثوا إلى بركيارق يطلبون البارساني فامتنع وأشار عليه البارساني بإجابتهم لثلا يفعلوا ذلك بغير رأي السلطان فدفعه إليهم فقتلته الغلمان قبل أن يتصل بهم وسكنت الفتنة وحل رأسه إلى مؤيد الملك واسترخى الأمراء لذلك من بركيارق وأشاروا عليه بالمودة إلى الري ويكونه قاتل أخيه محمد فعاد متشاغلاً ونهوا سرادقه وساروا إلى أخيه محمد ولحق بأصفهان ثم لحق رستاق كما تقدم.

### إعادة الخطبة ببغداد لبركيارق

ولما سار بركيارق إلى خوزستان ومعه نبال بن أبي شكين الحسامي مع عسكره سار من هناك إلى واسط ولقيه صدقة بن مؤيد صاحب الحلّة ثم سار إلى بغداد وكان سعد الدولة كوهراين الشحنة على طاعة محمد فخرج عن بغداد ومعه أبو الغازى بن ارتق وغيره وخطب لبركيارق ببغداد متصرف صفر سنة ثلاثة وتسعين بعد أن فارقتها كوهراين وأصحابه وبعثوا إلى السلطان محمد ومؤيد الملك يستحثونهما فأرسل إليهم كريباً صاحب الموصل وجكرمش صاحب جزيرة ابن عمر يستكثرون بهم في المدافعة. وطلب جكرمش من كوهراين السير لبلده خشية عليها فاذن له ثم ينس كوهراين وأصحابه من محمد فبعثوا إلى بركيارق

العلماء والزهاد والعبد وأخذوا نيفاً وأربعين قنديلاً من الفضة زنة كل واحد ثلاثة آلاف وستمائة درهم ومائة وخمسين قنديلاً من الصفار وتتوّراً من الفضة زنة أربعون رطلاً بالشامي وغير ذلك مما لا يحصى ووصل الصريح إلى بغداد مستغيثين فامر المقaldi أن يسير إلى السلطان بركيارق أبو محمد الدامغاني وأبو بكر الشاشي وأبو القاسم الرنجاني وأبو الروافع بن عقید وأبو سعد الحلواني وأبو الحسين بن السمّاك فساروا إلى بركيارق يستصرخون لل المسلمين فاتهرا إلى حلوان وبلنفهم مقتل مجد الملك الب أرسلان وفتنة بركيارق مع أخيه محمد فرجعوا وتمكن الإفرنج من البلاد ونحن عازمون على إفاده أخبارهم بالشام وما كان لهم فيه من الدولة على حكم أخبار الدول في كتابنا.

### ظهور السلطان محمد بن ملك شاه والخطبة له ببغداد وحربه مع أخيه بركيارق

كان محمد وسنجر شقيقين وكان بركيارق استعمل سنجر على خراسان ثم لحق به محمد بأصفهان وهو يحاصرها ستة ثمان وثمانين فقطعه كنجة وأعمالها وأنزل معه الأمير قطليخ تكين أتابك وكانت كنجة من أعمال آران وكانت لفضلون فاتتتها ملك شاه وأقطعه استراباً وولى على آران: سرهناساً وتكنين الخادم ثم ضمن فضلون بلاده وأعيد إليها فلما قوي رجع إلى العصيابان فسرح إليه ملك شاه الأمير بوزان فغلبه على البلاد وأسره ومات ببغداد سنة أربع وثمانين وأقطع ملك شاه بلاد آران لأصحابه باغي سياه صاحب أنطاكيه ولما مات باغي سيان رجع ابنه إلى ولاية أبيه ثم أقطع السلطان بركيارق كنجة وأعمالها محمد كما قلناه ستة ست وثمانين لما اشتدا ولاقى ملك بوزان قطليخ تكين واستولى على بلاد آران كلها ولحق مؤيد الملك عبد الله بن نظام الملك بعد مقتل صاحبه أتى فاستخلفه وقربه وأشار عليه مؤيد الملك فطلب الأمر لنفسه فخطب له بأعماله واستولز مؤيد الملك وقارن ذلك مقتل مجد الملك البارساني المتغلب في دولة بركيارق فاسترخى أصحابه لذلك وزرعوا إلى محمد وساروا جميعاً إلى الري وكان بركيارق قد سقطهم إليها واجتمع إليه الأمير نبال بن أبي شكين الحسامي من أكابر الأمراء وعز الملك بن نظام الملك ولما بلغه مسيرة أخيه محمد إليه رجع إلى أصفهان فمنعوه من الدخول فسار إلى خوزستان وملك محمد الري في ذي القعدة ستة اثنين وتسعين ووُجِدَ بها زبيدة أم بركيارق قد تختلفت عن ابنها فحبسها مؤيد الملك وصادرها ثم قتلها خلقاً بعد أن تتصحّ ل أصحابه في شأنها

**مسير بركيارق إلى خراسان وانهزامه من أخيه سنجر ومقتل الأمير داود حبشي أمير خراسان**

لما ان هزم بركيارق من أخيه محمد خلص في الفيل إلى الرئي واجتمع له جموع من شيعته فسار إلى خراسان وانتهى إلى اسفل رفains وكتب الأمير داود حبشي إلى التونطاق يستدعيه من الدامغان وكان أميراً على معظم خراسان وعلى طبرستان وجرجان فأشار عليه بالقائم بنيسابور فقصدها وبقبض على عميدها أبي محمد وأبي القاسم بن إمام الحرمين ومات أبو القاسم في محبسه مسماً ثم زحف سنجر إلى الأمير داود فبعث إلى بركيارق يستدعيه لتجديه فسار إليه والنقي الفريقيان بظاهر بوشنج وفي ميمنة سنجر الأمير برغش وفي ميسرته الأمير كوكر ومعه في القلب الأمير رستم فحمل بركيارق على رستم فقتله وانقض الناس على سنجر وكاد ينهزم وأخذ بركيارق أم سنجر أسرية وشغل أصحاب بركيارق بالنهب فحمل عليهم برغش وكوكر فانهزما واستمرت المعركة على بركيارق وهرب الأمير داود فجيء به إلى برغش أسرى فقتله. وسار بركيارق إلى جرجان ثم إلى الدامغان ودخل البرية ثم استدعاه أهل أصفهان وجاءه جماعة من الأمراء منهم جاول صبابور وبشهزاده محمد إلى أصفهان فidel عنها إلى عسكر مكرم.

**المصاف الثاني بين بركيارق ومحمد وهزعة محمد وقتل وزيره مؤيد الملك والخطبة لبركيارق**

لما ان هزم بركيارق أمام سنجر سنة ثلاة وسبعين وسار إلى أصفهان فوجد أخاه محمد قد سقه إليها فidel عنها إلى خوزستان ونزل إلى عسكر مكرم.

وقدم عليه هناك الأميران زنكي والبكي ابنا برسق سنة أربع وسبعين وساروا معه إلى همدان وهرب إليه الأمير أياز في خمسة آلاف من عسكراً محمد لأنَّ أميراً آخر مات في تلك الأيام وظنوا أنَّ مؤيد الملك دسَّ عليه وزيره فسمَّه وكان أياز في جملة أمير أضر فقتل الوزير المتهم ولحق بركيارق ثم وصل إليه سرخاب بن كنجر وصاحباه فاجتمع له نحو من خمسين ألف فارس ولقيه محمد في خمسة عشر ألفاً واستأمان أكثرهم إلى بركيارق يوم المصاف أول جمادي الأخيرة سنة أربع وسبعين واستولت المعركة على محمد

بطاعتهم خرج إليهم واسترضاهم ورجع إلى بغداد وبقبض على عميد الدولة بن جهير وزير الخليفة وطالبه بما أخذ هو وأبوه من الموصل وديار بكر أيام ولا يتم عليهم عليها فصادرهم على مائة وستين ألف دينار واستوزر الأغرِّ أبا الحasan عبد الجليل بن علي بن محمد الدهستاني وخلع الخليفة على بركيارق.

**المصاف الأول بين بركيارق ومحمد وقتل كوهرين وهزعة بركيارق والخطبة لمحمد**

ثم سار بركيارق من بغداد للحرب أخيه محمد ومر بشهر زور فاجتمع إليه عسکر كثير من التركمان وكاتب رئيس همدان يستحثه فركب وسار للقاء أخيه على فراسخ من همدان في أوّل رجب من سنة ثلاثة وسبعين وفي ميمنته كوهرين وزع الدولة بن صدقه بن مزيد وسرخاب بن بدر وفي ميسرته كربقا وفي ميمنته محمد بن أضر وابنه أياز وفي ميسرته مؤيد الملك والنظمية ومعه في القلب أمير سرخو شحنة أصنهان

فحمل كوهرين من الميمنة على مؤيد الملك والنظمية فهزمه وانتهى إلى خامهم فنهبها وحملت ميمنة محمد على ميسرة بركيارق فانهزما وحمل محمد على بركيارق فهزمه ووقف محمد مكانه وعاد كوهرين من طلب المهزمين فكبا به فرسه فقتل

وجيء بالأغرِّ أبي الحasan يوسف وزير بركيارق أسرى فاكرهم مؤيد الملك ونصب له خيمة وبعثه إلى بغداد في الخطبة لمحمد فخطب له متصرف رجب من السنة وكانت أولية سعد الدولة. كوهرين انه كان خادماً للملك أبي كاليجار بن بويه وجعله في خدمة ابنه أبي نصر ولما جلس طفرليك مضى معه إلى قلعة طغول فلما مات انتقل إلى خدمة السلطان آل أرسلان وترقى عنده وأقطعه واسط وجعله شحنة بغداد وحضر يوم قتله فرقاه بنفسه ثم أرسله مالك شاه إلى بغداد في الخطبة وجاء بالخليع والتقليد وحصل له من نفوذ الأمر واتياع الناس ما لم يحصل لغيره إلى أن قتل في هذه المعركة وولى شحنة بغداد بعده أبلغاري بن أرتق.

وجيء بمؤيد الملك أسيراً فوجهه ثم قتله بيده لأنّه كان سين السيرة

مع الأمّاء كثير الحيل في تدبير الملك ثم بعث الأغر أبو الحasan وزير بركيارق أبا إبراهيم الاسترابادي لاستقصاء أموال مؤيد الملك وذخائره ببغداد فحمل منها ما لا يسعه الرصف يقال: إنّه وجد في ذخائره ببلاد العجم قطعة بلخش زتها أربعون مثقالاً واستوزر محمد بعده خطيب الملك أبا منصور محمد بن الحسين.

ثم سار السلطان بركيارق إلى الري ووفد عليه هنالك كربوغا صاحب الموصل ودييس بن صدقة وأبوه يرمي صاحب الحلّة وسار السلطان قافلاً إلى جرجان وبعث إلى أخيه سنجري يستجديه فبعث إليه ما أقامه ثم طلبه في المدد فسار إليه سنجري من خراسان ثم سارا جيئاً إلى الدامغان فخرجاها وسار إلى الري واجتمعت عليه النظامية وغيرهم فكثرت جوعهم وكان بركيارق بعد الظفر قد فرق عساكره لضيق الميرة ورجع دييس بن صدقة إلى أبيه وخرج بأذربيجان داود بن إسماعيل بن ياقوت فبعث لقتاله قواه الدولة كربوغا في عشرة آلاف واستاذنه أياز في المسير إلى ولايته بهمدان ويعود بعد القطر فقي في قلة من العساكر فلما بلغه قرب أخيه محمد وسنجري اضطرب حاله وسار إلى همدان ليجتمع مع أياز فبلغه أنه قد راسل أخاه محمد وأطاعه فعاد إلى خوزستان.

### قتل بركيارق الباطنية

كان هؤلاء الباطنية قد ظهرروا بالعراق وفارس وخراسان وهم القراءمة والدعوة بعينها دعوتهم إلا أنهم سموا في هذه الأجيال بالباطنية والإسماعيلية والملحدة والفتاوية وكل اسم منها باعتبار: فالباطنية لأنهم يطعنون دعوتهم والإسماعيلية لاتساب دعوتهم في أصلها لإسماعيل الإمام جعفر الصادق والملحدة لأنّ بدعتهم كلها إلحاد والفتاوية لأنهم يفدون أنفسهم بالمال على قتل من سلطون. والفراءمة نسبة إلى قرمط منشء دعوتهم وكان أصلهم من البحرين في المائة الثالثة وما بعدها ثم نشا هؤلاء بالشرق أيام ملك شاه فأول ما ظهرروا بأصفهان واشتدا في حصار بركيارق وأخيه محمد وأمه خاتون فيها ثم ثارت عامة أصفهان بهم بإشارة القضاة وأهل الفتيا قتلواهم في كل جهة وحرقوهم بالنار.

ثم انتشروا واستولوا على القلاع ببلاد العجم كما تقدّم في أخبارهم ثم أخذ بمندهبم نيران شاه بن بدران شاه بن قاروت بك صاحب كرمان حمله عليه كاتب من أهل خوزستان يسمى أبا زرعة وكان بكرمان فقيه من الخففية يسمى أحد بن الحسين البلخي مطاعماً في الناس فخشى من نكيره فهرب عنه صاحب جيشه وكان شحنة البلد ولحق بالسلطان محمد ومؤيد

ولما انتهى إلى تستر استدعى ابن برسق وكان من جملة أياز فلم يحضر وتاخر فائنه فسار نحو العراق فلما بلغ حلوان لحق به أياز وكان راسل محمدأ فلم يقبله.

وبعث عساكره إلى همدان فلحق بهمدان أياز وأخذ محمد حملة أياز بهمدان وكانت كثيراً من كل صنف وصودر أصحابه بهمدان بمائة ألف دينار.

وسار بركيارق وأياز إلى بغداد فدخلها متصرف ذي العقدة من ستة أربع وستين وطلب من الخليفة المال للنفقة فبعث إليه بعد المراجعة بخمسين ألف دينار وعاث أصحاب بركيارق في أموال الناس وضجروا منه ووفد عليه أبو محمد عبد الله بن منصور المعروف بابن المصلحية قاضي جبلة من سواحل الشام منههما من الإفرنج باموال جليلة المقدار فأخذها بركيارق منه وقد تقدم خبر ابن المصلحية في دولة العباسين ثم بعث وزير بركيارق الأغر بالحسين إلى صدقة بن مزيد صاحب الحلّة في الف الف دينار يرّعى أنها تختلف عنده من ضمان البلاد وتهدّده عليه فخرج عن طاعة بركيارق وخطب لمحمد أخيه وبعث بركيارق في الحضور والتجاز عن ذلك وضمن له أياز جميع مطالبه فرأى إلا أن يدفع الوزير واستمرّ على عصيانه وطرد عامل بركيارق عن

بهم فلما صاروا في الجانب الشرقي نهب العسكر البلد فجاء القاضي واستغفط لهم فمنعوا النهب واستأمن إليهم عسكر واستط فأمنوهم.

وسار بركيارق إلى بلاد نج برسق في الأهواز وساروا معه ثم بلغه مسir أخيه محمد عن بغداد فسار في اتباعه إلى نهادن إلى أن أدركه وتصافوا ولم يقتلوا لشدة البرد ثم عاودوا في اليوم الثاني كذلك وكان الرجل يخرج لغريبه من الصف الآخر فتصافحان ويتسلان ويقتران ثم جاء الأمير بكرج وعبر من عسكر محمد إلى الأمير آياز والوزير الأغر فاجتمعوا وعقدوا الصلح بين الفريقين على أن السلطان بركيارق لا يعرض أخيه محمدًا في الطبل، وتكون المكانة بينهما من الوزيرين ولا يعارض أحد من العسكر في قصد آيهم شاء.

والملك محمد يضرب له ثلاثة نوب ويكون له من البلاد حرة وأعمالها وأذريجان وديبار بكر والجزيرة والموصى وبعده بركيارق بالعسكر على من يتبع عليه منها وتحالفا على ذلك وافترا وكان العقد في ربيع الأول سنة خمس وستين وسار بركيارق إلى ساوية وحمد إلى استراباذ وكل أمير على أقطاعه والله سبحانه وتعالى أعلم.

### انتهاض الصلح والمصاف الرابع بين السلطانين وحصار محمد بأصفهان

لما انصرف السلطان محمد إلى استراباذ وكان اتهم الأمراء الذين سعوا في الصلح بالخديعة فسار إلى قزوين ودس إلى رئيسها لأن يصنع شيئاً ويدعوه إليه مع الأمراء فقتل وجاء السلطان إلى الدعوة وقد قدم إلى أصحابه بحمل السلاح ومعه يشملك وأفتكت من أمرائه فقبض عليهم وقتل يشملك وسلم أفكين وورد عليه الأمير نبال بن أنشوكس الحسامي نازعاً عن أخيه بركيارق.

ولما التقى الفريقان حل سرخاب بين كيخسرو الديلمي صاحب ساوية على نبال الحسامي فهزمه واتبه عامّة العسكر واستولت المزية على عسكر محمد ومضى بعضهم إلى طبرستان وبعضهم إلى قزوين وذلك في جمادى من سنة خمس وستين لأربعة أشهر من المصاف قبله ولحق محمد في الفيل بأصفهان ومعه نبال الحسامي وأصفهان في حكمه فحصتها وسدّ ما تلّم من سورها وأعمق الخندق وفرق الأمراء في الأسوار وعلى الأبواب ونصب الجانق وجاء بركيارق في خمسة عشر ألف مقاتل فأقاموا معاصرًا للبلد حتى اشتغل الحصار وعدمت الأقوات واستقرض

الملك بأصفهان وثار الجندي بعده بنيران شاه فسار إلى مدينة كرمان فمنعه أهلها ونهبوا فقصد قلعة سهدم واستجار بصاحبها محمد بهستون وبعث أرسلان شاه عساكر لحضارها فطرده بهستون وبعث مقدم العسكر في طلبه فجيء به أسيراً وبابي زرعة الكاتب معه فقتلهم أرسلان شاه واستولى على بلاد كرمان.

وكان بركيارق كثيراً ما يسلطهم على من يريد قتلهم من الأمراء مثل أثر شحنة أصفهان وأرغش وغيرهم فأمنوا جانبه وانتشروا في عسكره وأغرقوا الناس بدعهم وتجاوزوا إلى الهيديد عليها حتى خافهم أعيان العسكر وصار بركيارق يصرفهم على أعدائه والناس يتهمونه بالليل إليهم فاجتمع أهل الدولة وعذروا بركيارق في ذلك فقبل نصيحتهم وأمر بقتل الباطئية حيث كانوا فقتلوا وشردوا كل مشرد وبعث إلى بغداد بقتل أبي إبراهيم الاستراباذى الذي بعث أبو الأغر لاستقصاء أموال مؤيد الملك وكان يتم لهم بذلك فقتل وقتل بالعسكر الأمير محمد من ولد علاء الدين بن كاكوري وهو صاحب مدينة تيرد وكان يتم لهم بذلك وسعى بالكيا الهراسى مدرّس الناظمية أنه باطل السلطان محمد بالقبض عليه حتى شهد المستظر براءته وعلّ درجه في العلم فاطلقه وحصلت علة الباطئية بين الجمهور وبقي أمرهم في القلاع التي ملوكها إلى أن انفرضوا كما تقدم في أخبارهم مستوفى.

### المصاف الثالث بين بركيارق ومحمد والصلح بينهما

ولما رحل بركيارق عن بغداد إلى واسط ودخل إليها السلطان محمد أقام بها إلى متصرف المحرم من سنة خمس وستين ثم رحل إلى همدان وصحبه السلطان سنجر لقصد خراسان موضع إمارته وجاءت الأخبار إلى المستظر باعتزام بركيارق على المسير إلى بغداد ونقل له عنه قائحة من أقواله وأفعاله فاستدعي السلطان محمدًا من همدان وقال: أنا أسير معك لقتاله فقال محمد: أنا أكفيك يا أمير المؤمنين.

ورجع ورب بيداد أبي المعالي شحنة وكان بركيارق لما سار من بغداد إلى واسط هرب أهلها منه إلى الزيدية ونزل هو بواسط عليه فلما أفاق أراد العبور إلى الجانب الشرقي فلم يجد سفناً ولا نوافير وجاء القاضي أبو علي الفارسي إلى العسكر واجتمع بالأمير آياز والوزير فاستغفطهما لأهل واسط وطلب إقامة الشحنة بينهم فبعثاه وطلبا من القاضي من يعبر فأخضر لهم رجالاً عبروا

وبني قلعة بالأبلة وقلعة بالشاطيء قبالة مطاري وأسقط كثيراً من المكوس واتسعت إمارته لتشغل السلاطين بالفتنة وملك المسبار أضافها إلى ما يده.

ولما كان سنة خمس وستين طمع في واسط وداخل بعض أهلها وركب إليها السفن إلى نعما جار وخيم عليها بالجانب الشرقي أيامه دافعه فارتحل راجحاً حتى ظن خلاء البلد من الحامية فدنس إليها من يضرم النار بها ليرجعوا فرحة عنهم فلما دخل أصحابه البلد فشك أهل البلد فيه وعاد إلى البصرة منهزاً فوجد الأمير أبي سعيد محمد بن نصر بن محمود صاحب الأعمال لعمان وجنايا وشيراز وجزيرة بني نفيس عاصراً للبصرة وكان أبو سعيد قد استبد بهذه الأعمال منذ سنين وطبع إسماعيل في الاستيلاء على أعماله وبعث إليها السفن في البحر فرجعوا خائبين فبعث أبو سعيد خمسين من سنه في البحار فظفروا ب أصحاب إسماعيل واتفقوا معهم على الصلح ولم يقع منه وفاء به فسار أبو سعيد بنفسه في مائة سفينة وأرسى بفرهه نهر الأبلة ووافق دخول إسماعيل من واسط فتزاحفوا برياً ومحراً فلما رأى إسماعيل عجزه عن المقاومة كتب إلى ديوان الخليفة بضمان البلد ثم تصالحاً ووافت بهم الماهنة وأقام إسماعيل مستبداً بالبصرة إلى أن ملكها من يده صدقة بن مزيد في المائة الخامسة كما مرّ في أخباره وهل ذلك برامهرمز.

### وفاة كربوقا صاحب الموصل واستيلاء جكرمش عليها واستيلاء سقمان بن أرتق

#### على حصن كيفا

كان السلطان بركيارق أرسل كربوقا إلى آذربيجان لقتال مددود بن إسماعيل بن ياقوتى الخارج بها سنة أربع وستين فاستولى على أكثر آذربيجان من يده ثم توفي متصرف ذي القعدة سنة خمس وستين وكان معه أصبهيد صباحو بن خارتكين وستقرجه من بعده وأوصى الترك بطاعته فسار ستقرجه إلى الموصل واستول عليها.

وكان أهل الموصل لما بلغتهم وفاة كربوقا قد استدعوا موسى التركمانى من موضع نيابته عن كربوقا بحصن كيفا للولاية عليهم فنادر لهم وخرج ستقرجه للقائه فظنّ أنه جاء إليه وجرت بينهما محاورات وردة ستقرجه الأمر إلى السلطان فأكل الأمر بينهما إلى المطاعنة وكان مع موسى منصور بن مروان بقية أمراء ديار بكر

محمد المال للجند من أعيان البلد مرة بعد أخرى فلما جهده الحصار خرج من البلد ومعه الأمير نياں وترك باقي الأمراء.

وبعث بركيارق الأمير أياز في عسكر لطلبه فلم يدركه وقت: بل أدركه وذكره العهد فرجع عنه بعد أن أخذ رايته وجشه ثلاثة أحوال من المال ولما خرج محمد عن أصفهان طمع المفسدون والسودانية في نهبيها فاجتمع منهم ما يزيد على مائة ألف و Zhaoqiu بالسلام والنذبات وطُلعوا الخندق وصعدوا في السلام بإشارة أهل البلد وجدوا في دفاعهم وعادوا خائبين.

ورحل بركيارق آخر ذي القعدة من سنة خمس وستين واستخلف على البلاد القديم الذي يقال له شهرستان مرشد المراس في الف فارس مع ابنه ملك شاه وسار إلى همدان وفي الحصار قتل وزير بركيارق الأغر أبو الحاسن عبد الجليل الدهستاني عرض له يوماً بعض الباطنية عندما ركب من خدمته لباب السلطان طعنه طعنات وتركه بأخر رقم وقتل غلام من غلامان بعض المكوس للوزير ثار فيه بمولاه.

وكان كريماً واسع الصدر وولى الوزارة على حين فساد القوانين وقلة الجباية فكان يضطر لأخذ أموال الناس بالإخافة فغيرت الصفة منه وما مات استوزر بركيارق بعده الخطير أبا منصور الميذى كان وزيراً لحمد وقد وكله في الحصار ببعض الأبراب فبعث إليه محمد نياں بن أبي شكين يطالبه بالأموال لإقامة العسكر فخرج من الباب ليلاً وخف بيده وامتنع بقلعتها فارسل السلطان بركيارق إليها عساكر وحاصروها حتى استأمن وجاء عند قتل وزير الأغر فاستوزره بركيارق مكانه والله تعالى أعلم بغيته.

### مسير صاحب البصرة إلى واسط

كان صاحب البصرة لهذا العهد إسماعيل بن أرسلان حين كان السلطان ملك شاه شحنة باري وولاه عليها عندما اضطرب أهلها وعجز الولاة عنهم فحسبت كفاته وآتختن فيهم وأصلاح أمورها ثم عزل عنها وأقطع السلطان بركيارق البصرة للأمير قماح وكان من لا يفارقه فاختار إسماعيل لولاية البصرة ثم نزع قماح عن بركيارق وانتقل إلى خراسان فحدثت إسماعيل نفسه بالاستبداد بالبصرة وانتقض وزحف إليه مهذب الدولة بن أبي الحير من البطيحية وعقل بن صدقة بن منصور بن الحسين الأسدى من الجوزة في العساكر والسفن فقاتلوه في مطاري وقتل عقل بهم أصحابه فعاد ابن أبي الحير إلى البطيحية فأخذ إسماعيل السفن وذلك سنة إحدى وستين وأربعين أمره بالبصرة

وخرج فيها أبو الغازى بن أرتق وأصحاب المستظهر فسار نialis إلى أذريجان ورجعوا عنه.

### ولاية كمستكين النصيري شحنة بغداد وفتنه مع أبي الغازى وحربه

كان أبو الغازى بن أرتق شحنة بغداد ولاه عليها السلطان محمد عند مقتل كورهانين لما ظهر الآن بركيارق على محمد وحاصره بأصفهان ونزل بركيارق همدان وأرسل إلى بغداد كمستكين النصيري في ربيع سنة ست وستعين وسمع أبو الغازى بمقدهه فاستدعي أخاه سقمان بن أرتق من حصن كيما يستجده وسار إلى صدقية بن مزيد فحاله على النصرة والمدافعه ورجع إلى بغداد ووصل إليه آخره سقمان بعد أن نهب في طريقه ووصل كمستكين إلى قرقيسيا ولقيه شيعة بركيارق وخرج أبو الغازى وسقمان عن بغداد ونهب قردى دجبل واتبعهما العساكر ثم رفعت عنهم وأرسل كمستكين إلى صدقية صاحب الحلأة فامتنع من طاعة بركيارق وسار من الحلأة إلى صرصر وقطع خطبة بركيارق وغير بغداد واقتصر على الدعاء للخليفة ويعث صدقية إلى أبي الغازى وسقمان يعرفهما بوصوله وهما بالحرنـى وجاء إلى دجبل

ونهب القرى وأشتدّ فسادهم وأضـرـ ذلك بـحالـ بغدادـ فيـ غـلـاءـ الأسـعـارـ وجـاءـ أبوـ الغـازـىـ وـسـقـمانـ وـعـهـمـاـ دـيـسـ بنـ صـدقـةـ فـخـيمـواـ بـالـرـمـلـ وـقـاتـلـهـمـ الـعـامـةـ فـفـتـكـواـ فـيـهـمـ

ويعث المستظهر قاضي القضاة أبا الحسن الدامغاني وتابع الرؤساء بن الرحلات إلى صدقية بن مزيد بمراجعة الطاعة فشرط خروج كمستكين عن بغداد فأخرجه المستظهر إلى النهروان وعاد صدقية إلى الحلأة وأعيدت خطبة السلطان محمد ب بغداد.

ثم سار كمستكين النصيري إلى واسط وخطب فيها بركيارق ونهب عسركه سوادها فسار صدقية وأبي الغازى إليه وأخرجاه من واسط وتمصن بدلجة فقصده صدقية فانقض عنـهـ أصحابـهـ وـرـجـعـ إـلـىـ صـدقـةـ بـالـأـمـانـ فـأـكـرـمـهـ وـعـادـ إـلـىـ بـرـكـيـارـقـ وـأـعـيـدـتـ خـطـبـةـ السـلـطـانـ مـحـمـدـ بـيـنـدـادـ وـرـوـىـ كـلـ وـاحـدـ فـيـهـ وـلـدـهـ وـعـادـ أـبـوـ الغـازـىـ إـلـىـ بـغـدـادـ وـعـادـ صـدقـةـ إـلـىـ الـحلـأـةـ وـيعـثـ اـبـهـ مـصـورـاـ مـعـ أـبـيـ الغـازـىـ يـطـلـبـ الرـضـاـ مـنـ المـسـتـظـهـرـ لـأـنـهـ كـانـ سـخـطـهـ مـنـ أـجـلـ هـذـهـ الـحـادـثـةـ.

وضرـبـ سـتـفـرـجـهـ فـأـبـانـ رـأـسـهـ وـمـلـكـ مـوـسـىـ الـبـلـدـ ثـمـ زـحـفـ جـكـرـمـ صـاحـبـ جـزـيرـةـ أـبـنـ عـمـرـ إـلـىـ نـصـيـبـنـ فـمـلـكـهـ وـخـالـفـهـ مـوـسـىـ إـلـىـ الـجـزـيرـةـ فـبـادـ إـلـيـهـ جـكـرـمـ وـهـزـمـهـ وـاتـبـعـهـ إـلـىـ الـمـوـصـلـ فـحاـصـرـهـ بـهـ فـبـعـثـ مـوـسـىـ إـلـىـ سـقـمـانـ بـنـ أـرـتـقـ بـكـرـ يـسـتـجـدـهـ عـلـىـ أـنـ يـعـطـيـ حـصـنـ كـيـفـاـ فـسـارـ سـقـمـانـ إـلـيـهـ وـأـفـرـجـ عـنـهـ جـكـرـمـ.

وـخـرـجـ مـوـسـىـ لـلـقـاءـ سـقـمـانـ فـقـتـلـهـ مـوـالـيـهـ وـرـجـعـ سـقـمـانـ إـلـىـ كـيـفـاـ وـجـاءـ جـكـرـمـ إـلـىـ الـمـوـصـلـ فـحاـصـرـهـ وـمـلـكـهـ صـلـحـاـ وـاسـتـلـحـ قـتـلـةـ مـوـسـىـ ثـمـ اـسـتـولـ بـعـدـ ذـلـكـ عـلـىـ الـخـابـورـ وـأـطـاعـهـ الـعـربـ وـالـأـكـرـادـ وـأـيـمـاـ سـقـمـانـ بـنـ أـرـتـقـ فـسـارـ بـعـدـ مـقـتـلـ مـوـسـىـ إـلـىـ حـصـنـ كـيـفـاـ وـاسـتـمـرـ بـيـدـهـ.

قال ابن الأثير: وصاحبها الآن في سنة خمس وعشرين وستمائة محمود بن محمد بن الفراء.

وكان صاحبها سنة عشرين وستمائة غازي بن قرا أرسلان بن داود بن سقمان بن أرتق والله تعالى أعلم.

### أخبار نialis بالعراق

كان نialis بن أبي شتيكين الحسامي مع السلطان محمد بأصفهان لما حاصرها بركيارق بعد المصالح الرابع سنة خمس وستعين فلما خرج محمد من الحصار إلى أذريجان ومعه نialis استاذته في قصد الري ليقيم بها دعورتهم وسار هو وأخوه على وعسف باهل الري وقادرهم وبعث السلطان بركيارق الأمير برسق بن برسق في ربيع من سنة ست وستعين فقاتلته وهزمه واستولى برسق على الري وأعاده على ولاية بقرزون وسلك نialis على الجبال وهلك كثير من أصحابه وخلص إلى بغداد فأكرمه المستظهر وأظهر طاعة السلطان محمد وتحالف هو وأبو الغازى وسقمان بن أرتق على مناصحة السلطان محمد وساروا إلى صدقية بن مزيد بالحلأة فاستحلفوه على ذلك.

ثم إن نialis بن أبي شتيكين عسف باهل بغداد وتسلط عليهم وقادر العمال فاجتمع الناس إلى أبي الغازى بن أرتق وكان نialis صهره على أخيه التي كانت زوجاً لشقيقه وطلبوا منه أن يشفع له عنده ويعث المستظهر إليه قاضي القضاة أبا الحسن الدامغاني بالنهي عمما يرتكبه فأجاب وحلف ثم نكث فارسل المستظهر إلى صدقية بن مزيد يستدعيه فوصل في شوال من السنة وأتفق مع نialis على الرحيل من بغداد ورجع إلى حلنه وترك ولده ديسما يزوج نialis للخروج فسار نialis إلى أوان، وعاش في السابلة وأقطع القرى لأصحابه ويعث إلى صدقية فأرسل إليه العساكر

وعاد إلى الحلة فرجع ملك إليها في الفي رجل من التركمان وحاربها قليلاً ثم عبر المخاضة وملكتها واستباح أهلها ومضى إلى هيت ورجع عنها.

### الصلح بين السلطان بركيارق ومحمد

ثم استقر الأمر آخرًا بالسلطان بركيارق في البري وكان له الجبال وطبرستان وخرزستان وفارس وديار بكر والجزيرة والمرمن وحمد أذربيجان وبلاط آران وأرمينية وأصفهان والعراق جيماً غير تكريت والطاباطب بعضها وبعضاً والبصرة هما جيماً وخراسان لسنجر من جرجان إلى ما وراء النهر ينطلب فيها أخيه محمد وله من بعده والعساكر كلهم يتتحكمون عليهم بسبب الفتنة بينهما وقد تطاول الفساد وعمَّ الضرر واختلفت قواعد الملك فارسل بركيارق إلى أخيه محمد في الصلح مع فقيهين من أمثال الناس ورغبه في ذلك وأعاد معهما رسلاً آخرين وتقرر الأمر بينهما أن يستقر محمد على ما يديه سلطاناً ولا يعارضه بركيارق في الطبل ولا يذكر اسمه في أعمال محمد وأن المكانته تكون بين الوزيرين والعساكر بالخيار في خدمة من شاؤوا منها ويكون للسلطان محمد من النهر المعروف باستتاباذ إلى باب الأبواب وديار بكر والجزيرة والموصل والشام والعراق بلاد صدقة بن مزيد وبقية المالك الإسلامية لبركيارق.

وتحالفاً على ذلك وانتظم الأمر وأرسل السلطان محمد إلى أصحابه بأصفهان بالخروج عنها لأنبيه بركيارق واستدعاهم إليه فابروا وجنحوا إلى خدمة بركيارق وساروا إليه بحرير السلطان محمد الذي كانوا معهم فاكيرهم بركيارق ودلهم إلى صاحبهم.

وحضر أبو الغازى بالديوان ببغداد وسار المستظر في الخطباء لبركيارق فخطب له سنة سبع وتسعين وكذلك بواسط وكان أبو الغازى قبل ذلك في طاعة محمد فارسل صدقة إلى المستظر يعتذر في شأنه ويخبره بالمسير لإخراجه من بغداد ثم سار صدقة وإنما عذر الفجاج وخرج أبو الغازى إلى عقرقوف وبعث لصدقة بأنه إنما عذر عن طاعة محمد للصلح الواقع بينه وبين أخيه وأنهما تراضياً على أن بغداد لبركيارق وأنما شحنة بها وانقطاعي حلوان فلا يمكنني التحول عن طاعة بركيارق فقبل منه ورجع إلى الحلة وبعث المستظر في ذي القعدة سنة سبع وتسعين بالخليع للسلطان بركيارق والأمير أباياز والوزير الخطير واستحلفهم جيماً إلى بغداد والله سبحانه وللترقيق.

### المصاف الخامس بين بركيارق ومحمد

كان السلطان محمد لما سار عن كنجه وبلاط آران استخلف بها الأمير غزغلي وقام بها في طائفة من عسكره مقيناً خطبة السلطان محمد في جميع أعماله إلى زنجان من آخر أذربيجان فلما انحصر محمد بأصفهان سار غزغلي لإنجاده ومعه منصور بن نظام الملك ومحمد ابن أخيه مؤيد الملك فاتنعوا إلى البري وملوكها آخر خس وتسعين ولقوا السلطان محمدًا بهمنان عندما خرج من أصفهان ومعه نياں بن أبي شتكين وأخوه علي وأقاموا معه بهمنان ثم جاء الخبر بمسير إلينا بركيارق فتزوجه السلطان محمد فاصداً شروان وانتهى إلى أذربيجان فبعث إليه مودود بن إسماعيل بن ياقوتى الذي كان بركيارق قتل أباه إسماعيل وكانت أخت مودود هنا تحت محمد وكان له طائفة من أعمال أذربيجان فاستدعى محمدًا ليظاهره على بركيارق فسار إليه وانتهى إلى سقمان وتوفي مودود في ربيع سنة ست وتسعين واجتمع عساكره على السلطان محمد وفيهم سقمان القطي ومحمد بن ياغي سياه الذي كان أبوه صاحب أنطاكية.

ونزل أرسلان بن السبع الآخر فسار إليهم بركيارق وقاتلهم على خراسان وسار أباياز من عسكر بركيارق وجاء من خلف السلطان محمد فانهزم محمد وأصحابه ولحق بارقيش من أعمال خلاط ولقيه الأمير علي صاحب أرزن الروم فمضى إلى أصفهان وصاحبها منزجره آخر فضلون الروادي ثم سار إلى هرمز وأباياز بن مؤيد الملك بن نظام الملك فنجا من الوقعة إلى ديار بكر ثم إلى جزيرة ابن عمر ثم إلى بغداد وكان أيام أباياز مقيماً ببغداد في جوار المدرسة النظامية فشكى إلى أباياز وخاطب كورهائن بالقبض عليه فاستجار بدار الخليفة ولحق سنة اثنين وتسعين بمجد الملك البارسلاني وأباياز بكنجه عند السلطان محمد فلما خطب السلطان محمد لنفسه واستوزر أباه مؤيد الملك ولحق محمد هذا بآبيه ثم قتل أباياز وبقي في جملة السلطان محمد.

### استيلاء ملك بن بهرام على مدينة عانة

كان ملك بن بهرام بن أرتق ابن أخي أبي الغازى بن أرتق مالكاً مدينة سروج فملكها الفرنج من يده فسار عنها إلى عانة وغلب عليها بني العيش بن عيسى من خلاط وكانت لهم فقصدوا صدقة بن مزيد مستجددين به فأتجددتهم وجاء معهم فرحل ملك بن بهرام والتركمان عنها ودخلها بني العيش وأخذ صدقة رهانهم

والسلم ما لم يلقه أحد فلما استقرَّ واستقامت سعادته أدركه المية ولما توفي خطب لابنه ملك شاه ببغداد وكان أبو الغازى قد سار من بغداد إليه وهو بأصفهان يستحثه إلى بغداد وجاء معه فلما سار مع ابنه ملك شاه والأمير أياز إلى بغداد وركب الوزير أبو القاسم علي بن جهير فلقيهم به مالي وحضر أبو الغازى والأمير طغاييرك بالديوان وطلبا الخطبة لملك شاه فخطب له ولقب باللقب جده ملك شاه.

### حصار السلطان محمد الموصل

لما انعقد الصلح بين بركيارق و محمد و اختص كل منهما أعماله وكانت أذربيجان في قسمة محمد رجع محمد إلى أذربيجان ولحق به سعد الملك أبو الحسن الذي كان نائباً بأصفهان بعد أن ألبى في المداعة عنها ثم سلمها بعد الصلح إلى نواب بركيارق واستوزره فأقام محمد إلى صفر من سنة ثمان وتسعين ثم سار يريد الموصل على طريق مراغة ورحل وبلغ الخبر إلى جكرمش فاستعد للحصار وأدخل أهل الضاحية إلى البلد وحاصره محمد ثم بعث له يذكره ما استقرَّ عليه بينه وبين أخيه وأن الموصل والجزيرة له وعرض عليه خط بركيارق بذلك وبايائه عليه ووعده أن يقرها في عمالته فقال له جكرمش: إن السلطان كتب إلى بعد الصلح بخلاف ذلك فاشتد في حصاره واشتد أهل البلد في المداعة ونفس الله عنهم برخص الأسعار وكان عسكر جكرمش مجتمعين قرباً من الموصل وكانتوا يغزون على أطراف العسكر ويعتلون عنهم الميرة ثم وصل الخبر عاشر جادى الأولى بوفاة السلطان بركيارق فاستشار جكرمش أهل البلد فردو النظر إليه واستشار الجندي فأشاروا بطاعة السلطان محمد فأرسل إليه بذلك واستدعى وزيره سعد الملك فدخل عليه وأشار عليه ببقاء السلطان فخرج إليه على كره من أهل البلد فتلقاء السلطان بالكرامة وأعاده سريعاً إلى البلد ليطمئن الناس.

### استيلاء السلطان محمد على بغداد وخلع ملك شاه ابن أخيه ومقتل أياز

قد كنا قدمنا صلح بركيارق وأخيه محمد من أنه يستقل بركيارق بالسلطنة ويفسر محمد بالأعمال التي ذكرنا وموته بركيارق أثر ذلك وتقديم ابنه ملك شاه ببغداد. فوصل الخبر بذلك إلى محمد وهو يحاصر الموصل فأطاعه

### حرب سقمان وجكرمش الإفرنج

قد تقدم لنا استيلاء الإفرنج على معظم بلاد الشام وشغل الناس عنهم بالقتلة وكانت حرّان لقراجاً من ماليك ملك شاه وكان غشوماً فخرج منها البعض مذاهبه وولى عليها الأصفهاني من أصحابه فعصى فيها وطرد أصحاب قراجاً منها ما عدا غلاماً تركياً اسمه جاوي جعله مقدم العسكر وأليس به فقرره وتركه وملك حرّان وسار الإفرنج إليها وحاصروها وكان بين جكرمش صاحب جزيرة ابن أخيه فانتدب لنصر المسلمين واجتمعوا على الخابور بطالبه بقتل ابن أخيه فانتدب لنصر المسلمين وجكرمش في وخالفوا وسار سقمان في سبعة آلاف من التركمان وجكرمش في ثلاثة ألف من الترك والعرب والأكراد والتقو بالإفرنج على نهر بلخ فاستطرد لهم المسلمين نحو فرسخين ثم كروا عليهم فقتلوا فيهم وقتلوا سوادهم.

وأخذ القصص بردويل صاحب الرها أسره تركمانى من أصحاب سقمان في نهر بلخ وكان يمتد صاحب أنطاكيه من الإفرنج وطنكري صاحب الساحل منهم قد كمنا وراء الجبل ليأتينا المسلمين من ورائهم عند المعركة

فلما عابروا المزية كمنوا يومهم ثم هربوا فاتبعهم المسلمون واستلهموهم وأسرموا منهم كثيراً وفلت يمتد وطنكري بدماء أنفسهم وما حصل الظفر للمسلمين عصى أصحاب جكرمش باختصاص سقمان وشق ذلك عليه وأراد أصحابه قابي حذراً من افتراق المسلمين ورحل وفتح في طريقه عدة حصون وسار جرمش إلى حرّان ففتحها ثم سار إلى الرها فحاصرها خمس عشرة ليلة وعاد إلى الموصل وقد من القصصخمسة وثلاثين ألف ديناراً ومائة وستين أسيراً من المسلمين.

### وفاة بركيارق وولاية ابنه ملك شاه

ثم توفي السلطان بركيارق بن ملك شاه بتزددجرد في أوائل ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين لاثنتي عشرة سنة ونصف من ملكه جاء إليها عليلاً من أصفهان واشتد مرضه بتزددجرد فولى عهده لابنه ملك شاه وعمره نحو من خمس سنين وخلع عليه وجعل الأمير أياز كافله وأوصى أهل الدولة بالطاعة والمساعدة ويعتهم إلى بغداد فادركمهم خبر وفاته بالطريق ورجع أياز حتى دفعه بأصفهان وجمع السراديقات والخيام والجسر والشمسية لابنه ملك شاه وكان بركيارق قد لقي في ملكه من الرخاء والشدة وال الحرب

## استيلاء سقمان بن أرتق على ماردين لا

### موته

كان هذا الحصن في ديار بكر أقطعه السلطان بركيارق لمن كان عنده وكان حواليها خلق كثير من الأكراد يغرون عليها ويغيرون ساحتها.

وانتقد أن كريوفا خرج من الموصل لخصار آمد وكانت بعض التركمان فاستجذب سقمان فسار لإنجاده ولقيه كريوفا ومعه زنكي بن أقسقرا وأصحابه وأبلوا ذلك اليوم بلاء شديداً فانهزم وأسر ابن أخيه ياقوتي بن أرتق فجسسه بقلعة ماردين عند المني فبقي مدة محبوساً وكثير خروج الأكراد بتواحي ماردين فبعث ياقوتي إلى المغني يسأله أن يطلقه ويفتيم عنده بالريف لدفع الأكراد ففعل وصار يغير عليهم في سائر التواحبي إلى خلاط وصار بعض أجناد القلعة يخرجون للإغارة فلا يهيجهم ثم حدثه نفسه بالتوتّ على القلعة فقبض عليهم بعض الأيام بعد مرجمه من الإغارة ودنا من القلعة وعرضهم للقتل إن لم يفتحها أهلوهم ففتحوها وملكها وجمع الجموع وسار إلى نصيбин وإلى جزيرة ابن عمر وهي جكرمش فكبسه جكرمش وأصحابه، وأصحابه في الحرب سهم فقتله وبكاه جكرمش وكانت تحت ياقوتي بنت عم سقمان فمضت إلى أبيها وجمعت التركمان وجاء بهم إلى نصيбин لطلب التأثر فبعث إليه جكرمش ما أرضاه من المال في ديهه فرجع وأقام ماردين بعد ياقوتي آخره على طاعة جكرمش وخرج منها لبعض المذاهب وكتب ناته بها إلى عم سقمان بأنه قتل ماردين على جكرمش فبادر إليها سقمان واستولى عليها وعرض عنها ابن أخيه جبل جور وأقامت ماردين في حكمه مع حصن كيفا واستضاف إليها نصيбин ثم بعث إليها فخر الملك بن عمار صاحب طرابلس يستجده على الإفرينج وكان استبدّ بها على الخلفاء العبيديين أهل مصر وثار له الإفرينج عندما ملکوا سواحل الشام فبعث بالصريح إلى سقمان بن أرتق سنة ثمان وتسعين فأجابه وبينما هو يتوجه إلى للمسير وفاه كتاب طفتكن صاحب دمشق المستبدّ بها من موالي بني تشن يستدعيه لحضور وفاته خوفاً على دمشق من الفرنج فاسرع السير معززاً على قصد طرابلس وبعدها فاتته إلى القريتين وندم طفتكن على استدعائه وجعل يدبر الرأي مع أصحابه في صرفه ومات هو بالقريتين فكفاهم الله تعالى أمره وقد كان أصحابه عندما أيقن بالموت أشاروا عليه بالعودة إلى كيما فامتنع وقال: هذا جهاد وإن مت كان لي ثواب شهيد.

جكرمش وسار محمد إلى بغداد ومعه جكرمش وسقمان القطي مولى قطب الدولة إسماعيل بن ياقوتي عم ملك شاه ومحمد وغيرهما من الأمراء وجمع صدقة صاحب الخلة العساكر وبعث ابنه بدران وديساً إلى محمد يستحثنه وجاء السلطان محمد إلى بغداد فأعزّم الأمير أياز أتابك ملك شاه على دفاعه وخيم خارج بغداد وأشار عليه بذلك أصحابه وخالفهم وزيره أبو الحسن الضبيسي وأبلغ في الصبيحة له بطاعة السلطان فأقام متربداً ونزل محمد بالجانب الغربي وخطب له هناك متفرداً ولهما معاً في بعض الجماع واقتصر على السلطان العالم في بعضها.

ورجح أياز إلى استخلاف الأمراء ثانياً فوقف بعضهم وقال: لا قائدة في إعادة اليمين وارتباً أياز عندها وبعث وزير الضبيسي أبا الحسان لعقد الصلح مع السلطان واستخلافه فقرأ على وزيره سعد الملك أبي الحسان سعد بن محمد فدخل معه إلى السلطان وأجايه إلى ما طلب وجاء معه من الغد قاضي القضاة والمتباين واستخلفه لأياز وللأمراء فحلّف إلا أن بنال الحسامي ووقال: أما ملك شاه فهو ابنى وأنا أبوه. وجاء أياز من الغد وقارن وصول صدقة بن مزيد فأنزلهما واحتفى بهما وذلك آخر جادى الأولى من ستة ثمان وتسعين.

ثم احتفل أياز بعدها في عمل صنيع للسلطان في بيته وهبي دار كوهرين وأهدى إليه تحفه من جملتها جبل البخش الذي أخذه من ترك نظام الملك بن مؤيد الملك وافتقد أن أياز تقدم لواليه بليس السلاح ليعرضهم على السلطان وكان عندهم مصفعان فالبسوه درعاً تحت ثيابه وتناولوه بالتحس فهرب عنهم ودخل في حاشية السلطان مذعروراً فلمسوه فإذا الدرع تحت ثيابه فارتباوا ونهض السلطان إلى داره ثم دعا الأمراء بعد ذلك ب أيام فاستشارهم في بعث يعثهم إلى ديار بكر بعد ذلك سليمان بن قطلمش قصدها فانتقدوا على الإشارة بمسير أياز وطلب هو أن يكون معه صدقة بن مزيد فأمسكه السلطان بذلك واستدعاهما لإغاث ذلك وقد أرسى في بعض المخادع بطريقهم جماعة لقتل أياز فلما مرّ بهم تعاورته سيفهم وقطع رأسه وهرب صدقة وأغصي على الوزير وهرب عسكر أياز فنهبوا داره وأرسل السلطان من دفعهم عنها وسار السلطان ملك شاه ثم سار في جملة ملك آخر فسأله وأماماً الضبيسي وزير أياز فاختفى أشهراً ثم حل إلى الوزير سعد الملك في رمضان فلما وصل كان ذلك سبب رياسته بهمنان.

إربل فانهزم أصحاب جكرمش وكان يحمل في المحفظة فقاتل عنده غلامنه واحد بن قاروت بك فخرج وانهزم إلى الموصل ومات وجيء بجكرمش فحبسه ووصل من الغد إلى الموصل فولوا أرنكين بن جكرمش.

وأقام بالجزيرة وقام بأمره غزغلي مولى مولى أبيه وفرق الأموال والخيول وكتب إلى قلبيح أرسلان صاحب بلاد الروم وكان قد شيد الموصل وبني أسوارها وحصنتها بالخندق وبينما هو كذلك سار إليه قلبيح أرسلان من بلاد الروم باستدعاء غزغلي كما تقدم.

وانتهى إلى نصبيين فرحل جاوي عن الموصل ثم جاء البرستي شحنة بغداد ونزل عن الموصل وخاطبهم فلم يجيئوه فرجع من يومه وسار قلبيح أرسلان من نصبيين إلى الموصل وتاخر عنها جاوي إلى سنجر واجتمع أبو الغازى بن أرتق وجاءة من عسکر جكرمش وجاء صريخ رضوان بن تشن من الشام على الإفرنج فسار إلى الرحمة وبعث أهل الموصل وعسکر جكرمش إلى قلبيح أرسلان بنصبيين واستحلقا فحلقا وجاء إلى الموصل فملكتها في متصرف ختام المائة الخامسة وخلع على ابن جكرمش وخطب لنفسه بعد الخليفة وقطع خطبة السلطان محمد وأحسن إلى العسکر وأخذ القلعة من غزغلي فولى جكرمش وأثر القاضي أبا محمد عبد الله بن القاسم الشهزوري على القضاة وجعل الرئاسة لأبي البركات محمد بن خيس وكان في جلة فلم أرسلان إبراهيم بن نياں التركمانى صاحب أمد وحمد بن حوا صاحب خربت كان إبراهيم بن نياں ولاه تشن على أمد فقيت بيده وكان ابن حوا ملك خربت من يد القلادروس ترجمان الروم كانت له الرها وأنطاكية فملك سليمان قطلمش أنطاكية وبقيت له الرها وخربت وأسلم القلادروس الرها.

فلما ولی فخر الدولة بن جهير ديار بكر ضعف القلادروس عن الرها على يد ملك شاه وأمره عليها ولما سار جاوي إلى الرحمة فاصلًا صريح رضوان بن تشن نزل عليها آخر رمضان من السنة وحاصرها وبها محمد بن السباق من بني شيبان ولاه عليها دقاق فاستبد بها وخطب لقلبيح أرسلان فحاصره جاوي وكتب إلى رضوان يستدعيه ويعده بالمسير معه للدفاع فجاء رضوان وحاصر معه الرحمة ثم دس إلى جاوي جاعة من حامية الأسوار فوثبوا بها ودخلوا وملك البلد وأبقى على محمد الشيباني وسار معه.

ثم أن قلبيح أرسلان لما فرغ من أمر الموصل ولّى عليها ابنه ملك شاه في عسکر ومعه أمير يدبره وسار إلى قتال جاوي ورجع عنه إبراهيم بن نياں إلى بلده آمد من الخبر فبعث إلى بلده في

## خروج منكرس على السلطان محمد ونكتبه

كان منكرس بن يورس بن الـبـ أرسلان مقىماً بأصفهان وانقطعت عنه المواد من السلطان فخرج إلى نهاوند ودعا لنفسه وكاتب الأمراء بي برست مخوزستان ويعثرا به إلى طاعته وكان آخرهم زنكى عند السلطان محمد فقبض عليه وكاتب إختره في التدبير على منكرس فأرسلوا إليه بالطاعة حتى جاءهم فقضوا عليه مخوزستان ويعثرا به إلى أصفهان فاعتقل مع ابن تشن وأطلق زنكى بن برست وأعيد إلى مرتبته وكانت أقطاع بي برست الأسير وسابور وخوزستان وغيرهما ما بين الأهواز وهمدان فمعوضهم عنها بالدينور وأخرجهم من تلك الناحية والله تعالى أعلم.

## مقتل فخر الملك بن نظام الملك

قد ذكرنا قبل أن فخر الملك بن نظام الملك كان وزيراً لتش ثم حبسه ولا هزم بركاريق وجده في محبسه أطلقه وكان آخره مؤيد الملك وزيراً له فمال إليه فخر الدولة بسعادة مجد الملك البارسلاني واستقرره ستة ثمان وثمانين ثم فارق وزارته ولحق بسنجر بن ملك شاه بخارسان فاستقرره فلما كان في آخر المائة الخامسة جاء بسطي يطلب إلى باب داره فادخله يسمع شكوكه فطعنه بمنجر فقتله وأمر السلطان سنجر بضرره فأقر على جماعة من الناس وقتل.

## ولاية جاوي سكاوو على الموصل وموت

### جكرمش

كان جاوي سكاوو قد استولى على ما بين خوزستان وفارس فعم قلاعها وحصنتها وأسأله السيرة في أهلها فلما استقلَ السلطان محمد بالملك خافه جاوي وأرسل السلطان إليه الأمير مودود بن أرنكين فتحصن منه جاوي وحاصره مودود ثمانية أشهر ودس جاوي إلى السلطان بطلب غيره فأرسل إليه خاقه مع أمير آخر فسار إليه بأصفهان وجهزه في العساكر لجهاد الإفرنج بالشام واسترجاع البلاد منهم وكان جكرمش صاحب الموصل قد قطع الحبل فاقطع السلطان الموصل وديار بكر والجزيرة جاوي فسار إلى الموصل وجعل طريقه على البواريج فاستباحها أيامًا ثم سار إلى إربل وكان صاحبها أبو الهيجاء بن بشك الكردي الهرباني إلى جكرمش يستحثه فسار في عسکر الموصل والتقوا قريباً من

الجميع إلى مصر في البحر.

### استيلاء مودود بن أبي شتكين على الموصل من يد جاوي

قد تقدم لنا استيلاء جاوي على الموصل من يد قليج بن أرسلان وابن جكرمش وهلاكمها على يده واستفحلا ملكه بالموصل وجعل السلطان محمد بن الله ولاية ما يفتحه من البلاد له فقط الحمل عن السلطان واستغفره لحرب صدقة فلم ينفر معه وداخل صدقة بأنه معه فلما فرغ السلطان من أمر صدقة بعث مودود بن أبي شتكين في العساكر وولاه الموصل وبعث معه الامراء ابن برس وسمان القطبي وأقسندر البرسقي ونصر بن مهلهل بن أبي الشرك الكردي وأبو الهيجاء صاحب إربل مددًا فوصلوا الموصل وخيموا عليها فوجدوا جاوي قد استعد للحصار وحبس الأعيان وخرج عن البلد وترك بها زوجته هي وابنه برسن في الف وخمسة مقاتل فاحسن في مصادرة الناس واشتد عليهم الحصار فلما كان الحرم ستة اثنين خرج بعض الخامسة من فرجة من السور وأدخلوها منها مودود والعساكر وأقامت زوجة جاوي بالقلعة ثمانية أيام ثم استأمنت وخرجت إلى أخيها يوسف بن برسن بأموالها واستولى مودود على الموصل وأعمالها.

وأنا جاوي فلما سار عن الموصل وحمل معه القمح الذي كان أسره بنعمان وأخذ منه جكرمش وسار به إلى نصين وسال من صاحبها أبو الغازى بن أرتق المظايرة على السلطان فلم يجيء إلى ذلك ورحل عن نصين إلى ماردين بعد أن ترك ابنه مقيناً مع الخامسة فتبعه جاوي ودخل عليه وحده بالقلعة متظاهراً عليه فأجايه وسار معه إلى نصين ثم إلى سنجار وحاصرها فامتنعت عليهما ثم هرب أبو الغازى ليلاً إلى نصين وتركه فسار جاوي إلى الرحبة وأطلق القمح برودول لخمس سنين من الصرة على مال قرره عليه وأسرى من المسلمين يطلقهم وعلى النصرة مهما طلبه وأرسله إلى سالم بن مالك بقلعة جعفر حتى جاء ابن خالته جوسكر صاحب تل باشر من زعماء الفرنج وكان أسر مع القمح فاقتدى بعشرين ألف دينار وأقام جوسكر رهينة وسار القمح إلى أنطاكية.

ثم أطلق جاوي جوسكر وأخذ رهناً عنه صهره وصهر القمح وبعثه في إتمام ما ضمن ولما وصل إلى أنطاكية أطعاه شكري صاحبها ثالثين ألف دينار وخليلاً وسلاماً وغير ذلك وكانت الرُّؤْما وسرور يد القمح وما أسر ملك جكرمش الرها

الخشى فعاجله جاوي بالحرب والتقترا في آخر ذي القعدة من السنة وانهزم أصحاب قليج أرسلان على دفاعه وأعاد الخطبة للسلطان واستصفى أصحاب جكرمش ثم سار إلى المزيرية وبها حبيس بن جكرمش ومعه غزلاني من موالى أبيه فحاصره مدة ثم صالحه على ستة آلاف دينار ورجع إلى الموصل وأرسل ملك شاه من قليج أرسلان إلى السلطان محمد والله سبحانه وتعالى أعلم.

### مقتل صدقة بن مزيد

ولما استوحش صدقة بن مزيد صاحب الحلة من السلطان محمد سار إليه السلطان وملك أعماله ولقبه صدقة فهزمه السلطان وقتل في المعركة كما ذكرنا ذلك في أخبار صدقة في دولة ملوك الحلة والله سبحانه وتعالى أعلم.

### قدوم ابن عمّار صاحب طرابلس على السلطان محمد

كان فخر الدولة أبو علي بن عمّار صاحب طرابلس استبد بها على العبيدين فلما ملك الإفرنج سواحل الشام ردوا عليها الحصار فضافت أحواها فلما انظم الأمر للسلطان محمد واستقام ملكه قصده فخر الملك بن عمّار صريحاً للمسلمين بعد أن استخلف على طرابلس ابن عمّه ذا المناقب وفرق في الجندي عظامهم لستة أشهر ورثب الجامكية في مقاعدهم للقتال وسار إلى دمشق فلقيه طغتكين أناذك وخيم بظاهرها أياماً ورحل إلى بغداد فارك السلطان الأمراء لتلقينه ولم يدخل عنده برأ ولا كرامة وكذلك الخليفة وأنحف السلطان بهدايا وذخائر فنسية وطلب التبرجة وضمن النفقية على العسكر فوعده بالنصر واقام ثم لقي الأمير حسين بن أناذك طغتكين ليسير بالعساكر إلى الموصل مع الأمير مودود لقتال صدقة جاوي ثم سير حسين معه إلى الشام ثم رحل السلطان عن بغداد ستة إحدى وخمسة لقتال صدقة واستدعى ابن عمّار وهو بالنهروان فودعه وسار مع الأمير حسين إلى دمشق وكان ابن عمّار لما سار عن طرابلس استخلف عليها ابن عمّه ذا المناقب فانتقض واجتمع مع أهل طرابلس على إعادة الدولة العلوية ويعشا إلى الأفضل ابن أمير الجيوش المستبد على الدولة بمصر بطاعتهم ويسالون الميرة بفتح إليهم شرف الدولة بن أبي الطيب واليأ وعنه الزاد من الأقوات والسلام فدخل البلد وقبض على أهل ابن عمّار وأصحابه واستصفى ذخائرهم وحمل

خرزاته فاضطرب أمره وانقض عنه كثير من أصحابه منهم زنكي بن أفسقر وبكتاش وبقي معه أصبهناد صباوو ويدران بن صدقه وابن جكرمش وانضم إليه كثير من المتطوعة ونزل تل باشر وأتى عسکر رضوان وشکري وكاد أن يهزهم لولا أن أصحابه ساروا عنه وسار في اتباعهم فأبوا عليه فمضى منهزاً وقصد أصبهناد الشام ويدران بن صدقه قلعة جعفر وابن جكرمش جزيرة ابن عمر وقتل من المسلمين خلق ونهب صاحب أطاكيه سوادهم وهرب القمصب وجوسکر إلى تل باشر وكان المنهزمون من المسلمين يرون بهم فيكرمونهم ويحييرونهم إلى بلادهم ولحق جاولى بالرحبة فلقي بها سرايا مرسود صاحب الموصل وخفي عنهم فارتاتب في أمره ولم ير الخير له من قصد السلطان محمد ثقة بما أتى إليه حسين بن قطلغ تكين في شأنه فلأوغر في السير ولحق بالسلطان قريباً من أصفهان ونزل حسين بن قطلغ فدخل به إلى السلطان فاكمه وطلب منه بكتاش ابن عمه تسش واعتقله بأصفهان.

مقتل مودود بن أنوتين صاحب الموصى  
في حرب الإفرنج وولاية البرسقى مكانه

كان السلطان محمد قد أمر مسودوداً صاحب الموصل سنة  
خمس وخمسين بالمسير لقتال الإفرنج وأمده بسمقان القطبي  
صاحب ديار بكر وأرمينية وأياكي وزنكى ابني برسق أمراء همدان  
وما جاورها والأمير أهد بك أمير مراغة وأبو الزيجاء صاحب  
إربيل والأمير أبو الغازى صاحب ماردین وبعث إليه أبياز مكانه  
فسار إلى سنجر وفتحوا حصونا للافرنج وحاصروا مدينة الرها  
فامتنعت عليهم وأقام الإفرنج على القرات بعد أن طرقوا أعمال  
حلب فعاثروا فيها ثم حاصر العساكر الإسلامية قلعة باشر فامتنعت  
ودخلوا إلى حلب فامتنع رضوان من لقائهم فعادوا ومات سقمان  
القطبي في دلاس فحمله أصحابه في تابوت إلى بلاده واعتزل ضمهم  
أبو الغازى بن أرتق ليأخذهم فهزموه.

ثم افترقت العساكر بمرض ابن برسق ومسير أحمد بن صاحب مراغة إلى السلطان لطلب بلاد سقمان القطيبي واجتمع قطليغتكين صاحب دمشق بمودود ونزل معه على نهر القاضي وسمى الإنزيم بافتراق العساكر فساروا إلى ماميا.

وجاء السلطان ابن مقتذ صاحب شيراز إلى مسجد وقلعتين وحضرهما على الجهاد ونزلوا جميعاً على شيراز ونزل الفرنج قبالتهم ثم رأوا قرية المسلمين فعادوا إلى أفغانستان ثم سار

من أصحابه طلبها منه الآن فلم يجده فخرج القمص مغاضباً له ولحق بتل باشر وقتم عليه جوسكر عندما اطلقه جاولي ثم سار إليهما شكري بعالجهما قبل اجتماع أمرهما فحاصرهما أياماً ورجع القمص وجوسكر على حضون أنطاكية واستمدأ أبو سيل الأرمياني صاحب رعيان وكيسوم والقلاع شمالي حلب فأخذهم بالف فارس وسار إليهم شكري وحضر البارك وشهد جماعة من القسيسين والبطارقة أن استند خال شكري قال له عندما ركب البحر إلى بلاده أعد الرهآء إلى القمص إذا خلص من الأسر. فحكم البارك بياقادتها فأعادتها تاسع صفر من السنة وعبر القمص الفرات ليعرف إلى جاولي المال والأسرى كما شرط له.

وكان جاوي لما أطلق القمح سار إلى الرحمة ولقيه أبو النجم بدران وأبو كامل منصور وكانتا مقيمين بعد قتل أبيهما عند سالم بن مالك فاستتجدها ووعداه أن يسير معهما إلى الحلة واتفقا على تقديم أبي الغازى تكين ثم قدم عليهم أصحابه صباورو وقد أقطعه السلطان الرحمة فشار على جاوي بقصد الشام خلواها عن العساكر والتتجنب عن العراق وطريق السلطان قبل إشارته وأحضر على الرحمة ثم وفده عليه صريخ سالم بن مالك صاحب جعفر يستغيث به من بي ثمير وكان حيوش البصري قد نزل على ابن سالم بالرقة وملكتها وسار إليه رضوان من حلب فصالحه بتوثيق ثمير بالمال ورجع عليهم فاستتجد سالم الآن جاوي فجاءه وحاصر بي ثمير بالرقة سبعين يوماً فاعطوه مالاً وخيلأ ورحل عنهم واستذر لسالم.

ثم وصل جاويلى إلى الأمير حسين بن أتابك قطلغ تكين كان  
أبوه أتابك السلطان محمد يكتنجة فقتله وتقىد ولده هذا عند  
السلطان وبعده مع ابن عمّار ليصلح أمر جاويلى وتسير العساكر  
كلها إلى الجهاد مع ابن عمّار فأجاب جاويلى لذلك وقال لحسين:  
سر إلى الموصل ورحل العساكر عنها وأنا أعطيك ولدي رهينة  
ويمكون الجباية لوال من قبل السلطان فنجاء حسين إلى العساكر قبل  
أن يفتحوها فكلهم أجاب إلا الأمير مودود فإنه امتنع من الرحيل  
إلا بإذن من السلطان وأقام محاصراً لها حتى افتحتها وعاد ابن  
قطلغ إلى السلطان فأحسن الاعتذار عن جاويلى وسار جاويلى إلى  
بالس فلملكتها من أصحاب رضوان بن شش وقتل جماعة من أملاها  
فيهم القاضي محمد بن عبد العزيز بن إلياس وكان فقيها صالحًا.

ثم سار رضوان بن دقاق لحرب جاوي واستمدّ شكري  
صاحب أنطاكية فأمده بنفسه وبعث إلى القمح بالرها يستمدّه  
وترك له مال المقادنة فإنه إليه بنفسه ولقبه منبع وجاء الخبر إلى  
جاوي باستيلاء مسعود وعساكر السلطان على الموصل وعلى

منه بالخلف وأعطيه ابنه أياز رهينة ولما خرج سار إلى حلب وجمع التركمان وحاصر قرجان في طلب ابنه إلى أن جاءت عساكر السلطان.

## مسير العساكر لقتال أبي الغازى وقطلعتكين والجهاد بعدهما

ولما كان ما ذكرناه من عصيان أبي الغازى وقطلعتكين على السلطان محمد وقوفة الفرنج على المسلمين جهز السلطان جيشاً كثيراً مقدّthem الأمير برسق صاحب همدان ومعه الأمير حمّوس بك والأمير كشترة وعساكر الموصل والجزيرة وأمرهم بقتل أبي الغازى وقطلعتكين فإذا فرغوا منها ساروا إلى الفرنج فارتجعوا البلاد من أيديهم فساروا لذلك في رمضان من سنة ثمان وعبروا الفرات عند الرقة وجاؤوا إلى حلب وطلبوها من صاحبها لزول الخادم ومن مقدم العسكر المعروف بشمس الخواص تسلّم حلب بكتاب السلطان في ذلك فتعلّل عليهم وبعث إلى أبي الغازى وقطلعتكين بالخبر واستجدهما فسار إليه في الليل وامتنع حلب على عساكر السلطان فسار برسق بالعساكر إلى حماة وهي لقطلعتكين فملکها عنزة وسلمها إلى قرجان صاحب حمص بعهد السلطان له بذلك في كل ما يفتحونه من البلاد فقتل ذلك على الأمراء وتخلذلوا وتسلّم قرجان حماة من برسق وأعطيه ابن أبي الغازى ابنه رهينة عنده.

ثم سار أبو الغازى وقطلعتكين وشمس الخواص إلى أنطاكية مستجددين بصاحبها بردويل وجاءهم بعد ذلك بغدوين صاحب القدس وصاحب طرابلس وغيرهما من الفرنج واتقروا على تأخير الحرب إلى انتصار الشتاء واجتمعوا بقلعة أنايمية وأقاموا شهرين وانتصر الشتاء والمسلمون مقيّمون فوهنت عزائم الفرنج وعادوا إلى بلادهم وعاد أبو الغازى إلى مارددين وقطلعتكين إلى دمشق وسار المسلمين إلى كفرطاب من بلاد الفرنج فحاصروه وملکوه عنزة وأسروا صاحبها واستحلّموا من فيه ثم ساروا إلى قلعة أنايمية فامتنع عليهم فعادوا إلى المعرة وفارقهم حمّوس بك إلى مراغة فملكه.

وسارت العساكر من المعرة إلى حلب وقدموا أثقالهم وخيامهم فصادفهم بردويل صاحب أنطاكية في خمسة فارس والقى راجل صريحاً لأهل كفرطاب وصادف خميم العسكر فقتلوك فيه وفعل الأفاعيل وهو متلاحقون وجاء الأمير برسق وعاليين مصارعهم وأشار عليه إخوته بالنجاء بنفسه فنجا بنفسه واتبعهم

مودود سنة ست إلى الرّهـا وسرrog فمات في نواحيها فكبسه جوسكر صاحب تلك باشر في الإفرنج ونال منه.

ثم اجتمع المسلمون سنة سبع للجهاد باستجاد قتلعتكين صاحب دمشق مودود فاجتمع معه ينزل صاحب سنجر وأياز بن أبي الغازى وعبروا الفرات إلى قتلعتكين وقصدوا القدس فسار إليهم صاحبها بقزوين ومعه جوسكر ومعه تل باشر على جيشه وزلوا الأردن واقتروا قريباً من طبرية فانهزم الإفرنج وقتل كثير منهم وغرق كثير في بحيرة طبرية ونهر الأردن وغنم المسلمون سوادهم ثم لقيهم عسكر طرابلس وأنطاكية من الفرنج فاستعنوا بهم وعاودوا الحرب وزلوا في جبل طبرية فحاصرهم فيه المسلمون ثم ساروا فعادوا في بلاد الإفرنج ما بين عكا إلى القدس.

ثم نزلوا دمشق وفرق مودود عساكره ووعدهم العود من قابل للجهاد ودخل دمشق ليستريح عند قتلعتكين فصلّي الجمعة في الجامع فطعنه باطيًّا فأنهاره وهلك لآخر يومه واتّهم قتلعتكين به وقتل الباطي من يومه وما بلغ الخبر السلطان بقتل مودود ولئن على الموصل وأعمالها أقصى البرسيقي سنة ثمانى وخمسة وسبعين معه ابنه الملك مسعود في جيش كثيف وأمره بجهاد الإفرنج وكتب إلى الأمراء بطاعته فوصل إلى الموصل واجتمع إليه عساكر النواحي فيهم عماد الدين زنكي بن أقسدر وغير صاحب سنجر وسار البرسيقي إلى جزيرة ابن عمر فأطاعه نائب مودود بها ثم سار إلى مارددين فأطاعه أبو الغازى صاحبها وبعث معه ابنه أياز فسار إلى الرّهـا فحاصرها شهرين ثم ضاقت الميرة على عسكره.

ثم رحل إلى سميساط بعد أن خرب نواحي الرّهـا وسرrog وسميساط وكانت مرعش للإفرنج هي وكيسوم ورعيان وكان صاحبها كراسك وافتقت وفاته وملكت زوجته بهذه فراسلت البرسيقي بالطاعة وبعث إليها رسوله فاكتبه ورجعته إلى البرسيقي بالمدايا والطاعة وفرّ عنها كثير من الإفرنج إلى أنطاكية ثم قبض البرسيقي على أياز بن أبي الغازى لاتهامه إيهـا في الطاعة فسار إليه أبو الغازى في العساكر وهزمـه واستنقذ ابنه أياز من أسره كما ترى في أخبار دولة أبي الغازى وبئنه وبعث السلطان يهدـه فوصل يده بقطلعتكين صاحب دمشق والفرنج وتحالفاً على النظاهر ورجع أبو الغازى إلى ديار بكر فسار إليه قرجان بن مراجا صاحب حمص وقد تفرق عنه أصحابه فظفر به وأسره وجاء قتلعتكين في عساكره وبعث إلى قرجان في إطلاقه فامتنع وهو بقتله فعاد عنه قتلعتكين إلى دمشق وكان قرجان قد بعث إلى السلطان بخبره وانتظر من يصل في قته فابطا عليه فطلق أبا الغازى بعد أن تورّن

ثم سار جاوي إلى دارابجرد فهرب صاحبها إلى كرمان وصاحبها أرسلان شاه كرمان شاه ابن أرسلان بك بن قاروت بك فساري جاوي إلى حصار درابجرد فاتمته عليه فخرج إلى البرية ثم جاءهم من طريق كرمان كانت مدد لهم من صاحب كرمان فادخلوه فملك البلد واستلحهم أهله.

ثم سار إلى كرمان وبعث إلى خسرو مقدم الشوادكان يستدعيه للمسير معه فلم يجد بدأ من موافقته وجاء صاحبه إلى كرمان وبعث إلى ملك كرمان بإعادة الشوادكان الذين عنده فبعث بالشفاعة فيهم فاستخلص السلطان الرسول بالإحسان وحنه على صاحبه ووعده بأن يرده العساكر عن وجهه وينذفهم عنه ما استطاع وانقلب عنه إلى صاحبها في عساكر كرمان مع وزيره بالسيرجان فتراءى لهم أن جاوي عازم على مواصلتهم وأنه مستوحش من اجتماع العساكر بالسيرجان وأشار عليه بالرجوع فرجعوا وسار جاوي في أثر الرسول وحاصر حصنًا بطرف كرمان فارتبا له كرمان بخبر الرسول ثم اطلع عليه من غير جامعة فقتله ونهب أمواله وبعث العساكر لقتاله

واجتمع معهم صاحب الحصن المخاصر وسلك بهم غير الجادة وسمع جاوي بخبرهم فارسل بعض الأمراء ليأتيه بالخبر فلم يجد أحدًا فرجم وأخرجه أن عسرك كرمان قد رجع فاطمأن ولم يكن إلا قليل حتى بيته عساكر كرمان في شوال سنة ثمان وخمسين فانهزم وفكروا فيه قتلاً وأسرًا وأدركه خسرو بن أبي سعد الذي كان قتل أبيه فلما رآهما خاف منها فأمساكه وأبلغه إلى مامنه بمدينة نسا ولحقه عساكره وأطلق ملك كرمان الأسرى وجههم إليه وبينما هو يجهز العساكر لكرمان لأخذ ثاره توفي جعفري بك ابن السلطان في ذي الحجة من تسع لخمس سنين من عمره فقطعه ذلك عن معاذه كرمان ثم بعث ملك كرمان إلى السلطان ب بغداد في منع جاوي عنه فقال: لا بد أن تسلم الحصن إلى حاجمه جاوي في حد كرمان وانهزم عليه وهو حصن فرح ثم توفي جاوي في ربیع سنة عشر فأتموا إعادته والله سبحانه وتعالى أعلم.

### وفاة السلطان محمد وملك ابنه محمود

ثم توفي السلطان محمد بن ملك شاه آخر ذي الحجة سنة التي عشرين من ملكه بعد أن أجلس ولده محموداً على الكرسي قبل وفاته بعشرين ليل وفُرضَ إلى أمور الملك فلما توفي نفذت وصيته لابنه محمد فأمره فيها بالعدل والإحسان وخطب له ببغداد

الإفرنج ورجعوا عنهم على فرسخ وعاثوا في المسلمين في كل ناحية وقت أيام بن أبي الغازى قتله المركلون به وجاء أهل حلب وغيرها من بلاد المسلمين ما لم يختسبوه وبنسوا من النصرة ورجعت العساكر منهزمة إلى بلادها وتوفي برسق زنكي سنة عشر بعدها.

### ولاية حيوس بك ومسعود ابن السلطان

#### محمد على الموصلي

ثم أقطع السلطان الموصلي وما كان يied أقصقر البرستي للأمير حيوس بك وبعث معه ابنه مسعوداً وأقام البرستي بالرحبة وهي إقطاعه إلى أن توفي السلطان محمد.

### ولاية جاوي سكاو على فارس وأخباره

#### فيها ووفاته

كان جاوي سكاو لما راجع إلى السلطان محمد ورضي عنه ولاه فارس وأعمالها وبعث معه ابنه جعفري بك طفلاً كما نصل من الرضاع وعهد إليه بصلاحها فسار إليها ومر بال الأمير بلداجي في بلاده كليل وسمرة وقلعة إصطخر وكان من ماليك السلطان ملك شاه فاستدعاه للقاء جعفري بك وتقىده إليه بأمر يامر بالقبض عليه فقبض عليه ونهب أمواله وكان أهله وذخائره في قلعة إصطخر وقد استتاب فيها وزيره الخيمي ولم يعكشه إلا من بعض أهله فلما وصل جاوي إلى فارس ملكها منه وجعل فيها ذخائره ثم أرسل إلى خسرو وهو الحسين بن مبارز صاحب نسا وأمير الشوامكار من الأكراد فاستدعاه للقاء جعفري بك من السلطان خشية مما وقع للبداجي فأعرض عنده وأظهر الرجوع إلى السلطان ومضى رسول بخبره فبشر بانتصاره عن فارس فما أدى إليه الخبر إلا وجاوي قد خاله ثم رجع من طريقه وأوزع في السير إليهم.

ثم هرب خسرو إلى عدالج وفتى جاوي في أصحابه وماله

ثم سار جاوي إلى مدينة نسا فملكها ونهب جهرم وغيرها وسار إلى خسرو فاتمته عليه مخصمه فرجم إلى شيراز وأقام بها ثم سار إلى كازرون فملكها وحاصر أبا سعيد بن محمد في قلعته مدة عامين وراسله في الصلح فقتل الرسول مررتين ثم اشتاد عليه الحصار واستأنف فائمه وملك الحصن ثم استوحش من جاوي فهرب وبقضى على ولده وجيء به أسرًا فقتل

وبعث المسترشد إلى مسعود والبرسيقي والحدث على المواجهة والصلح وجاءهم الخبر بأنّ منكربس ودبيس بعثاً مع منصور أخي دبيس وحسين بن ارز وبيه منكربس عسكراً لحماية بغداد فرجع البرسيقي إلى بغداد ليلاً ومعه زنكي بن أقسطر وترك ابنه عز الدين مسعوداً على السكر بصر صر فالتحقى ومنع عسكر منكربس من العبور وأقام يومين ثم رفاه كتاب ابنه بأنّ الصلح تمّ بين الفريقين بعده ففشل وعبر إلى الجانب الغربي ومنصور وحسين في أثره وزلا عند جامع السلطان وخيم البرسيقي عند القنطرة القبلية وخيم مسعود وحبوس بك عند المارستان ودبيس ومنكربس تحت الرقة وعز الدين مسعود بن البرسيقي عند منكربس مفرداً عن أخيه.

وكان سبب انعقاد الصلح أن حبُّوس بك أرسل إلى السلطان محمود يطلب الزيارة له وللملك مسعود فاقطعهما أذريجان ثم وصل الخبر بمسيرهما إلى بغداد فاستشعر منها المصيّان وجهز العساكر إلى الوصول فكتب إليه رسوله بذلك ووقع الكتاب بيد منكربس الشحنة فبعث إليه وضمن له إصلاح الحال له وللسلطان مسعود وكان منكربس متزوجاً بأم السلطان مسعود وأسمها سرجهان فكان يؤثر مصلحته فاستقر الصلح واتفقا على إخراج البرسيقي من بغداد إلى الملك وأقام عنده واستقر منكربس شحنة بغداد وسأله أثره في الرعية وتعرض لأموال الناس وحرمهن وبلغ الخبر إلى السلطان محمود فاستدعاه إليه فبقي يدافع ثم سار خوفاً من عامة بغداد والله سبحانه وتعالى أعلم.

## خروج الملك طغول على أخيه السلطان محمود

كان الملك طغول بن السلطان محمد عند وفاة أخيه مقيناً بقلعة سرجهان وكان أبوه أقطعه سنة أربعين معاواة وأوه وزنغان وجعل أتابكه الأمير شيركير الذي حاصر قلاع الإسماعيلية كما مرّ في أخبارهم وكان عمره يومئذ عشرة فارسل السلطان محمد الأمير كسعدي أتابكاً له وأعجله إليه وكان كسعدي حاذداً عليه فحمل طغول على المصيّان ومنعه من المجيء إلى أخيه واتّهى ذلك إلى محمود فارسل إلى أخيه بتحف وخلع وثلاثين ألف دينار ومواعده جليلة فلم يصيّروا إليها وأجابه كسعدي: إننا في الطاعة ومعرضون لرأس الملك فسار إليهم السلطان مفتذاً ليكسيهم يجعل طريقه على قلعة شهران التي فيها ذخائر طغول وأمواله

وكان منهاز الحلم وكان السلطان محمد شجاعاً عادلاً حسن السيرة وله آثار جميلة في قتال الباطلية وقد مرّ ذكرها في أخبارهم ولما ول قات بتدبر دولته الوزير أبو منصور وأرسل إلى المستظهير في طلب الخطبة ببغداد له في متصرف المحرم من سنة اثنى عشرة وأقرّ طهارون شحنة على بغداد وقد كان السلطان محمد ولاه عليها سنة اثنين وخمسة ثم عاد البرسيقي وقاتلاته وانهزم إلى عسكر السلطان محمود على الحلة دبيس بن صدقة وقد كان السلطان محمد منذ قتل أبيه صدقة وأحسن إليه وأقطعه وولى على الحلة سعيد بن حيد العمري صاحب جيش صدقة فلما توفي رغب من ابنه السلطان محمود بالعودة إلى الحلة فأعاده واجتمع عليه العرب والأكراد.

## وفاة المستظهير وخلافة ابنه المسترشد

ثم توفي المستظهير بن المقidi سنة اثنى عشرة وخمسة متصرف ربيع الآخر ونصب للخلافة ابنه المسترشد واسمه الفضل وقد تقدّم ذلك في أخبار الخلفاء.

## خروج مسعود ابن السلطان محمد على أخيه محمود

تقدّم لنا أنّ السلطان ولّى على الموصل ابنه مسعوداً ومعه حبُّوس بك وأنّ السلطان محموداً ودبيس بن صدقة سارا إلى الحلة فلما توفي السلطان محمد وول ابنه محمود سار مسعود من الموصل مع أتابك حبُّوس بك ووزيره فخر الملك عليّ بن عمّار وقسم الدولة وزنكي بن أقسدر صاحب سنجر وأبي الهيجاء صاحب إربل وكريساوي بن خراسان صاحب البوازيج وقصدوا الحلة فدافنهم دبيس فرجعوا إلى بغداد وسار البرسيقي إلى قتالهم فبعث إليه حبُّوس بك بأنّهم إنما جاؤوا لطلب الصريح على دبيس صاحب الحلة فاتفقا وتعاهدوا ونزل مسعود بدار الملك ببغداد وجاء الخبر بوصول عماد الدين منكربس الشحنة وقد كان البرسيقي هزم ابنه حسيناً كما من فسار بالعساكر إلى البرسيقي فلما علم بدخول مسعود إلى بغداد عبر دجلة من التعمانية إلى دبيس بن صدقة فاستجهده وخرج مسعود وحبُّوس بك والبرسيقي ومن معهم لقائهم واتّهوا إلى المدائن فأثّتهم الأخبار بكثرة جموع منكربس ودبيس فرجعوا وأجازوا نهر صر صر ونهبوا السواد من كل ناحية.

ثم سار السلطان في عشرين ألفاً وثمانية عشر فيلة ومعه ابن الأمير أبي الفضل صاحب سجستان وخوارزم شاه محمد والأمير أنس والأمير قماج وكرشاسف بن ضرام بن كاكويه صاحب برد وهو صهره على أخيه وكان خصيماً بالسلطان محمد فاستدعاه بعد موته سنجر وتآخر عنه وأقطع بلده لقراجا السامر قادر إليه وتراجعوا بقرب ساوة في جمادي ثالث عشرة فسبقت عساكر السلطان محمود إلى الماء من أجل المسافة التي بين ساوة وخرسان وكانت عساكر السلطان ثلاثين ألفاً ومعه الحاجب علي بن عمر منكيرس وأتابك غزغلي وبتو برسق واقسنقر البخاري وقراجا السامي ومعه سبعمائة حمل من السلاح فعندما اصطافوا على الحرب انهزم عساكر السلطان سنجر ميئنة وميسرة وثبت هر في القلب والسلطان محمود قبالتها.

وحل السلطان سنجر في الفيلة فانهزمت عساكر السلطان محمود وأسر أتابك غزغلي وكان يكاتب السلطان سنجر بأنه يحمل إليه ابن أخيه فعاته على ذلك ثم قتله ونزل سنجر في خiam محمود واجتمع إليه أصحابه ونجا محمود من الواقعه وأرسل ديس بن صدقه للمسترشد في الخطبة لسنجر فخطب له أوآخر جمادي الأول من السنة وقطعت خطبة محمود ثم إن السلطان سنجر رأى قلة أصحابه وكثرة أصحاب محمود فراسله في الصلح وكانت تحضه على ذلك والدته فامتنع ولحق البرسيقي بسنجر وكان عند الملك مسعود باذربيجان من يوم خروجه من بغداد مراسلة السلطان محمود في الصلح من همدان إلى الكرخ وأعاد مراسلة السلطان محمود في الصلح ووعده بولايته عهده فأجاب وتحالفاً على ذلك.

وسار محمود إلى عمه سنجر في شعبان بهدية حافلة ونزل على جدته فتقبّل منه سنجر وقدم له خمسة أفراس عربية وكتب لعماله بالخطبة لمحروم بعده في جميع ولايته وإلى بغداد بمثل ذلك وأعاد عليه جميع ما أخذه من بلاده سوى الريي وصار محروم في طاعة عمه سنجر ثم سار منكيرس عن السلطان محمود إلى بغداد وبعث ديس بن صدقه من معه من دخولها فعاد ووجه الصلح بين الملكين قد أسرف فقصد السلطان سنجر مستجيرًا به من الاستبداد عليه ومسيره لشحنة ببغداد من غير إذنه ثم إن الحاجب علي بن عمر ارتفعت منزلته في دولته وكثرت سعاية الأمراء عنه فأضمر السلطان نكتبه فاستوحش وهرب إلى قلعة له كان ينزل بها أهله وأمرائه وسار منها إلى خوزستان وكانت بنو برسق أسروري وأبن أخيه أرغوري بن ملتكي وهدد بن زنكي بعنوا عسكراً يصدّونه عن بلادهم ولقوه قريباً من تستر فهزمه وجاؤوا به أسريراً وكانتوا السلطان محموداً بأمرهم فأمرهم بقتله وحمل رأسه

وغي الخبر إلى طغرل وكسعدي فخرجا من العسكر في خفية قاصدين شهران وأنعلى الطريق عنها لما سبق من اللطف فرقعا على قلعة سرجان وجاء السلطان إلى العسكر فأخذ خزان أخيه طغرل ونفها ثلاثة ألف دينار ثم أقام بزنجان أياماً ولحق منها بالريي ولحق طغرل وكسعدي بكنجه واجتمع إليه أصحابه وعكتن الرحشة بينه وبين أخيه.

### فتنة السلطان محمود مع عمه سنجر

ولما توفى السلطان محمود بلغ الخبر إلى أخيه سنجر بخرسان اندهر من الجزع والحزن ما لم يسمع مثله حتى جلس للقراء على الرماد وأغلق بابه سبعاً ثم سمع بولايته ابنه محمود فتكر ذلك وعزم على قصد بلاد الجبل وال伊拉克 وطلب السلطنة لنفسه مكان أخيه وكان قد سار إلى غزة سنة ثمان وخمسين وفتحها وتنكر لوزيره أبي جعفر محمد بن فخر الملك أبي المظفر بن نظام الملك لما بلغه أنه أخذ عليه الرشوة من صاحب غزة ليتبيه عن قصده إليه وفعل مثل ذلك بما وراء الهر وامتحن أهل غزة بعد فتحها وأخذ منها أموالاً عظيمة وشكى إليه الأمراء إهاته أيامهم فلما عاد إلى بلخ قبض عليه وقتله واستصفى أمواله وكانت لا يعبر عنها كان فيها من العين وحده ألف دينار مرتين واستوزر بعده شهاب الإسلام عبد الرزاق ابن أخي نظام الملك وكان يعرف بابن الفتير فلما مات آخره السلطان محمد عزم على طلب الأمر لنفسه وعاوده الندم على قتل وزيره أبي جعفر لما يعلم من اضطجاجه بعلتها.

ثم إن السلطان محموداً بعث إليه يصطنعه بالهدايا والتحف وضمن له ما يزيد عن مائتي ألف دينار كل سنة وبعث في ذلك شرف الدين أبو شروان بن خالد وفخر الدين طغرل فقال لهما سنجر: إن ابن أخي صغير وقد تحكم عليه وزيره وعلى ابن عمر الحاجب فلا بد من المسير وبعث في مقدمته الأمير أنس.

وسار السلطان محمود وبعث في مقدمته الحاجب علي بن محمد وكان حاجب أبيه قبله فلما تقارب المقدمة بعث الحاجب علي بن عمر إلى الأمير أنس وهو بحرجان بالعتاب ونزع من الرعيد فتأخر عن جرجان فلحقته بعض العساكر ونالوا منه ورجع الحاجب إلى السلطان محمود بالريي فشكر له فعله وأقاموا بالري ثم ساروا إلى كرمان وجاءه الأ마다 من العراق مع منكيرس ومنصور بن صدقه أخي ديس وأمراء فسار إلى همدان وتوفي وزيره الريب فاستوزر أبو طالب الشهيري.

المسلمين وأنهزموا وقتل منهم خلقاً وتبعهم الكفار عشرة فراسخ  
وعادوا عنهم وحاصروا مدينة تقليس وأقاموا عليها سنة وملوكها  
عنترة سنة خمس عشرة ووصل صریحهم سنة ست عشرة إلى  
السلطان محمود بهمنان فسار لصریحهم وأقام بمدينة تبريز وأنشد  
عساكره إلى الكرج فكان من أمرها ما يذكر إن شاء الله تعالى.

## الحرب بين السلطان محمود وأخيه مسعود

قد تقدم مسیر مسعود إلى العراق وموت أبيه السلطان محمد  
زما تقرر بينهما من الصلح ورجوعه إلى الموصل بلده وأن  
السلطان محموداً زاده أذربيجان ولحق به قسم الدولة البروسية  
عندما طرده عن شحنة بغداد فاقطمه مسعود مراغة مضافة إلى  
الرحبة وكانت ديس حيوس بك أتابك مسعود بحرضمه على نكبة  
بروسقي وأنه ياطن السلطان محموداً ووعده على ذلك بالأموال  
حرضهم على طلب الأمر لمسعود ليقع الاختلاف فيحصل له  
ملو الكلمة كما حصل لأبيه في فتنة بركيارق ومحمد وشعر  
بروسقي بسعادة ديس فخشى على نفسه ولحق بالسلطان محمود  
فقبله وأعلم عائلة.

ثم اتصل بالملك مسعود الأستاذ أبو إسماعيل الحسين بن علي الأصفهاني الطغراوي وكان ابنه أبو الوليد بن أبي إسماعيل يكتب الطغراة للملك مسعود فلما وصل أبوه استزره مسعود وعزل أبي علي بن عمّار صاحب طرابلس سنة ثلاثة عشرة فاغرى مسعوداً بالخلاف على أخيه السلطان محمود فكتب إليهم السلطان بالترغيب والترهيب فاظهرها أمرهم وخطبوا الملك مسعوداً بالسلطان وضرروا له الترب الخامس وأغدووا إليه السير وهو في خف من العسكر فسار إليهم في خمسة عشر الفاً وفي مقدمته البرسي ولقيهم بعقة أستراباز متصرف ربيع الأول سنة ربعمائة عشرة فانهزم الملك مسعود وأصحابه وأسر جماعة من أعيانهم منهم الأستاذ أبو إسماعيل الطغراوي وزير الملك مسعود فامر سلطان محمود بقتله وقال: ثبت عندي فساد عقيدته وكان قتله سنة من وزارته وكان كاتباً شاعراً يميل إلى صناعة الكيمياء وله بها تصانيف معدودة.

ولما انهزم الملك مسعود حتى يبعض الجبال على اثنى عشر فرسخاً من المعركة فاختفى فيه مع غلامان صغار وبعث يستأمن إلى أخيه فارسل إليه أقستنر البرستي يؤمه وينجيء به إلى وخالقه إليه بعض الأمراء فحرّضه على اللحاق بالموصل وأذربيجان ومكابحة ديس ومعاودة الحرب فسار معه لذلك وجاه البرستي إلى مكانه

إليه ثم أمر السلطان سنجر بإعادة مجاهد الدين تهسّدوا إلى شحنة بغداد فعاد إليها وعزل نائب ديس بن صدقة.

استبداد علي بن سكمان بالبصرة

كان السلطان محمد قد أقطع البصرة للأمير أفسنر البحاري واستخلف عليها سفير الشامي فاحسن السيرة فلما توفي السلطان محمد وثبت عليه غزgli مقدم الأترال الإسماعيلية وكان يمح بالناس منذ سنتين وسفره إلى ملكا البصرة من يده وجساه وذلك سنة إحدى عشرة.

وهم سقر البا بقتله ففارضه غزغلي فلم يرجع وقتله  
فقتله غزغلي به وسكن الناس وكان بالبلد أمير اسمه علي بن  
سكمان حج بالناس وغاب عن هذه الواقعه فغضي به غزغلي  
ل تمام الحج على يده وخشي أن يثار منهم سقر البا لتقديمه عليهم  
فاوغر إلى عرب البرية نهيب الحاج وانتشى على بن سكمان في  
الدفاع عنهم إلى أن قارب البصرة والعرب يقاتلونه فبعث إليه  
غزغلي بالمنع من البصرة فقصد القرى أسفل دجلة وصدق الحملة  
على العرب فهزهم ثم سار إليه غزغلي وقاتلته فاصابه سهم  
فمات وسار علي بن سكمان إلى البصرة وملكتها وكاتبه أفسنر  
البخاري وصاحب عمان بالطاعة وأقر نوابه على اعماله وكان  
عند السلطان وطلبه أن يوليه البصرة فآبى وبقي ابن سكمان  
مستبداً بالبصرة إلى أن بعث السلطان أفسنر البخاري إلى البصرة  
سنة أربع عشرة فملكها من على بن سكمان.

استيلاء الكرج على تفليس

قال ابن الأثير: والكرج هم الخزر.

وقد بينا الصحيح من ذلك عند ذكر الأنساب وأن الخنزير هم التركمان إلا أن يكون الكرج من بعض شعوبهم فيمكن ولما استفحلا ملك السُّلْجُوقِيَّة أمسكوا عن الإغارة على البلاد المجاورة لهم فلما توفي السلطان محمد رجعوا إلى الغارة فكانت سراياهم وسرايا القفقاج تغير على البلاد ثم اجتمعوا وكانت بلد الملك طفرق وهي أرَآن ونقوجان إلى أوس مجاورة لهم فكانوا يغيرون عليها إلى العراق لملك بغداد وزُل على ديسين بن صدقة فسار هو وأنانك كنجري وديسين بن صدقة وأس الغارى، بن أرتق.

وسار في ثلاثة في الكرج والقفجاق فاضطر

السلطان دبیس إلى همدان وخرج في موكيه وضاق الطريق فتقدّم الموكب بين يديه فوثب عليه باطي وطعنه بسکن فانقضه وابعه الغلامان فوثب عليه آخر فجذبه عن سرجه وطعنه طعنات وشدهم الناس عنه فوثب آخر فجذبه وذلك لأربع سنين من وزارته وكان سبع السيرة ظلماً غشوماً كثیر المصادرات ولما قتل رفع السلطان ما كان أحدث من المكروس.

### رجوع طغرل إلى طاعة أخيه السلطان

محمود

قد ذكرنا عصيان طغرل على أخيه السلطان محمود بالريّ سنة ثلات عشرة وأنّ السلطان محمود سار إليه وكسه فلحق برجهان ثم لحق منها بكتجة وببلاد آران ومعه أتابك كغري فاشتادت شوكته وقد التغلب على بلاد آذربيجان وهلك كغري في شوال سنة خمس عشرة ولحق باقسندر الأرمي صاحب مراغة ليقيم له الأتابكية وحرّضه على قتال السلطان محمود فسار معه إلى مراغة ومرروا بأربيل فامتنعت عليهم فساروا إلى هرمز وجاءهم الخبر هنالك بأنّ السلطان محمود بعث الأمير حيوس بك إلى آذربيجان وأقطعه البلاد وأنه وصل إلى مراغة في عسكر كثيف فساروا عن هرمز إلى خونج وانتقض عليهم وراسلوا الأمير شيركير الذي كان أتابك طغرل أيام أبيه يستجد به وكأنّ كغري الأتابك قبض عليه بعد السلطان محمد ثم أطلقه السلطان سنجر وعاد إلى آبره وزنجان وكانت أقطعه فالجبار داعيهم وسار أمامهم إلى آبره ولم يتم أمرهم فراسلوا السلطان في الطاعة وعاد طغرل إلى أخيه وانتظم أمرهم.

### مقتل وزير السلطان محمود

وكان وزير السلطان محمود شمسن الملك بن نظام الملك وكان حظياً عندـه فكثـرت سعاـية أصـحـابـهـ فيـهـ وـكانـ ابنـ عـمهـ الشـهـابـ أـبـرـ الـخـاصـنـ وزـيرـ السـلـطـانـ سنـجـرـ قـسـوـيـ وـاستـزـرـ سنـجـرـ بـعـدـ أـبـاـ طـاهـرـ القـتـيـ عـدـوـاـ لـبـيـ نـظـامـ الـمـلـكـ فـأـغـرـىـ السـلـطـانـ سنـجـرـ حتـىـ اـمـرـ السـلـطـانـ مـحـمـدـ بـيـكـتـهـ فـقـبـضـ عـلـيـهـ وـدـفـعـ إـلـىـ طـغرـلـ فـجـسـهـ بـقـلـعـةـ جـلـجـالـ ثـمـ قـتـلـهـ بـعـدـ ذـلـكـ وـكـانـ أـخـوهـ نـظـامـ الدـيـنـ أـحـدـ قـدـ استـزـرـهـ السـترـشـ وـعـزـلـ بـهـ جـلـالـ الدـيـنـ أـبـاـ عـلـيـ بـنـ صـدـقةـ فـلـمـ يـكـبـهـ شـمـسـ الـمـلـكـ وـمـقـتـلـهـ عـزـلـ أـخـاهـ نـظـامـ الدـيـنـ وـأـعـادـ أـبـنـ صـدـقةـ إـلـىـ وـزـارـتـهـ وـلـلـهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ أـعـلـمـ.

الأول فلم يجده فاتبعه إلى أن أدركه على ثلاثين فرسخاً وأعلمه حال أخيه من الرضا عنه وأعاده فرجع ولقيه العساكر بامر السلطان محمود وأنزله عند أنه ثم أحضره وهش له ويكي وخلطه بنفسه وذلك لثمانية وعشرين يوماً من الخطة بأذربيجان. وأما حيوس بك الأتابك فافتلق عن السلطان من المعركة وسار إلى الموصل وجمع الغلال من سعادها واجتمعت إليه العساكر وبلغه فعل السلطان مع أخيه فسار إلى الزاب مورياً بالصيد ثم أخذ السير إلى السلطان بهمدان فأmente وأحسن إليه وبلغ الخبر بالجزيرة إلى دبیس وهو بالعراق فهب البلاد وأخرها وبعث إليه السلطان فلم يচنع إلى كتابه.

### ولاية أقسندر البرسي على الموصل ثم على واسط وشحنة العراق

ولما وصل حيوس بك إلى السلطان محمود بعثه إلى أخيه طغرل وأتابك كغري فسار إلى كنجة وبقي أهل الموصل فوضى من غير وال و كان أقسندر البرسي قد أبلى في خدمة السلطان محمود ورد إلى أخيه مسعوداً يوم المزينة فعرف له حتى نصحه وحسن أثره فأقطعه الموصل وأعمالها وما يضاف إليها كشنجر والجزيرة فسار إليها سنة خمس عشرة وتقدم إلى سائر الأمراء بطاعته وأمره بمجادلة الإفرنج واسترجاع البلاد منهم فوصل إلى الموصل وقام بتدبيرها وإصلاح أحوالها ثم أقطعه سنة ست عشرة بعدها مدينة واسط وأعمالها مضافة إلى الموصل وجعله شحنة بالعراق فاستخلف عماد الدين زنكي بن أقسندر وبعثه إليها فسار إليها في شعبان من السنة.

### مقتل حيوس بك والوزير الشهيرمي

ثم إنّ السلطان بعد وصول حيوس بك بعثه لحرب أخيه طغرل كما قلناه وأقطعه آذربيجان فتذكر له الأمراء وأغرروا به السلطان فقتله على باب هرمز في رمضان سنة عشر وأصله تركي من موالي السلطان محمد وكان عادلاً حسن السيرة ولما ولي الموصل والجزيرة وكان الأكراد بتلك الأعمال انتشروا وكثرت قلاعهم وعظم فسادهم فقصدتهم وفتح كثيراً من قلاعهم كبلد المكاريه وبلد الروزن وبلد النكوسه وبلد التخشيبة وهربوا منه في الجبال والشعاب والمضايق وصلحت السابلة وأمن الناس.

وأما الوزير الكمال أبو طالب الشهيرمي فإنه برع مع

## استيلاء البرسقي على حلب

## ظفر السلطان بالكرج

لما سار ديبس إلى الإفرنج حرّضه على حلب وأن ينوب فيها عنهم ووجدهم قد ملكوا مدينة صور وطمعوا في بلاد المسلمين وساروا مع ديبس إلى حلب فحاصروها حتى جهد أهلها الحصار وبها يومئذ تاس بن ابن أرتق فاستجد بالبرسقي صاحب الموصى وشرط عليهم أن يكتنوه من القلعة ويسلموها إلى نوابه وسار إلى إنجادهم فاجفل عنهم الإفرنج ودخل إلى حلب فأصالح أمرها ثم سار إلى كفر طراب فملكها من القلعة ثم سار إلى قلعة إعزاز من أعمال حلب وصاحبها جوسكين فحاصرها وسارت إليه عساكر الإفرنج فانهزم وعاد إلى حلب فخلف فيها ابنه مسعوداً وعبر الفرات إلى الموصى.

## مسير طغرل ودبيس إلى العراق

ولما ارتحل الإفرنج عن حلب فارقهم ديبس ولحق بالملك طغرل فتلقاه بالكرامة والمبرة وأغراه بالعراق وضمن له ملكه فساروا لذلك سنة تسع عشرة واتجهوا إلى دنقوا فكتب مجاهد الدين بهروز من تكريت إلى المسترشد يخبرهم فتجهز لقاتهم وأمر برتشق الزكوي أن يتجهز معه خامس صفر وانتهى إلى الحالص وعدل طغرل ودبيس إلى طريق خراسان ثم نزلوا رباط جلواء وزنل الخليفة بالدسكنرة وفي مقدمة الوزير جلال الدين بن صدقة وسار ديبس إلى جسر الهرewan لحفظ المقاير وقد كان رأيه مع طغرل أن يسير طغرل إلى بغداد فملكها وتقدم ديبس في انتظاره فقصد به المرض عن لحاقه وغضيّتهم أمطار أغلقتهم عن الحركات وجاء ديبس إلى النهروان طریقاً من التعب والبرد والجروح.

واعترضوا ثلاثة جملة للخليفة جاءت من بغداد بالملبوس والمأكل والمطعم وأكلوا وناسموا في دفء الشمس وإذا بالمسترشد قد طلع عليهم في عساكرة بلغه الخبر بأن ديبساً وطغرل خالفو إلى بغداد فاضطرّب عسكره وأجللوا راجعين إلى بغداد فلقوه في طريقهم ديبساً كما ذكرنا على دياري غرب النهروان وقف الخليفة عليه فقبل ديبس الأرض واستعطف حتى هم الخليفة بالغفر عنه ثم وصل الوزير ابن صدقه فثناه عن رأيه ووقف ديبس مع برتشق الزكوي بجاهده ثم شغل الوزير بعده الجسر للعبور فتسلى ديبس ولحق بطرغرل وعاد المسترشد إلى بغداد ولحق طغرل ودبيس بهمنان فعاثوا في أعمالها وصادروا أهلها وخرج إليهم السلطان محمود فانهزموا بين يديه ولحقوا بالسلطان سنجر بخراسان شاكين

ثم وفدي سنة سبع عشرة على السلطان محمود جماعة من أهل دناروند وشرونان يستصرخونه على الكرج ويشكرون ما يلقون منهم فسار لصريحهم ولا تقارب الفتتان هم السلطان بالرجوع وأشار به وزيره شمس وتطارح عليه أهل شرونان فأقام وياتوا على وجبل ثم وقع الاختلاف بين الكرج وقنجاق واقتلاوا ليلتهم ورحلوا منهزمين وعاد السلطان إلى همدان والله تعالى أعلم.

## عزل البرسقي عن شحنة العراق وولاية

### برتقش الزكوي

كان الخليفة المسترشد قد وقعت بينه وبين ديبس بن صدقة حروب شديدة بتوابعه المباركة من أطراف عاتنه وكان البرسقي معه وانهزم ديبس فيها هزيمة شديدة كما مرّ في أخباره فقد غزنته صريحاً فلم يصرخه فقد المتفق وسار بهم إلى البصرة فدخلوها واستباحوها وقتلوا سلمان نائبه فأرسل الخليفة إلى البرسقي بالتكثير على إهمال أمر ديبس حتى فتك في البصرة فسار البرسقي إلى وهرب ديبس فلحق بالإفرنج وجاء معهم لحصار حلب فامتعمت فلتحق بطرغرل بن السلطان محمد يستحثه لقصد العراق كما مر ذلك في أخبار ديبس وبقيت في نفس المسترشد عليه ولحق بها أمثالها فتذكر له وبعث إلى السلطان محمود في عزله فعزله وأمره بالعود إلى الموصى لجهاد الإفرنج ووصل نائب برتقش إلى بغداد وأقام بها الشحنة وبعث السلطان ابنه له صغيراً ليكون معه على الموصى وسار البرسقي به ووصل الموصى وقام بولايته.

## بداية أمر بنى أقسنقر وولاية عماد الدين

### زنكي على البصرة

كان عماد الدين زنكي في جلة البرسقي ولا أقطعه السلطان واسط بعث عليها زنكي فقام فيها أياماً ثم كان مسir البرسقي إلى البصرة في أربع ديبس فلما هرب ديبس عنها بعث البرسقي إليها عماد الدين زنكي فأقام محاصيتها ودفع العرب عنها ثم استدعاه البرسقي عندما سار إلى الموصى فضجر من ثلؤن الأحوال عليه واحتار اللحاق بأصفهان فقدم عليه بأصفهان فأكرمه السلطان وأقطعه البصرة وعاد إليها سنة ثمان عشرة والله تعالى أعلم.

من المسترشد وبرتقش الشحنة والله أعلم بغيره وأحكم.

## مقتل البرسقي وولاية ابنه عز الدين على الموصل

وولى زنكي بن أقسندر شحنة بغداد ثقة بكفائه واستقامت

أحواله مع الخليفة وأشار به أصحابه ورأوا أنه يرفع الخرق ويصلح الأمر فولاه على ذلك مضافاً إلى ما بيده من البصرة وواسط وسار إلى همدان وقبض في طريقه على وزير أبي القاسم علي بن الناصر الشادي اتهمه بمماطلة المسترشد لكتلة سعيه في الصلح فقبض عليه واستدعى شرف الدولة أبو شروان بن خالد من بغداد فلحقه بأصفهان في شعبان واستوزره عشرة أشهر ثم عزله ورجع إلى بغداد وبقي أبو القاسم محبوساً إلى أن جاء السلطان سنجر إلى الرئي فأطلقه وأعاده إلى وزارة السلطان محمود آخر اثنين وعشرين.

## وفاة عز الدين بن البرسقي وولاية عماد الدين زنكي على الموصل وأعمالها ثم استيلاؤه على حلب

ولما استولى عز الدين على الموصل وأعمالها واستفحلا أمره طمحت همته إلى الشام فاستأذن السلطان في المسير إليه وسار إلى دمشق ومر بالرحبة فحاصرها وملكها ثم مات إثر ذلك وهو عليها وافتقت عساكره وشغلوا عن دفنه ثم دفن بعد ذلك ورجعت العساكر إلى الموصل وقام بالأمر مملوكه جاوي ونصب إخاه الأصغر وأرسل إلى السلطان يطلب تحرير الولاية له وكان الرسول في ذلك القاضي بهاء الدين أبو الحسن علي الشهزوري وصلاح الدين محمد الباغسياني أمير حاجب البرسقي واجتمعا ببنصر الدين جعفر مولى عماد الدين زنكي وكان بينه وبين صلاح الدين سر فغورهما جعفر بن جاوي وحملهما على طلب عماد الدين زنكي وضمن لهما عنه الولايات والاقطاع فأجابوه وجاء بهما إلى الوزير شرف الدين أبو شروان بن خالد فقال له: إن البجزية والشام قد تمكن منها الإفرنج من حدود ماردین إلى عريش مصر، وكان البرسقي يكفهم وقد قتل ولده صغير ولابد للبلد من يضطلع بأمرها ويدفع عنها وقد خرجننا عن النصيحة إليكم. فبلغ الوزير مقاالتهم إلى السلطان فأحضرهما واستشارهما فذكرها جماعة منهم عماد الدين زنكي وبذلا عنه مقرضاً إلى خزانة السلطان مالاً جزيلاً فولاه السلطان لما علم من كفائه وولى

ثم إن المسترشد تنكر للشحنة برتقش وتهدهد فلحق بالسلطان محمود في رجب سنة عشرين فأغراه بالمسترشد وخوفه غالاته وأنه تعود الحروب وركب العيت ويرشك أن يمتنع عنك ويستصعب عليك فاعتزم السلطان على قصد العراق وبعث إليه الخليفة يلاطفه في الرد لغلاء البلاد وخرابها ويؤخره إلى حين صلاحها فصدق عنده حديث الزكوي وسار مجدداً فعبر المسترشد بأهله وولده وأولاد الخلفاء إلى الجانب الغربي في ذي القعدة راحلاً عن بغداد والناس باكون لفراقه وبلغ ذلك إلى السلطان فشق عليه وأرسل يستعطفه في العودة إلى داره فشرط عليه الرجوع عن العراق في القوت كما شرط أولاً فغضب السلطان وسار نحو بغداد والخليفة بالجانب الغربي ثم أرسل خادمه عفيفاً إلى واسط يمنع عنها نواب السلطان فسار إليه عماد الدين زنكي من البصرة وهزمه وقتله في عسكره قتلاً وأسرأ وجعل المسترشد السفن إلى وسد أبواب قصره ووكل حاجب الباب ابن الصاحب بدار الخلافة.

ووصل السلطان إلى بغداد في العاشر من ذي الحجة ونزل بباب الشamasية وأرسل المسترشد في العود والصلح وهو يمتنع وجرت بين العسكريين مناوشة ودخل جماعة من عسكر السلطان إلى دار الخليفة ونهبوا الناج أول المحرم سنة إحدى وعشرين وخمسة فضح العامة لذلك ونادوا بالجهاد وخرج المسترشد من سراقدة ينادي بأعلى صوره وضررت الطبول وتختت البوقات ونصب الجسر وعبر الناس دفعة وعسكر السلطان مشتغلون بالذهب في دور الخلافة والأمراء وكان في دار الخلافة ألف رجل كانوا من السرداد فخرجوا عند ذلك ونالوا من عسكر السلطان وأسرروا جماعة من أمرائهم ونهب العامة دور وزير السلطان وأمرائهم وحاشياته وقتل منهم خلق.

و عبر المسترشد إلى الجانب الشرقي في ثلاثين ألف مقاتل من أهل بغداد والسوداد ودفع السلطان وعسكره عن بغداد وحرر عليها الخندق وأعزموها على كبس السلطان فأخافهم أبو الهيجاء الكردي صاحب اربيل ركب للقتال فلحق بالسلطان ووصل عماد الدين زنكي من البصرة في جيش عظيم في البر والبحر أذهل

وتقى جوسكين بعسكره إليها فدافعواه بالمال ثم وصل صاحب أنطاكية فحاصرهم إلى آخر السنة وهم حاصرون القلعة فلما ملك عماد الدين زنكي الموصى والجزيرة والشام فأطاعوا وسار عبد الجبار وقطلع إلى عماد الدين بالموصى وأقام أحد الأمراء محلب حتى بعث عماد الدين زنكي صاحبه صلاح الدين محمد الباغياني في عسكر فملك القلعة ورئب الأمور وولى عليها وجاء عماد الدين بعسكره في أثره وملك في طريقه منجع ومراة ثم دخل حلب وأقطع أعمالها الأجناد والأمراء وبقى على قطلع أبه وسلمه لابن بدیع فكحله فمات واستوحش ابن بدیع فهرب إلى قلعة عصفر وأقام عماد الدين مكانه في رئاسة حلب أبا الحسن علي بن عبد الرزاق.

## قدوم السلطان سنجر إلى الري ثم قدم السلطان محمود إلى بغداد

الموصى طغرل وديس إلى السلطان سنجر بخراسان حرّضه ديس على العراق والسلطان محمود قد اتفقا على الامتناع منه فسار سنجر وأخوه السلطان محمود باستدعائه فراراً لأقرب وقت وأمر العساكر بتلقيه وأجلسه معه على التخت وأقام السلطان محمود عنده إلى آخر اثنين وعشرين ثم رجع سنجر إلى خراسان بعد أن أوصى محمد بدليس وأعاده إلى بلده ورجع محمود إلى همدان ثم سار إلى العراق وخرج الوزير للقائه ودخل بغداد في تاسوعاء سنة ثلاثة وعشرين ثم لحقه ديس بعشرة ألف دينار في ولاية الموصى وسمع بذلك زنكي وجاء إلى السلطان وحل المائة ألف مع هدايا جليلة فخلع عليه وأعاده وسار متصرف السنة عن بغداد إلى همدان بعد أن ولّ الحلة مجاهد الدين بهروز شحنة بغداد.

## وفاة السلطان محمود وملك ابنه داود

ثم توفي السلطان محمود بهمدان في شوال سنة خمسة وعشرين لثلاث عشرة سنة من ملكته بعد أن كان قبض على جماعة من أمرائه وأعيان دولته منهم عزيز الدولة أبو نصر أحد بن حامد المستوفي وأبو شتiken المعروف بشيركين بن حاجب وأبيه عمر خافتهم الوزير أبو القاسم الشابادي فأغري بهم السلطان فنكبهم وقتلهم ولما توفي اجتمع الوزير أبو القاسم والأتاباك أفسر الأحدبلي وباعوا لابنه داود وخطبوا له في جميع بلاد الجبل

مكانه شحنة العراق مجاهد الدين بهروز صاحب تكريت.

وسار عماد الدين زنكي فبدأ بالبوارج وملكتها ثم سار إلى الموصى وتلقاه جاوي مطيناً وعاد إلى الموصى في خدمته فدخلها في رمضان وأقطع جاوي الرحمة وبعثه إليها وولى نصير الدين جعفرأ قلعة الموصى وسائر القلاع وجعل صلاح الدين محمد الباغياني أمير صاحب وولي بهاء الدين الشهروزوري قضاء بلاده جميعاً وزاده أملاكاً وأنطاعاً وشركه في رايه.

ثم سار إلى جزيرة ابن عمر وقد امتنع بها ماليك البرسي فجذب في قتالهم وكانت دجلة تغول بينه وبين البلد فعبر بعسكره الماء سباحاً واستولى على المسافة التي بين دجلة والبلد وهزم من كان فيها من الخامية حتى أحجزهم بالبلد وضيق حصارهم فاستأمنوا وأمنهم ثم سار إلى نصيبين وهي لسام الدين غرتاش ابن أبي الغازى صاحب ماردین فحاصرها واستجذب حسام الدين ابن عممه ركن الدولة داود بن سكمان بن أرتق صاحب كيفاً فأخذته بنفسه وأخذ في جمع العساكر وبعث غرتاش ماردین إلى نصيبين يعرف العساكر بالخبر وأن العساكر واصلة إليهم عن خمسة أيام وكتب في رقة وعلقها في جناح طائر فاعتبره سنجر زنجي وصادره وقرأ زنكي الرقة وعرض الخمسة أيام بعشرين يوماً وأطلق الطائر بها إلى البلد فقرؤوا الكتاب وأسقط في أيديهم واستطلاوا العشرين واستأمنوا لعماد الدين زنكي فأمنهم وملك نصيبين وسار عنها إلى سنجر فملكها صلحاً وبعث العساكر إلى الخبر إلى الخبر إلى الخبر.

ثم سار إلى حرّان وخرج إليه أهل البلد بطاعتهم وكانت الرُّؤها وسرور والميرة ونواحيها للإفرنج ولعليها جرسكين صاحب الرُّؤها فكاتب زنكي وهادنه ليتفرق للجهاد بعد ثم عبر الفرات إلى حلب في المحرم ستة اثنين وعشرين وقت كان عز الدين مسعود بن أقسنت البرسي لما سار عنها إلى الموصى بعد قتل أبيه استخلف عليها قرمان من أمرائه ثم عزله بأخر اسمه قطلع أبه وكتب له إلى قرمان فمنعه إلا أن يرى العالمة التي يبسه وبين عز الدين بن البرسي فعاد قطلع إلى مسعود ليجيء بالعلامة فوجده قد مات بالرحمة فعاد إلى حلب وأطاعه رئيسها فسائل بن بدیع والمقدّمون بها واستنزلوا قرمان من القلعة على ألف دينار وأعطوه إليها وملك قطلع القلعة متصرف إحدى وعشرين ثم ساءت سيرته وظهر ظلمه وجوره.

وكان بالمدينة بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار بن أرتق وكان ملكها قبل وخلع عنها فدعاه الناس إلى البيعة وثاروا بقططلع فامتنع بالقلعة فحاصره وجاء مهيار صاحب منجع وحسن صاحب مراة لإصلاح أمرهم فلم يتفق وطبع الإفرنج في ملكها

إلى بلاد الجبال ومع طغول ابن أخيه محمد وانتهى إلى الري ثم سار إلى همدان فسار مسعود لقتاله ومعه قراجا السافي وسلجوق شاه وقد كان الخليفة عزم أن لا يتجهز معهم فأبطأ فبعثوا إليه قراجا فسار إلى خاتين وأقام وقطع خطبة سنجار من العراق وخالقهم إلى بغداد دببس وزنكى وقد سمع إقطاعه لستجارت الحلة وزنكى وله شحنة بغداد فرجع المسترشد إلى بغداد لموافقتهم وسار السلطان وأخوه سلجوق شاه للقاء سنجار ثم سمعا بكثرة عساكره فتأخرا فسار في طلبهم يوماً وليلة ثم تراجعوا عند الدبور وكان مسعود يماطل باللقاء انتظاراً للمسترشد فلم يجد بدأ من اللقاء فالتفقا على التقى وحمل قراجا عليهم وتوڑط في المركبة وأصيب بجراحات ثم الفُرُّوا عليه وأسروه وانهزم من أصحاب مسعود قزل وقد كان واطلهم على الهزيمة فانهزم السلطان مسعود عند ذلك متصرف ستة وعشرين وقتل كثير من أكابر الأمراء ونزل سنجار في خيامهم وأحضر قراجا فقتله وجيء إليه بالسلطان مسعود فأكرمه وأعاده إلى كنجه وخطب للملك طغول ابن أخيه في السلطة وخطب له في جميع البلاد واستوزر له أبا القاسم الساباذي وزير السلطان محمود وعاد إلى نيسابور آخر رمضان سنة ست وعشرين وخمسة.

### هزيمة السلطان داود واستيلاء طغول بن محمد على الملك

لما ول طغول همدان وولى عنه السلطان سنجار إلى خراسان وبلغه أن صاحب ما وراء النهر المُرْنَاح قد انتقض عليه فسار لإصلاحه وشغل بذلك ف quam الملك داود بأذربيجان وببلاد كنجه وطلب الأمر لنفسه وجمع العساكر وسار إلى همدان ومعه برتش الزنكى وأتابك أقسقى الأحدبى ومعه طغول بن برسق ونزل وقد استقر ثم اضطرب عسكر داود وأحسوا من برتش الزنكى بالفشل فنهب التركمان خيامه وهرب أقسقى أتابك وانهزم في رمضان سنة ست وعشرين ثم قدم بغداد في ذي القعدة ومعه أتابك أقسقى فأكرمه الخليفة وأنزله بدار السلطان.

### عود السلطان مسعود إلى الملك

#### وهزيمة طغول

قد تقدم لنا هزيمة السلطان مسعود من عمه سنجار وعدوه إلى كنجه وولاية طغول السلطان ثم محاربة داود ابن أخيه له

وأذربيجان ووقعت الفتنة بهمدان وسائر بلاد الجبل ثم سكنت وهرب الوزير إلى الري مستجيرًا بالسلطان فأثار بها.

### منازعة السلطان مسعود لداود ابن أخيه واستيلاؤه على السلطان بهمدان

لما هلك السلطان محمود سار أخيه مسعود من جرجان إلى تبريز فملكها فسار داود من همدان في ذي القعدة سنة خمسة وعشرين وحاصره بتبريز في حرم سنة ست وعشرين ثم اصطلحوا وتاخر داود عن الأمر لعمة مسعود فسار مسعود من تبريز إلى همدان وكانت عماد الدين زنكى صاحب الموصل يستجده فوعده بالنصر وأرسل إلى المسترشد في طلب الخطبة ببغداد وكان داود قد أرسل في ذلك قبله ورقة المسترشد الأمر في الخطبة إلى السلطان سنجر ودس إلىه أن لا ياذن لواحد منها وأن تكون الخطبة له فقط وحسن موقع ذلك عنده وسار السلطان مسعود إلى بغداد وسبقه إليها أخيه سلجوق شاه مع أتابك قراجا السافي صاحب فارس وخرستان ونزل في دار السلطان واستخلفه الخليفة لنفسه.

ولما سار السلطان مسعود أوعز إلى عماد الدين زنكى أن يسير إلى بغداد فسار من الموصى إليها وانتهى السلطان مسعود إلى عبابة الماخص وبرزت إليه عساكر المسترشد وسلجوق شاه وسار قراجا السافي إلى مدافعة زنكى فدافعوا على المشرق فهزمه وأسر كثيراً من أصحابه ومر منهزماً إلى تكريت وبها يومئذ خجم الدين آثوب أبو الأملاك الأبيوية فهيا له المعابر وعبر دجلة إلى بلاده وسار السلطان مسعود من العبابة وقاتل طلائعه طلائع أخيه سلجوق وبيث سلجوق يستحث قراجا بعد هزيم زنكى فعاد سريعاً وتأخر السلطان مسعود بعد هزيمة زنكى وأرسل إلى المسترشد بأأن عمه سنجار وصل إلى الري عازماً على بغداد ويسير بدافعته عن العراق وتكون العراق لوكيل الخليفة ثم تراسل القوم واتفقوا على ذلك وخالفوا عليه وأن يكون مسعود السلطان ولـي العهد ودخلوا إلى بغداد فنزل مسعود ديار السلطان وسلجوق دار الشحنة والله سبحانه وتعالى ولـي التوفيق.

### هزيمة السلطان مسعود

#### وملك طغول أخيه

لما توفى السلطان محمود سار السلطان سنجار من خراسان

## وفاة طغول واستيلاء مسعود على الملك

ولما وصل مسعود إلى بغداد حل إليه المسترشد ما يحتاج إليه وأمره بالسير إلى همدان لمساعدة طغول ووعده بالسير معه بنفسه فتبطأ مسعود عن السير واتصل جماعة من أمرائه بخدمة الخليفة ثم أطلع على مداخلة بعضهم لطغول فقبض عليه ونهب ماله وارتبات الآخرون فهربوا عن السلطان مسعود وبعث المسترشد في إعادتهم إليه فدافعته ووقعت لذلك بينهما وحشة قعد المسترشد عن نصره بنفسه وبينما هم في ذلك وصل الخبر بوفاة أخيه طغول في المحرم سنة تسع وعشرين فسار مسعود إلى همدان واستوزر شرف الدين أبو شروان بن خالد حله من بغداد وأقبلت إليه العساكر فاستولى على همدان وبلاط الجبل.

## فتنة المسترشد مع السلطان مسعود ومقتله وخلافة ابنه الراشد

قد تقدم لنا أن الوحشة وقعت عندما كان بغداد بسبب أمرائه الذين اتصلوا بخدمة المسترشد ثم هربوا عنه إلى السلطان مسعود فلما سار السلطان مسعود إلى همدان بعد موت أخيه طغول وملكتها استوحش منه جماعة من أمرائه منهم برتش وقرزل وقرا سقر الخمارتكين وإلى همدان وعبد الرحمن بن طغوليك ودبيس بن صدقية وساروا إلى خوزستان ووافقهم صاحبها برسق بن برسق واستأنفوا إلى الخليفة فارتبا من دليس وبعث إلى الآخرين بالأمان مع سعيد الدولة بن الأنباري وراتب دليس منهم أن يقضوا عليه فرجع إلى السلطان مسعود وسار الآخرون إلى بغداد فاستحوذوا المسترشد للسير إلى قتال مسعود فاجابهم وبالغ في تكرمتهم.

ويز آخر رجب من سنة تسع وعشرين وهرب صاحب القصبة إليها وبعث إليه بالأمان فأبى فتكتاسل عن المسير فاستحوذه وسهلوا له الأمر فسار في شعبان ولحق به برسق بن برسق وبليغ عدة عسكره سبعة آلاف وتختلف بالعراق مع خادمه إقبال ثلاثة آلاف وكابته أصحاب الأطراف بالطاعة وأبطا في مسيرة فاستجعلهم مسعود ووزحروا إليه فكان عسكره خمسة عشر ألفاً. وتسلل عن المسترشد جماعة من عسكره، وأرسل إليه داود ابن محمود من أذربيجان يشير بقصد الدينور والقام بها حتى يصل في عسكره فأبى واستمرّ في مسيرة.

وبعث زنكي من الموصل عسكراً فلم يصل حتى توافقوا

وانهزام داود ثم رجوع داود إلى بغداد فلما بلغ الخبر إلى مسعود جاء إلى بغداد ولقيه داود قريباً منها وترجل له عن فرسه ودخل بغداد في صفر سنة سبع وعشرين ونزل مسعود بدار السلطان وخطب له ولداود بعده وطلب من السلطان عسكراً ليسير معهما إلى أذربيجان فبعث معهما العساكر إلى أذربيجان ولقيهم أفسندر الأحدبلي في مراغة بالإقامة والأموال وملك مسعود بلاد أذربيجان وهرب بين يديه من كان بها من أمراء وامتنعوا بعدينة أذربيجان فحاصرهم بها وملكتها عليهم وقتل منهم جماعة وهرب الباقون.

ثم سار إلى همدان محاربة أخيه طغول فهزمه وملك همدان في شعبان من السنة وطلق طغول بالري وعاد إلى أصفهان ثم قتل أفسندر الأحدبلي بهمدان غيلة ويفقال: إن السلطان مسعوداً دس عليه من قتلته ثم سار إلى حصار طغول بأصفهان فقارتها طغول إلى فارس وملكتها مسعود وسار في أثر طغول إلى البيضاء فاستأمن إليه بعض أمراء طغول فامنه وخشي طغول أن يستأنفنا إليه فقصد الري وقتل في طريقه وزسره أبا القاسم السبابادي في شوال من السنة ومثل به غلامن الأمير شيركين الذي سعى في قتله كما مر ثم سار الأمير مسعود بيته إلى أن تراجعاً ودارت بينهما حرب شديدة وانهزم طغول وأسر من أمراء الحاجب زنكي وأتى بقرا وأطلقهما السلطان مسعود وعاد إلى همدان والله تعالى أعلم.

## عود الملك طغول إلى الجبل وهزيمة السلطان مسعود

ولما عاد مسعود من حرب أخيه طغول بلغه انقضاض داود ابن أخيه محمود بأذربيجان فسار إليه وحاصره بقلعة فحصر جمع قواده فسار مسعود للقائه ولقيه عند قزوين وفارق مسعود الأمراء الذين استسلم لهم طغول ولحقوا به فانهزم مسعود في رمضان سنة ثمان وعشرين وبعث إلى المسترشد يستأنفه في دخول بغداد فاذن له وكان أخوه سلوجوق بأصفهان مع نائبه فيها البخش السلاحي فلما سمع بانهزامه سقه إلى بغداد وائزنه المسترشد بدار السلطان وأحسن إليه بالأموال ووصل مسعود وأكثر أصحابه رجالاً فرسخ عليه الخليفة بالإتفاق والراكب والظهر والباس والألة ودخل دار السلطان متصرف شوال وأقام طغول بهمدان.

صاحب فروع والبتشن الكبير صاحب أصفهان وابن برسق وابن الأحدبلي وخرج للقائهم كجرابة والطرنطاي وكان إقبال خادم المسترشد قد قدم من تكريت فقبض عليه الراشد وعلى ناصر الدولة أبي عبد الله الحسن بن جهير فاستوحش أهل الدولة وركب الوزير جلال الدين بن صدقة إلى لقاء عماد الدين زنكبي فاتأه عنده مستجيرًا حتى أصلح حاله مع الراشد واستجار به قاضي القضاة الرئيسي ولم ينزل معه إلى الموصل وشفع في إقبال فأطلق وسار إليه ثم جدّ الراشد في عمارة السور وسار الملك داود لقتال مسعود استخلفه الراشد واستخلفه عماد الدين زنكبي وقطعت خطبة مسعود من بغداد وولى داود شحنة بغداد برقتش بازدار.

ثم وصل الخبر بأن سلجوقي شاه أخا الأمير مسعود ملك واسط وقبض على الأمير بك أبي فسار الأمير زنكبي لدعاعه فصالحه ورجع وعبر إلى طريق خراسان للحراق داود واحتشد العساكر ثم سار السلطان مسعود لقتالهم وفارق زنكبي داود ليسير إلى مراغة وبخلاف السلطان مسعود إلى همدان ويرز الراشد من بغداد أول رمضان وسار إلى طريق خراسان وعاد بعد ثلات وعزم على الحصار ببغداد واستدعي داود الأمراء ليكونوا معه عنده فجاؤوا لذلک ووصلت رسائل السلطان مسعود بطااعة الراشد والتغريض بالوعيد للأمراء المجتمعين عنده فلم يقبل طاعة من أحالمهم والله سبحانه وتعالى أعلم.

## حصار بغداد ومسير الراشد إلى الموصل

### وخلعه وخلافة المقتفي

ثم إن السلطان مسعودًا أجمع المسير إلى بغداد وانتهى إلى الملكية فسار زين الدين علي من أصحاب زنكبي حتى شارف معسكره وقاتلهم ورجع ونزل السلطان على بغداد والعيارون أفسدوا سائر الحال ببغداد وانطلقت أيديهم وأيدي العساكر في النهب ودام الحصار نيفاً وخمسين يوماً تأخر السلطان مسعود إلى النهروان عازماً على العود إلى أصفهان فوصله طرنطاي صاحب واسط في سفن كثيرة فركب إلى غربى بغداد فاضطراب الأمراء واقتروا وعادوا إلى أذربيجان وكان زنكبي بالجانب الغربى فعبر إلى الراشد وسار معه إلى الموصل ودخل السلطان مسعود بغداد متصرف ذي القعدة فسكن الناس وجع القضاة والفقهاء وأوقفتهم على عين الراشد التي كتبها بخطه: إني متى جمعت أو خرجت أو لقيت أحداً من أصحاب السلطان بالسيف فقد خلعت نفسى من

وسائل السلطان محمود إليهم مجدًا فواقاموا عاشر رمضان ومالت مسيرة المسترشد إليه وإنهزمت ميشه وهو ثابت لم يتحرك حتى أخذ أسرىً ومعه الوزير والقاضي وصاحب المحرر وابن الأبياري والخطباء والفقهاء والشهداء فأنزل في خيمة ونهب خيمه وحمل الجماعة أصحابه إلى قلعة ترجعان ورجع بقية الناس إلى بغداد ورجع السلطان إلى همدان وبعث الأمير بك أبي إلى بغداد شحنة فوصلها سلخ رمضان ومعه عميد وقضوا أملاك المسترشد وغلتها و كانت بينهم وبين العامة فتنة قتل فيها خلق من العامة وسار السلطان في شوال إلى مراغة وقد ترددت الرسل بينهما في الصلح على مال يؤديه المسترشد وإن لا يجمع العساكر ولا يخرج من داره لحرب ما عاش وأجياله السلطان وأنذ له في الركوب وحل الغاشية وفارق المسترشد بعض الوكلين به فهوهم عليه جماعة من الباطنية فالهموه جراحًا وقتلوه ومثلوا به جداعًا وصلباً وتركوه سليمًا في نهر من أصحابه قتلوا معه وتعظ الباطنية فقتلوا وكان ذلك متصرف ذي القعدة سنة ستة وعشرين لثمان عشرة سنة من خلافته وكان كاتباً بليغاً شجاعاً قرمًا ولما قتل براقة كتب السلطان مسعود إلى بك أبي شحنة بغداد بان يبايع لابنه فبriع ابنه الراشد أبو جعفر منصور بعهده إلى لثمانية أيام من مقتله وحضر بيته المسترشد فلما بلغه خبر الواقعه وكان مقيناً ببغداد كما قدمته إلى الجانب الغربي ولحق بكتير ونزل على مجاهد الدين بهروز.

## فتنة الراشد مع السلطان مسعود

لما بريع الراشد بعث إليه السلطان مسعود برقتش الزكوي يطالبه بما استقر عليه الصلح مع أبيه المسترشد وهو أربعينات الف دينار فأنكر الراشد أن يكون له مال وإنما سال الخلافة كان مع المسترشد فنهب ثم جمع الراشد العساكر وقدم عليهم كجرابة وشرع في عمارة السور واتفق برقتش مع بك أبي على هجوم دار الخلافة وركبوا لذلك في العساكر فقاتلهم عساكر الراشد والعامة وأخرجوهم عن البلد إلى طريق خراسان وسار بك أبي إلى واسط وبرقتش إلى سرخس وما علم داود بن عمود فتنة عمه مسعود مع الراشد سار من أذربيجان إلى بغداد في صفر سنة ثلاثين ونزل بدار السلطان ووصل بعده عماد الدين زنكبي من الموصل وصادقة بن ديس من الخلأة ومعه عشن بن أبي العساكر يدير أمره ويديره وكان أبوه ديس قد قتل بعد مقتل المسترشد بأذربيجان وملك هو الخلأة ثم وصل جماعة من أمراء مسعود منهم برقتش بازدار

إلى أذريجان سار هو إلى بغداد ليملكها ودافعه البتش التحت  
ونظم الخادم أمير الحاج وثار العيارون بالبلدان وأنجحوا في الهرب  
فقلما رجع الشحنة استحصل شاقفهم وأخذ المستورين بمنياهم فجلا  
الناس عن بغداد إلى الموصل وغيرها. ولما قتل صدقة بن ديبس أقرَّ  
السلطان مسعود أخيه محمدًا على الحلة ومعه مهلل بن أبي  
العاشر آخر عش المقتول كما مرّ في أخباره.

ثم لما ملك بربازة فارس رجع مع الراشد والملك داود ومعهما خوارزم شاه إلى خوزستان وخيروا الجزيرة فسار إليهم مسعود ليمنعهم عن العراق فقاد الملك داود إلى فارس وخوارزم شاه إلى بلده وسار الراشد إلى أصفهان فثار به نفر من الحراسية كانوا في خدمته فقتلوه عند القائلة في الخامس عشر رمضان من السنة ودفن بظاهر أصفهان ثم قبض السلطان آخر السنة على وزير أبي البركات بن سلامة الدركريبي واسترزر بعده كمال الدين محمد بن الحازن وكان نبيها حسن السيرة فرفع المظالم وأزال الكوس وأقام وظائف السلطان وجمع له الأموال وضرب على أيدي العمال وكشف خيانتهم فقتل عليهم وأوقعوا بينه وبين الأمراء فبلغوا في السعاية فيه عند السلطان وتولى كبرها قراسنقر صاحب أذربيجان فإنه بعث إلى السلطان يهدده بالخروج عن طاعته فأشار على السلطان خواصه بقتله خشية الفتنة فقتله على كرهه وبعث برأسه إلى قراسنقر فرضي:

وكان قتله سنة ثلث وثلاثين وخمسة لسبعين شهر من  
وزارته واستوزر بعده أبا العز طاهر بن محمد اليزدجردي وزير  
قراسقرا ولقب عز الملك وضاقت الأمور على السلطان واقتصر  
البلاد للأمراء ثم قتل السلطان البش الشلاحي الشحنة بما ظهر  
منه من الظلم والعنف فقبض عليه وجسده بتكريت عند مجاهد  
الدين بهروز ثم أمر بقتله فلما قرب للقتل ألقى نفسه في دجلة  
فمات وبعث برأسه إلى السلطان فقدم مجاهد الدين بهروز شحنة  
بغداد فحسن أمره ثم عزله السلطان سنة ست وثلاثين وولى فيها  
قرلي أميراً آخرًا من موالى السلطان محمود وكانت له يزدجرد  
والبصرة فاضيف له إليها والله سبحانه وتعالى أعلم بغيته.

## فتنة السلطان سنجار مع خوارزم شاه

وهو أول بداية بني خوارزم قد تقدّم لنا ذكر أولئك محمد خوارزم شاه وهو محمد بن أبي شتكتين وأن خوارزم شاه لقب له وإن الأمير داود جبشي لما ولأه برگيارق خراسان وقتل إنجيبي ول محمد بن أبي شتكتين وولي بعده ابنه أنسز ظهرت كفامة

الأمر. فأقروا بخلعه واتفق أرباب الدولة من كان يبغداد ومن أسر مع المسترشد وبقي من عند السلطان مسعود كلهم على ذمة وعدم أهلية على ما مرّ في أخباره بين أخبار الخلفاء.  
ويروي محمد بن المستظر ولقب المفتفي وقد تدّمت هذه الأنباء بأوسن من ذلك.

ثم بعث السلطان العساكر مع قراستقر لطلب داود فأدركته  
عند مراغة وقاتلته فهزمه وملك أذربيجان ومضى داود إلى  
خوزستان واجتمع عليه عساكر من التركمان وغيرهم فحاصر  
تستر وكان عمّه سلجوق بواسط فسوار إليه بعد أن أمره أخيه  
مسعود بالعساكر ولقي داود على تستر فهزمه داود ثم عزل  
السلطان ووزيره شرف الدين أنورشوان بن خالد واستقرر كمال  
الدين أبو البركات بن سلامة من أهل خراسان ثم بلغه أن الراشد  
قد فارق الموصل فاذن للعساكر التي عنده بي بغداد في العودة إلى  
بلادهم وصرف فيهم صدقة بن ديس صاحب الحللة بعد أن  
اصهر إليه في ابنته وقدم عليه جماعة من الأمراء الذين كانوا مع  
داود منهم القوش السلاوي وبرسق بن برسق وصاحب تستر  
وستقر الخمارتكين شحنة همدان فرضي عنهم وأتمهم وعاد إلى  
همدان سنة إحدى وثلاثين.

## الفترة بين السلطان مسعود وبين داود الراشد وهزيمة مسعود ومقتل الراشد

كان الأمير بوزابة صاحب خوزستان والأمير عبد الرحمن طغزليك صاحب خلخال والملك داود ابن السلطان محمود خاثفين من السلطان فاجتمعوا عند الأمير منكيرس صاحب فارس وبلهem مسير الراشد من الموصل إلى مراغة فراسلوه في أن يجتمعوا عليه ويردوه إلى خلافته فاجابهم وبلغ الخبر إلى السلطان مسعود فسار إليهم في شعبان سنة اثنين وثلاثين وأوقع بهم وأخذ منكيرس أسيراً فقتله وافتقرت عساكره للنهب فانفرد بوزابة وطغزليك وصدقوا الحملة عليه فانهزم وقبض على جماعة من الأمراء مثل صدقة بن ديبيص صاحب الحلة وكافله ثابت بن أبي العaskar وابن أتابك قراسنقر صاحب أذربيجان وحبشهم بوزابة حتى تحقق قتل منكيرس.

ولحق السلطان مسعود بأذريجان منهزمًا وسار داود إلى همدان فملكتها ووصل إليه الراشد هنالك وأشار بوزابة وكان كبير القوم بالمسير إلى فارس شاروا معه واستولى عليها وملكتها ولما علم سلجوق شاه وهو يراقب أنّ أخاه السلطان مسعود أمضى

## هزيمة السلطان سججار أمام الخطأ واستيلاؤهم على ما

ملك خوارزم واستقرّ بها فبعث إلى الخطأ وهم أعظم الترك فيما وراء النهر وأغراهم بملكه السلطان سججار واستحقّهم لها فساروا في ثلثمائة ألف فارس وسار سججار في جميع عساكره وعبر إليهم النهر ولقيهم سنة ست وثلاثين واقتلوه أشدّ قتال ثم انهزم سججار وعساكره وقتل منهم مائة ألف فيهم أربعة آلاف امرأة وأسرت زوجة السلطان سججار ولحق سججار بترمذ وسار منها إلى بلخ وقد صدّ أنسز مدينة مرو فدخلها مراجماً للسلطان وقتلك فيها وبقي على جماعة من الفقهاء والأعيان وبعد السلطان سججار إلى السلطان مسعود ياذن له في النصر وفي الريّ يدعوه إن احتاج إليه فجاء عباس صاحب الريّ بذلك إلى بغداد وسار السلطان مسعود إلى الريّ امتثالاً لأمر عمه سججار.

قال ابن الأثير: وقيل إنَّ بلاد تركستان وهي كاشغر وبلاط سامسون وجئي وطراز وغيرها مما وراء النهر كانت يهدى الخانية لهم مسلمون من نسل مراسيان ملك الترك المعروف خبره مع ملوك الكبيئة وأسلم جدهم الأول سبق قراخان لأنه رأى في منامه أن رجلاً نزل من السماء وقال له بالتركية ما معناه أسلم تسلم في الدنيا والآخرة. وأسلم في منامه ثم أسلم في يقظته. ولما مات ملك مكانه موسى بن سبق ولم يزل الملك في عقبه إلى أرسلان خان بن سليمان بن داود بن بقرخان بن إبراهيم طفاح خان بن إيلك نصر بن أرسلان بن علي بن موسى بن سبق فخرج عليه قرداخان واتبع الملك منه ثم نصر سججار وقتل قرداخان وخرج بعد ذلك خوارزم ونصره السلطان سججار منهم وأعاده إلى ملكه وكان في جنده نوع من الأتراك يقال لهم القاراغلية والأتراك الغربية الذين نهوا خراسان على ما نذكره بعد وهم صنفان: صنف يقال لهم: حق وأميرهم طوطى بن داديك وصنف يقال لهم: برق وأميرهم برغوث بن عبد الحميد.

وكان لأرسلان نصر خان شريف يصحبه من أهل سمرقند وهو الأشرف بن محمد بن أبي شجاع العلوي فحمل ابن أرسلان نصر خان وطلبوه انتزاع الملك منه فاستصرخ السلطان سججار فغير عليه في عساكره سنة أربع وعشرين وخمسة وانتهى إلى سمرقند فهرب القاراغلية أيامه وعاد إلى سمرقند فقبض على أرسلان خان وحبسه يلتحّ فمات بها وولى على سمرقند مكانه قليج طمقاج أبا المعالي الحسن بن علي بن عبد المؤمن ويعرف بحسن تكر من أعيان بيت الخانية إلا أنَّ أرسلان خان أطروحه فولاه سججار ولم تصل أيامه فولى بعده محمد بن أرسلان خان وأباوه هو الذي ملك سمرقند من يده وهو ابن أخت سججار.

وكان في سنة اثنين وعشرين وخمسة قد خرج كوهرخان

وورَّه السلطان سججار واستخلصه واستظره به في حروبه فزاده ذلك تقدماً ورفعة واستفحّل ملكه في خوارزم وغيره للسلطان سججار أنه يريد الاستبداد فسار إليه سنة ثلاث وثلاثين ويز أنسز ولقيه في التعبة فلم يثبت وانهزم وقتل من عساكره خلق وقتل له ابن فحرن عليه حرناً شديداً وملك سججار خوارزم وأنطعها غياث الدين سليمان شاه ابن أخيه محمد ورتب له وزيراً وأتابك حاججاً وعاد إلى مرو متصرف السنة فخالفه أنسز إلى خوارزم وهرب سليمان شاه ومن معه إلى سججار واستولى أنسز على خوارزم وكان من أمره ما يذكر بعد إن شاء الله تعالى.

## استيلاء قراسنقر صاحب أذربيجان على

### بلاد فارس

ثم جمع أتابك قراسنقر صاحب أذربيجان وبرز طالباً ثار عليه الذي قتلته بزيارة في المضاف كما مرّ وأرسل السلطان مسعود في قتل وزيره الكمال فقتله كما مرّ فانصرف عنه إلى بلاد فارس ومحض عنده بزيارة في القلعة البيضاء ووطيء قراسنقر البلاد وملكيها ولم يكتبه مقام فسلمها لسجلوق شاه ابن السلطان محمود وهو آخر السلطان مسعود وعاد إلى أذربيجان فنزل بزيارة من القلعة سنة أربع وثلاثين وهزم سلجوقي شاه وأسره وحبسه بعض قلاده واستولى على البلاد ثم هلك قراسنقر صاحب أذربيجان وأران بمدينة أردبيل وكان من عمالك طغرل وولي مكانه جاريل الطغري والله سبحانه ولي التوفيق.

## مسير جهان دانكي إلى فارس

ثم أمر السلطان سنة خمس وثلاثين الأمير إسماعيل جهان دانكي فسّار إليها ومنها مجاهد الدين بهروز من الوصول واستعدَ لذلك بخسف العابر وتغريقها فقصد الحلة فمنها أيضاً فقصد واسط فقاتله طرططي وانهزم ودخل واسط ونهبها ونهب التعمانية وما إليها واتبعهم طرططي إلى البطيخة ثم فارقه عساكره إلى طرططي فلتحق بستر وكتب إسماعيل إلى السلطان فعفا عنه.

## هزيمة السلطان سججار أمام الخطأ واستيلاؤهم على ما وراء النهر

وتلخيص هذا الخبر من كتاب ابن الأثير: أنَّ أنسز بن محمد

الفضل الكرماني وأعيان أهلها للشوري ثار عامّة البلد وقتلوا من كان عندهم من جنده وامتهنوا فظاولها ودخلها عنوة وقتل كثيراً من علمائها ثم رجع في شوال من السنة إلى نيسابور وخرج إليه علماؤها وزهادها يسألون معافاتها مما نزل بأهل مرو فأعفthem واستصفى أصحاب السلطان وقطع خطبة سنمار وبعث عسكراً إلى أعمال صعد فقاتلهم أياماً ولم يطق سنمار مقاومته لكان الخطأ وجوارهم له.

ثم سار السلطان سنمار سنة ثمان وثلاثين لقتال خوارزم وحاصرها أياماً وكاد يملكتها واقتصرها بعض أمرائه يوماً فدافعته أتسز بعد حروب شديدة ثم أرسل أتسز إلى سنمار بالطاعة والعود إلى ما كان عليه فقبله وعاد سنة ثمان وثلاثين.

### صلح زنكي مع السلطان مسعود

ثم وصل السلطان مسعود سنة ثمان وثلاثين إلى بغداد عادته تتجهز لقصد الموصل وكان يحمل لزنكي جميع ما وقع من الفتنة فبعث إليه زنكي يستعطفه مع أبي عبد الله بن الأباري وحمل معه عشرين ألف دينار وضمن مائة ألف على أن يرجع عنه فرجع وانعقد الصلح بينهما وكان ما رغب السلطان في صلحه أن ابنه غازي بن زنكي هرب من عند السلطان خوفاً من أبيه فرده إلى السلطان ولم يجتمع به فوقع ذلك من السلطان أحسن موقع والله تعالى أعلم.

### انتفاض صاحب فارس وصاحب الري

كان بوزابة صاحب فارس وخوزستان كما قدمنا فاسترحوش من السلطان مسعود فانتقض سنة أربعين وخمسة وسبعين لحمد بن محمود وهو ابن أخي السلطان مسعود وسار إلى مامشون واجتمع بالأمير عباس صاحب الري وافقه على شأنه واتصل به سليمان شاه آخر السلطان مسعود وتغلبوا على كثير من بلاده فسار إليهم من بغداد في رمضان من السنة ومعه الأمير طفابرك حاجبه وكان له التحكم في الدولة والمليل إلى القومن واستخلفه وسار فلما تقاربوا للحرب نزع السلطان شاه عنهم إلى أخيه مسعود وسعى عبد الرحمن في الصلح فانعقد بينهما على ما أحبه القوم وأضيف إلى عبد الرحمن ولاية أذريجان وأران إلى خلخال عوضاً من جاويلى الطغرلي واستوزر أبا الفتح بن دارست وزير بوزابة وقد كان السلطان سنة تسعة وثلاثين قبض

من الصين إلى حدود كاشغر في جموع عظيمة وكوهر الأعظم بسانهم وخان السلطان فمعاه أعظم ملك ولقيه صاحب كاشغر أحد بن الحسن الخان فهزمه وقد كان خرج قبله من الصين أتسراك الخطأ وكانت في خدمة الخاتمة أصحاب تركستان وكان أرسلان خان محمد بن سليمان ينطرهم على الدروب بيته وبين الصين مسالح ولم على ذلك جرابيات وإقطاعات وسخط عليهم بعض السنين وعاقبهم بما عظيم عليهم فطلبوا فسيحا من البلاد يؤمنون فيه من أرسلان خان لكثرة ما كان يغزوهم ووصفتهم لهم بلاد سامسون فساروا إليها.

ولما خرج كونان من الصين ساروا إليه واجتمعوا عليه ثم ساروا جميعاً إلى بلاد ما وراء النهر ولقيهما الخان محمود بن أرسلان خان محمد في حدود بلاده في رمضان سنة إحدى وثلاثين فهزمه وعاد إلى سمرقند وعظم الخطب على أهلها وأهل بخاري واستمدّ محمود السلطان سنمار وذكر ما لقي السلطان من العناء واجتمع عنده ملوك خراسان وملك سجستان من بين خلف وملك غزنة من الغوريين وملك مازندران وعبر النهر للقاء الترك في أكثر من ألف وذلك لآخر خمس وثلاثين وخمسة. وشكا إليه محمود خان من القاراغلية فقصدتهم واستجاروا بكوهرخان ملك الصين فكتب إلى سنمار بالشفاعة فيهم فلم يشفعه وكتب إليه يدعوه للإسلام ويهذهبه بكثرة العساكر فأهان الرسول وزحف للقاء سنمار والتى الجماعن بموضع يسمى قطران خامس صفر سنة ست وثلاثين وأبلى القاراغلية من الترك وصاحب سجستان من المسلمين ثم انهزم المسلمون فقتل كثير منهم وأسر صاحب سجستان والأمير قماح وزوجة السلطان سنمار فأطلقهم كونان ومضى السلطان سنمار منهزاً وملك الترك الكفار والخطأ بلاد ما وراء النهر إلى أن مات كونان ملكهم سنة سبع وثلاثين ووليت بعده ابنته ثم ماتت قريباً وملكت أمها من بعدها وهي زوجة كونان وابنه محمد وصار ما وراء النهر يهد الخطأ إلى أن غلبهم عليه عماد الدين محمد خوارزم شاه سنة اثنى عشرة وستمائة.

### أخبار خوارزم شاه بخراسان وصلاحه مع

#### سنمار

ولما عاد السلطان منهزاً سار خوارزم شاه إلى سرخس في ربیع سنة ست وثلاثين فأطاعته ثم إلى مرو الشاهجان شفع فيهم الإمام أحمد البخاري ونزل بظاهرها وبينما هو قد استدعى أبا

مزاتكن واشتد القتال بينهما وكبا الفرس بوزابة وسيق إلى السلطان قتيل بين يديه وقيل: أصابه سهم فسقط ميتاً وانهزمت عساكره وكان هذا الحرب من أعظم الحروب بين السلاجقة.

## انتفاض المرأة على السلطان

ولما قتل طغابرك وعباس وبوزابة اختص بالسلطان ابن خاص بك ليله إليه وأطرب بقية الأمراء فاستحوشا وارتباوا بأنفسهم أن يقع بهم ما وقع بالآخرين ففارقوه وساروا نحو العراق أبو ركن المسعودي صاحب كتبة وأران والبقش كون خر صاحب الجبل والخاجب خريطي المحمودي شحنة واسط وابن طغابرك والركن وقرقوب ومعهم ابن أخي السلطان وهو محمد بن محمود وانهوا إلى حران فاضطرب الناس ببغداد وغلت الأسعار ويعث إليهم المقتفي بالرجوع فلم يرجعوا ووصلوا إلى بغداد في ربيع الآخر من سنة ثلاثة وأربعين ونزلوا بالجانب الشرقي وهرب أجناد مسعود شحنة بغداد إلى تكريت ووصل إليهم علي بن ديس صاحب الحلة وزلل بالجانب الغربي وجمع الخليفة العساكر ثم قاتل العامة عساكر الأمراء فاستطردوا لهم ثم كروا عليهم فملؤوا الأرض بالقتلى ثم جاست خيولهم خلال الديار فنهوا وسبوا ثم جاؤوا مقابل الناج يعتذرون ورددوا الرسل إلى الخليفة سائر يومهم ثم ارتحلوا من الغد إلى النهروان فعاثوا وعاد مسعود من بلاد تكريت إلى بغداد ثم افترق الأمراء وفارقوا العراق ثم عاد البخش كون خر والطنطاوي وابن ديس سنة أربع وأربعين ومعهم ملك شاه بن محمود وهو ابن أخي السلطان وطلبو من الخليفة الخطبة لملك شاه فألي وجمع العساكر وشغل بما كان فيه من أمر عم السلطان سنجر وذلك أن السلطان سنجر بعث إليه بلومه في تقديم ابن خاص بك وبأمره ببعاده وتهدده فغالطه ولم يفعل فسار إلى الري فبادر إليه مسعود وترضاه فرضي عنه ولما علم البخش كون خر مراسلة المقتفي لمسعود نهب النهروان وقبض على علي بن ديس وسار السلطان بعد لقاء عمه إلى بغداد فوصلها متصرف شوال سنة أربع وأربعين فهرب الطنطاوي إلى التعمانية ورحل البخش إلى النهروان بعد أن أطلق علي بن ديس فجاء إلى السلطان واعتذر فرضي عنه.

على وزير الإزدجردي واستوزر مكانه المربزان بن عبد الله بن نصر الأصفهاني وسلم إليه الإزدجردي واستصنف أمواله فلما كان هذه السنة و فعل بوزابة في صلح القوم ما فعل اعتضد بهم على مقامه عند السلطان وتمكّن عليه وعزل وزيره واستوزر له أبي الفتاح هذا.

## مقتل طغابرك وعباس

قد قدمنا أن طغابرك وعبد الرحمن تحكم على السلطان واستبدأ عليه ثم آكل أمره إلى أن منعا بك أرسلان المعروف بابن خاص بك بن بتكري من مباشرة السلطان وكان تربته وخاصة به ونجى خلوته وتجهز طغابرك لبعض الوجوه فحمله في جملته فأسرَ السلطان إلى أرسلان الفتى بطغابرك وداخل رجال العسكري في ذلك فأجاب منهم زنكي جاندار أن يباشر قتله بيده ووافق بك أرسلان جماعة من الأمراء واعتبروا له في موكيه فضربه الجنادار فصرعه عن فرسه وأجهز عليه ابن خاص بك ووقف الأمراء الذين واطئوه على ذلك دون الجنادار فمنعوه وكان ذلك ظاهر الصهوة وبلغ الخبر إلى السلطان مسعود ببغداد ومعه عباس صاحب الري في جيش كثيف فامتنع ذلك ونكره فداراه السلطان حتى سكن وداخل بعض الأمراء في قتله فأجابوه وتولى كبر ذلك البخش حرسوس اللحف وأحضر السلطان عباس وأدخله في داره وهذا الأمير عنده وقد أكتنوا له في بعض المخادع رجالاً وعدلو به إلى مكانهم فقتلوه ونهت خيامه وأصاحت البلاد لذلك ثم سكنت وكان عباس من موالي السلطان محمود وكان عادلاً حسن السيرة وله مقاتلات حسان في جهاد الباطنية وقتل في ذي القعدة سنة إحدى وأربعين ثم حبس السلطان أخاه سليمان شاه في قلعة تكريت وسار عن بغداد إلى أصفهان والله سبحانه وتعالى ولِي التوفيق.

## مقتل بوزابة صاحب فارس

قد تقدم لنا أن طغابرك كان مستظهراً على السلطان بعباس صاحب الري وبوزابة صاحب فارس وخرستان فلما قتل طغابرك وامتنع له عباس قتل إثره وانتهى الخبر إلى بوزابة فجمع العساكر وسار إلى أصفهان ستة اثنين وأربعين فحاصرها وبعث عسكراً آخر لمحاصرة همدان وآخر إلى قلعة الماهكي من بلاد اللحف من قلاع البخش كون خر فسار إليها ودفعهم عنها ثم سار بوزابة عن أصفهان لطلب السلطان مسعود فامتنع وترجاها بمرج

## وفاة السلطان مسعود وولاية ملك شاه ابن أخيه محمد ثم أخيه محمد من بعده

بلغ وكان لهم من الأمراء محمود ودينار وبختيار وطوطى وأرسلان ومعز وكان صاحب بلخ الأمير قماح فقدم إليهم أن يبعدوا عن بلخ فصانعوه فتركهم وكانتوا يعطون الزكاة ويؤمنون السابلة ثم عاد إليهم في الانتقال فامتنعوا وجمعوا فخرج إليهم في العساكر وينذلوا له ما لا فلم يقبل وقاتلوه فهزموه وقتلوا العسكر والرعايا والفقهاء وسبوا العيال ونحو قماح إلى مرو وبها السلطان سنجر فأبعث إليهم بيدهم وتأمرهم بمغافرة بلاده فلاطقوه وينذلوا له فلم يقبل وسار إليهم في مائة ألف فهزموه وأثخنوا في عسكره وقتل علاء الدين قماح وأسروا السلطان سنجر ومعه جماعة من الأمراء فقتلوا الأمراء واستيقروا السلطان سنجر وببايعوه ودخلوا معه إلى مرو فطلب منه بختيار إقطاعها فقال: هي كرسى خراسان ففسخروا منه.

ثم دخل سنجر خانقاه فقسط على الناس وأطهرهم وعففهم وعلق في الأسواق ثلاثة غرائر وطالبهم بمالها ذهبًا فقتله العامة ودخل الغز نيسابور ودمروها تدميرًا وقتلوا الكبار والصغار وأحرقوها وقتلوا القضاة والعلماء في كل بلد ولم يسلم من خراسان غير هرة وسبستان لحصانتهما.

وقال ابن الأثير عن بعض مؤرخي العجم: إن هؤلاء الغز انتقلوا من نواحي التغرير من أقصاص الترك إلى ما وراء النهر أيام المتنفي وأسلموا واستظهرا بهم المقطع الكندي على خارقه وشعوذته حتى تم أمره فلما سارت إليه العساكر خذلوا وأسلموه وغفلوا مثل ذلك مع الملك الحانية ثم طردتهم الأتراك القارغالية عن إقطاعهم فاستدعاهم الأمير زنكي بن خليفة الشيباني المستولي على حدود طخارستان وأنزلهم بلاده واستظهرا بهم على قماح صاحب بلخ وسار بهم لخارقه فخذلوا لأن قماح كان استمامهم فانهزم زنكي وأسر هو وابنه وقتلها قماح وأقطع الغز في بلاده.

فلما سار الحسين بن الحسين الغوري إلى بلخ بربز إليه قماح ومعه هؤلاء الغز فخذلوا ونزعوا عنه إلى الغوري حتى ملك بلخ فصار السلطان سنجر إلى بلخ وهزم الغوري واستردها وبقي الغز بناحبي طخارستان وفي نفس قماح حقد عليهم فأمرهم بالانتقال عن بلاده فتآلفوا وتجمعوا في طوائف من الترك وقدموا عليهم أرسلان برقاء الترك ولقيهم قماح فهزموه وأسروه وابنه أبي بكر وقتلواهما واستولوا على نواحي بلخ وعاثرا فيها وجمع السلطان سنجر وفي مقدمته محمد بن أبي بكر بن قماح المقتول والمزيد ابنه في عمر سنة ثمان وأربعين وجاء السلطان سنجر على أثره ويعثروا عليه بالطاعة والأموال فلم يقل منهم وقاتلهم فهزموه إلى بلخ ثم عاود قتالهم فهزموه إلى مرو واتبعوه فهرب هو وعسكره من مرو

ثم توفي السلطان مسعود بهمنان في رجب متصرف سبيع وأربعين لاثتين وعشرين سنة من طلبه الملك وبه كمل استفحال ملك السلجوقية وركب الخمول دولتهم بعده وكان عهد إلى ملك شاه بن أخيه محمد فلما توفي سابع له الأمير ابن خاص بك وأطاعه العسكر وانتهت خبر موته إلى بغداد فهرب الشحنة بلاك إلى تكريت وأمر المتفقى بالخوشة على داره ودور أصحاب السلطان مسعود ثم بعث السلطان ملك شاه عسكراً إلى الحلة مع ملاذ كرد من أمرائه فملكها وسار إليه بلاك الشحنة فخادعه حتى استمكن منه فقبض عليه وغرقه واستبد بلاك الشحنة بالحلة وجهز المتنفي العساكر مع الوزير عون الدين بن هبيرة إلى الجلة ويعت عساكر إلى الكوفة وواسط فملكتها ووصلت عساكر السلطان ملك شاه فملكتها وسار إليها الخليفة بنفسه فارتبعها منهم وسار منها إلى الجلة ثم إلى بغداد آخر ذي القعدة من السنة.

ثم إن ابن خاص بك طمع في الانفراد بالأمر فاستدعي محمد بن محمود من خوزستان فاطمتعه في الملك ليقبض عليه وعلى أخيه ملك شاه فقبض على ملك شاه أولاً لستة أشهر من ولاته ووصل محمد في صفر من سنة ثمان وأربعين فأجلسه على التخت وخطب له بالسلطنة وحل إليه الهدايا وقد سعى للسلطان محمد بما انطوى عليه ابن خاص بك فلما باكره صبيحة وصوله فتك به وقتل معه زنكي الجاندار قاتل طغابرك وأخذ من أموال ابن خاص بك كثيراً وكان صبيحاً كما يبين اتصال بالسلطان مسعود وتتصح لـه فقدمه على سائر العساكر والأمراء وكان أنورغرى التركى المعروف بشملة في جلة ابن خاص بك ومن أصحابه ونهاه عن الدخول إلى خوزستان محمد فلما قتل ابن خاص بك نجا شملة إلى خوزستان وكان له بها بعد ذلك ملك والله أعلم بعثيه وأحکم.

## تغلب الغز على خراسان وهزيمة السلطان سنجر وأسره

كان هؤلاء الغز فيما وراء النهر وهم شعب من شعوب الترك ومنهم كان السلجوقية أصحاب هذه الدولة وبقوا هنا لك بعد عبورهم وكانتوا مسلمين فلما استولى الخطا على ملك الصين وعلى ما وراء النهر هاجر هؤلاء الغز إلى خراسان وأقاموا بناحبي

فضمنه المؤيد وكف عنه محمود واستقر الحال على ذلك والله سبحانه تعلى أعلم.

### استيلاء ايتاخ على الري

كان ايتاخ من موالي السلطان سنجر وكانت الري أيضاً من اعمال سنجر فلما كانت فتنة الغز لحق بالري واستولى عليها وصانع السلطان محمد شاه ابن محمود صاحب همدان وأصحابه وغيرهم وبذل له الطاعة فأقره فلما مات السلطان محمد مد يده إلى أعمال تجاوزته وملكتها فعظم أمره وبلغت عساكره عشرة آلاف فلما ملك سليمان شاه همدان على ما ذكره وقد كان أنس به عند ولادة سليمان على خراسان سار إليه وقام بخدمته ويفتي مستبداً بذلك البلاد والله سبحانه تعلى أعلم.

### الخبر عن سليمان شاه وحبسه بالموصل

كان سليمان شاه بن السلطان محمد بن ملك شاه عند عمه السلطان سنجر وجعله ولی عهده وخطب له على متابر خراسان فلما وقعت فتنة الغز وأسر سنجر قدمه أمراء خراسان على أنفسهم ثم عجز ومضى إلى خوارزم شاه فزوجه ابنته أخيه ثم سعى به عنده فاتخرجه من بلده وجاء إلى أصفهان فمنعه الشحنة من الدخول فمضى إلى قاشان فيبعث السلطان محمد شاه ابن أخيه محمد عسکرًا ليدفعه عنها فسار إلى خوزستان فمنعه ملك شاه منها فقصد اللحف وزنل وأرسل المتنبي في أثره فطلب في زوجه رهينة ببغداد فبعث بها مع جوارها وأتباعها فاكرمههم المتنبي وأذن له في القدوم وخرج الوزير ابن هبيرة وقاضي القضاة والفتیان لتألقه وخلع عليه المتنبي وأقام ببغداد حتى إذا دخلت سنة إحدى وخمسين أحضر بدار الخلافة وحضر قاضي القضاة والأعيان واستحلف على الطاعة والتجافي للخلافة عن العراق وخطب له ببغداد ولقب القاتل أبيه وأمده ثلاثة آلاف من العسكر وجعل معه الأمير دوران أمير حاجب صاحب الحللة.

وسار إلى بلاد الجبل في ربى الأول من السنة وسار المتنبي إلى حلوان وبعث إلى ملك شاه بن السلطان محمد يدعوه إلى موافقة عمه سليمان شاه وأن يكون ولی عهده فقدم في الفي فارس ومخالفاً وأمدهما المتنبي بالمال والأسلحة واجتمع معهم بذلك صاحب كنجة وأرانية وساروا لقتال السلطان محمد فلما بلغه خبرهم أرسل إلى قطب الدين مرود بن زنكي ونائب زين الدين

ربعاً منهم ودخلوا البلد وأفسحوا فيه قتلاً ونبأً وقتلوا القضاة والأئمة والعلماء ولما خرج سنجر من مرو وأسره أجلسوه على التخت على عادته وأنبه طاعتهم ثم عاودوا الغارة على مرو فمنعهم أهلها وقاتلوهم ثم عجزوا واستسلموا فاستباحوها أعظم من الأولى ولما أسر سنجر فارقه جميع أمراء خراسان وزیره ظاهر بن فخر الملك بن نظام الملك ووصلوا إلى نيسابور واستعدوا سليمان شاه بن السلطان محمود وخطبوا له بالسلطان في منتصف السنة واجتمعت عليه عساكر خراسان وساروا لطلب الغز فبارزورهم على مرو وانهزمت العساكر ربعة منهم وقصدوا نيسابور والغز في اتبعهم ومروا بطروس فاستباحوها وقتلوا حتى العلماء والزهاد وخربوا حتى المساجد.

ثم ساروا إلى نيسابور في شوال سنة تسع وأربعين ففعلوا فيها أفحش من طرس حتى ملأوا البلاد من القتل والخصن طائفه بالجامع الأعظم من العلماء والصالحين فقتلواهم عن آخرهم وأحرقوا خزائن الكتب وفعلوا مثل ذلك في جوين وأسفرابيرن فحاصروهما واقتحوهما مثل ما فعلوا في البلاد الأخرى وكانت أفعال الغز في هذه البلاد أعظم وأقبح من أفعال الغز في غيرها ثم إن السلطان سليمان شاه توفي وزیره ظاهر بن فخر الملك بن نظام الملك في شوال سنة ثمان وأربعين فاستوزر ابنه نظام الملك واخْلَل أمره وعجز عن القيام بالملك فعاد إلى جرجان في صفر سنة تسع وأربعين فاجتمع الأمراء وخطبوا للخان محمود بن محمد بن بقراخان وهو ابن اخت سنجر واستدعوه فملكته في شوال من السنة وساروا معه لقتال الغز وهم محاصرون هرابة فكانت حروبه معهم سجالاً وأكثر الظفر للغز ثم رحلوا عن هرابة إلى مرو متصرف خسرين وأعادوا مصادرة أهلها وسار الخان محمد إلى نيسابور وقد غلب عليها المؤيد كما يذكر فراسل الغز في الصلح فصالحوه في رجب.

### استيلاء المؤيد على نيسابور وغيرها

هذا المؤيد من موالي سنجر واسمـه..... وكان من أكابر أوليائه ومطاعـاً فـهم ولـا كانت هـذه الفتـنة وافتـرق أـمر النـاس بـخراسـان تـقدم..... فـاستـول على نـيسـابـور وـطـرس وـنسـا وـان وـرد وـشـهرـستان وـالـدامـقـان وـحـصـنـها وـدـافـعـ الغـزـ عـنـها وـدـانـتـ لهـ الرـعـية لـحسـنـ سـيرـهـ فـعـظـمـ شـائـهـ وـكـرـتـ جـوعـهـ وـاسـتـبدـ بـهـذـهـ النـاسـية وـظـالـهـ الخـانـ حـمـودـ عـنـدـماـ مـلـكـهـ بـالـحـضـورـ عـنـهـ وـتـسـلـيمـ الـبـلـادـ فـامـنـعـ وـتـرـددـ الرـسـلـ بـيـنـهـماـ عـلـىـ مـالـ يـحـمـلـهـ لـلـخـانـ حـمـودـ

على أوان واتصلت الحرب واشتد الحصار وفقدت الأقوات وانقطعت المواد عن أهل بغداد وفتر كجك وعسكره في القتال أدباً مع المقتفي وقيل: أوصاه بذلك نور الدين محمود بن زنكي أخو قطب الدين الأكابر ثم جاء الخبر بأن ملك شاه أخا السلطان محمد وايلدرز صاحب أرمان وريبيه أرسلان بن طغقول قصدوا همدان فسار عن بغداد مسرعاً إلى همدان آخر ربيع الأول وعاد زين الدين إلى الموصل ولما وصل ملك شاه وايلدرز وريبيه أرسلان إلى همدان أقاموا بها قليلاً وسمعوا بمجيء السلطان فأقبلوا وساروا إلى الري فقاتلهم الشحنة انباتج فهزمه وحاصروه وأمده السلطان محمد بعسركر بن سقمن بن قمار فوجدهم قد أفرجوا عنه وقصدوا بغداد فقاتلهم فهزمه ونهبوا عسركره فسار السلطان محمد ليسابقهم إلى بغداد فلما انتهى إلى حلوان بلغه أن وايلدرز بالدينور ثم وافاه رسول انباتج بأنه ملك همدان وخطب له فيها وان شملة صاحب خراسان هرب عن وايلدرز وملك شاه إلى بلاده فعاد إلى أرمان ورجع السلطان إلى همدان قاصداً للتجهز إلى بلاد وايلدرز بأرمان.

### وفاة سنجار

ثم توفي السلطان سنجار صاحب خراسان في ربيع سنة اثنين وخمسين وقد كان ولی خراسان منذ أيام أخيه برکيارق وعهد له أخوه محمد فلما مات محمد خوطب بالسلطنة وكان الملك كلهم بعدها في طاعته نحو أربعين سنة وخطب له قبلها بالملك عشرين سنة وأسره الغز ثلاثة سنين ونصف ومات بعد خلاصه من الأسر وقطعت خطبته ببغداد وال العراق ولما احتضر استخلف على خراسان ابن أخيه محمد بن محمود بن بقراخان فأقام بجرجان وملك الغز مرو وخراسان وملك به المؤيد نيسابور وناحيته من خراسان وبقي الأمر على هذا الخلاف سنة أربع وخمسين وبعد الغز إلى محمود الحان ليحضر عندهم فنكلوكه فخافهم على نفسه وبعث ابنه إليهم فاطاعوه مدة ثم لحق هو بهم كما ذكر بعد.

### منازعة ايتاق للمؤيد

كان إيتاق هذا من موالي السلطان سنجار فلما كانت الفتنة وافترق الشمال ومات السلطان سنجار وملك المؤيد نيسابور وحصل له التقدم بذلك على عساكر خراسان حسده جماعة من الأمراء والغرف عنه إيتاق هذا فتارة يكون معه وتارة يكون في مازندران فلما كان سنة اثنين وخمسين سار من مازندران في عشرة

على كوجك في المساعدة والاتفاق فأجابه وسارا للقاء عمه سليمان شاه وبر معه واقتتلوا في جمادى الأولى فهزمهما السلطان محمد وافتلقوا وتبوجه سليمان شاه إلى بغداد على شهرزور وكانت لصاحب الموصل وبها الأمير بوران من جهة علي كوجك نائب الموصل فاعتراضه هنالك كوجك وببوران فاحتله كوجك إلى الموصل فحبسه بها وبعث إلى السلطان محمد بالخبر وأنه على الطاعة والمساعدة قبلى منه وشكر له.

### فرار سنجار من أسر الغز

قد تقدم لنا ما كان من أسر السلطان سنجار بيد الغز وافتراق خراسان واجتماع الأمراء بنيسابور وما إليها على الخان محمود بن محمد وامتنعوا من الغز وامتنع أنسز بن محمد أنوشكين بخوارزم وانتقسمت خراسان بينهم وكانت الحرب بين الغز وبينهما سجالاً ثم هرب سنجار من أسر الغز وجاءه من الأمراء كانوا معه في رمضان سنة إحدى وخمسين ولحق بترمذ ثم عبر جيحون إلى دار ملكه بموه فكانت مدة أسره من جمادى سنة ثمان وأربعين ثلاث سنين وأربعة أشهر ولم يتحقق فراره من الأسر إلا بعد موت علي بك مقدم القاراغلية لأنه كان أشد شيء عليه فلما توفي انقطعت القاراغلية إليه وغيرهم ووجد فسحة في أمره والله سبحانه وتعالى أعلم.

### حضار السلطان محمد بغداد

كان السلطان محمد بن محمود لأول ولاته الملك بعد عمه مسعود بعث إلى المقتفي في الخطبة له ببغداد وال伊拉克 على عادتهم فمنعه لما رجا من ذهاب دولتهم استفحالم واستبدادهم فسار السلطان من همدان في العساكر نحو العراق ووعده صاحب الموصل ونائبه بجدد العساكر فقدم آخر إحدى وخمسين وبعث المقتفي في الحشد فملكها واهتم المقتفي وابن هبيرة بالحصار وقطع الحسر وجمع السفن تحت الناج ونودي في الجانب الغربي بالعبور فعبروا في حرم سنة اثنين وخمسين وخرج المقتفي ما وراء الحرسنة صلاحاً في استبداده وكذلك السلطان محمد من الجهة الأخرى ونصبت المنجنيقات والمعزادات وفرق المقتفي السلاح على الجندي وال العامة.

و جاء زين الدين كجك في عسكر الموصل ولقي السلطان

إليهم فعظموه وملكونه في ربى الآخر من سنة أربع.

ثم سار أبوه محمود إلى خراسان وتختلف عنه المؤيد أي أبه وانتهى إلى حدود نسا وأبيورد فول عليهم الأمير عمر بن حربة النسوي فقام في حياتهما القائم محمود بظاهر نسا ثم سار الغز من نيسابور إلى طرس لامتناع أهلها من طاعتهم فملكونها واستباحوها وعادوا إلى نيسابور فساروا مع جلال الدين عمر بن محمود الخان إلى حصار سارورا وبها القليب عماد الدين محمد بن يحيى العلوي الحسيني فحاصره وامتنع عليهم فرجعوا إلى نسا وأبيورد للقاء الخان محمود بجرجان كما قدمته فخرج منها سائراً إلى خراسان واعتزله الغز ببعض القرى في طريقه فهرب منه وأسر بعضهم ثم هرب منه ولحق بنيسابور فلما جاء الخان محمود إليها مع الغز فارقها متصرف شعبان ودخلها الغز وأحسنوا السيرة وساروا إلى سرخس ومردو فعاد المؤيد في عساكره إلى نيسابور وامتنع أهلها عليه فحاصرها واقتتحها عنوة وخر بها ورحل عنها إلى سباق في شوال سنة أربع وخمسين.

### استيلاء ملك شاه بن محمود على خوزستان

ولما رجع السلطان ملك شاه محمد بن محمود من حصار بغداد وامتنع الخليفة من الخطبة له أقام بهمدان عليه وسار أخوه ملك شاه إلى قم وقاشان فأفتش في نهبيها ومصادرة أهلها وراسله أشوه السلطان محمد في الكفر عن ذلك فلم يفعل وسار إلى أصفهان وبعث إلى ابن الجعفري وأعيان البلد في طاعته فاعتذروا بطاعة أخيه نعاث في قراها ونواحها فسار السلطان إليه من همدان وفي مقدمته كرجان الخادم فافتقرت جموع ملك شاه ولحق بيغداد فلما انتهى إلى قوس لقيه موبدان وستقر المداني فأشروا عليه بقصد خوزستان من بغداد فسار إلى واسط ونزل بالجانب الشرقي وسار أثر عسكره في التواحي ففتحوا عليهم البثوق وغرق كثير منهم ورجع ملك شاه إلى خوزستان فمنعه شملة من العبور فطلب الجوار في بلده إلى أخيه السلطان فنزل على الأكراد الذين هنالك فاجتمعوا عليه من الجبال والبساط وحارب شملة ومع ملك شاه سقر المداني وموبدان وغيرهما من الأمراء فانهزم شملة وقتل عامدة أصحابه واستول ملك شاه على البلاد وسار إلى فارس والله هو المؤيد بنصره.

آلاف فارس من المنحرفين عن المؤيد وقصد نسا وأبيورد وأقام بها المؤيد إيتاق فسار إليه وكبسه وغنم معسكره ومضى إيتاق منه زما إلى مازندران وكان بين ملكها رستم وبين أخيه منازعة على فترب إيتاق إلى رستم بقتال أخيه علي فوجد لذلك غلبة ودفعه عنه وسار يتردد في نواحي خراسان بالعيش والفساد واللح على إسفراين فخرتها وراسله السلطان محمود الخان والمؤيد في الطاعة والاستقامة فامتنع فساروا إليه في العساكر في صفر سنة ثلاث وخمسين فهرب إلى طبرستان ويعث رستم شاه مازندران إلى محمود والمؤيد بطاعته بأموال جليلة وهدية فقبلوا منه ويعث إيتاق ابنه رهنا على الطاعة فرجعوا عنه واستقر بجرجان ودستان وأعمالها.

### منازعة سقر العزيزي للمؤيد ومقتله

كان سقر العزيزي من أمراء السلطان سنجر وكان في نفسه من المؤيد ما عند الباقين فلما شغل المؤيد بجرجان إيتاق سار سقر من عسكر السلطان محمود بن محمد إلى هرة فملكتها واشترط عليه أن يستظره بملك الغورية الحسين فائي وطبع في الاستبداد لما رأى من استبداد الأمراء على السلطان محمود بن محمد فحاصره المؤيد بهراة واستعمال الأبراك الذين كانوا معه فاطلاعه وقتلوا سقر العزيزي غيلة وملك السلطان محمد هرة ولحق الفل من عسكر سقر بإيتاق وتسلطوا على طرس وقرها واستولوا الخراب على البلاد والله تعالى أعلم.

### فتنة الغز الثانية بخراسان وخراب نيسابور

#### على يد المؤيد

كان الغز بعد فتتهم الأول أوطروا بلخ وزعوا عن النهب والقتل بخراسان وافتقت الكلمة بها على طاعة السلطان محمود بن محمد الخان وكان القائم بدولته المؤيد أي أنه فلما كان سنة ثلاث وخمسين في شعبان سار الغز إلى مردو فزحف المؤيد إليهم وأوقع طائفة منهم وتبعدوا إلى سرخس وعاد إلى سرخس وخرج معه الخان محمود لحريهم فالتقوا خامس شوال وتقاعدوا مراراً ثلاثة انهزم فيها الغز على مردو وأحسنوا السيرة وأكرموا العلماء والآئمة ثم أغروا على سرخس وطرس واستباحوهما وخربيهما وعادوا إلى مردو وأما الخان محمود بن محمد فسار إلى جرجان بمتظاهر مآل أمرهم ويعث إلى الغز سنة أربع يستدعونه ليملكونه فاعتذر لهم خشية على نفسه فطلبوهما منه جلال الدين عمر فتوثق منهم بالحلف وبعثه

## وفاة السلطان محمد وولاية عمه سليمان شah

حسن خسروجور من أعمال بيهق وهو من بناء كنجرو ملك الفرس أيام حربه مع جراسياق وملكه ورتب فيه الحامية وعاد إلى نيسابور ثم قصد مدينة كندر من أعمال طرسا وفيها متغلب اسمه خرسده يفسد السابلة وغيره للأعمال ويكثر الفتك وكان البلاء به عظيماً في خراسان فحاصره ثم ملك عليه الحسن عنوة وقتلته وأراح البلاد منه ثم قصد في رمضان من السنة مدينة بيهق وكانتوا قد عصوا عليه فراجعوا الطاعة وقبلهم واستفحلا أمره فارسل إليه الخان محمود بن محمد وهو مع الغز بالولاية على نيسابور وطروس وما إليها فاتصلت يده به واستحكم الصلح بينه وبين الغز وذهب الفتن.

### الحرب بين عسكر خوارزم شاه والأتراك البرزية

كان هؤلاء الأتراك البرزية من شعوب الترك بخراسان وأميرهم بقاراخان بن داود فأغار عليهم جمع من عساكر خوارزم شاه وأوقعوا بهم فتكرا فيهم ونجا بقاراخان في الفل منهم إلى السلطان محمود بخراسان ومن معه من الغز مستنصر خاص بهم وهو يظن أن إيتاقي هو الذي هييج عليهم فشار الغز معه على طريق نسا وأبيورد وقصدوا إيتاقي فلم يكن له بهم قوة فاستنصر.... شاه مازنداي فشار لنصره واحتشد في أعماله من الأكراد والداليم والتركمان وقاتلوا الغز والبرزية بتواحسي دهستان فهزمه خسأ وكان إيتاقي في ميمنة شاه مازنداي وأقتحم الغز في قتل عساكرهم ولحق شاه مازنداي بسارية وإيتاقي شهرور وخارزم ثم ساروا إلى دهستان فتهربوا وخرجوها سنة ست وخمسين وخرجوا برججان كذلك وافتلق أهلها في البلاد ثم سار إيتاقي إلى بقراتكين المتللب على أعمال قزوين فأنهزم من بين يديه ولحق بالمؤيد وصار في جملته واكتسب إيتاقي سائر أعماله ونهب أمواله فقوى بها.

### وفاة ملك شاه بن محمود

قد قدمنا أن ملك شاه بن محمود سار بعد أخيه السلطان محمد من خوزستان إلى أصفهان ومعه شملة التركمانى ودكلا صاحب فارس فأطاعه ابن الحجنجي رئيس أصفهان وسائر أهلها وجمع له الأموال وأرسل ملك شاه إلى أهل الدولة بأصفهان يدعوه إلى طاعته وكان هو امام مع عمه سليمان فلم يجيئه إلى ذلك ويعثوا عن سليمان من الموصل وملكته واففرد ملك شاه

ثم توفي السلطان محمد بن محمود بن ملك شاه آخر سنة أربع وخمسين وهو الذي حاصر بغداد يطلب الخطبية له من الخليفة ومنعه توفيق آخر هذه السنة لبسن ونصف من ولايته وكان له ولد صغير فسلمه إلى ستر الأهدبلي وقال: هو وديعة عندك فواصل به إلى بلادك فإن العساكر لا تطيعه. فوصل به إلى مراغة واتفق معظم الجندي على البيعة لعمه سليمان شاه وبعث أكابر الأمراء بهمنان إلى أبايك زين الدين مودود أبايك ووزير مودود وزير فاطلقة مودود وجهه بما يحتاج إليه في سلطانه وسار معه زين الدين علي كجك في عساكر الموصل فلما انتهى إلى بلاد الجبل واقتلت العساكر للقاء سليمان شاه ذكر معاملتهم مع السلطان ودالتمهم عليه فخشى على نفسه وعاد إلى الموصل ودخل سليمان شاه بهمنان وباعوا له والله سبحانه وتعالى أعلم.

### وفاة المقتفي وخلافة المستتجد

ثم توفي المقتفي لأمر الله في ربيع الأول سنة خمس وخمسين لأربع وعشرين سنة من خلافته وقد كان استبد في خلافته وخرج من حجر السلجوقية عند افتراق أمرهم بعد السلطان مسعود كما ذكرناه في أخبار الخلفاء ولما توفي بريع بعده بالخلافة لابنه المستتجد فجرى على سنن أبيه في الاستبداد واستولى على بلاد الماهلي وزيل اللحف وولى عليها من قبله كما كانت لأبيه وقد تقدم ذكر ذلك في أخبارهما انتهى.

### اتفاق المؤيد مع محمود الخان

قد كنا قدمنا أن الغز لما تغلبوا استدعا محمود الخان ليملكونه فبعث إليهم بابنه عمر فملكته ثم سار محمود من جرجان إلى نسا وجاء الغز فساروا به إلى نيسابور فهرب عنها المؤيد ودخلها محمود والغز ثم ساروا عنها فعاد إليها المؤيد فحاصرها وملكتها عنوة وخربيها في شوال سنة أربع وخمسين ورحل عنها إلى سرخس فعاد إليها المؤيد فحاصرها وملكتها عنوة ورحل عنها إلى بيهق ثم رجع إليها سنة خمس وخمسين وعمر خرابها وبالغ في الإحسان إليها ثم سار لصلاح أعمالها ومحو آثار المفسدين والثوار من نواحيها ففتح حصن أشبيل وقتل الثوار الزيدية وخربيه وفتح

وإعادة الأمور إلى عادتها أيام السلطان مسعود فطرد رسوله بعد الإهانة ثم أرسل إيلدكز إلى أفسقير الأحمديلي يدعوه إلى طاعة السلطان أرسلان فامتنع وكان عنده ابن السلطان شاه بن محمود المد니 أسلمه إليه عند موته فنهده بالبيعة له وكان الوزير ابن هبيرة يكتبه من بغداد ويقدمه في الخطبة لذلك الصي قصداً للنصر من بينهم فجهز إيلدكز العساكر منه البهلوان إلى أفسقير واستمد أفسقير شاهر بن سقمان القطبي صاحب خلاط وواصله فنهده بالعساكر وسار نحو البهلوان وقاتلته ظفراً به ورجع البهلوان إلى همدان مهزوماً والله تعالى أعلم.

### الحرب بين إيلدكز وإيانانج

لما مات ملك شاه بن محمود بأصبهان كما قتله لحق طائفته من أصحابه ببلاد فارس ومعهم ابنه محمود فانتزعه منهم صاحب فارس زنكي بن دكلا السلسلي وأنزله في قلعة إسطخر فلما ملك إيلدكز السلطان أرسلان وطلب الخطبة ببغداد وأخذ الوزير ابن هبيرة في استفساد الأطراف عليهم وبعث لابن أفسقير في الخطبة لابن السلطان محمد شاه الذي عنده وكاتب صاحب فارس أيضاً يشير عليه بالبيعة للسلطان محمد بن السلطان ملك شاه الذي عنده ويعده بالخطبة له إن ظفر بإيلدكز فباع له ابن دكلا وخطب له بفارس وضرب التوب الخمس على يده وجع العساكر وبلغ إلى إيلدكز فجمع وسار في أربعين ألفاً إلى أصفهان يريد فارس فأرسل إلى زنكي في الخطبة لأرسلان شاه فأبى فقال له إيلدكز: إن المستجد أقطعني بلادك وأنا سائر إليها. وتقدمت طائفة إلى نواحي أرجان فلقيتها سرية لأرسلان بوقا صاحب أرجان فأوقعوا بطائفته وقتلوا منهم ويعثروا بالخبر إلى أباتنج فنزل من الري في عشرة آلاف وأمده أفسقير الأحمديلي خمسة آلاف فقصد وهرب صاحب ابن البازدان وابن طغايبريك وغيرهما من أولاء إيلدكز للقاء أباتنج ورد عسكر المدافعة زنكي عن شهرم وغيرها من البلاد فهزمه زنكي بن دكلا ورجعوا إليه فاستدعى عساكره من أذربيجان وجاء ميسون بن مزد أرسلان عثمان فكان إيلدكز أتابك وابنه البهلوان حاجياً وهو آخر أرسلان لأمه وإيلدكز هذا من موالى السلطان مسعود ولما ملك أقطعه أران وبعض أذربيجان وحدثت الفتنة والخروب فاعتضم هو بآران ولم يحضر أحد من ملوكهم وجاء إليه أرسلان شاه من تلك الفتنة فقام عنده إلى أن ملك ولما خطب له بهمدان بعث إيلدكز أتابك إلى أباتنج صاحب الري ولاطفه وصاهره في ابنته لابنه البهلوان وخالفها على الاتفاق.

### الفتنة بنيسابور وتخريبيها

وفي ربيع سنة ست وخمسين قبض المؤيد على أخيه نيسابور

بأصفهان واستفحلا أمره وبعث إلى المستجد في الخطبة له ببغداد مكان عميه سليمان شاه وأن تمام الأمور إلى ما كانت ويهدهم فوعد الوزير عميد الدين بن هبيرة جارية جاعلها على سمه فسمته في الطعام وقطن المطبب بأنه مسموم وأخبر بذلك شملة وكذا فأحضروا الجارية وأقرت ومات ملك شاه وأخرج أهل أصفهان أصحابه وخطبوا لسليمان شاه وعاد شملة إلى خراسان فارتعج ما كان ملك شاه تغلب عليه منها.

### قتل سليمان شاه والخطبة لأرسلان

كان سليمان لما ملك أقبل على اللهو ومعاقرة الخمر حتى في نهار رمضان وكان يعاشر الصفاعين والمساخر وعكف على ذلك مع ما كان فيه من الحرق والتهور فقد الأمراء عن غشيان بابه وشكوا إلى شرف الدين كربلازه الخادم وكان مدبر ملكته وكان حسن التربية والدين فدخل عليه يوماً يعنده على شأنه وهو مع ندامه بظاهر همدان فأشار إليهم أن يعنوا بكردبازه فخرج مغضباً واعتذر إليه عندما صحا فأظهر له القبول وقد عن غشيان مجلسه وكتب سليمان شاه إلى أباتنج صاحب الري يدعوه إلى الحضور فوعده بذلك إذا أفاق من مرره وزاد كربلازه استيحاشأ فاستخلف الأمراء على خلع سليمان وبدأ بقتل جميع الصفاعين الذين كانوا ينادمونه وقال: إنما فعلته صوناً لملكك ثم عمل دعوة في داره فحضر سليمان شاه والأمراء وقبض على سليمان شاه ووزيره أبي القاسم محمود بن عبد العزيز المخافي وعلى خوارصه وذلك في شوال سنة خمس وخمسين وقتل وزيره وخوارصه وحسن سليمان شاه قليلاً ثم قتله.

ثم أرسل إلى إيلدكز صاحب أران وأذربيجان يستقدم ربيبه أرسلان بن طغول ليابع له بالسلطنة وبلغ الخبر إلى أباتنج صاحب الري فسار إلى همدان ولقيه كربلازه وخطب له بالسلطنة بجميع تلك البلاد وكان إيلدكز قد تزوج بأم أرسلان ولدت له ابنته البهلوان محمد ومزد أرسلان عثمان فكان إيلدكز أتابك وابنه البهلوان حاجياً وهو آخر أرسلان لأمه وإيلدكز هذا من موالى السلطان مسعود ولما ملك أقطعه أران وبعض أذربيجان وحدثت الفتنة والخروب فاعتضم هو بآران ولم يحضر أحد من ملوكهم وجاء إليه أرسلان شاه من تلك الفتنة فقام عنده إلى أن ملك ولما خطب له بهمدان بعث إيلدكز أتابك إلى أباتنج صاحب الري ولاطفه وصاهره في ابنته لابنه البهلوان وخالفها على الاتفاق.

وبعث إلى المستجد بطلب الخطبة لأرسلان في العراق

سنة ست وخمسين واستباحوها قتلاً وأسرأً وجمع لهم شاه أرمن بن إبراهيم بن سكمان صاحب خلاط جموعاً من الجندي والمطوعة وسار إليهم فقاتلوه وهزموه وأسر كثير من المسلمين ثم جمع الكرج في شعبان سنة سبع وخمسين ثلاثة ألف مقاتل وملكوا دوس من أذربيجان والجبل وأصبهان فسار إليهم ايلدكز وسار معه شاه أرمن بن إبراهيم بن سكمان صاحب خلاط وأستقر صاحب مراغة في خسین الفاً ودخلوا بلاد الكرج في صفر سنة ثمان وخمسين فاستباحوها وأسرموا الرجال وسبوا النساء والولدان وأسلم بعض أمراء الكرج ودخل مع المسلمين وكم بهم في بعض الشعب حتى زحف الكرج وقتلوا المسلمين شهراً أو نحوه ثم خرج الكمين من ورائهم فانهزموا وتابعهم المسلمين يقتلونه وأسرورون وعادوا ظافرين.

### ملك المؤيد أعمال قومس والخطبة للسلطان أرسلان بخراسان

ثم سار المؤيد اي ابه صاحب نيسابور إلى بلاد قومس فملك بسطام ودامغان وولي بسطام مولاه تذكر فجرى بينه وبين شاه مازنidan اختلاف أدى إلى الحرب واقتلونه في ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ولما ملك المؤيد قومس بعث إليه السلطان أرسلان بن طغل بالخليع والأولية لما كان بين المؤيد ايلدكز من الودة وأذن له في ولایة ما يفتحه من خراسان ويخطب له فيما فتح خطب له في أعمال قومس وطوس وسائر أعمال نيسابور ويخطب لنفسه بعد أرسلان وكانت الخطب في جرجان ودهستان لخوارزم شاه أرسلان بن أنسز وبعده للامير إيتاق والخطبة في مرو وبلغ وسرخس وهي يد الغز وهراء وهي يد الأمير أتيكين وهو مسلم للغز - للسلطان سنجار يقولون: اللهم اغفر للسلطان السعيد سنجار وبعده لأمير تلك المدينة والله تعالى ولي الترفيق.

### إجلاء القارغلية من وراء النهر

كان خان خاقان الصبي ولـى على سمرقند وبخارى الخان جغرا بن حسين تكين وهو من بيت قدیم في الملك ثم بعث إليه سنة سبعة وخمسين بإجلاء القارغلية من أعماله إلى كاشغر ويشتغلون بالماش من الزراعة وغيرها فامتنعوا فاللح عليهم فاجتمعوا وساروا إلى بخارى فدس أهل بخارى إلى جغراخان وهو بسمقند ووعدوا القارغلية بالمصانعة وطاواعتهم إلى أن صبحهم

وجهم وفيهم نقيب العلويين أبو القاسم زيد بن الحسن الحسني وأخذهم على ما فعله آباؤهم بأهل البلد من النهب والاعتداء على الناس في مواطنهم وأعراضهم فأخذ هؤلاء الأعيان ينهونهم كأنهم لم يضرروا على أيديهم وقتل جماعة من أهل الفساد فخراب البلد وامتدت الأيدي إلى المساجد والمدارس وخزائن الكتب وأحرق بعضها ونهب بعضها وانتقل المؤيد إلى الشاذياخ فأصلح سوره وسد ثلمه وسكنه وخرب نيسابور بالكلية وكان الذي احتط هذا الشاذياخ عبد الله بن طاهر أيام ولايته على خراسان ينفرد بسكنه هو وحشه عن البلد تجافيًّا عن معاشرهم ثم خربت وجدتها آل أرسلان ثم خربت فجددها الآن المؤيد وخربت نيسابور بالكلية ثم خربت الغز والخان محمود معهم وهو ملك خراسان لذلك العهد فحاصروا المؤيد بالشاذياخ شهرين ثم هرب إلخان عنهم إلى شهرستان كأنه يريد الحمام وأقام بها وبقي الغز إلى آخر شوال ثم رجعوا فنهبوا البلاد ونهبوا طوس ولادخل الخان إلى نيسابور أمهله المؤيد إلى رمضان سنة سبع وخمسين ثم قبض عليه وسلمه وأخذ ما كان معه من الذخائر وجبيه وجبس معه جلال محمد فمات في محبسهما وخطب المؤيد لنفسه بعد المستجد ثم زحف المؤيد إلى شهرستان وقرب نيسابور فحاصرها حتى نزلوا على حكمه في شعبان سنة تسع وخمسين ونهبها عسكره ثم رفع الأيدي عنها واستقامت في ملوكه والله أعلم.

### فتح المؤيد طوس وغيرها

ثم زحف المؤيد إلى قلعة دسکرة من طوس وكان بها أبو بكر جاندار متنعاً فحاصره بها شهراً وأعانه أهل طوس لسوء سيرته ذيهم ثم جهده الحصار فاستأمن ونزل فحبسه وسار إلى كرمان فاطاعه وبعث عسكراً إلى إسفراين فتحصنت بها رئيسها عبد الرحمن بن محمد بالقلعة فحاصره واستنزله وحمله مقيداً إلى الشاذياخ فحبس ثم قتل في ربيع الآخر سنة ثمان وخمسين ثم ملك المؤيد قهندري ونيسابور واستفحله ملكه وعاد إلى ما كان عليه وعمر الشاذياخ وخرب المدينة العتيقة ثم بعث عسكراً إلى بروشنج وهراء وهي في ولاية محمد بن الحسين ملك الغور فحاصرها وبعد الملك محمد عسكراً لدفاعته فأفجروا عنها وصفت ولاية هرة للغورية.

### الحرب بين المسلمين والكرج

كان الكرج قد ملكوا مدينة أئنى من بلاد أران في شعبان

نسا بعث خوارزم شاه بك أرسلان بن أتسز في عساكره إليها فاجتلت عنها عساكر المؤيد ورجعوا إلى نيسابور وصارت نسا في طاعة خوارزم شاه وخطب له فيها ثم سار عسكر خوارزم إلى دهستان وغلبوا عليها وأقام فيها بطاعته والله أعلم.

## الحرب بين البهلوان وصاحب مرااغة

ثم بعث أفسنر الأحمديلي صاحب مراغة سنة ثلاث  
وستين إلى بغداد في الخطبة للملك الذي عنده وهو ابن السلطان  
محمد شاه على أن يتجاذب عن العراق ولا يطلب الخطبة منه إلا  
إذا أسعف بها فاجيب بالوعد الجميل وبلغ الخبر إلى ايلدذكر  
صاحب البلاد فبعث ابنه البهلوان في العساكر لحرب أفسنر  
فغاربه وهرمه ومحضن فنازله البهلوان وضيق عليه وتردد  
عنهم الرسا، وأصطلحوا وعاد البهلوان إلى أبي بهمنان.

## ملك شملة فارس وإخراجها عنها

كان زنكي بن دكلا قد أساء السيرة في جنده فأرسلوا إلى شملة صاحب خوزستان واستدعوه ليملكونه فسار ولقي زنكي وهرمه ونجا إلى الأكراد الشوابكار وملك شملة بلاد فارس فأساء السيرة في أهلها ونهب ابن أخيه خرسنكا البلاد ففر أهل فارس عنه ولحق بزنكي بعض عساكره فزحف إلى فارس وفارقهها شملة إلى بلاد خوزستان وذلك كله سنة أربعين وستين وخمسين.

ملک ایلڈ کز الی

كان ابنانج قد استولى على الري واستقر فيها بعد حربه مع ايلدكز على جزية يؤديها إليه ثم منع الضريبة واعتذر ببنقات الجند فسار إليه ايلدكز ستة أربع وستين وحاربه ابنانج فهزمه ايلدكز وحاصره بقلعة طبرك وراسل بعض عمالكه ورغبهم فغدروا به وقتلوه واستولى ايلدكز على طبرك وعلى الري وولى عليهما علي بن عمر باغ ورجع إلى همدان وشكر لموالي ابنانج الذين قتلوا ولم يف لهم بالوعيد فافتقرقا عنه وسار الذي تولى قته إلى خوارزم شاه فصلبه لما كان بينه وبين ابنانج من الوصلة والله سمحانه وتعالى وللتحقق يمينه وكفره.

جفرا في عساكره فأولهم بهم وقطعم دايرهم والله تعالى أعلم.

استلاء سنق علم الطالقان وغـستان

وفي سنة تسع وخمسين استولى الأمير صلاح الدين سقوف من موالى السلطان سنجار على بلاد الطالقان وأغار على غربستان حتى ملكها وصارت في حكمه بمحضها وقلاعها وصالح أمراء الغز وحمى لهم الأئمة.

قتل صاحب هرارة

كان صاحب هرآة الأمير أتيفين وبينه وبين الغز مهادنة فلما  
قتل الغز ملك الغور محمد بن الحسين كما مر في أخباره طمع  
أتيفين في بلاده فجتمع جموعه وسار إليها في رمضان سنة تسع  
وخمسين وتغل في بلاد الغور فقاتلها أهلها وهزموه وقتل في  
المعركة وقصد الغز هرآة وقد اجتمع أهلها على أثر الدين منهم  
فاتهمهم بالليل للغز وقتلوا واجتمعوا على أبي القتوف بن علي بن  
فضل الله الطغرائي ثم بعشوا إلى المزيد بطاعتهم فبعث إليهم  
ملوكه سيف الدين تنكر فقام بأمرهم وبعث جيشاً إلى سرخس  
ومرو وأغاروا على دواب الغز فافرجوا عن هرآة ورجعوا لطاعته  
والله تعالى أعلم.

ملک شاه مازندران قومی و پیظام و وفاته

قد ذكرنا استيلاء المؤيد على قوسن وبسطام وولاية مولا  
تنكر عليها ثم إن شاه مازندران وهو رستم بن علي بن هريار بن  
قاروت جهز إليها عسكراً مع سابق الدين القزويني من أمرائه  
فملك دامغان وسار إليه تنكر فيمن معه من العسكر فكبشهم  
القزويني وهزمهم واستولى على البلاد وعاد تنكر إلى المؤيد  
بني سبور وجعل يغير على بسطام وقوسن ثم توفي شاه مازندران  
في ربیع سنة ستین فكتم ابنه علاء الدين مorte حتى استولى على  
حصونه وببلاده ثم ظهره وملك مكانه ونمازعه إتياق صاحب  
حرجان ودهستان ولم يرع ما كان بينه وبين آیه فلم يظفر بشيء  
والله سبحانه وتعالى أعلم.

حصہ عسکر المؤید نسا

ثم بعث المؤيد عساكره في جمادى سنة ستين لحصار مدينة

## وفاة الأتابك شمس الدين إيلدكز وولادة

ابنه محمد البهلوان

ثم توفي الأتابك شمس الدين إيلدكز أتابك أرسلان شاه بن طغول صاحب همنان وأصبهان والري وأذربيجان وكان أصله مملوك الكمال الشهير ابن وزير السلطان محمود ولما قتل الكمال صار السلطان وترقى في كتب الولاية فلما ولت السلطان مسعود ولاه أرانية فاستولى عليها ويقيت طاعته للملوك على بعد واستولى على أكثر أذربيجان ثم ملك همنان وأصبهان والري وخطب لرببيه أرسلان بن طغول وبقي أتابك ويبلغ عسکره خسین الفاً واتسع ملکه من تقليس إلى مکران وكان متحكماً على أرسلان وليس له من الدولة إلا جرابة تصل إليه.

ولما هلك إيلدكز قام بالأمر بعده ابنه محمد البهلوان وهو آخر السلطان أرسلان لأمه فسuar أول ملکه لإصلاح أذربيجان وخالقه ابن سنکي وهو ابن أخي شملة صاحب خوزستان إلى بلد نهاوند فحاصرها ثم تأثر ابن سنکي من تستر وصحبهم من ناحية أذربيجان يوهمهم أنه مدد البهلوان ففتحوا له البلد ودخل قطلب القاضي والأعيان ونصبهم وتوجه نحو ماسبدان قاصداً العراق ورجع إلى خوزستان ثم سار شملة ستة سبعين وقصد بعض التركمان فاستجدوا البهلوان بن إيلدكز فأخذهم وقاتلواه فهزمهوا وأسر شملة جريحاً وولده وابن أخيه وتوفي بعد يومين وهو من التركمان الأتسزية وملك ابنه من بعده وسار البهلوان ستة سبعين إلى مدينة تبريز وكان صاحبها أقصیر الأحديلي قد هلك وعهد بالملك بعده لابنه ملك الدين فسuar إلى بلاده وحاصر مراغة وبعث أخاه فنزل وعاد عن مراغة إلى همنان والله سبحانه وتعالى أعلم.

## وفاة السلطان أرسلان بن طغول

ثم توفي السلطان أرسلان بن طغول مکفول البهلوان بن إيلدكز وأخوه لأمه بهمنان ستة ثلاث وسبعين وخمسة وخطب بعده لابنه طغول.

## وفاة البهلوان محمد بن إيلدكز وملك أخيه

قرن

ثم توفي البهلوان محمد بن إيلدكز أول سنة اثنين وخمسة

## وفاة صاحب كرمان والخلف بين أولاده

ثم توفي سنة خمس وستين الملك طغول بن قاروت بك صاحب كرمان وولي ابنه أرسلان شاه مكانه ونازعه أخوه الأصغر بهرام شاه فحاربه أرسلان وهزمه فلقي بالمؤيد في نيسابور فانجده بالعساكر وسار إلى أخيه أرسلان فهزمه وملك كرمان ولحق أرسلان بأصبهان مستجداً بالذكر فانجده بالعساكر وارتحع كرمان ولحق بهرام بالمؤيد وأقام عنده ثم هلك أرسلان فسuar بهرام إلى كرمان وملكها ثم توفي المستجدة وولي ابنه المستضيء ولم نترجم لوفاة الخلفاء هنا لأنها مذكورة في أخبارهم وإنما ذكرناها قبل هؤلاء لأنهم كانوا في كفالة السلجوقية ونبي بويه قبليم فوفاتهم من جملة أخبار الدولتين وهؤلاء من لدن المقفي قد استبدوا بأمرهم وخلافتهم من بعد ضعف السلجوقية بوفاة السلطان مسعود وافتقرت دولتهم في نواحي المشرق والمغرب واستبد بها الخلفاء ببغداد ونواحيها ونازعوا من قبلهم أنهم كانوا يخطبون لهم في أعمالهم ونازعهم فيها مع ذلك حرصاً على الملك الذي سلبوه وأصبحوا في ملك منفرد عن أولئك المفردين مضافاً إلى الخلافة التي هي شعراهم وتدالو أمرهم إلى أن انقرضوا بهمك المستعصم على يد هلاکو.

## وفاة خوارزم شاه وولاية ابنه سلطان شاه

ومنازعته مع أخيه الأكبر علاء الدين تکش

لما انهزم خوارزم شاه أرسلان أمام الخطأ رجع إلى خوارزم فمات سنة ثمان وستين وولي ابنه سلطان شاه فنازعه أخيه الأكبر علاء الدين تکش واستجدة بالخطأ وسار إلى خوارزم فملكها ولحق سلطان شاه بالمؤيد صريحاً فسuar معه مجيوشه ولقيهم تکش فانهزم المؤيد وجيء به أسيراً إلى تکش فقتل بين يديه صرياً وعاد أصحابه إلى نيسابور فولوا ابنه طغان شاه أباً بكر ابن المؤيد وكان من أخبار طغان شاه وتنکش ما ذكره في أخبار دولتهم وفي كيفية قتله خبر آخر ذكره هنالك ثم سار خوارزم شاه سنة تسع وستين إلى نيسابور وحاصرها مرتين ثم هزم في الثانية طغان شاه بن المؤيد وأخذه أسيراً وحمله إلى خوارزم وملك نيسابور وأعمالها وجميع ما كان لبني المؤيد بخراسان وانقضى أمرهم والبقاء لله وحده والله تعالى أعلم.

يقطعه البلاد فسار من نيسابور إلى الري وأطاعه قتلغ وسار معه إلى همدان وخرج طغرل للقتال قبل أن يجمع العساكر ولقيهم قريباً من الري في ربيع الأول فحمل عليهم وتورط بينهم فصرع عن فرسه وقتل وملك خوارزم شاه همدان وتلك البلاد جميعاً وانتقضت مملكة بني ملك شاه وولي خوارزم شاه على همدان وله ملك قزل لم يرض طغرل بتحكيمه عليه وفارق همدان وحق به جماعة من الأمراء والجناد وجرت بينه وبين قزل حروب ثم غلب طغرل إلى الخليفة فأمره بعمارة دار السلطان فندر رسوله وهدمت دار السلطنة وألحقت بالأرض وبعث الخليفة الناصر لدين الله سنة أربع وثمانين عسكراً مع وزيره جلال الدين عبد الله بن يونس لإنجاده قزل على طغرل قبل همدان وهزمهم ونهب جميع ما معهم وأسر الوزير ابن يونس.

وكانت البلاد والرعايا في غاية الطمائنية فوقع عقب موته بأصبهان بين الختنية والشافعية وبالري بين أهل السنة والشيعة فتن وحروب أكت إلى الخراب وملك البلاد بعد البهلوان آخره قزل أرسلان واسميه عثمان وكان البهلوان كافلاً للسلطان طغرل وحاكمًا عليه ولا هلك قزل لم يرض طغرل بتحكيمه عليه وفارق همدان وحق به جماعة من الأمراء والجناد وجرت بينه وبين قزل حروب ثم غلب طغرل إلى الخليفة فأمره بعمارة دار السلطان فندر رسوله وهدمت دار السلطنة وألحقت بالأرض وبعث الخليفة الناصر لدين الله بن يونس لإنجاده قزل على طغرل قبل همدان وهزمهم ونهب جميع ما معهم وأسر الوزير ابن يونس.

### قتل قزل أرسلان قطلغ وولادة أخيه

قد تقدم لنا ما كان بين السلطان طغرل وبين قزل بن إيلدزير من الحروب ثم إن قزل غلبه واعتقله في بعض القلاع ودانت له البلاد وأطاعه ابن دكلا صاحب فارس وخوزستان وعاد إلى أصفهان والفتن بها متصلة فأخذ جماعة من أعيان الشافعية وصلبهم وعاد إلى همدان وخطب لنفسه بالسلطنة سنة سبعة وثمانين ثم قتل غيلة على فراشه ولم يعرف قاتله وأخذ جماعة من علمائه بالظنة وكان كريماً حليماً يحب العدل ويرثه لما هلك ولد من بعده قطلغ بن أخيه البهلوان واستولى على الملك الذي كانت بيده.

### ملك الكرج الدويرة

كان أزيك بن البهلوان قد استولى على أذريجان بعد موته وكان مشغولاً بذاته فسار الكرج إلى مدينة دويرة وحاصروها وبعث أمرها إلى إليه بالصريح فلم يصرخهم حتى ملكها الكرج عنوة واستباحوها والله تعالى أعلم.

### قتل كوجه بلاد الجبل وملك ايدغمش

كان كوجه من موالي البهلوان قد تغلب على الري وهمدان وببلاد الجبل واصطعن صاحبه ايدغمش ووثق به فنازعه الأمر وحاربه فقتلته واستولى ايدغمش على البلاد وبقي أزيك بن البهلوان مغلباً ليس له من الحكم شيء.

### قصد صاحب مراغة وصاحب إربل أذريجان

قد ذكرنا أن أزيك كان مشغولاً بذاته مهملاً لملكه ثم حدث بينه وبين صاحب إربل وهو مظفر الدين كوكبri سنة اثنين وستمائة فتنة حللت مظفر الدين على قصده فسار إلى مراغة واستجده صاحبها علاء الدين بن قراسنقر الأحدبلي فسار معه لحضار تبريز وبعث أزيك الصريح إلى إيدغمش بمكانه من بلاد

### قتل السلطان طغرل وملك خوارزم شاه الري ووفاة أخيه سلطان شاه

ولما توفي قزل وولي قطلغ بن أخيه البهلوان كما قلناه أخرج السلطان طغرل من محبسه بالقلعة التي كان بها واجتمع إليه العساكر وسار إلى همدان فلقيه قطلغ بن البهلوان فانهزم بين يديه وحق بالري وبعث إلى خوارزم شاه علاء الدين تكش ليستجده فسار إليه سنة ثمان وثمانين وندم قطلغ على استدعائه فتحصن بعض قلاعه وملك خوارزم شاه الري وملك قلعة طبرك وصالح السلطان طغرل وولي على الري وعاد إلى خوارزم سنة تسعين وأحدث أحدوثة السلطان شاه تذكره في أخبارهم وسار السلطان طغرل إلى الري فأغار عليها وفر منه قطلغ بن البهلوان وبعث إلى خوارزم شاه يستجده وافتى ذلك وصول منشور من الخليفة إليه

وأقام بها كان إيدغمش قد وفَد سنة ثمان وستمائة إلى بغداد وشرفه الخليفة بالخلع والألوية وولاه على ما كان بيده ورجع إلى همدان ووعده الخليفة مسیر العساكر فاقام ينتظراها عند سليمان بن مرحام أمير الإبرانية من التركمان فدس إلى منكلي مخبره ثم قتل إيدغمش وحمل أصحابه إلى منكلي وافتقر أصحابه واستولى

منكلي وبعث إليه الخليفة بالذكر فلم يلتقط إليه فيبعث إلى مولاه أزيك بن البهلوان صاحب أذربيجان بمحضه عليه وإلى جلال الدين الإماماعيلي صاحب قلعة لموت لمساعدته على أن يكون للخليفة بعض البلاد ولأزيك بعضها وجلال الدين بعضها وبعث الخليفة العساكر مع مولاه سقير الملقب بوجه السبع وأمره بطاعة مظفر الدين كوكبري بن زين الدين علي كچك صاحب إربيل وشهرزور وهو مقدم العساكر جميعاً فسار لذلك وهرب منكلي وتعلق بالجبل وزلوا بصفحة قريباً من كرج فناوشهم الحرب فانهزم أزيك ثم عاد ثم أسرى من ليلته منهزم وأصيروا فاقسموا البلاد على الشريطة وولي أزيك فيما أخذ منها مولى أخيه فاستولى عليها ومضى منكلي إلى أزيك واستقر في بلاد الجبل حتى قتله الباطنية وبعث برأسه إلى أزيك واستقر في بلاد الجبل حتى قتله الباطنية ستة أربع عشرة وستمائة وجاء خوارزم شاه فملكتها كما نذكر في

أخباره ودخل أزيك بن البهلوان صاحب أذربيجان وأران في طاعته وخطب له على منابر أعماله وانقرض أمر بني ملك شاه ومواليهم من العراقين وخراسان وفارس وجميع ممالك المشرق ويقي إزيدك ببلاد أذربيجان ثم استولى التتر على أعمال محمد بن تكش فيما وراء النهر وخراسان وعرق العجم سنة ثمان عشرة وستمائة وموالي الهند وسار جنكي Khan فطاشه أزيك بن البهلوان ستة إحدى وعشرين وامرأه بقتل من عنده من الخوارزمية ففعل ورجع عنه إلى خراسان ثم جاء جلال الدين بن محمد بن تكش من الهند ستة الاثنين وعشرين فاستولى على عراق العجم وفارس وسار إلى أذربيجان فملكتها ومر من أزيك إلى كنجة من بلاد أران ثم ملك كنجة وببلاد أران ومر أزيك إلى بعض القلاع هنالك ثم هلك وملك جلال الدين على جميع البلاد وانقرض أمر بني أزيك واستولى التتر على البلاد وقتلوا جلال الدين سنة ثمان وعشرين كما يأتي في أخبارهم جميعاً.

وانتهى الكلام في دولة السلجوقية فلنرجع إلى أخبار الدول المشتبعة عنها واحدة بعد واحدة والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

الجبل فسار إليه وأرسل مظفر الدين بالفتنه والتهديد فعاد إلى بلده علاء الدين بن قراسنر إلى بلاد مراغة فسار إيدغمش وأزيك وحاصروه بمراجة حتى سلم قلعة من قلائعه ورجعوا عنه والله تعالى أعلم.

### وفاة صاحب مازندران والخلف بين أولاده

ثم توفي حسام الدين أزدشير صاحب مازندران وولي ابنه الأكبر وأخرج أخاه الأوسط عن البلاد فلحق بحرجان وبهاء علي شاه برتكش ناتياً عن أخيه خوارزم فاست Jegedh على شرط الطاعة له وأمره آخره تكش بالمسير معه فساروا من جرجان وبلغتهم في طريقهم مهلك صاحب مازندران المتولى بعد أخيه وأن أخاه الأصغر استولى على الكراع والأموال فساروا إليه وملكوا البلاد ونهبواها مثل سارية وأمد وغيرها وخطب خوارزم شاه فيها وعاد علي شاه إلى خراسان وأقام ابن صاحب مازندران وهو الأوسط الذي استقر به وقد امتنع آخره الأصغر بقلعة كوري ومعه الأموال والذخائر وأخره الأوسط فراسله واستعطف وقد ملك البلاد جميعاً والله ولـي التوفيق.

### ملك ابن البهلوان مراغة

ثم توفي سنة أربع وستمائة علاء الدين بن قراسنر الأحديلي صاحب مراغة وأقام بأمرها من بعده خادمه ونصب ابنه طفل صغيراً وعصى عليه بعض الأمراء وبعث العسکر لقتاله فانهزموا أولاً ثم استقر ملك الطفل ثم توفي سنة خمس وستمائة وانقرض أهل بيته فسار أزيك بن البهلوان من تبريز إلى مراغة واستولى على مملكة آن قراسنر ما عدا القلعة التي انتقم بها الخادم وعنهما الخزانين والذخائر.

### استيلاء منكلي على بلاد الجبل وأصفهان

#### وغيرها وهرب إيدغمش وقتله

لما تمكن إيدغمش في بلاد الجبل بهمدان وأصفهان والري وما إليها عظم شأنه حتى طلب الأمر لنفسه وسار لحصار أزيك بن مولاه الذي نصب للأمر وكان بأذربيجان فخرج عليه مولى من موالي البهلوان اسمه منكلي وكثير جمعه واستولى على البلاد وقدم إيدغمش إلى بغداد واحتفل الخليفة لقدومه وتلقاه وذلك سنة ثمان

محمد بن أنوشتكين إلى خوارزم فازداد بذلك عند سنجار ظهوراً  
والله سبحانه وتعالى ولِ التوفيق لا رب سواه.

### وفاة محمد بن أنوشتكين وولايته ابنه أتسز

ثم هلك محمد بن أنوشتكين خوارزم ولِيَ بعده ابنه أتسز  
وسار بسيرة أبيه وكان قد قاد الجيوش أيام أبيه وحارب الأعداء  
فلما ولِ افتتح أمره بالاستيلاء على مدينة مقالع وظهرت كفایته  
في شأنها فاستدعاه السلطان سنجار فاختصه وكان يصاحبه في  
اسفاره وحروبه وكلما مر يزيد تقدماً عنده والله تعالى أعلم بغيته  
وأحكامه.

### الحرب بين السلطان سنجار وأتسز خوارزم

شاه

ثم كثُرت السعاية عند السلطان سنجار في أتسز خوارزم  
شاه وإنْ يجده نفسه بالامتناع فسار سنجار إليه ليُنتزع خوارزم  
من يده فتجهز أتسز للقائه واقتلوه فانهزم أتسز وقتل ابنه وخلى  
كثير من أصحابه واستولى سنجار على خوارزم واقطعها غياث  
الدين سليمان شاه ابن أخيه محمدأ ورتب له وزيراً وأباكاً وجاجباً  
وعاد إلى مرو متصرف ثلاثة وثلاثين وكان أهل خوارزم يستغثون  
لأتسرع فعاد إليهم بعد سنجار فأدخلوه البلد ورجع سليمان شاه  
إلى عمه سنجار واستبد أتسز بخوارزم والله أعلم.

### انهزام السلطان سنجار من الأتراك الخطا

وملكتهم ما وراء النهر

ثم سار سنجار ستة ست وثلاثين لقتال الخطا من الترك  
فيما وراء النهر لما رجعوا للملك تلك البلاد فيقال: إن أتسز أغراهم  
بذلك ليشغل السلطان سنجار عن بلده وأعماله ويقال: إن محمد  
بن محمد بن سليمان بن داود بقراخان ملك الخانية في كاشغر  
وتبرستان وهو ابن أخت سنجار زحفت إليه أم الخطا من الترك  
ليتملکوا بلاده فسار إليهم وقاتلهم فهزموه وعاد إلى سمرقند  
ويبعث بالصريح إلى خاله سنجار فعبر النهر إليه في عساكر  
المسلمين وملوك خراسان والتفوا في أول صفر ستة ست وثلاثين  
فانهزم سنجار وال المسلمين وفشا القتل فيهم يقال: كان القتلى مائة  
الف رجل وأربعة آلاف امرأة وأسرت زوجة السلطان سنجار

### بنو أنوشتكين

كان أنوشتكين جدهم تركياً ملوكاً لرجل من غرشستان  
ولذلك يقال له: أنوشتكين غرشة ثم صار لرجل من أمراء  
السلجوقيه وعظمائهم اسمه ملکابك وكان مقدماً عنده لنجاته  
وشجاعته ونشأ ابنه محمد على مثل حاله من النجابة والشجاعة  
وخلق بالأدب والمعارف واحتل طلاقاً بأمراء السلجوقيه ولِيَ لهم  
الأعمال واشتهر فهم بالكفاية وحسن التدبير.

ولما ولِ بركيارق ابن السلطان ملك شاه وانتقض عليه عمه  
أرسلان أرغون واستولى على خراسان بعث وإليه العساكر سنة  
تسعين وأربعين مع أخيه سنجار وسار في أمره ولقيهم في طريقهم  
خبر مقتل أرغون عنهم وأن بعض مواليه خلفه فعدا عليه فقتلته  
كما من قبل فسار بركيارق في نواحي خراسان وما وراء الهر حتى  
دوخها ولِ عليها أخاه سنجار وانتقض عليه أمير أمiran من  
قرابته اسمه محمد بن سليمان فسار إليه سنجار وظفر به وسلمه  
وعاد بركيارق إلى العراق بعد أن ولِ على خوارزم إكنجي شاه  
ومعنى شاه بلسانهم: السلطان فأضيف إلى خوارزم على عادتهم  
في تقديم المضاف إليه على المضاف

ولما انصرف بركيارق إلى العراق تأخر من أمرائه قوذز  
وبارقطاش وانتقضوا على السلطان ووثبوا بالأمير إكنجي صاحب  
خوارزم وهو يهرو ذاهباً إلى السلطان شاه فقتلته وبلغ الخبر إلى  
السلطان وقد انتقض عليه بالعراق الأمير أنسزو مؤيد الملك بن نظام  
الملك فمضى لحربيهما وأعاد الأمير داود حبشي بن إيتاق في  
عسكر إلى خراسان لقتالهما فسار إلى هرة وعاجلاه قبل اجتماع  
عساكره فعبر جيحون وسبق إليه بارقطاش فهزمه داود وأسره  
وبلغ الخبر إلى قوذز ثار به عساكره وفر إلى بخارى فقبض عليه  
نابها ثم أطلقه ولحق بالملك سنجار فقبله وأقسام بارقطاش أسرى  
عند الأمير داود وصفت خراسان من الفتنة والثور واستقام أمرها  
للأمير داود حبشي فاختار لولايته خوارزم محمد بن أنوشتكين  
فولاه وظهرت كفایته وكان محباً لأهل الدين والعلم مقرباً لهم  
عادلاً في رعيته فحسن ذكره وارتفع محله ثم استول الملك سنجار  
على خراسان فاقر محمد بن أنوشتكين وزاده تقديره وجمع بعض  
ملوك الترك وقصد خوارزم وكان محمد غالباً عنها ولحق بالترك  
محمد بن إكنجي الذي كان أباً له أميراً على خوارزم واسم طفرل  
تکین محمد فحرض الترك على خوارزم وبلغ الخبر إلى محمد بن  
أنوشتكين فبعث إلى سنجار بنسابور يستمدده وسبق إلى خوارزم  
فافتقر الترك وطفرل تکین محمد وسار كل منهما إلى ناحية ودخل

خوارزم وجمع أرسلان للقائهم وسار غير بعيد ثم طرقه المرض فرجع وأرسل الجيوش لنظر أمير من أمرائه فقاتلته الخطا وهزموه وأسروه ورجع إلى ما وراء النهر والله سبحانه وتعالى أعلم.

### وفاة خوارزم شاه أرسلان وملك ولده سلطان شاه وبعده ولده الآخر تكش وملك طغان شاه بن المؤيد ثم موته وملك ابنه سنجار شاه

ثم توفي خوارزم شاه أرسلان بن أنسز من مرضه الذي قعد به عن لقاء الخطا وملك بعده ابنه الأصغر سلطان شاه محمود في تدبر أمره وكان ابنه الأكبر علاء الدين تكش مقيناً في إنطاكه بالجند فاستكشف من ولاية أخيه الأصغر وسار إلى ملك الخطا مستجداً ورغبه في أموال خوارزم وذخائرها فأنجده بجيشه كيف وجاء إلى خوارزم ولحق سلطان شاه وأمه بالمؤيد أنه صاحب نيسابور والمغلب عليها بعد سنجار وأهدى له ورغبه في الأموال والذخائر فجمع وسار معه إذا كان على عشرين فرسخاً من خوارزم سار إليه تكش وهزمه وجيء بالمؤيد أسيراً إلى تكش فامر بقتله وقتل بين يديه صبراً ولحق آخره سلطان شاه بهستان وتبعه تكش فملكتها عنده وهو رب سلطان شاه وأخذت أمه فقتلتها تكش وعاد إلى خوارزم ولحق سلطان شاه بنيسابور وقد ملكوا طغان شاه أبي بكر بن ملكهم المؤيد

ثم سار سلطان شاه من عنده إلى غيات الدين ملك الغورية فقام عنده وعظم تحكم الخطا على علاء الدين تكش صاحب خوارزم واشتتوا عليه ويعشا يطلبونه في المال فنازلا مترقبين على أهل خوارزم ودس إليهم فيتوهم ولم ينفع منهم أحد ونبذ إلى ملك الخطا عهده وسمع ذلك آخره سلطان شاه فسار من غزنة إلى ملك الخطا يستجده على أخيه تكش وادعى أن أهل خوارزم ييلون إليه فبعث معه جيشاً كثيفاً من الخطا وحاصروا خوارزم فامتنعت وأمر تكش بإجراء ماء النهر عليهم فكادوا يغرقون وأفروا عن البلاد ولأموا سلطان شاه فيما غرهم فقال لقائدهم: أبعث معك الجيش لرو لأنزعها من دينار الغزي الذي استولى عليها من حين فنتهم مع سنجار فبعث معه الجيش وسار إلى سرخس واتقحمها على الغز الذين بها وانحش في قتلهم واستباحهم وجلأ دينار إلى القلعة فتحصن بها ثم سار سلطان شاه إلى مرو وملكتها وأقام بها ورجع الخطا إلى ما وراء النهر وأقام

وعاد منهزاً وملك الخطا ما وراء النهر وخرجت عن ملك الإسلام وقد تقدم ذكر هذه الواقعة مستوفى في أخبار السلطان سنجار.

ولما انضم السلطان سنجار قصد أنسز خوارزم شاه خراسان فملك سرخس ولقي الإمام أبي محمد الزبيدي وكان يجمع بين العلم والزهد فأكرمه وقبل قوله ثم قصد مرو الشاهجان فخرج إلى الإمام أحد الباضوري وشفع في أهل مرو وأن لا يدخل لهم أحد من العسكر فشنفه وأقام بظاهر البلد ثمار عامة مرو وأخرجا أصحابه وقتلوا بعضهم وامتنعوا فقاتلهم أنسز وملكتها عليهم غالباً أول ربيع من سنة ست وثلاثين وقتل الكثير من أهلها وكان فيهم جماعة من أكابر العلماء وأخرج كثيراً من علمائها إلى خوارزم منهم: أبو بكر الكرماني ثم سار في شوال إلى نيسابور وخرج إليه جماعة من العلماء والفقهاء متظاهرين أن يعفيهم مما وقع بأهل مرو فأعفا لهم واستصنفوا أموال أصحاب السلطان وقطع الخطة لسنجار وخطب لنفسه ولما صرخ باسمه على التبر هم أهل نيسابور بالثورة ثم رد لهم خوف العاقب فاقصروا ويعث جيشاً إلى أعمال يهون فحاصرها خسأ ثم ساروا في البلاد يهبون ويكتسحون والسلطان سنجار خلال ذلك متفاغل عنه فيما يفعله في خراسان لما وراءه من مدد الخطا وقوتهم.

ثم أوقع الغز سنة ثمان وأربعين بالسلطان سنجار واستولوا على خراسان وكان هؤلاء الغز مقيمين بما وراء النهر منذ فارقهم ملوك السلجوقية وكانتا يديتون بالإسلام فلما استولى الخطا على ما وراء النهر أخرجوهم منها فأقاموا بنواحي بلخ وأكثروا فيها العيش والفساد وجعل لهم سنجار وقاتلهم نظريراً به وهزموه وأسروه وانتشر سلك دولته فلم يعد انتظامه واقتربت أعمالها على جماعة من مواлиيه واستقل حيتند أنسز بملك خوارزم وأعماله وأورتها بنية ثم استولوا على خراسان والعراق عندما ركبت ريح السلجوقية وكانت لهم بعد ذلك دولة عظيمة نذكر أخبارها مفصلة عند دول أهلها والله تعالى ولـي التوفيق بمنه وكرمه.

### وفاة أنسز وملك ولده أرسلان

ثم توفي أنسز بن محمد بن أنوشتكين في متصرف إحدى وخسین وخمسة لستين سنة من ولادته وكان عادلاً في رعيته حسن السيرة فيهم ولما توفي ملك بعده أرسلان بن أنسز فقتل جماعة من عماله وسلم أخاه ثم بعث بظاعته للسلطان سنجار عندما هرب من أسر الغز فكتب له بولاية خوارزم وقصد الخطا

الدين ابن أخيه وصاحب سجستان يجنحان إلى الحرب وغياب الدين يكتفهم حتى حضر رسول سلطان شاه عند غياث الدين لإتمام العقد والملوك جميعاً حاضرون فقام الدين العلوي الهندي وكان يختص وهو يدل عليه فرق في وسط الجموع ونادي بفساد الصلح وصرخ ومزق ثيابه وحشى التراب على رأسه وأفحش لرسول سلطان شاه وأقبل على غياث الدين وقال : كيف تعمد إلى ما ملكناه بأسافينا من الغز والأتراك والستجارية فتعطيه هذا الطريد إذ لا يقنع منا أخوه وهو الملك خوارزم ولا بغزنة والمند فاطرق غياث الدين ساكتا فنادي في عسکره بالحرب والتقدم إلى مرو الروذ وتوقع الفريقيان فانهزم سلطان شاه وأخذ أكثر أصحابه أسرى ودخل إلى مرو في عشرين فارساً

ولحق الفيل من عسکره وبلغ الخبر إلى أخيه تكش فسار من خوارزم لاعتراضه وقدم العساكر إلى جيحون يمنعون إلى الخطأ وسمع آخره سلطان شاه بذلك فرجم عن جيحون وقصد غياث الدين ولما قدم عليه أمر بتلقه وأنزله معه في بيته وائز أصحابه عند نظرائهم من أهل دولته وأقام إلى انصرام الشتاء وكتب أخيه علاء الدين خوارزم إلى غياث الدين في رده إليه ويعدد فعلاته في بلاده وكتب مع ذلك إلى نائب غياث الدين بهراة يتهدده فامتنع غياث الدين لذلك وكتب إلى خوارزم شاه بأنه مجرم له وشفيع في التجافي عن بلاده وإنصافه من وراثة أبيه ويطلب مع ذلك الخطبة له خوارزم والصهر مع أخيه شهاب الدين فامتنع خوارزم شاه وكتب إليه يتهدده ببعض بلاده فجهز غياث الدين إليه العساكر مع ابن أخيه أبو غازى إلى بهاء الدين سامي صاحب سجستان وبعثهما مع سلطان شاه إلى خوارزم وكتب إلى المؤيد أبيه صاحب نيسابور يستتجده وكانت ابنته تحت غياث الدين فجمع المؤيد عساكره وخيم بظاهر نيسابور.

وكان خوارزم شاه عزم على لقاء أخيه الغورية وسار عن

خوارزم فلما سمع خبر المؤيد عاد إلى خوارزم واحتمل أمواله وذخائره وعبر جيحون إلى الخطأ وترك خوارزم وسار أعيانها إلى أخيه سلطان شاه والبوغازي ابن اخت غياث الدين فأتوا طاعتهم وطلبوا الراي عليهم وتوفي سلطان شاه مسلوخ رمضان سنة تسعة وعاد البوغازي إلى خاله غياث الدين ومعه أصحاب سلطان شاه فاستخدمهم غياث الدين وأنفعهم وبلغ وفاة سلطان شاه إلى أخيه خوارزم تكش فعاد إلى خوارزم وعاد الشحنة إلى بلاد سرخس ومرو فجهز إليهم نائب الغورية بمرو عمر المرغنى عسکراً ومنعهم منها حتى يستاذن غياث الدين وأرسل خوارزم شاه إلى غياث الدين الصلح والصهر في وفدي من فقهاء خراسان والعلوية يعظمونه

سلطان شاه بخراسان يقاتل الغز فيصيب منهم كثيراً وعجز دينار ملك الغز عن سرخس فسلمها لطفان شاه بن المؤيد صاحب نيسابور فول عليها مراموش من أمرائه.

ولحق دينار بنيسابور فحاصر دينار سلطان شاه وعاد إلى نيسابور ولحق به مراموش وترك قلعة سرخس ثم ملك نطووش والثم وضاقت الأمور على طفان شاه بنيسابور إلى أن مات في حرم سنة اثنين وثمانين وملأه المؤيد وائف أهل الدولة من استبداده منكلي تكين مملوك جده المؤيد وائف أهل الدولة من استبداده وتحكمه فلحق أكثرهم بسلطان شاه في سرخس وسار الملك دينار من نيسابور في جويع الغز إلى كرمان فملكتها ثم أسماء منكلي تكين السيرة بنيسابور في الرعية بالظلم وفي أهل الدولة بالقتل فسار إليه خوارزم شاه علاء الدين تكش في ربیع سنة اثنين وثمانين فحاصره بنيسابور شهرین فامتنعت عليه فعاد إلى خوارزم ثم رجع سنة ثلاث وثمانين فحاصرها وملأها على الأمان وقتل منكلي تكين وحمل سنجار شاه إلى خوارزم فأنزله بها وأكرمه ثم بلغه أنه يكاتب أهل نيسابور فسلمه ويفي عنده إلى أن مات سنة خمس وستين

قال ابن الأثير : ذكر هذا أبو الحسن بن أبي القاسم البهقي في كتاب «مسارب التجارب» وذكر غيره أن تكش بن أرسلان لما أخرج أخيه سلطان شاه من خوارزم وقصد سلطان شاه إلى مرو فملأها من بد الغز ثم ارتجعوا منه ونالوا من عساكره فعبر إلى الخطأ واستدرجهم وضمن لهم المال وجاء بجيشه فملك مرو وسرخس ونسا وأبىورد من بد الغز وصرف الخطأ فعادوا إلى بلادهم ثم كاتب غياث الدين الغوري وله هرة وبوشنج وباذغيس وأعمالها من خراسان بطلب الخطبة له ويتوعده فاجابه غياث الدين بطلب الخطبة منه بمرو وسرخس وما ملكه من بلاد خراسان

ثم ساءت سيرة سلطان شاه في خراسان وصدر رعاياها فجهز غياث الدين عساكر مع صاحب سجستان وأمر ابن أخيه بهاء الدين صاحب باميان بالسير معه فساروا إلى هرة وخفاف سلطان شاه من لقاهم فرجم من هرة إلى مرو حتى انصرم فصل الشتاء ثم أعاد مراسلة غياث الدين فامتنع وكتب إلى أخيه شهاب الدين بالخبر وكان بالمند فرجع مسرعاً إليه وساروا إلى خراسان واجتمعوا بعساكرهم الأول على الطالقان وجمع سلطان شاه جويعه من الغز وأهل الفساد وتزلف بجامعة الطالقان وتواقفوا كذلك شهرین وترددت الرسل بين سلطان شاه وغياث الدين حتى جنح غياث الدين إلى التزول عن بوشنج وباذغيس وشهاب

تعيشه وخل عليهم بنفسه وأحيط به فقتل في ربيع سنة تسعين ويعث خوارزم شاه برأسه إلى بغداد وملك همدان وبلاط الجبل أجمع وكان الوزير مؤيد الدين بن القصاب قد بعثه الخليفة الناصر مددًا لخوارزم شاه في أمره فرحل إليه واستوحش ابن القصاب فامتنع بعض الجبال هنالك وعاد خوارزم شاه إلى همدان وسلمها وأعمالها إلى قطليخ إيانج وقطع كلها منها على يده وقدم عليهم مناجي وازل معه ابنه وعاد إلى خوارزم ثم اختلف مناجي وقطليخ إيانج واقتتلوا سنة إحدى وتسعين فانهزم قطليخ.

وكان الوزير ابن القصاب قد سار إلى خوزستان فملكتها وكثيراً من بلاد فارس وقبض علىبني شملة وأمرائها ويعث بهم إلى بغداد وأقام هو بهد البلاد فلحق به قطليخ إيانج هنالك مهزوماً سليباً واستتجده على الري فازاح عليه وسار معه إلى همدان فخرج مناجي وابن خوارزم شاه إلى الري وملك ابن القصاب همدان في سنة إحدى وتسعين وسار إلى الري فاجفل الخوارزميون أمامهم ويعث الوزير العساكر في اثرهم حتى لحقوهم بالdamagan وبسطام وجرجان ورجعوا عنهم واستولى الوزير على الري ثم انقض قطليخ إيانج على الوزير وامتنع بالري فحاصره الوزير وغلبه عليها ولحق إيانج بمدينة ساوة ورحل الوزير في اتباعه حتى لحقه على دربنكرخ فهزمه وخجا إيانج بنفسه.

وسار الوزير إلى همدان فأقام بظاهرها ثلاثة أشهر ويعث إلى خوارزم شاه بالتكير على ما فعل ويطلب إعادة البلاد فلم يجب إلى ذلك وسار خوارزم إليه وتوفي قبل وصوله فقاتل العساكر بعده في شعبان سنة اثنين وتسعين فهزمه وأتختن فيهم وأخرج الوزير من قبره قطع رأسه ويعث به إلى خوارزم لأنه كان قتل في المعركة واستولى على همدان ويعث عساكره إلى أصفهان فملكتها وازل بها ابنه وعاد إلى خوارزم وجاءت عساكر الناصرither ذلك مع سيف الدين طغول قطع بلاد اللحف من العراق فاستدعاه أهل أصفهان فملکوا البلد ولحق عساكر خوارزم شاه بصاحبهم ثم اجتمع عالیک البهلوان وهم أصحاب قطليخ وقدموا على أنفسهم كركجة من إيانج وساروا إلى الري فملکوها ثم إلى أصفهان كذلك وأرسل كركجة إلى الديوان ببغداد يطلب أن يكون الري له مع جوار الري وساوة وقمة وقاشان وما ينضاف إليها وتكون أصفهان وهمدان وزنجان ومررو من الديوان فكتب له بذلك والله أعلم.

ويستجيرون به من خوارزم شاه أن يجيز إليهم الخطأ ويستحثهم ولا يحسم ذلك إلا صلحه أو سكته بمرو فأجابهم إلى الصلح وعقدوه ورد على خوارزم تكش بلاد أخيه وطبع الغز فيها فعاثوا في نواحيها وجاء خوارزم شاه إليها ودخل مرو وسرخس فسار البورد وطرق إلى طرس وهي للمؤيد ابنه فجمعت وسار إليها وعاد خوارزم شاه إلى بلده وأفسد الماء في طريقه واتبعه المؤيد فلم يجد ماء ثم كر عليه خوارزم شاه وقد جهد عساكره العطش فأوقع بهم جيء إليه بالمؤيد أسيراً فقتله وعاد إلى خوارزم وقام بنيسابور بعد المؤيد ابنه طغان شان ورجع إليه خوارزم شاه من قابل فحاصره بنيسابور وبرز إليه فاسره وملك بنيسابور واحتفل طغان شاه وعياله وقرباته فأنزلهم خوارزم قال ابن الأثير: هذه الرواية مخالفة للأولى وإنما أوردتها ليتأمل الناظر ويستكشف أيهما أوضح فيعتمدها والله تعالى أعلم.

## وفاة ايلدكز وملك ابنه محمد البهلوان

قد تقدم لنا في أخبار الدولة السلجوقية ولاية أرسلان شاه بن طغل في كفالة ايلدكز وابنه محمد البهلوان من بعده ثم أحيه أزيك أرسلان بن ايلدكز وأنه اعتقل السلطان طغرل ثم توفي فول مكانه قطليخ ابن أخيه البهلوان فخرج السلطان من مجلسه وجمع لقتاله سنة ثمان وثمانين فهزمه ولحق قطليخ بالري ويعث إلى خوارزم شاه علاء الدين تكش فسار إليه وندم قطليخ على استدعائه فتحصن منه بعض قلاعه وملك خوارزم شاه الري وقلعة طرك ورتب فيها الحامية وعاد إلى خوارزم لما بلغه أن أخيه سلطان شاه خالقه إليها ولما كان بعض الطريق لقيه الخبر بأن أهل خوارزم منعوا سلطان شاه وعاد خالقاً فتمادي إلى خوارزم وأقام إلى انسلاخ فصل الشتاء ثم سار إلى أخيه سلطان شاه بمرو سنة تسع وثمانين وترددت الرسل بينهما في الصلح ثم استأمن إليه نائب أخيه بقلعة سرخس فسار إليها ومات أخيه سلطان شاه سنة تسع وسبعين فصار خوارزم شاه إلى مرو وملك أيسورد ونسا وطرس وسائر مملكته أخيه واستول على خزاناته ويعث على ابنه علاء الدين محمد فولاه مرو وولي ابنه الكبير ملك شاه بنيسابور وذلك آخر تسع وثمانين.

ثم بلغه أن السلطان طغرل أغار على أصحابه بالري قطليخ إيانج بعث إليه بابنه يستتجده ووصل إليه رسول الخليفة يشكرو من طغرل واقطعه أعماله فسار من بنيسابور إلى الري وتلقاه قطليخ إيانج بطاعته وسار معه ولقيهم السلطان طغرل قبل استكمال

بالخلع له ولولده قطب الدين وكتب له تقليداً بالأعمال التي بيده  
ثم سار خوارزم شاه لقتال الملاحدة فافتتح قلعة لهم قريبة من  
قرزونين وانتقل إلى حصار قلعة الموت من قلاعهم فقتل عليها  
رئيس الشافية بالري صدر الدين محمد بن الوزان وكان مقدماً  
عنه ولازمه ثم عاد إلى خوارزم فوثب الملاحدة على وزيره نظام  
الملك مسعود بن علي فقتلوه فجهز ابنه قطب الدين لقتالهم فسار  
إلى قلعة ترشيش من قلاعهم فحاصرها حتى سأله في الصلح  
على مائة ألف دينار يعطونها فامتنع أولاً ثم بلغه مرض أبيه  
فأبايه وأخذ منهم المال المذكور وعاد والله أعلم.

وفاة خوارزم شاہ

ثم توفى خوارزم شاه تكش بن ألب ارسلان بن أتىز بن محمد أترشكين صاحب خوارزم بعد أن استولى على الكثير من خراسان وعلى الري وهمدان وغيرها من بلاد الجبل وكان قد سار من خوارزم إلى نيسابور فمات في طريقه إليها في رمضان سنة ست وتسعين وخمسة وثمانين وكان عندما أشتد مرضه بعث لابنه قطب الدين محمد يخبره بحاله ويستدعيه فوصل بعد موته فبایع له أصحابه بالملك ولقبوه علاء الدين لقب أبيه وحمل شمل أبيه إلى خوارزم فدفنه بالمدرسة التي بناها هنالك وكان تكش عادلاً عارفاً بالأصول والفقه على مذهب أبي حنيفة ولما توفى ابنه علاء الدين محمد كان ولده الآخر علي شاه باصبهان فاستدعاه أخوه محمد فسار إليه ونهب أهل أصفهان فخلعه وولاه آخره على خراسان فقصد نيسابور وبها هندو خان ابن أخيهما ملك شاه منذ ولاه جده تكش عليها بعد أبيه ملك شاه ولما مات جده تكش نهب الكثير من خزاناته ولحق بهرو وبلغ وفاة تكش إلى غياث الدين ملك غزنة فجلس للعزاء على ما بينهما من العداوة إعطاءً لقدره ثم جمع هندو خان جوحاً وسار إلى خراسان فبعث علاء الدين محمد بن تكش العساكر لدفعه مع جنقر التركي فخام هندو خان عنلقائه ولحق بغياش الدين مستجدأ فأكيرمه ووعده التصر ودخل جنقر مدينة مرو وبعث باسم هندو خان وولده إلى خوارزم مكرمين فأرسل غياث الدين صاحب غزنة إلى محمد بن خربك تابه بالطافقان أن ينذر إلى جنقر العهد ففعل وسار من الطافقان إلى مرو الروذ فملكها وبعث إلى جنقر يأمره بالخطبة في مرو لغياث الدين أو يفارقهها فبعث إليه جنقر يهده ظاهراً ويسأله سرًا أن يستأمن له غياث الدين فقرى طعمه في البلاد بذلك وأمر أخاه شهاب الدين بالمسير إلى خراسان والله أعلم.

وفاة ملک شاہ بن خوارزم شاہ تکش

قد تقدم لنا أن خوارزم شاه تکش ولی ابنه ملک شاه علی نیسابور سنه تسع وثمانین وأصفاف إلیه خراسان وجعله ولی عهده في الملك فقام بها إلى سنة ثلاثة وستعين ثم هلك في ربیع منها وخلف ابناً اسمه هندو خان ولی خوارزم شاه علی نیسابور ابنه الآخر قطب الدین الذى كان ولاه بمر و الخطا.

انهزام الخطأ من الغورية

كان خوارزم شاه تكش لما ملك الري وهمدان وأصبهان  
و هزم ابن القصاب وعساكر الخليفة بعث إلى الناصر يطلب الخطبة  
بيبغداد فامتنع الناصر بذلك وأرسل إلى غياث الدين ملك غزنة  
والغور فقصد بلاد خوارزم شاه فكتب إليه غياث الدين يتهده  
بذلك بعث خوارزم شاه إلى الخطأ يستجدهم على غياث الدين  
ويحذرهم أن يملكون البلاد كما ملك بلخ فسار الخطأ في عساكرهم  
ووصلوا بلاد الغور وراسلوا بهاء الدين سام ملك باميان وهو  
بلخ يأمرونه بالخروج عنها وعاثروا في البلاد وخوارزم شاه قد  
قصد هراة وانتهى إلى طوس واجتمع أمراء الغورية بهراسان مثل  
محمد بن بك مقطع الطالقان والحسين بن مرميل وحرروس وجمعوا  
عساكرهم وكبسوا الخطأ وهزموه وألقوه بهيجون فتقسموا  
بين القتل والفرق وبعث ملك الخطأ إلى خوارزم شاه يتعجب على  
في ذلك ويطلب الديمة على القتلى من قومه و يجعله السبب في  
قتلهم فراجع غياث الدين واستطعوه وافقه على طاعة الخليفة  
وإعادة ما أخذه الخطأ من بلاد الإسلام وأجاب ملك الخطأ بأن  
قومه إنما جاؤوا لانتزاع بلخ من يد الغورية ولم يأتوا لنصرتي وأنا  
قد دخلت في طاعة غياث الدين فجهز ملك الخطأ عساكره إليه  
وحاصروه فامتنع فرجعوا عنه بعد أن فني أكثرهم بالقتل وسار في  
أثرهم وحاصر بخاري وأخذ بمحققها حتى ملكها ستة أربع  
وستين فقام بها مدة وعاد إلى خوارزم والله تعالى وللترقيق.

ملك خوارزم شاه تکین الري وبلاد الجبل

ثم سار خوارزم شاه تكين لارتفاع الري وببلاد الجبل من يد  
مناجق والبهلوانية الذين انتقضوا عليه فهرب مناجق عن البلاد  
وتركها وملكها خوارزم شاه واستدعاه فامتنع من الخضور وابتعد  
فاستأمن أكثر أصحابه ورجعوا عنه ولحق هو بقلعة من أعمال  
مازندران فامتنع بها فبعث خوارزم شاه إلى الخليفة الناصر فبعث

## استيلاء ملوك الغورية على أعمال خوارزم شاه محمد بن تكش بخراسان وارتجاعه إياها منهم ثم حصاره هرآة من أعمالهم

ولما اتصل بعلاء الدين محمد بن تكش مسيرهما عن خراسان كتب إلى غياث الدين يعاتبه عن أخذه بلاده ويطلب إعادتها ويتوعده باستجاد الخطأ عليه فماطله بالجواب إلى خروج أخيه شهاب الدين من الهند لعجزه عن الحركة لاستيلاء مرض التقرس عليه فكتب خوارزم شاه إلى علاء الدين الغوري نائب غياث الدين بنيسابور بأمره بالخروج عنها فكتب بذلك إلى غياث الدين فأجايهه بعده بالنصر وسار إليه خوارزم شاه محمد بن تكش آخر ستة سبع وتسعين وخمسة وثلاثين قرب أبيورد هرب هندوخان من موالي غياث الدين وملك محمد بن تكش مدينة مرو ونسا وأبيورد وسار إلى بنيسابور وبها علاء الدين الغوري فحاصرها وأطاح حصارها حتى استأمنوا إليه واستحلقوه وخرجوا إليه فأحسن إليهم وسال من علاء الدين الغوري السعي في الإصلاح بيته وبين غياث الدين فضمن ذلك وسار إلى هرآة وبها أنقطعه وغضب على غياث الدين لتعوده عن إنجاده، فلم يسر إليه.

وبالغ محمد بن تكش في الإحسان إلى الحسن بن حرميل من أمراء الغورية ثم سار إلى سرخس وبها الأمير زنكي من قراية غياث الدين فحاصرها أربعين يوماً وضيق مختفها بالحرب وقطع الميرة ثم ساله زنكي الأفراج ليخرج عن الأمان فافرج عنه قليلاً ثم ملاً البلد من الميرة بما احتاج إليه وأخرج العاجزين عن الحصار وعاد إلى شأنه فندم محمد بن تكش ورحل عنها وجهز عسكراً لحاصرها وجاء نائب الطالقان مددناً لحمد بن خربك وأحسن بعد أن أرسل إليه بأنه عساكر الخوارزمية الجمرة عليه وأن ساع ذلك فاقرروا عنه وجاء إليه زنكي من الطالقان فخرج مع ابن خربك إلى مرو الروذ وجي خراجها وما يجاورها ويعت إلى محمد بن تكش عسكراً نحو من ثلاثة آلاف مع خاله فلقبهم محمد بن خربك في تسمعاته فارس فهزهم وأنوخ فيهم قتلاً وأسرًا وغنمة سوادهم وعاد خوارزم شاه محمد بن تكش إلى خوارزم.

وارسل إلى غياث الدين في الصلح فأجايهه مع الحسن بن محمد المرغني من كبراء الغورية وغالطه في القول ولما وصل الحسن المرغني إلى خوارزم شاه وأطلع على أمره فقبض على الحسن وسار إلى هرآة فحاصرها وكتب الحسن إلى أخيه عمر بن محمد المرغني أمير هرآة بالخبر فاستعد للحصار وقد كان لحق بغياش الدين أخوان من حاشية سلطان شاه عم محمد بن تكش المتوفى في سرخس فأكملهما غياث الدين وأنزلهما بهرآة فكتاباً محمد بن تكش وداخله في تمليله هرآة فسار للذك وحاصر البلد وأميرها عمر المرغني مر إلى الآخرين وعندهما مقاييس البلد وأطلع آخره

ولما استأمن جنقر نائب مرو إلى غياث الدين طمع في أعمال خوارزم شاه بخراسان كما قلناه واستدعاه أخيه شهاب الدين للمسير إليها فسار إلى غزنة واستشار غياث الدين نائبه بهراء عمر بن محمد المرغني في المسير إلى خراسان فنهاه عن ذلك ووصل أخيه شهاب الدين في عساكر غزنة والغور وسجستان وساروا متتصف سبع وتسعين وسبعين كتاب جنقر نائب مرو إلى شهاب الدين وهو بقرب الطالقان يمثه للوصول وأذن له غياث الدين فسار إلى مرو وقاتل العساكر الذين بها من الخوارزمية فغلبهم وأحرجهم بالبلد وسار بالفيلة إلى السور فاستأمن من أهل البلد وأطاعوا وخرج جنقر إلى شهاب الدين ثم جاء غياث الدين بعد الفتح إلى هرآة مكرماً وسلم مرو إلى هندوخان بن ملك شاه كما وعده ثم سار إلى سرخس فملكتها صلحًاً وولى عليها زنكي بن مسعود من بي عمه وأقطعه معها نسا وأبيورد ثم سار إلى طوس وحاصرها ثلثاً واستأمن إليه أنها فملكتها ويعت إلى علي شاه علاء الدين محمد بن تكش بنيسابور في الطاعة فامتنع فسار إليه وقاتل بنيسابور من جانب وأخيه شهاب الدين من الجانب الآخر إلى سقرطه ودخلوا بنيسابور وملكونها ونادوا بالأمان وجيء بعلي شاه من خوارزم إلى غياث الدين فأمهله وأكرمه ويعشه بالأمراء الخوارزمية إلى هرآة وولى على خراسان ابن عمه وصهره على ابنته ضياء الدين محمد بن علي الغوري ولقبه علاء الدين وأنزله بنيسابور في جمع من وجوه الغورية وأحسن إلى هرآة ثم سار شهاب الدين إلى قهستان وقيل له عن قريه من قراها أنه إسماعيلية فامر بقتلهم ونبي ذاريهم ونهب أموالهم وخرب القرية ثم سار إلى حصن من أعمال قهستان وهو إسماعيلية فملكه بالأمان بعد الحصار وولى عليه بعض الغورية فأقام بها الصواب وشعار الإسلام ويعت صاحب قهستان إلى غياث الدين يشكو من أخيه شهاب الدين ويقول: إن هذا نقض العهد الذي بيته وبينكم راعه إلا نزول أخيه شهاب الدين على حصن آخر للإسماعيلية من أعمال دهستان فحاصره فبعث بعض ثقائه إلى شهاب الدين بأمره بالرحيل فامتنع فقطع أطباب سرادقه ورحل مرغاماً وقصد الهند مغاضباً لأخيه.

بعض طاعته وفوج عن الخصار فامتنع ثم أدركه المرض فخشى  
أن يشغله المرض عن حماية البلد فيملكتها عليه خوارزم شاه فرجع  
إلى إجادته واستحللفة وأهدى وخرج له ليلقاه ويعطيه بعض الخدمة  
فمات في طريقه وارتحل خوارزم شاه عن البلد وأحرق الجانين  
وسار إلى سرخس فأقام بها.

# حصار شهاب الدين خوارزم شاه وانهزامه أمام الخطأ

ولما بلغ شهاب الدين بغزنة ما فعل خوارزم شاه بهراة  
وموت ناتهيه بها البوغاني ابن أخته وكان غازياً إلى الهند فاشتني  
عزمته وسار إلى خوارزم وكان خوارزم شاه قد سار من سرخس  
ولاقم بظاهر مرو فلما بلغه خبر مسيره أجفل راجعاً إلى خوارزم  
فسبق الدين إليها وأجرى الماء في السبخة حواليها وجاء شهاب  
الذين فاقم أربعين يوماً يطرق المسالك حتى أمكنه الوصول ثم  
التقوا واقتلاوا وقتل بين الفريقين خلق كان منهم الحسن المرغيني  
من الغورية وأسر جماعة من الخوارزمية فقتلهم شهاب الدين صبراً  
وبعث خوارزم شاه إلى الخطأ فيما وراء النهر يستجدهم على  
شهاب الدين فجمعوا وساروا إلى بلاد الغور وبليغ ذلك شهاب  
الذين فسار اليهم فلقيهم بالمقازة فهزمه وحصروه في أيدحوى  
حتى صالحهم وخلص إلى الطالقان وقد كثر الإرجاف بعورته فتلقاه  
الحسن بن حرميل صاحب الطالقان وأزارح علله.

ثم سار إلى غزة واحتل ابن حرميل معه خشية من شدة جزعه أن يلحقه خوارزم شاه ويطعنه فولاه حجابته وسار معه ووجد الخلاف قد وقع بين أمرائه لما بلغهم من الإرجاف بموته حسبما مر في أخبار الغورية فأصلاح من غزة ومن الهند وتأهب للرجوع لخوارزم شاه وقد وقع في خبر هزيمته أسام الخطأ بالمقارنة وجده آخر ذكرناه هناك وهو أنه فرق عساكره في المفازة لقلة الماء فأوقع بهم الخطأ منفردين وجاء في الساقفة فقاتلهم أربعة أيام مصايرًا وبعث اليه صاحب سمرقند من عسكر الخطأ وكان مسلماً وأشار عليه بالتهوييل عليهم فبعث عسكراً من الليل وجاؤوا من الغد متسائلين وخرفهم صاحب سمرقند بوصول المدد لشهاب الدين فرجعوا إلى الصلح وخلص هو من تلك الواقعة وذلك سنة إحدى وستمائة ومات شهاب الدين أثر ذلك.

الحسن في محبسه على شان الأخرين في مداخلة محمد بن تكش  
بعث إلى أخيه عمر بذلك فلم يسعفه فبعث إليه بخط أحدهما  
فقبض عليهم وعلى أصحابهما واعتقلهم.

وبعث محمد بن تكش عسكراً إلى الطالقان للغارة عليها فظفر بهم ابن خربك ولم يفلت منهم أحد ثم بعث غياث الدين ابن أخيه البوغاني في عسكر من الغورية فنزلوا قريباً من عسكر خوارزم شاه محمد بن تكش وقطع عنهم الميرة ثم جاء غياث الدين في عسكر قليل لأن أكثرها مع أخيه شهاب الدين بالهند وغزنته فنزل قريباً من هرة ولم يقدم على خوارزم فلما بلغ الحصار أربعين يوماً وانهزم أصحاب خوارزم شاه بالطالقان ونزل غياث الدين وابن أخيه البوغاني قريباً منه وبلغه وصول أخيه شهاب الدين من الهند إلى غزنة أجمع الرحيل عن هرة وصالح عمر المغني على مال حله إليه وارتحل إلى مرو متصرف ثمان وستعين. وسار شهاب الدين من غزنة إلى بلخ ثم إلى باميان معززاً

على محاربة خوارزم شاه والتقت طلائعها فقتل بين الفريقين خلقاً ثم ارتعل خوارزم شاه عن مرو فجفلاً إلى خوارزم وقتل الأمير سنجر صاحب نيسابور لاتهامه بالمخادعة وسار شهاب الدين إلى طوس وأقام بها إلى انسلاخ الشتاء معتمداً على السير لحصار خوارزم فأثار الخبر بوفاة أخيه غياث الدين فرجع إلى هرة واستخلف بمرو محمد بن خربك فساري إليه جماعة من أمراء خوارزم شاه سنة تسع وستين ابن خربك ولم ينج منهم إلا القليل فبعث خوارزم شاه الجبوش مع منصور التركي لقتال ابن خربك ولقيهم على عشرة فراسخ من مرو وقاتلهم فهزموه ودخل مرو منهذا فحاصروه خمسة عشر يوماً ثم استأمن إليهم وخرج فقتلواه وأسف ذلك شهاب الدين وتراجعت الرسل بينه وبين خوارزم شاه في الصلح فلم يتم وأراد العود إلى غزنة فاستعمل على هرة ابن اخته البوغاني وملك علاء الدين بن أبي علي الغوري مدينة مرو وذكره وبلد الغور وأعمال خراسان وفرض إليه في ملكته وعد غزنة سنة تسع وستين وخمسة ثم عاد خوارزم شاه إلى هرة متصرف سنة ستمائة وبها البوغاني ابن اخت شهاب الدين الغوري وكان شهاب الدين قد سار عن غزنة إلى هلاون غازياً فحضر خوارزم شاه هرة إلى منسلخ شعبان وهلك في الحصار بين الفريقين خلق وكان الحسن بن حرمبل مقيناً بخوزستان وهي إقطاعه فارسل إلى خوارزم شاه يخادعه ويطلب منه عسكراً يستلمون الفيلة وخرانة شهاب الدين فبعث إليه ألف فارس فاعتراضهم هو والحسن بن محمد المرغني فلم ينج منهم إلا القليل فندم خوارزم شاه على إنفاذ العسکر ويعث إلى البوغاني أن يظهر

## استيلاء خوارزم شاه على بلاد الغورية بخراسان

وبعث غياث الدين عسكره مع علي بن أبي علي وسار معه أميران صاحب الطالقان وكان منحرفاً عن غياث الدين بسبب عزله فدنس إلى ابن حرميل بأن يكتبه وواعده المزعنة وخلف له على ذلك فكتبه ابن فانهزم عسكر غياث الدين وأسر كثير من أمرائه وشن ابن حرميل الغارة على بلاد باذغيس وغيرها من البلاد واعتزم غياث الدين على المسير بنفسه إلى هراة ثم شغل عن ذلك بأمر غزنة ومسير صاحب باميان إلى الدوس فاقصر واستظهر خوارزم شاه إلى بلغ وقد كان عند مقتل شهاب الدين أطلق الغورية الذين كان أسرهم في المصاف على خوارزم وغيرهم في القام عنده أو اللحاق بقوتهم واستصفى من أكبرهم محمد بن بشير وأقطعه فلما قصد الآن بلخ قدم إليها أحوجه على شاه في العساكر ويرز إليه عمر بن الحسن أميرها فدافعته عنها ونزل على أربعة فراسخ وأرسل إلى أخيه خوارزم شاه بذلك فسار إليه في ذي القعدة من السنة ونزل على بلخ وحاصرها وهم يتظرون المدد من أصحابهم باميان بن بهاء الدين وقد شغلوا بغزنة فحاصرها خوارزم شاه أربعين يوماً ولم يظفر بفتح محمد بن بشير الغوري إلى عماد الدين عمر بن الحسن نائبه يستنزله فامتنع فاعتزم خوارزم شاه على المسير إلى هراة.

ثم بلغه أن أولاد بهاء الدين أمراء باميان ساروا إلى غزنة وأسرهم تاج الدين النذر فأعاد محمد بن بشير إلى عمر بن الحسين فأجاب إلى طاعة خوارزم شاه والخطبة له وخرج إليه فأعاده إلى بلده وذلك في ربیع سنة ثلاث وستمائة ثم سار خوارزم شاه إلى جوزجان وبها على بن علي فنزل له عنها وسلمها خوارزم شاه إلى ابن حرميل لأنها كانت من أقطاعه وبعث إلى غياث الدين عمر بن الحسين من بلخ يستدعيه ثم قبض عليه وبعث به إلى خوارزم شاه وسار إلى بلخ فاستولى عليها واستخلف عليها جفري التركي وعاد إلى بلاده.

### استيلاء خوارزم شاه على ترمذ وتسليمها للخطا

ولما أخذ خوارزم شاه بلخ سار عنها إلى ترمذ وبها عماد الدين عمر بن الحسين الذي كان صاحب بلخ وقدم إليه محمد بن علي بن بشير بالعذر عن شأن أخيه وأنه إنما بعثه خوارزم مكرماً وهو أعظم خواصه ويعده بالاطلاع فاتهم على أصحابها أمره واجتمع عليه خوارزم شاه والخطا من جميع جوانبه وأسر أصحابه ملوك باميان بغزنة فاستأمن إلى خوارزم شاه وملك منه البلد ثم

كان نائب الغورية بهرة من خراسان الحسن بن حرميل ولا قتل شهاب الدين الغوري في رمضان سنة اثنين وستمائة قام بأمرهم غياث الدين محمود ابن أخيه غياث الدين واستولى على الغور من يد علاء الدين محمد بن أبي علي سروركاه ولما بلغ وفاة شهاب الدين إلى الحسن بن حرميل نائب هراة جمع أعيان البلد وقادسيهم واستحلفهم على الامتناع من خوارزم شاه ظاهراً ودس إلى خوارزم شاه بالطاعة ويطلب عسكراً يمتنع به من الغورية وبعث ابنه رهينة في ذلك فأنفذ إلى عسكراً من نيسابور وأمرهم بطاعة ابن حرميل وغياث الدين خلال ذلك يكتب ابن حرميل ويطبله في الطاعة فيراوغه بالوعادة وبلغه خبره مع خوارزم شاه فاعتزم على النهوض إليه واستشار ابن حرميل بهرة أعيان البلد يختبر ما عندهم فقال: له علي بن عبد الحال مدرس أمية وناظر الأوقاف: الرأي صدق الطاعة لغياث الدين فقال إن ما أخشاه فسر إليه وتوثق لي منه فعله وسار إلى غياث الدين فاطلبه عن الجلي من أمر ابن حرميل ووعده الثورة به.

وكتب غياث الدين إلى نائبه بمحرو يستدعيه فترافق وحمله أهل مرو على المسير فسار فخلع عليه غياث الدين وأقطعه واستدعي غياث الدين أيضاً نائبه بالطالقان أميران قطر فترافق فاقطع الطالقان سونج مملوك ابنه المعروف بأمير شكار وبعث إلى ابن حرميل مع ابن زياد بالخلع ووصل معه رسوله يستاجر خطبه له فمطله أيامه حتى وصل عسكر خوارزم شاه من نيسابور ووصل في أثرهم خوارزم شاه وانتهى إلى بلخ على أربعة فراسخ فندم ابن حرميل عندما عاين مصدقة الطاعة وعرف عسكر خوارزم شاه بأن أصحابهم قد صالح غياث الدين وترك له البلاد فانصرفوا إلى أصحابهم وبعث إليه معهم بالهدايا ولما سمع غياث الدين بوصول عسكر خوارزم شاه إلى هراة أخذ اقطاع ابن حرميل وقبض على أصحابه واستصفى أمواله وما كان له من الذخيرة في حروباً وتبين ابن حرميل في أهل هراة الميل إلى غياث الدين والآخرين عنه وخشي من ثورتهم به فاظهر طاعة غياث الدين وجمع أهل البلد على مكاتبته بذلك فكتبوا جميعاً وأخرج الرسول بالكتاب ودس إلى ابنه بأن يلحق عسكر شاه خوارزم فبردهم إليه فوصل الرسول بهم لرابع يومه ولقيهم ابن حرميل وأدخلهم البلد وسلم ابن زياد الفقيه وأخرج صاعداً القاضي وشيع الغورية فلحقوا بغياث الدين وسلم البلد لعسكر خوارزم شاه.

## استيلاء خوارزم شاه على ما وراء النهر وقتاله مع الخطأ وأسره وخلاصه

قد تقدم لنا كيف تغلب الخطأ على ما وراء النهر منذ هزمو سنجار بن ملك شاه وكانت أمة بادية يسكنون الخيام التي يسمونها الخركاوات وهم على دين الجبوسية كما كانوا وكانت موطنين بزرافي أوزكند وببلاد ساغون وكاشغر وكان سلطان سمرقند وبخاري من ملوك الخانية الأقدمين عريقاً في الإسلام والبيت والملك ولقب خان خاقان يعني سلطان المسلمين وكان الخطأ وضعوا الجزية على بلاد المسلمين فيما وراء النهر وكثروا عليهم وقتلوا وطائفتهم فألف صاحب بخاري من تحكمهم وبعث إلى خوارزم شاه يستصرخه لمحاربتهم على أن يحمل إليه ما يحملونه للخطأ وتكون له الخطبة والسلكة وبعث في ذلك وجروه بخاري وسمرقند فحلقوا له ووضعوا رهائتهم عنده فتجهز لذلك وولى أئمها على شاه على طبرستان مع جرجان وولى على نيسابور الأمير كرلوك خان من آخرالله وأعيان دولته ونذب معه عسكراً وولى على قلعة زوزن أمين الدين أبا بكر وكان أصله حلالاً فارتفع وترقى في الربت إلى ملك كرمان وولى على مدينة الجام الأمير جلدوك وأقر على هرآ الحسن بن حرمبل وأنزل معه القاً من المقاتلة واستتاب في مرور سرخس وغيرهما وصالح غياث الدين محموداً على ما يده من بلاد الغور وكرمسين وجع عساكر وسار إلى خوارزم فتجهز منها وعبر جيحون واجتمع سلطان بخاري وسمرقند وزحف إلى الخطأ فتقاعدو معه مرات ويقيت الحرب بينهم سجالاً.

ثم انهزم المسلمون وأسر خوارزم شاه ورجعت العساكر إلى خوارزم معلولة وقد ارجف بحوث السلطان وكان كرلوك خان نائب نيسابور محاصراً هرآ ومعه صاحب زوزن فرجعا إلى بلادهما وأصلح كرلوك خان سور نيسابور واستكثر من الجندي والأقوات وحدثه نفسه بالاستبداد وبلغ خير الإرهاق إلى أخيه علي شاه بطرستان فدعا لنفسه وقطع خطبة أخيه وكان مع خوارزم شاه حين أسر أمير من أمرائه يعرف بابن مسعود فتحيل للسلطان بأن أظهر نفسه في صورته واتفقا على دعائه باسم السلطان وأوهما صاحبها الذي أسرهما أن ابن مسعود هو السلطان وأن خوارزم شاه خديبه فأوجب ذلك الخطأ حقه وعظمته لاعتقاده أنه السلطان وطلب منبعده أيام أن يبعث ذلك الخليص لأهله وهو خوارزم شاه في الحقيقة ليعرف أهله بخبره وبائيه بالمال فيدفعه إليه فاذن له الخطأ في ذلك وأطلقه بكتابه ولحق بخوارزم ودخل إليها

سلمها إلى الخطأ وهم على كفرهم ليسالوه حتى يملأ ويترعها منهم فكان كما قدره والله سبحانه وتعالى أعلم.

## استيلاء خوارزم شاه على الطالقان

ولما ملك خوارزم شاه تردد سار إلى الطالقان وبها سونج واستتاب على الطالقان أمير شكار نائب غياث الدين محمود وبعث إليه بستميلا، فامتنع ويرز للحرب حتى تراجع الجماع فنزل عن فرسه ونبذ سلاحه وجاء متظاهراً في العفو عنه فاغرض عنه وملك الطالقان واستول على ما فيها وبعث إليه سونج واستتاب الطالقان على بعض أصحابه وسار إلى قلاع كالولمين ومهوار وبها حسام الدين علي بن علي فقاتلته ودفعه على ناحيته وسار إلى هرآ وخيم بظاهرها وجاء رسول غياث الدين بالهدايا والتحف ثم جاء ابن حرمبل في جمع من عساكر خوارزم شاه إلى أسفراين فملكتها على الأمان في صفر من السنة وبعث إلى صاحب سجستان وهو حروب بن محمد بن إبراهيم من عقب خلف الذي كان ملكها منذ عهد ابن سبكتكين في الطاعة لخوارزم والخطبة له فامتنع وقد خارزم شاه وهو على هرآ القاضي صاعد بن الفضل الذي أخرجه ابن حرمبل ولحق بغياث الدين فلما جاء إلى خوارزم شاه رماه ابن حرمبل بالليل إلى الغورية فحبسه بقلعة زوزن وولي القضاء بهرآ الصفي أبا بكر بن محمد السرخسي وكان ينوب عن صاعد وابنه في القضاء.

## استيلاء خوارزم شاه على مازندران

### وأعمالها

ثم توفي صاحب مازندران حسام الدين أردشير وولى ابنه الأكبر وطرد أخيه الأوسط فقصد جرجان وبها الملك علي شاه ينوب عن أخيه خوارزم شاه محمد بن تكش واستتجده فاسهاذن أخيه وسار معه من جرجان سنة ثلاث وستمائة ومات الأخ الذي ولد على مازندران وولى مكانه أخيهما الأصغر ووصل على شاه ومعه آخر صاحب مازندران فعاشروا في البلاد وامتنع الملك بالقلع مثل سارية وأمد فملكتها من يده وخطب فيها لخوارزم شاه وعاد علي شاه إلى جرجان وترك ابن صاحب مازندران الذي استجار به ملكاً في تلك البلاد وأخوه بقلعة كورة.

إلى السور واقتحموه وملك البلد عنوة وجيء بالوزير أسرى إلى خوارزم شاه فأمر بقتله فقتل وكان ذلك سنة خمس وستمائة وولى على هرة حاله أمير ملك وعاد وقد استقر له أمر خراسان.

### استيـلاء خوارزم شـاه على بـيروزـكوه وسـائر

#### بلاد خراسان

لما ملك خوارزم شاه هرة وولى عليها حاله أمير ملك وعاد إلى خوارزم بعث إلى أمير ملك يأمره بيروزـكوه وكان بها غيـاث الدين محمود بن غيـاث الدين وـقد لـحق به أخيـوه على شـاه وأـئمـاء عـنـده فـسـارـ أمـيرـ مـلـكـ وـبعـثـ إـلـيـهـ مـحـمـودـ بـطـاعـتـهـ وـنـزـلـ إـلـيـهـ فـقـبـضـ عـلـيـهـ أمـيرـ مـلـكـ وـعـلـيـهـ عـلـيـهـ شـاهـ أـخـيـ خـوارـزمـ شـاهـ وـقـتـلـهـمـاـ جـيـعاـ سـنةـ خـمـسـ وـسـيـمـائـةـ وـصـارـتـ خـرـاسـانـ كـلـهـ خـوارـزمـ شـاهـ مـحـمـودـ بـنـ تـكـشـ وـانـقـرـضـ أـمـرـ الغـورـيـةـ وـكـانـ دـوـلـهـ مـنـ أـعـظـمـ الدـوـلـ وـأـحـسـنـهـ وـالـلـهـ تـعـالـىـ وـلـيـ التـوفـيقـ.

#### هزيمة الخطا

ولما استقر أمـيرـ خـرـاسـانـ خـوارـزمـ شـاهـ وـاسـتـفـرـ وـعـبرـ نـهـيرـ جـيـحـونـ وـسـارـ إـلـيـهـ الخـطاـ وـقـدـ اـحـتـفـلـوـ لـلـقـائـهـ وـمـلـكـهـ يـوـمـذـ طـاـئـيـكـوـهـ اـبـنـ مـاـهـ سـنـةـ وـنـجـوـهـ وـكـانـ مـظـفـرـ مـجـرـاـ بـصـيـراـ بـالـخـربـ وـاجـتـمـعـ خـوارـزمـ شـاهـ وـصـاحـبـ سـمـرـقـنـدـ وـبـخـارـىـ وـتـرـاجـعـوـ سـنـةـ سـتـ وـسـيـمـائـةـ وـوـقـعـتـ بـيـنـهـمـ حـرـوبـ لـمـ يـعـهـدـ مـثـلـهـ ثـمـ انـهـزـمـ الخـطاـ وـأـخـذـ فـيـهـمـ الـقـتـلـ كـلـ مـأـخـذـ وـاسـرـ مـلـكـهـ طـاـئـيـكـوـهـ فـاـكـرـمـ خـوارـزمـ شـاهـ وـأـجـلـسـ مـعـهـ عـلـيـ سـرـيرـ وـبـعـثـ بـهـ إـلـىـ خـوارـزمـ وـسـارـ هوـ إـلـىـ ماـ وـرـاءـ النـهـرـ وـمـلـكـهـ مـدـيـنـةـ إـلـىـ أـورـكـنـدـ وـانـزلـ نـوـابـهـ فـيـهاـ وـعـادـ إـلـىـ خـوارـزمـ وـمـعـ صـاحـبـ سـمـرـقـنـدـ فـاـصـهـرـ إـلـيـ خـوارـزمـ شـاهـ باـختـهـ وـرـدـهـ إـلـىـ سـمـرـقـنـدـ وـبـعـثـ مـعـ شـحـنـةـ يـكـونـ بـسـمـرـقـنـدـ عـلـىـ مـاـ كـانـ أـبـاـمـ الخـطاـ وـالـلـهـ تـعـالـىـ بـؤـيدـ بـنـصـرـهـ مـنـ يـشـاءـ.

#### انتـقـاضـ صـاحـبـ سـمـرـقـنـدـ

ولـماـ عـادـ صـاحـبـ سـمـرـقـنـدـ إـلـىـ بـلـدـهـ أـقـامـ شـحـنـةـ خـوارـزمـ شـاهـ وـعـسـكـرـهـ مـعـهـ خـنـواـ منـ سـنـةـ ثـمـ استـقـبـحـ سـيـرـهـ وـتـنـكـرـ لـهـ فـمـ وـأـمـرـ أـهـلـ الـبـلـدـ فـتـارـوـهـ بـهـمـ وـقـتـلـهـمـ فـيـ كـلـ مـذـبـحـ وـهـمـ بـقـتـلـ زـوـجـهـ أـخـتـ خـوارـزمـ شـاهـ فـغـلـقـتـ الـأـبـوـابـ دـوـنـهـ وـاسـتـرـحـتـ فـتـرـكـهـ وـبـعـثـ إـلـىـ مـلـكـ الـخـطاـ بـالـطـاـئـيـهـ وـبـلـغـ الـخـبـرـ إـلـىـ خـوارـزمـ شـاهـ فـامـتـضـ وـهـمـ

في يوم مشهور وعلم بما فعله أخيـوه على شـاهـ بـطـرـسـتـانـ وـكـرـلـكـ خـانـ بـنـسـابـورـ وـيـلـنـهـمـاـ خـبـرـ خـلاـصـهـ فـهـرـ بـكـرـلـكـ خـانـ إـلـىـ العـرـاقـ وـلـحـقـ عـلـيـ شـاهـ بـغـيـاثـ الدـيـنـ مـحـمـودـ فـاـكـرـمـهـ وـأـنـزـلـهـ وـسـارـ خـوارـزمـ شـاهـ إـلـىـ بـنـسـابـورـ فـأـصـلـحـ أـمـرـهـ وـولـىـ عـلـيـهـ وـسـارـ إـلـىـ هـرـةـ فـتـزـلـ عـلـيـهـ وـعـسـكـرـهـ مـعـاصـرـ دـوـنـهـ وـذـلـكـ سـنـةـ أـرـبـعـ وـسـيـمـائـةـ وـالـلـهـ أـعـلمـ.

#### مقـتـلـ ابنـ حـرمـيـلـ ثـمـ استـيـلاءـ خـوارـزمـ شـاهـ

#### على هـرةـ

كانـ ابنـ حـرمـيـلـ قـدـ تـكـرـ لـعـسـكـرـ خـوارـزمـ شـاهـ الـذـيـنـ كـانـاـ عـنـدـ بـهـرـةـ لـسـوـءـ سـيـرـهـ فـلـمـاـ عـبـرـ خـوارـزمـ شـاهـ جـيـحـونـ وـاشـتـغلـ بـقـتـالـ الخـطاـ قـبـضـ اـبـنـ حـرمـيـلـ عـلـىـ عـسـكـرـ وـجـبـهـ وـبـعـثـ إـلـىـ خـوارـزمـ شـاهـ يـعـتـدـ وـيـشكـرـ مـنـ فـلـعـهـ فـكـتـبـ إـلـيـهـ بـسـتـحـنـ فـلـعـهـ وـيـأـمـرـهـ بـيـنـقـاذـ ذـلـكـ عـسـكـرـ إـلـيـهـ يـتـفـعـ بـهـمـ فـيـ قـتـالـ الخـطاـ وـكـتـبـ إـلـىـ جـلـدـكـ بـنـ طـغـلـ صـاحـبـ الـجـامـ أـنـ يـسـيرـ إـلـيـهـ بـهـرـةـ ثـقـةـ بـفـعـلـهـ وـحـسـنـ سـرـيرـهـ وـأـعـلـمـ اـبـنـ حـرمـيـلـ بـذـلـكـ وـدـسـ إـلـىـ جـلـدـكـ بـالـتـحـيلـ عـلـىـ اـبـنـ حـرمـيـلـ بـكـلـ وـجـهـ وـقـبـضـ عـلـيـهـ فـسـارـ فـيـ الـفـيـ مـقـاتـلـ وـكـانـ بـهـرـيـ وـلـاـيـةـ هـرـةـ لـأـنـ آيـاهـ طـغـلـ كـانـ وـالـلـهـ بـهـاـ لـسـنـجـارـ فـلـمـاـ قـارـبـ هـرـةـ اـمـرـ اـبـنـ حـرمـيـلـ النـاسـ بـالـخـروـجـ لـتـلـقـيـهـ وـخـرـجـ هـرـ فيـ أـثـرـهـ بـعـدـ أـنـ أـشـارـ عـلـيـهـ وـزـيـرـهـ خـواـجاـ الصـاحـبـ فـلـمـ يـقـبـلـ فـلـمـاـ التـقـىـ جـلـدـكـ بـاـبـنـ حـرمـيـلـ تـرـجـلـاـ عـنـ فـرـسـيـهـمـاـ لـلـسـلـامـ وـأـحـاطـ أـصـحـابـ جـلـدـكـ بـاـبـنـ حـرمـيـلـ وـقـبـضـواـ عـلـيـهـ وـانـهـزـمـ أـصـحـابـهـ إـلـىـ الـمـدـيـنـةـ فـاغـلـنـ الـوـزـيـرـ خـواـجاـ الـأـبـوـابـ وـاستـعـدـ لـلـحـصـارـ وـأـظـهـرـ دـعـوـةـ غـيـاثـ الدـيـنـ مـحـمـودـ.

وـجـاءـ جـلـدـكـ فـنـادـهـ مـنـ السـوـرـ وـتـهـدـدـهـ بـقـتـلـ اـبـنـ حـرمـيـلـ وـجـاءـ بـاـبـنـ حـرمـيـلـ حـتـىـ أـمـرـهـ بـتـسـلـيمـ الـبـلـدـ جـلـدـكـ فـائـيـ وـأـسـاءـ الرـدـ عـلـيـهـ وـعـلـىـ جـلـدـكـ فـقـتـلـ اـبـنـ حـرمـيـلـ وـكـتـبـ إـلـىـ خـوارـزمـ شـاهـ بـالـخـبـرـ فـبـعـثـ خـوارـزمـ شـاهـ إـلـىـ كـرـلـكـ خـانـ نـائـبـ بـنـسـابـورـ وـإـلـىـ أـمـيـنـ الدـيـنـ أـبـيـ بـكـرـ نـائـبـ زـوـنـ بـالـسـيـرـ إـلـىـ جـلـدـكـ وـحـصـارـ هـرـةـ مـعـ فـسـارـ لـذـلـكـ فـيـ عـشـرـةـ آـلـافـ فـارـسـ وـحـاصـرـوـهـ فـامـتـعـتـ وـكـانـ خـلـالـ تـخلـصـ وـلـحـقـ خـوارـزمـ ثـمـ جـاءـ إـلـىـ بـنـسـابـورـ وـلـحـقـ بـالـعـسـكـرـ الـذـيـنـ يـمـاـصـرـوـنـ هـرـةـ فـأـحـسـنـ إـلـىـ أـمـرـاهـمـ لـصـرـهـ وـبـعـثـ إـلـىـ الـوـزـيـرـ خـواـجاـ فـيـ تـسـلـيمـ الـبـلـدـ لـأـنـهـ كـانـ يـعـدـ عـسـكـرـهـ بـذـلـكـ حـينـ وـصـولـهـ فـامـتـعـتـ وـأـسـاءـ الرـدـ فـشـدـ خـوارـزمـ فـيـ حـصـارـهـ وـضـجـرـ أـهـلـ الـمـدـيـنـةـ وـجـهـدـهـ الـحـصـارـ وـخـدـثـوـاـ فـيـ الـثـورـةـ فـبـعـثـ جـمـاعـةـ مـنـ الجـنـدـ لـلـقـبـضـ عـلـيـهـ فـتـارـوـهـ بـالـبـلـدـ وـشـعـرـ جـمـاعـةـ الـعـسـكـرـ مـنـ خـارـجـ بـذـلـكـ فـرـجـعـوـاـ

فسار خوارزم شاه يوهم كل واحد من الفريقين أنه له وأقام مبتداً عنتها حتى تواقعوا وأنهزم الخطا فمال التتر عليهم واستلهموه في كل وجه ولم ينج منهم إلا القليل فتحصنا بين جبال في نواحي تركستان وقليل آخر من لحقوا بخوارزم شاه كانوا معه.

وبعد خوارزم شاه إلى كشلي خان ملك التتر يعتد عليه بهزيمة الخطا وإنها إنما كانت بظهورته فأظهر له الاعتراف وشكراه ثم نازعه في بلادهم وأملأكمهم وسار بحرفهم ثم علم أنه لا طاقة له بهم فمكث يراوغهم على اللقاء كشلي خان يعتد في ذلك وهو يغاظله واستولى وكشلي خان خلال ذلك على كاشغر وببلاد تركستان وساغون ثم عمد خوارزم شاه إلى الشاش وفراغة واسحان وكاشان وما حولها من المدن التي لم يكن في بلاد الله منها أئمه منها ولا أحسن عمارة فجلاً أهلها إلى بلاد الإسلام وحرب جميعها خوفاً أن يمكثها التتر ثم اختلف التتر بعد ذلك وخرج على كشلي طائفة أخرى منهم يعرفون بالمثل والمملكون جنكيزخان فشنغل كشلي خان بحرفهم عن خوارزم شاه فعبر النهر إلى خراسان وتترك خوارزم شاه إلى أن كان من أمره ما ذكره والله تعالى أعلم.

## استيلاء خوارزم شاه على كرمان ومكران والسندي

وقد تقدم لنا أنه كان من جملة أمراء خوارزم شاه تكش تاج الدين أبو بكر وأنه كان كرياً للذواب ثم ترقى به الأحوال إلى أن صار سروان "تكش والسروان": مقدم الجهد ثم تقدم عنده بلده واستمامته وصار أميراً وولاه قلعة زوزون ثم تقدم عند علاء الدين محمد بن تكش واختصه فأشار عليه بطلب بلاد كرمان لما كانت مجاورة لوطنه فبعث معه عسكراً وسار إلى كرمان سنة اثنين عشرة وصاحبها يومنذ محمد بن حرب أبي الفضل الذي كان صاحب سجستان أيام السلطان سنجر فغلبه على بلاده وملكته ثم سار إلى كرمان وملكتها كلها إلى السندي من نواحي كابل وسار إلى هرمز من مدن فارس بساحل البحر واسم صاحبها ميك يفاطعه وخطب خوارزم شاه وضمن مالاً يحمله وخطب له بقلعات وبغض عنان من وراء النهر لأنهم كانوا يتقوون إلى صاحب هرمز بالطاعة وتسير سففهم بالتجار إلى هرمز لأنه المرسى العظيم الذي ت safر إليه التجار من الهند والصين وكان بين صاحب هرمز وصاحب كيش معاورات وفتنه وكل واحد مهما يهوى مراكب بلاده أن ترسى ببلاد الآخر وكان خوارزم شاه يطيف بنواحي سمرقند خشية أن يقصد التتر أصحاب كشلي خان بلاده.

يقتل من في بلده من أهل سمرقند ثم اثنى عن ذلك وأمر عساكره بالتجهيز إلى ما وراء النهر فخرجو أرسلاً وهو في أثرهم عبر بهم النهر ونزل على سمرقند وجاصرواها ونصب عليها الآلات وملكها عنوة واستباحها ثلاثة وقتل فيها نحواً من مائتي ألف واعتضم أصحابها بالقلعة ثم حاصرواها وملكتها عنوة وقتل أصحابها صبراً في جماعة من أقرانه ومحاصرواها ونزل في سائر البلاد وراء النهر نوابه وعاد إلى خوارزم والله تعالى ول النصر بعنه وفضله.

## استلهم الخطا

قد تقدم لنا وصول طائفة من أمم الترك إلى بلاد تركستان وكاشغر وانتشارهم فيما وراء النهر واستخدمو للملوك الخانية أصحاب تركستان وكان أرسلان خان محمد بن سليمان يترلم مسالع على الريف فيما بينه وبين الصين وله على ذلك الإلتفاتات والجريات وكان يعاقبهم على ما يقع منهم من الفساد والعبيث في البلاد ويوقع بهم ففروا من بلاده وابتغوا عنه فسيحاً من الأرض وزلوا بلاد ساغون ثم خرج كوشان ملك الترك الأعظم من الصين سنة اثنين وعشرين وخمسة وسبعين فسار إليه أمم الخطا ولقيهم الحنان محمود بن محمد بن سليمان بن داود بقراخان وهو ابن أخت السلطان سنجر فهزمه ويعتدى بالصريح إلى حاله سنجر فاستقر ملوك خراسان وعساكر المسلمين وعبر جيحون للقائهم في صفر سنة ست وثلاثين ولقيه أمم الترك والخطا فهزمه وأخنقا في المسلمين وأسرت زوجة السلطان سنجر ثم أطلقها كوشان بعد ذلك وملك الترك بلاد ما وراء النهر.

ثم مات كوشان ملكهم سنة سبع وثلاثين ووليت بعده ابنته وماتت قريباً وملكت من بعدها أمها زوجة كوشان وابنه محمد ثم انقرض ملكهم واستولى الخطأ على ما وراء النهر إلى أن غلبهم عليه خوارزم شاه علاء الدين محمد بن تكش كما قدمنا وكانت قد خرجت قبل ذلك خارجة عظيمة من الترك يعرفون بالستر وزلوا في حدود الصين وراء تركستان وكان ملكهم كشلي خان ووقع بينه وبين الخطأ من العداوة والحروب ما يقع بين الأمم المجاورة فلما بلغتهم ما فعله خوارزم شاه بالخطأ أرادوا الانتقام منه ورثح كشلي في أمم التتر إلى الخطأ ليتهزء الفرصة فيه فبعث الخطأ إلى خوارزم شاه يتلفظون له ويسالونه النصر من عدوهم قبل أن يستحكم أمرهم وتضيق عنده قدرته وقدرتهم ويعتدى إليه كشلي يغري بهم وأن يتركه وإياهم ويختلف له على مسألة بلاده

عساكره منهزمة وحصل في أسر السلطان.

وبلغ الخبر إلى أزيك بأصبهان فسار إلى همدان ثم عدل عن الطريق في خواصه وركب الأوعار إلى أذربيجان وبعث وزيره أبا القاسم بن علي بالاعتذار فبعث إليه في الطاعة فأجابه وحمله الضريبة فاعتذر بقتل الكرج وأما سعد صاحب فارس فبلغ الخبر بأسره إلى ابنه نصرة الدين أبي بكر فهاج بخنان أبيه وأطلق السلطان سعداً على أن يعطيه ثلاثة اصطخر ويحمل إلى ثلث الخراج وزوجه بعض قرابةه وبعث معه من رجال الدولة من يقبض اصطخر فلما وصل إلى شيراز ودخل على ابنه واستولى على ملكه وخطب خوارزم شاه واستول خوارزم شاه على شاور وقزوين وجرجان وأبهر وهمدان وأصبهان وقم وقاشان وسائر بلاد الجبل واستول عليها كلها من أصحابها واحتضن الأمير طلين بهمدان وولي ابنه ركن الدولة ياورشاه عليهم جميعاً وجعل معه جمال الدين محمد بن سابق الشاوي وزيراً.

## استيلاء خوارزم شاه على غزنة وأعمالها

ولما استول خوارزم شاه محمد بن تكش على بلاد خراسان وملك باميان وغيرها وبعث تاج الدين أرسلز صاحب غزنة وقد تغلب عليها بعد ملوك الغورية وقد تقدم في أخبار دولتهم فبعث إليه في الخطبة له وأشار عليه كبير دولته قططلع تكين مولى شهاب الدين الغوري وسائر أصحابه بالإجابة إلى ذلك فخطب له ونقش السكة باسمه وسار قنصرياً وترك قططلع تكين بغزنة نابياً عنه فبعث قططلع تكين خوارزم شاه يستدعيه فاغذر له السير وملك غزنة وقلعها وقتل الغورية الذين وجدوا بها خصوصاً الأسرارك وبلغ الخبر المز فهرب إلى أسوان ثم أحضر خوارزم شاه قططلع ووجه على قلة وفاته لصاحبه وصادره على ثلاثة حملأ من أصناف الأموال والأمتدة واربعمائة ملررك ثم قتله وعاد إلى خوارزم وذلك سنة ثلاث عشرة وستمائة وقيل: سنة اثنى عشرة بعد أن استخلف عليها ابنه جلال الدين منكرس والله أعلم بغيه وأحكم.

## طلب الخطبة وامتناع الخليفة منها

ثم بعد ذلك بعث خوارزم شاه محمد بن تكش إلى بغداد يطلب الخطبة بها من الخليفة كما كانت لبني سلجوقي وذلك سنة أربع عشرة وذلك لما رأى من استفحال أمره واتساع ملكه فامتنع الخليفة من ذلك وبعث في الاعتذار عنه الشيخ شهاب الدين السهوروسي فاكيه السلطان مقدمه وقام لتقديمه وأول ما بدأ به الكلام على حدث الخطبة ببغداد وجلس على ركبته لاستماعه ثم تكلم وأطال وأجاد وعرض بالمعونة في معاملة النبي ﷺ في بي العباس وغيرهم والتعرض لإذائهم فقال السلطان: حاشا الله من ذلك وإنما آذيت أحداً منهم وأمير المؤمنين كان أول مني بمعونة الشيخ فقد بلغني أن في حبسه جماعة من بي العباس مخلدين يتناسلون فقال الشيخ: الخليفة إذا جلس أحداً للإصلاح لا يعرض عليه فيه فيما بoyer إلا للنظر في المصالح ثم دفعه السلطان ورجع إلى بغداد وكان ذلك قبل أن يسير إلى العراق فلما استول على بلاد الجبل وفرغ من أمرها سار إلى بغداد وانتهى إلى عقبة سراباد وأصحابه هنالك ثلج عظيم أهلك المحيوانات وعفن أيدى الرجال وأرجلهم حتى قطعوها ووصله هنالك شهاب الدين السهوروسي ووعله فندم ورجع عن قصده فدخل إلى خوارزم سنة خمس عشرة والله سبحانه وتعالى ول التوفيق.

## استيلاء خوارزم شاه على بلاد الجبل

كان خوارزم شاه محمد بن تكش قد ملك الرها وهمدان وببلاد الجبل كلها أعمام تسعن وخمسون من يد قططلع أبنائين بقيادة أمراء السلجوقية ونازعه فيها ابن القصاب وزير الخليفة الناصر فعليه خوارزم شاه وقتلها كما مر في أخباره ثم شغل عنها تكش إلى أن توفي وذلك سنة سبع وتسعين وصار ملكه لابنه علاء الدين محمد بن تكش وتغلب موالى البهلوان على بلاد الجبل واحداً بعد واحد ونصبوا أزيك بن مولاهم البهلوان ثم انتصروا عليه وخطبوا خوارزم شاه وكان آخر من ولد منهم أغamas وأقام بها مدة يخطب لعلاء الدين محمد بن تكش خوارزم شاه ثم وُثب عليه بعض الباطنية وطبع أزيك بن محمد البهلوان بقيادة الدولة السلجوقية بأذربيجان واران في الاستيلاء على أعمال أصحابه والري وهمدان وسائر بلاد الجبل وطبع سعد بن زكى صاحب فارس ويقال: سعد بن دكلاه في الاستيلاء عليها أيضاً كذلك وسار في العساكر فملك أزيك أصفهان بعالة أهلها وملك سعد الري وقزوين وسمنان وطار الخبر إلى خوارزم شاه بأصبهان وسمرقند فesar في العساكر سنة أربع عشرة وستمائة في مائة الف بعد أن جهز العساكر فيما وراء النهر وبشور الترك وانتهى إلى قوس فقار العساكر وسار متجرداً في اثنى عشر ألفاً فلما ظفرت مقدمته بأهل الري وسعد عيسى بظاهرها ركب للقتال يظن أنه السلطان ثم تبين الآلة والمركبة وأستيقن أنه السلطان فولت

## قسمة السلطان خوارزم شاه الملك بين

ولده

## أخبار تركمان خاتون أم السلطان محمد بن

تكش

كانت تركمان خاتون أم السلطان محمد بن تكش من قبيلة بياروت من شعوب الترك يمك من الخطأ وهي بنت خان حبتش من ملوكهم تزوجها السلطان خوارزم شاه تكش فولدت له السلطان حمداً فلما ملك لحق بها طوائف يمك ومن جاورهم من الترك واستظهرت بهم وتحكمت في الدولة فلم يملك السلطان معها أمره.

وكانت تولي في التواحي من جهةها كما يولي السلطان وتحكم بين الناس وتتصف من الظلامات وتقدم على الفتك والقتل وتقيم معاهد الخير والصدقة في البلاد وكان لها سبعة من الموقعين يكتبون عنها وإذا عارض ترقيتها لتوريق السلطان عمل بالتأخر منها و كان لقبها: خداوندجهان أي: صاحبة العالم وتتحققها في الكتاب عصمة الدنيا والدين أولاغ تركمان ملك نساء العالمين وعلماتها: اعتمدت بالله وحده تكتبه بقلم غليظ وتجود كتابتها أن ترور عليها واستوزرت للسلطان وزيره نظام الملك وكان مستخدماً لها فلما عزل السلطان وزيره أشارت عليه بزيارة نظام الملك هذا فوزر له على كره من السلطان وتحكم في الدولة بتحكمها ثم تذكر له السلطان لأمور بلغته عنه وعزله فاستمر على وزاراتها وكان شأنه في الدولة أكبر وشكاه إليه بعض الولاة بتواحي خوارزم أنه صادرة فأمره بعض خواصه بقتله فمنعه تركمان من ذلك ويفي على حاله وعجز السلطان عن إفاذ أمره فيه والله يؤيد بنصره من يشاء.

### خروج التر وغلبهم على ما وراء النهر وفرار السلطان أمامهم من خراسان

ولما عاد السلطان من العراق سنة خمس عشرة كما قدمناه واستقر بنيسابور وفت عليه رسيل جنكيزخان بهدية من المعذنين وزنافيج المسك وحجر اليشم والثياب الطائية التي تنسج من وبر الإبل البيض ويخبر أنه ملك الصين وما يليها من بلاد الترك وسائل المواجهة والأذن للتجار من الجانين في التردد في متاجرمهم وكان في خطابه إطاراً السلطان بأنه مثل أعز أولاده فاستتفكر السلطان من ذلك واستدعى عموداً خوارزمي من الرسلى وأصطبغه ليكون عيناً له على جنكيزخان واستخبره على ما قاله في كتابه من ملكه الصين واستيلاته على مدينة طوغاج فصدق ذلك

ولما استكملا السلطان خوارزم شاه محمد بن تكش ملكه بالاستيلاء على الري وببلاد الجبل قسم أعمال ملكه بين ولده فجعل خوارزم وخراسان ومارازندران لولي عهده قطب الدين أولاغ شاه وإنما كان ولـ عهده دون ابنه الأكبر جلال الدين منكرس لأن أم قطب الدين وأم السلطان وهي تركمان خاتون من قبيلة واحدة وهم: فياروت من شعوب يمك إحدى بطون الخطأ فكانت تركمان خاتون متحكمة في ابنها السلطان محمد بن تكش وجعل غزنة وباميان والغور وبيست ومكسا مادومان من الهند لابنه جلال الدين منكرس وكرمان وكيش ومكرمان لابنه غيات الدين يترشأه وببلاد الجبل لابنه ركن الدين غورشاه كما قدمناه وأذن لهم في ضرب التواب الخمس له وهي: دبادب صغار تقرع عقب الصلوات الخمس واحتضن هو بنوة سماها نوبة ذي القرنين سبع وعشرين دبابسة كانت مصنوعة من الذهب والفضة مرصعة بالجلواهر هكذا ذكر الوزير محمد بن أحد النسوين المشيء كاتب جلال الدين منكرس في أخباره وأخبار أبيه علاء الدين محمد بن تكش وعلى كتابه اعتمد دون غيره لأنه أعرف بأخبارهما.

وكانت كرمان ومكرمان وكيش لمزيد الملك قوام الدين وهكذا منصرف السلطان من العراق فاقطعها لابنه غيات الدين كما قلناه وكان الملك هذا سوقة فأصبح ملكاً وأصل خبره أن أنه كانت دائمة في دار نصرة الدين محمد بن انز صاحب زوزن ونشأ في بيته واستخدمه وسفر عنه للسلطان فسعى به أنه من الباطنية ثم رجع فخوذه من السلطان بذلك فانقطع نصرة الدين إلى الإسماعيلية ومحض بعض قلاع زوزن وكتب قوام الدين بذلك إلى السلطان فجعل إليه وزارة زوزن وولاية جايتها ولم ينزل بمزادع صاحبه نصرة الدين إلى أن رجع فتمكن من السلطان وسلمه ثم طمع قوام الدين في ملك كرمان وكان بهما أمير من بقية الملك دينار وأمده السلطان بعسكر من خراسان فملك كرمان وحسن موقع ذلك من السلطان فلقيه مؤيد الملك وجعلها في أقطاعه ولما رجع السلطان من العراق وقد نفقت جماله بيت إليه باريضة آلاف بختي وتوفي أثر ذلك فرد السلطان أعماله إلى ابنه غيات الدين كما قلناه وحمل من تركته إلى السلطان سبعون حملأ من الذهب خلا الأصناف.

ناحية العراق بعد أن أودع أمواله قال المشي في كتابه: حدثني الأمير تاج الدين البسطامي قال: لما انتهى خوارزم شاه في مسيره إلى العراق استحضرني وبين يديه عشرة صناديق ملروءة لآل، لا تعرف قيمتها وقال في اثنين منها فيما من الجوادر ما يساوي خراج الأرض بأسرها وأمرني بحملها إلى قلعة أردهن من أحسن قلاع الأرض وأخذت خط يد الموالي بوصولها ثم أخذها التتر بعد ذلك حين ملكوا العراق انتهى.

ولما ارتحل خوارزم شاه من نيسابور قصد مازندران والتتر في أثره ثم انتهى إلى أعمال همدان فكتبسوه هناك ونحوها إلى بلاد الجبل وقتل وزيره عماد الملك محمد بن نظام الملك وأقام هو بساحل البحر بقرية عند الفريضة يصلى ويقرأ ويعاهم الله على حسن السيرة ثم كبسه التتر أخرى فركب البحر وخاصة في أثره فغلبهم الماء ورجعوا ووصلوا إلى جزيرة في بحر طبرستان فاقام بها وطرقه المرض فكان جماعة من أهل مازندران يفرضونه ويحمل إليه كثيراً من حاجته فيفوق حملها بالولايات والإقطاع وأمضى ابنه جلال الدين بعد ذلك جياعها ثم هلك سنة سبع عشرة وستمائة ودفن بتلك الجزيرة لاحدي وعشرين سنة من ملكه بعد أن عهد لابنه جلال الدين منكربس وخلع ابنه الأصغر قطب الدين أولاغ شاه.

ولما بلغ خبر إغفاله إلى أمه تركمان خاتون بخوارزم خرجت هاربة بعد أن قتلت نحو من عشرين من الملوك والأكابر الحبوسين هنالك ولحقت بقلعة إيلان من قلاع مازندران فلما رجع التتر المغيرة عن السلطان خوارزم شاه بعد أن خاض بحر طبرستان إلى الجزيرة التي مات بها فقصدوا مازندران وملكونا قلاعها على ما فيها من الامتناع ولقد كان فتحها تأخر إلى ستة تسعين أيام سليمان بن عبد الملك فملكونا واحدة وحاصرها تركمان خاتون في قلعة إيلان إلى أن ملكونا القلعة صلحوا وأسروها وقال ابن الأثير: إنهم لقوها في طريقها إلى مازندران فاحتاطوا بها وأسروها ومن كان معها من بنات السلطان وتزوجهم التتر وتزوج دوش خان بن جنكيز خان بإحداهم وبقيت تركمان خاتون أسرية عندهن في خربول وذل وكانت تضرس سمات جنكيز خان كإحداهم وتحمل قوتها منه وكان نظام الملك وزير السلطان مع أنه تركمان خاتون فحصل في قضية جنكيز خان وكان عندهم عظيماً لما بلغتهم من تذكر السلطان له وكانوا يشاورونه في أمر الجبارية فلما استولى دوش خان على خوارزم وجاء بحرم السلطان الذين كانوا بها وفيهن مغنيات فوهب إحداهم لبعض خدمه فمنعت نفسها منه وجلأت للوزير نظام الملك فشكاه ذلك الخادم

وانكر عليه الخطاب بالرلد.

وسأله عن مقدار العساكر فعنه وقللها وصرفهم السلطان بما طلبوه من المرادعة والإذن للتجار فوصل بعض التجار من بلادهم إلى إزار وبها نبال خان ابن خان السلطان في عشرين ألفاً من العساكر فشره إلى أمرهم وخاطب السلطان بأنهم عيون وليسوا بتجار فامرهم بالاحتياط عليهم فقتلهم خفية وأخذ أمرهم وفشا الخبر إلى جنكيز خان فبعث بالذكر إلى السلطان في تقضي العهد وإن كان فعل نبال إقبياناً فبعث إليه يتهدده على ذلك فقتل السلطان الرسل وبلغ الخبر إلى جنكيز خان فسار في العساكر واعتزم السلطان أن يمحض سمرقند بالأسوار فجيئي للملك خراج ستيين وجبى ثلاثة استخدم بها الفرسان وسار إلى أحباء جنكيز خان فكبسم وهو غائب عنها في محاربة كشلي خان ففتح ورجع وأتى بهم ابن جنكيز خان فكانت بينهم واقعة عظيمة هلك فيها كثير من الفريقين.

ولجا خوارزم شاه إلى جيرون فقام عليه بانتظر شان التتر ثم عاجله جنكيز خان فاجفل وتركها وفرق عساكره في مدن ما وراء النهر: إزار وبخاري وسمرقند وترند وجند وأنزل أبنائنا من كبراء أمرائه وحجاب دولته في بخاري وجاء جنكيز خان إلى إزار فحاصرها وملكتها غالباً وأسر أمرائها نبال خان الذي قتل التجار وأذاب الفضة في أدبيه وعيشه ثم حاصر بخاري وملكتها على الأمان وقاتلوا معه القلعة حتى ملكونا ثم غدر بهم وقتلهم وسلبهم وخربيها ورحل جنكيز خان إلى سمرقند ففعلوا فيها مثل ذلك سنة سبع عشرة وستمائة ثم كتب كتاباً على لسان الأمراء قراية أم السلطان يستدعون جنكيز خان ويعدها بزيادة خراسان إلى خوارزم ويعث من يستخلفه على ذلك ويعث الكتب مع من يتعرض بها السلطان فلما قرأها ارتتاب بأمه وبقرباتها.

## إغفال السلطان خوارزم شاه إلى خراسان ثم إلى طبرستان ومehrake

ولما بلغ السلطان استيلاء جنكيز خان على إزار وبخاري وسمرقند وجاء نائب بخاري تاجياً في الفيل أجهل حيثش وعبر جيرون ورجع عنه طرائف الخطأ الذين كانوا معه وعلاه الدين صاحب قيد ومخاذل الناس وسرج جنكيز خان العساكر في أثره نحو من عشرين ألفاً يسميهن التتر المغيرة لسيرهم نحو غرب خراسان فتوغلوا في البلاد وانتهوا إلى بلاد بيجور واكتسحوا كل ما مرروا عليه ووصل السلطان إلى نيسابور فلم يثبت بها ودخل إلى

بلغنكرخان ورماء بالجارية فأحضره جنكرخان وعدد عليه خيانة استاذه وقتلها.

عنوة واستباحوه واستحملوا أهله.  
ثم عادوا إلى أذربيجان فسلكوا أردبيل واستباحوها وخربواها  
وساروا إلى تبريز وقد فارقها أزيك بن البهلوان صاحب أذربيجان  
وأرأن وقصد لقجوان وبعث بأهله وحرمه إلى خوي فراراً من التتر  
لعجزه وانهماكه فقام بأمر تبريز شمس الدين الطغرائي وجع أهل  
البلد واستعد للحصار فراسل إليه التتر في المصانعة فصانعهم  
وساروا إلى مدينة سوي فاستباحوها وخربواها وساروا إلى يلقان  
فحاصروها وبعثوا إلى أهل البلد رجالاً من أكابرهم يقرر معهم في  
المصانعة والصلح فقتلوا فاسرى التتر في حصارهم وملوكوا البلد  
عنزة في رمضان سنة ثمان وعشرة واستحلموا أهلها وأفخسوا في  
القتل والثلثة حتى يقرروا البطون على الأجنحة واستباحوا جميع  
الضاحية قتلاً ونهباً وتخربياً ثم ساروا إلى قاعدة أرأن وهي كنجة  
ورأوا امتعاعها فطلبوا المصانعة من أهلها فصانعهم ولما فرغوا من  
أعمال أذربيجان وأرأن ساروا إلى بلاد الكرج وكانت قد جعوا لهم  
و واستعدوا ووقعوا في حدود بلادهم فقاتلهم التتر فهزموهم إلى  
بلقين قاعدة ملوكهم فجتمعوا هنالك ثم خاموا عن لقائهم لما رأوا  
من اقتحامهم المصانع والجبال فعادوا إلى بلقين واستولى التتر على  
نواحيها فخربيها كيف شاؤوا ولم يقدروا على التوغل فيها لكثرة  
الأوغار والدوسرات فعادوا عنها ثم قصدوا درنبر شروان  
وحاصروا مدينة سماهي وفكروا في أهلها ووصلوا إلى السور  
فعاله بالشلاء القتلي حتى ساموه واقتلونها فملوكوا كل من  
فيه ثم قصدوا الدرنبر فلم يطقو عبوره فراسلوا إلى شروان في  
الصلح بفتح إلهم رجالاً من أصحابه فقتلوا بعضهم واتخذوا  
الباقين أدلة فسلكوا بهم درنبر شروان وخرجوا إلى الأرض  
الفسيحة وبها أمم الفجاق واللان واللشن وطوائف من الترك  
مسلمون وكفار فارقوا بتلك الطوائف واكتسحوا عامة البساط  
وقاتلهم فجاق واللان ودافعوهم ولم يطق التتر مغايبيهم ورجعوا  
وبعثوا إلى الفجاق وهم واقعون بمساندهم فأوقعوا بهم وجر من  
كان بعيداً منهم إلى بلاد الروس واعتصم آخرون بالجبال والغياض  
و استولى التتر على بلادهم واتجهوا إلى مدينتهم سراي على  
بحري نيطش المصل بخليج القسطنطينية وهي مادتهم وفيها تحاربهم  
فملوكها التتر وافتلق أهلها في الجبال وركب بعضهم إلى بلاد الروم  
في إيلاه بي قليج أرسلان ثم سار التتر سنة عشر وستمائة من بلاد  
فجاق إلى بلاد الروس المجاورة لها وهي بلاد فسيحة وأهلها  
يدربون بالنصرانية فساروا إلى مدافعتهم في تحوم بلادهم ومعهم  
جوع من الفجاق سافروا إليهم فاستطرد لهم التتر مراجلاً ثم  
کروا عليهم وهو غارون فطاردهم الفجاق والروم أيام ثم

## مسير التتر بعد مهلك خوارزم شاه من العراق إلى أذربيجان وما وراءها من البلاد هناك

ولما وصل التتر إلى الري في طلب خوارزم شاه محمد بن  
تكش ستة سبع عشرة وستمائة ولم يجدوه عادوا إلى همدان  
واكتسحوا ما مرروا عليه وأخرجوا بهم أهل همدان ما حضرهم  
من الأموال والثياب والدواب فأفسدوهم ثم ساروا إلى زنجان ففعلوا  
ذلك ثم إلى قزوين فامتنعوا منهم فحاصروها وملوكها عنوة  
و استباحوها ويقال إن القتلى يقزوين زادوا على أربعين ألفاً ثم  
هجم عليهم الشقاء فساروا إلى أذربيجان على شأنهم من القتل  
والاكتسح وصاحبها يومئذ أزيك بن البهلوان مقيم ببريز عاكس  
على لذاته فراسلهم وصانعهم وانصرفوا إلى بوقان ليشتوا  
بالساحل ومرروا إلى بلاد الكرج فجمعوا لقتالهم فهزموهم  
وأثخنوا فيهم فبعثوا إلى أزيك صاحب أذربيجان وإلى الأشرف بن  
العادل بن أرب صاحب خلاط والجزيرة يطلبون اتصال أيديهم  
على مدفعية التتر وإنصاف إلى التتر أقوش من موالي أزيك وإليه  
جوع من التركمان والأكراد وسار مع التتر إلى الكرج واكتسحوا  
بلادهم واتجهوا إلى بلقين وسار إليهم الكرج فلقيهم أقوش أولًا ثم  
لقيم التتر فانهزم الكرج وقتل منهم ما لا يحصى وذلك في ذي  
القعدة من سنة سبع عشرة.

ثم عاد التتر إلى مراغة ومرروا ببريز فصانعهم صاحبها  
كمعادته واتجهوا إلى مراغة فقاتلواها أياماً وبها امرأة تملوكها ثم  
ملوكها في صفر سنة ثمان عشرة واستباحوها ثم رحلوا عنها إلى  
مدينة إربيل وبها مظفر الدين فاستبد بدر الدين صاحب المرصل  
فأمده بالساكن ثم هم بالخروج لحفظ الدروب على بلاده فجاءت  
كتب الخليفة الناصر إليهم جيعاً بالمسير إلى دوقاً ليقيموا بها مع  
عساكره ويدافع عن العراق وبعث معهم شتهر كبير أمرائه وجعل  
المقدم على الجميع مظفر الدين صاحب إربيل فخاموا عن لقاء التتر  
و خاص التتر عن لقائهم وساروا إلى همدان وكان لهم بها شحنة منذ  
ملوكها أولًا فطالبوه بفرض المال على أهلها وكان رئيس همدان  
شريفاً علىواً قدیس الرياسة بها فحضهم على ذلك فضجروا  
وأساؤوا الرد عليه وأخرجوا الشحنة وقاتلوا التتر وغضب الملوى  
فتسلل عنهم إلى قلعة بقريها فامتنع وزحف التتر إلى البلد فملوكه

صابروهم فوجدوا في مصايرتهم ما لم يجتسيبوه فولوا منهزمين وأثخن التر فيهم ثم حاصروا البلد خمسة أيام ويعثروا إلى أميرها يستمليونه للنزول عنها فاستأمن إليهم وخرج فاكحمره أولًا ثم أمروا بإحضار جنده للعرض حتى استكملوا وقضوا عليهم.

ثم استكتبوا رؤساء البلد وتجاره وصناعة على طبقاتهم وخرج أهل البلد جميعاً وجلس لهم جنكيزخان على كرسى من ذهب فقتل الجندي في صعيد واحد وقسم العامة رجالاً وأطفالاً ونساء بين الجندي فاقسموهم وأخذوا أنواعهم وامتحنوه في طلب المال وبنشوا القبور في طلبه ثم أحرقوا البلد وتربة السلطان سنجار ثم استلهم في اليوم الرابع أهل البلد جميعاً يقال: كانوا سبعمائة ثم ساروا إلى نيسابور وحاصروها خمساً ثم اقتحموها عنوة وفعلوا فيها فعلهم في مرأة أو أشد ثم بعثوا عسكراً إلى طرس وفعلوا فيها مثل ذلك وخربيوها وخربيوا مشهد علي بن موسى الرضا ثم ساروا إلى هرة وهي من أمنع البلاد فحاصروها عشرة وملكونها وأمنوا من بيقي من أهلها وأنزلوا عندهم شحنة وساروا لقتال جلال الدين بن خوارزم شاه كما يذكر بعد فوش أهل هرة على الشحنة وقتلوا فلما رجع التر منهزمين اقتحموا البلد واستباحوه وخربيوه وأحرقوه ونهبوا نواحيه أجمع وعادوا إلى جنكيزخان بالطريق وهو يرسل السرايا في نواحي خراسان حتى أتوا عليها تخربياً وكان ذلك كله ستة سبع عشرة وبيت خراسان خراباً وتراجع أهلها بعض الشيء فكانوا فوضى واستبد آخرون في بعض منها كما نذكر ذلك في أماكنه والله أعلم.

## أخبار السلطان جلال الدين منكيرس مع التر بعد مهلك خوارزم شاه واستقراره

بغزنة

ولما توفي السلطان خوارزم شاه محمد بن تكش بجزيرة بحر طبرستان ركب ولده البحر إلى خوارزم يقدمهم كبيرهم جلال الدين منكيرس وقد كان وثب بها بعد منصرف تركمان خاتون أم خوارزم شاه رجل من العيارين ففضيبلها وأسأله السيرة وانطلقت إليها أيدي العيارين ووصل بعض نواب الديوان فأشاعوا موت السلطان فقر العيارون ثم جاء جلال الدين وإخوهه واجتمع الناس إليهم فكانوا معهم سبعة آلاف من العساكر أكثرهم ياروبية قربة أم خوارزم شاه فمالوا إلى أولاغ شاه وكان ابن أختهم كما مرض وشاوروا في الوثوب بجلال الدين وخلعه وغنى الخبر إليه فسار إلى خراسان في ثلاثة فارس وسلك المفازة إلى بلد نسا فلقي هناك

انهزماً وأثخن التر فيهم قتلاً وسبباً ونهبوا السفن هاربين إلى بلاد المسلمين وتركوا بلادهم فاكتسحها التر ثم عادوا إليها وقصدوا بلغار أواخر السنة واجتمع أهلها وساروا للقائهم بعد أن أكمنتوا لهم ثم استطردوا أمامهم وخرج عليهم الكمان من خلفهم فلم ينج منهم إلا القليل وارتحلوا عائدين إلى جنكيزخان بأرض الطالقان ورجع الفرجاق إلى بلادهم واستقروا فيها والله تعالى يؤيد بصره من يشاء.

## أخبار خراسان بعد مهلك خوارزم شاه

قد كنا قدمنا مهلك خوارزم شاه ومسير هؤلاء التر المغربية في طلبه ثم انتهائهم بعد مهلكته إلى التواحي التي ذكرناها وكان جنكيزخان بعد إنجفال خوارزم شاه من جيجون وهو بسرقة قد بعث عسكراً إلى ترمذ فساروا منها إلى كلات من أحسن القلاع إلى جانب جيجون فاستولوا عليها وأوسعوها نهباً وسir عسكراً آخر إلى فرغانة وكذلك عسكراً آخر إلى خوارزم وعسكراً آخر إلى خوزستان فعبر عسكر خراسان إلى بلخ وملكونها على الأمان سنة سبع وستمائة ولم يعرضوا لها بعيث وأنزلوا شحنتهم بها ثم ساروا إلى زوزن وايدخوي وفاراب فملكونها وولوا عليها ولم يعرضوا لأهلها باذى وإنما استقر لهم لقتال البلد معهم.

ثم ساروا إلى الطالقان وهي ولاية متسعة فقصدوا قلعة صوركوه من أمنع بلادها فحاصروها ستة أشهر وامتنعت عليهم فسار إليهم جنكيزخان بنفسه وحاصرها أربعة أشهر أخرى حتى إذا رأى امتناعها أمر بنقل الخشب والتراب حتى اجتمع منه تل مشرف على البلد واستيقن أهل البلد المملكة واجتمعوا وفتحوا الباب وصدقوا الحملة فنجا الخيالة وتفرقوا في الجبال والشعب وقتل الرجاله ودخل التر البلد فاستباحوها ثم بعث جنكيزخان صهره فرجاق قرين إلى خراسان ومرعوا وقاتلوا فامتنعت عليهم وقتل فرجاق قرين فأقاموا على حصارها وملكونها عنوة واستباحوها وخربيوها ويرقال: قتل فيها أزيد من سبعين ألفاً وجمع من الجثث عدداً كبيراً فكان كالتلل العظيمة وكان رؤساوها بني حزة بخوارزم منذ ملكها خوارزم شاه تكش فعاد إليها اختيار الدين جنكي بن حزة وبن عمده وضبوطها.

ثم بعث جنكيزخان ابنه في العساكر إلى مدينة مرو واستقر أهل البلاد التي ملكوها من قبل مثل بلخ وأخواتها وكان الناجون من هذه الواقع كلها قد لحقوا ببرو واجتمع بها ما يزيد على مائتي ألف وعسكروا بظاهرها لا يشكون في الغلب فلما قاتلهم التر

النسائي الكاتب إن دوشن خان بن جنكرخان عرض عليهم الأمان فخرجوه إلى قتالهم أجمعين وذلك في حرم سنة سبع عشرة ولما فرغ التتر من خراسان وخوارزم رجموا إلى ملتهم جنكرخان بالطلاقان.

### خبر آبنايخ نائب بخارى وتغلبه على خراسان ثم فراره أمام التتر إلى الري

كان آبنايخ أمير الأمراء والحجاب أيام خوارزم شاه وولاه ثانياً بخارى فلما ملكها التتر عليه كما قلناه أجمل إلى المفازة وخرج منها إلى نواحي نسا وراسله اختيار الدين صاحبها يعرضها عليه للدخول عنده فأبى فوصله وأمده وكان رئيس بشخوان من قرى نسا أبو الفتح فداخل التتر فكتب إلى شحنة خوارزم بمكانت آبنايخ فجرد إليهم عسكراً فهزمه آبنايخ وأخن فيهم وساروا إلى بشخوان فحاصروها وملقوها عنوة وهلك أبو الفتح أيام الحصار ثم ارتمل آبنايخ إلى أبيورد وقد تقلب تاج الدين عمر بن مسعود على أبيورد وما بينها وبين مرو فجيء خراجها واجتمع عليه جماعة من أكابر الأمراء وعد إلى نسا وقد توفي نائبه اختيار الدين زنكي ومملأ بعده ابن عمه عمدة الدين حزنة بن محمد بن حزنة فطلب منه آبنايخ خراج سنة ثمان عشرة وسار إلى شروان وقد تقلب عليها ايكمجي بهلوان فهزمه واتزعها من يده ولحق بهلوان بجلال الدين في الهند واستولى آبنايخ خان على عامة خراسان وكان تكين بن بهلوان متغلباً بمره فعبر جيحون وكبس شحنة التتر بخارى فهزمه سنة سبع ورجع إلى شروان وهو باباه وخلفوا بآبنايخ خان على جرجان فهزمه ونجا إلى غياث الدين بترشان بن خوارزم شاه بالري فقام عنده إلى أن هلك كما نذكر إن شاء الله تعالى.

### خبر ركن الدين غورشاه صاحب العراق من ولد خوارزم شاه

قد كان تقدم لنا أن السلطان لما قسم مالكه بين أولاده جعل العراق في قسمة غورشاه منهم ولما أجمل السلطان من ناحية الري لقيه ابنه غور شاه ثم سار إلى الري إلى كرمان فملكتها تسعة أشهر ثم بلغه أن جلال الدين محمد بن أبو القزويني وكان بهمنان أراد أن يملك العراق واجتمع إليه بعض الأمراء وأن مسعود بن صاعد قاضي أصفهان مائل إليه فاعجله ركن الدولة واستولى على

رصداً من التتر فهزمهم ولجا فلهم إلى نسا وكان بها الأمير اختيار زنكي بن محمد بن عمر بن حزنة قد رجع إليها من خوارزم كما قدمناه وضبطها فاستلهم قل التتر وبلغ وبعث إلى جلال الدين بالمدف فسار إلى نيسابور ثم وصلت عساكر التتر إلى خوارزم بعد ثلاثة من مسير جلال الدين فأجفل أولاغ وإنحرته وساروا في اتباعه ومرروا بنسا فسار معه اختيار الدين صاحبها واتبعهم عساكر التتر فأدركوه بنواحي خراسان وكسوهم فقتل أولاغ شاه وأخوه إنشاه واستولى التتر على ما كان معهم من الأموال والذخائر وافتقرت في أيدي الجندي والفلاحين فيعيت بالجنس الأثمان.

ورجع اختيار الدين زنكي إلى نسا فاستبد بها ولم يسم إلى مراسم الملك وكتب له جلال الدين بولايتها فراجع أحوال الملك ثم بلغ الخبر إلى جلال الدين بزحف التتر إلى نيسابور وأن جنكرخان بالطلاقان فسار إلى نيسابور ومن نيسابور إلى بست واتبعه نائب هرة الأمير ملك ابن خال السلطان خوارزم شاه في عشرة آلاف فارس هارباً أمام التتر وقصد سجستان فامتنعت عليه فرجه واستدعاه جلال الدين فسار إليه واجتمعوا فكبوا التتر وهم محاصرون قلعة قندمار فاستلهموهم ولم ينزل منهم أحد فرجم جلال الدين إلى غزنة وكانت قد استولى عليها اختيار الدين قربورشت صاحب الغور عندما ساروا إليها وعندما قدم جلال الدين صريخاً عن أمير ملك خان من سجستان فخالقه قربورشت إليها وملكتها فثار به صلاح الدين النسائي وإلي قلعتها وقتلها ملك غزنة، وكان بها رضا الملك شرف الدين بن أمير ملك خان فقتل به رضا الملك واستبدل بغزنة فلما ظفر جلال الدين بالشتر على قندمار رجع إلى غزنة فقتله وأوطنهها وذلك سنة ثمان عشرة.

### استيلاء التتر على مدينة خوارزم وتخريبيها

قد كنا قدمنا أن جنكرخان بعدما أجمل خوارزم شاه من جيحون بعث عساكره إلى التواحي وبعث إلى مدينة خوارزم عسكراً عظيماً لعظمها لأنها كرسى الملك وموضع العساكر فسار عساكر التتر إليها مع ابنه جنطاي وأركطاي فحاصروها خمسة أشهر ونصبوا عليها الآلات فامتنعت الألات فاستمدوا عليها جنكرخان فامدهم بالعساكر متلاحمقة فزحفوا إليها وملکوا جانبها منها وما زالوا يملكونها ناحية تاجية إلى أن استولوا عليها ثم فتحوا السد الذي يمنع ماء جيحون عنها فسار إليها جيحون ففرقها وانقسم أهلها بين السيف والغرق هكذا قال ابن الأثير وقال

وعظم فكان بقاطابسي في دولته وتحكم فيها ثم حدثه نفسه بالاستبداد وانتقض وقصد أذربيجان وبها مملوكان مستقphan على أزبك بن البهلوان فاجتمعا معه وزحف إليهم غياث الدين فهزهم ورجعوا مغلوبين إلى أذربيجان ويقال: إن الخليفة دس بذلك إلى بقاطابسي وأغراه بالخلاف على غياث الدين ثم لحق بغياث الدين آبنایخ خان نائب بخارى مفتلأ من واقعته مع التتر بيرجان فاكره وقدمه ونافسه خال السلطان دولة ملك وأخوه وسعوا إليها فزجرهما عنه فذهبا مغاضبين ووقع دولة ملك في عساكر التتر بمو وزنجان ققتل وهرب ابنه بركة خان إلى أزبك بأذربيجان ثم أوقع عساكر التتر بقاطابسي وهزمه ونجا إلى الكرم وخلص الفيل إلى غياث الدين وعاد التتر إلى ما وراء جيجون ثم تذكر صاحب فارس سعد الدين بن زنكي وكانته أهل أصفهان حين كانوا منهزمين فسار إليه وحاصره في قلعة اصطخر وملكها ثم سار إلى شيراز وملكها عليه عنوة ثم سار إلى قلعة حرمة فحاصرها حتى استأمنوا وتوفى عليها آبنایخ خان ودفن هنالك بشعب سلمان وبعد عسكراً إلى كازرون فملكها عنوة واستباحها ثم سار إلى ناحية بغداد وجمع الناس الجموع من إربيل وبيلاد الجزيرة ثم راسل غياث الدين في الصلح فصالحه ورجع إلى العراق.

### أخبار السلطان جلال الدين منكيرس وهزيمته أمام التتر ثم عوده إلى الهند

قد كان تقدم لنا أن آباء خوارزم شاه لما قسم البلاد بين ولديه جعل في قسمه غزنة وباميان والغور ويست وهيكاباد وما يليها من الهند واستتاب عليها أمير ملك وأنزله غزنة فلما انهزم السلطان خوارزم شاه أمام التتر زحف إليه حربوشة وإلى الغور فملكها من يده وكان من أمره ما قدمناه إلى أن استقر بها رضا الملك شرف الدين ولا أجمل السلطان جلال الدين من نيسابور إلى غزنة واستولى التتر على بلاد خراسان وهرب أمراؤها فلحقوا بجلال الدين فقتل نائب هرة أمين الملك خال السلطان وقد قدمناه محاصريه بسجستان ثم مراجعته طاعة السلطان جلال الدين ولحق به أيضاً سيف الدين برقان الخليجي وأعظم ملك من بلخ ومظهر ملك والحسن فزحف كل منهم في ثلاثين ألفاً ومع جلال الدين من عسكره مثلها فاجتمعوا وكبسوا التتر المملوكة محاصرين قلعة قندمار كما قلنا واستلهموه ولحق فلهم بمنكير خان فيبعث ابنه طول خان في العساكر فساروا إلى جلال الدين فلقائهم بشروان

أصفهان وهرب القاضي إلى الأتابك سعد بن زنكي صاحب فارس فأجاره ويعث ركن الدين العساكر لقتال همدان فتخاذلوا ورجعوا دون قتال ثم مضى إلى الري ووجد بها قوماً من الإماماعية يحاربون إظهار دعوتهم ثم زحف التتر إلى ركن الدولة فحاصروه بقلعة راوند واتحدهمها فقاتلوا واستأمن إليهم ابن آبه صاحب همدان فأنهوا همدان فولوا عليها علاء الدين الشريف الحسيني عوضاً من ابن آبه.

### خبر غياث الدين تيرشاه صاحب كرمان من ولد السلطان خوارزم شاه

قد كنا قدمنا أن السلطان خوارزم شاه ولد غياث الدين تيرشاه كرمان وكيش ولم ينفذ إليها أيام أبيه ولا كانت الكبسة على قزوين خلص إلى قلعة ماروت من نواحي أصفهان وأقام عند صاحبها ثم رجع إلى أصفهان ومر به التتر ذاهبين إلى أذربيجان فحاصروه وامتنع عليهم وأقام بها إلى آخر سنة عشرين وستمائة فلما جاء آخره ركن الدين غورشاه من كرمان إلى أصفهان لقيه هنالك وحرضه غياث الدين على كرمان فنهض إليها وملكها فلما قتل ركن الدين كما قلناه سار غياث الدين إلى العراق وكان ركن لما لوله العراق جعل معه الأمير بقاطابسي أتابكاً فاستبد عليه فشكاه إلى أبيه وأذن له في جسده فحبسه ركن الدين بقلعة سرجهان فلما قتل ركن الدين كما قلناه أطلقه نائب القلعة أسد الدين حولي فاجتمع عليه الناس وكثير من النساء واستماله غياث الدين وأصهر إليه اخته وماطله في الزفاف يستبرئه ذهاب الوحنة بينهما

وكانت أصفهان بعد مقتل ركن الدين غلب عليها أزبك خان واجتمع عليه العساكر وزحف إليه الأمير بقاطابسي فاستجده أزبك غياث الدين فالمجده بعسكر مع الأمير دولة ملك وعاجله بقاطابسي فهزمه بظاهر أصفهان وقتلها وملكها ورجع دولة ملك إلى غياث الدين فزحف غياث الدين إلى أصفهان وأطاعه القاضي والرئيس صدر الدين وبادر بقاطابسي إلى طاعته ورضي عنه غياث الدين وزف إليه اخته واستولى غياث الدين على العراق ومارندان وخرسان وأقطع مارندان وأعمالها دولة ملك وبقاطابسي همدان وأعمالها

ثم زحف غياث الدين إلى أذربيجان وشن الغارة على مراغة وترددت رسائل صاحب أذربيجان أزبك بن البهلوان في المهادة فهادنه وتزوج باخته صاحب بقچوان وقويت شوكته

جلال الدين بما فيه وسار إلى هلاون و فيها ابن قباجة ممتنعاً عليه فصالحة على مال حمله ورحل إلى تشنستان وبها فخر الدين السلاوي نائب قباجة فتلقاء بالطاعة ثم سار إلى أوجا وحاصرها فصالحه على المال ثم سار إلى جانس وهي لشمس الدين اليمشي من ملوك الهند ومن موالي شهاب الدين الغوري فاطاعه أهلها وأقام بها وزحف إليه ايتاش في ثلاثة ألف فارس ومائة ألف راجل وثلاثمائة فيل وزحف جلال الدين في عساكره وفي مقدمته جرجان بهلوان أربك وانتهت المقدمة فلم يكن اللقاء وبعد ايتاش في الصلح فجئ إليه جلال الدين ثم اجتمع قباجة وآيتاش وسائر ملوك الهند فخام عن لقائهم ورجع لطلب العراق واستخلف جهان بهلوان الملك على ما ملك من الهند وعبر النهر إلى غزنة فول عليها وعلى الغور الأمير وفاملك واسمه الحسن فزلف وسار إلى العراق وذلك ستة إحدى وعشرين بعد مقدمه لها بستين.

## أحوال العراق وخراسان في إيالة غياث الدين

كان غياث الدين بعد مسير جلال الدين إلى الهند اجتمع إليه شزاد العساكر بكرمان وسار بهم إلى العراق فملك خراسان وماندريان كما تقدم وأقام منهاكاً في ذاته واستبد الأسراء بالنواحي فاستول قائم الدين على نيسابور وتغلب يفرز بن ايلجي بهلوان على شروان وملك ينال خطأ بهاتر ونظام اسفرابير ونصرة الدين بن محمد مستبد بنسا كما مر واستول تاج الدين عمر بن مسعود التركماني على أببورد وغياث الدين مع ذلك منهمك في ذاته وسارت إليه عساكر التتر فخرج لهم عن العراق إلى بلاد الجبل واكتسحوا سائر جهاته واحتسبت عليه الجندي وزادهم في الإقطاع والإحسان فلم يشعهم وأظهروا الفساد وعانيا في الرعایا وتحمكت أم السلطان غياث الدين في الدولة لإغفاله أمرها واقتفت طريقة تركمان خاتون أم السلطان خوارزم شاه وتلقت بلقبها خداوندجهان إلى أن جاء السلطان جلال الدين فقتل عليه كما قتله.

وهزهم وقتل طولي خان بن جنكرز في المعركة وذهب التتر منهزمين.

وأختلف عسكر السلطان جلال الدين على الغنائم وتنازع سيف الدين بقراء مع أمين الملك نائب هرة وتحيز إلى العراق وأعظم ملك ومظير ملك وقاتلوا أمين الملك فقتل أخ بقراء وانصرف مغاضباً إلى الهند وتبعه أصحابه ولاطفهم جلال الدين ووعظم فلم يرجعوا وبلغ خبر المزية إلى جنكرخان فسار في أيام التتر وسار جلال الدين فلقي مقدمة عساكره فلم يفلت من التتر إلا القليل ورجع فنزل على نهر السندي ويعث بالصريح إلى الأمراء المحرفين عنه وعاجله جنكرخان قبل رجوعه فهزمه بعد القتال والصادرة ثلاثة وقتل أمين الملك قريب أبيه واعتبره منهزمين نهر السندي ففرق أكثرهم وأسر ابن جلال الدين فقتل وهو ابن سبعين وما وقف جلال الدين على النهر والتتر في اتباعه فقتل أهله وحرمه جميعاً واقتصر النهر بفرسه فخلص إلى عدوته وتخلص من عسكره ثلاثة فارس وأربعة آلاف راجل وبعض أمرائه ولقوه بعد ثلاث وتخلص بعض خواصيه بمركب مشحون بالأقواف والملابس فسد من حاجتهم وتحصن أعظم ملك ببعض القلاع وحاصره جنكرخان وملكها عنده وقتله ومن معه ثم عاد التتر إلى غزنة فملكونها واستباحوها وأحرقوها وخربوها واكتسحوا سائر نواحيها وكان ذلك كله سنة تسع عشرة ولما سمع صاحب جبل جردي من بلاد الهند بجلال الدين جع للقائه وخام جلال الدين وأصحابه عن اللقا لما نهكتهم الحرب فرجعوا أدراجهم وأدركهم صاحب جلال الدين صوري فقاتلهم وهزموه وملكو أمراهم وبعد إليهم نائب ملك الهند فلاطفهم وهاداهم والله تعالى ولي التوفيق.

## أخبار جلال الدين بالهند

كان جماعة من أصحاب جلال الدين وأهل عسكره لما عبروا إليهم حصلوا عند قباجة ملك الهند منهم بنت أمين الملك خلصت إلى مدينة أرجاء من عمله ومنهم شمس الملك وزير جلال الدين حياة أبيه ومنهم قول خان بن أمين الملك خلص إلى مدينة كلور فقتلها عاملها وقتل قباجة شمس الملك الوزير خبر جلال الدين بأمره وبعث أمين الملك ولحق بجلال الدين جماعة من أمراء أخيه غياث الدين فقري بهم وحاصر مدينة كلور وافتتحها واقتصر مدينة ترنخ كذلك فجمع قباجة للقائه وسار إليه جلال الدين فخام عن اللقاء و Herb وترك معسركه ففتحه

المشىء صاحب التاريخ المعتمد عليه في نقل أخبار خوارزم شاه وبينه، فقام فيها تسع عشرة سنة مستبدًا على غياث الدين ثم انقض عليه وقطع الخطبة له فسرج إليه غياث الدين العساكر مع طوطى بن آبنايغ وأتجده بأرسلان وكاتب المغلوبين بمساعدته فراجع نصرة الدين محمد بن حزة نفسه وبعث تائب محمد بن أحمد المشىء إلى غياث الدين يمال صالح عليه بلغه الخبر في طريقه بوصول جلال الدين واستيلاته على غياث الدين فقام بأصفهان يتظاهر صلاح السابلة وزوال الثلوج ثم سار إلى همدان فوجد السلطان غاباً في غزو الأتابك بقطابسي وكان من خبره أنه صهر إلى غياث الدين على أخيه كما قدمنا فهرب بعد خلعه إلى أذربيجان واتفق هو والأتابك سعد وسار إليهما جلال الدين فخالفه الأمير ايفان طائسي إلى همدان وسار إلى جلال الدين وكسبه هناك فأخذه ثم أمره وعاد إلى خيمه ولقيه وافد نصرة الدين على بلاد نسا وما ينالها وبعث إلى ابن آبنايغ بالإفراج عن نسا ثم بلغ الخبر بعد يومين بهلاك نصرة الدين واستيلاء ابن آبنايغ على نسا.

### مسير السلطان جلال الدين إلى خوزستان ونواحي بغداد

ولما استولى السلطان جلال الدين على أخيه غياث الدين واستقامت أمره سار إلى خوزستان شائياً وحاصر قاعدها وبها مظفر الدين وجه السبع مولى الخليفة الناصر وانتهت سرياه في الجهات إلى بادرايا وإلى البصرة فأوقع بهم تلکين نائب البصرة وجاءت عساكر الناصر مع مولاهم جلال الدين قشتمر وخاموا عن اللقاء وأوفد ضياء الملك علاء الدين محمد بن مودود السوي العارض على الخليفة بيغداد عاتباً وكان في مقدمته جهان بهلوان فلتقي في طريقه جماعة من العرب وعساكر الخليفة فرجع وأوقع بهم ورجعوا إلى بغداد وجيء بأسرى منهم إلى السلطان فأطلقهم واستعد أهل بغداد للحصار وسار السلطان إلى بعقوبة على سبع فراسخ من بغداد ثم إلى دنقلا فملكها عنزة وخربيها وقاتلت بعوته عسکر تكريت وتزددت الرسل بيته وبين مظفر الدين صاحب إربيل حتى اصطلحوا وأضطربت البلد بسبب ذلك وأفسد العرب السابلة وأقام ضياء الملك في بغداد إلى أن ملك السلطان مراغة والله تعالى أعلم.

### وصول جلال الدين من الهند إلى كرمان وأخباره بفارس والعراق مع أخيه غياث الدين

ولما فارق جلال الدين الهند كما قلناه سنة إحدى وعشرين وسار إلى المازة وخلص منها إلى كرمان بعد أن لقي بها من التائب والمشاق ملا يعبر عنه وخرج معه أربعة آلاف راكب على الحمير والبقر ووجد بكرمان براق الحاجب نائب أخيه غياث الدين وكان من خبر براق هذا أنه كان حاجاً لكورخان ملك الخطا وسفر عنه إلى خوارزم شاه فقام عنده ثم ظفر خوارزم شاه بالخطا وولاه حجابته ثم صار إلى خدمة ابنه غياث الدين ترشه بكرمان فاكراهه ولا سار جلال الدين إلى الهند ورجع عنه التبت سار غياث الدين لطلب العراق فاستانب براق في كرمان فلما جاء جلال الدين من الهند اتهمه وهم بالقبض عليه فنهاه عن ذلك وزيره شرف الملك فخر الدين علي بن أبي القاسم الجندى خواجهها جهان أن يستوحش الناس لذلك.

ثم سار جلال الدين إلى شيراز وأطاعه صاحبها برد الأتابك وأهدى له وكان أتابك فارس سعد بن زنكى قد استوحش من غياث الدين فاصطلحه جلال الدين وأشهر إليه في ابنته ثم سار إلى أصفهان فأطاعه القاضى ركن الدين مسعود بن صاعد وبلغ خبره إلى أخيه غياث الدين وهو بالري فجمع طربه، وبعث جلال الدين يستعطفه وأهدى له سلب طولي خان بن جنگرخان الذى قتل في حرب بروان كما مر وفرسه وسيقه ودس إلى الأمراء الذين معه بالاستهانة فعملوا إليه ووعدوه بالظاهرة وغي الخبر إلى غياث الدين فقبض على بعضهم ولحق الآخرون بجلال الدين فجاؤوا به إلى المخيم فعمال إليه أصحاب غياث الدين وعاشروه واستولى على خيمه وذخائره وأمه ولحق غياث الدين بقلعة سلوكان وعاتب جلال الدين أمه في فراره فاستدعته وأصلحت بينهما ووقف غياث الدين موقف الخدمة لأخيه السلطان جلال الدين وجاء المغلوبين بخراسان والعراق وأذعنوا إلى الطاعة وكانوا من قبل مستبدلين على غياث الدين فاختبر السلطان طاعتهم وعمل على شاكليتها والله أعلم.

### استيلاء ابن آبنايغ على نسا

كان نصرة الدين بن محمد قد استولى على نسا بعد ابن عمه اختيار الدين كما مر واستانب في أمره محمد بن أحد النسائي

## أولية الوزير شرف الدين

الطااعة فلم يجههم ريبة بهم فسألوه الميرة فاذن لهم فيها فكانوا يأتون إليها زرارات وتصح له بعضهم بأنهم يرثون الغدر به وطلب منه الإنجاد بعسركه وسار في أمرهم ف الواقع بهم وبخلون بالطاعة فرجع ذلك الفجاقى بالعساكر ثم بلغه أنهم رحلوا من مواضعهم فاتبعهم ثانية بالعساكر حتى أوقع بهم ورجع إلى رشيد ومعه جماعة منهم مستأمنين وقد اختفى فيهم كبير من مقدميهم وتلاحق به جماعة منهم فاعتزموا على الرثوب فهرب خائفاً ولحق ببلاد شروان واستولت طائفة الفجاق على القلعة وعلى مخلف رشيد فيها من المال والسلاح واستدعوا أصحابهم فلتحقوا بهم واعتموا وقصدوا قلعة الکرج فحاصروها وخالقهم رشيد إلى القلعة فملكتها وقتل من وجد بها منهم فعادوا من حصار تلك المدينة إلى دربند وامتنعت عليهم القلعة فرجعوا إلى تلك المدينة فاكتسحوا نواحيها وساروا إلى كنجة من بلاد آران وفيها مول لأزيك صاحب أذريجان فراسلوه بطاعة أزيك فلم يجههم إليها وعدد عليهم ما بدر منهم في الغدر ونهب البلاد واعتذروا بأنهم إنما غدروا شروان لأنه منهم الجواز إلى صاحب أذريجان وعرضوا عليه الرهن فجاءهم بهم ولقوه في عدد قليل أزيك وجاء بهم إلى كنجة فأفاض فيهم الخلل والأموال وأصهر إليهم وأنزلهم بجيبل كيكلون.

وچع لهم الکرج فأواههم إلى كنجة ثم سار إليهم أمير من أمراء قفقاق ونال منهم فرجعوا إلى جبل كيكون وسار الفجاق الذين كبسوهم إلى بلاد الکرج فاكتسحورها وعادوا فاتبعهم الکرج واستقدوا الغنائم منهم وقتلوا ونهبوا فرحل الفجاق إلى بر دعنة وبعثوا إلى أمير كنجة في المدد على الکرج فلم يجههم فطلبو رهفهم فلم يعطهم فعدوا أيديهم في المسلمين واسترعنوا أضعاف رهفهم وثار بهم المسلمون من كل جانب فلتحقوا بشروان وتحفظهم المسلمين والکرج وغيرهم فافتورهم وبيع سبيهم وأسرابهم بأبخس ثمن وذلك كله سنة تسع عشرة وكانت مدينة بيلقان من بلاد آران فاخرجها التتر كما قدمناه وساروا عنها إلى بلاد قفقاق فعاد إليها أهلها وعمروها وسار الکرج في رمضان من هذه السنة إليها فملوكها وقتلوا أهلها وخربيوها واستفحـل الکرج ثم كانت بينهم وبين صاحب خلاط غازى بن العادل بن أبوب واقعة هزمهم فيها وأثخن فيهم كما يأتي في دولة بنى أبوب ثم انتقض على شروان شاه ابنه وملك البلاد من يده فسار إلى الکرج واستصرخ بهم وساروا معه فبرز ابنه إليهم فهزهم وأثخن فيهم فتشام الکرج بشروان شاه فطرده عن بلادهم واستقر ابنه في الملك واغتبط

هذا الوزير هو فخر الدين علي بن القاسم خواجه جهان ويلقب شرف الملك أصله من أصفهان وكان أول أمره ينوب عن صاحب الديوان بها وكان ثنيب الدين الشهيرستاني وزير السلطان وابنه بهاء الملك وزير الجناد وفخر الدين هذا يخدمه بها ثم غُلن من منصب الإفتاء وطبع إلى مقابلة ثنيب الدين على الوزارة وسعى عند السلطان بأنه تناول من جبارتها مائة ألف دينار فساعده بها السلطان ولم يعرض له ثم سعى بفخر الدين ثانية فولى وزارة الجناد وأقام بها أربع سنين حتى عبر السلطان إلى بخارى فكانت به الشكيات فأمر بالقبض عليه فاختفى ولحق بالطلاقان إلى أن اتصل بجلال الدين حين كان بغزنة بعد مهلك ابنه فربته في الحجابة إلى أن أجاز بحر السندي وكان وزير شهاب الدين المروي فقتلته قباجة ملك الهند كما مر واستوزر جلال الدين مكانة فخر الدين هذا ولقبه شرف الملك ورفع رتبته على الوزراء وموقفه وسائر آدابه وأحواله.

## عودة التتر إلى الري وهمدان وبلاط الجبل

وبعد رجوع التتر المغيرة من أذريجان وببلاد قفقاق وسروان كما قدمناه وخرسان يومئذ فوضى ليس بها ولاية إلا متغلبون من بعض أهلها بعد المخرب الأول والنهب فعمروها فبعث جنكيزان عسكراً آخر من التتر إليها فنهبوا ثانية وخربيوها وفلتوا في ساحة وقاشان وقم مثل ذلك ولم يكن التتر أولاً أصابوا منها ثم ساروا إلى همدان فاجلـلـ أهلـهاـ وأوسـعـوـهاـ نـهـبـاـ وـخـرـبـاـ وـسـارـواـ فـيـ اـتـيـعـ أـهـلـهـاـ إـلـىـ أـذـرـيـجـانـ وـكـبـسـوـهـمـ فـيـ حـدـودـهـاـ فـاجـلـلـواـ وـيـعـضـهـمـ قـصـدـ تـبـرـيزـ فـسـارـ التـرـ فـيـ اـتـيـعـهـمـ وـرـاسـلـواـ صـاحـبـهاـ أـزيـكـ وبـعـضـهـمـ قـصـدـ تـبـرـيزـ فـسـارـ التـرـ فـيـ اـتـيـعـهـمـ وـرـاسـلـواـ صـاحـبـهاـ أـزيـكـ بنـ الـهـلـوـانـ فـيـ إـسـلـامـ مـنـ عـنـدـهـ فـبـعـثـ بـهـمـ بـعـدـ أـنـ قـتـلـ جـمـاعـةـ مـنـهـ وـبـعـثـ بـرـؤـسـهـمـ وـصـانـعـهـمـ مـاـ أـرـضاـهـمـ فـرـجـعـواـ عـنـ بـلـادـهـ وـالـلـهـ تـعـالـ أـعـلـمـ.

## وكان أذريجان قبل مسir جلال الدين إليها

لما رجع التتر من بلاد قفقاق والروس وكانت طائفة من قفقاق لما افترقا وفروا أمام التتر ساروا إلى دربند شروان واسم ملكه يومئذ رشيد وسالوه المقام في بلاده وأعطوه الرهن على

داخله في فتحها وأفاض العدل في أهلها وأوصلهم إليها وبالغ في الإحسان إليهم ثم بلغه إثمار الكرج في أذربيجان وأران وأرمينية ودربرند شروان وما فعلوه بال المسلمين فاعتزم على غزوهم وبلغه اجتماعهم برون فسار إليهم وعلى مقدمته جهان بهلوان الكنجي فلما تراء الجموع وكان الكرج على جبل لم يستهله فتنسنت إليهم العساكر الأوغار فانهزموا وقتل منهم أربعة آلاف أو يزيدون وأسر بعض ملوكيهم واعتصم ملك آخر منهم بعض قلاعهم فجهز جلال الدين عليها عسكراً لحصارها وبعث عساكره في البلاد فاعتدا فيها واستباحوها.

## فتح السلطان مدينة كنجة ونكاحة زوجة أزيك

ما فرغ السلطان من أمر الكرج واستولى على بلادهم وكان قد ترك وزيره شرف الدين بتبريز للنظر في المصالح وولى عليها نظام الملك الطغرائي فقصد الوزير الوشایة به وكتب إلى السلطان بأنه وعمه شمس الدين داخلاً أهل البلد في الانتصارات وإعادة أزيك لشغله السلطان بالكرج فلما بلغ ذلك إلى السلطان أسره حتى فرغ من أمر الكرج وترك أخاه غياث الدين نائباً على ما ملك منها وأمره بتدوين بلادهم وتغريبيها وعاد إلى تبريز فقبض على نظام الملك الطغرائي وأصحابه قتلهم وصدر شمس الدين على مائة ألف وحبسه بمراجعة ففر منها إلى أزيك ثم لحق ببغداد وحاج سنته خمس وعشرين وبلغ السلطان تصله في المطاف ودعاؤه على نفسه إن كان فعل شيئاً من ذلك فاعيده إلى تبريز ورد عليه أملاكه ثم بعثت إليه زوجة أزيك في الخطبة وأن أزيك حنث فيها بالطلاق فحكم قاضي تبريز عز الدين الفزويي محلها للنكاح فتزوجها السلطان جلال الدين وسار إليها فدخل في خوي ومات أزيك لما لحقه من الغم بذلك.

ثم عاد السلطان إلى تبريز فأقام بها مدة ثم بعث العساكر مع أرخان إلى كنجة من أعمال نجران وكان بها أزيك ففارقهما وترك بها جلال الدين القمي نائباً فملكتها عليه أرخان واستولى على أعمالها مثل وشمكور ويردعة وشنة وانطلقت أيدي عساكره في النهب فشكوا أزيك إلى جلال الدين فكتب إلى أرخان بالمنع من ذلك وكان مع أرخان نائب الوزير إلى السلطان فعزل أرخان وذهب معاشرًا إلى أن قتله الإماماعلي وفي آخر رمضان من سنة اثنين وعشرين توفى الخليفة الناصر لسيع وأربعين سنة من خلافته واستخلف بعده ابنه الظاهر أبو نصر محمد بعهده إليه بذلك كما

الناس بولايته وذلك سنة اثنين وعشرين ثم سار الكرج من تbilis إلى أذربيجان واتوا من الأوغار والمضائق يظلون صعيديها على المسلمين فسار المسلمون ووجلوا المصائق إليهم فركب بعضهم بعضاً منهزمين ونان المسلمين منهم أعظم النيل وبينما هم يتوجهون لأخذهم الثأر من المسلمين وصلهم الخبر بوصول جلال الدين إلى مراغة فرجعوا إلى مراسلة أزيك صاحب أذربيجان في الاتفاق على مدافعته وعاجلهم جلال الدين عن ذلك كما ذكره إن شاء الله تعالى.

## استيلاء جلال الدين على أذربيجان وغزو الكرج

قد تقدم لنا مسیر جلال الدين في نواحي بغداد وما مملكتها وما وقع بينه وبين صاحب إربيل من المواجهة والصلح وما فرغ من ذلك سار إلى أذربيجان سنة اثنين وعشرين وقصد مراجعة أولاً فملكتها وأقام بها وأخذ في عمارتها وكان بغان طابش خسال أخيه غياث الدين مقيناً بأذربيجان كما من فجمع عساكره ونهب البلد وسار إلى ساحل أران فشتى هناك ولما عاث جلال الدين في نواحي بغداد كما قدمته بعث الخليفة الناصر إلى بغان طابش وأغاره بجلال الدين وأمره بقصد همدان واتفعه إليها وما يفتحه من البلد فعاجله جلال الدين وصحبه بنواحي همدان على غرة وعain الجندي فسقط في يده وأرسل زوجته أخت السلطان جلال الدين فاستأمنت له فآمنه وجرد العساكر عنه وعاد إلى مراغة وكان أزيك بن البهلوان قد فارق تبريز كرسى ملكه إلى كنجة فأرسل جلال الدين إلى أهل تبريز يأمرهم بميرة عسكنه فأجابوا إلى ذلك وترددت عساكره إليها فتجمع الناس وشكوا أهل تبريز إلى جلال الدين ذلك فأرسل إليهم شحنة يقيم عندهم للنصفة بين الناس.

وكانت زوجة أزيك بنت السلطان طغribek بن أرسلان وقد تقدم ذكرها في أخبار سلفها مقيمة بتبريز حاكمة في دولة زوجها أزيك ثم ضجر أهل تبريز من الشحنة فسار جلال الدين إليها وحاصرها خسأً واشتد القتال وعاصبها بما كان من إسلام أصحابه إلى التر فاعتذروا بأن الأمر في ذلك لغيرهم والنذب لهم ثم استأمنوا فآمنهم وأمر ببنت السلطان طغribek وأبقى لها مدينة طغribek إلى خوي كما كانت وجعل ما كان لها من المال والأقطاع وملك تبريز متصرف رجب سنة اثنين وعشرين ويعت بنت السلطان طغribek إلى خوي مع خادمه فليج وهلال وولى على تبريز ربيها نظام الدين ابن أخي شمس الدين الطغرائي وكان هو الذي

مر في أخبار الخلفاء.

## استيلاء جلال الدين على تفليس من الكرج بعد هزيمته إياهم

فالكرج بآيديهم وملك المسلمين البلد وقتلوا كل من فيها إلا من انتقم بالإسلام واستباحوا البلد وأملاً آيديهم بالغاتهم والأسرى والسبايا وكان ذلك من أعظم الفتوحات هذه سيادة ابن الأثير في فتح تفليس وقال النسائي الكاتب: إن السلطان جلال الدين سار نحو الكرج فلما وصل نهر أرس مرض واشتد الثلج ومر بتفليس فierz أهلها للقتال فهزمهم العساكر وأعجلوهم عن دخوها فملوكها واستباحوها وقتلوا من كان فيها من الكرج والأرمن واعتضم أهلها بالقلعة حتى صالحوا على أموال عظيمة فحملوها وتركوها.

### انتقاض صاحب كرمان ومسير السلطان إليه

ولما اشتغل السلطان جلال الدين بشأن الكرج وتفليس طمع براق الحاجب في الانتقاض بكرمان والاستيلاء على البلاد وقد كنا قدمنا خبره وأن غياث الدين استخلفه على كرمان عند مسيره إلى العراق وأن جلال الدين لما راجع من الهند ارتتاب به وهُم بالقبض عليه ثم تركه وأقره على كرمان فلما انتقض الأن وبلغ خبره إلى السلطان وهو معتم على قصد خلاط فتركها وأخذ السير إليه واستصحب أخيه غياث الدين ووعلده بكرمان وترك خلطة بكيلكون وترك وزيره شرف الدين بتفليس وأمره باكتساح بلاد الكرج وقدم إلى صاحب كرمان بالخلع والمغاربة والوعد فارتتاب بذلك ولم يطمئن وقصد بعض قلاعه فاعتصم بها ورجع الرسول إلى جلال الدين فلما علم أن المكيدة لم تتم عليه أقام بأصبهان وبعث إليه وأقره على ولاته وعاد وكان الوزير شرف الدين بتفليس كما قتلناه وضاف الحال به من الكرج وأرجف عند الأمراء بكيلكون أن الكرج حاصروه بتفليس فسار أرخان منهم في العساكر إلى تفليس ثم وصل البشير من نفحوان برجوع السلطان من العراق فأعطيه الوزير أربعة آلاف دينار ثم انتقمت العساكر في بلاد الكرج وبها ابواني مقدمهم مع بعض أعيانهم وبعث عسكراً آخر إلى مدينة فرس واشتد عليها الحصار ثم جر العساكر عليها وعاد إلى تفليس.

### مسير جلال الدين إلى حصار خلاط

كانت خلاط في ولاية الأشرف بن العادل بن أيوب وكان نائبه بها حسام الدين علي الموصلي وكان الوزير شرف الدين حين

كان هؤلاء الكرج آخرة الأرمن وقد تقدم نسبة الأرمن إلى إبراهيم عليه السلام وكان لهم استطالة بعد الدولة السلجوقية وكانت من أهل دين النصرانية فكان صاحب أرمن الروم يخشاهم ويدين لهم بعض الشيء حتى إن ملك الكرج كان يخلع عليه فبليس خلعته وكان شرونان صاحب الدرنيد يخشاهم وكذلك ملوكها مدينة أرجيش من بلاد أرمينية ومدينة فارس وغيرها وحاصروا مدينة خلاط قاعدتها فأسر بها مقدمهم أيرواي وفادوه بالرحيل عنهم بعد ان اشتطرطا عليه متابعته هم في قلعة خلاط فبنيها وكذلك هزمو ركن الدولة فليجا أرسلان صاحب بلاد الروم لما زحف أخيه طفرل شاه بارزن الروم استتجدهم طفرل فانجدوه وهزمو ركن الدين أعظم ما كان ملكاً واستفحلاً وكانوا يحيوسون خلال أذربيجان ويعيشون في نواحيها.

وكان ثغر تفليس من أعظم التغور طرزاً على من يجاوره منذ عهد الفرس وملكه الكرج سنة خمس عشرة وخمسة أيام محمود بن محمد بن ملك شاه ودولة السلجوقية يومئذ أقبل ما كانت وأواسع إبالة وأعمالاً فلم يطق ارتجاعه من آيديهم واستولى أيلذكر بعد ذلك وابنه البهلوان على بلاد الجبل والري وأذربيجان وأرzan وأرمينية وخلاط وجاورهم يكرسيه ومع ذلك لم يطلق ارتجاعه منهم فلما جاء السلطان جلال الدين إلى أذربيجان وملكيها زحف إلى الكرج وهزمهم سنة اثنين وعشرين وعاد إلى تبريز في مهمه كما قدمناه فلما فرغ من مهمه ذلك وكان قد ترك العساكر ببلاد الكرج مع أخيه غياث الدين وزيره شرف الدين فأغذ السير إليه غازياً من تبريز وقد جمع الكرج واحتشدوا وأمدتهم الفنجاق وللذكر وساروا للقاء فلما التقى الفريقان انهزم الكرج وأخذتهم سيف المسلمين من كل جانب ولم يبقوا على أحد حتى استلجموهم وأفتوهم.

ثم قصد جلال الدين تفليس في ربى الأول سنة ثلاثة وعشرين ونزل قريباً منها وركب يوماً لاستكشاف أحوالها وترتيب مقاعد القتال عليها وأكمم الكمان حولها واطلع عليهم في خف من العسكر فطمعوا فيه وخرجوا فاستطرد لهم حتى تورطوا والنفت عليهم الكمان فهربوا إلى البلد والقوم في اتباعهم ونادي المسلمين من داخلها بشعار الإسلام وهمروا باسم جلال الدين

## أخبار السلطان جلال الدين مع الإسماعيلية

كان السلطان جلال الدين بعد وصوله من الهند ولـ أرخان على نيسابور وأعمالها وكان وعده بذلك بالهند فاستخلف عليها وأقام مع السلطان وكان نائبه بها يتعرض للبلاد الإسماعيلية المتاخمة له بهستان وغيرها بالنهر والقتل فألوقدوا على السلطان وهو مخوي - وقد انهم يشكرون من نائب أرخان وأسأله عليهم أرخان في الجاورة ولما عاد السلطان إلى كنجه وكان قد أقطعها وأعمالها لأرخان فلما خيم بظاهرها وثبت ثلاثة من الباطنية ويسمون الفداوية لأنهم يقتلون من أمرهم أميرهم بقتله ويأخذون دينهم منه وقد فرغوا عن أنفسهم فوثبوا به قتلوه وقتلتهم العامة وكانت الإسماعيلية قد استولوا على الدامغان أيام الفتنة ووصل رسوهم بعد هذه الواقعة إلى السلطان وهو يبلغان فطاليهم بالتزول على الدامغان فطلبوا ضمانها بثلاثين ألف دينار وقررت عليهم وكان رسول الوارد في خدمة الوزير وهو راجعون إلى أذربيجان فاستخلفه الطرف ليلة وأحضر له خمسة من الفداوية معه بالعسكر وبلغ خبرهم السلطان فأمره بإحراقهم انتهى كلام النسائي وقال ابن الأثير: إن السلطان بعد مقتل أرخان سار في العساكر إلى بلاد الإسماعيلية من الموت إلى كردهرة فاكتسحها وخرابها وانتقم منهم وكانت بعد واقعته قد طمعوا في بلاد الإسلام فكف عادتهم وقطع أطماعهم وعاد فبلغه أن طائفة من التتر بلغوا الدامغان قريبا من الري فسار إليهم وهزمهم وأثخن فيهم ثم جاء الخبر بأن التتر متلاحمه لحربيه فآتىهم في انتظارهم في الري انتهى.

## استيلاء حسام الدين نائب خلاط على مدينة خوي

قد تقدم لنا أن بنت السلطان طغرل زوجة أزيك بن البهلوان لما ملك السلطان جلال الدين تبريز من يدها أقطعها مدينة خوي ثم تزوجها بعد ذلك كما قدمتها وتركها لما هو فيه من اشتغال ملكه فوجدت لذلك ما فقدته من العز والتحكم قال النسائي الكاتب: وأضاف لها السلطان مدينتي سلماس وأرمينية وعين رجالاً لقبض أقطاعها فتذكر لها وأغرى بها الوزير فكاتب السلطان بأنها تداخل الأتابك أزيك وتكتابه ثم وصل الوزير إلى خوي فنزل بدارها واستصفى وكانت مقيمة بقلعة طلع فحاصرها وسألت المضي إلى السلطان فأبى إلا نزولها على حكمه انتهى.  
وكان أهل خوي مع ذلك قد ضجروا من ملوك جلال

آقام بتفليس عند مسير جلال الدين إلى كرمان ضاقت على عساكره الميرة فبعث عسكراً منهم إلى أعمال أرزن الروم فاكتسحوا نواحيها ورجعوا فمروا بخلال خفرج نائبه حسام الدين واعتبرهم واستنقذ ما معهم من الغنائم وكتب الوزير شرف الدين بذلك إلى جلال الدين وهو بكرمان فلما عاد جلال الدين من كرمان وحاصر مدينة آنى استقر حسام الدين نائب خلاط للامتناع منه فارتحل هو إلى بلاد أخجاز ليائمه على غرة ورحل جلال الدين من أخجاز فسار إلى خلاط وحاصر مدينة ملاذك رد في ذي القعدة من السنة وانتقل منها إلى مدينة خلاط وحاصرها وضيق مخنقاً وقاتلها ماراً وأشتد أهل البلد في مدافعته لما يعلمون من سيرة الخوارزمية الألواحية وكانت مغلقين على الكثير من بسائط أرمينية وأذربيجان فبلغه أنهم أنسدوا البلاد وقطعوا السبلة وأخذوا الضربة من أهل خوي وخربوا سائر النواحي وكتب إليه بذلك نواهيه وبنت السلطان طغرل زوجته فلما رحل عن خلاط قصدتهم على غرة قبل أن يصعدوا إلى حصونهم بجبالهم الشاهقة فأحاطت بهم العساكر واستباحوهم واقتسموهم بين القتل والغنممة وعاد إلى تبريز.

## دخول الكرج مدينة تفليس وإحراقها

ولما عاد السلطان من خلاط وغزو التركمان فرق عساكره للمشتى وكان الأمراء أساووا السيرة في تفليس وهرب العسكر الذين بها واستلهموا بقيتهم وخربوا البلاد وحرقوها لعجزهم عن حمايتها من جلال الدين وذلك في ربیع سنة أربع وعشرين وستمائة وعند النسائي الكاتب أن استيلاء الفرنج على تفليس وإحراقهم إياها كان والله جلال الدين على خلاط وأنه لما بلغه ذلك رجع وأغار على التركمان في طريقه لما بلغه من إفسادهم فنهب أمواهم وساق مواشיהם إلى موقعه وكان خمسها ثلاثين ألفاً ثم سار إلى خوي ملاقاة بنت طغرل ثم سار إلى كنجة فبلغه الخبر بانصاراف الكرج عن تفليس بعد إحراقها قال: ولما وصل كنجة قدم عليه هناك خاموش بن الأتابك أزيك بن البهلوان مؤدياً منطقة بلخش قدر الكف مصنوعاً عليه منقوشاً اسم كيكاووس وجماعة من ملوك الفرس. فغير السلطان صناعتها ونقشها على اسمه وكان يلبس تلك المنطقة في الأعياد وأخذها التتر يوم كبسوه وحملت إلى الحان الأعظم ابن جنكرخان بقرارقدوم وأقام خاموش في خدمة السلطان إلى أن صرره الفقر ولحق به علاء الملك ملك الإسماعيلية فتوفي عنده انتهى كلام النسائي.

## الوحشة بين السلطان جلال الدين وأخيه غياث الدين

كان ابتدأوها أن الحسن بن حرمي نائب الغربة بهرة لما قتلته عساكر خوارزم شاه محمد بن تشن وحاصروا وزرمه المتبع بها حتى اقتحموها عليه عنزة وقتلوه، هرب محمد بن الحسن بن حرمي إلى بلاد الهند فلما ملك السلطان جلال الدين وحظي لديه أقامه شحنة بأصبهان فلما سار السلطان إلى أصفهان للقاء التتر الخرف جماعة من غلمان غياث الدين عنه فصاروا إلى نصرة الدين بن حرمي واسترجعهم منه غياث الدين في بيته وطعنه فأشووه ومات لليالٍ وأحفظ ذلك السلطان وأقام غياث الدين مستوحشاً فلما كان يوم اللقاء أخرف عن أخيه ولحق بخوزستان وخطاب الخليفة فيبعث إليه بثلاثين ألف دينار وسار من هناك إلى قلعة الموت عند صلاح الدين شيخ الإسماعيلية فلما رجع السلطان من وقعة التتر إلى الري سار إلى قلعة الموت وحاصرها فاستأمن علماء الدين إلى السلطان غياث الدين فأمه ويعث من يائيه به فامتنع غياث الدين وفارق القلعة واعتراضه عساكر السلطان بنواحي همدان وأوقعوا به وأسرروا جماعة من أصحابه ونجا إلى براري الحاجب بكرمان فتزوج بأمه كرهاً وهي إليه أنها تحاول سمه فقتلها وقتل معها جهان بهلوان الكجي وجنس غياث الدين بعدهم القلاع ثم قتلها بمحبسه ويقال: بل هرب من محبسه ولحق بأصفهان وقتل بأمر السلطان قال الثاني: وقت على كتاب براق الحاجب إلى الوزير شرف الملك والسلطان تبريز وهو يعدد سوابقه فعد منها قتل أعدى عدو السلطان والله تعالى في التوفيق.

## انتقاض البهلوانية

لما ارتحل السلطان والوزير شرف الملك معه واتهش إلى همدان بلغه أن الأمراء البهلوانية اجتمعوا بظاهر تبريز برومون الانتقاض واتبعه خاموش بن الأتابك أزبك من قلعة قوطور وكان مقيناً بها فرجع السلطان إليهم وقدم بين يديه الوزير شرف الملك فلقاهم قريباً من تبريز وهزمهم وبغض على القاضي المعزول فصادمه منهم ودخل تبريز فقضتهم وبغض على القاضي المعزول فصادمه قرام الدين الحرادي ابن أخت الطغرائي وصادره وسار السلطان للقاء التتر وأقام الوزير نائباً للبلاد.

الدين وجوره وتسلط عساكره فاتفاق الملكة معهم وكاتبوا حسام الدين الحاجب النائب عن الأشرف بخلط فسار إليهم في مغيب السلطان جلال الدين بالعراق واستولى على مدينة خوى وأعمالها وما يجاورها من الحصون وكاتب أهل نجفون وسلموها له وعد إلى خلط واحتلال الملكة بنت طغل زوجة جلال الدين إلى خلط إلى أن كان ما ذكره.

## واقعة السلطان مع التتر على أصفهان

ثم بلغ الخبر إلى السلطان بأن التتر زحفوا من بلادهم فيما وراء النهر إلى العراق فسار من تبريز للقاهم وجرد أربعة آلاف فارس إلى الري والدامغان طليعة فرجعوا وأخبروه بوصولهم إلى أصفهان فذهب للقاهم واستخلف العساكر على الاستامة وأمر القاضي بأصفهان باستفار العامة وبعث التتر عسكراً إلى الري فبعث السلطان عسكراً لاعتراضهم فأوقعوا بالتتر فنالوا منهم ثم التقى الفريقان في رمضان سنة خمس وعشرين لرابعة وصفرهم إلى أصفهان وانتقض عنه أحدهم غياث الدين وجهان بهلوان الكجي في طائفه من العسكر وانهزمت مسيرة التتر والسلطان في اتباعهم وكانت قد أكمنوا له فخرجوا من ورائه وثبت واستشهد جماعة من الأمراء وأسر آخرون وفيهم علاء الدولة صاحب يزد.

ثم صدق السلطان عليهم الحملة فأفجروا له وسار على وجهه وانهزمت العساكر فبلغوا فارس وكرمان ورجعت ميمونة السلطان من قاشان فوجدو قد انهزم فتقىروا أشتاناً وقد السلطان ثمانية من فرقه وكان يقطابسي مقيناً بأصفهان فاعترض أهل أصفهان على بيته ثم وصل السلطان فاقصروا عن ذلك وتراجع بعض العساكر وسار السلطان فيهم إلى الري وكان التتر قد حاصروا أصفهان بعد المزحة فلما وصل السلطان خرج معه أهل أصفهان فقاتلوا التتر وهزمونهم وسار السلطان في اتباعهم إلى الري ويعث العساكر وراءهم إلى خراسان وعند ابن الأثير أن صاحب بلاد فارس وهو ابن الأتابك سعد الذي ملك بعد أبيه حضر مع السلطان في هذه الواقعة وأن التتر انهزوا أولًا فاتبعهم صاحب فارس حتى إذا أبعدوا انفرد عن العساكر ورجع عنهم فوجد جلال الدين قد انهزم لآخراف أخيه غياث الدين وأمرائه عنه ومضى إلى شهرم تلك الأيام ثم عاد إلى أصفهان كما ذكرناه.

## إيقاع نائب خلاط بالوزير

القلاع وينفيض فيهم الأموال والخلع حتى أجاب أكثرهم ثم قبض على ناصر الدين محمد من أمراء البهلوانية وكان معزلاً عند نصرة الدين بن سبكتكين فصادره على مال وتسليم من نائبه قلعة كانت بيده ثم مات نائب السلطان بكتجة أقسى الأتابكي فنهض إليها وقبض على نائبه شمس الدين كرشاسف وصادره وتسليم منه قلعة هردوخار برد من أعمال أران ثم جهز العساكر لحصار قلعة زونين وبها زوجة السلطان خاموش فأطاحوا بحصارها وعرضت عليه نكاحها فأبى ولما رجع السلطان من العراق تزوجها وولى خادمه سعد الدين على القلعة فأساء إليها وانتزع أملاكها فآخر جوهر وعادوا إلى الانتقام ولما خلص الوزير من واقته مع الحاجب نائب خلاط قصد أران فجبي الأموال وجمع واحتشد وقد قلع مرداقين وكانت لصهر الوزير ربة الدين فصانعه باريعة آلاف دينار حلها إليه ثم سار إلى قلعة حاجين وبها جلال الدولة ابن اخت أبواني أمير الكرج فصالحه على عشرين ألف دينار وسيعمانة أسير من المسلمين ثم كانت فتنة البهلوانية فسكنها وسرح الجند عنها وشرح الخبر عنها أن بعض ماليك أتابك أزيك كان قد انحش في قتل الخوارزمية بأذربيجان عند زحفهم إليها أيام فرارهم من التتر فلما ملك السلطان جلال الدين أذربيجان وحا ملك البهلوانية منها لحق الأمير مقدى هذا بالأشراف بن العادل بن أيوب صاحب الشام وأقام عنده فلما بلغه انهزام الوزير شرف الملك أيام الحاجب حسام الدين نائب الأشرف بخلاف فر من الشام إلى أذربيجان ليقيم مع الأتابكية ومر بالحاجب في خروي فاتبعه وعبر النهر وخطاب من عدوته متذرراً فرجع عنه ودخل مقدى بلاد قiar وفيها قلاع استول عليها المتضيون والعصاة فراسلهم في إقامة الدعوة الأتابكية والبيعة لابن خاموش بن أزيك يستدعونه من قلعة قوطور واتصل ذلك بالوزير فاقلقه ثم جاء خبر هزيمة السلطان بأصفهان فازداد فلتاماً وسار الأمير مقدى إلى نصرة الدين محمد بن سبكتكين يدعوه لذلك فلطفه في القول وكتب للوزير بالخبر فأجابه بأن يضمن له الذي ما أحب في مراجعة الطاعة ففعل وجاء به إلى الوزير فأكرمه وخلع عليه وعلى من جاء معه وعاهدوه على العفو عن دماء الخوارزمية وجاء الخبر برجوع السلطان من أصفهان فارتدى الوزير للقائه ومعه الأمير مقدى وابن سبكتكين وأكرمهما السلطان.

## أخبار الوزير بخراسان \*

كان صفي الدين محمد الطغرائي وزيرًا بخراسان وأصل خبره أنه كان من قرية كلارد وأبواه رئيسها وكان هو حسن الخط

ولما كان ما ذكرناه من مسیر حسام الدين نائب خلاط إلى أذربيجان واحتماله زوجة السلطان جلال الدين إلى خلاط امتعض الوزير بذلك فسار إلى موغان من بلاد أران وجع التركمان وفرق العمال للحجابة وطلب العمل من شروان شاه وهو خسون الف دينار فتوقف وأغار على بلاده فلم يظفر بشيء ورجع إلى أذربيجان وكانت بنت الأتابك بهلوان في بقجان فارقها مولاها إيدغمش وجاء إلى الوزير فأطعمه فيها وصار الوزير مضمراً الغدر بها وامتنع عليه ونزل بالمرج فأكرمه وقربه ورحل إلى حرس من أعمالها وكانت للأشرف صاحب خلاط أيام أزيك فانتشرت أبيدي السكر في تلك الضياع وقاتلها الوزير وجاء الحاجب صاحب خلاط في عساكره فانهزم الوزير وترك أقاليله وذلك ستة أربع وعشرين وكان مع الحاجب فخر الدين سام صاحب حلب وهشام الدين خضر صاحب تبريزم وكان الوزير وتکاليفه فظفر الآن بمختلفه وخلص الوزير إلى أران وسار الحاجب علي في اتباعه ثم عاد إلى تبريز ومر بخوي فنهضها ثم سار إلى بقجان فملكها ثم تدمر كذلك وأقام الوزير بتبريز وكان بها الأتابك أزيك متتسكاً منه أهل تبريز من الدخول وحملوا إلى الفتقة ثم جاء الخبر برجوع السلطان إلى أصفهان بعد الهزيمة كما مر فسار الوزير إلى أذربيجان ولقي ثلاثة من الأمراء جاؤوا مددأً له من عند السلطان وأمره بمحصار خوي فسار إليها وبها نائب الحاجب حسام الدين صاحب خلاط وهو بدر الدين بن صرهنك وال الحاجب حسام الدين علي متواهش فهوپ إلى الوزير من خوي فتأخر إلى تركي والتقيا هنالك فانهزم الحاجب ودخل تركي فاعتضم بها وحاصره الوزير وطلب الصلح فلم يسعفه ورجع الدين كانوا معه بعساكرهم إلى أذربيجان وأخرج الوزير عن حصار تركي ومر بخوي وقد فارقها ابن صرهنك إلى قلعة قوطور واستأنف للسلطان من بعد ذلك ودخل الوزير مدينة خوي وصادر أهلها وسار إلى ترمذ وتقجران ففعل فيما مثل ذلك وانقطعت إربلة الحاجب صاحب خلاط والله أعلم.

## فتورات الوزير بأذربيجان وأران

ولما تخلف الوزير عن السلطان صرف همه إلى تهديد البلاد ومدافعة صاحب خلاط وارتحاج البلاد التي ملك من أذربيجان وأران وفتح القلاع العاخصية فكان بينه وبين الحاجب حسام الدين صاحب خلاط ما ذكرناه وهو خلال ذلك يستقبل أصحاب

عليها حسام الدين بكتاش مولى سعد أتابك فارس ثم خلف السلطان أثقاله بموقان وتجدد لخلط وعاقف البرد بأرجيش فهو بعض قلاع وكان عز الدين المخلالي في كفرطاب قريباً من أرجيش فلحق بخلط وجهه الحاجت إلى أذربیجان يشغلهم بإثارة الفتنة فيها فلم يتم قصده من ذلك فلحق بجبل زنجان وأقام يخيف السابلة وكتب له السلطان بالأمان وتزل إلى أصفهان فبعث نائبه شرف الدولة برأسه إلى السلطان ثم رجع السلطان من كفرطاب إلى خرت برت فهوها وخرتها ووصله خلال ذلك الخبر بوفاة الخليفة الظاهر متصرف ثلاثة وعشرين ولاية ابنه المتصر وجاء كتابه بأخذ البيعة وأن يبعث إليه بالخلع والله تعالى ولـي التوفيق لا رب غيره.

### نكر السلطان للوزير شرف الدين

لا رجعت العساكر إلى موقان وأقام السلطان بخوي شكا إليه أهلها بكترة مصادرة الوزير لهم واطلع على إساءته للملكة بنت طفول واستصافاه ما لها مع براءتها مما نسب إليها ثم جاء إلى تبريز فبلغه عنه أكثر من ذلك وهو بقريبة كورتان من أعمالها فافتقد رئيسها وكان يخدمه فقيل: إن الوزير صادره على ألف دينار المملوكيين فلما وصل إلى تبريز حبس من أخذها حتى ردتها على صاحبها وأسقط عن أهل تبريز خراج ثلاثة سنين وكتب لهم بذلك وكثرت الشناعات على الوزير بما فعله في مغيب السلطان هذا مع ما كان منه في محاربة الإسماعيلية بأن السلطان كاتبه من بغداد بأن يفتح قلول الشام من أجل رسول من عند التتر بعشوه إلى الشام وقد ذكر ذلك معاتبة الخليفة إن عشر على الرسول فمر به فل من الإسماعيلية فقتلهم واستولى على أموالهم فلما عاد السلطان إلى أذربیجان وصله رسول علاء الدين ملك الإسماعيلية يعاتبه على ذلك ويطلب المال فنكر السلطان على الوزير ما فعله ووكل به أمريرين حتى رد ما أخذ من أموالهم وكانت ثلاثين ألف دينار وعشرون ألفاً فأنطوى السلطان للوزير من ذلك كله على سخط وأعرض عن خطابه وكان يكتب فلا يجيب وعجزت تبريز عن علوفة السلطان فأمر بفتح أهراه الوزير والتصرف فيها ورجع السلطان إلى موقان فلم يغير عليه شيئاً ووقع له بتناول عشر الخامس فكان يأخذ من عشر العراق سبعين ألف دينار في كل سنة والله أعلم.

ورتبة الأطوار ثم لحق بالسلطان في الهند وخدم الوزير شرف الملك فلما عادوا إلى العراق ولاه الطغفاء ولما ملك السلطان تغلبي من يد الكرج ول عليها أقسم ملوك الأتابك أزيك وأقام صفي الدين في وزارتها فلما حاصرها الكرج هرب أقسم وأقام صفي الدين فحاصره أيام ثم أفرجوا ووقع ذلك من السلطان أحسن الواقع وولاه وزارة خراسان فأقام بها ستة وسبعين منه أهلها فلما جاء السلطان إلى الري وأقام بها كسرت به الشكبات ونكبه السلطان واستصفى أمواله وبغض على مواليه وحاشيته وقيدت خيله إلى مرابط السلطان وكانت ثلثمائة وخلص من مواليه على الكرمانى إلى قلعة كان حصنه فانتفع بها واستوزر السلطان مكانه تاج الدين البلخي المستوفي وسلم إليه الصفي ليستصفى ويقلع القلعة من مولاه وشدد في امتحانه وكان عدوه فلم يظهر منه بشيء وكان لما نكتب طالب خاتون السلطان باختصار الجوهر وما ساقه لخدمة الوزير وغيره فأحضر أربعة آلاف دينار وسبعين فصاً من ياقوت وبليخش واستثار الخازن بها لظن أنه مقتول.

ثم كاتب الصفي أرباب الدولة ووعدهم بالأموال فشفعوا فيه وخلصوه وكتب السلطان بخطه بسراحه فجاء واستخلص ماله من الخازن إلا الفصوص فإنه تعذر عليه ردتها وولى السلطان على وزارة نسا محمد بن مودود النسوى العارض من بيت رئاسة بها ورمته بالحادية إلى غزنة فلما جاء السلطان من الهند ولاه الإنشاء والحبس وعظم أمره وغض به الوزير شرف الملك فلما ورد أحد بن محمد بن الشيء الكاتب رسولـاً عن نصرة الدين محمد بن حزة صاحب نسا كما مر ولاه السلطان الإنشاء فارتعض لذلك ضياء الدين وطلب وزارة نسا فولاه السلطان إليها وأنقطع له عشرة آلاف دينار في السنة زيادة على أرزاق الوزارة وذهب إليها لإقامة وظيفته واستانب في ديوان العرض مجد الملك النيسابوري ثم قطع العمل فعزله السلطان وولى مكانه الكاتب أحد بن محمد الشيء و تعرض للسعاية فيه فطرده السلطان وهلك في طرده.

### خبر بلبان صاحب خلخال

كان من أتابكية أزيك ولما كانت فتنة التتر وخلاء خراسان واستيلاء السلطان جلال الدين على أذربیجان لحق بمدينة خلخال فاستول عليها وعلى قلاعها وشغل عن السلطان بأمر العراق وصاحب خلخال فلما انصرف المسلمين من واقعة التتر بالعراق حاصروه بقلعة فيروز أباد حتى استأمن وملكها السلطان وولى

خمسة فرس وللوزير خمسين فاستقلها وأشار على السلطان مجلسه فلم يقبل إشارته ورده بالخلع والتشريف وأسقط عنه من الحمل عشرين ألفاً ففي ثلاثة: قال النسائي الكاتب: وأعطياني في التوقيع ألف دينار والله تعالى أعلم.

### مسير السلطان إلى بلاد الکرج وحصاره

#### قلاع بهرام

ما كان السلطان مقيماً بموكان منصرفه من أذربيجان بعث عساكره مع إيلك خان فاغار على بلاد الکرج واكتسحها ومر ببحيرة بناح فكبسه الکرج وأوقعوا به وقد أربطاني وامتنع السلطان لما وقع بعسكره وارتحل لوقته وقد جمع له الکرج فهزت مقدمتهم وجيء بالأسرى منهم فقتلهم وسار في اتبعهم ونزل كورى وطالبهم بإطلاق أسرى البحيرة فاطلقوهم وأخبر أن اريطياني خلص تلك الليلة إلى أذربيجان ثم وجده السلطان في نجران ثم سار إلى بهران الکرجي وقد كان أغمار على نراحى كنجة فمات في أعماله وحاصر قلعة سكان ففتحها عنوة وكذلك قلعة كاك وبعث الوزير لحصار كرزاني فحاصرها ثلاثة أشهر حتى طلبوا الصلح على ما حلوا به فرحل عنهم إلى خلاط والله أعلم.

### مسير السلطان إلى خلاط وحصارها

وما فرغ السلطان من شأن الکرج قدم ثقائه إلى خلاط على طريق قافرمان وسار هو إلى نجران وصبح الکرج واستقام مواشيهم ثم أقام أياماً وقضى أشغال أهل خراسان والعراق ليفرغ لحصار خلاط قال النسائي الكاتب: وحصل لي منهم تلك الأيام ألف دينار ثم ارتحل إلى خلاط ولحق بعسكره ولقيه رسول من عز الدين إيلك نائب الأشرف بملاط وقد كان الأشرف بعثه وأمره بالقبض على تابعها حسام الدين علي بن حماد فقبض عليه ثم قتله غيلة وبعث إلى السلطان يستخدم إليه بذلك وأن سلطانه الأشرف أمره بطاعة السلطان جلال الدين وبالغ في الملاطفة فأباى السلطان إلا إمضاء ما عزم عليه وقال إن كان هذا حقاً فابعث إلى بال حاجب فلما سمع هذا الجواب قتله وسار السلطان إلى خلاط ونزل عليها بعد عيد الفطر من سنة ست وعشرين.

وجاءه ركن الدين جهان بن طفرل صاحب أرزن الروم فكان معه وحاصرها ونصب عليها المأذيق وأخذ بمحنته حتى فر أهلها عنها من الجموع وتفرقوا في البلاد ثم دخله بعض أهلها في

### وصول القفجاق لخدمة السلطان

كان للقفجاق على قديم العهد هو مع قوم هذا السلطان وأهل بيته وكانتا يصهارون إليهم غالباً بيناهم ومن أجل ذلك استأصلهم جنكيزان واشتد في طلبهم فلما عاد السلطان من واقعة أصفهان وقد هاله أمر التر رأى أن يستظره عليهم بقبائل قفجاق وكان في جملته سيرجنكش منه فبعث إليهم يدعوهم لذلك ويرغبهم فيه فأجابوا وجاءت قبائلهم أرسلاً وركب البحر كوركان من ملوكهم في ثلاثة من قراحته ووصل إلى الوزير بموكان فشتى بها ثم جاء السلطان فخلع عليه ورده بورعه جميل في فتح دربند وهو باب الأبواب ثم أرسل السلطان لصاحب دربند وكان طفلًا وأتايه يلقب بالأسد يدير أمره فقدم على السلطان فخلع عليه وأقطع له وملكه العمل على أن يفتح له الدربرد وجهز عساكر وأمراء فلما فصلوا من عنده قبضوا على الأسد وشنوا الغارة على نواحي الباب وأعمل الأسد الحيلة وتختلف من أيديهم وتعد عليهم ما أرادوه.

### استيلاء السلطان على أعمال كستاسفي

كان علم الوزير يشكر أن السلطان أراد أن يتتصح له بعض مذاهب الخدمة فسار في العساكر وعبر نهر أزس فاستولى على أعمال كستاسفي من يد شروان شاه فلما عاد السلطان إلى موقان أطعها جلال الدين سلطان شاه بن شروان شاه وكان أسيراً عند الکرج أسلمه أبوه إليهم على أن يزوجوه بنت الملك رسودان بنت تاماد فلما فتح السلطان بلاد الکرج استخلصه من الأسر ورباه وبقي عنده وأقطعه الأن كستاسفي وكان أيضاً عند الکرج ابن صاحب أرزن الروم وكان تنصر فزووجه رسودان بنت تاماد فأخرجه السلطان لما فتح بلاد الکرج ثم رجع إلى ردينة ولحق بالکرج فوجد رسودان قد تزوجت.

### قدوم شروان شاه

كان السلطان ملك شاه بن الـب أرسلان لما ملك أران أطلق الغارة على بلاد شروان فوفد عليه ملوكها أفریدون بن فرتبريز وضمن حمل مائة ألف دينار في السنة فلما ملك السلطان جلال الدين أران سنة اثنين وعشرين وستمائة طلب شروان شاه أفریدون بالحمل فاعتزل بتأغل الکرج وضعف البلاد فأسقط عنه نصف الحمل فلما عاد الآن قدم عليه شروان شاه وأهدى له

## الحوادث أيام حصار خلاط

منها وفادة نصر الدين أصبهن صاحب الجبل مع أرخا من أمراء السلطان يصهره على أخيه فقبض السلطان عليه إلى أن عاد من بلاد الروم منهذاً فاقطعه وأعاده إلى بلاده ومنها رسالة أخت السلطان وكانت عند دوشي خان أخذها من العيال الذين جاؤوا معه وتركت مخاتون من خوارزم وأولادها وكانت تكتب أخاها بالأخبار فبعثت إليه الآن في الصلح مع خاقان والمصاهرة وأن يسلم له فيما وراء جيرون فلم يجدها ومنها وفادة ركن الدين شاه بن طغول صاحب أرزن الروم وكان في طاعة الأشرف ومظاهرًا للحاجب نائب خلاط على عداوة السلطان منافرة لابن عمه علاء الدين كيقباد بن كنخسرو صاحب الروم وكان قتل رسول السلطان مقلباً من الروم ومنع الميرة عن العسكرية فلما طال حصار السلطان بخلط استأنم وقدم عليه السلطان فاحتفل لقدومه وأركب الوزير للقائه ثم خلع عليه ورده إلى بلاده واستدعى منه آلات الحصار فأبعث بها ثم حضر بعد ذلك واقعة الأشرف بالسلطان كما مر.

ومنها وصول سعد الدين الحاجب برسالة الخليفة إلى السلطان بالخطبة في أعمالها وأن لا يتعرض لمظفر الدين كوكبرون صاحب إربيل ولا للولد صاحب الموصل ولا لشهاب الدين سليمان شاه ملك ولا لعماد الدين بهلوان بن هراست ملك الجبال ويعدهم في أولياء الديوان فامتثل مرساله وبعث نائب العراق شرف الدين علي بأن ملك العراق لا يتم إلا بطاولة ملك الجبال عماد الدين بهلوان وملك سليمان شاه فأبعث إليهما السلطان من لطفهما حتى كانت طاعتهما اختياراً منها.

وبعث السلطان الحاجب بدر الدين طوطرو بن أبي صالح خان فاحسن في تأدية رسالته وجاء بهدية حافلة من عند الخليفة خلعتان للسلطان إدحاماً جبة وعمامة وسيف هندي مرصع الخلية والأخرى قمع وكمة وقروجة وسيف على بالذهب وقلادة مرصعة ثمينة وفرسان رائعان بعدين كاملين ونعال لكل واحدة من أربعين دينار وترس ذهب مرصع بالجلوهر وفيه أحد وأربعون فصاً من الياقوت وبنديستاني في وسطه فirozjat كبيرة وثلاثون فرساً عربية مجللة بالأطلس الرومي المبطن بالأطلس البغدادي بمقاود الحرير ونعال الذهب لكل واحدة منها ستون ديناراً وعشرون ملوكاً بالعدة والمركب وعشرة فهود بجلاس الأطلس وقلائد الذهب وعشرة صدور بالأكمام المكملة ومائة وخمسون بقحة في كل واحدة عشرة ثياب وخمس أكثر من العنبر مضلعة

أن يمكنهم من بقيتها على أن يؤمنوه ويقطعوه في أذربيجان فاقتصره السلطان سليمان وعدة ضياع هنالك وأصعد الرجال ليلاً إلى الأسوار فقاتلوا الجندي بالمدينة وهزمتهم وملكونها وأسرموا من كان بها وأسروا النصارى وأسد بن عبد الله تخصن النائب عز الدين أيك بالقلعة فامتهن وحبسه بقلعة دركان فلما وقعت المراسلة في الصلح قفل ثلاثة يشترط وقال ابن الأثير: إن مولى من موالي حسام الدين كان هرب إلى السلطان فلما ملك خلاط طلب أن يثار منه بولاه فدفعه إليه وقتله ونهب البلد ثلاثة وسراح السلطان صاحب أرزن وهرب القموري من محبسه فقتل أسد بن عبد الله المهراني بجزيرته وأقطع السلطان خلاط للأمراء وعاد والله تعالى ولـي التوفيق.

## واقعة السلطان جلال الدين مع الأشرف وكيقباد وانهزامه أمامهما

ولما استولى السلطان جلال الدين على خلاط تجهز الأشرف من دمشق وقد كان ملكها وسار لقتال السلطان جلال الدين في عساكر الجزيرة والشام وذلك في سنة تسعة وعشرين ولقيه علاء الدين كيقباد صاحب بلاد الروم على سيراس وكان كيقباد قد خشي من اتصال جهان شاه ابن عمه طغول صاحب أرزن الروم بالسلطان جلال الدين لما بينهما من العداوة فسار الأشرف وكيقباد من سيراس وفي مقدمة الأشرف عز الدين عمر بن علي من أمراء حلب من الأكراد المكارية وله صيت في الشجاعة وجاء السلطان علاء الدين للقائهم فلما تراغي الجماع حل عز الدين صاحب المقدمة عليهم فهزمهم وعاد السلطان إلى خلاط.

وكان الوزير على ملاذك رد يحاصرها فلحق به وارتحلوا جميعاً إلى أذربيجان وأسر ركن الدين جهان شاه بن طغول وجسيء به إلى ابن عمه علاء الدين كيقباد فجاء به إلى أرزن فسلمها وسائر أعمالها ووصل الأشرف إلى خلاط فوجدها خاوية ولما رجع السلطان إلى أذربيجان ترك العساكر مع الوزير سكمان وأقام بخورى وخلص الترك في المزرعة إلى موقعه وتعدد شمس الدين التكريتي رسول الأشرف بينه وبين السلطان جلال الدين في الصلح بينهم ودخل فيه علاء الدين صاحب الروم وانعقد بينهم جميعاً وسلم لهم السلطان سر من رأى مع خلاط والله تعالى أعلم.

عود السلطان من بلاد الروم وزحف السلطان إلى أذريجان فحال قدر الله بيته وبين مراته وتقتل هناك سنة ثمان وعشرين.

بالذهب وشجرة من العود الهندي طرها خمسة أذرع وأربع عشرة خلعة نسوانية للخانات من خوالص الذهب وكنايس للخيل تقليدية.

## وصول التتر إلى أذريجان

كان التتر عندما ملكوا ما وراء النهر وزحفوا إلى خراسان فضعروا ملك بني خوارزم شاه وانتهوا إلى قاصية البلاد وخبروا ما مروا عليه واكتسحوا ونهبوا وقتلوا ثم استقر ملوكهم بما وراء النهر وعمروا تلك البلاد واحتطوا قرب خوارزم مدينة عظيمة تهوس منها وبقيت خراسان خالية واستبد بالمند فيها أمراء شبه الملوك يعطون الطاعة للسلطان جلال الدين لما جاء من الهند وإنفرد جلال الدين بملك العراق وفارس وكرمان وأذريجان وأران وما وراء ذلك وبقيت خراسان مجالات لغارات التتر وحرفهم ثم سارت طائفنة منهم ستة خمس وعشرين فكان بينهم وبين جلال الدين لما جاء من الهند المواقعة على أصفهان كما مر ثم كان بين جلال الدين وبين الأشرف صاحب الشام وعلاه الدين كيقاد صاحب الروم المواقعة سنة سبع وعشرين كما مر وأوهنت من جلال الدين وحلت عرى ملكه.

وكان علاء الدين مقدم الإماماعيلية في قلعة الموت فعاد جلال الدين لما اثنى في بلاده وقرر عليه وظائف الأموال فبعث إلى التتر بخبرهم بالهزيمة الكائنة عليه وأنها أوهته وبعثهم على قصده فساروا إلى أذريجان أول سنة ثمان وعشرين وبلغ الخبر إلى السلطان بسيرهم فبعث بورغر من أمرائه طليعة لاستكشاف خبرهم فلقي مقدمتهم فانهزم ولم ينج من أصحابه غيره وجاء بالخبر فرحل من تبريز إلى مرقان وخلف عياله بتبريز لنظر الوزير وأعجله الحال عن أن يبعثهم إلى بعض الحصون.

ثم ورد كتاب من حدود زنجان بأن المقدمة التي لقيها بوغر باهر أقاموا برج الخان وأنهم سبعمائة فارس فقط السلطان أنهم لا يباوزونها فسرى عنه ورحل إلى موئقان فقام بها ويعث في أحشاد العساكر الأميرين بغان شحنة خراسان وأوسماان بهلوان شحنة مازندران وشغل بالصيد وبينما هو كذلك كسه التتر بمكانه ونهبوا معسركه وخلص إلى نهر أوس.

ثم ورث بقصد كنجة وعطف إلى أذريجان فتذكر لماهان وكان عز الدين صاحب قلعة شاهن غاضباً منذ سنين لإغارة الوزير على بلده فلما نزل السلطان ماهان كان يخدمه بالمرة وبأخبار التتر ثم أندره آخر الشتاء بسير التتر إليه من أرجان وأشار عليه بالعود إلى أران لكنثة ما فيها من العساكر وأجناد

وللأماء ثلاثمائة خلعة لكل أمير خلعة قباء وكمة وللوزير عمامة سوداء وقباء وفرجية وسيف هندي وأكرتان من العنبر وخمسون ثوباً وبغلة ولاصحاب الديوان عشرون خلعة في كل خلعة جبة وعمامة وعشرون ثوباً أكثرها أطلس رومي ويندادي وعشرون بغلة شهباء ورفعت للسلطان خباء فدخلها ولبس الخلعتين وشفع الرسول في أهل خلاط فاعتذر له السلطان.

ومنها وصول هدية من صاحب الروم ثلاثون بغلة مجبلة بشاب الأطلس الخطاطي وفرو القندسي والسمور وثلاثون ملوكاً بالخيل والعدة ومائة فرس وخمسون بغلة ولها مروا بأذريجان اعتزضهم ركن الدين جهان شاه بن طغول صاحب أرزن وكان في طاعة الأشرف فامسك المدية عنده إلى أن وفد على السلطان بطاعة حاضرها.

ومنها أسار وزير المورخا جاء إلى الجبل المطل على قزوين لخساد الحشيش على عادته وكان السلطان قد تغير على علاء الدين صاحبهم بسبب أخيه غياث الدين وحاته بهم في الموت فصار مقطوع سارة إلى ذلك الجبل وأكمم لهم الوزير وبعث به إلى السلطان وهو يحاصر خلاط فحبسه بقلعة زمان وهلك لأشهر قلائل ثم بعث السلطان كاتبه محمد بن أحمد النسائي إلى علاء الدين صاحب قلعة الموت بطلب الخوارج وطلب الخطبة فاستمع منها أولاً واحتج عليه بان إباه جلال الدين الحسن خطب خوارزم شاه علاء الدين محمد بن تكش والد السلطان فأنكر والتزم أن يبعث إلى الديوان مائة ألف في كل سنة.

## وصول جهان بهلوان أزيك من الهند

كان السلطان لما فصل من الهند بقصد العراق واستخلف على البلاد التي ملكها هنالك جهان بهلوان أزيك فأقام هنالك إلى أن قصده عسكر شمس الدين ايتماش صاحب هلاون ففارق مكانه وسار إلى بلاد قشمير فراهمه وطردوه عن البلاد فقصد العراق وتختلف عنه أصحابه وعادوا إلى ايتماش وفيهم الحسن برلن اللقب رجاملك وكاتب جهان عليها ملك العراق بوصوله في سبعمائة فارس فأجاب الحسن رأى السلطان فيه ويعث إليه بعشرة آلاف دينار للنفقة ووصل توقيع السلطان بأن تحمل إليه عشرون ألفاً وأن يشتري بالغراء يستريح بها من التعب فصادف

بعث به. وكان الوزير مكرماً للعلماء والأدباء مواصلاً هم كلّه  
الخشية والبكاء متراضاً منبسطاً في العطاء حتى استغرق أموال  
الديوان لولا أن السلطان جذب من عيشه وكان فصيحاً في لغة  
الترك وكانت عمالة على التوقيع السلطانية: "الحمد لله العظيم"  
وعلى التوقيع الديوانية: "يعتمد ذلك" وعلى توقيعه إلى بلاده:  
أبو المكارم على بن أبي القاسم خالصه أمير المؤمنين:

ارتجاع السلطان كنجه

لما ثار أهل كنجه بالخوارزمية كان القائم بأمرهم رجل منهم اسمه بندر وبعث السلطان إليهم رسوله يدعوههم إلى الطاعة فوصلوا قريباً منه وأقاموا وخرج إليهم الرئيس جمال الدين القمي بأولاده وامتنع الباقون ثم وصل السلطان وردد إليهم فلم تغنم بورزوا بعض الأيام للقتال ورموا على خيمته فركب وحمل عليهم قاتلهموا وزدحروا في الباب فمنعهم الرحام من إغلاقه فاتتحم السلطان المدينة وقبض على ثلاثين من أهل الفتنة فقتلهم وجيء بيendar وكان بالغاً في الفساد وكسر سرير الملك الذي نصبه بها محمد بن ملك شاه ففشل به وفضل أعضاءه بين يديه وأقام السلطان بكنجة نحواً من شهر ثم سار إلى خلاط مستمدًا للأشرف فارتخل الأشرف إلى مصر وعمل بالموعيد ووصل السلطان في وجهه إلى قلعة شمس وبها أراك بن إيوان الكرجي فخرج وقبل الأرض على البعد ثم بعث إلى السلطان ما أمر به وبعث السلطان إلى جرانه من الملوك مثل صاحب حلب وأسد وماردين يستجدهم بعد يأسه من الأشرف وجرد عسكراً إلى خرت ببرت وملطية وأذربيجان فأغاروا في تلك التراحي واستقروا نعمها لما بين ملوكها كيقباد وبين الأشرف من الموالاة فاستوحش جميعهم من ذلك وقدموا عن نصرته والله تعالى ولـى التوفيق.

وأقعة التي علم السلطان بأمد ومهلكه

كان السلطان بلغه وهو مخلطاً أن التتر ساروا إليه فبعث  
السلطان الأمير أترخان في أربعة آلاف فارس طليعة فرجع وأخبر  
أن التتر رجعوا من حدود ملاذكرد وكان الأمراء أشاروا على  
السلطان الانتقال بديار بكر وينجرون إلى أصفهان ثم جاءه رسول  
صاحب آمد وزين له قصد الروم وأطعمه في الاستيلاء عليهما  
ليحصل بالقفقاس ويستظهر بهم على التتر وأنه يمده بنفسه في أربعة  
ألاف فارس وكان صاحب آمد يروم الانتقام من صاحب الروم  
عما ملك من قلائله فجتمع السلطان إلى كلاته وعدل عن أصفهان

التركمان متحصّنين بها فلما فارقها وكان الوزير فوق بيوت السلطان وخزانته في قلاع حسام الدين منهم: أرسلان كبير أمراء التركمان بارأن وكان قد عمر هنالك قلعة سنك سراخ من أحصن القلاع فأذل عياله بها وكان مستوحشًا من السلطان فجاهر بالعصيان.

وكانت وحشته من السلطان لأمور منها: تبذير أمواله في العطاء والنفقة، ومنها: أنه ظن أن السلطان مجفل إلى المهد فكاتب الأشرف صاحب الشام وكيفاد صاحب الروم فوعدهم من نفسه الطاعة وهمما عدوا السلطان ومنها: أنه كاتب قليح أرسلان التركمانى فامر بمحفظ حرם السلطان وخزانته ولا يسلّمها إليه ويبعث في الكتاب له والكباش قبله ليغزو الروم فلما مر السلطان بقلعته بعث إليه يستدعيه فوصل وحمل كفنه في يده فلاظمه السلطان وكابده فظنهها مخلصة فاطمان والله تعالى ولـ التوفيق.

استيلاء التز على تيريز وكنجه

ولما أجهل السلطان بعد الكبسة من موقعه إلى أران بلغ الخبر إلى أهل تبريز فثاروا بالخوارزمية وأرادوا قتلهم ووافتهم بهاء الدين محمد بن شير فارياك الوزير بعد الطغرائي وكان الطغرائي رئيس البلد كما فرنعهم من ذلك وعدوا على واحد من الخوارزمية وقتلوه فقتل به اثنين من العامة واجتهد في تحصين تبريز وحرستها وشحنتها بالرجال ولم تقطع كتبه عن السلطان ثم هلك فسلمها العوام إلى التتر ثم ثار أهل كنجه وسلموا بذلك للتتر وكذا أهل بيلغازة والله أعلم.

نكبة الوزير ومقتله

لما وصل السلطان إلى قلعة جاربرد بلغه استيحاش الوزير وخشى أن يفر إلى بعض الجهات فركب إلى القلعة موريا بالنظر في أحراها الوزير معه وأسر إلى والي القلعة أن يمسك الوزير ويقيده هنالك فعل ونزل السلطان فجمع ماليك الوزير وكبارهم الناصر قشتمر وضمهم إلى أوترخان ثم غي إلى والي القلعة أن السلطان مستبدل منه فاستوحش وبعث بخاتم الوزير إلى قشتمر كبير الماليك يقولون: نحن وصاحبكم متوازرون فمن أحب خدمته فالليات القلعة فسقط في يد السلطان وكان ابن الوالي في جنته وحاشيته فامر السلطان أن يكاتب ابنه ويعاتبه فعل وأجابه بالتنصل من ذلك فقال له السلطان: فليبعث إلى برأس الوزير

ولما وصل من الهند كاتبه الخليفة الجناب الرفيع الخاقاني نطلب الخطاب بالسلطان فأجيب بأنه لم تجر به عادة مع أكابر الملوك فالح في ذلك حين حللت له الخلع فخوطب بالجناب العالى الشاهنشاهى ثم اتشر التتر بعد هذه الواقعة فى سواد آمد وارزن وميافارقين وسائر ديار بكر فاكتسحوها وخربوها وملکوا مدينة اسرعد عنوة فاستباحوها بعد حصار خمسة أيام ومرروا عبارتين فاستنعت ثم وصلوا إلى نصبين فاكتسحوا نواحيها ثم إلى سنجار وجبلها والخابور ثم ساروا إلى تدليس فاحرقوها ثم إلى أعمال خلط فاستباحوا أياكري وارتبيس.

وجاءت طائفة أخرى من أذربيجان إلى أعمال إربيل ومرروا في طريقهم بالتركمان والأكراد الجوزقان فنهبوا وقتلوا وخرج مظفر الدين صاحب إربيل بعد أن استمد صاحب الموصل فلم يدركهم وعادوا ويفيت البلاد قاعاً صفصفاً والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

وافتقر عسكر جلال الدين منكيرس وساروا إلى كيقاد ملك الروم فأثبتم في ديوانه واستخدمهم ثم هلك سنة أربع وثلاثين وولي ابنه غيث الدين كنخسرو فارتبا بهم وبقض على كيبرهم وضر الباقون واكتسحوا ما مرروا به وأقاموا مستبدلين بأطراف البلاد ثم استمامم الصالح نجم الدين أيسوب بن الكامل وكان ثانياً لأبيه بالبلاد الشرقية حران وكيفاً وأمد واستاذن أباء في استخدامهم فأذن له كما يأتي في أخباره والله سبحانه وتعالى ولـي التوفيق عنه وفضله.

## الخبر عن دولة بنى تشن بن ألب أرسلان بلاد الشام دمشق وحلب وأعمالهما

### وكيف تناولوا فيها القيام بالدعوة العباسية والدعوة العلوية حين انقرض أمرهم

قد تقدم لنا استيلاء السلاجوقية على الشام لأول دولتهم وكيف سار أتىز بن أرتق الخوارزمي من أمراء السلطان ملك شاه إلى فلسطين ففتح الرملة وبيت المقدس وأقام فيما الدعوة العباسية ومحا الدعوة العلوية ثم حاصر دمشق وذلك سنة ثلاث وستين وأربعين سنة ثم أقام يردد الحصار على دمشق حتى ملکها ستة نمان وستين وسار إلى مصر سنة تسعة وستين وحاصروها وعاد عنها وولي السلطان ملك شاه بعد أبيه ألب أرسلان سنة خمس وستين فانتفع أخاه تشن بلاد الشام وما يفتحه من تلك

إلى أمد فنزل بها ويعث إلى التركمان بالتنبر وأنهم رأوا نيران التتر بالتلذل الذي كانوا به أمس فاتهم خبرهم وصيحة التتر على أمد وأحاطوا بميمته قبل أن يركب فحمل عليهم أوترخان حتى كشفهم عن الحركات.

وركب السلطان وركض وأسلم زوجته بنت الأتابك سعد إلى أمريرين يحملانها إلى حيث تنتهي الحفلة ثم رد أوترخان والعساكر عنه ليتواري بانفراد عن عين العدو وسار أوترخان في أربعة آلاف فارس فخلص إلى أصفهان واستولى عليها إلى أن ملکها التتر عليه سنة تسعه وثلاثين وذهب السلطان مستخفياً إلى باشورة آمد والناس يظنون أن عسكره غدروا به فرقعوا يردونهم فذهب إلى حدود الدربيادات وقد ملئت المضايق بالمسدسين فأشار عليه أوترخان بالرجوع فرجع وانتهى إلى قرية من قرى ميافارقين فنزل في بيدها وفارقه أوترخان إلى شهاب الدين غازى صاحب حلب لمكاتبات كانت بينهما فحبسه.

ثم طلب الكامل فبعث إليه محبوساً ثم سقط من سطح فمات وهجم التتر على السلطان باليد فهرب وقتل الذين كانوا معه وأخرب التتر أنه السلطان فاتبعوه وأدركه اثنان منهم فقتلهم ويش منه الباقون فرجعوا عنه وصعد جبل الأكراد فوجدهم متربدين في الطرق للنهب فسلبوه وهموا بقتله وأسر إلى بعضهم أنه السلطان فمضى به إلى بيته ليخلصه إلى بعض التواحي ودخل البيت في غيه بعض سلفائهم وبيده حرية وهو يطلب الشار من الخوارزمية باخ له قتل بخلاف قتله ولم يغرن عنه اليت وكانت الواقعة متتصف شوال سنة ثمان وعشرين هذه سيادة الخبر من كتاب النسائي كاتب السلطان جلال الدين وأما ابن الأثير فذكر الواقعه وأنه فقد فيها ويقرأ أياماً في انتظار خبره ولم يذكر مقتله وانتهى به التأليف ولم يزد على ذلك.

قال النسائي: وكان السلطان جلال الدين أسمراً قصيراً تركياً شجاعاً حليماً وقرراً لا يضحك إلا تبسمًا ولا يكشر الكلام مؤثراً للعدل إلا أنه مغلوب من أجل الفتنة وكان يكتب للخليفة والوشة قائمة بينهما كما كان أبوه يكتب خادمه المطواط فلان فلما بعث إليه بالخلع عن خلافه كما سر كتب إليه عبده فلان والخطاب بعد ذلك سيدنا ومولانا أمير المؤمنين وإمام المسلمين العلیاً ابن لؤي بن غالب ويكتب للملك الروم ومصر والشام السلطان فلان بن فلان ليس معها أخوة ولا عببة وعلامته على توافقه: النصرة من الله وحده وعلامته لصاحب الموصل بحسن خط وشق القلم شيئاً ليغليظ.

وعاد تشن منهزاً إلى الشام وجمع العساكر واستوعب في  
الحشد وسار إلى أفسقرا في حلب فierz إليه ومعه بوزان صاحب  
الرها وكريقا الذي ملك الموصل فيما بعد ولقيهم تشن على ستة  
فراخ من حلب فانهزموا وجيء بهم أفسقرا أسيراً فقتله صبراً ولحق  
كريقا وبوزان بملعب فحاصرها تشن وملكتها وأخذهما أسرى  
وبعث إلى حران والرها في الطاعة فامتنعوا فقتل بوزان وملكتهما  
وحبس كريقا بمحمص ثم سار إلى الجزيرة فملكتها جميعاً ثم إلى  
ديار بكر وخلط ثم أذربيجان ثم همدان وبعث إلى بغداد في  
الخطبة وكان بركيارق يومئذ بنصيبيين عبر دجلة إلى إربيل ثم منها  
إلى بلد سرخاب بن بدر وسار الأمير يعقوب بن أرتق من عسكر  
تش فكبسه وهزمه ونجا إلى أصفهان فكان من خبره ما تقدم  
وبعث تشن يوسف بن أرتق التركمانى شحنة إلى بغداد فمنع منها  
فusat في نواحيها ثم بلغه مهلك تشن فعاد إلى حلب وهذه  
الأخبار كلها قد تقدمت في أول دولة السلجوقية وإنما ذكرناها هنا  
بتوطنة للدولة بني تشن بدمشق وحلب والله أعلم.

مقدمة

ولما انهزم برکيارق أمام عمه تشن لحق بأصبهان وبها محمود وأهل دولته فأدخلوه وتشاوروا في قتله ثم أبقوه إلى إيلال محمود من مرضه فقدر هلاك محمود وبايعوا لبركيارق فبادر إلى أصفهان وقدم أميراً آخر بين يديه لإعداد الزاد والعلوفة وسار هو إلى أصفهان ورجع تشن إلى الري وأرسل إلى الأمراء بأصفهان يدعوهم فلرغمهم فأجابوه باستثناء أمر بركيارق ثم أبل بركيارق من مرضه وسار في العساكر إلى الري فانهزم تشن وانهزم عمسكره وثبت هو قتله بعض أصحاب أقتصر بثار صاحبه واستقام الأمر لبركيارق والله تعالى أعلم.

استیلاء رضوان بن تتش علی حلب

كان تشن لما انفصل من حلب استخلف عليها أبو القاسم  
الحسن بن علي الحوارزمي وأمكنته من القلعة ثم أوصى أصحابه  
قبل المصاف بطاعة ابنه رضوان وكتب إليه بالمسير إلى بغداد وتزول  
دار السلطنة فسار لذلك وسار معه أبو الغازى بن أرتق وكان أبوه  
تش تركه عنده وسار معه ومحمد بن صالح بن مرداش  
وغيرهما وبقيه مقتل أبيه عند هيت فعاد إلى حلب وعمه الأميران

النواحي سنة سبعين وأربعين فسار إلى حلب وحاصرها وكان أمير الجيوش بدر الجمالي قد بعث العساكر لمحاصر دمشق وبها أنسز ببعث بالصريح إلى تاج الدولة شيش فسار لنصرته وأجفلت عساكر مصر وخرج أنسز لتلقىه فتعلل عليه بيشه عن تلقيه وقتلته واستول على دمشق وقد تقدم ذلك كلـه.

ثم استولى سليمان بن قطلمش على أنطاكية وقتل سليم بن فريش وسار إلى حلب فملكها وسمع بذلك تشن فسار إليها وأقتلا سنة تسع وسبعين وقتل سليمان بن قطلمش في الحرب وسار السلطان ملك شاه إلى حلب فملكها وولى عليها قسيم الدولة أقسندر جد نور الدين العادل ثم جاء السلطان إلى بغداد سنة أربع وثمانين وسار إليه آخره تاج الدين تشن من دمشق وقسم الدولة أقسندر صاحب حلب وبوزان صاحب الراها وحضرروا معه صنيع المولد النبوى ببغداد فلما وعدوه العود إلى بلدهم أمر قسم الدولة وبوزان بأن يسيروا بعسكرهما مع تاج الدولة تشن لفتح البلاد بساحل الشام وفتح مصر من بد المستنصر المعلى وعبر الدولة العلوية منها فساروا لذلك.

وملك تشن حصن من يد ابن ملاعيب وغزة عنوة وأماسية  
من يد خادم العلوى بالأمان وحاصر طرابلس وبها جلال الدين  
بن عمار ف الداخل قسيم الدولة أقسنت وصانعه بالمال في ان ينفع له  
عند تشن فلم يشفعه فرحل مغاضباً وأجلفوا إلى جبلة وانتقض  
أمرهم وهلك السلطان ملك شاه سنته خمس وثمانين بغداد وقد  
كان سار إلى بغداد وسار تشن آخره من دمشق للقاءه وبلغه في  
طريقه خبر وفاته وتنازع ولده محمود ويركيارق الملك فأعتزم على  
طلب الأمر لنفسه ورجع إلى دمشق فجمع المساكير وقسم العطاء  
وسار إلى حلب فأعطيه أقصنقر الطاعة لصغر أولاده ملك شاه  
والتابع الذي بينهم وحمل صاحب أنطاكية ويزان صاحب الرها  
وحران على طاعته.

وساروا جميعاً في محرم سنة ست وثمانين فحاصرروا الرجبة  
وملوكها وخطب فيها تشن لنفسه ثم ملك نصيبيين عنزة  
وابستاحها وأقطفها محمد بن مسلم بن قريش ثم سار إلى الموصل  
وبها إبراهيم بن قريش بن بدران وبعث إليه في الخطبة على منابرها  
فامتنع ويرز لقائها في ثلاثين ألفاً وكان تتش في عشرة آلاف والتقو  
بالتضييع من نواحي الموصل فانهزم إبراهيم وقتل واستبيحت أحياء  
العرب وقتل أمراؤهم وأرسل إلى بغداد في طلب الخطبة فلم  
يسعد إلا بال وعد ثم سار إلى ديار بكر فملكتها في ربى الآخر  
وسار منه إلى آذربيجان وكان بر كيارق بن ملك شاه قد استولى  
على الري وهيمنا وكثير من بلاد الجبل فسار في العساكر لمدافعته

ثم لحق بأخيه وحضر معه الواقعة التي قتل فيها ولما قتل تشن أبوه سار به مولاه تكين إلى حلب فاتقام عند أخيه رضوان وكان بقلعة من قلاعها ساوتكن الحادم من موالى تشن ولاه عليها قبل موته فبعث إلى دفاق يستدعيه للملك فسار إليه وبعث رضوان في طلبه فلم يدركه ووصل دمشق وكتب إليه باغيسيان صاحب أنطاكية يشير عليه بالاستبداد بدمشق على أخيه رضوان ووصل معتمد الدولة طفتكن مع جماعة من خواص تشن وكان قد حضر المعركة وأسر فخلص الآن من الأسار وجاء إلى دمشق فلقى دفاق ومال إليه وحكمه في أمره ودخله في مثل ساوتكن الحادم فقتلوه ووفد عليهم باغيسيان من أنطاكية ومعه أبو القاسم الخوارزمي فأكملوه واستوزر الخوارزمي وحكمه في دولته.

### الفترة بين دفاق وأخيه رضوان

ثم سار رضوان إلى دمشق سنة تسعين وأربعين قاصداً انتزاعها من يد دفاق فامتنعت عليه فعاد إلى ماله وقصد السورس فامتنعت عليه فعاد إلى حلب وفارقه باغيسيان صاحب أنطاكية إلى أخيه دفاق وحضر على المسير إلى أخيه محلب فسار لذلك واستدرج رضوان سكمان من سروج في أيام من التركمان ثم كان اللقاء بقنسرين فانهزمت عساكر دفاق ونهب سوادهم وعد رضوان إلى حلب ثم سعى بينهما في الصلح على أن يخطب لرضوان بدمشق وأنطاكية قبل دفاق فانعقد ذلك بينهما ثم لحق جناح الدولة بمصص عندما عظمت فيه سعاية الجن كما ذكرناه وكان باغيسيان منافقاً له فلما فصل من حلب جاء باغيسيان إلى رضوان وصالحه ثم بعث إلى رضوان المستعلي خليفة العلوين بمصر يده بالإمداد على أخيه على أن يخطب له على منابره وزين له بعض أصحابه صحة مذهبهم فخطب له في جميع أعماله سوى أنطاكية والمعرفة وقلعة حلب ثم وفدى عليه بعد شهرين من هذه الخطبة سكمان بن أرتق صاحب سروج وباغيسيان صاحب أنطاكية فلم يقم بها غير ثلاثة حتى وصل الفرج فحاصره وغلبوا على أنطاكية وقتلوا كما مر في خبره.

### استيلاء دفاق على الرحبة

كانت الرحبة يد كربلاً صاحب الموصى فلما قتل كما مر في خبره استول عليها قاتل من موالى السلطان ألب أرسلان فسار دفاق بن تشن ملك دمشق وأتابكه طغرkin إليها سنة خمس وستين وحاصروها فامتنعت عليهم فعادوا عنها وتزوج قاتل

الصغريان أبو طالب وبهرام وأمه وزوجها جناح الدولة الحسن بن افتكتين ولحق بهم من المعركة فلما انتهوا إلى حلب امتنع أبو القاسم بالقلعة ومعه جماعة من المغاربة وهو أكثر جندها فاستعملهم جناح الدولة فثاروا بالقلعة من الليل ونادوا بشعار الملك رضوان واحتاطوا على أبي القاسم فبعث إليه رضوان بالأمان وخطب له على منابر حلب وأعمالها وقام بتدبير دولته جناح الدولة وأحسن السيرة.

وتحالف عليهم الأمير باغيسيان بن محمد بن أبي التركمان صاحب أنطاكية ثم أطاع وأشار على رضوان بقصد ديار بكر وسار معه لذلك وجاهم أمراء الأطراف الذين كان تشن رأسهم فيها وقصدوا سروج فسبقهم إليها سلمان بن أرتق وملكلها فسروا فتحصن بالقلعة وداعفهم ثم غلبوه عليها وملكلها رضوان وطلبها منه باغيسيان وخشي جناح الدولة على نفسه فلحق محلب ورجع رضوان والأمراء على أثره فسار باغيسيان فاقطتها له ثم سار إلى حران وأميرها قراجاً فدس عليهم بعض أهلها بالطاعة واتهم قراجاً بذلك ابن المعني من أعيانها كان تشن يعتمد عليه في حفظ البلد فقتله وقتل بي أخيه ثم فسد ما بين جناح الدولة وباغيسيان وخشي جناح الدولة على نفسه فلحق محلب ورجع رضوان والأمراء على أثره فسار باغيسيان إلى بلده أنطاكية وسار معه أبو القاسم الخوارزمي ودخل رضوان إلى حلب دار ملوكه وكان من أهل دولته يوسف بن أرتق الخوارزمي الذي بعثه تشن إلى بغداد شحنة وكان من الفتياً محلب وكان متبعاً وكان يعادى يوسف بن أرتق فجاء إلى جناح الدولة القائم بأمر رضوان ورمى يوسف بن أرتق عنده بأنه يكاتب باغيسيان ويداخله في الثورة واستاذنه في قتله فاذن له وأمده بجماعة من الجند وكبس يوسف في داره فقتله ونهب فيها واستطاع على الدولة وطبع في الاستبداد على رضوان ودس جناب الدولة أن رضوان أمره بقتله فهرب إلى حمص وكانت أقطاعاً له واستبد على رضوان ثم تذكر له رضوان سنة تسع وثمانين وأمر بالقبض عليه فاخفي ونهبت دوره وأمواله ودوابه ثم قبض عليه فامتحن وقتل هو وأولاده.

### استيلاء دفاق بن تشن على دمشق

كان تشن قد بعث ابنه دفاقاً إلى أخيه السلطان ملك شاه ببغداد فأقام هنالك إلى أن توفي ملك شاه فسار معه ابنه محمود وأمه خاتون الجلالية إلى أصفهان ثم ذهب عنهم سراً إلى بر كيارق

واستدعي الأمراء من التواхи لذلك فجاهه أبي الغازى بن أرتق الذي كان شحنة بيغداد وأصحابه وصباوو وألي بن أرسلان ماش صاحب سنجار وهو صهر جكرمش صاحب الموصل وأشار أبو الغازى بالمسير إلى بلاد جكرمش للاستكثار بعسكتها وأموالها ووافقه إلى وساروا إلى نصبيين في رمضان سنة تسع وتسعين وأربعين فحاصرهما وفيها أمiran من قبل جكرمش وأشار المخار وجرح أبي بن أرسلان بهم أصحابه فعاد إلى سنجار وأجلل أهل السواد إلى الموصل وعسكتها بظاهرها معتمداً على الخبر ثم كاتب أعيان العسكر وحثهم على رضوان وأمر أصحابه بتصيين باطهار طاعته وطلب الصلح معه وبعد إلى رضوان بذلك والإمداد بما يشاؤه على أن يقبض على أبي الغازى فخبره فما إلى ذلك واستدعي أبو الغازى أن المصلحة في صلح جكرمش ليستعينوا به في غزو الفرنج وجع شمل المسلمين فجاوبه أبو الغازى بالمنع من ذلك

ثم قبض عليه وقيده فانتقض التركمان وجلأوا إلى سور المدينة وقاتلوا رضوان وبعد رضوان بأبي الغازى إلى نصبيين فخرجت منها العساكر الإمداد فافتراق منها التركمان ونهبوا ما قدروا عليه ورحل رضوان من وقته إلى حلب وانتهى الخبر إلى جكرمش بتل أ Gund و هو قاصد حرب القوم فرحل عنده ذلك إلى سنجار وبعد إليه رضوان في الوفاء بما وعده من النجدة فلم يف له ونزل صهوة أبي بن أرسلان بسنجار وهو جريح من السهم الذي أصابه على نصبيين فخرج إليه أبي محمولاً واعتذر إليه فأعتبه وأعاده إلى بلده فمات وامتنع أصحابه بسنجار رمضان وشوالاً ثم خرج إليه عم أبي صالح جكرمش وعد إلى الموصل والله سبحانه وتعالى ولِي التوفيق.

### استيلاء الفرنج على أقامية

كان خلف بن ملاعيب الكلابي في حصن وملكتها منه تاج الدولة تشن فسار إلى مصر وأقام ثم بعث صاحب أقامية من جهة رضوان بن تشن بطاشه إلى صاحب العلوى بفتح إليها ابن ملاعيب وملكها وخلع طاعة العلوى وأقام بخيف السبيل كما كان في حصن فلما ملك الإفرنج سرمين لحق به قاضيها وكان على مذهب الرافضة نكتب إلى ابن الطاهر الصانع من أكابر الغلة ومن أصحاب رضوان وداخلهم في الفتنة بين ملاعيب وغير الخبر إليه من أولاده فحلف له القاضي بما اطمأن إليه وتخيّل مع ابن الصانع في جند من قبلهم يستأمنون إلى ابن ملاعيب وبعطونه

صاحبها في صفر سنة ست وتسعين وقام بأمرها حسن من موالى الأتراك فطبع في الاستبداد وقتل جماعة من أعيان البلد وجيبي آخرين واستخدم جماعة من الجندي وطرد آخرين وخطب لنفسه فesar دقاق إلى وحاصره في القلعة حتى استأمن وخرج إليه وأقطعه بالشام اقطاعات كثيرة وملك الرحبة وأحسن إلى أهله وول عليهم ورجع إلى دمشق والله سبحانه وتعالى ولِي التوفيق لا رب غرة.

### وفاة دقاق وولادة أخيه تلتاش ثم خلعه

ثم توفي دقاق صاحب دمشق سنة سبع وتسعين واستقل أباكه طغرkin بالملك وخطب لنفسه سنة ثم قطع خطبته وخطب تلتاش أخي دقاق صبياً مراهقاً وخرقه أنه من طغرkin زوجه أم دقاق وأنه يميل إلى ابن دقاق من أجل جدته فاستوحش وفارق دمشق إلى بعلبك في صفر سنة ثمان وتسعين ولله أيتكين الحلى صاحب بصرى وكان من حسن له بذلك فعاث في تواحي خوارزم ولحق به أهل الفساد وراسلا هدوبل ملك الفرنج فأجاهاهما بالوعد ولم يوف لهما فesar إلى الرحبة واستول عليها تلتاش وقيل: إن تلتاش لما استوحش منه طغرkin من دخول البلد مضى إلى حصنون له وأقام بها ونصب طغرkin الطفل ابن دقاق وخطب له واستبد عليه وأحسن إلى الناس واستقام أمره والله تعالى ولِي التوفيق وهو نعم الرفيق.

### الحرب بين طغرkin والفرنج أشهرًا

كان قمص من قمامصة الفرنج على مرحلتين من دمشق فلتج بالغارات على دمشق فجمع طغرkin العساكر وسار إليه وجاء معرون ملك القدس وعكا من الفرنج يخجلا القمص فاظهر الذنبية عليه وعاد إلى عكا وقاتل طغرkin القمص فهزمه وأحجزه بهصنه ثم حاصره حتى تملأ الحصن عنوة وقتل أهله وأسر جاعته وعاد إلى دمشق ظافراً غائماً ثم سار إلى حصن رمسة من حصنون الشام وقد ملكه الفرنج وبه ابن أخت سعيل المقيم على طرابلس يحاصرها فحاصر طغرkin حصن رمسة حتى ملكه وقتل أهله من الفرنج وخرقه والله أعلم.

### مسير رضوان صاحب حلب لحصار نصبيين

ثم إن رضوان صاحب حلب اعتمد على غزو الفرنج

غزة في شعبان من السنة وكان نيدغ مولى القاضي فخر الملك ثم علي بن عمار صاحب طرابلس فعصى عليه وحاصره الإفرنج وانقطعت عنه الميرة فأرسل إلى طغرkin صاحب دمشق أن يمكنه من الحصن فأرسل إليه إسرائيل من أصحابه فملك الحصن وقتل أصحابه مولى بن عمار غيلة ليستأثر بعখله فانتظر طغرkin دخول الشتاء وسار إلى الحصن لينظر في أمره وكان السرداي من الإفرنج يحاصر طرابلس فلما سمع بوصول طغرkin حصن الأكمة أغذ السير إليه فهزمه وغنم سواده ولحق طغرkin محمص ونازل السرداي غزه فاستأمنوا إليه وملكلها وقض على إسرائيل فادي به أسرى كان لهم بدمشق منذ سبع سنين ووصل طغرkin إلى دمشق ثم قصد ملك الإفرنج رمة من أعمال دمشق فملكها وشحنتها بالأقوات والخامية فقصدتها طغرkin بعد أن غي إلى الخبر بضعف الخامية الذين بها فنكبسها عنوة وأسر الإفرنج الذين بها والله سبحانه وتعالى أعلم.

### انتفاض طغرkin على السلطان محمد

كان السلطان محمد بن ملك شاه قد أمر مودود بن بوشكين صاحب الموصل بالسير لغزو الإفرنج لأن ملك القدس تابع الغارات على دمشق سنة ست وخمسين واستنصرخ طغرkin بمودود فجتمع العساكر وسار سنة تسعة ولقيه طغرkin بسهلة وقدصدا القدس واتهوا إلى الأخوانة على الأردن وجاء بعديون فنزل قبلتهم على النهر ومعه جوسكين صاحب جيشه واقتلوه متصرف حرم سنة عشر على بحيرة طبرية فانهزم الإفرنج وقتل منهم كثير وغرق كثير في بحيرة طبرية ونهر الأردن ولقيتهم عساكر طرابلس وأنطاكية فاشتدوا وأقاموا بجبل قرب طبرية وحاصرهم المسلمين فيه ثم ينسوا من الظفر به فساحروا في بلادهم واكتسحوها وخربوها ونزلوا مرج الصفر وأذن مودود للعساكر في العود والراحة ليتهياوا للغزو.

وسلخ الشتاء ودخل دمشق آخر ربيع من سنة ... ليعيم عند طغرkin تلك المدة وصلى معه أول جمعة وونب عليه باطني بعد الصلاة فطعنه ومات آخر يومه.

واثئم طغرkin بقتله وولي السلطان مكانه على الموصل اقسى البرستي فقبض على أياز بن أبي الغازى وأبيه صاحب حصن كيما فسار بنو أرتق إلى البرستي وهزموا وتخلص أياز من أسره فلحق أبو الغازى أبوه بـ طغرkin صاحب دمشق وأقام عنده وكان مسترثحاً من السلطان محمد لاتهامه بقتل مودود فبعث إلى

خيالهم وسلامتهم ويقيمون للجهاد معه ففعلوا وأنظموا بربض أقامية ثم بيته القاضي ليلاً معه من أهل سرمين ورفع أولشك الجندي من الريض بالحجال وقتلوا ابن ملاعيب في بيته وقتلوا معه ابنه وفر الآخر إلى أبي الحسن بن منقد صاحب شيزر.

وجاء الصانع من حلب إلى القاضي فطرده واستبد بأقامية وكان بعض أولاد ابن ملاعيب عند طغرkin ووالاه حمبة بعض الحصون فعظم ضرره فطلب طغرkin فهرب إلى الإفرنج وأغراهم بأقامية ودلم على عورتها وعدم الأقرات فيها فحاصروها شهراً وملکرها عنوة وقتلوا القاضي والصانع وذلك سنة تسعة وسبعين وقد ذكرنا قبل أن الصانع قتل ابن بديع أيام تتش صاحب حلب إثر مهلك رضوان فالله أعلم أيهما الصحيح ثم ملك صاحب أنطاكية من الإفرنج حصن الإمارة بعد حصار طويل فملكه عنوة واستلحام أهله وفعل في ذريته مثل ذلك ورحل أهل منبج وبالياس وترکوهما خاوين وملکروا حيد بالأمان وطلب الفرنج من أهل الحصون الإسلامية الجزرية فأعطوه ذلك على ضريبة فرضوها عليهم فكان على رضوان في حلب وأعمالها ثلاثون ألف دينار وعلى صور سبعة آلاف وعلى ابن منقد في شيزر أربعة آلاف وعلى حماة الفاً دينار وذلك سنة خمس وخمسين.

### استيلاء طغرkin على بصرى

قد تقدم لنا سنة سبع وسبعين حال تلناش بن تتش والخطبة له بعد أخيه دقاق وخروجه من دمشق واستتجاده الفرنج وأن الذي تولى كبر ذلك كله أسكن الحملبي صاحب بصرى فسار طغرkin آخر المائة الخامسة إلى بصرى وحاصرها حتى أذعنوا وضرروا له أجيلاً للفرنج فعاد إلى دمشق حتى انقضى الأجل فآتوه طاعتهم وملك البلد وأحسن إليهم والله تعالى ولـي التوفيق لا رب غيره.

### غزو طغرkin وهزيمته

ثم سار طغرkin سنة اثنين وخمسين إلى طبرية ووصل إليها ابن أخت بعديون ملك القدس من الفرنج فاقتلاوا فانهزم المسلمون أولاً فنزل طغرkin ونادى بالمسلمين فكرروا وانهزم الفرنج وأسر ابن أخت بعديون وعرض طغرkin عليه الإسلام فامتنع فقتلـه بيده ويعـث بالأسرى إلى بغداد ثم انعقد الصلـح بين طغرkin وبعديـون بعد أربع سنـين وسار بعـدها طغرkin إلى حـصن

## مملك لولو الخادم واستيلاء أبي الغازى ثم مقتل ألب أرسلان وولاية أخيه سلطان شاه

كان لولو الخادم قد استولى على قلعة حلب وولي أتابكية ألب أرسلان ابن مولاه رضوان ثم تذكر له فقتله لولو ونصب في الملك أخاه سلطان شاه واستبد عليه فلما كان سنة إحدى عشرة سار إلى قلعة جعفر للجتماع بصالحها سالم بن مالك فغدر به ماليكه الأتراك وقتلوه عند خربت وأخذوا خزانته واعتبرتهم أهل حلب فاستعادوا منهم ما أخذوه وولي أتابكية سلطان شاه بن رضوان شمس المخصوص بارقياس وعزل لشهر وولي بعده أبو المعالى بن الملحي الدمشقى ثم عزل وصودر واضطربت الدولة وخاف أهل حلب من الإفرنج فاستعدوا أبا الغازى بن أرتق وحكومه على أنفسهم ولم يجد فيها سالاً فصادروا جماعة الخدم وصانع بمالهم الإفرنج حتى صار إلى ماردين بنتبة العود إلى حاليتها واستخلف عليها ابنه حسام الدين تمرتاش وافتراض ملك رضوان بن تشن من حلب والله سبحانه وتعالى أعلم.

## هزيمة طغركين أمام الإفرنج

كان ملك الإفرنج بندوين صاحب القدس قد توفي سنة اثنى عشرة وقام بملكهم بعده القمىص صاحب الرها الذي كان أسره جكرمن وأطلقه جاولى كما تقدم في أخبارهم وبعث إلى طغركين في المهاذنة وكان قد سار من دمشق لغزوهم فأبى من إجابتة وسار إلى طبرية فنهبها واجتمع بقواد المصريين في عسقلان وقد أمرهم صاحبهم بالرجوع إلى رأي طغركين ثم عاد إلى دمشق وقصد الإفرنج حصنًا من أعماله فاستأنفوا عليهم أهله وملكته ثم قصدوا أذرعات فبعث طغركين ابنه بوري لدعاوتهم فتحروا عن أذرعات إلى جبل هناك وحاصرهم بوري وجاء إليه أبو طغركين فراسله ليفرج عنهم فأبى طمعاً في أخذهم فاستمروا وحملوا على المسلمين حلة صادقة فهزموهم ونالوا منهم ورجع الفل إلى دمشق وسار طغركين إلى أبي الغازى بحلب يستتجده فوعده بالجلدة وسار إلى ماردين للحشد ورجع طغركين إلى دمشق كذلك وتبعاً إلى ماردين للighbال وسيق الإفرنج إلى حلب وكان بينه وبين أبي الغازى ما تذكره في موضعه من دولة بي أرتق والله سبحانه وتعالى ول التوفيق لا رب غيره.

صاحب أنطاكية من الفرنج ومخالفوا على المظاهره وقصد أبو الغازى ديار بكر فظفر به قيرجان بن قراجا صاحب حصن وأسره وجاء طغركين لاستتفاده فحلف قيرجان ليقتلته إن لم يرجع طغركين إلى بلاده وانتظر وصول العساكر من بغداد تحمله فابطات فاجاب طغركين إلى إطلاقه.

ثم بعث السلطان محمد بالعساكر بلهاد الإفرنج والبداوة بقتال طغركين وأبي الغازى فساروا في رمضان سنة ثمان وخمسة ومقدمتهم برسن بن برسن صاحب همدان واتهوا إلى حلب وبعثوا إلى متولتها لولو الخادم ومقدم عسکرها شمس المخصوص بأمر ونهما بالنزول عنها وعرضوا عليهما كتب السلطان بذلك فدافعا بال وعد واستحقا طغركين وأبا الغازى في الوصول فوصلوا في العساكر وامتنعت حلب على العساكر وأنهروا الصيان فسار برسن إلى حماة وهي لطغركين فملكتها عنزة ونهما ثلاثة وأسلهما الأمير قيرجان صاحب حصن الصلح وكان جميع ما يفتحه من البلاد له بأمر السلطان فانتقض الأمراء من ذلك وكسلوا عن الغزو وسار أبو الغازى وطغركين وشمس المخصوص إلى أنطاكيه يستجدون صاحبها دجبل من الإفرنج ثم توادعوا إلى انتقام الشتاء ورجع أبو الغازى إلى ماردين وطغركين إلى دمشق ثم كان في أثر ذلك هزيمة المسلمين واستشهد برسن وأخوه زنكى وقد تقدم خبر هذه الهزيمة في أخبار البرسى ثم قدم السلطان محمد ببغداد فرفد عليه أتابك طغركين صاحب دمشق في ذي القعدة من سنة تسع مستعيناً فاعانه وأعاده إلى بلده والله سبحانه وتعالى أعلم.

## وفاة رضوان بن تشن صاحب حلب وولاية ابنه ألب أرسلان

ثم توفي رضوان بن تشن صاحب حلب سنة تسع وخمسة وقد كان قتل آخره أبا طالب وبهرام وكان يستعين بالباطنية في أمره ويداخليهم ولما توفي بايع مولاه لولو الخادم لابنه ألب أرسلان صبياً مقتلماً وكانت في لسانه حسنة فكان يلقب الآخرين وكان لولو مستبدًا عليه ولأول ملكه قتل آخره وكل ملك شاه منهما شقيقه وكانت الباطنية كثيراً في حلب في أيام رضوان حتى خافهم ابن بدیع وأعيانها فلما توفي أذن لهم ألب أرسلان في الإيقاع بهم فقضوا على مقدمهم ابن طاهر الصانع وجماعة من أصحابهم فقتلواهم وافتلق الباقيون.

## منازلة الإفرنج دمشق

وبلغ الخبر إلى الإفرنج فأجفلوا منهزمين وأحرقوا مخلفهم واتبعهم المسلمين يقتلون ويأسرون والله تعالى ولل توفيق.

### أسر تاج الملك لدبيس بن صدقة وذكرين عماد الدين زنكي منه

كان بصرحد من أرض الشام أميراً عليها فتوفي سنة خمسة وعشرين وخلف سريته واستولت على القلعة وعلمت أنه لا يتم لها واستيلاؤها إلا بتزويج رجل من أهل العصابة فوصف لها دبيس فكتبت إليه تستدعيه وهو على البصرة متابعاً للسلطان عندما رجع من عند سنجر فأخذ الأدلة وسار إلى بصرحد فضل به الدليل بنزاحي دمشق ونزل على قوم منبني كلام شرقي الغورطة فحملوه إلى تاج الملك فحبسه وبعث به إلى عماد الدين زنكي يستدعيه وينهده على منعه وأطلق سريح بن تاج الملوك والأمراء الذين كانوا مأسورين معه فبعث تاج الملك بدبيس إليه وأشارق على نفسه فلما وصل إلى زنكي خالف ظنه وأحسن إليه وسد خلته وبسط أمره وبعث فيه المسترشد أيضاً يطلب وجاء ثابت الأبياري وسم في طريقه بياحسان زنكي إليه فرجع ثم أرسل المسترشد يشفع فيه فاطلق.

### وفاة تاج الملوك بوري صاحب دمشق ولاية ابنه شمس الملك إسماعيل

كان تاج الملوك بوري قد ثار به جماعة من الباطنية سنة خمسة وعشرين وطنوه فأصابته جراحة واندملت ثم انتقضت عليه في رجب من سنة ست وعشرين لأربع سنين ونصف من إمارته وولي بعده ابنه شمس الملك إسماعيل بعدهه إليه بذلك وكان عهد بمدينة بعلبك وأعمالها لابنه الآخر شمس الدولة وقام بتدبر أمره الحاجب يوسف بن فiroز شحنة دمشق وأحسن إلى الرعية وسط العدل فيهم والله سبحانه وتعالى أعلم.

### استيلاء شمس الملك على الحصون

ولما تول شمس الملك إسماعيل وسار أخوه محمد إلى بعلبك خرج إليها وحاصر أخاه محمدأ بها وملك البلد واعتصر محمد بالحصن وسال الإبقاء فأبقى عليه ورجع إلى دمشق ثم سار إلى باشاش وقد كان الإفرنج الذين بها تقضوا الصلح وأخذوا

شم اجتمع الإفرنج سنة عشرين وخمسة ملوكهم وقمامصتهم وساروا إلى دمشق وزلوا مرج الصفر وبعث أتابك طفرkin بالصريح إلى تركمان بديار بكر وغيرها وخيم قبالة الإفرنج واستحلف ابنه بوري على دمشق ثم ناجزهم الحرب آخر السنة فاشتد القتال وصرع طفرkin عن فرسه فانهزم المسلمين وركب طفرkin واتبعهم ومضت خيالة الإفرنج في اتباعهم وبقي رجال التركمان في المعركة فلما خلص إليهم رجال الإفرنج اجتمعوا واستلموا وحملوا على رجال الإفرنج فقتلهم ونهبوا معسركهم وعادوا غائبين ظافرين إلى دمشق ورجعت خيالة الإفرنج من اتباعهم منهزمين فوجدوا معسركهم منهوباً ورجالهم قتلوا وكان ذلك من الصنع الغريب.

### وفاة طفرkin وولاية ابنه بوري

ثم توفي أتابك طفرkin صاحب دمشق في صفر سنة اثنين وعشرين وكان من موالي تاج الدولة تش وكان حسن السيرة مؤثراً للعدل حباً في الجهاد ولقبه ظهير الدين وما توفي ملك بعده ابنه تاج الدولة بوري أكبر أولاده بعدهه إليه بذلك وأقر وزير أبيه أبي علي طاهر بن سعد المزدغاني على وزارته وكان المزدغاني يرى رأي الرافضة الإمامية وكان بهرام ابن أخي إبراهيم الاسترابادي لما قتل عمه إبراهيم ببغداد على هذا المذهب لحق بالشام وملك قلعة بانياس ثم سار إلى دمشق وأقام بها خليفة يدعى إلى مذهبة ثم فارقها وملك القدس وغيره من حصون الجبال وقابل البصرية والدرزة بودادي التيم من أعمال بعلبك سنة اثنين وعشرين وغلبهم الصحاح وقتل بهرام.

وكان المزدغاني قد أقام له خليفة بدمشق يسمى أبي الوفاء فكثر أتباعه وتحكم في البلد وجاء الخبر إلى بوري بأن وزيره المزدغاني والإمامية قد راسلوا الإفرنج بأن يملكونهم دمشق فجاء إليها وقتل المزدغاني ونادي بقتل الإمامية وبلغ الخبر إلى الإفرنج فاجتمع صاحب القدس وصاحب أنطاكية وصاحب طرابلس وسائر ملوك الإفرنج وساروا لحصار دمشق واستصرخ تاج الملك بالعرب والتركمان وجاء الإفرنج في ذي الحجة من السنة وبشوا سراياباهم للنهب والإغارة ومضت منها سرية إلى خوارزم فبعث تاج الدولة بوري سرية من المسلمين مع شمس الخواص من أمرائه لمدافعتهم فلقوهم وظفروا بهم واستلهموهم

رسلان شهاب الدين محمود وصلحه معه فرحل عن دمشق  
انتصف السنة.

استيلاء شهاب الدين محمود علي حمص

كانت حصن لقيرجان بن قراجا ولولده من بعده والموالي بها  
من قبلهما وطالبهم عماد الدين زنكي في تسليمها وضايقوهم في  
نواحيها فراسلوا شهاب الدين صاحب دمشق في أن علوكها  
ويعرضهم عنها بتدمير فأجاب واستولى على حصن وسار إليها سنة  
ثلاثين وأقططها لمملوک جده معین الدين انز وأنزل معه حامية من  
عسكره ورجع إلى دمشق واستأنفه الحاج يوسف بن فيروز في  
العود من تدمير إلى دمشق وقد كان هرب إليها كما قدمها وكان  
جاءة من الموالي منحرفين عنه بسبب ما تقدم في مقتل سونج  
فكروا بذلك فلاظتهم ابن فيروز واسترضاهم وحلف لهم أنه لا  
يتول شيئاً من الأمور ولما دخل رجع إلى حاله فوثبوا عليه وقتلواه  
وخيموا بظاهر دمشق واشتبوا في الطلب فلم يسعفوا بكلمة  
قلحقوا بشمس الدولة محمد بن ناج الملوك في بعلبك وبنوا السرايا  
إلى دمشق فعاثت في نواحيها حتى أسفتهم شهاب الدين بكل ما  
طلبه فرجعوا إلى ظاهر دمشق وخرج لهم شهاب الدين وتحالفوا  
ودخلوا إلى البلد وولى مرواش كبيرهم على العساكر وجعل إليه  
الخل والعقد في دولته والله أعلم.

## استيلاء عماد الدين زنكي على حمص

### وغيرها من أعمال دمشق

نَمْ سَارُ أَتَابِكَ زَنْكِي إِلَى حَصْنِ شَعْبَانَ سَنَةً إِحْدَى  
وَثَلَاثَتِينَ وَقَدَمَ إِلَيْهِ حَاجِبَهُ صَلَاحَ الدِّينِ الْبَاغِيْسِيَّانِيُّ وَهُوَ أَكْبَرُ  
أَمْرَاهُ مُخَاتِلًا وَاللَّهَا مَعِينُ الدِّينِ أَنْزَى فِي تَسْلِيهِمَا فَلَمْ يَفْعُلْ  
وَحَاطِصُرُهَا فَامْتَنَعَ عَلَيْهِ فَرَحِلَ عَنْهَا آخِرُ شَوَّالَ مِنَ السَّنَةِ ثُمَّ سَارَ  
سَنَةَ اثْتَيْنِ وَثَلَاثَتِينَ إِلَى نَوْاهِي بَعْلَبُكَ حَصْنِ الْمَحْوَلِ عَلَى  
الْأَمَانِ وَهُوَ لِصَاحِبِ دِمْشَقٍ ثُمَّ سَارَ إِلَى حَصْنِ وَحَاطِصُرُهَا وَعَادَ  
مَلِكُ الرُّومَ إِلَى حَلْبَ فَاسْتَدِعَ الْفَرْنَجَ وَمَلِكَ كَثِيرًا مِنَ الْمَحْصُونَ  
مَمْلِكَتِ عَيْنِ زَرِيَّةِ وَتَلِ حَمْدُونَ وَحَصْرِ أَنْطَاكِيَّةِ ثُمَّ رَجَعَ وَأَنْجَرَ أَتَابِكَ  
زنْكِي خَلَالَ ذَلِكَ عَنْ حَصْنِهِ ثُمَّ عَادَ مَنَازِلَهَا بَعْدَ مَسِيرِ الرُّومِ  
وَبَعْثَ إِلَى شَهَابِ الدِّينِ صَاحِبِ دِمْشَقٍ بِخَطْبٍ إِلَيْهِ أَمَهُ مَرْدُ خَاتُونَ  
بَابِتَهِ جَارِي طَمْعًا فِي الْإِسْتِيلَاءِ عَلَى دِمْشَقٍ فَزَوْجَهَا لَهُ وَلَمْ يَظْفَرْ بِهَا  
أَمَهُ مِنْ دِمْشَقٍ وَسَلَمَوْهَا لِهِ حَصْنُ وَقْلَعَتَهَا وَحَلَتْ إِلَيْهِ خَاتُونَ فِي

جماعة من تجار دمشق في بيروت فسار إليها طاويا وجه مذهبة حتى وصلها في صفر سنة سبع وعشرين وقاتلها ونكتب أسرارها ولملكها عنوة ومثل بالإفرينج الذين بها واعتصم قلهم بالقلعة حتى استأمنوا ولملكها ورجع إلى دمشق ثم بلغه أن المسترشد زحف إلى الموصى فطمع هو في حماة وسار آخر رمضان ولملكها يوم الفطر من غده فاستأمنوا إليهم ولملكها واستولى على ما فيها ثم سار إلى قلعة شيرز وبها صاحبها من بنى متقد فحاصرها وصانعه صاحبها بمال حمله إليه فافرج عنه وسار إلى دمشق في ذي القعدة من السنة.

ثم سار في حرم سنة ثمان وعشرين إلى حصن شقيق في الجبل المطل على بيروت وصيدا وبه الضحاك بن جندل رئيس وادي التيم قد تغلب عليه وامتنع به وتحمامه المسلمين والإفرينج يعتمي من كل طائفة بالأخرى فسار إليه ولملكه من وقته وعظم ذلك على الإفرينج فساروا إلى حوران واعتلونا في نواحيها فاحتشد هو واستججد بالركمان وسار حتى نزل قبالتهم وجهز العسكر هنالك وخرج في البر وأناخ على طبرية وعكا فاكتسح نواحيها وامتلأت أيدي عسكره بالغائم والسي وانتهى الخبر إلى الإفرينج بمكانهم من بلاد حوران فلغلوا إلى بلادهم وعاد هو إلى دمشق وراسله الإفرينج في تمجيد المدنة فهادهم.

## مقتل شمس الملوك وولایة أخيه شهاب الدين محمود

كان شمس الملوك سيد السيرة كثیر الظلم والعدوان على رعيته مرهف الحد لأهله وأصحابه حتى أنه وثبت عليه بعض مالك جده سنة سبع وعشرين وعلاه بالسيف ليقتله فأخذ وضرب وأثر على جماعة داخلوه قتلهم وقتل معهم أخاه سونج فتذكر الناس له وأشيع عنه بأنه كاتب عماد الدين زنكي ليملكه دمشق واستحوذه في الوصول لشلا يسلم البلد إلى الإفرنج فسار زنكي فصدق الناس الإشاعة وانتقض أصحاب أبيه لذلك وشكروا لأمه فاشفقت ثم تقدمت إلى غلامه بقتله في ربيع الآخر سنة سبع وعشرين وتقول: أنه اتهم أمه بالحاجب يوسف بن فیروز فاعتزم على قتلها فهرب يوسف وقتلته أمه ولما قتل ولی آخره شهاب الدين محمود من بعده ووصل أتابک زنکی بعد مقتله فحاصر دمشق من ميدان الحصار وجدوا في مدافعته والامتناع عليه وقام في ذلك معین الدين أبا ملوك جده طغریکین مقاماً محسداً وجلی في المدافعة والمحاصر ثم وصل رسول المسترشد أبا بکر بن بهادر الجزري إلى أتابک زنکی يأمره بمحصلة صاحب دمشق الملك ألب

رمضان من السنة والله أعلم.

فاشتد في الرمح فما وهنوا لذلك ولدوا من بعد جمال الدين  
محمدأ ابنه مجير الدين أثر وأقام بتربيته وتدير دولته معين الدين أثر  
مدبر دولته.

وأرسل إلى الإفرنج يستتجدهم على مدافعة زنكي على أن  
يمحاصرون قاشاش فإذا فتحها أعطاهم إياها فأجابروا إلى ذلك حذراً  
من استطالة زنكي بذلك دمشق فسار زنكي للقائهم قبل اتصالهم  
بعسكر دمشق ونزل حوران في رمضان من السنة فخام الإفرنج  
عن لقائه وأقاموا ببلادهم فعاد زنكي إلى حصار دمشق في شوال  
من السنة ثم أحرق قرى المرج والغورطة ورحل عائداً إلى بلده ثم  
وصل الإفرنج إلى دمشق بعد رحلته فسار معهم معين الدين أثر  
إلى قاشاش من ولاية زنكي ليحفظها ويعطيها للإفرنج كما  
عاهدهم عليه وقد كان إليها أغمار على مدينة صور ولقيه في  
طريقه صاحب أنطاكيه وهو قاصد إلى دمشق لإتماد صاحبها على  
زنكي فقتل الوالي ومن معه من العسكر وجلّا الباقون إلى قاشاش  
وجاء معين الدين أثر ذلك في العسكر فملكتها وسلمها  
للافرنج وبلغ الخبر إلى أتابك زنكي فسار إلى دمشق بعد أن فرق  
سراباه وبعثه على حوران وأعمال دمشق وسار هو متجرداً إليها  
فصبّحها وخرج العسكر لقتالهم فقاتلهم عامّة يومه ثم تأخر إلى  
مرج راهط وانتظر بعثه حتى وصلوا إليه وقد امتلأت أيديهم  
بالغائم ورحل عائداً إلى بلده.

### مسير الإفرنج لحصار دمشق

كان الإفرنج متذمّراً ملكوا سواحل الشام ومدنه تسير إليهم  
أمم الإفرنج من كل ناحية من بلادهم مددأ لهم على المسلمين لما  
يرونه من تفرد هؤلاء بالشام بين عدوهم وسار في سنة ثلات  
وأربعين ملك الآلان من أمراء الإفرنج من بلاده في جموع عظيمة  
قادها بلاد الإسلام لا يشك في الغلب والاستيلاء لكنّة عساكره  
وتتوفر عدده وأمواله فلما وصل الشام اجتمع عليه عساكر الإفرنج  
الذين له متذلين أمره فامرهم بالسير معه إلى دمشق فساروا لذلك  
سنة ثلات وأربعين وحاصروها فقام معين الدين أثر في مدافعتهم  
المقام محمود ثم قاتلهم الإفرنج سادس ربيع الأول من السنة  
فتالوا من المسلمين بعد الشدة والمصايرة واستشهد ذلك اليوم  
الفقيه حجة الدين يوسف العندلاوي المغربي وكان عالماً زاهداً  
وساله معين الدين يومئذ في الرجوع لضعفه وسنه فقال له: (قد  
بعث واثرني مني فلا أقبل ولا أستقبل يشير إلى آية الجهاد وتقديم  
حتى استشهد عند أسرت على نصف فرسخ من دمشق).

### مقتل شهاب الدين محمود وولاية أخيه

محمد

لما قتل شهاب الدين محمود في شوال سنة ثلات وثلاثين  
اغتاله ثلات من مواليه في مسجده بخلوه وهرموا فنجا واحد  
منهم وأصيب الآخرون كتب معين الدين أثر إلى أخيه شمس  
الدين محمد بن بوري صاحب بعلبك بالخبر فسارع ودخل دمشق  
وبتبع الجند والأعيان وفرض أمر دولته إلى معين الدين أثر مملوك  
جده وأقطعه بعلبك واستقامت أمره.

### استيلاء زنكي على بعلبك وحصاره دمشق

ولما قتل شهاب الدين محمود وبلغ خبره إلى أمه خاتون  
زوجة أتابك زنكي محلب عظم جزعها عليه وأرسلت إلى زنكي  
بالخبر وكان بالجزيرة وسالت منه الطلب بثأر ابنها فسار إلى دمشق  
 واستعدوا للحصار فعدل إلى بعلبك وكانت لمين الدين أثر كما  
قلناه وكان أتابك زنكي دس إليه الأموال ليكتبه من دمشق فلم  
يفعل فسار إلى بلده بعلبك وجد في حربها ونصب عليها المجانق  
حتى استأننا إليه وملكتها في ذي الحجة آخر سنة ثلات وثلاثين  
واعتصم جماعة من الجندي بقلعتها ثم استأننا فقتلهم وأرهب  
الناس بهم ثم سار إلى دمشق وبعث إلى صاحبها في تسليمها  
والتزوك عنها على أن يعرضه عنها فلم يجب إلى ذلك فزحف  
إليها ونزل داريا متصرف ربيع الأول سنة أربع وثلاثين وبرزت  
إليه عساكر دمشق فظفر بهم وهزّهم ونزل المصلى وقاتلهم  
فهزّهم ثانية ثم أسلك عن تلّهم عشرة أيام وتابع الرسل إليه بإن  
يعرضه عن دمشق بعلبك أو حصن أو ما يختاره فمنه أصحابه  
فعاد زنكي إلى القتال واشتد في الحصار والله سبحانه وتعالى أعلم  
وبه التوفيق.

### وفاة جمال الدين محمد بن بوري وولاية ابنه

مجير الدين أثر

ثم توفي جمال الدين محمد بن بوري صاحب دمشق رابع  
شعبان سنة أربع وثلاثين وزنكي محاصر به وهو معه في مراوضة  
الصلح وجع زنكي فيما عساه أن يقع بين الأماء من الخلاف

وشرعوا في الحشد وسبّهم نور الدين إلى دمشق فشار الأحداث الذين كاتبهم وتحروا له الباب الشرقي فدخل منه وملكتها وأعتصم حمير الدين بالقلعة فراسله في التزول عنها وعرضه مدينة حصن فسار إليها ثم عرضه عن حصن بالس فلم يرضها وسار إلى بغداد واختلط بها داراً قرب الظاظمية وتوفي بها واستولى نور الدين على دمشق وأعمالها واستضافها إلى ملكه حتى حلب وانقرض ملك بني تشن من الشام والبلاد الفارسية أجمع والبقاء لله وحده والله مالك الملك لا رب غيره سبحانه وتعالى.

## الخبر عن دولة قطلمش وبنيه ملوك قونية وببلاد الروم من السلجوقية ومبادي أمورهم وتصارييف أحواهم

كان قطلمش هذا من عظماء أهل هذا البيت ونسبة فيهم فقبل مختلف قطلمش بن يعقوب وابن الأنبار تارة يقول قطلمش ابن عم طغريك وتارة يقول قطلمش بن إسرائيل من سلجوقي ولعله بيان ذلك الإيجاز لما انتشر السلجوقية في البلاد طالبين للملك دخل قطلمش بهذا إلى بلاد الروم وملك قونية وأقصرا وناجحهما وبعثه السلطان طغريك بالساكن مع قريش بن بدران صاحب الموصى في طلب ديس بن مزيد عندما ظهرت الدولة العلوية في الحلقة وأعمالها فهزّهم ديس والبسيري كما تقدم في أخبارهم ثم عصى على السلطان آل أرسلان بعد طغريك وقصد الري ليملكه وقاتلته آل أرسلان سنة ست وخمسين فانهزم عسكرو قطلمش ووجد بين القتلى فتجمع له آل أرسلان وقد للعزاء فيه كما تقدم في أخبارهم وقام بأمره ابنه سليمان وملك قونية وأقصرا وغيرهما من الولاية التي كانت بيد أبيه وافتتح أنطاكية من يد الروم سنة سبع وسبعين وأربعين وقديماً كانوا ملوكها منذ خمس وخمسين وأربعين سنة فأخذها منهم وأضافها إلى ملكه.

وقد تقدم خبر ملكه إليها في دولتهم وكان لسلم بن قريش صاحب الموصى ضرورة على الروم بانتهاكه فطالب بها سليمان بن قطلمش فامتنع لذلك وأنف منه فجمع مسلم العرب والتركمان لحصار أنطاكية ومعه جن أمير التركمان والتقيا سنة ثمان وسبعين وأخاز جن إلى سليمان فانهزم العرب وسار سليمان بن قطلمش لحصار حلب فامتنع عليه وسائله الإلهان حتى يكتب السلطان ملك شاه ودسوا إلى بناتج الدولة تشن صاحب دمشق يستدعونه فأغذ السير واعتراضه سليمان بن قطلمش على غير تعنته فانهزم وطعن نفسه بمنجر فمات وغنم تشن مسكنة.

واستشهد معه خلق وقوى الإفرنج ونزل ملك الألان المidan الأخضر وكان عماد الدين زنكي صاحب الموصى قد توفى سنة إحدى وأربعين وولي ابنه سيف الدين غازي الموصى وابنه نور الدين محمود حلب فبعث معين الدين أثر إلى سيف الدين غازي صاحب الموصى يستتجده فجاءه لإنجاده ومعه آخره نور الدين وانهروا إلى مدينة حصن وبعث إلى الإفرنج يتهددهم فاضطروا إلى قتاله وانقسمت مؤتمتهم بين الفريقين وأرسل معين الدين إلى الألان يتهددهم بتسليم البلد إلى ملك المشرق يعني صاحب الموصى وأرسل إلى فرنج الشام يحذرهم من استيلاء ملك الألان على دمشق فإنه لا يقوى لكم معه مقام في الشام ووعدهم بمحسن قاشاش فاجتمعوا إلى ملك الألان وخوفوه من صاحب الموصى أن يملك دمشق فرحل عن البلد وأعطاهم معين الدين قلعة قاشاش وعاد ملك الألان إلى بلاده على البحر المتوسط في أقصى الشمال والمغرب ثم توفي معين الدين أثر مدبر دولة أرتق والمتغلب عليه سنة أربع وأربعين لسنة من حصار ملك الألان والله أعلم.

## استيلاء نوري الدين محمود العادل على دمشق وانقراض بني تشن من الشام

كان سيف الدين غازي بن زنكي صاحب الموصى قد توفى سنة أربع وأربعين وملك آخره قطب الدين وإنفرد آخره الآخر نور الدين محمود محلب وما يليها وتجرد لطلب دمشق ولهذه الإفرنج واتفق أن الإفرنج سنة ثمان وأربعين ملكوا عسقلان من بد خلقاء العلوية لضعفهم كما مر في أخبار دولتهم ولم يجد نور الدين سبيلاً إلى ارتجاعها منهم لاعتراض دمشق بينه وبينهم شم طعموا في ملك دمشق بعد عسقلان وكان أهل دمشق يؤدون إليهم الضريبة فدخلون لقبضها ويتحكمون فيها ويطلقون من أسرى الإفرنج الذين بها كل من أراد الرجوع إلى أهله فخشى نور الدين عليها من الإفرنج ورأى أنه إن قصدها استنصر صاحبها عليه بالإفرنج فراسل صاحبها حمير الدين واستماله بالهدايا حتى وثق به فكان يغره بأمرائه الذين يجد بهم القوة على المدافعة واحداً واحداً ويقول له: إن فلاناً كاتبى بتسليم دمشق. فيقتله حمير الدين حتى كان آخرهم عطاء بن حافظ الإسلامي الخادم وكان شديداً في مدافعة نور الدين فأرسل إلى حمير الدين بمثابة فيه فقبض عليه وقتله فسار حيتذ نور الدين إلى دمشق بعد أن كاتب الأحداث الذين بها واستعملهم فروعدوه وأرسل حمير الدين إلى الإفرنج يستتجده من نور الدين على أن يعطيهم بعلبك فأجابوه

أربيل وتعاقد مع أبي الهيجاء بن موشك الكردي المدبي صاحب أربيل وانتهى إلى البارزيج فعبر إليه جكرمش دجلة وقاتلاته فانهزم عساكر جكرمش وبقي جكرمش وافقاً لفلاح كان به فأسره جاوي ولحق الفيل بالموصل فنصبوا مكانه ابنه زنكي صبياً صغيراً وأقام بأمره غزغلي مولى أبيه وكانت القلعة بيده وفرق الأموال والخيول.

واستعد لمدافعة جاوي وكاتب صدقة بن مزيد والبرسقي شحنة بغداد وقلبي أرسلان صاحب بلاد الروم يستتجدهم وبعد كلّاً منهم بملك الموصل إذا دافعوا عنه جاوي فأعرض صدقة عنه ولم يختلف بذلك ثم سار جاوي إلى الموصل وحاصرها وعرض جكرمش للتقتل أو يسلموا إليه فامتنعوا وأصبح جكرمش في بعض أيام حصارها وسمع جاوي بأن قلبي أرسلان سار في عساكره إلى نصبيين فأخرج عن الموصل وسار إلى سنجار وسبق البرسقي إليها بعد رحيل جاوي وأرسل إلى أهلها فلم يجيبوه بشيء وعاد إلى بغداد واستدعى رضوان صاحب دمشق جاوي سقاورو لمدافعة الإفرنج عنه فساروا إليه وخرج من الموصل عسكر جكرمش إلى قلبي أرسلان بنصبيين فتحالفا معه وجاؤوا به إلى الموصل فملكتها آخر رجب من سنة خمسة.

وخرج إليه ابن جكرمش وأصحابه وملك القلعة من غزغلي وجلس على التخت وخطب لنفسه بعد الخليفة وأحسن إلى العسكر وسار في الناس بالعدل وكان في جملته إبراهيم بن ينال التركمانى صاحب أمد ومحمد بن جق التركمانى صاحب حصن زياد وهو خرت برت وكان إبراهيم بن ينال قد ولت تشن على أمد حين ولـي ديار بكر وكانت بيده وأما خرت بـرت فـكانت بيـد القـلـادـرـوسـ تـرجـانـ الرـومـ وـالـرـهـاـ وـاـنـطـاكـيـةـ منـ أـعـمـالـهـ فـمـلـكـ سـلـيـمـانـ بنـ قـطـلـمـشـ اـنـطـاكـيـةـ وـمـلـكـ فـخـرـ الدـوـلـةـ بنـ جـهـيـرـ دـيـارـ بـكـرـ فـضـعـفـ القـلـادـرـوسـ وـمـلـكـ جـقـ خـرـتـ بـرـتـ منـ يـدـهـ وأـسـلـمـ القـلـادـرـوسـ عـلـىـ يـدـ السـلـطـانـ مـلـكـ شـاهـ وـأـمـرـهـ عـلـىـ الرـهـاـ فـأـقـامـ بـهـ حـتـىـ مـاتـ وـمـلـكـهـ جـقـ هـيـ وـمـاـ جـاـوـرـهـ مـنـ الـحـصـونـ أـورـثـهـ اـبـهـ حـمـدـاـ بـعـدـ مـوـتـهـ وـالـلـهـ تـعـالـىـ وـلـيـ التـوفـقـ.

## الحرب بين قلبي أرسلان وبين الإفرنج

كان سمند صاحب أنطاكية من الإفرنج قد وقعت بيته وبين ملك الروم بالقسطنطينية وحشة واستحكمت وسار سمند فنهب بلاد الروم وعزم على قصد أنطاكية فاستتجد ملك الروم بقلبي أرسلان فأمده بعساكره وسار مع ذلك الروم فهزموا الإفرنج وأسرورهم ورجع الفيل إلى بلادهم بالشام فاعتزموا على قصد قلبي

وملك بعده ابنه قلبي أرسلان وأقام في سلطانه ولما زحف الإفرنج إلى سواحل الشام سنة تسعين وأربعين ملكوا طريقهم على القسطنطينية فمنعهم من ذلك ملك الروم حتى شرط عليهم أن يعطوه أنطاكية إذا ملکوها فأجابوا لذلك وعبروا خليج القسطنطينية ومرروا ببلاد قلبي أرسلان بن سليمان بن قطلمش فلقيهم في جروعه قريباً من قونية فهزمه وانتهوا إلى بلاد ابن ليسون الأرمي فمروا منها إلى أنطاكية وبها باغيسيان من أمراء السلجوقية فاستعد للحصار وأمر بمحفر الخندق فعمل فيه المسلمين يوماً ثـم عمل فيه النصارى الذين كانوا بالبلد من الغد فلما جاؤوا للدخول منهم وقال: أنا لكم في مختلفكم حتى ينصرف هؤلاء الإفرنج وزحفوا إليه فحاصروه تسعه أشهر.

ثم عدا بعض الحامية من سور البلد عليهم فأدخلوهم من بعض مسارب الوادي وأصبحوا في البلد فاستباحوه وركب باغيسيان للصلاح فهرب ولقيه خطاب من الأرمن فجاء برأسه إلى الإفرنج وولـيـ عـلـيـهاـ بـيـشـمـدـ منـ زـعـمـاءـ الإـفـرـنجـ وـكـانـ صـاحـبـ حـلـبـ وـصـاحـبـ دـمـشـ قـدـ عـزـماـ عـلـىـ الـفـيـرـ إـلـىـ أـنـطـاكـيـةـ لـدـافـعـهـ فـكـاتـبـهـ الإـفـرـنجـ بـالـمـسـلـلـةـ وـاـنـهـ لـيـ عـرـضـونـ لـغـيـرـ أـنـطـاكـيـةـ فـأـوـهـنـ ذـلـكـ مـنـ عـزـانـهـ وـأـقـصـرـواـ عـنـ إـلـجـادـ باـغـيـسـيـانـ وـكـانـ التـرـكـمانـ قدـ اـنـشـرـوـ فـيـ نـرـاحـيـ الـعـرـاقـ وـكـانـ كـمـسـكـيـنـ بـنـ طـلـقـ الـعـرـوـفـ أـبـوـهـ بـالـوـاـنـشـمـدـ وـمـعـنـاهـ الـمـعـلـمـ عـنـهـمـ قـدـ مـلـكـ سـيـوـاسـ مـنـ بـلـادـ الـرـوـمـ عـاـيـلـيـ أـنـطـاكـيـةـ.

وكان ملطيـةـ ماـ يـجاـورـهـاـ متـغلـبـ آـخـرـ مـنـ التـرـكـمانـ وـبـيـنـهـ وـبـيـنـ الـرـاـشـمـدـ حـرـوبـ فـاسـتـجـدـ صـاحـبـ مـلـطـيـةـ عـلـيـ الإـفـرـنجـ وـجـاءـ بـيـقـلـ منـ أـنـطـاكـيـةـ سـتـةـ ثـلـاثـ وـتـسـعـينـ فـيـ خـسـنـةـ آـلـافـ فـلـقـيـهـ ابنـ الـرـاـشـمـدـ وـهـزـمـهـ وـأـخـذـهـ أـسـيرـاـ وـجـاءـ الإـفـرـنجـ لـتـخـلـيـصـهـ فـنـازـلـوـ قـلـعـةـ أـنـكـورـيـةـ وـهـيـ أـنـقـرـةـ فـأـخـذـوـهـ عـنـهـ ثـمـ سـارـواـ إـلـىـ أـخـرـيـ فـيـهاـ إـسـمـاعـيلـ بـنـ الـرـاـشـمـدـ وـحـاصـرـوـهـاـ فـجـمـعـ اـبـنـ الـرـاـشـمـدـ وـقـاتـلـهـمـ وـأـكـمـنـ لـهـمـ وـكـانـواـ فـيـ عـدـ كـثـيرـ فـلـمـ قـاتـلـهـمـ اـسـتـطـرـدـ لـهـمـ حـتـىـ خـرـجـ عـلـيـهـمـ الـكـمـينـ وـكـرـ عـلـيـهـمـ فـلـمـ يـفـلـتـ مـنـهـمـ أـحـدـ وـسـارـ إـلـىـ مـلـطـيـةـ فـمـلـكـهـاـ وـأـسـرـ صـاحـبـهـ وـجـاءـ الإـفـرـنجـ مـنـ أـنـطـاكـيـةـ فـهـزـمـهـمـ.

## استيلاء قلبي أرسلان على الموصل

كانت الموصل وديار بكر والجزيرة بيد جكرمش من قواد السلجوقية فمنع الحمل وهم بالاتفاق فأقطع السلطان الموصل وما معها جاوي سقاورو والكل من قوادهم وأمرهم بالسير لقتال الإفرنج فسار جاوي وبلغ الخبر بلجكرمش فسار من الموصل إلى

## وفاة مسعود بن قليج وولاية ابنه قليج أرسلان الانقرسون

أرسلان بالجزيرة فأتاهم خبر مقتله فأقصروا والله تعالى ولي التوفيق.

## مقتل قليج أرسلان وولاية ابنه مسعود

قد تقدم لنا استيلاء قليج أرسلان على الموصل وديار بكر وأعمالها وجلوسه على التخت وأن جاوي سكاوو سار إلى سنجار ثم سار منها إلى الرحمة وكان قليج أرسلان حب له بها صاحبها محمد بن السباق من بني شيبان بعد مهلك دقاق وانتقامه على أبيه فلما حاصرها جاوي بعث إليه رضوان بن تش صاحب حلب في النجدة على الإفرنج لما ساروا إلى بلاده فوعده لانتقامه الحصار وجاء رضوان فحضر عنده واشتد المصار على أهل الرحمة وغدر بعضهم فأدخل أصحاب جاوي ليلًا ونهبها إلى الظهر وخرج إليه صاحبها محمد الشيشاني فأطاعه ورجع عنه.

ولبلغ الخبر إلى قليج أرسلان فسار من الموصل لحرب جاوي واستخلف عليها ابنه ملك شاه صبياً صغيراً مع أمير يدبره فلما انتهى إلى الحابر هرب عنه إبراهيم بن نياں صاحب آمد ولحق بيده واعتم قليج أرسلان على المطاولة واستدعى عسكره الذين اتجدهم ملك الروم على الإفرنج فقاووا إليه واغتنم جاوي قلة عسكره فلقيه آخر ذي القعدة من السنة واشتدت الحرب وحمل قليج أرسلان على جاوي بنفسه وصرع صاحب الراية وضرب جاوي بسيفه ثم حل أصحاب جاوي عليه فهوذمه والقى نفسه في الحابر ففرق وسار جاوي إلى الموصل فملكتها وأعاد خطبة السلطان محمد وبعث إليه ملك شاه بن قليج أرسلان وول مكان قليج أرسلان في قونية وأقصرا وسائر بلاد الروم ابنه مسعود واستقام له ملوكها.

## مسير نور الدين العادل إلى بلاد قليج أرسلان

ثم سار نور الدين محمود بن زنكي ستة ثمان وستين إلى ولاية أرسلان بن مسعود ببلاد الروم وهي ملطية وسيواس وأقصرا فجاءه قليج أرسلان متصلًا معتذرًا فاكرمه وثنى عزمه عن قصد بلاده ثم أرسلا إليه شيئاً قي ذي النون بن الوانشمند يرد عليه بلاده فلم يشفعه فشار إليه وملك مرعش ونهسا وما ينهاها في ذي القعدة من السنة وبعث عسكراً إلى سيواس فملكتها فمال قليج أرسلان إلى الصلح وبعث إلى نور الدين يستعطفه وقد بلغه عن الفرنج ما أزعجه فاجابه على أن يcede بالعساكر المفروضة وعلى أن يبقى سيواس بيد نواب نور الدين وهي لذى النون بن الوانشمند ثم جاءه كتاب الخليفة يقطع البلاد ومن جملتها بلاد

## استيلاء مسعود بن قليج أرسلان على ملطية وأعمالها

كانت ملطية وأعمالها وسيواس لابن الوانشمند من التركمان كما مر وكانت بينه وبينهم حروب وهلك كمستكين بن الوانشمند وولي مكانه ابنه محمد واتصلت حروبه مع الإفرنج كما كان أبوه معهم ثم هلك سنة سبع وثلاثين فاستول مسعود بن قليج أرسلان على الكثير منها وبقيباقي بيد أخيه باغي أرسلان بن محمد.

وردوا عليه ملطية ثم زاد تغلب ركن الدين وحجر عليه وقتل دائبه في مدنته وهو اختيار الدين حسن فخرج سائر بنيه عن طاعته وأخذ قطب الدين أباه وسار به إلى قيسارية لملكها من أخيه فهرب قلبيج أرسلان ودخل قيسارية وعاد قطب الدين إلى قونية وأقروا فملوكهما ويقي قلبيج أرسلان ينتقل بين ولده من واحد إلى آخر وهم معرضون عنه حتى استتجد بغياث الدين كستجار صاحب منهم فأخليوه وسار معه إلى قونية فملوكها ثم سار إلى أقصرا وحاصرها ثم مرض قلبيج أرسلان وعاد إلى قونية فتوفي فيها وقيل: إنما اختلف ولده عليه لأنه ندم على قسمة أعماله بينهم وأراد إثمار ابنه قطب الدين بجمعها وانتقضوا عليه لذلك وخرجوا عن طاعته ويقي يتردد بينهم وقصد كستجار وصاحب قونية فأطاعوه وخرج معه بالساكن لخصار محمود أخيه في قيسارية وتوفي قلبيج أرسلان وهو محاصر لقيسارية ورجع غياض الدين إلى قونية.

### وفاة قلبيج أرسلان وولاهية ابنه غياض الدين

ثم توفي قلبيج أرسلان بمدينة قونية أو على قيسارية كما مر من الخلاف متتصف ثمان وثمانين سنة لسبع وعشرين سنة من ملكه وكان مهياً عادلاً حسن السياسة كثير الجهاد ولما توفي واستقل ابنه غياض الدين كستجار بقونية وما إليها وكان قطب الدين آخره صاحب أقصرا وسيواس وكان كلما سار من إحداها إلى الأخرى يجعل طريقه على قيسارية وبها آخره نور الدين محمود يتلقاه بظاهرها حتى استقام إليه مدة فدر به وقتله وامتنع أصحابه بقيسارية وكان كثيرون حسن فقتله مع أخيه ثم أطاعوه وأمكنته من البلد ومات قطب الدين إثر ذلك.

### استيلاء ركن الدين سليمان على قونية وأكثر بلاد الروم وفرار غياض الدين

ولما توفي قلبيج أرسلان وولي بعده في قونية ابنه غياض الدين كستجار وبنوه يومند على حاليهم في ولاياتهم التي قسمها بينهم أبوهم وملك قطب الدين منهم قيسارية بعد أن غدر بأخيه محمود صاحبها ومات قطب الدين أثر ذلك فسار ركن الدين سليمان صاحب دوقاط إلى التغلب على أعماله سلفه ببلاد الروم فسار إلى سيواس وأقروا وقيسارية أعمال قطب الدين فملوكها ثم سار إلى قونية فحاصر بها غياض الدين وملكها ولحق غياض الدين بالشام

قلبيج أرسلان وخلط وديار بكر ولما مات نور الدين عادت سيواس لقلبيج أرسلان وطرد عنها نواب ذي النون.

### مسير صلاح الدين لحرب قلبيج أرسلان

كان قلبيج أرسلان بن مسعود صاحب بلاد الروم قد زوج بنته من نور الدين محمود بن قلبيج أرسلان بن داود بن سقمان صاحب حصن كيفاً وغيره من ديار بكر وأعطاه عدة حصون فلم يحسن عشرتها وتزوج عليها وهجر مضجعها وامتنع أبواها قلبيج أرسلان لذلك واعترض على غزو نور الدين في ديار بكر وأخذ بلاده فاستجار نور الدين بصلاح الدين بن أيوب واستشفع به فلم يشفعه وتغلب بلاده التي أعطاه عند المصاورة فامتنع صلاح الدين لذلك وكان يحارب الإفرنج بالشام فصالحهم وسار في عسكره إلى بلاد الروم وكان الصالح إسماعيل بن نور الدين محمود بالشام فعدل عنه ومر على تل باشر إلى زغبان ولقي بها نور الدين محمود صاحب كيفاً وبعث إليه قلبيج أرسلان رسولاً يقرر غدره بابته فاغتاظ على الرسول وتروعده بأخذ بلادهم فتلطف له الرسول وخلص معه نجياً فجع له ما ارتكبه من أجل هذه المرأة من ترك الغزو ومصالحة العدو وجع العساكر وخساره وأن بنت قلبيج أرسلان لو بعثت إليه بعد وفاة أبيها تأسى منه النصفة بينها وبين زوجها لكن أحقر ما تقصده فامتاعت وعلمت أن على نفسه الحق فأمر الرسول أن يصلح بينهم ويكون هو عوناً له على ذلك فدخلتهم ذلك الرسول في الصلح على أن يطلق هذه المرأة بعد سنة ويعتذر بينهم ذلك ورجع كل إلى بلده ووفى نور الدين بما عقد على نفسه والله سبحانه وتعالى أعلم.

### قسمة قلبيج أرسلان أعماله بين ولده وتحل لهم عليه

ثم قسم قلبيج أرسلان سنة سبع وثمانين أعماله بين ولده فأعطي قونية بأعمالها لذيناث الدين كستجار وأقروا وسيواس لقطب الدين دوقاط لركن الدين سليمان وأنقرة وهي انكورية لحي الدين وملطية لعز الدين قيسار شاه ولقيث الدين وقيسارية لنور الدين محمود وأعطي تكسار وأمامسا لابني أخيه وتغلب عليه ابنه قطب الدين وحمله على انتزاع ملطية من يد قيسار شاه فانتزعها ولحق قيسار شاه بصلاح الدين بن أيوب مستشفعاً به فاكرمه وزوجه ابنة أخيه العادل وشفع له عند أبيه وأخيه فشفعوه

## مقتل غياث الدين كسنجر وولادة ابنه كيكاووس

ولما قتل غياث الدين كسنجر وولي بعده ابنه كيكاووس ولقبه الغالب بالله وكان عممه طغرل شاه بن قليج أرسلان صاحب أرزن الروم طلب الأمر لنفسه وسار إلى قتال كيكاووس ابن أخيه وحاصره في سيراس وقصد آخره كفتاد بن كسنجر بلد انكوريه من أعماله فاستولى عليها وبعث كيكاووس صريخه إلى الملك العادل صاحب دمشق فأنفذ إلى العساكر وافرج طغرل عن سيراس قبل وصلوهم فسار كيكاووس إلى انكوريه وملكتها من يد أخيه كيغداد وجسسه وقتل امراءه وسار إلى عمه طغرل في أرزن الروم فظفر به سنة عشر وقتله وملك بلاده.

## مسير كيكاووس إلى حلب واستيلاؤه على بعض أعمالها ثم هزيمته وارتجاع البلد من يده

كان الظاهر بن صلاح الدين صاحب حلب قد توفي وملك بعده ابنه طفلاً صغيراً وكان بعض أهل حلب قد لحق بكيكاووس فراراً من الظاهر وأغاره بملك حلب وهون عليه أمرها وملك ما بعدها وما مات الظاهر قوي عزمه وطمعه في ذلك واستندتى الأفضل بن صلاح الدين بن شميشاط للمسير معه على أن تكون الخطة لكيكاوس والولاية للأفضل في جميع ما يفتحونه من حلب وأعمالها فإذا فتحوا بلاد الجزيرة مثل حران والرها من يد الأشرف تكون ولايتها لكيكاوس وتعاقدوا على ذلك وساروا سنة خمس عشرة فملکوا قلعة زغبان وتسلّمها الأفضل على الشرط ثم ملكوا قلعة تل باشر فاستأثر بها كيكاووس وارتباً الأفضل ثم بعث ابن الظاهر صاحب حلب إلى الأشرف بن العادل صاحب الجزيرة وخلط يستتجده على أن يخطب له محلب ويقتضى اسمه على السكة فسار لإنجاده ومعه أحياط طبع من العرب فنزل بظاهر حلب وسار كيكاووس والأفضل إلى منبع ولقيت طليعتهم طليعة الظاهر فاقتلاوها وعاد عسكر كيكاووس متهزئين إليه فاجفل وسار الأشرف إلى زغبان وتل باشر وبعدها أصحاب كيكاووس فغلبوا عليهم وأطلقوا عليهم إلى أصحابهم فأحرقهم بالنار وسلم الأشرف الحصين إلى شهاب الدين بن الظاهر صاحب حلب وبلغ الخبر بوفاة أبيه الملك العادل بمصر فرجع عن قصد بلاد الروم.

كما يأتي خبره ثم سار إلى نكسار وأماماً فملكتهما وسار إلى ملطية سنة سبع وتعين فملكتها من يد معز الدين قيسر شاه ولحق معز الدين بالعادل أبي بكر بن أيوب ثم سار إلى أرزن الروم وكانت لولد الملك محمد بن حليق من بيت ملك قديم وخرج إليه صاحبها ليقرر معه صلحًا فقبض عليه وملك البلد فاجتمع لركن الدين سائر أعمال إخترته ما عدا أنقرة لصاتها فجمس عليها الكتاب وحاصرها ثلاثة ثم دس من قتل أخيه وملك البلد سنة إحدى وستمائة وتوفي هو عقب ذلك والله تعالى أعلم.

## وفاة ركن الدين وولادة ابنه قليج أرسلان

ثم توفي ركن الدين سليمان بن قليج أرسلان أوائل ذي القعدة من عام سنة إحدى وستمائة وولي بعده ابنه قليج أرسلان فلم تطل مدة و كان ركن الدين ملكاً حازماً شديداً على الأعداء إلا أنه ينسب إلى التzin بالفلسفة والله تعالى أعلم.

## استيلاء غياث الدين كسنجر على بلاد

### الروم من أخيه ركن الدين

كان غياث الدين كسنجر بن قليج أرسلان لما ملك أخوه ركن الدين قونية من يده لحق محلب وفيها الظاهر غازى بن صلاح الدين فلم يجد عنده قبرلاً فسار إلى القسطنطينية وأكرمه ملك الروم وأصره إليه بعض البطارقة في ابنته وكانت له قرية حصينة في أعمال قسطنطينية فلما استولى الإفرنج على القسطنطينية سنة ستمائة لحق غياث الدين بقلعة صهره البطريق وببلغ إليه خبر أخيه تلك السنة وبعث إليه بعض الأمراء من قونية يستدعيه للملك فسار إليه واجتمعوا على حصار قونية وخرجت إليهم العساكر منها فهزموه ولحق ببعض البلاد فتحصّن بها ثم قام أهل قصرها بدعونته وطردوا واليهم وببلغ الخبر إلى أهل قونية فثاروا بقليج أرسلان بن ركن الدين وقبضوا عليه واستدعوا غياث الدين فملکوه وأمکنوه من ابن أخيه وكان آخره قيسر شاه قد لحق بصره العادل أبي بكر بن أيوب فاستنصر به على أخيه ركن الدين عندما ملك ملطية من يده فأمر له بالرها واستتحصل ملك غياث الدين وقصده على بن يوسف صاحب شميشاط ونظام الدين بن أرسلان صاحب خرت برت وغيرهما وعظم شأنه إلى أن قتله أشكر صاحب قسطنطينية سنة سبع وستمائة والله تعالى ولـي التوفيق.

الإفرينج قد ملك قلعة منها تسمى صنوبا مطلة على بحر الخزر فحاصرها برأ وبحراً وارتجعها المسلمون والله سبحانه وتعالى أعلم ولِ التوفيق.

### فتنة كيغباد مع جلال الدين

كان صاحب أرزن الروم وهو ابن عم كيغباد صار إلى طاعة جلال الدين خوارزم شاه وحاصر معه خلاط وفيها أียك مولى الأشرف فملكتها جلال الدين وقتل أียك كما يأتي في أخباره فخانهما كيغباد صاحب الروم فاستجدى الملك الكامل فقامده باخيه الأشرف من دمشق فجمع عساكر الجزيرة والشام وسار إلى كيغباد فلقيه سبيوس واجتمعوا في خسنه وعشرين ألفاً وساروا من سبيوس إلى خلاط فلقاهم جلال الدين في نواحي أرزنكان فهاله منظرهم ومضى منهزاً إلى خلاط ثم سار منها إلى أذربيجان فنزلوا عند خوي وسار الأشرف إلى خلاط فوجد جلال الدين قد خربها فعادوا إلى بلادهم وتراجعت الرسل في الصلح فاصطلحوا.

### مسير ابن أيوب إلى كيغباد وهزيمتهم

كان علاء الدين كيغباد قد استفحلا ملوكه ببلاد الروم ومد يده إلى ما يجاوره من البلاد فملكت خلاط بعد أن دافع عنها مع الأشرف بن العادل جلال الدين خوارزم شاه فنازعه الأشرف في ذلك واستصرخ باخيه الكامل فesar في العساكر من مصر سنة إحدى وثلاثين وسار معه الملك من أهل بيته وانتهى إلى النهر الأزرق من تحروم الروم وبعث في مقدمته المظفر صاحب حماة من أهل بيته فلقيه كيغباد وهزمه وحصره في خرت برت وكانت لبني أرتق ورجع الكامل بالعساكر إلى حران والرها فملكتها من يد نواب الكامل وولى عليهما من قبله وسار الكامل سنة ثلاث وثلاثين فارتجعواهما.

### وفاة كيغباد وملك ابنه كتخسره

ثم توفي علاء الدين كيغباد سنة أربع وثلاثين وستمائة وملك بعده ابنه غيات الدين كتخسره وقارن ذلك انقراسن الدولة السلجوقية من ممالك الإسلام واحتلال دولته بني خوارزم شاه وخروج التتر من مفارقة الترك وراء النهر واستيلاء جنكيزخان سلطانهم على المالك وانتزعها من يد بني خوارزم شاه وفر

### وفاة كيكاووس وملك أخيه كيغباد

كان كيكاووس بعد الواقعة بينه وبين الأشرف قد اعتم على قصد بلاد الأشرف بالجزيرة واتفق مع صاحب آمد وصاحب أريل على ذلك وكانتا يخطبان له ثم سار إلى ملطيه يشغل الأشرف عن الموصل حتى ينال منها صاحب إريل وممرض في طريقه فعاد ومات سنة ست عشرة وخلف بيته صغاراً وكان أخوه كيغباد محبوساً منذ أخذته من أنكورية فآخرجه الجندي من مجلسه وملكته وقتيل: بل أخرجه هو من مجلسه وعهد إليه ولما ملك خالقه عليه عمه صاحب أرزن الروم فوصل به بالأشرف وعقد معه صلحًا.

### الفتنة بين كيغباد وصاحب آمد من بني أرتق وفتح عدة من حصونه

كانت الفتنة قد حدثت بين الأشرف صاحب الجزيرة والمعلم صاحب دمشق وجاء جلال الدين خوارزم من الهند سنة ثلاث وعشرين بعد هروبه أمام التتر فملك أذربيجان واعتنى به المعلم صاحب دمشق على الأشرف وظاهرهما الملك مسعود صاحب آمد من بني أرتق فأرسل الأشرف إلى كيغباد ملك الروم يستجده على صاحب آمد والأشرف يومئذ حاصل ماردین فسار كيغباد وأقام على ملطيه وجهز العساكر من هناك إلى آمد ففتح حصوناً عدة وعاد صاحب آمد إلى موافقة الأشرف فكتب إلى كيغباد أن يرد عليه ما أخذه فامتنع ببعث عساكره إلى صاحب آمد مددًا على كيغباد وكان حاصل لقلعة الكحنا فلقيهم وهزمهم وأتى بهم وعاد ففتح القلعة والله أعلم.

### استيلاء كيغباد على مدينة أرزنكان

كان صاحب أرزنكان هذه بهرام شاه من بني الأحدب بيت قديم في الملك وملكتها ستين سنة ولم يزل في طاعة قليج أرسلان وولده وتوفي فملك بعده ابنه علاء الدين داود شاه وأرسل عنه كيغباد سنة خمس وعشرين ليعسكن معه إليه وقبض عليه وملك مدينة أرزنكان وكان من حصونه كما حفظها فامتنع نابه فيه وتهدد داود شاه ببعث إلى نابه فسلم له الحصن ثم قصد أرزن الروم وبها ابن عمر طغرل شاه بن قليج أرسلان ببعث بن طغرل شاه بطاعته للأشرف واستجدى نابه بمخالط حسام الدين علي فesar في فخام كيغباد عن لقائه وعاد من أرزنكان إلى بلاده فوجد العدو من

## وفاة كيغباد وملك أخيه كيكاووس

ولما كثر عيش التتر الذين مع ييكو في مملكة علاء الدين كيغباد واعتمد على المسير إلى الخان الأعظم منكورخان يؤكد الدخول في طاعته ويقتضي مراسمه إلى ييكو ومن معه من المغل بالكف عن البلاد سار من قونية سنة خمس وخمسين وعشرين سيف الدين طرنطاي من موالي أخيه واحتل معه الأموال والهدايا وسار وواثب آخره عز الدين كيكاووس على أخيه الآخر قليج أرسلان فاعتقله بقونية واستولى على الملك وكتب في إثر أخيه إلى سيف الدين طرنطاي مع بعض الأكابر من أصحابه أن يكتوه من الهدايا التي معهم يتوجه بها إلى الخان ويردوا علاء الدين فلم يدركوه حتى دخل بلاد الخان وتزل على بعض أمرائه.

فسوى ذلك الرسول في علاء الدين وطنطاي بأن معهم ستة فرسانهم الأمير فوجد شيئاً من الجمودة فعرض عليهم أكلها فامتنعوا فتخيل تخييل السعاية فسألوه إحضار الأطباء فأذروا عنه الشك وبعث بهم إلى الخان ومات علاء الدين أثناء طريقه ولما اجتمعوا عند الخان اتفقوا على ولادة عز الدين كيكاووس وأن أكبر وعقدوا له الصلح مع الخان فكتب له وخلع عليهم ثم كتب ييكو إلى الخان بأن أهل بلاد الروم قاتلواه ومنعوه العبور فأحضر الرسل وعرفهم الخبر فقالوا: إذا بلغناهم كتاب السلطان أذعنوا. فكتب الخان بتشريك الأمراء عز الدين كيكاووس وأخيه ركن الدين قليج أرسلان على أن تكون البلاد قسمة بينهما فمن سيواس إلى القسطنطينية غرباً لعز الدين ومن سيواس إلى أرزن الروم شرقاً المتصلة ببلاد التتر ركن الدين وعلى الطاعة وحمل الآتاوة لمنكورخان ملكهم صاحب الكرسي بقارقروم ورجعوا إلى بلاد الروم وحملوا معه شلوقيباد إلى أن دفونه.

## استيلاء التتر على قونية

ثم سار ييكو في عساكر المغل إلى بلاد الروم ثلاثة فيعث عز الدين كيكاووس العساكر للقائه مع أرسلان أيدغمش من أمرائه فهزمه ييكو وجاهه في اتباعه إلى قونية فهو رب عز الدين كيكاووس إلى العلايا بساحل البحر فنزل ييكو على قونية وحاصرها حتى استأمنوا إليه على يد خطيبهم ولما حضر إليه أكرمه ورفع منزلته وأسلمت أمراته على يده وأمن أهل البلد ثم سار هلاكرا إلى بغداد سنة خمس وستين ويعث عن ييكو وعساكره من بلاد الروم بالحضور معه فاعتذر بالأكراط الذين في طريقه من الغراسية

جلال الدين آخرهم إلى الهند ثم رجع واستولى على أذربيجان وعرق العجم وكان بنو أيوب يومند بمالك الشام وأرمينة كما نذكر ذلك كله في أماكه إن شاء الله تعالى.

وانتشر التتر فيسائر النواحي وعاثوا فيها وتغلبوا عليها واستفحلا ملوكهم فسارت منهم طوائف إلى بلاد الروم سنة إحدى وأربعين فبعث غياث الدين كنخسرو بالصريح إلى بني أيوب وغيرهم من الترك في جواره وجاء المدد من كل جانب فسار للقائهم ولقيتهم المقدمة على قشمير زنجان فانهزمت المقدمة ووصلوا إليه فانهزم ونجا بعياله وذريته إلى مدينة على مسيرة شهر من المترك ونهوا سواده وخلفه وانتشروا في نواحي بلاد الروم وعاثوا فيها وتحصن غياث الدين بهذه المدينة واستولى التتر على خلاط وأمد ثم استأمن لهم غياث الدين ودخل في طاعتهم واستقامت أمره معهم إلى أن مات قريباً من رجوعه وملك التتر قيسارية والله أعلم.

## وفاة غياث الدين وولاية ابنه كيغباد

ثم توفي غياث الدين كنخسرو سنة أربع وخمسين وترك ثلاثة من الولد أكبرهم علاء الدين كيغباد وعز الدين كيكاووس وركن الدين قليج أرسلان وولي علاء الدين كيغباد بعهده إليه وكان يخطب لهم جيماً وأمرهم واحد وكان جنكيزخان ملك التتر قد هلك وكان كرسى سلطانهم بقارقروم وولي مكانه ابنه طلوخان وجلس على كرسيه وهو الخان الأعظم عندهم وحكمه ماض في ملوك الشمال وال العراق من أهل بيته وسائر عشيرته ثم هلك طلوخان وولي مكانه في كرسيه ابنه منكورخان فبعث أخاه هلاكرو لفتح العراق وببلاد الإسماعيلية سنة خمسين وستمائة فسار لذلك وملك العراقيين وببغداد ثم جرد الخان الأعظم منكورخان إلى بلاد الروم سنة أربع وخمسين أميراً من أمراء المغل اسمه ييكو في العساكر فسار إلى أرزن الروم وبها سنان الدين ياقوت مولى السلطان علاء الدين فحاصرها شهرين ونصب عليها الحصار ثم ملكها عنده وأسر ياقوت واستلهم الجن بأسره واستبقى الباعة والصناع ثم سار إلى بلاد الروم فملك قيسارية ومسيرة شهر منها ورجع ثم عاد سنة خمس وخمسين وعاش في البلاد واستولى على أكثر من الأول والله تعالى أعلم.

خبر عز الدين كيكاووس

ولما انهزم عز الدين كيكاووس ولحق بالقسطنطينية احسن  
إليه مخايل الشكري صاحب قسطنطينية وأجرى عليه الرزق وكان  
معه جماعة من الروم أحواله فحدثهم أنفسهم بالثورة وتملك  
القسطنطينية وغنى ذلك عنهم فقبض الشكري عليه وعلى من معه  
واعتقله بعض القلاع ثم وقعت بين الشكري وبين منكورم بن  
طغان ملك الشمال من بني دوشي خان بن جنكيزان ختنة وغزا  
منكورم القسطنطينية وعادت في نواحيها فهرب إليه كيكاووس من  
محبسه فمضى معه إلى كرسيه بصرى فمات هنالك سنة سبع  
وسبعين وخلف ابنه مسعوداً وخطب منكورم ملك صرای أنه  
فمنها وهرب عنه ولحق بابقا بن هلاكر ملك العراق فأحسن إليه  
وأقطعه سوساس وأرزن الروم وأرزنكان فاستقر بها.

مقتل رکن الدین قلیچ ارسلان و ولایة ابنه  
کنخسرو

كان معين الدين سليمان البرنواه قد استبد على ركن الدين قليع ارسلان ثم تنكر له ركن الدين فخاف سليمان البرنواه على مكان أخيه عن الدين كيكاووس بالقسطنطينية ان يحدث فيه أمراً فلما بلغه خبر كيكاووس واعتقاله بالقسطنطينية أحكم تدبيره في ركن الدولة فقتله غيلة ونصب للملك ابنه غياث الدين في كفالته وقت حجره واستقل بملك بلاد الروم واستقامت أمره والله سبحانه وتعالى أعلم.

## استيلاء الظاهر ملك مصر على قيسارية ومقتل البرنواه

كان هلاكوا قد زحف إلى الشام سنة ثمان وخمسين مراراً وزحف ابنه إيقا كذلك وقاتلهم الملك الظاهر صاحب مصر والشام وكان كثيراً ما ينال فهم إلى بلادهم فدخل سنة خمس وسبعين إلى بلاد الروم وأميرها يومئذ من التتر طغا وأمده أباً ياماً من التتر وهو كداون وترقوا لحماية بلاد الروم من الظاهر فزحروا إلى الشام وسار إليهم الظاهر من مصر في مقدمته سفر الأسرى فلقيت مقدمته على كوكص فانهزم التتر وتبعهم الظاهر والتقي الجمعان على إيليش فانهزموا ثانية وأنحن فيهم الظاهر بالقتل والأسر إلى قيسارية فملكتها وكان البربروناه قد دس

والباروقيه فبعث اليهم هلاكو العساكر فأجلقوا وانهت العساكر  
إلى أذربيجان وقد أجفل أهلها أمام الأكراد فاستولوا عليها  
ورجعوا صحبة يكوا إلى هلاكو فحضر معه فتح بغداد وقد مر  
خبرها في أحجار الخلقاء.

ويأتي في أخبار هلاكو ونبيل أن ييكو لما بعث عنه هلاكو لم يحضر معه فتح بغداد واستمر على غدره فلما انقضى أمر بغداد بعث إليه هلاكو من سقاوه السُّمْ فمات لأنَّه اتهمه بالاستبداد ثم سار هلاكو بعد فتح بغداد إلى الشام سنة ثمان وخمسين وحاصر حلب وبعث عن عز الدين كيكاووس وركن الدين قلبيج أرسلان وعن معن الدين سليمان البرنواه صاحب دولتهم. وكان من خبره أنَّ إيه مهذب الدين علي من الدبلِم وطلب العلم ونبيه ثم تعرض للوزير سعد الدين المستوفى أيام علاء الدين كيغداد يساله إجراء رزقه وكان وصافاً فاستحسنَه وزوجته ابنته فولدت سليمان ونشأ في الدولة ومات سعد الدين المستوفى فرقى السلطان مهذب الدين إلى الوزارة وألقى إليه بالمقاليد وتوفي مهذب الدين وترقى ابنه سليمان مهذب الدولة وكان يلقب معين الدين وترقى في الرتب إلى أن ولَّ الحجاجة وكان يدعى البرنواه ومعناه الحاجب بلغتهم وكان مخضراً بركن الدين فلما حضر معهما عند هلاكو كما قلناه حالاً بعينه وقال لركن الدين: لا يأتيني في أموركم إلا هذا. فرقَت حاله إلى أن ملك بلاد الروم أجمع.

الفترة بين عز الدين كيكاووس وأخيه قليج  
أرسلان واستيلاء قليج أرسلان على الملك

ثم وقعت الفتنة سنة تسع وخمسين بين عز الدين كيكاووس وأخيه ركن الدين قليج أرسلان وسار ركن الدين ومعه البرنواه إلى هلاكو يستمدده على أخيه فأمده بالعساكر وحارب أخيه فهزمه عز الدين أولًا ثم أمده هلاكو فانهزم عز الدين ولحق بالقسطنطينية واستولى ركن الدين على سائر الأعمال وهرب التركمان إلى أطراف الجبال والغور والسواحل وبعثوا إلى هلاكو يطلبون الولاية منه على أخيائهم فولاهم وأذن لهم في اتخاذ الآلة فصاروا ملوكاً من حيث ذكر وكان محمد بك أميرهم وأخوه علي بك رديفه فاستدعي هلاكو محمد بك فلم يأته فامر قليج أرسلان وعساكر التتر الذين معه بقتاله فساروا وقاتلوا فانهزم ثم استأنف إلى السلطان ركن الدين فأmente وجاء به إلى قونية فقتلته واستقر علي بك أميراً على التركمان وأورئها بيته واستولى التتر على البلاد إلى أن كان ما سنتذكره إن شاء الله.

داود آخر الـ أرسلان وداود آخر طغرليك كما مر ولقب إسماعيل قطب الدولة وكان له مولى تركي اسمه سكمان بالكاف والقاف وكان ينسب إليه فيقال: سكمان القطي وكان شهماً عادلاً في أحکامه وكانت خلاط وأرمينية لبني مروان ملوك ديار بكر وكانتوا في آخر دولتهم قد اشتدا عسفهم وظلمهم وساء حال أهل البلد بهم فاجتمع أهل خلاط وكاتبوا سكمان واستدعوه ليملكونه عليهم فسار إليهم سنة الثنتين وخمسة إلى ميافارقين من ديار بكر فحاصرها حتى استأمنوا إليه وملكونها.

ثم أمر السلطان محمد شاه بن ملك شاه الأمير مودود بن مزيد بن صدقة صاحب الموصل بغزو الأفريقي وانتزاع البلد من أيديهم وأمر أمراء التغور بالمسير معه فسار معه برسق صاحب همنان وأحد بك صاحب مراغة وأبو الميجاء صاحب إربيل وأبو العازمي صاحب ماردین وسكمان القطي صاحب ديار بكر فساروا لذلك وفتحوا عدة حصون وحاصرروا الرها فامتنعت عليهم ثم تل باشر كذلك واستدعاهم رضوان بن تشن صاحب حلب فلما ساروا إليه امتنع من لقائهم ومرض سكمان القطي هنالك فرجع عنهم وتوفي في طريقه بيسالس وافتقرت العساكر وملك خلاط وبلاط أرمينية بعد مهلكة ابنه ظهير الدين إبراهيم وسار فيهم سيرة أبيه إلى أن هلك سنة إحدى وعشرين وملك بعده أبوه أحد بن سكمان عشرة أشهر ثم توفي فنصب أصحابه للملك بأرمينية وخلاط شاه أرمن سكمان ابن أخيه إبراهيم بن سكمان صبياً دارجاً واستبدلت عليه جدته أم إبراهيم ثم أزمعت قتلها أهل الدولة وعمد سنة ثمان وعشرين واستبد شاه أرمن وكانت بينه وبين الكرج وقائع وساروا سنة ست وخمسة إلى مدينة آنى من أعمال آران فاستباحوها وسار إليهم في العساكر فهزموه ونالوا منه وكانت عنده أخت طلبيق بن علي صاحب أرزن الروم ووافقت بينه وبين الكرج حرب فانهزم طلبيق وأسر وبعث شاه أرمن إلى ملك الكرج فقاده طلبيقاً ورده إلى ملكه بارزن.

ثم استول صلاح الدين بن أيوب على مصر والشام واستفحلا ملكه وكاتبته مظفر الدين كوكبri وأغراه بملك المزبرة ووعده بخمسين ألف دينار وسار صلاح الدين إلى سنجار فحاصرها وهو جمع المسير إلى الموصل وبها يومئذ عز الدين مودود بن زنكي فاستجذ بشاه أرمن صاحب خلاط فبعث شاه أرمن مولاًه مكتئراً إلى صلاح الدين شفيعاً في صاحب الموصل ووفد عليه وهو محاصر لسنجار لم يشفعه صلاح الدين فرجع عنه مفاصباً وسار شاه أرمن لقتاله واستدعى قطب الدين نجم الدين إلى صاحب ماردین وهو ابن أخيه وابن خال عز الدين وحضر

إليه واستحثه للوصول إلى بلاده فاقام الظاهر على قيسارية يتظره ويبلغ ملك التتر إيقا خبر الواقعه فزحف في جموع المغل إلى قيسارية بعد منصرف الظاهر إلى بلاده فلما وقف على مصارع قومه وجذ على البرنواه وصدقت عنه السعاية فيه وأنه الذي استحث الظاهر لأنه لم ير في المعركة مصرع أحد من بلاد الروم ورجع إلى معسركه ومعه سليمان البرنواه واستبدل بملكه والله تعالى ولي التوفيق وهو نعم الرفيق لا رب سواه ولا معبد إلا إيه سبحانه.

## خلع كخسرو ثم مقتله وولادة مسعود ابن عممه كيكاؤس

كان قطنطرطي بن هلاكو مقيماً ببلاد الروم مع غياث الدين كخسرو وملك بلاد الروم وصار أمير المغل بها منذ عهد أبها وما ولـ أحد تكرار بن هلاكو بعد أخيه إيقا بعث عن أخيه قطنطرطي وفاته من الوصول إلى خشية على نفسه ثم حلـه غياث الدين على إجابة أخيه وسار معه فقتل تكرار أخاه قطنطرطي وانهم المغل غياث الدين بأنه علم برأي تكرار فيه واعتمد فلما ولـ أرغون بن إيقا بعد تكرار عزل غياث الدين عن بلاد الروم وجسـه بـارـزنـكـاي وـولـ مـكانـهـ عـلـيـ المـغلـ بـيـلـادـ الرـومـ هوـلاـكـوـ وـذـلـكـ سـنـةـ اـثـنـيـنـ وـثـمـانـينـ وـأـقـامـ مـسـعـودـ مـلـكـ بـيـلـادـ الرـومـ سـنـةـ ثـمـانـ عـشـرـةـ وـسـيـعـمـانـةـ وـأـصـابـهـ الفـقـرـ وـأـخـلـ أـمـرـهـ وـبـقـيـ الـمـلـكـ بـهـ لـلـتـرـ ثـمـ فـشـلـ أـمـرـهـ وـاضـمـحلـتـ دـوـلـهـ إـلـاـ بـقـاـيـاـ بـسـيـوـاسـ منـ بـنـيـ أـرـثـاـ مـلـوـكـ دـمـرـدـاشـ بـنـ جـوـمـانـ وـأـسـتـولـ الـتـرـكـمـانـ عـلـىـ تـلـكـ الـبـلـادـ أـجـعـ وـأـصـبـ مـلـكـهـ لـهـ وـالـلـهـ غـالـبـ عـلـىـ أـمـرـهـ بـؤـتـيـ الـمـلـكـ مـنـ يـشـاءـ وـهـ الرـعـيـزـ الـحـكـيمـ.

## ملوك قونية من بلاد الروم وملوكها من أيديهم التتر

الخبر عن بنى سكمان موالي السلاجوقية  
ملوك خلاط وبلاط أرمينية ومصير الملك إلى  
مواليهم من بعدهم ومبادئ أمرهم  
وتصاريف أحوالهم

كان صاحب مزيد من أذربيجان إسماعيل بن ياقوت بن

السلجوقية وقد زوج ابنته من شاه أرمن طمعاً في ملك خلاط فلما توفي شاه أرمن سار إليها في عساكره فكاتب أهل خلاط صلاح الدين بن أيوب ودافعوا كلّاً منها بالآخر وسار صلاح الدين في مقدمته ابن عمّه ناصر الدين محمد بن شيركوه ومظفر الدين بن زين الدين وغيرهما وزنلوا قريباً من خلاط فتردد الرسل من صلاح الدين ومن شمس الدين البهلوان إلى أهل خلاط وهم يدافعون التريين وكان قد بلغه وفاة صاحبها قطب الدين وان برتش نصب ابنه طفلاً صغيراً واستبد عليه فسار صلاح الدين إليها وحاصرها حتى تسلّمها على الأمان وأقام مكتمر أميراً بخلاط وطالت مدة وجرت بيته وبين صلاح الدين فتن وحروب إلى أن توفي صلاح الدين سنة تسعة وثمانين فأظهر الشمامنة به وتسمى عبد العزيز وتلقب سيف الدين وتوفي أثر ذلك والله تعالى أعلم.

### وفاة مكتمر وولاية أقستقر

كان مكتمر لأول ولاداته قد اختص أقستقر من موالي شاه أرمن وتلقب هزارديناري وزوجه ابنته وجعله أتابكه فأقام على ذلك مدة ثم استوحش من مكتمر وتربيص به حتى إذا توفي صلاح الدين تجهز مكتمر من ميافارقين فامكتمه فيه الفرصة لعشرين سنتين من ولادته وذلك بعد وفاة صلاح الدين بشهرين واستبد ملك خلاط وأرمينية واعقل ابن مكتمر وأمه في بعض القلاع والله سبحانه وتعالى أعلم.

### وفاة أقستقر وولاية محمد بن مكتمر

ثم هلك أقستقر صاحب خلاط وأرمينية سنة أربع وستين خمس سنتين من ملكه وقام بملك خلاط بعده حجر اشتيد قطلغ الأرمي ولم يرضه خلاط فوثبوا به لسبعة أيام من ولادته وقتلوه واستدعوا محمد بن مكتمر من محسه وملكتوه ولقبوه الملك المنصور وقام بدولته شجاع الدين قطلغ الفرجاني دوادار شاه أرمن وأقام تحت استبداده إلى ستة ثلاث وستمائة ثم دبر الدوادار وبقبض عليه وكان حسن السيرة فاستوحش لذلك الجندي وال العامة وعكف بعد تكبة الدوادار على لذاته فاجتمع أهل خلاط والجندي وكبارهم بلبان ملوك شاه أرمن وكتبوا إلى أرتق بن أبي الغازى بن أبي صاحب ماردين يستدعونه للملك بما كان ابن أخت شاه أرمن وجاهر بلبان بالعصيان إلى ملاذكرا واجتمع الجندي عليه.

معه دولة شاه بن طغرل شاه بن قليج أرسلان صاحب.

وسار سنة ثمان وسبعين وقد ملك صلاح الدين سنجار وافتقرت العساكر فلما بلغه مسيرهم بعث عن تقى الدين ابن أخيه شاه من حمة فوافاه سريعاً ورحل إلى رأس عين الموصل وافتقرت جوعهم وسار صلاح الدين إلى مارددين فعاد في نواحيها ورجع ثم سار إلى الموصل آخر إحدى وتلتين وعبر إلى الجزيرة وانتهى إلى حران ولقيه مظفر الدين كوكبى بن زين الدين ولم يف له بالخمسين ألفاً التي وعده بها وأخذ منه حران والرها ثم أطلقه بما نفذه من مكانتبه وأعاد عليه بلدته وسار من حران فحضر عنده عساكر الحصن ودارا ولقيه سنجار شاه صاحب الجزيرة ابن أخيه عز الدين مودود مفارقاً لطاعة عمه وسار معه إلى الموصل.

ولما انتهى إلى مدينة الأبله بعث إليه عز الدين ابن عمّه نور الدين محمود وجاءه من أعيان الدولة راغبين في الصلح فاكترمهم واستشار أصحابه من أعيان الدولة فأشار على بن أحد المشطوب كبير المكارية بالامتناع من ذلك فردهم صلاح الدين واعتذر وسار فنزل على فرسخين من الموصى واشتدا في مدافعته فامتنعوا عليه فندم على عدم الصلح ورجع على علي المشطوب ومن وافقه باللامنة وخاطبه القاضي الفاضل اليسياني من مصر وعزله في ذلك وجاء زين الدين يوسف بن زين الدين صاحب إربيل وأخوه مظفر الدين كوكبى فلتقاهم بالتكرمة واتزلموا مع الحشود الواقفة بالجانب الشرقي وبعث على بن أحد المشطوب المكارى إلى قلعة الجزيرة من بلاد المكارية فحاصرها واجتمع عليه الأكراد ولم يزل حاصراً لها حتى عاد صلاح الدين من الموصى وأقام صلاح الدين على حصارها مدة وبلغ عز الدين أن نابه بالقلعة يكتبه فمنعه من الصعود إليها وكان يقتدي برأي مجاهد الدين ميافارقين.

### وفاة شاه أرمن سكمان وولاية مكتمر مولى أبيه

ثم توفي شاه أرمن سكمان بن إبراهيم بن سكمان صاحب خلاط سنة ست وسبعين وكان مكتمر مولى أبيه ميافارقين فأسرع الوصول بن معه من المالكين واستولى على كرسى بني سكمان وولي على ميافارقين أسد الدين برتش من موالي شاه أرمن وكان البهلوان بن إيلذكر صاحب أذربيجان وهمندان مر بقائد ملوك

أصحاب نجم الدين بالقلعة ونادوا بشعار شاه أرمن وقومه فرجع الأوحد ولا قاتل عسكر الجزيرة وحاصر خلاط ثم اختلف أهلها فدخلها عليهم عنوة واستباحها ونقل جماعة من أعيانها إلى ميافارقين وقتل كثيراً منهم هناك واستكان أهل خلاط بعدها وأتى حكم المماليك بعد أن كانوا مستحکمين فيها يولون ملوكها وبلغونهم وانقرضت دولة بيبي سکمان من خلاط وصارت لبني أيوب والبقاء لله وحده والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين وإليه المرجع.

آخر دولة السلاجقة بخلاق وآرمینیة وقد ملكها منهم بنو أيوب.

### أخبار الإفرنج فيما ملكوه من سواحل الشام وثوره وكيف تغلبوا عليه وبداية أمرهم في ذلك ومصائره

قد تقدم لنا أول الكتاب الكلام في أنساب هذه الأمة عند ذكر أنساب الأمم وأنهم من ولد يافث بن نوح ثم من ولد رفقات بن كورم بن يافث إخوة الصقالبة والخزر والترك.

وقال هروشيوس: إنهم من عصر ابن غور.

وأما مواطنهم من بلاد العمور فإنه من شمال البحر الرومي من خليج رومة إلى ما وراء النهر غالباً وشمالاً وكانوا أولاً يدينون لليونان والروم بالطاعة عند استفحال أمرهم فلما انقرضت دولة أوئلث استقل هؤلاء الإفرنج بملكتهم وافتقو دولـة مثل نقوط الأنجلوس والجلالقة بعدهم وملك المانين - بالتفخيم - من جزيرة انكلطرة بالبحر المحيط الغربي الشمالي وما يحيط به ويقابلها العمور ومثل ملوك إفريقيـة وهو عندهم اسم إفرنجـة يعنيـه والجـسم ينطـقون بها سـيـنا وـهم ما وـراء خـلـيج رـومـة غالـباً إـلـى الثـانـيـاـ المـفـضـيـة إـلـى جـزـيرـةـ الأـنـجـلـوسـ فـيـ الجـيلـ المـحـيطـ منـ شـرقـيـهاـ وـتـسـمـيـ تـلـكـ الثـانـيـاـ البرـدتـ وـكـانـتـ دـولـةـ هـؤـلـاءـ الإـفـرـنجـ مـنـهـمـ مـنـ أـعـظـمـ دـولـهـ واستـفحـالـ أمرـهـ بـعـدـ الرـومـ وـصـدـراـ مـنـ دـولـةـ الإـسـلـامـ الـعـرـبـةـ فـسـمـواـ إـلـىـ مـلـكـ بـلـادـ الـمـشـرـقـ مـنـ نـاحـيـتهاـ وـتـغـلـبـواـ عـلـىـ جـزـرـ الـبـحـرـ الروـميـ فـيـ آخـرـ الـمـائـةـ الـخـامـسـ وـكـانـ مـلـكـهـ لـذـلـكـ الـعـهـدـ بـرـدوـيلـ فـبـعـثـ رـجـالـاـ مـنـ مـلـوـكـهـ إـلـىـ صـيـلـيـةـ وـمـلـكـهـ مـنـ يـدـ الـمـسـلـمـيـنـ سـنـةـ ثـمـانـيـنـ وـأـرـبعـعـةـ ثـمـ سـمـواـ إـلـىـ مـلـكـ ما وـراءـ النـهـرـ مـنـ إـفـرـيقـيـةـ وـبـلـادـ الشـامـ وـالـاسـتـيـلـاءـ عـلـىـ بـيـتـ الـقـدـسـ وـطـالـ تـرـددـهـ فـيـ ذـلـكـ.

### نكبة ابن مكتمر واستيلاء بلبان على خلاط وأعمالها

ولما ملك بلبان مدينة ملاذكـرـدـ وأعمالـهـ واجـمـعـ عـلـىـ الجنـدـ وـسـارـ بـرـيدـ خـلاـطـ وـوـصـلـ أـرـتقـ بنـ أـبـيـ الشـازـيـ صـاحـبـ مـارـدـينـ لـمـوـعـدـهـ وـنـزـلـ قـرـيـاـ مـنـ خـلاـطـ فـبـعـثـ إـلـيـهـ بـلـبـانـ أـنـ الجنـدـ وـالـرـعـيـةـ أـتـهـمـونـيـ فـيـكـ فـارـجـعـ وـإـذـ مـلـكـتـ الـبـلـدـ سـلـمـتـ إـلـيـكـ فـتـنـجـ قـلـيـلاـ فـبـعـثـ إـلـيـهـ يـتوـعـدـهـ عـلـىـ مـقـالـتـهـ وـبـطـنـهـ فـعـادـ إـلـىـ مـارـدـينـ وـكـانـ الأـشـرـفـ مـوـسـىـ بـنـ العـادـلـ بـنـ أـبـيـوـبـ صـاحـبـ الـجـزـيـرـةـ وـحرـانـ لـمـ سـعـ بـمـسـيرـ أـرـتقـ إـلـىـ خـلاـطـ طـمـعـ فـيـهـ لـنـفـسـ وـخـشـيـ أـنـ يـزـدـادـ بـلـكـهـ قـوـةـ عـلـيـهـ فـخـالـفـهـ إـلـىـ مـارـدـينـ وـأـقـامـ بـتـلـيـسـ وـجـبـيـ دـيـارـ بـكـرـ حـتـىـ اـسـتـوـعـبـهـ وـعـادـ إـلـىـ حرـانـ.

ثم جـعـ بـلـبـانـ العـساـكـرـ وـسـارـ إـلـىـ خـلاـطـ فـحاـصـرـهـ وـبـرـزـ أـبـنـ مـكـتـمـرـ فـيـنـ عـنـدـهـ فـانـهـمـ بـلـبـانـ وـعـادـ إـلـىـ لـاـيـهـ بـلـادـ مـلـاـذـكـرـدـ وـأـرـجـيشـ وـغـيرـهـ ثـمـ جـعـ وـرـجـعـ إـلـىـ خـلاـطـ فـحاـصـرـهـ وـضـيـقـ عـلـيـهـ وـابـنـ مـكـتـمـرـ عـاـكـفـ عـلـىـ لـذـاهـهـ فـلـمـ جـهـدـهـ الحـصـارـ شـارـوـاـ بـهـ وـقـبـضـوـهـ وـمـكـنـواـ بـلـبـانـ مـنـهـ وـدـخـلـ إـلـىـ خـلاـطـ وـاستـولـيـ عـلـيـهـ وـعـلـىـ سـائـرـ أـعـمـالـهـ وـجـبـيـسـ بـنـ مـكـتـمـرـ فـيـ قـلـعـةـ هـنـاكـ وـاسـتـبـدـ بـلـكـهـ وـكـانـ الأـوـحدـ نـجـمـ الدـيـنـ أـبـيـوـبـ بـنـ العـادـلـ بـنـ أـبـيـوـبـ قـدـ وـلـيـ عـلـىـ مـيـافـارـقـيـنـ مـنـ قـبـلـ أـبـيـهـ إـلـىـ خـلاـطـ سـنـةـ أـرـبعـ وـسـتـمـائـةـ وـقـصـدـ مـديـنـةـ سـوسـ وـحـاصـرـهـ وـمـلـكـ مـاـ بـيـارـهـ وـعـجـزـ بـلـبـانـ عـنـهـ ثـمـ مـلـكـ سـوسـ وـقـصـدـ خـلاـطـ فـبـرـزـ لـهـ بـلـبـانـ وـهـزـمـهـ فـعـادـ إـلـىـ مـيـافـارـقـيـنـ وـجـعـ وـاسـتـمـدـ أـبـاهـ العـادـلـ فـأـمـدـهـ بـالـعـساـكـرـ وـنـهـضـ إـلـىـ خـلاـطـ فـبـرـزـ لـهـ بـلـبـانـ ثـانـيـةـ وـهـزـمـهـ الأـوـحدـ وـحـاصـرـهـ فـيـ خـلاـطـ فـبـعـثـ بـلـبـانـ إـلـىـ طـفـرـلـ يـسـتـجـدـهـ فـانـهـمـ الأـوـحدـ أـمـامـهـماـ وـسـارـ بـلـبـانـ مـعـ طـفـرـلـ إـلـىـ مـرـاشـ فـحـاصـرـهـ وـغـدرـ بـهـ طـفـرـلـ وـقـتـلـهـ وـسـارـ إـلـىـ خـلاـطـ فـمـعـهـ أـهـلـهـ فـسـارـ إـلـىـ مـلـاـذـكـرـ فـمـعـهـ كـذـلـكـ فـعـادـ إـلـىـ أـرـزنـ.

وـأـرـسـلـ خـلاـطـ بـطـاعـتـهـ إـلـىـ الأـوـحدـ نـجـمـ الدـيـنـ فـنـجـاءـ وـمـلـكـ خـلاـطـ وـأـسـتـولـيـ عـلـىـ أـعـمـالـهـ وـرـجـفـ الـكـرـجـ فـأـنـغـارـوـاـ عـلـىـ خـلاـطـ وـعـاـثـرـاـ فـيـ نـوـاحـيـهـ وـأـوـحدـ مـقـيمـ بـخـلاـطـ لـمـ بـفـارـقـهـ وـأـنـقـضـ عـلـيـهـ جـمـاعـهـ مـنـ عـسـكـرـ بـخـصـنـ رـامـ وـسـارـوـاـ إـلـىـ مـديـنـةـ أـرـجـيشـ فـمـلـكـهـ وـاجـمـعـ إـلـيـهـ الـمـقـدـسـوـنـ وـبـعـثـ نـجـمـ الدـيـنـ إـلـىـ أـبـيـهـ العـادـلـ يـسـتـجـدـهـ فـأـمـدـهـ بـابـهـ الـأـخـرـ شـرـفـ الـدـيـنـ مـوـسـىـ فـحـاصـرـ حـصـنـ رـامـ حـتـىـ اـسـتـأـمـنـ إـلـيـهـ مـنـ كـانـ بـهـ مـنـ الـجـنـدـ وـرـجـعـ الـأـشـرـفـ إـلـىـ عـمـلـهـ بـحـرـانـ وـالـرـهـاـ وـاسـتـقـرـ نـجـمـ الدـيـنـ بـخـلاـطـ ثـمـ سـارـ إـلـىـ مـلـاـذـكـرـ لـيـطـالـعـ أـمـورـهـ وـيـهـدـهـاـ فـثـارـ أـهـلـ خـلاـطـ بـعـسـكـرـهـ فـأـخـرـجـوـهـ وـحـصـرـوـهـ

فصالحهم ابن منقذ عليها وساروا إلى حصن وحاصروها فصالحهم  
عليها جناح الدولة وساروا إلى عكا فامتنعت عليهم وكان يبت  
المقدس قد ملكه السلاجقة وصار لشاح الدولة تشن وأقطعه  
لسكمان بن أرتقى من التركمان فلما كانت واقعة الإفرنج بانطاكية  
طبع أهل مصر فهم وسار الأفضل بن بدر الجمال المستولي  
العلويين بمصر إلى بيت المقدس وبها سكمان وأبو الغازى ابن أرتقى  
وابن عمهم سرع وابن أخيهما ياقوتى فحاصروه نيفاً وأربعين  
يوماً ونصبوا عليه نيفاً وأربعين منجنيناً وملوكه بالأمان سنة إحدى  
وستين وأربعمائة وأحسن الأفضل إلى سكمان ولابي الغازى  
وأصحابهما وسرجهم إلى دمشق وعبروا الفرات.

وأقام سكمان بالرها وسار أبو الغazi إلى العراق واستتب  
الأفضل عليها افتخار الدولة الذي كان بدمشق فقصده الإفرنج  
بعد أن حاصروا عكا وامتنع عليهم فحاصروه أربعين ليلة  
وافتقوا على جوانب البلد فملکوها من الجانب الشمالي آخر  
شعبان من السنة واستباحوها وأقاموا فيها أسبوعاً واعتضم بعض  
ال المسلمين بمحراب داود وقاتلوا فيه ثلاثة حتى استأمنوا ولحقوا  
بعسقلان وأحصى القتلى من الأئمة والعلماء والعباد والزهاد  
المجاوريين بالمسجد فكانوا سبعين ألفاً أو يزيدون وأخذ من المساور  
المعلقة عند الصخرة أربعون قنديلاً من الفضة كل واحد منها ثلاثة  
الآف وستمائة وستون درهماً من الفضة زنته أربعون رطلاً  
بالشامي ومائة وخمسون قنديلاً من الصinar وما لا يمحض من غير ذلك.

و جاء الصريح إلى بغداد صحبة القاضي أبي سعيد المروي  
و وصف في الديوان صورة الواقعه فكر البكاء والأسف ووبسم  
الخلفية يسير جماعة من الأعيان والعلماء منهم القاضي أبو محمد  
الدماقلي وأبو بكر الشاشي وأبو الروفاه بن عقيل إلى السلطان  
بركيارق يستصرخونه للإسلام فسأروا إلى حلسوان وبلغهم  
اضطراب الدولة السلجوقية وقتل محمد الملك ألب أرسلان  
المتحكم في الدولة واحتلال السلاطين فعادوا وتمكن الإفرنج من  
اللادن مما اعمله في تدمير القلاع كتافعه من ملوك

مسير الإفرنج وحرب مصر العسكري

العساكر من مصر لحرب الإفرنج

لما بلغ خبر الواقعة إلى مصر جمع الأنفصار الجيوش والساسة واحتشد وسار إلى عسقلان وأرسل إلى الإفرنج بالنکير والتهديد فأعادوا الجواب ورحلوا مسرعين فكبسوه بعسقلان على

ثم استحثهم وحرضهم عليه فيما يقال خلفاء العبيدين بمصر لما استغل ملك السلاجقة وانتزعا الشام من أيديهم وحاصروه في مصر فيقال: إن المستنصر منهم دس إلى الإفرنج بالخروج وتسهيل أمرهم عليه ليحرروا بين السلاجقة وبين ملوكهم فتجهز الإفرنج لذلك وجعلوا طريقهم في البر على القسطنطينية ومعهم ملك الروم من العبور عليه من الخليج حتى شرط عليهم أن يسلموا له أسطاكه لكنه المسلمين كانوا أخذوها من مالكيتهم فقبلوا شرطه وسهل لهم العبور في خليجه فأجازوا سنة تسعين وأربعينمائة في العدد والعدد.

وانتهوا إلى بلاد قلبيج أرسلان وجع للقائهما فهزمهوه وفر  
بلاد ابن اليون الأرمني ووصلوا أنطاكية وبها باغيسيان من أمراء  
السلجوقية فحاصروه بها ودخلوا صاحب حلب ودمشق على  
صريخه بأن لا يقصدوا غير أنطاكية فأسلموه حتى ضاق به الحصار  
وغدر به بعض الحامية فملك الإفرنج البلاد وهرب باغيسيان فقتل  
وحل إليهم رأسه وكان ملوكهم الحاضرون لذلك خسنة: بردوبل  
وصنجليل وكبريري والقمعص وأسمند وهو مقدم العساكر فرداوا  
إليه أمر أنطاكية وبلغ الخبر إلى المسلمين فسافروا إليهم شرقاً  
وغرباً.

وسائل قوام الدولة كريوفا صاحب الموصى وجمع عساكر الشام وسار إلى دمشق فخرج إليهم دقاق بن تش وطفتكتين أتابك وجناح الدولة صاحب حصن وأرسلان صاحب سنجار وسكمان أرتق وغيرهم من الأمراء ورثفوا إلى أنطاكية فحاصروها ثلاثة عشر يوماً ووهن الإفرنج واشتد عليهم الحصار لما جاءهم على غير استعداد وطلبو الخروج على الأمان فلم يسعفوا ثم اضطرب أمر عساكر المسلمين وأساء كريوفا السيرة فيهم وأذمعوا من استكارةه عليهم فخرج الإفرنج إليهم واستمانتوا فخاذل المسلمين وأنهمروا من غير قتال حتى ظهرت الإفرنج مكيدة فتقاعدوا عن اتياهم واستشهد من المسلمين الروف والله تعالى أعلم.

استيلاء الإفرنج على معرة النعمان ثم على

بیت المقدس

ولما حصلت للإفرنج هذه النكبة في المسلمين طمعوا في  
البلد وساروا إلى معرة النعمان وحاصروها واشتد القتال في  
أسوارها حتى دخل أهلها الجزء فتحصنت بالدور وترکوا السور  
فملکه الإفرنج ودخلوا عليهم فاستباحوها ثلاثة أيام  
يوماً ثم ساروا إلى غزة وحاصروها أربعة أشهر وامتنعت عليهم

ثم عادوا إليه فهزموه وأسر ملوكهم كبرى بطرابلس وقادى نفسه منه يمال عظيم ثم ابن صليحة وجده الحصار فارسل إلى طفركين صاحب دمشق وبعث ابن عمار في طلبه إلى الملك دقاق على أن يدفعه إليه بنفسه دون ماله وبعطيه ثلاثة ألف دينار فلم يفعل وسار ابن صليحة إلى بغداد فوعده إلى وصول رحلة من الأبار فبعث الوزير من استولى عليها فوجد فيها ما لا يحصى من الملابس والعمائم والmantu وانتزع ذلك كله ولما ملك تاج الملوك جبلة أسماء فيها السيرة فراسلوا فخر الملك أبا علي بن عمار صاحب طرابلس واستدعاه لملوكها فبعث إليهم عسكراً وقاتلوا تاج الملك ومن معه هزموه وأخذوه أسرىً وملكونا جبلة بدعة ابن عمار وحملوا تاج الملك إلى ابن عمار فاحسن إليه وبعث إلى أخيه بدمشق واعتذر له بأنه خاف على جبلة من الإفرنج.

### استيلاء الإفرنج على سروج وقيسارية وغيرها

ثم سار كبريري ملك الإفرنج من بيت المقدس ستة أربعين وتسعين لحصارها فأصابه منهم سهم فقتله فسار آخره بقدومن في خمسة وثلاثين فارس إلى القدس ونهض دقاق صاحب دمشق ومعه جناح الدولة صاحب بمحص لاعتراضه هزموا الإفرنج وأخروا جناح الدولة صاحب أهل مدينة الإفرنج وكان أكبرهم ودخل في طاعتهم فهم ثم كاتب أهل مدينة الإفرنج وكان أكبرهم ودخل في طاعتهم وكان سقمان بن أرتق صاحب سروج جمع جموعه من التركمان وسار إلى الراها فلقيه الإفرنج وهزموا في رباع ستة أربعين وتسعين وساروا إلى سروج فحاصروه حتى ملكونا عنوة واستباحوها ثم ملكونا حصن كيفا بقرب عكا عنوة وملكونا أرسوف بالأمان ثم ساروا في رجب إلى قيسارية فملكونا عنوة واستباحوها والله تعالى ولـ التوفيق بمنه وكرمـ.

### حصار الإفرنج طرابلس وغيرها

كان صنجيل من ملوك الإفرنج المذكورين قبل قد لازم حصار طرابلس وزحف إليه قليج أرسلان صاحب بلاد الروم فظهور به وعاد صنجل مهزوماً فارسل الدولة بن عمار صاحب طرابلس إلى أمير آخر نائب جناح الدولة بمحمص إلى دقاق بن تشن يدعوه إلى معالجته فجاء تاج الدولة بنفسه وجاء العسكر مددأً من عند دقاق واجتمعوا على طرابلس وفرق صنجل الفل الذين معه على قتالهم فانهزموا كلهم وقتله هو في أهل طرابلس وشد

غير أبة هزموا واستلهموا المسلمين ونهوا سوادهم ودخل الأفضل عسقلان واقتصر المهزومون واستبدوا ببحر الحمير ووصل الأفضل من عسقلان إلى مصر ونازلا الإفرنج حتى صانع أهلها الإفرنج بعشرين ألف دينار وعادوا إلى القدس.

### إيقاع ابن الداشمند بالإفرنج

كان كمستكين بن الداشمند من التركمان ويعرف بطابرها ومعنى الداشمند العلم كان أبوه يعلم التركمان وتقلبت به الأحوال حتى ملك سيواس وغيرها وكان صاحب ملطيه يعاديه فاستجد عليه اسمند صاحب أنطاكيه فجاءه في خمسة آلاف وسار إليه ابن الداشمند وأسره ثم جاء الإفرنج إلى قلعة أنكوريه فملكوناها وقتلوا من بها من المسلمين ثم حاصروا إسماعيل بن الداشمند فلقيهم كمستكين وهزمهم واستلهمهم وكانوا ثلاثة ألف ثم ساروا إلى ملطيه فملكوناها وأسروا صاحبها وزحف إليه اسمند من أنطاكيه في الإفرنج فهم بهم ابن الداشمند فاتساح الله لل المسلمين على يده هذا الظهور في مدد متقاربة حتى خلص إسمند من الأسر وجاء إلى أنطاكيه والإفرنج بها وبعث إلى قيس العواصم وما جاورها يطلب الإمارة فامتصض المسلمين للذك وتلدوه بعد العهد الذي التزمـ.

### حصار الإفرنج قلعة جبلة

كانت جبلة من أعمال طرابلس وكان الروم قد ملكوناها وولوا على المسلمين بها ابن رئيسهم منصور بن صليحة يحكم بينهم فلما صارت للمسلمين رفع أمرها لجمال الملك أبي الحسن على بن عمار المستبد بطرابلس وبقي منصور بن صليحة على عادته فيها ثم توقي منصور قيام إليه أبو محمد عبد الله مقامه وأظهر الشمامنة فارتاب به ابن عمار وأراد القبض عليه فعصى هو في جبلة وأقام بها الخطة العباسية واستجد عليه ابن عمار دقاق بن تشن فجاءه أناذك طفركين فامتنع عليهم ورجعوا ثم جاء الإفرنج فحاصروها فامتنعت عليهم أيضاً وشاء أن يركبوا جاه إلى الشام فرحلوا ثم عادوا وأظهروا أن الصربين حازوا لإيجاده فرحلوا ثم عادوا فتقدم للنصاري الذين عنده أن يدخلوا الإفرنج في نقـ البلد من بعض أسواره فجهزوا إليهم ثلاثة من أعيانهم فرفعـهم بالحبال واحداً بعد واحدـ وهو قاعد على السور حتى قتلـهم أجمعـين فرحلـوا عنهـ.

وبيد الإفرنج بيت المقدس غير عسقلان وله أيضًا من الشام يافا وأرسوف وقيسارية وحيفا وطبرية والأردن واللاذقية وأنطاكية وله بالجزيرة الراها وسرور وصنجيل عاصر فخر الملك بن عمار بمدينة طرابلس وهو يرسل أسطوله للإغارة على بلاد الإفرنج في كل ناحية ثم دخلت سنة سبع وتسعين فخرج الإفرنج الذين بالرها فاغروا على الرقة وقلعة جبر واتسحروا نواحيها وكانت لسالم بن مالك بن بدران بن المقلد متذ ملكه السلطان ملك شاه إياها سنة تسع وسبعين كما مر والله أعلم.

### استيلاء الإفرنج على جبيل وعكا

وفي سنة سبع وتسعين وصلت مراكب من بلاد الإفرنج تحمل خلقًا كثيرًا من التجار والحجاج فاستعبان بهم صنجيل على حصار طرابلس فحاصرها حتى يشروا منها فارتحلوا إلى جبيل وملوكها بالأمان ثم غدروا بأهلها وافحشوا في استباحتها ثم استجدهم بقدونين ملك القدس على حصار عكا فحاصروها براً وبحراً وفيها بهاء الدولة الجيوشي من قبل ملك الجيوش الأفضل صاحب مصر فدافعهم حتى عجزوا وهرب عنها إلى دمشق وملك الإفرنج عكا عنده وأفاحشوا في استباحتها والله تعالى أعلم.

### غزو أمراء السلجوقية بالجزيرة الإفرنج

كان المسلمين أيام تغلب الإفرنج على الشام في فتنة واختلاف تكون بها الإفرنج واستطلاوا وكانت حران ومحص لدول من موالي ملك شاه اسمه قراجا والموصى بجكرومش ومحصن كيفا لسقمان بن أرتق وعصى في حران على قراجا بامته فيها فاغتاله جاري مولى من موالي الترك وقتلته فطمع الإفرنج في حران وحاصروها وكان بين جكرومش وسقمان فتنته و Herb فوضعوا أوزارها لتألبي حران واجتمعوا على الطابور وتمالقا ومع سقمان سبعة آلاف من قومه التركمان ومع جكرومش ثلاثة آلاف من قومه الترك ومن العرب والأكراد وسار إليهم الإفرنج من حران فاقتلوها واستطردتهم المسلمين بعيداً ثم كروا عليهم فائخنوا فيهم واستباحوا أماواهم.

وكان أسمند صاحب أنطاكية وشكري صاحب الساحل قد أكمنوا المسلمين وراء الجبل فلم يظهر لهم أحصاهم وأقاموا هنالك إلى الليل ثم هربوا وشعر بهم المسلمين فاتبعوه وأثخنوا فيهم وأسر في تلك الواقعة القمح بروبيل صاحب الراها أسره

حصارها وأعانه أهل الجبل والنصارى من أهل سوادها ثم صالحوه على مال وخيبل ورحل عنهم إلى طرسوس من أعمال طرابلس فحاصرها عنوة واستباحها إلى حصن الطومار ومقدمه ابن العريض فامتنع عليهم وقاتلهم صنجيل فهزموا عسكره وأسروا زعيماً من زعماء الإفرنج بدل صنجيل فيه عشرة آلاف دينار والف أسير ولم يعاوده وذلك كله سنة خمس وتسعين وأربعين سنة ثم سار صنجل إلى حصن الأكراد وحاصره جناح الدولة لغزوه فوثب عليه باطني بالمسجد وقتلته ويقال: إن رضوان بن تشن وضعه عليه فسار صنجل إلى حصن حاصلها وملك أعمالها ثم نزل القمح على عكا في جادى الأخيرة من السنة فنفر المسلمون من جميع السواحل لقتاله وهزموه وأحرقوا أهلها والمنجنيقات التي نصب للحرب ثم سار القمح صاحب الراها إلى سرور وحاصرها فامتنع عليه وزحف عساكر مصر إلى عسقلان للمدافعة عن سواحلهم فزحف إليهم بروبيل صاحب القدس فهزمه المسلمون ونجا إلى الرملة وهو في اتباعه فحاصروه وخليص إلى يافا وفتحا القتل والأسر في الإفرنج والله تعالى ولي التوفيق.

### حصار الإفرنج عسقلان وحربهم مع

### عساكر مصر

لما طمع الإفرنج في عسقلان واستفحلا أمرهم بالشام جهز الأفضل أمير الجيوش عساكره من مصر لحربهم سنة ست وتسعين مع سعد الدولة القرافي مولى أبيه وزحف بقدونين ملك الإفرنج من القدس فلقيهم بين الرملة ويافا وهزمهم ومات سعد الدولة متربقاً عن فرسه واستول الإفرنج على سواده وبعث الأفضل بعده ابنه شرف المعالى فلقيهم في العساكر على بازور قرب الرملة فهزمهم ونان منهم ونجا كثير من أعيانهم إلى بعض الحصون هنالك فحاصرهم شرف المعالى خمس عشرة ليلة وملك الحصن قُتِّل وأسر ونجا بقدونين إلى يافا ثم إلى القدس فصادف وصول جع كثير من الإفرنج لزيارة القدس فتدبّرهم للغزو فساروا إلى عسقلان وبها شرف المعالى فامتنع ورجعوا.

وبعث شرف المعالى إلى أبيه بفتح العساكر في البر مع تاج العجم مولى أبيه والأسطول في البحر لحصار يافا مع القاضي ابن دقاؤس ثلما وصل الأسطول إلى يافا بعث عن تاج العجم ليأتيه بالعساكر فامتنع فأرسل الأفضل من قبض عليه وولي على العساكر وعلى عسقلان جمال الملك من مواليهم فانصرمت السنة

والله سبحانه وتعالى ولي التوفيق بعنه.

## حرب الإفرنج مع طفركين

كان قمص من قمامصة الإفرنج بالقرب من دمشق وكان كثيراً ما يغير عليها ويحارب عساكرها فسار إليه طفركين في الساكن وجاء بقدوين ملك القدس لإنجاده على المسلمين فرده ذلك القمص ثقة بكتافاته فرجع إلى عكا وسار طفركين إلى الإفرنج فقاتلهم وحجزهم في حصنهم ثم خرب الحصن وألقى حجارته في الوادي وأسر الخامنة الذين به وقتل من سواهم من أهله وعاد إلى دمشق ظاهراً ثم سار بعد أسبوع إلى وبي ابن أخته صنجل فملكه وقتل حاميته.

بعض التركمان من أصحاب سقمان فشقت ذلك على أصحاب جكرمش لكثرة ما امتاز به التركمان من الغنايم وحسنوا لهأخذ القمص من سقمان فأخذه وأراد التركمان محاربة جكرمش وأصحابه عليه فعندهم سقمان حذراً من اختلاف المسلمين وسار مفارقاً لهم وكان يمر بمصون الإفرنج فيخرجون إليه ظناً بنصر أصحابهم فملكلها عليهم وسار جكرمش إلى حران فملكلها وولى عليها من قبله ثم سار إلى الراه وحاصرها أيامًا وعاد إلى الموصل وقاد القمص بردبيل خمسة وثلاثين ألف دينار ومائة وستين أسيراً والله سبحانه وتعالى ولي التوفيق بعنه وكرمه.

## حرب الإفرنج مع رضوان بن تتش صاحب حلب

### استيلاء الإفرنج على حصن أفامية

كان خلف بن ملاعيب الكلابي متغلباً على حصن ولملها منه تتش كما مر وانتقلت الأحوال إلى مصر ثم إن رضوان صاحب حلب انتقض عليه واليه يخون أقامية وكان من الرافضة فبعث بطايعه إلى صاحب مصر واستدعي منهم وألياً فبعثوا خلف بن ملاعيب لإيتاره للجهاد وأخذوا رهنه فجئ في أقامية واستبد بها واجتمع عليه المفسدون ثم ملك من أعمال حلب وأهله رافضة ولحق قاضيها بابن ملاعيب في أقامية ثم أعمل التدبير عليه وبعث إلى أبي طاهر الصانع من أصحاب رضوان وأعيان الرافضة ودعائهم وداخله في الفتاك بابن ملاعيب وتسلیم الحصن إلى رضوان وشعر بذلك ابن ابن ملاعيب وحذراً أباهما من تدبير القاضي عليه.

وجاء القاضي فحلف له على كذبه وصدقه وعاد القاضي إلى مدخله أبي طاهر ورضوان في ذلك التدبير وبعثوا جماعة من أهل سرمين مخيول وسلاح يقصدون الخدمة عند ابن ملاعيب فأذلهم بريض أقامية حتى تم التدبير وأصدعهم القاضي وأصحابه ليلاً إلى القلعة فملكلوها وقتلوا ابن ملاعيب وهرب ابنه فلحق أحدهما بأبي الحسن بن منقذ صاحب شيرز وقتل الآخر وجاء أبو طاهر الصانع إلى القاضي يعتقد أن الحصن له فلم يمكِّن القاضي وأقام عنده وكان بعض بنى خلف بن ملاعيب عند طفركين بدمشق مغاضباً لأبيه فولاه حسناً من حصنونه فاظهر الفساد والعيب فطلب طفركين فهرب إلى الإفرنج واستحثهم ملك أقامية فحاصروه حتى جهد أهله الجروح وتقطروا القاضي المتغلب فيه

ثم سار سكري صاحب أنطاكية من الإفرنج سنة ثمان وتسعين إلى حصن أريام من حصنون رضوان صاحب حلب فضاقت حالم واستجدوا برضوان فساروا عليهم وخرج الإفرنج للقاء ثم طلب الصلح من رضوان فمنعه أصبهيد وصباور من أمراء السلجوقية كان نزع إليه بعد قتل صاحب آياز ولقيهم الإفرنج فانهزموا أولاً ثم استمروا وکروا على المسلمين فهزموهم وأنجشوا في قتلهم وقتل الرجال الذين دخلوا عسكراً في الحملة الأولى ونحو رضوان وأصحابه إلى حلب ولحق صباور بطرركين أتابك دمشق ورجع الإفرنج إلى حصار الحصن فهرب أهله إلى حلب وملكه الإفرنج والله تعالى ولي التوفيق.

## حرب الإفرنج مع عساكر مصر

كان الأفضل صاحب مصر قد بعث سنة ثمان وتسعين ابنه شرف المعالي في العساكر إلى الرملة فملكلها وقهر الإفرنج ثم اختلف العسكر في ادعاء الظفر وكادوا يقتلون وأغار عليهم الإفرنج فعاد شرف المعالي إلى مصر بعث الأفضل ابنه الآخر سنة الملك حسيناً مكانه في العساcker وخرج معه جمال الدين صاحب عسقلان واستمدوا طفركين أتابك دمشق فجهز إليهم أصبهيد صباور من أمراء السلجوقية وقصدتهم بعديون صاحب القدس وعكا فاقتتلوا وكثر بينهم القتلى واستشهد جمال الملك نائب عسقلان وتجاوزوا وعاد كل إلى بلده وكان مع الإفرنج جماعة من المسلمين منهم بكماش بن تتش ذهب مغاضباً عن دمشق لما عدل عنه طفركين الأتابك بالملك إلى ابن أخيه دقاق وأقام عند الإفرنج

والصانع وذلك سنة تسع وستين وخمسة.

## خبر الإفرنج في حصار طرابلس

سقمان وأخذه منه جكرمش وأصحابه وترك الموصل ثم أطلق جاوي هذا القمع في سنة ثلات وخمسة بعد خمس سنين من أسره على مال قرره عليه وأسرى من المسلمين عنده يطلقهم وعلى أن يمده بنفسه وعساكره وما له متى احتاج إلى ذلك.

ولما انبر العقد بينهما بعث يواли سالم بن مالك بقلعة جعبر حتى جاءه هناك ابن خاله جوسكين تل ناشر فأقام رهينة مكانه ثم أطلقه جاوي ورعن مكانه أخا زوجته وزوجة القمع فلما وصل جوسكين إلى منبع أغوار عليها ونهرها وسي جاعنة من أصحاب جاوي وسئل فاعتذر بأن هذه البلاد ليست لكم.  
ولما أطلق القمع سار إلى أنطاكية ليسترد الراها من يد لشكري لأنه أخذها بعد أسره فلم يردها وأعطيه ثلاثة ألف دينار ثم سار القمع إلى تل ناشر وقدم عليه آخره جوسكين الذي وضعه رهينة عند جاوي وسار لشكري صاحب أنطاكية لحربيها قبل أن يستتحول أمرهما وينجدهما جاوي فقاتله ورجع إلى أنطاكية وأطلق القمع مائة وستين من أسرى المسلمين.

ثم سار القمع وأخوه جوسكين وأغاروا على حصون أنطاكية وأمدhem صاحب زغبان وكيسوم وغيرهما من القلاع شمال حلب وهو من الأرمن بالف فارس والفقي راجل وخرج إليهم لشكري وتراءعوا للحرب.

ثم حلتهم الترك على الصلح وحكم على لشكري برد الراها على القمع أصحابها بعد أن شهد عنده جماعة من البطارقة والأساقفة بأن استدخال لشكري لما انصرف إلى بلاده أو صاه برد الراها على أصحابها إذا خلص من الأسر فردها لشكري على القمع في صفر سنة ثلات ووفى القمع جاوي كما كان بينهما ثم قصد جاوي الشام ليملكه وتنتقل في نواديه كما مر في أخباره وكتب رضوان صاحب حلب إلى لشكري صاحب أنطاكية بمحذره من جاوي ويستتجده عليه فأجابه ويزز من أنطاكية وبعث إليه رضوان بالعاشر.

واستجدة جاوي القمع صاحب الراها فأتجده بنفسه ولحق به على منبع و جاءه الخبر هنالك باستيلاء عسكر السلطان على بلده الموصل وعلى خزاناته بها وفارقه كثير من أصحابه منهم زنكي بن أفسن فنزل جاوي تل ناشر وتراحاف مع لشكري هنالك واشنـد القتال واستمر أصحاب أنطاكية فتخاذل أصحاب جاوي وانهزموا وذهب الإفرنج بسوادهم فجاء القمع وجوسكين إلى تل ناشر والله تعالى أعلم.

كان صنجل من ملوك الإفرنج ملازمًا لحصار طرابلس وملك جبلة من يد ابن أبي صليحة وبني على طرابلس حصناً وأقام عليها ثم هلك وحل إلى القدس ودفن وأمر ملك الروم أهل اللاذقية أن يحملوا الميرة إلى الإفرنج الحاصرين طرابلس فحملوها في السفن وظفر أصحاب ابن عمار بعضها فقتلوا وأسرموا واستمر الحصن خمس سنين فعدمت الأقوات واستند أهل الثروة مكسوبيهم في الإنفاق وضاقت أحوالهم وجاءتهم سنة خمسة ميرة في البحر من جزيرة قبرص وأنطاكية وجزائر البناية فحفظت أرماتهم ثم بلغ ابن عمار انتظام الأمر للسلطان محمد بن ملك شاه بعد أخيه بركيارق فارتغل إليه صريخًا واستخلف على طرابلس ابن عممه ذا المناقب في طرابلس وخيم ابن عمار على دمشق وأكرمه طغركين ثم سار إلى بغداد فاكمه السلطان محمد وأمر بتبيينه والاحتفال لقدومه ووادعه بالأئم وأمره بالصلاح بغداد أحضره عنده بالنهروان وأمر الأمير حسين بن أتابك قطلغكين بالسير معه وأن يستصحب العساكر التي يتعها مع الأمير مودود إلى الموصل لقتال جاوي سكاو وأمره بإصلاح جاوي والمسيـر مع ابن عمار حسبـما مـر في أخبارـه ثم وقـعت الحرب بين السلطان محمد وبين صدقـة بن مـزيد واصطلـحـوا ووـدـعـه ابن عـمارـ بعدـ أنـ خـلـعـ عـلـيـهـ وـسـارـ معـهـ الـأـمـيرـ حـسـيـنـ فـلـمـ يـصـلـ إـلـىـ قـصـدـهـ منـ عـاسـكـرـ الـمـوـصـلـ مـوـدـودـ وـالـأـنـقـاضـ فـعـادـ فـخـرـ الـدـيـنـ بـنـ عـمـارـ إـلـىـ دـمـشـقـ فـيـ مـحـرـمـ سـنـةـ اـثـنـيـنـ وـخـمـسـةـ وـسـارـ مـنـهـاـ إـلـىـ فـلـمـكـهاـ وـبـعـثـ أـهـلـ طـرـابـلـسـ إـلـىـ الـأـنـفـسـلـ أـمـيرـ الـجـيـوشـ بـعـصـرـ يـسـتمـدوـنـ وـيـسـأـلـونـ الـوـالـيـ عـلـيـهـ فـبـعـثـ إـلـيـهـ شـرـفـ الـدـوـلـةـ اـبـنـ أـبـيـ الطـيـبـ بـالـمـدـدـ وـالـأـقـوـاتـ وـالـسـلـاحـ وـعـدـةـ الـحـصـارـ وـاستـولـ عـلـىـ ذـخـارـ اـبـنـ عـمـارـ وـقـبـضـ عـلـىـ جـمـاعـةـ مـنـ أـهـلـهـ وـهـلـ الجـمـيعـ فـيـ الـبـحـرـ إـلـىـ مـصـرـ.

## خبر القمع صاحب الراها مع جاوي ومع صاحب أنطاكية

كان جاوي قد ملك الموصل من يد أصحاب جكرمش ثم انتقض ببعث السلطان إليه مودود في العساكر فسار جاوي عن الموصل وحل معه القمع بردويل صاحب الراها الذي كان أسره

ولحق ابن عمار بشيرز فنزل على صاحبها سلطان بن علي بن منقذ الكشاني ولحق منها بدمشق فاكرمه طغرkin وأقطعه الزيداني من أعمال دمشق في حرم سنة أربع ووصل أسطول مصر بالميزة بعدأخذ طرابلس بشمانية أيام فارسی بساحل صور وفرقـت الغلال في جهاتها في صور وصیدا وبيروت.

ثم استول الإفرنج على صیدا في ربيع الآخر سنة أربع وخمسة وذلك أنه وصل أسطول للإفرنج من ستين مركبا مشحونة بالرجال والذخائر وبها ملوکهم بقصد الحجـج والغزو فاجتمعوا مع بقدومن صاحب القدس ونازلوا صیدا برأ وبحرا وأسطول مصر يعجز عن إجادتهم ثم زحفوا إلى صور في أبراج الخشب المصفحة فضـعـفت نفوسـهم أن يصـيـبـهم مثل ما أصابـهم بيـرـوـت فاستأـمـنـوا فـأـمـنـهـمـ الإـفـرـنجـ فيـ جـاهـيـ الـأـوـلـ وـلـحـقـواـ بـدـمـشـقـ كـثـيرـ تـحـتـ الأمـانـ وـعـادـ بـقـدوـمـ إـلـىـ الـقـدـسـ.

### استياء أهل مصر على عسقلان

كانت عسقلان خلفاء العلوية بمصر وقد ذكرنا حروب الإفرنج مع عساكرهم عليها وآخر من استشهد منهم جمال الملك نائبه كما مر آنفاً وولى عليها شمس الخلافة فراسل بقدومن ملك القدس وهاده ليـمـتـنـ بهـ مـنـ الـخـلـيـفـةـ بمـصـرـ وـبـعـثـ الأـنـفـلـ اـبـنـ أمـيرـ الجـيـوشـ العـساـكـرـ إـلـىـ سـنةـ أـرـبـعـ وـخـمـسـةـ مـعـ قـادـيـنـ قـوـادـهـ مـورـيـاـ بـالـغـزـوـ وـأـسـرـ إـلـىـ هـيـرـوـنـيـهـ بـالـقـبـضـ علىـ شـمـسـ الـخـلـافـةـ وـالـوـلـاـيـةـ مـكـانـهـ بـعـسـقـلـانـ.

وـشـعـرـ شـمـسـ الـخـلـافـةـ بـذـلـكـ فـجـاهـرـ بـالـعـصـيـانـ فـخـشـيـ أنـ يـمـلـكـهـ الإـفـرـنجـ فـرـاسـلـهـ وـأـقـرـهـ عـلـىـ عـمـلـهـ وـعـزـلـ شـمـسـ الـخـلـافـةـ جـنـدـ عـسـقـلـانـ وـاستـجـدـ جـمـاعـةـ مـنـ الـأـرـمـنـ فـاستـوـحـشـ مـنـهـ أـهـلـ الـبـلـدـ وـوـثـبـواـ بـهـ فـقـتـلـوهـ وـبـعـثـواـ إـلـىـ الـأـمـيرـ الـأـفـضـلـ صـاحـبـ مصرـ الـمـسـتـوـيـ عـلـيـهـ بـطـاعـتـهـ فـجـاهـمـ الـوـالـيـ مـنـ قـبـلـهـ وـاسـتـقـامـتـ أـمـرـهـ.

### استياء الإفرنج على حصن الأثارب وغيره

ثم جـعـ شـكـريـ صـاحـبـ أـنـطاـكـيـةـ وـاحـشـدـ وـسـارـ إـلـىـ حـصـنـ الأـقـارـبـ عـلـىـ ثـلـاثـةـ فـرـاسـخـ مـنـ حـلـبـ فـحاـصـرـهـ وـمـلـكـهـ عـنـهـ وـأـتـخـنـ فـيـهـ بـالـقـتـلـ وـالـسـيـ ثمـ سـارـ إـلـىـ حـصـنـ وـزـنـادـ فـقـعـلـ فـيـهـ مـثـلـ ذـلـكـ وـهـرـبـ أـهـلـهـ مـنـهـ وـمـارـسـ عـلـىـ بـلـديـهـ.

ثم سـارـ عـسـكـرـ مـنـ الإـفـرـنجـ إـلـىـ مـدـيـنـةـ صـیدـاـ فـمـلـكـوـهـاـ عـلـىـ

### حروب الإفرنج مع طغرkin

كان طغرkin قد سـارـ إـلـىـ طـبـرـيـةـ سـنةـ اـثـنـيـنـ وـخـمـسـةـ فـسـارـ إـلـيـهـ اـبـنـ أـخـتـ بـقـدوـمـ مـلـكـ الـقـدـسـ وـاقـتـلـواـ فـانـكـشـ المـسـلـمـونـ ثـمـ استـمـانـواـ وـهـزـمـواـ الإـفـرـنجـ وـأـسـرـواـ اـبـنـ أـخـتـ الـمـلـكـ فـقـتـلـهـ طـغـرـkinـ بـيـدـهـ بـعـدـ أـنـ فـادـيـ نـفـسـهـ بـثـلـاثـيـنـ الـفـ دـيـنـارـ وـخـمـسـةـ أـسـيرـ فـلـمـ يـقـبـلـ مـهـ إـلـىـ إـلـاسـلـمـ أـوـ القـتـلـ.

ثـمـ اـصـطـلـحـ طـغـرـkinـ وـيـقـدوـمـ لـمـدةـ أـرـبـعـ سـنـينـ وـكـانـ حـصـنـ غـزـيـةـ مـنـ أـعـمـالـ طـرـابـلـسـ بـيـدـ مـوـلـيـ اـبـنـ عـمـارـ فـعـصـيـ عـلـيـهـ وـانـقـطـعـتـ عـنـ الـمـيـرـةـ بـعـيـتـ الإـفـرـنجـ فـيـ تـوـاـحـيـهـ فـارـسـلـ إـلـىـ طـغـرـkinـ بـطـاعـةـ فـبـعـثـ إـسـرـايـلـ مـنـ أـصـحـابـهـ لـيـمـلـكـ الـحـصـنـ وـنـزـلـ مـنـهـ مـوـلـيـ اـبـنـ عـمـارـ فـرـمـاـهـ إـسـرـايـلـ فـيـ الزـحـامـ بـسـهـمـ فـقـتـلـهـ حـذـراـ أـنـ يـطـلـعـ الـأـثـابـكـ عـلـىـ مـلـفـهـ.

وـقـصـدـ طـغـرـkinـ الـحـصـنـ لـمـشارـفـ أـحـوالـهـ فـمـنـعـهـ نـزـولـ الـثـلـجـ حـتـىـ إـذـ اـنـقـشـ وـاخـلـيـ سـارـ فـيـ أـرـبـعـ آلـافـ فـارـسـ وـفـحـ حـصـونـاـ لـلـإـفـرـنجـ مـنـهـ حـصـنـ الـأـكـمـةـ وـكـانـ السـرـدـانـيـ مـنـ الإـفـرـنجـ بـجـاـصـرـ طـرـابـلـسـ فـسـارـ لـلـقـائـهـ فـلـمـ أـشـرـفـ عـلـيـهـ اـنـهـزـمـ طـغـرـkinـ وـأـصـحـابـهـ إـلـىـ حـصـنـ وـمـلـكـ السـرـدـانـيـ حـصـنـ غـزـيـةـ بـالـأـمـانـ وـوـصـلـ طـغـرـkinـ إـلـىـ دـمـشـقـ فـبـعـثـ إـلـيـهـ بـقـدوـمـ مـنـ الـقـدـسـ بـالـبـقاءـ عـلـىـ الـصـلـحـ وـذـكـرـ فـيـ شـعـبـانـ سـنةـ اـثـنـيـنـ.

### استياء الإفرنج على طرابلس وبيروت وصیدا وجیبل وبانیاس

وـلـمـ عـادـ طـرـابـلـسـ إـلـىـ صـاحـبـ مـصـرـ مـنـ يـدـ اـبـنـ عـمـارـ وـولـيـ عـلـيـهـ نـائـبـهـ وـالـإـفـرـنجـ يـحاـصـرـونـهـ وـزـعـيمـهـ السـرـدـانـيـ اـبـنـ أـخـتـ صـنـجـيلـ فـلـمـ كـانـ سـنـةـ ثـلـاثـ وـخـمـسـةـ فـيـ شـعـبـانـ وـوـصـلـ الـقـصـمـ وـالـدـنـجـيلـ وـلـيـسـ صـنـجـيلـ الـأـوـلـ إـلـاـ هـوـ قـمـصـ آخرـ بـمـراكـبـ عـدـيدـةـ مـشـحـونـةـ بـالـرـجـالـ وـالـسـلـاحـ وـالـمـيـرـةـ وـجـرـتـ بـيـهـ وـبـيـنـ الـسـرـدـانـيـ فـتـتـلـواـ.

وـجـاءـ لـشـكـريـ صـاحـبـ أـنـطاـكـيـةـ مـدـداـ لـالـسـرـدـانـيـ شـمـ جـاءـ بـقـدوـمـ مـلـكـ الـقـدـسـ وـأـصـلـحـ بـيـنـهـ وـحـاصـرـوـاـ طـرـابـلـسـ وـنـصـبـواـ عـلـيـهـ الـأـبـرـاجـ فـاشـتـدـ بـهـ الـحـصـارـ وـعـدـمـواـ التـوـتـ لـتـأـخـرـ الـأـسـطـوـلـ الـمـصـرـيـ بـالـمـيـرـةـ ثـمـ زـحـفـواـ إـلـىـ قـاتـلـهـ بـالـأـبـرـاجـ وـمـلـكـهـاـ عـنـهـ ثـانـيـ الـأـضـحـىـ وـأـسـتـبـاحـوـهـ وـأـتـخـنـ فـيـهـ وـكـانـ النـائـبـ بـهـ قـدـ اـسـتـأـمـنـ إـلـىـ الـإـفـرـنجـ قـبـلـ ذـلـكـ بـلـيـالـ وـمـلـكـهـاـ بـالـأـمـانـ وـنـزـلـ عـلـىـ مـدـيـنـةـ جـيـبـلـ وـبـيـهـ فـغـرـ الـمـلـكـ بـنـ عـمـارـ فـاسـتـأـمـنـواـ إـلـىـ لـشـكـريـ وـمـلـكـهـ.

فرحلوا إلى حلب فعقد الملك رضوان عن لقائهم ومرض هنالك سقمان القطبي ورجعوا فتوفى في بالس وحمل شلوه إلى بلده وزلت العساكر السلطانية على معرة النعمان فخرج طفرkin صاحب دمشق إلى مودود ونزل عليه ثم ارتاب لما رأى من الأمراء في حقه دفس للإفرنج بالمهادنة.

ثم افترقت العساكر كما ذكرنا في أخبارهم وبقي مودود مع طفرkin على نهر العاصي وطبع الإفرنج بافتراقهم فساروا إلى أقامية وخرج سلطان بن منقد صاحب شيرز إلى مودود طفرkin فرجل بهم إلى شيرز وهو ن عليهم أمر الإفرنج وضاقت الميرة على الإفرنج فرحلوا واتبعهم المسلمون يتخطفون من أعقابهم حتى أبعدوا والله تعالى أعلم.

### حصار الإفرنج مدينة صور

ولما افترقت العساcker السلطانية خرج بقدومن ملك القدس وجع الإفرنج وزلوا على مدينة صور في جمادى الأولى من سنة خمس وهي للأمير الأفضل صاحب مصر ونائبه بها عز الملك الأغر ونصبوا عليها الأبراج والمباني واتدب بعض الشجاعان من أهل طرابلس كان عندهم في الف رجل وصدقوا الحملة حتى وصلوا البرج المتصل بالسور فاحتارقوه ورموا الآخرين بالغط فاحتارقوهم وأشتد القتال بينهم ويعث أهل صور إلى طفرkin صاحب دمشق يستجدونه على أن يكتونه من البلد فجاء إلى بانياس ويعث إليهم بما تلقوا فرس واشتد القتال ويعث نائب البلد إلى طفرkin بالاستحثاث للوصول ليتمكنه من البلد وكان طفرkin يغير على أعمال الإفرنج في نواحيها وملك لهم حصنًا من أعمال دمشق وقطع الميرة عنهم فساروا يحملونها في البحر ثم سار إلى صيدا وأغار عليها ونان منها ثم أرثت الثمرة وخشي الإفرنج من طفرkin على بلادهم فاقرروا عن صور إلى عكا وجاء طفرkin إلى صور فأعطى الأموال وأشتبثوا بصلاح سورهم وختندهم والله أعلم.

### أخبار مودود مع الإفرنج ومقتله ووفاة

#### صاحب أنطاكية

ثم سار الأمير مودود صاحب الموصل سنة ست إلى سروج وعاد في نواحيها فخرج حكممش صاحب تل ناشر وأغار على دوابهم فاستقها من راعيها وقتل كثيراً من العسکر ورجع ثم توفى

الأمان وأشفق المسلمين من استيلاء الإفرنج على الشام وراسلوهم في المدينة فامتنعوا إلا على الضربية فصالحهم رضوان حلب على اثنين وثلاثين ألف دينار وعدة من الخيول والثياب وصاحب صور على سبعة آلاف دينار وابن منقد صاحب شيرز على أربعة آلاف دينار وعلى الكردي صاحب حمة على الفي دينار ومرة المدينة إلى حصاد الشعير.

ثم اعترضت مراكب الإفرنج التجار من مصر فأخذوها وأسروه.

وسار جماعة من أهل حلب إلى بغداد للتفير فدخلوها مستغيثين ومعهم خلق من الفقهاء والغوغاء وقصدوا جامع السلطان يوم الجمعة فمنعوا الناس من الصلاة بضمجمهم وكسروا المنبر فوعدهم السلطان بإيفاد العساكر للجهاد وبعث من دار الخلافة منبراً للجامع.

ثم قصدوا في الجمعة الثانية جامع التصر في مثل جعهم ومنهم صاحب الباب فدفعوا ودخلوا الجامع وكسروا شبابيك المقصورة والمنبر ويطلت الجمعة وأرسل الخليفة إلى السلطان في رفع هذا الحزن فأمر الأمراء بالتجهيز للجهاد وأرسل ابنه الملك مسعوداً مع الأمير مودود صاحب الموصل ليتحقق به الأمراء ويسيراً جيئاً إلى قتال الإفرنج.

### مسير الأمراء السلاجوقية إلى قتال الإفرنج

ولما سار مسعود بن السلطان مع الأمير مودود إلى الموصى اجتمع معهم الأمراء سقمان القطبي صاحب ديار بكر وابن برسق البليتكى وزنكى أصحاب همدان والأمير أحد بك صاحب مراغة وأبو الهيجاء صاحب إربيل وإياز بن أبي الغازى يبعه آخره صاحب ماردبن وساروا جميعاً إلى سنجار وفتحوا عدة حصون للإفرنج وزلوا على مدينة الرها وحاصروها واجتمعوا مع الإفرنج على الفرات.

وخام الطافتان عن اللقاء وتأخر المسلمين إلى حران يستطردون للإفرنج لعلهم يعبرون الفرات فخالفتهم الإفرنج إلى الرها وشحوذها أقواناً وعدة وأخرجوا الضعفاء منها ثم عبروا الفرات إلى نواحي حلب لأن الملك رضوان صاحبها لما عبروا إلى الجزيرة ارتعج بعض الحصون التي كان الإفرنج أخذها بأعمال حلب فطرقها الآن فاكتسحوا نواحيها.

وجاءت عساكر السلطان إلى الرها وقاتلواها فامتنعت عليهم فعبروا الفرات وحاصروا قلعة تل ناشر شهراً ونصفاً فامتنعت

أنطاكية والله أعلم.

## الحرب بين العساكر السلطانية والفرنج

كان السلطان محمد قد تذكر لطغركين صاحب دمشق  
لاتهامه إيه بقتل مودود فعسى وأظهر الخلاف وتابعه أبو الغازى  
صاحب ماردین لما كان بينه وبين البرسقى فاهم السلطان شأنهما  
و شأن الإفرنج وقوتهم وجهز العساكر مع الأمير برسق صاحب  
همدان وبعث معه الأمير حيوس بك والأمير كسكري وعساكر  
الموصل والجزيرة وأمرهم بغزو الإفرنج بعد الفراغ من شأن أبي  
الغازى وطغركين فساروا في رمضان سنة ثمان وعبروا الفرات  
عند الرميلة.

وجاؤوا إلى حلب وبها لولؤٰ الخادم بعد رضوان ومقدم العسكري شمس المخواص وعرضوا عليهما كتب السلطان بتسليم البلد فدعا بالجواب واستنجدوا أبا الفازي وطفركين فوصل إليهما في ألفي فارس وامتنعوا بها على العسكر فسار الأمير برسق إلى حماة من أعمال طفركين فملكها عنوة ونهبها ثلاثاً وسلمها للأمير قرقان صاحب حص باسر السلطان بذلك في كل بلد يفتحونه بنفسه عليه الأمراء ذلك وفسدت ضمائركم.

وكان أبو الغازى وطغريkin وشمس الخواص قد ساروا إلى  
أناطاكية مستجدين بصاحبها روميل على مدافعتهم عن حماة  
بلغ لهم فتحها ووصل إليهم بانطاكيه بقدونس ملك القدس  
وطرابلس وغيره من شياطين الإفرنج واجتمعوا على اقامة  
وايقعوا على مطاولة المسلمين إلى فصل الشتاء ليتفرقوا فلما أطل  
الشتاء والمسلمون مقيمون عاد أبو الغازى إلى ماردين وطغريkin إلى  
دمشق والإفرنج إلى بلادهم وقصد المسلمين كفر طاب وكانت  
هي واقمية للافرنج فملكونها عنوة وفتوكوا بالإفرنج فيها وأسرروا  
صاحبها ثم ساروا إلى قلعة أقامية فاستعتصمت عليهم فعادوا إلى  
المعرة وهي للإفرنج وفارتهم الأمير حيوس بك إلى وادي مراء  
تملكه وسارت العساكر من المعرة إلى حلب وأنقلتهم دوابهم  
فهم متلاصقون فوصلت مقدمتهم إلى الشام وخربوا الأبيطة.

وكان روميل صاحب أنطاكية قد سار في حسمةة فارس  
والقى راجل للمدافعة عن كفرطاب وأطل على خيام المسلمين  
قبل وصوهم فقتل من وجدها من السوفة والغلمان وأقام  
الإفرينج بين الخيام يقتلون كل من لحق بها حتى وصل الأمير  
برست وأخوه زنكي فصعدا ربوا هناك وأحاطا القل من المسلمين  
واعزم برست على الاستئمام ثم غلبه أخوه زنكي على النجاة

الأمير الأرمي صاحب الدروب بيلاد ابن كاور فسuar شكري  
صاحب انطاكيه من الإفرنج إلى بلاده ليملكتها ففرض وعده إلى  
انطاكيه ومات متتصف سنة ست وملكتها بعده ابن أخيه سرجان  
واستقام أمره.

ثم جع الأمير مودود صاحب الموصل العساكر واحتشد وجاءه تبرك صاحب سنجار وأياز بن أبي الغازى صاحب ماردين وطفرجين صاحب دمشق ودخلوا في حرم سنة سبع إلى بلاد الإفرنج.

وخرج بقدورين ملك القدس وجوسكين صاحب القدس  
يغير على دمشق فعبروا الفرات وقصدوا القدس ونزلوا على  
الأردن والإفرينج عدوتهم واقتلوا متصف المخم فانهزم الإفرينج  
وهلك منهم كثير في بحيرة طبرية والأردن وغنم المسلمين سوادهم  
وساروا منهزمين فلتقيهم عسكر طرابلس وأنطاكية فشردوا معهم  
وأقاموا على جبل طبرية وحاصرهم المسلمون خروا من شهر فلم  
يظفروا بهم فترکوهم وانساحوا في بلاد الإفرينج ما بين عكا  
والقدس واكتسحوها.

ثم انقطعت المواد عنهم للبعد عن بلادهم فعادوا إلى مرج الصفر على نية العود للغزاة في فصل الربيع وأذنوا للعساكر في الانطلاق ودخل مودود إلى دمشق يقيم بها إلى أوان اجتماعهم فطعنه باطي في الجامع حين منصرفه من صلاة الجمعة آخر ربيع الأول من السنة ومات من يومه واتهم طغريkin بقتله والله تعالى أعلم.

أخبار البرسقي مع الإفرنج

ولما قتل مودود بعث السلطان محمد مكانه أقصى البرسقي  
ومعه ابنه السلطان مسعود في العساكر لقتال الإفرنج وبعث إلى  
الأمراء بطاعته فجاءه عماد الدين زنكي بن أقصى وغیرك صاحب  
سنجرار وسار إلى جزيرة ابن عمر وملكتها من يد نائب مودود ثم  
سار إلى مارددين فحاصرها إلى أن أذعن أبو الغازى صاحبها وبعث  
معه ابنه أيازى في العساcker فساروا إلى الراها وحاصروها في ذي  
الحججة سنة ثمان مدة سبعين يوماً فامتنعت وضاقت الميرة على  
المسلمين فرحلوا إلى شمشاط وسرورج وعاشروا في تلك التراخي  
وذلك في خلال ذلك بكواasil صاحب مرعش وكيسوم وزغبان  
من الإفرنج وملكت زوجته بعده وامتنعت من الإفرنج وأرسلت  
إلى البرسقي على الراها بطاعته بعث إليها صاحب الشابر فرددته  
بالأموال والمدايا وبطاعتها فعاد من كان عندها من الإفرنج إلى

وسار الإفرنج إلى صنيل عرس قرب الأثارات فنزلوا به في موضع منقطع السالك وعزموا على المطاولة فناجحهم أبو الغازى وسار إليهم ودخل عليهم في مجتمعهم وقاتلوا أشد القتال فلم يقاوموه وقتله بهم فتك شناعه وقتل فيهم سرحان صاحب أنطاكية وأسر سبعون من زعمائهم وذلك متصرف ربيع من السنة ثم اجتمع قل الإفرنج وعاودوا الحرب فهزهم أبو الغازى وملك عليهم حصن الأثارات رزدنا وجاء إلى حلب فأصلاح أمورها وعاد إلى ماردین ثم سار جوسكين صاحب تل ناشر في مائتين من الإفرنج ليكبس حلة من أحياء طيئ يعرفون ببني خالد فأغار عليهم وغنم أموالهم ودلوه على بقية قومهم من بني ربيعة فيما بين دمشق وطبرية بعث أصحابه إليهم وسار هو من طريق آخر فضل عن الطريق ووصل أصحابه إليهم وأميرهم وعدة من ربيعة فقاتلتهم وغلبهم وقتل منهم سبعين وأسر اثنى عشر فساداهم بمال جزيل من الأسرى وبلغ إلى جوسكين في طريقه فعاد إلى طرابلس وجمع جماعاً وأغار على عسقلان فهزمه المسلمون وعاد مفلولاً والله أعلم.

### ارتفاع الراها من الإفرنج

ثم سار بهرام آخر أبي الغازى إلى مدينة الراها وحاصرها مدة فلم يظفر بها فرحل عنها ولقيه النمير بان جوسكين صاحب الراها وسرور قد سار لاعتراضه وقد تفرق عن مالك أصحابه فاستجاب لما وصل إليه الإفرنج ودفعهم لأرض سبخة فوصلت فيها نجومهم فلم يفلت منهم أحد وأسر جوسكين وخطاط عليه جلد جهل وقادى نفسه بأموال جليلة فأبا مالك من ذديته إلا أن يسلم حصن الراها فلم يفعل وحبسه في خرت برت ومعه كل مام ابن خالته وكان من شياطينهم وبجاعة من زعمائهم والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق.

### استيلاء الإفرنج على خرت برت وارتفاعها

#### منهم

كان مالك بن بهرام صاحب خرت برت وكان في جواره الإفرنج في قلعة كوكر فحاصرهم بها وسار بقدون إلى في جموعه فلقيه في صفر سنة سبعة عشر فهزم الإفرنج وأسر ملوكهم وبجاعة من زعمائهم وحبسهم مالك في قلعة خرت برت مع جوسكين صاحب الراها وأصحابه وسار مالك إلى حران في ربيع الأول

فنجاً فيمن معه واتبعهم الإفرنج فرسخاً ورجعوا عنه وافترقت العساكر الإسلامية منهزمة إلى بلادها.

وأشقى أهل حلب وغيرها من بلاد الشام من الإفرنج بعد هذه الواقعة وسار الإفرنج إلى رميلة من أعمال دمشق فملوكها وبالغوا في تحصيتها واعترض طغرkin على تحرير بلاد الإفرنج ثم بلغ الخبر عن خلو رميلة من الخاتمة فبادر إليها سنة تسع وملوكها عنزة وقاتلوا وأسر وغنم وعاد إلى دمشق ولم تزل رميلة بيد المسلمين إلى أن حاصرها الإفرنج سنة عشرين وخمسة وملوكها والله أعلم.

### وفاة ملك الإفرنج وأخبارهم بعده مع المسلمين

ثم توفي بقدون ملك الإفرنج بالقدس آخر سنة إحدى عشرة وخمسة وسبعين وكان قد زحف إلى ديار بكر طامعاً في ملوكها فانتهى إلى تيس وشج في اللبيل فانتقض عليه جرمه وعاد إلى القدس فمات وعاد القمح صاحب الراها الذي كان أسره جكرمش وأطلقه جاري وكان حاضراً عنده لزيارة قمامة.

وكان أتابك طغرkin قد سار لقتال الإفرنج ونزل البريموك فبعث إليه قمح في المهاينة فاشترط طغرkin ترك المناصفة من جبل عردة إلى الغور فلم يقبل القمح فسار طغرkin إلى طبرية ونهب نواحيها وسار منها إلى عسقلان ولقي سبعة آلاف من عساكر مصر قد جاؤوا في أثر بقدون عندما ارتحل عن ديار بكر فأعلموا أن أصحابهم تقدم إليهم بالوقوف عند أمر طغرkin فشكروا لهم ذلك وعاد إلى دمشق وأنه الخبر بأن الإفرنج تصدوا لذراعاته ونهبها بعد أن ملوكوا حصنها من أعماله فأرسل إليهم ساج الملك بوري في أثرهم فحاصرهم في جبل هناك حتى ينسوا من أنفسهم وصدقاً الحملة عليهم فهزموهم وأفتشوا في القتل وعاد الفيل إلى دمشق وسار طغرkin إلى حلب يستتجد أبي الغازى فوعده بالمسير معه ثم جاء الخبر بأن الإفرنج تصدوا لعمال دمشق فنهبوا حوران واكتسحورها فرجع طغرkin إلى دمشق وأبو الغازى إلى ماردین إلى حشد العساكر وتصدوا الاجتماع على حرب الإفرنج ثم سار الإفرنج سنة ثلاثة عشر إلى نواحي حلب فملوكها مراجعة ونالزوا المدينة فصالحهم أهلها بمقاساتهم أملاكهم وزحف أبو الغازى من ماردین في عشرين ألفاً من العساكر والمتطوعة ومعه أسامة بن مالك بن شيزر الكاتبي والأمير طغان أرسلان بن أفتوكين بن جناح صاحب أرزن.

ثم مات سنة إحدى وعشرين وولي السلطان محمود عماد الدين زنكي بن أفسقتو مكانه على الموصل والجزيرة وديار بكر كما مر في أخبار دولة السلاجوقية ثم استولى منها على الشام وأورث ملكها بنيه فكانت لهم دولة عظيمة بهذه الأعمال نذكرها إن شاء الله تعالى ونشأت عن دولتهم دوله بني أيوب وفترعت منها كما ذكره.

ونحن الآن نترك من أخبار الإفرنج هنا جميع ما يتعلق بدولة بني زنكي وبني أيوب حتى نوردها في أخبار تيتك الدولتين لشلة تتكرر الأخبار ونذكر في هذا الموضع من أخبار الإفرنج ما ليس له تعلق بالدولتين فإذا طالعه التأمل علم كيف يرد كل خبر إلى مكانه بجودة فرميته وحسن تأثيره.

### الحرب بين طفركين والإفرنج

ثم اجتمع الإفرنج سنة عشرين وخمسة وسبعين وساروا إلى دمشق وزلوا مرج الصفر واستجد طفركين صاحبها أمراء التركمان من ديار بكر وغيرها فجاوزوا إليه وكان هو قد سار إلى جهة الإفرنج آخر سنة عشرين وقاتلهم وسقط في المعركة فظن أصحابه أنه قتل فانهزموا وركب فرسه وسار معهم منهزماء والإفرنج في اتباعهم وقد انحروا في رجاله التركمان فلما اتبعوا المنهزمين خالف الرجال إلى معسكرهم فنهبوا سوادهم وقتلوا من وجدوا فيه ولحقوا بهمشق ورجع الإفرنج من المنهزمين فوجدوا خيامهم منهوبة فساروا منهزمين.

ثم كان سنة ثلاث وعشرين واقعة المزدغاني والإسماعيلية بدمشق بعد أن طمع الإفرنج في ملكها فأسف ملوك الإفرنج على قتلهم وسار صاحب القدس وصاحب أنطاكية وصاحب طرابلس وغيرهم من القماصنة ومن وصل في البحر للتجارة أو الزيارة وساروا إلى دمشق في الفي فارس ومن الرجال ما لا يحصى.

وجمع طفركين من العرب والتركمان ثمانية آلاف فارس وجاء الإفرنج آخر السنة ونازلوا دمشق وبشا سراياهم للإغارة بالتواري وجمع الميرة وسمع تاج الملك بسرية في حوران فبعث شمس المخواص من أمرائه ولقوا سرية الإفرنج وظفروا بهم وغنموا ما معهم وجاؤوا إلى دمشق وبلغ الخبر إلى الإفرنج فأجلقوه عن دمشق بعد أن أحرقوا ما تمذر عليهم حمله وتبعهم المسلمين يقتلون ويأسرون ثم إن استند صاحب أنطاكية سار إلى حصن القديموس وملكه والله تعالى يؤيد من يشاء.

ولملتها ولما غاب من خرت برت تحيل الإفرنج وخرجوا من محبسهم بمداخلة بعض الجندي وسار بقدومهم إلى بلده وملك الآخرون القلعة فعاد مالك إليهم وحاصرها وارتحلها من أيديهم ورتب فيها الحامية والله تعالى ولي التوفيق.

### استيلاء الإفرنج على مدينة صور

كانت مدينة صور لخلافة العلوية بمصر وكان بها عز الملك من قبل الأفضل بن أمير الجيوش المستبد على الأمر بمصر وتجهز الإفرنج لحصارها سنة ست فاستعدوا طفركين صاحب دمشق فأمدتهم بعسكر ومال مع وال من قبله اسمه مسعود فجاء إليها ولم يغير دعوة العلوية بها في خطبة ولا سكة وكتب إلى الأفضل بذلك وسأله تردد الأسطول إليه بالمدد فأجابه وشكراً ثم قتل الأفضل وجاء الأسطول إليها من مصر على عادته وقد أمر مقدمه أن يعمل الخيلة في القبض على مسعود الوالي بصور من قبل طفركين لشكوى أهل مصر منه فقبض عليه مقدم الأسطول وحمله إلى مصر ويعثروا به إلى دمشق.

وأقام الوالي من قبل أهل مصر في مدينة صور وكتب إلى طفركين بالعذر عن القبض على مسعود والي وكان ذلك سنة ستة عشر ولما بلغ الإفرنج انتصار مسعود عن صور قوي طعمهم فيها وتجهزوا لحصارها وبعث الوالي الأميركي بذلك وبعجزه عن مقاومة حصارهم لها.

وسار طفركين إلى بانياس ليكون قريباً من صريجها ويعت إلى أهل مصر يستتجدهم فراسل الإفرنج في تسليم البلد وخروج من فيها فدخلوها الإفرنج آخر جادى الأول من السنة بعد أن حمل أهلها ما أطاقوه وتركوا ما عجزوا عنه والله سبحانه وتعالى أعلم.

### فتح البرسقي كفر طاب وإنهزامه من الإفرنج

ثم جمع البرسقي عساكره وسار سنة تسعه عشر إلى كفر طاب وحاصرها فملتها من الإفرنج ثم سار إلى قلعة إعزاز شمالي حلب وبها جوسكين فحاصرها واجتمع الإفرنج وساروا لمدافعته فلقيهم وقاتلهم شديداً فمحض الله المسلمين وانهزموا وقتله النصارى فيهم ولحق البرسقي بحلب فاستخلف فيها ابنه مسعوداً وعبر الفرات إلى الموصل ليستمد العساكر ويعود لغزو همم فقضى الله بقتله وولي ابنه عز الدين بعده قليلاً.

## هزيمة صاحب طرابلس

استيلاء الإفرنج على جزيرة جربة من

### أفريقية

كانت جزيرة جربة من أعمال أفريقية ما بين طرابلس وقابس وكان أهلها من قبائل البربر قد استبدوا بجزيرتهم عندما دخل العرب المسلمين أفريقية ومزقوا ملك صنهاجة بها وقارن ذلك استفحال ملك الإفرنج برومة وما إليها من البلاد الشمالية وتطاولوا إلى ملك بلاد المسلمين فسار ملوكهم بريديول فيمن معه من زعائمه وأتماصهم إلى الشام فملكوها مدهن وحصونه كما ذكرناه آنفاً وكان من ملوكهم القمص رجبار بن نغير بن خيره وكان كرسيه مدينة ميلوكوا مقابل جزيرة صقلية ولما ضعف أمر المسلمين بها وانقرضت دولة بي أبي الحسين الكلبي منها سما رجبار هذا إلى ملكها وأغاره المغاربة بها على بعض نواحيها فأجاز إليها عساكره في الأسطول في سبيل التضليل بهم.

ثم ملكها من أيديهم معملاً مغلقاً إلى أن كان آخرها فتخاطر ابنه وما زرعه من يد عبد الله بن الجواس أحد الثوار بها فملوكها من يده صلحوا سنة أربع وستين وأربعين وانقطعت كلمة الإسلام بها ثم مات رجبار سنة أربع وستين فولى ابنه رجبار مكانه وطالت أيامه واستفحلا ملوكه وذلك عندما هبت ريح الإفرنج بالشام وجاسوا خلاها وصاروا يتغلبون على ما يقدرون عليه من بلاد المسلمين وكان رجبار بن رجبار يتعاهد سواحل أفريقية بالغزو فبعث ستة ثلاث وخمسين أسطول صقلية إلى جزيرة جربة وقد تقلص عنها ظل الدولة الصنهاجية فاحتاطوا بها واشتد القتال ثم اقتحموا الجزيرة عليهم عنوة وغنموا وسبوا واستأمن من الباقيون وأفarem الإفرنج في جزيرتهم على جزيرة وملوكها عليهم أمرهم والله تعالى بزيد بنصره من يشاء من عباده.

### فتح صاحب دمشق بعض حصون الإفرنج

ثم بعث شمس الملك إسماعيل صاحب دمشق عساكره مع الأمير خرواش سنة إحدى وثلاثين إلى طرابلس الشام ومعه جمع كثير من التركمان والتطوعة وسار إليه القصص صاحب طرابلس فقاتلوه وهزموه وأتاختوا في عساكره وأحجزه بطرابلس وعاثروا في أعماله وفتعوا حصن وادي ابن الأحر من حصونه عنوة واستباحوه واستحلموا من فيه من الإفرنج ثم سار الإفرنج ستة خمس وثلاثين إلى عسقلان وأغاروا في نواحيها وخرجوا بهم عسكر مصر الذين بها فهزموا الإفرنج وظفروا بهم وعادوا

ثم اجتمع ستة سبع وعشرين جع كبير من تركمان الجزيرة وأغاروا على بلاد طرابلس وقتلوا وغنموا فخرجا إليهم القمص صاحبها فاستطروا له ثم كروا عليه فهزموه ونالوا منه ونجا إلى قلعة بقورين فتحصنت بها وحاصره التركمان فيها فخرج من القلعة ليلاً في عشرين من أيام صاحبه ونجا إلى طرابلس واستصرخ الإفرنج من كل ناحية وسار بهم إلى بقورين ل الدفاع التركمان فقاتلهم حتى أشرف الإفرنج على الجزيرة ثم تخيزوا إلى أرمينية وتعد على التركمان اتباعهم فرجعوا عنهم انتهى.

### فتح صاحب دمشق بانياس

كان بوري بن طغرkin صاحب دمشق لما توفي سنة ستة وعشرين وخسمائة وولي مكانه ابنه شمس الملك إسماعيل فاستضعفه الإفرنج و تعرضوا لنقض المدنية ودخل بعض تجار المسلمين إلى سروب فاخذوا أمواههم وراسلهم شمس الملك في ردّها عليهم فلم يفلعوا فتجهز وسار إلى بانياس في صفر سنة سبع وعشرين فنازلاً وشدد حصارها ونقب المسلمين سورها وملوكها عنوة واستحلموا الإفرنج بها واعتضم قلهم بالقلعة حتى استأنوا بعد يومين وكان الإفرنج قد جعوا ل الدفاع شمس الملك فجاءهم خبر فتحها فأقصروا.

### استيلاء شمس الملك على الشقيق

ثم سار شمس الملك إسماعيل صاحب دمشق إلى شقيقه بيروت وهو في الجبل المطل على بيروت وصيدا وكان بيد الصحاحك بن جندل رئيس وادي التيم وهو متبع به وقد تحالفه المسلمون والإفرنج وهو يحتمي من كل منهما بالأخر فسار إليه شمس الملك وملكه في الحرم سنة ثمان وعشرين وعظم ذلك على الإفرنج وخافوا شمس الملك فساروا إلى بلد حوران وعاثروا في جهاتها ونهض شمس الملك ببعض عساكره وجر الباقى قبالة الإفرنج وقصد طبرية والتاجرة وعكا فاكتسح نواحيها وجاء الخبر إلى الإفرنج فأجللوا إلى بلادهم وعظم عليهم خرابها وراسلوا شمس الملك في تجديد المدنية فجددها لهم انتهى والله أعلم.

منهزمين وكفى الله شرهم بمنه وكرمه.

أخبار الدولة الصنهاجية من أخبار البرير وتوفي رشيد سنة اثنين وأربعين وخمسة ونصب مولاً يوسف ابنه الصغير محمد بن رشيد وأخرج ابنه الكبير معمراً واستبد على محمد وتعرض لحرمه سراً وكان فيهن امرأة رشيد وساروا إلى التمحض بصاحب المهدية يشكرون فعله.

وكاتبه الحسن في ذلك فلم يجيء وتهدهد بادخال الإفرنج إلى قايس فجهز إليه العساكر وبعث يوسف إلى رجار صاحب طرابلس بطاعته وأن يوليه على قايس كما ولـ ابن مطروح على طرابلس وشعر أهل البلد بدخوله للإفرنج فلما وصل عساكر الحسن ثاروا به معهم وعصـنـ يوسف بالقصر فـمـلكـوهـ عنـةـ وأخذـ يوسفـ أـسـيـراـ وـمـلـكـ مـعـمـرـ قـابـسـ مـكـانـ أـخـيـهـ مـحـمـدـ وـامـتـحـنـ يوسفـ بـأـنـوـاعـ الـعـذـابـ إـلـىـ أـنـ هـلـكـ وـأـخـذـ بـنـ قـرـةـ أـخـتـهـ وـلـقـ عـيـسـيـ أـخـرـ يوسفـ وـوـلـدـ يـوسـفـ بـرـ جـارـ صـاحـبـ قـصـلـيـةـ وـاسـتـجـارـواـ بـهـ وـكـانـ الغـلامـ قدـ اـشـتـدـ يـافـرـيقـيـةـ سـتـ سـبـعـ وـثـلـاثـ.

ولـقـ أـكـثـرـ أـهـلـهـ بـصـلـيـةـ وـأـكـلـ بـعـضـهـ بـعـضـاـ وـكـثـ المـوـتـانـ فـاغـتـمـ رـجـارـ الفـرـصـةـ وـنـقـضـ الصـلـحـ الـذـيـ كـانـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ الـحـسـنـ بـنـ عـلـيـ صـاحـبـ الـمـهـدـيـةـ لـسـيـنـ وـجـهـ أـسـطـولـهـ مـاتـيـنـ وـخـسـيـنـ مـنـ الشـوـانـيـ وـشـحـنـهـ بـالـقـاتـلـةـ وـالـسـلاحـ وـمـقـدـمـ الأـسـطـولـ جـرجـيـ بـنـ مـيـخـاـيـلـ أـصـلـهـ مـنـ الـمـتـصـرـرـةـ وـقـدـ ذـكـرـناـ خـبـرـهـ فـيـ أـخـبـارـ صـنـهاـجـةـ وـالـمـلـوـدـيـنـ فـقـصـدـ قـوـصـرـةـ وـصـادـفـ بـهـ مـرـكـبـاـ مـنـ الـمـهـدـيـةـ فـغـتـمـهـ وـوـجـدـ عـنـهـ حـامـ حـامـ الـبـطـاطـةـ بـعـثـ الـخـبـرـ إـلـىـ الـمـهـدـيـةـ عـلـىـ أـجـنـحـهـ بـاـنـ اـسـطـولـ الـإـفـرـنجـ أـقـلـعـ إـلـىـ الـقـسـطـنـطـيـنـيـةـ ثـمـ أـقـلـعـ فـاصـبـ قـرـيـاـ مـنـ الرـوـسـيـ فـيـ ثـامـ صـفـ سـتـ ثـلـاثـ وـأـرـبعـيـنـ وـقـدـ بـعـثـ اللـهـ الـرـيـحـ فـعـاـتـهـمـ عـنـ دـخـولـ الرـوـسـيـ فـقـاهـهـ غـرـضـهـ.

وـكـتـبـ إـلـىـ الـحـسـنـ بـاـنـ بـاقـ عـلـىـ الـصـلـحـ وـلـقـاـ جـاءـ طـالـبـاـ بـشـارـ مـحـمـدـ بـنـ رـشـيدـ وـرـدـ إـلـىـ بـلـدـهـ قـابـسـ فـجـمـعـ الـحـسـنـ النـاسـ وـاـسـتـشـارـهـمـ فـاشـارـواـ بـالـقـاتـالـ فـخـامـ عـنـهـ وـاعـتـذـرـ بـقـلـةـ الـأـقـرـاتـ وـارـتـعـلـ مـنـ الـبـلـدـ وـقـدـ حـلـ مـاـ خـفـ حـلـهـ وـخـرـجـ النـاسـ بـأـهـلـهـمـ وـمـاـ خـفـ مـنـ أـمـوـالـمـ وـأـخـفـيـتـ كـثـيرـ مـنـ الـسـلـمـنـ فـيـ الـكـنـائـسـ ثـمـ سـاعـدـ الـرـيـحـ أـسـطـولـ الـإـفـرـنجـ وـوـصـلـوـاـ إـلـىـ الـرـوـسـيـ وـنـزـلـوـاـ إـلـىـ الـبـلـدـ مـنـ غـيرـ مـدـافـعـ وـدـخـلـ جـرجـيـ القـصـرـ فـوـجـدـهـ عـلـىـ حـالـهـ مـعـلـوـمـاـ بـالـذـخـاـئـرـ الـنـفـيـسـةـ الـقـيـ يـعـ وـجـودـ مـثـلـهـ وـبـعـثـ بـالـأـمـانـ إـلـىـ كـلـ مـنـ شـرـدـ أـهـلـهـ فـرـجـعـوـاـ وـأـتـهـمـ عـلـىـ الـجـزـيـةـ وـسـارـ الـحـسـنـ بـأـهـلـهـ وـوـلـدـهـ إـلـىـ الـمـلـقـةـ وـبـهاـ مـحـرـزـ بـنـ زـيـادـ مـنـ أـمـرـاءـ الـمـلـاـلـيـنـ وـلـقـيـهـ فـيـ طـرـيقـهـ حـسـنـ بـنـ ثـلـبـ مـنـ أـمـرـاءـ الـمـلـاـلـيـنـ بـمـاـ انـكـسـرـ لـهـ فـيـ دـيـوـانـهـ فـأـخـذـ اـبـهـ بـجـيـيـ رـهـيـةـ بـهـ.

وـلـاـ وـصـلـ مـحـرـزـ بـنـ زـيـادـ أـكـرمـ لـقـاءـهـ وـبـرـ مـقـدـمـهـ جـزـاءـ بـاـ كانـ

## استيلاء الإفرنج على طرابلس الغرب

كان أهل طرابلس الغرب لما اخـتـلـ نظامـ الـدـوـلـةـ الصـنـهاـجـيـةـ بـأـفـرـيقـيـةـ وـتـقـلـصـ ظـلـهـ عـنـهـمـ قـدـ اـسـتـبـدـوـ بـأـنـفـسـهـمـ وـكـانـ بـالـمـهـدـيـةـ آخرـ المـلـوـكـ مـنـ بـنـ بـادـيـسـ وـهـوـ الـحـسـنـ بـنـ عـلـيـ بـنـ بـجـيـيـ بـنـ تـيمـ بـنـ المـعـزـ فـاسـتـبـدـ لـعـهـدـهـ فـيـ طـرـابـلـسـ أـبـوـ بـجـيـيـ بـنـ مـطـرـوـحـ وـرـفـضـوـاـ دـعـوـةـ الـحـسـنـ وـقـومـهـ وـذـلـكـ عـنـدـمـاـ تـكـالـبـ الـإـفـرـنجـ عـلـىـ الـجـهـاتـ فـطـعـمـ رـجـارـ فـيـ مـلـكـهـ وـبـعـثـ أـسـطـولـهـ فـيـ الـبـحـرـ فـازـهـاـ آخـرـ سـنةـ سـبـعـ وـثـلـاثـ وـخـسـمـةـ فـقـبـلـهـ سـورـهـاـ وـاسـتـجـدـ أـهـلـهـاـ بـالـعـرـبـ فـانـجـدوـهـمـ وـخـرـجـواـ إـلـىـ الـإـفـرـنجـ فـهـزـمـوـهـمـ وـغـنـمـوـاـ أـسـلـحـهـمـ وـدـوـاـهـمـ وـرـجـعـ الـإـفـرـنجـ إـلـىـ صـقـلـيـةـ فـتـجـهـزـواـ إـلـىـ الـمـغـرـبـ وـطـرـقـواـ جـيـجـيلـ مـنـ سـوـاـحـلـ بـجـيـاـةـ وـهـرـبـ أـهـلـهـاـ إـلـىـ الـجـبـلـ وـدـخـلـوـهـاـ فـنـهـبـهـاـ وـخـرـبـرـاـ القـصـرـ الـذـيـ بـنـ بـهـ بـهـ بـجـيـيـ بـنـ بـالـزـيـزـ بـنـ حـادـ وـيـسـمـيـ التـرـعـةـ وـرـجـعـواـ إـلـىـ بـلـادـهـمـ ثـمـ بـعـثـ رـجـارـ أـسـطـولـهـ إـلـىـ طـرـابـلـسـ سـنـةـ إـحـدـيـ وـأـرـبعـيـنـ فـارـسـيـ بـلـدـهـ وـنـزـلـ الـقـاتـلـةـ وـأـحـاطـوـاـ بـهـ بـرـأـ وـبـحـرـاـ وـقـاتـلـهـاـ ثـلـاثـاـ وـكـانـ أـهـلـ الـبـلـدـ قـدـ اـخـتـلـفـواـ قـبـلـ وـصـوـلـ الـإـفـرـنجـ وـأـخـرـجـواـ بـنـيـ مـطـرـوـحـ وـوـلـوـاـ عـلـيـهـمـ رـجـلـاـ مـنـ أـمـرـاءـ لـتـونـةـ قـامـ حـاجـاـ فـيـ قـوـمـهـ فـوـلـوـهـ أـمـرـهـ ثـلـمـاـ شـغـلـ أـهـلـ الـبـلـدـ بـقـتـالـ الـإـفـرـنجـ اـجـتـمـعـ شـيـعـةـ بـنـيـ مـطـرـوـحـ وـأـدـخـلـوـهـمـ الـبـلـدـ وـقـعـ بـقـتـالـ الـإـفـرـنجـ اـجـتـمـعـ شـيـعـةـ بـنـيـ مـطـرـوـحـ وـأـدـخـلـوـهـمـ الـبـلـدـ وـقـعـ بـيـنـهـمـ الـقـاتـالـ فـلـمـ شـعـرـ الـإـفـرـنجـ بـأـمـرـهـمـ بـادـرـوـاـ إـلـىـ الـأـسـوـارـ فـنـصـمـوـاـ عـلـيـهـاـ السـلـامـ وـتـسـنـمـوـهـاـ وـقـتـحـوـاـ الـبـلـدـ عـنـةـ وـأـعـشـوـهـاـ فـيـ الـقـتـلـ وـالـسـيـ وـالـنـهـبـ وـنـجـاـ كـثـيرـ مـنـ أـهـلـهـاـ إـلـىـ الـبـرـ وـالـعـرـبـ فـيـ نـوـاـحـيـهـ ثـمـ رـفـعـوـ السـيـفـ وـنـادـوـاـ بـالـأـمـانـ فـتـرـاجـعـ الـمـسـلـمـوـنـ إـلـىـ الـبـلـدـ وـأـقـرـوـهـمـ عـلـىـ الـجـزـيـةـ وـأـقـامـوـهـاـ بـهـ سـتـ أـشـهـرـ حـتـىـ أـصـلـحـوـهـمـ أـسـوـارـهـ وـفـنـادـقـهـ وـوـلـوـاـ عـلـيـهـاـ بـنـيـ مـطـرـوـحـ وـأـخـذـوـهـمـ رـهـنـهـ عـلـىـ الطـاعـةـ وـنـادـوـاـ فـيـ صـقـلـيـةـ بـالـمـسـيـرـ إـلـىـ طـرـابـلـسـ فـسـارـ إـلـىـهـاـ النـاسـ وـحـسـنـتـ عـمارـتـهـاـ.

## استيلاء الإفرنج على المهدية

كـانـ قـابـسـ عـنـدـمـاـ اـخـتـلـ نظامـ الـدـوـلـةـ الصـنـهاـجـيـةـ وـاسـتـبـدـ بـهـ اـبـنـ كـاملـ بـنـ جـامـعـ مـنـ قـبـائلـ رـيـاحـ إـحـدـيـ بـطـونـ هـلـالـ الـذـيـنـ بـعـثـمـ الـجـرـجـائـيـ وـزـيـرـ الـمـسـتـصـرـ بـعـصـرـ عـلـىـ الـمـعـزـ بـنـ بـادـيـسـ وـقـومـهـ فـأـضـرـعـوـهـمـ الـدـوـلـةـ وـأـفـسـدـوـهـمـ نـظـامـهـ وـمـلـكـوـهـ بـعـضـ أـعـمـالـهـ وـاسـتـبـدـ آخـرـوـنـ مـنـ أـهـلـ الـبـلـدـ بـمـوـاضـعـهـمـ فـكـانـ قـابـسـ هـذـهـ فـيـ قـسـمـ بـنـيـ دـهـمـانـ هـؤـلـاءـ وـكـانـ هـذـاـ الـعـهـدـ رـشـيدـ أـمـرـاـ بـهـ كـمـاـ ذـكـرـنـاـ ذـلـكـ فـيـ

## استيلاء الإفرنج على عسقلان

كانت عسقلان في طاعة الظاهر العلوي ومن جملة مالكه وكان الإفرنج يتعاهدونها بالحصار مرة بعد مرة وكان الوزراء يدعونها بالأموال والرجال والأسلحة وكان لهم التحكم في الدولة على الخلافاء العلوية فلما قتل ابن السلاطين سنة ثمان وأربعين اضطرب الحال بمصر حتى ولـي عباس الوزارء فسـار الإفرنج خالـ ذلك من بلادهم بالشام وحاصرـوا عـسقلـان وامـتـعـتـ عليهم ثم اختلفـ أـهـلـ الـبلـدـ وـأـمـرـهـمـ إـلـىـ القـتـالـ فـاغـتـمـ الإـفـرـنجـ الفـرـصـةـ وـمـلـكـواـ الـبـلـدـ وـعـاـثـواـ فـيـهـاـ وـالـلـهـ يـؤـيدـ بـنـصـرـهـ مـنـ يـشاءـ مـنـ عـبـادـ.

## ثورة المسلمين بسواحل إفريقيـةـ عـلـىـ الإـفـرـنجـ المـتـغـلـبـينـ فـيـهـاـ

قد تقدم لنا وفاة رجـارـ وـمـلـكـ اـبـنـهـ غـلـيـلـمـ وـأـهـلـ سـاءـ تـدـبـيرـ وزـيـرـهـ فـاخـتـلـفـ عـلـيـهـ النـاسـ وـبـلـغـ ذـلـكـ الـمـسـلـمـينـ تـغـلـبـواـ عـلـيـهـمـ يـافـرـيقـيـةـ وـكـانـ رـجـارـ قـدـ وـلـىـ عـلـىـ الـمـسـلـمـينـ بـدـيـةـ صـفـاقـسـ لـاـ تـغـلـبـ عـلـهـاـ أـبـرـ الحـسـينـ الغـرـبـانـيـ مـنـهـ وـكـانـ مـنـ أـهـلـ الـعـلـمـ وـالـدـيـنـ ثـمـ عـجـزـ عـنـ ذـلـكـ وـطـلـبـ لـوـلـيـةـ اـبـنـهـ عـمـرـ فـولـاهـ رـجـارـ وـحـلـ أـبـاـ الـحـسـينـ إـلـىـ صـقـلـيـةـ رـهـيـنـةـ وـأـوـصـيـ اـبـنـهـ عـمـروـ وـقـالـ:ـ يـاـ بـيـ أناـ كـبـيرـ السـنـ وـقـدـ قـرـبـ أـجـلـيـ فـتـنـيـ أـمـكـنـتـكـ الفـرـصـةـ فـيـ إـنـقـاذـ الـمـسـلـمـينـ مـنـ مـلـكـةـ الـعـدـوـ فـاقـعـلـ وـلـاـ تـخـشـ عـلـيـ وـاحـسـبـنـيـ قـدـ مـتـ فـلـمـ اـخـتـلـ أـمـرـ غـلـيـلـمـ دـعـاـ عـمـرـ أـهـلـ صـفـاقـسـ إـلـىـ الـثـوـرـةـ بـالـإـفـرـنجـ فـتـارـواـ بـهـمـ وـقـتـلـوـهـمـ سـنـةـ إـحـدـيـ وـخـسـيـنـ وـاتـبـعـهـ أـبـرـ بـيـهـيـ بنـ مـطـرـوـحـ بـطـرـابـلـسـ وـمـحـمـدـ بـنـ رـشـيدـ بـقـابـسـ وـسـارـ عـسـكـرـ عبدـ المؤـمنـ إـلـىـ بـوـنـةـ فـمـلـكـهـاـ وـذـهـبـ حـكـمـ الإـفـرـنجـ عنـ إـفـرـيقـيـةـ مـاـ عـدـاـ الـمـهـدـيـةـ وـسـوـسـةـ.

وـأـرـسـلـ عـمـرـ الفـريـانـيـ إـلـىـ زـوـيلـةـ قـرـيبـاـ مـنـ الـمـهـدـيـةـ يـغـرـيـهـمـ بـالـوـثـوبـ عـلـىـ الإـفـرـنجـ الـذـيـنـ مـعـهـمـ فـوـثـبـواـ وـأـعـانـهـمـ أـهـلـ ضـاجـيـهـمـ وـقـاتـلـوـاـ الإـفـرـنجـ بـالـمـهـدـيـةـ وـقـطـعـواـ الـمـيـرـةـ عـنـهـمـ وـبـلـغـ الـخـبـرـ إـلـىـ غـلـيـلـمـ فـبـعـثـ إـلـىـ عـمـرـ الفـريـانـيـ بـصـفـاقـسـ وـأـعـذـرـ إـلـيـهـ فـيـ أـيـهـ فـاطـهـرـ للـرـسـوـلـ جـنـازـةـ وـدـفـنـهـاـ وـقـالـ:ـ هـذـاـ قـدـ دـفـتـهـ فـلـمـ رـجـعـ الرـسـوـلـ بـذـلـكـ صـلـبـ أـبـاـ الـحـسـينـ وـمـاتـ شـهـيدـاـ رـحـمـ اللـهـ تـعـالـيـ وـسـارـ أـهـلـ صـفـاقـسـ وـالـعـرـبـ إـلـىـ زـوـيلـةـ وـاجـتـمـعـاـ مـعـهـمـاـ عـلـىـ حـسـارـ الـمـهـدـيـةـ وـأـمـدـهـمـ غـلـيـلـمـ بـالـأـقوـاتـ وـالـأـسـلـحـةـ وـصـانـعـوـ الـعـرـبـ بـالـمـالـ علىـ أـنـ يـغـلـبـهـمـ أـصـحـاـبـهـمـ ثـمـ خـرـجـواـ لـلـقـتـالـ فـانـهـمـ الـعـرـبـ وـرـكـبـ أـهـلـ صـفـاقـسـ الـبـرـ إـلـىـ بـلـدـهـمـ اـيـضاـ وـاتـبـعـهـمـ الإـفـرـنجـ فـعـاجـلـوـهـمـ

يـؤـثـرـهـ عـلـىـ الـعـرـبـ وـيـرـفـعـ مـحـلـهـ وـأـقـامـ عـنـهـ شـهـرـاـ ثـمـ عـزـمـ عـلـىـ الـسـبـرـ إـلـىـ مـصـرـ وـبـهـاـ يـوـمـنـدـ الـحـافـظـ فـأـرـصـدـ لـهـ جـرجـيـ الشـوـانـيـ فـيـ الـبـحـرـ فـرـجـعـ عـنـ ذـلـكـ وـاعـتـزـمـ عـلـىـ قـصـدـ عـبـدـ الـمـؤـمـنـ مـنـ مـلـوـكـ الـمـوحـدـيـنـ بـالـمـغـرـبـ وـفـيـ طـرـيقـهـ يـعـيـيـهـ بـنـ عـبـدـ الـعـزـيزـ بـيـجاـيـةـ مـنـ بـيـ عـمـهـ حـمـادـ فـأـرـسـلـ إـلـيـهـ أـبـنـاهـ يـعـيـيـهـ وـعـيـمـاـ وـعـلـيـاـ يـسـانـدـهـ فـيـ الـرـوـصـلـ فـأـذـنـ لـهـ وـيـعـثـ إـلـيـهـ مـنـ أـوـصـلـهـ إـلـىـ جـزـائـرـ بـيـنـ مـذـغـنـةـ وـوـكـلـ بـهـ وـبـوـلـهـ حـتـىـ مـلـكـ عـبـدـ الـمـؤـمـنـ بـيـجاـيـةـ سـنـةـ أـرـبعـ وـأـرـبعـينـ وـخـبـرـهـ مـشـرـوـحـ هـنـالـكـ.

ثـمـ جـهزـ جـرجـيـ أـسـطـرـلـاـ آخرـ إـلـىـ صـفـاقـسـ وـجـاءـ الـعـرـبـ لـإـجـادـهـمـ فـلـمـ تـوـافـواـ لـلـقـتـالـ اـسـطـرـدـهـ هـمـ الإـفـرـنجـ غـيرـ بـعـيـدـ فـهـزـمـوـهـ وـمـضـىـ الـرـبـ عـنـهـمـ وـمـلـكـ الإـفـرـنجـ الـمـدـيـنـةـ عـنـوـةـ ثـالـثـ عـشـرـ صـفـرـ وـفـتـكـرـاـ فـيـهـاـ ثـمـ أـمـتـهـمـ وـفـادـوـ أـسـراـمـ وـأـقـرـوـهـمـ عـلـىـ الـجـزـيـرـةـ وـكـذـاـ أـهـلـ سـوـسـةـ وـكـتبـ رـجـارـ صـاحـبـ صـقـلـيـةـ إـلـىـ أـهـلـ سـوـاـحـلـ إـفـرـيقـيـةـ بـالـأـمـانـ وـالـمـاوـيـدـ ثـمـ سـارـ جـرجـيـ إـلـىـ إـقـليـيـةـ مـنـ سـوـاـحـلـ تـونـسـ وـاجـتـمـعـ إـلـيـهـ الـعـرـبـ فـقـاتـلـوـاـ الإـفـرـنجـ وـهـزـمـوـهـ وـرـجـعـواـ خـائـيـنـ إـلـىـ الـمـهـدـيـةـ وـحـدـثـتـ الـفـتـنـةـ بـيـنـ رـجـارـ صـاحـبـ صـقـلـيـةـ وـبـيـنـ مـلـكـ الـرـوـمـ بـالـقـسـطـنـطـيـنـيـةـ فـشـلـ رـجـارـ بـهـاـ عـنـ إـفـرـيقـيـةـ وـكـانـ مـتـولـ كـبـرـهـ جـرجـيـ بـنـ مـيـخـاـيـلـ صـاحـبـ الـمـهـدـيـةـ ثـمـ مـاتـ سـنـةـ سـتـ وـأـرـبعـينـ فـسـكـنـتـ تـلـكـ الـفـتـنـةـ وـلـمـ يـقـمـ لـرـجـارـ بـعـدـهـ أـحـدـ مـقـامـهـ وـالـلـهـ تـعـالـيـ أـعـلـمـ.

## استيلاء الإفرنج على بونة ووفاة رجـارـ صـاحـبـ صـقـلـيـةـ وـمـلـكـ اـبـنـهـ غـلـيـلـمـ

ثـمـ سـارـ أـسـطـرـلـوـ رـجـارـ مـنـ صـقـلـيـةـ سـنـةـ ثـمـانـ وـأـرـبعـينـ إـلـىـ مـدـيـنـةـ بـوـنـةـ وـقـاتـلـ الـأـسـطـرـلـوـ بـهـاـ وـقـاتـلـ الـمـهـدـيـوـيـ فـحـاصـرـهـاـ وـاستـعـانـ عـلـيـهـاـ بـالـعـرـبـ فـمـلـكـهـاـ وـاستـبـاحـهـاـ وـأـغـضـىـ عـنـ جـمـاعـةـ مـنـ أـهـلـ الـعـلـمـ وـالـدـيـنـ فـخـرـجـواـ بـأـمـوـالـهـمـ وـأـهـلـهـمـ إـلـىـ الـقـرـىـ وـأـقـامـ بـهـاـ عـشـرـاـ وـرـجـعـ إـلـىـ الـمـهـدـيـةـ ثـمـ إـلـىـ صـقـلـيـةـ فـتـكـرـ عـلـيـهـ رـجـارـ رـفـقـهـ بـالـمـسـلـمـينـ فـبـوـنـةـ وـحـبـسـهـ ثـمـ اـتـهـمـ فـيـ دـيـنـهـ فـاجـتـمـعـ الـأـسـاقـفـةـ وـالـقـسـوسـ وـأـحـرـقـهـ وـمـاتـ رـجـارـ آخـرـ هـذـهـ السـنـةـ لـعـشـرـينـ سـنـةـ مـنـ مـلـكـهـ وـوـلـيـ اـبـنـهـ غـلـيـلـمـ مـكـانـهـ وـكـانـ حـسـنـ السـيـرـةـ وـأـسـتـرـزـ مـائـقـ الـبـرـقـيـانـيـ فـائـسـ الـتـدـبـيرـ وـاـخـتـلـفـ عـلـىـهـ حـصـونـ مـنـ صـقـلـيـةـ وـبـلـادـ قـلـورـيـةـ وـتـعـدـيـ الـأـمـرـاءـ عـلـىـ إـفـرـيقـيـةـ عـلـىـ ماـ سـيـاتـيـ إـنـ شـاءـ اللـهـ تـعـالـيـ وـالـلـهـ تـعـالـيـ أـعـلـمـ.

فيها وكان فصل شتاء فما علهم البحر وغرقوا ولم يفلت منهم إلا الأقل.

ودخل عبد المؤمن المهدية في حرم سنة خمس وخمسين لاثنتي عشرة سنة من ملك الإفرنج وأقام بها عشرين يوماً فاصلح أمرها وشحنتها بالحامية والأقوات واستعمل عليها بعض أصحابه وأنزل معه الحسن بن علي وأقطعه بأرضها له ولأولاده وأمر الوالي أن يقتدي برأيه ورجع إلى المغرب والله تعالى أعلم.

### حصار الإفرنج أسد الدين شيركوه في بلبيس

كان أسد الدين شيركوه بن شادي عم صلاح الدين قد بعثه نور الدين العادل سنة تسع وخمسين مناجداً لشاور وزير العاحد صاحب مصر على قرينه الضراغام كما سيأتي في أخبارهم إن شاء الله تعالى.

وسار نور الدين من دمشق في عساكره إلى بلاد الإفرنج ليشغلهم عن أسد الدين شيركوه وخرج ناصر الدين أخوه الضراغام في عساكر مصر فهزمه أسد الدين على تيس واتبعه إلى القاهرة وزنطها إلى متصرف السنة وأعاد شاور إلى الوزارة وتقضى ما بينه وبين أسد الدين وتتأخر إلى تيس وخشي منه ودس إلى الإفرنج بغيرهم به وبذل لهم المال فظلموا بذلك في ملك الديار المصرية وسار ملك القدس في عساكر الإفرنج واجتمعت معه عساكر المسلمين وساروا إلى أسد الدين فحاصروه في بلبيس ثلاثة ولم يظفروا منه بشيء ثم جاءهم الخبر بأن نور الدين العادل هزم أصحابهم على خارد وفتحها.

ثم سار إلى باتياس فسقط في أيديهم وطلبو الصلح من أسد الدين ليعودوا إلى بلادهم لذلك وخرج من بلبيس سائراً إلى الشام ثم عاد إلى مصر سنة اثنين وستين وعبر النيل من اقطبيح ونزل الجزيرة واستمد شاور الإفرنج فساروا إليه بمعهم وكان أسد الدين قد سار إلى الصعيد وانتهى إلى فسال الإفرنج والعساكر المصرية في أئره قادركم متصرف السنة واستثار أصحابه فاتفقوا على القتال وأدركته عساكر الإفرنج ومصر وهو تعبيته وقد أقام مقامه في القلب راشد حذراً من حلة الإفرنج والخاز فيمن يشن به من شجاعان أصحابه إلى الميمنة تحمل الإفرنج على القلب فهزموهم واتبعوهم.

وخلفهم أسد الدين إلى من تركوا وراءهم من العساكر

عن زويلة وقتلوهم ثم اتتحموا البلد فقتلوا مخلفهم بها واستباحوهم.

### ارتفاع عبد المؤمن المهدية من يد الإفرنج

ولما وقع بأهل زويلة من الإفرنج ما وقع لخفراء بعد المؤمن ملك المقرب يستصرخونه فأجاب صريخهم ووعدهم وأقاموا في نزله وكرامته وتجهز للمسير وتقدم إلى ولاته وعماله بتحصيل الغلات وحرف الآبار ثم سار في صفر سنة أربع وخمسين في مائة ألف مقابل وفي مقدمته الحسن بن علي صاحب المهدية ونال زال تونس متصرف السنة وبها صاحبها أحمد بن خراسان من بقية دولة صنهاجة وجاء أسطول عبد المؤمن فحاصرها من البحر ثم نزل إليه من سورها عشرة رجال من أعيانها في السلام مستأمنين لأهل البلد ولأنفسهم فأمنهم على مقاماتهم في أموالهم وعلى أن يخرج إليه ابن خراسان فتم ذلك كله وسار عنها إلى المهدية وأسطوله محاذيه في البحر فوصلها متصرف رجب من السنة وبها أولاد الملوك والزعماء من الإفرنج وقد أخلوا زويلة وهي على غلوة من المهدية فعمرها عبد المؤمن لوقتها وأمتلاً فضاء المهدية بالعساكر وحاصرها أيامًا وضاق موضع القتال من البر لاستدارة البحر عليها لأنها صورة يد في البحر وذراعها في البر وأحاط الأسطول بها في البحر.

وركب عبد المؤمن البحر في الشوانى ومعه الحسن بن علي فرأى حصانتها في البحر وأخذ في المطاولة وجمع الأقوات حتى كانت في ساحة معركته كالثالثل وبعث إليه أهل صفاقس وطرابلس وجبال نفروسة بتعاطهم وبعث عسكراً إلى قابس فلكلها عنزة وبعث ابنه عبد الله ففتح كثيراً من البلاد ثم وند عليه مجسي بن غيم بن المقر بن الرند صاحب ققصة في جماعة من أعيانها فبذل طاعته ووصله عبد المؤمن بالف دينار.

ولما كان آخر شعبان وصل أسطول صقلية في مائة وخمسين من الشوانى غير الطرائد كان في جزيرة يابسة فاستباحها وبعث إليه صاحب صقلية بقصد المهدية فلما أشرفوا على المرسى قذفت إليهم أسطول عبد المؤمن ووقف عسكره على جانب البر وبعد عليهم ساجد يغفر وجهه بالتراب ويجار بالدعاء فانهزم أسطول الإفرنج وأقلعوا إلى بلادهم وعاد أسطول المسلمين ظافراً وأليس أهل المهدية من الإنجاد ثم صابروا إلى آخر السنة حتى جهدهم المصارف ثم استأمنوا إلى عبد المؤمن فعرض عليهم الإسلام فابداً ولم يزالوا يخضعون له بالقول حتى أمنهم وأعطاهم السفن فركبوا

وسار في ستة آلاف وأذاج علل جنده وأعانهم أسد الدين  
عشرين ديناراً لكل فارس ويعث معه جماعة من الأمراء منهم  
خرديك مولاه وزع الدين قليج وشرف الدين بن مخش وعين  
الدولة الباروقي وقطب الدين نياز بن حسان وصلاح الدين  
يوسف ابن أخيه أيوب وسار إلى مصر فلما قاربها ارتحل الإفرنج  
راجعين إلى بلادهم ودخل هو إليها متصرف السنة وخلى عليه  
العاكس وأحرى عليه وعلى عسكره الجراثيم الراوافة.

ثم شرع شاور في محاطة أسد الدين كما وقع اتفاقهم معه  
عليه وحدث نفسه بالقبض عليه واستخدام جنده لمساعدة الإفرنج  
ولم يتم له ذلك وشعر به أسد الدين فأعتبره صلاح الدين ابن  
أخيه وزع الدين خردبيك مولاه عند قبر الإمام الشافعي رضي الله  
تعالى عنه وقتلاه وفوض العاكس أمرور دولته إلى أسد الدين  
وتقاصر الإفرنج عنها ومات أسد الدين واستولى صلاح الدين بعد  
ذلك على البلاد وارتحج البلاد الإسلامية من يد الإفرنج كما ذكر  
في أخبار دولته والله أعلم.

### حصار الإفرنج دمياط

ولما ملك أسد الدين شيركوه مصر خشية الإفرنج على ما  
بأيديهم من مدن الشام وسواحله وكتابوا أهل ملتهم ونسبتهم  
بصفة وفرونة يستجدونهم على مصر ليملكونها وبعثوا الأقصى  
والرهان من بيت المقدس يستغرونهم لحمايةها وواعدوهم بدماط  
طبعاً في أن يملكونها ويتخذوها راكباً للاستيلاء على مصر  
فاجتمعوا عليها وحاصروها لأول أيام صلاح الدين وأدمهم  
صلاح الدين بالعساكر والأموال وجاء بنفسه ويعث إلى نور الدين  
يستتجده ويخوفه على مصر فتابع إليه الأمداد وسار بنفسه إلى بلاد  
الإفرنج بالشام واكتسحها وخربيها فعاد الفرنج إلى دمياط بعد  
حصار خمسين يوماً نفث الله عليهم ومن هذه القصة بقية أخبار  
الإفرنج متعلقة بالدولتين دولة بي زنك بالشام ودولة بي أيوب  
بمصر فأخذت بقية أخبارهم إلى أن نسردها في الدولتين على  
موقعها في مواضعها حسبما تراه ولم يبق إلا استيلاؤهم على  
القسطنطينية من يد الروم فلوردها هنا.

### استيلاء الإفرنج على القسطنطينية

كان هؤلاء الإفرنج بعد ما ملكوه من بلاد الشام اختلفت  
أحوالهم في الفتنة والهادنة مع الروم بالقسطنطينية لاستيلائهم على

فهمهم وأثخن فيهم ورجع الإفرنج من أثناء القلب فانهزموا  
وانهزم أصحابهم وطبقوا بمصر ولحق أسد الدين بالإسكندرية  
فملكها صلحًا وأنزل بها صلاح الدين ابن أخيه وحاصرته عساكر  
الإفرنج ومصر ورمح إليهم عمه أسد الدين من الصعيد فبعثوا  
إليه في الصلح فأجابهم على خمسين ألف دينار يعطونها إيه ولا  
يقيم في البلد أحد من الإفرنج ولا يمكنون منها شيئاً فقبلوا ذلك  
وعادوا إلى الشام وملك أهل مصر الإسكندرية واستقر بينهم وبين  
الإفرنج أن يتزلوا بالقاهرة شحنة وأن يكون أبوابها في علقتها  
وقتها بأيديهم وأن لهم من خراج مصر مائة ألف دينار في كل  
سنة ولم ذلك منه وعاد الإفرنج إلى بلادهم بالسواحل الشامية  
والله تعالى أعلم.

### حصار الإفرنج القاهرة

ثم كان مسير أسد الدين إلى مصر وقتل شاور ستة أربع  
وستين باستدعاء العاكس لما رأى من تغلب الإفرنج كما ذكر في  
أخبار أسد الدين وأرسل إلى الإفرنج أصحابهم الذين بالقاهرة  
يسعدونهم لملكتها وبهونزتها عليهم وملك الإفرنج يومئذ بالشام  
مرى ولم يكن ظهر فيهم مثله شجاعة ورأياً فأشار بأن جيابتها لنا  
خير من ملكتها وقد يضطرون فيملكون نور الدين منها وإن ملوكها  
قبلنا احتاج إلى مصانعتنا فأبوا عليه وقالوا: إنما تزداد بها قوة فرجع  
إلى رايهم وساروا جميعاً إلى مصر واتجهوا إلى تيس في صفر سنة  
أربع وستين فملكونها عنوة واستباحوها.

ثم ساروا إلى القاهرة وحاصروها وأمر شاور بحرائق مصر  
وانتقال أهلها إلى القاهرة فنهيت المدينة ونهب أموال أهلها ويعتهم  
قبل نزول الإفرنج عليهم يوم فلم تحمد النار مدة شهرین ويعث  
العاكس بالصريح إلى نور الدين واشتد عليه الحصار ويعث شاور  
إلى ملك الإفرنج يشير بالصلح على ألف ألف دينار مصرية  
ويهدده بعساكر نور الدين فأجابوا إلى ذلك.

ودفع إليهم مائة ألف دينار وتأخرت قريباً حتى يصل  
إليهم بقية المال وعجز عن تحصيله والإفرنج يستحوذونه فبعثوا  
خلال ذلك إلى نور الدين يستجدونه على الإفرنج بأن يرسل  
إليهم أسد الدين شيركوه في عسكر يقيمون عندهم على أن نسور  
الدين ثلث بلاد مصر وأسد الدين اقطعاه وعطاء العساكر  
فاستدعى أسد الدين من حصن وكانت اقطاعه وأمره بالتجهز إلى  
مصر وأعطيه مائة ألف دينار سوى الدواب والأسلحة وحكمه في  
العساكر والخزائن وما يحتاج إليه.

## الخبر عن دولة بنى أرتق وملوكيهم لماردين وديار بكر ومبادي أمرورهم وتصارييف أحوالهم

كان أرتق بن أكسك ويقال: اكست والأول أصح كلمة أورها همزة ثم كافان الأولى ساكنة بينهما سين من ماليك السلطان ملك شاه بن ألب أرسلان ملك السلاجوقية وله مقام محمود في دولتهم وكان على حلوان وما إليها من أعمال العراق ولما بعث السلطان ملك شاه عساكرة إلى حصار الموصل مع فخر الدولة بن جهير سنة سبع وسبعين وأربعين أرده به عساكرة إلى حصاره بعمر ستة ثم دخله في الخروج من هنا فهزمه مسلم بن قريش فحاصره بأمد ثم دخله في الخروج من هنا الحصار على ما اشتراه ونحوه إلى الرقة ثم خشي أرتق من فعلته تلك فلحق بيتش حتى سار إلى حلب طامعاً في ملكها فلقيه تش وهزمه وكان لأرتق في تلك الواقعة المقام محمود ثم سار تش إلى حلب وملكها واستجار مقدمها ابن الحسين بارتق فأغاره من السلطان تش ثم هلك أرتق سنة ثلاثة وثمانين بالقدس وملكه من بعده أرتق ابنه أبو الغازى وسقمان وكان لهما معه الرها وسروج ولا ملك الإفرنج أنطاكية سنة إحدى وتسعين وأربعين اجتمعوا الأمراء الشام والجزيرة وديار بكر وحاصروها وكان لسقمان في ذلك المقام محمود ثم تخاذلوا وافتقوه وطبع أهل مصر في ارجياع القدس منهم وسار إليها الملك الأفضل المستولي على دولتهم فحاصرها أربعين يوماً وملكها بالأمان وخرج سقمان وأبو الغازى ابن أرتق وابن أخيهما ياقوتى وابن عمهم سونج وأحسن إليهم الأفضل وولى على بيت المقدس ورجع إلى مصر وجاء الإفرنج فملوكها كما تقدم في أخبار الدولة السلاجوقية ولحق أبو الغازى بالعراق فولى شحنة بغداد وسار سقمان إلى الرها فاقام بها وكان بينه وبين كريوفا صاحب الموصل فتن وحروب أسر في بعضها ياقوتى ابن أخيه.

نم توفي كريوفا سنة خمس وسبعين وولى الموصل بهذه موسى التركمانى وكان نائباً بمحصن كيما فزحف إليه جكرمش صاحب جزيرة ابن عمر وحاصره بالموصل واستتجد موسى سقمان على أن يعطيه حصن كيما فأخذته وسار إليه وأخرج عنه جكرمش وخرج موسى للقاء سقمان فقتلته مواليه غدرًا ورجع سقمان إلى حصن كيما فملوكه ثم كانت الفتنة بين أبي الغازى وكمستكين القىصري لما بعثه بركيارق شحنة على بغداد وكان هو شحنة من قبل السلطان محمد فمنع القىصري من الدخول

الثغور من بلاد المسلمين التي تجاور الروم التي كانت بأيديهم من قبل وظاهرهم الروم على المسلمين في بعض المرات ثم غلبو عليهم آخرًا وملكونا القسطنطينية من أيديهم فاقامت في أيديهم مدة ثم ارتعتها الروم على يد لشكري من بطارقهم وكيفية الخبر عن ذلك: أن ملوك الروم أصهروا إلى ملوك الإفرنج وتزوجوا منهم بنتاً ملك الروم فولدت ذكراً خاله الإفرنجيين وثبت عليه أخوه فانتزع الملك من يده وحبسه ولحق الولد بملك الإفرنج خاله مستنصرًا به فوصل إليه وقد تجهز الإفرنج لاستقاذ القدس من يد المسلمين وكان صلاح الدين قد ارتعها منهم كما يأتي في أخباره إن شاء الله تعالى.

واتدب لذلك ثلاثة من ملوكهم دوqص البناية وهو صاحب الأسطول الذي ركبوا فيه وكان شيئاً أعمى لا يركب ولا يمشي إلا بقائد ومقدم الفرنسيين ويسمى المركيش الثالث يسمى كيداقليد وهو أكثرهم عددًا فجعل الملك ابن أخيه معهم وأوصاهem بظهوره على ملكه بالقسطنطينية ووصلوا إليها في ذي القعدة سنة سبع وسبعين وخمسة فخرج عم الصبي وقاتلهم وأضرم شيعة الصبي النار في نواحي البلاد فاضطرب العسكر ورجعوا وفتح شيعة الصبي باب المدينة وأدخلوا الإفرنج وخرج عمه هارباً ونصب الإفرنج الصبي في الملك وأطلقوا أيام من السجن واستبدوا بالحكم وصادروا الناس وأخذوا مال البيع وما على الصليبان من الذهب وما على تماثيل المسيح والخواربين وما على الإنجليل فعظم ذلك على الروم ووثروا بالصبي قتلوه وأخرجوا الإفرنج من البلد وذلك متصرف سنة ستمائة.

وأقام الإفرنج بظاهرها محاصرین لهم وبعث الروم صرخة إلى صاحب قونية ركن الدين سليمان بن قليع أرسلان بن ينهض لذلك وكان بالمدينة متخلفون من الإفرنج يناظرون ثلاثين ألفاً فذروا بالبلد عند شغل الروم بمقابل أصحابهم وأضرموا النار ثانية فاحتجم الإفرنج وأفحشوا في النهب والقتل ونحو كثير من الروم إلى الكنائس وأعظمها كنيسة سوميا فلم تفتن عنهم وخرج القسيسون والأساقفة في أيديهم الإنجليل والصلبان فقتلوا ثم تنازع الملوك الثلاثة على الملك بها وتقارعوا فخرجت القرعة على كيداقليد فملكها على أن يكون للدوqص البناية الجزائر البحريه اقريطش ورودس وغيرهما ويكون لمركيش الإفرنجيين شرقى الخليج ولم يحصل أحد منهم شيئاً إلا ملك القسطنطينية كيداقليد وتغلب على شرقى الخليج بطريق من بطارقة الروم اسمه لشكري فلم يزل بيده إلى أن مات ثم غلب بعد ذلك على القسطنطينية وملكها من يد الإفرنج والله غالب على أمره.

على بطاعة جكرمش وخرج منها البعض المذاهب وكتب نابه بها إلى عمه سقمان بأنه يملك ماردين بلجكرمش فسار إليها سقمان وعرض عليا ابن أخيه جبل جور وأقامت ماردين في ملكه مع حصن كيما واستضاف إليهما نصبيين والله أعلم.

### وفاة سقمان بن أرتق وولادة أخيه أبي الغازى مكانه بماردین

ثم بعث فخر الدين بن عمار صاحب طرابلس يستتجد سقمان بن أرتق على الإفرنج وكان استبد بها على الخلفاء العلوين أهل مصر ونوازله الإفرنج عندما ملكوا سواحل الشام فبعث بالصريح إلى سقمان بن أرتق سنة ثمان وتسعين وأربعين وبينما هو يتجهز للمسير وفاه كتاب طفركين صاحب دمشق المستبد بها من موالي بيبي تشن يستدعيه لحضور وفاته خوفاً على دمشق من الإفرنج فأسرع المسير إليه متزماً على قصد طرابلس وبعدها دمشق فاتته إلى القربيتين وندم طفركين على استدعائه وجعل يدبر الرأي مع أصحابه في صرفة ومات هو بالقدس فكتفهم الله أمره وقد كان أصحابه عندما أشفى على الموت أشاروا عليه بالرجوع إلى كيما فامتنع وقال: هذا جهاد وإن مت كان في ثواب شهيد فلما مات حمله ابنه إبراهيم إلى حصن كيما دفنه بها.

وكان أبو الغازى بن أرتق شحنة بغداد كما قدمناه ولاه السلطان محمد أيام الفتنة بينه وبين أخيه بركيارق فلما اصطلح بركيارق وأخوه ستة تسع وتسعين على أن تكون بغداد له وممالك أخرى من الملك الإسلامية ومن جملتها حلوان وهي أقطع أبي الغازى فبادر وخطب بركيارق ببغداد فتكر عليه ذلك صدقة بن مزيد وكان من شيعة السلطان محمد فجاء إلى بغداد ليزوج أبا الغازى عنها ففارقها إلى يعقوب وبعث إلى صدقة يعتذر بأنه صار في ولية بركيارق ويحكم الصلح في أقطاعه وولايته فلم يمكنه غير ذلك.

ومات بركيارق على أثر ذلك فخطب أبو الغازى لابنه ملك شاه فتكر ذلك السلطان محمد منه فلما استول على الأمر عزله عن شحنة بغداد فلحق بالشام وحمل رضوان بن تشن صاحب حلب على حصار نصبيين منبلاد جكرمش فحاصروها وبعث جكرمش إلى رضوان وأغراه بأبي الغازى ففسد ما بينهما ورحلوا مفترقين على نصبيين وسار أبو الغازى إلى ماردين وقد مات آخره سقمان كما قلناه فاستول عليها والله تعالى أعلم.

واستتجد أخاه سقمان فجاء إليه من حصن كيما في عساكره ونهب تكريت وخرج إليها أبو الغازى واجتمع معهم صدقية بن مزيد صاحب الخلة وعاشروا في نواحي بغداد وفكوا بنفر من أهل البلد.

وبعث إليهم الخليفة في الصلح على أن يسير القبصري إلى واسط فسار إليه ودخل أبو الغازى بغداد ورجع سقمان إلى بلده وقد مر ذلك في أخبارهم ثم استول مالك بن بهرام أخي سقمان على عامة الخرمية سنة سبع وتسعين وكان له مدينة سروج فملكها منه الإفرنج وسار إلى غانة فملكها من بني يعيش بن عيسى بن خلاط واستنصرها بصدقية بن مزيد وارتعها لهم منه وعاد إلى الخلة فعاد مالك فملكها واستقرت في ملكه ثم اجتمع سقمان وجكرمش صاحب الموصل على جهاد الإفرنج سنة سبع وتسعين وهم محاصرون حران فتركوا المنافسة بينهم وقصدوهم وسقمان في سبعة آلاف من التركمان فهزمو الإفرنج وأسرروا القمح بردويل صاحب الراها أسره أصحاب سقمان فتغلب عليهم أصحاب جكرمش وأخذوه واقتروا بسبب ذلك وعادوا إلى ما كان بينهم من الفتن والله أعلم.

### استيلاء سقمان بن أرتق على ماردين

كان هذا الحصن ماردين من ديار بكر وأقطعه السلطان بركيارق بجميع أعماله لمغنْ كان عنده وكان في ولاية الموصل وكان ينجر إليه خلق كثير من الأكراد يفسدون السابلة واتفق أن كريوقا صاحب الموصل سار لخصار آمد وهي بعض التركمان فاستتجد صاحبها سقمان فسار لإنجاده وقاتل كريوقا قتالاً شديداً ثم هزمه وأسر ابن أخيه ياقوتى بن أرتق وحبسه بقلعة ماردين عند المخنى فبقي محبوساً مدة طويلة وكثير ضرر الأكراد فبعث ياقوتى إلى المخنى صاحب الحصون في أن يطلقه ويفطم عنده بالرخيص لدفاع الأكراد فقتل وصار يغير عليهم فيسائر النواحي إلى خلاط وصار بعض أجناد القلعة يخرون للإغارة معه فلا يهيجهم.

ثم حدثته نفسه بالوثب على القلعة فقبض عليهم بعض الأيام مرجه من الإغارة ودنا من القلعة وعرضهم على القتل إن لم يفتحوا له ففتحها أهلوهم وملوها وجمع الجموع وسار إلى نصبيين وأغار على جزيرة ابن عمر وهي بلجكرمش فكبشه جكرمش وأصحابه في الحرب بينهم فقتله وبكاه جكرمش وكان تحت ياقوتى ابنه عمه سقمان فقضت إلى أبيها وجمعت التركمان وجاء سقمان بهم إلى نصبيين فترك طلب الثار فبعث إليه جكرمش ما أرضاه من المال في ديه ورجع وقدم بماردین بعد ياقوتى آخره

بها إلى أسفلها وهو يعقوب الخلي مقدم الجندارية يعرف بغلام ابن شقين فخرقها خرقاً واسعاً ليلاً ينظر الفرنج من فيها وما معهم من الذخائر ففرق جميع ما فيها وكانت عكا محتاجة إلى رجال لما ذكرناه من سبب نقصهم ثم إن الفرنج عملوا دبابات وزحفوا بها فخرج المسلمون وقاتلتهم ظاهراً البلد وأخذوا تلك الكباش فلما رأى الفرنج أن ذلك جيئه لا يفهمون عملاً تلاً كبيراً من التراب مستطيلاً وما زالوا يقتلونه إلى البلد ويقاتلون من وراءه لا ينالهم من البلد أذى حتى صار على نصف علوه فكانوا يستظلون به ويقاتلون من خلفه فلم يكن للمسلمين فيه حيلة لا بالثار ولا بغيرها. فجيئه عظمت المصيبة على من يعكا من المسلمين فارسلوا إلى صلاح الدين يعرفونه حالهم فلم يقدر لهم على نفع.

#### ذكر ملك الفرنج عكا:

في يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة استولى الفرنج لعنهم الله على مدينة عكا وكان أول وهن من البلد أن الأمير سيف الدين علي بن أحد المكارى المعروف بالمشطوب كان فيها ومعه عدة من الأمراء كان هو أمثلهم وأكبرهم فخرج إلى ملك إفرنسيس وبذل تسليم البلد بما فيه على أن يطلق المسلمين الذين فيه ويعکهم من اللحاق سلطانهم فلم يجيء إلى ذلك فعاد علي بن أحد إلى البلد فورهن من فيه وضفت نورسهم وتحاذلوا وأهنتهم أنفسهم. ثم إن أمراء من كان يعكا لما رأوا ما فعلوا بالمشطوب والفرنج لم يجيئوا إلى التسليم، أخذوا الليل جلاً وركباً في شيء صغير وخرجوا سراً من أصحابهم ولحقوا بعسكر المسلمين وهم: عز الدين أرسل الأسدى وابن عز الدين جاوي وستقر الوشائى ومعهم غيرهم فلما أصبح الناس ورأوا ذلك ازدادوا وهذا على ونهنهم وضعفاً على ضعفهم وأيقنوا بالعطب. ثم إن الفرنج أرسلوا إلى صلاح الدين في معنى تسليم البلد فأجابهم إلى ذلك والشرط يبيهم أن يطلقون من أمرائهم بعدد من في البلد يطلقوا هم من يعكا وأن يسلم إليهم صليب الصليوب فلم يقنعوا بما بدأ فارسل إلى من يعكا من المسلمين يأمرهم أن يخرجوا من عكا يبدأ واحدة ويتركوا البلد بما فيه، ووعدهم أنه يتقدم إلى تلك الجهة التي يخرجون منها بعساكره ويقاتل الفرنج فيها ليحققوا به فشرعوا في ذلك واشتبكل كل منهم باستصحاب ما يملكه فلما فرغوا من أشغالهم حتى أسرفوا الصبح فبطل ما زعموا عليه لظهوره. فلما عجز الناس من حفظ البلد زحف إليهم الفرنج بمدتهم وحديدهم فظهروا من البلد على سوره يحركون أعلامهم ليراها المسلمين وكانت هي العلامة إذا اخترهم أمر.

فلما رأى المسلمين ذلك ضجعوا بالبكاء والعويل وحلوا

## ذكر وصول الفرنج من الغرب في البحر إلى عكا

وفي هذه السنة وصلت أمداد الفرنج في البحر إلى الفرنج الذين على عكار وكان أول من وصل منهم الملك فيليب ملك إفرنسيس وهو من أشرف ملوكهم نسباً وإن كان ملوكه ليس بالكثير. وكان وصوله إليها ثانية عشر ربيع الأول ولم يكن في الكثرة التي ظنوا وإنما كان معه ست بطن كبار عظيمة قفوياً به نفوس من على عكا منهم وحلوا في قتال المسلمين الذين فيها وكان صلاح الدين بشفرعم فكان يركب كل يوم ويقصد الفرنج ليشن عليهم بالقتال عن مراقبة البلد. وأرسل إلى الأمير أسامه مستحفظ بيروت يأمره بتجهيز ما عنده من الشواني والراكب وتشحينها بالمقاتلة وتسيرها في البحر ليمعن الفرنج من الخروج إلى عكا ففعل ذلك وسير الشواني في البحر فصادف خمسة مراكب ملولة رجالاً من أصحاب ملك إنكلترا الفرنج وكان قد سيرهم بين يديه وتأخر هو بجزيرة قبرص ليملكهار فاقتلت شواني المسلمين مع مراكب الفرنج فاستظهر المسلمين عليهم وأخذوههم وغنمروا ما معهم من قوت ومتاع ومال وأسرروا الرجال وكتب أيضاً صلاح الدين إلى من بالقرب من النواب له يأمرهم بقتل ذلك فقتلوا وأما الفرنج الذين على عكا فإنهما لازموا قتال من بها عليها سبع منIGHTS رابع جمادى الأول فلما رأى صلاح الدين ذلك تحول من شفرعم ونزل عليهم ليلًا يتعب العسكر كل يوم في المجيء إليهم والعود عنهم و كانوا كلما تحركوا للقتال ركب وقاتلهم من وراء خندقهم فكانوا يشتغلون بقتالهم فيخفف القتال عنهم بالبلد. ثم وصل ملك إنكلترا ثالث عشر جمادى الأول وكان قد استولى في طريقه على جزيرة قبرص وأخذها من الروم، فإنه لما وصل إليها غدر بصاحبه وملكها جيئـاً فكان ذلك زيادة في ملوكه وقوة للفرنج.

فلما فرغ منها سار عنها إلى من على عكا من الفرنج فوصل إليهم في خمس وعشرين قطعة كباراً ملولة رجالاً وأمراء إلا فعظم به شر الفرنج واشتدت نكباتهم في المسلمين وكان رجل زمانه شجاعة ومكرًا وجلداً وصبراً وبلى المسلمين منه بالداهية التي لا مثل لها.

ولما وردت الأخبار بوصوله أمر صلاح الدين بتجهيز بسطة كبيرة ملولة من الرجال والعدد والأقوات فتجهزت وسیرت من بيروت وفيها سبعمائة مقابلة: فلقيها ملك إنكلترا مصادفة: فقاتلها وصبر من فيها على قتالها فلما أيسوا من الخلاص ونزل مقدم من

لا مال له. فلما رأى صلاح الدين ذلك تصرف في المال الذي كان جمعه وسير الأسرى والصلب إلى دمشق.

## ذكر رحيل الفرنج إلى ناحية عسقلان وتغريبيها

ما فرغ الفرنج لعنهم الله من إصلاح أمر عكا بزروا منها في الثامن والعشرين من رجب وساروا مستهلاً شعبان نحو حيفا مع شاطئ البحر لا يفارقوه فلما سمع صلاح الدين برحلتهم نادى في عسكره بالرحيل فساروا وكان على البيك ذلك اليوم الملك الأفضل ولد صلاح الدين ومعه سيف الدين أياز كوش وعز الدين جورديك وعدة من شجاعان فصايعوا الفرنج في مسيرهم، وأرسلوا عليهم من السهام ما كان يمحب الشمس ووقدعوا على ساقه الفرنج فقتلوا منها جماعة وأسرموا جماعة. وأرسل الأفضل إلى والده يستمدده ويعرف الحال، فأمر العساكر بالمسير إليه فاعتذروا بأنهم ما ركبوا بأبهة الحرب وإنما كانوا على عزم المسير لا غير. فبطل المدد وعاد ملك الانكشار إلى ساقه الفرنج، فحملها وجمعهم وساروا حتى اتوا حيفا فنزلوا بها ونزل المسلمون بقمون - قرية بالقرب منهم -، واحضر الفرنج من عكا عوض من قتل منهم وأسر ذلك اليوم وعرض ما هلك من الجنيل. ثم ساروا إلى قيسارية المسلمين يسابرونهم ويتحفظون منهم من قدروا عليه فيقتلونهم لأن صلاح الدين كان قد قسم أنه لا يظرف بأحد منهم إلا قتلهم من قتلوا من كان بعكا فلما قاتلوا قيسارية لاصفهم المسلمين وقاتلوكم أشد قاتل فالدواية لهم نيلًا كثيرة.

ونزل الفرنج بها وبات المسلمين قرباً منها، فلما نزلوا خرج من الفرنج جماعة فأبعدوا عن جماعتهم فأوقع المسلمين الذين كانوا في البيك فقتلوا منهم وأسرموا منهم. ثم ساروا من قيسارية إلى أرسوف وكان المسلمين قد سبقوهم إليها ولم ينكهم مسايرتهم لضيق الطريق.

فلما وصل الفرنج إليهم حل المسلمين عليهم حلة منكرة الحقوقهم بالبحر ودخله بعضهم فلما رأى الفرنج ذلك اجتمعوا وحملت الخيالة على المسلمين حلة رجل واحد فولوا منهزمين لا يلوي أحد على أحد. وكان كثير من الخيالة والسوقة قد الفروا القيام وقت الحرب قرباً من المعركة فلما كان ذلك اليوم كانوا على حاملهم فلما انهزم المسلمون عنهم قتل منهم كثير والتاج المنهزمون إلى القلب وفيه صلاح الدين فلو علم الفرنج أنها هزيمة لتعتمهم واشتهرت المزعجة وهلك المسلمين. لكن كان بالقرب من

على الفرنج من جميع جهاتهم طلباً منهم أن الفرنج يستغلون عن الذين بعكا وصلاح الدين يحرضهم وهو في أوطم. وكان الفرنج قد خفوا عن خنادقهم ومالوا إلى جهة البلد فقرب المسلمين من خنادقهم حتى كادوا بدخولونها عليهم وبضعون السيف فيهم فوق الصوت فعاد الفرنج ومنعوا المسلمين وتركوا في مقابلة من بالبلد من يقاتلهم فلما رأى المشطوب أن صلاح الدين لا يقدر على نفع ولا يدفع عنهم ضراً خرج إلى الفرنج وقرر معهم تسليم البلد وخروج من فيه بأموالهم وأنفسهم وبذل لهم عن ذلك مائة ألف دينار وخمسة وأربعين أسير من المعروفين، وإعادة صليب الصليبة وأربعة عشر ألف دينار للمركيسي صاحب صور فأجابوه إلى ذلك وحلقوا له عليه، وأن يكون مدة تحصيل المال والأسرى إلى شهرين. فلما حلقا له سلم البلد إليهم ودخلوه سلماً فلما ملكوه غدروا واحتاطوا على من فيه من المسلمين وعلى أموالهم وحبسوهم. وأظهروا انهم يفعلون ذلك ليصل إليهم ما بذل لهم، وراسلوا صلاح الدين في إرسال المال والأسرى والصلب حتى يطلقوه من عندهم فشرع في جمع المال وكان هو الأمان له إنما يخرج ما يحصل إليه من دخل البلاد أولاً بأول.

فلما اجتمع عنده من المال مائة ألف دينار جمع الأمراء واستشارهم فأشاروا بان لا يرسل شيئاً حتى يعادو يستخلفهم على إطلاق أصحابه وأن يضمن الداوية ذلك لأنهم أهل دين يرون الرفاه فراسلهم صلاح الدين في ذلك فقال الداوية: لا مخالف ولا نضمن لأننا نخاف غدر عندنا. وقال ملوكهم: إذا سلمتم علينا المال والأسرى والصلب فلننا الخيار فيمن عندنا، فحيثند علم صلاح الدين عزهم على الغدر فلم يرسل إليهم شيئاً وأعاد الرسالة إليهم وقال: نحن نسلم إليكم هذا المال والأسرى والصلب ونعطيكم رهناً بالباقي ونطلقون أصحابنا وضمن الداوية الرهن ونخلفون على الوفاء لهم فقالوا: لا مخالف. إنما نرسل المائة ألف دينار التي حصلت والأسرى والصلب ونحسن نطلق من أصحابكم من تزيد ونترك من تزيد حتى يجيء باقي المال فعلم الناس حيثند غدرهم وإنما يطلقون غلامان العسكر والفقراء والأكراد ومن لا يؤبه له ويسكنون عندهم الأمراء وأرباب الأموال ويطلبون منهم الطعام فلم يجدهم السلطان إلى ذلك، فلما كان يوم الثلاثاء السابع والعشرين من رجب ركب الفرنج وخرجوا إلى ظاهر البلد بالفارس والراجل وركب المسلمين إليهم وقصدوهم وحملوا عليهم فانكشفوا عن موافقهم وإذا أكثر من كان عندهم من المسلمين قتل قد وضعوا فيهم السيف واستبقوا الأمراء والمقدمين ومن كان له مال وقتلوا من سواه من أصحابهم، ومن

الأيام خرج ملك إنكلتار من يافا ومعه نفر من الفرنج من مسکرهم فرقع به نفر من المسلمين فقاتلوهم قاتلًا شديداً وكاد ملك إنكلتار يؤسر فنده بعض أصحابه بنفسه فتخلص الملك وأسر ذلك الرجل وفيها أيضًا كانت وقعة بين المسلمين وطائفة من الفرنج انتصر فيها المسلمين.

## اضطراب أبي الغازى في طاعته وأسره ثم خلاصه

لما ولى السلطان محمد على الموصل والجزيرة وديار بكر سنة اثنين وخمسة مودود بن أفتاكين مكان جاوي سكاوو الذي ملكها من يد جكرمش كما مر في أخبارهم فوصل مودود إلى الموصل وسار جاوي إلى نصبيين وهي يومئذ أبي الغازى وراسله في المظاهره والإتجاد فوصل إليه بماردين على حين غفلة مستجدًا به فلم يسعه إلا إسعافه وسار معه إلى سنجار والرحبة وحاصرهما وشدد عليهما فلما نزل الحابر هرب أبو الغازى راجعًا إلى نصبيين ثم إلى بلده وبقي مضطربًا ثم بعث السلطان محمد سنة خمس وخمسة إلى الأمير مودود بالسير إلى قتال الإفرنج وأن يسير الأمراء معه من كل جهة مثل سقمان القطي صاحب ديار بكر وأحمد بك صاحب مراغة وأبي الهيجاء صاحب إربيل وأبي الغازى صاحب ماردين فحضروا كلهم إلا أبي الغازى فإنه بعث ولده أياز في عسكر فسارت العساكر إلى الرها وحاصروها وانتهت عليهم ثم ساروا سنة ست وخمسة إلى سروج كذلك.

ثم ساروا سنة سبع إلى بلاد الإفرنج فهزموهم على طبرية ودواخرا بلادهم وعاد مودود إلى دمشق وافتقت العساكر ودخل دمشق ليشتبه بها عند طفركين صاحبها فقتل غليلة بها واتهم طفركين في أمره وبعث السلطان مكانه على العساكر والموصل أفسق البرسيقي وأمره بقصد الإفرنج وقتلهم وكتب إلى الأمراء بطاعته وبعث ابنه الملك مسعودًا في عسكر كييف ليكونوا معه فسار أفسق ستة ثمان وخمسة وفر أبو الغازى وحاصره بماردين حتى استقام وبعث معه ابنه أياز في عسكر فحاصروا الرها وعاثروا في نواحيها ثم سروج وشمنساط وأطاعه صاحب مرعش وكيسوم ورجع فقبض على أياز بن أبي الغازى ونهب سواد بماردين فسار أبو الغازى من وقته إلى ركن الدولة داود ابن أخيه سقمان وهو يحسن كيما مستجدًا به فلتجده وساروا إلى البرسيقي آخر ثمان وخمسة فهزموهم وخالصوا ابنه أياز من الأسر وأرسل السلطان إلى أبي الغازى يتهده فلتحق بطرفكين صاحب دمشق صريحةً

المسلمين شعرى كثيرة الشجر فدخلوها وظنها الفرنج مكيدة فعادوا وزال عنهم ما كانوا فيه من الضيق وقتل من الفرنج كند كبير من طواغيتهم، وقتل من المسلمين ملوك لصلاح الدين اسمه إياز الطويل وهو من الموصوفين بالشجاعة والشهامة لم يكن في زمانه مثله فلما نزل المسلمين وأعنة خيلهم بآياديهم ثم سار الفرنج إلى يافا فنزلوها ولم يكن بها أحد من المسلمين فملوكها وما كان من المسلمين بأرسوف من المهزولة ما ذكرناه سار لصلاح الدين عنهم إلى الرملة واجتمع بأئتها بها وجع الأمراء واستشارهم فيما يفعل فشاروا عليه بتخريب عسقلان وقالوا له: قد رأيت ما منا بالأمس، وإذا جاء الفرنج إلى عسقلان، ووقفنا في وجههم نصدتهم عنها فهم لا شك يقاتلونا للتزاح عنها وينزلون علينا فإذا كان ذلك عدنا إلى مثل ما كنا عليه على عكا، وبعظم الأمر علينا لأن العدو وقد قوي بأخذ عادات وما فيها من الأسلحة وغيرها ونحن قد ضعفنا بما خرج عن إيدينا ولم تطل المدة حتى تستجد غيرها فلم تستجد غيرها فلم تسمع نفسه بتخريبها وندب الناس إلى دخولها وحفظها فلم يجيء أحد إلى ذلك. وقالوا: إن أردت حفظها فادخل أنت معنا أو بعض أولادك الكبار وإلا فما يدخلها من أحد ثلا يصيّنا ما أصاب أهل عكا فلما رأى الأمر كذلك سار إلى وأمر بتخريبها تاسع عشر شعبان والقيت حجارتها في البحر وهلك فيها الأموال والذخائر التي للسلطان والرعاية ما لا يمكن حصره وغنى أثرها حتى لا يبقى للفرنج في قصدها مطعم. ولما سمع الفرنج بتخريبها أقاموا مكانها ولم يسيروا إليها. وكان المركيس لعنه الله لما أخذ الفرنج عكا قد أحسن من ملك إنكلتار بالغدر به فهرب من عنده إلى صور وهي له يده وكان رجل الفرنج رأياً وشجاعة. وكل هذه الحروب هو أثارها فلما خربت عسقلان أرسل إلى ملك إنكلتار يقول له: ملك لا ينبغي أن يكون ويتقدم على الجيوش تسمع أن صلاح الدين قد خرب عسقلان وتقيم مكانك يا جاهل لما بلغك أنه قد شرع في تخريبها كنت سرت إليه مجددًا فرحلته وملكتها صفوا غفراً بغیر قتال ولا حصار فإنه ما خربها إلى وهو عاجز عن حفظها. حق المسيح لو أتي معك كانت عسقلان اليوم بأيدينا لم يخرب منها غير برج واحد!

فلمما خربت عسقلان رحل صلاح الدين عنها ثاني شهر رمضان ومضى إلى الرملة فخرّب حصتها وخرّب كنيسة لد. وفي مدة مقامه لتخريب عسقلان كانت العساكر مع الملك العادل أبي بكر بن أبي بكر تجاه الفرنج ثم سار لصلاح الدين إلى القدس بعد تخريب الرملة فاعتبره وما فيه من سلاح وذخائر، وقرر قواعده وأسبابه وما يحتاج إليه، وعاد إلى المخيم ثمان رمضان. وفي هذه

ثم عزل لشهر وولي أبو المعالى بن الملحقى ثم عزل وصودر واضطربت الدولة وخشي أهل حلب على بلدتهم من الإفرنج فاستدعوا أبي الغازى بن أرتق من ماردين وسلموا له البلد وانقرض ملك آن رضوان بن تشن منها فلم يملكتها بعد واحد منهم ولا ملكها لم يجد فيها مالاً فقاد جماعة من الخدم وصانع الإفرنج بمالهم ثم سار إلى ماردين بغية العودة إلى حياتها واستخلف عليها ابنه ابن حسام الدين مرتاش.

### واقعة أبي الغازى مع الإفرنج

ولما استولى أبو الغازى على حلب وسار عنها طمع في الإفرنج وساروا إليها فملكونا مraigة وغيرها من أعمالها وحاصروها فلم يكن لأهلها بد من مدافعتهم بقتال أو بمال فقادوهم أملاكهم التي يضايقها في سبيل الصانعة وبعشوا إلى بغداد يستغثون فلم يغاثوا وجمع أبو الغازى من العساكر والمتطوعة خوا من عشرين ألفاً وسار بهم إلى الشام سنة ثلاثة عشرة ومعه أسامة بن مبارك بن منقذ الكتاني وطغان أرسلان بن اسكنين بن جناح صاحب أرزن الروم ونزل الإفرنج قريباً من حصون الأماري في ثلاثة آلاف فارس وتسعة آلاف راجل وزلزوا في تل عفرين حيث كان مقتل مسلم بن فريش ومحصرها بالجبال من كل جهة إلا ثلاثة مسارب فقصدتهم أبو الغازى ودخل عليهم من تلك المسارب وهو غارون فركبوا وصدقو المحملة فلقو عساكر المسلمين متتابعة فولوا منهزمين وأخذهم السيف من كل جهة فلم يفلت إلا القليل وأسر من زعمائهم سبعون فادههم أهل حلب بثمانمائة ألف دينار وقتل سرجان صاحب أنطاكية.

ونجا لهم من المعركة فاجتمع جماعة من الإفرنج وعاودوا اللقاء فهزهم أبو الغازى وفتح حصن الأثارون ورزدنا وعاد إلى حلب فاصلح أمرها وعبر الفرات إلى ماردين وولي على حلب ابنه سليمان ثم وصل ديس بن صدقة إلى أبي الغازى مستجراً به فكتب إليه المسترشد مع سرير الدولة عند أبي الغازى بإبعاد ديس ثم وقع بينه وبين السلطان محمود الاتفاق ورهن ولده على الطاعة ورجع وسار أبو الغازى إلى الإفرنج عقب ذلك سنة أربع عشرة فقاتلهم بأعمال حلب وظفر بهم ثم سار هو وطفركين صاحب دمشق فحاصروا الإفرنج بالكثير وخشوا من استماتتهم فانزح لهم أبو الغازى حتى خرجوا من الحصن وكان لا يطيل المقام بدار الحرب لأن أكثر الغزاة معه التركمان يأتون بجراب دقيق وقديد شاه فاستجعل العود إن فنيت أزوادهم والله أعلم.

وكان طفركين مستوحشاً لاتهامه بأمر مودود فاتفقا على الاستجاجاد وبعثا بذلك إلى صاحب أنطاكية فجاء إليهما قرب حمص وتحالفوا وعاد إلى أنطاكية وسار أبو الغازى إلى ديار بكر في خف من أصحابه فأعتبرضه قيرجان صاحب حمص ظفر به وأسره وبعث إلى السلطان بخبره وأبطأ عليه وصول جوابه فيه وجاء طفركين إلى حمص فدخل على قيرجان والج عليه بقتل أبي الغازى ثم أطلقه قيرجان وأخذ عليه.

وسار أبو الغازى إلى حلب وبعث السلطان العساكر مع يوسف بن برسن صاحب همدان وغيره من الأمراء لقتال أبي الغازى وقتال الإفرنج بعده فساروا إلى حلب وبها لؤلؤ الخادم مولى رضوان بن تشن كفل ابنه ألب أرسلان بعد موته ومعه مقدم العساكر شمس الخواص فطالبوهما بتسليم حلب بكتاب السلطان إليهما في ذلك وبادر أبو الغازى وطفركين فدخلتا إليهما فامتنت عليهما فساروا إلى حماة من أعمال طفركين وبها ذخائرة ففتحوها عنوة ونهبوا وسلموها إلى الأمير قيرجان صاحب حمص فاعطاهما أبياز بن أبي الغازى وكان أبو الغازى وطفركين وشمس الخواص ساروا إلى روجيل صاحب أنطاكية يستجذبونه على حفظ حماة وجاءهم هنالك بندوبين صاحب القدس والقمص صاحب طرابلس وغيرها وانقووا على مطاولة العساكر ليتفرقوا عند هجوم الشتاء واجتمعوا عند قلعة أقامية فلم تبرج العساكر مكانها فافتلقوا طفركين وعاد إلى دمشق وأبو الغازى إلى ماردين والإفرنج إلى بلادهم ثم كان أثر ذلك فتح كفر طاب على المسلمين واعتزموا على معاودة حلب فأعتبرضهم روجيل صاحب أنطاكية وقد جاء في خمسة فارس مددًا للإفرنج في كفر طاب فانهزم المسلمون وكان تحيصهم ورجع برسن أمير العساكر وأخوه منهزمين إلى بلادهم وكان أبياز بن أبي الغازى أسرًا عندهم فقتلته الموكلون به يوم المعركة سنة تسع وخمسة وثلاثين والله تعالى أعلم.

### استيلاء أبي الغازى على حلب

كان رضوان بن تشن صاحب حلب لما توفي سنة سبع وخمسة قام بأمر دولته لؤلؤ الخادم ونصب ابنه ألب أرسلان في ملكه ثم استوحش منه ونصب مكانه أخيه سلطان شاه واستبد عليه ثم سار لؤلؤ الخادم إلى قلعة جعبر سنة إحدى عشرة بينما وبين مالك بن سالم بن بدران فغدر به مالك الأتزراك وقتلوه عند خرب بربت واستولوا على خزائنه وأعتبرضهم أهل حلب واستنقذوا منهم ما أخذوه وولي شمس الخواص أبابك مكان لؤلؤ

### انتقاض سليمان بن أبي الغازى بحلب

كان أبو الغازى قد ولى على حلب ابنه سليمان فحمله بطاته على الخلاف على أبيه وسار إليه أبواه تلقاه ابنه سليمان بالمعاذير فأمسك عنه وبغض على بطاته الذين داخلوه في ذلك وكان متربى كبرها أمير كان لقيطاً لأبيه ونشأ في بيته فسلمه وقطع فترك على القلعة من يحاصرها ونوض عليهم فهزهم وأثخن فيهم وعاد إلى منجع فحاصرها وأصحابه بعض الأيام سهم غرب فقتله فاضطرب العسكر وافتقرتا وخلص حسان من محبه وكان ترثاش بن أبي الغازى صاحب ماردين معه على منجع فلما قتل حل شلوه إلى حلب ودفنه بها واستولى عليها ثم استخلف عليها وعاد إلى ماردين وجاء الإفرنج إلى مدينة صور فملوكها وطمعوا في غيرها من بلاد المسلمين وتحققت بهم ديس بن صدقة ناجياً من واقعته مع المسترشد فأطاعهم في ملك حلب وساروا معه فحاصروها وبنوا عليها المساكن وطال الحصار وقلت الأقوات واضطرب أهل البلد وظهر لهم العجز من أصحابهم ولم يكن في الوقت أظهر من البرستي صاحب الموصل ولا أكثر قوة وجعل من فاستدعاه ليدافع عنهم ويلكتوه وشرط عليهم أن يكتوه من الإفرنج ارتحلوا عائدين إلى بلادهم وخرج أهل حلب فلتقوا البرستي فدخل واستولى على حلب وأعمالها ولم تزل بيده إلى أن هلك وملكها ابنه عز الدين ثم هلك فولي السلطان محمود عليهما أتابك زنكى حسبما يأتي في أخبار دولته ورجع ترثاش إلى ماردين واستمر ملكه بها وكان مستولياً على كثير من قلاع ديار بكر استولى سنة اثنين وثلاثين على قلعة الساج من ديار بكر وكانت بيد بعض بني مروان من بقايا ملوك الأولين وكان هذا آخرهم بهذه القلعة وكان ملك ميافارقين قد سار لحسام الدين ترثاش وملكها من يد أخيه سليمان ولم يزل ترثاش ملكاً بماردين إلى أن هلك سنة سبع وأربعين وخمسة لإحدى وثلاثين سنة من ملكه والله تعالى ولِي التوفيق.

### واقعة مالك بن بهرام مع جوسكين صاحب الراها

قد تقدم لنا أن جوسكين من الإفرنج كان صاحب الراها وسروج وأن مالك بن بهرام كان قد ملك مدينة غانة فسار سنة خمس عشرة إلى الراها وحاصرها أيامًا فامتثلت عليه وسار جوسكين في اتباعه بعد أن جمع الإفرنج وقد نفرق عن مالك أصحابه ولم يبق معه إلا أربعينان فلحقوه في أرض رخوة قد نسب عنها الماء فوصلت فيها خبوthem ولم يقدروا على التخلص فظفر بهم أصحاب مالك وأسرورهم وجعل جوسكين في إهاب جل وخيط عليه وطلبو منه تسليم الراها فلم يفعل وحبسه في خرت برت بعد أن بدل في فديته أموالًا فلم يقادوه والله تعالى يؤيد بنصره من يشاء من عباده.

### وفاة أبي الغازى وملك بنيه من بعده

ثم توفي حسام الدين ترثاش سنة سبع وأربعين وخمسة كما قلنا، فملك بعده ابنه بماردين الذي بن ترثاش وبقي ملكاً عليها إلى أن مات وولى بعده ابنه أبو الغازى بن أبي إلى أن مات ولم يذكر ابن الأثير تاريخ وفاتهما وقال مؤرخ حماة: لم يقع إلى تاريخ وفاتهما.

ثم توفي أبو الغازى بن أرتق صاحب ماردين في رمضان ستة ست عشرة وخمسة فولي بعده بماردين ابنه حسام الدين ترثاش وملك سليمان ميافارقين وكان محلب سليمان ابن أخيه عبد الجبار فاستولى عليها ثم سار مالك بن بهرام بن أرتق إلى

وملك بعده أخوه المظفر قرا أرسلان بن أرتق فاقام سنة أو بعضها ثم هلك سنة ثلاث وتسعين وستمائة وملك بعده أخوه المنصور نجم الدين غازى بن قرا أرسلان إلى أن توفي سنة اثنى عشرة وبسبعينة لأربع وخمسين سنة من ولادته وملك بعده ابنه المنصور أحمد إلى أن توفي سنة تسع وستين لثلاث سنين من ولادته ثم ملك بعده ابنه الصالح محمود أربعة أشهر وخليمه عمه المظفر فخر الدين داود المنصور أحمد إلى أن توفي سنة ثمان وسبعين وبسبعينة وملك بعده ابنه مجد الدين عيسى وهو السلطان ماردين لهذا العهد والملك الله يؤتى به من يشاء من عباده.

ولما ملك هلاكون طلوخان بن جنكتخان مدينة بغداد وأعمالها أعطاه المظفر قرا أرسلان طاعته وخطب له في أعماله ولم يزالوا يديرون بطاعة بيته إلى أن هلك أبو سعيد بن خريبر آخر ملوك التر بي بغداد سنة سبع وثلاثين فقطعوا الخطبة لهم واستبد أحد المنصور منهم وهو الثاني عشر من لدن أبي الغازى جدهم الأول.

وأما داود بن سقمان فإنه ملك حصن كيما من بعد سقمان أبيه وإبراهيم أخيه ولم أقف على خبر وفاته.

وملك بعده ابنه فخر الدين قرا أرسلان بن داود وملك أكثر ديار بكر مع حصن كيما وتوفي سنة اثنتين وستين وخمسة. وملك بعده ابنه نور الدين محمد بهده إليه بذلك وكانت بينه وبين صلاح الدين مواصلة وظاهرة ظاهر صلاح الدين على الموصى على أن يظاهره على آمد ظاهره صلاح الدين وحاصرها من أصحابها ابن سنان سنة تسع وستين وصارت من أعمال نور الدين كما ذكر في دولة صلاح الدين ثم توفي نور الدين محمد سنة إحدى وثمانين وخلف ولدين فملك الأكبر منها قطب الدين سقمان وأقام بتديري دولته العوام بن سماق الأسعد وزير أبيه وكان عماد الدين آخر نور الدين هو المرشح للإماراة إلا أنه سار في الساكن مددًا لصلاح الدين على حصار الموصى فلما بلغ الخبر بوفاة أخيه سار ملك البلد لصغر أولاد أخيه نور الدين فلم يظفر واستولى على خرت برت فانتزعاها منههم وملكلهم وأورثها

بنيه فلما أتى صلاح الدين عن الموصى ليقي قطب الدين سقمان وأقره على ملك أبيه بكينا وأبقى بيده آمد التي كان ملكها لأبيه وشرط عليه مراجعته في أحواله والوقوف عند أوامره وأقام أميراً من أصحاب ابنه قرا أرسلان اسمه صلاح الدين فقام بأمر دولته واستقر ملوكه بكينا وأمد وما إليهما إلى أن توفي سنة سبع وسبعين وخمسة تردى من جوسن له بمحسن كيما فمات وكان آخره محمود مرشحاً لملكانه إلا أن قطب الدين سقمان كان شديد

## ولاية حسام الدين بولق أرسلان بن أبي الغازى بن أبي

ولما توفي أبو الغازى بن أبي قام بأمر ملوكه نظام الملك البخش ونصب للملك مكانه ابنه بولق أرسلان طفلًا واستبدل عليه وكان البخش غالباً على هواه حيث صار أمر الطفل في يده ولم تزل حالم على ذلك إلى أن هلك حسام الدين في سنة خمس وسبعين وخمسة على عهد بولق هذا وكناه ابن الأثير حسام الدين ناصراً للملك قصد العادل أبو بكر بن أيوب ماردين وخشيت ملوك المزيرية لم يقدروا على منعه ثم توفي العزيز بن صلاح الدين صاحب مصر وولي أخوه الأفضل فاستنصر العادل أهل مصر ودمشق وأهل سنجار وبعثهم مع ابنه الكامل وحاصروها ماردين فبعث إليه النقش المستولي على بولق بالطاعة وتسليم القلعة لأجل معلوم على أن يدخل عليهم الأفرات ووضع العادل ابنه على بابها أن لا يدخلها زائد على الفت فصانعوا الولد بالمال وشجعواها بالأفرات وبينما هم في ذلك جاء نور الدين صاحب الموصى لإنجادهم وقاتلهم فانهزمت عساكر العادل وخرج أهل القلعة فاولعوا بعسکر الكامل ابنه فرحلوا جميعاً منهزمين ونزل حسام الدين بولق إلى نور الدين ولقيه وشكراً وعاد ونزل نور الدين على دبس ثم رحل عنها قاصداً حوران كما نذكره في أخبار دولته إن شاء الله تعالى والله أعلم.

## وفاة بولق وولاية أخيه أرتق

ولما هلك بولق أرسلان نصب لوزن الخادم بعده للملك أخيه الأصغر ناصر الدين أرتق أرسلان بن قطب الدين أبي الغازى ولم يذكر ابن الأثير خبر وفاته أيضاً ويقى ملوكه في كفالة البخش إلى سنة إحدى وستمائة والله أعلم.

## مقتل البخش واستبداد أرتق المنصور

### واتصال الملك في عقبه

ثم استكشف أرتق من الجمر ومرض البخش سنة إحدى وستمائة فجاء أرتق لعيادته وقتل لوزنَّا خادمه في بعض زوابن بيته ورجع إلى البخش فقتله في فراشه واستقل ملوك ماردين وتلقب المنصور وتوفي سنة ست وثلاثين وثلاثمائة وملك بعده ابنه السعيد نجم الدين غازى بن أرتق وتوفي سنة ثمان أو ثلات وخمسين

**دولة بنى زنكي بن أقستقر الخبر عن دولة  
بني زنكي بن أقستقر من موالي السلجوقية  
بالجزرية والشام ومبادئه أمورهم  
وتصاريف أحواهم**

قد تقدم لنا ذكر أقستقر مولى السلطان ملك شاه وأنه كان يلقب قسيم الدولة وأن السلطان ملك شاه لما بعث الوزير فخر الدولة بن جهير سنة سبع وسبعين وأربعين بفتح ديار بكر من يد بن مروان واستجده ابن مروان صاحب الموصل شرف الدولة مسلم بن عقيل وهزمته العساكر وأخصر بأمد بفتح السلطان عميد الدولة بن فخر الدولة بن جهير ليخالف شرف الدولة إلى السلطان فلقنه في الرحبة وأهدى له فرضي عنه ورده إلى بلده الموصلي واستولى بنو جهير بعد ذلك على ديار بكر كما مر في موضعه من دولة بنى مروان ثم كان بعد ذلك شأن حلب واستبد بها أهلها بعد انقراض دولة بنى صالح بن مرداد الكلابي وطبع فيها شرف الدولة مسلم بن قريش وسليمان بن قطلمش صاحب بلاد الروم وتثنى بن السلطان آل أرسلان.

وقتل سليمان بن قطلمش مسلم بن قريش ثم قتل تشن سليمان بن قطلمش وجاء إلى حلب فملكها وامتنعت عليه القلعة فحاصرها وقد كانوا بعنوا إلى السلطان ملك شاه واستدعوا الملوكها فوصل إليهم سنة تسعة وسبعين: ورحل تشن عن القلعة ودخل البرية واستولى السلطان على حلب وولى عليها قسيم الدولة أقستقر وعاد إلى العراق فعمراها أقستقر وأحسن السيرة فيها وسار معه تشن حين عهد له آخره السلطان ملك شاه بفتح بلاد العلوية عصر الشام ففتح الكثير منها وهو معه كما مر وصحف قبل ذلك ستة ثمانين إلى بني منقد بشيرز فحاصره وضيق عليه ثم رجع عنه عن صالح وأقام بحلب ولم يزل والياً عليها إلى أن هلك السلطان ستة خمس وثمانين.

واختلف ولده من بعده وكان آخره تشن قد استولى على الشام منذ سنة إحدى وسبعين فلما هلك آخره طمع في ملك السلجوقية من بعده فجمع العساكر وسار لاقضاء الطاعة من الأمراء معه بالشام وقصد حلب فاطاعه قسيم الدولة أقستقر وحل باغيسيان صاحب أنطاكية وتبران صاحب الرها وحران على طاعته حتى ظهر مال الأمر في ولد سيدهم ملك شاه وساروا مع تشن إلى الرحبة فملوكها وخطب لنفسه فيها ثم إلى نصبيين ففتحها عنوة ثم إلى الموصلي فهزم صاحبها إبراهيم بن قريش بن بدران

البغضاء له وأخذه إلى حصن منصور من آخر عملهم واصطفى ملوكه إيساً وزوجه باخته وجعله ول عهده.

ولما توفي ملك بعده ملوكه وشخص أهل الدولة فدساها إلى محمود فسار إلى آمد وسيقه إيسا إليها ليدافعه فلسم يطلق وملك محمود آمد واستولى على البلد كلها وحبس إيسا إلى أن أطلقه بشفاعة صاحب بلاد الروم ولحق به وانتظم في أمرائه واستقل محمود بملك كينا وأمد وأعمالهما ولقب ناصر الدين وكان ظالماً فيبح السيرة وكان يتحل العلوم الفلسفية وتوفي سنة تسعة عشر وستمائة وهي مكانة المسعود وحدثت بينه وبين الأفضل بن عادل فتنة واستجده عليه أخيه الكامل فسار في العساكر من مصر ومعه داود صاحب الكرك والمظفر صاحب حماة فحاصروه بأمد إلى أن نزل عنها وجاء إلى الكامل فاعتقله فلسم ينزل عنده حيساً إلى أن مات الكامل فذهب إلى التتر فمات عندهم.

وأما عماد الدين بن قرا أرسلان الذي ملك خرت برت من يد قطب الدين سقمان ابن أخيه نور الدين فلم يزل في يده إلى أن توفي سنة إحدى وستمائة لعشرين سنة من ملوكه إيساها.

وملكها بعده ابنه نظام الدين أبو بكر وكانت بينه وبين ناصر الدين محمود ابن عميه نور الدين صاحب آمد وكيفاً عداوة ودخل محمود في طاعة العادل بن أبيوب وحضر مع ابنه الأشرف في حصار الموصلي على أن يسير معه بعدها إلى خرت برت فيملكها له وكان نظام الدين مستجداً به الدين قليج أرسلان صاحب بلاد الروم فمات وسار الأشرف مع محمود بعساكره وحاصروا خرت برت في شعبان سن إحدى وستين وملوكها ارپيشا وبعثوا غاث الدين صاحب الروم إلى نظام الدين المدد بالعواصر مع الأفضل بن صالح الدين صاحب سميساط فلما انتهوا إلى ملطية أخرج الأشرف ومحمد عن خرت برت إلى بعض حصون نظام الدين بالصحراء ببحيرة سهنهن وفتحت في ذي الحجة سنة إحدى وستين فلما وصل الأفضل بعساكر غاث الدين ووصل الأشرف عن البحيرة راجعاً جاء نظام الدين بالعواصر إلى الحصن فامتنع عليه ويقي لصاحب آمد ثم ملك كيقباد صاحب الروم حصن خرت برت من أيديهم سنة إحدى وثلاثين وانقض منها ملك بني سقمان والله وارث الأرض ومن عليها وإليه يرجعون.

طرابلس وزنكي بن قسيم الدولة أقسطر وجماعة من أمراء الجزيرة ووصلوا إلى بغداد وصالحهم البرسيقي وسار معهم.

ودخل مسعود إلى بغداد وجاء منكسر إلى بغداد ونزع إليه

دييس بن صدقة ووقعت الحرب بينهما على بغداد كما تقدم في أخبار الدولة وأقام منكسر ببغداد ثم كان له في خدمة السلطان محمود عند حربه مع أخيه مسعود مقامات جليلة وغلب السلطان أخيه مسعوداً وأخذه عنده واستنزل أباكه جيوس بك من الموصل وأعاد إليها البرسيقي سنة خمسة عشر فعاد زنكي إلى الاختصاص به كما مر ثم أضاف إليه السلطان محمود شحنة بغداد وولاية واسط مضافة إلى ولاية الموصل سنة ستة عشر فولى عليها عماد الدين زنكي فحسن أثره في ولايتها.

ولما كانت الحرب بين دييس بن صدقة وبين الخليفة

المترشد ويزر المسترشد لقتاله من بغداد وحضر البرسيقي من الموصل وعماد الدين زنكي فانهزم دييس عماد الدين في ذلك المقام ثم ذهب دييس إلى البصرة وجمع المتفق من بي عقيل فدخلوا البصرة ونهبواها وقتلوا أمرها وبعث المترشد إلى البرسيقي فعله في إهماله أمر دييس حتى فعل في البصرة ما فعل فبادر إلى قصره وهرب دييس واستولى على البصرة وولى عليها عماد الدين زنكي بن أقسطر فأحسن حاليتها والدفاع عنها وكبس العرب في حلهم بضواحيها وأجفلوا ثم عزل البرسيقي سنة ثمان عشرة عن شحنة بغداد وعاد إلى الموصل فاستدعى عماد الدين زنكي من البصرة فضجر من ذلك وقال: كل يوم للموصل جديد يستجدنا. وسار إلى السلطان ليكون في جلته فلما قدم عليه بأصفهان أقطعه البصرة وأعاده عليها من قبله.

ثم ملك البرسيقي مدينة حلب سنة ثمان عشرة وقتل بها سنة تسعة عشرة وكان ابنه عز الدين مسعود بحليب فبادر إلى الموصل وأقام ملك أبيه بها ووقع الخلاف بين المترشد والسلطان محمود وبعث الخليفة عفيفاً الخادم إلى واسط ليمنع عنها نواب السلطان محمود فسار إليه عماد الدين زنكي من البصرة وقاتلته فهزمه وغنى عفيف إلى المترشد وأقام عماد الدين في واسط وأمره أن يحضر بالعساكر في السفن وفي البر فجمع السفن من البصرة وشحذها بالمقاتلة شاكى السلاح وأصعد في البر وقدم على السلطان وقد تسلحت العساكر فهاله منظرهم ووهن المترشد لما رأى فاجبه إلى الصلح.

وتولى كبر هزيمته أقسطر وقتل قريش بن إبراهيم وملك الموصل من يده وولي تش علية ابن عمته علي بن مسلم بن قريش وسار إلى ديار بكر فملكتها ثم إلى آذربيجان.

وكان بركيارق بن مالك شاه قد استولى على الري وهمدان وكثير من البلاد فسار للدافعه وجنح قسيم الدولة أقسطر ويزان صاحب الراها إلى بركيارق ابن سيدهم فلحقوا به وتركوا تش فانقلب عائداً إلى الشام ساخطاً على أقسطر ويزان ما فعلاه فجمع العساكر وسار إلى حلب سنة سبع وثمانين لقتال قسيم الدولة وأمده بركيارق بالأمير كريوفقا في العساكر فierzوا إلى لقائهم تش فاختل مصافه وقت الهزيمة عليه وجيء به أسرياً إلى تش فقتله صبراً.

ولحق كريوفقا ويزان بحليب وتبعهما فحاصرهما وملكتها وأخذهما أسرى كما مر في أخبار الدولة وكان قسيم الدولة حسن السياسة كثير العدل وكانت بلاده آمنة ولما مات نشا ولده في ظل الدولة السلجوقية وكان أكبرهم زنكي فنشأ مرموقاً بعين التجلة ولما ول كريوفقا الموصل من قبل بركيارق أيام الفتنة بين بركيارق وأخيه محمد كان زنكي في جلته لأنه كان صاحب أبيه وسار كريوفقا أيام ولايته لحصار آمد وصاحبها يومئذ بعض أمراء التركمان وأخذه سقمان بن أرتق وكان زنكي بن أقسطر يومئذ شيئاً وهو في جملة رجال كريوفقا ومعه جماعة من أصحاب أبيه فجلا في تلك الحرب.

وانهزم سقمان وظهر كريوفقا. وفي هذه الحرب أسر بن ياقوت بن أرتق وسجنه كريوفقا بقلعة ماردين فكان ذلك سياماً لملك بني أرتق فيها كما مر في أخبار دولتهم ثم تابعت الولاية على الموصل فولىها جكرمش بعد كريوفقا وبعده جاوي سكاورو وبعده مودود بن ايتكنين وبعده أقسطر البرسيقي كما تقدم في أخبار السلجوقية وولاه السلطان محمد بن مالك شاه سنة ثمان وخمسين وبعث معه ابنه مسعوداً وكتب إلى سائر الأمراء هناك بطاعته ومنهم يومئذ عماد الدين زنكي بن أقسطر فاختص به.

ولما ملك السلطان محمود بعد أبيه محمد سنة إحدى عشرة كان آخره مسعود بالموصل كما تقدم أباكه جيوس بك ونقل البرسيقي من الموصل إلى شحنة بغداد وانتقض دييس بن صدقة صاحب الحللة على المترشد والسلطان محمود وجع البرسيقي العساكر وقصد الحللة فكاتب دييس السلطان مسعود وأباكه جيوس بك بالموصل وأغراهما بالسير إلى بغداد فسار لذلك مع السلطان مسعود وزيره فخر الملك وأبو علي بن عمار صاحب

## ولاية زنكي شحنة بغداد والعراق

جاولي والياً على الرحبة وولى على القلعة نصير الدين جقري وولى على حجابه صلاح الدين الباغيسياني وعلى القضاء ببلاده جميعاً بهاء الدين الشهربوري وزاد في إقطاعه وكان لا يصدر إلا عن رأيه ثم خرج إلى جزيرة ابن عمر وبها موالى البرسيقي فامتنعوا عليه وحاصرهم وكان بيته وبين البلد دجلة فعبرها وبين دجلة والبلد فسجع من الأرض فعبر دجلة وقاتلهم في ذلك الفسجع وهزهم فتحصروا بالأسوار، ثم استأنوا فدخل البلد وملكه وسار لنصبيين وكانت لحسام الدين غرناش بن أبي الغازى صاحب ماردین فاستجد عليه ابن عمه ركن الدولة داود بن سقمان صاحب كفاف فوعده بالتجدة وبعث حسام الدين بذلك إلى أهل نصبيين يأمرهم بالالمصابة عشرين يوماً إلى حين وصوله فسقط في أيديهم لعجزهم عن ذلك واستأنوا لعماد الدين فامنهن ولملكتها وسار عنها لشنجار فامتنعوا عليه أولاً ثم استأنوا ولملكتها وبعث منها إلى الحابر فملكه جميعه ثم سار إلى حران وكانت الراها وسرور والبيرة في جوارها للافريح وكانوا معهم في ضيقه بادر أهل حران إلى طاعته وأرسل إلى جوسكين وهادنه حتى يتفرغ له فاستقر بينهما الصلح والله تعالى أعلم.

## ولاية عماد الدين زنكي على الموصل وأعمالها

قد قدمنا أن عز الدين مسعود بن البرسيقي لما قتل الباطنية آباء بالموصل وكان نابه محلب فبادر إلى الموصل وضبط أمرها وخطاب السلطان محموداً فولاه مكان أبيه وكان شجاعاً فرماً فطمع في ملك الشام فسار وبدأ بالرجحة فحاصرها حتى استأنف إليه أهل القلعة وطرقه مرض فمات وتفرق عساكره ونهب بعضهم بعضاً حتى شغلوا عن دفنه وكان جاولي مولى أبيه مقدم العساكر عنده فنصب مكانه أخيه الأصغر وكاتب السلطان في تحرير ولايته وأرسل في ذلك الحاجب صلاح الدين محمد الباغيسياني والقاضي أبو الحسن علي بن القاسم الشهربوري فأوصى صلاح الدين صهره جقري فيما جاء فيه وكان شيعة لعماد الدين زنكي فخرف الحاجب وحضره مغبة حاله معه، وأشار عليه وعلى القاضي بطلب عماد الدين زنكي وضمن لهما عنده الولايات والإقطاع.

وركب القاضي مع الحاجب إلى الوزير شرف الدين أبو شروان بن خالد وذكر له حال الجزيرة والشام واستيلاء الإفرنج على أكثرها من ماردین إلى العريش وأنها تحتاج إلى من يكفل طغيانهم وابن البرسيقي المنصب بالموصل صغير لا يقوى على مدافعتهم وحماية البلاد منهم ونحن قد خرجنا عن العهدة وأنهينا الأمر إليك فرفع الوزير قولهما إلى السلطان فشكراًهما واستدعاهما واستشارهما فيمن يصلح للولاية فذكراً جماعة وأدرجاً فيهم عماد الدين زنكي وبدلًا عنه مالاً جزيلاً لخزانة السلطان فأذاجهما إليه لما يعلم من كفافيته وولاه البلاد كلها، وكتب مشوره بها وشافهه بالولاية وسار إلى ولايته فبدأ بالغوراء ولملكتها ثم سار إلى الموصل وخرج جاولي والعساكر للقائه.

ودخل الموصل في رمضان سنة إحدى وعشرين ويعت

## استيلاء الأتابك زنكي على مدينة حلب

كان البرسيقي قد ملك حلب وقلتها سنة ثمانين عشرة واستخلف عليها ابنه مسعود ثم قتل الباطنية البرسيقي بالموصل فبادر ابنه مسعود إلى الموصل واستخلف على حلب الأمير قرمان ثم عزله وبعث بولاتها إلى الأمير قططع آبه فمنعه قرمان وقال: يبني ويبني علامه لم أرها في الترقيع. فرجع إلى مسعود فوجده قد الرحبة فعاد إلى حلب مسرعاً ومال إلى أهل البلد ورئيسها مضال بن ربيع وأدخلوه ولملكته واستنزلوا قرمان من القلعة وأعطوه ألف دينار وبلغوه مائمه.

وملك قططع القلعة والبلد متصرف إحدى وعشرين شم ساءت سيرته وفحشن ظلمه واشتمل عليه أشرار فاستوحش الناس منه وثاروا به في عيد الفطر من السنة وقبضوا على أصحابه وولوا عليهم بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار بن أرتق الذي كان ملكها من قبل وحاصروا قططع بالقلعة ووصل حسان صاحب منج وحسن صاحب مراغة لصلاح الأمر فلم يتم وزحف جوسكين صاحب الراها من الإفرنج إلى حلب فصانعوه بالمال ورجع فزحف صاحب أنطاكية وحاصر البلد وهم يحاصرون القلعة إلى متصرف ذي القعدة من آخر السنة.

زعمائهم وقتل كثير حتى بقيت عظامهم ماثلة بذلك الموضع أكثر من ستين سنة ثم عاد إلى حصن الأتارب فملكه عنوة وخربه وتقسم جميع من فيه بين القتل والأسر وسار إلى قلعة حارم قرب انتاكية وهي للافرنج فحاصرها حتى صالحوه على نصف خراجها فرجع عنها ولملئ الإفرنج رعبا منه ومن استبداد المسلمين به وذهب ما كان عندهم من الطعام.

### واقعة عماد الدين مع بني أرتق

ولما فرغ عماد الدين من غزو الإفرنج وفتح الأتارب وقلعة حارم عاد إلى الجزيرة وحاصر مدينة سرخس وهي لصاحب مارددين بينها وبين نصبين فاجتمع حسام الدين صاحب مارددين وركن الدولة صاحب آمد وهو أبو الغازى صاحب ركن الدولة حسام الدين عمرناش بن أبي الغازى وصاحب كفاف ركن الدولة داود بن سقمان وعترناش بن أرتق وجعوا من التركمان خسوا من عشرين ألفاً وساروا لمدافة زنكي فهزمهم وملك سرخس وسار ركن الدولة إلى جزيرة ابن عمر ليهبا فاتبعه عماد الدين. فرجع إلى بلده فعاد عنه لضيق مسالكه وملك من قلاعه همرد ورجع إلى الموصل إلى آخره.

### حصول دبس بن صدقة في أسرا الأتابك

#### زنكي

قد تقدم لنا أن دبس بن صدقة لما فارق البصرة سار إلى سرخد من قلاع الشام سنة خمس وعشرين باستدعاء الجارية التي خلفها الحسن هنالك ليتزوج بها وأنه مر في الغروطة بحي من أحياه كلب فأسروه وحملوه إلى تاج الملوك صاحب دمشق وبلغ الخبر إلى الأتابك زنكي وكان عدواً له فبعث فيه إلى تاج الملوك بوري وقادى من ابنه سونج والأمراء الذين معه عنده فاطلقهم وبعث بوري إليه بدليس وهو مستيقن الملاك فلما وصله أكرمه وأحسن إليه وأزاح علله وبعث المسترشد فيه إلى بوري بن طفركين صاحب دمشق فوجده قد فات بتسليميه إلى زنكي فدم الرسل زنكي فيما فعله فارصد لهم في طريقهم وسيروا إليه وهم سديداً الدولة بن الأنباري وأبر بكر بن بشر الجزري فحبسهما حتى شفع فيهما المسترشد وبقي دبس عنده حتى انحدر معه إلى العراق.

وانهى عماد الدين زنكي إلى صاحب حران كما ذكرناه فبعث إلى أهل حلب أميرين من أصحابه بتوصيع السلطان له بالموصل والجزيرة والشام فنادروا إلى الطاعة وسار إلى بدر الدولة ابن عبد الجبار وقطلن آبه وقام أحد الأمراء بمحلب ولا وصلا إلى عماد الدين أصلح بينهما وأقاما عنده وبعث الحاج صلاح الدين محمد الباغيسياني في عسكر إليهما فملك القلعة ورتب الأمور وولى ثم وصل عماد الدين بعده في حرم سنة اثنين وعشرين وملك في طريقه منبع من يد حسان ومراغة من يد حسن وتلقاه أهل حلب فاستولى وأقطع أعمالها للأمراء والأجناد ثم قبض على قطلن آبه وأسلمه إلى ابن بديع فكحله ومات واستوحش ابن بديع فلحق بقلعة جعبر مستجداً بصاحبه وأقام عماد الدين مكانه في رئاسة حلب علي بن عبد الرزاق وعاد إلى الموصل والله أعلم.

### استيلاء الأتابك زنكي على مدينة حماة

ثم سار عماد الدين زنكي بجهاد الإفرنج وعبر الفرات إلى الشام واستجده تاج الملوك بوري بن طفركين صاحب دمشق فأخذته بعد التوثيق باستخلافه وبعث عسكره من دمشق إلى ابنه سونج وأمره بالسير إلى زنكي فلما وصلوا إليه أكرمه ثم غدر بهم بعد أيام وبقى سونج والأمراء الذين معه فاعتقلهم محلب ونهب خياتهم ويادر إلى حماة وهي خلو من الحامية فملكها وسار عنها إلى حمص وصاحبها قيرجان بن قراجا معه في عساكره وهو الذي أشار بمحبس سونج وأصحابه فقبض عليه يظن أن أهل حمص يسلمون بلاهم إليه فامتنعوا وبعث إليهم قيرجان بذلك فلحق إليها فحاصرها مدة وامتنعت عليه فعاد إلى الموصل ومعه سونج بن بوري والله أعلم.

### فتح عماد الدين حصن الأتارب وهزيمة الإفرنج

ولما عاد عماد الدين إلى الموصل أراح عساكره أيامًا ثم تحهز ستة أربع وعشرين إلى الغزو وعاد إلى الشام وقد صد حلب واعترض على قصد حصن الأتارب وهو على ثلاثة فراسخ من حلب وكان الإفرنج الذين به قد ضيقوا على حلب فساروا إليه وحاصره وجاء الإفرنج من انتاكية لدفعه واستقرعوا فتبعهم وترك المصن وسار إليهم واستمات المسلمين فأنهزم الإفرنج وأسر كثير من

مسير الأتابك زنكي إلى العراق لمظاهرة

السلطان مسعود و انهزامه

وفي غيبة الأتابك زنكي سار ملك الإفرنج من القدس إلى حلب فخرج نابهها عن الأتابك زنكي وهو الأمير أسوار وجاء التركمان مع عساكره وقاتل الإفرنج عند قسررين وصار بهم ومحض الله المسلمين وانهزموا إلى حلب وسار ملك الإفرنج في أعمال حلب ظافراً ثم سار بعض الإفرنج من الرها للغارة في أعمال حلب فخرج إليهم الأمير أسوار ومعه حسان التغلبي الذي كان صاحب منبع فأوقعوا بهم واستلهموهم وأسروا من بقى منهم وعادوا ظافرين.

حصار المسئر شد الموصل

ولما وقع ما قدمته من وصول زنكي إلى بغداد وانهزامه  
أمام المسترشد فقد أطلق عليه المسترشد ذلك وأقام بتربيص ثم كسر  
الخلاف بين سلاطين السلاجقية واعتزلهم جماعة من أمرائهم فراراً  
من الفتنة ولحقوا بالخليلية وأقاموا في ظله فاراد الخليلية المسترشد أن  
يتتصف بهم من الأتابك زنكي فقدم إليه بهاء الدين أبا الفتوح  
الإسفرايني الواقع وحمله عتبةً أغاظل فيه وزاده الواقع غلظة  
حفظاً على ناموس الخلافة في معتقده فامتنع الأتابك لما شافهه  
به وأهانه وحبسه وأرسل المسترشد إلى السلطان مسعود على قصد  
الموصل وحاصرها لما وقع من زنكي ثم سار في شعبان سنة سبع  
وعشرين إلى الموصل في ثلاثين ألف مقاتل فلما قارب الموصل  
فارقه الأتابك زنكي إلى سنجار وترك تاباته بها نصر الدين جقرى  
وجاء المسترشد فحاصرها والأتابك زنكي قد قطع الميرة عن  
معسكره فتعذر الأقوات وضاقت عليهم الأحوال وأرادت  
جماعة من أهل البلد الوثوب بها وسعى بهم فاخذوا وصليروا ودام  
الحصار ثلاثة أشهر وامتنت عليه فافرج عنها وعاد إلى بغداد  
وقيل: إن مطراً الخادم جاءه من بغداد وأخبره أن السلطان مسعوداً  
عازم على قصد العراق فعاد مسرعاً.

الاتجاه صاحب دمشق مدينة حماة

قد كنا قدمنا أن الأتابك زنكي تغلب على حماة من يد تاج  
الملوك بوري بن طغركين صاحب دمشق سنة ثلاثة وعشرين  
رأفاقت في ملكه أربع سينين وتوفي تاج الملوك بوري في رجب سنة

ولما توفي السلطان محمود سنة خمس وعشرين واختلف ولده داود وأخوه مسعود وسار داود إلى مسعود وحاصره بتبريز في محرم سنة ست وعشرين ثم صالحه وخرج مسعود من تبريز واجتمعت عليه العساكر وسار إلى همدان ويعث يطلب الخطبة من المسترشد فمنعه وكب الأتابك عماد الدين زنكي يستجده وسار إلى بغداد فحاصرها وكان قد سبق إليها أخوه سلجوقي شاه صاحب فارس وخوزستان مع أتابك قراجا الشامي في عسكر كبير وأنزله المسترشد بدار السلطان فلما جاء مسعود ونزل عبسة ويرز عسكر المسترشد وعسكر سلجوقي شاه وقراجا الشامي خاربة مسعود أتاهم الخبر بوصول عماد الدين زنكي من وراهيم وأنه وصل إلى المشتوب فرجع قراجا الشامي إلى خاربته وسار سلجوقي شاه بالعساكر إلى خاربة أخيه مسعود وأغذ قراجا السير وصبع عماد الدين بعد يوم وليلة على المشتوب وقاتلته وهزمه وأسر كثيراً من أصحابه وسار زنكي منهزاً إلى والنائب بها نجم الدين أيوب بن شادي والد السلطان صلاح الدين فتأنخر ثم اصطلح مع الخليفة على أن يكون العراق له والسلطنة لمسعود وولاية العهد لسلجوقي شاه وذلك متصرف ست وعشرين.

# مسير الأتابك عماد الدين إلى بغداد بابته وانهزامه

قد قدمنا ما كان بعد وفاة السلطان محمود من الخلاف بين ابنه داود وأخويه مسعود وسلجوق شاه ثم استقرار مسعود في السلطنة وصلحه مع أخيه سلجوق على أن يكون ولـي عهده ثم إن السلطان سنجر سار من خراسان يطلب السلطنة لطغـرل ابن أخيه السلطان محمود وكان عنده مقـيمـاً فبلغ هـمدـان وخرج السلطان مسعود وسلجوق شاه للقاء وساروا مـبـاطـئـين يتـظـرونـونـ لـخـاقـ المـسـرـشـدـ بهـمـ وـخـرـجـ المـسـرـشـدـ إـلـىـ فـجـاءـهـ الـأـخـيـارـ بـوـصـولـ الآتابـكـ زـنـكيـ وـدـيـسـ بنـ صـلـدـقـةـ إـلـىـ بـغـدـادـ فـذـكـرـ دـيـسـ أـنـ السـلـطـانـ سنـجـارـ أـقـطـعـهـ الـحـالـةـ وـبـعـثـ يـسـتـرـضـيـ فـلـمـ يـشـفـعـهـ وـذـكـرـ الـآـتـابـكـ زـنـكيـ أـنـ السـلـطـانـ سنـجـارـ لـوـاهـ شـحـنـةـ بـغـدـادـ وـاسـتـمـرـ السـلـطـانـ مـسـعـودـ وـأـخـوـهـ سـلـجـوقـ عـلـىـ الـمـسـيرـ لـلـقـاءـ سـنـجـارـ وـكـاتـ الـهـزـيـعـةـ عـلـىـ مـسـعـودـ كـمـاـ مـرـ فـعـادـ المـسـرـشـدـ إـلـىـ بـغـدـادـ وـنـزـلـ الـعـبـاسـيـةـ مـنـ الـجـانـبـ الـغـرـبـيـ وـلـقـيـ الـآـتـابـكـ زـنـكيـ وـدـيـسـ عـلـىـ حـصـنـ الـرـامـكـةـ

أن يغلب عليها وأعطيه قلعة كواشي وولي على أشب رجلاً من الكلد واسمه باد الأرمي وبابنه أحمد هذا هو أبو علي بن أحمد المشطوب من أمراء السلطان صلاح الدين ولما مات أبو الهيجاء واسمه موسى سار أحد إلى أشب ليملكها فامتنع عليه باد وأراد حفظها لعلي الصغير من بني أبي الهيجاء فسار الأتابك زنكي في عساكره وزر على أشب ويرز أهلها لقتاله واستجرهم حتى أبعدوا ثم كر عليهم فاقناعهم قتلاً وأسرأً وملك القلعة في الحال وسيق إليه باد في جماعة من مقدمي الأكراد وقتلهم وعاد إلى الموصل ثم سار غازياً في بعض مذاهبه فبعث نائب نصر الدين جقري عسيراً وخليكتجا ورسى في قلعة العمادية وحاصرها قلعة الشغبان وفرح وكراشي والزعفراني والغبي وسرف وسفروه وهي حصون المكارية فحاربها وملكتها جميعاً واستقام أمر الجبل والرؤزان.

وأمنت الرعية من الأكراد وأما باقي قلعة المكارية وهي حلاً وصوراً وهزور والملايسى ويامرما ومانرحا وباكراً ونسراً فإن قراجاً صاحب العمادية فتحها بعد قتل زنكي بمدة طويلة كان أميراً على تلك الحصون المكارية من قبل زين الدين علي على ما قال ابن الأثير لم أعلم تاريخ فتح هذه القلاع فلهذا ذكرته هنا.

قال وحدثني بخلاف هذا الحديث بعض فضلاء الأكراد: أن أبا بكر زنكي لما فتح قلعة أشب وحرسانى وقلعة العمادية ولم يبق في المكارية إلا صاحب جبل صوراً وصاحب هزور، ولم يكن لهما شوكة يخشى منها ثم عاد إلى الموصل وخانه أهل القلاع الجبلية ثم توفي عبد الله بن عيسى بن إبراهيم صاحب الربة والغبي وفرح وملكتها بعده ابنه علي وكانت أمه خديجة ابنة الحسن أخت إبراهيم عيسى وهما من الأمراء مع زنكي بالموصل فأرسلها ابنها علي إلى أخويها المذكورين وهما خالاه ليستأمنا له من الأتابك فاستحلقا وقدم عليه فقاره على قلائه واستقل بفتح قلاع المكارية وكان الشغبان هذا الأمير من المهرانية اسمه الحسن بن عمر فأخذته منه وخرقه لكبره وقلة أعماله وكان نصر الدين جقري يكرهه علياً صاحب الربة والغبي وفرح فسمى عند الأتابك في حسه فامرته بمحسنه ثم ندم وكتب إليه أن يطلقه فرجده قد مات فاتهم نصر الدين بقتله ثم بعث العساكر إلى قلعة الرحيبة فنازلوها بغنة وملكونها عنوة وأسرموا ولد علي وإخوته ونجت أمه خديجة لمغيتها وجاء البشير إلى الأتابك بفتح الرحيبة فسره ذلك وبعث العساكر إلى ما باقي من قلاع علي فلبي إلا أن يزيدوه قلعة كواشي فمضت خديجة أم علي إلى صاحب كواشي من المهرانية واسمها جرك راهروا وسائله التزول عن كواشي لإطلاق أسراهم ففعل

ست وعشرين وولي بعده ابنه شمس الملوك إسماعيل وملك بانياس من الإفرنج في صفر سنة سبع وعشرين ثم بلغه أن المسترشد بالله حاصر الموصل فسار هو إلى حلة وحاصرها وقاتلها يوم القطر ويومن بعد فملكها عنوة واستأمنوا فامتهن ثم حصر الوالي ومن معه بالقلعة فاستأمنوا أيضاً واستولى على ما فيها من الذخائر والسلاح وسار منها إلى قلعة شيزير فحاصرها ابن منذق فحمل إليه مالاً صانعه به وعاد إلى دمشق في ذي الحجة من السنة.

## حصار الأتابك زنكي قلعة آمد واستيلاؤه على قلعة النسور ثم حصار قلاع الحميدية

وفي سنة ثمان وعشرين وخمسين اجتمع الأتابك زنكي صاحب الموصل وصاحب مارددين على حصار آمد واستتجد صاحبها بداد بن سقمان صاحب فيما فجمع العساكر وسار إليهما ليدافعهما عنه وقاتلاه فهزمه وقتل كثير من عسکره وأطلا حصار آمد وقطعا شجرها وكرومها وامتنعت عليهما فرحة عنها وسار زنكي إلى قلعة النسور من ديار بكر فحاصرها وملكتها متصرف رجب من السنة وورث عليه ضياء الدين أبو سعيد بن الكفرتوئي فاستوزره الأتابك وكان حسن الطريقة عظيم الرئاسة والكافية عيناً في الخند وتوفي سنة ست وثلاثين بعدها.

ثم استولى الأتابك على سائر قلاع الأكراد الحميدية مثل قلعة العقر وقلعة سوس وغيرهما وكان لما ملك الموصل أمر صاحب هذه القلعة الأمير عيسى الحميري على ولائيها فلما حاصر المسترشد الموصل قام في خدمته أحسن القيام وجمع له الأكراد فلما عاد المسترشد إلى بغداد من قتال الأتابك زنكي حاصر قلاعهم وحاصرتها العساكر وقاتلواها قتالاً شديداً حتى ملوكها في هذه السنة ورفع الله شرهم عن أهل السواد المخارين لهم فقد كانوا منهم في ضيقه من كثرة عيщهم في البلاد وتخريبيهم والله تعالى أعلم.

## استيلاء الأتابك على قلاع المكارية وقلعة كواشي

حدث ابن الأثير عن الجنبي: أن الأتابك زنكي لما ملك قلاع الحميدية وأجلalam عنها خاف أبو الهيجاء بن عبد الله على قلعة أشب والجزيرة وكواشي فاستأمن الأتابك واستخلفه وحمل له مالاً ثم وقد عليه بالموصل بعد أن أخرج ابنه أحمد من أشب خشية

ثم قدم عليه طرططي صاحب واسط بالسفن فرجع إلى بغداد  
وعبر إلى الجانب الغربي ثم اختلف العسكر ببغداد ورجع الملك  
داود إلى ولايته بأذربيجان وافتقر الأمراء الذين معه ولحق الراشد  
بالأتراك زنكى في نفر من أصحابه وهو بالجانب الغربي وسار معه  
إلى الموصل ودخل السلطان مسعود إلى بغداد متصرف ذي القعدة  
سنة ثلاثة واستقر بها وسكن الناس وجمع القضاة واتفقها  
وعرض عليهم يمين الراشد بخطه بأنه متى جمع أو خرج لحرب  
السلطان فقد خلع نفسه فاقترن بذلك.

ثم وقعت الشهادات من أهل الدولة وغيرهم إلى الراشد بموجبات العزل وكتبت وأفتي الفقهاء عقبها باستحقاق العزل وحكم به القاضي المعين حينذل لغيبة قاضي القضاة بالموصل مع الراشد ونصب للخلافة ابن المستظر وجاء رسول الآتابك زنكي إلى بغداد وهو القاضي كمال الدين محمد بن عبد الله الشهزوري ويتابع بعد أن ثبت عنده الحال وانصرف إلى الآتابك ياقتاع من خاص الخليفة ولم يكن ذلك لأحد قبله وعاد كمال الدين إلى الآتابك وحل كتب الحال فحكم بها قاضي القضاة بالموصل وأتصرف الراشد عن الموصل إلى أذريجان كما مر في أخبار الخلفاء والسلجوقية والله تعالى ولل توفيق.

## غذاء عساكرة حلب إلى الإفرنج

ثم اجتمعوا عساكر حلب مع الأمير أسرار نائب الأتابك  
زنكي حلب في شعبان سنة ثلاثين وساروا غازين إلى بلاد الإفرنج  
وقد صدوا اللاذقية على غرة فنالوا منها وانساحوا في بساتنها  
واكتسحوها وأمتلأوا أيديهم من الغنائم وخربوا بلاد اللاذقية وما  
جاورها وخرجوا على شيرز وملزوا الشام بالأتراك والظهر ووهن  
الإفرنج لذلك والله سبحانه وتعالى يؤزيد بنصره من يشاء من  
عاصدة.

حصار الأتابك زنكي مدينة حص  
واستيلاؤه على بدوين وهزيمة الإفرنج  
واستيلاؤه على حص

ثم سار الأتابك في العساكر في شعبان سنة إحدى وثلاثين  
إلى مدينة حمص وبها يومئذ معين الدين بن القائم بدولة صاحب  
دمشق ومحض من أقطاعه فقدم إليه صاحبه صلاح الدين  
الbaghisiyan في تسليمها فاعتذر بان ذلك ليس من الإصابة

ذلك وتسلم زنكى القلاع وأطلق الأسرى واستقامت له جبال  
الأكراد والله تعالى أعلم.

حصار الأتابك زنكى مدينة دمشق

كان شمس الملك إسماعيل بن بوري قد أدخل أمره  
وضعف دولته واستطاع عليه الإفراج وخشى عاقبه أمرهم  
فاستدعي الأتابك زنكي سراً ليملأه دمشق ويريح نفسه وشعر  
بنذلك أهل دولته فشكروا إلى أمه فوعدهم الراحة منه ثم أغاثاته  
فقتله وجاء الأتابك زنكي فقدم رسلاً من الفرات فالفروا شمس  
الملك قد مات وولى مكانه آخره محمود واشتمل أهل الدولة عليه  
ورجعوا الخبر إلى الأتابك فلم يحفل به وسار حتى نزل بظاهر  
دمشق واشتدى أهل الدولة على مدافعته ومقدمهم معين الدين  
أبيروه أتابك طفركين ثم بعث المسترشد أباً بكر بن بشر الجزيري  
إلى الأتابك زنكي فأمره بصلح صاحب دمشق فصالحة ورحل عنه  
متصرف السنة والله سبحانه وتعالى أعلم.

**فتنة الراشد مع السلطان مسعود ومسيره**

إلى الموصل، وخلعه

كان كثير من أمراء السلجوقيه قد اجتمعوا على الاقتراض  
على السلطان مسعود والخروج عليه ولحق داود ابن السلطان  
عمود من أذربيجان ببغداد في صفر سنة اثنين وثلاثين فائز بدار  
السلطنة وراسله أولئك الأمراء وقدم عليه بعضهم مثل صاحب  
قرزين وصاحب أصفهان وصاحب الأهواز وصاحب الأبلة  
وصاحب الموصل الأتابك زنكي وخرجت إليهم العساكر من  
بغداد وولي داود شحنة ببغداد وخرج موكب الخليفة مع الوزير  
جلال الدين الرضي وكان الخليفة قد تغير عليه وعلى قاضي  
القضاء الزيني فسمع بهم الأتابك ثم وقعت العزيمة من الراشد  
والسلطان داود والأتابك زنكي وتحالف كل منهم لصالحه وبعث  
الراشد إلى الأتابك بمحاتي ألف دينار ووصل سلمرقوش شاه إلى  
واسط وقبض على الأمير بك أبه ونهب ماله فانحدر الأتابك  
زنكي لمدافعته فاصطلحوا وعاد زنكي إلى بغداد ومر على جميع  
العساكر لقتال السلطان مسعود.

وخرج على طريق خراسان ويلتهم أن السلطان مسعوداً سار إلى بغداد فعاد إليها ثم عاد الملك داود وجاء السلطان مسعود فنزل على بغداد وحاصرهم نيفاً وخمسين يوماً وارتغل إلى الهرewan

ثم غدر بهم واستباحهم ورحل إلى حلب فنزل بدابق ومعه الإفرنج ورجعوا من الغد إلى حلب وحاصروها ثلاثة أيام علية وقتل عليها بطريق كبير منهم ورحل عنها إلى قلعة الآثارب في شعبان من السنة فهرب عنها أهلها ووضع الروم بها الأسرى والسي وأنزلوا بها حامية وبعث إليهم أسوار نائب حلب عسكراً فقتلوا الحامية وخلصوا الأسرى والسي ورحل الآتابك من حصن الآثارب بعد فتحه إلى سلمية وقطع الفرات إلى الرقة واتبع الروم فقطع عنهم الميرة وقدر الروم قلعة شيزر وبها سلطان بن علي بن مقلد بن نصر بن مقتذ الكنانى فحاصروها ونصبوا المجانين عليها واستنصرخ صاحبها بالآتابك زنكي فسار إليه ونزل نهر العاصي بين شيزر وجاهة وبعث السرايا تحفظ من حول معسكر الروم.

وبعث إلى الروم يدعوهم إلى المناجمة والتزول إلى البسيط فخاما عن ذلك فرجع إلى التصريب بين الروم والإفرنج يحذر أحد الفريقيين من الآخر حتى استраб كل بصاحبه فرحل ملك الروم في رمضان من السنة بعد حصار شيزر أربعين يوماً واتبعه الآتابك فلحقهم واستلحهم واستباحهم ثم أرسل القاضي كمال الدين محمد بن عبد الله الشهزوري إلى السلطان مسعود يستجده على العدو ويخذله الروم واستيلاءهم على حلب وينحدرون من الفرات إلى بغداد فوضع القاضي كمال الدين في جامع القصر من ينادي بصربيخ المسلمين والخطيب على المنبر وكذا في جامع السلطان فعظم الصراع والبكاء وتسايلت العوام من كل جانب وجاوزوا إلى دار السلطان في تلك الحالة وقد وقع العreib والصراع فعظم الهول على السلطان مسعود وجهز عسكراً عظيماً وخفاف القاضي كمال الدين غالاته ثم وصل الخبر برحيل ملك الروم فأخبر القاضي السلطان مسعود بذلك ومن مسir العسكر والله تعالى أعلم.

### استيلاء الآتابك زنكي على بعلبك

ثم قتل محمود صاحب دمشق سنة ثلاثة وثلاثين في شوال كما مر في أخبار دولتهم وكانت أمه زمردان متزوجة بالآتابك كما مر بعثت إليه وهو بالجزيرة تعرف بالخبر وتطلب منه أن يسير إلى دمشق ويشار بولدها من أهل دولته فسار لذلك واستعد أهل دمشق للحصار ثم قصد الآتابك مدينة بعلبك وزرها وكان ابن القائم بالدولة قد نصب كمال الدين محمد بن بوري بدمشق وتزوج أمه وبعث بجارته إلى بعلبك فلما سار الآتابك إلى دمشق

فعاصرها والرسل تردد بينهما وامتنعت عليه فرحة عنها إلى بعديون من حصن الإفرنج في شوال من السنة فجمع الإفرنج وأوعبوا ورثفوا إليه واشتد القتال بينهم ثم هزم الله العدو ونجا المسلمين منهم ودخل ملوكهم إلى حصن بعديون فامتنعوا به وشد الآتابك حصاره وذهب القوس والرهباني إلى بلاد النصرانية من الروم والإفرنج يستجدونهم على المسلمين ويغفونهم استيلاء الآتابك على قلعة بعديون وما يئشى بعد ذلك من ارتجاعهم بيت المقدس.

وجد الآتابك بعد ذلك في حصارها والتضيق عليها حتى جدهم الحصار ومنع عنهم الأخبار ثم استأنفوا على أن يحملوا إليه خسين ألف دينار فأجابهم وملك القلعة ثم سمعوا بمسير الروم والإفرنج لإنجادهم وكان الآتابك خلال الحصار قد فتح المرة وكفر طاب في الولايات التي بين حلب وجاهة ووهن الإفرنج ثم سار الآتابك زنكي في عمرن سنة اثنين وثلاثين إلى بعلبك وملك حصن العدل من أعمال صاحب دمشق وبعث إليه نائب بانياس بالطاعة كذلك ثم كانت حادثة ملك الروم ومنازلته حلب كما نذكره فسار إلى سلمية ولما أخليت حادثة الروم رجع إلى حصار حصن ويعت إلى محمود صاحب دمشق في خطبة أمه مردخان بنت جاوي التي قتلت ابنها فتزوجها وملك حصن وقلعتها وحملت الخاتون إليه في رمضان وظن أنه يملك دمشق بزواجه فلم يحصل على شيء من ذلك والله تعالى يزيد بنصره من يشاء من عباده.

### مسير الروم إلى الشام وملكتهم مراغة

ولما استجدة الإفرنج بعديون ملك أمم النصرانية كما مر جميع ملك الروم بالقسطنطينية وركب البحر سنة إحدى وثلاثين ولحقته أساطيله وسار إلى مدينة قيليقية فحاصرها وصالحو بالمال وسار عنها إلى أدنة والمصيصة وهما لابن لیسون الأرماني صاحب قلاع الدرور فحاصرهما وملكتهما وسار إلى عين زربة فعملكلها عنزة وملك تل حدون ونقل أهله إلى جزيرة قبرص ثم ملك مدينة أنطاكية في ذي القعدة من السنة وبها رعند من ملوك الإفرنج فصالحه ورجع إلى بغارس ودخل منها إلى بلاد ابن لیسون فصالحه بالأموال ودخل في طاعته ثم خرج إلى الشام أول سنة اثنين وثلاثين وحاصر مراغة على ستة فراسخ من حلب وبعثوا بالصريح إلى الآتابك زنكي فبعث بالعساكر إلى حلب لحماتها وقاتل ملك الروم مراغة فملكها بالأمان متصرف السنة.

### استيلاء الأتابك على شهرزور وأعمالها

كان شهرزور يهد قفجاق بن أرسلان شاه أمير التركمان وصالحهم وكانت الملك تتجافي عن أعماله لامتناعها ومضايقها فعظم شأنه واشتمل عليه التركمان وسار إليه الأتابك زنكي سنة أربع وثلاثين فجمع ولقيه فظفر به الأتابك واستباح مسكنه وسار في اتباعه فحاصر قلاعه وحصونه وملك جميعها واستأمن إليه قفجاق فأمنه وسار في خدمته وخدمة بينه بعده إلى آخر المائة.

ثم كان في سنة خمس وثلاثين بين الأتابك زنكي وبين داود بن سقمان صاحب كيما فتنة وحروب وانهزم داود وملك الأتابك من بلاده قلعة همرد وأدركه فعاد إلى الموصل ثم سار الأتابك إلى مدينة الحرمية فملكتها سنة ست وثلاثين ونقل آل مهارش الذين كانوا بها إلى الموصل ورب أصحابه مكانهم ثم خطب له صاحب آمد وصار في طاعته بعد أن كان مع داود عليه ثم بعث الأتابك لسنة سبع وثلاثين عسكراً إلى قلعة أشهب وهي من أعظم حصون الأكراد المكارية وأمنها وفيها أهلوهم وذخائرهم فحاصرها وملكها وأمره الأتابك بتخريبيها وبني قلعة العمادية عرضاً عنها وكانت خربت قبل ذلك لاتسعها وعجزهم عن حمايتها فأعيدت الآن وكان نصير الدين نائب الموصل قد فتح أكثر القلاع الحربية والله تعالى أعلم.

### صلح الأتابك مع السلطان مسعود واستيلاؤه على أكثر ديار بكر

كان السلطان مسعود ملك السنجقية قد حقد على الأتابك زنكي شأن الخارجين على طاعته من أهل الأطراف وينسب ذلك إليه وكان يفعل ذلك مبغلة للسلطان عنه فلما فرغ السلطان مسعود من شواغله سنة ثمان وثلاثين وخمسة سار إلى بغداد عازماً على قصد الأتابك وحاصر الموصل فارسل الأتابك يستعنقه ويستميله على أن يدفع إليه مائة ألف دينار ويعود عنه فشرع في ذلك وحمل منها عشرين ألفاً ثم حدثت الفتنة على السلطان فاحتاج إلى مداراته وترك له الباقى وبالغ هو في مخالصة السلطان بحيث إن ابنه غازي كان عند السلطان فهرب إلى الموصل فبعث إلى نائب نصير الدين جقري يمنعه من دخولها وبعث إلى ابنه بالرجوع إلى خدمة السلطان.

وكتب إلى السلطان بأن ابنه هرب للخوف من تغير السلطان عليه وقد أعدته إلى الخدمة ولم ألقه وانا مملوكك والبلاد

قدم رسله إلى أثر في تسليم البلد على أن يبذل له ما يريد فأبى من ذلك وسار الأتابك إلى بعلبك فنازلها آخر ذي الحجة من السنة ونصب عليها المجاذيق وشدد حصارها حتى استأمنوا فملكتها واعتصم الخامسة بالقلعة حتى ينسوا من أثر فاستأمنوا إلى الأتابك فلما ملكتها قبض عليهم وصلبهم وتزوج جارية أثر ونقلها إلى حلب إلى أن بعثها ابنه نور الدين محمود إلى صاحبها بعد موته الأتابك والله تعالى أعلم.

### حاصر الأتابك زنكي مدينة دمشق

ثم سار الأتابك زنكي إلى حصار دمشق في ربيع الأول من سنة أربع وثلاثين بعد الفراج من بعلبك فنزل بالبقاع وأرسل إلى جمال الدين محمد صاحبها في أن يسلمها إليه وبعرضه عنها بما شاء فلم يجب إلى ذلك فزحف إليه ونزل داريا والتقت الطلائع فكان الظفر لأصحاب الأتابك ثم تقدم إلى المصلى فنزل بها وقاتلها أهل دمشق بالغروطة فظفر بهم وأخْنَفُوا فيهم ثم أمسك عن القتال عشراً يراود فيها صاحب دمشق ويدخل له بعلبك ومحص وما يختاره من البلاد فجئن إلى ذلك ولم يوافقه أصحابه فعادت الحرب ثم توفي صاحب دمشق جمال الدين محمد في شعبان من السنة ونصب معين الدين أثر مكانه ابنه محى الدين أثر وقام بأمره.

وطمع زنكي في ملك البلد فامتنعت عليه وبعث معز الدين أثر إلى الإفرنج يستدعيم إلى النصر على الأتابك ويدخل لهم وبخوفهم غالاته ويشترط لهم إعاتتهم على بانياس حتى يملكونها فاجاب الإفرنج لذلك وأجفل زنكي إلى حوران خامس رمضان من السنة معتمداً على لقائهم فلهم يصلوا فعاد إلى حصار دمشق وأحرق قراها وارتحل إلى بلاده ثم وصل الإفرنج وارتحل معين الدين أثر في عساكر دمشق إلى بانياس وهي للأتابك زنكي ليوفي للافرنج بشرطه لهم فيها وقد كان نائبه سار للإغارة على مدينة صور ولقيه في طريقه صاحب أنطاكية ذاهباً إلى دمشق منجدًا فهزم عسكر بانياس وقتلوه ولحق فلهم بالبلد وقد وهنوا وحاصرهم معين الدين أثر والإفرنج وملكونها عنزة وسلمها للافرنج وأحافظه ذلك وفرق العسكر في حوران وأعمال دمشق وسار هو فصاعداً دمشق ولم يعلموا بمكانه فبرزوا إليه وقاتلوه وقتل منهم جماعة ثم أحجم عنهم لقلة من معه وارتحل إلى مرج راهط في انتظار عساكره فلما توافقوا عنده عاد إلى بلاده.

الشهرزوري فاوهمه بطاعته وأشار عليه بالصعود إلى القلعة ليستولي على المال والسلاح فركب وصعد معه وتقدم إلى حافظ القلعة وأشار عليه بأن يكتبه من الدخول ثم يقبض عليه فدخل ودخل معه الذين قتلوا نصير الدين فحبسهم وإلى القلعة وعاد القاضي إلى البلد وطار الخبر إلى الأتابك زنكي بمحصار البيرة فخشى اختلاف البلد وعاد إلى الموصل وقدم زين الدين على بن كجك وولاة القلعة مكان نصير الدين وأقام يتظاهر الخبر وخف الإفرنج الذين بالبيرة من دعوته إليهم فبعثوا إلى نجم الدين صاحب مارددين وسلموها له فملكها المسلمين.

### محاصرون زنكي حصن جعبر وفك

ثم سار الأتابك زنكي سنة إحدى وأربعين في المحرم إلى حصن جعبر ويسمي دوس وهو مطل على الفرات وكان لسالم بن مالك العقيلي أنقطعه السلطان ملك شاه لأبيه حين أخذ منه حلب وبعث جيشاً إلى قلعة فنك على فرسخين من جزيرة ابن عمر فحاصروها وصاحبها يومئذ حسام الدين الكردي فحاصر قلعة جعبر حتى توسط الحال بينهما حسان المنجي ورغبه وربه وقال في كلامه: من يمنعك منه فقال الذي منعك أنت من مالك بن بهرام وقد حاصر حسان منجع فأصابه في بعض الأيام سهم فقتله وأفوج عن حسان وقد قتل الأتابك كذلك والله تعالى أعلم.

### مقتل الأتابك عماد الدين زنكي

كان الأتابك عماد الدين زنكي بن أفسقور صاحب الموصل والشام محاصراً لقلعة جعبر كما ذكرنا واجتمع جماعة من مواليه وأغاثلروه ليلاً وقتلوا على فراشه ولحقوا بمحبر وأخروا أهلها فنادوا من السور بقتله فدخل أصحابه إليه وألقوه يحيط به نفسه وكان قتله لخمس من رباع الآخر سنة إحدى وأربعين عن ستين سنة من عمره ودفن بالرقعة وكان يوم قتل أبوه ابن سبع سنين ولما قتل دفن بالرقعة وكان حسن السياسة كبير العدل مهياً عند جنده عمر البلاد وأمنها وأنصف المظلوم من الظالم وكان شجاعاً شديداً العيرة كثيراً للجهاد ولما قتل رجل العسكري عن قلعة فنك وصاحبها غفار.

قال ابن الأثير: سمعتهم يزعمون أن لهم فيها نحو ثلثمائة سنة وفيهم رفادة وعصبية ويحيطون كل من يلتجأ إليهم والله أعلم.

لكل فرق ذلك من السلطان أحسن الواقع ثم سار الأتابك إلى ديار بكر ففتح طره وأسرعه وحران وحسن الرزق وحسن تطلب وحسن ياسنه وحسن ذي القرنين وغير هذه وملك أيضاً من بلاد مارددين الإفرنج حلبي والمودن وتل موزر وغيرها من بلاد حصنون سجستان وأنزل بها الحامية وقصد آمد فحصراها وسير عسكراً إلى مدينة غانة من أعمال الفرات فملكها والله تعالى أعلم.

### فتح الراها وغیرها من أعمال الإفرنج

كان الإفرنج بالراها وسروج والبيرة قد أضروا بال المسلمين جوارهم مثل آمد ونصيبين ورأس العين والرقعة وكان زعيمهم ومقدمهم بتلك البلاد جوسكين الرعيم ورأى الأتابك أنه يوري عن قصدهم بغيره لثلا يجمعوا له فوري بغزو ديار بكر كما قلناه وجوشكين وعبر الفرات من الراها إلى غزة وجاء الخبر بذلك إلى الأتابك فارتخل متصرف جادى الأخيرة سنة تسع وثلاثين وحرض المسلمين وحthem على عدوهم ووصل إلى الراها وجوسكين غائب عنها فانحجز الإفرنج بالبلد وحاصرهم شهرآ وشد في حصارهم وقتلهم ولحق في ذلك قبل اجتماع الإفرنج ومسيرهم إليه ثم ضعف سورها فسقطت ثلثة منه وملك البلد عنده ثم حاصر القلعة وملكتها كذلك ثم رد على أهل البلد ما أخذ منهم وأنزل في حامية وسار إلى سروج وبعث جميع البلاد التي يهد الإفرنج شيئاً فملكتها جميعاً إلا البيرة لانتهاها فاتم بمحاصراها حتى امتنعت ورحل عنها والله سبحانه وتعالى أعلم.

### مقتل نصير الدين جقرى نائب الموصل وولاية زين الدين علي كجك مكانه بالقلعة

كان استقر عند الأتابك زنكي بالموصل الملك ألب أرسلان ابن السلطان محمد ويلقب الخفاجي وكان شبيهاً به وتروهم السلطان أن البلاد له وأنه نائبه ويتحقق وفاة السلطان مسعود في خطب له ويملك البلد باسمه وكان يتردد له ويسعى في خدمته فداخله بعض المفسدين في غيبة الأتابك وزن له قتل نصير الدين النائب والاستيلاء على الموصل فلما دخل إليه أغري به أجناد الأتابك ومواليه فوثبوا به وقتلوا في ذي القعدة سنة تسع وثلاثين ثم القوا برأسه إلى أصحابه يحسبون أنهما يفتقران فاعتصموا واقتحموا عليه الدار ودخل عليه القاضي تاج الدين يحيى بن

## استیلاء ابھے غازی علی الموصل وابھے الآخر محمد علی حلب

صالح صاحب دمشق وسلم له بعلبک علی إقطاع ومال أعطاه إیاھ وعشر قری من بلاد دمشق وانتقل معه إی دمشق فسكنها وأقام بها ثم سار نور الدين محمود سنة اثنتين وأربعين من حلب إی الإفرنج ففتح مدينة أرتاج عنوة وحاصر حصوناً أخرى وكان الإفرنج بعد قتل الأتابک يظنون أنهم يستردون ما أخذوه منهم فبدأ لهم ما لم يكونوا يحتسبون ولما قتل الأتابک زنکی طمع صاحب ماردین وصاحب کیناً أن يستردو ما أخذوا من بلادهم فلما تمکن سیف الدین غازی سار إی أعمال دیار بکر فملک داراً وغيرها وتقدم إی ماردین وحاصرها وعادت في نواحيها حتى تحرس صاحبها حسام الدين عمرتاش على الأتابک مع عداوته ثم أرسل إلى سیف الدین غازی وصالحه وزوجه بنته فعاد إی الموصل ورثت إیه وهو مریض فهلک قبل زفافها وتزوجها آخره قطب الدین من بعده والله أعلم.

### مصاہرہ سیف الدین غازی لصاحب دمشق وہزیمة نور الدین محمود للإفرنج

كان تقدم لنا في دولة بني طغركين موالي دفاق بن تشان أن ملك اللمان من الإفرنج سار سنة ثلاثة وأربعين وحاصر دمشق بجمع الإفرنج وبها مجیر الدين أرتق بن بوري بن محمد بن طغركين في كفالة معین الدين انز مولى.

بعث معین الدين إلى سیف الدین غازی بن اتابک زنکی بالموصل يدعوه إلى نصرة المسلمين فجمع عساکره وسار إلى الشام واستدعى أخاه نور الدين من حلب ونزلوا على حص فاخذوا بجز الإفرنج عن الحصار وقوی المسلمين بدمشق عليهم وبعث معین الدين إلى طائفی الإفرنج من سکان الشام واللمان الواردین فلم يزل يضرب بهم وجعل لإفرنج الشام حصن پانیاس طعنة على ان يرحلوا بملك اللمانین فقتلوا له في النزوة والغارب حتى رحل عن دمشق ورجع إلى بلاده وراء قسطنطینیة بالشمال.

وحسن أمر سیف الدین غازی وأخيه في الدفاع عن المسلمين وكان مع ملك اللمان حين خرج إلى الشام ابن ادفونش ملك الجلالقة بالأندلس وكان جده هو الذي ملك طرابلس الشام من المسلمين حين خروج الإفرنج إلى الشام فلما جاء الآن مع ملك اللمان ملك حصن العريقة وأخذ في متازلة طرابلس ليملکها من القصص فأرسل القصص إلى نور الدين محمود ومعین الدين انز وهما مجتمعان بعلبک بعد رحیل ملك اللمانین عن دمشق وأغراهما باین ادفونش ملك الجلالقة واستخلاص حصن العريقة

ولما قتل الأتابک زنکی نوع ابھے نور الدين محمود خاتمه من يده وسار به إی حلب فاستولى علیها وخرج الملك الـبـ ارسـلان ابن السلطان محمود واجتمعت علیه العساکر وطبع في الاستقلال بملك الموصل وحضر ابھے جمال الدين محمد بن علي بن متولى الديوان وصلاح الدين بن محمد الباغیسیانی الحاجب وقد اتفقا فيما بينهما على حفظ الدولة لأصحابهما وحسناً لأب ارسلان ما هو فيه من الاشتغال بلذاته وأدخله الرقة فانغمس بها وهم يأخذان المعهد على الأمراء لسیف الدین غازی ويعثثانهم إی الموصل.

وكان سیف الدین غازی في مدينة شہرزوہ وهي اقطاعه ويعث إیه زین الدين علی کرجلک نائب القلعة بالموصل يستدعيه ليحضر عنده وسار الـبـ ارسـلان إی سنجار والحادج وصاحبہ معه ودسوا إی نائبها بأن يعتذر للملك الـبـ ارسـلان بتاخره حتى يملک الموصل فساروا إی الموصل ومرروا بمدينة سنجار وقد وقف العسكر فاشروا على الـبـ ارسـلان بعبور دجلة إی الشرق ويعثروا إلى سیف الدین غازی بخبره وقلة عساکره فارسل إیه عسکراً فقبضوا وجاؤوا به فحبسه بقلعة الموصل واستولى سیف الدین غازی على الموصل والجزیرة وأنحه نور الدين محمود على حلب ولحق به صلاح الدين الباغیسیانی فقام بدولته والله سبحانه وتعالی يؤید بنصره من يشاء من عباده.

### عصیان الـرـها

ولما قتل الأتابک زنکی ملك الـرـها جوسـکـینـ. كان جوسـکـینـ مقیماً في ولايته بـتلـ باـشـ وما جاورها فراسـلـ اـهـلـ الـرـهاـ وعـاتـهـ منـ الـأـرـمـ وـ حـلـهـ عـلـىـ الـعـصـيـانـ عـلـىـ الـسـلـمـ وـ تـسـلـیـمـ الـبـلـدـ لـهـ فأـجـابـهـ وـعـادـهـ لـیـومـ عـینـهـ فـسـارـ فيـ عـساـکـرـهـ وـمـلـکـ الـبـلـدـ وـامـتـعـتـ الـقـلـعـةـ وـبـلـغـ الـخـبـرـ إـلـىـ نـورـ الـدـنـ مـحـمـدـ وـهـ مـحـلـبـ فـاعـذـ السـیرـ إـلـیـهـ وـأـجـفـلـ جـوسـکـینـ إـلـىـ بـلـدـهـ وـنـهـبـ نـورـ الـدـنـ الـمـدـیـنـةـ وـسـبـیـ أـهـلـهـ وـارـخـلـوـ عـنـهـ وـبـعـثـ سـیـفـ الـدـنـ غـازـیـ الـعـساـکـرـ إـلـیـهـ فـبـلـغـهـ فـطـرـیـقـهـ ماـ فـعـلـهـ نـورـ الـدـنـ فـعـادـوـ وـذـلـکـ سـنـةـ إـحدـیـ وـأـرـبعـینـ.

ثم قصد صاحب دمشق بعد قتل الأتابک حصن بعلبک ویه نجم الدين أيوب بن شادي نائب الأتابک فابتداً عليه الجبار بینه

فبادر إليه في سبعين فارساً من أمرائه وبسبق أصحابه في يوم مطير إلى مساكن ودخل البلد ولم يعرفوا منه إلا أنه أمير من جند التركمان ثم دخل على الشحنة بيته فقبل يده وأطاعه ولحق به أصحابه وساروا جميعاً إلى سنجار وأخذ السير فقطع عنه أصحابه ووصل إلى سنجار في فارسين ونزل بظاهر البلد وبعث إلى القدم فوصله وكان قد سار إلى الموصل وترك ابنه شمس الدين محمد بالقلعة فبعث في أثر أبيه وعاد من طريقه وسلم سنجار إلى نور الدين محمود فملكتها.

واستدعي فخر الدين قری أرسلان صاحب كيما لمودة بينهما فوصل في عساكره وبلغ الخبر إلى قطب الدين صاحب الموصل ووزيره جمال الدين وأمير جيشه زين الدين فساروا إلى سنجار للقاء نور الدين محمود وانتهوا إلى تل اعفر ثم خاموا عنلقائه وأشار الوزير جمال الدين بمصالحته وسار إليه بنفسه فعقد معه الصلح وأعاد سنجار على أخيه قطب الدين وسلم له آخره مدينة حصن والرحمة والشام فانفرد بذلك الشام وانفرد أبوه قطب الدين بالجزرية واتفقا وعاد نور الدين إلى حلب وحمل ما كان لأبيهم الأتابك زنكي من الذخيرة لسنجار وكان لا يعبر عنها والله تعالى أعلم.

### غزو نور الدين إلى أنطاكية وقتل أصحابها وفتح أقاميا

ثم غزا نور الدين سنة أربع وأربعين إلى أنطاكية فعاد فيها وخر布 كثيراً من حصونها وبينما هو يحاصر بعض المقصون اجتمع الإفرنج وزحفوا إليه فلقيهم وحاربهم وأبلى في ذلك الموقف فهزم الإفرنج وقتل البرنس صاحب أنطاكية وكان من عناته الإفرنج وملك بعده ابنه سمند طفلاً وتزوجت امه بربنس آخراً يكفل ولدها ويدبر ملوكها فهزاه نور الدين ولقوه فهزمه وأسر ذلك البرنس الثاني وتذكر الطفل سمند من ملوكه بأنطاكية ثم سار نور الدين سنة خمس وأربعين إلى حصن أقامياً بين شيرز وححة وهو من أحسن القلاع فحاصروه وملكه وشحنه حامية وسلاماً وأنهواً ولم يفرّ من أمره إلا والإفرنج الذين بالشام جمعوا وزحفوا إليه وبلغتهم الخبر فخاخوا عن اللقاء وصالحوه في الماهادة فعقد لهم انتهى.

من يده فساراً لذلك سنة ثلاثة وأربعين وخمسة.

وبعث إلى سيف الدين وهو محظى فأمددهما بعسكر مع الأمير عز الدين أبي بكر الديسي صاحب جزيرة ابن عمر وحاصروا حصن العريقة أياماً ثم تقضوا سورة وملكته على الإفرنج وأسروا من كان به من الإفرنج ومعهم ابن أدفونش وعاد إلى سيف الدين عسكته ثم بلغ نور الدين ان الإفرنج تجمعوا في بيتو من أرض الشام للإغارة على أعمال حلب فسار إليهم وقتلهم وهرمهم وأثخن فيهم قتلاً وأسرأ وبعث من غنائمهم وأسراهم إلى أخيه سيف الدين غازي وإلى المتنبي الخليفة انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم.

### وفاة سيف الدين غازي وملك أخيه قطب الدين مودود

ثم توفي سيف الدين غازي بن الأتابك زنكي صاحب الموصل متصرف أربع وأربعين وخمسة لثلاث سنين وشهرين من ولادته وخلف ولداً صغيراً ربي عند عمه نور الدين محمود وهلك صغيراً فانقض عقبه وكأنه كرماً شجاعاً متسعاً المائدة يطعم بكراً وعشية مائة رأس من الغنم في كل نوبة وهو أول من حل الصنجد على رأسه وأمر بتعليق السيف بالمناطق وترك الترشح بها وحل الدبور في حلقة السرج وبني المدارس للفقهاء والربط للفقراء ولما أنشد حيسن بيص الشاعر يمدحه إلام برراك الجدد في زي شاعر وقد نحلت شوقاً إلى المبار فوصله بالف مثقال سوى الخلع وغيرها.

ولما توفي سيف الدين غازي انتقض الوزير جمال الدين وأمير الجيوش زين الدين علي وجاؤوا بقطب الدين مودود بادردوا إلى تمليكه واستخلفوه وحلفو له وركب إلى دار السلطنة وزين الدين في ركبها فبايعوا له وأطاعه جميع من في أعمال أخيه بالموصل والجزرية وتزوج الحاتون بنت حسام الدين تمرتاش صاحب مارددين التي هلك آخره قبل زفافها فكان ولده كلهم منها والله سبحانه وتعالى أعلم.

### استيلاء السلطان محمود على سنجار

ولما ملك قطب الدين مودود الموصل وكان آخره نور الدين محمود بالشام وكان أكبر منه وله حلب وححة كاتبه جاعة من الأمراء بعد أخيه غازي وفيمن كاتبه نائب سنجار المقدم عبد الملك

## هزيمة نور الدين جوسكين وأسر جوسكين

وخلت دمشق من الخامسة فسار حيتذ نور الدين مجاهراً بعدها مجبر الدولة ويسلم لهم بعلبك فجتمعوا واحتشدوا وفي خلال بعدهم الأموال ويسلم لهم بعلبك فجتمعوا واحتشدوا وفي خلال ذلك عمد نور الدين إلى دمشق سنة سبع وأربعين وكاتب جماعة من أحداثها ووعدهم من أنفسهم فلما وصل ثاروا بمجبر الدين وجلأ إلى القلعة وملك نور الدين المدينة وحاصره بالقلعة وبذل له أقطاعاً منها مدينة حصن فسار إليها مجبر الدين وملك نور الدين القلعة ثم عرضه عن حصن ب والس فلم يرضها وطلق بيغداد وابنيتها بها داراً وأقام إلى أن توفي والله سبحانه وتعالى أعلم.

### استيلاء نور الدين على تل باشر وحصاره

#### قلعة حارم

ولما فرغ نور الدين من أمر دمشق بعث إليه الإفرنج الذين في تل باشر في شمالي حلب واستأمنوا إليه ومكثوه من حصنهم فتسلمه حسان النجبي من كبراء أمراء نور الدين سنة تسع وأربعين ثم سار سنة إحدى وخمسين إلى قلعة بهرام بالقرب من أنطاكية وهي لسميد أمير أنطاكية من الإفرنج فحاصرها واجتمع الإفرنج لمدافعته ثم خاموا عن لقائه وصالحو على نصف أعمال حارم قبل صلحهم ورحل عنها والله سبحانه وتعالى ولـ التوفيق منه وكرمه.

ثم جمع نور الدين بعد ذلك وسار غازياً إلى بلاد زعيم الإفرنج وهي تل باشر وعتاب وعذار وغيرها من حصون شمال حلب فجمع جوسكين لمدافعته عنها ولقيه فاتتلوا ومحض الله المسلمين واستشهد كثير منهم وأسر آخرون وفيهم صاحب صلاح نور الدين فبعثه جوسكين إلى الملك مسعود بن قلبي أرسلان يعبره به لكان صهره نور الدين على ابنته فعظم ذلك عليه وأعمل الحيلة في جوسكين وبذل المال لإحياء التركمان البادين بضواحيه أن باتلوا في القبض عليه فقتلوا وظفر به بعضهم فشاركتهم في إطلاقه على ماله وبعث من يأتي به وشعر بذلك وإلى حلب أبو بكر بن الرامة فبعث عسكراً ليسوا من ذلك الحي جاؤوا بجوسكين أسرىً إلى حلب وسار نور الدين إلى القلاع فملكتها وهي تل باشر وعتاب وعذار وتل خالد وقوروص وداوندار ومرج الرصاص وحصن النادة وكفرشود وكفرلات ودلوكا ومرعش ونهر الجвод وشحنتها بالأقرات وزحف إلى الإفرنج ليدافعوا فلقيهم على حصن جلدك وانهزم الإفرنج وأنخن المسلمين فيهم بالقتل والأسر ورجع نور الدين إلى دلوكا ففتحها وتأنق فتح تل باشر منها إلى أن ملك نور الدين دمشق واستأمنوا إليه وبعث إليهم حسان النجبي فسلمها منهم وحصنهما وذلك في سنة تسع وأربعين وخسمائة والله سبحانه وتعالى أعلم.

## استيلاء نور الدين على شيزر

شيزر هذه حصن قريب من حماة على نصف مرحلة منها على جبل منيع عال لا يسلك إليه إلى من طريق واحدة وكانت لبني مقد الكثانيين يتوارثون ذلك من أيام صالح بن مرداد من صاحب حلب من أعمام عشرين وأربعينات إلى أن أنهى ملكه إلى المرهف نصر بن علي بن نصير بن مقد بعد أيام أبي الحسن علي فلما حضره الموت سنة تسعين وأربعين عهد لأخيه أبي سلمة بن مرشد وكان عالماً بالقراءات والأدب وولى مرشد أخاه الأصغر سلطان بن علي وكان بينهما من الاتفاق والملازمة ما لم يكن بين اثنين ونشأ لمرشد بنون كثيرون وفي السؤدد منهم عز الدولة أبو الحسن علي ومؤيد الدولة أسامة وولده علي وتندد ولده ونافسوا بني عمهم وفشت بينهم السعيادات فتماسكوا لمكان مرشد والتاتمه بأخيه فلما مات مرشد سنة إحدى وثلاثين وخمسين تذكر آخره سلطان لولده وأخرجهم من شيزر ففرقوا وقصد بعضهم نور

## استيلاء نور الدين على دمشق

كان الإفرنج سنة ثمان وأربعين قد ملكوا عسقلان من يد العلوبية خلفاء مصر واعتبرت دمشق بين نور الدين وبينهما فلم يجد سبيلاً إلى المدافعة عنها واستطاع الإفرنج على دمشق بعد ملكهم عسقلان ووضعوا عليها الجزية واشتربوا عليهم تخبير الأسرى الذين بآيديهم في الرجوع إلى وطنهم وكان بها يومئذ مجبر الدين أثر بن محمد بن بوري بن طركين الآتابك واهن القوى مستضعف القرة فخشى نور الدين عليها من الإفرنج وربما ضائق مجبر الدين بعض الملوك من جبارته فيفرغ إلى الإفرنج فيغلبون عليه وأمعن النظر في ذلك وبدأ أمره بمواصلة مجبر الدين وملاظفته حتى استحكمت المدة بينهما حتى صار يداهله في أهل دولته ويرميهم عنده أنهم كانوا بهم في موقع الآخر بهم حتى هدم أركان دولته ولم يبق من أمرائه إلا الخادم عطاء بن حفاظ وكان هو القائم بدولته فغضص به نور الدين وحال بينه وبين دمشق فأغرى به صاحبه مجبر الدين حتى نكه وقتله.

### استيلاء نور الدين على بعلبك

كانت بعلبك في يد الضحاك البقاعي نسبة إلى بقاعة والآن عليها صاحب دمشق فلما ملك نور الدين دمشق انتفع ضحاك بعلبك وشغل نور الدين عنه بالإفرنج فلما كانت سنة اثنين وخمسين استنزله نور الدين عنها وملكتها والله أعلم.

### استيلاء أخي نور الدين على حران ثم ارجاعها

كان نور الدين سنة أربع وخمسين وخمسمائة مجلب ومعه آخره الأصغر أمير أمiran ففرض نور الدين بالقلعة واشتد مرضه فجمع آخره وحاصر قلعة حلب وكان شيركوه بن شادي أكبر أمرائه بمخصوص فلما بلغه الأزاحف سار إلى دمشق ليملكتها وعليها آخره نجم الدين أيوب فنكر وأمره بالمسير إلى حلب حتى يتبيّن حياة نور الدين من موته فأغذى السير إلى حلب وصعد القلعة وأظهر نور الدين للناس من سطح مشرف فافتقرّوا عن أخيه أمير أمiran فسار إلى حران فملكتها فلما آتاق نور الدين سلّمها إلى زين الدين علي كجك نائب أخيه قطب الدين بالموصل وسار إلى الرقة فحاصرها والله تعالى ولي التوفيق.

### خير سليمان شاه وحبسه بالموصل ثم مسيرة منها إلى السلطة بهمدان

كان الملك سليمان شاه ابن السلطان محمد بن ملك شاه عند عمه السلطان سنجار خراسان وقد عهد له بملكه وخطب باسمه على منابر خراسان فلما حصل سنجار في أسر العدو سنة ثمان وأربعين وخمسمائة كما مر في أخبار دولتهم واجتمعت العساكر على سليمان شاه هذا وقدموه فلم يطق مقاومة العدو فمضى إلى خوارزم شاه وزوجه ابنة أخيه ثم بلغه عنه ما ارتات له فآخر جه من خوارزم وقد أصفهان فمنع الشحنة من الدخول فقصد قاشان فبعث إليه محمد شاه ابن أخيه محمود عسكراً دافعوه عنها فسار إلى خراسان فمنعه ملك شاه منها فقصد النجف ونزل وأرسل للخلفية المستنصر وبعث أهله وولده رهناً بالطاعة واستأذن في دخول بغداد فاكرهم الخلفية وأذن له وخرج ابن الوزير ابن هيبة لتلقيه في الموكب وفيه قاضي القضاة والتقيا ودخل بغداد وخلع عليه آخر سنة خمسين.

الدين فامتنع لهم وكان مشتغلًا عنهم بالإفرنج.

ثم توفي بعلبك وقام بأمر شيزر أولاده وراسلوا الإفرنج فحقّ نور الدين عليهم لذلك.

ثم وقعت الزلازل بالشام وخرب أكثر منه مثل حما وحص وكرف طاب والمرة وأقامية وحصن الأكراد وعرقة ولاذقية وطرابلس وأنطاكية هذه سقطت جميعها وتهدمت سنة اثنين وخمسين وما سقط بعضه وتهدمت أسواره فاكثر بلاد الشام وخشي نور الدين عليها من الإفرنج فوقف بعساكره في أطراف البلاد حتى رم ما تعلم من أسوارها.

وكان بنو منقد أمراء شيزر قد اجتمعوا عند صاحبها منهم في دعوة فأصابتهم الزلازل مجتمعين فسقطت عليهم القلعة ولم ينجي منهم أحد وكان بالقرب منها بعض أمراء نور الدين فبادر وصعد إليها وملكتها منه نور الدين ورم ما تعلم من أسوارها وجدد بناءها فعادت كما كانت هكذا قال ابن الأثير.

وقال ابن خلkanan: وفي سنة أربع وسبعين واربعمائة استولى بنو منقد على شيزر من يد الروم والذي تولى فتحها منهم علي بن منقد بن نصر بن سعد وكتب إلى بغداد بشرح الحال ما نصه:

كتابي من حصن شيزر حماه الله وقد رزقني الله من الاستيلاء على هذا المعقل العظيم ما لم يتأت لخلقوق في هذا الزمان وإذا عرف الأمر على حقائقه علم أني هزير هذه الأمة وسلامان الجن والمردة وأنا أفرق بين المرء وزوجه وأستنزل القمر من محله أنا أبو النجم وشعري شعري نظرت إلى هذا الحصن فرأيت أمراً يذهب الآلباب يسع ثلاثة آلاف رجل بالأهل والمال وتمسكه حسن نسوة فعمدت إلى تل بيته وبين حصن الروم يعرف بالخواص ويسمى هذا التل بالمحصن فعمرته حصناً وجنت فيه أهلي وعشيري ونفرت نفرة على حصن الخواص فأخذته بالسيف من الروم ومع ذلك فلما أخذت من به من الروم أحست إليه من وأكرمنهم ومزجهم بأهلي وعشيري وخلطت خنازيرهم بغنمي ونراقيهم بصوت الأذان ورأى أهل شيزر فعلي ذلك فأنسوا بي ووصل إلى منهم قريب من نصفهم فبالغت في إكرامهم ووصل إليهم مسلم بن قريش العقيلي فقتل من أهل شيزر نحو عشرين رجالاً فلما انصرف مسلم منهم سلموا إلى الحصن.

انتهى كتاب علي بن منقد وبين هذا الذي ذكره ابن خلkanan والذي ذكره ابن الأثير نحو خمسين سنة وما ذكره ابن الأثير أول لأن الإفرنج لم يملكون من الشام شيئاً في أوائل المائة الخامسة والله سبحانه وتعالى أعلم.

الغزاة عزل نور الدين رجلاً يعرف بابن نصري تتصح له بكثرة خرجه بصلاته وصدقاته على الفقراء والفقهاء والصوفية والقراء إلى مصارف الجهاد فغضب وقال: والله لا أرجو النصر إلا بأولئك فإنهم يقاتلون عن بسهام الدعاء في الليل وكيف أصرفها عنهم وهي من حقوقهم في بيت المال ذلك شيء لا يجل لي.

ثم أخذ في الاستعداد للأخذ بشاره من الإفرنج وسار بعضهم إلى ملك مصر فراراً أن يخالفهم إلى بلاده فبعث إلى أخيه قطب الدين مودود صاحب الموصل وإلى فخر الدين قرا أرسلان صاحب كينا وإلى نجم الدين ولـي صاحب ماردـين بالتجدة فسار من بينهم أخوه قطب الدين وفي مقدمته زين الدين علي كجك صاحب جيشه ثم تبعه صاحب كينا وبعث نجم الدين عسكره فلما ترافق الأمداد سار نور الدين نحو حارم سنة تسع وخمسين فحاصرها ونصب عليها الجانق واجتمع من يقـي بالساحل من ملوك الإفرنج ومقدمـهم البرنس سمنـد صاحـب أنطاكـية والقـمـصـ صاحـب طرابـلس وابـن جوسـكـين واستـفـرـ لهم أمـمـ الـنصرـانـةـ وقصدـوـهـ فأـفـرـجـ عنـ حـارـمـ إـلـىـ اـرـتـاجـ.

ثم خاموا عن لقائه وعادوا إلى حصن حارم وسار في اتباعهم وناوشـهمـ الحـربـ فـحملـواـ عـلـىـ عـساـكـرـ حـلـبـ وـصـاحـبـ كـيـفـاـ فيـ مـيـمـنـةـ السـلـمـيـنـ فـهـزـمـوـهـاـ وـمـرـرـواـ فـيـ اـتـبـاعـهـمـ وـحـلـ زـيـنـ الـدـيـنـ فـيـ عـساـكـرـ الـمـوـصـلـ عـلـىـ الصـفـ فـلـقـيـهـ الرـجـلـ فـائـخـنـ فـيـهـمـ وـاسـتـلـحـمـهـمـ وـعـادـ الإـفـرـنجـ مـنـ اـتـبـاعـ الـيـمـنـ فـسـقطـ فـيـ إـيـدـيـهـمـ وـدارـتـ رـحـاـ الـحـربـ عـلـىـ الإـفـرـنجـ فـانـهـزـمـوـهـاـ وـرـجـعـ الـسـلـمـوـنـ مـنـ القـتـلـ إـلـىـ الـأـسـرـ فـأـسـرـوـهـمـ آـمـاـ فـيـهـمـ سـمـنـدـ صـاحـبـ أنـطـاكـيـةـ وـالـقـمـصـ صـاحـبـ طـرابـلسـ وـبـعـثـ السـرـايـاـ فـيـ تـلـكـ الـأـعـمـالـ بـقـصـدـ أـنـطـاكـيـةـ خـلـوـهـاـ مـنـ الـحـامـيـةـ فـأـبـيـ وـقـالـ:ـ أـخـشـ أـنـ يـسـلـمـهـاـ أـصـحـابـهـ مـلـكـ الـرـومـ فـإـنـ سـمـنـدـ اـبـنـ أـخـتـهـ وـجـاـعـرـهـ أـخـقـ إـلـىـ مـنـ مـجاـوـرـةـ مـلـكـ الـرـومـ ثـمـ عـاجـ عـلـىـ قـلـعـةـ حـارـمـ فـحاـصـرـهـاـ وـافـتـحـهـاـ وـرـجـعـ مـظـفـرـاـ وـالـلـهـ يـؤـيدـ بـنـصـرـهـ مـنـ يـشـاءـ مـنـ عـبـادـهـ.

### فتح نور الدين قلعة بانياس

ولـاـ اـتـتـحـ نـورـ الـدـيـنـ قـلـعـةـ حـارـمـ أـذـ لـسـكـرـ الـمـوـصـلـ وـحـصـنـ كـيـفـاـ بـالـأـنـطـاقـ إـلـىـ بـلـادـهـ وـعـزـمـ عـلـىـ مـنـازـلـةـ بـانـيـاسـ وـكـانـتـ بـيـدـ الإـفـرـنجـ مـنـ سـتـةـ ثـلـاثـ وـأـرـبـعـينـ وـخـمـسـمـائـةـ ثـمـ وـرـىـ عـنـهـ بـقـصـدـ طـبـرـيـةـ فـصـرـفـ الإـفـرـنجـ هـمـهـمـ إـلـىـ حـيـاتـهـاـ وـخـالـفـ هـوـ إـلـىـ بـانـيـاسـ لـقـلـةـ حـامـيـةـ فـحاـصـرـهـاـ وـضـيـقـ عـلـيـهـاـ فـيـ ذـيـ الـحـجـةـ مـنـ سـتـةـ تـسـعـ وـخـمـسـيـنـ وـكـانـ مـعـهـ أـخـرـوـ نـصـيرـ الـدـيـنـ أـمـيـرـ اـمـرـانـ

وـبـعـدـ أـيـامـ أحـضـرـ بـالـقـصـرـ وـاستـخـلـفـ بـمـضـرـةـ قـاضـيـ القـضاـةـ وـالـأـعـيـانـ وـخـطـبـ لـهـ بـيـنـادـ وـلـقـبـ الـقـابـ أـبـيهـ وـأـمـرـ بـثـلـاثـ أـلـافـ فـارـسـ وـسـارـ نـحـوـ بـلـادـ الـجـبـلـ فـيـ رـبـيعـ سـنـةـ إـحـدـيـ وـخـسـيـنـ وـنـزـلـ الـخـلـيقـةـ حـلـوـانـ وـاسـتـفـرـ لـهـ اـبـنـ أـخـيـهـ مـلـكـ شـاهـ صـاحـبـ هـمـذـانـ فـقـدـمـ إـلـيـهـ فـيـ فـارـسـ وـجـعـلـ سـلـيـمانـ شـاهـ وـلـيـ عـهـدـهـ وـأـمـدـهـاـ الـخـلـيقـةـ بـالـمـالـ وـالـسـلاحـ وـلـقـ بـهـمـاـ إـلـدـكـرـ صـاحـبـ الـرـيـ فـكـرـتـ جـمـوعـهـمـ وـيـعـثـ السـلـطـانـ مـحـمـدـ إـلـىـ قـطـبـ الـدـيـنـ مـوـدـودـ صـاحـبـ الـمـوـصـلـ وـزـيـنـ الـدـيـنـ عـلـيـ كـجـكـ تـابـهـ فـيـ الـمـظـاهـرـةـ وـالـإـنـجـادـ وـسـارـ قـطـبـ الـدـيـنـ وـزـيـنـ الـدـيـنـ شـاهـ فـانـهـزـمـ وـمـقـرـ عـسـكـرـهـ وـفـارـقـ إـلـدـكـرـ فـذـهـبـ إـلـيـ بـنـغـادـ عـلـىـ طـرـيقـ شـهـرـزـوـزـ وـبـلـغـ خـبـرـ الـمـزـيـةـ إـلـىـ زـيـنـ الـدـيـنـ عـلـيـ كـجـكـ فـخـرـجـ فـيـ جـمـاعـةـ مـنـ عـسـكـرـ الـمـوـصـلـ وـقـعـدـ لـهـ بـشـهـرـزـوـزـ وـمـعـهـ أـمـيـرـ إـلـيـرـاقـ حـتـىـ مـرـ بـهـمـ سـلـيـمانـ شـاهـ فـقـبـضـ عـلـيـهـ زـيـنـ الـدـيـنـ وـحـلـهـ إـلـىـ الـمـوـصـلـ فـحـسـبـهـ بـهـاـ مـكـرـمـاـ وـطـيـرـ إـلـىـ السـلـطـانـ مـحـمـودـ بـالـخـبـرـ.

فـلـمـاـ هـلـكـ السـلـطـانـ مـحـمـودـ بـنـ مـحـمـدـ بـنـ مـسـنـةـ خـسـ وـخـسـيـنـ أـرـسـلـ أـكـابـرـ الـأـمـرـاءـ مـنـ هـمـذـانـ إـلـىـ قـطـبـ الـدـيـنـ أـنـابـكـ وـزـيـرـهـ يـطـلـبـونـ تـوـلـيـةـ الـمـلـكـ سـلـيـمانـ شـاهـ وـيـكـونـ جـالـ الـدـيـنـ وـزـيـرـ قـطـبـ الـدـيـنـ وـزـيـرـاـ لـهـ وـتـعـاهـدـوـاـ عـلـىـ ذـلـكـ وـجـهـزـهـ قـطـبـ الـدـيـنـ جـهـازـ الـمـلـكـ وـسـارـ مـعـهـ زـيـنـ الـدـيـنـ عـلـيـ كـجـكـ فـيـ عـسـكـرـ الـمـوـصـلـ إـلـىـ هـمـذـانـ فـلـمـاـ قـارـبـوـ بـلـادـ الـجـبـلـ تـابـعـتـ الـعـسـاـكـرـ وـالـأـمـدـادـ لـلـقـائـهـمـ إـرـسـالـاـ وـاجـتـمـعـاـ عـلـىـ سـلـيـمانـ شـاهـ وـجـرـواـ مـعـهـ عـلـىـ مـنـذـهـبـ الـدـوـلـةـ فـخـسـيـهـمـ زـيـنـ الـدـيـنـ عـلـىـ نـفـسـهـ وـفـارـقـهـ إـلـىـ الـمـوـصـلـ وـسـارـ سـلـيـمانـ شـاهـ إـلـىـ هـمـذـانـ فـكـانـ مـنـ أـمـرـهـمـ مـاـ تـقـدـمـ فـيـ أـخـبـارـ الـدـوـلـةـ السـلـجوـقـيـةـ.

### حصار قلعة حارم وانهزام نور الدين أمام الإفرنج ثم هزيمتهم وفتحها

ثـمـ جـمـعـ نـورـ الـدـيـنـ مـحـمـودـ عـسـاـكـرـ حـلـبـ وـحـاصـرـ الإـفـرـنجـ بـقلـعـةـ حـارـمـ وـجـعـواـ لـمـادـفـعـهـ ثـمـ خـامـواـ عـنـ لـقـائـهـ وـلـمـ يـنـاجـزوـهـ وـطـالـ عـلـيـهـ أـمـرـهـمـ فـعـادـ عـنـهـاـ ثـمـ جـعـ عـسـاـكـرـهـ وـسـارـ سـنـةـ ثـمـانـ وـخـسـيـنـ مـعـزـمـاـ عـلـىـ غـزـوـ طـرابـلسـ وـانتـهـيـاـ إـلـىـ الـبـيـعـةـ تـحـتـ حـصـنـ الـأـكـرـادـ فـكـبـهـمـ الإـفـرـنجـ هـنـالـكـ وـأـنـخـنـاـ فـيـهـمـ وـنـجـاـ نـورـ الـدـيـنـ فـيـ الـفـلـ إـلـىـ مـحـيـةـ قـطـيـنـهـ قـرـيبـاـ مـنـ حـصـنـ وـلـقـ بـهـ المـهـزـمـونـ وـبـعـثـ إـلـىـ دـمـشـقـ وـحـلـبـ فـيـ الـأـمـوـالـ وـالـخـيـامـ وـالـظـهـرـ وـأـزـاحـ عـلـلـ الـعـسـكـرـ وـعـلـمـ الإـفـرـنجـ بـمـكـانـ نـورـ الـدـيـنـ مـنـ حـصـنـ فـنـكـبـهـمـ عـنـ قـصـدـهـاـ وـسـالـوـهـ الـصـلـحـ فـامـتـعـ فـانـزـلـوـ حـامـيـهـمـ مـهـنـ الـأـكـرـادـ وـرـجـعـواـ وـفـيـ هـذـهـ

وسار نور الدين من دمشق ليأخذ بمجزتهم عن المسير فلم يثنهم ذلك وتركوا بيلادهم حامية فلما قاربوا مصر فارقاها أسد الدين واجتمع الإفرنج وعساكر مصر فحاصروه ثلاثة أشهر يغاديم القتال ويرأو حهم وجاءهم الخبر بهزيمة الإفرنج على حارم وما هي إلا نور الدين في ذلك فراسلوا أسد الدين شيركوه في الصلح طرروا عنه الخبر فصالحهم وخرج ولحق بالشام ووضع له الإفرنج المراصد بالطريق فعدل عنها ثم أعاده نور الدين إلى مصر سنة اثنين وستين فسأله بالعساكر في ربى ونزل أطفيح وعبر النيل.

وجاء إلى القاهرة من جانبها الغربي ونزل الجيزة في عدوة الليل وحاصرها خمسين يوماً واستمد شاور بالإفرنج وعبر إلى أسد الدين فتأخر إلى الصعيد ولقيهم متصرف السنة فهزمهم وسار إلى نهر الإسكندرية فملكتها وولى عليها صلاح الدين ابن أخيه ورجع فدوخ بلاد الصعيد وسارت عساكره مصر والإفرنج إلى الإسكندرية وحاصروها بها صلاح الدين فسار إليه أسد الدين فتقلوه بطلب الصلح فتم ذلك بينهم وعاد إلى الشام وترك لهم الإسكندرية.

وكاتب شجاع بن شاور نور الدين بالطاعة عنه وعن طافته من الأمراء ثم استطاع الإفرنج على أهل مصر وفرضوا عليهم الجيزة وأنزلوا بالقاهرة الشحنة وتسلموا أبوابها واستدعوا ملوكهم بالشام إلى الاستيلاء عليها فبادر نور الدين وأعاد أسد الدين في العساكر إليها في ربى ستة أربع وستين فملكتها وقتل شاور وطرد الإفرنج عنها وقدمه العااضد لوزارته والاستبداد عليه كما كان من قبله.

ثم هلك أسد الدين وقام صلاح الدين ابن أخيه مكانه وهو مع ذلك في طاعة نور الدين محمود وهلك العااضد فكتب نور الدين إلى صلاح الدين يأمره بإقامة الدعوة العباسية بمصر والخطبة للمستضيء ويفعل: إنه كتب له بذلك في حياة العااضد وبين يديه وفاته وهلك لخمسين يوماً أو نحوها فخطب للمستضيء العباسى وانقرضت الدولة العلوية بمصر وذلك ستة سبع وستين كما ثانى على شرحه وتفصيله في دولةبني أيوب إن شاء الله تعالى.

وووقدت خلال ذلك فتنة بين نور الدين محمود وبين صاحب الروم قليع أرسلان بن مسعود بن قليع أرسلان سنة ستين وخمسة وكتب الصالح بن رزيك إلى قليع أرسلان بنهاه عن الفتنة والله تعالى ولي التوفيق.

فأصيب بهم في إحدى عينيه وأخذ الإفرنج في الجمع لدافعته فلم يستكملا أمرهم حتى فتحها وشحنت قلعتها بالقائلة والسلاح وخافه الإفرنج فشارطوه في أعمال طبرية وضرب عليهم الجزية في الباقى ووصل الخبر بفتح حارم وبانياس إلى ملوكهم الذين ساروا إلى مصر فسبقوهم بالفتح وعاد إلى دمشق ثم سار سنة إحدى وستين متجرداً إلى حصن المنطرة فناذلهم على غرة وملكه عنوة ولم يجتمع الإفرنج إلا وقد ملكه فاقتروا ويشوا من ارجماعه والله تعالى أعلم.

### وفادة شاور وزير العااضد بمصر على نور الدين العادل صريحاً وإنجاده بالعسكر مع أسد الدين شيركوه

كانت دولة العلوين بمصر قد أخذت في التلاشي وصارت إلى استبداد وزرائها على خلافها وكان من آخر المسلمين بها شاور السعدي استعمله الصالح بن رزيك على قوص وندم فلما هلك الصالح بن رزيك وكان مستبداً على الدولة قام ابنه رزيك مقامه فعزل شاور عن قوص فلم يرض بعزله وجمع وزحف إلى القاهرة فملكتها وقتل رزيك واستبد على العااضد ولقيه أمير الجيوش وكانت سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ثم نازعه الضراغام وكان صاحب الباب ومقدم البرقية فثار عليه لسبعة أشهر من وزارته وأخرجه من القاهرة فلحق بالشام وقصد نور الدين محمود بن زنكي مستجداً به على أن يكون له ثلث الجيابة بمصر ويفهم عسكر نور الدين بها مددأ له فاختار من أمرائه لذلك أسد الدين شيركوه بن شادي الكردي وكان محمص وجهه بالعساكر فسار بذلك في جمادى سنة ستة وخمسين واتبعه نور الدين إلى أطراف بلاد الإفرنج فشققاهم عن التعرض للعساكر.

وسار أسد الدين مع شاور وسار معه صلاح الدين ابن أخيه نجم الدين أيوب وانهرا إلى بليس فلقاهم ناصر الدين آخر الضراغام في عساكر مصر فانهزم ورجع إلى القاهرة وأتبعه أسد الدين فقتله عند مشهد السيدة نفيسة رضي الله تعالى عنها وقتل آخرين وعاد شاور إلى وزارته وأقام أسد الدين بظاهر القاهرة يتضرر الرفقاء بالمهدم من شاور بما عاشه عليه نور الدين فنكلت شاور العهد وبعث إليه بالرجوع إلى بلدته فلتح في طلب ضريبه ورحل إلى بليس وبالبلاد الشرقية فاستولى عليها واستمد شاور عليه بالإفرنج فبادروا إلى ذلك لما كان في نفوذه من خوف غالاته وطمعوا في ملك مصر.

محمد بن علي بن منصور الأصفهاني فاعتقله وهلك لستة من الاعتقال وحل إلى المدينة النبوية على ساكنها أفضـل الصلاة وأتم التسليم فدفن بها في رباط هناك أعدـه لذلك وكانت وفاته أيام سيف الدين غازى بن قطب الدين فولى مكانـه جلال أبا الحسن ابنـه وكان زين الدين علي بن كستـكين ويعرف بـكجـك قد استبدـ في دولة قطب الدين واستـقلـ بـحكم الدولة.

وصارت يده أكثر البلاد أقطاعاً مثل إربيل وشهر زور  
والقلاع التي في تلك البلاد المكارية منها العمادية وغيرها  
والحميدية وتكريت وسنجار وقد كان نقل أهله وولده وذخائره إلى  
إربيل وأقام بمقابلته من قلعة الموصل فأصابه الكبر وطريقه  
العمي والصصم فغمز على مفارقة الموصل إلى كسر بيته بباريل  
فسلم جميع البلاد التي يده إلى قطب الدين ما عدا إربيل وسار إليها  
سنة أربع وستين وأقام قطب الدين مكانه فخر الدين عبد المسيح  
خصوصياً من موالي جده الأتابك زنكى وحكمه في دولته فنزل بالقلعة  
وعمرها وكان الخراب قد لحقها ياهمال زين الدين أمر البناء والله  
تعالى أعلم.

حصار نور الدين قلعة الكرك

ثم بعث صلاح الدين ستة خمس وستين إلى نور الدين  
محمد يطلب إيقاظ أخيه نجم الدين أيوب إليه فبعثه في عسكر  
واجتمع إليه خلق من التجار ومن أصحاب صلاح الدين وخشي  
عليهم نور الدين في طريقهم من الإفريقي فسارت العساكر إلى  
الكرك وهو حصن اخترقه من الإفريقي البرنس أرقطاط له  
قلعة فحاصره نور الدين وجع له الإفريقي فرجل إلى مقدمتهم قبل  
أن يتلاحقوا فخافوا عن لقائه ونكصوا على أعقابهم وسار في  
بلادهم فاكتسحها وخرب ما مر من القلاع واتجه إلى بلاد  
المسلمين حتى نزل حوش وبعث نجم الدين من هناك إلى مصر  
فصلما متصرف خمس وستين وركب العاكس للقاء.

ولما كان نور الدين بعشيرا سار للقاء شهاب الدين محمد بن الياس بن أبي الغازى بن أرتق صاحب قلعة أكبره فلما انتهى إلى نواحي بعلبك لقي سرية من الإفرنج فقاتلهم وهزهم واستحلّمهم وجاء بالأسرى ورؤوس القتلى إلى نور الدين وعرف الرؤوس مقدم الاستبان صاحب حصن الأكراد وكان شجاع في قلوب المسلمين وبلته وهو بهذا المثلث خير الزلازل التي عمّت البلاد بالشام والمورصل والجزيرة وال العراق وخررت أكثر البلاد بعمله فسأر إليها وشغل في إصلاحها من واحدة إلى أخرى حتى أكملاها

فتح نور الدين صافيتا وعرمة ومنج وجعبرا

ثم جمع نور الدين عساكرة سنة اثنين وستين واستدعي  
أخاه قطب الدين من الموصل فقدم عليه بمحصن ودخلوا جميعاً  
بلاد الإفرنج ومروا بمحصن الأكراد واكحشوا نواحيه ثم حاصروا  
عرقة وخرجوها جكة وفتحوا العريمة وصافيتا ويعثوا سرايابهم  
فعادت في البلاد ورجعوا إلى حصن فأقاموا بها إلى رمضان واتقظروا  
إلى بانياس وقصدوا حصن حموص فهرب عنه الإفرنج فهدم نور  
الدين سوره وأحرقه واعترض على بيروت فرجع عنه آخره قطب  
الدين إلى الموصل وأعطيه نور الدين من عمله الرقة على الفرات.

ثم انقض بمدينة منيغ غازى بن حسان وبعث إليها العساكر فملکها عنوة وأقطعها أخيه قطب الدين يسال بن حسان وبقيت بيده إلى أن أحذنها منه صلاح الدين بن أيوب ثم قبض بتو كلام على شهاب الدين ملك بن علي بن مالك العقيلي صاحب قلعة جعر وكانت تسمى دوس ثم سميت باسم جعر بانيها.

وكان السلطان ملك شاه أعطاه بلده عندما ملك حلب كما  
مر في أخباره ولم تزل بيده ويد عقبه إلى أن هلك هذا فخر  
يتصيد سلة ثلاث وستين وقد أرصل له بنو كلاب فاسروه وحملوه  
إلى نور الدين محمود صاحب دمشق فاعتقله مكرماً وحاوله في  
التزول عن جuber بالترغيب تارة وبالترهيب أخرى فلأبي وبعث  
بالأسكار مع الأمير فخر الدين محمود بن أبي علي الزغفراني  
وحاصرها مدة فامتنعت فبعث عسكراً آخر وقدم على الجميع  
الأمير فخر الدين أبا بكر ابن الداية رضيعه وأكبر أمراءه فحاصرها  
فامتنعت ورجع إلى ملاطة صاحبها فأجاب وعرضه نور الدين  
عنها سروج وأعملها وساحة حلب ومراجعة وعشرين ألف دينار  
وملك قلعة جuber سنة أربع وستين وافتراض أمر بيبي مالك منها  
والبقاء لله وحده.

رحلة زين الدين نائب الموصل إلى إربل  
واستبداد قطب الدين بعلكه

قد كان تقدم لنا أن نصیر الدين جقري كان نائب الأتابک  
زنکي بالموصل وقتل الباي ارسلان ابن السلطان محمود آخر سنة  
تسع وثلاثين وخمسة طمعاً في الملك لنبیة الأتابک فرجع من  
غیته في حصار البيرة وقدم مكانه زین الدين علی بن کمستکین  
بقلمة الموصل فلم يزل بها بقیة أيام الأتابک وأیام ابنه غازی وابنه  
الآخر قطب الدين سنته ثمان وخمسین على وزیرهم جمال الدين

نور الدين متصرف جاهي الأولى من سنة ست وستين ودخل  
المدينة واستتاب بالقلعة خصياً اسمه كمستكين ولقبه سعد الدين  
فأقر سيف الدين ابن أخيه على ملكه وخلع عليه ورددت عليه من  
الخلافة المستضيء وهو يحاصرها وأمر ببناء جامع بالموصل فبني  
وشهر باسمه وأمر سيف الدين أن يشاور كمستكين في جميع أموره  
وأقطع مدينة سنجار لعماد الدين ابن أخيه قطب الدين وعاد إلى  
الشام والله تعالى أعلم.

الوحشة بين نور الدين وصلاح الدين

ثم سار صلاح الدين في صفر سنة تسع وستين من مصر إلى بلاد الإفرنج غازياً ونال حصن الشوبك من أعمال واستأنف إليه أهله على أن يهلكم عشرة أيام فاجاب لهم وسمع نور الدين بذلك فسار من دمشق غازياً أيضاً بلاد الإفرنج من جانب آخر وتصح لصلاح الدين أصحابه بأنك إن ظهرت عليه على الإفرنج أضحم أمرهم فاستطاع عليه نور الدين ولا تقدر على الامتناع منه فترك الشوبك وكر راجعاً إلى مصر وكتب لنور الدين يعتذر له بأنه بلغه عن بعض سفالة العربين بمصر أنهم معذبون على الوثوب فلم يقبل نور الدين عذرها في ذلك واعتزم على عزله عن مصر فاستشار صلاح الدين أباه وخاله شهاب الدين الحارمي وقربائهم فأشار عليه تقى الدين عمر بن أخيه بالامتناع والعصيان فذكر عليه نجم الدين أبوه وقال له: ليس منا من يقوم بعصيان نور الدين لو حصر أو بعث وأشار عليه بيان يكتبه بالطاعة وأنه إن عزم علىأخذ البلاد منك فسلمها ويصل بنفسه وافتقر المجلس فخلال به أبوه وقال: مالك توجد بهذا الكلام السبيل للأمراء في استطاعتهم عليك ولو فعلتم ما فعلتم كنت أول المتعين عليهم ولكن ملطفته أولى. وكتب صلاح الدين إلى نور الدين بما أشار به أبوه من الملاطفة فتركهم نور الدين وأعرض عن قصدهم ثم توفي، واشتغل صلاح الدين علىك البلاد.

ثم جع نور الدين العساكر وسار لغزو الإفرنج بسبب ما  
أخذوه لأهل البلاد من مراكب التجار ونكثوا فيها العهد مغالطين  
بانها تكسرت فلم يقبل مغالطتهم وسار إليهم وبيث السرايا في  
بلادهم نحو أنطاكية وطرابلس وحاصر هو حصن عرقة وخرب  
ريضه وأرسل عسكراً إلى حصن صافيتا وعرية ففتحهما عنوة  
وخربيهما ثم سار من عرقة إلى طرابلس واكتسح كل ما مر عليه  
حتى رجع الإفرنج إلى الإنصال من أنفسهم وردوا ما أخذوا من  
المكرمين الأعزين وسالوا تجديد المدنة فأجابهم بعد أن خربت

يُبلغ جهده واحتفل الإفرنج بعمارة بلادهم أيضاً خوفاً من غائلته  
والله تعالى أعلم.

وفاة قطب الدين صاحب الموصل وملك  
ابنه سيف الدين غازي

ثم توفي قطب الدين مودود بن الأتابك زنكي صاحب الموصل في ذي الحجة سنة خمس وستين لإحدى وعشرين سنة ونصف من ملكه وعهد لابنه الأكبر عماد الدين بالملك وكان القائم بدولته فخر الدين عبد المسيح وكان شديد الطوعية لنور الدين محمود وتعلم منه عن عماد الدين زنكي بن مودود فعدل عنه إلى أخيه سيف الدين غازوي بن مودود بموافقة أمه خاتون بنت حسام الدين عرقناش بن أبي الغازوي ولحق عماد الدين به نور الدين متضرراً به وقام فخر الدين عبد المسيح بتدبير الدولة بالموصل واستبدل بها والله تعالى أعلم.

استيلاء نور الدين على الموصل وإقراره ابن أخيه سيف الدين عليها

ولما ولی سيف الدين غازي بالموصل بعد أخيه قطب الدين واستبد عليه فخر الدين عبد المسيح كما تقدم وبلغ الخبر إلى نور الدين باستباداه أتف من ذلك وسار في خف من العسکر وعبر الفرات عند جعوب أول سنة ست وستين وقصد الرقة فملكها ثم الخابور فملك جميعه ثم نصيبيون وكلها من أعمال الموصل وجاءه هناك نور الدين محمد بن قرا ارسلان بن داود بن سقمان صاحب كيما مدا ثم سار إلى سنجار فحاصرها وملكتها وسلمها لعماد الدين ابن أخيه قطب الدين ثم جاءته كتب الأمراء بالموصل فاستحوذه فأغد السير إلى مدينة كلث ثم عبر الدجلة وتزل شرقى الموصل على حصن نيزى ودخلت بينه وبين الموصل وسقطت ذلك اليوم ثلعة كبيرة من سور الموصل وكان سيف الدين غازي قد بعث أخاه عز الدين مسعود إلى الأتابك شمس الدين صاحب همدان وببلاد الجبل وأنديجان وأصفهان والري يستتجده على عمه نور الدين فارسل ليذكر إلى نور الدين ينهاه عن الموصل فأساء جوابه وتوعده وأقام بمحاصر الموصل ثم اجتمع أمراؤها على طلة نور الدين ولما استحث فخر الدين عبد المسيح استأمن إلى نور الدين على أن يبقى سيف الدين ابن أخيه على ملكها فأجابه على أن يخرج هو عنه ويكون معه بالشام وتم ذلك بينهما وملك

الذين إلى الصلح على أن ينجرده بعسكر الإفرنج وبقي سيواس بيد ذي النون وعسكر نور الدين الذي معه فيها ورجع نور الدين إلى بلاده وبقيت سيواس بيد ذي النون حتى مات نور الدين وعاد قلبي أرسلان ثم وصل رسول نور الدين من بغداد كمال الدين أبو الفضل محمد بن عبد الله الشهزوري ومعه منشور من الخليفة المستضيء لنور الدين بالموصل والجزيرة وإربيل وخلاط الشام وببلاد الروم وديار مصر والله سبحانه وتعالى أعلم.

### مسير صلاح الدين إلى الكرك ورجوعه

ولما كانت الوحشة بين نور الدين وصلاح الدين كما قدمناه واعتمز نور الدين على عزله عن مصر واستعطفه صلاح الدين وكان فيما تقرر بينهما أنهما يجتمعان على الكرك وأيهما سبق انتظار صاحبه فسار صلاح الدين من مصر في شوال سنة ثمان وستين وسبق إلى الكرك وحاصره وخرج نور الدين بعد أن بلغه مسیر صلاح الدين من مصر وأراح عمل العساكر وانتهى إلى الرقيم على مرحلتين من الكرك فخافه صلاح الدين على نفسه وخشي أن يعزله عند لقائه وكان استخلف أباه نجم الدين أيوب على مصر فبلغه أنه طرفة مرض شديد فوجد فيه عذرًا لنور الدين وكر راجعاً إلى مصر ويعث الفقيه عبيسي بذلك العذر وإن حفظه مصر أهتم عليه فلما وصل مصر وجده أباه قد توفى من سقطة سقطها عن مركوبه هزه المرح فرماه وحمل إلى بيته وقبأه ومات لأيام قريبة آخر ذي الحجة من السنة ورجع نور الدين إلى دمشق وكان قد بعث رسوله كمال الدين الشهزوري القاضي ببلاده وصاحب الرقوف والديوان لطلب التقليد للبلاد التي بيده مثل مصر والشام والجزيرة والموصل والتي دخلت في طاعته كديار بكر وخلاط بلاد الروم وأن يعاد له ما كان لأبيه زنكي من الإقطاع بالعراق وهي صريفين ودرب هارون وأن يسرع قطعة أرض على شاطئه دجلة بظاهر الموصى بين فيها مدرسة للشافعية فأسْعَف بذلك كله.

### وفاة نور الدين محمد وولايته ابنه إسماعيل الصالح

ثم توفي نور الدين محمد بن الأتابك زنكي حادي عشر شوال سنة تسعة وستين وخمسة عشرة سنة من ولايته وكان قد شرع في التجهيز لأخذ مصر من صلاح الدين بن أيوب

بلادهم وقتلت رجالهم وغنم أموالهم. ثم اتخذ نور الدين في هذه السنة الحمام بالشام تطير إلى أوغارها من لاتساع بلاده ووصول الأخبار بسرعة فنادر إلى القيام بواجهه وأجرى المجرابات على المرتبين لحظتها لتصل الكتب في أجنبتها ثم أغاث الإفرنج على حوران من أعمال دمشق وكان نور الدين ينزل الكسوة فرحة إليهم ورحلوا أمامه إلى السواد وتبعهم المسلمين ونالوا منهم وزل نور الدين على عشر ويعث منها سرية إلى أعمال طبرية فاكتسحها وسار الإفرنج لمدافعتهم فرجعوا عنها وأتّبِعُهم الإفرنج فعبروا الهر وطمعوا في استنقاذ غنائمهم فقاتلهم المسلمون دونها أشد قتال إلى أن استنقذت وتحاجزوا ورجع الإفرنج خائبين والله تعالى ينصر المسلمين على الكافرين بهمه وكرمه.

### واقعة ابن ليون ملك الأرمن بالروم

كان مليح بن ليون صاحب دروب حلب أطاع نور الدين محمود بن زنكي وأمره على الحمالة وأقطعه بلاد الشام وكان يسير في خدمته ويشهد حروبها مع الإفرنج أهل ملته وكان الأربعين أيضاً يستظهر به على أعدائه وكانت أدنة والمصيصة وطرسوس المجاورة لأن ابن ليون وهي بيد ملك الروم صاحب القسطنطينية فتغلب عليها ابن ليون وملكتها ويعث صاحب القسطنطينية متصرف سنة ثمان وستين وخمسة عشرة جيشاً كثيفاً مع عظيم من بطارقته فلقيه ابن ليون بعد أن استنقذ نور الدين فأنجده بالعساكر وقاتلهم فهزّهم ويعث بغنائمهم وأسراهم إلى نور الدين وقويت شوكة ابن ليون ويسّر الروم من تلك البلاد والله تعالى أعلم.

### مسير نور الدين إلى بلاد الروم

كان ذو النون بن محمد بن الدانشمند صاحب ملطية وسيواس وأخصرى وقيسارية ملكها بعد عمه باغي أرسلان وأخيه إبراهيم بن محمد فلم يزل قلبي أرسلان بن محمد بن قلبي أرسلان يتخفّف بلاده إلى أن استولى عليها ولحق ذو النون بنور الدين صريحاً وأرسل إلى قلبي أرسلان بالشفاعة في رد بلاده فلم يشفعه فسار إليه وملك من بلاده بكسرور ومهنساً ومرعش ومربستان وما ينتمي إلى ذي القعدة سنة ثمان وستين ثم بعث عسكراً إلى سيواس فملکوها ثم أرسل قلبي أرسلان إلى نور الدين يستعطفه وقد كان يحيى أمامه إلى قاصية بلاده فأجابه نور

سوى قلعة جعبر لامتناعها وسوى رأس عين كانت لقطب الدين صاحب ماردين وهو ابن خاله وكان شمس الدين علي بن الديابة محلب وهو من أكبر أمراء نور الدين ومعه العساكر ولم يقدر على مدافعة سيف الدين فخر الدين عبد المسيح وكان نور الدين تركه قبل موته بسيواس مع ذي النون بن الدانشمند فلما مات نور الدين رجع إلى صاحبه سيف الدين غازي وهو الذي كان ملكه فوجده بالجزيرة وقد ملكها فشار عليه بالعبور إلى الشام وعارضه آخر من أكبر الأمراء في ذلك فرجع سيف الدين إلى قوله وعاد إلى الموصل وأرشد صلاح الدين إلى الملك الصالح وأهل دولته يعتاهم حيث لم يستدعوه لدافعة سيف الدين عن الجزيرة ويتهدد ابن المقدم وأهل الدولة على انفرادهم بأمر الملك الصالح دونه وعلى تعودهم عن مدافعة سيف الدين غازي ثم أرسل شمس الدين ابن الديابة إلى الملك الصالح يستدعيه من دمشق إلى حلب ليدافع شمس الدين ابن عممه قطب الدين عن الجزيرة فمنعه أمراؤه عن ذلك مخافة أن يستولى عليه ابن الديابة والله سبحانه وتعالى أعلم بغيره.

### حصار الإفرنج بانياس

ولما مات نور الدين محمد اجتمع الإفرنج وحاصروا قلعة بانياس من أعمال دمشق وجمع شمس الدين بن المقدم العساكر وسار عن دمشق وراسل الإفرنج وتهدهم بسيف الدين صاحب الموصل وصلاح الدين صاحب مصر فصالحوه على مال يبعنه إليهم و Ashton من الإفرنج وأطل عليهم وتررت المدنية ويبلغ ذلك صلاح الدين فتكره واستعظمه وكتب إلى الصالح وأهل دولته يقعع مرتكبهم وبعدهم بغزوة الإفرنج وقصده إنما هو طريقه إلى الشام ليتمكن البلاد وإنما صالح ابن المقدم الإفرنج خوفاً منه ومن سيف الدين والله تعالى أعلم.

### استيلاء صلاح الدين على دمشق

ولما كان ما ذكرناه من استيلاء سيف الدين غازي على بلاد الجزيرة خاف شمس الدين ابن الديابة منه على حلب وكان سعد الدين كمستكين قد هرب من سيف الدين غازي إليه فأرسله إلى دمشق يستدعي الملك الصالح للمدافعة فلما قارب دمشق أنه ابن المقدم إليه عسيراً فنهبه وعاد إلى حلب ثم رأى ابن المقدم وأهل الدولة بدمشق أن مسير الصالح إلى حلب أصبح فبعثوا إلى كمستكين وبعثوا معه الملك الصالح فلما وصل إلى حلب قبض

واستئنف سيف الدين ابن أخيه في العساكر موريأً بغزو الإفرنج وكان قد اتسع ملوكه وخطب له بالحرمين الشرفين وباليمن لما ملكها سيف الدولة بن أيوب وكان معتياً بمصالح المسلمين مواطباً على الصلاة والجهاد وكان عارفاً بذهب أبي حيفة ومحرباً للعدل ومتجاهلاً عنأخذ المكروس في جميع أعماله وهو الذي حصن قلاع الشام وبنى الأسوار على مدنها مثل: دمشق وحمص وحماة وشيزر وبعلبك وحلب وبني مدارس كثيرة للحفنة والشافية وبني الجامع التورى بالموصل والمارستانات والخانات في الطريق والخوانق للصوفية في البلاد واستكثر من الأوقاف عليها يقال: بلغ ربع أوقيانه في كل شهر تسعة آلاف دينار صوري وكان يكرم العلماء وأهل الدين ويعظمهم ويتمثل لهم قائمًا ويرؤسهم في المجالسة ولا يرد لهم قولاً وكان متواضعًا مهيبًا وقوরاً ولما توفي اجتماع الأمراء والمقدومون وأهل الدولة بدمشق وبايعوا ابنه الملك الصالح إسماعيل وهو ابن إحدى عشرة سنة وخلفوا له وأطاعه الناس بالشام وصلاح الدين بصر وخطب له هناك وضرب السكة باسمه وقام بكتفاته وتدير دولته الأمير شمس الدين محمد بن عبد الملك بن المقدم وأشار عليه القاضي كمال الدين الشهوزوري بأن يرجعوا في جميع أمرورهم إلى صلاح الدين لبلاده ينذر طاعتهم فأعرضوا عن ذلك والله تعالى ولـي التوفيق.

### استيلاء سيف الدين غازي على بلاد

#### الجزيرة

قد كنا قدمنا أن نور الدين استولى على بلاد الجزيرة وأقر سيف الدين ابن أخيه قطب الدين على الموصل واحتفل معه فخر الدين عبد المسيح الذي ول سيف الدين واستبد عليه بأمره وولى على قلعة الموصل سعد الدين كمستكين ولما استئنفthem نور الدين بين يدي موته سار إليه سيف الدين غازي وكمستكين الخادم في العساكر وبلغهم في طريقهم خبر وفاته وكان كمستكين في المقدمة فهرب إلى حلب واستولى سيف الدين على مخلفه وساده وعاد إلى نصبيين فملكتها وبعث العساكر إلى الخبر فاستولى عليها وعلى أقطاعها ثم سار إلى حران وبها قايماز الحراني مولى نور الدين فحاصرها أيامًا ثم استنزله على أن يقطعه حران فلما نزل قبض عليه وملكها ثم سار إلى الرها وبها خادم لنور الدين اقتسلها وعرضه عنها قلعة الزعفراني من جزيرة ابن عمر وانتزعها منه بعد ذلك.

ثم سار إلى الرقة وسرورج فملكتها واستوعب بلاد الجزيرة

كمستكين على ابن الديمة وإخوته وعلى رئيس حلب ابن الحشاب وعلى مقدم الأحداث بها واستبد بأمر الصالح وخشي ابن المقدم وأمراؤه بدمشق غاثاته فكتابوا سيف الدين غازي صاحب الموصل أن يملأكمه فأخرج عن المسير إليهم وظنها مكيدة وبعث بخبرهم إلى كمستكين وصالحة على مال أخيه من البلاد فكثر ارتياط القوم في دمشق فكتابوا صلاح الدين بن أبوب قطاط إلهم ونكب عن الإفرنج في طريقه وقد صد بصرى وأطاعه صاحبها ثم سار صلاح الدين إلى دمشق فخرج إليه أهل الدولة بقدمهم شمس الدين محمد بن عبد الملك المقدم وهو الذي كان أبوه سلم سنجر لسور الدين سنة أربعين وأربعين كما مر ودخل صلاح الدين دمشق آخر ربيع سنة سبعين ونزل دار أبيه المعروفة بدار العفيفي وكان في القلعة ريحان خديم نور الدين فبعث إليه صلاح الدين القاضي كمال الدين الشهزوري بأنه على طاعة الصالح والخطبة له في بلاده وأنه إنما جاء ليترفع البلاد التي أخذت له فسلم إليه ريحان القلعة واستولى على ما فيها من الأموال وهو في ذلك كله يظهر طاعة الملك الصالح وينطلب له وينتشل السكة باسمه. انتهى والله أعلم.

وأقام صلاح الدين محاصراً للحلب وبعث كمستكين إلى الإفرنج يستجدهم على منازلة بلاد صلاح الدين ليرحل عنهم وكان القمح عند السنجيلى صاحب طرابلس أسره نور الدين في حارم سنة تسع وخمسين وبقي معتقلًا بحلب فأطلقه الآن كمستكين بمائة وخمسين ألف دينار صورية وألف أسير وكان متغلباً على ابن مرى ملك الإفرنج لكنه مجذوماً لا يصدر إلا عن رأيه فسار بجموع الإفرنج إلى حصن الرستن سابع رجب وصالحهم صلاح الدين من الغد فأجفلوا وحاصر هو القلعة وملكها آخر شعبان واستولى على أكثر الشام ثم سار إلى بعلبك وبها يمن الخادم من موالى نور الدين فحاصرها حتى استأنفوا إليه فملكها متصرف رمضان من السنة وأقطعها شمس الدين محمد ابن عبد الملك المقدم عاتقى له من إظهار طاعته بدمشق وتسليمها له والله تعالى أعلم.

### استيلاء صلاح الدين على حص وحمة ثم

### حصاره حلب ثم ملكه بعلبك

#### حروب صلاح الدين مع سيف الدين

غازي صاحب الموصل وغله إيه واستيلاته  
على بعدين وغيرها من أعمال الملك  
الصالح ثم مصالحته على حلب

لما ملك صلاح الدين حص وحمة وحاصر حلب كاتب الملك الصالح إسماعيل من حلب إلى ابن عمه سيف الدين غازي صاحب الموصل يستجده فجمع عساكره واستتجد أخيه عماد الدين زنكي صاحب سنجر فلم يجده لما كان بينه وبين صلاح الدين وأنه ولاه سنجر ويطعمه في الملك بعث سيف الدين غازي بالعاشر لمدافعة صلاح الدين عن الشام في رمضان سنة سبعين وخمسة مع أخيه عز الدين مسعود وأمير جوش عز الدين القنطر وجعل التدبير إليه وسار هو إلى سنجر فحاصر بها أخيه عماد الدين وامتنع عليه وبينما هو يحاصره جاءه الخبر بأن صلاح الدين هزم أخيه عز الدين وعساكره فصالح عماد الدين على سنجر وعاد إلى الموصل ثم جهز أخيه عز الدين في العساكر

ولما ملك صلاح الدين دمشق من إبالة الملك الصالح استخلف عليها أخيه سيف الدين الإسلام طفرkin بن أبوب وكان حص وحمة وقلعة مرعش وسليمية وتل خالد والرها من بلاد الجزيرة في إقطاع فخر الدين مسعود الزعفراني من أمراء سور الدين ما عدا القلاع منها ولما مات نور الدين أجمل الزعفراني عنها لسوء سيرته ولما ملك صلاح الدين دمشق سار إلى حص فملك البلد وامتعمت القلعة بالوالى الذي بها فجهز عسكر لحصارها وسار إلى حمة فنازلها متصرف شعبان وبقلعها الأمير خرديك بعث إليه صلاح الدين باته في طاعة الملك الصالح وإنما جاء لمداعنة الإفرنج عنه وارتجاع بلاده بالجزيرة من ابن عمه سيف الدين غازي صاحب الموصل واستخلفه على ذلك عز الدين ثم بعثه صلاح الدين إلى الملك الصالح محلب في الاتفاق وإطلاق شمس الدين على حسن وعثمان تقى الدين من الاعتقال فسار عز الدين لذلك واستخلف بالقلعة أخيه ولما وصل إلى حلب قبض عليه كمستكين وحبسه فسلم آخره قلعة حمة لصلاح الدين وملكها ثم سار صلاح الدين من وقته إلى حلب وحاصرها

غاية المدة فحاصرها أربعين يوماً حتى استأمنوا إلية فسلّمها في الأضحى ثم رحل إلى حلب فحاصرها وبها الملك الصالح وأشتد اهلها في قتاله فعدل إلى المطاولة ثم سعى بينهما في الصلح وعلى أن يدخل فيه سيف الدين صاحب الموصل وصاحب كفاسا وصاحب ماردين فاستقر الأمر على ذلك وخرجت أخت الملك الصالح إلى صلاح الدين فاكرّها وأفاض عليها العطاء وطلبت منه قلعة عاز فأعطتها إياها ورحل إلى بلاد الإسماعيلية والله سبحانه وتعالى أعلم.

### عصيان صاحب شهرزور على سيف الدين

#### صاحب الموصل ورجوعه

كان مجاهد الدين قياماز متولٍ مدينة إربيل وكان بينه وبين شهاب الدين محمد بن بدران صاحب شهرزور عداوة فلما ول سيف الدين مجاهد الدين قياماز نباية الموصل خاف شهاب الدين غائلته عن تعاون الخدمة بالموصل وأظهر الامتناع وذلك سنة اثنين وسبعين فخاطبه جلال الدين الوزير في ذلك مخاطبة بلغة وحدته ورغبه فعاد الطاعة وبادر إلى الحضور بالموصل والله تعالى ينصر من يشاء من عباده.

### نكبة كمستكين الخادم ومقتله

كان سعد الدين كمستكين الخادم قائماً بدولة الملك الصالح في حلب وكان يناهضه فيها أبو صالح العجمي فقدم عند نور الدين وعند ابن الملك الصالح وتجاوز مراتب الوزير فعدا عليه بعض الباطنية فقتله وخلأ الجلو لكمستكين وانفرد بالاستبداد على الصالح وكثرت السعاية فيه بمحجر السلطان والاستبداد عليه وأنه قتل وزيره قبض عليه وامتحنه وكان قد أقطعه قلعة حارم فامتنع بها أصحابه وأرادهم الصالح على تسليمها فامتنعوا وهلك كمستكين في المحبة وطبع فيها وساروا إليها وحاصروها وصانعهم الصالح بالمال فرجعوا عنها ويعث هو عساكره إليها وقد جهدهم الحصار فسلموها له وولى عليها والله تعالى أعلم.

### وفاة الصالح إسماعيل واستيلاء ابن عمه عز

#### الدين مسعود على حلب

ثم توفي الملك الصالح إسماعيل بن نور الدين محمود

ثانية وعمره القندر وساروا إلى حلب فانضمت إليهم عساكره وساروا جميعاً إلى صلاح الدين فأرسل إلى عماد الدين بالموصل في الصلح بينه وبين الملك الصالح على أن يرد عليه حصن وحنة ويسوّغه الصالح دمشق فلبي إلا ارتجاع جميع بلاد الشام واقتصاره على مصر فسار صلاح الدين إلى عساكرهم ولقيها قريباً من حنة فانهزمت وثبت عز الدين قليلاً ثم صدق عليه صلاح الدين الحملة فانهزم وغم سوادهم وخلفهم واتبع عساكر حلب حتى أخرجهم منها وحاصرها وقطع خطبة الملك الصالح ويعثر بالخطبة للسلطان في جميع بلاده ولما طال عليهم الحصار صالحوه على إقراره على جميع ما ملك من الشام ورحل عن حلب عاشر شوال من السنة وعاد إلى حنة ثم سار منها إلى بגדوين وكانت لفخر الدين مسعود بن الزعفراني من أمراء نور الدين وكان قد اتصل بالسلطان صلاح الدين واستخدم له ثم فارقه حيث لم يحصل على غرضه عنده فلحق بعديدوين وبها نائب الزعفراني فحاصرها حتى استأمنوا إليه وأقططها خاله شهاب الدين محمود بن نكش الحارمي وقطع حصن ناصر الدين ابن عمه شيركوه وعاد إلى دمشق آخر سنة سبعين.

وكان سيف الدين غازي صاحب الموصل بعد هزيمة أخيه وعساكره عاد من حصار أخيه بستانجار كما قللاته إلى الموصل فجمع العساكر وفرق الأموال واستجذب صاحب كفاسا وصاحب ماردين وسار في ستة آلاف فارس وانتهى إلى نصبيين في ربيع سنة إحدى وسبعين فقام إلى انسلاخ فصل الشتاء وسار إلى حلب فبرز إليه سعد الدين كمستكين الخادم مدير الصالح في عساكر حلب ويعث صلاح الدين عن عساكره من مصر وقد كان أذن لهم في الانطلاق فجاؤوا إليه وسار من دمشق إلى سيف الدين وكمستكين فلقيتهم بتل الفحول وانهزموا راجعين إلى حلب وترك سيف الدين أخاه عز الدين بها في جمع من العساكر وعبر النهرات إلى الموصل يظن أن صلاح الدين في اتباعه وشارور الصالح وزيره جلال الدين ومجاهد الدين قياماز في مفارقة الموصل إلى قلعة الحميدية فغارضه في ذلك ثم عزل القندر عن إمارة الجيوش لأنّه كان جر المزيّة برأيه ومقارنته وولى مكانه مجاهد الدين قياماز ولا إنهزمت العساكر أمام صلاح الدين وغم خلفها سار إلى مراغة وملكتها وولى عليها ثم سار إلى منيجه وبها صاحبها قطب الدين نياں بن حسان المبجي وكان شديد العداوة لصلاح الدين فملك المدينة وحاصره بالقلعة وضيق خنقه ثم نقب أسوارها وملكتها عليه عنزة وأسره ثم أطلقه سليباً فلحق بالموصل وأقطنه سيف الدين الرقة.

ولما فرغ صلاح الدين من منيجه سار إلى قلعة عاز وهي في

قد أطاع صلاح الدين فعبر من جسرها وعز الدين صاحب الموصلي يومئذ قد سار و معه مجاهد الدين إلى نصبيين لمدافعة صلاح الدين عن حلب فلما بلغهما عبره الفرات عادا إلى الموصلي وبعثا حامية إلى الرها وكانت صلاح الدين ملوك النواحي بالتجدة والوعد على ذلك وكان تقدم العهد بينه وبين نور الدين محمد بن قری أرسلان صاحب كيما على أن صلاح الدين يفتح آمد ويسلمها إليه فلما كاتبهم الآن كان صاحب كيما أول عجب وسار صلاح الدين إلى الرها فحاصرها في جمادى سنة ثمان وسبعين وبها يومئذ فخر الدين مسعود الزعفراني فلما اشتد به الحصار استأمن إلى صلاح الدين وحاصر معه القلعة حتى سلمها نائبه على مال أخذه وقطعها صلاح الدين مظفر الدين كوكبri صاحب حران وسار عنها إلى الرقة وبها نائبه قطب الدين نياں بن حسان المنبيجي فأجفل عنها إلى الموصلي وملكتها صلاح الدين وسار إلى الخبر وهو قريقيسا وماكسين وعمران فاستولى على جميعها وسار إلى نصبيين فملكها لوقتها وحاصر القلعة أيامًا وملكتها وأقطعها أبي الهيجاء السمين من أكبر أمرائه وسار عنها وملكتها ومعه صاحب كيما وجاءه الخبر بأن الإفرنج أغروا على أعمال دمشق ووصلوا داريما فلم يخف مخبرهم واستمر على شأنه وأغاره مظفر الدين كوكبri وناصر الدين محمد بن شيركوه بالموصل ورجحا قصدها على سنجر وجزيرة ابن عمر كما أشار عليهم فسار صلاح الدين وصاحها عز الدين ونائبه مجاهد الدين وقد جعوا العساكر وأفاضوا العطاie وشحنا البلاد التي يأيديهم كالجزيرة وسنجر والموصلي وإربيل وسار صلاح الدين حتى قاربها وسار هو ومظفر الدين وابن شيركوه في أعيان دولته إلى السور فارأه خباب الامتناع وقال لظفر الدين ولناصر الدين ابن عمده: قد أغرتني. ثم صبّع البلد وناشهه وركب أصحابه في المقادع للقتال ونصب منجيقاً فلم يعن ونصب إلىه من البلد تسعه ثم خرج إليه جماعة من البلد وأخذوه وكانتا يخرون ليلاً من البلد بالمشاعل يوهمون الحركة فخشى صلاح الدين من البيات وتأخر عن القصد وكان صدر الدين شيخ الشيوخ قد وصل من قبل الخليفة الناصر مع بشير الخادم من خواصه في الصلح بين الفريقين على إعادة صلاح الدين بلاد الجزيرة فأجاب على إعادة الآخرين حلب فامتنعوا ثم رجعوا عن شرط حلب إلى ترك مظاهرة صاحبها فاعتذروا عن ذلك ووصلت رسائل مظفر الدين ووعده النصر وأرسل صاحب خلاط شاهرين فلم يتظمه بيهما أمر.

ورحل صلاح الدين عن الموصلي إلى سنجر فحاصرها وبها أمير أمiran وأخوه عز الدين صاحب الموصلي في عسكر ولقيه صاحب حلب في منتصف سنة سبع وسبعين لثمان سنين من ولايته وعهد بملكه لأن عمه عز الدين مسعود صاحب الموصلي واستخلف أهل دولته على ذلك بعدهم بعماد الدين صاحب سنجر آخر عز الدين الأكبر لمكان صهره على اخت الصالح وأن أبوه نور الدين كان يميل إليه فائي و قال عز الدين: أنا أقدر على مدافعة صلاح الدين عن حلب فلما قضى نحبه أرسل الأمراء محلب إلى عز الدين مسعود يستدعونه هو ومجاهد الدين قايماز إلى الفرات ولقي هنالك أمراء حلب وجاوزوا معه فدخلها آخر شعبان من السنة وصلاح الدين يومئذ يصر بعيداً عنهم وتقى الدين عمر ابن أخيه في منج فلما أحسن بهم فارقاها إلى حماة وثار به أهل حماة ونادوا بشعار عز الدين وأشار أهل حلب عليه بقصد دمشق وبلاد الشام وأطعموه فيها فائي من أجل العهد الذي بينه وبين صلاح الدين ثم أقام محلب شهرهاً وسار عنها إلى الرقة والله تعالى أعلم.

### استيلاء عماد الدين على حلب ونزوله عن سنجر لأخيه عز الدين

ولما انتهى عز الدين إلى الرقة متقدلاً من حلب وافقه هنالك رسائل أخيه عماد الدين صاحب سنجر يطلب منه أن يملأه مدينة سنجر ويتزل هو له عن حلب فلما يجده إلى ذلك فيبعث عماد الدين إليه بأنه يسلم سنجر إلى صلاح الدين فحمل الأمراء حينذاك على معارضته على سنجر وتخمسهم له ولم يكن لعز الدين خالفاً لتمكنه في الدولة وكثرة بلاده وعساكره فانتهز سنجر من أخيه عماد الدين وأعطيه حلب وسار إليها عماد الدين وملكتها وسهل أمره على صلاح الدين بعد أن كان متخرقاً من عز الدين على دمشق والله سبحانه وتعالى أعلم.

### مسير صلاح الدين إلى بلاد الجزيرة وحصاره الموصلي واستيلاؤه على كثير من بلادها ثم على سنجر

كان عز الدين صاحب الموصلي قد أقطع مظفر الدين كوجنكري بن زين الدين كجلk مدينة حران وقلعتها وسار صلاح الدين لحصار البيرة جنح إلى مظفر الدين ووعده النصر واستنهى للقدوم على الجزيرة فسار إلى الفرات مورياً بقصد وعبر إليه مظفر الدين فلقيه وجاء معه إلى البيرة وهي قلعة منيعة على الفرات من عدة الجزر وكان صاحبها من بني أرتق أهل ماردين

ركبته تصدعت لها ومات بعد فتح حلب.

ثم ارتحل صلاح الدين إلى قلعة حارم وبها سرجك من موالي نور الدين ولاه عليها عماد الدين فلما سلم حلب لصلاح الدين امتنع سرجك في قلعة حارم فحاصره صلاح الدين وتربدت الرسل بينهما وقد دس إلى الإفريقي وداعهم وخشي الجندي الذي معه أن يسلمها إليهم فجسده واستأنفوا إلى صلاح الدين فملكتها وولى عليها بعض خواصه وعلى تل خالد الأمير داروم الباروقي صاحب تل باشر وأقطع قلعة إعزاز الأمير سليمان بن جندر فعمراها بعد أن كان عماد الدين خربها وأقطع صلاح الدين أعمال حلب لأمرائه وعساكره والله تعالى أعلم.

### نكبة مجاهد الدين قايماز

كان مجاهد الدين قايماز قائماً بدولة الموصل ومحكمًا فيها كما قلناه وكان عز الدين محمد الملقب بالقنداز صاحب الجيش وشرف الدين أحد بن أبي الحير الذي كان صاحب العراق كانا من أكابر الأمراء عند السلطان عز الدين مسعود صاحب الموصل وكانا يغريانه بمجاهد الدين وبكثران السعاية عنده فيه حتى اعتزم على نكبه ولم يقدر على ذلك في مجلسه لاستبداد مجاهد الدين وقوة شركته فابتقطع في بيته لمارض مرض وكان مجاهد الدين خصياً لا يحتاج منه النساء فدخل عليه يعوده فقبض عليه وركب إلى القلعة فاحتوى على أمواله وذخائره وولى بها لقنداز نائبًا يجعل ابن صاحب العراق أمير حاجياً وحكمهما في دولته.

وكان في يد مجاهد الدين إربيل وأعمالها فيها زين الدين يوسف ابن زين الدين علي كجك صبياً صغيراً تحت استبداده وبيده أيضاً جزيرة ابن عمر لعز الدين سنجار شاه بن سيف الدين غازي وهو صبي تحت استبداده وبيده أيضاً شهرزور وأعمالها ودققاً وقلعة عقر الحميدية وترابه في جميعها ولم يكن لعز الدين مسعود بعد استيلاء صلاح الدين على الجزيرة سوى الموصل وقلعتها لمجاهد الدين وهو الملك في الحقيقة فلما قبض عز الدين عليه امتنع صاحب إربيل واستبد بنفسه وكان صاحب جزيرة ابن عمر وبعث بطاعته إلى صلاح الدين وبعث الخليفة الناصر شيخ الشيرخ وشير الخادم بالصلح بين عز الدين وصلاح الدين على أن تكون الجزيرة وإربيل من أعماله وامتنع عز الدين وقال هما من أعمالي وطبع صلاح الدين في الموصل فتتذرع عز الدين لقنداز ولابن صاحب العراق لما حلاه عليه من الفساد لنكبة مجاهد الدين فبدأ أولاً بعزل صاحب أذربيجان فقال له: أنا أفكككه. وجهز له

شرف الدين وجاءها المدد من الموصل فحال بينهم وبينها وداخله بعض أمراء الأكراد من الدواية من داخلها فكبسها صلاح الدين من ناحيته واستأمن شرف الدين لوقته فأمه صلاح الدين ولحق بالموصل وملك صلاح الدين سنجار وصارت سياجاً على جميع ما ملكه بالجزيرة وولى عليها سعد الدين بن معين الدين أنس الذي كان متغلباً بدمشق على آخر طفرتين وعاد فمر بنصبين وشكا إليه أهلها من أبي الهيجاء السمين فعزله وسار إلى حران بلدة مظفر الدين كوكبri فوصلها في القلعة من سنة سبع وثمانين فرار بها وأذن لعساكره في الانطلاق وكان عز الدين قد بعث إلى شاهرين صاحب خلاط يستتجده وأرسل شاهرين إلى صلاح الدين بالشفاعة في ذلك رسلاماً عديدة آخرهم مولاه سكرجاه وهو على سنجار فلم يشفعه أخاه من ذلك وفارقه مغاضباً وسار شاهرين إلى قطب الدين صاحب ماردین وهو ابن أخيه وابن حال عز الدين وصهره على بنته فاستتجده وسار معه وجاءهم عز الدين من الموصل في عساكره واعتزموا على قصد صلاح الدين ويبلغ الخبر وهو مريح بحران فبعث عن تقى الدين ابن أخيه صاحب حصن وحمة وارتحل للقائهم ونزل رأس عين فخارموا عن لقاءه ولحق كل بيده وسار صلاح الدين إلى ماردین فاقام عليها أيامً ورجع والله تعالى أعلم.

### استيلاء صلاح الدين على حلب وأعمالها

ولما ارتحل صلاح الدين عن ماردین قصد أمد فحاصرها سنة تسع وسبعين وملكتها وسلمها لنور الدين محمد بن قرا أرسلان كما كان العهد بينهما وقد أشرنا إليه ثم سار إلى الشام فحاصر تل خالد من أعمال حلب حتى استأنفوا إليه وملكتها في محرم سنة تسع وسبعين وسار منها إلى عيتاب وبها ناصر الدين أخوه الشيخ إسماعيل خازن نور الدين محمود وصاحبه ولاه عليها نور الدين فلم يزل بها فاستأمن من إلى صلاح الدين على أن يقره على الحصن ويكون في خدمته فآقره وأعمله ورحل صلاح الدين إلى حلب وبها عماد الدين زنكي بن مودود ونزل عليها بالمبالان الأخضر أيامً ثم انتقل إلى جبل حوش أيامً أخرى وأظهر أنه أبني عليها وعجز عماد الدين عن عطاء الجندي فراسل صلاح الدين أن يعرضه عنها سنجار ونصيبين والخابور والرقعة وسرور فاجاب إلى ذلك وأعطاه عنها تلك البلاد وملكتها وكان في شرط صلاح الدين عليه أنه يبادر إلى الخدمة متى دعاه إليها وسار عماد الدين إلى بلاده تلك ودخل صلاح الدين حلب في آخر سنة تسع وسبعين ومات عليها آخره الأصغر تاج الملوك يوري بضربية في

آخره العادل وناصر الدولة ابن عمه شيركوه وأمنت بلاد الموصى ثم حدثت بعد ذلك فتنة بين التركمان والأكراد بالجزيرة والموصى وديار بكر وخلط الشام وشهرزور وأذربيجان وقتل فيها ما لا يحصى من الأمم واتصلت أعوااماً وسببها أن عروساً من التركمان أهديت إلى زوجها ومرروا بقلعة الزروزان والأكراد وطلبوها منهم الوليمة على عادة الفتى فأغلظوا في الرد فقتل صاحب القلعة الزوج وثار التركمان بجماعة من الأكراد فقتلوهم ثم أصلح مجاهد الدين بينهم وأفاض فيهم العطاء فعادوا إلى الوفاق وذهبت بينهم الفتنة والله تعالى أعلم.

### وفاة زين الدين يوسف صاحب إربيل ولاية أخيه مظفر الدين اقتهي

كان زين الدين يوسف بن علي كجك قد صار في طاعة صلاح الدين كما ذكرناه قبل إربيل من أعماله ووقع الصلح على ذلك بينه وبين عز الدين صاحب الموصى سنة ست وثمانين للعسكر معه فمات عنده أخريات رمضان من السنة واستولى آخره على موجوده وقبض على جماعة من أمرائه مثل بلداحي صاحب قلعة حقيير كان وغيره وطلب من صلاح الدين أن يقطعه إربيل شهرزور وأعمالها ودوقبر قراليبي وهي فتحاقي وراسل أهل إربيل مجاهد الدين قايمار واستدعوه ليملكونه وهو بالموصل فلم يتطاول لذلك خوفاً من صلاح الدين ولأن عز الدين لما كان ولاه نياته بعد أن أطلقه من الاعتقال لم يكتبه كما كان أول مرة وجعل معه رديفاً في الحكم كان من بعض غلمانه فكان أستاذ لذلك فلما راسلته أهل إربيل قال: والله لا أفعل لثلا يحكم معى فيها فلان وسار مظفر الدين إليها وملكها.

### حصار عز الدين صاحب الموصى جزيرة ابن عمر

كان سنجر شاه بن سيف الدين غازى بن مودود قد ملك جزيرة ابن عمر بوصية أبيه وخرج عن طاعة عمته عز الدين عند نكبة مجاهد الدين كما قلناه وصار عيناً على عمته يكاتب صلاح الدين بأخباره وبغريبه به ويسعى في القطعية بينهما ثم حاصر صلاح الدين قلعة عكا سنة ست وثمانين واستقر لها أصحاب الأطراف المشتبئين بدعوته مثل عز الدين صاحب الموصى وأخيه

عسكراً نحو ثلاثة آلاف فارس وساروا نحو إربيل فاكتسحوا البلد وخرابوها وسار إليهم زين الدين يوسف باريل فوجدهم مفترقين في النهب فهزمهم وما كان معهم وعاد مظفراً ولحق العجم بيلادهم وعاد مجاهد الدين إلى الموصى والله سبحانه وتعالى التوفيق.

### حصار صلاح الدين الموصى وصلحة مع عز الدين صاحبها

ثم سار صلاح الدين من دمشق في ذي القعدة سنة إحدى وثمانين فلما انتهى إلى حران قبض على صاحبها مظفر الدين كوكبri لأنه كان لذلك وعده بخمسين ألف دينار حتى إذا وصل لم يف له بها فقضى عليه لأنحراف أهل الجزيرة عنه فأطلقه ورد عليه عمله بمuran والرها وسار عن حران وجاء معه عساكر كيما وداري وعساكر جزيرة ابن عمر مع صاحبها معز الدين سنجر شاه ابن أخي عز الدين صاحب الموصى وقد استبد بأمره وفارق طاعة عمه بعد نكبة مجاهد الدين كما قلنا فساروا مع صلاح الدين إلى الموصى ولما انtheirوا إلى مدينة الأبلاه وفدت عليه أم عز الدين وابن عمته نور الدين محمود وجاءه من أعيان الدولة ظناً بأنه لا يردهم وأشار عليه الفقيه عيسى وعلي بن أحمد المشطوب بردهم ورحل إلى الموصى فقاتلها وامتنت عليه وندم على رد الوفد وجاءه كتاب القاضي الفاضل باللامة ثم قدم عليه زين الدين يوسف صاحب إربيل فائزلاه مع أخيه مظفر الدين كوكبri وغيره من الأمراء ثم بعث الأمير علي بن أحد المشطوب إلى قلعة الجزيرة من بلاد المكارية فاجتمع عليه الأكراد المكارية وأقام يحاصرها وكانت نائب القلعة القنداز وهي خبر مكتبه إلى عز الدين فمنعه وأطرجه من المشورة وعدل إلى مجاهد الدين قايمار وكان يقتدي برأيه فضبط الأمور وأصلاحها ثم بلغه في آخر ربيع من سنة إثنين وثمانين وقد ضجر من حصار الموصى أن شاهرين صاحب خلط توفي تاسع ربيع واستولى عليها مولاه بكتمر فرحل عن الموصى وملك ميافارقين كما يأتي في أخبار دولته ولما فرغ منها عاد إلى الموصى ومر بتصينين ونزل الموصى في رمضان سنة إثنين وثمانين وتراجعت الرسل بينهما في الصلح على أن يسلم إليه عز الدين شهرزور وأعمالها ولاية الفراتي وما وراء الراجب وبخطب له على منابرها وينتشل اسمه على سكته ومرض صلاح الدين أثناء ذلك ووصل إلى حران ولحقه الرسل بالإجابة إلى الصلح وتحالفاً عليه وبعد من يسلم البلاد وأقام مرسضاً بمuran عند

## وفاة عز الدين صاحب الموصى وولاية ابنه

### نور الدين

ولما رجع عز الدين إلى الموصى أقام بها مدة شهرين واشتد مرضه فتوفي آخر شعبان سنة تسع وثمانين وولى ابنه نور الدين ارسلان شاه بن عز الدين مسعود بن مسعود بن الأتابك زنكي وقام بتديير دولته مجاهد الدين قايماز مدير دولة أبيه والله سبحانه وتعالى أعلم.

## وفاة عماد الدين صاحب سنجر وولاية

### ابنه قطب الدين

ثم توفي عماد الدين زنكي بن مسعود بن الأتابك زنكي صاحب سنجر والخابور ونصيبين والرقة وسروج وهي التي عوضه صلاح الدين عن حلب لما أخذها منه توفي في محرم سنة أربع وستين وملك بعده ابنه قطب الدين وتولى تديير دولته مجاهد الدين برتش مولى أبيه وكان ديناً خيراً عادلاً متواضعاً محباً لأهل العلم والدين معظماً لهم وكان متخصصاً على الشافية حتى إنه بني مدرسة للحفيفية بسنجر وكان حسن السيرة والله تعالى أعلم.

## استيلاء نور الدين صاحب الموصى على

### نصيبين

كان عماد الدين صاحب سنجر ونصيبين قد امتدت أيدي نوابه بنصيبين إلى قرى من أعمال الموصى تجاورهم وبعث إليه في ذلك مجاهد الدين قايماز صاحب دولة الموصى يشكوا إليه نوابه سرّاً من سلطانه نور الدين فلنجع عماد الدين في ادعائه أنها من أعماله وأساء الرد فأعاد نور الدين الرسالة إليه مع بعض مشايح دولته وقد طرقه المرض فاجاب مثل الأول نصائح الرسول وكان من بقية الأتابك زنكي وعاد إلى فأغاظله له في القصور واعترض نور الدين على المسير إلى نصبيبين ووصل الخبر أثر ذلك بوفاة عماد الدين وولاية ابنه قطب الدين فتوفي طمع نور الدين في نصبيبين وتجهز لها في عسكره فسبقه نور الدين إلى نصبيبين فلما وصل لقيه سنجر في عسكره فسبقه نور الدين إلى نصبيبين فلما وصل لقيه فهزمه نور الدين ودخل إلى قلعة نصبيبين مهزوماً ثم أسرى منها إلى حران ومعه نائب مجاهد الدين برتش وكاتبوا العادل أبا بكر بن

عماد الدين صاحب سنجر ونصيبين وسنجر شاه هذا ابن عمه وصاحب كيما وغيرهم واجتمعوا عنده على عكا وجاء جماعة من جزيرة ابن عمر يقتلون من سنجر شاه فخاف واستاذن في الانطلاق فاعتذر صلاح الدين بأن في ذلك افتراق هذه العساكر فالوح عليه في ذلك وغدا عليه يوم الفطر مسلماً فوعده وانصرف وكان تقى الدين عمر بن شاه أخي صلاح الدين مقبلاً من حماة في عسكر قايسيل إلى صلاح الدين باعتراضه ورده طوعاً أو كرهاً فلقيه بقلعة فنك ورده كرهاً وكتب صلاح الدين إلى عز الدين صاحب الموصى بمصارع جزيرة ابن عمر يطلبها مكيدة فلتلقاها بالمرأجة وطلب إقطاع الجزيرة فألسنها وسار إليها وحاصرها أربعة أشهر فامتنع عليه ثم صالحه على نصف أعماله ورجع الموصى والله تعالى أعلم.

## مسير عز الدين صاحب الموصى إلى بلاد

### العادل بالجزيرة ورجوعه عنها

كان صلاح الدين قد ملك من بلاد الجزيرة حران والرها وسميساط وميافارقين وكانت يد ابن أخيه تقى الدين عمر بن شاه ثم توفي تقى الدين فأقطعها أخيه العادل أبا بكر بن أيوب ثم توفي صلاح الدين سنة تسع وثمانين فطمع عز الدين صاحب الموصى في ارتجاعها واستئثار أصحابها فأشار عليه بعضهم بمعالجتها وأن يستفر أصحاب الأطراف لها مثل صاحب إربيل وصاحب جزيرة ابن عمر وصاحب سنجر ونصيبين ومن امتنع يعالجها حررياً ويعاجل البلد قبل أن يستعد أهله للدفاع.

وأشار مجاهد الدين قايماز بمساعدة هؤلاء الملوك والعمل بإشارتهم قبل من مجاهد الدين وكاتبهم فأشاروا بانتظار أولاد صلاح الدين وأن البلد في طاعته وأنه القائم بدولته وأنه بلغه أن صاحب ماردين تعرض لبعض بلاده فجهز جيشاً كيماً لقصد ماردين فوجوا الكتابة وتركوا الحركة ثم بلغهم أنه ظهر حران في خف من العسكر فتجهز للحركة عليه ولما وقع الاتفاق مع صاحب سنجر جاءت عساكر الشام إلى العادل من الأفضل فامتنع وسار عز الدين في عساكره من الموصى إلى نصبيبين واجتمع بأخيه عماد الدين وساروا إلى الرها وقد عسكر العادل قريباً منهم بمرج الريحان وخافهم فأتموا أياماً كذلك ثم طرق عز الدين المرض فترك العساكر مع أخيه عماد الدين وساروا إلى الموصى والله تعالى أعلم.

## مسير نور الدين صاحب الموصل إلى بلاد العادل بالجزيرة

ثم إن الملك العادل ملك مصر سنة ست وستعين من بد الأفضل ابن أخيه فخديه الظاهر صاحب حلب وصاحب ماردین وراسلوا نور الدين صاحب الموصل في الاتفاق وأن يسير إلى بلاد العادل بالجزيرة حران والرها والرقة وسنجل فسار نور الدين لملكتها في شعبان سنة سبع وستعين وسار معه ابن عمه قطب الدين صاحب سنجر وحسام الدين صاحب ماردین واتهروا إلى رأس العين وكان عرمان الفائز بن العادل في عسكر فارسل إلى نور الدين في الصلح فبادر إلى الإجابة لما وقع في عسكره من الموتى واستحلفهم وحلف لهم ويعثروا إلى العادل فحلق وعاد نور الدين إلى الموصل في ذي القعدة من السنة والله تعالى أعلم.

## هزيمة نور الدين صاحب الموصل أمام معسكر العادل

لم يزل الملك العادل يراسل قطب الدين صاحب سنجر ويستميله إلى أن خطب له في أعماله سنة ستة ستمائة فسار نور الدين صاحب الموصل إلى نصبيين من أعمال قطب الدين فحاصرها وملك المدينة وأقام يحاصر القلعة في بينما هو قد قارب فتحها بلغه الخبر من نائبه بالموصل بأن مظفر الدين كركبرى صاحب إربيل من أعمال الموصل فرجل عن نصبيين معترضاً على قصد إربيل فلم يجد كل الخبر صحيحاً فسار إلى تل أعفر من أعمال سنجر فحاصرها وملكتها وكان الأشرف موسى بن العادل قد سار من حران إلى رأس العين خدمة لصاحب سنجر وقد اتفق معه على ذلك مظفر الدين صاحب إربيل وصاحب كيما وأمد وصاحب جزيرة ابن عمر وراسلوا وتواعدوا للاجتماع فلما ارتحل نور الدين عن نصبيين اجتمعوا عليها وجاهمهم أخوه الأشرف شيخ الدين صاحب ميافارقين وراسلوا إلى البقعا من تل أعفر إلى كفر رقان وقصده المطاولة حتى جاءه بعض عيونه فقللهم في عينه وأطعمه بهم وكان من مواليه فوثق بقوله ورحل إلى نوشري قريباً منهم وتراءى الجماعان فالتقوا وانهزم نور الدين وخجا في قل قليل ونزلت العساكر كفر رقان ونهبوا مدينة فيد وما إليها وأقاموا هنالك وترددت الرسل في الصلح على أن يعيد نور الدين تل أعفر لقطب الدين صاحب سنجر فأعادها واصطلحوا سنة إحدى وستمائة ورجع كل إلى بلده والله تعالى ولي التوفيق.

أيوب يستحضره من دمشق وأقام نور الدين بنصبيين حتى وصل العادل إلى الجزيرة ففارقها إلى الموصل في رمضان من السنة وعاد قطب الدين إليها وكان الموتى قد وقع في عسكر نور الدين فمات كثير من أمراء الموصل ومات مجاهد الدين قايماز القائم بالدولة ولما عاد نور الدين إلى الموصل وعاد قطب الدين إلى نصبيين سار العادل إلى ماردین فحاصرها أياماً وضيق عليها ثم انصرف والله تعالى أعلم.

## هزيمة الكامل بن العادل على ماردین أمام نور الدين صاحب الموصل وبني عممه ملوك الجزيرة

لما رحل العادل عن ماردین كما قدمته جر العساكر عليها للحصار مع ابنه الكامل وعظم ذلك على ملوك الجزيرة وديار بكر وخارفو إن ملكها يقتلهم على أمرهم ولم يكن سار من سار معه منهم عند اشتغاله بمحرب نور الدين إلا تقية لكتيبة عساكره فلما رجع إلى دمشق وبقي الكامل على ماردین استهاناً بأمره وطمعوا في مدنه وأغارهم بذلك الظاهر والأفضل أبناء صلاح الدين لفتنتهم مع عهم العادل فتجهز نور الدين أرسلان شاه صاحب الموصل وسار أول شعبان سنة خمس وستعين واتهروا إلى ديس فاقام بها ولحق به ابن عمه قطب الدين محمد بن زنكى صاحب سنجر وابن عمه الآخر سنجر شاه بن غازى صاحب جزيرة ابن عمر حتى إذا انقضى عيد الفطر ارتحلوا وتقدموا إلى مزاحمة الكامل على ماردین وكان أهل ماردین خلال ذلك قد ضاق غثتهم وجدهم الحصار وبعث النظام المستولي على دولة صاحبها إلى الكامل براوده في الصلح وتسليم القلعة له لي أجل سماء على أن يبيع لهم ما يقتلون من الميرة فاسعفهم بذلك وبينما هم في ذلك جاءهم خبر العساكر فامتنعوا وزحف الكلم مهزوماً إلى معسكره بالررض فخرج أهل القلعة إليهم وقاتلهم إلى المساء ثم أغلق الكلم من ليلته متصرف شوال وعاد إلى بلاده ونبت أهل القلعة مخلفه وخرج صاحب ماردین وهو بولو أرسلان ابن أبي الغازى ثلقي نور الدين وشکرہ وعاد إلى حصنه ورجع نور الدين وأصحابه إلى تستر ثم سار منها إلى رأس عين ققدم عليها هنالك رسول الظاهر بن صلاح الدين من حلب يطلب له منه السكة والخطبة فوجم لذلك وثنى عزمه عن مظاهرتهم ثم طرقه المرض فبعث إليهم بالعتذر وعاد إلى الموصل في ذي الحجة آخر السنة والله تعالى أعلم.

وراجع نور الدين رأيه فإذا هو قد تورط وأنه يملك البلاد كما يجب دونه إن وفي له وسار نور الدين إلى الجزيرة فرحاً حال بنو العادل بينه وبين الموصل وأن انتقض نور الدين عليه سار إليه فاضطراب في أمره وملك العادل الخابور ونصبيين واعتزم قطبه الدين على أن يعتاض منه عن سنجر ببعض البلاد فمنعه من ذلك أحد بن برتشن مولى أبيه وجهز نور الدين عسكراً مع ابنه القاهر مددًا للعادل كما اتفقا عليه وفي خلال ذلك بعث قطبه الدين سنجر ابنه إلى مظفر الدين صاحب إربيل يستتجده فارسل إلى العادل شافعاً في أمره فلم يشفقه لظاهرة نور الدين إيه فغضب مظفر الدين وأرسل إلى نور الدين في المساعدة على دفاع العدو فأجاب نور الدين إلى ذلك ورجع عن مظاهرة العادل.

وأرسل هو ومظفر الدين إلى الظاهر بن صلاح الدين صاحب حلب وإلى كسنجر بن قليج أرسلان صاحب الروم يستجدهما فأجاباهما وتداعوا إلى قصد بلاد العادل إن لم يرحل عن سنجر وبعث الخليفة الناصر أستاذ الدار أبا نصر هبة الله بن المبارك بن الضحاك والأمير اقناش من خواص مواليه في الإفرنج عن سنجر وتحاول أصحابه عن مضيافة سنجر معه وسيماً أسد الدين شيركوه صاحب حص والرجة فإنه جاهر بخلافه في ذلك فأجاب العادل في الصلح على أن تكون نصبيين والخابور اللذان ملكهما له وتبقي سنجر لقطب الدين وخالفوا على ذلك ورجع العادل إلى حران ومظفر الدين إلى إربيل والله تعالى أعلم.

### وفاة نور الدين صاحب الموصل وولاية ابنه القاهر

ثم توفي نور الدين أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن الأتابك زنكي متصرف سنة سبع وستمائة لثمان عشرة سنة من ولائه وكان شهاماً شجاعاً مهياً عند أصحابه حسن السياسة لرعايته وجدد ملك أبياته بعد أن أشفي على النهايب ولما احتضر عهد بالملك لابنه عز الدين مسعود وهو ابن عشرين سنة وأوصاه أن يتول تدبير ملكه مولاه بدر الدين لولؤ لما فيه من حسن السياسة وكان قائماً بأمره منذ توفي مجاهد الدين قايماز وأوصى لولده الأصغر عماد الدين بقلعة عقر الحميدية وقلعة شوش ولايتها ولفته إلى العقر فلما توفي نور الدين بايع الناس ابنه عز الدين مسعوداً ولقبه القاهر واستقر ملك الموصل وأعمالها له وقام بدر الدين لولؤ بتدبير دولته والبقاء لله وحده.

### مقتل سنجر شاه صاحب جزيرة ابن عمر وولاية ابنه محمود بعده

كان سنجر شاه بن غازي بن مودود ابن الأتابك زنكي صاحب جزيرة ابن عمر وأعمالها أوصى له بها أبوه عند وفاته كما مر وكان سبيع السيرة غشوماً ملهمًا مرهف الحد على رعيته وجنده وحرمه وولده كبير القهر لهم والانتقام منهم فاقد الشفقة على بنيه حتى غرب ابنه محموداً وموهوداً إلى قلعة فرج من بلاد الزروزان لتوهم توهمه فيما وأخر ابنه غازي إلى دار بالمدينة وكل به فسامة حاله وكانت الدار كثيرة الخشاش فضجر من حاله وتناول حية وبعثها إلى أبيه فلم يعطف عليه فتسلى من الدار واستخفى في المدينة وبعث إلى نور الدين صاحب الموصل من أوهمه بوصوله إليه بفتحه ورده خوفاً من أبيه وترك أبوه طلبه لما شاع أنه بالشام فلم يزل غازي يعمل الحيلة حتى دخل دار أبيه واحتفى عند بعض حظایاه وطرق عليه اللاء في بعض الليالي وهو سكران فطعنه أربع عشرة طعنة ثم ذبحه وأتام مع المحرم وعلم أستاذ الدولة من خارج بالخبر فأحضر أعيان الدولة وأغلق أبواب القصر وباب الناس لمحود بن سنجر شاه واستدعاه وأخاه مودوداً من قلعة فرج ثم دخلوا إلى غازي وقتلوه ووصل محمود فملكته ولقبه معن الدين لقب أبيه وعمد إلى الجواري التي واطأت على قتل أبيه ففرقهن في الدجلة والله تعالى أعلم.

### استيلاء العادل على الخابور ونصبيين من أعمال صاحب سنجر وحضاره إيه

كان ابن قطب الدين محمود بن زنكي بن مودود وبين ابن عمه نور الدين أرسلان شاه بن مسعود بن مودود صاحب الموصل عداوة مستحكمة قد مر كثير من أخبارها ولا كانت سنة خمس وستمائة أصهر العادل بن أيوب صاحب مصر والشام إلى نور الدين في ابنته فروجها نور الدين من ابنه واستكثر به وطبع إلى الاستيلاء على جزيرة ابن عمر فأغرى العادل بأن يظاهره على ولاية ابن عمه قطب الدين سنجر وتكون ولاية قطب الدين وهي سنجر ونصبيين والخابور للعادل وتكون ولاية غازي بين سنجر شاه لنور الدين صاحب الموصل فأجاب إلى ذلك العادل وأطعم نور الدين في أنه يقطع ولاية قطب الدين إذا ملكها لابنه الذي هو صهره على ابنته ومخالفاً على ذلك وسار العادل ستة وستمائة من دمشق لملك الخابور.

وتقديموا بعض الليل والركوب الأوغار إليه فبرز إليهم أهل العمادية وهزموهم في المضائق والشواب فعادوا إلى الموصى وراسل عماد الدين قلاع المكارية والزوزان في الطاعة له فأجابوه وملكتها وولى عليها والله أعلم.

### مظاهرة الأشرف بن العادل للؤلؤ صاحب الموصى

ولما استولى عماد الدين زنكي على قلاع المكارية والزوزان وظاهره مظفر الدين صاحب إربيل خاف لؤلؤ عائلته فبعث بطاشه إلى الأشرف موسى بن العادل وقد ملك أكثر بلاد الجزيرة وخلط وأعمالها ويسأله المعاضة فأجابه وكان يومئذ محلب في مداعنة كيكاؤس صاحب بلاد الروم عن أعمالها فارسل إلى مظفر الدين بالذكر عليه فيما فعل من تفاصي العهد الذي كان بينهم جميعاً كما ويعزم عليه في إعادة ما أخذ من بلاد الموصى ويتوعده إن أصر على مظاهرة زنكي بقصد بلاده فلم يجب مظفر الدين إلى ذلك واستائف على أمره صاحب ماردین وناصر الدين محموداً صاحب كينا وأمد فرافقه وفارقوا طاعة الأشرف في ذلك فبعث الأشرف عساكره إلى نصبيين لإنجاد لؤلؤ متى احتاج إليه والله تعالى أعلم.

### واقعة عساكر لؤلؤ بعماد الدين

ولما عاد عسكر الموصى عن حصار العمادية خرج زنكي إلى قلعة العقر ليتمكن من أعمال الموصى الصحراوية إذ كان قد فرغ من أعمالها الجبلية وأمده مظفر الدين صاحب إربيل بالعساكر وعسكر جند الموصى على أربع فراسخ من البلد من ناحية العقر ثم انقووا على المسير إلى زنكي وصباخوه آخر الحرم ستة عشرة وستمائة وهزموه فلحت بياريل وعاد العسكر إلى مكانهم ووصل رسل الخليفة الناصر والأشرف ابن العادل في الصلح بينهما فاصطلحا وتحالفوا والله تعالى أعلم.

### وفاة نور الدين صاحب الموصى وولاية أخيه ناصر الدين

لما توفي نور الدين أرسلان شاه ابن الملك القاهر كما قدمناه من سوء مزاجه واختلاف الأقسام عليه فتوفى قبل كمال الموت ونصب لؤلؤ مكانه أخيه ناصر الدين محمد بن القاهر في سن

### وفاة القاهرة وولاية ابنه نور الدين أرسلان شاه في كفالة بدر الدين لؤلؤ

لما توفي الملك القاهر عز الدين مسعود بن أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن الأتابك زنكي صاحب الموصى آخر ربيع الأول سنة خمس عشرة وخمسة وثمانين من ولايته بعد أن عهد بالملك لابنه الأكبر نور الدين أرسلان شاه وعمره عشرون سنة وجعل الرصبي عليه والمدبر لدولته لؤلؤاً كما كان في دولة القاهر وابنه نور الدين فبایع له وقام بملكه وأرسل إلى الخليفة في التقليد والخلع على العادة فوصلت وبعث إلى الملوك في الأطراف في تجديد العهد كما كان بينهم وبين سلفه وضبط أمره وكان عمه نور الدين زنكي أرسلان شاه بقلعة عقر الحميدية لا يشك في مصير السلطان له فدفعه عن ذلك واستقامت أمره وأحسن السيرة وسمع شكوى المظلومين وأنصفهم ووصل في تقليد الخليفة لنور الدين إسناد التتر في أمره لبدر الدين لؤلؤ والله أعلم.

### استيلاء عماد الدين صاحب عقر على قلاع المكارية والزوزان

كان عماد الدين زنكي قد ولأه أبوه قلعي العقر والشوش قريباً من الموصى وأوصى له بهما وعهد بالملك لابنه الأكبر القاهر فلما توفي القاهر كما ذكرنا طبع زنكي إلى الملك وكان يحدث به نفسه فلم يحصل له وشعر بذلك بدر الدين لؤلؤ فعزل ذلك النائب وبعث إليها أميراً أنزله بها وجعل فيها نائباً من قبله واستبد بالثواب في غربها وكان نور الدين بن القاهر لا يزال عليه لضعف مزاجه وتوالي الأمراض عليه فبقي متعجباً طول المدة فارسل زنكي إلى نور الدين بالعمادية يشيع موته ويقول: أنا أحقر بكل سلفي فتوهروا صدقه وقضوا على نائب لؤلؤ ومن معه وسلموا البلد لعماد الدين زنكي متصرف رمضان سنة خمس عشرة.

وجه لؤلؤ العساكر وحاصروه بالعمادية في فصل الشتاء وكلب البرد وتراكم الثلج ولم يتمكنوا من قتاله وظاهره مظفر الدين صاحب إربيل على شأنه وذكر لؤلؤاً بالعهد الذي بينهما أن لا يتعرض لأعمال الموصى والنصل فيها على قلاع المكارية والزوزان وأنه مظاهر لم على من يتعرض لها فلنج في مظاهرته وأعتمد تقضي العهد وأقام العسكر محاصراً لزنكي بالعمادية

## استيلاء عماد الدين على قلعة كواشي ولؤلؤ على تل أعفر والأشرف على سنجار

كانت كواشي من أحسن قلاع الموصل وأمنعه وأعاده ولها رأى الجندي الذين بها بعد أهل العمادية واستبدادهم بأنفسهم طمعوا في مثل ذلك وأخرجوا نواب لؤلؤ عنهم وتمسّكوا باظهار الطاعة على البعد خوفاً على رهاناتهم بالموصل ثم استدعوا عماد الدين زنكي وسلموا له القلعة وأقام عندهم وبعث لؤلؤ إلى مظفر الدين يذكره المهدود التي لم يجيز ثلمها بعد فاعتراض وأرسل إلى الأشرف بجلب يستتجده فسار وعبر الفرات إلى حران وكان مظفر الدين صاحب إربل يراسل الملوك بالأطراف ويناديهم بالأشرف ويغزونهم غالاته ولما كان بين كيماوسين بين كتخصرو وصاحب الروم من الفتنة ما نذكره في أخباره سار كيماوس إلى حلب دعا مظفر الدين الملوك بناحيته إلى وفاق كيماوسين مثل صاحب كيفا وأمد صاحب مارددين فاطاعوه وخطبوا له في أعمالهم.

ومات كيماوس وفي نفس الأشرف منه ومن مظفر الدين ما في نفسه ولما سار الأشرف إلى حران لظاهرة لؤلؤ وأرسل مظفر الدين جماعة من أمرائه مثل أحد بن علي المسطوب وعز الدين محمد بن بدر الحميدي وغيرهما واستعملهم ففارقوا الأشرف ونازلوا ديس تحث مارددين ليجتمعوا مع ملوك الأطراف لمدافعة الأشرف واستعمال الأشرف صاحب آمد وأعطيه مدينة حالي وجبل حودي ووعده بدارا إذا ملكها فاجاب وفارقهم إليه واضطرب آخرون منهم إلى طاعة الأشرف فاغل أمرهم وانفرد ابن المسطوب بمشافة الأشرف فقصد إربل ومر بنصبيين فقاتلته شيخ بها فانهزم إلى سنجار فأسره صاحبها وكان هواء مع الأشرف ولؤلؤ فقصده ابن المسطوب عن رأيه فيه حتى أجمع خلافه وأطلقه فجمع الفرسدين وقصد البقاع من أعمال الموصل فاكتسح نواحيها وعاد ثم سار من سنجار ثانية إلى الموصل وأرسل له لؤلؤ عسكراً فاعتبرضوه فهزمه واجتاز بل أعفر من أعمال صاحب سنجار فأقاموا عليها ويعثروا إلى لؤلؤ فسار وحاصرها وملكها في ربيع سنة سبع عشرة وستمائة وأسر ابن المسطوب وجاء به إلى الموصل ثم بعث به إلى الأشرف فحبسه بحران سنتين وهلك في عبسه ولا أطاع صاحب آمد الأشرف رحل من حرزان إلى مارددين ونزل ديس وحاصر مارددين ومعه صاحب آمد وترددت الرسل بينه وبين صاحب مارددين على أن يرد عليه رئيس العين وكان الأشرف قد أقطعها له على أن يحمل إليه ثلاثة ألف دينار وأن يعطي صاحب آمد الورزني بلد وانعقد الصلح بينهما وارتحل الأشرف

الثلاث واستخلف له الجندي وأركبه في المركب فرضي به الناس لـ أبلوا من عجز أخيه عن الركوب لمرضه والله تعالى ولـ التوفيق.

## هزيمة لؤلؤ صاحب الموصل من مظفر الدين صاحب إربل

ولـ توفي نور الدين ونصب لؤلؤ أخيه ناصر الدين محمدـ على صغر سنته تجدد الطمع لعماد الدين عمه وملظفر الدين صاحب إربل في الاستيلاء على الموصل وتجهزوا لذلك وعانت سرياهـ في نواحيـ الموصل وكذا لؤلؤـ قد بعث ابنه الأكبرـ العساكرـ غبـدةـ للملكـ الأشرفـ وهوـ يقصدـ بلـ الدـرـنـجـ بالـ سـواـحـلـ ليأخذـ بـ جـزـئـهـ عـنـ إـمـادـ اـخـوـانـهـ بـ دـيمـيـاطـ عـنـ أـيـهـ الـكـامـلـ بمـصـرـ فـبـادـرـ لـؤـلـؤـ إـلـىـ عـسـكـرـ الـأـشـرـفـ الـذـيـ بـنـصـبـيـنـ وـاسـتـعـامـ فـجـاؤـواـ إـلـىـ الـمـوـصـلـ مـتـصـفـ سـنـةـ عـشـرـ وـسـتـمـائـةـ وـعـلـيـهـ أـيـكـ مـوـلـيـ الـأـشـرـفـ فـاسـتـقـلـهـ لـؤـلـؤـ وـرـأـهـ مـثـلـ عـسـكـرـ الـذـيـ بـالـشـامـ بـأـوـدنـهـ وـالـحـ أـيـكـ عـلـىـ عـبـرـ دـجـلـةـ إـلـىـ إـربـلـ فـمـنـعـهـ أـيـاماـ فـلـمـ أـصـرـ عـبـرـ لـؤـلـؤـ مـعـهـ وـنـزـلـواـ عـلـىـ فـرـسـخـينـ مـنـ الـمـوـصـلـ شـرـقـيـ دـجـلـةـ وـجـعـ مـظـفـرـ الـدـيـنـ زـنـكـيـ وـعـرـواـ الزـابـ وـتـقـدـمـ إـلـيـهـ أـيـكـ فـيـ عـسـكـرـ وـأـصـحـابـ لـؤـلـؤـ وـسـارـ مـتـصـفـ الـلـلـيـلـ مـنـ رـجـبـ وـأـشـارـ عـلـيـهـ لـؤـلـؤـ بـاـنـظـارـ الصـبـاحـ فـلـمـ يـفـعـلـ وـلـقـيـهـ بـالـلـلـيـلـ وـحـلـ أـيـكـ عـلـىـ زـنـكـيـ فـيـ الـمـيـسـرـ فـهـزـهـ وـانـهـزـمـ مـيـسـرـةـ لـؤـلـؤـ فـبـقـيـ فـنـ قـلـيلـ فـقـدـمـ إـلـيـهـ مـظـفـرـ الـدـيـنـ فـهـزـهـ وـعـرـ دـجـلـةـ إـلـىـ الـمـوـصـلـ وـظـهـرـ مـظـفـرـ الـدـيـنـ عـلـىـ تـبـرـيزـ ثـلـاثـاـ شـمـ بـلـغـهـ أـنـ لـؤـلـؤـ يـرـيدـ تـبـيـهـ فـأـجـلـ رـاجـعاـ وـتـرـددـتـ الرـسـلـ بـيـنـهـمـ فـاصـطـلـحـاـ عـلـىـ أـنـ يـقـيـ لـكـلـ مـاـ يـدـهـ وـالـلـهـ أـعـلـمـ.

## وفاة صاحب سنجار وولاية ابنه ثم مقتله وولاية أخيه

ثم توفي قطب الدين محمدـ بنـ زـنـكـيـ بنـ مـوـدـودـ بنـ الـأـتابـكـ زـنـكـيـ صـاحـبـ سنـجـارـ فـثـامـ صـفـرـ سـنـةـ سـتـ عـشـرـةـ وـسـتـمـائـةـ وكانـ حـسـنـ السـيـرـةـ مـسـلـمـاـ إـلـىـ نـوـابـهـ وـمـلـكـ بـعـدـ اـبـنـهـ عـمـادـ الـدـيـنـ شـاهـينـ شـاهـ وـاـشـتـمـلـ النـاسـ عـلـيـهـ شـهـرـاـ ثـمـ سـارـ إـلـىـ تـلـ أـعـفرـ فـاغـتـالـهـ أـخـرـهـ عـمـرـ وـدـخـلـ إـلـيـهـ فـجـاءـ فـقـتـلـوـهـ وـمـلـكـ بـعـدـ وـبـقـيـ مـدـةـ إـلـىـ أـنـ سـلـمـ مـنـهـ الـأـشـرـفـ بـنـ الـعـادـ مـدـيـنـةـ سنـجـارـ فـيـ جـهـادـيـ سـنـعـةـ سـبـعـ عـشـرـةـ وـسـتـمـائـةـ وـالـلـهـ أـعـلـمـ.

### استيلاء صاحب الموصى على قلعة سوس

كانت قلعة سوس وقلعة العقر متاجورتين على الثني عشر فرسخاً من الموصى وكانت لعماد الدين زنكي بن نور الدين أرسلان شاه بوصبة أخيه كما مر وملك منها قلاع المكارية والزوزان ورجعت إلى الموصى وسار هو سنة تسع عشر إلى أذيك بن البهلوان صاحب أذربیجان من بقية السلاجوقية فسار معه وأقطع له الإقطاعات وأقام عنده فسار لولو من الموصى إلى قلعة سوس فحاصرها وضيق عليها وامتنع عليه فجر العساكر لحاصرها وعاد إلى الموصى ثم اشتد الحصار بأهلها وانقطعت عنهم الأسباب فاستأتموا إلى لولو وزنلوا له عنها على شرطوطها وقبلها وبعث نوابه عليها والله تعالى أعلم.

### حصار مظفر الدين الموصى

كان الأشرف بن العادل بن أيوب قد استولى على الموصى ودخل لولو في طاعته واستولى على خلاط وسائر أرمينية وأقطعها أخيه شهاب الدين غازى ثم جعله ولـي عهده في سائر أعماله ثم نشأت الفتنة بينهما فاستظهر غازى أخيه المظشم صاحب دمشق ومظفر الدين كوكبى وتدارعوا لحاصر الموصى فجمع أخوهما الكامل عساكره وسار إلى خلاط فحاصرها بعد أن بعث إلى المظشم صاحب دمشق وتهلهله فأقصر عن مظاهره أخيه واستجده غازى مظفر الدين كوكبى صاحب إربيل فسار إلى الموصى وحاصرها ليأخذ مجراة الأشرف عن خلاط ونهض المظشم صاحب دمشق للإيجاد أخيه غازى وكان لولو صاحب الموصى قد استعد للحصار فأقام عليها مظفر الدين شرعاً ثم رحل متصرف إحدى وعشرين لاماً لانتهاضها عليه ولقيه المطران الأشرف قد ملك خلاط من يد أخيه فندم على ما كان منه.

### انتهاض أهل العمادية على لولو ثم استيلاؤه عليهما

قد تقدم لنا انتهاض أهل قلعة العمادية من أعمال الموصى سنة خمس عشرة ورجوعه إلى عماد الدين زنكي ثم عودهم إلى طاعة لولو فاقاموا على ذلك مدة ثم عادوا إلى دينهم من التعریض في الطاعة وتجنوا على لولو بعزل نوابه فعزّلهم مرة بعد أخرى ثم استبد بها أولاد خواجه إبراهيم وأخوه فيمن تبعهم

من ديس إلى نصبين بريد الموصى فلقيه رسـل صاحب سنـجار يطلبـونـهـمـاـ منهـاـ علىـ أنـ يـعـرضـهـ الأـشـرفـ منـهاـ بالـرـقـةـ بماـ أـدـرـكـهـ مـنـ الـخـرـفـ عـنـدـ اـسـتـيـلـائـهـ لـلـوـلـوـ عـلـىـ تـلـ أـعـفـرـ وـنـفـرـةـ أـهـلـ دـوـلـتـهـ عـنـهـ لـقـتـلـهـ أـخـاهـ كـمـاـ ذـكـرـنـاهـ فـأـجـابـهـ الأـشـرفـ وـأـعـطـاهـ الرـقـةـ وـمـلـكـ سـنـجـارـ فـيـ جـادـيـ سـنـةـ سـيـعـ عـشـرـ وـسـيـمـانـةـ وـرـحـلـ عـنـهـ بـأـهـلـهـ وـعـشـيرـتـهـ وـأـتـرـضـهـ أـمـرـ بـنـيـ زـنـكـيـ مـنـهـ بـعـدـ أـربعـ وـتـسـيـعـ سـنـةـ وـبـالـقاءـ لـلـهـ وـحـدـهـ.

### صلح الأشرف مع مظفر الدين

ولـاـ مـلـكـ الأـشـرفـ سـنـجـارـ سـارـ إـلـىـ المـوـصـىـ وـوـافـاهـ بـهـاـ رسـلـ الخلـيفةـ النـاظـرـ وـمـظـفـرـ الدـيـنـ صـاحـبـ إـربـيلـ فـيـ الصـلـحـ وـرـدـ القـلـاعـ الـمـاخـوذـ مـنـ إـيـالـةـ الـمـوـصـىـ عـلـىـ صـاحـبـهاـ لـلـوـلـوـ مـاـ عـدـاـ الـعـمـادـةـ فـتـقـىـ بـيـدـ زـنـكـيـ وـتـرـدـ الـحـدـيـثـ فـيـ ذـلـكـ شـهـرـينـ وـلـمـ يـتـمـ فـرـحـلـ الأـشـرفـ بـقـصـدـ إـربـيلـ حـتـىـ قـارـبـ نـهـرـ الزـابـ وـكـانـ العـسـكـرـ قـدـ ضـجـرـواـ سـوـهـ صـاحـبـ آـمـدـ مـعـ مـظـفـرـ الدـيـنـ فـأـشـارـ بـأـجـابـهـ إـلـىـ مـاـ سـأـلـ وـوـافـقـ عـلـىـ ذـلـكـ أـصـحـابـ الـأـشـرفـ فـأـنـقـذـ الصـلـحـ وـسـاقـ زـنـكـيـ إـلـىـ الـأـشـرفـ رـهـيـةـ عـلـىـ ذـلـكـ وـسـلـمـ قـلـاعـ العـقرـ وـشـوـشـ لـنـابـ الـأـشـرفـ وـهـمـاـ لـزـنـكـيـ رـهـنـاـ أـيـضاـ وـعـادـ الـأـشـرفـ إـلـىـ سـنـجـارـ فـيـ رـمـضـانـ سـيـعـ عـشـرـ وـبـعـثـاـ إـلـىـ الـقـلـاعـ فـلـمـ يـسـلـمـ جـنـدـهـ وـأـمـتـعـنـواـ بـهـاـ وـاسـتـجـارـ عـمـادـ الدـيـنـ زـنـكـيـ بـشـهـابـ اـبـنـ العـادـلـ فـاسـتـعـفـتـ لـهـ أـخـاهـ الـأـشـرفـ فـأـطـلـقـهـ وـرـدـ عـلـيـهـ فـلـقـيـ الـعـقرـ وـشـوـشـ وـصـرـفـ نـوابـ عـنـهـمـاـ وـسـمـعـ لـلـوـلـوـ الـأـشـرفـ مـيـلـ إـلـىـ قـلـاعـ تـلـ أـعـفـرـ وـأـنـهـاـ لـمـ تـرـلـ لـسـنـجـارـ قـدـيـاـ فـبـعـثـ إـلـيـهـ بـتـسـلـيـهـمـاـ وـالـلـهـ تـعـالـ أـعـلـمـ.

### رجوع قلاع المكارية والزوزان إلى طاعة

#### صاحب الموصى

لـمـ رـأـيـ زـنـكـيـ أـنـ مـلـكـ قـلـاعـ المـكارـيـ وـالـزـوـزـانـ وـسـاـوـةـ فـلـمـ بـرـواـ عـنـهـ مـاـ ظـنـهـ مـنـ حـسـنـ السـيـرـةـ كـمـاـ يـفـعـلـهـ لـلـوـلـوـ وـطـلـبـهـ فـيـ الـإـقـطـاعـ فـأـجـابـهـمـ وـاسـتـاذـنـ الـأـشـرفـ فـلـمـ يـأـذـنـ لـهـ وـجـاءـ زـنـكـيـ مـنـ عـنـدـ الـأـشـرفـ فـحـاـصـرـ الـعـمـادـيـةـ وـلـمـ يـلـعـ بـهـ غـرـضاـ فـأـعـادـوـ مـرـاسـلـهـ لـلـوـلـوـ فـاسـتـاذـنـ الـأـشـرفـ وـأـعـطـاهـ قـلـاعـ جـدـيـدـةـ وـنـصـبـيـنـ وـوـلـايـةـ مـاـ بـيـنـ الـنـهـرـيـنـ وـأـذـنـ لـهـ فـيـ تـلـ الـقـلـاعـ وـأـرـسـلـ نـوابـ إـلـيـهـ وـوـقـيـ لـسـمـ بـاـعـهـمـ عـلـيـهـ وـتـبـعـهـمـ بـقـيـةـ الـقـلـاعـ مـنـ أـعـمـالـ الـمـوـصـىـ فـدـخـلـوـاـ كـلـهـمـ فـيـ طـاعـةـ لـلـوـلـوـ وـانـظـمـ لـهـ مـلـكـهـاـ وـالـلـهـ تـعـالـ أـعـلـمـ.

## مسير التتر في بلاد الموصـل وإربـيل

ولما أوقع بجيال الدين خوارزم شاه على آمد سنة ثمان وعشرين وقتلوه ولم يبق لهم مدافع من الملوك ولا مانع انساحوا في البلاد طولاً وعرضًا ودخلوا ديار بكر واكتسحوا سواد آمد وأربزن وميافارقين وحاصروها وملقوها بالأمان ثم استباحوها وساروا إلى مارددين فعنثروا في نواحيها ثم دخلوا الجزيرة واكتسحوا أعمال نصبيين ثم مرّوا إلى سنجار فنهبوا ودخلوا الحابر واستباحوه وسارت طائفة منهم إلى الموصـل فاستباحوا أعمالـها ثم أعمالـ إربـيل وأفحـشوا فيها ويرزـ مظـفـرـ الدـينـ في عـساـكـرـ وـاسـتـمـدـ عـساـكـرـ المـوصـلـ فـبـعـثـ بـهـ لـؤـلـؤـ إـلـيـهـ ثـمـ عـادـ التـتـرـ عـنـهـمـ إـلـىـ أـذـرـيـجـانـ فـعـادـ كـلـ إـلـىـ بـلـادـ وـالـلـهـ أـعـلـمـ.

## وفاة مظفر الدين صاحب إربيل وعودـها إلى

### الخليفة

ثم توفي مظفر الدين كوكبـريـ بن زـينـ الدـينـ كـجـكـ صـاحـبـ إـربـيلـ سـنةـ تـسـعـ وـعـشـرـينـ لأـربعـ وـأـرـبعـ سـنةـ مـنـ ولـيـهـ عـلـيـهـ إـيـامـ صـلاحـ الدـينـ بـعـدـ أـخـيـهـ يـوسـفـ وـلـمـ يـكـنـ لـهـ ولـدـ فـارـصـيـ بـإـربـيلـ للـخـلـيـفـةـ الـمـسـتـصـرـ فـبـعـثـ إـلـيـهـ نـوـابـهـ وـاسـتـولـ عـلـيـهـاـ وـصـارـتـ مـنـ عـمـالـهـ وـالـلـهـ تـعـالـ أـعـلـمـ.

## بـقـيـةـ أـخـبـارـ لـؤـلـؤـ صـاحـبـ المـوصـلـ

كان عـسـكـرـ خـوارـزمـ شـاهـ بـعـدـ مـهـلـكـهـ سـنةـ ثـمـانـ وـعـشـرـ علىـ آمـدـ لـقـرـاـ بـصـاحـبـ الرـوـمـ كـيـقـادـ فـاسـتـجـدـهـمـ وـهـلـكـ سـنةـ أـرـبعـ وـثـلـاثـينـ وـسـتـمـائـةـ وـولـيـهـ كـنـخـسـرـوـ فـقـبـضـ عـلـيـهـ أـمـيرـهـ وـمـرـ الـبـاقـونـ وـاتـبـدـواـ بـأـطـرـافـ الـبـلـادـ وـكـانـ الصـالـحـ خـبـمـ الدـينـ أـيـسـوبـ فـيـ حـرـانـ وـكـيـفـاـ وـآمـدـ نـائـبـاـ عـنـ أـيـهـ الـمـلـكـ العـادـلـ فـرـأـيـ الـمـصـلـحةـ فـيـ استـضـافـهـ إـلـيـهـ فـاسـتـمـالـهـ وـاسـتـخـدـمـهـ بـعـدـ أـنـ أـبـوـهـ لـهـ فـيـ ذـلـكـ فـلـمـ مـاتـ أـبـوـهـ سـنةـ خـمـسـ اـنـتـقـضـواـ وـلـقـواـ بـالـمـوـصـلـ وـاشـتـمـلـ عـلـيـهـ لـؤـلـؤـ وـسـارـ مـعـهـمـ فـحـاصـرـ الصـالـحـ بـسـتـجـارـ إـلـىـ الـخـوارـزمـيـةـ وـاسـتـمـالـهـ فـرـجـعـواـ إـلـىـ طـاعـتـهـ عـلـىـ أـنـ يـعـطـيـهـمـ حـرـانـ وـرـالـهـ يـنـزلـونـ بـهـاـ فـأـعـطاـهـمـ إـيـاهـمـ وـمـلـكـهـمـ ثـمـ مـلـكـوـاـ نـصـبـيـنـ مـنـ أـعـمـالـ لـؤـلـؤـ وـبـنـرـ أـيـرـبـ يـوـمـثـدـ مـتـفـرقـونـ عـلـىـ كـرـاسـيـ الشـامـ وـبـيـهـمـ مـنـ الـأـنـفـةـ وـالـفـرـقةـ مـاـ تـلـوـ عـلـيـكـ قـصـصـهـ فـيـ دـوـلـتـهـ ثـمـ اـسـتـقـرـ مـلـكـ سـنـجـارـ لـلـجـوـاءـ يـوـنـسـ مـنـهـمـ وـهـرـ أـبـنـ مـوـرـدـوـنـ بـنـ الـعـادـلـ أـخـذـهـ مـنـ الصـالـحـ

وـأـخـرـجـوـاـ مـنـ خـالـفـهـمـ وـأـظـهـرـوـاـ الـعـصـيـانـ عـلـىـ لـؤـلـؤـ فـسـارـ إـلـيـهـمـ سـنةـ ثـلـاثـينـ وـعـشـرـينـ وـحـاصـرـهـمـ وـقـطـعـ الـمـيـرـهـ عـنـهـمـ وـبـعـثـ عـسـكـرـ إـلـىـ قـلـعـةـ هـزـورـانـ وـقـدـ كـانـواـ تـبـعـاـ أـهـلـ الـعـادـيـةـ فـيـ الـعـصـيـانـ فـحـاصـرـهـمـ حـتـىـ أـسـتـمـنـواـ وـمـلـكـهـمـ ثـمـ جـهـزـ الـعـسـاـكـرـ إـلـىـ الـعـادـيـةـ نـائـبـهـ أـمـينـ الدـينـ وـعـادـ إـلـىـ الـمـوـصـلـ وـاسـتـمـرـ الـحـصـارـ إـلـىـ ذـيـ الـقـعـدـةـ مـنـ السـنـةـ ثـمـ رـاسـلـواـ أـمـينـ الدـينـ فـيـ الـصلـحـ عـلـىـ مـالـ وـأـقـطـاعـ وـعـوـضـ عـنـ الـقـلـعـةـ وـأـجـابـ لـؤـلـؤـ إـلـىـ ذـلـكـ وـكـانـ أـمـينـ الدـينـ قـدـ وـلـيـهـ قـبـلـ ذـلـكـ فـكـانـ لـهـ فـيـهـ بـطـانـةـ مـسـمـدـوـنـ عـلـىـ عـهـدـ وـمـكـاتـبـهـ وـسـخـطـ كـثـيرـ مـنـ أـهـلـ الـبـلـدـ فـعـلـ أـلـوـاـدـ خـواـجاـ إـبـرـاهـيمـ وـاسـتـشـارـهـ بـالـصـلـحـ دـوـنـهـمـ فـوـجـدـ أـلـئـكـ الـبـطـانـةـ سـيـلـاـ إـلـىـ الـتـسـلـطـ عـلـيـهـمـ وـدـسـوـاـ لـأـمـينـ الدـينـ أـنـ بـيـتـ الـبـلـدـ وـيـصـالـهـمـ فـصـالـحـهـمـ فـرـبـشـوـاـ بـأـلـوـاـدـ خـواـجاـ وـنـادـوـاـ بـشـعـارـ لـؤـلـؤـ فـصـمـدـ الـسـكـرـ الـقـلـعـةـ وـمـلـكـهـمـ أـمـينـ الدـينـ وـبـعـثـ بـالـخـارـجـ إـلـىـ لـؤـلـؤـ قـبـلـ أـنـ يـنـقـدـ الـيـمـينـ مـعـ وـفـدـ أـلـوـاـدـ خـواـجاـ وـالـلـهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـيـهـ وـلـيـ التـرـفـيقـ.

## مسير مظفر الدين صاحب إربيل إلى أعمال

### الموصـلـ وـعـودـهـ مـنـهـا

كان جـلـالـ الدـينـ شـكـرـيـ بـنـ خـوارـزمـ شـاهـ قـدـ غـلـبـهـ التـتـرـ أـولـ خـروـجـهـ سـنةـ سـبـعـ عـشـرـةـ وـسـتـمـائـةـ عـلـىـ خـوارـزمـ وـخـراسـانـ وـغـزـنةـ وـفـرـ أـمـامـهـ إـلـىـ الـمـنـدـ ثـمـ رـجـعـ عـنـهـ سـنةـ ثـلـاثـينـ وـعـشـرـينـ وـسـتـولـ عـلـىـ الـعـرـاقـ ثـمـ عـلـىـ أـذـرـيـجـانـ وـجـاـوـرـ الأـشـرـفـ بـنـ الـعـادـلـ فـيـ وـلـيـهـ خـلاـطـ وـجـزـيـرـةـ وـحـدـثـ بـيـهـمـ الـفـتـنـةـ وـرـاسـلـهـ أـعـيـانـ الـأـشـرـفـ فـيـ الـأـغـرـاءـ بـهـ مـثـلـ مـظـفـرـ الدـينـ صـاحـبـ إـربـيلـ وـمـسـعـرـدـ صـاحـبـ آمـدـ وـأـخـيـهـ الـعـظـمـ صـاحـبـ دـمـشـقـ وـانـفـقـواـ عـلـىـ ذـلـكـ وـسـارـ جـلـالـ الدـينـ إـلـىـ خـلاـطـ وـسـارـ مـظـفـرـ الدـينـ إـلـىـ الـمـوـصـلـ وـاتـهـيـ إـلـىـ الـرـابـ يـتـظـرـ الـخـبـرـ عنـ جـلـالـ الدـينـ وـسـارـ الـعـظـمـ صـاحـبـ دـمـشـقـ إـلـىـ حـصـ وـحـةـ وـبـعـثـ لـؤـلـؤـ مـنـ الـمـوـصـلـ يـسـتـجـدـ الـأـشـرـفـ فـسـارـ إـلـىـ حـرـانـ ثـمـ إـلـىـ دـيـسـ فـاـكـتـسـحـ أـعـمـالـ مـارـدـينـ وـكـانـ جـلـالـ الدـينـ قـدـ بـلـغـهـ اـنـتـاضـ نـائـبـ بـكـرـمانـ فـأـغـدـ السـيرـ إـلـيـهـ وـتـرـكـ خـلاـطـ بـعـدـ أـنـ عـاـثـ فـيـ أـعـمـالـهـ وـفـتـ ذـلـكـ فـيـ أـعـضـادـ الـأـخـرـينـ وـعـظـمـتـ سـطـرـةـ الـأـشـرـفـ بـهـمـ وـبـعـثـ إـلـيـهـ أـخـرـهـ الـعـظـمـ وـقـدـ نـازـلـ حـصـ وـحـةـ يـتـوـعـدـ بـمـحـاصـرـهـمـ وـمـحـاصـرـهـ مـظـفـرـ الدـينـ الـمـوـصـلـ فـرـجـعـ عـنـ مـارـدـينـ وـرـجـعـ الـأـخـرـانـ عـنـ حـصـ وـحـةـ وـالـمـوـصـلـ وـلـخـ كلـ بـلـدـ وـالـلـهـ تـعـالـ أـعـلـمـ.

## الخبر عن دولة بني أیوب القائمين بالدولة العباسية وما كان لهم من الملك بمصر والشام واليمن والمغرب وأولية ذلك ومصائره

هذه الدولة من فروع دولة بني زنكي كما تراه وجدهم هو أیوب بن شادي بن مروان بن علي بن عشرة بن الحسن بن علي بن أحمد بن علي بن عبد العزيز بن هدبة بن الحسين بن الحارث بن سنان بن عمر بن مرة بن عوف الحميري الدوسي هكذا نسبة بعض المؤرخين لدولتهم.

قال ابن الأثير: إنهم من الأكراد الروادية.

وقال ابن خلكان شادي أبواهم من أعيان درين وكان صاحبه بها يهروز فأصابه خصي من بعض أمرائه وفر حياء من المثلة فلحق بدولة السلطان مسعود بن محمد بن ملك شاه وتعلق بخدمة داية بنبيه حتى إذا هلك الداية أقامه السلطان لبني مقامه ظهرت كفایته وعلا في الدولة محله فيبعث شادي بن مروان صاحبه لما بينهما من الألفة وأكيد الصحابة قدم عليه.

ثم ول السلطان بهروز شحنة بغداد فسار إليها واستصحب شادي معه ثم أقطعه السلطان قلعة تكريت فرلى عليها شادي فهلك وهو وال عليها ولو بheroz مكانه ابنه نجم الدين أیوب وهو أكبر من أسد الدين شيركوه فلم يزل والياً عليها ولما زحف عماد الدين زنكي صاحب الموصل لمظاهره مسعود على الخليفة المسترشد سنة عشرين وخمسة وعشرين وانهزم الأتابك وانكفا راجعاً إلى الموصل ومر بتكريت قام نجم الدين بعلوته وأزواده وعقد له الجسور على دجلة وسهل له عبورها ثم إن شيركوه أصاب دماً في تكريت ولم يفده منه أحدوه أیوب فعزله بهروز وأخرجهما من تكريت فلحقاً بعماد الدين بالموصل فأحسن إليهما وأقطعهما ثمن ملك بعليك ستة اثنين وثلاثين وجعله نائباً بها ولم يزل بها أیوب ولما مات عماد الدين زنكي سنة إحدى وأربعين زحف صاحب دمشق فخر الدين طفركين إلى بعليك وحاصرها واستنزل أیوب منها على ما شرط لنفسه من الإقطاع وأقام معه بدمشق وبقي شيركوه مع نور الدين محمود بن زنكي وأنقطعه حمص والرجمة لاستطلاعه وكفایته وجعله مقدم عساكره ولما صرف نظره إلى الاستيلاء على دمشق واعترض على مداخلة أهلها كان ذلك على يد شيركوه وعكابته لأخيه أیوب وهو بدمشق فتم ذلك على أيديهما ومحاولتهما وملكها ستة تسع وأربعين وخمسة وكانت

نعم الدين أیوب عوضاً عن دمشق واستولى لؤلؤ على سنجار من بيده سنة سبع وثلاثين ثم حدثت بين صاحب حلب وبين الخوارزمية فتنة وخلوا يومئذ لصفيتهم خاتون بنت العادل فبعثت العساكر إليهم مع المطعم بوران شاه بن صالح الدين فهزموا عساكره وأسرروا ابن أخيه الأفضل ودخلوا حلب واستباحوها ثم فتحوا منبع واعتدا فيها وقطعوا الفرات من الرقة وهم ينهبون وتبعدهم عسكر دمشق ومحص فهزموهم وأخروا فيهم وحلقوا بيلدهم حران فشارت إليهم عساكر حلب واستولوا على حران ولحق الخوارزمية بغاثة وبادر لؤلؤ صاحب الموصل إلى تصييبن فملكتها من أيديهم.

ثم توفيت صفية بنت العادل سنة أربعين في حلب وكانت ولايتها بعد وفاة أبيها العزيز محمد بن الظاهر غازى بن صالح الدين فولي بعدها ابنه الناصر يوسف ابن العزيز في كفالة مولاه جبال الخاتوني فلما كانت سنة ثمان وأربعين وستمائة وقع بين عساكره وبين بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل حرب انهزم فيها لؤلؤ وملك الناصر تصييبن وقرقيساي ولحق لؤلؤ بحلب ثم زحف هلاكو ملك التتر إلى بغداد سنة وملكتها وقت الخليفة المستعصم واستلحام العالية من بغداد كما مر في أخبار الخلقاء ويأتي في أخبار التتر وتختلط منها إلى أذربيجان فبادر لؤلؤ ووصل إليه بأذربيجان وأتاه طاعته وعاد إلى الموصل والله تعالى يؤيد ينصره من يشاء من عباده.

## وفاة صاحب الموصل وولاية ابنه الصالح

ثم توفي بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل سنة سبع وخمسين وستمائة وكان يلقب الملك الرحيم وملك بعده على الموصل ابنه الصالح إسماعيل وعلى سنجار ابنه المظفر علاء الدين علي وعلى جزيرة ابن عمر ابنه المجاهد إسحاق فنزلوا على الملك الظاهر بيرس كما أخذها منهم وحلقوا مصر فنزلوا على الشام فملكتها وانقرضت دولة نذكر في أخباره وسار هلاكو إلى الشام فملكتها وانقرضت دولة الأتابك زنكي وبنيه ومواليه من الشام والجزيرة أجمع كان لم تكن والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين والبقاء الله تعالى وحده والله تعالى أعلم.

الدين على بليس والبلاد الشرقية وبعث شاور إلى الإفرنج يستجدهم ويعدهم فبادروا إلى إيجابه وسار بهم ملكهم مرى لحروفهم أن يملك أسد الدين مصر واستمعوا جميع من الإفرنج جاؤوا لزيارة القدس.

وسار نور الدين إليهم ليشنفهم فلم يتم لهم ذلك وطمعوا لعزمهم ورزا أسد الدين إلى بليس واجتمعت العساكر المصرية والإفرنج عليه وحاصروه ثلاثة أشهر وهو يغادتهم القتال ويرأوهما وامتنع عليهم وقصاراً لهم من الأخبار عنه واستنفر نور الدين ملوك الجزيرة وديار بكر وقصر حارم وسار الإفرنج لمدافعته فهزهم وأخن فيهم وأسر صاحب أنطاكية وطرابلس وفتح حارم قريباً من حلب ثم سار إلى بانياس قريباً من دمشق ففتحها كما مر في أخبار نور الدين وبلغ الخبر بذلك إلى الإفرنج وهم عاصرون أسد الدين في بليس فقت في عزائهم وطروا الخبر عنه وراسلوه في الصلح على أن يعود إلى الشام فصالحهم وعاد إلى الشام في ذي الحجة من السنة والله تعالى أعلم.

### مسير أسد الدين ثانياً إلى مصر وملكة الإسكندرية ثم صلحه عليها وعوده

ولما رجع أسد الدين إلى الشام لم ينزل في نفسه ما كان من غدر شاور وفيقي بشحن لغزوهم إلى سنة اثنين وستين فجمع العساكر وبعث معه نور الدين جماعة من الأمراء وأكلف له العسكر خوفاً على حامية الإسلام وسار أسد الدين إلى مصر وانتهى إلى أطفيح وعبر منها إلى العدوة الغربية ونزل الجيزه وأقام نحوه من حسين يوماً وبعث شاور إلى الإفرنج يستدهم على العادة وعلى مالهم من التخوف من استفحال ملك نور الدين وشيركوه فسارعوا إلى مصر وعبروا مع عساكره إلى الجيزه وقد ارتحل عنها أسد الدين إلى الصعيد وانتهى منها إلى وأتبعوه وأدركوه بها متصرف اثنين وستين.

ولما رأى كثرة عددهم واستعدادهم مع تحاذل أصحابه فاستشارهم فشار بعضهم بعيور النيل إلى العدوة الشرقية والعود إلى الشام وأبي زعماً لهم إلا الاستئناف فيما مع خشية العتب من نور الدين وتقدم صلاح الدين بذلك وأدركهم القوم على تعيبة وجعل صلاح الدين في القلب وأوصاه أن يندفع أمامهم ووقف هو في اليمونة مع من وثق باستماتته وحمل القوم على صلاح الدين فسار بين أيديهم على تعيبة وخالفهم أسد الدين إلى مخلفهم فرضع السيف فيهم وأخن قتلاً وأسراً ورجعوا عن صلاح الدين

دولة العلوين بمصر قد أحلفت جدتها وذهب استفحالها واستبد وزراؤها على خلافاتها فلم يكن الخلافاء يملكون منهم وطبع الإفرنج في سواحلهم وأصارهم لنا لهم من المرم والوهن فصالوا عليهم وانتزعوا البلاد من أيديهم وكانوا يردون عليهم كرسى خلافتهم بالقاهرة ووضعوا عليهم الجزية وهو يتجرعون المصائب من ذلك ويتحملونه معبقاء أمرهم كاد الأتابك زنكي وقومه السلجوقيه من قبله أن يمحو دعوتهم وينهبو بدولتهم وأقاموا من ذلك على مضض وقلق وجاء الله بدعة العاضد آخرهم.

وتغلب عليه بعد الصالح بن رزيك شاور السعدي وقتل رزيك بن صالح سنة ثمان وخمسين واستبدل على العاضد ثم نازعه الضرغام لستة أشهر من ولايته وغلبه وأخرجه من القاهرة فلحق بالشام وتحقق بدور الدين صريحاً سنة تسع وخمسين وشرط له على نفسه ثلت الجباية بأعمال مصر على أن يبعث معه عسكراً يقيمه بها فأجابه إلى ذلك وبعث أسد الدين شيركوه في العساكر فقتل الضرغام ورد شاور إلى رتبته وأكل أمرهم إلى حسو الدولة العلوية وانتظام مصر وأعمالها في مملكة ابن أبوب بدعة نور الدين محمود بن زنكي وينتخب للخلافة العباسيين لما هلك نور الدين محمود واستبدل صلاح الدين بأمره في مصر ثم غلب على بنى نور الدين محمود وملك الشام من أيديهم وكثير عيشه ابن عمهم مودود واستفحلاً ملكه وعظمت دولة بنيه من بعده إلى أن انقضوا والبقاء لله وحده.

### مسير أسد الدين شيركوه إلى مصر وإعادة شاور إلى وزارته

لما اعتزم نور الدين محمود صاحب الشام على صريح شاور وإرسال العساكر معه واختار لذلك أسد الدين شيركوه بن شادي وكان من أكبر أمرائه فاستدعاه من حص وكان أميراً عليها وهي أقطاعه وجع له العساكر وأزاح علّهم وفصل بهم شيركوه من دمشق في جادى سنة تسع وخمسين وسار نور الدين بالعساكر إلى بلاد الإفرنج ليأخذ بمحاجتهم عن اعتراضه أو صده لما كان بينهم وبين صاحب مصر من الألفة والتظاهر ولما وصل أسد الدين بليس لقيه هناك ناصر الدين آخر الضرغام وقاتلته فانهزم وعاد إلى القاهرة مهزوماً وخرج الضرغام من سلخ جادى الأخيرة فقتل عند مشهد السيدة نفيسة رضي الله عنها وقتل آخره وأعاد شاور إلى وزارته وتمكن فيها وصرف أسد الدين إلى بلدته وأعرض عما كان بينهما فطالبه أسد الدين بالوقاء فلم يجب إليه فتغلب أسد

فيضيطر الحصار فانتقلوا وأخذهم الحريق وامتدت الأيدي وانتهت أمرهم وأتصل الحريق فيها شهرين وبعث العاكسد إلى نور الدين يستغيث به فأجاب وأخذ في تجهيز العساكر فاشتد الحصار على القاهرة وضاق الأمر بشاور بفتحه بعث إلى ملك الإفرنج يذكره بقدمه وأن هراء معه دون العاكسد ونور الدين وسائل في الصلح على المال لنفور المسلمين مما سوى ذلك فأجابه ملك الإفرنج على ألف الف دينار لما رأى من امتناع القاهرة وبعث إليهم شاور بمائة ألف منها وسالمهم في الإفرنج فارتخلوا.

وشرع في جمع المال فعجز الناس عنه ورسل العاكسد خلال ذلك تردد إلى نور الدين في أن يكون أسد الدين وعساكره حامية عند عطاوه عليه وثبت الجباية خالصة لنور الدين فاستدعى نور الدين أسد الدين من حص واعطاه مائة ألف دينار وجهزه بما يتوجه من الثياب والدواب والأسلحة وحكمه في العساكر والخزائن ونقد العسكر عشرين ديناراً لكل فارس وبعث معه من أمرائه مولاه عز الدين خردك وعز الدين قلبيج وشرف الدين مرعش وعز الدولة الباروقي وقطب الدين نياں بن حسان المتجي وأمد صلاح الدين يوسف بن أيوب مع عمه أسد الدين فتعلل عليه واعتزم عليه فأجاب وسار أسد الدين متصرف ربيع فلما قارب مصر رجع الإفرنج إلى بلادهم فسر بذلك نور الدين وأقام عليه البشار في الشام.

ووصل أسد الدين القاهرة ودخلها متصرف جادى الأخيرة ونزل بظاهرها ولقي العاكسد وخلع عليه وأجرى عليه وعلى عساكره الجريات والأتساوات وأقام أسد الدين يتظر شرطهم وشاور ياطله ويعمله بالمواعيد ثم فاوض أصحابه في القبض على أسد الدين واستخدام جنده فمنعه ابنه الكامل من ذلك فاقتصر ثم أشرف أصحاب أسد الدين على اليأس من شاور وتفاوض أمراؤه في ذلك فاتفق صلاح الدين مع ابن أخيه وعز الدين خردك على قتل شاور وأسد الدين ينهماهم وغدا شاور يوماً على أسد الدين في خيامه فالله قد ركب لزيارة الإمام الشافعى رضى الله تعالى عنه فتلقاء صلاح الدين وخردك وركبوا معه لقصد أسد الدين فقبضوا عليه في طريقهم وطربوا بالخبر إلى أسد الدين وبعث العاكسد لوقته بمحضهم على قتله فيبعثوا إليه برأسه وأمر العاكسد بنهب دوره فنهبها العامة وجاء أسد الدين لقصر العاكسد فخلع عليه الوزارة ولقبه الملك المنصور أمير الجيوش وخرج له من القصر مشئور من إنشاء القاضي الفاضل الياسانى وعليه مكتوب بخط الخليفة ما نصه:

هذا عهد لا عهد لوزير بمنزله فقلد ما رأك الله وأمير

يظنون أنهما ساروا منهزمين فوجدوا أسد الدين قد استولى على مخلفهم واستباحه فانهزما إلى مصر.

وسار أسد الدين إلى الإسكندرية فلقاه أهلها بالطاعة واستخلف بها صلاح الدين ابن أخيه وعاد إلى الصعيد فاستول عليه وفرق العمال على جباية أمواله ووصلت عساكر مصر والإفرنج إلى القاهرة وأذاحوا علهم وساروا إلى الإسكندرية فحاصروا بها صلاح الدين وجهده الحصار وسار أسد الدين من الصعيد لإمداده وقد انقض عليه طائفة من التركمان من عسكره وبينما هو في ذلك جاءته رسائل القوم في الصلح على أن يرد عليهم الإسكندرية ويعطوه خمسين ألف دينار سوى ما جباه من أموال الصعيد فأجابهم إلى ذلك على أن يرجع الإفرنج إلى بلادهم ولا يملكونها من البلاد قرينة فانعقد ذلك بينهم متصرف شوار.

وعاد أسد الدين وأصحابه إلى الشام متصرف ذي القعدة ثم شرط الإفرنج على شاور أن ينزلوا بالقاهرة شحنة وتكون أبوابها بأيديهم ليتمكنوا من مدافعة نور الدين فضرروا عليه مائة ألف دينار في كل سنة جزية فقبل ذلك وعاد الإفرنج إلى بلادهم بسواحل الشام وتركوا مصر جماعة من زعمائهم ويعتبر الكامل أبا شجاع شاور إلى نور الدين بطاعته وأن يشت بصير دعوته وقرر على نفسه مالاً يحمل كل سنة إلى نور الدين فأجابه إلى ذلك ويفي شيعة له بصير والله تعالى أعلم.

## استيلاء أسد الدين على مصر ومقتل شاور

ولما ضرب الإفرنج الجزية على القاهرة ومصر وأنزلوا بها الشحنة وملكونها أبوابها غكنا من البلاد وأتمموا فيها جماعة من زعمائهم فتحكموا واطلعوا على عورات الدولة فطماعوا فيما وراء ذلك من الاستيلاء وراسلوا بذلك ملوكهم بالشام واسمهم مري ولم يكن ظهر بالشام من الإفرنج مثله فاستدعوه لذلك وأغرقوه فلم يجدهم واستحثه أصحابه لملكتها وما زالوا يقتلون له قي الذروة والغارب ويوجهونه القرة بمتلكتها على نور الدين ويرسم لهم هو أن ذلك يؤول إلى خروج أصحابها عنها لدور الدين فقي بهما إلى أن غلبوا عليه فرجع إلى رأيهم وتعجز وبلغ الخبر نور الدين فجمع عساكره واستقر من في ثغوره وسار الإفرنج إلى مصر مفتتح أربع وسبعين فملكونها بليس عنزة في صفر واستباحوها وكانتهم جماعة من أعداء شاور فأنسو مكتباتهم وساروا إلى مصر ونازلا القاهرة وأمر شاور بإحرق مدينة مصر ليتقل أهلها إلى القاهرة

الاستبداد ما يتوهم في غيره من أصحابه وأنهم في سعة من رأيهם مع ولايته فاستدعاه وخلع عليه ولقبه الملك الناصر.

وأختلف عليه أصحابه فلم يطعوه وكان عيسى المكارى شيعه له واستملاه إليه إلا الباروقي فإنه امتنع وعاد إلى نور الدين بالشام وثبتت قدم صلاح الدين في مصر وكان نابياً عن نور الدين ونور الدين يكتبه بالأمير الأسفهساري ويجمعه في الخطاب مع كافة الأمراء بالديار المصرية وما زال صلاح الدين يحسن المباشرة ويستميل الناس وفيض العطاء حتى غلب على أشدة الناس وضعف أمر العاكسد ثم أرسل يطلب آخرته وأهله من نور الدين فبعث بهم إليه من الشام واستقامت أموره واطردت سعادته والله تعالى ولي التوفيق.

### واقعة السودان بمصر

كان بقصر العاكسد خصيّ حاكم على أهل القصر يدعى مؤمن الخليفة فلما غاص أهل الدولة بوزارة صلاح الدين داخل جماعة منهم وكاتب الإفرنج يستدعيهم ليبرز صلاح الدين لما ذكرتهم فيثروا بمحلفه ثم يتبعونه وقد ناشب الإفرنج فيأتون عليه ويعثروا الكتاب مع ذي طمرين حمله في نعاله فاعتبره بعض التركمان واستلبه ورأوا العمال جديدة فاسترابوا بها فجاؤوا به إلى صلاح الدين فقرأ الكتاب ودخل على كاتبه فأخبره بحقيقة الأمر فطوى ذلك وانتظر مؤمن الخليفة حتى خرج إلى بعض قراءه متترها وبعث من جاء برأسه ومنع الخصيان بالقصر عن ولاية أمره وقد عليهم بهذه الدين قراقوش خصيًّا أيضًا من خدمه وجعل إليه جميع الأمور بالقصر وامتنضن السودان بمصر لمؤمن الخليفة واجتمعوا لحرب صلاح الدين وبلغوا خمسة آلاف ونماذجوا عسكره من القصر في ذي القعدة من السنة وبعث إلى محلتهم بالتصورة من أحرقها على أهلهم وأولادهم فلما سمعوا بذلك انهزموا وأخذتهم السيف في السكك فاستأمنوا وعبروا إلى الجيزة فسار إليهم شمس الدولة آخر صلاح الدين في طائفة من العسكر فاستلهمهم وأبادهم والله أعلم.

### منازل الإفرنج دمياط وفتح إيلة

ولما استولى صلاح الدين على دولة مصر وقد كان الإفرنج أسفروا على ما فاتهم من صدده وصد عمه عن مصر وتوافقوا على ملاك من استطالة نور الدين عليهم بملك مصر فبعثوا الرهبان

المؤمنين أهلاً لحمله وعليك الحجة من الله فيما أوضح لك من مرشد سبله فخذل كتاب أمير المؤمنين بقوة واسحب ذيل الفخار بأن اعترت خدمتك إلى بنوة النبوة واتخذ أمير المؤمنين للغزو سبلاً ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلًا.

ثم ركب أسد الدين إلى دار الوزارة التي كان فيها شاور وجلس مجلس الأئم والنهي وول على على الأعمال وأنقطع البلاط للعساكر وأمن أهل مصر بالرجوع إلى بلادهم ورئها وعماراتها وكانت نور الدين بالواقع مفضلًا واتصب للأمور ثم دخل للعاكسد وخطب الأستاذ جوهر الخصي عنه وهو يومئذ أكبر الأساتذ فقال: يقول لك مولانا نوش مقامك عندنا من أول قدومك وأنت تعلم الواقع من ذلك وقد تيقنا أن الله عز وجل ادخرك لنا نصرة على أعدائنا. فخلف له أسد الدين على النصيحة وإظهار الدولة فقال الأستاذ عن العاكسد: الأمر بيديك هذا وأكثر. ثم جددت الخلع واستخلص أسد الدين المجلس عبد القوي وكان قاضي القضاة وداعي الدعاة واستحسناته واختصه وأمام الكامل بن شاور فدخل القصر مع آخرته معتصمين به وكان آخر العهد به وأسف أسد الدين عليه لما كان منه في رد أخيه وذهب كل ما كسب والله تعالى عالى أعلم.

### وفاة أسد الدين وولادة ابن أخيه صلاح الدين

ثم توفي أسد الدين شيركوه آخر جنادي الأخيرة من سنة أربع وستين لشهرين من وزارته وما احضر أوصى حرواشيه بهاء الدين قراقوش فقال له: «الحمد لله الذي بلغنا من هذه الديار ما أردنا وصار أهلها راضين عنا فلا نفارقوا سور القاهرة ولا نفترطوا في الأسطول».

ولما توفي تشرف الأمراء الذين معه إلى رتبة الوزارة مكانه مثل عز الدولة الباروقي وشرف الدين المشطوب المكارى وقطب الدين نياں بن حسان المنجبي وشهاب الدين الحارمي وهو خال صلاح الدين وجمع كلُّ مغالبة صاحبه وكان أهل القصر وخواص الدولة قد تشاوروا فأشار جوهر بـإخلاء رتبة الوزارة وإصطفاء ثلاثة آلاف من عسكر الغز بقدتهم قراقوش ويعطي لهم الشرقة إقطاعاً يتزلون بها حشداً دون الإفرنج من يستبدل على الخليفة بل يقيم واسطة بينه وبين الناس على العادة وأشار آخرون بإقامة صلاح الدين مقام عممه والناس تبع له. ومآل القاضي لذلك حياء من صلاح الدين وجنوحًا إلى صغر سنّه وأئمه لا يتوهمون فيه من

ذلك ولم تسعه مخالفته وأحجم عن القيام بذلك ورد على صلاح الدين شخص من علماء الأعاجم يعرف بالجيشاني ويلقب بالأمير العالم فلما رأهم مجتمعين عن ذلك صعد المنبر يوم الجمعة قبل الخطبip ودعى للمستضيء فلما كانت الجمعة القابلة أمر صلاح الدين الخطيب بمصر والقاهرة بقطع خطبة العااضد والخطبة للمستضيء فتراسلو بذلك ثانى جمعة من المحرم سنة سبع وسبعين وخمسة.

وكان المستضيء قد ولـى الخلافة بعد أبيه المستجد في ربيع من السنة قبلها ولـا خطب له بمصر كان العااضد مريضاً فلم يشعـروـه بذلك وتوفي يوم عاشوراء من السنة ولـا خطب له على منابر مصر جلس صلاح الدين للعزاء واستولى على قصره ووكل به بباء الدين قراقوش وكان فيه من الذخائر ما يعزـوجـودـه مثل جبل الياقوت الذي وزن كل حصة منه سبعة عشر مثقالاً ومصاف الزمرد الذي طوله أربعة أصابع طولاً في عرض ومثل طبل القولنج الذي يضرـهـ ضـارـيـهـ فيـعـافـيـ بـذـلـكـ منـ دـاءـ القـولـنجـ وكسرـهـ لـاـ وـجـدـواـ ذـلـكـ مـنـ فـلـمـ ذـكـرـتـ هـمـ مـفـعـتـهـ نـدـمـواـ عـلـيـهـ وـوـجـدـواـ مـنـ الـكـتـبـ النـفـيـسـةـ مـاـ لـاـ يـعـدـ.

ونقل أهل العااضد إلى بعض حجر القصر ووكل بهم وإخراج الأماء والعبيد وقسمـهمـ بين البيع والمـبـاهـةـ والـعـتـقـ وكان العااضد لما اشتـدـ مـرـضـهـ استـدـعـاهـ فـلـمـ يـجـبـ دـاعـيـهـ وـظـنـهـ خـدـيـعـةـ فـلـمـ تـرـفـيـ نـدـمـ وـكـانـ يـصـفـهـ بـالـكـرـمـ وـلـيـنـ الـجـانـبـ وـغـلـيـةـ الـخـيـرـ عـلـىـ طـبـهـ وـالـإـنـقـادـ وـلـاـ وـصـلـ الـخـبـرـ إـلـىـ بـغـدـادـ بـالـخـطـبـةـ للمـسـتـضـيءـ ضـرـبـتـ الـبـشـارـ وـزـيـنـتـ بـغـدـادـ إـيـامـاـ وـبـعـثـتـ الـخـلـعـ لـنـورـ الـدـيـنـ وـصـلـاحـ الـدـيـنـ معـ صـنـدـلـ الـخـادـمـ منـ خـواـصـ الـمـقـنـفـ فـوـصـلـ إـلـىـ نـورـ الـدـيـنـ وـبـعـثـتـ بـخـلـعـ صـلـاحـ الـدـيـنـ وـخـلـعـ الـخـطـبـاءـ بمـصـرـ وـالـأـعـلـامـ السـوـدـ وـالـلـهـ تـعـالـىـ أـعـلـمـ.

## الوحشة بين صلاح الدين ونور الدين

قد كان تقدم لنا ذكر هذه الوحشة في أخبار نور الدين مستوفاة وأن صلاح الدين غزا بلاد الإفرنج سنة سبع وسبعين وحاصر حصن الشوبك على مرحلة من الكرك حتى استأمنوا إليه فبلغ ذلك نور الدين فأعزـمـ على قصد بلاد الإفرنج من ناحية أخرى فارتـابـ صـلـاحـ الـدـيـنـ فيـ أـمـرـهـ وـفـيـ لـقـاءـ نـورـ الـدـيـنـ وـإـظـهـارـ طـاعـتـهـ وـمـاـ يـنـشـأـ عـنـ ذـلـكـ مـنـ تـحـكـمـهـ فـيـ فـاسـيـعـ العـرـوـدـ إـلـىـ مـصـرـ وـاعـتـنـرـ لـنـورـ الـدـيـنـ بـشـيـءـ بـلـغـهـ عـنـ شـيـعـةـ الـعـلـوـيـنـ ليـعـتـزـلـهـ نـورـ الـدـيـنـ وـاخـذـ فـيـ الـاسـتـعـادـ لـعـزـلـهـ وـبـلـغـ ذـلـكـ صـلـاحـ الـدـيـنـ وـأـصـحـابـهـ

وـالـأـقـسـةـ إـلـىـ بـلـادـ الـقـرـانـيـةـ يـدـعـونـهـ إـلـىـ الـلـادـافـعـةـ عـنـ بـيـتـ الـقـدـسـ وـكـاتـبـاـ الـإـفـرـنجـ بـصـفـةـ وـأـنـدـلـسـ يـسـتـجـدـونـهـ فـنـفـرـوـ وـاسـتـعـدـوـ لـإـمـادـهـمـ وـاجـتـمـعـهـ الـذـيـنـ بـسـوـاـحـلـ الشـامـ فـيـ فـاتـحـ خـسـ وـسـتـيـنـ وـثـلـثـائـةـ وـرـكـبـوـاـ فـيـ الـفـلـكـ لـيـمـلـكـوـهـاـ وـيـقـرـبـوـاـ مـنـ مـصـرـ وـكـانـ صـلـاحـ الـدـيـنـ قـدـ لـوـاـهـ شـمـسـ الـخـواـصـ مـنـكـبـرـسـ فـبـعـثـ إـلـيـهـ بـالـخـبـرـ فـجـهزـ إـلـيـهـ بـهـاءـ الـدـيـنـ قـرـاقـوـشـ وـأـمـرـاءـ الـغـزـ فـيـ الـبـرـ مـتـابـعـينـ وـوـاصـلـ الـمـرـاكـبـ بـالـأـسـلـحةـ وـالـإـتـاوـاتـ فـاسـتـبـاحـهـاـ وـخـرـبـهـاـ.

وـبـلـنـهـمـ الـخـبـرـ بـذـلـكـ عـلـىـ دـمـيـاطـ لـأـنـهـ لـاـ يـقـدرـ عـلـىـ الـسـيـرـ إـلـيـهـ خـشـيـةـ مـنـ أـهـلـ الدـوـلـةـ بـمـصـرـ فـبـعـثـ نـورـ الـدـيـنـ إـلـيـهـ الـعـساـكـرـ أـرـسـالـاـ ثـمـ سـارـ بـنـفـسـهـ وـخـالـفـ الـإـفـرـنجـ إـلـىـ بـلـادـهـمـ بـسـوـاـحـلـ الشـامـ فـاسـتـبـاحـهـاـ وـخـرـبـهـاـ.

وـبـلـنـهـمـ الـخـبـرـ بـذـلـكـ عـلـىـ دـمـيـاطـ وـقـدـ اـمـتـعـتـ عـلـيـهـمـ وـوـقـعـ فـيـهـمـ الـمـوـتـانـ فـاقـلـعـوـاـ عـنـهـ لـحـمـسـيـنـ يـوـمـاـ مـنـ حـصـارـهـ وـرـجـعـ أـهـلـ سـوـاـحـلـ الشـامـ بـلـبـلـادـهـمـ فـرـجـدـوـهـاـ خـرـابـاـ وـكـانـ جـلـةـ مـاـ بـعـثـهـ نـورـ الـدـيـنـ فـيـ الـمـدـ لـصـلـاحـ الـدـيـنـ فـيـ شـانـ دـمـيـاطـ هـذـهـ الـفـلـكـ دـيـنـارـ سـوـىـ الـشـابـ وـالـأـسـلـحةـ وـغـيـرـهـاـ ثـمـ أـرـسـلـ صـلـاحـ الـدـيـنـ إـلـىـ نـورـ الـدـيـنـ فـيـ مـتـنـصـفـ الـسـنـةـ يـسـتـدـعـيـهـ مـنـ آبـاهـ نـحـمـ الـدـيـنـ أـيـوبـ فـجـهزـهـ إـلـيـهـ مـعـ عـسـكـرـ وـاجـتـمـعـ مـعـهـمـ مـنـ التـجـارـ جـمـاعـهـ وـخـشـيـهـ عـلـيـهـمـ نـورـ الـدـيـنـ فـيـ طـرـيقـهـمـ مـنـ الـإـفـرـنجـ الـذـيـنـ بـالـكـرـكـ فـسـارـ إـلـىـ الـكـرـكـ وـحـاـصـرـهـمـ بـهـاـ.

وـجـعـ الـإـفـرـنجـ الـآخـرـونـ فـصـمـدـ لـلـقـائـهـمـ فـخـامـوـهـ عـنـهـ وـسـارـ فـيـ وـسـطـ بـلـادـهـمـ وـسـارـ إـلـىـ عـشـيرـاـ وـوـصـلـ نـحـمـ الـدـيـنـ أـيـوبـ إـلـىـ مـصـرـ وـرـكـبـ الـعـاـاضـدـ لـتـلـقـيـهـ ثـمـ سـارـ صـلـاحـ الـدـيـنـ سـنـةـ سـتـ وـسـبـعـنـ لـزـرـوـ بـلـادـ الـإـفـرـنجـ وـأـغـارـ عـلـىـ أـعـمـالـ عـسـقـلـانـ وـالـرـمـلـةـ وـنـبـرـ بـرـطـ غـزـةـ وـلـقـيـهـ مـلـكـ الـإـفـرـنجـ فـهـزـمـهـ وـعـادـ إـلـىـ مـصـرـ ثـمـ أـنـشـأـ مـرـاكـبـ وـحـلـهـاـ مـفـصـلـةـ عـلـىـ الـجـمـالـ إـلـىـ أـيـلـةـ فـالـفـهـاـ وـالـقـاهـاـ فـيـ الـبـرـ وـحـاـصـرـهـ أـيـلـةـ بـرـاـ وـمـحـرـاـ وـفـتـحـهـاـ عـنـوـةـ فـيـ شـهـرـ رـبـيعـ مـنـ الـسـنـةـ وـاسـتـبـاحـهـ وـعـادـ إـلـىـ مـصـرـ فـغـزـلـ قـضـاءـ الشـيـعـةـ وـأـقـامـ فـاضـيـاـ شـافـعـيـاـ فـيـهـاـ وـوـلـ فـيـ جـيـعـ الـبـلـادـ كـذـلـكـ ثـمـ بـعـثـ أـخـاهـ شـمـسـ الـدـوـلـةـ تـورـانـ شـاهـ إـلـىـ الصـعـيدـ فـأـغـارـ عـلـىـ الـعـرـبـ وـكـانـوـاـ قـدـ عـاثـواـ وـأـفـسـدـوـ فـكـهـمـ عـنـ ذـلـكـ وـالـلـهـ تـعـالـىـ أـعـلـمـ.

## الخطبة العباسية بمصر

ثـمـ كـتـبـ نـورـ الـدـيـنـ بـإـقـامـةـ الـخـطـبـةـ للمـسـتـضـيءـ الـعـبـاسـيـ وـتـرـكـ الـخـطـبـةـ لـلـعـاـاضـدـ بـمـصـرـ فـاعـتـنـرـ عـنـ ذـلـكـ بـمـيلـ أـهـلـ مـصـرـ لـلـعـلـوـيـنـ وـفـيـ بـاطـنـ الـأـمـرـ خـشـيـهـ مـنـ نـورـ الـدـيـنـ فـلـمـ يـقـبـلـ نـورـ الـدـيـنـ عـذـرهـ فـيـ

ثم استولى على قابس من ورائها وعلى توزر ونقطة وبلاد ونفزاوه من أفريقيا وجع أموالاً جمة وجعل ذخيرته بمدينة قابس وخرب تلك البلاد أثناء ذلك باستيلاء العرب عليها ولم يكن لهم قدرة على منهم ثم طمع في الاستيلاء على جميع أفريقيا ووصل يده بيعمى بن غانية المتنواني الثائر بتلك الناحية بدعة لتوة من بقية الأمراء في دولتهم فكانت لها تلك الناحية آثار مذكورة في أخبار دولة المرحدين إلى أن غلبه ابن غانية على ما ملك من تلك البلاد وقتلها كما هو مذكور في أخبارهم والله أعلم.

### استيلاء نور الدين توران شاه بن أيوب على بلاد التوبة ثم على بلاد اليمن

كان صلاح الدين وقومه على كثرة ارتياههم من نور الدين وظفهم به الظلون يحاولون ملك القاصية عن مصر ليتمتعوا بها إن طرقهم منه حادث أو عزم على المسير إليهم في مصر فصرفوا عزمهم في ذلك إلى بلاد التوبة أو بلاد اليمن وتجهز شمس الدولة توران شاه بن أيوب وهو آخر صلاح الدين الأكبر إلى ملك التوبة وسار إليها في الساكرة سنة ثمان وستين وحاصر قلعة من ثورهم ففتحها واحتلها فلم يجد فيها خرجاً ولا في البلاد بأسراها جباية وأوقاتهم الذرة وهو في شطف من العيش ومعاناة للفتن فاقتصر على ما فتحه من ثورهم وعاد في غيته بالعيد والجواري فلما وصل إلى مصر أقام بها قليلاً وبعثه صلاح الدين إلى اليمن وقد كان غالب عليه علي بن مهدي الخارجي سنة أربع وخمسين وصار أمره إلى ابنه عبد النبي وكوسى ملكه زيد منها وفي عدد ياسر بن بلا بقية ملوك بني الريبع.

وكان عمارة اليمني شاعر العبيدي وصاحب بني رزيك من أمرائهم وكان أصله من اليمن وكان في خدمة شمس الدولة ويغريه به فسار إليه شمس الدولة بعد أن تجهز وأزاح العلل واستعد للعمال والعيال وسار من مصر متصرف ستة تسع وستين ومر بمكة وانتهى إلى زيد وبها ملك اليمن عبد النبي بن علي بن مهدي فبرز إليه وقاتلته فانهزم والآخر بالبلد وحرفت عساكر شمس الدولة فتسللوا أسرارها وملكونها عنزة واستباحوها وأسرروا عبد النبي وزوجته وولى شمس الدولة على زيد مبارك بن كامل بن منقد من أمراء شيزر كان في جملته ودفع إليه عبد النبي ليستخلص منه الأموال فاستخرج من قريته دفائن كانت فيها أموال جليلة ودلهم زوجته الحرة على وداع استولوا منها على أموال جمة.

فتقاوموا في مدافعته ونهامهم أبوه نجم الدين أيوب وأشار بمحاتبته للتلف له مخافة أن يبلغه غير ذلك فيقوى عزمه على العمل به ففعل ذلك صلاح الدين فساله نور الدين وعادت المخالطة بينهما كما كانت واتفاقاً على اجتماعهما لحصار الكرك فسار صلاح الدين لذلك سنة ثمان وستين وخرج نور الدين من دمشق بعد أن تجهز فلما انتهى إلى الرقيم على مرحلتين من الكرك وبلغ صلاح الدين خبره ارتتابه ثانيةً وجاءه الخبر بمرض نجم الدين أبيه بمصر فكرّ راجعاً وأرسل إلى نور الدين الفقيه عيسى الهكاري بما وقع من حديث المرض بأبيه وأنه رجع من أجله فاظهر نور الدين القبول وعاد إلى دمشق والله تعالى أعلم.

### وفاة نجم الدين أيوب

كان نجم الدين أيوب بعد انصراف ابنه صلاح الدين إلى مصر أقام بدمشق عند نور الدين ثم بعث عنه ابنه صلاح الدين عندما استوثق له ملك مصر فجهزه نور الدين سنة حسن وستين في عسكره وسار لحصار الكرك ليشغل الإفرنج عن اعتراضه كما مر ذكره ووصل إلى مصر وخرج العاشر لتلقيه وأقام مكرماً ثم سار صلاح الدين إلى الكرك سنة ثمان وستين المرة الثانية في مواعدة نور الدين وأقام نجم الدين بمصر وركب يوماً في مركب وسار ظاهر البلد والقرس في غلاء مراحه وملاعبة ظله فسقط عنه وحل وقيناً إلى بيته فهلك لأيام منها آخر ذي الحجة من السنة وكان خيراً جرداً حسناً للعلماء والفقراء وقد تقدم ذكر أوليته والله ولـي التوفيق.

### استيلاء قراقوش على طرابلس الغرب

كان قراقوش من موالى تقى الدين عمر بن شاه بن نجم الدين أيوب وهو ابن أخي صلاح الدين فغضب مولاه في بعض التزاعات وذهب مغاضباً إلى المغرب ولحق بجبل نفروسة من ضواحي طرابلس الغرب وأقام هناك دعوة مواليه وكان في سلطنة تلك الجبال مسعود بن زمام المعروف بالبلط في أحياه من رياح من عرب هلال بن عامر وكان منحرفاً عن طاعة عبد المؤمن شيخ المرحدين وخليفة المهدي فيهم فابتذر مسعود بقومه عن المغرب وأفريقية إلى تلك القاصية فدعاه قراقوش إلى إظهار دعوة مواليه بني أيوب فأجابه ونزل معه بأحيائه على طرابلس فحاصرها قراقوش وافتتحها ونزل بأهله وعياله في قصرها.

شاء الله تعالى والله أعلم.

### وصول الإفرنج من صقلية إلى الإسكندرية

لما وصلت رسائل هؤلاء الشيعة إلى الإفرنج بصفية تمهذوا ويعثروا مراكبهم ماتيًّا سطوط للمقابلة فيها خسون الف رجل والقان وخمسة فراس وثلاثون مركبة للخيول وستة مراكب لآلة الحرب وأربعين لالأزواب وتقديم عليهم ابن عم الملك صاحب صقلية ووصلوا إلى ساحل الإسكندرية سنة سبعين وركب أهل البلد الأسوار وقاتلهم الإفرنج ونصبوا الآلات عليها وطار الخبر إلى صلاح الدين بمصر ووصلت الأماء إلى الإسكندرية من كل جانب من نواحيها وخرجوا في اليوم الثالث فقاتلوا الإفرنج فظفروا عليهم ثم جاءهم البشير آخر النهار بهجته صلاح الدين فاهتاجوا للحرب وخرجوا عند اختلاط الظلام فكبسوا الإفرنج في خيالهم بالساحل وبدروا إلى ر Cobb البحر فقسموا بين القتل والفرق ولم ينج إلا القليل واعصم منهم نحو من ثلاثة برأس رابية هناك إلى أن أصبحوا فقلت بعضهم وأسر الباقون وأقلعوا بأساطيلهم راجعين والله تعالى أعلم.

### واقعة كنْز الدولة بالصعيد

كان أمير العرب بنواحي أسوان يلقب كنْز الدولة وكان شيعة للعلوية بمصر وطالب أيامه واشتهر ولما ملك صلاح الدين قسم الصعيد أقطاعاً بين أمرائه وكان آخر أبي الهيجاء السمين من أمرائه وأقطاعه في نواحيهم فعصى كنْز الدولة سنة سبعين واجتمع إليه العرب والسودان وهجم على أخي أبي الهيجاء السمين في أقطاعه فقتله وكان أبو الهيجاء من أكبر الأمراء فبعث صلاح الدين لقتال الكنْز وبعث معه جماعة من الأمراء والنف له الجندي فساروا إلى أسوان ومرروا بالصعيد، فحاصروا بها جماعة وظفروا بهم فاستلموهم ثم ساروا إلى الكنْز فقاتلوا وهزموه وقتل واستسلم جميع أصحابه وأمنت بلاد أسوان والصعيد والله تعالى ولي التوفيق.

### استيلاء صلاح الدين على قواعد الشام

#### بعد وفاة العادل نور الدين

كان صلاح الدين كما قدمناه قائماً في مصر بطاقة العادل

وأقيمت الخطبة العباسية في زيد وسار شمس الدولة توران شاه إلى عدن وبها ياسر بن بلال كان أبوه بلال بن جرير مستبداً بها على مواليه بني الزريع وورثها عنه ابنه ياسر فسار ياسر للقائه فهزمه شمس الدولة وسارت عساكره إلى البلد فملوكها وجاؤوا بياسر أسيراً إلى شمس الدولة فدخل عدن وعبد النبي معه في الاعتقال واستولى على نواحيها وعاد إلى زيد ثم سار إلى حصن الرجال فملك تعز وهي من أحسن القلاع وحصن التغر وجاوزها وغيرها من المعاقل والمحصون وولى على عدن عز الدولة عثمان بن الزخيلي واتخذ زيد سبياً لملكه ثم استولى عليها وسار في الرجال ومعه الأطباء يتخير مكاناً صحيحاً للهواء للسكنى فوقع اختيارهم على تعز فاختطف هنالك مدينة واتخذها كرسبياً لملكه ويقيس لبنيه ومواليهم بني رسول كما ذكره في أخبارهم والله تعالى ولي التوفيق.

### واقعة عمارة ومقتله

كان جماعة من شيعة العلوين بمصر منهم عمارة بن أبي الحسن اليمني الشاعر وعبد الصمد الكاتب والقاضي العريديس وأبن كامل داعي الدعاة وجاء من الجندي وحاشية القصر اتفقوا على استدعاء الإفرنج من صقلية وسواحل الشام وبنلوا لهم الأموال على أن يقصدوا مصر، فإن خرج صلاح الدين للقائهم بالعساكر ثار هؤلاء بالقاهرة وأعادوا الدولة العيدية وإلا فلا بد له إن أقام من بعث عساكره لمدافة الإفرنج فينفردون به ويقبضون عليه وواطئهم على ذلك جماعة من أمراء صلاح الدين وتحسناً لذلك غيبة أخيه توران شاه باليمين ونقوا بأنفسهم وصدقوا توهاتهم وربوا وظائف الدولة وخططها وتنازع في الوزارة بنو رزيك وبنو شاور وكان على بن نحي الواقع من داخلهم في ذلك فاطلع صلاح الدين هو في الباطن إليهم وغنى الخبر إلى صلاح الدين من عيونه ببلاد الإفرنج فرضخ على رسول الله عنه عيوناً جاوة بخلية خبره فقبض حيثذا عليهم وفيه: إن علي بن نحي أئمّة خبرهم إلى القاضي فأوصله إلى صلاح الدين ولما قبض عليهم صلاح الدين أمر بصلبهم ومر عمارة بيت القاضي وطلب لقاءه فلم يسعده وأنشد البيت المشهور

عبد الرحيم قد احتجب أن الخلاص هو العجب  
ثم صلبوها جيماً وزردي في شيعة العلوين بالخروج من ديار مصر إلى الصعيد واحتيط على سلالة العاضد بالقصر وجاء الإفرنج بعد ذلك من صقلية إلى الإسكندرية كما يأتي خبره إن

واقعة صلاح الدين مع الملك الصالح  
وصاحب الموصل وما ملك من الشام بعد  
انهز امهما

ثم سار سيف الدين غازي صاحب الموصل في سنة إحدى وسبعين بعد انتزام أخيه وعساكره واستقدم صاحب كيما وصاحب ماردین وسار في سنة الاف فارس وانتهى إلى نصبيين في ربيع من السنة فشتبها حتى ضجرت العساكر من طول المقام وسار إلى حلب فخرجت إليه عساكر الملك الصالح مع كمسكين الخادم وسار صلاح الدين من دمشق للقائهم فلقيهم قبل السلطان فهزهم واتبعهم إلى حلب وعبر سيف الدين الفرات منهزاً إلى الموصل وترك أخاه عز الدين بحلب واستولى صلاح على مخلفهم وسار إلى مراغة فملكها وولى عليها ثم إلى منيذ وبها قطب الدين بنىال بن حسان المنجبي وكان حفناً عليه لقبه آثاره في عاداته

نور الدين محمود بن زنكى ولما توفى سنة تسع وستين ونصب ابنه الصالح إسماعيل فى كفالة شمس الدين محمد بن عبد الملك المقدم وبعث إلى صلاح الدين بطاعته ونقم عليهم أنهم لم يردوا الأمر إليه وسار غازى صاحب الموصل بن قطب الدين مودود بن زنكى إلى بلاد نور الدين التي بالجزيرة وهي نصين والخابور وحران والوالها والرواقة فلكلها ونقم عليه صلاح الدين أنه لم يغبوا حتى يدفعوه عن بلادهم وكان الخادم سعد الدين كمستكين الذى لاه نور الدين قلعة الموصل وأمر سيف الدين غازى بمعتله بأمره قد لحق عند وفاة نور الدين بخلب وأقام بها عند شمس الدين علي ابن الراية المستبد بها بعد نور الدين فبعثه ابن الراية إلى دمشق في عسكر ليجيء بالملك الصالح إلى حلب لمدافعة سيف الدين غازى فذكروه أولاً وطردوه ثم رجعوا إلى هذا الرأي ويعثروا عنه فسار مع الملك الصالح إلى حلب ولين دخوله قبض على ابن الراية وعلى مقدمي حلب واستبد بكتالة الصالح وخاف الأمراء بدمشق وبعثوا إلى سيف الدين غازى ليملكوه فظها مكيدة من ابن عمه وامتنع عليهم وصالح ابن عمه على ما أخذ من البلاد فبعث أمراء دمشق إلى صلاح الدين وتولى كبر ذلك ابن المقدم فبادر إلى الشام وملك بصرى ثم سار إلى دمشق فدخلها في منتصف ربيع سنة سبعين وخمسة ونبل دار أبيه المعروفة بالعنفيyi وبعث القاضى كمال الدين ابن شهرزوري إلى ريجان الخادم بالقلعة أنه على طاعة الملك الصالح وفي خدمته وما جاء إلا لنصرته فسلم إليه القلعة وملكتها واستختلف على دمشق أخاه سيف الإسلام طفركين وسار إلى حصن وبها وال من قبل الأمير مسعود الزعفراني وكانت من أعماله فقاتلها وملكتها وجر عسكراً لقتال قلعتها وسار إلى حماة مظهراً لطاعة الملك لصالح وارتجاع ما أخذ من بلاده بالجزيرة وبعث بذلك إلى صاحب قلعتها خرديك واستخلفه وسار إلى الملك الصالح ليجمع الكلمة ويطلق أولاد الراية واستختلف على قلعة حماة أخاه ولا وصل إلى حلب جبse كمستكين الخادم ووصل الخبر إلى أخيه بقلعة حماة فسلمها لصلاح الدين وسار إلى حلب فحاصرها ثالث جاهي الأخيرة واستنمات أهلها في المدافعة عن الصالح وكان بخلب سمند صاحب طرابلس من الإفرنج محبوساً منذ أسره نور الدين على حرام سنة تسع وخمسين فاتلقه كمستكين على مال وأسرى بيته.

وتوفي نور الدين أول السنة وخلف ابنا مجدوماً فكفله سمند واستولى على ملوكهم فلما حاصر صلاح الدين حلب بعث كستكين إلى سمند يستتجده فسار إلى حمص وناظها فسار إليه صلاح الدين وترك حلب وسمم الإنزنج بمسيره فرحلوا عن

فلحق بالموصل وولاه غازي مدينة الرقة.

ثم سار صلاح الدين إلى قلعة إعزاز فحاصرها أوائل ذي القعدة من السنة أربعين يوماً وشد حصارها فاستأنوا إليه فملكها ثانية الأضحى من السنة وتب عليه في بعض أيام حصارها باطيء من الفدوية فضربه وكان مسلحاً فأمسك يد الفدوبي حتى قتل وقتل جماعة كانوا معه لذلك ورحل صلاح الدين بعد الاستيلاء على قلعة إعزاز إلى حلب فحاصرها وبها الملك الصالح وأعتصب عليه أهل البلد واستمروا في المداومة عنه.

ثم ترددت الرسالة في الصلح بينهما وبين صاحب الموصل وكيفاً وصاحب ماردین فانعقد بينهم في حرم سنة اثنين وستين وعاد صلاح الدين إلى دمشق بعد أن رد قلعة إعزاز إلى الملك الصالح بوسيلة أخته الصغيرة خرجت إلى صلاح الدين ثانية فاستوحته قلعة إعزاز فوهبها لها والله تعالى أعلم.

### مسير صلاح الدين إلى بلاد الإسماعيلية

ثم سار صلاح الدين من مصر في جمادى الأولى ستة ثلاث وسبعين إلى ساحل الشام لغزو بلاد الإفرنج واتجه إلى عسقلان فاكتسح أعمالها ولم يربو للإفرنج خيراً فانساحوا في البلاد وانقلبوا إلى الرملة فما راعهم إلا الإفرنج مقبلين في جموعهم وابتالمهم وقد افترق أصحاب صلاح الدين في السرايا فثبت في موقفه واشتد القتال وأبلى يومئذ محمد ابن أخيه في المداومة عنه وقتل من أصحابه جماعة وكان لتقى الدين بن شاه ابن اسمه أحد متكامل الخلال لم يطر شاريه فابلى يومئذ واستشهد وقتلت المزينة على المسلمين وكان بعض الإفرنج تخاصموا إلى صلاح الدين فقتل بين يديه وعد منهزماً وأسر الفقيه عيسى المكارى بعد أن أبلى يومئذ بلاء شديداً.

وسار صلاح الدين حتى غشيه الليل ثم دخل البرية في فل قليل إلى مصر ولحقهم الجهد والعطش ودخل إلى القاهرة متصرف جمادى الأخيرة.

قال ابن الأثير: ورأيت كتابه إلى أخيه توران شاه بدمشق يذكر الواقعية

ذكرتك والخطي ينظر بيتسا وقد فتكت فيما المفنة السمر ومن فصولة: لقد أشرفنا على الملائكة غير مرة وما نجانا الله سبحانه منه إلا لأمر بريله وما ثبتت إلا وفي نفسها أمر انتهى.

وأما السرايا التي دخلت بلاد الإفرنج فتقسمهم القتل والأسر وأما الفقيه عيسى المكارى فلما ول منهزماً ومعه آخره الظهور ضل عن الطريق ومعهما جماعة من أصحابهما فأسرروا وفداء صلاح الدين بعد ذلك بستين ألف دينار والله تعالى أعلم.

### غزوات بين المسلمين والإفرنج

كان شمس الدين محمد ابن المقدم صاحب بعلبك وأغار جمع من الإفرنج على البقاع من أعمال حلب فسار إليهم وأكمّن لهم في الغياض حتى نال منهم وقتل فيهم وبعث إلى صلاح الدين بعثي أسر منهم وقارن ذلك وصول شمس الدولة توران شاه بن أيوب من اليمن فبلغه أن جماعاً من الإفرنج أغروا على أعمال

### حصار الإفرنج مدينة حماة

ثم وصل في جمادى الأولى إلى ساحل الشام زعيم من طواغيت الإفرنج وقارن وصوله هزيمة صلاح الدين وعاد إلى دمشق يومئذ توران شاه بن أيوب في قلة من العسكر وهو مع ذلك منهمك في ملذاته فسار ذلك الزعيم بعد أن جمع فرنج الشام

## تخريب حصن الإفرنج

كان الإفرنج قد أخذوا حصنًا منيعًا بقرب بانياس عند بيت عقوب عليه السلام ويسمى مكانه خاصية الأضرار فسار صلاح الدين من دمشق إلى بانياس سنة خمس وسبعين وأقام بها ويث فيها الغارات على بلادهم ثم سار إلى الحصن فحاصره ليختبره وعاد عنه إلى اجتماع العساكر وبيت السرايا في بلاد الإفرنج للغارة وجاء ملك الإفرنج للغارة على سرتنه ومعه جماعة من عساكره فبعثوا إلى صلاح الدين بالخبر فوافاهم وهم يقتلون فهزم الإفرنج وأثخن فيما ونجا ملوكهم في قل واسر صاحب الرملة ونبالس منهم وكان رديف ملوكهم وأسر آخره صاحب جبيل وطبرية ومقدم الفداوية ومقدم الأستبارية وغيرهم من طواغيهم وفادى صاحب الرملة نفسه وهو ارتیزان بمائة وخمسين ألف دينار صورية وألف أسير من المسلمين.

وابلى في هذا اليوم عز الدين فرخشاه ابن أخي صلاح الدين بلاده حسناً ثم عاد صلاح الدين إلى بانياس وبيت السرايا في بلاد الإفرنج وسار لمحاصرة الحصن فقاتلته قاتلاً شديداً وتسلّم المسلمين سوره حتى ملکروا برجاً منه، وكان مدد الإفرنج بطبرية والمسلمون يرتفبون وصوّلهم فأصابحوا من الغد ونقباو السور وأضرموا فيه النار فسقطت مملك المسلمين الحصن عنده آخر ربيع سنة خمس وسبعين وأسرّوا كل من فيه وأمر صلاح الدين بهدم الحصن فالحق بالأرض وبلغ الخبر إلى الإفرنج وهو مجتمعون بطبرية لإمداده فافتقرّوا وانهزم الإفرنج والله سبحانه وتعالى أعلم.

## الفتنة بين صلاح الدين وقليل أرسلان صاحب الروم

كان صاحب حصن زغبان من شمال حلب قد ملّكه نور الدين العادل بن قليج أرسلان صاحب بلاد الروم وهو يد شمس الدين ابن المقدم فلما انقطع حصن رعيان عن إمالة صلاح الدين وراء حلب طمع قليج أرسلان في استرجاعه فبعث إليه عساكره يحاصروه وبعث صلاح الدين تقى الدين ابن أخيه في عسكر لمدافعتهم فلقيتهم وهزمهم وعاد إلى عمه صلاح الدين ولم يحضر معه تخريب حصن الإضرار وكان نور الدين محمود بن قليج أرسلان بن داود صاحب حصن كينا وأمد وغيرهما من ديار بكر قد فسد ما بينه وبين قليج أرسلان صاحب بلاد الروم بسبب إصراره بيته وزواجه عليها واعتزم قليج أرسلان على حربه وأخذ

وبذل لهم العطا فحاصر مدينة حماة وبها شهاب الدين محمود الحارمي خال صلاح الدين مريضاً وشد حصارها وقتلها حتى أشرف على أخذها وهجموا يوماً على البلد وملکوا ناحية منه فداقعهم المسلمون وأخرجوهم ومنعوا حماة منهم فانقذوا عنها بعد أربعة أيام وساروا إلى حارم فحاصروها ولما رحلوا عن حماة مات شهاب الدين الحارمي ولم يزل الإفرنج على حارم يحاصرونها وأطعّهم فيها ما كان من تركة الصالح صاحب حلب لكتستكين الخادم كافل دولته ثم صانعهم بماله فرحلوا عنها ثم عاد الإفرنج إلى مدينة حماة في ربيع سنة أربع وسبعين فعادوا في نواحيها واكتسحوا أعمالها وخرج العسكر حامية البلد إليهم فهزموهم واستردوا ما أخذوا من السواد وبعثوا بالرؤوس والأسرى إلى صلاح الدين وهو ظاهر حصن متقلباً من الشام فامر بقتل الأسرى والله تعالى ولي التوفيق.

## انتهاض ابن المقدم بعلبك وفتحها

كان صلاح الدين لما ملّك بعلبك استخلف فيها شمس الدين محمد بن عبد الملك المقدم جزاء ما فعله في تسليم دمشق وكان شمس الدولة محمد آخر صلاح الدين ناشطاً في ظل أخيه وكفالته فكان يميل إليه وطلب منه أقطاع بعلبك فامر ابن المقدم بتكميّنه منها فلابي وذكره عهده في أمر دمشق فسار ابن المقدم إلى بعلبك وامتنع فيها ونالزاته العساكر فامتنع وطارلوه حتى بعث إلى صلاح الدين يطلب الموضع فعرضه عنها وسار آخره شمس الدين إليها فملكها والله تعالى ولي التوفيق.

## وقائع مع الإفرنج

وفي سنة أربع وسبعين سار ملك الإفرنج في عسكر عظيم فاغار على أعمال دمشق واكتسحها وأثخن فيها قتلاً وسبياً وأرسل صلاح الدين فرخشاه ابن أخيه في العسكر لمدافعته فسار يطلبهم ولقيهم على غير استعداد فقاتل أشد القتال ونصر الله المسلمين وقتل جماعة من زعماء الإفرنج منهم هنفري وكان يضرب به المثل ثم أغاث البرنس صاحب أنطاكية واللاذقية على صرح المسلمين بشيزر وكان صلاح الدين على بانياس لتخريب حصن الإفرنج بمحاضة الإضرار فبعث تقى الدين عمر ابن أخيه شاهنشاه وناصر الدين محمد إلى حصن لحماية البلد من العدو كما نذكره إن شاء الله تعالى.

## غزوة صلاح الدين إلى الكرك

كان البرنس أرنات صاحب الكرك من مردة الإفرنج وشياطينهم وهو الذي اخترط مدينة الكرك وقتلتها ولم تكن هناك واعتزم على غزو المدينة البوية على ساكنها أفضل الصلاة وأتم السلام وسمع عز الدين فرخشاه بذلك وهو بدمشق فجمع وسار إلى الكرك سنة سبع سبعين واكتسح نواحيه وأقام ليشغلها عن ذلك الغرض حتى انقطع أمره وعاد إلى الكرك فعاد فرخشاه إلى دمشق والله تعالى أعلم بغيته.

## مسير سيف الإسلام طفركين بن أيوب إلى اليمن والي عليها

قد كان تقدم لنا فتح شمس الدولة توران شاه لليمن واستيلاؤه عليه سنة ثمان وستين وأنه ولـى على زيد مبارك بن كامل بن منقذ من أمراء شيزير وعلى عدن عن الدولة عثمان الزنجيلي واحتلـت مدينة تعز في بلاد اليمن واتخـذـها كرسـياً لـمـلكـهـ ثم عاد إلى أخيه سنة اثنتين وسبعين وأدرـكـهـ منـتصـرـاـ منـحـارـ حـلـبـ فـوـلاـهـ عـلـىـ دـمـشـقـ وـسـارـ إـلـىـ مـصـرـ ثـمـ وـلـاـ أـخـرـهـ صـلـاحـ دـيـنـ بـعـدـ ذـكـرـ مـدـيـنـةـ الإـسـكـنـدـرـيـةـ وـأـنـطـعـهـ إـيـاهـاـ مـضـافـةـ إـلـىـ أـعـمـالـ الـيـمـنـ وـكـانـ الـأـمـوـالـ تـحـمـلـ إـلـيـهـ مـنـ زـيـدـ وـعـدـنـ وـسـانـ وـلـاـيـاتـ الـيـمـنـ وـمـعـ ذـكـرـ فـكـانـ عـلـيـهـ دـيـنـ قـرـيـبـ مـنـ مـائـيـ الـفـ دـيـنـارـ مـصـرـيـةـ وـتـوـقـيـ سـتـ وـسـبـعـينـ فـقـضـاـهـ عـنـ صـلـاحـ دـيـنـ وـلـاـ بـلـغـهـ خـبـرـ وـفـاتـهـ سـارـ إـلـىـ مـصـرـ وـاسـتـخـلـفـ عـلـىـ دـمـشـقـ عـزـ الـدـيـنـ فـنـزـعـ إـلـىـ وـطـنـهـ بـزـيـدـ قـدـ تـغـلـبـ فـيـ لـاـيـهـ وـتـخـمـسـ فـيـ الـأـمـوـالـ فـنـزـعـ إـلـىـ وـطـنـهـ وـاسـتـأـذـنـ شـمـسـ الـدـوـلـةـ قـبـلـ موـتـهـ فـاذـنـ لـهـ فـيـ الجـيـهـ وـاسـتـأـذـنـ أـخـاهـ عـاطـافـ بـنـ زـيـدـ وـأـقـامـ مـعـ شـمـسـ الـدـوـلـةـ حـتـىـ إـذـ مـاتـ بـقـيـ فـ خـدـمـةـ صـلـاحـ دـيـنـ وـكـانـ مـحـشـداـ فـسـعـيـ فـيـهـ عـنـهـ أـنـ اـحـتـجزـ أـمـوـالـ الـيـمـنـ وـلـمـ يـعـرـضـ لـهـ فـتـحـلـهـ عـلـيـهـ وـكـانـ يـنـزلـ بـالـعـدـوـيـةـ قـرـبـ مـصـرـ فـصـنـعـ فـيـ بـعـضـ الـأـيـامـ صـنـيـعـاـ دـعـيـ إـلـيـهـ أـعـيـانـ الـدـوـلـةـ وـاـخـتـلـفـ موـالـيـهـ وـخـدـامـهـ إـلـىـ مـصـرـ فـيـ شـرـاءـ حـاجـتـهـ فـتـحـلـوـاـ صـلـاحـ دـيـنـ أـنـ هـارـبـ إـلـىـ الـيـمـنـ فـمـتـ حـيـلـهـمـ فـقـبـضـ عـلـيـهـ ثـمـ ضـاقـ عـلـيـهـ الـحـالـ وـصـابـرـهـ عـلـىـ ثـمـانـيـ الـفـ دـيـنـارـ مـصـرـيـةـ سـوـىـ مـاـ أـعـطـىـ لأـهـلـ الـدـوـلـةـ فـأـتـلـهـ وـأـعـادـهـ إـلـىـ مـنـزـلـهـ فـلـمـ بـلـغـ شـمـسـ الـدـيـنـ إـلـىـ الـيـمـنـ اـخـتـلـفـ نـوـابـهـ بـهـاـ حـطـاـنـ بـنـ مـنـقـذـ وـعـثـمـانـ بـنـ زـنجـيـلـيـ .

وـخـشـيـ صـلـاحـ دـيـنـ أـنـ تـخـرـجـ الـيـمـنـ عـنـ طـاعـتـهـ فـجـهزـ

بـلـادـهـ فـاستـجـدـ نـورـ الـدـيـنـ بـصـلـاحـ الـدـيـنـ وـبـعـثـ إـلـىـ قـلـيـحـ أـرـسـلـانـ يـشـفـعـ فـيـ شـانـهـ فـظـلـلـ اـسـتـرـجـاعـ حـصـونـهـ الـيـقـيـنـ أـعـطاـهـ نـورـ الـدـيـنـ عـنـدـ الـمـاصـاهـرـةـ وـلـجـ فـيـ ذـكـرـ صـلـاحـ الـدـيـنـ عـلـىـ قـلـيـحـ وـسـارـ إـلـىـ زـغـبـانـ وـمـرـ بـلـبـ فـتـرـكـهـ ذـاتـ الشـمـالـ وـسـلـكـهـ عـلـىـ تـلـ باـشـرـ .  
ولـاـ اـنـتـهـىـ إـلـىـ زـغـبـانـ جـاهـهـ نـورـ الـدـيـنـ مـحـمـودـ وـأـقـامـ عـنـهـ وـرـاسـلـ إـلـيـهـ قـلـيـحـ أـرـسـلـانـ يـصـفـ فـعـلـ نـورـ الـدـيـنـ إـلـيـهـ بـيـتـهـ فـلـمـ أـدـىـ الـرـسـوـلـ رـسـالـتـهـ اـمـتـضـ صـلـاحـ الـدـيـنـ وـتـوـعـدـهـ بـالـمـسـيرـ إـلـىـ بـلـدـهـ فـتـرـكـهـ الرـسـوـلـ حـتـىـ سـكـنـ وـغـدـاـ عـلـيـهـ فـطـلـبـ الـخـلـوةـ وـتـلـطـفـ لـهـ فـيـ فـسـخـ ماـ هـوـ فـيـهـ مـنـ تـرـكـ الغـزوـ وـنـفـقـةـ الـأـمـوـالـ فـهـذـاـ الغـرضـ الـحـقـيرـ إـنـ بـنـ قـلـيـحـ أـرـسـلـانـ يـجـبـ عـلـىـ مـثـلـ مـنـ الـمـلـوـكـ الـأـمـتـاضـ هـاـ وـلـاـ تـرـكـ المـضـارـةـ مـنـ دـوـنـهـ فـلـمـ صـلـاحـ الـدـيـنـ الـحـقـ فـيـمـاـ قـالـهـ وـقـالـ لـلـرـسـوـلـ: إـنـ نـورـ الـدـيـنـ اـسـتـنـدـ إـلـىـ فـعـلـكـ فـأـصـلـحـ الـأـمـرـ بـيـنـهـماـ وـأـنـعـنـ عـلـىـ مـاـ تـبـرـونـهـ جـيـعاـ فـقـعـلـ الرـسـوـلـ ذـكـرـ وـأـصـلـحـ بـيـنـهـماـ وـعـادـ صـلـاحـ الـدـيـنـ إـلـىـ الشـامـ وـنـورـ الـدـيـنـ مـحـمـودـ إـلـىـ دـيـارـ بـكـ وـطـلـقـ ضـرـةـ بـنـ قـلـيـحـ أـرـسـلـانـ بـالـأـجـلـ الـذـيـ أـجـلـهـ لـلـرـسـوـلـ وـالـلـهـ تـعـالـ أـعـلـ .

## مسير صلاح الدين إلى بلاد ابن اليون

كان قليح بن اليون من ملوك الأرض صاحب الدروب المجاورة لحلب وكان نور الدين محمود قد استخدمه وأقطع له في الشام وكان يعسكر معه وكان جريئاً على صاحب القسطنطينية وملك وادقة والمصيصة وطرسوس من يد الروم وكانت بينهما من أجل ذلك حروب ولا توفي نور الدين وانتقضت دولته أيام ابن اليون في بلاده وكان التركمان يحتاجون إلى رعي مواشيهم بأراضه على حصانتها وصعوبة مضايقتها وكان ياذن لهم فيدخلونها وغدر بهم في بعض السنين واستباحهم واستنقذ مواشيهم وبلغ الخبر إلى صلاح الدين منصره من زغبان فقصد بلده ونزل النهر الأسود ويث العارات في بلادهم واكتسحها وكان لابن اليون حصن وفيه ذخريته فخشى عليه فقصد تخريبه وسابقه إلى صلاح الدين فغنما فيه ويعث إلى ابن اليون برد ما أخذ من التركمان وإطلاق أسراه على الصلح والرجوع عنه فأجايه إلى ذلك وعاد عنه في متصرف سنة خمس وسبعين والله تعالى يؤيد بنصره من يشاء من عباده.

فرخشاه نائب دمشق إليها واكتسح نواحيها وخرب قراها وأتاختن  
فيهم قتلاً وسبياً وفتح الشقيق من حصونهم عنوة وكان له نكابية  
في المسلمين بفتح إلى صلاح الدين بفتحه فسر بذلك.

ثم راح صلاح الدين بدمشق أيامه وسار في ربيع الأول من  
السنة وقصد طبرية وخيم بالأردن واجتمع الإفرنج على طبرية  
فغير صلاح الدين فرخشاه ابن أخيه إلى بيسان فملكها عنوة  
واستباها وأغار على الغور فأتخن فيها قتلاً وسبياً وسار الإفرنج  
من طبرية إلى جبل كرك وتقدم صلاح الدين إليهم بعساكره  
فتتصدوا بالجبل فامر ابنه أخيه تقي الدين عمر وعز الدين  
فرخشاه ابن شاهنشاه قاتلوا الإفرنج قتالاً شديداً ثم تجاوزوا  
وعاد صلاح الدين إلى دمشق ثم سار إلى بيروت فاكتسح نواحيها  
وكان قد استدعي الأسطول من مصر لحصارها فواجهها بها  
وحاصرها أيام ثم بلغه أن البحر قد قذف بدمياط مركباً للإفرنج  
في جماعة منهم جاؤوا لزيارة القدس فالتهم الريح بدمياط وأسر  
 منهم ألف وستمائة أسير ثم ارتحل عن بيروت إلى الجزيرة كما  
ذكره إن شاء الله تعالى.

### مسير صلاح الدين إلى الجزيرة واستيلاؤه على حران والرها والرقة والخابور ونصيبين

#### ونسجار وحصار الموصل

كان مظفر الدين كوكبri بن زين الدين كجك الذي كان  
أبوه نائب القلعة بالموصل مستولياً في دولة مزدود وبنبه وانتقل  
آخرًا إلى إربيل ومات بها وأنقطعه عز الدين صاحب الموصل ابنه  
مظفر الدين وكان هواه مع صلاح الدين ويؤمله ملكه بلاد  
الجزيرة فراسله وهو محاصر لبيروت وأطعمه في البلاد واستثنى  
للوصول فسار صلاح الدين عن بيروت مورياً محلب وقد قصد  
الفرات ولقيه مظفر الدين وساروا إلى البيره وقد دخل طاعة عز  
الدين وكان عز الدين صاحب الموصل ومجاهد الدين لما بلغهما  
مسير صلاح الدين إلى الشام ظنوا أنه يريد حلب فساروا لمدافعته  
فلما عبر الفرات عادوا إلى الموصل وبعثوا حامية إلى الرها وكانت  
صلاح الدين ملوك الأطراف بديار بكر وغيرها بالوعد والمماربة.

ووعد نور الدين محموداً صاحب كيما أنه يملكه آمد ووصل  
إليه فساروا إلى مدينة الرها فحاصروها وبها يومئذ الأمير فخر  
الدين بن مسعود الزعفراني واشتد عليه القتال فاستأنس إلى صلاح  
الدين وملكه المدينة وحاصر معه القلعة حتى سلمها النائب الذي

جاءه من أمرائه إلى اليمن مع صارم الدين قطلخ أبوه وإلي مصر  
من أمرائه فساروا لذلك سنة سبع وسبعين واستولى قطلخ أبوه على  
زيهد من حطان بن منقذ ثم مات قريباً فعاد حطان إلى زيهد وأطاعه  
الناس وقرى على عثمان التنجيبي فكتب عثمان إلى صلاح الدين  
أن بيتح بعض قرابةه فجهز صلاح الدين أخاه سيف الإسلام  
طفركن فسار إلى اليمن وخرج حطان بن منقذ من زيهد ومحصن  
في بعض القلاع ونزل سيف الإسلام زيهد وبعث إلى حطان  
بالأمان فنزل إليه وأولاً الإحسان ثم طلب اللحاق بالشام فمنعه  
نَم الح عليه فاذن له حتى إذا خرج واحتفل رواحله وجاء ليودعه  
قبض عليه واستولى على ما معه ثم حبسه في بعض القلاع فكان  
آخر العهد به ويفقال: كان فيما أخذته سبعون حملأً من الذهب ولما  
سمع عثمان التنجيبي خبر حطان خشي على نفسه وحمل أمواله  
في البحر وحلق بالشام ويفيت مراكب سيف الإسلام  
فاستولى عليها ولم يخلص إلا بما كان معه في طريقه وصفاً اليمن  
لسيف الإسلام والله تعالى أعلم.

### دخول قلعة البيره في ايالة صلاح الدين وغزوه الإفرنج وفتح بعض حصونهم مثل الشقيق والغرر وبيروت

كانت قلعة البيره من قلاع العراق لشهاب الدين بن أرتق  
وهو ابن عم قطب الدين أبي الغازى بن أرتق صاحب ماردین  
وكان في طاعة نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام ثم مات  
وملك البيره بعده ابنه ومات نور الدين فصار إلى طاعة عز الدين  
مسعود صاحب الموصل ثم وقع بين صاحب ماردین وصاحب  
الموصل من المخالفات والاتفاق ما وقع وطلب من عز الدين أن  
يأذن له فيأخذ البيره فأذن له فسار قطب الدين في عسكره إلى  
قلعة سمياسط وأقام بها وبعث العسكر إلى البيره وحاصرها وبعث  
صاحبها يستتجد صلاح الدين ويكون له كما كان أبوه لنور الدين  
تشفع صلاح الدين إلى قطب الدين صاحب ماردین ولم يشفعه  
وشغل عنه بأمر الإفرنج ورحلت عساكر قطب الدين عنها فرجع  
صاحبها إلى صلاح الدين وأعطيه طاعة وعاد في إياته ثم خرج  
صلاح الدين من مصر في حرم سنة ثمان وسبعين قاصداً الشام  
ومر بآبلة وجمع الإفرنج لاعتراضه فبعث أقالته مع أخيه تاج  
الملوك إلى دمشق ومال على بلاذهن فاكتسح نواحي الكرك  
والشوبك وعاد إلى دمشق متصرف صفر وكان الإفرنج لما اجتمعوا  
على الكرك دخلوا بلاذهن من نواحي الشام فخالقهم عز الدين

ملكيها من الجزيرة وسار صلاح الدين إلى نصبين فشكا إليه أهلها من أبي الهيجاء السمين فعزله عنهم واستصحبه معه وسار إلى حران في ذي القعدة من سنة ثمان وسبعين وفرق عساكره ليستريحوا وأقام في خواصه وكبار أصحابه والله أعلم.

### مسير شاهرين صاحب خلاط الدين لتجدة صاحب الموصل

كان عز الدين قد أرسل إلى شاهرين يستجده على صلاح الدين فبعث إليه عدة رسائل شافعًا في أمره فلم يشفعه وغالطه في آخر مولاه آخرًا سيف الدين بكتمر وهو على سنجر يسأله في الإفراج عنها فلم يجيء إلى ذلك وسوفه رجاء أن يفرتها فابلغه بكتمر الرعيد عن مولاه وفارقه مغاضبًا ولم يقبل صلته وأغاره بصلاح الدين فصار شاهرين من خيمه بظاهر خلاط إلى ماردين وصاحجه يومذ ابن أخيه وابن خال عز الدين وصهره على بنته وهو قطب الدين ابن نجم الدين وسار إليهم أتابك عز الدين صاحب الموصل وكان صلاح الدين في حران منصرفه من سنجر وفرق عساكره فلما سمع باجتماعهم استدعي تقي الدين ابن أخيه شاهنشاه من حماة ورحل إلى رأس عين فاترق القوم وعاد كل إلى بلده وقد صلاح الدين ماردين فقام عليها عدة أيام ورجع والله تعالى ولي التوفيق بمنه وكرمه.

بها على ما شرطه فأضافها صلاح الدين إلى مظفر الدين مع حران وساروا إلى الرقة وبها نائبها قطب الدين نياں بن حسان المتوجي ففارقها إلى الموصل وملكيها صلاح الدين ثم سار إلى فرقيسيا وماسكن وعربان وهي بلاد الخابور فاستولى على جميعها وسار إلى نصبين فملك المدينة لوقتها وحاصر القلعة أيامًا ثم ملكها وأنقطعها للأمير أبي الهيجاء السمين ثم رحل عنها ونور الدين صاحب كفنا معه معتمدًا على قصد الموصل وجاءه الخبر بأن الإفرنج أغروا على نواحي دمشق واقتسموا قراها وأرادوا تغريب جامع داريا فتوعدهم نائب دمشق بتغريب بيعهم وكتاشهم فتركوه فلم يبن ذلك من عزمه وقد جمع صاحبها العساكر واستعد للحصار وخلى نائبه في الاستعداد. ويعث إلى سنجر وإربيل وجزيرة ابن عمر فشنحها بالأمداد من الرجال والسلاح والأموال وأنزل صاحب الدار عساكره بقربها وتقدم هو ومظفر الدين وابن شيركوه فهالهم استعداد صاحب البلد وأيقنوا بامتاعه وعدل صاحبيه هذين فإنهما كانا وأشارا بالبداءة بالموصل ثم أصبح صلاح الدين من الغد في عسكره وزلل عليه أول رجب على باب كندة وأنزل صاحب الحصن بباب الجسر وأخاه تاج الملوك بباب العمادي وقاتلهم فلم يظفر وخرج بعض الرجال فنالوا منه ونصب منجينقاً فنصبوا عليه من البلدة سعة ثم خرجوا إليه من البلد فاخذوه بعد قتال كثير وخشي صلاح الدين من القيادات فناخر لأنه رآهم في بعض الليالي يخرجون من باب الجسر بالمشاغل ويرجعون.

### واقعة الإفرنج في بحر السويس

كان البرنس أرنات صاحب الكرك قد أنشأ أسطولاً مفصلاً وحمل أجزاءه إلى صاحب أيلة وركبه على ما تقضيه صناعة الشابة وقذفه في السويس وشحنه بالمقاتلة وأقلعوا في البحر ففرقته أقاموا على حصن أيلة يحاصرونه وفرقة ساروا نحو عينذاب وأغاروا على سواحل الحجاز وأخذوا ما وجدوا بها من مراكب التجار وطرق الناس منهم بلية لم يعرفونها لأنه لم يعهد ببحر السويس إفرنجي محارب ولا تاجر وكان ينصر الملك العادل أبو بكر بن أبي بوب نائباً عن أخيه صلاح الدين فعمّر أسطولاً وشحنه بالمقاتلة وسار به حسام الدين لولو الحاجب قائد الأساطيل بديار مصر فبدأ بأسطول الإفرنج الذي يحاصر أيلة فهزقهم كل مزرق.

وبعد الظفر بهم ألقوا في طلب الآخرين وانتهت إلى عينذاب فلم يجد لهم فرجع إلى رايغ وأدركهم ساحل الحوراء وكانتوا عازمين على طروق الحرمين واليمن والإغارة على الحاج فلما

وكان صدر الدين شيخ الشيوخ ومشير الخادم قد وصل من عند الخليفة الناصر في الصلح وترددت الرسل بينهم فطلب عز الدين من صلاح الدين رد ما أخذته من بلادهم فأجاب على أن يعودونه من حلب فامتنع فرجع إلى ترك مظاهرة صاحبها فامتنع أيضًا ثم وصلت أيضًا رسائل صاحب أذربيجان ورسائل شاهرين صاحب خلاط في الصلح فلم يتم وسار أهل سنجر يعترضون من يقصده من عساكره وأصحابه فافتقر عن الموصل وسار إليها وبها شرف الدين أمير أمiran هند وأخوه عز الدين صاحب الموصل في عسكر ويعث إلى مجاهد الدين النائب بعسكر آخر مددًا وحاصرها صلاح الدين وضيق عليها واستعمال بعض أمراء الأكراد الذين بها من الزواوية فواعده من ناحيته.

وطرقة صلاح الدين فملكه البرج الذي في ناحيته فاستأمن أمير أمiran وخرج وعسكره معه إلى الموصل وملك صلاح الدين سنجر وولى عليها سعد الدين بن معين الدين الذي كان أبوه كامل بن طغرkin بدمشق وصارت سنجر من سائر البلاد التي

أظل عليهم لولو بالأسطول أيقنوا بالتلغلب وتراموا على الحوراء  
وأنسمنوا إليها واحتضنوا بشعابها ونزل لولو من مراكبه وجمع خيل  
الأعراب هنالك وقاتلهم فظفر بهم وقتل أكثرهم وأسر الباقيين  
فارسل بعضهم إلى مني فقتلوا بها أيام النحر وعاد بالباقيين إلى  
مصر والله تعالى يؤيد بنصره من يشاء.

## استيلاء صلاح الدين على تل خالد وعتاب

ولما فرغ صلاح الدين من آمد سار إلى أعمال حلب  
فحاصر تل خالد ونصب عليه الجانق حتى تسلمه بالأمان في حرم  
سنة تسع وسبعين ثم سار إلى عتاب فحاصرها وبها ناصر الدين  
محمد آخر الشيخ إسماعيل الذي كان خازن نور الدين العادل  
وصاحبه وهو الذي لاه عليها فطلب من صلاح الدين أن يقرها  
بيده ويكون في طاعته فأجابه إلى ذلك وحلف له وسار في خدمته  
وغمى المسلمين خلال ذلك مقام.  
فمنها في البحر سار أسطول مصر فلقي في البحر مركبًا فيه  
نحو ستمائة من الإفرنج بالسلاح والأموال قاصدون الإفرنج  
بالشام فظروا بهم وغنموا ما معهم وعادوا إلى مصر سالمين.

ومنها في البر أغمار الداورن جماعة من الإفرنج ولحقهم  
المسلمون بأليلة واتبعوهم إلى العصيلة وعطش المسلمون فأنزل الله  
تعالى عليهم المطر حتى رروا وقاتلوا الإفرنج فظروا بهم هنالك  
 واستلهموهم واستقاموا معهم وعادوا سالمين إلى مصر والله  
أعلم.

## استيلاء صلاح الدين على حلب وقلعة حارم

كان الملك الصالح إسماعيل بن نور الدين العادل صاحب  
حلب لم يبق له من الشام غيرها وهو يدافع صلاح الدين عنها  
فتوفي متصرف سنة سبع وسبعين وعهد لابن عميه عز الدين  
صاحب الموصل وسار عز الدين صاحب الموصل مع نائبه مجاهد  
الدين قايماز إليها فملكها. طلبها منه آخره عماد الدين صاحب  
سنجر على أن يأخذ عنها سنجر فأجابه إلى ذلك وأخذ عز الدين  
سنجر وعاد إلى الموصل وسار عماد الدين إلى حلب فملكها  
وعظم ذلك على صلاح الدين وخشي أن يسير منها إلى دمشق  
وكان مصر فسرا إلى الشام وسار منها إلى الجزيرة وملك ما ملك  
مها وحاصر الموصل ثم حاصر آمد وملكتها ثم سار إلى أعمال  
حلب كما ذكرناه فملك تل خالد وعتاب ثم سار إلى حلب  
وحاصرها في حرم سنة تسع وسبعين ونزل الميدان الأخضر أيامًا  
ثم انتقل إلى جبل جوشق وأظهر البقاء عليها وهو يغاديها القتال

## وفاة فرخشاه

ثم توفي عز الدين فرخشاه بن شاهنشاه أخو صلاح الدين  
النائب عنه بدمشق وكان خليفته في أهلها ووثقه به أكثر من جميس  
 أصحابه وخرج من دمشق غازياً بالإفرنج وطرقه المرض وعاد  
فتوفي في جمادي سنة ثمان وسبعين وبلغ خبره صلاح الدين وقد  
عبر الفرات إلى الجزيرة والموصل فأعاد شمس الدين محمد ابن  
القدم إلى دمشق وجعله نابياً فيها واستمر لشأنه والله تعالى يورث  
الملك لمن يشاء من عباده.

## استيلاء صلاح الدين على آمد وتسليمها لصاحب كيفا

قد تقدم لنا مسیر صلاح الدين إلى ماردین وإقامته عليها  
أياماً من نواحيها ثم ارتحل عنها إلى آمد كما كان المهد بينه وبين  
نور الدين صاحب كيفا فنازلاً متصرف ذي الحجة وبها بهاء الدين  
بن بیسان فحاصرها وكانت غایة في المنعة وأسأله بن بیسان التدبیر  
وقضى يده عن العطاء وكان أهلها قد ضجروا منه لسوء سيرته  
وتضييقه عليهم في مکاسبهم وكتب إليهم صلاح الدين بالترغيب  
والترهيب فتخاذلوا عن ابن بیسان وتركوا القتال معه وتنبّه السور  
من خارج بيت ابن بیسان وأخرج نساء مع القاضي الفاضل  
يستميل إليه صلاح الدين ويؤجله ثلاثة أيام للرحالة فأجابه صلاح  
الدين وملك البلد في عاشره سنة تسع وسبعين.

وبني خيمة بظاهر البلد ينقل إليها ذخيرته فلم يلتف الناس  
إليه وتعدّ عليه أمره فبعث إلى صلاح الدين يسأله الإعانة فامر له  
بالدواب والرجال فنقل في الأيام الثلاثة كثيراً من موجوده ومنع  
بعد انتهاء الأجل عن نقل ما باقي ولما ملكها صلاح الدين سلمها  
لنور الدين صاحب كيفا وأخبر صلاح الدين بما فيها من النخائر  
ليقلها لنفسه فلبي و قال: ما كنت لأعطي الأصل وأخل بالفرع.

ودخل نور الدين البلد ودعا صلاح الدين وأمراءه إلى  
صنيع صنعه لهم وقدم لهم من التحف والهدايا ما يليق بهم وعاد

ويراوحها وطلب عماد الدين جنده في العطاء وضايقه في تسلیم حلب لصلاح الدين وأرسل إليه في ذلك الأمر طرمان الباروقي وكان يميل إلى صلاح الدين فشارطه على سنجار ونصيبيين والرقنة والخابور ويتزل له عن حلب وتحالفوا على ذلك وخرج عنها عماد الدين ثمان عشر صفر من السنة إلى هذه البلاد ودخل صلاح الدين حلب بعد أن شرط على عماد الدين أن يعسكر معه متى دارد.

ولما خرج عماد الدين إلى صلاح الدين صنع له دعوة احتفل فيها وانصرف وكان فيمن هلك في حصار حلب تاج الملوك نور الدين أخوه صلاح الدين الأصغر أصابه جراحة فمات منها بعد الصلح وقبل أن يدخل صلاح الدين البلد ولما ملك صلاح الدين حلب سار إلى قلعة حارم وبها الأمير طرشك من موالي نور الدين العادل وكان عليها ابنه الملك الصالح فحاصره صلاح الدين ووعده وتردّت الرسل بينهم وهو يتبع وقد أرسل إلى الإفرنج يدعوهم للإنجاد وسمع بذلك الجندي الذين معه فوثبوا به وجسروه واستأتموا إلى صلاح الدين فملك الحصن وول عليه بعض خواصه وقطع تل خالد الباروقي صاحب تل باشر وأما قلعة اعزاز فإن عماد الدين إسماعيل كان خريباً فأقاطعها صلاح الدين سليمان بن جسار وأقام بحلب إلى أن قضى جميع أشغالها واتّبع أفعالها وسار إلى دمشق والله تعالى أعلم.

ثم سار في ربيع الآخر من سنة ثمانين حصار الكرك بعد أن جمع العساكر واستدعي نور الدين صاحب كيما وعساكر مصر واستعد لحصاره ونصب الجانيق على رأسه فملكه المسلمين ويقي الحصن وراء خندق بينه وبين الريض عمقه ستون ذراعاً وراموا طمه فتصحّوهم بالسهام ورميهم بالحجارة فأمر برفع السقف لي Mishni المقائلة تحتها إلى الخندق وأرسل أهل الحصن إلى ملوكهم يستمدونه ويخبرونه بما نزل بهم فاجتمع الإفرنج وأوعبوا وساروا إليهم فرحل صلاح الدين للقائهم حتى انتهى إلى حزونة الأرض فاقام ينتظر خروجهم إلى البسيط فخافوا عن ذلك فتأخر عنهم فراسخ وموروا إلى الكرك وعلم صلاح الدين أن الكرك قد امتنع بهؤلاء فتركه وسار إلى نابلس فخر بها وحرقها وسار إلى سينطية وبها مشهد ذكرياء عليه السلام فاستقذ من وجد بها من أسرى المسلمين ورحل إلى جينين فنهبها وخر بها وسار إلى دمشق بعد أن بث السرايا في كل ناحية ونهب كل ما مرت به وأمتلات الأيدي من الغنائم وعاد إلى دمشق مظفراً والله تعالى أعلم.

## حصار صلاح الدين الموصى

ثم سار صلاح الدين من دمشق إلى الجزيرة في ذي القعدة من سنة ثمان وعشرين الف وعبر الفرات وكان مظفر الدين كوكبri على كشك يستحثه للمسير إلى الموصل في كل وقت وربما وعده مئيين ألف دينار إذا وصل فلما وصل إلى حران لم يف له فقبض عليه ثم خشي معيزة أهل الجزيرة فأطلقه وأعاد عليهم حران والرها وسار في ربيع الأول ولقيه نور الدين صاحب كيما ومعز الدين سنجار شاه صاحب جزيرة ابن عمر وقد اخترف عن عمه عز الدين صاحب الموصى بعد نكبة مجاهد الدين نائبه وساروا كلهم مع صلاح الدين إلى الموصل وانتهوا إلى مدينة بلد فلقبيه

ولما فرغ صلاح الدين من أمر حلب وللعلها ابنه الظاهر غازي ومعه الأمير سيف الدين تاوكج كافلاً له لصقره وهو أكبر الأمراء الأسدية وسار إلى دمشق فتجهز للغزو وجمع عساكر الشام والجزيرة وديار بكر وقصد بلاد الإفرنج عبر الأردن متصرف سبع وسبعين وأجفل أهل تلك الأعمال أمامه فقد صد بيسان وخر بها وأحرقها وأغار على نواحيها واجتمع الإفرنج له فلما رأوه خافوا عن لقائه واستدروا إلى جبل وخدنقوا عليهم وأقام يحاصرهم خمسة أيام ويستدرجهم للنزول فلهم يفعلوا فرجع المسلمون عنهم وأغاروا على تلك التواحي وأمتلات أيديهم بالغنائم وعادوا إلى بلادهم والله تعالى ينصر من يشاء من عباده.

## غزو الكرك وولاية العادل على حلب

ولما عاد صلاح الدين من غزو بيسان تمهر لغزو الكرك

التسليم على شروط اشتراطها من أقطاع ومال وسلم البلد فملكها صلاح الدين وعقد النكاح لبعض ولده على بعض بنيات خاتون وأنزلاها وبناتها بقلعة هفتاج وعاد إلى الموصل ومر بنصبين وانتهى إلى كفر أرمان واعترم على أن يشتريه ويقطع جميع ضياع الموصل ويحيي أعمالها ويكتسح غلاتها وجنجح مجاهد الدين إلى مصالحته وتزدادت الرسل في ذلك على أن يسلم إليه عز الدين شهزور وأعمالها وولاية الغرابلي وما وراء الزاب من الأعمال.

ثم طرقه المرض فعاد إلى حران وأدركه الرسل بالإجابة إلى ما طلب فانعقد هنالك وتحالفوا وتسلم البلد وطال مرضه بحران وكان عنده آخره العادل وبهذه حلب وبها الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين واشتد به المرض فقسم البلد بين أولاده وأوصى أخاه العادل على الجميع وعاد إلى دمشق في حرم سنة اثنين وثمانين وكان عنده بحران ناصر الدين محمد ابن عمه شيركوه ومن أقطاعه حمص والرجبة فعاد قبله إلى حمص ومر بحلب وصانع جماعة من أمرائها على أن يقروا بدعورته إن حدث بصلاح الدين أمر وبلغ إلى حمص فبعث إلى أهل دمشق بمثل ذلك وأفاد صلاح الدين من مرضه ومات ناصر الدين ليلة الأضحى ويقال: دس عليه من سمه وورث أعماله ابنه شيركوه وهو ابن اثنين عشرة سنة والله تعالى أعلم.

### قسمة صلاح الدين للأعمال بين ولده

وأخيه

كان ابنه العزيز عثمان محلب في كفالة أخيه العادل وبنته الأكبر الأفضل على مصر في كفالة تقي الدين عمر ابن أخيه شاهنشاه بعث إليها عندما استدعي العادل منها كما مر فلما مرض بحران أسف على كونه لم يبول أحداً من ولده استقلالاً وسعى إليه بذلك بطانته فبعث ابنه عثمان العزيز إلى مصر في كفالة أخيه العادل كما كان محلب ثم أقطع العادل حران والرها وميافارقين من بلاد المزيرية وترك عثمان ابنه محلب ثم بعث عن ابنه الأفضل وتقي الدين ابن أخيه فامتنع تقي الدين من الحصول واعترم على المسير إلى المغرب واللحاق بمولاه فرارقوش في ولايته التي حصلت له بطرابلس والجريد من إفريقية فراسله صلاح الدين ولاطفه ولها وصل أقطعه حماة ومنبع المعرة وكفرطاب وجبل جوز وسائر أعمالها.

وقيل: إن تقي الدين لما أرجف بمرض صلاح الدين وموته تحرك في طلب الأمر لنفسه وبلغ ذلك صلاح الدين فأرسل الفقيه

هنالك أم عز الدين وابنة عمه نور الدين وجاءه من أهل بيته يسألونه الصلح ظناً بأنه لا يردهن وسيماً بنت نور الدين.

واستشار صلاح الدين أصحابه فأشار الفقيه عيسى وعلى بن أحد المشطوب بربدهن وساروا إلى الموصل وقاتلوها واستمات أهلها وامتضوا لرد النساء فامتنعت عليهم وعاد على أصحابه باللوم في إشارتهم وجاء زين الدين يوسف صاحب إربل وأخوه مظفر الدين كركيري فأذلهم بالجانب الشرقي وبعث على بن أحد المشطوب المكاري إلى قلعة الجزيرة ليحاصرها فاجتمع عليه الأكراد المكارية إلى أن عاد صلاح الدين عن الموصل وبلغ عز الدين أن نائبه بالقلعة زلتدار يكتب صلاح الدين فمنعه منها وأخرف عنه إلى الاقتداء برأي مجاهد الدين وتصدر عنه.

ثم بلغه خبر وفاة شاهرين صاحب خلاط فطم صلاح الدين في ملكها وأنه يستعين بها على أمره ثم جاءته كتب أهلها يستدعونه فسار عن الموصل إليها وكان أهل خلاط إنما كاتبوا مكراً لأن شمس الدين البهلوان ابن إيلدكز صاحب أذربيجان وهمندان قصده تملّكتهم بعد أن كان زوج ابنته من شاهرين على كبره وجعل ذلك ذريعة إلى ملك خلاط فلما سار إليهم كاتبوا صلاح الدين ودافعوا كلّاً منها بالآخر فسار صلاح الدين وفي مقدمته ناصر الدين محمد بن شيركوه ومظفر الدين صاحب إربل وغيرهما وتقىدوا إلى خلاط وتقىد صاحب أذربيجان فنزل قريباً من خلاط وترددت رسل أهل خلاط بينه وبين البهلوان ثم خطبوا للبهلوان والله تعالى ينصر من يشاء من عباده.

### استيلاء صلاح الدين على ميافارقين

ولما خطب أهل خلاط للبهلوان وصلاح الدين على ميافارقين وكانت لقطب الدين صاحب ماردين فتوبي وملك ابنه طفلةً صغيراً بعده ورد أمرها إلى شاهرين صاحب خلاط وأنزل بها عسکره فطم فيها صلاح الدين بعد وفاة شاهرين وحاصرها من أول جادى سنة إحدى وثمانين وعلى أجنادها الأمير أسد الدين برنيش فاحسن الدفاع وكان بالبلد زوجة قطب الدين المتوفى ومعها بناتها منه وهي أخت نور الدين صاحب كفنا فراسلها صلاح الدين بأن برنيش قد مال إليها في تسليم البلد ونحن ندعى حق أخيك نور الدين فازوج بناتك من أبنائي وتكون البلد لنا ووضع على برنيش من أخباره بأن الخاتون مالت إلى صلاح الدين وأن أهل خلاط كاتبوا.

وكان خبر أهل خلاط صحيحًا فسقط في يده وبعث في

الخروج ووصل الحاج سالمين. وسار صلاح الدين إلى الكرك وبث السرايا في أعمالها وأعمال الشوبك فاكتسحوهما والبرنس محصور بالكرك وقد عجز الإفرنج عن إمداده لمكان العساكر مع الأفضل بن صلاح الدين ثم بعث صلاح الدين إلى ابنه الأفضل فأمره بإرسال بعث إلى عكا ليكتسحوا نواحيها فبعث مظفر الدين كركبri صاحب حربان والرها وقايزيار التجمسي وداروم الباروقي وساروا في آخر صفر فصيروا صفورية وبها جمع من الفداوية والاستبارية فبزروا إليهم وكانت بينهم حروب شديدة تولى الله النصر فيها لل المسلمين وأنهزم الإفرنج وقتل مقدمهم وأمتلات أبيدي المسلمين من الغنائم واقتلوا ظافرين ومرروا بطبرية وبها القمح فلم يجههم لما تقدم بينه وبين صلاح الدين من الولاية وعظم هذا الفتح وسار البشير به في البلاد والله تعالى أعلم.

### هزيمة الإفرنج وفتح طبرية ثم عكا

ولما انهزم الفداوية والاستبارية بصفورية ومر المسلمين بالغنم على القمح ريند بطرير ووصلت البشائر بذلك إلى صلاح الدين عاد إلى معسكره الذي مع ابنه ومر بالكرك واعتزم على غزو بلاد الإفرنج فاعتراض عساكره وبلغه أن القمح ريند قد راجع أهل ملته وتقضي عهده معه وأن البطرك والقسبي والرهبان أنكروا عليه مظاهرته للمسلمين ومرر عساكرهم به بأسرى النصارى وغناائهم ولم يعترضهم مع إيقاعهم بالفداوية والاستبارية أعيان الملة وتهددوه باللحاق كلمة الكفر به فتصل وراجعاً رأيه واعتذر إليهم فقبلوا عذرها وخلص لكرهه وطريقه فجذدوا الحلف والاجتماع وساروا من عكا إلى صفورية وبلغ الخبر إلى صلاح الدين وشاور أصحابه فمنهم من أشار بترك اللقاء وشن الغارات عليهم حتى يتضاعفوا ومنهم من أشار بالبقاء لتنزول عكا واستيفاء ما فعلوه في المسلمين بالجزيرة فاستصوبه صلاح الدين واستجعل لقاءهم.

ثم رحل من الأحوحانا أواخر رمضان فسار حتى خلف طبرية وتقدم إلى معسكر الإفرنج فلم يفارقا خيالهم فلما كان الليل أقام طائفة من العساكر فسار إلى طبرية فملكتها من ليلته عنوة ونهما وأحرقاها وامتنع أهلها بالقلعة ومعهم الملكة وأولادها فبلغ الخبر إلى الإفرنج فضج القمح وعمد إلى الصلح وأطال القول في تعظيم الخطب وكثرة المسلمين فنكر عليه البرنس صاحب الكرك واتهمه بيقائه على ولابة صلاح الدين واعتزموا على اللقاء

عيسى المكارى وكان مطاعاً فيهم وأمره بإخراج تقى الدين من مصر والمقام بها فسار ودخلها على حين غفلة وأمر تقى الدين بالخروج فقام خارج البلد وتجهز للغرب فراسله صلاح الدين إلى آخر الخبر والله تعالى أعلم.

### اتفاق القمح صاحب طرابلس مع صلاح الدين ومنابذة البرنس صاحب الكرك له وحصاره إيه والإغارة على عكا

كان القمح صاحب طرابلس وهو ريند بن ريند بن صنجل تزوج بالقرصمة صاحبة طبرية واتقل إليها فاتقام عندها ومات ملك الإفرنج بالشام وكان مجنوباً كما مر وأوصى بلاله ابن أخيه صغيراً فخلفه هذا القمح وقام بتدبير ملكه لعلمه فيما وطبع أن تكون كفالته ذريعة إلى الملك ثم مات الصغير فاتقتل الملك إلى أخيه وينش القمح عندهما ما كان يحدث به نفسه ثم إن الملكة تزوجت ابن غتم من الإفرنج القادمين من المغرب وتوجهه وأحضرت البطرك والقسوس والرهبان والاستبارية والداوية والبارونية وأشهدتهم وخرجوها له عن الملك.

ثم طرب القمح بالجباية أيام كفالته الصبي فألف وغضب وجاهر بالشقاق فلم وراسل صلاح الدين وسار إلى ولابته وخلف له على مصبه من أهل ملته وأطلق له صلاح الدين جماعة من زعماء النصارى كانوا أسارى عنده فازداد غبطة بمظاهرته وكان ذلك ذريعة لفتح بلادهم وارتجاع القدس منهم وبث صلاح الدين السرايا من ناحية طبرية في سائر بلاد الإفرنج فاكتسحوها وعادوا غائبين وذلك كله سنة اثنين وثمانين وكان البرنس أرساط صاحب الكرك من أعظم الإفرنج مكرأ وأشدتهم ضرراً وكان صلاح الدين قد سلط الغارة والهصار على بلده حتى سال في الصلح فصالحة فصلحت السابلة بين الأمتين.

ثم مررت في هذه السنة قافلة كبيرة التجار والجندي فدر بهم وأسر وأخذ ما معهم وبعث إليه صلاح الدين فأاصر على غدرته فندر أنه يقتله إن ظفر به واستئمر الناس للجهاد من سائر الأعمال من الموصى والجزيرة وإربل ومصر الشام وخرج من دمشق في حرم سنة ثلاثة وثمانين وانتهى إلى رأس الماء وبلغه أن البرنس معهم ابن أخيه محمد بن لاجين وغيره فترك من العساكر مع ابنه الأفضل علي وسار إلى بصرى وسمع البرنس مسيره فأحجم عن

أصحابه ثم قسم الأفضل ما بقي في أصحابه بعد مسيرة صلاح الدين إلى معسكره وبعد ذلك من حوالى الإفرنج وعطشوا ولم يتمكنوا من الرجوع فركبهم صلاح الدين دون قصدتهم واستندت الحرب وصلاح الدين يجول بين الصدف يفقد أحوال المسلمين ثم حل القمع على ناحية تقي الدين عمر بن شاه حملة استماتة فيها هو وأصحابه فأخرج له الصدف وخلص من تلك الناحية إلى منجاته واختل مصاف الإفرنج وتابعوا الحملات وكان بالأرض هشيم

## فتح يافا وصيدا وجبيل وبيروت وحصون عكا

لما هزم صلاح الدين الإفرنج كتب إلى أخيه العادل ينصر بسيره وبأمره بالسير إلى جهات الإفرنج من جهات مصر فنازل حصن مجده وفتحه وغنم ما فيه ثم سار إلى مدينة يافا ففتحها عنوة واستباحها وكان صلاح الدين أيام مقامه بعكا بعث بعثته إلى قيسارية وججا وسطورية وبعلبك وشقيف وغيرها في نواحي عكا فملكوها واستباحوها وأمتلأت أيديهم من غنائمها وبعث حسام الدين عمر بن الأصنون في عسكر إلى نابلس فملك سبسطية مدينة الأسباط وبها قبر زكريا عليه السلام ثم سار إلى مدينة نابلس فملكها واعتصم الإفرنج الذين بها بالقلعة فأقر لهم على موالم.

وبعث تقي الدين عمر بن شاهنشاه إلى تبني لقطع الميرة عنها وعن صور فوصل إليها وحاصرها وضيق عليها حتى استأمنوا فأنهم ولكلها ومر إلى صيدا ومر في طريقه بصرخد فملكها بعد قتال وجاء الخبر بفار صاحب صيدا فسار ولكلها آخر جادى الأولى من السنة ثم سار من يومه إلى بيروت وقاتلها من أحد جوانبها فتوهموا أن المسلمين دخلوا عليهم من الجانب الآخر فاحتاجوا لذلك فلم يستقروا ولا قدروا على تسكين المجمع لكثرة ما معهم من أخلاق السواد فاستأمنوا إليه ولكلها آخر يوم من جادى لثمانية أيام من حصارها وكان صاحب جبيل أسير بدمشق فضمن لنائبه تسلیم جبيل لصلاح الدين على أن يطلقه فاستدعاه وهو عاصر لبيروت وسلم المحسن وأطلقه وكان من أعيان الإفرنج وأولي الرأي منهم والله تعالى أعلم.

## وصول المركيش إلى صور وامتناعه بها

كان القمعص صاحب طرابلس لما خرج من هزيمة لحق بمدينة صور وأقام بها يريد حياتها ومنها من المسلمين فلما ملك صلاح الدين سبيس وصيدا وبيروت ضعف عزمه عن ذلك ولحق بيلده طرابلس وبقيت صيدا وصور بدون حامية وجاء المركيش من تجارة الإفرنج من المغرب في كثرة وقرة فارسي بعكا ولم يشعر بفتحها وخرج إليه الرائد فأخبره بمكان الأفضل بن صلاح الدين فيها وأن

ووصلوا من مكانهم لقصد المسكر وعاد صلاح الدين إلى معسكره وبعد ذلك من حوالى الإفرنج وعطشوا ولم يتمكنوا من الرجوع فركبهم صلاح الدين دون قصدتهم واستندت الحرب وصلاح الدين يجول بين الصدف يفقد أحوال المسلمين ثم حل القمع على ناحية تقي الدين عمر بن شاه حملة استماتة فيها هو وأصحابه فأخرج له الصدف وخلص من تلك الناحية إلى منجاته واختل مصاف الإفرنج وتابعوا الحملات وكان بالأرض هشيم أصحابه شرر فاضطرب ناراً فجهدهم لفجها ومات جلهم من العطش فرهنوا وأحاط بهم المسلمون من كل ناحية فارتقاوا إلى تل بناحية حطين لينصبو خيامهم به فلهم يتمكنوا إلا من خيمة الملك فقط والسيف يجول فيهم مجاله حتى فني أكثرهم ولم يبق إلا نحو المائة والخمسين من خلاصة زعمائهم مع ملوكهم والمسلمون يكررون عليهم مرة بعد أخرى حتى الفروا ما بايدفهم وأسرروا الملك وأخوه البرنس أرنات صاحب الكرك وصاحب جبيل وابن هنفري ومقدم الفداوية وجاءة من الفداوية والاستبارية ولم يصابوا منذ ملكوا هذه البلاد أعداء أعداء وأربعمائة بعثل هذه الوقعة.

ثم جلس صلاح الدين في خيمته وأحضر هؤلاء الأسرى فقرع الملك ووجهه بعد أن أجلسه إلى جانبه وفاءً منصب الملك وقام إلى البرنس فتولى قتله بيده حرصاً على الرفقاء بذريه بعد أن عرفه بقدره ومجساته على ما كان يروم في الحرمين وجبس الباقين وأما القمعص صاحب طرابلس فنجا كما ذكرناه إلى بلده ثم مات لأيام قلائل أسفأً ولا فرغ صلاح الدين من هزيمتهم نهض إلى طبرية فنازلاها واستأمنت إليه الملكة بها فأنهنتها في ولدهما وأصحابها وما لها وخرجت إليه فوفى لها وبعث الملك وأعيان الأسرى إلى دمشق فحبسو بها وجمع أسرى الفداوية والاستبارية بعد أن بذل ملئ يدهم من المقاتلة خسرين ديناراً مصرية لكل واحد وقتلهم جميعاً.

قال ابن الأثير: ولقد اجتررت بمكان الواقعة بعد سنة فرأيت عظامهم ماثلة على بعد أحجمتها السيل ومزقتها السباع.

ولما فرغ صلاح الدين من طبرية سار عنها إلى عكا فنازلاها واعتصم الإفرنج الذين بها بالأسوار وشدادوا بالاستمان فأنهم وخبرهم فاختاروا الرحيل فحملوا ما أثقله رحالمهم ودخلها صلاح الدين غرة جادى سنة ثلاثة وثمانين وصلوا في جامعها القديم الجمعة يوم ذخورهم فكانت أول جمعة أقيمت بساحل الشام بعد استيلاء الإفرنج عليه وأقطع صلاح الدين بلد عكا لابنه الأفضل وجميع ما كان فيه للفداوية من أقطاع وضياع ووهب للفقيه عيسى المكارى كثيراً مما عجز الإفرنج عن حمله وقسم الباقي على

المفتوحة عليهم وقد اجتمعوا كلهم بالقدس واستمروا للدين وبعد الصريح وأكروا الاستعداد ونصبوا المجانق من داخله وتقدم إليه أمير من المسلمين فخرج إليه الإفرنج فأوقعوا به وقتلوه في جماعة من معه وفجع المسلمين بقتله وساروا فنزلوا على القدس متصرف رجب وهالهم كثرة حاميته وطاف بهم صلاح الدين خمسة أيام فتحيز متباً عليه للقتال حتى اختار جهة الشمال نحو باب العمود وكتيبة صهيون فتحوّل إليه ونصب المجانق عليها وأشتد القتال وكان كل يوم يقتل بين الفريقين خلق وكان من استشهاد عز الدين عيسى بن مالك من أكابر أمراء بيبي بدران وأبيه صاحب قلعة جعبر فاسف المسلمين لقتله وحلوا عليهم الخندق وتبقو السور مواقفهم وأحتجزوه بالبلد وملكونا عليهم الخندق وتبقو السور فوهن الإفرنج واستأمنوا لصلاح الدين قابلاً إلا العنوة كما ملكه الإفرنج أول الأمر سنة إحدى وسبعين وأربعين فاستأمن له بالباب ابن نيزران صاحب الرملة وخرج إليه وشاهده بالاستمان واستعطفه فأصر على الامتياز فنهده بالاستئمان وقتل النساء والأباء وحرق الأمتية وتغريب المشاعر المعظمة واستلحام أسرى المسلمين وكانوا خمسة آلاف أسير واستهلاك جميع الحيوانات الداجنة بالقدس من الظهر وغيره.

فيحيى استشار صلاح الدين أصحابه فجنحوا إلى تأمينهم فشارطهم على عشرة دنانير للرجل وخمسة للمرأة ودينارين للولد صبي أو صبية وعلى أجل أربعين يوماً فمن تأخر أداؤه عنها فهو أسير ويذل يليان ابن نيزران عن فقراء أهل منه ثلاثة ألف دينار وملك صلاح الدين المدينة يوم الجمعة لتسع وعشرين من رجب سنة ثلاث وثمانين ورفعت الأعلام الإسلامية على أسواره وكان يوماً مشهوراً ورتب على أبواب القدس الأماء لقبض هذا المال ولم يبن الأمر فيه على المشاحة فنذهب أكثرهم دون شيء وعجز آخر الأمر ستة عشر ألف نسمة فاخذوا أسرى وكان فيه على التحقيق ستون ألف مقاتل غير النساء والولدان فإن الإفرنج أرزوا إليه من كل جانب لما افتتحت عليهم حصونهم وقلعاتهم.

ومن الدليل على مقاربة هذا العدد أن يليان صاحب الرملة أعطى ثلاثة ألف دينار على ثمانية عشر ألفاً وعجز منهم ستة عشر ألفاً وأخرج جميع الأماء خلفاً لا تخصي في زي المسلمين بعد أن يشارطهم على بعض القطعية واستوهب آخرون جوحاً منهم يأخذون قطعتهم فوهبهم إياهم وأطلق بعض نساء الملك من الروم كانوا مترهبات فاطلقهم بعيدهم وحشthem وأموالهم وكذا ملكة القدس التي أسر صلاح الدين زوجها ملك الإفرنج بسيها وكان محبوساً بقلعة نابلس فاطلقها الجميع ما معها ولم يحصل من

صور وعقولان باقية للإفرنج فلم يطق الإقلاع إليهما لركود الريح فشن عليهم بطلب الأمان ليدخل المرسى ثم طابت ريحه وجرت به إلى صور وأمر الأفضل بمزروع الشوانى في طلبه فلم يدركه حتى دخل مرسي صور فوجد بها أخلاطاً كثيرة من فل المخصوص المفتوحة فجاوزوا إليه وضمن لهم حفظ المدينة وبدل أمواله في الإنفاق عليها على أن تكون هي وأعمالها له دون غيره واستخلفهم على ذلك ثم قام بتديير أحوالها وشرع في تحصينها فحفر الخندق ورم الأسوار واستبد بها والله سبحانه وتعالى أعلم.

### فتح عسقلان وما جاورها

ولما ملك صلاح الدين بيروت وجبيل وتلك المخصوص صرف همته إلى عسقلان والقدس لعظم شأن القدس ولأن عسقلان مقطع بين الشام ومصر فسار عن بيروت إلى عسقلان ولحق به أنجوه العادل في عساكر مصر ونازلاً أوائل جادي الأخيرة واستدعى ملك الإفرنج ومقدم الرابية وكانت أسرى بدمشق فاضرهما وأمرهما بالإذن للإفرنج بعصقلان في تسليمها فلم يجيئوا إلى ذلك وأساؤوا الرد عليهم فاشتد في قتالهم ونصب المجانق عليهم، وملكونا عليهم في التسلیم عساه ينطلق ويأخذ بالثار من المسلمين فلم يجيئوا.

ثم جدهم الحصار وبعد عليهم الصريح فاستأمنوا إلى صلاح الدين على شروط اشتراطها كان أهمها عندهم أن ينتمي من الهرانية بما قتلوا أميرهم في الحصار فأجابهم إلى جميع ما اشتراطوه وملك المدينة متصرف السنة لأربعة عشر يوماً من حصارها وخرجوا بأهلهم وأموالهم وأولادهم إلى القدس ثم بعث السرايا في تلك الأعمال ففتحوا الرملة والداروم وغزة ومدن الخليل وبيت لحم والنطرون وكل ما كان للفداوية وكان أيام حصار عسقلان قد بعث عن سطوط مصر فجاء به حسام الدين لولو الحاج وأقام بغير على مرسي عسقلان والقدس وبعث جميع ما يقصده من النواحي والله سبحانه وتعالى يؤيد من يشاء بنصره.

### فتح القدس

لما فرغ صلاح الدين من أمر عسقلان وما جاورها سار إلى بيت المقدس وبها البطريرك الأعظم وبليان بن نيزران صاحب الرملة ورئيسة قريبة الملك ومن نجا من زعمائهم من حطين وأهل البلد

القطيعة على خراج.

على مكان القتال وجعل القتال على أقباء عسكره نوبأً بين ابنه الأفضل وابنه الظاهر وأخيه العادل وابن أخيه تقى الدين ونصب عليها الجنائن والعرادات.

وكان الإفرنج يركبون في الشوانى والحرacas وسائرون المسلمين من ورائهم فيرمون عليهم من البحر ويفسائلونهم ويمنعونهم من الدنو إلى السور فبعث صلاح الدين عن سطول مصر من مرسى عكا فجاء داعع الإفرنج وغتكن المسلمين من قتال الأسوار وحاصروها برأ وبحراً ثم كبس سطول الإفرنج خمسة من أساطيل المسلمين ففكوا بهم ورد صلاح الدين الباقى إلى بيروت لقلتها فتابعتها أساطيل الإفرنج فلما أرهقهم في الطلب القوا بأنفسهم إلى الساحل وتركوها فحكمها صلاح الدين ونقضها وجد في حصار صور فلم يند وامتنع عليه لما كان فيها من كثرة الإفرنج الذين أنهم بعكا وعسقلان والقدس فنزلوا إليها بأموالهم وأمدوا صاحبها واستدعوها الإفرنج وراء البحر فوعدهم بالنصر وأقاموا في انتظارهم ولما رأى صلاح الدين امتناعها شاور أصحابه في الرحيل فتردوا وتخاذلوا في القتال فرحل آخر شوال إلى عكا وأذن للعسكر في المشي إلى أوطانهم إلى فصل الريبع وعادت عساكر الشرق والشام ومصر وأقام بقلعة عكا في خواصه ورد أحكام البلد إلى خردilk من أمراء نور الدين وكان صلاح الدين عندما اشتغل بحصار عسقلان بعث عسكراً لحصار صور فشددوا حصارها وقطعوا عنها الميرة وبعثا إلى صلاح الدين وهو يحاصر صور فاستأنوا له ونزلوا عنها فملكتها.

وكان أيضاً صلاح الدين لما سار إلى عسقلان جهز عسكراً لحصار قلعة كوكب يرسون السابلة في طريقها من الإفرنج الذين فيها وهي مطلة على الأردن وهي للإسبتارية وجهز عسكراً لحصار صفد وهي للقداوية مطلة على طبرية وجا إلى هذين الحصين من سلم من وقعة حطين وامتنعوا بهما فلما جهز العسكر إليهما صلحت الطريق وارتفاع منها الفساد فلما كان آخر ليلة من شوال غفل المركلون بالحصار على قلعة كوكب وكانت ليلة شاتية باردة فكبسم الإفرنج ونبوا ما عندهم من طعام وسلاح وعادوا إلى قلعتهم وبلغ ذلك صلاح الدين وهو يعتزم على الرحيل عن صور فشحد من عزيمته ثم جهز عسكراً على صور مع الأمير قابياز النجمي وارتحل إلى عكا فلما انصرم فصل الشتاء سار من عكا في حرم سنة أربع وثمانين إلى قلعة كوكب فحاصرها وامتنع عليه ولم يكن بقي في البلاد الساحلية من عكا إلى الجنوب غيرها وغير صفد والكرك فلما امتنع عليه جهز العسكرية لحصارها مع قابياز النجمي ورحل عنها في ربيع الأول إلى

وخرج البطرك الأعظم بما معه من ماله وأموال البيع ولم يتعرض له وجاءه امرأة البرنس صاحب الكرك الذي قتله يوم حطين تشفع في ولدها وكان أسيراً فبعثها إلى الكرك لتاذن الإفرنج في التزول عنه للمسلمين وكان على رأسه قبة خضراء لها صليب عظيم مذهب وتسلى جماعة من المسلمين إليه واقتلعوه وارتاجت الأرض بالتكبير والتعزيل ولما خلا القدس من العدو أمر صلاح الدين برد مشاعره إلى أوضاعها القديمة وكانتا قد غيروها فأعيدت إلى حالها الأولى وأمر بنطهير المسجد والصخرة من الأقذار فظهرتا ثم صلى المسلمين الجمعة الأخرى في قبة الصخرة وخطب محبي الدين بن زنكى قاضي دمشق بأمر صلاح الدين واتى في خطبته بعجب من البلاغة في وصف الحال وعظمة الإسلام اقشعرت لها الجلود وتناقلها الرواة وتحدث بها السمار أحراً ثم أقام صلاح الدين بالمسجد للصلوات الخمس إماماً وخطيباً وأمر بعمل المنبر له فتحديثه عنده بأن نور الدين محموداً أخذ له منبراً منذ عشرين سنة وجمع الصناع بمحلي فحسنوا صنته في عدد سين فامر بحمله ونصبه بالمسجد الأقصى ثم أمر بعمارة المسجد واقتلاع الرخام الذي فوق الصخرة لأن القسيسين كانوا يبيعون الحجر من الصخرة ينحوها بخناً ويسعنها بالذهب وزناً بوزن فتنافس الإفرنج فيها التماس البركة منها ويدعونها في الكنائس فخشى ملوكهم أن تنتهي الصخرة فعالوا عليها بنشر الرخام فأمر صلاح الدين بقلعه.

ثم استكثر في المسجد من المصاحف ورتب فيه القراء ووفر لهم الجرایات وتقدم ببناء الربط والمدارس فكانت من مكارمه رحمة الله تعالى وارتحل الإفرنج بعد أن باعوا جميع ما يملكونه من العقار بارخص ثمن واحتراه أهل العسكر ونصاري القدس الأقدمن بعد أن ضربت عليهم الجزية كما كانوا والله تعالى أعلم.

## حصار صور ثم صفد وكوكب والكرك

لما فتح صلاح الدين القدس أقام بظاهره إلى آخر شعبان من السنة حتى فرغ من جميع اشتغاله ثم رحل إلى مدينة صور وقد اجتمع فيها من الإفرنج عوالم وقد نزل بها المركيش وضبطها ولما انتهى صلاح الدين إلى عكا أقام بها أياماً فالمركيش في الاستعداد وتعزيز الخنادق وإصلاح الأسوار وكان البحر يحيط بها من ثلاث جهاتها فوصل جانب اليمين بالشمال وصارت كالجزيره وسار إليها فنزل عليها لسع بقين من رمضان على تل يشرف منه

وملكها صلاح الدين لحبه ورفع أعلام الإسلام على سورها ونفي حاميتها إلى القلعة فاستلزم القاضي على الأمان واستمر منهم جماعة في رهن القاضي والمسلمين عند صاحب أنطاكية حتى أطلقهم وجاء رؤساء أمر البلد إلى طاعة صلاح الدين وهو يجبل ما بين جبلة وحمة وكان الطريق عليه ينفهم صعباً ففتحه صلاح الدين من ذلك الوقت واستتاب بجيبلة سابق الدين عثمان بن الدابة صاحب شيرز وسار عنها للاذقية والله تعالى أعلم بنيه وأحکم.

### فتح اللاذقية

ولما فرغ صلاح الدين من أمر جبلة سار إلى اللاذقية فوصلها آخر جادى الأولى وامتنع حاميتها مهمنين لها في أعلى الجبل وملك المسلمين المدينة وحضرها الإفرنج في القلعتين وحفروا تحت الأسوار وأيقن الإفرنج بالملكة ودخل إليهم قاضي جبلة ثالث نزولها فأستأمنوا معه وأمنهم صلاح الدين ورفعوا أعلام الإسلام في الحصين وخرب المسلمين المدينة وكانت مبانيها في غاية الرفاهة والضخامة وأقطعها لتقى الدين ابن أخيه فاعادها إلى أحسن ما كانت من العمارة والتحصين وكان عظيم المهمة في ذلك وكان أسطول صقلية في مرسى اللاذقية وسخطوا ما فعله أهلها ومنعوهم من الخروج منها وجاء مقدمهم إلى صلاح الدين فرغم منه إقامتهم على الجزيرة وعرض في كلامه بالتهديد بإمداد الإفرنج من وراء البحر فأجباه صلاح الدين باستهانة أمر الإفرنج وهدده فانتصر إلى أصحابه ورحل صلاح الدين إلى صهيبون والله تعالى أعلم.

### فتح صهيبون

ولما فرغ صلاح الدين من فتح اللاذقية سار إلى قلعة صهيبون وهي على جبل صعبة المرتفع بعيدة المهوى يحيط بجيبلها واد عميق ضيق ويصل بالجبل من جهة الشمال وعليها خمسة أسوار وختنق عميق فنزل صلاح الدين على الجبل لضيقها وقدم ولده الظاهر صاحب حلب فنزل مضيق الروادي ونصب المنجنيقات هنالك فرمى بها على الحصن ونصحهم بالسهام من سائر أصناف القسي وصابرها قليلاً.

ثم زحف المسلمون ثانية جادى الأخرى وسلكوا بين الصخور حتى ملکروا أحد أسوارها وقاتلوا منه فملکروا عليهم سوريين آخرين وغنموا جميع ما كان في البلد من الدواب والبقر

دمشق ووافته رسائل أرسلان وفرح الناس بقدومه والله تعالى أعلم وفي التوفيق.

### غزو صلاح الدين إلى سواحل الشام وما فتحه من حصونها وصلحه آخرًا مع صاحب أنطاكية

لما راجع صلاح الدين من فتح القدس وحاصر صور وصفد وكوكب عاد إلى دمشق ثم تجهز للغزو إلى سواحل الشام على حصن واستدعى عساكر الجزيرة وملوك الأطراف فاجتمعوا إليه وسار إلى حصن الأكراد فضرب عسكره هنالك ودخل متجرداً إلى القلابع بنواحي أنطاكية فقضى طرفها وأغار على ولايتها إلى طرابلس حتى شفى نفسه من اربادها وعاد إلى معسكره فجرت الأرض بالنائم فاتأه عند حصن الأكراد ووفد عليه هنالك منصور بن نبيل صاحب جبلة.

وكان من يوم استيلاء الإفرنج على جبلة عند صاحب أنطاكية حاكماً على جميع المسلمين فيها ومتولياً أمور سمند فلما هبت ريح الإسلام بصلاح الدين وظهوره نزل إليه ليكشف الغماء ودلله على عورة جبلة واللاذقية واستحوذ لهما فسار أول جادى ونزل بطرطوس وقد اعتضد الإفرنج منها ببرجين حصينين واحلوا المدينة فخربيوها واستباحوها وكان أحد الحصينين للقذاوية وفيه مقاماتهم الذي أسره صلاح الدين يوم المصاف وأطلقه عند فتح القدس واستأمن إليه أهل البرج الآخر ونزلوا له عنه فخربه صلاح الدين وألقى حجارته في البحر وامتنع عليه برج الفداوية فسار إلى المرقب وهو للاسبانية ولا يرم لعلوه وارتقاوه وامتنعه والطريق في الجبل إلى جبلة عليه فهو عن يمين الطريق والبحر عن يساره في مسلك ضيق إنما يمر به الواحد تلو الواحد.

### فتح جبلة

وكان وصل أسطول من صاحب صقلية مددًا للإفرنج في تلك السواحل في ستين قطعة فأرسوا بطرابلس فلما سمعوا بصلاح الدين ألقوا إلى المغرب ووقفوا قبلتها ينضجون بسهامهم المارة بذلك الطريق فضرب صلاح الدين على ذلك الطريق سوارا من جهة البحر من التارس ووقف وراء الرماة حتى سلك العسكر المضيق إلى جبلة ووصلها آخر جادى وسكن إليها القاضي

صاحب سنجر وأصعدهم إلى قلعتهم حتى صعب المرتفق على المسلمين وبلغوا مواقع سهامهم وحجارتهم من الحصن وكانوا يدحرجون الحجارة على المقاتلة فلا يقتوم لها شيء فلما تعب أهل هذه التربة عادوا وصعد خاصة صلاح الدين فقاتلوا قتالاً شديداً وصلاح الدين ونقى الدين ابن أخيه يحرضانهم حتى أغيراً وهموا بالرجوع فصاحت بهم صلاح الدين وفي أهل التربة الثانية فتلاهوا بهم وجاء أهل نوبة عماد الدين على أثرهم وهي الوطيس ورد الإفرنج على اعتابهم إلى حصنهم فدخلوه ودخل المسلمين معه.

وكان بقية المسلمين في الخيام شرقي الحصن وقد أهمله الإفرنج فعمد أهل الخيام من تلك الناحية واجتمعوا مع المسلمين في أعقاب الإفرنج عند الحصن فملكونه عنوة وجاء الإفرنج إلى قبة الحصن ومعهم جماعة من أسرى المسلمين في القيد فلما سمعوا تكبير إخوانهم خارج القبة كبروا فذهبوا الإفرنج وظنوا أن المسلمين خالطوهم فأثروا باليد وأسرهم المسلمين واستباحوهم وأحرقوا البلد وأسروا صاحبها وأهله وولده وافتلقوا في أسراهم فجمعهم صلاح الدين حتى إذا قارب أنطاكيه بعثهم إليها لأن زوجة صاحب أنطاكيه كانت تراسل صلاح الدين بالأختبار وتهاديه فرعى لها ذلك والله تعالى ولـي التوفيق.

### فتح درباسك

ولما فرغ صلاح الدين من حصن بريزية دخل من الغد إلى الجسر الجديد على نهر العاصي قرب أنطاكيه فأقام عليه فلحق به فخلف العسكر ثم سار إلى قلعة درباسك ونزل عليها في رجب من السنة وهي معاقل الفداوية التي يلتجأون إلى الاعتصام بها ونصب عليها المجانين حتى هدم من سورها ثم هجمها بالزاحفة وكشف المقاتلة عن سورها ونقبوا منها برجاً من أسفله فسقط ثم باكروا الرمح من الغد وصاربهم الإفرنج يتظرون المدد من صاحبهم سمند صاحب أنطاكيه فلما بتبيوا عجزه استأنفوا صلاح الدين فائتمهم في أنفسهم فقط وخرجو إلى أنطاكيه وملك الحصن في عشرين من رجب من السنة والله تعالى أعلم.

### فتح بغراـس

ثم سار عماد الدين عن درباسك إلى قلعة بغراـس على تعددها وقربها من أنطاكيه فيحتاج مع قاتلها إلى ردة من العسكر بينما وبين أنطاكيه فحاصرها ونصب عليها المجانين فচرط عنها

والذخائر ولجا الخامسة إلى القلعة وقاتلهم المسلمون عليها فنادوا بالأمان فشرط عليهم مثل قطعية القدس وملك المسلمين الحصن وولـي عليه ناصر الدين بن كورس صاحب قلعة بوفلس فحضرـه واقتـرـقـ المسلمـونـ فيـ تلكـ النـواـحيـ فـوـجدـواـ الإـفـرـنجـ قدـ فـرـواـ منـ حـصـونـهاـ فـمـلـكـوـهاـ جـيـعاـ وـهـيـرـواـ إـلـيـهاـ طـرـيـقاـ عـلـىـ عـقـبـةـ صـبـعـةـ لـعـافـاءـ طـرـيـقـهـاـ السـهـلـةـ بـالـإـفـرـنجـ وـالـإـسـمـاعـيـلـيـةـ وـالـلـهـ تـعـالـىـ أـلـمـ.

### فتح بکاس والشغر

ثم سار صلاح الدين عن صهيون ثالث جنادي إلى قلعة بکاس وقد فارقها الإفرنج وخفـصـنـواـ بـقـلـعـةـ شـفـرـ فـمـلـكـ بـكـاسـ وـحـاـصـرـ قـلـعـةـ الشـغـرـ وـالـطـرـيـقـ مـنـهـاـ مـسـلـوكـ إـلـىـ الـلـاذـقـيـةـ وـجـلـةـ وـصـهـيـونـ فـقـاتـلـهـمـ وـنـصـبـ الـنـجـيـفـاتـ عـلـيـهـاـ فـقـصـرـتـ حـجـارـتـهاـ عـنـ الـرـوـصـوـلـ وـكـانـواـ تـعـنـواـ بـعـدـ وـيـعـشـواـ خـلـالـ ذـلـكـ إـلـىـ صـاحـبـ أـنـطـاـكـيـةـ وـكـانـ الحـصـنـ مـنـ إـيـالـتـهـ فـاستـمـدـوـهـ وـلـاـ أـعـطـواـ الحـصـنـ بـاـقـيـهـ فـيـ قـلـعـهـ مـنـ الـرـبـعـ فـلـمـ قـدـ عـنـ نـصـرـهـ اـسـتـأـمـنـاـ إـلـىـ صـلاحـ الدـيـنـ وـسـالـوـهـ إـنـظـارـ ثـلـاثـ لـلـفـتـحـ فـانـظـرـهـمـ وـأـخـذـ رـهـنـهـمـ ثـمـ سـلـمـهـ بـعـدـ الـثـلـاثـ فـيـ مـتـنـصـ جـادـيـ مـنـ السـنـةـ وـالـلـهـ تـعـالـىـ أـلـمـ.

### فتح سرمين

كان صلاح الدين عند اشتغاله بفتح هذه الحصون بعث ابنه الظاهر غازياً صاحب حلب إلى سرمين وحاصرها واستنزل الإفرنج الذين بها على قطعية أعطواها وهدم الحصن وقتلـهـ آخرـ جـادـيـ الأـخـيـرـ فـانـطـلـقـ جـمـاعـةـ مـنـ أـسـرـيـهـ كـانـواـ بـهـذـاـ الحـصـنـ وـكـانـ هـذـهـ الـفـتوـحـاتـ كـلـهـاـ فـيـ مـقـدـارـ شـهـرـ وـجـيـعـهـاـ مـنـ أـعـمـالـ أـنـطـاـكـيـةـ وـالـلـهـ تـعـالـىـ أـلـمـ.

### فتح بـرـزـيـةـ

ولما فرغ صلاح الدين من قلعة الشغر إلى قلعة بـرـزـيـةـ قبلـةـ أـفـاقـيـةـ وـنـقـاصـهـاـ فـيـ أـعـمـالـهـ وـبـيـنـهـمـ بـحـيـرـةـ مـنـ مـاءـ العـاصـيـ وـالـعـيـونـ الـتـيـ تـحـرـيـ وـكـانـواـ أـشـدـ شـيـءـ فـيـ الـأـدـنـيـ لـلـمـسـلـمـينـ فـازـهـاـ فـيـ الـرـابـعـ وـالـعـشـرـيـنـ مـنـ جـادـيـ الأـخـيـرـ وـهـيـ مـتـعـذـرـةـ الصـعـدـ مـنـ الشـمـالـ وـالـجـنـوبـ وـصـبـعـتـهـ مـنـ الشـرقـ وـمـجـهـةـ الـغـربـ مـسـلـكـ إـلـيـهـاـ فـنـزـلـ هـنـالـكـ صـلاحـ الدـيـنـ وـنـصـبـ الـمـجـانـينـ فـلـمـ تـصـلـ حـجـارـتـهـاـ لـعـدـ الـقـلـعـةـ وـعـلـوـهـاـ فـرـجـعـ إـلـىـ الـمـزـاحـفـ وـقـسـمـ عـسـاـكـرـهـ عـلـىـ أـمـانـهـاـ وـجـعـلـ الـقـتـالـ بـيـنـهـمـ توـبـاـ فـقـاتـلـهـمـ أـوـلـاـ عـمـادـ الدـيـنـ زـنـكيـ بـنـ مـوـدـودـ

## فتح كوكب

لما كان صلاح الدين على صند خافه الإفرنج على حصن كوكب فبعثوا إليه نجدة وكان قايماز التجمي يحاصره فشعر بذلك الجدة وركب إليهم وهم مختلفون بعض الشعاب فكبسهم يفلت منهم أحد وكان فيهم مقدمان من الاستبارية فحملهما إلى صلاح الدين على صند فأحضرهما للقتل على عادته في القداوية والاستبارية فاستعطفه واحد منها فعندها وجسمها ولما فتح صند سار إلى كوكب وحاصره وأرسل إليهم بالأمان فاصروا على الامتناع عليه فنصب عليهم المجنين وتتابع المراحفة ثم عاقه المطر عن القتال وطال مقامه فلما انقضى المطر عاود المراحفة وضايقهم بالسور ونقب منه برجاً فسقط فارتاعوا واستأمنوا وملك الحصن متصرف ذي القعدة من السنة ولحق الإفرنج بصور واجتمع الرعامة وتابعوا الرسل إلى إخوانهم وراء البحر في حوزة يستصرخونهم فتابعوا إليهم المدد واتصل المسلمين في الساحل من آية إلى بيروت لا يفصل بينهم إلا مدينة صور ولما فرغ صلاح الدين من صند وكوكب سار إلى القدس فقضى فيه نسك الأضحى ثم سار إلى عكا قام بها إلى انسلاخ الشتاء والله تعالى أعلم.

## فتح الشيف

ثم سار صلاح الدين في ربيع سنة خمس وثمانين إلى محاصرة الشيف وكان لأنطاكية صاحب صيدا وهو من أعظم الناس مكرًا ودهاء فلما نزل صلاح الدين بمرج العيون جاء إليه وأظهر له الحبة والمليل وطلب المهلة إلى جمادى الأخيرة ليتخلص بأهله وولده من المريش بصور وسلم له حصن الشيف فقام صلاح الدين هنالك لوعده وانقضت مدة المهلة بينه وبين سمند صاحب أنطاكية فبعث تقي الدين ابن أخيه مسلحة في العساكر إلى البلاد التي قرب أنطاكية ثم بلغه اجتماع الإفرنج بصور عند المريش وأن الأمداد وافتهم من أهل ملتهم وراء البحر وأن ملك الإفرنج بالشام الذي أطلقه صلاح الدين بعد فتح القدس قد اتفق مع المريش ووصل به واجتمعوا في أمم لا تخصى وخشي أن يتقدم إليهم ويترك الشيف ورائه فتقطع عنه الميرة فأقام بمكانه.

فلما انقضى الأجل تقدم إلى الشيف واستدعى أرطاط فجاء واعتذر بأن المريش لم يكنه من أهله وولده وطلب الإمهال مرة أخرى فتبين صلاح الدين مكره فحبسه وأمره أن يبعث إلى أهل

لعلوها وشق عليهم حل الماء إلى أعلى الجبل وبينما هم في ذلك إذا جاء رسوهم يستأمن لهم فأنهم في أنفسهم فقط كما أمن أهل ذريساك وتسلم القلعة بما فيها وخرتها فجدها ابن اليون صاحب الأرمن وحصنتها وصارت في أيديه والله أعلم.

## صلح أنطاكية

ولما فتح حصن بغراس خاف سمند صاحب أنطاكية وأرسل إلى صلاح الدين في الصلح على أن يطلق أسرى المسلمين الذين عنده وتحامل عليه أصحابه في ذلك ليريح الناس ويستعدوا فأجابه صلاح الدين إلى ذلك لثمانية أشهر من يوم عقد المهلة وبعث إليه من استخلفه وأطلق الأسرى وكان سمند في هذا الوقت عظيم الإفرنج متسع المملكة وطرابلس وأعمالها قد صارت إليه بعد القinesis واستخلف فيها ابنه الأكبر وعاد صلاح الدين إلى حلب فدخلها ثالث شعبان من السنة وانتطلق ملوك الأطراف بالجزيرية وغيرها إلى بلادهم ثم رحل إلى دمشق وكان معه أبو فليبة قاسم بن منها أمير المدينة النبوية على ساكتها أفضل الصلة وأتم التسليم قد عسکر معه وشهد فترحة وكان يتمنى بصحبه ويترى بروئيته ويتهدى في تائيسه وتكرمه ويرجع إلى مشورته ودخل دمشق أول رمضان من السنة وأشار عليه بتغريق العساكر فأبا و قال: هذه الحصون كوكب وصند والكرك في وسط بلاد الإسلام فلا بد من البدار إلى فتحها. والله سبحانه وتعالى أعلم.

## فتح الكرك

كان صلاح الدين قد جهز العساكر على الكرك مع أخيه العادل حتى سار إلى ذريساك وبغراس وأبعد في تلك الناحية فشد العادل حصارها حتى جهدوا وفنيت أقواتها فراسلوه في الأمان فأجابهم وسلموا القلعة فملكتها وملك الحصون التي حواليها وأعظمها الشوبك وأمنت تلك الناحية واتصلت إبالة المسلمين من مصر إلى القدس والله تعالى أعلم.

## فتح صند

لما عاد صلاح الدين إلى دمشق أقام بها نصف رمضان ثم تجهر لحصار صند فنزل عليها ونصب المجنين وكانت أقواتها قد تسلط عليها الحصار الأول فخافوا من نفاذها فاستأمنوا فأنهم ولكلها ولحقوا بمدينة صور والله تعالى أعلم.

وقيسيهم وزعمائهم السواد حزناً على البيت المقدس وارتحل بطرك من القدس وهم معه يستصرخون أهل الملة النصرانية من وراء البحر للأخذ بثار القدس فخرجوا للجهاد من كل بلد حتى النساء اللواتي يجذن الفرة على الحرب ومن لم يستطع الخروج استأجر مكانه وبنلوا الأموال لهم وجاء الإفرنج من كل مكان وزلوا بصور ومدد الرجال والأقوات والأسلحة متداركة لهم في كل وقت واتفقوا على الرحيل إلى عكا وعاصرتها فخرجوا شام رجب من سنة خمس وثمانين وسلكوا على الطريق الساحل وأساطيلهم تحاذيم في البحر و المسلحة المسلمين تتخطفهم من جوانبهم حتى وصلوا إلى عكا متصرف رجب وكان رأي صلاح الدين أن يحاذيمهم في مسيرة ليتال منهم فخالفه أصحابه واعتذروا بضيق الطريق ووعره فسلك طريقاً آخر ووافاهم على عكا وقد نزلوا عليها وأحاطوا بها من البحر إلى البحر فليس للمسلمين إليها طريق.

ونزل صلاح الدين قبلتهم وبعث إلى الأطراف يستنصر الناس فجاءت عساكر الموصل وديار بكر وستجرار وسائر بلاد الجزيرة وجاء تقى الدين ابن أخيه من حماة ومظفر الدين كوكبى من حران والرا و وكانت أمداد المسلمين تصل في البر وأمداد الإفرنج في البحر وهو محصورون في صور وكانت بينهم أيام مذكرة ووقائع مشهورة وأقام السلطان بقية رجب لم يقاتلهم فلما استهل شعبان قاتلهم يوماً بكماله وبيات الناس على تعبية ثم صبّهم بالقتال ونزل بالصبر وحل عليهم تقى الدين ابن أخيه متصرف النهار من اليمونة حلة أزالتهم عن مواقعهم وملك مكانهم واتصل بالبلد فدخلها المسلمون وشجعوا صلاح الدين بالمالد من كل شيء وبعث إليهم الأمير حسام الدين أبا الهيجاء السمين من أكبر أمرائه من الأكراد الخطية من إربيل ثم نهض المسلمون من الغد فوجدوا الإفرنج قد أداروا عليهم خندقاً يمتدون به ومعنهم القتال يومهم وأقاموا كذلك ومع السلطان أحياء من العرب فكم كانوا في معاطف النهر من ناحية الإفرنج على الساحل للخطف منهم وكسوهم متصرف شعبان وقتلهم وجاؤوا برؤوسهم إلى صلاح الدين فأحسن إليهم والله تعالى أعلم.

### الواقعة على عكا

كان صلاح الدين قد بعث عن عسكر مصر وبلغ الخبر الإفرنج فأرادوا معاجلته قبل وصولهم وكانت عساكره متفرقة في المساح على الجهات فمسلحة تقابل أنطاكيه وملكتها سمند في

الشقيق بالتسليم فلم يجب بعث به إلى دمشق فحبس بها وتقدم إلى الشقيق فحاصره بعد أن أقام مسلحة قبالة الإفرنج الذين بظاهرون صور فجاء الخبر بأنهم فارقوا صور لختار صيدا فلقيتهم المسلحة وقاتلوا هم فغلبوا عليهم وأسرروا سبعة من فرسانهم وقتلوا آخرين وقتل مولى لصلاح الدين من أشجع الناس وردوهم على أعقابهم إلى معسكرهم بظاهر صور وجاء صلاح الدين بعد انتهاء الرقادة فأقام في المسلحة رجاء أن يصادف أحداً من الإفرنج فيتقسم منهم وركب في بعض الأيام ليشارف معسكر الإفرنج فظن عساكره أنه يريد القتال فنجعوا وأوغلوا إلى العدو.

ويبعث صلاح الدين الأماء في أثرهم يردوهم فلم يرجعوا ورأهم الإفرنج فظنوا أن وراءهم كميناً فأرسلوا من يكشف خبرهم فوجدوهم متقطعين فحملوا عليهم وأثامواهم جميعاً وذلك تاسع جادي الأولى من السنة، ثم انحدر إليهم صلاح الدين في عساكره من الجبل فهزهم إلى الجسر وغرق منهم في البحر نحو من مائة دارع سوى من قتل وعزم السلطان على حصارهم واجتمع إليه الناس ثم عاد الإفرنج إلى صور وعاد السلطان إلى بليس ليشارف عكا ويرجع إلى خميمه.

ولما وصل إلى المعسكر جاء الخبر بأن الإفرنج يتعدون عن صدور مذاهبهم لحاجاتهم فكتب إلى المعسكر بعكا ووعدهم ثامن جادي الأخيرة يوسفون من ناحيتهم للإغارة عليهم وأكمن لهم في الأودية والشعب من سائر التواحي واختيار جماعة من فرسان عساكره وتقديرهم بأن يتعرضوا للإفرنج ثم يستطردوا لهم إلى مواضع الكمناء ففعلوا وناشبو الإفرنج وأنفوا من الاستطراد وطال على الكمناء الانتظار فخرجوا خشية على أصحابهم فواهفهم في شدة الحرب فانهزم المسلمون ووقع التحبص وكان أربعة في الكمين من أمراء طبع فعدلوا عن طريق أصحابهم وسلكوا الوادي وتبعدوا بعض العساكر من موالى صلاح الدين ورأهم الإفرنج في الوادي فعلموا أنهم أضلوا الطريق فاتبعوهم وقتلوا هم والله تعالى أعلم.

### محاصرة الإفرنج أهل صور لعكا والحروب

#### عليها

كانت صور كما قدمتنا ضبطها المركيش من الإفرنج الوابل من وراء البحر وقام بها وكان كلما فتح صلاح الدين مدينة أو حصنًا على الأمان لحق أهلها بتصور فاجتمع بها عدد عظيم من الإفرنج وأموال جهة ولما فتح القدس ليس كبير من رهبانهم

أصحابه بإرسال العساكر ليمعن من التحصين فامتنع من ذلك لرضه فتم للإفرنج ما أرادوه وأهل عكا يخرجون إليهم في كل يوم ويقاتلونهم والله تعالى أعلم.

### معاودة صلاح الدين حصار الإفرنج على عكا

ثم وصل العادل أبو بكر بن أيوب متصرف شوال في عساكر مصر ومعه الجم الغفير من المقاتلة والأصناف الكثيرة من آلات الحصار ووصل على أثره أسطول مصر مع الأمير لوزتو وبكس مركباً ففتقن ما فيه ودخل به إلى عكا وبريء صلاح الدين من مرضه وأقام بمكانه بالجزيرة إلى انسلاخ الشتاء وسمع الإفرنج أن صلاح الدين سار إليهم واستقلوا مسلحة المسلمين عندهم فزحفوا إليهم في صفر سنة ست وثمانين واستمات المسلمين قاتلوا كل من وجدوا عندها من الإفرنج وصلاح الدين قد عاد من اتباع أصحابه ببردهم للقتال وقد اجتمعوا عليهم فلم يفلت منهم أحد وأسروا مقدم الفداوية فامر بقتله وكان أطلقه مرة أخرى وبلغت عدة القتلى عشرة آلاف فاقروا في الهر وأما المهزمون من المسلمين ف منهم من رجع من طبرية ومنهم من جاوز الأردن ورجع منهم من بلغ دمشق واتصل قتال المسلمين للإفرنج وكادوا يلجنون عليهم معسكلهم ثم جاءهم الصريخ بنبأ موالمهم وكان المهزمون قد حلوا أنقلهم فامتدت إليها أيدي الأيوبيash ونهبوا فكان ذلك مما شغل المسلمين عن استصال الإفرنج وأقاموا في ذلك يوماً وليلة يستردون النهب من أيدي المسلمين ونفس بذلك عن الإفرنج بعض الشيء والله تعالى أعلم.

وكان الإفرنج مدة مقامهم على عكا قد صنعوا ثلاثة أبراج من الخشب ارتفاع كل برج ستون ذراعاً وفيه خمس طبقات وغشوا بالجلود وطلوها بالأدوية التي لا تلعن النار بها وشحذوها بالمقاتلة وأذنوا إلى البلد من ثلاث جهات في العشرين من ربيع الأول سنة ست وثمانين وأشرفوا بها على السور فكشف من عليه من المقاتلة وشرع الإفرنج في طم الخندق وبعث أهل عكا ساجحاً في البحر يصف لهم حاطم فركب في عساكره واشتد في قتال الإفرنج فخف على أهل البلد ما كانوا فيه وأقاموا كذلك ثلاثة أيام يقاتلون الجهتين وعجزوا عن دفع الأبراج ورموا بالنفط نلم يؤثر فيها وكان عندهم رجل من أهل دمشق يعاني أح韶ال النطف فأخذ عقاقير وصنعتها وحضر عند قراقوش حاكم البلد وأعطاه دواء وقال: أرم بهذا في التنجيق المقابل لإحدى الأبراج فاحترق فجرد عليه ثم وافق ورمي به في قدر ثم رمي بعده بقدر آخر مملوءة ناراً فاضطربت النار واحتراق البرج بن فيه ثم فعل بالثاني والثالث كذلك.

وفرج أهل البلد وتخلصوا من تلك الورطة فامر صلاح الدين بالإحسان إلى ذلك الرجل فلم يقبل وقال: إما فعلته الله ولا أريد الجزاء إلا منه ثم بعث صلاح الدين إلى ملوك الأطراف ليستنفرهم فجاء عماد الدين زنكي بن مودود صاحب سجوار ثم

البلاد التي من أعمال حلب ومسلحة محمص تحفظها من أهل طرابلس ومسلحة تقابل صور ومسلحة بدمياط والإسكندرية واعتزم الإفرنج على مهاجمتهم بالقتال ولم يشعروا بهم وصحبهم العشرين من شعبان وركب صلاح الدين وعيي عساكره وقصدوا الميمنة وعليها تقى الدين ابن أخيه فتزحزح بعض الشيء وأمدده صلاح الدين بالرجال من عنده فحطوا على صلاح الدين في القلب نتضعضع واستشهد جماعة منهم الأمير علي بن مردان والظاهر آخر الفقيه عيسى وإلي القدس وال حاجب خليل المكارى وغيرهم.

وقصدوا خيمة صلاح الدين فقتلوا من وزرائه ونهبوا واستشهد جمال الدين بن رواحة من العلماء ووضعوا السيف في المسلمين وانهزم الذين كانوا حوالى الخيمة ولم تسقط وانقطع الذين ولوها من الإفرنج عن أصحابهم وراءهم وحلت ميسرة المسلمين عليهم فأحجموا إلى وراء الخندق وعادوا إلى خيمة صلاح الدين فقتلوا كل من وجدوا عندها من الإفرنج وصلاح الدين قد عاد من اتباع أصحابه ببردهم للقتال وقد اجتمعوا عليهم فلم يفلت منهم أحد وأسروا مقدم الفداوية فامر بقتله وكان أطلقه مرة أخرى وبلغت عدة القتلى عشرة آلاف فاقروا في الهر وأما المهزمون من المسلمين ف منهم من رجع من طبرية ومنهم من جاوز الأردن ورجع منهم من بلغ دمشق واتصل قتال المسلمين للإفرنج وكادوا يلجنون عليهم معسكلهم ثم جاءهم الصريخ بنبأ موالمهم وكان المهزمون قد حلوا أنقلهم فامتدت إليها أيدي الأيوبيash ونهبوا فكان ذلك مما شغل المسلمين عن استصال الإفرنج وأقاموا في ذلك يوماً وليلة يستردون النهب من أيدي المسلمين ونفس بذلك عن الإفرنج بعض الشيء والله تعالى أعلم.

### رحيل صلاح الدين عن الإفرنج بعكا

ولما انقضت هذه الوعنة وامتلأت الأرض من جيف الإفرنج تغير الهواء وأنقذ وحدث بصلاح الدين قوله كان يعاوده فأشار عليه أصحابه بالانتقال عسى الإفرنج يتقلون وأن أقاموا عندنا إليهم وحمله الأطباء على ذلك فرحل رابع رمضان من السنة وتقدما إلى عكا بمحياطتها وأعلمهم سبب رحيله فلما ارتحل أشتد الإفرنج في حصار عكا وأحاطوا بها دائرة مع أسطولهم في البحر وحربوا خندقاً على معسكلهم وأداروا عليهم سورةً من ترابه حصلنا من صلاح الدين أن يعود إليهم ومسلحة المسلمين قبلتهم يناؤشونهم القتال فلا يقاتلونهم وبلغ ذلك صلاح الدين وأشار

منهم أحد وكان الملك قليبيج أرسلان يكاتب صلاح الدين بأخبارهم وبعده بمنتهم من العبور عليه فلما عبروا اعتذر بالعجز عنهم وافتراق أولاده واستبدادهم.

واما صلاح الدين فإنه استشار أصحابه عند وصول خبرهم فشار بعضهم إلى لقائهم في طريقهم ومحاربتهما وأشار آخرون بالمقام لثلا يأخذ الإفرنج عكا وماك صلاح الدين إلى هذا الرأي ويعت المساكين من جهة اللاذقية ويشير إلى حلب ليحفظوها من عاديهم والله تعالى ولي التوفيق.

### واقعة المسلمين مع الإفرنج على عكا

ثم زحف الإفرنج على عكا في عشر من جمادى الآخرة من سنة ست وثمانين وخرجوا من خنادقهم إلى عساكر صلاح الدين وقصد العادل أبو بكر بن أيوب في عساكر مصر فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى كثفthem الإفرنج عن الخيم والمملوكاً ثم كر عليهم المصريون فكشفوهم عن خيامهم وخالقوهم بعض عساكر مصر إلى الخندق فقطعوا عنهم بعض مدد أصحابهم فأخذتهم السيوف وقتل منهم ما يزيد على عشرين ألفاً

وكان عساكر الموصل قريباً من عسكر مصر وقدمهم علاء الدين خوارزم شاه بن عز الدين مسعود صاحب المصل فعدمت ميرتهم وأمر صلاح الدين بمناجتهم على هذا الحال وبلغ الخبر موت ملك الألمان وما أصاب قومه من الشتات فسر المسلمون بذلك وظنوا وهن الإفرنج به ثم بعد يومين لحقت بالإفرنج إمداد في البحر مع كند من الكنود يقال له الكندوري ابن أخي الإفرنج لأبيه وابن أخي ملك إنكلطيرية لأمه ففرق في الإفرنج أمواً وجند لهم أحناضاً ووعدهم بوصول الأمداد على أثره فاعتزوا على الخروج لقتال المسلمين فانتقل صلاح الدين من مكانه إلى الحزونة لثلاث بقين من جمادى الآخرة لضيق المجال وتنق المكان من جيف القتلى ثم نصب الكندوري على عكا مجازياً وذبابات فاخذها أهل عكا وقتلوا عندها جوحاً من الإفرنج فلم يتمكن من متابعة ذلك ولا من إقامة السياج عليها لأن أهل البلاد كانوا يصيرونها فعمل تلةً عالياً من التراب ونصب المجانق من وراءه وضاقت الأحوال وقتل الميرة.

وارسل صلاح الدين إلى الإسكندرية بيعث الأقوات في المراكب إلى عكا ويعث إلى بيروت بمثل ذلك فبعثوا مركباً ونصبوا فيها الصليان يوهمون أنه للإفرنج حتى دخلوا إلى المرسى وجاءت بعد الميرة من الإسكندرية ثم جاءت ملكة من الإفرنج من وراء

علاء الدين بن طالب صاحب الموصل ثم عز الدين مسعود بن مودود وبعثه أبوه بالمساكن ثم زين الدين صاحب إربيل وكان كل واحد منهم إذا وصل يتقدم بعسكره فيقاتلون الإفرنج ثم يضربون أبنائهم وجاء الخبر بوصول الأسطول من مصر فجهز الإفرنج أسطولاً لقتاله وشغلهم صلاح الدين بالقتال ليتمكن الأسطول من دخول عكا فلم يشنعوا عنه وقاتلوا الفريقيين برأ وبحراً ودخل الأسطول إلى مرسي عكا سالماً والله تعالى أعلم بعنه.

### وصول ملك الألمان إلى الشام ومهملا

هؤلاء الألمان شعب من شعوب الإفرنج كثير العدد موصوف بالباس والشدة وهم مواطنون بجزيرة إنكلطيرية في الجهة الشمالية الغربية من البحر المتوسط وهي حديث عهد بالنصرانية ولها سار القسسين والرهبان مخبر بيت المقدس واستفار النصرانية لها قام ملوكهم لها وقعد وجمع عساكره وسار للجهاد بزعمه وفسح النصارى له الطريق وقدق القسطنطينية فعجز ملك الروم عن منه بعد أن كان يعذ بذلك نفسه وكتب بها إلى صلاح الدين لكنه منع عنهم الميرة فضافت عليهم الأقوات وعبروا خليج القسطنطينية ومرروا بملكه قليبيج أرسلان وتبعهم التركمان يحفرون بهم ويحطرون منهم وكان الفصل شتاءً وبالبلاد باردة فهلك أكثرهم من البرد والجوع.

ومروا بقونية وبها قطب الدين ملك شاه بن قليبيج أرسلان قد غالب عليه أولاده وافتقروا في التواحي فخرج ليصدهم فلم يطغ ذلك ورجع فسروا في أثره إلى قونية ويعثوا إليه بهدية على أن ياذن لهم في الميرة فاذن لهم واستهزا عشرين من أمرائه وتكاثر عليهم اللصوص فقيدوا أولئك الأماء وحبسوهم وساروا إلى بلاد الأرميين وصاحبها كاقولي بن خطفائي بن اليون فأمدتهم بالأزواد والعلوفات وأظهر طاعتهم وسار إلى أنطاكيه ودخل ملوكهم ليحتل في نهر هنالك ففرق وملك بعده ابنه ولما بلغوا أنطاكيه اختلفوا ببعضهم مال إلى تمليل أخيه وبعضهم مال إلى العود فعادوا كلهم.

وسار ابن الملك فيمن ثبت معه يزيدون على أربعين ألفاً وأصحابهم الموتان وحسن إليهم صاحب أنطاكيه المسير إلى الإفرنج على عكا فساروا على جبلة اللاذقية ومرروا بحلب وتحطف أهلها منهم خلقاً وبلغوا طرابلس وقد أفاصهم الموتان ولم يقت منهم إلا نحو ألف رجل فركبوا البحر إلى عكا ثم رأوا ما هم فيه من الوهن والخلاف فركبوا البحر إلى بلدتهم وغرقت بهم المراكب ولم ينج

مقدم الأسدية وابن جاوي وغیرهم وكان دخوهم عكا أول سنة سبع وثمانين والله سبحانه وتعالى أعلم.

### وفاة زين الدين صاحب إربل وولاية أخيه كوكبri

كان زين الدين يوسف بن زين الدين قد دخل في طاعة صلاح الدين وكانت له إربل كما مر لأيام أبيه حران والرها لأخيه مظفر الدين كوكبri وكان يسكن مع صلاح الدين في غزوهاته وحضر عنده على عكا فأصابه المرض وتوفي في ثامن عشر رمضان سنة أربع وثمانين فقبض أخوه مظفر الدين كوكبri على بلد أمير من أمرائه وبعث إلى صلاح الدين يطلب إربل وينزل عن حران والرها فأجابه وأقطعه إياهما وأضاف إليهما شهرزور وأعمالها ودار بند العرابلي وهي ققچاق وكاتب أهل إربل مجاهد الدين صاحب الموصل خوفاً من صلاح الدين مع أن مجاهد الدين كان عز الدين قد حبسه كما مر ثم أطلقه وولاه نائبه وجعل بعض غلمانه عيناً فكان يناقضه في كثير من الأحوال فقصد مجاهد الدين أن يفعل معه مثل ذلك في إربل فامتنع منها وولاهما مظفر الدين واستفحلا أمره فيها.

ولما نزل مظفر الدين عن حران والرها ولها صلاح الدين لابن أخيه تقي الدين عمر بن شاهنشاه مضافة إلى ميافارقين بديار بكري وحمة وأعمالها بالشام وقادم له أن يقطع أعمالها للجند فيتقى بهم على الإفرنج فسار تقي الدين إليها وقرر أمره أننه إلى ميافارقين وتجدد له طمع فيما يجاورها من البلاد فقصد مدينة حوال من ديار بكري وسار إليه سيف الدين بكتمر صاحب خلاط في عساكره وقاتلته فهزمه تقي الدين ووطئه ببلاده وكان بكتمر قد قبض على مجد الدين بن رستق وزير سلطان شاكرين وبكتمر حسام الدين قلعة هنالك فلما أنهزم كتب إلى والي القلعة بقتله فواه وحبسه في قلعة هنالك فلما أنهزم كتب إلى والي القلعة بقتله فواه الكتاب وتقي الدين حاصر له فلما ملك القلعة أطلق ابن رستق وسار إلى خلاط وحاصرها فامتنعت عليه فعاد عنها إلى ملاذك رد فضيق عليها حتى استأمنوا له وضرب لهم أجلاً في تسليم البلد ثم مرض ومات قبل ذلك الأجل بيومين وحمله ابنه إلى ميافارقين فدفنه بها واستفحلت دولة بكتمر في خلاط والله تعالى أعلم.

### وصول إمداد الإفرنج من الغرب إلى عكا

ثم تابعت إمداد الإفرنج من وراء البحر لإخوانهم

البحر في نحو الف مقاتل للجهاد بزعيمها فأخذت يبح الإسكندرية هي وبجيع ما معها ثم كتب البابا كبير الملة التترانية من كنيسة برومة يأمرهم بالصبر والجهاد ومحبهم بوصول الإمداد وأنه راسل ملوك الإفرنج يعنفهم على إمدادهم فازدادوا بذلك قوة واعتزروا على مناجزة المسلمين وجرروا عسكراً لحصار عكا وارتحلوا حادياً عشر شوال من السنة فنقل صلاح الدين أقال العسکر إلى على ثلاثة فراسخ من عكا ولقي الإفرنج على التعبية. وكان أولاده الأفضل على والظاهر غازي والظاهر خضر في القلب وأخوه العادل أبو بكر في الميمنة بعساكر مصر ومن انضم إليهم وعماد الدين صاحب سنمار وتقى الدين صاحب حمة ومعز الدين سنمار شاه صاحب جزيرة ابن عمر في الميسرة وصلاح الدين في خيمة صغيرة على تل مشرف نصب له من أجل موضعه فلما وصل الإفرنج وعيتوا كثرة المسلمين ندموا على مفارقة خنادقهم وياتوا ليتلتهم وعادوا من الغد إلى معسركهم فاتبعوهم أهل المقدمة وخطفوهم من كل ناحية وأحرجوهم وراء خنادقهم.

ثم ناوشوهم القتال في الثالث والعشرين من شوال بعد أن أكمنا لهم عسكراً فخرج لهم الإفرنج في نحو أربعينaight فارس واستطرد لهم المسلمين إلى أن وصلوا كمبيهم فخرجو عليهم فلم يفلت منهم أحد وأشتد القتال على الإفرنج وبلغت الغرارة مائة دينار صوري مع ما كان يحمل إليهم من البلدان من بيروت على يد صاحبها أسامة ومن صيدا على يد نائبه سيف الدين علي بن أحد المشطوب ومن عسقلان وغيرها ثم أشتد الحال عليهم عند هيجان البحر وانقطاع المراكب في فصل الشتاء.

ثم هجم الشتاء وأرسى الإفرنج مراكبهم بصور خوفاً عليها على عادتهم في صور في فصل الشتاء ووجد الطريق إلى عكا في البحر فأرسل أهلها إلى صلاح الدين يشكرون ما نزل بهم وكان بها الأمير حسام الدين أبو المياجة السمين فشكى من ضجره بطول المقام وال الحرب فأمر صلاح الدين بإيقاف نائب وعسكر إليها بدلاً منهم وأمر آخاه العادل بمبشرة ذلك فانتقل إلى جانب البحر عند جبل حيفا وجمع المراكب والشواطيء وبعث العساكر إليها شيئاً فشيئاً كلما دخلت طائفة خرج بدلها فدخل عشرون أميراً بدلاً من ستين كانوا وأعملوا أهل الرجل وتعينت دواوين صاحب صلاح الدين وكانتوا نصارى على الجندي في إيتائهم وإطلاق نفقاتهم بلغ الخامسة بعدها وضفت وعادت مراكب الإفرنج بعد المحسار الشتاء فانقطعت الأخبار عن عكا وعنها وكان من الأمراء الذين دخلوا عكا سيف الدين علي بن أحد المشطوب وعز الدين أرسلان

ويسروا مع البحر ويحملوا على العدو حلة مستحبين ويجيء المسلمين من وراء العدو فساهم بخلصون بذلك فلما أصبحوا زحف الإفرنج إلى البلد ورفع المسلمين أعلامهم وأرسل المتطهرون من البلد إلى الإفرنج فصالحهم على الأمان على أن يعطيمهم مائة ألف دينار ويطلق لهم خمسة أسرى ويعيد لهم الصليب ويعطي للمركيش صاحب صور أربعة عشر ألف دينار فأجابوا إلى ذلك وضربوا المدة للمال والأسرى شهرين وسلموا لهم البلد فلما ملكوها غدروا بهم وحبسوهم رهناً بزعمهم في المال والأسرى والصلب.

ولم يكن لصلاح الدين ذخيرة من المال لكثره إنفاقه في المصالح فشرع في جمع المال حتى اجتمع مائة ألف دينار وبعث نائباً يستخلفهم على أن يضمون الفدوارية من الخلف والضمان خوفاً من غدر أصحابه وقال ملوكهم: إذا سلمتم المال والأسرى والصلب تعطونا رهناً في بقية المال ونطلق أصحابكم وطلب صلاح الدين أن يضمون الفدوارية الرحمن ويخلفوا فامتنعوا أيضاً وقالوا: ترسلون المائة ألف دينار والأسرى والصلب فنطلق من نراه ونبقي الباقى إلى عبيه بقية المال فتبن المسلمين غدرهم وأنهم يطلقون من لا يعبأ به ويسكون الأمراء والأعيان حتى يفادوهم فلم يجيئهم صلاح الدين إلى شيء.

ولما كان آخر رجب ركب الإفرنج إلى ظاهر البلد في احتلال وركب المسلمين فشدوا عليهم وكشفوهم عن مواقعهم فإذا المسلمين الذين كانوا عندهم قتلى بين الصفين قد استلحموا ضعناءهم وتمسکوا بالأعيان للمقادرة فقط في يد صلاح الدين وتمسک بالمال الذي جمعه لغيرها من المصالح والله تعالى أعلم.

### خراب صلاح الدين عسقلان

ولما استولى الإفرنج على عكا استرحوش المركيش صاحب صور من ملك إنكلطيرية وأحسن منه بالغدر فلحق بيده صور ثم سار الإفرنج مستهل شعبان لقصد عسقلان وساروا مع ساحل البحر لا يفارقوه ونادى صلاح الدين باتباعهم مع ابنه الأفضل وسيف الدين أبي زكوش وعز الدين خردبك فاتبعوه يقاتلونهم ويتحظفونهم من كل ناحية فتكروا فيهم بالقتل والأسر ويعيث الأفضل إلى أبيه يستمدده فلم يجد العساكر مستعدة وسار ملك إنكلطيرية في ساحة الإفرنج فحملهم ولحق بهم من عكا من احتاجوا إليه ثم ساروا إلى قيسارية والمسلمون يتبعونهم ويقتلون من ظفروا به منهم

المحاصرین لعكا وأول من وصل منهم الملك ملك إفرنسة وهو ونصب فيهم وملكه ليس بالقرى هكذا قال ابن الأثير: وعنى أنه كان مستباحاً في ذلك العصر لأنه في الحقيقة ملك الإفرنج وهو في ذلك العصر أشد من كانوا قوة واستباحاً فوصل ثانى عشر ربيع الأول سنة أربع وثمانين في ستة مراكب عظيمة مشحونة بالقاتلة والسلاح فقوى الإفرنج على عكا بعكانه وولي حرب المسلمين فيها وكان صلاح الدين على عمر قريباً من معسكر الإفرنج فكان يصاحبهم كل يوم عن مواجهة البلد وتقدم إلى أسامه في بيروت بتجهيز ما عنده من المراكب والشوانى إلى مرسى عكا ليشنل الإفرنج أيضاً فيعها ولقيت خمسة مراكب في البحر وكان ملك الإنكلطيرية أندتها وأقام على جزيرة قبرص طاماً في ملكها فغنمت أسطول المسلمين الخمسة مراكب بما فيها ونفذت كلمة صلاح الدين إلى سائر النواب بأعماله بمثل ذلك فجهزوا الشوانى وملأوا بها مرسى عكا وواصل الإفرنج قتال البلد ونصبوا عليها المنجنيقات رابع جاهي وتحمّل صلاح الدين ملعونة قريباً منهم ليشنلهم عن البلد فخفقت قاتلهم عن أهل البلد ثم فرغ ملك إنكلطيرية من جزيرة قبرص وملكها وعزل صاحبها وببلغ إلى عكا في خس وعشرين مركباً مشحونة بالرجال والأموال ووصل متصرف رجب ولقي في طريقه مركباً جهز من بيروت إلى عكا وفيه سبعمائة مقابل فقاتلته فلما يشنل المسلمين الذين به من الخلاص نزل مقدمهم وهو يعقوب المللي غلام ابن شفرين فحرق المركب خوفاً من أن يظفر الإفرنج برجاليه وذخائره ففرق ثم عمل الإفرنج ذاتيات وكباشًا وزحفوا بها فاحتراق المسلمين بعضها وأخذوا بعضها فرجع الإفرنج إلى نصب التلال من التراب يقاتلون من ورائهم فامتنعت من نفوذ الخليفة فيها وضاق حال أهل عكا.

### استيلاء الإفرنج على عكا

ولما جهد المسلمين بعكا المحصار خرج الأمير سيف الدين علي بن أحمد المكارى المشطوب من أكبر أمرائها إلى ملك إفرنسة يستأمهن لأهل عكا فلم يجده وضفت نفوس أهل البلد لذلك ووهنا ثم هرب من الأمراء عز الدين أرسل الأسدي وابن عز الدين جاوي وسفر الأرجاني في جماعة منهم ولحقوا بالعساكر فازداد أهل عكا وهناً ويعث الإفرنج إلى صلاح الدين في تسليمها فأجاد على أن يؤمنوا أهل البلد ويتطلق لهم من أسراه بعده أهل البلد ويعطيمهم الصليب الذي أخذه من القدس فلم يرضوا بما فعل فبعث إلى المسلمين بعكا أن يخرجوا بجمعيهم ويترکوا البلد

وقد ولأية هذه الأعمال بين ولده وأصحابه وقتل الحجارة للبنان وكان صلاح الدين يركب إلى الأماكن البعيدة ويقلها على مركوبه فيقتدي به العسكر ثم إن الإفرنج ضاقت أحوالهم بالطورون وقطع المسلمين عنهم الميرة من ساحلهم فلم يكن كما عهدوه بالرملة وسال ملك انكلطيره عن صورة القدس ليعلم كيفية ترتيب حصارها فصورت له ورأى الوادي محيطاً بها إلا قليلاً من جهة الشمال مع عمقه ووعرة مسالكه فقال: هذه لا يمكن حصارها لأننا إذا اجتمعنا عليها من جانب بقيت الجوانب الأخرى وأن افترقا على جانب الوادي والجانب الآخر كيس المسلمين إحدى الطائفتين ولم تصل الأخرى لإنجادهم خوفاً من المسلمين على مسكنكم وإن تركوه من أصحابه حامية العسكر فالمدى بعيد لا يصلون للإنجاد إلا بعد الرفاة هنا إلى ما يلحقنا من تعذر القوت بانقطاع الميرة فلعموا صدقه وارتحلوا عائدين إلى الرملة ثم ارتحلوا في حرم سنة ثمان وثمانين إلى عسقلان وشروعوا في عماراتها وسار ملك انكلطيره إلى مسلحة المسلمين فرافقوهم وجرت بينهم حروب شديدة وصلاح الدين يبعث سراياه من القدس إلى الإفرنج للإغارة وقطع الميرة فيغمون ويعودون والله تعالى أعلم.

### مقتل المركيش وملك الكندوري مكانه

ثم ارتحل صلاح الدين إلى سنان مقدم الإسماعيلية بالشام في قتل ملك انكلطيره والمركيش وجعل له على ذلك عشرة ألف دينار فلم يكتفهم قتل ملك انكلطيره لما رأوه من المصلحة لثلا بتفرغ لهم صلاح الدين وبعث رجلين لقتل المركيش في زبي الريهان فاتصالاً بصاحب صيدا وابن بازاران صاحب وأقاما عندهما بصور ستة أشهر مقبلين على رهباتهما حتى انس بهما المركيش ثم دعاه الأسقف بصور دعوى فوثبا عليه فجرحاه وجاء أحدهما إلى كنيسة واختفى فيها وحمل إليها المركيش لشدة جراحه فاجهز عليه ذلك الباطني وقتله ونسب ذلك إلى ملك انكلطيره رجاء أن يفرد بذلك الإفرنج بالشام.

ولما قتل المركيش ملك المدينة زعيم من الإفرنج الواردين من وراء البحر يعرف بالكندوري ابن اخت ملك أفرنسة وابن أخي ملك انكلطيره من أخيه وتزوج بالملكة في ليلته ويني بها وملك عكا وسائر البلاد بعد عود ملك انكلطيره وعاش إلى سنة أربع وستين وسقط من سطح ولما رحل ملك انكلطيره إلى بلاده أرسل هذا الكندوري إلى صلاح الدين واستماله للصلح والتسل

وزاحورهم عند قيسارية فتالوا منهم وياتوا بها معاورين واحتطف المسلمون منهم بالليل فقتلوا وأسروا.

وساروا من الغد إلى أرسوف وسبقهم المسلمين إليها لضيق الطريق فحملوا عليهم عندها حتى اضطربوا إلى البحر فحيث استمات الإفرنج وحملوا على المسلمين فهزموهم وانخروا في تابعهم والمقرهم بالقلب وفيه صلاح الدين وتستر المسلمين المهزومون بخمر الشعراء فرجع الإفرنج عنهم وانصر ما كانوا فيه من الضيق المذكور وساروا إلى يافا فرجدواها خالية وملكونها وكان صلاح الدين قد سار من مكان الهزيمة إلى الرملة وجاء غلبه وأتاله واعتم على مسابقة الإفرنج إلى عسقلان فمنعه أصحابه وقالوا لك تخشى أن يزاحنا الإفرنج عليها وينغلبون على حصارها كما غلبون على حصار عكا ويلكونها آخرًا ويسروا بما فيها من الذخائر والأسلحة. فتدبرهم إلى المسير إليها وحابتها من الإفرنج فلجوء في الامتناع من ذلك فesar وترك العساكر مع أخيه العادل قيالة الإفرنج ووصل إلى عسقلان وخربيها تاسع عشر شعبان والقيت حجارتها في البحر وبقي أثراً وهلك فيها من الأموال والذخائر ما لا يحصى فلما بلغ الإفرنج ذلك أقاموا يافا.

وبعد المركيش إلى ملك انكلطيره يدعنه حيث لم ينجز صلاح الدين على عسقلان ثاني رمضان و雁ان إلى الرملة فخرب حصنه ثم سار إلى القدس من شدة البرد والمطر لينظر في مصالح القدس وترتبهم في الاستعداد للحصار وأذن للعساكر في العود إلى بلادهم للراحة وعاد إلى خيمه ثامن رمضان وأقام الإفرنج بیافا وشروعوا في عماراتها فرحل صلاح الدين إلى نظرون وخيهم به متصرف رمضان وتردد الرسل بين ملك انكلطيره وبين العادل على أن يزوجه ملك انكلطيره اخته ويكون القدس وبلاد المسلمين بالساحل للعادل وعكا وبلاد الإفرنج بالساحل لها إلى ملكيتها وراء البحر بشرط رضا الفداوية وأجاب صلاح الدين إلى ذلك ومنع الأقصة والرهبان تحت ملك انكلطيره من ذلك ونكروا عليها فلم يتم وإنما كان ملك انكلطيره يخادع بذلك ثم اعتزم الإفرنج على القدس ورحلوا من يافا إلى الرملة ثالث ذي القعدة وسار صلاح الدين إلى القدس وقد ترك عليه عساكر مصر مع أبي الميجاء فقويت به نفس المسلمين وسار الإفرنج من الرملة إلى نظرون ثالث ذي الحجة والمسلمون يحاذونهم وكانت بينهم وقاتلات أسروا في واحدة منها نيفاً وخمسين من مقاتلة الإفرنج واهتم صلاح الدين بعمارة أسوار القدس ورم ما ثلم منها وضبط المكان الذي ملك القدس منه وسد فروجه وأمر بمحفر الخندق خارج الفصيل.

من الغد فلم يتقدمن إليه أحد من المسلمين ثم نزل بين السماطين وجلس للأكل وأمر صلاح الدين بالحملة عليهم فتقدمن أخ المشطوب وكان يلقب بالبنجاح وقال لصلاح الدين: نحن نتقدم للقتال وعاليك للغنية. فغضب صلاح الدين وعاد عن الإفرنج إلى خيامه حتى جاء ابنه الأفضل وأخوه العادل فرحل إلى الرملة يتظاهر مال أمره مع الإفرنج وأقاموا بیافا والله تعالى أعلم.

### الصلح بين صلاح الدين والإفرنج ومسير ملك انكلطيرية إلى بلاده

كان ملك انكلطيرية إلى هذه الملة قد طال مغيضه عن بلاده ويش من بلاد الساحل لأن المسلمين استولوا عليه فأرسل إلى صلاح الدين يسأله في الصلح وظن صلاح الدين أن ذلك مكر فلم يجيء وطلب الحرب فالحرب ملك انكلطيرية في المسؤول وظهر صدق ذلك منه فترك ما كان فيه من عمارة عسقلان وغزة والداروم والرملة وبعث إلى الملك العادل بأن يتوسط في ذلك فأشار على صلاح الدين بالإجابة هو وسائر الأمراء لما حدث عند العسکر من الضجر وفقدن التفاتات وهلاك الدواب والأسلحة وما بلغتهم أن ملك انكلطيرية عائد إلى بلاده وإن لم تقع الإجابة آخر فضل الشتاء امتنع ركوب البحر فيقيم إلى قابل فلما وعي ذلك صلاح الدين وعلم صحته أجاب إلى الصلح وعقد المدونة مع رسول الإفرنج في عشرين من شعبان سنة ثمان وثمانين لمة أربعة وأربعين شهراً فتحالفا على ذلك وأذن صلاح الدين للإفرنج في زيارة القدس.

وارتحل ملك انكلطيرية في البحر عائداً إلى بلده وأقام الكندوري صاحب صور بعد المركب ملكاً على الإفرنج بسواحل الشام وتزوج الملكة التي كانت تملّكته قبله وقبل صلاح الدين كما مر وسار صلاح الدين إلى القدس فاصلح أسواره وأدخل كنيسة صهيون في البلد وكانت خارج السور واحتضن المدارس والبريط والمارستان ووقف عليها الأوقاف واعتم على الإحرام منه للحج فاعتراضه القواطع دون ذلك فسار إلى دمشق خاتم شوال واستخلف عليه الأمير جرديك من موالي نور الدين ومر بكافور المسلمين نابلس وطبرية وصفد وبيروت وما انتهى إلى بيروت أشاه بها سمند صاحب أنطاكيه وطرابلس وأعمالها فاللزم طاعة صلاح الدين وعاد ودخل صلاح الدين دمشق في الخامس والعشرين من شوال وسر الناس بقدومه ووهن العدو والله سبحانه وتعالى أعلم.

منه الخلعة فبعث إليه بها ولبسها عكا والله تعالى أعلم.

### مسير الإفرنج إلى القدس

ولما قدم صلاح الدين إلى القدس وكان قد بلغه مهلك تقي الدين عمر ابن أخيه شاهنشاه وأن ابنه ناصر الدين استولى على أعماله بالجزيرة وهي: حرانت والرها وسميساط وميافارقون وأرجان وبعث إلى صلاح الدين يسأل إيقاعها في يده مضافة إلى ما كان لأبيه من الأعمال بالشام فاستنصره صلاح الدين لصغره وطلب منه ابنه الأفضل أن يعطيها له وينزل عن دمشق فاجابه إلى ذلك وأمره أن يسير إليها وكاتب ملوك البلاد الشرقية بالوصل وسنجر والجزيرة وإربيل وسار لإيجاده بالعساكر وعلم ناصر الدين أنه لا قبل له بذلك فبعث للملك العادل يستشعف له عند صلاح الدين على أن يبقى بيده له ما كان لأبيه بالشام فقط وينزل عن بلاد الجزيرة فاقطعها صلاح الدين أخيه الملك العادل وبعثه يتسلّمها ويرد ابنه الأفضل فلحق بالأفضل بمحلب وأعاده عبر القرارات وتسلم البلاد من ناصر الدين بن تقي الدين وأنزل بها عماله واستصحبه وساير العساكر الجزيرة إلى صلاح الدين بالقدس.

ولما بلغ الإفرنج أن صلاح الدين بعث ابنه الأفضل وأخاه العادل وفرق العساكر عليهم ولم يبق معه بالقدس إلا بعض الخاصة طمعوا فيه وأغاروا على عسکر مصر وهو قاصد إليه ومقدمهم سليمان آخر العادل لأمه فأخذوه بنواحي الخليل وقتلوا وغنموا وخجا لهم إلى جبل الخليل وساروا إلى الداروم فخربوه ثم ساروا إلى القدس واتجهوا إلى بيت فوجه على فرسخين من القدس تاسع جادى الأولى من ستة ثمان وثمانين واستعد صلاح الدين للحصار وفرق أبرج السور على أمرائه وسلط السرايا والمعروث عليهم فرأوا ما لا قبل لهم به فناحرروا عن منازلهم بیافا وأصبحت بقوتهم وبرتهم غاثم للمسلمين وبلغتهم أن العساكر الشرقية التي مع العادل والأفضل عادت إلى دمشق فعادوا إلى عكا وعزموا على محاصرة بيروت فامر صلاح الدين ابنه الأفضل أن يسير في العساكر الشرقية إليها فسار واتجه إلى مرج العيون فلم يبرح الإفرنج من عكا.

واجتمع عند صلاح الدين خلال ذلك العساكر من حلب وغيرها فسار إلى بیافا فحاصرها وملکها عنزة في العاشر من رجب من السنة ثم حاصر القلعة بقية يومه وأشرفوا على فتحها وكانوا يتظرون المدد من عكا فشنعوا المسلمين بطلب الأمان إلى الغد فأجابهم إليه وجاءهم ملك انكلطيرية ليلاً وتبعد مدد عكا ويرز

## وفاة صلاح الدين وحال ولده وأخيه من بعد

ليرجعها من يده ومجاهد الدين قايقار أتابك دولته يثنى عن ذلك وبعدله فيه قيدين حال العادل مع ابن أخيه وبينما هو في ذلك إذ جاءت الأخبار بأن العادل بحران شم وفاصهم كتابه بأن الأفضل ملك بعد أخيه صلاح الدين وأطاعه الناس فكاتب عن الدين جيرائه من الملوك مثل صاحب سنمار وصاحب ماردين يستتجدهم وجاء إليه آخره على نصيبين وسار معه إلى الرها فأصابه المرض في طريقه ورجع إلى الموصل فمات أول رجب من السنة واستقرت إيمانة العادل في ملكه من الجزيرة فلم يهبه منها أحد والله تعالى ينصر من يشاء من عباده.

### مسير العزيز من مصر إلى حصار الأفضل بدمشق وما استقر بينهم في الولايات

كان العزيز عثمان بن صلاح الدين قد استقر بمصر كما ذكرناه وكان موالي أخيه منحرفين عن الأفضل ورؤساؤهم يومئذ جهاركس وفراجا وقد استقر بهم عدو الأفضل والأكراد وموالي شيركوه شيعة له فكان العدو يدعون العزيز بهؤلاء الشيع وبخوفونه من أخيه الأفضل وينهبونه باتزاع دمشق من يده فسار لذلك سنة تسعين وخمسة ونزل على دمشق واستنزل الأفضل وهو ب أعماله بالجزيرة وسار لعمه العادل بنفسه وسار معه الظاهر غازى بن صلاح الدين صاحب حلب وناصر الدين محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه صاحب حما وشيركوه بن محمد بن شيركوه وأطاعه صاحب حما ناصر الدين محمد بن تقي الدين بن شيركوه وله مع حما سلعة والميرة ومنبع وابن محمد بن شيركوه وله مع الرحمة حصن وتدمير وبعلبك بهرام شاه بن فرششاه بن شاهنشاه ولقبه الأجد وبصري الظاهر بن صلاح الدين ولقبه الأجدد مع أخيه الأفضل وفي شيزر سابق الدين عثمان ابن الديبة وبالكرك والشوبك الملك العادل وبلغ الخبر إلى العادل فاتم بالكرك واستدعاء الأفضل من دمشق فلم يحبه فخرقه ابن أخيه العزيز صاحب مصر من عز الدين صاحب الموصل وقد كان سار من إلى مصر وعاد كل إلى بلده والله تعالى أعلم.

### حصار العزيز ثانياً دمشق وهزيمته

ولما عاد العزيز إلى مصر عاد موالي صلاح الدين إلى إعراضه بأخيه الأفضل فتجهز لحصاره بدمشق سنة إحدى وتسعين وسار الأفضل من دمشق إلى عمته العادل بقلعة جعبر ثم إلى أخيه الظاهر غازى مجلب مستنجداً لها وعاد إلى دمشق فرجد العادل قد سبقه إليها واتفقا على أن تكون مصر للأفضل ودمشق للعادل ووصل

ولما وصل صلاح الدين إلى دمشق وقد خف من شواغل الإفرنج بوهفهم وما عقد من الهدنة فرار أح قليلاً ثم اعتزم على إحداث الغزو فاستشار ابنه الأفضل وأخاه العادل في مذهبة فأشار العادل بخلال لأنه كان وعلمه أن يقطعه إياها إذا ملكها وأشار الأفضل ببلاد الروم إيمالية بني قلبيج أرسلان لسهولة أمرها واعتراض الإفرنج فيها إذا قصدوا الشام لأنها طرفة لهم فقال أخيه: تذهب أنت خلالاً في بعض ولدي وبعض العساكر وأذهب أنا إلى بلاد الروم فإذا فرغت منها لحقت بكم فسرنا إلى آذربيجان ثم إلى بلاد العجم. وأمره بالسير إلى الكرك وهي من أقطابه ليتجهز منها ويعود لشأنه فسار إلى الكرك ومرض صلاح الدين بعده ومات في صفر سنة تسع وثمانين وخمسة لخمس وعشرين سنة من ملكه مصر رحمه الله تعالى.

وكان معه بدمشق ابنه الأفضل نور الدين والعساكر عنده فملك دمشق والساحل وبعلبك وصرخد وبصري وبانياس وشوش وجميع الأعمال إلى الدارويم وكان ينصر ابنه العزيز عثمان فاستولى عليها وكان مجلب ابنه الظاهر غازى فاستولى عليها وعلى أعمالها مثل حارم وتل باشر وإعزاز وبيرزية ودربيساك وغيرها وأطاعه صاحب حما ناصر الدين محمد بن تقي الدين بن شيركوه وله مع حما سلعة والميرة ومنبع وابن محمد بن شيركوه وله مع الرحمة حصن وتدمير وبعلبك بهرام شاه بن فرششاه بن شاهنشاه ولقبه الأجد وبصري الظاهر بن صلاح الدين ولقبه الأجدد مع أخيه الأفضل وفي شيزر سابق الدين عثمان ابن الديبة وبالكرك والشوبك الملك العادل وبلغ الخبر إلى العادل فاتم بالكرك واستدعاء الأفضل من دمشق فلم يحبه فخرقه ابن أخيه العزيز صاحب مصر من عز الدين صاحب الموصل وقد كان سار من إلى مصر وعاد كل إلى بلده العادل بالجزيرة فرعده بالنصر منه وأوهمه الرسول إن لم يسر إلى الأفضل بدمشق أنه متوجه إلى العزيز بمصر ليحالفه عليه فحيث بدأ ارتات العادل وسار إلى الأفضل بدمشق فلقاء بالبرة وجهر له العساكر لمدافعة عن الدين صاحب الموصل عن بلاد الجزيرة.

وارسل إلى صاحب حصن وصاحب حما يحضهم على إنفاذ العساكر معه وعبر بها الفرات وأقام بناواحي الرها وكان عز الدين مسعود ابن مودود صاحب الموصل لما بلغه وفاة صلاح الدين اعتزم على المسير إلى بلاد العادل بالجزيرة وحران والرها وسائرها

سبحانه وتعال أعلم بغيره وأحكم.

## فتح العادل يafa من الإفرنج واستيلاء الإفرنج على بيروت وحصارهم تبني

ولما توفي صلاح الدين وملك أولاده بعده جدد العزيز المدنة مع الكنديري ملك الإفرنج كما عقد أبوه معه وكان الأمير أسامة يقطع بيروت فكان يبعث الشوانى للإغارة على الإفرنج وشكراً ذلك إلى العادل بدمشق والعزيز بمصر فلم يشكي لهم فارسلوا إلى ملوكهم وراء البحر يستجدونهم فأسدوهم بالعساكر وأثثروا من الأماكن وزلوا بعكا واستتجد العادل بالعزيز فبعث إليه بالعساكر وجاءته عساكر الجزيرة والموصى واجتمعوا بعين جالوت وأقاموا رمضان وبعض شوال من سنة الثنتين وستين ثم ساروا إلى يافا فملكوا المدينة أولاً وخرابوها وامتنع الحامية بالقلعة فحاصروها وقتلوا عنزة واستباحوها.

وجاء الإفرنج من عكا لصريح إخوانهم وانتهوا إلى قيسارية فيبلغهم خبر وفاتهم وخبر وفادة الكنديري ملوكهم بعكا فرجعوا ثم اعتزوا على قصد بيروت فسار العادل لتخربيها حذراً عليها من الإفرنج فتكفل له أسامة عاملها بمحابيتها وعاد ووصل إليها الإفرنج يوم عرفة من السنة وهرب منها أسامة وملوكها وفرق العادل العساكر فخرموا ما كان بقي من صيدا بعد تعرّب صلاح الدين وعاشروا في نواحي صور فعاد الإفرنج إلى صور ونزل المسلمين على قلعة هونين ثم نازل الإفرنج حصن تبني في صفر سنة أربع وستين وبعث العادل عسكراً لحماته فلم يغدوا عنه وتقب الإفرنج أسراره فبعث العادل بالصريح إلى العزيز صاحب مصر فأخذ السير بعساكره وانتهى إلى عسقلان في ربيع من السنة.

وكان المسلمون في تبني قد بعثوا إلى الإفرنج من يستأمن لهم وسلمون لهم فأنذرهم بعض الإفرنج بأنهم يغدرون بهم فعادوا إلى حصنهم وأصروا على الامتناع حتى وصل العزيز إلى عسقلان فاضطرب الإفرنج لوصوله ولم يكن لهم ملك وإنما كان معهم الجنكير القسيس من أصحاب ملك الأماكن والمرأة زوجة الكنديري فاستدعوا ملك قبرص واسمه هنري وهو أخ الملك الذي أسر بمحظين فجاههم وزوجوه بلكتهم فلما جاء العزيز وسار من عسقلان إلى جبل الخليل وأطل على الإفرنج وناوشهم القتال رجع الإفرنج إلى صور ثم إلى عكا ونزلت عساكر المسلمين بالبحور فاضطرب أمراء العزيز واجتمع جماعة منهم وهم: ميمون القصري وقراسنفر والحجاج وابن المنطوب على الفدر بالعزيز

العزيز إلى قرب دمشق وكان الأكراد وموالي شيركوه منحرفين عنه كما قدمناه وشيعة للأفضل ومقدمهم سيف الدين أبو ركوش من الموالى وأبو الميجاء السمين من الأكراد فدلساً للأفضل بالخروج إلى العزيز وواعدهم المزية عنه فخرجاً في العساكر وأخواز إليهم الموالى والأكراد وانهزم العزيز إلى مصر.

وبعث الأفضل العادل إلى القدس فتلسمه من نائب العزيز وساروا في اتباعه إلى مصر والعساكر ملتقة على الأفضل فارتاد العادل وخشي أن لا يفي له الأفضل بما اتفقا عليه ولا يمكنه من دمشق فراسل العزيز بالثبات وأن ينزل حامية ووعد من نفسه المظاهرة على أخيه وتكلله له منه من مقاتله بليس فترك العزيز بها فخر الدين جهاركس في عسكر من موالي أخيه وأراد الأفضل مناجزتهم فمنعه العادل فأراد الرجل إلى مصر فمنعه أيضاً وقال له: إن أخذت مصر عنوة المفترق الهيبة وطمطع فيها الأعداء والمطاولة أولى. ودس إلى العزيز بإرسال القاضي الفاضل وكان مطاعاً فيهم لترئته عند صلاح الدين فجاء إليهما وعقد الصلح بينهم على أن يكون للأفضل القدس وفلسطين وطبرية والأردن مضافة إلى دمشق ويكون للعادل كما كان القديم ويقيم بمصر عند العزيز يدير أمره وتحالفوا على ذلك وعاد الأفضل إلى دمشق وأقام العادل عند العزيز بمصر انتهى والله أعلم.

## استيلاء العادل على دمشق

ثم إن العزيز استعمال العادل وأطمعه في دمشق أن يأخذها من أخيه وسلمها إليه وكان الظاهر صاحب حلب يعدل الأفضل في موالاة عم العادل ويخرضه على إبعاده فيلچ في ذلك ثم إن العادل والعزيز سارا من مصر وحاصروا دمشق واستتملا من أمراء الأفضل أبا غالب الحصي على وثيق الأفضل به وإحسانه إليه ففتح لها الباب الشرقي عشي السابع والعشرين من رجب سنة ثنتين وستين فدخل العادل منه إلى دمشق ووقف العزيز بالميدان الأخضر وخرج إليه آخره الأفضل ثم دخل الأفضل دار شيركوه وأظهروا مصالحة الأفضل خشية من جموعه وأعادوه إلى القلعة وأقاموا بظاهر البلد والأفضل يعاديهم كل يوم ويرأوهم حتى استفحلا أمرهم فأمروه بالخروج من دمشق ووقف العزيز وأعطوه قلعة صرخد وملك العزيز القلعة ونقل للعادل أن العزيز يريد أن يتعدد إلى دمشق فجاء إليه وحمله على تسليم القلعة فسلمها وخرج الأفضل إلى رستاق له خارج البلد فاتقاب به وسار منه إلى صرخد وعاد العزيز إلى مصر وأقام العادل بدمشق والله

فسار العادل إلى حران وارتحل نور الدين من تصيّين إلى الموصل وسار قطب الدين إليها فملكها وسار العادل إلى مارددين في رمضان من السنة فحاصرها وكان صاحبها حسام الدين بولو أرسلان بن أبي الغازى بن البا بن عمرتاش أبي الفازى بن أرتق وهو صبي وكافله مولى النظام برتشق مولى أخيه والحكم له ودام حصاره عليها وملك الربيض وقطع الميرة عنها ثم رحل عنها في العام القابل كما تقدم في أخبار دولة زنكي والله تعالى ينصر من يشاء من عباده.

### وفاة العزيز صاحب مصر وولاية أخيه الأفضل

ثم توفي العزيز عثمان بن صلاح الدين آخر عمره سنة خمس وستين وكان فخر الدين أياس جهاركس مولى أخيه مستبداً عليه فارسل العادل بمكانه من حصار مارددين يستدعيه للملك وكان جهاركس هذا مقدم موالي صلاح الدين وكانت منحرفين عن الأفضل وكان موالي صلاح الدين شيركوه: والأكراد شيعة له وجعلهم جهاركس ليتنظر في الولاية وأشار بتولية ابن العزيز فقال له سيف الدين أياز كوش مقدم موالي شيركوه لا يصلح لذلك لصغره إلا أن يكفله أحد من ولد صلاح الدين لأن رئاسة العساكر صنعة. واتفقوا على الأفضل ثم مضوا إلى القاضي الفاضل فأشار بذلك أيضاً وأرسل أياز كوس يستدعيه من صرخد فسار آخر صفر من السنة.

ولقيه الخبر في طريقه بطاعة القدس له وخرج أمراء مصر فلقوه بيلبيس وأضافه آخره المoid مسعود وفخر الدين جهاركس مدير دولة العزيز فقدم أخاه وراتب جهاركس واستدنه في المسير ليصلح بين طائفتين من العرب اقتلا فاذهن فسار فخر الدين إلى القدس ولكله ولحقه جماعة من موالي صلاح الدين منهم: قراجا الذكرمس وقراستقر وجاءه ميمون القصري فقويت شوكهم به واتفقا على عصيان الأفضل وأرسلوا إلى الملك العادل يستدعونه فلم يحصل لإيجابتهم لطمعه فيأخذ مارددين وراتب الأفضل بمولى صلاح الدين وهو: شقيقة وأنبك مطيش والبكى ولحق جماعة منهم بأصحابهم بالقدس وأرسل الأفضل إليهم في العود على ما ينتظرونها فاتمروا وأقام هو بالقاهرة وقرر دولته وقد فديها سيف الدين أياز كوش والمملكة لابن أخيه العزيز عثمان وهو كافل له لصغره وانتظمت أمورهم على ذلك انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم.

ومدير دولته فخر الدين جهاركس فأغذ السير إلى مصر وتراسل العادل والإفرنج في الصلح وانعقد بينهم في شعبان من السنة ورجع العادل إلى دمشق وسار منها إلى مارددين كما يأتي خبره والله تعالى أعلم.

### وفاة طفتكن بن أيوب باليمن وملك ابنه إسماعيل ثم سليمان بن تقى الدين شاهنشاه

وقد كان قد تقدم لنا أن سيف الإسلام طفتكن بن أيوب سار إلى المدينة سنة ثمان وسبعين بعد وفاة أخيه شمس الدولة تورزان شاه واختلاف نوابه باليمن واستولى عليها ونزل زيد وأقام بها إلى أن توفي في شوال سنة ثلات وسبعين وكان سبعين السيرة كبير الظلم للرعية جاعلاً للأموال وما استحق بها أراد الاستيلاء على مكة فبعث الخليفة الناصر إلى أخيه صلاح الدين يمنعه من ذلك فمنعه ولما توفي ملك مكانه ابنه إسماعيل وبلغ العز وكان أهوج فاتح في بيته وأدعى الخلافة وتلقب بالهادي وليس الخضراء وبعث إليه عم العادل بالملامحة والتوريث فلم يقبل وأساء السيرة في رعيته وأهل دولته فربوا به وقتلوا.

وتولى ذلك سيف الدين سنقر مولى أخيه ونصب أخيه الناصر سنة ثمان وسبعين فأقام بأمره ثم هلك سنقر لأربع سنين من دولته وقام مكانه غازي بن جبريل من أمرائهم وتزوج أم الناصر ثم قتل الناصر مسموماً وثار العرب منه بغاري المذكور وبقي أهل اليمن فرضي واستولى على طفان وببلاد حضرموت محمد بن محمد الحميري واستبدلت أم الناصر وملكت زيد وبعثت في طلب أحد من بي أيوب ملكه على اليمن وكان للمؤتمر تقى الدين عمر بن شاهنشاه وقيل لابنه سعد الدين شاهنشاه ابن اسمه سليمان ترهب وليس السوح ولقيه بالموسم بعض غلبهما وجاءه فتزوجته وملكته اليمن والله سبحانه وتعالى أعلم.

### مسير العادل إلى الجزيرة وحضاره مارددين

كان نور الدين أرسلان شاه مسعود صاحب الموصل قد وقع بينه وبين قطب الدين محمد ابن عميه عماد الدين زنكي صاحب نصبين والخابور والرقه وبين أخيه عماد الدين قبله فتنة بسبب الخدود في تجorum أعمالهم فسار نور الدين إليه في عساكرة وملك منه نصبين ولحق قطب الدين بحران والرها إيلاء العادل بن أيوب وبعث إليه بالصريح وهو بدمشق وبدل له الأموال في إيجاده

ثم جاءه الخبر بوصول صاحب الموصى ومن معه فنزل القائم للقائهم وترك عسكراً بالريض وبعث قطب الدين صاحب سنجر إلى الكامل ووعده بالانهزام فلم يفْنِ ولما التقى الفريقان حل صاحب الموصى عليهم مستميتاً فانهزم الكامل وصعد إلى الريض فوجد أهل ماردين قد غلبوه عسكراً الذين هنالك ونهبوا مخلفهم فارتَحَلَ الكامل متتصف شوال مجفلأً ولحق ميافارقين وانتبه أهل ماردين مخلفه وتزلَّ صاحبها فلقي صاحب الموصى وعاد إلى قلعته وارتَحَلَ صاحب الموصى إلى رأس عين لقصد حلوان والرها وببلاد الجزيرة من بلاد العادل فلقيه هناك رسول الظاهر صاحب حلب يطلب في السكة والخطبة فارتَحَلَ لذلك وكان عازماً على نصرتهم فقدع عنهم وعاد إلى الموصى وأرسل إلى الأفضل والظاهر يعتذر عرض طرقه وهو يرميَّنَ على دمشق ووصل الكامل من ميافارقين إلى حران فاستدعاه أبوه من دمشق وسار إليه في العساكر فأخرج عنه الأفضل والظاهر والله سبحانه وتعالى أعلم.

### استيلاء العادل على مصر

ولما رحل الأفضل والظاهر إلى بلادهم تجهز العادل إلى مصر وأغاره موالٍ صلاح الدين بذلك واستحلفوه على أن يكون ابن العزيز ملكاً وهو كافله وبلغت الأخبار بذلك إلى الأفضل وهو في بلليس فسار منها ولقيهم فانهزم لسبعين خلون من رباع الآخر سنة ست وتسعين ودخل القاهرة ليلاً وحضر الصلاة على القاضي الفاضل عبد الرحيم البشاني توفي تلك الليلة وسار العادل لحصار القاهرة وتحاذل أصحاب الأفضل عنه فأرسل إلى عمه في الصلح وتسليم الديار المصرية له على أن يعوضه دمشق أو بلاد الجزيرة وهي: حران والرها وسرجور فلم يجيء وعوضه ميافارقين وجبال نور وتحالفوا على ذلك وخرج الأفضل من القاهرة ثمان عشر ربيع واجتمع بالعادل وسار إلى بلده صرخد.

ودخل العادل القاهرة من يومه وما وصل الأفضل صرخد بعث من يتسلم البلاد التي عوضه العادل وكان بها ابنه نجم الدين أيوب فامتنع من تسليم ميافارقين وسلم ما عداها وردد الأفضل رسلاً في ذلك إلى العادل فزعم أن ابنه عصاه فعلم الأفضل أنه أمره واستفحَلَ العادل في مصر وقطع خطبة المنصور بن العزيز وخطب لنفسه واعتراض الجند ومحصهم بالخوارج والإثبات فاستوحشوا لذلك وبعث العادل فخر الدين جهاركس مقدم موالٍ صلاح الدين في عسكر إلى بانياس ليحاصرها وملكها لنفسه

### حصار الأفضل دمشق وعودته عنها

ولما انظمت الأمور للأفضل بعث إليه الظاهر غازي صاحب حلب وابن عمه شيركوه بن محمد بن شيركوه صاحب حصن بغرانه يملك دمشق لغيبة العادل عنها في حصار ماردين وبعد انه المظاهر فسار من متتصف السنة ووصل إلى دمشق متتصف شعبان وبسبقه العادل إليها وترك العساكر مع ابنه الكامل على ماردين وما نزل الأفضل على دمشق وكان معه الأمير مجد الدين آخر عيسى المكاري فدخل قوماً من الأجناد في دمشق في أن يفتحوا له باب السلامة ودخل منه هو والأفضل سراً وانتهوا إلى باب البريد فقطن عسکر العادل لقتلهم وانقطاع مدهم فتراجعوا وأخرجوهم ونزل الأفضل بيدان الحصار ودفع أمره واصحوصب الأكراد من عساكره فارتَحَلَ بهم الآخرون والخازرو عنهم في المعسکر ووصل شيركوه صاحب حصن ثم الظاهر صاحب حلب آخر شعبان وأول رمضان لظاهرة الأفضل وأرسل العادل إلى موالٍ صلاح الدين بالقدس فساروا إليه وفوي بهم ويشن الأفضل وأصحابه وخرج عساكر دمشق ليبيتهم فوجدوهم حذرين فرجعوا وجاء الخبر إلى العادل بوصول ابنه محمد الكامل إلى حران فاستدعاه ووصل متتصف صفر سنة ست وتسعين فعنده ذلك رحلت العساcker عن دمشق وعاد كل منهم إلى بلاده انتهى والله أعلم.

### إفراج الكامل عن ماردين

قد كان تقدم لنا سير العادل إلى ماردين وسار معه صاحب الموصى وغيره من ملوك الجزيرة وديار بكر وفي نفسهم غصص من تغلب العادل على ماردين وغله لهم فلما عاد العادل إلى دمشق لمدافعة الأفضل وترك ابنه الكامل على حصار ماردين واجتمع ملوك الجزيرة وديار بكر على مدافعته عنها وسار نور الدين أرسلان شاه صاحب الموصى وابن عمه قطب الدين محمد بن زنكى صاحب سنجر وابن عمه قطب الدين محمد بن زنكى صاحب سنجر وابن عمه قطب الدين سنجر شاه بن غازي صاحب جزيرة ابن عمر واجتمعوا كلهم بدلisis حتى قصوا عيد الفطر وارتَحَلوا سادس شوال وقاربوا جبل ماردين وكان أهل ماردين قد اشتد عليهم الحصار وبعث النظام برتش صاحبها إلى الكامل بتسليم القلعة على شروط اشتراطها إلى أجل ضربه وأذن لهم الكامل في إدخال الأقورات في تلك المدة.

مشتملين على الأفضل وشيعة له فخирهم بين المقام والاصراف  
ولحق فخر الدين جهاركس وقراجا بدمشق فامتنعت عليهم  
وعادوا إلى تجديد الصلح مع العادل على أن يكون للظاهر من بع  
وأفامية وكفر طاب وبعض قرى المرة والأفضل له سمباط  
وسروج ورأس عين وحملين فتم ذلك بينهم ورحلوا عن دمشق في  
محرم سنة ثمان وتسعين.

وسائل الظاهر إلى حلب والأفضل إلى حصب فأنقام بها عند  
أهلها ووصل العادل إلى دمشق في تاسوعاء وجاء الأفضل فلقه  
بظاهر دمشق وعاد إلى بلاده فتسليمها وكان الظاهر والأفضل لما  
فصلوا من منبع إلى دمشق بعثا إلى نور الدين صاحب الموصل أن  
يقصد بلاد العادل بالجزرية وكانت بينه وبينهما وبين صاحب  
ماردين وبين واتفاق على العادل منذ ملك مصر خافة أن يطرق  
أعمالهم فسار نور الدين عن الموصل في شعبان ومعه ابن عممه  
قطب الدين صاحب سنجار وعسكر ماردين ونزلوا رأس عين  
وكان محران الفائز بن العادل في عسكر يحفظ أعمالهم بالجزرية  
بعث إلى نور الدين في الصلح ووصل الخبر بصلاح العادل مع  
الظاهر والأفضل فأجاهم نور الدين إلى الصلح واستخلفوا وبعث  
أرسلان من عنده إلى العادل فاستحلقوه أيضاً وصحت الحال والله  
تعالى ولـ التوفيق.

## حصار ماردين ثم الصلح بين العادل والأشraf

ثم بعث الملك العادل ابنه الأشرف موسى في العسكر  
للحصار ماردين فسار إليها ومعه عساكر الموصل وسنجر ونزلوا  
بالحرير تحت ماردين وسار عسكر من قلعة البازغية من أعمال  
ماردين لقطع الميرة عن عسكر الأشرف فلقاهم جماعة من عسكر  
الأشرف وهزموهم وأفسد التركمان السابلة في تلك النواحي  
وافتتح على الأشرف قصده فتوسط الظاهر غازى في الإصلاح  
فيهم على أن يجعل صاحب ماردين للعادل مائة وخمسين ألف  
دينار والدييار أحد عشر قيراطاً من الأميري ويمنط له ببلاده  
ويضرب السكة باسمه وتعسكر طائفة من جنده متى دعاهم لذلك  
فأجاب العادل وتم الصلح بينهما ورحل الأشرف عن ماردين  
والله أعلم.

ففصل من مصر للشام في جماعة الموالى الصلاحية وكان بها الأمير بشارة من أمراء الترك ارتتاب العادل بطاعته فبعث العساكر إليه مع جهاركس والله تعالى أعلم.

مسير الظاهر والأفضل إلى حصار دمشق

ولما قطع العادل خطبة المتصور بن العزيز بمصر استوحش  
الأمراء لذلك وما كان منه في اعتراض الجندي فراسلوا الظاهر بطلب  
والأفضل بصر خد أن يحاصرها دمشق فسرب إلىهما الملك العادل  
فيتأخرن عنه بمصر ويقرونون بدعوهما ونفي الخبر إلى العادل  
وكتب به إليه الأمير عز الدين أسامة جاء من الحج وسر بصر خد  
فلقيه الأفضل ودعاه إلى أمرهم وأطلعه على ما عنده فكتب به إلى  
العادل وأرسل العادل إلى ابنه المعظم عيسى بدمشق يأمره بمصار  
الأفضل بصر خد وكتب إلى جهاركس بمكانه من حصار بانياس  
وإلى ميمون القصري صاحب بانياس بالسير معه إلى صر خد فقر  
منها الأفضل إلى أخيه الظاهر بطلب فوجده يتجهز لأنه بعث أميراً  
من أمراته إلى العادل فرده من طريقه فسار إلى منبع فملكتها ثم  
قلعة نجم كذلك وذلك سلوك رجب من ستة سبع وستين.

إحدى وستمائة وعاد إلى بلده والله تعالى أعلم.

## أخذ البلاد من يد الأفضل

### وصول الإفرنج إلى الشام والصلح معهم

ولما ملك الإفرنج القسطنطينية من يد الروم سنة إحدى وستمائة تكالبوا على البلاد ووصل جمّع منهم إلى الشام وأرسوا بعكا عازمين على ارتجاع القدس من المسلمين ثم ساروا في نواحيالأردن فاكتسحورها وكان العادل بدمشق استنصر العساكر من الشام ومصر وسار فنزل بالطور قريباً من عكا لدافعتهم وهو قبلته برج عكا وساروا إلى كفركنا فاستباحوه.

ثم انقضت سنة إحدى وستمائة وتراسلوا في المهادنة على أن ينزل لهم العادل عن كثير من مناصف الرملة وغيرها ويعطيهم وتم ذلك بهم وسار العادل إلى مصر فقد الإفرنج حماة وقاتلهم صاحبها ناصر الدين محمد فهزمه وأقاموا أياماً عليها ثم رجعوا والله تعالى أعلم.

### غارة ابن ليون على أعمال حلب

قد تقدم لنا ذكر ابن ليون ملك الأرمون وصاحب ال دروب فاغار سنة اثنين وستمائة على أعمال حلب واكتسحها واتصل ذلك منه فجعم الظاهر غازي صاحب حلب ونزل على خمسة فراسخ من حلب وفي مقدمته ميمون القصري من موالي أبيه منسوباً إلى قصر الخلفاء بمصر ومنه كان أبوه وكان الطريق إلى بلاد الأرمون متعدناً من حلب لنوع الجبال وصعوبة المضائق وكان ابن ليون قد نزل في طرف بلاده لما يلي حلب ومن ثورها قلعة دريساك فخشى الظاهر عليها منه ويعث إليها مددًا وأمر ميمون القصري أن يشييء بطاقة من عسكره ففعل وبقي في خف الجندي ووصل خبره إلى ابن ليون فكبس القصري ونال منه ومن المسلمين وانهزموا أمامه فظفر بمخلفهم ورجع فلقي في طريقه المدد الذي بعث إلى دريساك فهزمه وظفر بما كان معهم وعاد الأرمون إلى بلادهم فاعتاصموا بمحصونهم والله تعالى أعلم.

### استيلاء نجم الدين بن العادل على خلاط

كان العادل قد استولى على ميافارقين وأنزل بها ابنه الأول نجم الدين ثم استول نجم الدين على حصن من أعمال خلاط وزحف إليها سنة ثلاثة وستمائة وقد استول عليها يليان مولى شاهرين فقاتلها وهزمها وعاد إلى ميافارقين فهزمه.

قد كان تقدم أن الظاهر والأفضل لما صالحوا العادل سنة سبع وستين أخذ الأفضل سميساط وسروج وراس عين وحملين وكانت بيده معها قلعة نجم التي ملكها الظاهر بين يدي الحصار قبل الصلح ثم استرد العادل البلاد من يد الأفضل سنة تسعة وستين وأبقى له سميساط وقلعة نجم فطلب الظاهر قلعة نجم على أن يشفع له عند العادل في رد ما أخذ منه فلم يجب فتهده ولم تزل الرسل تتعدد بينهما حتى سلمها إليه في شعبان من السنة ويعث الأفضل أمره إلى العادل في رد سروج وراس عين عليهم فلم يشنعواه فبعث الأفضل إلى ركن الدين سليمان بن قلبيج أرسلان صاحب بلاد الروم بطاعته وأن يخطب له فبعث إليه بالخلعة وخطب له الأفضل في سميساط سنة ستة وستمائة وسار من جلة نوابه في أعماله وفي سنة تسعة وستين هذه خاف على مصر محمود بن العزيز صاحب مصر بعث العساكر إلى الراها لأنه لما قطع خطبته من مصر سنة ست وستين خاف على مصر من شيعة أبيه فأخرجها سنة ثمان وستين إلى دمشق ثم نقله في هذه السنة إلى الراها ومعه إخوانه وأمه وأهلة فاقاما بها والله أعلم.

### واقعة الأشرف مع صاحب الموصل

كانت الفتنة متصلة بين نور الدين أرسلان شاه أرسلان وبين ابن عمّه قطب الدين صاحب سنجر واستمال العادل بن أرباب قطب الدين فخطب له بأعماله وسار إليه نور الدين غيرة من ذلك فحاصر نصبيين في شعبان من سنة ستة وستمائة وبعد قطب الدين يستمد الأشرف موسى بن العادل وهو مجران فسار إلى رأس عين لإمداده ومداهنة نور الدين عنه بعد أن اتفق على ذلك مع مظفر الدين صاحب أربيل وصاحب جزيرة ابن عمر وصاحب كيما وآمد ففارق نور الدين نصبيين وسار إليها الأشرف وجاءه آخره نجم الدين صاحب ميافارقين وصاحب كيما وصاحب الجزيرة وساروا جيئاً إلى بلد البقعا ونور الدين صاحب الموصل قد انصرف من تل أغر و قد ملكها إلى كفر رمان معتمداً على مطاؤتهم إلى أن يفترقا ثم أغراه بعض مواليه كان بعضه عيناً عليهم فقتلهم في عينه وحرضه على معاجلتهم باللقاء فسار إلى نورها ونزل قريباً منهم ثم ركب لقتالهم واقتلوها فانهزم نور الدين ولحق بالموصل ونزل الأشرف وأصحابه كفر رمان وعاثوا في البلاد واكتسحورها وترددت الرسل بينهم في الصلح على أن يعيد نور الدين على قطب الدين قلعة تل أغر التي أخذها له فتم ذلك سنة

وأظل الشتاء فأذن لعساكر الجزيرة في العود إلى بلادهم وترك عند صاحب حصن عسكراً أخذه بهم وعاد إلى دمشق فشتي بها والله أعلم.

## غارات الكرج على خلاط وأعمالها وملكهم أرجيش

ولما ملك الأوحد نجم الدين خلاط كما مر ردد الكرج

الغارات على أعمالها واعثروا فيها ثم ساروا سنة خمس وستمائة إلى مدينة أرجيش فحاصروها وملقوها عنوة واستباحوها وخربوها وخانم نجم الدين عن لقائهم ومدافعتهم إلى أن انتقض عليه أهل خلاط فاستولوا على حصن وإن من أعظم الحصون وأمنعها فعصوا على نجم الدين واجتمع إليهم جمع كثير وملقوها مدينة أرجيش واستمد نجم الدين على خلاط وأعمالها وعاد أخوه الأشرف إلى أعماله بمجران والرها ثم سار الأوحد نجم الدين إلى ملاذكرد ليرب أحوالها فوثب أهل خلاط على عسركه فأخرجوه وحصروا أصحابه بالقلعة ونادوا بشعاربني شاهرين وعاد نجم الدين إليهم وقد وفاه عسركر من الجزيرة فقوى بهم وحاصر خلاط واحتل أهلها فملقوها واستحل أهلها وعاد أخوه كثيراً من أعيانها كانوا فارين وذل أهل خلاط لبني أيوب بعد هذه الواقعة إلى آخر الدولة والله تعالى أعلم.

## استيلاء العادل على الخابور ونصيبين من عمل سجوار وحصارها

قد تقدم لنا أن قطب الدين زنكي بن محمود بن مودود صاحب سجوار والخابور ونصيبين وما إليها كانت بينه وبين ابن عممه نور الدين أرسلان شاه بن مسعود بن مودود صاحب الموصل عداوة مستحکمة وفتنة متصلة وزوج نور الدين صاحب الموصل بنته من ابن العادل بن أيوب سنة خمس وستمائة واتصل بهما لذلك فزبن له وزراؤه وأهل دولته أن يستتجد بالعادل على جزيرة ابن عمر وأعمالها التي لابن عممه سجوار شاه بن غازي بن مودود ف تكون الجزيرة بكمالها مضافة إلى الموصل وملك العادل سجوار وما إليها وهي ولاية قطب الدين ف تكون له فأجاب العادل إلى ذلك ورأه ذريعة إلى ملك الموصل وأطعن نور الدين في إيالة قطب الدين إذا ملوكها تكون لابنه الذي هو صهره على ابنته وتكون عنده بالموصل.

وسار العادل بعساكره سنة ست وستمائة وقصد الخابور فملكه فتبيّن لنور الدين صاحب الموصل حيث أنه لا مانع منه وندم على ما فرط في رأيه من وفاته ورجع إلى الاستعداد للحصار وخوفه الوزراء والخاشية أن يتقضى على العادل فبدأ به وسار العادل من الخابور إلى نصيبين فملوكها وقام بعدهاته عن قطب الدين وحماية البلد من الأمير أحد بن برتقش مولى أبيه

ثم دخلت سنة أربع وستمائة وملك مدينة سوس وغيرها وأمده أبوه العادل بالعساكر فقصد خلاط وسار إليه بليان فهو زعيم الدين وحاصره بخلافه وبعث بليان إلى مغيث الدين طغرل شاه بن قليج أرسلان صاحب أرزن الروم يستتجده فجاء في عساكره واجتمع مع بليان وانهزم نجم الدين ونزل على مدينة تلبوس فحاصرها ثم غدر طغرل شاه بليان وقتلها وسار إلى خلاط ليملكها فطرده أهلها فسار إلى ملاذكرد فامتنع عليه فعاد إلى بلاده.

وارسل أهل خلاط إلى نجم الدين فملكوه خلاط وأعمالها وخافه الملوك المأمورون له وملك الكرك وتابعوا الغارات على بلاده فلم يخرج إليهم خشية على خلاط واعتزل جماعة من عسکر خلاط فاستولوا على حصن وإن من أعظم الحصون وأمنعها فعصوا على نجم الدين واجتمع إليهم جمع كثير وملقوها مدينة أرجيش واستمد نجم الدين على خلاط وأعمالها وعاد أخوه الأشرف إلى أعماله بمجران والرها ثم سار الأوحد نجم الدين إلى ملاذكرد ليرب أحوالها فوثب أهل خلاط على عسركه فأخرجوه وحصروا أصحابه بالقلعة ونادوا بشعاربني شاهرين وعاد نجم الدين إليهم وقد وفاه عسركر من الجزيرة فقوى بهم وحاصر خلاط واحتل أهلها فملقوها واستحل أهلها وعاد أخوه كثيراً من أعيانها كانوا فارين وذل أهل خلاط لبني أيوب بعد هذه الواقعة إلى آخر الدولة والله تعالى أعلم.

## غارات الإفرنج بالشام

كان الإفرنج بالشام قد أكثروا الغارات سنة أربع وستمائة بمحشد ثان ثم ملقوها القسطنطينية واستفحلا ملوكهم فيها فأشغار أهل طرابلس وحسن الأكراد منهم على حصن وأعمالها وعجز صاحبها شيركوه بن محمد شيركوه عن دفاعهم واستتجد عليهم فالجده الظاهر صاحب حلب بعسکر أقساموا عنده للمدافعة عنه وأغار أهل قبرص في البحر على أسطول مصر فظفروا منه بعده قطعوا وأسروا من وجدوا فيها وبعث العادل إلى صاحب عكا يخنج عليه بالصلح فاعتذر بأن أهل قبرص في طاعة الإفرنج الذين بالقسطنطينية وأنه لا حكم له عليهم فخرج العادل إلى العساكر إلى عكا حتى صالحه صاحبها على إطلاق أسرى من المسلمين ثم سار إلى حصن ونازل القلعتين عند مجيرة قدس ففتحها وأطلق صاحبه وعنه ما فيه وخرقه وتقى إلى طرابلس فاكتسح نواحيها اثنى عشر يوماً وعاد إلى مجيرة قدس وراسله الإفرنج في الصلح فلم يجيئهم

قبله ببعث ابنه المسعود يوسف واسمه بالتركي أقنسن في العساكر سنة التي عشرة وستمائة فملك اليمن وبقضى على سليمان شاه وبعد بعث به معتقلًا إلى مصر فلم يزل بها إلى أن استشهد في حروب دمياط مع الإفرنج أعدام تسع وأربعين.

وطالت أيام المسعود باليمين وبح سنتها تسع عشرة وقدم أعلام أبيه على أعلام الخليفة الناصر فكتب الناصر يشكروه إلى أبيه فكتب إليه أبوه الكامل: بربت من العادل يا أحسن إن لم أنقطع يمينك فقد نبذت وراء ظهرك دنياك ودينك ولا حول ولا قوة إلا بالله. فاستحب إلى أبيه وأعتبره ثم غلب سنته ست وعشرين على مكة من يد الحسن بن قادة سيدبني أدریس بن مطاعن منبني حسن وولى عليها وعاد إلى اليمن فهلك بقيمة السنة وغلب على أمر اليمن بعده علي بن رسول استاذ داره ونصب للملك ابنه الأشرف موسى وكفله ثم هلك موسى واستبد ابن رسول باليمين وأورثه بنيه فكانت لهم دولة اتصلت لهذا المهد كما نذكره في أخبارها إن شاء الله تعالى.

## وصول الإفرنج من وراء البحر إلى سواحل

الشام ومسيّرهم إلى دمياط وحصارها

### واستيلاؤهم عليها

كان صاحب روماً أعظم ملوك الإفرنج بالعدوة الشمالية من البحر الرومي وكانوا كلهم يدينون بطاعته وبلغه اختلاف أحوال الإفرنج بساحل الشام وظهور المسلمين عليهم فانتدب إلى إمدادهم وجهز إليهم العساكر فامتلأوا أمره من إياته وتقدم إلى ملوك الإفرنج أن يسيروا بأنفسهم أو يرسلوا العساكر فامتلأوا أمره وتراوحت الأمداد إلى عكا من سواحل الشام ستة أربع عشرة وسأر العادل من مصر إلى الرملة ويرز الإفرنج من عكا ليصدوه فسار إلى نابلس يسابقهم إلى أطراف البلاد ويفادفهم عنها فسبقوه ونزل هو على بيسان من الأردن وزحف الإفرنج لحرره في شعبان من السنة وكان في خف من العساكر فخامر عن لقائهم ورجع إلى دمشق ونزل مرج الصفر واستدعى العساكر ليجمعها واتهبه الإفرنج غلنه في بيسان واكتسحوا ما بينها وبين بانياس ونزلوا بانياس ثلاثة ثم عادوا إلى مرج عكا بعد أن خربوا تلك الأعمال وامتلأت أيديهم من نهبها وسباياها ثم ساروا إلى صور ونهبوا صيدا والشقيق على فرسخين من بانياس وعادوا إلى عكا بعد عيد الفطر ثم حاصروا حصن الطور على جبل قريب من عكا كان العادل اختطها فحاصروها سبعة عشر يوماً وقتل عليها بعض

وشرع نور الدين صاحب سنجر ابنه مظفر الدين يستشفع به إلى العادل ل مكانه منه وأثره في مواليه فتففع ولم يشفعه العادل فراسل نور الدين صاحب الموصل في الاتفاق على العادل فأجابه.

وسار بعساكره من الموصل واجتمع مع نور الدين بظاهرها واستجذب أصحاب حلب الظاهر وصاحب بلاد الروم كخسرو وتداعوا على الحركة إلى بلاد العادل إن امتنع من الصلح والإبقاء على صاحب سنجر وبعثوا إلى الخليفة الناصر أن يأمر العادل ببعث إليه استاذ داره ابن نصر هبة الله بن المبارك بن الضحاك والأمير أقباش من خواص مواليه فأجاب إلى ذلك ثم غالطتهم وذهب إلى المطاولة ثم صالحهم على سنجر فقط ولهم ما أخذ وخالفوا على ذلك وعاد كل إلى بلدته ثم قبض المعلم عيسى سنة عشر وستمائة على الأمير أسامة بأمر أبيه العادل وأخذ منه حصن كوكب وعجلون وكانت من أعماله فخر بهما وحصل أردن بالكوكب وبني مكانه حصنًا قرب عكا على جبل الطور وشحنه بالرجال والأقوات والله تعالى أعلم.

## وفاة الظاهر صاحب حلب وولاية ابنه

العزيز

لما توفي الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين بن أيوب صاحب حلب ومنيجه وغيرهما من بلاد الشام في جنادي الأخيرة ستة ثلاث عشرة وكان مرهف الحد ضابطًا جماعة للأموال شديد الانتقام عسناً للقضاء وعهد بالملك لابنه الصغير محمد بن الظاهر وهو ابن ثلاث سين وعدل عن الكبير لأن أمه بنت عم العادل ولقبه العزيز غياث الدين وجعل أتابكه وكافله وخادمه طغرايك ولقبه شهاب الدين وكان خيراً صاحب إحسان ومحروم فأشحسن كفالة الولد وعدل في سيرته وضبط الإيالة بجميل نظره والله أعلم.

### ولاية مسعود بن الكامل على اليمن

ولما ملك سليمان بن المظفر على اليمن سنة تسع وتسعين وخمسة وأسأء إلى زوجته أم الناصر التي ملكته وضارها وأعرض عنها واستبدل بملكه وملا الدنيا ظلماً وأقام على ذلك ثلاث عشرة سنة ثم انقض على العادل وأساء معاملته وكتب إليه بعض الأحيان: أنه من سليمان وأنه باسم الله الرحمن الرحيم فكتب العادل إلى ابنه الكامل أن يبعث العساكر إلى اليمن مع والد من

## وفاة العادل واقتسم الملك بين بنيه

قد ذكرنا خبر العادل مع الإفرنج الذين جاؤوا من وراء البحر إلى سواحل الشام سنة أربع عشرة وما وقع بينه وبينهم بعكا وبيسان وأنه عاد إلى مرج الصفر تربياً من دمشق فأقام به فلما سار الإفرنج إلى دمياط انتقل هو إلى خانقين فأقام بها ثم مرض وتوفي سابع جمادي الأخيرة سنة خمس عشرة وستمائة لثلاثة وعشرين سنة من ملكه دمشق وحسن وبسبعين من عمره وكان ابنه العظيم عيسى بنابلس فجاء ودفنه بدمشق وقام بملكها واستأثر بملكه من المال والسلاح وكان لا يعبر عنه يقال: كان المال العين في سترته سبعمائة ألف دينار وكان ملكاً حليناً صبوراً مسدداً صاحب إفادة وخديعة منجمة في أحواله وكان قد قسم البلاد في حياته بين بنيه: فمصر للكامل ودمشق والقدس وطبرية والكرك وما إليها للمعظم عيسى وخلاط وما إليها وببلاد الجزيرة غير الراها ونصبيين ومينارقين للأشرف موسى والراها وميافارقين لشهاب الدين غازي وقلعة جعبر للخضر أرسلان شاه.

فلما توفي استقل كل منهم بعمله وبلغ الخبر بذلك إلى الملك الكامل بمكانه قبلة الإفرنج بدمياط فاضطراب عسركه وسعى المشطوب كما تقدم في ولاية أخيه الفائز ووصل الخبر بذلك إلى المعلم عيسى فأغذ السير من دمشق إليه بمصر وأخرج المشطوب إلى الشام فلحقه بأخيهما الأشرف وصار في جملته واستقام للكامل ملكه بمصر ورجع المعظم من مصر فقصد القدس في ذي القعدة من السنة وخرب أسواره حذراً عليه من الإفرنج وملك الإفرنج دمياط كما ذكرناه وأقام الكامل بقلتهم والله تعالى ينصر من يشاء من عباده.

## وفاة المنصوب صاحب حماة وولاية ابنه

الناصر

قد تقدم لنا: أن صلاح الدين كان قد أقطع ثني الدين عمر ابن أخيه شاهنشاه مدينة حماة وأعمالها ثم بعثه إلى الجزيرة سنة سبع وثمانين فملك حران والراها وسرور وميافارقين وما إليها من بلاد الجزيرة فأقطعه إياها صلاح الدين ثم سار إلى بلاد أرمينية وقصد بكمير صاحب خلاط وحاصرها ثم انتقل إلى حصار ملاذكدر وهلك عليها تلك السنة وتولى ابنه ناصر الدين محمد وبلقب المنصور على أعماله ثم انتزع صلاح الدين منه بلاد الجزيرة وأقطعها أخيه العادل وأبقى حماة وأعمالها بيد ناصر الدين

ملوكهم فرجعوا عنها وبعث العادل ابنه العظيم عيسى إلى حصن الطور فخر بها للا يملكها الإفرنج ثم سار الإفرنج من عكا في البحر إلى دمياط وأرسوا سواحلها في صفر والنيل بينهم وبينها وكان على النيل برج حصين غر منه إلى سور دمياط سلاسل من حديد محكمة تمنع السفن من البحر الملحق أن تصعد في النيل إلى مصر فلما نزل الإفرنج بذلك الساحل خندقوا عليهم وبنوا سوراً بينهم وبين الخندق وشرعوا في حصار دمياط واستكثروا من آلات الحصار.

وبعث العادل إلى ابنه الكامل بمصر أن يخرج في العسكر ويقف بقلتهم ففعل وخرج من مصر في عساكر المسلمين فنزل قريباً من دمياط بالعادية والوح الإفرنج على قتال ذلك البرج أربعة أشهر حتى ملوكه ووجدوا السبيل إلى دخول النيل ليتمكنوا من النزول على دمياط فبني الكامل عوض السلاسل جسراً عظيماً يمتد الداخلين إلى النيل فقاتلوا عليه قتالاً شديداً حتى قطعواه فأمر الكامل براكب مراكب ملوءة بالحجارة وخرقوها وراء الجسر تمنع المراكب من الدخول إلى النيل فعدل الإفرنج إلى الخليج الأزرق وكان النيل يجري فيه قدماً فحفروه فوق الجسر وأجروا فيه الماء إلى البحر وأصدعوا مراكبهم إلى قبلة معسكر المسلمين ليتمكنوا من قتالهم لأن دمياط كانت حاجزة بينهم فاقتلوها معهم وهو في مراكبهم فلم يظفروا والميرة والإمداد متصلة إلى دمياط والنيل حاجز بينهم وبين الإفرنج فلا يحصل لهم من الحصار ضيق.

ثم بلغ الخبر بموت العادل فاختلط العسكر وسعى مقدم الأئماء عماد الدين أحمد بن سيف الدين علي بن المشطوب المخاري في خلع الكامل وولاية أخيه الأصغر الفائز وهي الخبر إلى الكامل فأسرى من ليلته إلى أشمون طناح وتفقده المسلمين من الغد فأجفلوا ولحقوا بالكمال وخلقوا سوادهم بما فيه فاستولى عليه الإفرنج وعبروا النيل إلى البر المتصل بدمياط وجالوا بينها وبين أرض مصر وفسدت الساحلية بالأعراب وانقطعت الميرة عن دمياط وأشتد الإفرنج في قتالها وهي في قلة من الخامسة لاجفال المسلمين عنها بعنة ولا جهدهم الحصار وتعذر عليهم القوت استأمنوا إلى الإفرنج فملوكها آخر شعبان سنة ست عشرة وبنوا سرايهم فيما جاورها فأفقوه ورجعوا إلى عماره دمياط وتحصينها وأقام الكامل قريباً منهم لحماية البلاد وبنى المنصورة بقرب مصر عند مفترق البحر من جهة دمياط والله تعالى أعلم.

إليهم ستة خمس عشرة ومعه وأميرهم نافع من خدمه وغيرهم من العرب وزنل يظاهر حلب وتوجه كيماوس والأفضل من تل باشر إلى منبع وسار الأشرف نحوهم وفي مقدمته العرب فلقوا مقدمة كيماوس فهزموها فلما عادوا إلى كيماوس منهزمين أجلس إلى بلاده وسار الأشرف فملك رعيان وتل باشر وأخذ من كان بها عساكر كيماوس وأطلقهم فلحقوا بكيماوس فجمعهم في دار وأحرقها عليهم فهلكوا وسلم الأشرف ما ملكه من قلاع حلب لشهاب الدين الخادم كافل العزيز بحلب واعترض على اتباع كيماوس إلى بلاده فأدركه الخبر بوفاة أبيه العادل فرجع انتهى والله تعالى أعلم.

محمد المذكور فلم تزل بيده إلى أن توفي ستة سبيع عشرة وستمائة شهان وعشرين سنة من ولادته عليها بعد مهلك عم أبيه صلاح الدين والعادل وكان ابنه ولـي عهده المظفر عند العادل بمصر وابنه الآخر قطـبع أرسلان عند خاله المعظم عيسى بكـانه من حصاره فاستدعاه أهل دولته بـهمـة وـاشـتـرـطـ المـعـظـمـ عـلـيـهـ مـاـ لاـ يـحـمـلـهـ وأـطـلقـهـ إـلـيـهـ فـمـلـكـ حـمـةـ وـتـلـقـبـ النـاصـرـ وـجـاءـهـ أـخـوـهـ ولـيـ الـعـهـدـ منـ مصرـ فـنـدـاعـهـ أـهـلـ حـمـةـ فـرـجـعـ إـلـىـ دـمـشـقـ عـنـ المـعـظـمـ وـكـاتـبـهـ وـاسـتمـاهـ فـلـمـ يـجـيـبـهـ وـرـجـعـ إـلـىـ مـصـرـ وـالـلـهـ تـعـالـىـ أـعـلـمـ.

## مسير صاحب بلاد الروم إلى حلب وانهزامه ودخولها في طاعة الأشرف

قد كنا قدمنا وفاة الظاهر غازي بن صلاح الدين صاحب حلب ومنبع ستة ثلاث عشرة ولاية ابنه الأشرف محمد العزيز غياث الدين في كفالة طغرل الخادم مولى أبيه الظاهر وأن شهاب الدين هذا الكامل أحسن السيرة وأفاض العدل وعف عن أموال الرعية ورد السعاية فيهم بعضهم على بعض وكان يحلب رجال من الأشرار يكتـران السعاية عند الظاهر ويغـرانـهـ بالـنـاسـ وـلـقـيـ الناسـ مـنـهـمـ شـدـةـ فـأـبـعـدـهـ شـهـابـ الدـيـنـ فـيـمـ أـبـعـدـ مـنـ أـهـلـ الشـرـ وـرـدـ عـلـيـهـمـ السـعـاـيـةـ فـكـسـدـتـ سـرـقـهـمـ وـتـأـهـلـهـمـ كـيـماـوسـ فـلـحـقـاـ بـيـلـادـ الرـوـمـ وـأـطـمـعـاـ صـاحـبـهـ كـيـماـوسـ فـلـحـقـاـ بـيـلـادـ إـلـيـهـ بـلـادـ إـلـيـهـ وـلـمـ يـجـيـبـهـ ثـمـ رـأـيـهـ أـنـ ذـلـكـ لـاـ يـتـمـ إـلـاـ أـنـ يـكـونـ مـعـهـ بـعـضـ بـنـيـ أـيـوبـ لـيـقـاتـدـ أـهـلـ الـبـلـادـ إـلـيـهـ.

وكان الأفضل بن صلاح الدين بسمساط وقد دخل في طاعة كيماوس غضباً من أخيه الظاهر وعمه العادل بما انتزعا من أعماله فاستدعاه كيماوس وطلبه في المسير على أن يكون ما يفتحه من حلب وأعمالها للأفضل والخطبة والسلكة لكيماوس ثم يقصدون بلاد الأشرف بالجزيرـةـ حـرـانـ وـرـلـهـاـ وـمـاـ إـلـيـهـمـ عـلـىـ هـذـاـ الـحـكـمـ وـتـحـلـفـاـ عـلـىـ ذـلـكـ وـجـعـراـ الـعـسـاـكـرـ وـسـارـوـاـ سـتـةـ خـمـسـ فـمـلـكـواـ قـلـعـةـ رـعـيـانـ فـتـلـسـمـهـاـ الـأـفـضـلـ ثـمـ قـلـعـةـ باـشـرـ منـ صـاحـبـهـ اـبـنـ بـدـرـ الدـيـنـ أـرـزـمـ الـبـارـوـقـيـ بـعـدـ أـنـ كـانـواـ حـاـصـرـوـهـ وـضـيقـواـ عـلـيـهـاـ وـمـلـكـهـاـ كـيـماـوسـ لـنـفـسـهـ فـاسـتـوـحـشـ الـأـفـضـلـ وـأـهـلـ الـبـلـدـ أـنـ يـفـعـلـ مـثـلـ ذـلـكـ فـيـ حـلـبـ.

وكان شهاب الدين كافل العزيز بن الظاهر مقيناً بقلعة حلب لا يفارقهـاـ خـشـيـةـ عـلـيـهـاـ فـطـيـرـ الـخـبـرـ إـلـىـ الـمـلـكـ الـأـشـرـفـ صـاحـبـ الـجـزـيرـةـ وـخـلـاطـ لـتـكـونـ طـاعـتـهـ وـخـطـبـهـ لـهـ وـالـسـلـكـ باـسـمـهـ وـيـاخـذـ مـنـ أـعـمـالـ حـلـبـ مـاـ اـخـتـارـ فـجـمـعـ الـعـسـاـكـرـ وـسـارـ

## دخول الموصل في طاعة الأشرف وملكه

### سنجر

قد ذكرنا في دولة بني زنكي أن القاهر عز الدين مسعود صاحب الموصل توفي في ربـيعـ ستـةـ خـمـسـ عـشـرـ وـسـتـمـائـةـ وـولـيـ اـبـنـهـ نـورـ الدـيـنـ أـرـسـلـانـ شـاهـ فـيـ كـفـالـةـ مـوـلـيـ أـبـيـهـ نـورـ الدـيـنـ لـؤـلـؤـ مـوـلـاهـ ومـدـبـرـ دـولـتـهـ وـكـانـ أـخـوـهـ عـمـادـ الدـيـنـ زـنـكـيـ فيـ قـلـعـةـ الصـفـدـ وـالـسـوـسـ مـنـ أـعـمـالـ الـمـوـلـصـ بـوـصـيـةـ أـبـيهـمـاـ إـلـيـهـ بـذـلـكـ وـأـنـ بـعـدـ وـفـاةـ أـخـيـهـ عـزـ الدـيـنـ طـلـبـ الـأـمـرـ لـنـفـسـهـ وـمـلـكـ الـعـمـادـيـةـ وـظـاهـرـهـ مـظـفـرـ الدـيـنـ كـوـكـبـيـ صـاحـبـ إـرـبـيلـ عـلـىـ شـائـهـ فـبـعـثـ نـورـ الدـيـنـ لـؤـلـؤـ إـلـىـ الـأـشـرـفـ مـوـسـىـ بـنـ الـعـادـلـ وـالـجـزـيرـةـ كـلـهـاـ وـخـلـاطـ وـأـعـمـالـهـ فـيـ طـاعـتـهـ فـأـرـسـلـ إـلـيـهـ بـالـطـاعـتـهـ وـكـانـ عـلـىـ حـلـبـ مـدـافـعـاـ لـكـيـماـوسـ صـاحـبـ بلـادـ الرـوـمـ كـمـاـ نـذـكـرـهـ بـعـدـ فـاجـابـهـ الـأـشـرـفـ بـالـقـبـولـ وـوـعـدـهـ النـصـرـ عـلـىـ أـعـدـاهـ.

وكتب إلى مظفر الدين يقيـعـ عليهـ ماـ وـقـعـ مـنـ نـكـثـ الـعـهـدـ فـيـ الـيـمـينـ الـتـيـ كـانـتـ بـيـنـهـمـ جـيـعـاـ وـيـأـمـرـهـ بـإـعادـةـ عـمـادـ الدـيـنـ زـنـكـيـ مـاـ أـخـذـهـ مـنـ بلـادـ الـمـوـلـصـ إـلـاـ فـيـسـيرـ بـنـهـ وـيـسـرـجـعـهـ مـنـ أـخـذـهـ وـيـدـعـهـ إـلـىـ تـرـكـ الـفـتـنـةـ وـالـأـشـتـغالـ مـعـهـ بـمـاـ هـوـ فـيـ جـهـادـ الـإـفـرـنجـ فـصـمـ مـظـفـرـ الدـيـنـ عـنـ نـدـبـتـهـ وـوـاقـفـهـ صـاحـبـ مـارـدـينـ وـصـاحـبـ كـيـفـاـ وـآـمـدـ بـيـهـ إـلـىـ الـأـشـرـفـ عـسـكـرـاـ إـلـىـ نـصـبـيـنـ لـلـؤـلـؤـ صـاحـبـ الـمـوـلـصـ ثـمـ جـهـزـ لـؤـلـؤـ الـعـسـاـكـرـ إـلـىـ عـمـادـ الدـيـنـ فـهـزـمـوهـ وـلـقـ بـإـرـبـيلـ عـنـ الـمـظـفـرـ وـجـاءـهـ الرـسـلـ مـنـ الـخـلـيـفـةـ الـنـاصـرـ وـالـمـلـكـ الـأـشـرـفـ فـأـصـلـحـواـ بـيـنـهـمـ وـتـحـالـفاـ.

ثـمـ وـثـبـ عـمـادـ الدـيـنـ زـنـكـيـ إـلـىـ قـلـعـةـ كـوـاشـيـ فـمـلـكـهـ وـبـعـثـ لـؤـلـؤـ إـلـىـ الـأـشـرـفـ وـهـوـ عـلـىـ حـلـبـ فـيـسـتـجـدـهـ فـعـبـ الـفـرـاتـ إـلـىـ حـرـانـ وـاسـتـمـالـ مـظـفـرـ الدـيـنـ مـلـوكـ الـأـطـرافـ وـجـلـهـمـ عـلـىـ طـاعـةـ كـيـماـوسـ

شفع عنده صاحب كيما وغیره من بطانته وأنهوا إليه العساكر فاجاب إلى هذا الصلح وفسح لهم في تسليم القلاع إلى مدة ضربوها وسار عماد الدين مع الأشرف حتى يتم تسليم الباقي ورحل الأشرف عن الموصل ثانية رمضان وبعث لولو نوابه إلى القلاع فامتنع جندها من تسليمها إليهم وانقضى الأجل واستمال عماد الدين زنكي شهاب الدين غازى أخا الأشرف فاستعطف له آخاه فأطلقه ورد عليه قلعة العقورسوس وسلم لولو قلعة تل أعفر كما كانت من أعمال سنجار والله تعالى أعلم.

### ارتجاع دمياط من يد الإفرنج

ولما ملك الإفرنج دمياط أقبلوا على تخصيصها ورجع الكامل إلى مصر وعسكر بأطراف الديار المصرية سلحة عليها منهم وبني المنصورة بعد المزلة وأقام كذلك سنين وبلغ الإفرنج وراء البحر فتحها واستيلاء إخوانهم عليها فلجوا بذلك وتواترت إمدادهم في كل وقت إليها والكامل مقيم بمكانه وتواترت الأخبار بظهور الشتر ووصولهم إلى أذربيجان وأران وأصبح المسلمون بمصر والشام على تخوف من سائر جهاتهم واستجدد الكامل باختيء معظم صاحب دمشق وأخيه الأشرف صاحب الجزيرة وأرمينية وسار معظم إلى الأشرف يستحثه للوصول فوجده في شغل بالفتنة التي ذكرناها فعاد عنه إلى أن انقضت تلك الفتنة.

ثم تقدم الإفرنج من دمياط بعساكرهم إلى جهة مصر وأعاد الكامل خطابه إليهما سنة ثمانية عشرة يستتجدهما وسار معظم إلى الأشرف يستحثه فجاء معه إلى دمشق وسار منها إلى مصر ومعه عساكر حلب والناصر صاحب حما وشيركوه صاحب حمص والأعد صاحب بعلبك فوجدوا الكامل على بحر أشمون وقد سار الإفرنج من دمياط بجعوهم ونزلوا قبالتها بعدها النيل وهو يرمون على معسكره بالجانق والناس قد أشفقوا من الإفرنج على الديار المصرية فسار الكامل ويقي آخره الأشرف بمصر.

وجاء معظم بعد الأشرف وقصد دمياط يسابق الإفرنج ونزل الكامل والأشرف وظفرت شواني المسلمين بثلاث قطع من شواني الإفرنج فنثموا بما فيها ثم ترددت الرسل بينهم في تسليم دمياط على أن يأخذوا القدس وعسقلان وطبرية وصيفا وجبلة واللاذقية وجميع ما فتحه صلاح الدين غير الكرك فاشتتوا واشتروا إعادة الكرك والشوبك وزيادة ثلاثة ألف دينار لرم أسوار القدس التي خربها معظم والكمال فرجع المسلمين إلى قاتلهم وافتقد الإفرنج الأقوات لأنهم لم يحملوها من دمياط ظناً

والخطبة له وكان عدو الأشرف ومنازعاً له في منبع كما نذكره وبعث أيضاً إلى الأمراء الذين مع الأشرف واستسلم لهم فأجابه منهم أحد بن علي المشطوب صاحب القلعة مع الكامل على دمياط وزع الدين محمد بن نور الدين الحميدي وفارقا الأشرف إلى ديس تحـت ماردين ليجتمعوا على منع الأشرف من العبور إلى الموصل.

ثم استمال الأشرف صاحب كيما وأمد وأعطيه مدينة جانين وجل الجودي ووعده بدارا إذا ملكها ولحق به صاحب كيما وفارق أصحابه الملوك واقتدى به بعضهم في طاعة الأشرف والتزوع إليه فافتقر ذلك الجمع وسار كل ملك إلى عمله وسار ابن المشطوب إلى إربيل ومر بنصبيين فقاتله عساكرها وهزموه وافتقر جمعه ومضى منهزاً واجتاز سنجار وبها فروخ شاه عمر بن زنكي بن مودود فبعث إليه عساكرها فجاوزوا به أسيراً وكان في طاعة الأشرف فحبس له ابن المشطوب ثم رجاه فأطلقه وسار في جماعة من المنسدين إلى البقاء من أعمال الموصل فاكتسحها وعاد إلى سنجار.

ثم سار ثانية للاغاراة على أعمال الموصل فأرسل له لولو عسكراً بثل أغفر من أعمال سنجار فلما مر بهم قاتلوه وقصد إلى تل أغفر منهزاً وجاء لولو من الموصل فحاصره بها شهرأ أو بعضه وملكتها متصرف ربيع الآخر من سنة سبع عشرة وحبس ابن المشطوب بالموصل ثم بعث به إلى الأشرف فحبسه بحران إلى أن توفي في ربيع الآخر من سنة سبع عشرة وما افترق جمع الملوك سار الأشرف من حران محاصراً لماردين.

ثم صالحه على أن يردد عليه رئيس عين وكان الأشرف أقطعه له وعلى أن يأخذ منه ثلاثين ألف دينار وعلى أن يعطي صاحب كيما وأمد قلعة المورو من بلده ورجع الأشرف من ديس إلى نصبيين يردد الموصل وكان عمر صاحب سنجار لما أخذ منه لولو تل أغفر تناذل عنه أصحابه وساعت ظنونهم بنفسه لما ساء فعله في أخيه وفي غيره فاعتزم على الإلقاء باليد للأشراف وتسليم سنجار له والاعتياض عنها بالرقه وبعث رسنه إليه بذلك فللحقوه في طريقه من ديس إلى نصبيين فأجاب إلى ذلك وسلم إليه الرقة وسلم سنجار في مستهل جمادى الأولى سنة سبعة عشر وفارقها عمر فروخ شاه وإخوته بأهليهم وأموالهم.

وسار الأشرف من سنجار إلى الموصل فوصلها تاسع عشر جمادى الأولى من السنة وجاءته رسائل الخليفة ومظفر الدين في الصلح ورد ما أخذه عماد الدين من قلاع الموصل إلى لولو ما عدا العمادية وطال الحديث في ذلك ورحل الأشرف يردد إربيل ثم

اشغل كل واحد منهم بأعماله التي عهد له أبوه وكان الأشرف والمعلم يرجعان إلى الكامل وفي طاعته ثم تغلب المعلم عيسى على صاحب حماة الناصر بن المنصور بن المظفر وزحف سنة تسع عشرة إلى حماة فحاصرها وأمتنع عليه فسار إلى سلمية والمعرة من أعمالها فملكتها وبعث إليه الكامل صاحب مصر بالنكير والإفراج عن البليد فامتثل وأضفن ذلك عليه وأقطع الكامل سلمية لزيله المظفر بن المنصور أخي صاحب حماة وكشف المعلم قناعه في فتنة أخيه الكامل والأشرف وأرسل إلى ملوك الشرق يدعوهم إلى المظاهرة عليهم وكان جلال الدين منكري بن علاء الدين خوارزم شاه قد رجع من الهند بعدما غلبه التتر على خوارزم وخراسان وغزنة وعراق العجم وأجاز إلى الهند.

ثم رجع سنة إحدى وعشرين وستمائة فاستولى على فارس وغزنة وعراق العجم وأذربيجان وتزل توريز وجاور بني آيوب في أعمالهم فراسله المعلم صاحب دمشق وصالحه واستتجده على أخيه فأجابه ودعا المعلم الظاهر أخيه الأشرف وعامله على خلاط والمظفر كوكبri صاحب إربيل إلى ذلك فأجابوه كلهم وانتقض الظاهر غازى على أخيه الأشرف في خلاط وأرمينة وأظهر عصيانيه في ولاته التي بيده فسار إليه الأشرف سنة إحدى وعشرين وغبله على خلاط فملكتها وول عليها حسام الدين أبا علي الموصلي كان أصله من الموصل واستخدم للأشرف وترقى في خدمته إلى أن ولاه خلاط وعفا الأشرف عن أخيه الظاهر غازى وأقره على ميافارقون.

وسار المظفر صاحب إربيل ولؤلؤ صاحبها في طاعة الأشرف فحاصرها وأمتنع عليه ورجع عنها وسار المعلم بنفسه من دمشق إلى حصن وصاحبها شيركوه بن محمد بن شيركوه في طاعة الكامل فحاصرها وأمتنع عليه ورجع إلى دمشق ثم سار الأشرف إلى المعلم طالباً للصلح فأسكه عنده على أن ينحرف عن طاعة الكامل وانتقل إلى بلده فاستمر على شأنه ثم زحف جلال الدين صاحب أذربيجان سنة أربع وعشرين إلى خلاط فحاصرها مرة بعد مرة وأخرج عنها فسار حسام الدين نابتها إلى بلاد جلال الدين وملك حصونها واضطرب الحال بينهم وخشي الكامل مغبة الأمر مع المعلم بممالئه بجلال الدين والخوارزمية فاستتجد هو بالإفريقي وكاتب الإمبراطور ملكهم من وراء البحر يستحنه للقدوم على عكا في صريمه على أن ينزل له عن القدس ويبلغ ذلك إلى المعلم فخشى العاقب وأنصر عن فتنته وكتب إليه يستعطفه والله تعالى أعلم.

بأنهم غالبون على السواد وميرته بأيديهم فبدأ لهم ما لم يحسبوا. ثم فجر المسلمين النيل إلى العدوة التي كانوا عليها فركبها الماء ولم يبق لهم إلا مسلك ضيق ونصب الكامل الجسور عند أشمون فعبرت العساكر عليها وملأوا ذلك المسلك وحالوا بين الإفريقي وبين دمياط ووصل إليهم مركب مشحون بالمد من الميرة والسلاح ومعه حراقات فخرجت عليها شواني المسلمين وهي في تلك الحال فعندها بما فيها واحتشد الحال عليهم في مسكناتهم وأحاطت بهم عساكر المسلمين وهم في تلك الحال يقاتلونهم ويتحطرونهم من كل جانب فآخرقوا خيامهم ومجانيقهم وأرادوا الاستسلامة في العود فرأوا ما حال بهم وبينها من الرجل فاستأمنوا إلى الكامل والأشرف على تسليم دمياط من جهة دمياط كما مر في ذلك وصل المعلم صاحب دمشق من جهة دمياط كما مر فازدادوا وهنّا وخذلناً وسلموا دمياط متصرف سنة ثمان عشرة وأعطوا عشرين ملكاً منهم رهناً عليها وأرسلوا الأقسسة والرهبان منهم إلى دمياط فسلموها للمسلمين وكان يوماً مشهداً ووصلهم بعد تسليمها مدد من وراء البحر فلم يغن عنهم ودخلها المسلمون وقد حصنتها الإفريقي فأصبحت من أمنع حصون الإسلام والله تعالى أعلم.

## وفاة الأوحد نجم الدين بن العادل صاحب خلاط وولاية أخيه الظاهر غازى عليها

قد تقدم لنا أن الأوحد نجم الدين بن العادل ملك ميافارقون وبعدها خلاط وأرمينة سنة ثلاثة وستمائة ثم توفي سنة سبع فاتح العادل ما كان بيده من الأعمال لأن أخيه الأشرف ثم أقطع العادل ابنه الظاهر غازى سنة ست عشرة سروج والرها وما إليها ولما توفي العادل واستقل ولده الأشرف بالبلاد الشرقية عقد أخيه غازى على خلاط ومبادرقين مضافاً إلى ولاته من أخيه العادل وهو سروج والرها وجعله ول عهده لأنه كان عاقراً لا يولد له وأقام على ذلك إلى أن انتقض على الأشرف عندما حدثت الفتنة بين بني العادل فاتزع أكثر الأعمال منه كما نذكره إن شاء الله تعالى.

## فتنة المعلم مع أخيه الكامل والأشرف وما دعت إليه من الأحوال

كان بنو العادل الكامل والأشرف والمعلم لما توفي أبوهم قد

استوحش منه فلحق باليه خجم الدين ليوب ولم تزل ماردين يهد  
الناصر أخي المظفر إلى سنة ثلاثين فهم الناصر بن علوكها للإفرينج  
وشكا المظفر بذلك للكامل فامرء باقتصادها منه ثم اعتقله الكامل  
إلى أن هلك سنة خمس وتلاتين انتهى والله أعلم.

استيلاء الأشرف على بعلبك من يد الأجداد  
وإقطاعها لأخيه إسماعيل بن العادل

كان السلطان صلاح الدين قد أقطع الأئمّة بهرام شاه بن فرخشاه أخي تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب قلعة بعلبك وكانت بصرى لحضر ثم صارت بعد وفاة العادل لابنه الأشرف وعليها آخره إسماعيل بن العادل فجهزه سنة ست وعشرين إلى بعلبك وحاصر بها الأئمّة حتى تسلّمها منه على إقطاع أنقطعه إيساوسار إسماعيل إلى دمشق فنُزلها إلى أن قتله مواليه والله سبحانه وتعالى أعلم.

# فتنة جلال الدين خوارزم شاه مع الأشرف واستيلاؤه على خلاط

قد كنا قدمنا أن جلال الدين خوارزم شاه ملك أذربيجان  
وجاور أعمال بني آبوب وكان الأشرف قد ولّى على خلاط لما  
انتزعاها من يد أخيه غازى سنة اثنين وعشرين حسام الدين أبا  
علي الموصلي ثم صالح معظم جلال الدين خوارزم شاه ودعاه  
إلى الفتنة مع أخيه كما قدمناه فزحف جلال الدين خوارزم شاه  
إلى خلاط وحاصرها مرتين ورجع عنها فسار حسام الدين إلى  
بلده وملك بعض حصونه وداخل زوجته التي كانت زوجة أزيك  
بن البهلوان وكانت مقيدة بخوي وهجرها جلال الدين وقطع عنها  
ما كانت تعتاده من التحكم في الدولة مع زوجها قبله فدست إلى  
حسام الدين نائب خلاط واستدعته هي وأهل خوي ليملکوه  
البلاد فسار وملك خوي وما فيها من الحصون ومدينته قرند.

وكتبه أهل بيچوان وملکوه بلدھم وعاد إلى خلاط ونقل  
معه زوجة جلال الدين وهي بنت السلطان طغول فامتعض جلال  
الذین لذلک ثم ارتاب الأشرف بھسام الدين نائب خلاط وأرسیل  
أکبر أمرائه عز الدين أبیك قبض على حسام الدين وكان عدواً له  
وقتله غيلة وهرب مولاہ فلتحق بجلال الدين ثم زحف جلال  
الذین في شوال سنة ست وعشرين إلى خلاط فحاصرها ونصب  
عليها المجانق وقطع عنها المیرة مدة ثماني أشهر ثم الح علیها

وفاة معظم صاحب دمشق وولادية ابنه  
الناصر ثم استيلاء الأشرف عليها واعتياض  
الناصر بالكرك

ثم توفي العظيم بن العادل صاحب دمشق سنة أربعين وعشرين وهي مكانة ابته داود ولقب بالناصر وقام بتغيير ملوكه عن الدين أثابك خادم أبيه وجرى على سنتن العظيم أولًا في طاعة الكامل والخطبة ثم انقضى سنتان خمس وعشرين عندما طالبه الكامل بالتزول له عن حصن الشوبك فامتنع وانقضى وسار الكامل إليه في العساكر فانتهى إلى غزة وانتزع القدس ونابلس من أيديهم وهي عليها من قبله واستجده الناصر عمه الأشرف فجاءه إلى دمشق وخرج منها إلى نابلس ثم تقدم منها إلى الكامل ليصلح أمر الناصر معه فدعاه الكامل إلى انتزاع دمشق من الناصر له وأقطعه إياها فلم يحب الناصر إلى ذلك وعاد إلى دمشق فحاصره الأشرف.

ثم صالح الكامل ملك الإفرنج ليفرغ لأمر دمشق عن الشواغل وأمكنته من القدس على أن يخرب سورها فاستولوا عليها كذلك وزحف الكامل إلى دمشق سنة ست وعشرين فحاصرها مع الأشرف وخاف الحصار بالناصر فنزل لهما عنها على أن يستقل بالكرك والشوبك والبلقاء فسلموا له في ذلك وسار إليها واستولى الأشرف على دمشق ونزل الكامل عن أعماله وهي حران والرها وما إليهما وبعثا من حصار دمشق ووصل الخبر إلى الكامل بوفاة ابنه المسعود صاحب اليمن وقد مرّ خبره والله تعالى يؤيد بصره من يشاء من عباده.

## استيلاء المظفر بن المصور على حماة من يد أخيه الناصر

ولما ملك الكامل دمشق شرع في إنجاد زريله المظفر محمود بن المنصور صاحب حماة وبها آخره الناصر وقد كاتبه بعض أهل البلد يستدعونه لملكتها فجهزه بالعساكر وسار إليها فحاصرها ودسّ لمن كاتبه من أهلها فأجابوه وواعدوه ليلاً فطرقوها وتسرورها وملكها وكتب إليه الكامل أن يقطع الناصر قلعة ماردين فأقفلته إياها وانتزع الكامل منه سليمية وأقفلتها لصاحب حصن شيركوه بن محمد بن شيركوه واستقل المظفر محمود بملك حماة وفرض أمر دولته إلى حسام الدين علي بن أبي علي الهدباني فقام بها نسم

الدين ثم أطلقه بعد أن أخذ عليه العهد في طاعته فسار إليه شهاب الدين غازى وحاصره وملك منه أرزن صلحاً وأعطاه عنها مدينة جاني من ديار بكر وكان اسمه حسام الدين وكان من بيت عريق في الملك يعرفون ببني الأحدب اقطعها لهم السلطان ملك شاه والله تعالى أعلم.

بالقتال وملكتها عنده آخر جادى الأولى من سنة سبع وعشرين وامتنع أيك وحاصيته بالقلعة واستمروا واستباح جلال الدين مدينة خلاط واعت فيها بما لم يسمع بمثله ثم تغلب على القلعة وأسر أيك نائب خلاط فدفعه إلى مولى حسام الدين نائبه قبله فقتلته بيده والله تعالى أعلم.

### استيلاء العزيز صاحب حلب على شيزر ثم وفاته وولاية ابنه الناصر بعده

كان سابق الدين عثمان ابن الداية من أمراء الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى واعتقله ابنه الصالح إسماعيل فنكر عليه صلاح الدين ذلك وسار بيته إلى دمشق فملكها وأقطع سابق الدين شيزر قلم تزل له ولبيته إلى أن استقرت لشهاب الدين يوسف بن مسعود بن سابق الدين فسار إليه صاحب حلب محمد بن العزيز بن الغازى الظاهر بأمر الكامل سنة ثلاثين وستمائة وملكها من يده ثم هلك سنة أربع وثلاثين وملك في حلب مكانه ابنه الناصر يوسف في كفالة جدته لأبيه صفيحة خاتون بنت العادل واستولى على الدولة شمس الدين لوزي الأرمني وعز الدين الجلبي وإقبال الخاتوني وكلهم في تصرفها والله تعالى ينصر من يشاء من عباده.

### فتنة كيقباد صاحب بلاد الروم واستيلاؤه على خلاط

كان كيقباد بن كيكاووس صاحب بلاد الروم قد استفحلا ملكه بها ومد يده إلى ما يجاورها من البلاد فملك خلاط بعد أن دفع عنها مع الأشرف جلال الدين شاه كما قدمناه وتزاوجه الأشرف في ذلك واستتجد بأخيه الكامل فسار بالعساكر من مصر سنة إحدى وثلاثين وسار معه الملك من أهل بيته واتهى إلى النهر الأزرق من تحوم الروم وبعث في مقدمته المظفر صاحب حماة من أهل بيته فلقى كيقباد وهزمه وحضره في خرت برت وتقاذل عن الحرب ثم استأمن المظفر صاحب حماة إلى كيقباد فأنه وملك خرت برت وكان لبني أرتق ورجع الكامل بالعساكر إلى مصر سنةاثنتين وثلاثين وكيقباد في أتباعهم ثم سار إلى حران والرها فملكها من يد نواب الكامل وولي عليها من قبله وسار الكامل سنة ثلاثة وثلاثين والله أعلم.

### مسير الكامل في إنجاد الأشرف وهزيمة جلال الدين أمام الأشرف

ولما استولى جلال الدين على خلاط سار الأشرف من دمشق إلى أخيه الكامل بمصر يستتجده فسار معه وولى على مصر ابنه العادل ولقيه في طريقه صاحب الكرك الناصر بن المعظم وصاحب حماة المظفر بن المنصور وسائر بني أيبوب واتهى إلى سلمية وكلهم في طاعته ثم سار إلى آمد فملكها من يد مسعود بن محمد ابن الصالح بن محمد بن أرسلان بن سقمان بن أرتق وكان صلاح الدين أقطعه إياها عندما ملكها من ابن نعشان فلما نزل إليه اعتقله وملك آمد ثم انطلق بعد وفاة الكامل من الاعتقال ولحق بالتر ثم استولى الكامل على البلاد الشرقية التي نزل له عنها الأشرف عوضاً عن دمشق وهي حران والرها وما إليها.

ولما سلمها ولها عليها ابنه الصالح نجم الدين أيبوب وكان جلال الدين لما ملك خلاط حضر معه صاحب أرزن الروم فاغتنم لذلك علاء الدين كيقباد ملك بلاد الروم لما بينه وبين صاحب أرزن من العداوة والقرابة وخشيهم على ملكه فبعث إلى الكامل والأشرف بحران يستتجدهما ويستحوذ الأشرف للوصول فجمع عساكر المزيرية والشام وسار إلى علاء الدين فاجتمع معه بسيواس وسار نحو خلاط وسار جلال الدين للقتال ومقدمهم عز الدين عمر بن أرزن كان وتقدم عسكر حلب للقتال ومقدمهم عز الدين عمر بن علي الهاكاري من أعظم الشجعان فلم يثبت لهم مصاف جلال الدين وانهزم إلى خلاط فلأخرج حاميته منها ولحق بأذربيجان ووقف الأشرف على خلاط وهي خاوية وكان صاحب أرزن الروم مع جلال الدين فجيء به أسريراً إلى ابن عميه علاء الدين صاحب بلاد الروم فسار به إلى أرزن وسلمها له وما يتبعها من القلاع.

ثم ترددت الرسل بينهم وبين جلال الدين في الصلح فاصطلحوا كل على ما يده وتحالفوا وعاد الأشرف إلى سنجر وسار آخره غازى صاحب ميافارقين فحاصر مدينة أرزن من ديار بكر وكان حاضراً مع الأشرف في هذه الحروب وأسره جلال

## وفاة الأشرف بن العادل واستيلاء الكامل

### على مالكه

ثم زحف التتر إلى أذربيجان واستولوا على جلال الدين وقتلوا سنته ثمان وعشرين وانقض أصحابه وذهبوا في كل ناحية وسار جهورهم إلى بلاد الروم فنزلوا على علاء الدين كيقاد ملكها حتى إذا مات وملك ابنه كنخسرو ارتبا بهم وبقى على أمرائهم وانقض الباقون عنه واعثاروا في الجهات فاستأذن الصالح أيوب صاحب سنمار وما إليها أباه الكامل صاحب مصر في استخدامهم ليحسم عن بلاد ضررهم فاجتمعوا عنده وأفاض فيهم الأرزاق ولما توفي الكامل سنته خمس وثلاثين انقضوا عن الصلح وخرجوا فاكتسحوا التواحي وسار لؤلؤ إلى سنمار فحاصر الصالح فبعث الصالح الخوارزمية فاستمامهم واقتضمهم حران والرها ولقي بهم لؤلؤاً فهزمه وغنم معسركه والله تعالى أعلم.

### مسير الصالح إلى مصر واعتقال الناصر له

#### بالكرك

لما ملك العادل بصر بعد أبيه اضطرب عليه أهل الدولة وبلغهم استيلاء أخيه الصالح على دمشق فاستدعاه ليملكه فبعث عن عمه الصالح إسماعيل من بعلبك ليسير معه فاعتذر عن الوصول وسار الصالح أيوب وولى دمشق ابنه المغيث فتح الدين عمر ولما فصل عن دمشق خالفه إليها عمه الصالح إسماعيل فملكها ومعه شيركوه صاحب حمص وبقى على المنيذ فتح الدين بن الصالح أيوب وبلغ الخبر إليه وهو بنابلس فانقضت عنه العساكر ودخل نابلس وجاءه الناصر داود من الكرك فقبض عليه واعتقله وبعث فيه أخيه العادل فامتنع من تسليمه إليه ثم قصد داود القدس فملكها من يد الإفرنج وخراب القلعة والله تعالى ولي التوفيق.

### وفاة شيركوه صاحب مصر وولاية ابنه إبراهيم المنصور

ثم توفي المجاهد شيركوه بن محمد بن شيركوه صاحب حمص سنة ست وثلاثين وكانت ولايته أول المائة السابعة وولي من بعده ابنه إبراهيم ويلقب بالمنصور والله أعلم.

كان الأشرف سنة أربع وثلاثين قد استوحش من أخيه الكامل ونقض طاعته وما له على ذلك أهل حلب وكتخروا وصاحب بلاد الروم وجميع ملوك الشام من قراهم غير الناصر بن المظيم صاحب الكرك فإنه أقام على طاعة الكامل وسار إليه بمصر فتلقاء بالمرة والتكرمة ثم هلك الأشرف خلال ذلك سنة خمس وثلاثين وعهد بملك دمشق لأنبيه الصالح إسماعيل صاحب بصرى فسار إليها وملكها وبقي الملك في وفاته على الكامل كما كانوا على عهد الأشرف إلا المظفر صاحب حماة فإنه عدل عنهم إلى الكامل وسار الكامل إلى دمشق فحاصرها وPicnic عليها حتى تسلمتها صلحًا من الصالح وعرضه عنها بعلبك واستولى على سائر أعمال الأشرف ودخل سائر بيته أيوب في طاعته والله أعلم.

## وفاة الكامل وولاية ابنه العادل بمصر

### واستيلاء ابنه الآخر نجم الدين أيوب على دمشق

ثم توفي الكامل بن العادل صاحب دمشق ومصر والجزيرة سنة خمس وثلاثين بدمشق لستة أشهر من وفاة أخيه الأشرف فانقض الملك راجعن كل إلى بلاده المفتر إلى حماة والناصر إلى الكرك وبivity بصرى ابنه العادل أبو بكر فنصب العساكر بدمشق الجوارد يونس ابن عمه مودود بن العادل نائباً عنه وسار الناصر داود إلى دمشق ليملكها فبز إلى الجوارد يونس وهزمه وتمكن في ملك دمشق وخلع طاعة العادل بن الكامل وراسل الصالح أيوب في أن يملكه دمشق وينزل له الصالح عن البلاد الشرقية التي لا يأبه لها عليها فسار الصالح لذلك سنة ست وثلاثين وملك دمشق وسار يونس إلى البلاد الشرقية فاستولى عليها ولم تزل بيده إلى أن رجف إليه لؤلؤ صاحب الموصل وغلبه عليها واستقرت دمشق في يد الصالح وما أخذ لؤلؤ البلاد من يونس الجوارد سار عن القفر إلى غرة فمنعه الصالح من الدخول إليها فدخل إلى الإفرنج بعكا وباصره من الصالح إسماعيل صاحب دمشق فاعتقله وقتله انتهى والله أعلم.

## أخبار حلب

قد كان تقدم لنا ولادة الظاهر غازي على حلب بعد وفاة أخيه ثم توفى سنة أربعين وثلاثين ونصب أهل الدولة ابنه الناصر يوسف في كفالة جدته أم العزيز صفيحة خاتون بنت العادل ولئن الأرمني وإقبال الخاتوني وزع الدين بن مجلبي قائمون بالدولة في تصريفها وما زالت تهزم العساكر لدفاع الخوارزمية وتفتح البلاد إلى أن توفيت سنة أربعين واستقل الناصر بتسيير ملكه وصرف النظر في أمره لجمال الدين وإقبال الخاتوني والله أعلم.

### فتنة الصالح أيوب مع عمه الصالح إسماعيل على دمشق واستيلاء أيوب آخرًا عليها

قد كان تقدم لنا أن الصالح إسماعيل بن العادل خالف الصالح أيوب على دمشق عند مسيره إلى مصر فملك دمشق سنة ست وثلاثين وكان بعد ذلك اعتقال الصالح بالكرك ثم استيلاوه على مصر سنة سبع وثلاثين وبقيت الفتنة متصلة بينهما وطلب الصالح إسماعيل صاحب دمشق من الإفرنج المظاهرة على أيوب صاحب مصر على أن يعطيهم حصن الشقيف وصفد فامضى ذلك ونكره مشيخة العلماء بعصره وخرج من دمشق عز الدين بن عبد السلام الشافعي ولحق بمصر فولاه الصالح خطة الفضاء بها ثم خرج بعده جمال الدين بن الحاجب المالكي إلى الكرك ولحق بالإسكندرية فمات بها.

ثم تداعى ملوك الشام لفتنة الصالح أيوب واتفق عليها إسماعيل الصالح صاحب دمشق والناصر يوسف صاحب حلب وجدته صفيحة خاتون وإبراهيم المنصور بن شيركوه صاحب حمص وخالهم المظفر صاحب حماة وجنج إلى ولادة نجم الدين أيوب وأقام حالفهم في الفتنة على ذلك ثم جنحوا إلى الصالح إلى أن يطلق صاحب دمشق فتح الدين عمر بن نجم الدين أيوب الذي اعتقله بدمشق فلم يجب إلى ذلك واستجذت الفتنة وسار الناصر داود صاحب الكرك مع إسماعيل الصالح صاحب دمشق واستظهروا وبالإفرنج وأعطاهم إسماعيل القدس على ذلك واستجذ بالخوارزمية أيضًا فأجابوه واجتمعوا بغزة.

وبعد نجم الدين العساكر مع مولاه بيبرس وكانت له ذمة باعتقاله معه فتقابلا مع الخوارزمية وجاءت عساكر مصر مع المنصور إبراهيم بن شيركوه ولاقوا الإفرنج من عكا فكان الظفر للعاشر مصر والخوارزمية واتبعوهم إلى دمشق وحاصروا بها

## خلع العادل واعتقاله واستيلاء أخيه الصالح

### أيوب على مصر

ولما رجع الناصر داود من فتح القدس أطلق الصالح نجم الدين أيوب من الاعتقال فاجتمعت إليه مواليه واتصل اضطراب أهل الدولة بمصر على أخيه العادل فكتابوا الصالح واستدعوه ليملكونه فسار معه الناصر داود وانتهى إلى غزة ويرز العادل إلى بلبيس وكتب إلى عمه الصالح بدمشق يستجده على أخيه أيوب فسار من دمشق وانتهى إلى الغور ثم وثب بالعادل في معسكره مواليه ومقدتهم أيك الأسمر وقبضوا عليه ويعثروا إلى الملك الصالح فجاء ومعه الناصر داود صاحب الكرك فدخل القلعة سنة سبع وثلاثين واستقر في ملكه وارتاد منه الناصر داود فلتحق بالكرك واستوحش من الأمراء الذين وتبوا باخيه فاعتقلهم وفيهم أيك الأسمر وذلك سنة ثمان وثلاثين وحبس أخيه العادل إلى أن هلك في حبسه سنة خمس وأربعين ثم اختط قلعة بين سعي التيل إزاء المقاييس واخذتها مسكنًا وأنزل بها حامية من مواليه فكانوا يعرفون بالبحرية آخر أيامهم انتهى والله أعلم.

### فتنة الخوارزمية

ثم كثر عيش الخوارزمية بالبلاد المشرقية وعبروا الفرات وقصدوا حلب فبرزت إليهم عساكرها مع المعظم تورانشاه بن صلاح الدين فهزموه وأسروه وقتلوا الصالح بن الأفضل صاحب سمبساط وكان في جنته وملكو منبع عنده ورجعوا ثم ساروا من حران وعبروا من ناحية الرقة وعاثوا في البلاد وجمع أهل حلب العساكر وأمدتهم الصالح إسماعيل من دمشق بعسكر مع المنصور إبراهيم صاحب حمص وقصدوا الخوارزمية فاقتربوا إلى حران ثم تواقعوا مع العساكر فانهزموا واستولى عسكر حلب على حران والرها وسرrog والرقة ورأس عين وما إليها وخلص المعظم تورانشاه فبعث به لولو صاحب المرصل إلى عسكر حلب ثم سار عسكر حلب إلى آمد وحاصروا المعظم تورانشاه وغلبوه على آمد وأقام بمحصن كيما إلى أن هلك أيوب بمصر واستدعي هو للملكها فسار لذلك وولى ابنه المرحد عبد الله بكيفا إلى أن غالب التتر على بلاد الشام ثم سار الخوارزمية سنة أربعين مع المظفر غازي صاحب ميافارقين من أقال صاحب حلب ومعهم المنصور إبراهيم صاحب حمص فانهزموا وغنممت العساكر سوادهم والله سبحانه وتعالى أعلم.

محمص ابنه مظفر الدين موسى ولقب الأشرف وجاءت عساكر حلب سنة ست وأربعين مع لؤلؤ الأرمني وحاصروا مصر شهرين وملوكها من يد موسى الأشرف وأعضوه عنها تل باشر من قلاع حلب مضافة إلى الرحبة وتدمير وكانتا يده مع حصن وغضب لذلك الصالح فسار من مصر إلى دمشق وجهز العساكر إلى حصار حصن مع حسام الدين الهلباني وفخر الدين بن الشيخ فحاصرها مصر مدة وجاء رسول الخليفة المستعصم إلى الصالح أيوب شافعاً فأفرج العساكر عنها وولى على دمشق جمال الدين يغمور وعزل ابن مطروح والله تعالى أعلم.

### استيلاء الإفرنج على دمياط

كانت إفرندة أمة عظيمة من الإفرنج والظاهر أنهم أصل الإفرنج وأن إفرندة هي إفرنجية انتقلت السين بها جيماً عندما عربتها العرب وكان ملكها من أعظم ملوكهم لذلك العصر ويسمونه ربي الإفرندين ومعنى ربي في لغتهم: ملك إفرندين فاعتزم هذا الملك على سواحل الشام وسار لذلك كما سار من قبله من ملوكهم وكان ملكه قد استفحلا فركب البحر إلى قبرص في خمسين ألف مقاتل وشتبه بها ثم عبر ستة سبع وأربعين إلى دمياط وبها بنو كنانة أنزلم الصالح بها حامية فلما رأوا ما لا قبل لهم به أخذلوا عنها فملكها ربي إفرندين وبلغ الخبر إلى الصالح وهو بدمشق وعساكره نازلة بمحص فكر راجحاً إلى مصر وقد قدم فخر الدين ابن الشيخ أتابك عساكره ووصل بعده فنزل المنصورة وقد أصابه بالطريق وعلق واشتد عليه والله تعالى أعلم.

### استيلاء الصالح على الكرك

كان بين الصالح أيوب وبين الناصر داود ابن عمته المظنم من العداوة ما تقدم وقد ذكرنا اعتقال الناصر له بالكرك فلما ملك الصالح دمشق بعث العساكر مع أتابكة فخر الدين يوسف ابن الشيخ لخصار الكرك وكان آخره العادل اعتقله وأطلقه الصالح والزمه بيته ثم جهزه لخصار الكرك فسار إليها سنة أربع وأربعين وحاصرها وملك سائر أعمالها وخرب نواحيها وسار الناصر من الكرك إلى الناصر يوسف صاحب حلب مستجيراً به بعد أن بعث بذريته إلى المستعصم وكتب له خطه برسوها وكان قد استخلف صاحب حمة وكان أيوه المظفر توفي سنة ثلاث وأربعين وولي المنصور ابنه هذا واسمه محمد ووفد أيضاً الأشرف موسى صاحب حصن وقد كان أيوه إبراهيم المنصور توفي سنة أربع وأربعين قبلها بدمشق وهو ذاهب إلى مصر وافتدا على الصالح أيوب واقام

الصالح إسماعيل إلى أن جهده الحصار وسأل في الصلح على أن يعرض عن دمشق بعلبك ويصري والسادس فأجابه أيوب إلى ذلك وخرج إسماعيل من دمشق إلى بعلبك سنة ثمان وأربعين وبعث نجم الدين إلى حسام الدين علي بن أبي علي الهلباني وكان معتقاً عند إسماعيل بدمشق فشرط نجم الدين إطلاقه في الصلح الأول فطلاقه وبعث إليه بالنيابة عنه بدمشق فقام بها وانصرف إبراهيم المنصور إلى حصن واتسع صاحب حمة منه سلسلة فملكتها.

واشتبط الخوارزمية على الهلباني في دمشق في الولايات والإقليميات وامتنعوا لذلك فسار بهم الصالح إسماعيل إلى دمشق موصلاً الكرة ومعه نجم الدين فقام الكرك فقام الهلباني في دفاعهم أحسن قيام وبعث نجم الدين من مصر إلى يوسف الناصر يستجده على دفع الخوارزمية عن دمشق فسار في عساكره ومعه إبراهيم بن شيركه صاحب حصن فهزموا الخوارزمية على دمشق سنة أربع وأربعين وقتل مقدمهم حسام الدين بركت خان وذهب بقيهم مع مقدمهم الآخر كشلوخان فلحقوا بالتر واندرجوا في جنلهم وذهب أترهم من الشام واستجار إسماعيل الصالح وكان معهم بالناصر صاحب حلب فأجراه من نجم الدين أيوب وسار حسام الدين الهلباني بعساكر دمشق إلى بعلبك وتسليمها بالأمان وبعث بأولاد إسماعيل وزوجيه ناصر الدين يغمور إلى نجم الدين أيوب فاعتقلهم مصر وسارت عساكر الناصر يوسف صاحب حلب إلى الجزيرة فتوافقوا مع لؤلؤ صاحب المرصل فانهزم لؤلؤ وملك الناصر نصبين ودارا وقرقيساً وعاد عساكره إلى حلب والله تعالى أعلم.

### مسير الصالح أيوب إلى دمشق أولاً وثانياً

#### وحصار حصن وما كان مع ذلك من الأحداث

ثم بعث الصالح عن حسام الدين الهلباني من دمشق وولى مكانه جمال الدين بن مطروح ثم سار إلى دمشق سنة خمس وأربعين واستخلف الهلباني على مصر وما وصل إلى دمشق جهز فخر الدين بن الشيخ بالعساكر إلى عسقلان وطبرية فحاصرهما مدة وفتحهما من يد الإفرنج ووفد على الصالح بدمشق المنصور صاحب حمة وكان أيوه المظفر توفي سنة ثلاثة وأربعين وولي المنصور ابنه هذا واسمه محمد ووفد أيضاً الأشرف موسى صاحب حصن وقد كان أيوه إبراهيم المنصور توفي سنة أربع وأربعين قبلها بدمشق وهو ذاهب إلى مصر وافتدا على الصالح أيوب واقام

دمشق وقد مر ذكر ذلك فصارت طاغيته معهم استمامهم الصالح فصاروا معه وزحفوا مع عساكره إلى عساكر دمشق والإفرنج فهزموهم وحاصروا دمشق وملكونها بدعوة الصالح كما مر واستوحش بيبرس حتى بعث إليه الصالح بالأمان سنة أربع وأربعين ولحقه بمصر فحبسه على ما كان منه ثم أطلقه.

وكان من خواص الصالح أيضاً قلابون الصالحي كان من موالي علاء الدين قراسقرون ملوك العادل وتوفي سنة خمس وأربعين وورثه الصالح بمحكم الولاء ومنهم أنطاي الجامدار وأبيك التركمانى وغيرهم فأنفروا من استعلاء بطانة المعلم تورانشاه عليهم وتحكمهم فيهم فاعتصموا على الفتك بالمعظم ورحل من المنصورة بعد هزيمة الإفرنج راجعاً إلى مصر فلما قربت له الحرقة عند البرج ليركب البحر كبسه بمجلسه وتناوله بيبرس بالسيف فهرب إلى البرج فأضمرمه ناراً فهرب إلى البحر فرميه بالسهام فالقى نفسه في الماء وهلك بين السيف والماء لشهرين من وصوله وملكه.

ثم اجتمع هؤلاء الأمراء المتولون قتل تورانشاه ونصبوا للملك أم خليل شجرة الدر زوجة الصالح وأم ولده خليل المترف في حياته وبه كانت تلقب وخطب لها المتأبر وضررت السكة باسمها ووضعت علامتها على المراسيم وكان نص علامتها أم خليل وقد أتياها على العساكر عز الدين الجاشنكير أبيك التركمانى فلما استقرت الدولة عليهم الفرنسيس في الفداء على تسلیم دمياط للمسلمين فاستولوا عليها سنة ثمان وأربعين وركب الفرنسيس البحر إلى عكا وعظم الفتح وأنشد الشعراء في ذلك وتساجلوا وجمل الدين بن مطروح نائب دمشق أليات في الواقعة يتدادها الناس لهذا العصر والله تعالى ولـي التوفيق وهي:

قتل للفرنسيس إذا جتـه  
آجرك الله على ما جرى من قتل عباد يسوع المسيح  
أتيت مصرأً تبني ملوكها  
فساقك الحسين إلى أدهم  
بسوء تببيرك بطن الضريح  
وكـل أصحابك أودعـهم  
إلا قـتيل أو أـسير جـريـح  
لـملئـنا من شـركـم نـستـريح  
إنـ كانـ بـبابـكـمـ بـذـا رـاضـيـاـ  
لوـصـيـكـمـ خـسـيراـ بـهـ إـنـهـ  
ماـ كانـ يـسـتـحـسـنـ هـذـاـ الـقـيـحـ  
فـقـلـ هـمـ إـنـ أـضـمـرـواـ عـرـودـةـ  
دارـ اـبـنـ لـقـمانـ عـلـىـ حـالـهـ  
والـقـيـدـ بـأـبـاقـ وـالـطـوـاشـيـ صـيـحـ

بالمصورة قبلة الإفرنج فملك الكرك والشوبك منها وولى عليهما بدرأ الصوابي وقطعهما بالديار المصرية والله سبحانه وتعالى أعلم.

## وفاة الصالح أيوب صاحب مصر والشام

### وسيد ملوك الترك بمصر وولاية ابنه

### تورانشاه وهزيمة الإفرنج وأسر ملوكهم

ثم توفي الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل سنة سبع وأربعين مكانه من المصورة قبلة الإفرنج وخشي أهل الدولة من الإفرنج فكتموا موته وقادت أم ولده شجرة الدر بالأمر وجنت الأمراء وسيراوا بالخبر إلى حسام الدين المدباني بمصر فجمع الأمراء وقوى جاشهم واستحلفهم وأرسل أتابك فخر الدين بن الشيخ بالخبر إلى معظم تورانشاه بن الصالح واستدعاء من مكان إمارته بمصر كيما ثم انتشر خبر الوفاة وبلغ الإفرنج فشرعوا إلى قتال المسلمين ودلدوا إلى المعسكر فاكتشف المسلمون وقتل الأتابك فخر الدين ثم أتى الله الكرة للمسلمين وانهزم الإفرنج ووصل المعلم تورانشاه من مكانه بمصر كيما لثلاثة أشهر أو تزيد فنابعه المسلمون واجتمعوا عليه واشتبوا في قتال الإفرنج وغلبت أساطيلهم أساطيل العدو وسائل الإفرنج في الإفراج عن دمياط على أن يعارضوا بالقدس فلم يجدهم المسلمون إلى ذلك وساروا سرايا المسلمين من حولهم وفيما بين معسكرهم وبين دمياط فرحووا راجعين إليها وأتبعهم المسلمون فأدركهم الدهش وانهزموا وأسر ملوكهم رى إفرنج وهو المعروف بالفرنسيس وقتله منهم أكثر من ثلاثين ألفاً واعتقل الفرنسيس بالدار المعروفة بفخر الدين بن لقمان ووكل به الخادم صبح المظمي ثم رحل معظم عساكر المسلمين راجعاً إلى مصر والله تعالى أعلم.

## مقتل معظم تورانشاه وولاية شجرة الدر

### وفداء الفرنسيس بدماط

ولما بُيُّعَ المعلم تورانشاه وكانت له بطانة من الملوك جاء بهم من كيما فسلطوا على موالي أبيه وتقسموه بين النكبة والإهمال وكان للصالح جماعة من الموالى وهم البحريه الذين كان يتزلفهم بالدار التي بناها إزاء المقاييس وكانت بطانته وحالنته وكان كبيرهم بيبرس وهو الذي كان الصالح بعده بالعساكر لقتال الخوارزمية عندما زحفوا مع عمه الصالح إسماعيل صاحب

## خلع الأشرف بن أطمس واستبداد أبيك وأمراء الترك بمصر

فتفرق عساكره وسار منهاماً وجيء بأبيك بلؤلؤ الأرميسي أسرى فقتله وأسر إسماعيل الصالح وموسى الأشرف وتورانشاه المظفر وأخوه ولحق المهزومون من عسكر مصر بالبلد وشعر المتبعون لهم من عساكر الشام بهزيمة الناصر وراغبهم فرجعوا ودخلت أبيك إلى القاهرة وجنس بني أيوب بالقلعة.

ثم قتل يغور وزير الصالح إسماعيل المعتقل بعلبك مع بنيه وقتل الصالح إسماعيل في محبسه ثم جهز الناصر العساكر من دمشق إلى غزة فترافقوا مع فارس الدين أقطاي مقدم عساكر مصر فهزموهم واستولوا عليها وترددت الرسل بين الناصر وبين الأمراء بمصر فاصطلحو سنته خسرين وجعلوا التخيم بينهم نهر الأردن ثم أطلق أبيك حسام الدين المذباني فسار إلى دمشق وسار في خدمة الناصر وجاءت إلى الناصر شفاعة المستعصم في الناصر داود صاحب الكرك الذي جسده بمحض فارج عنه ولحق بي بغداد ومعه ابنه الأجد والظاهر فمنعه الخليفة من دخولها فطلب وديعته فلم يسع بها وأقام في أحياء عربة ثم رجع إلى دمشق بشفاعة من المستعصم للناصر وسكن عنده والله تعالى ينصر من يشاء من عباده.

## خلع الأشرف بن أطمس واستبداد أبيك

### وأمراء الترك بمصر

قد تقدم لنا آنئتها بيعة أمراء التركمان بمصر للأشرف موسى بن يوسف أطمس بن الكامل وأنهم خطبوا له وأجلسوه على التخت بعد أن نصبوا للملك أبيك وكان طموحاً إلى الاستبداد وكان أقطاي الجامدار من أمراء البحريه يدافعه عن ذلك ويغضض من عناته منافسه وغيره فأصرد له أبيك ثلاثة من الملوك اغتالوه في بعض سكك القصر وقتلوه ستة اثنين وخمسين وكانت جماعة البحريه ملتفة عليه فانقضوا ولحقوا بالناصر في دمشق واستبد أبيك بمصر وخلع الأشرف وقطع الخطبة له فكان آخر أمراء بني أيوب بمصر وخطب أبيك نفسه ثم تزوج شجرة الدر أم خليل الملكة قبله فلما وصل البحريه إلى الناصر بدمشق أطعموه في ملك مصر واستخرجه فتجهز وسار إلى غزة ويرز أبيك بعساكره إلى العباسية فنزل بها.

وانقضى عليه.... فتوهموا بالثورة به فارتاد بهم ولحقوا بالناصر ثم ترددت الرسل بين الناصر وأبيك فاصطلحو على أن يكون التخيم بينهم العريش وبعث الناصر إلى المستعصم مع وزيره كمال الدين بن العدين في طلب الخلعة وكان أبيك قد بعث بالهدية

والطواشي في لغة أهل المشرق: هو الخصي ويسمونه الخادم أيضاً والله أعلم.

## استيلاء الناصر صاحب حلب على دمشق وبيعة الترك بمصر لموسى الأشرف بن أطمس بن المسعود صاحب اليمن وتراجعهما ثم صلحهما

ولما قتل المعظم تورانشاه ونصب الأمراء بعده شجرة الدر زوجة الصالح امتعض لذلك أمراء بني أيوب بالشام وكان بدر الصوابي بالكرك والشريك ولاه الصالح عليهم وحبس عنده فتح الدين عمر ابن أخيه العادل فأطلقه من محبسه وبایع له وقام بتذليل دولته جمال الدين بن يغور بدمشق واجتمع مع الأمراء القصريه بها على استدعاء الناصر صاحب حلب وتمليكه فسوار وملوك دمشق واعتقل جماعة من موالي الصالح وبلغ الخبر إلى مصر فخلعوا شجرة الدر ونصبوا موسى الأشرف بن مسعود أخي الصالح بن الكامل وهو الذي ملك أخوه أطمس واسمه يرسف باليمين بعد أبيهما مسعود وباعوا له وأجلسوه على التخت وجعلوا أبيك أنايبك.

ثم انقض الترك بغزة ونادوا بطااعة المغيث صاحب الكرك فنادي الترك بمصر بطااعة المستعصم وجددوا البيعة للأشرف وأتابكه ثم سار الناصر يوسف بعسكره من دمشق إلى مصر فجهز الأمراء العساكر إلى الشام مع أقطاي الجامدار كبير البحريه ويلقب فارس الدين فأجفلت عساكر الشام بين يديه ثم قبض الناصر يوسف صاحب دمشق على الناصر داود لشيء بلغه عنه وحبسه بمحض وبعث عن ملوك بني أيوب فجاءه موسى الأشرف صاحب حمص والرجبة وتدمير والصالح إسماعيل بن العادل من بعلبك والمعظم تورانشاه وأخوه نصر الدين ابن صلاح الدين والأجد حسام الدين والظاهر شادي ابن الناصر داود صاحب الكرك وتنمي الدين عباس بن العادل واجتمعوا بدمشق.

وبعث في مقدمته مولاه لولسو الأرمي وخرج إليك التركمانى في العساكر من مصر للقتلهم وأفرج عن ولدي الصالح إسماعيل المعتقلين منذ أخذهم المذباني من بعلبك ليتهم الناس أباهم ويستريبو به والنقي الجماعان في العباسية فانكشفت عساكر مصر وسارت عساكر الشام في اتباعهم وثبت أبيك وهرب إليه جماعة من عساكر الناصر ثم صدق أبيك الحملة على الناصر

وانهزمت عساكر الناصر وظفرت البحريه بهم واستفحلا أمرهم بالكرك فسار الناصر بنفسه إليهم بالعساكر من دمشق سنة سبع وخمسين وسار معه صاحب حماه المصور بن المظفر محمود فنزلوا على الكرك وحاصروها وأرسل المغيث إلى الناصر في الصلح فشرط عليه أن يجسس البحريه فأجاب وغى الخبر إلى بيرس أميرهم البندقداري فهرب في جماعة منهم ولحق بالناصر وبقى المغيث على الباقين وبعث بهم إلى الناصر في القيد ورجع الكرك ثم بعث إلى الأمراء بمصر وزيره كمال الدين بن العديم بدعوههم إلى الاتفاق إلى مدافعة التتر وفي أيام مقدم ابن العديم مصر خلع الأمراء على ابن المعز أليك وقبض عليه أتابك عسکر وموالي أليه وجلس على التخت وخطب لنفسه وقبض على الأمراء الذين يربّط ممتازتهم كما نذكره في أخبارهم وأعاد ابن العديم إلى مرسله صاحب دمشق بالإجابة والوعد بالظهورة والله تعالى ينصر من يشاء من عباده.

### استيلاء التتر على الشام وانفراط ملكبني أيوب وهلاك من هلك منهم

ثم زحف التتر وسلطانهم هلاكو إلى بغداد واستولى على كرسى الخلافة وقتلوا المستعصم وطسوا معالم الملة وكانت تكون من أشراط الساعة وقد شرحتها في أخبار الخلقاء ونذكرها في أخبار التتر فبادر الناصر صاحب دمشق بتصانعه وبعث ابنه العزيز محمداً إلى السلطان هلاكو بالهدايا والألطاف فلم يغن ورده بالوعد.

ثم بعث هلاكو عساكره إلى مياقارقين وبها الكامل محمد بن المظفر شهاب الدين غازي بن العادل الكبير فحاصروها ستين ثم ملوكها عنترة سنة ثمان وخمسين وقتلوه وبعث العساكر إلى إربيل تقلبهم من الكرك فقبض عليه المغيث صاحب الكرك وجسسه حتى إذا زحف التتر لبغداد بعث عنه المستعصم ليحيشه مع العساكر لمدافعتهم وقد استولى التتر على بغداد فرجع ومات بعض قروي دمشق بالطاعون سنة ست وخمسين انتهى والله تعالى أعلم.

ثم أوفد الناصر ابنه على هلاكو بالهدايا والتحف على سبيل المصانعة واعتذر عن لقائه بالتعزف على سواحل الشام من الإفرنج فتلقي ولده بالقبول وعدره وأرجعه إلى بلده بالهادنة والماعدة الجميلة ثم سار هلاكو إلى حران وبعث ابنه في العساكر

والطاقة إلى المستعصم فمطر المطر المستعصم الناصر بالخلعة حتى بعثها إليه سنة خمس وخمسين ثم قتل المعز أليك قتلته شجرة الدر غليلة في الحمام سنة خمس وخمسين غرة من خطبته بنت لؤلؤ صاحب الموصى فنصبرا مكانه ابنه علياً ولقبوه المصور وثاروا به من شجرة الدر كما نذكره في أخبارهم إن شاء الله تعالى.

### مسير المغيث بن العادل صاحب الكرك مع البحريه إلى مصر وانهزامهم

كان البحريه منذ لحقوا بالناصر بعد مقتل أقطاي الجامدار مقيمين عنده ثم ارتاب بهم وطردهم آخر سنة خمس وخمسين فلتحقوا بغزة وكانتوا المغيث فتح الدين عمر بن العادل بالكرك وقد ذكرنا أن بدراً الصوافي أخرجه من مجسه بالكرك بعد مقتل توراتشاه بمصر وولاه الملك وقام بتدبیر دولته وبعث إليه الآن بيرس البندقداري مقدم البحريه من غزة بدعوه إلى الملك وبلغ الخبر إلى الناصر بدمشق فجهز العساكر إلى غزة فقاتلتهم وانهزموا إلى الكرك فتقاهم المغيث وقسم فيما لهم واستحوذه على مصر فسار معهم ويرزق عساكر مصر لقتاهم مع قطر مولى أليك المعز ومواليه فالتحق الفريقيان بالعباسية فانهزم المغيث والبحريه إلى الكرك ورجعت العساكر إلى مصر.

وفي خلال ذلك أخرج الناصر داود بن العظيم من دمشق حاجاً ونادي في الموسم بتوليه إلى المستعصم في وديعته وانصرف مع الحاج إلى العراق فاكرهه المستعصم على براءته من وديعته فكتب وأشهد ولحق بالبرية وبعث إلى الناصر يوسف يستعطفنه فاذن له وسكن دمشق ثم رجع مع رسول المستعصم الذي جاء معه إلى الناصر بالخلعة والتقليد فاقام بقرقيسيا حتى يستأذن له الرسول فلم ياذن له فاقام عنده بأحياء العرب في التي قفروا في تقلبهم من الكرك فقبض عليه المغيث صاحب الكرك وجسسه حتى إذا زحف التتر لبغداد بعث عنه المستعصم ليحيشه مع العساكر لمدافعتهم وقد استولى التتر على بغداد فرجع ومات بعض قروي دمشق بالطاعون سنة ست وخمسين انتهى والله تعالى أعلم.

### زحف الناصر صاحب دمشق إلى الكرك وحصارها والقبض على البحريه

ولما كان من المغيث والبحريه ما قدمناه ورجعوا منهزمين إلى الكرك بعث الناصر عساكره من دمشق إلى البحريه فالتقوا بغزة

طربلا ثم تسلموها بالأمان ثم ملکوا بعلبك وهم قلعتها وساروا إلى الصبيحة وبها السعيد بن العزيز بن العادل فملکوها منه على الأمان وسار معهم ووفد على هلاکو فخر الدين بن الزكي من أهل دمشق فولاه الفضة بها ثم اعتزم هلاکو على الرجوع إلى العراق فغروا القرات وولى على الشام أجمع أمراً اسمه كتبغا من أكابر أمرائه واحتل عماد الدين القزويني من حلب وولى مكانه آخر.

وأما الناصر فلما دخل في بيته هاله أمره وحسن له أصحابه قصد هلاکو فوصل إلى كتبغا نائب الشام يستأذنه ثم وصل فقضى عليه وسار به إلى حتى سلمها إليه أهله، ويعت به إلى هلاکو فمر بدمشق ثم بمحمد وبها الأشرف صاحب حصن وخسر شاه نائبه فخرجا لتلقيه ثم مر بحلب ووصل إلى هلاکو فقابل عليه ووعده برده إلى ملكه ثم ثار المسلمين بدمشق بالصبيحة وياتيس وولاه كنيسة مريم من كثاثهم وكانت من أعظم الكنائس في الجانب الذي فتحه خالد بن الوليد رحمه الله وكانت لهم آخر في الجانب الذي فتحه أبو عبيدة بالأمان ولها ولها طالبهم في هذه الكنيسة ليدخلها في جامع البلد وأعلى لهم في السوم فامتنعوا فهدمها وزادها في الجامع لأنها كانت لصفه فلما ول عمر بن عبد العزيز استعراضه فعرضهم بالكنيسة التي ملكها المسلمين بالعنوة مع خالد بن الوليد رحمه الله وقد تقدم ذكر هذه القصة فلما ثار المسلمين الآخر بالنصاري أهل الذمة خربوا كنيسة مريم هذه ولم يبقوا لها أثر.

ثم إن العساكر الإسلامية اجتمعوا بمصر وساروا إلى الشام لقتال التتر صحبة السلطان قطر صاحب ومعه المنصور صاحب حنة وأخوه الأفضل فسار إليه كتبغا نائب الشام ومعه الأشرف صاحب حصن والسعيد صاحب الضبيحة ابن العزيز ابن العادل، والتقووا على عين جالوت بالغور، فانهزم التتر، وقتل أميرهم النائب كتبغا وأسر السعيد صاحب الضبيحة فقتله قطر واستولى على الشام أجمع وأقر المنصور صاحب حنة على بلده ورجع إلى مصر فهلك في طريقه قتله يبرس البندقداري وجلس على التخت مكانه وتلقب بالظاهر حسبما يذكر ذلك كله في دولة الترك.

ثم جاءت عساكر التتر إلى الشام وشغل هلاکو عنهم بالفتنة مع قومه وأسف على قتل كتبغا نائبه وهزيمة عساكر فأحضر الناصر ولامه على ما كان منه من تسهيله عليه أمر الشام وتخفيضه عليه بأنه غره بذلك فاعتذر له الناصر فلم يقبل فرماد بهم فأنفذه ثم أتبعه بأخيه الظاهر وبالصالح بن الأشرف موسى صاحب

إلى حلب وبها معظم توراشة ابن صلاح الدين نائباً عن الناصر يوسف فخرج لقتالهم في العساكر وأمكن له التتر واستجروه ثم كروا عليهم فاختروا فيهم ورحلوا إلى أعزاز فملکوها صلحًا وبلغ الخبر إلى الناصر بن المظفر صاحب حنة فقام معه يتظاهر لهم ثم بلغه أن جماعة من مواليه اعتمروا على الشورة به فثار راجعاً إلى دمشق ولحق أولئك المواري بغزة ثم اطلع على جبهم وإن قصدهم تملّك أخيه الظاهر فاستوحش منهم ولحق الظاهر بهم فاصبوا للأمر واعتصموا عليه وكان معهم يبرس البندقداري وشعر بتلاشى أحواهم فكتاب المظفر صاحب مصر واستأمن إليه فامنه.

وسار إلى مصر فلقي بالكرامة وأنزل بدار الوزارة واقطعه السلطان قطر قليوب بأعماله ثم هرب هلاکو إلى الفرات فملك وكان بها إسماعيل آخر الناصر معتقداً فاطلقه وسرجه إلى عمله بالصبيحة وياتيس وولاه عليهما وقد صاحب أرزن إلى توراشة نائب حلب يدعوه إلى الطاعة فامتنع فسار إليها وملکها عنوة وأمنها واعتصم توراشة والحادية بالقلعة ويعت أهل حنة بطاعتهم إلى هلاکو وأن يبعث عليهم نائباً من قبله ويسمى برباته الشحنة فأرسل إليهم قائدًا يسمى خرسروشاه وينصب في العرب إلى خالد بن الوليد رضي الله عنه وبلغ الناصر أخذ حلب فأجلف عن دمشق واستخلف عليها وسار إلى غزة واجتمع عليه مواليه وأنهوا وسار التتر إلى نابلس فملکوها وقتلوا من كان بها من العساكر وسار الناصر من غزة إلى العريش وقدم رسالته إلى قطر تسأله النصر من عدوهم واجتماع الأيدي على المدافعة ثم تقدموا إلى....

واستراب الناصر بأهل مصر فسار هو وأخوه الظاهر ومعهما الصالح بن الأشرف موسى بن شيرکوه إلى بيته فدخلوا إليه وفأرقهم المنصور صاحب حنة والعساكر إلى مصر فلتقاهم السلطان قطر بالصالحة واتسهم ورجع بهم إلى مصر واستولى التتر على دمشق وسائر بلاد الشام إلى غزة وولوا على جميعها أمراء هم ثم افتتح قلعة حلب وكان بها جماعة من البحرية معتقلياً منهم ستر الأشرف فدفعهم هلاکو إلى السلطان جق من أكابر أمرائه وولى على حلب عماد الدين القزويني ووفد عليه بحلب الأشرف موسى بن منصور بن إبراهيم بن شيرکوه صاحب حصن وكان الناصر قد أخذها منه كما قدمناه فأعادها عليه هلاکو ورد جميع ولايته بالشام إلى رأيه.

وسار إلى قلعة حارم فملکها واستباحها وأمر بتحريق أسوار حلب وقلعتها وكذلك حنة وحصن وحاصروا قلعة دمشق

والنفرغية والخرجية والكيماكية والخزجية والخزر والحسان وترکش وأركش وخشاش والخلج والغزية وبيلشار وخجاكت ويناك وبرطاس وسنجرات وخرجان وأنکر وذكر في موضع آخر أنکر من شعوب الترك وأنهم في بلاد الپادقة من أرض الروم.

وأما مواطنهم فإنهم ملکوا الجانب الشمالي من المعمور في النصف الشرقي منه قبلة الهند والعراق في ثلاثة أقاليم: هي السادس والسابع والخامس كما ملک العرب الجانب الجنوبي من المعمور أيضاً في جزيرة العرب وما إليها من أطراف الشام والعراق وهم رجاله مثلهم وأهل حرب وافتراض ومعاش من التغلب والنہ إلا في الأقل وقد ذكرنا أنهم عند الفتح لم يذعنوا إلا بعد طول حرب ومارسة أيام سائر دولة بني أمیة وصدرأً من دولة بني العباس وامتلات أبيدي العرب يومذ من سبیهم فاخذوهم خولاً في المهن والصنائع ونساءهم فرشاً للولادة كما فعلوه في سبي الفرس والروم وسائر الأمم الذين قاتلوكهم على الدين وكان شائهم أن لا يستعينوا برقیقهم في شيء مما يعانونه من الغزو والفتح ومحاربة الأمم ومن أسلم منهم تركوه لسبیله التي هو عليها من أمر معشه على طاغية هوا.

لأن عصبية العرب كانت مستفلحة يومذ وشوکتهم قائمة مرفة ويدهم ويد سلطانهم في الأمر جيماً ومرمامهم إلى العز والمجد واحد وكانوا كأستان المشط لتأرحم الأنسب وغضاضة الدين حتى إذا أرهف الملك حده ونهج إلى الاستبداد طريقه واحتاج السلطان في القيام بأمره إلى الاستظهار على المنازعين فيه من قومه بالعصبية المداغة دونه والشوكه المعرض شيئاً في ذياله حتى تجذع أنوفهم عن التطاول إلى رتبته وتغضع أعنتهم عن السير في مضمراه اخند بنو العباس من لدن المهدى والرشيد بطانة اصطبوعهم من موالي الترك والروم والبربر ملاؤاً منهم المواكب في الأعياد والمشاهد والحروب والصوانف والحراسة على السلطان وزينة في أيام السلم وإكثاراً لعصابة الملك حتى لقد اخند المعتصم مدينة سامراً لنزفهم تحراجاً من أضرار الرعية باصطدام مراكبهم وترکم القتال بجهورهم وضيق السکك على المارين بزحاتهم.

وكان اسم الترك غالباً على جيدهم فكانوا تبعاً لهم ومندرجين فيهم وكانت حروب المسلمين لذلك العهد في القاصية وخصوصاً مع الترك متصلة والفتح فيهم متعاقبة وأسواج السي من كل وجه متداركة وربما رام الخلفاء عند استكمال بغيتهم واستجماع عصابتهم اصطفاء عليه منهم للمخالصة وقود العساكر ورؤساء المراكب فكانوا يأخذون في تدریجهم لذلك بذاهب

حص وشفعت زوجة هلاکر في العزيز بن الناصر وكان مع ذلك يحبه فاستبقاءه وانقرض ملک بني أيوب من الشام كما انقرض قبلها من مصر واجتمعت مصر والشام في مملکة الترك ولم يبق لبني أيوب بهما ملک إلا للمنصور بن المظفر صاحب حما فإن قطز أفره عليها والظاهر يبرس من بعده ويقع في إمارته هو وبنوه مدة من دولة الترك وطاعتهم حتى أذن الله بالانقضائهم وولى عليها غيرهم من أمرائهم كما ذكر في أخبار دولتهم والله وارث الأرض ومن عليها والعاقبة للمتدين.

### الخبر عن دولة الترك القائمين بالدولة العباسية بمصر والشام من بعد بني أيوب وهذا العهد ومبادئ أمرهم وتصاريف أحواهم

قد تقدم لنا ذكر الترك وأساليبهم أول الكتاب عند ذكر أسم العالم ثم في أخبار الأمم السلاجوقية وإنهم من ولد يافت بن نوح باتفاق من أهل الخلقة فعند نسبة العرب أنهما من عامور بن سوبل بن يافت وعند نسبة الروم أنهما من طيراش بن يافت هكذا وقع في التوراة.

والظاهر أن ما وقع لنسبة العرب غلط وإن عامور هو مصحف كومر لأن كافه تقلب عند التعريب غنياً بمujemma فربما تصححت عيناً مهملة أو بقيت بمحاطها وأما سوبل فغلط بالزيادة وأما ما وقع للروم من سبیهم إلى طيراش فهو متقول في الإسرائييليات وهو رأي مرجوح عندهم لخالقه لما في التوراة.

واما شعريهم وأجناسهم فكثيرة وقد عدنا منهم أول الكتاب التفرغز وهو التتر والخطا و كانوا بأرض طغماج وهي بلاد ملوكهم في الإسلام تركستان وكاغز.

وعدنا منهم أيضاً الخزجية والغز الذين كان منهم السلاجوقية والطياطلة الذين منهم الخليج وبلادهم الصعد قريباً من سمرقند ويسمون بها أيضاً وعددنا منهم أيضاً الشور والخزر والقفجاج ويعقال: الخشاش ويمك والعلان ويقال: اللان وشركس وأركش.

وقال صاحب كتاب زجار في الكلام على الجغرافيا أجناس من الترك كلهم وراء الهر إلى البحر المظلسم وهي العيسة

يُلْسِنُهَا لِؤْمُ الطَّبَاعِ وَلَا خَالِطُهَا أَقْدَارُ الْلَّذَاتِ وَلَا دَنْسَتُهَا عَوَادِيدُ  
الْحَسَارَةِ وَلَا كَسْرٌ مِنْ سُورَتِهَا غِزَارةُ التَّرْفِ.

ثم يخرج بهم مصر ارسلاً كالقطا خو الموارد  
فيستعرضهم أهل الملك منهم ويتنافسون في أثمانهم بما يخرج عن  
القيمة لا لقصد الاستبعاد إنما هو إكثار للعصبية وتغليط للشوكه  
ونزروع إلى العصبية الحامية يصططرون من كل منهم بما يؤنسونه من  
شيم قومهم وعشرائهم ثم ينزلونهم في غرف الملك ويأخذونهم  
بالمخالصة ومعاهده التربية ومدارسة القرآن ومارسة التعليم حتى  
يشتدوا في ذلك ثم يعرضونهم على الرمي والثقاقة وركض الخيل  
في الميادين والمطاعنة بالرماح والمماصعة بالسيوف حتى تشتد منهم  
السواعد وتستحکم الملکات وستقتروا منهم المدافعة عنهم  
والاستئمانة دونهم.

فإذا بلغوا إلى هذا الحد ضاعفوا أرذاقهم ووفروا من إقطاعهم وفرضوا عليهم استجادة السلاح وارتباط الخيل والاستكثار من أجنساهم مثل هذا القصد وربما عمروا بهم خطط الملك ودرجوهم في مراتب الدولة فيترسخ من يسترشع منهم لاقتعاد كرسى السلطان والقيام بأمور المسلمين عنابة من الله تعالى سابقة ولطائف في خلقة سارية فلا يزال نشوء منهم يردد نشوءاً وجلب يعقب جيلاً والإسلام ينتهي بما يحصل به من الغناء والدولة ترتفع أغصانها من نصرة الشياطين.

وكان صلاح الدين يوسف بن أيبوب ملك مصر والشام وأخوه العادل أبو بكر من بعده ثم بنوهم من بعدهم قد تنازعوا في ذلك بما فوق الغاية واحتضن الصالح نجم الدين أيبوب آخر ملوكهم بالبالغة في ذلك والإمعان فيه فكان عامة عسكره منهم كلما انقض عشيره وخذله أنصاراه وقد عنه أولياؤه وجندوه لم يدع سبياً في استجلابهم إلا أنه من استجادة المترددين إلى تناحيتهم ومارضاة التجار في أنماطهم باضعاف ثمنهم وكان ريقهم قد بلغ الغاية من الكثرة لما كان التتر قد دوخوا الجانب الغربي من ناحية الشمال وأوقعوا بسكنه من الترك وهم شعوب القفقاج والروس والعلان والملوّات وما جاورهم من قبائل جركس وكان ملك التتر الشمالي يومند دوشى خان بن جنسكزخان قد أصاهم بالقتل والسي فامتلات أيدي أهل تلك النواحي برقيتهم وصاروا عند التجار من أنفس بضائعهم والله تعالى أعلم.

ذکر پیر س، البندقداری

في تاريخه حكاية غريبة عن سبب دخول التتر لبلادهم بعد

الترشيح فيتقون من أجود السبي الغلمان كالدناين والجوار  
كاللآلئ ويسلمونهم إلى قهارمة القصور وقرمة الدواوين  
يأخذونهم بمحدود الإسلام والشريعة وأداب الملك والسياسة  
ومراس الثقافة في المزان على المناضلة بالسهام والمساحة بالسيوف  
والطاعة بالرماح والبصر بأمور الحرب والفروسية ومعاناة الخيول  
والسلام والوقوف على معانى السياسة.

حتى إذا تنازعوا في الترشيح وانسلخوا من جملة الخشونة إلى رقة الحاشية وملكة التهذيب اصطنعوا منهم للمصالحة ورقوهم في المراتب واختاروا منهم لقيادة العساكر في الحروب ورئاسة المواكب أيام الزينة ورتبن الفتوق الحادثة وسد الشغور الفاصلة كل على شاكلة غناه وسابق اصطناعه فلم يزل هذا دأب الخلفاء في اصطناعهم ودعامة سرير الملك بعدهم وعهيد الخلافة بمقاماتهم حتى سموا في درج الملك وأمتلأت جوانبهم من الغزو وطمحت أبصارهم إلى الاستبداد فغلبوا على الدولة وحجرها والخلفاء وتعدوا بحسب الملك ودرج الهي والأمر وقادوا الدولة بزمامهم وأضافوا اسم السلطان إلى مراتبهم.

وكان مبدأ ذلك واقعة المأمور والمأمور بعدها من تغلب  
الموالي واستبدادهم بالدولة والسلطان ونهج السلف منهم في ذلك  
السبيل للخلف واقتدي الآخر بالأول وكانت لهم دول في الإسلام  
متعددة تعقب غالباً دولة أهل العصبية وشوكه النسب: كمثل دولة  
بني سامان وراء النهر وبني سبيكتكين بعدهم وبيني طرلون بمصر  
وبني طفج وما كان بعد الدولة السلجوقية من دولتهم مثل: بني  
خوارزم شاه بما وراء النهر وبيني طغرلتكين بدمشق وبيني أرتق  
باردين وبيني زنكي بالموصل والشام وغير ذلك من دولهم التي  
قصاصناها عليك في تصانيف الكتاب.

حتى إذا استغرقت الدولة في المضاربة والترف ولم يُست  
أثواب البلاء والعجز ورميت الدولة بكفرة التتر الذين أزالوا  
كرسي الخلافة وطمسوا رونق البلاد وأدالوا بالكفر من الإيمان بما  
أخذ أهلها عند الاستغرق في التنعم والتشاغل في اللذات  
والاسترسال في الترف من تكاسلهم والقهود عن المعاشرة  
والانسلاخ من جلدة اليأس وشعار الرجولية فكان من لطف الله  
سبحانه أن تدارك الإيمان باليحاء رممه وتلاقي شمل المسلمين  
باليديار المصرية بمحفظ نظامه وحماية سياجه بأن بعث لهم من هذه  
الطاقة التركية وقبائلها الغزيرة المتراوحة أمراء حامية وأنصاراً  
متواففة يجلبون من دار الحرب إلى دار الإسلام في مقادة الرق الذي  
كمن اللطف في طيه وتعرفوا العزّل خير في مغبته و تعرضوا للعنابة  
الربانية بتلافيه يدخلون في الدين بعزم إيمانية وأخلاقاً بدورية لم

## الخبر عن استبداد الترك بمصر وانفرادهم بها عن بني أيوب ودولة المعز أول

### ملوكهم

قد تقدم لنا أن الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل بن العادل قد استكثر من المماليك الترك ومن في معناهم من التركمان والأرمن والروم وجركس وغيرهم إلا أن اسم الترك غالب على جميعهم لكرتهم ومزيفهم وكانوا طرائف تميزين بسمات من ينسبون إليه من نسب أو سلطان: فمنهم العزيزية نسبة إلى العزيز عثمان بن صلاح الدين ومنهم الصالحيّة نسبة إلى هذا الصالح أيوب ومنهم البحريّة نسبة إلى القلعة التي ينادى الصالح بين شعبيّ التيل إزاء القياس بما كانوا حاميتها وكان هؤلاء البحريّة شرّكة دولته وعصابة سلطانه وخصوص داره وكان من كبرائهم عز الدين أيك الجاشنكير التركماني ورديفه فارس الدين أقطاي الجامدار وركن الدين بيبرس البندقداري.

ولما كان ما قدمناه ووفاة الصالح بالنصرة في محاصرة الإفرنج بدمياط في سنة سبع وأربعين وكتنانهم موته ورجوعهم في تدبير أمورهم إلى شجرة الدر زوجة الصالح وأم ولده خليل وبعثهم إلى ابنه المعظم تورانشاه وانتظاره وأن الإفرنج شعروا بموت الصالح فدلقوه إلى معسكر المسلمين على حين غفلة فاكتشفوا أوابي العسّر وقتل فخر الدين الأتابك ثم أفرغ الله الصبر وثبت أقدامهم وأبلى أمراء الترك في ذلك اليوم بلاء حسناً ووقفوا مع شجرة الدر زوج السلطان تحت الرأيات ينوهون بمكانها فكانت لهم الكفة وهزم الله العدو.

وثم وصل المعظم تورانشاه من كيما فبايعوا له وأعطوه الصفة وانتظم الحال واستطاع المسلمين على الإفرنج برأ ومحراً فكان ما قدمناه من هزيمتهم والفتوك بهم وأسر ملوكهم الفرنسيين.

ثم حل المعظم إثر هذا الفتح إلى مصر لشهرين من وصوله ونزل بفارس كور بريد مصر وكانت بطاته قد استطالوا على موالى أيه وتقسموهم بين النكبة والإهمال فاتفق كبراء البحريّة على قتلهم وهم: أيك وإقطاي وبيبرس فقتلوا كما ونصبوا للملك شجرة الدر أم الخليل وخطب لها على المابر ونقش اسمها على السكة ووضعت علامتها على المراسم ونصفها أم خليل. وقام أيك التركماني بتأدية العسكرية ثم نصيبي الفرنسيين بالنزول عن دمياط وملكها المسلمين سنة ثمان وأربعين وسرحه في البحر إلى بلاده بعد أن توافقوا منه باليمين أن لا

أن عد شعوبهم فقال: ومن قبائلهم - يعني الفججاق - قبيلة طغصبا وستا وبرج أغلا والبولي وقنعوا على وأوغلي ودورت وقلابا أعلى وجوثان وقد كابركلوي وكتن.

هذه إحدى عشرة قبيلة وليس فيها ذكر الشعوب العشرة القديمة الذكر التي عدّها النسبة كما قدمناه أول الترجمة وهذه - والله أعلم - بطون متفرعة من الفججاق فقط وهي التي في ناحية الغرب من بلادهم الشمالية فإن سياق كلامه إنما هو في الترك الجلوبيين من تلك الناحية لا من ناحية خوارزم ولا ما وراء النهر. قال بيبرس: ولما استولى التتر على بلادهم سنت ست وعشرين والملك يومئذ بكرس جنكيزخان لولده دوشي خان واتفق أن شخصاً من قبيلة دورت يسمى منقوش بن كتمر خرج متصدراً فلقيه آخر من قبيلة طغصبا اسمه آفاكب - وبين القبيلتين عداوة - مستحکمة فقتله وأبطأ خبره عن أهله فبعثوا طليعة لاستكشاف أمره اسمه جلنقر فرجع إليهم وأخبرهم بأنه قتل وسمى لهم قاتله فجمعوا للحرب وترافت القبيلتان فانهزمت قبيلة طغصبا وخرج آفاكب القاتل وتفرق جمعه فارسل أخاه أقصر إلى ملكهم دوشي يستعلم ما على ذوي قبيلة دورت الفججاقية وذكره ما فعل كتمر وقزمه بأخيه وأغرمه بهم وسهل له الشأن فيهم وبعث دوشي خان جاسوسه لاستكشاف حاكمه واختبار مراسلمهم وشكيمتهم فعاد إليه بسهيل المرام فيهم.

وقال: إن رأيت كلاباً مكيناً على فرسه يتمى طردهم عنها فاكتفت منها فأطعنه ذلك في بلاد الفججاق واستحبه أقصر الذي جاء صريحاً وقال له ما معناه: نحن ألف رأس نجح ذنبنا واحداً وأنتم رأس واحد تغير ألف ذنب فزاده ذلك إغراه ونهض بجموع التتر فارفع بالفججاق وأثنى بهم قتلاً وسبباً وأسرأ وفرّ لهم في البقاء وامتلأت أيدي التجار وجلبواهم إلى مصر فعرضه الله بالدخول في الإيمان والاستلاء على الملك والسلطان. انتهى كلام بيبرس.

ومساق القصة يدل على أن قبيلة دورت من الفججاق وإن قبيلة طغصبا من التتر فيقتضي ذلك أن هذه البطون التي عدّت ليست من بطن واحد وكذلك يدل مساقها على أن أكثر هؤلاء الترك الذين بديار مصر من الفججاق والله تعالى أعلم.

يتعرض لبلاد المسلمين ما يقى.

للأشرف وجهزوا العساكر وخرجوا للقتال لهم وسار في المقدمة أقطاي الجامدار وجهروا البحريه وتبعهم أليك ساقه في العساكر والتى الجماع بالعباسية فانكشف عسكر مصر أولًا وتبعدوا أهل الشام وثبت المعز في القلب ودارت عليه رحى الحرب.

وهرب إلى جماعة من عسكر الناصر فهم أمراء العزيزية مثل جمال الدين لا يدعون شمس الدين أنسز البيري وشمس الدين أنسز الحسامي غضبوا من رياضة لؤلؤ عليهم فهربوا ويفسقى لؤلؤ في المعركة صادماً ثم حل المعز على الناصر وأصحابه فانهزموا وانقض عسكنه وجىء بلوؤلؤ الأتابكى أسرى فقتله صبراً ويأمراء بي أقربائهم ورجع ليك من الرقة فوجد عساكر الناصر مجتمعين بالعباسية يظلون الغلب لهم فقتل إلى بليس ثم إلى القلعة ورجعت عساكر الشام من أتباع المهزمين لما شعروا بهزيمة أصحابهم فلحو بالناصر بدمشق ودخل ليك إلى القاهرة وحبس بي أقربائهم ثم قتل منهم إسماعيل الصالح وزيره ابن يغمور الذي كان معتقلًا من قبل.

ولما وصل الناصر إلى دمشق أراح على عسل عساكره وجعل الكراة إلى مصر ونزل غزة سنة خمسين وبرزت عساكر مصر للقتال فتوافقوا ملائياً ثم وصل نجم الدين البادراني إلى رسول المستعصم فأصالحة بين الطائفتين على أن يكون القدس والساحل إلى نابلس للمعز والتخم بين الملكتين نهرالأردن وانعقد الأمر على ذلك ورجع كل إلى بلده وأخرج المعز عن أمراء بي أقربائهم جسم يوم الرقة والله سبحانه وتعالى أعلم.

## واقعة العرب بالصعيد مع أقطاي

لما شغل الصالح بالإفرنج وما بعدهم عظم فساد العرب بالصعيد واجتمعوا على الشرييف خضر الدين أبي ثعلب بن نجم الدين عمر بن فخر الدين إسماعيل بن حسن الدين ثعلب الجعفري من ولد جعفر بن أبي طالب الذين أجازوا من الحجاز لما غلبهم بنو عمهم بنواحي المدينة في الحروب التي كانت بينهم واطاعه اعراب الصعيد كافة ولم يقدر على كفهم عن الراية واتصل ذلك وهلك الصالح واستبد الترك بمصر وشغلوا عنهم بما كان من مطالبة بي أقرب لهم فلما فرغ المعز أليك من أمر الناصر وعقد الصلح معه بعث لحربيهم فارس الدين أقطاي وعز الدين أليك الأقرب أمير البحريه فساروا إليهم وتقوهم بنواحي أخيم فهزموهم وفر الشرييف ناجياً بنفسه ثم قبض عليه بعد ذلك وقتل ورجعت العساكر إلى القاهرة والله تعالى أعلم.

واستقلت الدولة بمصر للترك وانقرضت منها دولة بني أقرب بقتل المعلم ولاية المرأة وما اكتفى ذلك فامتصوا له وكان فتح الدين عمر بن العادل قد حبسه عمه الصالح أقرب بالكرك لنظر بدر الصوابي خادمه الذي ولاه على الكرك والشريك لما ملكها كما مر فأطلق بدر الدين من عبسه وبایع له وقام بأمره ولقبه المغيث واتصل الخبر بمصر وعلموا أن الناس قد نعموا عليهم ولاية المرأة فانتفقا على ولاية زعيهم أليك لتقدمه عند الصالح وأخيه العادل قبله فبايعوا له وخلعوا أم خليل ولقبوه بالمعز فقام بالأمر وانفرد بملك مصر وول مولاه سيف الدين قطز نابياً وعمر المراتب والوظائف بأمراء الترك والله تعالى ينصر من يشاء من عباده.

## نهوض الناصر صاحب دمشق من بي أقرب إلى مصر وولاية الأشرف موسى مكان أليك

كان الملك الصالح أقرب قبل موته قد استخلف جمال الدين بن يغمور على دمشق مكان ابن مطروح وأمراء الدولة الأيوبيه متوفرون فلما بلغتهم استبداد الترك بمصر وولاية أليك وبيعة المغيث بالكرك أمعنوا النظر في تلابي أمرهم وكباء بي أقرب يومذ بالشام الناصر يوسف بن العزيز محمد بن الظاهر غازى بن صلاح الدين صاحب حلب ومحض وما إليها فاستدعاه وبايعوا له بدمشق وأغرروه بطلب مصر واتصل الخبر للترك في مصر فاعتذروا على أن ينصبوا بعض بي أقرب فيكونوا به السنة النكير عنهم فبايعوا موسى الذي كان أبوه يوسف صاحب اليمن وهو يوسف أطسز بن المسعود بن الكامل وهو يومذ ابن ست سنين ولقبوه الأشرف وتزحزح له أليك عن كرسى السلطان إلى رتبة الأتابكية واستمر الناصر على غلوائه في التهوض إلى مصر.

واستدعي ملوك الشام من بي أقرب فأقبل إليه موسى الأشرف الذي كان صاحب حصن وإسماعيل الصالح بن العادل صاحب بعلبك والمعلم تورانشاه بن صلاح الدين وأخوه نصر الدين وابنا داود الناصر صاحب الكرك وهو الأجد حسن والظاهر شادي وارتحل من دمشق سنة ثمان وأربعين وفي مقدمته أتابكه لؤلؤ الأرمني وبلغ الخبر إلى مصر فاضطرر الأمر ونادوا بشعار الخلافة والدعاء للمستعصم وجددوا البيعة على ذلك

## فرار الأفمن إلى الناصر بدمشق

كان عز الدين أيك الأفمن الصالحي واليأ على قوص وأخيم وأعمالها فقوى أمره وهُم بالاستبداد وأراد العز عزله فامتتنع عليه فبعث بعض الخوارزمية مدا له ودس إليهم الفتكت به فلما وصلوا إليه استخدموهم وخليطهم بنفسه فاغتالوه وقبضوا عليه وترمواه إلى للجنس فطشوا بهم وقتلواه وخلعواه ثم عزله بعد ذلك عز الدين الصimirي عن خدمته واستدعاه إلى مصر فقام عنده ثم بعث مع أقطاي إلى مكانه من الدولة وأوزع العز أيك إلى الأفمن بالقائم لتهييد بلاد الصعيد وأن يكون الصimirي في خدمته وبلغه وهو هناك أن العز عدا على أقطاي وقتله وأن أصحابه البحرية فروا إلى الشام فاستوحش وأظهر العصيان واستدعا الشريف أبا ثعلب وتظاهر معه على الفساد وجعلوا الأعراب من كل ناحية.

ثم بعث العز سنة ثلاثة وخمسين شمس الدين البرلي في العساكر فهزهم واعتقل الشريف فلم ينزل في محبسه إلى أن قتله الظاهر ونجا الأفمن في قل من مواليه إلى الواحات ثم اعتزم على قصد الشام فرجع إلى الصعيد مع جماعة من أغرب جناده مرموا به على السويس والطور ورجع عنه مواليه إلى مصر ولما انتهى إلى غزة تولى به الناصر فأذنه بالقدوم عليه بدمشق وركب يوم وصوله فلتقاء بالكسوة وأعطاه خمسة آلاف دينار ولم ينزل عنده بدمشق إلى أن هرب البحرية من الكرك إلى مصر كما يذكر فخشى أن يأخذه الناصر وكاتب الآتابك قطز بمصر وسار إليه فقبله أولًا ثم قبض عليه بعد ذلك واعتقله بالإسكندرية وكان الصimirي قد بقي بعد الأفمن في ولاية الصعيد واستفحلا فيه فرسولت له نفسه الاستبداد ولم يتم له فهرب إلى الناصر سنة أربع وخمسين انتهى والله تعالى أعلم.

## مقتل العز أيك وولادة ابنه على المنصور

كان العز أيك عندما استفحلا أمره ومهد سلطانه ودفع الأداء عن حوزته طمحت نفسه إلى مظاهرة المنصور صاحب حماة ولوؤن صاحب الموصل ليصل بيده بما وارسل إليهما في الخطبة وأثار ذلك غيرة من زوجته شجرة الدر وأغرى به جماعة من الخصيان منهم محسن الخزري وخصي العزيزي ويقال: سنجار الخادمان في بيته في الحمام بقصره وقتلواه سنة خمس وخمسين لثلاث سنين من ولاده وسمع مواليه الناعية من جوف الليل فجاوزوا مع

## مقتل أقطاي الجامدار وفرار البحرية إلى

### الناصر ورجوع أيك إلى كرسيه

كان أقطاي الجامدار من أمراء البحرية وعظامائهم ويلقب فارس الدين وكان رديفًا للمعز أيك في سلطانه وأتابكه وكان يغض من عنانه عن الطموح إلى الكرسي وكان يخفيه من جناحه للبحرية يتألقهم بذلك فيميلون له عن أيك فاعتبر في الدولة واستفحلا أمره وأخذ من العز الاسكندرية إقطاعاً وتصرف في بيت المال وبعث فخر الدين محمد بن بهاء الدين بن حياء إلى المظفر صاحب حماة في خطبة ابنته فتزوجها وأطلق يده في العطاء والإقطاع فعم الناس وكثير تابعه وغضبه العز أيك وأجمع قتلته فاستدعاه بعض الأيام للقصر للشوري سنة اثنين وخمسين وقد أكملا له ثلاثة من مواليه في مهره بقاعة الأعمدة وهم قظر وبهادل وسنجر فوثبوا عليه عند مروره بهم وبادروه بالسيوف وقتلوا عليه واتصلت الهيئة بالبحرية فركبا وطارفا بالقلعة فرمى إليهم برأسه فانقضوا.

واسرتاب أمرؤهم فاجتمع ركن الدين يبرس البندقداري وسيف الدين قلالون الصالحي وسيف الدين سفتر الأشقر وبدر الدين بنسر الشمسي وسيف الدين بلبان الرشيداني وسيف الدين تنكر وأخوه سيف الدين موافق ولحقوا بالشام فيمن انضم إليهم من البحرية واحتفى من مختلف منهم واستصفيت أمواهم وذخائرهم وارتجمع ما أخذه أقطاي من بيت المال ورد نهر الاسكندرية إلى أعمال السلطان وافتقد المعز أيك بتدير الدولة وخلع موسى الأشرف وقطع خطبته وخطب لنفسه وتزوج شجرة الدر زوجة الصالح التي كانوا ملكوها من قبل واستخلص علاء الدين أيغدري العزيزي وجاء العزيزية وأقطعه دمياط.

ولما وصل البحرية وأمرؤهم إلى غزة كاتبوا الناصر يستأذنونه في القدوم وساروا إليه فاحتفل في مبرتهم وأغروه بذلك مصر فاجابهم وجهز العساكر وكتب العز فهم إلى الناصر وطلبوا منه القدس والبلاد الساحلية فأقطفوها لهم ثم سار الناصر إلى الغور ويرز إلى القاهرة في العزيزية ومن إليهم ونزل العباسية وتوافق الفريقان مدة ثم اصطلحوا ورجع كل إلى بلده سنة أربع وخمسين ويعث أيك رسوله إلى المستعصم بطاعته وطلب الألوية والتقليد ولما رجع إلى مصر قبض على علاء الدين أيغدري لاستراته به وأعاد دمياط إلى أعمال السلطان واتصلت أحواله إلى أن هلك في الدولة والله تعالى أعلم.

وخلصوا إلى مصر ولحق البحريمة بالكرك مع عسكر المغيث ووعدهم بالنصر وأرسل إليه من دمشق في إسلامهم إليه وتوعده أنفسهم وأخضطروا ففر بيرس وقلاؤون إلى الصحراء وأقاموا بها ثم لحقوا بعصر وأكرههم الأتابك قطر وأقطعهم وأقاموا عنده ولما فر بيرس وقلاؤن من المغيث قبض على بقية أمراء البحريمة سقر الأشرف وشكراً وبرابق وبعث بهم إلى الناصر فحبسهم بقلعة حلب إلى أن استولى التتر عليها ونقلهم هلاكوا إلى بلاده والله سبحانه وتعالى أعلم.

## خلع المنصور علي بن أبيك واستبداد قطر بالمملكة

ثم كان ما ذكرناه ونذكره من زحف هلاكوا إلى بغداد واستيلائه عليهما وما بعدها إلى الفرات وفتحه ميافارقين وإربل ومسير لؤلؤ صاحب الموصل إليه ودخوله في طاعته ووفادة ابن الناصر صاحب دمشق إليه روسلاً عن أبيه بالمدايا والتحف على سبيل المصانعة والعدن عن الوصول بنفسه خوفاً على سواحل الشام من الإزْرِقَنْجَ فارتَابَ الأُمَّارَ بِشَاهِنَمَ وَاسْتَغْرَفُوا سُلْطَانَهُمُ الْمُنْصُورَ عَلَيْهِ بِالْمَعْزِيْكَ عَنْ مَدَافِعَهَا هَذِهِ الْعَدُوِّ لَعْدَ مَارْسَتَهُ لِلْحَرْبِ وَقَلَّةُ دَرْبِهِ بِالْوَقْعِ وَاتَّفَقُوا عَلَى الْبَيْعَةِ لِسَيفِ الدِّينِ قَطْرِ الْعَزِيزِ وَكَانَ مَعْرُوفاً بِالصَّرَامةِ وَالْإِقْدَامِ فَبَأْيَاعُوهُ لَهُ وَأَجْلَسُوهُ عَلَى الْكَرْسِيِّ سَنَةَ سَتٍ وَخَسِينٍ وَلَقَبُوهُ الْمَظْفَرَ وَخَلَعُوا الْمُنْصُورَ لِسْتِينَ مِنْ وَلَائِهِ وَحْبَسُوهُ وَأَخْوَيْهِ بِدَمْبَاطَ ثُمَّ غَرَبَهُمَا الظَّاهِرُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى الْقَسْطَنْطِنْيَةِ وَكَانَ الْمُتَرَلُونَ لِذَلِكَ الصَّالِحِيَّةِ وَالْعَزِيزِيَّةِ وَمِنْ يَرْجِعُ إِلَى قَطْرِ مِنَ الْمَعْزِيْكِ وَكَانَ بِهَادِرٍ وَسِنْجَارَ الْغَتَّمِيِّ غَائِيْنَ فَلَمَّا قَدِمَ اسْتَرَابُ بِهِمَا قَطْرُ وَخَشِيَّ مِنْ نَكِيرَهُمَا وَمَزَاحِتَهُمَا فَقَبَضُوا عَلَيْهِمَا وَجَبَسُوهُمَا وَأَخْذَهُمَا تَهْيِيدَ الدُّوَلَةِ فَاسْتَوْسَتَ لَهُ وَكَانَ قَطْرُ مِنْ أَوْلَادِ الْمُلُوكِ الْخَوارِزمِيَّةِ يَقَالُ إِنَّهُ أَخْتَ خَوارِزمِ شَاهِ وَاسْمُهُ حَمْدُ بْنُ مُوَودُ أَسْرَهُ التَّتُّرُ عَنْ الْحَادِثَةِ عَلَيْهِمْ وَبَيْعَ وَاشْتَرَهُ أَبْنُ الزَّعِيمِ حَكَاهُ التَّرْوِيُّ عَنْ جَمَاعَةِ مِنَ الْمُؤْرِخِينَ وَاللهُ تَعَالَى يَنْصُرُ مِنْ يَشَاءُ مِنْ عَبَادِهِ.

سيف الدين قطز وسنجار الغتمي وبهادر فدخلوا القصر وقبضوا على الجوجري فقتلوه وفر سنجار العزيزي إلى الشام وهو مقتل شجرة الدر وقام المولى الصالحي دونها فاعتقلوها ونصبوا للملك علي بن المعز أبيك ولقبوه المنصور وكان أبوابه علم الدين سنجار الحلي وأشتمل موالى المعز على ابنه المنصور فكبسو علم الدين سنجار واعتقلوه وولوا مكانه أقطاي المعلمي الصالحي مول العزيز على الدولة في تقضها وإبراهيمها سنة ست وخمسين وأغرته أم المنصور بالصاحب شرف الدين الغازى لأن المعز كان يستودعه سرياته عنده فاستصفاه وقتلها.

وفي هذه السنة توفي زهير بن علي المهمي وكان يكتب عن الصالح ويلازمه في سجنه بالكرك ثم صحبه إلى مصر والله تعالى أعلم.

## نهوض البحريمة بالمغيث صاحب الكرك وانهزامهم

قد ذكرنا فرار البحريمة إلى الناصر ونهوضهم به إلى مصر وخروج أبيك إلى العباسة وما كان بينهما من الصلح فلما انعقد الصلح ورجع الناصر إلى دمشق ورجعوا عنه إلى قلعة ولم يرضوا الصلح فاستراب بهم الناصر وصرفهم عنه فلحقوا بغزة ونابلس وبعثوا إلى المغيث صاحب الكرك بطايعتهم فارسل الناصر عساكره للإيقاع بهم فهزموهم فسار إليهم بنفسه فهزمه إلى اللقاء ولحقوا بالكرك وأطمعوا المغيث في مصر واستعدوه لها فأمدهم بعسكره وقصدوا مصر وكبارهم بيرس البندقداري وقلاؤن الصالحي وبيلان الرشدي ويرز الأمير سيف الدين قطز بعساكر مصر إلى الصالحي فهزموهم وقتل بلغار الأشرف وأسر قلاؤن الصالحي وبيلان الرشدي وأطلق قلاؤن الصالحي بعد أيام في كفالة أستاذ الدار فاختفى ثم لحق ب أصحابه واستحثوا المغيث إلى مصر فنهض في عساكره سنة ست وخمسين ونزل الصالحة وقدم إليه عز الدين الرومي والكافوري والمداشر عن كان يكتبه من أمراء مصر ويرز سيف الدين قطز في عساكر مصر والتقى الجمعان فانهزم المغيث ولحق في الفل بالكرك وفرت البحريمة إلى الغور فوجدوا هناك أحباء من الأكراد فروا من جبال شهرزور أمام التتر فاجتمعوا بهم والتحمموا بالصهر منهم وخشي الناصر غاللة اجتماعهم فجهز العساكر من دمشق إليهم والتقدوا بالغور فانهزمت عساكره فتجهز ثانيةً بنفسه وسار إليهم فخانوا عن لقائه وافتقرتوا فلحق الأكراد بمصر واعتراضهم التركمان في طريقهم بالعربيش فأوقعوا بهم

**استيلاء التتر على الشام وانقراض أمر بنى  
أبوب ثم مسیر قطر بالعساكر وارتجاعه  
الشام من أيدي التتر وهزيمتهم وحصول  
الشام في ملك الترك**

بلده وبعث المتصور على بلده حماة وأقره عليها ورد إليه المعرة وانتزع منه سلمية فاقطعها لأمير العرب مهنا بن مانع بن جديلة وسار إلى دمشق فهرب من كان بها من التتر وقتل من وجده بها من بقائهم ورتب العساكر في البلاد وولى على دمشق علم الدين سنجار الحلبي الصالحي وهو الذي كان أتابك علي بن أبيك ونجم الدين أبا الحجاج ابن خشترين الكردي.

وولى على حلب السعيد ويقال المظفر علاء الدين بن لوزن صاحب الموصل وكان وصل إلى الناصر يبصر هارباً أمام التتر وسار معه فلما دخل الناصر منها حلق هو يبصر وأحسن إليه قطر ثم ولاد الناصر على حلب الآن ليتوصل إلى أخبار التتر من أخيه الصالح بالموصل وولى على نابلس وغزة والسواجح شمس الدين دانشير البرلي من أمراء العزيز محمد وهو أبو الناصر وكان هرب منه عند نهوضه إلى مصر في جماعة من العزيزية ولحق بأتابك ثم ارتات بهم وبقى على بعضهم ورجع البرلي في الباقين إلى الناصر فاعتقله بقلعة حلب حتى سار إلى التتر فلما دخل إليها سار البرلي مع العساكر إلى مصر فأكرمه المظفر وولاد الآن على السواحل وغزة وأقام المظفر بدمشق عشرين ليلة وأقبل إلى مصر ولما بلغ إلى هلاكرو ما وقع بقومه في الشام واستيلاء الترك عليه اتّهم صاحب دمشق بأنه خدّعه في إشارته وقتلـه كما مر وانقرض ملك بني أبوب من الشام أجمع وصار للملك مصر من الترك والله يبرئ الأرض من عليها وهو خير الوارثين.

### مقتل المظفر وولادة الظاهر بيبرس

كان البحريّة من حين مقتل أميرهم أقطاي الحامدار يتحينون لأخذ ثراه وكان قطر هو الذي تولى قتلـه فكان مسترياً بهم ولما سار إلى التتر ذهل كلّ منهم عن شأنه وجاء البحريّة من القفر هاربين من المغيث الكرك فوتقدوا لأنفسهم من السلطان قطر أخرج ما كان إلى أمثلهم من المدافعة عن الإسلام وأهله فأنهـمـوا واشتمـلـوا عليهم وشهـدواـ معـهـ واقتـمةـ التـترـ علىـ عـيـنـ جـالـوتـ وأـلـبـلـسـواـ فـيـهاـ وـالـمـدـمـرـونـ فـيـهـمـ يـوـمـ شـدـدـهـ بيـبرـسـ الـبـنـقـدـارـيـ وأـنـزـهـ الأـصـبـهـانـيـ وـبـلـيـانـ الرـشـيدـيـ وـبـكـتـونـ الجـوـكـدـرـاـيـ وـبـنـدوـغـ السـتـرـكـيـ فـلـمـ اـنـهـزـمـ التـترـ منـ الشـامـ وـاسـتـولـواـ عـلـيـهـ وـحـسـرـ ذلكـ المـدـ وـأـفـرـجـ عنـ الـخـافـينـ الرـوـعـ عـادـ هـؤـلـاءـ الـبـحـرـيـةـ إـلـىـ دـيـنـهـمـ منـ التـرـصـ لـثـارـ أـقطـايـ.

فلما قفل قطر من دمشق سنة ثمان وخمسين أجمعوا أن يربزوا به في طريقهم فلما قارب مصر ذهب في بعض أيامه يتصد

ثم عبر هلاكتـو الفرات سنة ثمان وخمسين وفر الناصر وأخوه الظاهر إلى التيـهـ ولحقـ بـصرـ المـتصـورـ صـاحـبـ حـماـةـ وجـاعـةـ الـبـحـرـيـةـ الـذـيـنـ كـانـواـ بـأـحـيـاءـ الـعـرـبـ فـيـ القـفـرـ وـمـلـكـ هـلاـكـوـ بـلـادـ الشـامـ وـاحـدـةـ وـهـدـمـ أـسـوارـهـ وـولـىـ عـلـيـهـ وـأـطـلقـ المـعـتـقـلـينـ مـنـ الـبـحـرـيـةـ بـحـلـبـ مـثـلـ سـقـرـ الـأـشـقـرـ وـشـكـرـ وـبـرـانـقـ وـاسـتـخـدـمـهـمـ ثـمـ قـلـلـ إـلـىـ الـعـرـقـ لـاـخـتـلـافـ بـيـنـ أـخـوتـهـ وـشـكـرـ وـتـقـدـمـ إـلـيـهـ كـيـبـغاـ مـنـ أـكـبـرـ أـمـرـائـهـ فـيـ اـثـيـ عشرـ الـفـأـ مـنـ الـعـسـاـكـرـ وـتـقـدـمـ إـلـيـهـ بـطـالـعـةـ الـأـشـرـفـ إـبـرـاهـيمـ بـنـ شـيـرـكـهـ صـاحـبـ حـصـ بـعـدـ آنـ وـلـادـ عـلـىـ مـدـيـنـةـ دـمـشـقـ وـسـاـيـرـ مـدـنـ الشـامـ وـاحـتـمـلـ مـعـهـ النـاصـرـ وـابـهـ الـعـزـيزـ بـعـدـ أـنـ استـشـارـهـ فـيـ تـجهـيزـ الـعـسـاـكـرـ بـالـشـامـ لـمـدـافـعـهـ أـهـلـ مـصـرـ عـنـهاـ فـهـوـنـ عـلـيـهـ الـأـمـرـ وـقـلـلـهـ فـيـ عـيـنـ فـجـهزـ كـيـبـغاـ وـمـنـ مـعـهـ وـلـاـ فـصـلـ سـارـ كـيـبـغاـ إـلـىـ قـلـعـةـ دـمـشـقـ وـهـيـ مـعـتـنـعـ بـعـدـ فـحـاصـرـهـ وـاقـتـعـهـاـ عـنـةـ وـقـلـلـ تـائـبـهاـ بـدـرـ الدـيـنـ بـرـبـدـكـ وـخـيـمـ بـرـجـ دـمـشـقـ وـجـاهـهـ مـنـ مـلـوكـ الـإـفـرـنجـ بـالـسـاحـلـ.

وـوـفـدـ عـلـيـهـ الـظـاهـرـ أـخـوـ النـاصـرـ صـاحـبـ صـرـخدـ فـرـدـهـ إـلـىـ عـلـمـهـ وـأـوـفـدـ عـلـيـهـ المـغـيـثـ صـاحـبـ الـكـرـكـ اـبـهـ الـعـزـيزـ بـطـاعـتـهـ قـبـلـهـ وـرـهـدـ إـلـىـ أـبـيهـ وـاجـتـمـعـتـ عـسـاـكـرـ مـصـرـ وـاحـشـدـ الـمـظـفـرـ الـعـرـبـ وـالـتـرـكـانـ وـبـعـثـ إـلـيـهـمـ بـالـعـطـاـيـاـ وـأـزـاحـ الـعـلـلـ وـبـعـثـ كـيـبـغاـ إـلـىـ الـمـظـفـرـ بـأـنـ يـقـيمـ طـاعـةـ هـلاـكـوـ بـصـرـ فـضـرـبـ أـعـنـاقـ الرـسـلـ وـنـهـضـ إـلـىـ الشـامـ مـصـمـمـاـ لـلـقـاءـ الـعـدـوـ وـمـعـهـ الـمـتصـورـ صـاحـبـ حـماـةـ وـأـخـوهـ الـأـفـضـلـ وـزـحفـ كـيـبـغاـ وـعـسـاـكـرـ التـترـ وـمـعـهـ الـأـشـرـفـ صـاحـبـ حـصـ وـالـسـعـيدـ صـاحـبـ الضـيـنـةـ اـبـهـ الـعـزـيزـ بـنـ الـعـزـيزـ بـنـ العـادـلـ وـبـعـثـ إـلـيـهـمـ قـطـرـ يـسـتـمـيلـهـمـ فـوـرـهـ الـأـشـرـفـ بـالـانـهـزـامـ يـوـمـ اللـقـاءـ وـأـسـاءـ الـعـزـيزـ الرـدـ عـلـىـ رـوـسـهـ وـأـوـقـعـ بـهـ وـالـتـقـيـ الـفـرـيقـانـ بـالـغـورـ عـلـىـ عـيـنـ جـالـوتـ وـخـيـرـ الـأـشـرـفـ عـنـدـمـاـ تـائـبـهـ فـانـهـزـمـ التـترـ وـقـتـلـ أـمـرـهـمـ كـيـبـغاـ فـيـ الـمـعـرـكـةـ وـجـيـيـ بـالـسـعـيدـ صـاحـبـ الضـيـنـةـ أـسـيـراـ فـوـرـيـهـ ثـمـ قـتـلـهـ.

وـجـيـيـ بـالـعـزـيزـ بـنـ الـمـغـيـثـ وـأـسـرـ يـوـمـذـهـ بـنـ الـمـلـكـ مـصـرـ بـعـدـ ذلكـ وـلـقـيـ العـادـلـ بـيـبرـسـ الـنـهـزـمـينـ فـيـ عـسـكـرـ مـنـ الـتـرـكـ فـائـخـ فـيـهـمـ وـأـنـهـيـ إـلـىـ حـصـ فـلـقـيـ مـدـداـ مـنـ التـترـ جـاءـ لـكـيـبـغاـ فـاسـتـأـصـلـهـمـ وـرـجـعـ إـلـيـ الـأـشـرـفـ صـاحـبـ حـصـ مـنـ عـسـكـرـ التـترـ فـأـقـرـهـ عـلـىـ

وسررت الرواحل على الطريق فاتبعوه وتقدم إليه أئز شفيعاً في منها ليلاً إلى بعلبك وأتبعوه فقبضوا عليه وبعثوه إلى الظاهر فأعتقله واستقر أيدكين بدمشق ورجع صاحب حص وحمة إلى بلديهما وبعث الظاهر إلى أيدكين بالقبض على بهاء الدين بقري وشمس الدين أقوش البرلي وغيرهما من العزيزية فقبض على بقري وفر العزيزية والناصرية مع أقوش البرلي وطالبو صاحب حص وصاحب حمة في الانتقاض فلم يعيدهم إلى ذلك فقال لفخر الدين: أطلب لي الظاهر المقدم معك في خدمتك. وبينما هو يسير لذلك خالقه البرلي إلى حلب وثار بها وجع العرب والتركمان ونصب للحرب فجاءت العساكر من مصر فقاتلوه وغلبوا عليها ولحق بالبيرة فملكتها واستقر بها حتى إذا جهز الظاهر عساكره ستة ستين إلى حلب مع سفير الرومي سار معه صاحب حمة وصاحب حص للإغارة على أنطاكية ولقائهم البرلي وأعطاهم طاعته وأقره الظاهر على البيرة ثم ارتاب به بعد ذلك وأعتقله ثم علاء الدين أيدكين البندقداري مولى السلطان بدمشق وولى عليها بيرس الوزير ورجع والله ينصر من يشاء من عباده انتهى.

ومبدأ أمر هذا الظاهر بيرس أنه كان من موالي علاء الدين أيدكين البندقداري مولى الصالح فخطب عليه واعتقله واتسع ماله ومواليه وكان منهم بيرس فصيده مع الجامدارية وما زال يترقى في المراتب إلى أن تقدم في الحروب ورياسة المراكب ثم كان خبره بعد الصالح ما قصصناه انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم.

## البيعة لل الخليفة بعصر ثم مقتله بالحديبة وغناة على يد التتر والبيعة للآخر الذي استقرت الخلافة في عقبه بعصر

لما قتل الخليفة عبد الله المستعصم ببغداد بقي رسم الخلافة الإسلامية عطلاً باقطار الأرض والظاهر متشرف إلى تمديده وعمارة دسته ووصل إلى مصر ستة تسع وخمسين عام المستعصم وهو أبو العباس أحمد بن الظاهر كان بقصورهم ببغداد وخلص يوم البيعة وأقام يتزدد في الأحياء إلى أن لحق بمصر فسر الظاهر بقدومه وركب للقائه ودعا الناس على طبقاتهم إلى أبواب السلطان بالقلعة وأفرد بالمجلس أديباً معه وحضر القاضي ناج الدين ابن بنت الأعز فحكم باتصال نسبة بالشجرة الكريمة بشهادة العرب الواضلين به والخدم الناجعين من قصورهم ثم بايع له الظاهر والناس على طبقاتهم وكتب إلى التراخي بأئذن البيعة والخطبة على المتأبر وتنقل اسمه في السكة ولقب المستنصر وأنشد هو حينذاك الملاً بتفريض الأمر للظاهر والخروج له عن العهد وكتب بذلك سجله وأنشأه فخر الدين بن لقمان كاتب الترسيل.

ثم ركب السلطان والناس كافة إلى خيمة بيت خارج المدينة فقرىء التقليد على الناس وخلع على أهل المراتب والخواصين ونادي السلطان بعظامه وإعادته إلى دار خلافته ثم خطب هذا

## انتقاض سنجار الحلبي بدمشق ثم أقوش البرلي بحلب

ولما بلغ علم الدين سنجار بدمشق مقتل قظر وولاية الظاهر بيرس انتقض ودعا لنفسه وجلس على التخت بدمشق وتلقب المحايد وخطب لنفسه وضرب السكة باسمه ومسك المتصور صاحب حمة بدعة الظاهر وجاءت عساكر التتر إلى الشام فلما شارفوا البيرة جرد إليهم السعيد بن لؤلؤ من حلب عسكراً فزمهم التتر وقتلتهم وأتتهم الأمراء العزيزية والناصرية ابن لؤلؤ في ذلك فاعتقلوه وقاموا عليهم حسام الدين الجوكندي وأقره الظاهر ورمح التتر إلى حلب فملكونها وهرب حسام الدين إلى حمة ثم زحف إليها التتر فلحق صاحبها المتصور وأخرجه على الأفضل إلى حص وبيها الأشرف بن شيركوه واجتمعوا إليه العزيزية والناصرية وقصدوا التتر ستة تسع وخمسين فهزموهم بعد هزمتهم ونازلوا حمة.

وسار المتصور والأشرف صاحب حص إلى سنجار الحلبي بدمشق ولم يدخل في طاعته لضعفه وسار التتر من حمة إلى أقامة فحاصروها يوماً وعبروا الفرات إلى بلادهم ويعث بيرس الظاهر صاحب مصر أستاذ علاء الدين البندقداري في العساكر لقتال سنجار الحلبي بدمشق وقاتلهم فهزموه ولجأ إلى التلة ثم خرج

الأعز كالأول وجعل الظاهر الناس على مراتبهم وبایع له وفرض إليه هو الأمور وخرج إليه عن التدبير وكانت هذه البيعة سنة ستين ونسبة عند العباسين في أدرج نسبهم الثابت أحمد بن أبي بكر علي بن أبي بكر بن أحمد بن الإمام المسترشد وعن نسابة مصر أحد بن حسن بن أبي بكر ابن الأمير أبي علي القمي ابن الأمير حسن ابن الإمام الرشيد ابن الإمام المسترشد هكذا قال صاحب حما في تاريخه وهو الذي استقرت الخلافة في عقبه بمصر لهذا العهد انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم.

### فرار التركمان من الشام إلى بلاد الروم

كان التركمان عند دخول التتر إلى بلاد الشام كلهم قد أجفلوا إلى الساحل واجتمعت أحيازهم بالجرkan قريباً من صفد وكان الظاهر لما نهض إلى الشام اعترضه رسول الإفرنج من يافا وبيروت وصفد يسألونه في الصالح على ما كان لعهد صلاح الدين فأجابهم وكتب به إلى الإمبردور ملكهم ببلاد إفريقيا وراء البحر فكانوا في ذمة من الظاهر وعهد ووّقعت بين الإفرنج بصفد وبين أحياه التركمان واقعة يقال: أغارت فيها أهل صفد عليهم فأوقع بهم التركمان وأسرّوا عدة من رؤسائهم وفادوهم بالمال ثم خسروا عاقبة ذلك من الظاهر فارتحلوا إلى بلاد الروم وأفقر الشام منهم والله تعالى ينصر من يشاء من عباده.

### انتصارات الأشرفية والعزيزية واستيلاء البرلي على البيري

كان هؤلاء العزيزية والأشرفية من أعظم جرع هؤلاء المواري وكان مقدم الأشرفية بهاء الدين بقري ومقدم العزيزية شمس الدين أقوش وكان المظفر قطز قد أقطعه نابلس وغزة وسواحل الشام ولما ولي الظاهر انتقض عليه سنجار الحلبي بدمشق وجهز أستاذه علاء الدين البندقداري في العساكر لقتاله وكان الأشرفية والعزيزية بحلب وقد انتقضوا على نائبه السعيد بن لوز كما مر فتقىم البندقداري باستدعائهم منه إلى دمشق ثم أضاف الظاهر بيسان للبرلي زيادة على ما يده فسار وملك دمشق ثم أوعز الظاهر إلى البندقداري بالقبض على العزيزية والأشرفية فلم يتمكن إلا من بقري مقدم الأشرفية وفارقه الباقون وانتقضوا واستولى شرف الدين البرلي على البيري وأقام بها وشن الغارات على التتر شرقي الفرات فتالم منهم ثم جهز عساكره إليه مع جمال الدين

ال الخليفة يوم الجمعة وخشع في منبره فأبكى الناس وصلى وانصرفوا إلى منازلهم ووصل على أثره الصالح إسماعيل بن لوز صاحب الموصل وأخوه إسحاق صاحب الجزيرة وقد كان أبوهما لوز استخدم هلاكو كما مر وأقره على الموصل وما إليها وتوفي سنة سبع وخمسين وقد ولـ ابنه إسماعيل على الموصل وابنه المجاهد على جزيرة ابن عمر وابنه السعيد على سنجار وأقرهم هلاكو على أعمالهم ولـ ابن السعيد بالناصر صاحب دمشق وسار معه إلى مصر وصار مع قطر وولـ حلـ كما مر ثم اعتقل.

ثم ارتـاب هلاـكو بالـأخـرين فـاجـفـلاـ وـلـقاـ بمـصرـ وـيـالـعـ الـظـاهـرـ فـي إـكـرـاهـهـ وـسـالـهـ فـي إـلـاطـقـ أـخـيـهـ الـعـتـقـلـ وـكـتبـ هـلـمـ بـالـوـلـاـيـةـ عـلـىـ أـعـمـالـهـ وـأـعـطـاهـ الـأـلـوـرـيـةـ وـشـرـعـ فـيـ تـجـهـيزـ الـخـلـيقـةـ وـرـتـبـ لـهـ الـرـوـظـافـ وـأـزـاحـ عـلـلـ الـجـمـيعـ يـقـالـ:ـ أـفـقـ فـيـ تـلـكـ النـوـيـةـ نـخـواـ مـنـ الـفـ الـفـ دـيـنـارـ ثـمـ سـارـ مـنـ مـصـرـ فـيـ شـوـالـ مـنـ السـنـةـ إـلـىـ دـمـشـقـ لـيـعـثـ مـنـ هـنـاكـ الـخـلـيقـةـ وـابـيـ لـوزـ إـلـىـ مـالـكـهـمـ وـوـصـلـ إـلـىـ دـمـشـقـ وـنـزـلـ بـالـقـلـعـةـ وـبـعـثـ يـلـيـانـ الرـشـيـدـيـ وـشـمـسـ الدـيـنـ سـنـقـرـ إـلـىـ الـفـرـاتـ وـصـمـ الـخـلـيقـةـ لـقـصـدـهـ وـفـارـقـهـمـ وـسـارـ الـصـالـحـ إـسـمـاعـيلـ وـأـخـوـاهـ إـلـىـ الـمـوـصـلـ وـبـلـغـ الـخـبـرـ إـلـىـ هـلاـكوـ فـجـرـدـ الـعـسـاـكـرـ إـلـىـ الـخـلـيقـةـ وـكـبـسـهـ بـغـانـةـ وـالـحـدـيـثـ فـصـابـرـهـمـ تـلـيـلـاـ ثـمـ اـشـتـهـدـ وـبـعـثـ الـعـسـاـكـرـ إـلـىـ الـمـوـصـلـ فـحـاصـرـوـهـاـ تـسـعـةـ شـهـرـ حـتـىـ جـهـدـهـمـ الـحـصارـ وـاسـتـلـمـواـ فـمـلـكـهـاـ التـتـرـ وـقـتـلـوـ الـصـالـحـ إـسـمـاعـيلـ وـالـظـاهـرـ خـلالـ ذـلـكـ مـقـبـمـ بـدـمـشـقـ.

وـقـدـ وـفـدـ عـلـيـهـ بـنـ أـبـيـ بـوـبـ مـنـ نـوـاحـيـ الشـامـ وـأـعـطـهـ طـاعـتـهـ:ـ الـمـنـصـورـ صـاحـبـ حـمـةـ وـالـأـشـرـفـ صـاحـبـ حـصـ فـاـكـرـ وـوـصـلـهـمـ وـوـلـاهـمـاـ عـلـىـ أـعـمـالـهـمـ وـأـذـنـهـمـ فـيـ اـخـاذـ الـآـلـةـ وـبـيـسـطـ حـكـمـهـمـ عـلـىـ بـلـادـ الـإـسـمـاعـيـلـيـةـ وـلـيـ الـمـنـصـورـ تـلـ باـشـرـ الـذـيـ اـعـنـاضـهـ عـنـ حـصـ مـلـاـ آـخـذـهـاـ مـنـ الـنـاـصـرـ صـاحـبـ حـلـ وـوـفـدـ عـلـىـ الـظـاهـرـ أـيـضاـ بـدـمـشـقـ الزـاهـدـ أـسـدـ الـدـيـنـ شـيرـكـوـهـ صـاحـبـ حـصـ وـصـاحـبـ بـلـبـلـ وـالـمـنـصـورـ وـالـسـعـيدـ اـبـنـ الـصـالـحـ إـسـمـاعـيلـ بـنـ العـادـلـ وـالـأـجـدـ بـنـ الـنـاـصـرـ دـاـوـدـ الـأـشـرـفـ بـنـ مـسـعـودـ وـالـظـاهـرـ بـنـ الـعـظـيمـ فـاـكـرـ وـفـادـهـمـ وـقـابـلـ بـالـإـحـسانـ وـالـقـبـولـ طـاعـتـهـمـ وـفـرـضـهـمـ لـهـ الـأـرـزـاقـ وـقـرـرـ الـجـرـاـيـاتـ ثـمـ قـفـلـ إـلـىـ مـصـرـ وـأـفـرـجـ عـنـ الـعـزـيزـ بـنـ الـمـغـيـثـ الـذـيـ كـانـ اـعـتـقـلـهـ قـطـرـ وـأـلـطـقـهـ يـوـمـ الـمـرـعـةـ بـالـكـرـكـ.

وـولـ عـلـىـ أـحـيـاءـ الـعـربـ بـالـشـامـ عـيـسـىـ بـنـ مـاـنـعـ بـنـ جـرـيـلةـ مـنـ رـجـالـهـمـ وـوـفـرـ لـهـمـ الـإـقـطـاعـ عـلـىـ حـفـظـ السـابـلـةـ إـلـىـ حـدـودـ الـعـرـاقـ وـرـجـعـ إـلـىـ مـصـرـ فـقـدـ عـلـيـهـ رـجـلـ مـنـ عـقـبـ الـمـسـرـشـدـ مـنـ خـلـفـاءـ بـنـ الـعـبـاسـ بـيـعـدـادـ اـسـمـهـ أـحـدـ فـائـتـ سـبـهـ بـنـ بـنـ

## هزيمة التتر على البيره وفتح قيسارية وأرسوف بعدها

ثم رجعت عساكر التتر إلى البيره مع ردماته من أمراء المغلز سنة ثلاثة وستين فحاصروها ونصبوا عليها المجانق فجهز السلطان العساكر مع لوغان من أمراء الترك فساروا في ربيع من السنة وسار السلطان في أثرهم وانتهى إلى غزة ولما وصلت العساكر إلى البيره وأشرفوا عليها العدو يحاصرها أجهلها عساكر التتر وساروا منهازيمين وخلفوا سوادهم وأنفاثهم فنهبتها العساكر وارتحل السلطان من غزة وقصد قيسارية وهي الإفرنج فنزل عليها عاشر جادى من السنة فنصب المجانق ودعا أهلها للحرب واقتحمها عليهم فهربوا إلى القلعة فحاصرها خسراً وملكتها عنوة وفر الإفرنج منها ثم رحل في خض من العساكر إلى عملها فشن عليها الغارة وسرح عسكراً إلى حيفا فملكتها عنوة وخربيها وقلعتها في يوم أو بعض يوم ثم ارتحل إلى أرسوف فنازلاها مستهل جادى الأخيرة فحاصرها وفتحها عنوة وأسر الإفرنج الذين بها وبعث بهم إلى الكرك وقسم أسوارها على الأمراء فرموها وعمد إلى ما ملك في هذه الغزاة من القرى والضياع والأرضين فقسمها على الأمراء الذين كانوا معه وكانت اثنين وخمسين وكتب لهم بذلك وقتل إلى مصر وبلغ الخبر بوفاة هلاكوه ملك التتر في ربيع من السنة وولادة ابنهagenta مكانه وما وقع بينه وبين بركة صاحب الشمال من الفتنة ولأول دخوله لمصر قبض على شمس الدين سنقر الرومي وحبسه وكانت الفتنة قبل غزاته بين عيسى بن مهنا ولحق زامل بعد ذلك بهلاكوه ثم استأمن إلى الظاهر فأمنه وعاد إلى إحياءه والله تعالى أعلم.

## غزو طرابلس وفتح صفد

كانت طرابلس للإفرنج وبها سمند بن البرنس الأشت وله معها أنطاكية وبلغ السلطان أنه قد تجهز للقتال فلقيه النائب بها علم الدين سنجر البأشور وانهزم المسلمين واستشهد كثير منهم فتجهز السلطان للغزو وسار من مصر في شعبان سنة أربع وستين وترك ابنه السعيد علياً بالقلعة في كفالة عز الدين أيدمي الخلي وقد كان عهد لابنه السعيد بالملك سنة اثنين وستين ولما انتهى إلى غزة بعث العساكر صحبة سيف الدين قلالوني أيدمي العزيزي فنازل القليعات وحلب وعرقا من حصنون طرابلس فاستأمنوا إليه وزحفت العساكر وسار السلطان إلى صفد فحاصرها عشرة أيام

بامو الحموي فهزمه وأطلقهم وأقام الظاهر على استماله بالترغيب والترهيب حتى جنح إلى الطاعة واستأذن في القديم وسار بكبس الفخري للقائه فلقيه بدمشق سنة إحدى وستين ثم وصل فواسعه السلطان بدأ وعطاء والواصلين معه على مراتبهم واختصه براكته ومشورته وسأله التزول عن البيره فنزل عنها فقبلها الظاهر وأعاضه عنها والله سبحانه وتعالى أعلم.

## استيلاء الظاهر على الكرك من يد المغيث وعلى حمص بعد وفاة صاحبها

لما قفل السلطان من الشام سنة ستين كما قدمناه جرد عسكراً إلى الشوبك مع بدر الدين أيدمي فملكتها وولى عليها بدر الدين بلبان الخصي ورجع إلى مصر وكان عند المغيث بالكرك جماعة من الأكراد الذين اجفلوا من شهرزور أم التتر إلى الشام وكان قد اخنهم جنداً لعسكرته فسرحهم للإغارة على الشوبك ونواجهه فاعتزم السلطان على الحركة إلى الكرك مخافة المغيث وبعث بالطاعة واستأمن الأكراد فقبدهم الظاهر وأمن الأكراد فوصلوا إليه ثم سار سنة إحدى وستين إلى الكرك واستخلف على مصر سنجر الخلي واستخلف على غزة فلقي هنالك أم المغيث تستعطفه وتستأمن منه لحضور ابنها فأجابها وسار إلى بisan فسار المغيث للقائه فلما وصل قبض عليه وبعده من حينه إلى القاهرة مع أفسنر الفارقاني وقتل بعد ذلك بمصر.

وولى على الكرك عز الدين أيدمي وأرسل نور الدين بيسري الشمسي ليؤمن أهل الكرك ويرتب الأمور بها وأقام بالطور في انتظاره فباشر بيسري القصد من ذلك ورجع إليه فارتحل إلى القدس وأمر بعمارة مسجده ورجع إلى مصر وبلغه وفاة صاحب حمص موسى الأشرف بن إبراهيم المنصور شيركوه المجاهد بن ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه وكانت وراثة له من آبائه أقطعه نور الدين العادل بخلده أسد الدين ولم تزل بآيديهم وأخذها الناصر يوسف صاحب حلب سنة ست وأربعين وعرضه عنها تل باشر وأعادها عليه هلاكوه وأقره الظاهر توفي سنة إحدى وستين وصارت للظاهر وانقرض منها ملك بني أيوب والله سبحانه وتعالى أعلم.

وكانت من أعظم القلاع وأحصنهما منها مربزان وربaban وقدم سقر الأشقر على الظاهر بدمشق وأصبح معه في المركب ولم يكن أحد علم بأمره وأعظم إلى السلطان التعمّة ورفع الرتبة ورعى له السابقة والصحبة وتوفي هيئوم سنة ستين بعدها والله تعالى ينصر من يشاء من عباده.

اتقتحمها عليهم في عشرين من رمضان السنة وجع الإفرنج الذين بها فاستلهمهم أجمعين وأنزل بها الحامية وفرض أرزاقهم في ديوان العطاء ورجع إلى دمشق والله تعالى أعلم.

### مسير العساكر لغزو الأرمن

#### مسير الظاهر لغزو حصنون الإفرنج بالشام وفتح يافا والشفيف ثم أنطاكية

كان الظاهر عندما رجع من غزوة طرابلس إلى مصر أمر بتجديد الجامع الأزهر وإقامة الخطبة به وكان معلمًا منها منذ مائة سنة وهو أول مسجد أنسه الشيعة بالقاهرة حين اخترطها ثم خرج إلى دمشق بخبر بلغه عن التتر لم يثبت فسار من هناك إلى صفد وكان أمر عند مسيرة بعامارتها وبلغه إغارة أهل الشفيف على الشغور فقصدها وشن الغارة على عكا واكتسب سلطتها حتى سال الإفرنج منه الصلح على ما يرضيه فشرط المقاومة في صيدا أو هدم الشفيف وإطلاق تجارت المسلمين كانوا أسرورهم وديمة بعض القتلى الذين أصابوا دمه وعقد الصلح لعشر سنين ولم يوفوا بما شرط عليهم فنهض لغزوهم ونزل فلسطين في جادى سنة ست وستين وسرح العساكر لمحارث الشفيف ثم بلغه مهلك صاحب يافا من الإفرنج وملك ابنه مكانه وجاءت رسالته إليه في طلب المادعة فحبسهم وبصبع البلد فاقتصرها وبلغ أهلها إلى القلعة فاستنزلهم بالأمان وهدمها.

وكان أول من اخترط مدينة يافا هذه صنكل من ملوك الإفرنج عند ما ملكوا سواحل الشام سنة ثلاث وستين وأربعين ثم مدنها وأتم عماراتها رد إفرنج الماسور على دمياط عندما خلص من محبسه بدار ابن لقمان ثم رجع إلى حصن الشفيف فحاصره وافتتحه بالأمان وبيت العساكر في نواحي طرابلس فاكتسحوها وخربوا عماراتها وكأنسها وبيادر صاحب طرطوس بطااعة السلطان وبعث إلى العساكر بالميرة وأطلق الأسرى الذين عنده ثلثمائة أو يزيدون ثم ارتمل السلطان إلى حصن وحمة يربد أنطاكية وقدم سيف الدين قلاوون في العساكر فنازل أنطاكية في شعبان فسار المنصور صاحب حمة وجامعة البحريه الذين كانوا بأحياء العرب في القرف.

وكان صاحب إنطاكية سمند بن تيمند وكانت قاعدة ملك الروم قبل الإسلام اخترطها إنطاكية من ملوك اليونانيين وإليه تنسب ثم صارت للروم ولملوكها المسلمين عند الفتح ثم ملوكها

هؤلاء الأرمن من ولد أخي إبراهيم عليه السلام من بي قوميل بن ناجور وناجور بن تارح وعبر عنه في التزيل بأزار وناجور آخر إبراهيم عليه السلام ويقال: إن الكرج إخوة الأرمن وأرميبيه منسوبة إليهم وأخر مواطنهم الدروب المجاورة لحلب وقادتها سيس ويلقب ملوكهم التكفور وكان ملوكهم صاحب هذه الدروب لعهد الملك الكامل وصلاح الدين من بعده اسمه قليج بن اليون واستتجده به العادل وأقطع له وكان يسكن معه وصالحه صلاح الدين على بلاده ثم كان ملوكهم لعهد هلاكو والتتر هيشوم بن قسطنطين ولعله من أعقاب قليج أو قرينته ولما ملك هلاكو العراق والشام دخل هيشوم في طاعته فأقره على سلطانه ثم أمره بالإغارة على بلاد الشام وأمده صاحب بلاد الروم من التتر.

وسار سنة اثنين وستين وستين ومعه بنو كلاب من أغرب حلب وانتهوا إلى سيس وجهز الظاهر عساكر حمة وحص فساروا إليهم وهزموا ورجعوا إلى بلادهم فلما رجع السلطان من غزوة طرابلس سنة أربع وستين سرح العساكر لغزو سيس وبلاد الأرمن وعليهم سيف الدين قلاوون والمنصور صاحب حمة فساروا لذلك وكان هيشوم ملوكهم قد ترهب ونصب للملك ابنه كيقوم فجتمع كيقوم الأرمن وسار للقتائهم ومعه أخوه وعمه وأخوه وأخوه بهم المسلمين قتلاً وأسرأً وقتل أخوه وعمه في جماعة من الأرمن واكتسحت عساكر المسلمين بلادهم واتقتحموا مدينة سيس وخربيوها ورجعوا وقد امتلأت أيديهم بالغنائم والسي وتقائهم الظاهر من دمشق عند قرارا فلما رأهم ازداد سروراً بما حصل لهم، وشكوا إليه هناك الرعية ما لحقتهم من عذوان الأحياء الرحالة وأنهم ينهبون موجودهم ويبعيون ما يتخطفونه منهم من الإفرنج بعكا فأمر باستباحهم وأصبحوا هنباً في أيدي العساكر بين القتل والأسر والسي ثم سار إلى مصر وأطلق كيقوم من ملك الأرمن وصالحه على بلده ولم يزل مقيناً إلى أن بعث أبوه في فدائه وينزل فيه الأموال والقلائع فأبى الظاهر من ذلك وشرط عليه خلاص الأماء الذين أخذهم هلاكو من سجن حلب وهم سقرا الأشقر وأصحابه بعث فيهم تكفور إلى هلاكو فبعث بهم إليه وبعث الظاهر بابنه متصرف شوال وسلم القلاع التي بذلت في فدائه

## استيلاء الظاهر على صهيون

كان صلاح الدين بن أيوب قد أقطعها يوم فتحها وهي سنة أربع وثمانين وخمسة لناصر الدين منكرس فلم تزل بيده إلى أن هلك وولي فيها بعده ابنه مظفر الدين عثمان وبعده ابنه سيف الدين بن عثمان واستبد الترك بمصر وبعث سيف الدين أخيه عماد الدين سنة ستين بالهدايا إلى الملك الظاهر يبرس قبلها وأحسن إليه ثم مات سيف الدين سنة تسع وستين وكان أوصى أولاده بالتزول للظهور عن صهيون فوفد ابناه سابق الدين وفخر الدين على السلطان بمصر فاكرمهمما واقطعهما وولي سابق الدين منها أميراً وولي على صهيون من قبله ولم يزل كذلك إلى أن غلب عليهما سقوط الأشرف عندما انتقض بدمشق أيام النصوص والله تعالى أعلم.

## نهوض الظاهر إلى الحج

ثم بلغ الظاهر أن أبي غني بن أبي سعد بن قنادة غلب عمه إدريس بن قنادة على مكة واستبدل بها وخطب للظاهر فكتب له بالإمارة على مكة واعترض على النهوض إلى الحج وتجهز لذلك سنة سبع وستين وأزاح علل أصحابه وشيع العساكر مع أفسر الفارقاني استاذ داره إلى دمشق وسار إلى الكرك موريانا بالصيد وانتهى إلى الشوبك ورحل منه لإحدى عشرة ليلة من ذي القعدة ومر بالمدينة التبوية على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم فاحرم من ميقاتها وقدم مكة لخمس من ذي الحجة وغسل الكعبة بيده وحمل لها الماء على كتفه وأباح لل المسلمين دخراها وأقام على بابها يأخذ بأيديهم ثم قضى حجه ومناسكه وولي نائباً على مكة شمس الدين مروان وأحسن إلى الأمير أبي غني وإلى صاحب بنبع وخليص وسائر شرفاء الحاجز وكتب إلى صاحب اليمين:

إني بمكة وقد وصلتها في سبع عشرة خطوة. ثم فصل من مكة ثالث عشر ذي الحجة فوصل المدينة على سبعة أيام ووصل إلى الكرك منتصف السنة ثم وصل دمشق غرة ثمان وستين وسار إلى زيارة القدس وقدم العساكر مع الأمير أقساطر إلى مصر وعاد من الزيارة فأدركتهم بتل العجول ووصل القلعة ثالث صفر من السنة والله تعالى أعلم.

الإفرنج عندما ساروا إلى ساحل الشام أعواهم التسعين والأربعين ثم استطردتها صلاح الدين من البرنس أرنات الذي قتله في واقعة حطين كما مر ثم ارتعشوا الإفرنج بعد ذلك على يد البرنس الأشر وأطلقه صتكل ثم صارت لابنه تيميد ثم لابنه سمند وكان عندما حاصرها الظاهر بطرابلس وكان بها كنداصطبعل عم يغتصب ملك الأرض أفلت من الواقعه عليه بالدرابيد واستقر بأنطاكية عند سمند فخرج في جموعه لقتال الظاهر فانهزم أصحابه وأسر كنداصطبعل على أن يحمل أهل أنطاكية على الطاعة فلم يوافقوه ثم جدهم المصار واقتصرها المسلمون عنوة وأنهروا فيهم ونجا فلهم إلى القلعة فاستنزلوا على الأمان وكتب الظاهر إلى ملكهم سمند وهو بطرابلس وأطلق كنداصطبعل وأقاربه إلى ملكهم هشيم بسيس ثم جمع الغنائم وقسمها وخرب قلعة إنطاكية وأضرمها ناراً واستأنم صاحب بغراس فبعث إليه سفير الفارقاني استاذ داره فملكها وأرسل صاحب عكا إلى الظاهر في الصلح وهو ابن اخت صاحب قبرس فقد له السلطان الصلح لعشرين ثم عاد إلى مصر فدخلها ثالث أيام التشريق من السنة والله تعالى أعلم.

## الصلح مع التتر

ثم نهض السلطان من مصر سنة سبع وستين لغزو الإفرنج بسواحل الشام وخلف على مصر عز الدين ايدمر الحلبي مع ابنه السعيد ولي عهده وانتهى إلى أرسوف فبلغه أن رسلاً جاءوا من عند ابغا بن هلاكر ومرروا بتفور ملك الروم فبعث بهم إلى فبعث أميراً من حلب لإحضارهم وقرأ كتاب ابنا نفور في الصلح ويعتذر فيما أذعه من رسالته فأعاد رسله بجرابهم وأذن للأمراء في الانطلاق إلى مصر ورجع إلى دمشق ثم سار منها في خف من العساكر إلى القلاع وبلغه وفاة ايدمر الحلبي بمصر فخيّم بحرية اللصوص وأخذ السير إلى مصر متذمراً متصف شعبان في خف من التركمان وقد طوى خبره عن معسكره وأوهمهم القعود في خيمته عليلاً ووصل إلى القلعة ليلة الثلاثاء رابعة سفره فتذكرة له الحراس وطروح مقدم الطواشية فطلب منهم أمارة على صدقهم فأعطوها ثم دخل فعرفوه ويأكل الميدان يوم الخميس فسر به الناس ثم قضى حاجة نفسه وخرج ليلة الاثنين عائداً إلى الشام كما جاء فوصل إلى خيمه ليلة الجمعة تاسع عشر شعبان وفرح الأمراء بقدومه ثم فرق البعض في الجهات وأغاروا على صور وملوكها إحدى الضياع وساحروا في بسيط كركو فاكتسحوها وامتلأت أيديهم بالغنائم ورجعوا والله تعالى أعلم.

## إغارة الإفرنج والتنز على حلب ونهوض السلطان إليهم

# استيلاء الظاهر على حصن الإسماعيلية

كان الإماماعية في حصنون من الشام قد ملكوها وهي مصياف والعليبة والكهف والميغة والقدموس وكان كبرهم لعهد الظاهر نجم الدين الشعراي وكان قد جعل له الظاهر ولايتها ثم تأخر عنلقائه في بعض الأوقات فعزله وولى عليها خادم الدين بن الرضا على أن يتزل له عن حصن مصياف وأرسل معه العساكر فسلموه منه ثم قدم عليه سنة ثمان وستين وهو على حصن الأكراد وكان نجم الدين الشعراي قد أحسن وهرم فاستعتب وأعتبه الظاهر وعطف عليه وقسم الولاية بينه وبين ابن الرضا وفرض عليهمما مائة وعشرين ألف درهم عمحملتها في كارستنة.

ولما راجع سنة تسع وستين وفتح حصن الأكراد مر محسن العلية من حصنهم فملكه من يد ابن الرضي منتصف شوال من السنة وأنزل به حامية ثم سار لقتال التتر على البيرية كما يذكر ورجع إلى مصر فوجد الإسماعيلية قد نزلوا على الحصن التي بقيت بأيديهم وسلموها لنواب الظاهر فملكونها وانتظمت قلاب الإسماعيلية في ملكة الظاهر وانقرضت منها دعوتهم والله سبحانه وتعالى أعلم.

حصار التتر البيري وهزيمتهم عليهما

ثم بعث ابغا بن هلاكو العساكر إلى البيره سنة إحدى  
وسبعين مع درباهي من مقامي أمرائه فحاصرها ونصب عليها  
الجاذبي وكان السلطان بدمشق فجمع العساكر من مصر والشام  
وزحف إلى الفرات وقد جهز العساكر على قاصيته فتقدم الأمير  
قلاؤون وخالط التر عليها في مخيèmeهم فجالوا معه ثم انهزموا وقتل  
مقدّهم وخاض السلطان بعساكره بحر الفرات إليهم فاجفلوا  
وتدركوا خيامهم بما فيها وخرج أهل البيره فنهبوا سوادهم وأحرقوا  
آلات الحصار ووقف السلطان بساحتها قليلاً وخلع على النائب  
بها ..... ولحق درباري بسلطانه ابغا مقلولاً فسخطه ولم يعتبه والله  
تعالى، واللهم فتؤتي

كان صungan من أمراء التتر مقيماً ببلاد الروم وأميرأً عليهما  
فوقعت المراسلة بينه وبين الإفرنج في الإغارة على بلاد الشام  
وجاء صungan في عسكره لموعدهم فاغار على أحياه العرب  
بنواحي حلب وبلغ الخبر إلى الظاهر سنة ثمان وستين وهو يتصدى  
بنواحي الإسكندرية فنهض من وقه إلى غزة ثم إلى دمشق ورجع  
التتر على أعقابهم ثم سار إلى عكا فاكتسح نواحيها وأثخن فيها  
و فعل كذلك بمحصن الأكراد ورجع إلى دمشق آخر رجب ثم إلى  
مصر ومر بعسقلان فخر بها وطمس آثارها وجاء الخبر بمصر بأن  
الفرنسيس لويس بن لويس وملك انكلترة وملك اسكتونا وملك  
نوردل وملك برشلونة وهو ريدراكون وجماعة ملوك الإفرنج جاؤوا  
في الأسطبل إلى صقلية وشرعوا في الاستكثار من الشوانى وألة  
الحرب لم يعرف وجه مذهبهم فاهتم الظاهر بحفظ التشور  
والسواحل واستكثر من الشوانى والراكب ثم جاء الخبر الصحيح  
بأنهم قاصدون تونس فكان من خبرهم ما ذكره في دولة السلطان  
بها من بني أبي حفص والله تعالى أعلم.

فتح حصن الأكراد وعكا وحصون صور

ثم سار السلطان ستة تسع وستين لغزو بلاد الإفرنج  
وسرح ابنه السعيد في العساكر إلى المرقب لنظر الأمير قلاوون  
وبعلبك الخزندار وسار هو إلى طرابلس فاكتسحوا سائر تلك  
النواحي وتراودوا لحصن الأكراد عاشر شعبان من السنة فحاصره  
السلطان عشرًا ثم اقتحمت أرياضه والمحجر الإفرنج في قلعته  
وأسأمنوا وخرجوا إلى بلادهم وملك الظاهر الحصون وكتب إلى  
صاحب الاستبار بالفتح وهو بطرطوس وأجاب بطلب الصلح  
فعقد له على طرسوس والمرقب وارتحل السلطان عن حصن  
الأكراد بعد أن شحنته بالأقواف والخاتمة ونازل حصن عكا وانشد  
في حصاره واستأ من أهلة إليه وملكه ثم ارتحل بعد الفطر إلى  
طرابلس وانشد في قتالها وسأل صاحبها البرنس الصلح فعقد له  
على ذلك لعشر سنين ورجع إلى دمشق ثم خرج آخر شوال إلى  
العليقة وملك قلعتها بالأمان على أن يترکوا الأموال والسلاح  
واستولى عليه وهدمه وسار إلى اللجون وبعث إليه صاحب صور  
في الصلح على أن ينزل له عن خمس من قلائله فعقد له الصلح  
لعاشر سنين وملكتها ثم كتب إلى نائبه يصر أن يجهز عشرة من

## غزوة سيس وتخربيها

### رحل متأقلاً.

وكتب إليه الأمراء بعده بأن الظاهر قد نهض إلى بلاد الروم يوصيته إليه بذلك فبعث إلى أبغا واستمدده فامده بعساكر المغل وأمره بالرجوع لمدافعة الظاهر فرجع واستحوذه للقدوم فسقط في أيديهم وحيل بينهم وبين مرآتهم ورجع إلى مصر في رجب من السنة وأقام بها حولاً.

ثم لقي توقو وتدوان أمير التتر ببلاد الروم وسار إلى التغور بالشام وبلغ السلطان خيرهما فسار من مصر في رمضان سنة خمس وسبعين وقصد بلاد الروم وانتهى إلى النهر الأزرق فبعث شمس الدين سفر الأشرف فلقي مقدمه التتر فهزمه.

ورجع إلى السلطان وساروا جيأً فلقوا التتر على البلشين ومعهم علاء الدين البروانة في عساكره فهزمه وقتل الأمير توقو وتدوان وفر البروانة وسلطانه كنخسرو لما كان منفرداً عنهم وأسر كثير من المغل منهم سلار بن طغرل ومنهم قعجاق وجحاورصي وأسر علاء الدين بن معن الدين البروانة وقتل كثيراً منهم ثم رحل السلطان إلى قيسارية فملكتها وأقام عليها يتظر البروانة لموعد كان بينهما وأبطأ عليه وقتل راجعاً ورجع خبر المزية إلى أبغا ملك التتر واطلع من بعض عيونه على ما كان بين البروانة والظاهر من المداخلة فتذكر للبروانة وجاء لوقته حتى وقف على موضع المعركة وارتباك لكثرة القتلى من المغل وأن عسكر الروم لم يصب منهم أحد فرجع على بلادهم بالقتل والتخييب والاكتساح وامتنع كثير من القلاع ثم أمنهم ورجع وسار معه البروانة وهو يقتله أولاً ثم رجع لتخلية لحفظ البلاد فأغاروا نساء القتلى من المغل عند بيته فرحم يكاهن ويعث أميراً من المغل فقتله في بعض الطريق والله سبحانه وتعالى أعلم بغيته وأحكامه.

## وفاة الظاهر وولاته ابنه السعيد

ولما رجع السلطان من واقعته بالتر على البلشين وقيسارية طرقه المرض في حرم سنة ست وسبعين وهلك من آخره وكان يليل الخازنadar مستولياً على دولته فكتبه موتة ودفنه ورجع بالعساكر إلى مصر فلما وصل القلعة جمع الناس وبايع لبركة بن الملك الظاهر ولقبه السعيد وهلك يليل إثر ذلك فقام بتدبير الدولة أستاذ داره شمس الدين الفارقاني وكان نائب مصر أيام مثيب الظاهر بالشام واستقامت أمره ثم قبض على شمس الدين سفر الأشرف وبدر الدين يسري من أمراء الظاهر بسعادة بطانته

ثم نهض الظاهر من مصر لغزو سيس في شعبان سنة ثلاث وسبعين وانتهى إلى دمشق في رمضان وسار منها وعلى مقدمته الأمير قلاون وبدر الدين يليل الخازنadar فوصلوا إلى المصيصة واقتحوها عنوة وجاء السلطان على أثرهم وسار بجميع العساكر إلى سيس بعد أن كتف الحامية بالبيرة خوفاً عليها من التتر ويعث حسام الدين العتني ومهنا بن عيسى أمير العرب بالشام للإغارة على بلاد التتر من ناحيتها وسار إلى سيس فخبرها وبث السرايا في نواحيها فانتهوا إلى بانيس وأذنة واكتسحوا سائر الجهات ووصل إلى دربند الروم وعاد إلى المصيصة في التعبية فأحرقها ثم انتهى إلى إنطاكية فاقام عليها حتى قسم الغنائم ثم رحل إلى القصر وكان للأقربيخ خالصاً لبركم به إذ أمر ببنائه رئيسهم برومته الذي يسمونه البابا فافتتحه ولقبه هنالك حسام الدين العتني ومهنا بن عيسى راجعين من إغاثتهم وراء الفرات ثم بلغه مهلك البرنس سمند بن تيمند صاحب طرابلس فبعث الظاهر يليان الدوادر ليقرر الصلح مع بنيه فقرره على عشرين ألف دينار وعشرين أميراً كل سنة وحضر لذلك صاحب قبرس وكان جاء معزياً لبني البرنس ورجع الدوادر إلى الظاهر ففضل إلى دمشق متصرف ذي الحجة والله تعالى ينصر من يشاء من عباده.

## إيقاع الظاهر بالتر في بلاد الروم ومقتل البروانة بمدخلته في ذلك

كان علاء الدين البروانة متغلباً على غيث الدين كنخسرو صاحب بلاد الروم من بي قلبيج أرسلان وقد غالب التتر على جميع مالك بلاد الروم وأبقوه على كنخسرو اسم الملك في كمالية البروانة وأقاموا أميراً من أمرائهم ومعه عسكر التتر حامية بالبلاد ويسمونه بالشحنة وكان أول أمير من التتر ببلاد الروم يكوه وهو الذي افتحها وبعده صمعان وبعده توقو وتدوان شريكيين في أمرهما لعهد الملك الظاهر وكان البروانة يتألف من التتر لاستطاعتهم عليه وسوء ملوكهم ولما استفحلا أمر الظاهر بمصر والشام أمل البروانة الظهور على التتر والكرة لبني قلبيج أرسلان بمياله الظاهر فدخلته في ذلك وكانته وزحف أبغا ملك التتر إلى البيرة سنة أربعين وسبعين وخرج الظاهر بالعساكر من دمشق وكانته البروانة يستدعيه وأقام الظاهر على حصن وأرسل إليه البروانة يستحثه لقاء التتر وعزز أبغا على البروانة في الرصو فاعتذر ثم

منصوفهم من دمشق سار في بقية العساكر واستفر الأعراب وبث العطاء وانهى إلى غزة ففرقته عن الأعراب واتبعهم الناس ثم انتهى إلى بليس ورأى قلة العساكر فرد عن الشام مع عز الدين ايدمر الظاهري إلى دمشق والنائب بها يومئذ أتوش قبض عليه وبعث به إلى الأمراء بمصر ولما رحل السعيد من بليس إلى القلعة اعتزل عنه ستر الأشرف وسار الأمراء في العساكر لاعتراضه دون القلعة والتي الله عليه حجاباً من الغيم المراكمة فلم يهتدوا إلى طريقه وخالص إلى القلعة وأطلق علم الدين سنجر الحنفي من محبه ليسعن به.

ثم اختلف عليه بطاته وفارقه بعضهم فرجع إلى مصانعة الأمراء بأن يترك لهم الشام أجمع فأبرا إلا جبهة فسألهم أن يعطوه الكرك فأجابوه وحلفهم على الأمان وحلف لهم أن لا يتضمن عليهم ولا يدخل أحداً من العساكر ولا يستميله فبعثوه من حينه إلى الكرك وكتبوا إلى النائب بها علاء الدين ايدمر الفخري أن يكتنه منها وفعل واستمر السعيد بالكرك وقام بدولته ايدمر الفخري واجتمع الأمراء بمصر وعرضوا الملك على الأمير قلاوون وكان أحق به فلم يقبل وأشار إلى شلامش بن الظاهر وهو ابن ثمانين فنصبوه للملك في ربيع سنة ثمان وسبعين ولقبه بدر الدين.

ولم يكتب الملك على أتابك الجيوش ويعت مكان جمال الدين أتوش نائب دمشق بتسلمه منه وسار أتوش إلى حلب نائباً وول قلاوون في الوزارة برهان الحصري السنحاري وجع الماليك الصالحي ووفر إقطاعاتهم وعمر بهم مراتب الدولة وأبعد الظاهرية وأودعهم السجون ومنع الفساد ولم يقطع عنهم رزقاً إلى أن بلغ العقاب فيهم أجله فأطلقهم تباعاً واستقام أمره والله تعالى أعلم.

### خلع شلامش وولاية المنصور قلاوون

أصل هذا السلطان قلاوون من القنجاق ثم من قبيلة منهم يعرفون برج أعلى وقد مر ذكرهم وكان مولى لعلاء الدين أقسم التركالي موالى الصالح نجم الدين أيوب فلما مات علاء الدين صار من موالي الصالح وكان من نفريتهم واستقامتهم ما قدمناه ثم قدم إلى مصر في دولة المظفر قطز مع الظاهر بيبرس ولما ملك الظاهر قربه واختصه وأظهر إليه ثم بايع لابنه السعيد من بعده.

ولما استوحش الأمراء من السعيد وخلموه رغبوا من الأمير قلاوون في الولاية عليهم كما قدمناه ونصب أخاه شلامش بن الظاهر فوافقه الأمراء على ذلك طوعاً له واتصلت رغبتهما في

الذين جمعهم عليه لأول ولايته وكانتوا من أوغاد الموالي وكان يرجع إليهم لمساعدتهم له على هواه وصارت شبيته ولما قبض على هذين الأميرين تذكر ذلك عليه خاله محمد بن بركة خان فاعتقله معهما فاستوحشت أمه لذلك فأطلق الجميع فاراتب النساء وأجعوا على معايتها فاستعبد واستحلفوه ثم أغراه بطاته بشمس الدين الفارقاني مدبر دولته فقبض عليه واعتقله وهلك لأيام من اعتقاله وولى مكانه شمس الدين ستر الأشرف ثم سعى أولئك البطانة به فعزله وولى مكانه سيف الدولة كونك الساقي صهر الأمير سيف الدين قلاوون على أخت زوجته بنت كرسون كان أبوها من أمراء التتر قد خرج إلى الظاهر واستقر عنده وزوج بنته من الأمير قلاوون وبنته الأخرى من كوزبك ثم حضر عند السعيد لاثنين الربعي من حاشيته وغلب على هرارة واستمال أهل الدولة بقضاء حاجاتهم واستمر معروفة لهم واستمر الحال على ذلك والله سبحانه وتعالى أعلم.

### خلع السعيد وولاية أخيه شلامس

ولما استقر السعيد بملكه في مصر أجمع المسير إلى الشام للنظر في مصالحة فسار بذلك سنة سبع وسبعين فاستقر بدمشق ويعت العساكر إلى الجهات وسار قلاوون الصالحي وبدر الدين بسرى إلى سيس زين له ذلك لاشين الربعي والبطانة الذين معه وأغروه بالقبض عليهم عند مر جعهم ثم حدث بين هؤلاء البطانة وبين النائب سيف الدين كونك وحشة وأسفوه مما يلقون فيه عند السلطان فقضى بذلك وسار العساكر فأغاروا على سيس واكتسحوا نواحيها ورجعوا فلقيهم النائب كونك وأسره إليهم ما أضمر لهم السلطان فخيموا بالمرج وقعدوا عن لقاء السلطان ويعثوا إليه بالعذل في بطاته وأن ينصف نائبه منهم فأعرض عنهم ودس لموالي إليه أن يعادوهم إليه فأطلقوا عليهم على كتابه فزادهم ضفتاً وصرحوها بالانتقام فبدعوا فردوهم فبعث أمه بنت بركة خان فلم يقبلوها وارتعلوا إلى القاهرة فوصلوها في حرم سنة ثمان وسبعين وبالقلعة عن الدين أيوب الأفروم الصالحي أمير جندار وعلاء الدين اقطوان الساقي وسيف الدين بليان أستاذ داره فضيبلوا أبواب القاهرة ومنعوهم من الدخول.

وترددت المراسة بينهم وخرج أيوب الأفروم وأقطوان ولاشين التركمانى للحديث فقضوا عليهم ودخلوا إلى بيتهما ثم باكروا القلعة بالحصار ومنعوا عنها الماء وكان السعيد بعد

### انتفاض سقر الأشرف بدمشق هزيمته ثم

امتناعه بصفويون

كان شمس الدين سقر الأشرف لما استقر في نياية دمشق أجمع الانتفاض والاستبداد وتسليم القلاع من الظاهرية وولى فيها وطالب المنصور قلاوون دخول الشام بأسرها من العريش إلى الفرات في ولايته وزعم أنه عاذه على ذلك وولى السلطان على قلعة دمشق مولاً حسام الدين لاشين الصغير سلحداراً في ذي الحجة سنة ثمان وسبعين فذكر سقر وانتقض ودعا لنفسه ثم بلغه خبر قلاوون وجلوسه على التخت فدعا الأباء وأشاع أن قلاوون قتل واستحلفهم على م渝نه وحيث من امتنع من اليمين وتلقب الكامل وذلك في ذي الحجة من السنة وبقض على لاشين نائب القلعة وجهز سيف الدين إلى المالك الشامية والقلاع للاستخلاف وولى في وزارة الشام مجد الدين إسماعيل بن كسيرات وسكن سقر بالقلعة.

ثم بعث السلطان أليك الأفروم بالعساكر إلى الكرك لما توفى السعيد صاحبها واتهى إلى غزة واجتمع إليه بليليك الإيدمرى منقلباً من الشوبك بعد فتحه فحضرهم سقر الأشرف وحاطب الأفروم يتجنى على السلطان بأنه لم يفرده بولاية الشام وولى في قلعة دمشق وفي حلب وبعث الأفروم بالكتاب إلى السلطان قلاوون فاجابه وتقديره أن يكتبه بالعزل فيما فعله وارتكه فلم يرجع عن شأنه وجمع العساكر من عمارات الشام واحتشد العربان وبعثهم مع قراستقر القرى إلى غزة فلقيهم الأفروم وأصحابه وهزموهم وأسروا جماعة من أمرائهم وبعشوا بهم إلى السلطان قلاوون فأطلقهم وخلع عليهم.

ولما وصلت العساكر مقلولة إلى دمشق عسكر سقر الأشرف بالمرج وكاتب الأمراء بغزة يستميلهم وبعث السلطان العساكر بمصر مع علم الدين سنجار لاشين المنصوري ويدر الدين بكشاش الفخرى السلحدار فساروا إلى دمشق فلقيتهم الأشرف على الجسر بالكسرة هزموه في صفر سنة تسع وسبعين وتقديروا إلى دمشق فملكونها وأطلق علم الدين سنجار لاشين المنصوري من الاعتقال وولاة نياية دمشق وولى على القلعة سيف الدين سنجار المنصوري وكتب إلى السلطان بالفتح وسار سقر إلى الرحبة فامتنع عليه نائبه فسار إلى عيسى بن مهنا ورجع عنه إلى الفل وكاتبوا بغا ملك التتر واستحوذه على الملك الشام يستميلونه فلم يجرب وبعث إليه العساكر فأجلفوه إلى صفويون وملكها سقر وملك معها شيزر.

ولايته مدة شهرين حتى أجاهم إلى ذلك فبایعوه في جادى سنة ثمان وسبعين فقام بالأمر ورفع كثيراً من المكروس والظلamas وقسم الوظائف بين الأماء وولى جماعة من ماليكه إمرة الألوف وزادهم في الاقطاعات وأخرج لوقته عن عز الدين أليك الأنروم الصالحي وولاه نايا بمصر ثم استبقاءه فأعفاه وولى ملوكه حسام الدين طرنطاي مكانه وملوكه علم الدين سنجار الشجاعي رئاسة الدواوين وأقر الصاحب برهان الدين السنجاري في الوزارة ثم عزله بفخر الدين إبراهيم بن لقمان وبعث عز الدين إيدمر الظاهري الذي كان اعتقله جمال الدين أقوش حين رجع بعساكر الشام عن السعيد بن الظاهر من بليس فجيء به مقيداً واعتقله والله تعالى ولي التوفيق.

### النفاض السعيد بن الظاهر بالكرك ووفاته وولادة أخيه خسرو مكانه

ولما ملك السلطان قلاوون شرع السعيد بالكرك وكانت الأمراء بمصر والشام في الانتفاض وخطبه السلطان بالعتاب على نقض المهد فلم يستحب وبعث عساكره مع حسام الدين لاشين الجامدار إلى الشوبك فاستولى عليها فيبعث السلطان نور الدين بليليك الإيدمرى في العساكر فارتدوا في ذي القعدة سنة ثمان وسبعين وقارن ذلك وفاة السعيد بالكرك واجتمع الأمراء الذين بها وقدمهم نائبه إيدركين الفخرى وقال إيدركين: إن نائبه كان إيدغرى الحراني فنصبوا أخيه خسرو ولقبوه المسعود نجم الدين واستولوا على ولائي على رأيه وأفاضوا المال من غير تقدير ولا حساب حتى انفروا ما كان بالكرك من الذخيرة التي ادخرها الملك الظاهر وبعض أمراء الشام في الخلاف.

ويعنوا العساكر فاستولوا على الصليب وحاصروا صرخد فامتنعت وكاتبوا سقر المظاهر على الخلاف فبعث السلطان أليك الأفروم في العساكر لحصار الكرك فحاصرها وضيق عليها ثم سال المسعود في الصلح على ما كان الناصر داود بن المعلم فاجابه السلطان قلاوون وعقد له ذلك ثم انتقض ثانية وزرع عنه نائبه علاء الدين إيدغرى الحراني ونزع عنه إلى السلطان فصدق ما نقل عنه من ذلك ثم بعث السلطان سنة خمس وثمانين نائبه حسام الدين طرنطاي في العساكر لحصار الكرك فحاصروها واستنزل المسعود وأخاه شلامش منها على الأسان وملكتها وجاه بهما إلى السلطان قلاوون فاكترمهما وخلطهما بولده إلى أن توفى فغرّ بهما الأشرف إلى القسطنطينية.

وعلى قلاع الإسماعيلية وعلى جميع البلاد المستجدة الفتح وما سيفتحه على أن يسكن عمال المسلمين باللادقية وأن لا يستجدوا أسير قلعة ولا غيرها ولا يدخلوا التتر في فتنة ولا يمروا عليهم إلى بلاد المسلمين إن أطاقوا ذلك وعقد معهم ذلك لإحدى عشرة سنة.

وبعث السلطان من أمرائه من يستخلف الإفرينج على ذلك ويبلغ الخبر بأن جماعة من أمرائه أجعوا الفتك به وداخلوا الإفرينج في ذلك وكان كبارهم كوندك فلما وصل إلى بيسان قبض عليه وعليهم وقتلهم واستراب من داخلهم في ذلك ولحقوا بسفر في صهيون ودخل السلطان دمشق وبعث العساكر لحصار شيزر ثم ترددت الرسل بينه وبين الأشقر في الصلح على أن ينزل عن شيزر ويتموضع عنها بالشعر وبكاس وعلى أن يقتصر في حامية الحصون التي لقطره على ستمائة من الفرسان فقط ويطرد عنه الأمراء الذين لحقوا به فتم الصلح على ذلك وكتب له التقليد بتلك الأعمال ورجع من عنده سنجار الدوادار فأحسن إليه السلطان وولى على نيابة شيزر يليان الطباخى وكان بنو الظاهر بالكرك يسألون السلطان في الصلح بزيادة على الكرك كما كان السلطان داود فلما تم الصلح مع سفر رجعوا إلى القنسوع بالكرك وبعث إليهم السلطان بأغاربهم من القاهرة وأتم لهم العقد على ذلك وبعث الأمير سلحدار والقاضي تاج الدين بن الأثير لاستخلافهم والله تعالى أعلم.

### واقعة التتر بمحصن ومهلك ابغا سلطانهم بأثرها

ثم زحف التتر سنة ثمانين إلى الشام من كل ناحية متظاهرين فسار ابغا في عساكر المغل وجحور التتر وانتهى إلى الرحبة فحاصرها ومعه صاحب مارددين وقدم آخره منكوتغر في العساكر إلى الشام وجاء صاحب الشمال منكوتغر من بني دوشى خان من كرسיהם بصرابي مظاهراً لأبغا بن هلاكوه على الشام فمر بالقدسية ثم نزل بين قيسارية وتقلس ثم سار إلى منكوتغر بن هلاكوه وتقى معه إلى الشام وخرج السلطان من دمشق في عساكر المسلمين وسابقهم إلى حصص ولقيه هناك ستر الأشقر فيما من أمراء الظاهرية وزحف التتر ومن معهم من عساكر الروم والإفرينج والأرمن والكرج ثمانون ألفاً أو يزيدون والتقوى الفريقان على حصص.

وجعل السلطان في ميمنته صاحب حمة محمد بن المظفر

وبعث السلطان العساكر لحصار شيزر مع عز الدين الأفروم فحاصرها و جاءت الأخبار بزحف ابغا ملك التتر إلى الشام في مواعدة سفر ابن منها واستدعى صغار صاحب بلاد الروم فيما معه من المغل وأنه بعث ييدو ابن أخيه طرخان صاحب مارددين وصاحب سيس من ناحية أذربيجان وجاء هو على طريق الشام وفي مقدمته آخره منكوتغر فلما تواترت الأخبار بذلك أفرج الأفروم عن حصار شيزر ودعا الأشقر إلى مدافعة عدو المسلمين فأجابه ورفع عن موالة ابغا وسار من صهيون للجتماع بعساكر المسلمين.

وجع السلطان العساcker بمصر وسار إلى الشام واستخلف على مصر ابنه أبي الفتح علياً بعد أن ولأ عهده وقرأ كتابه بذلك على الناس وخرج جمع العساكر في جمادي سنة تسع وسبعين وانتهى إلى غزة ووصل التتر إلى حلب وقد أفلج عنها أهلها وأفقرت منازلها فأضروا الناس في بيوتها ومساجدها وتولى كبر ذلك صاحب سيس والأرمن وبلغهم وصول السلطان إلى غزة فأجلقوا راجعين إلى بلادهم وعاد السلطان إلى مصر بعد أن جرد العساكر إلى حصص وبلاد السواحل بحمايتها من الإفرينج ورجع ستر الأشقر إلى صهيون وفارقه كثير من عسكره فلحقوا بالشام وأقام معه سنجار الدوادار وعز الدين أردين والأمراء الذين مكثوا من قلاع الشام عند انتقامه والله سبحانه وتعالى أعلم.

### مسير السلطان لحصار المرقب ثم الصلح معهم ومع ستر الأشقر بصهيون ومع بني الظاهر بالكرك

كان الإفرينج الذين محصن المرقب عندما بلغتهم هجوم التتر على الشام شنوا الغارات في بلاد المسلمين من سائر التواحي فلما رجع التتر عن الشام استأنده يليان الطباخى صاحب حصون الأكراد في غزوهם وسار إليهم في حامية الحصون بتوابيه وجع التركمان وبلغ الحصن المرقب ووقف أسفله واستطرد له أهل الحصن حتى تورط في أروعار الجبل ثم هجموا عليه دفعة فانهزم ونالوا من المسلمين وبلغ الخبر إلى السلطان فخرج من مصر لغزوهم آخر سنة تسع وسبعين واستخلف ابنه مكانه وانتهى إلى الروحاء فوصله هنالك رسل الإفرينج في تحرير المدنة مع أهل المرقب على أن يطلقوا من أسره من المسلمين في واقعة يليان فقد لم في المحرم سنة ثمانين وعقد لصاحب بيت الاستبار وابنه ولصاحب طربلس سمند بن تيمند ولصاحب عكا على بلادهم

الروم وقطب الدين عمود الشيرازي قاضي سيواس وشمس الدين محمد بن الصاحب من حاشية صاحب ماردين وكان كتابه مؤرخاً بجمادى سنة إحدى وثمانين وحلوا على الكرامة وأجيب سلطانهم بما يناسبه ثم وصل رسول قودان بن طقان التولى بكري الشمال بعد أخيه منكور سنة اثنين وثمانين بخبر ولاته ودخوله في دين الإسلام ويطلب تقليد الخليفة واللقب منه والراية للجهاد فيما يليه من الكفار فأسعف بذلك والله سبحانه وتعالى أعلم.

### استيلاء السلطان قلاوون على الكرك

#### وعلى صهيون ووفاة صاحب حماة

ثم توفي المنصور محمد بن المظفر صاحب حماة في شوال سنة اثنين وثمانين وهي السلطان ابنه المظفر وبعث بالخلع له والأقاربه وسار السلطان قلاوون إلى الشام في ربیع سنة ثلاث وثمانين لمحاصرة المرقب بما فعلوه من مجازاة العدو فحاصره حتى استأمنوا إليه وملك الحصن من أيديهم وانتظر وصول ستر الأشرف من صهيون فلم يصل فرجع إلى مصر وجهز النائب حسام الدين طرططي في العساكر لحصار الكرك بما وقع من شلامش وخسرو من الانتقاد فسار سنة خمس وثمانين وحاصرهم حتى استأمنوا وجاء بهم إلى السلطان فركب لقائهم وبالغ في إكرامهم ثم ساءت سيرتهم فاستراب بهم واعتقلاهم وغربهم إلى القسطنطينية وول على الكرك عن الدين المنصور ويعده يبرس الدويدار مؤلف أخبار الترك ثم جهز السلطان ثانية النائب طرططي بالعساكر لحصار الترك ستر الأشرف بصهيون لانتقاده وإغارتة على بلاد السلطان فسار لذلك سنة ست وثمانين وحاصره حتى استأمن هو ومن معه وجاء به إلى السلطان وأنزله بالقلعة ولم ينزل عنده إلى أن هلك السلطان فقبض عليه وتولى ابنه الأشرف من بعده كما نذكره إن شاء الله تعالى.

### وفاة ميخائيل ملك القسطنطينية

قد تقدم لنا كيف تقلب الإفرنج على القسطنطينية من يد الروم سنة ستمائة وكان ميخائيل هذا من بطارقهم أقام في بعض الحصون بناوحيها فلما أمكنته الفرصة بيتها وقتل من كان بها من الإفرنج وفر الباقرون في مراكبهم واجتمع الروم إلى ميخائيل هذا وملكته عليهم وقت الملك الذي قبله وكان بينه وبين صاحب

ونائب دمشق لاشين السلاحدار وعيسى بن مهنا فيمن إليه من العرب وفي الميسرة ستر الأشرف في الظاهرية مع جموع التركمان ومن إليهم جماعة من أمرائه وفي القلب نائب حسام الدين طرططي والحاچب ركن الدين إياحي وجمهور العساكر والممالئك ووقف السلطان تحت الريات في مواليه وحاشيته ووقفت عساكر التر كراديس وذلك متصرف رجب سنة ثمانين واقتتلوا ونزل الصبر ثم انقضت ميسرة المسلمين واتبعهم التتر وانقضت ميسرة التر ورجعوا على ملتهم منكوراً في القلب فانهزم ورجع التتر من اتباع ميسرة المسلمين فمروا بالسلطان وهو ثابت في مقامه لم يبرح ورجع أهل الميرة.

ونزل السلطان في خيامه ورحل من الغد في اتباع العدو وأوزع إلى الحصون التي في ناحية الفرات باعتراضهم على المقابر فعدلوا عنها وخارضوا الفرات في المحايل ففرقوا ومر بعضهم ببر سلمية فهلكوا وانتهى المخبر إلى أبغا وهو على الرحبة فأجلف إلى بغداد وصرف السلطان العساكر إلى أماكنهم وسار ستر الأشرف إلى مكانه بصهيون وتختلف عنه كثير من الظاهرية عند السلطان عاد السلطان إلى دمشق ثم إلى مصر آخر شعبان من السنة فبلغ الخبر بهلك منكور بن هلاكو بهمنان ومنكور صاحب الشمال بصرياي فكان ذلك تماماً للفتح.

ثم هلك أبغا بن هلاكو سنة إحدى وثمانين وكان سبب مهلكه فيما يقال أنه اتهم شمس الدين الجريض وزيره باغتيال أخيه منكور منصرفه من واقعة حمص قبض عليه واحتده واستصفاه فدس له الجوني من سمه ومات وكان أبغا اتهم باغتيله أيضاً أميراً من المغلل كان شحنة بالجلزيرية فقر منها وأقام مشركاً وبعث السلطان قلاوون بعثاً إلى ناحية الموصل للإغارة عليها وانهوا إلى سنجار فصادفوا هذا الأمير وجاؤوا به إلى السلطان فحبسه ثم أطلقه وأثبت اسمه في الديوان وكان يحدث بكثير من أخبار التتر وكتب بعضها عنه.

وبعث السلطان في هذه السنة بعثاً آخر إلى نواحي سيس من بلاد الروم جزاء بما كان من الأرمن في حلب ومساجدها فاكتسحوا تلك التواحي ولقيهم بعض أمراء التر بمكان هناك فهزموه ووصلوا إلى جبال بلغار ورجعوا غائبين وبعث السلطان شمس الدين قراسنتر المنصور إلى حلب لإصلاح ما خرب التر من قلعتها وجماعتها فأعاد ذلك إلى أحسن ما كان عليه.

ثم أسلم ملوك التتر بعث أولًا بذدار بن هلاكو صاحب العراق بإسلامه وأنه تسمى أحد وجاءت رسالته بذلك إلى السلطان وهو شمس الدين أتابك ومسعود بن كيكاووس صاحب بلاد

ومات ملك التوبة بأسوان ودفن بها وجاء نابه صريخاً إلى السلطان فبعث معه داود ابن أخي مرتشكين الذي كان أسيراً بالقلعة وتقدم جريس بين يدي العساكر فهرب بيتمامون وامتنع بجزيرة وسط النيل على خمس عشرة مرحلة وراء دنقلة ووقف العساكر على ساحل البحر وتعدى وصول المراكب إلى الجزيرة من كثرة الحجر وخرج بيتمامون منها فلتحق بالأبواب ورجع عنه أصحابه ورجعت العساكر إلى دنقلة فملكوا داود ورجعوا إلى مصر سنة تسع وثمانين لستة أشهر من مسيرهم، بعد أن تركوا أميراً منهم مع الملك داود، ورجعوا إلى مصر ورجع بيتمامون إلى دنقلة وقتل داود وبعث الأمير الذي كان معهم إلى السلطان وحمله رغبة في الصلح على أن يؤذى الضريبة المعلومة فاسعف لذلك واستقر في ملوكه انتهى والله تعالى أعلم.

### فتح طرابلس

كان الإفرنج الذين بها قد تقضوا الصلح وأغاروا على الجهات فاستقر السلطان العساكر من مصر والشام وأزاح علهم وجهز آلات الحصار وسار إليها في محرم سنة تمان وثمانين فحاصرها ونصب عليها الجانين وقتها عنة لأربعة وثلاثين يوماً من حصارها واستباحها وركب بعضهم الشوانى للتجاة فردمهم الريح إلى السواحل فقتلوا وأسرموا وأمر السلطان بتخربيها وأحرقت وفتح السلطان ما إليها من المحسون والمعاقل وأنزل حاميتها وعاملها بمحسن الأكراد ثم اتى حصن آخر لترك النائب والخامية في العمل وسمى باسم المدينة وهو الموجود لهذا العهد وكان من خبر هذه المدينة من لدن الفتاح أن معاوية أيام ولايته الشام لعهد عثمان بن عفان رضي الله عنه بعث إليها سفيان بن خنف الأزدي فحاصرها وبنى عليها حصنًا حتى جهد أهلها الحصار وهربوا منها في البحر وكتب سفيان إلى معاوية بالفتح وكان بعث العساكر كل سنة للمراقبة بها.

ثم جاء إلى عبد الملك بن مروان بطريق من الروم وساله في عمارتها والتزول بها جمماً على أن يعطيه الخراج فاجابه وأقام قليلاً ثم غدر بن عنده من المسلمين وذهب إلى بلاد الروم فتحطفته شوانى المسلمين في البحر وقتله عبد الملك ويقال: الويله ولملكتها المسلمين ويقي الولاية يملكونها من دمشق إلى أن جاءت دولة العبيدين فأفردوها بالولاية وولوها رمان الخادم ثم سر الدولة ثم أبو السعادة علي بن عبد الرحمن بن جباره ثم نزال ثم مختار الدولة بن نزال وهؤلاء كلهم من أهل دولته ثم تغلب قاضيها

مصر والناصر قلاوون من بعده اتصال ومهادة ونزل بنو الظاهر عليه عندما غربوا من مصر ثم مات ميخائيل سنة إحدى وثمانين وولى ابنه ماندر وبلقب الروانس وميخائيل هذا يعرف بالأشكري وبنته من بعده بنت الأشكري وهي ملوك القسطنطينية إلى هذا العهد والله تعالى يؤيد بنصره من يشاء من عباده.

### أخبار التوبة

كان الملك الظاهر وفديه أعدوا سنة خمس وسبعين ملك التوبة من تشكيل مستجدًا به على ابن أخيه داود لما كان تغلب عليه وانتزع الملك من يده فوعده السلطان وأقام ينتظر واستغسل ملك داود وتجاوز حدود علكته إلى قرب أسوان من آخر الصعيد فجهز السلطان العساكر إليه مع أتى القرناني وأبيك الأفروم أستاذ داره وأطلق عليهم مرتشكين ملك التوبة فساروا لذلك واستقروا العرب وانتهوا إلى رأس الجنادل واستولوا على تلك البلاد وأمنوا أهلها وساروا في البلاد فلقيهم داود الملك فهزمه وأثخنوا في عساكره وأسرروا أحاه وأخته وأمه وسار إلى مملكة السودان بالأبواب ورأه فقاتله ملكها وهزمه وأسره وبعث به مقدماً إلى السلطان فاعتقل بالقلعة إلى أن مات واستقر مرتشكين في سلطان التوبة على جرابة مفروضة وهدايا معلومة في كل سنة وعلى أن تكون الحصون المجاورة لأنسوان خالصة للسلطان وعلى أن يكن ابن أخيه داود جميع أصحابه من كل مالهم في بلادهم فوقى بذلك.

ثم مات الظاهر وانقضت دولته ودولة بنيه وانتقل الملك إلى المنصور قلاوون فأبعث سنة ست وثمانين العساكر إلى التوبة مع علم الدين سنجار الخياط وعز الدين الكوراني وسار معهم نائب قوص عز الدين إيدم السيفي بعد أن استقر العريان أولاد أبي بكر وأولاد عمر وأولاد شريف وأولاد شيبان وأولاد كترز الدولة وجاءه من الغرب وبني هلال وساروا على العدو الغربية والشرقية في دنقلة وملتهم بيتمامون هكذا سماه التزوبي وأظنه أخا مرتشكين ويزروا للعساكر فهزمهم واتبعهم خمسة عشر يوماً وراء دنقلة.

ورتب ابن أخت بيتمامون في الملك ورجعت العساكر إلى مصر فجاء بيتمامون إلى دنقلة فاستولى على البلاد ولحق ابن أخته بصر صريخاً بالسلطان فأبعث معه عز الدين أبيك الأفروم في العساكر ومعه ثلاثة من الأمراء وعز الدين نائب قوص وذلك سنة ثمان وثمانين ويعشعوا المراكب في البحر بالأزودة والسلام

### إنشاء المدرسة والمدارستان بمصر

كان المنصور قلاوون قد اعتم على إنشاء المدارستان بالقاهرة ونظر له الأماكن حتى وقف نظره على الدارقطنية من قصور العبيدين وما يجاورها من القصورين واعتمد إنشاءه هناك وجعل الدار أصل المدارستان وبنى بإزاته مدرسة لتدريس العلم وبقة لدهنه وجعل النظر في ذلك لعلم الدين الشجاعي فقام بإنشاء ذلك لأقرب وقت وكملت العمارة سنة اثنين وثمانين وستمائة ووقف عليها أملاكاً وضياعاً بمصر والشام وجلس بالمارستان في يوم مشهود وتناول قدحاً من الأشربة الطيبة وقال وقت هذا المارستان على مثلي فمن دوني من أصناف الخلق فكان ذلك من صالح آثاره والله أعلم.

### وفاة المنصور قلاوون وولاية ابنه خليل

#### الأشرف

كان المنصور قلاوون قد عهد لابنه علاء الدين ولقبه الصالح وتوفي سنة سبع وثمانين فولى العهد مكانه ابنه الآخر خليل ثم انقض الإفرنج بعكا وأغاروا على التواهي ومرت بهم رفة من التجار برقيت من الروم والترك جلبوهم للسلطان فهو لهم وأسروه فأجتمع السلطان غزوهم وخرج في العساكر بعد الفطر من سنة تسع وثمانين واستخلف ابنه خليل على القاهرة ومعه زين الدين سيف وعلم الدين الشجاعي الوزير وعسكر بظاهر البلد فطرقه المرض ورجع إلى قصره فمضت وتوفي في ذي القعدة من السنة ثوبريج ابنه خليل ولقب الأشرف وكان حسام الدين طرططي نائب المنصور إليه فاقرئه وأشترك معه زين الدين سيف في نبأة العبة وأقر علم الدين الشجاعي على الوزارة ويدر الدين يدو استاذ داره وعز الدين أيك خنزدار.

وكان حسام الدين لاشين السلاحدار نائباً بدمشق وشمس الدين قراسطي الجوكتار نائباً بحلب فاقرهما وجمع ما كان بالشام من ولاة أبيه ثم قبض على النائب حسام الدين طرططي لأيام قلائل وقتله واستولى على مخلقه وكان لا يعبر عنه كان الناس منها ستمائة ألف دينار وحلت كلها لخزانته واستقل بدر الدين بالنباية وبعث إلى محمد بن عثمان بن الساعوس من الحجاز فولاه الوزارة وكان تاجراً من تجارة الشام وتقرب له أيام أبيه واستخدم له فاستعمله في بعض إقطاعاته بالشام ووفر جياتها فولاه ديوانه بمصر فاسرف في الظلم وأنهى أمره إلى طرططي النائب فصادره المنصور

أمين الدولة أبو طالب الحسن بن عمار وتوفي سنة أربع وستين وأربعين وكان من فقهاء الشيعة وهو الذي صنف الكتاب الملقب بخواص الدولة ابن منقاد بن كمود فقام بولاية أخيه أبي الحسن بن محمد بن عمار ولقبه جلال الدين.

وتوفي سنة اثنين وسبعين صنجبيل من ملوكهم وأسمه ميمنت ومعناه ميسون وصنجبيل: اسم مدينة عرف بها وأقام صنجبيل بعاصرها طربلاً وعجز ابن عمار عن دفاعه ثم قصد سلطان السلجوقي بالعراق محمد بن ملكشاه مستجدًا به واستخلف بالمناقب ابن عمه على طرابلس ومعه سعد الدولة فتيان بن الأغر فقتلته أبو المناقب ودعا للأفضل ابن أمير الجيوش المستبد على خلفاء العبيدين بمصر لذلك العهد ثم هلك صنجبيل وهو محاصر لها وولى مكانه السرداي من زعمائهم وبعث الأفضل قاتلًا إلى طرابلس فقام بها وشغل عن مدافعة العدو بمجمع الأموال.

ونفي عنه إلى الأفضل أنه يروم الاستبداد بفتح آخر مكانه وناشر أهل البلد لسوء سيرته فتباين وصول المراكب من مصر بالمدد وبقبض على أعيانهم وعلى خلاف فخر الملك بن عمار من أهله وولده وبعث بهم إلى مصر وجاء فخر الملك بن عمار بعد أن قطع حبل الرجاء في يده من إنجاد السلجوقي لما كانوا فيه من الشغل بالفتنة ورما علله بعضهم بولاية الوزارة له ثم رجع إلى دمشق سنة اثنين وخمسين ونزل على طغتكين الآتابك.

ثم ملكها السرداي سنة ثلاثة وخمسين بعد حصارها سبع سنين وجاء ابن صنجبيل من بلاد الإفرنج فملكها منه وأقام في ملكته نحوً من ثلاثين سنة ثم ثار عليه بعض الزعماء وقتلهم بطرس الأبور واستخلف في طرابلس القوش بطرار ثم كانت الواقعة بين صاحب القدس ملك الإفرنج وبين زنكي الآتابك صاحب الموصل وإنهزم الإفرنج وأسر القوش في تلك الواقعة ونجا ملك الإفرنج إلى تغريب فتحصنه بها وحصره زنكي حتى اصطلحوا على أن يعطي تغريب ويطلق زنكي الأسرى في الواقعة فانتلق القوش إلى طرابلس فأقام بها مدة ووُثب الإسماعيلية به فقتلوه وولي بعده رهند صبياً وحضر مع الإفرنج سنة سبع وخمسين وقعة حارم التي هزمهم فيها العادل وأسر رهند يومئذ ويفي في اعتقاله إلى أن ملك صلاح الدين يوسف بن أيوب فاطلقه سنة سبعين وخمسة وحق بطرابلس ولم تزل في ملكه وملك ولده إلى أن فتحها المنصور سنة ثمان وثمانين كما مر والله تعالى أعلم.

مشرفة على سوق الخيل والميدان والله سبحانه وتعالى أعلم.

وامتحنه ونفاه عن الشام.

## فتح قلعة الروم

ثم سار السلطان سنة إحدى وستين في عساكره إلى الشام بعد أن أفرج عن حسام الدين لاشين ورده إلى إمارته وانتهى إلى دمشق ثم سار إلى حلب ثم دخل منها إلى قلعة الروم فحاصرها في جهادى من السنة وملكتها عنة بعد ثلاثة يوماً من المصارق وقاتل المقاتلة الذريعة وخرب القلعة وأخذ فيها بطرك الأرمن أسرى وانكف السلطان راجعاً إلى حلب فأقام بها شعبان وولى عليها سيف الدين الطباقي نائباً مكان قراسنقر الظاهري لأنه ولاه مقدم الملك.

ورحل إلى دمشق فقضى بها عبد الفطر واستراب لاشين التائب فهرب ليلة الفطر وأركب السلطان في طلبه وتبغض عليه بعض العرب في جهة وجاء به إلى السلطان فبعثه مقيداً إلى القاهرة وولى على نياية دمشق عز الدين أليك الحميدي عوضاً عن علم الدين سنجر الشجاعي ورجع إلى مصر فأُفرج عن علم الدين سنجر الشجاعي وتوفي لستة بعد إطلاقه ثم قبض على ستر الأشرف وقتله وسمع تائب يبدو ببراءة لاشين فاطلقه وتوفي ابن الأثير بعد شهر فولى مكانه ابن عماد الدين أبوب وكان أبوب قد اعتقله المصوّر لأول ولاته فاطلقه الأشرف هذه السنة لثلاث عشرة سنة من اعتقاله واستخلصه للمجالسة والشورى.

وتوفي القاضي فتح الدين محمد بن عبد الله بن عبد الظاهر كاتب السر وصاحب ديوان الإنشاء وله التقدّم عنده وعد أبهى فولى مكانه فتح الدين أحد بن الأثير الحلبي وترك ابن عبد الظاهر ابنه علاء الدين علياً فالقى عليه النعمة متظهماً في جلة الكتاب ثم سار السلطان إلى الصعيد يتصدّى واستخلف يبدو التائب على دار ملكه وانتهى إلى قوص وكان ابن السلوس قد دس إليه بأن يبدو احتجن بالصعيد من الزرع ما لا يحصى فوقف هنالك على مخازنها واستكثروا وارتباً يبدو للذكّر ولما راجع الأشرف إلى مصر ارتجع منه بعض إقطاعه وبقي يبدو مرتاباً من ذلك وأنحف السلطان بالهدايا من الخيام والهجن وغيرهما والله تعالى أعلم.

## مسير السلطان إلى الشام وصلاح الأرمن ومكثه في مصياف وهدم الشوبك

ثم تجهيز السلطان سنة اثنين وستين إلى الشام وقدم يبدو

وبحج في هذه السنة وولي الأشرف فكان أول أعماله البحث عنه وولاه الوزارة فبلغ المبالغ في الظهور وعلو الكلمة واستخدم الخواص له وترفع عن الناس واستقل الرتب وبعض الأشرف على شمس الدين ستر وحسنه وكان قد قبض مع طرنتيابي التائب على عز الدين سيف لما بلغه أنه يబر عليه مع طرنتيابي ثم ثبتت عنده براءته فأطلقه والله تعالى أعلم.

## فتح عكا وتخريبيها

ثم سار الأشرف أول سنة تسعين وستمائة لحضور عكا متّماً عزم أبيه فيها فجهز العساكر واستنصر أهل الشام وخرج من القاهرة فأخذ السير إلى عكا وواجه بها أمراء الشام والمظفر بن المصوّر صاحب حما فحاصرها ورمها بالجانيق فهدم كثير من أبراجها وتلاها المقاتلة لاقتحامها فرشقوهم بالسهام فأنمن اللبود وزحفوا كتها وردموا الحديق بالتراب فحمل كل واحد منهم ما قدر عليه حتى طموه وانتهوا إلى الأبراج المتهدمة فالقصورها بالأرض واقتتحموا البلد من ناحيتها واستحلّموا من كان فيها وأكثروا القتل والنهب ونجا الفيل من العدو إلى أبراجها الكبار التي بقيت ماثلة فحاصرها عشراً آخرأ ثم اقتحموا عليهم فاستوعبهم السيف وكان الفتح متّصف جادى سنة سبعين مائة وثلاث سنتين من ارتجاع الكفار لها من يد صلاح الدين سنة سبع وثمانين وخمسة.

وأمر الأشرف بتخريبيها فخرّبت وبلغ الخبر إلى الإفرنج بصور وصيدا وعتليه وحيفا فاجفلوا عنها وتركوها خاوية ومر السلطان بها وأمر بهدمها فهدمت جيّعاً وانكف راجعاً إلى دمشق وتقبض في طريقه على لاشين نائب دمشق لأن بعض الشياطين أوحى إليه أن السلطان يروم الفتاك به فركب للقرار واتبعه علم الدين سنجر الشجاعي وسار إلى بيروت ففتحها ومر السلطان بالكرك فاستعنقها نائباً ركن الدين يبرس الدوادر وهو الموزرخ فولى مكانه جمال الدين أنسز الأشرف ورجع السلطان إلى القاهرة فبعث شلامش وخسروا أبي الظاهر من محسّه بالاسكتدرية إلى القسطنطينية وما تلّى شلامش هنالك وأُفرج عن شمس الدين ستر الأشرف وحسام الدين لاشين المنصوري اللذين اعتقلهما كما قدمناه وقبض على علم الدين سنجر نائب الرفوف بالقلعة على أوسع ما يكون معتقداً وأمر السلطان ببناء الرفوف بالقلعة على أوسع ما يمكنه وأرفعه وبني القبة بازاره بجلوس السلطان أيام الزيمة والفرح فبنيت

في اتباعهم ومعه سوس الجاشنكير وحسام الدين أستاذ دار وركن الدين سوس وطجي في طافحة من الجاشنكيرية وادركتوا القوم على الطراة ولما عاينهم بيدو وبسرى وبكتمر المعتقلين في المخيم رجعوا إلى كتبنا وأصحابه وفرّ عن بيدو من كان معه من العربان والجند وقاتل قليلاً ثم قتل ورجع برأسه على القناة وافتلق أصحابه قراسنقر ولاشين بالقاهرة.

ويقال إن لاشين كان مختفياً في مأذنة جامع ابن طولون ووصل كتبنا وأصحابه إلى القلعة وبها علم الدين الشجاعي واستدعوا محمد بن قلاوون آخا الأشرف وبإيعوه ولقبوه الناصر وقام بالنيابة كتبنا وبالأتراك حسام الدين وبالزيارة علم الدين سنجار وبالأستاذ دارية ركن الدين سوس الجاشنكير واستبدوا بالدولة فلم يكن الناصر يملّك معهم شيئاً من أمره وجدوا في طلب الأمراء الذين دخلوا بيدو في قتل الأشرف فاستوعبهم بالقتل والصلب والقطع وكان بهادر رأس نوبة واتقوش الموصلي فقتلوا وأحرقت أشلاءهما وشفع كتبنا في لاشين وقراسنقر المتولين بكر ذلك فظهرها من الاختفاء وعادا إلى عالمها من الدولة ثم تقبض على الوزير محمد بن السلوس عند وصوله من الإسكندرية وصادره الوزير الشجاعي وامتحنه فمات تحت الامتحان وأخرج عن عز الدين أيك الصالحي وكان الأشرف اعتقله سنة اثنين وتسعين والله سبحانه وتعالى أعلم

### وحشة كتبها ومقتل الشجاعي

ثم إن الشجاعي لطف عمله من الناصر واختصه بالمدخلة وأشار عليه بالقبض على جماعة من الأمراء فأعاقبهم وفهم سيف الدين كرجي وسيف الدين طونجي وطوى ذلك عن كتبنا وبلغه الخبر وهو في موكب بساحة القلعة وكان الأمراء يركبون في خدمته فاستوحش وارتبا بالشجاعي وبالناصر ثم جاء بعض ماليك الشجاعي إلى كتبنا في الموكب وجرد سيفه لقتله فقتله ماليكه وتاخر هو ومن كان معه من الأمراء عن دخول القلعة وتقبضوا على سوس الجاشنكير أستاذ دار وبيعوا به إلى الإسكندرية ونادروا في العسكر فاجتمعوا وحاصروا القلعة وبعث إليهم السلطان أميراً فشرطوا عليه أن ينكحهم من الشجاعي فامتنع وحاصروه سبعاً واشتد القتال.

وفر من كان يقي في القلعة من العسكر إلى كتبنا وخرج الشجاعي لمدافعتهم فلم يغن شيئاً ورجع السلطان وقد خامره الرعب فطلب أن يجنس نفسه فمضى به المالك إلى السجن

النائب بالعساكر وعاج على الكruk على المجن فوقف عليها وأصلاح من أمرها ورجع ووصل إلى الشام فوفاه رسول صاحب سيس ملك الأرمن راغباً في الصلح على أن يعطي تهسا ومرعش وتل حدون فقد لهم على ذلك وملك هذه القلاع وهي في قم الدربر من ضياع حلب وكانت تهسا للمسلمين ولما ملك هلاكو حلب باعها النائب من ملك الأرمن سيس ثم سار السلطان إلى حمص ووصل إليها في رجب من السنة ومعه المظفر صاحب حمة ونزل سلامة ولقبه مهنا بن عيسى أمير العرب فقبض عليه وعلى أخيه محمد وفضل وابنه موسى وبعثهم معتقلين مع لاشين إلى دمشق ومن هناك إلى مصر فجسروا بها وولى على العرب مكانهم محمد بن أبي بكر بن علي ابن جديلة وأوزع وهو بمحمص إلى نائب الكruk بهدم قلعة الشوبك نهدمت وإنك راجعاً إلى مصر وقدم العساكر مع بيدو وجاء في الساعة على المجن مع خواصه ولما دخل على مصر أخرج عن لاشين المصوري والله تعالى أعلم.

### مقتل الأشرف وولاية أخيه محمد الناصر في كفالة كتبنا

كان النائب بيدو مستولياً على الأشرف والأشرف مسترب به حتى كانه مستبد وكان مسترحاً من الأشرف واعتمز الأشرف سنة ثلاث وتسعين على الصيد في البحيرة فخرج إليها ويعث وزيره ابن السلوس للإسكندرية لتحصيل الأموال والأقساط فوجد بيدو قد سبقوا إليها واستصفوا ما هنالك فكاتب السلطان بذلك فغتصب واستدعى بيدو فوجهه وترعده ولم يزل هو يلاطفه حتى كسر من سورة غضبه ثم خلص إلى أصحابه وداخلهم في التوثب به وتولى بكر ذلك منهم لاشين المصوري نائب دمشق وقراسنقر المصوري نائب حلب وكان الأمراء كلهم حاذدين على الأشرف لتقديمه حاشيته عليهم ولما كتب إليه السلوس بقلة المال صرف مواليه إلى القلعة تحفيفاً من النفقة وبقي في القليل.

وركب بعض أيامه يتصدّد وهو مقيم على فرجة فاتبعوه وادركته في صيده فألوّجس في نسسه الشر منهم فماجلوه وعلوه بالسيوف ضربه أولاً بيدو وثني عليه لاشين وتركوه مجندلاً بمصرعه متصرف محروم من السنة ورجعوا إلى المخيم وقد أبزموا أن يولوا بيدو فلوه ولقبوه القاهر وتقبض على بيسري الشمسي وسيف الدين بكتمر السلاحدار واحتلّوهما وساروا إلى قلعة الملك وكان زين الدين سيف قد ركب للصيد بلغه الخبر في صيده فسار

وأوزع غازان إلى التتر الذين من مارتكن فأخذ الطرق عليهم وبعث فرقاً من أمرائه للقبض على طرططي ومن معه من أكبر قيله فسار لذلك في ثمانين فارساً فقتلهم طرططي وأصحابه عبروا الفرات إلى الشام واتبعهم التتر من ديار بكر فكروا عليهم فهزموهم وأمر العادل سنجار الدودار أن يتلقاهم بالرحب وأحتجل نائب دمشق لقدمهم ثم ساروا إلى مصر فتلقاهم شمس الدين قراسنر وكأنروا يجلسون مع الأمراء بباب القلعة فأنفوا لذلك وكان سبباً لخلع العادل كما ذكر ووصل على أثرهم بقية قومهم بعد أن مات منهم كثير ثم رسخوا في الدولة وخلطهم الترك بأنفسهم وأسلموا واستخدموه أولاً لهم وخلطوه بالصهر والولاء والله سبحانه وتعالى أعلم.

### خلع العادل كتبغا وولاية لاشين المنصور

كان أهل الدولة نعموا على السلطان كتبغا العادل تقديم ماليكه عليهم ومساواة الأربدانية سمن التتر بهم فقاوضوا على خلعه وسار إلى الشام في شوال سنة خمس وسبعين تعز عز الدين أيك الحموي نائب دمشق واستصفاه وولى مكانه سيف الدين عزّل من مواليه ثم سار إلى حصن متصدداً ولقيه المظفر صاحب حماة فأكرمه ورده إلى بلده وسار إلى مصر والأمراء جمعون خلعه والفتى بمالكه وانتهى إلى العوجاء من أرض فلسطين وبلغه عن يسري الشمسي أنه كاتب التتر فنكر عليه وأغاظله في الرعيد وارتباط الأمراء من ذلك وتشتت رجالاتهم واتفقوا وركب حسام الدين لاشين ويدر الدين يسري وشمس الدين قراسنر وسيف الدين قرقاجان وبهادر الخليجي الحاجب وبكتاش الفخري وبيليك الخازنار وأقوش الموصلي وبكتاش السلاحدار وسلام وطفجي وكرجي ومعطاي ومن انتقام لهم بعد أن بايعوا لاشين وقصدوا خيم بكتوت الأزرق فقتلوه وجاءهم مياحاص فقتلوه أيضاً وركب السلطان كتبغا في لفيقه فحملوا عليه فانهزم إلى دمشق وبإيع القوم لاشين ولقيه المنصور وشرطوا عليه أن لا ينفرد عنهم برأي فقبل وسار إلى مصر ودخل القلعة.

ولما وصل كتبغا إلى دمشق لقيه نائب سيف الدين عزّل وأدخله القلعة واحتاط على حواصل لاشين والأمراء الذين معه وأمن جماعة من مواليه ووصلت العساكر التي كانت مجردة بالرحبة ومقدمهم جاغان وكانت قد دخلوا لاشين في شأنه ونزلوا ظاهر دمشق واتفقوا على بيعة لاشين وأعلنوا بدعته وأدخل أمر العادل وسأل ولاية صرخد والتي بيده فحبس بالقلعة لستين من ولايته

وقتلوه في طريقهم وبلغ الخبر إلى كتبغا ومن كان معه فذهبوا منهم الهواجس واستأنعوا للسلطان فآمنهم واستحلفوه فحلف لهم ودخلوا إلى القلعة وأفاض كتبغا العطاء في الناس وأخرج من كان في الطلاق من المالك بمداخلة الشجاعي فأنزلهم إلى البلد بمخاصر الكسر ودار الوزارة والجوار وكانوا نحو من تسعة آلاف فأقاموا بها.

ولما كان الحرم فاتح سنة أربع وسبعين استعدوا ليلة وركبوا فيها جميعاً وأخرجوا من كان في السجون ونهبوا بيوت الأمراء وأجلهم الصبح عن تمام قصلهم وباكرهم الحاجب بهادر ببعض العساكر فهزموهم وافتقرموا وتفقش على كل منهم فأخذ منهم العقاب ما ذكره قتلاً وضربياً وعزلاً وأفرج عن عز الدين أيك الأفروم وأعيد إلى وظيفته أمير جندار ثم هلك قريباً واستحكم أمر السلطان ونائبه كتبغا وهو مستبد عليه واستمر الحال على ذلك إلى أن كان ما ذكره إن شاء الله تعالى والله تعالى ولـي التوفيق.

### خلع الناصر وولاية كتبغا العادل

ولما وقعت الروحشة بين كتبغا والشجاعي وتلتها هذه الفتنة استوحش كتبغا في ظاهر أمره وانقطع عن دار الباية متمارضاً وتردد السلطان لعياته ثم حل بطاته على الاستبداد بالملك والجلوس على التخت وكان طموحاً لذلك من أول أمره فجمع الأمراء ودعاهم إلى بيته فبایعوه وخلع الناصر وركب إلى دار السلطان فجلس على التخت وتلقب بالعادل وأخرج السلطان من قصور الملك وكان مع أنه بعض الحجر وولى حسام الدين لاشين نائباً والصاحب فخر الدين عمر بن عبد العزيز الخليلي أستاذ الدار وزيراً نقله إليها من النظر في الديوان لعلاء الدين ولـي المهد ابن قلاوون وعز الدين أيك الأفروم الصالحي أمير جندار وبهادر الخليجي أمير حاجب وسيف الدين منصاص أستاذ دار وقسم إمارة الدولة بين ماليكه.

وكتب إلى نواب الشام بأخذ البيعة فأجابوا بالسمع والطاعة وقبض على عز الدين أيك الخازنار نائب طرابلس وولى مكانه فخر الدين أيك الموصلي وكان الخازنار ينزل حصن الأكراد ونزل الموصلي بطرابلس وعادت دار إمارة ثم وفـد سنة خمس وسبعين على العادل كتبغا طائفة من التتر يعرفون بالأربدانية ومقدمهم طرططي كان مداخلاً لبدولي كنجاب ابن عمه ملك التتر فلما سار الملك إلى غازان خافه طرططي وكانت أحياوه بين غازان والموصلي.

ديوان الجيش في انتقامه لتفاوت الجيش وهو تحويل بالأقلام فقط وليس فيه نقص شيء ثم أقطعوا البلاد بعد الروك واستثنى المراتب الجسرية والرزق الأحباسية انتهى كلام التروي رحمة الله والله تعالى أعلم.

## فتح حصون سيس

ولما ولي سيف الدين منكورث النيابة وكانت مختصة بالسلطان استولى على الدولة وطلب من السلطان أن يعهد له بالملك فتكر ذلك الأرباء وثروا عنه السلطان فتكر لهم منكورث وأكثر بسعادة فيما قبض على بعضهم وتفرق الآخرون في النواحي وبعث السلطان جماعة منهم سنة سبع وستين لغزو سيس وبلاط الأرمن كان منهم بكشاش أمير سلاح وقراسنر وبكتمر السلاحدار وتدار وقراز ومعهم الألفي نائب صفت في العساكر ونائب طرابلس ونائب حماة ثم أردفهم بعلم الدين سنجار الدواهار وجاءت رسائل صاحب سيس وأغاروا عليها ثلاثة أيام واقتصرها ثم مرروا بغيراس ثم برج إيطاكية وأقاموا بها ثلاثة ومرروا بجسر الحديد ببلاد الروم ثم قصدوا تل حدون فوجدوها خاوية وقد انتقل الأرمن الذين بها إلى قلعة النجمة وفتحوا قلعة مرعش وحاصروها قلعة النجمة أربعين يوماً وافتتحوها صلحًا وأخذوا أحد عشر حصناً منها الصبيحة وحوم وغيرهما.

وأضطراب أهلها من الخوف فأعطوا طاعتهم ورجع العساكر إلى حلب وبلغ السلطان لاشين أن التتر قاصدون الشام فجهز العساكر إلى دمشق إلى حلب مع فوج النائب فسار إلى يخرج العساكر من دمشق إلى حلب مع فوج النائب فسار إلى حمص وأقام بها ثم بلغهم الخبر برجوع التتر ووصل أمر السلطان إلى سيف الدين الطباخى نائب حلب بالقبض على بكتمر السلاحدار والألفي نائب صفت وجماعة من الأرباء بملب بسعادة بكتمر وحاول الطباخى ذلك فتعذر عليه ويزر تدار إلى بسار فتروى بها وأقام الآخرون وشعروا بذلك فلحقوا بفتح النائب على حص فآفاهم وكتب إلى السلطان يشفع فيهم فأبطأ جوابه.

وعزله سيف الدين كرجي وعلاه الدين إيدغري من إجارتهم فاسترب وولى السلطان مكانه على دمشق جاغان فكتب إلى فوج بطبلهم فنفروا وافتلق عسكره وعبر الفرات إلى العراق ومعه أصحابه بعد أن قبضوا على نائب حصن واحتله ولهم الخبر بقتل السلطان لاشين وقد تورطوا في بلاد العدو فلم يمكنهم الرجوع ووفدوا على غازان بنواحي واسط وكان فتحن من جد

وبعث الأرباء يعتهم للاшин ودخل سيف الدين جاغان إلى القلعة ثم وصل كتاب لاشين يبعثه إلى مصر وبعث إلى كتبغا بولاية صرخد كما سال ووصل فتحن المنصورى نائباً عن دمشق وأفرج لاشين بمصر عن ركن الدين بيبرس الجاشنكير وغيره من المالكى وولى قراسنر نائباً وسيف الدين سلار استاذ دار وسيف الدين بكتمر السلاحدار أمير جاندار وبهادر الحلبي صاحب وأقر فخر الدين الحلبي على وزارته ثم عزله وولى مكانه شمس الدين ستر الأشتر وقبض على قراسنر النائب وسيف الدين سلار استاذ دار آخر ستة سنت وستين وولى مكانه سيف الدين منكورث الحسامي مولاه واستعمل سيف الدين فتحن المنصورى نائباً.

ثم أمر بتجديد عمارة جامع ابن طولون وندب لذلك علم الدين سنجار الدواهار وأخرج للنفقة فيه من خالص مايه عشرين ألف دينار ووقف عليه أملاماً وضياعاً ثم بعث ستة سبع وستين بالناصر محمد بن فلادون إلى الكرك مع سيف الدين سلار استاذ دار وقال لزرين الدين بن مخلوف فقيه بيته: هو ابن استاذاني نائبه في الأمر ولو علمت أنه يقرم بالأمر لأقمه وقد خشيتك عليه في الوقت فبعثته إلى الكرك فوصلها في ربى.

وقال التروي: إنه بعث معه جمال الدين بن أقوش.

ثم قبض السلطان في هذه السنة على بدر الدين بيسري الشمسي بسعادة منكورث نائبه لأن لاشين أراد أن يعهد إليه بالأمر فرده بيسري عن ذلك وقبحه عليه فدس منكورث بعض عمالك بيسري وأنهوا إلى السلطان أنه يريد الثورة فقبض عليه آخر ربى الثاني من السنة وأودعه السجن فمات في محبه.

وقبض في هذه السنة على بهادر الحلبي وعلى عز الدين ليك الحموي ثم أمر في هذه السنة برد الأقطاعات في النواحي وبعث الأرباء والكتاب لذلك وتولى ذلك عبد الرحمن الطويل مستوفي الدولة.

وقال مؤرخ حماة المؤيد كانت مصر منقسمة على أربعة وعشرين قياطاً أربعة منها للسلطان والكلف والرواتب وعشرة للأرباء والإطلقات والزيادات وعشرة للأجناد الحلقة فصبروها عشرة للأرباء والإطلقات والزيادات والأجناد وأربعة عشر للسلطان فضعف الجيش.

وقال التروي: قرر للخاص في الروك الجبزة واطفيح ودمياط ومنفلوط والكوم الآخر وحولت السنة الخارجية من سنة ست وستين وهذا في العدد إنما هو بعد انتقامه ثلاثة وثلاثين سنة واحدة هي تفاوت ما بين السنين الشمسية والقمرية وهو حجة

طقجي على الجلوس على التخت واتفق وصول الأمراء الذين كانوا يجلب متصوفين من غزاة سيس وفهم سيف الدين كرجي وشمس الدين سرقشاه ومقدمهم بدر الدين يكتاش الفخري أمير سلاح فأشار الأمراء على طقجي بالركوب للقائهم فائف أولأ ثم ركب ولقيهم وسائلوه عن السلطان فقال: قتل فقتلوه.

وكان كرجي عند القلعة فركب هارباً وأدرك عند القرافة

وقتل ودخل يكتاش والأمراء القلعة لحول من غزاة سيس ثم اجتمعوا مصر وكان الأمر دائراً بين سلار وببرس وأياك الجامدار وأقوش الأفروم وبكتمر أمير جندار وكرت الحاجب وهم يتظرون وصول الناصر من الكرك وكثروا إلى الأمراء بدمشق بما فعلوه فوافقوه عليه ثم قبضوا على نائبه جاغان الحسامي وتولى ذلك بهاء الدين قرا أرسلان السيفي فاعتقل ومات لأيام قلائل فبعث الأمراء بمصر مكانه سيف الدين قططوبك المنصوري.

ثم وصل الناصر محمد بن قلاوون إلى مصر في جادى سنة ثمان وستعين فبايعوا له وولى سلار نائباً وببرس استاذ دار وبكتمر الجوكنadar أمير جندار وشمس الدين الأعسر وزيراً وعزل فخر الدين بن الخليلي بعد أن كان أقره ويعتذر على دمشق جمال الدين أقوش الأفروم عوضاً عن سيف الدين قططوبك واستدعاه إلى مصر فولاه حاجباً ويتعتلى طرابلس سيف الدين كرت وعلى الحصون سيف الدين كرای وأقر يليان الطباخى على حلب وأفرج عن قراسق المتصورى ويعتذر على الضيئنة ثم نقله إلى حماة عندما وصله وفاة صاحبها المظفر آخر السنة وخلع على الأمراء وبيت العطايا والأرزاقي واستقر في ملوكه وببرس وسلام سلطان عليه والله تعالى يؤيد بنصره من يشاء من عباده.

### الفتنة مع التتر

قد كنا قدمنا ما كان من فرار قفقج نائب دمشق إلى غازان وحدوث الوحشة بين الملكتين فشرع غازان في تمهيز العساكر إلى الشام وبعث شلامش بن أمال بن بوك في خمسة وعشرين ألفاً في عساكر المثلث ومعه آخوه قططقر وأمره بالسير من جهة سيس فسار بذلك ثم حدثه نفسه بالملك فخاض وطلب الملك لنفسه وكاتب ابن قرمان أمير التركمان فسار إليه في عشرة آلاف فارس وسار في ستين ألف فارس وسار إلى سيواس فامتنعت عليه وكتب إلى صاحب مصر مع خلصن الرومي يستتجده فبعث إلى نائب دمشق بياخاده وبلغ الخبر غازان فبعث لقتاله مولاي من أمراء التتر في خمسة وثلاثين ألف فارس وخلفه إلى سيراس فانتقض عليه

التتر وأبوه من جند غازان خصوصاً ولما وقعت الفتنة بين لاشين وغازان وكان فيروز أتابك غازان مستوحشاً من سلطانه فكتاب لاشين في اللحاق به واطلع سلطانه على كتبه فأرسل إلى قططرو شاه نائب حران فقبض على فيروز وقتله وقتل غازان أخيه في بغداد والله تعالى أعلم.

### مقتل لاشين وعد الناصر محمد بن قلاوون إلى ملوكه

كان السلطان لاشين قد فرض أمر دولته إلى مولاه منكورغ فاستطال وطبع في الاستبداد ونكره الأمراء كما قدمناه فأغرى السلطان بهم وشردهم كل مشرد بالنكبة والإبعاد وكان سيف الدين كرجي من الجاشنكير ومقدماً عليهم كما كان قراسق مع الأشرف وكان جماعة المالكين معصوبين عليه وسعى منكورغ في نياته على القلاع التي افتتحت من الأرمن ببلاد سيس فاستعن من ذلك وأسرها في نفسه وأخذ في السعاية على منكورغ وظاهره على أمره قفعجي من كبار الجاشنكيرية وكان لطقجي صهر من كبار الجاشنكيرية اسمه ططاي أغاظله له منكورغ يوماً في الخطابة فامتنع وفزع إلى كرجي وطقجي فاتقوا على اغتيال السلطان.

وقصدوه ليلاً وهو يلعب بالشطرنج وعنه حسام الدين قاضي الخفية فأخبره كرجي بغلق الأبواب على المالكين فنكره ولم يزل يتصرف أمامه حتى ستر سيفه بمنديل طرحه عليه فلما قام السلطان لصالة العتمة نحوها عنه وعلاه بالسيف وافتقد السلطان سيفه فتعاونوا به سيفهم حتى قتلوه وهموا بقتل القاضي ثم تركوه وخرج كرجي إلى طبعجي فأغاره وجسده بالجبل ثم راجعوا بدار النيابة فاستجار بطقجي فأغاره وجسده بالجبل ثم راجعوا رأيهما واتفقا على قتله فقتلوه وكان مقتل لاشين في ربیع سنة ثمان وستعين وكان من موالى علي بن المعز أياك قلما غرب للقسطنطينية تركه بالقاهرة وأشتراه المتصور قلاوون من القاضي محكم البيع على الغائب بالف درهم وكان يعرف بلاشين الصغير لأنه كان هناك لاشين آخر أكبر منه وكان نائباً بمحصن.

ولما قتل اجتمع الأمراء وفهم ركن الدين ببرس الجاشنكير وسيف الدين سلار استاذ دار وحسام الدين لاشين الرومي وقد وصل على البريد من بلاد سيس جمال الدين أقوش الأفروم وقد عاد من دمشق بعد أن أخرج النائب والعساكر إلى حصن وعز الدين أياك الخزنadar ويدر الدين السلاحدار فضيبيروا القلعة ويعثروا إلى الناصر محمد بن قلاوون بالكرك يستدعونه للملك فاعترم

بعث إليه إسماعيل يستزله بالأمان فامتنع ببعث إليه المشيخة من أهل دمشق فزاد انتباها ودس إلى الناصر بالتحفظ وأن المدد على غزة ووصل قرقج بكتمر فنزلوا الميدان وبعثوا إلى سنجار صاحب القلعة في الطاعة فأسأله جوابهم وقال لهم: إن السلطان وصل وهزم عساكر التتر التي اتبعته.

ودخل قرقج إلى دمشق فقرأ عهد غازان له بولاية دمشق والشام جميعاً وجعل إليه ولاية القضاء وخطب لغازان في الجامع وانطلقت أيدي العساكر في البلد بأنواع جميع العيش وكذا في الصالحة والقرى التي بها والمزة وداريا.

وركب ابن تيمية إلى شيخ الشيوخ نظام الدين محمود الشيباني وكان نزل بالعادلية فاركبه معه إلى الصالحة وطربوا منها أهل العيش وركب المشيخة إلى غازان شاكين فمنعوا من لقائه حذراً من سطوه بالتتر فيقع الخلاف ويقع وبال ذلك على أهل البلد فرجعوا إلى الوزير سعد الدين ورشد الدين فأطلقوا لهم الأسرى والسيجي وشاع في الناس أن غازان أذن للملغ في البلد وما فيه فزع الناس إلى شيخ الشيوخ وفرضوا على أنفسهم أربعمائة ألف درهم مصانعة له على ذلك وأكروا على غرمها بالضرب والحبس حتى كملت ونزل التتر بالمدرسة العادلية فأحرقها أرجواش نائب القلعة ونصب المنجنيق على القلعة بسطح جامع يبني أمية فأحرقوه فأعيد عمله وكان المغل يحرسونه فانتهكوا حرمة المسجد بكل حرم من غير استثناء وهجم أهل القلعة فقتلوا النجار الذي كان يচنع المنجنيق وهم نائب القلعة أرجواش ما كان حروها من المساكن والمدارس والأبنية ودار السعادة وطلبوا مالا يقدرون عليه وامتهن القضاة والخطباء وعطّلت الجماعات والجامعة وفحش القتل والسيجي وهدمت دار الحديث وكثير من المدارس.

ثم قفل إلى بلده بعد أن ول على دمشق والشام فتحقق وعلى حلة وحصن بكتمر السلاحدار وعلى صفد وطرابلس والاساحل فارس الدين البكي وخليفة قطلوشاه في سنتين الفا حامية للشام واستصحب وزيره بدر الدين بن فضل الله وشرف الدين ابن الأمير وعلاء الدين بن القلansiي وحاصر قطلوشاه القلعة فامتنعت عليه فاعتزم على الرحيل وجع له فتحقق الأوغاد في جهادى من السنة وبقي قرقج منفرداً بأمره فامتنع الناس بعض الشيء وأمر مالكه ورجعت عساكر التتر من اتباع الترک بعد أن وصلوا إلى القدس وغزة والرملة واستباحوا ونهبوا وقادتهم يومئذ مولاي من أمراء التتر فخرج إليه ابن تيمية واستوهبه بعض الأسرى فاطلقهم.

وكان الملك الناصر لما وصل إلى القلعة ووصل معه كثيراً

العسكر ورجع التتر إلى مولاي ولحق التركمان بالجبال ولحق هو بسيس في قل من العسكر وسار إلى دمشق ثم إلى مصر وسأل من السلطان لاشين أن يمده بعسكري ينقل به عياله إلى الشام فامر السلطان نائب حلب أن ينجرده على ذلك فبعث معه عسكراً عليهم بكتمر الحلبي وساروا إلى سيواس فاعتبرتهم التتر وهزمونهم وقتل الحلبي وغنا شلامش إلى بعض القلاع فاستنزله غازان وقتله واستقر آخره قطقطرو ومخلص بصر وأنقطع لهما وانتظموا في عسكر مصر والله تعالى أعلم.

## واقعة التتر على الناصر واستيلاء غازان

### على الشام ثم ارجاعه منه

قد كنا قدمنا ما حديث من الوحدة بين التتر وبين الترك بمصر وقدمنا من أسبابها ما قدمناه فلما برع الناصر بلغه أن غازان زاحف إلى الشام فتجهز وقدم العساكر مع قطلبك الكبير وسيف الدين غازار، وسار على أثرهم آخر سنة ثمان وسبعين وانتهى إلى غرة فتمسي إليه أن بعض المالكين جمعون للتتويج عليه وأن الأرمنية الذين وقفوا من التتر على كتبغا داخلوهم في ذلك وبينما هو يستكشف الخبر إذ يحملون من أولئك قد شهر سيده واخترق صفوف العسكر وهم مصطفون بظاهر غزة فقتل لحيته وتبع أمرهم من هذه البداية حتى ظهرت حلتها فسبق الأرمنية ومقدمهم طرططي وقتل بعض المالكين وحبس الباقين بالكرك.

ورحل السلطان إلى عسقلان ثم إلى دمشق ثم سار ولقي غازان ما بين سلمية وحصن مجتمع المروج ومعه الكرج والأرمن في مقدمته أمراء الترك الذين هربوا من الشام وهم: قرقج المصوري وبكتمر السلاحدار وفارس الدين البكي وسيف الدين

غازار فكانت الجولة متتصف ربيع فانهزمت ميمنة التتر وثبت غازان ثم حمل على القلب فانهزم الناصر واستشهد كثير من الأمراء وقد حسام الدين قاضي الحفبة وعماد الدين إسماعيل ابن الأمير وسار غازان إلى حصن فاستولى على الذخائر السلطانية.

وطار الخير إلى دمشق فاضطربت العامة وثار الغراء وخرج المشيخة إلى غازان يقدمهم بدر الدين بن جماعة وتقى الدين بن تيمية وجلال الدين القزويني وبقي البلد فرضي وحاطب المشيخة غازان في الأمان فقال: قد خالفكم إلى بلدكم كتاب الأمان ووصل جماعة من أمرائهم فيهم إسماعيل ابن الأمير والشريف الرضي وقرأ كتاب الأمان ويسموه بلغاتهم الفرمان وترجل الأمراء بالبساتين خارج البلد وامتنع علم الدين سلاحدار بالقلعة

## وفاة الخليفة الحاكم وولادة ابنه المستكفي والغزاة إلى العرب بالصعيد

ثم توفي الخليفة الحاكم بأمر الله أحد وهو الذي ولد الظاهر وبابع له سنة ستين قتوفي سنة إحدى وسبعين سنة لإحدى وأربعين سنة من خلافته وقد عهد لابنه أبي الربيع سليمان فبایع له الناصر ولقمه المستكفي وارتفعت شكرى الرعايا في الصعيد من الأعراب وكثير عيّنهم فجهز السلطان العساكر مع شمس الدين قرا ستر فاكتسحهم وراجعوا الطاعة وقرر عليهم مالاً حلوه الف الف وخمسة الف درهم وألف فرس واحداً والقسي جمل اثنين عشرة آلاف رأس من الغنم وأظهروا الاستكانة ثم أظهروا النفاق فسار إليهم كافل الملكة سلار وبيرس في العساكر فاستحلّ لهم وأبادوهم وأصابوا أمرائهم ونعمتهم ورجعوا واستاذن بيرس في قضاء فرضه فخرج حاجاً وكان أبو نسي أمير مكة قد توفي وقام بأمره في مكة ابنه رميثة وخبيثة واعتقلا أخويهما عطيفة وأبا الغيث فنقبا السجن وجاء إلى بيرس مستعدّين على أخويهما فقبض عليهما بيرس وجاء بهما إلى القاهرة.

وفي سنة ستين وسبعين سنة بعدها خرجت الشوانى مشحونة بالقاتلة إلى جزيرة أرواد في بحر طرطوس وبها جماعة من الإفرنج قد حصنوها وسكنوها فملوكوها وأسرّوا أهلها وخرّبوا وأذهبوا آثارها والله تعالى ولِي التوفيق.

### تقرير العهد لأهل الذمة

حضر في سنة سبعين وزير من المغرب في غرض الرسالة فرأى حال أهل الذمة وترفهم وتصرفهم في أهل الدولة فنكره وقبع ذلك واتصل بالسلطان نكيره فامر بجمع الفقهاء للنظر في الحدود التي تقف عندها أهل الذمة يكتفى عهود المسلمين لهم عند الفتاح واجع الملاء فيهم على ما ذكر وهو أن يميز بين أهل الذمة بشعار يخصهم فالنصارى بالعمائم السود واليهود بالصفر والنساء منهن بعلامات تناسبهن وأن لا يركبوا فرساً ولا يحملوا سلاحاً وإذا ركبوا الحمير يركبونها عرضاً ويتحرون وسط الطريق ولا يرفعوا أصواتهم فوق صوت المسلمين ولا يعلوا بناءهم على بناء المسلمين ولا يظهروا شعائرهم ولا يضرموا بالترافق ولا ينصرّوا مسلماً ولا يهودوا ولا يشتروا من الرقيق مسلماً ولا من سباء مسلم ولا من جرت عليه سهام المسلمين ومن دخل منهم

العادل وكان حضر معه المعركة من محل نيابة بصرى خد فلما وقعت الفزعة سار مع للسلطان إلى مصر ويفي في خدمة النائب سلار وجرد السلطان العساكر وبث النقفات وسار إلى الصالحة وبليه رحيل غازان من الشام ووصل إليه بليان الطباخي نائب حلب على طريق طرابلس وجمال الدين الأفروم نائب دمشق وسيف الدين كراي نائب طرابلس واتفق السلطان في عساكرهم وبليه أن قططوشان نائب غازان رحل من الشام على أثر غازان فتقدّم بيرس وسار في العساكر ووقفت المراسلة بينه وبين فتحجج ويكتمر والبكى فأذعنوا للطاعة ووصلوا إلى بيرس وسلام فبعثوا بهم إلى السلطان وهو في الصالحة في شعبان من السنة فركب للقتائهم وبالغ في تكرّتهم والإقطاع لهم وول قفتح على الشوبك ورحل عائداً إلى مصر ودخل بيرس وسلام إلى مصر وقرروا في ولاتها جمال الدين أقوش الأفروم بدمشق وفي نيابة حلب قرا ستر المنصورى الجوكنadar لاستعفاء بليان الطباخي عنها وفي طرابلس سيف الدين قططوش وفي حالة كبغال العادل وفي قضاء دمشق بدر الدين بن جعابة لوفاة إمام الدين بن سعد الدين القرزوني وعاد بيرس وسلام إلى مصر متصرف شوال وعاصب الأفروم كل من استخدم للتتر من أهل دمشق وأغزى عساكره جبل كسروان والدرزية لما نالوا من العسكر عند الفزعة وألزم أهل دمشق بالرمادية وحل السلاح وفرضت على أهل دمشق ومصر الأموال عن بعث الخالية والمساكن لأربعة أشهر وضمان للفرى وكثر الأرجاف سنة سبعين سنة بحركة التتر فترجم السلطان إلى الشام بعد أن فرض على الرعية أمولاً واستخرجها لتفويه عساكره وأقام بظاهر غزة أيام يولف فيها الأمصار ثم بعث القوي فارس إلى دمشق وعاد إلى مصر منخلع ربيع الآخر وجاء غازان بعساكره وأجفلت الرعايا أمامه حتى ضاقت بهم السبل والجهات فنزل ما بين حلب ومرس ونازلاها واكتسح البلاد إلى أنطاكية وجبل السمر وأصابهم هجوم البرد وكثرة الأمطار والوحش وانقطعت المياه عنهم وعذمت الأقواف وصوّعت المراعي من كثرة الثلوج وارتحلوا إلى بلادهم وكان السلطان قد جهز العساكر كما قلنا إلى الشام صحبة يكتمر السلاحدار نائب صفد وول مكانه سيف الدين فتحاصن المنصورى ثم وقعت المراسلة بين السلطان الناصر وبين غازان وجاءت كتبه ويعث الناصر كتبه ورسله وول السلطان على حصن فارس الدين البكى والله سبحانه وتعالى أعلم.

وعلى أحكام هذا الكتاب جرت فتاوى الفقهاء في أهل الذمة نصاً وقياساً.

وأما كنائسهم فقال أبو هريرة: أمر عمر بهدم كل كنيسة استحدثت بعد المحرقة ولم يبق إلا ما كان قبل الإسلام وسير عروة بن محمد فهدم الكنائس بصنعاء وصالح القبط على كنائسهم وهدم بعضها ولم يبق من الكنائس إلا ما كان قبل المحرقة وفي إباحة رمها وإصلاحها لهم خلاف معروف بين الفقهاء والله تعالى دلي الترفيق.

### إيقاع الناصر بالتز على شقحب

ثم توالت الأخبار سنة اثنين وسبعين مهـ بحركة التز وأن قططلوشـاـه وصل إلى جهة الفرات وأنه قدم كتابه إلى نائب حلب بأن بلادهم محلـة وأنهم يرتدون المـارـعـيـ بـتوـاحـيـ الفـراتـ فـخـادـعـ بذلك عن قصدهـ وـيرـهـ الرـعـيـةـ آـنـ يـغـفـلـوـ مـنـ الـبـاسـانـطـ ثـمـ وـصـلـتـ الأخـبارـ يـاجـازـهـمـ الفـراتـ فـأـجـفـلـ النـاسـ أـمـاهـمـ كـلـ تـاحـيـةـ وـنـزـلـ التـزـ مـرـعـشـ وـبـعـثـ العـساـكـرـ مـنـ مـصـرـ مـدـداـ لـأـهـلـ الشـامـ فـوـصـلـواـ إـلـىـ دـمـشـقـ وـيـلـهـمـ هـنـالـكـ أـنـ السـلـطـانـ قـازـانـ وـصـلـ فيـ جـيـوـشـ التـزـ إلىـ مـدـيـنـةـ الرـجـةـ وـنـازـلـهـ قـدـمـ نـائـبـهـ قـرـىـ وـعـلـوـةـ وـاعـتـدـرـ لـهـ بـأـنـهـ فيـ طـاعـتـهـ إـلـىـ أـنـ يـرـدـ الشـامـ فـإـنـ ظـفـرـ بـهـ فـالـرـجـةـ أـهـرـونـ شـيـءـ وـأـعـطـاهـ ولـهـ رـهـيـةـ عـلـىـ ذـكـرـ فـأـمـسـكـ عـنـهـ وـلـمـ يـلـبـثـ أـنـ عـبـرـ الـفـراتـ رـاجـعاـ إـلـىـ بـلـادـهـ.

وكتب إلى أهل الشام كتاباً مطولاً ينذرهم فيه أن يستمدوا عـسـكـرـ السـلـطـانـ أوـ يـسـتـجـشـوـ وـيـخـادـعـهـمـ بـلـيـنـ القـوـلـ وـمـلـاطـقـهـ وـتـقـدـمـ قـطـطـلـوـشـاـهـ وـجـوـيـاـنـ إـلـىـ الشـامـ بـعـساـكـرـ التـزـ يـقـالـ: فيـ تـسـعـينـ القـاـوـيـدـ يـزـيدـونـ.

ويـلـعـ الـخـبـرـ إـلـىـ السـلـطـانـ قـدـمـ العـساـكـرـ مـنـ مـصـرـ وـتـقـدـمـ بـيـرـسـ كـافـلـ الـمـلـكـةـ إـلـىـ الشـامـ وـالـسـلـطـانـ وـسـلـارـ عـلـىـ إـثـرـهـ وـعـهـمـ الـخـلـيقـةـ أـبـوـ الرـبـيعـ وـسـارـوـاـ فـيـ التـعـيـةـ وـدـخـلـ بـيـرـسـ دـمـشـقـ وـكـانـ النـائـبـ بـحـلـبـ قـرـاـ سـقـرـ الـمـصـوـرـ وـقـدـ اـجـتـمـعـ إـلـيـهـ كـتـبـاـ العـادـلـ نـائـبـ حـاةـ وـأـسـدـ الدـينـ كـرـجـيـ نـائـبـ طـرـابـلـسـ بـمـنـ مـعـهـمـ مـنـ الـعـساـكـرـ فـأـغـارـ التـزـ عـلـىـ الـقـرـيـتـيـنـ وـبـهـ أـحـيـاءـ مـنـ الـتـرـكـمانـ كـانـواـ اـجـفـلـوـاـ أـمـاهـمـ مـنـ الـفـراتـ فـاـسـتـاقـوـ أـحـيـاءـهـ بـاـ فـيـهـ وـاتـبـعـهـمـ الـعـساـكـرـ مـنـ حـلـبـ فـأـرـقـعـرـهـمـ بـهـمـ وـاـسـتـخـلـصـوـ أـحـيـاءـ الـتـرـكـمانـ مـنـ إـلـيـهـمـ وـزـحـفـ قـطـطـلـوـشـاـهـ وـجـوـيـاـنـ بـجـمـوعـهـمـاـ إـلـىـ دـمـشـقـ يـظـنـانـ أـنـ الـسـلـطـانـ لـمـ يـخـرـجـ مـنـ مـصـرـ وـالـعـساـكـرـ وـالـمـسـلـمـونـ مـقـيـمـونـ بـمـرجـ

الـحـامـ يـجـعـلـ فـيـ عـنـقـهـ جـرـساـ يـتـمـيزـ بـهـ وـلـاـ يـنـقـشـوـ فـصـ الـخـاتـمـ بـالـعـربـيـ وـلـاـ يـعـلـمـوـ أـلـاـدـهـمـ الـقـرـآنـ وـلـاـ يـخـدـمـوـ فـيـ أـعـمـالـهـ الشـاشـةـ مـسـلـمـاـ وـلـاـ يـرـفـعـوـ الـتـبـرـانـ وـمـنـ زـنـاـمـهـ مـسـلـمـةـ قـلـ.

وقـالـ بـيـتـرـ بـخـصـرـةـ الـعـدـولـ حـرـمـتـ عـلـىـ أـهـلـ مـلـتـيـ وـأـصـحـابـيـ خـالـفـةـ ذـكـرـ وـالـعـدـولـ عـنـهـ.

وقـالـ رـئـيـسـ الـيـهـودـ: أـوـقـعـتـ الـكـلـمـةـ عـلـىـ أـهـلـ مـلـتـيـ وـطـاثـيـ وـكـتـبـ بـذـلـكـ إـلـىـ الـأـعـمـالـ.

ولـذـكـرـ فـيـ هـذـاـ الـمـرـضـ نـسـخـةـ كـتـابـ عـمـرـ بـالـعـهـدـ لـأـهـلـ الذـمـةـ بـعـدـ كـتـابـ نـصـارـيـ الشـامـ وـمـصـرـ إـلـيـهـ وـنـصـهـ: هـذـاـ كـتـابـ لـعـبـدـ اللـهـ عـمـرـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ مـنـ نـصـارـيـ أـهـلـ الشـامـ وـمـصـرـ لـمـ قـدـمـتـ عـلـيـنـاـ سـالـاكـمـ الـأـمـانـ لـأـنـقـسـتـاـ وـذـرـارـيـنـاـ وـأـمـواـلـنـاـ وـأـهـلـ مـلـتـاـ وـشـرـطـنـاـ عـلـىـ أـنـقـسـتـاـ أـنـ لـأـخـدـتـ فـيـ مـدـاـنـتـاـ وـلـاـ فـيـماـ حـوـلـهـ دـيرـاـ وـلـاـ كـيـسـةـ وـلـاـ عـلـيـةـ وـلـاـ صـوـمـعـةـ رـاهـبـ وـلـاـ تـجـدـدـ مـاـ خـرـبـ مـنـهـ وـلـاـ مـاـ كـانـ فـيـ خـطـطـ وـلـاـ نـوـسـعـ أـبـوـابـاـ لـلـمـارـةـ وـلـبـيـ الـسـيـلـ وـلـاـ نـزـلـ مـنـ مـرـ بـنـاـ مـنـ الـمـسـلـمـينـ ثـلـاثـ لـيـالـ نـطـعـمـهـمـ وـلـاـ نـزـوـيـ فـيـ كـنـائـسـنـاـ وـلـاـ فـيـ مـنـازـلـنـاـ جـاسـوسـاـ وـلـاـ نـكـتـمـ عـيـاـ لـلـمـسـلـمـينـ وـلـاـ نـعـلـمـ أـلـادـنـاـ الـقـرـآنـ وـلـاـ نـظـهـرـ شـرـعـنـاـ وـلـاـ نـدـعـوـ إـلـيـهـ أـحـدـاـ وـلـاـ نـنـعـ أـحـدـاـ مـنـ ذـيـ قـرـابـتـاـ الـدـخـولـ فـيـ دـيـنـ الـإـسـلـامـ إـنـ أـرـادـوـهـ وـلـاـ نـوـقـدـ مـرـسـلـمـ هـمـ فـيـ مـجـالـسـنـاـ إـذـ أـرـادـوـاـ الـجـلوـسـ وـلـاـ نـتـشـبـهـ بـهـمـ فـيـ شـيـءـ مـنـ مـلـابـسـهـ فـيـ قـلـنسـوـرـةـ وـلـاـ عـامـةـ وـلـاـ نـعـلـيـنـ وـلـاـ فـرـقـ شـعـرـ وـلـاـ تـسـمـ بـأـسـمـاهـمـ وـلـاـ نـكـنـىـ بـكـنـاهـمـ وـلـاـ نـرـكـبـ السـرـوجـ وـلـاـ تـقـلـدـ بـالـسـيـفـ وـلـاـ تـنـخـذـ شـيـئـاـ مـنـ السـلـاحـ وـلـاـ نـحـمـلـهـ مـعـنـاـ وـلـاـ نـقـشـ عـلـىـ خـوـاتـيـنـاـ بـالـعـرـيـةـ وـلـاـ نـجـزـ مـقـدـمـ رـؤـوسـنـاـ وـنـكـرـ تـزـيلـنـاـ حـيـثـ كـنـاـ وـلـاـ نـشـدـ الـرـبـانـيـرـ عـلـىـ أـوـسـاطـنـاـ وـلـاـ نـظـهـرـ صـلـبـانـاـ وـلـاـ نـفـتـحـ كـفـانـاـ فـيـ طـرـيقـ الـمـسـلـمـينـ وـلـاـ أـسـوـاقـهـمـ وـلـاـ نـفـرـبـ بـنـوـاـقـيـنـاـ فـيـ شـيـءـ مـنـ حـضـرـةـ الـمـسـلـمـينـ وـلـاـ نـخـرـجـ شـعـانـتـاـ وـلـاـ طـوـاغـيـتـاـ وـلـاـ نـرـفـعـ أـصـواتـنـاـ مـعـ مـوـتـانـاـ وـلـاـ نـوـقـدـ الـتـبـرـانـ فـيـ طـرـقـ الـمـسـلـمـينـ وـلـاـ أـسـوـاقـهـمـ وـلـاـ نـجـاـوـهـمـ بـمـوـتـانـاـ وـلـاـ نـعـلـيـ مـنـازـلـنـاـ.

فـلـمـ أـتـيـ عـمـرـ بـالـكـتـابـ زـادـ فـيـهـ: وـلـاـ نـفـرـبـ أـحـدـاـ مـنـ الـمـسـلـمـينـ شـرـطـنـاـ ذـكـرـ عـلـىـ أـنـقـسـتـاـ وـأـهـلـ مـلـتـاـ وـقـبـلـاـ عـلـىـ الـأـمـانـ فـإـنـ نـخـنـ خـلـقـنـاـ فـيـ شـيـءـ مـاـ شـرـطـنـاـ لـكـمـ عـلـىـنـاـ وـضـمـنـاهـ عـلـىـ أـنـقـسـتـاـ وـأـهـلـ مـلـتـاـ فـلـاـ ذـمـةـ لـنـاـ عـلـيـكـمـ وـقـدـ حلـ بـنـاـ مـاـ حـلـ بـغـيـرـنـاـ مـنـ أـهـلـ الـعـانـدـ وـالـشـقـاقـ.

فـكـتـبـ عـمـرـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ: أـمـضـ مـاـ سـالـوـهـ وـلـقـنـ فـيـ حـرـفـاـ اـشـتـرـطـهـ عـلـيـهـمـ مـعـ ماـ اـشـتـرـطـهـ: مـنـ ضـرـبـ مـسـلـمـاـ عـمـداـ فـقـدـ خـلـ

من ولد قوبل بن ناحور بن آرز وناحور آخر إبراهيم عليه السلام وكانتوا أنجذبوا بدين النصارى قبل الملة وكانت مواطنهم أرمينية وهي منسوبة إليهم وقاعدتها خلاط وهي كرسى ملكهم ويسمى ملكهم التكفور ثم ملك المسلمين بلادهم وضربوا الجزية على من بقي منهم واختلف عليهم الولاة وزلت بهم الفتن وخربت خلاط فانتقل ملوكهم إلى سيس عند الدروب المجاورة لحلب وازروا إليها وكانوا يزدرون الضربة للمسلمين وكان ملوكهم لعهد نور الدين العادل قليع بن اليون وهو صاحب ملك الدروب واستخدم للعادل وأقطع له ملك المصيصة وأردن وطرسوس من يد الروم وأيقاه صلاح الدين بعد العادل نور الدين على ما كان عليه من الخدمة.

وغرد في بعض السنين بالتركمان فهزهم صلاح الدين وأخنثى عليهم حتى أذعنوا ورجع إلى حاله من أداء الجزية والطاعة وحسن الجوار بسفر حلب ثم ملوكهم لعهد الظاهر هيثوم بن قسطنطين ابن ياسين وظهر أنه من أعقاب قليع أو من أهل بيته ولما ملك هلاكو العراق والشام دخل هيثوم في طاعته وأقره على سلطانه وأجلب مع التتر في غزواتهم على الشام وغزا ستة اثنين وستين صاحب بلاد الروم من التتر واستقر معه بني كلاب من أعراب حلب وعاثروا في نواحي عتاب ثم ترهب هيثوم بن قسطنطين ونصب ابنه للملك.

وبعد الظاهر العساكر ستة أربع وستين ومعه قلابون المنصور صاحب حماة إلى بلادهم فلقيهم ليون في جموعه قبل الدرنيد فأنهزم وأسر وخرب العساكر مدينة سيس وبذل هيثوم الأموال والقلاء في فداء ابنه ليون فشرط عليه الظاهر أن يسترهن سفري الأسقر وأصحابه من أبعاً بن هلاكو وكان هلاكو أخذهم من سجن حلب فاسترهن لهم وبعث بهم وأعطي خسأً من القلاء منها رغبان ومرزيان لما توفي هيثوم ستة تسع وستين وملوك بعده ابنه ليون وبقي الملك في عقبه وكان بينهم وبين الترك نفرة واستقامة لقرب جوارهم من حلب والترك يرددون العساكر إلى بلادهم حتى أجابوا بالصلح على الطاعة والجزية وشحنة التتر قديم عندهم بالعواصير من قبل شحنة بلاد الروم.

ولما توفي ليون ملك بعده ابنه هيثوم ووتب عليه أخيه سبات خلعه وجسسه بعد أن سمل عينه الواحدة وقتل أخيهما الأصغر يروس ونازلت عساكر الترك لهده قلعة حوض من قبل العادل كتبوا فاستضعف الأرمن سبات وهموا به فلتحق بالقسطنطينية وقدموا عليهم أخاه ردين فصالح المسلمين وأعطاهم مرعش وجعل القلاء على جيحان وجعلوها تحاماً

الصفر وهو المسئي بشقحب مع ركن الدين بيرس ونائب دمشق أقوش الأفروم يتظرون وصول السلطان فارتباوا لزحف التتر وتاختروا عن مراكزهم قليلاً وارتاعت الرعايا من تأخرهم فأجلدوا إلى نرجسي مصر وبينما هم كذلك إذ وصل السلطان في عساكره وجموعه غرة رمضان من السنة فرتب مصافه وخرج لقصدتهم فالتفى الجماعون بحر الصفر وحمل التتر على ميمنة السلطان فثبت الله أندامهم وصابرهم إلى أن غشيهم الليل واستشهد جماعة في الجولة.

ثم انهزم التتر وجلوا إلى الجبل يعتضدون به واتبعهم السلطان فأحاط بالجبل إلى أن أظل الصباح وشعر المسلمين باستماتهم فأفرجوا لهم من بعض الجوانب وتسلل معظمهم مع قطلوشاه وجربان وحملت العساكر الشامية على من بقي منهم فاستجمorumهم وأبادوهم وابتعدت الحيوانات آثار المهزمين وقد اعترضتهم الأحوال بما كان السلطان قدماً إلى أهل الانهار بين أيديهم فشققاها ووصلت خيرهم فيها فاستوعبواهم قتلاً وأسرأ وكتب السلطان إلى قازان بما يجدد عليه الحسرة ويلأ قلبه ربماً وبعث البشائر إلى مصر.

ثم دخل إلى دمشق وأقام بها عبد الفطر وخرج لثالثه منها إلى مصر فدخلها آخر شوال في موكب حفل ومشهد عظيم وقرر الإسلام بنصره ويتمنى بتقبيل نوابه وأنشده الشعراء في ذلك.

وفي هذه السنة توفي كعبا العادل نائب حماة وهو الذي كان ولـيـ الملك بمصر كما تقدم ذكره فدفن بدمشق.

وتوفي أيضاً يليان الجوكدار نائب حصن.

وتوفي أيضاً القاضي تقى الدين بن دقين العيد بمصر لولياته ست سنين بها وولي مكانه بدر الدين بن جاعة وهلك قازان ملك التتر يقال أصابته حمى حادة للهزة التي بلغته فهلك ولو أخرى خريندا.

وفيها أفرج السلطان عن رمية وخيبة ولدى الشريف أبي غني وولاهما بدلاً من أخيهما عطيفة وأبي الغيث والله تعالى أعلم.

## أخبار الأرمن وغزو بلادهم وادعاؤهم الصلح ثم مقتل ملوكهم صاحب سيس على يد التتر

قد كان تقدم لنا ذكر هؤلاء الأرمن وأنهم وأخواتهم الكرج

المغرب وسائر طرفة وجلة من الذهب العين في ركب عظيم من المغاربة ذاهبين لقضاء فرضهم مقابلهم السلطان ببالغ جوهر التكreme وبعث معهم أميراً لإكرامهم وقرامهم في طريقهم حتى قضاوا فرضهم وعاد الرسول أيدغدي المذكور من حجه سنة خمس فبعث السلطان معه مكافأة هديتهم بما يليق بها من النفقة وعين لذلك أميرين من بابه أيدغدي البابلي وأيدغدي الخوارزمي كل منهما لقبه علاء الدين فانتهوا إلى يوسف بن يعقوب بمكانه من حصار تلمسان كما هو في ربيع الآخر سنة ست مقابلهم بما يجيء لهم ولرسلهم وأواسع لهم في الكرامة والاحباء ويعثمان إلى عمالكه بفاس ومراکش ليقطروا بها ويعطياها مسرتها.

وهلك يوسف بن يعقوب بمكانه من حصار تلمسان وانطلق الرسولان المذكوران من فاس راجعين من رسالتهم في رجب سنة سبع في ركب عظيم من أهل المغرب اجتمعوا عليهم لقصد الحج ولقوا السلطان أبا ثابت البزولي من بعد يوسف بن يعقوب في طريقهم فبلغ في التكreme والإحسان إليهم وبعث إلى مراسليم الملك الناصر بهدية أخرى من الخيال والبغال والإبل ثم مرروا بتلمسان وبها أبو زيان وأبو حمو ابن عثمان بن يغمراس فلم يصرفوا إليهما وجهاً من القبول وطلباً منها خفيفاً مما إلى تحوم عندهما لما كانت نواحي تلمسان قد اضطررت بعد مهلك يوسف بن يعقوب وما كان من شأنه بعث معهما بعض العرب فلم يغن عنهم واعترضهم في طريقهم أشرار حصن من زغبة بنواحي المرية فالبتوأ في الدفاع فلم يغن عنهم.

واستولى الأشرار على الركب بما فيه ونهبوا جميع الحاجات ورسل الملك الناصر معهم وخلصوا برأوسهم إلى الشيخ بكر بن زغلوي بني يزيد بن زغبة بوطن حزنة بنواحي مجاهي فأوصلهم إلى السلطان بيجاهي أبي البقاء خالد من ولد الأمير أبي زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص ملوك أفريقيا فksamهم وحملهم إلى حضرة تونس وبها السلطان أبو عصيدة محمد بن يحيى الوائت من بي عمه فبلغ في تكرمتهم وسفر معهم إبراهيم بن عيسى من بي مرين أحد أمراء بي مرين كان أميراً على الغزاة بالأندلس وخرج لقضاء فرضه فمر بتونس واستنهضه سلطانها على الإفرنج بجزيرة جربة فسار إليها بقومه ومعه عبد الحق بن عمر بن رحو من أعيان بي مرين وكان الشيخ أبو يحيى زكريا بن أحد اللحاني يحاصرها في عسكر تونس فقام معهم مدة ثم استوحش أبو يحيى اللحاني من سلطانه بتونس فلحق بطرابلس وساروا جميعاً إلى مصر وتقدم السلطان بإكرامهم حتى قضاوا فرضهم وعادوا إلى المغرب واستعد أبو يحيى اللحاني السلطان الناصر فآمدته بالأموال والماليك وكان

ورجعت العساكر عنهم ثم أفرج رندن عن أخيه هيئوم الأعور سنة تسعة وستين فقام معه قليلاً ثم وثب برندن فسر إلى القسطنطينية وأقام هيئوم بسيس في ملك الأرمن وقدم ابن أخيه تروس معمول أتابكاً واستقامت دولته فيهم.

وسار مع قازان في وقته مع الملك الناصر فمات الأرمن في البلاد واستروا بعض قلاعهم وخربوا تل هدون فلما هزم الناصر التتر سنة اثنين وسبعيناً بعث العساكر إلى بلادهم فاسترجعوا القلاع وملكونا حصناً واكتسحوا بساط سيس وما إليها ومنع الضريبة المقررة عليهم فائفذ نائب حلب قراسنتر المنصوري سنة سبع وستمائة العساكر إليه مع أربعة من الأمهات فعاشوا في بلادهم واعتراضهم شحنة التتر بسيس فهو مهزم وقتل أميرهم وأسر الباقون وجهز العساكر من مصر مع بكتاش الفخري أمير سلاح من بقية البحرية وانتهوا إلى غزة وخشى هيئوم مغبة هذه الحادثة بعث إلى نائب حلب بالجزية التي عليهم لسنة خمس وقبلها وتوصيل شفاعة إلى السلطان فشفعه وأمنه وكان شحنة التتر ببلاد الروم لهذا العهد أرفلي وكان قد أسلم لما أسلم أبوها وبيني مدرسة باذنة وشيد فيها مئذنة ثم حدث بينه وبين هيئوم صاحب سيس وحشة فسعي في هيئوم عند خربندا ملك التتر بأنه مداخل لأهل الشام وقد واطأهم على ملك سيس وما إليهم واستشهد له بالمدرسة والمئذنة وكتب بذلك إلى أرفلي بعض قرائبه فأسرها في نفسه وأغتاله في صنعى دعاه إليه وبقي على وافق من ماليك الترك كان عند هيئوم من قبل نائب حلب يطلب الجزية المقررة عليه وهو أيدغدي الشهربوري ولم يزل في سجن التتر إلى أن فر من محبسه بتوريز سنة عشر وسبعيناً ونصب للملك سيس أوشفي بن ليون وسار أرفلي إلى خربندا فسابقه التتر آخر هيئوم بن سانه وولده مستعين عليه ففتح لم خربندا وسط أرفلي وقتلته وأثر أوشين أخيه في ملكه ليس فادر إلى مراسلة الناصر بمصر وتقرير الجزية عليه كما كانت وما زال يعيشها مع الأجيال، والله تعالى أعلم.

### مراسلة ملك المغرب ومهاداته

كان ملك المغرب الأقصى من بي مرين التولين أمره من بعد الموحدين وهو يوسف بن يعقوب بن عبد الحق قد بعث إلى السلطان الناصر سنة أربع وسبعيناً رسله علاء الدين أيدغدي الشهربوري من الشهربورية المقربين هنالك أيام الظاهر بيبرس ومعه هدية حافلة من الخيال والبغال والإبل وكثير من ماعون

مكانه يربد النهوض إليهم ثم رجع ووصل كتاب نائب دمشق أقوش الأفروم فسكن الحال وبعث الجاشنكير بيبرس إلى السلطان بر رسالة مع الأمير علاء الدين مغلطاي أيدغولي وقططليغا تضمن الأرجاف فثارت لها حفاظته وعاقب الرسولين وكاتب أمراء الشام يتظلم من بيبرس وأصحابه بمصر ويقول: سلمت لهم في الملك ورضيت بالضنك رجال الراحة فلم يرجعوا عنى ويعثروا إلى بالوعيد وأنهم فعلوا ما فعلوا بأولاد المز لبيك وبيبرس الظاهر. ومثل ذلك من القول ويستجد لهم وعيت إليهم بوسائل التربية والعتق في دفاع هؤلاء عنه وإلا لحقت بيلاد التر.

وبعث بهذه الرسالة مع بعض الجندي كان مستخدماً بالكرك من عهد أقوش الأشرفي وأقام هنالك وكان مولعاً بالصيد فاتصل بالسلطان في مصايده ويث إليه ذات يوم شكوكه فقال: أنا أكون رسولك إلى أمراء الشام! فبعث إليهم بهذه الرسالة فامتنعوا وأجابوه بالطاعة كما يحب منهم وسار السلطان إلى البلقاء وأرسل جمال الدين أقوش الأفروم نائب دمشق إلى مصر فأخبر الجاشنكير بيبرس بالحال واستمدده بالعساكر للدفاع فبعث إليه باربعة آلاف من العساكر مع كبار الأمراء وأزاح عليهم وأنفق في سائر العساكر بمصر وكثير الأرجاف وشغبت العامة وتعيين مماليك السلطان للخروج إلى التراخي استرابة مكانتهم ووصل الخبر برجوع السلطان من البلقاء إلى الكرك لرأي رأي رأي واستراب لرجعته سائر أصحابه وحاشيته وخاف أن يهجمهم عساكر مصر بما كان يشاع عندهم من اعتزام بيبرس على ذلك.

ثم دس السلطان إلى مماليكه وشيع إليهم فأجابوه وأعاد الكتاب إلى نواب الشام مثل شمس الدين أقسنت نائب حلب وسيف الدين نائب حصن فأجابوه بالسمع والطاعة وبعث نائب حلب ولده إليه واستنهضوه للوصول فخرج من الكرك في شعبان سنة تسع وتحق به طائفة من أمراء دمشق وبعث النائب أقوش أميرين لحفظ الطرقات فلتحقا بالسلطان وكتب بيبرس الجاشنكير إلى نواب الشام بالوقوف مع جمال الدين أقوش نائب دمشق والاجتماع على السلطان الناصر عن دمشق فأعرضوا ولحقوا بالسلطان وسار أقوش إلى البقاع والشقيق واستأنف إلى السلطان بعث إليه بالأمان مع أميرين من أكبر أمرائه.

وسار إلى دمشق فدخلها وهي خالصة برمذ لسيف الدين بكثير أمير جامدار جاءه من صفد وهاجر إلى خدمته فتلقاء وجاهه أحسن الجزاء ثم وصل أقوش الأفروم فتلقاء السلطان بالمرية والتكرمة وأقره على نوابه دمشق واضطربت أمور الجاشنكير بمصر وخرجت طائفة من مماليك السلطان هاربين إلى الشام فسرح في

سيلاً لاستيلائه على الملك بتونس كما ذكره في أخباره إن شاء الله تعالى.

### وحشة الناصر من كافلية بيبرس وسلام وخلقه بالكرك وخلعه والبيعة لبيبرس

ثم عرضت وحشة بين السلطان الناصر وبين كافلية بيبرس وسلام سنة سبع فامتنع من العلامة على المراسم وترددت بينه وبينهم السعاة بالعتاب وركب بعض الأمراء في ساحة القلعة من جوف الليل ودافعتهم الحامية في جوف الليل وافتقرقا وامتعض السلطان لذلك وازاد وحشة ثم سعى بكتير الجوكتدار في إصلاح الحال وحمل السلطان على تغريب بعض الخواص من ماليكه إلى القدس وكان بيبرس ينسب إليهم هذه الفتنة ونشأتها من أجلهن فقر بهم السلطان وأعتبر الأمرين ثم أعيد الموالى من القدس إلى محالهم من خدمتهم واتهم السلطان الجوكتدار في سعادته فخطبه وأبعد وعيته نائباً عن صفد.

ثم غص ما هو فيه من الحجر والاستبداد وطلب الحج فهجره بيبرس وسلام وسار على الكرك سنة ثمان وودعه الأمراء واستصحب بعضاً منهم فلما مر بالكرك دخل القلعة وأخرج النائب جمال الدين أقوش الأشرفي إلى مصر وبعث عن أهله وولده كانوا مع الحمل الحجازي فعادوا إليه من العقبة وصرف الأمراء الذين توجهوا معه وأظهر الانقطاع بالكرك للعبادة وأذن لهم في إقامة من يصلح لأمرهم فاجتمعوا بدار النيابة وتشاوروا واتفقوا على أن يكون بيبرس سلطاناً عليهم وسلام على نياته وبايموا بيبرس في شوال سنة ثمان ولقبوه المظفر وقلده الخليفة أبو الربيع وكتب للناصر بنيابة الكرك وعيت له إقطاع يختص بها وقام سيف الدين سلام ببنيابة على عادة من قبله وأقر أهل الوظائف والرتب على مراتبهم وبعث أهل الشام بظاعتهم واستقر بيبرس في سلطنه والله تعالى أعلم.

### انتقاد الأمير بيبرس وعد الناصر إلى ملكه

ولما دخلت سنة تسع هرب بعض موالي الناصر فلتحقوا بالكرك وقلق الظاهر بيبرس المظفر وبعث في أمرهم فلم يدركوهم وأتم آخرهم قبض عليهم ونشأت الوحشة لذلك واتصلت المكابحة من الأمراء الذين بالشام إلى السلطان بالكرك وخرج من

بني بكر ثم انصرف بيبرس الجاشنكير متوجهاً إلى صهيون وبها  
وهادر بها الأشجاعي موكلاً به إلى حيث قصد ورجع عنه الأمراء  
الذين كانوا عنده إلى السلطان فاستضاف بعضهم إلى مالكه  
واعتقل بعضهم ثم بدا للسلطان في أمره ويعث إلى قراستقر وبهادر  
وهما مقيمان بغزة ولم ينفصلاً إلى الشام أن يقبضا عليه فقبضوا عليه  
ويبعثا به إلى القلعة آخر ذي القعدة فاعتقل ومات هنالك والله  
تعالى ولن التوفيق.

خیبر سلار و مال امرہ

لما انتقل السلطان الناصر إلى ملكه بمصر وكان لسلام من  
السعي في أمره وتمكّن سلطانه ما ذكرناه وكانت له سوء بال عند  
السلطان يعني برعيها له وكانت الشوبك من أقطاعه فرغب إلى  
السلطان في المسير إليها والتخلّي فيها فأذن له وخلع عليه وزاده في  
أقطاعه وأقطاع ماليكه واتبعه مائة من الطواشية بأقطاعهم وسار  
من مصر إلى الشوبك في شوال سنة ثمان وسبعين ثم بعث له  
داود المقصور بالكرك مضافاً إلى الشوبك وباللراء وبملعة منهبة  
ومركب ثقيل ومنطقة عجوره وأقام هنالك فلما كانت سنة عشر  
بعدها نفي إلى السلطان عن جماعة من الأمراء أنهم متزمنون على  
الثورة وفيهم آخر سلاط قبض عليهم جميعاً وعلى شيخ سلاط  
وحاشيته الذين بمصر ويعتذر علم الدين الجموي لاستقامته من  
الكرك تائساً له وتسكيناً فقدم في ربیع من السنة واعتقل إلى أن  
هلك في معتقله واستصفيت أمواله وذخائره بمصر والكرك وكانت  
 شيئاً لا يعبر عنه من الأموال والفضوص واللائل والأقصمة  
والدروع والكراع والإبل ويقال: إنه كان يغل كل يوم من أقطاعه  
وضياعه ألف دينار وأما أوليته فإنه لما خلص من أسر التتر صار  
مولى لعلاء الدين علي بن المنصور قلاوون ولما مات صار لأبيه  
قلاوون ثم لابنه الأشرف ثم لأخيه محمد بن الناصر وظهر في  
دولهم كلها وكان بينه وبين لاشين مردة فاستخدم له وعظم في  
دولته متقدراً في المراكب متجرحاً بمحبة السلطان إلى أن انقض أمره  
ويقال: إنه لما احضر في محبه قيل له: قد رضي عنك السلطان  
ففُرِّث قائمًا ومشي خطوات ثم مات والله أعلم.

انتقاض النواب بالشام ومسيرهم إلى التر  
ولاية تنكر على الشام

كان فتحة نائب حلب قد توفي بعد أن وله السلطان فنقل

أثراهم العساكر فادر كوهن ونال المغاربة منهم قتلاً وجراحه  
ورجعوا وثاب العامة والغرغاء وأحاطوا بالقلعة وجاهروا بالخلعاء  
وقضى على بعضهم وعقب فلم يزدهم إلا عنواناً وتحملاً وارتبات  
الجاشنكير لحاله واجتمع الناس للحلف وحضر الخليفة وجدد  
عليه وعليهم الحلف وبعث نسخة البيعة لنقرا بالجامع يوم الجمعة  
فصالح الناس بهم وهما أن يحيطوا بهم على الماء فرجع إلى النفقه  
ويبدل المال واعتزم على المسير إلى الشام.

وقدم أكابر الأمراء فلحقوا بالسلطان، وزاد اضطراب بيبرس وخرج السلطان من دمشق متصرف رمضان وقدم بين يديه أميرين من أمراء غزوة فوصلها واجتمعت إليه العرب والتركمان وبلغ الخبر إلى الجاشنكير فجمع إليه شمس الدين سلار وبدر الدين بكتوت الجركنadar وسيف الدين السلاحدار وفاوضهم في الأمر فرأوا أن الخرق قد اتسع ولم يبق إلا البدار بالرغبة إلى السلطان أن يقطعه الكرك أو حماة أو صهيون ويسلم السلطان ملكه فأجتمعوا على ذلك ويعثروا بيبرس الدوادار وسيف الدين بهادر بعد أن أشهد الجاشنكير بالخلع وخرج من القلعة إلى أطفيح بماليكه فلم يستقر بها وتقدم قاصداً أسوان واحتمل ما شاء من المال والذخيرة وخربل الإصطبل.

وقام بمحفظ القلعة صاحبه سيف الدين سلار وكاتب  
السلطان يطالعه بذلك وخطب للسلطان على المنابر ودعي باسمه  
على المآذن وهتف باسمه العامة في الطرقات وجهز سلار سائر  
شعار السلطنة ووصلت رسائل الجاشنكير إلى السلطان بما طلب  
فأسعفه بصهيون وردهم إليه بالأمان والولاية ووافى السلطان عبد  
الفطر بالبركة ولقبه هنالك سيف الدين سلار وأعطيه الطاعة  
ودخل السلطان إلى القلعة وجلس باقى العيد بالإيوان جلوساً  
فحماً واستخلف الناس عامة وسأله سلار في الخروج إلى إقطاعه  
فاذن له بعد أن خلع عليه فخرج ثالث شوال وأقام ولده بباب  
السلطان.

ثم بعث السلطان الأمراء إلى أخيهم فاتزروا من الجاشنكير ما كان احتمله من المال والذخيرة وأوصلوها إلى الخزائن ووصل معهم جماعة من عماليكه كانوا إما إخوة واختاروا الرجوع إلى السلطان وولي السلطان سيف الدين بكتمر الجوكندر أمير جاندار نائباً بمصر وقاد سفر المتصوري نائباً بدمشق وبعث نائبه الأفون نائباً بصرخد وسيف الدين قفعجي نائباً بحلب وسيف الدين بهادر نائباً بطرابلس وخرجوا جميعاً إلى الشام.

وقبض السلطان على جماعة من الأمراء ارتتاب بهم وولى على وزارته فخر الدين عمر بن الخليل عوضاً عن ضياء الدين

والله سبحانه وتعالى أعلم.

## رجوع حماة إلى بني المظفر شاهنشاه بن أبوب ثم لبني الأفضل منهم وانقراض أمرهم

قد كان تقدم لنا أن حماة كانت من أقطاع تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أبوب أقطعه إياها عمه صلاح الدين بن أبوب سنة أربع وسبعين وخمسة وثلاثين فلم تزل يده إلى أن توفي سنة سبع وأربعين وخمسة وثلاثين فأقطعها ابنه ناصر الدين محمدًا ولقبه المنصور وتوفي سنة سبع عشرة وستمائة بعد عمه صلاح الدين والعادل فولىها ابنه قليع أرسلان ويلقب الناصر سنة ست وعشرين وكان أخوه المظفر ولـ عهد أخيه عند الكامل بن العادل فجهزه بالعساكر من دمشق وملكتها من يد أخيه وأقام بها إلى أن هلك سنة ثلاث وأربعين وولي ابنه محمد ويلقب المنصور ولم يزل في لادتها إلى أن سار يوسف بن العزيز ملك الشام من بني أبوب هارباً إلى مصر أيام التتر فسار معه المنصور صاحب حماة وأخوه الأفضل.

ثم خشي من الترك بمصر فرجع إلى هلاكو واستمر المنصور إلى مصر فقام بها وملك هلاكو الشام وقتل الناصر وسائر بني أبوب كما مر ثم سار قاطن إلى الشام عندما رجع هلاكو عنه عندما شغل عنه بفتنة قومه فارتجعه من مملكة التتر وولى على قوادته وأمصاره ورد المنصور إلى حماة فلم يزل والياً عليها وحضر واقعة قلاوون على التتر بمحص سنة ثلاثين وكان يتذدد إلى مصر سائر أيامه ويخرج مع العقوش إلى بلاد الأرمن وغيرها ويعسّر مع ملوك مصر متى طلبه لذلك ثم توفي سنة ثلاث وثمانين وأقر قلاوون ابنه المظفر على ما كان أبوباً وجرى هو معهم على سنته إلى أن توفي سنة ثمان وتسعين عندما بوييع الناصر محمد بن قلاوون بعد لاشين، وانقطع عقب المنصور فول السلطان عليها قراسنر من أمراء الترك تقله إليها من الضيّنة وأمره باستقرار ببني أبوب وسائر الناس على أقطاعه.

ثم كان استيلاء قازان على الشام ورجوعه سنة سبع وتسعين ومسير بيبرس سلار وانتزاع الشام من التتر وكان كبعنا العادل الذي ملك مصر وخلعه لاشين نائباً بصرخد فجلأ في هذه الواقعه وتتصحّ ليبرس سلار وحضر معهم بدمشق فلوه على حماة وغزا بالعساكرة بلاد الأرمن وحضر هزيمة التتر مع الناصر سنة اثنين وسبعين فرجع إلى حماة فمات بها وولى السلطان بعده

مكانه إلى حلب الكرجي من حماة سنة عشر فقتلهم الناس منه فقبض عليه ونقل إليها قراسنر المنصوري من نيابة دمشق وولى مكانه بدمشق سيف الدين كراي المنصوري سنة إحدى عشرة ثم سخطه واعتقله وولى مكانه بدمشق جمال الدين أتوش الأشرف في نقله إليها من الكرك وتوفي بها محمد نائب طرابلس فنقل إليها أتوش الأشرف من صرخد ثم قبض على بكمـر الجوكـدار نائب مصر وحبـسه بالكرك وجعل مكانه في الثانية بـيرس الدواـدار ثم ارتـاب قراسـنـر نـائب حـلب فـهـرب إـلـى البرـية واجـتمعـ معـ مـهـنـاـ بـنـ عـيسـىـ وـيـقـالـ إـنـهـ استـاذـنـ السـلـطـانـ فـيـ الحـجـ فـاـذـنـ لـهـ فـلـمـ توـسـطـ البرـيةـ اـسـتـوـرـعـهـ فـرـجـ فـمـنـهـ الـأـمـرـاءـ الـذـيـنـ هـلـبـ منـ دـخـوـلـهـ إـلـىـ بـاـذـنـ السـلـطـانـ فـرـجـ إـلـىـ الـفـرـاتـ وـيـعـثـ مـهـنـاـ بـنـ عـيسـىـ شـافـعـاـلـهـ عـنـ السـلـطـانـ فـقـبـلـهـ وـرـدـ إـلـىـ نـيـابةـ حـلبـ.

ثم بلـغـ السـلـطـانـ أـنـ خـربـنـداـ مـلـكـ التـترـ زـاحـفـ إـلـىـ الشـامـ فـجـهزـ العـساـكـرـ مـنـ مـصـرـ وـتـقـدـمـ إـلـىـ عـسـاـكـرـ الشـامـ بـاـنـ يـجـتـمـعـ مـعـهـ مـعـهـ مـعـصـ مـفـارـقـتـابـ قـرـاسـنـرـ وـخـرـجـ مـنـ حـلبـ وـعـرـ الفـرـاتـ ثـمـ رـاجـعـ نـفـسـهـ وـاسـتـأـمـنـ السـلـطـانـ عـلـىـ أـنـ يـقـيـسـ بـالـفـرـاتـ فـأـتـعـطـهـ السـلـطـانـ الشـوـيـكـ يـقـيـسـ بـهـ فـلـمـ يـفـعـلـ وـيـقـيـ بـمـكـانـ مـنـ الـفـرـاتـ مـعـ مـهـنـاـ بـنـ عـيسـىـ ثـمـ اـرـتـابـ جـمـاعـةـ مـنـ الـأـمـرـاءـ فـلـحـقـوـاـ بـهـ وـفـيهـ أـقـوـشـ أـلـفـ نـائـبـ طـرـابـلـسـ وـأـمـضـواـ عـزـمـهـ عـلـىـ اللـحـاقـ بـخـربـنـداـ فـوـصـلـواـ إـلـىـ مـارـدـينـ فـتـلـقـاهـ صـاحـبـهاـ بـالـكـرـامـةـ وـحـلـ إـلـيـهـ تـسـعـينـ الـفـ درـهـ وـرـتـبـ هـلـمـ الـأـتـاـوـاتـ ثـمـ سـارـواـ إـلـىـ خـلـاطـ إـلـىـ جـاءـهـ إـذـنـ خـربـنـداـ فـسـارـواـ إـلـيـهـ وـاسـتـمـثـهـ لـلـشـامـ.

وـيـلـغـ المـخـبـرـ إـلـىـ السـلـطـانـ فـاتـهـ الـأـمـرـاءـ الـذـيـنـ فـيـ خـدـمـتـهـ بـالـشـامـ مـعـدـاـخـلـةـ قـرـاسـنـرـ وـأـصـحـابـهـ فـاسـتـدـعـاهـمـ وـيـعـثـ عـلـىـ حـلبـ سـيفـ الدـينـ مـكـانـ قـرـاسـنـرـ وـعـلـىـ طـرـابـلـسـ بـكـمـرـ السـاقـيـ مـكـانـ أـقـوـشـ فـضـلـ بـنـ عـيسـىـ مـكـانـ أـخـيـهـ مـهـنـاـ وـوـصـلـ الـأـمـرـاءـ إـلـىـ مـصـرـ فـقـبـضـ عـلـيـهـمـ جـيـعاـ وـعـلـىـ أـقـوـشـ الـأـشـرـفـ نـائـبـ دـمـشـقـ وـولـيـ مـكانـ تـنـكـرـ النـاصـرـيـ سـنةـ اـثـنـيـ عـشـرـ وـجـعـلـ لـهـ الـلـوـلـيـةـ عـلـىـ سـائـرـ الـمـالـكـ الـإـسـلـامـيـةـ وـقـبـضـ عـلـىـ نـائـبـ مـصـرـ بـيـبرـسـ الدـوـادـارـ وـحـبـسـ بـالـكـرـكـ وـولـيـ مـكانـ أـرـغـونـ الـدـوـادـارـ وـعـسـكـرـ بـظـاهـرـ الـقـلـعـةـ وـارـتـحـلـ بـعـدـ عـيدـ الـفـطـرـ مـنـ السـنـةـ فـلـقـيـ الـخـبـرـ اـثـنـاءـ طـرـيقـهـ بـأـنـ خـربـنـداـ وـصـلـ إـلـىـ الرـحـبةـ وـنـازـلـهـ وـانـصـرـفـ عـنـهاـ رـاجـعـاـ فـانـكـفـاـ السـلـطـانـ إـلـىـ دـمـشـقـ وـفـرـقـ الـعـساـكـرـ بـالـشـامـ ثـمـ سـارـ إـلـىـ الـكـرـكـ وـأـعـتـزـمـ عـلـىـ قـضـاءـ فـرـضـهـ تـلـكـ السـنـةـ وـخـرـجـ حـاجـاـ مـنـ الـكـرـكـ وـرـجـعـ سـنةـ ثـلـاثـ عـشـرـ إـلـىـ الشـامـ وـيـعـثـ إـلـىـ مـهـنـاـ بـنـ عـيسـىـ يـسـتـعـيـلـهـ وـعـادـ الرـسـوـلـ بـاـمـتـاعـهـ ثـمـ لـقـ سـنةـ سـتـ عـشـرـ بـخـربـنـداـ وـأـقـطـعـهـ بـالـعـرـاقـ وـأـقـامـ هـنـالـكـ فـلـمـ يـرـجـعـ إـلـاـ بـعـدـ مـهـلـكـ خـربـنـداـ

## الولايات

وفي سنة خمس عشرة سخط السلطان سيف الدين بكتمر نائب طرابلس الذي ولها بعد أقوش الأنتر وأمده به وسقى معتقلًا إلى مصر وولى مكانه سيف الدين كستاً ثم هلك فول مكانه شهاب الدين قرطاي نقله إليها من نيابة حصن سيف الدين أقطاً ثم قبض سنة ثمان عشرة على طغاي الحسامي من الجاشنكيرية وصرف نائباً إلى صفد مكان بكتمر الحاجب ثم سخطه فأحضره معتقلًا وحبسه بالإسكندرية وبعث على صفد سيف الدين أقطاً نقله إليها من حصن وبعث على حصن بدر الدين بكتوت القرمانى والله تعالى أعلم.

## العماير

ابتدأ السلطان سنة إحدى عشرة وسبعين بناء الجامع الجديد بمصر وأكمله ووقف عليه الأرقة المغلة ثم أمر سنة أربع عشرة بناء القصر الأبلق من قصور الملك فجاء من أخر المصانع الملوكة.

وفي سنة ثمان عشرة أمر بتوسيعة جامع القلعة فهدم ما حوله من المساكن وزيد فيه إلى الحد الذي هو عليه بهذا العهد.

ثم أمر في سنة ثلاثة وعشرين بعمارة القصور لمنازله بسرقاقوس وبنى يازانها الخانقاه الكبيرة المنسوية إليه. وفي سنة ثلاثة وثلاثين أمر بعمارة الأيوان الضخم بالقلعة وجعله مجلس ملكه وبيت كرسيه ودعاه دار العدل والله تعالى أعلم.

## حجّات السلطان

وحجّ الملك الناصر محمد بن قلاوون في أيام دولته ثلاثة حجّات.

أولاً سنة ثلاثة عشرة عند ما انقضى قراستقر نائب حلب وأقوش الأنتر نائب طرابلس ومهنا بن عيسى أمير العرب وجاء خربندا إلى الشام ورجع من الرحبة فسار السلطان من مصر إلى الشام وبلغه رجوع خربندا فسار من هناك حاجًا وقضى فرضه سنة ثلاثة عشرة ورجع إلى الشام.

ثُمَّ حجَّ الثانية سنة تسع عشرة ركب إليها من مصر في أواخر ذي القعدة ومعه المؤيد صاحب حماة والأمير محمد ابن

سيف الدين ففجّق استدعاء إليها من أقطاعه بالشوبك وكان الأفضل علاء الدين آخر المنصور صاحب حماة توفى أيام أخيه المنصور وخلفه ولدًا اسمه إسماعيل ولقبه عماد الدين ونشأ في دولتهم عاكفاً على العلم والأدب حتى توفر منها حظه وله كتاب في التاريخ مشهور.

ولما راجع السلطان الناصر من الكرك إلى كرسيه وسط بيبرس وسلام راجع نظره في الإحسان إلى أهل هذا البيت واحتار منهم عماد الدين إسماعيل هذا وولاه على حماة مكان قومه ست عشرة وسبعينة وكان عند رجوعه إلى ملكه قد ولّ نيابة حلب سيف الدين ففجّق وجعل مكانه بمحمد أيدمر الكريجي وتوفى فوجّق فنقل أيدمر من حماة إلى حلب مكانه وولى إسماعيل على حماة كما قلنا ولقبه المؤيد ولم يزل عليها إلى أن توفى سنة اثنين وثلاثين وولى الناصر ابنه الأفضل محمد برغبة أبيه إلى السلطان في ذلك ثم مات الملك الناصر في ذي الحجة سنة إحدى وأربعين وقام بعده بالأمر مولاه فوصى ونصب ابنه أبي بكر محمداً فكان أول شيء أحدثه عزل الأفضل من حماة وبعث عليها مكانه صقر دمول النائب وسار الأفضل إلى دمشق فمات بها سنة اثنين وأربعين وانقرضت إبالة بني أيوب من حماة والبقاء لله وحده لا ربّ غيره ولا معبود سواه.

## غزو العرب بالصعيد وفتح ملطية وأمد

ثم خرج السلطان سنة ثلاثة عشرة فعسكر بالأهرام موريًا بالترفة وقد بلغه ما نزل بالصعيد من عيش العرب وفسادهم في نواحه وإضرارهم بالسلالة فسرح العساكر في كل ناحية منه وأخذ الملوك منهم مأخذه إلى أن تقلب عليهم واستباحهم من كل ناحية وشدّ بهم من خلفهم ثم سرح العساكر سنة أربع عشرة بعدها إلى ملطية وهي للأرمن ولملوكها عنزة.

وسار لذلك تذكر نائب دمشق بعساكر الشام وستة من أمراء مصر وناظلوها في محرم سنة خمس عشرة وبها جموع من نصارى الأرمن والعربان وقليل من المسلمين تحت الجزيرة فقاتلتهم حتى القوا باليد واقتتلوا عنزة واستباحوها وجاوزوا بملوك الأسرى فأبقياه السلطان وأنعم عليه ثم غي عنه أنه يكتب ملوك العراق فحبسه ثم بعث السلطان العساكر من حلب سنة خمس عشرة إلى عرقية من أعمال آمد ففتحوها وجاءت العساcker سنة سبع عشرة ثانية إلى آمد ففتحوها واستباحوها وغنموا منها أموالاً جمة والله تعالى ينصر من يشاء من عباده.

بلادهم واستوطنوها وملوكها ولذوقها عيناً وفساداً وذهب ملوك العرب إلى مدافعتهم فمحاجروا ثم ساروا إلى مصانعهم بالصحراء فافتقر ملوكهم وصار بعض أبناء جهينة من أمها لهم على عادة الأعاجم في تملك الأخت وأiben الأخت فتمزق ملوكهم واستولى أعراب جهينة على بلادهم وليس في طريقه شيء من السياسة الملكية للأمة التي تمنع من انتياد بعضهم إلى بعض فصاروا شيئاً بهذا العهد ولم يبق لبلادهم رسم للملك وإنما هم الآن رجاله بادية يتبعون م الواقع القطر شأن بوادي الأعراب ولم يبق في بلادهم رسم للملك لما أحالته صبغة البداوة العربية من صبغتهم بالخليفة والالتحام والله غالب على أمره والله تعالى ينصر من يشاء من عادة.

**بقيمة أخبار الأرمن إلى الفتح أياس ثم فتح  
سيس وانقراض أمرهم**

قد كنا قدمنا أخبار الأرمن إلى قتل ملوكهم هشوم على يد  
أيدغاري شحنة التتر ببلاد الروم سنة سبع واستقرار الملك بسيس  
الأخيه أوسيير بن لون و كان بينه وبين قorman ملك التركمان  
مصاد سنة تسع عشرة فهزمه قorman ولم يزل أوسيير بن ليون ملكاً  
عليهم إلى سنة اثنين وسبعين فهلك ونصبوا للملك بعده ابته ليون  
صغرياً ابن انتي عشرة سنة وكان الناصر قد طلب أوسيير أن يتزلف  
له عن القلاع التي تلي الشام فاتسع وجهز إليه عساكر الشام  
فاكتسحوا بلاده وخرابوها وهلك أوسيير على أثر ذلك ثم أمر  
الناصر كتبغا نائب حلب بعمرو سبيس فدخل إليها بالساكن سنة  
ست وثلاثين واكتسح جهاتها وحصر قلعة التمير وافتتحها وأسر  
من الأرمن عدة يقال بلغوا ثلاثة وعشرين وبلغ خبرهم إلى النصارى  
بابايس فثاروا عن عندهم من المسلمين وأحرقوهم غضباً للأرمن  
لمشاركتهم في دين النصرانية.

ولم يثبت أن بعث إلى السلطان دمرداش بن جوبان شحنة الملح ببلاد الروم يعرفه بدخوله في الإسلام ويستقر عساكره بجهاز نصارى الأرمن فاسعفه بذلك وجهز إله عساكر الشام من دمشق وحلب وخاصة سنة سبع وثلاثين ونالوا مدينة آياس ففتحوها وخربوها ونجا قلهم إلى الجبال فاتبعهم عساكر حلب وعادوا إلى بلادهم ثم سار سنة إحدى وستين بذمرة الخوارزمي نائب حلب لغزو سيس ففتح أذنة وطرسوس والمصيصة ثم قلعى كلال والجرابدة وسبط كلا وغورو وولى ناثين في أذنة وطرسوس وعاد إلى حلب وولى بعده على حلب عشقيم النصارى فسار سنة ست

أخت علاء الدين ملك الهند صاحب دل ولما قضى حجه انطلقت  
الأمير محمد ابن أخت علاء الدين ملك الهند صاحب دل من  
هناك إلى اليمن ورجع إلى مصر فافرج عن رميثة أمير مكة من بني  
حسن وعن المعتقلين بمحبسه ووصله ووصلهم.

ثم حج الثالثة سنة اثنين وثلاثين ومعه الأفضل بن المؤيد  
صاحب حماة على عادة أبيه في مراكبة السلطان وقبل من حجه  
سنة ثلاث وثلاثين فامر بعمل باب الكعبة مصطفحاً بالفضة أفقاً  
فيه خمسة وثلاثين ألف درهم وفي منصرفة من هذه الحجة مات  
بكتمر الساقى من أعظم أمراء وخواصه ويقال: إنه سمه وهو من  
حمليك بيبرس الجاشنكير وانتقل إلى الناصر فجعله أمير السقاة  
وعظمت منزلته عنده ولطفت خلته حتى كانا لا يفترقان إما في  
بيت السلطان وإما في بيته وكان حسن السياسة في الغاية وخلف  
بعد وفاته من الأموال والجوائز والذخائر ما يفوت الحصر والله  
تعالى ولـ التوفيق يعينه وكرمه.

أخبار التوبة وإسلامهم

قد تقدم لنا غزو الترك إلى التوبة أيام الظاهر بيبرس والمتصور قلاؤون لما كان عليهم من الجزية التي فرضها عمرو بن العاص عليهم وقررها الملك بعد ذلك وربما كانوا يهاظلون بها أو يمتنعون من أدانها فتغزوهם عساكر المسلمين من مصر حتى يستقيموا وكان ملكهم بدنقلة أيام سارت العساكر من عند قلاؤون إليها سنة ثمين وستمائة واسمهم سماعون ثم كان ملكهم لهذا العهد اسمه آي لا أدرى أكان معاقباً لسماعون أو توسط بينهما متوسط وتوفي آي سنة ست عشرة وسبعمائة وملك بعده في دنقلا آخره كريبيس ثم نزع من بيت ملوكهم رجل إلى مصر اسمه نشلي وأسلم فحسن إسلامه وأجرى له رزقاً واتّم عنده فلما كانت سنة ست عشرة امتنع كريبيس من أداء الجزية فجهز السلطان إلى العساكر وبعث معها عبد الله نشلي المهاجر إلى الإسلام من بيت ملوكهم فخام كريبيس عن لقائهم وفر إلى بلد الأبواب ورجعت العساكر إلى مصر واستقر نشلي في ملك التوبة على حاله من الإسلام.

وبعث السلطان إلى ملك الأيواب في كرييس فبعث به إليه  
وأقام بباب السلطان ثم إن أهل النوبة اجتمعوا على ثشلي وقتلوه  
ويملاة جماعة من العرب ستة تسع وسبعين عن كرييس يلد الأيواب  
فالغوفه بمصر وبلغ الخبر إلى السلطان فبعثه إلى النوبة فملكتها  
وانقطعت الجزية بإسلامهم ثم انتشرت أحيا العرب من جهة في

دوشي سنة عشرين مع كير المغل وكان مقلداً يحمل على الأعنق ومعهم جماعة من أمرائهم ويرهان الدين أمام أزيك ومرروا بالقسطنطينية فالغ شكري في كرامتهم يقال: أنه أفق عليهم ستين ألف دينار وركبوا البحر من هناك إلى الإسكندرية.

ثم ساروا بها إلى مصر محملة على عجلة وراء ستور من الذهب والحرير يجرها كديش يفسده اثنان من مواليها في مظاهر عظيم من الورقار والتجلة ولما قاربوا مصر ركب للقائمين الناثان أرغون ويكتمر الساقي في العساكر وكريم الدين وكيل السلطان وأدخلت الخاتون إلى القصر واستدعى ثالث وصوها القضاة والفقهاء وسائر الناس على طبقاتهم إلى الجامع بالقلعة وحضر الرسل الرافقون عندهم بعد أن خلع عليهم وانعقد النكاح بين وكيل السلطان وكيل أزيك وإنقض ذلك الجميع وكان يوماً مشهوراً.

ووصلت رسائل أبي سعيد صاحب بغداد وال伊拉克 سنة اثنين وعشرين وفيهم قاضي توزير سالون الصلح وانتظام الكلمة واجتماع اليد على إقامة معالم الإسلام من الحجج وإصلاح السابلة وجهاد العدو فأجاب السلطان إلى ذلك وبعث سيف الدين أيتمش الحميدي لأحكام العقد معهم وامضاء إيمانهم فتوجه لذلك بهدية سنينة وعاد سنة ثلاثة وعشرين ومعه رسائل أبي سعيد ومعه جوبان مثل ذلك فتم ذلك وانعقد بينهم وقد كانت قبل ذلك تجدد الفتنة بين أبي سعيد وصاحب صرای نفرة من أزيك صاحب صرای من تقلب جوبان على أبي سعيد وفتكه في المغل.

وكانت بين جوبان وبين سبول صاحب خوارزم وما وراء النهر فتنة ظهر فيها أزيك وأمده بالعساكر فاستولى أزيك على أكثر بلاد خراسان وطلب من الناصر بعد الاتحاص بالصهر المظاهرة على أبي سعيد وجوبان فأجابه إلى ذلك ثم بعث إليه أبو سعيد في الصلح كما قلناه فأثاره وعقد له وبلغ الخبر إلى أزيك ورسل الناصر عنده فأغاظل في القول وبعث بالعتاب واعتذر له الناصر بأنهم إنما دعوا لإقامة شعائر الإسلام ولا يسع التخلف عن ذلك فقبل ثم وقعت بينه وبين أبي سعيد مراوضة في الصلح بعد أن استرد جوبان ما ملكه أزيك من خراسان فتوادع كل هؤلاء الملوك واصطلحوا ووضعوا أوزار الحرب حيناً من النهر إلى أن تقلبت الأحوال وتبدل الأمور والله مقلب الليل والنهار.

وبسبعين وحصر سيس وقلتها شهرين إلى أن نفت أقواته بهم وجههم الحصار فاستأنوا ونزلوا على حكمه فخرج ملكهم النكفور وأمراؤه وعساكره إلى عشقيم فبعث بهم إلى مصر واستولى المسلمون على سيس وسائر قلاعها وانقرض منها دولة الأرمن والبقاء الله وحده انتهى.

## الصلح مع ملوك التتر وصهر الناصر مع ملوك الشمال منهم

كان للنهر دولتان مستفحلتان إحداهما دولة بني هلاكو آخذ بغداد والمستولي على كرسي الإسلام بالعراق وأصارها هو وبنوه كرسياً لهم ولم مع ذلك عراق العجم وفارس وخراسان وما وراء النهر ودولة بني دوشى خان بن جنكيزخان بالشمال متصلة إلى خوارزم بالشرق إلى القرم وحدود القسطنطينية بالجنوب وإلى أرض بلغار بالغرب وكان بين الدولتين فتن وحروب كما تحدث بين الدول التجارية وكانت دولة الترك بمصر والشام مجاورة لدولة بني هلاكو وكان يطمعون في ملك الشام ويرددون الغزو إليه مرة بعد أخرى ويستميلون أولياءهم وأشياعهم من العرب والتركمان فيستظهرون بهم عليهم كما رأيت ذلك في أخبارهم وكانت بين ملوكهم من الجانين وقائع متعددة وحروبهم فيها سجال وربما غلبوا من الفتنة بين دولة بني دوشى وبين بني هلاكو وبلغتهم عن كل وقت ويستحوذ ملك الترك ملك صرای من بني دوشى خان لفتنة بني هلاكو والأجلاب عليهم في خراسان وما إليها من حدود ملوكهم ليشغلواهم عن الشام ويساخذوا مجدهم عن النهوض إليه.

وما زال ذلك دأبهم من أول دولة الترك وكانت رغبة بني دوشى خان في ذلك أعظم يفتخرون به على بني هلاكو ولما ول صرای أبنك من بني دوشى خان سنة ثلاثة عشرة وكان نائباً ببلاد الروم قطليغمير وفتت عليه الرسل من مصر على العادة فعرض لهم قطليغمير بالصهر مع السلطان الناصر بعض نساء ذلك البيت على شرطية الرغبة من السلطان في ظاهر الأمر والتمهل منهم في إمضاء ذلك.

وزعموا أن هذه عادة الملوك منهم ففعل السلطان ذلك وردد الرسل والمداباً أعواماً سترة إلى أن استحكم ذلك بينهم وبعثوا إليه بخطوبته طلباتش بنت طفاجي بن هند وابن بكر بن

## مقتل أولاد بني فحي أمراء مكة من بني

حسن

إلى الحجاز ومعه وزيره على بن هنجرس فرد من طريقه واعتقل وأفرج عنه السلطان بعد مرجه من الحج سنة عشرين ثم أن خيصة استأمن السلطان سنة عشرين وكان معه جماعة من المالك هربوا إليه فخافوا أن يعذروا معه إلى السلطان فاغتالوه وحضرها وكان السلطان قد أطلق رميثة من الاعتقال فامكنته منهم فشار من المباشر قتل أخيه وعفا عن الباقين ثم صرف السلطان رميثة إلى مكة وولاه مع أخيه عطيفة واستمرت حاكمها ووفد عطيفة سنة إحدى وعشرين على الأبواب ومعه قاتدة صاحب البيض يطلب الصريح على ابن عميه عقيل قاتل ولده فأجابه السلطان وجهز العساكر لصريحه وقبيل كل منها بالأكراد وانصرفوا.

وفي سنة إحدى وثلاثين وقعت الفتنة بمكة وقتل العبيد جماعة من الأمراء والترك فبعث السلطان أيدمر الكوكبي الذي فهرب الشرفاء والعبيد وحضر رميثة وبذل الطاعة وحلف متبرئاً مما وقع فقبل منه السلطان وعفا له عنها واستمرت حالة على ذلك إلى أن هلك سنة ..... وتداولت الإمارة بين ابنيه عجلان وبقية ثم استبد عجلان كما ذكره في أخبارهم وورثتها بنوه لهذا العهد كما ذكره مرتباً في أخبارهم إن شاء الله تعالى.

## حج ملك التكرور

كان ملك السودان بصحراء المغرب في الإقليم الأول والثاني مقسماً بين أمم من السودان أو لهم ما يلي البحر الخيط أمة صوصو وكانوا مستولين على غانة ودخلوا في الإسلام أيام الفتح وذكر صاحب كتاب رجار في الجغرافيا أن بني صالح من بني عبد الله بن حسن بن الحسن كانت لهم بها دولة وملك عظيم ولم يقع لنا في تتحقق هذا الخبر أكثر من هذا وصالح من بني حسن مجهول وأهل غانة منكرون أن يكون عليهم ملك لأحد غير صوصو ثم يلي أمة صوصو أمة مالي من شرقهم وكرسي ملوكهم بمدينة بني ثم من بعدهم شرقاً عنهم أمة كوكرو ثم التكرور بعدهم وفيما بينهم وبين التوبة أمة كائم وغيرها وتحولت الأحوال باستمار العصور فاستولى أهل مالي على ما وراءهم وبين أيديهم من بلاد صوصو وكوكرو وأخر ما استولوا عليه بلاد التكرور واستفحلاً ملوكهم إلى الغاية وأصبحت مدنهما بني حاضرة بلاد السودان بالغرب ودخلوا في دين الإسلام منذ حين من السنين.

وحج جماعة من ملوكهم وأول من حج منهم برمدار وسمعت في ضبطه من بعض فضلاتهم برمداره وسيله في الحج هي التي افتقاها ملوكهم من بعده ثم حج منهم منساولي بن ماري

قد تقدم لنا استيلاء قادة على مكة والنجاشي من يد الموارث واستقرارها لبنيه إلى أن استولى منهم أبو ثني وهو محمد بن أبي سعيد علي بن قاتدة ثم توفي سنة اثنين وسبعينه وولي مكانه ابنه رميثة وخديجة واعتقلا أخويهما عطيفة وأبا الغيث ولما حج الأميران كافلا الملكة بيبرس وسلام هربا إليهما من مكان اعتقالهما وشكراً ما نالهما من رميثة وخديجة فاشكاهم الأميران واعتقلا رميثة وخديجة وأوصلاهما إلى مصر وولياً عطيفة وأبا الغيث وبعثا بهما إلى السلطان صحبة الأمير أيدمر الكوكبي الذي جاء بالعساكر معهما ثم رضي السلطان عنهم وولاهما مكان رميثة وخديجة وبعث معهما العساكر ثانية سنة ثلاث عشرة وفر رميثة وخديجة عن البلاد ورجع العسكر.

وأقام أبو الغيث وعطيفة فرجع إليهما رميثة وخديجة وتلاقوا فانهزم أبو الغيث وعطيفة فسارا إلى المدينة في جوار منصور بن حاد فأمددهما ببني عقبة وبني مهدي ورجع إلى حرب رميثة وخديجة فاقتلاوا ثانية يطعن مرو فانهزم أبو الغيث وقتل واستمر رميثة وخديجة ولحق بهما أخويهما عطيفة وسار معهما ثم تشاوروا سنة خمس عشر وتحققت رميثة بالسلطان مستعداً على أخيه فبعث معه العساكر ففر خديجة بعد أن استصفى أهل مكة وهرب إلى السبعية مدن ولحقته العساكر فاستلحق أهل تلك المدن ولقيهم فانهزموا ونجا خديجة بنفسه.

ثم رجعت العساكر فرجع وبعث رميثة يستتجد السلطان فبعث إليه العساكر ففر خديجة ثم رجع وافتقت مع أخيه رميثة وعطيفة ثم لحق عطيفة بالسلطان سنة ثمان عشرة وبعث معه العساكر فتقبضوا على رميثة وأوصلوه معتقلًا فسجن بالقلعة واستقر عطيفة بمكة وبقي خديجة مشرداً ثم لحق بذلك التتر ملك العراق خربندا واستتجده على ملك النجاشي عند خربندا في إخراج الناس أنه داخل الروافض الذين عند خربندا في إخراج الشيوخ من قريهما وعظم ذلك على الناس ولقبه محمد بن عيسى آخر مهنا حسبة وامتعاضاً للدين وكان عند خربندا فاتبه واعتراضه وهرمه ويقال: أنه أخذ منه العاول والرؤوس التي أعدوها لذلك وكان سبيلاً لرضا السلطان عنه.

وجاء خديجة إلى مكة سنة ثمانين عشرة وبعث الناصر العساكر إليه فهرب وتركها ثم أطلق رميثة سنة تسع عشرة فهرب

وحبسه وأطلق من محبه واعتقل عمه المنصور وكان عبد الله الظاهر بن المنصور قائماً بأمر أبيه ومتازة المجاهد سنة أربع وعشرين فبعث بالصريح إلى الناصر سليمان الترك بمصر وكان هو وقومه يعطونهم الطاعة ويعثرون إلهم الأئمة من الأموال والهدايا وطرف اليمن وマاعونه فجهزهم الناصر صحبة يبرس الحاجب وطبنال من أعظم أمرائه فساروا إلى اليمن ولقيهم المجاهد بعدن فأصلحوا بين الفريقين على أن تكون وستة المجاهد في سلطانه باليمن وما لوا على كل من كان سبباً في الفتنة فقتلتهم ودواخراً اليمن وحملوا أهله على طاعة المجاهد ورجعوا إلى ملهم من الأبواب السلطانية والله تعالى ولـي التوفيق.

### ولاية أحمد ابن الملك الناصر على الكرك

ولما استفحـل ملك السلطان الناصر واستمر وكـثـر ولـه طـمحـت نـفـسـه إـلـى تـرـشـيـعـ ولـه لـقـرـعـ عـيـنـه بـلـكـهـمـ فـبـعـثـ كـبـيرـهـمـ أـحـمـدـ إـلـى قـلـعـةـ الـكـرـكـ سـنـةـ سـتـ وـعـشـرـينـ وـرـتـبـ الـأـمـرـاءـ الـقـيـمـينـ بـوـظـافـ السـلـطـانـ فـسـارـ إـلـىـ الـكـرـكـ وـأـقـامـ بـهـاـ أـرـبـعـ سـنـينـ مـعـنـاـ بـالـمـلـكـ وـالـدـوـلـةـ وـأـبـوـهـ قـرـيرـ العـيـنـ يـاـمـارـتـهـ فـيـ حـيـاتـهـ ثـمـ اـسـتـقـدـمـهـ سـنـةـ ثـلـاثـيـنـ وـالـدـوـلـةـ وـأـبـوـهـ قـرـيرـ العـيـنـ يـاـمـارـتـهـ فـيـ حـيـاتـهـ ثـمـ اـسـتـقـدـمـهـ سـنـةـ ثـلـاثـيـنـ وـأـقـامـ فـيـ سـنـةـ الـخـتـانـ وـاحـتـفـلـ فـيـ الصـنـبـيـعـ بـهـ وـخـنـقـ مـعـهـ مـنـ أـنـبـاءـ الـأـمـرـاءـ وـالـخـرـاصـ جـمـاعـةـ اـنـتـقـاهـ وـوـقـعـ اـخـتـيـارـهـ عـلـيـهـ ثـمـ صـرـفـهـ إـلـىـ مـكـانـ إـمـارـتـهـ بـالـكـرـكـ فـاقـامـ بـهـ إـلـىـ أـنـ تـرـفـيـ المـلـكـ الـنـاصـرـ وـكـانـ مـاـ ذـكـرـهـ وـالـلـهـ تـعـالـىـ أـعـلـمـ.

### وفاة مرداش بن جوبان شحنة بلاد الروم

#### ومقتله

كان جوبان نائب مملكة التر مستولياً على سلطانه أبي سعيد بن خربندا لصغره وكانت حاله مع أبيه خربندا قريباً من الاستيلاء فولى على مملكة بلاد الروم مرداش ثم وقعت الفتنة بينهم وبين ملك الشمال أزيك من بي دوشي خان على خراسان وسار جوبان من بغداد سنة تسعة وعشرين لدافعه كما يأتي في أخبارهم وترك عند السلطان أبي سعيد ببغداد ابنه خواجه دمشق فسعى به أعداؤه وأنهوا عنه قبائح من الأفعال لم يتحملها له فسطاطه وقتله ويبلغ الخبر إلى أبيه جوبان فانتقض وعادجه أبو سعيد بالسير إلى خراسان فتفرق عنده أصحابه وفر فادرك بهراة وقتل وأذن السلطان أبو سعيد لأهله أن ينقلوه إلى التربة التي اختطفها بالمدينة النبوية لدفعه فاحتلوه ولم يتمكنوا على إذن صاحب مصر

بن ماري جادة أيام الظاهر يبرس وحج بعده منهم مولاهم صاكوره وكان تغلب على ملوكهم وهو الذي افتح مدينة كوكو ثم حج أيام الناصر وحج من بعده منهم منساً موسى حسبما ذكر ذلك مذكور في أخبارهم عند ذكر صنهاجة ودولة لم ترونه من شعرهم.

ولما خرج منساً موسى من بلاد المغرب للحج سلك على طريق الصحرا وخرج عند الأهرام بمصر وأهدي إلى الناصر هدية حفيظة يقال أن فيها حسين ألف دينار وأنزله بقصر عند القرافة الكبرى واقتصر إياها ولقيه السلطان بمجلسه وحدثه ووصله وزوجه وقرب إليه الخيل والهجن وبعث معه الأمراء يغرسون بخدمته إلى أن قضى فرضه سنة أربع وعشرين ورجع فأصابه في طريقه بالعجز نكبة تخلصه منها أجله وذلك أنه ضل في الطريق عن المعلم والركب وانفرد بقومه عن العرب وهي كلها مجاهل لهم فلم يهدوا إلى عمران ولا وقفوا على مورد وساروا على السمت إلى أن نفذوا عند السوريين وهم يأكلون لحم الحيتان إذا وجدها والأعراب تخطفهم من أطرافهم إلى أن خلصوا.

ثم جدد السلطان له الكرامة ووسع له في الجاء وكان أحد لنفقة من بلاده فيما يقال مائة حل من التبر في كل حل ثلاثة قنطير فنفت كلها وأعجزته النفقة فاقتراض من أعيان التجار وكان في صحبته منهم بنو الكوريك فأقرضوه حسين ألف دينار وابتاع منهم القصر الذي أقطعه السلطان وأمضى له ذلك وبعد سراج الدين بن الكوريك معه وزير يرد له منه ما أقرضه من المال فهلك هنالك وأتبعه سراج الدين آخرأً بابنه فمات هنالك وجاء ابنه فخر الدين أبو جعفر بالبعض وهلك منساً موسى قبل وفاته فلم يظفروا منه بشيء انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم.

### المجاد المجاهد ملك اليمـن

قد تقدم لنا استبداد علي بن رسول فملك بعد مهلك سيده يوسف أنس بن الكامل بن العادل بن أبيوب وبلقب المسعود وكان علي بن رسول أستاذ داره ومستولياً على دولته فلما هلك سنة ست وعشرين وستمائة نصب ابن رسول ابنه موسى الأشرف للملك وكفله قريباً واستولى ابن رسول وأورث ملكته باليمن لبنيه لهذا العهد وانتقل الأمر للمجاهد منهم علي بن داود المؤيد بن يوسف المظفر بن عمر بن المنصور بن علي بن رسول سنة إحدى وعشرين وانتقض عليه جلال الدين ابن عممه الأشرف ظهر عليه المجاهد واعتقله ثم انتقض عليه عممه المنصور سنة ثلاث وعشرين

إلى البرية إلا في الأقل وكانت معهم أحياء من أفاريق العرب متدرجون في لفيفهم وحلفهم من مذحج وعامر وزيد كما كان آل فضل إلا أن أكثر من كان مع آل مراد من أولئك الأحياء وأفواههم عدة بني حارثة بن سبיס إحدى شعوب طبع هكذا ذكر لي الثقة عندي من رجالهم وبني حارثة هؤلاء متغلبون لهذا العهد في تلول الشام لا يجاوزونها إلى العمран ورياسة آل فضل لهذا العهد لبني مهنا وينسبونه هكذا: مهنا بن ماتع بن سالم بن جصلة بن بن بدر بن ربيعة بن علي بن مفرج بن بدر بن سالم بن جصلة بن بدر بن سبيع ويقرون عند سبيع.

ويقول رعاوهم إن سمعياً هذا هو الذي ولدته العباسة أخت الرشيد من جعفر بن يحيى البرمكي. وحاشي الله من هذه المقالة في الرشيد وأخته وفي انتساب كبراء العرب من طيء إلى موالى العجم من بني برمك وأنسابهم ثم إن الوجдан يحيى رياضه هؤلاء على هذا الحي إن لم يكونوا من نسبتهم وقد تقدم مثل ذلك في مقدمة الكتاب. وكان مبدأ رياستهم من أول دولة بني أيوب.

قال العmad الأصبهاني في كتاب «البرق السامي» نزل العادل بمروج دمشق ومعه عيسى بن محمد بن ربيعة شيخ الأعراب في جموع كثيرة انھى وكانت الرياسة قبلهم لعهد الفاطميين لبني جراح من طيء وكان كبيرهم مفرج بن دغفل ابن جراح وكان من إقطاعه الرملة وهو الذي قبض على أفتکين مولى بني بويه لما انهزم مع مولاه بختيار بالعراق وجاء به إلى المعز فاکرمه ورقاه في دولته.

ولم يزل شأن مفرج هكذا وتوفي سنة أربع واربعينه وكان من ولده حسان وعمود وعلى وجوان وولي حسان بعده وعظم صيته وكان بينه وبين خلفاء الفاطميين نفرة واستجاشة وهو الذي هدم الرملة وهزم قائدتهم هاروق التركي وقتله وسي نساهه وهو الذي مدحه التهامي.

وقد ذكر المبحي وغيره من مؤرخي دولت العبيدين في قربة حسان بن مفرج فضل بن ربيعة بن حازم بن جراح وأخاه بدر بن ربيعة ولعل فضلاً هذا هو جد آل فضل.

وقال ابن الأثير: فضل بن ربيعة بن حازم كان آباءه أصحاب البلقاء والبيت المقدس وكان فضل تارة مع الإفرنج وتارة مع خلفاء مصر ونکره لذلك طغرkin أتابك دمشق وكافل بيتش وطرده من الشام فنزل على صدقة بن مزيد وحالفة ووصله حين قدم من دمشق بستة آلاف دينار فلما خالف صدقة بن مزيد على السلطان محمد بن ملك شاه سنة خمسة وما بعدها ووكلت عامة رحلتهم في حدود الشام قريباً من التلول والقرى لا ينبعون

فمنهم صاحب المدينة ودفنوه بالبقع.

ولما بلغ الخبر مقتله إلى ابنه دمراش في إمارته ببلاد الروم خشي على نفسه فهرب إلى مصر وترك مولاه ارتق مقيناً لأمر البلد وائزه بسيوس وله وصل إلى دمشق وركب النائب لتلقىه وسار معه إلى مصر فاقبل عليه السلطان وأحله محل الكرامة وكان معه سبعة من الأمراء ومن العسكر نحو ألف فارس فاکرمهم السلطان وأجرى عليهم الأرزاق وأقاموا عنده.

وجاءت على أثره رسيل السلطان أبي سعيد وطلبه بذمة الصلح الذي عقد مع الملك الناصر وأوضحاوا العلم السلطان من فساد طريته وطوية أبيه جوبان وسعدهم في الأرض بالفساد ما أوجب إعطاءه باليد وشرط السلطان عليهم إمضاء حكم الله تعالى في قراسنقر نائب حلب الذي كان فر سنة اثنى عشرة مع أتوش الأفروم إلى خربندا وأغاروه بذلك الشام ولم يتم ذلك وأقاموا عند خربندا ولي أقوش الأفروم على همدان فمات بها سنة ست عشرة فولى صاحبه قراسنقر مكانه بهمدان فلما شرط عليهم السلطان قتله كما قتل دمراش أفضوا فيه حكم الله تعالى وقتلوا جراءه مما كان عليه من الفساد في الأرض والله متول جذانهم ثم وصل على أثر ذلك ابن السلطان أبي سعيد ومعه جماعة من قومه في تأكيد الصلح والإصلاح من السلطان فقربلوا بالكرامة التي تلقي بهم واتصلت المراسلة والمهادنة بين هذين السلطانين إلى أن توفي والله وارت الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

## وفاة مهنا بن عيسى أمير العرب بالشام وأخبار قومه

هذا الحي من العرب يعرفون بالفضل حاله ما بين الشام والمذيرية وترية نجد من أرض الحجاز يتقلبون بينها في الرحلتين ويتسبوون في طبع ومعهم أيام من زيد وكلب وهذيل ومذحج أحلاف لهم وبناهضهم في الغلب والعدد آل مراد يزعمون أن فضلاً ومراداً أبناء ربيعة ويزعمون أيضاً أن فضلاً ينقسم ولده بين آل منها وآل علي وأن آل فضل كلهم بأرض حوران فغلبهم علىها آل مراد وأخر جوهم منها فنزلوا حمص ونواحيها وأقامت زيد من أحلافهم بحوران فهم بها حتى الآن لا يفارقونها:

قالوا: ثم اتصل آل فضل بالدول السلطانية ولو لهم على أحياء العرب وأقطعوهم على إصلاح السابلة بين الشام وال العراق فاستظہروا برياستهم على آل مراد وغلبوا على المشاتي فصار عامة رحلتهم في حدود الشام قريباً من التلول والقرى لا ينبعون

ولترجع الآن إلى سرد الخبر عن رياضة آل فضل أهل هذا البيت منذ دولة بني أبوب فنقول:

كان الأمير منهم لمهد بني أبوب عيسى بن محمد بن ربيعة أيام العادل كما قلناه ونقلناه عن العماد الأصبهاني الكاتب ثم كان بعده حسام الدين مانع بن خديبة بن غصيبة بن فضل وتوفي سنة ثلاثين وستمائة وولى عليهم بعده ابنه مهنا.

ولما ارتفع قظر ثالث ملوك الترك بمصر وملك الشام من يد التتر وهزم عسكرهم بعين جالوت أقطعوا سليمية لهنا بن مانع وانتزاعها من عمل المنصور بن المظفر بن شاهنشاه صاحب حماة ولم أتف على تاريخ وفاة مهنا ثم ولـي الظاهر على أحياه العرب بالشام عندما استفحـل أمر الترك وسار إلى دمشق لتشييع الخليفة الحاكم عم المستعصم ببغداد فولـى على العرب عيسى بن مهنا بن مانع ووفر له الإقطاعـات على حفظ السابلة وجنس ابن عمـه زامل بن علي بن ربيعة من آل علي لإاعـاته وإعراضـه ولم يـزل أميراً على أحـايا العرب وصلـحـوا في أيامـه لأنـه خـالـفـ إـيـاهـ في الشـدةـ عـلـيـهـمـ وـهـرـبـ إـلـيـهـ سـتـقـرـ الأـشـقـرـ سـتـهـ تـسـعـ وـتـسـعـيـنـ وـكـاتـبـواـ إـيـغـاـ وـاسـتـحـثـوـهـ لـكـ الشـامـ.

وتوفي عيسى بن مهنا سنة أربع وثمانين فولـى المنصور قلاوونـ بعدـ ابـنهـ مـهـنـاـ شـمـ سـارـ الأـشـرـفـ بنـ قـلاـوـونـ إـلـىـ الشـامـ وـنـزـلـ حـمـصـ وـوـفـدـ عـلـيـهـ مـهـنـاـ بـنـ عـيـسـىـ فـقـبـضـ عـلـيـهـ وـعـلـيـهـ اـبـنـهـ مـوـسـىـ وـأـتـوـيـهـ مـحـمـدـ وـفـضـلـ اـبـنـيـ عـيـسـىـ بـنـ مـهـنـاـ وـبـعـثـ بـهـمـ إـلـىـ مـصـرـ فـجـبـسـواـ بـهـاـ حـتـىـ أـفـرـجـ عـنـهـمـ العـادـلـ كـتـبـاـعـاـ عـنـدـمـ جـلـسـ عـلـىـ التـختـ سـتـهـ أـرـبعـ وـتـسـعـيـنـ وـرـجـعـ إـلـىـ إـمـارـتـهـ شـمـ كـانـ لـهـ فـيـ إـيـامـ النـاصـرـ نـفـرـةـ وـاستـجـاشـةـ وـمـيـلـ إـلـىـ مـلـوـكـ التـتـرـ بـالـعـرـاقـ وـلـمـ يـخـضـرـ شـبـيـثـاـ مـنـ وـقـائـعـ غـازـانـ وـلـاـ اـنـتـقـضـ سـقـرـ وـأـتـوـشـ الـأـفـرـ وـأـصـحـابـهـ سـنـةـ اـثـنـيـ عـشـرـ وـسـعـمـانـةـ لـخـتـرـاـ بـهـ وـسـارـوـاـ مـنـ عـنـهـ إـلـىـ خـرـبـنـداـ وـاسـتـوـحـشـ هـوـ مـنـ السـلـطـانـ وـأـقـامـ فـيـ أـحـيـاءـ مـنـقـبـاـعـاـ عـنـ الرـفـادـةـ.

وـوـفـدـ أـخـوـهـ فـضـلـ سـنـةـ اـثـنـيـ عـشـرـةـ فـرـعـىـ لـهـ حقـ وـفـادـهـ وـوـلـاـهـ عـلـيـهـ عـرـبـ مـكـانـ أـخـيـهـ مـهـنـاـ وـيـقـيـهـ مـهـنـاـ مـشـرـدـاـ ثـمـ لـقـ سـنـةـ سـتـ عـشـرـةـ خـرـبـنـداـ مـلـكـ التـتـرـ فـاـكـرـمـ وـأـقـطـعـهـ بـالـعـرـاقـ وـهـلـكـ خـرـبـنـداـ فـيـ تـلـكـ السـنـةـ فـرـجـعـ إـلـىـ أـجـيـاهـ وـأـوـفـدـاـ اـبـيـهـ أـحـدـ وـمـوـسـىـ وـأـخـاهـ مـحـمـدـ بـنـ عـيـسـىـ مـسـتـعـنـنـ لـلـنـاصـرـ وـمـنـطـارـحـينـ عـلـيـهـ فـاـكـرـمـ وـفـادـهـ وـأـنـظـمـ بـالـقـصـرـ الـأـبـانـ وـشـلـمـهـ بـالـإـحـسانـ وـأـعـتـبـ مـهـنـاـ وـرـدـهـ عـلـيـ إـمـارـتـهـ وـإـقـاطـعـهـ وـذـلـكـ سـنـةـ سـبـعـ عـشـرـةـ وـحـجـ هـذـهـ السـنـةـ اـبـنـهـ عـيـسـىـ وـأـخـوـهـ مـحـمـدـ وـجـمـاعـهـ مـنـ آـلـ فـضـلـ اـثـنـ عـشـرـ الفـ رـاحـلـةـ ثـمـ رـجـعـ مـهـنـاـ إـلـىـ دـيـنـهـ فـيـ عـمـالـةـ التـتـرـ وـالـإـجـلـابـ عـلـىـ الشـامـ.

يبـنـهـمـ الـفـتـنـةـ اـجـتـمـعـ فـضـلـ هـذـاـ وـقـرـواـشـ بـنـ شـرـفـ الـدـوـلـةـ مـسـلـمـ بـنـ قـرـيشـ صـاحـبـ الـمـوـرـصـ وـيـعـضـ أـمـرـاءـ الـتـرـكـمـانـ كـانـواـ أـولـيـاءـ صـدـقـةـ فـسـارـوـاـ فـيـ الطـلـائـعـ بـيـنـ يـدـيـ الـحـرـبـ وـهـرـبـوـاـ إـلـىـ السـلـطـانـ فـاـكـرـمـهـ وـخـلـعـ عـلـيـهـمـ وـأـنـزـلـ فـضـلـ بـنـ رـبـيـعـ بـدـارـ صـدـقـةـ بـنـ مـزـيدـ بـيـغـدـادـ حـتـىـ إـذـاـ سـارـ السـلـطـانـ لـقـتـالـ صـدـقـةـ اـسـتـاذـهـ فـيـ الـخـرـوـجـ إـلـىـ الـبـرـيـةـ لـيـأـسـدـ بـعـدـجـزـةـ صـدـقـةـ فـاذـنـ لـهـ وـعـرـبـ إـلـىـ الـأـبـنـارـ وـمـرـجـعـ لـلـسـلـطـانـ بـعـدـهـ اـتـهـيـ كـلـامـ بـنـ الـأـثـيـرـ.

ويـظـهـرـ مـنـ كـلـامـهـ وـكـلـامـ الـمـسـيـحـيـ أـنـ فـضـلـ هـذـاـ وـيـدـرـأـ مـنـ آـلـ جـرـاحـ مـنـ غـيرـ شـكـ وـيـظـهـرـ مـنـ سـيـاقـةـ هـؤـلـاءـ نـسـبـهـمـ أـنـ فـضـلـ هـذـاـ هوـ جـدـهـمـ لـأـنـهـمـ يـسـبـوـنـهـ فـضـلـ بـنـ عـلـيـ بـنـ مـفـرـجـ وـهـوـ عـنـدـ الـآـخـرـينـ فـضـلـ بـنـ عـلـيـ بـنـ جـرـاحـ فـلـعـلـ هـؤـلـاءـ نـسـبـوـاـ رـبـيـعـةـ إـلـىـ مـفـرـجـ الـذـيـ هـوـ كـبـيرـ بـنـ الـجـرـاحـ لـطـولـ الـعـهـدـ وـقـلـةـ الـمـحـافـظـةـ عـلـىـ مـلـهـ دـلـيـلـاـ مـثـلـ هـذـاـ مـنـ الـبـادـيـةـ الـغـفـلـ.

وـأـمـاـ نـسـبـهـ مـنـ الـحـيـ فـيـ طـيـ فـيـعـضـهـمـ يـقـولـ إـنـ الـرـيـاسـةـ فـيـ طـيـ كـانـ لـأـيـاسـ بـنـ قـيـصـةـ مـنـ بـنـ سـبـيـسـ بـنـ عـمـ وـبـنـ الغـورـ بـنـ طـيـ وـإـيـاسـ هـوـ الـذـيـ مـلـكـ كـسـرـيـ عـلـىـ الـحـيـرـةـ بـعـدـ آـلـ الـمـنـذـرـ عـنـدـمـ قـلـ التـعـمـانـ بـنـ الـمـنـذـرـ هـوـ الـذـيـ صـالـحـ خـالـدـ بـنـ الـوـلـيدـ عـلـىـ الـحـيـرـةـ وـلـمـ تـرـلـ الـرـيـاسـةـ عـلـىـ طـيـ فـيـ بـنـ قـيـصـةـ هـؤـلـاءـ صـدـرـاـ مـنـ دـوـلـ الـإـسـلـامـ فـلـعـلـ آـلـ فـضـلـ هـؤـلـاءـ وـآـلـ الـجـرـاحـ مـنـ أـعـقـابـهـمـ وـإـنـ كـانـ اـنـقـرـضـ أـعـقـابـهـمـ فـهـمـ مـنـ أـقـرـبـ الـحـيـ إـلـيـهـ لـأـنـ الـرـيـاسـةـ فـيـ الـأـحـيـاءـ وـالـشـعـوبـ إـيـمـاـ تـصـلـ فـيـ أـهـلـ الـعـصـيـةـ وـالـنـسـبـ كـمـ أـوـلـ الـكـتـابـ.

وـقـالـ اـبـنـ حـزـمـ عـنـدـ مـاـ ذـكـرـ اـنـسـابـ طـيـ: أـنـهـمـ لـمـ خـرـجـواـ مـنـ الـيـمـنـ نـزـلـواـ أـجـاـ وـسـلـمـيـ وـأـوـطـنـهـمـ وـمـاـ بـيـنـهـمـ وـنـزـلـ بـنـ أـسـدـ مـاـ بـيـنـهـمـ وـبـنـ الـعـرـاقـ وـفـضـلـ كـثـيرـهـمـ وـهـمـ بـنـ خـارـجـةـ بـنـ سـعـدـ بـنـ عـبـادـ مـنـ طـيـ وـيـقـالـ لـهـ جـدـيـلـةـ نـسـةـ إـلـىـ أـهـمـ بـنـتـ تـيـمـ اللـهـ وـحـيـشـ وـالـأـسـدـ إـخـوـتـهـمـ رـحـلـوـاـ عـنـ الـجـبـلـيـنـ فـيـ حـرـبـ الـفـسـادـ فـلـحـقـوـ بـحـلـبـ وـحـاضـرـ طـيـ وـأـوـطـنـواـ تـلـكـ الـبـلـادـ إـلـيـ بـنـ رـمانـ بـنـ جـنـدـبـ بـنـ خـارـجـةـ بـنـ سـعـدـ فـيـانـهـمـ أـقـامـواـ بـالـجـبـلـيـنـ فـكـانـ يـقـالـ لـأـهـلـ الـجـبـلـيـنـ: الـجـبـلـيـنـ وـلـأـهـلـ حـلـبـ وـحـاضـرـ طـيـ مـنـ بـنـيـ خـارـجـةـ السـهـلـيـنـ اـتـهـيـ.

فـلـعـلـ هـذـهـ أـحـيـاءـ الـذـيـنـ بـالـشـامـ مـنـ بـنـيـ الـجـرـاحـ وـآـلـ فـضـلـ مـنـ بـنـيـ خـارـجـةـ هـؤـلـاءـ الـذـيـنـ ذـكـرـ اـبـنـ حـزـمـ أـنـهـمـ اـنـتـلـوـاـ إـلـىـ حـلـبـ وـحـاضـرـ طـيـ لـأـنـ هـذـاـ الـمـوـطـنـ أـنـبـرـهـ مـنـ مـوـاطـنـهـمـ هـذـاـ الـعـهـدـ مـنـ مـوـاطـنـ بـنـيـ الـجـرـاحـ بـفـلـسـطـيـنـ مـنـ جـبـلـ أـجـاـ وـسـلـمـيـ الـذـيـنـ هـمـ مـوـطنـ الـأـخـرـينـ وـالـلـهـ أـلـمـ يـعـلـمـ أـيـ ذـلـكـ يـصـحـ مـنـ أـسـابـهـ.

مكانه معيقيل بن فضل بن عيسى وزامل بن موسى بن مهنا شريكين في إمارتهم ثم عزلها لستة من ولايتما وولي بصير بن جبار بن مهنا واسمه محمد وهو لهذا العهد أمير على آل فضل وجميع أحياء طبيع والله تعالى أعلم.

## وفاة أبي سعيد ملك العراق وانقراض أمر بني هلاكو

ثم توفي أبو سعيد ملك العراق من التتر ابن خربندا بن بغور بن أبيغا بن هلاكر بن طولى خان بن جنكرخان سنة ست وثلاثين وسبعين سنة لعشرين سنة من ملكه ولم يعقب فانقرض بمورته ملك بني هلاكو وصار الأمر بالعراق لسواهم وافتقر ملك التتر فيسائر ممالكهم كما نذكر في أخبارهم. ولما استبد بغداد الشيخ حسن من أسباطهم كثر عليه المنازعون فبعث رسالته إلى الناصر قبل وفاته يستجده على أن يسلم له بغداد ويعطي الرهن في العساكر حتى يقضى بها في أعدائه فأجابه الناصر إلى ذلك ثم توفي قريباً فلم يتم والأمر الله وحده.

## وصول هدية ملك المغرب الأقصى مع رسله وكريمه صحبة الحاج

كان ملك بني مرiven بالمغرب الأقصى قد استفحلاً هذه العصور وصار للسلطان أبي الحسن علي بن السلطان أبي سعيد عثمان بن السلطان أبي يوسف بن يعقوب بن عبد الحق جد ملوكهم وأسف إلى ملكه جيرانهم من الدول فزحف إلى المغرب الأوسط وهو في ملكة بني عبد الراد أعداء قومه من زنانة وملوكهم أبو تاشفين عبد الرحمن بن أبي حمو موسى بن أبي سعيد عثمان بن السلطان يغمراسن بن زياد جد ملوكهم أيضاً وكرسيه تلمسان سبعة وعشرين شهراً ونصب عليها الماجنيد ودار بالأسوار سياجاً لمنع وصول الميرة والأقواف إليها وتقرى أعمالها بلداً بلداً فملك جميعها ثم افتحتها عنوة آخر رمضان سنة سبع وثلاثين فقضى جوعها وقتل سلطانها عبد باب قصره كما نذكره في أخبارهم.

ثم كتب للملك الناصر صاحب مصر يخبره بفتحها وزووال العائق عن وفادة الحاج وأنه ناظر في ذلك بما يسهل سيلهم ويزيل عللهم وكانت كريمة من كرامات أبيه السلطان أبي سعيد ومن أهل فراشه قد اقتضت منه الوعد باللحج عندما ملك تلمسان فلما فتحها وأذهب عدوه منها جهز تلك المرأة للحج بما يناسب قربتها

وانتقل ذلك منه فنقم السلطان عليه وسخطه قرمته أجمع وكتب إلى نواب الشام سنة عشرين بعد مرجعه من الحج فطرد آل فضل عن البلاد وأدال منهم آل علي عديدة نسيهم.

ولو منهم على أحياء العرب محمد بن أبي بكر وصرف إقطاعه مهنا وولده إلى محمد وولده فقام مهنا على ذلك مدة ثمان وفدي سنة إحدى وثلاثين مع الأفضل بن المؤيد صاحب حماة متولاً به ومتطارحاً على السلطان فاقبل عليه ورد عليه إقطاعه وإمارته.

وذكر لي بعض أكابر الأمراء بمصر من أدرك وفاته أو حدث عنها: أنه تجافي في هذه الوفادة عن قبول شيء من السلطان حتى أنه ساق من النياق المخلوبة واستقاها وأنه لم يعش بباب أحد من أبواب الدولة ولا سألهم شيئاً من حاجته.

ثم رجع إلى أجيائه وتوفي سنة أربعين وثلاثين فولى ابنه مظفر الدين موسى وتوفي سنة اثنين وأربعين عقب مهلك الناصر وولي مكانه آخره سليمان ثم هلك سليمان سنة ثلاث وأربعين فولى مكانه شرف الدين عيسى ابن عمه فضل بن عيسى ثم توفي سنة أربع وأربعين بالقدس ودفن عند قبر خالد بن الوليد رضي الله عنه وولي مكانه آخره سيف بن فضل.

ثم عزله السلطان بمصر الكامل بن الناصر سنة ست وأربعين، وولي مكانه مهنا بن عيسى ثم جمع سيف بن مهنا ولقبه فياض بن مهنا فانهزم سيف ثم ول السلطان حسين بن الناصر في دولته الأولى وهو في كفالة بيقاروس أحد بن مهنا فسكن الفتنة سنة اثنين وستين فولى مكانه آخره خيار بن مهنا ولاه حسين بن الناصر في دولته الثانية ثم انتقض سنة خمس وستين وأقام سنتين بالقفر ضاحياً إلى أن شفع نائب حماة فأعيد إلى إمارته.

ثم انتقض سنة سبعين فولى السلطان الأشرف مكانه ابن عمه زامل بن موسى بن عيسى وجاء إلى نواحي حلب واجتمع إليه بتوكلاب وغيرهم وعاثوا في البلاد وعلى حلب يومئذ قشتmer المنصوري فيرز إليهم وانتهى إلى غيبيهم واستنقض نعمهم وتحطى إلى الخيم فاستمأنا دونها وهزموا عساكره وقتل قشتmer وابنه في المعركة وتولى ذلك زامل بيده وذهب إلى القفر متقطضاً فولى مكانه معيقيل بن فضل بن عيسى ثم وفدي خيار بن مهنا سنة خمس وسبعين يستأمن خيار فأنه شم وفدي خيار بن مهنا سنة خمس وسبعين فرضي عنه السلطان فأعاده إلى إمارته ثم توفي سنة سبع وسبعين فولى أشوه قارة إلى أن توفي سنة إحدى وثمانين فولى

إلى الراشد وأنه بويغ له بالخلافة سنة ستين وستمائة ولقبه الحاكم فلم يزل في خلافته إلى أن توفي سنة إحدى وسبعينه وقد عهد لابنه سليمان فباع له أهل دولة الناصر الكافلون لها ولقبوه المستكفي فبقي خليفة سائر أيام الناصر ثم تذكر له السلطان سنة ست وثلاثين لشيء غبي له عن بنيه فأسكنه بالقلعة ومنعه من لقاء الناس فبقي حولاً كذلك ثم ترك سبيله ونزل إلى بيته ثم كثرت السعاية في بنيه فغriبه سنة ثمان وثلاثين إلى قوص هو وبنيه وسائر أقاربه وأقام هنالك إلى أن هلك سنة أربعين قبل مهلك الناصر وقد عهد بالخلافة لابنه أحد ولقبه الحاكم فلم ينصب الناصر عهده في ذلك لأن أكثر السعاية المشار إليها كانت فيه منصب للخلافة بعد المستكفي ابن عممه إبراهيم بن محمد ولقبه الواثق وهلك لأشهر قربة فاتفق الأمراء بعده على إمضاء عهد المستكفي في ابنه أحد فباعوه سنة إحدى وأربعين وأقام في الخلافة إلى سنة ثلاثة وخمسين فتوفي ولو أخوه أبو بكر ولقب المتضدد ثم هلك سنة ثلاث وستين لعشرة أشهر من خلافته ونصب بعده ابنه محمد ولقب المركل ونوره من أخباره في أماكنها ما يحضرنا ذكره والله سبحانه وتعالى أعلم بغيته.

## نكتة تذكر ومقتله

كان تذكر مولى من موالي لاشين اصطفاه الناصر وقربه وشهد معه وقائع التتر وسار معه إلى الكرك وأقام في خدمته مدة خلعه وما رجع إلى كرسيه ومهد أمور ملكه ورتب الولاية لمن يرضاه من أمرائه بعث تذكر إلى الشام وجعله نائباً بدمشق ومشارقاً لساير بلاد الروم ففتح ملطية ودخل الأرمن وكان يتربّد بالوفادة على السلطان يشاوره وربما استدعاه للمفاوضة في المهمات واستفحّل في دفاع التتر وكيادهم ولما توفي أبو سعيد وافتراض ملك بي هلاكو وافتراق أمر بغداد وتورين وكانت معاً يجاورانه ويستجداه وسخطه بعضهم فراسل السلطان بشئه وادهانه في طاعته ومالأة أعدائه وشرع السلطان في استكشاف حاله وكان قد عقد له على بنته فبعث داوداته بإجازة يستقدمه للأعراض بها وكان عدواً له للمنافسة والغيرة فأشعار على تذكر بالقائم وتخلية عن السلطان وغضّه في النصيحة وحذر السلطان منه فبعث الملك الناصر إلى طشمر نائب صفت أن يتوجه إلى دمشق ويقبض عليه فقبض عليه سنة أربعين لثمان وعشرين سنة لولايته بدمشق ويعتذر الملك الناصر مولاً لشريك إلى دمشق في العساكر فاحتاط على موجوده وكان شيئاً لا يعبر عنه من أصناف الممتلكات وجاء به مقيداً فاعتقل بالإسكندرية ثم قتل في محبسه

منه وجهز معها للملك الناصر صاحب مصر هدية فخمة مشتملة على خمسة من الجنادل المغريّات بعدها وعدة فرسانها من السروج واللجم والسيوف وطرف المغرب و ساعونه من شتى أصنافه ومن ثياب الحرير والصوف والكتان وصنائع الجلد حتى ليزعموا أنه كان فيها من أواني الخزف وأصناف الدر والياقوت وما يشبههما في سبيل التوడد.

وعرض أحوال المغرب على سلطان المشرق ولعظم قدر هذه الراوفة عند الناصر أوفد معها من عظامه قوله وزوارته وأهل مجلسه فوفدوا على الناصر سنة ثمان وثلاثين وأحالمهم بأشرف محل من التكريم ويعث من اصطبلاته ثلاثة خططاً من البغال يحملون الهدية من بحر النيل سوى ما تبعها من البختاني والجملان وجلس لهم في يوم مشهود ودخلوا عليه وعرضوا الهدية فسم بها أهل دولته إحساناً في ذلك المجلس واستثار منها على ما زعموا بالدر والياقوت فقط ثم فرقهم في منازله وأنزّلهم دار كرامته وقد هيئت بالفرش والماعون ووفر لهم الجرایات واستكثروا لهم من الأزوقة.

وبعث أمراء في خدمتهم إلى الحجاز حتى قضوا فرضهم في تلك السنة وانقلبوا إلى سلطانهم فجهز الناصر معهم هدية إلى ملك المغرب تستعمل على ثياب الحرير المصنوعة بالإسكندرية وعيّن منها الحمل المتعارف في كل سنة الخزانة السلطان وقيمةه لذلك العهد خسون ألف دينار وعلى خيمة من خيم السلطان المصنوعة بالشام فيها أمثال البيوت والقباب والكاففات مرساة أطرافها في الأرض بأوتاد الحديد والخشب كانها قباب مائة وعلى خيمة مؤزر باطنها من ثياب الحرير العراقيّة وظاهرها من ثياب القطن الصرافية مستجادة الصنعة بين الحدل والأوتاد أحسن ما يراه من البيوت وعلى صوان من الحرير مزمع الشكل يقام بالحدل الحافظ ظله من الشمس وعلى عشرة من الجنادل المغريّات الملوكية بسرور وجل ملوكية مصنوعة من الذهب والفضة مرصعة بالآلئ والقصور ويعث مع تلك الجنادل خدماً يقومون ببنائها المتعارف فيها ووصلت الهدية إلى سلطان المغرب فرفعت منه أحسن الواقع وأعاد الكتب والرسائل بالشكر واستحقّت المودة بين هذين السلطانين واتصلت المهاّدة إلى أن مضياً لسيّلهمما والله تعالى ولـ التوفيق.

## وفاة الخليفة أبي الريحان ولاية ابنه

قد ذكرنا أيام الظاهر وأنه أقام خليفة بمصر من ولد الراشد وصل يومئذ من بغداد واسمـه أحد بن محمد وذكرنا نسبة هـنـاك

والله تعالى أعلم.

وبعث به إلى الإسكندرية فاعتقل بها.

ثم أقبل السلطان أبو بكر على لذاته ونزع عن الملك وصار يمشي في سكك المدينة في الليل متذمراً مغالطاً للسوقة فتكر ذلك الأمراء وخلمه قرصون وقطلوا طباعها وخسروا يوماً من بيته وبعثوا به إلى قرصن فجنس بها وولوا آخاه كشك ولقبه الأشرف وزعلوا طفرمود عن النيابة وقام بها قرصون وبعثوا طفرمود نائباً على حماة وأدالوا به من الأفضل بن المؤيد فكان آخر من ولتها من بي المظفر وقضوا على طاجر الدوادار وبعثوا به إلى الإسكندرية فغرق في البحر وبعثوا بقتل بشتك في محبسه بالإسكندرية والله تعالى ينصر من يشاء من عباده.

### مقتل قرصون ودولة أحمد بن الملك الناصر

لما بلغ الخبر إلى الأمراء بالشام باستبداد قرصون على الدولة غصوا من مكانه واعززوا على البيعة لأحمد بن الملك الناصر وكان يومئذ بالكرك مقيناً منذ ولاه أبوه إمارتها كما قدمها فكتبه طشتمر نائب حصن وأخضر نائب حلب واستدعاه إلى الملك وبلغ الخبر إلى مصر فخرج قطلوبغا في العساكر لحصار الكرك وبعث إلى طباعنا الصالحي نائب دمشق فسار في العساكر إلى حلب للقبض على طشتمر نائب حصن وأخضر وكان قطلوبغا الفخرى قد استوحش من صاحبه قرصون وغضباً باستبداده عليه فلما فصل بالجند من مصر بعث بيته إلى أحمد بن الملك الناصر بالكرك وسار إلى الشام فاقام دعوته في دمشق ودعا إليها طفرمود نائب حما فأجابه وقدم عليه وانتهى الخبر إلى طباعنا نائب دمشق وهو يحاصر حلب فافرج عنها ودعاه قطلوبغا إلى بيته أحد فاني فانتقض عليه أصحابه وسار إلى مصر واستول قطلوبغا الفخرى على الشام أجمع بدعة أحمد وبعث إلى الأمراء بمصر فاجابوا إليها.

واجتمع أيدغمش وأقتصر السلاوي وغازي ومنتبعهم من الأمراء على البيعة لأحمد واستراب بهم قرصون كافل الملكة وهي بالقبض عليهم وشاور طباعنا اليحاوي من عنده من أصحابه في ذلك ففسوه وخذلوه وركب القوم ليلًا وكان أيدغمش عنده بالاصطبل وهو أمير الماصورية وهو قرصون بالركوب فخذله وثنى عزمه ثم ركب معهم واتصلت الميعنة ونادي في الغوغاء بهب بيروت قرصون فنهبوا وخربوا الحمامات التي بناها بالقرافة تحت القلعة ونهب شيخها شمس الدين الأصفهاني فسلبوه نياحة وانطلقت أيدي الغوغاء في البلد وحققت الناس منهم مضرات في بيروتهم واقتربوا بيت حسام الدين الغوري قاضي

### وفاة الملك الناصر وابنه أنوك قبله وولاية

#### ابنه أبي بكر ثم كشك

ثم توفي الملك الناصر محمد بن المنصور قلاوون أجد ما كان ملكاً وأعظم استبداداً توفي على فراشه في ذي الحجة آخر إحدى وأربعين وسبعينة بعد أن توفي قبله بقليل ابنه أنوك فاحتسبه وكانت وفاته لثمان وأربعين سنة من ولاته الأولى في كفالة طباعاً واثنتين وثلاثين من حين استبداده يأمره بعد ببرس وصفاً الملك له وولي النيابة في هذه ثلاثة من أمرائه: ببرس الدوادار المؤرخ ثم بكتمر الجركدار ثم أرغون الدوادار ولم يول أحد النيابة بعده وبقيت الوظيفة عطلاً آخر أيامه.

وأما دوادارته فايدمر ثم سلاير ثم الخلبي ثم يوسف بن الأسعد ثم بغا ثم طابارو كتب عنه شرف الدين بن فضل الله ثم علاء الدين بن الأمير ثم محيي الدين بن فضل الله ثم ابنه شهاب الدين ثم ابنه الآخر علاء الدين وولي القضاة في دولته تقي الدين بن دقق العيد ثم بدر الدين بن جماعة.

وإنما ذكرت هذه الرؤائف وإن كان ذلك ليس من شرط الكتاب لعظم دولة الناصر وطول أمدتها واستفحال دولة الترك عندها وقدمن الكتاب على القضاة وإن كانوا أحق بالتقديم لأن الكتاب أحسن بالدولة فإنهم من أعزاء الملك.

ولما اشتد المرض بالسلطان وكان قرصون أحظى عظيم من أمرائه فبادر القصر في ماليكه متسلحين وكان بشتك يضاهيه فارتاتب وسلح أصحابه وبدأ بينهما التناقض ودس بشتك الشكوى إلى السلطان فاستدعاهم وأصلاح بينهما وأراد أن يعهد بالملك إلى قرصون فامتنع فهد لابنه أبي بكر ومات فصال من عماله بشتك إلى ولاية أحد صاحب الكرك وأبى قرصون إلا الرفقاء بهد السلطان.

ثم رجع إليه بشتك بعد مراجعة قبور أبو بكر ولقب المنصور وقام بأمر الدولة قرصون وردهه قطلوبغا الفخرى فولوا على نياحة السلطان طفرمود وبعثوا على حلب طشتمر وعلى حصن أخضر عوضاً عن طغراي وأقروا كسبنا الصالحي على دمشق ثم استوحش بشتك من استبداد قرصون وقطلوبغا دونه فطلب نياحة دمشق وكان يعجب بها من يوم دخلها للحوطة على تنكر فاستعفوه فلما جاء للرداع قبض عليه قطلوبغا الفخرى

## ثورة رمضان بن الناصر ومقتله وحصار الكرك ومقتل السلطان أحمد

ثم إن بعض المالiks داخل رمضان بن الملك الناصر في الثورة بأخيه وواعده قبة النصر فركب إليهم وأخلفوه فوقف في مالiks ساعة يهتفون بدعونه ثم استمر هارباً إلى الكرك واتبعه العسكر مجدين السير في الطريق وجاؤوا به لقتل مصر وراتب السلطان بالكثير من الأمراء وتبض على نائبه أقسىر السلاوي ويعتث به إلى الإسكندرية فقتل هناك وولى مكانه إخراج الملك ثم سرح العساكر سنة أربع وأربعين لحصار الكرك متراقبة ونزع بعض العساكر عن السلطان أحمد من الكرك فلحتوا بمصر وكان آخر من سار من الأمراء لحصار الكرك قماري ومساري سنة خمس وأربعين فأخذوا بمحنته ثم اقتحموا عليه وملقوه وقتلوه فكان ليث بالملك في مصر ثلاثة أشهر وأياماً وانتقل إلى الكرك في حرم سنة ثلاث وأربعين إلى أن حوصر ومثل به وتوفي في أيامه طنبا المارداني نائب حلب فولي مكانه طنبا البحاوي وسيف الدين طرای الجاشنكير نائب طرابلس فولي مكانه أقسىر الناصري والله تعالى أعلم.

## وفاة الصالح بن الناصر وولاية أخيه الكامل

ثم توفي الملك الصالح إسماعيل بن الملك الناصر حتفه سنة ست وأربعين لثلاث سنين وتلاتة أشهر من ولادته وبوبع بعده أخوه زين الدين شعبان ولقب الكامل وقام بأمره أرغوالعلوي وولي نبأ مصر وعرض إخراج الملك إلى صند ثم رده من طريقه معتقلًا إلى دمشق ويعتث إلى القماري الكبير فبعشه إلى جس الإسكندرية واستدعي طقرمود نائب دمشق وكجك الأشرف المخلوع بن الناصر الذي ولاه قرصون وهلك إخراج الملك الجوكندا في محبيه بدمشق انتهى والله أعلم.

## مقتل الكامل وبيعة أخيه المظفر حاجي

كان السلطان الكامل قد أرهف حده في الإستبداد على أهل دولته فراراً مما يتهم به من الحجر عليه فتراسل الأمراء بمصر والشام وأجمعوا الإدلة منهم وانتقض طنبا البحاوي ومن معه بدمشق سنة سبع وأربعين ويز في العساكر يريد مصر ويعتث الكامل منجو اليوسفى يستطلع أخبارهم فحبسه البحاوي واتصل

الحفنة فتهبوا وسبوا عياله وقادهم إليه بعض من كان يخنق عليه من الخصوم فجرت عليه معركة من ذلك.

ثم اقتحم أيدغمش وأصحابه القلعة وتبضوا على قرصون وبعثوا إلى الإسكندرية فمات في محبيه وكان قرصون قد أخرج جماعة من الأمراء للقاء طنبا الصالحي فسار قراسنقر السلاوي في أثرهم وتبض عليهم وعلى الصالحي ويعتث بهم جميعاً إلى الإسكندرية فيما بعد سنة خمس وأربعين ويعتث لأحمد بن الملك الناصر وطير إليه بالخبر وتبض على جماعة من الأمراء واعتقلهم ثم قدم السلطان أحمد من الكرك في رمضان سنة اثنين وأربعين ومعه طشتمر نائب مصر وانحصر نائب حلب وقطلريغا الفخر فولي طشتمر نائب مصر وقطلريغا الفخرى بعثه إلى دمشق نائبًا ثم قبض على أحضر لشهر أو نحوه وقبض على أيدغمش وأقسىر السلاوي ثم ول أيدغمش على حلب وبلغ الخبر إلى قطلريغا الفخرى قبل وصوله إلى دمشق فعدل إلى حلب واتبعه العساكر فلم يدركوه وتبض على أيدغمش محلب ويعتث به إلى مصر فاعتقل مع طشتمر وراتب الأمراء بأنفسهم واستوحش السلطان منهم انتهى والله أعلم.

## مسير السلطان أحمد إلى الكرك واتفاق الأمراء على خلعه وإبيعة لأخيه الصالح

ولما استوحش الأمراء من السلطان وراتب بهم ارتحل إلى الكرك لثلاثة أشهر من بيته واحتفل معه طشتمر وأيدغمش معقلين واستصحب الخليفة الحاكم واستوحش نائب صند بيرس الأحدي وسار إلى دمشق وهي يومذ فوضى فلقائه العسكر وانزلوه ويعتث السلطان في القبض عليه فألي من إعطاء يده وقال: إنما الطاعة لسلطان مصر وأما صاحب الكرك فلا وطالت غيبة السلطان أحمد بالكرك واضطرب الشام فبعث إليه الأمراء بمصر في الرجوع إلى دار ملكه فامتنع وقال: هذه ملكي أنزل من بلادها حيث شئت وعمد إلى طشمرة وأيدغمش الفخرى فقتلهمما فاجتمع الأمراء بمصر وكبارهم بيرس العلاني وأرغون الكاملي وخلعوه وبايعوا لأخيه إسماعيل في حرم سنة ثلات وأربعين ولقبوه الصالح فولي أقسىر السلاوي ونقل أيدغمش الناصري من نبأه حلب إلى نبأه دمشق وولى مكانه محلب طقرمود ثم عزل أيدغمش من دمشق ونقل إليها طقرمود وولى محلب طنبا المارداني ثم هلك المارداني فولي مكانه طنبا البحاوي واستحثت أمره والله تعالى ولـ التوفيق.

وحا أثر الخلاف منه ورجع إلى السلطان سنة ثمان وأربعين وقد استوسق أمره فوجد الأمراء مستوحشين من السلطان ومتذمرين عليه اللعب بالحمام فنتصح له بذلك يريد إقصاؤه عنه فسخط ذلك منه وأمر بالحمام فذهب كلها وقال لجقاً: أنا أذبح خياركم كما ذبحت هذه. فاستوحش جقاً وغداً على الأمراء والنائب بيكاروس وثاروا بالسلطان وخرجوا إلى قبة النصر وركب المظفر في مواليه والأمراء الذين معه قد داخلوا الآخرين في الثورة ورائهم واحد في خلعه فبعث إليهم الأمير شيخو يتلطف لهم فأتياه إلا خلعه فجاءهم بالخبر.

ثم رجع إليهم وزحف عليهم ولحق بهم الأمراء الذين مع المظفر عندما تورط في اللقاء وحمل عليه بيكاروس فأسلمه أصحابه وأمسكه باليد فذهب في تربة أمه خارج القلعة ودفن هناك ودخلوا القلعة في رمضان من السنة وأقاموا عامة يومهم يتشاورون فيما يولونه حتى هم أكثر المراوي بالثورة والركوب إلى قبة النصر فحيثند بايعوا حسن بن الملك الناصر ولقبوه الناصر بلقب أبيه فوكل بأخيه حسين ومواليه لنفسه ونقل المال الذي باللوش فوضعه بالخزانة وقام بالدولة ستة من الأمراء وهو شيخو وطاز والجقا وأحد شادي والشرخانة وأرغون الإماماعلي والمستبد عليهم جميعاً بيكاروس ويعرف بالقاسيمي فقتل الحجازي وأقتصر القائمين بدولته المظفر بمحبسهما بالقلعة وولي بيكاروس نائباً بمصر فكان أرقطاي وأرغون شاه نائباً بحلب مكان تدمير البدرى ثم نقله إلى دمشق منذ مقتل البيحاوى وولي مكانه بمحلب أيام الناصر ثم تقبض بيكاروس على رفيقه أحد شادي الشرخانة وغربه إلى صند وابعد الجقا من رفقه وبعث نائباً على طرابلس وبعث أرغون الإماماعلي منهم نائباً على حلب.

وفي هذه السنة وقعت الفتنة بينه وبين مهنا بن عيسى ولقيه فهزمه ووفد أحد آخره على السلطان فولاه إمارة العرب وهدأت الفتنة بينهم ثم هلك سنة تسعة وأربعين بعدهما وولي أحمره فياض كما مر في أخبارهم والله تعالى أعلم.

### مقتل أرغون شاه نائب دمشق

كان خبر هذه الواقعه الغريبه أن الجقا بعثوه نائباً على طرابلس وسار صحبة أيام الحاج نائباً على حلب سنة خمسين وانتهوا إلى دمشق ونحو إلى الجقا عن أرغون شاه أنه تعرض لبعض حرمه بصنيع جمع فيه نسوان أهل الدولة بدمشق فكتب إليه ليلاً وطرقه في بيته فلما خرج إليه قبض عليه وذبحه في ربيع وصنع

الخبر بالكامل فجرد العساكر إلى الشام واعتقل حاجي وأمير حسين بالقلعة واجتمع الأمراء بمصر للثورة وركبوا إلى قبة النصر مع أيدم الحجازي وأقتصر الناصري وأرغون شاه فركب إليهم الكامل في مواليه ومعه أرغون العلاوي نائبه فكانت بينهما جولة هلك فيها أرغون العلاوي.

ورجع الكامل إلى القلعة منهزاً ودخل من باب السر مخفياً وقصد محبس أخيه ليقتلهم فحال الخدام دونهما وغلقوا الأبواب وجمع الذخيرة ليحملها فعاجلوه عنها ودخلوا القلعة وقصدوا حاجي بن الناصر فاخرجوه من معقله وجاؤوا به فباقوه ولقبوه المظفر واقتدوا الكامل وتهددوا جراره بالقتل فدلوا عليه واعتقل مكان حاجي بالدهشة وقتل في اليوم الثاني وأطلق حسين وقام بأمر المظفر حاجي أرغون شاه الحجازي ولووا طقم الأحدي نائباً بحلب والصلاحي نائباً بمصر وحبس جميع موالي الكامل وأخرج صندوق من بيت الكامل قيل: إن فيه السحر فاحرق بمحضر الأمراء ونزع المظفر حاجي إلى الاستبداد كما نزع أخيه فقبض على الحجازي والناصري وقتلها لأربعين يوماً من ولادته وعلى أرغون شاه وبعثه نائباً إلى صند.

وجعل مكان طقم الأحدي في حلب تدمير البدرى وولي على نباتة الحاج أرطاي وأرهف حده في الاستبداد واراتب الأمراء بمصر والشام وانتقض البيحاوى بدمشق سنة ثمان وأربعين وداخله نواب الشام في الخلاف ووصل الخبر إلى مصر فاجتمع الأمراء وتوعدوا للثوب وغي الخبر إلى المظفر فأركب مواليه من جوف الليل وطافوا بالقلعة وتداعى الأمراء إلى الركوب واستدعاهم من الغد إلى القصر وقبض على كل من اتهمه منهم بالخلاف وهرب بعضهم فأدركه بساحة البلد واعتقلوا جميعاً وقتلوا من تلك الليلة وبعث بعضهم إلى الشام فقتلوا بالطريق وولي من الغد مكانهم خمسة عشر أميراً ووصل الخبر إلى دمشق فلاذ البيحاوى بالمالطة يخاف بها وقبض على جماعة من الأمراء وكان السلطان المظفر قد بعث الأمير الجقا من خاصته إلى الشام عندما بلغه انتصاف طبغا البيحاوى يستطيع أخباره فحمل الناس على طاعة المظفر وأغراهم بالبيحاوى حتى قتلوا وبعثوا برأسه إلى مصر وسكتت الفتنة واستوسق الملك للمظفر والله سبحانه وتعالى أعلم.

### مقتل المظفر حاجي بن الناصر وبيعة أخيه حسن الناصر ودولته الأولى

قد كنا قدمنا أن السلطان بعث جقا إلى الشام حتى مهدى

اليمن وقىد المجاهد إلى مصر فاعتقل بها حتى أطلق في دولة الصالح سنة اثنين وخمسين وتوجه معه قشتمر المنصوري ليعيده إلى بلاده فلما انتهى إلى البيبي أشيع عنه أنه هم بالمرأقبض عليه قشتمر المنصوري وجسده بالكرك ثم أطلق بعد ذلك وأعيد إلى ملكه والله أعلم.

### خلع حسن الناصر وولاية أخيه الصالح

لما قبض السلطان حسن على بيقاروس وجسده وتنكر لأهل دولته ورفع عليهم مغطائي واختصه واستوحوشوا بذلك وتفاوضوا داخل طاز وهو كبرهم جماعة من الأمراء في الشورة وأجابه إلى ذلك يعقوب الشمسي في آخرين واجتمعوا لخلعه وركبوا في جمادى سنة اثنين وخمسين فلم يمانعهم أحد وملکوا أمرهم ودخلوا القلعة وبعض طاز على حسن الناصر واعتقله وأخرج إخاه حسيناً من اعتقاله فباعيه ولقبه الصالح وقام بحمل الدولة وأخرج بيقو الشمسي إلى دمشق ويفرق إلى حلب أسرى وانفرد بالأمر ثم نافسه أهل الدولة واجتمعوا على الشورة وتولى كبر ذلك مغطائي ومنكلي وبينا القمرى وركبوا فيما اجتمع إليهم إلى قبة النصر للحرب فركب طاز وسلطانه الصالح في جوعه وحمل عليهم فرض جمعهم وأتمن فيهم وبعض على مغطائي ومنكلي فحبسهما بالإسكندرية وأفرج عن منكلا وعن شيخر وجعله أتابكه على العساكر وأشاركه في سلطانه وولى سيف الدين ملاي نائب العساكر وافتخاره في طاز ورقاه في الدولة وبعض على الشمسي الحمدي نائب دمشق ونقل إليها ل مكانة أرغون الكاملي من حلب وأفرج عن بيقاروس بالكرك وبعثه مكانه إلى حلب ثم تغير منكلا وأختفى بالقاهرة والله تعالى أعلم.

### انتقام بيقاروس واستيلاؤه على الشام

#### ومسیر السلطان إليه ومقتله

قد تقدم لنا ذكر بيقاروس وقيامه بدولة حسن الأولى ونكتبه في طريقه إلى الحجيج بالكرك ولما أطلقه طاز وولاه على حلب أدركته المنافسة والغيرة من طاز واستبداده بالدولة فحدثه نفسه بالخلاف وداخل نواب الشام ووافقه في ذلك بالكمش نائب طرابلس وأحمد شادي الشرخاناه نائب صفد وخالفه أرغون الكاملي نائب دمشق وتمسك بالطاعة وتعاقد مؤلاء على الخلاف مع شيخر وسرغمش في رجب سنة ثلاثة وخمسين ثم دعا

مرسوماً سلطانياً دافع به الناس والأمراء واستصفى أمواله ولحق بطرابلس وجاء الأمر من مصر بابنائه وإنكار المرسوم الذي أظهروه فزحفت العساكر من دمشق وقبضوا على الجقا وأباس الحاجب بطرابلس وحاوروا بهما إلى مصر فقتلا وولي الشمس الناصري نياية دمشق مع أرغون شاه وصلب أرغون الكافالي وذلك في جمادى سنة خمسين وأصل أرغوشاه من بلاد الصين جلب إلى السلطان أبي سعيد ملك التتر ببغداد فأعطياه للأمير خواجه نائب جوبان وأهداه خواجه للملك الناصر فحظي عنده وقدمه رئيس نوبة وزوجته بنت عبد الواحد ثم لاه الكامل استاذ دار ثم عظمت مرتبته أيام المظفر وجعل نائباً في صندوق حلب. ولما حبس طبغنا البحاوي على دمشق بسعادة الجقا كما مر على أرغون شاه بدمشق والله سبحانه وتعالى أعلم.

### نكبة بيقاروس

ثم إن السلطان حسن شرع في الاستبداد وبغض على منجك اليسفي استاذ داره وعلى السلاحدار واعتقلهما من غير مشورة بيقاروس وأصحابه وكان لمنجك اختصاص بيقاروس وأخرجه معه فارتاتب واستاذن السلطان في الحج هو وطاز فاذن لهما ودوس إلى طاز بالقبض على بيقاروس وسارا لشأنهما فلما نزل بالبيبي قبض طاز على بيقاروس فخرج ورثب إليه في أن يترك حجج مقيداً فتركه فلما قضى نسكه ورجعوا جسده طاز بالكرك بأمر السلطان وأفرج عنه بعد ذلك وولي نياية حلب وانتقض بها كما ذكر بعد إن شاء الله تعالى وبيلغ خبر اعتقاله إلى أحمد شادي الشرخاناه بصفد فانتقض وجهز السلطان إليه العساكر فقبض عليه وجيء به إلى مصر فاعتقل بالإسكندرية وقام بالدولة مغطائي من أمرائها والله تعالى أعلم.

### واقعة الظاهر ملك اليمن بمكة واعتقاله ثم

#### إطلاقه

كان ملك اليمن وهو المجاهد علي بن داود المؤيد قد جاء إلى مكة حجاج سنة إحدى وخمسين وهي السنة التي حج فيها طاز وشاع في الناس عنه أنه يروم كسوة الكعبة فتذكر وفدى المصريين لوفد اليمنيين ووقيعت في بعض الأيام هيبة في ركب الحجاج فتحاربوا وانهزم المجاهد وكان بيقاروس مقيداً فاطلقه وارتكب ليستعين به فجلأ في تلك الميعدة وأعيد إلى اعتقاله ونهب حاج

السلاح ويقبلوا على الفلاحة والله تعالى أعلم.

### خلع الصالح وولادة حسن الناصر الثانية

كان شيخو أتابك العساكر قد ارتاب بصاحب طاز ف الداخل الأمراء بالثورة بالدولة وتربص بها إلى أن خرج طاز سنة خمس وخمسين إلى البحيرة متسبباً وركب إلى القلعة فخلع الصالح ابن بنت تذكر وبقى عليه والزمه بيته لثلاث سنين كواهل من دولته وبايع لحسن الناصر أخيه وأعاده إلى كرسيه وبقى على طاز فاستدعاه من البحيرة فبعث إلى حلب نائباً وعزل أرغون الكامللي فلحق بدمشق حتى تقبض عليه ستة ست وخمسين وسبعين إلى الإسكندرية فجس بها وبلغ الخبر بوفاة الشمسي الأحدي نائب طرابلس وولى مكانه منجك واستبد شيخو بالدولة وتصرف بالأمر والنهاي وولى على مكة عجلان بن رميحة وأفرده بإمارتها وكانت له الولاية والعزل والحل والعقد سائر أيامه واعتمده الملوك من التواحي شرقاً وغرباً بالمخاطبات وكان رديفه في حمل الدولة سرغمتش من موالي السلطان والله تعالى يؤيد بنصره من يشاء من عباده بمنته.

### مملك شيخو ثم سرغمتش بعده واستبداد السلطان بأمره

لم يزول شيخو مستبداً بالدولة وكافلاً للسلطان حتى وثبت عليه يوماً بعض الموالى بمجلس السلطان في دار العدل في شعبان سنة ثمان وخمسين واعتمده في دخوله من باب الإيوان وضربه بالسيف ثلاثة أصاب بها وجهه ورأسه وذراعيه فخر لللدين ودخل السلطان بيته وانقض المجلس واتصلت المفعة بالعسكر خارج القلعة فاضطربوا واقتصر موالي شيخو القلعة إلى الإيوان يقتدهم خليل بن قوصون وكان ربيه لأن شيخو تزوج بأمه فاحتفل شيخو إلى منزله وأمر الناصر بقتل الملوك الذي ضربه فقتل يومه وعاده الناصر من الغد وتوجل من الرثبة أن تكون بأمره واتّهام شيخو علياً إلى أن هلك في ذي القعدة من السنة وهو أول من سمي الأمير الكبير بمصر واستقل سرغمتش رديفه بحمل الدولة وبعث عن طاز فأمسكه بحلب وحبسه بالإسكندرية وولى مكانه الأمير علياً المارداني نقله إليها من دمشق وولى مكانه بدمشق منجك اليوسيفي.

ثم تقبض السلطان على سرغمتش في رمضان سنة تسعة

يقاروس العرب والتركمان إلى الموافقة فأجابه جبار بن مهنا من العرب وقراجا بن العادل من التركمان في جموعهما ويرز من حلب بقصد دمشق فأجفل عنها أرغون النائب إلى غزة واستخلف عليها الجقا العادل ووصل يقاروس فملكتها وامتنعت القلعة فحاصرها وكثير العبيث من عساكره في القرى وسار السلطان الصالح وأمراء الدولة من مصر العساكر في شعبان من السنة وأخرج معه الخليفة المعتصم أبا الفتح أبا بكر بن المستكفي وعشر بين يدي خروجه على منجك ببعض البيوت لستة من اختفائه فبعث به سرغمتش إلى الإسكندرية وبلغ يقاروس خروج السلطان من مصر فأجفل عن دمشق وثار العوام بالتركمان فلأخروا فيهم.

ووصل السلطان إلى دمشق ونزل بالقلعة وجهز العساكر في اتباع يقاروس فجاؤوا بجماعة من الأمراء الذين كانوا معه فقتل السلطان بعضهم ثالث الفطر وحبس الباقين وولى على دمشق الأمير علياً المارداني ونقل منها أرغون الكامللي إلى حلب وسرح العساكر في طلب يقاروس مع مغطائي الدوادار وعاد إلى مصر فدخلوها في ذي القعدة من السنة وسار مغطائي في طلب يقاروس وأصحابه فارقع بهم وتقبض على يقاروس واحداً وقطلوا ويعتبر برؤوسهم إلى مصر أوائل سنة أربع وخمسين وأواخر السلطان إلى أرغون الكامللي نائب حلب بآن يخرج في العساكر لطلب قراجاً بن العادل مقدم التركمان فسار إلى بلده البلسرين فوجدها مقفرة وقد أجفل عنها فدهمها أرغون وتابعه إلى بلاد الروم فلما أحسن لهم أجفل ولحق بابن أرشا قائد المثلث في سواس ونهب العساكر أحياه واستأقا مواثيقه ثم قبض عليه ابن أرشا قائد المثلث وبعث به إلى مصر فقتل بها وسكنت الفتنة وأطلق العقول بالإسكندرية وتأخر منهم مغطائي ومنجك أيامه ثم أطلقوا وغرياً إلى الشام والله تعالى أعلم.

### واقعة العرب بالصعيد

وفي أثناء هذه الفتنة كثرة فساد العرب بالصعيد وعيتهم وانتهروا الزروع والأموال وتولى كبر ذلك الأحدب وكثرة جموعه فخرج السلطان في العساكر سنة أربع وخمسين ومعه طاز وسار شيخو في المقدمة فهزم العرب واستلحهم جموعهم وامتلأت أيدي العسكر بعنائهم وخلص السلطان من الظهر والسلاح ما لا يعبر عنه وأسر جماعة منهم فقتلوا وهرب الأحدب حتى استأمن بعد رجوع السلطان فأمنه على أن يستغروا من ركوب الخيل وحمل

بالاسترابة فركب إلى الناصر بنفسه فيمن حضره من مالكه وخاصه أمراته تاسع جادى من السنة وبرز إليه بيضا وقد اندر به واعتلله فصدقه القتال في ساحة غيمه.

وانهزم أصحاب السلطان عنه ومضى إلى القلعة وبيقا في اتباعه فامتنع الحراس بالقلعة من إخافة طارقة جوف الليل فتسرب في المدينة واختفى في بيت الأمير ابن الأزكشى بالحسينية وركب الأمراء من القاهرة مثل ناصر الدين الحسنى وقشتمر المنصوري وغيرهما لدافعة بيقا فلقيهم ببولاق وهزمهم واجتمع ثانية وثالثة وهزمهم وتذكر الناصر مع أيدم الدوادار يحاولان النجاة إلى الشام واطلع عليهما بعض المالكى فوشى بهما إلى بيقا فبعث من أحضره فكان آخر العهد به ويقال: إنه امتحنه قبل القتل فدلle على أموال السلطان وذخائره وذلك لست سنين ونصف من مملكته.

ثم نصب بيقا للملك محمد بن المظفر حاجي ولقبه المنصور وقام بكفالة وتدبر دولته وجعل طبينا الطويل ردينه وولى قشتمر المنصوري نائباً وغشتمر أمير مجلس وموسى الأزكشى استاذ دار وأفرج عن القاسمي وبعثه نائباً بالكرك وأفرج عن طاز وقد كان عمى فبعثه إلى القدس بسؤاله ثم إلى دمشق سنة إحدى وستين بغزو سيس وفتح آذنة وطرسوس والمصيصة في حصون أخرى وولى عليها ورجع فولاه السلطان نهاية دمشق استدمر وولى على حلب أحد بن القتمرى ثم عثر بدمشق سنة إحدى وستين على منجك بعد أن تال العقاب بسيبه جماعة من الناس فلما حضر عفا عنه السلطان وأمده وخيره في التزول حيث شاء من بلاد الشام وأقام السلطان بقية دولته مستبدًا على رجال دولته وكان يائس بالعلماء والقضاة ويعمعهم في بيته متبدلاً ويفاوضهم في مسائل العلم ويصلهم وحسن إليهم ويخالطهم أكثر من سواهم إلى أن انقرضت دولته وبالبقاء الله وحده.

### انتهاض استدمر بدمشق

ولما اتصل بالشام ما فعله بيقا وأنه استبد بالدولة وكان استدمر نائباً بدمشق كما قدمته امتعض لذلك واجع الانتهاض وداخله في ذلك متذر وألبرى ومنجك اليوسفى واستولى على قلعة دمشق وسار في العساكر ومعه السلطان المنصور ووصل إلى دمشق واعتضم القوم بالقلعة وترددت بينهما القضاة بالشام حتى نزلوا على الأمان بعد أن حلف بيقا فلما نزلوا إليه بعث بهم إلى الإسكندرية فحبسوها بها وولى الأمير المارداني نائباً بدمشق وقططريغاً الأحدى نائباً بحلب مكان أحمد بن القتمرى بصفد وعاد السلطان المنصور وبيقا إلى مصر والله سبحانه وتعالى أعلم.

### وفاة الخليفة المعتصم بن المستكفي وولاية

#### ابنه المتكى

قد تقدم لنا أن الخليفة المستكفي لما توفي قبل وفاة الملك الناصر عهد لابنه أحد ولقبه الحاكم وأن الناصر عدل عنه إلى

وحسين وعلى جماعة من الأمراء معه مثل مغلطاي الدوادار وظشمر القاسمي الحاجب وطنينا الماجاري وخليل بن قوصون ومحا السلاحدار وغيرهم وركب مواليه وقاتلوا ماليك السلطان في ساحة القلعة صدر نهار ثم انهزموا وقتلوه واعتقل سرغتمش وجاءه المكتوبون بالإسكندرية وقتل مجده سبعين يوماً من اعتقاله وتحطت الكبة إلى شيعته وأصحابه من الأمراء والقضاة والعمال وكان الذي تولى نكبة هؤلاء كلهم بأمر السلطان متكللي بيقا الشمسي.

ثم استبد السلطان بملكه واستولى على أمره وقدم مملوكه بيقا القمرى وجعله أمير ألف وآفام في الحجارة الجاي اليوسفى ثم بعثه إلى دمشق نائباً واصعد منجك نائب دمشق فلما وصل إلى غزة استتر واختفى فتولى الناصر مكانه بدمشق الأمير علي الماردانى نقله من حلب وولى على حلب سيف الدين بتكر المؤمني ثم أدار من علي الماردانى في دمشق باستدمر ومن المؤمني في حلب يمندر الحورانى وأمره السلطان سنة إحدى وستين بغزو سيس وفتح آذنة وطرسوس والمصيصة في حصون أخرى وولى عليها ورجع فولاه السلطان نهاية دمشق استدمر وولى على حلب أحد بن القتمرى ثم عثر بدمشق سنة إحدى وستين على منجك بعد أن تال العقاب بسيبه جماعة من الناس فلما حضر عفا عنه السلطان وأمده وخيره في التزول حيث شاء من بلاد الشام وأقام السلطان بقية دولته مستبدًا على رجال دولته وكان يائس بالعلماء والقضاة ويعمعهم في بيته متبدلاً ويفاوضهم في مسائل العلم ويصلهم وحسن إليهم ويخالطهم أكثر من سواهم إلى أن انقرضت دولته وبالبقاء الله وحده.

### ثورة بيقا ومقتل السلطان حسن وولاية منصور ابن معظم حاجي في كفالة بيقا

كان بيقا هذا من موالي السلطان حسن وأعلاهم منزلة عنده وكان يعرف بالخاصكي نسبة إلى خواص السلطان وكان الناصر قد رقا في مراتب الدولة وولاه الإمارة ثم رفعه إلى الأتابكية وكان ينحوه إلى الاستبداد كثيراً ما يسوح بشكاة مثل ذلك فأحضره بعض الليالي بين حرمه وصرفه في جملة من الخدمة لبعض مواليه وقادها فأسررها بيقا في نفسه واستوره وخرج السلطان سنة اثنين وستين إلى كوم برى وضرب بها خيامه وأذن للخاصكي في خيمه قريباً منه ثم ثني عنده خبر الانتهاض فاجتمع القبض عليه واستدعاه فامتنع من الوصول وربما أشعره داعيه

الحجارة المحيطة بها في كل ناحية.

ثم غلب هذه العصور أهل جنوة من الإفرنج على جزيرة رووس حازتها من يد لشكري صاحب القسطنطينية سنة ثمان وسبعين وأخذوا مخنثها وأقاموا أهل قبرص معهم بين فتنة وصلح وسلم وحرب آخر أيامهم وجزيرة قبرص هذه على مسافة يوم وليلة في البحر قبالة طرابلس منصوبة على سواحل الشام ومصر واطلعوا بعض الأيام على غرة في الإسكندرية وأخبروا حاجتهم وعزم على انتهز الفرصة فيها فنهض في أسطوله واستنفر من سائر الإفرنج ووافي مرساها سابع عشر من المحرم سنة سبع وسبعين في أسطول عظيم يقال: بلغ سبعين مركباً مشحونة بالعدة وبالعدد ومعه الفرسان المقاتلة بخيولهم.

فلما أرسى بها قدمهم إلى السواحل وعي صفوه وزحف  
وقد غص الساحل بالنظارة بربوا من البلد على سبيل التزهه لا  
يملئون بالآلام هو فيه ولا ينظرون مغبة أمره بعد عهدهم بالحرب  
وحاميتهم يومئذ قليلة وأسوارهم من الرماة المضالعين دون  
المحصن خالية ونائبهما القائم بمصالحها في الحرب والسلم وهو  
يومئذ خليل بن عامر غائب في قضاء فرضه فما هو إلا أن رجعت  
تلك الصفوف على التعبية وفصحوا العoram بالليل فأجلدوا  
متسابقين إلى المدينة وأغلقوا أبوابها وصعدوا إلى الأسوار ينظرون  
ووصل القوم إلى الباب فأحرقوه واقتحموا المدينة واضطرب أهلها  
وماج بعضهم في بعض ثم أجلدوا إلى جهة البر بما أمكنهم من  
عياهم وولدهم وما اقتدوا عليه من أموالهم وسالت بهم الطرق  
والأباطح ذاهبين في غير وجه حيرة ودهشة وشعر بهم الأعراب  
أهل الضاحية فتقطعوا الكثير منهم وتrotsط الإفرنج المدينة ونهبوا  
ما مرروا عليه من الدور وأسواق البر ودكاكين الصيارفة ومودعات  
التجار وملأوا سفنهم من الملح والبصائر والذخيرة والصامت  
واحتملوا ما استولوا عليه من السي وأسرى وأكثر ما فيهم  
الصبيان والنساء ثم تسابل إليهم الصريح من العرب وغيرهم  
فانكنا الإفرنج إلى أساطيلهم وانكمشا فيها بقية يرمهم وأنلعوا  
من الغد.

وطار الخبر إلى كافل الدولة بمصر الأمير بيبيا فقام في ركابه وخرج لرقة بسلطانه وعساكره ومعه ابن عوام نائب الإسكندرية منصرفه من الحجيج وفي مقدمته خليل بن قوصون وقطليغاص الفخرى من أمرائه وزعائهم مرهفة ونياتهم في الجهاد صادقة حتى بلغهم الخبر في طرقهم بإيقاع العدو فلم يثنه ذلك واستمر إلى الإسكندرية وشاهد ما وقع بها من معركة الخراب وأثار الفساد فأمر بهدم ذلك وإصلاحه ورجع أدراجه إلى دار الملك وقد

ابراهيم بن محمد عم المستكفي ولقبه الرايق فلما توفي الناصر آخر  
سنة إحدى وأربعين وأغار الأمراء الفائمون بالدولة والأمير أحمد  
الحاكم بن المستكفي ولـي عهده فلم يزل في خلافته إلى أن هلك  
سنة ثلاث وخمسين لأول دولة الصالح سبط تذكر وولـي بعده آخره  
أبو بكر بن المستكفي ولقب المعتضـد ثم توفي سنة ثلاث وستين  
لعشرة أعوام من خلافته وعهدـ إلى ابنـهـ أحمدـ فـوليـ مكانـهـ ولـقبـ  
المـستـكـفـيـ واللهـ تعالـيـ أعلمـ

خلع المنصور وولاية الأشرف

ثم بدا البيضا الخاصكي في أمر المنصور محمد بن حاجي فخلعه استرابة به في شعبان سنة أربع وستين لسبعة وعشرين شهراً من ولادته ونصب مكانه شعبان بن الناصر حسن بن الملك الناصر وكان أبوه قد توفي في ربيع الآخر من تلك السنة وكان آخر بني الملك الناصر فمات فولى ابنه شعبان ابن عشر سنين ولقبه الأشرف وتولى كفالتنه وفي سنة خمس وستين عزل المارداني من دمشق وولى مكانه منكلي بغا نقله من حلب. وولى مكانه قططوبغا الأحدي وتوفي قططوبغا فولى مكانه غشتمر المارداني. ثم عزل غشتمر سنة ست وستين فولى مكانه سيف الدين فرجي وأواعز إليه سنة سبع وستين أن يسير في العساكر لطلب خليل بن فراجا بن العادل أمير التركمان فيحضره معتقلأً فسار إليه وامتنع في خرت برت فحاصره أربعة أشهر واستأمن خليل بعدها وجاء إلى مصر فآمنه السلطان وخليع عليه وواله ورجع إلى بلده وقرمه والله تعالى أعلم.

واقعة الإسكندرية

كان أهل جزيرة قبرص من أمم النصرانية وهي من بقايا الروم وإنما يتسبون لهذا العهد إلى الإفرنج لظهور الإفرنج على سائر أمم النصرانية ولا فقد نسبهم هروبوسيوش إلى كيسم وهم الروم عندهم ونسبة أهل رودس إلى دوداتم وجعلهم إخوة كيسم ونسبهما معاً إلى رومان وكانت على أهل قبرص جزية معلومة يزدلونها لصاحب مصر وما زالت مقررة عليهم من لدن فتحها على يد معاوية أمير الشام أيام عمر وكانوا إذا منعوا الجزية يسلط صاحب الشام عليهم أساطيل المسلمين فيفسدون مراسيها ويعيثون في سواحلها حتى يستقيموا لأداء الجزية وتقدم لنا آثنا في دولته الترك أن الظاهر بيبرس بعث إليها سنة تسع وستين وستمائة أسطولاً من الشوانى وطرقت مرساها ليلاً فنكسرت لكثرة

## ثورة المالكية ببيقا ومقتله واستبداد استدمر

استدمر

كان طبقاً قد طال استبداده على السلطان وقتلت وطاته على النساء وأهل الدولة وخصوصاً على مالكيه وكان قد استكثر من المالكية وأرهف حده لهم في التأديب وتجاوز الضرب بهم بالعصا إلى جدع الأنوف واصطدام الآذان فكتعوا الأمر في نفوسهم وضمايرهم لذلك وطروا على الشفاعة وكان كبير خواصه استدمر واقتنان الأحمدي وقع في بعض الأيام مثل هذه العقوبة في أخي استدمر فاسترحش له وارتاد وداخل سائر النساء في الثورة يرون فيها نجاتهم منهم وخلصوا النجوى مع السلطان فيه واقتصوا منه الإذن وسرح السلطان ببيقا إلى البحيرة في عام ثمان وسبعين وانعقد هؤلاء المالكية المتأذبون في الثورة بمنزل الطرانة وبيتوا له فيها وغى إليه خبرهم ورأى العلامات التي قد أعلتها من أمرهم فركب مركباً في بعض خواصه وخاض النيل إلى القاهرة وتقدم إلى نوافذ البحر أن يرسوا سفينهم عند العدوة الشرقية وينعموا العبور كل من يرومهم من العدوة الغربية.

وخلاله استدمر واقتنان إلى السلطان في ليتهم وباعوه على مقاطعة ببيقا ونكتبه ولما وصل ببيقا إلى القاهرة جمع من كان بها من النساء والهجب من مالكيه وغيرهم وكان بها أبيك البدرى أمير ماخوره فاجتمعوا عليه وكان يقتصر النظامى وأرغون ططن بالعباسية سارحين فاجتمعوا إليه فخلع الأشرف ونصب أخيه أنوك ولقبه المتصور وأحضر الخليفة فولاه واستعد للحرب وضرب خيمه بالجزيرة الوسطى على عدوة البحر ولحق به من كانت له معه صافية من النساء الذين مع السلطان بصاحبة أو أمر أو ولاية مثل ببيقا العلاني الدوادار ويونس الرمام وكمشينا الحموي وخليل بن قوصون وبعقوب شاه وقرابقى البدرى وابتغا الجوزي ووصل السلطان الأشرف من الطرانة صبيحة ذلك اليوم على التعبية قاصداً دار ملكه وانتهى إلى عدوة البحر فوجدها مقفرة من السفن فخيم هنالك وأقام ثلاثة وببيقا وأصحابه قبلتهم بالجزيرة الوسطى ينضجونهم بالليل ويرسلون عليهم الحجارة من الجانق وصواعق الأنفاس وعوالم النظارة في السفن إلى أن توسط فيركبونها ويحركونها بالمجاذيف إلى ناحية السلطان حتى كملت منها عدة وأكثرها من القريان التي أنشأها ببيقا وأجاز فيها السلطان وأصحابه إلى جزيرة الفيل وسار على التعبية وقد ملأت عساكره وتابعه بسيط الأرض وترامى القناع بالجلو وغضبت سحابة موكب ببيقا وأصحابه فتقدموا للدفاع وصدقهم عساكر السلطان القتال

امتلاط جوانحه غيطاً وحقناً على أهل قبرص فأمر بإنشاء مائة أسطول من الأساطيل التي يسمونها القربان معتمداً على غزو قبرص فيها جميع من معه من عساكر المسلمين بالديار المصرية واحتفل في الاستعداد لذلك واستكثر من السلاح وألات الحصار وكل غرضه من ذلك كله في رمضان من السنة لثمانية أشهر من الشروع فيه فلم يقدر على تمام غرضه من الجهاد لما وقع من العوائق كما نقصه والله تعالى ولـي التوفيق.

## ثورة الطويل ونكتبه

كان طبعاً الطويل من موالي السلطان حسن وكانت وظيفته في الدولة أمير سلاح وهو مع ذلك رديف ببيقا في أمره وكان يؤمل الاستبداد ثم حدثت له المنافسة والغيرة من ببيقا كما حدث لسائر أهل الدولة عندما استكملا أمره واستفحلا سلطانه ودخلوا الطويل في الثورة وكان دوادار السلطان أرغون الأشقرى وأستاذ دار الحمدى وبينا هم في ذلك خرج الطويل للسرحة بالعباسية في جادى سنة سبع وستين وفشا الأمر بين أهل الدولة فنمى إلى ببيقا واعترض على إخراج الطويل إلى بلاد الشام وأصدر له المرسوم السلطانى ببنية دمشق وبعث به إلى وبالخلافة على العادة مع أرغون الأشقرى الدوادار وروس الحمدى أستاذ دار من المداخلين له ومعه أرغون الأرفي وطبعا العلاني من أصحاب ببيقا فردهم الطويل وأساء إليهم وواعد ببيقا بقة النصر فهزهم وقبض على الطويل والأشقرى والحمدى وحبسوا بالإسكندرية.

ثم شفع للسلطان في الطويل في شهر شعبان من السنة وبعث إلى القدس ثم أطلق الأشقرى والحمدى وبعث بهما إلى الشام وولى مكان الطويل طيدمر الباسلى ومكان الأشقرى في الدويدارية طبعاً الأبي بكري ثم عزله ببيقا العلاني وولى مكانه روس العادل الحمدى وكان جماعة من النساء أهل وظائف في الدولة قد خرجوا مع الطويل وحبسوا فوق في وظائفهن أمراء آخرين من لم تكن له وظيفة واستدعي عن منتكلى ببيقا الشمسي نائب دمشق إلى مصر يطلب فقدم نابياً محلب مكان سيف الدين برحي وأذن له في الاستكثار من العساكر وجعلت رتبته فوق نائب دمشق وولى مكانه بدمشق أقطمر عبد العزيز انتهى والله تعالى أعلم.

النظامي وعلى محاسن الطازمي والجحائبي اليوسفي وأرغون التر وكثير من أمراء الألوف ومن دونهم واستولى استدمر وأصحابه الأجلاب على السلطان كما كانوا ولي مكان المحبسين من الأمراء وأهل الوظائف وعاد خليل بن قوصون على أمرته وعزل قشتمر عن طرابلس وجبس بالإسكندرية واستبدل بكثير من أمراء الشام واستمر الحال على ذلك بقية السنة والإجلاب على حاكم في الاستهتار بالسلطان والرغبة فلما كان محرم سنة تسع وستين عادوا إلى الإجلاب على الدولة فركب أمراء السلطان إلى استدمر يشكونهم ويعاتبونهم في شأنهم فقبض على جماعة منهم كسر بهم الفتنة وذلك يوم الأربعاء السادس صفر فلما كان يوم السبت وعاودوا الركوب ونادوا بخلع السلطان فركب السلطان في ماليكه وخر الماتين والتف عليهم العرام وقد حنقوا على الأجلاب بشراشيم فيهم.

وركب استدمر في الإجلاب على التعيبة وهسم الف وخمسة وجاوزوا من وراء القلعة على عادتهم حتى شارفوا القرم فاجحموا ووقفوا وأذلتهم الحجارة من أيدي العوام بالمقالع وحلت عليهم العساكر فانهزموا وقبض على أبقا السرغتمشى وجاء معه فجسوا بالخزانة ثم جيء باستدمر أسيراً وشقع فيه الأمراء فشق عليهم السلطان وأطلنته باقيا على أتابكيته ونزل إلى بيته بقبض الكيس وكان خليل بن قوصون تولى أتابكيه في تلك الفترة فامرء السلطان أن ياكير به لحسه من الغد فركب خليل إلى بيته وحمله على الانتقاد على أن يكون الكرسي لخليل بعلاقة نسبة إلى الملك الناصر من أمه فاجتمع منهم جماعة من الأجلاب وركبوا بالرميلة فركب إليهم السلطان والأمراء في العساكر فانهزموا وقتل كثير منهم ويعتوا بهم إلى الإسكندرية فجسوا بها وقتل كثير من أسر في تلك الواقعة منهم وطيف بهم على الجمال وفي أقطار المدينة ثم تبع بقية الأجلاب بالقتل والحبس بالغور القاصية وكان من جنس منهم بالكرك برقوق العثماني الذي ول الملك بعد ذلك بمصر وببركة الجولاني وطنبغا الجوياني وجركس الخليلي ونعنع وأقاموا كلهم متلقين بين السجن والنفي إلى أن اجتمع شملهم بعد ذلك كما ذكره واستبد السلطان بأمره بعض الشيء وأفرج عن الجحائبي اليوسفي وطغتمر النظمي وجاء من المحبسين من أمراء وولى الجحائبي أمير سلاح وولى بيتا المنصورى ويكتمر الحمدى من أمراء الإجلاب في الأتابكية شريkin ثم نهى عنهم أنها يرومان الثورة وإطلاق المسجونين من الأجلاب والاستبداد على السلطان فقبض عليهم وبعث عن منكلي بغا الشمسي من حلب وأقامه في الأتابكية واستدعى أمير على الماردانى من دمشق وولاه البابية

فانقضوا عن بيقا وتركوه أوحش من وتد في قلاع فولى منهزاً ومر بالمدان فصلى ركعتين عند بابه واستمر إلى بيته والعوام ترجمه بطريقه.

وسار السلطان في تعبيته إلى القلعة ودخل قصره وبعث عن بيقا فجيء به واعتقل بمحبس القلعة سائر يومه فلم غشي الليل ارتاب المالك بخياته وجاؤوا إلى السلطان يطلبونه وقد أضمرروا الفتوك به وأضطرر السلطان وبينما هو مقبل على التعرض للسلطان ضربه ببعضهم فأبان رأسه وارتبا من كان منهم خارج القصر في قتلها فطلبوا معايشه ولم يزالوا يناولون رأسه من واحد إلى أحد حتى رماه آخرهم في مشعل كان يازاه ثم دفن وفرغ من أمره وقام بأمر الدولة استدمر الناصري وردينه بيقا الأحمدي ومعهما بمحاسن الطازمي وقربانا السرغتمشى وتغري بردي المترلون كبر هذه الفعلة ونقبضا على الأمراء الذين عدلوا عنهم إلى بيقا فجسوا به بالإسكندرية وقد مر ذكرهم وعزل خليل بن قوصون وألزم بيته وولوا أمراء مكان المحبسين وأهل وظائف من كانت له واستقر أمر الدولة على ذلك والله سبحانه وتعالى أعلم.

## واقعة الإجلاب ثم نكبتهم ومهلك استدمر وذهاب دولته

ثم تنافس هؤلاء القائمون بالدولة وحبسو قرابة السرغتمشى صالحهم وامتنض له تغري بردي وداخل بعض الأمراء في الثورة ووافقه أليك البدرى وجماعة معه وركب متصرف رجب سنة ثمان وستين للحرب فركب له استدمر وأصحابه نقبضا عليهم وجسوا به بالإسكندرية وعظم طغيان هؤلاء الإجلاب وكثر عينهم في البلد وتجاوزهم حدود الشريعة والملك وفأوضح السلطان أمراء في شأنهم فأشاروا بمعاجلتهم وحسم داهنهم فنبذ السلطان إليهم العهد وجلس على كرسيه بالأساطيل وتقصد إلى الأمراء بالركوب فركب الجحائبي اليوسفي وطغتمر النظمي وسائز أمراء السلطان ومن استخدموه من مالك بيقا وتحيز إليهم أيقا الجلب وبمحاسن الطازمى عن أصحابها استدمر وركب لقتاهم استدمر وأصحابه سائز الإجلاب وحاصروا القلعة إلى أن خرج عند الطلحسة السلطانية فاحتل مركز الأمراء وفارقهم المستخدمون عندهم من مالك بيقا فانقض جعهم وأنهزموا وثبت الجحائبي اليوسفي وأرغون التر في سبعين من مالك بيكهم فرقوا قليلاً ثم انهزموا إلى قبة النصر وقتل دروط ابن أخي الحاج الملك وقبض على أيقا الجلب جريحاً وعلى طغتمر

محمد بن اسقلانس أستاذ دار وولى بيقا الناصري الحجابة بعد وظائف أخرى نقله منها وزوج أمه الجائى اليوسفى فعلت رتبته بذلك في الدولة واستغل ظلم أمره وأغاظل له الدوادار يوماً في القصور ففي وولى مكانه منكى بغا طبغا الطويل وعلى دمشق مكان الماردانى بندر المخوارزمى ثم اعتقله وصادره على مائة ألف دينار ونفاه إلى طرسوس وولى مكانه منجك اليوسفى نقله إليها من طرابلس وأعاد إليها غشتمر الماردانى كما كان قبله ثم توفى طبغا الطويل

ووصل وفود منجك من الشام سنة أربع وسبعين عالماً عبر عنه اشتمل على الخيل والبخاتى الجلالة والجمال والمحن والقماش والخلافات والخلي والطرف والمواعن حتى كان فيها من الكلاب الصائدة والسباع والإبل ما لم ير مثله في أصنافه ثم وصل وفود قشتمر الماردانى من حلب على نسبة ذلك والله تعالى أعلم.

ولى في جميع الوظائف استبدالاً وإنشاء بنظره واختياره.

وكان منهم مولاً لأرغون الأشرفي وما زال يرقى في الوظائف إلى أن جعله أتابك دولته وكان خالصته كما سندكر ولد على حلب مكان منكلى بغا طبغا الطويل وعلى دمشق مكان الماردانى بندر المخوارزمى ثم اعتقله وصادره على مائة ألف دينار ونفاه إلى طرسوس وولى مكانه منجك اليوسفى نقله إليها من طرابلس وأعاد إليها غشتمر الماردانى كما كان قبله ثم توفى طبغا الطويل محلب آخر سنة تسع وسبعين بعد أن كان يروم الانتقاض فولى مكانه استبغا الأبو بكري ثم عزله سنة سبعين وولى مكانه قشتمر المنصورى والله تعالى ولي التوفيق بهنه وفضلة.

## مقتل قشتمر المنصورى محلب في واقعة

### العرب

كان جاز بن مهنا أمير العرب من آل فضل قد انتقض ولد السلطان مكانه ابن عمته نزال بن موسى بن عيسى واستمر جاز على خلافه ووطيء بلاد حلب أيام المصيف واجتمع إليه بنو كلاب وامتدت أيديهم على الساحلية فخرج إياهم نائب حلب قشتمر المنصورى في عساكره فأغار على أحياه واستأقام نعهم ومواشيهم وشره إلى اصطلاحهم فذادروا دون أحياهم وكانت بينه وبينهم جولة أجلت عن قشتمر المنصورى وبنته محمد قيلين ويقال: قتلها بعمر بن جاز ورجعت عساكر الترك منهزمين إلى حلب وذهب جاز إلى القفر ناجياً به وولى السلطان على العرب معقيل بن فضل ثم استأمن له جاز بن مهنا وعاود الطاعة فأعاده السلطان إلى إمارته والله تعالى أعلم.

## استبداد الجائى اليوسفى ثم انتقاضه ومقتله

لما أذهب السلطان الأشرف أثر الأجلاب من دولته وقام بعض الشيء بأمره فاستدعى منكلى بغا من حلب وجعله أتابكاً وأمير علي الماردانى من دمشق وجعله نائباً ولو الجائى اليوسفى أمير سلاح ولو أصبغا عبد الله دوادار بعد أن كان الأجلاب ولوا في الدوادارية منهم واحداً بعد واحداً ثم سخطه ولو مكانه أقطمر الصباحى وعمر سائر الخطط السلطانية بمن وقع عليه اختيارة ورقى مولاً لأرغون شاه في المراتب من واحدة إلى أخرى إلى أن أربى به على الأتابكية كما يأتي ولو بهادر الجمالى أستاذ دار ثم أمير الماخورية تردد بينهما ثم استقر آخرًا في الماخورية ولو

## انتقاض الجائى اليوسفى ومهلكه واستبداد الأشرف بملكه

### الأشرف بملكه من بعده

لم تزل الدولة مستقرة على ما وصفناه إلى أن هلك الأمير منكلى بغا بالأتابك متصرف سنة أربع وسبعين واستضاف الجائى اليوسفى الأتابكية إلى ما كان بيده ورتبته أشد من ذلك كله وهو القائم المستبد بها ثم ترفت أم السلطان وهي في عصمه فاستحق منها ميراثاً دعاه لوم الأخلاق فيه إلى المحاكمة في المخلف وتجانفى السلطان له عن ذلك إلا أنه كان ضيق الصدر شرس الأخلاق فكان يغلظ القول بما يخشى الصدور فأظلم الجلو بينه وبين السلطان وتمكنت فيه السعاية وذكرت بهذه انتقاضه الأول وذلك أنه كان سخط في بعض التزيعات على بعض العوام من البلد فامر بالركوب إلى العامة وقتلهم فقتل منهم كثير وعمى الخبر إلى السلطان على السنة أهل البصائر من دولته وعزلوه عنده فاستشاط السلطان رزجره وأغاظل له ففضض وركب إلى قبة النصر متقطضاً وذهب السلطان في مداراة أمره إلى الملاطفة واللين.

وكان الأتابك منكلى بغا يوم ذاك حياً فأوزع السلطان إليه فرجح وخليع عليه وأعاده إلى أحسن ما كان فلما بدرت هذه الثانية خدر السلطان بطاته من شأنه وخرج هو مستقاضاً وركب في مالىكه بساحة القلعة وجلس السلطان وترددت الرسل بينهما باللطفة فأصر واستكبر ثم أذن السلطان لمالكه في قتاله وكان أكثرهم من الأجلاب مالىك بيقا وقد جمعهم السلطان واستخدمهم في جملة ابنه أمير علي ولو عهده فقاتلوا في حرم سنة خمس وسبعين وكان موقفه في ذلك المترک إلى حائط الميدان

فكان يوماً مشهوداً وولى الأشرف في ذلك اليوم بيتنا الناصري الذي قدم به حاجباً ثم سافر عشقاً تمر نائب حلب آخر سنة ست وسبعين بعدها بالعاشر إلى بلاد الأرم من فتح سائر أعمالها واستولى على ملكها النكفور بالأمان فوصل بأهله وولده إلى الأبواب السلطانية ورتب لهم الأرزاق وولى السلطان على سيس واقتصر منها ملك الأرمون وتوفي منجك آخر هذه السنة فولى السلطان اقتصر الصاجي المعروف بالخلي ثم عزله ورفع مجلسه وولى مكانه اقتصر الأنفني ثم توفى جبار بن منها أمير العرب بالشام فولى السلطان ابنه يعبر مكانه ثم توفي أمير مكة من بني حسن فولى الأشرف مكانه واستقرت الأمور على ذلك والله أعلم.

## الخبر عن ماليك بيقا وترشحهم في الدولة

كان السلطان الأشرف بعد أن سطا بعمايلك يبغا تلك  
السيطرة وقسمهم بين القتل والنفي وأسكنهم السجون وأذهب  
أثرهم من الدولة بالحملة أرجع جلة منهم بعد ذلك وعاته منكلي  
بعنا في شأنهم وأن في إتلافهم قص جناح الدولة وأنهم ناشطة من  
الجند يحتاج الملك لثلاهم فندم على من قتل منهم وأطلق من يقي  
من الجبوين بعد خس من السنين وسرهم إلى الشام يستخدمون  
عند الأمراء وكان فيمن أطلق الجماعة الذين مجس الكرك وهو  
برفرق العثماني وبركة الجوباني وطبقاً الجوباني وجركس الخليلي  
ونوعن فاطلقو إلى الشام ودعا منجك صاحب الشام كبراءهم إلى  
تعليم المماليك ثقافة الرمح وكانوا بصراء بها فاتقاً معاً عنده مدة  
خبربني بذلك الطبقاً الجوباني أيام اتصالي به قال: وأقمنا عند  
منجك إلى أن استدعاء السلطان الأشرف وكتب إليه الجحائزي  
اليوسفي مثل ذلك فاضطرب في أيهما يجيئه فيها ثم أراد أن يخرج  
من المهدة فرد الأمر إلينا فأينا إلا امتثال أمره فتحير ثم اهتدى إلى  
أن يبعث إلى الجحائزي اليوسفي ودس إلى قرطاجي كافل الأمير علي  
بن السلطان وكان صديقه بطلبنا من الجحائزي بخدمة ولـي المهد  
وصانع المجهتين بذلك قال: وصرنا إلى ولـي العهد فعرضنا على  
السلطان أـيهـ واحتضناـ عـنـهـ بـتـعـلـيمـ الثـقـافـةـ لـمـالـيـكـهـ إـلـىـ أـنـ دـعـانـاـ  
الـسـلـطـانـ يـوـمـ يـوـقـنـ وـاقـعـةـ الـجـحـائـزـ وـهـ جـالـسـ بـالـإـسـطـبـلـ فـنـدـبـناـ لـحـرـبـهـ  
وـذـكـرـنـاـ حـقـوقـهـ وـأـزـاحـ عـلـلـنـاـ بـالـجـيـادـ وـالـأـسـلـحـ فـجـلـبـنـاـ فـتـلـهـ إـلـىـ أـنـ  
تـهـزـمـ وـمـاـ زـالـ السـلـطـانـ بـعـدـهـ يـرـعـيـ لـنـاـ ذـلـكـ وـيـقـدـمـنـاـ اـتـهـيـ خـبـرـ  
الـجـوبـانـيـ.

وكان طشتمر الدوادار قد لطف محله عند الأشرف وخلال له  
وجهه وكان هواه في اجتماع عماليك بيقا في الدولة يستكثر بهم

المتصل بالأساطيل فنفت له المقاتلة من داخل الأساطيل ونضحوه بالسهام فتحى عن الحائط حتى إذا حل مركزه ركبا خيوthem وخرجوا من باب الأساطيل.

وصدقوا عليه الحملة فانهزم إلى بركة الجيش ورجع من وراء الجبل إلى قبة النصر فقام بها ثلاثة والسلطان يراوضه وهو يشنط وشيعه يتسللون عنه ثم بعث إليه السلطان لة من العسكر ففر أمامهم إلى قليب واتبعوه فخاض البحر وكان آخر العهد به ثم أخرج شلره ودفن وأسف السلطان لهلكه ونقل أولاده إلى قصره ورتب لهم حلاشته الأرزاق في ديوانه وقبض على من اتهمه بداخلته وأرباب وظائفه فصودروا كلهم وعزلوا وغربوا إلى الشام واستبد السلطان بأمره واستدعى القرى الدوادار وكان نائباً بطرابلس فولاه أتابكاً مakan الجانى ورفع رتبته وولى أرغون شاه وجعله أمير مجلس وولى سرغمتش من مواليه أمير سلاح وانخص بالسلطان طشمر الدوادار وناصر الدين محمد بن اسقلان أستاذ دار فكانت أمور الدولة منقسمة بينهما وتصارييفها تجري بسياستهما إلى أن كان ما نذكره والله تعالى ولـ التوفيق.

استقدام منحك للنيابة

كان أمير علي المارداني قد توفي سنة اثنين وسبعين وبقيت  
وظيفته خلواً لikan الحائني اليوسفي وأسحاكه ولما هلك سنة خمس  
وسبعين ول السلطان أقطر عبده الغنوي ثانية ثم بدأ له أن يولي في  
النيابة منجك اليوسفي لما رأه فيه من الأهلية لذلك والقيام به  
ولتقبيله في الإمارة منذ عهد الناصر حسن وأنه كان من مواليه أخاً  
لبيقا روس وطار وسرغنش ف فهو بقية المناجب فلما وقع نظره  
عليه بعث في استقادمه ببيقا الناصري من أمراء دولته ولوي مكانه  
بندرم الخوارزمي وأعاد عشقمتر إلى حلب مكانه ووصل منجك  
إلى مصر آخر سنة خمس وسبعين ومعه ماليكه وحاشيته وصهر إلى  
روس الحمدي فاحتقل السلطان في تكرمه وأمر أهل الدولة  
بالركوب لتلقية فتلقاء الأمراء والعساكر وأرباب الوظائف من  
القضاة والدواوين وأذن له في أخولد من باب السر راكباً  
وخاصة السلطان مشاة بين يديه حتى نزل عند مقاعد الطرواشية  
باب القصر حيث مجلس، مقدم الملوك.

ثم استدعي إلى السلطان فدخل وأقبل عليه السلطان وشافه بالبيبة المطلقة وفرض إليه الولاية والعزل فيسائر المراتب السلطانية من الوزراء والخواص والقضاة والأوقاف وغيرها وخلع عليه وخرج ثم قررت تقليله بذلك في الإيران ثانى يوم وصوله

علهم وملاجئه حقائصه وخرج ثانية عشر شوال في المراكب والقطارات يرافق الناظرين كثرة وغافلة وزينة والخلفية والقضاة والأمراء حفا فيه.

ويرز النظارة حتى العوائق من خدورهن وتجلبت بركتهم البسيطة وما جت الأرض بهم موجاً وخيم بالبركة متزل الحاج وأقام بها أياماً حتى فرغ الناس من حاجاتهم وارتحل فما زال

يتقل في المنازل إلى العقبة ثم أقام فيها على عادة الحاج وكان في نفوس المالك وخصوصاً البيضاوية وهم الأكثر شجى يتشاركون به إلى الاستبداد من الدولة فتذكروا واستطعوا في اقتضاء أرزاقهم والباحثون يملئونه وانهوا أمرهم إلى الفساد ثم طلبوا العلوة المستقبلة إلى دار الأزل فاعتذر المباحثون بأن الأقوات حللت إلى الأمام فلم يقبلوا وكشفوا القناع في الأنقاض وبيانوا ليلتهم على تعيبة واستدعى الأشرف طشتير الدوادار وكان كبيرهم فقاوه في الأمر ليفل من عزمه فاجل العذر عنهم وخرج اليهم فخرجا ثم ركبوا من الغد واصطفوا وأركبوا طشتير معهم ومنعوه من معاودة السلطان وتولى كبر ذلك منهم مبارك الطازري وسرابي غر الحميدي وبطل عمر العلاني وركب السلطان في خاصته يظن أنهما يرعنون أو يجتمع إليه بعضهم فابدا إلا الإحلف على قتاله.

ونصرحاً موكيه بالنيل لما عاينه فرجع إلى خيام منهزمًا ثم ركب البحر في لفيف من خواصه ومعه أرغون شاه الآتابك وبقيا

الناصري وحمد بن عيسى صاحب الدرك من لفائف الأعراب أهل الضاحية وفي ركابه جماعة الشباب الذين أنساهم في خالصته ورشحهم للوظائف في دولته كما مر وخام الفل إلى القاهرة وقد كان السلطان عندما سافر عن القاهرة ترك بها جماعة من الأمراء والممالك متقيين في وظائفهم كان منهم قطاطي الطازري كافل أمير علي ولـيـ الـهـ وـاقـتـرـ الخـلـيـليـ وـقـشـتـعـرـ وـاستـدـمـرـ السـرـغـتمـشـيـ وأـلـيـكـ الـبـرـيـ وـكـانـ شـيـطـانـ منـ التـمـرـدـ قدـ أـوـحـىـ إـلـيـ قـرـطـاطـيـ بـأـلـهـ يكونـ صـاحـبـ الدـوـلـةـ عـصـرـ فـكـانـ يـشـرـفـ لـذـكـ وـيـرـصـدـ لـهـ وـرـسـاـ وـقـيـيـهـ وـبـيـنـ وـزـيـرـ الدـوـلـةـ مـاـزـاـعـةـ فـيـ جـرـاـيـةـ عـالـيـكـ مـكـفـرـهـ وـلـيـ العـهـ وـعـلـوـفـهـ وـأـغـلـظـ لـهـ فـيـهـ الرـوـزـرـ فـوـجـ وـأـخـذـ فـيـ أـسـبـابـ الـأـنـقـاضـ وـدـاـخـلـ فـيـ ذـلـكـ بـعـضـ أـصـحـابـهـ وـوـاعـدـهـ ثـالـثـ ذـيـ القـعـدـةـ وـتـقـدـمـ إـلـيـ دـاـيـهـ ولـيـ الـهـ لـيـلـهـ ذـلـكـ الـيـوـمـ يـانـ يـصـلـحـ مـنـ شـانـهـ وـفـرـغـ عـلـيـهـ مـلـابـسـ السـلـطـانـ وـبـهـيـهـ جـلـوسـ التـختـ وـرـكـ هوـ صـيـحةـ ذـلـكـ الـيـوـمـ وـوـقـفـ بـالـرـمـيـلـةـ عـنـ مـصـلـىـ الـعـيدـ وـتـنـاـولـ قـطـعـةـ مـنـ ثـوبـ فـصـبـهـ لـوـاءـ وـكـانـ صـيـانـ الـمـدـيـنـةـ قـدـ شـرـعـواـ فـيـ الـخـاـذـ الدـبـابـ وـالـطـبـيـلـاتـ فـأـمـرـ بـتـاـولـ بـعـضـهـ مـنـهـ وـهـرـعـتـ بـيـنـ يـدـيهـ وـتـسـاـبـلـ النـاسـ إـلـيـهـ مـنـ كـلـ أـوـبـ وـنـزـلـ مـنـ كـانـ بـطـبـاقـ الـقـصـرـ

فيما يؤمنه من الاستبداد على السلطان فكان يشير في كل وقت على الأشرف باستقدامهم من كل ناحية واجتماعهم عصابة للدولة يخادع بذلك عن قصده وكان محمد بن استلاف أستاذ دار يساميه في الدولة ويزاحمه في مخالصه الأشرف ويطاف المخل عنده ينهى السلطان عن ذلك ويخدره مغبة اجتماعهم فقص طشرم بذلك.

وكان عند السلطان عالى دونه من مالك الخاصة شيئاً قد اصطافاه وهذبهم وخالفهم بالحبة والشهر ورشحهم للراتب ولو بعضهم وكان الأكبر من أهل الدولة يفضلون إياهم محتاجاتهم ويتسلون بمساعيهم فصرف طشتير إليهم وجه السعاية وغضي مجالسهم وأغراهم بباب استلاف وأنه يصد السلطان أكثر الأوقات عن أغراضهم منه وبعد أبواب الإنعام والصلات منه وصدق ذلك عندهم كثرة حاجاتهم في وظيفته وتقرر الكثير منها عليهم عنده فوغرت صدورهم منه وأغرروا به السلطان باتفاق إغراء طشتير طاهراً حتى تمت عليهم نكته وجنت الكلمة وبغض عليه متصرف جادى سنة سبع وثمانين ونفاه إلى القدس فخلا طشتير وجه السلطان وانفرد بالتذير واجتمع المالك البيضاوية من كل ناحية حتى كثروا أهل الدولة وعمرروا مراتبها ووظائفها واحتاروا من جوانبها إلى أن كان ما ذكره إن شاء الله تعالى والله أعلم.

## حج السلطان الأشرف وانتهاض المالك عليه بالعقبة وما كان مع ذلك من ثورة قرطاطي بالقاهرة وبيعة الأمير علي ولـيـ العهد ومقتل السلطان إثر ذلك

لما استقر السلطان في دولته على أكمل حالات الاستبداد والظهور وأذعن الناس لطاعته في كل ناحية وأكمل الله له الإمتناع بكله ودنياه سمت نفسه إلى قضاء فاجع الحج سنة ثمان وسبعين وتجهز لذلك واستكثر من الرواحل المستجادة والأزرودة المتقلة من مساير الأصناف واستعد للسفر واحتفل في الأبهة بما لم يعهد مثله واستخلف ابنه ولـيـ الـهـ في ملكه وأوصى النائب اكتمر عبد النبي بمبكرة بابه والانتهاء إلى مراسميه وأخرج بني الملك الناصر المحجوبين بالقلعة مع سرد الشيخوني إلى الكرك يقيمون به إلى منصرفة وتجهز الخليفة العباسي محمد التوكيل بن المعتصد والقضاء للحج معه وجهز جماعة من الأمراء أهل دولته وأزاح

مجيء طشتمر من العقبة وانهزامه ثم مسيرة  
إلى الشام وتجديد البيعة للمنصور ياذن  
ال الخليفة وتقديمه

لما انهزم السلطان من العقبة ومضى إلى القاهرة اجتمع أهل ثورة على قشتمر والقرا إليه القياد ودعوا الخليفة إلى البيعة له فتفادى من ذلك ومضى الحاج من مكانة مع أمير الحمل بهادر الجمالي على العادة ورجع القضاة والفقهاء إلى القدس وتوجه طشتمر والأمراء إلى مصر لتسلاف السلطان أو تلفه فلقيهم خبر بهلهك بمجرود وما كان من بيعة ابنه واستقلال قرطاطي بالملك ثقاب لهم رأي آخر في حرب أهل الدولة وساروا على التعية ويعثروا في مقدمتهم قطلقتمر ولقي طلائع مصر فهزهم وسار في اتباعهم إلى ساحة القلعة فلم يشعر إلا وقد تورط في جهور العسكر فتقبضوا عليه وكان قرطاطي قد بعث عن اقتمر الصاحبي الخنبلني من الصعيد ويرجع في العسكر لحرب قشتمر وأصحابه غزير إليهم والتقوا في ساحة القلعة وانهزم قشتمر إلى الكيمان بناحية مصر ثم استأمن فأمانوه واعتلقوه ثم جمع الناس ليوم مشهود وحضر الخليفة والأمراء والقضاة والعلماء وعقد الخليفة للمنصور بن الأشرف وفرض إليه وقام قرطاطي بالدولة وقسم الرظائف فوق قشتمر اللفاف واستأنم السرغتمشمي أمير سلاح، وقلطريغا البدرى أمير مجلس وقرطاطي الطازى رأس نوبة وإيساس السرغتمشى دوادار وأبيك البدرى أمير الماخورىسة وسردون جركس استاذ دار واقتمر الخنبلى ناتباً وجعل له الإقطاع للأجناد والأمراء والنواب وأخرج عن طشتر العلاوي الدوادار وأقطعه الإسكندرية وأحضر بني الملك الناصر من الكرك مع حافظهم سردون الشيخونى وولاه حاجباً وكذلك قلوط السرغتمشى. وأصحاب الناس في آخر السنة طاغون إلى أول سنة تسعة وسبعين فهلهك طشتر اللفاف الأتابك وولى مكانه قرطاطي الطازى في وظيفته واستدعى بيقا الناصري من الشام فاختصه الأمير الكبير قرطاطي بالمخالصة والمشاركة.

## نكبة قرطاي واستقلال أويك بالدولة ثم مهلكه

كان أيك الغزي هذا قد ردد قرطاي في حل الدولة من أول ثورتهم وقادهم على السلطان فخالصه وخلطه بنفسه في

وغرفة وبالقاهرة من المالك واجتمعوا إليه حتى كظ ذلك  
الفضاء وجاوزوا تعادي بهم الخيل فاستغلل لفيفهم ثم اتتحم  
القلعة في جميع من باب الإصطبل إلى بيت مكفوله ولل العهد أمير  
علي عند باب السستارة يطلبوه وقبضوا على زمام النزود وكانوا  
عدة حتى أحضروا ولل العهد وجاوزوا به على الأكتاف إلى الإبران  
فأجلسوه على التخت وأحضاروا أمير نائب القلعة فباع له ثم  
أنزلوه إلى باب الإصطبل وأجلسوه هناك على الكرسي واستدعي  
الأمراء القائين بالقاهرة فباعوه وحبس بعضهم بالقلعة وبعث  
أكتمر الخلي إلى الصعيد يستكشف أحواله واختص منهم أميرك  
 يجعله رديقاً في دولته وباتوا كذلك وأصبحوا يسائلون الركبان  
ويستكشفون خبر السلطان.

وكان السلطان لما انهزم من العقبة سار ليلتين وجاء إلى البركة آخر الثانية وجاءه الخبر بواقعية القاهرة وما فعله قرطاطي وتشاوروا فأشار محمد بن عيسى بقصد الشام وأشار آخرون بالوصول إلى القاهرة وسار السلطان إليها واستمروا إلى قبة النصر ونهاقروا عن رواحلهم ياطلاح وقد أنهكهم التعب وأضناهم السير فيما هو إلا أن وقعوا لمناكبهم وجزيئهم وغضيئهم النعاس.

وجاء الناصري إلى السلطان الأشرف من بينهم فتصح لـ  
بأن يتسلل من أصحابه ويترسب في بعض البيوت بالقاهرة حتى  
يتبين له وجه مذهبة وانطلق بين يديه فقصد بعض النساء من كان  
يتاب قصده واحتفى فظن النجاة في ذلك وفارقه الناصري يطلب  
نفقاً في الأرض وقد كانوا بعثوا من قبة التنصر بعض المالك  
عنهم روائد يستوضحون الخبر فأصبحوا بالرميلية أمام القلعة  
وتعرف الناس أنه من الحاج فرفعوه إلى صاحب الدولة وعرض  
عليه العذاب حتى أخبره عن السلطان وأنه وأصحابه بقبة التنصر  
مضطربين من غشى النوم فطار إليهم شراد العسكر مع استدمر  
السرغتمشي والجمهور في ساقتهم حتى وقفوا عليهم في  
مضاجعهم.

وأنقذوا السلطان من بينهم وقتلهم جميعاً وجاؤوا  
برؤوسهم ووجروا لافتتاح السلطان ونادوا بطلبه وعرضوا العذاب  
والقتل على محمد بن عيسى صاحب الدرك قسراً وحبس رهينة  
من ثقاته ثم جاءت امرأة إلى أبيك فدلت عليه في بيت جارتها  
فاستخرجوه من ذلك البيت ودفعوه إلى أبيك فامتحنه حتى دلهم  
على النزارة والأموال ثم قتلوا خلقاً وجددوا البيعة لابنه الأمير  
علي وتقبّه المنصور واستقتل بدولته كافله من قبل الأمير قرطاجي  
وردفه أبيك البدرى واستقرّ الأمر على ذلك.

أن يستدعي طشتمر من الشام وينصبوه للإمارة فبعثوا إليه بذلك وانتظروه.

### استبداد الأميرين أبي سعيد برقوق وبركة بالدولة من بعد أبيك ووصول طشتمر من الشام وقيامه بالدولة ثم نكتبه

لما تغلب هؤلاء الأمراء على الدولة ونصبوا بيقا الناظري ولم يضروا له بالطاعة بقي أمرهم مضطرباً وأراوهم مختلفة وكان برقوق وبركة أبصر الفرج بالسياسة وطرق التدبير وكان الناظري يخلصهما كما مر فقاوضوا في القبض على هؤلاء المتصدرين للمنازعة وكبح شకائهم وهم دمرداش اليوسفي وترابي الحسيني وافتلاuchs السلاجقى واستدمر ابن العثمانى فى آخرين من نظرائهم وركباوا متصرف صقر وقبضاوا عليهم أجمعين ويعشاوا بهم إلى الإسكندرية فحبسوا بها واصطفوا بلاطًا منهم وولوه الإمارة وخلطوا بأنفسهم وأبقوا بيقا الناظري على أثابكته كما كان وأنزلوه من القلعة فسكن بيست شيخو قبالتة وولى برقوق أمير الماخورية وزنل باب الاصطبل وولى برقة الجويانى أمير مجلس واستقرت الدولة على ذلك.

وكان طشتمر نائب الشام قد انتقض واستبد بأمره وجمع عساكر الشام وأمراءه واستقر العرب والتركمان وخيم بظاهر دمشق يريد السير إلى مصر ويرز أبيك من مصر بالسلطان والعسكر يريد الشام لحربته فكان ما قدمنه من نكتبه وخروج الأمراء عليه ومصريهم إلى جماعة البيقاوية الظافرين بأبيك ومقدمهم بيقا الناظري ثم تقاوض بيقا الناظري مع برقوق وبركة في استدعاء طشتمر فوفقاً ونظراه رأياً وفيه طلب الصلح من الذين معه وحسن الداء منه بكونهم في مصر فكتباً إليه بالوصول إلى مصر للأتابكية وتدير الدولة وأنه شيخ البيقاوية وكثيرهم فسكت نفسيه لذلك ووضع أوزار الفتنة وسار إلى مصر فلما وصلها اختلقوها في أمره وتعظيمه.

واركبوا السلطان إلى الزيدانية لتلقىه ودفعوا الأمراء إليه وأشاروا له إلى الأتابكية ووضعوا زمام الدولة في يده فصار إليه التولية والعزل والحل والعقد وولى بيقا الناظري أمير سلاح مكان سبطاً ويعشاوا بلاطًا إلى الكرك لاستقلال طمشتر بمكانه وولى بدمدر الخوارزمي نائبًا بدمشق على سائر وظائف الدولة وملك الشام كما اقتضاه نظره ووافق عليه أستاذ دار برقوق وبركة وولى أبيك

الإصرار إليه وكان أبيك يرث الاستبداد بشأن أصحابه وكان يعرف من قرطاي عكرفة على لذاته وانتقامه مع ندمائه فعل قرطاي في صفر سنة تسع وسبعين ضيافة في بيته وجع ندماء مثل سودون جركس وبارك الطازى وغيرهم وأهدى له أبيك نيناً أذب فيه بعض المرقدات فباتوا يتعاطونه حتى غلبهم السكر على أنفسهم ولم يفتقروا فركب أبيك من ليلته وأركب السلطان المنصور معه واختار الأمر لنفسه واجتمع إليه الناس وأناق قرطاي بعد ثلات وقد احتجت عنه العقدة واجتمع الناس على أبيك فبعث إليه قرطاي يستأمن فأنمه ثم قبض عليه فسيره إلى صند واستقل أبيك بالملك والدولة.

ثم بلغه متصرف صقر من السنة انتقض طشتمر بالشام وانتقض الأمراء هناك فيسائر المالك على الخلاف معه فنادى في الناس بالسير إلى الشام فتجهزوا وسرح القمدة آخر صفر مع ابنه أحد وأخيه قطلوفجا وفيها من ماليكه وماليك السلطان جماعة من الأمراء كان منهم الأميران برقوق وبركة المستبدان بعد ذلك ثم خرج أبيك ثانية ربيع في الساقية بالسلطان والأمراء والعساكر واتجهوا إلى بليبيس وثار الأمراء الذين كانوا مع أخيه في المقدمة ورجع إليه منهذاً فاجفل راجعاً إلى القلعة بالسلطان والعساكر.

وخرج عليه ساعة وصوله يوم الاثنين جماعة من الأمراء وهم قطلتمر العلائي الطويل والطبقياً السلطاني والعناع وواعدوه قبة النصر فسرح إليهم العساكر مع أخيه قطلوفجا فاقتلعوا به وقضوا عليه وببلغ الخبر إلى أبيك فسرح من حضره من الأمراء للقائهم وهو أيدمر الشمسي وأقطمر عبد الغنى وبهادر الجمالى وبارك الطازى في آخرين ولا تواروا عنه ركب هو هارباً إلى كيمان مصر واتبعه أيدمر القنائى فلم يقف له على خبر ودخل الأمراء من قبة النصر إلى الأسطبل وأمضوا الأمراء إلى قطلتمر العلائى وهو يحاذونه وأشير عليه بملع المصور والبيعة لمن يقوم على هذا الأمر من أبناء السلطان فانى.

ثم وصل صبيحة الثلاثاء الأمراء الذين شاروا فجاء أخوه أبيك في مقدمة العسكر وفيهم بيقا الناظري ودمرداش اليوسفي وبلاط من أمراء الآلف وبرفق وبركة وغيرهما من الظلخامات فنازعوهم الأمر وغلبوا عليهم وبعثوا بهم إلى الإسكندرية معتقلين وفرض الأمراء إلى بيقا الناظري فقام بأمرهم وهو شعاع وأراوهم مختلفة ثم حضر يوم الأحد الناس من ربيع أبيك صاحب الدولة وظهر من الاختفاء وجاء إلى بلاط منهم وأحضره عند بيقا الناظري فبعث به إلى الإسكندرية فحبسه بها وكان بيقا الناظري يختص برقوق وبركة بالفاوضية استابة بالآخرين فاتفق رأيهما على

باب الستارة وجاء الأمير برقوق من صيده ومعه الأتابك الشمسي فوصلوا إلى منزله خارج القلعة وأفرغوا السلاح على سائر عمالاتهم وركبوا إلى ساحة الاصطبل ثم قصدوا إلى الباب فأحرقوه وتسلق الأمير قطاي المتصوري من جهة باب السر وفتحه لهم فدخلوا منه ودافعوا أبيال وانقض عليهم الماليك الذين كانوا معه من ماليك الأمير برقوق ورموه بالسهام فانهزم ونزل إلى بيته جريحاً وأحضر إلى الأمير برقوق فاعتذر له بأنه لم يقصد فعلته إلا التغلب على برقة فبعث به إلى الإسكندرية معتقلًا وأعاد يبيقا الناصري أمير سلاح كما كان واستدعى لها من نبأ طرابلس ووصل الخبر إلى برقة فاسرع الكر من الجحرة وانتظم الحال ونظروا في الوظائف التي خلت في هذه الفتنة فعمروها من يقوم بها واختصروا بها من حسن غناه في هذه الواقع مثل قدم وقرط وذلك سنة إحدى وثمانين.

وأقام أبيال معتقلًا بالإسكندرية ثم أفرج عنه في صفر سنة اثنين وثمانين وولاه على طرابلس ثم توفي منكلي بقا الأحدي نائب حلب فولى أبيال مكانه ثم تقضى عليه آخر السنة وحبس بالكرك وولى مكانه بقا الأحدي فولى مكانه بندر الخوارزمي ثم توفي سنة إحدى وثمانين جبار بن المها أمير العرب بالشام فولى مكانه معقل بن فضل بن عيسى وزامل بن موسى بن عيسى شريكين ثم عزلاً وولى يعمر بن جبار.

## ثورة برقة ونكبتها واستقلال الأمير برقوق بالدولة

كان هذا الأمير برقة يعادل الأمير برقوق في حمل الدولة كما ذكرناه وكان أصحابه يفرونون إليه الاستبداد في الأموال وكان الأمير برقوق كثير التشتت في الأمور والميل إلى المصالح فيعارضهم في الغالب ويضرب على أيديهم في الكثير من الأحوال فقصوا مكانه وأغروا برقة بالثوب والاستقلال بالأمر وسعوا عنه بأشمس من كبار أصحاب الأمير برقوق وأنه يحمل برقوق على مقاطعة برقة ويفسد ذات بينهما وأنه يطلب الأمر لنفسه وقد اعتزم على الوثوب عليهم فجاء برقة بذلك إلى الأمير برقوق وأراد القبض على أشمس فمنعه الأمير برقوق ودفع عنه وعظم انحراف برقة على أشمس ثم عن الأمير برقوق وسعى في الإصلاح بينهما الأكابر حتى كمال الدين شيخ التكية والخلدي شيخ الصوفية من أهل خراسان وجاؤوا بأشمس إلى برقة مستعيناً فاعتبه وخلع عليه.

اليوسفي فرت برقوق رئيس نوبه مكان الناظري واستمر الحال على ذلك وبرقة وببركة أثناء هذه الأمور يستكثران من الماليك استغلالاً لشوكتهما وأكتنافاً لعصبيتهما أن يمتد الأمير إلى مراتبهما فيدللان الجاه لتابعهما ويزفزان الإقطاع لمن يستخدم لهما وبخسان بالمرة من يجتمع من أهل الدولة إليهما وإلى أ Ibrahimها وانصرفت الوجوه عن سواهما.

وارتاب طشتمر بنفسه في ذلك وأغراء أصحابه بالتوثب بهذين الأمرتين فلما كان ذو الحجة سنة تسع وسبعين استعجل أصحابه على غير رؤية ويعثروا إليه فأخرج وقد عن الركوب واجتمع برقوق وببركة بالاصطبل فركب إليه وقاتل ماليك طشمر بالمريلة ساعة من نهار وانهزموا واقتروا واستأنم طشمر فامنه واستدعيه إلى القلعة فقبضوا عليه وعلى جماعة من أصحابه منهم أطميش الأرغونسي ومدلان الناظري وأمير حاج بن مغلطاي ودوادار أرغون ويعث بهم إلى الإسكندرية فحبسوا بها ويعث معهم بيقا الناصري كذلك.

ثم أفرج عنه أيام وبعثه ناباصل عن طرابلس ثم أفرج عن طشمر بعد ذلك إلى دمياط ثم إلى القدس إلى أن مات سنة سبع وثمانين واستقامت الدولة للأمرين بعد اعتمالهما وخلت لها من المنازعين وولى الأمير برقوق أتابكاً وولى الماخورية الجابي الشمسي وولى قريبه أبيال أمير سلاح مكان الناصري وولى اقتصر العثماني دوادار مكان أطميش الأرغونسي وولى الطبقا الجويسياني رئيس نوبه ثانياً ودمداش أمير مجلس وتوفي بيقا النظامي نائب حلب فولى مكانه عشترم المارداني ثم استاذن عشترم فاذن له وحبس بالإسكندرية وولى مكانه محلب عرتاش الحسيني الدمرداشي ثم أفرج عنه وأقام بالقدس قليلاً ثم استدعاه برقة وأكرم نزله ويعثه ناباً إلى حلب.

## ثورة أبيال ونكبتها

كان أبيال هذا أمير سلاح وكان له مقام في الدولة وهو قريب الأمير برقوق وكان شديد الاحراف على الأمير برقوق ويجمل قريبه على منافره ولا يبيه إلى ذلك فاعتم على الثورة وتحين لها سفر الأمير برقوق يتصدق فركب الأمير برقوق في بعض تلك الأيام متصلحاً بساحة البلد فرأى أن قد خلا له الجو فركب وعمد إلى باب الاصطبل فملكه ومعه جماعة من ماليكه وعماليك الأمير برقوق وتقضوا على أمير الماخورية جركس الخليلي واستدعوا السلطان المنصور ليظهره للناس فمنعه المقدمون من

الإسكندرية اتصال بهم لاحتياجهم إلى الميرة من البحيرة ثم استخدمو الأمراء الترك في مقاصدهم وأموالهم واعتزوا بمحابهم وأسفوا على نظائرهم من هواة وغيرهم ثم حدثت الزيادة في وظائف الجباية كما هي طبيعة الدولة فاستقلوها وحدثتهم أنفسهم بالامتاع منها لما عندهم من الاعتراض فارهقوا في الطلب وجنس سلام بالقاهرة وأجلل ابنه بدر إلى الصعيد بالقبلية واعتبره هناك عساكر السلطان قاتلهم وقتل الكاشف في حربه وسارط إليه العساكر سنة ثمانين مع الأق شعاعي وأحمد بن بيقا وأنصار قبل ثورته فهربوا واعتاد العساكر في مختلفهم ورجعوا وعاد بدر إلى البحيرة وشغلت الدولة عنهم بما كان من ثورة أبيال وبركة بعده واصل فساد بدر وامتناعه فخرجت إليه العساكر مع الآتابك أشمس والأمير سلام والجوياني أمير مجلس وغيرهم من الأمراء الغريبة وزلت العساكر البحيرة واعتزم بدر على قاتلهم فجاءهم التذير بذلك فانتبذوا عن الخيام وتركوها خاوية ووقفوا على مراكزهم حتى توسط القorum المخيم وشغلوا بنبه فكررت عليهم العساكر فكانوا يستحلونهم ولم يقتل منهم إلا الأقل ويعت بدر بالطاعة واعتذر بالخروف وقام بالخروج فرجعت العساكر وولى بكثير الشريف على البحيرة ثم استبدل منه بقرط بن عمر ثم عاد بدر إلى حاله فخرجت العساكر فهرب أمامها وعاد القرط فيهم وقتل الكثير من رجالهم وحبس آخرين ورجع عن بدر أصحابه مع ابن عمه ومات ابن شادي وطلب الباقى الأمان فآمنوا وحبس رجال منهم وضمن الباقون القيام بالخارج واستأنف بدر فلم يقبل فللحظ بناحية الصعيد واتبعه العساكر فهرب واستبيح خلفه وأحياؤه ولحق برقه وزلت على أبي ذئب فاجراه واستقام أمر البحيرة وتمكن قرط من جيابتها وقتل رحاب وأولاد شادي وكان قرطاي يستوعب رجالهم بالقتل وأقام بدر عند أبي ذئب يتعدد ما بين أحياه وبين الراحات حتى لقيه بعض أهل الثار عنده فثاروا منه سنة تسعة وثمانين وذهب مثلاً في الآخرين والله تعالى أعلم.

### مُقتل بِرَكَةٍ فِي مُحْسِنٍ وَقُتْلُ أَبْنَ عَزَامَ بِثَارَه

كان الأمير بركة استعمل أيام إمارته خليل بن عزام استاذ داره ثم انهمه في ماله وسخطه ونكبه وصادره على مال امتحنه عليه ثم أطلقه فكان يطوي له على النكت ثم صار بركة إلى ما صار إليه من الاعتقال بالإسكندرية وتولى ابن عزام نياتها فحاول على حاجة نفسه في قتل بركة ووصل إلى القاهرة متبرئاً من أمره متخفياً من مغبة ورجمع وقد طوى من ذلك على الدغل ثم حلله الحقد الكامن في نفسه على اغتياله في جنح الليل فأدخل عليه

ثم عاود الخرافه ثانية فمسح أعطاوه وسكن وهو عموم الشرفة والفتوك ثم عاود حاله تلكثالثة واتفق أن صنع في بيت الأمير برقوق لسروره وليمة في بعض أيام الجمعة في شهر ربیع سنة اثنين وثمانين وحضر عنده أصحاب بركة كلهم وأهل شوكة وقد جاءه التنصيبح بأن بركه قد أجمع الشورة غداة يومه فقبض الأمير برقوق على من كان عنده من أصحاب بركة ليقص جانبه منهم وأركب حاشيته للقبض عليه وأسعد بدلان الناصري على مائدة مدرسة حسن فتضنه بالليل في اصطبعله وركب بركة إلى قبة النصر وخيم بها وتودي في العامة بهب بيته فهوها للوقت وخربها وتحيز إليه بيقا الناصري فخرج معه وجلس الأمير برقوق بباب القلعة من ناحية الاصطبعل وسرح الفرسان للقتال واقتلاوا عامة يومهم فزحف بركه على تعيتين إحداهما بيقا الناصري

وخرج الأق شعاعي للقاء وأشمس للقاء بيقا الناصري فانهزم أصحاب بركه ورجع إلى قبة النصر وقد أثخنوا بالجراح وتسلي أثثراهم إلى بيته وأقام الليل ثم دخل إلى جامع البلدة ويات به وغنى إلى الأمير برقوق خبره فأركب إليه الطبقا الجوياني وجاء به إلى القلعة ويعت به الأمير برقوق إلى الإسكندرية فجس بها إلى أن قتله النائب بها صلاح الدين بن عزام وقتل به في خبر بياتي شرحه إن شاء الله تعالى وتقضى على بيقا الناصري وسائر شيعته من الأمراء وأودعهم السجون إلى أن استحالات الأحوال وولى وظائفهم من أوقف عليه نظره من أمراء الدولة وأفرج عن أبيال الثائر قبله وبعثه نابياً على طرابلس واستقل بمحمل الدولة وانتظم به أحوالها واسترار سديمر نائب دمشق لصاحبته مع بركة فقضى عليه وعلى أصحابه بدمشق ووبي نوابية دمشق عشتمر ونوابية حلب أبيال وولى أشمس الآتابكية مكان بركه والأق شعاعي أمير سلاح والطبقا الجوياني أمير مجلس وأباها العماني دوادر وجركس الخليلي أمير الماخورية والله تعالى ولي التوفيق.

### انتقام أهل البحيرة وواقعة العساكر

كان هؤلاء الظرواعن الذين عمروا الدولة من بقايا هورة وزنانة وزنانة يعورونها عن تحت أيديهم من هذه القبائل وغيرهم ويقومون بخراج بالسلطان كل سنة في إيانه وكانت الرياسة عليهم حتى في أداء الخراج لبدر بن سلام وأبايه من قبله وهو من زنانة إحدى شعوب لوانة وكان للبيادية المتبنين مثل أبي ذئب شيخ أحباء مهرانة وعسرة ومثلبني التركية أمراء العرب بعقبة

معروفة بين النسرين وتزوجهم بذلك المواطن قبل دخول غسان وتحقيق هذا الرأي أن غسان لما دخلوا مع جبلة إلى هرقل أتاموا عنده ويشروا من الرجوع لبلادهم وهلك هرقل وأضطرب ملك الروم وانتشرت الفتنة هنالك في ممالكهم واحتاجت غسان إلى الحلف للمساعدة في الفتن وحالقاوا قبائل جركس وزلوا في بسيط جبلهم من جانبه الشرقي مما يلي القسطنطينية وخالطوهم بالنسب والشهر واندروا فيهم حتى تلاشت أحياهم وصاروا إلى تلك الأماكن وأتوا من البساط إلى الجبال مع جركس فلا يبعد مع هذا أن تكون أسبابهم تداخلت معهم من انتسب إلى غسان من جركس وهو مصدق في نسبة ويستأنس له بما ذكرناه فهو نسبة قوية في صحته والله تعالى أعلم.

وطلب هذا الأمير بررقوق على عهد الأمير بيبيا عثمان فراجا من التجار المعروفين يومئذ بتلك الجهات فملك بيبيا وربى في أطباقي بيته وأوى من قصده وشد في الرماية والثقافة وتعلم آداب الملك وانسلخ من جلدة الخشونة وترشح للرياسة والإماراة والسعادة تشير إليه والعنابة الربانية تحوم عليه شم كان ما ذكرناه من شأن مالك بيبيا ومهلك كبيرهم يومئذ استدرم وكيف تقسما بين الجلاء والسجن وكان الأمير بررقوق أعزه الله تعالى من أدركه التمحص فلبت في سجن الكرك خمس سنين بين أصحاب له منهم فكانت تهويتاً لما لقى من برافنه وشكراً له بالرجوع إلى الله ليتم ما قدر الله فيه من حمل أمانته واسترعا عباده ثم خلص من ذلك العبس مع أصحابه وخلي سيهه فانطلقوا إلى الشام واستخلصهم الأمير منجك نائب الشام يومئذ وكان بصيراً عجراً فالقى بحبه وعانته على هذا الأمير لما رأى عليه من علامات القبول والسعادة ولم يزل هناك في خالصته إلى أن هجس في نفس السلطان الأشرف استدعاء المرشحين من ماليكه وهذا الأمير يقدمهم وأفاض فيهم الإحسان واستضافهم لولده الأمير علي ولم يكن إلا أيام وقد انتقض الجاني القائم بالدولة وركب على السلطان فأحضرهم السلطان الأشرف وأطلق أيديهم في خيرله المقرية وأسلحته المستجادة فاصطفوا منها ما اختاروه وركبوا في مدافعة الجاني وصدقه القتال حتى دافعوه على الرملة.

ثم اتعوره حتى ألقى نفسه في البحر فكان آخر العهد به واحتلوا بما كان من أثره السلطان واحتضانه فسرع لهم الإقطاعات وأطلق لهم الجرایات ولهذا الأمير بين يديه من بينه مزيد مكانة ورفع محل إلى أن خرج السلطان الأشرف إلى الحج وكان ما قدمناه من انتقض قرطاطي واستبداده ثم استبداد أبيك من بعده وقد عظم محل هذا الأمير من الدولة وما عزه وسمت رتبته

جماعة مسلحين فقتلوه ورغم أنه أذن له في ذلك.

وبلغ الجيل إلى كافل الدولة الأمير بررقوق وصرح ماليكه بالشكوى إليه فانكر ذلك وأغاظط على ابن عزام وبعث دوداره الأمير يونس يكشف عن سبيه وإحضار ابن عزام فجاء به مقيداً وأوقفه على شنب مرتكبه في بركة فحلف الأمير ليقادن منه به وأحضر إلى القلعة في منتصف رجب من سنة اثنين وثمانين فضرب بباب القلعة أسوطاً ثم حل على جمل مشهراً وأنزل سوق الخيل فلتقاء مالك برقة فتناولوه بالسيوف إلى أن تواقعت أشلاء بكل ناحية وكان فيه عظة لمن يتعظ أعاذنا الله من درك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء انتهى.

## وفاة السلطان المنصور علي بن الأشرف

### ولولادة الصالح أمير حاج

كان هذا السلطان علي بن الأشرف قد نصبه الأمير قرطاطي في ثورته على أخيه الأشرف وهو ابن اثنين عشرة سنة فلم يزل منصورة والأمر ينتقل من دولة إلى دولة كما ذكرناه إلى أن هلك لخمس سنين من ولايته في صفر سنة ثلاثة وثمانين فحضر الأمير بررقوق واستدعى الأمراء واتفقوا على نصب أخيه أمير حاج ولقبه الصالح وأركبوه إلى الإيوان فأجلسوه على التخت وقلده الخليفة على العادة وجعل الأمير بررقوق كافله في الولاية والنظر للمسلمين لصغره حيث إن القيام بهذه العهدة وأفتى العلماء يومئذ بذلك وجعلوه من مضمون البيعة وقريء كتاب التقليد على الأمراء والقضاة والخاصية وال العامة في يوم مشهود وافتض الجموع وانعقد أمر السلطان ويعنته وضرب فيها للأمير بررقوق بهم والله تعالى مالك الأمور.

## وصول أنس الغساني والد الأمير بررقوق

### وانتظامه في الأمراء

أصل هذا الأمير بررقوق من قبيلة جركس الموطنين ببلاد الشمال في الجبال المحيطة ببوطه التقنيق والروس واللان من شرقها المطلة على بسائطهم ويقال: إنهم من غسان الداخلين إلى بلاد الروم مع أميرهم جبلة بن الأيمهم عندما أجفل هرقل إلى الشام وسار إلى القسطنطينية وخبر مسيره من أرض الشام وقصته مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه متناقلة معروفة بين المؤرخين وأما هذا الرأي فليس على ظاهره وقبيلة جركس من الترك

وغي الخبر إليه بذلك فتقبض عليهم وبعث أبقا إلى دمشق على إمارته وغرب الآخرين إلى قوص فاعتقلوا هناك حتى أُنفِذَ فيهم حكمه وأشتفق الأمراء من تبار مثل هؤلاء عليهم وتفاوضوا في محى الأصاغر من الدست وقيمه بأمرهم مستقلاً فجمعهم لذلك في تاسع عشر رمضان سنة أربع وثمانين وحضر الخاصة والعامة من الجند والقضاة والعلماء وأرباب الشورى والفتيا وأطبقوا على يعته وعزل السلطان أمير حاج فبعث إليه أميرين من الأمراء فأدخلوه إلى بيته وتناولوا السيف من يده فاضروا.

ثم ركب هذا السلطان من مجلسه بباب الاصطبغ وقد ليس شعار السلطنة وخلعة الخليفة فدخل إلى القصور السلطانية وجلس بالقصر الأبلق على التخت وأنه الناس بيعتهم أرسالاً واتقدد أمره يومئذ ولقب الملك الظاهر وقرعت الطبول وانتشرت البشار وخلع على أمراء الدولة مثل أشمس الأسماك والطباقي الجوياني أمير مجلس وجركس الخليلي أمير الماخورية وسودون الشيخوني نائباً والطباقي المعلم أمير سلاح ويونس النوري دوادار وقردم المسيي رئيس نوبة وعلى كتابه أوحد الدين بن ياسين كاتب سره أداه به من بدر الدين بن فضل الله كاتب سر السلطان من قبل وعلى جميع أرباب الوظائف من وزير وكاتب وقاض ومحاسب وعلى مشاهير العلم والفتيا والصوفية وانتظمت الدولة أحسن انتظام وسر الناس بدخولهم في إيلاء السلطان يقدر للأمور قدرها ويحكم أواخيها واستاذته الطباقي الجوياني أمير مجلس في الحج تلك السنة وأذن له فانطلق لقضاء فرضه وعاد انتهى والله تعالى أعلم.

## مقتل قرط وخلع الخليفة ونصب ابن عمه

### الواثق للخلافة

كان قرط بن عمر من التركمان المستخدمين في الدولة وكان

له إقدام وصرامة رقي بهما إلى محل من مرادفة الأمراء في وجوههم ومنذهبهم ودفع إلى ولایة الصعيد وماربة أولاد الكترز من العرب الجاثلين في نواحي أسوان فكان له في ذلك غناء وأحسن في تشييدهم عن تلك الناحية ثم بعث إلى البحيرة وإلى عند انتقاد بدر بن سلام وفراوه ومرجع العساكر من تمهيدها فقام بولايتها وتبعد آثار أولئك المناقين وحسم عللهم وحضر في ثورة أبيال فجلا في ذلك اليوم لشهاته وإقادمه وكان هو المتولى تسور الحاطن وإحراق الباب الظهراني الذي وليوا عليه وأمسكوه فكان يعت بهذه الوسائل أجمع والسلطان يرعى له إلا أنه كان ظلوماً غشوماً فكترت شكيات الرعايا والمظلومين به فتقبض عليه

ثم فسد أمر أيك وتغلب على الأمر جماعة من الأمراء مفترقى الأهواء وخشي العقالاء انتقاد الأمر وسوء المبة فبادر هذا الأمير وتناول الجبل بيده وجعل طرفه في يد برقة رديفه فامسك معه برهة من الأيام ثم اضطرب وانتقض وصار إلى ما صار إليه من الهملاك واستقل الأمير بررقة بحمل الدولة والعنابة الريانية تخلفه والسعادة تواхيه.

وكان من جيل الصنع الرياني له أن كيف غريبة في اجتماع شمل أخيه به فقدم وفدى التجار باليه من قاصية بلادهم بعد أن أعملوا الخليفة في استخلاصه وتلطفوا في استخراجه وكان اسمه أنس فاحتفل ابنه الأمير بررقة من مرته وأركب العساكر وسائر الناس على طبقاتهم لتلقته وأعد المخيم سرياقوس لنزوله فحضروا هناك جميعاً في ثاني ذي الحجة سنة اثنين وثمانين وجلس الأمير أنس الواقف صدر مجلس وهم جميعاً حفافيه من القضاة والأمراء ونصب السماط فطم الناس وانتشروا.

ثم ركبوا إلى البلد وقد زيت الأسواق وأوقدت الشموع وماجت السكك بالظارة من عالم لا يجيئهم إلا خالقهم وكان يوماً مشهوداً وازل بـالاصطبغ تحت المدينة الناصرية ونظمه السلطان في أقربائه وبني عمه وبني إخوانه واجتمع شملهم به وفرض لهم الأرزاق وقررهم في الوظائف ثم مات هذا الأب الراشد وهو الأمير أنس رحمه الله في أواسط وثمانين بعد أن أوصى مجتمع إسلامه وشرف مراتب الإمارة بمقامه ودفنه السلطان بترة الدوادار يونس ثم نقله إلى المدفن بجوار المدرسة التي أنشأها بين القصرين سنة ثمان وثمانين والله يؤتى الملك من يشاء.

## خلع الصالح أمير حاج وجلوس بررقة

### على التخت واستبداده بالسلطان

كان أهل الدولة من البييقاوية - من ولி منهم هذا الأمير بررقة - قد طمعوا في الاستبداد وظفروا بلذة الملك والسلطان ورثعوا في ظل الدولة والأمان ثم سمت أحوالهم إلى أن يستقل أميرهم بالدولة ويستبدل بها دون الأصاغر المتtribin بالملكة وربما أشار بذلك بعض الفتيا يوم بيعة أمير حاج وقال: لابد أن يشرك معه في تقويض الخليفة الأمير القائم بالدولة لتشد الناس إلى عقدة محكمة فامضي الأمر على ذلك وقام الأمير بالدولة فأنس الرعية يحسن سياسته وجبل سيرته واتفق أن جماعة من الأمراء المختصين بهذا الصبي المنصب غصوا بمكان هذا الأمير وتفاوضوا في الغذر به وكان متولياً ذلك منهم أباً العثماني دوادار السلطان.

لأول بيته وأودعه السجن.

فأبي من ذلك صوناً لوفاته بزعمه ودمن بذلك إلى سولي فهرب ونجا من النكبة.

ووفد على السلطان سنة خمس وثمانين وجدد حلفه مع الجوياني ومع أشمس الأتابك ورجع إلى حلب ثم خرج بالعاشر إلى التركمان آخر سنة خمس وثمانين دون إذن السلطان فانهزم وفسدت العساكر ونجا بعد ثلاثة جريحاً وأخذ علىه السلطان هذه كلها ثم استقدمه سنة سبع وثمانين فلما انتهى إلى سرياقوس تلقاه بها أستاذ دار فقبض عليه وطير به إلى الإسكندرية فجس بها مدة عامين وولى مكانه بحبل الحاجب سودون المظفر وكان عية نصوح للسلطان وعييناً على الناصري فيما يائمه وينبه لأنّه من وظائف الحاجب للسلطان في دولة الترك خطلة البريد المعروفة في الدول القديمة فهو بطانة السلطان بما يحدث في عمله ويعرض شجني في صدر من يروم الانتقاض من ولاته وكان هذا الحاجب سودون هو الذي يبني خباره إلى السلطان ويطلعه على مكانه من مكره فلما جبس الناصري بالإسكندرية وله مكانه بحبل وارتباط الجوياني من نكبة الناصري لما كان ينهما من الوصلة والخلف فوجم واضطرب وتبين السلطان منه النكارة فنكبه كما نذكره بعد إن شاء الله تعالى وأقصاه والله أعلم.

### إقصاء الجوياني إلى الكرك ثم ولاته على الشام بعد واقعة بندر

أصل هذا الأمير الجوياني من قبائل الترك وأسمه الطبقاً وكان من موالي بيقا الخاصكي المستولي على السلطان الأشرف وقد مر ذكره ربي في قصره وجسر عز ولقن الخلال والأداب في كنه وكانت بينه وبين السلطان خلة ومصافحة اكتسبتها له تلك الكفالة بما كان رضيعي ثديها وذكرت ألقها وتربى مرقاها وقد كان متصلةً فيما قبله بهم من لدن المربى في بلادهم واشتمل بعضهم على بعض واستحكم الاتriad حتى بالعشرة أيام التمحيسن والاغتراب كما مر فقد كان معقلاً معه بالكرك أيام الحنة خمساً من السينين أداه الله لهذا السلطان حزنها بالمرة والنحوسة بالسعادة والسجن بالملك وقسمت للجوياني بها شائبة من رحمة الله وعانته في خدمة السلطان بدار الغربية والخنة والفتة به في المنزل الخشن لتعظم له الوسائل ونكرم الأذمة والعبور: إن الكرام اذا ما أسلهوا ذكرعوا من كان يالفهم في المنزل الخشن ثم كان انطلاقهما إلى الشام ومقامهما جيئاً واستدعاؤهما إلى دار الملك ورقيمهما في درج العز والتغريب كذلك وكان

ثم عنا عنه وأطلقه وبقي مبكرًا بباب السلطان مع المخواص والأولياء وطوى على الغث وتربيص بالدولة وهي عنده أنه فاووض الخليفة المتوكل بن المعتصم في الانتقاض والأجلاب على الدولة بالعرب المالكيين بنواحي برقة من أهل البحيرة وأصحاب بدر بن سلام وأن يفرض الخليفة الأمر إلى سوى هذا السلطان القائم بالدولة بأنه داخل في ذلك بعض ضعفاء العقول من أمراء الترك من لا يؤبه له فاحتضرهم من غدائه وعرض عليهم الحديث فوجوها وتناكروا وأقر بعضهم واعتقل الخليفة بالقلعة وأخرج قرط هذا لوقته فظيل به على الجمل مسراً إلاغاً في عقابه ثم سبق إلى مصرعه خارج البلد وقد بالسيف نصفين وضم الباقون إلى السجن وولى السلطان الخلافة عمر بن إبراهيم الرازي من أقاربه وهو الذي كان الملك الناصر ولـ أبيه إبراهيم بعد الخليفة أبي الربيع وعزل عن ابنه أحد كما مر وكان هذا كله في ربيع سنة خمس وثمانين وولى مكانه أخوه زكرياً ولقب المعتصم واستقرت الأحوال إلى أن كان ما نذكره إن شاء الله تعالى.

### نكبة الناصري واعتقاله

كان هذا الناصري من عماليك بيقا وأرباب الوظائف في أيامه وكان له مع السلطان الظاهر ذمة وداد وخلة من لدن المربى والعشرة فقد كانوا أثواباً بها وكانت لهم دالة عليه لعلو سنه وقد ذكرنا كيف استبدوا بعد أليك ونصبوا الناصري أتابكاً ولم يحسن القيام عليها وجاء طشتمر بعد ذلك فكان معه حتى في النكبة والحبس ثم أشخص إلى الشام وولى على طرابلس ثم كانت ثورة أنيال ونكبه في جادى سنة إحدى وثمانين فاستقدمهم من طرابلس وولى أمير سلاح مكان أنيال واستخلفه الأمير بركة وخلطه بنفسه وكانت نكبه فجبس معه ثم أشخص إلى الشام وكان أنيال قد أطلق من اعتقاله وولى على حلب سنة اثنين وثمانين مكان منكلي بقري الأحمدى فقام بها سنة أو ومحها.

ثم غي عنه خبر الانتقاض فقبض عليه وحبس بالكرك وولى مكانه على حلب بيقا الناصري في شوال سنة ثلاث وثمانين وقعد الظاهر على التخت لستة بعدها واستبدل بملك مصر وكان الناصري لما عنده من الدالة يتوقف في إنفاذ أوامره لما يراه من الصالح بزعمه والسلطان ينكر ذلك ويحقد عليه وكان له مع الطبقاً الجوياني أمير مجلس أحد أركان الدولة حلف لم يغرن عنه وأمر السلطان بالقبض على سولي بن يقادر حين وفدي عليه بحبل

اليوسفي وعشقتهم الناصري وكان له انتقاض بدمشق عند تغلب الخاصكي وحاصره واستنزله بأمانه.

ثم أعيد إلى ولاته ثم تصرمت تلك الدول وتغلب هذا السلطان على الأمر ورادفه فيه فولوه على دمشق وكانت صاغيته مع بركة فلما حدث انتقاض برقة كتب إليه وإلى بقري بدمشق أولياؤه هنالك بالاستيلاء على القلعة وكتب برقوق إلى نائب القلعة يخدرهم فركب جتمتر أخ طاز وابن جرجي ومحمد بيك وقاتلوه ثلاثة ثم امسكه وقيدوه ومعه بقري بن برقوش وجبريل مرتبه وسيقرا إلى الإسكندرية فحبسوا فلما قتل برقة أطلق بن دمر ومن كان حبس من أصحاب برقة مثل بيقا الناصري ودمرداش الأحدي ثم استخلصه السلطان برقوق ورده إلى عمله الأول بعد جلوسه على التخت والشام له وكان جاعاً للأموال شديد الظلام فيها متاحلاً على استخلاصها من أيدي أهلها بما يطرق لهم من أسباب العقاب مصانعاً للحاشية بماله من حامته إلى أن سُنم الناس إلىاته وتراحت القلوب منه.

وكان بدمشق جماعة من الموسسين المسامرين لطلب العلم بزعمهم متهمون في عقيدتهم بين مجسم ورافضي وحلوبي جمعت بينهم ناساب الضلال والحرمان وقيدوا عن نيل الرتب بما هي تلبسوها باظهار الزهد والتکير على الخلق حتى على الدولة في توسيعة بطلان الأحكام والجباية عن الشرع والسياسة التي تداولها الخلفاء وأرخص فيها العلماء وأرباب الفتيا وحملة الشريعة بما تمس إليه الحاجة من الواقع السلطاني والمعونه على الدفاع.

وقد ينصب الشرطة الصغرى والكبرى ووظيفة المظالم بغداد دار السلام ومقر الخلافة وإيوان الدين والعلم وتكلم الناس فيها بما هو معروف وفرضت أرزاق العساكر في أيام اليعادات عند حاجة الدولة الأمورية فليس ذلك من المكر الذي يعتقد بتغييره فليس هؤلاء الحمقى على الناس بأمثال هذه الكلمات ودخلوا من في قلبه مرض من الدولة وأوهموا أن قد ترثروا من الحل والعقد في انتقاض فرية انتحلوا وجعلوا أنهوره نهايته وعدوا على كافل القلعة بدمشق وحاميتها يسألونهم الدخول معهم في ذلك لصحابة كانت بين بعضهم وبينه فاعتقلهم وطالع السلطان بأمرهم.

وحدث الناس أنهم دخلوا في ذلك بندر النائب بداخلة بعضهم كابنه محمد شاه وهي الخبر بذلك إلى السلطان فارتاد به واعجله بالقبض والتوثيق منه ومن حاشيته ثم أخرج مستوفى الأموال بالحضرمة لاستخلاص ما احتازه من أموال الرعاعي وأستأثر به على الدولة وأحضر هؤلاء الحمقى ومن بسوء سيرتهم مقدون

للسلطان أصحاب سراة يمدون إليه بمثل هذه الوسائل ويتطهرون في سلوكها وكان تمييز الرتبة عنهم سابقاً في مرقي درجات العز عليهم مجيئاً في الخلبة التي فيها ظلتهم إلى أن ظفر بالملك واستول على الدولة وهو يستبعدهم في مقاماته ويرثهم عقبه ويدلل لهم الصعب فيتحمومها ويحوز لهم الرتب فيستهمون عليها ثم اقعد منبر الملك والسلطان واستول على كرسيه وقسم مراتب الدولة ووظائفها بين هؤلاء الأصحاب وأثر الجوياني منهم بالصفاء والمرياغ فجعله أمير مجلسه ومعناه: صاحب الشورى في الدولة وهو ثاني الآتابك وتلو رتبته فكانت له القدم العالية من أمرائه وخلصاته والحظوظ الواقف من رضاه وإشارته وأصبح أحد الأركان التي بها عمدة دولته بأساطينها وأرسى ملكه بقواعدها إلى أن دبت عقارب الحسد إلى مهاده وحومت شبة السعاية على قرطاسه وارتاد السلطان بمكانه وأعجل الحزم على إمهاله فتقبض عليه يوم الاثنين لسبعين من سنة سبع وثمانين وأودعه بعض حجر القصر عامه يومه.

ثم أقصاه إلى الكرك وعواطف الرحمة تنازعه وسجايا الكرم والوفاء تقضى من سخطه ثم سمح وهو بالخير أسمح وجنج وهو إلى الأدنى من الله أمنح فسرح إليه من الغد برسوم النيابة على تلك الأعمال فكانت غريبة لم يسمع مثلها من حلم هذا السلطان وآفاقه وحسن نيته وصيরته وكرم عهده وجميل وفاته وانطلقت الألسن بالدعاء له وأمثال القلوب بالحبة وعلم الأولياء والخاصية والشيع والكافرة أنهم في كفالة أمن وله ولطف وملكة إحسان وعدل.

ثم مكت حولاً يعقب حواره ويتبع سيره وأخيه طاوياً شأنه في ذلك عن سائر الأولياء إلى أن وقف على الصحيح من أمره وعلم خلوص مصادقه وجيئ خلوصه فأخفق سعي الداعين وخابت ظنون الكاشحين وإدلة العتبى من العتاب والرضا من التكري واعتقد أن يحيى عنه هراجس الاسترابة والاستيحاش ورده إلى أرفع الإمارة وبينما هو يطوي على ذلك ضميره ويناجي سره إذ حدثت واقعة بتدمير الشام فكانت ميقاتاً لبدر السعادة وعلماً على فوزه بذلك الحظ كما ذكر إن شاء الله تعالى.

وخر هذه الواقعة أن بندر الخوارزمي كان نائباً بدمشق وقد مر ذكره غير مرة وأصله من الخوارزمية أتياع خوارزم شاه صاحب العراق عند استيلاء التتر وافتلقوا عند مهلكه على يد جنكيز خان في ممالك الشام واستخدموه لبني أيوب والترك أول استبدادهم مصر وكان هذا الرجل من أعقاب أصلهم وكان له محابة جذبت بضياعه ونصب عند الأمراء من سوقه فاستخدم بها إلى ترشح للولاية في الأعمال وتناول إمارة دمشق مع منجك

ولما رحلت إلى هذا القطر سنة أربع وثمانين واتصلت بهذا السلطان بمصر الملك الظاهر سالمي عنه لأول لقائه فذكرته له بأوصافه الحميدة وما عنده من الحس والشأن ومعرفة حقه على المسلمين أجمع وعلى الملوك خصوصاً في تسهيل سبل الحج وحاجة البيت للطائفين والعاكفين والركع السجود أحسن الله جزاءه ومثبيته.

ثم بلغني أن السلطان يافريقية صد أهلي وولدي عن اللحاق بي أغتياطاً بمكاني وطلبأً لشيء إلى بابه ورجوعي فطارحت على هذا السلطان في وسيلة شفاعة تسهل منه الأدن فاسمعني بذلك وخطبت ذلك السلطان كان الله أبغض له مجددة هذا السلطان والعمل على مواصلته ومهاداته كما كان بين سلفهم في الدولتين فقبل مني ويدار إلى إخافه بمقربات إذ ليس عندنا في المغرب تغفه تطرف بها ملوك الشرق إلا الجياد العرب وأما ما سوى ذلك من أنواع الطرف والتحف بالغرب فكثير لديهم أمثاله ويقع أن يطرف عظام الملوك بالاتفاق المتروك لديهم.

واختار تلك سفيته التي أعدها لذلك وأنزل بها أهلي وولدي بوسيلة هذا السلطان أيده الله لسهولة سبيل البحر وقرب مسافة فلما قاربوا مرسى الإسكندرية عاقدتهم عاصف الرياح عن احتلال السفينة وغرق معظم ما فيها من الحيوان والبضائع وهلك أهلي وولدي فيما هلك ونفت تلك الجياد وكانت رائعة الحسن صافية النسب وسلم من ذلك المهلك رسول جاء من ذلك السلطان ملد العهد وتقرر المودة فلتلى بالقبول والكرامة وأوسع النزل والقرى ثم اعتزم على العودة إلى مرسله فانتقل السلطان ثياباً من الوشي المرقوم من عمل العراق والإسكندرية يقوط القيمة واستكثر منها وأخف بها السلطان ملك إفريقية على يد هذا الرسول على عادة عظام الملوك في إخافهم وهداياهم.

وخاطبت ذلك السلطان معه يحسن الثناء على قصده وجعل موقع هديته من السلطان واستحكام مودته له وأجابني بالعدل من الموقع وأنه مستائف من الإتحاف للسلطان واستحكام مودته بما يسره الحال فلما قدم الحاج من المغرب سنة ثمان وثمانين وصل فيه من كبار الغرب بدولته وأبناء الأعظم المستبددين على سلنه عبيد بن القائد أبي عبد الله محمد بن المحكيم بهدية من المقربات رائعة الخلي رائعة الأوصاف منتخبة الأجناس والأنساب غريبة الألوان والأشكال فاعترضها السلطان وقابلها بالقبول وحسن الموقع.

وحضر الرسول بكتابه فقرىء وأكرم حامله وأنعم عليه بالزاد لسفر الحج وأوصى أمراء المعلم فقضى فرضه على أكمل

إلى الأبواب العالية فقدروا في السجون وكانوا أحق بغير ذلك من أنواع العذاب والنكل.

ويعد السلطان لعشقتمر الناصري وكان مقيناً بالقدس أن يخرج نابياً على دمشق فترجم إليها وأقام رسم الإمارة بها أيام ظهر فيها عجزه وبين عن تلك الرببة قعوده بما أصابه من وهن الكبر وطوارئ الزمانة والضعف حتى زعموا أنه كان يحمل على الفراش في بيته إلى متعد حكمه فعندما بعث السلطان عن هذا الأمير الجوني وقد خلص من الفتن أبزيه وأياع بفحات الرضا والقبول عوده وأفرج بطالعة الأنف والقرب روعه فجاء من الكرك على البريد وقد أعادت له أنواع الكرامة وهيئ له المنزل والر Kapoor والفرش والثياب والآنية والخوان والخرش والصوان واحتفل السلطان لقدومه وتلقى بما يكن في أمره.

وقضى الناس العجب من حلم هذا السلطان وكرم عهده وجميل وفاته وتحدث به الركبان ثم ولاية نبابة دمشق وبعثه لكرسيها مطلق اليد ماضي الحكم عزيز الولاية وعسكر بالزيدانية ظاهر القاهرة ثالث ربيع الأول من سنة سبع وثمانين وارتحل من الغد وسعادة السلطان تقدمه ورضاه يقله إلى أن قارب دمشق والناس يتلقونه أرسلاً ثم دخل المدينة غرة ربيع الثاني وقد احتفل الناس لقدومه وغضت السكك بالمتزهين وتطاول إلى دولته أرباب الحدود وتحدث الناس بجمال هذا الشهد المفهيل وتناقلوا خبره واستقبل بولاية دمشق وعناية السلطان تلاحظه ومنذهب الطاعة والخلوص تهديه محسن ذكره وأفاض الناس الثناء في حسن اختياره وجال مذهبه وأقام السلطان في وظيفته أحد ابن الأمير بيقا فكان أمير مجلس والله غالب على أمره.

### هدية صاحب إفريقية

كان السلطان لهذا العهد يافريقية من الموحدين ومن أعقاب الأمير أبي زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص المحتاطي المستبد بإفريقية على بي عبد المؤمن ملوك مراكش أعواصم خمس وعشرين وستمائة وهو أحد بن محمد بن أبي بكر بن يحيى بن إبراهيم أبي زكريا سلسلة ملوك كلهم ولم تزل ملوك المغرب على القدم وهذا العهد يعرفون للملك الترك بمصر حقهم ويوجبون لهم الفضل والمرية بما خصهم الله من ضخامة الملك وشرف الولاية بالمساجد المظمة وخدمة الحرمين وكانت المهدادة بينهم تصل بعض الأحيان ثم تنقطع بما يعرض في الدولتين من الأحوال وكان لي اختصاص بذلك السلطان ومكان من محبه.

المعتقلين فسمهم صوناً للأمر عنهم لكان ترشيحهم فنكر السلطان ذلك وسخطه من فعلاتهم واقتائهم ونسب إلى كييش وأنه يفسد بالفساد بين هؤلاء الأقارب.

ولما خرج الحاج سنة ثمان وثمانين أوصى أمير حاج بعزل  
الصي المتصوب والاستبدال عنه بابن عنان بن مقامس والقبض  
على كيش وله ولما وصل الحاج إلى مكة وخرج الصي لتلقى الحمل  
الخلافى وقد أرصد الرجال حفافيه للبطش بكيس وأميره المتصوب  
فقدع كيش عن الخضور وجاء الصي وترجل عن فرسه لتقيل  
الخلف من راحلة الحمل على العادة فرثب به أولئك المرصادون  
طعنة بالخناجر يظفرنه كيساً ثم غابوا فلم يوقف لهم على خبر  
وترکوه طریقاً بالبطحاء ودخل الأمير إلى الحرم فطفاف وسعى  
وخلع على عنان بن مقامس الإمارة على عادة من سلف من  
قوته ونجا كيش، إلى جهة من سواحل مكة.

ثم لحق بأحياء العرب المتبدلين ببقاء الجهاز صرخاً فقدعوا  
عن نصرته وفاء بطاعة السلطان وافتقر أمره وخذله عشرة  
وأقلب الأمير بالحاج إلى مصر فعنده السلطان على قتله الصبي  
فاعتذر باقيات أولئك الرجال عليه فعذرها وجاء كيسن بعد  
منصرف الحاج وقد انضم إليه أبوياش من العرب فقد بالمرصد  
نجيف السائلة والركاب والمسافرين ثم زحف إلى مكة وحاصرها  
أول سنة سبع وثمانين وخرج عنان بن مقامس بعض الأيام  
ويارزه فقتله وأضطرب الأمر بمكة وأمنتدت أيدي عنان والأشرار  
معه إلى أموال المجاورين فسلطا عليها ونهبا زرع الأمراء هناك  
وزرع السلطان للصدقة وولي السلطان علي بن عجلان واعتقله  
حسماً ملادة طوراق الفساد عن مكة واستقر الحال على ذلك إلى  
أن كانت فتنة الناصر كما ذكر إن شاء الله تعالى انتهى.

انتقاد، منطاش، علطية و لحاقه پسیو اس

ومسير العساكر في طلب

كان منطاش هذا ومرتاي الدمرداشى الذى مر ذكره أخرين  
لتمزاز الناصري من موالى الملك الناصر محمد بن قلاوون وربما فى  
كتفالة أمهاه وكان اسم مرتاي حمداً وهو الأكبر واسم منطاش  
أحمد وهو الأصغر واتصل مرتاي بالسلطان الأشرف وترقى في  
دولته في الوظائف إلى أن ولي مجلب سنة ثمانين وكانت واقعته مع  
التركمان وذلك أنه وفدى عليه أمراؤهم فقبض عليهم لما كان من  
عينهم في النواحي واجتمعوا فسار إليهم وأمدهم السلطان بعساكر  
الشام وحمة وانهزموا أمامهم إلى الدرident ثم كروا على العساكر

الأحوال وكانت أهم أمانيه ثم انقلب ظافراً بقصده وأعاده السلطان إلى مرسله بهدية نحو من الأول من أجناس تلك الشياب ومستجادها ما يجاوز الكثرة وبفوت واستحقكت عقدة الودة بين هذين السلطانين وشكرت الله على ما كان فيها من أثر مسعاي ولو قل.

وكان وصل في جلة الحاج من المغرب كبير العرب من  
هلال وهو يعقوب بن علي بن أحمد أمير رياح الموطين بضواحي  
قسطنطينة وبجاية والزاب في وفدي من بنيه وأقربياته ووصل في جلتهم  
أيضاً عرون بن يحيى طالب بن مهلهل من الكعوب أحد شعوب  
سليم الموطين بضواحي تونس والقيروان والجريدة وبين أئمه فقضوا  
فرضهم أجمعون وانقلبوا إلى مواطنهم أواسط شهر ربيع الآخر من  
سنة تسعمائتين واطردت أحواز هذه الدولة على أحسن ما  
يكون والله متولى أمرها بهن وكرمه انتهى.

حوادث مكة وأهميتها

قد تقدم لنا أن ملك مكة سار في هذه الأعصار لبني قتادة من بني مطاعن الهواشم بني حسن وذلك منذ دولة الترك وكان ملوكهم بها بدوابها وهم يعطون الطاعة للملك مصر ويقيمون مع ذلك منذ الدولة العباسية للخلفية الذي ينصبه الترك بمصر إلى أن استقر أمرها آخر الوقت لأحمد بن عجلان من رميثة بن أبي غبي أعواوم سنة ستين وسبعينة بعد أبيه عجلان فأظهر في سلطانه عدلاً وتعففاً عن أموال الناس وقبض أيدي أهل العيش والظلم وحاشيتهم وعيدهم وخصوصاً عن المجاورين وأعانته على ذلك ما كان له من الشوركة بقوة أخوهه ويعرفون ببني عمر من أتباع هؤلاء السادة ومواليهم فاستقام أمره وشاع بالعدل ذكره وحسن سيرته وأمتلات مكة بالمجاورين والتجار حتى غصت بيتها بهم.

وكان عنان ابن عمه مقامس بن رميثة وحمد ابن عمه مقامس بن رميثة ينفرون عليه ما آتاه الله من الخبر ويجدون في أنفسهم إذ ليس بقسم لهم برضاهem في أموال جيابته فتذكروا له وهو بالانتهاض فتقبض عليهم وكان لهم حلف مع أخيه محمد بن عجلان فراوده على تركهم أو حبسهم فحبسوا ولبسو في حبسهم ذلك حولاً أو فرقه ثم نقبوا السجن ليلاً وفروا فادردوا من ليتهم وأعيدوا إلى حبسهم وأفلت منهم عنان بن مقامس وخواли مصري سنة ثمان وثمانين صرخاً بالسلطان وعن قليل وصل الخبر بوفاة أمد بن عجلان على فراشه وأن أحداً كيسن بن عجلان نصب ابنه حماداً مكانه وقام بأمره وأنه عمد إلى هؤلاء

باستصال ملك ابن أريشا وبيلده. ووصلت العساكر خلال ذلك إلى سيواس فحاصروها أيامًا وضيقوا عليها وكانت أن تلقى باليد ووصل منطاش إثر ذلك بإحياء التتر فقاتلهم العساكر ودفعوهم ونالوا منهم وجلى الناصري في هذه الرقائحة وأدرك العساكر الملل والضجر من طول المقام وبطء الظفر وقطع الميرة بتغاتهم في البلاد وبعد الشقة فتداعوا للرجوع ودعوا الأمراء إليه فجئوا بذلك بعضهم فانكفأوا على تعبيتهم وسار بعض التتر في اتباعهم فكرروا عليهم واستلهموهم وخلصوا إلى بلاد الشام على أحسن حالات الظهور ونية العود ليحسموا عجل العدو ويحرروا أثر الفتنة والله تعالى أعلم.

### نكبة الجوباني واعتقاله بالإسكندرية

كان الأمراء الذين حاصروا سيواس قد لحقهم الضجر والساممة من طول المقام وفزع قردم والطبقا العلم منهم إلى الناصري مقدم العساكر بالشكوى من السلطان فيما دعاهم إليه من هذا المركب وتفاوضوا في ذلك ملياً وتداعوا إلى الإفراج عن البلد بعد أن بعشوا إلى القاضي بها واتخذوا عنده يدًا بذلك وأوصوه بمنطاش والإبقاء عليه ليكون لهم وقوفًا للفترة وعلم يونس الدوادار أنهن في الطاعة فلم يسعه خلافهم ففرض لهم ولما انتهى إلى حلب غدا عليه دمرداش من أمرائها فنصح له بأن الجوباني نائب بدمشق مداخل للناصر في غيره في الطاعة وأنهما مصرا على الخلاف وقتل يونس إلى مصر فقص على السلطان نصبه واستدعي دمرداش فشافه السلطان بذلك واطلع منه على جلي الخبر في شأنهما.

وكان للجوباني ماليك أوغاد قد أبطرthem النعمة واستهواهم الجاه وشرعوا إلى التربّب وهو يزجّهم فصاروا إلى إغرائه بالحاجب يومئذ طرنيطي فقد في بيته عن المجلس السلطاني وطير بالخبر إلى مصر فاستراب الجوباني وسابقه بالحضور عند السلطان لينضج عنخ ما على به من الأوهام وأذن له في ذلك فنهض من دمشق على البريد في زبيع سنة تسعين ولما انتهى إلى سرياقوس أزعج إليه استاذ داره بهادر المنجكي فقبض عليه وطير به السفن إلى الإسكندرية وأصبح السلطان من الغد فقبض على قردم والطبقا العلم والحقهما به فجسوا هنالك جميعاً وأخسم ما كان يتوقع من انتقامتهما وولى السلطان مكان الجوباني بدمشق طرنيطي الحاجب ومكان قردم بمصر ابن عمّه عماس ومكان

نهزمها في المضائق وتوفي عمرتاي سنة اثنين وثمانين وكان السلطان الظاهر بررق برعى لها هذا الولاء فول منطاش على ملطية ولما قعد على الكرسي واستبد بالسلطان بدأ من منطاش علامات الخلاف فهم به ثم راجع ووفد وتنصل للسلطان وكان سودون باق من أمراء الألف خالصة للسلطان ومن أهل عصبيته وكان من قبل ذلك في جلة الأمير عمرتاي فرعاً لمنطاش حتى أخيه وشفع له عند السلطان وكفل حسن الطاعة منه وأنه يخرج على التركمان المخالفين ويحسم علل فسادهم وانطلق إلى قاعدة عمله بملطية ثم لم تزل آثار العصيان بادية عليه وربما داخلاً أمراء التركمان في ذلك وهي الخبر إلى السلطان فطوى له وشعر هو بذلك فراسل صاحب سيواس قاعدة بلاد الروم وبها قاض مستبد على صبي من أعقاببني أرشى ملوكها من عهد هلاكو قد اعصى صاحب عليه بقية من أحياه التتر الذين كانوا حامية هنالك مع الشحنة فيها كما ذكره.

ولما وصلت رسائل منطاش وكتب إلى هذا القاضي بادر بجاته وبعث رسالةً وفداً من أصحابه في إ تمام الحديث معه فخرج منطاش إلى لقائهم واستختلف على ملطية دواداره وكان مغفلًا فخشى مغبة ما يرميه صاحبه من الانتقاد فلاذ بالطاعة وتبرأ من منطاش وأقام دعوة السلطان في البلد وبلغ الخبر إلى منطاش فاضطرب ثم استمر وسار مع وفد القاضي إلى سيواس فلما قدم عليه وقد انقطع الخبر في يده أعرض عنه وصار إلى مغاظلة السلطان عما أنه من مداخلة منطاش وبغض عليه وجسه وسرح السلطان سنة تسع وثلاثين عساكرة مع يونس الدوادار وقردم رئيس نوبة والطبقا الرماح أمير سلاح وسودون باق من أمراء الألف وأوزع الناصري فاتي وطلب أن يخرج معهم بعساكرة وإلى أبيال يوسفى من أمراء الألف بدمشق وساروا جميعاً.

وكان يومئذ ملك التتر بما وراء النهر وخراسان ثغر من نسب جقطاي قد زحف إلى العراقين وأذربيجان وملك تو زير عنوة واستباحها وهو يحاول ملك بغداد فسارت هذه العساكر توري بغزوه ودفعاه حتى إذا بلغوا حلب أتى إليهم الخبر بأن ثغر رجع بعساكره خارج خرج عليه بقاصية ما وراء النهر فرجعت عساكر السلطان إلى جهة سيواس واتخضوا ثغرها على حين غفلة من أهلها فبادر القاضي إلى إطلاق منطاش لوقته وقد كان أيام حبسه يوسموس إليه بالرجوع عن موالة السلطان ومالاته ولم يزل يقتل له في الذروة والغارب حتى جئن إلى قوله بفتح لإحياء التتر الذين كانوا ببلاد الروم فيشة بن أريشا بن أول فسار إليهم واستجاشهم على عسكر السلطان وحزنهم استصال شافتهم

المعلم دمرداش واستمر الحال على ذلك.

السنة.

## فتنة الناصري واستيلازه على الشام ومصر واعتقال السلطان بالكرك

وكان الناصري لما فعل فعلته بعث عن منطاش وكان مقيناً بين أحياه التتر منذ رجوع العساكر عن سيواس فدعاه ليمسك معه حبل الفتنة والخلاف فجاءه ولد ميره وإحساناً واستنفر طوانف التركمان والعرب ونهض في جموعه يريد دمشق وطرنطاي نائبهما يواصل تعريف السلطان بالأخبار ويستحدث العساكر من مصر على نائبهما الأمير الصفووي وبينه وبين الناصر علاقة وصحبة فاسترابوا به وتقبضوا عليه ونهبوا بيته وبعثوا به حبيساً إلى الكرك وولوا مكانه محمد باكيش بن جند التركمانى كان مستخدماً عند بندرم هو وأبوه وولى لهذا العهد على نابلس وما يجاورها فقتلوه إلى غزة.

ثم تقدموا إلى دمشق واختاروا من القضاة وفداً أوفدوه على الناصري وأصحابه للإصلاح فلم يجيئوا وأمسكوا الوفد عندهم وساروا للقاء ولما تراءى الجماع بالرج نزع أحد بن بيضا ولإذكاز الحاجب ومن معهما إلى القوم فساروا معهم واتبعهم ماليك الأمراء وصدق القوم الحملة على من بقي فانقضوا وبلغوا إيمش إلى قلعة دمشق فدخلتها وكان معه مكتوب السلطان بذلك متى احتاج إليه وذهب يونس حيران وقد أفرده ماليكه فلقيه عقا أمير الأمراء وكان عقد له بعض التزارات أيام سلطانه فتقبض عليه وأحيط بهركس الخليلي وماليك السلطان حوله وقد أبلوا في ذلك الموقف واستلهم عامتهم فخلص بعض العدو إليه وطعنه فاكبه ثم احتج رأسه وذهب ذلك الجم شعاعاً وافتقت العساكر في كل وجه وجيء بهم أسرى من كل ناحية.

ودخل الناصري وأصحابه دمشق لوقتهم واستولوا عليها وعاثت عساكرهم من العرب والتركمان في نواحيها وبعث إليهم عقا يستأذنهم في أمر يونس فأمر بقتله فقتله وبعث إليهم وأوزعوا إلى نائب القلعة مجس إيمش عنده وفرقوا المحبسين من أهل الراوة على السجون بقلعة دمشق وصفد وحلب وغيرها وأظهر ابن باكيش دعوته بغزة وأخذ بطاعتهم ومر به أبیال اليوسفى من أمراء الألوف بدمشق تاجياً من الواقعة إلى مصر قبض عليه وحبسه بالكرك واستعد السلطان للدفاعة وولى دمرداش أتابكاً مكان إيمش وقراصي الجندار دواردار مكان يونس وعمر سائر المراتب عنده فقد منها وأطلق الخليفة المعتقل المترك بن المعتصم وأعاده إلى خلافته وعزل المنصب مكانته.

وأقام الناصري وأصحابه بدمشق أيام ثم أجمعوا المسير إلى مصر ونهضوا إليها بجموعهم وعميت أنباهم حتى أطلت مقدمتهم على بليس ثم تقدموا إلى بركة الحاج وخيموا بها لسبعين من ربيع

لما بلغ الناصري محلب اعتقال هؤلاء الأمراء استراب وأضطرب وضع في أسباب الانتقاض ودعا إليه من يشيع الشر وسماسرة الفتنة من الأمراء وغيرهم فأطاعوه واقتتح أمره بالتكبر للأمير سودون المظفي والآخراف عنه لما كان منه في نكبة وإغراء السلطان به ثم ولائيه مكانه ومن وظائف الحاجب في دولة الترك خطبة البريد المعروفة في الدول القديمة فهو يطالع السلطان بما يحدث في عمله ويعتبر شجي في صدر من يريد الانتقاض من والاته فظلم الجو بين هؤلاء الرهط وبين المظفي وتفاقم الأمر وطير بالخبر إلى السلطان فاخترع لل وقت دوادره الأصغر تلکتمر ليصلح بينهما ويسكن الثائرة وحينما سمعوا بمقيدة ارتسابوا وارتباكم في أمرهم وقدم تلکتمر فتلقاء الناصري والقى إليه كتاب السلطان بالتدب إلى الصلح مع الحاجب والإغباء له فأجاد بعده أن التمس من حقات تلکمرة مخاطبة السلطان وملطفته للأمراء حتى وقف عليه.

ثم غلب عليه أولئك الرهط من أصحابه بالفتنة بالحاجب فأطاعهم وباكرهم تلکمرة بدار السعادة ليتم الصلح بينهم وتذهب المراجس والنفرة فدعاه الناصر إلى بعض خلواته وبينما هو يحادثه وإذا بالقوم قد وثبوا على الحاجب وفتكوا به وتولى كبر ذلك أبیقا الجوهري واتصلت المهاجمة فوجم تلکمرة ونهض إلى محل نزوله واجتمع الأمراء إلى الناصري واعصوصبوا عليه ودعاهم إلى الخلعان فأجابوا بذلك في حرم سنة إحدى وستين.

وأتصل الخبر بطرابلس وبها جماعة من الأمراء يرموا من الانتقاض منهم بدار الناصري عميد الفتنة فتولى كبرها وجمع الذين ثالاؤا عليها وعدها إلى الإيزيان السلطاني المسمى بدار السعادة وقبضوا على النائب وحبسوه ولحق بدار الناصري في عساكر طرابلس وأمرائهم وفضل مثل ذلك أهل حلب ومحصن وسائر عمالك الشام وسرح السلطان العساكر لقتالهم فسار إيمش الأتابك ويونس الدوادار والخليلي جركس أمير الماخورية وأحمد بن بيضا أمير مجلس وايدكاز صاحب الحاجب فيمن إليهم من العساكر وانتخب من أبطال عاليتهم وشجاعتهم خمسمائة مقاتل واستضافهم إلى الخليلي وعقد لهم لواه المسمى بالشالبيش وأزار عليهم وعلل سائر العساكر وساروا على التعبية متصرف ربيع

وأركب معه صاحب الكرك موسى بن عيسى في لمة من قومه يوصلونه إلى الكرك وسار معه برهة من الليل مشياً ثم رجع وشعر منطاش من أمره وطوى على الغش وأخذ ثياب الثورة كما يذكر ونجا السلطان إلى الكرك في قل من غلمانه ومواليه و وكل الناصري به حسن الكشككي من خواصه وولاه على الكرك وأوصاه بمدحه ومنعه من يروره بسوء فقدمه إلى الكرك وأنزله القلعة وهيا له التزول بما يحتاج إليه وأقام هناك حتى وقع من لطائف الله في أمره ما يذكر بعد إن شاء الله تعالى وجاء الخبر أن جماعة من مالك الظاهر كانوا مختفين منذ الرقة فاعترضوا على الثورة بدمشق وأنهم ظفروا بهم وحبسوا جميعاً ومهمهم أليقا الصغير والله تعالى أعلم.

### ثورة منطاش واستيلاؤه على الأمر ونكبة الجوباني وحبس الناصري والأمراء البيقاوية بالإسكندرية

كان منطاش منذ دخول مع الناصري إلى مصر متربصاً بالدولة طاوياً جوانحه على الغدر لأنهم لم يوفروا حظه من الإقطاع ولم يجعلوا له اسماً في الوظائف حين اقتسموها ولا راعى له الناصري حق خدمته ومقارعته الأعداء وكان يقم عليه مع ذلك إثنانه الجوباني وختصاصه فاستوحش واجمع الثورة وكان مالك الجوباني لما حبس أميرهم وانتقض الناصري مجلب لحقوا به وجاؤوا به في جلته واحتسلموا على منطاش فكان له بهم في ذلك السفر أنس وله إليهم صفو فدخل جماعة منهم في الثورة وحملهم على صالحهم وتغفل على الجوباني في المخالصة بغضياب مجلسه وملاسة ندعائه وحضور مائدته وكان البيقاوية جميعاً ينقسمون على الناصري ويرون أنه مقصري في الرواتب والإقطاع وطروا من ذلك على النكث ودعاهم منطاش إلى التوثب فكانوا إليه أسرع وزينوه له وقعدوا عنه عند الحاجة.

وئي الخبر إلى الناصري والجوباني فعززوا على إشخاص منطاش إلى الشام فتبارض وتختلف في بيته أيامما يطاولهم ليحكم التدبر عليهم ثم عدا عليه الجوباني يوم الاثنين وقد أمكن في بيته رجالاً للثورة فقبضوا على الجرجاني وقتلوا عليه وركب منطاش إلى الرييلة فنهب مراكب الأمراء بباب الأصطبيل ووقف عند مائدة المدرسة الناصرية وقد شحنها ناشبة ومقاتلة مع أمير من أصحابه وقف في حياتهم واجتمع إليه من داخله في الثورة من الأشرافية وغيرهم واجتمع إليه من كان يقي من مالك الظاهر واتصلت

الأخير من السنة ويرز السلطان في ماليكه ووقف أمام القلعة بقية يومه والناس يتسائلون إلى الناصري من العساكر ومن العامة حتى غصت بهم ساندان البركة واستأمن أكثر الأمراء مع السلطان إلى الناصري فأمنهم وأطلع السلطان على شأنهم وسارت طائفه من العسكر وناوشوهم القتال وعادوا منهزمين إلى السلطان وارتاب السلطان بأمره وعابن أخلال عقده فدس إلى الناصري بالصلاح ويعث إليه بالملائفة وأن يستمر على ملكه ويقوم بدولاته خدمه وأوعانه وأشار بأن يتوارى بشخصه أن يصييه أحد من غير البيقاوية بسوء فلما غشي الليل أذن لن يقي منه من ماليكه في الانطلاق ودخل إلى بيته ثم خرج متكتراً وسرى في غيابات المدينة. وبإكرهم الناصري وأصحابه القلعة فاستولوا عليها ودعوا

أمير حجاج ابن الأشرف فأدبه إلى التخت كما كان ونصبوا للملك ولقبوه المنصور وبادروا باستدعاء الجوباني والأمراء المعتقلين بالإسكندرية فأغذوا السير ووصلوا ثانية يومهم وركب الناصري وأصحابه للقائهم وأنزل الجوباني عنده بالإصطبل وأشاره في أمره وأصبحوا ينادون بطلب السلطان الظاهر بقية يومهم ذلك ومن الغد حتى دل عليه بعض مالك الجوباني وحين رأه قبل الأرض وبالغ في الأدب معه وحلف له على الأمان وجاء به إلى القلعة فأنزله بقاعة الغصبة واشتوروه في أمره وكان حرص منطاش وزلان على قتلها أكثر من سواهما وأبي الناصري والجوباني إلا الوفاء بما اعتذر معهم واستقر الجوباني أتابك والناصري رأس النوبة الكبرى ودمداش الأحددي أمير سلاح وأحمد بن بيبي أمير مجلس والأبقا العثماني دوادار وأبيقا الجوهري أستاذدار وعمرت الوظائف والمراتب.

ثم بعثوا زلان نابياً على دمشق وأخرجوه إليها ويعثوا كتبها البيقاوي على حلب وكان السلطان قد عزله عن طرابلس واعتقله بدمشق فلما جاء في جملة الناصري بعثه على حلب مكانه وقبضوا على جماعة من الأمراء فيهم الشائب سودون باق وسودون الطرنطاي فحبسوا بعضهم بالإسكندرية وبعثوا آخرين إلى الشام فحبسوا هنالك وتبعوا مالك السلطان فحبسوا أكثرهم وأشخصوا بقائهم إلى الشام يستخدمون عند الأمراء.

وقبضوا على أستاذ دار محمود قهرمان الدولة وقارون الفكري فصادروه على ألف ألف درهم ثم أودعوه السجن وهو مع ذلك يشاورون في مستقر السلطان بين الكرك وقوص والإسكندرية حتى أجمعوا على الكرك ووروا بالإسكندرية حذراً عليه من منطاش فلما أزف مسيره قعد له منطاش عند البحر رصداً ويات عامة ليله وركب الجوباني مع السلطان من القلعة

نواب المالك بالشام في حلب وغيرها يدعوههم إلى الوفاق فأعرضوا عنه وتمسكون بطاعتهم وكان الأمير الكبير بدمشق جترم أخو طاز يدخل الأمراء هناك في التوبي به وتوثق منهم للدولة ويبلغ الخبر إلى بذلار فركب في مالكه وشعنته بروم القبض عليه فلم يتمكن من ذلك واجتمعوا وظاهرون عامة دمشق عليه فقاتلوه ساعة من نهار ثم أيقن بالغلب والملكة فالقى بيده وبقضوا عليه وطبروا بالخبر إلى منطاش وهو صاحب الدولة فأمر باعتقاله وهلك مريضاً في عبسه وولى منطاش جسمير نياية دمشق واستقرت الأحوال على ذلك والله تعالى يؤيد بنصره من يشاء من عبادة.

## خروج السلطان من الكرك وظفره بعساكر الشام وحصاره دمشق

ولما بلغ الخبر إلى السلطان الظاهر بالكرك بأن منطاش استقل بالدولة وحبس البيقاوية جيئاً وأدال منهم بأصحابه أهتمه نفسه وخشي غاثته ولم يكن عند منطاش لأول استقلاله أهم من شأن وشأن السلطان فكتب إلى حسن الكشككي نائب الكرك بقتله وقد كان الناصري أوصاه في وصيته حين وكله به أن لا يمكنه من يروره بسوء فتجأفى عن ذلك واستدعي البريدي وفأوضح أصحابه وقاضي البلد وكاتب السر فأشاروا بالخطر الذي في ارتکابه دون إذن السلطان والخليفة فأعاد عليه الكتاب مع كتاب السلطان والخليفة بالإذن فيه واستنهى في الإجهاز عليه فائز البريدي وعلمه بال وعد وطاوله يرجو المخلص من ذلك وكانت يطرون الأمر عن السلطان شفقة وإجلالاً فشنع بذلك وأخلص اللجا إلى الله والتسلل بيازيم الخليل لأنه كان يراقب مدنه من شباك في بيته.

وانطلق غلامه في المدينة حتى ظفروا ب الرجال داخلوهم في حسن الدفاع عن السلطان وأقاضوا فيهم فأجابوا وصدقوا ما عاهدوا عليه واتعدوا لقتال البريدي وكان منزله بإزار السلطان فتراقوها ببابه ليلة العاشر من رمضان وهجموا عليه فقتلوا ودخلوا برأسه إلى السلطان وشفار سيرفهم دامية وكان النائب حسن الكشككي يفطر على سمات السلطان تائياً لهم فلما رأهم دهش وهموا بقتله فأجراه السلطان وملك السلطان أمره بالقلعة وبابعه النائب وصعد إليه أهل المدينة من الغد فبايعوه.

ووفد عليه عرب الضاحية من بين عقبة وغيرهم فأعطوه طاعتهم وفشا الخبر في التواحي فتساقط إليه مالكه من كل جهة وبلغت أخباره إلى منطاش فأوزع إلى ابن باكيش نائب غزة أن

الميبة فركب الأمراء البيقاوية من بيونهم ولما أفضوا إلى الرميلة وقفوا ينظرون مآل الحال وبرز الناصري من الأصطلح فین حضر وأمر الأمراء بالحملة عليهم فوقفوا فاحجم هو عن الحملة وتخاذل أصحابه وأصحاب منطاش.

ومال إلى الناصري بماليك الجوياني لنكبة أصحابه فهدهم منطاش بقتله فاقتروا وتحاجز الفريقان آخر النهار وباكروا شائئهم من الغد وحل الناصري فانهزم وأقاموا على ذلك ثلاثاً وجموع منطاش في ترايد ثم انقض الناس عن الناصري عشية الأربعاء لسبعين يوماً من دخول القلعة واتحتمها عليه منطاش ونهب بيته وخزاناته وذهب الناصري حيران وأصحابه يرجعون عنه وباكروا البيقاوية مجلس منطاش من الغد فقبض عليهم وسيق من مختلف منهم عن الناصري أبداً وبعث بهم جميعاً إلى الإسكندرية وبعث جماعة من جسمهم الناصري إلى قوص ودمياط ثم جدد البيعة لأمير حاج منصور ثم نادى في ماليك السلطان بالعرض وقبض على جماعة منهم وفر الباقون ويشت بالبحرين منهم إلى قوص وصادر جماعة من أهل الأموال وأفرج عن محمود أستاذ دار وخلع عليه ليوليه في وظيفته.

ثم بدأ له في أمره وعاود مصادرته وامتحانه واستصفى منه أموالاً عظيمة يقال ستين قنطاراً من الذهب ولما استقل بتدبير الدول عمر الوظائف والراتب وولى فيها بنظره وبعث عن الأشقمري من الشام وكان آخره غرتاي قد آخى بينهما فولاية النياية الكبرى وعن استدمر بن يعقوب شاه فجعله أمير سلاح وعن أبقا الصفوبي فولاية صاحب الحجاب وانتصص الثلاثة بالمشورة وأقام أركاناً للدولة وكان إبراهيم بن بطلمئور أمير جندار قد دخله في الثورة فرعى له ذلك وقدمه في أمراء الألوف ثم بلغه أنه تقاض مع الأمراء في الثورة به واستبداد السلطان قبض عليه ثم أشخصه إلى حلب على إمارته هناك وكان قد اختص أرغون السنendar والقى عليه محنته وعنياته فتشيه الناس وباكروا بابه وعظم في الدولة صيته ثم غي عنه أنه من المداخلين لإبراهيم أمير جندار فسطأ به وامتحنه أن له على هؤلاء المداخلين لإبراهيم فلاذ بالإنكار وأقام في عبسه وأفرج عن سودون النائب فجاء إلى مصر فالزمه بيته واستمر الحال على ذلك التهلي.

## ثورة بذلار بدمشق

ولما بلغ الخبر إلى بذلار بدمشق باستقلال منطاش بالدولة أتف من ذلك وراتب وداخلته الغيرة وأجمع الانقضاض وكاتب

وأنكنا جموعه وسار على العدوة الشرقية في جموعه لاعتراضهم فوصل إلى قوص وبادر ابن قرط فخالفه إلى منطاش بطاعته فأكفره ورده على عمله فوافى ابن يعقوب شاه بقوص وقد استولى على النواحي واستنزل الأمراء المخالفين ثم قبض عليهم وقتل جميع من كان معهم من مالك السلطان الظاهر ومالك ولادة الصعيد وجاء بالأمراء إلى مصر فدخل بهم متصرف ذي الحجة من السنة فأخرج عن أربعة منهم سوماي اللائى وحبس الباقين والله تعالى أعلم.

### ثورة كمشيقا بحلب وقيامه بدعة السلطان

قد كنا قدمنا أن الناصري ولـ كمشيقا رأس نوبة نياحة حلب ولما استقل منطاش بالدولة ارتات ودعاه بذلار لما شار بدمشق إلى الوفاق فانتفع ثم بلغه الخبر بخلافات السلطان من الاعتقال بالكرك فأظهر الانقضاض وقام بدعة السلطان وخالقه إبراهيم بن أمير جندار واصتصوب عليه أهل باقورسا من أرياض حلب فقاتلهم كمشيقا جيئا وهزمه وقتل القاضي ابن أبي الرضا وكان معه في ذلك الخلاف واستقل بأمر حلب وذلك في شوال من السنة ثم بلغه أن السلطان هزم عساكر دمشق وابن باكش وإنه مقيم بقبة بليغا حاصراً لدمشق بعد أن نهبوه أثقاله وأخرجوا من الميدان فتجهز من حلب إليه في العساكر والخسرو وجهز له جميع ما يحتاج إليه من المال والأقمشة والسلاح والخيل والإبل وخيم الملك بفرشها وما عنها وآلات الحصار وتلقاه السلطان وبالغ في تكرمه وفرض إليه في الأتابكية والمشورة وقام معه محاصراً لدمشق.

واشتد الحصار على أهل دمشق بعد وصوله واستثنى السلطان من المقاتلة وآلات الحصار وخرب كثيراً من جوانها بمجاهدة المجنون وتصدعت حيطانها وأضرم كثيراً من البيوت على أربابها فاحتقرت واستولى الخبراء والحرفيين على القبيبات أجمع وتفااحش فيها واشتتد أهل القتال والدفاع من فوق الأسوار وتولى كبر ذلك منهم قاضي الشافعية أحمد بن القرشي مما أشار عليهم وفاة أهل العلم والدين بالتكبير فيه وكان منطاش لما بلغه حصار دمشق بعث طبقاً إلى دوادار الأشرف بمدد من المال مجد به العساكر هنالك وأقام معهم ثم بعث جتمر إلى أمير آن فضل يعبر بن جبار يستتجده به فجاء لقتالهم وسار كمشيقاً نائب حلب فلقيه ورفض جموعه وأسر خادمه وجاء به أسيراً فمن عليه السلطان وأطلقه وكساه وحمله ورده إلى صاحبه واستمر حصار دمشق إلى أن كان ما ذكره إن شاء الله تعالى.

بسير العساكر إلى الكرك وتعدد السلطان بين لقائه والنهوض إلى الشام ثم أجمع المسير إلى دمشق فبرز من الكرك متصرف شوال فعكس بالقبة وجع جموعه من العرب وسار في الف أو يزيدون من العرب والترك وطوى المراحل إلى الشام وسرح جتمر نائب دمشق العساكر لدفعه فيهم أمراء الشام وأولاد بندمر فالتفوا بشقحب وكانت بينهم واقعة عظيمة أجلت عن هزيمة أهل دمشق وقتل الكثير منهم وظفر السلطان بهم واتبعهم إلى دمشق ونجا الكثير منهم إلى مصر.

ثم أحسن السلطان بأن ابن باكش وعساكره في اتباعه نظر إليهم وأسرى ليلته وصيّبهم على غفلة في عشر ذي القعدة فانهزموا ونهب السلطان وقومه جميع ما معهم وامتلات أيديهم واستفحلا أمره ورجع إلى دمشق وزل بالمدان فرك ناجياً وترك القبيبات ونواحيها بالسلطان وقصدوه بالمدان فرك ناجياً وترك أثقاله فنهبها العوام وسلبوا من لقوه من مالكه ولحق بقبة بلينا فاقام بها وأغلقوا الأبواب دونه فاقام بمحاصره إلى محرم سنة الشرين وتسعين وكان كمشيقاً الحموي نائب حلب قد أظهر دعوه في عمله وكتبه بذلك عندما نهض من الكرك إلى الشام كما نذكره ولما بلغه حصاره لدمشق تحيز للقائه واحتمل معه ما يزيح على السلطان من كل صنف وأقام له أبهة ووصل أنياب اليوسفى وقجماش ابن عم السلطان وجاسة من الأمراء كانوا محبوسين بصفد وكان مع نائبه جاسة من مالك السلطان يستخدمون فغدروا به وأطلقوا من كان من الأمراء في سجن صفد كما نذكر ولحقوا بالسلطان وتقديمهم أنياب وهو محاصراً لدمشق فأقاموا معه والله تعالى أعلم.

### ثورة المعتقلين بقوص ومسير العساكر اليهم واعتقاهم

ولم بلغ الخبر إلى الأمراء المحبوسين بقوص خلاص السلطان من الاعتقال واستيلاؤه على الكرك واجتماع الناس إليه فشاروا بقوص أولئك شوال من السنة وقبضوا على الوالي بها وأخذوا من موعد القاضي ما كان فيه من المال وبلغ خبرهم إلى مصر فسرح إليهم العساكر ثم بلغه أنهم ساروا إلى أسوان وشاعروا الوالي بها حسن بن قرط فلحن لهم بالوعد وعرض بالوقف فطمعوا وأعتزموه أن يسيراً من وادي القصب من الجهة الشرقية إلى السويس ويسيراً من هناك إلى الكرك ولا وصل خبر ابن قرط أخرج منطاش سندمر بن يعقوب شاه ثامن عشرين من السنة

المدينة ولادوا بالاختفاء وأوزع بسد كثیر من أبواب الدروب بالقاهرة فسدت ورحل في الثاني والعشرين من الشهر بالسلطان وعساكره على التعبية وطروا المراحل وغى إلى أئمه طريقه أن بعض ماليك السلطان المستخدمين عند الأمراء مجمعون على التوب ودخلن لغيرهم فاجع السطوة بهم ففروا وخلفوا بالسلطان وما بلغ خبره مسيرهم السلطان وهو محاصر دمشق ارتحل في عساكره إلى لقائهم ونزل قريباً من شقحب وأصبهروا على التعبية وكمشيقاً بعساكر حلب في ميمنة السلطان ومنطاش قد عبي جشه.

وجعل السلطان أمير حاجي وال الخليفة والقضاة والرماة من ورائهم ووقف معهم مغارغر رأس نوبة وستدر بن يعقوب شاه أمير سلاح ووقف هو في طائفة من ماليكه وأصحابه في حومة المترك فلما تراءى الجماعان حل هو وأصحابه على ميمنة السلطان فضورها وانهزم كمشيقاً إلى حلب ومرروا في اتباعه ثم عطفوا على خيم السلطان فتهبوه وأسرروا قجماش ابن عمه كان هناك جريحاً ثم حطم السلطان على الذي فيه أمير حاجي وال الخليفة والقضاة فدخلوا في حكمه ووكل بهم واختلط الفريقان وصاروا في عمي من أمرهم والسلطان في لة من فرسانه يخترق جوانب المعرك وبخطم الفرسان ويشردهم في كل ناحية وشراد ماليكه وأمرائه يتتساقطون إليه حتى كف جمعه.

ثم حل على بقية العسكر وهم متلمون على الصدفي فهزهم وخلفوا بدمشق وضرب خيامه بشقحب ولا وصل منطاش إلى دمشق أوهم النائب جتتمر أن الغلب له وأن السلطان أمير حاجي على الأثر ونادي في العساكر بالخروج في السلاح لتلقىه وخرج من الغد موريأ بذلك فركب إليهم السلطان في العساكر فهزهم وأخن فهم واستلحام كثيراً من عامة دمشق ورجع السلطان إلى خيامه وبعث أمير حاجي بالتبري من الملك والعجز عنه والخروج إليه من عهده فأحضر الخليفة والقضاة فشهدوا عليه بالخلع وعلى الخليفة بالتفريض إلى السلطان ولبيعة له والعود إلى كرسيه وأقام السلطان بشقحب تسعًا واثنتين كل البرد وافتقدت الأقوات لقلة الميرة فاجع العود إلى مصر ورحل يقصدها وبلغ الخبر إلى منطاش فركب لابتعاه فلما أطل عليه أحجم ورجع واستمر السلطان لقصده وقدم حاجب غزة للقبض على ابن باكيش فقبض عليه ولا وافى السلطان غزة ولل عليها مكانه وحمله معتقلًا وسار وهو مستطلع لأحوال مصر حتى كان ما ذكره إن شاء الله تعالى.

## ثورة أنيال بصفد بدعة السلطان

كان أنيال لما ان هزم يوم واقعة دمشق فر إلى مصر ومر بغزة فاعتقله ابن باكيش وجيس بالكرك فلما استول الناصري أشخاصه إلى صفد فجس بهما مع جماعة من الأمراء وولى على صفد قلطيك النظامي فاستخدم جماعة من ماليكه برقوق واخذ منها بلغاً السالمي دوادر فلما بلغه خلاص السلطان من الاعتقال ومسيره إلى الشام داخل بلغاً ماليكه أستاذ قطليقاً في الخلاف والخلاف بالسلطان وهرب منهم جماعة فركب قطليقاً في اتباعهم وأبقى بلغاً السالمي دوادر وحاجب صفد فطلقوا أنيال وسائر المحبسين من السلطان فملك أنيال القلعة ورجع قطليقاً من اتباع المارين فوجدهم قد استولوا وامتنعوا وارتباً من ماليكه فسار عن صفد ونهب بيته وخلفه ولحق بالشام فلقي الأمراء المهزومي أيام السلطان بشقحب قاصدين مصر فسار معهم ولحق أنيال بالسلطان من صفد بعد أن ضبطها واستخلف علىها وأقام مع السلطان والله تعالى أعلم.

## مسير منطاش وسلطانه أمير حاجي إلى الشام وانهزامهم ودخول منطاش إلى دمشق وظرف السلطان الظاهر بأمير حاجي وال الخليفة والقضاة وعدوه ملكه

ولما تواترت الأخبار بهزيمة عساكر الشام وحصار السلطان الظاهر دمشق وظهور دعوته في حلب وصفد وسائر بلاد الشام ثم وصلت العساكر المهزومون وأولاد بندمر ونائب صفد واستحوذو وتواترت كتب جتتمر نائب دمشق وصربيه أجمع منطاش أمره حينئذ على المسير إلى الشام فتجهز ونادي في العساكر وأخرج السلطان وال الخليفة والقضاة والعلماء سابع عشر ذي الحجة سنة إحدى وتسعين وخيموا بالزيدانية من ناحية القاهرة حتى أزاح العلل واستختلف على القاهرة دوادر صراري عمر وأطلق يده في الخل والعقد والتوليد والعزل واستختلف على القلعة بما الأشرف وعمد إلى خزانة من خزانة الذخيرة بالقلعة فسد بها ونقبها من أعلامها حتى صارت كهينة الجب ونقل إليها من كان في سجنها من أهل دولة السلطان.

ونقل سودون النائب إلى القلعة فائز له بها وأمر بالقبض على من بقي من ماليك السلطان حيث كانوا فتسلبوا في غيابات

فائزهم على الأمان وسرب أصحابه في البلد لنهب بيروت منطاش وأصحابه فعاثوا فيها وتسلل إليه مالايك السلطان المخفيون بالقاهرة فبلغوا الفأ أو يزيدون.

ثم استأمن بكا من الغد فامته سودون النائب وجاء به إلى الناصري أمير سلاح ومرداش وكان عنده فجسهم بما بكا ثم وقف سودون على مدرسة حسن والأرض تخرج بعوالم النظارة فاستنزل منها سراي غر وقطلوبغا الحاجب فنزل على أمانه وهم العوالم بهما فحال دونهما وجاء بهما بكا فجسهم وركب سودون يوم الجمعة في القاهرة ونادي بالأمان والخطبة للسلطان فخطب له من يومه وأمر بكا بفتح السجون وإخراج من كان فيها في جبس منطاش وحكام تلك الدولة وهرب الراوي حسن بن الكوراني خوفاً على نفسه لما كان شيعة لمنطاش على مالايك السلطان.

ثم عثر عليه بكا وحبسه مع سائر شيعة منطاش وأطلق جميع الأمراء الذين جبسهم بمصر ودمياط والفيوم ثم بعث الشرف عنان بن مقامس أمير بي حسن بمكة وكان محبوساً وخرج معهم فبعثه مع أخيه أبيقا على المجن لاستكشاف خبر السلطان ووصل يوم الأحد بعدها كتاب السلطان مع ابن صاحب الدرك سيف بن محمد بن عيسى العاذري بإعداد الميرة والعلوقة في منازل السلطان على العادة وقص خبر الواقعه وأن السلطان توجه إلى مصر واتجه إلى الرملة ثم وصل أبيقا آخر بكا يوم الأربعاء ثامن صفر بعث ذلك وتابع الواسلون من عسكر السلطان ثم نزل بالصالحة وخرج السلطان لتلقية بالعكرشة.

ثم أصبح يوم الثلاثاء رابع صفر في ساحة القلعة الخليفة وعاد إلى سريره ثم بعث عن الأمراء الذين كان جبسهم منطاش بالإسكندرية وفيهم الناصري والجوياني وابن بيقا وقراد مرداش وأيغا الجوهري وسودون باق وسودون الطرنطي وقردمر المعلم في آخرين متعددين واستعبتوا للسلطان فأعتبهم وأعادهم إلى مراتبهم وول آنيال اليوسفى أتابكاً والناصري أمير سلاح والجوياني رأس نوبة وسودون ناباً وبكادوا دار وقرقماش أستاذ دار وكمشيشاً الخاصكي أمير مجلس وتطليميش أمير الماخورية وعلاء الدين كاتب سر الكرك كاتب سره بمصر وعمّر سائر المراتب والوظائف.

وتوفي قرماش فول محمود أستاذ داره الأول ورعى له سوابق خدمته ومحنة العدو له في محنته وانتظم أمر دولته واستقر ملكه وصرف نظره إلى الشام وتلافيه من مملكة العدو وفساده والله تعالى أعلم.

## ثورة بكا والمعتقلين بالقلعة واستيلازهم عليها بدعاوة السلطان الظاهر وعدوه إلى كرسيه بمصر وانتظام أمره

كان منطاش لما فصل إلى الشام بسلطانه وعساكره كما مر واستخلف على القاهرة دواداره سراي غر وأنزله بالإصطبل وعلى القلعة بكا الأشرفي ووكله بالمعتقلين هنالك فأخذوا أنفسهم بالحزن والشدة وبعد أيام نسي إليهم أن جماعة من مالايك السلطان يجتمعون للثورة وقد دخلوا مالايكهم فبيتهم وقبضوا عليهم بعد جولة دافع فيها مالايك عن أنفسهم ثم قبضوا على من داخلهم من مالايكهم وكانت جماعة كثيرة وحدثت لهم بذلك ريبة واشتداد في الحزم فنادوا بالرعيدي لم وجد عنده أحد من الملايك السلطان ونقلوا ابن أخت السلطان من بيت أمه إلى القلعة وحبسوه وأوزعوا بقتل الأمراء المعتقلين بالفيوم فقتلوا وعميت عليهم أبناء منطاش والعساكر وبعثوا من يقتض لهم الطريق وسائل الركبان واعتزموا على قتل المسجونين بالقلعة.

ثم تلاوموا في ذلك ورجعوا إلى التضيق عليهم ومنع المترددين بأقوائهم فضاقت أحواضهم وضجروا وأهتمهم أنفسهم وفي خلال ذلك عثر بعضهم على منفذ إلى سرب تحت الأرض يفضي إلى حاطن الإصطبل ففرحوا بذلك وتسموا ريح الفرج ولا أذلتهم ليلة الأربعاء غرة صفر ستة اثنين وتسعنين مروا في ذلك السرب فوجدوا فيه آلة النقب فتنبوا الحاطن وانضوا إلى أعلى الإصطبل وتقدم بهم خاصكي من أكبر الخاصية وهجموا على الحراس فثاروا عليهم فقتلوا بعضهم بالقيود من أرجلهم وهرب الباقون ونادوا شعبان بكا نائب القلعة يرهمن أن انتقض.

ثم كسروا بباب الإصطبل الأعلى والأسفل وأنضوا إلى منزل سراي غر فايحظه لخطهم وهلم من شأن بكا فارمي نفسه من السور ناجياً ومر بالحاجب قطلوبغا وحلق بمدرسة حسن وقد كان منطاش أنزل بها ناشبة من التركمان لحماية الإصطبل وأجرى لهم الأرزاقي وجعلهم لنظر تنكر رأس نوبة ثم هجم أصحاب بكا على بيت سرائي غر فنهبوا ماله وقاموا به وركبا خيله واستولوا على الإصطبل وقروا الطبول ليلتهم وقاتلهم بكا من الغد وسرب الرجال إلى الطبلخانات فملكها ثم أزعجه عنها وزحف سرائي غر وقطلوبغا الحاجب إلى الإصطبل لقتالهم وبرزوا إليهم فقاتلهم واعتصموا بالمدرسة واستول بكا على أمره ويعث إلى باب السر من المدرسة ليحرقه فاستأمن إليه التركمان الذين به

الناس ونفروا عنه واستأتموا إلى السلطان مثل محمد بن سندر وغيره وهرب كاتب السر بدر الدين بن فضل الله وناظر الجيش وقد كانوا يوم الواقعه على شقحب لحقوا بدمشق يظنون أن السلطان يملكها يوم ذلك فبقوا في مملكة منطاش وأجمعوا الفرار مرة بعد أخرى فلم يتهدأ لهم وشرع منطاش في الفتاك بالمتين إلى السلطان من المماليك الحجوبيين بالقلعة وغيرهم وذبح جماعة من الجراكسة وهم بقتل أشمس فدفعه الله عنه وارتحل الأمراء من مصر في العساكر السلطانية إلى الشام مع الجوباني يطروون المراحل والأمراء من دمشق يلقونهم في كل منزلة هاربين إليهم حتى كان آخر من قيهم ابن نصیر أمير العرب بطاعة أبيه ودخلوا حدود الشام.

ثم ارتبك منطاش في أمره واستقر الخوف والملع والاستابة بين معه فخرج متصرف جادى الأخيرة هارباً من دمشق في خواصه وأصحابه ومعه سبعون حلاً من المال والأقمشة واحتفل معه محمد بن آنيل وانتقض عليه جماعة من المماليك فرجعوا به إلى أبيه وكان يعبر بن جبار أمير آل فضل مقيناً في أحياه ومعه أخيه آل مرو وأميرهم عقا، فلحق بهم هنالك منطاش مستجيراً فاجاروه وتزلج معهم.

ولما فصل منطاش عن دمشق خرج أشمس من محبه وملك القلعة ومعه مماليك السلطان معصوبون عليه وأرسل إلى الجوباني بالخبر فأغذ السير إلى دمشق وجلس بموضع نياته وقبض على من بقي من أصحاب منطاش وخدمه مع من كان جنس هو معهم ووصل الطبقاً الحلي ودمداش اليوسفي من طرابلس وكان منطاش استقدمهم وهرب قبل وصولهم وببلغ الخبر إلى إيماز تمر وهو يحاصر حلب وأهل كانواسا معصوبون عليه فاجفل ولحق منطاش وركب كمشيتاً من القلعة إليهم بعد أن أصلح الجسر واركب معه الحجاب وقاتل أهل كانواسا ومن معهم من أشياع منطاش ثلاثة أيام ثم هزموهم وقتل كمشيتاً منهم أكثر من ثمانمائة وخراب كانواسا فأصبحت خراباً وعمر القلعة ومحصناً وشحنتها بالأقوات ويعث الجوباني بالعساكر إلى طرابلس وملكتها من يد قشتر الأشرف نائب منطاش من غير قتال وكذلك حلة ومحص ثم يبعث الجوباني نائب دمشق وكافل الممالك الشامية إلى يعبر بن جبار أمير العرب بإسلام منطاش وإخراجه من أحياه فامتاع واعتذر فierz من دمشق بالعساكر ومعه الناصري وسائر الأمراء ونهض إلى مصر فلما انتهوا إلى حصص أقاموا بها ويعثوا إلى يعبر يعتذرون إليه فلنج واستكبر وحال دونه ويعث إلى أشمس خلال ذلك من دمشق لأن جماعة شيعة بندمر وجتمس يرومون الثورة

## ولاية الجوباني على دمشق واستيلاؤه عليها من يد منطاش ثم هزيمته ومقتله وولاية الناصري مكانه

لما استقر السلطان على كرسيه بالقاهرة وانتظمت أمور دولته صرف نظره إلى الشام وشرع في تجهيز العساكر لإزاج العدو منه وعين الجوباني لنيابة دمشق ورياسة العساكر والناصري لطلب لأن السلطان كان عاهد كمشيتاً على أتابكي مصر وعين قراد مرداش لطرابلس ومأموناً القلبطاوي لحمة فرب في جميع مالك الشام ووظائفه وأمرهم بالتجهيز ونودي في العساكر بذلك وخرجوا ثامن جادى الأول من سنة اثنين وسبعين وكان منطاش قد اجتهد جهده في طي خبر السلطان مصر عن أمرائه وسائر عساكره وما زال ينشئ حتى شاع وظهر بين الناس فانصرف هواهم إلى السلطان وبعث في أثناء ذلك الأمير يمازغر نائباً على حلب فاجتمع أهل كانواسا وحاصر كمشيتاً بالقلعة نحوه من خمسة أشهر وشد حصارها وأحرق باب القلعة والجسر ونقب سورها من ثلاثة مواضع واتصل القتال بين الفريقين في أحد الأنابيب لشهرین على ضوء الشموع.

ثم بعث العساكر إلى طرابلس مع ابن إيماز التركماني وحاصرها وملكتها من يد سندر حاجب حجابها، وكان مستولياً عليها بدعة الظاهر، ولما ملكها ولـ عليها قشتر الأشرف، ثم بعث العساكر إلى بعلبك مع محمد بن سندر في نفر من قرينته وجنده فقتلهم منطاش بدمشق أجمعين ثم أوعز إلى قشتر الأشرف نائب طرابلس بالسير إلى حصار صفد فسار إليها ويرز إلى جندها فقاتلوه وهزموه فجهز إليها العساكر مع أتقا الصدقى كسر دولته فسار إليها في سبعمائة من العساكر وقد كان لما تيقن عنده استيلاء السلطان على كرسيه بمصر جنح إلى الطاعة والاعتصام بالجماعة وكانت السلطان بغارمه ووعله فلما وصل إلى صفد بعث إلى نائبه بطاشه وفارق أصحاب منطاش ومن له هوى فيه وصفوا إليه ويات ليلته بظاهر صفد وارتحل من الغد إلى مصر فوصلها متصرف جادى الأخيرة وأمراء الشام معسكرون مع الجوباني بظاهر القلعة فاقبل السلطان عليه وجعله من أمراء الألف و لما رجع أصحابه من صفد إلى دمشق اضطرب منطاش وتبين له تكر الناس وارتباـ بأصحابه وبقى جماعة من الأمراء وعلى جتمر نائب دمشق وابن جرجي من أمراء الألف وابن قفجق الحاجب وقتلـه والقاضي محمد بن القرشي في جملة من الأعيان واستوثرـ

والخائن بما تحصل وتسرب إليها وكفى السلطان مهمه في دولته ومالكه ورجاله بما يسوغ لهم من نعمه وبروس من أرزاقه وعطائه حتى أزاح علهم بتوالي إتفاقه وقررت عين السلطان باصطدامه وغضبه الدواوين والخاشية ففوقوا إليه سهام السعاية وسلطوا عليه السنة التظلمين فخلص من ذلك خلوص الإبريز ولم تعلق به ظنة ولا حامت عليه ريبة.

ثم طرق الدولة ما طرقها من النكبة والاعقال وأودعته المخنط غيابات السجون وحافت به أنواع المكاره واصطلحت نعمته واستصفيت أمواله في المصادرات والامتحان حتى زعموا أن الناصري المتغلب يؤمن بأثر منه بخمسة قناطير من دنانير الذهب ومنطاش بعده بخمسة وخمسين ثم خلص إبريزه من ذلك السبك وأهل قصره بعد المحقق واستقل السلطان من نكته وطلع بأفق مصره وتعهد أريكة ملكه ودفعه لما كان بسيله فأحسن الكرة في الكفاية لهمه وتوسيع عطاياه وأرزاقه وتمكين أحوال دولته وتسرت الجباية من غير حساب ولا تقرير إلى خزانته وأحسن النظر في الصرف والخرج بمحزمه وكفایته حتى عادت الأمور إلى أحسن معهودها بينما تعبيه وسديد رأيه وصلابة عوده وقوته صرامة مع بذلك معروفة وجاهه لم تحت يده وبشاشة وكفایته لغاشيه وحسن الكرامة لملائمه ومقابلة من يأتي إليه بكرم مقاصده فاصبح طازلاً للدولة وتاجلاً للخواص.

وقدفه المنافسوون بخطا السعيات فزلت في جهات حلم السلطان وجيل ابتعاته وتبتئه حتى أعيتهم المذاهب وانسنت عليهم الطرق ورسخت قدمه في الدولة واحتل من السلطان بكلم العهد والذمة ووثق بعثائه واضطلاعه فرمى إليه مقاييس الأمور.

وأوطأ عقبه أعيان الخاصة والجمهور وأفرد في الدولة بالنظر في الأمور حسباناً وتقديراً وجماً وتقريراً وكتراً موفرًا وصرفًا لا يعرف تبذيراً وبطراً وفي الإنها بالعزل والإهانة مشهوراً مع ما يمتاز به من الأمر والشأن وسمو مرتبته على مر الأزمان وهو على ذلك لهذا العهد عند سفر السلطان إلى الشام ل الدفاعة سلطان المغل كما مر ذكره والله متول الأمور لا رب غيره.

مسير منطاش ويعبر إلى نواحي حلب  
وحصارها ثم مفارقة يعبر وحصاره عنتاب  
ثم رجوعه

ولما انهزمت العساكر بسلمية كما قلنا ارحل يعبر في أحياه

فركب الناصري إلى دمشق وكتبهم وأخذن فيهم ورجع إلى العسكرية وارتحلوا إلى سلمية.

واستمر يعبر في غلوائه وترددت الرسل بينهما فلم تغرن شم كانت بين الفريقين حرب شديدة وحملت العساكر على مطاش والعرب فهزموهم إلى الحياة واتبع دمرداش منطاش حتى جاوز به الحي وارتحل العرب وحملوا بطناتهم على العسكرية فلم يثبتوا لحملتهم وكان معهم آل على يجمعوهم فهبوهم من ورائهم وانهزموا وأنفرد الجرياني ماليكه فأسره العرب وسيق إلى يعبر فقتله ولحق الناصري بدمشق وأسر جماعة من الأمراء وقتل منهم أبيقا الجوهري ومأمون المعلم في عدد آخرین ونهب العرب خيمهم وأنقاثهم ودخل الناصري إلى دمشق فبات ليلته وباكر من الغدآن على في أحياهم نكسهم واستلهم منهم شار منهم بما فعلوه في الواقعة ثم بعث إليه السلطان بنيابة دمشق متصرف شعبان من السنة فقام بأمرها وأحكم التصريف في حاليها والله تعالى يؤيد بنصره من يشاء من عباده.

## إعادة محمود إلى أستاذية الدار واستقلاله في الدولة

هذا الرجل من ناشئة الترك ولداتهم ومن أعقاب كراري النصوري منهم شب في ظل الدولة ومرعى نعمها ونهض ببنفسه إلى الاضطلاع والكمالية وبأشد كثيراً من أعمال الأمراء والوزراء حتى أوفى على ثنية النجابة وعرضته الشهرة على اختيار السلطان فعجم عرده ونقد جوهره ثم ألقى به أغراض الخدمة ببابه فأصاب شاكلة الرمية ومضى قدماً في مذاهب السلطان مرهف الحدقاوي الشكيمة فصدق ظنه وشكر اختياره ثم دفعه إلى معانقة الحبس وشد الدواوين من وظائف الدولة فجلأ فيها وهلك خلال ذلك أستاذ الدار بهادر المنجكى سنة تسعين فأقامه السلطان مكانه قهرماناً لداره ودولته ونظراته على دواوين الجباية من قرارب اختياره ونقده جماعة للأموال غواصاً على استخراج الحقوق السلطانية قاروناً للكنز اكسيراً للنقد ممناطيساً للقبة يسابق أفلام الكتاب ويستوفى تفاصيل الحساب بمدارك إلمامه وتصور صحيح وحدس ثاقب لا يرجع إلى حذافة الكتاب ولا إلى أيسر الأعمال بل يتداول الصعب فبدلها ويحوم على الأغراض البعيدة فيقرها وربما يحاضر بذلكه في العلوم فينفذ في مسائلها وفحسم جهابذتها موهبة من الله اختص بها ونسمة أسيغ عليه لبوسها فقام بما دفع إليه السلطان من ذلك وأدر خروج الجباية فضاقت أفنيه الحوائل

وأقام له رسوم ملكه وشكر السلطان أفعاله في ذلك وعاهده على أتابكيه مصر.

ثم كانت الواقعة على شتحب فانهزم كمشيقا إلى حلب فامتنع بهما وحاصره يماز عن أتابك منطاش أشهرأ كما مر ثم هرب منطاش من دمشق إلى العرب فأخرج يماز عن حلب ثم كانت واقعة الجرياني ومقتله وزحف منطاش ويعبر إلى حلب فحاصرهوا مدة ثم وقع الخلاف بينهما وهرب منطاش إلى بلاد التركمان ورجع يعبر إلى بلدة سليمية واستأنف إلى السلطان ورجع إلى طاعته متصرف شوال ولما أفرجوا عن حلب نزل كمشيقا من القلعة ورم خرابها وخرب بالقوسا واستلحام أهلها وأخذ في إصلاح أسوار حلب ورم ما سلم منها وكانت خراباً من عهد هلاكو وجع له أهل حلب ألف الف درهم للنفقة فيه وفرغ منه ثلاثة أشهر.

ولما استوسق أمر السلطان وانتظمت دولته بعث إليه يستدعيه في شهر ذي الحجة سنة اثنين وتسعين وول مكانه في حلب قرادرداش نقله إليها من طرابلس وول مكانه أنيال الصغير فسار كمشيقا من حلب ووصل مصر تاسع صفر سنة ثلات وتسعين فاحتله السلطان واركب الأمراء للقائه مع النائب ثم دخل إلى السلطان فحياه وبالغ في تكرمه وتلقاه بالرحب ورفع مجلسه فوق الأتابك أنيال وأنزله بيت منجك وقد هيأ فيه من الفرش والماءون والخزفي ما فيه للملتزل ثم بعث إليه بالآقمصة وقرب إليه الجناد بالراكب الشقيقة وقدم للأمراء أن يتحفوه بهداياهم فتاغروا في ذلك وجاؤوا من وراء الغابة وحضر في ركبهم من أمراء الشام الطبقا الأشرفى وحسن الكشكى فاكتملوا السلطان واستقر كمشيقا بمصر في أعلى مراتب الدولة إلى أن توفي أنيال الأتابك في جمادى أربع وتسعين فولاه السلطان مكانه كما عاهده عليه بشقحب وجعل إليه نظر المارستان على عادة الأتابكية واستمر على ذلك لهذا المعهد والله سبحانه وتعالى أعلم بغيه.

### استقدام أيتمش

كان أيتمش النجاشي أتابك الدولة قد تكبه السلطان وسار في العساكر إلى الشام متصرف ربيع إحدى وتسعين لقتال الناصري وأصحابه لما انتقض عليه وكانت الواقعة بينهم بالمرج من نواحي دمشق وانهزمت العساكر ونجا أيتمش إلى قلعة دمشق ومعه كتب السلطان في دخولها متى اضطر إليه فامتنع بها وملكها الناصري من الغد بطااعة نابتها ابن الحصمي فوكيل باتيمش وأقام حيسا

ومعه منطاش وأصحابه إلى نواحي حلب وسار يعبر إلى بلد سرمين من أقطاعه ليقسمها في قرمه على عادتهم وكان كمشيقا نائب حلب قد أقطعها الجندي من التركمان في خدمته فلما وافاها يعبر هربوا إلى حلب فلقوا في طريقهم أحمد بن المهدار في العساكر وقد نهض إلى يعبر فرجعوا عنه ولقيهم علي بن يعبر فقاتلوه وهزموه وقتلوا بعض أصحابه صبراً ورجع يعبر إلى أحياه وارتحلوا إلى حلب فحاصروها وضيقوا عليها أيام رمضان ثم راجع يعبر نفسه وراسل كمشيقا نائب حلب في الطاعة واعتذر عما وقع منه وطرق الذنب بالجوباني وأصحابه أهل الواقعة وسال الأمان مع حاجبه عبد الرحمن فارسله كمشيقا إلى السلطان وأخبره بما اشتهرت يعبر فأجابه السلطان إلى سؤاله.

وشعر بذلك منطاش بمكانه من حصار حلب فارتبا وخداع يعبر إلى الفارة على التركمان بقريهم فإذا ذكر العرب في المسير معه وسار معه منهم سبعمائة فلما جاوز الدربند أرجلهم عن الخيل وأخذها وليحت بالتركمان ونزل عرض بلد أميرهم سولي ورجع العرب مشاة إلى يعبر فارتحل إلى سبيله راجعاً وسار منطاش إلى عتاب من قلاع حلب ونابتها محمد بن شهرى فلكلها واعتصم نابتها بالقلعة أيام ثم ثبت منطاش وأخرين في أصحابه وقتل جماعة من أمرائه وكانت العساكر قد جاءت من حلب وجاء وصفد لقتاله فهرب إلى مرعش وسار منها إلى بلاد الروم وأضمحل أمره وفارقه جماعة من أصحابه إلى العساكر وراجعوا طاعة السلطان آخر ذي القعدة من سنة اثنين وسبعين ويعت سولي بن دلقادر أمير التركمان في عشر ذي الحجة يستأنف إلى السلطان فأنمه وولاه على البلدين كما كان والله سبحانه وتعالى أعلم.

### قدوم كمشيقا من حلب

قد كان تقدم لنا أن كمشيقا الحموي رأس نوبة بيقا كان نابياً بطرابلس وأن السلطان عزله وحبسه بدمشق فلما استول الناصري على دمشق أطلقه من الاعتقال وجاء في جملته إلى مصر فلما ولي على عماليك الشام وأعمالها ولاه على حلب مكانه متصرف إحدى وسبعين ولا استقل السلطان من الكبة وقصد دمشق كما مر أرسل كمشيقا إليه بطاعته ومشايعته على أمره واظهر دعوته في حلب وما إليها من أعماله ثم سار السلطان إلى دمشق وحاصرها وأمده كمشيقا بجميع ما يحتاج إليه ثم جاءه بنفسه في عساكر حلب صريراً وحمل إليه جميع حاجاته وأزاح عليه

موسعاً عليه ثم سار الناصري إلى مصر وملكتها وعاد السلطان إلى الكرسي في صفر سنة اثنين وستين كما نصل ذلك من قبل وأيتمش في أثناء ذلك كله محبوس بالقلعة ثم زحف الجوياني في جنادى الأخيرة وخالص أيتمش من اعتقاله وقت ماليك السلطان السجن الذي كانوا فيه بقلعة دمشق وخرجوا وأعمصو صبوا على أيتمش قبل مجيء الجوياني وبعث إليه بالخبر وبعث الجوياني إلى السلطان بمثل ذلك فقدم إليه السلطان بالقام بالقلعة حتى يفرغ من أمر عدوه.

## حصار منطاش دمشق ومصير السلطان من مصر إليه وفراوه ومقتل الناصري

لم يزل منطاش شريداً عند التركمان منذ فارق العرب ولما كان متصرف سنة ثلاط وستين اعتمز على قصد دمشق ويقال: إن ذلك كان ياغراء الناصري يخادعه بذلك ليقبض عليه فسار منطاش من مرعش على نواحي حلب وتقىدم خبره إلى حمة فهرب نائبه إلى طرابلس ودخل منطاش حمة ونادى فيها بالأمان ثم سار منها إلى حمص كذلك ثم إلى بعلبك وهو رب نائبه إلى دمشق فخرج الناصري نائب دمشق في العساكر لمدافعته وسار على طريق الزيداني فخالفه منطاش إلى دمشق وقدم إليها أحد شكار بن أبي بندرم فثار شيعة الخوارزمية والبندرمية وفتحوا له أبواب البلد ومر يااصطبلاط فقاد منها نحواً من ثمانمائة فرس.

وجاء منطاش من الغد على أثره فنزل بالقصر الأبلق وأنزل الأمراء الذين معه في البيوت حوالي القصر وفي جامع شكن وجامع بيقا وشع في مصادره الناس والفرقة عليهم وأقام يومه في ذلك وإذا بالناصري قد وصل في عساكره فاقتلاوا عشرية ذلك اليوم مرات ومن الغد كذلك وأقام كل واحد منهم في حومته والقتال متصل بينهما سائر رجب وشعبان ولما بلغ الخبر إلى السلطان ارتاب بالناصري واتهمه باللداهنة في أمر منطاش وتجهز لقصد الشام ونادى في العساكر بذلك عاشر شعبان وقتل أهل الخلاف من الأمراء المحبوبين وأشخص البطاليين من الأمراء إلى الإسكندرية ودمياط وخرج يوم عشرين شعبان فخيص بالريدانة حتى أزاح على العساكر وقضوا حاجتهم.

واستخلف على القاهرة الأتابك كمشيقا الحموي وأنزله بالإصطبل وجعل له الصرف في التولية والعزل وترك بالقاهرة من الأمراء جماعة لنظر الأتابك وتحت أمره وأنزل النائب سودون بالقلعة وترك بها ستمائة من ماليكه الأصغر وأخرج معه القضاة الأربعه والفتين وارتحل غرة رمضان من السنة بقصد الشام وجاء الخبر رابع الشهر بأن منطاش لما بلغه مسيرة السلطان من مصر

ثم كان بعد ذلك واقعة الجوياني مع منطاش والعرب ومقتلهم وولاية الناصري على دمشق مكانه ثم افترق العرب وفارقهم منطاش إلى التركمان وانتظمت ممالك الشام في مملكة السلطان واستوسق ملكه واستفحلت دولته فاستدعي الأمير أيتمش من قلعة دمشق وسار لاستدعائه قرباي من ماليك السلطان ثامن ربيع الأول سنة ثلاط وستين ووصل إلى مصر رابع جنادى الأولى من السنة ووصل في ركباه حاجب الحجاب بدمشق ومعه الأمراء الذين حبسوا بالشام منهم جتمر نائب دمشق وابنه وابن أخيه وأستاذ داره طبقاً ودمرداش اليوسفى نائب طرابلس والطريقاً الحلى والقاضى أحد بن الفريضى وفتح الدين بن الرشيد وكاتب السر فى ست وثلاثين نفراً من الأمراء وغيرهم. وظا وصل أيتمش قابله السلطان بالتكرمة والرحب وعرض الحاجب المساجين الذين معه ووبح السلطان بعضهم ثم حبسوا بالقلعة حتى نفذ قضاء الله وقتلوا مع غيرهم من أوجبت السياسة قتلهم والله تعالى مالك الأمور لا رب سوا انتهى.

## هدية أفريقية

كان السلطان قد حصل بينه وبين سلطان أفريقية أبي العباس أحد بن محمد بن أبي بكر بن أبي حفص الموجدي مسودة وال تمام وكانت كثيراً ما تجدها المدايا من الجالين وذكرها إن شاء الله تعالى ولما بلغ الخبر إلى تونس بما كان من تكبة السلطان وما كان أمره امتنع له هذا السلطان بتونس وتفجع لشأنه وأقام يستطيع خبره ويكتشف من الجار التي تضرر إلى مصر من أهل تونس أبناءه حتى وقف على الجلي من أمره وما كيف الله من أسباب السعادة في خلاصه وعوده إلى كرسيه فملا السرور جوانحه وأوفد عليه بالتهنة رسوله بهدية من المقربات على سبيل الوداد مع خالصة من كراء المرحدين محمد بن علي بن أبي هلال فوصل في العشر الأوائل من رمضان سنة اثنين وستين فتلقاء السلطان

وكتب إليه سالم الروذكاري بالعدل عن أمر منطاش وأن الناصري كتب إليه وأمره بالحافظة على منطاش وأن فيه زبونة للترك فجلس السلطان بالقلعة جلوساً ضحاماً سادس ذي الحجة من السنة واستدعي الناصري فرجه ثم قبس عليه وعلى ابن أخيه كشلي ورأس نوبة شيخ حسن وعلى أحد بن المدار الذي أمكنه من قلعة حلب وأمر بقتله وقتل الأشرف الذي وصل من ماردبن معهم وولى على نهاية دمشق مكانه بما السدادار وأعطي إقطاعه لقرا دمداش وأمره بالسير إلى مصر وولى مكانه محلب حلبان رأس نوبة وولى أبي يزيد دواداراً مكان بما ورعى له وسائله في الخدمة وترده في السفارة بينه وبين الناصري أيام ملك الناصري وأجلب على مصر وأشار عليه الناصري بالإنتقام كما ذكرناه فاختفى عند أصحاب أبي يزيد هذا بسعاته في ذلك ثم ارتحل من حلب ووصل إلى دمشق متصرف ذي الحجة وقتل بها جماعة من الأمراء أهل الفساد يلغون خمسة وعشرين وولى على العرب محمد بن منها وأعطي إقطاع يعبر جماعة من التركمان وقتل إلى مصر.

ولقيه الأتابك كمشيقاً والثائب سودون وال حاج سكيس ثم دخل إلى القلعة على التعية متصرف الحرم سنة أربع وستين في يوم مشهود ووصل الخبر لعاشر ذي القعده بروفة بما نائب دمشق فولى مكانه سودون الطرنطيي ثم قبس في متصرف صفر على قراد دمداش الأحدبي وهلك في محسه وبغض على طبقاً المعلم وقدم الحسيني وجاء الخبر أواخر صفر من السنة بـأن جماعة من المالك مقدمهم أبيقا دوادار بـذلـار لما هـلـك بما وااضطرب أصحابه وهرـب بـغضـهم عـدم هـؤـلـاء المـالـكـ إلى قـلـعة دـمـشـقـ وهـجـموـاـ عـلـيـهاـ وـمـلـكـوـهاـ وـتـقـبـواـ السـجـنـ وـأـخـرـجـواـ الـعـتـقـلـيـنـ بـهـ مـنـ جـمـاعـةـ مـنـ أـصـحـابـ الـنـاصـرـيـ وـمـنـطـاشـ وـهـمـ خـمـسـةـ عـلـيـهـ وـرـكـبـ الـعـسـاـكـرـ إـلـيـهـ وـحـاصـرـوـهـ ثـلـاثـاـ ثـمـ هـجـموـاـ عـلـىـ الـبـابـ فـأـحـرـقـوهـ وـدـخـلـوـاـ إـلـىـ الـقـلـعةـ قـبـضـواـ عـلـيـهـمـ أـجـعـنـ وـقـتـلـوـهـ وـفـرـ إـبـيـقاـ دـوـادـارـ وـبـذـلـارـ فـيـ الـقـلـعةـ قـبـضـواـ عـلـيـهـمـ أـجـعـنـ وـقـتـلـوـهـ وـفـرـ إـبـيـقاـ دـوـادـارـ وـبـذـلـارـ فـيـ الـقـلـعةـ خـمـسـةـ نـفـرـ وـخـمـسـتـ عـلـلـهـمـ ثـمـ وـصـلـ الـخـبـرـ آخـرـ شـعـبـانـ مـنـ الـسـنـةـ بـروـفـةـ سـوـدـوـنـ الـطـرـنـطـيـيـ فـوـلـىـ الـسـلـطـانـ مـكـانـهـ كـمـشـيقـاـ الـأـشـرـفـيـ أـمـيرـ مـجـلسـ وـولـىـ مـكـانـ كـمـشـيقـاـ أـمـيرـ شـيـخـ الـخـاجـيـيـ أـنـهـيـ وـالـلـهـ سـيـحـانـهـ وـتـعـلـىـ أـعـلـمـ.

## مقتل منطاش

كان منطاش فـرـ معـ سـالـمـ الروـذـكـاريـ إـلـيـ سـنـجـارـ وـأـقـامـ مـعـ أـيـامـ ثـمـ فـارـقـهـ وـلـقـ يـعـرـ فـاقـامـ فـيـ أـسـيـانـهـ وـأـصـهـرـ إـلـيـهـ بـعـضـ أـهـلـ الـحـيـ بـأـبـتـهـ قـزـوـجـهـاـ وـأـقـامـ مـعـهـ ثـمـ سـارـ أـوـلـ رـمـضـانـ سـنـةـ أـرـبعـ

Herb من دمشق متصرف شعبان مع عتنا بن أمير آل مراء الصريخ بـمنـطـاشـ فـكـانـ بـيـنـهـماـ وـقـعـةـ انـهـزـمـ فـيـهـاـ النـاصـرـيـ وـقـتـلـ جـمـاعـةـ مـنـ أـمـرـاءـ الشـامـ خـمـسـةـ عـشـرـ فـيـهـمـ إـبـرـاهـيمـ بـنـ مـنـجـكـ وـغـيـرـهـ.

ثم خـرجـ النـاصـرـيـ مـنـ الـغـدـ فيـ اتـيـاعـ مـنـطـاشـ وـقـدـ ذـكـرـ لـهـ الـفـلاـحـينـ نـزـحـواـ مـنـ نـوـاحـيـ دـمـشـقـ وـاحـتـاطـواـ بـهـ فـرـكـبـ إـلـيـهـ مـنـطـاشـ لـيـقـاتـلـهـ فـقـارـقـ أـتـابـكـ بـيـازـقـرـ إـلـيـ النـاصـرـيـ فـيـ أـكـثـرـ الـعـسـاـكـرـ وـوـلـيـهـ هـارـبـاـ وـرـجـعـ النـاصـرـيـ إـلـيـ دـمـشـقـ وـأـكـرـمـ بـيـازـقـرـ وـأـجـلـ لـهـ الـوـعـدـ وـجـاءـ الـخـبـرـ بـأـنـ الـسـلـطـانـ قـدـ دـخـلـ حدـودـ فـلـقـيـهـ بـقـاتـونـ وـبـالـغـ الـسـلـطـانـ فـيـ تـكـرـمـهـ وـتـرـجـلـ حـينـ تـزـوـلـهـ وـعـانـقـهـ وـأـرـكـبـ بـقـرـبـهـ وـرـدـهـ إـلـيـ دـمـشـقـ ثـمـ سـارـ فـيـ أـثـرـ إـلـيـهـ إـلـيـ أـنـ وـصـلـ دـمـشـقـ وـخـرـجـ النـاصـرـيـ ثـانـيـةـ وـدـخـلـ إـلـيـ الـقـلـعةـ ثـانـيـةـ عـشـرـ رـمـضـانـ مـنـ الـسـنـةـ وـأـلـمـاءـ مـشـاةـ بـيـنـ يـدـيـهـ وـالـنـاصـرـيـ رـاكـبـ مـعـهـ يـحـمـلـ الـخـبـزـ عـلـىـ رـاسـهـ وـيـعـثـ يـعـرـ فـيـ كـتـابـ نـائـبـ حـمـةـ بـالـعـدـرـ عـمـاـ وـقـعـ مـنـهـ وـأـنـهـ اـتـهـمـ الـنـاصـرـيـ فـيـ أـمـرـ مـنـطـاشـ فـقـصـدـ حـسـمـ الـفـتـنـةـ فـيـ ذـلـكـ وـاسـتـأـمـنـ الـسـلـطـانـ وـضـمـنـ لـهـ إـحـضـارـ مـنـطـاشـ مـنـ حـيـثـ كـانـ فـانـهـ وـكـبـ إـلـيـهـ بـيـاجـاـةـ سـؤـالـهـ وـلـاـ قـضـىـ عـيدـ الـفـطـرـ بـرـزـ مـنـ دـمـشـقـ سـابـعـ شـوـالـ إـلـيـ حـلـبـ فـيـ طـلـبـ مـنـطـاشـ وـلـقـيـهـ أـنـاءـ طـرـيقـهـ رـسـولـ سـوـلـ بـنـ دـلـقـادـ أـمـيرـ التـرـكـمانـ بـهـدـيـتـهـ وـاسـتـمـانـهـ وـعـدـهـ عـنـ تـرـعـضـهـ لـسـيـسـ وـأـنـهـ يـسـلـهـمـاـ لـنـائـبـ حـلـبـ فـقـبـلـ الـسـلـطـانـ مـنـهـ وـأـمـهـ وـوـعـدـهـ بـالـجـمـيلـ ثـمـ وـفـدـ عـلـيـهـ أـمـرـاءـ آلـ مـهـنـاـ وـآلـ عـيـسـىـ فـيـ الطـاعـةـ وـمـظـاهـرـةـ الـسـلـطـانـ عـلـىـ مـنـطـاشـ وـيـعـرـ وـأـنـهـمـ نـازـلـانـ بـالـرـجـبـ مـنـ تـخـومـ الشـامـ فـأـكـرـمـ السـلـطـانـ وـفـادـهـمـ وـتـقـبـلـ طـاعـتـهـ وـسـارـ إـلـيـ حـلـبـ وـنـزـلـ بالـقـلـعةـ مـنـهـ ثـانـيـ شـوـالـ ثـمـ وـصـلـ الـخـبـرـ إـلـيـ السـلـطـانـ بـأـنـ مـنـطـاشـ فـارـقـ يـعـرـاـ وـمـرـبـلـادـ مـارـدـينـ فـوـاقـعـتـهـ عـسـاـكـرـ هـنـاكـ وـقـبـضـواـ عـلـىـ جـمـاعـةـ مـنـ أـصـحـابـ الـنـاصـرـيـ وـمـنـطـاشـ وـهـمـ خـمـسـةـ عـلـيـهـ وـرـكـبـ الـعـسـاـكـرـ إـلـيـ أـمـيرـ الـتـرـكـمانـ فـقـبـضـ عـلـيـهـ وـأـرـسـلـ إـلـيـ السـلـطـانـ بـطـالـعـهـ بـشـانـهـ وـيـطـلـبـ بـعـضـ أـمـرـاءـ السـلـطـانـ قـرـاـ دـمـدـاشـ نـائـبـ حـلـبـ فـيـ عـسـاـكـرـ إـلـيـ سـالـمـ الروـذـكـاريـ لـإـحـضـارـ مـنـطـاشـ وـأـتـيـعـهـ بـالـنـاصـرـيـ وـأـرـسـلـ الأـتابـكـ إـلـيـ مـارـدـينـ لـإـحـضـارـ مـنـطـاشـ مـنـ أـصـحـابـ مـنـطـاشـ وـأـنـتـهـيـ أـتـيـالـ إـلـيـ رـأـسـ الـعـيـنـ وـأـتـيـ أـصـحـابـ سـلـطـانـ مـارـدـينـ وـتـسـلـمـ مـنـهـمـ أـصـحـابـ مـنـطـاشـ وـكـتـبـ سـلـطـانـهـ بـأـنـهـ مـعـتـلـ فـيـ مـقـاصـدـ الـسـلـطـانـ وـمـرـتـصـدـ لـعـدوـهـ وـأـنـتـهـيـ قـرـاـ دـمـدـاشـ إـلـيـ سـالـمـ الروـذـكـاريـ وـأـقـامـ عـنـهـ أـرـبـعـ أـيـامـ فـيـ طـلـبـ مـنـطـاشـ وـهـوـ يـمـاطـلـهـ فـاغـارـ قـرـاـ دـمـدـاشـ عـلـيـهـ وـنـهـبـ أـحـيـاءـ وـفـتـكـ فـيـ قـوـمـهـ وـهـرـبـ هـوـ مـنـطـاشـ إـلـيـ سـنـجـارـ وـجـاءـ النـاصـرـيـ عـلـىـ أـثـرـ ذـلـكـ وـنـكـرـ عـلـىـ دـمـدـاشـ مـاـ أـنـهـ وـارـتـفـعـتـ الـمـلـاحـةـ بـيـنـهـمـ حـتـىـ هـمـ النـاصـرـيـ بـهـ وـرـفـعـ الـأـكـلـ بـقـرـبـهـ وـلـمـ يـحـصـلـ أـحـدـ مـنـهـمـ بـطـائـلـ وـرـجـعـواـ بـالـعـسـاـكـرـ إـلـيـ السـلـطـانـ

رمضان سنة خمس وستين فعلقت على باب القلعة ثم طيف بها مصر والقاهرة وعلقت على باب زويلة ثم دفعت إلى أهله فدققها آخر رمضان من السنة والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

## حوادث مكة

قد كان تقدم لنا أن عنان بن مقايس ولاه السلطان على مكة بعد مقتل محمد بن أحمد بن عجلان في موسم ستة ثمان وثمانين وأن كيش بن عجلان أقام على خلافه وحاصره بمكة فقتل في حومة الحرب سنة تسعة بعدها وسأله أثر عنان وعجز عن معالجة الأشراف من بني عمه وسواهم وأمتدت أيديهم إلى أموال المجاورين وصادروهم عليها ونهبوا الزرع الوابل في الشواني من مصر إلى جدة للسلطان والأمراء والتجار ونهبوا تجارة اليمن وسأله أحوال مكة بهم وبتابتهم وطلب الناس من السلطان إعادة بني عجلان لإماراة مكة.

ووفد على السلطان بمصر سنة تسعة وثمانين صبي من بني عجلان اسمه علي فولاه على إماراة مكة وبعثه مع أمير الحاج وأوصاه بالإصلاح بين الشرفاء ولما وصل الأمير إلى مكة يومئذ قرقماش خشى الأشراف منه واضطرب عنان وركب للقائه ثم توجس الخفية وكر راجعاً وتابع الأشراف واجتمعوا على منابذة علي بن عجلان وشيشه من القواد والعييد ووفد عنان بن مقايس على السلطان سنة تسعة قبض عليه وجسده ولم يزل محبوساً إلى أن خرج مع بكا عند ثورته بالقلعة في صفر سنة اثنين وستين وبعثه مع أخيه إبيقاً يستكشف خبر السلطان كما مر.

وانظم أمر السلطان بسعادة بكا في العود إلى إمارته رعياً لما كان بينهما من العشرة في البحر وأسعفه السلطان بذلك وولاه شريكاً لعلي بن عجلان في الإمارة فأقاما كذلك ستين وأمرهما مضطرب والأشراف مخصوصون على عنان وهو عاجز عن الضرب على أيديهم وعلى بن عجلان مع القواد والعييد كذلك وأهل مكة على وجل من أمرهم في ضنك من اختلاف الأيدي عليهم.

ثم استقدمهم السلطان سنة أربع وستين فقدموا أول شعبان من السنة فاكترهموا ورفع مجلسهما ورفع مجلس علي على سائرهم ولما انقضى الفطر ول علي بن عجلان مستقلاً واستبلغ في الإحسان إليه بأصناف الأقمشة والثياب والممالك والخوب وأذن له في الجراية والعلوة فوق الكفاية ثم ظهر عليه بعد شهر

وستين وعبر الفرات إلى نواحي حلب وأوقعت به العساكر هناك وهزموهם وأسرموا جماعة من أصحابه ثم طال على يعبر أمر الخلاف وضجر قومه من افتقاد الميرة من التلول فارسل حاجبه يسأل الأمان وأنه يمكن من منطاش على أن يقطع أربع بلاد منها المرة فكتب له الدوادار أبو يزيد على لسانه بالإجابة إلى ذلك.

ثم وفد محمد بن ستة خمس وستين فأخبر أنه كان مقيناً بسلمية في أحياه وعمره التركمان المقيمين بشير فركيراً إليهم وهزموهם وضرب بعض الفرسان منطاش فأكباه وجرحه ولم يعرف في المعركة لسوء صورته بما أصحابه من الشطف والخفاء فاردهه ابن يعبر وخواجه وقتل منهم جماعة منهم ابن بردعان وابن أبيال وجيء برؤسها إلى دمشق وأوزع السلطان إلى أمراء الشام أن ينحرجو بالعساكر وينهوا إلى أطراف البلاد لحمياتها حتى يرفع الناس زروعهم.

ثم زحف يعبر ومنطاش في العساكر أول جهادي الأخيرة من السنة إلى سلمية فلقيهم نائب حلب ونائب حنة فهزموهم ونهبوا حنة وخالفهم نائب حلب إلى أحياه يعبر فاغار عليها ونهب سعادها وأموالها واستنقذ نعمها ومواثيقها وأضرم النار فيما بقي وأكمل لهم يتظاهر رجوعهم ويلفهم الخبر بجمة فاسرعاوا الكر إلى أحياهم فخرج عليهم الكمان وانحرفاً فيهم وهلك بين الفريقين خلق من العرب والأمراء والمالكي.

ثم وفد على السلطان أواخر شعبان عامر بن طاهر بن جبار طائعاً للسلطان ومتباذاً لمعه وذكوران بن يعبر على طاعة السلطان وأنهم يمكنون من منطاش متى طلب منهم فأقبل عليه السلطان وأثقل كاهله بالإحسان والمواعيد ودس معه إلى بني يعبر بإمضاء ذلك وطم ما يختارونه فلما راجع عامر ابن عمهم طاهر بوعaid السلطان تناوضوا مع آل مهنا جيئاً ورغبوهم فيما عند السلطان ووصفوا ما هم فيه من الضنك وسوء العيش بالخلاف والآخراف عن الطاعة وعرضوا على يعبر بأن يجيئهم إلى إحدى الحسينين من إمساك منطاش أو تحليبة سبيلهم إلى طاعة السلطان ويقارهم هو إلى حيث شاء من البلاد فجزع لذلك ولم يسعه خلافهم وأذن لهم في القبض على منطاش وتسلمه إلى نواب السلطان فقبضوا عليه ويعشا إلى نائب حلب فيمن يتسلمه واستحلقوه على مقاصدهم من السلطان لهم ولأيهم يعبر فحلف لهم ويعث إليهم بعض أمراءه فأنكروه منه ويعثروا معه الفرسان والرجالات حتى أوصلوه ودخل إلى حلب في يوم مشهود وجنس بالقلعة وبعث السلطان أميراً من القاهرة فاقتصره وقتلها وحمل رأسه وطاف به في عمالك الشام وجاء به إلى القاهرة جادي عشر

النهر أمير اسمه غر في جموع من المغل والتتر ينسب هو وقومه إلى جفطاي لا أدرى هو جفطاي بن جنكرخان أو جفطاي آخر من شعوب المغل والأول أقرب لما قدمته من ولاية جفطاي بن جنكرخان على بلاد ما وراء النهر لعهد أبيه وإن اعترض معترض بكثرة هذا الشعب الذي مع غر وقصر المدة أن هذه المدة من لدن جفطاي تقارب مائتي سنة لأن جفطاي كان لعهد أبيه جنكرخان بقارب الأربعين وهذه المدة أزيد من خمسة من العصور لأن العصر أربعون سنة وأقل ما يتناصل من الرجل في العصر عشرة من الولد فإذا ضواعفت لعشرة بالضرب خمس مراتب كانت مائة ألف.

وإن فرضنا أن المتسللين تسعة لكل عصر بلغوا في الخمسة عصور إلى نحو من سبعين ألفاً وإن جعلناها ثمانية بلغوا فوق الاثنين وثلاثين وإن جعلناهم سبعة بلغوا ستة عشر ألفاً والسبعين أقل ما يمكن من الرجل الواحد لا سيما مع البداوة المتفضية لكثرة النسل والستة عشر ألفاً عصابة كافية في استياع غيرها من العصابات حتى تنتهي إلى غاية العساكر ولما ظهر هذا فيما وراء الهر عبر إلى خراسان فملكها من يد الشيخ ولبي صاحبها أعوام أربعة وثمانين بعد مراجفات وحرروب و Herb الشیخ ولبي إلى توريز فحمد إليه غر في جموعه ستة سبع وثمانين وملك توريز وأذربيجان وخربها وقتل الشيخ ولبي في حروبه ومر بأصبهان فأعطوه طاعة معروفة.

وأطل بعد توريز على نواحي بغداد فأرجعوا منه واقتتلت عساكره بأذربيجان جموع الترك أهل الجزيرة والموصل وكانت الحرروب بينهم سجالاً ثم تأخر إلى ناحية أصفهان وجاء الخبر بخارج خرج عليه من قومه يعرف بقمر الدين نظمش ملك الشمال من بي دوشی خان بن جنكرخان وهو صاحب كرسى صرای أمهد بأمواله وعساكره فكر راجعاً إلى بلده وعميت أباؤه إلى ستة خس وتسعين ثم جاءت الأخبار بأنه غالب قمر الدين الخارج عليه وحى أثر فساده واستولى على كرسى صرای فكر غر راجعاً وملكتها.

ثم خطى إلى أصفهان وعراق العجم وفارس وكرمان فملك جميعها من يد بي المظفر اليزدي بعد حرروب هلك فيها ملوكهم وبذلت جهودهم وراسله صاحب بغداد أحمد بن أوس وصانعه بالهدايا والتحف فلم يعن عنه وما زال يخادعه باللطفة والمراسلة إلى أن فتر عنزه أحد وافتقرت عساكره فصمد إليه يخذل السير حتى انتهى إلى دجلة وسبت النذر إلى أحد فأسرى من ليله ومر بجسر الحلة قطعه وصبح مشهد علي ووافى غر وعساكره دجلة يوم الحادي والعشرين من شوال سنة خمس وتسعين

وقد أعد الرواحل ليلحق بهم هارباً فقبض عليه وحبسه بالقلعة وسار على بن عجلان إلى مكانة وقبض على الأشراف لاستقيم إمارته ثم خودع عنهم فاطلقهم فنفروا عنه ولم يعودوا طاعته فإذا ضطرب أمره وفسد رأيه وهو مقيد على ذلك لهذا العهد والله غالب على أمره إنه على كل شيء قادر.

### وصول أحياء من التتر وسلطانهم إلى صاحب بغداد واستيلاؤه عليها ومسير السلطان بالعساكر إليه

كان هؤلاء التتر من شعوب الترك وقد ملكوا جوانب الشرق من تخوم الصين إلى ما وراء النهر ثم خوارزم وخراسان وجانبيها إلى سجستان وكرمان جنوباً وببلاد القفقاق وبليغار شمالاً ثم عراق العجم وببلاد فارس وأذربيجان و العراق العرب والجزيرة وببلاد الروم إلى أن بلغوا حدود الفرات واستولوا على الشام مرة بعد أخرى كما تقدم في أخبارهم ويأتي إن شاء الله تعالى وكان أول من خرج منهم ملكهم جنكرخان أعون عشر وستمائة واستقلوا بهذه الملك كلها ثم انقسمت دولته بين بنיהם فكان لبني دوشی خان منهم بلاد القفقاق وجانب الشمال بأسره ولبني هلاکر بن طولي خان خراسان والعراق وفارس وأذربيجان والجزيرة وببلاد الروم ولبني جفطاي خوارزم وما إليها.

واستمرت هذه الدول الثلاث إلى هذا العهد في مائة وثمانين سنة انقض فيها ملك بي هلاکر في سنة أربعين من هذه المائة بوفاة أبي سعيد آخرهم ولم يعقب وافتقر ملكه بين جماعة من أهل دولته في خراسان وأصبهان وفارس وخراسان وآذربيجان وتوريز وببلاد الروم فكانت خراسان للشيخ ولبي وأصبهان وفارس وخراسان سبط المظفر الأذدي وبني خوارزم وأعمالها إلى تركستان لبني جفطاي وببلاد الروم لبني أرشا مولى من موالٍ مرداش بن جوبان وببغداد وأذربيجان والجزيرة للشيخ حسن بن حسين بن آيينا بن أيكان وأيكان سبط أرغون بن آينا بن هلاکر ولبنيه وهو من كبار المغل في نسبة.

ولم يزل ملوكهم المفترق في هذه الدول متتناقلًا بين أعقابهم إلى أن تلاشى وأضمحل واستقر ملك بغداد وأذربيجان والجزيرة لهذا العهد لأحد بن أوس ابن الشيخ حسن سبط أرغونكا في أخبار يأتي شرحها في دول التتر بعد.

ولما كان في هذه العصور ظهر بتركستان وبخارى فيما وراء

وهذا آخر ما انتهت إليه دولة الترك بانتهاء الأيام وما يعلم أحد ما في غد والله مقدر الأمور وخالقها.

## الخبر عن دولة بني رسول مولى بنى أبوب الملوك باليم بعدهم ومبدأ أمرهم وتصاريف أحواهم

قد كان تقدم لنا كيف استولى بنو أبوب على اليم وانختلف عليها الولاية منهم إلى أن ملكها من بنى المظفر شاهنشاه بن أبوب حافظه سليمان بن ابن المظفر وانتقض أيام العادل سنة اثنى عشرة وستمائة فامر العادل ابنه الكامل خليفته على مصر أن يبعث ابنه يوسف المسعود إلى اليم وهو آخر الصالح ويلقب بالتركي أطس ويقال: أقنسن وقد تقدم ذكر هذا اللقب فملكها المسعود من يد سليمان وبعث به معتقلًا إلى مصر وهلك في جهاد الإفريقي بدبياط سنة سبع وأربعين وهلك العادل آخر المسعود سنة خمس عشرة وستمائة وولى بعده ابنه الكامل وجدد العهد إلى يوسف المسعود على اليم ورجع المسعود سنة تسعة عشرة وكان من خبره في تأثير إعلام الخليفة عن إعلامه ما مر في أخبار دولتهم.

ثم جاءت سنة عشرين إلى مكة وأمیرهم حسن بن قنادة من بنى مطاعن إحدى بطون حسن فجمع لقتاله وهزم المسعود وملك مكة وولى عليها ورجع إلى اليم فأقام به ثم طرقه المرض سنة ست وعشرين فارتحل إلى مكة واستخلف على اليم علي بن رسول التركمانى أستاذ داره.

ثم هلك المسعود بمكة لأربع عشرة سنة من ملکه ويبلغ خبر وفاته إلى أبوب وهو محاصر دمشق ورجع ابن قنادة إلى مكة ونصب علي بن رسول على اليم موسى بن المسعود ولقبه الأشرف وأقام ملکاً على اليم إلى أن خلع وخلف المسعود ولد آخر اسمه يوسف ومات وخلفه ابنه واسمه موسى وهو الذي نصبه الترك بعد أبيك ثم خلعه ثم خلع علي بن رسول موسى الأشرف بن المسعود واستبد ملك اليم وأخذ بدعة الكامل بمصر وبعث آخريه رهنا على الطاعة ثم هلك سنة تسعة وعشرين وولى ابنه المنصور عمر بن علي بن رسول ولا هلك على بن منصور ول بعده الكامل ابنه عمر ثم توقي الكامل سنة خمس وثلاثين وشغل بنو أبوب بالفتنة بينهم فاستغل ظل السلطان عمر باليم وتلقب المنصور ومنع الأئمة التي كان يبعث بها إلى مصر فأطلق صاحب

وأجازوا دجلة سجا ودخلوا بغداد واستولوا عليها.

وبعث العساكر في اتباع أحد فلحقوا بأعقابه وخاضوا إليه النهر عند الجسر المقطوع وأدركوه بالمشهد فكر عليهم في جوشه وقتل الأمير الذي كان في اتباعه ورجعوا عنه بعد أن كانوا استولوا على جميع أقاليمه ورواحله بما فيها من الأموال والذخيرة فرجعوا بها ونجا أحمد إلى الرجحة من تخوم الشام فأراح بها وطالع نائبهما السلطان بامرها فأخرج إلى بعض خواصه بالتفقات والأزواد ليستقدمه فقدم به إلى حلب آخر ذي القعدة فراح بها وطرقه مرض أبطأ به عن مصر وجاءت الأخبار بأن تم عاث في مخلفه واستتصفى ذخائره واستوعب موجود أهل بغداد بالمصادرات لأغانيهم وفرازائهم حتى مستهم الحاجة وأفقرت جوانب بغداد من العيش.

ثم قدم أحمد بن أوس على السلطان بمصر في شهر ربیع سنة ست وستين مستصرحاً به على طلب ملکه والانتقام من عدوه فأحباب السلطان صريحه ونادى في عساكره بالتجهز إلى الشام وقد كان تم بعدما استولى على بغداد زحف في عساكره إلى تكريت فأولى المخالفين وعثاء الحرابة ورصد السابلة وأanax عليها بجموعهأربعين يوماً فحاصرها حتى نزلوا على حكمه وقتل من قتل منهم ثم خربها وأسرها.

ثم انتشرت عساكره في ديار بكر إلى الها ووقفوا عليها ساعة من نهار فملکوها وأشغوا نعمتها وافتراق أهلها وبلغ الخبر إلى السلطان فخييم بالرديانية أيام أزاد فيها علل عسکره وأنقض العطاء في ملکه واستوعب الحشد من سائر أصناف الجندي واستخلف على القاهرة النائب مودود وارتحل إلى الشام على التعبية ومعه أحمد بن أوس صاحب بغداد بعد أن كفاه مهمه وسرب التفقات في تابعه وجنده.

ودخل دمشق آخر جادى الأولى وقد كان أوعز إلى حلب نائب حلب بالخروج إلى الفرات واستيعاب العرب والتركمان للإقامة هنالك رصدًا للعدو فلما وصل إلى دمشق وقد عليه جلبان وطالعه بهمائه وما عنده من أخبار القروم ورجع لإنفاذ أوامره والفصل فيما يطالعه فيه وبعث السلطان على أثره العساكر مددًا له مع كميشقاً الأتابك وتلكمش أمير سلاح وأحمد بن بيقاً وكان العدو قد شغل بمحصار ماردين فأقام عليها أشهراً ثم ملکها وعاثت عساكره فيها وامتنت عليه قلعتها فارتحل عنها إلى ناحية بلاد الروم ومر بقلاع الأكراد فأغارت عساكره عليها واكتسحت نواحيها والسلطان لهذا العهد وهو شعبان سنة ست وستين مقيم بدمشق مستجمع للوبة به متى استقبل جهته والله ولـي الأمور

خمس عشرة بمثل ذلك وفسد ما بينه وبين ملوك الترك بمصر وبعد بهديته سنة ثمان عشرة فردوها عليه ثم هلك سنة إحدى وعشرين وبسبعين سنة لخمس وعشرين سنة من ملكه وكان فاضلاً شافعي المذهب وجمع الكتب من سائر الأمسكار فاشتملت خزاناته على مائة ألف مجلد وكان ينفرد العلماء بصلاته ويعيش لابن دقين العيد فقيه الشافعية بمصر جوازته ولما توفي المؤيد داود سنة إحدى وعشرين كما قلناه قام بملكته ابنه المجاهد سيف الدين علي ابن اثنين عشرة سنة والله وارث الأرض ومن عليها.

### ثورة جلال الدين بن عمر الأشرف وحبسه

ولما ملك المجاهد علي شغل بلاداته وأسأله السيرة في أهل المناصب الدينية بالعزل والاستبدال بغير حق فذكره أهل الدولة وانتقض عليه جلال الدين ابن عممه عمر الأشرف وزحف إليه وكانت بينهما حروب ووقائع كان النصر فيها للمجاهد وغلب على جلال الدين وحبسه والله تعالى أعلم.

### ثورة جلال الدين ثانياً وحبس المجاهد وبيعة المنصور أيوب بن المظفر يوسف

ويعد أن قضي المجاهد على جلال الدين ابن عممه الأشرف وحبسه لم يزل مشتغلًا به وهو عاكفًا على ذاته وضجر منه أهل الدولة ودخلهم جلال الدين في خلعة فراقه فرحل إلى سنة اثنين وعشرين فخرج جلال الدين من حبسه وهجم عليه بعض اليساريين وقتله بحرمه وبقضائه عليه وبایع لعمه المنصور أيوب بن المظفر يوسف واعتقل المجاهد عنده في نفر وأطلق جلال الدين ابن عممه والله تعالى أعلم بغيته.

### خلع المنصور أيوب ومقتله وعود المجاهد إلى ملكه ومتازعة الظاهر بن المنصور أيوب له

ولما حبس المجاهد بقلعة تعز واستقل المنصور بالملك اجتمع شيعة المجاهد وهجموا على المنصور في بيته بتعز وحبسوه وأخرجوا المجاهد وأعادوه إلى ملكه ورجع أهل اليمن لطاعته وكان أسد الدين عبد الله بن المنصور أيوب بالدمقرة فعصى عليه وامتنع بها وكتب إليه المجاهد يهدده بقتل أبيه فلنج واتسع الخرق بينهما

مصر العادل بن الكامل عمومته الذين كان أبوه رهفهم على الطاعة لينازعوه في الأمر فغلبهم وحبسهم وكان أمر الزيدية بصفد قد خرج من بنى الرسي وصار لبني سليمان بن داود كما مر في أخبارهم ثم بويع من بنى الرسي أحمد بن الحسين من بنى الهادي يحيى بن الحسن بن القاسم الرسي بابع له الزيدية محصن ملا وكانت من يوم آخرهم السليمانيون من صفد قد أتوا إلى جبل مكانه فلما بويع أحد بن الحسين هذا لقبه المطرى وكان محصن بلا وكان الحديث شائعاً بين الزيدية بأن الأمر يرجع إلى بنى الرسي.

وكان أحد فقيهاً أديباً عالماً بذهب الزيدية مجتهداً في العبادة وبويع سنة خمس وأربعين وستمائة وأهـ عمر بن رسول شأنه فشمر لحربه وحاصره محصن ملا مدة ثم أخرج عنه وجهز العساكر لحاصره من الحصون المجاورة له ولم يزل قائماً بأمره إلى أن وُثِّب عليه سنة ثمان وأربعين جماعة من ماليكه بمحاله بنى أخيه حسن فقتلوه لثمان عشرة سنة من ولاية المظفر يوسف بن عمر وما هلك المنصور علي بن رسول كما قلناه قام بالأمر مكانه ابنه المظفر شمس الدين يوسف وكان عادلاً محسناً وفرض الآثار على ملوك مصر من الترك لما استقروا بالملك وما زال يصانهم بها ويعظمهم إياها وكان لأول ملكه امتنع عليه حصن الدملوقة فشنق بمحصنه وإن يكن أحد المطرى الثاثير محصن ملا من الزيدية من أعقاب بنى الرسي فملك عشرين حصنًا من حصون الزيدية وزحف إلى صفد فملكها من يد السليمانيين ونزل له أحد الم وكل إمام الزيدية منهم فيابيعه وأمنه وما كانوا في خطابة لم يزل في كل عصر منهم إمام كما ذكرناه في أخبارهم قبل.

ولم يزل المظفر واليًا على اليمن إلى أن هلك بفتحه سنة اربعين لست وأربعين سنة من ملکة الأشرف عمر بن المظفر يوسف وما هلك المظفر يوسف كما قلناه وولى بعده ابنه الأشرف محمد الدين عمر وكان آخره داود واليًا على الشحر فدعا لنفسه ونمازعه الأمر فبعث الأشرف عساكرة وقاتلاته وهزمه وقضوا عليه وحبسه واستمر الأشرف في ملكه إلى أن سنته جاريته فمات ستة ست وتسعين لعشرين شهراً من ولايته آخره داود بن المظفر المؤيد يوسف وما هلك الأشرف بن عمر بن المظفر يوسف أخرج أخاه مؤيد الدين داود من معتقله وولوه عليهم ولقبوه المؤيد وافتتح أمره بقتل الجارية التي سمت أخاه وما زال يواصل ملوك الترك بهداياه وصلاته وتحفه والضريرية التي قرها سلفه وانتهت هذه سنة إحدى عشرة وسبعين إلى مائتي وقربيه بغير فالثواب والتحف وطرف اليمن وماتين من الجمال والخيل ثم بعث سنة

### نزول الظاهر للمجاهد عن الدملوة ومقتله

ولما استقام الأمر للمجاهد باليمن واستخلفه الظاهر على الدملوة أخذ المجاهد في تأييده وأحكام الوصلة به حتى اطمأن، وهو يقتل له في النزوة والغارب حتى نزل له عن الدملوة وولى عليها من قبله وصار الظاهر في جلته، ثم قبض عليه وجسه بقلعة تعز، ثم قتله في محسه سنة أربعين وثلاثين والله تعالى أعلم.

### حج المجاهد علي بن المؤيد داود وواقعته مع أمراء مصر واعتقاله بالكرك ثم إطلاقه ورجوعه إلى ملكه

ثم حج المجاهد سنة إحدى وخمسين أيام حسن الناصري الأولى وهي السنة التي حج فيها طاز كافل الملكة أميراً وحج بيفاروس الكافل الآخر مقيداً لأن السلطان أمر طاز بالقبض عليه في طريقه.

فلما قبض عليه رغب منه أن يخللي سبيله لأداء فرضه فأجابه وحج مقيداً.

وجاء المجاهد ملك اليمن للحج وشاع عنه أنه يرثوم كسوة الكعبة فتذكر أمراء مصر وعساكرها لأهل اليمن ووُقعت في بعض الأيام هبة في ركب اليمن فتحاربوا وانهزم وذهب سواه وركب أهل اليمن كافة وأطلق بيفاروس للقتال فجلا في تلك الرقة وأعيد إلى اعتقاله.

وحمل المجاهد إلى مصر معتقلًا فيحبس ثم أطلق سنته اثنتين وخمسين في دولة الصالح، عثرا معه قشتمر المنصوري إلى بلاده. فلما انتهى إلى البيه ظهر عليه بأنه يرثوم الهرب فرده وجسه بالكرك.

ثم أطلق بعد ذلك وأعيد إلى ملكه، وأقام على مهادة صاحب مصر ومصانعته إلى أن توفي سنة ست وستين لاثنين وأربعين سنة من ملكه.

### ولاية الأفضل عباس بن المجاهد علي

ولما توفي المجاهد سنة ست وستين ولد بعده ابنه عباس واستقام له ملك اليمن إلى أن هلك سنة ثمان وسبعين لاثنتي عشرة سنة من ملكه والله تعالى أعلم.

وعظمت الفتنة واقتصر عليهم العرب وكثير عيّهم وكثير الفساد وبعث المتصور من محسه إلى ابنه عبد الله أن يسلم الدملوة خوفاً على نفسه من القتل فأبى عبد الله من ذلك وأساء الرد على أبيه ولا ينس المجاهد منه قتل أبوه المتصور أيوب بن المظفر في محسه واجتمع أهل الدملوة وكثيرهم الشريفي ابن حزة وبابيعوا أسد الدين عبد الله بن المتصور أيوب وبعث عسكراً مع الشهاب الصفوي إلى زيد فحاصروها وفتحوها.

ووجه المجاهد عساكره إليها مع قائده علي بن الدوادار ولما قاربوا زيد أصحابهم سيل وبيتهم أهل زيد فناولوا منهم وأسرروا أمراءهم واتهم المجاهد قائده علي بن الدوادار بمداخلة عدوه فكتب إليه أن يسير إلى عدن لتحصيل مواليها وكتب إلى والي عدن بالقبض عليه ووقع الكتاب بيد الظاهر فبعث به إلى الدوادار فرجع إلى عدن وحاصرها وفتحها وخطب بها للظاهر سنة ثلاث وعشرين وملك عدن بعدها ثم استمال صاحب صناء وخرص فقاموا بدعاوة الظاهر وبعث المجاهد إلى مذبح والأكراد يستجدهم فلم ينجدهم وهو محسن المعدية وكتب الظاهر إلى أشراف مكة وقضيتها نجم الدين الطبراني بأن الأمر قد استقر له باليمن والله تعالى ولـي التوفيق لا رب سواه.

### وصول العساكر من مصر مددًا للمجاهد واستيلاؤه على أمره وصلحه مع الظاهر

ولما غلب الظاهر بن المتصور أيوب على قلاع اليمن وانتزعا من المجاهد وحاصره بقلعة المعدية، بعث المجاهد سنة أربعين وعشرين بصرىمه إلى السلطان بمصر من الترك الناصر محمد بن قلاوون سنة خمس وعشرين، فبعث إليه العساكر مع بيرس الحاجب وأئيال من أمراء دولته، ووصلوا إليه سنة خمس وعشرين فسار إليهم المجاهد من حصن المعدية بتوحسي عدن إلى تفسر فاستأمن إليه أهلها فأنهضهم وراسلوا الظاهر في الصلح فأجاب على أن تكون له الدملوة، وتمالفوا على ذلك.

وطلب أمراء الترك الشهاب الصفوي الذي أنشأ الفتنة بين المجاهد والظاهر فامتنع عن إجابتهم فركب بيرس وهجم عليه في خيمته وقتله بسوق الخيل بتغر، وأثخنوا في العصابة على المجاهد في كل ناحية حتى أطاعوا، وتقهد له الملك ورجعت العساكر إلى مصر سنة ست وعشرين والله سبحانه وتعالى أعلم.

### ولاية المنصور محمد بن الأفضل عباس

ولما توفي الأفضل عباس بن المجاحد سنة ثمان وسبعين ولي بعده ابنه المنصور محمد واستولى على أمره واجتمع جماعة من ماليكه سنة اثنين وثمانين للثورة به وقتلته والوال على شانهم فهربوا إلى الدملوحة وأخذتهم العرب في طريقهم وجاؤوا بهم وغافوا عنهم واستمر في ملوكه إلى أن هلك والله تعالى أعلم.

### ولاية أخيه الأشرف بن الأفضل عباس

ولما توفي المنصور محمد بن الأفضل سنة ولي آخره الأشرف إسماعيل واستقام أمره وهو صاحب اليمن لهذا العهد لستة ست وسبعين والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

### الخبر عن دولة التتر من شعوب الترك وكيف تغلبوا على المالك الإسلامية وانزروا على كرسي الخلافة ببغداد وما كان لهم من الدول المفترقة وكيف أسلموا بعد ذلك ومبدأ أمرهم وتصاريف أحواهم

قد تقدم لنا ذكر التتر وأنهم من شعوب الترك وأن الترك كلهم ولد كومر بن يافت على الصحيح، وهو الذي وقع في التوراة.

وتقدم لنا ذكر أجناس الترك وشعوبهم وعددهنا منهم الغز الذين منهم السلاجقة والهياطلة الذين منهم القلنج، وببلاد الصدد قريباً من سمرقند ويسمون بها أيضاً.

وعددنا منهم الخطأ والطغرغر وهو التتر، وكانت مساكن هاتين الأيتين بارض طمغاج، ويقال: أنها بلاد تركستان وكاشغر وما إليها من وراء النهر وهي بلاد ملوكهم في الإسلام، وعددهنا منهم المخزجية والغور والخزر والخشاشاج وهم القفجاق ويعك والعلان ويقال: الآن وجركس واركشن.

وعد صاحب روجار في كتابه على الجغرافيا العيسية والتغز غزية والخرخيرية والكماكية والخنزجية والخزر والخلج وبغار ويناك وبرطاس وسنجرات وخريجان وأنكر، وذكر مساكن أنكر في بلاد البنادقة من أرض الروم وجمهور هذه الأمم من الترك فيما وراء النهر شرقاً إلى البحر المتوسط بين الجنوب والشمال من الأقليم

### الأول إلى السابع، والصين في وسط بلادهم.

وكانت الصين أولًا لبني صبيخ إخوانهم من بني يافت.

ثم صار لهم واستولوا على معظمها إلا قليلاً من أطرافه على ساحل البحر، وهم رجاله كما مر في ذكرهم أول الكتاب وفي دولة السلاجقة وأكثرهم من المعاشر التي بين الصين وببلاد تركستان.

وكان لهم قبل الإسلام دولة، وله مع الفرس حروب مذكورة وملوكهم لذلك المهد في بني فراسيان.

وكان بينهم وبين العرب لأول الفتح حروب طويلة قاتلواهم على الإسلام، فلم يجيئوا فائخوا فيهم، وغلوبهم على أطراف بلادهم وأسلم ملوكهم على بلادهم وذلك من بعد القرن الأول وكانت لهم في الإسلام دولة ببلاد تركستان وكاشغر، ولا Adri من أي شعوبهم كان هؤلاء الملوك.

وقد قيل فيهم إنهم من ولد فراسيان ولا يعرف شعب فراسيان فيهم، وكان هؤلاء الملوك يلقبون بالخاقان بالخاء والكاف سمة لكل من يملك منهم، مثل كسرى للفرس وقيصر للروم. وأسلم ملوكهم بعد صدر من الملة على بلادهم وملوكهم فأقاموا بها، وكان بينهم وبين بني سامان الملوك القائمين فيما وراء النهر بدولة بني العباس حرب وسلم اتصلت حالمهم عليها إلى أن تلاشت دولتهم ودولة بني سامان جميعاً.

وقام محمود بن سبكتكين من موالي بني سامان بدولتهم وملوكهم فيما وراء النهر وخراسان.

وقد ظهر لذلك العهد بنو سلاجق وغلبوا ملوك الترك على أمرهم وأصبحوا في عداد ولاتهم شأن الدول البدائية الجديدة مع الدول البدائية الحاضرة، ثم قارعوا بني سبكتكين وغلبوا عليهم على ملوكهم فيما بعد المائة الرابعة واستولوا على مالك الإسلام بأسرها، وملكونا ما بين الهند ونهاية العمور في الشمال وما بين الصين و الخليج القسطنطينية في الغرب، وعلى اليمن والخجاز والشام وفتحوا كثيراً من بلاد الروم واستفحلت دولتهم بما لم تنته إليه دولة بعد العرب والخلفاء في الملة.

ثم تلاشت دولتهم وانقرضت بعد مائتين من السنين شأن الدول وسنة الله في العباد.

وكانتوا بعد خروج السلاجقة إلى خراسان قد خلفتهم في بلاد بضمواحي تركستان وكاشغر من أيام الترك أمم الخطأ ومن ورائهم أمم التتر إلى تركستان وحدود الصين.

من عدوهم قبل أن يستحکم أمره وتضییق عنہ قدرتهم وقدرته. وبعث إليه کشلي ملك التتر بمثل ذلك فتجهز يوم كل واحد من الفرقين أنه له وأقام متبدأ عنهم وقد تواقعوا وانهزم الخطا فمال مع التتر عليهم واستلحوهم في كل وجه ولم ينج منهم إلا قليل تھضبوا بين جبال في نواحي تركستان وقليل آخرون لحقوا بخوارزم شاه فكانوا معه وبعث خوارزم شاه إلى کشلي خان ملك التتر يبعد عليه بھزیة الخطا وأنها إنما كانت بظاهرته فاظهر له الاعتراف وشكرا ثم تازعه في بلادهم وأملأكمهم وبعث خوارزم شاه بمحبهم ثم علم أنه لا طاقة له بهم فمكث يراوغهم عن اللقاء وكشلي خان يعذله في ذلك وهو يغالطه واستولى کشلي خان خلال ذلك على كاشغر وبلاط تركستان وساغون ثم عمد خوارزم شاه إلى الشاش وفرغانة واسبيجان وقاشان وما حروها من المدن التي لم يكن في بلاد الله أثره منها ولا أحسن عمارة فجلا أهلها إلى بلاد المسلمين وخرب جميعها خوفاً أن يملكها التتر بعد ذلك وخرج على کشلي خان طائفة أخرى يعرفون بالمنفل وملکهم جنکرخان فشنع کشلي خان بمحبهم عن خوارزم شاه وعبر النهر إلى خراسان ونزل خوارزم إلى أن كان من أمره ما نذكره والله سبحانه وتعالى أعلم.

### استيلاء التتر على ممالك خوارزم شاه فيما وراء النهر وخراسان ومهلك خوارزم شاه وتولية محمد بن تکش

ولما رحل السلطان إلى خراسان استولى على الملك ما ينهي وبين بغداد من خراسان ومانزاندان وباميان وغزنة إلى بلاد الهند وغلب الغورية على ما يليهم ثم ملك الري وأصفهان وسائر بلاد الجبل وسار إلى العراق وبعث إلى الخليفة في الخطبة كما كانت ملوك بني سلوجوق فامتنع الخليفة من ذلك كما مر ذلك كله في أخبار دولتهم ثم عاد من العراق سنة ست عشرة وستمائة واستقر بنیسابور فوفدت عليه رسائل جنکرخان بهدية من نقرة المعذنب ونوافع المسک وحجر البیشم والثياب الخطائية المنسوجة من وبر الإبل البيض ويغیر أنه ملك الصين وما ينهي من بلاد الترك ويطلب المواعدة والإذن للتجار بالتردد لما جرهم من الجانين وكان في خطابه إطراء السلطان خوارزم شاه بأنه مثل أعز أولاده فاستنكف السلطان من ذلك وامتنع له وأجمع عداوته واستدعى محموداً الخوارزمي من رسائل جنکرخان واصطبغه ليكون عيناً له على صاحبه واستخبره بما قاله في كتابه في أنه ملك الصين.

ولم يقدر ملوك الخانية بتركستان على دفاعهم لعجزهم عن ذلك فكان أرسلان خان ابن محمد بن سليمان يتزلم مسالح على الدروب ما بينه وبين الصين، ويقطعهم على ذلك ويوقع بهم على الفساد والغيث ثم زحف من الصين ملك الترك الأعظم كوخان سنة اثنين وعشرين وخمسة وسبعين، ولحقت به أمم الخطا ولقيهم الخان محمود بن محمد بن سليمان بن داود بن بقارخان صاحب تركستان وما وراء النهر من الخانية، وهو ابن أخت السلطان سنجار بن ملك شاه صاحب خراسان من ملوك السلاجوقية فهزمه.

وبعث بالصريح إلى خاله سنجار، فاستنصر سنجار خراسان وعساكر المسلمين وعبر جيجون للقاتله، وسارت إليه أمم التتر والخطا وتواقعوا في صفر سنة ست وثلاثين وخمسة وسبعين، وانهزم سنجار وأسرت زوجته ثم أطلقها كوخان ملك الترك، واستولى على ما وراء النهر.

ثم مات كوخان سنة سبع وثلاثين وملكت بعده بنته، ثم ماتت فملكت بعدها أمها زوجة كوخان وابنه محمد، ثم انقض ملکهم واستولى الخطأ على ما وراء النهر.

ثم غلب على خوارزم علاء الدين محمد بن تکش كما قدمناه، ويلقب هو وأبوه بخوارزم شاه.

وكان ملوك الخانية ببلادهم فيما وراء النهر فاستنصر خوا به على الخطأ لما كثر من عيدهم وفسادهم، فأجاب صريهم وعبر النهر سنة ست وستمائة، وملکهم يومئذ كبير السن بصير في الحرب فلقيهم فهزموه وأسر خوارزم شاه ملکهم طانيکوه وجسده بخوارزم، وملك سائر بلاد الخطأ إلى أوركند، وأنزل به نوابه وزوج أخيه من الخان صاحب سمرقند وأنزل معه شحنة كما كانت للخطا وعاد إلى بلاده.

ونظر ملك الخانية بالشحنة بعد رجوعه بستة وثمانين، وهو بقتل زوجته أخت خوارزم شاه وحاصره بسمرقند واقتحمها عليه عنوة وقتلها في جماعة من أقاربه، ومحا أثر الخانية وملکهم مما وراء النهر، وأنزل في سائر البلد نوابه.

وكانت أمم التتر من وراء الخطأ هؤلاء قد نزلوا في حدود الصين ما ينهي وبين تركستان، وكان ملکهم کشلي خان ووقع بينهم وبين الخطأ من العداوة والحروب ما يقع بين الأمم المجاورة.

فلما بلغهم ما فعله خوارزم شاه بالخطا أرادوا الانتقام منهم، وزحف کشلي خان في أمم التتر إلى الخطأ ليتهزء الفرصة فيهم، فبعث الخطأ إلى خوارزم شاه يتلطعون له ويسألونه النصر

ومات سنة سبع عشرة وستمائة وعهد لابنه جلال الدين سكري ولما بلغ خبر إنجفاله إلى أمه تركمان خاتون خوارزم خرجت سارية واعتصرت بقلعة أيلاز من مازندران ورجع التتر عن اتباع خوارزم شاه فافتتحوا قلاع مازندران وملوكها وملكوا قلعة أيلاز صلحًا وأسروا أم السلطان وبناه وتزوجهن التتر وتزوج دوشى خان بن جنكيزخان واحدة وبقيت تركمان خاتون أسيرة عندهم في ذل وخول والله سبحانه وتعالى أعلم.

### مسير التتر المغربية بعد خوارزم شاه إلى العراق وأذربيجان واستيلاؤهم عليها إلى بلاد قفجاق والروس وببلاد الخزر

ولما رجع التتر المغربية من اتباع خوارزم شاه سنة سبع عشرة عادوا إلى همدان وانتفسوا ما مرروا عليه، وصانعهم أهل همدان بما طلبوا، ثم ساروا إلى سنجار كذلك، ثم إلى قوسن فامتنعوا منهم وحاصروها وملوكها غالباً وقتلوا أكثر من أربعين الفاً ثم ساروا إلى أذربيجان وصانعهم صاحب تبريز وانتصروا إلى موقعان ومرروا ببلاد الكرج فاكتسحورها وجعلوا لهم فهزموهم وأتخشوا بهم وذلك آخر سنة سبع عشرة ثم عادوا إلى مراغة فملوكها عنوة في صفر سنة ثمان عشرة واستباحوها ورحلوا عنها إلى إربيل، وبها مظفر الدين كوكبى، واستمد صاحب الموصل قamide بالمساكر.

ثم استدعاهم الخليفة الناصر إلى دوقاً للمدافة عن العراق مع عساكره وول عليهم مظفر الدين صاحب إربيل فخام عن لقائهم وخاموا عن لقاءه.

وساروا إلى همدان وبها شحتمهم فامتنعوا من مصانعهم وقاتلتهم فملوكها عنوة واستباحوها واستحموا أهلها، ورجعوا إلى أذربيجان فملوكها أربيل واستباحوها وخربرها وساروا إلى تبريز، وقد فارقها أزيك بن البهلوان إلى نقوصان فصانعهم بالأمان، وساروا إلى بيلقان وملوكها عنوة وافحشوا في القتل والمثلة واكتسحروا جميع الضاحية. ثم ساروا إلى كنجه قاعدة أران فصانعهم أهلها فساروا إلى بلاد الكرج فهزموهم وحاصروهם بقاعدهم تفلبس، وردهم كثرة الأوغار عن التوغل فيها.

ثم قصدوا دريند شروان وحاصروا مدينة سماجي ودخلوه عنوة وملوكه واستباحوه، وأعجزهم الدريند عن المسير فراسلوا شروان في الصلح، فبعث إليهم رجالاً من أصحابه فقتلوا بعضهم وقتلوا الباقين أذلاء. وأفسدوا من الدريند إلى أرض أسمحة، وبها

واستوى على مدينة طرغاج فصدق له ذلك وسأله عن مقدار العساكر فقللها وغشه في ذلك ثم نكر عليه الخطاب بالولد ثم صرف الرسل بما طلبوه من الم إعادة والإذن للتجار ووصل على أثر ذلك بعض التجار من بلادهم إلى أطرار وبها آنيل خان ابن خال السلطان خوارزم شاه فعرثه على أموالهم ورفع إلى السلطان أنهم عيون على البلاد وليسوا بتجار فأمره بالاحتياط عليهم ففعل وأخذ أموالهم وقللهم خفية ونشا الخبر إلى جنكيزخان فبعث بالتكير على السلطان في ذلك وقال له: إن كان فعله آنيل خان فابعه إلى وتهده على ذلك في كتابه فأنزعع السلطان لها وقتل الرسل وبلغ الخبر إلى جنكيزخان فسار في العساكر إلى بلاده وجبي السلطان من سمرقند خراج ستين حصن به أسوار سمرقند وجبي ثلاثة استخدم بها الفرسان لحماته ثم سار للقاء جنكيزخان فكانت بينهما واقعة عظيمة هلك فيها كثير من الفريقين فكبسهم وهو غائب عنهم ورجع خوارزم شاه إلى جيحون وأقام عليه وفرق عساكره في أعمال ما وراء النهر بخارى وسمرقند وترمىذ وائزيل ابناخ من أكبر أمرائه وأصحاب دولته في بخارى وجعلهم لنظره ثم جاء جنكيزخان إليه فعبر النهر مجفلاً وقصد جنكيزخان أطرار فحاصرها وملوكها غالباً وأسر أميرها آنيل خان الذي قتل التجار فاذاب الفضة في آذنيه وعينيه ثم خربها ثم غدر بهم فقتلهم وسباهم و فعل مثل ذلك في سمرقند سنة تسع عشرة.

ثم كتب كتاباً إلى أمراء خوارزم شاه قراية أمه كأنها أجوبة عن كتبهم إليه باستدعائه والبراءة من خوارزم وذمه بعقوبة أمه فبسط أيامهم في كتبه ووعد تركمان خان أم السلطان وكانت في خوارزم فوعدها بزيارة خراسان وأن تبعث من يستخلفه على ذلك ويبحث بالكتب من يعرض بها للسلطان فلما رأها أرتاب بامه وقرابتها فاستحوشوا ووقع التقاطع والنفرة ولما استوى جنكيزخان على ما وراء النهر ونجا نائب بخارى في الفيل أجمل السلطان وعبر جيحون ورجع عنه طراف المخطى الذين كانوا معه وتحاذل الناس وسرح جنكيزخان العساكر في أثره نحوه من عشرين ألفاً كانوا يسمونهم التتر المغربية لتوغلهم في البلاد غربى خراسان إلى بلاد القفجاق ووصل السلطان إلى نيسابور فلم يلبث بها وارتحل إلى مازندران والتتر في أثره.

ثم انتهى إلى همدان فكبسوه هنالك وفرقوا جموعه ونجا إلى جبال طبرستان فأقام بقرية بساحل البحر في قل من قوته ثم كبسه التتر أخرى فركب البحر إلى جزيرة في بحيرة طبرستان وخاصة في أثره فغلبهم الماء ورجعوا وأقام خوارزم شاه بالجزيرة ومرض بها

عسكر خوارزم فعبروا إلى بلخ وملكونها على الأمان سنة سبع عشرة وأنزلوا بها شحنة، ثم ساروا إلى السزوزان وأيدحور ومازندران فملكونها وولوا عليها، ثم ساروا إلى الطالقان وحاصروا قلعة بسarakوه وكانت منيعة، وجاءهم جنكيز خان بنفسه بعد امتناعها سة أشهر فحاصروها أربعة أشهر أخرى، ثم أمر بقتل الخشب والتراب ليجتمع به تل يتعالى به البلد، فلما استيقنوا الملوك فتحوا الباب وصدقوا الحملة فنجا الخيالة وتفرقوا في البلاد والشعوب وقتل الرجال ودخل التر فاستباحوها وبعث جنكيز خان عسكراً إلى سبا مع صهره قفجاق نون فقتل في حصارها ثم ملكونها فاستباحوها وخربوها.

ويقال: قتل فيها أكثر من سبعين ألفاً، ثم بعث جنكيز خان في العساكر إلى مدينة مرو، وقد كان الناجون من هذه الواقع انزروا إليها فاجتمعوا بظاهرها أكثر من مائتي ألف لا يشكون في الظفر، فلما زحف إليهم التر ولوا منهزمين وأخروا فيهم شم حاصروا البلد خمسة أشهر واستنزلوا أميرها على الأمان، ثم قتلوا هم جميعاً وحضر جنكيز خان قتلهم، يقال: قتل فيها سبعمائة ألف، ثم ساروا إلى نيسابور فاقتحموا عندهم وقتلوا وعاثروا، ثم إلى طرابلس كذلك، ثم ساروا إلى هرة فملكونها على الأمان وأنزلوا عندهم الشحنة وعادوا إلى جنكيز خان بالطالقان، وهو يرسل العساكر والسرايا في نواحي خراسان حتى أتوا عليها تخريباً، وذلك كله سنة سبع عشرة، والله تعالى أعلم.

### إجفال جلال الدين ومسير التر في اتباعه وفراره إلى الهند

ثم بعث العساكر في طلب جلال الدين وقد كان بعد مهلك أبيه وخروج تركمان خاتون من خوارزم سار إليها وملكونها واجتمع إليه الناس ثم غيَّ إلى أن قربة تركمان خاتون وهم الباروتية مالوا إلى أخيه يولخ شاه وب ابن أخيهم وأنهم يردون الوثوب بجلال الدين ففر ولحق بنيسابور وجاءت عساكر التر إلى خوارزم فأجفل يولخ شاه وأخوه ليحلقا به بنيسابور فأدراهم التر وهم حاصرون قلعة قندهار فاستلمتهم ثم سار غزنة فملكونها من بد الشوار الذين استولوا عليها أيام هذه الفتنة وذلك سنة ثمان عشرة.

ولحق به أمراء أبيه الذين تغلبوا على نواحي خراسان في هذه الفتنة وأذاع لهم التر عنها فحضروا مع جلال الدين كسبة التر بقلعة قندهار ولحق فلهم بجنكيز خان وبعث ابنه طولي خان

من القفقاق واللاز والغز وطوائف من الترك مسلمون وكفار أئم لا تخصى، ولم يطبقوا مغالبهم لكثرةهم فرجعوا إلى التضبيب بينهم حتى استولوا على بلادهم، ثم اكتسحوا وأوسعوا هم قتلاً وسيماً وفسر أكثرهم إلى بلاد الروس وراء هم واعتضم الباقون بالجبال والغياض، وانتهى التر إلى مدنهم الكبرى سرداقي على بحر نيطش المتصل بخليج القسطنطينية وهي مادتهم وفيها تجاراتهم فملكونها التر وافتقر أهلها في الجبال وركب أهلها البحر إلى بلاد الروم في إيلاه بني قلبيج أرسلان.

ثم سار التر سنة عشرين وستمائة من بلاد قفقاق إلى بلاد الروس المجاورة لها، وهي بلاد فسيحة وأهلها يدينون بالنصرانية فساروا إلى مدافعتهم في تخوم بلادهم، ومعهم جموع من القفقاق أيامًا، ثم انهزوا وأثخن فيهم التر قتلاً وسيماً ونهياً، وركبوا السفن هاربين إلى بلاد الإسلام وترکوا بلادهم فاكتسحها التر، ثم عادوا عنها وقصدوا بلغار آخر السنة، واجتمع أهلها وساروا للقائهم بعد أن أكمروا لهم ثم استطروا أمامهم وخرج عليهم الكمانة من خلفهم فلم ينج منهم إلا القليل، وارتحلوا عائدين إلى جنكيز خان بأرض الطالقان، ورجع القفقاق إلى بلادهم واستقروا فيها، والله تعالى ولـي التوفيق بمنه وكرمه.

### مسير جنكيز خان إلى خراسان وتغلبه على أعمالها وعلى خوارزم شاه

كان جنكيز خان بعد أن أفشل خوارزم شاه من جيحون ومسير التر المغربية في طلبه ملك سمرقند فبعث عسكراً إلى ترمذ، وعسكر إلى خوارزم وعسكر إلى خراسان، وكان عسكر خوارزم أعظمها لأنها كرسى الملك وماوى العساكر، وبعث مع العساكر ابنه جقطاي وأركطاي فحاصروها خمسة أشهر، وامتنعت فامدهم جنكيز خان بالعساكر متلاحمقة، وملكونها ناحية ناحية إلى أن استولوا على السد الذي يمنع ماء جيحون عنها فصال إليها جيحون فغرتها وتقسم أهلها بين السندي والعراق، وهكذا قال ابن الأثير.

وقال التسافي كاتب جلال الدين: إن دوشي خان عرض عليهم الأمان وخرجوه إليه فقتلهم جميعين وذلك في حرم سنة سبع عشرة وعاد دوشي خان والعساكر إلى جنكيز خان فرجدوه بالطالقان.

وأما عسكر ترمذ فساروا إليها وملكونها وتقدموه إلى كلابه من قلاع جيحون فملكونها وخربوها، وعسكر فرغانه كذلك، وأما

واستولى على ملك أخيه غياث الدين بالعراق وكرمان وبعث إلى الخليفة يطلب الخطة فلم يسعف فاسعد مخاربته وقد كانت بلاد الري من بعد تحرير التتر المغربية لها عاد إليها بعض أهلها وعمروها فأبعت إليها جنكيز خان عسكراً من التتر فخرابوها ثانية وخرابها ساوة وقام وقاشان وأجل أمأهم عسکر خوارزم شاه من همدان فخرابوها واتبعهم فكبسوهم في حدود أذربيجان ولحق بعضهم بـتبريز والتتر في اتباعهم فصانعهم صاحبها أزيك بن الدهلوان وبعث بهم إلى التتر الذين في اتبعهم بعد أن قتل جماعة منهم وبعث برسوهم وبالموال على سبيل المصانعة فرجعوا عن بلاده.

**وسار جلال الدين إلى أذربيجان سنة اثنين وعشرين**  
 فملكها وكانت له فيها أخبار ذكرناها في دولته ثم بلغ السلطان جلال الدين أن التتر زحفوا من بلادهم وراء النهر إلى العراق فنهض من تبريز للقتال لهم في رمضان سنة خمس وعشرين ولقيهم على أصفهان وانقض عنهم آخره غياث الدين في طائفة من العساكر وأنهزمت ميسرة التتر وسار السلطان في اتبعهم وقد أكمروا له وأحاطوا به واستشهد جماعة ثم صدق عليهم الحملة فأفجروا له ومضى لوجهه وأنهزمت العساكر إلى فارس وكرمان فاقتروا أشانتاً ولحق السلطان بأصفهان بعد ثمانية أيام فوجد التتر يحاصرون أصفهان فبرز إليهم في عساكرها وهزمهم واتبعهم إلى الري وبعث العساكر في اتبعهم إلى خراسان ورجع إلى أذربيجان وأقام بها وكانت له فيها أخبار مذكورة في دولته والله سبحانه وتعالى أعلم.

### مسير التتر إلى أذربيجان واستيلاؤهم على تبريز ثم واقعتهم على جلال الدين بأمد ومقتله

كان التتر لما استقروا فيما وراء النهر عمروا تلك البلاد واحتلوا قرب خوارزم مدينة عظيمة تعرض عنها ويقيت خراسان خاوية واستبد بالملدن فيها طوائف من الأمراء أشباه الملوك يعطون الطاعة للسلطان جلال الدين منذ جاء من الهند وانفرد جلال الدين بملك العراق وفارس وكرمان وأذربيجان وأران وما إلى ذلك ويقيت خراسان مجالاً لغزارة التتر وعساكرهم وسارت طائفة منهم سنة خمس وعشرين إلى أصفهان وكانت بينهم وبين جلال الدين الواقعية كما مر ثم زحف جلال الدين إلى خلاط وملكتها و زحف

لقتل جلال الدين فهزمه جلال الدين وقتلته ولحق الفيل من عساكره بـجنكيز خان فسار في أم التتر ولقي جلال الدين فنهزم ولم يفلت من التتر إلا الأقل ورجع جلال الدين فنزل على نهر السند وقد كان جماعة من أمرائه انعزلوا عنه يوم الواقعية الأولى بسبب الغنائم فأبعت إليهم يستألهم فاعتله جنكيز خان وقاتلته ثلاثة ثم هزمه واعتربه نهر السند فاقتله وخالص إلى السند بعد أن قتل حرمته أجمعين وذلك سنة ثمان عشرة والله تعالى أعلم.

### أخبار غياث الدين بن خوارزم شاه مع التتر

كان خوارزم شاه قد قسم الملك بين ولده فجعل العراق لغورن شاه وكرمان لغياث الدين غير شاه فلم ينفذ إليها أيام أبيه فلما فر خوارزم شاه إلى ناحية الري لقيه ابنه غورن شاه صاحب العراق ثم كانت واقعة التتر به على حدوده ولحق خوارزم شاه بـجزيرة طبرستان ولحق غورن شاه بـكرمان ثم رجع واستولى على أصفهان وعلى الري ثم زحف التتر إليه وحاصروه بقلعة أوند وقتلوه وكان آخره غياث الدين بـكرمان وملكه بينه وبين بما طرابلسي أتابكه وفر إلى ناحية أذربيجان واستولى غياث الدين على العراق وما زندران وخوزستان فأقطع بما طرابلسي همدان.

ثم سار غياث الدين إلى أذربيجان فصانعه صاحبها أزيك بن الدهلوان ولحق به من كان متغلباً من أمراء أبيه بـخراسان وكان أبنابيك خان نائب بخارى قد تقلب بعد الواقعية على نسا ونواحيها وجرجان وعلى شيران وعامة خراسان وكان تكين بهلوان متغلباً على مرو فعبر جيحون سنة سبع عشرة وكتب شحنة التتر واتبعه إلى شيروان ولقوا أبنابيك خان على جرجان فهزمه ونجا فلهما إلى غياث الدين على العراق والري وما وراءها في الجنوب من موكان وأذربيجان ويقيت خوارزم طوائف وفي كل ناحية منها متقلب وعساكر التتر في كل وقت تدوخ بلاد العراق وغياث الدين منهمل في لذاته والله تعالى أعلم.

### رجوع جلال الدين من الهند واستيلاؤه على العراق وكرمان وأذربيجان ثم زحف التتر إليه

ثم رجع جلال الدين من الهند سنة إحدى وعشرين

والمضائق بالفسدين من غير صنوفهم بالقتل والنهب، فأشار عليه أوترخان بالرجوع، فرجع إلى قرية من قرى ميافارقين ونزل في بيدرها وقارقه أوترخان إلى حلب. و هجم التتر على السلطان بالبيدر وقتلوا من كان معه، وهرب فصعد إلى جبل الأكراد وهو مترصدون الطرق للنهب فسلبوه وهموا بقتله.

وشعر بعضهم أنه السلطان فمضى به إلى بيته ليخلصه إلى بعض النواحي، ودخل البيت في مغيبة بعض سفالتهم وهو يزيد الثأر من المخوازمية باخ له قتل مخلط قتله، ولم يعن عنه أهل البيت.

ثم انتشر التتر بعد هذه الواقعية في سواد آمد وأذرن وميافارقين وسائر ديار بكر فاكتسحوها وخرابوها، وملكوا مدينة أسرد عندها فاستباحوها بعد حصار خمسة أيام، ومرروا ميافارقين فامتنعت، ثم وصلوا إلى نصبيين فاكتسحوا نواحيها، ثم إلى ستجر وجبلها والخابور. ثم ساروا إلى أيدس فاحرقوها، ثم إلى أعمال خلط فاستباحوا هاكرى وأرجيش. وجاءت طائفة أخرى من أذريجان إلى أعمال إربيل ومرروا في طريقهم بالتركمان الأيوبرية والأكراد الجوزيان فنهبوا وقتلوا، وخرج إليهم وإلى إربيل مستمدًا أهلها وعساكر الموصل فلم يدركوه فعادوا ويفيت البلاد قاعًا صفصافاً. والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

### التعريف بجنكز خان وقسمة الأعمال بين ولده وانفراطه بالكرسي في قراقروم وبلاط الصين

هذا السلطان جنكز خان هو سلطان التتر لعهده ثم من المغل أحد شعرائهم، وفي كتاب لشهاب الدين بن فضل الله: أنه من قبيلة أشهر قبائل المغل وأكبرهم، وزايه التي بين الكاف والخاء ليست صريحة وإنما مشتملة بالصاد فينطق بها بين الصاد والزاي) وكان اسمه عمرجين ثم أصاروه جنكز، وخان تمام الاسم وهو يعني الملك عندهم. وأما نسبة فهي هكذا: جنكز بن بيسوكى بن بهادر بن تومان بريل خان بن تومينه بن باد سفتر بن تيدوان ديمون بن بقا بن مردنجه، أحد عشر اسمًا أعمجياً صعبة الضبط وهذا منحاها.

وفي كتاب ابن فضل الله فيما نقله عن شمس الدين الأصفهاني إمام المقولات بالشرق أخذنا عن أصحاب نظر الدين الطوسي قال: إن مودنجه اسم امرأة وهي جدتهم من غير

إليه صاحبها الأشرف بن العادل من الشام وعلاء الدين كيقباد صاحب بلاد الروم، وأوقعوا به كما مر في أخباره سنة سبع وعشرين، الواقعة التي أوهنت منه وحلت عري ملكه. وكان علاء الدين مقدم الإماماعالية بقلعة الموت عدواً بلال الدين بما أخذه في بلاده، وقرر عليه وظائف الأموال، فبعث إلى التتر يخبرهم أن المزعجة أوهنته ويختم على قصده، فسار إلى أذريجان أول سنة ثلاثة وعشرين.

وبلغ الخبر إلى السلطان بمسيرهم فرحل من تبريز إلى مرغان وآقام بها في انتظار شحنة خراسان ومازندران، وشغل بالصيد فكبسه التتر ونهبوا معسركه، وخلص إلى نهر راس من أران. ثم رجع إلى أذريجان وشنى بهما، ثم جاءه النذير بمسير التتر إليه فرحل إلى أران وتحصن بها، وثار أهل تبريز لما بلغتهم خبر الواقعية الأولى بين عندهم من عساكر المخوازمية وقتلواهم، ومن هم رئيسهم الطغرياني من طاعة التتر. ووصل للسلطان جلال الدين ثم هلك قريباً فسلموا بلادهم للتتر، وكذا فعل أهل كنجة وأهل سلعار. ثم سار السلطان إلى كنجة وارتجعوا وقتل المعترضين للثورة فيها، وسار إلى خلط واستمد الأشرف بن العادل صاحب الشام فعله بالمواعيد، وسار إلى مصر وينش من إنجاده فبعث إلى جيرانه من الملوك يستجدهم مثل صاحب حلب وأمد وماردين. وجرد عسكراً إلى بلاد الروم في خرت برت وملطية وأذريجان فاستحوذوا لما بين صاحبها كيقباد وبين الأشرف من الولاية فاستوحش جميع الملوك من ذلك وقدموا عن نصرته.

وجاء الخبر وهو يخلط أن التتر زحفوا إليه فاضطرب في رحله، ويعث أتابكه أوترخان في أربعة آلاف فارس طليعة، فرجع وأخبره أن التتر رجعوا من حدود ملاذكرد، وأشار عليه قومه بالمسير إلى أصفهان، وزين له صاحب آمد قصد بلاد الروم وأطعمه في الاستيلاء عليها ليتصل بالتفجاق ويستظهر بهم على التتر، ووعده الإمداد بنفسه يوم الانتقام من صاحب بلاد الروم لما ملك من قلاعه فخيّم إلى رأيه وعدل عن أصفهان ونزل بأمد. وبعث إلى التركمان بالنذير وأنهم رأوا نيران التتر فاتهم خبرهم. وصحبه التتر على آمد متصرف شرال سنة ثمان وعشرين وأهاطوا بخيته، وحمل عليهم أتابكه أوترخان وكشفهم عن الخيمة.

وركب السلطان وأسلم أهله وسواده، ورد أوترخان العساكر وابتدى ليتوارى عن عين العدو. وسار أوترخان إلى أصفهان واستولى عليها إلى أن ملكها التتر من يده سنة تسعة وثلاثين. وذهب السلطان منجلاً وقد امتلاك الدربنادات

السلطان فأجلل أماته واتبعه السلطان في عساكره فلما أدركه كر عليه جنكيز خان فهزمه وغنم سواه وما معه.

ثم استمرت العداوة واتبعت عن السلطان واستألف العساكر والأتباع وأناض فيهم الإحسان فاشتد شوكته ودخل في طاعته قبيلتان عظيمتان من المغل والهان وأورات ومنفروات فنظمت جموعه وأحسن إلى الملوكين اللذين حذره من أزيك خان ورفع رتبهما وكتب لهما العهد بما اختاراه وكيفية أن يستمر ذلك لهما إلى تسعه بطون من أعقابهما ثم جهز العساكر لخرب أزيك خان فهزمه وقتلها واستول على مملكة التتر باسرها ولما توطأ أمره تسمى جنكيز خان وكان اسمه تمرجن كما مر وكتب لهم كتاباً في السياسة في الملك والحروب والأحكام العامة شبه أحكام الشائع.

وأمر أن يوضع في خزانة وأن تختص بقرباته ولم يكن يتوسى بمثله وإنما كان دينه ودين أبيه وقومه الجورسية حتى ملكوا الأرض واستفحلا دولتهم بالعراق والشمال وما وراء النهر وأسلم من ملوكهم من هذه الله للإسلام كما نذكره إن شاء الله تعالى فدخلوا في عداد ملوك الإسلام إلى أن انقضت دولتهم وانقضت أيامهم والبقاء لله وحده.

وأما ولده فكثير وهو الذي يقتضيه حال بداوته وعصبيته إلا أن المشهور منهم أربعة: أولهم دوشي خان ويقال: جرجي وثانيهم: جفطاي ويقال: كدائي وثالثهم: أوكتاي ويقال: أوكتاي ورابعهم: طولي بين الثناء والطاء.  
والثلاثة الأول لأم واحدة وهي أوبيولي بنت نيكى من كبار المغل.

وعد شمس الدين الأصفهاني الأربعه فقال: جرجي وكتاي وطولي وأوكدائي.

وقال نظام الدين يحيى بن الحليل نور الدين عبد الرحمن الصيادي كاتب السلطان أبي سعيد فيما نقله عنه شهاب الدين بن فضل الله: إن كدائي هو جفطاي وجرجي هو طوشى فلما ملك جنكيز خان البلاد قسم المالك فكان لولده طوشى بلا فيلاق إلى بلغار وهي دست القفقاق وأضاف إليه أران وهمنان وتبريز ومراغة وغيلان وكتاي حدود آمد وقوباق وما أدرى تفسير هذه وجعله ولـي عهده.

وعين جفطاي من الأيقور إلى سمرقند وبخارى وما وراء النهر ولم يعن لطولي شيئاً وعين لأنجيه أوكتين نوى بلاد أهنت ولا أدرى معنى هذا الاسم.  
ولما استفحلا ملوكه واستول على هذه الممالك جلس على

أب.

قالوا: وكانت متزوجة وولدت ولدين اسم أحدهما بكتوت والآخر بلكتوت، ويقال لولدها بنو الدولكية. ثم مات زوجها وتآيت وحملت وهي أيام فنكر عليها أقرباؤها فذكرت أنها رأت بعض الأيام نوراً دخل في فرجها ثلاثة مرات، وطرأ عليها الحمل بعده. وقائل لهم: إن في حملها ثلاثة ذكور، فإن صدق ذلك عند الوضع وإلا فاقلعوا ما بدا لكم. فرضعت ثلاثة توائش من ذلك الحمل فظهرت براءتها بزعمهم، اسم أحدهم: يرقد والآخر قوناً والثالث نجعو وهو جد جنكيز خان الذي في عمود نسبة كما مر، وكانوا يسمونهم التورانين نسبة إلى النور الذي ادعنته. ولذلك يقولون جنكيز خان ابن الشمس.

وأما أوليته فقال يحيى بن أحد بن علي النسائي كاتب جلال الدين خوارزم شاه في تاريخ دولته: إن مملكة الصين مسعة ودورها مسيرة تسعة أشهر وهي منقسمة من قديم الزمان على تسعة أجزاء كل جزء منها مسيرة شهر ويتولى ملك كل جزء منها ملك يسمى بلغتهم خان ويكون نابياً عن الخان الأعظم.

قال: وكان الأعظم الذي عاصر خوارزم شاه علاء الدين محمد بن تكش يقال له طرخان توارثها عن أبياته وكان مقيناً بطوراغ وهي وسط الصين وكان جنكيز خان من أولئك الحانات الستة وكان من سكان البدو ومن أهل النجد والشرف وكان مشتاه فارعون من بلاد الصين وكان من خاناتهم أيضاً ملك آخر اسمه دوشى خان كان متزوجاً بزوجة جنكيز خان وافتقت وفاته فحضر جنكيز خان يوم وفاة زوجها دوشى خان فرلتنه مكانه وحملت قومها على طاعته.

وبلغ الخبر إلى الخان الأعظم طرخان فنكر ذلك وزحف إليهم فقاتلوه وهزموه وغلبوا على أثر بلاده ثم صالحهم عليها وقام متغلباً ثم مات بقية الحانات الستة وانفرد جنكيز خان بأمرهم جميعاً وأصبح ملوكهم وكان بيته وبين خوارزم شاه من الحروب ما قدمناه.

وفي كتاب ابن فضل الله محكياً عن الصاحب علاء الدين عطاء وحدثه به قال: كان ملك عظيم من التتر في قبيلة عظيمة من قبائلهم يدعى أزيك خان وكان مطاعاً في قومه فاتصل به جنكيز خان فقربه واستخلصه ونافسه قرابة السلطان وسعوا به عنده حتى استفسدوه عليه وطوى له وتربيص به وسخط أزيك خان على ملوكين عنده فاستجاراً بجنكيز خان فأجراهما وضمن لهما أمانه وأطلعاهم على رأي السلطان فيه فاستوحش وحذر وثبت

ذلك وأن لا يتعدى مكانه وبلغته رسائل ناظر بذلك وهو فيما وراء الهر قبل أن يفصل بالمساكن فأقام سين امثالاً لأمره حتى مات ناظر وتولى برقة مكانه فاستأذن أخاه منكوفان ثانية وسار لقصد الملاحدة وأعمال الخليفة فأوقع باللاحدة وفتح قلاعهم واستحلّهم وأوقع بأهل همدان واستباحهم لمليهم إلى برقة وأخيه ناظر.

ثم سار إلى برقة بذست الفرجان فزحف إليه برقة في جموع لا تُحصى والتقيا واستمر القتل في أصحاب هلاكو وهم بالهزيمة ثم حال نهر الكر بين الفريقين وعاد هلاكو في البلاد واستحكمت العداوة بينهما وسار هلاكو إلى بغداد فكانت له الواقعية المشهورة كما مر وياتي في أخبار دولته إن شاء الله تعالى.

وفي كتاب ابن فضل الله فيما نقله عن شمس الدين الأصفهاني: إن هلاكو لم يكن مستقلًا بالملك وإنما كان نائباً عن أخيه منكوفان ولا ضربت السكة باسمه ولا ابنه أبغا وإنما ضربها منهم أرغو حين استقل فجعل اسمه في السكة مع اسم صاحب التخت.

قال: وكان شحنة صاحب التخت لا يزال ي بغداد إلى أن ملك قازان نظر الشحنة وأفرد اسمه في السكة.

وقال: ما ملكت البلاد إلا بسيفي. وبين جنكيز خان يرون أن بي هلاكو إنما كانوا ثواراً وجنكيز خان لم يملك طولي شيئاً وإن أخاه منكوفان الذين ولاد عليها إنما بعثه نائباً مع أن منكوفان إنما ولاد ناظر بن دوشى خان كما مر.

قال: ونقل عن ثقا أنه لم يبق هلاكو من يحقق نسبة لكثرة ما وقع فيهم من القتل غيرة على الملك ومن نجاة طلب الاختفاء بشخصه فخفى نفسه إلا ما قيل في حمل المسؤول إلى محرمي.

قال شمس الدين الأصفهاني ونقله عن أمير كبار منهم إن أول من استقل بالخت جنكيز خان ثم ابنه أوكردai ثم ابنه كغود بن أوكردai ثم منكوفان بن طولي ثم أخوه أريبيكان ثم آخرهما قبلاي ثم دمرفاي ويقال تمرفاي ثم ترسى كيزى ثم كيزقان ثم سندرقان بن طرمالا بن جنكمير بن قبلاي بن طولي انتهى كلام ابن فضل الله.

وعن غيره أن منكوفان جهز عساكر التتر أيام ملكه على التخت إلى بلاد الروم سنة مع أمير من أمراء المغلل اسمه ييكو فملكها من يد بي قليج ارسلان كما هو مذكور في أخباره فاقامت في طاعة القانون إلى أن انقضى أمر المغلل منها ثم بعث منكوفان العساكر لغزو بلاد الخطا مع أخيه قبلاي بعد أن عهد له

التخت وانتقل إلى وطنه القديم بين الخطأ والأيقرور وهو تركستان وكاشغر وفي ذلك الوطن مدينة قراقوم وبها كان كرسيه ومكانه بين أعمال ولده مكان المركز من الدائرة وكان كبير ولده طوشى ويقال دوشى ومات في حياته وخلف من الولد ناخوا وببرقة ودارودة وطوفل هكذا قال ابن الحكيم.

وقال شمس الدين: ناظر وببرقة قطف ومات طولياً أيضاً في حياته في حربه مع جلال الدين خوارزم شاه بنواحي غزنة وخلف من الولد منكرو قبلاي وأزيك وهلاكو والله تعالى أعلم بغيته وأحكام.

## ملوك التخت بقراقوم من بعد جنكيز خان

قال ابن فضل الله: وما هلك جنكيز خان استقل أوكردai بالخت ويدس الفرجان وما معه وكان أصغر ولده وانتقل إلى قراقوم بمكانتهم الأصلية فأعطي وقبابق التي كانت بيده لابنه كغود ولم يتمكن كدائي وهو جفطاني من مملكة ما وراء الهر ونارع ناظر بن دوشى خان في أران وهمدان وتبزيز ومراغة وبعث أميراً من أمرائها لحمل أموالها والقبض على عماله بها وقد كان ناظر كتب إليهم بالقبض على ذلك الأمير فقضوا عليه وحملوه إلى ناظر فطحنه وبلغ ذلك إلى كغود فصار إلى ناظر في ستمائة ألف من العساكر وهلك قبل أن يصل إليه عشر مراحل فيبعث القوم إلى ناظر أن يكون صاحب التخت فاني وجعله لأخيه منكوفان بن طولي وبعث إليه وأخربه معه قبلاي وهلاكو وبعث معهم أخيه بركة بن طولي في مائة ألف من العساكر ليجلسه على التخت فلما عاد من بخارى لقي الشيخ شمس الدين الباخوري من أصحاب نجم الدين كبير الصوفية فأسلم على بيده وتأكدت صحبته معه وحرضه على التمسك بطاعة الخليفة ومكتابته المعتصم وبمابعه ومهاداته.

وترددت الرسل بينه وبين المعتصم وتأكدت الموالة واستقل منكوفان بالخت وولى أولاد جفطابي عمه على ما وراء الهر امضاء لوصية جنكيز خان لأبيهم التي مات دونها ووفد عليه جماعة من أهل قزوين وبلاد الجبل يشكون ما نزل بهم من ضرر الإسماعيلية وفسادهم فجهز أخاه هلاكو لقتالهم واستتصال قلاعهم فمضى لذلك وحسن لأنبيه منكوفان الاستيلاء على أعمال الخليفة فأذن له فيه وبلغ ذلك برقة فذكره على أخيه ناظر الذي ول منكوفان لما كان بين برقة والمعتصم من الولاية والوصلة بوصية الشيخ الباخوري فبعث ناظر إلى أخيه هلاكو بالتهي عن

وبعده ولی منكوفان فلما ولی قيدو نازع صاحب التخت يومئذ وهو قبلاي وكانت بينهما حروب وأعاد قبلاي في خلافها بني جفطاي على استرجاع ملكهم وولی منهم برانق بن ستف بن منكوفان بن جفطاي وأمده بالعساكر والأموال فقلب قيدو بن قاشي بن كغود بن أوکدایي بن جنكرخان وانتزع من صاحب التخت يومئذ واستبد بملك آبائه.

ثم هلك قولي من بعده دوا ثم من بعد دوا بنون له أربعة

واحدا بعد واحد وهم: كجك ثم أسعا ثم كبك ثم أنجكداي ثم ولی بعد الأربعة دواقر ثم ترماشين ثم توزون بن اوماكان بن منكوفان بن جفطاي وقتل هؤلاء من توثب على الملك ولم يتنظم له مثل سيساور بن اركمن بن بغافر بن برانق ولم يزل ملكهم بعد ترماشين مضطربا إلى أن ملك منهم جنقصو بن دواقر بن حلو بن برانق بن ستف كانوا كاهم على دين الجوسية وخصوصاً دين جنكرخان وعبادته الشمس وكان فيما يقال على دين النجاشية فكان بنو جفطاي يغضون عليها بالتواجذ ويتبعون سياسة مثل أصحاب التخت فلما صار الملك إلى ترماشين منهم أسلم رحمة الله سنة خمس وعشرين وسبعيناً وجاهد وأكرم التجار المترددين وكانت تجار مصر متوعين من بلاده فلما بلغتهم ذلك قصدوها فحمدوها ولما انقضت دول بني جنكرخان وتلاشت في جميع التراخي ظهر في أعقاب دوله بني جفطاي هؤلاء بسمرقد وما وراء النهر ملك اسمه تر ولا أدري كيف كان يتصل نسبهفهم ويقال: إنه من غير نسبهم وإنما هو متغلب على صبي من أعقاب ملوكهم اسمه طغتمش أو محمود درج اسمه بعد مهلك أبيه واستبد عليه وأنه من أمرائهم.

وأخبرني من لقتيه من أهل الصين أن آباء أيضاً كان في مثل مكانه من الإمارة والاستبداد وما أدري فهو طيبة في نسب جفطاي أو من أحفادهم وأتباعهم.

وأخبرني الفقيه برهان الدين الخوارزمي وهو من علماء خوارزم وأعيانها قال: كان لعصبه وأول ظهوره بخاري رجل يعرف بحسن من أمراء المغل والآخر بخوارزم من ملوك صرای أهل التخت يعرف بال الحاج حسن الصوفي تهيا وزحف إلى بخارى فملكها من يد حسن ثم إلى خوارزم وطالت حروبه مع الحاج حسن الصوفي وحاصرها مراراً وهلك حسن خلال ذلك وولى أنحوه يرسف فملكتها تمر من يده وخر بها في حصار طويلاً ثم كلف بعماراتها وبناء ما خرب منها وانتظم له الملك بما وراء النهر ونزل قجاري ثم زحف إلى خراسان فملك هرآة من يد صاحبها وأظنه من بقايا ملوك الغورية.

بالخانية ثم سار على أثره بنفسه واستخلف أخيه أزبك على كرسى قرافق و Hulk منكوفان في طريقه ذلك على نهر الطاي من بلاد الغور سنة ثمان وخمسين فجلس أزبك على التخت وعاد قبلاي من بلاد الخطأ فزحف إليه أزبك فهزمه إلى بعض التراخي واستثار بالغاتهم عن إخوته وقومه فمالوا إلى قبلاي واستدعوه فجاء وقاتل أخيه أزبك فغلبه وتقبض عليه وجسه واستقر في الغابة.

وبلغ الخبر إلى هلاكو وهو في الشام عندما استولى عليه فرجع لما كان يؤمله من الغانية ولا انتهى إلى جيجون بلغه استقلال أخيه قبلاي في العانية وتبين له عجزه عنه فصاله وقطع بما في يده ورجع إلى العراق ثم نازع قبلاي في العانية لآخر دولته سنة سبع وثمانين بعض بني أوکدایي صاحب التخت الأول وهو قيدو بن قاشي بن كغود بن أوکدایي وزع إلى بعض أمراء قبلاي وزينرا له ذلك فسار له وبعث قبلاي العساكر للقائه مع ابنه تغان فهزمه قيدو ورجع منهزاً إلى أبيه فسطحة وطرده إلى بلاد الخطأ ومات هناك وسلط قبلاي على قيدو وكان غالب على ما وراء النهر برانق بن ستف بن منكوفان بن جفطاي من بني جفطاي ملوك ما وراء النهر بوصية أبيهم جنكرخان فغلبه برانق واستولى على ما وراء النهر.

ثم هلك قبلاي صاحب التخت سنة ثمان وثمانين وملك ابنه سرقوق. هذا ما انتهى إلينا من أخبار ملوك التخت بقرافق من بني جنكرخان ولم تقف على غيرها والله تعالى ولي التوفيق.

## ملوك بني جفطاي بن جنكرخان بتركستان وكاشغر وما وراء النهر

هذا الإقليم هو مملكة الترك الأولى قبل الإسلام وأسلم ملوكهم على تركستان وكاشغر فأقاموا بها وملك بني سامان نواحي بخاري وسمرقد واستبدوا و منها كان ظهور السلجوقية والتتر من بعدهم ولا استولى جنكرخان على البلاد أوصى بهذه المملكة لابنه جفطاي ولم يتم ذلك في حياته ومات جفطاي دونه فلما ولی منكوفان بن طولي على التخت ولی أولاد جفطاي عمه على ما وراء النهر إمضاء لوصية جنكرخان لأبيهم التي مات دونها وولی منكوفان فلما هلك ولی آخره هلاكو ابنه مبارك شاه ثم غلب عليهم قيدو بن قاشي بن كغود بن أوکدایي بن جنكرخان وانتزع ما وراء النهر من أبيهم وكان جده كفرك صاحب التخت.

### ناظر خان بن دوشی خان

ولما هلك دوشی خان ولي مكانه ابنه ناظر خان ويقال: صامر خان ومعناه الملك المغير فلم يزل ملكاً عليها إلى أن هلك سنة خسین وستمائة.

### طرطو بن دوشی خان

ولما هلك ناظر ولي آخره طرطو فأقام ملكاً ستين وهلك سنة اثنين وخمسين ولما هلك ولي مكانه آخره بركة هكذا نقل ابن فضل الله عن ابن الحكيم.

وقال المؤيد صاحب حماة في تاريخه: إنه لما هلك طرطو هلك من غير عقب وكان لأخيه ناظر خان ولدان وهم تدان وببركة وكان مرشحاً للملك فعدل عنه أهل الدولة وملکروا أخيه بركة وسارت أم تدان إلى هلاكو عندما ملك العراق تستحنه للملك فومنها فردوها من الطريق وقتلوها واستمر بركة في سلطانه انتهى.

فنسب المؤيد برقة إلى ناظر خان بن دوشی خان وأبن الحكيم على ما نقل ابن فضل الله جعله ابن دوشی خان نفسه.

وذكر المؤيد قصة إسلامه على يد شمس الدين البخاري من أصحاب نجم الدين وان البخاري كان مقيناً بخارى وبعث إلى بركة يدعوه إلى الإسلام فأسلم وبعث إليه كتابه ياطلاق يده في سائر أعماله بما شاء فرده عليه وأعمل برقة الرحلة إلى لقائه فلم ياذن له في الدخول حتى ظهر عليه أصحابه وسهلوا الإذن لبرقة فدخل وجد الإسلام وعاشه الشيخ على إظهاره الإسلام وأن يحمل عليه سائر قومه فحملهم وافتدى في جميع بلاده المساجد والمدارس وقرب العلماء والفقهاء ووصلهم.

وسياق القصة على ما ذكره المؤيد يدل على أن إسلامه كان أيام ملكه وعلى ما ذكر ابن الحكيم أن إسلامه كان أيام أخيه ناظر ولم يذكر ابن الحكيم طرطو وإنما ذكر بعد ناظر أخيه بركة ولم نقف على تاريخ لدولتهم حتى يرجع إليه وهذا ما أدى إليه الاجتهد، وما بعدها ما نجده من تاريخ المؤيد صاحب حماة من بين المؤلفين شاهنشاه بن أبوب.

قال: ثم بعث بركة أيام سلطانه أخيه ناظر إلى ناحية الغرب للجهاد وقاتل ملك اللمان من الإفرنج فانهزم ورجع ومات أسفماً ثم حدثت الفتنة بين بركة وبين قبلاي صاحب التخت وانتزع بركة الخاقانية من أعمال قبلاي وول عليها سرخاد ابن أخيه ناظر وكان على دين النصرانية وداخله هلاكو في الانتقام على عممه بركة إلى

ثم زحف إلى مازندران وطال غرسه وحربوه مع صاحبها الشيخ ولد إلى أهله ملكها عليه سنة أربع وثمانين وحق الشيخ ولد بتوريز إلى أن ملكها تمر سنة ثمان وثمانين فهلك في حربه معها ثم زحف إلى أصفهان فأثاره طاعة عبرة وخالقه في قومه كبير من أهل نسبه يعرف بعمير الدين وأمد طقطمش صاحب التخت بصرابي فكر راجعاً وشغل بجربه إلى أن غلبه ومحا أمره وغلب طقطمش على ما يده من البلاد ثم زحف إلى بغداد سنة خمس وسبعين فأجلف عنها ملكها أحمد بن أوس بن الشيخ حسن المتغلب عليه بعد بني هلاكو فلحق أحد بير الشام سنة ست وسبعين واستولى على بغداد والجزيرة وديار بكر إلى الفرات واستعد ملك مصر للقائه وزلل الفرات فأحاجم عنه وتاخر عنه إلى قلاع الأكراد وأطراف بلاد الروم وأناخ على قرياغ ما بين أذربيجان والأبواب ورجع خلال ذلك طقطمش صاحب التخت إلى صرابي وملكه فسار إليه تمر أول سنة سبع وسبعين وغلب على ملكه وأخرجه عن سائر ممالكه ثم وصل الخبر آخر السنة بظفره بقطمش وقتل إيه واستيلائه على جميع أعماله والحال على ذلك لهذا العهد والله وارث الأرض ومن عليها وفي خبر العجم أن ظهوره سنة عذب يعنيون سنة اثنين وسبعين وسبعينة محاسب الجمل في حروف هذه اللفظة والله سبحانه وتعالى ولـي التوفيق به وكرمه.

### الخبر عن ملوك بني دوشی خان من التتر ملوك خوارزم ودست الفوجاقي ومبايع أمرورهم وتصاريف أحواهم

قد تقدم لنا أن جنکرخان عين هذه البلاد لابنه دوشی خان وملكه عليها وهي مملكة متسعة في الشمال آخذة من خوارزم إلى ناركند وصفد وصراي إلى مدينة ماساجري وأران وسرادق وبلغار وباشقرد وجبلان وفي حدود هذه المملكة مدينة باكون من مدن شروان وعندها باب الحديد ويسموه دمرقو وقر حدود هذه المملكة في الجنوب إلى حدود القسطنطينية وهي قليلة المدن كثيرة العمارة والله تعالى أعلم.

### دوشي خان بن جنکرخان

وأول من ولها من التتر دوشی خان فلم يزل ملكاً عليها إلى أن هلك كما مر.

عليه استبداده حتى أنه قتل امرأة كنجك وكانت محكمة في أيام أبيه وأخيه وشكك إلى نرغية فامر بقتلها خرقاً وقتل أميراً كان في خدمتها اسمه بيطرا فتذكر له قلابغا وأجمع الفتك به وأرسل يستدعيه لما طوي له عليه وهي الخبر بذلك إلى نرغية بالغ في إظهار النصيحة والإشراق على السلطان وشاطب أمره بأن عنده نصائح يرد لو القاما إلى السلطان في خلوة فثبت ابنها عن رأيه فيه وأشارت عليه باستدعائه والاطلاع على ما عنده وجاء نرغية وقد بعث عن جماعة من إخوة السلطان قلابغا كانوا يبلغون إليه ومنهم طغطاي وبولوك وصرابي وتدان بنو منكور بن طفان فجاؤوا معه وقد توافقوا لما هجم السلطان قلابغا وركب للقاء نرغية في لة من عسكره وجاء نرغية وقد أمكن له طافحة من العسكر فلما التقى تحدثا ملياً وخرج الكنمناء وأحاطوا بالسلطان وقتلوه سنة تسعين وستمائة وأقبل طغطاي بن منكور.

ولما قتل قلابغا ولو ما كانه طغطاي لوقته ورجع نرغية إلى بلاده وبعث إلى طغطاي في قتل الأمراء الذين دخلوا قلابغا في قته فقتلهم طغطاي أجمعين ثم تكر طغطاي لنرغية لما كان عليه من الاستبداد وأنف طغطاي منه وأظلم الجر بینهما واجتمع أعيان الدولة إلى نرغية فكان يوغر صدرهم على طغطاي وأصهر إلى طاز بن منجك منهم بابته فسار إليه ولقيه نرغية فهزمه واعترضه نهر مل فغر كثير من عساكره ورجع نرغية عن اتباعه واستولى على بلاد الشمال وأقطع سبطه قراجا بن طشتمن سنة ثمان وسبعين مدينة القرم وسار إليها لقبض أموالها فأضافوه وبيته وقتلوه من ليلته.

وبعث نرغية العساكر إلى القرم فاستباحوها وما يجاورها من القرى والضياع وخرب سائرها وكان نرغية كبير الإثار لأصحابه فلما استبد بأمره آخر ولده على الأمراء الذين معه وأحسوا عليهم وكان رديفة من ملك المغل أبياجي بن قرمش وآخره قراجا فلما آخر ولده عليهم نزعا إلى طغطاي في قومهما وسار ولد نرغية في اتبعهما فرجع بضمهم واستمر الباقون وقتل ولد نرغية من رجع معه من أصحاب أبياجي وقراجا وولدهم فامتنع لذلک أمراء المغل الذين معه ولحقوا بطنطاي واستحثوه لحرب نرغية فجمع وسار إليه سنة تسعة وسبعين بكركانلک فانهزمت عساكر نرغية ولده وقتل في المعركة وحمل رأسه إلى طغطاي فقتل قاتله وقال: السوقة لا تقتل الملوك.

واستيغ معسكر نرغية وبيع سباياهم وأسراهم في الأقطار وكان ينصر منهم جماعة استرقوا بها وانتظروا في ديوان جندها ولم يلک نرغية خلنه في أعماله ابنه جكك وانتقض عليه آخره

أتحي قبل اي صاحب التخت ويقطعه الحاقانية وما يشاء معها وشعر برقة بشائه وأن سر خاد يحاول قتله بالسم فقتله وول الحاقانية أخاه مكانه وأقام هلاکر طالباً بثار سر خاد ووقدت الحرب بينه وبين برقة على نهر آمد سنة ستين ثم هلاکر سنة ثلاث وستين وول ابنه أبعاً فساري إلى حرية وسرج برقة للقائه ستاي بن بانيخان بن جفطاي وزرغية بن تتر بن مغل بن دوشی خان فلما التقى المجتمع أحجم ستاي ورجح منهاماً وانهزم أبعاً أمام نرغية وأثخن في عساكره وعظمت منزلة نرغية عند برقة وسخط برقة ستاي وساعت منزلته عنده إلى أن هلاک برقة سنة خمس وستين والله سبحانه وتعالى أعلم.

### منكور بن طفان بن ناظر خان

ولما هلاک برقة ملك الدست بالشمال ملك مكانه منكور بن طفان بن ناظر خان ابن دوشی خان وطالت أيامه وزحف سنة سبعين إلى القسطنطينية لجدة وجدها على الأسكندر ملكها فتقاه بالحضور والرغبة ورجع عنه ثم زحف سنة ثمانين إلى بلاد الشام في مظاهره أبعاً بن هلاکر ونزل بين قيسارية وأيلستين منبلاد الروم ثم أجاز الدربرد ومر بأبعا وهو منازل الرحمة وتقدم مع أخيه منكور بن هلاکر إلى حماة فنازلوها وزحف إليهم المتصور قلاوون ملك مصر والشام من دمشق ولقيهم ظاهر حص وكانت الدائرة على ملوك التتر وهلاک خلق من عساكرهم وأسر آخرون وأجفل أبعاً من منازلة الرحمة ورجعوا إلى بلادهم منهزمين.

وهلک على أثر ذلك منكور ملك الشمال ومنكور بن هلاکر سنة إحدى وثمانين ولما هلاک منكور ملك مكانه ابنه تدان وجلس على كرسى ملکهم بصرابي فقام خمس سنين ثم ترهب وخرج عن الملك سنة ست وثمانين واقتصر إلى صحبة الشايخ الفقراء ولما ترهب تدان بن منكور وخرج عن الملك ملك مكانه آخره قلابغاً وأجمع على غزو بلاد الكرك واستقر نرغية بن تتر بن مغل بن دوشی خان وكان حاكماً على طائفة من بلاد الشمال وله استبداد على ملوك بيبي دوشی خان فتفرق معه في عساكره وكانت عظيمة ودخلوا جميعاً بلاد الكرك وأغاروا عليها وعاثوا في نواحيها وفصلوا منها وقد تكون فصل الشتاء وملك السلطان مسافة اعتسف فيها الرياء وهلاک أكثر عساكره من البرد والجروح وأكلوا دوابهم.

وسار نرغية من أقرب المسالك فنجا إلى بلاده سالماً من تلك الشدة فاتهمه السلطان قلابغاً بالادهان في أمره وكان ينقسم

العساكر وسار معه عسکر أهل الشمال هؤلاء وقررت لهم العلوة  
بتوريز ولما مات هلاکر طلب برکة من ابته أبغا أن ياذن له في بناء  
جامع تبریز ودار لنسخ الثواب والطرز فاذن له فباهمها وقام بذلك  
ثم اصطلحوا وأعيدت قادعی بنو دوشی خان أن توریز ومراغة  
من أعمالهم ولم يزالوا مطابلين بهذه الدعوة فلما وقعت هذه الفتنة  
يین أزیك ولی سعید انتفع أمره بغزو موغان فبعث العساکر إلیها  
سنة تسعة عشر فاکسحوا نواحيها ورجعوا.

وَجْه جُوبَان عَلَى دُولَتِه وَتَحْكِيمِه فِي بَنِي جَنْكَرْخَان وَأَنْهِيَّنْفُونْ أَنْ يَكُونْ بِرَاقُ بْنُ سَتْفَ بْنُ مُنْقَوْفَانْ بْنُ جَنْفَطَاهِي مَلِكًا عَلَى خَوَارِزْم فَأَغَاهَهُ أَزْبِيكُ فَمَلَكَ خَرَاسَانَ وَأَمَدَهُ بِالْعَسَاكِرِ مَعَ نَائِبِهِ قَطْلَمَرِ وَسَارِ سَيُولِ لِذَلِكَ وَبَعْثَ أَبُو سَعِيدِ نَائِبِهِ جُوبَانَ لِمَدَافِعَتِهِمَا فَلَمْ يَطِقْ وَغَلَبْ سَيُولَ عَلَى كَثِيرِ مِنْ خَرَاسَانَ وَصَالِحَهِ جُوبَانَ عَلَيْهَا وَهَلَكَ سَيُولَ سِنَةِ عَشَرِينَ ثُمَّ عَزَلَ أَزْبِيكُ نَائِبِهِ قَطْلَمَرَ سِنَةِ إِحدَى وَعَشَرِينَ وَوَلِي مَكَانَهُ عِيسَى كُوكَزْ شَمَ رَدَ سِنَةِ أَربعَ عَشَرِينَ إِلَى نَيَابَهِ.

ولم تزل الحرب متصلة بين أذربايجان وأبي سعيد إلى أن هلك أبو سعيد سنة ست وتلائين ثم هلك القان في هذه السنة ولما هلك أذربايجان بن طغرلخاي ولي مكانه ابنه جاني بك وكان أبو سعيد قد هلك قبله كما قلنا ولم يعقب وولي مكانه على العراق الشيخ حسن من أسباط أبعا بن هلاكوه وافتراق الملك في عماليتهم طوانف وردد جاني بك العسكري إلى خراسان إلى أن ملكها سنة ثمان وخمسين ثم زحف إلى أذربيجان وتوريز وكان قد غالب عليها الشيخ الصغير ابن دمرداش بن جويان وأخوه الأشرف من بعده كما يذكر في أخبارهم إن شاء الله تعالى فزحف جاني بك في العسكري إلى أذربيجان بتلك المطالبalle التي كان سلفه يدعون بها فقتل واستولى على توريز وأذربيجان وانكفا راجعاً إلى الأشرف واستولى على خوزستان بعد أن ولّ على توريز ابنه بردبيك واعتلى جاني بك في طرقه ومات.

بردبیک بن جانی

ولما اعتل جاني في ذهابه من توريز إلى خراسان طير أهل الدولة الخبر إلى ابنه بردبيك وقد استخلفه في توريز فولي عليهما أميراً من قبله وأخذ السير إلى قمه ووصل إلى صرای وقد هلك أبوه جاني فولوه مكانه واستقل بالدولة وهلك لشلات سنتين من ملكه.

فقتله فاسترحوش لذلک اصحابه واجعوا الفتك به وتولی ذلك نابه طفرجای وصهره على أخيه طاز بن منجك وغنى الخبر بذلك إليه وهو في بلاد اللاز والروس غازياً هربر ولحق بيلاده ثم لحق به عسكره فعاد إلى حربهم وغلبهم على البلاد ثم أمهما طقططاي على جكا بن توغيتة فانهزم ولحق ببلاد أولاق وحاول الامتناع بعض القلاع من بلاد أولاق وفيها صهره فقبض عليه صاحب القلعة واستخدم بها الطقططاي فأمره بقتله سنة إحدى وسبعينمائة ونجا آخره طرای وابنه قراکشك شریدن وخلال الجر لقطقططي من المزارعين والمخالفين واستقرت في الدولة قدمه وقسم أعماله بين أخيه صرایي بغا وبين ابيه.

وأنزل منكلي بما من أبنيه في عمل نهر طنا مما يلي باب  
الحديد ثم رجع صرای بن نوغیة من مفره واستدْم بصرایي بغا  
أحبي طغطایي فأذمه وأقام عنده فلما أتى به كشف له القناع عما  
في صدره واستهواه للانقضاض على أخيه طغطایي وكان أحوهما  
ازيك أكبر منه وكان مقيناً عند طغطایي فركب إليه صرای بغا  
ليقاوضه في الشأن فاستطعه واطلع عليه أخاهما طغطایي فامرء  
لوقته بإحضار أخيه صرای بغا وصرای بن نوغیة وقتلهمما  
واستضاض عمل أخيه صرای بغا لابنه أيل بهادر ثم بُث في طلب  
قرلاكسن بن نوغیة فأبعد في ناحية الشمال واستدْم بيعرض الملوك  
هناك ثم هلك سنة سبع وسبعيناً آخره لذلك وابنه إيل بهادر  
وهم كل طغطایي بعدهما ستة اثنى عشرة والله تعالى أعلم.

أزبك بن طغرل جاي بن منكوتغر

ولما هلك طفططي بابع ناته قطلتر لازيك ابن أخيه طفرجلياي بإشارة الخاتون تتوفالون زوج أخيه طفرجلياي وعاشه على الإسلام فاسلم واخذ مسجداً للصلوة وانكر عليه بعض أمرائه فقتلته وتزوج الخاتون بثالون وكانت المواصلة بين طفططي وبين ملوك مصر ومات طفططي ورسله عند الملك الناصر محمد بن قلاوون فرجعوا إلى أزيك مكرمين وجدد أزيك الولاية معه وحبيه قطلتر في بعض كرائمهم يرغبه وعين له بنت بذلك أخيه طفطان وتنكررت الرسالة في ذلك إلى أن تم الأمر ويعشا بكرههم الخطوطية إلى مصر فعقد عليها الناصر وبني بها كما مر في أخباره ثم حدثت الفتنة بين أزيك وبين أبي سعيد ملك التتر بالعراق من بني هلاكو وبعث أزيك عساكرة إلى أذربيجان.

وكان بنو دوشي يدعون أن توريز ومراغة لهم وأن القان لما  
بعث هلاكرو لغزو بلاد الإسماعيلية وفتح بغداد استثنى من

## ماماي المتغلب على مملكة هراري

تغلب عليه ماماي من ضواحيها وملك أعمال حاجي شركس في منج طرخان واستنزع جميع ما كان بأيدي المغلبين وعما أثراهم وسار إلى ماماي بالقرم فهو رب أمامة ولم يوقف على خبره ثم صر الخبر بهلكه من بعد ذلك واستوست الملك بصرائي وأعمالها لطغطمش بن برديك كما كان لقوعمه.

## حروب السلطان قر مع طغطمش صاحب صرای

قد ذكرنا فيما مر ظهور هذا السلطان قر في دولة بني جنططي وكيف أجاز من بخارى وسمرقند إلى خراسان أعوام أربعة وثمانين وسبعين فنزل على هرة وبها ملك من بقايا الغورية فحاصرها وملكها من يده ثم زحف إلى مازندران وبها الشيخ ولنغلب عليها بعد بني هلاكرو فطالب حروبه معه إلى أن غلبه عليها ولحق الشيخ ولن بغريز في قل من أهل دولته ثم طوى قر المالك طيباً وزحف إلى أصفهان فأتاها ابن المظفر بها طاعته ثم إلى توريز سنة سبع وثمانين فملكها وخربيها وسار إلى قل من صرخي ودست الفجاجق بصرائي فملكها من يد طغطمش وأخرجها فاقام بأطراف الأعمال حتى أجاز قر إلى أصفهان فرجع إلى كرسيه وكان للسلطان قر قريع في قومه يعرف بقم الدين فراسله طغطمش صاحب صرای وأغرابه بالانتقاض على قر وأمده بالأموال والعساكر فعاد في تلك البلاد وبلغ خبره إلى قر من صرخي من فتحه فكر راجعاً وعظمت حروبه مع قمر الدين إلى أن غلبه وحسم عليه وصرف وجهه إلى شأنه الأول وقرر الزحف إلى طغطمش وسار طغطمش للقائه ومعه أغلان بلاط من أهل بيته فدخله قر وجاء الأمة معه واستتاب بهم طغطمش وقد حان اللقاء وتصاححو للحرب فقصد ناحية من عسکر قر وقصد من لقي فيها وتبدد عليه وافتلق الأمة الذين دخلوا قر وساروا إلى التحرر فاستولوا عليها.

وجاء طغطمش إلى صرای فاسترجعها وهرب أغلان بلاط

إلى القرم فملكها وزحف إلى طغطمش في العساكر فحاصرها وخالقه أرض خان إلى صرای فملكها فرجع طغطمش وانتزعاها من يده ولم تزل عساكرة مختلف إلى القرم وتعاهدها بالحصار إلى أن ملكها وظفر بأغان بلاط قتله وكان السلطان قر بعد فراقه من حروبه مع طغطمش سار إلى أصفهان فملكها أيضاً واستوعب ملوك بني المظفر وعاملهم بالقتل وانتظم له أعمالهم جميعاً في مملكته ثم زحف إلى بغداد فملكها من يد أحد بن أبيهم واسترجع ما

ولا هلك برديك خلف ابنه طغطمش غالماً صغيراً وكانت اخته بنت برديك تحت كبير من أمراء المغل اسمه ماماي وكان متحكماً في دولته وكانت مدينة القرم من ولايته وكان يومئذ غائباً بها وكان جماعة من أمراء المغل متفرقين في ولايات الأعمال بنواحي صرای ففرقوا الكلمة واستبدوا بأعمالهم فتغلب حاجي شركس على ناحية منج طرخان وتغلب أهل خان على عمله وأبيك خان كذلك؛ وكانت كلهم يسمون أمراء المسيرة فلما هلك برديك وانقضت الدولة واستبد هؤلاء في النواحي خرج ماماي إلى القرم ونصب صبياً من ولد أزيك القان اسمه عبد الله وزحف به إلى صرای فهو رب منها طغطمش ولحق بملكه أرض خان في ناحية جبال خوارزم إلى مملكة بني جنططي بن جنكرخان في سمرقند وما وراء النهر والمغلب عليها يومئذ السلطان قر من أمراء المغل وقد نصب صبياً منهم اسمه محمود أو طغطمش وتزوج أمه واستبد عليه فأقام طغطمش هناك.

ثم تنافس الأمراء المتغلبون على أعمال صرای وزحف حاجي شركس صاحب عمل منج طرخان إلى ماماي فغلبه على صرای فملكها من يده وسار ماماي إلى القرم فاستبد بها ولما زحف حاجي شركس من عمله بعث أرض خان عساكرة من نواحي خوارزم فحاصروا منج طرخان وبعث حاجي العساكر إليهم مع بعض أمرائهم فأعمل الخليفة حتى هزمهم عن منج طرخان وفتك بهم وبالأمير الذي يقودهم وشغل حاجي شركس بتلك الفتنة فزحف إليه أبيك خان وملك صرای من يده واستبد بها أيامأ ثم هلك وولي بعده بصرای ابنه قارخان ثم زحف إليه أرض خان من جبال خوارزم فغلبه على صرای وهرب قارخان بن أبيك خان وعادوا إلى عملهم الأول واستقر أرض خان بصرای وماماي بالقرم ما بينه وبين صرای في مملكته وكان هذا في حدود أعوام ست وسبعين وطغطمش في خلال ذلك مقيم عند السلطان قر فيما وراء النهر.

ثم طمحت نفس طغطمش إلى ملك آبائه بصرای فجهز معه السلطان قر العساكر وسار بها فلما بلغ جبال خوارزم اعترضه هناك عساكرة أرض خان فقاتلوه وانهزم ورجع إلى قر ثم هلك أرض خان قريباً من متصرف تلك السنة فخرج السلطان قر بالعساكر مع طغطمش مددداً له إلى حدود عمله ورجع واستمر طغطمش فاستول على أعمال أرض خان بجبال خوارزم ثم سار إلى صرای وبها أعمال أرض خان فملكها من يد أبيهم واسترجع ما

وتعدين كما مر ذكره.

الفترة وقعت بيته وبين صاحب الشمال من بني جنکرخان وهو ناطرو بن دوشی خان صاحب التخت بصرای وسار إليه في جميع المغل والتر وهلك في طريقه وسلم المغل الذين معه التخت لمناظر فامتنع من مباشرته بنفسه وبعث إليه أخاه منکوفان وبعث معه بالعساکر أنجويه الآخرين قبلاي وهلاکو ومعهما أخوهما برکة ليجلسه على التخت فأجلسه سنة خسین وذکرنا سبب إسلام برکة عند مرجه وآن منکوفان استقل بالخت وولى بني جفطای بن جنکرخان على بلاد ما وراء النهر إمضاء لوصیة جنکرخان وبعث أخاه هلاکو لتدرییخ عراق العجم وقلاع الإسماعیلیة ویسمون الملاحدة والاستیلاء على مالک الخلیفة.

### هلاکو بن طولی

ولما بعث منکوفان أخاه إلى العراق فسار لذلك سنة اثنين وخسین وستمائة وفتح الكثير من قلاعهم وضيق بالحصار عنفهم وولى خلال ذلك في كرسی صرای بالشمال برکة بن ناطرو بن دوشی خان فحدثت الفتنة بينه وبين هلاکو ونشأت من الفتنة الحرب وسار برکة ومعه نوغان بن ططر بن مغل بن دوشی خان والتقا على نهر نزل وقد جمد ماؤه لشدة البرد واخسف من تحته فانهزم هلاکو وهلك عامه عسکره وقد ذکرنا أسباب الفتنة بينهما ثم رجع هلاکو إلى بلاد الإسماعیلیة وقصد قلعة الموت وبها صاحبها علاء الدين فبلغه في طريقه وصیة من ابن العلقمی وریز المستعصم ببغداد في كتاب ابن الصلایا صاحب إربل يستحثه للمسیر إلى بغداد ويسهل عليه أمرها لما كان ابن العلقمی راضیاً هو وأهل محلته بالکرخ وتعصب عليهم أهل السنة وقسکوا بأن الخليفة والدوادار يظاهرونهم وأوقعوا بأهل الكرخ.

وغضب لذلك ابن العلقمی ودس إلى ابن الصلایا بباريل وكان صدیقاً له بأن يستحث التر ملک بغداد وأسقط عامة الجندي عمه بأنه يصانع التر بعطائهم وسار هلاکو والتر إلى بغداد واستقر بنحو مقدم التر ببلاد الروم فيما كان معه من العساکر فامتنع أولاً ثم أجاب وسار إليه.

ولما أطل هلاکو على بغداد في عساکرها برز للقائه أیک الدوادار في عساکر المسلمين فهزموا عساکر التر ثم تراجع التر فهزموهم واعتراضهم دون بغداد بشوق ابیت في ليلتهم تلك من دجلة فحالات دونها فقتلوا أجمعین وهلك أیک الدوادار وأسر الأمراء الذين معه ورجعوا إلى البلد فحاصروها مدة ثم استأنن ابن العلقمی للمستعصم ولنفسه آملاً بأن هلاکو يستقيمه فخرج

ولحق أحد بالسلطان الظاهر صاحب مصر مستمراً به فخرج معه في العساکر وانتهى إلى الفرات وقد سار عن بغداد إلى ماردين فحاصرها وملكها وامتنع عليه قلعتها فعاج من هناك إلى حصن الأکراد ثم إلى بلاد الأرمن ثم إلى بلاد الروم. وبعث السلطان الظاهر صاحب مصر العساکر مددًا لأن أوس فسار إلى بغداد وبها شرذمة من عسکر تر فملكها من أیدیهم ورجع الملك الظاهر إلى مصر وقد أثأله الشقاء ورجع تر إلى نواحي أعماله فاقام في عمل قرباق ما بين أذربیجان وهمدان والأبواب ثم بلغ الخبر إلى تر فسار من مكانه ذلك إلى محاربة طقطمش وعميت أباؤه مدة ثم بلغ الخبر آخر سنة سبع وتعدين إلى السلطان بان تر ظفر بقطمش وقتله واستولى على سائر أعماله والله غالب على أمره انتهى.

### ملوك غزنة وبايمان من بني دوشی خان

كانت أعمال غزنة وبايمان هذه قد صارت لدوشی خان وهي من أعمال ما وراء النهر من جانب الجنوب وتساخم سجستان وبلاد الهند وكانت في مملکة بني خوارزم شاه فملكها التر لأول خروجه من أیدیهم وملكها جنکرخان لابنه دوشی خان وصارت لابنه أردزو ثم لابنه أنجی بن أردزو وهلك على رأس المائة السابعة وخلف من الرلد بیان وکبک ومتغطیاً وانقسمت الأعمال بينهم وكان کبیرهم بیان في غزنة واستند بقطمش بعد أنجی انه کبک وانتقض عليه آخره بیان واستجد کبک بقندو فامده ولم يغن عنه وانهزم ومات سنة تسع وسبعيناً واستول بیان على الأعمال وأقام بغزنة وزحف إليه قوشنای ابن أخيه کبک واستند بقندو وغلب عمه على غزنة ولحق بیان بقطمش واستقر قوشنای بغزنة ويقال: إن الذي غالب عليها إنما هو آخره بقطمش ولم تخف بعد على شيء من أخبارهم والله تعالى أعلم بغيره وأحكم.

### دوله بني هلاکو ملوك التر کفور بن خراسان ومبادي أمرهم وتصاريف أحوالهم

قد تقدم لنا أن جنکرخان عهد بالخت وهو كرسی الملك بقراقوم لابنه أوکدای ثم ورثه من بعده کفودین أوکدای وأن

دمشق وارتحل الناصر إلى مصر ورجع عنه الصالح بن الأشرف صاحب حصن إلى هلاكو فولاه دمشق وجعل زواجه بها لنظره وبلغ الناصر إلى هلاكو ثم استوحش الخليفة من قظر سلطان مصر لما كان بينهما من الفتنة فخرج إلى هلاكو فاقبل عليه واستشاره في إزالة الكتاب بالشام فسهل له الأمر في عساكر مصر ورجع إلى رأيه في ذلك وترك ناته كتبها من أمراء التتر في خف من الجنود فيبعث كتبها إلى سلطان مصر وأسأله رسالته مجلس السلطان في الخطاب بطلب الطاعة فقتلهم وسار إلى الشام فلقي كتبها بعين جالوت فانهزمت عساكر التتر وقتل كتبها أميرهم والسعيد صاحب الضيضة أخو الناصر كان حاضراً مع التتر فقبض عليه وقتل صبراً.

ثم بعث هلاكو العساكر إلى البيره والسعيد بن لؤلؤ على حلب ومعه طائفة من العساكر فبعث بعضهم للدافعة التتر فانهزموا وحقن الأمراء على السعيد بسبب ذلك وحبسوه وولوا عليهم حسام الدين الجوكندر وزحف التتر إلى حلب فأجفل عنها واجتمع مع أصحابها المنصور على حصن وزحفوا إلى التتر فهزموهم وسار التتر إلى أقاصية فحاصروها وهابوا ما وراءها وارتحلوا إلى بلادهم وبلغ الخبر إلى هلاكو فقتل الناصر صاحب دمشق لاتهامه إياه فيما أشار به من الاستهانة بأهل مصر وكان هلاكو لما فتح الشام سنة ثمان وخمسين بلغه مهلك أخيه القان الأعظم منكوفان في مسيره إلى غزو بلاد الخطأ فطمع في القانية ويادر لذلك فوجد أخاه قبلاني قد استقل فيها بعد حروب بدلت بينه وبين أخيه أزيك تقدم ذكرها في أخبار القان الأعظم فشنغل بذلك عن أمر الشام ثم لما يشن من القانية قنع بما حصل عنده من الأقاليم والأعمال ورجع إلى بلاده والأقاليم التي حصلت بيده إقليم خراسان كرسيه نيسابور ومن مدنها طوس وهراء وترمذ وبيلخ همدان ونهاوند وكنجة وعراق العجم كرسيه أصفهان ومن مدنه قزوين وقم وقاشان وشهرزور وسجستان وطبرستان وطلان وببلاد الإسماعيلية، وعراق العرب كرسيه بغداد ومن مدنه الدينور والكوفة والبصرة اذربيجان وكرسيه توريز ومن مدنه حران وسلامس وقفقاج خوزستان كرسيها شتر ومن مدنها الأهواز وغيرها فارس كرسيها شيراز ومن مدنها كش ونعمان ومحمل رزون والبحرين ديار بكر كرسيها الموصل ومن مدنها ميافارقين ونصيبين وسنجر واسعد وديس وحران والرها وجزيرة ابن عمر بلاد الروم كرسيها قربة ومن مدنها ملطية وأقصرا وأورنكار وسيواس وأنطاكية والعاليات.

ثم أجلاه أحد الحاكم خليفة مصر فزحف إلى بغداد وهذا

إليه في مركب من الأعيان وذلك في حرم سنة ست وخمسين. وقبض على المستعصم فشخ بالمعاول في عدل تجافياً عن سفك دمه بزعمهم ويقال: أن الذي أحصى فيها من القتلى ألف وثمانمائة ألف واستولوا من قصور الخلافة وذخائرها على ما لا يحصر العدد والضبط والقيمة كتب العلم التي كانت في خزانتهم بدخلجة معاملة بزعمهم لافعل المسلمين بكتاب الفرس عند فتح المداشر واعتزم هلاكو على إضرام بيوتها ناراً فلم يوافقه أهل مملكته واستيقى ابن العلقمي على الوزارة ولربطة ساقطة عندهم فلم يكن قصارى أمره إلا الكلام في الدخل والخروج متصرفاً من تحت آخر أقرب إلى هلاكو منه فبقي على ذلك مدة ثم إضطراب وقتل هلاكو.

ثم بعث هلاكو بعد فتح بغداد بالعساكر إلى ميافارقين وبها الكامل محمد بن غازى بن العادل فحاصروها سنتين حتى جهد الحصار أهلها ثم اقتحموا عنوة واستحللوا حاميها ثم بعث إلى بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ابنه ركن الدين إسماعيل بالطاعة والهدية فقبله وبعثه إلى القان الأعظم منكوفان بقرارون وأبطأ على لؤلؤ خبره فبعث بالولدين الآخرين شمس الدين إسحاق وعلاء الدين بهدية أخرى ورجعوا إليه بمجرد ابنيه وقرب إياته فتوجه لؤلؤ بنفسه إلى هلاكو ولقيه بأذربيجان وحضر حصار ميافارقين وجاءه ابنه ركن الدين من عند منكوفان بولاية الموصل وأعمالها.

ثم هلك سنة سبع وخمسين وولي ابنه ركن الدين إسماعيل ويلقب الصالح وبعث هلاكو عسكراً إلى إربل فحاصرها ستة أشهر وامتنعت فأفرجت عنها العساكر فاغتصم ابن الصلايا الفرحة ونزل عنها لشرف الدين الكردي ولحق بهلاكو فقتله وكان صاحب الشام يومئذ الناصر بن العزيز محمد بن الظاهر غازي بن صلاح الدين فلما بلغه استيلاء هلاكو على بغداد بعث إلى ابنه بالهدايا والمصنوعات والعتاد عن الوصول بنفسه لمكان الإفرنج من سواحل الشام قبل هديته وعذرها ورجع ابنه بالمواعيد ولم يتم هلاكو الاستيلاء على الجزيرة وديار بكر وديار ربيعة وانتهى ملوكه إلى الفرات وتاخم الشام وعبر الفرات سنة ثمان وخمسين فملك البيرة ووجد بها السعيد أخا الناصر بن العزيز معتقلًا فطلقه ورده إلى عمله بالضيضة وبانياس.

ثم سار إلى حلب فحاصرها مدة ثم ملكها ومنه عليه وأطلقه ووجد بها العتقلين من البحرية ماليك الصالح أيوب الذين جسمهم الناصر وهم ستر الأشرف وتنكر وغيرهما فاطلقهم وكان معهم أمير من أكبر الفجاق لحق به واستخدم له وجعلهم معه وولي على البلاد التي ملكها من الشام ثم جهز العساكر إلى

الحاكم هو عم المستعصم لحق بمصر بعد الواقعة ومعه الصالح بن لولو بعد أن أزاله التتر من الموصل فنصب الظاهر بيبرس أحد هذا في الخلافة سنة تسع وخمسين وبعثه لاسترجاع بغداد ومعه الصالح بن لولو على الموصل فلما أجازوا الفرات وقاربوا بغداد كسبهم التتر ما بين هيت وغاشة فكبسو الخليفة وفر ابن لولو وأخوه إلى الموصل فنازلهم التتر سبعة أشهر ثم اقتحموها عليهم عنوة وقتلوا الصالح وخشي الظاهر بيبرس غالة هلاكو ثم إن بركة صاحب الشمال قد بعث إلى الظاهر سنة ستين وسبعين بإسلامه فجعلها الظاهر وسيلة للوصلة معه والإيجاد وأغاره بهلاكو لما بينهما من الفتنة فسار برقة لحربيه وأخذ مجزته عن الشام ثم بعث هلاكو عساكر التتر لحصار البيرة ومعه درباي من أكبر أمراء المغل وأردهه بابنه أبغا وبعث الظاهر عساكره للإيجاد أهلها فلما أطلاوا على عسكر درباي وعاينهم أ杰فل وترك المخيم والآل ولحق بأبغا منهزاً فاعتقله وسخطه ثم هلك هلاكو سنة ثنتين وستين لعشر سنين من ولايته العراق والله أعلم.

### أبغا بن هلاكو

ولما هلك هلاكو ولـي مكانه ابنه أبغا وسار لأول ولايته لحرب برقة صاحب الشمال فسرح إليه برقة العساكر مع قريبه نوغاي بن ططر بن مغل بن دوشي خان ومع ستف بن منكوفان ابن جفطاي بن جنكرخان وخام ستف عن اللقاء ورجع منهزاً وأقام نوغاي فهزم أبغا وأتى في عساكره وعظمت منزلته بذلك عند بركة.

ثم بعث سنة إحدى وسبعين عساكره مع درباي لحصار البيرة وعبر الظاهر إليهم الفرات وهزمهم وقتل أميرين مع درباي ولحق درباي بأبغا منهزاً فسخطه وأدال منه بألطاطي.

وفي سنة اثنين وسبعين زحف أبغا إلى تكدار بن موجي بن جفطاي بن منكوفان وكان صاحبه فاستتجد بابن عمه براق بن ستف بن منكوفان بن جفطاي فامده بنفسه وعساكره واستقر أبغا عساكر الروم وأميرهم طمقان والبروانة والتقى الجمعان يبلاد الكرج فأنهزم تكدار ولجا إلى جبل هنالك حتى استأمن أبغا فامنه وعده أن لا يركب فرساً فارها ولا يمس قوساً.

ثم غي إلى أبغا أن الظاهر صاحب مصر سار إلى بلاد الروم فبعث العساكر إليها مع قاديين من قواد المغل وهو ما تدوان وتغوا فسارا وملك الظاهر قيسارية من تحوم بلادهم وبلغ الخبر إلى أبغا فجاء بنفسه إلى موضع المزعة وعابن مصارع قومه ولم يسمع ذكراً

### تكدار بن هلاكو ويسمى أحمد

ولما توفي أبغا كما ذكرناه وكان ابنه أرغو غائباً بخراسان فباع المثل لأخيه تكدار فأسلم وسمى أحد وخطب بذلك الملوك لعصره وأرسل إلى مصر يخبرهم ويطلب المساعدة وجاء بذلك قاضي سيواس قطب الدين الشيرازي وأتابك بلاد الروم وأبن الصاحب من وراء مارددين وكان أخوه قفترطاي مع صungan الشحنة فبعث تكدار عن أخيه فامتنع من الإجابة وأجاره غيات الدين كخسرو صاحب بلاد الروم فتوعده تكدار فخاف منه وسار هو وقفترطاي إلى تكدار فقتل أخاه وحبس غيات الدين وولى مكانه أخاه عز الدين وأداد من صungan الشحنة بأولاطر من أمراء المغل ثم جهز العساكر إلى خراسان لقتال أخيه أرغو فسار إليهم أرغو وكسبهم وهزمهم وفتك بهم فسار تكدار فهزم أرغو وأسره وأتى في عساكره وقتل أئمي عشر أميراً من المثل فاستوحش أهل معسكره وكانتا يقمنون عليه إسلامه فشاروا عليه وقتلوا نائبه ثم قتلوا سنة اثنين وثمانين ويعثروا إلى أرغو بن أبغا بطاعتهم والله تعالى أعلم.

## أرغو بن أبيغا

سبحانه وتعالى أعلم.

## قازان بن أرغو

ولما انهمز ييدو وقتل ملك على المغل مكانه قازان بن أرغو فجعل أحاه خربندا واليا على خراسان وجعل نيزوز الأتابك مدبراً لملكته وسعى لأول أمره في التدبير على طرغاي من أمرائه ومواليه من المغل الذي داخل ييدو في قتل كتخاتو الذي تولى كبر ذلك فخافه طرغاي على نفسه وكان نازلاً بين بغداد والموصل فبعث إلى كتبغا العادل صاحب مصر والشام يستاذنه في اللحاق به ثم ول قازان على ديار بكر أميراً من أشياعه اسمه مولان فهو زمه وقتل الكثير من أصحابه ونجا إلى الشام وبعث كتبغا من تلقاه يسلم واستقر هو وقومه الأويغراتية بمصر وأقطع لهم وكان ذلك داعياً إلى الفتنة بين الدولتين.

ثم قتل قازان الأتابك نيزوز وذلك أنه استوحش من قازان وكاتب لاشين سلطان مصر والشام المتولى بعد كتبغا وأحس نيزوز بذلك فلحق بهراة مستجيراً بصحابها وهو فخر الدين ابن شمس الدين كرت صاحب سجستان فقبض عليه فخر الدين وأسلمه إلى قطلو شاه فقتله وقتل قازان بعد ذلك أخوه ببغداد وهما حاجي ولكري وقتل السفير إليه بالكتاب من مصر ثم كان بعد ذلك مفر شلامس بن أيال بن منجو إلى مصر وكان أميراً في بلاد الروم على الطومار الحجر فيها والطومار عندهم عباره عن مائة الف من العساكر عن قازان فارتبا به وأرسل إلى لاشين يستاذنه في اللحاق به.

وبعث قازان العساكر إليه فقاتلوه وانقض عنده أكثر أصحابه

ففر إلى مصر وترك أهله وولده وبعث معه صاحب مصر العساكر لتلقى أهله ومرروا بسيس فاعتراضه عساكر التتر هناك فهو زمه وقتلوا أمير مصر الذي معه واعتضم هو ببعض القلاع فاستنزلوه منها وبعثوا به إلى قازان فقتله وأقام آخره قطقطرو بمصر في جلة عساكرها ونشأت بهذه كلها الفتنة بين قازان وأهل مصر وتزعزع إليه أمراء الشام فلحق نائب دمشق، وبكتمر نائب حلب والبكى الظاهري وعزاز الصالحي واسترابوا بسلطانهم الناصر محمد بن قلاوون فلحقوا به واستحوذوا على الشام وسار سنة سبع وسبعين في عساكر المغل والأرمن ومعه نائب قطلو شاه ومولي.

وجاء الملك الناصر من مصر في عساكر المسلمين ولما انتهى إلى غزة أطلع على تدبير بعض المالك عليه من أصحاب كتبغا

ولما ثار المغل على تکدار وقتلوه وبعثوا بظاعتهم إلى أرغو فجاء وولوه أمرهم فقام سلطانه وقتل غباث الدين كنخسر وصاحب بلاد الروم في عبشه اتهمه بمداهته في قتل عميه قفترطاي وتقبض لأول ولاته على الرزير شمس الدين الجوني وكان متهمًا باليه وعمه فقتله وولى على وزارته سعداً اليهودي المرصل ولقبه سعد الدولة وكان عالماً بالحكمة وولى ابنه قازان وخربيدا على خراسان لنظر نيزوز أتابكه. ولما فرغ من أمور ملكه وكان قد عدل عن دين الإسلام وأحب دين البراهمة من عبادة الأصنام واتصاله بالحرس والرياضة له ووفد عليه بعض سحرة المند فركب له دواء لحفظ الصحة واستدامتها فأصابه منه صرع فمات سنة سبعين والله سبحانه وتعالى أعلم.

## كتخاتو بن أبيغا

ولما هلك أرغو بن أبيغا وابنه قازان وخربيدا غابان بخراسان اجتمع المغل على أخيه كتخاتو فباعوه وقدموه للملك ثم ساءت سيرته وأفحش في المساكر وإباحة الحرمات والتعرض للغلمان من ابنائهم وكان في عسکره ييدو بن عمر طرغاي بن هلاکو فاجتمع إليه أمراء المغل وباعوه سراً وشعر بهم كتخاتو ففر من عسکره إلى جهة كرمان وساروا في أثره فادرکوا باعمال غائنة وقتلوا سنة ثلاثة وسبعين لثلاث سنين وأشهر من ولاته تعالى أعلم.

## بيدو بن طرغاي بن هلاکو

ولما قتل أمراء المغل كتخاتو بن أبيغا بایعوا مكانه لابن عميه بيدو بن طرغاي بن هلاکو وكان قازان بن أرغو بخراسان فسار لحرب بيدو ومهما الأتابك نيزوز فلما تقاربوا للقاء تردد الناس بينهما في الصلح على أن يقيم نيزوز الأتابك عند بيدو واصطلحا وعاد قازان ثم أرسل نيزوز الأتابك إلى قازان يستحثه فسار من خراسان ولما بلغ الخبر إلى بيدو فاووض فيه نيزوز الأتابك فقال: أنا أكيفك فصبر حتى أئيه فسرجه ولما وصل إلى قازان أطلعه على شأن أمراء بيدو وأنهم راغبون عنه وحرضه على المسير فامتنع ذلك بيدو وسار للقائهم فلما التقى الجماعان انتقض عليه أمراؤه بمدخلة نيزوز فانهزم ولحق بنواحي همندان فادرک هناك وقتل سنة خمس وسبعين لثمانية أشهر من ملكه والله

فساء اعتقاده وحذف ذكر الشيوخين من الخطبة ونقش أسماء الأئمة لاثني عشر على سكته ثم أنشأ مدينة بين قزوين وهمدان وسماها السلطانية وزرها واتخذ بها بيتاً لطيفاً بلين الذهب والفضة وأنشأ بيازتها بستانًا جعل فيه أشجار الذهب بشمر اللؤلؤ والقصوص وأجرى اللبن والعسل أنهاراً وأسكن به الغلمان والجواري تشييئها له بالجنة وأفحش في التعرض لحرمات قومه ثم سار إلى الشام سنة ثلاثة عشرة وعبر الفرات ونزل الرحمة ورجع ثم هلك ويقال: مات مسموماً على يد بعض أمرائه سنة ست عشرة والله تعالى أعلم.

### أبو سعيد بن خربندا

ولما هلك خربندا خلف ابنه أبي سعيد طفلاً صغيراً ابن ثلاث عشرة سنة فاستصغره جوبان وأرسل إلى أزيك ملك الشمال بصراي يستدعيه لملك العراقيين فحضره نائب قطلمر من ذلك ويابع جوبان لأبي سعيد بن خربندا على صفره وبدأ أمره بقتل أبي الطيب رشيد الدولة فضل الله بن يحيى الهمذاني المتهم بقتل أبيه فقتله وكان مقدماً في العلم وسريراً في الغابة وله تاريخ يجمع فيه أشجار التتر وأنسابهم وقبائلهم وكتبه مشجراً كما في كتابها هذا وكان جوبان يومئذ بخراسان يقاتل عليها سيل بن براق بن ستفت بن ماسان بن جقطاي صاحب خوارزم أغراه أزيك صاحب الشمال بخراسان وأمده بعساكره وكان جوبان موافقاً له فلما هلك خربندا طمع سيل في الاستيلاء على خراسان وكانت أمراء الغل بدولة أبي سعيد يرغبهم فاطمموه فسار جوبان إلى الأردن ومنه بلقنتهم والمخيم.

وانتهى إلى أبي سعيد خير أمراء فقتل منهم أربعين ورجع جوبان إلى خراسان سنة ثمان عشرة وقد استولى سيل عليهما وعلى طائفة من عراق العجم وبعث إليه أزيك صاحب الشمال نائب قطلمر مددًا في العساكر فلقيهم جوبان وكانت بينهم حروب واتسع جوبان ما ملكه سيل من بلاد خراسان وصالحة على ما بقي ورجع.

ثم سار أزيك ملك الشمال إلى مراغة فأغار عليها وغنم

ورجع وأتبعه جوبان في العساكر فلم يدركه وهلك سيل سنة عشرين واتبعه أبو سعيد ما كان بيده من خراسان وكان أزيك صاحب الشمال يقم على أبي سعيد استبداد جوبان عليه وتحكمه في بي جنكرخان ويفرض أهل النواحي على جوبان ويتوافق له الملك وأوصل الملك في النواحي للمظاهرة على جوبان وسلطانه

ومداخلة الأمراء الذين هاجروا من المغل إلى علقة مصر لهم في ذلك فسبت جميعهم وارتخل إلى حصن للقاء التتر ثم سار فصيبحهم برج المروج والنقي الجمعة وكانت الدبرة على المسلمين واستشهد منهم عدد ونجا السلطان إلى مصر وسار قازان على التعبية فملك حصن واستوعب خالق السلطان فيها ثم تقدم إلى دمشق فملك المدينة وتقدم إلى قفقاق جلابة أمواها ولحضار القلعة وبها علاء الدين سنجار المنصور فامتنع وهدم ما حولها من العمران وفيها دار السعادة التي بها آيوان الملك.

وسار قازان إلى حلب فملكتها وامتنعت عليه القلعة وعاثت عساكره في البلاد وانتهت غاراتهم إلى غزة ولما امتنعت عليه القلاع ارتخل عائداً إلى بلدته وخلف قطلوشاه في عساكره لحماية البلد وحضار القلعة ومحبي بن جلال الدين جلابة الأموال وترك قفقاق على نيابة دمشق وبكتمر على نيابة حلب وحصن وجاهة وكر الملك الناصر راجعاً إلى الشام بعد أن جمع العساكر وبيت العطاء وأزاح العلل وعلى مقدمته سرمز الجاشتكير وسلام كافلاً مملكته فقد مروا إلى حدود الشام وأقام هو بالصالحة واستأنف لها قفقاق وبكتمر النابان بدمشق وحلب وراجعاً طاعة السلطان واستولى سرمز وسلام على الشام ورجع قطلوشاه إلى العراق.

ثم عاود قازان المسير إلى الشام سنة اثنين وسبعين وعبر الفرات ونزل على الرحبة وكانت أهل الشام يخادعهم وقدم قطلوشاه فأغار على القدس وبها أحياه التركمان فقاتلوه ونانوا منه وتقوفوا هنالك وسار الناصر من مصر في العساكر ثالث شعبان ولقي قطلوشاه برج الصفر فهزمه بعد حرب شديدة وسار في اتباعهم إلى الليل فاعتصرموا بجبل في طريقهم وبيات المسلمين يحرسونهم ثم تسللوا وأخذ القتل منهم كل ما يأخذ واعتبر لهم الوحول من أمامهم من بثوق بثقت لهم من نهر دمشق فلم ينج منهم أحد وقدم الفيل على قازان بنواحي كيلان ومرض هنالك ومات في ذي الحجة من السنة ويقال: إنه مات أسفًا والله تعالى أعلم بالصواب.

### خربيدا بن أرغو

ولما هلك قازان ولد بعده آخره خربندا وابتدا أمره بالدخول في دين الإسلام وتسمى محمد وتلقب غيث الدين وأقر قطلوشاه على نيابته ثم جهزه لقتال الكرد في جبال كيلان وقاتلهم فهزمه وقتلوه وولي مكانه جوبان بن تدوان وأقام في سلطانه حسن الدين معظماً للخلافة وكتب أسماءهم على سكته ثم صحب الروافض

أبي سعيد حتى لقد صاهر صاحب مصر على مثل ذلك ولم يتم والله وارث الأرض ومن عليها وإليه يرجعون.

## اضطراب دولة بني هلاكو وانقسام الملك طوائف في أعمالهم وانفراط الشيشخ حسن بغداد واستياء بنية معها على توريز وما كان لهم فيها من الملك والدولة وابتدانها ومصايرها

لما هلك أبو سعيد بن خربندا ملك التتر بكرسي بغداد سنة ست وثلاثين ولم يعقب نصب أمراء المغل الظاهر غياث الدين وخليع أورخان ونصب للملك موسى خان من أسباطهم وقام بدولته الشيشخ حسن بن حسين بن بييقا بن أملكان وهو ابن عم السلطان أبي سعيد سبط أرغو بن أبا إزله أبو سعيد بقلعة كائج من بلاد الروم ووكل به فلما هلك أبو سعيد وأغفل عقاله وذهب أبو نور بن ماس عفى عليها وبلغه شأن أهل الدولة ببغداد فلم يرضه ونهض إليها فقتل علي مasa القائم بالدولة وعزل موسى خان الملك ونصب مكانه محمد بن عنبرجي وهو الذي تقدم في ملوك التخت صحة نسبة إلى هلاكو واستولى الشيشخ حسن على بغداد وتوريز ثم سار إليه حسن بن دمرداش من مكان إمارته وإمارة أبيه ببلاد الروم وبلغه على توريز وقتل سلطانه محمد بن عنبرجي ولحق الشيشخ حسن ببغداد واستقر حسن بن دمرداش في توريز ونصب للملك أخت السلطان أبي سعيد اسمها صاليلك وزوجها سليمان خان من أسباط هلاكو واستقبل بذلك توريز وكان يعرف بالشيشخ حسن الصغير لأن صاحب بغداد كان يشاركه في اسمه وهو أسن وأدخل في نسب الخان فميز بالكبير وميز هذا بالصغرى.

ولا استقل حسن الصغير بالملك والخان عنده عجز عنه الشيشخ حسن الكبير وغلبه أسم التركمان بضواحي الموصل إلى سائر بلاد الجزيرة فبقاء: إنه أرسل إلى الملك الناصر صاحب مصر بأن يملكه ببغداد وللحق به فيقيم عنده وطلب منه أن يبعث عساكره لذلك على أن يرمه فيهم ابنه فلم يتم ذلك لما اعترضه عساكره لذلك على أن يرمه فيهم ابنه فلم يتم ذلك لما اعترضه من الأحوال وافتقرت مملكة بني هلاكو فكان هو ببغداد والصغير بتوريز وأبن المظفر بعرق العجم وفارس والمملوك حسين بخراسان واستولى على أكثرها ملك الشمال أزيك صاحب التخت بصراء من بني دوشي خان بن جنكيز خان ثم استوحش الشيشخ حسن من سلطانه سليمان خان فقتله واستبد ثم هلك الشيشخ حسن الصغير

ووجه أزيك العساكر سنة عشرين لحرب جوبان فحاصرهم المدني بهر كوزل الذي في حدود ملكهم فرجعوا ثم جهز جيشا آخر مع قطلتمر نابه وكان جوبان نائب أبي سعيد قد ول على بلاد الروم ابنه دمرداش فزحف سنة إحدى وعشرين إلى بلاد سيس وافتتح منها قلاعاً ثلاثة وتخربها ويعث إلى الملك الناصر يطلب المظاهرة في جهاد الأرمن بسيس فبعث السلطان عساكره سنة التين وعشرين ومعهم من المقطوعة عدد وحاصروها سيس ثم انعقد الصلح سنة ثلاثة وعشرين بعدها بين الملك الناصر وبين أبي سعيد واستقامت الأحوال وحج أكابر المثل من قربة أبي سعيد ملك التتر بالعراقين واتصلت المهادة بينهما وسار نابه جوبان سنة خمس وعشرين إلى خراسان في العساكر وقد زحف إليه كيك بن سبيول فجرت بينهما حروب وانهزم جوبان واستولى كيك على خراسان.

ثم كبسه جوبان فهزمه وأثخن في عساكره ولحقه على خراسان فعادت إلى مملكة أبي سعيد وبينما جوبان مشتغل بتلك الفتنة والمحروب في نواحي خراسان إذ بلغه الخبر بأن السلطان أبا سعيد تقبض على ابنه خوا في دمشق فلما بلغه الخبر بذلك انقض وزحف إليه أبو سعيد فافترق عنه أصحابه ولحق بهرارة فقتل بها سنة ست وعشرين وأذن أبو سعيد لولده أن يقلوا شلوه إلى تربته التي بناها بالمدينة التبرية على ساكنها أفصل الصلاة والسلام ونقلوه فلم يقدر دفعه إليها وترتفق أمير المدينة على أذن السلطان بمصر في ذلك فدفن بالبقعه ولا بلغ خبر جوبان لابنه دمرداش وهو أمير ببلاد الروم أزعج لذلك ولحق بمصر فيمن معه من الأمراء والعساكر.

وأقيل السلطان الملك الناصر عليه وأحله محل التكreme وجاءت على أثره رسائل أبي سعيد يطلب حكم الله فيه لسعده في الفساد والفتنة وأجابه السلطان إلى ذلك على أن يفعل مثل ذلك في قراسندر النازع إليهم من أمراء الشام فأمضى ذلك فيما جراء بما قدست أيديهما ثم تأكدت أسباب المواصلة والالتحام بين هذين السلطانين بالإصمار والهداة واتصل ذلك وانقطع زبون العرب وفسادهم بين الملكتين وهلك السلطان أبو سعيد سنة ست وثلاثين ولم يعقب ودفن بالسلطانية واحتل أهل دولته وانقضى الملك من بني هلاكو وافتقرت الأعمال التي كانت في ملكهم وأصبحت طوائف في خراسان وفي عراق العجم وفارس وفي آذربيجان كله في عراق العرب وفي بلاد الروم كما ذكر ذلك

# مقتل إسماعيل واستيلاء حسين على بغداد

## ثم ارتجاعها منه

كان إسماعيل مستبداً على الشيخ علي ببغداد كما قدمناه  
فتُوِّبَ به جماعة من أهل الدولة منهم مبارك شاه وقبر وفرا محمد  
فقُتُلُوهُ وعمره أمير أحد متصرف إحدى وثمانين واستدعا قبر  
علي بادك من تستر فولوه مكان إسماعيل واستبد على الشيخ  
علي ببغداد ونكر حسين عليهم ما آتاهو وسار في عساكره من  
توريز إلى بغداد فارقها الشيخ علي وقبر على بادك إلى تستر  
واسْتولَ حسین على بغداد واستمدَه فاتَّهمَه بِعِمَالَةِ أخِيهِ الشیخِ  
علي و لم يمده ونهض الشیخ علي من تستر إلى واسط وجمع العرب  
من عبادان والجزرية فأجفلَ حسین إلى توريز واسْتولَ ملک بغداد للشیخِ  
علي في أثره فأجفلَ حسین إلى توريز واسْتولَ ملک بغداد للشیخِ  
علي واستقر كل بيله والله تعالى أعلم.

## انتقام أحمد واستيلاؤه على توريز ومقتل

حسین

ولما راجع حسين من بغداد إلى توريز عكف على الذاته وشغل بلهوه واسترخى منه آخره أحد فلحق بأربيل وبها الشيخ صدر الدين واجتمع إليه من العساكر ثلاثة آلاف أو يزيدون فسار إلى توريز وطرقها على حين غفلة فملكها واختفى حسين أيامًا ثم قبض عليه أحد وقتلته والله تعالى يؤيد بنصره من يشاء من عباده.

انتقاد عادل ومسیره لقتال احمد

كان الأمير عادل واليًا على السلطانية وكانت من أقطابه  
فلمًا بلغه مقتل حسين امتعض له وكان عنده أبو يزيد بن أويس  
فسارا إلى شجاع بن المظفر البيزدي صاحب فارس يستصرخانه  
على الأمير أحمد بن أويس فبعث العساكر لصريحهما ويرز الأمير  
أحمد للقائهم ثم تقاربوا واتفقا أن يستقر أبو يزيد في السلطانية  
أميراً وينخرج الأمير عادل عن ملوكهم ويقيم عند شجاع بفارس  
واصطلحوا على ذلك وعاد أبو يزيد إلى السلطانية فأقام بها وأضر  
أمراه وخاسته بالرعيانا فدسوا الصريح إلى أحمد بتوريز فسار في  
العواكس إليه وقضى عليه وكحلمه وتوفى بعد ذلك بيغداد.

بن مدراش بتوريز سنة اربعين وأربعين وملك مكانه أخوه الأشرف  
ثم هلك الشيخ حسن الكبير بغداد سنة سبع وخمسين والله تعالى  
اعلم.

أويس بن الشيخ حسن

ولما هلك الشيخ حسن الكبير ببغداد ولي مكانه ابنه أويس وكان بتوريز الأشرف بن دمرداش فزحف إليه ملك الشمال جاني بك بن أزيك سنة ثمان وخمسين وملكتها من يده ورجع إلى خراسان بعد أن استخلف عليها ابنه واعتل في طريقه فكتب أهل الدولة إلى ابنه برديك يستحثونه للملك فأغذ السير إليهم وترك بتوريز عاملها أخجرون فسار إليه أويس صاحب بغداد وغلبه عليها وملكتها ثم ارتعها منه أخجرون وقام بها فزحف إليه ابن المظفر صاحب أصفهان وملكتها من يده وقتله وانتظم في ملكه العراق العجم وتوريز وستر وخرستان ثم سار أويس فانتزعها من يد ابن المظفر واستقرت في ملكه ورجل إلى بغداد وجلس على التخت واستفحل أمره ثم هلك سنة ست وسبعين حسين بن أويس وقد خلف بيني خمسة وهم الشيخ حسن وحسين والشيخ علي وأبيزيد وأحمد وكان وزيره زكريا وكبير دولته الأمير عادل كان كافلاً لحسين ومن أقطاعه السلطاني فاجتمع أهل الدولة وباعروا لابنه حسين بتوريز وقتلوا الشيخ حسن وزعموا أن أباهم أويساً أو صاحبه بقتله.

وكان الشيخ علي بن اوس بغداد فدخل في طاعة أخيه  
حسين وكان قبر علي بادوك من أمرائهم ثانية بستر خوزستان  
فبائع حسين وبعث إليه بطاعته واستولى على دولته بتوريز زكريا  
وزير أخيه وكان إسماعيل ابن الوزير زكريا بالشام هارباً أيام اوس  
فقدم على أخيه زكريا وبعث إلى بغداد ليقوم بخدمة الشيخ علي  
فاستخلصه واستبد عليه فطلب شجاع بن المظفر على توريز  
وارجعوا منه ولما استقل حسين بتوريز كان بنو المظفر طامعين في  
ولايتها وقد ملوكها من قبل كما مر واتزعاها اوس منهم فلما  
توفي اوس سار شجاع إلى توريز في عساكره فاجفل عنها حسين  
بن اوس إلى بغداد واستولى عليها شجاع ولحق حسين بأخيه  
الشيخ علي وزيره إسماعيل ببغداد مستجيضاً بهما فسرحوا معه  
العساكر ورجع أدراجه إليها فهرب عنها شجاع إلى خوزستان  
وبحصن ملكه بها واستقر فيها.

## مقتل الشيخ علي واستيلاء أحمد على بغداد

وشنَّ أحد ببغداد عزائمَه وجمعَ عساكره وأخذَ في الاستعداد ثم عدلَ إلى مصانعِه ومهاداته فلم يغُنِ ذلك عنه وما زالَ تمر يخادعه باللطفة والراسلة إلى أن فترَ عزمه واقتصرت عساكره فنهضَ إليه يغزو السير في غفلة منه حتى انتهى إلى دجلة وبستَ النizer إلى أحد فاسرى بغلس ليلةً وحملَ ما أقْلَته الرواحلَ من أمواله وذخائره وخرقَ سفنَ دجلةً ومرَّ بنهرَ الحلة قطعه وصبحَ مشهدَه على.

ووافى تمرَّ عساكره دجلةً في حادي عشر شوال سنة خمس وسبعين ولم يجد السفنَ فاقتحمَ عساكره النهرَ ودخلَ بغداد واستولَ علىها وبعثَ العساكرَ في إباعَ أحدَ فساروا إلى الحلةَ وقد قطعَ جسرَها فخاضوا النهرَ عندها وأدركوا أحدَ يشهدُ على واستولوا على أقواله ورواحله فكرَ عليهم في جوعه واستماتوا وقتلَ الأميرَ الذي كانَ في إباعَه ورجعَ بقيَةَ التترَ عنهم ونجاً أحدَ إلى الرحبةَ من قحومِ الشامِ فراراً بها وطالعَ نابئها السلطانَ بأمرِه فسرحَ بعضَ خواصِه لتلقِي بالتفقاتِ والأزوادِ ولبيستقدمه فقدمَ به إلى حلبَ وأراحَ بها وطرفةَ مرضٍ أبطأَ به عن مصر.

وجاءت الأخبارُ بأنَّ تمرَّ عاثَ في مخلفِه واستتصفي ذخائره واستوعبَ موجودَ أهلِ بغدادَ بالصداراتِ لأغنيائهم وفقرائهم حتى مستهم الحاجةَ واقتصرت جوابُ بغدادَ من العيشِ ثم قدمَ أحدَ بنِ أوسِ علىَ السلطانِ بمحضرِ في شهرِ ربیعِ سنة ستَ وسبعينَ مستصرخاً به على طلبِ ملكِه والانتقامَ من عدوه فأجابَ السلطانَ صريحةً ونادى في عسكنرِه بالتجهُّزِ إلى الشامِ وقد كانَ تمرَّ بعدما استولَ علىَ بغدادَ زحفَ في عساكره إلى تكريتِ ماوى المخالفينَ وعشَّ الخراةَ ورصدَ السابلةَ وأنجَّ عليها بجموعِه أربعينَ فحاصرها حتى نزلوا علىَ حكمِه وقتلَ من قتلَ منهمَ ثم خربَها وأفقرَها وانتشرَت عساكره في ديارِ بكرٍ إلى الرها ووقفوا عليها ساعةً من نهرِ فملوكِها واتسقوا نعهماً وبلغَ الخبرُ إلى السلطانِ فخيَّمَ بالزيدانيةِ أيامًا أراوحَ فيها عسلَ عساكره وأفاضَ العطاءَ في ماليكِه واستوعبَ الحشدَ من سائرِ أصنافِ الجنديِّ واستخلفَ علىَ القاهرةِ النائبَ سودونَ وارتحلَ إلى الشامِ علىَ التعبيةِ ومعهَ أحدَ بنِ أوسِ بعدَ أن كفاهَ مهمَّه وشربَ التفقاتَ في تابعِه وجندِه ودخلَ دمشقَ آخرَ جادِيَ الأولى.

وقد كانَ أوَّلَ عَزْزَةً إلى جلبانِ صاحبِ حلبِ بالخروجِ إلى الفراتِ واستقرارِ العربِ والتركمانِ للإقامةِ هناكَ رصداً للعدوِ فلما وصلَ إلى دمشقَ وندَ عليهِ جلبانَ وطالعَ مهمَّاتهِ وما عندهِ منِ أخبارِ القومِ ورجَعَ لإنفاذِ أمرِهِ والفضلَ فيما يطالعهِ فيه وبعثَ السلطانَ علىَ أثرِهِ العساكرَ مددًا لهُ معَ كمشيقَ الأتابكِ وتكتلَتْ أميرَ سلاحِ واحدَ بنِ بيقَا وكانَ العدوُّ تمرَّ قد شغلَ

لما قُتِلَ أحدُ أخاهِ حسيناً جمعَ الشيَّخُ علىَ العساكرِ واستنصرَ قرَا محمدَ أميرَ التركمانَ بالجزيرَةِ وسارَ من بغدادَ ب يريدَ توريزَ فبرزَ أحدُ للقائهِ واستطردَ لهُ ما كانَ منهُ فالبالغُ في ابتعاهِ إلى أنْ خفتَ عساكره فتَّركَ مستَبِّنًا وكانتْ جولةً أصيَّبَ فيها الشيَّخُ علىَ بسيمَ فماتَ وأسرَ قرَا محمدَ فقتلَ ورجَعَ أحدُ إلى توريزَ واسترسقَ لهُ ملكَها ونهضَ إليهِ عادلُ بنِ السلطانِ أبي سعيدِ يرسومُ فرصةَ فيهِ فهزَّهُ ثُمَّ سارَ أحدُ إلى بغدادَ وقد كانَ استبدَ بها بعدَ مهلكِ الشيَّخِ علىَ خواجهَ عبدَ الملكِ من صنائعِهِ بدعوهِ أحدَ شُمَّ قامَ الأميرُ عادلُ في السلطانيةِ بدعوهِ أبي يزيدَ وبعثَ إلى بغدادَ قائداً اسمَهِ برسقَ ليقيمَ بها دعورَتهِ فأطاعَهُ عبدَ الملكُ وأدخلَهُ إلى بغدادَ ثُمَّ قُتلَ برسقَ ثانِي يومَ دخولِهِ وأضطربَ البلدُ شهرًا.

ثمَّ وصلَ أحدُ من توريزَ وخرجَ برسقَ القائدَ لِمَدَافعتِهِ فانهزمَ وجَّهَ بهِ إلى أحدَ أسرِهِ فجسَّهُ ثُمَّ قُتلَ عادلُ بعدَ ذلكَ وكفى أحدَ شرهِ وانتظمَتْ في ملكِهِ توريزَ وبغدادَ وتسَرَّتْ والسلطانيةِ وما إليهاِ واسترسقَ أمرَهُ فيها ثُمَّ انقضَّ عليهِ أهلَ دولتهِ ستَ وثمانينَ وسَارَ بعضاً لهمَ إلى تمرَّ سلطانَ بيَّنِ جفطايِ بعدَ أنْ خرجَ منَ وراءَ النهرِ علىَهُ يومَئذٍ واستولَ علىَ خراسانَ فاستصرخَهُ علىَ أحدَ فأجابَ صريحةً وبعثَ معهُ العساكرَ إلى توريزَ فأجهَلَ عنَّها أحدُ إلى بغدادَ واستبدَ بها ذلكَ الشارِرِ ورجَعَ تمرَّ إلى ملكِهِ الأولىَ وطبعَ فططمَشَ ملكَ الشمالِ من بينِ دوشِي خانِ في انتزاعِ توريزَ منْ يدِ ذلكَ الشائرِ فسارَ إليهاِ وملكيَّها، وزحفَ تمرَّ في عساكرهِ ستَ وسبعينَ وثمانينَ إلى أصفهانَ وبعثَ العساكرَ إلى توريزَ فاستباحَها وخرَبَها واستولَ علىَ تسرَّ والسلطانيةِ وانتظمَها في أعمالِهِ وانفردَ أحدُ ببغدادَ وأقامَ بها.

## استيلاء تمر على بغداد ولحاقَ أحمدَ بالشام

كانَ تمرَّ سلطانَ المثلِ بعدَ أنْ استولَ علىَ توريزَ خرجَ عليهِ خارجَ منْ قومِهِ في بلادِهِ يعرِفُ بـ"بَقْرِ الدِّينِ" فجاءَهُ الخبرُ عنهِ وأنَّ طقطمَشَ صاحبَ كرسيِّ صرایِ في الشمالِ أُمدهُ بأموالِهِ وعساكرهِ فتَّركَ راجِعاً منْ أصفهانَ إلى بلادِهِ وعيَّبتَ أباًهُ إلى ستَةِ خمسِ وسبعينَ ثُمَّ جاءَتِ الأخبارُ بأنَّهُ غلبَ قمرَ الدينِ الخارجَ عليهِ ومحاَثَرَهُ ثُمَّ استولَ علىَ كرسيِّ صرایِ وأعمالَهَا ثُمَّ خطَّى إلى أصفهانَ وعراقيِّ العجمِ والريِّ وفارسَ وكرمانَ فملكَ جميعَها منْ بنيِّ المظفرِ اليَزديِّ بعدَ حروبِ هلكَ فيها ملوكَهُمْ وبادَتْ جموعُهُمْ

وتولى ذلك شجاع وسار إليه محمود من أصفهان بعد أن استجاش باويس بن حسن الكبير فامده بالعساكر سنة خمس وستين وملك شيراز ولحق شجاع بكرمان من أعماله وأقام بها واختلف عليه عماله ثم استقاموا على طاعته ثم جمع بعد ثلاث سنين ورجع إلى شيراز ففارقها آخره محمد إلى أصفهان وأقام بها إلى أن هلك سنه ست وسبعين فاستضافها شجاع إلى أعماله واقطعها لابنه زين العابدين وزوجه بابنة أويس التي كانت تحت محمود وولى على مردي ابن أخيه شاه ولـي ثم هلك شجاع سنة سبع وثمانين واستقل ابنه زين العابدين بأصبهان وخلفه في شيراز وفارس منصور ابن أخيه شاه ولـي.

وكان عادل كبير دولة بي أويس بالسلطانية كما مر ولحق به منصور بن شاه ولـي هارباً من شيراز أمام عمه زين العابدين فحبس ثم فر من عبسه ولحق بأحد بن أويس مسترارخاً به فصارخه وأنزله بستر من أعماله ثم سار منها إلى شيراز ففارقها عمه زين العابدين إلى أصفهان وأخرجه يحيى بـزد وعمهم أحد بن محمد المظفر بكرمان ثم زحف تـر سلطان التـر من بي جفطاي بن جنکـرخـان سـنة ثـمان وـثمانـين وـملـك تـورـيز وـخـربـها كـما مـرـ في أخـبارـه فـاطـاعـه يـحيـي صـاحـبـ بـزـدـ وأـحـدـ صـاحـبـ كـرـمانـ.

وهرـبـ زـينـ العـابـدـينـ مـنـ أـصـفـهـانـ وـمـلـكـهـ عـلـيـهـ تـرـ فـلـحـقـ بشـيرـازـ وـرـجـعـ تـرـ إـلـيـ بـلـادـ فـارـسـ وـجـعـ مـنـصـورـ بـنـ شـاهـ ولـيـ خـسـ وـسـعـينـ فـزـحـ إـلـيـ بـلـادـ فـارـسـ وـجـعـ مـنـصـورـ بـنـ شـاهـ ولـيـ العـساـكـرـ لـحـرـهـ فـخـادـعـهـ تـرـ بـولـاـتـهـ وـاـنـكـفـاـ رـاجـعـاـ إـلـيـ هـرـاءـ فـاـنـقـرـتـ عـساـكـرـ مـنـصـورـ بـنـ شـاهـ ولـيـ وـجـاءـتـ عـيـونـ تـرـ بـخـرـ اـفـرـاقـهـ إـلـيـ فـاغـذـ السـيـرـ وـكـبـسـ مـنـصـورـ بـنـ شـاهـ ولـيـ بـظـاهـرـ شـيرـازـ وـهـرـ فيـ قـلـ منـ العـساـكـرـ لـاـ بـجـاـزـنـ الـفـيـنـ فـهـرـبـ الـكـثـيرـ مـنـ أـصـحـابـهـ إـلـيـ تـرـ واستـمـاتـ هـوـ وـالـبـاقـونـ وـقـاتـلـوـ أـشـدـ قـتـالـ وـقـدـ هـوـ فـيـ الـمـرـكـةـ نـلـمـ يـوـقـفـ لـهـ عـلـىـ خـبـرـ وـمـلـكـ تـرـ شـيرـازـ وـاسـتـضـافـهـ إـلـيـ أـصـفـهـانـ وـولـيـ عـلـيـهـ مـنـ قـبـلـهـ وـقـتـلـ أـحـدـ بـنـ مـحـمـدـ صـاحـبـ كـرـمانـ وـابـنـهـ وـولـيـ عـلـىـ كـرـمانـ مـنـ قـبـلـهـ وـقـتـلـ يـحيـيـ بـنـ شـاهـ ولـيـ صـاحـبـ بـزـدـ وـابـنـهـ وـولـيـ عـلـىـ بـزـدـ مـنـ قـبـلـهـ وـاسـتـلـحـ بـنـيـ الـمـظـفـرـ وـاسـتـصـفـيـ زـينـ العـابـدـينـ بـنـ شـجـاعـ بـنـ مـحـمـودـ وـهـرـبـ اـبـنـهـ فـلـحـقـ بـخـالـهـ أـحـدـ بـنـ اوـيـسـ وـهـوـ هـلـذـ الـعـهـدـ مـقـيمـ مـعـ بـعـضـ وـالـلـهـ وـارـثـ الـأـرـضـ وـمـنـ عـلـيـهـ إـلـيـ يـرـجـونـ.

بحصار ماردين فأقام عليها أشهراً وملكتها وعانت عساكره فيها واكتسحت نواحيها وامتنعت عليه قلعتها فارتتحل عنها إلى ناحية بلاد الروم ومر بقلاع الأكراد فأغارت عساكره عليها واكتسحت نواحيها والسلطان لهذا العهد - وهو شعبان سنة ستمائة وتسعين - الشيخ على أحد بن أويس ابن الشيخ حسن بن أقبغا بن إيلكان سبط أرغو بن أبيغا الشيخ حسن أبو زيد مقيم بدمشق مستجمع لطاحمه والولبة به متى استقبل وجهه والله سبحانه وتعالى ولـيـ التـوفـيقـ بـهـ وـكـرـمـهـ.

### الخبر عن بنى المظفر اليرزدي المتغلبين على أصفهان وفارس بعد انقراض دولة بنى هلاكو وابتداء أمرهم ومصايرها

كان أحد المظفر من أهل بـزـدـ وكان شـجـاعـاـ وـاتـصلـ بـالـدـوـلـةـ أيام أبي سعيد فولوه حفظ السابلة بـفارـسـ وكان منها مبدأ أمرهم وذلك أنه لما توفي أبو سعيد سنة ست وثلاثين وسبعيناً ولم يعقب اضطربت الدولة ومرج أمر الناس وافتقر الملك طوائف وغلب أزيك صاحب الشمال على طائفة من خراسان فملكتها واستبد بهـرـةـ الـلـكـ حـسـينـ وـالـلـانـ حـمـودـ فـرـشـحـهـ مـنـ أـهـلـ دـوـلـةـ السـلـطـانـ أبي سعيد عـامـلاـ عـلـىـ أـصـفـهـانـ وـفـارـسـ فـاسـتـبـدـ بـأـمـرـهـ وـاتـخـذـ الـكـرـسيـ بـشـيرـازـ إـلـيـ أـنـ هـلـكـ ولـيـ بـعـدـ اـبـنـهـ أـبـوـ إـسـحـاقـ أـمـيرـ شـيخـ سـالـكـأـ سـيـلـهـ فـيـ الـإـسـتـبـادـ وـكـانـ لـهـ آثـارـ جـيـلـهـ وـلـهـ صـنـفـ الشـيـخـ عـضـ الدـيـنـ كـتـابـ الـمـوـاـفـقـ وـالـشـيـخـ عـمـادـ الدـيـنـ الـكـاشـيـ شـرـحـ كـتـابـ الـفـتـاحـ وـسـمـوـهـمـاـ بـاسـمهـ.

وتغلب أيضاً محمد بن المظفر على كرمان ونواحيها فصارت بيده وطمع في الاستيلاء على فارس وكان أبو إسحاق أمير شيخ قد قتل شرifaً من أعيان شيراز فنادي بالتكبير عليه ليتوصل إلى غرض انتزاع الملك من يده وسار في جموعه إلى شيراز ومال إليه أهل البلد لغرتهم عن أمير شيخ لفعلته فيهم فالمكونه من البلدة وملكتها واستولى على كرسيها وهرـبـ أـبـوـ إـسـحـاقـ أـمـيرـ شـيخـ في أصفهان واتبعه فرق منه أيضاً وملك أصفهان وبيـثـ الـطـلـبـ في الجـهـاتـ حـتـىـ قـبـضـ عـلـيـهـ وـقـتـلـ قـصـاصـاـ بـالـشـرـيفـ الذـيـ قـتـلـ بـشـيرـازـ وكان له من الولد أربعة: شـاهـ ولـيـ وـمـحـمـودـ وـشـجـاعـ وـاحـدـ وـتـوـفـيـ شـاهـ ولـيـ أـبـيـ وـتـرـكـ اـبـنـهـ مـنـصـورـاـ وـيـحيـيـ وـمـلـكـ اـبـنـهـ مـحـمـودـ أـصـفـهـانـ وـابـنـهـ شـجـاعـ شـيرـازـ وـكـرـمانـ وـاسـتـبـدـ عـلـيـهـ مـحـمـودـ وـشـجـاعـ وـخـلـفـاهـ فيـ مـلـكـهـ سـنةـ سـيـنـ وـكـحـلـاـ.

## الخبر عن بني ارتنا ملوك بلاد الروم من المغل بعد بني هلاكو والإمام مبادي أمرورهم ومصايرهم

علاه الدين من يستفسد له منكوفان قليم يحصل من ذلك على طائل وهلك علاء الدين في طريقه وكتب منكوفان بشريكت الملك بين عز الدين وركن الدين والبلاد بينهما مقسمة فلعز الدين من سيواس إلى تخوم القسطنطينية ولركن الدين من سيواس إلى أرزن الروم متصلةً من جهة الشرق ببلاد التتر وأفرج عز الدين عن ركن الدين واستقر في طاعة التتر وسار يذكر في بلاد الروم قبل أن يرجع عز الدين فلقيه أرسلان دغمش من أمراء عز الدين فهزمه يذكر إلى قونية فأجلغل عنها عز الدين إلى العلايا وحاصرها يذكر فملكها على يد خطيبها وخرج إلى يذكر فأسلمت زوجته على يده ومنع التتر من دخولها إلا وحدانا وأن لا يتعرضوا لأحد، واستقر عز الدين وركن الدين في طاعة التتر ولهم اسم الملك والحكم للشحة يذكر.

ولما زحف هلاكو إلى بغداد سنة ست وخمسين واستقر يذكر وعساكره فامتنع واعتذر عن في طريقه من طوائف الأكراد الفراسيلية والياروقية فبعث إليه هلاكو العساكر ومرروا بأذربيجان وقد أجمل أهلها وهم قوم من الأكراد فملوكها وساروا مع يذكر إلى هلاكو وحضرها معه فتح بغداد وما بعدها ولما نزل هلاكو حلب استدعي عز الدين وركن الدين فحضرها معه فتحها وحضر معهما وزيرهما معين الدين سليمان البروانة واستحسن هلاكو وتقدم إلى ركن الدين بأن يكون السفير إليه عنه فلزم ينزل على ذلك ثم هلك يذكر مقدم التتر ببلاد الروم وولي مكانه صقار من أمراء المغل.

ثم اختلف الأمiran عز الدين وغياث الدين سنة تسع وخمسين واستولى عز الدين على أعمال ركن الدين فسار ومعه البروانة إلى هلاكو صريراً فأنهله بالعساكر وسار إلى عز الدين فهزمه واستشهد ثانية فأنهله هلاكو وانهزم عز الدين فلحق بالقسطنطينية وأقام عند صاحبها لشكري واستولى ركن الدين قليم أرسلان على بلاد الروم وامتنع التركمان الذين بتلك الأعمال بأطراف الأعمال والثغور والسواحل وطلبوا الولادة من هلاكو فلولاهم وأعطاهم الله الملك فهم الملوك بها من يومئذ كما يأتي في أخبارهم إن شاء الله تعالى.

وأقام عز الدين بالقسطنطينية وأراد الترشب بصاحبها لشكري ووشى به أخوه من الروم فأعتقله لشكري في بعض قلاعه ثم هلك ويقال: إن ملك الشمال منكوفان صاحب التخت بصراي حدث بينه وبين صاحب القسطنطينية فتنة ففراه واتكسح بلاده ومر بالقلعة التي بها عز الدين معتقلًا فاحتمله معه إلى صراي وهلك عنده وتحققت إبهة مسعود بعد ذلك بابتسا بن هلاكو

قد سبق لنا أن هذه المملكة كانت لبني قليم أرسلان من ملوك السلجوقية وهم الذين أقاموا فيها دعوة الإسلام وانتزعوها من يد ملوك الروم أهل قسطنطينية واستضافوا إليها كثيراً من أعمال الأرض ومن ديار بكر فانفتحت أعمالهم وعظمت مالكهم وكان كرسهم بقونية ومن أعمالهم أنصار وأنطاكيه والعلايا وطغرل ودم ولو وقرا حصار ومن مالكهم أذربيجان ومن أعمالها أشهر وكامن وقلعة كعونية ومن مالكهم قيسارية ومن أعمالها نكوه وعدا قليلة ومنها ومن مالكهم أيضاً سيواس وأعمالها ملكوها من يد الوشمتد كما مر في أخبارهم ومن أعمالها نكسار وأقاسية وتروقات وقمات وكنكة كوريه وسامسون وصفوى وكصحونية وطرخلوا وبرلوا.

وما استضافوه من بلاد الأرم من خلاط وأرمينة الكبرى وأنى وسلطان وأرجيس وأعمالها ومن ديار بكر خرت برب وملطية وسميساط ومساره فكانت لهم هذه الأعمال وما يتصل بها من الشمال إلى مدينة برصة ثم إلى خليج القسطنطينية واستفح مالكهم فيها وعظمت دولتهم ثم طرقها المهرم والفشل كما يطرق الدول ولما استولى التتر على مالك الإسلام وورثوا الدول فيسائر التواحي واستقر التخت الأعظم لمنكوفان أخي هلاكو، وجهز عساكر المغل سنة أربعين وخمسين وستمائة إلى هذه البلاد وعليهم يذكر من أكبر أمرائهم وعلى بلاد الروم يومئذ غياث الدين كخسرو بن علاء الدين كيقباد وهو الثاني عشر من ملوكهم من ولد قطلمش فنزلوا على أرزن الروم وبها سنان الدين ياقوت مولى علاء الدين فملوكها بعد حصار شهرین واستباحوها وتقدموا أمامهم ولقيهم غياث الدين بالصحراء على أشهر وزنجان وانهزم غياث الدين واحتل ذخيرته وعياله وحق بقونية واستولى يذكر على خليفه ثم سار إلى قيسارية فملوكها وهلك غياث الدين أثر ذلك وملك بعده ابنه علاء الدين كيقباد وأشرك معه أخيه في أمره وهما: عز الدين كيكاؤس وركن الدين قليم أرسلان.

وعاثت عساكر التتر في البلاد فسار علاء الدين كيقباد إلى منكوفان صاحب التخت واختلف أخواه من بعده وغلب عز الدين كيكاؤس واعتلل أخيه ركن الدين بقونية وبعث في أثر أخيه

كما مر في أخبارهم وبلغ الخبر إلى دمرداش ابنه بيلاد الروم فاضطرب لذلك ولحق بمصر في عساكره وأمرائه فاتقبل السلطان عليه وتلقاه بالتكريم والإيثار وجاءت رسائل أبي سعيد في اتباعه تطلب حكم الله تعالى فيه بسعيه في الفساد وإثارة الفتنة على أن يفعل مثل ذلك في قراستقر النازع إليهم من أمراء الشام فقتلوه وقتل دمرداش بمصر وذهب بما كسباً وكان دمرداش لما هرب من بلاد الروم إلى مصر تركه وإنما دمرداش ابنه بيلاد الروم اسم أبناء الملوك فبعث إلى أبي سعيد بطاعته فولاه على البلاد فملكتها وزرل سيواس واتخذها كرسى ملكه ثم استبد حسن بن دمرداش بتوريز قبليع له إرتنا ثم انقضى وكانت الملك الناصر صاحب مصر ودخل في طاعته وبعث إليه بالولاية والخلع فجمع له حسن بن دمرداش وسار إليه بسيواس وسار إرتنا للقائه بصحراء كيسنول وهزمه وأسر جماعة من أمرائه وذلك سنة أربعين واربعين.

واستفحلا ملك إرتنا من يومئذ وعجز جوبيان وحسن بن دمرداش عن طلبه إلى أن توفي سنة ثلاثة وخمسين وأمسا بنوه من بعده فلا أدرى من ملك منهم ولا ترتيب ولا يتم لهم إلا أنه وقع في أخبار الترك أن السلطان أوزع سنة ست وستين إلى نائب حلب أن يسير في العساكر لإنجاد محمد بك بن إرتنا فمضوا وظفروا وما زال إرتنا وبنوه مستبدين ببلاد الروم وأعمالها واقطعوا لهم التركمان منها بلاد الأرمن سيس وما إليها فاستولوا عليها بنسو دلقدر على خلافه وزحفوا إليه وهي في أيديهم لهذا العهد ولما خالف سعارات من أمراء الترك سنة اثنين وخمسين ظاهره قراجاً بين دلقدر على خلافه وزحف إلى السلطان من مصر فافتقت جوعه واتبعه العساكر فقتل.

وبعث السلطان سنة أربعين وخمسين عسكراً في طلب قراجاً فساروا إلى البالستان وأجفل عنها نائبهما فنهبوا أحياه ولحق هو بابن إرتنا بسيواس فقبض عليه وبعث به إلى السلطان بمصر فقتله واقتطع التركمان ناحية الشمال من أعمالهم إلى القسطنطينية وأخضوا في أمصار الصريانية وراءهم واستولوا على كثير من تلك الملك وراء القسطنطينية وأميرهم لهذا العهد في عدد الملوك الأعظم ودولتهم ناشئة متتجدة.

وكان صبياً بسيواس منذ أعوام الثمانين وهو من أعقاب بني إرتنا فاستبد عليه قاضي البلد لما كان كافلاً له بوصية أبيه ثم قتل القاضي ذلك الصبي أغراهم اثنين وتسعين واستبد بذلك الملك وكانت هناك أحياء التتر ينهازون ثلاثة ألفاً أو نحوها مقيمين بتلك التواحي ملوكهم دمرداش بن جوبيان ومن قبله من أمراء المغل فكانوا شيعة لبني إرتنا وعصابة لهم وهم الذين استتجد بهم

فأكلوه وولاه على بعض القلاع ببلاد الروم ثم إن معين الدين سليمان البروانة ارتباً بركن الدين فقتله غيلة سنة ست وستين ونصب ابنه كنخسرو للملك ولقبه غيات الدين وكان متغلباً عليه مقيناً مع ذلك على طاعة التتر وبما كان يستوحش منهم في كتاب سلطان مصر بالدخول في طاعته وأطلع أبغا على كتابه بذلك إلى الظاهر بيبرس فنكرة.

وهلك صغار الشحنة فبعث أبغا مكانه أميرين من أمراء المغل وهم تداون وتقرر فتقديماً سنة خمس وسبعين إلى بلاد الشام وزرل بابلستان ومعهما غيات الدين كنخسرو وكافله البروانة في العساكر وسار الظاهر من دمشق فلقيهم بابلستان وقد قعد البروانة لما كان تواعد مع الظاهر عليه وهزمهما الظاهر جيماً وقتل الأميرين تداون وتقرر في جماعة من التتر ونجا البروانة وسلطانه فلم يصب منهم أحد واستراب السلطان بالبروانة لذلك وملك الظاهر قيسارية كرسى بلاد الروم وعاد إلى مصر وجاء أبغا ووقف على مكان الملحمة ورأى مصارع قوفه فقصد الريبة بماءلة الظاهر والبروانة وأصحابه فاكتسح البلاد وخرتها ورجع.

ثم استدعى البروانة إلى مسكنه فقتله وأقام مكانه في كفالة كنخسرو أخيه عز الدين حمداً ولم يزل غيات الدين واليأ على بلاد الروم والشحنة من المغل حاكم في البلاد إلى أن ولي تكرار بن هلاكر وكان آخره فتقرطاي مقيناً ببلاد الروم مع صغار فبعث عنه وامتنع من الوصول فأوزع إلى غيات الدين واعتقله بازننكان وولي على بلاد الروم على الشحنة أولاكرو من أمراء المغل وذلك سنة إحدى وثمانين ويقال: إن أرغو بن أبغا هو الذي ولي أولاكرو شحنة ببلاد الروم بعد صغار وأن تداون وتقرر إنما بعث بهما أبغا لقتال الظاهر ولم يرسلهما شحنة.

ثم أقام مسعود بن عز الدين كيكاووس في سلطانه ببلاد الروم والحكم لشحنة التتر وليس له من الملك إلا اسمه إلى أن افترق واصل محل أمره وبقي أمراء المغل يتغاببون في الشحنة ببلاد الروم وكان منهم أول المائة الثامنة الأمير علي وهو الذي قتل ملك الأرمن هيشوش بن ليعون صاحب سيس واستعدى آخره عليه بخربندا فأعاده وقتل كما مر في أخبار الأرمن في دولة الترك وكان منهم سنة عشرين وسبعينة الأمير البغا ثم ولي السلطان أبو سعيد على بلاد الروم دمرداش بن جوبيان سنة ثلاثة وعشرين واستفحلا بها ملكه وجاهد الأرمن بسيس واستمد الناصر محمد بن قلاونن صاحب مصر عليهم فأمده بالعساكر وافتتحوا أيام عنوة ورجعوا.

ثم نكب السلطان أبو سعيد نائبه جوبيان بن بروان وقتل

## الخبر عن الدولة المستجدة للتركمان في شمال بلاد الروم

هؤلاء التركمان يومنذ محمد بك وأخاه الياس بك وصهره علي بك وفريبه سونج، والظاهر أنهم من بني جن فانتقضوا على ركن الدولة وبعثوا إلى هلاكرو بطاعتهم وتقرير الأثر عليهم وأن يبعث إليهم باللواز على العادة وأن يبعث شحنة من الترتر يختص بهم فاسعفهم بذلك وقلدهم وهم من يومنذ ملوك بها.

ثم أرسل هلاكرو إلى محمد بك الأمير يستدعيه فامتنع من المسير إليه واعتذر فأولع هلاكرو إلى الشحنة الذي يبلاد الروم إلى السلطان قليج أرسلان بمحاربته، فساروا إليه وحاربوه ونزع عنه صهره علي بك ووفد على هلاكرو فقدمه مكان محمد صهره ولقي محمد العساكر فالهزيم وأبعد في المفر، ثم جاء إلى قليج أرسلان مستأمناً فأمنه وسار معه إلى قونية فقتله واستقر صهره علي بك أميراً على التركمان، وقتلت عساكر الترتر نواحيي بلاد الروم إلى أسطنبول، والظاهر أن بني عثمان ملوكهم لهذا العهد من أعقاب علي بك أو أقاربه يشهد بذلك اتصال هذه الإمارة فيهم مدة هذه المائة سنة.

ولما اضحم أمر الترتر من بلاد الروم واستقرّ بنو أرتنا بسيواس وأعمالها غلب هؤلاء التركمان على ما وراء الدروب إلى خليج القسطنطينية ونزل ملوكهم مدينة برصة من تلك الناحية، وكان يسمى أورخان بن عثمان حق فاختذناه داراً ملوكهم ولم يفارق الخيام إلى القصور، وإنما ينزل بخيامه في بسيطها وضواحيها.

ووالي بعده ابنه مراد بك وتغلب في بلاد الصريانية وراء الخليج وافتتح بلادهم إلى قريب من خليج البادقة وجبال جنوة وصار أكثرهم ذمة ورعايا، وعادت في بلاد الصقالبة بما لم يعهد لهن قبله وأحاط بالقسطنطينية من جميع نواحيها حتى اعتقل ملوكها من أعقاب لشكري وطلب منه الذمة وأعطاه الجزية، ولم يزل على جهاد أمم النصرانية وراء إلى أن قتله الصقالبة في حربه معهم سنة إحدى وستين وسبعين.

ووالي بعده ابنه أبو يزيد وهو ملوكهم لهذا العهد. وقد استفحمل ملوكهم واستنجدت بالغز دولتهم وكان قد غالب على قطعة من بلاد الروم ما بين سيواس وببلادهم من انتاكية والعلايا بجبال البحر إلى قونية بنو قرمان من أمراء التركمان وهم الذين كانوا في حدود أرمينية وجدهم هر الذي هزم يشوش بن ليوسون ملك سبيس من الأرمن سنة عشرين وسبعين، ثم كان بين بني عثمان حق وبين بني قرمان اتصال ومصاهرة، وكان ابن قرمان لهذا العهد صهر السلطان مراد بك على اخته فغلبه السلطان مراد بك على ما يده ودخل ابن قرمان صاحب العلايا في طاعته بل والتركمان كلهم وفتح سائر البلاد ولم يبق له إلا سيواس بلد بني

القاضي حين وجهت إليه عساكر مصر في طلب منطاش الشائز الذي ثم لحق به وسارت عساكر مصر في طلبه سنة تسع وثمانين فاستجده القاضي بأحياء الترتر هؤلاء وجاؤوا لإنجاده ورجعت عساكر مصر عنهم كما تقدم ذلك كله في أخبار الترك والحال على ذلك لهذا العهد والله مصير الأمور يحكمه وهو على كل شيء قادر.

### ج ب ١

إبراهيم بن محمد بك بن أرتنا التوير عامل أبي سعيد على بلاد الروم.

## الخبر عن الدولة المستجدة للتركمان في شمال بلاد الروم إلى خليج القسطنطينية وما وراءه لبني عثمان وإخوته

قد تقدم لنا في أنساب العالم ذكر هؤلاء التركمان وأنهم من ولد يافت بن نوح أي من توغرما بن كومر بن يافت كذا وقع في التوراة.

وذكر الفيومي من علماء بني إسرائيل ونسابتهم أن توغرما هم التركمان أحوجة الترك ومواطنهم فيما وجدناه من بحر طربستان وسيجي هجر إلى جنوب القسطنطينية وشرقاً إلى ديار بكر وبعد انفراط العرب والأرمن ملکوا نواحي الفرات من أوله إلى مصبها في دجلة وهم شعوب متفرقون وأحياء مختلفون لا يعترفهم الضبط ولا يحربون العد وكان منهم ببلاد الروم جموع مستكثرة كان ملوكها يستثنون بهم في حروبهم مع أعدائهم وكان كبرهم فيها لعهد المائة الرابعة حق وكانت أجياؤهم متواترة وأعدادهم متکاثرة.

ولما ملك سليمان بن قطلمش قونية بعد أبيه وفتح انتاكية سنة سبع وسبعين من يد الروم طالبه مسلم بن قريش بما كان له على الروم فيها من الجزية فألف من ذلك وحدثت بينهما الفتنة وجمع قريش العرب والتركمان مع أميرهم حتى وسار إلى حرب سليمان بانتاكية فلما التقى مال التركمان إلى سليمان لعصبية الترك وأنهزم مسلم بن قريش وقتل.

وأقام أولئك التركمان ببلاد الروم أيام بني قطلمش موطنين بالجبال والسواحل، ولما ملك الترتر ببلاد الروم وأبقوها على بني قطلمش ملوكهم وولوا ركن الدولة قليج أرسلان بعد أن غلب أئمه عز الدين كيكاووس وهرب إلى القسطنطينية، وكان أمراء

ارتبا في استبداد القاضي الذي عليها وما أدرى ما الله صانع بعد ظهره هذا الملك ثم التغلب على ملك المغول من بي جفطاي بن جنكيز خان.

وملك ابن عثمان لهذا العهد مستفحلاً بتلك الناحية الشمالية ومتسع في أقطارها ومرهوب عند أمم التصارانية هناك ودولته مستجدة عزيزة على تلك الأمم والأحياء، والله غالب على أمره.

وإلى هنا انتهت أخبار الطبقة الثالثة من العرب ودولهم وهم الأمم التابعة للعرب بما تضمنه من الدول الإسلامية شرقاً وغرباً لهم ولمن تعهم من العجم، فلتراجع الآن إلى ذكر الطبقة الرابعة من العرب وهم المستعجمة أهل الجيل الناشيء بعد انقراض اللسان المصري ودروسه ونذكر أخبارهم ثم نخرج إلى الكتاب الثالث في أخبار البربر ودولهم، فنفرغ بفراغها من الكتاب إن شاء الله تعالى والله ولي العون والتوفيق بمنه وكرمه.

خللت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

وأما من حير بن سبا فقضاعة وجع بطنها ومن إلى هذه  
القبائل والأفخاذ والعشائر والأخلاف. هؤلاء كلهم أتفقهم الدولة  
الإسلامية الغربية، فربا منهم التئور القصبة، وأكلتهم الأقطار  
البعيدة، واستلهمتهم الواقع المذكورة، فلم يبق منهم حي  
يطرف، ولا حلقة تنجع ولا عشرة يعرف، ولا قليل يذكر ولا  
عاقلة تحمل جنابة، ولا عصابة لصريح إلا سمع من ذكر أسمائهم  
في أنساب أعقاب مفترقين في الأنصار الوري المتمول بجميلتهم،  
فقططروا في البلاد ودخلوا بين الناس فامتهنا واستهينا وأصبحوا  
خولاً للأمراء، وبهم للذناد وعالة على الحرف. وقام بالإسلام  
والملة غيرهم، وصار الملك والأمر في أيدي سواهم، وجلبت  
بضائع العلوم والصناعات إلى غير سوقهم، فغلب أعلام المشرق من  
الديلم والسلجوقي والأكراد والغز والتراك على ملكه ودولته فلم  
يزل مثاقلة فيهم إلى هذا العهد. وغلب أعلام المغرب من زناتة  
والبرير على أمره أيضاً، فلم تزل الدول تتناقل فيهم على ما ذكره  
بعد إلى هذا العهد. وغلب أعلام المغرب والبرير على أمره،  
وافتقر أثغر الشعوب الذين كان لهم الملك من هؤلاء فلم يبق  
لهم ذكر. وانتبذ بقية هذه الشعوب من هذه الطيبة بالفار وأقاموا  
أحياء بادين لم يفارقاوا الحال ولا تركوا البداوة والخشونة، فلم  
يتورطاً في مهلكة الترف ولا غرقوا في بحر التعيس، ولا فقدوا في  
غيبات الأنصار والحضارة وهذا أنشد شاعرهم:  
فمن ترك المضاربة أعزجه بآي رجال بادرة ترانا

الطبقة الرابعة

من العرب المستعجمة أهل الجيل الناشيء  
هذا العهد من بقية أهل الدولة الإسلامية

لما استقلت مصر وفرنسا وأنصارها من اليمن بالدولة الإسلامية، فيمن تبع دينهم من إخوانهم ربعة ومن وافقهم من الأحياء اليمنية، وغلبوا الملل والأمم على أمرهم، وانتزعوا الأمصار من أيديهم، وانقلبوا أحوالهم من خشونة البداوة وسذاجة الخلافة إلى عز الملك وترف الحضارة، فقارقوا الخلل وافتقوها على الغنور البعيدة والأقطار البائنة عن ممالك الإسلام، فنزلوا بها حامية ومرابطين عصباً وفرادي، وتناقل الملك من عنصر إلى عنصر ومن بيت إلى بيت، واستتحول ملوكهم في دولة بني أمية وبني العباس من بعدهم بالعراق، ثم دولة بني أمية الأخرى بالأندلس، وبلغوا من الترف والبذخ ما لم تبلغه دولة من دول العرب والجم من قبلهم، فانقسموا في الدنيا ونبت أجيالهم في ماء النعيم، واستثاروا مهاد الدعة واستطابوا خفض العيش، وطال نومهم في ظل الغرف والسلالم، حتى الفروا الحضارة ونسوا عهد البدية وانقلبوا من أيديهم الملكة التي نالوا بها الملك، وغلبوا الأمم من خشونة الدين وبداوة الأخلاق، ومضاء المقرب.

فاستوت الخامسة والرعاية لولا الثقافة، وتشابه الجند والحضر  
إلا في الشارة، وأنف السلطان من المساهمة في المجد والمشاركة في  
النسب، فجعدوا أنوف المطاولين إليه من أعياصهم وعشائرهم  
ووجوه قبائلهم، وغضروا من عنان طروحهم، واقتذوا البطانة  
مقرهم من موالي الأعجم وصنائع الدولة، حتى كثروا بهم قبائلهم  
من العرب الذين أقاموا الدولة، ونصرروا الملة ودعمرها الخلافة،  
وأذاقونهم وبالخلافة من القهر، وساموهم خطة الحسف والذل،  
فأنسوسهم ذكر المجد وحلوة العز، وسلبواهم نصرة العصبية حتى  
صاروا أجزاء على الخامسة، وخولاً لمن استبعدهم من الخاصة  
وأوزاعاً مفترقين بين الأمة، وصيروا لنغيرهم الحل والعقد والإبرام،  
والنقض من الموالي والصنائع، فداخلتهم أرميجية العز وحدثوا  
أنفسهم باللنك، فجحدوا الخلفاء و Creedوا بحسب الأمر والنهي.  
واندرج العرب أهل الخامسة في القهر واختلطوا بالمجتمع، ولم  
يراجعوا أحوال البداوة بعدها، ولا تذكروا عهد الآنساب  
لدورسها. فدثروا وتلاشوا شأن من قبلهم ويعدهم، ستة الله قد

مقدم وهم بطنان: أولاد التركية وأولاد قائد. ومقدم وسلام معًا ينسبون إلى ليد، فبعضهم يقول ليد بن لعنة بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر وبعضهم يقول في مقدم: مقدم بن عزاز بن كعب بن سليم.

وذكر لي سلام شيخ أولاد التركية: أن أولاد مقدم من ربيعة بن نزار، ومع هؤلاء الأحياء حي محارب يتمنون بالجعفر. ويقال: إنهم من جعفر بن كلاب، وهي رواحة يتمنون بالزيد، ويقال: من جعفر أيضًا. والنتائج من هؤلاء الأحياء كلهم يتمنون في شأنهم إلى الواحات من بلاد القبلة. وقال ابن سعيد: ومن غطفان في برقة مهيب ورواحة وفرارة، فجعل هؤلاء من غطفان والله أعلم بصحة ذلك.

وفى ما بين الإسكندرية ومصر قبائل رحالة ينتقلون في نواحي البحيرة هناك، ويعمرون أرضها بالسكنى والفلح، وينخرجون في المشاتى إلى نواحي العقبة وبرقة من مزانت وهوارة وزنارة إحدى بطون لواتة، وعليهم مقام الفلاح. ويندرج فيهم أحلاط من العرب والبربر لا يحصون كثرة. وبنواحي الصغير قبائل من العرب من بني هلال وبني كلاب من ربيعة. وهؤلاء أحياء كثيرة ويركبون الخيل، ويحملون السلاح، ويعمرون الأرض بالفلاحة ويقومون بالخراج للسلطان. وبينهم مع ذلك من الحروب والفتن ما ليس يكون بين أحياء القفر.

وبالصعيد الأعلى من أسوان وما وراءها إلى أرض التوبة إلى بلاد الحبشة قبائل متعددة وأحياء متفرقة، كلهم من جهينة إحدى بطون قضاة، ملأوا تلك القفار وغلبوا التوبة على مواطنهم وملتهم، وزاحروا الحبشة في بلادهم وشاركوه في أطرافها. والذين يلوون أسوان هم يعرفون بأولاد الكتر، كان جدهم كنزل الدولة، وله مقامات مع الدول مذكورة، ونزل معهم في تلك المواطن من أسوان إلى قوص بنو جعفر بن أبي طالب حين غلبهم بنو الحسن على نواحي المدينة، وأخرجوهم منها، فهم يعرفون بيهيم بالشرفاء المجاففة، ويخترون في غالب أحواهم بالتجارة.

وبنواحي مصر من جهة القبلة إلى عقبة أيلة أحياء جذام جهورهم من العائد وعليهم درك السابلة بتلك الناحية، وهم على ذلك الأقطاع والعوائد من السلطان. وليهم من جهة الشرق بالكرك وبنواحيها أحياء بني عقبة من جذام أيضًا، ورحالة ناجعة تنتهي رحلتهم إلى المدينة المنورة. وعليهم درك السابلة فيما يليهم. وفيما وراء عقبة أيلة إلى القلزم قبائل من قضاة ومن القلزم إلى البينج، قبائل من جهينة. ومن البينج إلى بدر وبنواحيه من زيد

وقال النبي صدح سيف الدولة ويعرض بذلك العرب الذين أوقع بهم لما كثروا عليهم وفسادهم: وكانوا يروعون الناسك بأن بدوا وأن نبت في الماء نبت الغلاف فهاجوك أهدي في الفلا من نجومه وأبدى بيتوً من أداخي القسان

وأقامت هذه الأحياء في صحاري الجنوب من الغرب والمشرق بأفريقية ومصر والشام والمحاجز والعراق وكerman، كما كان سلفهم من ربيعة ومضر وكهلان في الجاهلية، وعتوا وكثروا واقررض الملك العربي الإسلامي. وطرق الدول المهرم الذي هو شأنها واعتزل بعض أهل هذا الجيل غرباً وشرقاً فاستعملتهم الدول ولو لهم الإمارة على أحيائهم وأقطفهم في الضاحية والأقصاص والتلول وأصبحوا جيلاً في العالم ناشئاً، كثروا سائر أهلهم من العجم. ولم ين في تلك الإمارة دول، فاستحقوا أن تذكر أخبارهم، وتلحظ بالأجيال من العرب سلفهم. ثم إن اللسان المصري الذي وقع به الإعجاز ونزل به القرآن فتوى فيه وتبدل إعرابه فمالوا إلى الجماعة. وإن كانت الأرضاع في أصلها صحيحة، واستحقوا أن يوصفوا بالجماعة من أجل الأعراب، فلذلك قلنا فيهم العرب المستعجمة.

فلنذكر الآن بقية هؤلاء الشعوب من هذه الطبقة من المغرب والمشرق ونخص منهم أهل الأحياء الناجعة والأقدار النابهة، وتلغى المندرجين في غيرهم. ثم نرجع إلى ذكر المتنقلين من هذه الطبقة إلى أفريقيا والمغرب فنستوعب أخبارهم لأن العرب لم يكن المغرب لهم في الأيام السابقة بوطنه، وإنما انتقل إليه في أواسط المائة الخامسة وأفارق من بني هلال وسلمي اختلطوا في الدول هناك، فكانت أخبارهم من أخبارها، فلذلك استوعبناها. وأما آخر مواطن العرب فكانت برقة، وكان فيها بنو قرة بن هلال بن عامر. وكان لهم في دول العبيدين أخبار، وحكاياتهم في الثورة أيام الحاكم والبيعة لأبي ركوة من بني أمية في الأندلس معروفة، وقد أشرنا إليها في دولة العبيدين.

ولما أجاز بنو هلال وسلمي إلى المغرب خالطوهم في تلك المواطن، ثم ارتحلوا معهم إلى المغرب كما نذكره في دخول العرب إلى أفريقيا والمغرب. وبقي في مواطنهم ببرقة لهذا العهد أحياء بني جعفر، وكان شيخهم أوسط هذه المائة التامة أبو ذئب وأخوه حامد بن حميد. وهم ينسبون في المغرب تارة في العزة ويزعمون أنهم من بني كعب بن سليم، وتارة في الهيس كذلك، وتارة في فرارة، وال الصحيح في نسبهم أنه من مسراة إحدى بطون هوارة سمعته من كثير من نسباتهم، وبعدهم فيما بين برقة والعقبة الكبيرة أولاد سلام، وما بين العقبة الكبيرة والإسكندرية أولاد

البصرة والكوفة واليمامة. وكذلك ورثوا غطفان بيطن مما يلي  
وادي الترى.

هكذا قال ابن سعيد. وقال: أشهر الحجازين منهم الآن بنو  
لام وبنو نهان والصولة بالحجاز لبني لام بين المدينة وال العراق،  
ولهم حلف مع بني الحسين أمراء المدينة.

قال: وبنو صخر منهم في جهة تيماء بين الشام وخبير. قال:  
وغرية من طيء بنو غربة بن أفلات بن معبد بن معن بن عمرو بن  
عensis بن سلامان، ومن بعد بلادهم حي الأئمر والأساور ورثوها  
من عترة. ومتنازلم لهم لهذا العهد في مصايفهم بالكبييات وفي مشائطهم  
مع بني لام من طيء. وهم أهل غارة وصولة بين الشام وال العراق.  
ومن بطونهم الأجد وبطنين وإن كانوا نازلوبن بالموصل،  
فقد جعل ابن سعيد: زيد هؤلاء من بطون طيء، ولم يجعلهم من  
مدحنج. ورئاسة آل فضل في هذا العهد في بني مهنا، وينسبونه  
هكذا: كنانة بن مایع بن مذدة بن عصبة بن فضل بن بدر بن علي  
بن مفرج بن بدر بن سالم بن قصيبة بن بدر بن سميع. ويقفون عند  
سميع، ويقول زعماً لهم: إن سمياً هذا هو الذي ولدته العباسة  
اخت الرشيد من جعفر بن يحيى البرمكي. وحاشا الله من هذه  
المقالة في الرشيد وأخته، وفي بناة كبيرة العرب من طيء إلى موالي  
العجم من بني برمك وأمثالهم.

ثم إن الوجود يجعل رياضة مثل هؤلاء على هذا الحبي إذا لم  
يكونوا من نسيهم. وقد تقدم مثل ذلك في مقدمات الكتاب.

وكان مبدأ رئاستهم من أول دولة بني يعقوب. قال العماد  
الأصنفهاني: نزل العادل برج دمشق ومعه عيسى بن محمد بن  
ريبيعة شيخ الأعراب في جموع كبيرة. وكانت الرئاسة فيهم لعهد  
الفاطميين لبني جراح من طيء. وكان كبرهم مفرج بن دغفل بن  
جراح. وكان من أقطاعه التي معه وهو الذي قبض على أسكنى  
مولى بني بويه لما انهزم مع مولاهم بنتيار بالعراق. وجاء إلى الشام  
سنة أربع وستين وثلاثمائة وملك دمشق وزحف مع القرامطة لقتال  
العزيز بن المز لدين الله صاحب مصر، فهزمه العزيز وهرب  
افتاكين فلقيه مفرج بن دغفل، وجاء به إلى العزيز فأكرمه ورقاه في  
دولته. ولم يزل شأنه فرج هكذا وتوفي سنة أربع وأربعين.  
وكان من ولده حسان وعمود وعلي وجرار. وولي حسان بعده وعظم  
صيته، وكان يبني وبين خلفاء الفاطميين معزة واستقامة، وهو الذي  
هزم الرملة وهزم قاتلهم باروق التركي وقتله وسبي نساءه، وهو  
الذي مدحه التهامي. ويدرك المسمى وغيره أن موطئه دولة  
العبيدين في قرابة حسان بن مفرج هذا فضل بن ربيعة بن حازم  
وأخوه بدر بن ربيعة وأبناه بدر. ولعل فضلاً هذا هو جد آل فضل.

إحدى بطون مدحنج، ولهم الأمراء بركة من بني حسن حلف  
ومراخاة. وفيما بين مكة والمهرة مما يلي اليمن قبائل بني شعبة  
من كنانة، وفيما بين الكرك وغزة شرقاً قبائل جذام من قباعنة في  
جموع وافرة، ولهم أمراء أعزه يقطعنهم السلطان على العسكر  
وحفظ السابلة، وينجعون في المشاتي إلى معان وما يليها من أسافل  
نجد، مما يلي تيماء، وبعدهم في أرض الشام بنو حارثة بن سنبس  
وآل مراء من ربيعة إخوة فضل الملك على العرب في برية الشام  
والعراق ونجد. وأخبرني بعض أمراء حارثة بن سنبس عن بطون.  
فنذكر الآن خبر أولاد فضل أمراء الشام وال伊拉克 من طيء فبین  
أعراب الشام جيماً.

## خبر آل فضل وبني مهنا منهم ودولتهم بالشام وال伊拉克

هذا الحبي من العرب يعرفون بأك فضل، وهم حالاته ما بين  
الشام والجزيرة وبرية نجد من أرض الحجاز، يتقللون هكذا بينها في  
الرحلتين ويتنهون في طيء ومعهم أحياهم من زيد وكلب وهزم  
ومدحنج أخلاف لهم بآخرين بعضهم في الغلب والعدد آل مراء.  
ويزعمون أن فضلاً ومراء آل ربيعة، ويزعمون أيضاً أن فضلاً  
ينقسم ولده بين آل مهنا وآل علي، وأن آل فضل كلهم كانوا  
بأرض حوران فنزلتهم عليهم آل مراء وأخراجهم منها، فنزلوا  
حص ونواحها، وأقاموا زيد من أحلافهم بموران فهم بها حتى  
الآن لا يفارقوها. قالوا: ثم اتصل آل فضل باللدد من السلطة  
وولوهم على إحياء العرب واقطعوهم على إصلاح السابلة بين  
الشام وال伊拉克، فاستظهروا برأستهم على آل مراء، وغلبوا على  
المشاتي فصار عاملاً رحلتهم في حدود الشام قريباً من التلول  
والقرى، لا ينبعون إلى البرية إلا في الأقل.

وكانت معهم أحياهم من أثاريق الأعراب يندرجون في  
لقيفهم وحلفهم من مدحنج وعامر وزيد كما كان لآل فضل. إلا  
أن أكثر من كان من آل مراء أو لذلک الأحياء وأفرهم عدداً بنو  
حارثة من إحدى سنتي بطون طيء، هكذا ذكر الثقة عنهم من  
رجالاتهم. وحارثة هؤلاء متغلبون لهذا العهد في تلول الشام لا  
يجاوزونها إلى القفار. ومواطن طيء بنجد قد اتسعت، وكانت أول  
خروجهم من اليمن نزلوا جيلي أجأ وسلمي، وغلبوا عليهما بني  
أسد وجاوروهم. وكان لهم من مواطن سميراء وفید من منازل  
الجاج. ثم انقض بنوأسد وورثت طيء بلادهم فيما وراء الكرك  
من أرض غفو وكتلك ورثوا منازل تميم بارض نجد فيما بين

من بني خارجية هؤلاء الذين ذكر ابن حزم أنهم انتقلوا إلى حلب وحاضر طيء، لأن هذا الوطن أقرب إلى مواطنهم لهذا العهد من مواطن بي الجراح بفلسطين من جبلين أجأ وسلمي الذي هو موضوع الآخرين، فالله أعلم أي ذلك يصح من أنسابهم. وتحت خفارتهم بنواحي الفرات ابن كلاب بن ربيعة بن عامر دخلوا مع ثباتهم بن عامر بن صعصعة من نجد إلى الجزيرة.

ولما افترق بنو عامر على المالك الإسلامية اختص هؤلاء  
منواحي حلب وملكتها منهم بن صالح بن مرداش من بني عمرو  
بن كلاب. ثم تلاشى ملوكهم ورجعوا عنها إلى الأحياء وأقاموا  
اللفرات تحت خفارة هؤلاء الأمراء من طيء.

واما ترتيب رئاستهم على العرب بالشام والعراق منذ دولة  
بني أيوب العادل وإلى هذا المهد، وهو آخر ست وستين  
وسبعيناً، فقد ذكرنا ذلك في دولة الترك ملوك مصر والشام،  
وذكرناهم واحداً بعد واحد على ترتيبهم. وسنذكرهم هنا على  
ذلك الترتيب فنقول: كان الأمير لمهد بني أيوب عيسى بن محمد  
بن ربيعة أيام العادل كما كان بعده حسام الدين ماتع بن حرثة  
بمصر والشام.

وفي سنة ثلاثين وستمائة ولـى عليهـم بعده ابنه مهـنا . ولـا ارـتـجـعـ قـطـرـ بنـ فـضـلـ أحدـ مـلـوـكـ التـرـكـ بمـصـرـ والـشـامـ منـ آيـديـ التـرـتـ،ـ وهـمـهـمـ بـعـينـ جـالـوتـ،ـ أـقـطـعـ سـلـمـيـةـ لـهـنـاـ بـنـ مـانـعـ وـاتـزـعـهـاـ منـ عـمـ الـمـنـصـورـ بـنـ مـظـفـرـ بـنـ شـاهـنـشـاهـ صـاحـبـ حـمـاءـ،ـ وـلـمـ أـقـفـ علىـ تـارـيـخـ وـفـاةـ مـهـنـاـ .ـ ثـمـ وـلـىـ الـظـاهـرـ عـلـىـ أـحـيـاءـ الـعـرـبـ بـالـشـامـ عـدـ ماـ اـسـفـحـلـ مـلـكـ التـرـكـ .ـ وـسـارـ إـلـىـ دـمـشـقـ لـتـشـيـعـ الـخـلـيفـةـ الـحاـكـمـ عـمـ الـمـسـتعـصـمـ إـلـىـ بـغـلـادـ عـيـسـىـ بـنـ مـهـنـاـ بـنـ نـافـعـ،ـ وـجـرـ لـهـ الـإـقطـاعـاتـ عـلـىـ حـفـظـ السـابـلـةـ،ـ وـجـبـ اـبـنـ عـمـهـ زـامـلـ بـنـ عـلـيـ بـنـ بـرـيـعـةـ مـنـ آـلـ فـضـلـ عـلـىـ سـعـيـتـهـ وـإـغـارـامـهـ .ـ وـلـمـ يـزـلـ يـغـرـ عـلـىـ أـحـيـاءـ الـعـرـبـ،ـ وـصـلـحـواـ فـيـ أـيـامـ لـأـنـهـ خـالـفـ أـبـاهـ فـيـ الشـدـةـ عـلـيـهـمـ،ـ وـهـرـبـ إـلـيـهـ سـقـرـ الـأـشـقـرـ سـنـةـ تـسـعـ وـسـبـعـ وـسـيـعـ وـكـاتـبـواـ أـنـغاـ وـاسـتـحـثـوـ مـلـكـ الـشـامـ .ـ وـتـرـوـيـ عـيـسـىـ بـنـ مـهـنـاـ سـنـةـ أـرـبعـ وـثـمـانـينـ تـولـىـ الـمـنـصـورـ قـلـاـونـ مـنـ بـعـدـ اـبـهـ مـهـنـاـ .

ثم سار الأشرف بن قلاون إلى الشام ونزل حصن، ووفد عليه مهنا بن عيسى في جماعة من قومه، فقبض عليه وعلى ابنته موسى وأخته محمد وفضل أبيه مهنا. وبعث بهم إلى مصر فحبسوا بها حتى أفرج عنهم العادل كتبنا عندما جلس على التخت سنة أربع وتسعين، ورجع إلى إمارته. وكان له في أيام الناصر نصرة واستقامة وميلة إلى ملوك التتر بالعراق، ولم يحضر شيئاً من وقائع غازان. ولما انقضت قراسف واقوش الأفرب

قال ابن الأثير إن فضل بن ربيعة بن حازم كان أباً لآباء  
أصحاب البلقاء والبيت المقدس. وكان الفضل تارة مع الفرنج  
وتارة مع خلفاء مصر. ونكره لذلك طفرة من أنابيلك دمشق وكافل  
بني تشن فطرده من الشام فنزل على صدقة بن مزيد بالخلدة  
والحالفه. ووصله صدقة بستعه آلاف دينار. فلما خالف صدقة بن  
مزيد على السلطان محمد بن ملكشاه سنة خمسة وسبعين وما بعدها،  
ووُقعت بينهما الفتنة اجتمع له فضل هذا وقرداش بن شرف  
الدولة ومسلم بن قريش صاحب الموصل وبعض أمراء التركمان،  
وكثروا كلهم أولياء صدقة، فصار في الطلاقع بين يدي الحرب،  
وهردوا إلى السلطان فاكيرهم وخليع عليهم، وأنزل فضل بن ربيعة  
بدار صدقة بن مزيد ببغداد حتى إذا سار السلطان لقتال صدقة،  
واستأذنه فضل في الخروج إلى البرية ليأخذ مجراة صدقة فإذا ذُنِّ له  
وعبر إلى الآثار، فلم يراجع السلطان بعدها إلا كلام ابن الأثير.  
ويظهر من كلامه وكلام السجحي أن فضلاً هذا ويدرأ من آل  
جرح بلا شك. ويظهر من سيادة هؤلاء نسبهم أن فضلاً هذا هو  
جدهم لأنهم ينسبونه: فضل بن ربيعة بن الجراح. فعل هؤلاء  
نسيراً ربيعة إلى مفرق الذي هو كبير بني الجراح بعد العهد وقلة  
المحافظة على مثل هذا من البداء الفتن.

واما نسبة هذا الحبى من آل فضل بن ربيعة بن فلاح من مفرج في طيء، وبعدهم يقول: إن الرئاسة في طيء كانت لأياس بن قبيصة من بني سبا بن عمرو بن الغوث من طيء، وأياس هو الذي ملكه كسرى على الحيرة بعد آل المنذر لما قتل النعمان بن المنذر، وهو الذي صالح خالد بن الوليد عن الحيرة على الجزية. ولم تزل الرئاسة على طيء إلى بني قبيصة هؤلاء صدرأً من دولة الإسلام. فلعل بني المبراج وآل فضل هؤلاء من أعقابهم، وإن كان انفرض أعقابهم فهم من أقرب الحبى إليهم، لأن الرئاسة على الأحياء والشعوب إنما تتصل في أهل العصبية والنسب كما مر أول الكتاب.

وقال ابن حزم عندما ذكر أنساب طيء وأنهم لما خرجوا من اليمن مع بني أسد نزلوا جبلي أجا وسلمي، وأوطنوهما وما بينهما، ونزل بنو أسد ما بينهم وبين العراق. وفضل كثير منهم وهو: بنو حارثة نسبة إلى أهلهم، وتيم الله، وحيش، والأسعد، إخوتهم رحلوا عن الجبلين في حرب الفساد فلحقوا بحلب، وحاضر طيء وأوطنوا تلك البلاد إلا بني رومان بن جندب بن خارجة بن سعد، فإنهم أقاموا بالجبلين فكانوا جبليون ولأهل حلب وحاضر طيء من بني خارجة السهليون أه.

فَلَعْلَ هَذِهِ الْأَحْيَاءُ الَّذِينَ بِالشَّامِ مِنْ بَنِي الْجَرَامِ وَآلِ فَضْلٍ

ثم توفى سنة سبع وأربعين فولى مكانه آخره فياض، وهلك  
سنة ثسع وأربعين وولي مكانه آخره خيار بن مهنا، ولاه حسن  
الناصر في دولته الثانية. ثم انتقض سنة خمس وستين وأقام ستين  
بالقصر عاصيًا إلى أن شفع فيه نائب حماة، فأعيد إلى إمارته. ثم  
انتقض سنة سبعين فولى السلطان الأشرف مكانه ابن عممه زامل  
بن موسى بن عيسى، وجاء إلى نواحي حلب والجتمع إليه بنو  
كلاب وغيرهم، وعاثوا في البلاد وعلى حلب يومئذ قشتمر  
المتصوري، فبرز إليهم واتجه إلى خيمتهم واستلق نعمهم وخطى  
إلى الخيم فاستجاشوا بها وهزموا عساكره وقتل قشتمر ابنه في  
المعركة، تولى هو قتله بيده، وذهب إلى القفر متقطضاً فول الأشرف  
مكانه ابن عممه معicل بن فضل بن عيسى.

ثم بعث ابن معقل صاحبه سنة إحدى وسبعين يستأتمن  
خيار فامنه. ثم وفد خيار بن مهنا سنة خمس وسبعين فرضي عنه  
السلطان وأعاده إلى إمارته. ثم توفي سنة سبع وسبعين فولى أخوه  
مالك إلى أن هلك سنة إحدى وثمانين فولى مكانه معقل بن  
موسى بن عيسى، وابن مهنا شريكين في إمارتهم. ثم عزلوا لستة  
وولي نعير بن جابر بن مهنا واسمه محمد، وهو لهذا العهد أمير  
على آل فضل وجميع أحياء طيء بالشام. والسلطان الظاهر لعهده  
يزاره مجرن بن محمد بن قاري حتى سخطه. ثم وصل انتقامه  
على السلطان وخلافه، وظاهر السلطان على موالاة محمد بن  
قاري فسخطه، وولي مكانهما ابن عمهمَا محمد بن كوكبين ابن  
عمر موسى بن عساف بن مهنا فقام بأمر العرب وبقي نعير متقدماً  
بالقفر وعجز عن الميرة لقلة ما يده واحتلت أحواله، وهو على  
ذلك لهذا العهد، والله ولـي الأمور لا رب سواه.

ولنرجع إلى ما يقى من شعوب هذه الطبقية فنقول: كان بنو عامر بن مصعبه كلهم بني جلد، وبنو كلاب في خناصره وإلبرية من جهات المدينة وكعب بن ربيعة فيما بين نهامة والمدينة وأرض الشام. وبنو هلال بن عامر في بساط الطائف ما بينه وبين جبل غزوان وغير بن حامد معهم. وجسم محسوبون منهم بنجد، وانتقلوا كلهم في الإسلام إلى الجزيرة الفراتية فملك غير حران وزواحيها. وأقام بنو هلال بالشام إلى أن ظعنوا إلى المغرب كما ذكر في أخبارهم. ويقي منهم بقية مجبل بني هلال المشهور بهم الذي فيه قلعة صرخد. وأكثرهم اليوم يتعاطون الفلاح. وبنو كلاب بن ربيعة ملكوا أرض حلب ومديتها كما ذكرناه. وبنو كعب بن ربيعة دخلت إلى الشام، منهم قبائل عقيل وقشير وجريش وجعلدة، فالغرض، الثلاثة في دولة الإسلام ولم يبق إلا بنو عقيل.

وذكر ابن حزم: أن عددهم يفني عدد جميع مصر. فملك

وأصحابها سنة عشر وسبعيناً حلّقرا به، وساروا من عنده إلى خربندا، واستوحش هو من السلطان وأقام في أحياه متقبلاً عن الوفادة.

ووفد أخيه فضل سنة الثنتي عشرة وسبعمائة فرعى له حق  
وفادته، ولواه علم، العرب مكان أخيه منها وبنها، منها مشرداً.

ثم لحق سنة ست عشرة وسبعينه مخربندا ملك التتر  
فاكيرمه وأقطعه بالعراق. وهلك خربندا في تلك السنة فرجع منها  
إلى أحياه، ووفد ابنه أحد وموسى وأخوه محمد بن عيسى  
مستعينين على الناصر ومتطارحين عليه، فاكرم وفادتهم وأنزلهم  
بالقصر الأبلق، وسلم لهم بالإحسان وأعتبّ منها ورده إلى إمارته  
وأقطعاه، وذلك سنة سبع عشرة وحجّ هذه السنة ابنه عيسى  
وأخوه محمد وجاءه من آل فضل في اثنى عشر ألف راحلة. ثم  
رجع منها إلى دينه في مملأة التتر والأجلاب على الشام. واتصل  
ذلك منه فتقم السلطان عليه، وسخط عليه قومه أجمع. وتقصد إلى  
نواب الشام سنة عشرين بعد مرجعه من الحجّ، فطرد آل فضل  
عن البلاد وأدال منهم مالكاً على عدالله. بينهم وبينه على  
أحياء العرب محمد بن أبي بكر، وصرف أقطعان منها وولده إلى  
محمد وولده فاقم منها على ذلك مدة.

وذكر لي بعض أمراء الكبار بمصر فيمن أدرك وفاته أو حدث بها: أنه تجأفي في هذه الوفادة من قبول شيء من السلطان، حتى أنه ساق عنده النيل الخلوة والعرباب، وأنه لم يفتح باب أحد من أرباب الدولة ولا سال منهم شيئاً من حاجاته، ثم رجع إلى أحياه وتوفي سنة أربع وثلاثين فولى ابنه مظفر الدين موسى، وتوفي سنة اثنين وأربعين عقب مهلك الناصر، وولي مكانه أبوه سليمان.

ثم هلك سليمان سنة ثلاث وأربعين فولى مكانه شرف الدين عيسى ابن عمه فضل بن عيسى. ثم توفى سنة أربع وأربعين بالقريتين ودفن عند قبر خالد بن الوليد. وولى مكانه أبوه سيف بن فضل، ثم عزله السلطان بعمر، الكامل ابن الناصر سنة ست وأربعين، وولى مكانه أحمد بن منها بن عيسى. ثم جمع سيف بن فضيل ولقيه فياض بن منها بن عيسى وانهزم سيف. ثم ولى السلطان حسن الناصر في دولته الأولى وهو في كفالة بيبغاروس من أحد بن منها فسكنت الفتنة بينهم.

أفريقية، من ملوك التباعة وملكيها. ثم رجع عنها وترك كاتمة وصنهاجة من قبائل حمير، فاستحال طبعتهم إلى البرير واندرجوا في عدادهم، وذهب ملك العرب منهم. ثم جاءت الملة الإسلامية وظهر العرب على سائر الأمم بظهور الدين، فسارت عساكرهم في المغرب، وافتتحوا سائر أقصاره ومدنه وعانيا من حروب البرير شدة. وقد تقدم لنا ما ذكره ابن أبي زيد من أنهم ارتدوا الشريعة عشرة مرة، ثم رسم فيها الإسلام ولم يكتنوا بأجسامهم في الحياة ولا نزلوا أحياء لأن الملك الذي حصل لهم يمنعهم من سكنا الصلاحية، ويعدل بهم إلى المدن والأقصارات. فلهذا قلنا إن العرب لم يوطّنا بلاد المغرب، ثم أنهم دخلوا إليه في منتصف المائة الخامسة، وأوطّنوه وافتقدوا بأحيائهم في جهاته كما ذكر الآن ونستوعب أسبابه.

### الخبر عن دخول العرب من بني هلال وسلم المغارب من الطبة الرابعة وأخبارهم هناك

كانت بطون هلال وسلم من مصر لم يزالوا بادين منذ الدولة العباسية وكانتوا أحياء ناجعة بمحاجاتهم من قصر الحجاز بنجد. فبني سليم مما يلي المدينة، وبنو هلال في جبل غزوان عند الطائف وربما كانوا يطوفون في رحلة الصيف والشتاء أطراف العراق والشام، فيغدون على الضواحي ويفسدون السابلة، ويقطعون على الرفاق، وربما أغمار بني سليم على الحاج أيام الموسم بكلة وأيام الزيارة بالمدينة. وما زالت البعوث تجهز والكتائب تكتب من باب الخلافة ببغداد للإيقاع بهم وصون الحاج عن معരفات هجومهم. ثم تخيز بني سليم والكثير من ربيعة بن عامر إلى القرامطة عند ظهورهم، وصاروا جنداً لهم بالبحرين وعمان.

ولما تغلب شيبة ابن عبد الله المهدي على مصر والشام، وكان القرامطة قد تغلبوا على أمصار الشام فاتتّعها العزيز منهم وغلهبهم عليها وردهم على أعقابهم إلى قرارهم بالبحرين، ونقل أشياعهم من العرب من بني هلال وسلم فأذلهم بالصعيد وفي العدوة الشرقية من بحر النيل فأقاموا هناك، وكان لهم أضرار بالبلاد. ولما انساق ملك صنهاجة بالقيروان إلى المعز بن باديس بن المنصور سنة ثمان وأربعين سنة قلده الظاهر لدين الله علي بن الحاكم بأمر الله منصور بن العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله مدعًا أمر إفريقية على عادة آبائه كما ذكره لك بعد. وكان له مدح

منهم الموصى بنو مالك بعد بني حمدان وتغلب. واستولوا عليها وعلى نواحيها وعلى حلب معها. ثم انقرض ملوكهم ورجعوا للبادية، وورثوا مواطن العرب في كل جهة، فمنهم بنو المتفق بن عامر بن عقيل، وكان بنو مالك بن عقيل في أرض تيماء من نجد، وهم الآن مجاهات البصرة في الأجام التي بينها وبين الكوفة المعروفة بالبطائح، والإمارة منهم في بني معروف، والمغارب من بني المتفق أحياء دخلوا مع هلال بن عامر يعرفون بالخلط، ومواطنهم بالغرب الأقصى ما بين فاس ومراكن.

وقال الجرجاني: إن بني المتفق كلهم يعرفون بالخلط، ويلجئون في جنوب البصرة إخوتهم بنو عامر بن عرف بن مالك بن عوف بن عامر، وعرف آخر المتفق قد غلبو على البحرين وغمارة وملوكها من يد أبي الحسين الأصغر بن تغلب. وكانت هذه المواطن للأزد وبني غيم وعبد القيس، فورث هؤلاء أرضهم فيها وديارهم.

قال ابن سعيد: وملوكها أيضًا أرض اليمامة من بني كلاب وكان ملوكهم فيها للعهد الخمسين والستمائة ببني عصفور. وكان من بني عقيل خفاجة بن عمرو بن عقيل، كان انتقامهم إلى العراق فأقاموا به وملوكوا ضواحيه، وكانت لهم مقامات وذكر، وهم أصحاب صولة وكثرة، وهم الآن ما بين دجلة والفرات. ومن عقيل هؤلاء بنو عبادة بن عقيل، ومنهم الأجانف لأن عبادة كان يعرف بالأجل. وهم لهذا الهدى بالعراق مع بني المتفق. وفي البطائح التي بين البصرة والكوفة وواسط والإمارة فيهم على ما يبلغنا لرجل اسمه قيان بن صالح وهو في عدد ومنعة. وما أدرى أهوا في بني معروف أمراء البطائح ببني المتفق، أو من عبادة الأخائل. هذه أحوال بني عامر بن صعصعة واستيلاؤهم على مواطن العرب من كهلان وربيعة ومضر.

فاما بني كهلان فلم يبق لهم أحياء فيما يسمع. وأما ربعة فأجازوا بلاد فارس وكرمان فهم يتبعون هناك ما بين كرمان وخراسان. ويبقى بالعراق منهم طائفة يتلون البطائح واتسب إلى الكوفة منهم بنو صباح ومعهم لفائف من الأوس والخزرج. فامير ربعة اسمه الشيخ ول، وعلى الأوس والخزرج طاهر بن خضر منهم

هذه شعوب الطبقة الثالثة من العرب لهذا العهد في ديار المشرق بما أدى إليه الإمكان. ونحن الآن نذكر شعوبهم الذين انتقلوا إلى المغرب: فإن أمّة العرب لم يكن لهم إمام قط بالمغرب، لا في الجahليّة ولا في الإسلام، لأنّ أمّة البرير الذين كانوا به يمانعون عليه الأمّم. وقد غزا إفريقيش بن ضبيع الذي سميت به

الشيعة والسبب في الدفع عن الدولة، فإن صدقت المختلة في ظفريهم بالمعز وصنهاجة، كانوا أولياء للدعوة وعملاً بذلك القاصية. وارتفع عدوائهم من ساحة الخلافة، وإن كانت الأخرى فلها ما بعدها.

وأمر العرب الباذية أسهل من أمر صنهاجة الملوك، فتغلبوا على هديه وشورانه. وقيل: إن الذي أشار بذلك و فعله وأدخل العرب إلى أفريقيا إنما هو أبو القاسم الجرجاني، وليس ذلك بصحيح، فبعث المستنصر وزيره على هؤلاء الأحياء سنة إحدى وأربعين، وأرضخ لأمرائهم في العطاء ووصل عامتهم بغير دينار لكل واحد منهم، وأباح لهم إجازة النيل. وقال لهم: قد أعطيكم المغرب، وملك المعز بن بلکين الصنهاجي العبد الآبق فلا تفترنون وكتب اليázوري إلى المغرب: أما بعد فقد أخذنا إليکم خيولاً فحولاً، وأرسلنا عليها رجالاً كهولاً. يقضي الله أمرأً كان مفهولاً. فطممت العرب إذ ذاك، وأجازوا النيل إلى برقة، ونزلوا بها واستحووا أمصارها واستباحوها، وكروا لأخوانهم شرقى النيل يرغبونهم في البلاد، فأجازوا إليهم بعد أن اعطوا لكل رأس دينارين فأخذ منهم أضعاف ما أخذوه، وتقارعوا على البلاد: فحصل لسلمي الشرق، وطلال الغرب، وخربوا المدينة الحمراء وأوجداية وأسمرة وسرت.

وأقامت هيب من سليم وأحلافها رواحة وناصرة وغمرة ببارض برقة. وسارت قبائل دباب وعوف وزغب وجميع بطون هلال إلى أفريقيا كالجراد المتشير، لا يرون بشيء إلا أتوا عليه، حتى وصلوا إلى أفريقيا سنة ثلاثة وأربعين وكان أول من وصل إليهم أمير رياح مؤنس بن يحيى الصنيري فاستماله المعز واستدعاه واستخلصه لنفسه وأصهر إليه. وفاوضه في استدعاء العرب من قاصية وطنه للاستغاظة على نواحي بيبي عمه، فاستقر القرى وأتى عليهم فاستدعاهم فعادوا في البلاد وأظهروا الفساد في الأرض، ونادوا بشعار الخليفة المستنصر، وسرج إليهم من صنهاجة الأولياء فألقوا بها فتمخط المعز لكرهه وأشاط بغضبه، وتبغض على أخي مؤنس وعسكر بظاهر القيروان، وبعث بالصريح إلى ابن عمه صاحب القلعة القائد بن حامد بن بلکين، فكتب إليه كتيبة من ألف فارس سرحهم إليه، استفرووا عن زنانة فوصل إليه المستنصر بن خزر بن المغراوي في ألف فارس من قومه.

وكان بالبدو من إفريقية مع الناجعة من زنانة، وهو من أعظم ساداتهم. وارتحل المعز في أولئك الفرس ومن لف لهم من الآتاع والخش والأولياء ومن في إياتهم من بقايا عرب الفتح، وحشد زنانة والبربر وصمد ثورهم في ألم لا تخصى ينذر عددهم

ولايته غلاماً يفعة ابن ثمان سنين، فلم يكن مجرياً للأمر ولا بصيراً بالسياسة، ولا كانت فيه عزة وانفة. ثم هلك الظاهر سنة سبع وعشرين وأربعين وولي المستنصر بالله معز الطويل أمر الخليفة بما لم يبنه أحد من خلفاء الإسلام. يقال: ولـي خساً وسعـنـ وـقـلـ: خـساـ وـتـسـعـنـ، وـالـصـحـيـحـ ثـلـاثـ وـسـبـعـونـ لـأـنـ مـهـلـكـهـ كـانـ عـلـىـ رـأـسـ الـمـائـةـ الـخـامـسـةـ، وـكـانـ أـذـنـ الـمـعـزـ بـنـ بـادـيـسـ صـاغـيـةـ إـلـىـ مـذـاـهـبـ أـهـلـ السـنـةـ، وـرـبـعـاـ كـانـ شـوـاهـدـهـ تـظـهـرـ عـلـيـهـ، وـكـيـاـ بـهـ فـرـسـهـ فـيـ أـوـلـ وـلـايـتـهـ لـبـعـضـ مـذـاـهـبـهـ فـنـادـيـ مـسـتـغـثـيـاـ بـالـشـيـخـيـنـ أـبـيـ بـكـرـ وـعـمـرـ، وـسـمـعـتـهـ الـعـامـةـ فـتـارـوـاـ بـالـرـافـضـةـ وـقـلـوـهـمـ وـأـعـلـنـوـاـ بـالـمـقـدـدـ الـحـقـ وـنـادـوـاـ بـشـعـارـ الـإـيمـانـ وـقـطـعـرـاـ مـنـ الـأـذـانـ حـيـ عـلـىـ خـيـرـ الـعـلـمـ. وـأـغـضـيـهـ عـنـ الـظـاهـرـ مـنـ ذـلـكـ وـابـهـ مـعـدـ الـمـتـنـصـرـ مـنـ بـعـدـ. وـاعـتـدـرـ بـالـعـامـةـ قـبـلـ وـاسـتـمـرـ عـلـىـ إـقـامـةـ الـدـعـوـةـ وـالـمـهـادـةـ، وـهـوـ فـيـ أـثـاءـ ذـلـكـ يـكـاتـبـ وـزـيرـهـمـ وـحـاجـبـ دـوـلـهـاـ الـمـضـطـلـعـ بـأـمـرـهـمـ أـبـاـ الـقـاسـمـ أـحـدـ بـنـ عـلـىـ الـجـرجـانـيـ وـيـسـتـمـيـلـهـ وـيـعـرـضـ بـيـنـ عـيـدـ وـشـيـعـتـهـ. وـكـانـ الـجـرجـانـيـ يـلـقـبـ بـالـأـقـطـعـ بـاـ كـانـ أـطـعـهـ الـحـاـكـمـ بـجـنـيـاـ ظـهـرـتـ عـلـيـهـ فـيـ الـأـعـمـالـ، وـاتـهـضـتـهـ السـيـدـةـ بـنـ الـمـلـكـ عـمـةـ الـمـتـنـصـرـ.

فـلـمـ مـاتـ استـبـدـ بـالـدـوـلـةـ سـنـةـ أـرـبـعـ عـشـرـ وـأـرـبـعـانـةـ إـلـىـ انـ هـلـكـ سـنـةـ سـتـ وـثـلـاثـينـ وـوـليـ الـوـزـارـةـ بـعـدـ أـبـوـ مـحـمـدـ الـحـسـنـ بـنـ عـلـىـ الـيـازـوـرـيـ أـصـلـهـ مـنـ قـرـىـ فـلـسـطـيـنـ، وـكـانـ أـبـوـهـ مـلـاحـاـ بـهـ. فـلـمـ وـلـيـ الـوـزـارـةـ خـاطـبـهـ أـهـلـ الـجـهـاتـ، وـلـمـ يـوـلـوـهـ فـانـفـ منـ ذـلـكـ، فـعـظـمـ عـلـيـهـ وـحـنـتـ عـلـيـهـ ثـمـالـ بـنـ صـالـحـ صـاحـبـ حـلـ وـالـمـعـزـ بـنـ بـادـيـسـ صـاحـبـ أـفـرـيقـيـةـ، وـأـخـرـفـواـ عـنـهـ وـحـلـلـ الـمـعـزـ لـيـنـقـضـنـ طـاعـتـهـ وـلـيـحـولـنـ الدـعـوـةـ إـلـىـ بـيـنـ عـبـاسـ، وـيـحـوـنـ اـسـمـ بـيـنـ عـيـدـ مـنـ مـنـابـرـ، وـلـجـ فـيـ ذـلـكـ وـقـطـعـ أـسـمـاهـمـ مـنـ الـطـرـازـ وـالـرـايـاتـ، وـبـاـعـ الـقـائـمـ أـبـاـ جـعـفـرـ بـنـ الـقـادـرـ مـنـ خـلـفـاءـ بـيـنـ عـبـاسـ، وـخـاطـبـهـ وـدـعـاـ لـهـ عـلـىـ مـنـابـرـهـ سـنـةـ سـبـعـ وـثـلـاثـينـ وـبـعـثـ بـالـبـيـعـةـ إـلـىـ بـغـدـادـ.

وـوـصـلـهـ أـبـوـ الـفـضـلـ الـبـغـدـادـيـ وـحـظـيـ منـ الـخـلـيفـةـ بـالـتـقـلـيدـ وـالـخـلـعـ، وـقـرـىـ كـابـهـ بـجـامـعـ الـقـيـرـوانـ وـنـشـرتـ الـرـايـاتـ الـسـوـدـ وـهـدـمـ دـارـ الـإـسـمـاعـيـلـيـةـ. وـبـلـغـ الـخـبـرـ إـلـىـ الـمـسـتـنـصـرـ مـعـدـ الـخـلـيفـةـ بـالـقـاهـرـةـ، وـإـلـىـ الـشـيـعـةـ الـرـافـضـةـ مـنـ كـاتـمـ وـصـنـائـعـ الـدـوـلـةـ فـوـجـواـ وـطـلـعـ عـلـيـهـمـ الـمـقـدـمـ مـنـ ذـلـكـ، وـارـتـكـبـواـ فـيـ أـمـرـهـ. وـكـانـ أـحـيـاءـ هـلـالـ هـؤـلـاءـ الـأـحـيـاءـ مـنـ جـسـمـ وـأـثـيـبـ رـزـغـهـ وـرـيـاحـ وـرـبـعـةـ وـعـدـيـ فـيـ حـلـاتـهـ بـالـصـعـيدـ كـمـ قـدـمـاـ. وـقـدـمـ ضـرـرـهـ وـأـحـرـقـ الـبـلـادـ وـالـدـوـلـةـ شـرـرـهـ، فـأـشـارـ الـوـزـيرـ أـبـوـ مـحـمـدـ الـحـسـنـ بـنـ عـلـىـ الـيـازـوـرـيـ بـاـصـطـنـاعـهـمـ وـالتـقـدـمـ لـمـشـائـخـهـمـ وـتـولـيـهـمـ أـعـمـالـ أـفـرـيقـيـةـ وـتـقـلـيـدـهـمـ أـمـرـهـ وـدـفـعـهـمـ إـلـىـ حـرـبـ صـنـهـاجـةـ لـيـكـونـواـ عـنـدـ نـصـرـ

المهدية فنزلوها، وضيقوا عليها بمنع المرافق وإفساد السابلة. ثم حاربوا زناتة من بعد صنهاجة وغلبواهم على الضواحي، واتصلت الفتنة بينهم، وأغراهم صاحب تلمسان من اعقارب محمد بن خزر جيشه مع وزير أبي سعدى خليفة البغدادي فهزمه وقتلوه بعد حروب طويلة، واضطرب أمر إفريقية، وخرج عمرانها، وفسدت سابلتها. وكانت رئاسة الضواحي من زناتة والبرير لبني يفرن ومغاروة وبني عانوا وبني يلومان ولم يزل هذا دأب العرب وزناتة حتى غلبوا صنهاجة وزناتة على ضواحي إفريقية والزاب، وغلبوا عليها صنهاجة وقهروا من بها من البرير وأصاروهم عيذاً وخدماً بجاية.

وكان في هؤلاء العرب لعهد دخولهم إفريقية رجالات مذكورون. وكان من أشرفهم حسن بن سرحان وأخوه بدر وفضل بن ناهض، وينسبونه هؤلاء في دريد بن الأبيج وماضي بن مقرب وينسبونه في قرة وسلامة بن رزق في بني كثير من بطون كرفة بن الأبيج وشبان بن الأحمر وأخوه صليصيل وينسبونه في بني عطيه من كرفة، وذياب بن غام وينسبونه في بني ثور، وموسى بن يحيى وينسبونه في مرداس رياح لا مرداس سليم، فاحذر من الغلط في هذا. وهو من بني صنبر بطن من بطون مرداس رياح، وزيد بن زيدان وينسبونه في الضحاك، ومليحان بن عباس وينسبونه في حير، وزيد العجاج بن فاضل ويزعمون أنه مات بالحجاز قبيل دخولهم إلى إفريقية، وفارس بن أبي الغيث وعامر أخوه، والفضل بن أبي علي ونسبهم أهل الأخبار منهم في مرداس كل هؤلاء يذكرون في أشعارهم.

وكان زياد بن عامر رائدهم في دخول إفريقية ويسمونه لذلك أباً غيير، وشعوبهم لذلك العهد كما نقلناهم زغبة ورياح والأبيج وقرة وكلهم من هلال بن عامر. وربما ذكر فيهم بنو عدي، ولم تقف على أخبارهم وليس لهم لهذا العهد حي معروف، فلعلهم دثروا وتلاشوا وافتقروا في القبائل. وكذلك ذكر فيهم ربعة، ولم تعرفهم لهذا العهد إلا أن يذكروها هم المعلم كلما تراه في نسبهم. وكان فيهم من غير هلال كثير من فزاره وأشجع من بطون غطفان وجشم بن معاوية بن بكر بن هوازن وسلول بن مرة بن صعصعة بن معاوية، والمعلم من بطون اليمنية، وعمره بن أسد من بني ربعة بن نزار، وبني ثور بن معاوية بن عبادة بن ربعة البكاء بن عامر بن صعصعة، وعدوان بن عمرو بن قيس بن عيان. وطربود بطن من فهم بن قيس، إلا أنهم كلهم متدرجون في هلال وفي الأبيج منهم خصوصاً، لأن الرئاسة كانت عند دخولهم للأبيج وهلال فادخلوا فيهم وصاروا متدرجين في

فيما يذكر ثلاثة ألفاً. وكانت رياح وزغبة وعدى حيدران من جهة فاس. ولما تراحت الفرقان المخذل بقية عرب الفتح وتخيزوا إلى الهمالين للعصبية القدية، وخاتمه زناتة وصنهاجة، وكانت المزينة على المعز، وفر بنفسه وخاصته إلى القبروان، وانتهبت العرب جميع مخلفه من المال والمنابع والذخيرة والفساطيط والرايات، وقتلوا فيها من البشر ما لا يحصى. يقال: إن القتلى من صنهاجة بلغوا ثلاثة آلاف وثلاثمائة، وفي ذلك يقول علي بن رزق الرياحي كلمته. ويقال إنها لابن شداد وأوها:

لقد زار وهنا من أميم خيال وأيدي الطايا بالزميل عجال وإن ابن باديس لأنفل مالك لموري، ولكن ما لديه رجال ثلاثة ألفاً منهم قد هزمتهم ثلاثة آلاف وذلك خلال

ثم نازلوه بالقبروان وطال عليه أمر الحصار، وهلكت الضواحي والقرى بآفساد العرب وعيثهم، وانتقام السلطان منهم بانتقامه في ولاية العرب، وجل الناس إلى القبروان وكثير النهب واشتد الحصار، وفر أهل القبروان إلى تونس ورسوسه، وعم النهب في البلاد والعبيث في البلاد ودخلت تلك الأرض سنة خمس وأربعين، وأحاطت زغبة ورياح بالقبروان. ونزل موسى قريباً من ساحة البلد، وفر القرابة والأعياص من آل زير فولاهم موسى قابس وغيرها، ثم ملکوا بلاد قسطنطينية كلها وغزا عامل ابن أبي الغيث منهم: زناتة ومغاروة فاستباحهم ورجع.

واقتسمت العرب بلاد إفريقية سنة ست وأربعين، وكان لزغبة طرابلس وما يليها، ولمدارس بن رياح باجة وما يليها. ثم اقسموا البلاد ثانية فكان هلال من تونس إلى الغرب وهم: رياح وزغبة والمعقل وجشم وقرة والأبيج والخلط وسفيان وتصرم الملك من يد المعز، وتغلب عائد بن أبي الغيث على مدينة تونس وبها وملك أبو مسعود من شيوخهم بونة صلحها. وعامل المعز على خلاص نفسه، وصاهره يبناته ثلاثة من أمراء العرب: فارس بن أبي الغيث وأخاه عائذ، والفضل بن أبي علي المرادي.

وقدم ابنه تميم إلى المهدية سنة ثمان وأربعين وأربعين وستة سبع بعدها بعث إلى أصحابه من العرب وترجم بهم ولحق بهم بالقبروان، واتبعه فركب البحر من الساحل، وأصلاح أهل القبروان فأذخبرهم ابنه المنصور مختر أبيه، فساروا بالسودان والنصرور، وجاء العرب فدخلوا البلد واستباحوه واكتسحوا المكاسب وخرموا المباني وعاثوا في محسنهما، وطمسموا من الحسن والرونق معالهما. واستصفوا ما كان لآل بل يكن في قصورها وشملوا بالعيث والنهب سائر من فيها وتفرق أهلها في الأقطار فعظمت الرزية، وانتشر الداء وأعضل الخطب. ثم ارخلوا إلى

في أخته الجازية فانكحه إياها، وولدت منه ولداً اسمه محمد، وأنه حدث بينهم وبين الشريف مغاضبة وفتنة، وأجعوا الرحلة عن نجد إلى إفريقية. وتحيلوا عليه في استرجاع هذه الجازية فطلبته في زيارة أبيها فأزارها إياهم، وخرج بها إلى حللهم فارتخلوا به وبها. وكتموا رحلتها عنه وموهوا عليه بأنهم ياكرون به للصيد والقتص ويروحون به إلى بيونتهم بعد بناتها فلم يشعر بالرحلة إلى أن فارق موضع ملکه، وصار إلى حيث لا يملأ أمرها عليهم ففارقوه، فرجع إلى مكانه من مكانة وبين جوانحه من حبها داء دخيل، وأنها من بعد ذلك كلفت به مثل كلفه إلى أن ماتت من جهه.

وينقلون من أخبارها في ذلك ما يعنى عن خبر قيس وكثير ويروون كثيراً من أشعارها محكمة المباني متفقة الأطراف، وفيها الطبروع والمتحل والمصنوع، لم يقدر فيها من البلاغة شيء وإنما أخلوا فيها بالإعراب فقط، ولا مدخل له في البلاغة كما قررناه لك في الكتاب الأول من كتابنا هذا. إلا أن الخاصة من أهل العلم بالمدن يزهدون في روایتها ويستنكفون عنها لما فيها من خلل بالإعراب، ويعيبون أن الإعراب هو أصل البلاغة وليس كذلك. وفي هذه الأشعار كثير دخلته الصنعة وقدرت فيه صحة الرواية فلذلك لا يوثق به، ولو صحت روایته ل كانت فيه شواهد بآياتهم وقولاتهم مع زناثة وحربيهم، وضيّط لأسماء رجالاتهم وكثير من أحوالهم لكننا لا نثق بروايتها، وربما يشعر البصیر بالبلاغة بالمعنى منها ويتهمه، وهذا قصارى الأمر فيه. وهم متقدون على الخبر عن حال هذه الجازية والشريف خلطاً عن سلف، وجيلاً عن جيل، ويقاد القادر فيها والمستrip في أمرها أن يرمي عندهم بالخجون والخلل المفترط لتواترها بينهم. وهذا الشريف الذي يشيرون إليه هو من المراشم، وهو شكر بن أبي الفتوح الحسن بن أبي جعفر بن هاشم محمد بن موسى بن عبد الله أبي الكرام بن موسى الجون بن عبد الله بن إدريس، وأبواه أبو الفتوح هو الذي خطب لنفسه بكرة أيام الحاكم العبيدي وبایع له بنوا الجراح أمراء طيء بالشام، وبعثوا عنه فوصل إلى أحياائهم وبایع له كافة العرب. ثم غلبتهم عساكر الحاكم العبيدي ورجع إلى مكانة، وهلك ستة ثلاثين وأربعين سنة فولى بعده ابنه شكر هذا، وهلك ستة ثلاث وخمسين وولى ابنه محمد الذي يزعم هؤلاء الملاليون أنه من الجازية هذه. وتقدم ذلك في أخبار العلوية. هكذا نسبة ابن حزم.

وقال ابن سعيد: هو من السليمانيين من ولد محمد بن سليمان بن داود بن حسن بن الحسين السبط الذي بایع له أبو الزاب الشيباني بعد ابن طباطبا، ويسمى الناهض. ولحق بالمدينة

جلتهم. وفرقه من هؤلاء الملاليين لم يكونوا من الذين أجازوا الفيل لعهد البيازوري أو الجرجاني. وإنما كانوا من قبل ذلك ببرقة أيام الحاكم العبيدي، ولم يسم فيها أخبار مع الصنهاجيين ببرقة والشيعة بمصر خطوب، ونسبهم إلى عبد مناف بن هلال كما ذكر شاعرهم في قوله:

طلبنا القراء منهم وجيزل منهم بلا عيب من عرب سجاج بعودها  
وبيت عرث أمره منا وبينها طرود انكساد اللسي يكودها  
سات ثلاث آلاف مرة واربعة محرم من سات سلاوي كبودها

وقال الآخر منهم:  
أيا رب خير الخلق من نائح البلا إلا القليل المغار مالا يغيرها  
وخص بها قرة مناف وعينها ديا لأرياد البوادي تشيرها  
فذكر نسبهم في مناف وليس في هلال، مناف هكذا منفرداً  
إنا هو عبد مناف والله تعالى أعلم. وكان شيخهم أيام الحاكم  
عثمار بن القاسم. ولما بعث الحاكم يحيى بن علي الأندلسي لصريح  
فلقول بن سعيد بن خزروك بطرابلس على صنهاجة كما نذكره في  
أخبار بني خزروك، أوعز لهم السير معه، فوصلوا إلى طرابلس  
وجروا المزحة على يحيى بن علي ورجعوا إلى برقة. وبعث عنهم  
فامتنعوا، ثم بعث لهم بالأمان، ووصل وذهب إلى الإسكندرية  
فتقلدوا عن آخرهم سنة أربع وستين وثلاثمائة. وكان عندهم معلم  
للقرآن اسمه الوليد بن هشام ينسب إلى المغيرة بن عبد الرحمن من  
بني أمية. وكان يزعم أن لديه أثارة من علم في اختيار ملك آباءه،  
وقبل ذلك منه البربرة من مزانة وزناثة ولواثة وخدعوا بشانه  
فتصبوا بنو قرة وبایعوه بالخلافة سنة خمس وستين وسبعين وتغلبوا على  
مدينة برقة. وزحف إليهم جيوش الحاكم فهزموها، وقتل الوليد  
بن هشام قائدتها من الترك.

ثم زحفوا به إلى مصر فأنهزموا، ولحق الوليد بأرض النجاء من بلاد السودان. ثم أخفرت ذمته وسيق إلى مصر وقتل، وهدرت لبني قرة جنائزهم هذه وعفا عنهم. ولما كانت سنة اثنين وأربعين سنة اعتضوا هدية باديس بن منصور ملك صنهاجة من إفريقية إلى مصر فأخذوها، وزحفوا إلى برقة فغلبوا العامل عليها، وفر في البحر واستولوا على برقة، ولم يزل هذا شأنهم برقة. فلما زحف إخوانهم الملاليون من زغبة ورياح والأثيج وأتياعهم إلى إفريقية، كانوا من زحف معهم. وكان من شيوخهم ماضي بن مقرب المذكور في أخبار هلال.

وهؤلاء الملاليين في الحكاية عن دخولهم إلى إفريقية طرق في الخبر غريبة: يزعمون أن الشريف بن هاشم كان صاحب الحجاز ويسموه شكر بن أبي الفتوح، وأنه أصهر إلى الحسن بن سرحان

صفعهاً أقفر من بلاد الجن وأوحش من جوف العير، وغوروا المياه واحتطروا الشجر وأظهروا في الأرض الفساد، وهجروا ملوك إفريقيا والمغرب من صنهاجة وولاة أعمالهم في الأنصار، وملكوا عليهم الضواحي يتحفرون جوانبهم ويقطدون لهم بالراصد، ويأخذون لهم الآثار على التصرف في أوطنهم.

ولم يزل هذا دأبهم حتى لقد هجر الناصر بن علناس سكتى القلعة، واختلط بالساحل مدينة بجاية، ونقل إليها ذخترته وأعدها لنزله. ونزعها المنصور ابنه من بعده فراراً من ضييم هذا الجبل وفسادهم بالضواحي إلى منعة الجبال وتوعر مسالكها على رواحلهم، واستقرروا بها بعد وتركوا القلعة. وكانوا يختصون الأنبياء من هؤلاء الأحياء بالرئاسة سائر أيامهم. ثم افترق جمع الأنبياء من سر حان على قسطنطينية، فلما غلبوها صنهاجة على الأنصار، وملك كل ما عقد له سميت الرعايا بالأنصار عسفهم وعيتهم عبد المؤمن إلى إفريقيا، وقد عليه بالجزائر أميران منهم لذلك العهد أبو الحليل بن شاكر أمير الأنبياء وحبس بن مشيفر من رجالات جشم، فتقلاهما بالمبيرة وعقد لهم على قومهما ومضى لوجهه. وفتح بجاية سنة تسع وخمسين.

ثم انتقض العرب المغاربة واعصر صبروا على دعوة صنهاجة، وكان أمير رياح فيهم محرز بن زناد بن بازاخ إحدى بطون بي علي بن رياح، فلقيتهم جيوش الموحدين بسطيف وعليهم عبد الله بن عبد المؤمن فتقافزوا ثلاثة علقوا فيها رواحلهم، وأثبتوا في مستنقع الموت أقدامهم، ثم انتقض في الرابعة جعهم واستلحهم الموحدون وغلبوا عليهم، وغنموا أموالهم وأسرروا رجالهم وسبوا نسائهم وابتغوا أديبهم إلى فحص سبعة، ثم راجعوا من بعد ذلك بتصايرهم واستكانوا لغزو الموحدين وغلبهم، فدخلوا في دعوتهم وتمسكون بظاهرتهم، وأطلق عبد المؤمن أسرابهم ولم يزالوا على استقامتهم، ولم يزل الموحدون يستفرونهما في جهادهم بالأندلس، وربما يعنوا إليهم في ذلك المخاطبات الشعرية، فأجازوا مع عبد المؤمن ويوسف ابنه كما هو في أخبار دولتهم، ولم يزالوا في استقامتهم إلى أن خرج عن الدولة بنو غانية المسؤوليون أمراء مiorقة، أجازوا البحر في أساطيلهم إلى بجاية فكسروا ستة إحدى وثمانين وخمسة لأول دولة المنصور، وكشفوا القناع في تقض طاعة الموحدين، ودعوا العرب بها، فعادت هيـف إلى أداتها.

وكانت قبائل جشم ورياح وجهور الأنبياء من هؤلاء المغاربة أسرع إجابة إليها. ولما تحركت جيوش الموحدين إلى إفريقيا لكتف عدواهم، تخيزت قبائل زغبة إليهم، وكانوا في

فاستولى على الحجاز واستقرت إمارة مكة في بيته إلى أن غلبهم عليها هؤلاء المغاربة. جداً قريباً من الحسن والحسين. وأما هاشم الأعلى فمشترك بين سائر الشرفاء، فلا يكون عزيزاً لبعضهم عن بعض. وأخبرني من أثق به من المغاربة لهذا العهد أنه وقف على بلاد الشريف شكر وأنها بقعة من أرض نجد مما يلي الفرات، وأن ولده بها لهذا العهد والله أعلم.

ومن مزاعهم أن الحازمة لما صارت إلى إفريقيا وفارقت الشريف، خلفه عليها منهم ماضي بن مقرب من مقرب من رجالات دريد، وكان المستنصر لما عثثهم إلى إفريقيا عقد لرجالاته على أمصارها وثغورها، وقلدهم أعمالها، فعقد لموسى بن يحيى المرادي على القبروان وباجة، وعقد لرغبة على طرابلس وقبس، وعقد لحسن بن سرحان على قسطنطينية، فلما غلبوها صنهاجة على الأنصار، وملك كل ما عقد له سميت الرعايا بالأنصار عسفهم وعيتهم باختلاف الأيدي، إذ الوازع مفقود من أهل هذا الجبل العربي منذ كانوا فثروا بهم وأخرجوهم من الأنصار، وصاروا إلى ملك الضواحي والتغلب عليها، وسيم الرعايا بالخسف في النهب والعيث وإفساد السابلة، هكذا إلى هلة.

ولما غلبو صنهاجة اجتهد زناته في مدافعتهم بما كانوا أملك للباس والنجدية بالبداوة، فحاربوا عليهم من إفريقيا والمغرب الأوسط، وجهز صاحب تلمسان من بي خزر قائده أبا سعدي البغري فكانت بيهم وبينه حروب إلى أن قتلوه بتواحي الزاب، وتغلبوا على الضواحي في كل وجه. وعجزت زناته عن مدافعتهم بإفريقيا والزاب. وصار الم��ح بينهم في الضواحي بجيـل راشد، ومصاب من بلاد المغرب الأوسط. فلما استقر لهم الغلب وضعـتـ الحـربـ أوزـارـهاـ وـصالـحـهمـ الصـنـهـاجـيـونـ عـلـىـ خـطـةـ خـسـفـ فيـ انـفـادـهـمـ بـمـلـكـ الضـواـحـيـ دونـهـمـ، وـصـارـواـ إـلـىـ التـفـرـيقـ بيـهـمـ، وـظـاهـرـواـ الأـنـبـيـاءـ عـلـىـ رـيـاحـ وـزـغـبـةـ، وـحـشـدـ النـاصـرـ بنـ عـلـنـاسـ صـاحـبـ القـلـعـةـ لـظـاهـرـتـهـمـ وـجـعـ زـنـاتـهـ.

وكان فهم العز بن زيري صاحب فاس من مغراوة ونزلوا الأربس جيـعاـ، ولقيـهمـ رـيـاحـ وـزـغـبـةـ بـسيـبهـ.

ومكر العز بن زيري المغراوي بالناصر صنهاجة بدسيـسةـ زـعـمـواـ منـ تـمـيمـ بنـ المـعـزـ بنـ بـادـيسـ صـاحـبـ القـبـرـوانـ، فـجـرـ عـلـيـهـمـ المـزـيـعـةـ وـاسـتـبـاحـتـ العـربـ وـزنـاتـهـ خـزـانـ النـاصـرـ وـمـضـارـيهـ، وـقـتـلـ آخـرـهـ القـاسـمـ وـنـجـاـ إـلـىـ قـسـطـنـطـيـنـيـةـ وـرـيـاحـ فـيـ اـتـبـاعـهـ. ثـمـ لـقـتـ بالـقـلـعـةـ فـنـازـلـهـاـ وـخـرـبـواـ جـنـبـاهـاـ وـأـجـطـبـواـ عـرـوـشـهـاـ، وـعـاجـلـواـ عـلـىـ ماـ هـنـالـكـ مـنـ الـأـنـصـارـ، ثـمـ طـبـنـةـ وـالـمـسـيـلـةـ فـخـرـبـهـاـ وـأـزـعـجـوـواـ سـاكـنـيـهـاـ، وـعـطـفـوـاـ عـلـىـ الـمـنـازـلـ وـالـقـرـىـ وـالـضـيـاعـ وـالـمـدـنـ فـتـرـكـهـاـ قـاعـاـ.

خلف على الجوار والذب عن الأوطان ومحابيتها من معرة العدو في اهتياق غرتها وانتهاز الفرصة فيها، فتعاذدوا على ذلك واجتورو وأقاموا زغبة في القفار وبينوا بادين بالتلول والضواحي، ثم فر مسعود بن سلطان بن زمام أمير الرياحيين من بلاد المبط، ولحق بيلاط طرابلس وتزل على زغبة وذباب من قبائلبني سليم، ووصل إلى قراشق بن رياح وحضر معه طرابلس حين افتتحها، وهلك هنالك، وقام إلى المironي ولحق ولقيه بالحمة فهزمه وقتل الكثيرون من قومه.

وانهزمت طائفة من قوم محمد بن مسعود منهم: ابنه عبد الله وابن عمّه حركات بن أبي الشيخ بن عساكر بن سلطان، وشيخ من شيوخ قرة، فضرب أعتاقهم. وفر مجىء بن غانية إلى مسقطه من الصحراء. واستمرت على ذلك أحوال هذه القبائل من هلال وسلمي وآباعها.

ونحن الآن نذكر أخبارهم ومصائر أمرهم ونعددهم فرقاً فرقاً، ونخص منهم بالذكر من كان لهذا العهد مجيه وناجعه، ونطوي ذكر من انقضوا منهم، ونبداً بذكر الأئمّة تقدّم رئاستهم أيام صنهاجة كما ذكرناه. ثم تقفي بذكر جسم لأنّهم معدودون فيهم. ثم نذكر رياحاً وزغبة، ثم المعلق لأنّهم من عدد هلال. ثم نأتي بعدهم بذكر سليم لأنّهم جاؤوا من بعدهم والله الخلاق العليم.

### الخبر عن الأئمّة وبطونهم من هلال بن عامر من هذه الطبقة الرابعة

كان هؤلاء الأئمّة من الملاليين أو فر عدداً وأكثر بطنوا وكان التقدّم لهم في جملتهم. وكان منهم: الضحاك وعياض ومقدم والعاصم ولطيف دريد وكرفة وغيرهم حسبما يظهر في نسبيهم. وفي دريد بطنان: توبية وعتر، ويقولون بزعمهم: إنّ أئمّة هو ابن أبي ربيعة ابن نهيك بن هلال. فكرفة هو ابن الأئمّة. وكان لهم جمع وقرة، وكانت أحياه غزيرة من جملة الملاليين الداخلين لإفريقية، وكانت مواطنهم حيال جبل أوراس من شرقية. ولما استقرّ أمر الأئمّة بإفريقية على غلب صنهاجة على الضواحي ووّقعت الفتنة بينهم، ولذلك أنّ حسن بن سرحان وهو من دريد قتل شبانة بن الأحيم من كرفة غيلة، فطرحت كرفة له على الهائم.

ثم إنّ انتهت الجازية غاضبت زوجها ماضي بن مقرب بن قرة، ولحقت بأخيها فمنعها منه، فأجتمعوا قرة وكرفنة على فتنة حسن وقومه، وظاهروهم عياض، ولم تزل الفتنة إلى أن قتل حسن

جلّتهم، ولحق بنو غانية بفاس ومعهم كافة جشم ورياح، ولحق بهم جلّ قومهم من مسوقة وإخوانهم لمنطقة من أطراف البقاع، واستمسكوا بالدورة العباسية التي كان أمراوهم بنو تاشفين بالغرب يتمسكون بها، فأقامواها فيمن إليهم من القبائل والمسالك وزلوا بفاس.

وطلبوها من الخليفة ببغداد المستنصر تجديد العهد لهم بذلك، وأوفدوا عليه كاتبهم عبد البر بن فرسان، فعقد لابن غانية وأذن له في حرب الموحدين. واجتمعت إليه قبائلبني سليم بن منصور، وكانتوا جاؤوا على أثر الملاليين عند إجازتهم إلى إفريقية، وظاهروه على أمره ذلك قراقوش الأرمي. وذكر أخباره في أخبار المironي، فاجتمع لعلي بن غانية من الملاليين والعرب والجم عساكر جمة، وغلب الضواحي وافتتح بلاد الجريد، وملك قصبة وتوزر ونقطة. ونهض إليه المنصور من مراكش يغير اسم المغرب من زناتة والمصادمة وزغبة من الملاليين وجهور الأئمّة، فلاؤعوا بمقدمته بفتح غمرة من الجهات قصبة. ثمّ حُفِّزَ إليهم من تونس فكانت الكرة عليهم، وفلّ جمعهم واتبع آثارهم إلى أن شردهم إلى صحاري برقة، وانتزع بلاد قسطيلية وقبابس وقصبة من أيديهم، وراجعت قبائل جشم ورياح من الملاليين طاعته ولادوا بدعورته فنفّاهم إلى المغرب الأقصى. وأنزل جشم بيلاط تامستاً، ورياحاً بيلاط المبط وأزارغار ما يلي سواحل طنجة إلى سلا.

وكانت تغزو بلاد زناتة منذ غلبهم الملاليين على إفريقية وضواحيها أرض مصاب ما بين صحراء إفريقية وصحراء المغرب الأوسط، وبها قصور اتخذوها فسميت باسم من ولّ خطتها من شعوبهم. وكان بنو بادين وزناتة وهم بنو عبد الواد وتوجين ومصاب وبين زراد والبنو راشد شيعة للموحدين منذ أول دولتهم، فكانوا أقرب إليهم من أمثالهم بنو مرين وأنظارهم كما يأتي. وكانتا يتولون من أرياف المغرب الأوسط وتولله ما ليس بيده أحد من زناتة، ويحيوسون خالله في رحلة الصيف بما لم يرؤدن لأحد من سواهم في مثله حتى كانوا من جلة عساكر الموحدين وحاجيّتهم. وأمرهم إذ ذاك راجع إلى صاحب تلمسان من سادة القرابة، وزل هذا الحبي من زغبة مع بنو بادين هؤلاء لما اعتزلوا إخوانهم الملاليين وتحيزوا إلى فنتهم، وصاروا جميعاً قبلة المغرب الأوسط من مصاب إلى جبل راشد، بعد أن كانت قسمتهم الأولى بقبابس وطرابلس.

وكانت لهم حروب مع أولاد خزرeron أصحاب طرابلس، وقتلوا سعيد بن خزرeron فصاروا إلى هذا الوطن الآخر لفتنة ابن غانية، وأخراهم عنه إلى الموحدين وانعقد ما بينهم وبين بنو بادين

ذكرناه، وقبره هنالك. وكانت بطنوا كثيرة منهم أولاد عطية بن دريد وأولاد سرور بن دريد وأولاد جار الله من ولد عبد الله بن دريد. وتوبية من ولد عبد الله أيضاً وهو توبية بن عطاف بن جبر بن عطاف بن عبد الله، وكانت لهم بين هلال رئاسة كثيرة ومدحهم شعراً لهم بشعر كثير، فمن ذلك قول بعض شعرائهم:  
تربى ذات سرة البد والجود متقيع كما كاكل أرض متقيع الماء خيارها  
تحنن إلى أوطان مرة ناقتي لكن معها جلة دريد كان موارها  
وهم عربوا الأغраб حتى تعرت بنوف المعالي ما ي匪ي قصارها  
ترتكوا طريق النار برءة وقد كان ما تقوى الطالبا حجارها  
فاما أولاد عطية فكانوا رؤسائهم في أولاد بني مبارك بن حباس، وكانت لهم تلة بن حلوف من أرض قسطنطينية. ثم دشروا وتلاشوا، وغلبتهم توبية على تلة بن حلوف زحفوا إليها من مواطنهم بطارف مصقلة فملوكوها وما إلىها. ثم عجزوا عن رحلة القفر وتركوا الإبل واتخذوا الشاة والبقر وصاروا في عدد القبائل الغارمة. وربما طالبهم السلطان بالعسكرة معه فيعينون له جنداً منهم. ورؤسائهم في أولاد وشاح بن عطية بن عطية بن كمون بن فرج بن توبية، وفي أولاد مبارك بن عابد بن عطية بن عطية وهي على ذلك لهذا العهد. ويجاورهم أولاد سرور وأولاد جار الله على سنتهم في ذلك.

فاما أولاد وشاح فرئاستهم لهذا العهد منقسمة بين سجع  
بن كثير بن جماعة بن وشاح وبين أسد بن خليفة بن رشاش بن  
وشاح. وأما أولاد مبارك بن عابد فرئاستهم أيضاً منقسمة بين  
نجاح بن محمد بن منصور بن عبيد بن مبارك، وعبد الله بن أسد  
بن عنان بن منصور ورثتها عن عمها راجح بن عثمان بن منصور،  
واما أولاد جار الله فرئاستهم في ولد عنان بن سلام منهم. وأما  
العااصم ومقدم والضحاك وعياض فهم أولاد مشرف بن أثبيج،  
ولطيف وهو ابن سرح بن مشرف، وكان لهم عدد وقوه بين  
الآلاف.

وكان العاصم ومقدم المحرفوا عن طاعة الموحدين إلى ابن غانية، فأشخاصهم يعقوب المنصور إلى المغرب، وأنزلهم تامستاً مع جشم، ويانى خيرهم، وبقيت عياض والضحاك بمواطئهم بإفريقية: ففي عياض نزلوا بجبل القلعة، قلعةبني حاد وملوكها قبائله وغلبوا على أمرهم، وصاروا يتلون جياتهم، ولما غلت عليهم الدولة بظهورها رياح صاروا إلى الملاصقة عن تلك الرعایا وجياتهم للسلطان. وسكنوا ذلك الجبل بطوله من المشرق إلى المغرب ما بين ثنية غنية والقصاب إلى وطنبني يزيد بن زغبة. فألوهم مما يلي غنية للمهابة، ورئاستهم في أولاد بيفيل، ومعهم يطن منهم يقال

بن سرحان، قتله أولاد شيانة بن الأحيمير، وثاروا منه بآياتهم. ثم  
كان الغلب بعده لدرید على كرفة وعياض وقرة، واستمرت الفتنة  
بين هؤلاء الأنبياء واتفاق أمرهم، وجاءت دولة الموحدين وهم  
على ذلك الشتات والفتنة، وكانت لبطونهم ولایة لصنهاجة. فلما  
ملك الموحدون إفريقيا نقلوا منهم إلى المغرب العااصم ومقداماً  
وقرة وتتابع لهم من جشم، وأنزلوا جميعهم بالغرب كما ذكر.  
واعتزل رياح بعدهم بإفريقيا وملكوا ضواحي قسطنطينية،  
ورجع إليهم شيخهم مسعود بن زمام من المغرب فأعترض الدواودة  
على الأمراء والدول. وساء أثراهم فيها وغلبوا بقايا الأنبياء، فنزلوا  
قرى الزاب، وقعدوا عن الطعن وأوطنوا بالقرى والأطام. ولما نبذ  
بني أبي حفص العهد للدواودة كما يأتي في أخبارهم واستجاجش  
عليهم بنو سليم وأنزلوهم القيروان، اصطعنوا كرفة من بطرس  
الأنبياء، فكانوا حرباً لرياح وشيعة للسلطان، واقتصرتهم الدولة  
لذلك جباه الجانب الشرقي من جبل أوراس وكثيراً من بلاد  
الزاب الشرقية حيث كانت محلاتهم الشترية، حتى إذا احتل ريح  
الدولة، وأخلقت جذتها واعتزلت رياح عليها وملكوا المجالس  
على من يظعن فيها تزل كرفة هؤلاء بجبل أوراس حيث  
إقطاعاتهم وسكنه حلاً مترافقاً وانخراطه وطنها.

وربما يطعن بعضهم إلى غنوم الزاب كما نذكر عن بطونهم وهم بطون كثيرة، فأولهم: بنو محمد بن كرفة ويعرفون بالكلالية، وأولاد سهيب بن محمد بن كلبي ويعرفون بالشبة، وأولاد صبيح بن فاضل بن محمد بن كلبي ويعرفون بالصبهة، وأولاد سرحان بن فاضل أيضاً ويعرفون بالسرحانية، وهؤلاء هم المرعىات وهم مواطنون بجبل أوراس مما يلي زاب تهود. ثم أولاد نابت بن فاضل، وهم أهل الرئاسة في كرفة وطم إقطاعات السلطان التي ذكرناها، وهم ثلاثة أفراد: أولاد مساعد وأولاد ظافر وأولاد قطيفة. والرئاسة أخص بأولاد مساعد في أولاد علي بن جابر بن فتاح بن مساعد بن ثابت. وأما بنو محمد والمروانة فهم ظواعن جائلة في القفار تلقاء مواطنين أولاد نابت. ويكتالون الحبوب لأقواهم من زروع أهل الجبل، وأولاد نابت. وربما يستعملهم صاحب الزاب في تصارييف أمره من عسکر وإخفار وغير ذلك من أغراضه.

وأما دريد فكانوا أعز الأثيوج وأعلامهم كعباً بما كانت الرئاسة على الأثيوج كلهم عند دخولهم إلى إفريقية لحسن بن سرحان بن ويرة إحدى بطونهم، وكانت مواطنهم ما بين العناب إلى قسطنطينية إلى طارف مصقلة، وما يجاوزها من القفر. وكانت بينهم وبين كرفة الفتنة التي هلك فيها حسن بن سرحان كما

هم الزير، وبعدم المرتفع والخرج من بطونهم.

ويبن قرة وغيرهم من بطون هلال الاتماء، فدل على أنهم لعمرو بن عبد مناف، أو يكونون من عمرو بن روبية بن عبد الله بن هلال، وكلهم معروف. ذكره ابن الكلبي والله أعلم بذلك. وهو بطنان: قرة وعبد الله، وليس لهم رئاسة على أحد من هلال ولا ناجعة تعلن لقلتهم واقتراق ملتهم إنما هم ساكنون بالضواحي والجبل، وفيهم الفرسان وأكثربهم رجاله ومواطنهم ما بين جبل أوراس شرقاً إلى جبل راشد. وكان كل ذلك من ناحية الخضنة والصحراء. وأما التلول فهم مدفوعون عنها بقلتهم وخوفهم من حامية الدول، فتجدهم أقرب إلى موطن القفر والجدب.

فاما بنو قرة منهم فبطن متسع إلا أنهم منتتون في القبائل والمدن وحدانوا. وينبأ عبد الله منهم على رئاسة فيهم وهو: عبد الله بن علي وبنوه: محمد وماضي بطنان، وولد محمد: عنان وعزيز بطنان، وولد عنان: شكر وفارس بطنان. من ولد شكر أولاد يحيى بن سعيد بن بسيط بن شكر بطن أيضاً. فاما أولاد فارس وأولاد عزيز وأولاد مااضي فموطنهم بسفح جبل أوراس المطل على بسكتة قاعدة الرايا، متصلين كذلك غرباً إلى مواطن غمرة، وهو في جوار رياح وتحت أيديهم، وخول لأولاده وخصوصاً من الدواودة التولين موطنهم بالجبل. ولصاحب الرايا عليهم طاعة لقرب جواره و حاجتهم إلى سلطانه، فيصرفهم لذلك في حاجته متى عنت من إخخار العبر ومقارفة مدن الرايا مع رجله وغير ذلك.

واما أولاد شكر وهو أكبر رئاسة فيهم فنزلوا جبل راشد، وكانت فرقين فنزلوا واحتربوا وغلب أولاد حميا بن سعيد منهم أولاد زكير ودفعوهم عن جبل راشد، فصاروا إلى جبل كصال معاذية من ناحية الغرب وأوطنه، واتصلت فنتهم معهم على طول الأيام واقت THEM رجال زغبة باقتسام المواطن، فصار أولاد يحيى أهل جبل راشد في إيلاء سويد بن زغبة وأحلافاً لهم، ورثوا زكير أهل جبل كصال في إيلاء بني عامر وأحلافاً لهم، ورثوا يقتلون زغبة مع النضر أحلافاً لهم في فنتهم كما ذكر في أخبار زغبة.

وكان شيخهم من أولاد حميا فيما قرب من عهدهنا عامر بن أبي يحيى بن حميا. وكان له فيهم ذكر وشهرة. وكان يتحل العادة وحج ولقي بمصر شيخ الصوفية لعصره يوسف الكوراني، وأخذ عنه ولقن طرق هدايته ورجع إلى قومه وعاهدهم على طريقته وخلته فاتبعه الكثير منهم، وغزا المفسدون من بادية النضر في جواره، وجاهدهم إلى أن اغتالوه بعض الأيام في الصيد قتلوا، وكان شيخ أولاد زكير يغمور بن موسى بن بوزير بن زكير،

فاما المرتفع ثلاثة بطون: أولاد تبان ورئاستهم في أولاد محمد بن موسى، وأولاد حناس ورئاستهم في بي عبد السلام، وأولاد عبدوس ورئاستهم في بي صالح. وأما المترفع فرئاستهم لأولاد زائد بي عباس بن خفيف وبجاور الخارج من جانب الغرب أولاد صخر، وأولاد تبان جميعاً أولاد حناس. وأما المترفع فرئاستهم لأولاد زائد في آخر وطن الآتى من الملاليين. وأما الضحاك فكانوا بطوناً كثيرة، وكانت رئاستهم مفترقة بين أمرين منهم، وهما أبو عطية وكلب بن منيع، وغلب كلب أبي عطية على رئاسة قبيلتهما لأول دولة الموحدين، فارتحل فيما زعموا إلى المغرب، وسكن صخر سجلماسة، وكانت له فيها آثار حتى قتله الموحدون أو غريقه إلى الأندلس، هكذا ينقل أصحاب أخبارهم، ويقى مجتمعهم بالزار حتى غلب مسعود بن زمام الدواودة عليهم وأصاروهم في جلتهم.

ثم عجزوا عن الطعن، وتزلوا بلاد الرايا وانخذلوا بها المدن، فهم على ذلك لهذا العهد. وأما لطيف فهم بطون كثيرة منهم التامى وهم أولاد كسان بن خليفة بن لطيف بي ذوى مطرف ذوبي الحليل ذوبي جلال بن معافي. ومنهم اللقمانة أولاد لقمان بن خليفة بن لطيف ومنهم: أولاد جرير بن علوان بن محمد بن لقمان، وزرار بن معن بن حميا بن جري بن علوان، وجرير يزعمون أنهما من حميا بن جري، ومزنة من ديفل بن حميا؛ وإليه يرجع نسب بي مزنى الولاية بالزار لهذا العهد.

وكان للطيف هؤلاء كثرة ونجمة. ثم عجزوا عن الطعن وغلوthem على الضواحي الدواودة من بعدهم لما قلل جمعهم وافتقر ملوكهم، وصار إلى المغرب من صار منهم من جهور الأثيبي فانتضموا، وعليهم رياح الدواودة فنزلوا بلاد الرايا، وانخذلوا بها الأظام والمدن مثل الدوسن وغريباً وتهودة وتنومة وبادس. وهو لهذا العهد من مجله الرعایا الغارمة لأمير الرايا. ولم يتعجبه من رئاستهم القديمة لم يفارقها، وهو على ذلك لهذا العهد. وبينهم في قصورهم بالزار فتن متصلة بين المجاورين منهم، وحرروب وقتل. وعامل الرايا يدرأ بعضها البعض، ويستوفي جاياته منهم جميعاً والله خير الوارثين.

ويلحظ بهؤلاء الأثيبي العمور، ويعغل على الظن أنهم من ولد عمرو بن عبد مناف بن هلال إخوة قرة بن عبد مناف وليسو من ولد عمر بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال، لأن رياحة زغبة والأثيبي من أبي ربيعة، ولا شهد بينهم انتهاء بالجملة. ونجده بينهم

الأربع، وأحياء كل واحدة منها وتحقق الكلام في أنسابهم، فليست راجعة إلى جسم على ما يتبيّن. ولكن الشهادة بهذا النسب متصلة والله أعلم بحقائق الأمور.

هذه القبائل معدودة في جسم، وجسم المعهود هو جسم بن معاوية بن بكر بن هوازن أو لعله جسم آخر من غيرها. وكان شيخهم المشهور لعهد المأمون وبنته جرمون بن عيسى، ونسبه فيما يزعم بعض المؤرخين أيام الموحدين في بي قرة، وكانت بينهم وبين الخلط شيعة للمأمون وبينه فصار سفيان لذلك شيعة ليحيى بن الناصر منازعه في الخلافة بمراكش.

ثم قتل الرشيد مسعود بن حيدان شيخ الخلط كما نذكره بعد، فصاروا إلى يحيى بن الناصر. وصار سفيان إلى الرشيد. ثم ظهر بنو مرين بال المغرب واتصلت حروبهم مع الموحدين ونزع جرمون سنة ثمان وثلاثين عن الرشيد ولحق محمد بن عبد الحق أمير بي مرين حياماً وقع له معه، وذلك سنة ثمان وثلاثين. وذلك أنه نادمه ذات ليلة حتى سكر وحمل عليه وهو سكران يرقص فرقص طرباً، ثم أفاق فندم وفر إلى محمد بن عبد الحق، وذلك سنة ثمان وثلاثين وستمائة، وهل ذلك سنة تسعة وثلاثين بعدها. وعلا كعب كاتون ابنه من بعده عند السعيد، وخالف عليه عند نهوضه إلى بي مرين سنة ثلاط وأربعين ورجع إلى أزمور فملكتها.

وفَّ ذلك في عضد السعيد فرجع عن حركته، وقصد كاتون بن جرمون فقر أمامه، وحضر حركته إلى تامزركدت، وقتل قبل مهلكه بيوم قتله الخلط في فتنة وقتت بينهم في خلة السعيد، وهي التي جرت عليها تلك الواقعة. وأقام بأمر سفيان من بعده أبوه يعقوب بن جرمون، وقتل محمد ابن أخيه كاتون. وقام بأمر سفيان، وحضر مع المرتضى حركة أمان إيلولين سنة تسعة وأربعين فرحل عن السلطان واختل عسكره ورجع فاتبعه بنو مرين وكانت الهزيمة.

ثم رجع المرتضى وعفا له عنها، ثم قتله سنة تسعة وخمسين مسعود وعلى ابن أخيه كاتون بشار أبيهم، ولحقاً بيعقوب بن عبد الحق سلطان بن مرين، وقدم المرتضى ابنه عبد الرحمن فعجز عن القيام بأمره، فقدم عمه عبيد الله بن جرمون فعجز، فقدم مسعود بن كاتون ولحق عبد الرحمن بن مرين، ثم تقبض المرتضى على يعقوب بن قيطون شيخ بي جابر وقدم عوضاً منه يعقوب بن كاتون السفياني. ثم راجع عبد الرحمن بن يعقوب سنة أربعين وخمسين فقبض عليه واعتقله، وأقام مسعود بن كاتون شيئاً على سفيان، وكان لابني عمه ظهر وهم: خطوش وعيسى ابنها

وكان يسامي عامراً ويناهضه في شرفه إلا أن عامراً كان أسود منه بنحلة العبادة والله مصرف الأمور والخلق أه.

## الخير عن جسم الموطين بسائط المغرب وبطونهم من هذه الطبقة

هؤلاء الأحياء بالغرب لهذا الهدى فيهم بطون من قرة والعاصم، ومقدمن والأبيح وجسم والخلط. وغلب عليهم جيماً اسم جسم فعرفوا به. وهم: جسم بن معاوية بن بكر بن هوازن. وكان أصل دخولهم إلى المغرب: أن الموحدين لما غلبوا على إفريقية أذعن لهم هؤلاء القبائل من العرب طوعاً وكراهة. ثم كانت فتنة ابن غانية فأجلبوا فيها وأخْرِفُوا عن الموحدين، وأرجعوا الطاعة لهؤلاء النصرور فنقل جهور هؤلاء القبائل إلى المغرب من له كثرة وشوكه وظواعن ناجعة. فنقل العاصم ومقدمن بطون الأبيح، ومعهم بطون ونقل جسم هؤلاء الذين غالبوا عليهم على من معهم من الأحياء وأنزلهم تامستاً. ونقل رياحاً وأنزلهم الهبط فنزل جسم بتامستا البسيط الأفيف ما بين سلا ومراڭش أو سط بلاط المغرب الأقصى، وأبعدوها عن الثوابي المقضية إلى القفار لإاحتاطة جبل درن بها وشموخه بأنفه حناءها، ووشوج أعراقه حجراً عليها فلم يتجمعوا بعدها قفراً ولا أبعدوا رحلة، وأقاموا بها أحياء حلولاً، واقتلت جيروهم بالغرب إلى الخلط وسيان وبنى جابر.

وكانت الرئاسة لسفيان من بينهم في أولاد جرمون سائر أيام الموحدين، ولما وهن أمر بي عبد المؤمن وفشلوا وذهبوا رجحهم استكروا بجعهم، فكانت لهم سورة غلب واعتاز على الدولة بكثتهم وقرب عهدهم بالبداوة، وضرروا بين الأعياص، وظاهروا الخلابة وأكثروا الفساد وسائر آثارهم في البغي.

ولما اتتحم بنو مرين بلاد المغرب على الموحدين وملكوا فاس وقرتها لم تكن فيه حامية أشد منهم بأساً ومن رياح لقارب العهد بالبداوة، فكانت لهم معهم وقائع حروب استلهمهم فيها بنو مرين إلى أن حق الغلب واستكثروا لعزّ بي مرين وصواتهم، وأعطوه صفة الطاعة وأصهروا بنو مرين منهم إلى الخلط في بنت بي مهلل فكان في جملة بن مرين، وكانت لهم الجولة للملك. واستقرت رئاسة جسم وكثتهم في الخلط منهم، في بنت مهلل بعد أن كانت على عهد الموحدين في سفيان.

ثم ضربت الأيام ضرباتها وأخلقت جدتهم وفشلوا وذهبوا رجحهم، ونسوا عهد البداوة والتاجة وصاروا في عداد القبائل الغارمة للجباية والعسكرة مع السلطان. ولنذكر الآن فرقهم

مقدم بن محمد بن هبيرة بن عواج لا نعرف من نسبة أكثر من هذا. فلما ول العادل بن منصور خالفوا عليه وهزموا عساكرةه ويعث هلال بيته إلى المأمون سنة خمسة عشر وعشرين واتبعه الموحدون في ذلك وجاء المأمون وظاهره على أمره، وتحيز أعداؤهم سفيان إلى يحيى بن الناصر منازعه. ولم ينزل هلال مع المأمون إلى أن هلك في حركة سبعة وسبعين بعده لابنه الرشيد وجاء به إلى مراكش وهزم سفيان واستباحهم.

ثم هلك هلال وولى أخيه مسعود، وخالف على الرشيد  
عمر بن أوقاريط شيخ المساكنة من الموحدين، وكان صديقاً  
لسعد بن حيدان، فأغاره بالخلاف على إكسر السلطان فخالف،  
وحاول عليه الرشيد حتى قدم عليه مراكش وقتلته في جماعة من  
قومه ستة اثنين وثلاثين، وولى أمر الخلط بعده يحيى ابن أخيه  
هلال وتخير بقومه إلى يحيى بن القاسم وحصروا مراكش ومعهم  
ابن أوقاريط. وخرج الرشيد إلى سجلamasة واستولوا على مراكش  
وعاثروا فيها. ثم جاء الرشيد ستة ثلات وثلاثين وغلبهم عليها  
ولحق ابن أوقاريط بالأندلس.

وأبدي علي بن هود بيعة الخلط، وعلموا أنها حيلة من ابن أوقاريط وأنه تخلص من الورطة، فطردوا عنهم يحيى بن الناصر إلى معقل. وراجعوا الرشيد فقبض على علي ووشاح أبي هلال وسجنهما بأمره سنة خمس وثلاثين. ثم أطلقهما ثم غدر بعد ذلك بشيختهم بعد الاستدعاء والتأييس وقتلهم جميعاً مع عمر بن أوقاريط، كان أهل الشيشية يثروا به إليه، ثم حضروا مع السعيد في حركته إلىبني عبد الرواد وجرروا عليه الواقعه حتى قتل فيها بفتتهم مع سفيان يومئذ، فلم يزل المرتضى يعمل الحيلة فيهم إلى أن تقبض على أشياخهم سنة اثنين وخمسين وقتلهم. ولحق عواج بن هلال ببني مرين، وقدم المرتضى عليهم علي بن أبي علي من بيت الرئاسة فيهم. ثم رجع عواج سنة أربع وخمسين وأغزاه علي بن أبي علي فقتل في غزاته.

ثم كانت واقعة أم الرجالين على المرتضى سنة ستين، فرجع على بن أبي علي إلى بيتي مرين. ثم صار الحال كلهم إلى بيتي مرين وكانت الرئاسة فيهم لأول سلطانٍ لبني مرين مهلهل بن يحيى من مقدم، وأصهر إليه يعقوب بن عبد الحق فأنكحه ابنته التي كان منها ابنة السلطان أبو سعيد. ولم يزل مهلهل عليهم إلى أن هلك سنة خمس وسبعين، ثم ابنته عطية. وكان لعهد السلطان أبي سعيد وابنه أبو الحسن، وبعثه سفراً إلى سلطان مصر الملك الناصر.

ولما هلك قام بأمره أخيه عيسى بن عطية، ثم ابن أخيهما زمام بن إبراهيم بن عطية. ويبلغ إلى المبالغ من العز والترف والدالة

يعقوب بن جرمنون. وزع مسعود عن يعقوب مقامه إلى أن هلك سنة ست وستين ابن عبد الحق ولحق بمسكورة وشب نار الفتنة وال الحرب، وأقيم حطوش بن يعقوب مقامه إلى أن هلك سنة تسع وستين فولى مكانه أخوه عيسى وهلك مسعود بمسكورة سنة ثمانين ولحق ابنه منصور بن مسعود بالسكسبيوي إلى أن راجع الخدمة أيام يوسف بن يعقوب، ووفد عليه بمسكورة من حصار تلمسان سنة ست وسبعينه فقبله.

وانتقلت الرئاسة على سفيان في بني جرمون هؤلاء إلى  
عهدها. وأدركت شيخاً لعهد السلطان أبي عنان يعقوب بن علي  
بن متصور بن عيسى بن يعقوب بن جرمون بن عيسى. وكان  
سفيان هؤلاء حياً حلولاً بأطراف تامستا مما يلي أسفى، وملك  
بسائطها الفسيحة عليهم الخلط، وبقي من أحياهم الحrust  
والكلابية يتجمعون أرض السوس وقاره، ويطلبون ضواحي بلاد  
جاجة من المصامدة فبقيت فيهم لذلك شدة وبأس، ورئاستهم في  
أولاد مطاعون من الحrust، وطال عليهم في ضواحي مراكش  
إفسادهم، فلما استبد سلطان مراكش الأمير عبد الرحمن بن أبي  
يفلوسن على ابن السلطان أبي علي سنة ست وسبعين وسبعين  
كما نذكر استخلصهم ورفع منزلتهم. واستقلتهم بعض أيامه  
للعرض بفرازائهم ورجلهم على العادة، وشيخهم متصور بن  
يعيش من أولاد مطاعون، وتقبض عليهم أجياع، وقتل من قتل  
منهم وأودع الآخرين سجنوه فذهبوا مثلاً في الأيام، وحصدت  
شركتهم والله قادر على ما يشاء.

الخلط من جشم

هذا القبيل يعرف بالخلط هؤلاء، لكن المعروف أن الخلط بنو المتفق من بني عامر بن عقيل بن كعب، كلهم شيعة للقراطمة بالبحرين. ولما ضعف أمر القراءة استولى بنو سليم على البحرين بدعاة الشيعة، ثم غلبهم عليها بنو أبي الحسين من بطون تغلب بالدعاة العباسية، فارتحل بنو سليم وبنو المتفق من هؤلاء المسكون بالخلط إلى إفريقية، وفي سائر بني عقيل بنواحي البحرين إلى أن غالب منهم على التغلبيين بنو عامر بن عوف بن مالك بن عوف بن مالك بن عوف بن عامر بن عقيل إخوة الخلط هؤلاء، لأنهم في المغرب منشوبون إلى جسم تخلطا في النسب من يحقيقه من العوام.

ولما أدخلهم المنصور إلى المغرب كما قلنا استقروا بيسانت تامسنا، فكانوا أولى عدد وقرة، وكانشيخهم هلال بن حيدان بن

على السلطان والقرب من مجلسه إلى أن هلك، فولى أمره ابنه أحد بن إبراهيم.

وطبئه عمر فأخرجه عنهم وطال بذلك مراس الناصر هذا للفتنة، فنكرته الدولة، وتقبض علىه وأودع السجن فمكث فيه سين ونصف الدول عنه من بعد ذلك، وأطلق عقاله. ثم رجع من المشرق فتقبض عليه الوزير أبو بكر بن غازي المستبد بالغرب على ابن السلطان عبد العزيز وأودعه السجن، ونقلوا الرئاسة عن بي علي هؤلاً، والله يقلب الليل والنهار. وقد يرعم كثير من الناس أن ورديقة من بي جابر ليسوا من جشم، وأنهم بطن من بطون سدراته إحدى شعوب لواتة من البربر، ويستدلون على ذلك بمواطنتهم وجوارهم للبربر، والله أعلم بحقيقة ذلك.

### العاصر ومقدم من الأثيبي

هؤلاء الأحياء من الأثيبي - كما ذكرنا في أنسابهم - ونزلوا تامستا معهم، وكانت لهم عزة وعلاء، إلا أن جسم أعز منهم لكان الكثرة. وكان موطنهم بسيط تامستا، وكانت للسلطان عليهم عسكرة وجيابة شأن إخوانهم من جشم. وكان شيخ العاشر له عهد الموحدين، ثم عهد المامون منهم حسن بن زيد، وكان له أثر في فتنة يحيى بن الناصر. ولما هلك سنة ثلاثة وثلاثين أمر الرشيد بقتل حسن بن زيد مع قائد وفائد ابني عامر شيوخ بي جابر فقتلوا جميعاً. ثم صارت الرئاسة لأبي عياد وبنيه، وكان بينهم لهد بني مرين عياد بن أبي عياد، وكان له تغلب في الفترة والاستقامة، فر إلى تلمسان ورجع منها أعواام تسعين وستمائة، وفر إلى السوس ورجع منه سنة سبع وسبعين، ولم يزل دابة هذا. وكانت له ولادة مع يعقوب بن عبد الحق من قبل ذلك، ومقاماته في الجهاد مذكورة، وبقيت رئاسته في بيته إلى أن انقرض أمرهم وأمر مقدم وذرروا وتلاشوا. والله خير الوارثين.

### الخبر عن رياح وبطونهم من هلال بن عامر من هذه الطبقة الرابعة

كان هذا القبيل من أعز قبائل هلال وأكثرهم جماعاً عند دخولهم إفريقية وهم فيما ذكره ابن الكلبي: رياح بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر، وكانت رئاستهم حينئذ لموسى بن يحيى الصنبرى من بطون مرداس بن رياح. وكان من رجالاتهم لذلك العهد الفضل بن علي مذكور في حروبه مع صنهاجة، وكانت بطونهم: عمرو ومرداس، وعلى كلهم بنو رياح وسعيد بن رياح

على السلطان والقرب من مجلسه إلى أن هلك، فولى أمره ابنه أحد بن إبراهيم، ثم تطهوره سليمان بن إبراهيم، ثم آخرهما مبارك على مثل حاطم أيام السلطان أبي عنان، ومن بعده إلى أن كانت الفتنة بالغرب بعد مهلك السلطان أبي سالم، واستولى على المغرب أبو عبد العزيز وأقطع ابنه أبي الفضل ناحية مراكش، فكان مبارك هذا معه.

ولما تقبض على أبي الفضل تقبض على مبارك وأودع السجن إلى أن غلب السلطان عبد العزيز على عامر بن محمد وقتله، فقتل معه مبارك هذا لما كان يعرف به من صحابته وما دخلته في الفتنة كما يذكر في أخبار بني مرين، وولي ابنه محمد على قبيل الخلط، إلا أن الخلط، إلا أن الخلط اليوم دثرت كأن لم تكن بما أصحابهم من الخصب والترف منذ مائتين من السنين بذلك البسيط الأفيف زيادة للعز والدعة، فأكلتهم السنون وذهب بهم الترف والله غالب على أمره.

### بنو جابر بن جشم

بنو جابر هؤلاء من عدد جشم بالغرب، وربما يقال: إنهم من سدراته إحدى فرق زناتة أو لواتة والله أعلم بذلك. وكان لهم أثر في فتنة يحيى بن الناصر بما كانوا معه من أحزابه، ولما هلك يحيى بن الناصر سنة ثلاثة وثلاثين بعث الرشيد بقتل شيخهم فاند بن عامر وأخيه قائد، وولي بعده يعقوب بن محمد بن قيطون. ثم اعتقله يغلو قائد الموحدين، بعثه المرتضى لذلك. وقام يعقوب بن جرموق، وولي مشيخة بي جابر إسماعيل بن يعقوب بن قيطون، ثم تخيز بنو جابر هؤلاء من أحياء جشم إلى سفح الجبل بتادلاً وما إليها يجاورون هناك صناعة الساكنين بقشته وهضابه من البربر، فيسهلون إلى البسيط تارة وياوون إلى الجبل في حلف السرير وجوارهم أخرى إذا دهمتهم خفافة من السلطان أو ذي غلبة.

والرئاسة فيها هذه العصورة في وردية من بطونهم، أدرك شيخاً عليهم لعهد السلطان أبي عنان حسين بن علي الورديقي، ثم هلك وأقيم مقامه الناصر ابنه ولحق بهم الوزير الحسن بن عمر عند نزوعه عن السلطان إلى سالم سنة ستين وسبعين، ونهضت إليهم عساكر السلطان فامكروا منه. ثم لحق بهم أبو الفضل ابن السلطان أبي سالم عند فراره عن مراكش سنة ثمان وستين، ونازله السلطان عبد العزيز وأحيط به فلحق برأبيرة صناعة من قومه، ثم أمكنوا منه على مال حل إليهم، ولحق بهم أثناء هذه الفتنة الأمير عبد الرحمن يغلوسون على عهد الوزير عمر بن عبد الله المتغلب

واستقل منهم الأمير يحيى بن عبد الواحد بخطبة الخلافة عندما فسد كرسيها براكتش، وافتراق أتباع يحيى بن غانية من العرب من بني سليم والرياح، فنكره آل أبي حفص هؤلاء الدواودة، ومكانتهم من الوطن ما سلف من عنادهم ومشايعتهم لابن غانية عدوهم فجأاً الأمير أبو زكريا في بني سليم من مواطنهم لذلك العهد بقبس وطرابلس وما إليها. والتقى لهم يومئذ لمرادس والكعبوب كما ذكره في أخبارهم، وأصطبغوا لهم لما شائعة الدولة، وضربوا بينهم وبين قبائل رياح وأنزلوهم بالقبروان وببلاد قسطلية، وكانت آلة تدمير مسعود ووفد عليه في بعض السنين وفدى مردارس يطلبون المكيل وينزلون عليهم فشرعوا إلى نعمتهم وقاتلوا لهم عليها، وقتلوا رزق بن سلطان عم محمد بن مسعود، فكانت بينهم وبين رياح أيام حروب حتى رحلوهم عن جانب الشرق من إفريقية وأصاروهم إلى جانبها الغربي.

وملك الكعبوب ومردارس من بني سليم ضواحي الجانب الشرقي كلها، من قببس إلى بونة ونقطة وامتاز الدواودة بملك ضواحي قسطنطينية وبجاية من التلول و مجالات الزاب وريغ وواركلا وما وراءها من القفار في بلاد القبلة، وهلك محمد بن مسعود فوري رئاسته موسى بن محمد، وكان له صيت وغناء في قومه واعتزاز على الدولة.

ولما هلك يحيى بن عبد الواحد بريع ابنه محمد المستنصر الطائر الذي المشهود له في الشهرة، وخرج عليه آخره إبراهيم فلتحق بالدواودة هؤلاء فأباعوه بجهات قسطنطينية وانفقوا على تقاديه، ونهض إليه المستنصر سنة ست وستين وستمائة ففرروا أمامه وافتلق جعهم وتغيّر عليه بنو عساكر ابن سلطان منهم، ورئاستهم يومئذ لولد مهدي بن عساكر، وبندوا العهد إلى إبراهيم بن يحيى ولحقوا بتلمسان، وأجاز البحر إلى الأندلس، وأقام بها في جوار الشيخ ابن الأهر.

ثم هلك موسى بن محمد وولي رئاسته ابنه شبل بن موسى، واستطاع على الدولة وذكر عبيدهم، فبذ المستنصر عهدهم، ونهض إليه عساكره وجوشه من الموحدين والعرب من بني سليم وأولاد عساكر إخوانهم، وعلى مقدمته الشيخ أبو هلال عياد بن محمد الهمتاني وكان يومئذ أميراً بجاية، وحاول عليهم فاستقدم رؤسائهم شبل بن موسى بن محمد بن مسعود وأخاه يحيى، وسباع بن يحيى بن دريد بن مسعود، وحداد بن مولاهم بن خضر بن مسعود، وفضل بن ميمون بن دريد بن مسعود، ومعهم دريد بن تازيرشيخ أولاد ثابت من كرفة، فقبض عليهم لحين قدومهم وضرب أعناقهم في مصرع واحد ابن رالية حيث بايعوا لها إسحاق

وحضار بن عامر بن رياح وهم الأخضر، ولم يرداس بطون كثيرة: داود بن مردارس وصبر بن حوازن بن عقيل بن مردارس، وإن خورتهم مسلم بن عقيل، ومن أولاد عامر بن يزيد بن مردارس بطون أخرى منهم: بنو موسى بن عامر وجابر بن عامر. وقد يقال: إنهم من لطيف كما قدمتنا، وسودان ومشهور ومعاوية بنو محمد بن عامر بطون ثلاثة، واسم سودان علي بن محمد. وقد يقال أيضاً: إن المشاهرة وهم بنو مشهور بن عامر بن عامر من نمير رياح والله أعلم.

والرئاسة على رياح في هذه البطون كلها لمدارس، وكانت عند دخولهم إفريقية في صبر منهم، ثم صارت للدواودة أبناء داود بن مردارس بن رياح. وزعم بنو عمر بن رياح أن إباهم كفله ورباه. وكان رئيسهم لعهد الموحدين مسعود بن سلطان بن زمام بن ردينى بن داود، وكان يلقب البطل لشدة وصلابته، ولما نقل المنصور رياحاً إلى المغرب تخلف عساكر آخر مسعود في جمادات منهم لما بلأه السلطان من طاعته والخيشه، وأنزل مسعوداً وقومه بلاد الهبط ما بين قصور كاتمة المعروف بالقصر الكبير إلى إزار البسيط القسيح هناك إلى ساحل البحر الأخضر، واستقروا هناك.

وفر مسعود بن زمام من بينهم في لة من قومه سفي تسعين وخمسة، ولحق بهم واجتمع إليه بنو عساكر أخيه ولحقوا بطرابلس، ونزلوا على زغرب وذباب يتقدبون بينهم. ثم نزع إلى خدمة قرائش، وحضر معه بقمه فتح طرابلس كما ذكره في أخبار قرائش. ثم رجع إلى ابن غانية المبورقي ولم ينزل في خلافة ذلك إلى أن هلك، وقام بأمره من بعده ابنه محمد، وكانت له رئاسة وغناء في فتنة المبورقي مع الموحدين.

ولما غالب أبو محمد بن أبي حفص يحيى المبورقي مع الموحدين ستة ثمانية عشرة على الخمرة من بلاد الجريد، وقتل من العرب من قتل، كان فيما قتله ذلك اليوم عبد الله بن محمد هذا وابن عمه أبو الشيخ بن حركات بن عساكر.

ولما هلك الشيخ أبو محمد رجع محمد بن مسعود إلى إفريقية وغلب عليها، واجتمع إليه حلف الأنجح ظراغن من الضحاك ولطيف فكانوا واعزوا به على أائفهم من دريد وكفرة، إلى أن عجزت ظراغن الضحاك ولطيف عن الرحلة، وافتلقوا في قرى الزاب وصدرة. وفيقي محمد بن مسعود يتغلب في رحلته وصارت رئاسة البدو في ضواحي إفريقية ما بين قسطلية والزاب والقبروان والمسلية له ولقومه. ولما هلك يحيى بن غانية من العرب من بني سليم والرياح ستة إحدى وثلاثين وستمائة كما ذكره انقطع ملوكهم، واستغلظ سلطان أبي حفص.

ورئاسة أولاد سباع في أولاد علي بن سباع، وأولاد عثمان بن سباع، وأولاد عثمان بن سباع، وأولاد علي أشرف منهم وأعز بالكثرة والعدد ورئاستهم في ولد يوسف بن سليمان بن علي بن سباع ويرادفهم أولاد يحيى بن علي بن سباع. واختص أولاد محمد بنواحي قسطنطينية وأقطاهم الدول كثيراً من أريافها. واختص أولاد سباع بنواحي جباهية وأقطاهم فيها قليل لمعنة جباهية وضواحيها عن ضيق العرب، ولغلبهم بالجبل المطهية بها وتوعر مسالكها على رواحل الناجعة. وأما ربع وواركلا فقسمت بينهم منذ عهد سلفهم كما قلناه.

وأما الزاب فالجانب الغربي منه وقاعدته طرقه لأولاد محمد وأولاد سباع بن يحيى، وكانت لأبي بكر بن مسعود، فلما ضعف بنوه ودثروا اشتراها منهم علي بن أحمد شيخ أولاد محمد سليمان بن علي شيخ أولاد سباع. وانصلت بينهم بسببها الفتنة وصارت في مجالات أولاد سباع بن يحيى فصار غالب سليمان وبنيه عليها أكثر.

والجانب الوسط وقاعدته بسكة لأولاد محمد وفي مجالاتهم ولعيقوب بن علي على عامله بسبب ذلك سلطان وعز، ولله به تمسك وإليه الخياش في منتهي من الدولة واستبداده بوطنه، وجباية ضواحيه من عبث الأعراب وفسادهم غالب الأوقات.

وأما الجانب الشرقي من الزاب وقاعدته بادس وتنومة فهو لأولاد نابت رؤساء كرفة بما هو من مجالاتهم، وليس هو من مجالات رياح. إلا أن عمال الزاب تأخذ منه في الأكثر جباية غير مستوفاة بعسرك لها إلا في بعض الأحيان ببادية رياح بلاد من كثيرهم يعقوب وإشراكه في الأمر. ويطردون رياح كلها تبع هؤلاء الدواودة ومقتسمون عليهم ومتمنون مما في أيديهم، وليس لهم في البلاد ملك يستولون عليه، وأشدتهم قوة وأكثرهم جمعاً بطنون سعيد ومسلم والأخضر، يبعدون النجعة في القفار والرمال، ويسيرون الدواودة في فتنة بعضهم مع بعض ويختصون بالخلاف فريقاً دون آخر.

فسعيد أحلاف لأولاد محمد سائر أيامهم إلا قليلاً من الأحيان ينابذونهم ثم يراجعونهم، ومسلم والأخضر أحلاف لأولاد سباع كذلك إلا في بعض الأحيان.

فاما سعيد فرئاستهم لأولاد يوسف بن زيد منهم في ولد ميمون بن يعقوب بن عريف بن يعقوب بن يوسف، ويرادفهم أولاد عيسى بن رحاب بن يوسف، وهو يتسببون بزعمهم إلى بني سليم في أولاد القوس من سليم. وال الصحيح من نسبهم أنه من

أشاه والقادس بن أبي زيد بن أبي حفص النازع إليهم لطلب الخروج على الدولة.

وافتقرت ظرائعهم وفرروا أيامه، واتبعهم إلى آخر الزاب. وترك شبل بن موسى سباعاً ابنه طفلاً صغيراً، فكتله عمه مولاهم بن موسى، ولم تزل الرئاسة بهم، وترك سباع ابنه يحيى أيضاً طفلاً فكتله عمه طلحة بن يحيى، ولحق فلهم مملوك زناته بالمغرب، فأولاد محمد لحقوا بيعقوب بن عبد الحق بفاس، وأولاد سباع بن يحيى لحقوا بعمراسن بن زيان بتلمسان فكسوهم وحملوه، فارتاشروا وقاتلوا واحتالوا وزحفوا إلى مواطنهم فتغلبوا على أطراف الزاب من واركلان وقصور ربع وصبروها سهاماً بينهم، وانتزعوها لل媦دين فكان آخر عهدهم بملكتها.

ثم تقدموا إلى بلاد الزاب وجمع لهم عاملها أبو سعيد عثمان بن محمد بن عثمان وعرف بابن عثرا من رؤساء الموحدين. وكان منزله بقرية فزحف إليهم بمكانهم من الزاب، وأوقعوا به وقتلوه بقطلاوة، وغلبوا على الزاب وضواحيه لهذا العهد، ثم تقدموا إلى جبل أوراس فغلبوا على من به من القبائل، ثم تقدموا إلى التل وجاء لهم من كان به من أولاد عساكر، وعليهم موسى بن ماضي بن مهدي بن عساكر، فجمع قومه ومن في حلفهم من عياض وغيرهم.

وتزاحفوا فغلبهم أولاد مسعود وقتلوا شيخهم موسى بن ماضي، وتولوا الوطن بما فيه، ثم تلافت الدولة أمرهم بالاصطدام والاستئصاله وأنطعوه ما غلبوا عليه من البلاد بجبل أوراس والزاب، ثم الأنصار التي بالبسط الغربي من جبل أوراس المسمى عندهم بالحصنة وهي تقاؤس ومقرة والمسلية، واختص أنطاع المسيلة سباع بن شبل بن يحيى حتى صارت لعلبي بن سباع بن يحيى من بعد ذلك، فهي في قسم بنيه وسهامهم.

واختص أقطاع مقرة بأحمد بن عمر بن محمد، وهو ابن عم شبل بن موسى بن سباع، وتقاؤس بأولاد عساكر. ثم هلك سباع بن شبل وقام بأمرهم ابنه عثمان، ويرثى بالعاشر، فنازعه الرئاسة بنو عمه علي بن أحمد بن عمر بن محمد بن مسعود بن دريد بن مسعود وفرقوا جماعةبني مسعود هؤلاً، بعد أن كانوا جميعاً وصاروا فريقين: أولاد محمد بن مسعود، وأولاد سباع بن يحيى وسلمان بن علي بن سباع بن يحيى. ولم يزالوا كذلك لهذا العهد، ولهם تغلب على ضواحي جباهية وقسطنطينية ومن بهما من سدوكيش وعياض وأمثالهم، ورئاسة أولاد محمد الآن ليعقوب بن علي بن أحد، وهو كبير الدواودة بمكانه وسته وله شهرة وذكر وعمل من السلطان متواتر.

## الخبر عن سعادة القائم بالسنة في رياح ومال أمره وتصاريف

محمد، سلف الملوك منهم لهذا العهد، فكانت بين الفريقين جولة قتل فيها عبد الحق بن محيي بن أبي بكر بن جاعة أبو الملك وإبيه إدريس، فأوجدوا السبيل لبني مرين على أنفسهم في طلب الترة والدماء، فائتمنا فيما واستلحموهم قتلاً وسيماً مرة بعد أخرى.

وكان آخر من أوقع بهم السلطان أبو ثابت حافظ يوسف بن يعقوب سنة سبع وسبعين تبعهم بالقتل إلى أن لحقوا بربوس الهضاب وأسمته الربى المتوسطة في المرج المستحب بازغار فصاروا إلى عدد قليل، ولحقوا بالقبائل الغارمة. ثم دثروا وتلاشوا شأن كل أمة والله وارث الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين لا رب غيره ولا معبود سواه، وهو نعم المولى ونعم النصير، عليه توكلنا وإليه أبنا وإليه المصير.

نسأله سبحانه وتعالى من فيض فضله العميم، وتوسل إليه بجهان نيه الكريم، أن يرزقنا إيماناً دائماً، وقلباً خاشعاً، وعلماً نافعاً، ويفينا صادقاً، ودينًا قيماً والعافية من كل بلية، و تمام العافية، ودوام العافية، والشكر على العافية، والغنى عن الناس، وأن يحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأن يجيرنا من خزي الدنيا، وعذاب الآخرة، وأن يرزقنا من فضله وكرمه إيماناً لا يرتد، ونعمياً لا ينعد، وقرة عين لا تقطع، ومرافقة نبينا وسیدنا محمد صلی الله علیہ و آللّهُ عَلَیْهِ وَسَلَّمَ في أعلى جنان الخلائق وكرمه، إنه على ما يشاء قادر، وبالإجابة جدير، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

## الخبر عن سعادة القائم بالسنة في رياح ومآل أمره وتصاريف أحواله

كان هذا الرجل من مسلم إحدى شعوب رياح، ثم من رحجان منهم. وكانت أمه تدعى حضيبة وكانت في أعلى مقامات العبادة والورع، ونشأ هو متاحلاً للعبادة والزهد، وارتحل إلى المغرب ولقي شيخ الصالحين والفقهاء لذلك العهد بتواحي تازة أبا إسحاق التسولي، وأخذ عنه ولزمه، وتفقه عليه، ورجع إلى وطن رياح بفنه صحيح وورع وافر، ونزل طولقة من بلاد الراب، وأخذ بنفسه في تغيير المذكر على أقاربه وعشيرته ومن عرقه أو صحبه، فاشتهر بذلك وكترت غاشيته لذلك من قومه وغيرهم.

ولزم أصحابه منهم أعلام عاهدوه على التزام طريقته كان من أشهرهم: أبو بخي بن أحمد بن عمر شيخ بني محمد بن مسعود من الدواودة، وعطيه بن سليمان بن سبع شيخ أولاد سبع بن بخي منهم، وعيسي بن بخي بن إدريس شيخ أولاد إدريس من

رياح بالخلف والموطن ومع أولاد يوسف هؤلاء لفائف من العرب يعرفون بالمخادمة والغيبة والفسور، فاما المخادمة والغيبة من أبناء مخد من ولد مشرف بن أثيج، وأما الفسor فمنهم من البرابر لراة وزناته إحدى بطرتهم، وفيهم من نقاش، فاما نقاش فمن بطون جذام وسيأتي ذكرهم.

واما زناته فهو من بطون لراة كما ذكرناه في بني جابر وتادلاً كثير منهم وأجاز منهم إلى العدوة لعهد بني الأحرار سلطان الزناري، وكانت له في الجهاد آثار. وذكروا أن منهم بأرض مصر والصعيد كثيراً. وأما أحلاف أولاد محمد من الدواودة فبطون من رياح بن سودات بن عامر بن صعصعة، اندرجموا في أعداد رياح، ولم معهم ظعن ونجعة، ولهن مكان من حلفهم ومظاهرتهم. وأما أحلاف أولاد سبع من مسلم والأحضر فقد قدمتنا أن مسلماً من أولاد عقيل بن مردارس بن رياح آخر حواز بن رياح بعدهم يتسب إلى الزبير بن العوام وهو غلط، ويقول بعض من يذكر عليهم: إنما هو نسب إلى الزبير بن المهاية الذين هم من بطون عياض كما ذكرناه. ورؤاسته في أولاد جاعة بن مسلم بن حماد بن مسلم بين أولاد تساكر بن حامد بن كسان بن غيث بن رحال بن جماعة. وبين أولاد بن زارة بن موسى بن قطران بن جماعة.

واما الأحضر فيقولون: إنهم من ولد خضر بن عامر وليس عامر بن صعصعة؛ فإن أبناء عامر بن صعصعة معروفون كلهم عند السابعين، وإنما هو والله أعلم عامر آخر من أولاد رياح. ولعله عامر بن زيد بن مردارس المذكور في بطرتهم، أو لهم من الخضر الذين هم ولد مالك بن طريف بن مالك بن حفصة بن قيس عيلان. ذكرهم صاحب الأشاني وقال: إنما سموا الخضر لسودتهم، والعرب تسمى الأسود أخضر. قال: وكان مالك شديد السمرة فأشبهه ولده. ورؤاستهم في أولاد تامر بن علي بن ثمام بن عمار بن خضر بن عامر بن رياح، واحتضنت مرين بأولاد عامر ولد عامر بن صالح بن عامر بن عطيه بن تامر. وفيهم بطن آخر لزائدة بن ثمام بن عمار. وفي رياح أيضاً بطن من عترة بن أسد بن ربيعة بن نزار، ويعطون مع باديتهم.

واما من نزل من رياح ببلاد المحيط حيث انزلهم المتصور، فقاموا هنالك بعد رحلة رئيسهم مسعود بن زنان بتلك المواطن إلى أن انقرضت دولة الموحدين، وكان عثمان بن نصر رئيسهم أيام الملوك وقتلهم ستة ثلاثين وستمائة. ولما تغلب بنو مرين على ضواحي المغرب ضرب الموحدون على رياح هؤلاء البصت مع عساكرهم، فقاموا بحماية ضواحيهم وتحيز لهم بنو عسكر بن محمد بن محمد من بني مرين حين كانوا حرباً لإخراجهم بني حامة بن

ابن مزنی في أولیانه من الدواودة، واجتمع إليه علي بن أحد شيخ أولاد محمد، وسلیمان بن علي شيخ أولاد سباع وهو يومند أجلاً الدواودة، وخرج ابنه علي بينهم بعساكر السلطان، وتراخروا بالصحراء سنة ثلاثة عشرة فغلبهم المرابطون، وقتل علي بن مزنی وقبض على علي بن أحد قادوه أسرًا، ثم أطلقه عيسى بن أحد رعياً لأخيه أبي يحيى بن أحد.

واستفحلا أمر هؤلاء السنة ما شاء الله أن يستفحلا. ثم هلك أبو يحيى بن أحد وعيسى بن يحيى، وخلت أحياء أولاد محز من هؤلاء السنة، وتفاوض السنة فيما يقمعونه بينهم في الفتيا في الأحكام والعبادات، فوقع نظرهم على الفقيه أبي عبد الله محمد بن الأزرق من فقهاء مقرة. وكان أحد العلم بجایة على أبي محمد الزواوي من كبار مشيختها، فقصدوه بذلك وأجباهم وارتحل معهم، ونزل على حسن بن سلامة شيخ أولاد طلحة، واجتمعوا إليه السنة واستفحلا بهم جانب أولاد سباع، واجتمعوا على الزاب وحاربوا علي بن أحد طریلاً.

وكان السلطان أبو تاشفين حين كان يجلب على أوطان المؤذين يخيب عليهم أولياءهم من العرب، يبعث إلى هؤلاء السنة بالجواز يستدعي بذلك ولايهم، ويبعث معهم للفقیه أبي الأزرق بجائزة علومته في كل سنة. ولم يزل ابن الأزرق مقیماً لرسمهن إلى أن غلبهم على أمرهم ذلك علي بن أحد شيخ أولاد محمد، وهلك حسن بن سلامة واقتصر أمر السنة من رياح، ونزل ابن الأزرق بسکرة فاستدعاه يوسف بن مزنی لقضائها تفريقاً لأمر السنة، فأجابه ونزل عنده، فولأه القضاء بسکرة إلى أن هلك سنة...

ثم قام علي بن أحد بهذه السنة بعد حين ودعا إليها، وجمع لابن مزنی سنة أربعين وسبعين، ونزل بسکرة وجاءه مدد أهل ریغ، وأقام محاصراً لها أشهراً، وامتنعت عليه فاقلع عنها وراجع يوسف بن مزنی وصاروا إلى الولاية إلى أن هلك علي بن أحد وبقى من عقب يوسف في زاويته بنون وحفدة بوجب لهم ابن مزنی الرعایة، وتعزّف لهم أغراض الفلاة من رياح حقاً في إجازة من يحيى ونهضه من أهل السبلة. ويفي هؤلاء الدواودة يتزعّع بعضهم أحياناً إلى إقامة هذه الدعوة، فيأخذون بها أنفسهم غير متصرفين من الدين والتعصب في الورع بما يناسبها ويقتضي حفها، بل يجعلونها ذريعةً لأنخذ الزكوات من الرعایا، ويتظاهرون بتغيير التكثير يسرعون بذلك حسواً في ارتقاء، فينحل أمرهم بذلك، وتختف مساميعهم، ويتنازعون على ما تحصل بأيديهم ويفرقون على غير شيء. والله متولي الأمور لا إله إلا هو سبحانه يحيى وحيث.

أولاد عساكر منهم، وحسن بن سلامة شيخ أولاد طلحة بن يحيى بن دريد بن مسعود منهم، وهجرس بن علي من أولاد يزيد بن زغبة، ورجالات من العطاف من زغبة في كثير من أتباعهم والمستضعفين من قومهم.

فكثر بذلك تابعه واستظهروا بهم على شأنه في إقامة السنة وتبشير المنكر على من جاء به. واشتتد على قاطع الطريق من شرار البوادي، ثم تخطى ذلك إلى العمارة فطلب عامل الزاب يومئذ منصور بن فضل بن مزنی بإعفاء الرعایا من المكرس والظلamas فامتنع من ذلك، واعتزم على الإيقاع به، فحال دونه عشائر أصحابه، وبايعوه على إقامة السنة والموت دونه في ذلك.

وآذنهم ابن مزنی في الحرب ودعا لذلك أمثالهم ونظراءهم من قومهم. وكان لذلك العهد علي بن أحد بن عمر بن محمد قد قام برئاسة أولاد محمد، وسلامان بن علي بن سباع قد قام برئاسة أولاد يحيى، واقسموا رئاسة الدواودة ظاهروا ابن مزنی على مدافعة سعادة وأصحابه المرابطين من إخوانهم، وكان أمر ابن مزنی والزاب يومئذ راجعاً إلى صاحب بجاية من بي أبي حفص، وهو الأمير خالد ابن الأمير أبي زكريا، والقائم بدولته أبو عبد الرحمن بن عمر، وبعث إليه ابن مزنی في المدد فآمدته بالعساكر والجيوش، وأوزع إلى أهل طلقة بالقبض على سعادة فخر منها، وأبنته بالغانها زاوية، ونزل بها هو وأصحابه.

ثم جمع أصحابه المرابطين وكان يسميهم السنة وزحفوا إلى بسکرة وحاصروها ابن مزنی سنة ثلاثة وسبعين وقطعوا نخيلها، وامتنعت عليهم فرحلوا عنها. ثم أعادوا حصارها سنة أربع وسبعين، وامتنعت. ثم أخدر أصحاب سعادة من الدواودة إلى مشاتيهم سنة خمس وسبعين، وأقام المرابط سعادة بزاويةه من زاب طلقة، وجمع من كان إليه من المرابطين المتخلفين عن الناجعة، وغزا مليلي وحاصرها أياماً، ويعثروا بالصريح إلى ابن مزنی والعسكر السلطاني مقيم عندهم بسکرة، فارتكبهم ليلاً مع أولاد حرب من الدواودة، وصجروا سعادة وأصحابه على مليلي فكانت بينهم جولة قتل فيها سعادة واستلجم الكثير من أصحابه وحمل رأسه إلى ابن مزنی.

وبلغ الخبر إلى أصحابه بمشاتيهم ظهروا إلى الزاب، ورؤساؤهم أبو يحيى بن أحد بن عمر شيخ أولاد محز، وعطية بن سليمان شيخ أولاد سباع، وعيسى بن يحيى شيخ أولاد عساكر، ومحمد بن حسن شيخ أولاد عطية، ورئيسهم جعماً راجعة لأبي يحيى بن أحد. ونازلوا بسکرة وقطعوا نخيلها وتبقوها على عمال ابن مزنی فاحرقوهم في النار، واتسع الحرق بينهم وبينه، ونادى

الاستظهار بهم، فتمشت ظعنونهم فيه وملكونه من كل جانب كما ذكره، وبطون زغبة هؤلاء يتعددون من يزيد وحصين ومالك وعامر وعروة، وقد اقسموا بلاد المغرب الأوسط كما ذكر في أخبارهم.

### بنو يزيد بن زغبة

كان لبني يزيد هؤلاء محل من زغبة بالكثرة والشرف، وكان للدول به عناية، فكانوا لذلك أول من أقطعته الدول من العرب التلول والضواحي. أقطعهم الموحدون في أرض حزنة من أوطن بجایة ما يلي بلاد رياح والأتابق فنزلوا هنالك، وبلغوا الثانية المنفية إلى تلول حزنة والدهوس وأرض بي حسن وزلوها ريفاً وصحراء، وصار للدولة استظهار بهم على بجایة تلك الرعایا من صنهاجة وزوارفة، فلما عجزت عساكر بجایة من جايائهم دفعوهم لها فاحسنتوا في اقتضائها وزادت الدول بهم تكمة وعناية بذلك، وأقطعهم الكثير من تلك الأوطان. ثم غلب زنانة الموحدون على تلك الأوطان فاقتطعواها عن أوطن بجایة وأصاروها عن مالكم.

لما فشل ريح زنانة وجاش مجر قتتهم مع العرب استبد بنو يزيد هؤلاء بملكة تلك الأوطان، وغلبوا عليها من جميع جوانبها، وفرغوا بجيابتها واقضاها مغاربها، وهو على ذلك لهذا العهد. وهو بطون كثيرة منهم: حيyan بن عقبة بن يزيد، وجواب وبنو كرز وبنو موسى والمرايعة والخشنة. وهو جميعاً بنو يزيد بن عيسى بن زغبة وإخوانهم عكرمة بن عبس من ظعنونهم، وكانت الرئاسة في بي يزيد لأولاد لاحق، ثم لأولاد ماعفي، ثم صارت في بيت سعد بن مالك بن عبد القوي بن عبد الله بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن مهدي بن يزيد بن عيسى بن زغبة، وهو يزعمون أنه مهدي بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، نسب تاباه رئاستهم على غير عصبيتهم، وقد مر ذلك قبل.

ورعا نسيهم آخرون إلى سلول، وهو بنو مرة بن صعصعة أخي عامر بن صعصعة وليس بصحيح كما قلناه. وقد يقال: إن سلولاً وبي يزيد إخوة. ويقال لهم جميعاً: أولاد فاطمة. وبنو سعد هؤلاء ثلاثة بطون: بنو ماضي بن رزق بن سعد، وبنو منصور بن سعد، وبنو زغلي بن رزق بن سعد، واحتضنت الرئاسة على الظعون والحلول بيبي زغلي. وكانت لريان بن زغلي فيما علمناه، ثم من بعده لأنخيه ديفل، ثم لأنخيهما أبي بكر، ثم لابنه ساسي بن أبي بكر، ثم لابنه معنوق بن أبي بكر، ثم لموسى ابن عمهم أبي الفضل بن زغلي ثم لأنخيه أحد بن أبي الفضل، ثم لأنخيهما

### الخبر عن زغبة وبطونهم من هلال بن عامر من هذه الطقة الرابعة

هذه القبيلة إخوة رياح، ذكر ابن الكلبي: أن زغبة ورياحاً إبناء أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر هكذا نسبهم، وهو لهذا العهد ما يزعمون أن عبد الله يبعدهم، بكسر دال عبد، ولم يذكر ابن الكلبي ذلك، وذكر عبد الله في ولد هلال، فعمل اتسابهم إليه بما كفّلهم و Ashton دونهم، وكثيراً ما يقع مثل هذا في اتساب العرب يعني اتساب الأبناء لعمّهم أو كفّلهم والله أعلم.

وكانت لهم عزة وكثرة عند دخولهم إفريقياً وتغلبوا على نواحي طرابلس وقبابس، وقتلوا سعيد بن خازرون من ملوك مغراوة بطرابلس، ولم يزالوا بذلك الحال إلى أن غلب الموحدون على إفريقيا، وثار بها ابن غانية، وخيّرت إليه أفاريق هلال بن رياح وجسم، فتزعمت زغبة إلى الموحدين، المخروا عن ابن غانية فرعوا له حق نزولهم، وصاروا يداً واحدة مع بي يادين من زنانة في حماية المغرب الأوسط من ابن غانية وأتباعه، واتصلت مجالاتهم ما بين المسيلة وقلة تلمسان في القفار، وملك بنو بادين وزنانة عليهم التلول.

ولما ملكت زنانة بلاد المغرب الأوسط ونزلوا بأمساره، دخل زغبة هؤلاء التلول وتغلبوا فيها، ووضعوا الأشواة على الكثير من أهلها بما جعلهم وزنانة من البداوة وعصبية الخلف، وخلا قبرهم من ظعنونهم وحمائهم فطرقه عرب العقل المجاورون لهم من جانب المغرب، وغلبوا على من وجدوا من مختلف زغبة هؤلاء بذلك القفار، وجعلوا عليهم خفارة يأخذونها من إبلهم، وينتارون عليهم البكريات منها.

وأنفوا لذلك وتأمروا وتعاقدوا على دفع هذه الهضمة، وتولى كبرها من بطونهم ثابة بن جوثة من سيد كنا نذركه بعد، فدفعوهم عن أوطنهم من ذلك القرف. ثم استغحلت دولة زنانة وكفحروا العرب عن وطه، تلولهم لما انتشا عنهم من العبث والفساد فرجعوا إلى صحرائهم، وملكت الدولة عليهم التلول والحبوب، واستصعبت السيرة وهزل الكراع، وتلاشت أحوالهم وضررت عليهم البعث، وأعطوا الأشواة والصدقة حتى إذا فشل ريح زنانة داخل لهم دولتهم، وانتزى الخارج من قرابة الملك بالقصاصية وجدوا السبيل بالفتت إلى طريق التلول، ثم إلى الغلب فيها، ثم غالبو زنانة عليها فغلبواهم في أكثر الأحساين، وأقطعهم الدولة الكثير من نواحي المغرب الأوسط وأمساره في سبيل

إلى المترقب عنهم. كانوا حيًّا حلوه هناك، وكان الريف للحادي من تطري ونواحي المرية مواطن للتعالية من بطون البعوث، ويأخذون منهم الآتاوات والصدقات. حتى إذا ذهب سلطان بيوجين من أرض المرية وغلبهم عليهم بنو عبد الواد ساموا حصينا هؤلاء خطة الحسف والذلة، وألزموهم الوضائع والمغارم، واستلهموهم بالقتل وهضمهم بالتكليف، وصبروهم في عداد القبائل الغارمة ويأثر ذلك، كان تغلب بي مرين على جميع زنانة كما نذكره، فكانوا لهم أطوع، ولدولتهم أذل. فلما عاد بنو عبد الواد إلى ملكهم لهد أبي حمو موسى بن يوسف بعد مهلك السلطان أبي عنان هبت ريح العَزَّ للعرب، وفشل ريح زنانة ولحق دولتهم ما يلحق الدول من الم Harm، ونزل حسين هؤلاء بتسطيره وهو جبل أثیر وملکوه وتحصنا به.

وكان أبو زيان ابن عم السلطان أبي حمو لما ملك من قبله لحق بتونس مفلتاً جحلاً بني مرين، وخرج طالباً ملوكه، ومنزلة لابن عمه هذا، ونزل في خير طويل نذكره بسائل حسين هؤلاء أشوح ما كانوا لملئها لما راموه من خلح ما كان بأعناقهم من الذلة وطرق الاهتمام والعسف فتقلوه بما يحب له. ونزل منهم بأكرم نزل وأحسن مشوى. وبابيعوه وأرسلوا إخوانهم وكبارهم من رؤساء زغبة بني سويد وبني عامر فأقصفوا عليه، وتربدت عساكر السلطان أبي حمو وبني عبد الواد إليهم فتحصنا بجبل تسطير وأوقعوا به.

ونهض إليهم السلطان أبو حمو بعساكره فقتلوه ونالوا منه، ونالت زغبة بذلك ما أرادوه من الاعتزاز على الدولة آخر الأيام، وعلقوا البلاد إقطاعات وسهماناً، ورجع أبو زيان إلى رياح فنزل بهم على سلم عقد مع ابن عمه وبقي لحسين أثر الاعتزاز من جرائه. وأقطفهم الدولة ما ولوه من نواحي المرية وببلاد صنهاجة. ولحسين هؤلاء بطنان عظيمان: جندل وخراش، فمن جندل أولاد خضر بن مبارك بن فيصل بن سنان بن سباع بن موسى بن كمام بن علي بن جندل، ورئاستهم في بني خليفة بن سعد ليلي، وسيدهم أولاد خشعة بن جندل.

وكانت رئاستهم على جندل قبل أولاد الخليفة، ورئيسهم الآن علي بن صالح بن ديباب بن مبارك بن بمحى بن مهلهل بن شكر بن عامر بن محمد بن خشعة. ومن خراش أولاد مسعود بن مظفر بن محمد الكامل بن خراش ورئاستهم لهذا العهد في ولد رحاب بن عيسى بن أبي بكر بن زمام بن مسعود، وأولاد فرج بن مظفر، ورئاستهم في بني خليفة بن عثمان بن موسى بن فرج، وأولاد طريف بن معبد بن خراش، ويعرفون بالمعابدة، ورئاستهم

على بن أبي الفضل، ثم لأبي الليل بن أبي موسى بن أبي الفضل، وهو رئيسهم لهذا العهد. وتوفي سنة إحدى وتسعين وخلقه في قومه ابنه.

وكان من أحلافهم فيما تقدم بنو عامر بن زغبة يطعنون معهم في مجالاتهم وظاهرتهم في حروبهم. وكانت بين رياح وزغبة فتنة طويلة لعهد موسى بن محمد بن مسعود، وابنه شبل أيام المستنصر بن أبي حفص. فكان بنو يزيد هؤلاء يتولون كبرها لمكان الجوار. وكان بنو عامر أحلافهم فيها وظهروا لهم، وكان لهم على مظاهرتهم وضياعة من الزرع تسمى الغرارة وهي الف غرارة من الزرع، وكان سببها فيما يزعمون: أن أبا بكر بن زغلي غلبته رياح على الدهروس من وطن حزة أزمان فتنته معهم، فاستصرخ لبني عامر، فجاءه أولاد شافع وعليهم صالح بن بالغ، وبنو عقوب وعليهم داود بن عطاف، وحيد وعليهم عقوب بن معروف، واسترجع وطنه وفرض لهم على وطنه الف غرارة من الزرع، واستمرت لبني عامر.

فلما ملك يغمراسن بن زيان تلمسان ونواحيها، ودخلت زنانة إلى التلول والأرياف. كثُر عيت العقل وفسادهم في وطنيها فجاء يغمراسن ببني عامر هؤلاء من مجالاتهم بصحراء بي يزيد، وأنزلهم في جواره بصحراء تلمسان كياداً للمعقل، ومزاجة لهم بآياتهم فنزلوا هناك. وتعتمد حيَّان من بطون بني يزيد بما كانوا بطنوا وناجعة، ولم يكنوا حلوة، فصاروا في عداد بني عامر لهذا العهد. وتولت بنو يزيد بلاد الريف وخصبها فأوطن فيه أكثرهم، وقلَّ أهل الناجعة منهم إلا أفارق من عكرمة وبعض بطون عيسى يطعنون مع أولاد زغلي في قدرهم.

وأقصروا عن الظعن في القفر إلا في القليل ومع أحلافهم من ظعن رياح أو زغبة، وهم على ذلك لهذا العهد. ومن بطون بني يزيد بن عيسى زغبة هؤلاء بنو خشين وبنو موسى وبنو معافي وبنو لاحق. وكانت الرئاسة لهم ولبني معافي قبل بني سعد بن مالك، وبنو جواب وبنو كرز وبنو مربع وهم الرابعة، وهؤلاء كلهم بطن حزة لهذا العهد. ومن الرابعة حيٌّ ينبعون بضواحي تونس لهذا العهد، وغلب عليهم بسبب زغبة والله الخلاق العليم.

أبو الفضل بن موسى بن زغلي بن رزق بن سعد بن مالك بن عبد القوي بن عبد الله بن سعيد بن محمد بن عبد الله.

### حسين بن زغبة

وأما أولاد حسين بن زغبة فكانت مواطنهم بمجوار بني يزيد

بن نهار بن عثمان بن عبيد الله، وقيل: علي بن عثمان آخر نهار. وقيل إن البكريات إنما فرضها للمعقل على قوله عامر بن جيل لأجل مظاهره له على عدوه، وبقيت للمعقل عادة إلى أن تشت رجالات من زغبة في تفضي ذلك، وغدروا برجال المعقل ومنعوا تلك البكريات.

أخبرني يوسف بن علي، ثم غائم عن شيخ قومه من المعقل أن سبب البكريات وفرضها على زغبة كما ذكرناه، وأما سبب رفعها فهو أن المعقل كانوا يقولون: غرامتها إدلة بينهم، فلما دالت عبد الله الدولة في غرامتها جمع ثابة بن جوثة قوله وحرضهم على منهاجها، فاختلقو واحتربوا مع عبد الله ودفعوهم إلى جانب الشرق، وحالوا بينهم وبين أحياهم وبلادهم، وطالت الحرب ومات فيها بنو جوثة وابن مرمح من رجالاتهم، وكتب بنو عبد الله إلى قومهم من قصيدة:

بني معلق إن لم تصخونا على العدو فلا يذلكم تذكر ما طرالنا قتلنا ابن جوثة والهشام بن مرهج على وجه مكبوب وذا من فعالنا فاجتمعوا وجاؤوا إلى قومهم، وفرت أحياء زغبة، واجتمع

بنو عبد الله وإخوانهم من ذوي منصور وذوي حسان، وارتفاع أمر البكريات من زغبة لهذا العهد. ثم حدث بين يغمراسن وبينهم فتنة هلك فيها عمر بن مهدي وارتخلوا وأنزلوهم عن التلول والأريف من بلاد عبد الواد إلى القفر الحاذلي لأوطانبني توجين على المهاينة والمصاهرة، فصاروا لهم حلفاء على بني عبد الواد، ومن عجز منهم عن الظعن نزل بسائط البطحاء. وسارت بطرفهم كلها من شبابه وعماهره وغيره شافع ومالف وبر رحة وبر كامل، ونزل محيسن بن عمارة وأخوه سعيد بضواحي وهران، فرضعت عليهم الأنوات والمخارم وصاروا من عدد الرعايا أهل الجباية، وولي عثمان بن عمر أمر الظعنون من سعيد ثم هلك وقام بأمره ابنه ميمون وغلب عليه آخره سعيد واستبد.

وكان بين سعيد وبين بني عامر بن زغبة فتنة اتصلت على الأيام وتقلت وطأة الدولة الزيانية عليهم، وزحف يوسف بن يعقوب إلى منازلة تلمسان، وطال مقامه عليها، فوفد عليه سعيد بن عثمان بن عمر بن مهدي شيخهم لعهده، فأنهى مجلسه وأكرم وفاته، ثم أجمع قتلته فقر ولحق بقومه، وأجلب على أطراف التلول وملك السرسو قبلة بلاد توجين، ونزعت إليه طائفته من عكرمة بني يزيد وعحزروا عن الظعن، وأنزلهم بجبل كريكرة قبلة السرسو ووضع عليهم الأنواة. لم ينزل كذلك إلى أن هلك يوسف بن يعقوب واتصل سلطان آل يغمراسن.

ولما ولي أبو تاشفين بن موسى بن يغمراسن

في أولاد عريف بن طريف لزيان بن بدر بن مسعود بن معرف بن عريف. ولصبح بن عبدالله بن كثير بن عريف. وربما اتسَّب أولاد مظفر من خراش إلى بني سليم ويُزعمون أن مظفر بن محمد الكامل جاء من بني سليم ونزل بهم والله أعلم بحقيقة الأمر.

## بنو مالك بن زغبة

وأما بنو مالك بن زغبة فهم بطون ثلاثة: سويد بن عامر بن مالك والخرث بن مالك وهم بطنان للعاطف بن ولد عطاف بن رومي بن حارث. والديلم من ولد ديلم بن حسن بن إبراهيم بن رومي فاما سويد فكانوا أحلافاً لبني بادين قبل الدولة. وكان لهم اختصاص ببني عبد الواد، وكانت لهم لهذا العهد أنواع على بلد سيرات والبطحاء وهوارة، ولما ملك بنو بادين تلول المغرب الأوسط وأمصاره كان قسم بني توجين منه سياج التلول القبلية ما بين قلعة سعيدة في الغرب إلى المرية في الشرق، فكان لهم قلعة ابن سلامة ومندايس وأتشريس وريثة وما بينهما، فانصل جوارهم لبني مالك هؤلاء في القفر والتل.

ولما ملك بنو عبد الواد تلمسان ونزلوا بساحتها وضواحيها، كان بين سويد هؤلاء أخص بخلفهم وولايتهم من سائر زغبة. وكانت لسويد هؤلاء بطون مذكورون من فليبة وشبابة ومجاهر وجوثة، كلهم من بني سويد. والحساستة بطن من شبابة إلى حسان بن شبابة وغيره شافع وما لفه، كلهم بنو سليمان بن مجاهر ويوس رحمة ويوس كامل، وحدان بنو مقدر بن مجاهر، ويزعم بعض نسبتهم أن مقدار ليس بجد لهم، وإنما وضع ذلك أولاد برو كامل. وكانت رئاستهم لعهدهم في يغمراسن وما قبله في أولاد عيسى بن عبد القوي بن حدان، و كانوا ثلاثة: عمر بن مهدي وعطيه وطراد. واحتضن مهدي بالرئاسة عليهم، ثم ابنه سيف بن مهدي، ثم آخره عمر بن مهدي، وأقطع يغمراسن يوسف بن مهدي ببلاد البطحاء وسيرات وأقطع عنتر بن طراد بن عيسى قراره البطحاء وكان يقتضون أنواعتهم على الرعايا ولا ينكرهم فيها، وربما خرج في بعض خروجه واستخلف عمر بن مهدي على تلمسان وما إليها من ناحية المشرق.

وفي خلال ذلك خلت مجالاتهم بالقفر من ظعنونهم وناجعتهم، إلا أحياء من بطرفهم قليلي العدد من الجوثة وفليبة وما لفه وغيره شافع وأمثالهم فغلب عليهم هنالك المقلع، وفرضوا عليهم أنواة من الإبل يعطونها ويتشارونها عليهم من البكريات. وكان التولى لأخذها منهم من شيخ المقلع أبو الريش

وأجلسه مكان أبيه من مجلسه جوار أريكته ولم ينزل على ذلك، وعقد لأخيه عيسى على البدو من قومه، ثم ابن عبد الواد بعد ملك السلطان أبي عنان عادت لهم الدولة بأبي حمودة بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن أبي يغماسن من أغصان ملوكهم.

وتولى كبر ذلك صغير بن عامر وقومه لما لهم مع آل زيان من الولاية، وما كان لبني مرین فيهم من القمم فملوكها تلمسان ونواحيها، وعقدوا على سويد لميون بن سعيد بن عثمان. وتولى لونزمار بن عريف ورأي الترهب والخروج عن الرئاسة، فبني حساناً بودادي ملوية من تخوم بني مرین ونزل به، وأقام هناك لهذا العهد. وملوك بني مرین يرعون له ذمة اختصاصه سلفهم فيؤثرون بالشورى والمداخلة في الأحوال الخاصة مع الملك والرؤساء من سائر التواحي، فترجمت إليه بسبب ذلك وجوه أهل الجهات من الملوك وشيوخ العرب ورؤساء الأقطار.

ولحق أخوه أبو بكر ومحمد بقائهم فمكروا باليمون ودسوا عليه من قتل غيلة من ذويهم وحاشيتهم، واستبدوا برئاسة البدو. ثم لما نصب بتو حسين بن زيان ابن عم السلطان أبي حمودة للملك كما نذكره ورشحوه للمنازعة سنة سبع وستين وسبعيناً من أندرس، وجمع كلمة زنانة واستتبعهم تحت لوائه، وفرّ بنو عامر من زغبة أولياء بني عبد الواد إلى القفر كما نذكره، ورفع السلطان أبو الحسن قوم عريف بن يحيى محلته على كل عربي في إياته من زغبة والمعقل. وكان عقد سمعون بن سعيد على الناجعة من سويد، وهلك أيام نزول السلطان بتاسالة سنة اثنين وثلاثين وسبعيناً قبل فتح تلمسان.

فولى من بعده آخره عطية وهلك لأشهر من ولايته بعد فتح تلمسان فقد السلطان لونزمار بن عريف على سويد وسائر القفر، فاستولى بني يزيد على بلاد هزة وبني حسن كما كانوا من قبل، ومنعوا المغارم، واستولى بني حسين على ضواحي المدينة أقطاعاً، والعطاف على تواحي مليمانة، والديالم على زينة، وسويد على بلاد بني توجين كلها ما عدا جبل ونشريس لتوعره بقيت فيه لة من توجين رئاستهم لأولاد عمر بن عثمان من الجشم بني تغرين كما نذكره، وبني عامر على تاسالة وميلانة إلى صيرور إلى كيذة الجبل المشرف على وهران.

وتناسك السلطان بالأمسار وأقطع منها كلميتو لأبي بكر بن عريف، وما زونة محمد بن عريف، ونزلوا لهم عن سائر الضواحي فاستولوا عليها كافة، وأوشك بهم أن يستولوا على الأمسار. وكل أول فليل آخر، ولكل أجل كتاب، وهم على ذلك لهذا العهد.

استخلص عريف بن يحيى لدبه صحابة كانت له معه قبل الملك، ثم آسفه ببعض التزاعات الملوكية. وكان هلال مولاه المستولي عليه يغضّ بما كان عريف منه، فتروع عريف بن يحيى إلى بني مرین ملوك المغرب الأقصى وزُل على السلطان أبي سعيد منهم سنة عشرين وسبعيناً، واعتقل أبو تاشفين عم سعيد بن عثمان إلى أن هلك في محبسه قبيل فتح تلمسان، ولحق آخره ميمون بن عثمان وولده هلك المغرب وأنزل عريف بن يحيى من سلطان بني مرین أكرم نزل وأدنى مجلسه وأكرم مثواه، ثم انحذه ابنه السلطان أبو الحسن من بعده بطانة لشواره وغياً لخلواته. ولم ينزل محضرهم على آل زيان بتلمسان. ونفس ميمون بن عثمان وولده عريف رتبته عند السلطان أبو الحسن، فترعوا إلى أخيه أبي علي بتأفیلات فلم يزالوا بها إلى أن هلك ميمون.

ثم تغلب السلطان أبو الحسن على أخيه أبي علي وصار أولاد ميمون في جملته. وزحف السلطان أبو الحسن إلى تلمسان يجرّ أمم المغرب، وأحجر على زيان بتلمسان، ثم اتّحتمها عليهم عنوة وابتزّهم ملوكهم، وقتل السلطان أبو تاشفين عند شدونة، وبعث كلامته في أقطار المغرب الأقصى والأدنى إلى تخوم الموحدين من أندرس، وجمع كلمة زنانة واستتبعهم تحت لوائه، وفرّ بنو عامر من زغبة أولياء بني عبد الواد إلى القفر كما نذكره، ورفع السلطان أبو الحسن قوم عريف بن يحيى محلته على كل عربي في إياته من زغبة والمعقل. وكان عقد سمعون بن سعيد على الناجعة من سويد، وهلك أيام نزول السلطان بتاسالة سنة اثنين وثلاثين وسبعيناً قبل فتح تلمسان.

وولى من بعده آخره عطية وهلك لأشهر من ولايته بعد فتح تلمسان فقد السلطان لونزمار بن عريف على سويد وسائر بني مالك، وجعل رئاسة البدو حيث كانوا من أعماله، وأخذ الصدقات منهم والأتاوات، فعكفت على بيته أم البدو واقتدى بشواره رؤساؤهم. وفرّ ابن عمّه المسعود بن سعيد ولحق ببني عامر، وأجلبوا على السلطان بدعاً جزار بشّابه ابنه أبي عبد الرحمن، فجمع لهم ونمزّهم كما نذكره، وسفر عريف بين السلطان أبي الحسن وبين الملك لعهده من الموحدين بإفريقية وبني الأحرر بالأندلس والترك بالقاهرة، ولم ينزل على ذلك إلى أن هلك السلطان أبو الحسن.

ولما تغلب السلطان أبو عنان على تلمسان كما سنذكره، رعى لسويد ذمة الانقطاع إليه، فرفع ونزمّار بن عريف على سائر رؤساء البدو من زغبة وأقطعه السرّم وقلعة ابن سلامة وكثيراً من بلاد توجين. وهلك أبو عريف بن يحيى، فاستقدمه من البدو،

وكانوا يغلبون غيرهم في مواطن حزة والدهوس، وبني حسن ليرة أقراتهم في المصيف. ولم يعلم على وطن بني يزيد ضرورة من الزرع متعارفة بين أهله لهذا العهد. يقال: إنها كانت لهم أزمان تغلبهم في ذلك الوطن، وقيل: إن أبي بكر بن زغبي في فتنته مع رياح غلبوه على الدهوس من وطنه، فاستصرخ بني عامر فجاؤوا لصرينه، وعلى بني يعقوب داود بن عطاف، وعلى بني حيد يعقوب بن معروف، وعلى شابع صالح بن بالغ وغلبوا رياحاً بعزلان، وفرض لهم على وطن بني يزيد ألف غرارة، واستمرت لهم عادة عليهم.

ولما تلقاهم يغمارسون إلى مواطنهم هذه لمحاذة تلمسان ليكونوا حجزاً بين العقل وبين وطنهما، استقروا هنالك يتلقبون في قفارها في المشاتي، ويطهرون إلى التلول في الرابع والمصايف. وكان فيهم ثلاثة بطون: بنو يعقوب بن عامر وبنو حيد بن عامر وبنو شابع بن عامر، وهم بنو شقارة وبنو مطرف، ولكل واحد من البطنين الآخرين أخذاد وعماثر، ولبني حيد فصائل أخرى فمنهم: بنو حيد، ومن عيده الحجز وهو بنو حجاز بن عيده، وكان له من الولد جحرش وهجيش ابني حجاز، وجحرش حامد ومحمد ورباب.

ومن محمد الولادة بنو ولاد بن محمد، ومن رباب بنو رباب وهم معروفوون لهذا العهد، ومن عيده أيضاً المقلة بنو عقيل بن عيده، والمارزة بنو عمرز بن حزة بن عيده. وكانت الرئاسة على حيد لعلاق من هؤلاء الممارزة، وهو الذين قبل جحرش جذبقي رباب، وكانت الرئاسة على بني عامر كافة لبني يعقوب على عيده يغمارسان وابنه للادود بن هلال بن عطاف بن رداد بن ركيش بن عياد بن منيع بن يعقوب منهم، وكان بنو حيد أيضاً برئيسيهم وشيخهم - إلا أنه ريف لشيخ بني يعقوب - منهم.

وكانت رئاسة حيد لأولاد رباب بن حامد بن جحرش بن حجاز بن عيده بن حيد ويسمون الحجز. وعلى عيده يغمارسان لمعرف بن سعيد بن رباب منهم، وهو رديف للادود كما قلتاه. ووقدت بين عثمان وبين داود بن عطاف مفاضبة، وسخطه عثمان لما أجاز الأمير أبي زكريا ابن السلطان أبي إسحاق من آل أبي حفص حين فر من تلمسان طالباً الخروج على الخليفة بتونس، وكان عثمان بن يغمارسان في بيته، فاعتزم على رجعه فلأبي داود من إخبار ذاته في ذلك، ورحل معه حتى لحق بعطيه بن سليمان من شيوخ الدواودة، وتغلب على بجابة وقسطنطينة كما يذكر في أشجاره.

وأقطع داود بن هلال رعياناً لفعلته وطناناً من بلاد حزة

ومن بطن سويد هؤلاء بطن بنواحي البطحاء يعرفون بهبرة، ينسبهم الناس إلى مجاهد بن سويد، وهو يزعمون أنهم من قوم المقاد بن الأسود، وهو بهذا من قضاة، ومنهم من يزعم أنهم من تجيب إحدى بطنون كندة والله أعلم. ومن طواعون سويد هؤلاء ناجعة يعرفون بصبيح، ونسجهم إلى صبيح بن علاج بن مالك ولم يحدهم عدد وقوته وهو يظعنون بطنون سويد ويقيمون مقامهم. وأما الحارث بن مالك وهم العطاف والديالم فموطن العطاف قلة مليانة، ورئاسة طواعونهم لولد يعقوب بن نصر بن عروة بن منصور بن أبي الذنب بن حسن بن عياض بن عياض بن عطاف بن زيان بن يعقوب، وابن أخيه علي بن أحد وبنته، وهم طائفة من براز إحدى بطنون الأثيج. وأقطفهم السلطان مغارم جبل دراك وما إليه من وادي شلب، وحال بينهم وبين موطن سويد ونشريس وله بلاذ وزينة في قبلة الجبل رئاستهم في ولد إبراهيم بن رزق بن رعاية من مزروع بن صالح بن ديلم، والسعد بن العباس بن إبراهيم منهم لهذا العهد. وكانت من قبل لعنه أبي يحيى بن إبراهيم وتبغض عليه السلطان أبو عثمان بإشارة عريف بن يحيى وأغري به وهلك به وهلك في عبشه.

وفيهم بطنون كثيرة منهم بنو زيادة بن إبراهيم بن روسي والدها قطة أولاد هلال بن حسن وبنو نوال بن حسن أيضاً، وكثيرهم إخوة ديلم بن حسن وابن عكرمة من مزروع بن صالح، ويعرفون بالعكارمة. وهؤلاء العطاف والديالم أقل عدداً من سويد وأولياؤهم في فتحهم مع بني عامر لكان العصبية من نسب مالك، ولسويد عليهم اعتزاز بالكثرة، والديالم أبعد مجالاً منهم في القفر ويماذهم في مواطنهم من جانب التلول بطن من بطنون الحارث يعرفون بغرير نسبهم إلى غريب بن حارث، حي حلول بذلك المواطن يطلبهم السلطان في العسكرية، ويأخذ منهم المغارم وهو أهل شاء وبقر، ورئاستهم في أبناء مزروع بن خليفة بن خلوف بن يوسف بن بكرة بن منهاب بن مكتوب بن منيع بن مغيث بن محمد الغريب، وهو جدهم ابن حارث. وترافقهم في رئاستهم على غريب أولاد يوسف، وهو جيئاً أولاد بني منيع، وسائر غريب من الأحلاف شيوخهم أولاد كامل، والله مالك الخلق والأمر.

### بنو عامر بن زغبة

وأما بنو عامر بن زغبة فموطنهم في آخر مواطن زغبة من المغرب الأوسط قبلة تلمسان مما يلي العقل، وكانت مواطنهم قبل ذلك في آخرها مما يلي المشرق، وكانوا مع بني يزيد حياً جميعاً،

واستأنف السلطان على يد عريف بن يحيى سائر بطون حيد وأولاد رباب فخالفوا صغيراً إخوانه إلى السلطان. وولي عليهم شيئاً من بني عمهم عريف بن سعيد، وهو يعقوب بن العباس بن ميمون بن عريف، ووفد بعد ذلك عمر بن إبراهيم عم صغير فولاه عليهم واستخدمهم، ولحق بنو عامر بن إبراهيم بالدواودة وزلزوا على يعقوب بن علي، ولم يزالوا هناك حتى شبوا نار الفتنة بالدعى بن هيدور المهيمن بشعبه أبي عبد الرحمن ابن السلطان أبي الحسن، وأعانه على ذلك أهل الحقد على الدولة والأضغان من الديالم، وأولاد ميمون بن غنم بن سويد نعموا على الدولة مكان عريف وابنه وزمار منها، فاجتمعوا وبايعوا لهذا الدعي.

وأوزع السلطان إلى وزمار مجريهم فنهض إليهم بالعرب كافة، وأوقع بهم وفضهم ومزق جورهم، وطال مفر صغير بن عامر وإنحرته في القفار، وأبعدوا في الهرب، قطعوا العرق الرمل الذي هو سياج على مجالات العرب، ونزل قليعة والد وأوطها. ووفد من بعد ذلك على السلطان أبي الحسن متذمماً به قبل وقادته واسترهم أخاه أبي بكر، وصحب السلطان إلى إفريقيا وحضر معه واقعة القيروان، ثم رجع إلى قومه وعادوا جميعاً لولايته بني يغرسن، واستخدمو قبائلهم لأبي سعيد عثمان بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغرسن الدايل بتلمسان بعد واقعة القيروان أعواام حسين وبسمعاته، فكان له ولقومه فيها مكان، ولحق سويد وبني يعقوب بالغرب حتى جاؤوا في مقدمة السلطان أبي عنان.

ولما هلك بنو عبد الواد وافتراق جعهم فر صغير إلى الصحراء على عادته، وأقام بالفتر يترقب الخوارج، ولحق به أكثر قومه من بني معرف بن سعيد فأجلب بهم على كل ناحية. وخالف أولاد حسين بالعقل على السلطان أبي عنان أعواام خس وحسين وما بعدهما ونازلوا سجلamasة فكائزهم وكان معهم، وأوقعت بهم عساكر بني مرين في بعض سني خلائهم وهم ينكرون يمتaron فاكسحوا عامة أموالهم وأدخنوا فيهم قتلاً وأسرًا، ولم يزالوا كذلك شريداً في الصحراء، وسويد وبني يعقوب يمكثون من المجالات، وفي حظهم عند السلطان حتى هلك السلطان أبو عنان وجاء أبوه هو موسى بن يوسف آخر السلطان أبي سعيد عثمان بن عبد الرحمن لطلب ملك قومه بتلمسان، وكان مستقرًا بتونس منذ غلبهم أبو علي على أمرهم، فرحل صغير إلى وطن الدواودة، وزل على يعقوب بن علي أزمان خلافه على السلطان أبي عنان، ودخله في استخلاص أبيه حي هذا من إيلاء الموحدين للإجلاب على وطن تلمسان وبني مرين الذين به، فأرسلوا معه وأعطوه الألة. ومضى به مقير وصولة بن يعقوب بن علي وزيان بن

يسى كدارة، وأقام داود هنالك في مجالاتهم الأولى إلى أن نازل يوسف بن يعقوب تلمسان، وطال حصاره لها، فوفد عليه داود مؤملاً صلاح حاله لديه، وحمله صاحب بجاية رسالة إلى يوسف بن يعقوب فاستراب به من أجلها، فلما قفل من وقادته بعث في أثره خيالة من زناته بيته ببني يقى في سد وقتلوا، وقام بأمره في قومه ابنه سعيد، ونفس خنق الحصار عن تلمسان. وكان قبل بني مرين لأبيه وسيلة رعاها لهم بنو عثمان بن يغرسن فرجعوهم إلى مواطنهم ومع قومهم. وقد أغتر أولاد معرف بن سعيد في غيبتهم تلك يساجلونهم في رئاسة بني عامر، وغضن كل واحد بمكان صاحبه، واحتضن بنو معرف بإقبال الدولة عليهم لسلامتهم من الحرازة والخلاف. وزرع سعيد بن داود لأجل هذه الغيرة إلى بني مرين.

ووفد على السلطان أبي ثابت من ملوكهم يؤمل به الكرة، فلم يصادف لها ملأً ورجع إلى قومه، وكانوا مع ذلك حياً جيئاً ولم تزل السعية بينهم ندب حتى عدا إبراهيم بن يعقوب بن معرف على عاصي بن داود فقتله، وتناول قتله ماضي بن ردان من أولاد معرف بن عامر بمجالاته، وتتصبب عليه أولاد رباب كافة، فافتلق أمر بني عامر وصاروا حيين. بنو يعقوب وبني حيد، وذلك لمهد أبي حمو موسى بن عثمان من آل زيان، وقام بأمر بني يعقوب بعد سعيد ابنه عثمان. ثم هلك بعد حين إبراهيم بن يعقوب شيخ بني حيد وقام مقامه من قومه ابنه عامر بن إبراهيم، وكان شهماً حازماً وله ذكر، وزل المغرب قبل عريف بن يحيى وزل على السلطان أبي سعيد، وأصهر إليه ابنته فانكحه عامر إياها وزفها إليه ووصله بحال له خطر، فلم يزل عثمان يحاول أن يثار منه بأبيه بالفتنة تارة والصلح والاجتماع أخرى حتى غدره في بيته وقتلها، وارتکب فيه الشناعات التي تذكرها العرب، فتقاطع الفريقان لذلك آخر الدهر.

وصارت بنو يعقوب أحلاًً لسويد في فتنتهم مع بني حيد هولاء. ثم تلاحت ظواعن سعيد بعريف بن يحيى في مكانه عند بني مرين، واستطاع ولد عامر بن إبراهيم بقوتهم على بني يعقوب فلتحقوا بالغرب، ولم يزالوا به إلى أن جاؤوا في عساكر السلطان أبي الحسن، وهلك شيخهم عثمان، قتله أولاد عريف بن سعيد بشار عامر بن إبراهيم، وولي بعده ابن عميه هجرس بن غام بن هلال، فكان رديفًا له في حياته، ثم هلك وقام بأمره عم سليمان بن داود.

ولما تغلب السلطان أبو الحسن على تلمسان فـ بن عامر بن إبراهيم إلى الصحراء، وكان شيخهم لذلك العهد صغير ابنه،

وقتل عبد الله بن مقير وأخوه ملوك في قرابة لهم آخرين، وسار فلهم شريداً إلى الصحراء، ولحقوا بالديالم والعطاف، واجتمعوا جميعاً إلى سالم بن إبراهيم كبير العائلة، وصاحب وطن متوجه وكان يتوجس لأبي حمو الحقيقة فاتقوا على الخلاف ويعثروا إلى الأمير أبي زيان بمكانه من بني عامر، واستخدم سالم بن إبراهيم، ثم من عليه علي بن عمر بن إبراهيم وأطلقه، ولم يتصل الخبر سالم من الجزائر، ثم هلك خالد في بعض تلك الأيام فافتراق أهله، وولى علي بنى عامر المسعود بن مقير، وزحف إليهم أبو حمو في سويد وأوليائه من بني عامر، واستخدم سالم بن إبراهيم، وخرج أبو زيان إلى مكانه من بطن رياح، ولحق المسعود بن عامر وقومه بالقرف، ولحق ساسي بن سليم يعقوب بن علي وقومه من الدواودة.

ثم راجعوا جميعاً خدمة السلطان وأوفدوا عليه فائهم، وقدموا عليه وأظهروا البر والرحب بالمسعود وسامي، وطوى لهم على السوء، ثم داخل بطانة من بني عامر وسويد في نكفهم، فاجابوه وعكر بهم، وبعث ابنه أبي تاشفين لقبض الصدقات من قومهم حتى اجتمع له ما أراد من الجموع، فتقبض على المسعود وعشرة من إخوانه ببني عامر بن إبراهيم، ونهض أبو تاشفين والعرب جميعاً إلى أخيه بني يعقوب وكأنوا بسيارات، وقد أرصد لهم سويد بوادي مينا فاصبّحهم بنو عامر بمكانتهم واكتسحورهم، وصار فلهم إلى الصحراء، فاعتبرتهم أبو تاشفين ببني راشد فلم يبق لهم باقية، ونجا ساسي بن سليم إلى الصحراء في فلٌّ قليل من قوته، ونزل على النضر بن عروة، واستبد برئاسة بني عامر سليمان بن إبراهيم بن يعقوب عم مقير ورديفة عبد الله بن عسکر بن معرف بن يعقوب، وهو أقرب مكاناً من السلطان وخليمه.

ثم بعث صاحب المغرب السلطان أبو العباس أحمد بن الولي إبا سالم بالشفاعة في المسعود وإخوانه بوسيلة من وزمار بن عريف بعد أن كان مداخلاً لأبي حمو والإخوانة في نكفهم، فأطلقهم أبو حمو بتلك الشفاعة، فقادوا إلى الخلاف، وخرجوا إلى الصحراء، واجتمع إليهم الكثير من أولاد إبراهيم بن يعقوب. واجتمع أيضاً فلٌّ بني يعقوب من مطاردهم إلى شيخهم ساسي بن سليم ونزلوا جميعاً مع عروة، وأوفد إخوانه على السلطان أبي العباس صاحب إفريقية لهذا العهد متذمماً به وصريحاً على عدوه فتلقاء من البر والإحسان ما يناسبه، وأقاض في وفده العطاء وصرفه بال وعد الجميل.

وشعر بذلك أبو حمو فبعث من عيونه من اغتاله ووفد بعدها على السلطان أبي العباس صاحب إفريقية علي بن عمر بن

عثمان بن سبع وشيل ابن أخيه ملوك بني عثمان. ومن باديه رياح دغار بن عيسى بن رحاب بقومه من سعيد، وبلغوا معهم إلى تخوم بلادهم فرجع عنهم رياح إلا دغار بن عيسى وشيل بن ملوك، ومضوا لوجههم، ولقيتهم جموع سويد، وكان الغلب لبني عامر، وقتل يومئذ شيخ سويد بن عيسى بن عريف وأسر آخره أبو بكر. ثم من عليه علي بن عمر بن إبراهيم وأطلقه، ولم يتصل الخبر بناس إلا والناس منصرفون من جنادة السلطان أبي عنان، ثم أجلب أبو حمو بالمغرب على تلمسان فأخذها وغلب عساكر بني مرین عليهما، واسترقق ملكه بها. ثم هلك مقير لستين أو نحوهما حمل نفسه في جولة فتنة في الحي يرروم تسكيتها على بعض الفرسان، فاعتبره ستان رمح على غير قصد فألفذه وهلك لوقته. وولي رئاستهم من بعده آخره خالد بن عامر يراقه عبد الله ابن أخيه مقير، وخلصت رغبة كلها للسلطان أبي حمو فأساء بني مرین لما كان بينهم من الفتنة واستخدمهم جميعاً على مضاربهم وعوايدهم من سويد وبني يعقوب والديالم والعطاف، حتى إذا كانت فتنة أبي زيان بن السلطان أبي سعيد عم أبي حمو كما نذكره في خبرهم جأش مرجل الفتنة من زبغة، واختلفوا على أبي حمو وتقبض على محمد بن عريف أمير سويد لاتهامه إياه بالإهانة في أمره، فتنزأ آخره أبو بكر وقومه إلى صاحب المغرب عبد العزيز ابن السلطان أبي الحسن ستة سبعين وسبعينة وجاؤوا في مقدمته واستولى على موطنهم.

ولحق بنو عامر وأبو حمو بالصحراء، وطال ترددتهم فيها وسعى عند أبي حمو في خالد من عمومته وأقاربه عبد الله بن عسکر بن معرف بن يعقوب، ومعرف هو آخر إبراهيم بن يعقوب، وكان عبد الله هذا بطانة للسلطان وعياناً، فاستنسد بذلك قلب خالد وتغير ونبذ إليه عهده، ونزع عنه إلى السلطان عبد العزيز، وجاءت به عساكر بني مرین فأوقع بالسلطان أبي حمو ومن معه من العرب.

وهلك عبد العزيز ستة أربع وسبعين فارتحل إلى المغرب هو وعبد الله ابن أخيه مقير، ولحقهم ساسي بن سليم بن داود شيخ بني يعقوب. كان قومه بني يعقوب قتلوا أبناء محمد بن عريف فحدثت بينهم فتنة، ولحق ساسي هذا وقومه بالمغرب، وصاحب خالداً يؤمل به الكرة، وينسوا من صريح بني مرین لما بينهم من الفتنة، فرجعوا إلى أوطانهم ستة سبع وسبعين وأضروا نار الفتنة، وخرجت إليهم عساكر السلطان أبي حمو مع ابنه أبي تاشفين، وزحف معه سويد والديالم والعطاف فأوقعوا بهم على وادي مينا قبلة القلعة.

أخبارهم. والله الخلق والأمر وهو رب العالمين.

### الخبر عن المعلم من بطون هذه الطبقة الرابعة وأنسابهم وتصاريف أحواهم

هذا القليل لهذا العهد من أوف قبائل العرب ومواطنهم بقفار المغرب الأقصى مجاورون لبني عامر من زغبة في مواطنهم قبلة تلمسان، ويتهون إلى البحر الحيط من جانب الغرب، وهو ثلاثة بطون: ذوي عبد الله وذوي منصور وذوي حسان. فذوي عبد الله منهم هم المجاورون لبني عامر ومواطنهم بين تلمسان وتاوريرت في التل وما يواجهها من القبلة، ومواطن ذوي منصور من تاوريرت إلى بلاد درعة فيستلون على ملوية كلهما إلى سجلamasة وعلى درعة وعلى ما يحيطها من التل مثل تاري وغضاسة ومكناسة وفاس وببلاد تادلا والمقدار، ومواطن ذوي حسان من درعة إلى البحر الحيط، وينزل شيوخهم بلاد نول قاعدة السوس فيستلون على السوس الأقصى وما إليه، ويتجعون كلهم في الرمال إلى مواطن المثمين من كدالة مستوفة ولتونة.

وكان دخولهم إلى المغرب مع الملاليين في عدد قليل يقال إنهم لم يبلغوا الماتين، واعتبرتهم بنو سليم فاعجزوهم وتحيزوا إلى الملاليين منذ عهد قديم وزلوا بأخر مواطنهم مما يلي ملوية ورمال تافيلالت، وجاوروا زناتة في القفار والغريبة فutfوا وكثروا وأبتووا في صحاري المغرب الأقصى، فعمروا رماله وتغلبوا على فيافيده. وكانتون هناك أحلافاً لزناتة سائر أيامهم، وفيهم يافريقيه جمع قليل اندرجوا في جملة بني كعب بن سليم وداخلوهم حتى كانوا وزراء لهم في الاستخدام للسلطان، واستلاف العرب.

فلما ملكت زناتة بلاد المغرب ودخلوا إلى الأمصار والمدن قام هؤلاء المعلم في القفار وتفردوا في البيداء فنموا عمراً لا كفاء له، وملوكوا قصور الصحراء التي اختطها زناتة بالقرف مثل قصور السوس غرباً، ثم توالت ثم بودة ثم تامنطيت، ثم واركلان ثم تاسيبيت ثم تيكوارين شرقاً، وكل واحد من هذه وطن منفرد يشتمل على قصور عديدة ذات خيل وأنهار وأكثر سكانها من زناتة، وبينهم فتن وحروب على رئاستها، فجاز عرب العقل هؤلاء الأوطان في مجالاتهم ووضعوا عليها الأثارات والضرائب، وصارت لهم جماعة يعتدون فيها ملكاً. وكانتون من تلك السالفة يعطون الصدقات للملك زناتة ويأخذونهم بالدماء والطواشل ويسمونها حل الرحيل. وكان لهم الخيار في تعينها.

ولم يكن هؤلاء العرب يستحقون من أطراف المغرب

إبراهيم، وهو ابن عم خالد بن محمد وكثير النفر المخالفين من بني عامر على أبي حرو ووفد معه سليمان بن شعيب بن عامر فرفدوا عليه بتونس يطلبون صريحة، فأجابتهم ووعدهم وأحسب بالإحسان والبرة أماهم، ورجعوا إلى قومهم. ثم راجع علي بن عمر خدمة أبي حرو وقدمه على بني عامر، وأدال به من سليمان بن إبراهيم بن عامر، فخرج سليمان إلى أهل بيته من ولد عامر بن إبراهيم الذين بالصحراء، وزلوا مع بني يعقوب ب أخيه أبي بكر بن عريف، وهو على ذلك لهذا العهد. والله مقدر الليل والنهار له.

### عروة بن زغبة

وأما عروة بن زغبة فهم بطنان: النضر بن عروة. وبطون خيس ثلاثة: عبد الله وفرغ ويقطان. ومن بطون فرغ بنو قاتل أخلاف أولاد يحيى من العمور القاطنين بجبل راشد. وبني يقطان وعبد الله أخلاف لسويد يطعنون لظعنهم ويقيمون لإقامةهم، ورئاستهم لأولاد عبد من بطن راشد. وأما النضر بن عروة فمتبدلون بالقفر يتتجعون في رماله ويسعدون إلى أطراف التلول في إيالة الديالم والمطاف ومحчин وتحروم أوطانهم، وليس لهم ملك ولا اقطاع لعجزهم عن دخول التلول بلغتهم ومانعنة بطون زغبة الآخرين عنها إلا ما تغلبوا عليه في اذناب الوطن بجبل المستند مما يلي وطن رياح، يسكنه قوم من غمرة وزناتة استمر عليهم غلب العرب منذ سين، فوضع النضر هؤلاء عليهم الآثار وأصاروهم خولاً ورعية. وربما نزل منهم مع هؤلاء البرابر من عجز عن الظعن في بيتهم ولم يطرون مذكورة: أولاد خليفة والخمانة وشريعة والسحاوى وذوي زيان وأولاد سليمان، ورئاستهم جيماً في أولاد خليفة بن النضر بن عروة، وهي لهذا العهد محمد بن زيان بن عسکر بن خليفة ورديفه سمعون بن أبي يحيى بن خليفة بن عسکر، وأكثر السحارى موطنون بجبل المشتلى الذي ذكرناه، ورئاستهم في أولاد، وناجعة هؤلاء النضر أخلاف لرغبة دائم، فتارة للحرب ومحчин جيرانهم في المواطن، وتارة لبني عامر في فتتهم مع سويد، ونديتهم مع بني عامر فيما يزعمون بالقحافة وسمعت من مشايخهم أنه ليس بآب لهم، وإنما هو اسم وادٍ كان به حلفهم قدّيماً، وربما ظاهرون سويداً على ابن عامر، إلا أنه في الأقل والندرة. وهم إلى حلف بني عامر أقرب وأسرع لما ذكرناه، وربما ظاهروا رياحاً بعض المرات في فتتهم لجوار الوطن، إلا أنه قليل أيضاً في النادر، ويتناولون في الأكثر مع الباية من رياح مثل مسلم وسعيد، وربما وقعت بينهم حروب في القفر بصيب فيها بعض من دماء بعض، هذه بطون زغبة وما تأدى إلينا من

جبل السكسيوي من جبال أدرن وشيخهم لهذا العهد أو ما قبله يعيش بن طلحة. والبطن الآخر آل علي، وموطنه في برية هنكيسة تحت جبل كزولة، وشيخهم لهذا العهد أو ما قرب منه حريز بن علي. ومن جلال: سالم وعمان الرقيطات بادية للنوي حسان يتجمعون معهم. ولد منصور بن محمد: حسين وأبو الحسين وعمران ونسياً يقال لهم جميعاً ذوي منصور، وهو أحد بطونهم الثلاثة المذكورة. والله سبحانه وتعالى أعلم بغيه وأحکم.

### ذوو عبيد الله

فاما ذوي عبيد الله فهم المجاورون لبني عامر بن زغبة وفي سلطان بني عبد الواد من زناتة، فمواطئهم ما بين تلمسان إلى وجدة إلى مصب وادي ملوية في البحر ومنبعه وادي صامن من القبلة. وتنتهي رحلتهم في الفقار إلى قصور توات وغنبطيت، وربما عاجروا ذات الشمال إلى تاسيات وتوكرارين، وهذه كلها رقاب القفر إلى بلاد السودان. وبينهم وبين بني عامر فتن وحروب موصولة. وكان لهم مع بني عبد الواد مثلها قبل السلطان والدولة، فما كانوا أخلاقاً لبني مرين. وكان الم Nabat من ذوي منصور أخلاقاً لبني عبد الواد فكان يغمرانس يرثون بهم أكثر أوقاته وبينال منهم إلى أن صحبوا بسبب الجوار، واعتزت عليهم الدولة فأعطوا الصدقية والطروائل وعسكرروا مع السلطان في حربه.

ولم يزل ذلك إلى أن لحق الدولة المهرم الذي يلحق مثلاها فوطنا التلول، وغلقوا وجدة وندروم ونبي يزناسن ومديونة وبني سنوس أقطاعاً من السلطان إلى ما كان لهم عليها قبل من الأتاوات والوضائع فصار معظم جيابتها لهم، وضربوا على بلاد هنین بالساحل ضريبة الإجازة منها إلى تلمسان، فلا يسير ما بينهما مسافر أيام حلولهم يساحتها إلا بإجازتهم، وعلى ضريبة يزددها إليهم. وهم بطنان: المراج و الخراج، فالخارج من ولد فزاج بن مطرف بن عبد الله، ورواستهم في أولاد عبد الملك و فرج بن علي بن أبي الريش بن نهار بن عثمان بن خراج، لأولاد عيسى بن عبد الملك ويعقوب بن عبد الملك ويعمور بن عبد الملك.

وكان يعقوب بن يغمور شيخهم له عهد السلطان أبي الحسن، ولما تغلب على تلمسان استخدم له عبد الله هؤلاء وكان يحيى بن العز من رجاله بني يزناسن أهل الجبل المطل على وجدة. وكان له قدم في خدمة الدول فاتصل بالسلطان أبي الحسن ورغبه في ملك قصور هذه الصحراة، فبعثه مع هؤلاء العرب في عسكر، ودخل معهم إلى الصحراة وملك تلك القصور واستولى عليها، وأسف

وتلوه حتى، ولا يعرضون لسابلة سجلماشة ولا غيرها من بلاد السودان باذية ولا مكروه لما كان بالغرب من اعتزار الدول وسد الثغور وكثرة الخامدة أيام الموحدين وزناثة بعدهم، وكان لهم بـ زاء ذلك أقطع من الدول يمدون إلى أخذه اليد السفلة، وفيهم من مسلم سعيد بن رياح والعمور من الأنبياء، وعددهم كما قلنا قليل، وإنما كانوا من اجتمع إليهم من القبائل من غير نسبهم فإن فهم من فزارة ومن اشجع أحياء كيرة، وفيهم الشظة من كرنة والمهابة من عياض، والشعراء من حصين، والصباح من الأخضر، ومن بني سليم وغيرهم. وأما أنسابهم عند الجمهور فخفية وبجهولة، ونسبة العرب من هلال يعلوهم من بطن هلال وهو غير صحيح، وهم يزعمون أن نسبهم في أهل البيت إلى جعفر بن أبي طالب وليس ذلك بصحيح لأن الطالبين والهاشمين لم يكونوا أهل بادية ونخعة. وال الصحيح والله أعلم من أمرهم أنهم من عرب اليمن، فإن فيهم بطين يسمى كل واحد منها بالعقل، ذكرهما ابن الكلبي وغيره، فأحددهما: من قضاة بن مالك بن حير وهو معقل بن كعب بن غيليم بن خباب بن هيل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد بن اللات بن رفيدة بن ثور بن كعب بن وبرة بن ثعلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاة. والأخر: من بني الحرش بن كعب بن عمرو بن علة بن جلد بن مذحج، واسميه مالك، ابن أدد بن زيد بن يشجب بن زير بن كهلان، وهو معقل واسميه ربيعة بن كعب بن ربيعة بن كعب بن الحرش.

والأنسب أن يكونوا من هذا البطن الآخر الذي من مذحج، كان اسمه ربيعة، وقد عده الإخباريون في بطن هلال الداخلين إلى إفريقيا، لأن مواطن بني الحرش بن كعب قريب من البحرين حيث كان هؤلاء العرب مع القرامطة قبل دخولهم إلى إفريقيا. ورؤيه أن ابن سعيد لما ذكر مذحج وأنهم يجهات الجبال من اليمن، وذكر من بطونهم زيد ومراد ثم قال: وبإفريقيا منهم فرقه وبرية ترمل وتزل، وهؤلاء الذين ذكر إنما هم المعقل الذين هم بإفريقيا، وهم فرقه من هؤلاء الذين بالغرب الأقصى.

ومن إماء نسبائهم: أن معقل جدهم له من الولد: سحير و محمد، فولد سحير: عبيد الله وثعلب، فمن عبيد الله ذوي عبيد الله البطن الكبير منهم، ومن ثعلب العمالب الذين كانوا يسيط نتيجة من نواحي الجزائر، ولد محمد: مختار ونصر وجلال وسلم وعمان. فولد مختار بن محمد: حسان وشابة، فمن حسان ذوي حسان البطن المذكور أهل السوس الأقصى. ومن شابة الشباتات جيرانهم هناك. ومنهم بطنان: بنو ثابت وموطنه تحت

نزولهم لها حين كان ذور عبيد الله في مواطن بي عامر لهذا العهد، وكان بنو عامر في مواطن بي سويد فكانت مواطنهم لذلك العهد متصلة بالتلول الشرقية فدخلوا من ناحية كزول وتدرجوا في المواطن إلى ضواحي المدينة، وزلوا جبل طيري وهو جبل أشير

الذي كانت فيه المدينة الكبيرة، فلما تقلب بنو توجين على التلول وملدوا ونشريش زحف محمد بن عبد القوي إلى المدينة فملكتها، وكانت بينهم وبينه حرب وسلم إلى أن وفدت عليه مشيختهم، فتقبض عليهم وأغزى من وراءهم من بقية الشاعلة واستحلّ لهم

واكتسح مواطنهم.

وغلبهم بعدها على طيري وأذاجهم عنها إلى متيجة، وأنزل قبائل حصن بيتيري وكأنروا معه في عدد الرعايا يؤذون إليه المغار والرطائف، ويأخذون بالعسكرة معه ودخل الشاعلة هؤلاء في إيلاء ملكيشه من صنهاجة بسيط متيجة، وأوطنوا تحت ملكتهم، وكان لهم عليهم سلطان كما ذكره، حتى إذا غلب بنو مرين على المغرب الأوسط وأنهوا ملك ملكيشه منها، استبد الشاعلة هؤلاء بذلك البسيط وملكته، وكانت رئاستهم في ولد سباع بن ثعلب بن علي بن مكر بن صغير، ويزعمون أن سباعاً هذا كان ذا وفد على المؤمنين يجعلون من فوق عمامته ديناراً يزن عدداً من الدنانير سابقة في تكرمه وترفيه.

وسمعت من بعض مشيختنا أن ذلك لما كان من كرامته للإمام المهدي حين أجاز بهم فإنه مر بهم ساعياً فحملوه واستقرت الرئاسة في ولد سباع هذا في بي يعقوب بن سباع أولأ، فكانت لهم مددأ، ثم في عقب حنيش منهم، ثم غلب السلطان أبو الحسن على مالك بي عبد الواد وتقلّهم إلى المغرب، وصارت الولاية لهم لأبي الحملات بن عائد بن ثابت، وهو ابن عم حنيش وهلك في الطاعون الحارف أواسط هذه المائة الثامنة لمهد نزول السلطان أبي الحسن بالجزائر من تونس، فولي عليهم إبراهيم بن نصر.

ولم تزل رئاستهم إليه إلى أن هلك بعد استيلاء السلطان أبي عنان على المغارين كما ذكره في أخباره وقام برئاستهم ابنه سالم، وكانوا أهل مغارم ووضيعه مليكش ومن بعدهم من ولاة الجزائر، حتى إذا هبت ريح العرب أيام خروج أبي زيان وحصلت على أبي حمو أعواام ستين وسبعيناً كما ذكرنا، وكان شيخهم لذلك العهد سالم بن إبراهيم بن نصر بن حنيش بن أبي حميد بن ثابت بن محمد بن سباع، فاختب في تلك الفتنة وأوضع، وعاد أبو حمو وانتقض عليه مراراً، وغلب بنو مرين على تلمسان فتحيز إليهم، وكانت رسلاً ووفده تقدّموا إليهم بالمغرب.

عبيد الله بانتزاع أملاتهم وسوء المعاملة لهم، فوثبوا به وقتلوا في خياله وانهبو عسكر السلطان الذين معه ونقضوا الطاعة، وفر يعقوب بن يغمور فلم يزل شريراً بالصحراء سائر أيامه، ورجع بعد ذلك.

ثم عادت دولة بن عبد الواد فصدوا في ولاتها، فلم ينزل على ذلك، وخلفه ابنه طلحة، وكان أيام خلاف يعقوب وانتقامه رأس على الخراج من أهل بيته منصور بن يعقوب بن عبد الملك وأبنه رحو من بعده، وجاء أبو حمو ذكراً له في خدمته ومخالطيه قدم، فقدمه شيئاً عليهم، فرئاستهم لهذا العهد مقسمة بين رحو بن منصور بن يعقوب بن عبد الملك وبين طلحة بن يعقوب المذكور آنفأ، وربما نازعه، ولم يطرن كبيرة فمنهم: الجعاونة من جعون بن خراج، والغسل من غاسل بن خراج، والمطارفة من مطرف بن خراج، والعثامة من عثمان بن خراج، وفيهم رئاستهم كما قلت، ومعهم ناجعة يسمون بالمهابة ينسبون تارة إلى المهاية بن عياض، وقدمنا ذكرهم، وتارة إلى مهياً بن مطرف.

وأما هراج فمن ولد هراج بن محمد بن مهدي بن عبد الله، ومواطنهم في ناحية المغرب عن الخراج فيجاورون بي منصور ولم يطروا وما إليها، وخدمتهم في الغال لبني مرين وإقطاعاتهم من أيديهم، ومواطنهم تحتهم، ورجوعهم إلى عبد الواد في الأقل، وفي بعض الأحيان ورئاستهم في ولد يعقوب بن هبا بن هراج لأولاد مرين بن يعقوب، وأولاد مناد بن رزق الله ابن يعقوب، وأولاد فكرن بن محمد بن عبد الرحمن بن يعقوب من ولد حزيز بن يحيى الصغير بن موسى بن يوسف بن حريري، كان شيئاً عليهم أيام السلطان عبد العزيز، وهلك عقبه، ورأس عليهم ابنه، ومن ولد مناد أبو يحيى الكبير بن مناد كان شيئاً قبل أبي يحيى الصغير، وبالإضافة إليه وصف بالصغير، ومنهم أبو حميدة محمد بن عيسى بن مناد وهو لهذا العصر رديف لشيخهم من ولد أبي يحيى الصغير، وهو كثير التقلب في الفقار والغزو للقاصية والأهل الرمال والملتحين، والله مالك الملوك لا رب غيره ولا معبد سواه وهو نعم المولى ونعم النصير.

## الشاعلة

وأما الشاعلة إخوتهم من ولد ثعلب بن علي بن بكر بن صغير أخي عبيد الله بن صغير، فموطنهم لهذا المهد بمتوجهة من بسيط الجزائر، وكانوا قبلها يقطنون مواطن حصن لهذا العهد، نزلواها منذ عصور قديمة، وأقاموا بها حياً حلولاً، وبظهر أن

وبعهانة وفرّ صغير بن عامر إلى الصحراء وتزل عليهم واستجار بهم فاجاروه. وتزل السلطان عليهم ذلك فأجعوا نقض طاعته وأقاموا معه بالصحراء وصغير متولي كبير ذلك الخلاف، حتى إذا هلك أبو عنان وكان من سلطان أبي حمو بتلمسان ما نحن ذاكروه، وزحف أبو عنان و كان من سلطان أبي حمو بتلمسان ما نحن ذاكروه، عليهم فأقعروا ب العسكرية بي مرين بنواحي تلمسان، واتسع الخرق بينهم وبين بي مرين فاخذوا إلى أبي حمو سلطانه، واقطعهم بضواحه. ثم رجعوا إلى أوطانهم بعد مهلك سلطان أبي سالم العيون ثلاث وستين على حين اضطراب المغرب بفتنة أولاد السلطان أبي علي وزردهم سجلماسة، فكان لهم في ذلك الفتنة آثار إلى أن انقضت.

ثم كان لأحد بن رحو مع أبي حمو جولة وأجلب عليه أبي زيان حافظ أبي تاشفين فقتل في تلك الفتنة كما ذكره. ثم اعتزوا على الدولة من بعد ذلك وأكثر مغارم درعة لهذا العهد. وأقطع لهم ببلاد تادلاً والمعدن من تلك الثابا التي منها دخولهم إلى المغرب للمربي والمصيف وليرات الأقواس. وسجلماسة من مواطن إخوانهم الأحلاف كما ذكره، ولم ينفع من مواطنهم، فاما درعة فهي من بلاد القبلة موضوعة حقاً في الوداي الأعظم المتحدر من جبل درن من فوهة يخرج منها وادي أم ربيع، ويتساهل إلى البساط والتلول ووادي درعة ينحدر إلى القبلة مغرياً إلى أن يصب في الرمل ببلاد السوس، وعليه قصور درعة، وواد آخر كبير أيضاً ينحدر إلى القبلة مشرقاً بعض الشيء إلى أن يصب في الرمل دون تيكتوارين وفي قبليها.

وعليه من جهة المغرب قصور توات، ثم بعدها تمتطية، ثم بعدها وركلان. وعندما يصب في الرمل، وفي الشمال عن ركان، قصور تسيابت. وفي الشمال عنها إلى الشرق قصور تيكتوارين، والكل وراء عرب الرمل. وجبل درن هي الجبال العظيمة الجائمة سياجاً على المغرب الأقصى من آسفي إلى تازى، وفي قبليها جبل تكيبة لصنهاجة، وآخره جبل ابن حيدى من طرف هسکورة. ثم ينبعض من هناك جبال أخرى متوازية حتى تنتهي إلى ساحل بادس من البحر الرومي. وصار المغرب بذلك كالجزيرة أحاطت الجبال به من القبلة والشرق والبحر ومن المغرب والجفون.

واعتبر هذه الجبال والبساط التي بينها أسم من البرير لا يحيط بهم إلا خالقهم، والمسالك بين هذه الجبال إلى المغرب منحصرة، ثم معدودة، ويزحام القبائل المعتمرات لها كاظنة. ومصب وادي درعة هذا إلى الصحراء والرماد ما بين سجلماسة وببلاد السوس، ويمتد إلى أن يصب في البحر ما بين نون ووادان، وحلفائه

ثم هلك السلطان عبد العزيز ورجع أبو حمو إلى ملكه، وتزلت الغواص فخشيه سالم، واستدعي أبا زيان ونصبه بالجزائر، وزحف إليه أبو حمو سنة تسع وسبعين فقضى جمه وراجع سالم خدمته، وفارق أبا زيان كما ذكره في أخباره. ثم زحف إليه أبو حمو وحاصره بجيال متيبة أياماً قلائل، واستنزله على عهده. ثم أخفره وتقبض عليه وقاده إلى تلمسان أسيراً وقتله قصاصاً بالرماح وذهب أثره وما كان له من الرئاسة التي لم تكن الثالبة لها بأهل. ثم تتبع إخوانه وعشيره وقبيله بالقتل والسي ونهب إلى أن دثروا، والله يخلق ما يشاء.

## ذو منصور

وأما أولاد منصور بن محمد فهم معظم هؤلاء المعلم، وجمهورهم ومواطنهم تخوم المغرب الأقصى من قبلته ما بين ملوية درعة. وبطونهم أربعة: أولاد حسين وأولاد أبي الحسين وهو شقيقان، والعمارة أولاد عمران، والبنات أولاد منها وهم شقيقان أيضاً. ويقال لهذين البطنين جميعاً: الأحلاف. فاما أولاد أبي الحسن فعجزوا عن الظعن وتزلوا قصوراً أخذوها بالقفر ما بين تأسيلات وتيكتوارين. وأاما أولاد حسين فهم جهور ذوي منصور، ولم العزة عليهم ورثاستهم أيام بي مرين في أولاد خالد بن جرمن بن جرار بن عرفة بن فارس بن علي بن فارس بن حسين بن منصور، كانت أيام السلطان أبي الحسن لعلي بن غام، وهلك إثر كاثنة طريف. وصارت لأنجيه يحيى، ثم لابنه عبد الواحد بن يحيى، ثم لأنجيه زكريا، ثم لابن عمه أحد بن رحو بن غام، ثم لأنجيه يعيش، ثم لابن عمه يوسف بن علي بن غام لهذا العهد.

وكانت لبني مرين فيهم وقائع أيام يعقوب بن عبد الحق وابنه يوسف، وسيأتي في أخبار بني مرين غزوة يوسف بن يعقوب من مراكش إليهم، وكيف أوقع بهم بصحراء درعة. ولما أقام بالشروع على تلمسان محاصراً لها أخلف هؤلاء العرب من المعلم على أطراف المغرب ما بين درعة وملوية إلى تاوريرت. وكان العامل يومئذ بدرعة عبد الوهاب بن صاعد من صنائع الدولة. وكبار ولاته، فكانت بينه وبينهم حروب قتل في بعضها. ثم هلك يوسف بن يعقوب ورجع بنو مرين إلى المغرب، فأخذوا منهم بالثار حتى استقاموا على الطاعة، وكانتوا يعطون الصدقة أطوع ما يكون إلى أن فشل ريح الدولة، واعتبرت العرب فصاروا يعنون الصدقة إلا في الأقل يغلبهم السلطان على إعطائها.

ولما استولى السلطان أبو عنان على تلمسان أعموا حسين

ذوو حسان عرب السوس

واما بني مختار بن محمد فهم كما قدمناه: ذوي حسان والشبانات والرقبيات. ومهن أيضاً الجيابنة وأولاد بربة، وكانت مواطنهم بتواخي مليوة إلى مصبها في البحر مع إخواتهم ذوي منصور وعبد الله إلى أن استصرخهم علي بن يدر الزكدرري صاحب السوس من بعد الموحدين، وتبه بزعمه في عرب الفتح، وكانت بينه وبين كرولة الظراعن بيسانط السوس، وجالة فتنة طويلة استصرخ لها بني مختار هؤلاً فصارخوه وارتحلوا إليه بظعنونهم، وحمدوا مواطن السوس لعدم المزاحم من الظراعن فيها فألوطرواها. وصارت مجالاتهم بقفرها وغليرا كرولة وأصاراتهم في جلتهم ومن ظعنونهم وغالبوا على القصور التي بتلك المواطن في سوس ونول. ووضعوا عليها الآثارات مثل تارودانت من سوس، وهي ضفة وادي سوس حيث يهبط من الجبل، وبين مصبه ومصب وادي ماسة حيث الرباط المشهور مرحلة إلى القبلة.

ومن هناك إلى زوايا أولاد بني نعمان مرحلة أخرى في القبلة على سائر البحر، وتواصت على وادي نول حيث يدفع من جبل نكسة غرباً، وبينها وبين إيفري مرحلة، والعرب لا يغلبونها وإنما يغلبون على البسائط في نواحيها، وكانت هذه المواطن لعهد الموحدين من جلة مالكمهم وأوسع عماراتهم، فلما انقرض أمر الموحدين حجبت عن ظل الدولة وخرجت عن يilage السلطان إلا ما كان بها لبني يدر هؤلاء الذين قدمنا ذكرهم، وكان علي بن يدر مالكاً لقصورها، وكان له من الجندي خمر الف فارس، وولي من بعده عبد الرحمن بن الحسن بن يدر، وبعده آخره علي بن الحسن.

وكان عبد الرحمن معهم حروب وفتن بعد استظهاره بهم، وهزمه مرات متتابعة أعداء خس وبسمانة وما بعده، وغدر هر بخيثهم وقتلهم بatarودانت سنة ثمان من بعد ذلك. وكان لبني مرین على هؤلاء المعقل بالسوس وقائع وأيام، وظهر يعقوب بن عبد الحق ببني مرین في بعضها الشباتات على بني حسان واستلح مح منهم عدداً، وحاصرهم يوسف بن يعقوب بعدها فأسكروها وأغ器械هم ثمانية عشر ألفاً، وأثخن فيهم يوسف بن يعقوب ثانية ست وثمانين وحاربهم جيوشه أيضاً أياماً حتى بُنوا كمی من بني عبد الواد، وخالقو على السلطان، فتردد إليهم العساكر واقتصرت الحروب كما ذكر في أخباره.

ولما استفحلا أمر زناته بالمغرب وملك أبو علي ابن السلطان أبي سعيد سجلماسه واقطعها عن ملك أبيه يصلح وقع على ذلك، انضوى إليه هؤلاء الأعراب أهل السوس من الشبات

قصور لا تمحى، شجرتها النخل وقاعدتها بلد تادنىت بلد كبير يقصده التاجر للسلم في النيلج، انتظار خروجه بالصناعة. ولأولاد حسين هؤلاء استيلاء على هذا الوطن ومن يزاذه في فسيح جبلة من قبائل البربر صناعة وغيرهم. ولم عليهم ضرائب وخفارات ووضائع. ولم في مجابي السلطان إقطاعات ويخاورهم الشبانات من أولاد حسان من ناحية الغرب، فلهم بسبب ذلك على درعة بعض الآثار.

وأما الأحلاف من ذوي منصور وهم العمارنة والمبشّر  
فمواطناتهم مجاورة لأولاد حسين من ناحية الشرق، وفي مجالتهم  
بالقفر تأفيلاً، وصحراءها، وبائل ملوية وقصور وطاط وتازري  
ويطربة وغسّاسة، لهم على ذلك كله الآيات والوضائعن، وفيها  
الإقطاعات السلطانية. وبينهم وبين أولاد حسين فتنٌ، ويجمعهم  
العصبية في فتنٍ من سواهم. ورئاسة العمارنة في أولاد مظفر بن  
ثابت بن خلف بن عمран، وكان شيخهم لعهد السلطان أبي عنان  
طلحة بن مظفر وابنه الزبير. وهذا العهد محمد بن الزبير وأخوه  
موسى، ويراد بهم في رئاستهم أولاد عمارة بن قلان بن خلف،  
فكانت منهم محمد العائد. ومنهم لهذا العهد سليمان بن ناجي بن  
عمارة ينتفع في القفر ويكثر الغزو إلى اعتراض العبر وقصور  
الصحراء.

ورثابة المنبات هذا المعهد محمد بن عبد بن حسين بن يوسف بن فرج بن منها، وكانت أيام السلطان أبي عنان لأنجيه على من قبله وترادفهم في رئاستهم ابن عمهم عبد الله بن الحاج عامر بن أبي البركات بن منها. والنباتات والعمارة اليوم إذا اجتمعوا جميعاً يكثرون أولاد حسين. وكان للنباتات كثيرة لأول دولة بني مرين، وكان خلفهم مع بني عبد الواحد. وكان مقدمه يغمر أسنان بن زيان في افتتاح سجلamasة، وتغلبها من أيدي الموحدين، ثم تقلب بنو مرين عليها وقتلوا من حاربها من مشيختهم مع بني عبد الواحد، ثم أوقعوا بالنباتات من بعد ذلك في مجالاتهم بالغار واستحلّموهم، فنقص عددهم لذلك آخر الأيام، والله مالك الأمور لا رب سواه.

مواطن العثمانية تلي مواطن بي منصور من جانب الغرب  
وبلهم أولاد سالم، وفي حيز مواطنهم درعة، وطم عليها القفر.  
وبلهم أولاد جلال عند متهي عمارة درعة مما يلي المغرب  
والقبلة، وبلهم غرباً إلى البحر الشبانات وهو أولاد علي وأولاد  
بو ثابت وأولاد حسان وراغم من ناحية القبلة والغرب وينزلون  
مواطنهم بالغلب الذي هم عليه.

خلفائهم ابنه أن لا يتزوج فيهم، وكانتوا يغزون على المدينة وتحرج الكاتب من بغداد إليهم وتوقع بهم وهم متبدلون بالقفر، ولما كانت فتنة القرامطة صاروا حلفاء لأبي الطاهر وبنيه أمراء البحرين من القرامطة مع بني عقيل بن كعب.

ثم لما انقرض أمر القرامطة غالب بنو سليم على البحرين بدعة الشيعة لما أن القرامطة كانوا على دعوتهم. ثم غالب بنو الأصفهري بن تغلب على البحرين بدعاوة العباسية أيام بني بويه، وطردوا عنها بني سليم فلحقوا بصعيد مصر. وأجازهم المستنصر على يد اليازوري وزيره إلى إفريقية لحرب المعز بن باديس عند خلافته عليهم كما ذكرنا ذلك أولاً، فأجازوا مع المسلمين وأقاموا ببرقة وجهات طرابلس زماناً ثم صاروا إلى إفريقية كما يذكر في الخبر عنهم.

ويافريقية وما إليها من هذا العهد من بطونهم أربعة بطون: زغرب وذياب وهيب وعوف، فاما زغرب فقال ابن الكلبي في نسبة: زغرب بن نصر بن خفاف بن امرء القيس بن بهشة بن سليم. وقال أبو محمد التجاني من مشيخة التونسيين في رحلته: انه زغرب بن ناصر بن خفاف بن جرير بن ملاك بن خفاف، وزعم انه أبو ذياب، وزغرب الأصفهري الذين هم الآن من أحياء بني سليم يافريقية. وقال أبو الحسن بن سعيد: هو زغرب بن مالك بن بهشة بن سليم، كانوا بين الحرميين وهم الآن يافريقية مع إخوانهم، ونسب ذياب بن مالك بن بهشة فالله أعلم بالصحيح من ذلك.

ونسب ابن سعيد والتتجاني لهؤلاء قريب بعضه من بعض ولعله واحد، وسقط ابن سعيد جد وأما هبيب فهو ابن بهشة بن سليم وموطنهم من أول أرض برقة ما يلي إفريقية إلى العقبة الصغيرة من جهة الإسكندرية، أقاموا هنالك بعد دخول إخوانهم إلى إفريقية. وأول ما يلي الغرب منهم بنو حميد لهم أجراية وجهائهم، وهو عديد يرهبهم الحاج ويرجعون إلى شماخ وقبائل شماخ لها عدد وعلم العز في هيسب لكنها حازت خصب برقه الذي منه المرج. وفي شرقهم إلى العقبة الكبيرة من قبائل هبيب بن لييد، وهو بطون عديدة، وبين شماخ ولبيد فتن وحروب. وفي شرقهم إلى العقبة الصغيرة شمال ومحارب والراسة في هاتين القبيلتين لبني عزاز وهو المعروفون بالعز، وجميع بطون هبيب هذه استولت على إقليم طريل خربوا مدنها، ولم يبق فيه مملكة ولا ولاية إلا لأشياخهم، وفي خدمتهم برب ويهود يحترفون بالفالحة والتجار، ومعهم من وراحة وفرازة أمم، واشتهر لهذا العهد ببرقة من شيوخ أعرابها أبو ذؤوب. ولا أدرى نسبة فيمن هو وهو بعيد وهم يقولون من العزة، وقوم يقولون من بني أحد، وقوم يعلمونه

بني حسان، ورغبه في ملك هذه القصور فاغزواها من تخوم وطنه بدرعة ودخل القرى عنوة، وفر علي بن الحسن وأمه إلى جبال تكية عند صنهاجة ثم رجع، ثم غلب السلطان أبو الحسن واستولى على المغرب كله، ورغبه العرب في مثلها من قصور السوس، فبعث معهم عساكرة، وقاداته حسون بن إبراهيم بن عيسى من بني يربيان فملكها، وجبي بلاد السوس وأنقطع فيه للحرب، وسادهم في الجباية فاستقامت حاله مدة.

ثم انقض أمر السلطان أبي الحسن فانقض ذلك، ورجع السوس إلى حاله وهو اليوم ضاح من ظل الدولة، والعرب يقتسمون جياباته ورعاياه من قبائل المصامدة وصنهاجة قبائل الجباية. والظواعن منهم يقتسمونهم خولاً للعسكرة مثل كزولة مع بني حسان وزكرز ولخ من لطة مع الشبات، هذه حالفه لهذا العهد. ورئاسة ذوي حسان في أولاد أبي الخليل بن عمر بن عفير بن حسن بن موسى بن حامد بن سعيد بن حسان بن مختار لمختلف بن أبي يكر بن سليمان بن الحسن بن زيان بن الخليل وألآخراته. ولا أدرى رئاسة الشبات لمن هي منهم، إلا أنهم حرب لبني حسان آخر الأيام والرقيطات في غالب أحوالهم أحلاف للشبات، وهم أقرب إلى بلاد المصامدة وجبال درن وذوي حسان أبعد في القفر، والله تعالى يخلق ما يشاء لا إله إلا هو.

## الخبر عن بنى سليم بن منصور من هذه الطبقة الرابعة وتعديل بطونهم وذكر أنسابهم وأولية أمرهم وتصاريف أحوالهم

ونبداً أولاً بذكر بني كعب وأنجارهم، وأما بني سليم هؤلاء فبطون متسع من أوسع بطون مصر وأكثرهم جواعاً، وكانت منازلهم بنجد. وهو بنو سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس، وفيم شعوب كبيرة ورئاستهم في الجاهلية لبني الشريد بن رياح بن ثعلبة بن عطية بن خفاف بن امرء القيس بن بهشة بن سليم، وعمرو بن الشريد عظيم مصر، وأبناؤه: صخر وعاوية، فصخر أبو الخسأ وزوجها العباس بن مرداش صحابي حضرت محبه القداسية.

ومن بطون سليم: عطية ورجل وذكور الذين دعا عليهم رسول الله ﷺ لما فتكوا بأصحابه فحمد ذكرهم. وكان بنو سليم لعهد الخليفة العباسية شوكة بغي وفتنة، حتى لقد أوصى بعض

من فزارة لأن فزارة هنالك قليل عددهم والغلب هبيب، فكيف تكون الرئاسة لغيرهم؟

بعد أن كانت لهم استطالة على جميع بلاد إفريقيا.  
وكانت آلة إقطاعاً لحمد بن مسعود بن سلطان أيام الشیخ

أبي محمد بن أبي حفص، فاقبل إليه مرداس في بعض السنين عيرهم للكليل وزلوا به، فرأوا نعمة الدواودة في تلوثم تلك، فشرعوا إليها وأجعوا طلبها فحاربوا هم فغلبوا، وقتلوا رزق بن سلطان، واتصلت الفتنة، فلما حضرهم الأمير أبو زكريا صادف عندهم القبول لترحيفه فاعصوصبوا جيئاً على فتنة الدواودة وتذهبوا لها.

وتكررت بينهم وبين رياح المروب والواقع حتى أزاحوهم عن إفريقيا إلى مواطنهم لهذا العهد بتلول قسطنطينية وبجابة إلى الزاب وما إليه. ثم وضعوا أوزار الحرب وأوطن كل حيث قسمت له قومه. وملك بنو عوف سائر ضواحي إفريقيا وتغلبوا عليه، واصطنهم السلطان وأثبتهم في ديوان العطاء، ولم يقطع شيئاً من البلاد، واحتضن بالولاية منهم أولاد جامع وقومه فكانوا له خالصة، وتم تدبيره في غلب الدواودة ورياح في ضواحي إفريقيا وإزعاجهم عنها إلى ضواحي الزاب وبجابة وقسطنطينية، وطال بالدولة واختلف حالم في الاستقامة معها والثرة، وضرب السلطان بينهم ابن علاق فشأت الفتنة وسخط عنان بن جابر شيخ مرداس من أولاد جامع مكانه من الدولة، فذهب مغاضباً عنها. وأقام بناجعته من مرداس ومن إليهم بنواحي المغرب في بلاد رياح من زاغر إلى ما يقاربه، وخطابه أبو عبد الله بن أبي الحسن خالصة السلطان أبي زكريا صاحب إفريقيا يومئذ يؤبه على فعلته في مراجعة السلطان بقصيدة منها قوله، وهي طوبية:

قدوا المهام بالمهيبة القسود واطروا فلأه تصويب وتصعيد  
ومنها قوله:

سلوا دمة بين الغضا والسواجر هل استن فيها واكتاف الماطير

فأجاب عن هذه عنان بقوله:

خليلي عوجاً بين سلع وحاجر بهوج عناجيج نواج ضامر

يقيم عروة في التزوع عنهم ويستعطف السلطان بعض الشيء كما ذكره في أخبار الدولة الخصبة. ثم لحق براكس بالخلفية السعيد من بي عبد المؤمن محراضاً له على إفريقيا وآل أبي حفص، وهلك في سبيله وقبر بسلا. ولم يزل حال مرداس بين الثرة والأصحاب إلى أن هلك الأمير أبو زكريا واستفحمل ملك ابنه المستنصر من بعده، وعلا الكعبوب بنمة قوية من السلطان. وكان شيخهم لهده عبد الله بن شيخة، فسعى عند السلطان في مرداس، وكان ابن جامع مبلغًا سعاته واعصوصب على سائر

وأما عوف فهو ابن بهشة بن سليم ومواطنه من وادي قابس إلى أرض بونة، وهم جذمان عظيمان: مرداس وعلاق، ولعلق بطنان: بنو يحيى وحصن، وفي أشعار هؤلاء المتأخرین منهم مثل حمزة بن عمر شيخ الكعبوب وغيره، أن يحيى وعلاقاً أخوان، ولبني يحيى ثلاثة بطون: حمير ودللاح ورباح، ولهم بطنان: ترجم وكدرم، ومن ترجم: الكعوب بنو كعب بن أحمد بن ترجم، ولحصن بطنان: بنو علي وحكيم. وحنن ناتي على الحكاية عن جميعهم بطناً بطناً. وكانوا عند إجازتهم على أمر الملاليين مقيمين ببرقة كما ذكرناه. وهنالك نزل عليهم القاضي أبو بكر بن العربي وأبوه جين غرق تسفيتهم ونجوا إلى الساحل، فوجدوا هنالك بني كعب فنزل عليهم فاكرهم شيخهم كما ذكر في رحلته. وله كانت فتنة ابن غانية وفراقش الغزي بجهات طرابلس وقادس وضواحيها كما ذكر في أجياراتهم، كان بنو سليم هؤلاء فيمن تحمع إليهم من ذؤبان العرب وأوشاب القبائل فاعصوصبوا عليهم، وكان لهم معهم حروب، وقتل فراقش ثمانين من الكعبوب وهريراً إلى برقة، واستصرخوا برياح من بطون سليم، وبكل من حمير فصارخوهم إلى أن تجلت غمامه تلك قرافقش وابن غانية من بعده. وكان رسوخ الدولة الخصبة بإفريقيا.

ولما هلك قرافقش واتصلت فتنة ابن غانية مع أبي محمد بن أبي حفص، ورجع بنو سليم إلى أبي محمد صاحب إفريقيا، وكان ابن غانية الدواودة من رياح، وشيخهم مسعود البليط، فر من المغرب ولحق به، فكان معه هو وبنوه، وبنو عوف هؤلاء من سليم مع الشیخ أبي محمد، فلما استبد ابنه الأمير أبو زكريا بملك إفريقيا رجعوا جيئاً إليه والشفوف للدواودة، فلما انقطع دابر ابن غانية صرف عزمه إلى إخراج رياح من إفريقيا لما كانوا عليه من العيش بها والفساد، ف جاء بمرداس وعلاق وهما بنو عوف بن سليم هؤلاء من مواطنهم بنواحي السواحل وقباس واصطنهم.

ورئاسة مرداس يومئذ في أولاد جامع، وبعده لابنه يوسف، وبعده لعنان بن جابر بن جامع، ورئاسة علاق في الكعبوب لأولاد شيخة بن يعقوب بن كعب. وكانت رئاسة علاق عند دخولهم إفريقيا لمهد المز وبنيه لرافع بن حماد، وعنه راية جده التي حضر بها مع النبي ﷺ وهو جد بني كعب فيما يزعمون.

فاستظهر بهم السلطان على شأنه، وأنزلهم ساح القيروان، وأجزل لهم الصلات والموائد وزاحمو الدواودة من رياح منكـل

من حضون إفريقيّة.

وكان لأبي الليل بن أحمد في نجاته ثم في القيام بأمره أثره  
وعق منه أحسن الواقع فاضطنه به وشيد من رئاسته على قومه  
عندما أadal الله به من الداعي، فاضططم أبو الليل هذا بأمرهم.

وازاحم أولاد شيخة مبنك قوي وخلف آخرهم عبد الرحمن بن شيخة بجباية عندما اقطعها الأمير أبو زكريا ابن السلطان أبي إسحاق عن ملك عمته السلطان أبي حفص، فوفد عليه مستجيحاً به ومرغباً له في ملك تونس، يرجو بذلك كثرة رئاسته فهلك دون مرامه، وقرر بجباية وانقرضت رئاسة أولاد شيخة مبهلاكه واستبد أبو الليل بالرئاسة في الكعوب، ووقع بينه وبين السلطان أبي حفص وحشة، فقدم على الكعوب مكانه محمد بن عبد الرحمن بن شيخة، وزاحمه به أياماً حتى استقام على الطاعة.

ولما هلك قام بأمرهم ابنه أحد، واتصل أمر رئاسته ونكبته  
السلطان أبو عصيدة فهلك في سجنه، وولي بعده آخره عمر بن  
أبي الليل وزاحمه هراج بن أبيه بن عبد الله كعب إلى أن هلك  
هراج كما نذكره. ولما هلك عمر قام بأمره في قومه آخره محمد بن  
أبي الليل، وكفل مولاهم ومحزنة ابن أخيه عمر. وكان عمر مضطغاً  
عاجزاً فتبايعه أولاد مهليل ابن عمده قاسم وهم: محمد ومسكيناته  
ومرغم طالب وعون في آخرين لم يحضرني اسماؤهم، فترسحوا  
للاستبداد على قومهم وبمذابة محمد ابن عمهم أبي الليل حيل  
الرئاسة فيهم. ولم يزلوا على ذلك سائر أيامهم.

ولما ظهر هراج بن عبيد بن أحمد بن كعب وعزم ضياعته  
وعنته وإفساد الأعراب من أحياه السابلة، وسأله أثره في ذلك،  
وأسف السلطان بالاعتراض عليه والاشتراك في ماله. وتغلبت له  
صدر الغراغة والعامنة، فوفد على تونس عام خمسة وسبعين  
ودخل المسجد يوم الجمعة لابساً خفيه، ونكر الناس عليه وطاه  
بين الله يخف لم يتزرعه. وربما قال له في ذلك بعض المصلين إلى  
جنبه، فقال: إني أدخل بها بساط السلطان فكيف الجامع؟  
فاستعظم الناس كلمته وثاروا به لحيته فقتلوه في المسجد وأرضوا  
الدولة بقتلهم. وكان أمره مذكوراً.

وقتل السلطان بعد ذلك أخاه كيسان وابن عمه شبل بن منديل بن أحمد. وقام بأمر الكعوب من بعد محمد بن أبي الليل وهو راج بن عبيد مولاهم وحجزه أبناء عمر، واستبدل برئاسة البدو من سليم يارفريقة على مراحة من بني عمهم مهلهل بن قاسم وأقفالهم وفحول شوفهم. وانتقض أحد بن أبي الليل وابن أخيه مولاهم ابن عمر على السلطان سنة سبع وبسبعيناته، واستدعي عثمان بن

علاق، فخاربوا المرادسيين هؤلاء وغلوهم على الأوطان والحفظ من السلطان، وأخرجوهم عن إفريقيا وصاروا إلى القفر، وهو اليوم به من جهة بادية الأعراب أهل الفلاة يتذعون إلى الرمل ويختارون من أطراف التلول تحت أحكمام سليم أو رياح ويختصمون بالتلغلب على ضواحي قسطنطينية أيام مرابع الكعبوب ومصاففهم بالتلول. فإذا أخذروا إلى مشاتيهم بالقفر أجهنلت أجساد مرادس إلى القفر البعيد، وبخالطونهم على حلف، وطم على توزر ونقطة وببلاد قسطنطيلية أشواه يؤدونها إليهم بما هي مواطنهم و المجالتهم وتصرفهم، ولأنها في الكثير من أغراضهم.

وصاروا لهذا العهد إلى عملك القفار بها، فاصطفوا منه كثيراً وأصبح منه عمران قسطنطينية هم مرتاباً واستقام أمر بي كعب من علاق وفي رئاسة عوف وسائر بطرتهم من مردارس وحصين ورياح ولداج، ومن بطرتهم رياح حبيب وعلا شأنهم عند الدولة. واعتزوا على سائر بي سليم بن منصور، واستقرت رئاستهم في ولد يعقوب بن كعب، وهم بنو شيخة وبنو طاهر وبنو علي. وكان التقدم لبني شيخة بن يعقوب، لعبد الله أولاً ثم لإبراهيم أخيه، ثم لعبد الرحمن ثالثهما على ما يأتى. وكان بنو علي يرافقونهم في الرئاسة، وكان منهم بنو كثير بن بزيyd بن علي. وكان كعب هذا يعرف بينهم بال الحاج لما كان فضى فرضه، وكانت له صاحبة مع أبي سعيد العود الربط شيخة الموجدين لعهد السلطان المستنصر أفادته جاماً وثروة، وأقطع له السلطان أربعاً من القرى أصارها لوالده. كان منها بناية صفاقس وبإفريقية وبناية الحرس. وكان له من الولد سبعة، أربعة لأم وهم: أحمد ومامي وعلى ومحمد، وثلاثة لأم وهم: بريد وبركات وعبد الغنى. فنانع أسد أولاد شيخة في رئاستهم على الكعوب، واتصل بالسلطان أبي إسحاق وأحفظ لهم ذلك فلتحقوا بالدعى عند ظهوره، وكان من شأنه ما قدمنا.

وهلك أحد واستقرت الرئاسة في ولده، وكان له من الولد  
جماعة، فمن غزية إحدى نساءبني يزيد من صنهاجة: قاسم ومرا  
أبوالليل وأبوالفضل، ومن الحكمية: فائد وعبيد ومنديل وعبد  
الكريم، ومن السرية: كلبي وعساكر وعبد الملك وعبد العزيز،  
ولما هلك أحد قام بأمرهم بعده ابنه أبو الفضل. ثم من بعده أخوه  
أبوالليل بن أحد، وعلت رئاسةبني أحد هؤلاء على قومهم،  
وتاللوا ولدإخوتهم جميعاً. وعرفوا ما بين أحيانهم بالأعشاش إلى  
هذا العهد. ولما كان شأن الداعي بن أبي عمارة، وليس بأنه الفضل  
بن يحيى المخلوع وأوقع بالسلطان أبي إسحاق وقتله وأكثر بنيه  
كما نذكره في موضعه، لحق أبو حفص أخيه الأصغر بقلعة سنان

السلطان أبو بحبي شفاعته وعفا له عن جرائمه وأحله محل الأصفاء والخلوص. فشعر عن نصحه واجتهاده وظاهر قائد محمد بن الحكيم على تدوين إفريقية، وظهر البدو من الأعراب فاستقام أمر الدولة وتوفى مهادها. وهلك حزنة ستة أربعين وسبعيناً بيد أبي عون نصر بن أبي علي عبد السلام من ولد كثيرون بن زيد المتقدم الذكر في بي علي من بطون بنى كعب، طعنه في بعض الحروب فأشواه، وكان فهلاً مهلاً.

وقام بأمرهم من بعده ابنه عمر بظاهرة شقيقة قيبة. ولكن أبا الليل تغلب على سائر الإخوة والقرابة، واستبد برئاسة بنى كعب وسائر بنى يحيى، وأقتلته بنو مهلهل ينافقونه ويرثبون الإدارة منه. وكان مساهمه في أمره معن بن مطاعن من فزاره وزير وسبعيناً أليه، وخرجوا على السلطان بعد مهلك حزنة أليهم واتهموا أن قتل أبي عون أيامه إنما كان بعمالة الدولة فنازلوا تونس، وجعلوا لمحاصرتها أولاد مهلهل أشخاصاً، ثم اختلفوا ورحلوا عن البلد وإنحدر طالب بن مهلهل وقومه إلى السلطان، ونهض في أثرهم فأوقع بهم في القيروان، ووفدت مشيختهم على ابنه الأمير أبي العباس بقصره يداخلونه في الخروج على ابنه، وكان فيهم معن بن مطاعن وزيرهم فتقبض عليهم وتنهيه وافتلت الباقون.

وراجعوا الطاعة وأعطوا الرهن.

ولما هلك السلطان أبو بحبي وقام بالأمر ابنه عمر، اخترعوا عنه وظاهروا أخاه أبا العباس صاحب الجريدة وولي العهد، وزحفوا معه بظواهريهم إلى تونس فدخلوها، وقتلوا أخوه عمر كما ذكره في موضعه، وقتل معه أخاهم أبا المولى بن حزنة فاسعفهم بذلك.

ووند خالد على صاحب المغرب السلطان أبي الحسن فيمن وند عليه من وجوه الدولة وكافة المشيخة من إفريقية، وجاء في جملته حتى إذا استول على البلاد قبض أليهم عمما كانت تمت إلى من إفساد السابلة وأخذ الأنواة، وانتزع الأمصار التي كانت مقطعة باليهم والحقهم بامتثالهم من أعراب بلاد المغرب الأقصى من العقل وزبغة، فقتلوا وطأته عليهم وتنكروا له وساء ظنه بهم، وفتشت غارات المفسدين من بدارائهم بالأطراف فنسب ذلك إليهم، ووند عليه بتونس من رجالاتهم خالد بن حزنة وأخوه أحد وخليفة بن عبد الله بن مسكين وخليفة بن أبي زيد من شيوخ حليم، فسعي بهم عنده أنهم داخلوا بعض الأعياص من أولاد اللحاني من بنى أبي حفص كما في رحلته، وكما ذكره في موضعه، فتقبض عليهم وببلغ خبرهم إلى الحبي فتاشروا بقسطلية والجريد فظفروا بزنابي من بقية آل عبد المؤمن من عقب أبي العباس إدريس الملقب بأبي إدريس آخر خلفائهم براكس وقتل

أبي دبوس من مكانه بوطن دباب، فجاءهما وأجلباه على تونس. ونزل كدية الصعر بظاهرها. ويرز إليهم الوزير أبو عبد الله بن يزريken فهزمه، واستخدم أحد بن أبي الليل.

ثم تقضى عليه واعتقل بتونس إلى أن هلك. ووفد بعد ذلك مولاهم ابن عمر سنة ثمان فاعتقل معه، ولحق أخوه حزنة بالامير أبي البقاء خالد ابن الأمير زكريا صاحب الشفر الغربي من إفريقية بين يدي مهلك السلطان أبي عصيدة، ومعه أبو علي بن كثير ويعقوب بن الفرس وشيخ بن سليم هؤلاء. ورغبوا الأمير أبا البقاء في ملك الحضرة. وجاوزوا في صحبتة، وأطلق أخاه مولاهم من الاعتقال منذ دخول السلطان تونس سنة عشر وسبعيناً كما نذكره في خبره.

ثم لحق حزنة بالسلطان أبي يحيى زكريا بن اللعياني واتصلت به يده فرفعه على سائر العرب حتى لقد نفس ذلك عليه أخوه مولاهم. ونزع إلى السلطان أبي يحيى الطويل أمير الخلافة، ولقي سعياً بيجاية وثلاثين بعد استيلاته على الحضرة وسائر بلاد إفريقية، فاستخلصه السلطان لدولته ونابذه حزنة فأجلب عليه بالقرابة واحداً بعد واحد كما ذكره، وداخل أخوه مولاهم في مناصحة السلطان وملا حزنة على شأنه.

ور بما ثني عنه الغدر فتقبض عليه السلطان وعلى ابنه منصور وعلى ربيه زغدان ومغران بن محمد بن أبي الليل. وكان الساعي بهم إلى السلطان ابن عمهم عون بن عبد الله بن أحد، وأحد بن عبد الواحد أبو عبيد، وأبو هلال بن محمود بن فائد، وناجي بن أبي علي بن كثير، ومحمد بن مسكين وأبو زيد بن عمر بن يعقوب، ومن هوارة فيصل بن زعزع فقتلوا عليهم سنة اثنين وعشرين وبعث أشلاؤهم إلى حزنة فائشة حنقة، ولحق صريحاً بأبي تاشفين صاحب تلمسان لهده من آل يغماسن، ومعه محمد ابن السلطان اللحاني المعروف بأبي ضربة قد نصبه للملك.

وأندهم أبو تاشفين بعساكرة زناتة، وزحفوا إلى إفريقية فخرج إليهم السلطان وهزمهم برغيش. ولم يزل حزنة من بعدها مجلباً على السلطان أبي يحيى بالرشين من أعياص البيت الحفصي، وأبو تاشفين صاحب تلمسان يدهم بعساكرة. وتكررت بينهم الواقع والأيام سجالاً كما ذكره في مواضعه.

حتى إذا استول السلطان أبو الحسن وقومه من بنى مرين على تلمسان والغرب الأوسط سنة سبع وثلاثين وسبعيناً، واستبعوا بنى عبد الواحد وسائر زناتة أنصبي حزنة عن فتبته وانقطع حبلها في يده، ولحق بالسلطان أبي الحسن مستشفعاً به، فتقبل

وكان عشيرته قد ملأوا منه حسداً ومنافسة بسوء ملكته عليهم، فغدا عليه محمد ابن أخيه أبي الليل وطعنه فاشواه، وهلك ليومه سنة خمس وسبعين، وافتقر جمعهم.

وقام بأمرهم من بعده صولة ابن أخيه خالد بن حزرة، ويرادفه أولاد مولاهم بن عمر، فجهد بعض الشيء في خدمة السلطان ومناصحته. ثم رجع إلى العصيان وكشف القناع في الخلاف، واتصل حاله على ذلك ثلاثة، وأدال السلطان منه ومن قومه باتائهم أولاد مهلهل، ورئاستهم محمد بن طالب، فرجح إليهم رئاسة البدو، وجعل لهم المتع والإعطاء فيما يهم ورفع رتبهم على العرب، وتحيز إليهم مع أولاد مولاهم بن عمر بن أبي الليل، ونقلت أولاد حزرة سائر هذه الأيام في الخلافة، ونهض السلطان ستة ثمانين إلى بلاد الجريد لتقديم رؤسائها عن المراوغة، وحملهم على جادة الطاعة، فعرضوا للداعع عنها بإيماء هؤلاء الرؤساء ومشارتهم لهم على ذلك، وبعد أن جمعوا له الجموع من ذويان العرب الأعراب وذباب البدو، فتلهم عليهم جيئاً، وأذاجهم عن ضواحيها، وظفر بفرائسه من أولئك الرؤساء، وأصبهوا بين معقل ومشهد، واستولى على قصورهم وذخائرهم، وأبعد أولاد حزرة وأحلافهم من حكيم المفر، وجاؤوا تقوياً بلادهم من جهة المغرب، واعتزلت عليهم الدولة اعتزاراً لا كفاء له، فنامت الرعایا في ظل الأمان وانطلقت منهم أيدي الاعتمار والعاش وصلحت السابلة بعد الفساد، وافتتحت أبواب الرحمة على العباد.

وقد كان اعتزار هؤلاء العرب على السلطان والدولة لا ينتهي إليه اعتزار، ولم عنجهية وإباهة وخلق في التكبر والزهر غريبة لما أنهم لم يعرفوا عهداً للذل، ولا يسامون باعطاء الصدقات لهذا العهد الأول. وأما في دولةبني فللعصبية التي كانت للعرب بعضها مع بعض، يشهد بذلك أخبار الردة والخلافاء معهم ومع أنفسهم، مع أن الصدقية كانت لذلك العهد تحرّى الحق بجانب الاعتزار والغلظة، فليس في إعطائهمها كثير غلط ولا مذلة. وأما أيام بنى العباس حين استفحال الملك وحدوث الغلظة على أهل العصابة فلا يعادهم بالقفر من بلاد نجد وتهامة وما وراءهما.

وأما أيام العبيدين فكانت الحاجة تدعى الدولة إلى استعمالهم للفترة التي كانت بينهم وبين بنى العباس. وأما حين خرجوا بعد ذلك إلى قضاء برقة وإفريقية فكانوا ضاحين من ظل الملك. ولا اصطعلهم بنو أبي حفص كانوا معهم بمكان من الذل وسوم الخسف حتى كنت واقعهم بالسلطان أبي الحسن وقومه من زنانة بالقironان، فنهجوا سبيل الاعتزار كغيرهم من العرب

يعقوب بن عبد الحق عند غلبه على الموحدين براكون واستيلاؤه على المغرب، وهو أحمد بن عثمان بن إدريس، فنصبوه وبايعوه واجتمعوا عليه.

وتآشت مهمهم بنو عمهم مهلهل أقفالهم وكان طالب هلك، وقام مكانه فيهم ابنه محمد فصرخهم بقرمه واتفقوا جميعاً على حرب زنانة. ونهض إليهم السلطان أبو الحسن من تونس فاتح تسعة واربعين فأجلعوا أمامه حتى نزل القironان، ثم ناجزووه فقضوا جوعه وملأوا حقائبهم بأسلابهم وأسلابهم، وخضدوا من شوكة السلطان، وألأوا من حدّ الملك، وخفضوا من أمر زنانة، وغلبهم الأئمّة وكان يوم له ما بعده في اعتزار العرب على الدول آخر الأيام. وهلك أبو الليل بن حزرة فعجز عمر عن مقاومة إخترته، واستبدل بالرئاسة عليه آخره خالد، ثم من بعده آخرهما منصور، واعتزل على السلطان أبي إسحاق ابن السلطان أبي يحيى صاحب تونس لعهده اعتزاراً لا كفأ له.

وانسيطت أيدي العرب على الصاجية وأقطعتهم الدولة حتى الأنصار وألقاب الجباية وختص الملك، وانتفضت الأرض من أطرافها ووسطها، وما زالوا يغالبون الدولة حتى غلبوا على الصاجية، وقاسموه في جياب الأنصار بالأقطاع رفياً وصحراء وتلولاً وجريداً، ومحرضون بين أعيان الدولة و يجعلون بهم على الحضرة لما يعطونه طعمة من الدولة. ويرميهم السلطان باتائهم أولاد مهلهل بن قاسم بن أحد يديل به منهم حتى أحفظوها. ويجريش بينهم بقضاء أوطارها حتى إذا أراد الله إنقاد الأمة من هوة الخسق وتخليصهم من مكاره الجزع والخوف، وإذالهم من ظلمات المرت بتور الاستقامة، بعث همة السلطان أمير المؤمنين أبي العباس أحد أئدّه الله لطلب إرثه من الخلافة. فبعث من بالحضره فانبعث لها من مكان إمارته بالشغر العربي، ونزل إليه أمير البدو ومنصور بن حزرة هذا، وذلك ستة إحدى وسبعين وسبعيناً على حين مهلك السلطان أبي إسحاق مقعد كرسى الحضرة وصاحب عصا الخلافة والجماعة.

وقام ابنه خالد بالأمر من بعده فنهض إلى إفريقية ودخل تونس عنوة، واستولى على الحضرة ستة اثنين وسبعين بعدها، وأرتفع حده للعرب في الاعتزار عليهم وقبض أيديهم عن المفاسد وذويهم، فحدثت لمنصور نفقة عن الدولة، ونصب الأمير أبو يحيى ذكريابن السلطان ابن أبي يحيى جدهم الأكبر، كان في أحياه العرب منذ ستين كما نذكر ذلك كله في أخبار الدولة، وأجلب به على تونس ستة ثلاثة وسبعين، فامتعمت عليهم ولم يظفروا بشيء وراجع منصور حاله عند السلطان، وكشف عن وجه المناصحة.

على الدول بالغرب، فتحامل المعلم وزبغة على ملوك زناتة، واستطالوا في طلابهم بعد أن كانوا مكبّحين بمحكمة التغلب على الطاول إلى مثلها. والله مالك الأمور.

**آل حصن سنة ست وسبعينه.**

ولم يزل بنو أبي الليل على الطلب بثار قاسم بن مرا إلى أن ظهر فيهم حزة ومولاهم ابنا عمر بن أبي الليل، وصارت إليهم الرئاسة على أحياهم. واتفق بعض الأيام اجتماع أولاد مهلل بن قاسم في سيدي حزرة، ومولاهم في مشائيم بالقرف، فاجتمع أغتصبهم وقتهم عن آخرهم بثار ابن عمهم قاسم بن مرا، ولم يفلت منهم إلا طالب بن مهلل لم يحضر معهم، وعظمت الفتنة من يومئذ بين هذين الحينين وانقسمت عليهم أحياه بني سليم وصاروا يتعاقبون في الخلاف والطاعة على الدولة، وهو على ذلك لهذا العهد، والرئاسة في بي مهلل اليوم محمد بن طالب بن مهلل وأخيه يحيى، والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

### بنو حصن بن علاق

بنو حصن هؤلاء من بطون علاق وحصن آخر يحيى بن علاق كما مر، فهم بطنان أيضاً: بنو علي وحكيم. وقد يقال: إن حكيمًا ليس لحسن، وإنما رأي في حجره فانتسى إليه. وأما حكيم فلهم بطون منهم: بنو ظريف بن حكيم وهم أولاد جابر، والشراuba ونمير وجوين لقدام بن ظريف وزياد بن ظريف. ومنهم: بنو وائل بن حكيم ومنهم بنو طرود بن حكيم. وقد يقال إن طروداً ليس لسليم، وأنهم من منيس إحدى بطون هلال بن عامر، ويقال: إن منهم زيد العجاج بن فاضل المذكور في رجالات هلال، وال الصحيح في طرود أنهم من بي فهم بن عمر بن قيس بن عبلان ابن عذوان وفي تعدادهم، وكانت طرود أخلاف الدلاج، ثم قاطعواهم وحالفوا آل ملاعب.

ومن بطون حكيم آل حسين ونواو مقعد والجميعات، ولا أدرى كيف يتصل نسبهم. ومنهم بنو نمير بن حكيم، ولنمير بطنان: ملاعب وأحمد، فمن أحمد بنو محمد والبطين، ومن ملاعب بنو هيكل بن ملاعب. وهو أولاد زمام والفربيات وأولاد ميساس وأولاد فائد. ومن أولاد فائد: الصرح والمدافعة. وأولاد يعقوب بن عبد الله بن كثير بن حرقوص بن فائد، وإليهم رئاسة حكيم وسائر بطونهم ومواطن حكيم هؤلاء لهذا العهد ما بين سوسة والأجم، والتاجة منهم أخلاف لبني كعب، تارة لأولاد أبي الليل وتارة لأقتالهم أولاد مهلل، ورئاستهم في بي يعقوب بن عبد السلام بن يعقوب شيخاً عليهم، وانتقض أيام اللعباني.

ووند على السلطان أبي يحيى بالشغر الغربي من إفريقية في بجاية وقسطنطينة وجاء في جملته، فلما ملك الملك تونس، عقد له

### الخبر عن قاسم بن مرا من الكعوب القائم بالسنة في سليم وما أمره وتصاريف أحواله

كان هذا الرجل من الكعوب من أولاد أحمد بن كعب منهم، وهو قاسم بن مرا بن أحد. نشأ بينهم ناسكاً متاحلاً للعبادة. ولقي بالقيروان شيخ الصلاحاء بضرره أبا يوسف الدهماني وأخذ عنه ولزمه، ثم خرج إلى قومه مفترياً طريقة شيخه في التزام الورع والأخذ بالسنة ما استطاع، ورأى ما العرب عليه من إفساد السابلة والخروج عن الجادة، فأخذ نفسه بتغيير المنكر فهم وإقامة السنة لهم، ودعا إلى ذلك عشيره من أولاد أحد، وأن يقاتلوا معه على ذلك. فأشار عليه أولاد أبي الليل منهم وكأنروا عيشه له تنصح له أن ينكف عن طلب ذلك من قومه، خافة أن يلحو في عداوته فيفسد أمره. ودفعوه إلى مطالبة غيرهم من سليم وسائر الناس بذلك، وأنهم منعة له من يرومهم خاصة، فجمع إليه أرباشاً من الباية تبعه على شأنه والتزموا طريقته والمرابطة معه، وكأنوا يسمون بالجلابة.

وبدأ بالدعاء إلى إصلاح السابلة بالقيروان وما إليها من بلاد الساحل، وتبين المحاربين يقتل من يعثر عليه منهم بالطرق، وغزو المشاهير منهم في بيوتهم، واستباحة أمواهم ودمائهم حتى شردتهم كل شرد. وعلت بذلك كلمته على آل حصن وصلحت السابلة بأفريقيا ما بين تونس والقيروان وببلاد الجريد وطار له ذكر نفسه عليه قومه، وأجمع عداوته واغتياره بنو مهلل قاسم بن أحد، وتتصحروا بعض ذلك للسلطان بتونس الأمير أبي حفص وأن دعوة هذا الرجل قادحة في أمر الجماعة والدولة، فاغضى لهم عن ذلك، وتركتهم وشأنهم، فخرجوا من عنده مجتمعين على قتلته.

ودعوه في بعض أيامهم إلى المعاشرة معه على عادة العرب، ووقفوا معه بساحة حيهم، ثم خلصوا معه نحياناً، وطعنه من خلفه محمد بن مهلل الملقب بأبي عذتين فخر صريعاً لليدين والقسم، وامتنع له أولاد أبي الليل وطلبروا بدمه فافتقرت أحياه بني كعب من يومئذ بعد أن كانت جياعاً. وقام بأمره من بعده ابنه رافع على مثل طريقته إلى أن هلك في طلب الأمر على يد بعض رجالات

والجمعيات والخمر والمسابحة آل حسين وحجرى، وقد يقال: إن حجري ليسوا سليم وأنهم من بطنون كندة صاروا معهم بالحلف، فاتسحوا بنسبيهم ورئاسته بي على في أولاد صورة، وشيشهم لهذا العهد أبو الليل بن أحد بن سالم بن عقبة بن شبل بن صورة بن مرمي بن حسن بن عوف. ويرادفهم المراعية من أهل نسبهم أولاد مرمي بن حسن بن عوف، ومواطتهم ما بين الأجم والمباركة من نواحي قابس، وناجتهم أحلاف الكهوب إما لأولاد أبي الليل أو لأولاد مهلهل، وغالب أخواهم أولاد مهلهل، والله مقدر الأمور لا رب سواه.

### ذباب بن سليم

قد ذكرنا الخلاف في نسبهم من أنهم من ذباب بن ربيعة بن زغب الأكبر وأن ربيعة آخر زعب الأصغر. وضبط هذه النقطة لهذا العهد بضم الزاي وقد ضبطها الأجدابي والرشاطي بكسر الراي. كما نقل أبو محمد التجانى في رحلته، ومواطتهم ما بين قابس وطرابلس إلى برقة وهم بطنون فمنهم: أولاد أحد بن ذباب ومواطتهم غربى قابس وطرابلس إلى برقة، عيون رجال مجازرون لحسن، ومن عيون رجال بلاد زغب من بطنون ذباب بنو يزيد مشاركون لأولاد أحد في هذه المواطن، وليس هذا أبداً لهم، ولا اسم رجل، وإنما هو اسم حلفهم اتسروا به إلى مدلول الزيادة. كما قال التجانى وهم بطنون أربعة: الصهب بسكنى الهاء بتو صهب بن جابر بن فائد بن رافع بن ذباب، وإخوتهم الحمادية بنو حداد بن جابر، والخرجة بسكنى الراء بطن من آل سليمان منهم. آخر جهم آل سليمان من مواطتهم بمسلاته فحالفوا هؤلاء وزلوا معهم، والأصابة نسبة إلى رجل ذي إصبع زائدة. ولم يذكر التجانى في أي بطن من ذباب يتسبيون.

ومنهم التراطل بنو نائل بن عامر بن جابر وإخوتهم أولاد سنان بن عامر، وإخوتهم أولاد وشاح بن عامر، وفيهم رئاسته هذا القبيل من ذباب كلهم.

وهم بطنان عظيمان: الحاميد بنو محمود بن طوق بن بقية بن وشاح ومواطتهم ما بين قابس ونقوسة وما إلى ذلك من الضواحي والجبال، ورئاستهم لهذا العهد في بي رحاب بن عمود لأولاد سباع بن يعقوب بن عطية بن رحاب. والبطن الآخر الجواري بنو حميد بن جارية بن وشاح، ومواطتهم طرابلس وما إليها مثل تاجرها وهزاعة وزنزور وما إلى ذلك، ورئاستهم لهذا العهد في بي مرغم بن صابر بن عسکر بن علي بن مرغم. ومن

على قومه ورفعه على أنظاره، وغضّ به بنو كعب فحرّض عليه حزة من الأعشاش محمد بن حامد بن يزيد فقتله في موقف شوراهم، وولي الرئاسة فيهم من بعده ابن عمّه محمد بن مسكين بن عامر بن يعقوب بن القرس وانتهت إليه رئاستهم. وكان يرافقه أو ينافذه جماعة من بي عمه، فتم لهم سجيم بن سليمان بن يعقوب، وحضر واقعة طريف مع السلطان أبي الحسن، وكان له فيها ذكر، ومنهم أبو المول وأبو القاسم إبا يعقوب بن عبد السلام، وكان لأبي المول مناصحة للسلطان أبي الحسن حين أخلف عليه بنو سليم بالقيروان وأدخله مع أولاد مهلهل في الخروج على القبروان، فخرج معهم جميعاً إلى سوسة.

ومنهم بنو يزيد بن عامر بن يعقوب وابنه خليفة. لم ينزل محمد بن مسكين على رئاسته أيام السلطان أبي مجبي كلها وكان خالطاً له، ومتهاكاً في نصيحته والأخيارات إليه. ولما هلك خلفه في رئاسته ابن أخيه خليفة بن عبد الله بن مسكين وهو أحد الأشياخ الذين تقض عليهم السلطان أبو الحسن بتونس بين يدي واقعة القبروان. ثم أطلقه وهو محصور بالقيروان فكان له به اخصوص من بعد ذلك. ولما تغلب العرب على التواحي بعد واقعة القبروان تغلب بنو مسكين هؤلاء على سوسة، فأقطعها السلطان خليفة هذا وبقيت في مملكته.

وذلك خليفة فقام برئاستهم في حكيم ابن عمّه عامر بن محمد بن مسكين. ثم قتلته محمد بن بشير بن حامد من بي كعب قتلته يعقوب بن عبد السلام، ثم قتلته محمد هذا غدراً بجهاد الجريدة سنة خمس وخمسين وسبعيناً. ثم افترق أمرهم واستقرت رئاستهم لهذا المهد بين أحد بن محمد بن عبد الله بن مسكين، وتلقّب أبا معنونة وهو ابن أخي خليفة المذكور، وعبد الله بن محمد بن يعقوب وهو ابن أخي أبي المول المذكور، ولما تغلب السلطان أبو العباس على تونس وملكتها، انتزع سوس من أيديهم، فامتنع أحد لذلك وصار إلى ولاية صولة بن خالد بن حزة من أولاد أبي الليل وسلكوا سبيل الخلاف والفتنة، وأبدعوا في شوارها. وهم لهذا العهد مشردون عن الضواحي والأرياف متراجون إلى القفر.

وأما عبد الله بن محمد ويلقب الراوي فتحجز إلى السلطان، وأكّد حلفه مع أولاد مهلهل على ولائه ومظاهرته، فعظمت رئاسته في قومه وهو على ذلك لهذا المهد. ثم راجع أبو معنونة خدمة السلطان وانقسمت رئاسة حكيم بينهما، وهم على ذلك لهذا العهد. وأما بنو علي إخوة حكيم فلهم بطنون أولاد صورة ويعجمعهما معاً عرف بن محمد بن علي بن حصن. ثم أولاد أخي والبدرانية، وأولاد أم أحد والحضرية أو الرجال، وهو مقعد

الثامنة وأجلبوا به على تونس أيام السلطان أبي عصيدة من الحفصيين وحاصروها أيامًا فلم يظفروا، ورجع إلى نواحي طرابلس وقام بها مدة. ثم ارتحل إلى مصر وأقام بها إلى أن هلك كما يأتي ذكره في خبر ابنه مع السلطان أبي الحسن بالقريوان. ولم يزل هذا شأن الجواري والحاميد إلى أن تقلص ظل الدولة عن أوطان قابس وطرابلس فاستبد برئاسة ضواحيها. واستعبدوا سائر الرعاية المعتمرة في جبالها ويسائطها واستبد أهل الأنصار برئاسة أمصارهم بنو مكي بقبابس وبنو ثابت بطرابلس على ما يذكر في أخبارهم.

وانتقسمت رئاسة أولاد وشاح بانقسام المصريين، فتولى الجواري طرابلس وضواحيها، وزنور وغريان ومفر، وتولى الحاميد بلد قابس وبلاط نفروسة وحرب.

وفي ذباب هؤلاء بطنون أخرى ناجحة في القرف، ومواطنهم متزاحمة إلى جانب الشرق عن مواطن هؤلاء الرشاحين. فعنهما آل سليمان بن هبيب بن رابع بن ذباب، ومواطنهم قبلة مغر وغريان، ورئاستهم في ولد نصر بن زائد بن سليمان، وهي لهذا العهد هائل بن حماد بن نصر، وبنيه، والبطن الآخر آل سالم بن هبيب أخي سليمان. ومواطنهم بلد مسراطة إلى لبدة ومسلاتة. وشعوب آل سالم هؤلاء الأحAMD والعمايـم والعلـونـة وأولاد مـرزوـق، ورئاستهم في ولد مـرزوـق، وهو ابن مـعـلـىـ بنـ مـعـارـانـيـ بنـ قـلـيـةـ بنـ قـاصـيـنـ سـالـمـ وـكـانـ فـيـ أـوـلـ هـذـهـ مـاـثـةـ لـغـلـبـوـنـ بـنـ مـرـزـوـقـ، وـاسـتـقـرـتـ فـيـ بـنـيـهـ، وـهـيـ الـيـوـمـ لـخـمـيدـ بـنـ سـتـانـ بـنـ عـشـانـ بـنـ غـلـبـوـنـ. وـالـعـلـوـنـةـ مـنـهـمـ جـمـاـوـرـوـنـ لـلـعـرـةـ مـنـ عـرـبـ بـرـقـةـ وـالـمـاشـابـةـ مـنـ هـوـارـةـ الـقـيـمـيـنـ.

وتحاذب ذباب هؤلاء في مواطنهم من جهة القبلة ناصرة، وهم من بطنون ناصرة بن خفاف بن أمراء القيس بن بهنة بن سليم، فإن كان زعيم أبو ذباب ملك بن خفاف كما زعم التجاني فهو إخوة ناصرة، ويبعد أن يسمى قوم باسم إخوانهم، وإن كانوا الناصرة كما زعم ابن الكلبي وهو أقرب، فيكون هؤلاء اختصوا باسم ناصرة دون ذباب وغيرهم من بنيه، وهذا كثير من بطنون القبائل والله أعلم. ومواطنهم بلاد فزان وودان. هذه أخبار ذباب هؤلاء.

وأما العزة جيرانهم في الشرق الذين قدمنا ذكرهم فيهم مواطنون من أرض برقة خلاء لاستيلاء الخراب على أمصارها وقرابها من دولة صنهاجة، تمرست بعمرانها باديبة العرب ونراجعتهم، فتغيرها عارة ونهبا إلى أن فسدت فيها مذاهب العاش، وانتقض العمran، فخررت وصار معاش الأكتر من هؤلاء

أولاد وشاح بطنان آخران صغيران مندرجان مع الجواري والحاميد وهما: الجوارية بنو جراب بن وشاح، والعمور بنو عمر بن وشاح، هكذا زعم التجاني في العمور هؤلاء. وفي هلال بن عامر بطلن العمور كما ذكرناه. وهم يزعمون أن عمور ذباب هؤلاء منهم، وأنهم إنما جعلهم مع ذباب الوطن خاصة وليسوا من سليم والله أعلم بحقيقة ذلك.

وكان من أولاد وشاح بنو حريري بن عميم بن عمر بن وشاح وكان منهم فائد بن حريري من فرسان العرب المشاهير ولله شعر متداول بينهم لهذا العهد سمر الحي وفكاهة المجالس، ويقال: إنه من الحاميد، فائد بن حريري بن محمود بن طوب. وكان بنو ذباب هؤلاء شيعة لقراشق الغزوي وابن غانية، وهم في آثر. وقتل قراشق شيخة الجواري في بعض أيامه، ثم صاروا بعد مهلك ابن غانية إلى خدمة الأمير أبي زكريا وأهل بيته من بعده، وهم الذين أقاموا أمر الداعي بن أبي عمارة عليهم قان تلبسه لأن يصيير أميراً بدل المخلوع، وكان فر إليهم بعد مهلك مولاهم وبنيه، ونزل عليهم حتى إذا مر بهم ابن أبي عمارة فعرفه الخبر، فانتقدوا على التليسين وزينوا ذلك هؤلاء العرب قبليه. وتولى كبر ذلك مرغم بن صابر وتبعه قومه، ودخل عليهم في الأمر أبو مروان عبد الملك بن مكي رئيس قابس، فكان ما قدر الله ما كان من تمام أمره وتلوث كرسي الخلافة بدهمه حسبما يذكر في أخبار الدولة الخصبة.

وكان السلطان أبو حفص يعتمد عليهم فغلبهم في دعوة عمارة فخالقو عليهم، وسرح لحرفهم قائده أبا عبد الله الفزاري، واستصرخوا بالأمير أبي زكريا ابن أخيه، وهو يومئذ صاحب مجاهة والشغر الغربي من إفريقية. ووفد عليه منهم عبد الملك بن رحاب ابن محمود فنهض لصريحه سنة سبع وثمانين وستمائة، وحاربوا أهل قابس وهزموهم وأخْنَخُوا فيهم، ثم غلبهم الفزاري ومنهم عن وطن إفريقية، ورجع الأمير أبو زكريا إلى ثغره. وكان مرغم بن صابر بن عسكر شيخ الجواري قد أسره أهل صقلية من سواحل طرابلس سنة اثنين وثمانين وسبعينه لأهل برشلونة، فاشتراه ملوكهم وبقي أسرىًّا عنده إلى أن نزع إليه عثمان بن إدريس الملقب بأبي دبوس بقية الخلفاء من بني عبد المؤمن، وأراد الإجازة إلى إفريقية لطلب حقه في الدعوة الموحدية، فعقد ملك برشلونة بيته وبين مرغم حلفاً بيعهـما، ونزل ساحل طرابلس.

وأقام مرغم الدعوة لأبي دبوس وحمل عليها قمه، وحاصر طرابلس سنة ثمان وثمانين أيامًا ثم تركوا عسكراً لحصارها، وارتحلوا بجایة الوطن فاستقرُّوا، وكان ذلك غایة أمرهم، وبقي أبو دبوس يتقلب في أوطانهم مدة، واستدعاء الكعب لأول المائة

العرب الموطنين بها لهذا العهد من الفلاح يشيرون له الأرض بالعوامل من الجمال والمحمي، وبالنساء إذا ضاق كسبهم عن العوامل وارتكتبوا ضرورة المعاش.

ونتجعون إلى بلاد التخل في جهة القبلة منهم من أوجلة وشترية والراحات وما وراء ذلك من الرمال والقفر إلى بلد السودان المجاورين لهم، وتسمى بلادهم برنيق، وشيخ هؤلاء العرب ببرقة يعرف لهذا المهد أبي ذئب من بني جعفر. وركاب الحج من المقرب يحملون مسالتهم في عمرهم وحسن نيتهم في التجافي عن حاج بيت الله، وإرفادهم بجلب الأقواف لسرفهم وحسنظنهم بهم. **﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يُرَأَهُ﴾**

وأما نسبهم فما أدرى فيمن هو من العرب، وحدثي الثقة من ذباب عن خريص ابن شيخهم أبي ذيب من بقايا الكعبوب ببرقة. وتزعم نسبة الملالي أنهم لربيعة بن عامر إخوة هلال بن عامر. وقد مر الكلام في ذلك في أول ذكر بني سليم، وزعم بعض النساية أنهم والكعبوب من العزة، وأن العزة من هيث، وأن رئاسة العزة لأولاد أحد وشيخهم أبو ذئب وأن الثانية جيرانهم من هوارة. وذكر لي سلام ابن التركية شيخ أولاد مقدم جيرانهم بالحقيقة أنهم من بطون مسراته من بقية هوارة، وهو الذيرأيت النساية المحققين عليه بعد أن دخلت مصر ولقيت كثيراً من المترددين إليها من أهل برقة. وهذه آخر الطبقة الرابعة من العرب، وبانتقضائه انقضى الكتاب الثاني في العرب وأجيالهم منذ بدء الخليقة، فلنرجع إلى أحوال البرير في الكتاب الثالث والله ولي العون اهـ.



## الكتاب الثالث

في أخبار البربر والأمة الثانية من أهل المغرب وذكر أوليائهم وأجيالهم ودولتهم  
منذ بدء الخليقة لهذا العهد ونقل الخلاف الواقع بين الناس في أنسابهم

### الفصل الأول

هـما لأب واحد. فذكر ابن حزم عن أبي بن أبي زيد صاحب الحمار أنها لأب واحد على ما حدث عنه يوسف الوراق. وقال سالم بن سليم المطاطي وهاني بن مسرور والكومي وكهلان بن أبي لوا، وهو نسابة البربر: إن البرانس بتر، وربما نقل ذلك عن بن كعاف. والبتر بنو بر بن قيس بن عيلان، وربما نقل ذلك عن أبي كعاف. وأبوبن أبي زيد، إلا أن رواية ابن حزم أصح لأنـه أوثق.

وأما شعوب البرانس ف Gund النساين أنهم يجمعهم سبعة أجدام وهي: ازداجة ومصمودة وأوربة وعجيبة وكتمة وصنهاجة وأوريغة. وزاد سابق بن سليم وأصحابه: لطة وهسکورة وكزولة. وقال أبو محمد بن حزم: يقال إن صنهاجة ولطـا هـما اـبـا اـمـرـأـةـ يـقـالـ طـاـ تـصـكـيـ وـلـاـ يـعـرـفـ هـمـاـ أـبـ،ـ تـزـوـجـهـاـ أـورـيـغـهـ فـولـدـتـ لـهـ هـوـارـ فـلاـ يـعـرـفـ هـمـاـ أـكـثـرـ مـنـ أـنـهـمـاـ أـخـوـانـ هـوـارـ مـنـ أـمـهـ.ـ قـالـ وـزـعـ قـوـمـ مـنـ أـورـيـغـ أـنـهـ اـبـنـ خـبـرـزـ بـنـ الشـشـيـ بـنـ السـكـاسـكـ مـنـ كـنـدـ وـذـكـ بـاطـلـ.

وقال الكلبي: إن كتمة وصنهاجة ليستا من قبائل البربر، وإنما هـما من شعوب اليمانية ترکـهماـ أـفـريـقـيـشـ بـنـ صـيـفـيـ بـلـافـرـيـقـيـةـ معـ مـنـ نـزـلـ بـهـاـ مـنـ الـحـامـيـةـ هـذـهـ جـمـاعـ مـذـاهـبـ أـهـلـ التـحـقـيقـ فـيـ شـائـئـمـ،ـ فـمـنـ اـزـدـاجـةـ مـسـطـاطـةـ،ـ وـمـنـ مـصـمـودـةـ:ـ غـمـارـ بـنـ غـمـارـ بـنـ مـصـطـافـ بـنـ مـلـيلـ بـنـ مـصـمـودـ،ـ وـمـنـ أـورـيـغـهـ هـوـارـ وـمـلـدـ وـمـغـرـ وـقـلـدنـ.ـ فـمـنـ هـوـارـ بـنـ أـورـيـغـ:ـ مـلـيلـ وـبـنـ كـهـلـانـ،ـ وـمـنـ مـلـدـ بـنـ أـورـيـغـ:ـ سـطـطـ وـوـرـقـلـ وـأـسـيـلـ وـمـسـرـاتـةـ،ـ وـيـقـالـ جـمـيعـهـمـ:ـ هـانـةـ بـنـ هـانـ بـنـ مـلـدـ،ـ وـيـقـالـ:ـ إـنـ مـلـيلـهـمـ.ـ وـمـنـ مـغـدـ بـنـ أـورـيـغـ:ـ مـاـواـسـ وـزـمـورـ وـكـبـاـ وـمـصـرـايـ،ـ وـمـنـ قـلـدنـ بـنـ أـورـيـغـ قـمـصـاتـةـ وـوـرـسـطـيفـ وـبـيـانـةـ وـفـلـ مـلـيلـةـ.

وأما شعوب البتر وهم بنو ماذغيس الأبتر فيجمعهم أربعة أجدام: أداة ونقوسة وضربة وبنو لوا الأكبر، وكلهم بنو زحيك بن ماذغيس. فاما أداة بنو أداس بن زحيك فبطونهم كلها في هـوارـ لأنـ أـمـ أـداـسـ تـزـوـجـهـ بـعـدـ زـحـيـكـ أـورـيـغـ أـبـنـ عـمـ بـرـنسـ والـدـ هـوارـ،ـ فـكـانـ أـداـسـ أـخـاـ هـوارـ،ـ وـدـخـلـ نـسـ بـنـهـ كـلـهـمـ فـيـ هـوارـ.ـ وـهـمـ سـفـارـةـ وـأـنـدـارـةـ وـهـتـزـوـلـةـ وـضـرـبـةـ وـهـدـاغـةـ وـأـوـطـيـطـةـ وـتـرـهـةـ.ـ هـؤـلـاءـ كـلـهـمـ بـنـ زـحـيـكـ بـنـ باـذـغـيـسـ وـهـمـ الـيـوـمـ فـيـ هـوارـةـ.

واما لـواـ الأـكـبـرـ فـمـنـهـ بـطـانـ عـظـيـمانـ وـهـمـاـ:ـ نـفـزاـ وـنـفـزاـ وـأـبـنـ لـواـ الأـكـبـرـ،ـ وـلـوـاتـةـ بـنـ لـواـ الأـصـفـرـ بـنـ لـواـ الأـكـبـرـ،ـ فـخـلـفـهـ أـبـوـهـ حـلـافـ سـمـيـ بـهـ.ـ فـمـنـ لـوـاتـةـ:ـ أـكـرـةـ وـعـتـرـوـزـةـ وـبـنـوـ فـاصـلـةـ بـنـ لـواـ الأـصـفـرـ،ـ وـمـنـهـ مـزـاـتـةـ بـنـ زـاـبـرـ بـنـ لـواـ الأـصـفـرـ.ـ وـمـغـانـةـ وـجـدـانـةـ بـنـوـ كـطـرـفـ بـنـ لـواـ الأـصـفـرـ.ـ وـمـنـ لـوـاتـةـ سـدـرـاتـةـ بـنـوـ نـيـطـطـ بـنـ لـواـ

هـذاـ الجـيلـ مـنـ الـآـدـمـيـنـ هـمـ سـكـانـ الـمـغـرـبـ الـقـدـيـمـ مـلـاـواـ الـبـاسـاطـ وـالـجـيـالـ مـنـ تـلـوـهـ وـأـرـيـافـهـ وـضـواـحـيـهـ وـأـمـصارـهـ،ـ يـتـخـذـونـ الـبـيـوتـ مـنـ الـحـجـارـةـ وـالـطـيـنـ وـمـنـ الـخـوـصـ وـالـشـجـرـ وـمـنـ الـشـعـرـ وـالـبـرـ،ـ وـيـظـعـنـ أـهـلـ العـزـ مـنـهـمـ وـالـغـلـبـةـ لـاـتـجـاعـ الـمـرـاعـيـ،ـ فـيـ قـرـبـ مـنـ الـرـحـلـةـ،ـ لـاـ يـجـازـوـنـ فـيـهـاـ الرـيفـ إـلـىـ الصـحـراءـ وـالـقـفـرـ الـأـمـلـسـ.ـ وـمـكـاـسـهـمـ الشـاءـ وـالـبـقـرـ وـالـحـيـلـ فـيـ الـغـالـلـ لـلـكـرـبـ وـالـتـاجـ،ـ وـرـبـاـ مـاـ كـانـ الـإـبـلـ مـنـ مـكـاـسـبـ أـهـلـ النـجـعـ مـنـهـمـ شـانـ الـعـربـ،ـ وـمـعـاشـ الـمـسـتـضـعـفـينـ مـنـهـمـ بـالـفـلـحـ وـدـوـاجـنـ السـائـنـةـ،ـ وـمـعـاشـ الـمـعـتـرـيـنـ أـهـلـ الـاتـجـاعـ وـالـأـطـعـانـ فـيـ تـاجـ الـإـبـلـ وـظـلـالـ الـرـمـاحـ وـقطـعـ الـسـابـلـةـ.ـ وـلـبـاـسـهـمـ وـأـكـثـرـ أـنـاثـهـمـ مـنـ الـصـوـفـ يـشـتـملـونـ الصـمـاءـ بـالـأـكـسـيـةـ الـمـلـمـةـ،ـ وـيـفـرـغـوـنـ عـلـيـهـ الـبـرـانـسـ الـكـحـلـ وـرـوـسـهـمـ فـيـ الـغـالـبـ حـاسـرـةـ،ـ وـرـبـاـ يـتـهـدوـنـهـاـ بـالـخـلـقـ.ـ وـلـعـتـهـمـ مـنـ الـرـطـانـةـ الـأـعـجمـيـةـ مـتـمـيـزةـ بـنـوـهـاـ،ـ وـهـيـ أـلـيـهـ مـنـ اـخـتـصـرـاـ مـنـ أـجـلـهـ بـهـذـاـ الـاسـمـ.

يـقـالـ:ـ إـنـ أـفـرـيـقـيـشـ بـنـ قـيـسـ بـنـ صـيـفـيـ بـنـ مـلـيـلـ بـنـ زـحـيـكـ فـيـ هـذاـ الـجـيلـ وـإـفـرـيـقـيـةـ،ـ وـقـتـ الـمـلـكـ جـرجـيـسـ،ـ وـبـنـيـ الـمـدـنـ وـالـأـمـصارـ،ـ وـيـاسـمـهـ زـعـمـواـ سـمـيـتـ إـفـرـيـقـيـةـ لـاـ رـأـيـ هـذـاـ الـجـيلـ مـنـ الـأـعـاجـمـ وـسـمـعـ رـطـانـتـهـمـ وـوـعـيـ اـخـتـلـافـهـ وـتـوـعـهـ تـعـجـبـ مـنـ ذـلـكـ وـقـالـ:ـ مـاـ أـكـثـرـ بـرـيـتـكـمـ فـسـمـواـ بـالـبـرـبرـ.ـ وـالـبـرـيـرـةـ بـلـسـانـ الـعـربـ هـيـ اـخـلـاطـ الـأـصـوـاتـ غـيرـ الـمـفـهـومـةـ،ـ وـمـنـ يـقـالـ:ـ بـرـيـرـ الـأـسـدـ إـذـاـ زـارـ بـأـصـوـاتـ غـيرـ مـفـهـومـةـ.

وـأـمـاـ شـعـوبـ هـذـاـ الـجـيلـ وـيـطـونـهـمـ فـإـنـ عـلـمـاءـ النـسـبـ مـتـقـنـونـ عـلـىـ أـنـهـمـ يـجـمعـهـمـ جـذـمـانـ عـظـيـمانـ وـهـمـاـ:ـ بـرـنسـ وـمـاـذـغـيـسـ.ـ وـيـلـقـبـ مـاـذـغـيـسـ بـالـأـبـتـرـ فـلـذـلـكـ يـقـالـ لـشـعـوبـهـ الـبـتـرـ،ـ وـيـقـالـ لـشـعـوبـ بـرـنسـ الـبـرـانـسـ،ـ وـهـمـاـ مـعـاـ بـنـيـ بـرـنسـ،ـ وـبـيـنـ النـسـاـيـنـ خـلـافـ هـلـ

النسابون في ذلك اختلافاً كثيراً، وبخوا فيه طويلاً. فقال بعضهم: إنهم من ولد إبراهيم عليه السلام من نعشان ابنه، وقد تقدم ذكره عند ذكر إبراهيم عليه السلام. وقال آخرون: البرير يعنون، وقالوا: أرزاً من اليمن. وقال المسعودي: من غسان وغيرهم، تفرقوا عندما كان من سيل العرم. وقيل: تحالفهم أبرهة ذو المثار بالمغرب، وقيل: من سلم وجذام كانت منازلهم بفلسطين، وأخرجهم منها بعض ملوك فارس، فلما وصلوا إلى مصر متوجهين ملوك مصر التزول فعبروا النيل، واتشروا في البلاد. وقال أبو عمر بن عبد البر: ادعوت طوائف من البرير أنهم من ولد النعمان بن حمير بن سبا. قال: زورأيت في كتاب الأسفنداد الحكيم: أن النعمان بن حمير بن سبا كان ملك زمانه في الفترة، وأنه استدعى أبناءه وقال لهم: أريد أن أبعث منكم للمغرب من يعمّره، فراجعوه في ذلك، وعزم عليهم، وأنه بعث منهم لـتـأـبـأـتـونـةـ وـمـسـفـوـ أـبـاـ مـسـوـفـةـ وـمـرـطـاـ أـبـاـ هـيـلـاـنـةـ فـتـرـلـ بـعـضـهـمـ بـجـبـلـ دـوـنـ، وـبـعـضـهـمـ بـالـسـوـسـ وـبـعـضـهـمـ بـدـرـعـةـ.

ونزل لـطـعـنـدـ كـرـوـلـ وـتـزـوـجـ اـبـتـهـ، وـنـزـلـ أـجـانـاـ وـهـوـ أـبـرـ زـنـاثـةـ بـوـادـيـ شـلـفـ، وـنـزـلـ بـنـوـ رـمـغـيـنـ وـمـغـرـاـوـ بـأـطـرـافـ إـفـرـيقـيـةـ مـنـ جـهـةـ الـمـغـرـبـ، وـنـزـلـ مـصـمـودـ بـمـقـرـبـةـ مـنـ طـنـجـةـ. وـالـحـكـاـيـةـ طـوـيـلـةـ أـنـكـرـهـاـ أـبـوـ عـمـرـ بـنـ عـبـدـ الـبـرـ وـأـبـوـ حـمـدـ بـنـ حـمـزـ. وـقـالـ آـخـرـونـ: إـنـهـ كـلـهـمـ مـنـ قـوـمـ جـالـوـتـ. وـقـالـ عـلـيـ بـنـ عـبـدـ الـعـزـيزـ الـجـرجـانـيـ النـسـابـةـ فـيـ كـاـبـ الـأـنـسـابـ لـهـ: لـاـ أـعـلـمـ قـوـلـاـ يـؤـدـيـ إـلـىـ الصـحـةـ إـلـاـ قـوـلـ مـنـ قـالـ: إـنـهـ مـنـ وـلـدـ جـالـوـتـ. وـلـمـ يـنـسـبـ جـالـوـتـ مـنـ هـوـ، وـعـنـ أـبـنـ قـيـةـ: أـنـهـ وـنـوـرـ بـنـ هـرـيـلـ بـنـ حـدـيـلـانـ بـنـ جـالـوـدـ بـنـ رـدـيـلـانـ بـنـ حـطـيـ بـنـ زـيـادـ بـنـ زـيـجـ بـنـ زـيـادـ بـنـ مـادـغـيـسـ الـأـبـرـ.

وـنـقـلـ عـنـهـ أـيـضاـ أـنـهـ جـالـوـتـ بـنـ هـرـيـالـ بـنـ جـالـوـدـ بـنـ دـنـيـالـ بـنـ قـحـطـانـ بـنـ فـارـسـ. قـالـ: وـفـارـسـ مـشـهـورـ وـسـقـكـ أـبـوـ الـبـرـ كـلـهـ. قـالـواـ: وـالـبـرـيرـ قـبـائـلـ كـثـيـرـ وـشـعـوبـ جـهـةـ، وـهـيـ: هـوـارـةـ وـزـنـاثـةـ وـضـرـيـةـ وـمـغـلـيـةـ وـوـرـفـجـوـمـةـ وـنـفـذـةـ وـكـثـاتـةـ وـلـوـانـةـ وـغـمـارـةـ وـمـصـمـودـةـ وـصـدـيـنـةـ وـيـزـدـرـانـ وـوـرـجـيـنـ وـصـنـاهـاجـةـ وـمـجـكـسـةـ وـوـارـكـلـانـ وـغـيـرـهـمـ. وـذـكـرـ آـخـرـونـ مـنـهـمـ الـطـبـريـ وـغـيـرـهـ: أـنـ الـبـرـirـ أـخـلـاطـ مـنـ كـتـعـانـ وـالـعـمـالـيـقـ، فـلـمـ قـتـلـ جـالـوـتـ تـفـرـقـواـ فـيـ الـبـلـادـ وـغـزـاـ أـفـرـيقـيـشـ الـمـغـرـبـ وـنـقـلـهـمـ مـنـ سـواـحـلـ الشـامـ وـأـسـكـنـهـمـ إـفـرـيقـيـةـ وـسـمـاـهـمـ بـرـirـ. وـقـيلـ: أـنـ الـبـرـirـ مـنـ وـلـدـ حـامـ بـنـ نـوحـ بـنـ بـرـirـ بـنـ تـمـلـاـ بـنـ مـازـيـغـ بـنـ كـتـعـانـ بـنـ حـامـ. وـقـالـ الصـوـلـيـ: هـمـ مـنـ وـلـدـ بـرـirـ بـنـ كـسـلـوـجـمـ بـنـ مـصـراـئـمـ بـنـ حـامـ. وـقـيلـ: أـنـ الـعـمـالـيـقـ مـنـ بـرـirـ بـنـ تـمـلـاـ بـنـ مـارـبـ بـنـ قـارـانـ بـنـ عـمـرـوـ بـنـ عـلـمـاقـ بـنـ لـاـوـدـ بـنـ إـرـمـ بـنـ سـامـ، وـعـلـىـ هـذـاـ القـوـلـ فـهـمـ عـمـالـيـقـ. وـقـالـ مـالـكـ بـنـ الـمـرـحلـ: الـبـرـirـ

الأصغرـ. وـدـخـلـ نـسـبـ سـدـرـاتـةـ فـيـ مـغـرـاـوةـ. قـالـ أـبـوـ مـحـمـدـ بـنـ حـزـمـ: كـانـ مـغـرـاـوةـ تـرـوـجـ أـمـ سـدـرـاتـةـ، فـصـارـ سـدـرـاتـةـ أـخـابـيـ مـغـرـاـوةـ لـأـمـهـمـ وـاـخـتـلـطـ نـسـبـهـ بـهـمـ. وـمـنـ نـفـزـاـوـةـ أـيـضاـ بـطـوـنـ كـثـيـرـ وـهـمـ وـلـهـاـصـةـ وـغـسـاسـةـ وـزـهـلـةـ وـسـومـاـتـةـ وـوـرـسـيـفـ وـمـرـنـيـزـةـ وـزـاتـيـمـ وـوـرـكـوـلـ وـمـرـنـيـسـةـ وـوـرـدـغـرـوـسـ وـوـرـدـيـنـ كـلـهـمـ بـنـوـ يـطـوـفـتـ مـنـ نـفـزـاـوـةـ.

وـزـادـ أـبـنـ سـابـقـ وـأـصـحـابـهـ: بـغـرـ وـمـكـلـاتـةـ، وـقـالـ: وـيـقـالـ إنـ مـكـلـاتـةـ لـيـسـ مـنـ الـبـرـirـ وـأـنـهـ مـنـ حـمـيرـ وـقـعـ إـلـىـ بـطـوـفـتـ صـغـيـرـاـ فـتـبـاهـ وـهـوـ مـكـلـاـنـ بـنـ رـيـانـ بـنـ كـلـاعـ حـاتـمـ بـنـ سـعـدـ بـنـ حـمـيرـ. وـلـهـاـصـةـ مـنـ نـفـزـاـوـةـ بـطـوـنـ كـثـيـرـ مـنـ بـزـغـاشـ وـدـحـيـةـ أـبـيـ وـطـاـصـ. فـمـنـ بـزـغـاشـ بـطـوـنـ وـرـفـجـوـمـةـ وـهـمـ: رـجـالـ وـطـوـبـوـرـغـيـشـ وـوـانـجـزـ وـكـرـطـيـطـ وـمـاـ اـخـبـدـ وـسـيـتـ بـنـ رـفـجـوـمـ بـنـ بـيـزـغـاشـ بـنـ وـطـاـصـ أـبـنـ بـطـوـفـتـ بـنـ نـفـزـاـوـةـ.

قـالـ أـبـنـ سـابـقـ وـأـصـحـابـهـ: وـبـنـوـ بـيـزـغـاشـ مـنـ لـوـاتـهـ كـلـهـمـ بـجـبـالـ أـوـرـاسـ، وـمـنـ دـحـيـةـ وـرـتـرـيـنـ وـرـتـبـونـتـ وـمـكـرـاـ وـلـقـوسـ بـنـ دـحـيـةـ بـنـ وـلـهـاـصـ بـنـ تـطـوـفـتـ بـنـ نـفـزـاـوـةـ. وـأـمـاـ ضـرـيـةـ وـهـمـ بـنـوـ ضـرـىـ بـنـ زـيـحـكـ بـنـ مـادـغـيـسـ الـأـبـرـ فـيـ جـذـمـانـ عـظـيـمـانـ: بـنـ تـصـبـيـتـ بـنـ ضـرـىـ وـبـنـوـ بـيـحـيـىـ بـنـ ضـرـىـ.

وـقـالـ سـابـقـ وـأـصـحـابـهـ: إـنـ بـطـوـنـ تـصـبـيـتـ كـلـهـمـ بـنـ فـاتـنـ بـنـ تـصـبـيـتـ وـأـنـهـمـ اـخـتـصـواـ بـنـسـبـ ضـرـيـةـ دـوـنـ بـطـوـنـ بـيـحـيـىـ. فـمـنـ بـطـوـنـ تـصـبـيـتـ: مـطـمـاطـةـ وـصـطـفـورـةـ، وـهـمـ كـوـمـيـةـ وـلـالـيـةـ وـمـطـغـرـةـ وـمـرـبـيـةـ وـمـغـلـيـةـ وـمـكـرـوـزـةـ وـكـشـاثـةـ وـدـوـنـةـ وـمـدـيـوـنـةـ، كـلـهـمـ بـنـ تـفـاتـنـ بـنـ تـصـبـيـتـ بـنـ ضـرـىـ. وـمـنـ بـطـوـنـ بـيـحـيـىـ: زـنـاثـةـ كـلـهـمـ وـسـمـكـانـ وـوـرـصـطـفـ. فـمـنـ وـرـصـطـفـ: مـكـاسـةـ وـأـوـكـنـةـ وـوـرـتـاجـ بـنـوـ وـرـصـطـفـ بـنـ بـيـحـيـىـ. فـمـنـ مـكـنـاسـةـ وـرـتـيـفـةـ وـوـرـتـدـوـسـنـ وـتـقـلـيـتـ وـمـنـصـارـةـ وـمـوـالـاتـ وـحـرـاتـ وـرـفـلـاـبـسـ وـمـنـ مـكـنـ: بـوـلـاـيـنـ وـتـدـيـنـ وـيـصـلـتـ وـجـرـيـنـ وـفـرـغـالـ. وـمـنـ وـرـتـاجـ: مـكـنـسـةـ وـبـيـطـالـسـ وـكـرـبـيـنـةـ وـسـدـرـجـةـ وـهـنـاطـةـ وـفـوـلـاـلـ بـنـوـ وـرـتـاجـ بـنـ وـرـصـطـفـ. وـمـنـ سـمـكـانـ زـوـاـوـةـ بـنـوـ سـمـكـانـ بـنـ بـيـحـيـىـ وـبـنـ حـمـزـ بـعـدـ زـوـاـوـةـ الـتـيـ بـالـوـاـوـ بـالـوـاـوـ فـيـ بـطـوـنـ كـتـامـةـ وـهـوـ أـظـهـرـ، وـيـشـهـدـ لـهـ الـوـطـنـ. فـالـغـالـبـ أـنـ زـوـاـوـةـ بـنـوـ سـمـكـانـ بـنـ بـيـحـيـىـ. وـعـنـ بـنـ حـمـزـ: بـعـدـ زـوـاـوـةـ الـتـيـ بـالـوـاـوـ فـيـ بـطـوـنـ كـتـامـةـ وـالـتـيـ تـعـدـ فـيـ سـكـانـ هـيـ الـتـيـ بـالـزـاـيـ وـهـيـ قـبـيلـةـ مـعـرـوفـةـ. وـمـنـ زـوـاـوـةـ بـنـوـ مـاجـرـ وـبـنـوـ وـاطـيـلـ وـسـمـكـيـنـ. وـسـيـلـيـتـ الـكـلـامـ فـيـهـمـ مـسـتـوـفـيـ عـنـدـ ذـكـرـهـمـ إـنـ شـاءـ اللـهـ تـعـالـيـ. هـذـاـ آـخـرـ الـكـلـامـ فـيـ شـعـوبـ هـذـاـ الجـلـيلـ جـمـلـاـ وـلـاـ بـدـ مـنـ تـفـصـيلـ فـيـهـ عـدـ تـفـصـيلـ أـنـجـارـهـمـ. اـهـ

وـأـمـاـ إـلـىـ مـنـ يـرـجـعـ نـسـبـهـ مـنـ الـأـمـمـ الـمـاضـيـ قـدـ اـخـتـلـفـ

وازرت ببر لكتة أعمى وما كان ببر في الحجاز بأعجمى  
كانتا وبرًا لم تعرف بجيادنا بنجد ولم تقسم نهايًّا ومتمنًا  
وأنشد علماء البرير لعييدة بن قيس العقيلي:

الا ليها الساعي لفرقه ينتما ترقف هنالك الله سبل الأطافل  
فاقسم إنسا والبرابر إخوة عنانًا وهم جد كريم الناصب  
ابونا أبوهم قيس عيلان في الورى وفي حرمة يسفي غليل المغارب  
فنحن وهم ركين منيع وإخوة على رغم أعداء لئام المغافب  
فإن البر ما باقي الناس ناصراً وبر لسا ركين منيع الماكب  
ندلس عادي شواهدة ضمراً وبيسأً تقص الهام يوم الضارب  
وسربن قيس عصبة مضرية وفي الفرع من أحسابها والنواب  
وقيس قواوم الدين في كل بللة وخير معد عند حفظ المناسب  
وقيس لها الجد السنى يقتدى به وقبس لها سيف حديد الضارب

وينشد أيضًا آيات ليزيد بن خالد يمدح البرير:

إثها السائل عننا أصلنا قيس عيلان بنو العز الأول  
نحن ما نحن بنو برب القوى عرف الجد في الجد دخل  
وابتلى الجد فساوري زنده وكفانا كل خطب ذي جلل  
إن قيساً يعتري بر لها ولبر يعتري قيس الأجل  
ولنا الفخر بقيس إنسه جذنا الأكبر فكاك الكل  
إن قيساً قيس عيلان هم معدن الحق على الخير دلل  
حسبك البرير فرمي إنهم ملكوا الأرض اطراف الأسل  
ويبيض نضرب المهام بها هام من كان عن الحق نكل  
البلفسوا البرير عنى مدحنا حيك من جوهر شعر متخل

وعند نسبة البرير، وحكاه البكري وغيره أنه كان لضر  
ولدان: إلياس وعيلان، وأمهما الرباب بنت حيدة بن عمرو بن معد  
بن عدنان، فولد عيلان بن مضر قيساً ودهمان، أما دهمان فولده  
قليل وهم أهل بيت من قيس يقال لهم: بنو أمامة. وكانت لهم  
بنت تسمى البهاء بنت دهمان، وأما قيس بن عيلان فولد له أربعة  
بنين وهم: سعد وعمر، وأمهما مزنة بنت أسد بن ربيعة بن نزار،  
وبيبر وقاضر وأمهما تربيق بنت مجلد، ومجدل بن غمار بن  
مصلود، وكانت قبائل البرير يومئذ يسكنون الشام ويجاورون  
العرب في المساكن ويشاركونهم في المياه والمراجع ويصهرون إليهم،  
فتزوج بـ بن قيس بنت عمه وهي البهاء بنت دهمان، وحسده  
إخواته في ذلك، وكانت أمه تربيق من دهاء النساء فخشيت منهم  
عليه، وبعثت بذلك إلى أخواتها سرًا، ورحلت معهم بولدها  
وزوجته إلى أرض البرير وهو إذ ذاك ساكنون بفلسطين وأκاف  
الشام، فولدت البهاء لبر بن قيس ولدين: علوان ومادغيس،  
فمات علوان صغيراً ويفي مادغيس، فكان يلقب الأبتر، وهو أبو

قبائل شتى من حمير ومضر والقبط والعمالقة وكعنان وقريش  
تلقاوا بالشام ولخطوا فسماهم أفريقش البرير لكثرة كلامهم.  
وبسبب خروجهم عند المسعودي والطيري والسهيلي: أن أفريقش  
استجاشهم لفتح إفريقيا وسماهم البرير ويشدون من شعره:

بربرت كعنان لمساقتها من أراضي الضنك للعيش المصيب

وقال ابن الكلبي: اختلف الناس فيما من أخرج البرير من  
الشام، فقيل: داود بالروح، قيل: يا داود أخرج البرير من الشام  
فاتهم جذام الأرض. وقيل: يوشع بن نون، وقيل: أفريقش، وقيل:  
بعض الملوك التابعة. وعند البكري: أن بني إسرائيل أخرجوهم  
عند قتل جالوت. وللمسعودي والبكري: أنهم فروا بعد موت  
جالوت إلى المغرب، وأرادوا مصر فأجلتهم القبط، فسكنوا برقة  
وإفريقيا والمغرب على حرب الإفريقي والأفارقة وأجازوهم على  
 sclقبية وسردانية وميورقة والأندلس. ثم اصطلحوا على أن المدن  
للافرنجية، وسكنوا القفار عصورة في الخيام واتجاع الأمصار من  
الإسكندرية إلى البحر، وإلى طنجة والسوس حتى جاء الإسلام.  
وكان منهم من تهود ومن تنصر وأخرون مجرساً يبعدون الشمس  
والقمر والأصنام، ولهם ملوك ورؤساء. وكان بينهم وبين المسلمين  
حروب مذكورة. وقال الصولي البكري: إن الشيطان نزع بين بني  
حام وبين سام، فالجلجي بنو حام إلى المغرب ونسلاوا به.

وقال أيضًا: إن حام لما أسود بدعة أبيه فر إلى المغرب حياءً  
وتابعه بنوه وهلك عن أربعمائة سنة، وكان من ولده بربير بن  
كسلاجم فنسيل بنوه بال المغرب. قال: وانضاف إلى البرير حيان من  
المغرب يمينان عند خروجهم من مارب: كتمة وصنهاجة. قال:  
وهوارة وملطة ولواثة بنو حمير بن سبا. وقال هانيء بن بكور  
الضرسي وسابق بن سليمان المطاطي وكهلان بن أبي لوي  
وأبيوبن أبي يزيد وغيرهم من نسبابة البرير: أن البرير فرقان  
كمًا قدّمته وهو ما: البرانس والبتر، فالبتر من ولد بربير بن قيس بن  
عيلان، والبرانس بنو بربير بن سفحو بن أبزوج بن جناب بن واليل  
بن شراتي بن تام بن دويم بن دام بن مازنيع بن كعنان بن حام،  
وهذا هو الذي يعتمده نسبة البرير. قال الطبرى: خرج بربير بن  
قيس ينشد ضالة بأحياء البرير فهو جارية وتزوجها فولدت.  
وعند غيره من نسبة البرير: أنه خرج فاراً من أخيه عمرو بن

قيس، وفي ذلك تقول عما يصر وهي أخته:  
لتبكي كل باكيَّة أخاماً كما أبكي على بـ بن قيس  
تحمَّل عن عشرتها فاضحىًّا دون لقائه أنساء عيسى  
وما ينسب إلى عما يصر أيضًا:  
وشطط بـ داره عن بلادنا وطوح بـ نفه حيث يئما

التراثات في شأن أوليائهم، ويحتاج إلى مثله في كل جيل وأمة من العجم والعرب. وأفريقيش الذي يزعمون أنه نقلهم قد ذكروا أنه وجدهم بها، وأنه تعجب من كثورتهم وعجمتهم، وقال: ما أكثر ببريركم. فكيف يكون هو الذي نقلهم وليس بينه وبين أيرهه ذي المثار من يتذمرون فيه إلى مثل ذلك أن قالوا أنه الذي نقلهم.

واما القول أيضاً بأنهم من حمير من ولد النعمان أو من مضر من ولد قيس بن عيلان فمكث من القول، وقد أبطله إمام النسائيين والعلماء أبو محمد بن حزم. وقال في كتاب الجمهرة: ادعت طرائف من البرير أنهم من اليمن ومن حمير، وبعضهم ينسب إلى ببرير بن قيس، وهذا كله باطل لا شك فيه، وما علم النسابيون لقيس بن عيلان أباً اسمه ببر أصلاً، وما كان حمير طريق إلى بلاد البرير إلا في تكاذيب مؤرخين اليمن.

وأما ما ذهب إليه ابن قتيبة أنهم من ولد جالوت، وأن جالوت من ولد قيس بن عيلان فلابعد عن الصواب. فإن قيس عيلان من ولد معد، وقد قدمنا أن معداً كان معاصرًا لختنصر وإن أرمياه النبي خلص به إلى الشام حذراً عليه من مختنصر حين سلط على العرب، وبختنصر هو الذي خرب بيت المقدس بعد بناء داود وسلمىمان إيه باري عمانة وخسین سنة وخمسمائة، فيكون معد بعد داود يمثل هذا الأمد، فكيف يكون ابنه قيس أباً لجالوت المعاصر لداود، هنا في غاية البعد وأظنهما غفلة من ابن قتيبة ووهما.

والحق الذي لا ينبغي التعويل على غيره في شأنهم أنهم من ولد كنان بن حام بن نوح كما تقدم في أنساب الخليلية، وأن اسم أبיהם مازيع وأخوئهم أركيش وفالسطين إخوانهم بنو كسلو حيم بن مصرابيم بن حام، وملكلهم جالوت سمة معروفة له. وكانت بين فلسطين هؤلاء وبين بني إسرائيل بالشام حروب مذكورة. وكان بنو كنان وواكريكيش شيئاً لفالسطين، فلا يقعن في وهكذا غير هذه، فهو الصحيح الذي لا يعدل عنه. ولا خلاف بين نسبة العرب أن شعوب البرير الذي قدمنا ذكرهم كلهم من البرير إلا صنهاجة وكتمة، فإن بين نسبة العرب خلافاً والمشهور أنهم من اليمنية، وأن أفرقيش لما غزا إفريقياً أنزلهم بها.

وأما نسبة البرير فيزعمون في بعض شعوبهم أنهم من العرب، مثل لواثة يزعمون أنهم من حمير، ومثل هوارة يزعمون أنهم من كندة من السكاكس، ومثل زناثة تزعم نسبةهم أنهم من العمالة فروا أمام بني إسرائيل. وربما يزعمون فيهم أنهم من بقايا التابعة، ومثل عمارة أيضاً وزواوة ومكلاة يزعمون في هؤلاء كلهم نسبة لهم أنهم من حمير حسبما ذكره عند تفصيل شعوبهم في كل فرقة منهم، وهذه كلها مزاعم. والحق الذي شهد به المواطنون

البر من البرير، ومن ولده جميع زناته.

قالوا: وتزوج مادغيس بن ببر وهو الأبتر بأصل بنت واطاس بن محمد بن مجلد بن عمار فولدت له زحبيك بن مادغيس. وقال أبو عمر بن عبد البر في كتاب التهيد في الأنساب: اختلف الناس في أنساب البرير اختلافاً كبيراً، وأنساب ما قبل فهم أنهم من ولد قبط بن حام، لمنزل مصر خرج ابنه يزيد المغرب، فسكنوا عند آخر عمالة مصر، وذلك ما وراء برقة إلى البحر الأخضر، مع بحر الأندلس إلى منقطع الرمل متصلين بالسودان، فمنهم لواثة آهلين بأرض طرابلس، وزل قوم بقربيها وهي نفرة.

ثم امتدت بهم الطريق إلى القبروان وما وراءها إلى تاهرت إلى طنجة وسجلوا إلى السوس الأقصى وهم طرائف صنهاجة وكتمة وزكالة وركلاوة وقطواكة من هسكورة ومزطاوة، وذكر بعض أهل الآثار أن الشيطان نزع بين بني حام وبني سام، فوقدت بينهم مناوشات كانت البربر فيها لسام وبنيه، وخرج سام إلى المغرب، وقدم مصر وتفرق بنوه، ومضى على وجهه يوم المغرب حتى بلغ السوس الأقصى، وخرج بنوه في إثره يطلبونه، فكل طائفة من ولده بلغت موضعًا وانقطع عنهم خبره، فأقاموا بذلك الموضع وتناسلوا فيه، ووصلت إليهم طائفة فأقاموا معهم وتناسلوا هنالك.

وكان عمر حام أربعمائة وثلاثة وأربعين سنة فيما ذكره البكري. وقال آخرون: كان عمره خمسمائة وإحدى وثلاثين سنة. وقال السهيلي فيمن هو يعرب بن قحطان. قال: وهو الذي أجلس بني حام إلى المغرب بعد أن كانوا الجزء من ولد قوط بن يافث. هذا آخر الخلاف في أنساب البرير.

واعلم أن هذه المذاهب كلها مرجوحة و بعيدة من الصواب، فاما القول بأنهم من ولد إبراهيم بعيد، لأن داود الذي قتل جالوت وكان البرير معاصرين له ليس بينه وبين إسحاق بن إبراهيم أخوي نقشان الذي زعموا أنه أبو البرير إلا نحو عشرة أيام ذكرناهم أول الكتاب، ويعيد أن يتشعب النسل فيهم هذا الشعب.

واما القول بأنهم من ولد جالوت أو العماليق، وأنهم نقلوا من ديار الشام وانتقلوا، فقول ساقط، يكاد يكون من أحاديث خرافات، إذ مثل هذه الأمة المشتملة على أم وعالم ملأت جانب الأرض، لا تكون منتقلة من جانب آخر وقطر عصور، والبرير معروفون في بلادهم وأقاليمهم متizzيون بشعراهم من الأمم منذ الأحقاب المطاولة قبل الإسلام. فما الذي يمحونا إلى التعليق بهذه

في ذكر مواطن هؤلاء البربر يا فريقيه والمغرب

الهواية بكثرة تجاريهم، فتبعد الريح من الأماكن وغاية مهيبها في سمتها فكيل ريح عندهم معروفة للغاية، فإذا علم أن جريمه بالريح المبعثة من مكان كذا، وبما خرج من ريح إلى ريح محسب مقصوده وجهته، وهذا مفقود في البحر الكبير لأنه منحصر، ومنبعث الريح، وإن كان معروفاً فغايته غير معروفة لفقدان العمران وراءه فتسل السفن إذا جرت به وتذهب فهللها، وأيضاً فإذا أوغل فيه فرعاً يقع في المكائنة من الغيوم والأعيرة كما قلناه فيهللها، فلهذا كان راكبه على غرر وخطر. فحدَّ الغرب من جهة المغرب البحر المحيط كما قلناه، وعليه كثير من مدنه مثل طنجة وسلا وأزمور وأنفسي وأسفني، وهي من مدن الغرب حواضره. وعليه أيضاً مسجد ماسة وبلدتا كاوشت ونول من بلاد السوس وهي كلها من مساكن البرير وحواضرهم. وتنتهي المراكب إلى وراء ساحل نول ولا تجاوزه إلا على خطر كما قلناه. وأما حده من جهة الشمال فالبحار الرومي والمتفرع من هذا البحر المحيط يخرج في خليج متضائق بين طنجة من بلاد المغرب وطريف من بلاد الأندلس ويسمى هذا الخليج الزقاق، وعرضه ثمانية أميال فما فوقها، وكانت عليه قسطرة ركبها ماء البحر.

ثم يذهب هذا البحر الرومي في سمت الشرق إلى أن ينتهي إلى سواحل الشام وتغوره وما إليها مثل أنطاكية وأنطاكية والعالايا وطرسوس والمصيصة وطرابلس وصور والإسكندرية، ولذلك سمى البحر الشامي. وهو إذا خرج من الخليج ينفتح في ذهابه عرضًا، وأكثر انساحه إلى جهة الشمال، ولا يزال انساحه ذلك متصاعداً إلى الشمال إلى أن ينتهي إلى غايتها. وطوله فيما يقال خمسة آلاف ميل أو ستة. وفيه جزائر مبورقة ومترفة وباسة وصقلية وأقرطش وسردانية وقبرص. وأما عرضه من جهة الجنوب فإنه يخرج عن سمت واحد، ثم يختلف في ذهابه فتارة يبعد في الجنوب وتارة يرجع إلى الشمال. واعتراض ذلك بعرض البلدان التي يساحله، وذلك أن عرض البلد هو ارتفاع قطبها الشمالي على أفقه، وهو أيضاً بعد ما بين سمت رؤوس أهلة ودائرة معدل النهار.

والسبب في ذلك أن الأرض كروية الشكل، والسماء من فرقها مثلها. وأفق البلد هو فرق بين ما يرى وبين ما لا يرى من السماء ومن الأرض. والفلكل ذو قطبين، إذا ارتفع أحدهما على رفوس معنور الخفيف الآخر بقدرته عليه، والعمارة في الأرض كلها هي إلى الجانب الشمال أكثر، وليس في الجنوب عمران لما تقرر في موضعه. فلهذا ارتفع القطب الشمالي على أهل العمران دون الجنوبي. والمزار على سطح الكرة كلما أبعد في جهة ظهر له من سطح الكورة، ومن السماء المقابل لها مالم يكن يظهر، فيزيد بعد

والعجمة أنهم يعزل عن العرب إلا ما تزعمه نسبة العرب في  
صنهاجة وكتامة. وعندني أنهم من إخوانهم والله أعلم. وقد اتهى  
بنا الكلام إلى أنسابهم وأولئكهم، فلنخرج إلى تفصيل شعبوهم  
وذكرهم أمّة بعد أمّة، ونتصرّ على ذكر من كانت له منهم دولة  
ملك أو سالف شهرة أو تشَعَّب نسل في العالم وعدد لهذا العهد  
وما قبله من صنفي البرانس والبرت منهم، وترتيبهم شعباً شعباً  
حسماً تأديتنا من ذلك وأشتمل عليه محفوظنا، والله المستعان.

الفصل الثاني

## في ذكر مواطن هؤلاء البربر يافريقيية والمغرب

اعلم أن لفظ المغرب في أصل وضعه إسم إضافي يدلّ على مكان من الأمكانة بإضافته إلى جهة الشرق، ولفظ المشرق كذلك بإضافته إلى جهة المغرب فكلا مكان من الأرض مغرب بالإضافة إلى جهة المشرق، ومشرق بالإضافة إلى جهة المغارب إلا أن العرب قد يختصون هذه الأسماء بجهات معينة وأقطار مخصوصة. وعرف أهل الجغرافيا المعتنين بمعرفة هيئة الأرض وقسمتها بأقاليمها ومعمورها وخرابها وجبالها وبمارها ومساكن أهلها، مثل بطليموس ورجار صاحب صقلية المنسوب إليه الكتاب المشهور بين الناس لهذا العهد في هيئة الأرض والبلدان، وأمثالهم: أن المغرب قطر واحد يميز بين الأقطار، فحدّه من جهة المغرب البحر المحيط وهو عنصر الماء، وسمى محيطاً لإحاطته بما اكتشف من الأرض كما قدمنا أول الكتاب.

ويسمى أيضاً البحر الأخضر لتلونه غالباً بالخضراء، ويسمى بحر الظلمات لما أنه تقل فيه الأضواء من الأشعة المعاكسة على سطح الأرض من الشمس لبعده عن الأرض فيكون مظلاماً. ولفقدان الأضواء تقل الحرارة المخللة للأجنة فلا تزال السحب والغيوم متکافئة على سطحه منقلدة هناك متراكمه، وتسميه الأعاجم: بحر أوقیانوس يعنون به والله أعلم ما تعنيه ختن بالعنصر. ويسموه أيضاً بحر البلاية بتقسيم اللام الثانية. وهو بحر كبير غير منحصر، لا تبعد فيه السفن عن مرأى العين من السواحل للجهل بسموت الرياح هنالك ولتهابتها إذ لا غاية من العبران وراءه.

والبحار المنحصرة إنما جرت فيها السفن بالرياح المعروفة

بلاد المغرب، مثل بلاد بوردة وقنيطيت في قبلة المغرب الأقصى، وتسيات وتبيكورارين في قبلة المغرب الأوسط، وغدامس وفزان ووڈان في قبلة طرابلس.

كل واحد من هذه إقليم يشتمل على بلدان عاصمة ذات قرى وتخيل وأنهار، ويتهي عدد كل واحد منها إلى المائة فأكثر.

ولل هذه العدوة الجنوبيّة من هذا العرق يتلهي في بعض السنين مجالات أهل الشام من صنهاجة ومتقلهم الجاثلون هناك إلى بلاد السودان. وفي العدوة الشمالية منه مجالات البايدية من الأعراب الظواعن بالمنطقة. وكانت قبلهم مجالات للبربر كما ذكره بعد هذا حدّ المغرب من جهة الجنوب، ومن دون هذا العرق سياج آخر على المغرب مما يلي التلول منه، وهي الجبال التي هي تحول تلك التلول متدة من لدن البحر المحيط في الغرب إلى بربق من بلاد برقة. وهناك تقطع هذه الجبال ويسمى مبدأها من المغرب جبال درن، وما بين هذه الجبال المحيطة بالتلول وبين العرق الذي وصفناه آثناً بسائق وقار أكثر نباتها الشجر، وفيما يلي التلول منها، ومقاربها بلاد الجريد ذات نخل وأنهار.

وفي أرض السوس قبلة مراكش ترودانت والغيري فويان وغيرهما، بلاد ذات نخل وأنهار ومزارع متعددة عاصمة. وفي قبلة قاس سجلّامة وقرها بلد معروف، ودرعة أيضاً وهي معروفة، وفي قبلة تلمسان قصور متعددة ذات نخل وأنهار. وفي قبلة تاهرت القصور أيضاً بلاد متالية على سطح من المشرق إلى المغرب أقرب ما إليها جبل راشد، وهي ذات نخل ومزارع وأنهار، ثم قصور معينات تاهز الماء وأكثر قبلة الجزائر ذات نخل وأنهار، ثم بلد واركالي قبلة بجاية بلد واحد مستبحر العمران كثير النخل، وفي سنته إلى جهة التلول بلاد ربيع تاهز الثلثانية متظاهرة على حفافي، واد ينحدر من المغرب إلى المشرق يناهز مائة من البلاد فأكثر، قاعدتها سكرة من كبار الأوصار بالمنطقة. وتشتمل كلها على النخل والأنهار والفنون والقرى والمزارع.

ثم بلاد الجريد قبلة تونس وهي: نفطة وتوزر وقصبة وبلاط نفزاوة وتسمى كلها بلاد قسطلية مستبحة العمran مستحكمة الحضارة مشتملة على النخل والأنهار. ثم قابس قبلة سوسة وهي حاضرة البحر من أعظم أوصار إفريقياً، وكانت دار ملك لأبن غانية كما ذكره بعد، وتشتمل على النخل والأنهار والمزارع. ثم فزان ووڈان قبلة طرابلس قصور متعددة ذات نخل وأنهار، وهي أول ما افتح المسلمون من أرض إفريقياً لما أغزواها عمر بن الخطاب وعمرو بن العاص. ثم الواحات قبلة برقة، ذكرها المسعودي في كتابه، وما وراء هذه كلها في جهة الجنوب فقارب

القطب على الأفق كلما أبعد في الشمال، وينقص كلما رجع إلى الجنوب.

فعرض سبعة وطنجة التي هي على زقاق هذا البحر وخليجه (له) ودقائق. ثم يتصاعد البحر إلى الجنوب فيكون عرض تلمسان (له) ونصف، فترزيد في الجنوب فيكون عرض وهران (له) بعد من فاس يسير لأن عرض فاس (له) ودقائق.

ولهذا كان العمran في المغرب الأقصى أعرض في الشمال من عمran المغرب الأوسط بقدر ما بين فاس وسبعة. وصار ذلك القطر كالجزيرة بين البحار لانعطاف البحر الرومي إلى الجنوب. ثم يرجع البحر بعد وهران عن سنته ذلك فيكون عرض تونس والجزائر (له) على مثل سنته الأول عند منبعه من الزقاق. ثم يزيد في الشمال فيكون عرض بجاية وتونس (يوم) على مثل سمت غرناطة ومرية ومالقة. ثم يرجع إلى الجنوب فيكون عرض طرابلس وقبس (له) على مثل السمت الأول بطنجة وسبعة، ثم يزيد في الجنوب فيكون عرض برقة (له) على مثل سمت فاس وتوزر، فيكون عرض الإسكندرية (لا) على مثل مراكش وأغمات. ثم يذهب في الشمال إلى القطاقة إلى متنه سنته بساحل الشام.

وهكذا اختلاف في هذه العدوة الجنوبيّة، ولست على علم من حاله في العدوة الشمالية. ويتهي سواحل عرض هذا البحر في اتساعه إلى سبعين ميل أو نحوها ما بين سواحل إفريقياً وجنوب من العدوة الشمالية والبلاد الساحلية من المغرب الأقصى والأوسط وإفريقياً من لدن الخليج حيث منبعه كلها عليه مثل طنج وسبعة وبايس وعسّاسة وهرين ووهران والجزائر ومجاية وبوئنة وتونس وسوسة والمهدية وصفاقس وقبس وطرابلس وسواحل برقة والإسكندرية.

هذا وصف هذا البحر الرومي الذي هو حد المغرب من جهة الشمال. وأما حده من جهة القبلة والجنوب فالرمال المتهللة المثلثة حجزاً بين بلاد السودان وببلاد البربر.

وتعرف عند العرب الرحالة البايدية بالعرق، وهذا العرق سياج على المغرب من جهة الجنوب مبتديء من البحر المحيط وذاهب في جهة الشرق على سنته واحد إلى أن يعترضه النيل الهازيء من الجنوب إلى مصر، فهناك ينقطع وعرضه ثلاث مراحل وأزيد. ويعترضه في جهة المغرب الأوسط أرض مجمرة تسمى عند العرب الحمادة من دوين مصايب إلى بلاد ربيع، ووراءه من جهة الجنوب وبعض بلاد الجريدية ذات تخيل، وأنهار معدودة في جملة

عظيم يمتنع عبوره أيام الأمطار لاتساعه، ويعظم مده إلى البحر فينتهي إلى سبعين ميلاً أو ما يقاربها، ومصبه في البحر الكبير عند أزبور. ومنبعه من جبال درن من فوهة كبيرة ينبع منها هذا النهر ويتساهم إلى بسيط المغرب. وينبع منها أيضاً نهر آخر، وينحدر إلى القبلة. وير ببلاد درعة ذات التخل المخصوصة بنبات النيلج. وصناعة استخراجه من شجره، وهي قصور ذات تخل موضوعة في سفح جبل درن من آخره، وبها يسمى هذا النهر وبجاورها، إلى أن يغوص في الرمل قبلة بلاد لوس.

وأما نهر ملوية آخر المغرب الأقصى فهو نهر عظيم منبعه من فوهة في جبال قبلة تازى، ويصب في البحر الرومي عند غساسة. وعليه كانت ديار مكناسة المعروفة بهم في القديم، ويسكنها لهذا العهد أمم أخرى من زناته في قصور متظلمة إلى أعلى النهر يعرفون بوطاط وبجاورهم هنالك وفي سائر نواحيه أمم من البربر أشهر من فيهم بطالسة إثحوة مكناسة. وينبع مع هذا النهر من فوته نهر كبير ينحدر ذاهباً إلى القبلة مشرقاً بعض الشيء، ويقطع العرق على سنته إلى أن ينتهي إلى بودة، ثم بعدها إلى تنطيط، ويسمى لهذا العهد كبر وعليه قصورها. ثم يمر إلى أن يصب في القفار ويروغ في قفارها ويغور في رمالها، وهو موضع مقامه قصور ذات تخل تسمى وركلان وفي شرق بوده مما وراء العرق قصور تسليت من قصور الصحراء. وفي شرق تسليت إلى ما يلي الجنوب قصور تيكوارين تنتهي إلى ثلثمائة أو أكثر في واد واحد، فينحدر من المغرب إلى الشرق، وفيها أمم من قبائل زناته.

وأما المغرب الأوسط فهو في الأغلب ديار زناته، كان لمغارواة وبيي فرن، وكان معهم مدبونة ومغيلة وكرمية ومطفرة ومطمطة. ثم صار من بعدهم لبني ومانوا وبيي بلومي. ثم صار لبني عبد الواد وتوجن من بني مادين وقادعنه لهذا العهد تلمسان، وهي دار ملكه وبجاوره من جهة المشرق بلاد صنهاجة من الجزائر ومتيبة والمرية وما يليها إلى بجاية، وقبائله كلهم لهذا العهد مغلوبون للعرب من زغبة. وير في وادي شلف بني واطيل النهر الأعظم منبعه من بلد راشد في بلاد الصحراء، ويدخل إلى التل من بلاد حصين لهذا العهد. ثم يمر مغرباً ويجتمع فيه سائر أودية المغرب الأوسط مثل مينا وغيره إلى أن يصب في البحر الرومي ما بين كلبتا ومستغانم. وينبع من فوته نهر آخر يذهب مشرقاً من جبل راشد، وير بالزاب إلى أن يصب في سبخة ما بين توزر ونفزاوة معروفة هنالك، ويسمى هذا النهر وادي شدي.

وأما بلاد بجاية وقسطنطينية فهي دار زواوة وكامة وعجيبة وهوارة، وهي اليوم ديار للعرب إلا لمتنع المجال، وفيها بقاياها.

ورمال لا تنت بزرعاً ولا مرعى، إلى أن تنتهي إلى العرق الذي ذكرناه. ومن ورائه مجالات الملثمين كما قلناه مفاوز معطشة إلى بلاد السودان. وما بين بلاد هذه والجبال التي هي سياج التلول بسائق متلون مزاجها تارة بمزاج التلول، وتارة بمزاج الصحراء، بهوانها ومباهتها ومنتابتها. وفيها السيريون وجبل أوراس معترض وسطها، وببلاد الحضنة حيث كانت طينة ما بين الزاب والتل، وفيها مقرة والمسيلة، وفيها السرسو قبلة تلمسان حيث تاهرت فيها جبل دير وقبلة فاس معترض في تلك البسائط. هذا حد المغرب من جهة القبلة والجنوب.

واما من جهة الشرق فيختلف باختلاف الاصطلاحات، فعرف أهل المخزافي أنه بحر القلزم المفجر من بحر اليمن، هابط على سمت الشمال وبآخراف يسير إلى المغرب حتى ينتهي إلى القلزم والسويس، ويقع بينهم من هنالك، وبين سنته من البحر الرومي مسيرة يومين. وينقطع عند السويس والقلزم. وبعد عن مصر في جهة الشرق ثلاثة أيام. هذا آخر المغرب عندهم ويدخل فيه إقليم مصر وبرقة.

وكان المغرب عندهم من جزيرة أحاطت بها البحار من ثلاثة جهاتها كما تراه. وأما العرف الجاري لهذا العهد بين سكان هذه الأقاليم فلا يدخل فيه إقليم مصر ولا برقة، وإنما يختص بطرابلس وما وراءها إلى جهة المغرب في هذا العرف لهذا العهد. وهذا الذي كان في القديم ديار البربر ومواطنهم. فاما المغرب الأقصى منه وهو ما بين وادي ملوية من جهة الشرق إلى أسفى حاضرة البحر الحبيط وجبل درن من جهة المغرب فهي في الأغلب ديار المصامدة من أهل درن وبرغواطة وغمارة. وأخر غماراة بطورية ما يلي غساسة، ومعهم عالم من صنهاجة ومطفرة وأوربية وغيرهم، يحيط به البحر الكبير من غربه، والروماني من شماله، وبالجبال الصاعدة المتكافئة مثل درن وجانب القبلة وجبل تازى من جهة الشرق. لأن الجبال أكثر ما هي وأكثف قرب البحار مما اقتضاه التكوين من مانعة البحار بها. فكانت جبال المغرب لذلك، أكثر وساكنها من المصامدة في الأغلب وقيل من صنهاجة. وبقيت البسائط من الغرب مثل أرغاؤ وتأمستا وتادلا ودكالة. واعتمرها الظراغن من البربر الطارئين عليه من جسم ورياح ففصل المغرب بساكنه من الأمم لا يخصهم إلا خالقهم، وصار كأنه جزيرة وبلد واحد أحاطت به الجبال والبحار، وقادعنه لهذا العهد فاس، وهي دار ملكه.

وين في النهر العظيم المعروف بوادي أم ربيع، وهو نهر

والأمسار من سجل ماسة وقصور توات، وتجهور أربين وفيجيج ومصاب وواركيل وببلاد رغبة والزاب ونفزاوة والحممة وغذامس، ثم ما كان لهم من الأيام والواقع والدول والممالك. ثم ما كان بينهم وبين طوال العرب من بني هلال في المائة الخامسة بأفريقيا. وما كان لهم مع دولة آڭ حاد بالقلعة ومع لتونة بتلمسان وتأهرت من المراولة والانحراف. وما استولى عليه بنو بادين آخرأً ياسهام الموحدين وإقطاعهم من بلاد المغرب، وما كان لبني مرين في الأجلاب على غير عبد المؤمن من الآثار، وما شهد أخباره كلها بأنه جيل عزيز على الأيام وأنهم قوم مرهوب جانبهم شديد باسمهم كبير جهم، مظاهرون لأسم العالم وأجياله من العرب والفرس ويونان والروم.

ولكتهم لما أصابهم الفنا ونلاشت عصابتهم بما حصل لهم من ترف الملك والدول التي تكررت فيها، فلت جوعهم وفنيت عصابتهم وعشائرهم وأصبحوا خرولاً للدول وعبيداً للجباية. واستنكفت كثير من الناس عن النسب فيما لأجل ذلك، وإن فقد كانت أوربة أمرهم كسلة عند الفتح كما سمعت، وزنانة أيضاً حتى أسر أمرهم وزمار بن مولات، وحمل إلى المدينة إلى عثمان بن عفان. ومن بعد ذلك هواة وصنهاجة ويعدهم كاتمة وما أقاموا من الدولة التي ملكوا بها المغرب والشرق، وزاحموا بني العباس في ديارهم وغير ذلك منهم كثير.

وأما تخلقهم بالفضائل الإنسانية وتناقضهم في الخلل الحميدية، وما جبلوا عليه من الخلق الكريم مرقة الشرف والرفعة بين الأمم ومدعاة المدح والثناء من الخلق من عن الجوار وحماية التزيل، ورعاية الأذمة والوسائل والوفاء بالقول والبعد والصبر على المكاره والثبات في الشدائدين وحسن الملكة والإغضاء عن العيوب والتلتفاجي عن الانتقام ورحمة المسكين وير الكبير وتقدير أهل العلم وحمل الكل وكسب المدعوم. وقرى الضيف والإعانة على النواب وعلى الهمة وإيادة الضيم ومشاقة الدول ومقارعة الخطوط وغلاب الملك وبيع النفوس من الله في نصر دينه، فلهذه في ذلك آثار نقلها الخلف عن السلف لو كانت مسطورة لحفظ منها ما يكون أسوة لتبتعيه من الأمم، وحسبك ما اكتسبوه من حيدهم، واتصفوا به من شريفها أن قادتهم إلى مراقبي العز، وألقت بهم على ثواب الملك حتى علت على الأيدي أيديهم وممضت في الخلق بالقبض والبسط أحکامهم.

وكان مشاهيرهم بذلك من أهل الطبقة الأولى: بلکین بن زيري الصنهاجي عامل إفريقي للعيدين، وحمد بن خزر والخير ابنه، وعروبة بن يوسف الكاتمي القائم بدعاوة عبد الله الشعبي،

واما إفريقية كلها إلى طرابلس فبساطن فبح كاتن دياراً لنفزاوة وبنېي يفرن ونقوسة ومن لا يعنى من قبائل البربر. وكانت قاعدتها القيروان وهي لهذا العهد مجالات للعرب من سليم وبني يفرن وهوارة مغلوبون تحت أيديهم. وقد تبدوا معهم ونسروا رطانة الأعاجم، وتكلموا بلغات العرب، وتخلوا بشعارهم في جميع أحوالهم. وقادتها لهذا العهد تونس وهي دار ملكها، ومير فيها النهر الأعظم المعروف بروادي مجدة يجتمع فيه سائر الأودية بها، ويصب في البحر الرومي على مرحلة من غربي تونس بموضع يعرف ببوزر. وأما برقة فدرست معالها وخربت أمصارها، وانقض أمرها. وعادت مجالات للعرب بعد أن كانت داراً للواتة وهوارة وغيرهم من البربر وكانت بها الأمصار المستبورة مثل لبدة وزويلة وبرقة وقصر حسان وأمثالها، فعادت ياباً ومقاؤز كان لم تكن والله أعلم.

### الفصل الثالث

## في ذكر ما كان لهذا الجيل قديماً وحديثاً من الفضائل الإنسانية والخصائص الشريفة الراقية بهم إلى مراقبي العز ومعارج السلطان والملك

قد ذكرنا ما كان من أمر هذا الجيل من البربر ووفر عدده وكثرة قبائلهم وأجيالهم، وما سواه من مغالبة الملوك ومحاصرة الدول عدة آلاف من السنين، من لدن حربوهم مع بني إسرائيل بالشام وخروجهم عنه إلى إفريقية والمنزب، وما كان منهم لأول الفتح في محاربة الطوالع من المسلمين أولاً، ثم في مشاريعتهم ومظاهرتهم على عدوهم ثانياً من المقاتلات الحميدية والأثار الجميلة. وما كان لوهيا الكاهنة وقومها بجعل أوراس من الملك والعز والكثرة قبل الإسلام وبعده حتى تغلب عليهم العرب، وما كان لكتيبة من مشايخة المسلمين أولاً ثم ردتهم ثانياً، وتحيزهم إلى المغرب الأقصى وفرارهم أمام عقبة بن نافع ثم غلبهم بعد ذلك طوال هشام بأرض المغرب.

قال ابن أبي زيد: إن البربر ارتدوا بإفريقية المغرب اثنى عشرة مرة، وزحفوا في كلها للإسلاميين، ولم يثبت إسلامهم إلا في أيام موسى بن نصير، وقيل بعدها. وتقديم ذكر ما كان لهم في الصحراء والتقد من البلاد، وما شيدوا من الحصون والأطام

وأما وقوع الخوارق فيهم وظهور الكاملين في النزاع الإنساني من أشخاصهم، فقد كان فيهم من الأولياء الحدثون أهل النفوس القدسية والعلوم المروءة، ومن حلة العلم عن التابعين ومن بعدهم من الأنئمة والكهان المنظورين على المطلع للأسرار المغيبة. ومن الغرائب التي خرقت العادة وأوضحت أدلة القدرة ما يدل على عظيم عنانة الله بذلك الجيل وكرامته لهم، بما آتاهم من جماع الخير وأثرهم به من مذاهب الكمال، وجمع لهم من متفرق خواص الإنسان، ينطلق ذلك في أخبار توهם عجائب.

فكان من مشاهير حلة العلم فيهم سعيد بن واسول جد بني مدرار ملوك سجلamasة، أدرك التابعين وأخذ عن عكرمة مولى العباس، ذكره عريب بن حميد في تاريخه. ومنهم أبو يزيد مخلد بن كيداد اليفرني صاحب الحمار، الخارج على الشيعة سنة اثنين وثلاثة الدائنين بين الحارجية. أخذ العلم بتوزر عن مشيختها، ورأس في الفتيا وقرأ مذاهب الإضافية من الخوارق، وصدق فيه. ثم لقى عمارة الأعمى الصفرري التكاري. فتلقن عنه من مذاهبهما ما اسلخ من آية السعادة باتحاله. وهو مع ذلك من الشهرة في هذا الجيل بحيث لا يغفل.

ومنهم مذر بن سعيد قاضي الجماعة بقرطبة من طوابعن ولهاصة، ثم من سوماته منهم، مولده عام عشرة ووفاته عام ثلاثة وثمانين وثلاثة. كان من البتر من ولد مادغيس هلك على يد عبد الرحمن الناصر. ومنهم أيضاً أبو محمد بن أبي زيد علم الملة وهو من نفزة أيضاً. ومنهم علماء بالنسب والتاريخ وغير ذلك من فنون العلوم.

ومن مشاهير زناتة أيضاً موسى بن صالح الغوري، معروف عند كافة معرفة وضوح شهرة، وقد ذكرناه عند ذكر غمرة من شعوب زناتة، وهو وإن لم توقفنا الأخبار الصحيحة على الجلبي من أمره في دينه، فهو من محسن هذا الجيل الشاهدة بوجوده الخوارق الإنسانية فيهم: من ولاية وكمانة وعلم وسحر، وكل نوع من آثار الخلقة. ولقد تحدث أهل هذا الجيل فيما يتحدثون به أن اخت يعلى بن محمد اليفرني جاءت بولد من غير أب سمهه كلما. وينذر له أخبار في الشجاعة خرقت العوائد ودللت على أنه موهبة من الله استأثره بها، لم يشارك فيها غيره من أهل جلدته. وربما خاقت حواصل الخوارق منهم عن ملقط هذه الكاتنة، ويجعلون ما يتسع لها وأمثالها من نطاق القدرة، وينقولون أن حلها كان إثر استحهامها في عين حامية هناك غب ما صدر عنها بعض السباع، كانت تردد فيها على الناس، ويردون عليها ويرون أنها علقت من فضل ولوغه، ويسمون ذلك المولود ابن الأسد لظهور

ويوسف بن تاشفين ملك لتوينة بالمغرب، وعبد المؤمن بن علي شيخ المحددين وصاحب الإمام المهدى. وكان عظاماً لهم من أهل الطبقة الثانية السابقات إلى الرأبة بين يدي دولهم والمأهدون لملوكهم بالغرب الأقصى والأوسط، كبارهم يعقوب بن عبد الحق سلطان بي مرين ويغرسن بن زيان سلطان بي عبد الواحد، ومحمد بن عبد القوي وزعمران كبير بني توجين وثابت بن متليل أمير مغراوة وأهل شلف وزعمران بن إبراهيم زعيم بني راشد المعاصرين في أزمانهم المتاغعين في تأثير عزهم والتroid لهم كلّ على شاكلته بقرة جمعه. فكانوا من أرسخيهم في تلك الحال قدماء وأطهرهم فيها يداً، وأكثراهم لها جمعاً، طارت عنهم في ذلك قبل الملك وبعدة أخبار عني بنقلها الأثبات من البرير وغيرهم، وبلغت في الصحة والشهرة متنه التواتر.

وأما إقامتهم لراسم الشريعة وأخذهم بأحكام الملة ونصرهم لدين الله فقد نقل عنهم من اتخاذ المعلمين كتاب الله لصبيانهم، والاستفقاء في فروض أعيانهم، واقتناء الآئمة للصلوات في بواديهم، وتدارس القرآن بين أحبابهم وتحكيم حلة الفقه في نوازفهم وقضائهم، وصاغيهم إلى أهل الخير والدين من أهل مصرهم التماسا للبركة في آثارهم وسوء للدعاء عن صالحهم، وإغاثتهم البحر أفضل الرابطة والجهاد، ويعظم التفوس من الله في سبيله وجهاد عدوه ما يدل على رسوخ إيمانهم وصحبة معتقداتهم، ومتبن دياناتهم التي كانت ملاكاً لعزهم ومقداماً إلى سلطانهم وملوكهم. وكان المبرز منهم في هذا المدخل يوسف بن تاشفين وعبد المؤمن بن علي وبنوهم

ثم يعقوب بن عبد الحق من بعدهم وبنوه، فقد كان لهم في الاهتمام بالعلم والجهاد وتشييد المدارس واختطاط الزوايا والربط، وسد الثغور وبذل النفس في ذات الله، وإنفاق الأموال في سبيل الحريات، ثم مخالطة أهل العلم وترفع مكانهم في مجالستهم وموافقتهم في الاقتداء بالشريعة والانقياد لإرشاداتهم في الواقع والأحكام وطالعة سير الأنبياء وأخبار الأولياء وقراءتها بين أيديهم من دواوين ملوكهم ومجالس أحکامهم وقصور عزهم. والتعرض بالعقل لسماع شكوك المظلمين وإنصاف الرعاعيا من العمال والضرب على يد أهل الجور واتخاذ المساجد بصحن دورهم وسدة خلافتهم وملوكهم، يعمرونها بالصلوات والتسبيحات والقراء المرتلين لثلاثة كتاب الله أحزاباً بالعشبي والإشراق على الأسماء، وتحصين ثغور المسلمين بالبنيان الشديد والكتاب المجهزة، وإنفاق الأموال العريضة، شهدت لهم بذلك آثار مختلفوها بعدهم.

استولوا على روما. وكانتوا يؤدون العبادة لهرقل ملك القسطنطينية كما كان المقويس صاحب الإسكندرية ويرقة ومصر يؤدون العبادة له، وكما كان صاحب طرابلس ولبدة وصبرة وصاحب صقلية وصاحب الأندلس من الغوط لما كان الروم غلبوا على هؤلاء الأمم أجمع، وعنهم كلهم أخذوا دين النصرانية، فكان الفرنجة هم الذين ولوا أمر إفريقيا ولم يكن للروم فيها شيء من ولاية، وإنما كان كل من كان منهم بها جنداً لافرنج ومن حشودهم. وما يسمع في كتب الفتح من ذكر الروم في فتح إفريقيا فمن باب التغليب، لأن العرب يومئذ لم يكونوا يعرفون الفرنج، وما قاتلوا في الشام إلا الروم، فظروا أنهم هم الغالبون على أسم النصرانية. فإن هرقل هو ملك النصرانية كلها فغلبوا اسم الروم على جميع أمم النصرانية.

وتفتت الأخبار عن العرب كما هي، فجرجر المقتول عند الفتح من الفرنج وليس من الروم، وكذا الأمة الذين كانوا يافريقيبة غالبين على البربر ونازلين بمدنها وحصونها، إنما كانوا من الفرنجة. وكذلك ربما كان بعض هؤلاء البربر دانوا بدين اليهودية أخذوه عن بي إسرائيل عند استفحال ملوكهم، لقرب الشام وسلطانه منهم كما كان جرأة أهل جبل أوراس قبيلة الكاهنة مقتولة العرب لأول الفتح، وكما كانت نقوسية من برابر إفريقيبة وقندلاوة ومديونة وبهلولة وغياثة وبنو فازان من برابرة المغرب الأقصى حتى حما إدريس الأكبر الناجم بالغرب من بي حسن بن الحسن جميع ما كان في نواحيه من بقايا الأديان والملل، فكان البربر يافريقيبة والمغرب قبل الإسلام تحت ملك الفرنج، وعلى دين النصرانية الذي اجتمعوا عليه مع الروم كما ذكرناه، حتى إذا كان الفتح وزحف المسلمين إلى إفريقيبة زمان عمر رضي الله عنه ستة تسع وعشرين، وغلبهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح من بي عامر بن لوي، فجمع لهم جرجر ملك الفرنج يومئذ يافريقيبة من كان يأمسارها من الفرنج والروم، ومن بضواحيها من جموع البربر وملوكهم.

وكان ملك ما بين طرابلس وطنجة، وكانت دار ملكه سبيطة فلقوا المسلمين في زهاء مائة وعشرين ألفاً، والمسلمون يومئذ في عشرين ألفاً، فكان من هزيمة العرب لهم وفتحهم لسبطهم وتخربيهم إليها وقتلهم جرجر ملوكهم. وما نفثهم الله من أموالهم وبنائهم التي اختصت منهم ابنته بقاتلة عبد الله بن الزبير لعهد المسلمين له بذلك بعد المزينة، وخلوصه بخیر الفتح إلى الخليفة والملا من المسلمين بالمدينة ما هو كله مذكور مشهور. ثم أرزو الفرنجة ومن معهم من الروم بعد المزينة، وخلوصه بخیر

خاصصة الشجاعة فيه. وكثير من أمثال هذه الأخبار التي لو انصرفت إليها عنابة الناقلين للآلات الدوافين. ولم يزل هذا دليلاً على أن مهدوا من الدول وأثروا من الملك ما نحن في سبيل ذكره.

## الفصل الرابع

### في ذكر أخبارهم على الجملة من قبل الفتح الإسلامي ومن بعده إلى ولايةبني الأغلب

هؤلاء البربر جيل ذو شعوب وقبائل أكثر من أن تخصي حسبما هو معروف في تاريخ الفتح يافريقيبة والمغرب، وفي أخبار رديهم وحرفهم فيها. نقل ابن أبي الرقيق: أن موسى بن نصير لما فتح سقوناً كتاباً إلى الوليد بن عبد الملك أنه صار لك من سبي سقوناً مائة ألف رأس. فكتب إليه الوليد بن عبد الملك: ويحك إني أظنه من بعض كذباتك، فإن كنت صادقاً فهذا عشر الأمة، ولم تزل بلاد المغرب إلى طرابلس بل إلى الإسكندرية عامرة بهذا الجيل ما بين البحر الرومي وبلاد السودان منذ أربعة لا يعرف أولاً ولا ما قبلها. وكان دينهم دين المحبوبة شأن الأعاجم كلهم بالشرق والمغرب إلا في بعض الأحيان يدينون بدين من غالب عليهم من الأمم. فإن الأمم أهل الدول العظيمة كانوا يتغلبون عليهم، فقد غزتهم ملوك اليمن من قرارهم مراراً على ما ذكر مزروهم، فاستكانوا لغليهم ودانوا بدينهن.

ذكر ابن الكلبي: أن حمير بالقبائل اليمانية ملك المغرب مائة سنة، وأنه الذي ابتنى مدانته مثل إفريقيبة وصقلية، واتفق المؤرخون على غزو أثريقوش بن صبيبي من صبيبي من التبايعة إلى المغرب كما ذكرنا في أخبار الروم، واختطوا بسيف البحر وما يليه من الأرياف مدنًا عظيمة الخطة وثيقة المباني شهيرة الذكر باقية العالم والآثار لهذا العهد مثل سبيطة وجلواء ومرناق وطاقة وزانة وغيرها من المدن التي خربها المسلمون من العرب لأول الفتح عند استيلائهم عليها. وقد كانوا دانوا لعهدهم بما تعبدوا به من دين النصرانية، وأعطوهن المهاونة وأدوا إليهم الجباية طواعية.

وكان للبربر في الضواحي وراء ملك الأ MCSAR المهوية الحامية ما شاء من قوّة وعدة وعدد وملوك ورؤساء وأقباب. وأمراؤها لا يرافقون بذلك، ولا ينالهم الروم والإفرنج في ضواحيهم تلك بمسخطة الإساءة، وقد صبحهم الإسلام وهو في مملكة قد

كسيلة وقومه، فارسلوا له شهوداً واتهروا الفرصة فيه وقتلوه ومن معه وملك كسيلة إفريقية خمس سنين ونزل القبور وانقطع الأمان لن يبقى بها من مختلف من العرب أهل الذماري والأتقال، وعظم سلطانه على البربر.

وزحف قيس بن زهير البلوي في ولاية عبد الملك للثار بدء عقبة سنة سبع وستين، وجمع له كسيلة سائر البربر، ولقيه مجيش من نزامي القبور فاشتد القتال بين الفريقين ثم انهزم البربر وقتل كسيلة ومن لا يحصى منهم. وأتباعهم العرب إلى مرمنة ثم إلى ملوية وفي هذه الواقعة ذل البربر وفيت فرسانهم ورجاتهم وخضدت شوكتهم وأضمحل أمر الفرجة فلم يعد، وخاف البربر من زهير ومن العرب خوفاً شديداً فلجلأوا إلى القلاع والمحصون: ثم ترهب زهير بعدها وفُل إلى المشرق فاستشهد ببرقة كما ذكرناه. وأ Paxtormت إفريقية ناراً وافتقر أمر البربر وتعدد سلطانهم في رؤسائهم. وكان من أعظمهم شأنياً يومذ الكاهنة دهيا بنت ماتية بن تيفان ملكة جبل أوراس وقراها من جراوة ملوك البتر وزعمائهم، بعث عبد الملك إلى حيان بن النعمان الغساني عامله على مصر أن يخرج إلى جهاد إفريقيا، وبعث إليه بالمدد، فزحف إليها سنة تسع وسبعين ودخل القبور وغزا قرطاجنة وافتتحها عنوة، وذهب من كان يبقى بها من الإفرنجية إلى صقلية ولكل الأندرس.

ثم سأله عبد الملك البربر فداروا على الكاهنة وقوتها جراوة فمضى إليها حتى نزل وادي مسكناته. وزحفت إليه فاقتتلوا قتالاً شديداً. ثم انهزم المسلمون وقتل منهم خلق كبير وأمير خالد بن يزيد القبيسي. ولم تزل الكاهنة والبربر في اتباع حيان والعرب حتى أخرجوهم من عمل قابس، ولحق حسان بعمل طرابلس. ولقيه كتاب عبد الملك بالقام فأقام وبنى قصوره وتعرف لهذا العهد به. ثم رجعت الكاهنة إلى مكانها وأخذت عهداً عند أميرها خالد بالرضاع مع ابنيها. وأقامت في سلطان إفريقيا والبربر خمس سنين. ثم بعث عبد الملك إلى حسان بالمدد فرجع إلى إفريقيا سنة أربع وسبعين، وخررت الكاهنة جميع المدن والضياع، وكانت من طرابلس إلى طنجة ظلاً واحداً في قرى متصلة.

وشق ذلك على البربر فاستأمنوا لحسان فأمنهم ووجد السبيل إلى تفريح أمرها، وزحف إليها وهي في جموعها من البربر فانهزموا، وقتل الكاهنة بمكان البربر المعروف بها لهذا العهد بجبل أوراس. واستأمن عليه البربر على الإسلام والطاعة وعلى أن يكون منهم اثنا عشر ألفاً مجاهدين معه، فأجابوا وأسلموا وحسن

الفتح إلى حصن إفريقيا، وانساح المسلمون في البساط بالغارات، ووقع بينهم وبين البربر أهل الضواحي زحوف وقتل وسي، حتى لقد حصل في أسرهم يومذ من ملوكهم وزمار بن صقلاب جداً بني خزر، وهو يومذ أمير مغراوة وسائر زناته، ورفعوه إلى عثمان بن عفان فأسلم على يده، ومن عليه وأطلقه، وعقد له على قومه. ويقال: إنما وصله وافداً وحسن المسلمين عليهم ولاد الفرنج بالسلم وشرطوا لابن أبي سرح ثلثمائة قطار من الذهب على أن يرحل عنهم بالعرب، ويخرج بهم من بلادهم ففعل. ورجع المسلمون إلى المشرق وشغلوا بما كان من الفتن الإسلامية. ثم كان الاجتماع والاتفاق على معاوية بن أبي سفيان، وبعث معاوية بن خديج السكوني من مصر لافتتاح إفريقيا سنة خمس وأربعين. وبعث ملك الروم من القسطنطينية عساكرة لدافتهم في البحر فلم تغن شيئاً وهزمهم العرب بساحل أجم. وحاصروا جلولاً وفتحوها، وقتل معاوية بن خديج إلى مصر فوقى معاوية بن أبي سفيان على إفريقيا بعده عقبة بن نافع، فاختطف القبور وافتقر أمر الفرجة وصاروا إلى الحصن، ويقي البربر بضواحيهم إلى أن ولّي يزيد بن معاوية وولّى على إفريقيا أبو المهاجر مولى.

وكان رئاسة البربر يومذ في أوربة لكسيلة بن لزم، وهو رأس البرانس، ومرادفة سكرديد بن رومي بن مازرت من أوربة، وكان على دين النصارى فأسلموا لأول الفتح. ثم ارتدوا عن ولادة أبي المهاجر واجتمع إليها البرانس، وزحف إليهم أبو المهاجر حتى نزل عيون تلسان فهزهم وظفر بكسيلة فأسلم واستبقاء. ثم جاء عقبة بعد أبي المهاجر فنكبه غيظاً على صحابته لأبي المهاجر. ثم استفتح حصن الفرجة مثل باغية وليس، ولقيه ملوك البربر بالزاب وتأهرت فقضفهم جماعاً بعد جم، ودخل المغرب الأقصى، وأطاعته غماره، وأميرهم يومذ بليان. ثم أجاز إلى وليلي ثم جبال درن، وقاتل المصامدة، وكانت بينهم وبينه حروب، وحاصروه بجبل درن. ونهضت إليهم جموع زناته وكأنوا خالصة للMuslimين منذ إسلام مغراوة فأفرجت المصامدة عن عقبة، وأثخن فيهم حتى حملهم على طاعة الإسلام، ودوخ بلادهم.

ثم أجاز إلى بلاد السوس لقتال من بها من صنهاجة أهل اللثام وهو يومذ على دين المجوسية، ولم يدinya بالنصرانية، فائخر فيهم وانتهى إلى تارودانت وهزم جموع البربر، وقاتل مسوقة من وراء السوس، وسي منهم وقتل راجعاً. وكسيلة اثناء هذا كله في اعتقاله يحمله معه في عسكره سائر غزواته. فلما قفل من السوس سرّح العساكر إلى القبور حتى يقي في خف من الجنود. وتراصل

وبابع ميسرة لنفسه بالخلافة داعياً إلى خلقته من الخارجية على مذهب الصفرية، ثم ساءت سيرته فنقم عليه البرير ما جاء به قتلواه وقدموا على أنفسهم خالد بن حميد الزناتي.

قال ابن عبد الحكم: هو من هنورة إحدى بطون زناته فقام بأمرهم، ورث إلى العرب وسرح إليه عبد الله بن الجباج العساكر في مقدمته ومعهم خالد بن أبي حبيب فالتفوا بروادي شلف، وانهزم العرب وقتل خالد بن أبي حبيب ومن معه وسميت وقعة الأسراب وانتقضت البلاد ومرج أمر الناس، وبليغ الخبر هشام بن عبد الملك فعزل ابن الجباج وولى كلثوم بن عياض القشيري سنة ثلاثة وعشرين وسرحه في أئبي عشر ألفاً من أهل الشام. وكتب إلى ثغور مصر وبرقة وطرابلس أن يهدوه، فخرج إلى إفريقيا والمغرب حتى بلغ وادي طنجة وهو وادي سبس فزحف إليه خالد بن حميد الزناتي فيمن معه من البرير، وكانت خلطاً لا يحصى، ولقوا كلثوم بن عياض من بعد أن هزموا مقدمته فاشتد القتال بينهم، وقتل كلثوم وانهزم العساكر فمضى أهل الشام إلى الأندلس مع بلج بن بشر القشيري ومضى أهل مصر وإفريقيا إلى القبور.

وبلغ الخبر إلى هشام بن عبد الملك فبعث حنظلة بن سفيان الكلبي فقدم القبور سنة أربع وعشرين وأربعين وهرارة يومئذ خارج على الدولة، منهم: عكاشة بن أيوب وعبد الواحد بن يزيد في قومهما، فثارت هرارة ومن تعهم من البرير فهزمهم حنظلة بن المعز بظاهر القبور بعد قتال شديد، وقتل عبد الواحد بن المواري وأخذ عكاشة أسيراً، وأحصبت القتلى في هذه الواقعة فكانوا مائة وثمانين ألفاً. وكب بذلك حنظلة إلى هشام وسمعوا الليث بن سعد فقال: ما غزوة كنت أحب أن أشهدها بعد غزوة بدر أحب إلى من غزوة القرن والأصنام.

ثم خفت صوت الخلافة بالشرق والثالث أمرها لما كان بين يني أمية من الفتنة، وما كان من أمر الشيعة والخارج مع مروان. وأفضى الأمر إلى الإدلة ببني العباس من يني أمية وأجاز البحر عبد الرحمن بن حبيب من الأندلس إلى إفريقيا فملكها وغلب حنظلة عليها سنة ست وعشرين ومائة فعادت هيف إلى أديانها، واستشرى داء البرير وأفضل أمر الخارجيه ورؤوسها، فانتفضوا من أطراف البقاع، وتباينا على الأمر بكل ما كان داعين إلى بدعهم، وتولى كبر ذلك يومئذ صنهاجة، وتغلب أميرهم ثابت بن زيدون وقومه على باجة، وثار معه عبد الله بن سكرديد من أمرائهم فيمن تبعه.

وثار بطرابلس عبد الجبار والحرث من هرارة، وكانا يدينان

إسلامهم، وعقد للأكابر من ولد الكاهنة على قومهم من جراوة وعلى جبل أوراس فقالوا: لزمنا الطاعة له سبقناها إليها وبايعناه عليها. وأشارت عليهم بذلك لأثارة من علم كانت لديها بذلك من شياطينها، وانصرف حسان إلى القبوران فدون الدوابين صالح من التي يده من البرير على الخراج. وكتب الخراج على عجم إفريقيه ومن أيام عمهم على النصرانية من البرير والبرانس. واختلفت أيدي البرير فيما يبهم على إفريقيه والمغارب فخللت أكثر البلاد، وقدم موسى بن نصير إلى القبوران واليأ على إفريقيه. ورأى ما فيها من الخلاف، وكان ينقل العجم من الأقصى إلى الأداني وأثخن في البرير ودوخ المغرب وأدى إليه البرير الطاعة. وولى على طنجة طارق بن زياد، وأنزل معه سبعة وعشرين ألفاً من العرب واثني عشر ألفاً من البرير، وأمرهم أن يعلموا البرير القرآن والفقه. ثم أسلم بقية البرير على يد إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر سنة إحدى ومائة.

وذكر أبو محمد بن أبي زيد: إن البرير ارتدوا الثني عشرة مرة من طرابلس إلى طنجة، ولم يستقر إسلامهم حتى أجاز طارق وموسى بن نصير إلى الأندلس بعد أن دوخ المغرب وأجاز معه كثير من رجالات البرير أمرائهم برسم الجهاد. فاستقروا هنالك من لدن الفتح، فحيثما استقر الإسلام بالمغارب وأذعن البرير لحكمه، ورسخت فيهما كلمة الإسلام وتناسوا الردة. ثم نبضت فيهم عروق الخارجيه فدانوا بها، ولقوها من العرب الناقليها من منبعها بالعراق. وتعددت طرائفهم وتشعبت طرقها، من الأباء والصفيرية كما ذكرنا في أخبار الخارج.

وقشت هذه البدعة وأعقدها رؤوس النفاق من العرب وجرائم الفتنة من البرير ذريعة إلى الاتزاء على الأمر فاختلوا في كل جهة، ودعوا إلى قائدتهم طعام البرير تلون عليهم مذاهب كفرها، ويلبسون الحق بالباطل فيها إلى أن رسخت فيهم كلمات منها، ووشجت بهم عروق من غرائبها. ثم تطاول البرير إلى الفتك بأمراء العرب، فقتلوا يزيد بن أبي مسلم سنة اثنين ومائة لما نcumوا عليه في بعض الفعلات. ثم انقض البرير بعد ذلك سنة اثنين وعشرين ومائة في ولاية عبد الله بن الحجاج أيام هشام بن عبد الملك لما أوطأ عساكره بلاد السوس، وأثخن في البرير وسيبي وغنم. وانتهى إلى مسوقة ققتل وسيبي وداخل البرير منه رب، وبله أنه البرير أحسوا بأنهم في للMuslimين فانتقضوا عليه. وثار ميسرة المطغرى بطنجة على عمرو بن عبد الله فقتله وبابع لعبد الأعلى بن جريح الأفريقي رومي الأصل ومولى العرب، كان مقدم الصفيرية من الخارج في التحال منههم، فقام بأمرهم مدة

ومائة وضبط ابن الأشعث إفريقيه وخافه البرير.

ثم انقضى بنو يفرن من زناتة ومغيلة من البرير بناوحي تلمسان، وقدموا على أنفسهم أبا قرة من بنى يفرن، ويقال إنه من مغيلة وهو الأصل في شأنه، وبويع له بالخلافة سنة ثمان وأربعين ومائة. وزحف إليه الأغلب بن سود التميمي عامل طبنة، فلما قرب منه هرب أبو قرة، فنزل الأغلب الزاب، ثم اعتزم على تلمسان ثم طبنة، ورجع إليه الجند فرجع، ثم انقض البرير من بعد ذلك أيام عمر بن حفص من ولد قيصية بن أبي صفرة أخي المهلب. وكان يلقب هزار مرد سنة إحدى وخمسين.

واجتمعوا بطرابلس، وقدموا عليهم أبا حاتم يعقوب بن حبيب بن مدين بن يطوفت من أمراء مغيلة، ويسمى أبا قادم.

وزحفت إليهم جنود عمر بن حفص فهزموها وملکروا طرابلس، وزحفوا إلى القิروان فحاصروها. ثم زحف البرابرة من الجانب الآخر بمندو عمر بطنية في اثنى عشر معسكراً. وكان منهم أبو قرة في أربعين ألفاً من الصفرية وعبد الرحمن بن رستم في ستة آلاف من الأباء، والمصور بن هاني في عشرة آلاف كذلك، وجرير بن مسعود فيمن تبعه من مدبونة، وعبد الملك بن سكرديد الصنهاجي في الذين منهم من الصفرية. واشتد الحصار على عمر بن حفص فأعمل الخليفة في الخلاف بين جماعتهم، وكان بنو يفرن من زناتة أكثر البربر بومذد جداً، وأشدتهم قوة، فصالح أبو قرة زعيهم على أربعين ألفاً وأعطى ابنه في إتمام ذلك أربعة آلاف، واقتروا وارتكبوا عن طبنة. ثم بعث بعثاً إلى ابن رستم فهزمه، ودخل تاهرت مقلولاً، وزحف عمر بن حفص إلى أبي حاتم والبرير الأباء الذين معه، ونهضوا إليه فخالقهم إلى القิروان، وشحثها بالأقواف والرجال.

ثم لقي أبا حاتم والبرير وهزمه، ورجع إلى القิروان وحاصروه. كانوا في ثلاثة وخمسين ألفاً، الخيل منها خمسة وثلاثون ألفاً، وكانوا كلهم أباء، وطال الحصار وقتل عمر بن حفص في بعض أيامه سنة أربعين وخمسين ومائة. وصالح أهل القิروان أبا حاتم على ما أحب وارتقى. وقدم يزيد بن قيصية بن المهلب سنة أربعين وخمسين ومائة والي على إفريقيه، فزحف إليه أبو حاتم بعد أن خالف عليه عمر بن عثمان الفهري، وافتلق أمرهم فلقيه يزيد بن حاتم بطرابلس فقتل أبو حاتم، وانهزم البرير ولحق عبد الرحمن بن حبيب بن عبد الرحمن من أصحاب أبي حاتم بكثامة ويعث المخارق بن غفار الطائي فحاصره ثمانية أشهر. ثم غلب عليه فقتله ومن كان معه من البرير، وهرروا إلى كل ناحية. وكانت حروفهم مع الجند من لدن قتل عمر بن حفص بطنية إلى

برأي الأباء فقتلوا عامل طرابلس بكر بن عبس القيسي لما خرج إليهم يدعوهم إلى الصلح، وبقي الأمر على ذلك مدة، وثار إسماعيل بن زياد فيمن معه من نفوسه، وتغلب عليه قابس. ثم زحف إليهم عبد الرحمن بن حبيب سنة إحدى وثلاثين فقتل عبد الجبار والحارث وأوابع في قتل البرير وأئخن فيهم، وزحف إلى تلمسان سنة خمس وثلاثين فظفر بها ودوخ المغارب وأذل من كان فيه من البرير. ثم كانت بعد ذلك فتنة وربجمة وسائر قبائل نفزاوة سنة أربعين ومائة، وذلك لما اخترف عبد الرحمن بن حبيب عن طاعة أبي جعفر وقتلته أخواه إلياس وعبد الوارث، فولى مكانه أبا حبيب، وطالبهما شار آبيه، فقتل إلياس ولحق عبد الوارث بورجمة فأجاره أميرهم عاصم بن جبل، وتبعه على شأنه يزيد بن سكوم أمير لهاصنة واجتمعوا لهم كلمة نفزاوة ودعوا لأبي جعفر المنصور، وزحفوا إلى القิروان ودخلوها عنوةً، وفرَّ حبيب بن قابس فأتباه عاصم في نفزاوة وقبائلهم.

وولى على القิروان عبد الملك بن أبي الجعد النفيزي، ثم انهزم حبيب إلى أوراس، واتبعه عاصم، فاعتبره عبد الملك بن أبي الجعد وجمع نفزاوة الذين كانوا بالقิروان وقتلوا من كان بها من قريش وربطاً دوابهم بالمسجد الجامع، واشتد البلاء على أهل القิروان وأنكرت ذلك من فعل وربجمة ومن إلهم من نفزاوة برابرة طرابلس الأباء من هوارة وزناتة، فخرجوها واجتمعوا إلى أبي الخطاب عبد الأعلى ابن الشیخ المعافري وقددوا طرابلس وأخرجوا عمر بن عثمان القرشي، واستولى أبو الخطاب عليها. واجتمع إليه سائر البرير الذين كانوا هناك من زناتة وهوارة وزحف بهم إلى القิروان فقتل عبد الملك بن أبي الجعد وسائر وربجمة ونفزاوة، واستولى على القิروان سنة إحدى وأربعين.

ثم ولَّ على القิروان عبد الرحمن بن رستم وهو من أبناء رستم أمير فارس بالقادسية، كان من موالي العرب ومن رؤوس هذه البدعة. ورجع أبو الخطاب إلى طرابلس واضطرب المغرب. ناراً، وانتزى خوارج البرير على الجهات فملکوها، واجتمع الصفرية من مكانة بناحية المغرب سنة أربعين ومائة، وقدموا عليهم عيسى بن يزيد الأسود، وأسسوا مدينة سجلماسة ونزلوها، وقدم محمد بن الأشعث واليَا على إفريقيه من قبل أبي جعفر المنصور فزحف إليه أبو الخطاب ولقيه بسرت، فهزموه ابن الأشعث وقتل البرير قتلاً ذريعاً. وفر عبد الرحمن بن رستم من القิروان إلى تاهرت بالمغرب الأوسط، واجتمع إليه طوائف البرير الأباء من ملایة ورجاله من نفزاوة فنزل بها، واحتخط مديتها سنة أربع وأربعين

## الخبر عن البربرية البر وشعوبهم ونبدأ منهم أولاً بذكر نفوسه وتصاريف أحواهم

كان مادغيس الأبتر جد البربرية البر، وكان ابنه زحيك ومنه شعبت بطونهم. فكان له من الولد فيما يذكر نسبة البرير أربعة. نفوس وأداس وضرا ولوا، فاما أداس فصار في هوارة لما يقال: إن هوارة خلف لباه زحيك على أنه قبل فصاله فانتسب إليه واختلط بولده، واندرجت بطون أداس في هوارة كما ذكرناه. وأما ضرا ولوا فسألهي بذكر بطونهم واحداً واحداً. وأما نفوس فهم بطن واحد تسب إلى هوارة كلها. وكانتوا من أوسع قبائل البرير فيهم شعوب كثيرة مثل بني زمور وبني مكسور وعاطسة.

وكانت مواطن جهورهم بجهات طرابلس وما إليها، وهناك الجبل المعروف بهم، وهم على ثلاثة مراحل من قبلة طرابلس يسكنه اليوم بقاياهم. وكانت مدينة صبرة قبل الفتح في مواطنهم، وتعزى إليهم، وهي كانت باكورة الفتح لأول الإسلام، وخرابها العرب بعد استيلائهم عليها فلم يبق منها إلا الأطلال ورسوم خالفة. وكان من رجالاتهم إسماعيل بن زياد المغلب على قابس سنة اثنين وثلاثين ومائة لأول الدولة العباسية. ومنهم لهذا العهد أوزاع متفرقون في الأقطار بعمارات مصر والمغرب، والله وارث الأرض ومن عليها، وأما لوا فمن ولده نفزاوة ولواثة كما ذكر.

## الخبر عن نفزاوة وبطونهم وتصاريف أحواهم

وهم بنو يطوفت بن نفزاو بن لوا الأكبر بن زحيك، وبطونهم كثيرة مثل غساسة ومرنيسة وزهيلة وسوماته وزاتيمة ووهاصة وجرة وورسيف، ومن بطونهم مكلاتة. ويقال: إن مكلاتة من عرب اليمن وقع إلى يطوفت صغيراً فبنيه، وليس من البرير. ولكلاتة بطون متعددة مثل: بني ورياغل وكزنابة وبني يصليتين وبني ديار وريعون وبني سرائب، ويقال: أن غساسة منهم، هكذا عند نسبة البرير مثل سابق المطماتي وغيره، ومن بطون وهاصة ورتدين بن داحية بن وهاصة وورفجومة بن تدغاس بن وهاص. ومن بطون ورفجومة زكولة رجاله لذاك بن ورفجوم إلى بطون أخرى كثيرة.

وكان ورفجومة هؤلاء أوسم بطون نفزاوة وأشدتهم بأساً

انقضاء ثلثمائة وخمسة وسبعين حرباً.

وقدم بزيد إفريقية فزال فسادها ورتب القبروان، ولم تزل البلاد هادئة، وانتقض ورفجومة سنة سبع وخمسين وولوا عليهم رجالاً منهم اسمه أبو زرجونة، فسرح إليهم بزيد من عشرة ابن حرارة المهملي فهزمه. واستأنفه ابنه المهلب وكان على الزاب وطبة وكتامة في الزحف إلى ورفجومة فأذن له، وأمده بالعلاء بن سعيد ابن مراون المهملي من عشيرتهم أيضاً، فأواقع بهم وقتلهم ب疹ق قتل. وانتقض نفزاوة من بعد ذلك في سلطنة ابنه داود من بعد مهلكة ستة إحدى وستين ومائة، وولوا عليهم صالح بن نصیر النفزي ودعوا إلى رأي الأباء، فسرح إليهم ابن عمته سليمان بن الصمة في عشرة آلاف فهزمهم وقتل البرير ب疹ق قتل. ثم تحذى إلى صالح بن نصیر، ولم يشهد الأولى من البرير الأباء، واجتمعوا بشقيبارية فهزمهم إليها سليمان ثانية وانصرف إلى القبروان.

وركبت ريح الخوارج من البرير من إفريقية وتداعت بدعهم إلى الأضمحلال، ورجب عبد الرحمن بن رستم صاحب تاهرت سنة إحدى وسبعين في موادعة صاحب القبروان روح بن حاتم بن قيصية بن المهلب، فوادعه وانحدرت شوكة البرير واستكانتوا للغلب وأطاعوا للدين، فضرب الإسلام بجرانه، وافتقت الدولة الفرضية على البرير بكلكلاتها، وتقلد إبراهيم بن الأغلب التميي أمر إفريقية والمغرب من قبل الرشيد هارون سنة خمس وثمانين ومائة فاضططع بأمر هذه الولاية، وأحسن السيرة واسقبل بولايتها غير منازع ولا منشوء، وتوارثها بنوه خالفاً عن سالف.

وكانت لهم بإفريقية والمغرب الدولة التي ذكرناها من قبل إلى أن انقرض أمر العرب بإفريقية على زيادة الله عاقبتهم الفار إلى المشرق أيام كاتمة سنة ست وستين وسبعين ومائتين كما نذكره. وخرج كاتمة على بني الأغلب بدعة الرافضية، قام بها فيهم أبو عبد الله المحتسب الشيعي داعية عبد الله المهدى، فكان ذلك آخر عهد العرب بالملك والدولة بإفريقية. واستقل كاتمة بالأمر من يومئذ، ثم من بعدهم من بربرية المغرب. وذهبت ريح العرب ودولتهم من المغرب وإفريقية، فلم يكن لهم بعد دولة إلى هذا العهد. وصار الملك للبرير وقبائلهم يتداولونه طائفه بعد أخرى وجلاً بعد آخر، تارة يدعون إلى الأموريين الخلقاء بالأندلس، وتارة إلى الهاشميين من بني العباس وبني الحسن. ثم استقلوا بالدعاية لأنفسهم آخرًا حسبما ذكر ذلك كله مفصلاً عندما يعرض لنا من ذكر دول زنانة والبرير الذين نحن في سيادة أخبارهم.

سلطانهم لذلك العهد كما نذكره عثمان بن عبد الرحمن وسجنه باللطيق بتلمسان ثم قتله. ومن أشهر قبائل وطاهصة أيضاً قبيلة أخرى يسيط بونة يركبون الخيل ويأخذون بمذاهب العرب في زيهن ولغتهم وسائر شعراهم كما هو شأن هوراء، وهم في عداد القبائل الغارمة ورئاستهم في بني عريف منهم، وهي لهذا العهد في ولد حازم بن شداد بن حزام بن نصر بن مالك بن عريف. وكانت قبليهم لعسكر بن بطنان منهم، هذه أخبار وطاهصة فيما علمناه.

وأما بقىاً بطنون نفزاوة فنمهم زاتيمه، وبقية منهم لهذا العهد بساحل برشك، ومنهم غساسة، وبقية منهم لهذا العهد بساحل بطوية حيث القرية التي هناك حاضرة البحر، ومرسى لأساطيل المغرب، وهي مشهورة باسمهم. وأما زهيلة فقيتهم لهذا العهد بنواحي بادس مندرجون في غماره وكان منهم لعهد مشيختنا أبو يعقوب البداسي أكبر الأولياء، وآخرهم بالمغرب. وأما منيسة فلا يعلم لهم موطن، ومن أعقابهم أوزاع بين أحياء العرب يافريقيا، وأما سوماته فنمهم بقية في بنواحي القبروان، كان منهم منذر بن سعيد القاضي بقرطبة لعهد الناصر والله أعلم.

وأما بقىاً بطنون نفزاوة فلا يعرف لهم لهذا العهد حي ولا موطن إلا القرى الظاهرة المقدرة السير المساوية إليهم ببلاد قسطلية، وبها معاهدون من الفرغنة أوطنوهم على الجزية واعتقاد الذمة عند عهد الفتح، وأعقابهم بها لهذا العهد، وقد نزل معهم كثير من بني سليم من الشريد وزبغة، وأوطنوها وتلكلوا بها العقار والضياع. وكان أمر هذه القرى راجعاً إلى عامل توzer أيام استبداد الخلافة. فلما تقلص ظل الدولة عنهم، وحدثت العصبة في الأنصار استبدت كل قرية بامرها وصار مقدم توzer يحاول دخولهم في إياته فنمهم من يعطيه ذلك ومنهم من يباه حتى أظلتهم دولته مولانا السلطان أبي العباس، وأدرجوا كلهم في طاعته واندرجوا في جبله، والله ولـي الأمور لا رب غيره أهـ.

## الخبر عن لواة من البربر البتر وتصاريف أحواهم

وهو بطن عظيم متسع من بطنون البربر البتر يتسبون إلى لوا الأصغر بن لوا الأكبر بن زخيك، ولروا الأصغر هو نفزاوة كما قلناه. ولروا اسم أبيهم، والبربر إذا أرادوا العموم في الجمع زادوا الألف والثاء فصار لوات، فلما عربته العرب حملوه على الإفراد والحقوا به هاء الجمع. وذكر ابن حزم أن نسبة البربر يزعمون أن

وقرة. وما أخرف عبد الرحمن بن حبيب عن طاعة أبي جعفر المنصور وقتله أخوه عبد الوارث والباس وطالهما ابنه حبيب بالثار فلحق عبد الوارث بورفجومة، ونزل على أميرهم عاصم بن جمل بوارس، وكان كاهناً فأجاره وقام بدعوه أبي جعفر المصوّر، واجتمعت إليه نفزاوة، وكان من رجالاتهم عبد الملك بن أبي الجعد ويزيد بن سكوم وكاثوراً يدين الأباضية من المخوارج، وزحفوا إلى القبروان سنة أربعين ومائة، وفر عنها حبيب بن عبد الرحمن، ودخلها عبد الملك بن أبي الجعد وقتل حبيباً. واستولت نفزاوة على القبروان وقتلوا من كان بها من قريش وسائر العرب، وربطاً دوابهم بالمسجد، وعظمت حروادتهم.

ونكر ذلك عليهم الأباضية من برابرة طرابلس وتولى كبرها زناته وهوراء فاجتمعوا إلى الخطاب بن السمح ورجالات العرب، واستولوا على طرابلس ثم على القبروان سنة إحدى وأربعين ومائة وقتلوا عبد الملك بن أبي الجعد وأخْذُوا في قومه من نفزاوة وورفجومة، ثم رجعوا إلى طرابلس بعد أن استعمل أبو الخطاب على القبروان عبد الرحمن بن رستم وأضطرب المغرب نسراً وعظمت فتنة ورفجومة هؤلاء إلى أن قدم محمد بن الأشعث سنة ست وأربعين من قبل المنصور فائixin في البربر واطلق نار هذه الفتنة كما قدمناه. ولما اخْتَطَ عمر بن حفص مدينة طيبة سنة إحدى وخمسين أتَّلَ ورفجومة هؤلاء بها مما كانوا شيئاً لهـ، وعظم غناوهم فيها عندما حاصره بها ابن رستم وينو يفرنـ.

ثم انتقضوا بعد مهلك عمر على يزيد بن حاتم عند قدومه على إفريقية سنة سبع وخمسين وولوا عليهم أبي زرجونة منهم، وسرح إليهم يزيد العساكر مع ابنه وقومه فائixin فيهمـ. ثم انتقضت نفزاوة على أبيه داود، ودعوا إلى دين الأباضية، وولوا عليهم صالح بن نصر منهم فرجعوا العساكر إليهم متراسلة وقتلواهم أربع قتلـ. وعليها كان ركود ربع المخوارج يافريقيـة ذمارـ البربرـ. وافتـرقـ بنـوـ وـرـفـجـوـمـةـ بـعـدـ ذـلـكـ وـاقـرـضـ أـمـرـهـ وـصـارـواـ أـزوـاعـاـ فـيـ الـقـبـائـلـ. وـكـانـ رـجـالـةـ مـنـهـمـ بـطـنـاـ مـسـعـاـ. وـكـانـ مـنـهـمـ رـجـالـاتـ مـذـكـورـونـ فـيـ أـوـلـ الـعـيـدـيـنـ وـبـيـ أـمـيـةـ بـالـأـنـدـلـسـ مـنـهـمـ الـرـجـالـيـ أـحـدـ الـكـتـابـ بـقـرـطـبـةـ، وـبـقـيـ مـنـهـمـ لـهـ الـعـهـدـ فـرـقـ بـمـاجـةـ. وـهـنـاكـ قـرـيـةـ يـسـيـطـهـاـ تـنـسـبـ إـلـيـهـ.

واما سائر وطاهصة من ورفجومة وغيرهم فهم لهذا العهد أوزاع، لذلك أشهرهم قبيلة بساحل تلمسان اندرجوا في كومية وعدوا منهم بالنسب والخلطـ. وكان منهم في أواسط هذه المائة التاسمة ابن عبد الملك استقل برئاستهم وملك بدعوى السلطان بعد استيلاء بيـنـ عبدـ الـوـادـ عـلـىـ تـلـمـسـانـ وـنـوـاـحـيـهـ، وـتـنـلـبـ عـلـىـ

عنهم ونزل إلى وادي ميناس ثم انصرف إلى القيروان. وذكر ابن الرقيق: أن المصور وقف هناك على أثر من آثار الأقدمين بالقصور التي على الجبال الثلاثة مبنية بالحجر المنجرور، ييدو للناظر على بعد كأنها أسمدة قبور، ورأى كتاباً في حجر فسره له أبو سليمان السردغوس: خالف أهل هذا البلد على الملك فأخرجني إليهم، ففتح لي عليهم، وبنيت هذا البناء لأذكر به، هكذا ذكر ابن الرقيق، وكان بنو وجدجين من قبائل زناتة مواطنهم من ميناس جراناً للواحة هؤلاء، والتخم بينهما وادي ميناس تاهرت. وحدثت بينهما فتنة بسبب امرأة أنكرها بنو وجدجين في لواحة فغيروها بالفقر، فكتبت بذلك إلى قومها ورئيسهم يومئذ عنان فتدامروا واستبدوا من وراءهم من زناتة فأمدوهم بعلي بن محمد الفرنسي.

وزحفت مطمطة من الجانب الآخر في مظاهرتهم وعليهم غزارة أميرهم، وزحفوا جميعاً إلى لواحة، فكانت بينهم وقائع حروب هلك في بعضها علاق، وأذاحوا عن الجانب الغربي السرسو، وألحوظوه إلى الجبل الذي في قبلة تاهرت، المسمى لهذا العهد كبريرة، وكان به قوم من مغاروة فغدروا بهم، وتناثروا جميعاً عليهم إلى أن أخرجوهم عن آخر مواطنهم في جهة الشرق بجبل يعود فنزلوا من وراء الجبل المسمى لهذا العهد دارك.

وانتشرت عمائرها بتلوله وما وراءه إلى الجبال المطلة على متيبة، وهو لهذا العهد في عدد القبائل الغارمة. وجبل دارك في انقطاع ولد يعقوب بن موسى مشيخة العطاف من زغبة ومن لواحة أيضاً يطون بالجبال المعروفة بهم قبلة قابس وصفاقس ومنهم بنو مكي رؤساء قابس لهذا العهد.

ومنهم أيضاً براحات مصر فيما ذكره المسعودي أمة عظيمة بالجيزة التي بينها وبين مصر. وكان لما قرب من هذه القصور شيخهم هناك بدر بن سالم، وانتقض على الترك وسرحوا إليه العساكر فاستحلموا كثيراً من قومه، وفر إلى ناحية برقة وهو الآن في جوار العرب بها. ومن زناتة هؤلاء أحياء بنواحي تادلا قرب مراكش من الغرب الأقصى، و لهم هناك كثرة، ويزعم كثير من الناس أنهم بنواحي جابر من عرب جشم، واحتلوا بهم وصاروا في عدادهم، و منهم أوزاع مفترقون بمصر وقرى الصعيد شارية وفالحين، و منهم أيضاً بضواحي بجاية قبيلة يعرفون بلواحة، ينزلون بسيط تاكارت من أعمالها ويعتمرونها، فدنا لزارعهم ومسارح لأنعامهم، ومشيختهم لهذا العهد في ولد راجع بن صواب منهم، وعليهم للسلطان جباية مفروضة وبعثت مصروف. هؤلاء المعروفون من يطون لواحة ولم شعوب أخرى كبيرة اندرجوا في

سدراته ولواته وزناته من القبط وليس ذلك بصحيق. وابن حزم لم يطلع على كتب علماء البربر في ذلك. وفي لواحة بطرن كثيرة وفيهم قبائل كثيرة مثل سدراته بن نيط بن لوا، ومثل عزوza بن ماصلت بن لوا، وعد سابق وأصحابه في بي ماصلت بطرن أخرى غير عزوza وهما: أكورة وجرمانة ومحانة مثل بي زائد بن لوا، وأكثر بطرنهم مزاتة. ونسابة البربر يعدون في مزاتة بطرن كثيرة مثل: بلايان وقرنة ومجيحة ودكمة وحرمة ودونة. وكان لواحة هؤلاء ظواعن في مواطنهم بنواحي برقة كما ذكره المسعودي، وكان لهم في فتنة أبي يزيد آثار.

وكان منهم بجبل أوراس أمة عظيمة ظهرتوا أبا يزيد مع بني كملان على أمره. ولم يزالوا بأوراس لهذا العهد مع من به من قبائل هراوة وكناة، ويدهم العالية عليهم تناهز خيالتهم ألفاً وتجاوز رجالاتهم العلة. وتستكفي بهم الدولة في جباية من تحت أيديهم بجبل أوراس من القبائل الغارمة فيحسنون الغاء والكماءة. وكانت البعثة مضروبة عليهم يفرون بها في معسكر السلطان، فلما تخلص ظل الدولة عنهم صار بنو سعادة منهم في انقطاع أولاد محمد من الدواودة فاستعملوهم في مثل ما كانت الدولة تستعملهم فيه، فأصاروهم خولاً للجباية وعسكرأ للاستفار وأصبحوا من جلة رعاياهم. وقد كان بتقي جانب منهم منصور بن مزنى إلى عمله، فلما استبد مزنى عن الدولة واستقلوا بالزراب صاروا يبعدونهم بالجلبة بعض السنين ويعسرون عليهم لذلك بأفارق الأعراب، وهو لهذا العهد معتضمون بجبلهم لا يجاوزونه إلى البسيط خوفاً من عادة الأعراب.

ولبني باديس منهم أناوات على بلد تقاسس المختطة في سفح الجبل بما تغلبوا على ضواحيها. فإذا انحدر الأعراب إلى مشاتיהם اقتضوا منها أناواتهم وخفارتهم. وإذا أقبلوا إلى مصايفهم رجع لواحة إلى معاقفهم الممتدة على الأعراب. وكان من لواحة هؤلاء أمة عظيمة بضواحي تاهرت إلى ناحية القبلة، وكانتوا ظواعن هناك على وادي ميناس ما بين جبل يعود من جهة الشرق وإلى وارصلف من جهة الغرب. يقال: إن بعض أمراء القيروان نقلهم معه في غزوة وأنزلهم هناك. وكان كبيرهم أورغ بن علي بن هشام قائدًا لعبيد الله الشيعي.

ولما انقض حيد بن يصل صاحب تاهرت على المصور ثالث خلفاء الشيعة ظاهروه على خلافه، وجاوروه في مذاهب ضلاله إلى أن غلبه المصور. وأجاز حيد إلى الأندلس سنة ست وثلاثين وزحف المصور يريد لواحة فهربوا أمامه إلى الرمال ورجع

البرابرة فهزم المقدمة واستلهمهم، وقتل خالد.

وتسامع البرير بالأندلس بهذا الخبر فثاروا بعاملهم عقبة بن الحاج سلوى وزعلوه، وولوا عبد الملك بن قطن الفهري، وبلغ الخبر بذلك إلى هشام بن عبد الملك فسرح كلثوم بن عياض المري في ائم عشر ألفاً من جنود الشام، وولاه على إفريقية وأدال به من عبد الله بن الحبّاب.

وزحف كلثوم إلى البرابرة سنة ثلاثة وعشرين حتى انتهت مقدمته إلى وادي سبو من أعمال طنجة فلقيه البرابرة هناك مع ميسرة وقد فحصوا عن أوساط رؤوسهم ونادوا بشعار الخارجية فهزموا مقدمته ثم هزموه وقتلوا.

وكان كيدهم في لقائهم لياء، أن ملأوا الشنان بالحجارة وربطوها بأذناب الخيل تتدادي بها فتفقع الحجارة في شنانها، ومررت بمصاف العساكر من العرب ففُرِّت خيولهم واختل مصافهم وأخرجت عليهم المزمعة فافتقرّوا، وذهب بلجع مع الطائع من أهل الشام إلى سبعة كما ذكرناه في أخبارهم. ورجعوا إلى القิروان أهل مصر وإفريقية، وظهرت الخوارج في كل جهة، واقطعوا المغرب عن طاعة الخلفاء إلى أن هلك ميسرة، وقام برئاسة مطغرة من بعده يحيى بن حارث منهم، وكان حليفاً لـ محمد بن خرز ومغراوة. ثم كان من بعد ذلك ظهر إدريس بالمغرب، فقادم بها البرابرة وتولى كبرها أوربة منهم كما ذكرناه. وكان على مطغرة يومئذ شيخهم يملول بن عبد الواحد، فاخترع مالك عن إدريس إلى طاعة هارون الرشيد بداخله إبراهيم بن الأغلب عامل القิروان، فصالحه إدريس وأئباه بالسلم.

ثم ركد ريح مطغرة من بعد ذلك وافتقر جعهم، وجرت الدول عليهم أذيالها واندرجوا في أعمال البرير الغارمين لهذا العهد بتلول المغرب وصحراه.

فمنهم ما بين قاس وتلمسان ألم يتصلون بحكومة ويدخلون خلفهم، واندرجوا من لدن الدعوة المرحادية منهم ورئاستهم لولد خليفة. كان شيخهم على عهد الموحدين، وبني لهم حصنًا بمواطفهم على ساحل البحر يسمى تاونت. وما انقرضت دولة بني عبد المؤمن واستولى بنو مرين على المغرب قام هارون بن موسى بن خليفة بدعاية يعقوب بن عبد الحق سلطانهم، وتغلب على ندرومة، وزحف إليه يغمرا سن بن زيان فاسترجع ندرومة من يده، وغلبه على تاونت، ثم زحف يعقوب بن عبد الحق إليهم وأخذها من أيديهم وشحنتها بالأقوات، واستعمل هارون ورجع إلى المغرب فحدثت هارون نفسه بالاستبداد، فدعا لنفسه معتصماً بذلك

البطون وتوزعوا بين القبائل، والله وارث الأرض ومن عليها.

### الخير عن بني فاتن من ضریسه إحدى بطون البرابرة البت وتصاريف أحواهم

وهم بطون: مطغرة ولابة وصلبة وكومية ومدينة ومغيبة ومطمطة وملزوحة ومكناة ودونة، وكلهم من ولد فاتن بن عصبي بن ضریس بن زحیک بن مادغیس البت، وظم ظهور من البرابر وأخبار، نسردها بطننا بطننا إلى آخرها.

مطغرة: وهو من أوفر هذه الشعوب، وكانوا خصاصين آهلين. وكان جهورهم بالمغرب منذ عهد الإسلام ونربة الفتح وشؤون الربدة وحرروبه، وكان لهم فيها مقامات. ولما استولى الإسلام في البرير أجازوا إلى فتح الأندلس وأجازت منهم أمم واستقروا هناك. ولا سرى دين الخارجية في البرير أحد مطغرة هؤلاء رأي الصفرية، وكان شيخهم ميسرة، ويعرف بالخير مقداماً فيه.

ولما ولّ عبد الله بن الحبّاب على إفريقية من قبل هشام بن عبد الملك، وأمره أن يمضي إليها من مصر، فقدمها سنة أربع عشرة واستعمل عمر بن عبد الله المرادي على طنجة والمغرب الأقصى وابنه إسماعيل على السوس وما وراءه، واتصل أمر ولايتهم وساعت سيرتهم في البرير ونقموا عليهم أحواهم، وما كانوا يطالونهم به من الوصايات البربريات والأفريقية العسلية الألوان، وأنواع طرف المغرب، فكانوا يغتصبون في جمعهم ذلك واتحالوا حتى كانت الصرمة من الغنم تستهلك بالذبح لاتخاذ الجلود العسلية من سخالها، ولا يوجد فيها مع ذلك إلا الواحد وما قرب منه.

فكثير عيّنهم بذلك في أموال البرير وجورهم عليهم، وامتضى لذلك ميسرة الحفيد زعيم مطغرة وهل البرابرة على الفتى بعمر بن عبد الله عامل طنجة فقتلوا ستة خمس وعشرين وول ميسرة مكانه عبد الأعلى بن خدع الأفريقي الرومي الأصل، كان من موالي العرب وأهل خارجيته، وكان يرى رأي الصفرية، فلواه ميسرة على طنجة، وتقدم إلى السوس فقتله عامله إسماعيل بن عبد الله، واضطرب المغرب ناراً وانتقض أمره على خلفاء المشرق فلم يراجع طاعتهم بعد.

وزحف ابن الحبّاب إليه من القิروان في العساكر وعلى مقدمته خالد بن أبي حبيب الفهري، فلقيهم ميسرة في جموع

ناحية الغرب عنهم، وكانت مطمطة ومكتنasa وزنانة جيماً في ناحية الجوف والشرق، فكانوا جميعاً على دين الخارجيه، وعلى رأي الأباضية منهم. وكان عبد الرحمن بن رستم من مسلمة الفتح، وهو من ولد رستم أمير الفرس بالقادسية، وقدم إلى إفريقيه مع طوال الفتح فكان بها، وأخذ بدين الخارجيه والأباضية منهم، وكان شبيعة للبيهه وحليفاً لهم.

ولما تحرّك الأباضية بناحية طرابلس منكرين على ورجمة فعلهم في القиروان كما مر، واجتمعوا إلى أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المغافري إمام الأباضية فملوكوا طرابلس، ثم ملكوا القيروان، وقتلوا منها من ورجمة عبد الملك بن أبي الجعد، وأثخروا في ورجمة وسائل نفزاوه سنة إحدى وأربعين ورجع أبو الخطاب والأباضية الذين معه من زنانة هوارة وغيرهم بعد أن استخلف على القيروان عبد الرحمن بن رستم.

وبلغ الخبر بفتنة ورجمة هذه واضطراب الخوارج من البربر بإفريقية والمغرب وتسلقهم على الكرسي للإماره بالقيروان إلى المنصور أبي جعفر فسرح محمد بن الأشعث المزاعي في العساكر إلى إفريقيه، وقلدَه حرب الخوارج بها، فقدمها سنة أربع وأربعين.

ولقيهم أبو الخطاب في جموعه قريباً من طرابلس فاواقع به ابن الأشعث ويقومه. وقتل أبو الخطاب وطار الخبر بذلك إلى عبد الرحمن بن رستم بمكان إمارته في القيروان، فاحتلَّ أهله وولده ولحقَّ بباباضية المغرب الأوسط من البربر الذين ذكرناهم، ونزل على ملأة تقديم حلف بينه وبينهم، فاجتمعوا إليه وباياعوا له بالخلافة، واتمروا في بناء مدينة ينصبون بها كرسي إمارتهم، فشروعوا في بناء مدينة تاهرت في سفح جبل كزول السياج على تلول منداس، واحتطواها على وادي ميناس التابعة منه عيون بالقبلة، وير بها وبالبطحاء إلى أن يصب في وادي شلف، فأسسها عبد الرحمن بن رستم واختطها ستة أربع وأربعين ومائة فتمدنت واتسعت خطتها إلى أن هلك عبد الرحمن، وولي ابنه عبد الوهاب من بعده، وكان رأس الأباضية.

وزحف ستة ست وسبعين مع هوارة إلى طرابلس وبها عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب من قبل أبيه فحاصره في جموع الأباضية من البربر إلى أن هلك إبراهيم بن الأغلب، واستقدم عبد الله بن الأغلب لإمارته بالقيروان، فصالح عبد الوهاب على أن تكون الضاحية لهم وانصرف إلى نفوسه ولحق عبد الله بالقيروان، وولي عبد الوهاب ابنه ميموناً، وكان رأس الأباضية والصفرية والراصدية، وكان يسلم عليه بالخلافة، وكان أتباعه من الواصليه

الهصن خمس سنين. ثم حاصره يغماسن واستنزله على صلح سنة اثنين وسبعين وستمائة. ولحق هارون بيعقوب بن عبد الحق. ثم أجاز إلى الجهاد ياذنه واستشهد هناك. وقام بأمر مطرفة من بعده أخوه تاشفين إلى أن هلك سنة ثلاث وسبعمائة. واتصلت رئاستهم على عقبه لهذا العهد.

ومن قبائل مطرفة أمّة محبيل قبلة فاس معروف بهم. ومنهم أيضاً قبائل كثيرون بنواجي سجلamasة وأكثر أهالها منهم. وربما حدثت بها عصبية من جرائمهم. ومن قبائل مطرفة أيضاً بصحراء المترقب كثيرون نزلوا بقصورها وأغترسوا شجرة النخل على طرقة العرب، فمنهم بنوات قبلة سجلamasة إلى تنظيت آخر عملها، قوم كثيرون موطنون مع غيرهم من أصناف البربر.

ومنهم في قبلة تلمسان وعلى ستة مراحل منها، وهي قصور متقاربة بعضها من بعض اختلف منها مصر كبير مستاجر بالعمران البدوي، معدود في آحاد الأمصار بالصحراء، ضاح من ظل الملك والدول لبعده في القفر. ورئاسته في بني سيد الملوك منهم. وفي شرقها وعلى مراحل منها قررى أخرى متتابعة على سمتها منتصاعدة قليلاً إلى الجوف، آخرها على مرحلة من قبلة جبل راشد. وهي في مجالات بني عامر من زغبة وأوطانهم من القفر، وقد تملّكوها لحط أهلهم وقضاء حاجاتهم حتى نسبت إليهم في الشهرة. وفي جهة الشرق عن هذه القصور وعلى خمس مراحل منها دامعة متوجلة في القفر تعرف بقلعية.

والآن يعتمراها رهط من مطرفة هؤلاء. وينتهي إليها ظواعن عن الملثمين من أهل الصحراء بعض السنين إذا لفحهم المجرم، يستبردون في تلوكها لتغلوها في ناحيهم. ومن مطرفة هؤلاء أوزاع في أعمال المغرب الأوسط وإفريقيه، والله الخلق جيماً.

## ملایة

وهم بطون فاتن بن تخصيت كما ذكرناه إخوة مطرفة، ولم بطون كثيرة عدّ منها سابق وأصحابه: بنوزكرا ومزيرة ومليبة وبنو مدینین كلهم من ملایة. وكانوا ظواعن بإفريقية والمغرب، وكان جهورهم بالمغرب الأوسط موطنين بتخومه مما يلي الصحراء.

ولما سرى دين الخارجيه في البرير أخذوا برأي الأباضية ودانوا به واتحلوا واتحله جيرانهم من مواطنهم تلك من لواثة وهوارة. وكانوا بأرض السرسو قبلة منداس وزواحة وكانوا في

وتحدهم ثلاثين ألفاً من طواعن ساكين بالخيام. ولم ينزل الملك في بي رست هؤلاء بتاهرت وحاربهم جيرانهم من مغراوة وبني يفرن على الدخول في طاعة الأدارسة لما ملكوا تلمسان، وأخذت بها زناته من لدن ثلاث وسبعين ومائة فاتمتعوا عليهم سائر أيامهم، إلى أن كان استيلاء أبي عبد الله الشيعي على إفريقيا والمغرب سنة ست وسبعين فغلبهم على مدينة تاهرت وابتزه ملوكهم بها.

وبث دعوة عبد الله في أقطار المغاربة، فانقرض أمرهم بظهور هذه الدولة وعهد عروبة بن يوسف الكتامي فاتح المغرب للشيعة على تاهرت لأبي حيد دواس بن صولان اللهيسي في غزاته إلى المغرب سنة ثمان وتسعين فاتخن في بربرتها الأياضية من ملایة وازداجة ولواثة ومكانة ومطماطة، وحملهم على دين الرافضة وفسخ بها دين الخارجية حتى استحكم في عقائدهم. ثم ولها أيام إسماعيل المنصور بصلاح بن حبوس.

ثم نزع إلى دعوة الأموية ورراء البحر، ولحق بالخير بن محمد بن خزر صاحب دعوتهم في زناته. واستعمل المنصور بعده على تاهرت ميسوراً الحصي مولاً وأحمد بن الزجالى من صنائعه، فرفح إليها حيد والخير وأنهزم ميسور. واقتحموا تاهرت عنوة وتقبضوا على أحد الزجالى وميسور إلى أن أطلقواهما بعد حين.

ولم تزل تاهرت هذه بعد ثغراً لأعمال الشيعة وصنهاجة سائر أيامهم، وتغلب عليها زناته مراراً ونازلتها عساكر بي أمية زاحفة في أثر زيري بن عطية أمير المغرب من مغراوة أيام أجاز المظفر بن أبي عامر من العدو إلى حرية. ولم ينزل الشأن هذا إلى أن انقض أمر تلك الدول، وصار أمر المغرب إلى لتوته. ثم صار إلى دولة الموحدين من بعدهم، وملوك المغاربة. وخرج عليهم بنو غالبة بناحية قابس، ولم يزل يجيئون منهم بجلب على ثغور الموحدين وشن الغارات على بساط إفريقيا والمغرب الأوسط. وتكسر دخوله إليها عنوة مرة بعد أخرى إلى أن احتمل سكانها وخلا جوها وعوا رسمها لما ينهر عشرون من المائة السابعة، والأرض لله.

وأما قبائل ملایة فانقرضوا وهلكوا بهلاك مصرهم الذي اختطوه وحازوه وملكوه سُنة الله في عباده. وبقيت فرق منهم أزواجاً في القبائل، ومنهم جربة الذين سميت بهم الجزيرة البحريّة تجاه ساحل قابس، وهو بها لهذا العهد. وقد كان التصرانية من أهل صقلية ملوكها على من بها من المسلمين، وهي قبائل ملایة وكتامة مثل: جربة وسدويكس ووضعوا عليهم الجزية وشيدوا على ساحل البحر بها معقل لإمارتهم سميه القشتيل. وطال تمرس العساكر به من حضرة الدولة الحفصية بتونس حتى كان

## مطماطة

وهم إخوة مطغرة ولامية من ولد فاتن بن تمصيت الذين سر ذكرهم، وهم شعوب كثيرة. وعن سابق المطماتي وأصحابه من النسبة أن اسم مطمات مصكاب، ومطماطة لقب له وأن شعوبهم من لوا بن مطمات. وأنه كان له ولد آخر اسمه ورنسيط، ولم يذكروا له عقباً قالوا: وكان للروا أربعة من الوليد: ورماسين ويلاعف ووريكول وبليصن. ولم يعقب بليصن واعقب الثالثة الباقون، ومنهم افترقت شعوب مطماطة كلها، فاما ورماس فمنه مصمود ويونس ويفرين، وأما وريكول فكان له من الولد كلثام ومسيدة وفيدين ولم يعقب مسيده ولا فيدين وكان لكثام عصفرachsen وسليبايان فمن سليبايان ووريغفي ووصدى وقططابيان وعمرو، ويقال هؤلاء الخمسة بنو مصطلودة سموا بأسمائهم. وكان لعصفرachsen يرهاض ويصراصن فمن يصراصن ورتين ووريكول وجليدا وسکرم، ويقال لهم بنى تليفكتان سموا بأسمائهم وكان يرهاض يليت ويصالسان فمن يليت ورسفلاسن وسكن ومحمد ومكديل ودكوال.

ومن يصلسان فان يولين ويت Manson وماركسن ومسافر وفلوسن ووريجيد، ونافع عبد الله وغرزاي، وأما يلاعف بن ولرا بن مطمات فكان له من الولد دهيا وثابتة فمن ثابتة ماجرسن وريغ وعجلان ويقام وقرة. وكان للدهيا ورجبي وجلين. فمن ورجبي مقرين وتور وسكم وعمجميس. ومن مجلين ماكور وأشكول وكيلان ومتذكون وقطارة وأبرة. هذه شعوب مطماطة كما ذكر نسبة البربر سابق وأصحابه، وهو مفترقون في المراطن، فمنهم من نواحي فاس من قبلتها في جبل هنالك معروف بهم ما بين فاس وصفروى، ومنهم بجهات قابس والبلد المختلط على العين الحامية من جهة غربها، منسوب إليهم. وهذا العهد يقال حمة مطماطة، ويأتي ذكرها في الدولة الحفصية وعالك إفريقيا ويقايمهم أوزاع من القبائل، وكانت مواطن جهورهم بتلول منداس عند جبل

معدودون منهم، وكذلك دونة وكشانة ولم افتراق في الوطن وكان منهم جهوران: أحدهما بالغرب الأوسط عند مصب شلف في البحر من ضواحي مازونة، المصر لهذا العهد. ومن ساحلهم أجاز عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس ونزل بالملقب فكان منهم أبو قرة المغيلي الدائن بدين الصفرية من الخوارج ملك أربعين سنة. وكانت بيته وبين أمراء العرب بالقيروان لأول دولة بين العباس حروب ونال طيبة. وقد قبل إن أبي قرة هذا من بي مطمطة وهذا عندي صحيح. فلذلك أخترت ذكر أخباره إلى أخبار بي يفرن من زناته.

وكان منهم أيضاً أبو حسان ثار بإفريقية لأول الإسلام، وأبو حاتم يعقوب بن لبيب بن مرين بن بطوف من ملزوز الشائر مع أبي قرة ستة خمسين وعشرة. وتغلب على القيروان فيما ذكر خالد بن خراش وخليفة بن خياط من علمائهم. وذكروا من رؤسائهم أيضاً موسى بن خليل ومليح بن علوان وحسان بن زروال الداخل مع عبد الرحمن. وكان منهم أيضاً دلوب بن حماد أميراً في سلطان يعلى بن محمد اليفرنى، وهو الذي اختط بلد إيكري على اثنى عشر ميلاً من البحر، وهي لهذا العهد خراب لم يبق منها إلا الأطلال مائة. ولم يبق من مغيلة بذلك الوطن جمع ولا حي. وكان جهورهم الآخر بالغرب الأقصى وهم الذين تولوا مع أوربة وصidente القيام بدعاوة إدريس بن عبد الله لما لحق بالغرب وأجازه، وحملوا قبائل البربر على طاعته والدخول في أمره. ولم يزالوا على ذلك إلى أن اضحملت دولته الأدارسة وبقاياهم لهذا العهد بمواطنهم ما بين فاس وصفروي ومكناة والله وارث الأرض ومن عليها.

### مدبونة

وهم من إخوة مغيلة ومطمطة من ولد فاتن كما قلناه، وكانت مواطن جهورهم بنواحي تلمسان ما بين جبل بني راشد لهذا العهد إلى الجبل المعروف بهم قبلة وجدة، يتقلبون بظراعنهم في ضواحيه وجهاته. وكان بني يلومي وبني يفرن من قبليهم يجاورونهم من ناحية المشرق، ومكتنasse من ناحية المغرب وكومية ووهاصنة من جهة الساحل.

وكان من رجالاتهم المذكورين جرير بن مسعود كان أميراً عليهم، وكان مع أبي حاتم وأبي قرة في فنتهم، وأجاز إلى الأندلس في طوال الفتح كبير منهم، فكان لهم هناك استفحال. وخرج هلال بن أبزيماً منهم بشتمورية على عبد الرحمن الداخل

وانتشرت كزول من نواحي تاهرت. وكان لهم بذلك المواطن أخرى بدولة صنهاجة استفحال وصولة.

وفي فتنة حاد بن بلکين مع بادييس بن المتصور مقامات وأثار. وكان كيرهم يومن عزانة، وكانت له مع البربرة المجاورين له من لواحة وغيرها حروب وأيام. ولما هلك عزانة قام بأمره في مطمطة ابنه زيري فمكث فيهم أياماً. ثم غلبت صنهاجة على أمره فاجاز البحر إلى العدوة، ونزل على المنصور بن أبي عامر فاصطنه ونظمه في طفة الأمراء من البربر الذين كانوا في جملته، واستظهره على أمره فكان من أوجه رجالهم عنده، وأعظمهم قدرأ لديه، إلى أن هلك، وأجراه إيه المظفر من بعده وأخوه عبد الرحمن الناصر على سنن أيهما في ترفع مكانه واحلامه ولاته، وكان عند ثورة محمد بن هشام بن عبد الجبار غالباً مع أبي عامر في غزاة النعمان مع من كان معه من أمراء البربر وعفانهم. فلما رأوا انتقض أمره وسوء تدبيره لحقوا به محمد بن هشام المهيدي فكانوا معه إلى أن كانت الفتنة البربرية بالأندلس إلى أن هلك هناك ولا أدرى أي السنين كان مهلكه. وأجاز إلى الأندلس وهلك زيري هنالك، لا أدرى أي السنين كان مهلكه. وأجاز إلى الأندلس أيضاً من رجالتهم كهلان بن أبي لوا يصلاصن ونزل على الناصر، وهو من أهل العلم بناسب البربر. وكان من مشاهيرهم أيضاً النسابة سابق بن سليمان بن حراث بن مولات بن دوقاس وهو كبير نسبة البربر من علمائهم. وكان منهم أيضاً عبد الله بن إدريس كاتب المراجع لعيid الله المهيدي في آخرین يطول ذكرهم آه.

وهذا ما تلقينا من أخبار مطمطة. وأما موطن منداس فزعم بعض الإخباريين من البربر ووافت على كتابه في ذلك أنه سمي بمنداس بن مغر بن أوريغ بن كبورى بن المشنى وهو هوار وكان والله أعلم يشير إلى أدادس بن زحيك الذي يقال إنه ربيب هوار كما يأتي في ذكرهم، إلا أنه اخترت عليه الأمر. وكان لمنداس من الولد شراوة وكلنوم ونكم. قال: ولما استفحلا أمر مطمطة وكان شيخهم لهذا العهد إبرهاص بن عصفراصن فأخذ منداس من الوطن وغلبه على أمره، واعتبر بنوه موطن منداس ولم يزالوا به آه. كلامه وبقية هؤلاء القوم لهذا العهد بجيبل وادشنيش، لحقوا به لما غلبهم بنو توجين من زناته على منداس وصاروا في عدد قبائل الغارمة والله وارث الأرض ومن عليها.

### مغيلة

وهم إخوة مطمطة ولامية كما قلناه، وأخوتهم ملزوزة

متبعاً شقيباً المكتاسي في خروجه. ثم راجع الطاعة فقبله وكتب له على قوفمه، فكان بشرق الأندلس، وشترمرة. ثم خلفه بها من قومه نابتة بن عامر. ولما تغلب بنو توجين وبنو راشد من زناتة على ضواحي المغرب الأوسط وكان مدبرونه هؤلاء قد قتل عدهم وقتل حدهم فدخلتهم زناتة على الضواحي من مواطنهم وتلكلوكها، وصارت مدبرونه إلى الحصون من بلاده بمجل تاسالة وجبل وجده المعروف بهم وضررت عليهم المغاربة وغرسوا بهم الأيام، فلم يبق منهم هنالك إلا صيابة محترفون بالفلج. ومنهم أيضاً أوزاع في القبائل متدرجون فيهم. وبناوا حسناً ما بينها وبين صفروي قبيلة منهم مجاورة لمغيلة، والله يirth الأرض ومن عليها.

وكان عبد المؤمن هذا من يوبياتهم وأشرافهم وموطفهم بتاكرارت، وهو حصن في الجبل المطل على هنن من ناحية الشرق. ولما نجح عبد المؤمن فيهم وشب ارتحل في طلب العلم فنزل بتلمسان، وأخذ عن مشيختها مثل ابن صاحب الصلاة وعبد السلام التونسي وكان قفيها صالح، وهو ضاجع الشيخ أبي مدين في تربته. ولما هلك عبد السلام هذا، ولم يجدن تلميذه بعد في فنونه وكان شيخ عصره في الفقه والكلام. تعطش التلميذ بعده إلى القراءة، وبلغ لهم خبر الفقيه محمد بن تورمة الهادي، ووصلهم إلى جایة، وكان يعرف إذ ذاك بالفقیه السوسي ونسبه إلى السوس. ولم يكن لقب المهدى وضع عليه بعده.

وكان في ارتحاله من المشرق إلى المغرب قد أخذ نفسه من تغيير المنكر الذي شأنه وطريقته نشر العلم وتبني القتاوى وتدرس الفقه والكلام. وكان له في طريقته الأشعرية إماماً وقدم راسخة. وهو الذي أدخلها إلى المغرب كما ذكرناه، وتشوق طيبة العلم بتلمسان إلى الأخذ عنه وتفاوضوا في ذلك، وتدب بعضهم بعضاً إلى الرحلة إليه لاستجلابه، وأن يكون له السبق بإتحاف القطر بعلمه، فاتدبت لها عبد المؤمن على مكانه من صحر السن بشاطئه للسفر لبداويته، فارتحل إلى جایة للقاءه وتزويجه في نزوله بتلمسان فلقيه مثلاً، وقد استحكست بينه وبين العزيز الثرة وبنو ورياكل معتصبون على إجارته منهم، ومنعه من إذاته والوصول إليه. فالقى إليه عبد المؤمن ما عنده من الترغيب، وأدى إليه رسالة طلبه العلم بتلمسان فوعاه، وشأنه غير شأنهم.

وعكف عبد المؤمن عن التعليم والأخذ عنه في ظنهن ومقامه. وارتحل إلى المغرب في صاحبته، وحذق في العلم وأثره الإمام تيزيد الخصوصية والقرب، عاصمه الله به من الفهم والوعي للتعليم، حتى كأنه خالصة الإمام وكبير صاحبته. وكان يزمله خلافته لما ظهر عليه من الشواهد المدونة بذلك. ولما اجتازوا في طريقهم إلى المغرب بالشعاوبة من موطن العرب الذين ذكرناهم قبل في نواحي المدينة، قربوا إليه حاراً فارحاً يتخدنه له عطية لركوبه، فكان يؤثر به عبد المؤمن ويقول لأصحابه: أركبوا الحمار يركبكم الحيوان المسموة. ولما بويح له في بهرقة سنة خمس عشرة وخمسة وافتقت على دعوته كلمة المصادمة وحاربوا لتوينة نازلوا مراكش.

وكانت بينهم في بعض أيام منازلتها حرب شديدة هلك فيها من الموحدين الآلف، فقيل للإمام إن الموحدين قد هلكوا. فقال لهم: ما فعل عبد المؤمن؟ قالوا هو على جواه الأدهم قد أحسن

## كومية

وهم المعروفون قدرياً بصفوررة أخوة لابية ومطفرة، وهم من ولد فاتن كما قدمنا، وطم ثلاث بطن منها تفرعت شعريهم وبقبائلهم وهي: ندرومة وصغاره وبنو يلول، فمن ندرومة: نغروطة وحرسة وفردة وهفانة وقراته ومن بي يلول: مسيفة ووتيبة وهبيبة وهبارة ووالفة. ومن صغاره: ماتيله وبنو حياسة، وكان منهم النسبة المشهور هاني بن مصدور بن مريس بن نقطوت هذا هو المعروف في كتبهم.

وكان موطن كومية بالغرب الأوسط لسيف البحر من ناحية أرشكول وتلمسان. وكان لهم كثرة موقرة وشوكة مرهوبة. وصاروا من أعظم قبائل الموحدين لما ظاهروا المصادمة على أمر المهدى وكلمة توحيدته. وربما كانوا رهط عبد المؤمن صاحبه وخليقته، فإنه كان من بنى عبد الله بن يحيى بن عبد المؤمن بن علي بن مخلوف بن يعلي بن مروان بن نصر بن علي بن عاصي بن الأمير بن موسى بن عبد الله بن يحيى بن ورنيني بن صطفور وهكذا نسبة مؤرخو دولة الموحدين إلى صطفور. ثم يقولون صطفور بن نفور بن مطماط بن هودج بن قيس غيلان بن مضر. ويدرك بعضهم أنه منقول من خط أبي محمد عبد الواحد المخلوع ابن يوسف بن عبد المؤمن، فاما انسابهم في قيس غيلان فقد ذكرنا أنه غير صحيح. وفي أسماء هذا العمود من نسب عبد المؤمن ما يدل على أنه مصنوع، إذ هذه الأسماء ليست من أسماء البربر وإنما هي كما تراها كلها عربية والقوم كانوا من البربرية معروفون بينهم، وانتساب مطغور إلى مطماط تخلط أيضاً فإنها أخوان عند نسبة البربر أجمع، عبد المؤمن بلا شك منهم، والله

بطونا كثيرة: بنو مجستة وبنو مليكش وبنو كوفي ومشدالة وبنو زريقف وبنو كوزيت وكرسفينة وزوجلة وخرجة وزكلاوة وبنو مران، ويقال: إن بني مليكش من صنهاجة والله أعلم.

ومن قبائلهم المشهورة لهذا العهد: بنو يحيرو وبنو مانكلات وبنو يترون وبنو ماني وبنو بودردان وبنو يترغ وبنو بو يوسف وبنو عبيسي وبنو بو شعيب وبنو صدقه وبنو غبرين وبنو كشطولة، ومواطن زواوة بتواحسي مجاهدة ما بين مواطنن كاملة وصنهاجة أوطنوا منها جبالاً شاهقة متعرجة تندع عنها الأ بصار ويضل في خرها السالك مثل: بني غبرين بجبل زيري، وفيه شعراً من شجر الزان يشهد بها هذا العهد، ومثل بني فراسن وبني براثن، وجبلهم ما بين مجاهة وتدلس وهو أعظم معاقلهن وأمنع حصونهم، فلهم به الاعتزاز على الدول والخيار عليها في إعطاء المغرم، مع أن كلهم لهذا العهد قد امتنع لسامنه واعتزل على السلطان في أبناء طاعته وقانون مزاجه.

وكانت لهم في دولة صنهاجة مقامات مذكورة في السلم وال الحرب بما كانوا أولاء لكتامة، وظهر اولهم على أمرهم من أول الدولة، وقتل بادس بن المنصور في إحدى وقائعه بهم، وشيشهم زيري بن أجانا لاتهامه أياه في أمر حاد، ثم اختطف بنو حاد بعد ذلك مجاهة وغرسوا بهم، فانقادوا وأذعنوا لهم إلى آخر الدولة، واتصل إذعنهم إلى هذا المهد إلا تمريضاً في المغرم بحملهم عليه الموثقون بمعنة جبارهم، وكانت رئاسة بني براتن منهم في بني عبد الصمد من برتائهم وكانت عند تغلب السلطان أبي الحسن على المغرب الأوسط شيخة عليهم من بني عبد الصمد هؤلاء اسمها شمسى، وكان لها عشرة من الولد فاستحق شائتها بهم وملكت عليهم أمرهم.

ولما تقبّض السلطان أبو الحسن على ابنه يعقوب المكتنى بابي عبد الرحمن عندما فر من معسكته بنتيجة سنة ثمان أو سبع وثلاثين وسرح في أثره الخالية فرجعوه واعتقله، ثم قتله من بعد ذلك حسبما يذكر في أخبارهم، لحق حيثذا بني بزانه هؤلاء خازن من مطبخه فموه عليهم باسمه وشبّه بتمثاله ودعا إلى الخروج على ابنه بزعمه فشرّط شمسى هذه عزائمها في إجازته وحلت قومها على طاعته، وسرّب السلطان أبو الحسن أمواله في موتها وهم على السلامة فابتاه، ثم نهى إليها الخبر بذكره وتعويذه فبذلت إليه عهده، وخرج عنها إلى بلاد العرب كما ذكر بعض ذلك في أخبارهم، وقدّمت على السلطان أبي الحسن في وفد من قومها وبعض بناتها فتألّع السلطان في تكريمه وأحسن صلتها وأجاز الوفد ورجعت بهم إلى موطنها، ولم تزل الرئاسة في هذا البيت.

الباء، فقال ما بقي عبد المؤمن فلم يهلك أحد ولا احتضر الإمام سنة اثنين وعشرين عهد بخلافه في أمره بعد المؤمن، واستراب من العصبية بين المصادة فكتم صوت الم Heidi وأرجأ أمره حتى صدّع الشّيخ أبو حفص أمير هنّة وكمير المصادة لصاهرته، وأمضى عهد الإمام فيه قيام بالأمر واستبدل بشيّوخة الموحدين وخلافة المسلمين.

ونهض سنة سبع وثلاثين إلى فتح المغرب فدانت له غماره، ثم ارتحل منها إلى الريف ثم إلى بطورة، ثم إلى بطالة ثم إلى بني يزناسن، ثم إلى مدينة ثم إلى كوميّة وجيرانهم ولهاصنة، وكانوا يلونهم في الكثرة فاشتد عضده بقومه، ودخلوا في أمره وشاعرهم على تكين سلطانه بين الموحدين وخلافته، ولما رجع إلى المغرب وافتتح أمصاره واستولى على مراكش استدعى قومه للرحلة إليها والعسكرة عليه فخفّ جهورهم إلى المغرب واستطرد مراكش لحمل سرير الخلافة والقيام بأمر الدّعوة والذّب عن ثغرهم والمدّاعة، فاعتصد بهم عبد المؤمن وبنوه سائر الدولة، وكانوا يكانتهم فاخته الكتاب وفذلكة الجماعة، وأنفقهم الملك في الفتوح والعساكر وأكلتهم الأقطار في تجهيز الكتاب وتدريج الممالك، فانقرضوا، وبقي مواطنهم الأولى بقابيل منهم: بنو عابد وهـ في عدد القبائل الغارمة قد أثقلت زناتة كاملهم فحملوا المغرم، والعنف ونهوضهم بالتكليف، ونظموهم مع جيرانهم ولهاصنة في سوم الحسـف والنـذل واقتضاء الخراج بالنـكال والـعذاب، والله مبدل الأمر ومالك الملك سبحانه.

## الخبر عن زواوة وزواحة من بطون ضرية من البرابر البت والإمام ببعض أحواهم

هؤلاء البطون من بطون البرابة البت، من ولد سمكان بن يحيى بن ضري بن زحيك بن مادغيس الأبتر، وأقرب ما يليهم من البرابر زناتة لأن أبيهم أجانا هو أخو سمكان ابن أبيه فلذلك كانوا ذوي قربى لهم.

## زواوة

فاما زواوة لهم من بطنـهم، وقد يقال إن زواوة من قبائل كنـة، ذكر ذلك ابن حزم، ونسابة البربر إنـا يـعدونـهم من ولـد سـمكانـ كما قـلناـه، والـصـحيح عـنـدي ما ذـكرـهـ ابنـ حـزمـ، وـيشـهدـ لهـ المـوطـنـ وـخلـةـ الشـيـعـ معـ كـاتـمةـ لـعـيـدـ اللـهـ، وـعـدـ نـسـابةـ الـبرـبرـ لهمـ

تاهرت والمغرب. ثم هلك وأقام ابنه حيداً مقامه فانخرف عن الشيعة، ودعا عبد الرحمن الناصر، واجتمع مع بني خزر أمراء جراوة على ولاية المروانية ثم أجاز إلى الأندلس وولي الولايات أيام الناصر وابنه الحكم، وولي في بعضها تلمسان بدعوتهما. ثم هلك وأقام ابنه نصل بن حيد وأنحوه فياطن بن يصلن وعلى ابن عممه مصالحة في ظل الدولة الأموية إلى أن أجاز المظفر بن أبي عامر إلى المغرب فولى يصل بن حيد سجلماسة كما نذكره. ثم أن رئاسة مكناسة بالعدوة انقسمت في بني أبي يزول، وانقسمت قبائل مكناسة بانقسامها. وصارت رئاسة مكناسة في مواطن سجلماسة وما إليها من بني واسول بن مصلان بن أبي يزول، ورئاسة مكناسة بجهات تازا وتسلو وملوية ومليلة لبني أبي العافية بن أبي نائل بن أبي الضحاك بن أبي يزول. ولكل واحد من هذين الفريقين في الإسلام دولة وسلطان وصاروا به في عداد الملوك كما نذكره.

### الخبر عن دولة بنى واسول ملوك سجلماسة وأعمالها من مكناسة

كان أهل مواطن سجلماسة من مكناسة يدينون لأول الإسلام بدين الصفرية من الخوارج لقتنه عن أئمتهم ورؤسهم من العرب لما لحقوا بالمغرب وأتتوا على الأصقاع وماتت أنطارات المغرب بفتنة ميسرة. فلما اجتمع على هذا المذهب زهاء أربعين من رجالاتهم تقضوا طاعة الخلفاء ولولا عليهم عيسى بن يزيد الأسود من موالى العرب ورؤوس الخوارج. وانتظروا مدينة سجلماسة لأربعين ومائة من المجرة. ودخل سائر مكناسة من أهل تلك الناحية في دينهم. ثم سخطوا أميرهم عيسى وتقموا عليه كثيراً من أحواله فشذوه كثافاً ووضعوه على قمة جبل إلى أن هلك سنة خمس وخمسين، واجتمعوا بعده على كبيرهم أبي القاسم سمكرو بن مصلان بن أبي يزول. كان أبوه سمقو من حلة العلم، ارتحل إلى المدينة فادرك التابعين وأخذ عن عكرمة مولى ابن عباس، ذكره غريب بن حيد في تاريخه، وكان صاحب ماشية وهو الذي بايع لعيسى بن يزيد وحمل قومه على طاعته فبايعوه من بعده.

وقاموا بأمره إلى أن هلك سنة سبع وستين ومائة لتهى عشر سنين من ولايته، وكان أباً ضيّاً صغيراً. وخطب في عمله للنصرور والمهدى من بني العباس. ولما هلك ولولا عليهم ابنه إلياس، وكان يدعى بالوزير. ثم انتقضوا عليه سنة أربع وستين ومائة فخلعوه ولولا مكانه أخيه إليسع بن أبي القاسم وكتبه أبو

### زواقة

وأما زواقة فلم يتأد إلينا من أخبارهم وتصاريف أحواهم ما نعمل فيه الأقلام. ولم ينل ثلاثة بطرن وهي: دمر بن زواقة وبشو. واطيل بن زحيك بن زواقة وبشو ماخر بن تيفون من زواقة. ومن دمر بنو سمكان وهم أوزاع في القبائل، ومنهم بنواحي طرابلس مفترقون في براريها وهم هنالك الجليل المعروف بدمر. وفي جهات قسطنطينية أيضاً رهط من زواقة، وكذلك بجبال شلف بنو واطيل منهم وبنواحي فاس آخرون. والله الخلق والأمر.

### الخبر عن مكناسة وسائر بطرن بني ورصفط وما كان لمكناسة من الدول بالمغرب وأولية ذلك وتصاريفه

كان لورصفط بن يحيى، وهو آخر أجيالنا بن يحيى وسمكان بن يحيى ثلاثة من البطون، وهم: مكناسة وورناتاجة وأوكه. ويقال: مكتنة. وبنو ورناتاجة أربعة بطرن: سدرجة ومكسة ويطالسة وكريزطة. وزاد سابق وأصحابه في بطرتهم: هنطة وفولاة، وكذلك عدوا في بطرن مكتنة: بني يصلن وبنو تولالين وبنو ترين وبنو جرتن وبنو فوغال. ولتكنasse عندهم أيضاً بطرن كثيرة منها: صولات وبنو حرّيات وبنو ورفلاس وبنو وريدوس وقصارة وورنيفة ووريفلة. ويطرون ورصفط كلهم مندرجون في بطرن مكناسة، وكانت مواطنهم على وادي ملوية من لدن أعلى بسجلماسة إلى مصبها في البحر، وما بين ذلك من نواحي تازا وتسلو. وكانت رئاستهم جميعاً في بني أبي يزول واسمه مجدول بن تافريس بن فراديس بن ونيف بن مكتناس. وأجاز منهم إلى العدة عند الفتح أمر.

وكانت لهم بالأندلس رئاسة وكثرة، وخرج منهم على عبد الرحمن الداخل شيئاً بن عبد الواحد سنة إحدى وخمسين واعتتصم بشترمية ودعا لنفسه متسبياً إلى الحسن بن علي، وتسمى عبد الله ابن محمد وتلقب بالفاطمي، وكانت بينه وبين عبد الرحمن حروب إلى أن غلبه وحا أثر ضلالته. وكان من رجالهم لهد دولة الشيعة مصالحة بن حبوس بن منازل اتصل بعيد الله الشيعي، وكان من أعظم قواه وأولائيه، وولاه تاهرت وافتتح له المغرب وفالس سجلماسة.

ولما هلك أقام أخيه يصلن بن حبوس مقامه في ولاية

سجلماة وتقبض على صاحبها أَحْمَدُ بْنُ مِيمُونَ بْنُ مَدْرَارٍ وَوْلِي عَلَيْهَا ابْنُ عَمِّ الْمُعْتَزِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ بَسَادَرَ بْنِ مَدْرَارٍ، فَلَمْ يَلْبِسْ أَنَّهُ اسْتَبَدَ الْمُعْتَزَ، وَهُلْكَةً سَنَةً إِحْدَى وَعِشْرِينَ قَيْلَ مَلْكَ الْمَهْدِيِّ، وَوْلِي مِنْ بَعْدِهِ أَبُو الْمُتَصْرِ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُعْتَزِ ثَعْلَبًا.

ثُمَّ هُلْكَةً وَوْلِي مِنْ بَعْدِهِ أَبُو الْمُتَصْرِ سَمْكُو شَهْرِينَ، وَكَانَ جَدَتِهِ تَدْبِرُ أَمْرَهُ لِصَغْرِهِ، ثُمَّ ثَارَ عَلَى ابْنِ عَمِّهِ مُحَمَّدِ بْنِ الْفَتحِ بْنِ مِيمُونَ الْأَمِيرِ وَتَلَبَّلَ عَلَيْهِ، وَشَغَبَ عَلَيْهِ بْنُ عَبِيدِ اللَّهِ لِفَتْنَةِ ابْنِ أَبِيهِ الْعَافِيَةِ وَتَاهِرَتِهِ، ثُمَّ بَفَتْنَةِ أَبِيهِ يَزِيدِ بَعْدِهِمَا فَدَعَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُتَصْرِ، وَطَالَ أَمْرُ وَلَائِتِهِ، وَكَانَ لَهُ وَلَدًا اسْمُهُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِيمُونَ، أَحَدُهُمَا لِأَرْوَى بَنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ رَسْتَمَ، وَقِيلَ إِنَّ اسْمَهُ أَيْضًا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَالْآخَرُ لَتْقِيٌّ وَتَنَازُعًا فِي الْاسْتِبَادَةِ عَلَى لَيْلَيَّةِ، وَدَامَتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُمَا ثَلَاثَ سَنِينَ، وَكَانَتِ الْأَيْمَنُ مَدْرَارًا صَاغِيَةً إِلَى ابْنِ أَرْوَى فَمَالَ مَعَهُ حَتَّى غَلَبَ أَخَاهُ فَأَخْذَهُ وَأَخْرَجَهُ عَنِ السِّجْلَمَاسَةِ، وَلَمْ يَلْبِسْ أَنَّهُ خَلَعَ لَيْلَيَّةَ وَاسْتَبَدَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ سَاءَتْ سِيرَتِهِ فِي قَوْمِهِ وَمِدْيَتِهِ، فَخَلَعَهُ وَصَارَ إِلَى درَرَةِ وَأَعَادَ مَدْرَارًا إِلَى أَمْرِهِ، ثُمَّ حَدَثَ نَفْسَهُ بِإِيَادِهِ مِيمُونَ ابْنِ الرَّسْتَمِيَّةِ إِلَى إِمَارَتِهِ بِصَاغِيَتِهِ إِلَيْهِ فَخَلَعُوهُ وَرَجَعُوا إِبْنَهُ مِيمُونَ بْنَ التَّقِيِّ، وَكَانَ يَعْرُفُ بِالْأَمِيرِ.

ثُمَّ دَخَلَ سِجْلَمَاسَةَ مُتَنَكِّرًا فَعُرِفَهُ رَجُلٌ مِنْ مَطْفَرَةِ وَأَنْذَرَ بِهِ، فَتَقْبَضَ عَلَيْهِ جَوْهَرُهُ، وَقَادَهُ أَسِيرًا إِلَى الْقِبْرَوَانَ، فَلَمَّا اتَّقْضَى الْمَغْرِبُ عَلَى الشِّيَعَةِ، وَفَتَّشَ بَدْعَةُ الْأَمِيرِ وَاحْذَرَ زَنَاتَةَ بَطَاةَ الْحَكْمِ الْمُتَصْرِ، ثَارَ بِسِجْلَمَاسَةَ قَائِمًا مِنْ وَلْدِ الشَّاكِرِ وَبِاهِيَ الْمُتَصْرِ بِاللَّهِ، ثُمَّ وَثَبَ عَلَيْهِ أَخْوَهُ أَبُو مُحَمَّدِ سَنَةَ اثْتَيْنِ وَخَسِينَ فَقُتِلَهُ، وَقَامَ بِالْأَمْرِ مَكَانَهُ وَتَلَبَّلَ الْمُعْتَزُ بِاللَّهِ.

وَاقَمَ عَلَى ذَلِكَ مَدَةً وَأَمْرَ مَكَانَسَةَ يَوْمَنْذَ قَدْ تَدَاعَى إِلَى الْإِنْخَالَ، وَأَمْرَ زَنَاتَةَ قَدْ اسْتَفَحلَ بِالْمَغْرِبِ عَلَيْهِمْ إِلَى أَنْ زَحْفَ خَزْرَوْنَ بْنَ فَلْفَولِ مِنْ مَلُوكِ مَغْرِبَةِ إِلَى سِجْلَمَاسَةِ سَنَةَ سَتِينَ وَبِرْزَ إِلَيْهِ أَبُو عَمَدَ الْمُعْتَزَ فَهَزَمَهُ خَزْرَوْنَ وَقَتَلَهُ، وَاسْتَولَ عَلَى بَلْدَهُ وَذَخِيرَتِهِ، وَبَعْثَتْ بِرَأْسِهِ إِلَى قَرْبَةَ مَعَ كِتَابِ الْفَتْحِ، وَكَانَ ذَلِكَ لِأَوْلَ حِجَاجَةَ الْمَصْوُرِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ، فَنَسَبَ إِلَيْهِ وَاحْتَسَبَ لَهُ جَدًا وَبِنْ تَقِيَّةً، وَعَقَدَ خَزْرَوْنَ عَلَى سِجْلَمَاسَةَ، فَأَقَامَ دُورَةَ هَشَامَ بِشَاهَانَهَا فَكَانَتْ أَوْلَ دُورَةً أَقِيمَتْ لَهُمْ بِالْأَمْصَارِ فِي الْمَغْرِبِ الْأَقْصِيِّ، وَاقْرَضَ أَمْرَهُ بْنِ مَدْرَارَ وَمَكَانَسَةَ مِنْ الْمَغْرِبِ أَجْعَجَ وَأَبْيَلَ مِنْهُمْ بِمَغْرِبَةِ وَبِنِي يَفْرَنِ حَسْبِمَا يَاتِي ذَكْرُهُمْ فِي دُولَتِهِمْ، وَالْأَمْرُ لَهُ وَحْدَهُ وَلِلْبَقاءِ سَبِّحَانَهُ وَتَعَالَى.

مُنْصُورٌ، فَلَمْ يَزِلْ أَمِيرًا عَلَيْهِمْ، وَبَنِي سُورِ سِجْلَمَاسَةَ لِأَرْبَعَ وَثَلَاثِينَ سَنَةً مِنْ لَوَائِهِ، وَكَانَ أَبَا ضِيَّاً صَفَرِيَّاً، وَعَلَى عَهْدِهِ اسْتَفَحَلَ مَلْكُهُمْ بِسِجْلَمَاسَةَ، وَهُوَ الَّذِي أَتَمَ بِنَاءَهَا وَتَشْيِدَهَا، وَاتَّخَذَتِهَا الصَّانِعُ وَالْقَصُورُ، وَاتَّقْلَلَ إِلَيْهَا آخِرُ الْمَائِدَةِ الثَّانِيَةِ، وَدَوْخَ بِلَادِ الصَّحَراءِ وَأَخْذَ الْخَمْسَ مِنْ مَعَادِنِ دَرَعَةِ، وَأَصْهَرَ لَعْبَدَ الرَّحْمَنَ بْنَ رَسْتَمَ صَاحِبَ تَاهِرَتِهِ مَدْرَارَ فِي ابْتِهِ أَرْوَى فَانْكَحَهُ إِيَاهَا.

وَلَا هُلْكَةً سَنَةً ثَمَانَ وَمَاتَتِنَ وَلِي بَعْدِهِ إِبْنَ مَدْرَارٍ وَلِقَبِهِ الْمُتَصْرِ، وَطَالَ أَمْرُ وَلَائِتِهِ، وَكَانَ لَهُ وَلَدًا اسْمُهُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِيمُونَ، أَحَدُهُمَا لِأَرْوَى بَنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ رَسْتَمَ، وَقِيلَ إِنَّ اسْمَهُ أَيْضًا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَالْآخَرُ لَتْقِيٌّ وَتَنَازُعًا فِي الْاسْتِبَادَةِ عَلَى لَيْلَيَّةِ، وَدَامَتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُمَا ثَلَاثَ سَنِينَ، وَكَانَتِ الْأَيْمَنُ مَدْرَارًا صَاغِيَةً إِلَى ابْنِ أَرْوَى فَمَالَ مَعَهُ حَتَّى غَلَبَ أَخَاهُ فَأَخْذَهُ وَأَخْرَجَهُ عَنِ السِّجْلَمَاسَةِ، وَلَمْ يَلْبِسْ أَنَّهُ خَلَعَ لَيْلَيَّةَ وَاسْتَبَدَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ سَاءَتْ سِيرَتِهِ فِي قَوْمِهِ وَمِدْيَتِهِ، فَخَلَعَهُ وَصَارَ إِلَى درَرَةِ وَأَعَادَ مَدْرَارًا إِلَى أَمْرِهِ، ثُمَّ حَدَثَ نَفْسَهُ بِإِيَادِهِ مِيمُونَ ابْنِ الرَّسْتَمِيَّةِ إِلَى إِمَارَتِهِ بِصَاغِيَتِهِ إِلَيْهِ فَخَلَعُوهُ وَرَجَعُوا إِبْنَهُ مِيمُونَ بْنَ التَّقِيِّ، وَكَانَ يَعْرُفُ بِالْأَمِيرِ.

وَمَاتَ مَدَارٌ إِلَى ذَلِكَ سَنَةَ ثَلَاثَ وَخَسِينَ لَحْمَسَ وَأَرْبَعَينَ مِنْ مَلْكِهِ، وَأَقَامَ إِبْنَهُ مِيمُونَ فِي اسْتِبَادَةِهِ إِلَى أَنْ هُلْكَةً سَنَةَ ثَلَاثَ وَسَتِينَ وَمَاتَتِنَ وَلِي أَبِيهِ عَمَدَ، وَكَانَ أَبَا ضِيَّاً وَتَسْوِيَ سَنَةَ سَبْعينَ فَوْلِي إِلِيَّسَ بْنِ الْمُتَصْرِ، وَقَامَ بِأَمْرِهِ وَلَحَقَ عَيْدَ اللَّهِ الشَّيْعِيِّ وَابْنَهُ أَبُورِ القَاسِمِ بِسِجْلَمَاسَةِ لِمَهْدِهِ، وَأَوْزَعَ الْمُعْتَضِدَ إِلَيْهِ فِي شَاهِنَهَا، وَكَانَ عَلَى طَاعَتِهِ، فَاسْتَرَابَ بِهِمَا وَجَبَهُمَا إِلَى أَنْ غَلَبَ الشَّيْعِيِّ بَنِي الْأَغْلَبِ، وَمَلِكَ رَقَادَةَ، فَزَحَفَ إِلَيْهِ لِاستَخْرَاجِ عَيْدَ اللَّهِ وَابْنِهِ مِنْ مَحْسِبِهِ، وَخَرَجَ إِلَيْهِ إِلِيَّسَ فِي قَوْمِهِ مَكَانَسَةَ فَهَزَمَهُ أَبُورِ عَيْدَ اللَّهِ الشَّيْعِيِّ، وَاقْتَحَمَ عَلَيْهِ سِجْلَمَاسَةَ وَقُتِلَهُ سَتَ وَتَسْعِينَ، وَاسْتَخْرَجَ عَيْدَ اللَّهِ وَابْنِهِ مِنْ مَحْسِبِهِمَا وَبِإِلْيَاعِهِمَا، وَوَلِيَ عَيْدَ اللَّهِ الْمَهْدِيِّ عَلَى سِجْلَمَاسَةَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ غَالِبِ الْمَازَاتِيِّ مِنْ رَجَالَاتِ كَتَامَةَ، وَانْصَرَفَ إِلَى إِفْرِيقِيَّةِ.

ثُمَّ اتَّقْضَى أَمْرَاءُ سِجْلَمَاسَةَ عَلَى وَالِيَّهِمْ إِبْرَاهِيمَ فَقُتِلُوهُ وَمِنْ كَتَامَةَ سَنَةَ ثَمَانَ وَتَسْعِينَ وَبِإِلْيَاعِهِمَا يَوْمَنْذَ قَدْ تَدَاعَى إِلَى أَنْ زَحَفَ حَسَبَهُمْ بْنَ مَدْرَارٍ وَأَمْرَ مَكَانَسَةَ وَمَكَانَسَةَ إِلَى الْمَغْرِبِ سَنَةَ تَسْعَ وَثَلَاثَةَ، فَدَوْخَ الْمَغْرِبَ وَأَتَذَهَّبُمْ بِدَعْوَةِ صَاحِبِهِ عَيْدَ اللَّهِ الْمَهْدِيِّ، وَافْتَحَ

## الخبر عن دولة بنى أبي العافية ملوك ترسو من مكناة وأولية أمرهم وتصاريف أحوالهم

ثم كانت العاقيبة لهم وانقضى عصر الحسن ورجع مفلولاً إلى فاس، فغدر به عامله على عدوة القرويين حامد بن حдан المهداني واستمكן من عائلة، واستحوذ ابن أبي العافية للقدوم وأمكنته من البلد، وزحف إلى عدوة الأندلس فملكتها وقتل عاملها عبد الله بن ثعلة بن محارب بن عمود، وولى مكانه أخيه محمدًا وطالب حامداً بصاحبها الحسن قدس إليه حامد بالقرار تجافياً عن دعاء أهل البيت، وتسلل الحسن من السور فسقط وانكسر ساقه ومات مستخنياً بعدوة الأندلس لثلاث ليال منها، وحضر حامد من سطوة أبي العافية فلتحق بالمهديه واستولى ابن أبي العافية على فاس والمغرب أجمع، وأجل الأدارسة عنهم وأجلهم إلى خصمهم بقلعة حجر النسر مما يلي البصرة، وحاصرهم بها مراراً، ثم جر عليهم العساكر، وخلف فيهم قائداته أبا الفتح فحاصرهم ونهض إلى تلمسان سنة تسع عشرة بعد أن استخلف على المغرب الأقصى ابنه مدين، وأنزله بعدوة القرويين.

واستعمل على عدوة الأندلس طوال بن أبي زيد، وعزل به محمد بن ثعلبة، وزحف إلى تلمسان فملكتهاً وغلب عليها صاحبها الحسن بن أبي العيش بن عسى بن إدريس بن محمد بن سليمان من عقب سليمان بن عبد الله أخي إدريس الأكبر الداخل إلى المغرب بعده، فغلب موسى بن أبي العافية الحسن على تلمسان وأزوجه عنها إلى مليلة من جزائر ملوية ورجع إلى فاس. وقد كان الخليفة الناصر لما فشلت دعوته بالغرب خاطبه بالقاريبة والرعد، فسارع إلى إجابته وتقضي طاعة الشيعة، وخطب للناصر على منابر حميد بن يصلت المكتناسى قائد تاهرت، فزحف في العساكر إلى حرمة سنة إحدى وعشرين ولقيه موسى بن أبي العافية بفحص مسون فترافقوا أياماً، ثم لقيه حميد فهزمه ولحق ابن أبي العافية بترسو فامتنع بها، وأفرج قائدته أبو الفتح عن حصن الأدارسة فاتبعوه وهزموه ونهبوا معسكراً.

ثم نهض حميد إلى فاس فقر عنها مدين بن موسى إلى ابنه، واستعمل عليها حامد بن حدان كان في جنته وقتل حميد إلى إفريقيا وقد دوخ المغرب. ثم انتقض أهل المغرب على الشيعة بعد مهلك عبد الله، وثار أحد بن بكر بن عبد الرحمن بن سهل الجذامي على حامد بن حدان فقتله، وبعث برأسه إلى ابن أبي العافية فارسله إلى الناصر بقرطبة واستولى على المغرب.

وزحف ميسور الخصي قائد أبي القاسم الشيعي إلى المغرب سنة ثلاثة وعشرين وخام ابن أبي العافية عن لقائه، واعتصم بمحصن لكأي، ونهض ميسور إلى فاس فحاصرها واستنزل أحد بن

كان مكناة الظواعن من أهل مواطن ملوية وكرسيف ومليلة وما إليها من التلول بتواحي تازا وتسو، والكل يرجعون في رئاستهم إلى بني أبي باسل بن أبي الضحاك بن أبي يزؤل، وهم الذين احتطوا بلد كرسيف ورباط تازا، ولم يزالوا على ذلك من أول الفتح.

وكانت رئاستهم في المائة الثالثة لمصالحة بن حبوس وموسى بن أبي العافية بن أبي باسل، واستفحلاً أمرهم في أيامه وعظم سلطانهم ونبلوا على قبائل البربر بالغاراء تازا إلى الكاثي، وكانت بينهم وبين الأدارسة ملوك المغرب لذلك العهد فتن وحروب، وكانتا يغلبونهم على كثير من ضواحيها لما كان نزل بدولتهم من المدم. ولما استولى عبد الله على المغرب واستفحلاً أمره كانوا من أعظم أوليائه وشييعه، وكان مصالحة بن حبوس من أكبر قواه لاغنياشه إليه، وولاه على مدينة تاهرت والمغرب الأوسط.

ولما زحف مصالحة إلى المغرب الأقصى سنة خمس وثلاثين، واستولى على فاس وعلى سجلamasة وفريغ من شأن المغرب واستنزل بيهى بن إدريس من إمارته بفاس إلى طاعة عبد الله وأبايه أميراً على فاس، عقد حيتنة لابن عمه موسى بن أبي العافية أمير مكناة على سائر ضواحي المغرب وأمصاره مضافة إلى عمله من قبل ترسو وتسوا وكرسيف وقتل مصالحة إلى القiroان. وقام موسى بن أبي العافية بأمر المغرب، وناديه بيهى بن إدريس صاحب فاس لما يضطعن له من المظاهر عليه.

فلما عاود مصالحة غزو المغرب سنة تسع أغراه ابن أبي العافية بيهى بن إدريس، فتقبض عليه واستصفاه وطرده عن عمله فلتحق بيئي عمه بالبصرة والريف، وول مصالحة على فاس ريمان الكاتامي وقتل إلى القiroان فهلك، وعظم ملك ابن أبي العافية بالمغرب، ثم ثار بفاس سنة ثلاثة عشرة وثلاثة الحسن بن محمد بن القاسم بن إدريس، وكان مقداماً شجاعاً وبلقب بالحجاج لطعنه في الحاجم دخل فاس على حين غفلة من أهله، وقتل ريمان وإليها، واجتمع الناس على بيعته. ثم خرج لقتاله ابن أبي العافية فترافقوا بفحص أداز ما بين تازا وفاس، ويعرف لهذا العهد بوادي المطاحن، واستندت الحرب بينهم، وهلك منهال بن موسى بن أبي العافية في الفتنة بمكناة.

محاصر لأنخيه مدين بفاس، وأجاز أبناء أبو العيش ومنصور إلى الناصر فأجلز لهم الكراهة على سنن أيهما.

ثم هلك مدين فقد الناصر لأنخيه أبي منقد على عمله ستة ثم غلب مغراوة على فاس وأعمالها، واستفحلا أمرهم بالغرب وأذاحوا مكناة عن ضواحيه وأعماله، وساروا إلى مواطنهم وأجاز إسماعيل بن البويري ومحمد بن عبد الله بن مرين إلى الأندلس فنزلوا بها إلى أن جازوا مع واضح أيام النصوص كما مر عندما نقض زيري بن عطيه طاغيهم سنة ست وثمانين، فملك واضح المغرب ورجعهم إلى أعمالهم. وتغلب بلکین بن زيري على المغرب على الأوسط وغلب عليه ملوکه بني خزر من مغراوة فاتصلت يد مكناة. ولم يزالوا في طاعة بني زيري ومظاهرتهم. وهلك إسماعيل بن البويري في حروب حاد مع باديس بخلف ستة خمس وأربعين، وتوارث ملكهم في أعقاب موسى إلى أن ظهرت دولة المرابطين، وغلب يوسف بن تاشفين على أعمال المغرب، فزحف إليه القاسم بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن موسى بن أبي العافية، فاستدعى أهل فاس وصرخ زنانة بعد مهلك معنصرة المغراوي فلقي عساكر المرابطين برادي صفر فهزمه وزحف إليه يوسف بن تاشفين من مكانه فحاصر قلعة فازار فهزم القاسم بن محمد وجحود مكناة وزنانة ودخل فاس عنده كما ذكرناه في أخباره

ثم زحف إلى أعمال مكناة فاقتحم الحصن وقتل القاسم. وفي بعض تواریخ المغرب أن مهلك إبراهيم بن موسى كان سنة خمس وأربعين. وولي ابنه عبد الله أبو عبد الرحمن وهلك ستة ثلاثين وولي ابنه محمد وهلك ستة ست وأربعين، وولي ابنه القاسم وهلك بتسول عند اقتحام لتونة عليه سنة ثلاثة وستين وانقرض ملك مكناة من المغرب باتفاق مملک مغراوة، والأمر لله وحده، وبقي من قبائل مكناة لهذا العهد بهذه المواطن أفاريق في جبال تازا بعد ما تمرّست بهم الدول وأناشت ساحتهم الأمم. وهم موصوفون بفبور الجباية وقوة الشكيمة، ولهم عناء في مظاهر الدولة وحقوق عند الحشد والعسكرة. وفيهم مؤمن من الخيالة، ومن مكناة «غير هؤلاء» أوزاع في القبائل لهذا المعهد مفرقون في نواحي إفريقيا والمغرب الأوسط. **«إِن يَشَاءُ يَنْهِي كُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَيِيدٍ، وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَعْزِيزُهُ** وهذا آخر الكلام في بي ورصيف، فلنزدج إلى من يقي علينا من البرير وهو زنانة، والله ولـي العون وبـه المستuan.

بكر عاملها. ثم تقبض عليه وأشخصه إلى المهدية، ويدر أهل فاس بعده فامتنعوا وقدموا على أنفسهم حسن بن قاسم اللواتي، وحاصرهم ميسور مدة حتى رغبوا إلى السلم، واشتروا على أنفسهم الطاعة والأتاوة فقبل ميسور ورضي، وأقر حسن بن قاسم على ولاته بفاس وارتحل إلى حرب ابن أبي العافية فكانت بينهما حروب إلى أن غلب ميسور فتقبض على ابنه الغوري وغريه إلى المهدية، وأجل موسى بن أبي العافية عن أعمال المغرب إلى نواحي ملوية ووطاط وما وراءها من بلاد الصحراء، ووقف إلى القيروان.

ولما مر بارشكوك خرج إليه صاحبها ملاطفاً له بالتحف، وهو إدريس بن إبراهيم من ولد سليمان بن عبد الله أخي إدريس الأكبر، فتقبض عليه واصطلم نعمته، وولى مكانه أبي العيش بن عيسى منهم. وأخذ السير إلى القيروان سنة أربع وعشرين ورجع موسى بن أبي العافية من الصحراء إلى أعماله بالغرب، فملكها ولوّي على الأندلس إبا يوسف بن محارب الأزدي، وهو الذي مدن عدوة الأندلس، وكانت حصوناً. واحتل موسى بن أبي العافية قلعة كوماط، وخطاب الناصر فبعث إليه مددًا من سطره، وزحف إلى تلمسان فقر عنها أبو العيش واعتضم بارشكوك فنازله وغلبه عليها سنة خمس وعشرين ولحق أبو العيش بذكره، واعتضم بالقلعة التي بناها هنالك لنفسه.

ثم زحف ابن أبي العافية إلى مدينة تكور فحاصرها مدة، ثم تغلب عليها وقتل صاحبها عبد البديع بن صالح، وخرب مدنهما. ثم سرح ابنه مدين في العساكر، فحاصر أبو العباس بالقلعة حتى عقد له السلام عليها. واستفحلا أمر ابن أبي العافية في المغرب الأقصى واتصل عمله بعمل محمد بن خزر ملك مغراوة وصاحب المغرب الأوسط، وبيثوا دعوة الأممية في أعمالها، وبعث ابنه مدين بأمره في قومه، وعقد له الناصر على أعمال ابنه بالمغرب واتصلت يده بيد الخير بن محمد كما كان بين آباءهما.

ثم فسد ما بينهما وتراجعا للغرب، ويعت الناصر قاضيه متذر بن سعد لمشاركة أحواهـما وإصلاح ما بينهما فتـم ذلك كما أراده ولحق به سنة خمس وثلاثين آخره البويري فارأـ من عـسـكـرـ النـصـوصـ معـ أـحـدـ بـنـ بـكـرـ الجـذـاميـ عـاملـ فـاسـ بـعـدـ أـنـ لـحـقاـ بـأـبـيـ يـزـيدـ، فـسـارـ أـحـدـ بـنـ أـبـيـ بـكـرـ إـلـىـ فـاسـ وـأـقـامـ بـهـ مـتـكـرـاـ إـلـىـ أنـ وـبـ ثـ بـعـاـلـهـ حـسـنـ بـنـ قـاسـمـ الـلـوـاتـيـ وـتـخـلـىـ لـهـ عـنـ الـعـملـ، وـصـارـ الـبـوـريـ إـلـىـ أـخـيـهـ مـدـينـ وـأـقـسـمـ أـعـمـالـ اـبـنـهـ مـعـهـ وـمـعـ اـبـنـهـ الـآـخـرـ مـنـقـدـ، فـكـانـواـ ثـلـاثـ الـأـثـافـ، وـأـثـارـ الشـوـرـيـ النـاصـرـ سـنـةـ خـسـنـ وـأـرـبعـينـ فـعـدـ النـاصـرـ لـابـنـ مـنـصـورـ عـلـىـ عـمـلـهـ وـكـانـ وـفـاتـهـ وـهـوـ

## أخبار البرانس من البربر

ومسارة ذكرهما ابن حزم، وقال: جيدهم بنو طهان بن ملد، وكذا عند سابق. ويقال: إن وينفن أيضاً من نهانه.

ومن بطنون هوارة بنو كهلان. ويقال: إن مليلة من بطنونهم. وعند نسابه البربر من بطنونهم غربان وورغة وزكارة ومسلاتة ومجريس. ويقال إن وينفن منهم. ومجريس لهذا العهد يتسبون إلى وينفن وعند سابق وأصحابه أنبني كهلان وريجين إحدى بطنون مغر، وأن من بطنون بني كهلان بني كسى وورتاكط ولشه و هو هوارة. وأما بطنون أدادس بن زحيك بن مادغيس الأمراء الذين دخلوا في هوارة فكثير. فمنهم: هزاعة وترهوتة وشاتنة وأندادة وهزتونة وأوطيطة وصبرة هؤلاء باتفاق من ابن حزم وسابق وأصحابه.

وكانت مواطن الجمhour من هوارة هؤلاء، ومن دخل في نسبهم من إخوانهم البرانس والصغرى لأول الفتح بنواحي طرابلس وما يليها من برقة كما ذكره المسعودي والبكري. وكانوا ظاعن وآهلين، ومنهم من قطع الرمل إلى بلاد القفر وجازروا لطة من قبائل الملثين فيما يلي بلاد كوكو من السودان تجاه إفريقيا، ويعرفون ببنفهم هكارا، قلب العجمة واره كافأً أعمجية تخرج بين الكاف العربية والكاف. وكان لهم في الودة وحرروها آثار مقامات ثم كان لهم في الخارجية والقيام بها ذكر، وخصوصاً بالأراضية منها. وخرج على حنظلة منهم عبد الواحد بن يزيد مع عكاشة الفزارى فكانت بينهما وبين حنظلة حروب شديدة. ثم هزمهما وقتلها وذلك ستة أربع وعشرين ومائة أيام هشام بن عبد الملك. وخرج على يزيد بن حاتم ستة ست وخمسين ومائة يحيى بن فonas منهم، واجتمع إليه كثير من قومه وغيرهم.

وزحف إليه قائد طرابلس عبد الله بن السمط الكندي على شاطئ البحر سواريه من سواحلهم، فانهزم وقتل عامدة هوارة. وكان منهم مع عبد الرحمن بن حبيب مجاهد بن سلم من قواده. ثم أجاز منهم إلى الأندلس مع طارق رجالات مذكورون واستقروا هناك، وكان من حلفهم بنو عامر بن وهب أمير رندة أيام لتونة، وبنو ذي التون الذين ملكوه من أيديهم، واستضافوا معها طليطلة وبنو زين أصحاب السهلة. ثم ثارت هوارة من بعد ذلك على إبراهيم بن الأغلب سنة ست وتسعين ومائة، وحاصرها طرابلس وافتتحوها فخرابها. وتولى كبير ذلك منهم عياض بن وهب، وسرح إبراهيم إليهم ابنه أبي العباس فهزمهم وقتلهم ويني طرابلس.

وجاجاً هوارة بعد الوهاب بن رستم من مكان إمارتهم بناءت فجاءهم واجتمعوا إليه ومعهم قبائل نفوسه وحاصرها أبو

وليداً أولاً بالخبر عن هوارة من شعوبهم وذكر بطنونهم وتصارييف أحوالهم والفرق شعوبهم في عمارات إفريقية والمغرب وهو هوارة هؤلاء من بطنون البرانس باتفاق من نسبة العرب والبربر ولد هوار بن أوريغ بن برس، إلا ما يزعم بعضهم أنه من عرب اليمن. تارة يقولون: من عاملة إحدى بطنون قضاعة، وتارة يقولون: من ولد المسور بن السكاسك بن واشل بن حير. وإذا خرروا الصواب: المسور بن السكاسك بن أشريس بن كندة، وبنيهونه هكذا: هوار بن أوريغ بن خنون بن المشنى بن المسور. وعند هؤلاء أن هوارة وصنهاجة ولطة وكرولة وهسكورة يعرف جميعهم بني ينهل وأن المسور جدهم جميعاً وأنه وقع إلى البر ونزل على بني زحيك بن مادغيس الأبت. وكانت أربعة إخوة: لوا وضرا وأدادس ونفسوس، وأنهم زوجوه أختهم تيسكى العرجاء بنت زحيك فولدت منه المشنى أبا هوارة، وتزوجها بعد المسور عاصيل بن زعزاع أبو صنهاجة ولطة وكرولة وهسكورة كما يأتي فيما بعد أنهم إخوة المشنى لأمه، وبها عرف جميعهم.

قالوا: وولد المشنى بن المسور خبوز وولد خبوز بن المشنى ريع الذي يقال فيه: أوريغ بن برس، ومنه تفرقت قبائل هوارة. قالوا: إنما سميت هوارة لأن المسور لما جال البلاد ووقع في المغرب قال: لقد تهورنا، هكذا عند بعض نسابه البربر. وعندى، والله أعلم، أن هذا الخبر مصنع وأن أثر الصنعة باد عليه. وبغض ذلك أن المحققين ونسابتهم مثل سابق وأصحابه قالوا: إن بطنون أدادس بن زحيك دخلت كلها في هوارة من أجل أن هوار خلف زحيك على أم أدادس، فربى أدادس في حجره وزحيك على ما في الخبر الأول هو جد هوار، لأن المشنى جده الأعلى هو ابن تيسكى وهي بنت زحيك، فهو الخامس من زحيك فكيف يخلفه على امرأته. هذا بعيد. والخبر الثاني أصح عند نسابتهم من الأول.

وأما بطنون هوارة فكثير وأكثرهم بنو نبه وأوريغ اشتهروا نسبة لشهرته وكثير من بينهم فانتسبوا جميعاً إليه. وكان لأوريغ أربعة من الولد: هوار وهو أكبرهم، ومغر وقلدن وملد، ولكل واحد منهم بطنون كثيرة وكلهم يتسبون إلى هوار. فمن بطنون مغر ماوس وزمور وكيد وسراي ذكر هذه البطنون الأربعية ابن حزم، وزداد سابق المطمطي وأصحابه: ورجين ربتدسة وكركورة ومن بطنون قلدن: قمسانا وورصيف وبيانة. ويل ذكر هذه الأربعية ابن حزم وسابق. ومن بطنون ملد مليلة ووسطط وروفل وأسيل

عتبة بن مالك بن رياح صاروا في عدادهم وجرروا على عبادتهم من العطن والمغرم. ومعهم أيضاً بطن من مرداش بنى سليم يعرفون ببني حبيب. ويقولون هو حبيب بن مالك. وهم غارمة مثل سائر هوارة وضواحي إفريقيا لهذا العهد معهودة هؤلاء الظواعن، ومعظمهم من هوارة. وهم أهل بقر وشاء وركوب للخيل وللسلطان بإفريقية، عليهم وظائف من الجباية، وضعها عليهم دعاقن العمال بديوان الخارج، قوانين مقررة وتضرب عليهم مع ذلك البعث في غزوات السلطان بعسكر مفروض يحضر بمحضر

السلطان متى استنفروا لذلك.

ولرؤسائهم آراء ذلك قاطعات ومكان في الدول بين رجالات البدو، ويربطون هوارة بمواطنتهم الأولى من نواحي طرابلس، ظراغن وأهلن، توزعهم العرب من دباب فيما توزعوه من الرعايا وغلبهم على أمرهم منذ ضحا عملهم من ظل الدولة، فتملكوهم عملك العبيد للجباية منهم والاستكثار منهم في الاتجاج وال Herb مثل: ترهونه وورقلة، الظواعن ومجرس الموطنين بزرزور من وينين وهي قرية من قرى طرابلس، ومن هوارة هؤلاء بأخر عمل طرابلس ما يلي بلد سرت وبرقة قبيلة يعرفون بمسراته لهم كثرة واعتذار، ووضائع العرب عليهم قليلة ويعطونها من عزة. وكثيراً ما ينقلون في سبيل التجارة ببلاد مصر والإسكندرية، وفي بلاد الحريد من إفريقيا وبأرض السودان إلى هذا العهد.

واعلم أن في قبالة قابس وطرابلس جبالاً متصلة بعضها بعض من المغرب إلى الشرق، فأولها من جانب الغرب جبل دمر يسكنه أمم من لواحة ويتصلون في بسيطة إلى فاس وصفاقس من جانب الغرب، وأمام أخرى من نفوسه من جانب الشرق. وفي سبع طوله سبع مراحل، ويتصل به شرقاً جبل نفوسه تسكنه أمة كبيرة من نفوسه ومغاروة وسدارته، وهو قبلة طرابلس على ثلاث مراحل عنها. وفي طوله سبع مراحل، ويتصل به من جانب الشرق جبل مسلاتة، ويعتبره قبائل هوارة إلى بلد مسراته ويفضي إلى بلد سرت وبرقة، وهو آخر جبال طرابلس. وكانت هذه الجبال من مواطن هوارة ونفوسه ولواثة. وكانت هنالك مدينة صغيرة بلد نفوسه قبل الفتح. وكانت برقة من مواطن هوارة هؤلاء، ومنهم مكان بني خطاب ملوك زويلة إحدى أ MCSAR برقة، كانت قاعدة ملوكهم حتى عرفت بهم، فكان يقال زويلة بن خطاب.

ولما خربت انتقلوا منها إلى فزان من بلاد الصحراء وأوطنوا، وكان لهم بها مملكة ودولة حتى إذا جاء قراقوش النزي الناصري ملوك تقي الدين ابن أخي صلاح الدين كما نذكر في

العباس بن الأغلب بطرابلس إلى أن هلك أبوه إبراهيم بالقيروان، وقد عهد إليه فصالهم على أن يكون الصحراء لهم. وانصرف عبد الوهاب إلى نفوسه. ثم أصحبوه بعد ذلك وغزوا مع الجيوش صقلية، وشهد فتحها منهم زواوة بن نعم الحلفاء. ثم كان لهم مع أبي يزيد النكاري وفي حربه مقامات مذكورة، اجتمعوا إليه من مواطنهم بجبل أوراس ومرماجه لما غلب عليه، وأخذ أهلها بدعوته فخانوا إلى ولاته وفعلوا الأفعال. وكان من أظهرهم في تلك الفتنة بنو كهلان.

ولما هلك أبو يزيد كما ذكره سطا إسماعيل المنصور بهم وأثخن فيه، وانقطع ذكر بني كهلان. ثم جرت الدول عليهم أذياها وانتابت بكلأكلها، وأصبحوا في عداد القبائل الغارمة من كل ناحية، فمنهم لهذا العهد بمصر أرباع متفرقون أوطنوها أكره وعبارة وشاوية، وآخرهم موطنون ما بين برقة والإسكندرية يعرفون بالثاليبة، ويقطعنون مع الحرة من طبرون هي بلاد سليم بأرض التلول من إفريقية ما بين تبسه إلى باجة، طواعن صاروا في عداد النباجعة عرب بني سليم في اللغة والزي وسكنى الخيام وركوب الخيل، وكسب الإبل ومارسة الحروب، وإيلاف الرحلتين في الشتاء والصيف في تلوهم. قد نسوا رطانة البربر واستبدلوا منها بفصاحة العرب، فلا يكاد يفرق بينهم. فأولهم مما يلي تبسة قبالة وينقش ورئاستهم لهذا العهد في ولد يفرن بن حشاش لأولاد سليم بن عبد الواحد بن عسكر بن محمد بن يفرن، ثم لأولاد زيتون بن محمد بن يفرن، ولأولاد دحان بن فلان بعده. وكانت الرئاسة قبلهم لسارية من بطرون وينفين ومواطنهم بيسانط مرماجنة وتبسة وما إليها.

ويليهم قبالة أخرى في الجانب الشرقي منهم يعرفون بقبصرون ورئاستهم في بيت بني مؤمن ما بين ولد زعازع ولد حركات ومواطنهم بفحص أبهة وما إليها من نواحي الأربعين، وتليهم إلى جانب الشرق قبالة أخرى منهم يعرفون بنصورة، ورئاستهم في بيت الرمامية لولد سليمان بن جامع منهم. ويرادفهم في رئاسة نصرة قبالة وريهامة ومواطنهم ما بين تبسة إلى حامة إلى جبل الزنجبار إلى إطار على ساحل تونس ويسانطها. ويجاورهم متساحلين إلى ضواحي باجة قبالة أخرى من هوارة يعرفون ببني سليم، ومعهم بطن من عرب مصر من هذيل بن مدركة بن إلياس. جاؤوا من مواطنهم بالحجاز مع العرب الملاليين عند دخولهم إلى المغرب واستوطنوا بهذه الناحية من إفريقيا، واحتلوا بهوارة وحملوا في عدادهم.

ومعهم أيضاً بطن آخر من بطون رياح من هلال يتمون إلى

وكان لهم اعتزار وأثار في الفتنة والخروب. ومسطاسه مندرجون معهم فيقال: إنهم من عداد بطونهم، ويقال: إنهم إخوة مسطاس أخي وزجاج والله أعلم.

وكان من رجالهم المذكورين شجرة بن عبد الكريم المسطاسي وأبو دليم بن خطاب. وأجاز أبو دليم إلى الأندلس من ساحل تلمسان، وكان لبني بها ذكر وفي فقهاء قرطبة مكان. وكان من بطون أزداجة بتو مسكن و كانوا يجاهرون وهران ونزل مرس وهران من رجال الدولة الأموية محمد بن أبي عون ومحمد بن عبدون، فدخلوا بني مسكن وملكتها وهران سبع سنين مقيمين فيها للدعوة الأموية، فلما ظهرت دعوة الشيعة وملك عبد الله الهندي تأهرت وولى عليها دواس بن صولات اللهمصي من كتابة، وأخذت البربرية بدعتهم أوعز دواس بمحصار وهران فزحفوا إليها سنة سبع وتسعين ودخلوا بني مسكن في ذلك فأجابوه، وفر محمد بن أبي عون فلحق بدواس بن صولات واستبيحت وهران وأضرمت ناراً.

ثم جدد بناءها دواس وأعاد محمد بن أبي عون إلى ولايتها، فعادت أحسن ما كانت، وأمراء تلمسان لذلك المهد من الأدراسة بنو أحد بن محمد بن سليمان، وسلمان أبو ادريس الأكبر كما ذكرناه. وكانوا يقيمون دعوة الأموية لذلك العهد. ثم ولى على تأهرت أيام أبي القاسم بن عبد الله أبو ملك يغمراسن بن أبي سمححة، وانتقض عليه البربر فحاصروه عند زحف ابن أبي العافية إلى المغرب الأوسط بدعة الروائية، وكان من أخذ بها محمد بن أبي عون صاحب وهران وسرح أبو القاسم ميسوراً فولاه إلى المغرب وأثار محمد بن عون بطاعته قبلها وأقره على عمله، ثم نكث محمد بن عون عند منصرف ميسور من المغرب وراجع طاعته الروائية.

ثم كان شأن أبي يزيد وانتفاض سائر البربرية على العبيد، واستفحلا أمر زناة وأخذوا بدعة الروائيين. وكان الناصر عقد ليعلى بن أبي محمد الفرنسي على المغرب، فخاطبه بمنرواغة محمد بن أبي عون وقبائل أزداجة في الطاعة للعداوة وبين القبيلتين بالجاورة، ورحب إلى أزداجة فحصرهم بجبل كيدرة، ثم تغلب عليهم واستأصلهم وفرق مجاعتهم وذلك لسنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة، ثم زحف إلى وهران ونازلاها، ثم افتتحها عنوة وأضرمها ناراً واستلحام أزداجة ولحق رئاستهم بالأندلس فكانوا بها، وكان منهم خزرون بن محمد من كبار أصحاب المنصور بن أبي عامر وابنه المظفر وأجاز إلى المغرب وبقي أزداجة بعد ذلك على حالٍ من الهضمية والمذلة وانتظموا في عداد المغارب من

مكانه عند ذكر المبورقي بن مسوفة وأخباره، وافتتح زلة وأوجلة وافتتح فزان بعدها، وتبض على عاملها محمد بن خطاب بن يصلن بن عبد الله بن صبلن بن خطاب آخر ملوكهم، وامتنعه وطالبه بالأموال ويسط عليه العذاب إلى أن هلك، وانقض أمر بني خطاب هؤلاء الهمارين.

ومن قبائل هوارة هؤلاء بالمغرب أمم كثيرة في مواطن من أعمال تعرف بهم، وظارعن شاوية تتجمع لسرحها في نواحيها، وقد صاروا عيادة للمغارب في كل ناحية. وذهب ما كان لهم من الاعتزاز والمعنة أيام الفتوحات بسبب الكثرة، وصاروا إلى الانفراق في الأودية بسبب القلة والله مالك الأمور. ومن أشهرهم بالمغارب الأوسط أهل الجبل المطل على البظاء، وهو مشهور باسم هوارة وفيه من مسراة وغيرهم من بطونهم، ويعرف رؤساً لهم من بني إسحاق. وكان الجبل من قبلهم فيما زعموا لبني يومين، فلما انقضوا صار إليه هوارة وأوطنه، وكانت رئاستهم في بني عبد العزيز منهم. ثم ظهر من بني عمّهم رجل اسمه إسحاق واستعمله ملوك القلعة، وصارت رئاستهم في عقبة بني إسحاق واحتلّت كبيرة محمد بن إسحاق القلعة المشوية إليهم.

ورث رئاسته فيهم آخره حيون وصارت في عقبه. واتصلوا بالسلطان أيام ملك بني عبد الواد على المغرب الأوسط، وانتظموا في شرائعهم، واستعمل أبو تاشفين من ملوكهم يعقوب بن يوسف بن حيون قائداً على بني توجين عندما غلبهم على أمرهم، المغارب عليهم، فقام بها أحسن قيام دوخ بلادهم، وأذل من عزهم. وبعد أن غلب بنو مرiven بني عبد الواد على المغرب الأوسط استعمل السلطان أبو الحسن عبد الرحمن بن يعقوب على قبيلة هؤلاء. ثم استعمل بعده عمّه عبد الرحمن، ثم ابنه محمد بن عبد الرحمن بن يوسف. ثم تلاشى هذا القبيل وخف ساكن الجبل بما اضطهدتهم دولة بني عبد الواد، وأجحافت بهم في الظلامات. وانقضوا بيت بني إسحاق، والأمر على ذلك لهذا العهد، والله وارث الأرض ومن عليها.

### الخبر عن أزداجة ومسطاسه وعجيسة من بطن البرانس ووصف أحوالهم

أما أزداجة ويزرون أيضاً وزجاجة فمن بطون البرانس، وكثير من نسبة البربر يعدونهم في بطون زناة. وقد يقال إن أزداجة من زناة وزجاجة من هوارة، وأنهما يطنان مفترقان وكان لهم وفور وكثرة. وكانت مواطنهم بالمغارب الأوسط بناحية وهران،

القبائل.

فاضطعن عليه صاحبته لأبي المهاجر وتقدم أبو المهاجر في اصطناعه فلم يقبل وزحف إلى المغرب وعلى مقدمته زهير ابن قيس البلوي فدوخه. ولقيه ملوك البرير ومن انتقم إلهي من الفرنخية بالزاب وتأهرت فهزهم واستباحهم، وأذعن له بليان أمير غماره ولاطفه وهاداه، ودهله على عورات البربرة وراءه أبو ليلة والسوس وما والاهما من مجالات الملثمين فغنم وسبى، وانتهى إلى ساحل البحر وقتل ظافراً.

وكان في غزاته تلك يستهين كسيلة ويستخف به وهو في اعتقاله. وأمره يوماً بسلخ شاة بين يديه فدقعها إلى غلمانه، وأراده عقبة على أن يتولاها بنفسه، وانتهز فقام إليها كسيلة مغضباً وجعل كلما دس يده في الشاة يمسح بلحينه والعرب يقولون ما هذا يا بربري؟ فيقول: هذا جيد للشعر فيقول لهم شيخ منهم: إن البربري يتعدكم. وبلغ ذلك أبا المهاجر فنهى عقبة عنه، وقال: كان رسول الله ﷺ يستألف جبارية العرب، وأنت تعمد إلى رجل جبار في قومه بدار عزة قريب عهد بالشرك فتندى قلبه وأشار عليه بأن يوثق منه. وخرفه فتكه فتهاون عقبة بقوله.

فلما قفل عن غزاته وانتهى إلى طبنة صرف العساكر إلى القبور أنفوا جائحة ما دوخ من البلاد، وأذن من البرير حتى يقضي في القليل من الناس، وسار إلى تهودة أو بادس لينزل بها الحامية. فلما نظر إليه الفرنخية طمعوا فيه وراسلوا كسيلة بن لزم ودلوه على الفرصة فيه فانهزموا، وراسل بني عمه ومن تبعهم من البرير، واتبعوا عقبة وأصحابه رضي الله عنه إذا غشوه بهودة ترجل القوم وكسرروا أيضان سيفهم، ونزل الصبر واستلهم عقبة وأصحابه رضي الله عنهم ولم يفلت منهم أحد. وكانوا زهاء ثلثمانة من كبار الصحابة والتابعين استشهدوا في مصرع واحد، وفيهم أبو المهاجر كان أحصبه في اعتقاله، فأبلى رضي الله عنه في ذلك اليوم البلاء الحسن، وأجداد الصحابة رضي الله عنهم أولئك الشهداء عقبة وأصحابه بمكانتهم ذلك من أرض الزاب لهذا العهد.

وقد جعل على قبر عقبة أسنة ثم جصص، واتخذ عليه مسجد عرف باسمه وهو في عدد المزارات ومظان البركة، بل هو أشرف مزور من الأجداد في بقاع الأرض لما توفر فيه من عدد الشهداء من الصحابة والتابعين الذين لا يبلغ أحد مد أحدهم ولا نصيفه، وأسر من الصحابة يومئذ محمد بن أبي الأنصاري ويزيد بن خلف القيسى ونفر معهم فقادهم ابن مصاد صاحب قصصه. وكان زهير بن قيس البلوي بالقبران وبلغه الخبر فخرج هارباً وارتحل بالسلميين ونزل برقة وأقام بها ينتظر المدد من الخلفاء.

وأما العجيبة: وهو من بطون البرانس من ولد عجيبة من بربنس ومدلول هذا الاسم البطن، فإن البرير يسمون البطن بلغتهم عدّس بالدال المشددة، فلما عرّتها العرب قلبت دالها جيماً مخففة، وكان لهم بين البرير كثرة وظهور، وكانت مجاورين في بطونهم لصنهاجة، وبقاياهم لهذا العهد في ضواحي تونس والجبال المطلة على السليمة، وكانت منهم من بطون يسكنون جبل القلعة. وكان لهم في فتنة أبي يزيد أثر. ولما هزمهم المنصور جلا عليهم واعتضم بقلعة كاتمة من حصونهم حتى اقتحم عليهم. ثم بادر حماد بن بلکين من بعد ذلك مكاناً لبناء مدينة فاختلطها بهم. ونزلا وسع خطتها واستبحر عمرانها. وكانت حاضرة لملك آل حماد فأختلفت هذه المدينة من جهة عجيبة لم تمرست بهم، وخضدت من شوكهم وراموا كيد القلعة مراراً، وأجلبوا على ملوكها بالأعيان منهم فاستلهمهم السيف، ثم هلكوا وهلكت القلعة من بعدهم وورثت مواطنهم بذلك الجبل عياص من أفاريق الربع المغاربي وسمي الجبل بهم، وفي القبائل بالمغرب كثير من عجيبة هؤلاء مفترقون فيهم والله أعلم.

## الخبر عن أوربة من بطون البرانس وما كان لهم من الردة والثورة وما صار لهم من الدعاء لإدريس الأكبر

كانت البطون التي فيها الكثرة والغلب من هؤلاء البرير البت كلهم لعهد الفتح أوربة وهوارة وصنهاجة من البرانس، ونفوسه وزنانة ومحقرة ونفراوة من البت، وكان التقدم لعهد الفتح لأوربة هؤلاء بما كانوا أكثر عدداً وأشد بأساً وفقرة، وهو من ولد أورب بن بربنس، وهو بطون كثيرة، فعنهم مجایة ونفاسة ونفعنة وزهكوكجة ومزياته ورغبوته وديقوسة. وكان أميرهم بين يدي الفتاح سكرديد بن زوجي بن بارزت بن بربنات ولد عليهم مدة ثلاثة وسبعين سنة، وأدركه الفتح الإسلامي ومات سنة إحدى وسبعين، وولي عليهم من بعده كسيلة بن لزم الأوريبي فكان أميراً على البرانس كلهم، ولما نزل أبو المهاجر تلمسان سنة خمس وخمسين كان كسيلة بن لزم مرتاباً بالغرب الأقصى في جموعه من أوربة وغيرهم، فظفر به أبو المهاجر وعرض عليه الإسلام فأسلمه واستنقذه وأحسن إليه وصحبه.

وقدم عقبة في الولاية الثانية أيام يزيد سنة إثنين وستين

## الخبر عن كاتمة من بطون البرانس وما كان لهم من العز والظهور على القبائل وكيف تناولوا الملك من أيدي الأغالبة بدعة

### الشيعة

هذا القبيل من قبائل البربر بالمغرب وأشدتهم بأساً وقوة، وأطواعهم باعاً في الملك عند نسبابة البرير من ولد كتام بن برنس، ويقال: كتم ونسابة العرب يقولون إنهم من حمير ذكر ذلك ابن الكلبي والطبرى. وأول ملوكهم أفريقش بن قيس بن صيفي من ملوك التابعة، وهو الذي انتفع إفريقياً وبه سميت، وقتل ملكها جرجير، وسمى البرير بهذا الاسم كما ذكرناه. ويقال: أقام في البرير من حمير صنهاجة وكاتمة فهم إلى اليوم فيهم، وتشعبوا في المغرب وانشروا في نواحيه إلا أن جهورهم كانوا لأول الملة بعد تهبيج الردة وطبيخة تلك الفتنة، موطنين بارياف قسطنطينية إلى تحوم بجاهة غرباً إلى جبل أوراس من ناحية القبلة. وكانت بتلك المراطن بلاد مذكورة أكثرها لهم، وبين ديارهم ومحالات تقبيلهم مثل أبكيجان وسطيف وباغلة، ونقاصوس وبازمه وينكتس وميلة وقسطنطينية والسيكرة والقل وجيجل من حدود جبل أوراس إلى سيف البحر ما بين بجاهة وبونة.

وكانت بطونهم كبيرة يجمعها كلها غرسن ويسودة ابنها كتم بن برنس فمن: يسودة فلاسة ودهناجة ومتروسة ووريسن كلهم بنو بسودة بن كتم وإلى دنهناجة ينسب قصور كاتمة بالمغرب لهذا العهد. ومن غرسن: مصالحة وقلان وما وطن ومعاذ بنو غرسن بن كتم، وهليصة وجملة ومسالته بنو بناوة بن غرسن، وإجانة وغسان وأفاس بنو بيطاسن بن غرسن، وملوسة من أبيان بن غرسن. ومن ملوسة هؤلاء بنو زلدوبي أهل الجبل المطل على قسطنطينية لهذا العهد. وبعد البربرة من كاتمة بنو بستان وهشتيوة ومصالحة وبني قنسيلة. وعد ابن حزم منهم زواوة بجميع بطونهم وهو الحق على ما تقدم.

وكان من هذه البطون بالمغرب الأقصى كثير متذبذبون عن مواطنهم، وهم بها إلى اليوم. ولم يزالوا بهذه المواطن وعلى هذه الحالة من لدن ظهور الملك وملك المغرب إلى دولة الأغالبة. ولم تكن الدولة تسرونهم بهضيمة ولا ينالمون تعسف لاعتراضهم بكثرة جموعهم كما ذكره ابن الرقيق في تاريخه إلى أن كان من قيامهم في دعوة الشيعة ما ذكرناه في دولتهم عند ذكر دولة الفاطميين إثر دولة بنى العباس، فانظره هنا لك وتصفحه تجد تفصيله. ولما صار

واجتمع إلى كسلة جميع أهل المغرب من البربر والفرنجية، وزحف إلى القبروان فخرج العرب منها ولحق بزهير بن قيس وبقي بها أصحاب الذاري والأمثال فامتهم ودخل القبروان وأقام أميراً على إفريقية ومن بقي بها من العرب خمس سنين.

وقارن ذلك مهلك يزيد بن معاوية وفتنة الضحاك بن قيس مع الرواية برج راهط وحروب آل الزبير فاضطراب أمر الخلافة بعض الشيء، واضطرب المغرب ناراً وفتحت الردة في زيارة والبرانس. ثم استقل عبد الملك بن مروان من بعد ذلك بالخلافة وأذهب بالشرق آثار الفتنة. وكان زهير بن قيس مقيناً ببرقة منذ مهلك عقبة، فبعث إليه بالمالد وولاه حرب البربرة والشار بدم عقبة. فزحف إليها في آلاف من العرب سنة سبع وستين. وجمع كسلة البرانس وسائل البرير، ولقيه مجيش من نواحي القبروان واشتدت القتال بين الفريقين.

ثم انهزم البرير وقتل كسلة ومن لا يخص منهم وأتبعهم العرب إلى مرماجة ثم إلى ملوية وذل البرير وبلغوا إلى القلاع والمحصون وخضت شرفة أوربة من بينهم واستقر جهورهم بدارس المغرب الأقصى فلم يكن بعدها لهم ذكر. واستولوا على مدينة وليلي بالمغرب كانت ما بين موضع فاس ومكناسة بجانب جبل زرهون وأقاموا على ذلك، والجيوش من القبروان تدخل المغرب مرة بعد أخرى إلى أن خرج محمد بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي أيام المنصور وقتل بالمدينة سنة خمس وأربعين. ثم خرج بعده ابن عمته حسين بن علي بن حسن الثالث بن حسن المثنى بن الحسن السبط أيام الهادي وقتل بفتح على ثلاثة أميال من مكة سنة سبع وستين ومائة، واستلحام كثير من أهل بيته وفر إدريس بن عبد الله إلى المغرب ونزل على أوربة سنة اثنين وسبعين وأمرهم يومئذ بو ليلي إسحاق بن محمد بن عبد الحميد منهم فأجراه وجمع البرابر على دعوته. واجتمعت عليه زواغة ولواثة وسراته وغمات وفراة ومكناسة وغمارة وكافة برابرة المغرب، فأباعوه واتمروا بأمره، وتم له الملك والسلطان بالمغرب. وكانت له الدولة التي ورثها أعقابه إلى حين انفراطها، كما ذكرنا في دولة الفاطميين والله تعالى أعلم.

مشيختنا، وأن ذلك كان لعهد دولة المرحدين وكان منهم علي بن علاوة وبعده ابنه طلحة بن علي وبعده أخوه يحيى بن علي وبعده آخرهما متليل بن علي وعزل تاريز ابن أخيه طلحة.

لما بعث السلطان أبو يحيى بقضططية سنة عشر من هذه المائة وقع من تاريز اخراج عن طاعته واعتقل بطاعة ابن الخلوف بجایة، فقدم عوضاً منه عممه متليل، ثم استبدل منهم أجعین بأولاد يوسف، فশمروا في طاعته وأبلىوا، وغلب السلطان على بجایة وقتل ابن الخلوف ظهر أولاد يوسف وزحفوا أولاد علاوة، وأخرجوهم من الوطن فصاروا إلى عياض من أفاريق هلال، وسكنوا في جوارهم بجيئهم الذي أوطنه المطل على المسيلة، واتصلت الرئاسة على سدويكش في أولاد يوسف، وهو هذا العهد أربع قبائل: بنو محمد بن يوسف وبني المهدى وبني إبراهيم بن يوسف والعزيزيون وهم بنو متليل، وظافر وجري وسيد الملوك والعباس وعيسى، والستة أولاد يوسف وهم أشقاء، وأمهم تاعزرت فنسوا إليها، وأولاد محمد والعزيزيون يوطّنون بنواحي بجایة وأولاد المهدى وإبراهيم بنواحي قضططية.

وما زالت الرئاسة في هذه القبائل الأربع تجتمع تارة بعضهم وتفرق أخرى إلى هذا العهد، وكانت الأخرى دولة مولانا السلطان أبي يحيى اجتمعت رئاستهم عبد الكريم بن متليل بن عيسى من العزيزيين.

ثم افترقت واستقل كل بطن من هؤلاء الأربع برئاسة، وأولاد علاوة في خلال هذا كله بجيء عياض، ولما تغلب بنو مرين على إفريقيا انكر السلطان أبو عنان أولاد يوسف ورمائهم بالليل إلى المرحدين، وصرف الرئاسة على سدويكش إلى مهنا بن تاريز بن طلحة من أولاد علاوة فلم يتم له ذلك، وقتله أولاد يوسف، ورجع أولاد علاوة إلى مكانتهم من قبل عياض.

وكان رئيسهم هذه العصور عدونان بن عبد العزيز بن زروق بن علي بن علاوة، وهلك ولم تجتمع رئاستهم بعده لأحد. وفي بطون سدويكش هؤلاء بطن مرادف أولاد سوق في الرئاسة على بعض أسيادهم وهم بنو سكين، ومواطنهم في جوار لوانة بجيء ثابور وما إليه من نواحي بجایة، ورئاستهم في بني موسى بن ثابر منهم، أدركنا ابنه صخر بن موسى واختصه السلطان أبو يحيى بالرئاسة على قومه، وكان له مقامات في خدمته، ثم عرف بعده في الوفاء ابنه الأمير أبو حفص فلم يزل معه إلى أن وقع به بنو مرين بنواحية قابس، وجيء به مع أسرى الرقيقة فقطعه السلطان أبو الحسن من خلاف، وهلك بعد ذلك وقام برئاسته ابنه عبد الله وكان له فيها وفي خدمة السلطان بجایة شأن إلى أن هلك لأعوام

ظم الملك بالغرب زحفوا إلى المشرق فملكوها الإسكندرية ومصر والشام واختطوا القاهرة أعظم الأمسكار بمصر، وارتحل المعز رابع خلفائهم فنزلها وارتخل معه كثامة على قبائلهم واستفحلت الدولة هناك وهلكرأ في ترفيها وبنخها.

ويقي في مواطنهم الأولى بجيء أوراس وجوانبه من البساطة بقاباً من قبائلهم على اسمائها والقبائل والأخرون بغیر لقبهم وكلهم رعايا مبدون للنظام إلا من اعتضفتهم بجيء مثل بني زلدووي بجيء وأهل جبال جيجيل وزواوة، وزواوة أيضاً في جبالهم، وأما البساطة فأشهر من فيها منهم سدويكش ورئاستهم في أولاد سوق ولا أدرى إلى من يرجعون من قبل كثامة السمين في هذا الكتاب، إلا أنهم منهم باتفاق من أهل الأخبار، ومحن الآن ذاكرون ما عرفناه من أخبارهم المتأخرة بعد دولة كثامة والله تعالى ولـي العون.

## الخبر عن سدويكش ومن إليهم من بقاباً

### كتامة في مواطنهم

هذا الذي لهذا المهد وما قبله من العصور يعرفون بسويكش وديارهم في مواطن كثامة ما بين قسطططية وبجایة في البساطة منها، وهم بطون كثيرة مثل سيلين وطرسون وطربيان وموليت وبني لائي وكايارة وبني زغلان والبورة وبني مزاون وواركسن وسكرال وبني عياد، وفيهم من لالية ومكلاتة ورينة والرئاسة على جميعهم في بطن منهم يعرفون أولاد سوق لهم جمع وقوة وعدة، وكان جميع هذه البطون وعيالهم غارمة فيمتطون الخيل ويسكنون الخيام ويطعنون على الإبل والبقر وهم مع الدول في ذلك الوطن استقامة، وهذا شأن القبائل الأعراب من العرب لهذا العهد، وهم يتغرون من نسب كثامة ويعرفون منه لما وقع منذ أربعمائة سنة من التكبير على كثامة باتحالف الرافةضة وعداؤ الدول بعدهم، فينتادون بالانتساب إليهم، وإنما انتسبوا في سليم من قبائل مصر وليس ذلك ب صحيح، وإنما هم من بطون كثامة وقد ذكرهم مؤرخون صنهاجة بهذا النسب ويشهد لذلك الوطن الذي استوطنه من إفريقيا.

ويذكر نسباتهم ومؤرخون أن موطن أولاد سوق منهم كان في قلاع بني بو خصارة من نواحي قسطططية ومنه انتقلوا وانتشروا في سائر تلك الجهات، وأولاد سوق بطنان وهم: أولاد علاوة بن سوق وأولاد يوسف بن حمو بن سوق، فاما أولاد علاوة فكانت الرئاسة على قبائل سدويكش لهم فيما سمعناه من

### الإمام بذكر زواوة من بطون كتامة

هذا البطن من أكبر بطون البرير ومواطنه كما تراه حسنة  
يجاية إلى تدلس في جبال شاهقة وأعرار متسلنة، وهم بطون  
وشعوب كثيرة، ومواطنه متصلة بمراطن كاتمة هؤلاء، وأكثر  
الناس جاهلون بنسبيهم، وعامة نسبة البرير على أنهم من بني  
سمكان بن سجبي بن ضرليس، وأنهم إخوة زواحة والحقوق من  
النسبة مثل ابن حزم وأنظاره إنما يدعونهم في بطون كاتمة وهو  
الأصوب. والمواطن أوضح دليل عليه وإنما موطنه زواحة؟  
وهي طرابلس بالغرب الأقصى من مواطن كاتمة.  
إنما حل على الغلط في نسبهم إلى كاتمة تصحيف، اسم  
زواحة بالزاي بعد الواو، وهم إخوة زواحة بلا شك، فصحف هذا  
القاريء الزاي بالراو فعد زواحة إخوان زواحة. ثم استمر  
التصحيف وجعا في نسب سماكان والله أعلم، وقد مر ذكرهم  
هناك مع ذكر زواحة وتعديل بطونهم.

### الخبر عن صنهاجة من بطون البرانس وما كان لهم من الظهور والدول في بلاد المغرب والأندلس

هذا القبيل من أفراد قبائل البرير، وهو أكثر أهل الغرب لهذا  
العهد وما قبله لا يكاد قطر من أقطاره يخلو من بطن من بطونهم  
في جبل وحاشيته، واستعمل في الجبل عماله وهو جبل مطابع  
أمم البرير. وكان لهم في الردة ذكر وفي الخروج على الأمراء شأن  
تقدمه في صدر ذكر البرير، وذكر منه هنا ما تيسر. وأما ذكر  
نسبهم فإنهم من ولد صنهاج وهو صناك بالصاد المشمة بالزاي  
والكاف القرية من الجيم. إلا أن العرب عربته وزادت فيه الماء  
بين التون والألف فصار صنهاج، وهو عند نسبة البرير من بطون  
البرانس من ولد برنس بن بر، وذكر ابن الكلبي والطبراني أنهم  
وكاتمة جيئاً من حمير كما تقدم في كاتمة، وفيما نقل الطبراني في  
تاريشه أنه صنهاج بن بصوكان بن ميسور بن الفند بن أفربيش بن  
قيس.

ويensus نسبة يزعم أنه صنهاج بن المثنى بن المنصور بن  
المصباح بن يحيى بن مالك بن عامر بن حمير الأصغر من سباء،  
كذا نقل ابن النحو من مؤرخي دولتهم وجعله ليحصلب. وقد  
مر ذكره في أنساب حمير وليس كما ذكر والله أعلم. وأما الحقوقون

ثمانين، وولي ابنه محمد من بعده، والله وارت الأرض ومن عليها.

### الخبر عن بني ثابت أهل الجبل المطل على قسطنطينية من بقايا كاتمة

ومن بطون كاتمة وقبائلهم أهل الجبل المطل على القل ما  
بينه وبين قسطنطينية المعروف بريادة أولاد ثابت بن حسن بن أبي  
بكر من بي تيلان. ويقال: إن أبي بكر هذا الجد هو الذي فرض  
المغرم على أهل هذا الجبل أيام الموحدين، ولم يكن قبل ذلك  
عليه مغرم. فلما انقرض ملك كاتمة وغلب الموحدين على  
إفريقية وفدى أبو بكر هذا على الخليفة بمراكيش وغنم بالطاعة  
والانتقام، وتقرب إليه بفرض المغرم على قبيلة بالجبل، وكان ثابت  
هذا من الولد: علي وحسن وسلطان وإبراهيم، كلهم رأسوا  
بالجبل، وأما حسن منهم فمحجوب السلطان أبي يحيى لأول دولته  
وفي عنيته، ولابن عمر للدولة طرابلس أعواام إحدى عشر  
وبسمعاته كما تذكره. فلما تملك السلطان بجاية وقتل ابن خلوف  
ورجع ابن عمر من تونس إلى حجابته، وجد حسن بن ثابت  
مسكراً بفريجوة لاتفاقه مغارم الوطن، فبعث إليه من قتله.  
وكان آخرهم رئاسة بالجبل علي، أدرك دولة أبي مرين يا فرقية،  
ولي بعده ابن عبد الرحمن ووفد على السلطان أبي عنان بفاس.

ولا استجد مولانا السلطان أبو العباس دولته يا فرقية  
استول عليهم وعما أثر مشيختهم ورؤاستهم وصیرهم من عداد  
جنده وحاشيته. واستعمل في الجبل عماله وهو جبل مطابع  
وجبارته مؤداً لصواته وجواره للعسكر بقسطنطينية. ومن بقايا  
كاتمة أيضاً قبائل أخرى تدلس في هضبة مكتففة بها وهي  
في عداد القبائل الغارمة، وبالغرب الأقصى منهم قبيلة من بني  
يستين يجبل قبلة جبل يزناسن، وقبيلة أخرى بناحية الهبط مجاورون  
لنصر بن عبد الكريم وقبائل أخرى بناحية مراكش نزلوا مع  
صنهاجة هناك.

ونسب كاتمة لهذا العهد بين القبائل المثل السائر في الدولة لما  
نكرتهم الدول من بعدهم أربعين سنة باتحالفهم الرافضة  
ومذاهبها الكفريّة، حتى صار كثير من أهل نسبهم يفرون منه،  
ويتبكون فيمن سواهم من القبائل فراراً من هجنته، والعزة الله  
وحده.

وبني عثمان وبني مزغنة وبنو جعد وملكانة وبطورية وبنو يفرن وبن خليل، وبعض أعقاب ملكانة بجهات بجاية ونواحيها، وكان التقدم منهم جميعاً لملكانة وكان كبيرهم لعهد الأغالبة مناد بن متقوش بن صنهاجة الأصغر، وهو صناك بن واسفان بن جبريل بن يزيد بن وأسلي بن سمليل بن جعفر بن إلياس بن عثمان بن سكاد بن ملكان بن كرت بن صنهاجة الأكبر هكذا نسبه ابن التحوي، من مؤرخي الأندلس، وذكر بعض مؤرخي المغرب: أن مناد بن متقوش ملك جانباً من إفريقيا والمغرب الأوسط مقيناً لدعوةبني العباس، وراجعاً إلى أمر الأغالبة.

وأقام أمره من بعده ابنه زيري بن مناد، وكان من أعظم ملوك البربر. وكانت بيته وبين مغراوة من زناته المجاورين له من جهة المغرب الأوسط كما تذكر حروب وفتح طربلة. ولما استولى الملك للشيعة يافريقيية تغىز إليهم للولاية التي لعله رضي الله عنه فيهم، وكان من أعظم أوليائهم، واستطال بهم على عدوه من مغراوة فكانوا ظهروا له عليهم، وإنغرفت لذلك مغراوة وسائر زناته عن الشيعة سائر أبياتهم وتغزوا عن الروانين ملوك العدة بالأندلس فأقاموا دعوتهم بالغرب الأوسط والأقصى كما تذكره بعد إن شاء الله تعالى. ولما كانت فتنة أبي يزيد والتات أمر العبيدين بالقيروان والمهدية، كان لزيري بن مناد منافرة إلى الخارج أصحاب أبي يزيد وأعقابهم وتسريب الحشود إلى مناصرة العبيدين بالقيروان كما سرّاه.

واختط مدينة أشير للتحصن بها سفح الجبل تيطرأ لها العهد حيث مواطن حصن، وحصتها بأمر المتصور، وكانت من أعظم مدن المغرب. واتسعت بعد ذلك خطتها واستبحر عمرانها، ورحل إليها العلماء والتجار من القاصية. وحين نازل أبداً إسماعيل المتصور أبو يزيد لقلعة كاتمة جاءه زيري في قومه ومن انضم إليه من حشود البربر وعظمت نكباته في العدو وكان الفتح، وصحبه المتصور إلى أن انصرف من المغرب ووصله بصلات سنة. وعقد له على قومه وأذن له في اتخاذ القصور والمنازل والخمامسات بمدينة أشير. وعقد له على تاهرت وأعمالها.

ثم اختط ابنه بل يكن بأمره وعلى عهده مدينة الجزائر النسوية لبني مزغنة بساحل البحر، ومدينة مليانة بالعدوة الشرقية من شلف، ومدينة لمدونة. وهم بطن من بطنون صنهاجة وهذه المدن لهذا العهد من أعظم مدن المغرب الأوسط، ولم يزل زيري على ذلك قائماً بدعوة العبيدين منابذاً لمغراوة، واتصلت الفتنة فيهم. ولا ينهض جوهر الكاتب إلى المغرب الأقصى أيام معد المعز لدين الله أمره أن يستصحب زيري بن مناد فصحبه إلى المغرب

من نسابة البربر فيقولون: هو صنهاج بن عامل بن زعزاع بن كيمتا بن سدر بن مولان بن يصلين بن يبرين بن مكسلة بن دهيوس بن حلحال بن شرو بن مصرابيم بن حام. ويزعمون أن جزول واللقط وهسكتور إخوة صنهاج، وأن أحدهم الأربعة تصكي وبها يعرفون وهي بنت زحيك بن مادغض، ويقال لها العرجاء، فهذه القبائل الأربعة من القبائل أئمة لأم والله أعلم.

وأما بطنون صنهاجة فكبيرة فنهم: بل كانة والخففة وشرطة ولتونة ومسوفة وكدالة ومندلة وبنو وارث وبنو بيتسن. ومن بطنون الخففة: بنو مزوارت وبنو سليب وفشتالة وملوانة. هكذا يكاد نقل بعض نسابة البربر في كفهم وذكر آخر من مؤرخي البربر أن بطنونهم تنتهي إلى سبعين بطناً. وذكر ابن الكلبي والطبراني أن بلادهم بالصحراء مسيرة ستة أشهر. وكان أعظم قبائل صنهاجة تلكانة وفيهم كان الملك الأول وكانت مواطنهم ما بين المغرب الأوسط وإفريقيا، وهم أهل مدر. ومواطن مسوفة ولتونة وكدالة وشرطة بالصحراء، وهم أهل وير.

وأما الخففة فبطونهم متفرقة وهم أكثر بطنون صنهاجة. ولصنهاجة ولاية لعلي بن أبي طالب، كما أن مغراوة ولاية لشمان بن عفان رضي الله تعالى عنهم، إلا أنا لا نعرف سبب هذه الولاية ولا أصلها. وكان من مشاهيرهم في الدولة الإسلامية ثابت بن وزريق ثار يافريقيا أيام السفاح عند انتراض الأمورة، وعبد الله بن سكرديلك، وعبد بن صادق من قواد حاد بن بل يكن وسلامان بن بطحان بن عليان أيام باديس بن بل يكن. وبنو جدون وزاريبي بني حاد، وهو حدون بن سليمان بن محمد بن علي بن عليم، منهم ميمون بن جبيل ابن أخت طارق، مولى عثمان بن عفان صاحب فتح الأندلس في آخرین يطول ذكرهم. وكان الملك في صنهاجة في طبقتين: الطبقة الأولى لملكانة ملوك إفريقيا والأندلس، والثانية مسوفة ولتونة من الملشين ملوك المغرب المسكون بالمرابطين. و يأتي ذكرهم كلهم إن شاء الله تعالى والله أعلم.

## الطبقة الأولى من صنهاجة وما كان لهم من الملك

كان أهل هذه الطبقة بنو ملكان بن كرت، وكانت مواطنهم بالمسيلة إلى حرة إلى الجزائر ولدية وملينة من مواطن بني يزيد وحصنين والعطايف من زغبة، ومواطن العمالبة لهذا العهد. وكان معهم بطنون كبيرة من صنهاجة أعقابهم هنالك من متنان ولتوغة

وسائل أعمال المغرب، وضم إليه المسيلة والزاب وسائر عمل  
جعفر فاستحب واستفحل أمره واسعٌ ولاته وأثخن في البرير  
أهل الخصوص من مزناتة وهوارة ونفزة وتغول في المغرب في  
طلب زناته فأثخن فيهم، ثم رجع واستقدمه السلطان لولاية  
أفريقيـة فقدم ستة إحدى وستين واستتبـلـعـ السـلطـانـ فيـ تـكـرـيـهـ وـنـقـسـ  
ذلك عليه كـاتـمةـ، ثم نهضـ السـلطـانـ إـلـىـ الـقـاهـرـةـ وـاـسـتـخـلـفـهـ كـمـاـ  
ذـكـرـهـ. وـكـانـ ذـلـكـ أـوـلـ دـوـلـةـ آـلـ زـبـرـيـ يـأـفـرـيقـيـةـ وـالـلـهـ تـعـالـىـ أـعـلـمـ.

الخبر عن دولة آل زيري بن مناد ولاة العبيدين من هذه الطبقة يافريقيية وأولية أمرهم وتصاريف أحوالهم

لما أخذ المعز في الرحلة إلى المشرق وصرف اهتمامه إلى ما يختلف وراء ظهره من المالك والعمالات، ونظر فيمن يوليه أمر إفريقيا والمغرب من له الغناء والاضطلاع، وبه الوثوق من صدق التشيع ورسوخ القدم في دراية الدولة، فمثُر اختياره على بلکین بن زيري بن مناد ولی الدولة منذ عهد سلفه بموجب عهد أحده من أبيدي زناتة أعدائها في سبيل الإباء على الدولة والمظاهرة للدولة.

دوله بلکين بن زيري

بعث خلف بلkin بن زيري وكان متوجلاً في المغرب في حروب زناتة، وولاه أمير إفريقيا والمغرب ما عدا صقلية كانت لبني أبي الحسين الكلبي، وطربالس لعبد الله بن يخلف الكثامي وسماه يوسف بدلاً من بلkin، وكناه أبا الفتوح، ولقبه سيف الدولة، ووصله بالخلع والأكسية الفاخرة، وحمله على مقرباته بالراكب الثقلية وإنفذ أمره في الجيش والمال وأطلق يده في الأعمال، وأوصاه بثلاث: أن لا يرفع السيف عن البربر، ولا يرفع الجبابة عن أهل الباية، ولا يولي أحداً من أهل بيته، وعهد إليه أن يفتح أمره بغزو المغرب لجسم دانه، ويقطع علاقه الأموية منه. وارتحل يريد القاهرة سنة اثنين وستين ورجع عنه بلkin من نواحي صفاقس فنزل قصر معد بالقروان، واضطاع بالولاية وأجمع غزو المغرب فغزا في جموع صنهاجة ومختلف كنامة وارتحل إلى المغرب، وفر أمامه ابن خزر صاحب المغرب الأوسط إلى سجلamasة.

وبلغه خلاف أهل تاherent وإخراج عامله فرحل إليها وخربيها. ثم بلغه أن زناته اجتمعوا إلى تلمسان فرحل إليهم فهربوا

وظاهره على أمره، ولما قتل يعلى بن محمد اليفرني اتهمه زناته بال MMA عليه، ولما نزل جوهر فاس وبها أحد بن بكر الجذامي، وطال حصاره أيام، كان لزيري في حصارها أعظم العناء، وكان فتحها على يده، سهر ذات ليلة وصعد سورها فكان الفتح.

ولما استمرت الفتنة بين زيري بن مناد ومغراوة ووصلوا  
أيديهم بالحكم المستصري وأقاموا دعوة المروانية بالغرب الأوسط،  
وشنّ محمد بن خير بن خير لذلك، رهانه معدّ بقريعة  
زيري وقومه من صنهاجة وعقد له على المغرب وقطع له ما  
افتتح من أقطاره فنهض زيري في قومه، واحتشد أهل وطنه وقد  
جمع له محمد بن الخير وزنانة، فسرح إليهم ولده بلکين في مقدمة،  
وعارضهم قبل استكمالهم التعبئة، فدارت بينهم حرب شديدة بعد  
العهد بمثلها يومئذ، واحتل مصاف مغراوة وزنانة، ولما أيقن محمد  
بن الخير بالملائكة وعلم أحیط به مال إلى تاحية من العسكر،  
وتحامل على سيفه فذبح نفسه وانقض جموع زنانة، واستمرت  
المجزعة عليهم سائر يومهم فاستلهموا، ومكثت عظامهم ماثلة  
بصارعهم عصرًا.

وذلك فيما زعموا بقصة عشر أميرًا منهم، وبعث زيري  
برؤسهم إلى المعز بالقيروان فعظم سروره وغمّ لها الحكم  
المستنصرى صاحب الدعوة بما أوهنتها من أمره. واستطاع زيري  
وصنهاجة على بوادي المغرب، وغلب يده على جعفر بن علي  
صاحب المسيلة والزاب وسمى به في الرتب عند الخلافة وتاخته في  
العملة. واستدعاى معد جعفر بن علي من المسيلة لتوليل إفريقية  
حين اعتزم على الرحيل إلى القاهرة فاستراب ما كانت السعاية  
كترت فيه. وبعث معد المعز بعض مواليه فخافه جعفر على نفسه،  
وهرب من المسيلة ولحق بمغراوة فاشتملوا عليه، وألقوا بيده زمام  
أمرهم، وقام فيهم بدعة الحكم المستنصرى. وكانوا أقدم لها إجابة  
ففاوضهم زيري الحرب قبل استفحالم فزحف إليهم واقتتلوا  
قتالاً شديداً.

وكانت على زيري الدبرة وكبا به فرسه، وأجلت الفزعة عن  
مصرعه ومصارع حاميته من قومه فحزروا رأسه وبعشوا به الى  
الحكم المستنصرى بقرطبة في وفده أقوذوه عليه من أمرائهم يسودون  
الطاعة ويؤكدون البيعة، ويجمعون لقومهم النصرة. وكان مقدم  
وفدهم مجى بن علي آخر جعفر هذا كما ذكرناه. وهلك زيري  
هذا سنة سنتين وثلاثمائة لست وعشرين سنة من ولادته، ولما وصل  
خبره إلى ابنه بلkin وهو باشير نهض إلى زناة ودارت بينهم  
حرب شديدة. فانهزمت زناة وثار بلkin بأبيه وقومه، واتصل  
ذلك بالسلطان محمد أثره وعقد له على عمل أبيه باشير وتيهيرت

## دولة منصور بن بلکین

ولما توفي بلکین بعث مولاه أبو زغل بالخبر إلى ابنه المنصور، وكان والياً باشير وصاحب عهد أبيه، فقام بأمر صنهاجة من بعده ونزل صيره وقلده العزيز نزار بن معد أمر إفريقية والمغرب وكان على سنن أبيه، وعقد لأخيه أبي البهار على تاهرت وأخيه يطوفت على أشبر، وسرحه بالعساكر إلى المغرب الأقصى سنة أربع وسبعين يسترجعه من أيدي زناته، وقد بلغه أنهم ملكوا سجلamasة وفاس، فلقيه زيري بن عطية المغراوي الملقب بالقرطاس أمير فاس فهزمه ورجع إلى أشبر. وأقصى المنصور بعدها عن غزو المغرب وزناته، واستقل به ابن عطية وابن خزرون وبدر بن يعلى كما ذكر بعد.

ثم رحل بلکين إلى رقاده وفتاك بعد الله بن الكاتب عامله وعامل أبيه على القิروان لفنت كانت منه، وسعادات أمحقت فيه ففيك سنة تسعة وسبعين وولي مكانه يوسف بن أبي محمد، وكثير التواتر بكتابه فقتلهم وأثخن فيهم حتى أذعنوا، وأخرج إليهم العمال وعقد لأخيه حماد على أشبر. وطالت الفتنة مع زناته ونزل إليه منهم سعيد بن خزرون. ولم يزل سعيد بطغية إلى أن هلك سنة إحدى وثمانين وولي ابنه فلفور بن سعيد. وخالف أبو البهار بن زيري سنة تسعة وسبعين فزحف إلى المنصور وفر بن يديه إلى المغرب، وأمد المنصور أهل تاهرت ومضى في أتباع أبي البهار حتى نفذ عسكره وأشير عليه بالرجوع فرجع، وبعث أبو النهار إلى أبي عامر صاحب الأندلس في المظاهر والمدد، واسترtern ابنه في ذلك، فكتب زيري بن عطية صاحب دعوة الأمورية من زناته بفاس أن يكون معه يداً واحدة فظاهره زيري واتفاق رأيهم مدة، وحاربهم بدر بن يعلى فهزمه وملك فاس وما حولها، ثم اختلفت ذات بينهما ستة اثنين وثمانين ورجع أبو البهار إلى قومه، ووقد على المنصور ستة اثنين وثمانين بالقิروان فأكمله ووصله وإنزله أحسن نزل وعقد له على تاهرت، ثم هلك المنصور سنة خمس وثمانين.

## دولة باديس بن المنصور

ولما هلك المنصور قام بأمره ابنه باديس وعقد لعمه يطوفت على تاهرت، وسرح عساكره لحرب زناته مع عميه يطوفت وحماد، فولوا منهزمين أمام زناته إلى أشبر. ونهض بنفسه سنة تسعة وثمانين لحرب زيري بن عطية راجعاً إلى المغرب، فولى باديس أخيه يطوفت

أمامة. ونزل على تلمسان فحاصرها حتى نزل أهلها على حكمه وتقلهم إلى أشبر. وبلغه كتاب معد ينهاه عن التوغل في المغرب فرجع. ولما كان سنة سبع وستين رحب بلکين من الخليفة نزار بن المز أن يضيف إليه عمل طرابلس وسرت وأجدابية فاجابه إلى ذلك وعقد له عليهما، ورحل عنها عبد الله بن مختلف الكتامي وولى بلکين عليه من قبله. ثم ارتحل بلکين إلى المغرب، وفترت أمامة زناته فملك فاس وسجلamasة وأرض الميط وطرد منها عمال يبي أمية، ثم غزا جموع زناته بسجلamasة وأوقع بهم وتقبض على ابن خزر أمير مغراوة فقتلته، وأجفل ملوكيهم أمامة مثل بني يعلى بن محمد البغريني وبني عطية بن عبد الله بن خزر وبني فلفول بن خزر، وبمحى بن علي بن حدون صاحب البصرة.

ويرزوا جميعاً بقياطينهم إلى سبتة، ويعشو الصريخ إلى المنصور بن أبي عامر، فخرج عساكره إلى الجزيرة الخضراء، وأمدتهم من كان في حضرته من ملوك زناته ورؤسائهم النازعين إلى خلقاء الأمورية بالأندلس بقربطة بالمقام في سبيل الطاعة، واجتمعت منهم وراء فضل الرباط بشغور المسلمين في إيلاء الحلفاء، واجتمعت منهم وراء البحر أمم مع ما انضم إليهم من العساكر والخشود، وأجادهم البحر لتصغر جعفر بن علي بن حدون صاحب السيلة، وعقد له على حرب بلکين وأمده بهاته حمل من المال، فتعاقب ملوك زناته واجتمعوا إليه، وضرروا مصالح القتال بظاهر سبتة. وهرع إليهم المدد من الجزيرة من عساكر المنصور، وكادوا يخوضون البحر من فراض الرقاقي إلى مظاهرة أوليائهم من زناته. ووصل بلکين إلى طياور وتنسم هضابها، وقطع شعراءها لنهر المسالك والطرق العسكرية، حتى أطل على عساكرهم بظاهر سبتة فرأى ما هاله واستيقن امتناعهم.

ويقال: إنه لما عاين سبتة من مستشفى، ورأى اتصال المدد من العدو إلى عساكرهم بها قال: هذه أفعى فرغت إلينا فاما وكر راجعاً على عقبه. وكان موقفه ذلك أقصى أثره، ورجع إلى البصرة فخدمها وكانت دار ملك ابن الأندلسي، وبها عمارة عظيمة. ثم افتتح له باب في جهاد برغواطة فارتاحل إليهم وشغل مجاهدهم، وقت ملوكهم عيسى بن أبي الأنصار كما ذكره. وأرسل بالسي إلى القิروان وأذهب دعوة بني أمية من نواحي المغرب وزناته مشردون بالصحراء إلى أن هلك سنة ثلاثة وسبعين بوراكسن ما بين سجلamasة وتلمسان منتصراً من هذه الغارة الطويلة.

طبة والمسيلة ومقره ومرسى الدجاج وسوق حمزة وزواوة وانقلب بهدية ضخمة. ووضعت الحرب أوزارها من يومئذ، واقسموا الخطة والتحموا بالأصهار، وافتقر ملك صنهاجة إلى دولتين: دولة إلى المنصور بن بلkin أصحاب القيروان، ودولة إلى حاد بن بلkin أصحاب القلعة.

ونهض المعز إلى حاد سنة اثنين وثلاثين فحاصره بالقلعة مدة سنتين، ثم أقلع عنها وانكفا راجعاً ولم يعاد فتنة بعد. ووصل زاوي بن زيري من الأندلس ستة عشر وأربعين سنة كما ذكرناه في خبره، فلقاء المعز أعظم لقاء وسلم عليه راجلاً وفرشت القصور لترله، ووصله أعظم الصلات وأرفها، واستمر ملك المعز يافريقياً والقيروان، وكان أضخم ملك عرف للبيبر يافريقياً وأنتره وأيندخته. نقل ابن الرقيق من أحواههم في الروان والمديا والجنايات والأعطيات ما يشهد بذلك، مثل ما ذكر أن هدية صندل عامل باغية مائة حمل من المال، وأن بعض توابيت الكباء منهم كان العود الهندي بمسامير الذهب، وأن باديس أعطى فلفول بن مسعود الزناتي ثلاثين حملًا من المال وثمانين ختنًا. وأن اعتشار بعض أعمال الساحل بناحية صفاقس كان خسرين ألف قفizer وغير ذلك من أخبارهم.

وكانت بينه وبين زناته حروب ووقائع كان له الغلب في جميعها كما هو مذكور، وكان المعز منحرفاً عن مذاهب الرافضة، ومستحلاً للسنة، فاعلن مذهبه لأول ولاته ولعنه الرافضة، ثم صار إلى قتل من وجد منهم، وكبا به فرسه ذات يوم فنادي مستفيتاً باسم أبي بكر وعمر، فسمعته العامة فثاروا عليهم بالشيعة وقتلهم أربع قتل وقتل دعاء الرافضة يومئذ وامتعض لذلك خلفاء الشيعة بالقاهرة، وخاطبه وزيتهم أبو القاسم الجرجاني مخدرًا، وهو يرافقه بالتعريف مختلفاته والقدح فيهم حتى أظلهم الجر بيته وبينهم إلى أن انقطع الدعاء لهم سنة أربعين وأربعين على عهد المستنصر من خلفائهم. وأحرق بنوده وعما اسمه من الطرز والسلكة، ودعا للقائم بن القادر من خلفاء بغداد. وجاءه خطاب القائم وكتاب عهده صحبة داعيه أبي الفضل بن عبد الواحد التميمي، فرماه المستنصر خليفة العبيدين بالعرب من هلال الذين كانوا مع القرامطة، وهم رياح وزغبة والأثيج، وذلك بمشاركة من وزير أبي محمد الحسن بن علي البازوري كما ذكرنا في أخبار العرب ودخولهم إلى إفريقيا.

وتقدموا إلى البلاد وأفسدوا السابلة والقرى وسرح إليهم المعز جوشة فهزموهم، فنهض إليهم ولقيهم بجبل حيدران فهزمه، واعتصم بالقيروان فحاصروه وغرسوا به وطال عيشه في

على تاهرت وأشير، وخالف عليه عمومته ماكسن وزاوي وحلال ومعتز وعزم واستباحوا عسكراً يطرفوا وأفلت منهم، ووصل أبو البار متبrenaً من شانهم، وشغل السلطان باديس بمحرب فلفول بن سعيد كما نذكره في أخبار بني خزرون وسرح عمه حاداً لحرب بني زيري إخوتة. ووصل بنو زيري إليهم بفلقول ثم رجعوا إلى حاد فهزتهم وتفقض على ماكسن منهم بأطمة الكلاب وقتل أولاد الحسن وباديس، كذا ذكر ابن حزم.

ونجا فلهم إلى جبل سنة فناز لهم حاد أياماً وعقد لهم السلام على الإجازة إلى الأندلس فلحقوا بابن عامر سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة.

وذلك زيري بن عطية المفراوي لسبعين أيام من مهلك ماكسن، وأقبل باديس عمه حاداً إلى حضرته ليستعين به في حروف فلفول، فاضطر إلى المغرب لفلفول، وأظهرت زناته الفساد وأضرروا بالسابلة وحاصروا الميسلة وأشير، فسرح إليهم باديس عمه حاداً وخرج على أثره سنة خمس وسبعين فنزلت تجاست ودوخ حاد المغرب، وأثخن في زناته واحتخط مدينة القلعة. ثم طلب منه باديس أن ينزل على عمل يتحسن وقسطنطينية اختياراً للطاغية قابي وأظهر الخلاف، ويعث إلى أخيه إبراهيم فأقام معه، وزحف إليهم باديس، ثم رحل في طلبه إلى شلف، ونزع إليه بعض العساكر، ودخل في طاعته بنو توجين وجاروا في مددته، ووصل أميرهم عطية بن دافلين ويدر بن أغمان بن المفتر فوصلها، وكان حاد قتل دافلين. ثم نزل باديس نهر واصل والرسو وكرول واثنى حاد راجعاً إلى القلعة واتبعه باديس. ونزل بهما وهلك بعسكره عليها سنة ست وأربعين فجأة، وهو نائم بين أصحابه بمضربيه، فارتخلوا راجعين واحتلوا باديس على أغواته.

## دولة المعز بن باديس

ولما بلغ الخبر بهلك باديس بوبع ابنه المعز ابن ثمان سنتين، ووصل العسكر فباعوه البيعة العامة. ودخل حاد والميسلة وأشير، واستعد للحرب وحاصر باغية، وبلغ الخبر بذلك فزحف المعز إليه وأفرج عن باغية، ولقيه فانهزم حاد وأسلم معسكته، وتفقض على أخيه إبراهيم ونجا إلى القلعة، ورغب في الصلح فاستجيب على أن يبعث ولده، واتهى المعز إلى سطيف وقصر الطين وقل إلى حضرته، ووصل إليه القائد ابن حاد سنة ثمان وأربعين راغباً في الصلح فعقده، واستقل حاد بعمل الميسلة وطينة والزراب وأشير وتاهرت، وما يفتح من بلاد المغرب، وعقد للقائد ابن حاد على

أخرج عنها، ونازلته العرب سنة ست وسبعين بالمهدية، ثم أفرجوا عنه، وهزّهم فقصدوا القبروان ودخلوها فأخرجهم عنها.

وفي أيامه كان تغلب نصارى جنده على المهدية سنة ثمانين زلولاها في ثلاثة مركب وثلاثين ألف مقاتل، واستولوا عليها وعلى زويلة، فبذل لهم قيم في النزول عنها مائة ألف دينار بعد أن انتبهوا جميع ما كان بها، فاستخلصها من أيديهم ورجع إليها، ثم استولى على قابس سنة تسعة وثمانين من يد أخيه عمر بن المعز بایع له أهلها بعد موت قاضي بن إبراهيم. ثم استول بعدها على صفاقس سنة ثلاث وستين وخرج منها هو بن مليل إلى قابس، فاجراه مكين بن كامل الدهمني إلى أن مات بها. وكانت رياح قد تغلبت على زغبة وعلى إفريقية من لدن سبع وستين وأخرجوه منها، وفي هذه المائة الخامسة غالب الأخضر من بطن رياح على مدينة باجة وملوكها، وهلك قيم إثر ذلك سنة إحدى وخمسين.

البلاد وإضرارهم بالرعايا إلى أن خربت إفريقية. وخرج ابن المعز من القبروان سقتصيس وأربعين مع خفيه منهم، وهو مؤنس بن يحيى الصبري أمير رياح، فلحق في خفارته بالمهدية بعد أن أصهر إليه في ابنته فانكحة إيلها وتزل بالمهدية وقد كان قد إلها ابنه تميمًا فنزل عليه، ودخل العرب القبروان واتجهوا.

وأقام المعز بالمهدية وانتزى الثوار في البلاد فطلب حمو بن مليل البرغواطي على مدينة صفاقس وملكها سنة إحدى وخمسين، وخالفت سوسة وصار أهلها إلى الشورى في أمرهم، وصارت تونس آخرًا إلى ولادة الناصر بن علناس بن حاد صاحب القلعة. وولى عليهم عبد الحق بن خراسان فاستبد بها واستقرت في ملكه وملك بنيه، وتغلب موسى بن يحيى على قابس وصار عاملها المعز بن محمد الصنهاجي إلى ولادته، وأخوه إبراهيم من بعده كما يأتي ذكره. والثالث ملك آل باديس وانقسم في الثوار كما ذكر في أخبارهم بعد وفاته سنة أربع وخمسين والله أعلم.

### دولة يحيى بن قيم

ولما هلك قيم بن المعز ولـي ابنته يحيى، وافتتح أمره بافتتاح إقليبيه وغلب عليها ابنه يحيى، وثار أهل صفاقس على ابنته أبي الفتاح فلطف الخليفة في تفرق كلتهم، وراجع طاعة العبيدin ووصلته المخاطبات والمدايا، وكان قد صرف همه إلى غزو النصارى والأساطيل البحرية فاستكثر منها واستبلغ في اقتتالها، وردد العوثر إلى دار الحرب فيها حتى انتصرت أمم النصرانية بالجزي من وراء البحر من بلاد إفريقية وجنة وسردنيه. وكان له في ذلك آثار ظاهرة عزيزة. وهلك فجأة في قصره سنة تسعة وخمسين والله أعلم.

### دولة علي بن يحيى

ولما هلك يحيى بن قيم ولـي علي ابنته، استقدم لها من صفاقس، فقدم في خفارته أبي بكر بن أبي جابر مع عسكر ونظراته من أمراء العرب. وكان أعظم أمراء عساكر صنهاجة محاصرين في قصر الأجم فاجتمعوا إليه وقت بيته. ونهض إلى حصار تونس حتى استقام أحد بن خراسان على الطاعة، وفتح جبل وسلام، وكان متبعاً على من سلف من قومه، فجرد إليه عسكراً مع ميمون بن زياد الصخري المعادي من أمراء العرب، فافتتحوه وقتلوا من كان به. ووصل رسول الخليفة من مصر بالمخاطبات والمدايا على العادة، ثم نهض إلى حصار رافع بن مكين بقبابس سنة

### دولة قيم بن المعز

ولما هلك المعز قام بأمره ابنه قيم وغلبه العرب على إفريقية، فلم يكن له إلا ما ضمه السور، خلا أنه كان يختلف بينهم وتسلط بعضهم على بعض، وزحف إليه حمو بن مليل البرغواطي صاحب صفاقس، فخرج قيم للقاءه، وانقسمت العرب عليهم فانهزم حمو وأصحابه، ذلك سنة خمس وخمسين وسار منها إلى سوسة فاحتدها، ثم بعث عساكره إلى تونس فحاصرها ابن خراسان حتى استقام على الطاعة لتميم. ثم بعث عساكره أيضاً إلى القبروان، وكان بها قائد بن ميمون الصنهاجي من قبل المعز فآقام ثلاثة، ثم غلبته عليها هوارة، وخرج إلى المهدية، ثم رده تميم إلى ولادته بها فخالفت بعد ست من ولادته، وكانت الناصر بن علناس صاحب القلعة فبعث تميم إليه العساكر فلحق بالناصر وأسلم القبروان.

ثم رجع بعد ست إلى حمو بن مليل البرغواطي بصفاقس وابتاع له القبروان من مهنا بن علي أمير زغبة، فولأه عليها وحصلها سنة سبعين، وكانت بين تميم والناصر صاحب القلعة أثناء ذلك فتن كان سماستها العرب يجاجتون بالناصر من قلعته، ويربوطون عساكره ببلاد إفريقية، وربما ملك بعض أمراءها، ثم يردونه على عقبه إلى داره إلى أن اصطلحوا سنة سبعين، وأصهر إليه تميم بابته، ونهض تميم سنة أربع وسبعين إلى قابس وبها ماضي بن محمد الصنهاجي، ولها بعد أخيه إبراهيم فحاصرها، ثم

## الخبر عن بنى خراسان من صنهاجة الثوار بتونس على آل

بأسطوله في ثلثمائة مركب. وخداعهم بأنهم إنما جاؤوا مددًا له. وكان عسكر المحسن قد توجه صريحًا لحرز بن زياد الفادغي صاحب علي بن خراسان صاحب تونس، فلم يجد صريحةً فجلا عن المهدية، ورحل واتبعه الناس، ودخل العدو إلى المدينة وملوكها دون دفاع. ووجد جرجي القصر كما هو لم يرفع منه الحسن إلا ما خف، وترك الذخائر الملكية، فأمّن الناس وأيقام تحت إياته، وردة الفارين منهم إلى أماكنهم. وبعث أسطولاً إلى صفاقس فملكها، وأجاز إلى سوسة فملكها أيضًا. ثم إلى طرابلس كذلك. واستول رجار صاحب صقلية على بلاد الساحل كلها، ووضع على أهلها الجري، وولى عليهم كما نذكره إلى أن استنقذهم من ملكة الكفر عبد المؤمن شيخ الموحدين وخليفة إمامهم المهدي.

ولحق الحسن بن يحيى بعد استيلاء النصارى على المهدية بالعرب من رياح، وكبارهم محرز بن زياد الفادغي صاحب القلعة، فلم يجد لديهم مصرخًا، وأراد الرحيل إلى مصر للحافظ عبد الجيد فارصد له جرجي فارتحل إلى المغرب، وأجاز إلى بورتوبيلوها الخارث بن منصور وأخوه العزيز. ثم توجه إلى قسطنطينية وبها سبع بن العزيز آخر يحيى صاحب بجاية، فبعث إليه من أجازة إلى الجزائر. وزُل على ابن العزيز فاحسن نزله وجاوره إلى أن فتح الموحدون الجزائر سنة سبع وأربعين بعد ملكهم المغارب والأندلس، فخرج إلى عبد المؤمن فلقاه تكرمةً وقبولاً. ولحق به وصحبه إلى إفريقية في غزوته الأولى، ثم الثانية سنة سبع وخمسين فنازل المهدية وحاصرها أشهرًا، ثم افتحها سنة خمس وخمسين، وأسكن بها الحسن وأقطعه رحيس فاتحه هنالك ثمانى سنين. ثم استدعاه يوسف بن عبد المؤمن فارتحل بأهله يريد مراكش. وهلك بتامستا في طريقه إلى بابا رسولو سنة ست وثلاثين، والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين ورب الخلاق أجمعين.

## الخبر عن بنى خراسان من صنهاجة الثوار

بتونس على آل باديس عند اضطراب

أفريقياً بالعرب ومبدأ أمرهم ومصادر

أحوالهم

لما تغلب العرب على القبروان وأسلم المعز وتحول إلى المهدية، اضطربت إفريقية نارًا. واقسمت العرب البلاد عماليات، وامتنع كثير من البلاد على ملوك آل باديس مثل أهل سوسة

إحدى عشرة وخمسة، ودون لها قبائل فاذغ من بنى علي إحدى بطون رياح كما نذكره في أخبار رافع. ثم حدثت الفتنة بينه وبين رجار صاحب صقلية بمحالاة رجارت لرافع بن كامل عليه، وإمداده إيه بأسطوله، يغير على ساحل علي بن يحيى ويرصد أساطيله، فاستخدم علي بن يحيى الأساطيل وأخذ في الأهة للحرب، وهلك سنة خمس عشرة وخمسة والله أعلم.

## دولة الحسن بن علي

ولما هلك علي بن يحيى بن تميم ولـي بعده ابنه الحسن بن علي غلامًا يفعة ابن اثنين عشرة سنة، وقام بأمره مولاه صندل. ثم مات صندل وقام بأمره مولاه موقف. وكان أبوه أصدر المكاتبة إلى رجار عند الروحشة يهدده بالمرابطين ملوك المغرب، ولما كان بينه وبينهم من المكاتبة. واتفق أن غراً أحد بن ميمون قائد أسطول المرابطين صقلية، وافتتح قرية منها، فسيها وقتل أهلها سنة ست عشرة، فلم يشك رجار أن ذلك ياملاء الحسن، فنزلت أساطيله إلى المهدية وعليهم عبد الرحمن بن عبد العزيز وجرجي بن خائيل الأنطاكي، وكان جرجي هذا نصراياناً هاجر من الشرق، وقد تعلم اللسان ويسع في الحساب، وتهذب في الشام بأنطاكية وغيرها، فاصطبغه تميم واستول عليه، وكان يحيى يشاوره.

فلما هلك تميم أعمل جرجي الخليفة في اللحاق برجار فلحق به، وحظى عنده، واستعمله على أسطوله. فلما اعتزم على حصار المهدية بعثه لذلك، فزحف في ثلثمائة مركب، وبها عدد كبير من النصارى، فيهم ألف فارس. وكان الحسن قد استعد لحربيهم، فافتتح جزيرة قوصرة، وقصدوا إلى المهدية وزُلوا إلى الساحل، وضربوا الأبنية وملكون قصر الدعائين وجزيرة الأملس وتذكر القتال فيهم إلى أن غلبهم المسلمون، وألقوا راجعين إلى صقلية بعد أن استمر القتل فيهم، ووصل بأكثر ذلك محمد بن ميمون قائد المرابطين بأسطوله، فعاد في نواحي صقلية، واعتزم رجار على إعادة الغزو إلى المهدية. ثم وصل أسطول يحيى بن العزيز صاحب بجاية لحصار المهدية، ووصلت عساكره في البر مع قائد مطرف بن علي بن حدون القفيه، فصالح الحسن صاحب صقلية ووصل بيده به، واستمد منه أسطوله، واستمد الحسن أسطول رجار فامده، وارتحل مطرف إلى بلدته.

وأقام الحسن مملكاً بالمهدية، وانتقض عليه رجار وعاد إلى الفتنة معه، ولم يزل يردد إليه الغزو إلى أن استول على المهدية قائد أسطوله جرجي بن مناسل سنة ثلاثة وأربعين وخمسة، ووصلها

بينهم وهم مستبدون عليه، وكان بالعلقة جوارهم عرز بن زياد أمير بني علي من بطن رياح قد تغلب عليها.

وكانت الحرب بينه وبين أهل تونس سجالاً، والتحم بينهما المصالف وكان عرز يستمد عساكر صاحب المهدية على أهل تونس فتائياً إلى أن غالب النصارى على المهدية، وحدثت الفتنة بينهم بالبلد فكان المصالف بين أهل باب السويفة وأهل باب الجزيرة، وكانت رواجاً في أمرهم إلى القاضي عبد المنعم ابن الإمام أبي الحسن. ولما غالب عبد المؤمن على مجاهة وقسطنطينية وهزم العرب بسطيف ورجع إلى مراكش انتهت إليه شكوى الرعايا بأفريقيا مما نزل بهم من العرب، فبعث ابنه عبد الله من مجاهة إلى إفريقيا في عساكر الموحدين، فنازلت تونس سنة اثنين وخمسين وامتنعت عليه. ودخل معهم عرز بن زياد وقومه من العرب، واجتمع جندهم وبرزوا للموحدين فأقعروا بهم، وأفروا عن تونس.

وذلك أميرها عبد الله بن خراسان خلال ذلك، وولي مكانة علي بن أحمد بن عبد العزيز خمسة أشهر، وزحف عبد المؤمن إلى تونس وهو أميرها، فانقادوا لطاعته كما نذكره في أخبار الموحدين. ورحل علي بن أحمد بن خراسان إلى مراكش بأهله وولده، وذلك في طريقه ستة أربع وخمسين وأربعين عرز بن زياد عن العلة. واجتمعت إليه قومه وتداركت العرب عن مدافعة الموحدين واجتمعوا بالقيروان، وبلغ الخبر إلى عبد المؤمن وهو منصرف من غزاته إلى المغرب فبعث إليهم عساكر وأدركتهم بالقيروان فأقعروا بهم واستلهموهم قتلاً وسبباً وتقضي على عرز بن زياد أميرهم فقتل وصلب شلوه بالقيروان، والله يعكم ما يشاء لا معقب لحكمه، وهو على كل شيء قادر.

### الخبر عن بني الرندة ملوك قصبة الثائرين بها عند الباب ملك آل باديس بالقيروان واضطرا به بفتنة العرب ومبدأ دولتهم ومصاير أمورهم

لما تغلب العرب على إفريقيا وأدخل نظام الدولة الصنهاجية، وارتكبوا العذاب من القيروان إلى المهدية، وكان بقصبة عاملًا لصنهاجة عبد الله بن محمد بن الرندة وأصله من جرية من بني صديقين. وقال ابن خليل: هو من بني مرين من مغراوة، وكان مسكنهم بالجلوسين من نفزاوة فقضى فضيلاً فقصبة قصبة وقطع عنها عادية الفساد، وصالح العرب على الأتاوة فصلحت السابلة واستقام الحال، ثم

وصفاقيون وقبائل، وصارت صاغية أهل إفريقيا إلى بني حماد ملوك القلعة وملوك القبروان، كما تقدم. وانقطعت تونس عن ملك المعز، ووفد مشيختها على الناصر بن علناس، فولى عليهم عبد الحق بن عبد العزيز بن خراسان، يقال إنه من أهل تونس، والأظاهر أنه من قبائل صنهاجة، فقام بأمرهم وشاركتهم في أمره وتعدد إيمانهم وأحسن السيرة فيهم، وصالح العرب أهل الصاحبة على أتاوة معلومة لكتف عادتهم، وزحف تميم بن العز من المهدية إليه سنة ثمان وخمسين في جوعه، ومعه يقى ابن علي أمير زغبة، فحاصر تونس أربعة أشهر، إلى أن صالحه ابن خراسان واستقام على طاعته فافرج عنه.

ولم يزل قائماً بأمره إلى أن هلك سنة ثمان وثمانين فولى ابنه عبد العزيز وكان مضعفاً وهلك على رأس هذه المائة الخامسة وقام بأمره ابنه أحد بن عبد العزيز بن عبد الحق قاتل عمه إسماعيل بن عبد الحق لكان ترشه، وغريبه أبو بكر إلى أن برزت فاقام بها خرقاً على نفسه. ونزع أحد إلى التخلق بسرير الملك، والخروج عن سير المشيخة، واشتتد وطأته، وكان من مشاهير رؤساء بني خراسان هؤلاء، فاستبد بتونس لأول المائة السادسة، وضبطها وبني أسرارها. وعامل العرب على إصلاح سابلتها فصلحت حاله، وبني قصور بني خراسان. وكان مجالساً للعلماء حبّاً فيهم ونازله علي بن يحيى بن العزيز بن تميم سنة عشر وخمسين وسبعين عليه، ودافعه بإسعاف غرضه فافرج عنه. ثم نازله عساكر العزيز بن منصور صاحب مجاهة فعاد إلى طاعته سنة أربعة عشر ولم ينزل ولا يأصل على تونس إلى أن نهض سنة اثنين وعشرين مطرف بن علي بن حدون قائد يحيى بن العزيز من مجاهة في العساكر إلى إفريقيا، وملك عامة أصارها، فتغلب على تونس وأخرج أحد بن عبد العزيز صاحبها ونقله إلى مجاهة بأهله وولده.

وولى على تونس كرامة بن المنصور عم يحيى بن العزيز فبقي والياً عليها إلى أن مات، وولي عليها بعده آخره أبو الفتوح بن المنصور إلى أن مات وولى مكانة ابن ابنه محمد، وساعت سيرته فعزل، وولي مكانة عميه معد بن المنصور إلى أن استولى النصارى على المهدية وسواحلها ما بين سوسة وصفاقس وطرابلس سنة ثلاثة وأربعين، وصارت لصاحب صقلية، وأخرج الحسن بن علي كما هو مذكور، فأخذ أهل تونس في الاستعداد والخذر، واستأندوا لذلك على واليهم، وانشر بغانهم وربما ثاروا بعض الأيام عليه فقتلوا عبيده بمرأى منه، واعتذروا عليه في خاصته. فبعث عنه آخره يحيى من مجاهة فركب البحر في الأسطول، وترك نائب العزيز بن دافال من جنود صنهاجة، فاتأ

استبد بأمره وخلع الامتثال من عنقه سنة خمس وأربعين واستمر على ذلك، وبياعنته توزر وقصة وسوس والخاتمة ونفزاوة وسائر أعمال قسطنطينية فاستغل أمره وعظم سلطانه، ووفد عليه الشعراة والقصداد، وكان معظمًا لأهل الدين إلى أن هلك سنة خمس وستين.

ولوي من بعده ابنه المعتز وكنيته أبو عمر، وانقاد إليه الناس فضبط الأمور وجس الأموال وأصطنع الرجال، وتغلب على قمودة وجبل هوارة وسائر قسطنطيلية وما إليها، وحسنت سيرته إلى أن عمي، وهلك في حياته ابنه تميم فعهد لابنه يحيى بن تميم، وقام بالأمر واستبدل على جهة ولم يزالوا تغير حال إلى أن نازلهم عبد المؤمن سنة أربع وخمسين. فمنعهم من الأمر، ونقلهم إلى مجابة فمات المعتز بها سنة سبع وخمسين لمائة وأربع عشرة من عمره وقيل لسبعين، ومات بعد يisser حافظه يحيى بن تميم. ولوي عبد المؤمن على قصبة نعمان بن عبد الحق الهناتي، ثم عزله بعد ثلاث بيسمون بن أجانا الكنسيفي، ثم عزله بعمران بن موسى الصنهاجي، وأساء إلى الرعية، فبعثوا عن علي بن العزيز بن المعتز من مجابة، وكان بها في مضيبة يحترف بالخياطة فقدم عليهم، وثاروا بعمران بن موسى عامل الموحدين فقتلوا وقدماه على بن العزيز فناس ملكه وحاط رعيته، وأغراه يوسف بن عبد المؤمن سنة ثلاث وستين أخيه السيد أبا زكريا فحاصره وضيق عليه وأخذه، وأشحصه إلى مراكش بأهله وماله، واستعمله على الأشتغال بمدينة سلا إلى أن هلك وفتت دولةبني الرند والبقاء لله وحده له.

ولوا ولوي علي بن يحيى بن تميم فسد ما بينه وبين رافع، وأحان عليه رافع صاحب صقلية فقلب أسطول علي بن يحيى على أسطول النصارى. ثم ذوى قبائل العرب والأساطيل، وزحف إلى قابس سنة إحدى عشر وأربعين. قال ابن أبي الصلت: دول الثلاثة الأخلاص من قبائل العرب الذين هم: سعيد ومحمد ونخبة، وأضاف إليهم من الخمس الرابع أكابر بنى مقدم فوافي من كان منهم بفحص القريوان، وفر رافع إلى القريوان وامتنع عليه أهلهما. ثم اجتمع شيخوخ دهمان واقسموا البلاد، وعيثوا القريوان لرافع وأمكنته. وبعث علي بن يحيى عساكره والعرب المدونة على متازلة رافع بالقريوان، وخرج إلى محاربته فهلك بالطريق في بعض حروبه مع أشياع رافع.

ثم أن بيسمون بن زياد الصنهاجي حل رافع بن مكن على مسالة السلطان وسعى في إصلاح ذاتي بينهما، فانصلح وارتضت بينهما الفتنة. وقام بقابس من ذلك رشيد بن كامل. قال ابن خليل: وهو الذي اخْتَطَ قصر العروسين وضرب السكة الرشيدية، ولوي بعده ابنه محمد بن رشيد، وغلب عليه مولاً ي يوسف، ثم خرج محمد في بعض وجهه وترك ابنه مع يوسف فطرده يوسف واستبدل، وانتهى إلى طاعة رجار ثمار به أهل قابس ودفعوه عنهم، فخرج إلى أخيه، ولحق أخوه عيسى بن رشيد وأخوه المخبر فحاصرهم رجار بسبب ذلك مدة من الأيام. وكان آخر من ملكها من بي جامع آخره مدافع بن رشيد بن كامل. ولما استولى عبد المؤمن على المهدية وصفاقس وطرابلس بعث ابنه عبد الله بعسكر إلى قابس فقر مدافع بن رشيد عن قابس وأسلمه للموحدين، ولحق بعرب طرابلس من عرب عوف فأغاروه ستين، ثم لحق بعد المؤمن بقابس فأكرمه ورضي عنه. وانفرض أمر بي جامع من يؤنس، والبقاء لله وحده له.

ولما دخلت العرب إلى إفريقية وغlibوا المعز على الضواحي ونازلوه بالقريوان، وكان السواли بفاس المعز بن محمد بن لمورية الصنهاجي، وكان آخره إبراهيم وراضي بالقريوان قائدان للمعز على جيوشه فهزلاه، ولحقاً معاذيبن يحيى، وكان ذلك أول ملك العرب. ثم أقام إبراهيم منهم والياً بقابس ولحق المعز بن محمد مؤنس، فكان معه إلى أن هلك إبراهيم ولوي مكانه أخيه راضي، وكان سيء السيرة فقتله أهل قابس، وذلك لعهد تميم بن المعز بن باديس، ويعثروا إلى عمر أخي السلطان إلى طاعة العرب،

### الخبر عن بنى جامع الهماليين أمراء قابس لعهد الصنهاجيين وما كان لتميم بها من الملك والدولة وذلك عند فتنة العرب بأفريقيا

ولما دخلت العرب إلى إفريقية وغlibوا المعز على الضواحي ونازلوه بالقريوان، وكان السوالي بفاس المعز بن محمد بن لمورية الصنهاجي، وكان آخره إبراهيم وراضي بالقريوان قائدان للمعز على جيوشه فهزلاه، ولحقاً معاذيبن يحيى، وكان ذلك أول ملك العرب. ثم أقام إبراهيم منهم والياً بقابس ولحق المعز بن محمد مؤنس، فكان معه إلى أن هلك إبراهيم ولوي مكانه أخيه راضي، وكان سيء السيرة فقتله أهل قابس، وذلك لعهد تميم بن المعز بن باديس، ويعثروا إلى عمر أخي السلطان إلى طاعة العرب،

الحسن عاملًا لهم في أهل بلده وأبيه عنهم. ثم أن النصارى الساكدين بصفاقس امتدت أيامهم إلى المسلمين ولحقوهم بالضرر. ويبلغ الخبر أبا الحسن وهو ي مكانه من صقلية، فكتب إلى ابنه عمر، وأمره بانتهاز الفرصة فيهم والاستسلام إلى الله في حق المسلمين، فثار بهم عمر لوفته سنة إحدى وخمسين وقتلهم وقتل النصارى أبا الحسن وانتقضت عليهم بسبب ذلك سائر السواحل. ولما افتتح عبد المؤمن المهدي من يد رجبار، وصل إليه عمر، وأدى طاعته، فولاه صفاقس، ولم يزل والياً عليها وأبيه عبد الرحمن من بعده إلى أن تغلب يحيى بن غانية فرغه في الحج، فسرحه ولم يعد.

الخبر عما كان يافريقيه من الثوار على  
عنهاجة عند اضطرابها بفتنة العرب الى أن  
محا أثراهم الموحدون

لما كان أبو رجاء الورد اللخمي عند اضطرام نار الفتنة بالعرب، وتقويض المعرز عن القيروان إلى المهدية، وتنقلهم عليه قد ضم إليه جماعة من الدعاة، وكان ساكناً بقلعة قرسيبة من جبل شعيب، فكان يضرب على التراحي مجده بائزرت ويفرض على أهل القرى الآثارات بسبب ذلك، فطال عليهم أمره وينسوا من حسم داته، وكان ييلد بائزرت فريقان أحدهما من لخدم وهم من قوم الورد، وبقوا فوضى واختلف أمرهم، فبعثوا إلى الورد في أن يقرؤن بأمرهم، فوصل إلى بلدتهم، فاجتمعوا عليه وأدخلوا حصن بائزرت، وقدموه على أنفسهم فحططهم من العرب، ودافع عن نواحيم، وكان بنو مقدم من الأثيبي ودهمان من بني علي إحدى بطون رياح هم المتبليون على ضاحيتها فهاذنهم على الآثاراة وكف بها عاديتهم، واستفحلا أمرهم وتسمى بالأمير، وشيد المصانع والمباني وكثير عمران بائزرت إلى أن هلك، فقام بأمره ابنه طراد وكان شهماً وكانت العرب تهابه.

وهلك فولي من بعده ابنته محمد بن طراد، وقتله أخوه مقرن  
شهر من ولايته في مسامرة، وقام بأمر بتزرت وسمى بالأمير،  
وهي حوزته من العرب، واصططع الرجال، وعظم سلطانه  
وقصده الشعرااء وأمتد حره فوصلهم. وهلك فولي من بعده ابنته  
عبد العزيز عشر سنين، وجرى فيها على سنن أبيه وجده، ثم ولى  
من بعده أخوه موسى، على، سنتيه أربع سنين.

ثم من بعده أخوهما عيسى واقتفي أثرهم. ولما نازل عبد الله بن عبد المؤمن تونس وأفرج عنه ومر به في طريقه فاستقر غ

الخبر عن ثورة رافع بن مكن بن مطروح  
بطرابلس والفریانی بصفاقس على النصارى  
وإخراجهم واستبدادهم بأمر بلدتهم في آخر  
دوله بنی بادیس

اما طرابلس فكان رجار صاحب صقلية قد استولى عليها سنة أربعين وخمسة على يد قائده جرجي بن ميخائيل الأنطاكي، وأبقى المسلمين بها واستعمل عليهم، ويفيت في عملة النصارى أيامًا. ثم إن أبي يحيى بن مطروح من أعيان البلد مشى في وجوه الناس وأعيانهم، وداخلهم في الفتنة بالنصارى فاجتمعوا لذلك وثاروا بهم وأحرقوهم بالنار. ولما وصل عبد المؤمن إلى المهدية وافتتحها سنته خمس وخمسين وفدي عليه أبو يحيى بن مطروح ووجوه أهل طرابلس فأرسعهم برأ وتكرمة. وقدم ابن مطروح المذكور عليهم وردهم إلى بلدتهم، فلم يزل عليهم إلى أن هرم عجز بهد يوسف بن عبد المؤمن، وطلب الحجج فسرحه السيد أبو زيري بن أبي حفص محمد بن عبد المؤمن عامل تونس فارتحال في البحر ستة ست وثمانين واستقر بالاسكندرية.

وأما صفاقس فكانت ولاتها أيام بني باديس من صنهاجة  
قيبلهم إلى أن ول المعز بن باديس عليها متصور البرغواطي من  
صناعته، وكان فارساً مقداماً، فحدث نفسه بالثورة أيام تغلب  
العرب على إفريقية، وخروج المعز إلى المهدية ففتكت به ابن عممه  
حو بن مليل البرغواطي وقتله في الحمام غدرًا. وامضع له  
حلقاوه من العرب وحاصروا حمر حتى بذل لهم من المال ما رضوا  
به. واستبد حمر بن مليل بأمر صفاقس حتى إذا هلك المعز حدثه  
نفسه بالتلغلب على المهدية، فزحف إليها في جموعه من العرب،  
ولقيه عتيم فانهزم حمر وأصحابه ستة خمس وخمسين. ثم بعث ابنه  
بيحيى مع العرب لحصار صفاقس، فحاصرها مدة وأقلع عنها.  
وزحف إليه عتيم بن المعز ستة ثلاث وتسعين فغلبه عليها. ولحق  
هو بيكن بن كامل أمير قابس فأجراه، وصارت صفاقس إلى ملكة  
عتيم ووليه ابنه.

ولما تغلب النصارى على المهدية وملكتها جرجي بن ميخائيل قائد رجبار سنة ثلث وأربعين وتغلبوا بعدها على صفاقيس وأيقوا أهلها، واستعملوا عمر بن أبي الحسن القربياني لكانه فيهم. وحملوا آباء آبا الحسن معهم إلى صقلية رهنا. وكان ذلك منهباً رجبار ودينه فيما ملك من سواحل إفريقيا، يقيمهم ويستعمل عليهم منهم، وينذهب إلى العدل فيما فتيق عمر بن أبي

جانب إفريقية، وكان أيضاً حماد بن خليفة اللخمي همّت زرقطون من إقليم زغوان على مثل حال ابن علال وابن غنوش وأبن بيزون وخلفه ولده في مثل ذلك إلى أن اقطع ذلك على يد عبد المؤمن. وكان عماد بن نصر الله الكلاعي بقلعة شنبانية قد صار إليه جند من أهل الدعاة وأوبياش القبائل، فحملوها من العرب، واستغاث به ابن قتادة شيخ الأربس من العرب، وشكراً إليه سوء ملکتهم، فزحف إليهم وأخرجهم من الأربس، وفرض عليهم مالاً يزدونه إليه إلى أن مات وولي ابنه من بعده، فجرى على سنته إلى أن دخل في طاعة عبد المؤمن سنة أربع وخمسين وخمسمائة، والله مالك الملك لا رب غيره وسبحانه أه.

### الخبر عن دولة آل حماد بالقلعة من ملوك صنهاجة الداعية خلافة العبيدين وما كان لهم من الملك والسلطان بإفريقية والمغرب الأوسط إلى حين انفراضه بالموحدين

هذه الدولة شعبة من دولة آل زيري وكان المنصور بلکين قد عقد لأنجيه حماد على أشير والمسللة، وكان يتداولاها مع أخيه بطوفت وعمه أبي البار. ثم استقل بها سنة سبع وثمانين أيام باديس من أخيه المنصور ودفعه لحرب زناته سنة خمس وستين بالغرب الأوسط من مغاروة وبني يفرن، وشرط له ولایة أشير والغرب الأوسط وكل بلد يفتحه وأن لا يستقدمه. فظلم عناءه فيها وأثخن في زناته وكان مظفراً عليهم، واحتضن مدينة القلعة بجهل كامة ستة ثمان وستين، وهو جبل عجيبة وبه لهذا العهد قبائل عياض من عرب هلال. ونقل إليها أهل المسللة وأهل حزة وخربيهما. ونقل جراوة من المغرب وأنزلهم بها، وتم بناؤها وتصثيرها على رأس المائة الرابعة. وشيد من بناتها وأسوارها واستكثر فيها من المساجد والفنادق، فاستبحرت في العمارة واتسعت بالتمدن. ورحل إليها من التمور والقصاصية والبلد البعيد طلاب العلوم وأرباب الصنائع لتفاق أسواق المغارف والحرف والصنائع بها.

ولم يزل حماد أيام باديس هذا أميراً على الزاب والمغرب الأوسط ومتولياً حروب زناته. وكان تزوله يلد أشير والقلعة متاخماً للملك زناته وأخيائهما الباذية بضواحي تلمسان وتساهرت. وحاربه بنو زيري عند خروجهم على باديس سفي تسعين وتلثمانية وهم زاوي وماكسن وإخوانهما فقتل ماكسن وابنه، وأجلأ زاوي

جهده في قراء ونبع بطاعته. وطلب منه الحفاظ على بلده فاسعنه. وولى عليهم أبا الحسن المراغي، فلما قدم عبد المؤمن على إفريقية سنة أربع وخمسين راعى له ذلك وأقطعه، واندرج في جملة الناس. وكان بقلعة ورغبة بدووكس بن أبي علي الصنهاجي من أولياء العزيز المنصور صاحب مجاهة، والقلعة قد شادها وحسنها.

وكان مبدأ أمره أن العزيز تغير عليه في حروب وقت بيته وبين العرب نسب فيها إلى نفسه الإقدام، وللسلطان العجز، ففاخه على نفسه، وخلق بمجاهدة فاكرمه شيخها محمود بن نزال الريفي وأواه وترفع إلى محمود أهل ورغبة من عمله، وكانتا فتيان مختلفتين من زاتيمه إحدى قبائل البرير، وهذا أولاد مدین وأولاد لاحق. فبعث عليهم برووكس بن أبي علي لينظر في أحوالهم، وأقام معهم بالقلعة. ثم استجلب بعض الدعاة كانوا بناحيتها، وأنزلهم بالقلعة معهم واصطحبهم صاهر أولاد مدین وظاهرهم على أولاد لاحق، وأخرجهم من القلعة واستبد بها.

وقصدته الرجال من كل جانب إلى أن اجتمع له خمسة فارس، وأثخن في نواحيه، وحارب بني الورد بيتزرت وابن علال بطرير، وقتل محمد بن سباع أمير بني سعيد من رياح، وغضت القلعة بالساكن فاختذ لها رضاً، وجهز إلى العزيز عسكره من مجاهة فبارز قائد العسكر وقتله باسمه غيلام. وهلك بعد مدة وقام بأمره ابنه منيع، ونازله بنو سباع وسعيد طالبين بثار أخيهما محمد. وتعادى به الحصار وضاقت أحواله فاتحهوا عليه القلعة، واستلهم هو وأهل بيته قتلاً وسيأله مالك الأمور.

وكان أيضاً بطبرية مدافع بن علال القبيسي شيخ من شيوخها. فلما اضطربت إفريقية عند دخول العرب إليها امتنع بطبرية وحصل قلعتها، واستبد بها في جملة من ولده وبني عمه وجماعته إلى أن ثار عليه ابن بيزون اللخمي في البحرين على وادي مجردة. بزاوة الرياحين. وطالت بينهما الفتنة وال الحرب. وكان قهرون بن غنوش ينزل دحون قد بنى حصنه وشيده، وجمع إليه جيشاً من أوبياش القبائل، وذلك لما أخرجه أهل تونس بعد أن ولأه العامة عليهم. ثم صرفوه عن ولايتهم لسوء سيرته، فخرج من البلد وزلل دحون، وبني حصنًا بنفسه مع المخابيا وردد الغارة على تونس، وعاد في جهاتها فرغبو من محرز بن زيد أن يظاهرهم عليه فعل.

وبلغ خبره ابن علال صاحب طبرية فوصل ابن علال يسد بصهر منه، ونقله إلى بعض المحسون ببلده، وهي قلعة غنوش، ونظفوا على الإفساد. وخلفهما بتربهما من بعدهما إلى أن وصل عبد المؤمن إلى إفريقية سنة أربع وخمسين فمحا آثار الفساد من

وذلك سنة ست وأربعين وولي ابنه محسن وكان جباراً، وخرج عليه عممه يوسف ولحق بالغرب فقتل سائر أولاد حاد، وبعث محسن في طلبه بلkin ابن عممه محمد بن حاد، وأصحابه من العرب خليفة بن بكر وعطيه الشريف وأمرهما بقتل بلkin في طريقهما، فأخبرا بلkin بذلك وتعاهدوا جميعاً على قتل محسن، وأنذر بهم، ففر إلى القلعة وأدركوه، فقتله بلkin لستة أشهر من ولاته، وولي الأمر سنة سبع وثلاثين وكان شهاماً قرماً حازماً سفاكاً للدماء، وقتل وزير محسن الذي تولى قبله.

وفي أيامه قتل جعفر بن أبي رمان مقدام بسكنة لما أحس بنكهة، فحالف أهل بسكنة بأثر ذلك حسبما ذكره. ثم مات آخره مقابل بن محمد فاتهم به زوجته ناميـت بـنت عمـه عـلـناسـ بنـ حـادـ فـقـتـلـهـ،ـ وأـحـفـظـ ذـلـكـ أـخـاـهـ النـاصـرـ وـطـوـرـ عـلـىـ التـبـيـتـ.ـ وـكـانـ بلـكـينـ كـثـيرـاـ مـاـ يـرـدـ الغـزوـ إـلـىـ الـغـربـ،ـ وـيـلـغـهـ اـسـتـيـلـاءـ يـوـسـفـ بـنـ تـاشـفـينـ وـالـمـارـابـطـينـ عـلـىـ الـمـاصـادـةـ فـهـضـخـوـهـمـ سـتـةـ أـرـبـعـ وـخـسـينـ وـفـرـ الـرـابـطـونـ إـلـىـ الصـحـراءـ،ـ وـتـوـغـلـ بـلـكـينـ فـيـ دـيـارـ الـغـربـ،ـ وـنـزـلـ بـفـاسـ،ـ وـاحـتـمـلـ مـنـ أـكـابـرـ أـهـلـهـ وـأـشـافـهـمـ رـهـنـاـ عـلـىـ الطـاعـةـ.ـ وـانـكـفـاـ رـاجـعاـ إـلـىـ الـقـلـعـةـ فـانـهـزـ مـنـ النـاصـرـ بـنـ عـمـهـ الفـرـصـةـ فـيـ الثـلـاثـ بـأـخـهـ،ـ وـمـالـهـ قـوـمـهـ مـنـ صـنـهاـجـةـ لـاـ لـحـقـهـمـ مـنـ تـكـلـفـ الشـقـةـ بـيـاءـ العـزـرـ وـوـتـوـغـلـ فـيـ أـرـضـ الـعـدـوـ،ـ فـقـتـلـهـ بـتـسـالـهـ سـنـةـ أـرـبـعـ وـخـسـينـ.

وقام بالأمر من بعده، واسترزز أبا بكر بن أبي الفتوح، وعقد على الغرب لأخيه كباب وأنزله ملياناً وعلى حزة لأخيه رومان، وعلى تقاؤس أخيه خضر. وكان المعز قد هدم سورها فأصلحه الناصر، وعقد على قسطنطينية لأخيه ببار، وعلى الخزائر ومرسى الدجاج لابنه عبد الله وعلى أخيه لابنه يوسف، وكتب إليه حمو بن مليل البرغواطي من صفاقس بالطاعة وبعث إليه بالهدية. ووفد عليه أهل قسطنطينية ومقدمهم يحيى بن واطس فأعلنوا بطاعته، وأجلز صلتهم وردهم إلى أماكنهم، وعقد عليها ليوسف بن خلوف من صنهاجة ودخل أهل القبروان أيضاً في طاعته وكذلك أهل تونس.

وكان أهل بسكنة لما قتل بلkin مقدمتهم جعفر بن أبي رمان خلعوا طاعة آل حاد واستبدوا بأمر بلدتهم، وعليهم بنو جعفر، فسرح الناصر إليهم خلف بن أبي حيدرة وزيره وزنير بلkin قبله، فنازلاً وانتسحا عنوة، واحتملبني جعفر في جماعة من رؤسائها إلى القلعة فقتلهم الناصر وصلبهم، ثم قتل خلف بن أبي حيدرة بسعيه رجلات صنهاجة فيه، أنه لما بلغه خبر بلkin أراد تولية أخيه معمر، وشاورهم في ذلك، فقتله الناصر وولي مكانه أحمد بن جعفر بن أفلح.

وأخذوه إلى جبل شتون وأجازهم البحر إلى الأندلس. ثم إن بطانة باديس ومن إليه من الأعجم والقرابة نفسها على حاد ربته وسعوا في مكانه من باديس إلى أن فسد ذات بينهما. وطلب باديس أن يسلم عمل تجاست وقسطنطينية لولده المعز لما قللده الحاكم ولاية عهد ابنه، فأبى حاد وخالف دعوة باديس وقتل الراضية وأظهر السنة، ورضي عن الشيوخين ونبذ طاعة العبيدرين جلة، وراجع دعوة آل العباس وذلك سنة خمس وأربعين.

وزحف إلى باجة فدخلها بالسيف ودم إلى أهل تونس الثورة على المشارقة والراضية فثاروا بهم فناصبه باديس الحرب، وعبا عساكره من القبروان، وخرج إليه فتزعم عن حاد أكثر أصحابه مثل: بني أبي واليل أصحاب معرة من زنانة، وبني حسن كبار صنهاجة، وبني يطروف من زنانة، وبني غمرة أيضاً منهم، وفر حاد، وملك باديس أشير. ولحق حاد بشلف بني واليل وباديس في اتباعه حتى نزل مواطنين فحصر السرسو من بلاد زنانة. وزحف إليه عطية بن دافقن في قومه من بني توجين، لما كان حاد قتل أباه. وجاء على أثره ابن عممه بدر بن لقمان بن المعز فوصلهما باديس واستظهرا بهما على حاد.

ثم أجاز إليه باديس من وادي شلف وناجهه الحرب، وزحف إليه عامة أهل معسكره فانهزم وأخذ السير إلى القلعة، وباديس في أثره نزل فحاصر المسيلة، وأخجر حاد في القلعة وحاصره. ثم هلك بمعسكره من ذلك الحصار فجاء بمضربيه وهو نائم بين أصحابه ست وأربعين، فباعت صنهاجة لابنه المعز صبياً بين ثمان سنين. وتلافوا أمر أشير، ويعثروا كرامة بن منصور لسدتها فلم يقدر، واقتصرها عليه حاد. واحتلوا باديس على أعواذه إلى مدفهم بالقبروان وسايعوا المعز باليبيعة العامة وزحف إلى حاد بناحية قصبة، وأشقق حاد فبعث ابن القائد لأحكام الصلب بينه وبين المعز، فوصل إلى القبروان سنة ثمان وأربعين بهدية جليلة. وأمضى له المعز ما ساله من الصلح ورجع إلى أبيه.

وذلك حاد سنة تسعه عشر وأربعين قفاره باسمه ابنه القائد، وكان جباراً فاختار أخيه يوسف على المغرب وويغلان على حزة في بلد اخته حزة بن إدريس. وزحف إليه حامة بن زيري بن عطية ملك فاس من مغاروة سنة ثلاثين فخرج إليه القائد، وسرب الأموال في زنانة. وأحسن بذلك حامة فصالحة ودخل في طاعته، ورجع إلى فاس، وزحف إليه المعز من القبروان سنة أربع وثلاثين وحاصره مدة طويلة. ثم صالح القائد وانصرف إلى أشير فحاصرها، ثم أفلح عنها وانكفا راجعاً. وراجع القائد طاعة العبيدرين لما نقم عليه المعز ولقبوه شرف الدولة.

عدي من العرب على الفساد وقطع السبيل، وأميرهم إذ ذاك مناد بن عبد الله، فبعث ابنه المنصور إليهم بالعسكر، وتقبض على أمراء بيبي عدي: ساكن بن عبد الله وحميد بن خرجل ولا حق بن جهان، وتقبض أيضاً على أمير بيبي توجين وأخيه زيري وعيهما الأغلب وحامة، وأحضرهم فرجتهم وقدر عليهم فغلبه في إجارتهم من أولاد القاسم رؤساء بيبي عبد الواد، وقتلهم جميعاً على الخلاف.

وفي ستة ستين افتح جبل بجایة، وكان له قيل من البرير يسمون بهذا الاسم، إلا أن الكاف فيهم بلغتهم ليست كافاً بل هي بين الجيم والكاف، وعلى هذا القيل من صنهاجة باقون لهذا العهد أزواجاً في البرير. فلما افتح هذا الجبل اخترط به المدينة وسمها الناصرية، وتسمى عند الناس باسم القليلة وهي بجایة، وبني بها قصر اللؤلؤة وكان من أعجب قصور الدنيا ونقل إليها الناس، وأسقط الخراج عن ساكنها وانتقل إليها ستة إحدى وستين.

وفي أيام الناصر هذا كان استئصال ملوكهم وشغوفة على ملك بيبي باديis إخوانهم بالمهدية، ولما أضرع منه الدهر بفتنة العرب الملاليين حتى اضطرب عليهم أمرهم، وكثروا شوارع عليهم والمنازلون من أهل دولتهم، فأعتر آن حاد هؤلاء أيام الناصر هذا، وعظم شأن أيامهم، فبني المباني العجيبة المؤنقة، وشيد المدائن العظيمة، وردد الغزو إلى المغرب وتغل فيهم.

ثم هلك سنة إحدى وثمانين وقام بالأمر من بعده ابنه المنصور بن الناصر، ونزل بجایة سنة ثلاث وثمانين، وألوطها بعساكره وخاصة ب العرا من منازل العرب، وما كانوا يسمونهم بالقلعة من خطة الخسف وسوء العذاب بوطء ساحتها والعيث في نواحيها، وقطف الناس من حولها لسهولة طرقها على رواحلهم، وصعوبة المسالك عليها في الطريق إلى بجایة لمكان الأوغار، فاختذ بجایة هذه مقلأً وصيّرها داراً لملكه، وجدد قصورها وشيد جامعها، وكان المنصور هذا جماعة مولعاً بالبناء وهو الذي حضر ملك بيبي حاد وتأثر في اختطاط المباني وتشيد المصانع والخاذل القصور وإجراء المياه في الرياض والبساتين. فبني في القلعة قصر الملك والمنار والكوكب وقصر السلام وفي بجایة قصر اللؤلؤة وقصر أميميون.

وكان آخره يليز على قسطنطينة منذ عهد الناصر أيهما وهم بالاستبداد لأول ولادة المنصور، فسرح إليه أبيا يكتسي بن محصن بن العابد في العساكر، وعقد له على قسطنطينة وبرونة فتقبض على بليز وأنشحصه إلى القلعة، وأقام والياً على قسطنطينة

ثم خرج الناصر ليتفقد المغرب فوثب على بن راكان على تافريوس دار ملكهم وكان لما قتل بلکين هرب إلى إخوانه من عجيسة واهتبلا الغرة في تافريوس لغيبة الناصر، فطرقوا لها ليلاً، وملكلها على فرجع الناصر من المسيلة وعاجلهم فسقط في أيديهم، وافتتحها عليهم عنوة وذبح علي بن راكان نفسه بيده. ثم وقت بين العرب الملاليين فتن وحرب ووفد عليه رجالات الأنج صر بمحناً به على رياح، فأجادهم ونهض إلى مظاهرتهم في جموعه من صنهاجة وزنانة حتى نزل للأريض، وتوافقوا بسيبه فغدرت بهم زنانة وجرروا عليه وعلى قومه المزبعة بدسيسة ابن المعز بن زيري بن عطيه، وإغراء تميم بن المعز فانهزم الناصر، واستباحوا خزاناته ومضاربه، وقتل آخره القاسم وكاتبه، ونحا إلى قسطنطينة في أتباعه.

ثم لحق بالقلعة في قل من عسکره، لم يبلغوا مaiten. وبعث وزير ابن أبي الفتوح للإصلاح، فقد بينهم وبينه صلحًا وعممه الناصر. ثم وفد عليه رسول تميم، وسعى عنده بالوزير ابن أبي الفتوح وأنه مائل إلى تميم فنكسه وقتل. وكان المستنصر بن خرزون

الزناتي خرج في أيام الفتنة بيت الترك والمغاربة بمصر، ووصل إلى طرابلس فوجد بيبي عدي بها قد أخرجهم الأنج ورغبة من إفريقية كما ذكرناه، فرغبهم في بلاد المغرب، وسار بهم حتى نزل المسيلة، ودخلوا أشير. وخرج إليه الناصر فر إلى الصحراء ورجع، فرجع إلى مكانه من الإفساد، فراسله الناصر في الصلح فأسفه، وأقطعه ضواحي الزاب ووربة، وأوعز إلى عروس بن هندي رئيس بسكرة لمهدده، وولي دولته أن يكن به، فوصل المتصر إلى بسكرة وخرج إليه عروس ابن هندي وأحمد نزله، وأشار إلى حشمه عند انسكاب المتصر وذوية على الطعام فبادروا مكبين لطعنه، وفر أتباعه وأخذوا رأسه، وبعث به إلى الناصر فنصبه بجایة، وصلب شلوه بالقلعة وجعلوه عظة لغيره.

وقتل كثير من رؤساء زنانة، فمن مغراوة: أبي الفتوح بن حبس أمير بيبي سنجلس، وكانت له بلد مدينة والمرية قيل من بطون صنهاجة سميت البلد بهم، وقتل معتصر بن حاد منهم أيضاً، وكان بناحية شلف فأجلب على عامل مليانة، وقتل شيخ بي ورسفان من مغراوة، فاكتبهم السلطان لما كان مشتغلًا عنهم بشأن العرب. فزحفوا إلى معتصر وقتلوا، وبعثوا برأسه إلى الناصر فنصبه على رأس القصر. وبعث إليه أهل الزاب أن عمر ومجراوة ظاهروا الأنج من العرب على بلادهم، فبعث ابنه المنصور في العساكر ونزل وعلان بلد المتصر بن خرزون وعدمهها.

وبعث سراياه وجيوشه إلى بلد واركلا وولى عليها، وقتل بالعنان والسي، وبليه عن بيبي توجين من زنانة أنهم ظاهروا بني

على أمره، وأجلبوا على الجزائر فنازلوها يومين، مات عقيبها محمد بن يغمر صاحب تلمسان.

وولي يوسف بن تاشفين مكان أخيه تاشفين بن يغمر، فنهض إلى أشير وافتتحها، فقام المنصور في ركابه ومعه كافة صنهاجة، ومن العرب أحياه الأثيبي وزغبة وربيعة، وهم العقل من زناته أمّا كبيرة، ونهض إلى غزو تلمسان سنة ست وسبعين في نحو عشرين ألفاً. ولقي استنقاصه ويعتدى العسرك في مقدمته، وجاء على أثرهم، وكان تاشفين قد أفرج عن تلمسان وخرج إلى تالة، ولقيه عساكر المنصور فهزمه، وجلأ إلى جبل الصخرة، وعاثت عساكر المنصور في تلمسان فخرجت إليه حروا زوجة تاشفين أميرهم متذمّرة راغبة في الإبقاء، متسللة بروشائح الصنهاجة، فاكبر قصدها إليه وأكمل موصلها، وأفرج عنهم صيحة يومه. وانكفا راجعاً إلى حضرته بالقلعة، وائتمن بعدها في زناته وشردهم بنواحي الزاب والمغرب الأوسط. ورجع إلى مجاهدة وائتمن في نواحيه، ودخلت عساكره قبائلها، فساروا في جبالها المبنية مثل: بني عمران وبني تازروت والمنصورية والصهريج والناظور وحجر الموز، وقد كان أسلافه يرثون كثيراً عنها، فتمتنع عليهم فاستقام أمره واستفحّل ملحة.

وقدم عليه معز الدولة بن صمادح من المرية فراراً أمام المرباطين لما ملكوا الأندلس، فنزل على المنصور وأقطعه تدليس وأنزله بها. وهلك سنة ثمان وسبعين فولى من بعده ابنه باديس، فكان شديد الباس عظيم النظر فتكب عبد الكريسم بن سليمان وزير أبيه لأول ولاته، وخرج من القلعة إلى مجاهدة فنكب سهاماً عامل مجاهدة، وهلك قبل أن يستكمل سنة، وولي من بعده أبوه العزيز، وقد كان عزله عن الجزائر وغبره إلى جيجيل فبعث عنه القائد علي بن حدون فرصل، وبابيعره، وصالح زناته وأشهر إلى ماخوخ فأنكحه ابنته. وطال أمر ملكه، وكانت أيامه هدنة وأمناً. وكان العلماء يتناذرون في مجلسه.

وانزلت أسلطيه جرية فنزلوا على حكمه وأخذوا بطاعته، ونازل تونس وصالحه صاحبها أحمد بن عبد العزيز وأخذ بطاعته، وكبس العرب في أيامه القلعة وهو غازون فاكتسحوا جميع ما وجدوه بظواهرها، وعظم عيّهم، وقاتلتهم الحامية فغلبوا بهم وأخرجوهم من البلد. ثم ارتحل العرب وبلغ الخبر إلى العزيز، فبعث ابنه يحيى وقائده علي بن حدون من مجاهدة في عسكر وتعيبة، فوصل إلى القلعة وسكن الأحوال. وقد أمن العرب واستعبوا فأغتصبوا وانكحوا بمحبي راجعاً إلى مجاهدة في عسكره. وعلى عهد العزيز. وهذا كان وصول مهدي المرحدين إلى مجاهدة قافلاً من

مكانه، وولي أخاه ويغلان على بونة. ثم بدا له في الخلاف على المنصور وثار بقطنطية سنة سبع وثمانين وبعث أخاه من بونة إلى تميم بن المعز بالمهديّة، واستدعاه لولاية بونة فبعث معه ابنه أبا الفتح بن عبيّم، ونزل بونة مع ويغلان، وكانت المرباطين بالغرب الأقصى وجعلوا العرب على أمرهم.

وسرح المنصور عساكره فحاصروا بونه سبعة أشهر، ثم اقتحموها غلابة، وتبصروا على أبي الفتح بن تميم وبعثوا به إلى المنصور فاعتقله بالقلعة.

ثم نازلت عساكره قسطنطية واضطرب أحوال ابن أبي يكى فخرج إلى القلعة بجبل أوراس، وتحصن بها. ونزل بقطنطية صليصل بن الأحر من الأحر من رجالات الأثيبي. وداخل صليصل المنصور في أن يعكّه من قسطنطية على مال يبنله ففعل، واستولى عليها المنصور. وقام أبو يكى بمحنته بقلعته، ثم اقتحموها عليه وقتلوا. وكان بتو蔓ان من زناته حياً جيئاً وقوماً أعزه، وكانت إليهم رئاسة زناته. وكان رئيسهم لمهده ماخوخ، وكان بينهم وبين آل حاد صهر، فكانت إحدى بناتهم زوجة للناصر، وكانت أخرى عند المنصور.

ولما تجددت الفتنة بينه وبين قومهما أغزاهما المنصور بنفسه في جمع صنهاجة وحشوده، وجمع له ما خرج ولقيه في زناته، فانهزم المنصور إلى مجاهدة فقتل أخت ماخوخ التي كانت تحمله. واستحقكت التفرقة بين ماخوخ وبينه. وسار إلى ولاية أمراء تلمسان من لتوته وحضرهم على بلاد صنهاجة، فكان ذلك مما دعا المنصور إلى النهوض إلى تلمسان، وذلك أن يوسف بن تاشفين لما ملك المغرب، واستفحّل به أمره، سما إلى ملك تلمسان، فغلب عليها أولاد يعلى سنة أربع وسبعين على ما ي يأتي ذكره، وأنزلها محمد بن يغمر المسوفي وصيّرها ثغرًا لملكه فاضططع بأمرها ونازل بلاد صنهاجة وثغورهم، فزحف إلى المنصور وأخرب ثغوره وحصون ماخوخ، وضيق عليه فبعث إليه يوسف بن تاشفين وصالحه.

وقبض أبيدي المرباطين عن بلاد صنهاجة، ثم عاود المرباطون إلى شانهم في بلاده، فبعث ابنه الأمير عبد الله، وسمّع به المرباطون فانقضوا عن بلاده وزحفوا إلى مراكش، واحتل هو بالغرب الأوسط فشنّ الغارة في بلاد بي ومانوار، وحاصر الجعيات، وفتحها ثم عاود ذلك مرات كذا، وعفّا عن أهلها، ورجع إلى أبيه. ثم وقعت الفتنة بينه وبين ماخوخ. وقتل أخوه ولحق ابن ماخوخ بتلمسان، وظاهره ابن يغمر صاحب تلمسان

إلى بونه وملكتها. ثم غلب عليها الموحدون وقلدهم صبراً. وانقرض مملك بنى حاد والبقاء لله وحده، ولم يبق من قبائل ماكسن إلا أوزاع بوادي بجاية يتسبون إليهم، وهم لهذا العهد في عداد الجندي، ولهם اقطاع بنواحي البلد على العسكرية في جملة السلطنة مع قواده، والله وارث الأرض ومن عليها اه.

ملوك بني حبوس الخبر عن ملوك بني  
حبوس بن ماكسن من بني زيري من  
صنهاجة بغرناطة من عدوة الأندلس وأولية  
ذلك ومصايره

لام استبد باديس بن المنصور بن بلکین بن زیری بن مناد بن هاد بولاية إفريقية سنة خمس وثمانين وأربعين عمومته وقراباته ثغور عمله، فأنزل حاداً باشير والأخاء يطوفت تباهرت، وزحف زيري بن عطيه صاحب فاس من مغاروا بدعوة المؤيد هشام خليفة قربطة إلى عمل صنهاجة في جموع زنانة، وزنل تباهرت وسرح باديس عساكرة لنظر محمد بن أبي العون فالتقوا على تباهرت، وانهزم صنهاجة، فزحف باديس بنفسه للقائهم، وخالف عليه فلفول بن سعيد بن خزرون صاحب طبنة ثم أجمل زيري بن عطيه أمامة ورجع إلى المغرب، فرجع باديس إلى القبروان، وترك عمومته أولاد زيري باشير مع حاداً وأخيه يطوفت وهم: زاوي وحلال وعمر وعمنى وأجمعوا على الخلاف والخروج على باديس ستة سبع وثمانين، فأسلموا حاداً برمه واستولوا على جميع ما معه، وانفصل الخبر برأي البهار بن زيري، وهم مع باديس فخشيه على نفسه، ولحق بهم واجتمعوا في الخلاف، واستغل باديس عنهم هجوب فلفول بن يانس مولى الحاكم القادم على طرابلس من قبله، وافتتح مجالهم في الفساد والعيث ووصلوا أيديهم بلفول وعائقدهو.

الشرق سنة اثنى عشرة وغير بها المنكر، فسعي به عند العزيز  
واتمر به، فخرج إلى بيته ورباكل من صنهاجة كانوا ساكين براودي  
بجاهة ناجاروه. وزنل عليهم مملأة وأقام بها يدرس العلم. وطلب  
العزيز فمنعه وقاتلوا دونه إلى أن رحل عنهم إلى المغرب.

وهلك العزيز سنة خمس عشرة وأربعينات قرولي من بعده  
ابنه يحيى، وطالت أيامه مستضاعناً مغلباً للنساء مولعاً بالصيد على  
حين انقراض الدولة وذهب الأئم بقبائل صنهاجة واستحدث  
السكة ولم يجدنها أحد من قومه أبداً مع خلفائهم العبيدين، وتقل  
ابن حماد أن سكته في الديبار كانت ثلاثة سطور ودائرة في كل  
وجه، فدائرة الوجه الواحد: «وَلَقُوا يَوْمًا تُرْجَمُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ شُمُّ  
تُؤْتَئِي كُلُّ قَسْنِ مَا كَسْبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ» والسطور: لا إله إلا  
الله و محمد رسول الله، يعتصم محيل الله يحيى بن العزيز بالله  
الأمير المصور. دائرة الوجه الآخر: بسم الله الرحمن الرحيم  
ضرب هذا الديبار بالناصرية سنة ثلاث وأربعين وخمسة. وفي  
سطوره: الإمام أبو عبد الله المتنبي لأمر الله أمير المؤمنين  
العباسي.

ووصل سنة ثلاث وأربعين إلى القلعة لافتقادها ونقل ما  
بقي بها، وانتقض عليه بتوزر بن مروان، فجهز إليه الفقيه مطرف  
بن علي بن حدون في العساكر فافتتحها عنوةً وتبپض على ابن  
مروان وأوصله إليه فسجنه بالجزائر إلى أن هلك في معتقله، وقيل  
قتله. وبعث مطرف بابته إلى تونس فافتتحها ونازل في وجهه هذه  
المهدية فامتنعت عليه، ورجع إلى مجایة وتقلب الضرار على  
المهدية، وقصده الحسن صاحبها فأجازه إلى الجزائر وأنزله بها مع  
أخيه القائد، حتى إذا زحف المورخدون إلى مجایة وفرّ القائد من  
الجزائر وأسلمهها، قدموا الحسن على أنفسهم ولقي عبد المؤمن  
فأ芒هم، وأخرج يحيى بن العزيز أخاه سبع للقاء المورخدين فانهزم  
وملك المورخدون مجایة.

وركب يحيى البحر إلى صقلية يروم الإجازة منها إلى بغداد.  
ثم عدل إلى بونة فنزل على أخيه الحارث ونكر عليه سوء صنيعه  
وإخراجه عن البلاد فارتعى عنه إلى قسطنطينية، فنزل على أخيه  
الحسن فتخلى له عن الأمر. وفي خلال ذلك دخل الموحدون  
القلعة عنزة. ودخل حوشن بن العزيز وابن الدحامس من الأثبج  
معه وخربت القلعة. ثم بايع يحيى لعبد المؤمن سنة سبع وأربعين.  
ونزل قسطنطينية واشترط لنفسه فوفى له، ونقله إلى مراكش  
فسكها. ثم انتقل إلى سلا سنة ثمان وأربعين فسكن قصر بني  
عشيرة إلى أن هلك في سنته. وأما الحارث بن عبد العزيز صاحب  
بونة فقر إلى صقلية واستصرخ صاحبها فصارخه على أمره ورجع

فلقيه باديس بظاهر غرناطة فهزمه وقتلته وطالت أيامه ومد ملوك الطوائف أيديهم جيئاً إلى مده فكان من استمده محمد بن عبد الله البرزالي لما حاصره إسماعيل بن القاضي بن عباد بعساكر أبيه فأمده باديس نفسه وقومه وصار إلى صريخه مع ابن بقية قائد إدريس بن حمود صاحب المالة ستة إحدى وثلاثين ورجعوا من طريقهم. وطبع إسماعيل بن القاضي بن عباد مع صريخه فيهم فاتبعهم ولحق باديس في قومه، فاقتلوه، وفر عسکر إسماعيل وأسلمهوه فقتله صنهاجة، وحمل رأسه إلى ابن حمود.

وكان القادر بن ذي النون صاحب طليطلة أيضاً يستدفع به ويقومه استطالة ابن عباد وأعوانه. وباديس هذا هو الذي مصر غرناطة واحتل قصبتها وشاد قصورها وشيد حصنها، وأشاره في مانيتها ومصانتها باقية لهذا العهد. واستولى على مالقة عند انفراط بي حمود سنة تسع وأربعين وأضافها إلى عمله، وهلك ستة سبع وستين وظهر أمر المرابطين بالقرب واستفحلا ملوك ي يوسف بن تاشفين فولى من بعده حافظه عبد الله بن بلكين بن باديس، وتغلب المظفر وعقد أخيه تميم على مالقة فاستقام أمرها إلى أن أجاز يوسف بن تاشفين إلى العدوة إجازته المعروفة كما ذكره في أخباره. ونزل بغرنانطة ستة ثلاث وثمانين فقبض على عبد الله بن بلكين واستصفي أمواهه وذخيرته ولحق به أخاه تميم من مالقة واستصحبها إلى العدوة، فأنزل عبد الله تميم بالسوس الأقصى وأقطع لهما إلى أن هلكوا في إياته، ويزعم بنو الماكين من بيوتات صنهاجة ومن إفريقية والأندلس أجمع والبقاء لله وحده أه.

## الطبقة الثانية من صنهاجة وهم الملشمون وما كان لهم بالمغرب من الملك والدولة

هذه الطبقة من صنهاجة هم الملشمون المطنون بالقفر وراء الرمال الصحراوية بالجنوب، أبعدوا في المجالات هنالك منذ دهر قبل الفتح لا يعرف أوطها، فاصحروا عن الأربعيف ووجدوا بها المراد وهجروا التلول وجفورها، واعتصموا منها ببابان الأنعام ولوحومها انتباذاً عن العمran، واستنثاساً بالانفراد وتتوحشاً بالعز عن الغلة والقهقر، فنزلوا من ريف الحبشة جواراً، وصاروا ما بين بلاد البربر وبالسودان حجزاً، واغتنموا اللثام خطاماً تغزوا بشعاره بين الأمم، وعفوا في تلك البلاد وكثروا، وتعددت قبائلهم من كذلك فلمونة فمسورة فوتريكة فناواكا فزغاوا ثم لطمة إخوة صنهاجة كلهم ما بين البحر المتوسط والمغرب إلى غدامس من قبلة

السلطان وعساكر الأموية وقبائل العرب، واستغاظ أمر صنهاجة بالأندلس واستفحلا إمارتهم، وحملوا دولة المتصور بن أبي عامر ولوليه المظفر والناصر من بعده على كاهلهم.

ولما انقض أمرهم وأضحلت دولتهم ونشأت الفتنة بالأندلس بين البربرية وأهلها، فكان زاوي كبس تلك الرقائق ومحش حروبيها. وغرس بقرطبة هو وقومه صنهاجة وكافة زناته والبربر حتى أبتو قدم خليفتهم المستعين سليمان بن الحكم بن سليمان بن الناصر الذي أتوه بيعتهم، وأعطوه على الطاعة صفتهم كما ذكرناه في أخبارهم. ثم اتتحموا به قرطبة عنوة وأصطلموا عامة أهلها وأنزلوا العرات بذوي الصون منها وبيوتات الستر من خواصها، فحدث الناس ذلك بأخبارها وتوصل زاوي عند استباحة قرطبة إلى رأس أبيه زيري بن مناد المتصور بمدران قصر قرطبة فازاله وأصاره إلى قومه ليُدفن في جده.

ثم كان شأن بي حمود من العلوية، وافتقر أمر البربرية وأضطررت الأندلس ناراً، وأمتلت جوانبها فتنة، وأسرى الرؤساء من البربرية ورجالات الدولة على النواحي والأقصى فملوكها، وتحيزت صنهاجة إلى ناحية البربرية فكانت ضواحيها وحصل عليها استيلاؤهم، وزاوي يومئذ عضد البربرية فنزل بغرنانطة واغتنما داراً لملكه ومعتصماً لترمه.

ثم وقع في نفسه سوء أمر البربر بالأندلس أيام الفتنة، وحنر مغبة الفعلة واستعراض الدولة، فاعتزم على الرحالة وأوى إلى سلطان قرمه بالقيروان ستة عشر وأربعين سنة بعد غيبة عشرين سنة، وأنزل على المز بن باديس حافظ أخيه بلكين أجل ما كانت دولتهم بأمر إفريقية، وأتَرَفَ وأوسع ملكاً وأوغر عدداً، فلقيه المز على الأعمام والقرابة وأسكنه بقصره، وأُبْرِزَ الحرم للقائه، فيقال: إنه لقيه من ذوات حارمه ألف امرأة لا تحمل له واحدة منها، ووارى إبراهيم مع شلوه بمدينته، وكان استخلف على عمله ابنه ونا فظعن لأهل غرناطة فانتقضوا عليه، وبعشوا عن حبوس ابن عمه ماكين بن زيري مكانه بعض حصن عمله، فبادر إليهم، ونزل بغرنانطة، فانتقضوا عليه وبابعوه، واستحدث بها ملكاً، وكان من أعظم ملوك الطوائف بالأندلس إلى أن هلك ستة سبع وعشرين.

وولى من بعده ابنه باديس بن حبوس وبلقب بالملظفر، لم يزل مقيناً للدعوة آن حمور أمراء مالقة بعد تخلفهم عن قرطبة سائر أيامه، ورَحَّفَ إليها العامري صاحب المربة ستة تسع وعشرين،

## الخبر عن دولة المرابطين من لتوة وما كان لهم بالعدوين من الملك وأولية ذلك ومصايره

كان هؤلاء الملثمون في صحارفهم كما قلناه، وكانوا على دين الجروسية إلى أن ظهر فيهم الإسلام لعهد المائة الثالثة كما ذكرنا، وجاهدوا جيروانthem من السودان عليه فدانوا لهم واستوثق لهم الملك. ثم افترقا وكانت رئاسة كل بطن منهم في بيت خصوص. فكانت رئاسة لتوة فيبني ورتانطق بن منصور بن مصالة بن المنصور بن مزالن بن أميت بن رغال بن تلميٰت وهو لتوة. ولما أنسفت الرئاسة إلى يحيى بن إبراهيم الكندالي، وكان له شهر فيبني ورتانطق هؤلاء، وتظاهروا على أمرهم، وخرج يحيى بن إبراهيم لقضائه فرصة في رؤساء من قومه في سني أربعين وأربعين، فلقوه في منصرتهم بالقيروان شيخ المنصب الملاكتي أبو عمران الفاسي، وأختموا ما متعوا به من هدية وما شافوه به من فروض أعيانهم من فتاوى.

وسائل الأمير يحيى أن يصحبهم من تلميذه من يرجعون إليه في نوازهم وقضايا دينهم، فتدبّر تلميذه إلى ذلك حرضاً على إيصال الخير إليهم لما رأى من رغبتهم فيه. فاستوعبوا مسحة بلادهم. وكتب لهم الفقيه أبو عمران إلى الفقيه محمد وكاك بن زلوا الماطبي بسلامة من الآخذين عنه، وعهد إليه أن يتensus لهم من يتقى بيده وفقهه، ويروض نفسه على مسحة أرضهم في معاشة، فبعث معهم عبد الله بن ياسين بن مكو الجزولي، ووصل معهم يعلمهم القرآن ويقيم لهم الدين. ثم هلك يحيى بن إبراهيم وأفتق أمرهم، واطحروا عبد الله بن ياسين، واستصعبوا علمه وتركوا الأخذ عنه لما اختموا فيه من مشاق التكليف، فأعراض عنهم وترهب وتنسلك معه يحيى بن عمر بن تلاكاين من رؤساء لتوة، وأخوه أبو بكر، فنبذوا عن الناس في ربوة مجيط بحر النيل من جهاتها ضحضاً في الصيف وغمراً في الشتاء، تعمود جزراً منقطعة، فدخلوا في غياضها متفردين للعبادة، وتسامح بهم قلبه مقاتل حبة من خير، فتسايلوا إليهم ودخلوا دينهم وغيضتهم.

ولما كمل معهم ألف من الرجالات، قال لهم شيخهم عبد الله بن ياسين: إن الفلان تغلب من قلة، وقد تعين علينا القيام بالحق والدعاء إليه وحمل الكافة عليه، فأخرجوا بنا لذلك، فخرجوه وقتلوا من استعصى عليهم من قبائل لتوة وكذالة، ومسوقة حتى أثابوا إلى الحق واستقاموا على الطريقة، وأذن لهم

طرابلس وبرقة.

وللمرتبة فيهم بطون كثيرة منهم: بنو ورتانطق وبنو زمال وبنو صولان وبنو ناسجة، وكان موطنهم من بلاد الصحراء يعرف كاكمد وكان دينهم جميعاً الجروسية شأن بربرية المغرب. ولم يزالوا مستقرين بتلك المجالس حتى كان إسلامهم بعد فتح الأندلس، وكانت الرئاسة فيهم للمرتبة، واستوسق لهم ملك ضخم مذ دولة عبد الرحمن بن معاوية الداخل توارثه ملوك منهم: تلاكاين وورنكا وأوراكن بن ورتانطق جد أبي بكر بن عمر أمير لتوة في مبتدأ دولتهم، وطالت أعمارهم فيها إلى الشهرين ومخوها، ودخلوا تلك البلاد الصحراوية وجاهدوا من بها من أمم السودان وحملوهم على الإسلام، فدان بهم كثيرون، واقتام آخرون بالجزرية فقبلوها منهم وملك عليهم بعد تلاكاين المذكور تيلوتان.

قال ابن أبي زرع: أول من ملك الصحراء من لتوة تيلوتان، فدخل بلاد الصحراء وافتضى مغارم السودان وكان يركب في مائة ألف نحيب. وتوفى سنة اثنين وعشرين ومائتين، وملك بعده يلتان وقام بأمرهم وتوفي سنة سبع وثمانين ومائتين، وقام بأمرهم بعده ابنه تميم إلى سنة ست وثلاثمائة، وقتل صهابة وافتلق أمرهم. كلام ابن أبي زرع. وقال غيره: كان من أشهرهم تيزوا بن وانشيق بن بيزا وقيل برويان بن وانشق بن بزار ملك الصحراء بأسرها على عهد عبد الرحمن الناصر وبابنه الحكم المستنصر في المائة الرابعة. وفي عهد عبد الله وبابنه أبي القاسم من خلفاء الشيعة، كان يركب في مائة ألف نحيب، وعمله مسيرة شهرين في مثلها، ودان له عشرون ملكاً من ملوك السودان يعطونه الجزء، وملك من بعده بنوه ثم افترق أمرهم من بعد ذلك، وصار ملكهم طائف ورؤاهم شيئاً، قال ابن أبي زرع: افترق أمرهم بعد تميم بن يلتان مائة وعشرون سنة إلى أن قام فيهم أبو عبد الله بن تيقاوت المعروف بناشرت المرتبة، فاجتمعوا عليه وأحبوه وكان من أهل الدين والصلاح، وحج و Hulk لثلاثة أعوام من رئاسته في بعض غزواته. وقام بأمرهم صهره يحيى بن إبراهيم الكندالي. وبعده يحيى بن عمر بن تلاكاين، أه كلامه. وكان هذه الطيبة ملك ضخم بالغرب والأندلس أولاً، وبإفريقية بعده فنذكره الآن على نسقه.

ثم نازل أبو بكر مدينة لواتة وافتتحها عنوة وقتل من كان بها من زناتة سنة اثنين وخمسين. وبلغه وهو لم يستطع فتح المغرب بعد ما وقع من الخلاف بين لتوينة ومسفحة ببلاد الصحراء، حيث أصل أغصاهم ووشابع أمرائهم ومنيع عددهم، فخشى افتراق الكلمة وانقطاع الوصلة، وتلافي أمره بالرحلة. وأكذ ذلك زحف بلkin بن محمد بن حاد صاحب القلعة إلى المغرب سنة ثلات وخمسين لقتالهم، فارتحل أبو بكر إلى الصحراء، واستعمل على المغرب ابن عمه يوسف بن تاشفين وزلل له عن زوجه زينب بنت إسحاق والحق بقومه. ورفع ما كان ينتمي من خرق الفتنة، وفتح باباً من جهاد السودان، فاستولى على خروج تسعين مرحلة من بلدهم.

وأقام يوسف بن تاشفين بأطراف المغرب، ونزل بلkin صاحب القلعة فاس وأخذ رهنها على الطاعة، وانكفا راجعاً. فحيثند سار يوسف بن تاشفين في عسكره من المرباطين ودخول اقطر المغرب. ثم رجع أبو بكر إلى المغرب فوجد يوسف بن تاشفين قد استبد عليه. وأشارت عليه زينب أن يرى الاستبداد في أحواله وأن يدع له مatum الصحراء وما عنوانها، فقطن لذلك الأمير أبو بكر وتجانف عن المنازعات وسلم له الأمر، ورجع إلى أرضه فهلك لمرجه سنة ثمانين وأربعين.

وانخرط يوسف مدينة مراكش سنة أربع وخمسين ونزلها بالخيام وأدار سورها على مسجد وقببة صغيرة لاختزان أمواله وسلاحه، وكمّل تشييدها وأسوارها ابنه من بعده سنة ست وعشرين وخمسة. وجعل يوسف مدينة مراكش لنزله ولعسكره وللتmers بقبائل المصامدة المصيفة بمداورتهم بها في جبل درن، فلما يكن في قبائل المغرب أشد منهم ولا أكثر جمعاً. ثم صرف عزمه إلى مطالبة مغراوة وبني يفرن وقبائل زناتة بالمغرب، وجذب الحيل من أيديهم، وكشف ما نزل بالرعايا من جورهم وعسفهم فقد كانوا من ذلك على الـ حدث المؤرخون في أخبار مدينة فاس ودولتهم فيها بكثير منه \_ فنازل أولًا قلعة فازار وبها مهدي بن توالي من بني يخفش.

قال صاحب نظم الجواثر: وهو بطن من زناته، وكان أبو توالي صاحب تلك القلعة ووليه هو من بعده، فنازله يوسف بن تاشفين. ثم استجاش به على فاس مهدي بن يوسف الكزنابي صاحب مكانة بما كان عدواً لمعتصر المغراوي صاحب فاس، فزحف في عساكر المرباطين إلى فاس، وجمع إليه معتصر قفضل جوعنه، وارتحل يوسف إلى فاس وتقرى منازلها وافتتح جميع الحصون الخ冶ة بها، وأقام عليها أياماً قلائل، وظفر بعامتها بكار

أخذ الصدقات من أموال المسلمين، وسماهم بالمرابطين، وجعل أمرهم في العرب إلى الأمير يحيى بن عمر، فتخطروا الرمال الصحراوية إلى بلاد درعة وسجلوا مسامسة فأعطوه صدقاتهم وانقلبوا. ثم كتب إليهم وكال المطبي بما نال المسلمين فيما إليه من العسف والجور من بي واندوين أمراء سجلوا مسامسة من مغراوة، وحرضهم على تغيير أمرهم، فخرجوا من الصحراء سنة خمس وأربعين وأربعين في عدد ضخم ركباناً على المهاجري أشترهم، وعمدوا إلى درعة. لا بل كانت هنالك باللحى وكانت تناهز خمسين ألفاً ونحوها.

ونهض إليهم مسعود بن واندوين أمير مغراوة وصاحب سجلوا مسامسة ودرعة لما دفعتهم عنها وعن بلاده، فتقاعداً وانهزم ابن واندوين وقتل واستلهم عسكره مع أموالهم، واستلهم دوابهم وإيل الحمى التي كانت بيلد درعة. وقدروا سجلوا مسامسة فدخلوها غلباً وقتلوا من كان بها من أهل مغراوة، وأصلحوا من أحواها وغيروا المنكريات، وأسقطوا المغارب والمكروس، واقتضوا الصدقات واستعملوا عليها منهم وعادوا إلى صحرائهم، فهلك يحيى بن عمر سنة سبع وأربعين وقدم مكانه أخيه أبي بكر وندب المرباطين إلى فتح المغرب فغزا بلاد السوس سنة ثمان وأربعين.

وافتتح ماسة وتسارودانت وجبيع معاقلة. ثم افتتح مدينة أغمات سنة تسع وأربعين وفر أميرها لقوط بن يوسف بن علي المغراوي إلى تادلاً واستضاف إلى بني يفرن بها ثم افتتح المرباطون بلاد المصامدة بجبال درن، وجاسوا خلالها سنة خمسين، ثم أغزوا تادلاً فاستباحوها واستلهموا بني يفرن ملوكها وقتل معهم لقوط بن يوسف المغراوي صاحب أغمات وتزوج امرأته زينب بنت إسحاق التفراوية، وكانت مشهورة بالجمال والرئاسة، وكانت قبل لقوط عند يوسف بن علي بن عبد الرحمن بن واطاس، وكان شيخاً على وريكة وهزرجة بزمن هيلانة في دولة أغمارن في بلاد المصامدة وهم الشيشوخ. وتغلب بني يفرن على وريكة، وملكو أغمات فتزوج لقوط زينب هذه، ثم تزوجها بعده أبو بكر بن عمر كما ذكرنا. ثم دعا المرباطين إلى جهاد برغراطة الذين كانوا باتسانتا وإنقا وجهات الريف الغربي، فكانت لهم فيه وقائع وأيام استشهد عبد الله بن ياسين في بعضها سنة خمسين.

وقدم المرباطون بعده سليمان بن عدو ليرجعوا إليه في قضايا دينهم. واستمر أبو بكر بن عمر في إماراة قومه على جهادهم ثم استأصل شأفهم ومحا أثر دعوتهم من المغرب وهلك في جهادهم سليمان بن عدو سنة إحدى وخمسين لستة من وفاة عبد الله بن ياسين.

أول أيام الدولة الحمودية بسبعين، فأعاد إليه ابن عباد الرسل بالمشایعة إليهم، فجهز إليهم قائد صالح بن عمran في عساكر لعونة، فلقيه سكوت الحاجب بظاهر طنجة في قومه ومعه ابنه ضياء الدولة، فانكشف وقت الحاجب سكوت وحق ابن العزيز ضياء الدولة، وكتب صالح بن عمران بالفتح إلى يوسف بن تاشفين، ثم أعزى الأمير يوسف بن تاشفين إلى المغرب الأوسط سنة اثنين وسبعين قائد مزيل بن تلakan بن محمد بن وركوت من عشيرته في عساكر لعونة مغاربة مغراوة ملوك تلمسان، وبها يرمي الأمير العباس بن

مجني من ولد يعلى بن محمد بن الخير بن محمد بن خزر، فدخلوا المغرب الأوسط وصاروا في بلاد زناتة، وظفروا بيعلى ابن الأمير العباسي فقتلوه، وانكفا راجعين من غزاتهم.

ثم نهض يوسف بن تاشفين سنة ثلات بعدها إلى الريف وافتتح كرسيف ومليلة وسائر بلاد الريف وخرب مدينة نكور فلم تتمر بعده ثم نهض في عساكره المرابطين إلى بلاد المغرب الأوسط فافتتح مدينة وجدة وبلادبني يزتاسن ثم افتتح مدينة تلمسان واستلهم من كان بها من مغاربة، وقتل العباس بن مجني أمير تلمسان وأنزل محمد بن تينعمر المستوفى بها في عساكر المرابطين، فصارت ثغرًا لملكه، ونزل بعساكره واحتضن بها مدينة تاكارات بمكان علته، وهو اسم المحلة بلسان البربر. ثم افتتح مدينة تنس ووهران وجبل وانشريس إلى الجزائر، وانكفا راجعًا إلى المغرب فاحتل مراكش سنة خمس وسبعين ولم يزل محمد بن تينعمر واليًا بتلمسان إلى أن هلك، وولي بعده آخره تاشفين.

ثم إن الطاغية تکالب على بلاد المسلمين وراء البحر، وانته الفرصة فيها بما كان من الفرق بين ملوك الطوائف فحاصر طليطلة، وبها القادر بن يحيى بن ذي النون حتى ناهم الجهد، وتسلمه منها منه صلحًا سنة ثمان وسبعين على أن يملأه بنسية، فبعث معه عسكراً من النصرانية فدخل بلنسية وغلّتها على حين مهلك صاحبها أبي بكر بن العزيز بين يدي حصار طليطلة، وسار الطاغية في بلاد الأندلس حتى وقف بفرضة الجماز من صريف، وأعيا أمره أهل الأندلس واقتضى منهم الجزية فأعطوها. ثم نازل سرقسطة وضيق على ابن هود بها، وطال مقامه وامتد أمله إلى تلكها، فخاطب المعتمد بن عباد أمير المسلمين يوسف بن تاشفين متجرداً وعده في صريح الإسلام بالعدوة وجهاد الطاغية.

وكاتبه أهل الأندلس كافة من العلماء والخاصية فاهتز للجهاد ويعث ابنه العز في عساكر المرابطين إلى سبعة فرضة الجماز، فنازلاها برأ، وأحاطت بها أساطيل ابن عباد بحرًا فاقتحموها عنوة في ربيع الآخر سنة ست وسبعين وتقبض على ضياء الدولة وقيد إلى

بن إبراهيم فقتله، ثم نهض إلى صفروي فافتتحها وقتل من كان بها من أولاد وآزادين المغاربي ورجع إلى فاس فافتتحها صلحًا سنة خمس وسبعين ثم رجع إلى غماراة ونماذهم وفتح كثيراً من بلادهم، وأشرف على طنجة وبها سكوت البرغواطي الحاجب صاحب سبعة، وبقية الأمراء من موالى الحمودية وأهل دعورتها. ثم رجع إلى منازلة قلعة فازار، وخالقه معنصر إلى فاس فاستولى عليها وقتل عاملها.

واستدعى يوسف بن تاشفين مهدي بن يوسف صاحب مكانة ليستجيشه به على فاس فاستعرضه معنصر في طريقه قبل أن تصل بأيديهما، وناجهه الحرب فقضى جوعه وقتلها، وبعث برأسه إلى وليه ومساهمه في شدته الحاجب سكوت البرغواطي. واستصرخ أهل مكانة بالأمير يوسف بن تاشفين فسرح عساكر لعونة إلى حصار فاس فأخذوا بمحنتهما وقطعوا المراقب عنها، وأخروا بالقتال عليها فسمّهم الجهد. ويزر معنصر إلى مناجزة عدوه لإحدى الراحتين فكانت الدائرة عليه وهلك. واجتمع زناته من بعده على القاسم بن محمد بن عبد الرحمن من ولد موسى بن أبي العافية، كانوا ملوكاً بأتازا وتسول، فرحفوا إلى عساكر المرابطين والتقووا صغير فكان الظهور لزناته. واستلهم كثير من المرابطين، واتصل بخبرهم يوسف بن تاشفين وهو معاصر لقلعة مهدي من بلاد فازار فارتاحل سنة ست وسبعين، ونزل عليها عسكر من المرابطين وصار يتنقل في بلاد المغرب فافتتح بني مراسن ثم بلاد ورغبة سنة ثمان وسبعين.

ثم افتتح بلاد غماراة سنة سبعين. وفي سنة اثنين وستين نازل فاس فحاصرها مدة ثم افتتحها عنوة وقتل بها زهاء ثلاثة آلاف من مغاربة وبيني يفرن ومكانة وقبائل زناتة حتى أعززت مدافنهم فرادى، فأخذت لهم الأحاديد وقبروا جماعات، وخلص من نجا منهم من القتل إلى بلاد تلمسان وأمر بهدم الأسوار التي كانت فاصلة بين القرويين والأندلسيين من عدوتها، وصبرها مصرًا واحدًا، وأدار عليها الأسوار وحمل أهلها على الاستكثار من المساجد، ورتب بناها، وارتاحل سنة ثلات وستين إلى وادي ملربة، فافتتح بلادها وحصل وطاط من نواحيها. ثم نهض سنة خمس وستين إلى مدينة الدمنة فافتتحها عنوة، ثم افتتح حصن علودان من حصون غمارة. ثم نهض سنة سبع وستين إلى جبال غياثة وبين مكود من أحواز تازا فافتتحها ودخلها، ثم قسم المغرب عمالات على بنيه وأمراء قومه وذويه، ثم استدعاء المعتمد بن عباد إلى الجهد فاعتذر له بمكان الحاجب سكوت البرغواطي وقومه من

محمد وركوت على الأندلس وأجازه فقدم عليها، وقد ابن عباد عن تقليه ومبرته فأحفظه ذلك، وطالبه بالطاعة للأمير يوسف والتزول عن الأمر، فقصد ذات بينهما، وغلبه على جميع عمله.

واستنزل أولاد المأمون من قرطبة ويزيد الراضي من رندة وقرمونة واستولى على جميعها وقتلهم. وصمد إلى إشبيلية فحاصر المعتمد بها وضيق عليه، واستدرج الطاغية فعمد إلى استقاؤه من هذا الحصار، فلم يعن عنه شيئاً، وكان دفاع لتوته مما فت في عضده، واقتصر المرابطون إشبيلية عليه عنونة سنة أربع وثمانين وتقبض على المعتمد وقاده أسرياً إلى مراكش، فلم يزل في اعتقال يوسف بن تاشفين إلى أن هلك في حبسه بأعمال سنة سبعين وأربعين ثم عمد إلى طليوس وتقبض على صاحبها عمر بن الأفطس فقتله وابنيه يوم الأضحى سنة تسعة وثمانين بما صح عنده من مداخلتهم الطاغية، وأن يملكون مدينة طليوس، ثم أجاز يوسف بن تاشفين الجواز الثالث سنة تسعين وزحف إليه الطاغية فبعث عساكر المرابطين لنظر محمد بن الحاج فانهزم النصارى أمامه، وكان الظهور لل المسلمين.

ثم أجاز الأمير يحيى بن أبي بكر بن يوسف بن تاشفين سنة ثلاثة وتسعين وانضم إليه محمد بن الحاج وسير بن أبي بكر واقتحموا عامة الأندلس من أيدي ملوك الطوائف، ولم يبق منها إلا سرقسطة في يد المستعين بن هود معتصماً بالنصارى. وغزا الأمير مزيل صاحب بلنسية إلى بلاد برشلونة فاتخن بها وبلغ إلى حيث لم يبلغ أحد قبله ورجع. وانتظمت بلاد الأندلس في مملكة يوسف بن تاشفين، وانقرض ملك الطوائف منها أجمع كان لم يكن، واستولى على العذوبين، واتصلت هزائم النصارى على يد المرابطين مراراً وتسمى بأمير المسلمين، وخطاب المستنصر العباسي الخليفة لعهده ي بغداد، وبعث إليه عبد الله بن العرب على يد الماعري الإشبيلي وولده القاضي أبي بكر، فتلطفاً في القرى وأحسنا في الإبلاغ، وطلباً من الخليفة أن يعقد له على المغرب والأندلس، فقد له وتضمن ذلك مكتوب الخليفة بذلك متقولاً في أيدي الناس، وانقلباً إليه بتقليد الخليفة وعهده على ما إلى نظره من الأقطار والأقاليم. وخطاب الإمام الغزالى والقاضى أبو بكر الطرطوشى يحيى بنه على العدل والمسك بالخير، وفتواه فى شأن ملوك الطوائف بمکم الله.

ثم أجاز يوسف بن تاشفين الجواز الرابع إلى الأندلس سنة سبع وتسعين وقد كان ما قدمته في أخباربني حماد من زحف المنصور بن الناصر إلى تلمسان سنة سبع وتسعين للقتلة التي وقعت بينه وبين تاشفين بن ينتعم واقتصره أكثر بلا دهم، فصالحة

المغرب فقتله صبراً، وكتب إلى أبيه بالفتح. ثم أجاز ابن عباد البحر في جماعته والمرابطين، ولقيه بفاس مستوفراً للمجاهد، وأنزل له ابنه الراضي عن الجزيرة الخضراء لتكون رباطاً لجهاده فأجاز البحر في عساكر المرابطين وقبائل المغرب ونزل الجزيرة سنة تسعة وثمانين وأربعين، ولقيه المعتمد بن عباد وابن الأفطس صاحب طليوس. وجمع ابن أدفونش ملك الجلاقة أمم الصرانية لقتاله، ولقي المرابطين باللقاء من نواحي طليوس فكان للMuslimين عليه اليوم المشهور سنة إحدى وثمانين.

ثم رجع إلى مراكش وخلف عسكراً بالإشبيلية لنظر محمد وجوهون بن سيمون بن محمد بن وركوت من عشير، ويعرف أبوه بالحجاج، وكان محمد بن بطانته وأعظم قواد تكالب الطاغية على شرق الأندلس، ولم يعن فيه أمراء الطوائف شيئاً، فزحف إليه من سبعة ابن الحاج قائد يوسف بن تاشفين في عساكر المرابطين فهزموا جميع النصارى هزيمة شديدة. وخلع ابن رشيق صاحب مرسي، وتمادي إلى دائنة فقر علي بن مجاهد أمامه إلى بجاية ونزل على الناصر بن علناس فأكرمه ووصل ابن جحاف قاضي بلنسية إلى محمد بن الحاج مغرياً بالقدر بن ذي النون، فأنفذ معه عسكراً وملك بلنسية، وقتل ابن ذي النون وذلك سنة خمس وثمانين، واتهى الخبر إلى الطاغية فنازل بلنسية واتصل حصاره إليها إلى أن ملكها سنة خمس وثمانين، ثم استخلصتها عساكر المرابطين، وولى عليها يوسف بن تاشفين الأمير مزيل، وأجاز يوسف بن تاشفين ثانية سنة ست وثمانين وتناقل أمراء الطوائف عن لقائه لما أحسوا من تكيره عليهم لما يسمون به عليهم من الظلمات والمكر والخلاف المغارب، فوجد عليهم، وعهد برفع المكر والخديع العدلية، فلما أجاز انقضوا عنه إلا ابن عباد فإنه بادر إلى لقائه وأغرى بالكثير منهم، فتقبض على ابن رشيق فأمكن ابن عباد منه العداوة التي بينهما.

وبعث جيشاً إلى المرية فقر عنها ابن صمادج ونزل على المنصور بن الناصر بجاليه، وتوافق ملوك الطوائف على قطع المدد عن عساكره ومحلاته فسأله نظره، وأفاته الفقهاء وأهل الشورى من المغرب والأندلس بمخالعهم وانتزاع الأمر من أيديهم، وصارت إليه بذلك فتاوى أهل الشرق الأعلام مثل الغزالى والطرطوشى، فعهد إلى غرناطة واستنزل صاحبها عبد الله بن بلکين بن باديس وأخاه تيمياً من مالقة بعد أن كان منهما مداخلة الطاغية في عداوة يوسف بن تاشفين، وبعث بهما إلى المغرب فخاف ابن عباد عند ذلك منه وانقضى عن لقائه وفشت السعيادات بينهما. ونهض يوسف بن تاشفين إلى سبعة فاستقر بها، وعقد للأمير سير بن أبي بكر بن

الموحدين واستفحلا شأتم وملحوا في طلبه.  
وغزا عبد المؤمن غزوه الكبرى إلى جبال المغرب، ونهض  
تاشفين بعساكره بالبساط إلى أن نزل تلمسان ونالله عبد المؤمن  
والموحدون بكهف الصخاكي بين الصخرتين من جبل تيطري المطل  
عليها، ووصله هنالك مدد صنهاجة من قبل يحيى بن عبد العزيز  
صاحب مجاهدة مع قائد طاهر بن كباب، وشرعوا إلى مدافعة  
الموحدين فغلبواهم، وهلك طاهر واستلهم الصتهاجيون وفر  
تاشفين إلى وهران في موادعة لب بن ميمون قائد البحر بأساطيله،  
وابعه الموحدون واتحروا عليه البلد فهلك، يقال: سنة إحدى  
واربعين، واستولى الموحدون على المغرب الأوسط واستلهموا  
لنونة. ثم بوبع براكنش ابنه إبراهيم وال فهو مضعفًا عاجزًا، فخلع  
ابن هود للقائه فانهزم المسلمون ومات ابن هود شهيدًا وحاصر  
ابن ردمير البلد حتى نزلوا على حكمه.

## الخبر عن دولة ابن غانية من بقية المرابطين وما كان له من الملك والسلطان بناحية قباس وطرابلس وإجلابه على الموحدين ومظاهرة قراشق الغزي له على أمره وأولية

### ذلك ومصايره

كان أمر المرابطين من أوله في كدالة من قبائل المثنين حتى  
هلك يحيى بن إبراهيم فاختلقو على عبد الله بن ياسين إمامهم،  
وتحول عنهم إلى لنونة وأقصر عن دعوه وتسكّن وترقب كما  
قلناه، حتى إذا أجاب داعية يحيى بن عمر وأبي بكر بن عمر من  
بني ورتانطق بيت رئاسة لنونة، واتبعهم الكثير من قومهم  
وجاهدوا معه سائر قبائل المثنين، وكان مسوقة قد دخل في دعوة  
المرابطين كثير منهم، فكان لهم بذلك في تلك الدولة حظ من  
الرئاسة والظهور، وكان يحيى المسوقي من رجالاتهم وشجاعتهم،  
وكان مقدمًا عند يوسف بن تاشفين لمكانه في قومه. واتفق أنه قتل  
بعض رجالات لنونة في ملاحة وقعت بينهما، فثاروا الحبّان وفرّ  
هو إلى الصحراء، فلدى يوسف بن تاشفين القتيل ووداده،

يوسف بن تاشفين واسترضاه بعدول تاشفين عن تلمسان سنة  
سبعين ويعث إلهاها مزدهي من بلنسية، وولي بلنسية عوضًا  
منه أبا محمد ابن فاطمة، وكثُرت غزوته في بلاد الضرانية.  
وهلك يوسف على رأس المائة الخامسة، وقام بالأمر من  
بعد ابنته علي بن يوسف فكان خير ملك. وكانت أيامه صدرًا  
منها وداعية ولدولته على الكفر وأهله ظهور وعزّة، وأجاز إلى  
العدوة فائخن في بلاد العدو قتلاً وسبباً، وولي على الأندلس  
الأمير غيم بن... وجع الطاغية للأمير غيم فهزمه غيم، ثم أجاز  
علي بن يوسف سنة ثلات ونال طليطلة وأثخن في بلاد  
النصارى ورجع، وعلى أثر ذلك قصد ابن ردمير سرقسطة وخرج  
ابن هود للقاءه فانهزم المسلمون ومات ابن هود شهيدًا وحاصر  
ابن ردمير البلد حتى نزلوا على حكمه.

ثم كان سنة تسع شان برقة وتغلب أهل جنوة عليها  
وخلوها. ثم رجع العمران إليها على يد ابن تامر ظست من قواد  
المرابطين كما مر في ذكرها عند ذكر الطوائف، ثم استمرت حال  
علي بن يوسف في ملكه، وعظم شأنه، وعقد لولده تاشفين على  
غرب الأندلس سنة ست وعشرين وأنزله قرطبة وإشبيلية، وأجاز  
معه الزير بن عمر، وحشد قومه وعقد لأبي بكر بن إبراهيم  
المسوفي على شرق الأندلس وأنزله بلنسية، وهو مدوح بن خفاجة  
وخدوم أبي بكر بن باجة الحكيم المعروف بابن الصائغ. وعقد  
لابن غانية المسوقي على الجزائر الشرقية دائنة وميورقة، واستقامت  
 أيامه، ولأربع عشرة سنة من دولته كان ظهور الإمام المهدى  
صاحب دعوة الموحدين، فقيهاً متخلًا للعلم والفتيا والتدرس،  
أمراً بالمعروف ناهيًّا عن المنكر، متعرضاً بذلك للممکروه في نفسه.

وناله بيجاية وتلمسان ومكتاسة أذليات من الفسقة ومن  
الظالمين، وأحضره الأمير علي بن يوسف للمناظرة ففلج على  
خصوصه من الفقهاء بمجلسه، وتحقّق بقومه هرقة من المصامدة،  
واستدرك علي بن يوسف رأيه فتفقده وطالب هرقة بإحضاره  
فأبوا عليه فسرح إليهم البعض فأقاوموا به، وتقاسم معهم هتافة  
ويتنقل على إجارته والوفاء بما عاهدهم عليه من القيام بالحق  
والدعاة إليه حسيماً يذكر ذلك كله بعد دولتهم. وهلك المهدى في  
سنة أربع وعشرين وقام بأمرهم عبد المؤمن بن علي الكومي كبير  
أصحابه بعهده إليه، وانتظمت كلمة المصامدة وأغاروا مراكش  
مراراً، وفشل ريح لنونة بالعدوة الأندلسية، وظهر أمر الموحدين  
وفشت كلمتهم في برايرة المغرب. وهلك علي بن يوسف سنة  
سبعين وثلاثين وقام بالأمر من بعده ولده تاشفين وولي عهده، وأخذ  
بطاعته ويعتنه أهل العدوتين كما كانوا على حين استغلظ أمر

تحصين تلمسان ورم أسوارها، وأقاما عند السيد يرومان الكرة من صاحب تلمسان. وعاث علي بن محمد ابن غانية في الأموال وفرقتها في ذوبان العرب ومن انتصاف إليهم، ورحل إلى الجزائر فافتتحها، وولى عليها يحيى بن أبي طلحة. ثم افتتح مازونة وانتهى إلى ميلانة فافتتحها، وولى عليها بدر ابن عائشة. ثم نهض إلى القلعة فحاصرها ثلاثة ودخلها عنوة، وكانت في الغرب خطة مشهورة. ثم قصد قسطنطينة فامتنعت عليه واجتمعت عليه وفود العرب فاستجدهم وجاؤوا بأحلافهم. ولا اتصل الخبر بالنصرور وهو بسببة مرجعه من الغزو، سرح العساكر في البر لنظر السيد أبي زيد بن أبي حفص بن عبد المؤمن، وعقد له على المغرب الأوسط.

وبعث الأساطيل إلى البحر وقادتها أحد الصقلي وعقد عليها لأبي محمد بن إبراهيم بن جامع، وزحف العساكر من كل جهة فثار أهل الجزائر على يحيى بن أبي طلحة ومن معه، وأمكنوا منهم السيد أبي زيد فقتلهم على شلف، وعفا عن يحيى لنجدة عميه طلحة، وكان بدرًا بن عائشة أسري من ميلانة واتبعه الجيش فلحقوه أمام العدو، فتقبضوا عليه بعد قتال مع البربر حين أرادوا إيجارته، وقادوه إلى السيد أبي زيد فقتله.

وبقي الأسطول إلى مجایة فثار يحيى ابن غانية وفر إلى أخيه علي لكانه من حصار قسطنطينة بعد أن كان أخذ بمحنته. ونزل السيد أبو زيد بعسكره بتكلات من ظاهر مجایة، وأطلق السيد أبو موسى من معتقله. ثم رحل في طلب العدو فأخرج عن قسطنطينة بعد أن كان أخذها ومضى شديداً في الصحراء، والمرحون في اتباعه حتى انتهوا إلى مغرة ونغارس. ثم نقلوا إلى مجایة واستقر السيد أبو زيد بها وقصد علي ابن غانية في قصة فملكتها، ونانزل بورق وقسطنطية فامتنعت وارتحل إلى طرابلس وفيها قرافقش الغزي المطغرى، وكان من خبره على ما نقل أبو محمد التيجاني في كتاب رحلته: أن صلاح الدين صاحب مصر بعث تقى الدين ابن أخيه شاه إلى المغرب لاتخاذه ما أملكه من المدن تكون له مقلاً يتحصن فيه من مطالبة نور الدين محمود بن زنكى صاحب الشام الذي كان صلاح الدين عمه من وزاته. واستجعلوا النصر فخشوا عاديته. ثم رجع تقى الدين من طريقه لأمر عرض له ففر قرافقش الأرمي بطائفة من جنوده، وفر إبراهيم بن قرانكين سلاح دار المعظم نسبة للملك معظم شمس الدولة ابن أيوب أخي صلاح الدين. فاما قرافقش فلحق بسترتية وافتتحها وذلك سنة ست وثمانين وخطب فيها لصلاح الدين ولأستاذه تقى الدين، وكتب لهما بالفتح وافتتح زويلة وغلب بني خطاب الهراري على ملك

واسترجم عليه من مقره لستين من مغيبه، وأنكحه امرأة من أهل بيته تسمى غانية بعهد أبيها إليه في ذلك، فولدت منه محمدًا ويحيى ونشأ في ظل يوسف بن تاشفين وحجر كفالته.

ورعى لها علي بن يوسف ذمام هذه الأوصار وعقد ليحيى على غرب الأندلس ونزله قرطبة. وعقد محمد على الجزائر الشرقة ميورقة ومنورقة وبابسة سنة عشرين وخمسة، وانقضى بعد ذلك أمر المراطين. وتقدم وفد الأندلس إلى عبد المؤمن ويعث معهم إبا إسحاق برأس بن محمد المصمودي من رجالات المرحدين وعقد له على حرب لنونة كما يذكر في أخبارهم، فملك إشبيلية واقتضى طاعة يحيى بن علي ابن غانية، واستنزله عن قرطبة إلى جيان والقلعة، فسار منها إلى غرناطة يستنزل من بها من لنونة، ويحملهم على طاعة المرحدين فهلك هنالك سنة ثلاث وأربعين ودفن بقصر باديس. وأما محمد بن علي فلم يزل والياً إلى أن هلك وقام بأمره بعده ابنه عبد الله.

ثم هلك وقام بالأمر آخره إسحاق بن محمد بن علي، وقيل: إن إسحاق ولد بعد ابنه محمد، وأنه قتله غيره من أخيه عبد الله لمكان أخيه منه، فقتلهم معاً، واستبدل بأمره إلى أن هلك سنة ثمانين وخمسة. وخلف ثمانية من الولد وهم: محمد وعلى ويعيى وعبد الله والغازى وسير والمتصور وجباره، فقام بالأمر ابنه محمد. ولما أجاز يوسف بن عبد المؤمن بن علي إلى ابن الزبيرير لاختبار طاعتهم، ولحن وصوله نكر ذلك إخوته وتقطعوا عليه واعتقلوه. وقام بالأمر آخره علي بن محمد بن علي، وتلوموا في رد ابن الزبيرير إلى مرسله، وحالوا بينه وبين الأسطول حين بلغتهم أن الخليفة يوسف القسري استشهد في الجهاد باركش من العدو، وقام بالأمر ابنه يعقوب واعتقلوا ابن الزبيرير وركبوا البحر في اثنين وثلاثين قطعة من أساطيلهم وأسطوله، وركب معه إخوته يحيى وعبد الله والغازى، وولي على ميورقة عمه إبا الزبير، وأقلعوا إلى مجایة فطرقوها على حين غفلة من أهلها، وعليها السيد أبو الريبع بن عبد الله بن عبد المؤمن، وكان يأكلون من خارجهما في بعض مذاهبه، فلم تانعه أهل البلد واستولوا عليها في صفر سنة إحدى وثمانين واعتلوا بها السيد إبا موسى بن عبد المؤمن، كان قافلاً من إفريقية يوم المغرب واقتصرعوا ما كان بدار السادة والمرحدين.

وكان إلى القلعة قاصداً مراكش وهو يستخبر خبر مجایة، فرجع وظاهر السيد إبا الريبع، وزحف إليهما علي ابن غانية فهزمهما واستولى على أموالهما وابتلهما ولحقاً بتلمسان، فنزل بهما على السيد أبي الحسن بن أبي حفص بن عبد المؤمن، وأخذ في

ثم اتصل بها إلى أن وصل إلى قصبة خلعوا طاعة ابن غانية، فظاهره قراشق عليها فافتتحها عنوة. ثم رحل إلى توزر وفراش في مظاهرته فافتتحها أيضاً. ولما اتصل بالنصر ما نزل يافيقية من أجلاب ابن غانية وفراش على بلاد الجريد نهض من مراكش سنة ثمان وثمانين لحسن هذا الداء واستنقاذ ما غلبوا عليه. ووصل إلى تونس فراح بها وسرج في مقدمته السيد إبا يوسف يعقوب بن أبي حفص عمر بن عبد المؤمن، ومعه عمر بن أبي زيد من أعيان الموحدين، فلقاهم ابن غانية في جوشه بعهده، فانهزم الموحدون وقتل ابن أبي زيد وجاءة منهم، وأسر على بن الزبرتير في آخرین، وامتلأت أملاك العدو من أسلابهم وممتاعهم، ووصل سرعان الناس إلى تونس، وقصد المنصور إليهم فأوقع بهم بظاهر الحامة في شعبان من سنته. وأفلت ابن غانية وفراش بحومة الوفر وبادر أهل قابس وكانت خالصة لفراش دون ابن غانية، فأتوا طاعتهم وأسلموا من كان عندهم من أصحابه وذويه فاحتلتموا إلى مراكش، وقصد المنصور إلى توزر فحاصرها فأسلموا إليه من كان فيها من أصحاب ابن غانية. وبادر أهلها بالطاعة.

ثم رجع إلى قصبة فحاصرها حتى نزلوا على حكمه، وقتل من كان بها من الحشود. وقتل إبراهيم بن قراتكين، وأ芒ن على سائر الأغوان وخلي سيلهم، وأمن أهل البلد في نفسهم وجعل أملاكهم بأيديهم على حكم المسافة. ثم غزا العرب واستباح حللهم وأحياءهم حتى استقاموا على طاعته. وفر ذو المراس كثيراً الخلاف والفتنة منهم إلى المغرب مثل: جشم والرياح والعاصم كما قدمناه. وفُر إلى المغرب سنة أربع وثمانين، ورجع ابن غانية وفراقش إلى حالهما من الأجلاب على بلاد الجريد إلى أن هلك علي في بعض حروبها مع أهل نفزاوة سنة أربع وثمانين، أصابه سهم غرب كان فيه هلاكه فدفن هنالك، وعفى على قبره، وحمل شلوه إلى ميورقة دفنه بها. وقام بالأمر آخره مجى بن إسحاق بن محمد ابن غانية وجرى في مظاهره فراقش وموالاته على سنن أخيه علمه.

ثم نزع قراش إلى طاعة الموحدين سنة ست وثمانين فهاجر إليهم بتونس وتقبله السيد أبو زيد بن أبي حفص بن عبد المؤمن وأقام معه أيامًا ثم فر ووصل إلى قابس فدخلها مخدعه وقتل جماعة منهم، واستبد على أشياخ ذباب والكعوب من بي سليم فقتل سبعين منهم بقصر العروسين، كان منهم: محمود بن طوق أبو الحاميد وحميد بن جازية أبو الجواري، ونهض إلى طرابلس ففتحتها ورجع إلى بلاد الجريد فاستولى على أكثرها، ثم فسد ما بينه وبين يحيى ابن غانية، وسار إليه يحيى فاتهز قراش ولحق

فرزان وكانت ملوكاً لعمره محمد بن الخطاب بن يحيى بن عبد الله بن صنفون بن خطاب وهو آخر ملوكهم، وكانت قاعدة مملكته زويلة وتعرف زويلة ابن خطاب فتقبض عليه وغله على المال حتى هلك، ولم يزل يفتح البلاد إلى أن وصل طرابلس واجتمع عليه عرب ذياب بن سليم، ونهض بهم إلى جبل نفوسه فملكه واستخلص أمراء العرب، واتصل به مسعود بن زمام شيخ الوداوة من رياح عند مفرة من المغرب كما ذكرناه، واجتمعت أيديهم على طرابلس وافتتحها واجتمع إليه ذؤبان العرب من هلال سليم، وفرض لهم العطاء واستبد مملوك طرابلس وما وراءها، وكان قراشق من الأرمن وكان يقال له: المظفر لأنَّه مملوك المظفر والناصري لأنه ينطب للناصر صلاح الدين، وكان يكتب في ظهرائه ولِي أمير المؤمنين يسكنون الميم، ويكتب علامته الظاهر بخطه: ونفت بالله وحده أسفل الكتاب، وأما إبراهيم بن قراشق صاحبه، فإنه سار مع العرب إلى فقصة فملك جميع منازلها، وراسل بيبي الزند رؤساء ققصة فأمكنته من البلد لأخراهم عن بيبي عبد المؤمن، فدخلتها وخطب للعباسي ولصلاح الدين إلى أن قتل المتصور عند فتح ققصة كما تذكره في أخبار المرحدين.

رجوع الخبر إلى ابن غانية

ولما وصل علي ابن غانية إلى طرابلس ولقي قرافقش اتفقا على المظاهره على الموحدين واستعمال ابن غانية كافة بني سليم من العرب وما جاورهم من مجالاتهم ببرقة وخالطوه في ولايتهم، واجتمع إليه من كان منحرفاً عن طاعة الموحدين من قبائل هلال مثل: جشم ورياح والأبيج. وخالفتهم رغبة إلى الموحدين، فاحتلوا بطاعتهم سائر أيامهم. وتحققت بابن غانية فل قومه من لتونة ومنونة من أطراف البقاع، فانعقد أمره وتتجدد بذلك القطر سلطان قومه. وجدد رسوم الملك واخذ الآلة وافتتح كثيراً من بلاد الجريد وأقام فيها الدعوة العباسية. ثم بعث ولده وكاتبه عبد المؤمن من فرسان الأندلس إلى الخليفة الناصر بن المستضيء ببغداد مجدداً ما سلف لقومه من المرابطين بالغرب من البيعة والطاعة وطلب المدد والإعانة. فتقدّم له كما كان لقومه وكتب الكتاب من ديوان الخليفة إلى ملك مصر والشام النائب عن الخليفة بها صلاح الدين يوسف بن أيوب، فجاء إلى مصر فكتب له صلاح الدين إلى قرافقش واتصل، أمرهما في إقامة الدعوة العباسية.

وظاهره ابن غانية على حصار قابس فافتتحها قراش من يد سعيد بن أبي الحسن، وولى عليها مولاه وجعل فيها ذخائرة.

وولى على المهدية أخاه يونس، وطالب محمد بن عبد الكريم بالسهمان في المغانم، وامتنع فائز بـالكتاك وعاقبه بالسجن فذهب ابن عبد الكريم الثورة وداخل فيها بطانته، وتقبض على أبي علي يونس سنة خمس وستين واعتقله إلى أن فداء أخيه أبو سعيد بخمسة دينار من الذهب العين واستبد ابن عبد الكريم بالمهدية ودعا لنفسه، وتلقب المترک على الله. ثم وصل السيد أبو زيد بن أبي حفص عمر بن عبد المؤمن واليأ على إفريقية فنازل ابن عبد الكريم بتونس سنة ست وستين وأضطرب مسكنه مخلق الوادي ويرز إلى جيش المرحدين فهو لهم طال حصاره لهم. ثم سأله الإفراج عنهم فأجاب لذلك، وارتحل عليهم إلى حصار يحيى ابن غانية بفاس فنازله مدة.

ثم ارتحل إلى قصبة وخرج ابن غانية في أتباعه فانهزم ابن عبد الكريم أمامه ولحق بالمهدية، وحاصره ابن غانية بها سنة سبع وستين وأمده السيد أبو زيد بقطعتين من الغزارة حتى سأله ابن عبد الكريم التزول على حكمه وخرج إليه فقضى عليه ابن غانية وهلك في اعتقاله، واستولى على المهدية واستضافها إلى ما كان يده من طرابلس وقبابس وصفاقس والجريد. ثم نهض إلى الحانب الغربي من إفريقية فنازل باجة، ونصب عليها الجانين وافتتحها عنوة وخرتها، وقتل عاملها عمر بن غالب، ولحق شريدها بالأرض وشقيبارية وتركها خاوية على عروشها، وبعد مدة تراجع إليها ساكنها بأمان السيد أبي زيد، فزحف إليها ابن غانية ونازلها، وزحف إليه السيد أبو الحسن أبو السيد أبي زيد فلقيه بقسطنطينة، وانهزم المرحدون واستولى على مسكنهم.

ثم نهض إلى بسكرة واستولى عليها وقطع أيدي أهلها، وتقبض على حافظها أبي الحسن بن أبي يعلى، وقتل بعدها بلنسية والقبروان وبابعه أهل بونة، ورجع إلى المهدية وقد استفحلا ملكه، فأزمع على حصار تونس وارتحل إليها سنة سبع وستين واستعمل على المهدية ابن عمه على بن الغازي ويعرف بالكافى بن عبد الله بن محمد بن علي ابن غانية، ونزل بالجبل الأهر من ظاهر تونس ونزل أخيه مخلق الوادي. ثم ضايقوها بمسكرهم وردموا خندقها ونصبوا الجانين والآلات، واقتصرت على لآرية أشهر من حصارها في ختام المائة السادسة. وبقضى على السيد أبي زيد وأبنيه ومن كان معه من المرحدين، وأخذ أهل تونس بغير مائة ألف دينار، وولى بقتضاها منهم كاتبه ابن عصفور وأبا بكر بن عبد العزيز بن السكان، فأحرقوا الناس بالطلب حتى لا ذو معظمه بالموت واستجعل القتل فيما نقل أن إسماعيل بن عبد الرفيق من بيواتها القى بنفسه في بئر فهلك، فرجع الطلب بقتها عنهم.

بالجبال وتغل فيها، ثم فر إلى الصحراء ونزل ودان ولم ينزل بها إلى أن حاصره ابن غانية من بعد ذلك بمدة وجمع عليه أهل الشار من ذباب، واقتصرها عليه عنوة وقتلها ولحق ابنه بالمرحدين ولم ينزل بالحضر إلى أيام المستنصر. ثم فر إلى ودان وأجلب في الفتنة فبعث إليه ملك كام من قتلها لسنة ست وخمسين وخمسة.

رجوع الخبر: واستول ابن غانية على الجريد، واستنزل ياقوت فول قراشق من طرده، كما ذكره التجاني في رحلته. ولحق ياقوت بطرابلس، ونازله ابن غانية بها، وطال أمر حصاره. وبالغ ياقوت في المدافعة، وبعث يحيى عن أسطول ميورقة فآمدته أخرى عبد الله بقطعتين منه فاستولى على طرابلس، وأشخاص ياقوت إلى ميورقة واعتقل بها إلى أن أخذها المرحدون. وكان من خبر ميورقة أن علي ابن غانية لما نهض إلى فتح جبة ترك أخاه حمداً وعلي بن الزبير في معتقلهما. فلما خلا الجنو من أولاد غانية وكثير من الخامدة داخل ابن الزبير في معتقله نفر من أهل الجزيرة، وشاروا بدعة محمد وحاصروها القصيبة إلى أن صالحهم أهلها على إطلاق محمد بن إسحاق فأطلق من معتقله، وصار الأمر له فدخل في دعوة المرحدين، ووفد مع علي بن الزبير على يعقوب المتصور. وخالفهم إلى ميورقة عبد الله بن إسحاق، ركب البحر من إفريقية إلى صقلية وأمدوه بأسطول، ووصل إلى ميورقة عند وفادة أخيه على المتصور فملكتها، ولم ينزل بها واليأ. وبعث إلى أخيه علي بالمدد إلى طرابلس كما ذكرناه، وبعثا إليه ياقوت فاعتقله عنوة إلى أن غلب عليه المرحدون سنة سبع وستين فقتل، ومضى ياقوت إلى مراكش وبها مات.

رجوع الخبر: وما فرغ ابن غانية من أمر طرابلس وللعليها تاشفين ابن عمه الغازي، وقصد قابس فوجد بها عامل المرحدين ابن عمر تافراكن بعنه إليهم صاحب تونس الشيخ أبو سعيد بن أبي حفص، فاستدعاه أهلها لما فر عنهم نائب قراشق أخذ ابن غانية لطرابلس فنازل قابس، وضيق عليها حتى سأله أهل الأمان على أن يخلص سيل ابن تافراكن فعقد لهم ذلك وأمكنته من البلد فملكها سنة إحدى وستين وأغمرتهم ستين ألف دينار، وقصد المهدية سنة سبع وستين فاستولى عليها وقتل الثائر بها محمد بن عبد الكريم الركريكي.

وكان من خبره أنه نشا بالمهدية وصار من جندها المرتدin، وهو كوفي الأصل، وكانت له شجاعة معروفة، فجمع لنفسه خيلاً ورجالاً وصار يغير على المفسدين من الأعراب بالأطراف فداخلهم هيبة، وبعد في ذلك صينه وأمده الناس بالدعاء. وقدم أبو سعيد بن أبي حفص على إفريقية من قبل المتصور لأول ولاته،

رياح وعوف وهيث ومن معهم من قبائل البربر، وعزم على دخول إفريقيا، ونهض إليهم الشيخ أبو محمد سنة ست ولقيهم بجبل نفوسه، فقلّ عسكرهم واستلهم أمرهم، وغنم ما كان معهم من الظهر والكتارع والأسلحة. وقتل يومئذ محمد بن الغازي وجوار بن يفرن، وقتل معه ابن عممه من كتاب ابن أبي الشيخ ابن عساكر بن سلطان وهلك يومئذ من العرب الملاليين أمير قرة سماد بن نخيل.

حكي ابن نخيل: أن مغام الموحدين يومئذ من عساكر المثلثين كانت ثمانية عشر ألفاً من الظهر، فكان ذلك مما أوهن من شدته ووطى من بأسه. وثارت قبائل نفوسه بكلابه ابن عصفور فقتلوا ولديه، وكان ابن غانية يتعه عليهم للمغرب. وسار أبو محمد في نواحي إفريقيا ودفع سليمهم واستثار أشياخهم بأهلهم، وأسكنهم بتونس جسمأ لفسادهم. وصلحت أحوال إفريقيا إلى أن هلك الشيخ أبو محمد سنة ثمان عشرة وستمائة وولى أبو محمد السيد أبو العلاء ادريس بن يونس بن عبد المؤمن، وبقال: بل ولها قبيل مهلك الشيخ أبي محمد، فاستطار بعد مهلكه ثور ابن غانية، ونجم نفافة وعيث، فعابه رعيته ونهض إليه السيد أبو العلاء وتزلزل قابس وأقام بقصر العروسين، وسرح ولده السيد أبي زيد بعسكر من الموحدين إلى درج وغدامس، وسرح عسكراً آخر إلى ودان لحصار ابن غانية، فأرجف بهم العرب ونهضوا لهم السيد أبو العلاء، وفر ابن غانية إلى الزاب، وأتبعه السيد أبو زيد فنازل ب العسكرية واقتحمها عليه، ونجم ابن غانية وجمع أبوياشأ من العرب والبربر، وأتبعه السيد أبو زيد في الموحدين وقبائل هوارة، وتراحموا بظاهر تونس سنة إحدى وعشرين وستمائة فانهزم ابن غانية وجموعه، وقتل كثير من المثلثين وأمتلات أيدي الموحدين من الغائم.

وكان هوارة يومئذ، وأميرهم حناش بن بعرة بن ويفسن، في هذا الزحف أثر مذكور وبلاه حسن، وبلغ السيد أبي زيد إثر هذه الواقعة خبر مهلك أبيه بتونس، فانكفت راجعاً، وأعيد بنو أبي حفص إلى مكان أيهم الشيخ أبي محمد بن أثال بإفريقيا. واستقل الأمير أبو زكريا منهم بأمرها، واقتلعوا عن مملكة إلى عبد المؤمن وتباولوا من يد أخيه أبي محمد عبد الله. وهذا الأمير أبو زكريا هو جد الخلفاء الحفصيين وماهد أمرهم بإفريقيا، فأحسن دفاع ابن غانية عنها وشرده في أقطارها. ورفع يده شيئاً فشيئاً عن النيل من أهلها ورعاياها. ولم يزل شريداً مع العرب بالفار، فبلغ سجلماسة من أقصى المغرب والعقبة الكبرى من تحوم الديار المصرية. واستولى على ابن مذكور صاحب السويفة من تحوم برقة، وأوقع بغراوة بواجر ما بين متيبة و مليانة، وقتل أميرهم متليل بن عبد

وارتحل إلى نفوسه والسيد أبو زيد معتقل في معسكره فقتل بهم مثل ذلك، وأغرمهم ألف الف مرتين من الدنانير، وكثير عيشه وأضاراه بالرعيبة، وعظم طغيانه وعنته، واتصل بالناصر مراكش ما دهم أهل إفريقيا منه ومن ابن عبد الكريم قبله، فامتنع ذلك ورحل إليها سنة إحدى وستمائة. وبلغ يحيى ابن غانية خبر زحفه إليه، فخرج من تونس إلى القيروان ثم إلى قصبة واجتمع إليه العرب وأعطوه الرهن على المظاهرة والدفاع، ونازل طرة من حصون مغراوة، فاستباحها، وانتقل إلى حامة مطماطة. ونزل الناصر تونس، ثم قصبة، ثم قابس، ومحصن منه ابن غانية، في جبل دمر، فرجع عنه إلى المهدية، وعسكر عليها واتخذ الآلة لحصارها.

وسرح الشيخ أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص لقتال ابن غانية في أربعة آلاف من الموحدين سنة اثنين وستمائة فلقيه بجبل تاجرًا من نواحي قابس، وأوقع به وقتل أخيه جباره بن إسحاق واستنقذ السيد أبي زيد من معتقله، ثم افتح الناصر المهدية ودخل إليها علي بن الغازي في دعوة فقبله، ورفع مكانه ووصله بهدية وافق وصوتها من سبعة إليها على يد واصل مولاه وكان بها ثوبان منسوجان بالجوائز فوصله بذلك كله، ولم يزل معه إلى أن استشهد مجاهداً.

وولى الناصر على المهدية محمد بن يعمور من الموحدين ورجع إلى تونس. ثم نظر فيمسن يوليه أمر إفريقيا لسد فرجها والذب عنها ومدافعة ابن غانية وجرعه دونها. فوقع اختياره على الشيخ أبي محمد بن أبي حفص، فعقد له على ذلك سنة ثلاث كما ذكرناه في أخباره. ورجع الناصر إلى المغرب وأجمع ابن غانية التهوض لقتال الموحدين بتونس، وجمع ذؤبان العرب من الدواودة وغيرهم، وأوفد الدواودة يومئذ محمد بن مسعود بن سلطان ونجز بنو عوف بن سليم إلى الموحدين، والتقدوا بشيره من نواحي تبسة فانهزمت جمع ابن غانية، وجلأ إلى جهة طرابلس.

ثم نهض إلى المغرب في جموعه من العرب والمثلثين فانتهى إلى سجلماسة وأمتلات أبيه أتباعه من النهاب، وخرقوا الأرض بالبعث والفساد. وانكفا إلى المغرب الأوسط وداخله المقسدون من زناته، وأغاروا به صاحب تلمسان السيد أبي عمران موسى بن يوسف بن عبد المؤمن فلقيه بتاهرت فهزمه ابن غانية، وقتله وأسر واقده، وكر راجعاً إلى إفريقيا، فأغار ضده الشيخ أبي محمد صاحب إفريقية في جموع الموحدين، واستنقذ الغائم من أيديهم. وجلأ ابن غانية إلى جبال طرابلس، وهاجر أخوه سيد بن إسحاق إلى مراكش فقبله الناصر وأكرمه. ثم اجتمع إلى ابن غانية طواف العرب من

الرحن وصلب شلوه بسور الجزائر.

إفريقية، وأكثر ما عندهم من الماشي الإبل لعاشهم وحمل اتفالهم وركوبهم، والخيل قليلة لديهم أو معدومة. ويركبون من الإبل الفارهة ويسموها النجيب، ويقاتلون عليها إذا كانت بينهم حرب، وسيرها هملجة، وتقاد تلحق بالركض وربما يغزوهم أهل القرف من العرب وخصوصاً بنو سعيد من بادية رياح، فهم أكثر العرب غزوا إلى بلادهم فيستبيحون من صحبوه منهم يرمونه في بطون مغارب. فإذا اتصل الصانع بأحيائهم وركبوا في أتبعهم اعترضوهم على المياه قبل وصولهم من تلك البلاد فلا يكادون يخلصون، ويشتد الحرب بينهم فلا يخلص العرب من غواتلهم إلا بعد جهد، وقد يهلك بعضهم، والله الخلق والأمر. وإذا عرض لنا ملوك السودان فلنذكر ملوكهم لهذا العهد المجاورين للملوك المغرب.

### الخبر عن ملوك السودان المجاورين للمغرب من وراء هؤلاء الملثمين ووصف أحواهم والإلام بما اتصل بنا من دولتهم

هذه الأمم السودان من الأدميين هم أهل الإقليم الثاني وما وراءه إلى آخر الأول بل إلى آخر العمورة متصلون ما بين المغرب والشرق، ومجاورون بلاد البربر بالمغرب وإفريقية وببلاد اليمن والخجاز في الوسط، والبصرة وما وراءها من بلاد الهند بالشرق، وهم أصناف وشعوب وقبائل أشهرهم بالشرق الزنج والحبشة والنوبة، وأما أهل المغرب منهم فنحن ذاكروهم بعد، وأما نسبهم فليل حام بن نوح بالجيش من ولد جيش بن كوش بن حام، والنوبة من ولد نوبة بن كوش بن كعنان بن حام فيما قاله السعدي، وقال ابن عبد البر: إنهم من ولد نوب بن قوط بن مصر بن حام، والزننج من ولد زنجي بن كوش، وأما سائر السودان فمن ولد قوط بن حام فيما قاله ابن عبد البر، ويقال: هو قبط بن حام.

وعبد ابن سعيد من قبائلهم وأعهم تسع عشر أمة، منهم في الشرق الزنج على بحر الهند، لهم مدينة فنقة وهم مجوس، وهم الذين غالب رقيقهم بالبصرة على ساداتهم مع دعى الزنج في خلافة المعتمد. قال: ويلهم بربرا، وهو الذين ذكرهم أمرو القيس في شعره. والإسلام لهذا العهد فاش فيهم، ولهם مدينة مقدشوا على البحر الهندي يعمرواها يتجار المسلمين ومن غربائهم وجنوبيهم الدمامد وهم حفاة عراة. قال: وخرجوا إلى بلاد الحبشة والنوبة عند خروج التتر إلى العراق، فعاشروا فيها ثم رجعوا. قال: ويلهم الحبشة وهو أعظم أمم السودان وهو مجاورون لليمن على شاطئ البحر

وكان يستخدم الجندي فإذا ستموا الخدمة تركهم لسيدهم إلى أن هلك لحسين سنة من إمارته سنة إحدى وثلاثين وستمائة وقيل: ثلاث وثلاثين، ودفن وعفى أثر مدفنه. يقال: بودادي الرجون قبلة الأربس يقال: مجده ملائكة من وادي شلف، ويقال: بصحراء باديس ومديد من بلاد الزاب. وانقرض أمر الملثمين من مسوقة ولتونة ومن جميع بلاد إفريقية والمغرب والأندلس بهلكمه. وذهب ملك صنهاجة من الأرض بذهاب ملكه وانقطاع أمره. وقد خلف بنات بعضهن زعموا إلى الأمير أبي زكريا العهد به ذلك إلى علجه جابر فرضعن في يده. وبذلك وفاة أبيهن وحسن ظنه في كفالته إيهان، فأحسن الأمير أبو زكريا كفالته، وبنى لهن محضرته داراً لصونهن معروفة لهذا العهد بقصر البنات.

وأقمن تحت حراسته وفي سعة من رزقه موصولات لوصاته أيهين بذلك منهن وحفظهن لوصاته. ولقد يقال إن ابن عم هن خطب إدماهن، فبعث إليها الأمير أبو زكريا فقال لها: هذا ابن عمك وأحق بك، فقالت: لو كان ابن عمنا ما كفتنا الأجانب، إلى أن هلك عوانس بعد أن متّن من العمر بمحظ.

أخبرني والذي رحمه الله: أنه أدرك واحدة منهن أيام حياته في سني العشر والسبعين تناهى التسعين من السنين. قال: ولقيتها وكانت من أشرف النساء نفساً وأسراهن خلقاً وأزكاهن خللاً والله وارث الأرض ومن عليها.

ومضى هؤلاء الملثمين وقبائلهم لهذا العهد ب مجالاتهم من جوار السودان حجزاً بينهم وبين الرمال التي هي تحوم بلاد البربر من المغاربة وإفريقية، وهم لهذا العهد متصلون من ساحل البحر المحيط في المغرب إلى ساحل النيل بالشرق. وهلك من قام بالملك منهم بالعدوين، وهو قليل من مسوقة ولتونة كما ذكرنا، أكلتهم الدولة وابتلعهم الآفاق والأقطار، وأفناهم الرق واستلهمهم أمراء المرحدين وبقي من أقام بالصحراء منهم على حالم الأول من افتراق الكلمة واختلاف الين، وهو الآن يعطون طاعة للملوك السودان، يحبون إليهم خراجهم وينفرون في مسكنهم.

وأتصل بيائهم على بلاد السودان إلى الشرق مناظر السلم العرب بلاد المغاربة وإفريقية، فكذلك منهم في مقابلة ذوي حسان من المقلع عبد الله من المقلع أيضاً عرب المغرب الأقصى، ومسوقة في مقابلة زغبة عرب المغرب الأوسط، ولطنة في مقابلة رياح عرب الزاب وبجاية وقسطنطينة، وتاركاً في مقابلة سليم عرب

بعدها أمة أخرى تعرف مالى ثم بعدها أمة أخرى تعرف كوكو  
ويقال: كاغو ثم بعدها أمة أخرى تعرف بالتكرور.

واخبرني الشيخ عثمان فقيه أهل غانية وكبيرهم علمًا ودينًا وشهرة، قدم مصر سنة تسع وستين وستمائة حجاجاً بأهله وولده ولقيته بها فقال: إنهم يسمون التكرور زغاري ومالى أنكاراه اه.

ثم إن أهل غانية ضعف ملوكهم وتلاشى أمرهم واستفحلا  
أمر الملوكين المجاورين لهم من جانب الشمال مما يلي البرير كما  
ذكرنا، وعبروا على السودان واستباحوا حاهم وبلادهم واقتضوا  
منهم الآتاوات والجزي، وحملوا كثيراً منهم على الإسلام فدانوا  
به. ثم اضطحل ملك أصحاب غانة وتغلب عليهم أهل صوصو  
المحاورون لهم من أمم السودان واستعبدوه وأصاروه في  
جلتهم. ثم إن أهل مالي كثروا أمم السودان في نواحيهم تلك،  
واستطالوا على الأمم المجاورين لهم فغزوا على صوصو وملعوا  
جميع ما بآيديهم من ملوكهم القديم، وملك أهل غانة إلى البحر  
المحيط من ناحية الغرب وكانوا مسلمين، يذكرون أن أول من أسلم  
منهم ملك اسمه برمندانا هكانا ضبيطه الشيخ عثمان. وبحسب هذا  
الملك واقته، سنته في الحجر ملوكهم من بعده.

وكان ملكهم الأعظم الذي تغلب على صوره وافتتح  
بلادهم وانتزع الملك من أيديهم اسمه ماري جاتة، ومعنى ماري  
عندهم الأمير الذي يكون من نسل السلطان وجاتة الأسد، واسم  
الحادي عشر منهم تكن، ولم يتصل بنا نسب هذا الملك. وملك عليهم  
حسناً وعشرين سنة فيما ذكروه. وما هلك ولئلا عليهم من بعده  
مساولى ومعنى ملوكهم، وحاج أيام الظاهر بيبرس، وولي  
عليهم من بعده آخره واتى، ثم بعده آخره خليفة وكان معمقاً  
رامياً، فكان يرسل السهام على الناس فيقتلهم مجاناً، فوثبوا عليه  
فقتلوه. وولي عليهم من بعده سبط من أسباط ماري جاتة يسمى  
بابيك، وكان ابن بنته فملكونه على سنن الأعاجم في قلبك  
الأخت وإن الأخ. ولم يقم إلينا نسبة ونسب أئبها.

ثم ولـ عليهم من بعده مولـ من موالـهم تغلـ على  
ملـكـهم اسمـ سـاـكـرـةـ . وـ قالـ الشـيـعـ عـثـمـانـ : ضـبـطـهـ بـلـسـانـهـ أـهـلـ  
غـانـيـةـ سـبـكـرـةـ ، وـ حـجـ أـيـامـ الـمـلـكـ النـاـصـرـ وـ قـتـلـ عـنـدـ مـرـجـعـهـ بـتـاجـورـاـ  
وـ كـانـتـ دـوـلـتـهـ ضـخـمـةـ اـتـسـعـ فـيـهاـ نـاطـقـ مـلـكـهـ وـ تـغـلـبـواـ عـلـىـ الـأـمـمـ  
الـجـاـوـرـهـ لـهـ . وـ اـفـتـحـ بـلـادـ كـوـكـوـ وـ أـصـارـهـ فـيـ مـلـكـهـ أـهـلـ مـالـ .  
وـ اـنـتـلـ مـلـكـهـ مـنـ الـبـحـرـ الـمـيـطـ وـ غـانـيـةـ بـالـمـغـرـبـ إـلـىـ بـلـادـ التـكـرـرـ فـيـ  
الـمـشـرـقـ ، وـ اـعـتـزـ سـلـطـانـهـ وـ هـابـتـهـ أـمـمـ السـوـدـانـ ، وـ اـرـتـخـلـ إـلـىـ بـلـادـهـ  
الـتـجـارـ مـنـ بـلـادـ الـمـغـرـبـ وـ إـفـرـيقـيـةـ .

الغربي ومنه غزروا ملوك اليمن ذي نواس وكانت دار مملكتهم  
كعبر، وكانوا على دين النصرانية، وأخذ بالإسلام واحد منهم  
زمن الهجرة على ما ثبت في الصحيح، والذي أسلم منهم لعهد  
النبي ﷺ وهاجر إليه الصحابة قبل الهجرة إلى المدينة فنأوا هم  
ومنهم، وصلى عليه النبي ﷺ عندما نعي إليه، كان اسمه  
النجاشي وهو يلسائهم: انكاش بالكاف المشتمة بالحيم عربتها  
العرب جيماً حضنة والحقتها ياء التسبي، شأنها في الأسماء  
الأعمجية إذا تصرفت فيها، وليس هذا الاسم سمة لكل من تلك  
مملئكم كما يزعم كثير من الناس من لا علم له بهذا، ولو كان  
ذلك لشهدوا باسمه إلى اليوم لأن ملوكهم لم يتحول منهم.

وملكهم لهذا العهد اسمه الخطى ما أدرى اسم السلطان نفسه، أو اسم العشيرة الذين فيهم الملك، وفي غربه مدينة دامورت وكان بها ملك من أباطئهم وله ملك ضخم، وفي شماله ملك آخر منهم اسمه حق الدين محمد بن علي بن ولصومع في مدينة أسلم أولوه في تاریخ مجھولة. وكان جده واصماع مطیعاً للملك دامون، وأدرکت الخطى الغيرة من ذلك فغزاها واستول على بلاده، ثم اتصلت الفتنة وضعف أمر الخطى فاسترجع بنو ولصومع بلادهم من الخطى وبنيه، واستولوا على وفات وخربرها. وبلغنا أن يعطون الطاعة للخطى أحياناً وينبذونه أخرى والله مالك الملك.

قال ابن سعيد: ويلهم الجاجة وهم نصارى ومسلمون، و لهم جزيرة بساوکن في بحر السوس، ويلهم التربة إخوة الزنج والحبشة و لهم مدينة دقلة غرب النيل، وأكثرهم مجاورون للديار المصرية، ومنهم رقين. ويلهم زغاوة وهم مسلمون، ومن شعريهم تاجرة ويلهم الكاثم وهم خلق عظيم، والإسلام غالب عليهم ومدينتهم حيمي و لهم التغلب على بلاد الصحراء إلى فزان. وكانت لهم مهادنة مع الدولة الخصيبة منذ أوها، ويلهم من غربهم كوكرو، وبعدهم نغالة والتکرور ولی وتنتم وجالي وكوري وأنکرار، ويصلون بالبحر المحيط إلى غانية في الغرب او کلام ابن سعيد.

ولما فتحت إفريقيا المغرب دخل التجار بلاد المغرب فلم يجدوا فيهم أعظم من ملوك غانية، كانوا مجاورين للبحر الخريط من جانب الغرب، وكانت أعظم أمم وطن أضخم مملك، وحاضرة ملوكهم غانية مدیستان على حافتي النيل من أعظم مدن العالم وأكثرها معمراً، ذكرها مؤلف كتاب رجبار وصاحب المسالك والممالك، وكانت تجاورهم من جانب الشرق أمم أخرى فيما زعم الناقلون تعرف صوصو بصادين مضمومتين أو سينين مهمليتين، ثم

مواصلة ومهادة سفرت بينهما فيها الأعلام من رجال الدولتين، واستجاد صاحب المغرب من متابع وطنه وتحف مالكة مما تحدث عنه الناس على ما ذكره عند موضعه، بعث بها مع علي بن غانم المقلقل وأعيان من رجال دولته. وتوارثت تلك الوصلة أعقابهما كما سيأتي واتصلت أيام منسا موسى هذا خسماً وعشرين سنة.

ولما هلك ولی أمر مالی من بعده ابنه منسا معاً، ومعنى معاً عندهم محمد، وهلك لأربع سنتين من ولايته، وولی أمرهم من بعده منسا سليمان بن أبي بكر وهو أخو موسى، واتصلت أيامه الأربع وأعشرين سنة، ثم هلك فولة بعده ابنه منسا بن سليمان وهلك لتسعة من ولايته، فولی عليهم من بعده ماري جاطه بن منسا معاً بن منسا موسى واتصلت أيامه أربعة عشر عاماً وكان شر وال عليهم بما سامهم من النكال والعنف وإفساد الحرث. وأخلف ملك المغرب لعهده السلطان أبا سالم ابن السلطان أبي الحسن بالهدية المذكورة سنة اثنين وستين وسبعينة وكان فيها لحيوان العظيم الهیکل المستغرب بأرض المغرب المعروف بالزرافة، وحدث الناس بما اجتمع فيه من متفرق الحال والشبه في جثمانه نوعته دهرأ.

وأخبرني القاضي الثقة أبو عبد الله محمد بن واتسول من أهل سجلamasة، وكان أوطن بارض كوكو من بلادهم واستعملوه في خطة القضاء على لقمه ما كتبته وذكر لي عن هذا السلطان جاطة أنه عن ملوكهم بالكثير مما كتبته وذكر لي عن هذا السلطان جاطة أنه قد ملكهم وأتلف ذخيرتهم، وكاد أن يتضمن شأن سلطانهم قال: ولقد انتهى الحال به في سرفه وتبذرها أن باع حجر للذهب الذي كان في جلة الذخيرة عن أبيهم، وهو حجر يزن عشرين قططاً منقولاً من المعدن من غير علاج بالصناعة ولا صفبة بالثار، كانوا يرونه من أنفس الذخائر والغرائب لن دور مثله في المعدن، فعرضه جاطة هذا الملك المسرف على تجار مصر المتربدين إلى بلده وابناعوه منه بأبخس ثمن اذ استهلك من ذخائر ملوكهم سرفاً وتبذرها في سبيل التسوق والتخلوف.

قال: وأصابته علة النوم، وهو مرض كثيراً ما يطرق أهل  
الإقليم وخصوصاً الرؤساء منهم يعتاده غشى النوم عامة أزمانه  
حتى يكاد أن لا يفيق ولا يستيقظ إلا في القليل من أوقاته، ويضرّ  
صاحبته ويحصل سمه إلى أن يهلك. قال: ودامت هذه العلة مخاطبه  
مدة عامين اثنين وهلك ستة خمس وسبعين وسبعمائة وولوا من  
عده ابنه موسى فأقبل على مذاهب العدل والنظر لهم، ونكب عن  
طريق أبيه جملة وهو الآن مرجو المداية ويعغلب على دولته وزيره  
ماري جاتيه، ومعنى ماري عندهم الوزير وجاتحة تقدم وهو الآن

وقال الحاج يونس ترجمان التكرور: إن الذي فتح كوكو هو سغمنجة من قواد منسا موسى، وولى من بعده ساكوره وهذا هو ابن السلطان ماري جاطة. ثم من بعده ابنه محمد بن قو، ثم انتقل ملكهم من ولد السلطان ماري جاطة إلى ولد أخيه أبي بكر فوري عليهم منسا موسى بن أبي بكر، وكان رجلاً صالحًا وملكاً عظيمًا، له في العدل أنجار تؤثر عنه، وحاج ستة أربع وعشرين وسبعينة، لقيه في الموسم شاعر الأندرس أبو إسحاق إبراهيم الساحلي المعروف بالطويحين وصحيحة إلى بلاده. وكان له اختصاص وعنابة ورثها من بعده ولده إلى الآن، وأوطناه والآخر من تحوم بلادهم من ناحية المغرب، ولقيه في منصرفة صاحبنا المعمّر أبو عبد الله ابن خديجة الكومي من ولد عبد المؤمن، كان داعية بالزار للفاطمي المتظر، وأجلب عليهم بعصابات من العرب فكر به واركلا واعتقله، ثم خلى سبيله بعد حين، فخاض القفر إلى السلطان منسا موسى مستجيحاً به عليهم، وقد كان يبلغه توجهه للحج، فقام في انتظاره ببلد غداميس يرجو نصراً على عدوه ومعونة على أمره لما كان عليه منسا موسى من استفحال ملكه بالصحراء المالية لبلد واركلا وقرة سلطانه فلقي منه مبرة وترجأ وعده بالظاهرة والقيام بشاره واستصبحه إلى بلدة أخرى وهو لثقة.

قال: كنا نراكبه أنا وأبو إسحاق الطويجي دون وزرائه  
روجوه قومه نأخذ بأطراف الأحاديث حيث يتسع المقام، وكان  
تحتختنا في كل منزل بطرف الماكى والحلوات قال: والذي تحمل  
لته وحرثه من الوصائف خاصة اتنا عشر الفا لابسات أقيمة  
للبديع والحرير اليماني.

قال الحاج يونس ترجمان هذه الأمة بمصر: جاء هذا الملك  
شمساً موسى من بلده بثمانين حلاً من التبر، كل حمل ثلاثة قناطير،  
مال: وإنما يحملون على الوصائف والرجال في أوطانهم فقط، وأما  
لسفر البعيد كالحج فعلى المطاب.

قال أبو خديجة: ورجعنا معه إلى حضرة ملكه فأراد أن يستخدم بيته في قاعدة سلطانه محكم البناء مجللاً بالكلس لغراسته بأرضهم، فاطرفة أبو إسحاق الطوسيين ببناء قبة مرعية الشكل مستفرغ فيها إجادته. وكان صناع اليدين وأصنافها من الكلس رواه عليها بالأصياغ المشبعة فجاءت من أفنن المباني، ووقدت من السلطان موقع الاستغراب لفقدان صنعة البناء بارضهم، ووصله إلى عشر ألفاً من مثاقيل التبر مثبتة عليها، إلى ما كان له من الأثر والobil إليه والصلات السنوية. وكان بين هذا السلطان منساً يوسى وبين ملك المغرب لمهده من بنى مرين السلطان أبي الحسن

ملطة ويخاربونهم. ومنهم الآن طراغن بأرض السوس، وكان لهم مع العقل حروب قبل أن يدخلوا السوس، فلما دخلوه تغلب عليهم، وهو الآن من خوطم وأخلاقفهم ورعاياهم.

وأما هسكورة وهي لهذا العهد في عداد المصاومة وينسبون

إلى دعوة الموحدين، وهم أئمَّة كثيرة وبطون واسعة ومواطنهم  
يحيط بهم منصلة من درن إلى تادلاً من جانب الشرق إلى درعة من  
جانب القبلة وكان دخول بعضهم في دعوة المهدي قبل فتح  
مراكش، ولم يستكملوا الدخول في الدعوة إلا من بعده، لذلك لا  
يعدُهم كثير من الناس في الموحدين، وإن عدوا فليسوا من أهل  
السابقة منهم لخلافتهم الإمام أول الأمر، وما كان من حروفهم  
معه ومع أوليائه وشيعته. وكأننا نصادون مخالفهم وعدائهم  
ويجهرون بلعنهم، فتقول خطباؤهم في جامع صلواتهم: لعن الله  
هشاشة وتنملل وهرنة وهزجة، فلما استقاموا من بعد ذلك لم  
يكن لهم مزية السابقة كما كانت هشاشة وتنملل وهزعة وهزجة  
فاستقامتهم على الدعوة كان بعد فتح مراكش.

ويطرون هسکورة هؤلاء متعددون فمنهم: مصطفاً وجرامة وزمراوة وانتفت وينو نقال وينو رسکونت إلى آخرين لم يعضرني اسماؤهم، وكانت الرئاسة عليهم آخر دولة الموحدين لعمر بن وقاريط المتسبب، وذكره في أخبار المأمون والرشيد من بني عبد المؤمن خلاف الموحدين بمراكنش. ثم كان من بعده مسعود بن كلدايسن، وهو القائم يأمر دبوس والمظاهر له على شأنه، وأظنه جد بني مسعود بن كلدايسن، الرؤساء عليهم لهذا العهد من فطراكة المعروفين ببني خطاب لاتصال الرئاسة في هذا البيت، ولما انقرض أمر الموحدين استعصوا على بني مرين مدة وانختلف حالم معمهم في الاستقامة والنفرة، وكانوا ملجأً للنازعين عن الطاعة من عرب جشم، وماوى للثائرين منهم.

ثم استقاموا وأذعنوا للأداء الضرائب والمغامر وجبائيتها من قومهم، والخنقوف إلى العسكرية مع السلطان متى دعوا إليها شأن غيرهم من سائر المصادمة.

واما انتيفت فكانت رئاستهم في أولاد هنر وكان يوسف بن  
كتون منهم اخذ لفسه حصن تاقبوت، وامتنع به، ولم يزل ولده  
علي وخلوف يشيدانه من بعده، وهلك يوسف وقام بأمره ابنه  
خلوف، وجاهر بالتفاق سنةاثنتين وسبعمائة. ثم راجع الطاعة  
وهو الذي تقبض على يوسف بن أبي عياد المتعدي على مراكش  
ل أيام أبي ثابت سنة سبع وسبعمائة كما ذكر في أخباره، لما أحبط  
به، فتقبض عليه خلوف وأمك منه. وكانت وسليته من الطاعة  
وكان من بعده ابنه هلال بن خلوف، والرئاسة فيهم متصلة لهذا

قد حجر السلطان واستبد بالأمر عليه، ونظر في تجهيز العساكر وتجهيز الكتاب، ودوخ أقطار الشرق من بلادهم وتماوز تحوم كروك وجهز إلى منازلة تكرت بما وراءها من بلاد المثلثين، كنائب نازلتها لأول الدولة، وأخذت بمحنتها، ثم أفرجت عنها وحاطهم الآن هدنة.

ونكرت هذه على سبعين مرحلة من بلد واركلا في الجانب القبلي الغربي وفيها من الملثمين يعرف بالسلطان، وعليهم طريق الحاج من السودان، وبينه وبين أمير الزاب وواركلا مهاداة ومراسلة. قال: وحاضرة الملك لأهل مالي هو بلدبني... بلد متسع الخطة معين على الزرع مستاجر العمارة نافق الأسواق، وهو الآن محط لركاب البحر من المغرب وإفريقية ومصر، والبضائع محلوبة إليها من كل قطر ثم بلغنا لهذا العهد أن منسا موسى توفى سنة تسع وثمانين وسبعينة وولى بعده أخوه منسا معا ثم قتل لستة أو نحوها، وولى بعده صندكي زوج أم موسى صندكي الوزير. ووثب عليه بعد أشهر رجل من بيت ماري جاطة. ثم خرج من بلاد الكفرة وراءهم وجاءهم رجل اسمه محمود ينسب إلى منساقو بن منسا ولد ابن ماري جاطة الأكبر، فتغلب على الدولة وملك أمرهم سنة ثنتين وتسعين وسبعينة ولقبه منسا معا، والحلق والأمر الله وحده.

الخبر عن لطة وكزولة وهسكورة بني تصكي وهم إخوة هوارة وصنهاجة

**هؤلاء القبائل الثلاث قد تقدم لنا أنهم إخوة لصنهاجة،**  
**وأن أم الثلاثة تصكي العرجاء بنت زحبك بن مادغيس، فاما**  
**صنهاجة فمن ولد عاميل بن ززعاع، وأما هوارة فمن ولد أورينغ**  
**وهو ابنها ابن برنس، وأما الآخرون فلا تتحقق في نسبهم.**

قال ابن حزم: إن صنهاجة ولطة لا يعرف لها أب، وهذه الأمم الثلاث موطنون بالسوس وما يليه من بلاد الصحراء وجبال درن ملاؤها بسانطه وجباره. فاما لطة فأكثرهم مجاورون للشمين من صنهاجة وهم شعوب كبيرة، وأكثرهم ظواعن أهل وير ومنهم بالسوس قبيلة زكن ولخس، صاروا في عداد ذوي حسان من معقل، وبقايا لطة بالصحراء مع الشمين ومعظمهم قبيلة بين تلمسان وإفريقية وكان منهم الفقيه واكاك بن زيري صاحب أبي عمran الفاسي وكان نزل سجلmasة. ومن تلميذه كان عبد الله بن ياسين صاحب الدولة اللمتيبة علم ما مر.

واما كزولة بطونهم كثرة، ومعظمهم بالسوس ويجاورون

استمكنا منه بداره معتقلًا وثبت عليه فقتله واستلهم بنية معه، وسخطه السلطان لها فاعتقله قليلاً ثم أطلقه، واستقال برئاسة هسکورة لهذا العهد والله قادر على ما يشاء.

### الطبقة الثالثة من صنهاجة

وهذه الطبقة ليس فيها ملك، وهم لهذا العهد أوفر قبائل المغرب، فمنهم المواطنون بالجانب الشرقي من جبال درن ما بين تازى وقادلا ومعدن بيبي فازان حيث الشيبة المفضية إلى أكرسلوين من بلاد التخل، وتفصل تلك الشيبة بين بلادهم وببلاد المصامدة في المغرب من جبال درن. ثم اعتنروا قسن تلك الجبال وشواهقها، وتتعطف مواطنهم من تلك الشيبة إلى ناحية القبلة إلى أن تنتهي إلى أكرسلوين. ثم ترجع مغرياً من أكرسلوين إلى درعة إلى ضواحي السوس الأقصى، وأماصاره من تارودانت وأيفري إلى فونان وغيرها. ويعرف هؤلاء كلهم باسم صناعة حذف الماء من اسم صنهاجة، وأشموا صاده زايا وأبدلوا الجيم بالكاف المتوسط المخرج عند العرب لهذا العهد بين الكاف والكاف أو بين الكاف والجيم، وهي معربة النطق.

ولصنهاجة هؤلاء بين قبائل المغرب وفور عدد وشدة بأس ومنعة، وأعزمهم جانباً أهل الجبال المطلة على تادلا ورئاستهم لهذا العهد في ولد عمران الصناعي ولم اعتنرا على الدولة ومنعة عن الضفيمة والانقياد للمغرب. وتصل بهم قبائل خباته منهم ظواعن يسكنون الحصن ويتجهون مواقع القطر في نواحي بلادهم يتغاثين من قبيلة مكناة إلى وادي أم ربيع من تامستا في الجانب الشمالي من جانبي جبل درن، ورئاستهم في ولد هيبرى من مشاهيرهم ولم اعتنرا بال glam وروم على الذل.

وتصل بهم قبائل دكالة في وسط المغرب من عدوة أم ربيع إلى مراكش، وتصل بهم من جهة المغرب على ساحل البحر الخريط قبيلة بناحية آزمر، وأخرى وأفراة العدد متدرجة في عداد المصامدة وطنًا وخلة وجابة وعمالة، ورئاستهم لهذا العهد في دولة عزيز بن يبورك، ورئاستهم لأول دولة زناتة، وباني ذكره ويعرف عقبه الأن ببني بطال، ومن قبائل صنهاجة بطنون أخرى بجبال تازى وما والاها مثل بطورية وبخاصة وبني وارتين إلى جبل لكانى من جبال المغرب معروفة ببني الكائنى إحدى قبائلهم، يعطون المغرب عن عزة، وبطورية منهم ثلاثة بطنون: بطورية على تازى، وبني ورياغل على ولد المزنة، وأولاد علي بتافرسبيت. وكان لأولاد علي ذمة مع بني عبد الحق ملوك بني مرین، وكانت أم يعقوب بن عبد الحق

العهد. وأما بني نفال فكانت رئاستهم لأولاد تروميت، وكان منهم لعهد السلطان أبي سعيد وابنه أبي الحسن، كبرهم علي بن محمد، وكان له في الخلاف والامتناع ذكر، واستنزله السلطان أبو الحسن من محله لأول ولاته بعد حصاره بمكنته، وأصاره في جلته تحت عنايته وأمرائه إلى أن هلك بتونس بعد واقعة القبروان في الطاعون الجارف. وولي بنوه من بعده أمر قومهم إلى أن انقرضوا، والرئاسة لهذا العهد في أهل بيتهن لأهل عمومهم.

وأما فطواكة: وهم أوسع بطونهم وأعظمهم رئاسة فيهم وأقربهم اختصاصاً بصاحب الملك واستعمالاً في خدمته. وكان بني خطاب منذ اقراض أمر المرحدين قد جنحوا إلى بني عبد الحق، وأعطوه الرئاسة واحتضروا شيوخهم في بني خطاب بالولاية عليهم. وكان شيخهم لعهد السلطان يوسف بن يعقوب محمد بن مسعود، وابنه عمر من بعده. وهلك عمر سنة أربع وسبعينة بمكنته من محله، وولي بعده عممه موسى بن مسعود وسخطه السلطان لوقع خلافه فاعتقله. وكان خلاصه من الاعتقال سنة ست وسبعينة، وقام بأمر هسکورة من بعده محمد بن عمر بن محمد بن مسعود.

ولما استفحلا ملك بني مرین وذهب أثر الملك من المصامدة وبعد عهدهم صار بني مرین إلى استعمال رؤسائهم في جباية مغارتهم لكونهم من جلدتهم. ولم يكن فيهم أكبر رئاسة من أولاد تونس في هناتة. وبني خطاب هؤلاء في هسکورة فداولوا بينهم ولاية الأعمال المراكشية وليها محمد بن عمر هذا من بعد موسى بن علي وأخيه محمد شيخ هناتة. فلم ينزل والياً منها إلى أن هلك قبيل نكبة السلطان أبي الحسن بالقبروان. ولحق ابنه ابراهيم بتلمسان ذاهباً إلى السلطان أبي الحسن. فلما دعا أبو عنان إلى نفسه رجع عنه إلى محله، وتمسك بما كان عليه من طاعة أبيه، ورعاه أبو عنان لعنه عبد الحق، وقلده الأعمال المراكشية فلم يغرن في مزارعه إلى أن لحق السلطان أبو الحسن براكش، فكان من أعظم دعاته، وإبلى في مظاهرته. فلما هلك السلطان أبو الحسن اعتقله أبو عنان وأودعه السجن، ثم قتله بين يدي نهوضه إلى تلمسان سنة ثلاث وخمسين وسبعينة وقام بأمره من بعده آخره منصور بن محمد إلى أن ملك الأمير عبد الرحمن بن أبي يغلوسن مراكش سنة ست وسبعين وسبعينة فاستقدمه وتقبض عليه، واعتقله بدار ابن عممه يحيى بن العلام بن مسعود بن خطاب كان في جلته، وكان هو وأبيه نازعاً إلى بني مرین خوفاً على أنفسهم من أولاد محمد بن عمر لترشحهم للأسر، فلما

## الخبر عن برغواطة من بطون المصامدة ودولتهم ومبدأ أمرهم وتصاريف أحوالهم

وهم الجيل الأول منهم، كان لهم في صدر الإسلام التقدم والكثرة وكانتوا شعراً كثيرة مفترقين، وكانت مواطنهم خصوصاً من بين المصامدة في ساندانة تامستا وريف البحر المتوسط من سلا وأزمر وآفني وأسفي. وكان كبرهم لأول المائة الثانية من الهجرة طريف أبو صالح وكان من قواد ميسرة الخفير طريف المطفرى القائم بدعة الصفرية ومعهما معزوز بن طالوت. ثم انفرض أمر ميسرة الصفرية، وبقي طريف قاتلًا بأمرهم بتأستا، ويقال أيضًا: إنه تباً وشرع لهم الشرائع. ثم هلك وولي مكانه ابنه صالح، وقد كان حضر مع أخيه حروب ميسرة وكان من أهل العلم والخير فيما.

ثم اسلخ من آيات الله، وانتحل دعوى النبوة، وشرع لهم الديانة التي كانوا عليها من بعده، وهي معروفة في كتب المؤرخين. وأدعى أنه نزل عليه القرآن كان يتلو عليهم سوراً منه، يسمى منها سورة الديك وسورة الجمل وسورة الفيل وسورة آدم وسورة نوح وكثير من الأنبياء، وسورة هاروت وماروت وإبليس، وسورة غرائب الدنيا، وفيها العلم العظيم بزعمهم، حرم فيها وحلل، وشرع وقعن، وكانت يقرأونه في صلواتهم، وكانوا يسمونه صالح المؤمنين كما حكاه البكري عن زمور بن صالح بن هاشم بن وراد الراقد منهم على الحاكم المستنصر الخليفة بقرطبة من قبل ملوكهم أبي عيسى بن أبي الأنصاري سنة اثنين وخمسين وثمانمائة.

وكان يترجم عنه جميع خبره داود بن عمر المسطاسي. قال: وكان ظهور صالح هذا في خلافة هشام بن عبد الملك سنة سبع وعشرين من المائة الثانية من الهجرة. وقد قبل: إن ظهوره كان لأول المجرة، وأنه إنما انتحل ذلك عناداً أو عاكلاً لما بلغه شأن النبي صلوات الله عليه وسلم والأول أصح. ثم زعم أنه المهدى الأكبر الذي يخرج في آخر الزمان، وأن عيسى يكون صاحبه وبصلي خلفه، وأن اسمه في العرب صالح وفي السريان مالك وفي الأعجمي عالم وفي العبراني روبيا وفي البربرى وريا ومعناه الذي ليس بعده نبي، وخرج إلى المشرق بعد أن ملك أمرهم سبعاً وأربعين سنة، ووعدهم أنه يرجع إليهم في دولة السابع منهم، وأوصى بيته إلى ابنه إلياس، وعهد إليه بسراقة صاحب الأندلس من بني أمية، وبإظهار دينه إذا قوي أمرهم.

قام بأمره بعده ابنه إلياس ولم يزل مظهراً للإسلام مُسراً لما

منهم فاستوزرهم، وكان منهم طلحة بن علي وأخوه عمر على ما ياتي ذكره في دولتهم.

ويتصل بسيط بالغرب ما بين جبال درن وجبال الريف من ساحل البحر الرومي حيث مساكن حماد الآتي ذكرهم قبائل أخرى من صنهاجة موطنون في عصاب وأودية وبسانط يسكنون بيوت التجارة والطين مثل قشتالة وسطه وبين ورياكل وبين حيد وبين مركلدة وبين عمران وبين دركون وبين رتزر وملوانة وبين وامرد. وموطن هؤلاء كلهم بورغة، وأمر كرو يحيطون بالحياة والحراثة، ويعزون لذلك صنهاجة البيز، وهم في عداد القبائل المغارمة ولغتهم في الأكثر عربية لهذا العهد وهم مجاوروون بجبال غمارة.

ويتصل بجبال غمارة من ناحيتهم جبل سريف موطن بني زروال من صنهاجة وبني مغالا لا يحيطون بمعاش ويسعون صنهاجة العز لما اقتضته منعة جبالهم. ويقولون لصنهاجة آزمور الذين قدمتنا ذكرهم: صنهاجة الذل، لما هم عليه من الذل والمغرم، والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين. وقد يقال في بعض مذاهب البربر: أن بني وديد من صنهاجة وبين زناسن وباطوريه هم أخوال وأصل بن زناسن أجناسن ومعناه بلغة العرب الحال على الأرض.

## الخبر عن المصامدة من قبائل البربر وما كان لهم من الدولة والسلطان بالغرب ومبدأ ذلك وتصاريفه

وأما المصامدة وهم من ولد مصמוד بن يونس بربير فهم أكثر قبائل البربر وأوفرهم، من بطرتهم: برغواطة وغمارة وأهل جبل درن. ولم تزل مواطنهم بالغرب الأقصى منذ الأحقب المتطاولة. وكان التقدم قبيل الإسلام وصدره برغواطة. ثم صار التقدم بعد ذلك لمصامدة جبال درن إلى هذا العهد. وكان لبرغواطة في عصرهم دولة، وأهل درن منهم دولة أخرى أو دول حسبما ذكر، فلتذكر هذه الشعوب وما كان فيها من الدول بحسب ما تأدى إلينا من ذلك.

ودمر وطمطأة وبين وارزكيت. وكان أيضاً بنو يفرن وإصادة  
وركالة وأيزمن ورصفة ورمصزاره على دينهم، ولم تسجد  
ملوكهم إلا له منذ كانوا. كلام زمور. وكان للملك العدوانين في  
غزو برغواطة هؤلاء ومجادهم أثناء هذه وبعده آثار عظيمة من  
الأدارسة والأموية والشيعة. ولما أجاز جعفر بن علي من الأندلس  
إلى المغرب وقلده المنصور بن أبي عامر عمله ستة ست وستين  
وثلاثمائة فنزل البصرة، ثم اختلف ذات بيته وبين أخيه يحيى  
واستمال عليه آخره الجندي وأمراء زناته، فتجافى له جعفر عن  
العمل وصرف وجهه إلى جهاد برغواطة يعتده من صالح عمله،  
وزحف إليهم في أهل المغرب وكافة الجندي الأندلسيين فلقوه وسط  
بلادهم، وكانت عليه الديررة، ونجا بنفسه في قل من جنده، ولحق  
بأخيه بالبصرة. ثم أجاز بعدها إلى المنصور باستدعائه، وترك أخيه  
يحيى على عمل المغرب. ثم حاربهم أيضاً صنهاجة لما غزا ولكن  
بن زيري المغرب سنة ثمان وستين وثلاثمائة بعدها وأخفلت زناته  
أمامه وارزوا إلى حائط سبعة، وامتنعوا منه بأعراضها وانصرف  
عنهم إلى جهاد برغواطة، وزحف إليهم فقيه أبو منصور عيسى  
بن أبي الأنصار في قرمه، وكانت عليهم الهزيمة.

وقتل أبو منصور وأئخن فيهم بل يكن بالقتل، وبعث سببهم إلى القيروان وأقام بال المغرب يردد الغزو فيهم إلى سنة اثنين وسبعين وثلاثمائة وانصرف من المغرب فهلك في طريقه إلى القيروان. ولم يقف على من ملك أمرهم بعد أبي منصور. ثم حاربتهم أيضاً جنود المتصور بن أبي عامر لما عقد عبد الملك بن المتصور لولاه راضح على المغرب عند قفوله من غزاة زيري بن عطية سنة تسع وثمانين وتلائمية، فافتتح واضح أمرة بغزو برغواطة هؤلاء فيمن بقيه من الأجناد وأمراء التواحي وأهل الولاية، فعظم الأثر فيهم للقتل والسي. ثم حاربهم أيضاً بنو يفرن لما استقل بنو يعلى ابن محمد اليفريني من بعد ذلك بناحية سلا من بلاد المغرب واقتطعوه من عمل أبناء زيري بن عطية المغراوي بعدما كان بينهما من الخروب.

وأنساق أمر أولاد يعلى هؤلاء إلى تميم بن زيري بن يعلى في أول المائة الخامسة، وكان موطننا بمدينة سلا مجاوراً لبرغواطة، فكان له أثر كبير في جهادهم، وذلك في سني عشرين وأربعين، وتغلبهم على تامستا وولى عليها من قبله بعد أن أخن فيهم سبياً وقتلاً. ثم تراجعوا من بعده إلى أن جاءت دولة لمونة وخرجوا من مواطنهم بالصحراء إلى بلاد المغرب، واتّحذوا الكثير من معاقل لرسوس الأقصى وجبال المصامدة. ثم بدوا لهم جهاد برغواطة تامستا وما إليها من الريف الغربي فزحف إليهم أبو بكر بن عمر

أوصاه به أبوه من كلمة كفرهم. وكان طاهراً عفيفاً زاهداً حنثمسين  
سنة من مملكة، وولي أمرهم من بعده ابنه يونس، فأظهر دينهم  
ودعا إلى كفرهم وقتل من لم يدخل في أمره حتى حرق مدانين  
تامستا وما والاها، يقال: إنه حرق ثلاثمائة وثمانين مدينة،  
واستلحم أهلها بالسيف لخالقهم إياها، وقتل منهم بموضع يقال  
له: تاملوكاف، وهو حجر عالٌ نابت وسط الطريق فقتل سبعة  
آلاف وسبعمائة وسبعين.

قال زمور: ورحل يونس إلى المشرق وحج، ولم يحج أحد من أهل بيته قبله ولا بعده، وهكذا لأربعين وأربعين سنة من ملكه، وانتقل الأمر عن بنيه، وولي أمرهم أبو غنير محمد بن معاد بن إليسع بن صالح بن طريف، فاستولى على ملك برغواطة وأخذ بدین آبائه واشتدت شوكته وعظم أمره، وكانت له في البرير وقائع مشهورة وأيام مذكورة أشار إليها سعيد بن هشام المصمودي في قوله:

ففي قبيل التفرق وأخبرينا وقولي وأخبرني خبراً يقينا  
وهذى أمة هلكوا وضلوا وغاروا لا سقوا ماء معينا  
يقولون: النبي أبو غفير فائزى الله أم الكاذبيين

وأخذ أبو غفير من الزوجات أربعاً وأربعين، وكان له من الولد مثلثاً وأكثر. وهلك أخريات المائة الثالثة لتسع وعشرين سنة من ملكه، وولي بعده ابنه أبو الأنصار عبد الله فاقتفى سنته وكان كثير الدعة مهاباً عند ملوك عصره يهادونه ويدافعونه بالمواصلة، وكان يلبس الملحفة والسراسير ولا يلبس المخيط ولا يعتم، ولا يعتم أحد في بلاده إلا الغريب. وكان حافظاً للجبار وفيما بالمهد، وتوفي سنة إحدى وأربعين من المائة الرابعة لأربع وأربعين سنة من ملكه، ودفن بأمسلاخت وبها قبره. وولي بعده ابنه أبو منصور عيسى بن اثنين وعشرين سنة، فسار سير أبياته وادعى النبيه والكمانه، واشتغل أمره وعلا سلطانه ودانت له قبائل المغرب.

قال زمور: وكان فيما أوصاه به أبوه: يا بني! أنت سابع  
الآباء من أهل بيتك، وأرجو أن يائيك صالح بين طريف. قال  
زمور: وكان عسكره يناظر الثلاثة آلاف من برغواطة وعشرة  
ألاف من سواهم مثل: جراوة وزواحة والبرانس وبجاصة ومطغرة

اتصل بعضها بعض سياجاً بعد سياج خمس مراحل أخرى في العرض إلى أن ينحط بسائط قصر كثامة ووادي ورغة من بسائط المغرب، ترتد عنها الأ بصار وتزل في حافتها الطيور لا بل الهراوم وتتفسح في رؤوسها وبين قتها الفجاج، سبل السفر ومراتع السائمة وفدن الزراعة وأدواح الرياض.

ويتبين لك أنهم من المصامدة بقاء هذا النسب الخيط سمة فيهم لبعض شعوبهم يعرفون بمصمرة ساكين ما بين سبعة وطنجة، وإليهم ينسب قصر المجاز الذي يعبر منه الخليج البحري إلى بلد طريف، وبعده أيضاً اتصال مواطنهم ببرغواطة من شعوب المصامدة بريف البحر العربي وهو الخيط، إذ كان بنو حسان منهم موطنين بذلك الساحل من لدن أزغار وأصيلاً إلى آنفي، ومن هنالك تصل بهم مواطن ببرغواطة ودكالة إلى قبائل درن من المصامدة فما وراءها من بلاد القبلة. فالمصامدة هي أهل الجبال بالغرب الأقصى إلا قليلاً منها وغيرهم في البسائط. ولم تزل غماره هؤلاء مواطنهم هذه من لدن الفتح، ولم يعلم ما قبل ذلك.

وللمسلمين فيهم أزمان الفتح وقائع الملاحم وأعظمها لموسى بن نصير وهو الذي حلهم على الإسلام واسترهم ابنائهم وأنزل منهم عسكراً مع طارق بطنجة. وكان أميرهم لذلك العهد يليان وهو الذي وفد عليه موسى بن نصير ورحبه في غزو الأندلس، وكان منزله سبعة كما تذكرة، وذلك قبل استحواذه نكور وكانت في غماره هؤلاء بعد الإسلام دول قاتوا بها لغيرهم وكان فيهم متباشون، ولم تزل الخوارج تقصد جبالهم للمنعة فيها والاعتصام كما ذكرهم.

### الخبر عن سبعة ودولة بني عاصم بها

كانت سبعة هذه من الأمصار القديمة قبل الإسلام، وكانت

يومئذ متزل يليان ملك غماره، وما زحف إليه موسى بن نصير صانعه بالمدايا وأذعن للجزية، فأمره عليها واسترهم ابنه وأبناء قومه، وأنزل طارق بن زياد بطنجة للجزية، وضرب عليهم العسكر للتزول معه. ثم كانت إجازة طارق إلى الأندلس فضرب عليهم البعوث، وكان الفتح الذي لا كناء له كما مر في موضعه. ولما هلك يليان استولى العرب على مدينة سبعة صلحها من أيدي قومه فمغروها. ثم كانت فتنة ميسرة المخير وما دعى إليه من ضلالة الخارجية، وأخذ بها الكثير من البرابرة من غماره وغيرهم، فزحف برباسرة طنجة إلى سبعة وأخرجوا العرب منها وسبوها

أمير لتوة في المرابطين من قومه، وكانت له فيهم وقائع استشهد في بعضها صاحب الدعوة عبد الله بن ياسين الكزوبي سنة خمسين وأربعينية، واستمر أبو بكر وقومه من بعده على جهادهم حتى استصلوا شأفتهم ومحوا من الأرض آثارهم وكان صاحب أمرهم لعهد انفراط دولتهم أبو حفص عبد الله من أعقاب أبي منصور عيسى بن أبي الأنصار عبد الله بن أبي غفير محمد بن معاد بن إليسع بن صالح بن طريف، فهلك في حروبهم وعليه كان انفراط أمرهم وقطع دابرهم على يد هؤلاء المرابطين، والحمد لله رب العالمين.

وقد يغليط بعض الناس في نسب ببرغواطة هؤلاء فيعدهم في قبائل زناته، وآخرون يقولون في صالح: إنه يهودي من ولد شمعون بن يعقوب نشا برباط ورحل إلى المشرق، وقرأ على عبد الله المعترلي واشتغل بالسحر، وجمع فتنواً وقدم المغرب ونزل تامستا فوجدها قبائل جهالاً من البربر فاظهر لهم الزهد وسحرهم بسلسنه، وموه عليهم فقصدوه واتبعوه، فادعى النبيه وقيل له برباطي نسبة إلى الموطن الذي نشا به، وهو برباط واد بحسن شريش من بلاد الأندلس، فعررت العرب هذا الاسم وقالوا ببرغواط، ذكر ذلك كله صاحب كتاب نظم الجوهر وغيره من النساين للبربر، وهو الأغالطي البينة، وليس القوم من زناته ويشهد لذلك موطنهم وجوارهم لأخوانهم المصامدة. وأما صالح بن طريف فالمعروف منهم وليس من غيرهم، ولا يتسم الملك والتقلب على التواحي والقبائل لقطع جذمه دخيل في نسبة الله في عباده وإنما نسب الرجل في ببرغواطة وهم شعب من شعوب المصامدة معروف كما ذكرناه والله ولـي التوفيق.

### الخبر عن غماره من بطون المصامدة وما كان فيهم من الدول وتصارييف أحواهم

هذا القبيل من بطون المصامدة من ولد غمار بن مصمود، وقيل: غمار بن مسطاف بن مليل بن مصمود، وقيل: غمار بن أصاد بن مصمود. ويقول بعض العامة: أنهم عرب غمروا في تلك الجبال فسموا غماره، وهو مذهب عامي، وهو شعوب وقبائل أكثر من أن تحصر. وبالطون المشهورة منهم: بنو حيد ومتيبة وبنو نال واغصاوة، وبنو وزروال ومجكسة، وهو آخر مواطنهم يعتمرون جبال الريف بساحل البحر الرومي من عن يمين بسائط المغرب، من لدن غساسة فنكور فبادس فتيكيسياس قطيابرين فسبة فالقصر إلى طنجة خمس مراحل أو أزيد، أوطنوا منها جهالاً شاهقة

وخربوها فبقيت خلاة.

أن هلك بتمساسان سنة اثنين وثلاثين ومائة، وولى أمرهم من بعده ابنه المتصنم بن صالح، وكان شهماً شريف النفس كثير العبادة. وكان يلي الصلاة والخطبة لهم بنفسه، ثم هلك لأيام بسيرة وولي من بعده آخره إدريس، فاختلطت مدينة نكور في عدوة السوادي ولم يكملها. وهلك سني ثلاث وأربعين ومائة وولي من بعده ابنه سعيد، واستفحلا أمره، وكان ينزل مدينة تسامان، ثم اختلطت مدينة نكور لأول ولاته وتزطا وهي التي تسمى لهذا العهد المزفة بين نهرين أحدهما نكور وخرج منه من بلاد كزناتية وخرج منه وادي ورغبة واحد، والثاني عيس وخرج منه من بلدبني ورياغل، يجتمع الهران في أكالا، ثم يفترقان إلى البحر وتقابل نكور من عدوة الأندلس بزليانة.

وغزا الجوس نكور هذه في أساطيلهم سنة أربع وأربعين ومائة فتغلبوا عليها واستباحوها ثمانين. ثم اجتمع إلى سعيد البرانس، وأخرجوهم عنها، وانتقضت غماراة بعدها على سعيد فخلعوه وولوا عليهم رجالاً منهم اسمه سكن. وتراخروا فأظهروه الله عليهم وفرق جاعتهم وقتل مقدمهم واستوست أمره إلى أن هلك سنة ثمان وثمانين ومائة لسيع وثلاثين من ملكه. وقام بأمره ابنه صالح بن سعيد فقبل مذاهب سلفه في الاستقامة والاقداء، وكان له مع البرير حروب ووقائع إلى أن هلك سنة حسين ومائين لااثنين وسبعين سنة من ملكه.

وقام من بعده ابنه سعيد بن صالح وكان أصغر ولده فخرج إليه آخره عبد الله وعمه الرضي وظفر بهما بعد حروب كبيرة، فغرب أخاه إلى الشرق ومات يمكة وأبقى على عميه الرضي لذمة صهر بيهما. وقتل سائر من ظفر به من عمومته وقرباته، وأنهض لها سعادة الله بن هارون منهم، ولحق بيبي يصلن أهل جبل أبي الحسن ودطم على عورته، وبيتوا معسكره واستولوا عليه، وأخذوا آلهته وقتلوا الآلافاً من مواليه، وحاصروا نكور. ثم كانت له الكرة عليهم وقتل منهم خلقاً، ونجا سعادة الله إلى تسامان وتبپض على أخيه ميمون فضرب عنقه. ثم صار سعادة الله إلى طلب الصلح فأسعفه وأنزله معه مدينة نكور، ثم غزا سعيد بقومه وأهل إيلاته من غمارة بلاد بطورية ومنبوبة وقلوع جارة وبيبي ورتدي وأصهر باخته إلى أحد بن إدريس بن محمد بن سليمان صاحبه. وأنزله مدينة نكور معه. وتوطد الأمر لسعيد في تلك التواحي إلى أن خاطبه عبد الله المهدى يدعوه إلى أمره وفي أسفل كتابه:

فإن تستقموا أستقم لصلاحكم وإن تعذلوا عنى أرى قللكم عدلاً وأعلوا بسيفي قاهرأسبيوفكم وادخلها عفواً وأملوها قلاً

وأنزل بها ماجكس من رجالاتهم ووجوه قبائلهم، وبه سميت محكمة فبها ورجع إليها الناس وأسلم. وسمع من أهل العلم إلى أن مات فقام بأمره ابنه عاصم ووليه دهراً. ولما هلك قام بأمره ابنه عمير فلم يزل والياً عليها إلى أن هلك، ووليه آخره الرضي ويقال: إنه ابنه، وكانتوا يعطون لبني إدريس طاعة ماضفة كما ذكره. ولما سما للناصر أهل في ملك المغرب، وتناول حبله من أيدي بني إدريس المالكون ببلاد الهرط وغمارة حين أجهضتهم مكناسة وزنانة عن ملتهم بفاس، وقاموا بدعاوة الناصر وبثوها في أعمالهم نزلوا حيث يتذلل الناصر عن سبعة، وأشاروا له إلى تناولها من بني عاصم، فسرح إليها عساكرة وأساطيله مع قائد نجاح بن غفير، فكان فتحها سنة تسع عشرة وثلاثمائة، ونزل له الرضي بن عاصم عنها وأتاه طاعته وانقرض أمر بني عاصم. وصارت سبعة إلى الناصر حتى استول عليها بعد حين بنو حماد واستحدثوا بعدها دولة أخرى كما ذكره.

## الخبر عن بني صالح بن منصور ملوك نكور ودولتهم في غمارة وتصاريف أحواهم

ما استول المسلمين أيام الفتح على بلاد المغرب وعمالاته واقسموا وأمدهم الخلفاء بالبعث إلى جهاد البربر، وكان فيهم من كل القبائل من العرب. وكان صالح بن منصور الحميري من عرب اليمن فيبعث الأول. وكان يعرف بالعبد الصالح فاستخلص نكور لنفسه، وأقطعه إياها الوليد بن عبد الملك في أعوام إحدى وتسعين للهجرة، قاله صاحب المقاييس، حدّ بلد نكور يتنهى من المشرق إلى زواغة وجراوة بن أبي العيس مسافة خمسة أيام وتحاوره من هناك مطمطة، وأهل كبدانة ومرنيسة وغساسة أهل جبل هرك، وقلوع جارة التي لبني ورتدي، ويتنهى من الغرب إلى بني مروان من غمارة، وبيبي حميد وإلى مسطاسة وصنهاجة ومن ورائهم أوربة، حزب فرحون وبيبي وليد وزنانة وبيبي يربيان وبيبي واسن حزب قاسم صاحب صا والبحر جوفي نكور على خمسة أميال، فأقام صالح هناك لما اقتطع أرضها وكثير نسله واجتمع إليه قبائل غمارة وصنهاجة مفتاح وأسلموا على يده وقاموا بأمره، وملك تسامان، وانتشر الإسلام فيهم. ثم ثقلت عليهم الشرائع والتکاليف وارتدوا وأخرجوا صالحًا وولوا عليهم رجلاً من نفرة يعرف بالرندي.

ثم تابوا ورجعوا الإسلام ورجعوا صالحًا فآتاه لهم إلى

السميع بن إدريس بن صالح بن إدريس بن صالح بن منصور، فأخذ مرمزاً ومن معه وضرب أعناقهم، وبعث برسوهم إلى الناصر. ثم ثار عليه من أغياص بيته عبد السميم بن جرثم بن إدريس بن صالح بن منصور، فخلعه وأخرجه عن نكور سنة تسعة وعشرين وثلاثمائة ولحق موسى بالأندلس ومعه أهله وولده وأخوه هارون بن رومي وكثير من عموته وأهل بيته، فتم لهم من نزل معه الريبة ومنهم من نزل مالقة. ثم انتقض أهل نكور على عبد السميم وقتلوا. واستدعوا من مالقة جرثم بن أحمد بن زيادة الله بن سعيد بن إدريس بن صالح بن منصور، فبادر إليهم وبإيعوه سنة ست وثلاثين وثلاثمائة فاستقامت له الأمور وكان على منهب سلفه في الاقتداء والعمل بمنهبه مالك إلى أن مات آخر سنة ستين وثلاثمائة لخمسة وعشرين سنة من ملكه، واتصلت الولاية في بيته إلى أن غالب عليهم أزداجة المقلوبين على وهران، وزحف أميرهم يعلى بن فتوح الأزداجي سنة ست وأربعين سنة، وقيل سنة عشر فطلبهم على نكور وخربيها، وانقرض ملوكهم بعد ثلاثة عشر سنة وأربع عشرة سنة من لدن ولاية صالح، وبقيت في بني يعلى بن فتوح وأزداجة إلى أعوام ستين وأربعين سنة والله مالك الأمور لا إله إلا هو.

### الخبر عن حامي المتبني من غماره

كان غماره هؤلاء غريقين في الجهالة والبعد عن الشرائع بالبداؤة والانتباذ عن مواطن الخير، وتباً فيهم من مجكسة حامي بن من الله بن حرير بن عمر بن رحفور بن أزوال بن مجكسة يكتنأ بها محمد وأبوه أبو خلف. تباً سنة ثلاثة عشرة وثلاثمائة يجبل حامي المشهور به قريباً من تيطاون، واجتمع إليه كثير منهم وأقروا بنبوته وشرع لهم الشرائع والديانات من العبادات والأحكام، وصنع لهم قرآنًا كان يتلوه عليهم بلسانهم، من كلامه: «يا من يخلي البصر، ينظر في الدنيا، خلني من الذنب يا من أخرج موسى من البحر آمنت بحاميم وبائيه أبي خلف من الله، وأمين رأسى وعقلى وما يكنه صدرى، وما أحاط به دمى ولحمى، وأمنت بتابعيت عمّة حامي أخت أبي خلف من الله، وكانت كاهنة ساحرة إلى غير هذا، وكان يلقب المفترى، وكانت أخته دبو ساحرة كاهنة، وكانتوا يستغثثون بها في الحروب والقتحوط، وقتل في حروب مصمودة بأحوال طنجة سنة خمسة عشر وثلاثمائة، وكان لابنه عيسى من بعده قادر جليل في غماره، ووفد على الناصر. ورهطمهم بنو رحفور موطئون بوادي لاو ووادي راس قرب

فكتب إليه شاعره الأحس الطليطي بأمر يوسف بن صالح أخي الأمير سعيد: كنبت وبيت الله ما تحسن العدلا ولا علم الرحمن من قولك الفصال وما أنت إلا جاهم ومنافق تحمل للجهال في السنة الثالثي وهمتا العلي للدين محمد وقد جعل الرحمن همتك السفلى فكتب عبد الله إلى مصالبة بن حبوس صاحب تاهرت، وأوزع إليه بغزوه فنراه سنة أربع وثلاثمائة لأربع وخمسين من دولته، فحاربه سعيد وقومه أياماً ثم غلبهم مصالبة وقتلهم، وبعث برسوهم إلى رقاده، فطيف بها وركب بقيتهم البحر إلى مالقة، فتوسّع الناصر في إنزالهم وإجارتهم وبالغ في تكريمهم وأقام مصالبة بمدينة نكور ستة أشهر. ثم قفل إلى تاهرت وول عليها دلّول من كاتمة، فانقض العسکر من حوله، وبلغ الخبر إلى بني سعيد بن صالح وقومهم بمالقة، وهم: إدريس المعتصم صالح، فركبوا السفن إليها، وسبق صالح منهم، فاجتمع إليه البربر برسى تمسامان وبایمۇو سنه خمس وثلاثمائة، ولقبوه الیسم لصغره، وزحفوا إلى دلّول فظفروا به وبن معه وقتلهم، وكتب صالح بالفتح إلى الناصر، وأقام دعوته بأعماله وبعث إليه الناصر بالهدايا والتحف والآلية، ووصل إليه إخوه وسائر قومه وأتوا طاعته ولم يزل على هدى أوليه من الاقتداء إلى أن هلك سنة خمس عشرة وثلاثمائة.

وولى بعده ابنه عبد البديع، ولقب المؤيد، وزحف إليه موسى بن أبي العافية القائم بدعوة العبيديين بال المغرب، فحاصره وتغلب عليه فقتلته، واستباح المدينة وخربها سنة سبع عشرة وثلاثمائة. ثم تراجع إليها قاتلهم وقام بأمرهم أبو أيوب إسماعيل بن عبد الملك بن عبد الرحمن بن سعيد بن إدريس بن صالح بن منصور وأعاد المدينة التي بناها صالح بن منصور وعمرها وسكنها ثلاثة. ثم اغزاه ميسور مولى أبي القاسم بن عبد الله صندلًا مولاه عندما أتاك على فاس، فبعث عسكراً مع صندل هذا فحاصر جراوة، ثم عطف على نكور ومحصن منه إسماعيل بن عبد الملك بقلعة أكتى. وبعث إليه صندل رسلاً من طريقه فقتلهم فاغدا السير وقاتلهم ثمانية أيام.

ثم ظفر به فقتلته واستباح القلعة وسباها، واستختلف عليها من كاتمة رجالاً اسمه مرمزاً، ورحل صندل إلى فاس فترافق أهل نكور وبایعوا الموسى بن المعتصم بن محمد بن فرة بن المعتصم بن صالح بن منصور. وكان مجبل أبي الحسين عند بني يصلتن وكان يعرف بابن رومي.

وقال صاحب المقاييس: هو موسى بن رومي بن عبد

صاحب نكوز.

ولما استقل ابن أبي العافية من نكبه ورجع من الصحراء ستة خمس وعشرين وثلاثمائة منصرف ميسور من المغرب نازل ببني محمد وبني عمر وهلك بعد ذلك، وأجاز الناصر وزير القاسم بن محمد بن طملس ستة ثلاث وثلاثين لريهم، وكتب إلى ملوك مغراوة محمد بن خزر وابنه الخير بظاهرة عساكره مع ابن أبي العافية عليهم، فتسارع أبو العيش بن إدريس بن عمر المروف بابن مصالحة، إلى الطاعة، وأوفد رسلاه إلى الناصر فعقد له الأمان، وأوفد ابنه محمد بن أبي العيش مؤكداً للطاعة، فاحتفل لقدرمه وأكد له العقد، وتقبل سائر الأدارسة من بني محمد مذهبهم.

وسألوا مثل سواهم، فعقد بجمع بني محمد أيضاً، وكان وفد منهم محمد بن عيسى بن أحمد بن محمد والحسن بن القاسم بن ابراهيم بن محمد، وكان بنو إدريس يرجعون في رئاستهم إلى بني محمد هؤلاء منذ استبد بها آخرهم الحسن بن محمد الملقب بالحجاج في ثورته على ابن أبي العافية، فقدموا على أنفسهم القاسم بن محمد الملقب بكتون بعد فرار موسى بن أبي العافية، وملك بلاد المغرب ما عدا فاس مقيناً للدعوة الشيعية إلى أن هلك بقلعة حجر النسر سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة وقام بأمرهم من بعد أبو العيش أحمد بن القاسم كتون، وكان فقيهاً عالماً بالأيام والأخبار شجاعاً كريماً ويعرف بأحمد الفاضل، وكان منه ميل للمروانية فدعا للناصر، وخطب له على منابر عمله ونقض طاعة الشيعة، وبايده أهل المغرب كافة إلى سجلمامسة.

ولما بايده أهل فاس استعمل عليهم محمد بن الحسن ووفد محمد بن أبي العيش بن إدريس بن عمر بن مصالحة على الناصر عن أبيه سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة فاتصلت به وفاة أبيه وهو بالحضرة فعقد له الناصر على عمله وسرحه، وهجم عيسى ابن عمه أبي العيش أحد بن القاسم كتون على عمله بتبيكisan في غيبة محمد، فملكتها واحتوى على مال ابن مصالحة، ولما أقبل محمد من الحضرة زحف ببربرة غماره إلى عيسى المذكور ابن كتون فقطعوا به وأخنوه جراحه، وقتلوا أصحابه بيلد الحجاج في الناصر قواه إلى المغرب، وكان أول من أجاز إلى بني محمد هؤلاء سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة أحد بن يعلى من طفة القراد، أجازه إليهم في العساكر ودعاهم إلى هدم تيطاوين فامتذعوا، ثم انقادوا وتنصروا وأجابو إلى هدمها.

ورجع عنهم فانتقضوا فسرح إليهم حيد بن يصل المكتاسي في العساكر سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة وزحفوا إليه بوادي لاو فأوقع بهم فاذعنوا من بعدها، وتغلب الناصر على طنجة من يد

تيطاوين، وكذلك تباً منهم بعد ذلك عاصم بن جبل البزوجمي، وله أخبار مأثورة، وما زالوا يتحولون السحر لهذا المعهد. وأخبرني المشيخة من أهل المغرب أن أكثر متاحلي السحر منهم النساء العرائق قال: وهلن قوة على استجلاب روحانية ما يشاؤونه من الكواكب، فإذا استولوا عليه وتكلموا بتلك الروحانية تصرفوا منها في الأكون بما شاؤوا والله أعلم.

## الخير عن دولة الأدارسة في غماره وتصاريف أحواهم

كان عمر بن إدريس عندما قسم محمد بن إدريس أعمال المغرب بين إخوته برأي جدته كنزة أم إدريس اختص منها بتبيكيساس وترغه وببلاد صنهاجة وغمارة، واحتضن القاسم بطنجة وبسبطة والبصرة وما إلى ذلك من بلاد غماره. ثم غلب عمر عليها عندما تذكر له أخوه محمد واستضافها إلى عمله كما ذكرنا في أخبارهم. ثم تراجع بنو محمد بن القاسم من بعد ذلك إلى عملهم الأول فملكوه، واحتضن منهم محمد بن إبراهيم بن محمد بن القاسم قلعة حجر النسر الدالية من سبعة مقللاً لهم وثغرأً لعملهم. وبقيت الإمارة بفاس وأعمال المغرب في ولد محمد بن إدريس. ثم أداروا منهم بولد عمر بن إدريس، وكان آخرهم يحيى بن إدريس بن عمر وهو الذي بايع لعبد الله الشيعي على يد مصالحة بن حبسوس قادره، وعقد له على فاس، ثم نكبه سنة تسعة وثلاثمائة.

وخرج عليه سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة من بني القاسم الحسن بن محمد بن القاسم بن إدريس وبلقب بالحجاج لطعنه في الحجاج، وكان مقداماً شجاعاً، وثار أهل فاس بربحان وملكتوا الحسن، وزحف إليه موسى فله ومات. واستولى ابن أبي العافية على فاس وأعمال المغرب، وأجلى الأدارسة وأحرجهم مهضهم حجر النسر، وتحيزوا إلى جبال غماره وببلاد الريف، وكان لغمارة في التمسك بدعوتهم آثار ومقامات، واستجدوا بتلك الناحية ملكاً ترزاً وهو قطعاء، كان أعظمها لبني محمد هؤلاء ولبني عمر بتبيكيساز ونكور وببلاد الريف. ثم سما الناصر عبد الرحمن إلى ملك العدوة ومداعنة الشيعة، فنزل له بنو محمد عن سبعة سنة تسعة عشرة وتناولها من يد الرضي بن عاصم رئيس مجكسة، وكان يقيم فيها دعوة الأدارسة فأفجوا له عنها ودانوا بطاعته وأخذها من يده.

ولما أغارا ابن القاسم ميسوراً إلى المغرب لخمارية ابن أبي العافية حين تقض طاعتهم ودعا للمروانية وجد بنو محمد السبيل إلى الليل منه بظاهرة ميسور عليه، وما لآهم على ذلك بنو عمر

الأدارسة ببلاد الريف فأزاجهم وصيরهم أسوة ابن عمهم، واستنزل جميع الأدارسة من معاقلهم وسار إلى فاس فملكتها واستعمل عليها محمد بن علي بن قوشوش في عدوة القربيين، وعبد الكريم بن ثعلبة الجذامي في عدوة الأندلس. وانصرف غالب إلى قرطبة وهم الحسن بن كنون وسائر ملوك الأدارسة، وقد مهد المغرب وفرق عماله في جهاته، وقطع دعوة الشيعة، وذلك سنة أربع وستين وثلاثمائة، وتلقاهم الحكم وأركب الناس للقائهم. وكان يوم دخولهم إلى قرطبة أحفل أيام الدولة.

وعفا عن الحسن بن كنون ووفى له بالعهد، وأجزل له ولرجاله العطايا والخلع والجعارات، وأوسع عليه الجراية وأسنى لهم الأرزاق ورتب من حاشياتهم في الديوان سبعمائة من الخبراء والمغاربة، وتجلى عليه بعد ثلاث سنين بسؤاله من الحسن قطعة عنبر عظيمة نادت إليه من بعض سواحل عمله بالمغرب أيام ملكه، فأخذ منها أريكة يرتقها ويتوسدتها، فسأله حلها إليه على أن يحكمه في رضاه، فألبى عليه مع سعاية بي عمه فيه عند الخليفة، وسوء خلق الحسن وخواجه، فنكبه واستصنف ما لديه من قطعة العنبر سواها.

واستقام المغرب للحكم وتظاهر أمراؤه على مدافعة بلکین، وعقد الوزير المنصوري لجعفر بن علي على المغرب، واسترجع يحيى بن محمد بن هاشم وغرب الحسن بن كنون الأدارسة جميعاً إلى المشرق استقالاً لتفاقتهم، وشرط عليهم لا يعودوا، فعبروا البحر من المرية سنة خمس وستين وثلاثمائة، ونزلوا من جوار العزيز بن معد بالقاهرة خير نزل، وبالغ في الكرامة ووعد بالنصرة والرثة.

ثم بعث الحسن بن كنون إلى المغرب وكب له إلى آل زيري بن مناد بالقروان بالظاهرة، فلحق بالمغرب ودعا لفسمه. وبعث المنصور بن أبي عامر المساكير لمدافعته فتلبوه وتقبضوا عليه، وأشدوه إلى الأندلس فقتل في طريقه سنة... كما ذكرناه في أخبارهم. وانقضى ملك الأدارسة من المغرب أجمع إلى أن كان رجوع الأمر لبني حود منهم ببلاد غماره وسبته وطنجة كما نذكره إن شاء الله تعالى.

أبي العيش أمير بنى محمد وبقي يصل على بيعة الناصر. ثم تحطت عساكر الناصر إلى ساط المغرب فأذعن له أهلها، وأخذ بدعمته فيه أمراء زناتة من مغاربة وبني يفرن ومكناسة كما ذكرناه، فضعف أمر بنى محمد واستاذنه أميرهم أبو العيش في الجهاد فأذن له وأمر ببناء القصور له في كل مرحلة من الجزيرة إلى التغر، فكانت ثلاثة مرحلة، فجاز أبو العيش واستخلف على عمله أخاه الحسن بن كنون، وتلقاهم الناصر بالمرة وأجرى له ألف دينار في كل يوم، وهلك شهيداً في مواقف الجهاد سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة.

ولما أغزا معد قائد جوهراً الكاتب إلى المغرب واستنزل عماله، وتحصن الحسن بن كنون منه بقلعة النسر معقلهم. وبعث إليه بطاعته فلم يعرض له جوهراً، ولما قفل من المغرب راجع الحسن طاعة الناصر إلى أن هلك سنة خمسين وثلاثمائة فاستجد الحكم عزمه في سد نهر المغرب وإحكام دعوته فيه.

وشحد لها عزائم أوليائهم من ملوك زناتة، فكان بينهم وبين زيري وبلكين ما ذكرناه. ثم أغزى معد بلکين بن زيري المغرب سنة اثنين وستين وثلاثمائة أولى غزواته، فائixin في زناتة وأوغل في ديار المغرب. وقام الحسن بن كنون بدعوة الشيعة وتقضي طاعة المروانية، فلما انصرف بلکين أجاز الحكم عساكره إلى العدوة مع وزيره محمد بن قاسم بن طملس سنة اثنين وستين وثلاثمائة لقتال الحسن بن كنون وبني محمد، فكان الظهور والفالح للحسن على عسكر الحكم.

وقتل قائد محمد بن طملس وخلق كثيراً من عساكره وأوليائه. ودخل قلدهم إلى سبطة واستصرخوا الحكم، فبعث غالباً مولاً البعيد الصيت المعروف الشهامة، وأمده بكفاءة ذلك من الأموال والجنود، وأمره باستزال الأدارسة وإجازتهم إليه، وقال له: سر يا غالب مسيء من لا إذن له في الرجوع إلا حياً منصوراً أو ميتاً معدوراً. واتصل خبره بالحسن بن كنون فافرج عن مدينة البصرة واحتمل منها أمواله وحرمه وذخيرته إلى حجر النسر معقلهم القريب من سبطة، ونازله غالب بقصر مصمودة فاقتصلت الحرب بينهم أياماً.

ثم بث غالب المال في رؤساء البربر من غماره ومن معه من الجنود ففروا وأسلموه، والججز بقلعة جبل النسر ونازله غالب وأمده الحكم بعرب الدولة ورجال الثبور، وأجازهم مع وزيره صاحب التغر الأعلى يحيى بن محمد بن هاشم التجبي فيما معه من أهل بيته وحشمه سنة ثلاث وستين وثلاثمائة فاجتمع مع غالب على القلعة، واشتد الحصار على الحسن، وطلب من غالب الأمان فعقد له وتسلم الحصن من يده. ثم عطف على من بقي من

غمارة.

ووصلت أيامه إلى أن كانت دولة المراطبين، وتغلب يوسف بن تاشفين على مغراوة بفاس. ونجا فلهُم إلى بلد الدمنة من آخر بسيط المغرب بما يلي بلاد غماره، ونازلاًهم يوسف بن تاشفين سنة إحدى وسبعين وأربعين، ودعا الحاجب سكوت إلى مظاهرته عليهم، فهم بالأخياد وظاهرته على عدوه، ثم ثناه عن ذلك ابنه الفايل الرأي. فلما فرغ يوسف بن تاشفين من أهل الدمنة وأوقع بهم وافتتح حصن علودان من حصون غماره من ورائه، وانقاد المغرب لحكمه، صرف وجهه إلى سكوت فجهز إليه العساكر وعقد عليها للقائد صالح بن عمran من رجالات لتونة، فتبشرت الرعایا بقدتهم واتّالوا عليهم. وبلغ الخبر إلى الحاجب سكوت فاقسم أن لا يسمع أحداً من رعيته هدير طبوطم، ولحق هو بمدينته طنجة ثغر عمله. وقد كان عليه من قبله ابنه ضياء الدولة المعز، ويرز للقاهم فالتقى الجماع بظاهر طنجة وانكشفت عساكر سكوت، وطاحت رحى المراطبين وسالت نفسه على ظلامهم، ودخلوا طنجة واستولوا عليها، ولحق ضياء الدولة بسببة.

ولما تکالب الطاغية على بلاد الأندلس، وبعث ابن عباد صرخة إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين مستجزاً وعده في جهاد الطاغية والذب عن المسلمين، وكاتبته أهل الأندلس كافة اهتز إلى الجهاد، وبعث ابن المعز سنة ست وسبعين وأربعين في عساكر المراطبين إلى سببة فرضة الجزار، فنازلاًها برأ واخاطت بها أساطيل ابن عباد بحراً، واقتصرها عنوة. وتفقّض على ضياء الدولة، واقتيد إلى المعز فطالبه بالمال لإنحائه فاساه إيجابه فقتله لوقته، وعثر على ذخائره وفيها خاتم يحيى بن علي بن حمود. وكسب إلى أخيه بالفتح، وانقرضت دولة آل حمود واحتى أمر سلطانهم من بلاد غماره، وأقاموا في طاعة لتونة سائر أيامهم.

ولما نجم المهدى بالغرب واستفحلاً أمر الموحدين بعد مهلكه، تقل خليفته عبد المؤمن في بلادهم في غزاته الكبرى لفتح المغرب سنة سبع وثلاثين وما بعدها قبيل استيلائه على مراكش كما نذكره في أخبارهم، فوحدوا صفوهم، واتبعوا أمره ونازلاًها سببة في عساكره. وامتنعت عليهم، وتولى كبر امتناعها قاضيهم عياض الطائر الذكر رئيسهم لذلك العهد بدینه وأبنته وعلمه ومنصبه. ثم افتتح بعد فتح مراكش سنة إحدى وأربعين فكانت غماره هؤلاء السابقة التي رُعيت لهم سائر أيام الدولة.

ولما فشل أمر بي عبد المؤمن وذهب ريحهم، وكثُر الشوار بالقصاصية، ثار فيهم محمد بن محمد الكاتمي سنة خمس وعشرين، كان أبوه من قصر كتابة متقبضاً عن الناس وكان يتحل السيمية،

## الخبر عن دولة بنى حمود ومواليهم بسببة وطنجة وتصارييف من بعدهم

كانت الأدارسة لما أجلهم الحكم المستنصر عن العدوة إلى الشرق، ومحا أثرهم من سائر بلاد المغرب واستقامت غماره على طاعة المراوية، وأذعنوا لجند الأندلسيين، ورجع الحسن بن كرون لطلب أمرهم، فهلك على يد المنصور بن أبي عامر فانقرض أمرهم، وافتقرت الأدارسة في القبائل واتشروا في الأرض، ولاذوا بالاختفاء إلى أن خلعوا شارة ذلك النسب، واستحالوا صبغتهم منه إلى البداوة. ولحق بالأندلس في جلة البربرة من ولد عمر بن إدريس رجلان منهم وهما: علي والقاسم ابن حمود بن ميمون بن أحمد بن علي بن عبيد الله بن عمر بن إدريس، فطار لهم ذكر في الشجاعة والإقدام. ولما كانت الفتنة البربرية بالأندلس بعد انقراض الدولة العاميرية، ونصب البربرة سليمان بن الحكم ولقبوه المستعين، واختص به أبناء حمود هذان، وأحسنوا الغناء في ولابته، حتى إذا استول على ملكه بقرطبة وعقد للمغاربة الولايات، عقد لعلي بن حمود هذا على طنجة وأعمال غماره فنزلها وراجع عهده معهم فيها.

ثم انقض ودعا لنفسه وأجاز إلى الأندلس، وولي الخلافة بقرطبة كما ذكرناه فقد على عمله بطنجة لابنه يحيى، ثم أجاز يحيى إلى الأندلس بعد مهلك أخيه علي متنازعًا لعممه القاسم، واستقتل أخوه إدريس من بعده بولاية طنجة وسائر أعمال أخيه بالعدوة من مواطن غماره. ثم أجاز بعد مهلك أخيه يحيى مالقة فاستدعي رجال دولتهم، وعقد حسن ابن أخيه يحيى على عملهم بسببة وطنجة، وأنفذ بها الخادم معه ليكون تحت نظره واستبداده. ولما هلك إدريس واعتزم ابن بقنة على الاستبداد بالقلعة أجاز لها الخادم محسن بن يحيى من طنجة فملك مالقة ورتب أمره في خلافته ورجع إلى سببة. وعقد له حسن على عملهم في مواطن غماره حتى إذا هلك حسن أجاز نجاحاً إلى الأندلس بروم الاستبداد. واستختلف على العمل من وثق به من الموالي الصقالبة، فلم ينزل إلى نظرهم واحداً بعد آخر إلى أن استقتل بسببة وطنجة من موالى بي حمود هؤلاء الحاجب سكوت البرغواطي، وكان عبداً للشيخ حداد من مواليه اشتراه من سبي برغواطة في بعض أيام جهادهم. ثم صار إلى علي بن حمود فأخذت النجابة بضبعه إلى أن استقل بأمرهم واقتعد كرسى عملهم بطنجة وسببة، وأطاعته قبائل

**الخبر عن أهل جبال درن بال المغرب الأقصى**  
**من بطون المصامدة وما كان لهم من**  
**الظهور والأحوال ومبادئه أمورهم**  
**وتصاريفها**

هذه الجبال بقاسية المغرب من أعظم جبال المعمور بنا أعرق في الثرى أصلها وذبت في السماء فروعها، وملاة الجو هيأكلها، ومثلت سياجاً على ريف المغرب سطورها تبتدئ من ساحل البحر المحيط عند أسفى وما إليها، وتذهب في المشرق إلى غير نهاية. ويقال: إنها تنتهي إلى قبلة برقة من أرض برقة، وهي في الجانب مما يلي مراكش قد ركب بعضها بعضاً متالية على نسق من الصحراء إلى التل.

يسير الراكب فيه معرضاً من تامسنا وسواحل مراكش إلى بلاد السوس ودرعة من القبلة ثانية مراحل وأزيد، تفجرت فيها الأنهار، وجلل الأرض خمرُ الشعرا، ونكافت بينها ظلال الأدوار، وزكت فيها الزرع والضرع، وانفسحت مسارح الحيوان ومراتع الصيد، وطابت منابت الشجر، ودررت أناوقي الجباية يعمرها من قبائل المصامدة أمم لا يخصيمهم إلا خالقهم، قد اخندوا العاقل والخصون وشيدوا المبني والقصور واستغثوا بقطرهم منها عن سائر أقطار العالم، فرحل إليهم التجار من الآفاق، واختلفت إليهم أهل التواحي والأمصال، ولم يزالوا منذ أول الإسلام وما قبله معتمرين بتلك الجبال قد أوطنوا منها أقطاراً بل أقاليم تعددت فيها المالك والعمالات بتنوع شعوبهم وقبائلهم، وافتقرت أسماؤها بافتراق أحياتهم.

تنتهي ديارهم من هذه الجبال إلى ثنية المعدن المعروفة ببني فازان حيث تبتدئ مواطن صناعة ويخرون بهم كذلك من ناحية القبلة إلى بلاد السوس، وقبائل هؤلاء المصامدة بهذه المواطن كبيرة فعنهم: هرغة وهناته وتينمل وكديمة وكفيضة ووريكة وركراكة وزمزيرة ودكالة وحاجة وأصادن وبنو إزكيت وبنو ماكر وإيلانة ويقال هيلانة بالماء. ويقال أيضاً إن إيلان هو ابن بر، أشهر المصامدة فكانوا خلفاء لهم. ومن بطون أصادن: مسقاوة ومامغرس، ومن مسقاوة: دغاغة وريوطانان، ويقال: إن غمارة ورهون وأمول من أصادن والله أعلم.

ويقال: إن من بطون حاجة: زكن وولخص الظراعن الآن بأرض السوس أحلاماً لذوي حسان المتغلبين عليها من عرب المقل. ومن بطون كفيضة أيضاً قبيلة سكسية الموطدون بأمنع

ولقنه عنه ابنه محمد هذا. وكان يلقب أبا الطراجن فارتحل إلى سبعة ونزل على بني سعيد وادعى صناعة الكيمياء فاتبعه الغوغاء. ثم أدعى النبوة وشرع شرائع، وأظهر أنواعاً من الشعوذة فكثر تابعه. ثم اطلعوا على خبيثه وبندوا إليه عهده. وزحفت عساكر سبعة إليه فقر عنها، وقتله بعض البربر غيلة.

ثم غلب بني مرین على بسائط المغرب وأمصاره سني أربعين وستمائة، واستولوا على كرسى الأمر بمراكش سنة ثمان وستين وستمائة فامتنع قبائل غمارة من طاعتهم واستعصوا عليهم، واقاموا بمنجاة من الطاعة، وعلى ثبع من الخلاف، وامتنعت سبعة من ورائهم على ملوك بني مرین بسبب امتصاصهم وصار أمرها إلى الشورى، واستبد بها الفقيه أبو القاسم العزفي من مشيختهم، كما سذكر ذلك كله، إلى أن وقع بين قبائل غمارة والسلطان بالمغرب من بني مرین فأثارها طراعة.

ودخل الآخرون في الطاعة تلهم طرعاً أو كرهاً، فملك بني مرین أمرهم، واستعملوا عليهم، وتحطروا إلى سبعة من ورائهم فملکوا أمر العزفين سنة تسع وعشرين وسبعيناً على ما ذكره بعد عند ذكر دولتهم. وهم الآن على أحسن أحوالهم من الاعتزاز والكثرة يؤتون طاعتهم وجباتهم عند استقلال الدولة، ويرضون فيها عند تلتها بفشل أو شغل بخارج، فيجهز البعوث إليهم من الحضرة حتى يستقimوا على الطاعة، وهم بوعورة جبالهم عز ومنعة وجوار لنحق بهم من أغراض الملك، ومستأمني الخوارج إلى هذا العهد. ولبي يكم من بينهم الحظ الرافر من ذلك لأشراف جبلهم على سائرها وسموه بقلاعه إلى مجري السحب دونها وتوعر مسالكه بهبوب الرياح فيها. وهذا الجبل مطل على سبعة من غربتها ورئيسه منهم وصاحب أمره يوسف بن عمر وبنوه، وهم فيه عزة وثروة، وقد اخندوا به المصانع والغروس وفرض لهم السلطان بديوان سبعة العطاء، وأقطعهم بسيط طنجة الضياع والفنون استخلافاً لهم وحسماً لزيون سائر غماره بایتساس طاعتهم، والله الخلق والأمر بيده ملکوت السموات والأرض.

سفيان بن صفوان بن جابر بن عطاء بن رياح بن محمد من ولد سليمان بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب أخي إدريس الأكبر، الواقع نسب الكثير من بنيه في المصادمة وأهل السوس. كما ذكر ابن نجاشي في سليمان هذه، وأنه لحق بالغرب إثر أخيه إدريس، ونزل تلمسان وافتقر ولده في المغرب، قال: فمن ولده كل طالبي بالسوس، وقيل: بل هو من قرابة إدريس اللاحفين به إلى المغرب، وأن رياحاً الذي في عمود هذا النسب إنما هو ابن

يسار بن العباس بن محمد بن الحسن، وعلى الأمرين فإن نسبة الطالبي وقع في هرغة من قبائل المصادمة ووشجت عروقه فيهم، والتهم بعصيبيتهم فليس جلدتهم، وانتسب بنسبيتهم وصار في عدادهم. وكان أهل بيته أهل نسك ورباط. وشب محمد هذا قارئاً محباً للعلم، وكان يسمى أساقو، ومعناه الضياء لكثرة ما كان يسرح من القناديل بالمساجد للازمتها، وارتجل في طلب العلم إلى المشرق على رأس المائة الخامسة، ومر بالأندلس ودخل قرطبة وهي إذ ذلك دار علم. ثم أجاز إلى الإسكندرية وحج ودخل العراق ولقي

جلة من العلماء يومئذ وفعول النظار، وأفاد علمًا واسعًا وكان يحدث نفسه بالدولة لقمه على يده لما كان الكهان والهزاء يتعجبون ظهور دولة يومئذ بالمغرب، ولقي فيما زعموا أنها حامدة الغزالى، وفاوضه بذات صدره بذلك فأراده عليه لما كان فيه الإسلام يومئذ باقطار المغرب من اختلال الدولة وتقويض أركان السلطان الجامع للأمة القيم للملمة، بعد أن سأله عنمن له من العصابة والقبائل التي يكون بها الاعتزاز والمنع، وبشأنها يتسم أمر الله في درك البغي وظهور الدعوة. وانطلق هذا الإمام راجعاً إلى المغرب بحراً متوجراً من العلم، وشهاباً واريًا من الدين. وكان قد لقي بالشرق أئمة الأشعرية من أهل السنة وأخذ عنهم واستحسن طريقهم في الاتصال للعقائد السلفية والذب عنها بالحجج العقلية الدافعة في صدور أهل البدعة. وذهب إلى رأيهم في تأويل المشابه من الآئم وأحاديث بعد أن كان أهل المغرب بمعزل عن أتباعهم في التأويل والأخذ برأيهم فيه اقتداء بالسلف في ترك التأويل وإمار الشابهات كما جاءت، فطعن أهل المغرب في ذلك وحملهم على القول بالتأويل والأخذ بمذاهب الأشعرية في كافة العقائد، وأعلن برأيهم ووجوب تقليدهم والفتّ العقاد على رأيهم مثل المرشدة في التوحيد. وكان من رأيه القول بعصمة الإمام على رأي الإمامية من الشيعة، والفتّ في ذلك كتابه في الإمامية الذي افتحه بقوله: أعز ما يطلب، وصار هذا الفتّ لقباً على ذلك الكتاب، وأحل بطرابلس أول بلاد المغرب مقيناً بذهبه ذلك مظهراً التكير

المعاقل من هذه الجبال يطل جبلهم على بسيط السوس من القبالة وعلى ساحل البحر الخيط من المغرب، ولم ينعته معلقهم ذلك اعتزاز على أهل جلدتهم ذكره بعد. وكان هؤلاء المصادمة صدر الإسلام بهذه الجبال عدد وقوة وطاعة للدين ومخالفة لخواصهم برغواطه في خلقة كفرهم. وكان من مشاهيرهم كسير بن وسلام بن شملال بن أصادة، وهو جد يحيى بن يحيى راوي الموطأ عن مالك.

ودخل الأندلس وشهد الفتح مع طارق في آخرين من مشاهيرهم استقروا بالأندلس، وكان لأنعقتهم بها ذكر في الدولة الأموية. كان منهم قبل الإسلام ملوك وأمراء. و لهم مع لتونة ملوك المغرب حروب وفتن سائر أيامهم حتى كان اجتماعهم على المهدى وقيامهم بدعوته فكانت لهم دولة عظيمة أدادت من لتونة بالعدوين، ومن صنهاجة إفريقيية حسبما هو مشهور ونأتي الآن بذكره إن شاء الله.

### الخبر عن مبدأ أمر المهدى ودعوته وما كان للموحدين القائمين بها على يد بني عبد المؤمن من السلطان والدولة بالعدوين وإفريقياً وبداية ذلك وتصاريفه

لم يزل أمر هؤلاء المصادمة يجال درن عظيماً، وجاءتهم موفورة وبأسهم قرياً، وفي أخبار الفتح من حروفهم مع عقبة بن نافع وموسى بن نصير حتى نصير استقاموا على الإسلام ما هو معروف مذكور إلى أن أظلتهم دولة لتونة فكان أمرهم فيها مستفحلاً، و شأنهم على أهل السلطان والدولة مهمًا، حتى لقد اختطروا مدينة مراكش لنزلهم جوار مواطنهم من درن ليتمرسوا بهم وينزلوا من صعباتهم. وفي عنوان تلك الدولة على عهد علي بن يوسف منها نجم إمامهم العالم الشهير محمد بن تومرت صاحب دولة الموحدين المشهور بالهلي، أصله من هرغة من بطون المصادمة الذين عدّناهم يسمى أبواه عبد الله وتومرت، وكان يلقب في صغره أيضاً أمغار، وهو محمد بن عبد الله بن وجليد بن يامصال بن حزة بن عيسى فيما ذكره ابن رشيق وحققه ابن القطان. وذكر بعض مؤرخي المغرب أنه محمد بن تومرت بن تيطاوين بن سافلا بن مسيغون بن إيكليديس بن خالد.

وزعم كثير من المؤرخين أن نسبة في أهل البيت، وأنه محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن هود بن خالد بن قام بن عدنان بن

وتقول نسابتهم: إن فاسكات هو جد وانور الدين، ويقال هناتنة بسانتهم يعني بذلك كان يعرف عمر بيتي وسيأتي الكلام في تحقق نسبة عند ذكر دولتهم. ثم ارتحل المهدى عنهم إلى إيكيلين من بلاد هرغة، فنزل على قومه وذلك سنة خمس عشرة وخمسماة، وينى رابطة للعبادة واجتمعت إليه الطلبة والقبائل يعلمهم المرشدة والتوجيد باللسان البربرى. وشاء أمره في صحبته واستدرك رئيس الفتنة العلمية مجلس الأمير على بن يوسف وهو مالك بن وهب أغراه به، وكان جزءاً ينظر في النجوم وكان الكهان يتحدثون بأن ملكاً كائناً بالغرب لأمة من البربر وتغير فيه شكل السكة لقرآن بين الكوبكين العلويين من السيارة يقتضى ذلك في أحكامهم، وكان الأمير يتوقعها، فقال له: احتفظوا بالدولة من الرجل فإنه صاحب القرآن.

والدرهم المربع في كلام سسفاف بسجع سوقى يتناقل الناس نصه وهو: اجعل على رجله كبلة ليلاً يسمعك طلاً. وأظنه صاحب الدرهم المربع، فطلب عليه علي بن يوسف فتفقهه وسرح الخيالة في طلبه ففاته، ودخل عامل السوس، وهو أبو بكر بن محمد اللمنوني بعض هرغة في قتلها، ونذر بهم إخوانهم فقتلوا الإمام إلى معقل امتناعهم، وقتلوا من داخل في أمره. ثم دعا المصامدة إلى بيته على التوحيد، وقتال المجسمين دونه سنة خمسة عشر وخمسماة، فتقدم إليها رجالاتهم من العشرة وغيرهم. وكان فيهم من هناتنة أبو حفص عمر بن يحيى وأبو يحيى بن بكت يوسف بن وانور الدين وابن يغمور، ومن تينملل أبو حفص عمر بن علي أصناك وحمد بن سليمان وعمر بن تافراكن وعبد الله بن ملويات.

وأوعب قيلة هرغة فدخلوا في أمره كلهم، ثم دخل معهم كدميورة وكنيسة، ولما كملت بيته لقبه بالمهدى وكان لقبه قبلها الإمام. وكان يسمى أصحابه الطلبة، وأهل دعوته الموحدين، ولما تم له خسون من أصحابه سماهم آيت الخمسين. وزحف إليهم عامل السوس أبو بكر بن محمد اللمنوني بمكانتهم من هرغة، فاستجاشوا إخوانهم من هناتنة وتينملل فاجتمعوا إليهم وأقعوا ب العسكرية لتوينة فكانت مقدمة الفتاح. وكان الإمام بعدهم بذلك فاستتصروا في أمره، وتسابق كافتهم إلى الدخول في دعوته، وتزدلت عساكر لتوينة إليهم مرة بعد أخرى فقضوهم، وانتقل لثلاث سنين من بيته إلى جبل تينملل فأوطنه، وينى داره ومسجده بينهم حوالي منبع وادي نفيس.

وقاتل من تخلف عن بيته من المصامدة حتى استقاموا فقاتل أولًا هزرجة وأوقع بهم مراراً، ودانوا بالطاعة. ثم قاتل

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما استطاع، حتى لقى بسبب ذلك أذىيات في نفسه احتسبها من صالح أعماله. ولما دخل مجاهدة وبها يومئذ العزيز بن المنصور بن الناصر بن عثمان بن حماد من أمراء صنهاجة، وكان من المترفين فأغاظله ولأتباعه بالتكبير، وتعرض يوماً للتغير بعض المنكرات في الطريق، فخرجت بسيتها هيبة تكرها السلطان والخاصية واتسروا به، فخرج منها خافضاً ولحق بخلافة على فرسخ منها، وبها يومئذ بنو ورياساكل من قبائل صنهاجة. وكان لهم اعتزاز ومنعة، فأواروه وأجاروه وطالهم السلطان صاحب مجاهدة بإسلامه إليه فابدا وأسخطوه، وأقام بينهم يدرس العلم أيامًا.

وكان يجلس إذا فرغ على صخرة بقارعة الطريق قريباً من ديار ملالة، وهي لهذا العهد معروفة. وهناك لقبه كبير صحابته عبد المؤمن بن علي حاجاً مع عمه فاعجب بعلمه، وأنهى عزمه عن وجهه ذلك، وانحصر به وشعر للأخذ عنه، وارتحل المهدى إلى المغرب وهو في جنته ولحق بوانشريس، وصحبه منها البشير من جلة أصحابه، ثم لحق بتلمسان وقد تسامع الناس بخبره فحضره القاضي بها ابن صاحب الصلاة ووجهه على متاحله ذلك، وخلافه لأهل قطره، وظن أن العذل يزره عن ذلك، فقسم عن قوله، واستمر على طريقه إلى فاس، ثم إلى مكناسة ونهى بها عن بعض المناكر فأوقع به الشرار من الغراء. فأرجعوه ضرباً، ولحق برياش وآقام بها آخذًا في شأنه. ولقي علي بن يوسف في المسجد الجامع في صلاة الجمعة فروعظه وأغاظله القول. ولقي ذات يوم الصورة أخت علي بن يوسف حاسرة قاتعها على عادة قومها الملثمين في زي سانتهم فرمي بها، ودخلت على أخيها باكية لما نالها من تعریعه، ففاض الفقهاء في شأنه بما وصل إليه من شهرته. وكانوا ملئوا منه حسداً وحنينية لما كان يتحل منه الأشعري في تأويل المشابه وينكر عليهم جودهم على منهيب السلف في إمارته كما جاء، ويرى أن الجمهور لقنه تمسيناً، وينهيب إلى تكفيرون بذلك أحد قول الأشعري في التكبير بمال الرأي فاغروا الأمير به وأحضره للمناظرة معهم فكان له الفتح والظهور عليهم، وخرج من مجلسه ونذر بالشر منهم فلحق من يومه بأغمات، وغير المناكر على عادته وأغرى به أهلها علي بن يوسف وطيروا إليه بخبره فخرج عنها هو وتلاميذه الذين كانوا في صحابته، ودعا إسماعيل بن إيكيل من أصحابه ماتين من المجاد فرمي، وخرج به إلى مناجة من جبال المصامدة، ولحق أولاً بمسفية، ثم بهناتنة. ولقبه من أشياخهم عمر بن يحيى بن محمد بن وانور الدين بن علي، وهو أبو حفص ويعرف بيته بين هناتنة يبني فاسكات.

المؤمن، وتولى كبر ذلك الشيخ أبو حفص، وأراد هتاتة وسائر المصامدة عليه فأظهروا للناس موت المهدى، وعهده لصاحبه وانتقاد بقية أصحابه لذلك.

وروى يحيى بن يغمور عن الإمام أنه كان يقول في دعائه إثر صلواته: «اللهم بارك في الصاحب الأفضل» فرضي الكافة وانقادوا وأجعوا على بيته بمدينة تيميل ستة أربع وعشرين وخمسة قفاص بأمر الموحدين وأبعد في الغزوات فصبح تادلا، وأصاب منهم. ثم غزا درعة واستول عليها ستة عشرين وخمسة، ثم غزا تاشعيوت وافتتحها وقتل إليها أبي بكر بن مزروال ومن كان معه من قومه غماره بني ونام وبني مزروع.

ثم ت سابق الناس إلى دعوتهم أفواجاً، وانتقض البرابر في سائر أقطار المغرب على لتونة، وسرّح علي بن يوسف ابنه تاشفين لقتلهم سنة ثلات وثلاثين فجاءهم من ناحية أرض السوس، واحتشد معه قبائل كزولة وجعلهم في مقدمته، فلقاهم الموحدون بأوالئ جبلهم وهزموهم، ورجع تاشفين ولم يلق حريراً، ودخل كزولة من بعدها في دولة الموحدين، وأجمع عبد المؤمن على غزو بلاد المغرب، فغزا غزاته الطويلة متذكرة ستة أربع وثلاثين وخمسة إلى سنة إحدى وأربعين وخمسة ولما راجع فيها تيميل حتى إذا انقضت بالفتح والاستيلاء على المغاربة، خرج إليها من تيميل، وخرج تاشفين بعساكره يحاذيه في البسيط، والناس يفرون منه إلى عبد المؤمن وهو يتقل في الجبال في سعة من الفراكه للأكل والخطب للدفء، إلى أن وصل إلى جبال غمار، واشتعلت نار الفتنة والغلاء بالغرب، وامتنعت الرعايا من المغرم واللح الطاغية على المسلمين بالعدوة.

وهلك خلال ذلك علي بن يوسف أمير لتونة وملك العدوزين سنة سبع وثلاثين وخمسة، وولي أمرهم تاشفين ابنه، وهو في غزاته هذه، وقد أحبط به. وحدث بعد أيام فتنة بين لتونة ومسوفة، ففرّع أمراء مسوفة مثل برّاز بن محمد ويحيى بن تاكفت ويحيى بن إسحاق المعروف بانكمار، وكان على تلمسان، ولحقوا بعد المؤمن فيهم إلى لهم من الجملة، ودخلوا في دعرته، ونبذ إليهم لتونة العهد، وإلى سائر مسوفة، واستمر عبد المؤمن على حاله فنازل سبعة وامتنع عليه، وتولى كبر دفاعه عنها القاضي عياض الشهير الذكر، كان رئيسها يومئذ بدينه وأبوته ومنصبه، ولذلك سخطه الدولة آخر الأيام حتى مات مغرياً عن سبعة بتادلا مستعملاً في خطبة القضاء بالبادية، وقادى عبد المؤمن في غزاته إلى جبال غيانة وبطورة فافتتحها، ثم نزل ملوية فافتتح حصونها. ثم تحطى إلى بلاد زناتة فاطاعته قبائل مدionate، وكان بعث إليهم

هسكورة ومعهم أبو درقة اللمنوني فغلبهم وقتل فاتّبه بنو وازكيت، فأوقع بهم الموحدون وأخنعوا فيهم قتلاً وأسراً. ثم غزا بلد عجمادة وكان قد افتحه وترك فيه الشيخ أبي محمد عطيه من أصحابه فدروا به وقتلوه فغزاهم واستباحهم. ورجع إلى تيميل وأقام بها إلى أن كان شأن البشير وميز الموحد من المناق، وكانوا يسمون لتونة الخشم فاعتزم على غزورهم، وجمع كافة أهل دعوره من المصامدة، وزحف إليهم فلقوه بكل، وهزّهم الموحدون واتبعوهم إلى أغمات فلقاهم هناك ذحروف لتونة مع بكر بن علي بن يوسف وإبراهيم بن تاعب استفت هزّهم الموحدون، وقتل إبراهيم واتبعوهم إلى مراكش، فتلوا البحيرة في زهاء أربعين ألفاً كلهم رجل إلا أربعمائة فارس.

واحتفل علي بن يوسف في الاحتشاد وبرز إليهم لأربعين من نزولهم عليه خرج عليهم من باب إيلان فهزّهم وأخنخ فيهم قتلاً وسبياً، وفقد البشير من أصحابه. واستحرر القتل في هيلانة، وألبى عبد المؤمن في ذلك اليوم أحسن البلاء. وكانت وفاة المهدى لأربعة أشهر بعدها، وكان يسمى أتابعه بالموحدين تعرضاً بلتونة في أخذتهم بالعدول عن التأول وميلهم إلى التجسيم، وكان حصوراً لا يأتي النساء، وكان يلبس العباءة المرقة، وله قدم في التقشف والعبادة، ولم تحفظ عنه فلتة في البدعة إلا ما كان من وفاته الإمامية من الشيعة في القول بالإمام المقصوم.

## الخبر عن دولة عبد المؤمن خليفة المهدى والاختلاف الأربعة من بيته ووصف أحواهم

### ومصائر أمورهم

لام هلك المهدى سنة اثنين وعشرين وخمسة كما ذكرناه وقد عهد بأمره من بعده لـ<sup>كبير</sup> أصحابه عبد المؤمن بن علي الكومي المقدم ذكره، ونسبه عند ذكر قومه، فقبل بمسجده لصق داره من تيميل. وخشي أصحابه من افتراق الكلمة وما يتوقع من سخط المصامدة ولالية عبد المؤمن لكونه من غير جلدتهم، فارجوا الأمر إلى أن تختلط بشاشة الدعوة قلوبهم، وكتموا موته، زعموا ثلاثة سنين يموهون بمرضه، ويقيسون سنته في الصلاة والحزب الراتب، ويدخل أصحابه إلى البيت كأنه اختصهم بعبادته، فيجلسون حفافي قبره ويتغافلون في شؤونهم محضر أخته زينب ثم يخرجون لإنفاذ ما أبرموه، ويتولاه عبد المؤمن بتلقينهم حتى إذا استحكم أمرهم ومحكت الدعوة من نفوس كاففهم كشفوا حيثذا القناع عن حالمهم، وحالاً من يقى من العشرة على تقديم عبد

عسكرًا من الموحدين لنظر يوسف بن وانودين وابن يرمور فخرج إليهم محمد بن يحيى بن فانوا عامل تلمسان فيمن معه من عساكر لتونة وزنانة فهزمهم الموحدون وقتل ابن فانوا وانقض عسكر زنانة، ورجعوا إلى بلادهم.

ووفد على عبد المؤمن برؤسائهم، وكان منهم سيد الناس ابن أمير الناس شيخ بنى يلومي فلتقاهم بالقبول، وسار في جموع الموحدين إلى وهران فجعوا لتونة بمعسكرهم فقضوههم، ولما تاشفين إلى راية هناك فأخذوا بها وأضروا النيران حوالها حتى غشيمهم الليل، فخرج تاشفين من الحصن راكباً على فرسه، فترى من بعض حفافات الجبل، وهلك لسيع وعشرين من رمضان سنة تسع وثلاثين وخمسة، وبعث برأسه إلى تيملل، ونجا فل العسكري إلى وهران فاخصرروا مع أهلها حتى جدهم العطش ونزلوا جميعاً على حكم عبد المؤمن يوم الفطر من تلك السنة. وببلغ خبر مقتل تاشفين إلى تلمسان مع فلانة وفيهم أبو بكر بن ولحف وسير بن الحاج وعلى بن فيلو في آخرین من أعيانهم، فقر معهم من كان بها من لتونة. وقدم عبد المؤمن قتيل من وجد بتساكرارت بعد أن كانوا بعثوا ستين من وجدهم، فلقاهم يصلون من مشيخة بنى عبد الواد فقتلتهم جميعاً.

ولما وصل عبد المؤمن إلى تلمسان استباح أهل تاكرارت لما كان أكثرهم من المشرق، وعفا عن أهل تلمسان، ورحل عنها سبعة أشهر من فتحها بعد أن ولّى عليها سليمان بن محمد بن وانودين، وقيل: يوسف بن وانودين. وفيما نقل بعض المؤرخين أنه لم يزل محاصراً تلمسان والفتح تردد عليه، وهناك وصلته بيعة سجلماسة. ثم اعتزم على الرحيل إلى المغرب، وتترك إبراهيم بن جامع محاصراً لتلمسان، فقصد فاس سنة إحدى وأربعين وخمسة وقد تحصن بها يحيى الصحاوي ولحق بها من قل تاشفين من تلمسان فنازلا عبد المؤمن، وبعث عسكراً لمحصار مكناسة، ثم رحل في اتباعه وتترك عسكراً من الموحدين على فاس، وعليهم الشيخ أبو حفص وأبو إبراهيم وصحابة المهدى العشرة، فحاصروها سبعة أشهر.

ثم دخلهم ابن الجياني مشرف البلد وأدخل الموحدين ليلاً، وفرَّ الصحاوي إلى طنجة، وأجاز منها إلى ابن غانية بالأندلس، وببلغ خبر فاس إلى عبد المؤمن وهو يكأنه من حصار مكناسة، فرجع إليها ولّى عليها إبراهيم بن جامع ولّى على حصار مكناسة يحيى بن يغمور، ورحل إلى مراكش وكان إبراهيم بن جامع لما افتتح تلمسان ارتحل إلى عبد المؤمن وهو محاصر لفاس فاعترضه في طريقه المخصب بن عسكر أمير بنى مرین باکرسیف

وولى ابن تاشفين على تلمسان أبا بكر بن مزدي، ووصل إلى عبد المؤمن يمكنه من الريف أبو بكر بن ماخوخ ويوسف بن يدر أمراء بنى ومانوا، فبعث معهم ابن يغمور وابن وانودين في عساكرهم من الموحدين، فائخرنا في بلاد بنى عبد الواد، وبيني باجدي سبياً وأسرأ، وأمدتهم عساكر لتونة ومعهم الزبرتير قائد الروم ونزلوا متداش، واجتمعوا عليهم زنانة في بنى يلومي وبيني عبد الواد، وشيخهم حامة بن مطهر، وبيني ينكسن وبيني ورسيفان وبيني توجين، فأوقعوا بيني ومانوا واستنقذوا غنائمهم من أيديهم، وقتلوا أبا بكر بن ماخوخ في سمتانة من قومه، وتحصّن الموحدون وابن وانودين بجبل سيرات، ولحق تاشفين بن ماخوخ بعد المؤمن صريحاً على لتونة وزنانة، فارتحل معه إلى تلمسان. ثم أجاز إلى سيرات وقصد محلة ملدونة وزنانة، فأوقع بهم ورجع إلى تلمسان فنزل ما بين الصخرتين من جبل بنى ورنيد.

ونزل تاشفين باصطئصف ووصل مده صنهاجة من قبل يحيى بن العزيز صاحب مجایة لنظر طاهر بن كباب من قواده، أمدوا به تاشفين وقومه لعصيبة الصنهاجة. وفي يوم وصوله أشرف على عساكر الموحدين، وكان يبدل بإقادم وبأس فزارى بلتونة وأميرهم لتعودهم عن مناجزة الموحدين، وقال: إنما جتكم لأمكتم من صالحكم عبد المؤمن هذا، وأرجع إلى قومي، فامتضى تاشفين لكلمته وأذن له في المناجزة، فحمل على القوم فركبا وصمموا للقاء، فكان آخر العهد به وبعسكره. وكان تاشفين بعث من قبل ذلك قائده على الروم الزبرتير في عساكر ضخم كما قلناه، فاغار على بنى سنوس وزنانة الذين كانوا في بيطهم ورجع بالغناائم فاعترضه الموحدون من عساكر عبد المؤمن فقتلهم، وقتل الزبرتير وصلب.

ثم بعث بعثاً آخر إلى بلاد بنى ومانوا، فلقاهم تاشفين بن ماخوخ ومن كان معه من الموحدين وأوقعوا بهم. واعترضوا عساكر مجایة عند رجوعهم فنالوا منهم أعظم النيل.

وتواترت هذه الواقع على تاشفين فأبْعَجَ الرحلة إلى وهران، وبعث ابنه إبراهيم ولي عهده إلى مراكش في جماعة من لتونة، وبعث كتاباً معه أحد بن عطية، وحل هو إلى وهران سنة تسع وثلاثين وخمسة فآقام عليها شهراً يتظاهر قائد أسطوله محمد بن ميمون إلى أن وصله من المية عشرة أساطيل، فراسها قريباً من

عليه في طريقه، واعتذر فلم يقبل عذرها وقتل. وكان ابنه أحمد كاتباً لإسحاق بن علي براكنش فشمله غفو السلطان فيمن شمله من ذلك الفيل، وخرج في جملة الشيخ أبي حفص في وجهه هذه وطلبه لكتاب في ذلك، فأجاده واستحسن كتابه عبد المؤمن لما وقف عليه فاستكتبه أولاً. ثم ارتفع عنده مكانه فاستوزره، وبعد في الدولة صيته، وقاد العساكر وجمع الأموال وبذلها، ونال من الرتبة عند السلطان مالم يبلغ أحد في دولتهم إلى أن دبت عقارب السعاية إلى مهاده الوثير، فكان فيها حتفه، ونكبه الخليفة سنته ثلاث وخمسين وخمسماة وقتله بمحبسه حسبما هو مشهور.

ولما انصرف الشيخ أبو حفص من غزوة ماسة أراح براكنش أيامًا. ثم خرج غازياً إلى القائرين بدعة الملاسي بجبل درن، فارق عباد نفيس وهيلانة وأثخن فيهم بالقتل والسي حتى أذعنوا بالطاعة ورجع، ثم خرج إلى هسكورة وأوقع بهم وافتتح معاقلهم وحصونهم، ثم نهض إلى سجلamasة فاستولى عليها ورجع إلى براكنش، ثم خرج ثالثة إلى برغواطة فحاربوا مدة ثم هزموا، واضطربت نار الفتنة بالغرب، وانتقض أهل سبطة، وأخرجوا يوسف بن خلوف التيميلي وقتلوه ومن كان معه من الموحدين، وأجاز القاضي عياض البحر إلى يحيى بن علي ابن غانية المسروفي الراوي بالأندلس، فلقيه بالحضراء وطلب منه والياً على سبطة فبعث معه يحيى بن أبي بكر الصحاوي الذي كان بفاس منذ منازلة عبد المؤمن لها. وذكرنا أنه لحق بقطبة فجاز البحر إلى الأندلس ولحق بابن غانية بقرطبة وصار في جملته.

وبعد ابن غانية إلى سبطة مع القاضي عياض كما ذكرناه. وقام بأمرها ووصل يده بالقبائل الناكحة لطاعة الموحدين من برغواطة ودكالة على حين هزيمتهم للموحدين كما ذكرناه. ولحق بهم من مكانه سبطة وخرج إليهم عبد المؤمن بن علي سنته اثنين وأربعين وخمسماة فدخل بلادهم واستأصل شأفتهم حتى انقادوا للطاعة وتبرأوا من يحيى الصحاوي ولتوته، ورجع إلى براكنش لستة أشهر من خروجه، ووصلته المرعية من مشيخة القبائل في يحيى الصحاوي فعفا عنه وصلحت أحوال المغرب. وراجع أهل سبطة طاعتهم فقبل منهم، وكذلك أهل سلا فصفح لهم وأمر بهدم سورهم.

## فتح الأندلس وشُؤونها

ثم صرف عبد المؤمن نظره إلى الأندلس، وكان من خبرها أنه انصل بالملتحمين مقتل تاشفين بن علي، ومنازلة الموحدين مدينة

ونالوا منه ومن رفقته، فكتب عبد المؤمن إلى يوسف بن واتردين عامل تلمسان أن يجهز إلهم العساكر، فبعثها صحبة عبد الحق بن منقاد شيخ بني عبد الواحد، فأوقعوا ببني مرین وقتل المخسب أميرهم.

ولما ارتحل عبد المؤمن من فاس إلى براكنش وصلته في طريقه بيعة أهل سبطة، فولى عليهم يوسف بن خلوف من مشيخة هتناته، ومر على سلا فافتتحها بعد مواجهة قليلة، ونزل منها بدار ابن عشرة، ثم تمادي إلى براكنش وسرح الشيخ أبي حفص لغزو برغواطة فأثخن فيهم ورجع. ولقيه في طريقه ووصلوا جميعاً إلى براكنش وقد ضموا إليها جموع لطمة، فأوقع بهم الموحدون وأثخنوا فيهم قتلاً، واقتحوأ أنواههم وظعائهم، وأقاموا على براكنش تسعة أشهر وأميرهم إسحاق بن علي بن يوسف، بایعوه صبياً صغيراً عند بلوغه خبر أبيه، ولما طال عليهم الحصار وجههم الجموع بربوا إلى مدافعة الموحدين، فانهزموا وتبعموا بالموحدون بالقتل، واقتحوأ عليهم المدينة في آخريات شوال سنة إحدى وأربعين وخمسماة وقتل عامدة الملتحمين، وبغا إسحاق في جملته وأعيان قومه إلى القصبة حتى نزلوا على حكم الموحدين، وأحضر إسحاق بين يدي عبد المؤمن قتله الموحدون بآيديهم وتولى كبير ذلك أبو حفص بن واتر الدين منهم وأعلى أمر الملتحمين واستولى الموحدون على جميع البلاد المغرب.

ثم خرج عليهم بناية السوس ثانية من سوق سلا يعرف محمد بن عبد الله بن هود وتلقب بالهادي، وظهر في رباط ماسة، فأنقلب إليه الشزاد من كل جانب، وانصرف إلى وجه الأغمار من أهل الأفاق وأخذ بدعوته أهل سجلamasة ودرعة وقبائل دكالة وركراكة وقبائل تامسنا وهرارة، وفشت ضلالته في جميع المغرب، فسرح إليه عبد المؤمن عسكراً من الموحدين لنظر محبي أنكمار اللمنوني النازع إليه من إيلاء تاشفين بن علي. ولقي هذا الشائر المأسى، ورجع مهزوماً إلى عبد المؤمن فسرح الشيخ أبي حفص عمر بن يحيى وأشياخ الموحدين، واحتفل في الاستعداد فنهضوا إلى رابطة ماسة، ويرز إليهم الشائر في نحو ستين ألفاً من الرجال وسبعيناً من الفرسان، فهزمه الموحدون، وقتل داعيهم في المعركة مع كثرة أتباعه، وذلك في ذي الحجة سنة إحدى وأربعين وخمسماة وكتب الشيخ أبو حفص بالفتح إلى عبد المؤمن من إنشاء أبي جعفر بن عطية الشهير الذكر، كان أبوه أبو أحمد كاتباً لعلي بن يوسف وابنه تاشفين، وتحصل في قبضة الموحدين فعفا عنه عبد المؤمن.

ولما نزل على فاس اعتزم أبو أحد هذا على الفرار فتقبض

فاس، وكان علي بن عيسى ميمون قائد أسطولهم قد نزع طاعة لتوة وانتزى بجزيرة قادس، فلحق بعد المؤمن بمكانه من حصار قادس، ودخل في دعوته وخطب له جامع قادس أول خطبة خطبت لهم بالأندلس عام أربعين وخمسة، وبعث أحد بن قيسى صاحب مرتبة مقيم الدعوة بالأندلس أبا بكر بن حبيب رسولًا إلى عبد المؤمن فلقيه على تلميذه وأدى كتاب صاحبه فانكر ما تضمنه من النعت بالمهدي، ولم يحابه. وكان سدراتي بن وزير صاحب بطليوس وباجة وغرب الأندلس قد تغلب على أحد بن قيسى هذا، وغلبه على مرتبة فاجاز أحد بن قيسى البحر إلى عبد المؤمن من بعد فتح مراكش لمداخلة علي بن عيسى بن ميمون وزمل بسبته، فجهزه يوسف بن خلوف، ولحق بعد المؤمن، ورغبه في ملك الأندلس، وأغاره بالملتحقين فبعث معه عساكر الموحدين لنظر براز بن محمد المسوفي الناظر إلى عبد المؤمن من جلة تاشفين، وعقد له على حرب من بها من لتوة والثار وأمده بعسكر آخر لنظر عمر بن صالح الصنهاجي، ولما أجازوا إلى الأندلس نازلوا أبا الغمر بن عزرون من الثوار بشريش، وكانت له مع رند.

ثم قصدوا لبلة وبها من الثوار يوسف بن أحد البطروجي فأعطاهم الطاعة، ثم قصدوا مرتبة، وهي تحت الطاعة لتوحيد صاحبها أحد بن قيسى، ثم قصدوا شبّل فافتتحوها، وأمكروا منها ابن قيسى. ثم همّوا إلى باجة وبطليوس فاطاعهم صاحبها سدراتي بن وزير. ثم براز في عسكر الموحدين إلى مرتبة حتى انصرم فصل الشتاء فخرج إلى متازلة إشبيلية فاطاعه أهل طليطلة وحسن القصر، واجتمع إليه سائر الشوار وحاصروا إشبيلية برأ وبحراً إلى أن افتتحوها في شعبان من سنة إحدى وأربعين وخمسة وفر المثلثون بها إلى قرمونة وقتل من أدرك منهم. وأتى القتل على عبد الله ابن القاضي أبي بكر بن العربي في هيبة تلك الدخلة من غير قصد. وكثروا بالفتح إلى عبد المؤمن بن علي. وقدم عليه وفدهم مراكش بقدتهم القاضي أبو بكر فقبل طاعتهم وانصرفوا بالجواز والإقطاعات لجميع الوفد سنة اثنين وأربعين وخمسة.

وذلك القاضي أبو بكر في طريقه ودفن بمقدمة فاس. وكان عبد العزيز وعيسى أخوا المهدي من مشيخة العسكر بإشبيلية فباء أثرهما بالبلد واستطالت أيديهما على أهله، واستباحوا الدماء والأموال. ثم اعتزما على الفتنه بيوسف البطروجي صاحب لبلة، ولهم عزرون صاحب شريش ورندة وابن الحجام صاحب بطليوس، وعامل بن مهيب صاحب طليطلة، وتختلف ابن قيسى كانوا بالعدوة وارتدى ابن قيسى في مدينة شبّل، وعلى بن عيسى

السيد أبي سعيد واستوزر له محمد بن سليمان. وعلى بجایة للسيد أبي محمد عبد الله واستوزر له مختلف بن الحسين، واختص ابنته عبد الله بولاية عهده. وتغير بذلك كله ضمائر عبد العزيز وعيسى أخرى المهدى فلحقاً بـمراكش مصريين الغدر وأدخلوا بعض الأوغاد في شانهم فوثبوا بعمر بن تافراكت وقتلوه بمكانه من القصبة. ووصل على أثرهما الوزير أبو جعفر بن عطية وعبد المؤمن على أثره فاطنوا نار تلك الثورة وقتل أخوا المهدى ومن داخلهم فيها والله أعلم.

### بقية فتح الأندلس

وبلغه بـمراكش سنة تسعة وأربعين وخمسة وسبعين يحيى بن يغمور صاحب إشبيلية قتل أهل بلبة بما كان من غدر الوهبي لها. ولم يقبل معدتهم في ذلك فسخط يحيى بن يغمور وعزله عن إشبيلية بأبي محمد عبد الله بن أبي حفص بن علي التينمالي، وعن قرطبة بأبي زيد بن بكيت، وبعث عبد الله بن سليمان فجاء بابن يغمور معتقلًا إلى الحضرة، وألزمته منزلة إلى أن بعثه مع ابنه السيد أبي حفص إلى تلمسان واستقام أمر الأندلس. وخرج ميمون بن بدر اللمنوني عن غرناطة للموحدين فملوكها، وأجاز إليها السيد أبو سعيد صاحب سبعة بعده أبيه عبد المؤمن إليه بذلك، ولحق المثلثون بـمراكش، ونال السيد أبو سعيد مدينة المرية حتى نزل من كان بها من النصارى على الأمان. وحضر لذلك الوزير أبو جعفر بن عطية بعد أن أدمغهم ابن مرديني الشائز بشرق الأندلس والطاغية معه، وعجزوا جميعاً عن المدافعة. ثم وفدت أشياخ إشبيلية سنة إحدى وخمسين وخمسة وسبعين من المدافع. ثم سرت الأندلس والطاغية معه، ورغبوا من عبد المؤمن ولاية بعض أبنائه عليهم، فعقد لابنه السيد أبي يعقوب عليهما وافتتح أمره بمباشرة علي الوسيبي الشائز بطريرقة ومعه الوزير أبو جعفر بن عطية حتى استقام على الطاعة. ثم استولى على عمل ابن وزير وابن قيسى، واستنزل تاشفيني اللمنوني من مرتبة سنةاثنتين وخمسين وخمسة وكان الذي أمكن الملتحقين منها ابن قيسى واستقام الفتح. ورجع السيد إلى إشبيلية واصرخ أبو حفص بن عطية إلى مراكش فكانت فيها نكبة ومقتلة. واستوزر عبد المؤمن من بعده عبد السلام الكومي، كان يمت إلى بذمة صهر فلم ينزل على وزارته.

### بقية فتح أفريقية

ما بلغ عبد المؤمن سنة ثلاثة وخمسين وخمسة ما كان من

وأهل شلب عن هذا الجمع فكان سبباً لقتله من بعد. ورجع عبد المؤمن إلى مراكش واصرخ أهل الأندلس إلى بلادهم واستصحب الثوار فلم يزالوا مجضرته.

### فتح أفريقية وشُؤونها

ثم بلغ عبد المؤمن ما هي عليه أفريقية من اختلاف الأمراء واستطالة العرب عليها بالعبيث والفساد، وأنهم حاصروا مدينة القبروان، وأن موسى بن يحيى الرياحي المرادي دخل مدينة باجة وملكها، فاجمع الرحلة إلى غزو إفريقية بعد أن شاور الشیخ إبأ حفص وأبا إبراهيم وغيرهما من المشيخة فوافقوه. وخرج من مراكش في أواخر سنة ست وأربعين وخمسة موسمياً بالجهاد حتى انتهى إلى سبتة واستوضع أحوال أهل الأندلس، ثم رحل عن سبتة مورياً بـمراكش، وأخذ السير إلى بجایة فدخل الجزائر على حين غفلة، وخرج إليه الحسن بن علي صاحب المهدية، فصحبه وأعترضته جيوش صنهاجة بأم العلو فهزمه وصبح بجایة من الغد فدخلتها. وركب يحيى بن العزيز البحر في أسطولين كان أحدهما لذلك، واحتل فيها ذخائره وأمواله والحق بقسطنطينة إلى أن نزل بعد ذلك عنها على أمان عبد المؤمن. واستقر بـمراكش تحت الحرابة والعناية إلى أن هلك رحمة الله.

ثم سرّح عبد المؤمن عساكر الموحدين وعليهم ابنه عبد الله إلى القلعة، وبها جوش بن العزيز في جموع صنهاجة فاتحها واستلهم من كان بها منهم، وأضمرم النار في مساكنها وقتل جوشن ويقال: إن القتل بها كانوا ثمانية عشر ألفاً وامتلات أيدي الموحدين من الغنائم والسي، وبلغ الخبر إلى العرب بإفريقية من الأثبي وزغبة ورياح وقسنة فعسكلوا بظاهر باجة، وتأمروا على الدفاع عن ملتهم يحيى بن العزيز، وارتملوا إلى سطيف وزحف إليهم عبد الله بن عبد المؤمن في الموحدين الذين معه، وكان عبد المؤمن قد قفل إلى المغرب وزلل متوجه، فلما بلغه الخبر بعث المدد لابنه عبد الله، والنقي الفريقيان بسطيف واقتلون ثلاثة، ثم انقضت جموع العرب واستلهموا وسيط نساوهم واكتسحت أموالهم وأسر أبناءهم.

ورجع عبد المؤمن إلى مراكش سنة سبع وأربعين وخمسة وسبعين ووفد عليه كبار العرب من أهل إفريقية طائعين فوصلهم، ورجعوا إلى قومهم. وعقد على فاس لابنه السيد أبي الحسن، واستوزر له يوسف بن سليمان، وعقد على تلمسان لابنه السيد أبي حفص واستوزر له أبا محمد بن واندريس، وعلى سبعة لابنه

وقدم السيد أبو سعيد فجاز البحر ولقيه عامل إشبيلية عبد الله بن أبي حفص بن علي، ونهضوا جميعاً إلى غرناطة، فنهض إليهم ابن همشك وهزمهم. ورجع السيد أبو سعيد إلى مالقة، وردهه عبد المؤمن بأخيه السيد أبي يعقوب في عساكر الموحدين، ونهضوا إلى غرناطة وكان قد وصلها ابن مردينيش في جموع من النصارى مددًا لابن همشك، فلقيهم الموحدون بفحص غرناطة وهزموه، وفر ابن مردينيش إلى مكانه من المشرق، ولحق ابن همشك بجيشه فتازله الموحدون، وارتحل السيدان إلى قرطبة فأقاما بها إلى أن استدعى السيد أبو يعقوب مراكش سنة ثمان وخمسين وخمسة لولاية العهد والإدالة به من أخيه محمد، فلحق مراكش وخرج في ركاب أخيه الخليفة عبد المؤمن لما نهض للجهاد. وأدركه المنية بسلا في جمادى الآخرة من هذه السنة ودفن بتينملل إلى جانب المهدى والله أعلم.

### دولة الخليفة يوسف بن عبد المؤمن

لما هلك عبد المؤمن أخذ البيعة على الناس السيد أبو حفص لأخيه أبي يعقوب باتفاق من الموحدين كافة، ورضأ من الشيخ أبي حفص خاصة، واستقل في رتبة وزارته ورجعوا إلى مراكش وكان السيد أبو حفص هذا وزيراً لأبيه عبد المؤمن، استوزره عند تكية عبد السلام الكومي، فرجعه من أفريقيا سنة خمس وخمسين وخمسة وسبعين. وكان أبو علي بن جامع متصرفاً بين يديه في رسم الوزارة إلى أن هلك عبد المؤمن فأخذ أبو حفص البيعة لأخيه أبي يعقوب. ثم هلك إثر وفاة عبد المؤمن ابنه السيد أبو الحسن صاحب فاس والسيد أبو محمد صاحب مجاهة في طريقه إلى الحضرة. ثم استقدم أبو يعقوب السيد أبو سعيد من غرناطة سنة ستين وخمسة قدم ولقيه السيد أبو حفص بسبتة.

ثم سرح الخليفة أبو يعقوب معه أخيه السيد أبو حفص إلى الأندلس في عساكر الموحدين لما بلغه من إخراج ابن مردينيش على قرطبة، بعد أن احتشد معه قبائل العرب، زغبة ورياح والأنجق، فأجاز البحر وقصد ابن مردينيش، وقد جمع جوعه وأولياءه من النصارى، ولقيتهم عساكر الموحدين بفحص مرسية، فانهزم ابن مردينيش وأصحابه وفر إلى مرسية من سبتة، ونازله الموحدون بها ودواخوا نواحيه. وانصرف السيد أبو حفص وأخوه أبو سعيد سنة إحدى وستين وخمسة إلى مراكش، وحدث نار الفتنة من ابن مردينيش. وعقد الخليفة على مجاهة أخيه السيد أبي زكريا، وعلى إشبيلية للشيخ أبي عبد الله بن إبراهيم. ثم أدار عنه بأخيه السيد

إيقاع الطاغية بابنه السيد أبي يعقوب بظاهر إشبيلية، ومن استشهد من أشياخ الموحدين وحافظاتهم، ومن الثوار مثل ابن عزرون وابن الحجام، نهض يريد الجهاد، وأحتج سلا، فبلغه انتقاض أفريقيا، وأهمه شأن النصارى بالمهدية، فلما توافت العساكر بسلا استخلف الشيخ أبي حفص على المغرب، وعقد ليوسف بن سليمان على مدينة فاس، ونهض يغزو السير حتى نزل المهدية وبها من نصارى أهل صقلية، فافتتحها صلحًا سنة خمس وخمسين وخمسة واستقد جميع البلاد الساحلية مثل صفاقس وطرابلس من أيدي العدو.

وبعث ابنه عبد الله من مكان حصاره للمهدية إلى قابس فاستخلاصها من يد بي كامل المغلعين عليها من دهمان، بعض بطون رياح. واستخلاص قصبة من يد بي الورد، وورغة من يد بي بروكسن، وطبرقة من يد ابن علال، وجبل زغوان من يد بي حاد بن خليفة وشقيقه من يد بي عياد، بن نصر الله، ومدينة الأرض من يد من ملكها من العرب حسبما ذكر ذلك مذكور في أخبار هؤلاء الثوار في دولة صنهاجة.

ولما استكمل الفتح وثنى عنانه إلى المغرب سنة ست وخمسين وخمسة بلغه أن الأعراب بأفريقية انتصروا عليه، فرجع إليهم عسكراً من الموحدين، فنهضوا إلى التيروان وأوقسوا بالعرب، وقتل كبيرهم محرز بن زياد الفاراغي من بي علي إحدى بطون رياح.

### أخبار ابن مردينيش الثائر بشرق الأندلس

كان بلغ عبد المؤمن وهو بأفريقية أن محمد بن مردينيش الثائر بشرق الأندلس خرج من مرسية ونازل جيان، وأطاعه وبهذا محمد بن علي الكومي، ثم نازل بعدها قرطبة ورحل عنها وغادر بتبرمنة وملكتها، ثم رجع إلى قرطبة. وخرج ابن بكير حربي فهزمه وقتلها، فكتب إلى عماله بالأندلس ففتح إفريقية، وأنه واصل إليهم، وعبر إلى جبل الفتح، واجتمع إليه أهل الأندلس ومن بها من الموحدين، ثم رجع إلى مراكش ويعث عساكره إلى الجهاد، ولقيتهم الطاغية فهزمه. وتغلب السيد أبو يعقوب على قرطبة من يد ابن همشك شهر ابن مردينيش. وكان السيدان أبو يعقوب صاحب غرناطة ارتحلا لزيارة الخليفة بمراكش، فخالف ابن همشك إلى مدينة غرناطة وعلا ليلاً بمداخلة من بعض أهلها، واستولى عليها وأخصر الموحدون بقصتها، وخرج عبد المؤمن من مراكش لاستقادها فوصل إلى سلا.

عساكر الموحدين، فنهض من مراكش سنة خمس وستين وخمسة وعشرين في جملته السيد أبو سعيد أخيه، فوصل إلى إشبيلية وبعث أخيه أبو سعيد إلى بطليوس، فقدن الصالح مع الطاغية وانصرف، ونهضوا جميعاً إلى مرسيه ومعهم ابن هشيم فحاصروا ابن مرديش، وشار أهل لورقة بدعوة الموحدين، فملكها السيد أبو حفص. ثم افتح مدينة بسطة وأطاع ابن عممه محمد بن مرديش صاحب المرية فحص بن ذلك جناحه.

وأتصال الخبر بال الخليفة بمراكب، وقد تواترت عنده جموع العرب من أفريقية صحبة أبي زكريا صاحب مجایة والسيد أبي عمران صاحب تلمسان، وكان يوم قدومهم عليه يوماً مشهوداً، فاعتبرتهم وسائل عساكرة، ونهض إلى الأندلس. واستخلف على مراكش السيد أبو عمران أخيه فالحت بقرطبة ستة سبع وستين وخمسة ثم ارتحل بعدها إلى إشبيلية، ولقيه السيد أبو حفص هناك متصرفًا من غزاته. وكان ابن مرديش لما طال عليه الحصار أربات فتك بهم، ويد آخره أبو الحاجاج إلى الطاعة وهلك هو في رجب من هذه السنة. ودخل ابنه هلال في الطاعة، وبادر السيد أبو حفص إلى مرسيه فدخلها وخرج هلال في جملته، وبعثه إلى الخليفة بإشبيلية. ثم أرخل الخليفة غازياً إلى بلاد العدو فنزل رشدة أيامًا وارتحل عنها إلى مرسيه. ثم رجع إلى إشبيلية ستة ثمان وستين وخمسة واستصحب هلال بن مرديش وأصهر له في ابنته، وولى عليه يوسف على بلنسية وعقد لأخيه السيد أبي سعيد على غرناطة.

ثم بلغه خروج العدو إلى أرض المسلمين مع القومين الأحذب، فخرج للقائهم وأوقع بهم بناحية قلعة رياح، وأتى بنهم ورجع إلى إشبيلية وأمر بناء حصن بالقلعة ليحصلن جهاتها، وقد كانت خراباً منذ فتنة ابن حجاج فيه مع كريب بن خلدون بحورة أزمان المنذر بن محمد وأخيه عبد الله من أمراء بي أمية. ثم انقض ابن أذفونيش وأغار على بلاد المسلمين، فاحتشد الخليفة وسرح السيد أبو حفص إليه فهزأه بعقر داره، وافتتح قنطرة بالسيف، وهزم جموعه في كل جهة. ثم أرغل الخليفة من إشبيلية راجعاً إلى مراكش ستة إحدى وسبعين وخمسة لخمس سنين من إجازته إلى الأندلس، وعقد على قرطبة لأخيه الحسن، وعلى إشبيلية لأخيه علي، وأصاب مراكش الطاغون فهلك من السادس أبو عمران وأبو سعيد وأبو زكريا، وقدم الشيخ أبو حفص من قرطبة فهلك في طريقه، ودفن بسلا.

واستدعى الخليفة أخويه السيدين أبي علي وأبا الحسن، فقدن لأبي علي على سجل ماسة ورجعوا إلى قرطبة، وعقد

أبي إبراهيم، وأقر الشيخ أبي عبد الله على وزارته، وعقد على قرطبة لأخيه السيد أبي إسحاق، وأقر السيد أبي سعيد على غرناطة. ثم نظر الموحدون في وضع العلامة في المكتوبات بخط الخليفة، فاختاروا: الحمد لله وحده، لما وقفوا عليها بخط الإمام المهدي في بعض مخاطباته، فكانت علامتهم إلى آخر دولتهم.

## فتنة غماره

وفي سنة الثنتين وستين وخمسة تحرك الأمير أبو يعقوب إلى جبال غماره، لما كان ظهر بها من الفتنة التي توالي كبرها سبع بن منغفار ونازعهم في الفتنة صنهاجة جيرانهم، فبعث الأمير أبو يعقوب عساكر الموحدين لنظر الشيخ أبي حفص، ثم تعاظمت فتن غماره وصنهاجة فخرج إليهم نفسه وأوقع بهم، واستأصلهم، وقتل سبع بن منغفار والخمسة ذاؤهم، وعقد لأخيه السيد أبي علي الحسن على سبعة وسائل بلا دهم. وفي سنة ثلاثة وستين وخمسة اجتمع الموحدون على تجديد البيعة واللقب بأمير المؤمنين، وخطب العرب بأفريقية يستدعيهم إلى الغزو ويحرضهم. وكتب إليهم في ذلك قصيدة ورسالة مشهورة بين الناس، وكان من إجابتهم ووفدهم عليه ما هو معروف.

## أخبار الأندلس

لما استرسق الأمر لل الخليفة أبي يعقوب بالعدوة وصرف نظره إلى الأندلس والجهاد، واتصل به ما كان من غدر العدو، دمره الله بمدينة ترجالة، ثم مدينة يابرة ثم حصن شبرمة ثم حصن جلمانية إزاء بطليوس، ثم مدينة بطليوس، فسرح الشيخ أبي حفص في عساكر من الموحدين احتفل في انتقامتهم، وخرج ستة أربع وستين وخمسة لاستقاذ بطليوس من هوة الحصار، فلما وصل إلى إشبيلية بلغه أن الموحدين وبطليوس هزموا ابن الرنك الذي كان يحاصرهم بإعانته ابن أذفونيش، وأن ابن الرنك تحصل في قبضتهم أسيراً وفر جواندة الجليقي إلى حصنه، فقصد الشيخ أبو حفص مدينة قرطبة، وبعث إليهم إبراهيم بن هشيم من جيان بطاعته وتوجيهه ومقارقه صاحبه ابن مرديش لما حدث بينهما من الشحنة والفتنة، فألح عليه ابن مرديش بالحرب، وردد إليه الغزو، فبعث إلى الشيخ أبي حفص بطاعته.

وكتب الشيخ أبو حفص بذلك إلى الخليفة و بما كان من عيشه النصارى بجوانب الأندلس، فسرح أخيه وزيره أبي حفص في

أبو إسحاق سائر الناس للغزو ونال الحصن مخواً من أربعين يوماً. ثم بلغه خروج أذفونش من طليطلة بعده فانكفاً راجعاً. وخرج محمد بن يوسف بن وانودين من أشبيلية في جموع الموحدين ونال الحصن طلبيرة ويرز إليها أهلها، فلما وصل إلى أهلها، فاعترض طلبيرة أبو يعقوب على معاودة الجهاد، وولى على الأندلس أبناءه وقدمهم للاحتشاد، فعقد لابنه أبي إسحاق على أشبيلية كما كان، ولابنه السيد أبي يحيى على قرطبة، ولابنه السيد أبي زيد الحرضاني على غرناطة. ولابنه السيد أبي عبد الله على مرسيّة.

ونهض سنة سبع وسبعين وخمسة إلى سلا، ووافاه بها أبو محمد بن أبي إسحاق بن جامع من إفريقية بمحشود العرب. وسار إلى فاس ويعث في مقدمته هتاتة ويتمنى وحشود العرب وأجاز البحر من سبتة في صفر من سنة ثمانين وخمسة فاحتل جبل القفتح، وسار إلى أشبيلية فرأته بها حشود الأندلس. وسخط محمد بن وانودين وغربه إلى حصن غافق، ورحل غارباً إلى شنترين فحاصرها أيام، ثم ألقع عنها وأسرّ الناس يوم إقلاعه، وخرج النصارى من الحصن فرجموا الخليفة في غير أهبة ولا استعداد، فايلى في الجهاد هو ومن حضره، وانصرفوا بعد جولة شديدة. وهلك في ذلك اليوم الخليفة، يقال: من سهم أصحابه في حومة القتال، وقيل من مرض طرقه عفا الله عنه.

### دولة ابنه يعقوب المنصور

ولما هلك الخليفة أبو يعقوب على حصن شنترين سنة ثمانين وخمسة بويح ابنه يعقوب، ورجع بالناس إلى إشبيلية واستكمّل البيعة. واستقر الشّيخ أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص، واستقر الناس للغزو مع أخيه السيد أبي يحيى فأخذ بعض الحصون وأخن في بلاد الكفار. ثم أجاز البحر إلى الحضرة ولقيه بقصر مصودة السيد أبو زكريا ابن السيد أبي حفص قادماً من تلمسان مع مشيخة زغبة، ومضى إلى مراكش فغير المراكز وبسط العدل ونشر الأحكام، وكان من أول الأحداث في دولته شأن ابن غانية.

### الخبر عن شأن ابن غانية

كان علي بن يوسف بن تاشفين لما تغلب العدو على جزيرة ميورقة وهلك إليها من موالي مجاهد، وهو مبشر، ويقي أهلها فوضى، وقد كان مبشر بعث إليه بالصريح، والعدو محاصر له،

لابن أخيه السيد أبي حفص: لأبي زيد منها على غرناطة، ولأبي محمد عبد الله على مالقة. وفي سنة ثلاثة وسبعين وخمسة سطا بذرية بني جامع وغريهم إلى ماردة. وفي سنة خمس وسبعين وخمسة عقد لغام بن محمد بن مordinish على أسطوله وأغاره مدينة الأسبونة، ففتن ورجعوا. وفيه كانت وفاة أخيه السيد الوزير أبي حفص بعدما ألبى في الجهاد وبالغ في نكبة العدو. وقد ابناه من الأندلس وأخيراً الخليفة بانتقاد الطاغية، واعتزم على الجهاد وأخذ في استدعاء العرب من إفريقية.

### الخبر عن انتقاد ققصة واسترجاعها

كان علي بن المعز ويعرف بالطويل، من أعقاب بني الرند ملوك ققصة قد ثار سنة خمس وسبعين وخمسة كما ذكرناه في أخبارهم. وبلغ الخليفة خبره فنهض إليها من مراكش، وسار إلى وجدة ويفي عنده يعلى بن المتصر الذي كان عبد المؤمن استنزله من ققصة أنه يواصل قربه الشائر بها ويشاطب العرب، فقبض عليه، ووجدت المخاطبات عنده شاهدة بتلك السعاية واستصفى ما كان بيده، وارتحل إلى ققصة ونالها. ووفدت عليه مشيخة العرب من رياح بالطاعة فقبلتهم ولم يزل محاصراً لقصصة إلى أن نزل على ابن المعز، وانكفا راجعاً إلى تونس. وأنفذ عساكر العرب إلى المغرب، وعقد على إفريقية والزارب للسيد أبي علي أخيه، وعلى وجدة للسيد أبي موسى فقتل إلى الحضرة.

### معاودة المجاهد

لما قفل من فتح ققصة سنة سبع وسبعين وخمسة وفدي عليه آخره السيد أبو إسحاق من إشبيلية، والسيد أبو عبد الرحمن يعقوب من مرسيّة، وكافة الموحدين ورؤساء الأندلس يهونونه بالإياب فاكرم موصلهم وانصرفوا إلى بلادهم. واتصل به أن محمد ابن يوسف بن وانودين غزا بالموحدين من إشبيلية إلى أرض العدو فنازل مدينة يابرة وغنم ما حملها، وافتتح بعض حصونها ورجع إلى إشبيلية، وأن عبد الله بن إسحاق بن جامع قائد الأسطول بإشبيلية التقى بأسطول أهل أشونة في البحر فهزمه وأخذوا عشرين من قطائهم مع السبي والغنائم.

ثم بلغ الخبر بأن أدفونس بن شانجيه نازل قرطبة وشنّ الغارات على جهات مالقة ورندة وغرناطة. ثم نزل أسجة وتغلب على حصن شنفالة. وأسكن بها النصارى وانصرف، فاستقر السيد

عليها يحيى ابن أخيه طلحة، ثم إلى مليانة فول عليها بدر بن عائشة. ونهض إلى القلعة، ثم إلى قسطنطينية فنازلاها واتصل الخبر بالمنصور وهو بسيته مرجعه من الغزو، فسرح السيد أبو زيد ابن عمه السيد أبي حفص، وعقد له على حرب ابن غانية، وعقد محمد بن أبي إسحاق بن جامع على الأساطيل، وإلى نظره أبو محمد بن عطوش وأحد الصقلي.

وانتهى السيد أبو زيد إلى تلمسان وأخرجه يومئذ السيد أبو الحسن واليها وقد أتعم النظر في تعيينها، ثم ارتحل بعاشره من تلمسان ونادي بالغفر في الرعية، فثار أهل مليانة على ابن غانية فاخرجه وسبقت الأساطيل إلى الجزائر فملوكها وقضوا على يحيى بن طلحة وسيق بدر بن عائشة من أم العلو فقتلوا جميعاً بشفاف. وتقدم القائد أحد الصقلبي بأسطوله إلى بجاية فملوكها ولحق بهم بن غانية ب أخيه علي بمكانه من حصار قسطنطينية فاتفع عنها. وزنل السيد أبو زيد بتكلات وخرج السيد أبو موسى من اعتقاله فلقيه هناك. ثم ارتحل في طلب العدو فافتوج عن قسطنطينية، وخرج إلى الصحراء واتبعه الموحدون إلى مقرة ونقاوس. ثم قتلوا إلى بجاية واستقر السيد أبو زيد بها، وقصد علي ابن غانية قصبة فملوكها، ونزل توzer فامتنعت عليه، ولحق بطرابلس. وخرج غزي الصنهاجي من جموع ابن غانية في بعض أحياء العرب فتغلب على أشير وسرح إليهم السيد أبو زيد ابن أبي حفص عمر، ومعه غام بن مردنيش فلما قعوا بهم واستولى على حللهم. وقتل غزي وسيق رأسه إلى بجاية ونصب بها، والحق به عبد الله آخره. وغرب بنو حدون من بجاية إلى سلا لاتهامهم بالدخول في أمر ابن غانية. واستقدم الخليفة السيد أبو زيد من مكانه بجاية، وقدم مكانه أخيه السيد أبو عبد الله وانصرف إلى الحضرة. وبلغ الخبر أثناء ذلك باستيلاء علي بن الزيرير على ميورقة. وكان من خبره أن الأمير يوسف بن عبد المؤمن بعثه إلى ميورقة لدعاه بي غانية إلى أمره. لما كان آخرهم محمد خاطبه بذلك، فلما وصل ابن الزيرير إليهم نكروا شأنه على أخيهم محمد واجتمعوا دونه وتقبضوا عليه وعلى ابن الزيرير وقدموا عليهم أخيه علي وركبوا الأساطيل إلى بجاية فلما خلا الجو منهم، دبر ابن الزيرير في أمره، ودخل موالיהם من العلوج في تحليمة سibile من معتقله على أن يخلّى سبلهم بأهليهم ولدهم إلى أرضهم، فتم له مراده منهم وثار بقصبة واستند محمد بن أبي إسحاق من مكان اعتقاله، ولحقرا جميعاً بالحضره. وبلغ الخبر على ابن غانية بمكانة من طرابلس، فبعث أخيه عبد الله إلى صقلية، وركب منها إلى ميورقة وزنل في بعض قراها. واعمل الخليفة في

فلما أخذها العدو وغنم وأحرق وأقتل، وبعث علي بن يوسف والي عليها وأنور بن أبي بكر من رجالات لتونة، وبعث معه خمسة فارس من مسكنه، فأرعب لهم حدة، وأرادهم على بناء مدينة أخرى بعيدة من البحر فامتنعوا، وقتل مقدمهم فشاروا به وجسموه. وموضوا إلى علي بن يوسف فأعفاه منه، وولى عليهم محمد بن علي بن يحيى المسوق المعروف بابن غانية. وكان آخره يحيى على غرب الأندلس، وكان نزله بأشبيلية. واستعمل محمد أخيه على قرطبة فكتب إليه علي بن يوسف يأمره بصرف محمد أخيه إلى ولاية ميورقة فارتحل إليها من قرطبة ومعه أولاده عبد الله وإسحاق وعلي والزبير وإبراهيم وطلحة، وكان عبد الله وإسحاق في تربة عمهما يحيى وكفالته فتبناهما. ولا وصل محمد بن علي بن غانية إلى ميورقة قبض على أنور وبعثه مصداً إلى مراكش، وأقام على ذلك عشرة، وهلك يحيى بن غانية وقد ولـى عبد الله ابن أخيه محمد على غرناطة، وأخاه إسحاق بن محمد على قرمونة. ثم هلك علي وضعف أمر لتونة، وظهر عليهم الموحدون فبعث محمد عن ابنه عبد الله وإسحاق فوصلـاـ إلىـهـ في الأسطول وانتقضـيـ مـلـكـ لـتوـنـةـ.

ثم عهد محمد إلى ابنه عبد الله فنانـهـ آخرـهـ إسـحـاقـ، ودخلـ جـمـاعـةـ منـ لـتوـنـةـ فـقـتـلـوـهـ، وـقـتـلـواـ أـخـوـهـ مـحمدـاـ. ثـمـ أـجـعـواـ عـلـىـ الـفـتـكـ بـهـ فـأـرـتـابـ بـهـ وـدـاـخـلـ لـبـ بـنـ مـيمـونـ قـاـيـدـ الـبـحـرـ فـأـمـرـهـ فـكـبـسـهـ فـيـ مـنـازـلـهـ وـقـتـلـهـ مـسـنـةـ سـتـ وـأـرـبـعـينـ وـخـمـسـةـ. وـبـقـيـ أـمـرـأـ لـمـيـورـقـةـ. وـاشـتـغلـ أـوـلـ أـمـرـهـ بـالـبـنـاءـ وـالـغـرـاسـةـ، وـضـجـرـ مـنـ النـاسـ لـسـوءـ مـلـكـهـ. وـفـرـ عـنـ لـبـ مـيمـونـ إـلـىـ الـمـوـحـدـينـ. ثـمـ رـجـعـ أـخـيـاـ إـلـىـ الـغـزوـ، وـكـانـ يـعـثـ بـالـأـسـرـيـ وـالـعـلـوـجـ لـلـخـلـيـفـةـ أـبـيـ يـعـقوـبـ إـلـىـ أـنـ هـلـكـ قـبـيلـ مـهـلـكـةـ سـنـةـ ثـمـانـيـ وـخـمـسـةـ.

وـخـلـفـ مـنـ الـوـلـدـ: مـحـمـداـ وـعـلـيـاـ وـيـحـيـيـ وـعـدـ اللـهـ وـالـغـازـيـ وـسـيـرـ الـمـنـصـورـ وـجـبـارـةـ وـتـاـشـفـيـنـ وـطـلـحـةـ وـعـمـرـ وـيـوسـفـ وـالـحـسـنـ، فـوـلـ أـبـيـهـ مـحـمـدـ وـبـعـثـ إـلـىـ الـخـلـيـفـةـ أـبـيـ يـعـقوـبـ بـطـاعـتـهـ، فـبـعـثـ هـوـ عـلـىـ بـنـ الـزـيـرـيـرـ لـأـخـبـارـ ذـلـكـ مـنـهـ، وـأـحـسـنـ بـذـلـكـ فـكـرـوـهـ وـتـقـبـضـوـ عـلـىـهـ. وـقـدـمـواـ عـلـىـهـ مـنـهـ. وـبـلـغـهـ مـهـلـكـ الـخـلـيـفـةـ وـوـلـايـةـ بـجاـيـةـ، وـوـلـىـ عـلـىـ مـيـورـقـةـ أـخـاـهـ طـلـحـةـ وـطـرـقـ بـجاـيـةـ فـيـ اـسـطـوـلـهـ عـلـىـ بـحـلـةـ، وـعـلـىـهـ السـيـدـ أـبـيـ الـرـيـبـعـ بـنـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ الـمـؤـمـنـ وـكـانـ خـارـجـهـ فـيـ بـعـضـ مـذاـهـبـهـ، فـاـسـتـولـواـ عـلـىـهـ سـنـةـ إـحـدـيـ وـثـمـانـيـ وـخـمـسـةـ وـتـقـبـضـوـ عـلـىـ السـيـدـ أـبـيـ الـرـيـبـعـ وـالـسـيـدـ أـبـيـ مـوـسـىـ عـمـرـانـ بـنـ عـبـدـ الـمـؤـمـنـ صـاحـبـ إـفـرـيقـيـةـ، وـكـانـ بـهـ بـعـثـاـ وـاسـتـعملـ أـخـاـهـ يـحـيـيـ عـلـىـ بـجاـيـةـ، وـمـضـىـ إـلـىـ الـجـزـائـرـ فـانـتـحـاـ، وـوـلـىـ

أشبيلية، وترددت سراياهم على نواحيها، وفتح كثيراً من حصونها، وخطبه السيد أبو يوسف بن أبي حفص صاحب إشبيلية بذلك. استقر الناس للجهاد وخرج سنة ست وثمانين وخمسة إلى قصر مصمودة فراراً به. ثم أجاز إلى طريف وأخذ السير منها إلى شب، ووافته بها حشود الأندلس فتركتهم لحصارها. وخف إلى حصن طرش فافتتحه ورجع إلى إشبيلية. ثم رجع إلى مزارلة شب سنة سبع وثمانين فافتتحه. وقدم عليه ابن وزير بعد أن كان افتتح في طريقه إليه حصوناً أخرى. ثم قفل إلى حضرته بعد استكماله غزاته. وكتب بعده لابنه الناصر.

وقدم عليه سنة ثمان وثمانين وخمسة السيد أبو زيد صاحب إفريقيا، ومعه مشيخة العرب من هلال وسلمي فتقامه مبرة وتكريراً، وانقلب وفدهم إلى بلادهم. ثم بلغه سنة تسعين وخمسة استفحال ابن غانية بإفريقيا وكثرة العيش والفساد بها، فاعترض على التهوض إليها، ووصل إلى مكانة بلغه من أمر الأندلس ما أهله فصرف وجهه إليها، ووصل قرطبة سنة إحدى وتسعين وخمسة فراراً بها ثلاثة وأمداد الحشود تلاحق به من كل ناحية. ثم ارتعش للقاء العدو ونزل بالأرك من نواحي بطليوس، وزحف إليه العدو من النصارى وأمراؤهم يومئذ ثلاثة ابن أذفونش وابن الرنك ولبابرج. وكان اللقاء يوم كذا سنة إحدى وتسعين وخمسة وأبو محمد بن أبي حفص يومئذ على المطوعة، وأخوه أبو يحيى على العساكر والمحدثين، فكانت المزينة المشهورة على النصارى واستلهم منهم ثلاثة ألفاً بالسيف.

واعتضم لهم بمحسن الأرك، وكانت خمسة آلاف من زعمائهم، فاستطرد المتصور على حكمه وفدي بهم عادهم من المسلمين. واستشهد في هذا اليوم أبو يحيى ابن الشيخ أبي حفص بعد أن أبلى بلاء حسناً، وعرف بنوه بعدها ببني الشهيد وإن كانوا من المتصور راجعاً إلى إشبيلية. ثم خرج منها سنة اثنين وتسعين وخمسة غازياً إلى بلاد طليطلة، وأطلق على نواحي طليطلة، فغرب بساحتها واكسح مسارحها، وقفل إلى إشبيلية سنة ثلاث وتسعين وخمسة فرفع إليه في القاضي أبي الريلد بن رشد مقالات نسب فيها إلى المرض في دينه وعقله. وربما ألف بعضها يخطه فحبس. ثم أطلق وأشخص إلى الحضرة وبها كانت وفاته.

ثم خرج المتصور من إشبيلية غازياً إلى بلاد ابن أذفونش حتى احتل بساحة طليطلة، وبلغه أن صاحب برشلونة أمن ابن أذفونش بعساكرة، وأنهم جميعاً محسن مجريط، فنهض إليهم. ولما أطل عليهم انقضت جموع ابن أذفونش من قبل القتال، وإن كانوا

تملك البلد فاستولى عليه واضرمت نار الفتنة بإفريقية.

وانزل علي ابن غانية بلاد الجrid وتغلب على الكثير منها، وبلغ الخبر باستيلائه على قصبة فخر المتصور إليه من مراكش سنة اثنين وثمانين وخمسة، ووصل فاس فأراح بها، وسار إلى رباط نازى، ثم سار على التعبية إلى تونس، وجاء معه فراغش الغزي صاحب طرابلس، فسرح إليهم المتصور عساكرة لنظر السيد أبو يوسف ابن السيد أبي حفص، ولقيهم بغمرة فانقض جموع المحدثين وأخ涸ت المعركة عن قتل علي بن الزبيري وأبي علي بن يغمور، وقد الوزير عمر بن أبي زيد، ولحق فلهم بقصبة فالخوا فيهم قتلا، وإنما الباقون إلى تونس. وخرج المتصور متلافياً خبر الواقع في هذا الحال، ونزل القبروان، وأخذ السير إلى الحامة فتشاور الفريقيان وتراجعوا فكانت الدبرة على ابن غانية وأحزابه، وأفلت من المعركة بذماء نفسه ومعه خليلة فراغش، وأتى القتل على كثيرهم فصيبح المتصور قابس فافتتحها ونقل من كان بها من حرم ابن غانية وذويه في البحر إلى تونس. وئى العنان إلى توزر فافتتحها وقتل من وجد بها، ثم إلى قصبة فنازاها أياماً حتى نزلوا على حكمه. وأمن أهل البلد والأغرب أصحاب فراغش، وقتل سائر المسلمين ومن كان معهم من الحشود، وهدم أسوارها وإنكفاً راجعاً إلى تونس، فقد على إفريقيا للسيد أبي زيد، وقفل إلى المغرب سنة أربع وثمانين وخمسة ومر بالهديدة، وأصحر على طريق تاهرت، والعباس بن عطية أمير بني توجين دليله على تلمسان، فنكب بها عمه السيد أبي إسحاق لشيء بلغه عنه وأحفظه. ثم ارتحل إلى مراكش، ورفع إليه أن آناء السيد أبي حفص والي مرسة الملقب بالرشيد، وعمه السيد أبي الريح وألي تادلاً عندما بلغهم خبر الواقعة بغمرة، حدثوا أنفسهم بالتوب على الخلافة، فلما قدموه عليه للتهمة أمر باعتقالهما برباط الفتح خلال ما استجلى أمرهما، ثم قتلهما وعقد للسيد أبي الحسن ابن السيد أبي حفص على بجایة، وقصد يحيى بن غانية قسطنطينية فزحف إليه السيد أبو الحسن من بجایة فهزمه ودخل قسطنطينية وارتحل ابن غانية إلى بسكرة فقطع مخلتها وافتتحها عنوة. ثم حاصر قسطنطينية فامتنع عليه فارتحل إلى بجایة وحاصرها، وكثير عيشه إلى أن كان من خبره ما يذكر إن شاء الله تعالى، والله أعلم.

## أخباره في الجهاد

لما بلغه تغلب العدو على قاعدة شب، وأنه أوقع بعسكر

حفص. ثم استوزر أبا محمد ابن الشيخ أبي حفص، وعقد للسيد أبي الحسن ابن السيد أبي حفص على بجاية، وفرض إليه في شؤونها. وبلغه سنة ست وتسعين وخمسة إجحاف العدو بآفريقية، وفساد الأعراب في نواحها، ورجوع السيد أبي الحسن من قسطنطينية منهزمًا أمام ابن غانية، فأنفذ السيد أبي زيد بن أبي حفص إلى تونس في عسكر من الموحدين لسد ثغورها. وأنفذ أبا سعيد ابن الشيخ أبي حفص فتغلب ابن غانية خلال ذلك على حصن المهدية. وثار بالسوس سنة ثمان وتسعين وخمسة ثان من كرولة يعرف بأبي قصبة، فسرح الناصر إليه عساكر الموحدين فقصدوا جوعه وقتل. وفي أيامه كان فتح ميورقة على ما يتلوا من خبرها.

راجعاً إلى أشبيلية. ثم رغب إليه ملوك النصرانية في السلم فبذل له.

وعقد على أشبيلية للسيد أبي زيد ابن الخليفة، وعلى مدينة بطليوس للسيد أبي الريح ابن السيد أبي حفص، وعلى المغرب للسيد أبي عبد الله ابن السيد أبي حفص. وأجاز إلى حضرته سنة أربع وتسعين وخمسة نظرقه المرض الذي كان منه حتفه، وأوصى وصيته التي تناقلها الناس. وحضر لوصيته عيسى ابن الشيخ أبي حفص، وهلك رحمه الله سنة خمس وتسعين وخمسة آخر ربيعها، والله تعالى أعلم.

## الخبر عن وصول ابن منقد بالهدية من قبل

### صاحب الديار المصري

#### فتح ميورقة

وكان من خبرها أن محمد بن إسحاق لما فصل إخوته على ويحيى إلى آفريقيا، وولى على ميورقة أخيهم طلحة، داخل محمد بعض الخاشية، وخرج من الاعتقال هو وأبن الزبيري، وقام بدعوة المتصور، وبعث بها مع ابن الزبيري، فبعث المتصور أسطوله مع أبي العلا بن جامع ليملك ميورقة، فأبى محمد عن ذلك، وراسل طاغية برشلونة في المدد بمند من النصارى يستخدمهم فأجابه، وانتقض عليه أهل ميورقة لذلك، وخشو عادية المتصور فطردوا محمد بن إسحاق ولو عليهم أخاه تاشفين. وبلغ ذلك علياً وهو على قسطنطينية، فبعث أخوه عبد الله الغازى فدخلوا بعض أهل البلد وزعلوا تاشفين وولي عبد الله، وبعث المتصور أسطوله مراراً مع أبي العلا بن جامع. ثم مع يحيى ابن الشيخ إبراهيم المزرجي فامتنعوا منهم، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وقوى أمره وذلك سنة ثلاث وثمانين وخمسة.

ثم لما هلك المتصور بعث الناصر أسطوله مع عمه السيد أبي العلي والشيخ أبي سعيد بن أبي حفص فنازلوه وانخذل عنهم إخوه تاشفين بالناس، ودخل البلد عنوة، واستفتحت وقتل. وانصرف السيد إلى مراكش وولى عليها عبد الله بن طاع الله الكرمي، ثم ول الناصر عليها عممه السيد أبا زيد، وجعل ابن طاع الله على قيادة البحر. وبعد السيد أبي زيد ولها السيد أبو عبد الله بن أبي حفص بن عبد المؤمن، ثم أبو يحيى علي بن أبي عمران التسليلي، ومن يده أخذها النصارى سنة سبع وعشرين وستمائة.

كان الفرنج قد ملكوا سواحل الشام في آخر الدولة العبيدية منذ تسعين سنة وملكوا بيت المقدس، فلما استولى صلاح الدين بن أيوب على ديار مصر والشام اعتمد على جهادهم، وصار يفتح حصنها واحداً بعد واحد حتى أتى على جميعها. وافتتح بيت المقدس سنة ثلاثة وثمانين وخمسة وثمانين وفدم الكنيسة التي تناهياها، وانقضت أيام النصرانية من كل جهة واعتربوا أسطول صلاح الدين في البحر، فبعث صريخه إلى المتصور سنة خمس وثمانين وخمسة يطلب إعانته بالأساطيل لمنازلة عكا وصور وطرابلس. ووفد عليه أبو الحزت عبد الرحمن بن منقد بقيادة أمراء شيرز من حصن الشام، كانوا استبدوا به عند احتلال الدولة العبيدية. فلما استقام الأمر على يد صلاح الدين، وانتظم ملك مصر والشام واستنزل بي منقد هؤلاء ورعى لهم سابقتهم، وبعثه في هذه إلى المتصور بالمغرب بهدية تشتمل على مصحفين كرمين منسوبين، ومائة درهم من دهن البلسان، وعشرين رطلًا من العود، وستمائة مثقال من المسك والعنبر، وخمسين قوساً عربية باوراتها، وعشرين من التصوّل الهندية وسرور عدة تقيلة. ووصل إلى المغرب وأدى المتصور بالأندلس فانتظره بفاس إلى حين وصلوله، فلقيه وأدى الرسالة فاعتذر له عن الأسطول وانصرف. ويقال إنه جهز له بعد ذلك مائة وثمانين أسطولاً، ومنع النصارى من سواحل الشام.

### دولة الناصر بن المتصور

لما هلك المتصور وأمر ابنه محمد ولـي عهده، وتلقب الناصر لدين الله، واستوزر أبا زيد بن يوجان، وهو ابن أخي الشيخ أبي

مراكش سنة إحدى وستمائة، وبعث الأسطول في البحر لنظر أبي محبى بن أبي زكريا المزرجي، فبعث ابن غانية ذخيرته وحرمه إلى المهدية مع علي بن الغازى بن محمد بن علي. وانتقض أهل طرابلس على ابن غانية وأخرجوه عاملهم تائشين بن الغازى بن محمد بن علي ابن غانية، وقصدتهم ابن غانية فاتتحما وخربيها.

ووصل أسطول الناصر إلى تونس فدخلوها وقتلوا من كان بها من أتباع ابن غانية، وبهض الناصر في أتباع ابن غانية فأعجزه ونازل المهدية، وبعث أبو محمد بن الشيخ أبي حفص للقاء ابن غانية فلقيه بتاجرا فاقوع به وقتل أخيه جباره. وكانته ابن اللطى وعامله الفتاح بن محمد. قال ابن خليل: وكانت الغنائم من عسكره يومئذ ثمانية عشر ألفاً من أحوال المال والمتاع والفرش والآلة. ونجا باهله وولده فأطلق السيد أبو زيد من الاعتقال بعد أن هم حرسه بقتله عند المزرجي. ثم تسلم الناصر المهدية من يد علي بن الغازى المعروف بالحاج الكافى على أن يلحق بابن عمه قبلي شرطه وممضى لوجهه. ثم رجع من طريقه واختار التوحيد فناله من الكرامة والتقريب ما لا فرقه. وهلك في يوم العقاب الآتى ذكره. ثم قوض الناصر على المهدية، واستعمل عليهما محمد بن يغمور الهوغى، وعلى طرابلس عبد الله بن إبراهيم بن جامع، ورجع إلى تونس فقام إلى سنة ثلاثة وستمائة. وسرح أخيه السيد أبو إسحاق في عسكر من المهدية لاتبع العدو فدواخوا ما وراء طرابلس. واستصالوا بني دمر ومطمطة وجبل نفوسه ومخاوزوها إلى سوية بني مذكور. وقتل السيد أبو إسحاق بهم إلى أخيه الناصر بتونس وقد كمل الفتح. ثم اعتزم على الرحيل إلى المغرب وأجمع رأيه على تولية أبي محمد ابن الشيخ أبي حفص، وكان شيخ دولته وصاحب رأيه فامتنع إلى أن بعث إليه الناصر في ذلك بابنه يوسف، فأكابر مجده وأتاب لذلك على أن يقسم إفريقيه ثلاث سنين خاصة خلاف ما يستحکم صلاحها، وأن يحكم فيما يقسم معه من العسكر فقبل شرطه.

ورجع الناصر إلى مراكش فدخلها في ربیع سنة أربع وستمائة، وقدم عبد العزيز بن أبي زيد المحتاتي على الأشغال بالعدوين وكان على الزيارة أبو سعيد بن جامع، وكان صديقاً لابن عبد العزيز. وعند مرجعه من إفريقيه توفي السيد أبو الربیع بن عبد الله بن عبد المؤمن صاحب مجاهدة، وقد كان أبو الربیع هذا ولی مجاهدة من قبل، وهو الذي جدد الرفیع والبدیع من رياضها. وكان بنو حماد شيدوها من قبل، فأصابها الخراب وجدهم السيد أبو الربیع. وفي سنة خمس وستمائة بعدها عقد للسيد أبي عمران بن يوسف ابن عبد المؤمن على تلمسان، أدال به من السيد أبي

## خير إفريقيه وتغلب ابن غانية عليها ولاية أبي محمد بن الشيخ أبي حفص

ولما هلك المتصور قری أمراً ابن غانية بإفريقيه، وولى الناصر السيد أبي زيد والشيخ أبي سعيد بن أبي حفص، ويقال إن المتصور ولاهما، وكثير المهرج بإفريقيه وثار بالمهدية محمد بن عبد الكريم الركراكي، ودعا لنفسه، ونمازج ابن غانية الموحدين الأمر، وتسمى صاحب قبة الأديم محمد بن عبد الكريم الركي. ونزل تونس وعاد في قرارها سنة ست وتسعين وخمسة ونمازج ابن غانية بفاس فامتنع عليه، وكان محمد بن مسعود الباطي شيخ رياح من أشياعه فانتقض عليه، وراجع ابن غانية فأتى به لظهوره على محمد بن عبد الكريم وقصدته وهو على قصبة فوزمه. وابتعد إلى المهدية فنازله بها. وبعث إلى صاحب تونس في المدد بأسطوله فألمده، فضاقت حال ابن عبد الكريم، فسأل الأمان من ابن غانية فألمته، وخرج إليه فانتقض عليه واستولى على المهدية سنة تسعة وتسعين وخمسة ونمازج وقتلها.

وبعث الناصر أسطوله في البحر مع عمه أبي العلى وعساكر المهدية مع السيد أبي الحسن بن أبي حفص بن عبد المؤمن. ونازلوا ابن عبد الكريم قبل استيلاء ابن غانية عليها، فاعتذر ابن عبد الكريم بأنه حافظ للحق من العدو، ولا يمكنه إلا لثقة الخليفة، وانصرف السيد أبو الحسن إلى مجاهدة موضع عمله، وقسم العسكر بينه وبين أخيه السيد أبي زيد صاحب تونس وصلحت الأحوال. ثم أن ابن غانية لما تغلب على المهدية وعلى قرافقش الغزى صاحب طرابلس، وقد مرت أخباره في ابن غانية. ثم تغلب على بلاد الجريد، ثم نزل تونس سنة تسعة وتسعين وخمسة وافتتحها عنوة، وانتقض على السيد أبي زيد، وطالب أهل تونس بالثقة التي أتفق ويسط عليهم العذاب. وتولى ذلك فيهم كاتبه ابن عصفور حتى هلك في الامتحان كثير من بيوتاتهم. ثم دخل في دعوه أهل بونه وبنترت وشقبارنة والأrics والقيروان وسبتا وصفاقس وقابس وطرابلس. وانتظمت له أعمال إفريقيه وفرق العمال وخطب للعباسي كما ذكرناه في أخباره. ثم ول على تونس أخيه الغازى ونهض إلى جبال طرابلس فأغدرهم ألف ألف دينار مكررة مرتبة ورجع إلى تونس.

واتصل بالناصر كثرة المهرج بإفريقيه واستيلاء ابن غانية عليها وحصول السيد أبي زيد في قبضته، فشاور المهدية في أمره، فأشاروا بمسألة ابن غانية. وأشار أبو محمد بن الشيخ أبي حفص بالنهوض إليها والمدافعة عنها فعمل على رأيه، ونهض من

والله أعلم.

## ثورة ابن الفرس

كان عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن الفرس من طبقة العلماء بالأندلس ويعرف بالمهر، وحضر مجلس المتصور في بعض الأيام وتكلم بما خشي عاقبه في عقده وخرج من المجلس فاختفى مدة، ثم بعد مهلك المتصور ظهر في بلاد كروزولة واتحل الإمامة وادعى أنه القحطاني المراد في قوله الله:

«لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يقود الناس بعصاه يملأها عدلاً كما ملئت جوراً»، إلى آخر الحديث. وكان مما

ينسب إليه من الشعر:

قولوا لأبناء عبد المؤمن بن علي تأمبو الوقوع الحادث الجلل قد جاء سيد قحطان وعاملها ومتهم القبور والغلاط للدول والناس طوعاً عصاه وهو ساقتهم بالأمر والنهي بحر العليم والعمل تباردوا أمره فالله ناصره والله خاذل أهل الزينة والميل فيبعث الناصر إليه الجيوش فهزموه وقتل وسيق رأسه إلى مراكش فنصب بها.

الحسن فوصل إلى تلمسان في عساكر الموحدين وتطوف أقطارها.

وزحف إليه ابن غانية هنالك فانقض الموحدون وقتل السيد أبو عمran. وارتاع أهل تلمسان وأسرع السيد أبو زكريا من فاس إليها فسكن نفرهم خلال ما عقد الناصر لأبي زيد بن يوجان على تلمسان، وسرحه في العساكر فنزل بها. وفر ابن غانية إلى مكانه من قاصية إفريقيا ومعه محمد بن مسعود البطل شيخ الدواودة من رياح وغيره من أعراب رياح وسلمي.

واعتراضهم أبو محمد بن أبي حفص فانكشفوا واستولى الموحدون على محلاتهم وما بأيديهم، ولخروا مجاهدات طرابلس. ورجع عنهم سير بن إسحاق آخذنا بدعة الموحدين، وفي هذه السنة عقد الناصر على جزيرة ميرقة لأبي يحيى بن أبي الحسن بن أبي عمran، أدال به من السيد أبي عبد الله بن أبي حفص، وعقد له على بلنسية وعلى مرسيه لأبي عمran بن ياسين المحتاري، أدال به من أبي الحسن بن واكاك، وعقد للسيد أبي زيد على كورة جيان، أدال به من أبي موسى بن أبي حفص، وعقد للسيد أبي إبراهيم بن يوسف على أشبيلية ولأبي عبد الله بن أبي يحيى بن الشیخ حفص على غرناطة إلى أن كان ما ذكر إن شاء الله تعالى.

## دولة المستنصر بن الناصر

لما هلك محمد الناصر بن المتصور بريع ابنه يوسف سنة إحدى عشرة وستمائة وهو ابن ست عشرة سنة ولقب المستنصر بالله، وغلب عليه ابن جامع ومشيخة الموحدين فقاموا بأمره. وتاخرت بيعة أبي محمد ابن الشيخ أبي حفص من إفريقيا لصغر سن المستنصر. ثم وقعت المحاولة من الوزير ابن جامع صاحب الأشغال عبد العزيز بن أبي زيد فوصلت بيته، واشتبك المستنصر عن التدبير بما يقتضيه الشباب، وعقد للصادرة على عمارات ملكه، فقد للسيد أبي إبراهيم أخي المتصور، وتلقب بالظاهر على فاس، وهو أبو المرتضى. وعقد على أشبيلية لعمه السيد أبي إسحاق الأحول. واستولى الفنتش على المعالق التي أخذها الموحدون، وهزم حامية الأندلس، ووفد رسوله ابن الفخار فحاوله ابن جامع في السلم فعقد له، ثم صرف ابن جامع عن الوزارة بعد مهلك ابن أبي زيد بسعادة أبي زيد بن يوجان، واستقرر أبو يحيى المزرجي وولى على الأشغال أبا علي بن أشرف. ثم رضي عن ابن جامع وأعاده، وعزل أبا زيد بن يوجان من ولاية تلمسان بالي سعيد بن المتصور، وبعثه إلى مرسيه فاعتقل

## أخباره في الجهاد

لما بلغ الناصر تحذيب العدو على كثير من حصون بلنسية أهمه ذلك وألققه، وكتب إلى الشيخ أبي محمد بن أبي حفص يستشيره في الغزو، فأبى عليه فخالفه، وخرج من مراكش ستة تسع وستمائة ووصل أشبيلية واستقر بها واستعد للغزو. ثم خرج من أشبيلية وقد بلاد ابن أذفونش فافتتح قلعة شلطرة وأتالج في طريقه. ونازل الطاغية قلعة رياح وبها يوسف بن قداس وأخذ يمحقق فصالحة على التزول، ووصل إلى الناصر قتله وصار على التعبية إلى الموضع المعروف بالعقاب. وقد استعد له الطاغية وجاهه طاغية برشلونة مددًا بنفسه، فكانت الدبرة على المسلمين. فانكشفوا في يوم بلاه وتمحصوا أواخر صفر سنة تسع وستمائة. وانكفا راجعاً إلى مراكش فهلك في شعبان من السنة بعدها. وكان ابن أذفونش قد ناظر ابن عميه البيوج صاحب ليون في أن يولي الناصر ويجرب المزعنة على المسلمين ففعل ذلك. ثم رجعوا إلى الأندلس بعد الكاثبة للاغارة على بلاد المسلمين، فلقيهم السيد أبو زكريا ابن أبي حفص بن عبد المؤمن قريباً من أشبيلية فهزمه، وانتعش المسلمون بها، واتصلت الحال على ذلك

المخلوع. وخرج العادل من مرسية إلى أشبيلية فدخلها مع أبي زيد بن يوجان، وبلغ الخبر إلى مراكش فاختطف الموحدون على المخلوع، ويادروا بعزل ابن جامع وتغريبه إلى هسکورة. وقام بأمر هناتة أبو زكرياء يحيى بن أبي يحيى السيد ابن أبي حفص، ويأمر تينمل يوسف بن علي، وبعث على أسطول البحر إلى إسحاق بن جامع، وأنفذه لمنع الجواز من الزقاق. وكان أسرًا إلى ابن جامع حين خرج إلى هسکورة أن يحاول عليه من هناك فلم يتم أمره، وقتل بمكان خفي في ربيع سنة إحدى وعشرين وستمائة وبعث الموحدون بيعتهم إلى العادل، والله أعلم.

### الخبر عن دولة العادل بن المتصور

لما بلغت بيعة الموحدين للعادل وكتاب ابن زكريا بن الشهيد بقصة المخلوع، قارن ذلك تغييره للبياسي فانتقض عليه، ودعا لنفسه بسياسة، وتلقب الظاهر وشغل شأنه، وبعث أخاه أبا العلى لحصاره فامتنع عليه، وبعث بعده أبا سعيد ابن الشيخ أبي حفص فامتنع عليه أيضًا، واختلت الأحوال بالأندلس على العادل وكثرت إغارة النصارى على أشبيلية ومرسية وهو مقسم بها. وانهزمت جيوش الموحدين على طليطلة وأغراه خاصته بابن يوجان فأخذ إلى سبتة. وعظم أمر البياسي بالأندلس وظاهره النصارى على شأنه، فأجاز العادل إلى العودة وولي أخاه أبا العلى على الأندلس. ولما كان يقتصر المجاز داخل عليه عبوب ابن أبي محمد

ابن الشيخ أبي حفص، فقال له: كيف حالك؟ فأنشد:  
حال متى علم ابن متصور بها جاء الزمان إليه منها ثابتا  
فاستحسن ذلك وولاه إفريقية. وكتب للسيد أبي زيد ابن عمه بالقدوم، ووصل إلى سلا فآقام بها. وبعث عن شيخ جشم، وكان لابن يوجان عناية وانخفاض جهاله بن حمدان بن مقدم أمير الخلط، فتآلف ابن جرمون أمير سفيان عن الوصول، واقتتل الخلط وسفيان، ويادر العادل إلى مراكش فدخلها واستوزر أبا زيد بن أبي محمد ابن الشيخ أبي حفص، وتغير لابن يوجان فقدسه باطنه. وتغلب على الدولة ابن الشهيد ويوسف بن علي شيخا هناتة وتينمل. ثم خالفت هسکورة والخلط وعاثرا في نواحي مراكش، وخرج إليهم ابن يوجان فلم يغن شيئاً فخرموا بلاد دكالة فأنفذ إليهم العادل عسكراً من الموحدين لنظر إبراهيم بن إسماعيل ابن الشيخ أبي حفص وهو الذي كان نازع أولاد الشيخ أبي محمد باغريقية كما ذكره فانهزم وقتل. وخرج ابن الشهيد ويوسف بن علي إلى قبائلهما للتحشد ومدافعة هسکورة، فاتفقا على خلع

بها. واستمرت أيام المستنصر في هدنة ومواعدة إلى أن ظهر بنو مرين بجهات فاس سنة ثلاث عشرة وستمائة، فخرج إليهم واليها السيد أبو إبراهيم في جموع الموحدين فهزمه وأسره، ثم عرفوه وأطلقه، ثم وصل الخبر بهلك أبو محمد بن أبي حفص صاحب إفريقية فولى عليها أبا العلى أبا المتصور، وكان إليها بأشبيلية فعزل. وولى على إفريقية بسعادة ابن مثنى خاصة السلطان فتووجه إليها كما ذكر في أخباربني أبي حفص. وخرج بناحية فاس رجل من العبيدرين انتسب للعادل، وتسمى بالمهدي، فبعث السيد أبو إبراهيم آخر المتصور وإليه فقتل. وفي سنة تسع عشرة وستمائة عقد المستنصر لعمه أبي محمد المعروف بالعادل على مرسية، وعزله عن غرناطة. وهلك سنة عشرين وستمائة وقد الثالث الأمور فكان ما ذكر، والله تعالى أعلم.

### الخبر عن دولة المخلوع أخي المتصور

لما هلك المستنصر في الأضحى من سنة عشرين وستمائة اجتمع ابن جامع والموحدون وباعوا للسيد أبي محمد عبد الواحد أخي المتصور، فقام بالأمر وأمر بخطابة ابن أشرف بالمال. وكتب أخوه لأبي العلى بتجديد الولاية على إفريقية بعد أن كان المستنصر أوعز بعزله، فادركه الولاية ميتاً فاستبد بها ابنه أبو زيد المشمر كما ذكره في أخبار إفريقية. وأنفذ المخلوع أمره بإطلاق ابن يوجان فأطلق. ثم صدره ابن جامع عن ذلك وأنفذ أخاه أبا إسحاق في الأسطول ليغريبه إلى ميرقة كما كان المستنصر أنفذه قبل وفاته. وكان الوالي بمرسية أبو محمد عبد الله بن المتصور فأنغره ابن يوجان بالتورث على الأمر، وشهد له أنه سمع من المتصور العهد له بالخلافة من بعد الناصر. وكان الناس على كره ابن جامع، وولاة الأندلس كلهم بنو متصور فاصنفوا إليه، وكان متعددًا في بيعة عمده، فدعوا لنفسه وتسمى بالعادل. وكان إخوه أبو العلي صاحب قربطة، وأبو الحسن صاحب غرناطة، وأبو موسى صاحب مالقة، فباعوه سراً.

وكان أبو محمد بن أبي عبد الله محمد بن أبي حفص بن عبد المؤمن المعروف بالبياسي صاحب جيان وعزله المخلوع بعده أبي الريبع بن أبي حفص فانتقض وبايع للعادل وزحف مع أبي العلي صاحب قربطة وهو آخر العادل إلى أشبيلية، وبها عبد العزيز آخر المتصور والمخلوع فدخل في دعوتهما وامتنع السيد أبو زيد بن عبد الله أخي البياسي عن بيعة العادل، وغمسك بطاعة

كان معه من الموحدين والعرب، ولحق بهم بجبل هناتة. ثم دخل المأمون الحضرة وأحضر مشيخة الموحدين وعدد عليهم فعلاتهم وتقبض على مائة من أعيانهم فقتلهم، وأصدر كتابه إلى البلدان بمحى اسم المهدى من السكة والخططة، والنوى عليه في النساء للصلة باللغة البربرية، وزيادة النساء لظهور الفجر وهو: أصبح والله الحمد، وغير ذلك من السنن التي اختص بها المهدى وعبد المؤمن، وجرى على سنتها أبناؤه. فأُلْغِي باللهى عن ذلك كلّه. وشنع عليهم في وصفهم الإمام المهدى بالمعصوم، وأعاد في ذلك وأبدى.

وأذن للنصارى القادمين معه في بناء الكنيسة بمراكبش على شرطهم، فصرروا بها نواقيسهم. واستول ابن هود بعده على الأندلس، وأخرج منها سائر الموحدين، وقتلهم العامة في كل قطر. وقتل السيد أبو الربيع ابن أخي المنصور وكان المأمون تركه وإليه بقربة. واستبد الأمير أبو زكريا بن أبي محمد ابن الشيخ أبي حفص بإفريقية، وخلع طاعته سنة سبع وعشرين وستمائة للسيد أبي عمران ابن عميه محمد الخرجاني على مجاهدة مع أبي عبد الله اللحاني أخي الأمير أبي زكريا. وزحف إليه يحيى بن الناصر فانهزم، ثم ثانية كذلك، واستلهم من كان معه ونصب رؤوسهم بأسوار الحضرة. ولحق بهم بن الناصر ببلاد درعة وسجلماسة.

ثم انقضى على المأمون آخره أبو موسى ودعا لنفسه بسبعة وتسعم بالمؤيد، فخرج المأمون من مراكش وبلغه في طريقه أن قبائل بني فازاز ومكلاتة حاصروا مكتنasa وعاثوا في نواحيها، فسار إليها وحسم عاملتها واستمر إلى سبعة فحاصرها ثلاثة أشهر، واستعد آخره أبو موسى صاحب الأندلس ابن هود فأنهه باسطيله. وخالف يحيى بن الناصر المأمون إلى الحضرة فاقتحمها مع عرب سفيان وشيوخهم جرمون بن عيسى، ومعهم أبو سعيد بن وانور الدين شيخ هناتة، وعاثوا فيها، فاقلع المأمون عن سبعة يريد الحضرة وهلك في طريقه بوادي أم الرياح مقتلاً ستة ثلاثين وستمائة وحين إقلاله دخل آخره السيد أبو موسى في طاعة ابن هود، وأمكنه من سبعة فآدله منها، والله تعالى أعلم.

### الخبر عن دولة الرشيد بن المأمون

لما هلك المأمون بوبع ابنه عبد الواحد ولقب بالرشيد، وكثروا موته وأخذوا السير إلى مراكش، ولقيهم يحيى بن الناصر في طريقهم بعد أن استخلف بمراكبش أبا سعيد بن وانور الدين فهزمه، وقتل أكثر من معه. وصبح الرشيد مراكش فامتنعوا عليه

العادل والبيعة ليحيى بن الناصر، وقصدوا مراكش فاقتحموا عليه القصر ونهبوه، وقتل العادل خنقاً أيام الفطر من سنة أربع وعشرين وستمائة.

### الخبر عن دولة المأمون بن المنصور وزرامة يحيى بن الناصر له

كان المأمون لما بلغه انتفاض الموحدين والعرب على أخيه، وتلاشى أمره دعا لنفسه بشيشيلية فبوبع وأجابه أكثر أهل الأندلس وبابع السيد أبو زيد صاحب بنسية وشرق الأندلس. ثم كان ما قدمناه من انتفاض الموحدين على العادل وقتلته بالقصر ويعتهم ليحيى ابن أخيه الناصر، فكاتب ابن يوجان سراً وعمل على إفساد الدولة، فدخل هسکرة والعرب في الغارة على مراكش، وهزم عساكر الموحدين وفطن ابن الشهيد لتثبيت ابن يوجان فقتلته بداره. وخرج يحيى بن الناصر إلى معتصمه كما ذكرناه فخلع الموحدون العادل ويعثوا بيعتهم إلى المأمون.

وتولى كبر ذلك الحسن أبو عبد الله الغريفر والسيد أبو حفص بن أبي حفص فبلغ خبرهم إلى يحيى بن الناصر وأبن الشهيد، فنزلوا إلى مراكش سنة ست وعشرين وستمائة وقتلهم وبابع للمأمون صاحب فاس وصاحب تلمسان محمد بن أبي زيد بن يوجان، وصاحب سبعة أبو موسى بن المنصور، وصاحب مجاهدة ابن أخيه ابن الأطامي وامتنع صاحب إفريقية وكان ذلك سبباً لاستبداد الأمير أبي زكريا على ما ذكر. ولم يبق على دعوة يحيى بن الناصر إلا إفريقية وسجلماسة.

وزحف الياسي إلى قربة فملكتها، ثم زحف إلى بشيشيلية فنازل بها المأمون والطاغية معه، بعد أن نزل له عن مخاطة وغيرها من حضون المسلمين فهزمه المأمون بنواحي بشيشيلية ولحق الياسي بقربة فثاروا به إلى حصن الدور، فغدر به وزيره ميورك، وجاء برأسه إلى المأمون بشيشيلية.

ثم ثار محمد بن يوسف بن هود وملك مرسيه واستولى على الكثير من شرق الأندلس كما ذكرناه في أخباره. وزحف إليه المأمون وحاصره وامتنع عليه فرجع إلى بشيشيلية، ثم خرج سنة ست وعشرين وستمائة إلى مراكش لما استدعاه أهل المغرب، ويعثوا إليه بيعتهم، وبعث إليه هلال بن حيدان أمير الخلط يستدعيه. واستمد الطاغية عسكراً من النصارى فأمده على شروط تقبلها منه المأمون، وأجاز إلى العدوة. وقاد أهل بشيشيلية بالبيعة لابن هود، واعتراضه يحيى بن الناصر فهزمه المأمون واستلهم من

واستقدم وزيره وعساكره من باجة فقدموا، ولما بلغ خبر مقتلهم إلى قومهم قدموه عليهم يحيى بن هلال بن حيدان، وأجلبوا على سائر التواхи، وأخذوا بدعة يحيى واستقدموه من مكانه بقاصية الصحراء.

وادخلهم في ذلك عمر بن وقاريط، وزحفوا لحصار الحضرة، وخرجت العساكر لقتالهم ومعهم عبد الصمد بن يلوان فرجم ابن وقاريط في جموعه من الساكن فانهزموا، وأحيط بمند النصارى فقتلوا وتفاقم الأمر بالحضر، وعدمت الأقوات، واعتزم الرشيد على الخروج إلى جبال الموحدين فخرج إليها، وسار منها إلى سجلamasة فملكتها، وأشتد الحصار على مراكش وافتتحها يحيى بن الناصر وقومه من هスクورة والخلط، وسار مارهم فيها وتغيرت أحوال الخلافة، وتغلب على السلطان السيد أبو إبراهيم بن أبي حفص الملقب بابي حاقة، وفي سنة ثلات وثلاثين وستمائة خرج الرشيد من سجلamasة بقصد مراكش، وخاطب جرمون بن عيسى وقومه من سفيان، فأجازوا وادي أم الريبع ويرز إليه يحيى في جموعه، والتقي الفرقان فانهزمت جموع يحيى واستحر القتل فيه، ودخل الرشيد إلى الحضرة ظافراً.

وأشار يحيى بن وقاريط على الخلط بالاستصراخ بابن هود صاحب الأندلس، والأخذ بدعته، فنكثوا بيعة يحيى وبعثوا وفدهم إلى ابن هود صحبة عمر بن وقاريط على الخلط بالاستصراخ فاستقر هنالك، وخرج الرشيد من مراكش وفرّ الخلط أمامه، وسار إلى فاس وسرح وزيره السيد أبي محمد إلى غماره وفازاز جلبية أمرائهم، وكان يحيى بن الناصر لما نكث الخلط بيعته لحق بعرب المعقل فأغاروه ووعدوه النصرة، واشتبوا عليه في المطالب، وأسف بعضهم بالمنع فاغتاله في جهة تازى، وسقى رأسه إلى الرشيد بفأس بعثه إلى مراكش، وأوزع إلى نائه بها أبي علي ابن عبد العزيز بقتل العرب الذين كانوا في اعتقاله وهم: حسن بن زيد شيخ العاصم، وفائد وقائد ابنا عامر شيئاً بني جابر، فقتلهم وإنكنا الرشيد راجعاً إلى حضرته سنة أربعين وثلاثين وستمائة وبلغه استيلاء صاحب درعة أبي محمد بن واندين على سجلamasة، وذلك أن الرشيد لما فصل من سجلamasة استخلفه عليها يوسف بن علي بن يوسف التينملي، فاستعمل ابن خالته من بني مرذيش، وهو يحيى بن أرقم بن محمد بن مرذيش، فثار عليه ثائر من صنهاجة وقتله في خبائه، وقام ابنه أرقم يطلب الثأر، ويبلغ منه ما أراد، ثم حدثه نفسه بالاتفاق خوفاً من عزل الرشيد إيهما فانتقض.

ونهض إليه الرشيد سنة اثنين وثلاثين وستمائة فلم يزل أبو

باشياعهم، ثم خرجوا إليه واستقاموا على بيته، وكان وصل في صحبته عمده السيد أبو محمد سعد فحلَّ من الدولة بمكان، وكان إليه التدبر والخلع والعقد، وبعد استقرار الرشيد بالحضر، وصل إليه عمر بن وقاريط كبير العساكرة من كان عنده من أولاد المأمون السيد وإخواته، فجاؤوا من أشبيلية عند ثورة أهلها بهم، واستقروا بسبعة عند عمهم أبي موسى، ومنها إلى الحضرة عند استيلاء ابن هود على سبة ومرروا بهسكترة، وكان ابن وقاريط حذراً من المأمون ومعتقداً أن لا يعود إليه، فلتم بصحبة هؤلاء الأولاد، وقدم على الرشيد فتقبله واعتلق بوصلة من السيد أبي محمد سعد وصحبة لسعود بن حيداً كبير الخلط.

ولما هلك السيد أبو محمد حق ابن وقاريط بقوته، ومعتصمه، وكشف وجه الخلاف، وأخذ بدعة يحيى بن الناصر، واستقر له قبائل الموحدين ونهض إليهم الرشيد سنة إحدى وثلاثين وستمائة واستخلف على الحضرة صهوة أبي العلي إدريس وصعد إليهم الجبل، فلحق يحيى ببلاد سجلamasة وانكفا الرشيد راجعاً إلى حضرته، واستأنف له كثير من الموحدين الذين كانوا مع يحيى بن الناصر فأتمهم ولحقوا بحضرته، وكان كثير أبو عثمان سعيد بن زكريا الكلمدي، وجاء الباقون على أثره ويسعى بعد أن شرطوا عليه إعادة ما كان أزال للمأمون من رسوم المهدى فأعيدت، وقد فهم أبو بكر بن يعزى التينملي رسولاً عن يوسف بن علي بن يوسف شيخ تينمل، وحمد بن يربزيكن المحتاري رسولاً عن أبي علي بن عزوز، ورجعا إلى مرسليهما بالقبول، فقدموا على الحضرة وقدم معهم مرسى بن الناصر أخي يحيى وكثير، وجاء على أثرهم أبو محمد بن أبي زكريا وأنسوا لإعادة رسوم الدعوة المهدية.

وكان مسعود بن حيدان الخلطي قد أغراه عمر بن وقاريط بالخلاف لصحبة بينهما، وكان مدللاً بآيائه وكثرة جموعه، يقال: إن الخلط كانوا يومذاك ينهزرون أثبي عشر الفاً سوئي الرجل والأتباع والخشود، فعرض في الطاعة وتناقل عن الوفادة، ولما علم بمقام الموحدين أجمع اعتراضهم وقتلهم تكيناً للفرقعة والشتات في الدولة فأعمل الرشيد الحيلة في استدعائه، وصرف عساكره إلى باجة لنظر وزيره السيد أبي محمد، حتى خلا ابن حيدان الجو وذهب عنه الريب، واستقدمه فأسر اللحاق بالحضر، وقدم معه معاوية عم عمر بن وقاريط، فقبض عليه وقتل حلينه، واستدعي مسعود بن حيدان إلى مجلس الخلافي للحديث فقبض عليه وعلى أصحابه وقتلوا ساعتئذ بعد جولة وهبة، وقضى الرشيد حاجة نفسه فيه،

## الخبر عن دولة السعيد بن المأمون

لما هلك الرشيد بعيون أخيه أبو الحسن السعيد بتعيين أبي محمد بن وانوردين، وتلقب المتقدّر بالله واستوزر السيد أبا إسحاق بن السيد أبي إبراهيم وبخي بن عطوش. وتقبض على جملة من مشيخة الوجهاء واستتصفي أمرالمهم واستخلاص نفسه رؤساء العرب من جسم. واستظهر بجومعهم على أمره وكان شيخ سفيان كانون بن جرمون كبير مجكّسة ولأول بيته انتقض عليه أبو علي بن الخلاص البنتي صاحب سبّة، وكذلك أهل أشبيلية وباعوها جميعاً للأمير أبي زكريا صاحب إفريقية.

ثم انتقض عليه سلجماسة عبد الله بن زكريا الهرجبي لمقالة كانت منه يوم بيعة الرشيد أسرها له فنابع للأمير أبي زكريا. ثم وصلته في هذه السنة هدية يغمرأسن بن زيان صاحب تلمسان، فنهض الأمير أبو زكريا صاحب إفريقية بسبب ذلك إلى تلمسان، واستولى عليها. ثم عقد عليها ليغمراسن حسبما ذكر في أخباره. وخرج السعيد من مراكش لتمهيد بلاد المغرب سنة الثنتين وأربعين وتغير لسعيد بن زكريا الكنديموي فتقبض عليه في معسركه بباتنة وفرّ أخيه أبو زيد ومعه أبو سعيد العود الربط، ولحقوا بسلجماسة فاستتصفي أمرالمهم بمراكش، وارتغل بقصد سجلmasة وأخذ إليها عبد الله الهرجبي في أسباب الامتناع، فندر به أبو زيد بن زكريا الكنديموي، وداخل أهل سجلmasة في الثورة عليه وملك البلد. واستدعي السعيد لها فوصل وقتل المهرجي. وفر أبو سعيد العود الربط إلى تونس. ثم رجع السعيد إلى المغرب وقتل سعيد بن زكريا ونزل المقرمة من أحواز فاس. وعقد المادنة معبني مرين وقفل إلى مراكش فتقبض على أبي محمد بن وانوردين واعتقله بأزمور. واعتقل معه بخي بن مراح وبحسي بن عطوش لنظر ابن ماكسن، فأعمل الخليفة في الفرار من معقلة. وخلص ليلاً إلى كانون بن جرمون فاركه ويعث معه من عرب سفيان من أوصله إلى قمه هتانة. وراسله السعيد على أثرها وسكنه واعتذر له، وأسعفه بسكنى تافيوت من حصنون عمله بأهله وولده.

ثم انتقض على السعيد كانون بن جرمون وسفيان، وخالفتهم إليه بنو جابر والخليفة، وخرج من مراكش واستوزر السيد أبا إسحاق ابن السيد أبي إبراهيم إسحاق أخي المنصور. واستختلف أخاه أبا زيد على مراكش، وأخاهما أبا حفص عمر على سلا وفصل من مراكش ستة، وجمع له أبو بخي بن عبد الحق جموع بنى راشد وبنى ورا وسفيان، حتى إذا تراءى الفريقيان للقاء، خالف كانون بن جرمون الوجهاء إلى أزمور، واستولى عليها

محمد بن وانوردين يعمل الخليفة في استخلاصها حتى تمكن منها وعفى عن أرقمن. وكان ابن وقاريط لا فصل إلى ابن هود سنة أربع وثلاثين وستمائة ركب البحر في أسطول ابن هود، وقد سلا وبها السيد أبو العلي صهر الرشيد، فنکاد أن يغلب عليها. وفي سنة خمس وثلاثين وستمائة بايع أهل أشبيلية للرشيد ونقضوا طاعة ابن هود، وتولى كبر ذلك أبو عمر بن الجند، وأشخص بنو حجاج إلى سبعة ووصل فذهب إلى الحضرة ومرروا في طريقهم بسبعة، فاقتدى أهلهما بهم في بيعة الرشيد، وخلعوا أميرهم اليائسي التاجر بها على ابن هود وقدموا الحضرة، وولى عليهم الرشيد أبا علي بن خالص منهم، ولأيام من مقدمهم وصل عمر بن وقاريط معتقلًا من أشبيلية، أغراهم بالقبض عليه القاضي أبو عبد الله المؤمناني، كان توجه رسولاً إلى ابن هود عن الرشيد، فماكم لهم من ابن وقاريط. وبعثه إلى الرشيد وفي قد من رسنه فاعتقله بأزمور وقتل وصلب برباط حسکورة، بعد أن طيف به على جمل، وانصرف وقد أشبيلية وبسبعة، واستقدم الرشيد رؤساء الخلط فتقبض عليهم، ويعت عساكره فاستباحوا حلهم وأحياءهم. ثم أمر بقتل مشيختهم وقتل معهم ابن وقاريط، وقطع دابرهم. وفي سنة ست وثلاثين وستمائة وصلت بيعة محمد بن يوسف بن نصر بن الأحرار التاجر بالأندلس على ابن هود. وفي سنة سبع وثلاثين وستمائة اشتدت الفتنة بالغرب، وانتشر بنو مرين في بسائطه، وقاتلهم رياح بأذغار وشيخهم عثمان بن نصر فهزهم بنو مرين وقتلهم قتلاً ذريعاً. وكان الرشيد استقدم أبا محمد بن وانوردين من سجلmasة سنة خمس وثلاثين وستمائة وعقد له على فاس وسجلmasة وغمارة ونواحيها من أرض المغرب، فكان هنالك. ولما انتشر بنو مرين بالغرب راح عليهم فهزموه، ثم زحف ثانية وثالثة فهزموه وأقام في مغاربهم ستين ورجع إلى الحضرة. واشتد عدواون ببني مرين بالغرب، وألحوا على مكتنasa حتى أعطوا الأزارة لبني حامة منهم، فأسفروا بني عسکر بذلك، واتصل عليهم في نواحيها. وفي سنة سبع وثلاثين وخمسة قتل الرشيد كاتبه ابن المؤمناني لما خلله مع بعض السادة، وهو عمر بن عبد العزيز أخي المنصور، وقف على كتابه إليه بخطه. وغلط الرسول بها فدفعها بدار الخليفة.

وفي سنة أربعين وستمائة بعدها كانت وفاة الرشيد غريقاً زعموا في بعض حواتر القصر. ويقال: إنه أخرج من الماء وحم لوقته، وكان فيها مهلكه، والله تعالى أعلم.

تامستا من طريقه ومعه أشياخ العرب فسيأعوه وتلقب المرتضى، وعقد ليعقوب بن كانون على بني جابر ولعمه يعقوب بن جرمن على عرب سفيان بعد أن كان قومه قدموه عليهم، ودخل الحضرة فاستوزر أباً محمد بن يونس وتقبض على حاشية السعيد، ثم وصل أخوه السيد أبو إسحاق من الفل آخذنا على طريق سجلماسة فاستوزره واستبد عليه، واستولى أبو يحيى بن عبد الحق وبنر مرين إثر مهلك السعيد على رباط تازى من يد السيد أبي على أخي أبي دبوس وأخرجوه فلحق بمراكبش. ثم استولوا بعدها على مدينة فاس سنة سبع وأربعين وستمائة كما نذكره في أخبارهم بعد.

وفي هذه السنة ثار بستة أبو القاسم العزفي وأخرج ابن الشهيد الراوي على سبعة من قرابة الأمير أبي زكريا صاحب إفريقية، وحول الدعوة للمرتضى حسبما نذكر في أخبار الدولة الخصوصية وأخبار بني الغزي. وفي سنة تسع وأربعين وستمائة وقد على المرتضى موسى بن زيان الونكاسي وأخوه علي من قبائل بني مرين وأغروه بقتال بني عبد الحق فخرج إليهم ولا انتهى إلى أمان إيمولي أشاع يعقوب بن جرمن قضية الصلح بينهما فأصبحوا راحلين، وقد استولى الجزع على قلوبهم فافتضوا ووقع المزيمة من غير قتال. ووصل المرتضى إلى الحضرة فعزز أباً محمد بن يونس عن الوزارة لشيء بلغه عنه، وأسكنه بحملته مع حاشيته، وفر من جملته علي بن بدر إلى السوس سنة إحدى وخمسين وستمائة، وجاهر بالعناد. وسرج إلى السلطان عسكراً من الجندي فرجعوا عنه ولم يظفروا به، وتقافم أمره ستة اثنين وخمسين وستمائة. وجمع أغرب الشبانات وهي حسان وحمل أموال ونازل تارودات فحاصر من كان بها. وسرح المرتضى إليه عسكراً من الموحدين فأخرج عنها. ثم رجع بعد فتوthem إلى حاله، وعشر المرتضى على خطابه لقريبة ابن يونس وكتاب ابن يونس إليه بخطه، فاعتقل هو وأولاده ثم قتل.

وفي هذه السنة استدعي مشيخة الخلط إلى الحضرة وقتلوا لما كان منهم في مهلك السعيد. وفيها خرج أبو الحسن بن يعلو في عسكر من الموحدين إلى تامستا ليكشف أحوال العرب، ومعه يعقوب بن جرمن، وعهد إليه المرتضى بالقبض على يعقوب بن محمد بن قيطون شيخ بني جابر، فتقبض عليه وعلى وزيره ابن مسلم وطير بهما إلى الحضرة معتقليين.

وفي سنة ثلاثة وخمسين وستمائة خرج المرتضى من مراكش لاسترجاع فاس ونواحيها من يد بني مرين التغلبيين عليها، فوصل إلى بني بهلول، وزحف إليه بني مرين وأميرهم أبو يحيى فكانت

ورجع السعيد أدراجه في أتباعه، فقرَّ كاتون واعتربه السعيد فأوقع به، واستلهم كثيراً من سفيان قومه، واستولى على ماله من مال وماشية، ولحق كاتون في ذلك ببني مرين ورجع السعيد إلى الحضرة. وفي ثلاث وأربعين ثارت العامة بمكناة على واليها من قبل السعيد فقتلواه، وحضر مشيختها من سلطنته فحرروا الدعوة إلى الأمير أبي زكريا بن أبي حفص صاحب إفريقية، وبعثوا إليه بيعتهم، وكانت من إنشاء أبي مطرف بن عميرة، وذلك بمداخلة أبي يحيى بن عبد الحق أمير بني مرين ووفاقه لهم على ذلك. وشارطوا أبي يحيى بن عبد الحق بمال دفعوه إليه على الحماية.

ثم راجعوا أمرهم وأوفدوا صلحاءهم بيعتهم فرضي عنهم السعيد ورضوا عنه، وفي هذه السنة بعث أهل أشبيلية وأهل سبعة بطاعتهم للأمير أبي زكريا صاحب إفريقية. وبعث ابن خلاص بهديته مع ابنه في أسطول أنشأه لذلك ففرق عند إقلاعه من المرسى. وفي سنة ست وأربعين كان استيلاء الطاغية على أشبيلية لسبعين من رمضان ولما بلغ السيد بيعة أهل أشبيلية وبعث للأمير أبي زكريا إلى ما كان من تغلبه على تلمسان، وأخذ يغمراسن بدعوته، ثم ما كان من بيعة أهل مكناة وأهل سجلماسة له أعمل نظره في الحركة إلى تلمسان ثم إلى إفريقية. وخرج إلى مراكش في ذي الحجة من سنة خمس وأربعين وستمائة ووافاه كاتون بن جرمن فعاوده الطاعة واستحوذ سفيان وجاء في جملة السعيد مع سائر القبائل من جسم. ولما احتل السعيد بتازى وفاته وفدى بني مرين عن أميرهم أبي يحيى بن عبد الحق، فأعطيوه الطاغية وبعثوا معه عسكراً من قومهم مددًا له.

ثم سار السعيد إلى تلمسان فكان مهلكه بتأمزردكت على يد بني عبد الواد في صفر سنة ست وأربعين وستمائة حسبما نشرح في أخبارهم. ويقال: إن ذلك كان بمداخلة من الخلط فاستولوا على الجلة وقتلوا عدوهم كاتون، وأنقض الع스크 إلى المغرب وقد اجتمعوا إلى عبد الله بن السعيد واعتربهم بنو مرين بجهات تازى، فقتلوا عبد الله بن السعيد ولحق الفيل بمراكبش فبايعوا للمرتضى كما نذكر.

### الخبر عن دولة المرتضى ابن أخي المتصور

لما لحق فل الع스크 بعد مهلك السعيد بمراكبش، اجتمع الموحدون على بيعة السيد أبي حفص عمر ابن السيد أبي إبراهيم إسحاق أخي المتصور، واستقدموه لها من سلا، فلقيه وافتدهم

ووفد على المرتضى عواج بن هلال من أمراء الخلط نازعاً إلى طاعته ومقارفاً لبني مرiven، فأنزل معه أصحابه بمراكش وجاء على أثره عبد الرحمن بن يعقوب بن جرمنون، فقبض على عواج ودفعه إلى علي بن أبي علي فقتله، وكان تقضي معه على عبد الرحمن بن يعقوب ووزيره قتلوا جميعاً، واستبد برئاسة سفيان مسعود بن كانون، وبريئته بني جابر إسماعيل بن يعقوب بن قيطون.

وفي سنة ستين وستمائة عند رجوع يحيى بن واتودين من واقعة أم الرجلين، خرج عسكراً من الموحدين إلى السوس لنظر محمد بن علي أزلماط ولقيه علي بن بدر فهزم جوعه وقتلها، وعقد المرتضى من بعده على حرب علي بن بدر للوزير أبي زيد بن بكير، وسرح معه عسكراً من الجندي، وكان فيهم دليل من زعماء النصرانية، فدارت الحرب بين الفرقين، ولم يكن للموحدين فيها ظهور على كثريهم وقوتها جلدتهم وحسن بلائهم، فعد بهم عن ذلك تكاسل دليل وخروجه عن طاعة الوزير، وكتب بذلك للمرتضى فاستقدمه، وأمر أبو زيد بن يحيى الكنديوي باعتراضه في طريقه وقتله. وفي سنة الثتين وستين وستمائة أقبل يعقوب بن عبد الحق في جوع بني مرiven فنازلاً مراكش واتصلت الحرب بينهم وبين الموحدين بظاهرها أياماً هلك فيها عبد الله انحجب بن يعقوب، فبعث المرتضى إلى أبيه بالتعزية ولاطف وضرب له أنواة يبعث بها إليه في كل عام، فرضي وارتحل عنهم.

### الخبر عن انتقام أبي دبوس وتغلبه على مراكش ومهلك المرتضى وما كان في دولته من الأحداث

لما ارتحل بنو مرiven عن مراكش بعد مهلك انحجب فرّ من الحضرة قائد حروبه السيد أبو العلى الملقب بأبي دبوس ابن السيد أبي عبد الله محمد ابن السيد أبي حفص بن عبد المؤمن لسعابة تكثنت فيه عند المرتضى، وصحبه ابن عمه السيد أبو موسى عمران بن عبد الله بن الخليفة، فلحقاً مسعود بن كلدان بن كبير هسکوره فاجراه. ثم لحق يعقوب بن عبد الحق بفاس صريحاً به على شأنه، واشتراط له المقاسمة في العمالة والذخيرة فآمد بالمال، يقال: خمسة آلاف دينار عشرية. وأوْعز إلى علي بن أبي علي الخططي بظاهرته وإعطائه الآلات. ورجع إلى علي بن أبي علي الخلطي فأمدده بقومه. ثم سار إلى هسکوره ونزل على صاحبه مسعود بن كلدان فأطاعه قبائل هسکوره وهزرجة.

المزيدة على الموحدين بذلك الموضوع. ورجع المرتضى مفلولاً إلى مراكش، ورعى بني مرiven من بعد ذلك سائر أيامه. واستبد العزيز بسيبة، وابن الأمير بطنة كما ذكره في أخبارهم.

وفي سنة خمس وستين وستمائة بعث المرتضى إلى السوس عسكراً من الموحدين لنظر أبي محمد بن أصناف فلقاهم علي بن بدر وهزرجهم واستبد بأمره في السوس. وفي هذه السنة استولى أبو يحيى بن عبد الحق على سجلamasة وتقبض على واليها عبد الحق بن أصباخو بمدخلة من خديم له يعرف بمحمد القطراني كان أبوه تاجرًا في القطران بنواحي سلا، فصرف عبد الحق ابنه حمداً هذا في مهمة وقربه من بين أهل خدمته، وحدثه نفسه بالثورة فاستمال العرب العقل أولًا بالمشاركة في حاجاتهم عند مخدومه، والإحسان إليهم حتى اشتعلوا عليه.

ثم داشر أبو يحيى بن عبد الحق في تعيينه من البلد فجاءه بجملته، وقد وفده إلى البلد رسلاً في بعض الحديث فتقبض محمد القطراني على عبد الحق بن أصباخو وأخرجته إلى أبي يحيى بن عبد الحق فقاده وسرحه إلى مراكش. وكان القطراني شرط على أبي يحيى أن يكون وإلي سجلamasة فامضي له شرطه، وأنزل معه بما من رجالات بني مرiven حتى إذا هلك أبو يحيى بن عبد الحق أخرجهم محمد القطراني واستبد بأمر سجلamasة، وراجع دعوة المرتضى واعتذر إليه واستشرط عليه الاستبداد فامضي له شرطه إلا في الأحكام الشرعية.

وبعث أبو عمر بن حجاج قاضياً من الحضرة، وبعض السادات للسكنى في القصبة، وقاداً من النصارى بعسكر للحماية، فأعمال ابن الحجاج الحيلة في قتل القطراني وتولاه قائد النصارى. واستبد السيد بأمر سجلamasة بدعة المرتضى، واستحل أمراً بني مرiven أثناء ذلك. ونزل يعقوب بن عبد الحق بساطاً تامستاً، فسرح إليهم المرتضى عساكر الموحدين لنظر يحيى بن واتودين فأجلفوا إلى وادي أم ربيع، واتبهم الموحدون فرجعوا إليهم، وغدر بهم بنو جابر فانهزم الموحدون بأمر الرجلين. ولحق شيخ الخلط علي بن أبي علي ببني مرiven وارتحلوا إلى أوطانهم.

وكان المرتضى قدم يعقوب بن جرمنون على قبائل سفيان، وكان يعقوب ابن أخيه كانون يناديه في رئاسة قومه، وغضبه به فقتله، وثار به أخوه مسعود وعلي بعد حين فقتلاه. وول المرتضى مكانه ابنه عبد الرحمن فاستوزر يوسف بن وارزك ويعقوب بن علوان. وشنق بذاته وتصدى لقطع السابلة، ثم نكث الطاعة ولحق ببني مرiven، فول مكانه عم عبد الله بن جرمنون ويكثي بأبي زمام. وعقد له المرتضى، ثم أداد منه بأخيه مسعود لعجزه.

فارتحل إليه لإزالتها. وقدم عبد العزيز بن عطوش سفيراً إليه في ذلك. ويبلغه أن يعقوب بن عبد الحق نزل تائماً فرأوف عليه حمدي بن مخلوف المسكوري بهدية فقبلها، وأكد بينهما العهد وإنكما راجعاً إلى وطنه. ورجع حمدي إلى الواتق، ووافق وصول عبد العزيز بن عطوش بطاعة مسعود بن كلدانس، فرجع أبو دبوس إلى مراكش بعد أن عقد لأبي موسى بن عزوز على بلاد حاحنة. ويبلغه في طريقه عن عبد العزيز بن السعيد أنه حدث نفسه بالملك، وأن ابن بكيت وابن كلدانس داخلوه في ذلك. وسائل عن ذلك السيد أبا زيد ابن السيد أبي عمران خليفة، وأخبره بما سمع، وأمره بالقبض عليه وقتل، فانفذ ذلك.

ثم ارتحل إلى السوس لتمهيده، وجسم عمل ابن يدر فيه.

وقدم يحيى بن واتردين لاستئثار قبائل السوس من كرولة ولطة وكنيسة وصناعة وغيرهم، وسار يقرى المنازل ويستقر القبائل، ومر بناورونت فوجدها فقراء خلاة إلا قلائل من الدور بخارجها. ونزل على حمدي صهر علي بن بدر وفريه بمحسن تسبخت على وادي السوس، كان لصنهاجة فغلبهم عليه ابن بدر وملكه فنازله أبو دبوس وحاصره أيام، وهزم فيها جموعه وداخل حمدي علي بن زكداز في إفراج أبي دبوس على سبعين ألف دينار يؤددها إليه، فأعجله الفتح عن ذلك ونجا بدمانه إلى بيته. وطربل بالمال، وبقي معقلأً عند ابن زكداز، وامتنع ابن بدر بمحنته. ثم أطاع ووصلت رسالته بظاهرته، فانصرف الواثق إلى حضرته ودخلها ستة خمس وستين وستمائة. ويبلغه الخبر بانتقام يعقوب بن عبد الحق وأنه زاحف إلى .... فبعث بهديته إلى تلمسان صحبة أبي الحسن بن قطرا وابن أبي عثمان رسول يغمراسن، وخرج بهم من مراكش ابن أبي مديون السكاسي دليلاً. وسلك بهم على القفر إلى سجلماسة، وبها يحيى بن يغمراسن، فعثهم مع بعض المعلم إلى أبيه فالغور بجهة مليانة، فأقام ابن قطرا بتلمسان يتظره. وكان يعقوب بن عبد الحق لما بلغه ذلك نهض إلى مراكش مجيئه ببني مرزين وعسكر المغرب، ونزل بضواحي مراكش وأطاعه أهل التواحji ونهض إليه أبو دبوس في عساكر الموحدين فاستجرأه يعقوب إلى وادي أغفو، ثم ناجزه الحرب فاختل مصافه وفر عسكره. وإنهز بريد مراكش، والقوم في اتباعه فادرك وقتل. وبادر يعقوب بن عبد الحق فدخل مراكش في المحرم فاتح ستة ثمان وستين وستمائة وفر بقية المشيخة من الموحدين إلى معاقلهم بعد أن كانوا بايعوا عبد الواحد بن أبي دبوس، وسموه المعتصم مدة خمسة أيام وخرج في جلتهم، وانقرض أمر بني عبد المؤمن، والبقاء لله وحده.

وبعث إليه عزوز بن ببورك كبير صنهاجة في ناحية أزمور، وكان منحرفاً عن طاعة المرتضى إلى جلة يعقوب بن عبد الحق، ووفد عليه جماعة من السادة والموحدين والجند والصارى، وارتاتب المرتضى بمسعود بن كانون شيخ سفيان، وبإسماعيل بن قيطون شيخ بني جابر، فتقبض عليهم واعتقلهم، وصار الكثير من قومهم إلى أبي دبوس. وقتل إسماعيل بن قيطون في معتقله، فانتقض آخره ثاراً ولحق بهم، وحضر علوش بن كانون مثلها على أخيه فاتبعهم، وزحف أبو العلى إلى مراكش. ولما بلغ أخواته وجد بها الوزير أبا زيد بن بكيت في عساكر لحماية فناجزه الحرب فانهز ابن بكيت وقتل عامه أصحابه. وسار أبو دبوس إلى مراكش، وأغار علوش بن كانون على باب الشريعة والناس في صلاة الجمعة، وركز رمحه بمصراعه.

ودخلت سنة خمس وستين وستمائة والمرتضى بـ مراكش غافل عن شأن أبي دبوس بباب والأسوار خالية من الحواس والخامية فقصد أبو دبوس أغاثات قصور البلد من هناك ودخلها على حين غفلة. وقد القصبة فدخلها من باب الطبول وفرّ المرتضى ومعه الوزيران أبو زيد بن يعلو الكومي، وأبو موسى بن عزوز الهاشمي، فلتحقوا بهاتهانة والفرهم قد بعشروا بطاعتهم فرحل إلى كدميوة، وكان فيها وزير أبو زيد عبد الرحمن بن عبد الكريم، فأراد التزول عليه فمنعه ابن سعد الله، وسار إلى شفشاوة، ووجد بها عدداً من الظهر فمنعها علي بن زكداز، وكتب إلى ابن واتردين ب العسكرية من حاجة. وإلى ابن عطوش ب العسكرية من ركرة باللحاق به فأقلعا إلى الحضرة.

وخاطب أبو دبوس علي بن زكداز يرغبه في القدوم عليه، فارتاتب المرتضى لذلك ولحق بـ زامور فتقبض عليهما وبها ابن عطوش. وكان صهره واعتلله، وطير الخبر إلى ابن دبوس، فأمر وزير السيد أبا موسى أن يكتبه في كشف أماكن الذخيرة، فاجابه يانكار أن يكون ذخر شيئاً عندهم، والخلف على ذلك. وسأله بالرحمة، فعطّف أبو دبوس عليه وجّه إلى الإيقاء. وبعث وزير السيد أبا موسى ومسعود بن كانون في إزعاجه إليه.

ثم بدا له في استحياءه بإشارة بعض السادات، فكتب خطبه إلى السيد أبي موسى يقتله، فقتلته واستقتل أبو دبوس بالأمر، وتلقب الواثق بالله والمعتمد على الله. واستوزر السيد أبا موسى وأخاه السيد أبا زيد، وينزل العطاء ونظر في الولايات ورفع المكوس عن الرعية، وحدث بيته وبين مسعود بن كلدانس وحشة

## الخبر عن هسکورة

ودوخ اقطاره وحل معتصم بالعساكر وأوطأ ساحاته لكتاب رجاله دون من يده من أعراب السوس من ورائه، بما كان من تغلب على بلادهم واقتضائه بطاعتهم وإنزال عماله بالعساكر بينهم، فلاذ منه عبد الله السكسيوي بطاعة معروفة رهن فيها ابنه، واشترط للسلطان المدية والضيافة، فقبل منه وتحمّه جانب الرضى.

ولما كانت نكبة السلطان بالقروان، واضطراب المغرب فتنة وخلا جو البلاد المراكشية من المشايخ اجتمع رأي الملا من المصامدة على التزول إلى مراكش، وأحكموا عقد الاتفاق بينهم وأجعوا تخربها بما كانت داراً للإمرة ولقامت الكتاب الجمرة، وزعم عبد الله السكسيوي هذا بإنفاذ ذلك فيها، وضمن هو تخريب المساجد لتجاهفهم عنها فكانت مذكرة على الأيام. ثم اخْلَع عزّهم وافتقرت جماعتهم وكلمتهم بما كانت من استقامة الدولة بفاس واجتماع بني مرين على السلطان أبي عنان كما يذكر بعد فاخْجَر كل منهم بوجاره.

ولما فرغ أبو عنان من شأن أبيه واستولى على المغرب الأوسط وغلب عليه بنو عبد الواد، ولحق أخوه أبو الفضل بن مطرح اغترابه في الأندلس بالطاعة يروم الإجازة إلى المغرب لطلب حقة، فأركبه السفير إلى مراحيل السوس فنزل به، ولحق بعد الله السكسيوي فاوأه وظاهر على أمره. فجرد أبو عنان العزائم إلَيْهم وعقد لوزيره فارس بن ميمون بن وادرار على حربهم. واستخرج جيوش المغرب وأناخ بساحته ستة أربع وخمسين وستمائة واحتَاط بسفح الجبل مدينة لحصاره سماها القاهرة. وأخذت يختنه وزاحت بناكها أركان معقله حتى لاذ للسلام، واشترط أن ينذر العهد إلى أبي الفضل المصري عنده يذهب حيث يشاء فقبل منه. وعقد له سلماً على عادته وأفرج عنه. وخرج على عبد الله السكسيوي لأيام السلطان أبي سالم ابنه محمد المعروف في لغتهم أبزم ومعناه الأسد، فغلبه على أمره ولحق عبد الله بعامر بن محمد الهمتاني كبير المصامدة لعهده، وعامل السلطان عليهم، فاستجاش به ووعده عامر النصرة وأمهله عاماً ونصفه حتى وفدى على السلطان، واستوره في ذلك.

ثم أجمع على نصره من عدوه فجمعت له الناس وخاطب أهل ولايته أن يكون معه يداً، وزحف عبد الله حتى نزل بالقاهرة وأخذ يبحث فيه وأثنى عليه، ثم داخله بعض بطانته وده على بعض العورات اقتضم منها الجبل وثاروا بابنه أبزم فصاح به عبد الله وقومه. وفر محمد أمامهم فأدرك بتلاسن من نواحي الجبل وقتل واسترجع عبد الله ملكه، واستقلت قدمه إلى أن مكر به ابن عمّه

وأما هسکورة وهو أكثر قبائل المصامدة، وفيهم بطنون كثيرة أوسعها بطن هسکورة. وأما سواهم من بطنون كفيفية فأنفقتهم الدولة بما تولوا من مشايتها، وإبرام عقدتها، فهلك رجالاتهم في إنفاقها سبل الأمم قبلهم في دولهم، وأما هسکورة فكان لهم بين الموحدين مكان واعتزاز بكثورتهم وغلبهم إلا أنهم كانوا أهل بدو ولم يخالطوهم في ترفهم ولا انفسوا في نعيمهم.

وكان جبلهم الذي أوطنه من حالة دون القنة منها والذروة. واعتصموا منه بالأفاق الفدد واليقاع الأشم والطسود الشاهق، قد لبس الأفلاك بيده ونظم التجorum في مفرقه. وتلفع بالحساب في مروطه، وأوى الرياح العواصف الدجوة والقى إلى خبر السماء ياذنه، وأظل على البحر الأخضر بشماريجه، واستدير القفر من بلاد السوس بظهره، وأقام سائر جبال درن في حجره.

ولا انفرض أمر الموحدين وتنقلب بنو مرين على المصامدة أجمع، وساموهم خطة الخسف في وضع الضرائب والمغارم عليهم، فاستكانوا لعزمهم وأعطوه يد الطواعية، واعتصم هسکورة مؤلاء بمقلمهم واعتزوا فيه بعنفهم، فلهم يغمسوا في خدمتهم يداء، ولا أعطوه يقاداً، ولا رفعوا بدعوتهم راية، إنما هي مناسبة لأمرهم وامتناع عليهم سائر الأيام. فإذا زحفت الحشود وقرست بهم العساكر دافعوه بطاعة معروفة وأناوة غير ملتزمة، ورئيسهم مع ذلك يستخلاص جيابتهم لنفسه ويدفعهم في المصايب لحماته، وربما تحظاهم إلى بعض قبائل الجبل ومن قاربه من أهل سائط السوس يعسکر بذلك للرجل من قومه هسکورة وكفيفية، وبالحشد من العرب الموطنين بأرض السوس.

وسفيان وهو بطن الحارث ومن المعقل وهو بطن الشبات، وكان رئيسهم في ما ذكرنا - بعد انفرض عبد المؤمن بن يوسف، وبحير لسان الأعجمين - هو عبد الواحد، وكان له في الاستبداد والصرامة ذكر. وهلك سنة ثمانين وستمائة وكان متاحلاً للعلم واعية له جماعة لكتبه ودواوينه، حافظاً لفروع الفقه. يقال: إن المدونة كانت من مخطوطاته، عبّا في الفلسفة مطالعاً لكتبه، حرضاً على نتائجها من علم الكيمياء والسيمياء والسحر والشعوذة، مطلعاً على الشرائع القديمة والكتب المتزلة بكتب التسورة. وبمحالس أخبار اليهود حتى لقد آتتهم في عقيدته ورمي بالرغبة عن دينه، ثم ولّ من بعده ابنه عبد الله، وكان مقفيماً سنن أبيه في ذلكخصوصاً في انتحال السحر والاستشراف إلى صنعة الكيمياء، ولما فرغ السلطان أبو الحسن من شأن أخيه عمر، وسكن فتنة المغرب

جيعاً أهل مغم واسع وجباية موفورة فيما علمناه، والله الخلق والأمر وهو خير الوارثين.

كان الواثق جهز لحرب أحد أمراء المصامدة، فكان وزيره داخله في ذلك وسائل من ذلك السيد أبا زيد ابن السيد أبي عمران خليفة وأخبره بما سمع، وأمره بالقبض عليه وقتله فانفذ ذلك. ثم ارتحل إلى السوس لتمهيده، وحسن هلال بن بدر فيه علله وقيل يحيى بن وازدين لاستفار قبائل السوس من كزولة ولطمة وكفيسة وصناكة وغيرهم، وسار ينبعي المنازل ويستقر القبائل وهو بتارودنت فوجدها قفرأ خلاء إلا قليلاً من الدور يختارها، وزُل على حبيدين صهر علي بن بدر وفريبه محسن تيسخت على وادي السوس، كان لصنهاجة فغلبهم عليه ابن بدر وملكه فنازله أبو دبوس وحاصره أياماً وهزم فيها جموعه.

وأدخل محمد بن علي بن زكdan في إفراج أبي دبوس على سبعين ألف دينار يؤديها إليه، فأعجله الفتح من ذلك ونجا بدمائه إلى بيته، وطرب بالمال وبقي معتقاً عند ابن زكdan، وامتنع على ابن بدر بمحضه، ثم أطاع ووصلت رسالته بظاهره فانتصر الواثق

إلى حضرته ودخلها سنة خمس وستين وستمائة وبلغه الخبر بانتقاد يعقوب بن عبد الحق وأنهى إليه فبعث بمرتبه إلى تلمسان صحبة أبي الحسن بن قطران؟؟ وابن أبي عثمان رسول يغمراسن. وخرج إليهم من مراكش ابن أبي مدینون الونكاسي دليلاً وسلك بهم على التغر إلى سجلamasة، وبها يحيى بن يغمراسن فعمتهم مع بعض المقل إلى أبيه، وال فهو مجاهدة ملائحة فاقم ابن قطراو بتلمسان يتظاهر. وكان يعقوب بن عبد الحق لما بلغه ذلك نهض إلى مراكش

يجيوشبني مرين ونزل بضواحي مراكش، وأطاعه أهل النواحي ونهض إليه أبو دبوس بعساكر الموحدين فاستجره يعقوب إلى وادي أغير. ثم ناجزه الحرب فاختل مصافه وفر عسركه وانهزم يريد مراكش والقوم في اتباعه، فادرك وقتل ويادر يعقوب بن عبد الحق فدخل مراكش في المحرم فاتح سنة ثمان وستين وستمائة، وفر

بقية المشيخة من الموحدين إلى مغاربهم بعد أن كانوا يابعاً عبد

الحق أحد بن أبي دبوس وسموه المعتصم مدة من خمسة أيام

وخرج في جلتهم وانقض أمر بن عبد المؤمن والبقاء لله وحده

.اهـ

يحيى بن سليمان حين بلغ استبداد الوزير عمر بن عبد الله على سلطان المغرب واستبداد عامر بن محمد بولاية مراكش، وأشار منه يحيى هذا بأبيه سليمان وهو عم عبد الله، كان قتله أيام إمارته الأولى وأقام ملكاً على سكسيبة إلى سفي خس وسبعين وستمائة، فثار عليه أبو بكر بن عمر بن خرو فقتلته أخيه عبد الله، واستقل بأمر سكسيبة ومن إليهم. ثم خرج عليهم لأعوام من استقلاله ابن عم له من أهل بيته لم ينقل لي من تعريفه إلا أن اسمه عبد الرحمن، لأن ثورته كانت بعد رحلتي الثانية من المغرب سنة ست وسبعين وستمائة، فأخبارني الثقة بأمره وأنه ظفر بأبي بكر بن عمر وقتلته. واستبدل بأمر الجبل إلى هذا العهد فيما زعم وهو سنة تسع وسبعين وستمائة، ثم بلغني سنة ثمان وثمانين وستمائة أن عبد الرحمن هذا ويعرف بأبي زيد بن مخلوف بن عمر آجليد قتله يحيى بن عبد الله بن عمر، واستبدل بأمر هذا الجبل وهو الآن ملكه، وهو آخر أبايم بن عبد الله، والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

#### بقية قبائل المصامدة

وأما بقية قبائل المصامدة من سوى هؤلاء السبع مثل هيلانة وحاجة ودكاكة وغيرهم من أوطان هضاب الجبل أو ساحتها فهم أمم لا تتحضر. ودكالة منهم في ساحة الجبل من جانب الجوف مما يلي مراكش إلى البحر من جانب الغرب. وهناك رباط آسفى المعروف ببني ماكر من بطونهم وبين الناس اختلاف في اتسابهم في المصامدة أو صنهاجة، وتعاورهم من جانب المغرب في بسيط ينعلط ما بين ساحل البحر وجبل درن في بسيط هناك يفضي إلى السوس، يعمره من حاجة هؤلاء، خلق أكثراً في خمر الشعاء من الشجر المعروف بأرجان، يتحصنون بملتفها وأدواحها ويعتصرون الزيت لأدامهم من ثمارها، وهو زيت شريف طيب اللون والرائحة والطعم يبعث منه العمال إلى دار الملك في هناباهم فيطوفون به.

وبآخر مواطئهم ما يلي أرض السوس وفي القبالة عن جبل درن بلدة دنسن وبها معظم هذه الشعاء ينجزها رؤساوهم، ورؤاستهم في بطن منهم يعرفون بمغراوة وكانشيخهم لعهد السلطان أبي عنان إبراهيم بن حسين بن حماد بن حسين، وبعده ابنه محمد بن إبراهيم بن حسين، وبعده ابن عمهم خالد بن عيسى بن حماد، واستمرت رئاسته عليهم إلى أعوام ست وسبعين وسبعيناً أيام استيلاء السلطان عبد الرحمن بن بطرسون على مراكش، فقتلته شيخ بني مرين علي بن عمر الورتاجي من بني وبلغان منهم وما أدرى لمن صارت رئاستهم من بعده، وهم دكالة

والاشتمال عليه والقيام بأمره حتى تخيز إليهم وبنى داره وممسجده  
بيتهم، فكان يعطيهم من الفيء بقدر عظمهم من الابتلاء، وأبعدوا  
في ممالك الدولة وعمالاتها فافتراض رجالاتهم، وملك غيرهم من  
المصادمة أمرهم عليهم، وقرب الإمام بينهم بهذا العهد على حاله  
من التجلة والتعظيم وقراءة القرآن عليه أحزاباً بالغدو والعشي،  
وتعاهده بالزيارة وقيام المحاجب دون الرأتين من الغرباء لتسهيل  
الإذن، واستشعار الأبهة وتقديم الصدقات بين يدي زناته على  
الرسم المعروف في احتفال الدولة، وهم مصممون مع ذلك وكافة  
المصادمة أن الأمر سيعود وأن الدولة ستظهر على أهل المشرق  
والمغرب وغلاً الأرض كما وعدهم المهدي، لا يشكون في ذلك  
ولا يستردون فيه.

واما هنّة وهم تلو القبيّلتين في الأمر، وكل من بعدهم  
فإنما جاء على أثرهم وتبعأ لهم، بما كانوا عليه من الكثرة والباس،  
ومكان شيخهم أبي حفص عمر بن يحيى من صحابة الإمام  
والاعتزاز على المصاومة. وكانت لهم باقريّة دولة كما نذكره،  
فأنفت الدولتان منهم عوالم في سبيل الاستظهار بهم، وبقي  
بموطنهم المعروف بهم من جبال درن، وهو الجبل المتأخّم لراكش  
على توسط من الاستبداد والخضوع لهم في قوّتهم مكان بامتناع  
معقلّهم وإطلاله على مراكش. ولما تغلّب بنو مرين على المصاومة،  
وقطعوا عنهم أسباب الدّعوة كان لرؤسائهم أولاد يونس الخياش  
إليهم بما كانوا سخرّين في آخر دولة بني عبد المؤمن،  
فاختصوا بهم بالآثرة والمخالصة.

وكان علي بن محمد كبيرهم لعهد السلطان يوسف بن  
يعقوب بن عبد الحق خالصة له من بين قرمه. وهلك سنة سبعين  
وستمائة على يد ابن الملاياني الكاتب بكتاب ليس فيه، وأنقذه على  
السلطان لابنه أمير مراكش فقتل رهط من مشيخة المصامدة في  
اعتقاله، كان منهم: علي بن محمد ققام السلطان لها في ركابه،  
وندم على ما فرط من أمره في إفلات ابن الملاياني على ما نذكره  
من أمر هذه الواقعة في أخبار السلطان يوسف بن يعقوب. ولما  
ولى السلطان أبو سعيد وانقطع عن المصامدة ما كان لهم من أثر  
الملك والسلطان، وقادوا للدولة رجع بنو مرين إلى التولية عليهم  
من رجالاتهم، وتداولوا بينهم في ذلك واختار السلطان بعد صدر  
من دولته موسى بن علي بن محمد للولاية على المصامدة  
وجباتهم، فعقد له وأنزله مراكش فاضطرب بهذه الولاية سنتين

الخبر عن بقایا قبائل الموحدین من المصامدة  
بحبیال درن بعد انقراض دولتهم بمراکش  
وتصاریف أحواهم لهذا العهد

لما دعا المهدى إلى أمره في قوله من المصادمة بجبل درن  
وكان أصل دعوته نفي التجسيم الذي آتى إليه مذهب أهل المغرب  
باعتمادهم ترك التأويل في المتشابه من الشريعة، وصرح بتكفير من  
أبي ذلك آخذًا بمذهب التكفير بالمثال فسمى لذلك دعوته بدعوه  
التوحيد، وأتباعه بالموحدين نعياً على المتشابهين مثل مذهبهم إلى  
اعتقاد الجسمية، وخص بالزية من دخل في دعوته قبل تكفهم،  
وجعل علامة تكفارها فتح مراكش، فكان إنما اختص بهذا اللقب  
أهل السابقة قبل ذلك الفتح، وكان أهل تلك السابقة قبل فتح  
مراكش ثمانى قبائل سبعة من المصادمة: هرغة وهم قبيلة الإمام  
المهدى وهنطة وبنسلل وهم الذين يابعواه مع هرغة على الإجراء  
والحماية، وكثيبة وهزرجة وكذمرة ووريكة.

وثمانية قبائل الموحدين: كومية قبيلة عبد المؤمن كبير، صحابة، دخلوا في دعوته قبل الفتح فكانت لهم المزية بسابقة عبد المؤمن وسابقتهن فاختص هؤلاء القبائل بمزية هذه السابقة وأسمها. وقاموا بالأمر وحملوا سريره وألقفوا في مذابحه وعمالكه في سائر الأقطار على نسبة قربهم من صاحب الأمر وبعدهم. وبقي من بقي منهم بجيدهم ومعاقلتهم بقية حنوف. وجرت عليهم ذيل زنانة من بعد الملك أذيال الغلب والقهـر حتى أثقوهم بالأـنـوات، وانتظموا في عـدـادـ الـغـارـمـينـ منـ الرـعـاـيـاـ، وصاروا يـولـونـ عـلـيـهـمـ من زنانة ثانية ومن رجالـهـمـ أخـرىـ، وـفـيـ ذـلـكـ عـبـرـةـ وـذـكـرـىـ لأـوـلـيـ الأـلـيـابـ، وـالـمـلـكـ اللـهـ يـوتـهـ مـنـ يـشـاءـ.

هـ، غـة

فاما هراغة وهم قبيل الإمام المهدي قد دثروا وتلاشوا  
وانتفقوا في القاصية من كل وجه لما كانوا أشد القوم بلاءً في القيام  
بالدعوة، وأصلأ لهم لنارها بقرايتهم من صاحبها وتصييهم على  
أمره. ولم يبق منهم إلا أخلاق وأوشاب أمرهم إلى غيرهم من  
رجالات المصونة لا يملكون عليهم منه شيئاً.

تہذیب

وكذا تيملل إخوتهن في التعلق على دعوة المهدي

جبل هناتة، وحمل معه ابن السلطان أبي عنان الملقب بالعمدة.  
وكان أبوه عقد له يافعاً قبيل وفاته على مراكش لنظر عامر  
فالخلاص به إلى الجبل، حتى إذا استوت قدم السلطان أبي سالم في  
الأمر واستقل بملك المغرب سنة ستين وسبعيناً وفدي عليه عامر  
بن محمد مع رسله إليه، وأوفد ابن أخيه محمد المعتمد فقبل  
السلطان فادته، وشكراً وفاءً، وأقام بيابه مدة. ثم عقد له على  
قرمه، ثم استقره معه إلى تلمسان، ولم يزل مقيناً بيابه إلى قبيل  
وفاته فأنقذه ل وكان إمارته.

ولما هلك السلطان أبو سالم واستبد بالغرب بهذه عمر بن عبد الله بن علي على ما نذكره، وكانت بينه وبين عامر بباب السلطان صدقة وملائفة، وصل يده بيده، وأكَّد العهد معه على سد تلك الفرجة، وعوَّل عليه في حوط البلاد المراكشية وأن لا يؤتى من قبله، وكان زعيماً بذلك. وعقد له على الأعمال المراكشية وما إليها إلى وادي أم ربيع. وفُوض إليه أمر تلسك الناحية، واقسموا المغرب شق الأبلمة وخلص إليه الأعياص من ولد السلطان أبي سعيد أبو الفضل ابن السلطان أبي سالم، وعبد المؤمن ابن السلطان أبي علي، فاعتقل عبد المؤمن ولم يكن أبا الفضا من إمارته على ما نذكر بعد.

وسائل الحال بيته وبين عمر ونهض إليه من فاس بمجموع  
بني مرین وكافة العساكر، واعتضم بجيشه وقومه واستبد على الأمر  
من بعده. ووصل عبد المؤمن من معتقله بمحاجج به بنو مرین لما  
كانوا يؤمدون من ولایته واستبداده لما أسفهم من حجر الوزراء  
ملوكهم. فلما رأوا استبداد عامر عليه أعرضوا عنه، وانعقد السلم  
بيته وبين عمر بن عبد الله على ما كان عليه من مقاسمه إياه في  
أعمال المغرب، ورجع واستقبل عامر بناحية مراكش وأعمالها، حتى  
إذ هلك عامر بن عبد الله يد عبد العزيز ابن السلطان أبي الحسن  
كما ذكره، حدثت أبي الفضل ابن السلطان أبي سالم نفسه بالفتوى  
بعامر بن محمد كما فتى عمده بعمبر بن عبد الله. ونذر بذلك  
فاحتتمل كرائمه وصعد إلى داره بالجليل، ففتى أبو الفضل بعد  
المؤمن ابن عممه لأنه كان معتقلاً بمراكش. واستحقكت لذلك  
السقرة بيته وبين عامر بن محمد. وبعث إلى السلطان عبد العزيز

وغر أبو الفضل فلحق بتأدلاً، وتبينت عليه عمه السلطان عبد العزيز وقتله كما نذكر في أخباره. وطلب عامراً في الوفادة فخشى عليه على نفسه، واعتضم بعقوله فرجع إلى حضرته، واستجتمع عزاته. وعقد على مراكش وأعمالها لعلي بن أجانا من صنائع دولتهم، وألوغز إليه بمنزلة عامر فدافنه عامر وقرمه عن معتصمه،

ورسخت فيها قدمه، وأورثها أهل بيته، وصار لهم بها في الدولة  
مكان انتظروا له في الولاية، وترشحوا للوزارة.

ولما هلك موسى عقد السلطان من بعده لأخيه محمد، وأجراه على سنته إلى أن هلك فاستعمل السلطان بنبيه في وجوه خدمته، وعقد لعاشر منهم على قومه. ولما ارتحل السلطان أبو الحسن إلى إفريقية صحبه عامر فيمن صحبه من أمراء المصامدة وكافة الوجوه، حتى إذا كانت نكبة القبريون سنة تسع وأربعين وسبعين عقد له على الشرطة بتونس على رسم الموحدين من تربية الخطة وسعة الرزق. واستنام إليه فيها فكفاه مهمها، ولما فصل من تونس ركب الكثير من حرمته وحظاياه السفن لنظار عامر هذا، حتى إذا غرق الأسطول بالسلطان أبي الحسن بما أصابهم من عاصف الريح رمى المرح بالسفينة التي كانوا بها إلى المربية من ثغور الأندلس، فأنزل بها كرامات السلطان لنظره وبعث عنهم ابنه أبو عنان المستبد على أبيه بملك المغرب، فامتنع من إسلامهن إليه وفاء بأمانته في خدمتهم.

وخلص السلطان أبو الحسن بعد النكبة البحرية إلى المزائر  
سنة خمسين وسبعيناً ونصف إلى بي عبد الواد فقلبوه ونهض إلى  
المغرب، وسلك إلى الفجر حتى نزل سجلماسة فقصده أبو عنان  
فخرج منها إلى مراكش وقام بدعورته المصامدة وعرب جشم،  
فاحتشد، ولقي ابنه أبي عنان بجهات أم ربيع فكانت الدبرة عليه،  
ونجا إلى جبل هناته. وكان عبد العزيز بن محمد شيئاً عليهم منذ  
مغيب عاصي، وكان في جنته، وخلص معه فائزه عبد العزيز بداره،  
وتامر هو وقومه على إيجارته والموت دونه فاعتتصم بمعقلهم. وجاء  
السلطان أبو عنان في كافة بي مرين إلى مراكش فخيّم بظاهرها  
واحشد لحراسهم أشهرًا حتى هلك السلطان أبو الحسن كما  
نذكره بعد، فحملوه على الأعراود ونزلوا على حكم أبي عنان  
فاكرواهم ورعن لهم وسيلة هذا الرفقاء، وعقد لعبد العزيز على  
إمارته، واستقدم عامراً كبيراً من مكانه بالمرية، فقام بهن لأماتته  
من حظايا السلطان وحرمه فلقاء السلطان مبرة وتكرعاً، وأناله من  
اعتناقه خطأ.

وتخلى له آخره عبد العزيز عن الأمر فأقره نائباً. ثم عقد السلطان لعام سنة أربع وخمسين وسبعين مائة على سائر المصامدة واستعمله جباراً لهم فقام بها مضطلاً، وكفاه مهمم الأعمال المراكشية حتى عرف عناده فيها وشكر له كفائه. وهكذا السلطان أبو عنان واستبدل على ابنه السعيد ووزيره الحسن بن عمر الموردي. وكان ينفس عليه ما كان له من الترشيح للرتبة، وبينهما في ذلك شحناه، فخشى بادرته وخرج من مراكش، إلى معقله في

الذك وافت ابن الملياني من مسكنه لحصار تلمسان فدخلها ثم  
قام بأمر كدمية عبد الحق بن ... من بيت بي سعد الله أيام  
السلطان أبي الحسن وابنه أبي عنان، وكانت بينه وبين عمار بن  
محمد فتنة جرها منصب العمالقة، شأن المجتربين من القبائل، وقد أدى  
العداوة بين السلف. فلما استفحلا أمر عامر بالولاية على مراكش  
وسائر المصامدة، نبذ إلى عبد الحق العهد وخلة الخلاف والمداخلة  
للسكسبيوي شيخ الفتنة المستعصي منذ أول الدولة، فصمد إليه  
ستة سبع وخمسين وسبعيناً في قومه ومشايخ السلطان التي كانت  
بمراكش لنظره فاقتحم عليه معلقه عنوة وقتلها. واستولى على  
كدمية ولحق بنو سعد الله بفاس، فأقاموا بها حتى إذا خاض  
السلطان أبو سالم البحر إلى ملكه بعد أخيه أبي عنان ونزل بعمارة،  
نزل إليه يوسف بن سعد الله واعتقد منه ذمة بسيطه تلك. فلما  
استولى على البلد الجديد واستقل سلطانه، عقد له على قومه رعياناً  
للوسيط، فقام في ولايته مدة السلطان أبي سالم. وكان عامل  
مراكش محمد بن أبي العلى من حاشية السلطان وبيوت الولاة  
بالمغرب عمولاً فيها على مظاهرته.

ولما هلك السلطان أبر سالم واستبد عمر بن عبد الله على  
الملوك بعده، بادر حلين ثورته بالعقد لعامر على أعمال لیستظهر  
به، وطير إليه الكتاب بذلك، فنزل إلى مراكش وقتل بها يوسف  
بن سعد الله، ونكث ابن أبي العلى، ثم قتله والحقه بأبي عبد  
الحق، وذهبت الرئاسة من كدمية برها من الدهر، ثم رجعت  
إليهم في بيبي سعد الله، والله تعالى قادر على ما يشاء، وبيده  
تصارييف الأمور.

وريكة

وأما وريكة فهم مجاوروون لهناته، وبينهم فتنة قدية وحروب متصلة ودماء مطلولة، كانت بينهم سجالاً، وهلك فيها من الفريقين أمن إلى أن غلبهن هناته باعتازاً لهم بالولاية، فخضدوا من بينهم الشروكة وأصاروهم في الجملة، والله وارث الأرض ومن عليها.

وأوقع به وتقبض على طافنة من بنى مرiven وصنائع السلطان في المعركة أودعهم سجنـه، فحرك بها عزائم السلطان، ونهض إليه في قومه من بنى مرiven وعساكر المغرب وأحاط به ونراله حولاً كرتـاً.

ثم تقلب عليه ستة إحدى وسبعين وسبعمائة، وانقضت جموعـه. وتقبضـ علىـه عند اقتحام الجبل فسيقـ أسيراً إلى السلطان فقيـدـ، وـوقـلـ بهـ إلىـ الحـضـرـةـ. ولـماـضـىـ نـسـكـ الفـطـرـ منـ ستـةـ أحـضـرـهـ وـوـجـهـ. ثـمـ أمرـ بهـ فـتـلـ إـلـىـ مـصـرـعـهـ، وـأـنـخـ جـلـداـ بـالـسـيـاطـ وـضـرـبـاـ بـالـمـقـارـعـ حـتـىـ فـاضـ عـفـاـ اللـهـ عـنـهـ. وـعـقـدـ السـلـطـانـ عـلـىـ قـوـمـهـ لـفـارـاسـ اـبـنـ أـحـيـهـ عـبـدـ العـزـيزـ، كـانـ نـزـعـ إـلـيـهـ بـيـنـ يـدـيـ مـهـلـكـ عـمـهـ، وـعـفـاـ عـنـ اـبـنـ أـبـيـ يـحـيـيـ بـسـاقـتـهـ إـلـىـ الطـاعـةـ قـيـيلـ اـقـتـاحـمـ الجـبـلـ عـلـيـهـمـ، أـشـارـ عـلـيـهـ بـذـلـكـ أـبـوـهـ نـظـرـاـ لـهـ فـظـفـرـ بـالـسـلـامـةـ وـالـحـظـ، وـأـصـارـهـ السـلـطـانـ فـجـلـتـهـ.

ثم هلك بعد ذلك فارس بن عبد العزيز، وأعظم المغارب  
فتنةً بعد مهلك السلطان عبد العزيز سنة أربع وسبعين وسبعيناً،  
وصارت أعمال مراكش في إيلاء السلطان عبد الرحمن بن علي  
الملقب بـأبي يفلوسن ابن السلطان أبي علي. وزع إليه أبو بحبي بن  
عمر عقد له على قرمه، ثم اتهمه باحتجاز الأموال منذ عهد أبيه  
وشره إلى استصفيانه، ونذر به ابن عامر فلحق ببعض قبائل  
المصادمة جيرائهم بأطراف السوس، ونزل عليهم. وكان مهلكه  
فيهم أعواام ثمانين وسبعيناً، والله وارث الأرض ومن عليها.

کدمیوہ

وأما كدمية وكانوا يبعا هشاته ويتملل في الأمر، وجلبهم  
لصن جبل هشاته، وكان رؤسائهم لهود الموحدين بنو سعد الله.  
ولما تغلب بنو مرين على المصامدة ووضعوا عليهم الضرائب  
وامتنع يحيى بن سعد الله بعض الشيء بمحصن تافرجاً ويسخت  
من جلهم وخالقه عبد الكريم بن عيسى وقومه إلى طاعة بي  
مرين، واختلفت إليهم العساكر إلى أن هلك يحيى بن سعد الله  
سنة أربع وتسعين وستمائة، وعساكر يوسف بن يعقوب مجهزة  
على حصاره، فهدموا حصونه، وأذلوا من قومه. استخلص  
السلطان يوسف بن يعقوب عبد الكريم بن عيسى منذ عهد أبيه  
فعقد له عليهم. ثم تقبض على أمراء المصامدة واعتقله فيمن  
اعتقل منهم، حتى إذا فعل ابن الملياني فعلته في استهلاكه لعدوة  
عمه بتلبس الكتاب على لسان السلطان لابنه على أمير مراكن،  
فقتل عبد الكريم فيمن قتل منهم، وقتل معه بنوه عيسى وعلى  
ومتصور، وابن أخيه عبد العزيز بن محمد. وامتنع السلطان

## الخبر عن بني يدر أمراء السوس من الموحدين بعد انفراطه

### وتصاريف أحوالهم

ونزل على بني باداس وقبيلة ابن يدر على فرسخين من تيونيون، وقصد تيزخت ومر بتارودنت وعاين آثار الخراب الذي بها من حيث ابن يدر، ولما بلغ حصن تيزخت خيم بساحته وحشد أئمها من القبائل لحصاره، وكان به مدين ابن عم علي بن يدر فحاصره أيامًا. لما اشتد عليه الحصار داخل علي بن زكاز من مشيخة بني مررين، كان في جلة أبي دبوس فداخله في الطاعة، وتقبل السلطان طاعته على التزول عن حصنه.

ثم أوجلته الحرب واقتحم عليهم الجبل وبلغوا إلى الحصن وفر مدين إلى بيت علي بن زكاز فأمره السلطان باعتقاله. واستولى السلطان على الحصن، وأنزل به بعض السادة لولايته. وارتخل أبو دبوس إلى محاصرة علي بن يدر فحاصره أيامًا، ونصب عليه الجانيق. وما اشتد عليه الحصار رغب في الإقلاع ومعاودة الطاعة، فتقبل وألقع السلطان عن حصاره، وقتل إلى حضرته. وما استولى بنو مررين على مراكش سنة ثمان وستين وستمائة استبد علي بن يدر وملك سوس واستولى على تارودنت وإيفري وسائر أمصاره وقوارده ومعاقله، وأرتفع حده للأعراب فزحفوا إليه. وكانت عليه الدبرة، وقتل سنة ثمان وستين وستمائة وقام بأمره علي ابن أخيه عبد الرحمن بن الحسن مدة، ثم هلك وقام بأمرهم آخره علي بن الحسن بن يدر. وما صار أبو علي ابن السلطان أبي سعيد إلى ملك سجلamasة يصلح عقده مع أخيه كما ذكر في أخبارهم، فنزلها وشيد ملكه بها، واستخدم كافة عرب المعقل فرغبوه في ملك السوس وأطعموه في أموال ابن يدر فغزاهم من سجلamasة، وفر ابن يدر أمامه إلى جبال نكية. واستولى السلطان أبو علي على حصنه تانصافت وسائر أمصار السوس، واستصفى ذخيرته وأمواله، ورجع إلى سجلamasة.

ثم استولى السلطان أبو الحسن من بعد ذلك عليه وانقرض ملك بني يدر. ولحق به عبد الرحمن بن علي بن الحسن، وصار في جملته. وأنزل السلطان بآرض السوس مسعود بن إبراهيم بن عيسى البريني من طيبة وزرائه، وعقد له على تلك العمالة إلى أن هلك، وعقد لأخيه حسون من بعده إلى أن كانت نكبة القبروان. وهلك حسون وانقض العскـر من هناك، وتغلب عليه العرب من بني حسان والشـبات، ووضعوا على قبائله الآتاوات والضرائب. وما استبد أبو عنان بملك المغرب من بعد أخيه أغزي عساكرة السوس لنظر وزيره فارس بن درار سنة ست وخمسين وستمائة فملـكه واستخدم القبائل والعرب من أهـله، ورتب المشياخـ بأمصاره، وقتل إلى مكان وزارته، فانفضت المسـالـع

كان أبو محمد بن يونس من جملة وزراء المـوحـدين من هـنـاتـة، وـكانـ المرتضـىـ قدـ استـزـرـهـ ثمـ سـخـطـ،ـ وـعزـلـهـ سـنةـ خـسـنـ وـسـتـمـائـةـ وأـلـزـمـهـ دـارـهـ بـتـامـصـلـحـتـ،ـ وـفـرـ عـنـ قـوـمـهـ وـحـاشـيـتـهـ وـقـرـابـتـهـ.ـ وـكـانـ مـنـ أـهـلـ قـرـابـتـهـ عـلـيـ بـنـ يـدـرـ مـنـ بـنـ بـيـ بـيـ بـادـاسـ فـقـرـ إـلـىـ السـوـسـ وـجـاهـرـ بـالـخـلـافـ سـنـةـ إـحـدـىـ وـخـسـنـ وـسـتـمـائـةـ وـنـزـلـ بـهـمـصـنـ تـانـصـاصـتـ بـسـفـحـ الجـبـلـ حـيـثـ يـدـفـعـ وـاديـ السـوـسـ مـنـ دـرـنـ وـشـيـدـهـ وـحـصـنـهـ وـتـقـلـبـ عـلـىـ حـصـنـ تـيـسـخـتـ مـنـ أـيـدـيـ صـنـهاـجـةـ وـشـيـدـهـ،ـ وـأـنـزـلـ فـيـ أـبـنـ عـمـهـ مـدـيـنـ.ـ ثـمـ تـغـلـبـ عـلـىـ بـسـيطـ السـوـسـ،ـ وـجـاجـاـ بـيـ حـسـانـ مـنـ أـعـرـابـ الـمـعـقـلـ مـنـ مـوـاطـنـهـ بـنـوـاحـيـ مـلـوـيـةـ إـلـىـ بـلـادـ الـرـيفـ،ـ فـارـغـلـوـاـ إـلـيـهـ وـعـاثـ بـهـمـ فـيـ نـوـاحـيـ السـوـسـ،ـ وـأـطـاعـ لـهـ كـثـيرـ مـنـ قـبـائـلـهـ فـاسـتـوـفـيـ جـاهـيـتـهـ.ـ وـأـجـلـبـ عـلـىـ عـامـلـ الـمـوـحـدـينـ بـتـارـودـنـتـ وـضـيقـ عـلـىـ الـمـسـالـكـ،ـ وـتـقـامـ أـمـرـهـ.ـ وـاتـهـمـ الـوـزـيـرـ أـبـيـ مـحـمـدـ بـنـ بـيـونـسـ بـمـدـاـخـلـتـهـ وـعـرـ عـلـىـ كـتـابـهـ إـلـىـ عـلـيـ بـنـ يـدـرـ فـأـمـرـ الـمـرـتضـىـ بـاعـتـالـهـ وـقـتـلـ سـنـةـ اـثـنـيـنـ وـخـسـنـ وـسـتـمـائـةـ،ـ وـأـغـزـىـ أـبـاـ حـمـدـ بـنـ أـصـنـاكـ إـلـىـ بـلـادـ السـوـسـ فـيـ عـسـكـرـ الـمـوـحـدـينـ وـالـجـنـدـ،ـ وـعـقـدـ لـهـ عـلـيـهـ فـنـزـلـ تـارـودـنـتـ وـتـحـصـنـ عـلـيـ بـنـ يـدـرـ فـيـ تـيـوـنـوـدـيـنـ.ـ وـرـحـفـ إـلـيـهـ بـنـ أـصـنـاكـ فـيـ عـسـكـرـهـ فـهـزـهـ أـبـيـ يـدـرـ وـقـتـلـ كـثـيرـاـ مـنـهـمـ،ـ وـرـجـعـ إـلـىـ مـرـاكـشـ مـفـلـلـاـ.ـ وـأـقـامـ عـلـيـ بـنـ يـدـرـ عـلـىـ حـالـةـ مـنـ الـخـلـافـ،ـ وـأـغـزـاهـ الـمـرـتضـىـ مـحـمـدـ بـنـ عـلـيـ أـزـلـاطـ فـيـ عـسـكـرـ مـنـ الـمـوـحـدـينـ سـنـةـ سـيـنـ وـسـتـمـائـةـ فـهـزـمـهـ،ـ وـقـتـلـ أـبـنـ أـزـلـاطـ فـعـقـدـ الـمـرـتضـىـ مـنـ بـعـدـهـ عـلـىـ السـوـسـ لـوـزـيـرـهـ أـبـيـ زـيـدـ بـنـ بـيـكـتـ فـزـحـفـ إـلـيـهـ وـدـارـتـ الـحـرـبـ بـيـنـهـمـ مـلـيـاـ،ـ وـأـنـقـلـبـ مـنـ غـيرـ ظـفـرـ،ـ وـاسـتـفـحلـ بـنـ يـدـرـ بـيـلـادـ السـوـسـ وـاسـتـخـدـمـ الـأـعـرـابـ مـنـ بـيـ الشـبـاتـ وـذـوـيـ حـسـانـ.ـ وـأـطـاعـتـهـ الـقـبـائـلـ مـنـ كـرـوـلـةـ وـلـطـلـةـ وـزـكـنـ وـلـخـسـ مـنـ شـعـوبـ لـطـةـ وـصـنـاكـةـ.ـ وـجـيـيـ الـأـمـوـالـ وـاسـتـخـدـمـ الرـجـالـ،ـ يـقـالـ:ـ كـانـ جـنـدـ أـلـفـ فـارـسـ،ـ وـكـانـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ كـرـوـلـةـ فـتـنـ وـحـرـوبـ يـسـتـظـهـرـ فـيـ أـكـثـرـهـ بـلـوـيـ حـسـانـ.

وـلـمـ اـسـتـولـ أـبـوـ دـبـوـسـ عـلـىـ مـرـاكـشـ سـنـةـ خـسـنـ وـمـتـيـنـ وـسـتـمـائـةـ وـفـرـغـ مـنـ تـعـهـدـ مـلـكـهـ بـهـاـ،ـ اـعـتـمـ عـلـىـ الـحـرـكـةـ إـلـىـ السـوـسـ،ـ وـرـحـلـ مـنـ مـرـاكـشـ،ـ وـقـدـمـ بـنـ يـدـرـ بـيـ عـيـسـيـ بـنـ وـانـوـدـيـنـ لـاـحـشـادـ الـقـبـائـلـ وـمـرـ بـالـجـبـلـ ثـمـ أـسـهـلـ مـنـ تـامـسـكـرـوـطـ إـلـىـ بـسـيطـ السـوـسـ،ـ

ولحقت به.

ووريكة وهزميرة، وركراكة وحاجة وبني ماغرس وكلاء، وغيرهم من لا يحصى. وكان منهم قبل الإسلام وبعده رؤساء وملوك. وهنئاته هؤلاء من أعظم قبائلهم وأكثراها جعاً وأشدتها قوة، وهم السابقون للقيام بدعوة المهدي والمهددون لأمره وأمر عبد المؤمن بنه بعده، كما ذكرناه في أخباره. واسم هنئات جدهم بلسان المصامدة بني وكان كبرتهم لهم الإمام المهي الشیخ أبو حفص عمر بن يحيى، ونقل البیدق أن اسمه بلسانهم فاصفات.

وهيئاته لهذا العهد تقول إنه اسم جده، وكان عظيماً فيهم متبع غير مدافع، وهو أول من بات في الإمام المهي من قرمه، فجاء يوسف بن واندرين وأبو يحيى بن بكت وابن يعمور وغيرهم منهم على أثره. واختص بصحابة المهي فانتظم في العشرة السابقين إلى دعوته. وكان تلو عبد المؤمن فيهم، ولم تكن مزية عبد المؤمن عليه إلا من حيث صحابة المهي.

وأما في المصامدة فكان كبرتهم غير مدافع، وكان يسمى بين الموحدين بالشيخ كما كان المهي يسمى بالإمام، وعبد المؤمن بالخليفة، سمات هؤلاء الثلاثة من بين أهل الدعوة تدل على اشتراكهم في الحاللة، وأما نسبة فهو: عمر بن يحيى بن محمد بن واندرين بن علي بن أحد بن والال بن إدريس بن خالد بن إيسع بن إلياس بن عمر بن وافت بن محمد ابن نحية بن كعب بن محمد بن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، هكذا نسبة ابن نخيل وغيره من الموحدين. وظهور منه أن هذا النسب القرشي وقع في المصامدة والتحريم بهم، واشتملت عليه عصبيتهم شأن الأنساب التي تقع من قوم إلى قوم وتلتزم بهم كما قلناه أول الكتاب.

ولما هلك الإمام وعهد بأمره إلى عبد المؤمن، وكان بعيداً عن عصبية المصامدة إلا ما كان له من أثره المهي واختصاصه فكتم موته المهي وعهد عبد المؤمن ابتهلاط ظاعة المصامدة. وتوقف عبد المؤمن عن ذلك ثلاث سنين، ثم قال له أبو حفص: تقدمك كما كان الإمام يقدملك فعلم أن أمره منعقد. ثم أعلن بيته وأمضى عهد الإمام بتقديمه وحمل المصامدة على ظاعته، فلسم يختلف عليه اثنان. وكان الخل والعقد في المهمات إليه سائر أيام عبد المؤمن وابنه يوسف، واستكفروا به نواب الدعوة فكفاهم همها. وكان عبد المؤمن يقدمه في المواقف فلي فيها. وبعثه على مقدمته حين زحف إلى المغرب الأوسط قبل فتح مراكش سنة سبع وثلاثين وخمسمائة وزنانة كلهم مجتمعون بميدان حرب الموحدين مثل: بني ومانوا وبني عبد الراد وبني ورسيفان وبني توجين وغيرهم، فحمل زنانة على الدعوة بعد أن أثخن فيهم. ولأول

ويقي عمل السوس ضاحياً من ظل الملك لهذا العهد، وهو وطن كبير في مثل عرض البلاد الجريدية وهوائها المتصلة من لدن البحر الخريط إلى نيل مصر المحيط من وراء خط الاستواء في القبلة إلى الإسكندرية. وهذا الوطن قبلة جبال درن ذو عمائر وقرى ومزارع وفنان وأمصار وجبال ومحصون، يخترقها وادي السوس ينصب من باطن الجبل إلى ما بين كلاء وسكسيبة، ويدفع إلى بسيطه، ثم يمر مغرياً إلى أن ينصب في البحر الخريط والعمائر متصلة حفافي هذا الوادي ذات الفنون والمزارع، وأهلها يتذذلون فيها قصب السكر. وعند مصب هذا الوادي من الجبل في البسيط مدينة تارودنت وبين مصب هذا الوادي في البحر ومصب وادي ماسة مرحلتان إلى ناحية الجنوب على ساحل البحر، وهناك رباط ماسة الشهير المعروف بتردد الأولياء وعبادتهم. وتزعم العامة أن خروج الفاطمي منه.

ومنه أيضاً إلى زوابا أولاد بو نعمان مرحلتان في الجنوب كذلك على ساحل البحر، وبعدها على مراحل مصب الساقية الحمراء وهي متنه مجالات المعقل في مشايتها وفي رأس وادي السوس جبل زكيندر قبلة جبل الكلاوي، وفي قبلة جبال درن جبال نكيسة تنتهي إلى جبال درعة ويعرف الآخر منها في الشرق بابن حيدى، ويصب من جبال نكيسة وادي نوك ويرغرياً إلى أن يصب في البحر. وعلى هذا الوادي بلد تاكوا وصلت محطة الرقاق وبالبضائع بالقبلة، وبها سوق في يوم واحد في السنة يقصده التجار من الأفاق، وهو من الشهير لهذا العهد بمكان. وبلد إيفري يسفل جبال نكيسة بينها وبين تاكوا وصلت مرحلتان، وأرض السوس مجالات لكرولة ولطنة، فلمطة منهم ما يلي درن وكرولة مما يلي الرمل والقفر. ولما تغلب المعقل على بسائطه اقتسموها مواطن، فكان الشبانات أقرب إلى جبال درن، وصارت قبائل لطنة من أحلافهم، وصارت كرولة من أحلاف ذوى حسان. والأمر على ذلك لهذا العهد، ويد الله تصارييف الأمور.

## الخبر عن دولة بنى أبي حفص ملوك أفريقيا من الموحدين ومبدأ أمرهم وتصارييف أحواهم

قد قدمنا أن قبائل المصامدة بجبل درن وما حوله كثير مثل: هنئاته وبنانيل وهرغة، وكنيسة وسكسيبة وكدمية، وهزرجة

وكان في مقدمته يوم المعركة سنة إحدى وستين وخمسة فجلي عن المسلمين، وكان له في ذلك الموقف من النصرة والثبات ما طار له به ذكر. واستشهد في ذلك الموقف، وعرف أعقابه ببني الشهيد آخر الدهر، وهم لهذا العهد بتونس.

ولما نهض الناصر إلى إفريقيا سنة إحدى وستمائة، لما بلغه من تغلب ابن غانية على تونس فاسترجعها، ثم نازل المهدية فتعاونت عليه ذات كتاب الأعراب. وجمعهم ابن غانية ونزل قابس فسرح الناصر إليهم أبا محمد عبد الواحد ابن الشيخ أبي حفص في عسكر من الموحدين، فأرقع بابن غانية بتاجرا من نواحي قابس سنة اثنين وستمائة، وقتل جبار آخر ابن غانية، وأثخن فيهم قتلاً وسيأله، واستنقذ منهم السيد أبا زيد بن يوسف بن عبد المؤمن الرايلي كان بتونس، وأسره ابن غانية ورجع إلى الناصر بمكانه من حصار المهدية. فكان سبياً في فتحها. وكان ذلك مما حمل الناصر على ولية الشيخ أبي محمد بأفريقيا حسبما ذكره إن شاء الله تعالى.

### الخبر عن إمارة أبي محمد ابن الشيخ أبي حفص بأفريقيا وهي أولية أمرهم بها

لما تكالب ابن غانية وأتباعه على إفريقيا واستولى على أمصارها، وحاصر تونس وملكيها، وأسر السيد أبا زيد أميرها، ونهض الناصر من المغرب سنة إحدى وستمائة كما ذكرناه فاسترجعها من أيديهم وشردهم عن نواحيها، وخَيَّم على المهدية يحاصرها، وقد أتزل ابن غانية ذريته وولده بها وأجلب في جموعه خلال ذلك على قابس، فسرح الناصر إليه الشيخ أبا محمد هذا في عساكر الموحدين. وزحف إليهم بتاجرا من جهات قابس فهزمهما واستولى على معسكريهما وما كان بآيديهم، وأثخن فيهم بالقتل والسيي واستنفذ السيد أبا زيد من أسرهم، ورجع إلى الناصر بعسكره من حصار المهدية ظافراً ظاهراً. وعain أهل المهدية يوم مقدمه بالغثائم والأسرى فيهم وسقط في أيديهم، وسألوا التزول على الأمان. وكمل فتح المهدية ورجع الناصر إلى تونس فقام بها حولاً إلى متصرف سنة ثلاثة وستمائة. وسرح أثناء ذلك أخاه السيد أبا إسحاق ليتبع المفسدين، ويحوّل مواقع عثيم، فدُوخ ما وراء طرابلس، وأثخن في بني دمر ومطماطة ونقوسة، وشارف أرض سرت وبرقة، وانتهى إلى سويبة ابن مذكور. وفرّ ابن غانية إلى صحراء برقة وانقطع خبره. وإنكما السيد راجعاً إلى تونس. واعتزم الناصر على الرحلة إلى المغرب وقد أفاء على إفريقيا ظل

دخول عبد المؤمن لراش خرج عليه الثائر بمساة، وانصرف إلى وجود الغوغاء وانتشرت ضلالته في الواحي وتفاقم أمره، فدفع لحرمه الشيخ أبي حفص فجسم داهه ومحا أنثر غوايته.

ولما اعتزم عبد المؤمن على الرحلة إلى إفريقيا حركته الأولى لم يقدم شيئاً على استشارة أبي حفص. ولما راجع منها وعهد إلى ابنه محمد خالقه الموحدون، ونكرروا ولایة ابنه، فاستدعي أبو حفص من مكانه بالأندلس، وحمل الموحدين على البيعة له. وأشار بقتل يصلاتي الهرغى رئيس المخالفين في شأنه فقتله، وعم أمر العهد لابنه محمد. ولما اعتزم عبد المؤمن على الرحلة إلى إفريقيا سنة أربع وخمسين وخمسة حركته الثانية لفتح المهدية استخلف الشيخ أبا حفص على المغرب، وينقل من وصاة عبد المؤمن على الرحلة إلى إفريقيا لبنيه أنه لم يبق من أصحاب الإمام إلا عمر بن يحيى ويوسف بن سليمان، فلما عمر فإنه من أوليائكم، وألما يوسف فجهزه ب العسكرية إلى الأندلس تستريح منه. وكذلك فاعل بكل من تكرهه من المصادمة. وألما ابن مردنيش فاتركه ما تركك وتربيص به ريب المنون، وأخل إفريقيا من العرب وأجلهم إلى بلاد المغرب، وأذخرهم لحرب ابن مردنيش إن احتجت إلى ذلك.

ولما ولّ يوسف بن عبد المؤمن تخلف الشیخ أبو حفص عن بيته، ووجه الموحدون لتخلفه حتى استبدل غرضه في حكم أمصاره بمقدون سلطانه، وأعجب بفضله فأعطاه صفة يمينه، وأعلن بالرضا بخلافته فكانت عند يوسف قومه من أعظم البشائر، وتسمى لها بأمير المؤمنين سنة ثلاثة وستين وخمسة.

ولما ولّ يوسف بن عبد المؤمن وتحركت الفتنة بجبال غماره وصنهاجة التي تولى كبرها سبع بن منقاد سنة اثنين وستين وخمسة عقد للشيخ أبي حفص على حربهم فجيء في ذلك. ثم خرج بنفسه فأنجى فيهم وكم الفتح كما ذكرناه. ولما بلغه سنة أربع وستين وخمسة تكالب الطاغية على الأندلس وغدره بمدينة بطليوس، واعتزم على الإجازة لحماته قدم عساكر الموحدين إليها لنظر الشيخ أبي حفص، ونزل قرطبة وأمر من كان بالأندلس من السادة أن يرجعوا إلى رأيه، فاستنجد بطليوس من هذا الحصار، وكانت له في الجهاد هنالك مقامات مذكورة.

ولما انصرف من قرطبة إلى الحضرة سنة إحدى وستين وخمسة هلك عفا الله عنه في طريقه بسلا ودفن بها، وكان أبناؤه من بعده يتداولون الإمارة بالأندلس والمغرب وإفريقيا مع السادة من بني عبد المؤمن، فول المتصور ابنه سعيد على إفريقيا لأول ولائيه، وكان من خبره مع عبد الكري姆 المنزري بالهداية ما ذكرناه في أخباره. واستوزر أبي يحيى بن أبي محمد بن عبد الواحد،

ليقصدن بلاد زناته بنواحي تلمسان، وقارن ذلك وصول الشيخ أبي عمران بن موسى بن يوسف بن عبد المؤمن واليأ عليها من مراكش، وخروجه إلى بلاد زناته لتمهيد أخنهنهم وجاهية مغاربهم. وكتب إليه الشيخ أبو محمد نذيرًا بشأنه، وأن لا يتعرض له وأنه في اتباعه قاتل من ذلك، وارتكب إلى تاهرت وصحبه بها ابن غانية فانقض معسكته. وفرت زناته إلى حصن بها، وقتل السيد أبو عمران. واستبيحت تاهرت، فكان آخر العهد بعمرانها، وأمتلات أيديهم من القنائيم والسي، وانقلبوا إلى إفريقية فاعتراضهم الشيخ أبو محمد في موضع فاقع بهم واستنقذ الأسرى من أيديهم، واكتسح سائر مغاربهم، وقتل فيها كثير من المثلثين ولحق فلهم بناحية طرابلس إلى أن كان من أمرهم ما ذكره.

### واقعة نفوسة ومهلك العرب والمثلثين بها

كان ابن غانية بعد واقعة شبرو واستفتاح أبي محمد تاهرت من يده خلص إلى جهة طرابلس، وتلاحق به قل المثلثين وأولياؤه من العرب.

وكان الجلي معه في مواقف الدواودة من رياح، وكثيرهم محمد بن مسعود فندامروا واعترموا على معاودة الحرب، وتعاقدوا على الثبات والصبر، وانطلقوا يستالقون الأعراب من كل ناحية حتى اجتمع إليهم من ذلك أئم كاففهم رياح وزغب والشريد وعرف ودباب ونفاثات. واحتفلوا في الاحتشاد وأجمعوا دخول إفريقية، فبادرهم أبو محمد قبل وصوفهم إليه. وخرج من تونس سنة ست وستمائة وأخذ السير إليهم، وترافقوا عند جبل نفوسة، واشتدت الحرب، ولما حyi الوطيس ضرب أبو محمد أبيته وفسطاططيه، وتخيز إليه بعض الفرق من بي عوف بن سليم وأختل مصاف ابن غانية واتبعه الموحدون إلى أن دخل في غيبات الليل وأمتلات أيديهم بالأسرى والغنائم، وسيقت طعائب العرب. وقد كانوا قدموها بين أيديهم للحظيفة أخذاؤا في الكر والفر، فاصبحت مغناية للموحدين وربات خدورهم سبياً.

وهلك في المعركة خلق من المثلثين وزناته والعرب، كان فيما عبد الله بن محمد بن مسعود البليط بن سلطان شيخ الدواودة، وابن عميه حررات بن أبي الشيخ بن عساكر بن سلطان وشيخ بني قرة وجرار بن ويفرن كبير مغزاوة ومحمد بن الغازي ابن غانية في آخرين من أمثالهم. وانصرف ابن غانية مهپ الجناح مقلول الحد محفوفاً باليأس من جميع جهاته، وانقلب أبو محمد والموحدون أعزه ظاهرين، واستفحلاً أمر أبي محمد بإفريقية وحسم

الرضي وضرب عليهم سرادق الحماية. وبذا له أن ابن غانية سيحالقه إليها، لأن مراكش بعيدة عن الصريح، وأنه لأبد من رجل يسد فيها مسد الخلافة، ويقيم بها شؤون الملك، فوقع اختياره على أبي محمد ابن الشيخ أبي حفص، ولم يكن ليعدوه لما كان عليه هو وأبواه في دولتهم من الجلال، وأن أمر بي عبد المؤمن إنما بروفاق الشيخ أبي حفص ومظاهرته، وأن أيامه المنصور كان قد أوصى الشيخ أبي محمد به وبإصرته. وكان يولي صلاة الصبح إذا حضره شغل وأمثال ذلك.

وسري الخبر إلى أبي محمد فامتنع، وشافه الناصر به فأعتذر، فبعث إليه ابنه يوسف فاكير موصله. وأجباب على شريطة اللحاق بالمنبر بعد قضاء مهمات إفريقية في ثلاث سنين، وأن يختار عليهم من رجالات الموحدين وأن لا يتعقب عليه في توالية ولا عزل، فقبل شرطه ونودي في الناس بولايته، ورفعت بين الموحدين رايته، وارتغل الناصر إلى المغرب ورجع عنه الشيخ أبو محمد من باجة فقد مقد علام الإمارة بقصبة تونس في السبت العاشر من شوال سنة ثلاثة وستمائة، وأنفذ أوامره، واستكتب أبا عبد الله محمد بن أحد بن خليل ورجع ابن غانية إلى نواحي طرابلس، فجمع أحرازه وأتباعه من العرب من سليم وهلاك.

وكان منهم محمد بن مسعود البليط في قومه من الدواودة، وعاودوا عليهم، وخرج إليهم أبو محمد سنة أربع وستمائة في عساكر الموحدين، وتحيز إليه بنى عوف من سليم وهلاك: مردانس وعلاق فليقيهم بشبرو فتقاعدوا واحتربوا عامية يومهم، ونزل الصبر. ثم انقض عسكر ابن غانية آخر النهار واتبعهم الموحدون والعرب واقتصرعوا أموالهم، وأفلت ابن غانية جريحاً إلى أقصى مفروه، ورجع أبو محمد إلى تونس بالظفر والغنية. وخطاب الناصر بالفتح واستنجاز وعده في التحول عن الولاية فخاطبه بالشكر والعذر بهممات المقرب عن إداته، وأنه يستأنف النظر في ذلك. وبعث إليه بماله والخليل والكساء للإنفاق والعطاء. كان مبلغها مائة ألف دينار اثنان وألف وثمانمائة كسوة، وثمانمائة سيف، ومائة فرس، غير ما كان أخذ إليه من سبعة وجاهية، ووعده بالزيادة. وكان تاريخ الكتب سنة خمس وستمائة فاستمر أبو محمد على شأنه وترادفت الوقائع بينه وبين يحيى المبورقي كما ذكره.

### وقعة تاهرت وما كان من أبي محمد في تلافيها واستنفاذ غنائمها

كان يحيى ابن غانية لما أفلت من وقعة شبرو بدا له

المراة لقربته. واختص أبناء الشيخ أبي محمد بقيحة، وظن امتداد الدولة له. ووصل السيد أبو العلا شهر ذي القعدة من السنة، فنزل بالقصبة وزنل ابنه السيد أبي زيد بقصر ابن فاخر من البلد، ورتب الأمور ونها السنن.

ولشهر من وصوله تقبض علي محمد بن خليل كاتب الشيخ أبي محمد، وعلى أخويه أبي بكر ويحيى، واستصنفوا أمرهم وأختار عقارهم وضياعهم. وكان المستنصر عهد إليه بذلك، لما كان أسفه بفلتان من القول والكتاب تمنى إليه أيام رئاسته في خدمة أبي محمد، فاعتقلهم السيد أبو العلا، ثم قتله وأخاه يحيى لشهر من اعتقالهما بعد أن فرّ من سجنه وتقبض فقتل. ونقل أبو بكر إلى مطبق المهدية فاردع به.

وخرج السيد أبو العلا من تونس سنة تسع عشرة وستمائة في عساكر الموحدين إلى نواحي قابس لقطع أسباب ابن غانية منها، فنزل قصر العروسين، وسرح ولده السيد أبي زيد في عسكر من الموحدين إلى درج وغدا مس من بلاد الصحراء لتمهيدها وجبارتها. وقام بين يدي عسكراً آخرأً لمنازلة ابن غانية بودان، وواعدهم هناك منتصراً من غدامس فارجف بهم العرب في طريقهم بمداخلة ابن غانية. وما بذله في ذلك فانقض العسكنر، ورجموا إلى قابس. وأهل السيد أبو زيد في غدامس إليهم فلقيه خبر مفرهم. فلحق بايه وآخره بالجليل في أمرهم، فخطق قائد العسكنر وهم يقتله. وطرق السيد أبي العلا المرض فرجع إلى تونس. وبلغه أن ابن غانية نهض من ودان إلى الزاب، وأن أهل بسكرة أطاعوه، فسرح السيد أبي زيد في عساكر الموحدين إليه، ودخل ابن غانية الرمل فاعجزهم.

ورجع السيد أبو زيد إلى بسكرة فأنزل بهم عقابه من النهب والتخريب، ورجع إلى تونس. ثم بلغه أن ابن غانية قد رجع إلى جوانب إفريقية، واجتمع إليه أخلاق من العرب والبربر، فسرح السيد أبي زيد إليه في العساكر وزنل بالقيروان، وخالقه ابن غانية إلى تونس فقصده السيد أبو زيد ومعه العرب وهوارة بظعنائهم ومواشיהם. وتراهموا بمجدول فاتح إحدى وعشرين وستمائة، واشتدت القتال وغضت الموحدون الحرب، وأبلى هواة وشيخهم بعرة بن حناش بلاءً جهلاً وضرب ابنته وتغاغروا في الثبات والصبر فانهزم المثلثون وأخليت المعركة عن حصید من القتلى من أصحاب ابن غانية، واستولى الموحدون على معسكلهم.

وكان بلغ السيد أبي زيد خبر مهلك أبيه السيد أبي العلا بتونس في شعبان سنة عشرين وستمائة. فلما فرغ من مواقعة ابن غانية رجع إلى تونس وأقصر عن متابعته. وخطب المستنصر

على الفساد منها واستوفى جبارتها، وطالت مواقف حروبه، ولم تهز له راية. وهلك الناصر وولي ابنه يوسف المستنصر واستبد عليه المشيخة لكان صغره، وشغلوا بفتنةبني مرiven وظهورهم بالغرب، فاستكفي بالشيخ أبي محمد في إفريقية وعلّ على غالاته فيها، وضيّطه لأحوالها وقيامه بذلكها فباءاه على عملها، وسرّب إليه الأموال لنفقاتها وأعطياتها، ولم يزل بها إلى أن هلك سنة ثمان عشرة وستمائة.

### الخبر عن مهلك الشيخ أبي محمد ابن الشيخ أبي حفص وولاية ابنه عبد الرحمن

كانت وفاة الشيخ أبي محمد فاتح سنة ثمان عشرة وستمائة ولما هلك ارتع الناس لهلكه، واقتصر أمر الموحدين في الشورى فريقين بين عبد الرحمن ابن الشيخ أبي محمد وإبراهيم ابن عمه إسماعيل ابن الشيخ أبي حفص، فترددوا مليأً ثم انقووا على الأمير أبي زيد عبد الرحمن ابنه، وأعطوه صفة أباائهم، واقعدهوا بمجلس أبيه في الإمارة، فسكن التاثر وشرم للقيام بالأمر عازمه. وأفاض العطاء وأجاز الشعراء، واستكتب أبا عبد الله بن أبي الحسين، وخطب المستنصر بالشأن. وخرج في عساكره لتمهيد التواخي وحماية الجوانب إلى أن وصل كتاب المستنصر بعزله لثلاثة أشهر من ولايته حسبما نذكره فارتحل إلى المغرب ومعه إخوانه وكابته ابن أبي الحسين ولحق بالحضره.

### الخبر عن ولاية السيد أبي العلا على إفريقية وابنه أبي زيد من بعده وأخبارهم فيها واعتراضهم في الدولة الخفصة

لما بلغ الخبر إلى مراكش بهلك أبي محمد بن أبي حفص، وقارن ذلك عزله السيد أبي العلا من إشبيلية، ووصوله إلى الحضرة مسخوطاً، وهو أبو العلا إدريس بن يوسف عبد المؤمن آخر يعقوب المنصور، وعبد الواحد المخلوع المبايع له بعد ذلك، وعول على الوزير ابن المتن في جبر حاله، فسعى له عند الخليفة، وعقد له على إفريقية. ووصل الخطاب بولايته ونيابة إبراهيم بن إسماعيل ابن الشيخ أبي حفص عنه خلال ما يصل، واستقدام أبناء الشيخ أبي محمد إلى الحضرة. وقرئ الكتاب شهر ربیع الأول من سنة ثمان عشرة وستمائة، فقام الشيخ بالنيابة في أمره، واستعمل أحد المشطب في وزارته، وغلب عليه بطانته، وأساء في

ثم تخطى كذلك إلى تدلس، وأنه عاث في تلك الجهات فرحل من تونس وعقد لأخويه كما ذكرناه، وأخذ السير إلى فحص آبة فضبع به هوارة، وقد كان بلغه عنهم السعي في الفساد، فأطلق فيهم أيدي عسكره، واعتقل مشائخهم وأنفذهم إلى المهدية. ثم مر في أتباع ابن غانية، فاتجه إلى بجاية، وسكن أحواها، ثم إلى متيبة ومليانة فادركه الخبر أن ابن غانية قد سجل ماسة فانكفأ راجعاً إلى تونس، ودخلها في رمضان سنة أربع وعشرين وستمائة، ولم يزل مستبداً يمارنه إلى أن ثار عليه الأمير أبو زكريا، وغلبه على الأمر كما ذكر.

بم朽ك أبيه وواقعة الملثمين، وكان المستنصر قد عزله واستبدل منه بأبي بخشون بن أبي عمران التينملي صاحب ميورقة، ولم يصل إليه الخبر بعزله بعد. وهلك الملك المستنصر إثر ذلك سنة عشرين وستمائة، وولي واحد المخلوع ابن يوسف بن عبد المؤمن فنقض تلك العقدة، وكتب إلى السيد أبي زيد بالإبقاء على عمله، ونقض ما أصدر المستنصر من عزله، فأرسل عاته في الولاية، ووسط يده في الناس بمكرهه، وتذكرت له الوجوه، وأشرف عنه الناس، بما كانوا عليه من الصاغية لأبي محمد بن أبي حفص وولده، إلى أن عزل واستبدل بهم كما ذكره، وركب البحر بذخائره وأهله فلحق بالحضررة.

### الخبر عن ولاية الأمير أبي زكريا مهد الدولة لآل أبي حفص بأفريقيا ورافق الرابية لهم بالملك وأولية ذلك وبدياته

### الخبر عن ولاية أبي محمد عبد الله بن أبي محمد ابن الشيخ أبي حفص وما كان فيها من الأحداث

لما قتل العادل مراكش سنة أربع وعشرين وستمائة، وبويع المأمون بالأندلس بعث إلى أبي محمد عبد الله بتونس ليأخذ له البيعة على من بها من الموحدين. وكان المأمون قد فتح أمره بالخلاف، ودعا نفسه قبل موته أخيه العادل بآيات، فامتنع أبو محمد ورث رسالته إليه، فكتب بذلك لأخيه الأمير أبي زكريا وهو ي مكانه من ولاية قابس. وعقد له على أفريقية فأخذ له البيعة على من إليه، وداخله في شأنها ابن مكي كبير المشيخة بقابس. واتصل ذلك بأبي محمد فخرج من تونس بهم.

ولما انتهى إلى القيروان نكر عليه الموحدون نهوضه إلى حرب أخيه، وانتقضوا عليه وعزلوه. وطير بالخبر إلى أخيه في وفد منهم فالقوه معملاً في اللحاق برحاب بن محمد وأعراب طرابلس، فبايعوه ووصلوا به إلى معسكراهم. وخلع أبو محمد نفسه، ثم ارتحل الأمير أبو زكريا إلى تونس فدخلها في رجب من ستة خمس وعشرين وستمائة، وأنزل أخاه أبو محمد بقصر ابن فاخر، وتقبض على كاتبه أبي عمرو طرا من الأندلس. واستكتبه أبو محمد فقتل على هواه، وكان يغره ب أخيه، فبسط الأمير أبو زكريا عليه العذاب إلى أن هلك. ثم بعث أخاه محمد إلى المغرب فاستبد بملكته، واستوزر ميمون بن موسى الهمتاني، واستقامت أموره.

لما هلك المخلوع وولي العادل، ولما علي إفريقية أبا محمد عبد الله بن أبي محمد عبد الواحد. وولي على بجاية بخشون بن الأطاس التينملي، وعزل عنها ابن يغمر. وكتب إلى السيد أبي زيد بالقدوم. وكتب أبو محمد عبد الله إلى ابن عممه موسى بن إبراهيم ابن الشيخ أبي حفص بالنيابة عنه خلال ما يصل، فخرج السيد أبو زيد في ربيع الآخر سنة ثلاث وعشرين وستمائة، واستقل أبو عمران موسى بأمر إفريقيه، واستمرت نيابة عليهما زهاء ثمانية أشهر. وخرج أبو محمد عبد الله من مراكش إلى إفريقيه.

ولما انتهى إلى بجاية قدم بين يديه أخاه الأمير أبا زكريا ليعرضه طبقات الناس للقاء، فوصل إلى تونس في شعبان من هذه السنة بعد أن أوقع في طريقه بوهاصة. وكان أولاد شداد رؤساً لهم قد جعوا لاعتراضه بناحية بونة، فسرح أخاه الأمير أبا زكريا لجسم دائم وخروج الطبقات من أهل الحضره للقاء فكان كذلك. وخرج في رمضان من سنته، وخرج معه الناس على طبقاتهم فالقوه سطيف، ووصل إلى الحضره في ذي القعدة من آخر السنة، وتزحزح أبو عمران عن النيابة. ثم لحقه من المغرب آخره أبو إبراهيم في صفر سنة أربع وعشرين وستمائة، فعقد له على بlad قسطيلية وعقد لأخيه الأمير أبي زكريا على قابس وما إليها، وذلك في جمادي من هذه السنة.

ويعود استقراره بتونس بلغه أن ابن غانية دخل بجاية عنوة،

## الخبر عن استبداد الأمير أبي زكريا بالأمر لبني عبد المؤمن

الله المحياني صاحب أشغال بجاية فصار في جلته، وولاه بعدها الولايات الجليلة، وكان يستخلفه بتونس في معيه.

وفي هذه السنة تقبض على وزيره ميمون بن موسى واستصفى أمواله، وأشخصه إلى قابس فأعتقل بها مدة. ثم غربه إلى الإسكندرية، واستوزر مكانه أبو عبي بن أبي العلاء بن جامع، إلى أن هلك، فاستوزر بعده أبو زيد ابن أخيه الآخر محمد إلى أن هلك.

## الخبر عن مهلك ابن غانية وحركة السلطان إلى بجاية وولاية ابنه الأمير أبي يحيى زكريا عليها

ما استقل الأمير أبو زكريا ببايرقية وخلع طاعة بني عبد المؤمن صرف عزمه أولاً إلى مدافعة يحيى بن غانية عن نواحي أعماله، وكانت له في ذلك مقامات مذكورة، وشرده عن الجهات طرابلس والزاب وواركلا. واحتضن بواركلا المسجد لما نزلها في اتباعه، وأنزل بالأطراف عساكره وعماله لمعها دونه. ولم ينزل ابن غانية وأتباعه من العرب من أفاريق سليم وهلال وغيرهم على حالم من التشيري والجلاء، إلى أن هلك سنة إحدى وثلاثين وستمائة، وانقطع عقبه فانتفع ذكره، وحا الله آثار فنته من الأرض. واستقام أمر الدولة وبسطت منها عروق الاستيلاء واسع نطاق الملك. ونهضت عزائمها إلى تدوين أرض المغرب فخرج من تونس سنة اثنين وثلاثين وستمائة يوم بلاد زناته بالغرب الأوسط. وأخذ السير إلى بجاية قتلوا بها. ثم ارتحل إلى الجزائر فافتتحها وولى عليها. ثم نهض منها إلى بلاد مغراوة فأطاعه بنو متليل بن عبد الرحمن، وجاهر بنو توجين بخلافه، فنزل بالطحاء وأوقع بهم. وتقبض على رئيسهم عبد القوي بن العباس فأعتقله، وبعث به إلى تونس ودوخ المغرب الأوسط وقتل راجعاً إلى حضرته. وعقد مرجمعه من المغرب لابنه الأمير أبي يحيى زكريا على بجاية وأنزله بها. واستوزر له يحيى بن صالح بن إبراهيم الهمتاني وجعل شواره عبد الله بن أبي تهدى، وجيشه عبد الحق بن ياسين، وكفهم من هناتنة. وكتب إليه بوصيته مشتملة على جرائم الخلال في الدين والملك والسياسة، يجب إثباتها لشرف مغزاها وغرابة معناها ويأتي نصها فيما بعد.

لما اتصل به ما أتاه المؤمن من قتل الموحدين بمراكش، وخصوصاً هناتنة وبنجلال. وكان منهم أخوه أبو محمد عبد الله المخلوع وإبراهيم، وأنه أشاع الكفر على المهدى في العصمة، وفي وضع العقائد والنداء للصلوات باللسان البربرى، وإحداث النساء للصبح وتربيع شكل الدرهم وغير ذلك من سنته. وأنه غير رسوم الدعوة، وبدل أصول الدولة. وأسقط اسم الإمام من الخطبة والسكة وأعلن بلعنه. ووافق بلوغ الخبر بذلك وصول بعض العمال إلى تونس بتولية المؤمن فصرفهم، وأعلن بخلعه سنة ست وعشرين وستمائة. وحوال الدعوة إلى يحيى ابن أخيه الناصر المتزى عليه بجياب الهاشمية. ثم اتصل به بعد ذلك عجز يحيى واستقلاله، فأغفله واقتصر على ذكر الإمام المهدى، وتلقب بالأمير ورسم علامته به في صدور مكتوباته. ثم جدد البيعة لنفسه سنة أربع وثلاثين وستمائة، وثبت ذكره في الخطبة بعد ذكر الإمام مقتضاً على لفظ الأمير، لم يجاوزه إلى أمير المؤمنين. وخاض أولياء دولته في ذلك حتى رفع إليه بعض شعرائه في مفتتح كلمة مدحه بها:

الا صل بالأمير المؤمنيا فلت بها احق العالمين

فزخر لهم عن ذلك وأبى عنه، ولم ينزل على ذلك إلى آخر دولته.

## الخبر عن فتح بجاية وقسطنطينة

ما استقل الأمير أبو زكريا بالأمر بتونس، وخلع بني عبد المؤمن، ونهض إلى قسطنطينة سنة ست وعشرين وستمائة، فنزل بساحتها وحاصرها أياماً. ثم دخله ابن علناس في شأنها وأمكنه من غرتها فدخلها، وتقبض على واليها السيد ابن السيد أبي عبد الله الخرساني بن يوسف العشري. وولى عليها ابن النعمان. ورحل إلى بجاية فافتتحها، وتقبض على واليها السيد أبي عمران ابن السيد أبي عبد الله الخرساني وصيدهما معتقلين في البحر إلى المهدية. وأجريت عليهم هنالك الأرزاق، وبعث بأهلهما ولدهما مع ابن أوهاز إلى الأندلس، فنزلوا بشبيلية. وبعث معهما إلى المهدية في الاعتقال محمد بن جامع وابنه وابن أخيه جابر بن عزون بن جامع من شيخ مدادس عوف، وابن أبي الشيشين بن عساكر من شيوخ الدواودة، فاعتقلوا بمطبق المهدية وكان أخوه أبو عبد

فنفذ الأمر بقتلهم فقتلوا، وبعث برؤوسهم إلى باب السلطان، ونصبوا أشلاءً لهم بأسوار طرابلس، وأصبحوا عبرة للمعتبرين وأشد الشعرا في التهنة بهم وقامت لل بشائر سوق لكتنتهم.

وكان من قتل معه محمد ابن قاضي القضاة عراشين أبي عمران بن عمران. وصل علقة إلى تونس وقصد طرابلس فاتصل بهذا المغربي، ونفي عنه أنه أنشأ خطبة ليوم البعثة فكانت ساقفة حنته. وكان بالمدية رجل من الدعاة يعرف بـ أبي حراء اشتهر بالتجدة في غزو البحر، وقدم على الأسطول فردد الغزو حتى هابه الغزى من أمم الكفر، وأمنت سواحل المسلمين من طرقوهم. وطار له فيها ذكر ونفي أنه كان مداخلاً للجواهري والمغربي، وأن القاضي بالمدية أبو زكرياء البرقي اطلع على دسيستهم في ذلك، فنفذ الأمر السلطاني للوالى بها أبي علي بن أبي موسى بن أبي حفص بقتل ابن أبي الآخر، وإشخاص القاضي إلى الحضرة معتقلًا، فامضى عهده.

ولما وصل البرقي إلى تونس فحص السلطان عن شأنه فبرىء من مداختلهم، فسرحه وأعاده إلى بلده. وقتل بالحضره رجل آخر من الجنديتهم بمداختلهم وسعاته في قيامهم، وكان له تعلق برحاب بن محمود أمير دباب، فأذاعر السلطان إلى بعض الدعاة من زنانة، فقتله غيلة ثم أهدر دمه. وتبع أهل هذه الخاتمة بالقتل حتى حسم الداء، ومحا شوائب الفتنة.

### الخبر عن بيعة بلنسية ومرسية وأهل شرق

#### الأندلس ووفدهم

لم استقل أبو جيل زيان بن أبي الحملات مدافع بن أبي الحاج بن سعد بن مردنش يملك بلنسية، وغلب عليها السيد أبي زيد بن السيد أبي حفص، وذلك عند خود ربيع بن عبد المؤمن بالأندلس، وخروج ابن هود على المأمون، ثم فتنته هو مع ابن هود، وثورة ابن الآخر بارجونة، وأضطراب الأندلس بالفتنة. وأسف الطاغية إلى نفور الأندلس من كل جانب. وزحف ملك أرغون إلى بلنسية فحاصرها، وكانت للعدو ستة ثلاث وثلاثين وستمائة سبع محلاً لخصار المسلمين: اثنان منها على بلنسية، وجزيرة شقر وشاطبة. وحملة بجيان وحملة بطيرية وحملة بمرسية وحملة بلبلة، وأهل جزنة من وراء ذلك على سبعة.

ثم تملك طاغية قشتالة مدينة قرطبة، وظفر طاغية أرغون بالكثير من حصون بلنسية والجزيرة، وبنى حصن أيشة لخصار بلنسية. وأنزل بها عسكره وانصرف، فاعتزم زيان بن مردنش على

### الخبر عن سطوة السلطان بهوارة

كان هوارة هؤلاء يافريقيا ظهوراً وعدد منذ عهد الفتح، وكانت دولة العبيدين قد جرت عليهم بكلكلها لما كان منهم في فتنة أبي يزيد كما نذكره في أخبارهم. وبقي منهم قل بجبل أوراس وما بعده من بلاد إفريقيا وبسائطها إلى آبة ومرماجنة وسبية وترست.

ولما انقض ملك صنهاجة بالموحدين وتقلب الأعراب من هلال وسليم على سائر النواحي يافريقيا، وکروا ساكنها، وتغلبوا عليهم أخذ هذا القل بمذهب العرب وشارتهم في اللبوس والرزي والطعون وسائر العوائد. وهجروا لغتهم العجمية إلى لغتهم، ثم نسوها كان لم تكن لهم، شأن المغلوب في الاقداء بغالبه. ثم كان لهم المخياش أول الدولة إلى الطاعة بغلب عبد المؤمن وقومه. فلما استبد الأمير أبو زكرياء، وانقلب الدولة إلى بني أبي حفص ظهر منهم التباusch في الطاعة، وانتفاع عن المفرم، وأضرار بالسابلة، فاعتطل السلطان في أمرهم. وخرج من تونس سنة ست وثلاثين وستمائة موريًا بالغزو إلى أهل أوراس، وثبت في احتشادهم فتوافقوا في مسكنه، ثم صبحهم في عسكنه من الموحدين والعرب فقتل بهم قتلاً وسيأ، واكتسح أمرالم وقتل كثيرهم أبو الطيب بعرة بن حناش وأفلت من أفلت منهم ناجياً بنفسه، عارياً من كسبه، فألانت هذه البطشة من حدهم وخضدت من شوكتهم، واستقاموا على الطاعة بعد.

### الخبر عن ثورة المغربي بطرابلس ومال أمره

كان هذا الرجل من مشيخة الموحدين وهو يعقوب بن يوسف بن محمد المغربي ويكتنى بأبي عبد الرحمن، وكان الأمير أبو زكرياء وقد عقد له على طرابلس وجهاتها، وسرح معه عسكراً من الموحدين لحمايةها من أعراب دباب من بني سليم، فقام بأمرها وأضططع بجيشه رعاياها. واستخدم العرب والبربر الذين بساحتها وكان بينه وبين الجواديري مصدقة ود. فلما قتل الجواديري سنة تسع وثلاثين وستمائة كما قدمناه استوحش لها يعقوب المغربي واستقدمه السلطان فلتلها، وبعث عنه أخيه ابن أبي يعقوب فازداد تفارة، وحدثه نفسه بالاستبداد لما كان أثرى من الجباية وشعر لها أهل البلد. فانطلقوا وهم يتخاصرون أن يعاجلوه قبل مداخلته العرب في أمره، فتقبضوا عليه وعلى أخيه وعلى أتباعهما ليلة أجمعوا الثورة في صباحها. وطبروا بالخبر إلى الحضرة

هذا رسائلها تدعوك من كتب وانت افضل مرجو لمن يسأله  
واقتك جارية بالنجاح راجية منك الأمير الرضي والسيد الندا  
خافت خصارة بعلوها وبعفتها عبليه قعناني اللذين والشرسا  
ورما سبحة والريح عاتية كما طابت بأقصى شدة الفرسا  
نثم يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص مقبلة من تربة القدسا  
ملك تقلدت الأملال طاعته ديناً ودنيا فتشاهما الرضي ليسا  
من كل غاد على عناء مسلمها وكل صاد إلى نعماء ملتمسا  
مؤيد لورمى نجماً لأنثى ولو دعا أفقاً لبى وما احتبسا  
امارة تحمل المقدار رايته ودولة عزها يستصحب القعسا  
ييدي النهار بها من ضوئه شباً ويطلع الليل من ظلماته لعسا  
كانه البدر والعلياء حالته تحف من حوله شهر القنا حرساً  
له الشري والتربى خطنان فلا أغتر من خطبيه ما سما ورسا  
يا أيها الملك المصور أنت لها عليه توسيع أعداء الهوى تعسا  
وقد توادرت الأنبياء أنك من يحيى بقتل ملوك الصفر اندلسا  
طهر بلادك منهم إنهم نجس ولا طهارة مالم تغسل النجسا  
والوطىء الفيلق الحررار ارضهم حتى يطاطر رئيس كل من رأسا  
وانصر عيذنا بأقصى شرقها شرفت عيونهم أدمعاً تهمي زكام وخشسا  
هم شيبة الأمر وهي الدار قد نهكت داء متى لم تباشر حسمه انتكسا  
اما هشياً لك التمكين ساحتها جرداً سلاهاب أو خطبة دعسا  
واضرب لها موعداً بالفاتح ترقبه لعل يوم الأعدادي قد آتني وعسا  
فاجاب الأمير أبو زكريا داعيهم، وبعث إليهم أسطرله  
مشحوناً بمدد الطعام والأسلحة والمال، مع أبي يحيى بن يحيى بن  
الشهيد أبي إسحاق بن أبي حفص. وكانت قيمة ذلك مائة ألف  
دينار.

وجاءهم الأسطول بالمدد وهم في هذا الحصار، فنزل بمرسى  
دانية واستقر المدد بها ورجع بالناظ إذ لم يخلص إليه من قبل  
بن مرديش من يتسلمه. واشتد الحصار على أهل بلنسية، وعدمت  
الأقوات وكثير الها لا من الجروح، فو قعت المراودة على إسلام البلد  
وتسللها جاقعة ملك أرغون في صفر سنة ست وتلابين وستمائة،  
وخرج عنها ابن مرديش إلى جزيرة شرق، فأخذ البيعة على أهلاها  
لأمير أبي زكريا. ورجع ابن الأبار إلى تونس، فنزل على السلطان  
وصار في جملة، والوح العدو على حصار ابن مرديش بجزيرة  
نفقر، وأزعجه عنها إلى دانية فدخلها في رجب من ستة، وأخذ  
عليهم البيعة للأمير أبي زكريا.

ثم داخل أهل مرسية، وقد كان بويها أبو بكر عزيز بن عبد الملك ابن خطاب في مفتاح السنة، فافتتحها عليه في رمضان من ستة وقتله، وبعث بيتهم إلى الأمير أبي زكريا. وانتظمت

غزو من يقى بها من عسكره، واستنفر أهل شاطئه وشتر وزحف إليهم فاكتشف المسلمون، وأصيب كثير منهم. واستشهد أبو الربيع بن سالم شيخ المحدثين بالأندلس، وكان يوماً عظيماً، وعنواناً على أخذ بلنسية ظاهراً. ثم ترددت عليها سرايا العدو. ثم زحف إليها طاغية أرغون في رمضان سنة خمس وثلاثين وستمائة فحاصرها واستبلغ في نكباتها. وكان بنو عبد المؤمن براكيش قد فشل ريمهم، وظهر أمر بني أبي حفص بآفاقية، فاملأ ابن مردينش وأهل شرق الأندلس الأمير أبي ذكرياء للكرة، وبعثوا إليه بيعتهم، وأوفد عليه ابن مردينش كاتبه التقى أبو عبد الله بن الأبار صريحةً، فرفد وأدى بيعتهم في يوم مشهود بالحضر، وأنشد في ذلك المختل قصيدة على روى السين، يستصرخ فيها للMuslimين وهي هذه:

أدرك بخيك خيل الله اندرس إن السبيل إلى مجدهما إندرس  
لها من عزيز النصر ما التمث فلم يزل منك عز النصر ملتمسا عاش ما تعانيه حشاشها فطالما ناقت البلسوى صباح مسا  
للهجزرة أضحي أهلها جزراً للنابات وأمسى جدهما تusa  
كل شارة إسلام بالفترة يعود مأتمها عند العدوى عرسا وكل غاربة إيجحاف ثانية  
قاسم السروم لأنسالت مقاديمهم إلا عقاتها الحجوسة الأنسا  
وفي بلنسية منها وقرطبة ما يذهب النفس أو ما يترن الفتسا  
مدارس حلها الإشراك مبتسماً جذلان وارتحل الإيمان مبتسماً  
وصيرتها الموادي عاثات بها يتوحش الطرف منها ضعف ما أنسا  
ما للمساجد عادت للعدوى بيعاً وللنبلاء يرى أثناءها جرساً  
لدفأ عليها إلى استرجاع فاثتها مدارس للشانى أصبحت درساً  
واربعاً غنمته أيدى الربيع بها ما شئت من خلع موشية وكسا

كانت حدائق للأخذى مونقة فصرح النصر من أدواهها وعسا  
وحال ما حولها من منظر عجب يستوقف الركب أو يسترك الجلسا  
سرعان ما عاث جيش الكفر وأحراباً عيّث الدبابة في مغانيها التي كبسا  
وابتست بزتها لما تخيّفها غيف الأسد الضاري لما افترس  
فألين عيّش جندهما بها خضراءً وأين غصن جندهما به سلسما  
عما حاسنته طاغٍ أتيح لها مانع عن هضمها حيناً ومانعها  
ورج أرجاءها لما أحاط بها فقاد الشم من أعلامها خسنا  
خلاله الجسو وامتدت يداه إلى إدراك مالم تسل رجلاته مختلسا  
وأكثر الزعم بالثالث متفرداً ولو رأى راية التوحيد مانيسا  
صل جبلها إليها المولى الرحيم فما أبقى المراس لها جبلاً ولا مرسا  
واهي ما طمس منها العادة كما أحيت من دعوة المهدى ما طمسا  
أيام صرلت نصر الحق مستقراً وبيت من نور ذلك المدى مقتصراً  
وقدت فيها لأمر الله متصرراً كالصارم اهتز أو كالعارض انجسا  
تمحو الذي كتب التجسيم من ظلم والصبح ماحيّة أنسواره الغلسا

نفسه والقى شلوه بقارعة الطريق فتختن أهل الشمات في العبث به، وإلى الله المصير.

### الخبر عن فتح تلمسان ودخول بني عبد الواد في الدعوة الخفصة

كان الأمير أبو زكريا منذ استقل بأمر إفريقية واقطعها عن بني عبد المؤمن كما ذكرناه متطاولاً إلى ملك الحضرة ببراكنش والاستيلاء على كرسى الدعوة. وكان يرى أن عظاهم زناته له على شأنه يتم له ما يسمى إليه من ذلك، فكان يداخل أمراء زناته فيه ويرغبهم ويرسلهم بذلك على الأحياء من بي مرين وبني عبد الواد وتوجين ومغراوة. وكان يعمراسن منذ تقدّل طاعة آل عبد المؤمن أقام دعوتهم بعمله متحيزاً إليهم سلماً لولهم وحرباً على عدوهم. وكان الرشيد منهم قد ضاعف له البر والخلوص، وخطب منه مزيد الولاية والمصافحة، وعاوده الاتحاف بأتواع الألطاف والمدايا تعمنا لسراته، وميلاً إليه عن جانب أقالة بني مرين الجليين على المغرب والدولة، فاستکبر السلطان أبو زكريا اتصال الرشيد هذا يعمراسن وألهه والزمهم من جواره بالحلل القريب.

وبينما هو على ذلك إذ وفدي عليه عبد القوي أمير بني توجين وبعض ولد منديل بن عبد الرحمن أمراء مغراوة صرخنا على يعمراسن فسهلاوا له أمره، وسولوا له الاستبداد على تلمسان. وجع كلمة زناته، وإعداد ذلك ركاباً لما يرومهم من امتطاء ملك الموحدين ببراكنش، وانتظامه في أمره، وسلمًا لارتفاعه ما يسمى إليه من ملكه، وباباً لدولج المغرب على أهله، فحركه إملاؤهم وهزه إلى التعرة صرخهم، وأهاب بالموحدين وسائر الأولياء والعساكر إلى الحركة على تلمسان. واستنفر لذلك سائر البدو من الأعراب الذين في طاعته من بي سليم ورياح بطنهم، فأمعطوا لداعيه.

ونهض سنة تسع وثلاثين وستمائة في عساكر ضخمة وجوش وافرة. وسرح إمام حركته عبد القوي بن العباس وأولاد منديل بن محمد لحشد من وافى بأوطانهم من أحياه زناته وذؤبان قبائلهم، وأحياء زبغة أخلافهم من العرب. وضرب معهم موعداً لموافاتهم في تغور بلادهم. ولما نزل صحراء زاغر قبلة يتطرى متىهى مجالات رياح وبنى سليم من المغرب، تناقل العرب عن الرحلة بطنهم في ركاب السلطان، وتولوا بالمعاذير فالطاف الأمير أبو زكريا الحبلة. وزعموا في استهاظهم وتنبه عزائمهم، فارغلوا

البلاد الشرقية في طاعته، وانقلب وفد ابن مردنس إلى ملوك تونس بولايته على عمله سنة سبع وثلاثين وستمائة، ولم ينزل بها إلى أن غلبه ابن هود على مرسية، وخرج عنها إلى لقت الحصون سنة ثمان وثلاثين وستمائة، إلى أن أخذها طاغية برشلونة من يده سنة أربع وأربعين وستمائة، وأجاز إلى تونس، والبقاء لله.

### الخبر عن الجوسي وأوليته ومال أمره

اسم هذا الرجل: محمد بن محمد الجوهرى، وكان مشهراً بمقدمة ابن أكمازير الهاشمى والى سبعة وعشارة من أعمال المغرب. وكان حسن الضبط متزاماً إلى الرئاسة. ولما ورد على تونس وتعلق بأعمال السلطان نظر فيما يزلفه ويرفع من شأنه، فوجد جابية أهل الخيم بإفريقية من البربرة الموطنين مع الأعراب غير منضبطة ولا مصلحة في ديوان، فنبه على أنها مأكولة للعمال ونبهية للولاة، فدفع إليها فائنى جابيتها وقرر ديوانها، وصارت عملاً منفرداً يسمى عمل العمود وطار له بذلك بين العمال ذكر، جذب له السلطان أبو زكريا بضبيه، وصول على نصيحته وأثره باختصاصه. ووافق ذلك موت أبي الريح الكثيف المعروف بابن الغريغر صاحب الأشغال بالحضرى، فاستعمل مكانه، وكان لا يلي تلك الخطة إلا كبير من مشيخة الموحدين، فرشحه السلطان لها لكتافاته وغناهه، فظفر منها بمحاجة نفسه، واعتدها ذريعة إلى أمنيته، فاتخذ شارة أرباب السيف، وارتبط الخيل واتخذ الآلة في حربه مع أهل البداية إذا احتاج إليها.

وأسف أثناء ذلك أبا علي بن النعمان وأبا عبد الله بن أبي الحسن بعد المخصوص لهما، فنصبا له، وأغريا به السلطان، وحضره غاللة عصيانيه. وكان فيه إقدام أوجد به السبيل على نفسه، ويحكي أن السلطان استشاره ذات يوم في تقويم بعض أهل الخلاف والعصيان، فقال له: عندي ببابك ألف من الجنود أرم بها من تشاء من أمرائهم، فأعرض عنه السلطان واعتدها عليه. وجعلها مصداقاً لما نفي عنه. ولما قدم عنه عبد الحق بن يوسف بن ياسين على الأشغال بجاجية مع زكريا بن السلطان، أظهر له الجوهرى أن ذلك بسعادة، وعهد إليه بالرقوف عند أمره والعمل بكتابه، فالفتى عبد الحق ذلك إلى الأمير أبي زكريا فقام لها وعقد، وأنف من استبداد الجوهرى عليه. ولم تزل هذه وامتلأها تعد عليه حتى حق عليه القول فسطا به الأمير أبو زكريا وتقبس عليه سنة تسع وثمانين وستمائة، ووكل امتحانه إلى أعدائه ابن ملان والندرومى، فتجدد على العذاب وأصبح في بعض أيامه ميناً بمحبسه. ويقال: خنق

فدخل الخضراء واقتعد أريكته وأشده الشعرا في الفتح، وأسى جوازهم وطالعت أنفاس الآفاق كما ذكره.

## الخبر عن دول أهل الأندلس في الدعوة الخصصية ووصول بيعة إشبيلية وكثير من أمصارها

كان بإشبيلية أبو مروان أحمد الباقي من أعقب أبي الوليد وأبو عمرو بن الجد من أعقب الحافظ أبي بكر الطاير الذكر، ورثا التجلة عن جدهما وأبراها الخلافاء على سنتهم. وكانا مسحتين وقورين متبعين من أهل بلدهما مطاعين في أقوهما. وكان السادة من بي عبد المؤمن يغولون على شوراهما في مصرها. وكان بعدهما الأندلس ثبات في الملك منذ وفاة المستنصر، وانتزى بها السادة وافتقرها. وثار بشرق الأندلس ابن هود وزيان بن مرديش، وبغرها ابن الأخرم. وغلب ابن هود للموحدين وأخرجهم عنها. وملك ابن هود أشبيلية سنة ست وعشرين وستمائة واعتقل من كان بها من الموحدين. ثم انتقضوا عليه ستة تسع وعشرين وستمائة بعدها وأخرجوا أخاه أبي النجاة سالماً، وباعوها الباقي وتسنى بالمعتذد، واستوزر أبا بكر بن صاحب الرد، ودخلت بيعته قرمونة، وحاصره ابن هود فوصل الباقي يده محمد بن الأخرم النابي بارجونة وجيان بعد أن ملك قرطبة.

وزحف ابن هود إليهم فلقوه وهزموه، ورجعوا ظافرين، فدخل الباقي إلى أشبيلية وعسكر بخارجهما، ثم انهز فرصةه في أشبيلية وبعث قريبه ابن أشقيقه مع أهل أرجونة والنصارى إلى فسطاط الباقي فتقبضوا عليه وعلى وزيره وقتلواهما سنة إحدى وثلاثين وستمائة. ودخل ابن الأخرم أشبيلية، ولشهر من دخوله إليها ثار عليه أهلها ورجعوا إلى طاعة ابن هود، وولى عليهم أخاه أبي النجاة سالماً. ولما هلك محمد بن هود سنة خمس وثلاثين وستمائة صرف أهل أشبيلية طاعتهم إلى الرشيد عراكش، وولوا على أنفسهم محمد بن السيد أبي عمران الذي قدمنا أنه كان والياً بقسطنطينة، وأن الأمير أبا زكريا غليه عليها واعتقله، وبعث ولده إلى الأندلس فربى محمد هذا في كفالة أمه بإشبيلية.

ولما سار أهل أشبيلية للرشيد قدموه على أنفسهم، وتولى بحر ذلك أبو عمرو بن الجد، ويعشا وفدهم إلى الخضراء فاتَّ السيد أبا عبد الله على ولادتهم. واستمرت في دعوة الرشيد إلى أن هلك سنة أربعين وستمائة. وقد ملك الأمير أبا زكريا تلمسان وأشرف

معه حتى نازل تلمسان بجميع عساكر الموحدين وحسود زنانة وطنن العرب بعد أن كان قد إل يغمراسن الرسل من مليانة بالأعذار والدعاء إلى الطاعة، فرجعهم بالخيء، ولما حلت عساكر الموحدين بساحة البلد، وبرز يغمراسن وجوهه لقاء بصحبهم ناشبه السلطان بالليل، فانكشفوا ولاذوا بالجلدان وعجزوا عن حماية الأسوار، فاستمكنت المقاتلة من الصعود. ورأى يغمراسن أن قد أحبط بالبلد فقصد باب العقبة من أبواب تلمسان ملتفاً في ذويه وخاصةه. واعتراضه عساكر الموحدين فصمم نحوهم وجندل بعض أبطالهم فأفجوا له، ولحقوا بالمحارء وتسللت الجيوش إلى البلد من كل حدب، فاتتحمدوه وعاثوا فيه بقتل النساء والصبيان واكساح الأموال.

ولما تجلَّى غشي تلك المفيعة، وحسن تيار الصدمة، وخذلت نار الحرب، راجع الموحدون بصائرهم وأئتم الأمير أبا زكريا نظرة فيما يقلده أمر تلمسان والمغرب الأوسط، وينزله بغزيرها لإقامة دعوته الدائنة من دعوة بي عبد المؤمن والمدافعة عنها. واستكبد ذلك أشرافهم وتدافعواه وتبرأ أمراء زنانة ضعفاً عن مقاومة يغمراسن علماً بأنه الفحل الذي لا يقع أنهه، ولا يطرق غيله ولا يصد عن فريسته.

وسرح يغمراسن الغارات في نواحي العسكرية فاختطف الناس من حوله، واطلبوا من المراقب عليه. ثم بعث وفده متطرحين على السلطان في الملاحة والاتفاق، واتصال اليد على صاحب مراكش طالب الوتر في تلمسان وإفريقية. وأن يفرد به بالدعوة الموحدية فأجابه إلى ذلك. ووفدت أمه سوط النساء للاشتراك والقبول فاكترم موصلها وأسى جائزتها، وأنحسن وفادتها ومتقلبتها، وسُرَّع ليغمراسن في شرطه بعض الأعمال بإنفرادي، وأطلق أيدي عماله على جيشه، وارتحل إلى حضرته لسبعين عشرة ليلة من نزوله.

وفي أثناء طريقه وسوس إليه الموحدون باستبداد يغمراسن، وأشاروا بإقامته مفاسده من زنانة وأمراء المغرب الأوسط شجني في صدره، ومعترضاً عن مرامة، وإنباسهم ما ليس من شارة السلطان وزيه، فأجابهم وقلد كلّاً من عبد القوي بن عطيه التوجيبي، والعباس بن منديل المغراوي ومنصور المليكي الشامي قمه ووطنه، وعهد إليهم بذلك وأذن لهم في اتخاذ الآلة والمراسم السلطانية على سنتين يغمراسن قريعيهم، فاتخذوا بحضوره ويشهد من ملا الموحدين. وأقاموا مراسمهما ببابه. وأخذ السير إلى تونس قريباً العين بامتداد ملوكه، وبلغ وطه والإشراف على إذعان المغرب لطاعته وافتياه لحكمه، وإدالله دعوة بي عبد المؤمن فيه بدعوته،

ديوان سبطة لأبي علي بن خلاص، كان من أهل بلنسية واتصل بخدمة الرشيد فجل فيها. ودفعه إلى الأعمال فقضطها، فولاه سبطة فاستقل بها. وولى على طنجة يوسف ابن الأمير قائدًا على الرحل الأندلسي وضابطًا لقصبتها. حتى إذا هلك الرشيد سنة أربعين وستمائة، وقد استفحل أمر الأمير أبي زكريا يافريقيا، واستولى على تلمسان وبايعه الكثير من أمراء الأندلس، فصرف ابن خلاص وجهه إليه.

وكان قد اقتني الأموال وأصطمع الرجال، فدخل في دعورته، ويعث الروفدي بيته. واقتدى به في ذلك أهل قصر ابن عبد الكريم فبعثوا بيعهم للأمير أبي زكريا. وعقد لابن خلاص على سبطة وما إليها، فبعث بالهدية إليه في أسطول أنشأه لذلك سماه اليمون، وأركب ابنه أبو القاسم فيه وافتادًا على السلطان، ومعه الأديب إبراهيم بن سهل، فقضط عذر إقلاعه.

ولما رجع الأسطول من أشبيلية كما قدمناه على بقية هذا العطب وحزن أبي علي بن خلاص على ابنه، رغب من قائدته أبي الريبع بن الغريغر أن يجعله بحملته إلى الحضرة، فانتقل بأهله واحتفل ذخيرته. ولما مر الأسطول بمرسى وهران نزل بساحلها فراح، وأحضر له تبن فاكهة فاصابه مرض في معاه هلك منه فجأة سنة ست وأربعين وستمائة. وعقد السلطان على سبطة لأبي يحيى بن زكريا ابن عم أبي يحيى الشهيد بن الشيخ أبي حفص. وبعث معه على الجالية أبا عمر بن أبي خالد الأشبيلي، كان صديقاً لشفاف ودعوا لابن الجد. ولما قتل شفاف لحق بالحضره فولاه الأمير أبو زكريا أشغال سبطة، استمرت الحال إلى أن كان من استبداد العزف بسبطة على ما ذكره.

على أعمال المغرب، فاقتدوا من تقدم إلى بيته من أهل شرق الأندلس بلنسية ومرسيه، وبايعوا للأمير أبي زكريا بن أبي محمد بن أبي حفص واقتدى بهم أهل شریش وطريف، وبعثوا إليه وفدهم بيته سنة إحدى وأربعين وستمائة. وسائلوا منه ولاية بعض أهل قرابته فول عليهم أبا فارس ابن عمه يونس بن الشيخ أبي حفص، فقدم أشبيلية وقام بأمرها، وسلم له ابن الجد في نقضها وإبرامها.

ثم انتقض عليه سنة ثلاث وأربعين وستمائة وطرده من البلد إلى سبطة واستبد بأمر أشبيلية، ووصل يده بالطاغية. وعقد له السلم وضرب على أيدي أهل المقاولة من الجند واستقطبهم من ديوانه فقتلوه بإملاء قادتهم شفاف واستقبل بأمر أشبيلية. ورجع أبا فارس بن أبي حفص وولاه بدعة الأمير أبي زكريا فاضطهمن الطاغية لذلك وانتقض عليهم وملك قرمانة ومرشانة. ثم زحف إلى حصرهم وسائره الصلح فامتنع. وصار أمر البلد شوري بين القائد شفاف وابن شعيب ويجيبي بن خلدون ومسعود بن خيار وأبي بكر بن شريح، ويرجعون في أمرهم آخرًا إلى الشيخ أبي فارس بن أبي حفص.

وأقاموا في هذا الحصار ستين وناظم ابن الأحرار في جلة الطاغية، وبعث إليهم الأمير أبو زكريا المدد، وجهز له الأسطول لنظر أبي الريبع بن الغريغر التينيلي. وأوعز له إلى سبطة بتجهيز أسطولهم معه فوصل إلى وادي أشبيلية، وغلبهم أسطول الطاغية على مرسيه فرجع. واستول العدو عليها صلحًا سنة ست وأربعين وستمائة بعد أن أعنفهم ابن الأحرار بمدده وميرته. وقدم الطاغية على أهل الدخن بها عبد الحق بن أبي محمد اليافي من آل عبد المؤمن، والأمر لله.

### الخبر عن بيعة المربية

لما هلك محمد بن هود بالمربية سنة خمس وثلاثين وستمائة كما ذكرناه واستبد وزيره أبو عبد الله محمد بن الرميبي بهما، وقضطها لنفسه وضايقه ابن الأحرار بعث بيته سنة أربعين إلى الأمير أبي زكريا حين أخذ أهل شرق الأندلس بطاعته. ولم ينزل ابن الأحرار بمحاصره إلى أن تغلب عليه سنة ثلاثة وأربعين وستمائة كما ذكرناه في أخباره. وخرج منها إلى سبطة بأهله وذخيرته، وأحله أبو علي بن خلاص محل البر والتكرمة، وأنزله خارج المدينة في بساتين بنينش، وأجمع الثورة بالي خلاص، فنذر به وتغير له. فلما رجع الأسطول من أشبيلية ركبه الرميبي ولحق بتونس، فنزل على الأمير أبي زكريا وحل من حضرته محل

### الخبر عن بيعة أهل سبطة وطنجة وقصر ابن عبد الكريم وتصارييف أحواهم ومال أمرهم

كان أهل سبطة بعد إقلاع المأمون عنهم، ونزول أخيه موسى عنها لابن هود قد انتقضوا وأخرجوا عنهم القشتبي والي ابن هود، وقدموا عليهم أحد البشتي وتسنى بالملوق. ثم رجعوا إلى طاعة الرشيد عندما بايعه أهل أشبيلية سنة خمس وثلاثين وستمائة. وتقبضوا على البشتي وابنه وأدخلوا السيد أبا العباس ابن السيد أبي سعيد، كان واليا بغراوة فولره عليهم. ثم عقد الرشيد على

## الخبر عن بيعة مكناة وما تقدمها من طاعة

بني مرين

كان بين بني عبد الواد وبين بني مرين منذ أوليthem وتقلبهم في التفارق فتن حروب، ولكن منها احلاف في المعاشرة وأشياع. فلما ثانث دولة بني عبد المؤمن غالب كل منها على موطنها، وكانت السابقة في ذلك لبني عبد الواد لبعدهم عن حضرة مراكش حيث عشر العساكر ويعسوب القبائل. ولما استبد الأمير أبو زكريا بأمر إفريقيه، ودخل المغرب الأوسط وافتتح تلمسان، وأطاعه بنو عبد الواد، خدر بنو مرين حيث غاثتهم. وخفافوا أن يظاهرون بالأمير أبو زكريا عليهم، فألأنوا له في القول ولاطفوه على البعد بالطاعة، وخطابوه بالتموبل، وأوجبوا له حق الخلافة، ووعدوه أن يكونوا أنصاراً للدعوة وأعواناً في أمره، ومقدمة في عسكره إلى مراكش وزحفه. وحملوا من تحت أيديهم من قبائل المغارب وأمصاره على طاعتهم، والاعتصام بيعتهم. ولم تزل المخاطبات بينهم وبين الأمير أبي زكريا في ذلك من أميرهم عثمان بن عبد الحق وأخيه محمد من بعده. ورسلهم تقد عليه بذلك مرة بعد أخرى إلى أن هلك الرشيد. وقد استولى الأمير أبو زكريا على تلمسان، ودخل في دعوته قبائل زناته بالمغرب الأوسط واستشرف أهل الأمصار من العدويتين إلى إيماته. وكان أهل مكناة قد اعتصموا بوصلة الأمير أبي يحيى بن عبد الحق، وجاءهم وال من مراكش وأسأله فيهم السيرة فتوثروا به وقتلوا. وبعثوا إلى الأمير أبي يحيى بن عبد الحق، فحملهم على بيعة الأمير أبي زكريا فأنذروها من إنشاء قاضيهم أبي المطرف بن عميرة سنة ثلاث وأربعين وستمائة. وضمن أبو يحيى بن عبد الحق حاليهم خلال ما يائتهم أمر السلطان من تونس ومدده، وبلغ الخبر إلى السعيد فارهف حده واعترض على الهاوض إليهم فخانهم العرب، وراجعوا طاعته وأوفدوا صلحاءهم وعلماءهم في الإقالة وافتخار الجريدة، فتقبل ذلك إلى أن كان من حركته بعد ذلك ومهلكه ما هو معروف.

## الخبر عن مهلك الأمير أبي يحيى زكريا ولي

العهد بمكان إمارته من بجاية وتصيير العهد

إلى أخيه محمد

كان الأمير أبو زكريا قد عقد لابنه أبي يحيى زكريا على ثغر

التكرمة. واستوطن تونس، وعمل بها الضياع والقرى، وشيد القصور إلى أن هلك والبقاء لله وحده.

## الخبر عن بيعة ابن الأخر

كان محمد بن الأخر قد انتزى على ابن هود بيلده أرجونة، وملك جيان وقرطبة وأشبيلية وغرب الأندرس وطالع فنته مع ابن هود وراجع طاعته. ثم انتقض عليه ويايغ للرشيد سنة ست وثلاثين وستمائة عندما بايعه أهل أشبيلية وسبتها، فلم ينزل على ذلك إلى أن هلك الرشيد على حين استفحال ملك الأمير أبي زكريا يافريقيه وتأميلاً للنصرة والكرة، فتحول ابن الأخر إليه الدعوة، وأوفد بها أبا بكر بن عياش من مشيخة مالقة فرجعهم الأمير أبو زكريا بالأموال للنفائس الجهادية، ولم يزل يواصلها لهم من بعد ذلك إلى أن هلك سنة سبع وأربعين وستمائة، فطلق ابن الأخر نفسه من عقال الطاعة واستبد بسلطانه.

## الخبر عن بيعة سجلماسة وانتقادها

كان عبد الله بن زكريا المزرجي من مشيخة المرحدين والآية بسجلماسة لبني عبد المؤمن. ولما هلك الرشيد وبريع آخره السعيد سنة أربعين وستمائة، وغيت إليه عن المزرجي عظيمة من القول خشن بها صدره وبعث إليه مستعيناً فلم يعتبه. ومزق كتابه فخشيه المزرجي على نفسه، واتصل به ما كان من استيلاء الأمير أبي زكريا على تلمسان ونواحيها، فخاطبه بطاعته وأوفد عليه بيعته، فعقد له الأمير أبو زكريا على سجلماسة وأخاهها، وفرض إليه في أمرها ووعده بالمد من المال والعسكر لحمياتها. وخطب له عبد الله بسجلماسة، وفر إليه من مراكش أبو زيد الكدميوي بن واكاك، وأبا سعيد العود الرطب، فلحق بتونس. وأقام أبو زيد معه بسجلماسة. وزحف إليه السعيد سنة إحدى وأربعين وستمائة، وقيل سنة أربعين، ومن معذكره كان مفر أولئك المشيخة. وخاطب السعيد أهل سجلماسة وداخلهم أبو زيد الكدميوي فندروا بالهزرجي وثاروا به، فخرج من سجلماسة وأسللها، وقام بأمرها أبو زيد الكدميوي. وطير بالخبر إلى السعيد فشكر له فعلته، وغفر له سالفته. وتنقض على عبد الله المزرجي بعض الأعراب، وأمكن منه السعيد فقتله وبعث برأسه إلى سجلماسة فنصب بها، ورجع من طريقه إلى مراكش وأقامت سجلماسة على دعوة عبد المؤمن إلى أن كان من خبرها ما ذكره في موضعه.

الحق. ولا تراغ في فاجر متصرف إلاً ولا ذمة، ولا تنتصر على شخص واحد في رفع مسائل الرعية والمظلومين. ولا تقف عند مراده في أحوالهم.

وأخذ نفسك ثقة صادقين مصدقين، لهم في جانب الله أوفر نصيب، وفي مسائل خلقه إليك أسرع مجيب. ول يكن سؤالك لهم أثناة، فأئنك متى اقتصرت على شخص واحد في نقله ونصحه، حمله الهوى على الميل، ودعته الحمية إلى تحنيب الحق، وترك قول الصدق. وإذا رفع إليك أحد مظلمة، وأنت على طريق، فادعه إليك وسلمه حتى يوضع قصته لك. وجاوره جواب مشتق مصنع إلى قوله، مصريح إلى نازله ونقله، ففي إصاحتك له وحشوك عليه أكبر تأنيس، وللسياسة والرئاسة في نفوس الخاصة والعامة، والجمهور أعظم تأنيس.

واعلم أن دماء المسلمين وأموالهم حرام على كل مؤمن بالله واليوم الآخر إلا في حق أوجبه الكتاب والسنّة، وغضنته أقاويل الشرعية واللحجّة، أو في مفسد عاشر في طرقات المسلمين وأموالهم جار على غيه في فساد صلاتهم وأحوالهم، فليس إلا السيف فإن أثره عفاء ووقعه لداء الأدمغة الفاسدة دواء، ولا تقبل عشرة حسود على النعم، عاجز عن السعي، فإن إيقانه تعلمه على القول، والقول يحمله على الفعل، وربما عمله عائد عليك. فاحسّم داءه قبل انتشاره، وتدارك أمره قبل إظهاره، واجعل الموت نصب عينيك، ولا تفتر بالدنيا وإن كانت في يديك. لا تقلب إلى ربك إلا بما قدّمته من عمل صالح ومتجر في مرضاته رابع.

واعلم أن الإيثار أربع المكاسب وأربع المطالب، والقناعة مال لا ينفد. وقد قال بعض المفسرين في قوله عز من قائل: «وَتَرَكَنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ» إنه البناء الحسن في الدنيا على ما خلّد فيها من الأعمال المشكورة، وال فعلات الصالحة المذكورة. فليكتف من دنياك ثوب تلبسه وفوس تدب به عن عباده. وأرجو بك متى جعلت وصيتي هذه نصب عينيك، لم تعد من ربك فتحاً يسره على يديك، وتسليداً ملزاً لا يريح عنك إلا إليك، من الله وحوله وطوله. والله يجعلك من سمع فوعي، ولبي داعي الرشد إذ دعا، إنه على كل شيء قادر، وبالإجابة جدير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

تم الوصية المباركة، فعظم ترشيح الأمير أبي بحبي بذلك، وعلا في الدولة كعبه، وقوى عند الكافة تأمليه، وهو مجالة من النظر في العلم والجحر للدين، إلى أن هلك ستة ست وأربعين وستمائة، فأئس له السلطان، واحتفل الشعراء في رثائه وتائيبه، فكانوا يثرون بذلك شجو السلطان، ويعثون حزنه، وعقد العهد

بجاهة قاعدة ملكبني حماد، وجعل إليه النظر فيسائر أعمالها من الجزائر وقسطنطينية وبونة والزاب سنة ثلاث وثلاثين وستمائة كما ذكرناه، فاستقل بذلك، وكان بعكان من الترشيح للخلافة بنفسه وجلاله، وانتظامه في سلك أهل العلم والدين وإيتاس العدل، فولاه الأمير أبو بحبي عهده سنة ثمان وثلاثين وستمائة، وأحضر الملا للذلك وأشهدهم في كتابه، وأوزع بذلك في الخطبة على المسابير مع ذكره. وكتب إليه بالوصية التي تداولها الناس من كلامه ونصها:

اعلم سدك الله وأرشدك، وهذا لما يرضيه وأسعدك، وجعلك محمود السيرة، مأمون السريرة. إن أول ما يجب على من استرعاه الله في خلقه، وجعله مسؤولاً عن رعيته في جل أمرهم ودقة، أن يقدم رضي الله عز وجل في كل أمر يحاوله، وأن يكل أمره وحوله وقوته الله، ويكون عمله وسعيه وذبه عن المسلمين، وحربه وجهاده للمؤمنين، بعد التوكل عليه، والبراءة من الحول والقدرة إلا إليه. ومتى فاجأك أمر مقلق، أو ورد عليك بما مررت، فرُض لك، وسكن جأشك، وارع عوّاقب أمر ثانية، وحاوله قبل أن ترد عليه وتعتّشه. ولا تقدم إقدام الجاهم، ولا تخجم إحجام الآخر المتكاسل.

واعلم أن الأمر إذا ضاق مجاله، وقصر عن مقاومته رجاله، فمتاح الصبر والخراوة والأخذ مع عقباء الجيش ورؤسائهم، وذري التجارب من نهايهم. ثم الإقدام عليه، والتوكّل على الله فيما لديك، والإحسان لكبير جيشك وصغره الكبير على قدره، والصغر على قدره. ولا تلحق الخقير بالكبير فتجري الخقير على نسرك، وتغلطه في نفسه وتفسد نية الكبير وتتوّره عليك، فيكون إحسانك إليه مفسدة في كلا الوجهين، ويسبيح إحسانك وتشتت نفوس من معلمك.

وأخذ كبارهم أباً وصغارهم ابنًا، وانخفض لهم جناح الذلة من الرحمة، وشاورهم في الأمر، فإذا عزمت فتوكل على الله، إن الله يحب التوكلين.

وأخذ نفسك صغيرة، وذاتك حقيرة، وحقر أمروك، ولا تستمع أقوال الغالطين المغالطين، بإنك أعظم الناس قدرًا، وأكثرهم بذلك، وأحسهم سيرة وأجملهم صرًا، فذاك غرور وبهتان وزور.

واعلم أن من تواضع الله رفعه الله. وعليك بتفقد أحوال رعيتك والبحث عن عمالهم والسؤال عن سير قضائهم فيهم، ولا تتم عن مصالحهم، ولا تسامح أحداً فيهم. ومهما دعت لكشف ملمة فاكتشفها عنهم، ولا تراغ فيهم كثيراً ولا صغيراً إذا عدل عن

من بعده لأخيه الأمير أبي عبد الله محمد، محضور الملأ، وليداع والوثائق، واستعمل في خطة القضاء بالحضرية أيام السلطان، وكان الخاصة كتابهم بذلك في السجل، إلى أن كان من خلافته ما ذكره له فيه ذكر.

ولما بلغ الخبر بهلك الأمير أبي زكريا إلى صقلية أيضاً، وكان المسلمين بها في مدينة بلزم قد عقد لهم السلطان مع صاحب الجزيرة على الاشتراك في البلد والضاحية، فتساكنوا حتى إذا بلغهم بهلك السلطان بادر النصارى إلى العبيث فيهم فلجاجوا إلى الحصون والأوار، ونصبوا عليهم شائراً من بنى عبس، وحاصرهم طاغية صقلية بعقلهم من الجبل. وأحاط بهم حتى استنزفواهم. وأجازهم البحر إلى عدوته، وأنزلهم بوجاره من عماها. ثم تعدد إلى جزيرة مالطة فاخرج المسلمين الذين كانوا بها، والحقهم ياخوائهم. واستولى الطاغية على صقلية وجزائرها. وما منها كلمة الإسلام بكلمة كفره، والله غالب على أمره.

### **الخبر عن بيعة السلطان أبي عبد الله المستنصر وما كان في أيامه من الحوادث**

لما هلك الأمير أبو زكريا بظاهر بونة سنة سبع وأربعين وستمائة كما قدمناه اجتمع الناس على ابنه الأمير أبي عبد الله، وأخذ له البيعة عمه محمد اللحياني على الخاصة وسائر أهل المعسكر، وارتحل إلى تونس فدخل الحضرية ثالث رجب من السنة، فجدد بيته يوم وصوله وتلقب المستنصر بالله. ثم جدد البيعة بعد حين، واختار لوضع علامته: الحمد لله، والشكر لله. وقام بأعباء ملكه، وتقبض على خاصة أبيه الخصي كافور، كان قهرمان داره، فاشخصه إلى المهدية، وأوعز إلى الجهات بأخذ البيعة على أهل العمالات فترافت من كل جانب. واستوزر أبو عبد الله بن أبي مهدي، واستعمل على القضاء آبا زيد التوزري وكان يعلم ولد عمه اللحياني التاجر عليه كما ذكره.

### **الخبر عن ثورة ابن عمه محمد اللحياني ومقتله ومقتل أبيه**

كان للأمير أبي زكريا من الإخوة اثنان: محمد وكان أسن منه ويعرف باللحيني لطول حيته، والآخر: أبو إبراهيم، وكان بينهم من المخلافة والمصافة ما لا يعبر عنه. ولما هلك الأمير أبو زكريا، وقام بالأمر ابنه أبو عبد الله المستنصر، واستوزر محمد بن أبي مهدي الستاني، وكان عظيماً في قومه، فأهل أن يستبد عليه لمكان صغره، إذ كان في سن العشرين

### **الخبر عن مهلك السلطان أبي زكريا وما كان عقبه من الأحداث**

كان السلطان أبو زكريا قد خرج من تونس إلى جهة قسطنطينية للإشراف على أحواها، ووصل إلى باغية فعرض الصاسك بها، ووافته هناك الدواودة، وشيخهم موسى بن محمد. وكان منه اضطراب في الطاعة فاستقام. وأصاب السلطان هناك المرض فرجع إلى قسطنطينية. ثم أبل من مرضه، ووصل منها إلى بورت، فراجعه المرض. ولما نزل بظاهر بونة أشد به مرضه. وهلك ليسع بقين من جدادي الآخرة ستة سبع وأربعين وستمائة لاثتين وعشرين سنة من ولادته، ودفن بمجمع بونة. ثم نقل شلوه بعد ذلك إلى قسطنطينية ستة سنتين وستين وستمائة بين يدي حصار النصارى تونس. وبويع إثر مهلكه ابنه ولـي عهده أبو عبد الله محمد كما ذكره. وطار خبر مهلكه في الآفاق، فانتقض كثير من أهل القاصية، ونبذوا الدعوة الحفصية، وعطّل ابن الأحر منابره من الدعوة الحفصية. وتعسك بها يغمراسن بن زيان صاحب المغرب الأوسط، فلم يزالوا عليها حيناً من الدهر، إلى أن انقطع في حصار تلمسان كما ذكره. ولما بلغ الخبر بهلكه إلى سبعة، وكان بها أبو يحيى بن الشهيد من قبل الأمير أبي زكريا كما ذكره، وأبو عمرو بن أبي خالد، والقائد شفاف، فثارت العامة وقتل ابن أبي خالد وشفاف، وطrodوا ابن الشهيد فلحق بتونس. وتولى كبر هذه الثورة حجبون الرنداحي بمداخلة أبي القاسم العزفي.

وافتقر الملأ على ولاية العزفي، وحولوا الدعوة للمرتضى، وذلك ستة سبع وأربعين وستمائة، وتبعدوا أهل طنجة في الدعوة، واستبدل بها ابن الأمير، وهو يوسف بن محمد بن عبد الله بن أحد المداني، وكان والياً عليها من قبل أبي علي بن خلاص. فلما صار الأمر للعزفي والقائد حجبون الرنداحي، خالفهم هو إلى الدعوة الحفصية، واستبدل عليهم. ثم خطب للعباسي وأشرك نفسه معه في الدعاء، إلى أن قتلته بنو مرين غدرًا كما ذكره، وانتقل بنوه إلى تونس ومعهم صهرهم القاضي أبو الغنم عبد الرحمن بن يعقوب من جالية شاطبة، انتقل هو وقومه إلى طنجة أيام الحلاء، فنزلوا بها وأصهروا إلـيهم بنـو الأمير، وارتحلوا معهم إلى تونس. وعرف دين القاضي أبي القاسم وفضله ومعرفته بالأحكام

تلك القراء، وقد ثقوا باعتراض البناء لها من أمام فقهى وطراً من ذلك القنصل سائر يومه، فكان ذلك من أفحى ما عمل في مثلها. ثم وصل ما بين قصوروه ورياض رئيس الطائفة بمائتين ممتندين بمحوزان عرض العشرة أذرع أو نحوها طريقاً سالكاً ما بينهما، وعلى ارتفاع عشرة أذرع يحتجب به الحرم في خروجهن إلى تلك البساتين عن ارتفاع العيون عليهم، فكان ذلك مصنعاً فخماً وأثراً علم، أيام الدولة خالداً.

ثم بني بعد ذلك الصرح العالى بقناة داره ويعرف بقبة أساراك. وأسarak باللسان المصمودي هو القراء الفسيحة. وهذا الصرح هو إيوان مرتفع السمك متباعد الأقطار متسع الأرجاء يشرع منه إلى الغرب، وجانيه ثلاثة أبواب لكل باب منها مصعران من خشب مؤلف الصنعة ينوه كل مصراح منها في فتحه وغلقه بالعصبة أولى القراءة. ويفضى إليها الأعظم مقابل لسمت الغرب إلى معارج قد نصبت للظهور عليها عريضة ما بين الجوف إلى القبلة بعرض الأيوان، يناهز عددها الخمسين أو نحوها، ويفضى البالب عن جانيه إلى طريقين ينتهيان إلى حائط القراء. ثم ينبعطفان إلى ساحة القراء مجلس السلطان فيها على أريكته مقابل الداخل أيام العرض والفود ومشاهد الأعياد، فجاجات من أضخم الألوانين وأخلف المصانع التي تشهد بأنها الملك وجلالة الدولة.

وأخذ أيضاً بخارج حضرته البستان الطائر الذكر المعروف  
بابي فيهر، يشتمل على جنات معروشات وغير معروشات،  
اغترس فيها من شجرة كل فاكهة من أصناف التين والزيتون  
والرمان والتخييل والأعناب، وسائر الفواكه وأصناف الشجر.  
ونضد كل صنف منها في دوحة حتى لقد اغترس من السدر  
والطلح والشجر البري، وسمى دوح هذه بالشعراء وأخذ وسطها  
لبستانين والرياض بالمصانع والحوائز وشجر النور والزه من الليم  
والنارنج والسرور والريحان، وشجر الياسمين، والخيري والنيلوفر  
وأمثلة. وجعل وسط هذه الرياض روضاً فسيح الساحة، وصنع  
فيه للماء حائزًا من عداد البحور، جلب إليه الماء في القناة القديمة،  
كانت ما بين عيون زغوان وقرطاجنة تسلك بطن الأرض في  
اماكن، وترك البناء العادي ذا الهياكل المثلثة والقسي القائمة على  
الأرجل الضخمة في أخرى، فعطّف هذه القناة من أقرب  
السموات إلى هذا البستان. وأطّلها حافظاً وصل ما بينهما حتى  
تبينبعث من فوهه عظيمة إلى جب عميق المهوء، رصيف البناء  
متباين الأقطار مربع القناة جملل بالكلس، إلى أن يغمّر الماء فيرسله  
في قناة أخرى قريبة الغاية، فينبتئ في الصهريج إلى أن يفهق  
حروضه، وتضطرب أمواجه تترفه الحظايا عن السعي بشاطئه بعد

وآخرها، واستصعب عليه حجر السلطان بما كان له من المروي  
العلوجين، والصنايع من بيوت الأندلس. فقد كان أبوه اصطئع  
منهم رجالاً، ورتب جنداً كثروا الموحدين وزاحموهم في مراكزهم  
من الدولة. فداخل ابن أبي مهدي أخوي السلطان، وبعث عندهما  
الأسف على ما فاتهما من الأمر، فلم يجد عندهما ما أمل من  
ذلك. فرجع إلى ابن محمد اللحياني، فأجابه إلى ذلك. وبايعه ابن  
أبي مهدي سراً، ووعده المظاهرة. وهي الخبر بذلك إلى السلطان  
من عمه محمد اللحياني وحذره من غائلة ابنه، وإبلغه ذلك أيضاً  
القاضي أبو زيد التوزري، متضحكاً.

وباك ابن أبي مهدي مقعده للوزارة بباب السلطان العشرين من جمادى سنة ثمان وأربعين وستمائة، وتقبض على الوزير أبي زيد بن جامع، وخرج ومشيخة الموحدين معه، فباعوا لابن محمد اللحيانى بداره، واستركب السلطان أولياءه، وعقد للقائد ظافر على حربهم فخرج في الجند والأولياء، ولقي الموحدين بالصلى خارج البلد، فقضى جميعهم، وقتل ابن أبي مهدي وابن وا Zuklend وسار ظافر مولى السلطان إلى دار اللحيانى عم السلطان فقتله وابنه صاحب البيعة، وحمل رؤوسهما إلى السلطان، وقتل في طريقه أخاه أبي إبراهيم وابنه، وانتهت منازل الموحدين وخربت، ثم سكنت الطيبة وهدأت الثورة، وعطف السلطان على الجند والأولياء وأهل الاصطناع، فادر أرزاقهم ووصل تقدّهم، وأعاد عبد الله بن أبي الحسين إلى مكانه بعد أن كان هجره أول الدولة، وترحّز لابن مهدي عن رتبته، وتضاءل لاستطاعته، فرجع إلى حاله واستقامت الأمور على ذلك، ثم سعى عند السلطان مولاهم ظافر، وقبعوا عنه ما أثاره من الأفتیات في قتل عميه من غير جرم، ونذر بذلك فخشى البدارة ولحق بالدواودة، وكان المسؤول لكر هذه السعاية هلال مولاهم، ففقد له مكانه واستنفر ظافر في جوار العرب طريداً، إلى أن كان من أمره ما كان.

# الخبر عن الآثار التي أظهرها السلطان في أيامه

فمنها شروعه في اختطاف المصانع المملوكة، وأولها المصيد بناحية بزرت. اخذه للصيد سنة خمسين وستمائة، فادر سياجاً على بسيط من الأرض قد خرج نطاقه عن التحديد، بحيث لا يراع فيه سرب الوحش، فإذا ركب للصيد تخطي ذلك السياج إلى قوراء في لمة من مواليه المتخصصين وأصحاب بيزرته، بما معهم من جوارح بزة وصقرأ وكلاباً سلوقية وفهوداً، فيرسلونها على الوحش في

السلطان أبي إسحاق، وبيد الله تصريف الأمور.

### **الخبر عن بنى النعمان ونكبتهم والخروج أثراً إلى الزاب**

كان بنو النعمان هؤلاء من مشيخة هناتنة ورؤسائهم، وكان لهم في دولة الأمير أبي زكريا ظهور ومكان، وخلصت ولاية قسطنطينية لهم يستعملون عليها من قرابتهم. واتصل لهم ذلك أول دولة المستنصر، وكان كبيرهم أبو علي وتلوه ميمون وعبد الواحد، وكان لهم في مداخلة اللحاني آخر. فلما استوست للسلطان أمر، وتمهدت دولته نكبهم وتقبض عليهم سنة إحدى وخمسين وستمائة، فأشخص ابنها على إلى الإسكندرية، وقتل ميمون وانقرض أمرهم. وظهر أثر ذلك بالزاب خارج تسمى بـأبي حمار، فخرج السلطان من تونس وقصده بالزاب، فأرافق به وبمجموعه عليه، وسيق إلى السلطان قتله، وبعث برأسه إلى تونس فنصب بها. وقتل السلطان إلى مقره فنزل بها، وسخط وجوهاً من سليم: من مرداس ودباب، كان فيهم رحاب بن محمود وابنه، فاعتقلهم وأشخصهم إلى المديمة فأودعهم عطفها ورجع إلى تونس ظافراً غائباً.

### **الخبر عن دعوة مكة ودخول أهلها في الدعوة الحفصية**

كان صاحب مكة ومتولى أمرها من سادة الخلق وشرفائهم ولد فاطمة، ثم من ولد ابنها الحسن صلوات الله عليهم أجمعين، أبو عمى وأخوه إدريس، وكأنوا قائمين بالدعوة العباسية منذ حوصها إليهم بمصر والشام والجاز صلاح الدين يوسف بن أيوب الكريدي، وأمر الموسم ولولاته راجحة إليه، وإلى بنيه ومواليه من بعده إلى هذا العهد. وجرت بينهم وبين الشريف صاحب مكة مغاضبة واقفها استيلاء الططر على بغداد، ومحروم رسم الخلافة بها، وظهور الدعوة الحفصية بغيريقية، وتأميم أهل الآفاق نيها وامتداد الأيدي إليها بالطاعة. وكان أبو محمد بن سبعين الصوفي نزيلاً يمكّه، بعد أن رحل من بلده مرسية إلى تونس، وكان حافظاً للعلوم الشرعية والعلقانية، وسالكاً مرتاضاً بزعمه على طريقة الصوفية. ويتكلم مذاهب غريبة منها، ويقول برأي الوحيدة كما ذكرناه في ذكر المتصوفة الغلاة، ويزعم بالصوف في الأكون على الجملة، فارهق في عقيدته، ورمي بالكفر أو الفسق في كلماته،

مداه فيركن في الجواري المنشئات ثيجه، فيتباهى بهن تباري الفتح، ومثلت بطرف هذا الصهريج قيتان مقابلستان كبراً وصفرأً على أعمدة المرمر، مشيدة جوانبها بالرخام المنجد، ورفعت سقفها من الخشب المقدر بالصنانع المحكمة والأشكال المنعة، إلى ما اشتغلت عليه هذه الرياض من المقاصير والأواوين والحوائز والقصور وغرفًا من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأهار، وتأتى في مباني هذه واستبلغ عدل عن مصانع سلفه ورياضهم إلى متزهاته من هذه، فبلغ فيها الغاية في الاحتفال وطار لها ذكر في الآفاق.

### **الخبر عن فرار أخيه أبي إسحاق وبيعة رياح له وما قارن ذلك من الأحداث**

كان الأمير أبو إسحاق في إيلة أخيه المستنصر، وكان يعاني من خلقه وملكه عليه شدة، وكان السلطان يخافه على أمره وخرج سنة إحدى وخمسين وستمائة لبعض الوجوه السلطانية، ففر الأمير أبو إسحاق من معسكته، ولحق بالدواودة من رياح، فباعوه بروايا من نواحي تقاويس، واجتمعوا على أمره. وبايع له ظافر مولى أخيه النازع إليهم واعتقله من الذمة والرتبة، وقصدوا بسكرة وحاصروها، ونادي بشعار طاعتهم فضل بن علي بن الحسن بن مزنی من مشيختها. واتمر به الملا ليقتلوه، ففر إليه وصار في جملة. ثم بايع له أهل بسكرة ودخلوا في طاعته. ثم ارتحلوا إلى قابس فنازلوها، واجتمعوا عليه الأعراب من كل أوب. وأهم السلطان شأن، وتقبض على ولده فحبسهم بالقصبة جميعاً. ووكل بهم من بعوطهم والطف ابن أخي الحسين الحليلة في فساد ما بين الأمير أبي إسحاق ومولاه ظافر، بتحذير القاه إلى أخيه بالحضورة تنصحاً، فبعث به إلى أخيها، فتذكر ظافر وفارقه، وسار إلى المغرب. ثم لحق بالأندلس، وافتقر جموع الأمير أبي إسحاق فلتحق بتلمسان، وأجاز منها إلى الأندلس. ونزل على السلطان محمد بن الأحرار فرعى له عهد أخيه، وأسنى له الجراية. وشهد هنالك الوقائع، وأبلى في الجهاد. ولم يزل السلطان المستنصر يتأحف ابن الأحرار وبهاديه، ويرقد علىه مشيخة الموحدين مصانعة في شأن أخيه واستجلاء حاله، إلى أن هلك. وكان من ولادة أخيه أبي إسحاق ما ذكر لحين مهلكه أجاز ظافر من الأندلس إلى مجایة. وأوفد ولده على الوائت مستعيناً ورعاياً في السبيل إلى المحج وقلق المستولي على الدولة بمكّانه، وراسل شيخ الموحدين أبا هلال عياد بن محمد المحتاري صاحب مجایة في اغتياله من قصده، فذهب دمه هدراً ويفي ولده عند بني ترجين حتى جاؤوا في جلة

محمد «حم. والكتاب المبين. إنا أترنّاه في ليلَةٍ مباركةً إنا كنا مُنذِّرِينَ، فيها يُفرقُ كُلُّ أمرٍ حكيمٍ. أَفَرَا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كَنَا مُرْسِلِينَ. رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْغَلِيمُ». قد صح أن هذه الليلة فيها تنزل الآيات وتترقب البيانات، وفيها تخصيص القضايا الممكنته وأحكام الأكون ويفرق الأمر، ويفسر الملك الموكل بقىض الأرواح بحمل الآجال في الأزمان، وفيها تقرر خطة الإمامة والملك، وتقيض الإمامة بالملك، وهي في القول الأظهر في أفضل الشهور، وفي السابع والعشرين منه كما ورد في الحديث المشهور. ثم هي في أم القرى وفي حرمتها تقدر بقدر زائد، ويعم فضلها إلا للمحاذنة عن الفائد، وإنما قلت هذا ورسمته ليعلم من وقف على الخطبة التي اقتضتها، والليلة التي فيها قرأتها، أنها من أفضل المطالب التي قصدت، وأن القراءات التي اجتمعت فيها لها، زادت على الفضائل التي لأجلها رصدت، وأيضاً تأخر فيها مجدهم عن إمام، وبعد مجدهم وراء إمام وهو وراء الإمام، ورحمت فيها نفس خليفة عبرت وتلقب وعظمت فيها ذات خليفة تحبّي التي سلفت، وهذه نعمة بركة ينبغي أن يقر حدها ويتحقق مجدها، ولا يقدر قدرها فإنها ليلة قدر، ليلة قدرها.

والحمد لله حمدًا وأصلًا: بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على واحد الله في عبادته سيدنا محمد «طسم. تلك آيات الكتاب المبين» إلى قوله «وَنَهْمَ مَا كَانُوا يَخْدُرُونَ» الحق الشاهد لنفس المتقن من جميع جهاته، وفي سنة الله التي لا تحول ولا تبدل والمعارف من عادته التي ربّها بمحكمته التي تعدّل ولا تعدّل، إن لكل هداية نبوة ضلاله فرعونية، وكذا الحال في الأولياء، ومع كل مصيبة فرج، ولا يتعكس الأمر في الأنبياء. ولكن ظالم متجر قهر قاهر متكر، وعند ظهور ظفر المبطل يظهر قصد الحق المفضل. وفي عقب كل فترة أو فيها كلمة قائم بحق يتغلب لا يغلب، وفي كل دور أو قرن إماماً تطلب بشخصها ولا تطلب، وكواكب الكفر إذا طلعت على أفق الإيمان فيه تكب آفله، وكلمة الله إذا عورضت تكر معارضتها قافلة، وإنما ذكرت ذلك بعد الذكر المحفوظ ليذكر بالأيات الظاهرة إلى الآيات القاهرة. ولتعلم كل مؤمن أن كلمة الله متصلة الاستصحاب والسبب، وعاملة في الأشياء مع الأزمان واللحقب، وأن رجال الله والحنفية أعلى المنازل والرتب. ولذلك يقول في نوع فرعون الأذل، ونوع موسى الأجل: أشخاصها متعددة، وأكرانها متعددة، والله غالب على أمره. وقد قيل: إن الله الحنيفي المضري تصرّها السيرة العمريّة الحمدية المستنصرية.

ولعل الذي أقام الدين وأطلّعه من المشرق وأتلفه منه،

وأعلن بالنکير عليه والمطالبة له شيخ التكلمين بأشبيلية. ثم بتونس أبو بكر بن خليل السكوني، فتمر له المشيخة من أهل الفتيا وحملة السنة وسخطروا حالته.

وخشى أن تأسره البيانات فلحق بالشرق وزلل مكة، وتندم بجوار الحرم الأمين، ووصل يده بالشريف صاحبها. فلما أجمع الشريف أمره على اليعة للمستنصر صاحب إفريقية، دخله في ذلك عبد الحق بن سبعين وحرضه عليه، وأملأ رسالة بعثهم، وكتبها خطه تزويها بذكره عند السلطان والكافنة، وتأملاً للكرة ونصها:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَى الْأَسْوَةِ الْمُخْتَارِ  
سَيِّدِنَا مُحَمَّدٌ وَعَلَى أَهْلِهِ وَصَبْرِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيْمًا. ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ تَحْمِلَّا  
مُبِينًا. لَيَنْفَرِ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَبْلِكَ وَمَا تَأْخُرَ وَمَا تَمَّ نَعْمَلُ عَلَيْكَ  
وَيَهْدِيْكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا. وَتَنْصُرُ لَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا. هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ  
السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا بِإِيمَانِهِمْ وَلَلَّهِ جُنُودُ  
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيْمًا حَكِيمًا﴾.

هذا النوع من الفتح - أعني المبين - هو من كل الجهات داخل الذهن وخارجه، وهو الذي خصّت به مكة، وهو أعظم فتح نذر في أيام الدهر والزمان الفرد منه خير من أيام الشهر، وبه تتم النعمة، ويستقيم صراط الهدى، وتحفظ النهاية، وتغفر ذنوب البداية، ويحصل النصر العزيز، ونور السكينة، وتمكن قواعد مكة والمدينة. وكلمة الله عاملة في الموجودات بحسب قسمة الزمان. ثم لا يقال: إنها متوقفة على شيء، ولا في مكان دون مكان.

وهذا الفتح قد كان بالقصد الأول والقدر الأكمل، للمسير الذي أفاد الكمال الثاني كالسبعين الثاني، فإنه هو الإسوة بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وكل نعمة تظهر على سعيد ترجع إليه مثل التي ظهرت على خليقه وعلى يديه. وإن كانت نسبة مولده بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ورسالته تقتضي ختام الأنبياء بهذا القرن الذي خُنِّ فيه، وأمامنا فيه هو ختم الأولياء. فمن فتح عليه بفتح مكة تمت له النعمة، ورفعت له الدرجة، وضفت عليه الرحمة. ومن وصل سلطانه إليها فقد هدى الرشد وسار على صراطه، ورجح ميزان ترجيحه على أقرانه وأهله. ومن حرم هذا فقد حرم من ذلك، والأمر هكذا.

وستة الله كذلك، وصلى الله على رسوله الذي طلع المجد من مديته بعد ما أطلمه من بلده، ورضي الله عن خليفته المتّخب من عصر خليفة عمر صاحب نبيه، ثم من عمر صاحبه وولييه والحمد لله على نعمه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِ الْأَدَمِ

والذي يشاركه في الاسم ويقاسمه في إطلاقه فقط لا يصدق عليه، إذ هو أضعف من ذرة في كر، ومن ثمة في رملة. وأقر من قصد طالب السراب، ويده مع أييس من التراب فصح بالسرير والقصيم، وبتصفح الموجودات والأزمان والدول والراتب والتعوت إنه هو لا شريك له فيها، والمصحح لذلك كله، والذي يصدق وينطبق عليه مدلول الحديث كرمه الذي يعجز عنه الحد، ولا يترافق فيه العد. وهذا خليفة الله كذلك، وهذه دلائله هي أوضح من نار على علم. وهذه خصاله شاهدة له بفضائل السيف والقلم، وهذه خزاناته تغلب الطالب وتعجز عن الدافع، وهذه سعادته في صعوده، وهذه متاجر تعویله على الله راجحة وهذه أحواله بالكلية صالحة، وهذه سعادته ناجحة. ثم هذه موازين ترجيحه راجحة، والحمد لله كما يجب. وما النصر إلا من عند الله وصلى الله على عبد الله محمد بن عبد الله إيه من بكة، وإنه للحق، وإنه بسم الله الرحمن الرحيم، وإنه إلى خضر لا تحصر الخصبة، ومصدر فيها الندر، ويحافظ على سنة الرؤوف الرحيم.

ويجبره من المغرب ولا يقله عنه، فينبغي لمن آمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله، وعما يجب كما يجب أن لا يتغير قصده ولا يتوقف عند سماع المهلكات حده، قد قيدت أقدام قوم بشرك الشرك، وحملهم الضجر إلى الملك بطاعة الترك وكع كيد الكروه هلك كنان و وكل بصر بصيرته، وليس لهم الذل بالعرض، وجعل مصيبة الذين نفثته مع جحوده لسلطان السنة والفرض. وأما هامان المرتدين فليس هم بالمؤمنين، وعلا فرعون الشر في الأرض، والله يمن على المستضعفين في الأرض بنصر من عنده، وبهلك المفسدين بجند من رفده. وينبغي أو يجب أن نضرب عن ذكر كائنة مدينة السلام، فإنها تزلزل الطبيع وتحمل الروح إلى ساحة الشام أو تفرغ في صلاة كسوف شمس سرورها إلى التسليم بالاستسلام وتکبر أربع تکبرات على الإنس ويودع بعد ذلك وعد وسلام، ويستظر قيامه بقيام أمر محبي الدين والإسلام، والحمد لله على كل حال.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على الذي أعجزت خصاله العد والحد، مسلم والطبيقة قال: قال رسول الله ﷺ: «يكون في آخر أمي خليفة يحيى المال حيث لا يعده عدا». وقال ﷺ: «يكون في آخر الزمان خليفة يقسم المال ولا يعده». زاد أبو العباس الحمداني، وأشار بيده إلى المغرب.

وذكر بهاء الدين التبريزى في ملحمته التي زعم أنه لا يثبت فيها من الأخبار إلا ما صحته روایته، ولا يذكر من الأحكام المسوبة إلى الصنائع العملية إلا ما أبرزته درايته. ولا يعتبر من الأعلام الدينية إلى ما أدركه هدایته. قال في الترجمة الأولى: إذا خرجت نار الحجاز يقتل خليفة بغداد، ويستقيم ملك المغرب وتبسيط كلمته في الأقطار، وينطب له على منابر خلفاء بني العباس، ويکثر الدر بالعبر من بلاد الهند.

ذكرت هذا لعلم القام آيدى الله انه هو المشار إليه، وأنه الذي يعول في إصلاح ما فسد بمول الله عليه. ومن تأمل قوله ﷺ: «يكون في آخر الزمان» الحديث، تبين له ما أردناه وذلك يظهر من وجوهه، منها: أن الخليفة المذكور لم يسمع به فيما تقدم، ولا ذكر في الدول الماضية، ولو ذكر لرددنا القول به وأهملناه لأجل تقييده بآخر الزمان.

والثاني: أن آخر الزمان الذي يراد به ظهور الشروط المتوسطة، وأكثر العلامات المنذرة بالساعة هو هذا يعنيه.

الثالث: لا خليفة لأهل الملة في وقتنا هذا غير الذي قصدناه.

وهذه أقطار الملة منحصرة ومعلومة لنا من كل الجهات،

اما بعد فهذاهم اقتداء، الحمد لله الذي احسن بقام الاحسان وقم النعمة، وبين لن تبين علم البيان، وحكم لن الحكم الحكمة وسبقت في صفات أفعاله صفة الرحمة وذكر الهدایة في كتابه بعد ذكر النعمة، هو الرؤوف بالبرية وهو الرحيم والخفي بالخینية، وهو القاهر الماضي المشتبه الذي يقبض ويحيط المشتبه. شهد له بالكمال المكن الذي أبزه وخصمه وعرفه بالجلال من يسره لذلك وخلصه. هو الذي استعمل عليها من اختاره لإقامة التالفة والفرض، وأعمى من أهلها من توسل له بنية العرض وأعنت العقاب وسر العقاب وأهمل العقاب بطاعة من يستعمل به الرابع المعمور، وأتمم على المستضعفين في الأرض بإمام غير الجد في بحر خصاله يعد بعض البعض.

سته محدیدة، وسیرتہ بکریة وسیرتہ علوبیة، وسلامتہ عمرة. فهذه ذرية وأنواع مجد بعضها من بعض، بل هذه خطوط فصل الطول فيها مثل العرض. عرف بالرئاسة العالية، ووصف بالتفاسة السالیة، وشهد له بذلك الخاوص والعام ونزعه من القانص. التزیه النفس، ومن نزهه في سلطانه علمه العام. صلى الله على الأسوة الرؤوف بالمؤمنين، سیدنا محمد الذي أنزل عليه التنزیل، وكتب اسمه في صحيح الفصوص والتصویص، وبنی الله ائمۃ ائمۃ الذين شیههم بالبيان المرصوص، وعلى آله وصحبه الكرام البررة الذين اصطفاهم وطهرهم، ثم أیدھم فظھروا بالأرض من الكفارة الفجرة، وأخرج من ظھورهم ذیاتھم، بالذین

أي غاية تطلب بعد طاعته، وأي تجارة تنظر مع بضاعته، له الحمد بيده الملك والأمانة، بل له الكل بفضل الله وفيه المقصد والسلامة، لا بل له الفتح المبين وتتميم النعمة والمداية ونور السكينة، وفي الإمارة والعلامة. مير مكة بإزاره بيت بكل خطب بخطبته، والذي ذهب بالمدينة يطلب فلعله يسعفه في خطبته أفتدة السر تطير إذا سمعت بذلكه، والمهنات البتر تلين لباس ساعده. ويقول طاع أربابها شكره دولة التوحيد، توحدت له إذ هو واحدها الأوحد، وسياسة التسديد تحكمت له فهو مدبرها الأرشد. ومع هذا كتابته أهملت صيت الصادين، وكوت شمس الفتح، ثم الفتح والصادين.

وكذلك الثلاثة الذين من قبلهم لا نذكر معه الأديب حبيب في رد الإعجاز على الصدور، فإنه الذي يعتبر في ذلك والذي يصدر عنه واقع في الصدور، وأفعل في طباع المهرة وفي نقوس الصدور يتاخر عن شعره شعر الرجال. وبعده نذكر الطبقية، ثم شعراء نحو، والخيب والجلبي والوليد بعده والهنفي، والمذکد هو تقديميه في المغرب من ذلك. والمنذلي علوم الأدب، الخمسة تمها وسداسها وسبعينها زاده من عند نفسه. وخليل النحو لو حضر عنده كان خليله في تحصيل نوعه وجنسه، والفارسي تلميذه ثم الآخر بعده والأخفش الكبير ثم الصغير ما ضرب لهم من قبل في مثله بتصنيب. وأقام آئمة النحو نحو نحوه بنحو بنحوه نحو نحوه، ثم لا يكون كالصيبي. وكل كوفي بل كل بصري يحب الظهور إذا سمع به اختفى، والنصف منهم هو الذي بنحوه اكتفى. أقيسة الفقه الثلاثة هنبا وحصلها، وأصوله كما يحب علمها وفصلها. والمسائل الطبوالية تكلم على مفصلها وجملها، وسهل الصعب من مخصوصها ومهملها.

ولأن فسر كتاب الله العجز عجز أرباب البلاغة بياعجاز بعد إعجازه، وإن تعرض لعواراض الفاظه أظهر العجب في اختصاره وإيجازه. وإن شرع في شرح قصصه وجده، وفي تفسير ترغيبه وترهيه. ومثله يصر الناظر فيه والمستمع لما لم يسمع وما لم يبصر، فإنه سلك بقدم كماله وتمكيله على قنطرة بعد لم تعبر ويضطر الرعيم به بتحصيله إلى تجديد قنطرة أخرى، وبعد هذا يفتقر في بيانه إليه في الأولى وإلى الله في الأخرى. وإن تكلم على متشابهه ومحكمه علم الاصطلاح. ثم بيان النوع للخبر به ومحكمه، وكذلك القول على الناسخ والنسوخ والوعد والوعيد. وإن يشاء طرول في مطولاً لهم واختصر من مختصراتهم، فيهذه الزيادة ضد الزائد، وأما تحرير أمره ونفيه وأسراره ورقائقه، وفواتح سوره وحقائقه. والذي يقال: إنه لا من جنس الذي

أظهرهم، وسر بهم السبيل ثم السبيل يسرهم. ومنهم الخليفة المستنجد بالله الفضل على الناس، ولكن أكثرهم، ورضي الله عنهم وعنهم، وضاعف للمحب الثواب الدائم منهم ومنه. وبعد خدمة يقدم فيها بعد الحمد والمصلحة والدعاء للدولة الدالة على قبول الدعوة أصلية، تحيي بعضها مكبة وكلها ملوكية، وروضة ريحها حضرة القدس ونشرها يدرك فيه صحبة النافت، روح القدس. وتذكر عن أن تشتبه بالعنبر والنند والورد وأزهار الربى والرياض. لأن المفارق للمادة مفارق لغير المفارق لها مفارق السواد للرياض. ثم هي مع هذا واجهة القصد عنيدة الورد، تذكر الناذر الذكي يعرفها الذكي لدركات جنة الخلد والنعم. وفي مثل هذه فليتافق المتنافرون.

وتدرك النفس النفيسة لذة النعيم لأنها ظاهرة طيبة، كريمة صبية، واقفة على حضرة الملك والسلطان، ومدار فلك النسك ومستقر الإمامة والجلالة، ومعقل الهدى والدلالة، وأصل الأصالة ودار الثقين، وبيت العدالة وحزب اليقين. وإنسانها الأعظم معلى الموحد على الملحدين وقائم الدين وقيمه، ومقر الإسلام ومقدمه، القائم بالدعوة العامة بعد أبيه إمام الجد والفارغ، ثم الأمة الذي إذا أעםوه بتخصيص مهمل، اخذن في خلده ما هو بالفعل مع ما هو بالفترة، وأن يعرض له في طريق إعراضه المكن العسير يسره سعده وساعدته ساعد القراءة، وإن سمع بالحمد في جهة حديه وخاصة خصاله بعد عجد الأبرة وفخر النبرة، لا يذكر معه ولا عنده صعب الأمور إلا بالضد، فإنه مظهر العناية الإلهية، ومرأة الجد والجد. هو علم العلم ثم هو محل العلم، اسمه متعدد في مدلوله كالاسم العلم، وعده لا يتوقف على اللسان ولا على رسوم القلم.

كتب في السماء وسمع به في الكرسي وكذلك العرش، وما هنا إنما هو مما هنالك فهو الأعلى. وإن كان في الفرش هو شامخ القدر ظاهر الفضل شديد البطش. ثم هو مما ظهر عليه علم أن الشجاعة لم تنتقل من الإنسان إلى الأسد. ولا يقال هذا مجر العلم فينتقل من الطبيعة إلى مجر الخلد، لأن ذلك كله فيه بوجه أكمل وبه وعليه، وفي بيده بنوع أفضل، بلخ ذرورة النهاية المخصوصة، بالطلاب العالية، وحصل في الزمان الفرد ما حصله الفرد في الأيام الحالية. وبلغ في تبليغ حده بصفاته ما بلغ الأشد عمره ونال غاية الإنسان، ويعجب منه في القيامة عمره، وسره أمره طاعت سعوده على مولده، وطالعه كلمة مجده لأحكام الفلك وطالعه. إن حرر القول فيه وفهم شأنه، قيل: هر فوق الأطلس والمكروب، وإن قيس سعده بالكمالات الثلاثة كان كالبسط مع المركب.

يكتسب والذي هو أعظم من الذي يرد، وإليه الأحوال تتسبب فهو الشارح لها والخير بها، وإن تأخر. وينبع في ذلك ويزيد غير الأول وإن تكرر.

فتح الله به باب الفتح في المشرق والمغرب بعد فتح الشغر، وشرح بنصره وفتحه أوساط الصدور، وما استبطنه الضمائر من نفثات الصدور وجبر به كسر الظفر، ووصل به ما انقطع من الأسباب. وعصم جنده من ضد الدفون الأنف، وردهم إلى ردم الأبواب وقدس كلمته بعد الحرمين في البيت المقدس، وسلك به مسالك السبيل في الم قبل والمدرس. وبعد هذا فإنه أدعى، بل هذه أوديتي، وهذه مسائلنا بل هذه وسائلنا، وهذه تحية حيالها ذو الفطرة السليمية، وهذه خدمة يفتخر بها طبيعة النفس العلمية. واستبنت فيها الكتاب واستبنت فيها الجواب، والوجب لإصدارها محبة، أصلها ثابت وفرعها في العلى، وحفز عليها حافزان: شوق قديم، ورعاية الآخرة والأولى، بل الأمر الذي هو في خير الأمور من أوسطها، وإذا نظم في عقد الأسباب الموجبة لهذه الخطابة يكون في وسطها، فإنه يمكّن أحكام الشأن والقصة، ويعلم المقام أいで الله الذي حصل له في حرث الله وحرن نبيه من الصليب والخصة، وفيه ينفي أن تذهب الألفاظ وتلحوظ عيون الأغراض ويفتح المقاصد ويحمل على جواهر الكمالات كالأعراض، فمن ذلك ذكر الملة التي كملت وكبرت، والأخرى التي كانت ثم غمرت وصفرت. والمبر الذي صعد خطبته على الخطيب، وعرج إلى سماء السمو وهو على درجه، والأخر الذي درج عنه خطبيه وضاق صدره الأمر حرجه، وقرئت سورة الإمام بحرف المستجد المستنصر، لا بحرف المستعصم بن المستنصر. بسط القول وأطلق ترجمة عبد الله عندما قبضه الذي أسام وأحيا، وبقى على مقامه ودفع للإمام محمد بن يحيى، وكان ذلك في يوم وصول الخبر بمصيبة الأخبار، ثم في ليلة الآيات والاعتبار. ومن ذلك أيضاً بنعمة الحمد والدعاء الظاهر القول والمقبول في حرث الشريف، وانتقاد الذي ظهر على طائفة الحق والسيد والشريف. ومن ذلك صعود علم الأعلام على جبل معظم الحرج ومقر فوق الحاج، ووقف به المتكلم في مقام من كانت له سقاية الحاج، وذكر كما يجب بما يجب في موقف الإمام مالك، وعرف هنالك أنه الإمام والمالك لكل مالك، وتعرف نكرة دعوة التوحيد بتخصيص خصوصية المخصوص بعرفة، وتعارف بها من تعارف معه هناك ونعم التعارف والمعروفة.

ثم ذكر عند المشعر الحرام وفي جهات حدود حرث المسجد الحرام، وعظم اسمه بعد ذكر الله وذكر الوالدين، وطلع الناشر بالتركيز إلى الجدين الساكنيين في الخلد والخالدين. فلما وصل الحجاج إلى عقبة الجمرات، ذكر مع السبع الأولى سبع

وأما علوم الحديث وأنواعها السبعة فهو بعلمهها، وصناعته بجملتها للعلماء يعلمها. والوراقة والضبط والخط وفدت عليه مهنة غايتها، وحمله الأمر علوم الشريعة كلها عرفها ووعاها ورعاها حق رعايتها. وكل العلوم العقلية والتقليلية ورجالها على ذهنها الظاهر من دنس النسيان، والمقامات السنية المستنزلات العلوية أدركها بعد التبيان. فمن أراد أن يمدحه ويعدل عن إطلاق القول فقد اقترب أعظم الذنب. ومن ذكره ولم يتلذذ بذلك فقد جاء بما ينضح حله الخبب، ونحوت جمالها ينبع عن إدراكيها نور المتصل، وحضررة جلاله حفروطة بجدها وجدها وقاطعها المنفصل. ذلك فضل الله يوتيه من إنشاء، قل اللهم مالك الملك، الله أعلم حيث يجعل رسالته.

هذه كلها آياته. والرابعة: «وَإِن تُمْدُوا بِنَعْمَةِ اللَّهِ لَا تُفْسِرُوهَا» فإنها هباته إن حدث الحديث بكرمه يقول: قال رسول الله ﷺ: «يكون في آخر الزمان خليفة يقسم المال ولا يبعده، ونصر الله إذا جاء لا يرده، وفتحه من ذا الذي عن السعيد يصده»، المؤرخ يتذكر بتذكرة الكلمات الهذلية من حيث المطلب، إذ قال، وقد سئل عن الإمام علي بن أبي طالب وهو الإمام وفيه أربعة وهو واحدها حتى في رفع التشبيه وقطع السبب، العلم والخلم والشجاعة وفضل الحسب، يسر بمحكمته ويعتبط بها متى يتبع جملة، الباحث الحكيم ولا يشعر بشعره إذا تصفح نعوته الشاعر العليم، وينشد طبعه في الحين والوقت واللحزة ويخرج المزوف من مخاج المهزة.

شهدت لقد ارتبت جامع فضله وانت على علمي بذلك شهيد ولو طلبت في الغيب منك سجدة لقد فسر موجود وعز وجوده أadam الله له المجد الذي يسلك به على التجدين، وحفظ عليه مقامه الذي لا يمترأ فيه إلا جوهر التقديس، ويسقط له في العلم والقدرة، وبارك له في نصيب النصرة، وجهز به العسرة، وردد به على الشرك والفتن الكرة، وعرفه في كل ما يعتزمه صنعاً جيلاً، ولطفاً خفياً جليلاً. وكفاه الشر الحمض وخير الشرين، كما كشف له عن الخير الحمض وعلم السرين، وأيده بروح منه في السر والسريرة، وحفظه في حركاته وسكناته من الصغيرة والكبيرة. وجعل كلمته غالبة للضد والجلد، وبلغ صيته الجزاير والبرير، ثم إلى السنده والهند. وخلد ملكه وسلم فلكه، ورفعه على أوج الجد مجده الطويل العريض. وأنبط عدوه من الشرف الأعلى إلى

يقيموا بها الدعوة له عند فتحها. ولم يزل دأبهم هذا إلى أن كان الفتح.

وفي سنة خمس وخمسين وستمائة وصلت هدية ملك كامن ملوك السودان، وهو صاحب بنو مواطنه قبلة طرابلس، وكان فيها الزرافة وهو الحيوان الغريب الخلق المنافق الحالى والشياطين، فكان لها بتونس مشهد عظيم بربز إليها الجلفى من أهل البلد حتى غص بها الفضاء، وطال إعجابهم بشكل هذا الحيوان وتباين نعمته، وأخذناها من كل حيوان بشبه.

وفي سنة ثمان وخمسين وستمائة وصل دون الرنك آخر ملك قشتالة مغاضباً لأخيه، ووفد على السلطان بتونس فلتقاء من المبرة والجاء بما يلقى به كرام القوم وعظماء الملوك، ونزل من دولته باعز مكان. وكان تابع هذه الوافدات مما شاد بذكر الدولة ورفع من قدرها.

### الخبر عن مقتل ابن الأبار وسياقه أوليته

كان هذا الحافظ أبو عبد الله بن الأبار من مشيخة أهل بلنسية، وكان عالمة في الحديث ولسان العرب، وبلغاً في الترسيل والشعر. وكتب عن السيد أبي عبد الله بن أبي حفص بن عبد المؤمن بلنسية. ثم عن ابنه السيد أبي زيد. ثم دخل معه دار الحرب حين نزع إلى دين النصرانية، ورجع عنه قبل أن يأخذ به. ثم كتب عن ابن مردنيش. ولما دلف الطاغية إلى بلنسية ونازلاها بعث زيان بوفد بلنسية ويعتهم إلى الأمير أبي زكريا، وكان فيهم ابن الأبار هذا الحافظ، فحضر مجلس السلطان وأشد قصيده على روي السين يستنصره، فبادر السلطان بإغاثتهم وشحون الأساطيل باللدد إليهم من المال والأقرارات والكتسي فوجدهم في هوة الحصار، إلى أن تغلب الطاغية على بلنسية. ورجع ابن الأبار بأهله إلى تونس غبطاً بياقبال السلطان عليه، فنزل منه بمغير مكان، وروشه لكتبه علامته في صدور رسائله ومكتوباته، فكتبها مدة. ثم إن السلطان أراد صرفها لأبي العباس الغساني لما كان يحسن كتابتها بالخط المغربي، وكان أثر عنده من الخط المغربي، فسخط ابن الأبار أثفه من إيثار غيره عليه، وافتئت على السلطان في وضعها في كتاب أمر ياشانه لنقصور الترسيل يومئذ في الحضرة عليه، وأن يبقى مكان العالمة منه لراضعها فجاهر بالرد ووضعها استبداً وألفة، وعوتب على ذلك فاستشاط غضباً ورمى بالقلم وأشنداً متمثلاً.

واطلبه العز في لظى وذر الذل ولو كان في جنان الخلوة

مرات. وكذلك عند الركوع في مسجد الخليفة، وكل كلمات تمجيده بالكلم والكيف، وعند التوجه من هناك ويوم الفجر قررت آياته المذكورة في كتاب المختصر. ثم جدد الذكر حول البيت العتيق بالحمد والشكراً. فلما وصل العلم بانتقام بيت الملك والسلطان من بغداد في شهر رمضان، أظهر المختفي المكنون فكان ذلك مع التسبيح والقرآن، وكان الخادم في الزمان الأول وفي الذاهب يتضرر الخطفة من نحو عراق والمغرب. والآن وجد نفسها من نحو اليمن إقليم الأعراب والعرب.

والذي حل على هذا كله طاعة كاملة وبغطة عاملة، والله تعالى بفضله يعصمه من كيد المعاند، فإنه في إظهار دعوة التوحيد كالجهاد والكافر، ومعاد التحية على المقام الأرفع والمقر الأفعى، وعلى خدام حضرته العلية، وأرياب دعوته الجليلة وأنساع رحمته تعل وبركاته. والحمد لله كما يجب وصلى الله على نبيه محمد وعلى آله وسلم. كتب تجاه الكعبة المعمقة في الجانب الغربي من الحرم الشريف، والحمد لله رب العالمين.

ولما وصلت هذه البيعة استحضر لها السلطان الملاً والكافنة، وقرئت بمجمعهم وقام خطيبهم القاضي أبو البراء في ذلك المحتفل فاسحقن في تعظيمها والإشادة بمحسن موقعها، وإظهار رفعة السلطان ودولته بطاعة أهل البيت والحرم ودخولهم في دعوته. ثم جأر بالدعاء للسلطان وانقض الجموع فكان من الأيام المشهودة في الدولة.

### الخبر عن الوفود من بني مرین والسودان وغيرهم

كان بنو مرین كما قدمناه قد تسلکوا بطاعة الأمير أبي زكريا ودخلوا في الدعوة الخصبة، وحملوا عليها من تحف أيديهم من الرعايا مثل: أهل مكناسة وتنازى والقصر، وخطيبوا السلطان بالتمويل والخضوع. ولما هلك السلطان وولي ابنه المستنصر، وقارن ذلك ولاية المرتضى براكش. ثم كان بينهم وبين المرتضى من الفتنة وال الحرب ما ذكرناه ونذكره، فاتصل ذلك بينهم وبعث الأمير أبو بمحى بن عبد الحق بيعة أهل فاس، وأوفد بها مشيخة بني مرین على السلطان وذلك سنة اثنين وخمسين وستمائة، فكان لها موقع من السلطان والدولة. وقابلهم من الكرامة كل على قدره، وانصرفوا عبوريين إلى مرسليهم. ولما هلك أبو بمحى بن عبد الحق، واستقل آخرون يعقوب بالأمر أو فد إليه ثانية رسle وهديته، وطلب الإعانة من السلطان على المرتضى وأمر أهل مراكش على أن

الولايات حتى شارك كل عامل في عمله بما أظهر من كفائه وتنميته للأموال حتى قصر بهم وأديل منهم. وكان الكثير منهم متعلقاً من ابن أبي الحسين رئيس الدولة بذمة خدمة، فأسفه بذلك وأغرى به بطانة السلطان ومواليه، حتى سعوا به عند السلطان، وأنه يروم الثورة بالمهدية، حتى خشن له بطان السلطان. فدخل عليه ذات يوم أبو العباس الغساني فاستجازه السلطان في قوله: **البر يوم الطير، فقال الغساني: يوم رفع الضرر، فتبه السلطان واستزاده فأنشده:**

**والعام تسعه كمثل عام الجوهرى.**

فكانت إغراء باللياني، فأمر أن يتقبض عليه وعلى عدوه ابن العطار، وكان عاملاً. وأمر أبو زيد بن يغمور بامتحانهما فعدبهم حتى استصفي أموالهما، والميل في ذلك على اللياني. وكان في أيام امتحانه يباكي موضع عمله. ثم نسي عنه أنه يروم الفرار إلى قصقلية، ويرجح بعض من داخله في ذلك فاتر عليه، فدفع إلى هلال كبير الموالي من العلوج فضريبه إلى أن قتله، ورمي بشلوه إلى الغراغاء فبثوا به وقطعوا رأسه، ثم تتبع أقاربه وذروه بالنكل إلى أن استفندا.

## الخبر عن انتقاض أبي علي الملياني بمليانة على يد الأمير أبي حفص

كان المغرب الأوسط من تلمسان وأعمالها إلى مجاهة في طاعة السلطان منذ تغلب أبوه الأمير زكريا عليه، وفتح تلمسان وأطاعه يغمراسن وكان بين زناة بتلك الجهات فتن وحروب شأن القبائل العيايسية، وكانت مليانة من قسمة مغراوة بي ورسيفان، وكانتا أهل بادية. وتقلص ظل الدولة عن تلك الجهات بعض الشيء. وكان أبو العباس الملياني من مشيخة مليانة صاحب فقه ورواية وسمت ودين، رحل إليه الأعلام وأخذ عنده العلماء، وانتهت إليه رئاسة الشورى بيده. ونشأ ابنه أبو عليه على خلوأ من الحال متهاكا في الرئاسة متبعاً غرابة الشبيبة، فلما رأى تقلص ظل الدولة وفن مغراوة مع يغمراسن ومزاحته لهم، حدثه نفسه بالاستبداد فخلع طاعة آل أبي حفص ونبذ دعوتهم، واتبرى بها داعياً لنفسه. وبلغ الخبر إلى السلطان فسرح إليه أخاه الأمير أبو العباس. وكان يتحل القراءة والكتاب حتى حذق في علوم اللسان. وتفقه على أبي زكريا البرقي، ثم طالع مذاهب الفلسفية، ثم صار إلى طلب المعاش من الإمارة فولى أعمال الجباية. ثم صودر في ولاته على مال أعطاه وتخلى من نكتبه، فنهض في

فني ذلك إلى السلطان فامر بلزمته بيته، ثم استعبد السلطان بتأليف رفعه إليه عذر فيه من عورت من الكتاب، وأعتب. وسماء اعتاب الكتاب. واستشفع فيه بابته المستنصر فغير السلطان له وأقال عثرته، وأعاده إلى الكتابة. ولما هلك الأمير أبو زكريا رفعه المستنصر إلى حضور مجلسه مع الطبقة الذين كانوا يضرورون من أهل الأندلس وأهل تونس، وكان في ابن الأبار آفة وبأو وضيق خلق، فكان يزري على المستنصر في مباحثه ويستصره في مداركه، فخشى له صدره مع ما كان يسطخ به السلطان من تفضيل الأندلس ولولاتها عليه.

وكانت لابن أبي الحسين في سعاية لعقد قديم، سبيه أن ابن الأبار لما قدم في الأسطول من بلنسية نزل بيتربت، وخطاب ابن أبي الحسن بغرض رسالته، ووصف أباءه في عنوان مكتوبه بالملحوم. ونبه على ذلك فاستضحك وقال: إن أبا لا تعرف حياته من موته لأب خامل. وغيث إلى ابن أبي الحسين فأسرها في نفسه، ونصب له إلى أن حل السلطان على إشخاصه من مجاهة. ثم رضي عنه واستقدمه ورجعه إلى مكانه من المجلس. وعاد هو إلى مسامعة السلطان بذعزاته إلى أن جرى في بعض الأيام ذكر مولد الواثق وسائل عنه السلطان فاستفهم، فعدا عليه ابن الأبار بتاريخ الولادة وطالعها، فاتهم بتوقيع المكره للدولة والتربص بها كما كان أعداؤه يشنعون عليه، لما كان ينظر في النجوم فتقبض عليه. ويعتى السلطان إلى داره فرفعت إليه كبه أجمع، والتي أثناءها فيما زعموا رقعة بأبيات أولها:

**طغى بتونس حلف سموه ظلماً خليفة**

**فاستشاط لها السلطان وأمر بامتحانه، ثم بقتله عصماً**  
بالرماح، وسط حرم من سنة ثمان وخمسين. وستمائة، ثم أحرق شلوه وساقط مجلدات كتبه وأوراق سماعه ودواينه فاحتراق معه.

## الخبر عن مقتل اللياني وأوليته وتصاريف أحواله

أصل هذا الرجل من لليانة قرية من قرى المهدية، مضمومة اللام مكسورة الثانية، وكان أبوه عاملاً بالمهدية، وبها نشأ ابنه أبو العباس. وكان يتحل القراءة والكتاب حتى حذق في علوم اللسان. وتفقه على أبي زكريا البرقي، ثم طالع مذاهب الفلسفية، ثم صار إلى طلب المعاش من الإمارة فولى أعمال الجباية. ثم صودر في ولاته على مال أعطاه وتخلى من نكتبه، فنهض في

وخشى أن يسلمه إذا أزدهم السلطان عليها، تحول عنهم وحق بتلمسان وأجاز البحر منها إلى الأندلس، وصحت الأمير أبو إسحاق ابن عمه في مثوى اغترابهما بالأندلس. ثم ساءت أفعاله وعظم استهتاره. وفشا التكبير عليه من الدولة، فلحق بالغرب وأقام ببنبل مدة. ثم رجع إلى تلمسان، وبها مات. وقام الأمير أبو إسحاق بمكانه من جوار ابن الأحمر إلى أن كان من أمره ما ذكره.

### الخبر عن خروج السلطان إلى المسيلة

لما اتصل بالسلطان شأن أبي قاسم ابن عمه أبي زيد وفالله عن رياح إلى المغرب بعد عقدهم بيته، خرج من تونس سنة أربع وستين في عساكر المرحدين وطبقات الجندي لتمهيد الوطن، ومحو آثار الفساد منه، وتقويم العرب على الطاعة. وتقل في الجهات إلى أن وصل بلاد رياح فدروخها ومهد أرجاءها، وفر شبل بن موسى وقومه الدواودة إلى القفر، واحتل السلطان بالمسيلة آخر وطن رياح. ووافاه هنالك محمد من عبد القوي أميربني توجن من زناته مجدداً لطاعته، ومتبركاً بزيارته، فتلقاء من البرور تلقى أمثاله، وأنقل كاھله بالحباء والخواizer، وجنب له الجياد المقربات بالراكب المثلقة بالنهب، واللجم الحالات. وضرب له الفاسطاط الفسيحة الأرجاء من ثياب الكتان وجدل القطن، إلى ما يتبع ذلك من المال والظهور والكراع والأسلحة. وأقطع له مدينة مقرة ويلد أو ماش من عمل الزاب، وانقلب عنه إلى وطنه.

ورجع السلطان إلى تونس وفي نفسه من رياح ضفن إلى أن صرف إليهم وجه تدبیره كما ذكره، والثانية احتلاله في الحضرة كان مهلك مولاه هلال، ويعرف بالقائد، وكان له في الدولة مكان بمكان تلاداً للسلطان، وكان شجاعاً جريداً خيراً حبيباً سهلاً مقبلاً على أهل العلم وذوي الحاجات، ولو في سبيل الخير آثار متقدلة صار له بها ذكر، فارتضى السلطان لهمكه.

### الخبر عن مقتل مشيخة الدواودة

كان شبل بن موسى وقومه من الدواودة فعلوا الأفاعيل في اضطراب الطاغية، ونصب من لحق بهم من أهل هذا البيت للملك، فباعوا أولاً للأمير أبي إسحاق كما ذكرناه، ثم بعده لأبي القاسم ابن عمه أبي زيد، وخرج إليهم السلطان سنة أربع وستين وستمائة ودوخ أو طائفهم، ولحقوا بالصحراء ودافعوا على البعد

شعوب زغبة فأغاروه وأجازوه إلى المغرب الأقصى، إلى أن كان من خبره ما ذكره بعد.

ودخل الأمير أبو حفص ملياناً ومهد نواحيها وعقد عليها إلى ابن متليلي أمير مغراوة فملكتها مقيناً فيها للدعوة السلطان شأن غيرها من عمارات مغراوة. وقتل الأمير أبو حفص إلى تونس، ولقيه بطريقه كتاب السلطان بالعقد له على بجاية وإمارتها، فكره ذلك غبطة جهود السلطان. وترددت في ذلك رغبة فاديل منها بالشيخ أبي هلال عياد بن سعيد الهمتاني، وعقد له على بجاية. ولحق الأمير أبو حفص بالحضره إلى أن كان من خلافه ما ذكره بعد. وهكذا شقيقه أبو بكر بن الأمير أبي زكريا ثانية مقدمه إلى تونس سنة إحدى وستين وستمائة، فتفجع له الخليفة والقرابة والناس وشهد السلطان جنازته، والبقاء لله وحده.

### الخبر عن فرار أبي القاسم بن أبي زيد ابن الشيخ أبي محمد وخروجه في رياح

كان أبو القاسم بن أبي زيد هذا في جلة ابن عمه الخليفة، وتحت جرياته، وأبواه أبو زيد هو القائم بالأمر بعد أبيه الشيخ أبي محمد. ولحق بالغرب. وجاء أبو القاسم في جلة الأمير أبي زكريا، وأوصى به ابنه إلى أن حدثه نفسه بالتوب والخروج. وخامره الرعب من إشاعة تناقلها الدهماء، سببها أن السلطان استحدث سكة من النحاس مقدرة على قيمة من الفضة، حاكى بها سكة الفلوس بالشرق تسهيلاً على الناس في المعاملات يسرافها وتيسيراً لقضاء حاجتهم. ولما كان لحق سكة الفضة من غش اليهود المتأولين لصرفها وصوغها، وسمى سكته التي استحدثها بالخدوس. ثم أفسدتها الناس بالتدليس وضررها أهل الريب ناقصة عن الوزن، وفشا فيها الفساد. واشتهد السلطان في العقوبة عليها فقطع وقتل، وصارت ريبة لمن تناولها. وأعلن الناس بالتكبير في شأنها وتناولوا بالسلطان في قطعها وكفر الخوض في ذلك وتوقفت الفتنة. وأشيع من طريق الحديث الذي تكلّف به العامة أن الخارج الذي يثير الفتنة هو أبو قاسم بن أبي زيد، فازال السلطان تلك السكة وعفا عليه، وأهمه شأن أبي القاسم ابن عمه، وبلغ الخبر فخامره الرعب إلى ما كان يجده نفسه من الخروج، فقر من الحضرة سنة إحدى وستين وستمائة، ولحق برياح ونزل على أميرهم شبل بن موسى بن محمد رئيس الدواودة، فباع له وقام بأمره. ثم بلغه اعتزام السلطان على النهوض إليه فخشى بادرته واضطرب أمر العرب من قبيله. ولما أحسن أبو القاسم باضطرابه

ذلك، فصارت ملكاً لهم.

## الخبر عن طاغية الإفرنجية ومنازلته تونس في أهل نصراناته

هذه الأمة المعروفة بالإفرنجية وتسمى بها العامة بالإفرانسيين نسبة إلى بلد من أممها أعملهم تسمى إفرينشة، ونسبيهم إلى يافاث بن نوح، وهم بالعدوة الشمالية من عدوتي هذا البحر الروسي الغربي ما بين جزيرة الأندلس وخليج القسطنطينية، مجاؤرون الروم من جانب الشرق والجلالة من جانب الغرب. وكانت قد أخذوا بدين النصرانية مع الروم، ومنهم لقنتوا دينها. واستفحلا ملوكهم عند تراجع ملك الروم وأجازوا البحر إلى إفريقيا مع الروم فملوكها وزلوا أوصارها العظيمة مثل سيفطلة وجبلوا وقرطاجنة ومرناق وباغية ولسن وغيرها من الأوصار وغلبوا على كل من كان بها من البربر حتى اتبعوهم في دينهم وأعطوهم طاعة الانتياد.

ثم جاء الإسلام وكان الفتح بانتزاع الأعراش من أيديهم سائر أوصار إفريقيا، والعدوة الشرقية والجزر البحريّة مثل أقريطش ومالطة وصقلية وميرورقة ورجوعهم إلى عدوتهم ثم أجازوا خليج طنجة وغلبوا القوط والخلافة والبشكست، وملوكوا جزيرة الأندلس وخرجوا من ثناياها ودورها إلى بساط هولاء الإفرنجية فذوحوها وعاثروا فيها. ولم تزل الصوائف تتردد إليها صدراً من دولة بي أمية بالأندلس، وكان ولاة إفريقيا من الأغالبة ومن قبليهم أيضاً يرددون عساكر المسلمين وأساطيلهم من العدوة حتى غلبوهم على الجزر البحريّة، ونانزواهُم في بسائط عدوتهم فلم تزل في نفوسهم من ذلك ضيق، فكان يخالجها الطمع في ارتجاع ما غلبوا عليه منها.

وكان الربع أقرب إلى سواحل الشام وطعم فيها. فلما وصل أمر الروم بالقسطنطينية ورومة، واستفحلا ملك الفرنجية هولاء، وكان ذلك على هيئة سمو الخلافة بالشرق. فسموا حيث شد إلى التغلب على معاقل الشام وثارور، ورثحوا إليها وملوكوا الكثير منهم واستولوا على المسجد الأقصى وبنوا فيه الكنيسة الظاهري بدل المسجد، ونانزوا مصر والقاهرة مراراً حتى جاد الله للإسلام من صلاح الدين أبي أيوب الكردي صاحب مصر والشام في أواسط المائة السادسة جنة واقية، وعادياً على أهل الكفر مصوبأ، فابلى في جهادهم وارتجع ما ملكوه، وطهر المسجد الأقصى من أفکهم وكفرهم، وهلك على حين غرة من الغزو والجهاد.

بطاعة مرضة فقبلها، وطوى لهم على الثنى. ورجع إلى تونس فأوزع إلى أبي هلال عياد عامل مجاهة من مشيخة الموحدين باصطناعهم واستلافهم لتكون وفادتهم عليه من غير عهد، وجمع السلطان أحلافه من كهوببني سليم ودباب وأفاريق بني هلال، وخرج من تونس سنة ست وستين وستمائة في عساكر الموحدين وطبقات الجند، ووافاه بنو عساكر ابن السلطانإخوةبني مسعود ابن السلطان من الدواودة فقد لهدي ابن عساكر عن إمارته قوله وغيرهم من رياح، وفر بنو مسعود ابن السلطان مصحررين والسلطان في أثرهم حتى نزل تقاورس وعسكرروا بشايا الزاب، ورسلهم مختلف إلى أبي هلال ليتأنس للمراجعة على يده للدخول في الساحة، فأشار عليهم بالوفادة على السلطان وفاء بقصده من ذلك، فقبلوا إشارته.

ووفد أميرهم شبل بن موسى بن محمد بن مسعود وأخوه يحيى، وبنو عمهم أولاد زيد بن مسعود: سباع بن يحيى بن دريد وابنه، وطلحة بن ميمون بن دريد، وحداد بن مولاهم بن خنفر بن مسعود وأخوه، فقضى عليهم حفيتهم، وعلى دريد ابن تازير من شيخ كرقه. وانتهت أسلابهم وضررت أعنائهم ونصبت أشلاءهم بزرايا من جهات تقاورس حيث كانت يعمتهم لأبي القاسم بن أبي زيد، وبعث برسوهم إلى سكرة فنصبها بها، وأخذ السير غازياً إلى أحياهم وأحلهم بمكانها من ثانية الزاب.

وصحبهم هنالك فاجفلوا وتركوا الظهر والكرياع والأبنية، فامتلأت أيدي العساكر وسدوا كيش منها، ونجوا بالعيال والولد على الأقتاب، والعساكر في اتباعهم إلى أن أجازوا وادي شدى قبلة الزاب وهو الوادي الذي يخرج أصله من جبل راشد قبلة المغرب الأوسط وير إلى ناحية الشرق مجاوزاً بالزاب إلى أن يصب في سبخة نفراوة من بلاد الجريد. فلما جاز فلهم الوادي أصحروا إلى المفازة المطشة والأرض الحرة السوداء المستحجرة المسماة بالحمادة، فرجعت العساكر عنهم، وانقلب السلطان من غزاته ظافراً، ظاهراً وانشد الشعرا في النهضة، وتحق قل الدواودة بملوك زنانة فنزل بنو يحيى بن دريد على بغمراسن بن زيان، وبنو محمد بن مسعود على يعقوب بن عبد الحق، فأجارواهم وأوسعواهم حباء وملؤوا أيديهم بالصلات، ومرابطهم بالخيل، وأحياءهم بالإبل ورجعوا إلى مواطنهم فتبليوا على واركلة وقصور رغبة واقتطرها من إيالة السلطان. ثم زحفوا إلى الزاب فجمع لهم عامله ابن عتو وكان موطنًا بمقرة، ولقيهم على حدود أرض الزاب فهزمهوا واتبعوه إلى قطاوة فقتلوا عندها، واستطالوا على الزاب وجبل أوراس وبيلاد الحضنة إلى أن اقتطعهم الدول إليها من بعد

سبعون ألفاً لا يرى منهم إلا قتيل أو أسير جريح  
لعل عيسى منكم يستريح  
المملك لله إلى مثلكما  
إن كان ببابكم بيتاً راضياً  
فرب غش قد أتى من نصيحة  
فما خذله كاهناً إيمانه  
أتصح من شق لكم أو سطح  
وقل لهم إن أزمعوا عودة  
لأخذ شار أو لشغله قيبح  
دار ابن لقمان على حالمها  
والقيد باق والطواشي صبيح  
يعني بدار ابن لقمان موضع اعتقاله بالإسكندرية والطواشي  
في عرف أهل مصر هو الخصي. فلما استكملا إنشاده لم يزد ذلك  
الطاغية إلا عتوا واستكباراً، واعتذر عن نقض العهد في غزو  
تونس بما يسمع عنهم من المخالفات، عذرنا دافعهم به، وصرف  
الرجل من سائر الآفاق ليومه. فوصل رسول السلطان منذرين  
بشأنهم وجمع الطاغية حشده وركب أساطيله إلى تونس آخر ذي  
القعدة سنة ثمان وستين وستمائة فاجتمعوا بسردانية وقيل بصفلية.  
ثم واعدهم بمرسى تونس وأقلعوا ونادي السلطان في الناس  
بالتنديد بالعدو والاستعداد له، التفير إلى أقرب المداign، وبعث  
الشواني لاستطلاع الخبر واستئتمهم أيامها.

ثم تولت الأساطيل بمرسى طاغية الإفرنج وتفاوض السلطان مع  
أهل الشورى من الأندلس والموحدين في تحليتهم و شأنهم من  
التزول بالساحل أو صدهم عنه، فأشار بعضهم بصدفهم حتى تفدي  
ذخيرتهم من الزاد والماء فيضطرون إلى الإقلاع. وقال آخرون: إذا  
أقلعوا من مرسي الحضرة ذات الحاجة والعدد صبحوا بعض  
الغور سوها فملكونه واستباحوه، واستصعبت مخالبهم عليه  
فراقب السلطان على هذا وخلوا شأنهم من التزول فنزلوا بساحل  
قرطاجنة بعد أن ملئت سواحل رودس بالمرابطة بجند الأندلس  
والمطوعة زهاء أربع آلاف فارس لنظر محمد بن الحسين رئيس  
الدولة.

ولما نزل النصارى بالساحل وكانوا زهاء ستة آلاف فارس،  
وثلاثين ألفاً من الرجال فيما حدثي أبي عن أبي رحمة الله قال:  
وكانت أساطيلهم ثلاثة بين كبار وصغر، وكانوا سبعة يعاسبون  
كان منهم الفرنسيس وإنحورة جرون صاحب صقلية وصاحب  
الجزر، والعجلة زوج الطاغية تسمى الرينة، وصاحب البر الكبير،  
وسميهم العامة من أهل الأخبار ملوكاً ويعنون أنهم متباهيون إذ  
ظاهروا على غزو تونس وليس كذلك وإنما كان واحداً وهو  
طاغية الفرنجة وإنحورة وبطارقة، عد كل واحد منهم ملكاً لفضل  
قوته وشدة بأسه، فنزلوا عساكرهم في المدينة القديمة من قرطاجنة.  
وكانت مائة الجدران اضطرم المعسكر بداخلها، ووصلوا ما فصله  
الخراب من أسوارها باللواح الخشب ونضدوا شرفاتها وأداروا على

ثم عاودوا الكرة وناظروا مصر في المائة السابعة على عهد  
الملك الصالح صاحب مصر والشام، وإيام الأمير أبي زكريا  
بتونس، فضرروا أبنائهم بدمياط واقتحوها وتغلبوا في قرية مصر.  
وذلك الملك الصالح خلال ذلك، وولي ابنه العظمي وأمكنته  
ال المسلمين في الغزو فرصة أيام فيض النيل، ففتحوا الفياض وأزالوا  
مدد الماء فأحاط بعسكرهم وهلك منهم عمال، وقيد سلطانهم  
أسيراً من المعركة إلى السلطان فاعتقله بالإسكندرية، حتى مر عليه  
بعد حين من الدهر وأطلقه على أن يكنوا المسلمين من دمياط  
فوفرا له. ثم على شرط المسالمة فيما بعد فنقضه ملة قرية، واعتزم  
على الحركة إلى تونس متوجياً عليهم فيما زعموا بحال أدعية تجار  
أرضهم، وأنهم أفسدوا اللياني فلما نكبه السلطان طالبه بذلك  
المال وهو نحو ثلاثة دينار بغیر موجب يستدون إليه، فغضبوه  
لذلك واشتكوه إلى طاغيهم فامتنع لهم ورغبوه في غزو تونس  
لما كان فيها من الجماعة والموتان.

فأرسل الفرنسيس طاغية الإفرنج باسمه سنتلويس بن  
لويس وتلقب بلقب الإفرنج روا فرنس ومعناه ملك إفنس،  
فأرسل إلى ملوك النصارى يستقرهم إلى غزوها، وأرسل إلى القائد  
 الخليفة المسيح بزعمهم فأوزع إلى ملوك النصرانية مظاهرته، وأطلق  
يده في أموال الكنائس مددلاً له. وشاع خبر استعداد النصارى  
للغزو في سائر بلادهم، وكان الذين أجبوا للغزو ببلاد المسلمين  
من ملوك النصرانية ملك الإنكشار وملك أسكوسيا وملك نزول  
وملك برشلونة باسمه ريدراكون وجاء آخرؤن من ملوك  
الإفرنج، هكذا ذكر ابن الأثير، وأهم المسلمين بكل ثغر شأنهم  
وأمر السلطان في سائر عمالياته بالاستكثار من العدة، وأرسل في  
الغور لذلك بإصلاح الأسوار واحتزان الجنوب، وانقبض تجار  
النصارى عن تعاهد بلاد المسلمين. وأوفد السلطان رسلاً إلى  
الفرنسيس لأخبار رحاله ومشاركته على ما يكفر عزمه. وحملوا  
ثمانين ألفاً من الذهب لاستئتمار شروطهم فيما زعموا، فأخذ المال  
من أيديهم وأحررهم أن غزوهم إلى أرضهم. فم طلبوا المال اعتل  
عليهم بأنه لم يباشر قبضه ووافق شأنهم معه وصول رسول عن  
مصالح مصر، فحضر عند الفرنسيس واستجلس قابلي.

وأنشد قائلًا من قول أبي مطروح شاعر السلطان بمصر  
قتل للفرنسيس إذا جتته مقال صدق من وزير نصيحة  
آجرك الله على ما جرى من قتل عباد نصارى المسيح  
أيت مصر أتني ملوكها تسب أن الزمر بالطلب ريح  
فناشك الحسين إلى أدهم ضاق به عن ناظريك الفسيح  
 وكل أصحابك أدعهم بسوء تببيرك بطن الضريح

السور خندقاً بعيد المهوى وتحصناً. وندم السلطان على إضاعة الخزم في تحريرها أو دفاعهم عن نزلاً. وأقام ملك الفرنخة وقومه متسلسين بتونس ستة أشهر والمدد يائيه في أساطيله في البحر من صقلية والعدوة بالرجل والأسلحة والأقوات.

وسلك بعض المسلمين طريقاً في البحيرة واتبعهم العرب فأصابوا غرة في العدو فظفروا وغنموا وشعروا بمحنة، فكفلوا بحراسة البحيرة وبعثوا فيها الشوانى بالرماة ومنعوا الطريق بهم، وبعث السلطان في مالكه حاشداً فوافته الأ Maddad من كل ناحية، ووصل أبو هلال صاحب مجاهدة وجاءت جموع العرب وسدوا بيش ووطاصه وهوارة حتى أended ملوك المغرب من زناتة، وسرج إليه محمد بن عبد القوي عسكراً بيبي توجين لنظر ابنه زيان وأخرج السلطان ابنته، وعقد لسبعة من المؤمنين على سائر الجندي من المرتزقة والمطوعة لهم: إسماعيل بن أبي كلداسن وعيسي بن داود ويعيسى بن أبي بكر ويعيسى بن صالح وأبو هلال عياد صاحب مجاهدة ومحمد بن عبو، وأمرهم كلهم راجح ليحيى بن صالح ويعيسى بن أبي بكر منهم.

واجتمع من المسلمين عدد لا يحصى، وخرج الصلحاء والفقهاء والرباطون لما شرطوا المصالحة بأنفسهم والتزم السلطان القمود بليوانه مع بطانته وأهل اختصاصه وهم: الشيخ أبو سعيد المعروف بالعود، وابن أبي الحسين، وقاربه أبو القاسم بن البراء، وأخوه العيش. واتصلت الحرب والتقوا في منتصف حرم سنة تسع بالنصف، فرحب يومئذ يحيى بن صالح وجرون فمات من الفريقين خلق، وهجموا على المعسكر بعد العشاء وتدارس المسلمين عنده، ثم غلبوا عليه بعد أن قتل من الصارى زهاء خمسة، فأصبحت ابنته مضروبة كما كانت. وأمر بالختن على المعسكر فتباورته الأيدي، واحضر فيه الشيخ أبو سعيد بنفسه، وأباتي المسلمين بتونس، وظنوا أنهم سلطان بالتحول عن تونس إلى القبروان.

ثم إن الله أهلك عدوهم وأصبح ملك الفرنجة ميتاً يقال: حفف أنه، ويقال: أصابه سهم غرب في بعض المواقف فإنه ويقال: أصابه مرض الرباء، ويقال وهو بعيد أن السلطان بعث إليه مع ابن جرام الدلاصي بسيف مسموم وكان فيه مهلكه. وما هلك اجتمع الصارى على ابنه دمياط سمي بذلك ملياده بها فباعوه، واعتزموا على الإقلاع. وكان أمرهم راجعاً إلى العلجة فراسلت المستنصر أن يبذل لها ما خرسوه في مؤنة حركتهم، وترجع بقومها فاستعفها السلطان لما كان العرب اعتزموا على الإنصراف إلى مشاتيهم.

الوارثين.

### الخبر عن مهلك رئيس الدولة أبي عبد الله بن أبي الحسين وأبي سعيد العود الرطب

أصل هذا الرجل من بني سعيد رؤساء القلعة المجاورة لغرناطة، وكان كثيراً منهم قد استعملوا أيام المرحومين بالعدوتين، وكان جده أبو الحسن سعيد صاحب الأشغال بالقريوان. ونشأ حافظه محمد هذا في كفالته. ولما عزل وقتل إلى المغرب هلك بيونة سنة أربع وستمائة ورجع حافظه محمد إلى تونس والشيخ أبو محمد بن أبي حفص صاحب إفريقية لذلك العهد فاعتلى مخدمة ابنه أبي زيده. ولما ولـي الأمر بعد وفاة أبيه غالب محمد هذا على هروءة. ثم جاء السيد أبو علي من مراكش وعلى إفريقية محمد بن أبي الحسين في جلته إلى أن هلك في حصار هسكورة بمراكش كما قدمته ورجع ابن أبي الحسين إلى تونس واتصل بالأمير أبي زكريا لأول استدائه فغلب على هروءة، وكان مبختاً في صحابة الملوك. ولما ولـي المستنصر أجراه على سنته برها. ثم تذكر له إثر كاثة الملحياني، وعظمت سعاية أعدائه من الباطنية وأشاعوا مداخلته لأبي القاسم بن مخدومه أبي زيد ابن الشيخ أبي محمد فنكبه السلطان واعتقله بداره تسعه أشهر. ثم سرحة وأعاده إلى مكانه وثار من أعدائه، واستولى على أمور السلطان إلى أن هلك سنة

بجایة بانفاذ عسکر آخر فانفذه لنظر أبي العباس بن أبي الأعلم، ونهضت هذه العساکر برأً ومحراً إلى أن نازلتها وأحاطت بها من كل جانب، واشتد حصارها. ثم اقتحمت عنوة واستحرّ فيهم القتل واتهبت المنازل واقتضي الكرام في أبكارهن. وتقبض على مشيخة البلد فنقلوا إلى تونس مصفيدين، واعتقلوا بالقصبة أن سرّحهم الواتق بعد مهلك السلطان.

إحدى وسبعين وستمائة.

وكان ابن عمّه سعيد بن يوسف بن أبي الحسن صاحب اشتغال الحضرة، وكان قد اقتني مالاً جسيماً ونال من الحضرة متالاً عظيماً. وكان الرئيس أبو عبد الله مفتنتاً في العلوم مجيداً في اللغة يقرض الشعر فيحسن، ويرسل فيجيد، وله من التأليف كتاب ترتيب الحكم لابن سيده على نسق الصحاح للجوهرى واختصاره، وسامه الخلاصة. وكان في رئاسته صليب الرأى قوي الشكيمة على المهمة، شديد المراقبة والحزم في الخدمة، وله شعر نقل منه التيجاني وغيره، ومن أشهره ما نقل عنه من شعره يخاطب عنان بن جابر عن الأمير أبي زكريا لما خالف واتبع ابن غانية، وهي على روى الراء، وكان قبلها أخرى على روى الدال. وكان له ولد اسمه سعيد وترقى في حياة أبيه في المراتب السلطانية. ثم اغتبط دون غايته وفي ثالث مهلكه كان مهلك الشیخ أبي سعيد عثمان بن محمد المحتاتي المعروف بالمعود الربط، ويعرف أهل بيته بالغرب ببني أبي زيد. وكان منهم عبد العزيز المعروف بصاحب الأشغال كان فر من المغرب أيام السعيد بخفة نالته، ولحق بسجله سنة إحدى وأربعين، وقد كان انتزى بها عبد الله المهزري، وبابع للأمير أبي زكريا فأجازه عبد الله إلى تونس، ونزل على الأمير أبي زكريا ونظم في طبقات مشيخة الموحدين وأهل مجلسه. ثم حظي عند ابنه المستنصر بعد نكبة بني النعمان حظرة لا كفاه لها. واستولى على الرأى والتدبر إلى أن هلك سنة ثلاث وسبعين وستمائة فشييع طيب الذكر ملحفاً بالرضوان من الخاصة والكافة، والله مالك الأمور.

## الخبر عن مهلك السلطان المستنصر ووصف شيء من أحواله

كان السلطان بعد فتح الجزائر قد خرج من تونس للصيد وتفقد العمالات، فاصابه في سفره مرض ورجع إلى داره، واشتدت عليه وكثير الإرثاف بهوه، وخرج يوم الأضحى سنة خمس وخمسين وستمائة يتهدى بين رجالين، ورجالاته لا لقطان في الأرض وجلس للناس على منبر متجلداً. ثم دخل بيته وهلك لليته تلك رضوان الله عليه، وكان شأن هذا السلطان في ملوك آل حفص عظيماً. وشهرته طائرة الذكر بما افسح من أمر سلطانه، ومدت إليه ثغر القاصية من العذوبين يد الاعتصام به. وما اجتمع بحضرته من أعلام الناس الوفاين على أبيه وخصوصاً الأندلس من شاعر مفلق وكاتب بلية وعالم تحرير وملك أورع وشجاع أهيش متقيين ظل ملكه متباين في اللياذ به لطموس معالم الخلافة شرقاً، وغرباً على عهده، وخفوت صوت الملك إلا في إيوانه.

فقد كان الطاغية التهم قواعد الملك بشرق الأندلس وغربها، فأخذت قرطبة سنة ثلاث وثلاثين وستمائة وبالنسبة ستة ست بعدها وأشباعية سنة ست وأربعين وستمائة، واستولى التتر على بغداد دار خلافة العرب بالشرق وحاصرة الإسلام سنة ست وخمسين وستمائة، وانتزع بنو مرين ملك بني عبد المؤمن، واستولوا على حضرة مراكش دار خلافة الموحدين سنة ثمان وستين وستمائة، كل ذلك على عهده وعهد أبيه ودولتهم أشد ما كانت قرة وأعظم رفاهية وجباية وأوفر قبيلاً وعصابة، وأكثر عساکر وجند، فامله أهل العلم للكرة، وأجفلوا إلى الإمساك بمحوريه. وكان له في الأبهة والجلال أخبار، وفي الحروب والفتح آثار مشهودة، وفي أيامه عظمت حضارة تونس، وكثُر ترف ساكنها. وتألق الناس في المراكب والملابس والمباني والماuron والأبيات، فاستجادوها وتغافلوا في اتخاذها واتقانها إلى أن بلغت غايتها ثم رجعت من بعده أدراجها، والله مالك الأمور ومصرفها.

## الخبر عن انقضاض أهل الجزائر وفتحها

كان أهل الجزائر لما رأوا تقلص ظل الدولة عن زناة وأهل المتراب الأوسط حدثوا أنفسهم بالاستبداد والقيام على أمرهم، وخلع ريقه الطاعة من أنعامتهم فجاهروا بالخلعان. وسرح السلطان إليهم العساکر سنة تسع وستين وستمائة وأوعز إلى صاحب ثغر بجایة وهو أبو هلال عياد بن سعيد المحتاتي فقدم إليها في عساکر الموحدين سنة إحدى وسبعين وستمائة ونالها مدة حول، وامتنعت عليه فاقلع عنها ورجع إلى بجایة، وهلك بعسکر ببني ورا سنة ثلاث وسبعين وستمائة.

ثم إن السلطان صرف عزمه إلى منازلتهم سنة أربع وسبعين وستمائة وسرح إليهم العساکر في البر وأنفذ الأساطيل في البحر وعقد على عسکر تونس لأبي الحسن بن ياسين وأوعز إلى عامل

## الخبر عن بيعة الواثق يحيى بن المستنصر وهو المشهور بالمخلوع وذكر أحواله

ويبعث أخاه أبي العلاء واليأ على بجاية، وأسف المشيخة والبطانة  
بعته واستبداده وما يتجرشمونه من مكابرته بابه إلى أن عاد وبالـ  
ذلك على الدولة كما ذكره.

### الخبر عن إجازة السلطان أبي إسحاق من الأندلس ودخول أهل بجاية في طاعته

كان السلطان المستنصر قد عقد على بجاية ستة سنتين  
وستمائة لأبي هلال عياد بن سعيد الهمتاني، وأدال به من أخيه  
الأمير أبي حفص، فاتقام واليأ عليها إلى أن هلك بيبي ورا سنة  
ثلاث وسبعين وستمائة كما قدمتنا وعقد عليها من بعده لابنه  
محمد، وكان له غناه في ولايته واضططع بأمره إلى أن هلك  
المستنصر وولي ابنه الواثق، فبادر إلى انتقاد طاعته، وبعث وفد بجاية  
ببيعتهم. ثم قلد أبو الحسن الجيَّبر القائم بالدولة أخاه إدريس  
ولاية الأشغال بجاية، فقام بها وأفني الأموال وتحكم في المشيخة.  
وائف محمد بن أبي هلال من استبداده عليه فهو إدريس بنكتبه،  
فخشى محمد بن أبي هلال بادرته وداخل بعض بطاته في قتلها.  
وفاوض الملا فيه ف Kendوا عليه لأول ذي القعدة سنة سبع وسبعين  
وستمائة بمقعده من باب السلطان فقتلوا ورموا برأسه إلى الغوغاء  
والزعناف فبعوا به.

ووافق ذلك حلول السلطان أبي إسحاق بتلمسان، وكان  
عند بلوغ الخبر إليه بمثله أخيه المستنصر أجمع أمره على الإجازة  
لطلب حقه عندما تردد برهة. ثم اعتزم وعاد إلى تلمسان، ونزل  
على يغمراسن بن زيان فتقام لمورده، واحتفل في مبرته، وفعل أهل  
بجاية وابن أبي هلال فعلتهم وخشنوا بوادر السلطان بالحضور  
فخاطب السلطان أبا إسحاق وأتوه ببيعتهم، وبعثوا وفهم  
يستحضره للملك، فأجابهم ودخل إليها آخر ذي القعدة من سنته،  
فبليمه الموحدون والملا من أهل بجاية. وقام بأمره محمد بن هلال.  
ثم زحف في عساكره إلى قسطنطينة فنازهها، وبها عبد العزيز بن  
عيسي بن داود، فاستعنت عليه فاقلع عنها إلى أن كان من أمره ما  
ذكره.

لما هلك السلطان المستنصر سنة خمس وسبعين وستمائة كما  
قدمناه، اجتمع الموحدون وسائر الناس على طبقاتهم إلى ابنه بيبي،  
فباليوم ليلة مهلك أبيه، وفي غدتها وتلقب الواثق. وافتتح أمره  
برفع المظالم وترسيخ أهل السجون وإفاضة العطاء في الجند وأهل  
الديوان، وإصلاح المساجد، وإزالة كلير من الرؤوف عن الناس.  
وانتدح الشعرا فاسنى جوازتهم، وأطلق عيسى بن داود من  
اعتقاله ورده إلى حاله. وكان التمول لأخذ البيعة عن الناس والقائم  
بأمره سعيد بن يوسف بن أبي الحسين لما كانه من الدولة ورسوخه  
في الشهرة، فقام بالأمر ولم يزل على ذلك إلى أن نكله وأدال منه  
بالجيَّبر.

### الخبر عن نكبة ابن أبي الحسين واستبداد ابن الحبیر على الدولة

هذا الرجل اسمه بيبي بن عبد الملك الغافقي وكنيته ابن  
الحسن أندلسياً من أعمال مرسية، وقد مع الجالية من شرق  
الأندلس أيام استيلاء العدو، وكان يحسن الكتابة ولم يكن له من  
الخلال سواها، فصرف في الأعمال، ثم ارتقى إلى خدمة ابن أبي  
الحسين فاستكتبه، ثم رقا إلى ولاية الديوان فعظمت حاله، وكانت  
له أثناء ذلك مداخلة للواثق ابن السلطان، واعتدها له سابقة. فلما  
استوثق الأمر رفع منزلته واختصه بالشرف، وقلده كتاب علامته.  
وكان سعيد بن أبي الحسين مزاحماً له منافساً لما كان أسف من  
تقديمه. فأغري به السلطان ورغبه في ماله فتقبض على أبي سعيد  
بن أبي الحسين لستة أشهر من الدولة ستة سنتين وسبعين وستمائة  
واعتقله بالقصبة. وتقبض على نقله ابن ياسين وابن صياد الرجالية  
وغيرهم. وقدم على الأشغال مدافعاً في المواري المعلوجين. ووكل  
أبا زيد بن أبي الأعلم من الموحدين بمصادرة ابن أبي الحسين  
على المال وامتحانه.

ولم يزل يستخرج منه حتى ادعى الإلماق واستحلف  
فحلف. ثم ضرب فادعي مؤذناً من ماله عند قوم استكشفوا عنه  
فأدوه. ثم دل بعض مواليه على ذخيرة بداره دفينة فاستخرج منها  
زهاء ستمائة ألف من الدنانير، فلم يقبل بعدها مقال، ويسط عليه  
العذاب إلى أن هلك في ذي الحجة من سنته، ودفن شلوه بجيث لم  
يعرف مدفنه. واستبد أبو الحسن الجيَّبر على الدولة والسلطان،

## الخبر عن خروج الأمير أبي حفص بالعساcker للقاء السلطان أبي إسحاق ثم دخوله في طاعته وخلع الواثق

على الزاب، والأخие عبد الواحد على بلاد قسطنطية، ثم تقبض على أبي الحبر وأمر باعتقاله ودفعه إلى موسى بن محمد بن ياسين للمصادرة والامتحان. ووُجد مكان التمام على طرابع وطلسمات مختلفة الأشكال والصور، يسحر بها فيما زعموا مخدومه فحاقد به وبالماء. وكان شأنه في الامتحان والاستخلاف والهلاك بالعذاب شأن سعيد بن أبي الحسين من ذريته أيام دولته، إلى أن هلك في شهر جمادي الأولى من ستة، والله لا يظلم مثقال ذرة.

ولما اقتعد السلطان أبو إسحاق كرسي ملكه، واستوثق عرب خلافته، تقبض على محمد بن أبي هلال وقتلها بغير تكبته سنة ست وسبعين وستمائة، لما كان يتوقع منه من المكره في الدولة وما عرف به من المساعي في الفتنة.

### الخبر عن مقتل الواثق وولده

لما انخلع الواثق عن الأمر وتحوّل إلى دار الأقوري فقام بها أيامه. و كان له ثلاثة من الولد أصغر: الفضل والطاهر، والطيب، فكانوا معه. ثم نفي عنه للسلطان أبي إسحاق أنه يروم الثورة وأنه داخل في ذلك بعض رؤساء النصارى من الجندي، فأطلق السلطان مكان ترشيحه واعتقله بمكان اعتقال بنيه، وهو من القصبة أيام أخيه المستنصر. ثم بعث إليهم ليتهم فذبّحوا جميعاً في شهر صفر سنة تسع وسبعين وستمائة واستوثق له الأمر وأطلق من عنان الإمارة لولده إلى أن كان من شانهم ما يذكر.

### الخبر عن ولادة الأمير أبي فارس ابن السلطان أبي إسحاق على بجاية بعهد أبيه والسبب في ذلك

كان للسلطان أبي إسحاق كتاب أبناء خمسة: أبو فارس وعبد العزيز وكان أكبرهم، وأبو محمد عبد الواحد، وأبو زكريا يحيى، وخالد، وعمر، وكان السلطان المستنصر قد حبسهم عند فرار أبيهم إلى زياح في أيامه ببعض حجر القصر، واجرى عليهم رزقاً فنشروا في ظل كفالته وجيئ رزقه، إلى أن استولى أبوهم السلطان أبو إسحاق على الملك فظلعوا بأناقته. وطالت فروعهم في دوحة، واشتملوا على العز واصطبغوا أهل السوابق من الرجال، وأرخي السلطان لهم ظلمهم في ذلك. وكان الجلي فيها كبيرهم أبو فارس لما كان مرشحاً لولاية العهد، وكان من اصطنعه والقى عليه

لما بلغ الخبر إلى الواثق وزيره المستبد عليه ابن الحبر بدخول السلطان أبي إسحاق بجاية، سرّ العساكر إلى حربه، وعقد عليها لعمه أبي حفص. واستوزر له أباً زيد بن جامع، فخرج من تونس واضطرب مسكنه بجاية. وعقد الواثق على قسطنطية لعبد العزيز بن عيسى بن داود لذمة شهر كانت له من ابن الحبر، فتقدم إلى قسطنطية، ومانع عنها الأمير أبي إسحاق كما ذكرناه. ثم اضطرب رأي ابن الحبر في خروج الأمير أبي حفص، وأراد انقضاض عسكنه فكتب الواثق إلى أبي حفص وزيره ابن جامع يغري كل واحد منهمما بصاحبه، فتفاوضاً واتفقا على الدعاء للأمير أبي إسحاق، ويعثروا إليه بذلك. واتصل الخبر بالواثق وهو بتونس متبنداً عن الحامية والبطانة. فاستيقن ذهاب ملكه، وأشهد الملا، واخلع عن الأمر لعمه السلطان أبي إسحاق غرة ربيع الأول من سنة ثمان وسبعين وستمائة وتحوّل عن قصور الملك بالقصبة إلى دار الأقوري وانقرضت دولته وأمره، وبالبقاء لله وحده.

### الخبر عن استيلاء السلطان أبي إسحاق على الحضرة

لما بلغ السلطان أبي إسحاق كتاب أخيه الأمير أبي حفص وابن جامع من بجاية، بادر مغلظاً إليهم. ثم وفاه خبر انخلع الواثق ابن أخيه بتونس، فارتخلوا جميعاً وسائر أهل الحضرة على طبقاتهم إلى لقائه، وآتوه طاعتهم ودخل الحضرة متصرف الحاجة آخر سنة ثمان وسبعين وستمائة ومحمد بن هلال شيخ دولته. وعقد على حجابته لأبي القاسم بن الشيخ كاتب أبي الحسين، وعلى خطبة الأشغال لابن أبي الحسن ابن خلدون. كان وفده مع أبيه الحسن على الأمير أبي زكريا من اшибيلية لذمة رعاها لهم، لما كانت أم ولده أم الخالقين من مهدياً ابن الخطيب أبي زكريا حملهم.

ورحل الحسن إلى المشرق ومات هناك، ويقي ابنه أبو بكر بالحضرة فاستعمله الأمير أبو إسحاق لأول دخوله في خطبة الأشغال، ولم يكن يليها إلا الموحدون كما قلناه. وعقد لفضل بن علي بن مزن على الزاب، ولم يكن أيضاً يليها إلا الموحدون. لكن رعى لفضل بن مزن ذمة اغترابه معه إلى الأندلس، فقد له

ولم يزل أميراً بها إلى آخر دولته.

## الخبر عن ثورة ابن الوزير بقسطنطينية ومقتله

اسم هذا الرجل أبو بكر بن موسى بن عيسى، ونسبته في كوميه من بيت الموحدين. كان مستخدماً لابن كلداشن الولي بقسطنطينية بعد ابن النعمان من مشيخة الموحدين أيام المستنصر. ووفد ابن كلداشن على الحضرة، وأقام ابن وزير نائباً عنه بقسطنطينية، فكان له غنىًّا وصرامةً. وولاه السلطان أبو إسحاق حافظاً على قسطنطينية. واتصلت ولايته وهلك المستنصر واضطربت الأحوال. ثم لاه الواثق، ثم السلطان أبو إسحاق وكان ابن وزير هذا طموحاً لأموال الناس لا يمل. وعلم أن قسطنطينية مقل ذلك القطر وحصنه فحدثه نفسه بالامتناع بها، والاستبداد على الدولة. وساء أثره في أهلها فرفعوا أمرهم إلى السلطان أبي إسحاق، واستعدوه فلم يدهش لما رأى من خباب آخره عن الطاعة. وكب هو بالاعتذار والتكبر لما جاء به، فتقبله وأغضى له عن هناته. وما مر به الأمير أبو فارس إلى محل إمارته من بجاية سنة تسع وسبعين وستمائة قعد عن لقائه وأوفد إليه جماعاً من الصلحاء بالمعاذير والاستعطاف، فمنعه من ذلك كفأه مرضاته، حتى إذا أبعد الأمير أبو فارس إلى بجاية، اعتزم على الانتزاء. وكاتب ملك أرغون في جيش من النصارى يكون معهم في ثغره يردد بهم الغزو على أن يكون فيما زعموا داعية له فأجابه ووعده ببعث الأسطول إليه، فجاهر بالخلعان، وانتزى بثغر قسطنطينية داعياً لنفسه آخر سنة ثمانين وستمائة.

وزحف إليه الأمير أبو فارس من بجاية في عساكرة، واحتشد الأعواب وفرسان القبائل إلى أن احتل عيلة. ووفد عليه مشيخة من أهل قسطنطينية يذكر من الرغبة والتتوسل بعثهم ابن وزير فعارض عنهم، وقصد قسطنطينية في أول ربيع سنة إحدى وثمانين وستمائة فنازلاها وجمع الأيدي على حصارها. ونصب الم機關 وقرب قواعد الرماة، وقاتلها يوماً أو بعض يوم، وتسرور عليهم المقل من بعض جهاته. وكان التوري لتسوره صاحبه محمد ابن أبي بكر بن خلدون، وأبلى بن وزير عند الصدمة حتى أحاط به، وقتل هو وأنحوه وأشبعاهما، ونصبت رؤوسهم بسور البلد. وعشى الأمير في سكك البلد مسكنةً مؤنساً، وأمر برم ما تلزم من الأسوار وبإصلاح القنطرة. ودخل إلى القصر وبعث بالفتح إلى أبيه بالحضرمة، وجاء أسطول النصارى إلى مرسى القل في مواعدة ابن

رداء محبيه في الناس وعناته أحد بن أبي بكر بن سيد الناس البعمري، وأخوه أبو الحسين لسابقة رعاها لهما، وذلك أن أباهما أبو بكر بن سيد الناس، كان من بيت أشبيلية حافظاً للحديث راوية له، ظاهرياً في فقهه على مذهب داود وأصحابه. وكانت لأهل أشبيلية خصوصاً من بين الأندلس وصلة بالأمير أبي زكريا بن عبد الواحد بن أبي حفص وبنته، منذ ولادته غرب الأندلس.

فلما تکالب الطاغية على الدولة والهم ثغورها واتسح بسائرها، وأشف إلى قواعدها وأمصارها، أجاز الأعلام وأهل البيوت إلى أرض المغاربة وإفريقية. وكان قصدهم إلى تونس أكثر لاستحال الدولة الخفصة بها. فلما رأى الحافظ أبو بكر اختلال أحوال الأندلس وقع مصايرها، وخفة ساكنها، أجمع الرحلة عنها إلى ما كان بتونس من سابقاً عند هؤلاء الخلفاء. فاجاز البحر وزل بتونس لقاء السلطان تكرمة، وجعل إليه تدريس العلم بالمدرسة عند حمام الهوا التي أستتها أم أم الخلاف.

ونشا بنوه أحد وأبو الحسين في جو الدولة وحجر كفالتها للأشخاص الذي كان لأبيهم بها. وعدلوا عن طلب العلم إلى طلب الدنيا، وتشوفوا إلى مراتب السلطان، واتصلوا بابنه السلطان أبي إسحاق بمكتبه من حجر القصر حيث أنزههم عمهم بعد ذهاب أبيهم، فخالطط لهم واستخدموه لهم. ولما استولى السلطان على الأمر ورشح ابنه أبي فارس للعهد، وأجراه على سنن الوزارة فاصطبغ أحد بن سيد الناس، ونوه باسمه وخلع عليه لبوس كرامته. واختصه بلقب حجاجته، وأخوه أبو الحسين يناديه في ذلك عنده. ونفس ذلك عليهما البطانة فاغروا السلطان أبي إسحاق بابنه وخرفوه شأنه. وأن أحد بن سيد الناس دخله في التوثب بالدولة. وتولى كبر هذه السعاية عبد الوهاب بن قائد الكلاعي من عليه الكتاب ووجوههم. كان يكتب للعامة يومئذ، فسطا السلطان بين سيد الناس سنة تسع وستين وستمائة آخر ربيع، استدعى إلى باب القصر فتعاورته السيف هررأً. ووري شلوه بعض الخضر. وبلغ الخبر إلى الأمير أبي فارس فركب إلى أبيه في لبوس الحزن، ففزع أبوه عن ذلك بأنه ظهر لابن سيد الناس على المكر والخدعية بالدولة. وأماط سواده بيده، ونحو أبو الحسين من هذه المهلكة. واعتقد في ليلة من رجال الأمير أبي فارس وبطانته بعد أن توارى أياماً إلى أن أطلق من مجسه، وكان من أمره ما نذكره بعد. واستبلغ السلطان في تأنيس ابنه، ومسح الضيغفية عن صدره، فقد له على بجاية وأعمالها، وأنفذه إليها أميراً مستقلاً. وأنفذ معه في رسم الحجاجة جدي محمد ابن صاحب أشغاله أبي بكر بن الحسن بن خلدون، فخرج إليها سنة تسع وستين وستمائة وقام بأمرها،

## الخبر عن ظهور الداعي ابن أبي عمارة وما وقع من الغريب في أمره

كان أحد بن مرزوق أبو عمارة من بيوتات جبایة الطارئين عليهما من المسيلة، نشأ بجبایة وسيماً عترفاً بصناعة الخياطة غرّاماً. وكان يحدث نفسه بالملل لما كان يزعم أن العارفين يخربونه بذلك. وكان هو يخطط فيريه خطبه ذلك. ثم اغترب عن بلده ولحق بصرحاء سجلامة واختلط بعرب المعلم واتمى إلى أهل البيت، وادعى أنه الفاطمي المتظر عند الأغمار، وأنه يحمل المعادن إلى الذهب بالصاغنة، فاشتملوا عليه وحدثوا بشأنه أياماً.

أخبرني طلحة بن مظفر من شيخ العمارية إحدى بطون المعلم أنه رأه أيام ظهوره بالمعقل ملتبساً بتلك الدعوى حتى فضحه العجز. ثم لما زهدوا فيه لعجزه ذهب يتقلب في الأرض حتى وصل إلى جهات طرابلس، ونزل على دباب وصحب منهم الفتى نصيراً مولى الواشق بن المستنصر، وبلقب برى، وما رأه تبين فيه شيئاً من الفضل ابن مولاه فقطق ييكي ويقبل قدمي، فقال له ابن أبي عمارة: ما شأنك؟ فقصص عليه الخبر، فقال: صدقني في هذه الدعوى وإنما أثيرك من قاتلهم.

وأقبل نصير على أمراء العرب متادياً بالسرور بابن مولا، حتى خيل عليهم. ثم ليس بما دسَّ إلى ابن أبي عمارة من محاورات وقت بين العرب وبين الواقع، قصها عليهم ابن أبي عمارة تفيناً للريب بأمره، فصدقوا واطمأنوا، وأتوه بيعتهم. وقام بأمره مرعم بن صالح بن عسكر أمير دباب وجمع له العرب ونازلوا طرابلس، وبها يومئذ محمد بن عيسى الهاشمي وُشهر بعنق القضية، فامتنعت عليهم، ورحلوا إلى بحر بين الموطنين بزنزور وجهاتها من هوارة فاققوها بهم. ثم سار في تلك التواحي واستوفى جبایة ولبيا وزواردة وزواغة، وأغرم نفوسه وغريان ونفرة من بطون هوارة وضائع الزرهم إياها واستوفاها. ثم زحف إلى قابس فباع له عبد الملك بن مكي في رجب سنة إحدى وثمانين وستمائة وأعطاه صفتته طراعية، وفاه بمحقّ آباه فيما طرقه وذريعة إلى الاستقلال الذي كان يؤمله، وأعلن مخلافته ونادي بقورمه واستخدم له بني كعب بن سليم ورئاستهم في بني شيشة لعبد الرحمن بن شيشة، فاجابوا داعيه وأثابوا إلى خدمته، وتواتفت إليه بيعة أهل جربة والخامة وقرى نفزاوة. ثم زحف إلى توزر وبلاد قسططيلية فاطاعوه. ثم رجع إلى قصبة فباع له أهله، وعظم أمره وعلا صيته. فجهز إلى السلطان أبو إسحاق العساكر من تونس كما ذكر.

## الخبر عن قيادة أبناء السلطان العساكر إلى الجهاد

كان السلطان يؤشر أبناءه براتب ملكه، ويرليهم خطط سلطانه شفناً بهم وترشيحًا لهم، فعقد في رجب سنة إحدى وثمانين لابنه الأمير زكريا على عسكر من الموحدين والجند، وبعث إلى قصبة للاشراف على جهانها. وضم جبایتها فخرج إليها وقضى شأنه من حركته، وانصرف إلى تونس في رمضان من ستة. ثم عقد لابنه الآخر أبي محمد عبد الواحد على عسكر، وأنفذه إلى وطن هوارة لانتقاء مغاربهم وجباية ضرائبهم وفرضهم، وبعث معه عبد الوهاب بن قائد الكلاعي مباشراً لذلك وواسطة بينه وبين الناس، فاتته إلى القيروان، وبلغه شأن الدعى وظهوره في دباب بنواحي طرابلس، فطير بالخبر إلى السلطان وأقبل على شأنه. ثم انتشر أمر الدعى وانكفا راجعاً إلى تونس.

## الخبر عن صهر السلطان مع عثمان بن يغمراسن

كان السلطان لما أجاز البحر من الأندلس لطلب ملكه، ونزل على يغمراسن بن زيان بتلمسان، فاحتفل لقدرمه وأركب الناس للقاء، وأتاه بيبيته على عادته من سلفه لما علم أنه أحق بالأمر، ووعده النصرة من عدوه والمؤازرة على أمره، وأصهر إليه في إحدى بناته المقصورات في خيام الخلافة باسمه عثمان تشيريناً خطبه منه، فأواله إسعاضاً به. ولما استولى السلطان على حضرته واستبد بأحوال ملكه بعث يغمراسن ابنه إبراهيم المكنى بأبي عامر في وفد من قومه ل تمام ذلك العقد، فاعتمد السلطان براتبهم وأسعف طلبهم، وأقاموا بالحضرمة أياماً، وظهر من إقدامهم في قتن الدعى مقامات، وانصرفو بطبعتهم سنة إحدى وثمانين وستمائة مجبورين محبورين. وابتني بها عثمان ل حين وصوتها فكانت من عقائل قصورهم ومقابر دولتهم، وذكرأ لهم ولقائهم إلى آخر الأيام.

## الخبر عن انفلاط عساكر السلطان

### وتقويضه عن تونس

على مال امتحنه عليه. ثم قتله ختفاً، وصرف خطة الجباية إلى عبد الملك بن مكي رفيق قابس. واستكمل القاب الملك، وقسم الخطط بين رجال الدولة، وصرف همه إلى غزو جباية.

## الخبر عن استبداد الأمير أبي فارس بالأمر عند وصول أبيه إليه

لما وصل السلطان أبو إسحاق إلى جباية في شهر ذي القعدة من ستة طربداً عن ملكه غافلاً عن كرسى سلطانه، انتقض عليه ابنه الأمير أبو فارس ومنعه من الدخول إلى قصره، فنزل بروض الربيع، وأراده على الخلع فاخْلَعَ له. وأشهد الملا من الموحدين ومشيخة جباية بذلك، وأنزله قصر الكوكب ودعا الناس إلى يعتمه آخر ذي القعدة، فباعوه وتلقب العتمد على الله. ونادى في أولياته من رياح وسدويكش. وخرج من جباية زاحفاً إلى الدعي، واستخلف عليها أخيه الأمير أبا زكريا. وخرج معه عميه الأمير أبو حفص وإخوته، فكان من أمرهم ما نذكر.

## الخبر عن زحف الأمير أبي فارس للقاء الدعي ثم انهزامه أمامه واستلحامه وإخوته في المعركة وما كان أثر ذلك من مهلك أبيهم السلطان أبي إسحاق وفرار أخيهم الأمير أبي زكريا إلى تلمسان

لما بلغ الخبر إلى الدعي باستبداد الأمير أبي فارس على أبيه واستعداده للقاء، تقبض على أهل البيت الحفصي، فاعتقلهم بعد أن هم بقتلهم. وخرج من تونس في عساكر من الموحدين وطبقات الجند في صفر سنة اثنين وثمانين وستمائة فانتهى إلى مرجاننة، وتراءى الجماعان ثالث ربيع الأول فاقتتلوا عاملاً يومهم. ثم اختل مصاف الأمير أبي فارس، وتخاذل أنصاره فقتل في المعركة، وانتهت عساكره وقتل إخوته جميعاً صبراً عبد الواحد قتله الدعي بيده، وعمر وخالد وأبو محمد بن عبد الواحد وبعث برؤوسهم إلى تونس فظيف بها الرماح ونصبت بأسوار البلد. وتخلص عميه الأمير أبو حفص من الواقع إلى أن كان من أمره ما نذكر.

وبلغ خبر الواقع إلى جباية فاضطراب أهلها ومجاوز بعضهم في بعض، وجمعهم قاضيهم أبو محمد عبد المنعم بن عتيق الجزائري للحديث في الشأن فتكالبوا، وجزرهم ابنه فقتلوا.

لما تفاقم أمر الدعي بنواحي طرابلس، ودخل الكثير من أهل الانصار في طاعته، جهز السلطان عساكره وعقد لابه الأمير أبي زكريا على حربه، فخرج من تونس ونزل القيروان، واقتضى منها غرام ووضائع استثار منها بأمواله. ثم ارتحل إلى لقاء الدعي وانتهى إلى تونس، وبلغه هناك ما كان من استيلاء الدعي على قصبة فارجف به العسكر وانقضوا من حوله، ورجع إلى تونس فدخلها آخر يوم من رمضان من ستة، وارتحل الدعي على أثره من قصبة وأحتل بالقيروان، فباع له أهلها واقتدى به أهل المهدية وصفاقس وسوسة فباعوا له، وكثرا الإرجاف بتونس، فاضطرب السلطان وأخرج عساكره بظاهر البلد في وسط شوال. وضرب الغزو على الناس واستكثر من العدد، وخرج إلى عساكرة بالمهديه وتلوّن بها لإزاحة العدل. وارتحل الدعي من القيروان زاحفاً إليه فسررت إليه طبقات الجند ومشيخة الموحدين، رضي<sup>\*</sup> بع坎ه وصاغية إلىبني المستنصر خليفة لهم الطويل أمد الولاية عليهم، ورحمة لما نال الواقع وأبناءه من عملهم ثم انقض عن السلطان كبير الدولة موسى بن ياسين في معظم الموحدين، ولحق الدعي بطريقه، فاختل أمر السلطان وانتقضت على ملكه، وفر إلى جباية كما نذكره.

## الخبر عن حاق السلطان أبي إسحاق بجباية ودخول الدعي بن أبي عمارة إلى تونس وما كان من أمره بها

لما انقض عساكر السلطان أبي إسحاق آخر شوال من ستة إحدى وثمانين وستمائة ركب في خاصته وبعض جنوده ذاهباً إلى جباية، ومر بتونس فوقف عندها ثم احتمل أهله وولده وسار في كلب البرد، فكان يعني من قلة الأقوات وتعارف المطر والثلوج شدة. وكان يصانع القبائل في طريقه لبذل ماله. ثم مر بقسطنطينية فمنعه عاملها عبد الله بن يوقان الهرغاني من دخوها وقرب إليه بعض القرى من الأقوات، وارتحل إلى جباية وكان أمره ما يذكر. ودخل الدعي بن أبي عمارة إلى الحضر، وقلد موسى بن ياسين وزارته، وأبا القاسم أحمد بن الشيخ حاجاته، وتقبض على صاحب الأشغال أبي بكر بن الحسن بن خلدون فاستصفاه وصاده

## الخبر عن خروج الداعي ورجوعه واستيلاء السلطان أبي حفص على ملكه وغله ومهلكه

ما ظهر السلطان أبو حفص وبابعه العرب تسامع به أهل الحضرة واجتمع إليه الناس وأوقع الداعي بأهل الدولة فمقتوه، وخرج من تونس يريد قتاله فأرجم به أهل العسكر ورجع منهزاً، ودخلت البلاد في طاعة السلطان أبي حفص ونهض إلى تونس فنزل بسحوم قريباً منها. وعسكر الداعي بظاهر البلد تجاهه وطلالت بينهما الحرب أياماً والناس في كل يوم يستوضحون خبة الداعي ومكره إلى أن تبرأوا منه وأسلموا، ورحل من مكان معسكره ولاذ بالاختفاء، ودخل السلطان البلد في ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانين وستمائة واستولى على سرير ملكه، وظهرة من الدنس قاصبه ودانيه، واختفى الداعي بتونس وغاص في جلة ساكنيها وأحاط به البحث فعثر عليه لليل اليل من مدخل السلطان بدور بعض السوق يعرف بأبي قاسم القرمادي فهدمت لبينها. وثل إلى السلطان فاحضر له الملا، ووجهه وسأله فاعترف بادعائه في نسبهم فأمر به ماتحته وقتلته. وذهب في غير سبيل مرحة، وطيف بشلوه ونصب رأسه. وكان عبد الله بن يغمور المasher لقتله، وكان خبره من الثلاث. واستبد السلطان علاته وتلقب المستنصر بالله، وبادر الناس إلى الدخول في طاعته. وبعث أهل القافية بيعتهم من طرابلس وتلمسان وما بينهما وعقد للشيخ أبي عبد الله الفازاري على عساكره وعلى الحروب والضاحية، واقطع البلد والمغارم للعرب رعياناً لذمة قيامهم بأمره، ولم يكن لهم قبلها أقطاع، وكان الخلق قبليه يتضامنون عن ذلك ولا يفترون فيه على أنفسهم باباً، وأقام متملقاً ملكه وادعاً في حضرته إلى أن كان ما ذكر.

## الخبر عن استيلاء العدو على جزيرة جربة وميورقة ومنازلته المهدية وأجلابه على السواحل

كان من أعظم الحوادث، تكالب العدو في أيام هذا السلطان على الجزء البحري، فاستولت أساطيلهم على جزيرة جربة في رجب من سنة ثلاث وثمانين وستمائة ورؤاستها يومنذ من محمد بن سمون بن شيخ الروبية. وبخلاف ابن أمغار شيخ النكارة وهما فرقاً للخوارج، وزحف إليها المراكب صقلية نائباً عن

ثم أشخصوا القاضي إلى بلده في البحر وخرج السلطان أبو إسحاق وابنه الأمير أبو زكريا إلى تلمسان، فقدن أهل مجاهة عليهم محمد بن السيد قائماً فيهم بطاعة الداعي، وخرج في أتباع السلطان فادركه مجبل بنى غبرين من زواوة، فتقبض عليه، ونجا الأمير أبو زكريا إلى تلمسان، وبقي السلطان أبو إسحاق بمجاهة معتقلأً رثيناً بلغ الخبر إلى تونس، وأرسل الداعي محمد بن عيسى بن داود فقتله آخر ربيع الأول سنة اثنين وثمانين وستمائة وانقضى أمره والله عاقبة الأمور.

## الخبر عن ظهور الأمير أبي حفص وبيعه وما كان على أثر ذلك من الأحداث

قد ذكرنا أن الأمير أبي حفص حضر واقعة بي أخيه مع الداعي بمراجنة، فخلص من المعركة راجلاً، ونجا إلى قلعة ستان معقل هوارة القريب من مكان الملحمة، ولاذ به في ذهابه إلى منجاته ثلاثة من صنائعهم: أبو الحسين بن أبي بكر بن سيد الناس، ومحمد بن القاسم بن إدريس الفازاري، ومحمد بن أبي بكر بن خلدون، وهو جد المؤلف الأقرب. ورعاها يتناقلونه على ظهورهم إذا أصابه الكلال. ولما نجا إلى قلعة ستان تحدث به الناس وشاع خبر منجاته إليها.

وكان الداعي قد أسف العرب وتقتل وطأه عليهم بما كان يسيء الملكة فيهم، فليوم دخله شكا إليه الناس عليهم فتقبض على ثلاثة منهم وقتلهم وصلبهم. ثم سرح شيخ الموحدين عبد الحق بن تافراكن حسماً عليهم وأوعز إليه بالإخوان فهم فاستلحم من لقى منهم. ثم تقبض على مشايخ بي علاق وأربع سجونة منهم ثعوا من الشمانين، فساء أمره فيهم وطلبوا أعياص البيت، وتسامعوا بخبر الأمير أبي حفص بمكانه من قلعة ستان، فرحلوا إليه وأتوا بيعتهم في ربيع سنة ثلاث وثمانين وستمائة وجمعوا له شيئاً من الآلة والأخيبة، وقام بأمره أبو ليل بن أحمد أميرهم. وبلغ الخبر إلى الداعي فدخلته الظنة في أهل دولته. وتقبض على أبي عمران بن ياسين شيخ دولته، وعلى أبي الحسن بن ياسين وابن وانودين، وعلى الحسين بن عبد الرحمن يعسوب زناته فامتحنهم واستصفى أمرهم. ثم قتلهم آخرأً وتوجع لهم الناس واضطرب أمر الداعي إلى أن كان ما ذكره.

## الخبر عن استيلاء الأمير أبي بكر زكريا على الثغر العربي

حيث كان سكانه بتونس، ولما لحق بتلمسان بعد مناجاته من مهلك أبيه بيجاية، نزل على صهره عثمان بن يغمراسن بتلمسان، وجاء في أثره أبو الحسن بن أبي بكر بن سيد الناس صبيحة أبيه و أخيه بعد أن خلص مع السلطان أبي حفص من الواقعة إلى مراجنه. فلما بايع له العرب وبدت خسائل الملك، رأى أبو الحسن ليشار السلطان للفازاري عليهم فنكب عنه، ولحق بالأمير أبي زكريا بتلمسان واستحشه طلب ملكه. واستقرض من تماري بيجاية هنالك مالاً أنهقه في إقامة أبيه الملك له، وجمع الرجال واصططوا على الألوية.

وفشا الخبر بما يرومه من ذلك، فصدّه عثمان بن يغمراسن

عنه بما كان تقلد من طاعة السلطان أبي حفص على سنته من الخلفاء بالحضررة قبله، فأعتزم الأمير أبو زكريا على شأنه، وخرج من تلمسان مورياً بالصيد الذي كان يتحمله أيام مقامه بينهم، ولحق بناورد بن هلال بن عطاف أمير بيبي يعقوب، وكافة بيبي عاصم من زغبة، أوعز عثمان بن يغمراسن إلى داود برده إليه فأئم من إخفار ذمه، وارتحل معه بقومه إلى آخر بلاد زغبة، وزلوا على عطية بن سليمان بن سباع من رؤساء الدواودة، فتلقاء بالطاعة وارتحلوا جيئاً إلى ضواحي قسطنطينة فدخل العرب سدويكش في طاعته.

ونزل البلد سنة ثلاثة وثمانين وستمائة وعاملها يومئذ أبو برقيان من مشيخة المرحدين، وكان صاحب الجباية بها أبو الحسن بن طفلي. كان له من العامل صهر فداخل الأمير أبي زكريا في شأن البلد، وشرط لنفسه وصهره فامضى السلطان شرطهم وأمكثوه من البلد. وأقاموا به دعوته، وارتحل إلى بيجاية وكان قد حدث فيها اضطراب بين أهلها أدى إلى الخلاف والتباب، واستحوذ الأمير أبي زكريا فاغذر السير إليهم ودخلها سنة أربع وثمانين وستمائة ويفقال: إن ملكه بيجاية كان سابقاً على ملكه بقسطنطينة وهو الأصل فيما سمعناه من شيوخنا. وبعث إليه أهل الجزائر بطاعتهم فاستولى على هذه التغور القرية، وتلقب المتخب لإحياء دين الله. وأغفل ذكر أمير المؤمنين أبيه مع عميه الخليفة بالحضررة، حيث مالاً المرحدين أهل الخل والعقد من الجماعة. ونصب للحجابة أبا الحسين بن سيد الناس فقام بها، ورسخ ملكه وملكه بيبي بهذه الناحية الغربية، وانقسمت به الدولة إلى أن خلص الأمر للملوك من عقبه واستولوا على الحضررة كما ذكر.

الفديك بن الريداكون ملك برشلونة في أساطيله البحرية وكانوا فيما قبل سبعين أسطولاً من غربان وشوانى، وضيقهم مراراً ثم تغلبوا عليها فانهروا أمراها وحلوا أهلها أسراً وسيساً. فقبل: إنهما بلغوا ثمانية آلاف بعد أن رموا بالرمح في الجبوب، فكانت هذه الواقعة من أشجع الواقع لل المسلمين. ثم بنوا بساحلها حصناً واعتبروه وشحونه حاميةً وسلاماً. وفرض عليهم المغرم مائة ألف دينار كل سنة، وأقاموا على ذلك وهلك المراكب إلى رأس المائة. وبقيت الجزيرة في ملك النصارى إلى أن أعادوها الله في أواخر الأربعين والسبعين كاماً نذكر.

وفي سنة خمس وثمانين وستمائة ظفر العدو بجزيرة ميورقة، ركب إليها طاغية برشلونة في أساطيله في عشرين الفاً من الرجال المقاتلة ومرروا بميورقة كأنهم سفر من التجار وطلبوا من أبي عمر بن حكم ورئيسها التزول للاستئفاء فاذن لهم. فلما تصالحوا آذنوا أهلها بالحرب فتزاحروا ثلاثة يشنن فيهم المسلمين في كلها قتلاً وجراحوا بما يناظر الآلاف، والطاغية في بطريقه قاعد عن الرمح، فلما كان اليوم الثالث واستولت الجزيرة على قومه زحف الطاغية في العسكر فانهزم المسلمون، ولجوا إلى قلعتهم فاخصرعوا بكعباه، وعقدوا لابن حكم ذمة في أهده وحاشيته، فخرجو إلى سبعة ونزل الباقون على حكم العدو، وسار إلى ميورقة واستولى على ما فيها من الذخيرة والعدة والأمر بيد الله.

وفي سنة ست وثمانين وستمائة بعدها غدر النصارى بمرسي الخرز فاقتربوا بعد أن تلموا أسوارها واكتسحوا ما فيها، واحتلوا أهلها أسرى وأضربوا بيوبتها ناراً. ثم مرروا بميورقة تونس وانصرفوا إلى بلادهم. وفيها أو في سنة تسع وثمانين وستمائة بعدها نازل أسطول العدو مدينة المهدية، وكان فيها الفرسان لقتالها فزحفوا إليها ثلاثة ظفر بهم المسلمين في كلها. ثم جاء مدد أهل الأجم فانهزم العدو حتى اقتحموا عليهم الأسطول، وانقلبوا خائبين وقت النعمة.

## الخبر عن استيلاء الأمير أبي بكر زكريا على الثغر العربي بيجاية والجزائر وقسطنطينة وأولية ذلك ومصائره

كان للأمير أبي بكر زكريا ابن السلطان من الترشيح للأمل بهديه وشرف همته وحسن ملكته، ومخالطته أهلاً لعلم ما يشهد له بحسن حاله، وهو الذي اختط المدرسة للعلم بأزاراء دار الأقوري

واشتربوا أن لا حكم عليهم في سواها، وأن رؤساه فقاوته منهن، فامضى شرطهم وكان أول استبداد أهل الجريد كما ذكر.

## الخبر عن خروج عثمان ابن السلطان أبي دبوس داعياً لنفسه بجهات طرابلس

كان أبو دبوس آخر خلفاء بي عبد المؤمن عراكش لما قتل سنة ثمان وخمسين وستمائة، وافتقر بنوه وتقلبوا في الأرض، لحق منهم عثمان بشرق الأندلس، ونزل على طاغية برشلونة فاحسن تكريمه، ووجد هناك أعقاب عمه السيد أبي زيد المتصر أخي أبي دبوس في مثواهم من إيلاء العدو. وكان لهم هناك مكان وجاه لترويع أيامهم السيد أبي زيد عن دينهم، فاستبلغوا في مسامحة قريتهم هذا الوافد، وخطبوا له عن الطاعة حظاً. ووافقت ذلك حصول مرغم بن صابر بن عسکر شيخ الجاوي من بنى دباب في قبضة أسره، وكان قد أسره العدى من أهل صقلية بنواحي طرابلس سنة اثنين وثمانين وستمائة وبايعوه من أهل برشلونة فاشتراه الطاغية، وقام عنده أسيراً إلى أن تزعزع إليه عثمان بن أبي دبوس هذا كما ذكرناه. وشمر لطلب حفته في الدعوة الموحدية حيث كانت وأمل الظفر في القاصية بعدها عن الحامية، فعبر البحر إلى طرابلس، وكان من حظوظه كرامته عند الطاغية أن أطلق له مرغم بن صابر، وعقد له حلفاً معه على مظاهرته، وجهز لهما الأساطيل وسخنها بالمد من المقاتلة والأقوار على مال شرطوه له، فنزلوا على طرابلس سنة ثمان وثمانين وستمائة واحتشد مرغم قومه وحملهم على طاعة ابن أبي دبوس، ونزلوا البلد معه ومع جنده من النصرانية، فحاصروها ثلاثة، وسأله أثراهم فيها. ثم دخل النصارى بأسطولهم وأرسوا بأقرب السواحل إلى البلد وتنقل ابن أبي دبوس ومرغم في نواحي طرابلس بعد أن انزلوا عليها عسكراً للحصار، فاستوفوا من جباية المغارم واللوصانع مالاً دفعوه للنصارى في شرطهم، وانقلبوا أسطولهم، وأقام ابن أبي دبوس يقلب مع العرب. واستدعاه ابن مكي من بعد ذلك لأنه يشبه به في استبداده، فلم يتم أمره إلى أن هلك بigeria، والله وارث الأرض ومن عليها.

## الخبر عن مهلك أبي الحسين بن سيد الناس صاحب بجاية وولاية ابن أبي جبي مكانه

قد قدمنا سلف هذا الرجل وأوليته، وأنه لحق بالأمير أبي

الخبر عن حركة الأمير أبي زكريا إلى ناحية طرابلس ومتلازمه عثمان بن يغمراسن بجاية

## في مغيثه

لما استولى الأمير أبي زكريا على الناحية الغربية، واقتطعها من أعمال الحضرة اعتمد في الحركة على تونس، فنهض إليها في عساكرة سنة خمس وثمانين وستمائة، ووفد عليه عبد الله بن رحاب بن محمود من مشيخة دباب ومانعة الفزارزي عن أحواز تونس فنزلوا قابس وحاصرها، وكان له في قتالها اثراً واستولت المزية على مقاتلتها ذات يوم فائتخن فيهم قتلاً وأسراً، وهدم ريفها وأحرق المنازل في غابتها والنخل، وارتحل إلى مسراهه وانتهى إلى الأبيض وأطاعه الجنواري والمحايد وأآل سالم وعرب برقة، وبلغه بمكانه من مسراهه أن عثمان بن يغمراسن أسف إلى متلازمه بجاية وكان من خبره أن الأمير أبي زكريا لما فصل من تلمسان لطلب ملوكه على كره منه، وامتنع جاره داود بن عطاف من رده، وأتملاه عداوة وحقداً، وجدت البيعة لصاحب تونس، وأوفد بها علي ابن محمد الخراساني من صنائعه. وكان له أثناء ذلك ظهور على بني توجين ومغاروة بالغرب الأوسط وضاق ذرع أهل الحضرة بمكان الأمير أبي زكريا من مطالبهم وتذويته لقصاصتهم، فدخلوا عثمان بن يغمراسن في متلازمه معقله بعد بجاية ليروعوه على عقبه عنهم، فرحب إلى بجاية سنة ست وثمانين وستمائة ونازلها أياماً وامتنع عليه سائر ضواحيها فلم يظفر بأكبر من الإطلاق عليها. وانكفا الأمير أبي زكريا راجعاً إلى بجاية سنة ست وثمانين وستمائة إلى أن كان من أمره ما ذكر.

## الخبر عن فاتحة استبداد أهل الجريد

كان في بعض الأيام بين سداده وكومة من عمل تقبيوس فتنة قتل فيها ابن لشيخ سداده، وأقسم ليشارن فيه بشيخ كومة نفسه، وكان عامل توزر محمد بن يحيى بن أبي بكر التبلطي من مشيخة الموحدين فتدعم شيخ كومة به، وبذل له مالاً على نصره من عدوه، فكاتب الحضرة وأعلن بخلاف أهل سداده واحتشد لهم أهل نفطة وتقبيوس، وخرج هو في حشد أهل توزر وغزاهم في بلدتهم ولاذ بإعطاء الرهن، وبذل المال فلم يقبل فامدهم أهل نفزاوه وزحفوا إليه، فانهزمت جموعه وانخرروا فيهم قتلاً وأسراً إلى توزر، وذلك سنة ست وثمانين وستمائة. ثم عاود غزوهم عقب ذلك ففتحوا عليه ثم عقد لهم سلماً على الوفاء بعفارتهم

فاركبوه وكسبوه ولحق بجایة سنة إثنتين وستمائة فنزل بباب السلطان، ورغبه في ملك الزاب، وصانع الحاجب ابن أبي جبي بتنوع التحف، وضمن له تحويل الدعوة بالزاب للسلطان الأمير أبو زكريا وتسريب جبائه إليه، فاستماله بذلك وعقد له على الزاب وأمده بالعسكر، ونازل بسکرة فامتنعت عليه، ورأى مشيختها بنو رمان بعدهم عن صريح تونس، وإلحاح عدوهم منصور بن فضل عليهم فأعلنوا طاعة الأمير أبي زكريا وبعثوا إليه بيعتهم ووفدهم ودفع عادية بن مزنی عنهم، فأرجعهم بما أملوه من القبول، وأن تكون حكامهم إلى قائد عسكره. ونظر ابن مزنی مصروفًا إلى الجباية فقط. وما وصل الوفد إلى بسکرة خرجوا إلى القائد ومنصور بن مزنی، فأدخلوها البلد ودانوا بالطاعة، وتصرفت الأمور على ذلك إلى أن كان من أمر منصور بن مزنی ما ذكره في أخباره، ولم يزل الزاب في دعوة الأمير أبي زكريا وبنيه إلى أن استولى على الحضرة بعده بنوه لهذا العهد، كما تراه في الأخبار بعد إن شاء الله تعالى.

### الخبر عن مهلك أبي عبد الله الفازاري شيخ الموحدين وال حاجب أبي القاسم بن الشيخ رؤساء الدولة بالحضره

كان أبو عبد الله الفازاري من مشيخة الموحدين، وكان خالصة للسلطان أبي حفص، وعقد له على العساكر كما قدمناه ودفعه إلى الحروب وتهييد التواحي، فقام في ذلك المقام الحمود، ودوج الجهات واستنزل الثوار ودفعهم، وجبي الخراج وكانت له في ذلك آثار مذكورة، وفي بلاد الجريد ومشيختها تصارييف وأحوال، وهو الذي امتحن أحد بن يملول بسعابة المشيخة من أهل توزر، وكبح عنانه عن مراميه إلى الرئاسة عليهم، وهلك آخر حركاته إلى بلاد الجريد على مرحلتين من تونس سنة ثلاث وستين وستمائة وستمائة منها كان مهلك الحاجب أبي القاسم بن الشيخ، وكان من خبر أوليه أنه قدم من بلدنه دائمة إلى جباية سنة ست وعشرين وستمائة واتصل بعاملها محمد بن ياسين فاستكتبه وغلب عليه.

واستدعى ابن ياسين إلى الحضرة وابن الشيخ في جملته، والتمس السلطان من يرشحه لكتابته ويخلف عليه، فاطلب ابن ياسين في وصف كتابه أبي القاسم بن الشيخ وحلاه، وابتلاه السلطان فلم يرضه وصرفه، ثم راجع رأيه فيه واستحسن ورسمه في خدمته، وأمر ابن أبي الحسين بتلقيه الآداب وتصريفه في وجوه

ذكرها بتلمسان، وألبى في خدمته، فلما استولى الأمير أبو زكريا على الغرب العربي واقطعه عن أعمال الحضرة، ونزل بجایة وظاهر بها تونس، عقد لأبي الحسين بن سيد الناس على حجابته، وفوض إليه فيما وراء بابه وأجراه في رئاسته على سنن أبي الحسين الرئيس قبله في دولة المستنصر الذين كانوا يتلقنون طرقه، ويتزعون إلى مراميه، بل كانت رئاسته هذا في حجابته أبلغ من رئاسة ابن أبي الحسين لخلاء جو الدولة بجایة من مشيخة الموحدين الذين يزاحمونه، كما كان ابن أبي الحسين مزاجاً بهم، فاستولى أبو الحسين بن سيد الناس على الدولة بجایة، وقام بأمر مخدومه أحسن قيام، وصار إلى الحل والعقد وانتصرت إليه الوجهة وتمكن في يده الزمام، إلى أن هلك سنة تعين وستمائة أعظم ما كان رئاسة وأقرب من صاحبه مكاناً وسرّاً، فقام الأمير أبو زكريا مكانه كاتبه أبي القاسم بن أبي حبي ولا أدرى من أوليه أكثر من أنه من جالية الأندلس، ورد على الدولة، وتصرف في أعمالها، واتصل بابي الحسين بن سيد الناس فاستكتبه، ثم رقاه واستخلصه لنفسه، وأجره رسنه، وتناول زمام الدولة من يد سيد الناس، فقادها في يد مظهر خدمته حتى عنت إليه الوجهة وأمله الخاصة، وأططلع السلطان على اضطلاعه وكفایته في أمور مخدومه. وهلك أبو الحسين ابن سيد الناس، فرشحه السلطان بخطبته فقام بها سائر أيامه وصدرأ من أيام ابنه الأمير أبي البقاء حتى كان من أمره ما نذكره بعد.

### الخبر عن خروج الزاب عن طاعة الأمير أبي حفص إلى طاعة الأمير أبي زكريا صاحب بجایة وانتظام بسکرة في عمله

كان السلطان أبو إسحاق قد عقد على الزاب لفضل بن علي بن مزنی من مشيخة بسکرة كما قدمناه، فقام بأمره. ولما هلك السلطان عدا عليه بعض أفاريق العرب المرطبين قری الزاب بمداخلة قوم من أعدائه، وقتلوا سنة ثلاث وثمانين وستمائة كما نذكره، وأملوا الاستبداد بالبلد فدفعهم عنها المشيخة من بني زيان، واستقلوا بأمر بلدتهم وباعموا للأمير أبي حفص صاحب الحضرة ودانوا بطايعه على السنن. وتوقعوا عادية منصور بن فضل بن مزنی. وكان لحق بالحضرة عند مهلك أبيه فخاطبوا فيه السلطان أبي حفص ورممه بالدواهي فأمر باعتقاله، وأودع السجن سبع سنين إلى أن فر منه ولحق بكرفة من أحياه هلال بن عامر، وهم العرب المتولون أمر جبل أوراس، ونزل على الشبه من أفاريقهم

يرباط هذا الولي فوضعته في بيته، فسماه الشيخ محمدأً، وعُقَّ عليه وأطعم الفقراء يرمي مثلاً عصيدة الحنطة، فلقب بابي عصيدة إلى آخر الدهر. ثم صار بعد الاختفاء ودعاعيه إلى قصورهم ونشاش في ظل الخلافاء من قومه، حيث شب ويقيت له مع الولي أبي محمد ذمة يثير كل منهما على الرفقاء بها، فلما فارقه السلطان أبسو حفص في شان العهد وقضى عليه نكير الموحدين لولده، أشار عليه الشيخ بصرف العهد إلى محمد بن الواتق فتقبل إشارته وعلم ترسيحه، وافتقد بذلك عهده بمحضر الملا ومشيخة الموحدين، وهلك آخر ذي الحجة ستة أربعين وستمائة وإلى الله المصير.

الخبر عن بيعة السلطان أبي عصيدة وما  
كان على أثرها من الأحوال

لما هلك السلطان أبو حفص اجتمع الملا من الموحدين والأولياء والجناد والكافرة إلى القصبة، فبايعوا بيعة عامه لولي عهده السلطان أبي عبد الله محمد، ويلقب كما ذكرناه بأبي عصيدة ابن السلطان الراونق في الرابع والعشرين لذى الحجة سنة أربع وستعين وستمائة فانشرحت بيته الصدور، ورضيته الكافرة، وتلقبت المستنصر بالله. وافتتح أمره بقتل عبد الله ابن السلطان أبي حفص المكان ترشيحه، وقلد وزارته محمد ابن يزركن من مشيخة الموحدين، وأبقى محمد الشخصي على خطة الحجابية وصرف التدبر والمساكر ورئاسة الموحدين إلى أبي يحيى زكريا بن أحمد بن محمد اللحاني قتيل السلطان المستنصر، عند تعرض ابنه للبيعة، واستنتمة الخلافة فقام بما دفع إليه من ذلك. وضعيته فيه عبد الحق بن سليمان رئيس الموحدين قبله، حتى إذا نكب وهلك استبد هو على الدولة، واستقل الشخصي بمحاجاته. وكان محمد بن إبراهيم بن الدباغ رديفاً له فيها.

وكان من خبر ابن الدباغ هذا أن إبراهيم أباه وفده على تونس في جالية أشبيلية سنة ست وأربعين وستمائة فولد هو متونس ونشأ بها، وأفاد صناعة الديوان وحسيابه - وكان من المبرزين فيه - أبي الحسن وأبي الحكم ابني مجاهد، وأصهر إليهما في إبنة أبي الحسن فانكحاه ورشحاه للأمانة على ديوان الأعمال. ولما استقل أبو عبد الله الفازاري بالرئاسة استكتبه وكان طياشاً مستضعفاً على الخليفة، فكان كاتبه محمد بن الدباغ يروضه لأغراض الخليفة إذا دسها إليه الحاجب ابن الشيخ، فيقع ذلك من الخليفة أحسن الموقن. ولما ولـي السلطان أبو عصيـدة وكانت له عنده سلامة رعاها، وكان حاجـبه الشـخصـي بهـمة غـفـلاً عن أدوات

الخدمة ومذاهبها. فكان له في ذلك غناه وخفته على مخدومه إلى أن هلك ابن أبي الحسين، وكان الخراج بدار السلطان موقفاً على نظره من جلة ما إليه، وكان قلمه عاملاً فيه، فأغفرد ابن الشيخ بذلك بعد مهلكه إلى آخر أيام السلطان المستنصر. ولما ولي الوائلي استبد ابن أبي الحسين عليه كما قبلناه، فاقاه على خطبه وختصه لنفسه ودرجه في جملة. ثم جاءت دولة السلطان أبي إسحاق فاقامه في رسمه وزاحمه بأبي بكر بن خلدون صاحب اشتغاله. وكانت الرئاسة الكبرى على عهده لبنيه أبي فارس، ثم أبي زكريا وأبي محمد عبد الواحد من بعده. ثم كانت مذلة الداعي، فاستولى على ملتهم فاستخلص أبا القاسم بن الشيخ، واستضاف له إلى خطة التنفيذ كتاب العلامة في فواتح السجلات. فلما ارتجع السلطان أبو حفص ملكه وقتل الداعي، خافه ابن الشيخ لما كان من رتبته عند الداعي، فلاذ بالصلحاء لإثارة من الخبر والعبادة ووصلت بينهم وبينه فشققا له وتقبلها السلطان، وأظهر لهم ذات نفسه في الحاجة إلى استعماله، وقلده حجابته بمجموعة إلى تنفيذ كتاب العلامة في فواتح السجلات. فلما ارتجع السلطان أبو حفص ملكه وقتل الخارج وصرف العلامة إلى غيره من طقة الدولة، فلم يزل ذلك إلى أن هلك سنة أربع وتسعين وستمائة وبقي اسم الحجابية من بعده في هذه الخطط الثلاث وأمر التدبير وال الحرب ورئاستهما راجع إلى مشيخة الموحدين إلى أن تصرفت الأحوال، وأديل بعضها من بعض كما يائيك أثناء الأخبار، وقلد السلطان من بعد ابن الشيخ حجابته لأبي عبد الله التحتي من طبقة الجند فقام بها إلى آخر الدولة، والله وارث الأرض ومن عليها.

الخبر عن مهلك السلطان أبي حفص  
وعهده بالأمر من بعده

لم يزد السلطان أبو حفص على أكمل حالات الظهور والدعوة إلى أن استوفى مدة، وأصابه وجع أول ذي الحجة من سنة أربع وتسعين وستمائة ثم اشتد به الوجع وأهمه أمر المسلمين وما قلدوه من عذتهم فعهد لابنه عبد الله بالخلافة ثاني أيام التشريق، ونكره الموحدون لتخلقه عن المراتب لصغره وأنه لم يحتمل وخدعوا في ذلك. وأنقضى الخبر إلى السلطان فأسخطه، وعدل عنهم إلى الشورى مع الوالي أبي محمد المرجاني. وكان رأيه فيه جيلاً وظنه به صالحًا. وكان الرائق بن المستنصر لما قتل هو وبنيه بمحببهم فرت إحدى جواريه، وقد اشتتملت على حل منه إلى

زكريا، وكان الأمير أبو زكريا قد انتقض عليه أهل الجزائر بعد مهلك عامله عليها من الموحدين من بني الهمان، اتى بها بعده محمد بن علان من مشيختها، واستفحلا أمر عثمان بن يغمراسن وبي عبد الواد من ورائه، وتغلبوا على توجين ومجراوة، ومل يكن، وكان شيبة لصاحب الحضرة بما كان متancockاً بدعوه تم ومتقبلاً مذهب أبيه في يعثهم، فقويت عزائم السلطان أبي عصيدة لذلك، ونهض من الحضرة سنة خمس وسبعين وستمائة وتجاوز تحوم عمله إلى أعمال قسطنطينية، وأجللت أمامة الرعايا والقبائل وانتهى إلى ميلة، وفيها كان منقلبه إلى حضرته في رمضان من سنة.

ولما ضايق عمل مجاهة بغزوه أعمل الأمير أبو زكريا نظره في تسكين الناحية الغربية ليتفاغ عنها إلى مدفعنة السلطان صاحب الحضرة، فوصل يده بعمان بن يغمراسن وأكد معه قدیم الدهر بمحدث الرد والمواصلة. وفي خلال ذلك زحف يوسف بن يعقوب سلطان بي مرين إلى تلمسان، وألقى عليها بكلكله، واستجاش عثمان بن يغمراسن بالأمير أبي زكريا فامده بعسكر من الموحدين لقائهم عسكر من بني مرين بناحية تدلس فهزموهم وأثخروا فيهم قتلاً. ورجع فلهم إلى مجاهة وسرح يوسف بن يعقوب عساكر بني مرين إلى مجاهة وعقد عليها أخيه أبي يحيى بعد أن كان عثمان بن سباع قد وفده عليها نازعاً عن صاحب مجاهة إليه، ومرغباً له في ملوكها، فأواسع له في البناء والكرامة ما شاء، وبعث معه هذا العسكر فانتهوا إلى مجاهة، وضايقوها ثم جاوزوها إلى تاكرارت وببلاد سدو يكن، وعادوا في تلك الجهات ودواخوها وانقلبوا راجعين إلى السلطان يوسف بن يعقوب بعسكره من تلمسان.

وكان السلطان أبو عصيدة صاحب الحضرة لما علم بإمداد الأمير أبي زكريا لعثمان بن يغمراسن بعث إلى يوسف بن يعقوب عدوهم وحرضه على مجاهة وترواحتها، وسفر بينهما في ذلك رئيس الموحدين أبو عبد الله بن أكمارير أول سفارته. ثم سفر ثانية سنة ثلاثة وسبعيناً بهدية ضخمة أغرب فيها بسرج وسيف ومهماز من الذهب مرصعة صنعة الحال الفاخر من حصباء الياقوت والجوهر. ورافقة في هذه السفارة الثانية وزير الدولة أبو عبد الله بن بريزن ورجعاً بهدية ضخمة من يوسف بن يعقوب كان من جملتها ثلثمائة من البغال، واتصلت المخاطبات والسفارات والهدايا والملطفات. وكان يوسف بن يعقوب يكاتب السلطان في تلك الشؤون تعرضاً ويكاتب رئيس الموحدين أبي يحيى بن اللحياني وتردد عساكر بني مرين إلى نواحي مجاهة إلى أن هلك يوسف بن يعقوب كما يأتي في أخباره.

فاستكتب السلطان ابن الدباغ ثم رقاه إلى كتاب علامته سنة خمس وسبعين وستمائة وكان يصرف فيها فاصح رديفاً للشخصي في حجابته، وجرت أمور الدولة على ذلك إلى أن هلك الشخصي سنة تسعة وسبعين وستمائة فقلله السلطان حجابته فاستقبل بها على ما قدمناه من أن التدبير وال الحرب مصروف إلى مشيخة الموحدين.

### الخبر عن نكبة عبد الحق بن سليمان وخبر بنيه من بعده

كان أبو محمد عبد الحق بن سليمان رئيس الموحدين لعهد السلطان أبي حفص، وأصله من تينملل الموطنين بتبرس مذ أول الدولة، كانت له ولسلفة الرئاسة عليهم، وصارت إليه رئاسة الموحدين كافة بالحضرية أيام هذا السلطان وكان له خالصة وشعة، وكان حريصاً على ولایة ابنه عبد الله للعهد. وكان يدافع تكريير الموحدين في ذلك، فاصرها له السلطان أبو عبد الله عصيدة. وما استوثق له الأمر، وقتل عبد الله بمحبسه، تقبض على أبي محمد بن سليمان واعتقله في صفر سنة خمس وسبعين وستمائة. ولم يزل معتقلًا إلى أن قتل محبسه على رأس المائة السابعة، وفر عند نكتبه ابنه محمد عبد الله، فاما عبد الله فلحق بالأمير أبي زكريا، وصار في جملته إلى أن دخل تونس مع ابنه السلطان أبي البقاء خالد. وأما محمد فأبعد المفر ولحق بالملغر الأقصى، ونزل على يوسف بن يعقوب سلطان بي مرين ب العسكرية من حصار تلمسان، فاستبلغ في تكريمه وأقام عنده مدة. ثم عاود وطنه وزرع عن طريقه إلى السك وليس الصوف. وصحب الصالحين وقضى فريضة الحجج، وامتد عمره وحسنت فيه ظنون الكافة، واعتقدوا فيه وفي دعائه، وكثرت غاشيته للتاسع البركة منه. وأوجب الخلفاء أزاء ذلك تحليلاً أخرى، وأوفدوه على ملوك زناتة مرة بعد مرة في مذاهب الود وقصد الحرث. وحضر في بعض الجهاد بجبل الفتح عندما نازلته عساكر السلطان أبي الحسن، ولم يزل هذا دابه إلى أن هلك في الطاعون الجارف في متتصف المائة الثامنة.

### الخبر عن مراسلة يوسف بن يعقوب سلطان بنى مرين ومهاداته

كان السلطان أبو عصيدة لما استفحلا أمره واستوسق ملوكه حدث نفسه بغزو الناحية الغربية وارتجاع ثغورها من يد الأمير أبي

## الخبر عن انتقاض أهل الجزائر واستبداد ابن علان بها

قد قدمتنا ما كان من انتقاض أهل الجزائر أيام المستنصر ودخول عساكر الموحدين عليهم عنزة، واعتقال مشيختهم بتونس حتى أطلقوا بتونس بعد مهلكه، ولما استقل الأمير أبو زكريا الأسط مملك الغور الغربية من جهة وقسطنطينية، وكان الوالي على الجزائر ابن أكمازير من مشيخة الموحدين فبادر إلى طاعته باتفاق من مشيخة الجزائر، ووفدوا عليه. وكتب لابن أكمازير بولايته، فلم يزل والياً عليهم إلى أن كان شأن بني مرین وزحفهم إلى بجاية. وكان ابن أكمازير قد أسن وهرم فأدركه الوفاة خلال ذلك. وكان ابن علان من مشيخة الجزائر مختصاً به ومتصفًا بأوامره ونوابيه ومصدراً لإمارته. حصلت له بذلك الرئاسة على أهل الجزائر سائر أيامه. ويقال: كان له معه صهر، فلما وصل ابن أكمازير حدثه نفسه بالاستبداد والاتزاء بالجزائر، فبعث عن أهل الشوكة من نظراته ليلة هلاك أميره، وضرب أخنائهم وأصبح منادياً بالاستبداد. وشنَّل الأمير أبو زكريا عنه بما كان من منازلة بني مرین بجاية إلى أن هلك، وبقيت في انتقاضها على الموحدين آخر الدهر إلى أن تملكتها بنو عبد الواحد كما نذكره.

## الخبر عن مهلك الأمير أبي زكريا صاحب بجاية وبيعة ابنه الأمير أبي البقاء خالد

كان الأمير أبو زكريا قد استولى على الثغور الغربية كما قلنا، واقطعها من أعمال الحضرة، وقسم الدورة الحفصية بدولتين. وكان على غالبة من الحزم والتيقظ والصرامة لم يبلغها سواه. وكان كبير الإشراف على وطنه وال المباشرة لأعماله بنفسه وسد خللاته. ولم يزل على ذلك إلى أن هلك على رأس المائة السابعة. وكان قد عهد بالأمر لابنه الأمير أبي البقاء خالد سنة ثمان وعشرين وستمائة قبلها وعقد له على قسطنطينية وأنزله بها. فلما هلك الأمير أبو زكريا جمع الحاجب أبو القاسم بن أبي جبس مشيخة الموحدين وطبقات الجندي، وأخذ بيعتهم للأمير أبي البقاء وطير له بالخير واستقدمه قدم، وبويع البيعة العامة، وأبقى ابن أبي جبس على حجابته واستوزر يحيى بن أبي الأعلام، وقدم على صهاجة أبي عبد الرحمن بن يعقوب بن خلوف منهم، وتسمى المزار. وقد رشأ رئاسة الموحدين أبي زكريا يحيى بن زكريا من أهل القيمة الخففي واستمر الأمر على ذلك إلى أن كان ما نذكره.

## الخبر عن مقتل هداج وفتنة الكعوب وبيعتهم لأبي دبوس وما كان بعد ذلك من نكباتهم

كان هؤلاء الكعوب قد اثربهم الدولة واصطبغتهم منذ قيامهم بأمر الأمير أبي حفص، فاعتزوا وفروا وبطروا النعمة، وكثروا عليهم فسادهم وطال إضرارهم بالسابلة وحطتهم للجنات، وانتهائهم للزرع، فاضطغف لهم العامة وحددوا عليهم سوء آثارهم. ودخل رئيسهم هداج بن عبيد الله سنة خمس وسبعين سنة إلى البلد فخررت العيون وهمت به العامة. وحضر المسجد لصلاة الجمعة فتجروا عليه بأنه وطئ المسجد بخفيه. وقال: لمن تكر عليه ذلك: إني أدخل بهما مجلس السلطان فثاروا به عقب الصلاة وقتلوا، وجرروا شلوه في سكل المدينة، فزاد عيشهما وأجللاههما على السلطان، واستقدم أحد بن أبي الليل شيخ الكعوب لذلك العهد عثمان بن أبي دبوس من مكانه بتوحش طرابلس، ونصبه للأمر، وأجلب به على الحضرة ونائزها.

وخرج إليهم الوزير أبو عبد الله بن بزيكن في العساكر فهزهم، وسار بالعساكر لتهييد الجبهات وتسكين ثاثرة العرب، فرفد عليه أحد بن أبي الليل ومعه سليمان بن جامع من رجالات هوارة بعد أن راجع الطاعة. وصرف ابن أبي دبوس إلى مكانه فتقبض عليهما، ويعث بهما إلى الحضرة فلم يزالا معتقلين إلى أن هلك أحد بمحبسه سنة ثمان وسبعين سنة وقام بأمر الكعوب محمد بن أبي الليل ومهزه مهزة ومولامه ابن أخيه عمر ريفين له. ثم خرج الوزير بعساكره سنة سبع وسبعين سنة واستوفد مولاهم ابن عمر وتقبض عليه وبعث به إلى الحضرة فاعتقل معه أحد. وجاهر أخوه هرزة بالخلاف وأتبعه عليه قومه نكث عيشهما، وأضروا بالرعایا وكثرت الشکایة من العامة، ولغطوا بها في الأسواق وتصايموا. ثم نفروه إلى باب القصبة يرددون الثورة فسد الباب دونهم فرموا بالحجارة، وهم في ذلك يعتدون ما نزل بهم من الحاجب ابن الدباغ ويطلبون شفاء صدورهم بقتله. ورفع أمرهم الحاجب واستلهمهم جميعاً فابي من ذلك السلطان وأمره بلاطفتهم إلى أن سكتت هيعتهم. ثم تتبع بالعقاب من تولى كبر ذلك منهم، والخمس الداء. وكان ذلك في رمضان من سنة ثمان وسبعين العرب في غلوائهم إلى أن هلك السلطان فكان ما يأتي ذكره.

بقطنطينية صهراً لابن أبي جبي، وهو الذي ولاه عليها فاستراب السلطان به، ونكر له بعد عوده من تونس. وخشي كل منها بادرة صاحبه. ثم رغب ابن أبي جبي في قضاء فرضه وتخلية سبيله إلى، فأسف وخرج من مجاهة ذاهباً إلى الحجج، ولحق بالقبائل من ضواحي قطنطينية وبجاهة فنزل عليهم وأقام بينهم مدة. ثم لحق بتونس وأقام بها إلى حين مهلك السلطان أبي عصيلة وبيعة أبي بكر الشهيد، وحضر دخول الأمير أبي البقاء عليه بتونس، وخلص من تيار تلك الصدمة فلحق بالمرشق وتقضى فرضه. ثم عاد إلى المغرب ومر بآفريقيا ولحق بتلمسان وأغرى أبو حمو بالحركة على مجاهدة فكان ما نذكره.

الخبر عن حجابة أبي عبد الرحمن بن غمر  
ومصادر أمره

هو يعقوب بن أبي بكر بن عبد الرحمن، وكتبه أبو عبد الرحمن. كان جده محمد فيما حدثني أهل بيته قاضياً بشاطبة، وخرج مع الحالية أيام العدو إلى تونس، ونزل بالربض الجوفي أيام السلطان أبي عصيدة، وانتقل إليناه أبو بكر و Muhammad إلى قسطنطينية وزلا على ابن أوقيان العامل عليها من مشيخة الموحدين لعهد الأمير أبي زكريا الأوسط، فأوسعهما عنابة وتكريباً. وولى أبو بكر على الديوان بالقل واستخلصه لنفسه. وكان يتردد إلى الحضرة بيجاية في شؤونه فاتصل برجان الخصي من موالي الأمير أبي زكريا وخصوص داره، واستخدم على يده للأمير خالد وأمه من كرائم السلطان، فحظي عندهم وتروج ابنه يعقوب من ربيات القصر، وخوله، ونشأ في جو تلك العناية. وأعلنوا بصحبة الحاج فضل قهرمان دار السلطان وخاصة فاستخدم له سائر أيامه إلى أن هلك. وكان الحاج فضل كثيراً ما يتردد إلى الأندلس لاستجلاب الثواب الحريري من هناك وانتقاء أصنافها. وكذلك إلى تونس، لاستجادة الشاب منها.

وبعثه السلطان آخر أمره إلى الأندلس فاستصحب ابن غمر وهلك الحاج فضل هنالك، فعدل السلطان عن خطاب ابنه محمد إلى خطاب ابن غمر، فأمره بإنعام ذلك العمل والقدوم به، فقدم هو وابنه محمد إلى خطاب ابن غمر، فأمره بإتمام ذلك العمل والقدوم به، فقدم هو وابن الحاج فضل وسامه لهما السلطان عن علمهماء، فكان ابن غمر أولى من صاحبه فحلّي بعيشه وخف عليه، واعتلى بذمة من خدمته أحظته عند السلطان ورقته واستعمل في الجباية. ثم قلد أعمال الأشغال وزاحم ابن أبي جبي

الخبر عن سفارة القاضي الغبريني ومقتله

قد قدمنا ما كان من حرف بي مرين إلى مجاهية بمداخلة  
صاحب تونس. ولما ولى السلطان أبو البقاء اعتزم على المواصلة  
مع صاحب تونس قطعاً للزبون عنه، وعمن للسفارة في ذلك شيخ  
القرابة يابه أبا زكريا يحيى بن زكريا الحفصي ليحكم شأن المواصلة  
بينهما. وبعث معه القاضي أبا العباس الغربني كبير مجاهية  
وصاحب شوراها، فأدوا رسالتهم وانتقلوا إلى مجاهية، ووجد بطانة  
السلطان السبيل في الغربني فاغرروه به، وأشاعوا أنه داخل صاحب  
الحضرمة في التوقيت بالسلطان. وتولى كبر ذلك ظافر الكبير وذكره  
بمجاهره، وما كان منه في شأن السلطان أبي إسحاق وأنه الذي  
أغرى بني غربين به، فاستوحش منه السلطان وتقبض عليه سنة  
أربع وسبعين. ثم أغروه بقتله فقتل مجحبسه في سنته تلك، وتولى  
قتله منصور التركى، والله غالب على أمره.

الخبر عن سفارة الحاجب ابن أبي جبى إلى  
تونس وتنكر السلطان له بعدها وعزله

ولما ولی السلطان أبو البقاء كانت عساكر بني مررين متربدة إلى أعمال مجاهدة بمداخلة صاحب تونس كما ذكرناه، فدوا خعوا نواحيها. وكان ابن أبي جعفر مستبدًا على الدولة في حجابته، ف Paxاق ذرعه بشانهم وأهمته حال الدولة معهم. ورأى أن اتصال اليدين بصاحب الحضرة مما يكفل عن عزهم، فلزم على مباشرة ذلك بنفسه لوثقه من سلطاته. فخرج من مجاهدة سنة خمس وسبعين وقادم على الحضرة رسولاً عن سلطانه، فاهترت له الدولة وتلقى بما يحب له ولرسله من البر، وأنزله شيخ الموحدين ومدبر الدولة أبو محيي زكريا بن الحجاجي بداره استبلاغاً في تكريمه. وقضى من أمر تلك الرسالة حاجة صدره، وكانت بطامة الأمير أبي البقاء خالد لما خلا لهم وجه سلطانهم منه تهاوتوا على النصر إليه والسعادة بابن أبي جعفر عنده.

وشرم لذلك يعقوب بن غمر وجل فيه وتابعه عليه عبد الله الرخامي كاتب ابن أبي جبي وصديقه بما كان ابن طفيل قريبه يسخط عليه الناس، ويونغر له صدورهم بياؤه وتحقره بهم، فاللّـه العدّاوة في كل جانحة وأسخطه على عبد الله الرخامي. وكان صديقه ومداخله فتول من المساعية فيه مع يعقوب بن غمر كبرها، ولقى إلى السلطان أن ابن أبي جبي داخل صاحب الحضرة في عكينه من ثبور قسطنطينية وبجاية، بما كان على الأمير العامل

جي لحمة نسب وذمة صهر وروشت بينهما عروقها. فلما استقل ابن أبي جي مجاهدة الأمير أبي زكريا لم يال جهداً في مشاركة علي بن الأمير وترقيته المنازل إلى أن ولاده ثغر قسطنطينية مستقلأً بها وحاجاً للسلطان أبي بكر بن الأمير أبي زكريا، وأنزله معه فقام مجاهدته وأظهر فيها غناه وحزمه، حتى إذا سخط السلطان ابن أبي جي وصرفة عن حجاته تذكر أبو الحسن بن الأمين وخشي بودار السلطان فحول الدعوة إلى صاحب الحضرة وطير إليه بالبيعة، واستدعى المدد والنائب فوصله رئيس الموحدين والدولة أبو يحيى زكريا بن أحمد بن محمد اليعاني، وعقد البيعة لسلطانه سنة أربع وسبعين.

ويلى الخبر إلى السلطان أبي البقاء بيجاية فنهض إليه بالعسكر آخر سنة أربع وسبعين، ونازله أيامًا فامتنع عليه، وهو بالإفراج عنه. ثم دخل رجل من بطانة ابن الأمين يعرف بابن موزة أبو الحسن بن عثمان من مشيخة الموحدين، وكان معسلاً بباب الوادي فناجزهم الحرب من هناك حتى انتهى إلى السور، فقتلته المقاتلة باغضاء ابن موزة لهم عنه، وركب السلطان في العساكر عند الصدمة ووقف على باب البلد، وقد استتمكن أولئكه منه فخرج إليه بنو المعتمد وبنو باديس ومشيخة البلد، فاقتصر البلد عنده ومضى أبو محمد الرخامي واستنزله. ثم حل في رجال السلطان إلى دار ابن الأمين فتشبه بها وقد انقض عن الناس واستخفى بغرفة من غرف داره واستمات، فلاظفه الرخامي واستنزله. ثم حل على برذون مستدرأً، وأحضره بين يدي السلطان فقتل، ونصب شلوه وأصبح آية للمعتبرين.

### الخبر عن حرفة السلطان أبي البقاء إلى

#### الجزائر

قد قدمنا ما كان من خبر انتقاد الجائز على الأمير أبي زكريا واستبداد ابن علان بها. فلما استولى السلطان أبو البقاء على الأمر وشهدت له الأحوال وأقلع بنو مرین بعد مهلك يوسف بن يعقوب عن تلمسان، أعمل السلطان نظره في الحركة إليها، فخرج إليهم ستة سبع وسبعين أو ست وسبعينة وانتهى إلى متوجه ودخل في طاعته منصور بن محمد شيخ مليكش وجميع قومه وجلأ إليه راشد بن محمد بن ثابت بن متليل أمير مغراوة هارباً أمام بني عبد الواد، فآواه إلى ظله والقى عليه جناح حمائه. واحتشد جميع من في تلك النواحي من القبائل وزحف إلى الجزائر وأقام عليها أيامًا فامتنعت عليه، وانكما راجعاً إلى حضرته بيجاية، وأقام

وعبد الله الرخامي، وغضوا به فاغروا السلطان بنكتبه، فنكبه وأشخصه إلى الأندلس فأقام هنالك، واستعطف السلطان أبو البقاء بعد مهلك أخيه، وتشفع بوسائل خدمته فاستقدمه. وقدم مع علي وحسين أبي الرنداخي، وركب معهما البحر إلى بجاية في مغرب ابن أبي جي عن الحضرة فصادف من السلطان قبولاً، وشمر في السعاية بابن أبي جي مع مرجان إلى أن تم له ما أراد من ذلك، وصرف ابن أبي جي كما ذكرناه، فقلد السلطان حجاته ليقرب بن غمر، وقدم على الأشغال عبد الله الرخامي، وكان ناهضاً في أمور الحجابة لمباشرتها مع مخدومه، فاصبح رديقاً لابن غمر وغض بمكانه فأغري به السلطان ودله على مكان ثورته وعلى عداوته، فنكبه وصودر وامتحن وغرب إلى ميرقة، حتى افتداه يوسف بن يعقوب سلطان بنى مرین من أسره، واستقدمه ليقلده أشغاله عند تذكره لعبد الله بن أبي مدین كما ذكره في أخباره، فهلك يوسف بن يعقوب دون ما أمل من ذلك، وأقام الرخامي بتلمسان وبها كان مهلكه. واستقل بعقوب بن غمر بأعباء خطته وأضططلع بها، وفوض إليه السلطان في الإبرام والتقض، فحول المراتب بنظره وأجرى الأمور على غرضه. وكان أول ما أثاره صرعته لمرجان مصطنعه ملا صدر السلطان عليه، وحذره مفته فتفقىض عليه والقى في البحر فاللتقمه الحوت، فخلا وجه السلطان لابن غمر وتفرد بالعقد والخل إلى أن استولى السلطان أبو البقاء على الحضرة وكان من أمره ما ذكره.

### الخبر عن ثورة ابن الأمين بقسطنطينية وبيعة السلطان أبي عصيدة ثم فتح السلطان أبي البقاء خالد لها وقتله

كان يوسف بن الأمين المهداني بعد أن قتله بطنجة أبناء أبي يحيى بن عبد الحق من بنى مرین كما يأتي في أخبارهم، انتقل بنوه إلى تونس أيام المستنصر ورعى لهم السلطان وسيلة قيامهم بالدعوة الخفية أيام أبي علي بن خلاص بسببة وبعدها إلى أن غلبهم عليها العزيز كما ذكره في أخباره فلقام بهم مبرأة وتكريماً، وزلوا من الحضرة خير نزل تحت جرابة ونعمه وعناية. وكان كبارهم متocomاً متعاظماً فربما لقى في الدولة لذلك عسفاً إلا أن الإبقاء عليهم كان مانعاً من اضطهادهم. ونسوا بنوهم في ظل ذلك النعيم.

ثم هلك السلطان وأضطربت الأمور وضرب الدهر ضرباته، ولحق علي منهم بالثغر الغربي، وناكدت له مع ابن أبي

من مشيختها، فاستوفى جبارية الجريدة وعاد إلى قابس. وأنزله عبد الملك بن عثمان بن مكي بداره، وصرح بما روى عنه من حجه. وصرف العساكر إلى الحضرة وولي بعده رئاسة الموحدين وتدير الدولة أبو يعقوب بن يزدerton، وتحول عن قابس إلى بعض جبارها تجاهياً عن هوانها الرخسم. وأقام في انتظار الركب الحجازي، وكان مريضاً إلى أن أبلقَّ فتحوا إلى طرابلس فقام بها عاماً ونصفه إلى أن وصل وفد الترك من المغرب الأقصى آخر سنة ثمان وسبعيناً فخرج معهم حاجياً حتى قضى فرضه وعاد فكان من شأنه واستيلاده على منصب الخلافة ما يأتي ذكره. ووصل مدد الصرایة إلى قشتيل جربة سنة ثمان وسبعيناً بعد منصرف العساكر عنهم، وفيهم فرديك ابن الطاغية صاحب صقلية، فقاتلهم أهل الجزيرة من المكارية لنظر أبي عبد الله ابن الحسين من مشيخة الموحدين ومعه ابن أوغار في قومه من أهل جربة فأظفراهم الله بهم. ولم يزل شأن هذه الجزيرة من المكان مع العدو كذلك منذ الثالثة دولته صنهاجة، وربما وقعت الفتنة بين المكارية فتولى إحدى الطائفتين يدها بالنصرى إلى أن كان ارتجاعها في هذه النوبة سنة ... واربعين لعهد مولانا السلطان أبي يحيى كما نذكره في أخباره.

### الخبر عن مهلك السلطان أبي عصيدة وخبر أبي بكر الشهيد

كان السلطان أبو عصيدة بعد ثلثي سلطنته، وتمهيد ملكته، طرقه مرض الاستسقاء فأذمن منه. ثم مات على فراشه في ربى الآخر سنة تسع وسبعيناً، ولم يخلف ابنه، وكان يقتصرهم سبط من أعقاب الأمير أبي ذكريya جدهم ثم من ولد أبي بكر ابنه الذي ذكرنا وفاته في خبر شقيقه أبي حفص في فتح مليانة أيام السلطان المستنصر، فلم يزل بنوه في قصورهم وفي ظل ملوكهم. ونشأ منهم أبو بكر بن عبد الرحمن بن أبي بكر في إالية السلطان أبي عصيدة، وربى في جيم نعمته. فلما هلك السلطان أبو عصيدة ولم يعقب، وكان السلطان أبو البقاء خالد قد نزع إليه حزة بن عمر عند إياسه من خروج أخيه من مجده فرغبه في ملك الحضرة واستحثه عليها. ثم وصل أبو عبد الله بن يزريken فنعي السلطان أبي عصيدة واستنهض السلطان إبا البقاء لملك تونس، فنهض كما ذكر. واستراب الموحدون بتونس في شأن حرركه فخافوه على أنفسهم، فباعوا لهذا الأمير أبي بكر الذي عرف بالشهيد بما كان قبله لسبعين ليلة من بيته، وأبقي إبا عبد الله بن يزريken

ملكيش على طاعته ومطاؤته الجزائر بالقتال إلى أن كان من أمرها. وتغلب بنو عبد الواحد عليها كما نذكره في أخبارهم. وجاء معه راشد بن محمد إلى جبارية متذمماً لخدمته إلى أن قتله عبد الرحمن بن خلوف كما يذكر في موضعه.

### الخبر عن السلم وشروطه بين صاحب تونس وصاحب جبارية

ما افتح السلطان أبو البقاء خالد قسطنطينية وقتل ابن الأمين وفرغ من ذلك الشأن أدرك أهل الحضرة التدم على ما استبروا من مهادنة صاحب الشغر، وقارن ذلك مهلك يوسف بن يعقوب الذي كانوا يرجونه شاغلاً له فجنحوا إلى السلم، وبعثوا ونذهم في ذلك إليه فأسدوا وألحموا. وشرط عليهم السلطان أبو البقاء أن من هلك منهاهما قبل صاحبه فالأمر من بعده للأخر والبيعة له، فتقبلوا الشرط وحضر الملا والمشيخة من الموحدين بجبارية، ثم بتونس، فأشهدوا به على أنفسهم، وربط ذلك العهد وأحكمت أواخيه إلى أن نقضه أهل الحضرة عند مهلك السلطان أبي عصيدة كما ذكره.

### الخبر عن سفر شيخ الدولة بتونس ابن اللهياني لحضور جربة ومضيه منها إلى الحج

ما انعقد أمر هذا الصلح واستتم، راجع رئيس الدولة أبو يحيى ذكريya بن اللهياني نظره لنفسه، وأعمل فكره في الخلاص من استوطنه، وكان يؤمل رجوع الرفند المقربين بالمهدية من أمراء الديار المصرية إلى يوسف بن يعقوب فيصحهم لقضاء فرضه، وأبطأ عليه شأنهم فاعتزم على قصده وورى مجركته إلى جزيرة جربة لاسترجاعها من أيدي النصارى والرجوع عنها من بعد ذلك إلى الحريد لمتمهيد أحواله. وتناول الرأي في الظاهر من أمره مع السلطان فاذن له وسرح معه العساكر فخرج من تونس في جمادى سنة ست وسبعيناً غازياً إلى جربة. ولم يزل يذن السير حتى انتهى إلى مجازها. ثم عبر منه إلى الجزيرة، وكان النصارى لما تغلبوا عليها سنة ثمان وثمانين وسبعيناً شيدوا بها حصناً لاعتصام الخامسة سموه بالقشتيل، فنزلت العساكر عليه. وأنفذ الشيخ أبو يحيى عمالة للحجابية وأقام في منزلته شهرين. ثم انقطعت الأقواف واستعصى الحصن إلا بالملطولة فرجع إلى قابس. ثم ارتحل إلى بلاد الجريدة وانتهى إلى توزر وزهرها، وأعمل في خدمته أحد بن محمد بن يملول

## الخبر عن بيعة ابن مزنى ليعسى بن خالد ومصادر أمره

كان يحيى بن خالد ابن السلطان أبي إسحاق في جلة السلطان أبي البقاء خالد، وتذكرت له الدولة بعض التزاعات فخشى البدارة وفر فلحق منصور بن مزنى. وكان منصور قد استوحش من ابن عمر فدعاه إلى القيام بأمره فأجاب، وعقد له على حجاته، وجمع له العرب وأجلب على قسطنطينية أيامها، وبها يومئذ ابن طفلي، وكانت قد اجتمعت ليعسى بن خالد زعنة من الأوغاد اشتملوا عليه واشتمل عليهم، وأغاروه بابن مزنى فوعدهم إلى حين ظفره، واطلع ابن مزنى على سوء دخلته ودخلتهم فتفضي يده من طاعته، وانصرف عنه إلى بلده، فانقضت جوعه ورائع ابن مزنى طاعة السلطان أبي البقاء ومخالصة بطانته وحاجبه فقبلوه، ولحق يحيى بن خالد بتلمسان مستجيحاً، ونزل على أميرها أبي زيان محمد بن عثمان بن يغمراسن فهلك لأيام من مقدمه. وولي بعده آخره أبو حمو موسى بن عثمان فأنماهه وزحف إلى محاربة قسطنطينية فامتنعت عليه. ثم استدعاه ابن مزنى إلى بسكرة فقام عنده وأستنى له الجراية، ورتب عليه الحرس. وكان السلطان ابن اللحاني يبعث إليه من تونس بالجازة مصانعة له في شأنه، حتى لقد أقطع له بتونس من قرى الضاحية ما كان للسلطان وابنه، فلم يزل في إسهام بنيه من بعده إلى أن هلك يحيى بن خالد بمكانه عنده سنة إحدى وعشرين وسبعيناً.

## الخبر عن بيعة السلطان أبي بكر بقسطنطينية على يد الحاجب ابن عمر وأولية ذلك

لما نهض السلطان أبو البقاء إلى الحضرة عقد على بجاية لعبد الرحمن بن يعقوب بن مخلوف مضافاً إلى رئاسته على قومه كما كانوا يستخلفون إياه عليها عند سفرهم عنها، وكان يلقب المروار، وجعله حاجباً لأخيه الأمير أبي بكر على قسطنطينية فانتقل إليها. وعكف السلطان أبو البقاء في تونس على لذاته وأرهف حده وعظم بطشه فقتل عدوان بن الهدي من رجالات سدوينش ودعا ابن حريز من رجالات الأثابي، فتفاوض رجال الدولة في شأنه وخشوأ بادرته وأعمل الحاجب ابن عمر وصاحب منصور بن فضل عامل الزاب الحيلة في التخلص من إياته، واستغضب راشد بن محمد أمير مغراوة، كان نزع إليهم عند استيلاء بني عبد الواد على وطنه فتلقوه من الكراهة بما يناسبه واستقر في جلتهم، وعلى

على وزارته وزحزح محمد بن الدياغ عن رتبة الحجابة. فتوعده لما كان يهدى عليه من القصير به أيام سلطانه، فكان عوناً عليه إلى أن هلك عند استيلاء السلطان أبي البقاء كما نذكره.

## الخبر عن استيلاء السلطان أبي البقاء على الحضرة وانفراده بالدعوة الخفية

لما بلغ السلطان أبي البقاء بمكانه من بجاية وأعمالها الخبر بمرض السلطان أبي عصيدة مع ما كان من العقد بينهما بأن من مات قبل صاحبه جمع الأمر من بعده للأخر، داخلته الظنة أن ينقض أهل الحضرة هذا الشرط واعتزم على التهرب لمشاركة الحضرة، ووصل إليه حزة بن عمر نازعاً عنهم، فرغبه واستحثه، وخرج من بجاية في عساكرة، وورى بالحركة إلى المزابر لما كان من انتقضهم على أبيه، واستبداد ابن علان بها. ثم ارتحل إلى قصر جابر وعند بلوغه إليه ورد الخبر بهلك السلطان أبي عصيدة وبيعة الموحدين بعده لأبي بكر بن عبد الرحمن بن أبي بكر ابن الأمير أبي زكريا، فاضطعنها على الموحدين.

وأخذ السير والماش إلى كافنة أولاد أبي الليل واجتمع أقثلهم أولاد مهلل إلى صاحب تونس، وخرج منهم شيخ الدولة أبو يعقوب بن يزدوتن والوزير أبو عبد الله ابن يرزيكن في العساكرة للبقاء، ووقوا سلطانهم بأنفسهم. فلما زحف إليهم السلطان أبو البقاء اختل مصافهم وانهزموا وانهاب المعسكر، وقتل الوزير ابن يرزيكن، واجفلت أحياه العرب إلى الفرق، ودخل العسكر إلى البلد واضطرب الأمر، وخرج الأمير أبو بكر بن عبد الرحمن فوقت بساحة البلد قليلاً، ثم تفرق عنه العسكر وتسابلوا إلى السلطان أبي البقاء. وفر أبو بكر ثم أدركه ببعض الجهات فشل إلى السلطان فاعتقله في بعض الفازات، وغدا على السلطان أهل الحضرة من مشيخة الموحدين والفقهاء والكافنة فعقدوا بيته. وقتل الأمير فسمى الشهيد آخر الدهر، وبasher قتله ابن عمه أبو زكريا يحيى بن زكريا شيخ الموحدين. ودخل السلطان من بعد إلى الحضرة واستقل بالخلافة، وتلقب بالناصر لدين الله المنصور. ثم استضاف إلى لقبه المتوكل. وأبقى أبي يعقوب بن يزدوتن في رئاسته على الموحدين مشاركاً لأبي زكريا يحيى بن أبي الأعلام الذي كان رئيساً عنده قبلها واستمر على خطبة الحجابة أبو عبد الرحمن يعقوب بن عمر، وولي على الأشغال بالحضره منصور بن فضل بن مزنى، وجرت الحال على ذلك إلى أن كان ما نذكره.

وعلى قومه كانت تدور رحى حروبيهم.

وكان يلقب بالمزوار. ولما هلك خلفه في سبيله تلك ابنه عبد الرحمن واستخلفه السلطان أبو البقاء على بجاية عندما نهض إلى تونس سنة تسع وسبعينه وأنزله بها، وكان طموحاً لجوراً مدللاً بيأسه وقومه ومكانه من الدولة.

فلما دعا السلطان أبو بكر لنفسه وخلع طاعة أخيه، وأخذ له أبو عبد الرحمن بن غمر البيعة على الناس ومخاطبته بأخذ البيعة له على من يليه بجاية وأعمالها فابن منها، وتمسك بدعوة صاحبه، ونفس على ابن غمر ما تحصل له بذلك من الحظ فجاهر بخلافهم.

وجمع واحتشد وتقبض على صاحب الأشغال عبد الواحد ابن القاضي أبي العباس الغماري وعلى صاحب الديوان محمد بن يحيى القالون مصطفى الحاجب ابن غمر من أهل المدية كان أسدى إليه عند اجتيازه به معروفاً، ورحل إليه عندما استولى على الربية بجاية، فكافأه عن معروفه واصطنهه والتقي عليه محنته ورقاه إلى الرتب، وصرفه في أعمال الجباية وقلنه ديوان بجاية، فتقبض عبد الرحمن بن خلوف عليه وعلى صاحبه. وجمع الناس وأعلن بالدعاة للسلطان أبي البقاء خالد.

وارتحل السلطان أبو بكر من معسكره بظاهر قسطنطينية وأخذ السير إلى بجاية، ونزل مطلأً عليها وأهل الناس عامة يومهم وشرط ابن خلوف على السلطان عزل ابن غمر، وتردلت الرسل بينهم في ذلك. وكان الوزير أبو زكريا بن أبي الأعلام من الساعين في هذا الإصلاح بما كان له من الصهر مع ابن خلوف. وحين رجع إليه بامتناع السلطان عن شرطه منه من الرجوع إليهم وحبسه عنده، وأرجف أهل المعسكر بالسلطان وخامروا عن لقاء صنهاجة ومن معهم من مغراوة أهل الشوكة والعصبية والعديد والقرة.

وأجفل السلطان من معسكره فاتهبه وأخذته آلة، وسلب من كان في المعسكر من أخلاق الناس. ودخل السلطان إلى قسطنطينية في قل من عسكره، وبعث ابن خلوف عسكراً في اتباعه فوصلوا إلى ميلة فدخلوها عنزة، ثم وصلوا إلى قسطنطينية فقاتلواها أيام، ورجعوا إلى بجاية. وأقام السلطان واخترط أمره، وتوقع زحف ظافر إليه من بجاية، واتصل به أن أباً يحيى زكريا بن أحد اللحاني قفل من المشرق، وأنه لما انتهى إلى طرابلس دعا لنفسه لما وجد باقريقة من الاختطاب، فبوبع وترافت إليه العرب من كل جهة، فرأى السلطان من مذاهب الحزم أن يبعث إليه بالحاجب ابن أبي عبد الرحمن بن غمر ليشيد من سلطانه، ويشغل أهل الحضرة عنه، فورى بالفار عن السلطان وتواتراً معه على المكر

واستصحبه السلطان أبو البقاء خالد إلى الحضرة أميراً على زناته فرفع بعض حشه إلى الحاجب في مقعد حكمه، وقد استعدى عليه بعض الخدم فامر بقتله لحيه.

واحفظ ذلك الأمير راشد بن محمد فركب لها عزائم، وفرض خيامه لحيته معاذباً، فوجد الحاجب بذلك سبيلاً إلى قصده وعمت حيلته وحيلة صاحبه. وأهم السلطان شأن بجاية ونواحيها، وخشي عليها من راشد بما كان صديقاً ملطفاً لعبد الرحمن بن خلوف وفاضهما فيما يدفعه إليها، فأشار عليه الحاجب بمنصور بن مزنبي، وأشار منصور بالحاجب، وتدافعتهما أياماً حتى دفعهما جميعاً إليها. وطلب ابن غمر من السلطان العقد لأبي بكر على قسطنطينية فعقد له، وولى علياً ابن عميه على الحجابة بتونس نائباً عنه. وفضل من الحضرة ولحق بقسطنطينية، وصرف منصور بن فضل إلى عمله بالزراب فكان من خلافه ما يذكر.

وقام ابن غمر بخدمة السلطان أبي بكر فتصرف في حجابته. ثم دخله في الانتقاد على أخيه، وبدت مخايل ذلك عليهم فارتبا لهم السلطان أبو البقاء وأحسن على بن غمر بارتباه فلتحق بقسطنطينية. وجهز السلطان أبو البقاء عسكراً وعقد عليها لظافر مولاً العروف بالكبير، وسرحه إلى قسطنطينية فانتهى إلى باجة وأناخ بها إلى أن كان من أمره ما ذكره.

ويادر ابن غمر إلى المجاهدة بالخلعان ودعا مولانا لسلطان إبا بكر إليه فأجابه، وأخذ له البيعة على الناس فانتهت سنة إحدى عشرة وسبعينه، وتلقب بالتوكل وعسکر بظاهر قسطنطينية إلى أن بلغه مجاهدة ابن خلوف بخلافهم، فكان ما ذكره.

## الخبر عن استيلاء السلطان على بجاية ومقتل ابن خلوف وما كان من الإدارة في ذلك

كان يعقوب بن خلوف ويكنى أبا عبد الرحمن كبير صنهاجة جند السلطان المطنين بتواحي بجاية، وكان له مكان في الدولة وغناء في حروبيهم ودفاع عدوهم. ولما نزلت عساكر بني مرین على بجاية مع أبي يحيى بن يعقوب بن عبد الحق سنة ثلاث وسبعينه، كان له في حروبيهم مقامات مذكورة وأثار معروفة. وكان الأمير أبو زكريا وابنه يستخلفونه بجاية أزمان سفرهم عنها،

بأبن خلوف في ذلك.

مُدْهَ وَمَظَاهِرِهِ عَلَى شَانَهُ، فَاحْكُمْ ذَلِكَ مِنْ عَقْدَتِهِ وَشَدَّ مِنْ أَسْرِهِ، وَتَوَافَتْ إِلَيْهِ رِجَالَاتُ الْكَعْوبِ أُولَادُ أَبِي الْلَّيلِ وَغَيْرِهِمْ، فَبِإِعْوَهِ وَاسْحَوَهُ لِلْحَضْرَةِ فَارْتَمَلَ إِلَيْهَا وَبَعْثَ في مَقْدِمَتِهِ أُولَادُ أَبِي الْلَّيلِ وَعِمَّهُ شِيخُ دُولَتِهِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ حَمْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَزْدُورِيِّ فَاغْذَرُوا السِّيرَ إِلَى الْحَضْرَةِ.

وَبَعْثَ السُّلْطَانَ إِلَى مَوْلَاهُ ظَافِرَ بْنِ كَانَهِ مِنْ بَاجِةِ مُسْتَجِيشَا بِهِ، فَاعْتَرَضَهُ قَبْلَ وَصُولِهِ وَأَوْقَمَهُ وَاعْتَقَلُوهُ ظَافِرًا وَصَبَحُوا تُونِسَ ثَامِنَ جَادِيِّ سَنَةِ إِحدِيِّ عَشْرَةِ وَسَبْعِمَائَةِ وَوَقَفُوا بِسَاحِتِهَا فَكَانَتْ هِيَةُ الْبَلَدِ قُتْلَ فِيهَا شِيخُ الدُّولَةِ أَبُو زَكْرِيَا الْخَصْصِيُّ، وَعَدَا الْقَاضِيِّ أَبُو إِسْحَاقِ بْنِ عَبْدِ الرَّفِيعِ عَلَى السُّلْطَانِ وَكَانَ مُتَبَعِّنَا صَارِمًا قَوِيًّا الشَّكِيمَةَ، فَأَغْرَاهُ مُعَدَّافَةُ الْعَدُوِّ فَخَامَ عَنْ لَقَائِهِ، وَاعْتَذَرَ بِالْمَرْضِ وَأَشَهَدَ بِالْأَخْلَاعِ عَنِ الْأَمْرِ وَحلَّ الْبَيْعَةَ. وَدَخَلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْمَزْدُورِيُّ الْقَصْرَ فَاستَمْكَنَ مِنْ اعْتَقَالِهِ.

ثُمَّ جَاءَ السُّلْطَانَ أَبُو يَحْيَى زَكْرِيَا بْنَ الْلَّهِيَانِيَّ عَلَى أَثْرِهِ ثَانِيَّ رَجْبِ فِيْرِعَبِ الْعَامَةِ بِظَاهِرَهَا وَدَخَلَ إِلَى الْبَلَدِ، وَاسْتَوَى عَلَيْهَا، وَوَلَى عَلَى حَجَابِهِ كَاتِبَهُ أَبَا زَكْرِيَا يَحْيَى بْنَ عَلِيِّ بْنِ يَعْقُوبِ، عَلَى الْأَشْغَالِ بِالْحَضْرَةِ أَبْنِ عَمِّهِ مُحَمَّدِ بْنِ يَعْقُوبِ، وَبَنِي يَعْقُوبِ هُؤُلَاءِ أَهْلِ بَيْتِ بَشَاطِبَةِ مِنْ بَيْوتِ الْعِلْمِ وَالْقَضَاءِ، وَقَدَمُوا إِلَى الْحَضْرَةِ مَعَ الْجَالِيَّةِ، وَكَانَ مِنْهُمْ أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَعْقُوبِ، وَفَدَ مَعَ أَبْنِ الْأَمِينِ صَاحِبِ طَنْجَةِ كَمَا قَدَمَنَاهُ، وَتَصَرَّفَ فِي الْفَضَاءِ بِإِغْرِيقِيَّةِ، وَوَلَاهُ السُّلْطَانُ الْمُسْتَنْصِرُ قَضَاءُ الْحَضْرَةِ. وَسَفَرَ عَنْهُ إِلَى مُلُوكِ مَصْرَ، وَكَانَ بْنُ عَلِيٍّ هُؤُلَاءِ عَبْدِ الرَّاحِدِ يَحْيَى وَمُحَمَّدٌ مِنْ أَقْارِبِهِ، فَكَانَ لَهُمْ ظَهُورٌ فِي دُولَةِ السُّلْطَانِ أَبِي حَمْصٍ وَبَعْدَهَا، وَكَانَ عَبْدُ الرَّاحِدِ مِنْهُمْ صَاحِبُ جَيَّاهِ الْجَرِيدِ، وَهُلُكَ بِتَوْزُرِ سَنَةِ اثْتَنِيَّ وَسَبْعِمَائَةِ. وَكَانَ السُّلْطَانُ أَبُو يَحْيَى بْنَ الْلَّهِيَانِيَّ قَدْ اسْتَكَبَ أَنَّهُ أَبَا زَكْرِيَا يَحْيَى أَيَّامَ رَئِسَتِهِ عَلَى الْمَوْهِدِينَ فَحَظِيَ عَنْهُ وَاخْتَصَهُ وَلَازَمَهُ وَحْجَهُ مَعَهُ. فَلَمَّا وَلَى الْخَلَافَةِ أَحْظَاهُ وَوَلَاهُ حَجَابَهِ. وَلَا اسْتَقَرَّتْ تُونِسَ إِلَّا سَوْتَقَنَ لَهُ الْأَمْرُ أَعْادَ الْحَاجِبَ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ غَمْرٍ إِلَى مَرْسَلَهِ السُّلْطَانِ أَبِي يَحْيَى بْنِ الْلَّهِيَانِيَّ، وَضَمَنَ لَهُ أَبْنَ غَمْرٍ مِنْ ذَلِكَ مَا رَضِيَهُ وَغَسَكَ بَيْنِ عَمَّهِ عَلَى أَبْنِ غَمْرٍ فَأَقَامَ عَنْهُ مَكْرَمًا مُتَسَعًا الْجَرَاهَةِ وَالْإِسْهَامِ إِلَى أَنْ كَانَ مِنَ الْأَمْرِ مَا نَذَرَ.

## الخبر عن قدوم ابن غمر على السلطان بِجَاهِيَّةِ أَبِي ثَابِتِ وَظَافِرِ الْكَبِيرِ

لَا قَدَمَ أَبْنَ غَمْرٍ عَلَى بَاجِةِ اسْتَبَدَ مَحْجَابَهُ وَكَفَالَهُ كَمَا كَانَ،

وَلَقَنَ أَبْنَ عَمِّهِ بْنَ الْلَّهِيَانِيَّ وَاسْتَحْمَهُ مَلِكُ تُونِسَ وَهُوَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ، وَغَدَ السُّلْطَانُ عِنْدَ فَصُولِهِ أَبْنَ غَمْرٍ عَلَى مَنَازِلِهِ فَكَبَسَهَا وَسَطَا بِهَاشِيَّةَ، وَوَلَ حَجَابَهُ حَسَنَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ بْنَ ثَابِتِ رَئِيسِ أَهْلِ الْجَبَلِ الْمَطْلُ عَلَى قَسْطَنْطِنْيَةِ وَالْفَلَلِ مِنْ كَاتِمَةَ، وَيَعْرُفُ قَوْمَهُ بْنَيْ نَلِيلَانَ، وَكَانَ قَدْ اصْطَنَعَهُ مِنْ قَبْلِهِ، وَارْتَحَلَ بِالْعَسَاكِرِ إِلَى بَاجِةِ سَنَةِ اثْنَيْ عَشْرَةِ وَسَبْعِمَائَةِ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى قَسْطَنْطِنْيَةِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ ثَابِتِ أَخَا الْحَاجِبِ.

وَأَشْيَعَ بِالْجَهَانَ أَنَّ السُّلْطَانَ تَنَكَّرَ لَابْنِ غَمْرٍ وَسَخَطَهُ، وَأَنَّهُ ذَهَبَ إِلَى أَبِنِ الْلَّهِيَانِيَّ وَاسْتَجَاشَهُ عَلَى الْحَضْرَةِ، وَبَلَغَ ذَلِكَ أَبْنَ خَلَوفَ وَاسْتَيْقَنَ اضْطَرَابَ حَالِ السُّلْطَانِ خَالِدَ بْنَ تُونِسَ فَطَمَعَ فِي حَجَابَهِ السُّلْطَانِ أَبِي بَكْرٍ، وَتَوْتَقَ لِنَفْسِهِ مِنْ بَالِعَهْدِ بِمُدَخَّلَةِ عُثْمَانَ بْنِ شَبِيلِ بْنِ وَعْمَانَ بْنِ سَبِيعَ بْنِ يَحْيَى مِنْ رَجَالَاتِ الدَّوَادِرَةِ وَالْوَلِيِّ يَعْقُوبِ الْمَلَرِيِّ مِنْ نَوَاحِي قَسْطَنْطِنْيَةِ.

وَأَغَدَ السِّيرَ مِنْ بَاجِةِ لَقَيِّي السُّلْطَانَ بِفَرْجِيَّوْهُ مِنْ بَلَادِ سَدُويَّكِشَ فَلَقَاهُ مَبْرَةُ وَرَجَبًا. ثُمَّ اسْتَدَعَهُ مِنْ جَوْفِ الْلَّيْلِ إِلَى رَوَاهَ فِي سَرْبِ مِنْ مَوَالِيِّ الْمُلُوْجِيِّ فَعَاقَهُمُ الْخَمْرُ إِلَى أَنْ ثَمَلَ، وَاسْتَغْبَضَهُ بَعْضُ النَّزَعَاتِ فَغَضَبَ وَأَنْدَعَ فَتَأَلَّوْهُ طَعَنَّا بِالْخَنَاجِرِ إِلَى أَنْ قَتَلُوهُ، وَجَرَوْا شَلَوْهُ فَطَرَحُوهُ بَيْنَ الْفَسَاطِيطِ، وَتَقَبَّضَ عَلَى سَائِرِ قَوْمِهِ وَحَاشِيَتِهِ، وَفَرَّ كَاتِبَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هَلَالٍ فَلَحَقَ بِالْغَرْبِ. وَارْتَحَلَ السُّلْطَانُ مَعْنَدًا إِلَى بَاجِةِ فَدَخَلَهَا عَلَى حِينِ غَفَلَةِ مِنْ أَهْلِهَا وَاسْتَوَى السُّلْطَانُ عَلَى سَائِرِ الْمَلَكَةِ الَّتِي كَانَتْ تَحْتَ إِيَّاهُ ابْنَهِ بِالْجَهَةِ الْمُرْفَوَةِ بِالنَّاحِيَةِ الْغَرْبِيَّةِ، وَاسْتَوْتَقَ لَهُ أَمْرَهَا، وَأَقَامَ فِي انتَظَارِ حَاجِبِهِ أَبِنِ غَمْرٍ إِلَى أَنْ كَانَ مِنَ الْأَمْرِ مَا نَذَرَ.

## الخبر عن مهلك السلطان أبي البقاء خالد وَاسْتِيلَاءِ السُّلْطَانِ أَبِي يَحْيَى بْنِ الْلَّهِيَانِيَّ عَلَى الْحَضْرَةِ

كَانَ السُّلْطَانُ أَبُو الْبَقاءِ خَالِدَ بَعْدَ بَيْعَةِ السُّلْطَانِ أَبِي بَكْرٍ بِقَسْطَنْطِنْيَةِ قَدْ اضْطَرَبَتْ أَحْوَالُهُ وَجَهَزَ إِلَيْهِ الْعَسَاكِرُ لِمَنَازِلِهِ، وَقَسْطَنْطِنْيَةَ، وَعَقَدَ عَلَيْهَا لَوَلَاهُ ظَافِرُ الْمَعْرُوفِ بِالْكَبِيرِ فَسَكَرَ بِيَاجِهِ وَلَرَاجِ يَتَنَظَّرُ أَمْرَ السُّلْطَانِ. وَكَانَ أَبُو يَحْيَى بْنَ أَحْدَبِنَ حَمَدَ الْلَّهِيَانِيَّ بْنَ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ الرَّاحِدِ ابْنِ الشِّيْخِ أَبِي حَفْصٍ قَدْ بَوَعَ بِطَرَابِلِسَ لِمَا قَفَلَ مِنَ الْمَشْرُقِ، وَرَأَى اضْطَرَابَ الْأَحْوَالِ وَوَفَدَ عَلَيْهِ الْحَاجِبُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ غَمْرٍ بِهَدِيَّةِ مِنَ السُّلْطَانِ أَبِي بَكْرٍ، وَأَنَّهُ

افتياه عليه في ابن خلوف وإخفار ذمته وعهده فيه، واستقر عنده ابن أبي جبي متذ منصرفة عن المجاية، ورجوعه من الحج فرغبوه في ذلك واسمحثوه لطلب مجاهية، فسرح العساكر إليها لنظر محمد بن عمه يوسف بن يغمراسن ومسعود ابن عمه أبي عامر إبراهيم ومولاه مسامح. وبعث معهما أبا القاسم ابن أبي جبي الحاجب ففصلوا عنه بدار مقامه بشرف، فأغدوا السير. وهلك ابن أبي جبي بباب الزاب ونازلا البلد. ثم جازوها إلى الجهات الشرقية فاختروا فيها ودخلوا جبل ابن ثابت، واستولوا عليه واستباحوه ستة عشرة سنة.

ونالت منهم الحامية في المدافعة بالقتل والجراحة أعظم السيل، وقلوا راجعين فشيدوا حصنًا بأصفون وشنحه بالأقوات. ولما وصل محمد بن يوسف ومساح ومخهم وطوفهم ذنب القصور والعجز وعزهم. وبعث السلطان عسكراً في البر وأسطولاً في البحر بعد رجوعه من قسطنطينية ستة أربع عشرة وسبعيناً هدم حصن بي عبد الواد بأصفون، فخرق وانتهت أقواته وعدده، وسرح أبو حمو عسكراً لختار مجاهية عقد عليه لمسعود ابن عمه أبي عامر بن إبراهيم بن يغمراسن، فنازلوها ستة خمس عشرة وسبعيناً واتصل لهم خروج محمد بن يوسف بن يغمراسن وبنه توجين معه على أبي حمو، وأنهم أوقعوا به وهزموا، واستولوا على معسكره، فاجفل مسعود بن أبي عامر وعسكره وأفرجوا عن مجاهية. ووصل على أثرها خطاب محمد بن يوسف بالطاعة والاخيش، فبعث السلطان إليه صنيعه محمد بن الحاج فضل بالمدينة والآلة، ووعده بالظاهره وتسويغ الأسهام التي كانت ليعمراسن بفاريقية. وشغل بنو عبد الواد عن مجاهية، وخرج السلطان في عساكره للإشراف على وطنه إلى أن كان ما ذكره.

### الخبر عن استبداد ابن غمر بمجاية

لم يزل ابن غمر مستبداً على السلطان في حجابه يرى أن زمامه بيده وأمره متوقف على إيقاده. وصار يغريه ببطشه فيقتلهم ويغيرهم وربما كان السلطان يائف من استبداده عليه. ودخله بعض أهل قسطنطينية ستة عشرة وتسعمائة في أغيله ابن غمر فهموا بذلك، ولم يتم فقطن لها ابن غمر فارق بهم وقسمهم بين النكال والعداب فرقاً. ثم رجع السلطان إلى مجاهية ستة عشرة وسبعيناً لما لأهمهم حصاره، واتصلت حاله معه على ذلك التحور من الاستبداد إلى أن بلغ السلطان أشد وارهف حده وسطاً لمحمد بن فضل نقتله في خلوة معاقرته من غير مؤامرة الحاجب.

وليم وصوله فر عبد الله بن هلال كاتبه ابن خلوف، ولحق بتلمسان وشمر ابن غمر عزائمه للاصطلاح بأمره، ودفع حسن بن إبراهيم بن ثابت عن الرتبة فلم يتزحزح له، وخرج لحماية الوطن. ثم أغرى به السلطان وحذره من استبداده بقسطنطينية لكان مقله المجاور لها وسعيات تصح بها حتى صادفت القبول لكانه والرثوق بتصانعه.

وخرج السلطان في العساكر من مجاهية إلى قسطنطينية سنة ثلاث عشرة وسبعيناً للنظر في أحوالها. فلما انتهى إلى فرجيشه لقيه عبد الله بن ثابت فتقبض عليه وعلى أخيه حسن بن الحاجب سنة ثلاثة عشرة وسبعيناً وتقتلها بعد أن استتصفى أمرهما، ويقال: إنه بعد خروج حسن بن ثابت إلى أعمال قسطنطينية بعث في أثره بعض مواليه، وأزعز معهم إلى عمل عبد الكريم بن منديل ورجالات سدوكيش فقتلوه بوادي القطن. وأن السلطان لم يباشر نكتبه، وكان ظافر الكبير بعد انهزامه وحصوله في أسر العرب كما قدمته انتعوا عليه وأطلقوا، ولحق بالسلطان أبي بكر فائز واستخلاصه كما كان لأن أخيه، وولاه على قسطنطينية عند نكبة ابن ثابت. واستكتب له أبا القاسم بن عبد العزيز خلوه من الأدوات فقام ظافراً وإلياً بقسطنطينية. ثم استقدمه السلطان إلى مجاهية وقد غص ابن غمر بمكانه، فأغرى به السلطان فتقبض عليه وأشخاصه في السفين إلى الأندلس.

### الخبر عن منازلة عساكر بني عبد الواد بمجاهية وما كان في أثر ذلك من الأحداث

كان السلطان أبو بجي بعد انهزامه عن مجاهية ستة عشرة وسبعيناً وبعث سعيد بن مختلف عن مواليه إلى أبي حمو موسى بن عثمان بن يغمراسن. وكان قد أتيح له في زينة المغرب الأوسط ظفر واعتزال، وملك أمصارهم من أيدي بني مرин من بعد مهلك يوسف بن يعقوب على تلمسان ودروغ جهاته، واستولى على أعمال مغراوة وتوجين، وملك الجزائر، واستنزل منها ابن علان التاجر بها وملك تدلس من يد ابن خلوف فبعث إليه السلطان في المواصلة والمظافرة، وأن تكون يدهما على ابن خلوف واحدة، فلعلم لذلك موسى بن عثمان في ملك مجاهية. ثم بلغه مهلك ابن خلوف واستيلاء السلطان على ثغره فاستمر على المطالبة.

وادعى أن مجاهية له في شرطه، وقارن ذلك لحاق صنهاجة إليه عند مهلك صاحبهم فرغبوه في ملك مجاهية وضمنوا له أمرها. ثم قدم عثمان بن سباع بن يحيى مغاضباً للسلطان لما كان من

الكتب التي كان الأمير أبو زكريا الأكبر جمعها واستجاد أصولها ودواوينها، أخرجت للوارقين فيبعث بدكتاكيتهم. فجمع من ذلك - زعموا - قناطير من الذهب تجاوز العشرين قنطاناً وجوايلقين من حصى الدر والياقوت، وخرج من تونس إلى قابس مورياً بمشاركة عملها فاتح سنة سبع عشرة وسبعينة بعد أن رتب الحامية بالحضره وباجة والحمامات، واستختلف بالحضره أبا الحسن بن وانودين وانتهى إلى قابس فأقام بها، وصرف العمال في جهاتها إلى أن كان من بيعة ولده بتونس ما ذكره بعد إن شاء الله تعالى.

### الخبر عن نهرض السلطان أبي بكر إلى الحضره ورجوعه إلى قسطنطينية

لما خرج السلطان من هوارة إلى قسطنطينية سنة ست عشرة وسبعينة كما قدمناه استبلغ فيجهاد حركة أخرى إلى تونس، فاحتشد وقسم العطا وازاح العلل، واعتراض الجنود عن طبقاتهم من زناته والعرب وسدويكش. واستختلف على قسطنطينية الحاجب محمد بن القالون وبعث إلى حاجبه الأعظم أبي عبد الرحمن بن غمر بمكانه من إمارة بجاية في مدد المال للفقات والأعطيات. بعث إليه منصور بن فضل بن مزني عامل الزراب، وكان ابن غمر لما رأى من كفافته وأنه جماعة للعمال، استضاف له عمل جبل أوراس والحضره وسدويكش وعياضن وسائر أعمال الصاحية، فكانت أعمال الجباية كلها لنظره، وأموالها في حسان دخله وخرجه، بعثه ابن غمر ليقيم اتفاق السلطان. واستختلف على خطة حاجبه، وارتحل السلطان من قسطنطينية في جادى سنة سبع عشرة وسبعينة يطروي المراحل. ولقيه في طريقه وفود العرب، وانتهى إلى باجة فافتقد حاميها إلى تونس.

وكان السلطان أبو يحيى بن اللحياني قد خرج عنها إلى قابس كما قدمناه، واستختلف عليها أبا الحسن بن وانودين، وبعث إليه بنهوض السلطان أبي بكر إلى تونس، وأنه يحتاج إلى المدافعة، فاعتذر لهم اللحياني بما قبله من الأموال، وأطلق يدهم في الجيش والمال، فاركبوا واستحلقوا وربوا الدبوران، وأخرجوا ابنه محمدأً ويكتنى أبا ضربة فاطلقواه من اعتقاله.

وبعثهم الخبر بإشراف السلطان أبي بكر على باجة، فخرجوا جميعاً من تونس، وخالفتهم إلى السلطان مولاهم ابن غمر بن أبي الليل. كان مضطغناً مع الدولة متربصاً بها، لما كان اللحياني يؤثر عليه أخيه حزرة، فلقي السلطان في دوين باجة، فأعطاه صفقته واستحثته، ووصل إلى تونس، فنزل روض السناجر

ويلاكير ابن غمر مقعده بباب السلطان فوجد شلوه ملقى في الطريق مضرجاً في ثيابه، وأخبر أن السلطان سطا به فداخله الريب من استبداد السلطان وإرهاف حده، وخشي بوادره، وتوقع سعاية البطلة وهي الخلقة. فتحيل في بعده عنه واستبداده بالثغر دونه فأغاره بطلب إفريقيه من يد ابن اللحياني، وجهزه بما يصلحه من الآلة والفساطيط والعساكر والخدماء، ورتب له المرائب. وارتحل السلطان إلى قسطنطينية سنة خمس عشرة وسبعينة ثم تقدم غازياً إلى بلاد هوارة، وأجفل عنها ظافراً من تعاطي قائدتها من مواهيمه. فاستوفى جباية هوارة، ووقف إلى قسطنطينية سنة ست عشرة وسبعينة واستبد ابن غمر ببجاية ومداومة العدو من زناته عنها. واستختلف على حاجاته السلطان محمد بن القالون، وقررت عينه بما كان يؤمل من استبداده إلى أن كان من أمره ما ذكر.

### الخبر عن سفر السلطان أبي يحيى بن اللحياني إلى قابس وتجافيه عن الخلافة

كان هذا السلطان أبو يحيى بن اللحياني قد طعن في السن، وكان بصيراً بالسياسة مجرياً للأمور، وكان يرى من نفسه العجز عن حل الخلافة واستحقاقها مع أبناء الأمير أبي زكريا الأكبر. وعلم مع ذلك استفحال صاحب الشغور الغريبة الأمير أبي بكر واستغلاله أمره بمن انتظم في ملكه، وارتسم في ديوان جنده من أغصان زناته وفحول شلولهم من توجين ومخراوة وبني عبد الواد وبني مرین.

كانوا يتذعون إليه مع الأيام عن ملوكهم خشية على أنفسهم لما قاسموهم في النسب وساهموهم في بعسوية القبيل وفحولية الشول، ومنهم من غلبوا على مواطنهم فملوكها عليهم مثل مغراوة وبني توجين و مليكش، فاستكثف بذلك جند السلطان وكثرت جموعه وهبة الملوك.

ونهض سنة ست عشرة وسبعينة إلى إفريقيه وجال في بلاد هوارة وأخذ جبايتها كما ذكرنا، فتوقع السلطان ابن اللحياني زحفه إلى تونس. وكانت إفريقيه مضطربة عليه، وكان تعويله في الحماية والمدافعة على أوليائه من العرب، تولى منهم حزة بن علي بن عمر بن أبي الليل فحكمه في أمره واشركه في سلطانه، وأفرده برئاسة العرب وأجره الرسن، وسرب إليه الأموال، وكثير بذلك زيون العرب واحتلائهم عليه، فاعتزم على التوريض عن إفريقيه ونفض اليد من الخلافة، فجمع الأموال والذخيرة، وبيع ما كان بعوداته من الآية والفرش والخزفي والماuren والمداع، حتى

جامع، وأخبروه بأن أبي ضربة بن اللحياني أجمل من باجة بعد أن نزلها معتزماً على اللقاء، فارتحل مولانا السلطان مغداً ولقيه مولاهم ابن عمر فراجع الطاعة، وارتحلوا في اتباع أبي ضربة وجوشه حتى شارفوا على القيروان، فخرج إليه عاملها ومشيختها فالفروا إليه باليد وأعطوا الطاعة.

وارتحل السلطان راجعاً عن اتباع عدوه إلى الحضرة وقد ترك بها أبو ضربة بن اللحياني من بطانة محمد بن الغلاق لمصانع دونها، فأخرج الرماة إلى ساحتها وقاتل العساكر ساعة من النهار. ثم اقتسموها عليه، واستبيح عامة أرباضها وقتل ابن الغلاق ودخل السلطان إلى الحضرة في ربيع من ستة، فاقام خلال ما انعقدت العامة. وقدم على الشرطة ميمون بن أبي زيد واستخلفه على البلد. ورحل في اتباع أبي ضربة بن اللحياني وجوشه فأوقع بهم بمصر من جهات بلاد هوارة.

وقتل من مشيخة الموحدين أبو عبد الله بن الشهيد من أهل البيت الخصي، وأبو عبد الله بن ياسين. ومن طبقات الكتاب أبو الفضل البجائي وتقبض على شيخ الدولة أبي محمد عبد الله بن يغمور. وقיד إلى السلطان ففنا عنه ونرهه ليومه. ثم أعاده إلى خطه بعد ذلك. ورجع السلطان إلى تونس في رجب من ستة. وكان السلطان أبو عيسى بن اللحياني لما بلغه الخبر بنھوض السلطان إلى تونس حركته الثانية سنة سبع عشرة وبسبعينة وما كان من بيعة الموحدين والعرب لابنه أبي ضربة، ارتحل من مقامته بقايس إلى نواحي طرابلس. ثم بلغه رجوع السلطان إلى قسطنطينية فأوطن طرابلس فبني مقعداً ملوكه بسور البلد ما يلي البحر سماه الطارمة، ويعث العمالة في الجهات جباهية الأموال، ويعث على جبال طرابلس أبا عبد الله بن يعقوب قريباً حاجبه ومعه هجرس بن مرغم كبار الجواري من دباب فدوخ البلاد وفتح المعاقل وجبي الأموال وانتهى إلى برقة. واستخدم آل سالم وأآل سليمان من العرب دباب، ورجع إلى سلطانه بطرابلس ووافاه الخبر بانهزام أبي ضربة ابنه، فبعث حاجبه أبا زكريا بن يعقوب وزيره أبا عبد الله بن ياسين بالأموال لاحتشاد العرب، ففرقواها في علاق ودباب وزحف أبا ضربة إلى القيروان. وبلغ خبره إلى السلطان أبي بكر فخرج من تونس آخر شعبان سنة ثمان عشرة وبسبعينة فانطلقوا عن القيروان. ثم تدارموا وعقلوا رواحلهم مستميتين بزعمهم حتى أطلت عليهم العساكر بمكان قيج النعام، فانقضت جوشهم وشردت رواحلهم وارتحلوا منهزمين، والقتل والنهب يأخذ منهم ما خذله. ونجا أبو ضربة في فله إلى المهدية، وكانت مقيمين على دعوة أبيه فامتنع بها إلى أن كان من شأنه ما سنذكره.

من رياض السلطان في شعبان من سنة سبع عشرة وبسبعينة وخرج إليه الملا وترددوا في البيعة بعض الشيء انتظاراً لشأن أبي ضربة وأصحابه. وكان من خبرهم أن السلطان لما أخذ السير من باجة بادر حزة بن عمر إلى بطانة اللحياني وأولاته بتونس، فلقيهم وقد خرجوا عنها، فأشار عليهم بيضة أبي ضربة بن السلطان اللحياني ومزاحة القروم به، فبايعوه وزحفوا إلى لقاء السلطان.

ودرس حزة إلى أخيه مولاهم أن يزحف بالعسكر فأجلد السلطان من مقامته بروض السناجر لسبعة أيام من الاحتلال قبل أن يستكمل البيعة، وارتحل إلى قسطنطينية ورجع عنه مولاهم من قحوم وطنه، وسرح متصور بن مزني إلى ابن عمر بجايده ودخل أبو ضربة بن اللحياني والموحدون إلى تونس متصرف شعبان من ستة. ويوبيع بالحضررة البيعة العامة وتلقب بالمستنصر. وأراد أهل تونس على إدارة سور بالأرباض فيكون سياجاً عليها، فأجابوه إلى ذلك وشرع فيه، وأرهقه العرب في مطالبهم واستطروا عليه في شروعهم إلى أن عاود مولانا السلطان حركته كما نذكر.

### الخبر عن استيلاء السلطان أبي بكر على الحضرة وإيقاعه بأبي ضربة وفارأ أبيه من طرابلس إلى المشرق

لما قفل السلطان من تونس إلى قسطنطينية بعث قائده محمد بن سيد الناس بين يديه إلى مجاهدة فارتاتاب ابن عمر بوصوله، وتمكن له وشعر السلطان بذلك وأغضى له عنها وطالبه في المدد، فاحتفل في الحشد والألة والأبنية. وبعث إليه سبعة من رجال الدولة بسبعة عساكر وهم: محمد بن سيد الناس، ومحمد بن الحكم، وظافر السنان وأنوحوه من موالى الأمير أبي زكريا الأوسط، ومحمد المديوني ومحمد المجريسي ومحمد البطرنوي. وبعث له من فحول زناتة وعظمائهم عبد الحق بن عثمان من أعياص بنى مرين، كان ارتخل إليه من الأندلس كما نذكر في خبره، وأبا رشيد بن محمد بن يوسف من أعياص بنى عبد الواد فيمن كان معهم من قومهم وحاشيائهم.

وتوفدوا بعساكرهم عند السلطان بقسطنطينية، فاعتزم على معاودة الزحف إلى تونس، وكان قد اختبر أحوال إفريقيه وأحسن في ارتياهها، فخرج في صفر من سنة ثمان عشرة وبسبعينة واستعمل على حاجبه أبا عبد الله بن القالون، ومرادفة أبو الحسن بن عمر ووافاه بالأربيس وقد هوارة وكثيرهم سليمان بن

تائشين من بعده سنة ثمان عشرة وسبعينة فتنفس فخنق الحصار عن بجاية ريشما كانت حركة السلطان إلى تونس وقتها. ثم خرج أبو تائشين من تلمسان لتمهيد أعماله، وقتل محمد بن يوسف يعقله من جبل واتشيرش كما ذكرناه في أخبارهم، فارتعش من هنالك غازياً إلى بجاية، فاطلب عليه في سنة تسع عشرة وسبعينة وبدا له من حصتها وكثرة مقاتلتها وانتباها ما لم يعتصب فانكشف راجعاً إلى تلمسان، وأصحاب ابن غمر المرض فبعث إلى علي ابن عمه بمكان عمله بقسطنطينة، وعهد إليه بأمره والقيام بولاية بجاية إلى أن يصل أمر السلطان.

وهلك لأيام على فراشه في شوال من سنة تسع عشرة وسبعينة، وقام على بن غمر بأمر بجاية، واتصل الخبر بالسلطان فاهمه شأن الشغور. وطير ابن سيد الناس إليه مع قهرمانة داره لتحصيل تراثه والبحث عن ذخيرةه فاستوفى من ذلك فرق الكثرة من الصامت والذخيرة، وقدم به على السلطان واستقدم معه علي بن غمر، فأولاه السلطان من رضاه ما أحسب أمله، وأقام بالحضرة إلى أن كان منه خلاف مع ابن عمران. ثم راجع الطاعة وقد أحفظ السلطان بولاية عدوه. فلما عاد إلى تونس أوعز إلى مولاه نجاح وهلال بقتله، فاغتالوه خارجاً من بستانه فاشروه، وهلك من جراحته.

### الخبر عن إمارة الأمير أبي عبد الله على قسطنطينة وأخيه الأمير أبي زكريا على بجاية وتولية القالون على حجاجة

لما هلك ابن غمر أهم السلطان شأن بجاية بما كانت عليه من شأن الحصار، وطالبة بني عبد الواحد لها فرأى أن يكتفى الحامية بالشعار الغربي ويتزل بها أبناءه للمساعدة والحماية، وعقد على قسطنطينة لابنه الأمير أبي عبد الله وعقد على بجاية لابنه الآخر الأمير أبي زكريا وجعل حجاجتها لأبي عبد الله بن القالون مستبداً عليهما لمكان صغرهما، وأكشف له الجندي وأمره بالمقام بيجاية لمانعها من العدو الملح على حصارها وارتملوا من تونس فانفتحت سنة عشرين وسبعينة في احتفال من العسكر والصحاب والأئمة. وأبقى خطبة الحجاجة خلواً من يقوم بها. وأبقى على ابن القالون. وبقي للتصرف في الأمور من رجالات السلطان أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز الكردي الملقب بالمزووار. وكان مقدماً على بطانية السلطان المعروفين بالدخلة. وعلى الأشغال الكاتب أبو القاسم بن عبد العزيز، وسنذكر أوليهما بعد. وانصرف إلى بجاية رافلاً في

وبلغ الخبر إلى أبيه بمكانه من طرابلس فاضطراب معاشره ويعث إلى النصارى في أسطول يحمله إلى الإسكندرية فوافوه بستة أساطيل فاحتمل أهله ولده، وركب البحر ومعه حاجبه أبو زكريا بن يعقوب إلى الإسكندرية، واستخلف على طرابلس أبا عبد الله استدعاه الكهوب ونصبواه للأمر، وأجلبوا به على السلطان مراراً كما ذكره بعد. وركب السلطان أبو يحيى بن اللحاني البحر إلى الإسكندرية فنزل بها على السلطان محمد بن القالون من ملوك الترك بمصر والشام واستقدمه إلى مصر فعظم من مقدمه واهتز للقائه ونوه من مجلسه، وأسرى من جرايته وأقطعه إلى أن هلك سنة ثمان وعشرين وسبعينة ورجع السلطان أبو بكر إلى تونس بعد الواقعه على أبي ضربة وقومه بفتح العام، فدخلها في شوال من ستة. واستقامت إفريقية على طاعته، وانتقمت أمصارها وثورتها في دعوه إلى المهدية وطرابلس كما ذكرناه إلى أن كان ما يأتي ذكره.

### الخبر عن مهلك الحاجب ابن عمر بيجاية وولاية الحاجب محمد بن القالون عليها ثم الإدالة منه بابن سيد الناس

كان الحاجب بن عمر لما استبد بيجاية سنة خمس عشرة وسبعينة، انتقل السلطان إلى قسطنطينة ولم يراجعها بعد. ثم لما رجع من تونس ثانية حرثاته سنة سبع عشرة وسبعينة صرف إليه منصور بن فضل ويعث في أثره قائدته أبا عبد الله محمد بن حاجب أبي الحسن بن سيد الناس بيهى له قصره بيجاية للتحول إليها، فرده ابن غمر وتنكر له وطالبه السلطان في المدد فنادر به فأنقطعه جانب الرضا. وعقد له على بجاية وقسطنطينة كما ذكرنا ذلك كله قبل. فاستبد ابن غمر بالشغور وما إليه من الأعمال مقتضراً على ذكر السلطان في الخطبة واسمها في السكة. وأقام على ذلك إلى أن ملك السلطان تونس واستولى على جهاتها، ويعث إليه بابن عممه محمد بن غمر فعقد أبو عبد الرحمن الحاجب على قسطنطينة فمضى إليها، وهو في خلال ذلك كله يدافع عساكر زناته عن بجاية.

وقد كان أبو حمود صاحب تلمسان بعد ظهوره على محمد بن يوسف واسترجاعه بلاد مغراوة وتوجين من يده كما قدمناه يسرب العساكر لحصارها. وابتلى بالوادي على مرحلتين منها قلعة تكر ليجمد بها الكتاب لحصارها. ثم هلك أبو حمود وهي ابنه أبو

حل العز والتزوئ إلى أن كان من أمره ما نذكر.

### الخبر عن استقدام ابن القالون والإدالة منه بابن سيد الناس في بجاية وبظافر الكبير في قسطنطينية

#### الخبر عن ظهور ابن أبي عمران وفرار ابن القالون إليه

كان محمد بن أبي عمران هذا من عقب أبي عمران موسى بن إبراهيم ابن الشيخ أبي حفص، وهو الذي ول إفريقية نائباً عن أبي محمد عبد الله ابن عميه الشيخ أبي محمد عبد الواحد، كتب له بها من مراكمش لأول ولايته، فقام ولأيا عليها ثانية أشهر إلى أن قدم آخر ستة ثلاث وعشرين وستمائة، وأقام أبو عمران هذا في جملتهم إلى أن هلك ونشأ بنوه في ظل دولتهم إلى أن كان من عقبه أبو بكر والد محمد هذا، فكان له صيت وذكر، وكان السلطان أبو بحبي زكريا بن اللحياني قد رعى له ذمة قرابته، ووصله بـ صهر عده لابنه محمد على ابنته. واستخلفه على تونس عند خروجه عنها.

ثم استخلفه على طرابلس عند ركوب السفين إلى الإسكندرية. وكان أبو ضربة بعد انهزامه وافتراق جموعه اعتمد بالمهديّة، ونازله بها السلطان أبو بكر فامتنتع عليه وأنفلع عنها على سلم عقده لأبي ضربة وأقام حمزة بن عمر في سبيل خلافه على السلطان، ويتنقل في نواحي إفريقية حتى عظم زيبوه على السلطان وزرع إليه الكثير من الأعراب وكثّرت جموعه، فاستقدم محمد بن أبي عمران من مكان ولايته بـ غرب طرابلس.

وزحف إلى تونس معاوضاً للسلطان قبل اجتماع عساكره وكمال تعبيته، فخرج السلطان أبو بكر من تونس في رمضان من سنة إحدى وعشرين وسبعيناً ولحق بـ قسطنطينية وصحبه إليها مولاهم ابن عمر، وكان الحاجب محمد بن بحبي بن القالون قد غصّت البطانة والخاشية بالسعادة فيه عند السلطان، وتبيّن له اغترافه عنه. وكان معز بن مطاع الفزاري وزير حمزة بن عمر وصاحب شواره صديقاً لابن القالون وخالصاً، فدخله في الأجلاب بـ ابن عمران. فلما خرج السلطان أمام زحفه مختلف القالون بتونس، وركب من الغد في البلد متادياً بدعة ابن أبي عمران. ودخل محمد بن أبي عمران ثانية خروج السلطان، واستولى على المضرة وأقام بها بقية ستة، وصدر من الأخرى، ولحق السلطان

لما انصرف أبو عبد الله بن بحبي بن قالون إلى بجاية، وخلأ وجه السلطان فيه لبطاته عند ولايته بـ بجاية، بشروا فيه السعاعيات ونصبوا له الغوايل، وتولى كبر ذلك المزوار ابن عبد العزيز بمداخلة أبي القاسم بن عبد العزيز صاحب الأشغال. وعظمت السعادة فيه عند السلطان حتى دخلت فيه المظنة، وعقد محمد بن سيد الناس على بجاية، نقله إليها من عمله بـ بجاية، وكتب له عهده بمكثة واستقدم صاحبه محمد بن القالون فقدم، وقد تغير السلطان له ودخل ابن سيد الناس بـ بجاية، وقام بأمر حصارها وحجابة أميرها إلى أن استقدم للحجابة، وكان من أمره ما نذكره. ومر ابن القالون بـ قسطنطينية في طريقه إلى الحضرة فحدثه نفسه بالامتناع بها، وداخل مشيختها في ذلك فأبوا عليه، فأشخصهم إلى الحضرة نكلاً بهم.

وغي الخبر بذلك إلى السلطان فأسرها لابن القالون وعزم على استضافة الحجابة بـ قسطنطينية لابن سيد الناس، فاستعنى مشيختها من ذلك وأروروه أن ابن الأمين قريبه وابن أخيه، وذكره ثروة أبيه فأقصى عن ذلك، وصرف اعتماده إلى مولاه ظافر الكبير وذلك عند قدومه من المغرب، وكان من خبره أنه كان من موالي الأمير زكريا، وكان له في دولة ابنه السلطان أبي البقاء ظهور، وهو الذي زحف هو بالعساكر عندما استراب السلطان أبو البقاء بـ بجاية السلطان أبي بكر فأقام بـ بجاية. وجاء المزدورى والعرب إلى تونس في مقدمة ابن اللحياني فزحف إليهم فقضوه وتقبضوا عليه كما ذكرنا ذلك كله. ثم لحق بـ عدوه مولاها السلطان أبي بحبي وأعاده إلى مكانه من الدولة، وولاه قسطنطينية عند مهلك ابن ثابت سنة ثلاثة عشرة وسبعيناً.

ثم غص به ابن عمر وأغرى به السلطان فأشخصه في سفين إلى الأندلس، وأجاز إلى المغرب. ونزل على السلطان أبي سعيد إلى أن بلغه الخبر بهلك ابن عمر فكر راجعاً إلى تونس، ولقاء السلطان مبرة وتكرعاً. ووافق ذلك وصول الحاجب ابن القالون من بـ بجاية، فعقد السلطان ظافر هذا على حجابة ابنه بـ قسطنطينية الأمير أبي عبد الله فقدمها وقام بأمرها، واستعمل ذريه وحاشيته

## الخبر عن واقعة رغيس مع ابن اللحياني وزناته وواقعة الشقة مع ابن أبي عمران

لما انضم حزرة بن عمر وابن أبي عمران عن تونس مرة بعد اخرى ورأى حزرة ابن أبي عمران غير مغمض عنه فصرفه إلى مكان عمله بطرابلس، وبعث إلى أبي ضربة ابن السلطان اللحياني بمكانه من المهمية فداخله في الصريح بزناته والوفود على سلطان بي عبد الراد فرجل معه أبو ضربة ووفدوا على أبي تاشفين صاحب تلمسان ورغبيه في الظفر بسبعين، وأن يشغل صاحب تونس عن مدهما بتردد البعوث وتجهيز العساكر إليه، فسرح معهم السلطان الآلاف من العساكر وعقد عليهم لموسى بن علي الكردي صاحب التغر بتيمز زدكت، وكثير الحاشية والرجالات. وارتحلوا من تلمسان يغدون السير، وبلغ السلطان خبر فصوفهم بتلمسان فبرز للقائهم من تونس في عساكره حتى انتهى إلى رغيس بين بونة وقسطنطينية.

ولما أطلت عساكر زناته والعرب احتل مصاف السلطان، وانهزمت الجيارات وثبت في القلب وصدق العزيمة والبقاء، فاختلت مصافهم وانهزموا في شعبان سنة ثلاث وعشرين وسبعين، وامثلات أيدي العساكر من أسلفهم من نساء زناته، ومن عليهم السلطان وأطلقهم. ورجع أبو ضربة وموسى بن علي الكردي في فلتهم إلى تلمسان، وعاد السلطان إلى حضرته لأيام من هزيمتهم. ولقي الخبر في طريقه باجتماع العرب وابن أبي عمران بنواحي القبروان، فخطى الحضرة إليهم ولقيهم بالشقة، وأوقع بهم ورجعوا إلى تونس في شوال من سنة أربع وعشرين. فاتبعه حزرة ومن معه إلى تونس عندما افترقت العساكر، ومعه إبراهيم بن الشهيد من البيت الحفصي.

وسبق إليه بخبرهم عامر بن بو علي بن كثير وسحيم بن.... فخرج للقائهم من يومه في خف من الجنود بعد أن بعث عن عسكر باجة، وقادتها عبد الله العاقل مولاهم فصيحة العرب بنواحي شاذلة فقاتلوا صدرها وهي الوطيس، ووصل عبد الله العاقل والناس متافقون، واثنت الحرب ثم كانت المعركة على العرب، واستبيحت حرماتهم وافتقرت جوعهم، ورجع السلطان إلى البلد واستقر بالحضر.

بقسطنطينية فجمع عساكره واحتشد جوعه، وأزاح العلل واستكمل التعبية وزحف منها في صفر سنة اثنين وعشرين وسبعين، وخرج ابن أبي عمران للقاء مع حزرة بن عمر في جموع العرب ولقيهم السلطان أولى وثانية بالرجلة وأوقع بهم، وقتل شيخ الموحدين أبا عبد الله بن أبي بكر. وكان على مقدمتهم محمد بن منصور بن مزني وغيره. وأثنت العساكر فيهم قتلاً وأسراً، وكان للسلطان فيها ظهر لا كفاء له. ثم تقضى على مولاهم ابن عمر فكان من خبره ما ذكره.

## الخبر عن مقتل مولاهم بن عمر وأصحابه من الكعوب

لما أتيح للسلطان من الظهور على ابن عمران وأتباعه والظفر بهم ما أتيح، وصنع له فيه رغم أنف مولاهم ابن عمر، وظهرت مع أصحابه كلمات أدبات بفساد دخلتهم. ثم غنى للسلطان أن مولاهم داخل في الفتاك به ابنه منصور ورببه زعдан ومعدان أبا عبد الله بن أحمد بن كعب، وسلامان بن جامع من شرخ هوارة، وشي بذلك عنهم ابن عمهم عن بن عبد الله بن أحمد بعد أن داخلوه فيها، فتنصح بها للسلطان. فلما عدوا على السلطان تقبض عليهم وبعثهم إلى تونس فاعتقلوا بها، ورجع هو إلى الحضرة فدخلها في جاري من سنته. وجدت البيعة على الناس، وزحفت العرب في اتباعه حتى نزلوا بظاهر البلد وشرطوا عليه إطلاق مولاهم وأصحابه، فأندذ السلطان قتلهم فقتلوا بمحبسهم، وبعث باشلاقهم إلى حزرة فعظم عنده موقع هذا الحزن، وصرخ في قومه وتأمروا أن يشاروا بصاحبهم.

وأعادوا السير إلى الحضرة ودخل ابن أبي عمران معهم على حين افتراق وإراحة السلطان. وظنوا أنهم يتهزرون الفرصة، وخرج السلطان عن تونس لأربعين يوماً من دخوله ولحق بقسطنطينية ودخل ابن أبي عمران إلى تونس فآقام بها ستة أشهر خلال ما احتشد السلطان جوعه واستكمل تعبيه. ونهض من قسطنطينية وزحف إليه ابن أبي عمران وحزره بن عمر في جموعه. فاوقع السلطان بهم وألتحن فيهم وشردهم في النواحي وعاد إلى تونس فدخلها في صفر سنة ثلاث وعشرين وسبعين، ومضى حزرة لوجهه إلى أن كان من أمره ما ذكره.

فاستكمل الحشد والتعية، ونهض إلى تونس فاجفل منها ابن الشهيد وأبن القاولون، ودخلها السلطان في شوال سنة خمس وعشرين وسبعينة واستولى على دار ملكه، وأقام بها إلى أن كان من أمره ما نذكره.

### الخبر عن حصار بجاية وبناء تيمزدكت وأنهزام عساكر السلطان عليها

كان أبو تاشفين منذ خلا له الجبو وتمكن في الأمر منه القوم يلح على بجاية بتزديد البعث ومحاولة الحصار، والسلطان أبو بكر يدفع لحمايتها والممانعة دونها من رجالات دولته وعظامه وزرائه الأول، فالأول من أهل الكفاية والاضطلاع بما يدفع إليه من ذلك. وسرب إليهم المدد من الأموال والأسلحة والجنود وتعهد إليهم بالصبر والثبات في المواطن ونظره من وراء ذلك. وكان أبو تاشفين كلما أحسن من السلطان أبي بكر بنهوضه إلى المدافعة عنها، أو عزم على غزو كتابه الجمرة عليها رماه بشاغل يوهن من عزمه ويسكن عنان بطيشه. وكانت فتنة حزة ابن عمر من أدهى الشواغل في ذلك بما كان يجنب العرب عن الطاعة، ويجمع الأحزاب للإجلاب على الحضررة، وينصب الأعياص يطمعهم فيما ليس لهم من نيل الخلافة. وكان ذلك ديدناً متصلًا أزمان تلك المدة.

ولما سرح أبو تاشفين العساكر سنة خمس وعشرين وسبعينة مع إبراهيم ابن الشهيد وحزة بن عمر وأوليائهم من أهل إفريقية، وعقد عليها موسى بن علي من رجالاته، فنازل قسطنطينية ثم ألقع عنها وعاود حصارها سنة ثمان وعشرين وسبعينة. وشن الغارة في نواحيها، واكتسح الأموال ورجع إلى وادي بجاية فاختطف مدينة بيكلات على مرحلة منها، وعلى قارعة الطريق الشارع من الغرب إلى الشرق وما كانت بجاية زائفة عنه إلى البحر، فاختطروا تلك المدينة وشيدوها وجعلوا الأيدي عليها، وقسموها مسافات على جيروشم فاستمت لأربعين يوماً وسموها تيمزدكت باسم حصنهم الأقدم بالجبل قبالة وجدة، حيث امتنع يغرسن على السعيد ونازله وهالك عليه كما ذكرناه في أخباره. وشحذوا هذه المدينة بالأقوات والمدد وعمروها بالمقاتلة من الرجل والفرسان والقبائل، وأخذت بحق البلد.

وقلت السلطانة بكلاتها فأوعز إلى قواد عساكره وأصحاب عمالاته من مواليه وصنائعه أن ينفروا بعساكرهم إلى صاحب الغر محمد بن سيد الناس ويزحفوا معه إلى هذا البلد المخوب،

### الخبر عن أجلاب حزة يا إبراهيم بن الشهيد وتغلبه على الحضرة

لما انهزم أبو ضربة بن اللحاني وحزة بن عمر وعساكر بني عبد الواحد لحق أبو ضربة بتلمسان فهلك بها، ولقي حزة بعده من الحروب مع السلطان ما لقي، ويش الكعوب من غلابة وتدامروا لفتته والإجلاب عليه، فوفد حزة بن عمر على أبي تاشفين صريغاً ومعه طالب بن مهلهل، قرنه في قرمه، ومحمد بن مسكون شيخ بني حكيم من أولاد القوس وكلهم من سليم ومعهم الحاجب ابن القاولون، فاستحوذوا عساكره لصربيتهم فكتب لهم السلطان كتبة عقد عليها موسى بن علي الكردي وأعاده معهم. ونصب لهم الملك تونس من أعياص أبي حفص إبراهيم بن الشهيد منهم، وأباوه الشهيد هو أبو بكر بن أبي الخطاب عبد الرحمن الذي نصب للأمر عند مهلك السلطان أبي عصيدة، وقتل السلطان أبو البقاء خالد كما ذكرناه. وكان إبراهيم هذا قد لحق بالعرب ونصبوا للأمر وأجلبوا به على تونس أثر واقعة رغبيس وبرزت إليهم العساكر فانهزموا كما ذكرناه، ولحق بتلمسان وجاء هذا الرزق على أثر فتنته السلطان أبو تاشفين لهم واستعمل على حجابته محمد بن بجي بن القاولون، وبعث معهم العساكر لنظر موسى بن علي الكردي وزحفوا إلى إفريقية. وخرج السلطان أبو بكر من تونس للداعتهم ذي القعدة من سنة أربع وعشرين وسبعينة واتهى إلى قسطنطينية وعاجلوه قبل استكمال التعية فنزلوا ساحتها. وأقام موسى بن علي على منزلتها بعساكر بني عبد الواحد. وتقىم إبراهيم بن الشهيد وحزة بن عمر إلى تونس فدخلها في رجب سنة خمس وعشرين وسبعينة واستمكنا منها، وعقد على باحة لحمد بن داود من مشيخة الموردين وثار عليه في بعض ليالي رمضان بعض بطانة السلطان كانوا بالبلد في غيابات الاختفاء، وكان منهم يوسف بن عامر بن عثمان، وهو ابن أخي عبد الحق بن عثمان من أعياص بني مرين، وفيهم القائد بلاط من وجوه الترك المترفة بالحضررة، وابن جسار نقيب الشرفاء فاعتدوا واجتمعوا من جوف الليل و هتفوا بدعوة السلطان وطافوا بالقصبة فامتنعت عليهم، فتمدوا إلى دار كشلي من الترك المترفة، وكان بطانة لابن القاولون فقاتلوا وامتنعت عليهم. ثم أعلجهم الصباح عن مرامهم وتبعوا بالقتل، وفرغ من شأنهم، وكان موسى بن علي ومن معه من العساكر لما مخلف عن ابن الشهيد لحصار قسطنطينية أقام عليها أيام، ثم ألقع عنها لخمس عشرة ليلة من منزلته ورجع إلى صاحبه بتلمسان. وخرج السلطان من قسطنطينية

جدنا الأقرب فأبي، ورغم في الإقالة فأجحف جنوحًا لما كان يسيله منذ سنين من الصاغية إلى الدين والرغبة في السكون والفرار من الرتب. وأشار على السلطان بصاحب الثغر محمد بن أبي الحسين بن سيد الناس لتقديمه سلنه مع سلف السلطان، وكثرة تابعه وحاشيته وقوته شكيته في الاضطلاع بما يدفع إليه.

أخبرني بهذا الخبر أبي رحمة الله وصاحبنا محمد بن منصور بن مزني، قال لي: حضرت لاستدعاء جدكم إلى مسكن السلطان بياجة يوم مهلك المزوار، وأدخله السلطان إلى رواقه، وغاب ملياً ثم خرج وقد استفاض بين البطانة والحاشية أنه دعي إلى الخطة فاستذكرها، وأقام السلطان يومئذ في خطة الحجاجة الكاتب أبي القاسم بن عبد العزيز يقيم الرسم، واستقدم خالصته محمد بن حاجب أخيه أبي الحسين بن سيد الناس، فقدم في عمر فاتح ثمان وعشرين وسبعينة وولاه حجاجته فاضطلاع لها، وجدد له العقد على بجاية وحجابة ابنه بها، فدفع إليها للنباية عنه في الحجاجة صنيعه محمد بن فرحون، ومعه كاتبه أبو القاسم بن المرید. وجرى الحال على ذلك بجاية وعساكر زناته تجوس خلالها ومعاقلهم تأخذ بمحنتها. وقدم القالون دوني مقدم ابن سيد الناس بشفاعة من نزيله علي بن أحمد سيد الدواودة، وطبع في عوده إلى الخطة.

وكان من خبره أنه لما تخلف عن السلطان بتونس في خدمة ابن أبي عمران رأى ركوب السفين إلى الأندلس، فاعجلهم السلطان عن ذلك وخرج ابن أبي عمران فاجلب معه على الحضرة مواراً، ولحق بتلمسان. ثم جاء مع ابن الشهيد وفعل الأفاعيل، ثم أخل أمر ابن الشهيد، ولحق هو بالدواودة من رياح. ونزل على علي بن أحمد رئيسهم لذلك المهد فاجراه وأنزله بطرلقة من بلاد الزاب، وخطب السلطان في شأنه واقتضى له الأمان حتى أسعف ووفد على الحضرة مع أخيه موسى بن أحمد، وفي نفس القالون طمع في الخطة. وبسبقه ابن سيد الناس إلى السلطان فاستقل بها. وجاء القالون من بعده فأوصله السلطان إلى نفسه، واعتذر إليه ووعده وعقد له على ققصة فسار إليها وصحب موالى السلطان من المعلوجي بشير وفارح وأوزع ابن سيد الناس إلى مشيخة ققصة أن يتقبضوا على حاميته ليتمكن المولاي منه. فلما نزل ساحة البلد دخل كشلي من جند الترك المرتزقة كان في جملته منذ أيام حجاجته وكان يستظهر بمكانه. فلما دخل إلى البلد قتل في سككها فكانت لقتله هيبة تسامع الناس بعظامها من خارج البلد، وبرز القالون من فسيطاته وقد جث للرعب فقدم إليه المولاي الذين جاؤوا معه وتناولوه طعنًا بالخناجر إلى أن هلك. والله وارت الأرض ومن عليها.

ويستحبوا دون تحريره، فنهض ظافر الكبير من قسطنطينية وبعد الله العاقل من هوارة وظافر السنان من بونة: وتوافر بجاية سنة سبع وعشرين وسبعينة ويبلغ موسى بن علي خبرهم فاستقر من عساكر بني الواد، وخرجت العساكر جميعاً من بجاية تحت لواء ابن سيد الناس. وزحف إلى العدو بعيمهم من تيكلات فكانت الدبرة عليه وعلى أصحابه، وقتل ظافر الكبير ورجع فلهم إلى بجاية. ودخلت ابن سيد الناس فيهم الظنة بما كان يداخل موسى بن عيسى في زبون كل واحد منها بصاحب على سلطانه. فمنعهم من دخول البلد ليثبتوا وأسحروا قافقين إلى أعمالهم، وعقد السلطان على قسطنطينية لأبي القاسم بن عبد العزيز أيامه. ثم استقدمه إلى الحضرة ليستعين به محمد بن عبد العزيز المزوار في خطة حجاجته بما كان غفلًا من الأدوات التي تحتاج إليها الحجاجة. وعقد على حجاجة ابنه الأمير أبي عبد الله بقسطنطينية لولاه ظافر السنان إلى أن كان من تحويل بنائه ما ذكره.

### الخبر عن مهلك الحاجب المزوار وولاية ابن سيد الناس مكانه ومقتل ابن القالون

هذا الرجل محمد بن القالون المعروف بالمزوار، لا أدرى من أوليته أكثر من أنه كريدي من الأكراد الذين وفد رؤساؤهم على ملوك المغرب أيام أجlaham التتر عن أوطائهم بشهر زور عند تغلبهم على بغداد سنة ست وخمسين وستمائة: فعنهم من أقام بتونس، ومنهم من تقدم إلى المغرب فنزلوا على المرتضى بمراكش فأحسن جوارهم. وصار قوم منهم إلى بني مرین وأخرون إلى بني عبد الواد حسبما ذكر في أخبارهم.

ومن المقيمين بالحضرمة كان سلف ابن عبد العزيز هذا إلى أن نشا هو في دولة الأمير أبي زكريا الأوسط صاحب الثغر الغربية، وتحت كتف من اصطناعه. واحتلّ ببناته وقدم في جلة ابنه السلطان أبي يكر إلى تونس مقدماً في بطانته ورئيساً على الحاشية السمين بالدخلة، وكان يعرف لذلك بالمزوار. وكان شهماً وقوراً متدينًا ولو في الدولة حظ من الظهور، وهو الذي تولى كبر السعاية في الحاجب ابن القالون حتى ارتقى بمكانه، وفر إلى ابن أبي عمران سنة إحدى وعشرين وسبعينة كما قدمناه. وولاه السلطان الحجاجة مكانه فقام بها مستعيناً بالكاتب أبي القاسم بن عبد العزيز لخلوه هو من الأدوات. وإنما كان شجاعاً بهمة.

ولم يزل على ذلك إلى أن هلك في شعبان سنة سبع وعشرين وسبعينة وأراد السلطان على الحجاجة محمد بن خلدون

## الخبر عن ولاية الفضل على بونة

نزل عبد الحق بن عثمان على أبي تاشفين خير نزل، ورثبه فيما كان يسلمه من مطالبة الدولة المفصية وتذويغ مالكها، ووفد على أثره حزرة بن عمر ورجالات سليم صريحةً على عادتهم. فأجاب أبو تاشفين صريحهم ونصب لهم محمد بن أبي عمran وكان من خبره أنه ترك السلطان اللخاني عاملاً على طرابلس. فلما انهرم أبو ضربة وأخل أمره استقدمه العرب وأجلروا به على الحضرة سنة إحدى وعشرين وسبعينة فملكتها ستة أشهر. ثم أجمل عنها عند رجوع السلطان إليها، ولحق بطرابلس إلى أن انتقض عليه أهلها سنة أربع وعشرين وسبعينة وثاروا بها وأخرجوه فلحق بالعرب وأجلروا به على السلطان مراراً ينهرون عنه في كلها.

ثم لحق بتلمسان واستقر بها عند أبي تاشفين في خير جوار وكراهة وجراية إلى أن وصل هذا الرند إليه سنة تسعة وعشرين وسبعينة فنصبه للأمر بإفريقية. وأمددهم بالعساكر من زناته. عقد عليهم ليحيى بن موسى من بطاته وصنائع أبيه. ورجع معهم عبد الحق بن عثمان بن في جلته من بينه وعشيرته ومواليه وحاشيته. وكانت أحوالس حرب وقتيلان كريهة، فنهضوا جميعاً إلى تونس فزحف السلطان للقائهم وتراى الجماع بالرياس من نواحي بلاد هوارة سنة سبع وعشرين وسبعينة، فدارت الحرب وأختل مصاف السلطان، وأفلت جموعه. وأحيط به فانلت بعد عصب الريق، وأصابته في حومة الحرب جراحة وهن لها، وقتل كثير من بطاته وحاشيته، وكان من أشهرهم محمد المديوني. وانتهت المعسكر وتقبض على أحد وعمر ابنى السلطان فاحتالم إلى تلمسان حتى أطلقهما أبو تاشفين بعد ذلك في مراسلة وقعت بينه وبين السلطان فاتحه فيها أبو تاشفين، وجئح إلى السلم وأطلق الاثنين ولم يتم شأن الصلح من بعد ذلك. وتقدم ابن أبي عمran بعد الواقعية إلى تونس فدخلها في صفر سنة ثلاثين وسبعينة واستبدل عليه يحيى بن موسى قائد بنى عبد الواد، وحجب التصرف في شيء من أمره، ثم عاد يحيى بن موسى إلى سلطانه. ونهض السلطان أبو بكر من قسطنطينية إلى تونس بعد أن استكمل الحشد والتيبة، فأجمل ابن أبي عمran عنها، ودخل إليها السلطان في رجب من ستة إلى أن كان ما ذكره.

كان السلطان عقد على بونة منذ أول دولته لسواء مسرور الملعجي فقام فاضطلع بولايتها، وكان من الغلظة ومراسن الحروب بمكان. وكان مع ذلك غشوماً جباراً وخرج إلى وطاحصة سنة... \* فاضطهدتهم وذهبوا إلى مدافعته عن أمرائهم فحاربهم. وبلغ خير مهلكه إلى السلطان فقد على بونة لابنه أبي العباس الفضل، وبعثه إليها. وولى على حجاجته وقيادة عسکره ظافراً السنان من مواليه الملعجيين فقام بما دفع إليه من ذلك أحسن قيام إلى أن كان من أمرهم ما ذكره.

## الخبر عن واقعة الرياس وما كان قبلها من مهلك الأمير أبي فارس أخي السلطان

كان السلطان أبو بكر لما قدم إلى تونس قدم معه إخوته الثلاثة محمد وعبد العزيز وعبد الرحمن، وهلك عبد الرحمن منهم ويقى الآخران. وكانت في ظل ظليل من النعمة، وحظ كبير من المساهمة في الجاه. وكان في نفس الأمير أبي فارس شوق إلى نيل المرتبة وتربص بالدولة. وكان عبد الحق بن عثمان بن محمد بن عبد الحق من فحول بي مرين وأعياص ملوكهم قدم على الحضرة نازعاً إليها من الأندلس، فنزل على ابن عمر بيجاية قبيل مهلكه سنة ثمان عشر وسبعينة ثم لحق بالسلطان فلقاه مبرة ورجباً، ووفر حظه وحظ حاشيته من الجرایات والأقطاع، وجعل له أن يستركب ويستلحق، وكان يستظهر به في مواقع حربه، ويتجمل في المشاهد بمكانه من سريره بما كان سيداً في قومه. وكان قد انعقدت له بيعة على أهل وطنه، وكانت فيه غلظة وأنفة وإباء، وغدا في بعض أيامه على الحاجب ابن سيد الناس فلقاه الإذن بالغدر، فذهب مغاضباً، ومر بدار الأمير أبي فارس فحمله على ذات صدره من الخروج والثورة، وخرج من يومهما في ربيع ستة وعشرين وسبعينة ومرا بعض أحياء العرب فاعتبرهما أمير الحمى فعرض عليهما التزول، فأمسأ عبد الحق فابي وذهب لوجهه إلى أن لحق بتلمسان، وأمام الأمير أبو فارس فأجاب ونزل، وطير بالخبر إلى السلطان فسرح لوقته محمد بن الحكيم من صنائعه وفداد دولته في طائفه من العسكر والنصراري، فصبيحوه في الحي وأحاطاوا بيته نزله فامتنع من الإلقاء باليد، ودافع عن نفسه مستمنياً فقتلوه قعضاً بالرماح، وجاؤوا بشلوه إلى الحضرة فدفن بها.

## الخبر عن حركة السلطان إلى المغرب وفرار بني عبد الواد وتخييب تامرزدكت

كان مهلك السلطان أبي سعيد على ثقته ما قدمته من الأخبار آخر سنة إحدى وثلاثين وسبعيناً وولي السلطان أبو الحسن من بعده فبعث إلى ابن تاشفين يخاطبه في الغض عن عنان عليه بلاد الموحدين وطغيانه عليها، فلنج واستكير وأسأله الرد، فنهض إليه في سبيل الصريح لهم سنة اثنين وثلاثين وسبعيناً وطوى البلاد طيّاً إلى تلمسان، وأفرجت عساكرهم عن بجاية إلى سلطانهم. وتقدم السلطان عن تلمسان لمشاركة أحوال بجاية سلطانهم. وبينما تقدم السلطان إلى تلمسان لمشاركة أحوال بجاية إلى سلطانهم. وتقدم السلطان عن تلمسان لمشاركة أحوال بجاية سلطانهم. وبينما تقدم السلطان إلى تلمسان لمشاركة أحوال بجاية إلى سلطانهم. وبينما تقدم السلطان إلى تلمسان لمشاركة أحوال بجاية سلطانهم.

وبلغه بمعسكره من تاسالة أن أخاه السلطان أبي علي صاحب سجلmasة انتقض وخرج إلى درعة، فقتل عامله عليهما بعد أن كان داخله وعقد له على المهادة والتجافى عنه بمكانه من سجلmasة. فلما بلغه هذا الخبر كر راجعاً إلى المغرب لإصلاح شأنه.

وكان السلطان أبو بكر قد خرج من تونس واحتفل في الحشد والتيبة فانتهى إلى بجاية ويعث مقدماته إلى ثغور بني عبد الواد المحطة بجاية فهزموا كتابها. ثم زحف بحملته إلى تامرزدكت، وفرت عنها الكتاب الجمرة بها، فأناخ عليها حتى خربها وانتهب أموالها وأسلحتها، ونسف آثارها وقتل عنها إلى بلد المسيلة أختها في الغي، وموطن أولاد سباع بن يحيى من الدواودة، كانت مشيختهم سليمان ويحيى ابنها على بن سباع وعمان بن سباع عمهم وابنه سعيد، قد تمسکوا بطااعة أبي تاشفين وحملوا عليها قومهم، ونهجوا لعسكره السبيل إلى وطه بلاد الموحدين والعبيث فيها ومجاذبة حلها.

واقطعهم أبو تاشفين بلد المسيلة وجبل متان ووانوغة وجبل عياض فأصاروها من أعمالها، فلما شرد السلطان عساكرهم عن بجاية وهدم ثغرهم عليها واسترجع أعمال بجاية إليها سار بجموعه إلى هذا الوطن ليسترجع أعماله ويجدد به دعوه. وزاد في

## الخبر عن مراسلة ملك المغرب في الاستجاشة على بن عبد الواد وما يتبع ذلك من المصاورة

كان السلطان أبو بكر لما خلص من واقعة الرياس نجا إلى بونة، وركب منها البحر إلى بجاية، وقد ضاق ذرعه باللحاج عبد الواد على مالكه وتجهيز الكتاب على ثغره وتردد العبروت إلى وطنه، فأخيل نظره في الرفادة على ملك المغرب السلطان أبي سعيد ليذكره ما بين سلفه وسلفهم من السابقة، مع ما لهم عند بني عبد الواد من الأوتار والإحن، ليبعث بذلك دعائهم على مطالبة بني عبد الواد: فيأخذ مجذتهم عنه.

ثم عين للوفادة عليه ابنه الأمير أبي زكريا، ويعث معه ابن محمد عبد الله بن تافراكن من مشيخة الموحدين لساناً خطابه وخليداً لشواره. وركبوا البحر من بجاية فنزلوا بمرسى غساسة، واهتز صاحب المغرب لقدومه وأكرم وفادته واستغل في القرى والإجارة، وأجاب دعاهم إلى محاربة عدوهم وعدوه على شريطة اجتماع اليد عليها وموافقة السلطان أبي سعيد والسلطان أبي يحيى بعساكرهما تلمسان لوعده ضربوه لذلك.

وكان السلطان أبو سعيد قد بعث سنة إحدى وعشرين وسبعيناً يحيى الزنداجي قائداً للأسطول بسبية إلى مولانا السلطان أبي بكر في الإصهار على إحدى كرانمه، وشنّ عن ذلك بما وقع من شأن ابن أبي عمران. فلما وفد عليه ابن السلطان وأولياؤه أعاد الحديث في ذلك، وعین للزيارة عنه في الخطبة من السلطان إبراهيم بن أبي حاتم العزفي وصرفه مع العدو، فوافيا السلطان بتونس آخر سنة ثلاثين وسبعيناً وقد طرد عدوه وشفى نفسه، فجاوزه بأمنيته من حركة صاحب المغرب على تلمسان. وخطب منه إبراهيم للأمير أبي الحسن ابن السلطان أبي سعيد، فعقد على ابنه فاطمة شقيقة الأمير أبي زكريا السفير إليهم وزفتها إليه في أسطبليه سنة إحدى وثلاثين وسبعيناً وتقدم لزفافها من مشيخة الموحدين أبو القاسم بن عتو ومحمد بن سليمان الناسك، وقد مر ذكره، فنزلت على محل وثير من الغطة والعز، وكان الشأن في مهرها وزفافها ومشاهد أعراضها وولائتها وجهازها كلها من المفاخر للدولتين، ولم يزل مذكوراً على الأيام.

إغرائه بذلك علي بن أحمد كبير أولاد محمد لقتال أولاد سباع هؤلاء ونظائهم وأهل أوتارهم ودخولهم، فارتحل غازياً إلى المسيلة حتى نزلها، واصطلم نعمها وخرب أسوارها، وبلغه مكانه منها شأن عبد الواحد ابن السلطان الليجاني وأجلبه على تونس، وكان من خبره أنه قدم من المشرق بعد مهلك أبيه السلطان أبي يحيى زكريا سنة سبع وعشرين وسبعينة فنزل على دباب وباب له عبد الملك بن مكي رئيس المشيخة بقبابس، وتسامع به الناس وإفريقية شاغرة من الخامية والعساكر لنهر لهم مع السلطان، فاغتصم حزة بن عمر الفرصة، واستقدمه فيبايع له ورحل به إلى الحضرة، فنزل بساحتها، ودخل عبد الواحد بن الليجاني وحاجبه ابن مكي إلى البلد فأقاموا بها ريثما بلغ الخبر إلى السلطان فقفز من الحضرة ويعث في مقدمته محمد البطري من بطانته في عسكر اختارهم لذلك، فأجلب ابن الليجاني وجوعه عن تونس خمس عشرة ليلة من نزولهم، ودخل البطري إليها وجاء السلطان على أثره أيام عبد القطر سنة اثنين وثلاثين وسبعينة.

### الخبر عن نكبة الحاجب محمد بن سيد الناس وولاية ابن عبد العزيز وابن الحكيم من بعده

قد قدمنا أولية هذا الرجل وأن أبا الحسين كان حاجباً للأمير أبي زكريا بيجاية. ولما هلك سنة تسعين وستمائة خلف ابنه حمداً هنا في كفالة السلطان ومرعى نعمته، فاشتمل قصرهم عليه وأواه إلى حجره وارضعه مع الكثير من بنيه، ونشأ في كفه. وكان الحاجب للدولة من بعد أبيه مثل ابن أبي جبي والرخامي صنائع لأنبيه فكانوا يعرفون حقه ويتوثرون على أنفسهم في التجلة. ولم يدرك في سن الرجولة والسعى في المجد إلا أيام ابن غمر آخرهم، فكان له منه مكان حتى إذا ارتحل السلطان أبو يحيى إلى قسطنطينية لطلب تونس، وجهز له ابن غمر الآلات والعساكر، وأقام له الحاجب والوزراء والقواد، كان فيما سرح معه محمد بن سيد الناس قائداً على عسكر من عساكرة. وكان ظريراً للسلطان فكانت له عنده أثره واحتصاص، وعند له من بعد مهلك ابن غمر على بيجاية لما عزل عنها القاولون كما قدمناه، فاستبد بها على السلطان وحاماها دون عساكر زنانة، ودفع في صدورهم عنها وكان له في ذلك كله مقامات مذكورة.

وكانت بينه وبين قائد زنانة موسى بن علي مداخلة في زبون كل واحد منهمما بمكان صاحبه على سلطانه، وقطن

لأمريهما. فاما أبو تاشفين فكتب موسى بن علي كما نذكره في أخباره، وأما السلطان أبو بكر فاغضى لابن سيد الناس عنها. ثم استدعاه وقلده حجابته سنة سبع وعشرين وسبعينة كما قدمناه، واستخلف على مكانه بيجاية محمد بن فرجون وأحمد بن المزید للقيام بما كان يتولاه من مدافعة العدو وكفالة الأمير أبي زكريا ابن السلطان. وقدم هو على السلطان وأسكنه بقصور ملكه، وفرض إليه أمر سلطانه، تفويض الاستقلال، فجرى في طلق الاستبداد عليه وأرخي له السلطان جبل الإيمان واعتدى عليه فلاتات الدالة مع ما كانت الظنون ترجم فيه بالمداهنة في شأن العدو والزبون على مولاه باستغلالهم. وأمهله السلطان ل مكانه من حماية الغرب بيجاية والاستقلال به دونه، حتى إذا تجلت غمامتهم، وأطل أبو الحسن عليهم من مرقه ونهض السلطان أبو بكر إلى بجاية وخرب تمرزدكت، فأغاره البطانة حيثذا الحاجب محمد بن سيد الناس.

وبته له السلطان فأحافظ له استبداده وتقبض عليه مرعنه من هذه الحركة في ربیع سنة ثلاط وثلاثين وسبعينة واعتلله. ثم امتحنه بائراع العذاب لاستخراج المال معه فلم يبن بقطرة، وما زال يستغيث ويتسل بسوابقه من الرضاع والمربي، وسوابق أبيه عند سلفه حتى لدغه العذاب فأفحش، ونان من السلطان واقتزع فقتل شدحاً بالعصي وجر شلوه فاحرق خارج الحضرة وعفا رسمه كان لم يكن، وإلى الله عاقبة الأمور.

ولما تقبض السلطان على ابن سيد الناس ومحا أثر استبداده قلد حجابته الكاتب أبي القاسم بن عبد العزيز، وقد كان قدمن من الحمة عند مبايعة ابن مكي لعبد الواحد بن الليجاني فلحق بالسلطان في طريقه إلى تمرزدكت، فلم يزل معه إلى أن دخل حضرته، وتقبض على ابن سيد الناس فولاه الحجابية، وكان مضطعاً لا يقدر بال الحرب، فقد السلطان على الحرب والتدبیر لضياعه وكثير بطاته يومئذ محمد بن الحكيم وفرض له فيما وراء الحضرة، وهو محمد بن علي بن محمد بن حزة بن إبراهيم بن أحد الليخمي، ونسبة في بني العزفي الرؤساء بسبطة. وجده أحمد هو أبو العباس المذكور بالعلم والدين والد أبي القاسم المستقل برئاسة سبطة بعد الموحدين، وكان من خبر أوليه فيما حدثني به محمد بن يحيى بن أبي طالب العزفي آخر رؤساء العزفرين بسبطة، والمنتضي أمرهم بها بانقضاض رئاسته، وحدثني بها أيضاً حسين ابن عمه عبد الرحمن بن أبي طالب، وحدثني بها أيضاً الثقة عن إبراهيم ابن عمهمما أبي حاتم قالوا جميعاً: إن أبي القاسم العزفي كان له آخر يسمى إبراهيم، وكان مسرفاً على نفسه وأصاب دماً في سبطة،

## الخبر عن فحصه وولاية الأمير أبي

## ال Abbas عليها

كان أهل الجريد متذمرون تناقض عنهم ظل الدولة عند انقسام الملك بين التغور الغربية والحضراء وما إليها، وصار أمرهم إلى الشورى بين المشيخة إلا في الأحيان بؤمن الاستبداد كما كانوا عليه من قبل الموحدين، فقدم عبد المؤمن إلى إفريقيا وبنو الرند على فحصه وقسطنطينية، وابن واطس على تزور، وابن مطروح على طرابلس فاملوا فتكها، وشنل مولانا السلطان إبا بكر عنهم بعد استقلاله بالأمر وإنفراده بالدعوة الخففية شأن الفتنة مع آل يغمراسن بن زيان وإجلاب عساكرهم مع حزرة بن عمر على أوطانه. حتى إذا أخذ السلطان أبو الحسن بمحجتهم وأطل عليهم من مراقبه فعادوا إلى أوكرارهم بعد أن أسفوا، وتفسخ محنق التغور الغربية من حصارهم، وزال عن كاهل الدولة إصر معاناتهم وسكن اضطراب الخوارج على الدولة وخفت أصوات المرجفين في عالمها، وصرف السلطان نظره في أعطاف ملكه ومحو الشفاق من سائر أعماله، وسمت همته إلى تدوين القاصية من بلاد الجريد واستنقاذ أهلها من أيدي الذئاب الغاوية والكلاب العادي زعماء أصارارها وأعراپ فلاتها، فنهض إلى فحصه سنة خمس وثلاثين وبسبعينة وقد كان استبد بشوراهما يحيى بن محمد بن علي بن عبد الجليل بن العابد الشريدي من بيوتها، فنازلا أيامًا والعساكر تلح عليها بتنوع القتال، ونصب عليها المجانق فامتنعوا. ثم جمع الأيدي حتى قطع تحليهم وإلقاء شجرائهم فنادوا بالأمان فأمنهم. وخرج إليه ابن عبد الجليل رئيسهم الآخر من ستة، فأشخصه إلى الحضرة وأنزله بها ورجالات من قومه بني العابد. وفر سائرهم إلى قابس فنزل في جوار ابن مكي ودخل أهل البلد في حكمه، ونفيوا بعد أن كانوا ضاحجين من الملك كله فاحسن التجاوز عنهم، ويسط المعدلة فيهم. وأحسن أمل ذوي الحاجات منهم بالإسهام والأقطاع وتجديد ما باليهم من المكتوبات السلطانية. ثم آثراهم بسكنى ولده المخصوص بعدن لعهد الأمير أبي العباس، وأنزله بين ظهاريهما وأوصاه بهم، وعقد له على قسطنطينية وما إليها. وجعل معه على حجابته أبا القاسم ابن عتو من مشيخة الموحدين، وفضل إلى حضرته فدخلها في رمضان من ستة.

وحلف أخوه أبو القاسم ليقتلن منه، فقر ولقن بديار المشرق. هذا آخر خبرهم، وإن حمدًا هذا من بنيه.

وبقية الخبر عن أهل هذا البيت من سواهم أن إبراهيم أغلب محمدًا، وأنجب محمد حزرة، ثم أنجب حزرة علياً فكلف بالقراءة واستظهر علم الطب واستقر في إيلال السلطان أبي زكرياء باللغور الغربية وأصاب السلطان وجع في بعض أزمانه وأعياه دواؤه فجمع له الأطباء وكان فيهم علي هذا فحدس على المرض وأحسن المداواة، فرقع من السلطان أحسن الواقع واستخلصه لنفسه وخلطه بخاصيته وأهل خلوته، وصار له من الدولة مكان لا يجاريه أحد فيه. وكان يدعى في الدولة بالحكيم وبه عرف ابنه من بعده، وأصهر إلى إحدى بيوت قسطنطينية فزوجوه وخلط أهله بحرم السلطان. ولد له محمد ابنه بقصره، ورضع مع الأمير أبي بكر ابنه، ونشأ في حجر الدولة وكفالتها على أحسن الوجه من تربيتها.

ولم بلغ أشده وصرف إليه رئيس الدولة يعقوب بن غمر وجه إقباله واختصاصه. فكان له منه مكان أكببه ترشيحًا للرئاسة فيما بعد من بين خواص السلطان وخلصاته.

ولما نهض السلطان أبو يحيى إلى إفريقية قلدته قيادة بعض العساكر. ثم عقد له بعد مهلك ابن عمر على عمل باجة حين رقى ابن سيد الناس عنها إلى مجاهدة. وكان عمل باجة من أعظم الولايات في الدولة فاضططلع به. ثم لما أمر السلطان بطانته في نكبة ابن سيد الناس دفعه لذلك. فولي القبض عليه وكمن له في عصبة من البطانت في بعض الحجر من رياض رأس الطيبة. واستنادي ابن سيد الناس إلى السلطان ومر بمكانتهم. فلما انتهى إليهم توبيوا به وشدوه كتاباً وتلوه إلى عبسه بالبرج المعد لقتال مثله بالقصبة.

وتولى ابن الحكيم من امتحانه وعذابه ما ذكرناه إلى أن هلك، وعقد له السلطان مكانه على الحرب والتدبیر من خططه، وفرض إليه فيما وراء الحضرة كما قلنا.

وجعل تنفيذ الأموال والكتب على الأوامر لابن عبد العزيز، فكان عدله في حل الدولة، إلا أن ابن عبد الحكيم كان أسف فيه لما كان إليه من التدبیر في الحرب والرئاسة على الكتابة، لرئاسة السيف على القلم فاضططلع برئاسته وأحسن الغلاء والولاية إلى أن كان من خبره وخبر الدولة ما نذكر.

لدافعه العدو، وعقد على قسطنطينية للأمير أبي عبد الله ومعه أحمد بن ياسين. وخرجوا جميعاً من تونس سنة عشرين وسبعين ونزل كل بعمله. وقد ظافر الكبير من الغرب فولاه السلطان حجابة ابنه بقسطنطينية وأنزله بها إلى أن هلك ستة سبع وعشرين وسبعيناً على تيمزيدكت كما ذكرناه، فجاء بمجابته من تونس أبو القاسم بن عبد العزيز الكاتب فقام أربعين يوماً.

ثم رجع إلى الحضره وأضاف السلطان حجابة قسطنطينية لابن سيد الناس إلى حجابة مجاهي، وبعث إليها نائباً عنه مولاً هلال النازع إليه عن موسى بن علي قائدبني عبد الواد فقام بخدمة الأمير أبي عبد الله إلى أن كانت نكبة ابن سيد الناس عندما بلغ الأمير أبو عبدالله أشدده وجراه في طلق استبداده ففروض له في عمله السلطان وأطلق من عنانه، وكان يؤامرها في شأنه ويناجيه في خلوته.

وأنزل معه بقسطنطينية مولاً نبيلاً من المعلجين يقيم له رسم الحجابة. ثم استدعي ظافر السنان من تونس سنة أربع وثلاثين وسبعيناً لقيادة الأعنة وال Herb، فقدم لذلك وأقام ستة ونصفها. ثم رجع وقام نبيل مجابته كما كان ودفع ليعيش بن... من صنائع الدولة لقيادة العساكر وحاجة الأوطان فقادمه لذلك مراسم الخدمة ورتب الدولة واستمرت حال الأمير أبي عبد الله على ذلك والأيام تزدهر ظهوراً ومساعيه الملوكية تكسبه خاللاً وترشيحها إلى أن اغتنط دون غايته وإعانته الأجل عن مداره، فهلك رضوان الله عليه آخر سبع وثلاثين وسبعيناً وقام بأمره من بعده كبير بنيه الأمير أبو زيد عبد الرحمن، فعقد له السلطان أبو بكر على عمل أخيه لنظر نبيل مولاهم لكان صغره، واستمرت حالم على ذلك إلى آخر الدولة، وكان من أمرهم ما ذكره بعد والله تعالى أعلم.

### الخبر عن شأن العرب ومهملاً حزرة ثم

أجلاب بنيه على الحضره وانهزامهم ومقتل  
معز وزيرهم وما قارن ذلك من الأحداث

لما ملك السلطان أبو الحسن تلمسان وأعمالها، وقطع دابر آل زيان واجتث أصلهم وجمع كلمة زنانة على طاعته، واستبعدهم غصباً تحت لوانه، ودانت القبائل بالانتياد له ورجحت القلوب لرعبه، ووفد عليه حزرة بن عمر يرغيه في ممالك إفريقية ويستحثه لها دينه مع أبي تاشفين من قبله، فكشف بالباس من غلوائه،

### الخبر عن ولاية الأمير أبي فارس بن عزوز وأبي البقاء خالد على سوسة ثم إضافة المهدية إليهما

لما نكب السلطان حاجبه ابن سيد الناس، وولى محمد بن فرحون على حجابة ابنه الأمير أبي زكري، وقارن ذلك ما نزل بغيره من عدوهم وتفرغ السلطان للنظر في ملكه وتهيئ أحواله، وأن يرسى قواعد أعماله بنجاه أبنائه. فعقد على سوسة والبلاد الساحلية لولديه الأمرين عزوز وخالد شريكتين في الأمر، وأنزلاهما بسوسة، وأنزل معهما محمد بن طاهر من صنائع الدولة ومن بيت أهل الأندلس القادمين في الجالية، ورئاسة سلفهم بمرتبة معروفة في أخبار الطوائف. وكان أخوه أبو القاسم صاحب الأشغال بالحضره فأقاما كذلك. ثم هلك محمد بن طاهر فاستقدم السلطان محمد بن فرحون من مجاهة ثقة باستبداد ابنه وأن يولي من شاه على حجابته وأنزل ابن فرحون مع هذين الأمرين لصقرهما سنة خمس وثلاثين وسبعيناً. ثم استدعاه الأمير أبي زكري فرجع إليه وأقام هذان الأميران بسوسة حتى إذا نكب السلطان قائدته محمد بن الحكيم واستنزل قريبه محمد بن الركراك من المهدية كان أنزله بها ابن الحكيم لما انتدحها من يد المتغلب عليها من أهل رجب، ويعرف باسم عبد الغفار واحتلها شحناً لنفسه، وأنزل بها قريبه هذا وأشحنتها بالعدد والأقورات فلم يعن عنه. ولما هلك استنزل ابن الركراك وبعث السلطان عليهم ابنه الأمير أبا البقاء، وأفرد الأمير أبا فارس بولاية سوسة فأقاما كذلك إلى أن كان من خبر مهلكهما ما ذكره.

### الخبر عن وفاة الأمير أبي عبد الله صاحب قسطنطينية من الأبناء وولاته بنيه من بعده

كان الأمير أبي عبد الله مخصوصاً من أئمه من بين ولده بالأثره والعناء قد صرف إليه إقباله واللقى عليه محنته لما كان يتوضأ في شوارعه من الترشيح، وما تحلى به من خلال الملك. وكان الناس يعرفون له حق ذلك؛ وذلك أن ابن عمر كان مستبداً بالشغر الغربي: بمجاهية وقسطنطينية ومدافعاً عنها العدو من زنانة المطالبين لها. فلما هلك ابن عمر سنة تسع عشرة وسبعيناً كما قدمناه صرف السلطان نظره إلى نفورة، فعقد على مجاهية لابنه الأمير أبي زكري وعقد على حجابته لابن القفالون وسرحه معه

وذهبوا مقلوبين إلى القفر ومرروا في طريقهم بالأمير أبي العباس بقصبة فرغبو بالخلاف على أبيه، وأن يجلبوا به على الحضرة فأملأ لهم في ذلك حتى ظفر بالمعز بن مطاع وزير حزة وكان رأس الفاق والغواية فتفقىء عليه وقتلها، وبعث برأسه إلى الحضرة ونصب بها. ووقع ذلك من مولانا السلطان أحسن الواقع. ثم وفدها على الحضرة فباع لها بالعهد في آخر سنته في مغل أشهده الملا من الخاصة والكافة بليوان ملكه. وكان يوماً مشهوراً قرئ فيه سجل العهد على الكافة، وانقضوا منه داعين للسلطان. وراجع بنو حزة الطاعة بعدها واستقاموا عليها إلى أن كان من أمرهم ما ذكره.

### الخبر عن مهلك الحاجب ابن عبد العزيز ولولاته أبي محمد بن تافراكن من بعده وما كان على تفيته ذلك من نكبة ابن الحكيم

هذا الرجل اسمه أحد بن إسماعيل بن عبد العزيز الغساني وكنيته أبو القاسم، وأصل سلفه من الأندلس انتقلوا إلى مراكش واستخدموها بها للموحدين، واستقر أبوه إسماعيل بتونس، ونشأ أبو القاسم بها واستكتبه الحاجب ابن الدباغ، ولما دخل السلطان أبو القاء خالد إلى تونس، ونكب ابن الدباغ خارج ابن عبد العزيز إلى الحاجب ابن غمر، وخرج معه من تونس إلى قسطنطينية واستقر ظافر الكبير هناك فاستخدمه إلى أن غرب إلى الأندلس كما قدمها. ثم استعمله ابن غمر على الأشغال بقسطنطينية سنة ثلات عشرة وسبعينه فقام بها وتعلق بخدمة القالون بعد استبداد ابن عمر بيجية. فلما وصل السلطان أبو بكر إلى تونس سنة ثمان عشرة وسبعينه استقدمه القالون واستعمله على أشغال تونس. ثم كانت ساعيته في القالون مع المزوار بن عبد العزيز إلى أن فر القالون سنة إحدى وعشرين وسبعينه وولي الحاجبة المزوار بن عبد العزيز، وكان أبو القاسم بن عبد العزيز هذا رديفاً لضعف أداته.

ولما هلك ابن عبد العزيز المزوار بقي أبو القاسم بن عبد العزيز يقيم الرسم إلى أن قام ابن سيد الناس من بجاية، وتقلد الحاجبة كما قدمته فغضى بمكان ابن عبد العزيز هذا وأشخصه عن الحضرة وولاه أعمال الحامة ثم استقدم منها ظهر عبد الواحد اللحياني بجهات قابس فلحق بالسلطان في حركته إلى تيمزدكت، وأقام في جملة السلطان إلى أن نكب ابن سيد الناس، وولي الحاجبة بالحضرة كما ذكرت ذلك كله من قبل إلى أن هلك

وزجره عن خلافه على السلطان وشقاقه. ونجح له بالشفاعة سبيلاً إلى معاودة طاعته والعمل بمرضاته، فرجع حزة إلى السلطان عائداً بحمله متوسلاً بشفاعة صاحبه راغباً بإذعانه، وقطع مواد الخلاف من العرب باستقامته فلتقاء السلطان بالقبول وأسعاف الرغبة والجزاء على المناصحة والمخالصة. ولم يزل حزة بن عمر من لدن رضى مولانا السلطان عنه وإقباله عليه صحيح الطاعة خالص الطوية منادياً بظاهرة محمد بن الحكيم قائد حرية، وشهاب دولته على تدوين إفريقية وتهيد أعمالها وحسن أداؤه الفاسد منها.

وأخذ الصدقات من جميع طواعن البدو الناجعة في أقطارها، وجميع الطوائف المتعاصين بالثبور على إبقاء اليد للطاعة والكف عن أموال الجباية فكانت لهذا القائد آثار في ذلك مهداً من الدولة وارغبت أنوف المتعاطفين بالاستبداد في الفاخصية حتى استقام الأمر وانفتح آثار الشقاق فاستولى على المهدية سنة سبع وثلاثين وسبعينه وغلب عليها ابن عبد الغفار المتزري بها من أهل رجيس واستولى على تبسة وتقضى على صاحبها محمد بن عبدون من مشيختها وأودعه سجن المهدية إلى أن أطلق بعد تكبته، ونزل توzer من بعد ذلك حتى استقام ابن ملول على طاعته المصطفة، واسترHen ولنه، ونمازيل بسكرة غير مرد يدافنه يوسف بن متصور بن مزنبي بذمة عليه يدعى بها من السلطان أبي بكر وسلمه. وبعطيه الجباية عن يد مع ما كان له من الاعتلاق بخدمة السلطان أبي الحسن فيتنازعها عنه ابن الحكيم لذلك بعد استيفاء مغارمه.

وزحف إلى بلاد رغبة فافتتح قاعدتها تفتر واستولى على أموالها وذخيرتها وسار إلى جبل أوراس فافتتح الكثير من معاقلها. وعصفت ريح الدولة بأهل الخلاف من كل جانب وجاست عساكر السلطان خلال كل أرض. وفي أثناء ذلك هلك حزة بن عمر سنة اثنين وأربعين وسبعينه على يد أبي عن بن علي بن كبير أحد بطون بي كعب بمعنة طعنه غيلة فأشواهه وقام بأمره من بعده بنوه، وكبيرهم يومئذ عمر، وداخلتهم الظنة بأن قتلهم بإملاء الدولة فاعتوصروا وتدامروا واستجاشوا بأقفالهم أولاد مهلهل فجيئوا بهم وزحف إليهم ابن الحكيم في عساكر السلطان من زناته والجند فغلوا واستحلموا كثيراً من وجوههم. ورجعوا إلى الحضرة فتحصن بها واتبعوه فنزلوا بساحتها سنة ثلاثين وسبعينه وقاتلوا العساكر سبع ليال.

ثم اختلسوا ونزل طالب بن مهلهل في قومه إلى طاعة السلطان فأجفلوا وخرج السلطان على تفيته ذلك في جمادى من سنته في عساكره وأحزابه من العرب وهوارة فأوقع بهم برقةادة من ضواحي القيروان ورجعوا إلى حضرته آخر رمضان من سنته.

الدولة وجو عنایتها، وأصہر عبد الله منها إلى أبي عقوب بن يزدoten شیخ الدولة في ابته فعقد له عليها. وأصہر من بعده آخره أحمد إلى أبي محمد بن يغمر في ابته فعقد له أيضاً عليها، واستخلص أبو ضربة اللحاني كبرهما إلى محمد عبد الله وأثره بصحابته، فلم يزل معه إلى أن كانت الرقیعة عليه بصوره، وتقبض على كثير من الموحدين فكان في جلتهم. ومنْ عليه السلطان أبو بكر ورقاه في رتب عنایته إلى أن ولاد الوزارة بعد الشیخ أبي محمد بن القاسم. ثم قدمه شیخاً على الموحدين بعد مهلك شیخهم أبي عمر بن عثمان سنة اثنين وأربعين ويعثه إلى ملك المغرب مع ابنته الأمیر أبي زکریا صاحب بجایه صریحاً على بي عبد الواد فجلی في خدمة السلطان وعرض سفارته. وتوجه للإیشان بعدها إليه. واختص بالسفارة إلى ملك المغرب سائر أيامه. وغض الحاجب ابن سید الناس بمکانه، وهم يکروهه فکیح السلطان عنانه عنه، ويقال إنه أفضی إلى بذات صدره من نکته. ولما انقسمت خطط الدولة من الحرب والتدبیر وخالصة السلطان وتنفيذ أوامره بين ابن عبد العزيز الحاجب وابن الحکیم القائد. كان له هو القدح المعلی في المشورة والتدبیر، وكانوا يرجعون إليه ويعولون على رأيه، وكان ثالث أثافیهم ومصلحة آرائهم.

ولما هلك الحاجب ابن عبد العزيز، وكان السلطان قد أضم نکبة ابن الحکیم، لما كان يتعاطاه من الاستبداد ویختجه من أموال السلطان، وأسر الحاجب ابن عبد العزيز إلى السلطان زعموا بين يدي مهلكه بالتحذیر من ابن الحکیم وسوء دخلته، وأنه فاوضه أيام نزول العرب عليه بساح تونس سنة اثنين وأربعين كما قدمنه في الإدالة من السلطان ببعض الأعیاص من بني أبي دبوس، كانوا معتقلین بالحضره، القاما الغدر على لسانه ضجراً من قعود السلطان عن الخروج بنفسه إلى العرب وسامه ما هو فيه من الحصار فاعتدها عليه ابن عبد العزيز حتى القاما إلى السلطان عند موته، وبرىء منها إلى بي فأودعها إدناً واعیة وكان حتف ابن الحکیم فيها. ولما هلك وولي شیخ الموحدين أبو محمد بن تافراکین فاوضه في نکبة ابن الحکیم، وكان يتربص به لما كان بينهما من المنافسة.

وكان ابن الحکیم غائباً عن الحضره في تدوین القاصیة، وقد نزل جبل أوراس واقتضی مغارمه وتوغل في أرض الزاب واستوفی جایته من عامله يوسف بن منصور، وتقدم إلى ریغ ونازل تغرت وافتھما، وامتلأت أبيدی عساکرهم من مکاسبهم وحلیهم. واتصل به خبر مهلك ابن عبد العزيز وولاية أبي محمد بن تافراکین الحاجبه فنکر ذلك لما كان يظن أن السلطان لا يعدل

فاحت سنة اربع واربعين وسبعمائة فعقد السلطان على حجابه لشیخ الموحدين أبي محمد عبد الله بن تافراکین.

وكان بنو تافراکین هؤلاء من بیوت الموحدين في تیملل ومن آیت الخمسین. وولي عبد المؤمن کبیرهم عمر بن تافراکین على فاس أول ما ملکها الموحدون سنة أربعين وخمسة إلى أن فتحوا مراكش، فكان عبد المؤمن يستخلفه عليها أيام مغیبه على الإمارة والصلة. ولما ثار بمراکش عبد العزيز وعیسى ابنا أوغار أخی الإمام المهدی سنة إحدی وخمسین كان أول ثورتهم أن اعتضروا عمر بن تافراکین عند ندائه للصلة فقتلوه، وفضّهم الصبح فاستلهمهم العامة، ثم كان ابنه عبد الله بن عمر من بعده من رجالات الموحدين ومشیختهم. ولما عقد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن على قربة لأخیه السيد أبي إسحاق أنزل معه عبد الله بن عمر بن تافراکین للمشوره مع جماعة من الموحدين كان منهم يوسف بن واندین، وكان عبد الله القدم فیهم وجاء ابنه عمر من بعده متقدلاً مذهبة مرموقاً بتجلته. ولما ولی السيد أبو سعید بن عمر بن عبد المؤمن على إفریقیة ولاية قابس وأعمالها إلى أن استنزله عنها یعنی بن غانیة سنة اثنين وتسین وخمسة.

ثم كان منهم بعد ذلك عظاماء في الدولة وکراء من المشیخة آخرهم عبد العزيز بن تافراکین، خالف الموحدين بمراکش لما تقضوا بیعة المامون، فاغتالوه في طریقه إلى المسجد عند الآذان للصبح، بما كان عانقلاً على شهود الجماعات. وریاه له المامون في المصتصر فائزه بمکانه من الحضره وسرحه بعض الأحایین إلى الحامة لحس الداء فیها. وقد كان یوقع الخلاف من مشیختها فحسن غناوة فیها، وقتل أهل الخلاف وحسم العلل، وولاه السلطان أبو إسحاق على بجایه بعد مقتل محمد بن أبي هلال فاضطط بها. ولما ولی الداعی ابن عمارة سرحة في عسکر من الموحدين لقهر العرب وكف عدوائهم فائخن فیهم ما شاء. ولم يزل معروفاً بالرئاسة مرموقاً بالتجله إلى أن هلك. وكان بنو أخيه عبد العزيز وهم: أحمد و محمد و عمر جاؤوا على أثره من المغرب فنزلوا بالحضره خیر منزل، وغذوا بلبان النعمه والجائه فیها. وكان احمد کبیرهم، وولاه السلطان أبو حفص على ققصة ثم على المهدیة، ثم استعنی من الولاية فاعفى.

وكان السلطان أبو عصیدة يستخلفه على الحضره إذا اخرج منها على ما كان لأولیه إلى أن هلك الأول المائة الثامنة سنة ثلاث. ونشأ ابناه أبو محمد عبد الله وأبیر العباس احمد في حجر

وتجدد له العقد عليه أبوه. وتغلق الكثير من نفزاوة. ولما استيحت نفطة ونفزاوة سمت همته إلى ملك توزر جرثومة الشفاق وعش الخلاف والتفاق، وخشي مقدمها محمد بن يملول مغبة حاله فذهب إلى مصانعة قائد الدولة محمد بن الحكيم بذات صدره فتجاذب عنه إلى أن كان مهلكهما في سنة واحدة، وأضطراب أمر توزر وتواثب بنوه وإنحرافه وقتل بعضهم بعضًا. وكان آخره أبو بكر عتقلاً بالحضراء فأطلقه السلطان من عبسه بعد أن أخذ عليه المواثيق بالطاعة والجباية، ومضى إلى توزر فملكها وطالبه الأمير أبو العباس صاحب فقصة وبلاد قسطيلية بالانقياد الذي عاهد عليه، فما زاده ما كان في نفسه من الاستبداد وصارت توزر لذلك شجاعًا معترضًا في صدر إمارته فخاطب أباه السلطان أبي بكر وأغراء به فنهض إليه سنة خمس وأربعين، وانتهى إلى فقصة وصار الخبر إلى أبي بكر ابن يملول رئيسها يومئذ فأدركه الدهش وانقض من حوله الأولياء، وجاهر بطاعة السلطان ولقائه فقر عنه كاتبه وكاتب أبيه المستولي على أمره علي بن محمد التمودي المعروف شهرة، ولحق بيسكرا في جوار يوسف بن مزني وأخذ السلطان السير إلى توزر فخرج إليه أبو بكر بن يملول والقى إليه بيده وخلط نفسه بحملته.

ثم ندم على ما فرط من أمره وأحس بالنكارة من الدولة، وأنذر بالهلكة فلحق بالزواب ونزل على يوسف بن منصور بيسكرا فلتقاء من الترحيب والترى بما تحدث به الناس، ولما استولى السلطان على توزر وانتظمها في أعماله عقد عليها لابنه الأمير أبي العباس وأتزله بها وأمكنته من رمتها ورجع السلطان إلى الحضرة ظافرًا عزيزًا، وعُلّا أيام ملكه إلى أن هلك على فراشه كما ذكر. وانصلت مالك الأمير أبي العباس في بلاد الجريد وساور أبو بكر بن يملول توزر مرارًا يفلت في كلها من المهلكة إلى أن مات بيسكرا ستة سبع وأربعين قبيل مهلك ابن السلطان كما ذكر. وأقام الأمير أبو العباس بمحل إمارته ولم يزل يهد الأحوال ويستنزل الثوار. وكان ابن مكي قد امتنع عليه بقياس، وكان من خبره أنه لما رجع عبد الملك من تونس مع عبد الواحد بن اللحياني الذي كان حاجبًا له ذهب ابن اللحياني إلى المغرب وأقام هو بقياس. ثم استراب عمال أمره مع السلطان أبي الحسن آل زيان فأوفد أخيه أحمد بن مكي على السلطان أبي الحسن متصلةً من ذوريه متذمًا بشفاعته منه إلى السلطان أبي بكر فشنف له وأعاده السلطان إلى مكان رئاسته. واستقام هو على الطاعة ونكب عن سنن العصيان والفتنة.

وكان لأحمد بن مكي حظ من الخلال والأدوات ونفس

بها عنه. وكان يرشح لها كاتبه أبي القاسم بن واران، ويرى أن ابن عبد العزيز قبله لم يتميز بها إثارةً عليه، فبدأ له ما لم يختسبه فظن الظلون ونعر ثم أصحب، وأخذ السير إلى الحضرة وقد واكب السلطان أبي محمد بن تافراكتن في تكتبه وأعد البطانة للقبض عليه. وقد على الحضرة متصرف رباع من سنة أربع واربعين وجلس له السلطان جلوساً فخماً فعرض عليه هديته من المقربات والرقين والأنعام، حتى إذا الفرض المجلس وشيع السلطان وزراءه وانتهى إلى باهه أشار إلى البطانة فلحقوا به وتلقوه إلى محبسه. وبسط عليه العذاب لاستخراج الأموال فآخرتها من مكان احتجانها وحصل منها في مودع السلطان أربعمائة ألف من الذهب العين ومثلها أو ما يقاربها قيمة من الجوهر والعقار إلى أن استصفى. ولما أمتلك عظمه ونفذ ما له خلق مجحبه في رجب من سنته وذهب مثلاً في الأيام. وغرب ولده مع أمه إلى المشرق، وطرح بهم الاغتراب إلى أن هلك منهم من هلك، وراجع الحضرة على وعيه منهم في آخرين من أصغرهم بعد أيام وأحوال والله يحكم لا معقب لحكمه.

## الخبر عن شأن الجريدة واستكمال فتحه وولاية ابنه أبي العباس عليه وولاية صاحب قباس أحمد بن مكي على جزيرة جربة

كان أمر الجريدة قد صار إلى الشورى منذ شغلت الدولة بطالبة زنانة بني عبد الراد وما نالها لذلك من الاضطراب، واستبد مشيخة كل بلد بأمره، ثم انفرد واحد منهم بالرئاسة، وكان محمد بن يملول من مشيخة توزر هو القائم فيها والمستبد بأمرها كما سذكره. ولما فرغت الدولة إلى الاستبداد وأرهف السلطان حده للثوار وعنى على آثار المشيخة بقصصه وعقد لابنه الأمير أبي العباس على قسطيلية. ونزل بقصصه فاقام بها مهدًا لإمارته، ومردداً بعوته إلى البلاد اختبارًا لما يظهرون من طاعته. وزحف حاجبه أبو القاسم بن عتر بالعساكر إلى نقطة ابتلاء لطاعة رؤسائها بني مدفع المعرفون ببني الحلف، وكانتوا إخوة أربعة استبدوا برئاستها في شغل الدولة عنهم فسامهم سوء العذاب، ولاذوا بجدران الحصون التي ظنوا أنها مانع لهم وتبشرت منهم الرعایا بأدركهم الدهش، وسالوا التزول على حكم السلطان فجنبوا إلى مصارعهم وصلبوا على جذوعهم آية للمعتبرين، وأوقلت السيف عليه صغيرهم لتزوعه إلى العسكر قبل الحادثة، فكانت له ذمة واقية من الملكة. فانتظم الأمير أبو العباس بلد نقطة في مملكته

فُدِنَ بها وجاه سحيم بالخلاف، وخرج إلى الرمال فلم ينزل ذلك إلى حين مهلك السلطان كما نذكره.

### الخبر عن مهلك الأمير أبي زكريا صاحب بجاية من الأئباء وما كان بعد ذلك من ثورة أهل بجاية بأخيه الأمير أبي حفص وولايته ابنه الأمير أبي عبد الله

كان السلطان أبو بكر لما هلك الحاجب ابن غمر عقد على بجاية لابنه الأمير أبي زكريا كبير ولده، وأنفذه إليها مع حاجبه محمد بن القالون كما ذكرناه وجعل أموره تحت نظره. ثم رجع القالون إلى تونس فائزلا معه ابن سيد الناس كذلك، فلما استبد سيد الناس بمجاية المضرة جعل على حجابته آبا عبد الله بن فرخون. ثم لما تقبض على ابن سيد الناس وعلى ابن فرخون وقد استبد الأمير أبو زكريا بأمره، وقام على نفسه فوض إلى السلطان الأمر في بجاية وبعث إليه ظافراً السنان مولى أبيه الأمير أبي زكريا الأوسط قائدًا على عسكره. والكاتب آبا إسحاق بن غالان متصرفًا في حجابته فأقاما بيابه مدة ثم صرفهما إلى الحضرة، وقدم لحجابته آبا العباس أحد بن أبي زكريا الرندي، كان أبوه من أهل العلم وكان يتحل منهب الصوفية الغلة، ويطالع كتب عبد الحق بن سبعين. ونشأ أحد هذا بجاية واتصل بخدمة السلطان وترقى في الرب إلى أن استعمله الأمير أبو زكريا كما قلناه. ثم هلك وقد أنف السلطان أبو بكر من انتزاع هؤلاء السوقية على حجابته آبا فأنفذها من حضرته كبير المرحدين يومئذ صاحب السفارة آبا محمد بن تافراكيين سني أربعين وسبعينة فأقام أحوال ملكه، وعظم شأنه سلطانه، وجهز العساكر لسفره وأخرجه إلى أعماله فطاف عليها وتقدقها، وانتهى إلى تجويمها من المسيلة ومقرة. ولم يستكمل الخول حتى استغفلت عليهم بباب السلطان، وتولى كبر ذلك القاضي ابن أبي يوسف تعتتاً وملالاً، واستعنوا هو من ذلك فاغفى وعاد إلى مكانه بالحضرمة.

ثم استقدم الأمير أبو زكريا حاجبه الأول بعهد ابن سيد الناس، وهو أبو عبد الله محمد بن فرخون، وقد كان السلطان بعثه في غرض الرسالة إلى ملك المغرب في الأسطول الذي بعثه مددًا للMuslimين عند إجازة السلطان أبي الحسن إلى طريف. وكان أخوه زيد بن فرخون قائد ذلك الأسطول بما كان قائداً للبحر بجاية،

مشغوفة بالرئاسة والسرور، وكان يفرض الشعر في جيد ويرسل فيحسن، وكان خط كتابته أنيقًا ينحو به منحى الخط الشرقي شأن أهل الجريد فيمتع ما شاء، فكانت لذلك كله في نفس الأمير أبي العباس صاغية إليه. وكان هو مستريراً بالمخالطة لما شاء من آثاره السالفة. ولم يزل الأمير أبو العباس يقتل له في الذروة والغارب إلى أن جمع مجلس السيدة أمّة الواحدة أخت مولانا السلطان قافلة من حجتها فمسح ما كان بصدره، وأحکم له عقد خالصته واصطبغه لنفسه، فحل من إمارته بمكان غبطة واعتزاز. وعقد له السلطان على جزيرة جربة، واستضافها إلى عمله وأنزل عنها ملوك بن الكمام من صنائعه كان افتتحها سنة ثمان وثمانين وعقد له السلطان عليها وزلاها أحد بن مكسي. واستقل عبد الملك آخره برئاسة قابس فقاما على ذلك وجردا عزائمها في ولاية أبي العباس صاحب أعمال الجريدة فلم يزالوا كذلك إلى أن كان من أمر الجمع ما نذكره.

### الخبر عن مهلك الوزير أبي العباس بن تافراكيين

كان السلطان أبو بكر عند نكتبة لقائه ابن الحكيم استعمل على حجابته شيخ المرحدين آبا محمد بن تافراكيين كما ذكرناه، وفرض إليه فيما ورآه بيابه وعقد على الوزارة أخيه أبي العباس أحد، وكان أبو محمد جلس بالبيان لكان الحجابة دفع إلى الحرب وقد العساكرة، وإمارة الضاحية أخاه آبا العباس فقام بما دفع إليه من ذلك. وكان بنو سليم بعد مهلك حزنة بن عمر نعموا ما كان عليه من الإذعان وسموا إلى الخلاف والعناد، فكان من أبناء حزنة في ذلك من الأجلاب على الحضرة ما ذكرناه، وكان سحيم ابن من أولاد القوس بن حكيم بهمة غوار وماراد وخلاف وعناد، وكان السلطان قد ول على حجابته ابنه الأمير أبي العباس في أعمال الجريدة آبا القاسم بن عتو من مشيخة المرحدين وكان يناهض بني تافراكيين بزعمه في الشرف، وينفس عليهم ما آتاهم الله من الرتبة والحظ، فلما ول أبو محمد الحجابة مليء منه حسدًا وحفيظة، وداخل فيما زعموا سحيماً هذا الغوري في الليل من أبي العباس بن تافراكيين صاحب العساكرة وشارطه على ذلك بما أداه إليه وتكلموا أمرهم. وخرج أبو العباس بن تافراكيين فاتح سنة سبع في العساكرة بجاية هوارة فوفد عليه سحيم هذا وقومه وضائقه في الطلب. ثم انتهزوا الفرصة بعض الأيام وأجلبوا عليه، فانقض مسكنه وكبا به فرسه فقتل وحمل شلوه إلى الحضرة

تفوسيهم وأنسوا بولاية ابن مولاهم، وجاءت الأمور إلى مصايرها كما نذكرة.

### الخبر عن مهلك مولانا السلطان أبي بكر وولاية ابنه الأمير أبي حفص

بينما الناس في غفلة من الدهر وظل ظليل من العيش وأمن من الخطوب تحت سرادق من العز وذمة وافية من العدل، إذ ربى بالسرب وتكدر الشرب وتقلصت ظلال العز والأمن، وتعطل فناء الملك ونعي السلطان أبو بكر بتونس فجأة من جوف الليل ليلة الأربعاء ثاني رجب من سنة سبع وأربعين وسبعين، فهُبَّ الناس من مضاجعهم متسللين إلى القصر يستمعون نبا النعي وأطافلوا به سائر ليالِتهم تراهم سكارى وما هم بسكارى. وبادر الأمير أبو حفص عمر ابن السلطان من داره إلى الفخر فملكه وضبط أبوابه واستدعاي الحاجب أبا محمد بن تافراكن من داره، ودعوا المشيخة من الموحدين والموالي وطبقات الجندي، وأخذ الحاجب عليهم البيعة للأمير أبي حفص. ثم جلس من الغداة جلوساً فخماً على الترتيب المعروف في الدولة أحكمه الحاجب أبو محمد لمعرفته بعوائدها وقوائين ترتبيها، تلقنه عن أشياخه أهل الدولة من الموحدين، وغدا عليه الكافة في طبقاتهم فباعوا له وأعطوه صفة إيمائهم، وانقضى المجلس وقد انعقدت بيعته وأحكمت خلافته.

وكان الأمير خالد ابن مولانا السلطان مقيناً بالحضره قدمها سائراً منذ أشهر وأقام متلماً من الزياره، فلما سمع النعي فر من ليله، وتبغض عليه أولاد متليل من الكعوب وردوه إلى الحضره فاعتقل بها. وقام أبو محمد بن تافراكن بخطبة الحاجبه كما كان وزبادة تفريض واستبداد إلا أن بطانة السلطان كانوا يكثرون السعايه فيه ويوغردون صدره عليه يذكرون منافسات ومناقشات سابقة بين الحاجب والأمير أيام أبيه، واتصل ذلك منهم غصاً بمكانه، وانذر الحاجب بذلك منهم فاعمل الخليه في الخلاص من أصحابهم كما نذكر بعد.

فلما رجع ابن عبد الله بن فرحون من سفارته تلك أذن له في المقام عند الأمير أبي زكريا واستعمله على حجابته إلى أن هلك فولي من بعده في تلك الخطة ابن القشاش من صنائع دولته. ثم عزله وولي عليها أبا القاسم بن علناس من طبقة الكتاب، اتصل بدار هذا الأمير وترقى في ديوانه إلى أن ولاه خطبة الحجابه. ثم عزله بعلي بن محمد بن المتحضرمي. كان أبوه وعمه قدما على حاله الأندلس وكانتا يتحللان القراءات.

وأخذ أهل مجاهة عن عمه أبي الحسن علم القراءات، وكان طموحاً للرئاسة واتصل بمخطبة كانت للمولى أبي زكريا تسمى أم الحكم قد غابت على هواه، فرسخت على ابن المت هدا مخطبة الحجابه واستعمله فيها فقام بها وأصلح معونات السلطان وأحوال مقاماته في سفره، وجهز له العساكر وجال في نواحي أعماله.

وهلك هذا الأمير في إحدى سفاراته وهو على حجابته بتاكرارت من أعمال مجاهة من مرض كان أزمن به في ربيع الأول سنة سبع وأربعين وسبعين، وكان ابنه الأمير أبو عبد الله في حجر مولاه فارج من ملوجي بن سيد الناس. وكان اصطنه فالله قابلاً للترشيح فقام مع ابن مولاه يتظاهر أمر الخليفة، وبادر حاجبه الأول أبو القاسم بن علناس إلى الحضره وأثنى الخبر إلى الخليفة ففقد على مجاهة إلابنه الأمير أبي حفص كان معه الحضره، وهو من أصغر ولده، وأنفذه إليها مع رجاله وأولى انتصاراته.

وخرج معه أبو القاسم بن علناس فوصل إلى مجاهة ودخلها على حين غفلة. وحمله الأوغاد من البطانة على إرهاف الحد وإظهار السطرو فخشى الناس البوارد واتصرروا. ثم كانت في بعض الأيام هيبة تاماً فيها الكافة على الترشيب بالأمير القادم فطافوا بالقصبة في سلاحهم ونادوا بإمامارة ابن مولاهم. ثم تسورو جدرانها واتحروا داره وملکوا عليه أمره وأخرجوه برمهه بعد أن اتهموا جميع موجوده، وتسايلوا إلى دار الأمير أبي عبد الله محمد ابن أميرهم ومولاهم بعد أن كان معتمداً على التفويض عنهم واللحاق بالخليفة جده. واذن له في ذلك عمه الأمير القادم فبايعوه بداره من البلد. ثم نقلوه من الغد إلى قصره بالقصبة وملکوه أمرهم. وقام بأمره مولاه فارج ولقبه باسم الحاجبه واستمر حالم على ذلك. ولحق الأمير أبو حفص بالحضره آخر جمادى الأولى من ستة أشهر من يوم ولادته إلى أن كان من شأنه بعد مهلك مولانا السلطان ما نذكره. وتدارك السلطان أمر مجاهة وبعث إليهم أبا عبد الله بن سليمان من كبراء الصالحين من مشيخة الموحدين يسكنهم ويؤنسهم، وبعث معهم كتاب العقد عليها لحافظه الأمير أبي عبدالله محمد بن الأمير أبا زكريا ذهاباً مع مرضاته فسكنت

أبي سعيد فاحمد نزله، ثم رجع إلى الحضرة ولم ينزل مشئواً أيام السلطان. كلها، واستكتب الأمير أبو حفص ولده محمدًا وكانت له به وصلة، فلما استوسق له الملك بعد مفر أبي محمد بن تافاكون كما ذكرناه، ولـ أبا العباس هذا على حجابته، وعقد على حرية وعساكرة لظافر مولى أبيه وجده المعروف بالستان، واستخلص لنجراء وسره كاتبه أبا عبد الله محمد بن الفضل بن من طبقة الفقهاء ومن أهل البيوت النابية بتونس، كان له بها سلف مذكور، واتصل بدار السلطان وارتسم بها مكتباً لولده. وقرأ عليه هذا الأمير أبو حفص فيمن قرأ عليه منه فكانت له من أجل ذلك خصوصية به ومزيد عناية عنده. ولـ استبد بأمره كان هو مستبداً بشوراه، وجرت الحال على ذلك إلى أن كان من أمره ما نذكر.

الخبر عن استيلاء السلطان أبي الحسن على إفريقية ومملكت الأمير أبي حفص وانتقال الأبناء من بجاية وقسطنطينية إلى المغرب وما تخلله ذلك من الأحداث

ونزع إليهم أيضاً أهل القاصية بإفريقية بطاعتهم فجاؤوا في

الخبر عن زحف الأمير أبي العباس ولي  
العهد من مكان إمارته بالجريد إلى الحضرة  
وما كان من مقتله ومقتل أخويه الأميرين  
أبي فارس عزوز وأبي البقاء خالد

كان السلطان أبو بكر قد عهد إلى ابنه الأمير أبي العباس صاحب أعمال الجريد كما ذكرناه سنة ثلاث وأربعين وسبعين، فلما بلغه خبر مهلك أبيه وما كان من بيعة أخيه، نهى على أهل الحضرة ما جاؤوا به من تقضي عهده. ودعا العرب إلى مظاهرة أمره، فأجلابوه وتزعوا جميعاً إلى طاعته عن طاعة أخيه بما كان مررهناً لده في الاستبداد والضرر على أيدي أهل الدولة من العرب وسراهم، وزحف إلى الحضرة ولقيه أخوه أبو فارس صاحب عمل سوسة لقيه بالقيروان فاتاه طاعته وصار في جملته، وجمع السلطان أبو بكر حفص عمر جوعه واستركب واستلحق وأزار العلل، وأخرج غرة شعبان وارتخل عن تونس، وحاجبه أبو محمد بن تافراكتين قد نذر منه بالملائكة، واعتمل في أسباب النجاة، حتى إذا تراءى الجمuan رجع الحاجب إلى تونس في بعض الشغل وركب الليل ناجياً من المغرب. وبلغ خبر مفره إلى السلطان فأجلفل واختل مصافه، وتحيز إلى باجة فلطم بها وتخلف عنه أهل المعسكر فلحقوا بالأمير أبي العباس، وملك الحضرة ثامن رمضان ونزل برياض رئيس الطيبة وأطلق أخاه أبا القاء من معتقله.

ثم دخل إلى قصره لسبع ليال من ملكه وصبه الأمير أبو حفص ثامنها فاقتحم عليه البلد لصاغية كانت له في قلوب الغوغاء من غشيانه أسارهم وطريقه منازهم أيام جنون الشباب وقضاء لذاته في مرباه. وقتئذ أختي الأمير أبي العباس. ولسرعان ما نصب رأسه على القناة، وداست شلوه سبنابك العسكر، وأصبح آية للمعتبرين. وثارت العامة من كان بالبلد من وجوه العرب ورجالاتهم فقتلوا في تلك الميوعة من كتب عليه القتل. وتلوا كثيراً منهم إلى السلطان فاعتقلهم، وقتل أبو الفروز بن حزة بن عمر بن بيتهما، وتنبض على أنحويه خالد وعزوز، فأمر بقطعهم من خلاف فقطعوا وكان فيه مهلكهم. واستوسن ملكه بالحضره واستعمل على حجابته أبي العباس أحمد بن علي بن رزين من طبقة الكتاب، كان كتاباً للشخصي الحاجب وبعده للقائد ظافر الكبير. واتصل بالسلطان أبي بكر لأول ملكه بالحضوره فأسف علي بن عمر بولاية ابن القالون الحاجب فخاطب السلطان فيه ونكبه. ثم أطلق من محسنه ومضي إلى المغرب وزُل على السلطان

وغيرهما من أعيان الدولة، فبعث بهم ابن مكي إلى السلطان. فلما ابن عتو وصخر بن موسى وعلي بن منصور قطعهم من خلافه، واعتقل الباقين، وساقت العساكر إلى تونس. ثم جاء السلطان على أثرهم ودخل الحضرة في الزي والاحتفال في جنادى الآخرة من سنته، وخفيت الأصوات وسكنت الدهماء وانقضت أيام أهل الفساد، وانقرض أمر الموحدين إلا ذبلاً في بونة، فإنه عقد عليها للمولى الفضل ابن مولانا أبي بكر لمكان صهره ووفاته عليه بين يدي مهلك أبيه. ثم ارتحل السلطان إلى القيروان ثم إلى سوسة والمهدية وتغطى على العالم التي بها، ووقف على آثار ملوك الشيعة وصنهائجه في مصانعها ومبانيها، والتمس البركة في زيارة القبور التي تذكر للصحابة والسلف من التابعين والأولياء، وقل إلى تونس ودخلها آخر شعبان من سنته.

### الخبر عن ولاية الأمير أبي العباس الفضل على بونة وأولية ذلك ومصائره

كان السلطان أبو الحسن قد أصهر إلى السلطان أبي بكر قبل مهلكه في إحدى كرامته، وأوفد عليه في ذلك عريف بن يحيى كثير بي سويد من زغبة وصاحب شوراه وخلالصة سره مع وفد من رجالات دولته من طبقات الفقهاء والكتاب والوالى كان فيه من صاحب الفتيا مجلاسه أبو عبد الله السطي وكاتب دولته أبو الفضل بن عبد الله بن أبي مدين وأمير الحرم عنبر الخصي، فاسعد السلطان وعقد له على حظيه عزوننة شقة ابنه الفضل وزفها إليه بين يدي مهلكه مع أخيها الفضل، ومعه أبو محمد عبد الواحد بن أكمام من مشيخة الموحدين، وأدركهم الخبر بهلك السلطان في طريقهم. فلما قدموا على السلطان أبي الحسن تقبلهم بقبول حسن، ورفع مجلس الفضل، ولما استتب له ملکها أعرض له عن ذلك، إلا أنه رعى له ذمة الصهر وبساطة الوعد فأقتعه بالعقد على بونة مكان عمله منذ أيام أبيه، وأنزله بها عندما رحل عنها إلى تونس. واضطغرن المولى الفضل من ذلك حقداً لما كان يرجوه من تحاقيقه له عن ملك آبائه، ولحق وفاته وصهره وأقام بهكان عمله منها يؤتمل الكراة إلى أن كان من أمره ما ذكره والله أعلم.

وفد واحد: ابن مكي صاحب قابس وابن يملول صاحب توزر وابن العابد صاحب ققصة ومولاهم ابن أبي عنان صاحب الحامة وابن الخلف صاحب نقطة، فلقوه بوهران وآتوه بيعتهم رغبة ورهبة. وأدوا بيعة ابن ثابت صاحب طرابلس، ولم يتخلّف عنهم إلا من بعد داره. ثم جاء من بعدهم وعلى أثرهم صاحب الزراب يوسف بن منصور بن مزنوي ومعه مشيخة الموحدين الدواودة، وكثيرهم يعقوب بن علي فلقه بنو حسن من أعمال مجاعة فاوسع الكل حباء وكرامة، وأسنى الصلات والجوانز وعقد لكل منهم على بلدته وعمله. وبعث مع أهل الجزائر الولاة للحجاجية لنظر مسعود بن إبراهيم البرينياني من طبقة وزرائه، وأخذ السير إلى مجاعة، فلما أطلت عساكره عليها توارم أهلها في الامتناع، ثم أنسابوا وخرج أميرها أبو عبد الله محمد بن الأمير أبي زكريا فاتأه طاعته، وصرفه إلى المغرب مع إخوانه، وأنزله بيلد ندرومة. وأنقطع له الكفاف من جيابتها ويعت على مجاعة عماله وخلفاءه. وسار إلى قسطنطينية فخرج إليه أبناء الأمير أبي عبد الله يقدمهم كبيرهم الأمير أبو زيد وآتوه طاعتهم، وأنزل عليهم وصرفهم إلى المغرب وأنزلهم بوجدة واقطعهم جيابتها، وأنزل بقسطنطينية خلفاءه وعماله، وأطلق القرابة من مكان اعتقادهم بها، وفهم أبو عبد الله محمد آخر السلطان أبي بكر وبنوه، وحمد ابن الأمير خالد وإنخوانه وبنوه، وأصارهم في جملته حتى صرفهم إلى الغرب من الحضرة من بعد ذلك.

ووفد عليه هنالك بنو حمزة بن عمر ومشايخ قومهم الكعوب فأخبروه بإنفال المولى أبي حفص من تونس مع ظواعن أولاد مهلهل، واستثنوه باعتراضهم قبل لحاصتهم بالقفر، وسرح معهم العساكر في طلبه لنظر حمو الشري من مواليه، وسرح عسكراً آخرًا إلى تونس لنظر بحبي بن سلسمان من بني عسكر ومعه أبو العباس بن مكي، وسارت العساكر لطلب الأمير أبي حفص فادركته بأرض الحامة من جهات قابس، وصحرهم فدافعوا عن أنفسهم بعض الشيء، ثم انقضوا وكبا بالأمير أبي حفص جواده في بعض ناقفاء الجرایع، وإنجلت الغيابات عنه وعن مولاه ظافر راجلين فتقبض عليهم، وأوتقهم قائد الكتاب بيده، حتى إذا جن الليل وتوقع أن يفلتمنا العرب من أساره قبل أن يصل بهما إلى مولاهم فذبحهم، وبعث برؤوسهم إلى السلطان أبي الحسن فوصل إليهم بجاجة.

وخلص الفل من الواقعه إلى قابس، فتقبض عبد الملك بن مكي على رجالات من أهل الدولة، كان فيهم أبو القاسم بن عتو من مشيخة الموحدين وصخر بن موسى من رجالات سدوكيش

العرب على تونس أيام السلطان أبي عصيدة. ثم انقضوا ويفي عثمان بجهات قابس وطرابلس إلى أن هلك بجبرية جربة، واستقر بنو ابنه عبد السلام بالحضرية بعد حين فاعتقلوا بها أيام السلطان أبي بكر. ثم غرّبهم إلى الإسكندرية مع أولاد ابن الحكيم عند تكبّه كما ذكرنا ذلك كله، فنزلوا بالإسكندرية وأقبلوا على الحرف لمعاشهم. ورجع أحد هذا من بينهم إلى المغرب واستقر بتوزر واحترف بالخياطة. ولما نفرد العرب الأعياص دُهم على نكرته بعض أهل عرقانه فانطلقوا إليه وجاوزوا به، وجعلوا له الآلة، وتصبّوه للأمر وتبايعوا على الاستمامة. وزحف إليهم السلطان في عساكره من تونس أيام الحج من ستة ثمان، ولقيهم بالثنية دون القิروان فغلّبهم وأجلّلوا أمامه إلى القิروان. ثم تدامرّوا ورجعوا مستمبّتين ثاني عمر ستة تسع، فاختلط مصافه ودخل القิروان واتهّبوا معسكره بما يشتمل عليه وأخذوا بمختقة إلى أن اختلفوا فأفرجوا عنه وخلص إلى تونس كما نذّكر والله تعالى أعلم.

### الخبر عن حصار القصبة بتونس ثم الإفراج عن القิروان وعنها وما تخلّل ذلك

كان الشيخ أبو محمد بن تافراكتين أيام حجابته للسلطان أبي بكر مستبّداً بأمره مفترضاً إليه في سائر شؤونه، فلما استوزره السلطان أبو الحسن لم يجره على مألفه لما كان قائماً على أمره وليس التفريض للوزراء من شأنه. وكان يظن أن السلطان أبا الحسن سيكلّ إلّيه أمر إفريقياً وينصب معه الفضل للملك. وربما زعموا أنه عاهده على ذلك فكان في قبلي من الدولة مرض، وكان العرب يفاوضونه بذات صدورهم من الخلاف والإجلاب، فلما حصلوا على البغية من الظهور على السلطان أبي الحسن وعساكره وأحاطوا به في القิروان تحيل ابن تافراكتين في الخروج على السلطان لما بين فيه من التكّر منه ومن قومه. وبعث العرب في لقائه وأن يحملوه حديث فيهنّم إلى الطاعة فاذن له وخرج إليه وقد لوده حجابته سلطانهم، ثم سرّحوه إلى حصار القصبة. وكان السلطان عند رحلته من تونس خلف بها الكثير من حرمه وأبنائه ووجوه قومه. فلما كانت واقفة القิروان واتصل الخبر بتونس كانت لبنيته هيبة خشي عليها عسكر السلطان على أنفسهم فلّجأ من كان معهم من تونس إلى قصبهما، وأحاط بهم الغوّاء فامتنعت عليهم وأخذوا الآلة للحصار، وفرقوا الأموال في الرجال، وعظم فيها غناه بشير من المعلّوجين الموالي فطار له ذكر. وكان الأمير أبو سالم ابن السلطان أبي الحسن قد جاء من المغرب

### الخبر عن بيعة العرب لابن أبي دبوس وواقعتهم مع السلطان أبي الحسن بالقิروان وما قارن ذلك كله من الأحداث

كان السلطان أبو الحسن لما استوست له ملك إفريقياً أسف العرب بعنفهم من الأمصار التي ملوكوها بالإقطاعات، والضرب على أيديهم في الأتاوات، فوجوا بذلك، واستكثروا على ثباته، وترصّدوا الدواير. وربما كان بعض البايدية يشنّ الغارات في الأطراف فيعتدها السلطان من كبارهم. وأغاروا بعض الأيام في ضواحي تونس فاستافقوا الظاهر الذي كان في مراعيها، وأظلم الجرّار بينهم وبينه، وخسروا عاديته وتوقّعوا بأسه. ووفد عليه أيام الفطر من رجالاتهم خالد بن حزة وأخوه أحد من بي كعب وخليفة بن عبد الله بن مسكيّن، وخليفة بن بوزيد من رجالات حكيم.

وساءت طرائفهم في السلطان لسوء أنفاسهم فدخلوا عبد الواحد بن اللحياني في الخروج على السلطان. وكان من خبر عبد الواحد هذا أنه بعد إجفاله من تونس سنة اثنين وثلاثين وسبعينة كما ذكرناه لحقّه بأبي تاشفين فقام عنده في مبرة وتكرمة. ولما أخذ السلطان أبو الحسن بمختنق تلمسان واشتد حصارها سأل عبد الواحد من أبي حفص يتصبّونه للأمر رجوا أن يظرفوا من عبد الواحد بالبلبة فدخلوه وارتّاب لذلك، وخشي بادرة السلطان فرفع إليه الخبر، فتقبض السلطان عليهم أربعتهم بعد أن أحضرهم معه فأنكروا وبهتوا. ثم وبحمهم واعتقلاهم، وعسّر بساحة الحضرة لغزوهم، وتلّوم لبعث الأعطيات وإزاحة العلل، ويبلغ الخبر إلى أحياائهم قطع اليأس أسباب رجاتهم. وانطلقوا بعزمّيون الأحزاب ويلتسّون للملك الأعياص. وكان أولاد مهلهل أبي الحسن وعدّية حلّ لهم قد اياهم السلطان من القبول والرضا بما بالغوا في نصيحة المولى أبي حفص ومظاهرته فلّحقوا بالفقر، ودخلوا الرمال فركب إليهم قتيبة بن حزة وأمه ومعهم طواعون أبنائهم متذمّرين لأولاد مهلهل بالعصبية والقرابة، فأجبرهم واجتمعوا بقططيلية وتواهبوا التراث والدماء، وتذمراً بما شملهم من رب السلطان، وتورّع بالباء. وتفقدوا من أعياص الموحدين من يتصبّونه للأمر، وكان بتوزر أحد بن عثمان بن أبي دبوس آخر خلفاء بي عبد المؤمن بمراكش وقد ذكرنا خبره وخروجه بجهات طرابلس وأجلابه مع

## الخبر عن استيلاء الأمير الفضل على قسطنطينية وبجایة ثم استيلاء أمرائهم عليهم

كان سنن السلطان أبي الحسن في دولته بالغرب وفود العمال عليه آخر كل سنة لإبراد جبائهم والمحاسبة على أعمالهم، فوفدوا عليه عامهم ذلك من قاصية المغرب ووافاهم خبر الواقعة بقسطنطينية وكان معهم ابن مزني عامل الزاب وفدي أيضاً بجيشه وهديته، وكان معهم أبو عمر ناشفين ابن السلطان أبي الحسن كان أسيراً من يوم واقعة طريف. ووقعت المصادنة بين الطاغية وبين أبيه فاطلقه وأوفد معه جماعة من بطارقة وقدموا معه على أبيه وفده معه آخره عبد الله من المغرب وكان أيضاً معهم وفد السودان من أهل مالي في غرض السفارة، واجتمعوا كلهم بقسطنطينية، فلما اتصل بهم خبر الواقعة على السلطان كثراً الإضطراب، وتجلبت السفاه من الغوغاء إلى ما يأيديهم وخشي الملا من أهل البلد على أنفسهم فاستعدوا أبا العباس الفضل من عمله ببرنة. ولما أطل على قسطنطينية ثارت العامة من كان هنالك من الرفود والعمال وانتهياً أمواهم واستلهموا منهم، وخلص أبناء السلطان من وفود السودان والجاللة إلى بسكرة مع ابن مزني، وفي حفارة يعقوب بن علي أمير الدواودة فأوسعهم ابن مزني قرى وتكرمة إلى أن لحقوا بالسلطان أبي الحسن بتونس في رجب من سنة تسع.

ودخل المولى الفضل إلى قسطنطينية وأعاد ما ذهب من سلطان قومه. وشمل الناس بعده وإحسانه، وسُرَّع الأقطاع والجوائز ورحل إلى بجاية لما آتى من صاغية أهلها إلى الدعوة الخففية. فلما أطل عليها ثار أهلها بالعمال الذين كان السلطان انتظم بها واستباحوهم وأفترا من أيدي نكبهم بجرعة الذقن ودخل الفضل إلى بجاية واستولى على كرسى ملكها. ونظمها مع قسطنطينية ببرنة في ملوكه. وأعاد القاب الخلافة ورسومها وشياتها كما كانت، واعترم على الرحيل إلى الحضرة. وبينما هو يحدث نفسه بذلك إذ وصل الخبر بقدوم أمراء بجاية وقسطنطينية من المغرب، وكان من خبرها أن الأمير أبا عنان لما بلغه خبر الواقعة بآبيه وانتراء منصور ابن أخيه أبي مالك بالبلد الجديد دار ملكهم، وأحسن بخلاص أبيه من هوة الحصار بالقيروان وشب على الأمر ودعا لنفسه، ورحل إلى المغرب كما نذكره في أخباره. وسرح الأمير أبا عبد الله محمد ابن الأمير أبا زكريا صاحب بجاية من الأبناء إلى عمله. وأمده بالأموال وأخذ عليه الموافق ليكون له

فوفاه الخبر دون القiroان، فانقض معسكره ورجع إلى تونس فكان معهم بالقصبة.

ولما خرج ابن تافراكن من هوة الحصار بالقيروان إليهم طمعوا في الاستيلاء على قصبة تونس وفض ختمها، فدفعوه إلى ذلك، ثم لحق به سلطانه ابن أبي دبوس وعاتي من ذلك ابن تافراكن صعباً لكثرة الرجال الذين كانوا بها، ونصبوا المجانين عليها فلم يعن شيئاً، وهو أثناء ذلك يحاول النجاء بنفسه لاضطراب الأمور واحتلال الرسوم إلى أن بلغه خلوص السلطان من القiroان إلى سوسة.

وكان من خبره أن العرب بعد إيقاعهم بمساكنهم أحاطوا بالقيروان واشتدوا في حصارها، وداخل السلطان أولاد مهليل من الكهوب وحكيماً من بني سليم في الإفراج عنه، واشتربط لهم على ذلك الأموال واختلف رأي العرب لذلك، ودخل عليه فتيبة بن حمزة بمكانه من القiroان زعمًا بالطاعة فقبله وأطلق أخويه خالداً وأحد، ولم يشق إليهم.

ثم دخل إليه محمد بن طالب من أولاد مهليل وخليفة بن بو زيد وأبواه المول بن يعقوب من أولاد القوس وأسرى معهم بمساكنه إلى سوسة فسبحها وركب منها في أساطيله إلى تونس، وسيق الخبر إلى ابن تافراكن بتونس فسلل من أصحابه وركب السفين إلى الإسكندرية في ربيع سنة تسع وأربعين وسبعين.

وأصبحوا وقد تقودوا فاضطربوا وأجللوا عن تونس، وخرج أهل القصبة من أولياء السلطان فملؤوها وخرموا منازل الحاشية فيها. ونزل السلطان بها من أسطوله في ربيع الآخر فاستقلت قدمه من العثار، ورجا الكرة لولا ما قطع أسبابها عنه مما كان من انتقام أبنائه بالغرب على ما نذكره في أخبارهم. وأجلب العرب وابن أبي دبوس معهم على الحضرة ونازلوا بها السلطان فامتنعت عليهم فرجعوا إلى مهادنته فعقد لهم السلام، ودخل حمزة بن عمر إليه وافتداً فحرسه إلى أن تتقبض على ابن أبي دبوس وأمكه منه فلم يزل في محبسه إلى أن رحل إلى المغرب، ولحق هو بالأندلس كما نذكره في أخباره، وأقام السلطان بتونس، ووفد عليه أحد بن مكي فعقد لعبد الواحد بن الحجاجي على التغور الشرقية طرابلس وقبس وصفاقس وجربة وسرجه مع ابن مكي فهلك عند وصوله إليها في الطاعون الجارف، وعقد لأبي القاسم بن عتو من مشيخة الموردين وهو الذي كان قطعه باغراء أبي محمد بن تافراكن، فلما ظهر خلافه أعاد ابن عتو إلى مكانه، وعقد له على بلاد قسطنطيلية وسرجه إليها وأقام هر بتونس إلى أن كان ما نذكره.

## الخبر عن مهلك الفضل وبيعة أخيه المولى أبي إسحاق في

أبي دبوس قد انقضوا عن السلطان أبي الحسن وأجلبوا عليه ثانية، وتولى كبر ذلك فتية بن حزوة، وخالف إلى السلطان آخره خالد مع أولاد مهلل وافرق أمرهم. وخرج كبارهم عمر بن حزوة حاجاً فاستقدم فتية وأصحابه الأمير الفضل من مكان إمارته ببوتة لطلب حقه واسترجاع ملك آبائه، فأجابهم ووصل إلى أحياهم آخر سنة تسع وأربعين وسبعيناً، فنازلوا تونس وأجلبوا عليها. ثم أفرجوا عنها وعادوا منازلتها أول سنة خمسين وسبعيناً، وأفرجوا عنها آخر المصيف واستدعاهم أبو القاسم بن عتو صاحب الجريد من مكان عمله بتوزر فدخل في طاعة الفضل وحل أهل الجريد كلهم عليها واتبعه في ذلك بتو مكي وانتقضت إفريقية عن السلطان أبي الحسن من أطرافها فركب أساطيله إلى المغرب أيام الفطر من سنة خمسين وسبعيناً ونهض المولى الفضل إلى تونس وبها أبو الفضل ابن السلطان أبي الحسن، كان أبوه قد عقد له عليها عند رحيله إلى المغرب تقادياً من ثورات الغوغاء ومعرات هيتهم، وأمن عليه بما كان قد عقد له من الصهر مع عمر بن حزوة في ابنته، فلما أطلت رياض المولى الفضل على تونس أيام الحج نبضت عروق التشيع للدعوة الخصية، وأحاطت الغوغاء بالقصر ورجوه بالحجارة. وأرسل أبو الفضل إلى بي حزوة متذمراً بصرهم فدخل عليه أبو الليل وأخريه ومن معه من قومه إلى بي الحي واستركب له من رجالات بي كعب من أبلغه مامته وهذه السبيل إلى وطنه، ودخل الفضل إلى الحضرة وقعد بمجلس أبيه من الخلافة وجدد ما طمسه بنو مرين من معالم الدولة واستمر أمره على ذلك إلى أن كان من أمره ما نذكر إن شاء الله تعالى.

## الخبر عن مهلك الفضل وبيعة أخيه المولى أبي إسحاق في كفالة أبي محمد بن تافراكين تحت استبداده

لما دخل أبو العباس الفضل إلى الحضرة واستبد على كلها عقد إلى حجاجته لأحمد بن عبد الله بن عتو نائباً عن عم أبي القاسم رشما يصل من الجريد وعند على جيشه وحرمه لحمد بن الشواش من بطاته. وكان وليه المطارد به أبو الليل فتية بن حزوة مستبداً عليه في سائر أحواله مشتطاً في طلباته. وأنف له بطانته من ذلك فحملوه على التذكر له وأن يدبّل منه بولاية خالد أخيه وبعث عن أبي القاسم بن عتو وقد قلد في حجاجته وفرض إليه أمره وجعل مقاد الدولة بيده، فركب إليه البحر من سوسة واستائف له خالد بن

رداء دون أبيه، وليحول بينه وبين الخلوص إليه متى مر به.

وانطلق أبو عبد الله إلى بجاية وقد سبقه إليها عممه الفضل واستولى عليها فنازله بها وطال حصارها، ولحق به بكمانه من منازلتها نبيل المولى من المعلوجي مع ابنه الأمير أبي عبد الله وكافل بيته من بعده. وتقى إلى قسطنطينية وبها عامل من قبل الفضل، فثار به الناس لحيته، ودخل نبيل وملك البلد وأقام فيها دعوة الأمير أبي زيد ابن الأمير أبي عبد الله. وكان الأمير أبر عنان استصحبه وإنخوانه إلى المغرب، وبعد احتلاله بفاس سرّهم إلى مكان إمارتهم بقسطنطينية بعد أن أخذ عليهم الوثق في شأن أبيه بعث موته ابن عمهم فجازوا على أثر نبيل مولاهم ودخلوا البلد واحتل أبو زيد منها بمكان إمارته وسلطان قومه كما قبل رحلتهم إلى المغرب.

ولم يزل الأمير أبو عبد الله ينال بجاية إلى أن يتها بعض ليالي رمضان من سنته بداخلة بعض الأشياع من زعافتها داخلهم مولاهم وكافله فارح في ذلك، فسرّب فيهم الأموال ووادعوه للبيات، وفتحوا له بباب البر من أبوابها فاقتحموا وفاجأهم هدير الطبول فهب السلطان من نومه وخرج من قصره فتنسم الجبل المطل عليها مترباً في شعابه إلى أن وضح الصباح وظهر عليه فجيء به إلى ابن أخيه فمن عليه واستيقاً، وأركبه السفين إلى بلده بونة في شوال من سنة تسع وأربعين وسبعيناً ووجد بعض الأعياص من قرابته قد ثاروا بها، وهو محمد بن عبد الواحد من ولد أبي بكر ابن الأمير أبي زكريا الأكبر كان هو وأخوه عمر بالحضرة، وكان لعمر منها النظر على القرابة. فلما كان هذا الانضطراب لحقوا بالفضل وتركهم بونة عند سفره إلى بجاية، فحدثهم أنفسهم بالانتراء فلم يتم لهم الأمر. وثارت بهم الحاشية وال العامة فقتلوا لوقتهم ووافي الفضل إلى بونة وقد اجتلت غيتهم وعثت آثارهم فدخل إلى قصره وألقى عصا سياره، واستقل الأمير أبو عبد الله ابن الأمير أبي زكريا بجاية محل إمارته أبيه والأمير أبو زيد بن الأمير أبي عبد الله بقسطنطينية محل إمارته أبيه، وال Amir أبو العباس الفضل بونة محل إمارته منذ عهد الإمرة والسلطان أبو الحسن بتونس إلى أن كان من أمرهم ما نذكره إن شاء الله تعالى

## الخبر عن حركة الفضل إلى تونس بعد رحيل السلطان أبي الحسن إلى المغرب

كان العرب بعد ما قدمنا من طاعتهم وإسلامهم السلطان إلى

## الخبر عن حركة صاحب قسطنطينية إلى تونس وما كان من حجابة أبي العباس بن مكي وتصاريف ذلك

لما استولى أبو محمد بن تافراكتين على تونس وبابع للملوول أبي إسحاق بالخلافة واستبد عليه نقم عليه الأمراء شأن استبداده وشمر ابن مكي للسعى عليه لمنافسة كانت بينهما قدية من لدن أيام السلطان أبي بكر، واستعن على ذلك بأولاد مهلهل مقاسمي أولاد أبي الليل في رئاسة الكعوب ومجاذبيهم جبل الإمارة، فلما رأوا صاغية ابن تافراكتين إلى أولاد أبي الليل اقتاطم اجعوا له ولهم، وحالفوا بني حكيم من قبائل علاق، وأجلبوا على الصواحي وشنوا الغارات. ثم وفروا على الأمير أبي زيد صاحب قسطنطينية وأعمالها يستخزنهم للنهوض إلى إفريقية واستخلاص ملك آبائه من استبد عليه واحتزاره، فسرح معهم عسكريون لنظر ميسون ومنصور الجاهل من مواليه وموالي أبيه، وارحلوا من قسطنطينية. وارتخل معهم يعقوب بن علي كير الدواودة بن من قومه وسرح أبو محمد بن تافراكتين من الحضرة للقائهم عسكراً مع أبي الليل بن حزة لنظر مقاتل من موالي السلطان، والنقي الجماعون ببلاد هوارة سنة الثتين وخمسين وسبعينة فكانت الدبرة على أولاد أبي الليل.

وقتل يومئذ أبو الليل فتية بن حزة بيد يعقوب بن سحيم من أولاد القوس شيوخ بني حكيم، ورجع فلهم إلى تونس وامتدت أيدي أولاد مهلهل وعساكر قسطنطينية في البلاد وجروا الأموال من أوطان هوارة وانتهوا إلى آبة. ثم قفلوا راجعين إلى قسطنطينية، وولى على أولاد أبي الليل مكان فتية أخوه خالد بن حزة، وقام بأمرهم، وكان أبو العباس بن مكي أثاء ذلك يكتب المولى أبي زيد صاحب قسطنطينية من مكان ولايته بقبابس ويعده من نفسه الوفادة والمدد بالمال والأحزاب والقيام باعطيات العرب، حتى إذا انصرم فصل الشتاء ووفد عليه مع أولاد مهلهل فلقاه مبرة وتكريراً. وعقد له على حجاته وجمع عساكره وجهز آلة وأرماح علل تابعه، ورحل من قسطنطينية سنة ثلاثة وخمسين وسبعينة من صفر، وجهز أبو محمد بن تافراكتين سلطانه أبا إسحاق لما يحتاج إليه من العساكر والآلة وجعل على حرره ابنه عبد الله محمد بن نزار من طفة الفقهاء ومشيخة الكتاب، كان يعلم أبناء السلطان الكتاب ويقرئهم القرآن كما قدمته، وفصل من تونس في التعبية حتى تراءى الجماعون برماجنة وترافقوا فاختل

حرزة ظهيراً على أخيه بعد أن نبذ إليه عهده وفاوضهم أبو الليل ابن حزة قبل استحکام أمرهم، فطلب على السلطان وحمله على عزله قائده محمد بن الشواش فدفعه إلى بورقة على عساكرها.

واضطربت نار الفتنة بين أبي الليل بن حزة وبين أخيه خالد، وكاد شملهم أن يتتصدع. وبينما هم يجيشون نار الحرب ويجمعون الجموع والأحزاب إذ قدم كيرهم عمر وأبو محمد عبد الله بن تافراكتين من حجمهم. وكان ابن تافراكتين لما احتفل بالإسكندرية ببعث السلطان أبو الحسن فيه إلى أهل المشرق، وخطب ملوك مصر في التحكيم فيه فأجراه عليه الأمير المستبد على الدولة حيث ذهب بيعاروس. وخرج من مصر لقضاء فرضه، وخرج عامد عمر بن حزة لقضاء فريضة الحج أيضاً فاجتمعوا في مشاهد الحاج آخر سنة خمسين وسبعينة وتعاقدا على الرجوع إلى إفريقية والتظاهر على أمرهما ووقفا فالقيا خالداً وفيتهم على الصفين فأشار عمر بن داية فاجتمعا وتوافقا ومسح الإحن من صدورهما، وتوطلاوا جميعاً على المكر بالسلطان، ويعث إليه وليه فتيته بالمراجعة فقبله واتفقا على أن يقلد حجاته أبا محمد بن تافراكتين حاجب أخيه وكير دولته، ويدلي به من ابن عتو فلبي.

ثم أضحت وزلت أحيازهم ظاهر البلد واستحقوا السلطان للخروج إليهم ليكملا عقد ذلك معه فخرج ووقف بباحة البلد إلى أن أحاطوا به، ثم اقتادوه إلى بيتهما وأذنوا لابن تافراكتين في دخول البلد، فدخلها لإحدى عشرة من جهادي الأولى سنة إحدى وخمسين وسبعينة وعمد إلى دار المولى أبي إسحاق إبراهيم ابن مولانا السلطان أبي بكر فاستخرجه بعد أن بذل من العهد لأمه والمراثيق مارضيته، وجاء به إلى القصر واقعده على كرسى الخلافة وبايع له الناس خاصة وعامة وهو يومئذ غلام مناهز فانعقدت بيته. ودخل بنو كعب فاتوه طاعتهم وسبق إليه آخره الفضل ليتلذذ فاعتقل وغط من جوف الليل بمحبسه حتى فاض ولاذ حاجبه أبو القاسم بن عتو يومئذ بالاختفاء في غيابات البلد وعثر عليه ليلياً وامتحن وهلك في امتحانه، وخطيب العمال في الجهات باخذ البيعة على من قبلهم فبعثوا بها واستقام ابن بملول صاحب توزر على الطاعة وبعث بالجباية والمدية، واتبعه صاحب نطة وصاحب قصبة وخالفهم ابن مكي وذهب إلى الإجلاب على ابن تافراكتين لما كان قد كفل السلطان وحجزه عن التصرف في أمره واستبد عليه إلى أن كان من أمره ما نذكر إن شاء الله تعالى والله تعالى أعلم.

ثم جاء على أثرهم فتلقاء بالقبول والتكرمة وأتزله بأحسن منزل. ثم دس إليه من أغراه بالنزول له عن مجاهية رغبة فيما عند السلطان إزاء ذلك من التجلة والإدالة منها بمكناة المقرب، والراحة من زيون الجند والبطانة، وإخفاقاً مما سواه إن لم يتعهد فإجاب إليه على اليمين والكرة، وشهد مجلس السلطان في بني مرين بالرغبة في ذلك، فاسعف وأسينت جائزته، واقطعت له مكناسة من أعمال المغرب. ثم انتزعها لأيام قلائل ونقله في جملة إلى المغرب، وبعث الأمير أبو عنان أبو عبدالله مولاه فارحاً المستبد كان عليه ليائمه باهله وولده، وعقد أبو عنان على مجاهية لعمر بن علي ابن الوزير من بني راطس، وهو يتسبون بزعمهم إلى علي بن يوسف أمير لتونة فاختصه أبو عنان بولايتها لمنطقة هذا النسب الصنهاجي بينه وبين أهل وطنه منهم. وانصرفوا جميعاً من المربي. ولما احتلوا مجاهية تامر أولياء الدعوة الخفصة بها ومن صنهاجة والموالي وقشت رجالاتهم في قتل عمر بن علي الوزير وأشياع بني مرين، وتصدى لذلك زعيم صنهاجة منصور بن إبراهيم بن الحاج في حالات من قوته بإملاء فارح كما زعموا. وغدوا عليه في داره من القصبة فاكب عليه منصور يناديه فطمئنه وطعن آخر منهم القاضي ابن فرakan بما كان شيعة لبني مرين. ثم أجهزوا على عمر بن على ومضى القاضي إلى داره فمات.

وأتصلت الميزة بفارج فركب إليها وهتف الهاتف بدعاوة صاحب قسطنطينية محمد بن أبي زيد، وطبروا إليه بالخبر واستحوذه اللقدوم، وأقاموا على ذلك أيامًا ثم تأمر الملأ من أهل مجاهة في التمسك بدعاوة صاحب المغرب خوفاً من بوادره فشاروا بفارج وقتلوا أيام التشريق من سنة ثلاثة وخمسين وسبعينة وبعشروا برأسه إلى السلطان بتمسان. وتولى كبر ذلك هلال صاحبه من موالي ابن سيد الناس ومحمد بن الحاجب أبي عبد الله بن سيد الناس ومشيخة البلد، واستقدموا العامل بتسلس من بي مرين وهو يحيى بن عمر بن عبد المؤمن من بي ونكاسن فبادر بهم. وسرح السلطان أبو عنان إليها حاجبه أبا عبد الله محمد بن أبي عمرو في الكتاب فدخلها فاتح أربع وخمسين وسبعينة وذهب صنهاجة في كل وجه ولحق كبارهم ذوو الفعلة منه بتونس، وتقبض على هلال مولى ابن سيد الناس لما دخلته فيه من الظنة، وعلى القاضي محمد بن عمر لما كان شيعة لفارج، وعلى عرقاء الغوغاء من أهل المدينة وأشخاصهم معتقلين إلى المغرب. وصرف نظره إلى تهديد الوطن واستدعى كبراء العرب وأهل التواحي وأعمال مجاهة وقسطنطينية.

ووفد عليه يوسف بن مزنی صاحب الزاب ومشيخة

متصف السلطان أبي إسحاق، وافتقرت جموعه وولوا منهزمين،  
وابتعهم القوم عشية يومهم ولحق السلطان بمحاجبه جي محمد بن  
تافراكت بتونس وجاؤوا على أثره فنزلوا تونس أيامًا وطالت عليهما  
الحرب. ثم امتنعت عليهم وارتحلوا إلى القيروان، ثم إلى قصبة،  
وبلغهم أن ملك المغرب الأقصى السلطان إبا عنان بعد استيلائه  
على المغرب الأوسط زحف إلى التغور الشرقي واتجه إلى المريـة.  
وكان صاحب بجاية أبو عبد الله قد خالفهم إلى قسطنطينية بمداخلة  
أبي محمد بن تافراكت واستجاشته. ونازل جهات قسطنطينية  
وانتسف زروعها وشن الغارات في بساطتها فبلغتهم أنه رجع إلى  
بجاية مكتملاً من زحفبني مرين، واعترض الأمـير أبو زيد على  
مبادرة ثغره ودار إمارته قسطنطينية. ورغبت إليه أبو العباس بن  
مكي من وأولاد مهلهل أن يختلف بينهم من إخوانه من يجتمعون  
إليه ويزاحفون به، فولى عليهم أخيه إبا العباس فباعوه، وأقام  
فيهم هو وشقيقه أبو بخيـر ذكريـا إلى أن كان من شأنه ما ذكرـ،  
وأنصرف الأمير أبو زيد عند ذلك من قصبة يغـد السير إلى  
قسطنطينية واحتل بها في جمادى من ستة والله تعالى أعلم.

الخبر عن وفادة صاحب بجایة على ابني  
عنان واستيلاؤه عليه وعلى بلدته ومطالبته  
قسطنطينة

كان بين الأمير أبي عبد الله صاحب بجایة وبين الأمير أبي عنان أيام إمارته بتلمسان، ونزعوا الأعيان الحفصيين بندرورمة ووجدة أيام أبيه كما ذكرناه اتصال وخلافة، أحکمها بينهما نسب الشباب والملك وب سابقة الظهر: فكان الأمير أبي عبد الله من أجل ذلك صاغية إلىبني مرين أوجد بها السبيل على ملکه. وما ربه السلطان أبو الحسن في أسطوله عند ارتحاله من تونس كما قدمته أمر أهل سواحله بمنعه الماء والأقوات من سائر جهانها رعياً للذمة التي اعتقادها مع الأمير أبي عنان في شأنه وجنحًا إلى تشبييد سلطانه. ولما أوقع السلطان أبو عنان بيته عبد الواد ستة ثلاث وخمسين وسبعيناً واستولى على المغرب الأوسط وخجا فلهem إلى بجایة أوزع إلى الأمير أبي عبد الله باعتراضهم في جهانه والتقبض عليهم فأجابه إلى ذلك، وبعث العيون بالمرصاد فشرعوا في ضواحي بجایة على محمد ابن سلطانهم أبي سعيد عثمان بن عبد الرحمن، وعلى أخيه أبي ثابت الزعيم بن عبد الرحمن وعلى وزيرهم يحيى بن داود بن مكن فأنقذوهم اعتقالاً، وبعث بهم إلى السلطان أبي عنان.

العام المُقبل سنتي سبع وخمسين وسبعيناً كذلك ونصب عليها الجانين فاستعنت عليه وأرجف في عسكره بموت السلطان فانقضوا وأحرق مجانيقه.

ورجع إلى مجاهدة وجر الكتائب ببني ياورار لنظر موسى بن إبراهيم اليرناني عامل سدوكيش إلى أن كان من الإيقاع به وبعسكره ما نذكره إن شاء الله تعالى، والله أعلم

### الخبر عن حادثة طرابلس واستيلاء

#### النصارى عليها ثم رجوعها إلى ابن مكى

كانت طرابلس هذه ثغراً منذ الدول القديمة وكانت لهم عنابة بمحابيتها لما كان وضعها في البسيط، وكانت ضواحيها قرراً من القبائل فكان النصارى أهل صقلية كثيراً ما يجدون أنفسهم بملكها. وكان ميخائيل الأنطاكي صاحب أسطول رجبار قد تملكتها من أيدي بني حيزرون من معاواة آخر دولتهم ودولة صنهاجة كما ذكرنا. ثم رجعوا ابن مطروح ودخلت في دعوة المرحدين ومررت عليها الأيام إلى أن استبد بها ابن ثابت ووليه من بعده ابنه في أشوراً خسرين وسبعيناً مقطعاً عن الحضرة مقيناً رسم الدعوة. وكان تجارة الجنوبيين يترددون إليها فاطلعوا على عوراتها واتمروا في غزوها واتعدوا لرساها فوافوه ستة خسرين واتشروا بالبلد في حاجاتهم ثم بيوتها ذات ليلة فتصعدوا أسوارها وملكونها عليهم. وهتف هاتفهم بالحرب وقد لبسوا السلاح فارتاعوا وهبوا من مضاجعهم، فلما رأوه بالأسوار لم يكن لهم إلا النجاة بأنفسهم. ونجا ثابت بن عمر مقدمهم إلى حلقة الجنواري في أعراب وطها من دباب إحدى بطون بني سليم، فقتل لدم كان أصحابه منهم. ولحق إخوته بالإسكندرية، واستباها النصارى، واحتلملوا في سفنهم ما وجدوا بها من الخرثي والملاع والعقال والأسرى وأقاموا بها. ودخلتهم أبو العباس بن مكى صاحب قابس في فداتها فاشترطوا عليه خسرين الفاً من الذهب العين، فبعث فيها ملك المغرب السلطان أبي عنان يطرفة بشورتها. ثم تعجلوا عليه فجمع ما عنده واستوربه ما بقي من أهل قابس والخامة وببلاد الجريد فجمعاها له حسبة ورغبة في الخبر. وأمكنه النصارى من طرابلس فملكونها واستولوا عليها وأزالوا ما دنسها من وضر الكفر. وبعث السلطان أبو عنان بالمال إليه وأن يرد على الناس ما أعطوه ويفرد بشورتها وذكرها فامتعموا إلا قليلاً منهم، ووضع المال عند ابن مكى لذلك، ولم ينزل ابن مكى أميراً عليها إلى أن هلك كما نذكره في أخباره إن شاء الله تعالى.

الدواودة فاسترهم أبناءهم على الطاعة، ووقف بهم إلى المقرب واستعمل أبو عنان على مجاهدة موسى بن إبراهيم اليرناني من طبقة الوزراء وبعثه إليها. وما وفدا على السلطان جلس لهم جلوساً فҳمماً، ووصلوا إليه ولقاهم تكreme ومبرة، وأوسعهم حباءً واقتداءً وأنفذ لهم الصكوك والسجلات وأخذ على طاعتهم المهدود والمواثيق والرهن وانقلبوا إلى أهلهم وعقد حاجبه أبي عمرو على مجاهدة وأعمالها وعلى حرب قسطنطينية من ورائهم، ورجعوا إليها فدخلها في رجب من ستة.

وأوزع السلطان إلى موسى بن إبراهيم بالولاية على سدوكيش والتزول ببني ياورار في كتبية جهزها هناك لضيافة قسطنطينية أبو عمر تاشفين ابن السلطان أبي الحسن متقدلاً من لدن واقبة بني مرین بها. وكان موسساً في عقله معروفاً بالجنون عند قومه. وكان الأمراء بقسطنطينية قد أسلوا جرايته في اعتقاله وأوله من المبرة والخلافة كفاء نفسه. فلما زحفت كتابة بني مرین إلى بني ياورار آخر عمر مجاهدة وأذنوا قسطنطينية ومن بها بالحروب والمحاصرة، نصب المولى أبو زيد هذا الموسوس أبا عمر ليجأجي به رجالات بني مرین أهل العسكر بمجاهدة وبنى ياورار، وجهز له الآلة، وتسامعوا بذلك فنزع إليهم الكثير منهم. وخرج نبيل حاجب الأمير أبي زيد إلى أهل الضاحية من بونة ومن كان على دعوته من سدوكيش والدواودة فجمعهم وزحفوا جميعاً إلى وطن مجاهدة، واتصل الخبر بالحاجب بمجاهدة فبعث في الدواودة من مشائخهم بالصحراء فأقبلوا إليه حتى نزلوا التلول. ووفد عليه أبو دينار بن علي بن أحمد واستئنه للحركة على قسطنطينية فاعتراض عساكره وأزاح علّهم، وخرج من مجاهدة في ربيع من ستة خسرين وسبعيناً فتكر أبو عمر ومن معه راجعين إلى قسطنطينية. وزحف الحاجب فيما معه من بني مرین والدواودة وسدويكيش، ولقيهم نبيل الحاجب بن معه فكانت عليه الدبرة. واكتسحت أمراء بونة، ورجع ابن أبي عمر بعساكره إلى قسطنطينية فانتح علىها سبعاً. ثم ارتحل عنها إلى ميلة، وعقد يعقوب بن علي بين الفريقين صلحًا على أن يمكثوا من أبي عمر الموسوس، فبعثوا به إلى أخيه السلطان أبي عنان فأنزله بعض الحجر، ورتب عليه الحرس. وسار الحاجب في نواحي أعماله وانتهى إلى المسيلة واقتضى مغارمه، ثم انكفا راجعاً إلى مجاهدة وهلك فاتح ستة خسرين وسبعيناً وعقد السلطان على مجاهدة وأعمالها بعد له لوزيره عبد الله بن علي بن سعيد من بني يابان وسرحه إليها فدخلها، وزحف إلى قسطنطينية فحاصرها وامتنعت عليه فرجع إلى مجاهدة. ثم زحف من

## الخبر عن بيعة السلطان أبي العباس أمير المؤمنين ومفتح أمره السعيد بقسطنطينية

واستقدمه أخوه أبو زيد إثر ذلك لينصره من عساكر بني مرين عند ما تكاثروا عليه، وضيق به الحصار فاجابه وقام عليه خالد وقومه وخرج الأمير أبو زيد مع زيد إلى منازلة تونس.

واستخلف على قسطنطينية أخيه أبي العباس فدخلها ونزل بقصور الملك منها، وأقام بها مدة وعساكر بني مرين قد ملأت عليه الصاحبة فدعوا الأولياء إلى الاستبداد وأنه أبلغ في المدافعة والحماية لما كانوا يتوقون من زحف العساكر إليهم من مجاهدة، فأجاب وبرفع سنة حسن وحسين، وانعقد أمره. وزحف عبد الله بن علي صاحب مجاهدة إلى قسطنطينية من سنته، وفي سنة سبع بعدها فحاصرها ونصب المأذن. ثم أجفل آخرًا للإرجاف كما ذكرناه. وتৎفس محنت الحصار عن قسطنطينية، وكان الأمير أبو زيد آخره لما ذهب مع خالد إلى تونس ونازلاها امتنعت عليه، ورجع وقد استبد أخوه بأمر قسطنطينية فعدل إلى بورنة وراسل أبي محمد بن تافراكن في سكتي الحضرة والتزول لهم عن بورنة فأجابه ونزل عنها الأمير أبو زيد لعمه السلطان أبي إسحاق. وتحول إلى تونس فاوسعوا له المنازل وأسروا الجرایات والجرائز، وأقام في كفالة عمه إلى أن كان من أمره ما ذكره.

## الخبر عن واقعة موسى بن إبراهيم واستيلاء أبي عنان بعدها على قسطنطينية وما تخلل ذلك من الأحداث

ما استبد السلطان أبو العباس بالأمر وزحفت إليه عساكر مجاهدة بني مرين، فأحسن دفاعها عن بلده. وبين لأهل الصاحبة مخايل الظهور فيه فدخله رجالات من سدولكش من أولاد المهدى بن يوسف في غزو موسى بن إبراهيم وكتائب الجمرة ببني ياورار، ودعوا إلى ذلك ميمون بن علي بن أحمد وكان منحرفاً عن أخيه يعقوب ظهير بني مرين ومناصحهم فأجاب. وسرح السلطان آنذاك زكريا على السلطان صريحة سنة حسن وحسين وأخاه أبي يحيى على طلاقة مبرة ورجباً، وأسنى جائزته وأحسن وعده وانكثرا راجعاً عنه إلى وطنه، ومر بالحاجب ابن أبي عمر عند إفراجه عن قسطنطينية، ولحق بأخيه بمكانه من قاصية إفريقية واتصلت أيديهما على طلب حقهما.

في خلال ذلك فسد ما بين أبي محمد بن تافراكن صاحب الأمر بتونس وبين خالد بن حزة كبير أولاد أبي الليل فعدل عنه إلى أقالة أولاد مهلل، واستدعاهم للمظاهرة فاقتربوا عليه. وتحيز خالد إلى السلطان أبي العباس وزحفوا معه إلى تونس فنازلاوها ستة ست وسبعين سنة، وامتنعت عليهم وأفروا عنها

كان الأمير أبو زيد قد ولـي الأمر من بعد أخيه الأمير أبي عبد الله بولاية جده الخليفة أبي بكر، وكان إخوته جميعاً في جملته، ومنهم السلطان أبو العباس أمير المؤمنين لهذا العهد، والمفرد بالدعوة الخصبة وكان الناس من لدن مهلك أبيهم يرون أن الوراثة لهم، وأن الأمر فيما حتى لقد يمكـي عن شيخ وقتـه الولي أبي هادي المشهور الذكر، وكان من أهل المكافحة، أنه قال ذات يوم وقد جاؤوا لزيارتـه بأجمعـهم على طريقـهم وسـتن أسلـفهم في الترك بالأوليـاء فدعـوا لهم الشـيخ ما شـاء ثم قال: البرـكة إن شـاء اللهـ في هذه العـشر، وأشارـ إلى الإـلـهـرةـ مجـتمـعـينـ، وكانـ الحـزـىـ والـنجـمـونـ أيضـاً يـجـبـونـ بـعـثـهـ، ويـجـمـونـ بـظـنـوـنـهـ علىـ أبيـ العـباسـ منـ بـيـنـهـ لـمـ يـتـفـرـسـونـ فـيـهـ مـنـ الشـواهـدـ وـالـمـخـاـيلـ، فـلـمـ كـانـ منـ مـنـازـلـهـ أـخـيـهـ أـبـيـ زـيدـ بـتـونـسـ سـنةـ ثـلـاثـ وـخـسـينـ وـسـبـعـمـائـةـ قـدـمـنـاهـ، ثـمـ اـرـتـحلـ عـنـهـ إـلـىـ نـقـطةـ وـأـرـادـ الرـجـوعـ إـلـىـ قـسـطـنـطـيـنـيـةـ للـإـرـجـافـ بـشـأنـ السـلـطـانـ أـبـيـ عـنـانـ وـانـهـ زـحـفـ إـلـىـ آـخـرـ عـمـلـهـ مـنـ تـحـومـ بـجـاهـةـ، رـغـبـ إـلـىـ حـيـتـذـ أـلـوـادـ مـهـلـلـ أـلـوـيـاـوـهـ مـنـ الـعـربـ وـشـيـعـتـهـ وـحـاجـبـهـ أـبـيـ العـباسـ بـنـ مـكـيـ صـاحـبـ عـلـيـ قـابـسـ وـجـرـبةـ أـنـ يـسـتـعـمـلـ عـلـيـهـ مـنـ إـخـوـتـهـ مـنـ يـقـيـمـ مـعـهـ لـمـعاـوـدـةـ تـونـسـ بـالـحـصـارـ، فـسـرـحـ آـخـارـهـ مـوـلـانـاـ أـبـيـ العـباسـ فـتـحـلـفـ مـعـهـ فـيـ ذـلـكـ وـفـيـ جـلـتهـ شـفـيقـةـ أـبـيـ عـمـيـ فـأـقـامـ بـقـابـسـ.

وكان صاحب طرابلس محمد بن ثابت قد بعث أسطوله لـحـصـارـ جـرـبةـ فـدـخـلـ الـأـمـرـ أـبـيـ العـباسـ بـنـ مـعـهـ الـجـزـيرـةـ وـخـاضـهـ إـلـيـهـ الـبـحـرـ فـأـجـفـلـ عـسـكـرـ اـبـنـ ثـابـتـ وـأـفـرـجـواـ عـنـ الـحـصـنـ. ثـمـ رـجـعـ السـلـطـانـ إـلـىـ قـابـسـ وـزـحـفـ الـعـربـ أـلـوـادـ مـهـلـلـ مـعـهـ إـلـىـ تـونـسـ وـحـاـصـرـوـهـ أـيـامـاًـ فـامـتـنـعـتـ عـلـيـهـ. وـرـجـعـ إـلـىـ أـعـمـالـ الـجـرـيدـ وـأـفـدـ وـحـاـصـرـوـهـ أـيـامـاًـ فـامـتـنـعـتـ عـلـيـهـ. وـرـجـعـ إـلـىـ أـعـمـالـ الـجـرـيدـ وـأـفـدـ أـخـاهـ أـبـيـ يـحـيـىـ زـكـرـيـاـ عـلـىـ السـلـطـانـ صـرـيـحـاـ سـنةـ حـسـنـ وـخـسـينـ وـسـبـعـمـائـةـ، فـلـقـاهـ مـبـرـةـ وـرـجـباـ، وـأـسـنـ جـازـيـتـهـ وـأـحـسـنـ وـعـدـهـ وـانـكـثـرـاـ رـاجـعاـ عـنـهـ إـلـىـ وـطـنـهـ، وـمـرـ بـالـحـاجـبـ اـبـنـ أـبـيـ عـمـرـ عـنـ إـفـرـاجـهـ عـنـ قـسـطـنـطـيـنـيـةـ، وـلـقـ بـأـخـيـهـ بـمـكـانـهـ مـنـ قـاصـيـةـ إـفـرـقـيـقـةـ وـاتـصـلـتـ أـيـديـهـمـاـ عـلـىـ طـلـبـ حقـهـمـاـ.

وـفـيـ خـالـلـ ذـلـكـ فـسـدـ مـاـ بـيـنـ أـبـيـ مـحـمـدـ بـنـ تـافـرـاـكـنـ صـاحـبـ الـأـمـرـ بـتـونـسـ وـبـيـنـ خـالـدـ بـنـ حـزـةـ كـبـيرـ أـلـوـادـ أـبـيـ اللـيلـ فـعـدـلـ عـنـهـ إـلـىـ أـقـالـهـ أـلـوـادـ مـهـلـلـ، وـاسـتـدـعـاهـ لـلـمـظـاـهـرـةـ فـاقـبـلـوـاـ عـلـيـهـ. وـتـحـيزـ خـالـدـ إـلـىـ السـلـطـانـ أـبـيـ العـباسـ وـزـحـفـوـاـ مـعـهـ إـلـىـ تـونـسـ فـنـازـلـوـهـ سـتـةـ سـنـةـ وـخـسـينـ وـسـبـعـمـائـةـ، وـامـتـنـعـتـ عـلـيـهـمـ وـأـفـرـجـواـ عـنـهـاـ

وانتسفها.

ثم رجع إلى قسطنطينية وارتحل منها يريد إفريقية وقد نهض المولى أبو إسحاق بن معه من العرب للقائه، وانهوا إلى حصن سبطة. ثم تمشت رجالات بني مرين واتحروا في الرجوع عنه حذراً أن يصيدهم إفريقية ما أصابهم من قبل، فانقضوا متسللين إلى المغرب. ولما خف المعسكر من أهله اقتصر عن القدوم إلى إفريقية فرجع إلى المغرب من بقي معه، واتبع العرب آثاره، وبلغ الخبر إلى أبي محمد بن تافراكتين بمكان منجاته من المهديّة فسار إلى تونس. ولما أطل عليها ثار أهل البلد من كان عندهم من عسكر بني مرين وعاصفهم، فنجحوا إلى الأساطيل ودخل أبو محمد بن تافراكتين إلى الحضرة وأعاد ما طمس من الدولة. ولحق به السلطان أبو إسحاق بعد أن تقدم الأمير أبو زيد في عسكر الجنود والعرب لتابع آثار بني مرين ومتازلة قسطنطينية، فاتبعه إلى تخوم عملهم ورجع أبو زيد إلى قسطنطينية وقاتلها أيامًا فاستنعت عليه فانكفا راجعاً إلى الحضرة. ولم يزل مقيناً بها إلى أن هلك عقا الله عنه وعن ابن ستة.

وكان آخره أبو يحيى زكريا قد لحق بتونس من قبل صريحةً كما قلناه، فلما بلغهم أن قسطنطينية قد أحبط بها عسكراً به فلحق به الفل من مواليهم وصنايعهم فكثروا معه إلى أن يسر الله أسباب الخير والسعادة للمسلمين، وأعاد السلطان أبي العباس إلى الأمّ من بعد مهلك أبي عنان كما يذكر ومد إيماته على الخلق فطلع على الرعایا بالعدل والأمان وشمول العافية والإحسان، وكف أيدي العداون وردع الناس من دولته في ظل ظليل ومرعى جميل كما ذكر إن شاء الله.

### الخبر عن انتقام الأمير أبي يحيى زكريا بالمهدية ودخوله في دعوة أبي عنان ثم نزوله عنها إلى الطاعة وتصاريف ذلك

كان الحاجب أبو محمد عند رجوعه إلى الحضرة صرف عنائه إلى تحصين المهدية بعدها للدولة وزراً من حداث ما يتوقعه من المغرب وأهله، فشيد من أسوارها وشحن بالأقوات والأسلحة مخازنها ومستودعاتها وعقد عليها للأمير زكريا أخي السلطان أبي إسحاق، وكان في كفالته وأنزله بها. وبعث على حجابته أحد بن خلف من أوليائه وذويه مستبدًا عليه فاقام على ذلك حولاً أو بعضه. ثم ضجر الأمير أبو يحيى زكريا من الاستبداد عليه واستنكمف من حجره في سلطانه فبيت أحد بن خلف فقتلها

واعتراض الجنود وأزاح العلل وشكوا له موسى بن إبراهيم بعمود عبد الله بن علي صاحب مجابة عن نصره فسخطه ونكبه وعقد مكانه ليحيى بن ميمون بن مصمرود، وتلوم بعده أشهراً في تجيز العساكر، وبعث السلطان أبو العباس أخي أبو يحيى إلى تونس صرخاً لعمه السلطان أبي إسحاق فأعجله الأمر عن الإياب إليه، وارتحل أبو عنان في عساكرة. ثم بعث في مقدمته وزيره فارس بن ميمون بن دردار، وزحف على أثره في ربعة سنة ثمان وخمسين وسبعيناً، وأخذ السير إلى قسطنطينية وقد نازلاها وزيره ابن درار قبله. فلما نزل بساحتها وقد طبق الأرض الفضاء بمحوشة وعساكره وجم أهل البلد، وأدركهم الدهش فانقضوا وسلموا إليه. وتخير السلطان أبو العباس إلى القصبة فامتنع بها حتى توشق لنفسه بالعهد. ثم نزل إليه فكفاه تكرمة ورحباً وبنى له الفساطيط في جواره. ثم بدا له لأيام قلائل فنقض عهده وأركبه السفن إلى المغرب، وأنزله بسبعة وربت عليه الحرس، وبعث خلال ذلك إلى بونة فدخلت في طاعته، وفر عنها عمال الحضرة. ولما استولى عقد على قسطنطينية لتصور بن خلوف شيخ بني بابان من قبائل بني مرين. ثم بعث رسلاً إلى أبي محمد بن تافراكتين في الأخذ بطاعته والتزول عن تونس فردهم، وأخرج سلطانه المولى أبي إسحاق مع أولاد أبي الليل ومن إليهم من العرب بعد أن جهز له العساكر وما يصلح من الآلة والجند، وأقام هو بتونس وأجمع أبو عنان التهوض إليه، ووُرد إليه أولاد مهلهل يستحثنه لذلك، فسرح معهم عسكراً في البر لنظر يحيى بن رحو بن تاشفين بن معطي حشود كبير تبريعين من قبائل بني مرين وصاحب الشورى في مجلسه. وسرح عسكراً آخر في الأسطول لنظر محمد بن يوسف المعروف بالأبكم من بي الأحر من الملوك بالأندلس لهذا العهد، فسبق الأسطول وصibur تونس وقاتلها يوماً أو بعض يوم، وأتيح لهم الظهور فخرج عنها أبو محمد بن تافراكتين ولحق بالمهديّة، واستولت عساكر بن مرين على تونس في رمضان سنة ثمان وخمسين وسبعيناً، وحق لهم الظهور فخرج عنها أبو محمد بن تافراكتين، ولحق يحيى بن رحو بعسكره فدخل البلد وأمضى فيها أوامر السلطان. ثم دعاه أولاد مهلهل إلى الخروج لمبايعة أولاد أبي الليل وسلطانهم فخرج معهم لذلك، وأقام ابن الآخر وأهل الأسطول بالبلد، وفي خلال ذلك جاهر يعقوب بن علي بالخلاف لا تبين من نكراه السلطان أبي عنان وإرهاف حده للعرب، وطالبه بالرهن، وقبض أيديهم عن الآتاوات ومسح أعطائهم بالملارات فلم يقبلها يعقوب بالرمل، واتبعه السلطان فأعجزه فعدا على قصوره ومتازله بالتل والصحراء فخر بها

العساكر. وتلقاءهم يعقوب بن علي وظاهرهم على أمرهم وسار أحوه أبو دينار في جملتهم. ولما أطلقوا على مجاهة ثارت الغوغاء بيعي بن ميمون العامل، كان عليهم منذ عهد السلطان أبي عنان، فالقى بيده وتقضى عليه وعلى من كان من قومه، وأركبو السفن إلى الحضرة، وأودعهم أبو محمد بن تافراكن سجونه تحت كرامة وجاهة إلى أن من عليهم من بعد ذلك وأطلقهم إلى المغرب.

ودخل السلطان أبو إسحاق إلى مجاهة سنة إحدى وستين وسبعينة واستبد بها بعض الاستبداد وحاجبه وكائفه أبو محمد يدبر أمره من الحضرة. ثم استقدم ابنه ونصب لوزارة السلطان أبي محمد عبد الواحد بن محمد من أكمامه من مشيخة الموحدين فكان يقيم له رسم الحجابة. وقام بأمر الرجل بالبلد من الغوغاء علي بن صالح من زعانفة مجاهة وأوغادها، التفت عليه الشرار والدعار وأصبحت له بهم شركة كان له بها تغلب على الدولة إلى أن كان من أمره ما نذكره إن شاء الله تعالى والله أعلم.

### الخبر عن فتح جربة ودخولها في دعوة السلطان أبي إسحاق صاحب الحضرة

هذه الجزيرة جربة من جزر هذا البحر الذي يمر قريباً من قابس وإلى الشرق عنها قليلاً طرحاً من المغرب وإلى المشرق ستون ميلاً، وعرضها من ناحية الغرب عشرون ميلاً. ومن ناحية الشرق خمسة عشر ميلاً، وبينها وبين قرقنة في ناحية الغرب ستون ميلاً. وشجرها النين والتخل والزيتون والعنب، واختصت بالنفاح وعمل الصرف للباسهم فيخذلون منه الأكسية المعلمة للاشتغال وغير المعلمة للباس. ويجلب منها إلى الأقطار فيتقبه الناس للباسهم. وأهلها من البربر من كاتمة وفهم إلى الآن سديوكش وصدغيان من بطونهم، وفيهم أيضاً من نفرة وهوارة وسائر شعوب البربر. وكانت قدماً على رأي الخارج، وبقي بها إلى الآن فرقان منهم: الوهيبة وهم بالناحية الغربية، ورواس لهم ليسى سومون، والنكاراة وهم بالناحية الشرقية، وجريدة فاصلة بينهما.

والظهور والرئاسة على الكل يبني سومون. وكان فتحها أول الإسلام على يد رويفع بن ثابت بن سكن بن عدي بن حارثة من بني ملك بن النجار من الأنصار من جند مصر، ولاه معاوية على طرابلس سنة ست وأربعين فغزا إفريقية وفتح جربة سنة سبع وأربعين بعدها، وشهد الفتح حتش بن عبد الله الصناعي ورجع إلى برقة فمات بها. ولم تزل في ملکة المسلمين إلى أن دخل دين الخارج إلى البربر فأخذوا به. ولما كان شأن أبي زيد

وبعث عن أبي العباس أحمد بن مكي صاحب جربة وقباس ليقيم له رسم الحجابة بما كان مناؤنا لأبي محمد بن تافراكن كائفه فوصل إليه، وطيروا بالخبر إلى السلطان أبي عنان صاحب المغرب ويعثروا إليه بيعتهم واستعثره لصربيهم. واضطرب أمرهم. وسرح أبو محمد بن تافراكن إليها العسكرية فأجفلوا أماهه، ولحق المول أبو بعبي ذكري بقباس، واستولى عليها العسكرية واستعمل عليها أبو محمد بن تافراكن محمد بن الجكجالك من قرابة ابن ثابت، اصطفعه عندما وقعت الحادثة على طرابلس، ولحق به فاستعمله على المهدية. ولا وصل الخبر إلى أبي عنان بشأن المهدية جهر إليها الأسطول وشحنه بالقاتلة والرجال، وعيّن المولى والخاصة فالنورها وقد رجعت إلى إيلاء الحضرة، ووصل إليها ابن الجكجالك وأقام بها وحسن غناوه فيها إلى أن كان من أمره ما نذكره.

وأقام الأمير ذكري بقباس، وأجلب به أبو العباس بن مكي على تونس. ثم بعثه بالدواودة ونزل على بعروب بن علي وأظهر إليه في ابنة أخيه سعيد، فعقد له عليها. ولا استول أخرى أبو إسحاق على مجاهة استعمله على سديوكش بعض الأعوام، ولم يزل بين الدواودة إلى أن هلك سنة ست وسبعين وسبعينة كما نذكره بعد.

### الخبر عن استيلاء السلطان أبي إسحاق على مجاهة وإعادة الدعوة الحفصية إليها

لما رجع السلطان أبو عنان من قسطنطينية إلى المغرب أراح بسبته، وسرح عساكره من العام المقبل إلى إفريقية لنظر وزيره سليمان بن داود فسار في نواحي قسطنطينية ومعه ميمون بن علي بن أحمد أديل به من يعقوب على قومه من الدواودة، وعثمان بن يوسف بن سليمان شيخ أولاد سباع منهم. وحضر معهم يوسف بن مزني عامل الزاب، أوعز إلى السلطان بذلك فdroج الجهات وانتهى إلى آخر وطن بنته، واقتضى المغارم. ثم انكفا راجعاً إلى المغرب وهلك السلطان أبو عنان إنر قوله سنة تسعة وخمسين وسبعينة، واضطرب أمر المغرب ثم استقام على طاعة أخيه السلطان أبي سالم كما نذكره. وكان أهل مجاهة قد نعموا على عاملهم بعبي بن ميمون من بطانة السلطان أبي عنان سوء ملكته وشدة سلطنته وعنسه فدخلوا إلى محمد بن تافراكن على البعد في التوبي، فجهز إليهم السلطان أبي إسحاق ما يحتاج إليه من العساكر والآلة، ونهض من تونس ومعه ابنه أبو عبد الله على

مناهضاً لأبي القاسم بن طاهر الذي كان تولاها يومئذ، فكان ردفه عليها إلى أن هلك ابن طاهر فاستبد هو بها منذ أيام الحاجب أبي محمد واتصل ابنه محمد هذا بخدمة ابن الحاجب واختص بكتابته إلى أن استعمله على جريمة عند استيلائه عليها هذه السنة، وإنكفا راجعاً إلى الحضرة فلم يزل محمد بن أبي العيون والياً عليها. ثم استبد بها على السلطان بعد مهلك الحاجب وفارابه من السلطان إلى أن غلبه عليها السلطان أبو العباس سنة أربع وسبعين وسبعمائة كما ذكره.

### الخبر عن عودة الأمراء من المغرب واستيلاء السلطان أبي العباس على قسطنططية

لما هلك السلطان أبو عنان قام بأمره من بعده وزير الحسن بن عمر، ونصب ابنه محمد السعيد للأمر كما ذكره في أخباره. وكان يضطعن للأمير أبي عبد الله صاحب بجایة قبض عليه لأول أمره واعتقله حذراً من وثيقه على عمله فيما زعموا. وكان السلطان أبو العباس سبعة مذ أتله السلطان أبو عنان به، ورتب عليه الحرس كما ذكرنا، فلما انتزى على الملك المنصور بن سليمان من أغصان ملوكهم، ونالز البلد الجديد دار الملك ودخل في طاعته سائر المالك والأعمال بعث في السلطان أبي العباس واستدعاه من سبعة فنهض إليه. وانتهى في طريقه إلى طنجة ووافق في ذلك إجازة السلطان أبي سالم من الأندلس لطلب ملكه. وكان أول ما استولى عليه من أعمال المغرب طنجة وسبعة فاتصل به السلطان أبو العباس وظاهره على أمره إلى أن نزع إليه قبيلة بنو مرين عن منصور بن سليمان المتنزي على ملوكهم فاستوسس أمره واستتب سلطانه به ودخل فاس وسرح الأمير أبي عبد الله من اعتقال الحسن بن عمر كما قدمناه. ورعى للسلطان أبي العباس ذمة سوابقه الفنية والحادثة فرفع مجلسه وأسنى جرايته، ووعده بالظهور على أمره، واستقرروا جميعاً في إياته إلى أن كان من تغلب السلطان أبي سالم على تلمسان والمغرب الأوسط ما ذكره في أخبارهم.

واتصل به ثورة أهل بجایة بعامتهم عيسى بن ميمون ورجالات قبليهم، فامتعض لذلك وحين قفل إلى المغرب نفض يده من الأعمال الشرقية ونزل للسلطان أبي العباس عن قسطنططية دار إمارته ومثوى عزه ومنت ملكه، فأوزع إلى عاملها منصور بن خلوف بالنزول له عنها وسرحه إليها وسرح معه

سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة فأخذوا بدعوه بعد أن دخلوها عنوة، وقتل مقدمها يومئذ ابن كلدين وصلبه.

ثم استردها المنصور إسماعيل، وقتل أصحاب أبي زيد. ولما غلت العرب صنهاجة على الضواحي وصارت لهم أخذ أهل جربة في إنشاء الأساطيل وغزو الساحل. ثم غزاهم علي بن يحيى بن عميم بن المعز بن باديس سنة سبع وخمسين سنة باساطيله إلى أن انقادوا وضمّنوا قطع الفساد وصلح الحال. ثم تقلب النصارى عليهما سنة سبع وعشرين وخمسة عند تغلبهم على سواحل إفريقيا. ثم ثار أهلها عليهم وأخرجوهم سنة ثمان وأربعين وخمسة ثم تغلبوا عليها ثانية وسبوا أهلها واستعملوا على الرعية وأهل الفلح. ثم عادت للمسلمين ولم تزل متربدة بين المسلمين والنصارى إلى أن غلب عليها الموحدون أيام عبد المؤمن. واستقام أمرها إلى أن استبد بنو أبي حفص بإفريقية. ثم افترق أمرهم بعد حين واستبد المولى أبو زكريا ابن السلطان أبي إسحاق بالناحية الغربية، وشغل صاحب الحضرة بشأنه كما قدمناه، فتغلب على هذه الجزيرة أهل صقلية سنة ثمان وثمانين وستمائة وبنوا بها حصن القشتيل مربع الشكل في كل ركن منه برج، وبين كل ركين برج. ويدور به حفيرون وسوران. وأهم المسلمين شأنها، ولم تزل عساكر الحضرة تتردد إليها كما تقدم إلى أن كان فتحها أيام السلطان أبي بكر على يد خلوف بن الكمام من بطاته سنة ثمان وتلاتين وسبعينة واستضافها ابن مكي صاحب قابس إلى عمله فأضافها إليه، وعقد له عليها فصارت من عمله سائر أيام السلطان ومن بعده.

وأتصلت الفتنة بين أبي محمد بن تافراكون وبين ابن مكي، وبعث الحاجب أبو محمد ابن تافراكون عن ابنه أبي عبد الله، وكان في جملة السلطان بيجایة كما قلناه.

ولما وصل إليه سرحه في العساكر لحصار جربة وكان أهلها قد نفروا على ابن مكي سيرته فيهم ودسوا إلى أبي محمد بن تافراكون بذلك، فسرح إليه ابنه في العساكر سنة ثلاث وسبعين وسبعينة وكان أحد بن مكي غالباً بطرابلس قد نزلاه منذ ملوكها من أبيدي النصارى، وجعلها داراً لإمارته فنهض العساكر من الحضرة لنظر أبي عبد الله ابن الحاجب أبي محمد، ونهض الأسطول في البحر فنزلوا بالجزيرة وضايقو القشتيل بالحصار إلى أن غلوا عليه وملکروه. وأقاموا به دعوة صاحب الحضرة. واستعمل أبو عبد الله بن تافراكون كاتبه محمد بن أبي القاسم بن أبي العيون، كان من صنائع الدولة منذ العهد، وكانت لأبيه قرابة من ابن عبد العزيز الحاجب ترقى بها إلى ولاية الأشغال بتونس

فامتنعت عليه خرج إلى أحياه العرب كما قدمناه ولزم صاحبته أولاد بمحى بن علي بن سباع فغرسوا في الرفقاء بها. وأقام بين ظهرانهم وفي حللهم متقبلاً في طلب مجاهة برحمة الشتاء والصيف وتكتلوا فقة عياله ومؤنة حشمه وأنزلوه بيلد المسيلة من أوطانهم، وتجافروا له عن جيابتهم وأقام على ذلك سنين خمساً ينال مجاهة في كل سنة منها مراراً، وتحول في السنة الخامسة منهم إلى أولاد علي بن أحمد، وزنل على يعقوب بن علي فاسكه بمقدمة من بلاده إلى أن بدا لعمه المولى أبي إسحاق رأيه في اللحاق بتونس لما توقع من مهلك حاجبه وكامله أبي محمد بن تافراكتين، أسره إليه بعض الحزى فحدره مفنته ووقع من ذلك في قوس أهل مجاهة الخراف عنه ومرجع أمرهم وراسلوا أميرهم الأقدم أبي عبد الله من مكانه بمقدمة وظاهره على ذلك يعقوب بن علي وأخذ له العهد على رجالات سدوكيش أهل الضاحية، وارتحلوا معه إلى مجاهة وزنلها أيامأً. ثم استيقن الغوغاء اعتم سلطانهم على التقويض عنهم، وسمثروا مملكة علي بن صالح الذي كان عريفاً عليهم فشاروا به ونبذوا عهده وانقضوا من حوله إلى الأمير أبي عبد الله بالرسة من ساحة البلد. ثم قادوا إليه عمه أبي إسحاق فمن عليه وخلي سبيله إلى حضرته فلحت بها واستول أبو عبد الله على مجاهة محل إمارته في رمضان سنة خمس وستين وبسبعينه على علي بن صالح ومن معه من عرفاء الغوغاء أهل الفتنة فاستصفى أمورهم، ثم أمضى حكم الله في قتلهم. ثم نهض إلى تدليس لشهرين من مملكة مجاهة فغلب عليها عمر بن موسى عامل بي عبد الرؤوف، ومن أعياص قبيلهم، وغلكها في آخر سنة خمس وستين وبسبعينه. وبعث عنى من الأندلس كنت مقيماً بها تزيلاً عند السلطان أبي عبد الله بن أبي الحجاج بن الأحرق في سبيل اغتراب ومطاعة تقلب منذ مهلك السلطان أبي سالم الجاذب بضعي إلى توبه، والراقي بي في خطط كتابه من ترسيل وتوقيع ونظر في المظالم وغيرها. فلما استدعاني هذا الأمير أبو عبد الله بادرت إلى امتناله **«ولَرْ شَاءْ رِبُّكَ مَا قَعَلْتُكَ»** **«وَلَرْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْعَيْبَ لَا سَكَنَتُكُنْتُ مِنَ الْخَيْرِ»** فاجرت البحر شهر جمادى من سنة ست وخمسين وبسبعينه وقلبني حجابته، ودفع إلى أمر ملكته. وقامت في ذلك المقام المحمود إلى أن أذن الله بانصرافه، وانقطاع دولته، ولله الحلق والأمر، وبيده تصارييف الأمور.

الأمير أبي عبد الله ابن عمه لطلب حقه في مجاهة، والأجلاب على عمه السلطان أبي إسحاق جزاء بما من الله من بنى مرين عند افتتاحها من المرة. وارتحلوا إلى تلمسان في جمادى من سنة إحدى وستين وبسبعينه وأخذوا السير إلى مواطنهم. فاما السلطان أبو العباس فوقف منصور بن خلوف عامل البلد على خطاب سلطانه بالتزول عن قسطنطينية فنزل وأسلمها إليه، وأمكنته منها فدخلها شهر رمضان سنة إحدى وستين وبسبعينه واقتعد سرير ملكه منها وتبشرت بعودته مقابر قصورها فكانت مبدعاً لسلطانه ومظهراً لسعاده ومطمئناً لدولته على ما نذكر بعد.

واما الأمير أبو عبد الله صاحب مجاهة فلحظ باول وطنه، واجتمع إليه أولاد سباع أهل ضاحيتها وقرها من الدواودة. ثم زحف إليها فنازلاها أيامأً وامتنعت عليه فرحل عنها إلى بنى ياوران، واستخدم أولاد محمد بن يوسف والعزيزبنين أهل ضاحيتها من سدوكيش. ثم نزعوا عنه إلى خدمة عمه بمجاهة فخرج إلى القفر مع الدواودة إلى أن كان من أمره ما نذكره إن شاء الله تعالى.

### الخبر عن وصول الأخ الأمير أبي بمحى بن زكرييا من تونس وافتتاحه بونة واستيائه عليهها

كان الأمير أبو بمحى زكرياً منذ بعثه آخره العباس إلى عمهما السلطان أبي إسحاق صريحاً لم يزل مقيناً بتونس، وبلغه استياء السلطان أبي عنان على قسطنطينية فخشى الحاجب أبو محمد بن تافراكتين بادرته، وتوقع زحفه إليها وغلبه إيماه على الأمر. ورأى أن يخوض جناحه في أخيه، ويتوقه به فاعتقله بالقصبة تحت كرامة روعي، وبعث فيه السلطان أبو الحسن بعد مراؤضة في السلم فأطلقه وانعقد بينهما السلم. ولما وصل الأمير أبو بمحى إلى أخيه بقسطنطينية عقد له على العساكر وزحف إلى بونة فملكها ستة اثنين وستين وعقد له عليها وأنزله بها مع العساكر وأصارها تحماً لعمله واستمرت حملها على ذلك إلى أن كان من أمرها ما نذكره إن شاء الله تعالى.

### الخبر عن استياء الأمير أبي عبد الله على مجاهة ثم على تدلس بعدها

لما قدم السلطان أبو عبد الله من المغرب ونازل مجاهة

وورفع الحجاب بينه وبين رجال دولته وصنائع ملکه حتى باشر  
جبایات المخراج وعرفاء الخشم، وأوصلهم إلى نفسه والغی  
الوسائل ينهم وبينه إلى حين مهلکه كما نذكر ذلك إن شاء الله  
تعالى، والله تعالى أعلم.

الخبر عن استيلاء السلطان أبي العباس على  
بجایة وملك صاحبها ابن عمه

لما ملك الأمير أبو عبد الله مجاهة واستقل بamarتها تذكر للرغبة وساعته سيرته فيهما بإرهاf الحد للكافة وإسخاط الخاصة، فنغلت الصدور ومرضت القلوب واستحکمت النفرة، وتوجهت الصاغية إلى ابن عمه السلطان أبي العباس بقسطنطينية لما كان أوسوس منه وأغلب للذاته وأقام على سلطانه. وكانت بينهما فتنـة وحروب جرتها المنافسة في نخوم العمالقين منذ عهد الآباء، وكان السلطان أبو العباس أيام نزوله على السلطان أبي سالم محمد السيرة والخلال عنده مستقيم الطريقة في مثوى اغترابه. وربما كان يتقـم على ابن عمـه هذا بعض التزعـات المعرضة لصاحـها للملـامة فيستـقل نصـيحتـه. ونـغل بذلك ضـميرـه، فـلما استـولـ على مجـاهـة عـاد إلى الفتـنة فـشبـها، وـشـمر عـزـائـمه لها فـكان مـغلـباً فـيها. واعـتلـقـ منه يعقوـبـ بنـ عليـ بنـهـةـ فيـ المـظـاهـرـةـ علىـ السـلـطـانـ أبيـ العـبـاسـ فـلمـ يـغـيـرـ عنهـ وـرـاجـعـ يـعـقوـبـ سـلـطـانـهـ. ثـمـ جـهزـ هوـ العـساـكـرـ منـ مجـاهـةـ نـخـومـ قـسـطـنـطـيـنـيـةـ فـقضـهاـ أـبـرـ العـبـاسـ فـنهـضـ إـلـيـهـ ثـانـيـةـ بـنـفـسـهـ فـيـ العـساـكـرـ، وـتـرـاجـعـ الـعـرـبـ مـنـ أـوـلـادـ سـبـاعـ بـنـ بـحـيـسـ وـجـمعـ هـوـ أـلـاـدـ مـحـمـدـ وـزـحـفـ فـيـهـمـ وـفـيـ عـسـكـرـ مـنـ زـنـاتـةـ، وـالـقـيـقـانـ بـنـاحـيـةـ سـطـفـ فـاحتـلـ مـصـافـ أـهـلـ مجـاهـةـ وـانـهـمـواـ، وـاتـهـمـمـ السـلـطـانـ أـبـوـ العـبـاسـ إـلـيـ تـاـكـرـارـتـ وـجـالـ فـيـ عـمـلـهـ وـوـطـيـءـ نـواـحـيـ وـطـنـهـ، وـقـلـ إـلـيـ بـلـدـهـ.

ودخل الأمير أبو عبد الله إلى مجاهة وقد استحكمت التفارة  
فيه وبين أهل بلده فدسوا إلى السلطان أبي العباس بقسطنطينية  
بالقدوم عليهم، فوعدهم من العام القابل وزحف سنة سبع وستين  
وسبعينة في عساكرة وشيشه من الدواودة أولاد محمد، وانضوى  
إليه أولاد سباع شيعة مجاهة بالجوار والسابقة القديمة لما نكروا من  
احوال سلطانهم، وعسكر الأمير أبو عبد الله بлизرو في جمع قليل  
من الأولياء وأقام بها يرجو مدافعة ابن عمه بالصلاح، فيبيه  
السلطان ب العسكرية من ليزرو، وصحبه في غارة شعراً فانقض جمعه،  
واحيط به، واتهب العسكر، ومر إلى مجاهة، فادرك في بعض  
الطريق وتقبض عليه، وقتل عصباً بالرماح، وأخذ السلطان أبو

الخبر عن مهلك الحاجب أبي محمد بن تافراكتين واستبداد سلطانه من بعده

كان السلطان أبو إسحاق آخر دولته مجاهة قد تحيى مهلك  
 حاجبه المستبد عليه أبي محمد بن تافراكن لما كان أهل صناعة  
 التنجيم يحدثونه بذلك، فأجتمع الرحلة إليها، وانقض عنه أهل مجاهة  
 إلى ابن أخيه كما قدمناه. واستولى عليه ثم أطلقه إلى حضرته  
 فلحق بها في رمضان سنة خمس وستين وسبعينة وتلقاه أبو محمد  
 بن تافراكن ورآه مرهف الحد للاستبداد الذي لفه بمجاهة فكاييله  
 بصاع الوفاق، وصارفة نقد المصانعة، وازدلف بائناع القربات.  
 وقاد إليه النجائب ومنحه من الذخائر والأموال وتجاهي له عن  
 النظر في الجباية. ثم أصهر إليه السلطان في كريمه فعقد له عليها  
 وأعرض السلطان بها. ثم كان مهلك عقب ذلك سنة ست وستين  
 وسبعينة فوجم السلطان لنعيه وشهد جنازته حتى وضع جملعده  
 من المدرسة التي اختطها لقراءة العلم إزاء داره جوفي المدينة. وقام  
 على قبره باكيًا وحاشيته يتناولون التراب حثيًا على جدسه فغرب  
 في الرفاء معه بما تحدث به الناس واستبدل من بعده بأمره وأقام  
 سلطانه لنفسه.

وكان أبو عبد الله الحاج ابن أبي محمد غائبًا عن  
الحضره. خرج منها بالعسكر للحجاجية والتمهيد فلما بلغه خبر  
مهلك أبيه دخلته الظنة وأوجس الخيفة فصرف العسكر إلى  
الحضره، وارتحل مع حكيم من بني سليم، وعرض نفسه على  
معاقي إفريقيه التي كان يظن أنها خالصه لهم. فضده محمد بن أبي  
العون كاتبه عن جربة، ومحمد بن الحجاج الحكيم صنعتهم  
وبطانتهم عن المهدية. وبعث إليه السلطان بما رضييه من الأمان  
فاستصحب بعد التهور وبادر إلى الحضره فتلقاء السلطان بالبر  
والترحيب، وتلقه حجاجه وأنزله على مراتب العز والتبوه. ونكر  
هو مباشرة السلطان للناس من رفعه للحجاب، ولم ينزل بريضه لما  
الف من الاستبداد منذ عهد أبيه فاظلم الجرو بينه وبين السلطان  
ودبت عقارب السعاية لهاده الوثير، فتنكر وخرج من تونس ولحق  
بقسطنطينيه، ونزل بها على السلطان أبي العباس مرغباً له في ملك  
تونس ومستحثاً فأنزله خير نزل، ووعده بالنهوض معه إلى إفريقيه  
بعد الفراغ من أمر بجاية لما كان بينه وبين ابن عميه صاحبها من  
الفتنه كما نذكرها بعد. واستبدل السلطان أبو إسحاق بعد مفر ابن  
تافراكتون عنه، ونظر في أعطاف ملكه، وعقد على حجاجه لأحمد  
بن إبراهيم البالياني مصطفى الحاجب أبي محمد من طبقة العمال،  
وعلى العسكري والحرب لولاه منصور سريجه من الملعوجي،

عم أبي هو من أعياص بيهم، وكان من خبره أنه كان خرج من المغرب كما نذكره في أخباره. ونزل على السلطان أبي إسحاق بالحضرة ورعن له أبو محمد الحاجب حق بيته فاوسع في كرامته. ولما غلب الأمير أبو عبد الله على تدلس بعث إليه من تونس ليوليه عليها، وتكون رداء بيته وبين حمو، ويتفرغ هو للأجلاب على وطن قسطنطينية، فبادر إلى الإجابة وخرج من تونس. ومر السلطان أبو العباس بمكانه من قسطنطينية فصده عن سيله واعتقله عنه مكرماً، فلما غلب على مجاهدة وبلغ الخبر بزحف أبي حمو أطلقه من اعتقاله ذلك واستبلغ في تكرمه ومحاباته، ونصبه للملك وجهز له بعض الآلة. وخرج في معسكره مولاه بشير ليجالجي، بهبني عبد الراد عن ابن عمه أبي حمو لما سئموا من ملكه وعنه.

وكان زغبة عرب المغرب الأوسط في معسكر أبي حمو، وكانتا حذرين من مغبة أمره معهم فراسلوا أبي زيان واتمروا بينهم في الأرجاف بالمعسكر. ثم تخينا لذلك أن يشب الحرب بين أهل البلد وأهل المعسكر فأطلقلا خامس ذي الحجة، وافتض بالمعسكر وانتهوا إلى مضائق الطرقات بساحل البلد فكظلت بزحامهم وترکموا عليها فهلك الكثير منهم، وخلفوا من الأثقال والعيال والسلاح والكرياع ما لا يحيط به الوصف. وأسلم أبو حمو عاليه وأمواله فصارت نهباً واحتلبت حظاياه إلى السلطان فوهبها لابن عمه وبغا أبو حمو بنفسه بعد أن طاح في كظيط الزحام عن جواهه فنزل له وزيره عمران بن موسى عن مر Kirbyه فكان نجاؤه عليه، ولحق بالجزائر في الفيل، ولحق منها بتلمسان واتبع أبو زيان أثره، واضطرب المغرب الأوسط كما نذكره في أخباره. وخرج السلطان أبو العباس من مجاهدة على إثر هذه الواقعة فنازل تدلس وافتتحها وغلب عليها من كان بها من عمال بيبي عبد الراد وانتظمت التغور الغربية كلها في ملكه كما كانت في ملك جده الأمير أبي زكريا الأوسط حين قسم الدعوة الخفصة بها إلى أن كان ما نذكره بعده إن شاء الله تعالى.

### الخبر عن زحف العساكر إلى تونس

كان أبو عبد الله ابن الحاجب أبي محمد بن تافراكتن لما نزع عن السلطان أبي إسحاق صاحب الحضرة لحق بخلل أولاد مهلهل من العرب، ووفدوا جميعاً على السلطان أبي العباس فاتح سنة سبع وسبعين وسبعينة يستحثونه إلى الحضرة ويرغبونه في ملوكها فاعتذر لهم بما كان عليه من الفتنة مع ابن عمه صاحب مجاهدة. وزحف إليها في حرقة الفتح وصاروا في جملة، فلما استكمل فتح

العباس السير إلى مجاهدة فأدرك بها صلاة الجمعة تاسع عشر شعبان من سنة سبع وسبعين وسبعينة، وكتب بالبلد مقيماً فخرجت إليه في الملاً وتلقاني بالبرة والتنوره. وأشار إلى بالاصطناع واستوست له ملك جده الأمير أبي زكريا الأوسط في التغور العربية وأقامت في خدمته بعض شهر. ثم توجست الحقيقة في نفسي وأذنته في الانطلاق فاذن لي تكراً وفضلاً وسعة صدر ورحمة، ونزلت على بعقوب بن علي، ثم تحولت عنه إلى بسكرة ونزلت على ابن مزني إلى أن صفا الجو، واستقبلت من أمري ما استدبرت واستدتها ثلاثة عشرة سنة من انطلاقي عنه في خبر طويل نقشه من شانى فأذن لي، وقدمت عليه فقابلتني وجوه عزيتها، وأشرقت علي أشعة مجته كما نذكر ذلك من بعد إن شاء الله تعالى.

### الخبر عن زحف أبي حمو وبني عبد الراد إلى مجاهدة ونكباتهم عليها وفتح تدلس من أيديهم بعدها

كان الأمير أبو عبد صاحب مجاهدة لما اشتدت الفتنة بينه وبين ابن عمه السلطان أبي العباس مع ما كان بينه وبين بيبي عبد الراد من الفتنة عند غلبه إياهم على تدلس تكاد عن حل العداوة من الجانبين، وصغا إلى مهادنته بيبي عبد الراد فنزل لهم عن تدلس، وأمكن منها قائد العسكرية المعاشر لها. وأوفد رسلاً على سلطانهم أبي حمو بتلمسان، وأصهر إليه أبو حمو في ابته فقد له عليها وزفها إليه بجهاز أمثالها. فلما غلبه السلطان أبو العباس على مجاهدة وهلك في مجال حربه، أشاع أبو حمو الامتعاض له لمكان الصهر، وجعلها ذريعة إلى الحركة على مجاهدة. وزحف من تلمسان بغير الشوك والمدد في آلاف من قومه وطبقات العساكر والجندي. وترابع العرب حتى انتهى إلى وطن حزة فأجفل أمامه أبو الليل موسى بن زغلي في قومه بيبي بزيد، وتحصنوا في جبال زواوة المطلة على وطن حزة. وبعث إليه رسلاً لاقتضاء طاعته فلارتهم كتاباً، وكان فيما يحيى حافظ أبي محمد صالح نزع من السلطان أبي العباس إلى أبي حمو وكان عيناً على غزاة أبي الليل هذا لما بينهما من المربي والجوار في الوطن، وجاء في وفد الرسالة عن أبي حمو فقبض عليهم وعليه قتلهم وبعث برأسه إلى مجاهدة.

وامتنع على أبي حمو وعساكره فأجازوا على مجاهدة، ونزل معسكره بساحتها وقاتلها أياماً، وجمع الفعلة على الآلات في الحصار. وكان السلطان أبو العباس بالبلد وعساكره مع مولاه بشير بتكرارت، ومعهم أبي زيان بن عثمان بن عبد الرحمن، وهو ابن

وحربيهم فكان فيه غناه واستدفعوه مرات بجيشهم يعيشون بها إلى السلطان، ومرات بمصانعة العرب على الإرجال بعسكره. وكان ابن البالقي يغضن بمكانه عند السلطان، فلما استبد على ابنه أعظم فيه السعاية وبقى عليه، وأودعه السجن مع محمد بن علي بن رافع. ثم بعث عليهما من داخلهما في الفرار من الاعتقال حتى دربوه معه، وظهر على أمرهما فقتلتهما في محبسهما ختفاً والله متول الجزاء منه. (وَتَبَيَّنَ لِلَّذِينَ ظَلَّمُوا أَيُّ مُقْتَلٍ يَتَقَبَّلُونَ).

ثم ظهر ابن البالقي من سوء سيرته في الناس وجوره عليهم وعسفه بهم وانتزاع أموالهم، وإهانة سبال الأشراف ببابه منهم ما نفموه، وضرعوا إلى الله في إنقاذهم من ملكته، فكان ذلك على يد مولانا السلطان أبي العباس كما نذكر إن شاء الله تعالى.

### الخبر عن فتح تونس واستيلاء السلطان عليها واستبداده بالدعوة الخفصة في سائر عمالات إفريقيا وملكها

لهلك السلطان أبو إسحاق صاحب الحضرة سنة سبعين وسبعينة كما قدمنا وقام بالأمر مولاه منصور سريجه وحاجبه البالقي ونصبوا ابنه الأمير خالدًا للأمر صبياً لم ينجز الحلم غرا فلم يحسنوا تدبیر أمره ولا سياسة سلطانه، وأسخطوا لوقتهم منصور بن حزة أمير بي كعب المتغلبين على الصاحبة بما أطعموه بسوء تدبیرهم في شركه هم في الأمر. ثم قيلوا له ظهر الجن فسخطهم ولحق بالسلطان أبي العباس وهو مطر عليهم بمرقبة من التغور الغربية مستجمع لل兜ن بهم، فاستحثه لملكتهم وحرضه على تلافى أمرهم ورم ما تلثم من سياج دولتهم. وكان الأحن بالأمر لشرف نفسه وجلاله واستفحال ملوكه وسلطانه، وشیاع الحديث عن عده ورفقه وحید سيرته وأمان أهل مملكته من نظر يعقب نظره فيهم واستبداد سواه عليهم، فأجاب صريجه وشحد للنهوض عزمه. وكان أهل قسطنطينية قد بعثوا بهل ذلك، فسرح إليهم أبا عبد الله بن الحاجب أبي محمد بن تافراكن لاستخبار طاعتهم وابتلاء دخلتهم، فسار إليهم واقتضى بيعاتهم وطاعتهم، وسارع إليها يحيى بن ملول مقدم توزر والخلف بن الحلف مقدم نقطة قاتلها طوعية. وانقلب عنهم وقد أخذوا بدعة السلطان وأقاموها.

ثم خرج السلطان من مجاهدة في العسكر وأخذ السير إلى

مجاهدة سرح مهمم أخيه المولى أبا يحيى زكريا في العساكر فساروا معه إلى الحضرة، وابن تافراكن في جملته، فنازلوها أيامًا وامتنعت عليهم وأقلعوا على سلم ومهادنة انعقدت بين صاحب الحضرة وبينهم، وقتل المولى أبو يحيى بعسكره إلى مكان عمله. ولحق ابن تافراكن بالسلطان، فلم يزل في جملته إلى أن كان من فتح تونس ما نذكر.

### الخبر عن مهلك السلطان أبي إسحاق صاحب الحضرة وولاية ابنه خالد من بعده

لا تزال حال السلطان أبو إسحاق بالحضرة على ما ذكرناه، ويختلف في الفتنة والمهادنة مع السلطان أبي العباس طوراً بظاهره، واستخلص لدولتهم منصور بن حزة أمير بي كعب يستقره به على أمره، ويستدفع برأيه وشوكته فخلص له سائر أيامه. وعقد سنة تسع وسبعين وسبعينة لابنه خالد على عسكر لنظر محمد بن رافع من طبقات الجنود من مغراوة مستبداً على ابنه. وسرحه مع منصور بن حزة وقومه وأوزع اليهم بتديون ضواحي بونة واكتساح نعمها وجباية ضواحيها فساروا إليها. وسرح الأمير أبو يحيى زكريا صاحب بونة عسكره مع أهل الصاحبة فاغتوا في مدافعتهم وانقلبوا على أعقابهم فكان آخر العهد بظهورهم. ولما رجعوا إلى الحضرة تذكر السلطان محمد بن رافع قائد العسكر فخرج من الحضرة ولحق بقومه بعثائهم من لفه من أعمال تونس. واستقدمه السلطان بعد أن استعبد له فلما قدم تقبض عليه وأودعه السجن. وعلى إثر ذلك كان مهلك السلطان فجاء ليلة من سنة سبعين وسبعينة بعد أن قضى وطراً من محادنة السمر وغله النوم آخر ليله فنام، ولما أيقظه الخادم وجده ميتاً فاستحال السرور، وعظم الأسف وغلب على البطانة الدهش.

ثم راجعوا بصائرهم ودفعوا الدهش عن أنفسهم وتلافيوا أمرهم باليعة لابنه الأمير أبي البقاء خالد فأخليها له على الناس مولاه منصور سريحة من الملعوجي وحاجبه أحد بن إبراهيم البالقي، وحضر لها المرحون والفقهاء والكافة. وانقض المجلس وقد انعقد أمره إلى جنازة أبيه حتى واروه التراب. واستبد منصور وابن البالقي على هذا الأمير المنصوب للأمر فلم يكن له تحكم عليهما، وكان أول ما افتتحا به أمرهما أن تقضى على القاضي محمد بن خلف الله من طفة الفقهاء، كان نزع إلى السلطان من بلدته نقطه مغاضبةً لتقديمها عبد الله بن علي بن خلف فرعى له تزويجه إليه واستعمله بخطة القضاء بتونس عند مهلك أبي علي عمر بن عبد الربيع. ثم ولاه قيادة العساكر إلى بلاد الجريد

**الخبر عن انقضاض منصور بن حزرة وأجلابه  
بالعلم أبي يحيى زكريها على الحضرة وما  
كان عقب ذلك من نكبة ابن تافراكين**

كان منصور بن حزرة هذا أمير البدو من بني سليم بما كان سيد بني كعب. وكان السلطان أبو إسحاق يؤثره بمزيد العناية، وجعل له على قومه المزية. وكان بن حزرة هؤلاء متذمرين على السلطان أبي الحسن على إفريقيا وأزعجهما منها قد استطلت أيديهم عليها وتقاسمواها أوزاعاً، وأنفعهم أمراء الحضرة السهمان في جيابتها زيادة لما غلبو عليه من ضواحيها وأصالها، استلافقا لهم على المظاهره وإقامة الدعوة والحمامة من أهل التغور الغربية، فملکوا الأكتر منها، وضعف سهمان السلطان بينهم فيها، فلما استولى هذا السلطان أبو العباس على الحضرة واستبد بالدعوة الخففية كبح أعتهم عن التغلب والاستبداد واتبع ما بأيديهم من الأنصار والعمالات التي كانت من قبل خالصة للسلطان وبدا لهم ما لم يكونوا يحسبونه، فاحتظهم ذلك وأهملهم شأنه وتذكر منصور بن حزرة وقلب ظهر الجن وزرع يده من الطاعة وغمضاها في الخلاف، وتابعه على خروجه على السلطان أبو صعنترة أحد بن محمد بن عبد الله بن مسكنين شيخ حكيم. وارتحل بأبياته إلى الدواودة صرخاً مستحيثاً بالأمير أبي يحيى بن السلطان أبي بكر المقيم بين ظهرانيهم من لدن فعلته بالمهدية وانتزاه بها على أخيه المرول أبي إسحاق كما ذكرناه، فتصبره للأمر وبايعوه. وارتحل معهم وأخذوا السير إلى تونس، ولقيه منصور بن حزرة في أحياه بنواحي تبسة فبايعوا له وأوفدوا مشيختهم على يحيى بن يملول شيطان الغواية المارد على الخلاف يستحقونه للطاعة والمدد بداخلة كانت بينهم في ذلك سول لهم فيها بالمواعيد، وأتموا لهم حتى إذا غمسوا أيديهم في النفاق والأجلاب سوفهم عن مواعيده ضئانة بالله فاسرها منصور في نفسه، واعتمز من يومئذ على الرجوع إلى الطاعة.

ثم رحلوا للأجلاب على الحضرة، وسرح السلطان أبو العباس أخيه أبي يحيى زكريها للقيهم في العساكر، وتراحوها فائج لمنصور وقومه ظهور على عساكر السلطان وأوليائه لم يستكمله، وأجلبوا على البلاد أياماً. وعي إلى السلطان أن حاجبه أبي عبد الله بن تافراكين داخليهم في تبين البلد فقضى عليه وأشخصه في البحر إلى قسطنطينية فلم يزل بها معتقلأً إلى أن هلك ستة ثمان وثمانين وسبعيناً. ثم سرب السلطان أمره في العرب

المسللة، وكان بها إبراهيم ابن عمه الأمير أبي زكريا الأخير جاجاً به أولاد سليمان بن على من الدواودة من مثوى اغترابه بتلمسان، ونصبوا لطلب حقه في مجاهدة من بعد أخيه الأمير أبي عبد الله، وكان ذلك بمدخلة أبي هو صاحب تلمسان وموعيد بالظاهرةخلفة. فلما انتهى السلطان إلى المسللة نبذوا إلى إبراهيم عهده وتبرأوا منه. ورجعوا من حيث جاء، وإنكفاً راجعاً إلى مجاهدة. ثم نهض منها إلى الحضرة وتلقته وفرد إفريقية جميعاً بالطاعة وانتهى إلى البلد فخيّم بساحتها أياماً يغاديها القتال ويراوحها: ثم كشف عن مصدوقة وزحف إلى أسوارها وقد ترجل آخره والكثير من بطانته وأوليائه فلم يقم لهم شيء حتى تسنوا الأسوار برباض رأس الطالية، فنزل عنها المقاتلة وفروا إلى داخل البلد. وحارس الناس الدهش وتبرأ بعضهم من بعض، وأهل الدولة في موكبهم وقوف بباب التدر من أبواب القصبة. فلما رأوا أنهم أحبط بهم ولوا الأعقاب وقصدوا باب الجزيرة فكسرها أفاله. وشار أهل البلد جميعاً بهم فخلعوا سلطانهم من البلد بعد عصب الريح، ومضى الجندي في اتباعهم فادرك أحد بن البالقي فقتل وسيق رأسه إلى السلطان. وتنبض على الأمير خالد واعتقل، ونجا العلوج منصور سريمه برأس طمرة وجلام وذهل عن القتال دون الأήبة.

ودخل السلطان القصر واقتعد أريكته، وانطلقت أيدي العبيث في ديار أهل الدولة فاكتسحت ما كان الناس يضطئون عليهم تحاملهم على الرعية واغتصاب أموالهم، فاضطررت نار العبيث في دورهم ومخلفهم فلم تكن أن تطفئه ولحق بعض أهل العافية معرات من ذلك لعموم النهب وشموله حتى أطفال الله ببركات السلطان وجبل نيته وسعادة أمره. ولاذ الناس منه بالملك الرحيم والسلطان العادل، وتهافتوا عليه تهافت الفراش على الذبال يلثمون أطرافه، ويجارون بالدعاء له ويتأففون في التماح محياه إلى أن غشיהם الليل ودخل السلطان قصوره وخلا بما ظفر من ملك آبائه، وبعث بالأمير خالد وأخيه في الأسطول إلى قسطنطينية، فغضفت به الريح واخترفت السفينة وترادفت الأمواج إلى أن هلكا. واستبدل السلطان بأمره وعقد لأخيه الأمير أبي يحيى زكريها على حجابته. ورعنى لابن تافراكين حتى اخياشه إليه وزروعه فجعله رديفاً لأخيه، واستمر الأمر على ذلك إلى أن كان من أمره ما ذكر إن شاء الله تعالى.

الجحاجاك أميراً عليها واستبد بها بعد موت الحاجب. فلما وخرته شوكة الاستطالة من الدولة، وطلع نهره قسام العساكر فرق من الاستيلاء عليه، وركب أسطوله إلى طرابلس ونزل على صاحبها أبي بكر بن ثابت لذمة شهر قديم كان بينهما وبادر مولانا السلطان إلى تسليم المهدية، وبعث إليها عماله وانتظمت في ملكه وأطردت أحوال الظهور والنجاح، وكان بعد ذلك ما ذكر إن شاء الله تعالى.

فانتقض على النصور قومه وخشي مغبة حاله، وسرغه السلطان جائزته فعاود الطاعة، ورهن ابنه وبناته إلى السلطان زكريا العم عقده ورجعه على عقبه إلى الدواودة، والتزم طاعة السلطان والاستقامة على المظاهر إلى أن هلك ستة ست وسبعين وسبعينة فقتله محمد ابن أخيه قتيبة في مشاجرة كانت بينهما، طعنه بها فأشواهه ورجع جرحاً إلى بيته، وهلك دونها آخر يومه. وقام بأمر بي كعب بهذه صولة ابن أخيه خالد وعقد له مولانا السلطان على أمرهم واستمرت الحال إلى أن كان من أمره ما ذكره.

## الخبر عن فتح جربة وانتظامها في ملك السلطان

كان محمد بن أبي القاسم بن أبي العيون متذلاً وله أبو عبد الله محمد بن تافراكتين على هذه الجزيرة، قد تقبل مذهب جيرانها من أهل قابس وطرابلس وسائر الجريد في الامتناع على السلطان ومصارفة الاستبداد واتصال مذهب الإمارة وطرقها وليوس شارتها. وقد ذكرنا سلفه من قبل، وأن والده كان صاحب الأشغال بالحضرية أيام الحاجب أبي محمد بن تافراكتين وأنه اعتقد بيكاثبة ابنه أبي عبد الله فولاً على جربة عند افتتاحه إليها وأنه قصده عند مفره عن الولي أبي إسحاق لينزل جربة معمولاً على قديم اصطناعه إليها فمنعه. ثم دخل شيخ الجزيرة منبني سومن في الامتناع على السلطان والاستبداد بأمرهم فأجابوه، وأقام متعيناً ساتر دولة الولي أبي إسحاق وابنه من بعده.

ولما استولى مولانا السلطان أبو العباس على تونس دخله الروح والدهش وصار إلى مكابر رؤساء الجريد في التظاهر على المدافعة بزعمهم، فأجرى في ذلك شيئاً بعيداً مع تحفته في مضمار يقديه وحديه، وصادق السلطان سوء الامثال وإثبات الطاعة ومنع الحباية فاحفظ ذلك، ولما افتح أمصار الساحل وثاروره سرح ابنه الأمير أبي بكر في العساكر إلى جربة ومعه خالصة الدولة محمد بن علي بن إبراهيم من ولد أبي هلال شيخ الموحدين، وصاحب مجاهدة لعهد المستنصر، وقد تقدم ذكره. وأمد في الأسطول في البحر لحصارها، ونزل الأمير بعسكره على جزارها ووصل الأسطول إلى مرساها فاطاف بمحصن القشتيل، وقد لاذ ابن أبي العيون بمدرانه وافتقر عنه شيخ الجزائر من البرير وأخاشر بطالته من الجندي المستخدمين معه بها. ولما رأوا ما لا طاقة لهم به وأن عساكر السلطان قد أحاطت بهم برأساً ومحراً نزلوا إلى قائد الأسطول وأمكنوه من الحصن، وبادروا إلى معسكر الأمير فاقترب معهم الخاصة أبو عبد الله بن أبي هلال فيمن معه من بطانة الأمير

## الخبر عن فتح سوسة والمهدية

كانت سوسة متذلة واقعة بني مرین بالقيروان وتغلب العرب على العمالات التي أقطعها السلطان أبو الحسن خليفة بن عبد الله بن مسکین فيما سرغ للعرب من الأمصار والإقطاعات مما لم يكن لهم فاسطولي عليها خليفة هذا وزنلها واستقل مجيبياتها وأحكامها. واستبدل بها على السلطان ولم يزل كذلك إلى أن هلك وقام بأمره في قومه عامر بن عمه مسکین أيام استبداد أبي محمد بن تافراكتين فسرغها له كذلك متقلاً مذهب من قبله ثم قتله بنبو كعب، وأقام بأمر حكيم من بعده أحد الملقب أبو صعنونة بن محمد أخي خليفة بن عبد الله بن مسکین فاستبدل سوسة على السلطان واتبعها دار إمارته، ورغمما كان يتقدّم على صاحب الحضرة فيجلب عليها من سوسة، ويشن الغارات في نواحيها، حتى لقد أوقع في بعض أيامه بمنصور سريحه مولى السلطان أبي إسحاق وقاده عسكراً، فتقبض عليه واعتقله سوسة أيامه. ثم من عليه وأطلقه وعاود الطاعة معه، ولم يزل هذا أيامه. وكانت لهم في الرعایا آثار قيبة وملكات سيدة، ولم يزالوا يصرعون إلى الله في إنقاذهم من أيدي جورهم وعسفهم إلى أن تاذن الله لأهل إفريقيا باتباع الخير وفيه ظلال الأمر. واستبدل مولانا السلطان أبو العباس بالحضرية وسائر عمالات إفريقيا وهبت ريح العز على العرب في جميع النواحي، فتذكر أهل سوسة لعامهم أبي صعنونة هذا، وأحس بنكرائهم فخرج عنهم وغافل للسلطان عن البلد. وثارت عامتها بعماله واجهضوه، ونزل عمال السلطان.

ثم كانت من بعد ذلك حركة المولى أبي مجيبي إلى نواحي طرابلس ودخول جهانها واستوفى جباية عمالها. وكان بالمهدية محمد بن الجحاجاك استعمله عليها الحاجب أبو محمد بن تافراكتين أيام ارجاعه إليها من يد أبي العباس بن مكي، والأمير أبي مجيبي المتزوج بها ابن مولانا السلطان أبي بكر كما مر. وأقام ابن

وسبعين وسبعينة. ونزل الأمير أبو إسحاق بقسطنطينية دار إمارته وعقد له السلطان عليها والقاب الملك ورسومه مصروفة إليه. والقائد بشير مولى ابنه مستبد عليه لمكان صغره إلى أن هلك بشير سنة ثمان وسبعين وسبعينة عندهما استكمل الأمير أبو إسحاق الخلال واستجتمع الإمارة فجدد له السلطان عهده عليها وفرض إليه في إمارتها فقام بما دفع إليه من ذلك أحسن مقام، وأفاء مصدقاً للظنو وترمى إليه وشهادة المخابيل التي دللت عليه، فاستقل هذان الأميران بغرض جماعة وقسطنطينية وأعمالها مفروضاً إليهما الإمارة ماذوناً لهم في اختاذ الآلة وإقامة الرسوم الملوكية والشارة. وكان الأمير أبو عبي زكريا الأخ الكريم مستقلأً أيضاً بيونة وعملها منذ استيلائه عليها قد أضافها السلطان وأصارها في سهمانه، فلما ارتحلوا إلى إفريقيا عام الفتح وتبين الأخ أبو عبي طول معنده واغتياط السلطان أخيه لكونه معه، عقد عليها لابنه الأمير أبي عبد الله محمد وأنزله بقصره منها، وفرض إليه في إمارته لما استجتمع من خلال الترشيح والذكر الصالح في الدين. واستمر الحال على ذلك لهذا العهد وهو سنة ثلاث وثمانين وسبعينة، والله مدبر الأمور.

## الخبر عن فتح قصبة وتوزر وانتظام أعمال قسطنطينية في طاعة السلطان

كان أمر هذا الجريد قد صار شوري بين رؤساء أمصاره فيما قبل دولة السلطان أبي بكر لاعتلال الدولة حيث شن بالقتال ناصيتها كما مر، فلما استبد السلطان أبي بكر بالدعوة الخصبية وفرغ من الشواغل صرف إليهم نظره وأوطلهم عساكرة. ثم نهض بنفسه فمحى أثر الشرور منها، وعقد لابنه أبي العباس عليها كما قلناه. فلما كان بعد مهلكه من اضطراب إفريقيا وتغلب الأعراقب على نواحيها ما كان منذ هزيمة السلطان أبي الحسن وبني مرين بالقليوان عاد أهل الشورى في الجريد إلى ديدنهم من التوثب على الأمر والاستبداد على السلطان، وتناغي رؤسائهم بعد أن كانوا سوقة في اتحاد مذاهب الملك ومساريه، يقتعدون الأرائك ويعتدون في المشي بين السكك المراكب، ويهبون في إبرانهم سبال الأشراف، ويتحدون الآلة أيام المشاهد آية للمعتبرين في تقلب الأيام، وضحكمة لأهل الشمات، حتى لقد حدثهم أنفسهم بالقاب الخلافة، وأقاموا على ذلك أحوالاً والدولة في بيانيها، فلما استبد السلطان أبو العباس بإفريقيا وعمالاته، وأتى به بالحضره البازى المطل من مرتبه والأسد الحادر في عرينه، وأصبحوا فرائس

وحاشيته فاقتحموا الحصن، وتقبضوا على محمد بن أبي العيون ونقلوه من حبه إلى الأسطول، واستولوا على داره وولوا على الجزيرة وارتحلوا قافلين إلى السلطان. ووصل محمد بن أبي العيون إلى الحضرة ونزل بالديوان فأركب إلى القصبة على جل وطيف به على أسواق البلد إظهاراً لمعونة الله النازلة به، وأحضره السلطان فربجه على مرتكبه في العناد ومداحته أهل الغواية من أمراء الجريد في الأغراق عنه. ثم تخانى عن دمه وأودعه السجن إلى أن هلك سنة تسع وسبعين.

## الخبر عن استقلال النساء من الأبناء بولاية النفور الغربية

كان السلطان عندما استجمعت الرحلة إلى إفريقيا باستثناث أهلها لذلك، ووفادة منصور بن حزة شيخ الكهرب مرغباً فاهمه لذلك شأن النفور الغربية، وأجال اختياره في بيته يسر أحواهه ويفتش عن الأ��فاء لهذه النفور منهم فوقع نظره أولأ على كبير ولده المخصوص بعنابة الله في إلقاء محبه عليه الأمير أبي عبد الله فعقد له على جماعة وأعمالها، وأنزله بقصور الملك منها، وأطلق يده في مال الجباية وديوان الجندي. واستعمل على قسطنطينية وضواحيها لولاه القائد بشير سيف دولته وعنان حرمه، ناشئ قصره وتلاه مرباه، وكانت لهذا الرجل خورة من الصرامة والباس، ودالة بالقديم والحادي. وخلال لقيها أيام التقلب في أوابين الملك. وكان ملزماً ركاب مولاه في مطارح اغترابه وأيام تحبيسه، وربما لقي عند إحالته على قسطنطينية من المحن والإعتقال الطويل ما أعاذه الله عنه بجميل التربية، وعود العز والمملك إلى مولاه على أحسن الأحوال. فظفر من ذلك بالبغية وحصل من الرتبة على الأمينة. وكان السلطان يشق بنظره في العسكر ويعشه في مقدمة الحروب، وكان عند استيلائه على جماعة وصرف العناية إليها ولاه أمر قسطنطينية وأنزل بها، وأنزل معه ابنه الأمير أبي إسحاق وجعل إليه كفالته لصغره ثم استقره بالعساكر عند النهوض إلى إفريقيا فنهض في جمله وشهد معه الفتاح. ثم رجعه إلى عمله بقسطنطينية بمزيد التغريب والاستقلال، فلم يزل بما دفع إليه من ذلك إلى أن هلك.

وكان السلطان قد أوفد ابنه أبي إسحاق على ملك المغرب السلطان عبد العزيز عندما استول على تلمسان مهنياً بالظفر ملحاً غراس الود وأوفد معه شيخ الموحدين ببابا إسحاق بن أبي هلال، وقد مر من قبل ذكره وذكر أخيه فتفاهموا ملك المغرب بوجوه البرة والاحتفاء، ورجعهما بالحديث الجميل عنه سنة ثلاث

وأجتمع الملا والكافة من أهل البلد عند السلطان، وأتوه بيتعهم عليها ابن أبي بكر، وارتحل ينذر السير إلى توزر وقد طار الخبر بفتح قصبة إلى ابن ميلول فركب لحينه، واحتفل أهله وما خف من ذخارائه ولحق بالزاب. وطير أهل توزر بالخبر إلى السلطان فلقيه أثناء طريقه، وتقدم إلى البلد فملكها واستول على ذخيرة ابن ميلول ونزل بقصوره فوجد بها من الماعون والماتع والسلاح وآية الذهب والفضة ما لا يعتد لأعظم ملك من ملوك الأرض، وأحضر بعض الناس وداعم كانت لهم عنده من نفيس الجواهر والخليل والثياب وبرؤوا منها إلى السلطان.

وعقد السلطان على توزر لابنه المتصر وأنزله قصور ابن ميلول، وجعل إليه إمارتها واستقدم السلطان الخلف بن الخلف صاحب نفطة فقدم عليه وأتاه طاعته، وعقد له على بلده وولاية حجابة ابنه بتوزر، وأنزله معه وقتل إلى الحضرة. وقد كان أهل الخلاف من العرب عند تغلبه على أمصار الجريدي خالقه إلى التلول، فلما قصد حضرته اعترضوه دونها فلوقع بهم وفل من غربهم، وأجللوا إلى الجهات الغربية يؤملون منها كرة لما كان ابن ميلول قد جاجاً بهم إلى خدمة صاحب تلمسان والاستجاشة به، فوفد عليه بتلمسان منصور بن خالد منهم ونصر ابن عم منصور صريخيين به على عادة صريخيهم بأبي تاشفين سلفه فدافعهم بالمواعدة، وتبينوا منها عجزه وانتكزوا راجعين. ووفد صولة على السلطان بعد أن توثق لنفسه فاشترط له على قومه ما شاء، ورجع إليهم فلم يرضوا بشرطه ونهض السلطان من الحضرة في العساكر الأولياء من العرب، وأجللوا أمامهم فتابعهم وأوقع بهم ثلاث مرات واقفوه فيها. ثم أجللوا ولحقوا بالقيروان وقدم وفدهم على السلطان والاشتراك له كما يشاء، فتقبل ووسعهم غفوه، وصاروا إلى الانتياد والاعتمال في مذاهب السلطان ومرضاته، وهم على ذلك لهذا العهد.

## الخبر عن ثورة أهل قصبة ومهلك ابن الخلف

لما استقل الخلف بن علي بن الخلف مجاهدة المتصر ابن السلطان. وعقد له مع ذلك على عمله بفتح قصبة فاستخلف عليها عامله، وزلل بتوزر مع المتصر. ثم سعى به أنه يدخل ابن ميلول ويراسلنه فبعث عليه العيون والأرصاد، وعثر على كتابة بخط كاتبه المعروف إلى ابن ميلول وإلى يعقوب بن علي أمير الدواودة يعرضهما على الفتنة، فتقبض عليه وأودعه السجن. وبعث عماله

له يتوقعن انصبابه إليهم وتوبه بهم، دخلوا حيثند الأعراب في مدافعته عنهم بضارم نار الفتنة، واقتعد مطية الخلاف والتفاق يفتون بذلك في عزائمهم وأرجح هو لهم طبل الإمهال وفسح لهم مجال الإياب بالمقارنة والرعد، رجاء الفيشة إلى الطاعة المعروفة والاستقامة على الجادة فأصرروا واذدوا عناداً ونققاً فشمر لهم عن عزائمهم ونبذ عليهم عهدهم على سواء.

ونهض من الحضرة سنة سبع وسبعين وسبعيناً في عساكرة من المرحدين وطبقات الجندي والموالي وقبائل زناتة ومن استائف إليه من العرب أولاد مهلهل وحكيم وإظاهر أولاد أبي الليل على المداعنة عن أهل الجريدي، ووافقوا السلطان أياماً. ثم أجللوا أممه وغلبهم السلطان على رعاياهم مرنجية، وكانوا من بقایا بي بفرن عمروا ضواحي إفريقيا مع ظواعن هوارة ونفساء. وكانت للسلطان عليهم مغارم وجيابيات وافرة، فلما تغلب المغرب على بسائط إفريقيا وتنافسوا في الإقطاعات كانت ظواعن مرنجية هؤلاء في إقطاع أولاد حزة، فكانت جبارتهم موفقة وما لهم دثراً بما صاروا مددًا لهم بالمال والكراع والدروع والأدم، وبالفرسان منهم يستظهرون بهم في حروبهم مع السلطان ومن قومهم، فاستولى السلطان عليهم في هذه السنة واكتسح أمرائهم، برجاهم أسرى إلى سجون الحضرة وقطع بها عنهم أعظم مادة كانت تخدمهم، فحمد ذلك من عتوبهم وقص من جناحهم آخر الدهر، ووهنا له. ثم عاد السلطان إلى حضرته وافترق أشياعه، وزرع عنهم أبو صعنونة فتالف على أولاد أبي الليل، ورجعوا إلى الحضرة فاجلبو بساحتها أياماً وشنوا الغارات عليها. ثم انقضوا عنها وخرج على أثرهم لأول فصل الشتاء، وتساحل إلى سوسة والمهدية فاقتضى مغارم الأوطان التي كانت لأبي صعنونة، ثم رجع إلى القيروان وارتحل منها يريد قصبة وجمع أولاد أبي الليل للمداجنة عنها، وسرب فيهم صاحب توزر الأموال فلم تفن عنه وزحف السلطان إلى قطع ثغليهم وتسايلت إليه الرعية من أماكنهم، فجمع الأيدي على قطع ثغليهم وتسايلت إليه الرعية من أماكنهم، وأسلموا أحد بن العابد مقدمهم وابنه محمد المستبد عليه لكتبه وذهله، فخرج إلى السلطان واشترط ما شاء من الطاعة والخروج ورجع إلى البلد وقد ماج أهلها بعضهم في بعض، وهموا بالخروج فسابقهم ابنه أحد المستبد على أبيه، وكان السلطان سرح أخاه أبي يحيى في الخاصة والأولياء إلى البلد، فلقيه محمد هذا بنواحي ساحتها فبعث به إلى السلطان، ودخل هو إلى القصبة وغلق البلد وتبغض السلطان على محمد بن العابد لرقة، وسيق إليه أبوه من البلد فجعل معه واستولى عليه داره وذخارائه.

في بلدهم. ثم سموا إلى الاستبداد عندما فشل ريح الدولة عن القاصية بما حدث من فتن وإنفراط التغور الغربية بالملك. ولم يزالوا جائجين إلى هذا الاستبداد سائحين إليه بنار الفتن والانتقاض على السلطان، ومداخلة الثوار والإجلاب بهم على الحضرة. والدولة أثناء ذلك في شغل عنهم وعن سواهم من أهل الجريد منذ أحقاب متطاولة بما كان من انقسام الدولة وإلحاح صاحب التغور الغربية على مطالبة الحضرة.

ثم استبد مولانا السلطان بالدعوة الخصبة فيسائر عمالات إفريقيا وشغلها عنهم شاغل الفتنة مع صاحب تلمسان في الأجلاب على الحضرة مع جيشه ومتازتهم ثغر بجاية وتسريره جيوشبني عبد الواد مرة بعد أخرى مع الأعياص من بي أبي حفص والعرب إلى إفريقيا. وكان التولى لرياسة قابس يومئذ عبد الملك بن مكي بن أحد بن عبد الملك ورديفه فيها آخره أحد، وكانت يدخلان أبا تاشفين صاحب تلمسان في الأجلاب على الحضرة مع جيشه والثار القادمين معهم. وربما خالفوا السلطان إلى الحضرة أزمان مغييه عنها كما وقع له مع عبد الواحد بن اللحاني، وقد مر ذكر ذلك. فلما استولى السلطان أبو بكر هؤلاء الثوار تلمسان واتجح أثربني زيان فيرغ السلطان أبو بكر هؤلاء الـثوار الرؤساء بالجريدة الدائنين بالانتقاض سائر أيامهم. وزحف إلى قصصه فملكتها فذاعروا ولحق أحد بن مكي بالسلطان أبي الحسن متذمماً بشفاعته، بعد أن كان الركب الحجازي من المغرب من يقابس وبه بعض كرائم السلطان فأوسعوا جاءها وسائر الركب قرى وجاء. وقدموا ذلك وسيلة بين يدي وفادته فقبل السلطان وسليهم وكتب إلى مولانا السلطان أبي بكر شافعاً فيهم لذمة السلطان والشهر فتقبل شفاعته وتجاوز عن الانتقام منهم بما اكتسبوا.

ثم هلك مولانا السلطان أبو بكر وهاج مجر الفتنة والخلاف وعادت الدولة إلى حالها من الانقسام، واشتدت على صاحب الحضرة وجوه الانتقام منهم، فعاد بنو مكي وسواه من رؤساء الجريدة إلى حالمهم من الاستبداد على الدولة. وقطع أسباب الطاعة ومنع المغارم والجباية ومشابعة صاحب الغربية زبونا على صاحب الحضرة. فلما استبد مولانا السلطان أبو العباس بالدعوة الخصبة وجمع الكلمة، واستولى على كثير من التغور المتقطعة تراسل أهل هذه العصور الجريدية وتمدثوا فيما دعهم وطلبو وجه الخلاص منه، والامتناع عليه.

وكان عبد الملك بن مكي أعدهم بذلك لطrol مراسله الفتن وأخيشه إلى الثوار، وكان أحد آخره ورديفه قد هلك سنة خمس

إلى نقطه واستولى على أمواله وذخائره، وخاطب أباه في شأنه فأهلله بعد أن تبين نقضه للطاعة وسعيه في الخلاف. وكان السلطان قبل فتح قصصه قد نزع إليه من بيوتاتها أحد بن أبي يزيد، وسار في ركاب إليها. فلما استولى على البلد رعى له ذمة نزوعه إليه، وأوصى به ابنه أبي بكر فاستولى على مشورته وحله وعده، وطوى على النكث. ثم حدثه نفسه بالاستبداد وتحين له الواقع واتفق أن سار الأمير أبي زكريا من قصصه لزيارة أخيه المتصر بتوزر وخلف بالبلد عبد الله التريكي من مواليهم، وكان السلطان أنزله معه وولاه حجابته، فلما توارى الأمير عن البلد داخل ابن أبي زيد زعنفة من الأوغاد وطاف في سكك المدينة والمحافن معه ينادي بالثورة ونقض الطاعة. وتقىد إلى قصصه فاغلقها القائد عبد الله دونه وحاربها فامتنعت عليه. وقرع عبد الله الطبل بالقصبة واجتمع عليه أهل القرى فادخلهم من باب كان بالقصبة يفضي إلى الغابة فكثروا شيع ابن أبي زيد، وتسلل عنه الناس فلاذ بالاختفاء. وخرج القائد من القصبة فتقبض على كثير من أهل الثورة وأودعهم السجن واستولى على البلد. وسكن المحبة وطار الخبر إلى المولى أبي بكر فاغند السير متقلباً إلى قصصه، ولين دخوله ضرب أعناق المعتقلين من أهل الثورة وأمر الهاشتف فنادي في الناس بالبراءة من ابن أبي زيد وأخيه. ولا يام من دخوله عشر بهما المحرس في مقاعدتهم بباب مستترین بزي النساء فقبضوا عليهم وتلوهم إلى الأمير نضرت أعناقهم وصلبهم في جذوع النخل. وكانوا من المقربين فاصبحوا مثلاً في الأيام وقد خسرا دينهما وذنياهما، وذلك هو الحسران المبین، وارتبا المتصر صاحب توزر حينئذ باين الخلف وحدر مغبة حالة قتله بمحبسه وذهب في غير سبيل مرحة وانتظم السلطان أصار الجريدة كلها في طاعته واتصل ظهوره إلى أن كان ما ذكر.

## الخبر عن فتح قابس وانتظامها في مملكة السلطان

هذه البلد لم تزل في هذه الدولة الخصبة لبني مكي المشهور ذكرهم في هذه العصور وما إليها، وسيأتي ذكر أخبارهم ونسبيهم وأولياتهم في فصل نفرده لهم فيما بعد، وكان أصل رئاستهم فيها اتصالهم بخدمة الأمير أبي زكريا الأول أيام ولايته قابس سنة ثلاثة وعشرين وستمائة فاختصروا به، وداخلهم في الانتقاض على أخيه أبي محمد عبد الله عندما استجمع لذلك، فأجابوه وبايعوه فرعى لهم هذه الوسائل عندما استبد بإنفريقيا، وأفردهم برئاسة الشورى

لاقضاء ذلك فرجعهم بالطاعة، وأقام عبد الملك بن مكي بعد خروجه من قابس بين أحياء العرب ليالي قلائل. ثم يغته المرت فهلك ولحق ابنه وحافده بطرابلس فعنهم ابن ثابت الدخول إليها فنزلوا بزنزور من قراها في كفالة الجواري من بطون دباب. ولما استكمل السلطان الفتح وشأنه انكفا راجعاً إلى الحضرة فدخلهما فاتح اثنين وثمانين وسبعمائة ولحقه رسle من طرابلس بهدية ابن ثابت من الرقيق والمانع بما فيه الوفاء بعمارمه بزعمه. ووفد عليه بعد استقراره بالحضرة رسول أولاد أبي الليل متظارجين في الغزو عنهم والقبول عليهم فاجابهم إلى ذلك. ووفد صولة بن خالد شيخهم وقبله أبو صعنونة شيخ حكيم، ورهنوا أنباءهم على الوفاء واستقاموا على الطاعة. واتصل النجح والظهور والأمر على ذلك لهذا العهد وهو فاتح ثلاث وثمانين وسبعمائة، والله مالك الأمور لا رب غيره.

الخبر عن استقامة ابن مزني وانقياده وما  
اكتشف ذلك من الأحوال

كان هؤلاء الرؤساء المستبدون بالجريدة والزاب منذ فرغ  
السلطان لهم من الشواغل، واستراها باغية حالمهم معه ومراوغتهم  
له بالطاعة برومون استحداث الشواغل ويؤمنون لها سلطان  
تلمسان لعهدهم أبا حمو الأخير، وأنه يأخذ بمحجزته عنهم إن  
وصلوا به أيديهم واستحوذوا بذلك لاتلافهم مثلها من سلف  
قومه. وأبي حمو وأبي تاشفين من قبله قياساً متورطاً في الفلط  
بعيداً من الإصابة لما نزل بسلطان بني عبد الرواد في هذه العصور  
من الضعف والزمانة، وما أصاب قومهم من الهلاك والشتات  
أياديهم وأيدي عدوهم وتقدمهم في هذا الشأن أحمد بن مزنني  
صاحب بسكرة لقرب جواره واشتهر مثلها من سلفه فاتبعوه  
وقلدوه وغطى هواهم جيئاً على بصيرتهم. وقارن ذلك نزول  
الأمير أبي زيان ابن السلطان أبي سعيد عم أبي حمو على ابن  
ببلول بتوزر عند منازلة سالم بن إبراهيم الشعالي إيماء، وكان طارد  
له إيماء. ثم راجع أبو حمو وصرفه سنة ثمان وسبعين وبعمادة  
نخرج من أعمال تلمسان وأبعد المذهب عنهم ونزل على ابن  
ببلول بتوزر:

وطير الخبر إلى إمامه في تلك الفتنة أحد بن مزني وأغبطوا  
مكان أبي زيان، وأن مسكتهم به ذريعة إلى اعتمال أبي حروفي  
برضاتهما، وإجابتاه إلى داعيهما، وركض بريدهم إلى تلمسان في  
ذلك ذماماً وجائياً حتى أعيت الرسل واشتهر المذاهب ولم

وستين وسبعيناً، وانفرد هو برئاسة قابس فراسلوه وراسلهم في الشأن، وأجعوا جميعاً على تخييب العرب على السلطان وتسريب الأموال فيه ومتابعة صاحب تلمسان بالترغيب في ملك إفريقيا، فانتدبوا للذك من كل ناحية، ويعثروا البريد إلى صاحب تلمسان فاطمعهم من نفسه، وعللهم بالمواعيد الكاذبة، والسلطان أبى العباس مقبل على شأنه يقتل لهم في الذروة والغارب حتى غلب أولاد أبي الليل الذين كانوا يعدونهم باللداعفة عنهم، وافتتح قصبة وتوزر ونقطة. وبين لهم عجز صاحب تلمسان عن صرخهم، فحيثند بادر عبد الملك إلى مراسلة السلطان يدهه من نفسه الطاعة والوفاء بالجباية، ويستدعي لاقتضاء ذلك منه بعض حاشيته فأجابه إلى ذلك، وبعث وافده إليه ورجع إلى الحضرة في انتظاره فظاوله ابن مكى في الغرض وردده بالوعد.

ثم اضطراب أمره وانتقض عليه أهل ضاحيته بنو أحد إحدى بطون دباب، وركبوا إليه فحاصروه وضيقوا عليه، واستدعوا المدد لذلك من الأمير أبي بكر صاحب قصبة وأمدتهم بعسرك وقائد فنازلوه واشتدا الحصار، واتهم ابن مكي بعض أهل البلد بمداخلتهم فكبشهم في متاز لهم وقتلهم، وتذكرت له الرعية وسأه حاله، ودس إلى بعض المفسدين من العرب من بنى علي في تبييت العسرك المهاجرين له، واشترط لهم على ذلك ما رضوه من المال، فجمعوا لهم وبيتواهم فانقضوا ونالوا منهم. وبلغ السلطان خبرهم فاحتظه وأوجح الحركة على قابس وعسرك بظاهر الحضرة في رجب سنة إحدى وثمانين وسبعينه، وتلوم أيامه حتى استوفى العطاء واعتراض العساكر، وتواتفت أحياء أوليائه من أولاد مهلهل وخلفائهم من سائر سليم. ثم ارتحل إلى القيروان، وارتحل منها يربى قابس، وقد استكمل التعبية وبيادر إلى لقائه الأخذ بطاعته مشيخة دباب أعراب قابس من بنى سليم. ووفد منهم خالد بن سباع بن يعقوب شيخ الحاميد وابن عميه علي بن راشد فيمن إليهم يستوثرون إلى منازلة قابس، فأغذ السير إليها وقدم رسله بين يديه بالإنذار لابن مكي. واتهوا إليه فرجعهم بالإلزام والاتقاد إلى الطاعة. ثم احتمل رواحله وعيي ذخائره وخرج من البلد، ونزل على أحياء دباب هو وابنه بجبي وحافده عبد الوهاب ابن ابنة مكي الملالك مئذتين من قبل.

وانتقل الخبر إلى السلطان فبادر إلى البلد ودخلها في ذي القعدة من سنته، واستولى على منازل ابن مكى وقصوره. ولاذ أهل البلد بطاعته وولى عليهما من حاشيته، وكان أبو بكر بن ثابت صاحب طرابلس قد بعث إلى السلطان بالطاعة والاخIASH، ووافته رسله دونين قابس. فلما استكملا فتحها بعث إليه من حاشيته

يحصلوا على غير المقاربة والوعد لكن على شريطة التوثق من أبي زيان. وبينما هم في ذلك إذ هجم السلطان على الجريد وشرد عنه أولاد أبي الليل الذين تكفلوا لرؤسائه بالمدافعة. وافتتح قفصة وتوزر ونقطة ولحق بخيبي بن يملول بيسكره، واستصحب الأمير أبا وخالصة سره أبي عبد الله بن أبي هلال ليتناول منه المصالحة. ويمكن له الألفة وتسخع عنه هواجس الارتباط والمخافة.

وكان لقاوه أشهى إليهم من الحياة ففصل عن الحضرة، وانتهى السلطان في ذي القعدة آخر ستة اثنين وثمانين وسبعمائة لتفقد أعماله وإبلاء الطاعة من أهل أوطانه. ولما وصل وأفاد السلطان إلى أبي مزني التي زمامه إليه وحكمه في ذات يده وبقبليه، وما أثر المراوغة واستجد لboss الأخباش والطاعة، وبادر إلى استجادة المقربات وانتقاء صنوف التحف، وبعث بذلك في ر كتاب الوارد مع الذي عليه من الضريبة المعروفة محلاً أكاد ثقته وظهور مطاياه، ووصلوا إلى معسكر السلطان ساح تبة فاتح سنة ثلاثة وثمانين وسبعمائة فجلس لهم السلطان جلوساً فخماً ولقائهم قبولاً وكراهة، فعرضوا المدية، وأعربوا عن الأخباش والطاعة وحسن موقع ذلك من السلطان وشلهم إحسان السلطان في مقاماتهم وجوازه على الطبقات في انتصافهم، وانقلبوا بما ملا صدورهم إحساناً ونعمه وظفروا برضي السلطان وبغطته، وحسبهم بها أمنية وبيد الله تصارف الأمور ومظاهر الغيوب.

## الخبر عن انقضاض أولاد أبي الليل ثم مراجعةم الطاعة

قد ذكرنا ما كان من رجوع أولاد أبي الليل هؤلاء إلى طاعة السلطان إثر منصرفه من فتح قابس، وأنهم وفدوا عليه بالحضور فقبلتهم وعفا عن كبارهم واسترهم على الطاعة أبناءهم، واقتضى بالوفاء على ذلك أبناءهم. وخرج الأخ الكريم أبو بخيبي زكرييا في العساكرة لاقتضاء المأتم من هوارة التي استثاروا بها في مدة هذه الفتنة. وارتحل معه أولاد أبي الليل وأحلافهم من حكيم حتى استرفي جياباته وجال في أقطار عمله. ثم انكفا راجعاً إلى الحضرة، ووفدوا معه على السلطان يتسلون به في إسعافهم بالعسكر إلى بلاد الجريد لاقتضاء مغارفهم على العادة واستيفاء إقطاعاتهم، فسرح السلطان معهم لذلك أبا فارس وارتحلوا معه بأحيائهم، وكان ابن مزني وابن يملول من قبله وابن يعقوب بن علي كثيراً ما يراسلونهم ويستدعونهم لثل ما كانوا فيه من الانحراف ومشابعة صاحب تلمسان.

يحصلوا على غير المقاربة والوعد لكن على شريطة التوثق من أبي زيان. وبينما هم في ذلك إذ هجم السلطان على الجريد وشرد عنه أولاد أبي الليل الذين تكفلوا لرؤسائه بالمدافعة. وافتتح قفصة وتوزر ونقطة ولحق بخيبي بن يملول بيسكره، واستصحب الأمير أبا وخالصة سره أبي عبد الله بن أبي هلال ليتناول منه المصالحة. ويمكن له الألفة وتسخع عنه هواجس الارتباط والمخافة.

واستحكمت عندها استرابة يعقوب بن علي شيخ رياح بأمره مع السلطان لما سلف فيه من مداخلة هؤلاء الرهط وعسكهم بمحربه والمبالغة في العذر عليهم. ثم غيره بانتظاره من مشيخة الدواودة الذين اخشاوه إلى السلطان فأناض عليهم عطاءه، واختصهم برأيه فحدث بذلك منه نفرة وأضطراب، وارتحل إلى السلطان أبي حمود صاحب تلمسان فاتح اثنين وثمانين وسبعمائة يستجيشه هؤلاء الرهط ويهزه بها إلى البدار بصربيتهم.

نزل على أولاد عريف أولياؤه من سعيد، وأوفد عليه ابنه فتعلل لهم بمنافرة حدثت في الوقت بينه وبين صاحب المغرب، وأنه لم بالمرصاد متى راهم ربيب من نهوض السلطان أبي العباس إليهم ليتمسّك بذلك طرف التوثق من أبي زيان، وربما دس اليهم بمشاركة اعتقاله وإلقائه في غيابات السجون. وفي مغيب يعقوب هذا طرق السلطان تعيين من المرض أرجف له المفسدون بالجريدة ودس لشيع آل يملول بمجربه إلى صبي من أبناء بخيبي خلف الغيوب، فذهل ابن مزني عن الشتب لها ذهاباً مع صاغية الولد بسكرة، وجهزهم لانهصار الفرصة في توزر مع العرب المشارطين وأوليائه، وجعلهم لانهصار على حين غفلتهم من الدهر وخف من الجند فجلت المتصرّ وأولياؤه في الامتناع، وصدق الدفاع وتحصّن بها لهذا الابتلاء طاعة أهل توزر وخالصتهم وانصرف ابن يملول ياخذ من السعي والبس من التدم وتوقع للسمكاره. ووافق بسكرة قدوة يعقوب بن علي مرجعه من الغرب بالغ في تغييهم باللامامة على ما أحدثوا بعده من هذا الحرق المسع المعى على الرائع.

وكان السلطان لأول بلوغ الخبر بآجلابهم على توزر وعمالة ابن مزني على ابنه وأوليائه، أجمع النهوض إلى بسكرة وعسكر بظاهر الحضرة، وفتح ديوان العطا وجهز آلات الحصار. وسرى الخبر بذلك إليهم فخلصوا نجياً وقضوا عيبة آرائهم فتحمض لهم اعتقال أبي زيان الكفيل لهم بتصريح أبي حمود على زعمه فتعللوا عليه ببعض التزاعات، وتورطوا في إخبار ذمته، وطيروا بالتصريح إلى أبي حمود، وانتظروا فيما رأعهم إلا واده بالعذر عن صربيتهم والإعراضة بالمال، فتيئروا عجزه ونبذوا عهده، وقادروا لتخليه السبيل لأبي زيان والعتر له لما كان السلطان نكر عليهم من

تبسة فرار بهم أياماً حتى توافت أماهاته من كل ناحية ونهض بريد توزر. ولما احتل بقصبة قدم أخيه الأمير أبي يحيى وابنه الأمير المتصر في العساكر ومعهما صولة بن خالد بقومه أولاد أبي الليل، وسار على أثرهم في التعبية. ولما انتهى أخوه وابنه إلى توزر حاصروها وضيقوا عليها أياماً. ثم وصل السلطان فرجف إليها العساكر من جوانبها وقاتلوا يوماً إلى المساء، ثم باكروا بالقتال فخذل ابن يملول أصحابه وأفردوه فذهب ناجياً بنفسه إلى حلل العرب، ودخل السلطان البلد واستولى عليه وأعاد ابنه إلى محل إمارته منه، وانكفا راجعاً إلى قصبة، ثم إلى تونس متصرف أربع وثمانين وسبعينة

### ولاية الأمير زكريا ابن السلطان على توزر

ثم عاد ابن يملول إلى الأجلاب على توزر من السنة القابلة وخرج السلطان في عساكره فكر راجعاً إلى الزاب ونزل السلطان قصبة ووافاه هنالك ابنه المتصر، وتظلم أهل توزر من أبي القاسم الشهيرزوري الذي كان حاجياً للمتصر فسمع شكوكاً، وأنهى إليه الخاصة سوء دخلته وقيح أفعاله فقبض عليه بقصبة واحتله مقيداً إلى تونس. وغضب لذلك المتصر وأقسم لا يلي على توزر. وسار معه السلطان إلى تونس وولى السلطان على توزر الأمير زكريا من ولده الأصغر لما كان يتسم فيه من النجابة فصدقت فراسته فيه وقام بأمرها وأحسن المدافعة عنها، وقام باستلاف الشارد من أحياء العرب وأمرائهم حتى تم أمره وحسن ولايته. والله متول الأمور بمحكمته سبحانه.

### وفاة الأمير أبي عبد الله صاحب بجاية

كان السلطان لما سار إلى فتح تونس ول على بجاية ابنه محمد كما مر وأقام له حاجياً وأوصاه بالرجوع إلى محمد بن أبي مهدي زعيم البلد وقاد الأسطول المتقدم على أهل الشطارة والرجلة من رجل البلد ورماتهم. فقام هذا الأمير أبو عبد الله في منصب الملك ببجاية أحسن قيام واصطنع ابن أبي مهدي أحسن اصطنان، فكان يجري في قصوره وأغراضه ويكتبه مهمه في سلطانه، ويراقب مرضاة السلطان في أحواله، والأمير يعرف له ذلك ويرفيه حقه إلى أن أدركته المنية أوائل خمس وثمانين وسبعينة، توفى على فراشه، آنساً ما كان سرياً وأمن روعاً مشيناً من رضى أبيه ورعيته بما يفتح له أبواب الرضى من ربه، وبليغ نعيه إلى أبيه بتونس فبادر بإنفاذ العهد لابنه أبي العباس أحمد

ولما اعتقلوا أبا زيان بيسكرة كما ذكرناه وثُرقاً بصربيخ أبي حمو ومظاهرته. نبضت عروق الخلاف في أولاد أبي الليل ونزعوا إلى اللحاق بيعقوب بن علي رجاء فيما توهمه من استغلاله أمهم بصاحب تلمسان ويسألاً من معاودة التغلب الذي كان لهم على ضواحي إفريقية، ففارقاً الأمير أبا فارس بعد أن أبلغوه مامنه من قصبة، وساروا بأحيائهم إلى الزاب فلم يقعوا على الغرض ولا ظفروا بالبغية، ووافوا بعقوب وابن مزنى، وقد جاءهم وافد أبي حمو بالقعود عن نصرتهم، والأمير أبو زيان قد انطلق لسيله عنهم، فسقط في أيديهم وعاورهم التدم على ما استبدلوا من أمهم، وحملهم بعقوب على مراجعة السلطان وأوفد ابنه محمدأً في ذلك مع وافد العزيز أبي عبد الله محمد بن أبي هلال فقبلتهم وأحسن التجاوز عنهم. وبعث أبا يحيى أخيه لاستقدامهم أماناً لهم وتائساً. وبذلك لهم فوق ما أملوه من مذاهب الرضى والقبول واتصال النجع والظهور، والحمد لله وحده.

### تغلب ابن يملول على توزر وارتجاعها منه

قد كان تقدم لنا أن يحيى بن يملول لما هلك بيسكرة مختلف صبياً اسمه أبو يحيى، وذكرنا كيف أجلب على توزر سنة اثنين وثمانين وسبعينة مع لفيف أعراب رياح ومرادس. فلما كان سنة ثلاث وثمانين وسبعينة بعدها وقعت مغاضبة بين السلطان وبين أولاد هلال من الكعوب، وأخدروا إلى مشانقهم بالصحراء بعثت أميرهم يحيى بن طالب عن هذا الصبي أبي يحيى من بسكرة، فنزل بأحيائه ساح توزر، ودفع الصبي إلى حصارها، واجتمع عليه شيعته من نواحي البلد وأوشاب من أعراب الصحراء، وأجلبوا على البلد وناوشوا أهلها القتال وكان بها المتصر ابن السلطان فقاتلهم أياماً. ثم تداعى شيعهم من جوانب المدينة وغلبوا عساكرهم وأحرجوهم بالبلد، ثم دخلوا عليهم، وخرج المتصر ناجياً بنفسه إلى بيت يحيى بن طالب. واستذم به فاجراه وإبلغه إلى مامنه بقصبة، وبها عاملها عبد الله التربكي.

واستول ابن يملول على توزر، واستند ما معه وما استخرجه من ذخائرهم بتوزر في أعطيات العرب، وزادهم بجاية السنة من البلد بكمالها، ولم يحصل على رضاهم وبلغ الخبر إلى السلطان بتونس، فشمر عزائمها وعسكر بظاهر البلد، واعتراض الجند وأزاح علهمه وارتحل إلى ناحية الأريض وهو يستalk الأعراب ويجمع لقتال أولاد مهلهل أقتلهم وأعداهم أولاد أبي الليل وأولياءهم وأحلافهم ليستكثرون بهم، حتى نزل على فحص

بولاية بجاية مكان أبيه وجعل كفالة أمره لابن أبي مهدي مستبدًا عليه واستقامت الأمور على ذلك.

## حركة السلطان إلى قابس

كان السلطان قد فتح مدينة قابس سنة إحدى وثمانين وسبعين واتنظمها في أعماله، وشرد عنهابني مكى ذهروا إلى نواحي طرابلس وهلك كثيرون عبد الملك وعبد الرحمن ابن أخيه أحمد، وذهب ابنه يحيى إلى الحج، وأقام عبد الوهاب بزنزور ثم رجع إلى جبال قابس يحاول على ملتها، واستتب له ذلك بثوبه جائحة من أهل البلد بعاملها يوسف الأبار من صنائع السلطان لفتح إياته وسوء سيرته، فدخلوا جماعة من شيعة بين مكى في الواردين، فمن أول ما بلغنا وفاة هذا الأمير ابن السلطان إلى الزاب سنة ستة خمس وثمانين وسبعين، ثم بلغنا بعدها حركة السلطان إلى الزاب سنة ست وثمانين وسبعين، وذلك أن أحد بن مزني صاحب بسكرة والزاب لهده كان مضطرب الطاعة يجير على السلطان وكان يمنع في أكثر السنين المغارم معملاً على مدافعة العرب الذين ملكوا ضواحي الزاب والتلول دونه، وأكثر ثورقه في ذلك يعقوب ابن علي وقومه الدواودة، وقد مر طرف من أخباره في ذلك مثبتاً في أخبار الدولة. وكان ابن ميلول قد أوى إلى بلده واخذ وكرا في وجوه، وأجلب على توزر مراراً برأيه ومعونته فأخذ حفظ ذلك السلطان ونبه له عزائم.

ثم نهض سنة ست وثمانين وسبعين يزيد الزاب بعد أن جمع الجموع واحتشد الجنود واستالف العرب من بين سليم فساروا معه وأوّلهم، ومر على فحص تبسة. ثم خرج من طرف جبل أوراس إلى بلد تهودا من أعمال الزاب، واعصوصب الدواودة ومن تبعهم من قبائل رياح على المدافعة دون بسكرة والزاب غيره من بنى سليم أن يطرقا أو طعنهم أو يردوا معايهم إلا بنى سبعان بن شبيل من الدواودة، فإنهم تحذوا إلى السلطان.

واستفر ابن مزني حماة وطنه ورجاله قومه من الأنجي فقضت بسكرة بجمعهم وترافت الفريقيان، وناوشهم السلطان القتال أيام وهو يراسل يعقوب بن علي ويستحنه لما كان يطعمه به من المظاهر على ابن مزني، ويعقوب يخادعه بالخراف قوله عنه واتلافهم على ابن مزني ويرغبه في قبول طاعته ووضع أوزار الحرب مع رياح حتى تسكن له فرصة أخرى، فتقبل السلطان نصيحته في ذلك وأغضى لابن مزني ولرياح عنها، وقبل طاعته وضربيته المعلومة، وانكفا راجعاً، ومر بجييل أوراس ثم إلى قسطنطينة فرار بها، ثم ارتحل إلى تونس فوصل إليها متصرف سنة ثمانين وسبعين.

## حركة السلطان إلى الزاب

كنت أنتهي بتأليف الكتاب إلى ارتجاع توزر من يد ابن ميلول وأنا يرمي مقيم بتونس، ثم ركبت البحر متصرف أربع وثمانين وسبعين إلى بلاد المشرق لقضاء الفرض، ونزلت بالإسكندرية ثم مصر، وصارت أخبار المغرب تبلغنا على السنة الواردين، فمن أول ما بلغنا وفاة هذا الأمير ابن السلطان إلى الزاب سنة ستة خمس وثمانين وسبعين، وذلك أن أحد بن مزني صاحب بسكرة والزاب لهده كان مضطرب الطاعة يجير على السلطان وكان يمنع في أكثر السنين المغارم معملاً على مدافعة العرب الذين ملكوا ضواحي الزاب والتلول دونه، وأكثر ثورقه في ذلك مثبتاً في أخبار الدولة. وكان ابن ميلول قد أوى إلى بلده واخذ وكرا في وجوه، وأجلب على توزر مراراً برأيه ومعونته فأخذ حفظ ذلك السلطان ونبه له عزائم.

ونزل على قابس وقد استعد لها وجمعت الآلات لحصارها فاكتسح نواحيها، وجسم عليها بساكره يقاتلها ويقطع غليلها حتى أعاد الكثير من الترفه... رياح وموح الهواء في ساحتها، فتصح بعد أن كانوا يستخونه لاختفائنه بين الشجر، وفي متكائف الظلال وما يلحقه في ذلك من التعفن، فذهب عنها ما كان يهدى فيها من ذلك الرخام رحمة من الله أصابتهم من عذاب هذا السلطان، وربما صحت الأجسام بالعلل.

ولما اشتتد بهم الحصار وضاق المحنق، وظن ابن مكى أنه قد أحبط به استئنف للسلطان واستأنف فاعتبه وأمنه ورهن ابنه على الطاعة وأداء الضريبة وأفرج عنه السلطان وانكفا راجعاً إلى تونس، واستقام ابن مكى حتى كان من تغلب عمه يحيى عليه ما ذكره.

العصيان وصعد إلى التل في متصرف إحدى وستين وسبعينة واستالف الأمير إبراهيم أعداءه من الدواودة وأحلافهم من البادية وجئن إليه أبو ستة بن عمر آخر يعقوب بن علي بما معه من أولاد عائشة أم عمر، وخالقه آخره صبيت إلى محمد بن يعقوب، ثم تخاربوا مع الأمير إبراهيم فهزمه وقتل أبو ستة ثم جمع السلطان طربهم ودفعهم عن التلول ومنعهم من الصيف عامهم ذلك، وأخدروا إلى مشاتيهم وعجزوا بعدها عن الصعود إلى التلول وقضوا مصيافهم عامهم ذلك بالزاب، وأخدروا منه إلى المشاتي فلما رجعوا من مشاتيهم وقد فقدوا الميرة انطلقت أيديهم على نواحي الراب فاتسقروا زروعه، وكاد أن يفسد ما بينهم وبين ابن مبني مظاهرهم على تلك الفتنة. ثم ارتحلوا صاعدين إلى التلول وقد جمع الأمير إبراهيم لدعائهم عنه. وبينما هو في ذلك الم به طائف من المرض فتوفي سنة اثنين وستين وسبعينة وافتقر جوعه وأخذ محمد بن يوسف السير إلى نواحي قسطنطينة فاحتل بها مظاهراً للطاعة مترئاً من الخلاف، ونادى في أهل البلاد بالأمان والعمارة فصلحت أحوال الرعايا والسابلة. وبعثوا إلى السلطان بتونس مستأمين مستعينين فآمنهم وأعتبرهم وأقام بقسطنطينة مكان ابنه إبراهيم ابنه، وبعث من حضرته محمد بن مولا بشير لكتاله والقيام بدولته فقام بأمرها، وصلحت الأحوال.

### منازل نصارى الفرنج للمهدية

كانت أمّة الفرنج وراء البحر الرومي في الشمال قد صار لهم التغلب ودولة بعد اقراض دولة الروم فملوكها جزائره مثل: دائمة وسردانية وميورقة وصقلية، وملات أساطيلهم فضاءه وتمطروا إلى سواحل الشام وبيت المقدس فملوكوها، وعادت لهم سورة التغلب في هذا البحر بعد أن كانت سورة المسلمين فيه لا تقاوم إلى آخر دولة الموحدين بكثرة أساطيله ومران راكبيه فغلبهم الفرنج وعادت السورة لهم، وزاجتهم أساطيل المقرب لهد بني مرين أيامه. ثم فشل ريح الفرجنة واختل مركز دولتهم بفرنسا، وافتقر طائف في أهل برشلونة وجذوة والبنادقة وغيرهم من أمم الفرجنة النصرانية، وأصبحوا دولاً متعددة فتباهت عزائم كثيرة من المسلمين بسواحل إفريقيا لغزو بلادهم، وشرع في ذلك أهل مجاهدة منذ ثلاثين سنة فيجتمع الغراء والطائفنة من غزاة البحر، ويصعنون الأسطول وي تخرون له أبطال الرجال، ثم يركبونه إلى سواحل الفرجنة وجزائرهم على حين غفلة فيختطفون منها ما قدروا عليه، ويصادمون ما يلقون من أساطيل الكفرة فيظرون بها غالباً

### رجوع المنصر إلى ولايته توزر وولاية أخيه زكريا على نفطة ونفزاوة

كان العرب أيام ولاية المنصر بتوزر قد حدوا سيرته وأصفقوا على محبه والتثبيع له، فلما رجع السلطان عن قابس رغبراً إليه في طريقه إلى أن تولى المنصر على بلاد الجريد كما كان ويردد على عمله بتوزر. وتولى ذلك بن مهلهل وأركبوا نساءهم الطعن في الهوادج واعتربوا بهن السلطان سافرات مولولات دخلاء عليه في إعادة المنصر إلى توزر لما لهم فيه من الصالح فقبل السلطان وسيلنهن وأعاده إلى توزر، ونقل ابنه زكريا إلى نفطة وأضاف إليها عمل نفزاوة فسار إليها واستعمله وأظهر من الكفاية والاضطلاع ما تحدث به الناس عنه، وكانت ولايته أول سنة سبعين وسبعينة.

### فتنة الأمير إبراهيم صاحب قسطنطينة مع الدواودة ووفاة يعقوب بن علي ثم وفاة الأمير إبراهيم إثرها

كان للدواودة بقسطنطينة عطاه معلوم مرتب على مراتبهم زيادة لما يديهم من البلاد في التلول والزاب باقطاع السلطان وضيق نطاق الدولة لهذه العصور فضاقت الجباية وصار العرب يزرون الأرضي في بلادهم بالتلول ولا يختسون بمعارفهم فيضيق الدخل ويعنهم العطاء من أجل ذلك، فتفسد طاعتهم وتنطلق بالعيث والنهب أيديهم.

ولما رجع الأمير إبراهيم من حركة في ركب أبيه إلى قابس، وكان منذ أعوام ينقص من عطائهم لذلك، ويعللهم بالمواعيد، فلما قفل من قابس اجتمعوا إليه وطلبوا منه عطائهم فتعلل عليهم، وجاءه يعقوب بن علي مرجعه من الحج وأشار عليه بإيصال العرب من مطالبهم فأعراض عنده وارتحل لبعض مناهبه، وتركه ونادى في العرب بالفتنة معه يروم استخلاف أعدائه فأجابه الكثير من أولاد سباع بن شبل وأولاد سباع بن يحيى ويايديهم من ذؤبان رياح، وخرج يعقوب من التل فنزل في تقاصس فأقام بها، وانطلقت أيدي قومه على تلول قسطنطينة بالنهب وانتساف الزروع حتى اكتسحروا عامتها وملقوها به مالي اليد مثقلة الظهر.

ثم طرقه المرض فهلك سنة سبعين وسبعينة ونقلوا شلوه إلى بسكرة فدفنوه بها وقام مكانه في قومه ابنه محمد. واستمر على

## انتفاض ققصة وحصارها

كان السلطان أبو العباس قد ولى على ققصة عندما ملكها ابنه الأمير أبا بكر وأقام في خدمته من رجال دولتهم عبد الله التريكي من موالى جدهم السلطان أبي يحيى فاتظمه به أمره وأقام بها حولاً، ثم تخانى عن إمارتها ولحق باليه بتونس سنة اثنين وثمانين وسبعينة فجعل السلطان أمر ققصة لعبد الله التريكي وولاه عليها ثقة بغضائه واخضلاعه. ولم يزل بها والياً إلى أن هلك سنة أربع وتسعين وسبعينة وولى السلطان مكانه ابنه محمدأً، وكان له إخوة أصغر أبناء علات فنافسوه في تلك الرتبة وحسدوه عليها، وأغراهم به محمد الدينون من قرابة أحد بن العابد كان ينظر في قسم الماء بالبلد، وكان فيها عدلاً مقللاً، فلم تطرقه النكبة كما طرقت قومه، وأبقيه السلطان بالبلد فأغلى هزلاه الآخرة بأخيهم ووتبوا به فاعتقلوه وأظهروا العصيان. ثم حلء أعيان البلد على البراءة منبني عبد الله التريكي استرابة بهم أن يراجعوا طاعة السلطان فتوثب بهم وأخرجهم واستقفاهم واستقل برئاسة البلد كما كان قومه، والسلطان في خلال ذلك يرعد ويريق ويواصل الأذار والإذار، وهو قد جلوا في طغيائهم. ثم جمع جنوده واحتشد واستلف الأعراب ووفر لهم الأعطيات. ونهض إليها حتى نزل بساحتها متصرف محس وتسعين وسبعينة وقد استعدوا وتحصروا فاللح عليهم القتال وأذاقهم النكال، وقطع الميرة فضيق مختفهم. ثم عدا على مغلهم فقطعتها حتى صرع جذوعها وفسح المجال بين لفافها.

ولما اشتد بهم الحصار وضاق عليهم المخرج، خرج شيخهم الدينون إلى السلطان يعقد معه صلحًا على بلده وقومه فغدر به، وحبسه رجاء أن يملك بذلك البلد. وكان بعض بنى العابد اسمه عمرو بن الحسن قد انتبذ عن ققصة أيام نكباتهم وأبعد في المغرب، ثم رجع ونزل باطرب الزاب. ولما استقل الدينون بقصصة قدم عليه فاقام معه أيامًا ثم استتاب به وتقضى عليه وحبسه. فلما غدر به السلطان اجتمع عليه المشيخة وعقدوا له الإمارة، ويعشا إلى العرب يسترحونهم ويعطفونهم على ذخيرتهم فيهم. وسرروا إليهم الأموال فقصدى إلى الدفاع عنهم صرولة بن خالد بن حزة أمير أولاد أبي الليل، وزحف إلى السلطان يمسكوه من ظاهر البلد، وكان أولياؤه من العرب قد أبعدوا عنه في الجهات لاتجاع إيلهم فما راعه إلا إطلاق صولة برياته في قومه فاجفل وابتلعوه. وما زال بكر عليهم في بيته وخراصه حتى ردهم على أعقابهم وأخذ السير إلى تونس وهو في اتباعه، ولم يظفروا منه

ويعودون بالغائم والسي والأسرى، حتى امتلأت سواحل التبور الغربية من مجاهة بأسراهم تضج طرق البلاد بضجة المسلمين والأغلال عندما يتشارون في حاجاتهم ويفعلن في فدائهم بما يتذرع معه أو يكاد، فشق ذلك على أمم الفرغنة وملا قلوبهم ذلا وحسرة وعجزوا عن الثار به، وصرخوا على بعد بالشكوى إلى السلطان بافريقيية فصم عن سماعها وتطاردوا بينهم ونكثهم فيما يبيهم وتداعوا لنزال المسلمين والأخذ بالثار منهم.

وبلغ خبر استعدادهم إلى السلطان فسرح ابنه أبا فارس يستفر أهل النواحي ويكون رصداً للأسطول هناك، واجتمعت أساطيل جنوة وبريشلونة ومن وراءهم أو مجاورهم من أمم النصرانية، وأقلعوا من جنوة فحطوا بمرسى المهدية متصرف اثنين وتسعين وسبعينة وطريقوها على حين غفلة، وهي على طرف البر داخل في البحر كأنه لسان دالع فأرسوا عندها، وضرروا عند أول الطرف سوراً من الخشب بينه وبين البر حتى أصاروا المقل في حكمهم، وعالوا عليه بالأبراج وشحذوها بالمقاتلة ليتمكنوا من قتال البلد ومن يأتيهم من مدد المسلمين، وصنعوا برجاً من الخشب من جهة البحر يشرف على أسوار المقل لتعظم تكاليفهم، ومحصن أهل البلد وقاتلواهم صابرين محظيين، وتوافت إليهم الأمداد من نواحي البلد فحال دونهم الفرغنة.

وبلغ الخبر إلى السلطان فأمره أمرها وسرح العساكر تجرى إلى مظاهرتهم. ثم خرج أخوه الأمير أبو يحيى زكريا وسائر بنيه فيمن حضره من العساكر فانطلقوا لجهاد هذا العدو، واستفر المقاتلة من الأعراب وغيرهم فاجتمعت بساحتها أمم، وأنلوا على الفرغنة بالقتال ونضع السهام حتى أحجروهم في سورهم. ويرز الفرغنة للقتال فكان بينهم وبين المسلمين جولة جلى فيها أبناء السلطان، وكاد الأمير أبو فارس منهم أن يتورى لولا حمامة الله التي وقته. ثم تداركت عليهم الحجارة والسهام والنقط من أسوار البلد فاحتراق البرج المطل عليها من جهة البحر فوجروا حريقه. ثم ركبوا من الدن أسطولهم وأقلعوا إلى بلادهم، وخرج أهل المهدية يتباشرون بالنجاة ويتقادون بشكر الأمراء على ما اعتمدوه في نصرهم، «وَرَدَ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ أَمْوَالَيْنِ أُفْتَالًا»، وامر الأمير أبو يحيى برم ما تعلم من أسوارها، ولم ما تشعب منها، وقتل إلى تونس وقد ألمح الله قصدهم وأظهرهم على عدوهم.

فأجابوه وساروا معه بجموعهم ستة ست وتسعين وسبعمائة فيتها ولملها، وبقى على رئيسها يحيى بن عبد الملك بن مكي فضرب عنقه، واقترب أمر بي مكي من قابس واستقل بها الأمير عمر مضافة إلى ما كان بيده، والله وارث الأمور.

### وفاة السلطان أبي العباس ولالية ابنه أبي فارس عزوز

كان السلطان أبو العباس قد أذن به وجع النقرس حتى كان في غالب أسفاره يحمل على البغال في المخفة. ثم اشتد به آخر عمره وأشرف في ستة ست وتسعين وسبعمائة على الملكة. وكان أخوه زكريا رديفه في الملك والمرشح بعده للأمر، وابنه محمد واليًا في بونة موضع إمارته من قبل. وكان للسلطان أولاد كثيرون يتظاولون إلى مكان أيهم ويغصون بهم زكريا، ويختشون غائالتهم بعد أيهم، فلما قارب السلطان منتهياً أشتد جزعهم وإشفاهم من عليهم. وبعد السلطان كيرهم أبا بكر بعهده على قسطنطينية فسار إليها بين أيدي موته، واعتبر صاحب الاقردن على كيرهم بعده أبي فارس عزوز فقبضوا على عمهم زكريا وقد دخل بمودع أخيه، وأودعوه في بعض الحجر ووكلوا به، وهلك السلطان لثلاث بعدها فباعوا أخاهم أبا فارس رابع شعبان ستة ست وتسعين وجاء أهل البلد إلى بيته أفراجاً من الأعيان والكافحة فتمت بيعته، وأمر بنقل ما في بيته عممه من الأموال والذخيرة إلى قصره حتى استوعبها، وضيق عليه في حبسه، وقام بتدبیر ملكه وسياسة سلطانه. وول بعض إخوانه على منابر عمله يافريقيه فبعث أحدهم على سورة والثاني على المهدية، وردف أخيه إسماعيل في ملكه بتونس، وأحل الباقين محل الشورى والماواضة.

وبلغ الخبر إلى أخيه المتصرّ بتوزر فاضطرّ أمره ولحق بالحاجة فأقام بها. وكذلك آخره زكريا بمقتضى فلحق بجبال نفزاوة. وكان آخره أبا بكر لما سار إلى قسطنطينية لولالية أبي قيل وفاته مر ببونة فلقيه صاحبها الأمير محمد ابن عمّه زكريا بما شاء من أنواع الكرامة والبرة ووافي قسطنطينية فطلب منه القائمون بها كتاب السلطان بعهده عليها فأقرّ لهم إيمانه، وفتحوا له الأبواب فدخل واستولى على أمرها. وكان خالصه السلطان محمد بن أبي هلال قد بعثه السلطان قيل مورته إلى السلطان أبي فارس عبد العزيز المتول بالمنصب بعد وفاة أبيه السلطان أبي العباس بن أبي سالم في صفر من شهور السنة، وحمله من المدavia والتاحف ما يليق بأمثالهما فسار. فلما انتهى إلى ميلة بلغه الخبر بوفاة السلطان مرسله وأعز

بعقال إلا ما كان من طعن القنا ووقع السيف حتى وصل إلى حضرته. ثم ندم صولة على ما كان منه وأرسل السلطان بطاعته فلم يقبله، وإنحدر إلى مشاتيه ستة ست وتسعين وسبعمائة.

واستدعى ابن علول من عشن نفقة يسكنه فخف إلىه ودفعه إليها تربه في الغي أحد بن مزن صاحب الزاب. ووصل ابن علول إلى صولة فاغراه بمحصار توزر، ونزل معه عليها بقومه فجلّى الأمير المتصر في دفاعهم والامتناع عليهم حتى ينسروا، واضطربت آراؤهم وأفرجوا عنها مفترقين. وصعد صولة إلى التل للمصيف به، وعاد الرغبة من السلطان في قبول طاعته. وكان محمد الدندين لما أجهل السلطان عن قفصه تركه بتلك الناحية، فلما وصل إلى تونس أرسل أهل قفصة في الرجوع إليهم فأجابه بعض أتباعه، ودخل البلد فنذر به عمر بن العابد وكيسه بمكانه الذي نزل به وقتله، واستبد بمشيخة قفصة وخشي أهل قفصة من غائلة السلطان وسوء مبغبة العصيان فبعثوا إلى السلطان بطاعتهم، وشرط عليهم نزول عامله عندهم، وهذا آخر ما بلغنا عنهم ولم يبلغنا أنه عقد لهم ولا لصولة أمراً والله يصرف الأمور بمحكمته.

### ولالية عمر ابن السلطان على صفاقس واستيلاته منها على قابس وجزيرة جربة

هذا الأمير عمر ابن السلطان هو شقيق إبراهيم الذي كان أميراً بقسطنطينية، وكان في كفالة أخيه إبراهيم. فلما توفي كما مر لحق بالسلطان أخيه وأقام عنده. ولما كان من وفاة أبي بكر بن ثابت شيخ طرابلس ما قدمته وأضطرب قومه من بعده، وتزعزع قائدتهم قاسم بن خلف إلى السلطان فبعث معه ابنه عمر هذا سنة اثنين وسبعين وسبعمائة لحصار طرابلس، وأقام عليها حولاً كريباً يحاصرها وينعى الأقوات عنها، حتى ضجروا وضجر من طول المقاومة فدافعوا بالضربة وانكروا راجعاً إلى أبيه ستة خمس وتسعين وسبعمائة ووأفاده جائماً على قفصة عندما انتقضوا عليه، وقد كان مر في طريقه على جربة وأراد الدخول إليها فمنعه عامل أبيه بها من المولى الملاعجي فألف من ذلك، وشكاه إلى أبيه فولاه على صفاقس، ووعده بولالية جربة فسار هو إلى صفاقس وأجاز البحر إلى جزيرة جربة، وانضم إليه جميع من بها من القبائل. وامتنع العلّج منصور العامل مخصوصها المسى بالفشل ببلسان الفرنج حتى كاتب السلطان فامرته بتمكنه أبه من الحصن والإفراج له عن الجزيرة أجمع، فاستبد بها. ثم إن الأمير عمر سما إلى ملك قابس، فدخل أهل الحاجة جارتها الجبلية عليها على الأيام في ذلك

منزني لفقاً من لفاقت الأعراب، وصلوا إلى إفريقية أحلافاً لطوالع  
بني هلال بن عامر في المائة الخامسة كما قدمناه.

ونسبهم بزعمهم في مازن من فزاره وال الصحيح أنهم في  
لطيف من الأثيغ، ثم من بني جري بن علوان بن محمد بن لقمان  
بن خليفة بن لطيف، واسم أليهم مزنة بن ديفل بن عبيا بن جري،  
هكذا تلقته من بعض نسبة الملاليين، وشهد لذلك الوطن، فإن  
أهل الزاب كلهم من أقارب الأثيغ عجزوا عن الطعن ونزلوا قراء  
على من كان بها قبليهم من زناته وطوال الفتح، وإنما يرغبون عن  
هذا النسب فزاره لما صار إليه أهل الأثيغ بالزاب من المفرم  
والرضاع، فيستفكون لذلك ويتسبون إلى غرائب الأنساب، وكان  
أول نزولهم بقرية من قرى بسكة وكانت تعرف بقرية حياس، ثم  
عنوا وتأثروا وأخذوا مع أهل بسكة بمحظ وافر من تلك العقار  
والمياه، ثم انتقلوا إلى البلد واستمتعوا منها بالمنزل والظلال،  
وتقاسموا أهلها في الخل والمر، وانتظم كبارهم في أرباب الشورى  
من المشيخة، ثم استكشف بني رمان من انتظامهم معهم وحسدوهم  
على ما آتاهم الله من فضلهم، وحدروهم على أنفسهم فاضطررت  
ببئهم نار العداوة والإحن، وكان أولها الكلام والترافق إلى سدة  
السلطان بتونس على حين استقلال أبي حفص بـ(باقريقة)، ولعهد  
الأمير أبي زكريا وابنه السلطان المستنصر، ثم تاجروا الحرب  
وتراوغوا سكك المدينة وكانت صاغية الدولة مع بني رمان لقد يديهم  
في البلد.

ولما خرج الأمير أبو إسحاق على أخيه محمد المستنصر  
لأول بيته، ولقى بالدواودة من العرب وبابع له موسى بن محمد  
بن مسعود الباط أمير البدو يومئذ، واعتمر به بسكرة ويلاز الراب،  
وأناخ عليها بكلكله كما قدمناه. قام يومئذ فضل بن علي بن أحمد  
بن الحسن بن علي بن مزنی بدعوته، وأعلن بين أهل البلد بطاعته  
وابتغوه على كرهه. ثم عاجلتهم عساكر السلطان وأجهضتهم عن  
الراب، فاعتقل فضل بن علي به، واستمسك بذيله وصحبه في  
طريقه إلى الأندلس، ويدار غربته منها إلى أن هلك المستنصر آخره،  
وهيأ الله له من أمر الخلافة ما هيأ حسبما ذكرناه. ولما تم أمره  
واقتعد بتونس كرسى خلافته عقد لفضل بن علي على الراب  
ولأخيه عبد الواحد على بلاد الجريد رعيًا للنمة خدمتهما، وذكرأ  
لاتلافهما في المنزل الخشن وصحبتهما، فقدم واليًا على الراب،  
ودخل بسكرة واستكان بنو رمان لصواته وانتقادوا في مرضاة  
الدولة إلى أمره فلم ينسوا بكلمة في شأنه، واخضعوا بذلك الولاية  
ما شاء الله.

ثم كان شأن الداعي بن أبي عمارة وتليسه، ومهلك

إليه الأمير أبو بكر من قسطنطينية بالرجوع إليه فرجع بهديته، واستقر عنده هنالك. هذا آخر ما بلغنا من الأخبار الصحيحة عنهم هذه السنين وحالم على ذلك لهذا العهد، والملك بيده الله يزوره من يشاء.

الخبر عن بنى مزنى أمراء بسکرة وما إليها من الزاب

هذا البلد بسکرة هو قاعدة وطن الزاب لهذا العهد، وحده من لدن قصر الدوسن بالغرب إلى قصور تونمة وبادس في الشرق، يفصل بينه وبين البسيط الذي يسمونه الحضنة جبل جام من المغرب إلى المشرق، ذو ثانياً تفضي إليه من تلك الحضنة، وهو أبل درن المتصل من أقصى المغرب إلى قبلة برقة، ويعمر ذلك الجبل في حداوة الزاب من غربه بقاياً عمرت من زناة، ويتصل من شرقه بجبل أوراس المطل على بسکرة المعترض في ذلك البسيط من القبلة إلى الشمال. وهو جبل مشهور الذكر يأتي الخبر عن بعض ساكنيه. وهذا الزاب وطن كبير يشتمل على قرى متعددة متظاهرة جماعاً جماعاً، يعرف كل واحد منها بالزاب. وأولها زاب الدوسن، ثم زاب طولقة ثم زاب مليلة وزاب بسکرة وزاب تهودا وزاب بادس. وبسکرة أم هذه القرى كلها، وكانت مشيختها في القديم بعد الأغالبة والشيعة لعهد صنهاجة ملوك القلمة في بني رمان من أهلها بما كثروا ساكنها. وملكوا عامة ضياعها. كان بلغفر بن أبي رمان منهم صيت وشهرة.

وربا نقضوا الطاعة لعهد بلكين بن محمد بن حاد صاحب  
القلعة في سفي حسين وأربعمائة، وضبطوا البلد وامتنعوا. وتولى  
كير ذلك جعفر بن أبي رمانة، ونازلتهم جيوش صنهاجة إلى نظر  
الوزير خلف بن أبي حيرة من صنائع الدولة فاقتحموا عليهم،  
واحتملهم إلى القلعة فقتلهم بلكين جبيعاً، وجعلهم عظة لمن  
بعدهم. وأصحاب أمر الشورى لبني سدي من أهلها. وكان لعروس  
منهم بعد ذلك خلوص في الطاعة والخياش إلى الدولة على حين  
تقلاص ظلها وفشل رجيمها، والروى الهرم بشبابها. وهو الذي فتك  
بالمتصر بن خزرون الزناتي عند وصوله من الشرق واجتلاحه على  
السلطان بقمه من مغراوة وأعراقب الأبيج وبني عدي وبني هلال،  
فمكر به السلطان وأقطعه ضواحي الزاب وريفة طعمة. ودس إلى  
عروس في الفتاك به ففعل كما قدمنا ذكره في أخبار آل حاد.  
وانقرضت رئاسة بني سدي بانقراض أمراء صنهاجة من إفريقية.  
وجاءت دولة الموحدين، والكثرة واليسيت لبني زمان. وكان بنو

كانوا قد غلبو على سائر الضواحي فساهمهم في جيابتها حتى كاد يغلبهم عليها. ووفر أموال الدولة وأمنى الخراج وصانع رجال السلطان فلقوه عليه بالحبة، وجذبوا بضبعه إلى أقصى مراتب الاصطناع، فأثري واحتجزت الأموال ورسخت عروق رئاسته بسكرة، ورسخت منابتها عزه وهلك المولى أبو زكريا الأوسط على رأس المائة السابعة، ولولا مكانه ابنه الأمير أبا البقاء خالداً كما قدمنا، وقام بأمره حاجه أبو عبد الرحمن بن غمر.

وكان المنصور بن فضل هذا اختصاص به واعتلاق يبد جاهه فاستلام إليه وعول في سائر الضواحي من ممالك السلطان على نظره، وعقد له على بلاد الثالث من أرض سدوينكش وعياض فاستضافها إلى عمله، وجرد عن ساعد كفایته في جيابتها فلقيع عقيمها وتفرجت ينابيعها. ثم حدثت بينه وبين الدولة منافرة وأجلب على قسطنطينية يبحى بن خالد ابن السلطان أبي إسحاق جاجا به من تلمسان، وبياع له واستالف الدواودة لشاعته، ونازل به قسطنطينية ثم اطلع على مكامن صدره فيه وما طوى عليه من الترخيص به فعل عقدته، ولحق بعسكره بسكرة، وراجع الطاعة. ولحق به يحيى بن خالد واعتقله إلى أن هلك سنة عشرين وسبعينة وكانت بينه وبين المرابطين أهل السنة من العرب أتباع سعادة المشهور الذكر فتن وحرروب، وطالبوه بترك المغارم والمكروس تخفيفاً عن الرعية وعملاً بالسنة التي كانوا متزمتين لطريقها، ونازلاوه من أجل ذلك بسكرة مراراً. ثم هلك سعاده في بعض حربه على مليلي كما مر في ذكره سنة خمس وسبعينة. وجمع منصور بن مزنى للمرابطين، وبعث عسكره يقوده ابنه علي بن منصور مع علي بن أحد شيخ الدواودة، وعلى المرابطين أبو يحيى بن أحد آخره ومعه رجالات المرابطين مثل: عيسى بن يحيى بن إدريس شيخ أولاد عساكر، وعطيه بن سليمان بن سباع وحسن بن سلامه شيخ أولاد طلحه فهزموا عسكراً ابن مزنى وقتلوا ابنه علياً وتقبضوا على علي بن أحد، ثم منوا عليه وأطلقوا عليه. ثم عاودوه ثانية وثالثة. ولم يزل الحرب بينه وبين هؤلاء المرابطين فتن ساير أيامه. وكان الحاجب ابن غمر قد استخلصه لنفسه وأحله محل الثقة بمنزلته واستقامه إلى صفاته.

ولما نهض السلطان أبو البقاء إلى تونس صحبه الحاجب في جملته حتى إذا أعمل المكيدة في الانصراف عن السلطان شاركه في تبييرها إلى أن ثمت كما قدمناه. ورجع الحاجب إلى قسطنطينية ورده إلى مكان عمله من الزاب. وكان يتتردد إليه بجيابية للزيارة والمطالعة في أعماله إلى أن غدر به العرب في بعض طرقه إليها.

السلطان أبي إسحاق على يده. ثم ثار منه السلطان أبو حفص بأخيه واسترجع ما ضاع من ملكهم، وكل منهم يشق بعثاته، ويعول في أمر الزاب على كفایته. وسم أعداؤه بنو رمان أيام ولايته فدخلوا أولاد حيز من لطيف إحدى بطون الأتابق، كانوا نزلوا بقرية ماشاش لضيق المدينة حين عجزوا عن الظعن، وخالطوا أهل البلد في أحوالهم وامتزجوا معهم بالنسب والصهر فاغرواهم بفضل بن علي أن يكون التقدم لهم في الفتك به، وتناول الأمر من يده، وأن يخربوا بيوتهم من قرية ماشاش بأيديهم ليسكنوا إليهم ويطمئنوا إلى ولايتهم حلفاً عقدوه على المكر بهم. ولما أوقعوا به بظاهر البلد في بعض أيام روكبه سنة ثلاث وستمائة وزنلوا من أمر الزاب ما كان يتولا، تنكر لهم بنو رمان لحولين من ذلك الحلف، ونابذوهم العهد فخرجوا عن البلد وقددوا المأوى للترمس بها من قريب، وترقوا في بلاد رينة، واستبد بنو رمان بشورى بسكرة والزاب متتضدين عليهم وعلى السلطان، والدواودة قد تغلبوا عليه وعلى بلاد الحضنة من وراءه تقاويس ومقرة والمسلة. وكان منصور بن فضل بن علي عند مهلك أبيه بالحضرمة في بعض شؤونه. فلما هلك أبوه واستبد بنو رمان بعده، ثوا السعابات فيه إلى السلطان بالحضرمة فأنجحها، وتقبض عليه واعتقل أيام السلطان أبي حفص.

ولما تغلب المولى أبو زكريا يحيى ابن الأمير أبي إسحاق على جيابية وقسطنطينية وبورنة، واستقل بأمرها وانقسمت دولة آل أبي حفص بملكه ذلك منها، تسلك أهل الزاب بدعة صاحب الحضرة المولى أبي حفص وفر منصور بن فضل بن علي من معبسه بتونس ولحق بجيابية بعد مهلك الحاجب القائم بالأمر أبي الحسين بن سيد الناس وتولية السلطان أبي زكريا مكانه كاتبه أبو القاسم بن أبي يحيى سنة إحدى وتسعين وستمائة، فلازم خدمته وخف عليه وصانعه بوجوه التحف وتضمن له تحويل الدعوة بالزاب لسلطانه، وتسريب أمواله وجيابته إليه واستماله بذلك، فقد له على الزاب وأمده بالعسكر فنازل بسكرة ووفد أهلها بنو رمان على السلطان بجيابية بيعتهم فرجعهم على الأعقاب إلى عاملهم منصور، وكتب إليه بقبول فتيتهم، ودخل البلد سنة ثلاث وتسعين وستمائة، وقادهم في بناء القصر لشيوعه، وتحصن العسكر بسورة. ثم نابذهم العهد، وثار بهم فأجلهم عن البلد، واستمكنا فيه ورسخت قدم إمارته فيها، واستدر جيابية السلطان، واتسع له نطاق العمالة، فاستضاف إلى عمل الزاب جبل أوراس وقرى رينة وبلاط واركلي وقرى الحضنة مقراً وتقاويس والمسلة. فقد له السلطان على جميعها، ودفعه إلى مراحة العرب في جيابتها وانتهاش لحومها إذ

وناول عبد الواحد هذا لآل زيان خاقاني الدولة طرفاً من جبل طاعته تقبل فيها مذهب أيمه آخر عمره. وطال تمرس الجيوش به إلى أن استجن منه عبد الواحد بصره عقده له على ابنته، واشترط المهادنة وتسلیم الجباية، وتزوج أمره إلى أن اختاله أخوه يوسف سنة تسعة وعشرين وسبعيناً بمداخلة بطانتهم من بين سماط وبين أبي كواية. ولما أحکم مداخلتهم في شأنه آذنه شاء الشورى معه في بعض المهمات، وطعنه بمنجره فاشواه وهلك لحينه. واستقل يوسف بن منصور بإمارة الزاب ووصله مرسم السلطان بالتقليد والخلع على العادة، وأجرى الرسم في الدعاء له على متابر عمله.

وكان السلطان قد استدعى محمد بن سيد الناس من التغر لحجاجته، وفرض له أمر مهلكه، فلهجت نار العداوة والإحن القديمة بما بينه وبين يوسف بن منصور عامل الزاب، وهو لم لا ما أخذ بمحجزته من الشغل الشاغل للدولة بتحيف آل زيان وهلك الحاجب سنة اثنين وثلاثين وسبعيناً في نكبة السلطان إيهاد كما ذكرناه، وعقد محمد بن الحكيم على القيادة وجعل بيده زمام العساكر، وفرض له سائر القرى والضواحي، فأاجر رئاسته وحكمه في دولته وتغلب على أمره حين فرغ السلطان من الشغل بمدافعة عدوه، وحط ما كان من إصرهم على كاهل دولته. ونهض السلطان أبو الحسن إلى يغرسن فقلم أظفار أعدائهم وقتل شباباً عزائهم كما شرحته قبل، فأذكى القائد محمد بن الحكيم مع يوسف بن منصور نار العداوة، وأثار له من السلطان كامن الخفيحة وصرف وجوه العازائم إلى حمله على الجبادة وتقويعه عن المراوغة في الطاعة، وناهضه بالعساكر مرات ثلاثة يدفعه في كلها بتسلیم الجباية إليه. ثم كانت بينه وبين علي بن عبد الواحد الدواودة فتن وحروب دعا إليها منافسة علي في استثارة رجال الجباية دونه فراضعه الحرب، ودعا العرب إلى منازله ممواهاً بالدعاء إلى السنة، وحشد أهل رغبة لذلك ونازله، وأخترف عنه ابنه يعقوب ودخل إلى بسكرة فاصهر له ابن مزنى في أخته بنت منصور بن فضل، وعقد له عليها، فحسن دفاعه عنه، وبعث ابن مزنى عن سليمان بن علي كبير أولاد سباع، وقريع علي بن عبد في شؤونه، فكان عنده بسكرة يغادي القتال ويرواحه إلى أن امتنع ابن مزنى.

ورحل علي بن عبد عن بسكرة وصار مع ابن مزنى إلى الاتفاق والمهادنة أعوام الأربعين من المائة الثامنة. ثم كانت غزاة القائد بن الحكيم إليه نهض من إفريقية بعد أن نازل بلاد الجريد، واقتضي طاعتهم ومقارفهم، واسترهن ولد ابن عمّول. ثم ارتحل إلى الزاب في جنوده ومعه العرب من سليم فاجفل بالزاب ونزل بلد أو ماش من قراها، وفرت العرب من الدواودة وسائر رياح

وتقبض عليه من أمراء الدواودة علي بن أحمد بن عمر بن محمد بن مسعود، وسليمان بن علي بن سباع بن يحيى بن مسعود على حين اجتبها حجل الإمارة من يد عثمان بن سباع بن شبلي بن موسى بن محمد، واقتسم رئاسة الدواودة قومهما فاستمكنا من هذا العامل منصور بن فضل في مرجعه من عمله ببلاد سديريكش، وأوثقه اعتقالاً، وهمروا بقتله فاقتدى منهم بخمسة قناطير من الذهب وارتاشوا بمسكوبهم، وصرفوا في وجوده رئاستهم الفاما منها، وقبض منصور بن فضل عنده عن السفر بعدها إلا في الأحایين. وبعد أخذ الرهن من العرب إلى أن كانت حركة مولانا السلطان أبي يحيى إلى تونس ستة سبع عشرة وسبعيناً أول حركاته إليها، وطالب حاجبه يعقوب بن غمر وهو بغير مجاهدة بالأموال للنفقات والأعطيات، فبعث إليه منصور بن فضل وأشار بعده له على حجاجته ليقوم بأمره، ويكفيه مهمات شؤونه واعتدها منصور على ابن غمر فسأله ظنه، وتنكر له ابن غمر، وحالت صبغة وده وإنكفاء السلطان من حركته تلك مخفقة السعي بعد أن نزل ظاهر تونس بعساكره كما قدمته. ولما احتل بقسطنطينة بدت له من يعقوب بن غمر صاحب الغرب مخابيل الامتناع فاقتصر عن اللحاق به، وترددت بينهما الرسل وبعث له ابن غمر في منصور بن فضل. ونذر منه بالشر فلما جاءه داعيه، وصحب قائد السلطان يومئذ محمد بن أبي الحسين بن سيد الناس إليه، حتى إذا كان بعض الطريق عدل إلى بلده، وهو به القائد فأجاره أولياؤه من العرب: عثمان بن الناصر شيخ أولاد حربى ويعقوب بن إدريس شيخ أولاد خضر ومن معهم من ذويهم: ولحق بسكرة وبلغ الخبر إلى ابن غمر فقرع سن التدم عليه، وشائع منصور بن مزنى عدوهم صاحب تلمسان أبا تاشفين ودخل في دعوه وأوفد ابنه يوسف عليه بالطاعة والمددية.

وملك السلطان خلال ذلك تونس وسائر بلاد إفريقية وهلك ابن غمر ستة سبع عشرة وسبعيناً ولم ينزل منصور بن مزنى ممتنعاً سائر أيامه على الدولة، والعساكر من مجاهدة تردد لمنازله إلى أن هلك ستة خمس وعشرين وسبعيناً، وقام بأمره من بعده ابنه عبد الواحد فقد له السلطان على عمل أبيه بالزاب، واستضاف إليه ما وراءه من البلاد الصحراوية: قرى ريفية وواركلي. وكان السلطان قد عقد على التغر بعد مهلك ابن غمر لحمد بن أبي الحسين بن سيد الناس، وجعل له كفالة ابنه يحيى ودفعه إليه فتجددت الوحوشة بين عبد الواحد هذا وبين صاحب التغر في سبيل المنافسة في المرتبة عند السلطان لما كانوا جميعاً صناع وبطانة للحاجب ابن غمر. وبعث العساكر لحرمه ومتنازلة حصنه.

والبدو ورؤساء التواحي سنة أربع وخمسين وسبعين ووفد في جلتهم يوسف بن منصور أمير الزاب وبعقوب بن علي أمير البدو وسائر الدواددة فلقاهم السلطان تكرمة ورعاياً لأزمة خلوصهم لأبيه وقومه من بين أهل إفريقيا، وأسني جوازتهم. وعقد يوسف بن مزنى على الزاب وما وراءه من بلاد رغبة وواركلي على عادته واتقلب محبوأً مببراً.

وقد ثبت له من ولاية السلطان وخالفته حظ، ورفع له يساطه مجلس، ولما نهض السلطان إلى إفريقيا لافتتاح قسطنطينية سنة ثمان وخمسين وسبعين سنتها كما سذكره تلقاء يوسف بن منصور على تسطينية فخالطه بارليانه، ونظمه في طبقات وزرائه، واستوحش بعقوب بن علي يرمذ من مطالبته بالرهن له ولقومه وانتقض، فأجفلت أحياوه إلى بلاد الزاب وخرب بلاد يعقوب بين علي بالزاب والتل بقطع أشجارها وتغيير مياهها وهدم بناها ونسف آثارها، ودخل يعقوب بأحياته الرمل وأعجزوا السلطان فانكفا راجعاً، واحتل بظاهر بسكرة قتلوم بها ثلاثة لإراحة العساكر وإزاحة عليهم من وعاء السفر وشعت الصحراء، فقرب يوسف بن منصور في قرى عساكره أيام مقامه يشملهم فيها من العلوفة والختنة واللحمن والأدم بما أرגד عيشهم وكفاهم مهمهم. وتحدثت بها الناس دهراً، ورفع إليه جباية الزاب لعامه قنطرى من الذهب دفعه بيست المقال قبضه القهارمة من ثقائه، وأجزل السلطان مثوبته وأسنى عطيته، واختصه بكسرة ثيابه وعياله من كسى حرمه وثياب قصره. وانكفا راجعاً إلى حضرته. ثم أوفد يوسف بن منصور ابنه أحد على السلطان بسته من فاس عند مصرف وزير سليمان بن داود من حركة إفريقيا سنة تسع وخمسين وسبعين وأصحابه هدية من عتاق الخيل وفاره الرقيق. وأقام أياماً في نزل كريم وعمل من المجلس رفيع إلى أن هلك السلطان خاتمة تسع وخمسين وسبعين فارغ القائم بالدولة من بعده جائزته وأسنى صلته وصرفه إلى عمله، واستوصى به أمراء التواحي والثغور في طريقه. ولم يتشتب أن ثبت نار الفتنة وانتزى الخوارج بالجهات بعد مهلك السلطان فخلص إلى أبيه بعد عنایة وعلى يأس من النجاة بعد أن حصل في قبضة أبيه هو سلطان بني عبد الواد عند استيلائه على تلمسان، وهو بها مع بنى مرین، وقد مر بهم مجازاً إلى وطنه فأجراه عليه صغير بن عامر شيخ بنى عامر من زغبة رعياً لأزمة ابنه يوسف صاحب الزاب، وتسللاً للغرب فيه وفي أعماله. وبعد أن بذل له من ذات يده ومن طرف ما وصله به بنو مرین من ذخائرهم فبعث مع صغير ركاباً من قومه أبلغوه، فكانت إحدى الغرائب في شأنه. واسترجع

أمامة، ودافعه يوسف بن مزنى بهديته دفعها إليه وهو بمكانه من أوشاش، وارتحل عنه إلى بلاد رغبة فافتتح تقرت مقلهم واستباحها ودوخ سائر أعماله. ورجع إلى تونس ونكب السلطان قائده محمد بن الحكيم هذا سنة أربع وأربعين وسبعين وولى ابنه أبي حفص عمر. وخشي الحاجب أبو محمد بن تافراكن بادرة بطانته فلحق بملك المغرب الملهوب الشبا المطل على المالك، بحسب القبائل والعشائر أبي الحسن، وأغراه بذلك إفريقيا واستجره إليها، فنهض في الأمم العريضة سنة ثمان وأربعين وسبعين كما ذكرنا ذلك كله من قبل. ووفد عليه يوسف بن منصور أمير الزاب بعسكره من بنى حسن فلقاء برأ وترجيماً واستبعده في حملة إلى قسطنطينية. ثم عقد له على الزاب وما وراءه من قرى رغبة ووراكلي، وصرفه إلى عمالته. واستقبل تونس، وأمره برفع الجباية إليه مع العمال القادمين من أقصى المغرب على رأس الحول فاستعد لذلك، حتى إذا سمع بوصولهم من المغرب لق THEM لهم بقسطنطينية وفجاهم هنالك جميعاً الخبر بتيبة السلطان على القروان كما ذكرنا، فاعترض على اللحاق بيده.

واعصوصب عليه يعقوب بن علي بن أحمد أمير البدو بالناحية القرية من إفريقيا لأزمة صهر كانت بينهما ومخالصه، وتحيز إليهم من كان بقسطنطينية من أولياء السلطان وحاشيته وعماله، ورسل الطاغية والسودان الواديين مع ابنه عبد الله من أصغر بينه، آواهم يوسف بن منصور جميعاً إليه، وأنزلهم بيده وكفاهم مهماتهم شهرأً من الدهر حتى خلص السلطان من القروان إلى تونس، وخلفوا به مع يعقوب بن علي فكانت تلك يداً اخذها يوسف بن يعقوب عند السلطان أبي الحسن وبينه باقي الأيام. ثم اتبع ذلك بمخالفة رؤساء التواحي من إفريقيا جميعاً في الانقضاض عليه، وأقام متمسكاً بطايعه يرب الأموال إليه بتونس وبالجزائر عند خلوصه إليها من التكرة البحرية كما سذكره، ويدعوه على منابره بعد تقويه من الجزائر إلى المغرب الأقصى لاسترجاع ملكه، إلى أن هلك السلطان أبو الحسن مجبل هنائة من أقصى المغرب سنة اثنين وخمسين وسبعين واستقام أمير الدولة الحية الذكر المرينة لابنه السلطان أبي عنان، ولما استضاف إلى ملكه ملك تلمسان، وحاماً جده بنو عبد الواد من رسوم ملوكهم وجمع كلمة زناته، وأطل على البلاد الشرقية سنة ثلاثة وخمسين وسبعين بادر يوسف بن منصور بطايعه فأتاها طوعية، وألوفد على السلطان رسلاً بكتاب يعته. ثم أوفد عليه ثانياً مع حاجبه الكاتب أبي عبد الله محمد بن أبي عمر، وبعثه بالعساكر لتدويخ إفريقيا وتهيد ملكه بيجاية كما سذكره. وأوفد عليه أمراء القبائل

وصار الأمر للموحدين فمحوا منها آثار المشيخة والاستبداد. ونشأ أحد هذا الجد متزاماً إلى الرئاسة بهذا القطر يدافع عنه بالراح، ويزاحم بالناكب من وجوه البلد وأشراف الوطن. وسعى به إلى شيخ الموحدين وقائد العسكر أيام السلطان أبي حفص محمد الفازاري فتكبه وصادره على مال امتحنه عليه. كانت أول نكباته التي أورت من زناه وأوقدت من جهه، فخلص إلى الحضرة يؤمل اقتداء مطيه وثبوته مرکزه من دار الخلافة فألوطها أياماً يأكرا أبواب الوزراء والخاصة، ويثم أطراف الأولياء والخاشية وينزل كرائم ماله فيما يرله لديهم، ويزثره بعنائهم حتى استعمل بدبوران البحر مقعد العمال بمن السفن بلجية الأعشار من تجارة دار الحرب. ثم استضاف بما كان من غناه فيها واضطلاعه سائر أعمال الحضرة فتلقدتها زعيمياً بإمضاء الجرائم وأدرار الجباية. واستمرت على ذلك حاله وتضاعفت فائدته فاثرى واحتجن المال، واستخرج الذخيرة قاطعاً لآلستة السعاية المصانعة والإتحاف بطرف ما يجلبه الروم من بضائعهم حتى أبطره الغنى، ودللت على مكانته الثورة، ورفع أمره إلى الحاج فخر الترقيع بالقبض عليه واستصنافه ماله لعهد السلطان أبي بخي اللحياني فتكب الثانية وصودر على مئين من آلاف الدنانير وامتحن لها، ويعا فيها مكوسه حتى من الكتب وخلص من التكبة مثلثوب الأمانة عز الأديم فقيد الرياش، أخرج ما كان إلى ما يعزز من الكن والدفء ويللة العيش. ولحق بيده ناجياً بالرمق ضارعاً للدهر.

ودفعه الملا إلى ما يستنكفون عنه من خدمة العمال ومبكرة أبياتهم والامتنان في ضرورتهم، والجده في ذلك بخت جذب بضعه. وكان في خلال ذلك شغل الحضرة شأن الشغور الغربية وأمرائها فتقلص ظل الدولة عن هؤلاء بعض الشيء وهملت الرعايا بالبلاد الجردية، وصار أمرها إلى الشورى التي كانت عليها قبل. فلما أدرك أحد هذه الشورى التي كان يسمى لها سمو حباب الماء ثلح صدره، والنجح سعيه، واستبدل بشيخة توزر. وهلك في أعوام ثمانية عشرة فخلفه من بعده في سبيله تلك ولده يحيى طموحاً إلى الرتبة منافساً في الاستقلال، ومزاحماً بيوتات المسرعين بناكب استوصلها سائر عمره من الدمار والأوغاد بمعاقرة الخمر والمغاراة في فنون الشباب ليستبد أمره، والاستيلاء على نظراته حتى ظارحوا في هوة الهالك بين قبيل و المغرب غيف العمران، لم تطفئ عليهم عواطف الرحم ولا زجره وازع التقوى والسلطان، حتى خلا له الجو واستوست الأمر واستقر من أمر البلد والخل

الموحدون ثورهم: بجایة وقسطنطینیة من يد بنی مرين وأزعجوا عنها العساکر الجحرة بها من قبائلهم كما قدمنا، فراجع يوسف بن منصور طاعته المعروفة لهم إلى أن هلك سنة سبع وستين وسبعيناً ليوم عاشوراء، وقام بأمره ابنه أحمد، وجرى على سنته وهو لهذا العهد أمير على الزراب بمحل أبيه من إمارته متقبل في مذهب وطريقه إلا أن خلق أبيه كان سخنة وخلق هذا تلهقاً لا فيه من التحدّل، وربك يخلق ما يشاء ويتختار. وله أولاد كثیرهم أبو بخي من بنت محمد بن يملول اخت يحيى، وهو لهذا العهد مرشح لكانه. ولما حلّت بأهل الجريد الفاقر ونزل به يحيى بن علول المشؤوم على وطنه ترجس الخيبة من السلطان وتوقع المطالبة بطاعة غير طاعته المعروفة، فسرب الأموال في العرب ومد يده إلى جبل صاحب تلمسان ليتمسك به فوجده قاصراً عنه، وأقام يقدم في أمره رجلاً ويؤخر أخرى. ثم قذف الله نور الهدایة في قلبه، وأراه سنن رشدته. وبادر إلى الاستقامة في الطاعة والعدول عن المراوغة، ووصله وأخذ السلطان أبي العباس شيخ الموحدين أبو عبد الله بن أبي هلال، وكشف له قناع المخالصة والأخياد، وبعث معه وفده بهديه واستقامته وتقبيله السلطان وأعاده إلى أحسن الأحوال من الرضى عنه والله متولي الأمور سبحانه.

## الخبر عن رئاسة بنى علول بتوزر وبني الحلف ببنفة وبني أبي المنيع بالحامة

زعيم هؤلاء الرؤساء ابن يملول صاحب توزر لاتسع بلدته ومدن مصره واحتلاله منها بأم القرى من قطره، وهو يحيى بن محمد بن يملول. ونسبهم بزعمهم في طوال العرب من تونس، استقر أولوه بهذا الصقع كان منذ أول الفتح فغعوا وسائلوا ووشجت به عروقهم نسباً وصهراً حتى انتظموا في بيوت الشورى المتقدمين للوفادة على الملوك وتلقي العمال القادمين من دار الخلافة والنظر في مصالح الكافة أيام آل حاد بالقلعة، وأآل عبد المؤمن عراكش وأآل أبي حفص بتونس: مثل بنى واطاس وبني فرقان وبني ماردة وبني عوض. وكان التقدم فيه أيام عبد الله الشيعي لابن فرقان، وهو الذي أخرج أبي يزيد حين شعر أنه يريد القيام على أبي القاسم القائم، وأ أيام آل حاد ليحيى بن واطاس، وهو النازع بطاعة أهل قسطنطینیة إليهم عن آل بلکين ملوك القیروان حين انقسمت دولة آل زيري، واقتصر أمرهم. ثم عادت الرئاسة لبني فرقان لأول دولة الموحدين، ومنهم كان الذي لقي عبد المؤمن وأتاه الطاعة عن نفسه وعن أهل بلده توزر، فتقبيله

كثيرهم يحيى بن علي. فلما فرغ السلطان من شغله بزناتة وجثم السلطان أبو الحسن على تلمسان يحاصرها. وأقبل السلطان على النظر في تمهد ملكه وإصلاح نفوره، وافتتح أمره بغزو قصبة ونهض إليها سنة خمس وثلاثين وسبعيناً في عساكره من الموحدين وطبقات الجند والأولياء من العرب، فحاصرها شهرأً أو نحوه وقطع خليلها و Paxum عنهم بالحصار وتلاؤموا في الطاعة. واستيقوا بها إلى السلطان وفر الكثير من بنى العابد فلحقوا بقابس في جوار ابن مكي ونزل أهل البلد على حكم السلطان فتقبل طاعتهم وأحسن التجاوز عنهم، ووسط العدة فيهم وأحسن أمر ذوي الحاجات منهم، وانكفا راجعاً إلى حضرته بعد أن آثرهم بسكنى ولده المخصوص بعدد بعده الأمير أبي العباس وأنزله بين ظهرانيهم وعقد له على بلاد الجريد، واحتفل مقدم روضة يحيى بن علي إلى الحضرة فلم يزل بها إلى أن هلك ستة أربع وأربعين وسبعيناً، واستبد الأمير أبو العباس بأمر الجريد واستولى على نقطة كما قدمناه. وقتل بنى خلف لهم: مدافع وأبو بكر وعبد الله و محمد وابنه أحد بن محمد إخوة أربعة، وابن أخيهم الخلف بن علي بن الخلف بن مدافع، ونسبهم في غسان في طوال الع رب.

وانتقل جدهم من بعض قرى نزاوة إلى نقطة وتأثر بها، وكان لبيه بها بيت. واستبد هؤلاء الإخوة الأربع أزمان الشوري كما قدمناه. وما استولى السلطان أبو بكر على الجريد وأنزل ابنه أبي العباس بقصبة، وعقد له على سائر أمصارها واقتضى طاعتهم وامتنعوا فسرح إليهم وزيره أبي القاسم بن عتو من مشيخة الموحدين. وجهزت له العساكر من الحضرة ونازلاً وقطع خلاتها فلاذ أهلها بالطاعة، وأسلموا بنى مدافع المغاربة فضرب عناقهم وصلبهم في جذوع النخل آية للمعترين. وأفتلت السيف منهم علياً صغيرهم لذمة اعتقدوا له أبو القاسم بن عتو لنزوعه قبل الحادسة فكانت واقتها من الملكة.

واستولى الأمير أبو العباس على نقطة واستضافها إلى عمله. ثم مرض أبو بكر بن يملول في طاعته فنهض إليه السلطان أبو بكر من تونس سنة خمس وأربعين وسبعيناً، وكان الفتح كما قدمناه. ولحن أبو بكر بن يملول بسكرة فلم يزل بها إلى أن أجلب على توزر فتذ إلى يوسف بن مزني عهده، وانتقل إلى حصون وادي ابن يملول المجاورة لتوزر، وهلك ستة ست وأربعين. ثم كان مهلك السلطان وابنه الأمير أبي العباس صاحب الأعمال الجريدية إثر ذلك ستة سبع وأربعين وسبعيناً، ورجع إلى كل مصر من الجريد مقدموه فرجع أحد بن العابد إلى قصبة من مكانه في جوار ابن

والعقد بأوفى من استبداد أبيه. وكان مهلكه قريباً من استبداده لخمس سنين فتلقي الكرا من يده أخوه محمد تربه في الرئاسة ومجاريه في مضمارها، فأجلى إلى الغاية واقتعد كرسي الرئاسة وعفى على آثار المشيخة. واستظهر على أمره مصانعة أمراء البدو وأولاد أبي الليل، واللاتات إليهم بصدره كان عقده أبوه أحد لأبي الليل جدهم على اخته أو عمه. فكانوا رداً له من الدولة بعد صيته وعظم استيلاؤه وامتدت أيامه يعني الملوك بخطابه واستناد الأمور في تلك البلاد إليه خلال ما تعود الكرا وتهب ريع الدولة. وزحف إليه القائد محمد بن الحكيم سفي أربعين فلاذ منه بالطاعة والمصانعة بالمال، ورمه ولده يحيى فرجعه إليه ابن الحكيم وتقبل طاعته من غير رهن استقامة لما ابتلاه من خلوصه. وأقام على ذلك إلى أن هلك أعمام أربع وأربعين من المائة الثامنة.

وتتصدى ولده عبد الله للقيام بالأمر فوثب عليه عمه أبو زيد بن أحد فقتله على جدث أبيه صبح مواراته بعد أن كان أظهر الرضا به والتسليم له فشارطت به العامة لحيته، وكان مصريهما واحداً. وقام بالأمر أخوه يملول بن أحد أربعة أشهر كانت شردة وأسروا ولاية، لما أصاب الناس بسوء ملكته من سفك الدماء واستباحة الحرم واغتصاب الأموال، حتى كان ينسب إلى الجنون مرة وللكرف مرة أخرى فمرجع أمرهم واستولى الضجر على نفوسهم، وكان أخوه أبو بكر معتقلًا بالحضره فراسله أهل توزر سراً واطلقه السلطان من محبه بعد أن أخذت عليه المواثيق بالطاعة والوفاء بالجباية فصمد إليها بن في لفه من الأعراب، وحشد نزاوة المغاربين لها في القرى الظاهرة المقدرة السير، وأجلب عليهم ثم بيتها فاقتحمها وبسادر الناس إلى القبض على يملول أخيه وأمكنته منه فاعتقله بداره وتبرأ من دمه، وأصبح ثلاثة اعتقاله ميتاً محببه.

وكانت قصبة من قبل ذلك لما صار أمر الجريد إلى الشوري قد استبد بها يحيى بن محمد بن علي بن عبد الجليل بن العابد من بيوتها، ونسفهم في زعدهم في بلي ولم يخلف بزعدهم في الشريد من بطن سليم والله أعلم بأولية نزولهم بقصبة حتى التحromo بأهلها وانتظروا أمر بيوتها. وكانت البيوت بها بيت بني عبد الصمد وبيت بني أبي زيد، وكانت رئاسته لبعض بني أبي زيد لعهد الأمير أبي زكريا الأعلى، كان يستعمله على جباية أموال الجريد، ثم سعى به أنه أصحاب منها ذنكبه وصودر على آلاف من المال فاعطاها، وأقامت رئاستهم متفرقة في هذه البيوتات.

ولما حدثت العصبية بالبلد أيام صار أمر الجريد إلى الشوري كان بنو العابد هؤلاء أقوى عصبية من سائرهم، واستبد بها

وقام بأمره أخوه عبد الله بن علي فاذكي سياسته، وأيقظ حزمه وأرهق للناس حده فقفوا عليه سيرته، وسيموا عصفه واستمكّن مناهضهم في الشرف ومحاذيهم في رئاسة البلد القاضي محمد بن خلف الله من صاحب الحضرة بذمة كانت له في خدمته قدية استعمله لرعاها في خطبة القضاة بحضرته، وأثره بالمكان منه والصحبة فسعى بعد الله هذا عند الخليفة ودلله على مكامن هلكته، وبصره بعورات بلده. واقتاد عساكر السلطان إليه في زمامه.

ولما احتل بظاهر البلد عبد الله رئيسها أشد ما كان قوة وأكثر جماعاً وأمضى عزماً استالف أخوه الخلف بن علي بن الحلف جماعة المشيخة دونه، وحرضهم عليه وداخل القاضي في تبیت البلد وأنه بالمرصاد في اقتحامها، حتى إذا كانت الهيئة دس إلى بعض الأواغاد في قتل أخيه عبد الله، ومكر بالقاضي والعسكر وامتنع عليهم واعتضم دونهم. واستقل برئاسة بلده وأقام على ذلك بناجي ابن يملول في سيره ويطارحه الكثير من مذاهبه، ويجري في الشارع الذي بلغ إلى غایته وأوفى على ثنيته.

وأما أحد بن عمر بن العابد فلم يزل من لدن استبداده في ققصة سالكاً مسالك الختموا منحطاً عن رتبة التكبر متھلاً مذاهب أهل الخير والعدالة في شارته وزيه ومركبه، جاخماً إلى التقليل. فلما أوفى على شرف من العمر استبد عليه ابنه محمد وترفع عن حال أخيه بعض الشيء إلى مناغاة هؤلاء الرؤساء المترفون، في بينما هؤلاء المتقدمون في هذه الحال من الاستبداد على السلطان والتخلق بالأخلاق الملوك، والشاقل عن الرعايا بالتعسف والجور، واستحداث المكوس والضرائب إذا أطل على مفاصحهم السلطان أبو العباس بالحضور مستبداً بدعوته، صارفاً إلى فتحها عزائمهم فوجوا وتروجوا الخيبة منه. واتسروا في المظاهرة واتصال اليد بعد أن كانوا يستحقونه إلى الحضرة، ويعشون إليه بالأخشاش على بعد زبونا على صاحب الحضرة وتروا غالباً عن مصدوقية الطاعة.

فلما استبد السلطان أبو العباس بالدعوة استبرأوا في أمرهم وسرروا أمراهم في الأعراب المخالفين على السلطان من الكعب، يؤملون مدافعتهم عنهم فشمر لها أولاد أبي الليل بما كان وقع بينهم وبين السلطان من النفرة. ونهض إليهم السلطان فغلبهم على ضواحي إفريقية على الظواعن التي كانت جبارتها لهم من منجزة كما قلناه، واكتسحهم فأوهن بذلك من قوتهم.

ثم زحف الثانية إلى أمصار الجريد فلاذوا بالامتناع، فلما خان السلطان بعساكره وأولائه من العرب أولاد مهلهل على ققصة

مكي واستولى على بلده في مكان ابن عميه يحيى بن علي، ورجع علي بن الحلف إلى نفطة واستبد بها. ورجح يحيى بن محمد بن أحد بن يملول إلى توزر من مثوى اغترابه بيسكرة، وارتخل إليها مع عميه أبي بكر طفلاً، فلما خلا الجريد من الإمارة درج يحيى هذا من عشه في جوار يوسف بن متصور بن مزنی وأطلقه مع أولاد مهلهل من الكعب بعد أن وصلهم وشارطهم، واسترهن فيه أبناءهم فأوصلوه إلى محل رئاسته بتوزر، ونصبه شيعته وأولياء آليه، وقاموا بأمره. ورجع أمر الجريد كلّه إلى رئاسة مقدمه كما كان.

ثم وفدا على السلطان أبي الحسن عند رجعته إلى إفريقية ولقوه بوهران فلقاهم مبرة وتكرمة ورجح كلاماً إلى بلده وحمل رئاسته بعد أن أنسى الجائزة، ووفر الإسهام والأقطاع، وأنفذ الصكوك والكتب: فرجع إلى توزر يحيى بن محمد بن أحد بن يملول صبياً مقتلماً، وإلى نفطة علي بن الحلف بن مدافع. وإلى ققصة أحد بن عمر بن العابد وأنزل بكل واحد من هذه الأمصار عاماً وحاماً. وعقد على الجريد كلّه لمسعود بن إبراهيم بن عيسى اليرينياني من طبقة وزرائه، واستوصى بهؤلاء الرؤساء خيراً في جواره حتى إذا كانت نكبة السلطان بالقيروان سنة تسع وأربعين وسبعينه وارتخل عامل الجريد مسعود بن إبراهيم بزيد المغرب بن معه من العمال والحامية، وهي خبره إلى الأعراب من كرفة فصحبوه في بعض مراحل سفره دون أرض السازاب فاستلهموه ومن كان معه من الحامية، واستولوا على أعيتهم وذخيرتهم وكراعهم، واستبد رؤساء تلك البلاد بأعيتهم وعادوا إلى دينهم من التمرين، وأذانوا بالدعاء لصاحب الحضرة متبرهم، واستمروا على ذلك.

فاما يحيى بن محمد بن يملول فنزع إلى مناغة الملوك في الشارة والمحاجب واتخاذ الآلة والبيت المقصور للصلوة، وافتقد الأبركة وخطاب التمويل وفسح للمجون العكوف على اللذات مجالاً يرى أن جماع السياسة والملك في إدارة الكأس وافتراض الآس والحجية عن الناس والتاله على الدمنان والجلاس. وفتح مع ذلك على رعيته وأهل إياته باب العسف والجور. وربما يبيت المشاهير منهم غيلة فاتلت فنوسهم، وامتد أمره في ذلك إلى أن استولى السلطان أبو العباس على إفريقية، وكان من أمره ما ذكره.

واما جاره الجنب على بن الحلف فلم يلبث لما استبد برئاسته أن حج سنة أربع وستين وسبعينه والترم مذاهب الخير وطرق الرضى والعدالة، وهلك سنته خمس وستين وسبعينه بعدها وولي مكانه ابنه محمد جارياً على سنته. ثم هلك لستة من ولاته،

وحدثته نفسه بالاستبداد، وأقام يتحين له الفرصة وذهب الأمير أبو بكر إلى زارة أخيه بتوزر تكاده بالتلخف عنه، وجمع أوصياساً من الغوغاء والزعانف وتقدم بهم إلى القصبة وبعث بالصريح للفتك بعد الله التريكي ونذر بذلك فاغلق أبواب القصبة وبعث الصريح في أهل القرى، وقاتلهم ساعة من نهار حتى وافى إليه المدد. فلما استغلت بعده أدركهم الدعش وانقض الأشرار من حوله وجلأوا إلى الاختفاء في بيوت البلد، وتقبضوا على الكثير من داخلهم في الثورة، ووصل الخبر إلى الأمير أبي بكر بتوزر فبادر إلى مكان، وقد سكنت الجماعة واستلحم جميع من تقضى عليه حاجبه ونادى في الناس بالبراءة من ابن أبي زيد فتبذروا منه. وعشرون الحرس عليه وعلى أخيه خارجين من أبواب البلد في زي النساء فقادهما إليه فقتلهمما بعد أن مثل بهما.

وبادر المولى المتصر بتوزر لقتل الخلف بن الخلف أن يخوض في مثلها فذهب في غير مرحلة لم يعطف عليه رحم، ولا تكثه سماء ولا أرض. واستبد السلطان بالجريدة وحاص منه آثار المشيخة وعضا عليها وانتظم في عمارات السلطان.

واما بلد الحامة وهي من عمالات قسطنطيلية وتعرف بجمالية قابس وحامة مطمطة نسبة إلى أهلها الموطنين كانوا بها من البربر، وهم فيما يقال الذين اخترعوا، وأما الآن ففيها ثلاث قبائل من توجن وبني ورياجن وهم في العصبية فرقتان: أولاد يوسف ورئاستهم في أولاد أبي منيع وأولاد جحاف ورئاستهم في أولاد شراح، ولا أدرى كيف نسب لفرقتين: فاما بني أبي منيع فالحديث عن رئاستهم في قومهم أن جدهم رجا بن يوسف كان له ثلاثة من الولد وهم بوساك محمد وملاحة وأن رئاسته بعده كانت لابنه بوساك، ثم ابنة أبي منيع من بعده، ثم لابنه حسن بن أبي منيع، ثم لابنه محمد بن حسن، ثم أخيه موسى بن حسن ثم أخيهما أبي علان إلى أن كان ما ذكر.

واما أولاد جحاف فكانت أول رئاستهم محمد بن أحد بن شراح، وقبله خاله القاضي عمر بن كلبي، وكان العمال من الحضرة يتعاقبون فيهم إلى أن أسقط السلطان عنهم الخراج والمغارم بامرها. وكان مقدمهم لأول دولة السلطان أبي بكر من أولاد أبي منيع، وهو موسى بن حسن. وكان المديوني قائد السلطان ولدًا عليهم، وارتبا لهم بعض الأيام وأحبوا الثورة به، فدس بها إلى السلطان في بعض حراته، وغزاهم بنفسه ففروا، وأدرك سبعه من أولاد يوسف هؤلاء وتقضى عليهم قتلوا. ثم رجع الأمير وولى موسى بن حسن. ولا هلك ولبي بعده آخره أبو عنان، وطال أمر ولايته عليهم وكان منسوباً إلى الخبر والعفاف.

فقاتلوها يوماً أو بعضاً يوماً، وغدا في ثانية على تخليهم يقطعها فكانوا يقطع بذلك أمعاهم فتبرأوا من مقدمهم، وشعر بذلك فبادر إلى السلطان ونزل على حكمه فتقبض عليه وعلى ابنه شهر ذي القعدة من سنة ثمانين وسبعيناً وملك البلد، واستول على ديار ابن العابد بما فيها. وكان شيئاً لا يعبر عنه لطول أيامه في الولاية وكثرة احتجاجه للأموال.

وعقد السلطان على ققصة لابنه أبي بكر وارتحل يريد توزر، وطار الخبر لابن يملول في توزر فقوض عنها باهله، ونزل على أحيا مرداس وسررب فيهم المال فرحلوا معه إلى الزاب، ولحق بيسكرا مأوى نكباته ومتعبه مفره، فنزل بها على أحد بن يوسف بن مزني وأقام هناك على قلعة من توقع مطالبة السلطان له وجلاره ابن مزني وخسارة أمواههم في زيون العرب وسوء المنية إلى أن هلك لستة أو نحوها واتمر أهل توزر. بعد تقويضه عنهم، وبعثوا إلى السلطان بيعتهم فلقيه أثناء طريقه، وتقدما إلى البلد فنزل بقصور ابن يملول واستول على ذخيرته وتبراً إليه أهل البلد من ودانع كانت له عندهم من خالص الذخيرة فرفعوها إلى السلطان. وعقد لابنه المتصر على توزر واستقدم الخلف بن الخلف من نقطة، وكان يختلف أصحابه إلى الطاعة حتى تقضوها زبوناً على يملول وسالفة من العداوة كان يتقبلها. فلما أحيط بهم أدركه الدهش بطاعته فأثناها، وقدم عليه فتقبل السلطان ظاهره وأغضى له عن غيرها طمعاً في استصلاحه، وعقد له على حجابة ابنه المتصر وأنزله منه بتوزر وأمره بالاستخلاف على بلده نقطة وعقد على ولاتها وانكفا راجعاً إلى المحضر، وقدم ابن خلف على أمره ورأى أنه قد ترط في الملة فراسل ابن يملول بمكانته من توزر، وعثر أولياء السلطان على كتابه إلى بعموب بن علي شيخ رياح ومدرة حروبهم على صريح ابن يملول ومعونته، فعلموا نكبه ومداجاته وقادوا إلى القبض عليه، وولوا على نقطة من قبلهم وخطبوا السلطان بالشأن وأقام في اعتقاله إلى أن كانت حادثة ققصة، فبادر الأمير المتصر إلى قتله.

وكان من خبر ققصة أن ابن أبي زيد من مشيختها كان نزع إلى السلطان قبل فتحها هو وأخوه لمنافسة بينهما وبين ابن العابد وهما: محمد وأحمد ابنا عبد العزيز بن أحد بن علي بن عمر بن أبي زيد. وقد ذكرنا أوليائهم واستعمال سلفهم أيام الأمير أبي زكريا الأعلى في جباية الجريد. فلما استول على البلاد رعن لها تشيعهم ويدارهم إلى طاعته مع قدمهم فائز لمنا مع ابنهما بقصصة وكثيراً ما رديف حاجبه عبد الله من المولى الأشراك ومدير لأمور البلد في طاعة السلطان. ثم نزع الشيطان في صدره

وانتسمت دولة صنهاجة الطوائف، انتزى بقباس وصنهاجة المعز ابن محمد الصنهاجي وأدال منه مونس بن يحيى الصنبرى من مرداس رياح بأخيه إبراهيم إلى أن هلك. وولى أخوه قاضى بن إبراهيم، ثم نازله أهل قابس فقتلوه أيام تيم بن العز بن باديس فباعوا العز بن المعز بن باديس كان مخالفًا على أخيه، وذلك سنة تسع وثمانين وأربعين. ثم غلبه عليها أخيه تيم وكان مغلبًا للعرب. وكانت قابس وضواحيها في قسم زغبة من عرب هلال.

ثم غلبتهم رياح عليها ونزل مكن بن كامل بن جامع من بني دهمنا إخوة فادغ وهم معاً من بني علي إحدى بطون رياح فاستحدث بها مكن ملوكًا لقومه بني جامع وأورثه بنيه إلى أن استولى الموحدون على إفريقية وبعث عبد المؤمن عساكره إلى قابس فقر عنها مدافع بن رشيد آخرهم وانتظمها كما ذكرناه في أخبارهم ولملها، وانقراض ملك بني جامع وصارت قابس وأعمالها للموحدين، كان ولاة إفريقية من السادة يولون عليها من الموحدين إلى أن تغلب بنو غانية وفراوش على طرابلس وقابس وأعمالها، وكان ما ذكرناه في أخبارهم.

ثم غلب الموحدون يحيى بن غانية عليها وأنزلوا بها عماهم. ولما عاد بني أبي حفص إلى إفريقية العودة الثانية بعد مهلك الشیخ أبي محمد عبد الواحد، وعقد العادل على إفريقية لابنه أبي محمد عبد الله معه على قابس للأمير أبي زكريا أخيه فتزلاه أميرًا. ثم كان من شأن استبداده وخلعه لأنخيه ولطاعة بني عبد المؤمن ما ذكرناه. وكان مشيخة قابس لذلك العهد في بيت من بيوتها، وهم بنو مسلم لم يحضرني فيمن هو نسبهم.

وبني مكي ونسبيهم في لواحة وهو مكي بن فراج بن زيادة الله ابن أبي الحسن بن محمد بن زيادة الله بن أبي الحسين اللواتي. وكان بنو مكي هؤلاء خالصة للأمير أبي زكريا. ولما اعتزم على الاستبداد داخل أبو القاسم عثمان بن أبي القاسم بن مكي وتسلّم لهأخذ البيعة على الناس فكان له ولقومه بذلك مكان من المولى أبي زكريا، رعى لهم ذمتها ورفع من شأنهم بسيبهها، ورموا بني سليم نظراهم في رئاسة البلد بصالغيتهم إلى ابن غانية فأندوا ذبائحهم بالله واستقلوا بشورى بلدتهم. وأقاموا على ذلك أيام المولى أبي زكريا الأول وابنه المستنصر. ثم كان ما تدمناه من مهلك الواثق بن المستنصر وبنيه على يد عمهم السلطان أبي إسحاق. وكان من أمر الدعي بن أبي عمارة، وكيف شبه على الناس بالفضل بن المخلوع مجيلة من مولاهم نصير. رام أن يشار بها من قاتلهم فنمت مكيدته في ذلك لما أرداه الله.

ولما أثار نصر أمراه وتسايلت العرب إلى يعته خاطب

وذلك سنة اثنين وأربعين وسبعين وسبعيناً وولي بعده ابن عمر ثم ابن الآخر أبو زيان. ثم ولي بعدهما ابن عمهم مولاهم ابن محمد. ووفد على السلطان أبي الحسن مع وفد أهل الجريد كما مر. ثم هلك فولى بعده من بني عمهم حسان بن هجرس، وثار به محمد بن أحمد بن وشاح من أولاد حجاف المذكور فعزله، وأقام في ولايته إلى سنة ثمان وسبعين وسبعيناً فثار به أهل الحامة وقتلوا عمر بن كل القاضي، وولوا عليهم حسان بن هجرس واليهم.

ثم ثار به يوسف واعتقله وهو يوسف بن عبد الملك بن حجاج بن يوسف بن وشاح وهو الآن مقدمها يعطي طاعة معروفة، ويستدعى العامل في الجالية وسراج عن المصودقة والتغلب والاستيلاء، وقد أحاط به من كل جهة.

وأعلى على بعض نسبتهم أن مشيخة أهل الحامة في بني بوسباك. ثم في بني تامل بن بوساك. وأن تامل رأس عليهم وأن وشاحاً من ولد تامل وأن بني وشاح، على فرقتين: بنو حسن وبنو يوسف، فحسان بن هجرس ومولاهم وعمر وأبو علان كلهم من بني حسن، ومحمد بن أحمد بن وشاح من بني يوسف، وهذا خالف للأول، والله أعلم بالصحيح في أمرهم.

واما نفزاوة وأعمال قسطلية فتنسب لهذا العهد إلى توzer وهي القرى العديدة المقدرة السير، يعترض بينها وبين توzer إلى قبلة عنها السبخة المشهورة المانعة في الاعتساف، إلا معالم قائمة من الخشب يهتدى بها السالك، وربما يصل خاصتها قبليه. ويسكن هذه القرى قوم من بقايا نفزاوة من البربرية البتر الذين يقروا هناك بعد انقراض جهورهم، وتحيف العرب لسائر بوطون البربر، ومعهم معاهدون من الفرنجة يتسبون إلى سردانية نزلوا على الذمة والجزية وبها الآن أعقابهم. ثم نزل عليهم من عرب الشريد وزغلب من بني سليم كل من عجز عن الظعن، وملكون بها العقار والمياه وكثروا نفزاوة، وهم لهذا العهد عامة أهلها وليس في أعمال توzer هذه رئاسة لصغرها ورجوعها في الغالب إلى أعمال توzer ورئاستها. هذا حال المتقدمين ببلاد الجريد في الدولة الخصبة أو ردنا أخبارهم فيها لأنهم من صناعها، وفي عداد ولائيها ومواليها، والله متولي الأمور.

## الخبر عن بني مكي رؤساء قابس وأعمالها

كانت قابس هذه من ثغور إفريقية ومتنظمة في عمالتها، وكان ولاتها من القبروان أيام الأغالبة والعبيدين وصنهاجة من لدن الفتح، ولما دخل الملاليون إفريقية وا Paxtrist أمورها

وقفل حزبة بن عمر بشفاعة السلطان أبي الحسن إلى السلطان أبي يحيى في شأنه فتقبل وسليته واستخلصه لنفسه من بعدها، واستقام هو على الطاعة التي لم تجد ولية عنها، وسلمك سبيله تلك أقتاله من الدولة الطائجين في هرة الشناق، فأوفد عبد الملك هذا شقيقه أحمد على السلطان أبي الحسن متصللاً من ذوره لاثناً شفاعةه متولاً بما قدمناه من خدمته حظاً في طريقهن إلى الحج ذاهباً وجائياً، فخاطب السلطان أبي يحيى في شأنه وأعاده إلى مكانه من اصطناع سلفه واستقام على طاعته. ولما انظم السلطان أبو يحيى سائر البلاد الجريدية في ملوكه وعقد عليها لابنه أبي العباس ولـي عهده، وأنزله دار إمارتها متزدداً ما بين توzer وقصصة إلى أن قُتل عمته من الحج ستة وأربعين وسبعيناً، وخرج للقائها مخفياً بين الطلعان فجمعه مجلسها بأحمد بن مكي كان قد اعتمد تلقّيها والقيام بصحابتها في مراحل سفرها من بلده إلى آخر عمله، فمسح الأمير أبو العباس الإحرن عن صدره وأدال له الأمان والرضي من توحشه، واستخلصه لدولته ونجوى أسراره واصطفاه لنفسه وحمله رديفاً حاجبه، فحل من دولته بمكان غبطة فيه امتيازه من أمراء تلك الطوائف.

وعقد له السلطان أبو بخي على جزيرة جربة بوسيلة أبي العباس ابنه، وقد كان انتقاماً مخلوف بن الكلاد من صناعتهم من يد العدو أهل صقلية كما ذكرناه، فضمنها إليه وصيরها في أعماله. ولم ينزل هذا شأنه معه إلى أن هلك أبو العباس ولـي العهد بتونس على يد أخيه أبي حفص عمر عندما دخلها بعد مهلك أبيهما كما ذكرناه، ولـقـتـهـ اـحـدـ بـنـ مـكـيـ بـلـدـهـ. ثـمـ سـارـ فـيـ وـفـدـ رـؤـسـاءـ الجـرـيـدـ إـلـىـ تـلـقـيـ السـلـطـانـ أـبـيـ الـحـسـنـ عـنـدـ نـهـرـهـ إـلـىـ إـفـرـيقـيـةـ سـنـةـ ثـمـانـ وـأـرـبـعـينـ وـسبـعـمـائـةـ وـلـقـيـهـ مـعـهـ بـوـهـرـانـ مـنـ أـعـمـالـ تـلـمـسـانـ، وـكـانـ قـدـمـهـ عـنـهـ فـوـقـ قـدـمـهـ. وـرـجـعـ الرـفـدـ عـلـىـ أـعـاقـابـهـ مـعـبـورـينـ. وـتـمـكـنـ بـأـحـدـ بـنـ مـكـيـ فـيـ جـلـتـهـ إـلـىـ الـخـضـرـةـ، وـوـفـدـ عـلـيـهـ أـخـوـهـ عـبـدـ الـلـكـ مـؤـديـ طـاعـةـ السـلـطـانـ، فـكـرـمـ مـوـصـلـهـ وـأـحـسـنـ مـتـلـبـهـمـ جـيـعـاـ إـلـىـ بـلـدـهـمـ عـلـىـ مـاـ كـانـ يـبـدـهـمـ مـنـ عـمـلـ قـاـبـسـ وـجـرـيـةـ. ثـمـ كـانـ تـكـبـةـ السـلـطـانـ أـبـيـ الـحـسـنـ عـلـىـ القـيـرـوانـ نـفـرـدـ عـلـيـهـ أـحـدـ بـتـونـسـ بـعـدـ خـلوـصـهـ مـنـ القـيـرـوانـ مـجـدـداـ لـهـدـ طـاعـتـهـ، فـارـادـهـ السـلـطـانـ عـلـىـ الـامـتـانـ لـعـبـدـ الـراـحـدـ الـلـحـيـانـيـ سـلـطـانـهـ الـأـقـدـمـ، وـعـقـدـ لـهـ عـلـىـ تـلـكـ الشـغـرـ الـشـرـقـيـةـ، وـأـنـزلـهـ جـرـيـةـ، وـأـمـرـهـمـ بـالـطـاعـةـ لـهـ مـاـ دـامـ فـيـ طـاعـتـهـ. وـعـقـدـ لـأـبـيـ الـقـاسـمـ بـنـ عـتـوـ شـيخـ الـمـوحـدـيـنـ عـلـىـ تـوزـرـ وـقـسـطـنـطـيـنـ بـعـدـ أـنـ كـانـ قـطـعـهـ عـنـدـمـاـ قـبـضـ عـلـيـهـ فـيـ وـاقـعـةـ السـلـطـانـ أـبـيـ حـفـصـ عمرـ. ثـمـ اـسـتـقـبـلـ رـأـيـهـ فـيـ سـتـخـلـاصـهـ عـنـدـمـاـ اـنـقـضـ عـلـيـهـ أـبـوـ مـحـمـدـ بـنـ تـافـرـاكـينـ. وـلـاـ رـجـعـ

لأول أمره رئيس قابس للذلك العهد من بنى مكي عبد الملك بن عثمان بن مكي فسارع إلى طاعته وحل الناس عليهما، وكانت له بذلك قدم في الدولة معروف رسوخه.

ولما ألقى الداعي بن أبي عمارة جسداً على كرسي الخلافة سنتين إحدى وثمانين وستمائة قلده خطة الجباية بالحضور مستقلاً فيها بالولاية والعزل والفرض والتقدير والحسban بعد أن أجزل من بيت المال عطايه وجرايته وأنسني رزقه وجرايته وأهدي الجواري من القصر إليه. ولما هلك الداعي واستقلت قدم الخلافة من عثارها كما قدمتها سنتها ثلاثة وثمانين وستمائة حتى عبد الحق بن مكي ببلده وامتنع بها على حين ركود ريح الدولة وفشلها، ومرض في طاعته ودافع أهل الدولة بالداعم للخليفة على منابرها. ثم جاهر بالخلعان سنة ثلاثة وستين وستمائة وبعث بطاعته إلى صاحب الشغور المولى أبي زكريا الأوسط. وهلك ابنه أحمد ويل عهده ستة سبع وستين وستمائة. ثم هلك هو من بعده على رأس المائة السابعة، وتختلف حافظه مكي فنصبوا يفعنة. وكفله ابن عممه يوسف بن حسن وقام بالأمر مستنداً عليه إلى أن هلك، وخلفه في كفالة أحمد بن ليران من بيت أهل قابس أصحابه بني مكي والتلات أمرهم بهلك يوسف فقلتهم السلطان ابن اللحبياني إلى الحضرة، وأقاموا بها أيام، ثم ردهم إلى بلدتهم أيام تجافيه عن تونس وخرجوه إلى ناحية قاسن.

ثم هلك خلال ذلك مكي، وتختلف صيغين ياقفين عبد الملك وأحمد فكتلهما أحمد ابن ليران إلى أن شبا واكتهلا، وطما من الامتناع على الدولة والاستبداد بأمر القطر والاقتصار على الدعاء للخليفة مثل ما كان لأبيهما وأكثر لتقلص ظل الملك عن قدرهم، وشغل السلطان بمدافعة آل يغماسن وعساكرهم عن التغور الغربية، وإنجلاتهم بالأعياص من أهل البيت على الحضرة،

ولما هلك السلطان أبو بخي اللحياني قفل ابنه عبد الواحد إلى المغرب يحاول أسباب الملك، ونزل بساحتهم على ما كان من صنع أخيه لهم فذكروا العهد، وأوجبوا الحق وأتوا بيعتهم، وقام كبيرهم عبد الملك بأمره ودعا الناس إلى طاعته، وخالف السلطان أبي بخي عنده نهوضه إلى الشغور بمحاجة سنة ثلاثة وثلاثين وبسبعيناته كما قدمنا، فدخل المحضره ولبث بها أياماً لم تبلغ نصف شهر، وبلغ خبرهم إلى السلطان فانكفا راجعاً وفرروا إلى مكانتهم من قابس، والدولة تنظر إليهم الشzer وتتربيص بهم الدوائر إلى أن غلب السلطان أبو الحسن على تلمسان وعما دولة آل يغمراسن، وفرغت الدولة من شأنهم إلى تمهيد أعمالها وتقويم المنحرفين عن الطاعة من ولاتها.

مكى على طرابلس فاستقل بها، وعقد لأنجيه عبد الملك على قابس وجريدة وأقاموا على دعوته. ومد أحد يده إلى صفاقس فنازلاه وتغلب عليها سنة سبع وخمسين وسبعينة وهلك السلطان أبو عنان وقد شرق صدر ابن تافراكتين الغالب على الحضرة بعداً وتهمناً فردد عليهم البروث براً ومحراً إلى أن استخلص جزيرة جربة من أيديهما أعواام أربعة وستين وسبعينة وعند عليها لولده محمد فاستخلف بها كاتبه محمد بن أبي القاسم بن أبي العيون من صنائع الدولة كما ذكرناه.

وهلك ابن الحاجب بن تافراكتين الغالب على الحضرة على ثانية مهلك الحاجب بن تافراكتين بالحضره فكانهما ضرباً موعداً للهلاكه وتوفاهما. وتختلف ابنه عبد الرحمن بطرابلس في كفالة مولاه ظافر العلچ، وهلك ظافر إثر مهلكه فاستبد عبد الرحمن بطرابلس وساعته سيرته فيها إلى أن نازله أبو بكر بن محمد بن ثابت في سطحه كما ذكره سنة اثنين وسبعين وسبعينة. وأجلب عليه بالبرابرة والعرب من أهل الوطن فانتقض عليه أهل البلد وشاروا به. وبادر أبو بكر بن ثابت لاتخاذها عليه وأسلمه ففر إلى بيت أحد أمراء دباب فأجراه إلى أن أبلغه مامنه من محللة قومه، وإياله عمه عبد الملك بقابس إلى أن هلك سنة تسعة وسبعين وسبعينة ولم يزل عبد الملك لهذا العهد وهو سنة إحدى وثمانين وسبعينة ولما على عمله بقابس وابنه يحيى مستبد بوزارته، وحالفه عبد الوهاب لابنه مكى ردف له، وقد تراجعت أحوالهم مما كانت وخرجت من أيديهم الأعمال التي كانت في عمالتهم لعهد أخيه أحد مثل: طرابلس وجزيرة جربة وصفاقس وما إلى ذلك من العمارات حتى كان الختح إنما كان لأنجيه، واليمين إنما اقترن بحياته وسيرتها جميعاً من العدالة ومحري مذاهب الخير والسمت، والاتساع بسمات أهل الدين وحيلة الفقه معروفة حتى كان كل واحد منهم إنما يدعى بالفقه علمياً بين أهل عصره حرصاً على الانتماس في مذاهب الخير وطريقه. وكان لأحمد حظ من الأدب، وكان يقرض الآيات من الشعر فيجيد عفان الله عنه. وله في الترسيل حظ وواسع بلاغة وخط، وينحر في كتابه منحى أهل المشرق في أوضاع حروفهم وأشكال رسومها، ولأنجيه عبد الملك حظ من ذلك شارك به جهابذة أهل عصره وآفاقه.

ولما انظم السلطان أبو العباس أمصار إفريقية في مملكته واستبد بالدعوة الخففية على قومه داخل أهل الجريد منه السروح، وفزعوا إليه للمقاومة في الامتناع فدخلهم في ذلك وأشاروا إلى صاحب تلمسان بالترغيب في إفريقية فعجز عنهم وألحوا عليه فخام عن العداوة، وزحف مولانا السلطان خلال ذلك إلى الجريد

من القبiron إلى تونس عقد له على توزر كما ذكرناه، ولعبد الواحد بن اللحاني على قابس وجريدة فاسف بذلك بنى مكى هؤلاء.

وهلك ابن اللحاني حين نزوله مجربة بما أصابه من علة الطاعون الجارف سنة تسع وأربعين وسبعينة فانتقض بنو مكى على السلطان أبي الحسن ودعوا إلى المخروج عليه وبایعوا الأفضل ابن السلطان أبي يحيى عندما أفرج عن حصار تونس سنة خمسين وسبعينة، ودخلوا أبا القاسم بن عتو وهو إذ ذاك لم يتزوج، فأجابهم وكانت من دواعي رحلة السلطان أبي الحسن من إفريقية وتفويضه عنها كما قدمناه. ولما راجع الحاجب أبو محمد بن تافراكتين من المشرق، واستقل بأمر تونس، ونصب الإمام أبا إسحاق ابن السلطان أبي يحيى للخلافة بها في كفالتها غصروا بمكانه من التغلب وأنفوا من استبداده، وأخغروا إلى دعوة الأمير أبي زيد صاحب نهر قسطنطينية. ووفد عليه أحد بن مكى مع محمد بن طالب بن مهلهل كبير البدو بإفريقية فيمن إليه فاستنهضوه وقلده الأمير أبو زيد حجابته وجعل أمره إليه. وأبرز الحاجب أبو محمد تافراكتين سلطانه أبا إسحاق في عساكره مع خالد بن حزة وقومه فالتحق الجماعون برجنته وجاؤوا على أثرهم فنازلا تونس سنة ثلاثة وخمسين وسبعينة وجاؤوا على أثرهم فنازلا تونس أيامأً وما أفرجوا عنها إلا للصائح يخبرهم باحتلال عساكر بنى مرين بالمرية من آخر أعمال تلمسان، وأن السلطان أبا عنان قد استلهم بنى عبد الرواد، وجمع كلمة زنانة، واستقام له أمر المغاربة، وأطل على الشغور الشرقي فافتراق جعهم. ولحق الأمير أبو زيد بقسطنطينية، وأخذ بن مكى بقابس وسأل من الأمير أبي زيد أن يقسم رسم الإمارة بينهم في قابس وجريدة بأخيه السلطان أبي العباس فاذن له في ذلك، فكانت أول ولايته السعيدة ومضى إلى قابس فنزلها، ثم أجاز البحر إلى جربة، ودفع عنها العسكر الذي كان محاصراً للشتيل من قبل ابن ثابت صاحب طرابلس، ورجع إلى قابس حتى كان من أمره ما ذكرناه.

وأوفد السلطان أبو العباس أبا يحيى زكرييا على أبي عنان ملك المغرب صريحاً على شأنه، وأوفد ابن مكى رسلاً متذاماً ومذكراً بوسائله فقبل وأغضى. ثم كانت واقعة المدو دمرة الله بطرابلس سنة أربع وخمسين وسبعينة كما قدمناه فبعث إلى السلطان أبي عنان يسأله فديتها والنظر لها من بين ثغور المسلمين، فحمل إليه خمسة أحوال من الذهب العين من بيت المال، أوفد بها من أعيان مجلسه: الخطيب أبا عبد الله بن ممزوق، وأبا عبد الله محمد حافظ المولى أبي علي عمر بن سيد الناس. وعقد لأحمد بن

ملك قابس فأجابوه وساروا معه فبيتها ودخلها وقبض على مجىئي بن عبد الملك فضرب عنقه، وانقرض أمر بيبي من قابس، والله الأمر من قبل ومن بعد، وهو خير الوارثين.

## الخبر عن بنى ثابت رؤساء مدينة طرابلس وأعمالها

قد تقدم لنا شأن هذا البلد لأول الفتح الإسلامي، وأن عمرو بن العاص هو الذي تولى فتحه، ويقى بعد ذلك من جملة أعمال إفريقية، تستحب عليه ولاده صاحبها، فلم يزل ثنراً لهذه الأعمال من لدن إمارة عقبة ومن بعده وفي دول الأغالبة. وكان المعز الدين الله من حلفاء الشيعة لما ارتحل إلى القاهرة، وعقد على إفريقية لبلكين ابن زيري بن مناد أمير صنهاجة، عقد على طرابلس لعبد الله بن مختلف من رجالات كتابة. ثم لما ولي نزار الخلافة سنة سبع وستين وثلاثمائة طلب منه بلكين أن يضيف عمل طرابلس إلى عمله فأجاب وعهد له بها، وولى عليها بلكين من رجالات صنهاجة، ثم عقد عليها الحاكم بعد مهلك المتصور بن بلكين ليائس الصقلبي سنة تسعمائة وثلاثمائة بمداخلة عاملها يحصل من صنهاجة، وأعانه على ذلك برجوان الصقلبي المتغلب على الدولة يومئذ لمنافسه ليائس، فوصل إليها في ألف وخمسمائة فارس فملكها، فسرح بادييس جعفر بن حبيب لحربي في عسكر من صنهاجة، وتزاحفاً يومين بساحة زنزور، ثم انقض عسكر يائس في الثالث وقتل، ولحق فله بطرابلس فاعتصموا بها. ونازح جعفر بن حبيب القائد، وزحف فلفول بن سعيد بن خزرون الشائر على بادييس وابنه ياغريقيه إلى قابس فحاصرها.

ثم قصد جعفر بن حبيب مكانه من حصار طرابلس فأخرج عنها جعفر ولحق بنفسه، وأميرهم مجىئي بن محمد فامتنع عليهم، ثم لحق بالقريوان ومضى فلفول بن سعيد إلى طرابلس فخرج إليه فحوج بن علي ومن معه من أصحاب يائس فملكوه، وقام فيها بدورة الحاكم من حلفاء الشيعة وأوطتها. وعقد الحاكم عليها ليحيى بن علي بن حدون أخي جعفر صاحب المسيلة النازع إليه من الأندلس فوصل إليها واستظهر بفلقول على مجاهدة، ونازح قابس فامتنعت عليه. ثم عجز عن الولاية ورأى استبداد فلفول عليه بعصبه فرجع إلى مصر، واستبد فلفول بطرابلس وتداوها بنره مع ملوك صنهاجة إلى أن استبدوا بها آخرًا. ودخل العرب المسلمين إلى إفريقية فخربوا أوطانها وطمسوا معالمها. ولم تزل باليدي بنى خزرون هؤلاء إلى أن غلبهم عليها جرجي بن ميخائيل

فملك قصبة وتوزر ونقطة فبادر ابن مكي إلى التلبيس بالاستقامة وبعث إليه بالطاعة. ثم رجع السلطان إلى الحضرة فرجع هو عن المصدقة واتهم أهل البلد بالليل إلى السلطان فتقبض على بعضهم وفر آخرون. وانتقض بنو أحد أهل ضواحيه من دباب فنازله ويعثروا إلى الأمير الأكبر أبي يكر بقصبة في العسكر لمنازله، فبعثه إليهم وأحاطوا به. ثم انتهز الفرصة وداخل بعض العرب من بني علي في تبييت العسكر، وبذل لهم في ذلك المال فيبيتوه وانقض وبلغ الخبر إلى السلطان فخرج من حضرته سنة إحدى وثمانين وسبعينة ونزل القيروان وترافت إليه أحاديث ويعث رساته للأذار بين يديه فردهم ابن مكي بالطاعة ثم احتمل رواحله وتزل بأحياء العرب.

وأغدَّ السلطان السير إلى البلد فدخلها واستولى على تصورها، ولاذ أهل البلد بالبيعة فآتوها واستعمل عليهم من بطانته وانكفاً راجعاً إلى تونس. وهلك عبد الملك لأيام قلائل بين أحياء العرب. وهلك بعده ابنه عبد الرحمن ابن أخيه أحد الذي كان صاحب طرابلس بعد أبيه، ولحق ابنه مجىئي وحافده عبد الزهاب بطرابلس فمنهم ابن ثابت من التزول بيده لما كان متسلكاً بطااعة السلطان، فنزلوا بزنزور من بلاد دباب التي بضواحيها وأقاموا هنالك. واستقامت النواحي الشرقية على طاعة السلطان وانتظمت في دعرته والله مالك الملك.

ثم ذهب مجىئي بن عبد الملك إلى المشرق لقضاء فرضه، وأقام عبد الوهاب بين أحياء البربر بالجبال هنالك، وكان الوالي الذي تركه السلطان بقابس قد ساء أثره في أهلها، فدس شيعتهم إلى عبد الوهاب بذلك وجاء إلى البلد فيبيتها، وثاروا بالرالي فقتلوا ستة ثلاث وثمانين وسبعينة وملك عبد الوهاب قابس وجاء آخره مجىئي من المشرق بعد قضاء فرضه، فأجلب عليه مراراً سرور ملكها منه، ولم يتها له، ونزل على صاحب الحمة فدخله عبد الوهاب في أن يمكّنه منه، ويشترط ما شاء. وتم ذلك بينهما وأوثقه كفاناً وبعث به إلى واعتلبه بقصر العروسين، فمكث في السجن أعواماً. ثم فر من محبسه ولحق بالحامة على مرحلة من قابس مستجدلاً بابن وشاح صاحبها، فأنجده. وما زال يجلب على نواحي قابس إلى أن ملكها وتقبض على عبد الوهاب ابن أخيه مكي فقتلته أعراماً تسعمائة. ولم يزل مستيناً بيده إلى سنة ست وتسعين وسبعينة وكان الأمير عمر ابن السلطان أبي العباس قد بعثه أبوه لحصار طرابلس فحاصرها حولاً كما نذكره، حتى استقام أهلها على الطاعة وأعطوا الضريبة فأفراج عنها. ورجع إلى أبيه فولاه على صفاقس وأعمالها فاستقبل بها، ثم داخل أهل الحامة في

سعيد بن طاهر المزوجي وملك أمر البلد، وكان معه أبو البركات بن أبي الدنيا فمات حتف أنفه. واستقل ابن طاهر بأمر طرابلس اثنى عشرة سنة. ثم هلك وقام بأمرها ثابت بن عمار الزكوجي من قبائل هوارة. وثار به لستة أشهر من ولايته أحد بن سعيد بن طاهر فقتلته واستبد به. ثم ثار به جماعة زكوجة وقتلوه في مقتله عند الأذان بالصبيح، وولوا حمداً ابن شيخهم ثابت بن عمار أعوام سبعة وعشرين فاستبد بأمر طرابلس مخواً من عشرين سنة وظل الدولة متخلص عنه. وهو يغاظل عن الإمارة بالتجارة والاحتراف بها ولبوس شارتها، والسعى راجلاً في سكك المدينة يتناول حاجاته ومامعنه بيده وبخالط السوق في معاملاته، يذهب في ذلك مذهب التخلق والتواضع يسر منه حسراً في ارتفاعه، ويطلب العامل من تونس، فيعيشه السلطان على طرابلس يقيم عنده معملاً في تصريفه. وهو يبراً إليه ظاهراً من الأحكام والنقض والإبرام إلى أن كان تغلببني مرين على إفريقية. ووصل السلطان أبو الحسن إلى الحضرة على ما ذكره، فداوله طرف الجبل وهو عسك بظرفه، وتقليل إلى الإسكندرية ماله وذخيرته. ثم أغاثله أثناء ذلك جماعة من مجريش عند داره فقتلوه، وثار منهم للجين بطانة وشيته. وولي بعده ابنه ثابت، فتزيا بزمي الإسارة في اللبوس والركوب محلية الذهب، وأخذوا الحجاب والبطانة.

وأقام على ذلك إلى أن اجتمع بها أسطول من تجار النصارى أغلقوا أمرهم لكثرة طرقوهم وترددتهم في سبيل التجارة، وكثرة ما يغشاها من سفنهم، فغدروا بها ليلًا وثاروا فيها وکثروا أهلها فأسلم الخامدة إليهم باليد. وفر مقدمهم ثابت إلى حلقة أولاد مرمغم أمراء الجواري في أخانها فقتلوه صريراً لدم كان أصابه منهم في رئاسته، فكانت مدة ست سنين، وقتلوا معه أخاه عمارة.

واكسح النصارى جميع ما كان بالبلد من الذخيرة والمتاع والخزني والماعون، وشحذوا السفن بها وبالأسرى من العقائل والخامية مصفدين، وأقاموا بالبلد أياماً على قلق ورهب من الكورة لو كان لها رجال. ثم تحدثوا مع من جاورها من المسلمين في فداتها فتصدى لذلك صاحب قابس أبو العباس أحد بن مكي وبذل لهم فيها حسيناً لأنها من الشعب استوهم أكثرها من جماعة المسلمين بالبلاد الجريدية تزلقاً إلى الله باستخلاص الثغر من بد الكفر، وذلك سنة... وحسين ولحق ولد ابن ثابت بثغر الإسكندرية فأقاموا به يحترفون بالتجارة إلى أن هلك أحد بن مكي سنة ست وستين وسبعيناً، وقام بأمره ولده عبد الرحمن، فسمى أبو بكر بن محمد بن ثابت إلى رئاسة أبيه، وذكر عهود الصبا في معاهد قومه فاكتفى من النصارى سفناً شحنها بصنائعه وموالي أبيه،

صاحب أسطول رجبار ملك صقلية من الإفرنج سنة أربعين وخمسة، وأبقى المسلمين بها واستعمل عليهم كما فعل في سواحل إفريقية فأقاموا في مملكة النصارى أيامًا. ثم ثار بهم المسلمون بدخوله أبي يحيى بن مطروح من أغيانهم وفكوا بهم. ولما افتتح عبد المؤمن المهدية سنة خمس وخمسين وخمسة وفدي عليه ابن مطروح ووجوه أهل طرابلس فأوسعهم تكرمة وردهم إلى بلدتهم. وولي عليهم ابن مطروح إلى أن كبر سنه وعجز وارتعى إلى المشرق سنة ست وثمانين وخمسة بإذن السيد زيد بن عمر بن عبد المؤمن عامل إفريقية من قبل عمه يوسف واستقر بالإسكندرية.

وتعاقبت عليها ولادة الموحدين، ثم كان من أمر ابن غانية وقرافق ما قدمته، وصارت طرابلس لقرافق. ثم استبد بنو أبي حفص بإنفاقية على بي عبد المؤمن. وهلك قرافق وابن غانية، وانتظم عمل طرابلس في أعمال الأمير أبي زكريا وبنيه إلى أن اقسمت دولتهم، واقتطعت الشغور الغربية عن الحضرة. وفشل ربع الدولة بعض الشيء وتكلص ظلها عن القاصية، فصارت رئاسة طرابلس إلى الشوري ولم يزل العامل من الموحدين يحيى إليها من الحضرة إلا أن رئيسها من أهلها مستبد عليها، وحدثت العصبية في البلد لحدوث الشورى والمنافسة فيها. ثم نزلها السلطان أبو يحيى بن البحياني سنة سبع عشرة وسبعيناً حين تجافي عن ملك الحضرة، وأحسن بزحف السلطان أبي يحيى صاحب مجانية إليها فابعد عن تونس إلى ثغر طرابلس، وأقام بها وأقام أحد بن عربي من مشيختها بخدمته.

ولا فارق ابن البحياني تونس وبنس الموحدون من عوده آخر جواهيره محمد المكنى بأبي ضربة من الاعتقال، وبإيعوال له. وخرج للقاء السلطان أبي بكر ومدافعته فهزمه السلطان أبو بكر وحمله الأعراب الذين معه على قصد طرابلس لارتفاع الأموال والذخائر الملكية من يد أبيه. ولا أحسن بذلك أبوه ركب البحر من طرابلس إلى الإسكندرية كما هو مذكور في خبره، واستختلف على طرابلس صهره محمد بن أبي عمر بن إبراهيم بن أبي حفص فقام بأمرها، وولي حجابه رجلًا من أهله يشهر بالبطيسي، فさえ أثره في أهل طرابلس، وحجب عنهم وجه الرضى من سلطانه، وحمله على مصادرتهم واستخلاص أموالهم حتى أجعوا الشورة بالسلطان فركب السفين ناجياً منهم بعد أن تعرض بعضهم لوعده فاطلعه على سعيات البطيسي بهم فقتلوا لوقته، وقتلوا قاضياً بطرابلس من أهل تونس كان يعالء على ذلك. وتولى كبر ذلك أحد بن عربي. ثم هلك وقام بأمر طرابلس محمد بن كعبور فقتله

## الخبر عن زناته من قبائل البربر وما كان بين أجيالهم من العز والظهور وما تعاقب فيهم من الدول القديمة والحداثة

هذا الجيل في المغرب جيل قديم العهد، معروف العين والأثر؛ وهم لهذا العهد آخذون من شعائر العرب في سكى الخليان والأخذ بالإبل وركوب الخيل والتغلب في الأرض وإيلاف الرحلتين، وتخطف الناس من العمران، والإيمانة عن الانقياد للنصفة. وشعارهم بين البربر اللغة التي يتراءتون بها، وهي مشتهرة بنوعها عن سائر رطانة البربر. مواطنهم في سائر مواطن البربر بإفريقية والمغرب.

فمنهم ببلاد التنجيل ما بين غدامس والسوس الأقصى، حتى أن عامة تلك القرى الجريدية بالصحراء منهم كما نذكره. ومنهم قوم بالتلول بجبال طرابلس وضواحي إفريقيا، ويجبل أوراس بقايا منهم سكنوا مع العرب المغاربة لهذا العهد، وأذعنوا لحكمهم؛ والأكثر منهم بالغرب الأوسط حتى أنه ينسب إليهم ويعرف بهم فيقال: وطن زناتة. ومنهم بالغرب الأقصى أمم أخرى، وهم لهذا العهد أهل دول وملك بالمغاربة، وكانت لهم فيه دول أخرى في القديم. ولم يزل الملك يتناول في شعوبهم حسبما ذكره بعد لكل شعب منهم إن شاء الله تعالى.

## الخبر عن نسبة زناته وذكر الخلاف الواقع فيه وتعديده شعوبهم

أما نسبهم بين البربر فلا خلاف بين نسباتهم أنهم من ولد شانا وإليه نسبهم، وأما شانا فقال أبو محمد بن حزم في كتاب «الجمهرة»: قال بعضهم: هو جانا بن يحيى بن صولات بن ورماك بن ضري بن رحيك بن مادغيس بن برب.

وقال أيضاً في كتاب «الجمهرة»: ذكر لي يوسف الوراق عن أبي رب بن أبي يزيد - يعني حين وفده على قرطبة عن أبيه الثأثير بإفريقية أيام الناصر - قال: هو جانا بن يحيى بن صولات بن ورسلاك بن ضري بن مقوبو بن قروال بن يملأ بن مادغيس بن رحيك بن همرحق بن كراد بن مازيق بن هريك بن هرك بن برا بن بربير بن كتعان بن حام هذا ما ذكره ابن حزم.

ونازلها ستة إحدى وسبعين وسبعيناً في أسطول من أساطيلهم، واجتمع إليه ذوؤان العرب ففرق فيهم الأموال وأجلب عليها ابن في قرها وأريانها من الرجل، فاقتصرها على عبد الرحمن بن أحمد بن مكي عنوة، وأجاره العرب من أولاد مرغم بن صابر، وتولى ذلك منه إلأن أبلغوه مأمه في إيدله عممه عبد الملك بعكان إمارتهم بقبابس.

واستوسق أمر طرابلس لأبي بكر هذا، واستقل بولاتها. ودخل في طاعة السلطان أبي العباس بتونس، وخطب له على متابر، وقام يصانعه بما للسلطان من الضريبة، ويتحفه حيناً بعد حين بالهدايا والظرف إلى أن هلك ستة اثنين وتسعين وسبعيناً، وولي مكانه على ابن أخيه عمار، وقام بكماله عممه. وكان قائمه قاسم بن خلف الله متهماً بالتشييع للصبي المخلف عن أبي يحيى، فارتبا ودفعوه لاقضاء المغامر من مسرته، فتوחש الخليفة من علي وانتقض. ثم بعث إليه بamanه فرجع إلى طرابلس، ثم استوحش وطلب الحج فخلوا سبيله وركب البحر إلى الإسكندرية. ولقي بها خالصة السلطان محمد بن أبي هلال عام حج فأخذ منه ذمة، وكر راجعاً في السفين إلى تونس يستحوذ السلطان ملك طرابلس. فلما مر بهم راسلوه ولاطفوه واستعادوه إلى مكانه فعاد إليهم. ثم جاءته التذر بالملكة فقر، ولحق السلطان بتونس واستحوذه ملك طرابلس. وبلغ الخبر إلى السلطان فبعث معه ابنه الأمير أبي حفص عمر لخصار طرابلس فنزل بساحتها، وافتراق عرب دباب عليه وعلى ابن ثابت، وقام ابن خلف الله في خدمته المقام محمود، ووفر له جباية الوطن ومقارنه ونقل العرب إلى طاعته ويسألههم به، وأقام عليها حولاً كريباً يمنع عنهم الأقواف ويزرون إليه فيقاتلهم بعض الأحيان. ثم دفعوه بالضريبة التي عليهم لعدة أعوام ناطحة وكان قد ضجر من طول المقامة فرضي بظاعتهم وإنكنا راجعاً إلى أبيه ستة خمس وسبعين وسبعيناً فولاه على إمارته بطرابلس إلى هذا العهد، والله مدبر الأمور بمحكمته.

هذا آخر الكلام في الدولة الخصبة من المؤحدين وما تبعها من أخبار المقدمين المستبدلين بأمسار الجريدة والزراب والثغر الشرقي، فلترجع إلى أخبار زناته ودولهم، وبكمالها يكمل الكتاب إن شاء الله تعالى.

قيس متاخر عن داود باضعاف ذلك الزمن.  
وكيف يكون ذلك مع أن داود هو الذي قتل جالوت بنص القرآن؟

وأما إدخاله نسب جالوت في نسب البرير، وأنه من ولد مادغيس أو سفك فخطأ، وكذلك من نسبة إلى العمالة.  
والحق أن جالوت منبني فلسطين بن كسلوحبم بن مصرابيم بن حام أحد شعوب حام بن نوح، وهم إخوة القبط والبرير والحبشة والتورية كما ذكرناه في نسب أبناء حام.  
وكان بينبني فلسطين هؤلاء وبينبني إسرائيل حروب كثيرة، وكان بالشام كثير من البرير إخوانهم، ومن سائر أولاد كنعان يضاهونهم فيها، ودثرت أمّة فلسطين وكنعان وشعوبهما لهذا العهد، ولم يبق إلا البرير، واختص اسم فلسطين بالوطن الذي كان لهم فاعتقدت سامع اسم البرير مع ذكر جالوت أنه منهم وليس كذلك.

وأما ما رأى نسبة زناته أنهم من حمير فقد انكره الحافظان أبو عمر بن عبد البر وأبو محمد بن حزم وقالا: ما كان حمير طريق إلى بلاد البرير إلا في أكاذيب مؤرخي اليمن، وإنما حل نسبة زناته على الاتساب في حمير الترفع عن النسب البريري لما يروونهم في هذا العهد خولاً وعيبداً للجباية وعوامل الخراج، وهذا وهم فقد كان في شعوب البرير من هم مكافئون لزناته في العصبية أو أشدّ منهم مثل هوارة ومكناسة، وكان فيهم من غالب العرب على ملوكهم مثل كتابة وصنهاجة ومن تلقيف الملك من يد صنهاجة مثل المصادمة، كل هؤلاء كانوا أشدّ قوة وأكثر جمعاً من زناته.

فلما فنيت أجيالهم أصبحوا مغلبين فنالهم ضُرُّ المفرم، وصار اسم البرير مختصاً لهذا العهد باهل المفرم، فائف زناته منه فراراً من المصيبة.

وأع gioوا بالدخول في النسب العربي لصراحته وما فيه من المزية بعده الأنباء ولا سيما نسب مضر وأنهم من ولد إسماعيل بن إبراهيم بن نوح بن شيث بن آدم، خمسة من الأنبياء ليس للبرير إذا نسبوا إلى حام مثلها مع خروجهم عن نسب إبراهيم الذي هو الأب الثالث للخلقة إذ الأكثر من أجيال العالم لهذا العهد من نسله.

ولم يخرج عنه لهذا العهد إلا الأقل مع ما في العروبة أيضاً من عزَّ التوحش، والسلامة من مذمومات الخلق بالفراردهم في البيداء.

ويظهر منه أن مادغيس ليس نسبة إلى البرير وقد قدمنا ما في ذلك من الخلاف، وهو أصح ما ينقل في هذا الآن ابن حزم موثق ولا يعدل به غيره.

ونقل عن أبي زيد وهو كبير زناته: ويكون البرير على هذا من نسل برسن فقط، والبتر الذين هم بنو مادغيس الأبتر ليسوا من البرير ومنهم زناته وغيرهم كما قدمنا لكنهم إخوة البرير لرجوعهم كلهم إلى كنعان بن حام كما يظهر من هذا النسب.

ونقل عن أبي محمد بن قتيبة في نسب زناته هؤلاء أنهم من ولد جالوت في رواية أن زناته هو شانا بن يحيى بن ضريس بن جالوت، وجالوت هو ونور بن هربيل بن جديلان بن جاد بن رديلان بن حصى بن باد بن زجيك بن مادغيس الأبتر بن قيس بن عيلان.

وفي رواية أخرى عنه: أن جالوت بن جالود بن ديار بن قحطان بن فارس، وفارس مشهور.

وفي رواية أخرى عنه: أنه ابن هوبال بن بالود بن ديار بن برسن بن سفك، وسفك أبو البرير كلهم، ونسابة الجيل نفسه من زناته يزعمون أنهم من حمير، ثم من التباعة منهم.

وبعضهم يقول: إنهم من العمالة، ويزعمون أن جالوت جدهم من العمالة.

والحق فيهم ما ذكره أبو محمد بن حزم أولاً وما بعد ذلك فليس شيء منه بصحيح.

فاما الرواية الأولى عن أبي محمد بن قتيبة فمختلطة وفيها أنساب متداخلة.

واما نسبة مادغيس إلى قيس عيلان فقد تقدم في أول كتاب البرير عند ذكر أنسابهم وأن أبناء قيس معروفون عند النساية.

واما نسبة جالوت إلى قيس فامر بعيد عن القياس، وبشهده لذلك أن معد بن عدنان الخامس من آباء قيس إنما كان معاصرًا لختنصر كما ذكرناه أول الكتاب.

وانه لما سلط على العرب أوحى الله إلى ارميا نبئ بني إسرائيل أن يخلص معداً ويسير به إلى أرضه، ويختنصر كان بعد داود بما ينذر أربعين سنة وخمسين من السنين، فإنه خرب بيت المقدس بعد بناء داود وسلميان له بمثل هذه المدة.

فععد متاخر عن داود بمثلها سواه، فقيس الخامس من آباء متاخر عن داود بأكثر من ذلك، فجالوت على ما ذكر أنه من آباء البيداء.

فأعجب زناته نسبة لهم وزينه لهم نسبة لهم، والحق يمزع عنهم، وكرونه من البرير بعموم النسب لا ينافي شعارهم من الغلب والعزة، فقد كان الكثير من شعوب البرير مثل ذلك وأعظم منه. وأيضاً فقد تميزت الخليقة وتباينوا بغير واحد من الأوصاف، والكل بنو آدم ونوح من بعده. وكذلك تميزت العرب وبباين شعوبها والكل لسام ولإسماعيل بعده.

ومرخيصة ووركلة وغاللة وسبرترة، ولم يذكر أبو محمد بن حزم سبرترة وذكر الأربعه الباقية. وأما الديرت بن جانا فمن ولده عند نسبة زناته جراو بن الديرت، ولم يذكره ابن حزم.

وإنما قال عند ذكر الديرت ومن شعوبه: بنورسيك بن الديرت وهم بطنان دمر بن ورسيك وزاكيا بن ورسيك. قال: دمر لقب واسمه الغانا.

قال: فمن ولد زاكيا بنو مغراو وبنو يفرن وبنو واسين. قال: وأمهن واسين ملوكة لأم مغراو وهم ثلاثة منهم بنو يصلن بن مسرا بن زاكيا. ويزيد نسبة زناته في هؤلاء برينيان يصلن أخاً لمغراو ويفرن وواسين ولم يذكره ابن حزم.

قال: ومن ولد دمر بنو ورنيد بن وانتن بن واردين بن دمر، وذكر لبني دمر أخاداً سبعة وهم غرزول ولقورة ورتاتين، وهؤلاء الثلاثة مختلفون بنسب دمر، وبرزال وبصدرىن وصغمان ويطوفت، هكذا ذكر أبو محمد بن حزم وزعم أنه من إماء أبي بكر بن يكى البرزى الأباضى.

وقال فيه: كان ناسكاً عالماً بآبائهم، وذكر أن بي برواسين وبي برزال كانوا أباضية وأن بي يفرن ومغراوة كانوا سنية.

وعند نسبة البرير مثل سابق بن سليمان المطماتي وهانى بن بصدرىن والكومى وكهلان بن أبي لوا، وهو مسطر في كتبهم أن بي ورسيك بن الديرت بن جانا ثلاثة بطنون وهم: بنو زاكيا وبنو دمر وآشة بنو آتش، وكلهم بنو واردين بن ورسيك.

فمن زاكيا بن واردين أربعة بطنون: مغراوة وبنو يفرن وبنو برينيان وبنو واسين، كلهم بنو يصلن بن مسرا بن زاكيا ومن آتش بن واردين أربعة بطنون: بنو برنال وبنو صقمان وبنو بصدرىن وبنو يطوفت كلهم بنو آتش بن واردين.

ومن دمر بن واردين ثلاثة بطنون: بنو تقررت وبنو غرزول وبنو ورتاتين كلهم بنو وتيت بن دمر، هذا الذي ذكره نسبة البرير وهو خلاف ما ذكره ابن حزم.

ويذكر نسبة زناته آخرين من شعوبهم ولا ينسبونهم مثل يعيشون وهم أهل جبل قازاز قريب مكانة وسنحان وورسيكان وتخليلة وتيتات وواغمرت وتيفرض ووجديجن وبنو يلومي وبنو مانوا وبنو ترجين على أن بي ترجين يتسبون في بي واسين نبا ظاهر صيحيحاً بلا شك على ما يذكر في أخبارهم.

وأما تعدد الأنبياء في النسب فذلك فضل الله يؤتى به من يشاء، ولا يضر الاشتراك مع الجيل في النسب العام إذا وقعت المباينة لهم في الأحوال التي ترفع عنهم، مع أن الملة للبرير إنما هي حادة بالقلة ودثار أجيالهم بالملك حصل لهم، ونفقوا في سبله وترفه كما تقدم لك في الكتاب الأول من تأليفنا.

وإلا فقد تقدم لهم من الكثرة والعز والمملكة والدولة ما هو معروف.

واما أن جيل زناته من العمالقة الذين كانوا بالشام فقول مرجوح ويعيد عن الصواب لأن العمالقة الذين كانوا بالشام صنفان: عمالقة من ولد عيسو بن إسحاق، ولم تكن لهم كثرة ولا ملك، ولا نقل أن أحداً منهم انتقل إلى المغرب بل كانوا لقائهم ودثار أجيالهم أخفى من الخفاء، والعمالقة الأخرى كانوا من أهل الملك والدولة بالشام قبل بي إسرائيل وكان أرجاء دار ملوكهم.

وغلب عليهم بنو إسرائيل وابتزُّوه ملوكهم بالشام واللحاجز وأصبحوا حصاد سيفهم؛ فكيف يكون هذا الجيل من أوائل العمالقة الذين دثار أجيالهم؟ وهذا لو نقل لواقع به الاستدابة فكيف وهو لم ينقل؟ هذا بعيد في العبادة والله أعلم بختلقه.

واما شعوب زناته وبطونهم فكثير ولذكر المشاهير منها فنقول: اتفق سُتاب زناته على أن بطنون كلها ترجع إلى ثلاثة من ولد جانا وهم: ودليل وفرني والديرت. هكذا في كتب أنساب زناته.

وذكر أبو محمد بن حزم في كتاب الجمهرة له من ولد ورسيك عند نسبتهم مسارت ورغسي وواشرونجن، ومن واشرونجن واريضن بن واشرونجن.

وقال أبو محمد بن حزم: ولد ورسيك أنهم مسارت وناجرت وراسين.

واما فرنى بن جانا فمن ولده عند نسبة زناته يرمتن

## فصل في أولية هذا الجيل وطبقاته

من صيغة جانا التي هي إسم أبي الجبل كله، وهو جانا بن يحيى المذكور في نسبيهم.

وهم إذا أرادوا الجنس في التعميم ألحقوا بالاسم المفرد تاءً فقلوا: جانات.

وإذا أرادوا التعميم زادوا مع التاء نوناً فصار جاناتن، ونطقوهم بهذه الجيم ليس من خرج الجيم عند العرب بل ينطقون بها بين الجيم والشين وأميل إلى الشين، ويقرب للسمع منها بعض الصغير فتأملوها زاياً حسنة لاصال خرج الراي بالسين، فصارت زانات لفظاً مفرداً دالاً على الجنس.

ثم ألحقوا به هاء النسبة وحدّفوا الألف التي بعد الراي تخفيفاً لكثرة دورانه على الألسنة والله أعلم.

## فصل في أولية هذا الجيل وطبقاته

أما أولية هذا الجيل بافريقيا والمغرب فهي معاوقة لأولية البرير منذ احتقاب مطالولة لا يعلم مبدأها إلا الله تعالى.

ولم شعوب أكثر من أن يخصى مثل مغارواة وبني يفرن وجراوة وبني يربنيان ووجديجن وغمراة وبني ومجفس وواسين وبني تيغرسن وبني مرين وتوجين وبني عبد الواد وبني راشد وبني بزال وبني ويند وبني زنداك وغيرهم.

وفي كل واحد من هذه الشعوب بطرن متعددة.

وكانت مواطن هذا الجيل من لدن جهات طرابلس إلى جبل أوراس والزاب إلى قبلة تلمسان ثم إلى وادي ملوية.

وكانت الكثرة والرئاسة فيهم قبل الإسلام بجراءة لهم لمغارواة وبني يفرن.

ولما ملك الإفرنجية بلاد البرير ودانوا لهم بدین النصرانية وزلروا الأمصار بالسواحل، وكان زناة هؤلاء وساتر البرير في ضواحيهم صاروا يؤذون لهم طاعة معروفة، وخراجاً معروفاً مؤقتاً، ويعسكون معهم في حروفهم ويكتعون عليهم فيما سوى ذلك حتى جاء الله بالإسلام، وزحف المسلمون إلى إفريقيا وملك الإفرنجية بها يومئذ جرجير، ظاهره زناة والبرير على شأنه مع المسلمين وانقضوا جميعاً.

وقتل جرجير وأصبحت أمواطم مقام ونساؤهم سبايا، وافتتحت سبيطلة.

ثم عاود المسلمون غزو إفريقيا وافتتحوا جلولاء وغيرها من الأمصار، ورجع الإفرنجية الذين كانوا يملكونهم على أعقابهم

وبعضهم يقول في وجديجن وواغمرت بنو ورتيسين أنهما من البرانس من بطون البرير على ما قدمته.

وذكر ابن عبد الحكم في كتابه فتح مصر خالد بن حميد الزناتي، وقال فيه: هو من شورة إحدى بطون زناة، ولم تره لغيره.

هذا ملخص الكلام في شعوب زناة وأنسابهم بما لا يوجد في كتاب.

والله المادي إلى مسالك التحقيق لا رب غيره.

## فصل في تسمية زناة ومبني هذه الكلمة

أعلم أن كثيراً من الناس يبحثون عن مبني هذه الكلمة واشتقتها على ما ليس معروفاً للعرب ولا لأهل الجيل أنفسهم فيقال: هو اسم وضعه العرب على هذا الجيل، ويقال بل الجيل وضعه لأنفسهم أو اصططلحوا عليه.

ويقال: هو زانا بن جانا فيزيدون في النسب شيئاً لم تذكره النسبة.

وقد يقال: إنه مشتق ولا يعلم في لسان العرب أصل مستعمل من الأسماء يشتمل على حروفه المادية، وربما يحاول بعض الجهلة اشتقتاه من لفظ الرزا، وبعضه بهكاية خسيسة يدفعها الحق، وهذه الأقوال كلها ذهاب إلى أن العرب وضعوا لكل شيء اسماءً، وإن استعمالها إنما هو لأوضاعها التي من لعنها ارجاجاً واشتقاقة.

وهذا إنما هو في الأكثر وإلا فالعرب قد استعملت كثيراً من غير لعنها في مسمائے إنما لكونه علمًا فلا يغير مثل إبراهيم ويوسف وإسحاق من اللغة العبرانية، وإنما استعانته وتخفيفاً لتداوله بين الألسنة كاللجم والدياج والزنخيل والنيروز والبسسين والأجر، فتصير باستعمال العرب إنما من أوضاعهم. ويسمونها العربية وقد يغيرونها بعض التغيير في الحركات أو في الحروف، وهو شائع لهم لأنهم ينزلة وضع جديد.

وقد يكون الحرف من الكلمة ليس من حروف لغتهم فييدلونه بما يقرب منه في المخرج فإن مخارج الحروف كثيرة منضبطة وإنما نطقت العرب منها بالشمانية والعشرين حروف أبجد.

ويبين كل مخرجين منها حروف أكثر من واحد فمنها ما نطقت به الأمم، ومنها ما لم تنطق به، ومنها ما نطق به بعض العرب كما هو مذكور في كتب أهل اللسان.

وإذا تقرر ذلك فاعلم أن أصل هذه اللفظة التي هي زناة

إلى مواطنهم وراء البحر.

بن مصكسي بن أفراد بن وصيلا بن جراو.

وكان لها بنون ثلاثة ورثوا رياضة قومهم عن سلفهم وربوا في حجرها، فاستبدلت عليهم وعلى قومهم بهم، وكما كان لها من الكاهنة والمعرفة بغيض أحوالهم وعواقب أمورهم فاتنت إليها رياستهم.

قال هاني بن بكر الضرسي: ملكت عليهم خسأً وتلائين سنة وعاشت مائة وسبعيناً وعشرين سنة.

وكان قتل عقبة بن نافع في البسيط قبلة جبر أوراس يغراها بربارة تهوداً عليه، وكان المسلمين يعرفون ذلك منها.

فلما انقضى جمع البرير وقتل كسلية زحفوا إلى هذه الكاهنة بمعتصمها من جبل أوراس، وقد ضوي إليها بنو يفسرون ومن كان بإفريقية من قبائل زناته وسائر البرّ، فلقائهم بالبسط أمام جبلها، وإنهم المسلمون واتبعوا آثارهم في جموعها حتى أخرجتهم من إفريقية، وانتهى حسان إلى برقة فاقام بها حتى جاءه المدد من عبد الملك، فزحف إليهم سنة أربع وسبعين وفضّ جموعهم، وأوقع بهم وقتل الكاهنة، واقتصر جبل أوراس عنوة واستلهم فيه زهاء مائة الف.

وكان للكاهنة ابنان قد لحقاً بحسان قبل الواقعة، أشارت عليهما بذلك أنهما دهياً لأنّه علم كان لديها في ذلك من شيطانها فتقبلهما حسان وحسن إسلامهما واستقامت طاعتهما، وعقد لهما على قومها جراوة ومن انضوى إليهم جبل أوراس.

ثم افترق فلهم من بعد ذلك وانترض أمرهم.

وافتقر جراوة أزواجاً بين قبائل البرير، وكان منهم قوم بساحل مليلة، وكان لهم آثار بين جيرانهم هناك.

واللهم نزع بن أبي العيش لما غلبه موسى بن أبي العافية على سلطانه بتلمسان أول المائة الرابعة حسبما نذكره.

فنزل عليهم وبني القلعة بينهم إلى أن خربت من بعد ذلك.

والقلّ منهم بن تلك الروطن إلى الآن لهذا العهد متدرجون في طرفة ومن إليهم من قبائل غمارة والله وارث الأرض ومن عليها.

## الخبر عن مبتدأ دول زناته في الإسلام ومصير الملك إليهم بالمغرب وإفريقية

لما فرغ شأن الردة من إفريقية والمغرب وأذعن البرير لحكم

وظن البرير بأنفسهم مقاومة العرب فاجتمعوا وتمكروا بمحصون الجبال واجتمع زناته إلى الكاهنة وقومها جراوة بجبل أوراس حسبما نذكر، فاتخن العرب فيهم واتبعهم في الضواحي والجبال والفالغار حتى دخلوا في دين الإسلام طرعاً وكرهاً، وانقادوا إلى إيلات مصر وتولوا من أمرهم ما كان الإفرنجية يتولونه حتى إذا اخْلَت بالغرب عُرُى الملك العربي وأخْرَجْهم من إفريقية البرير من كتامة وغيرهم، قدح هذا الجبل الزناتي زناد الملك فاورى لهم، وتداروا فيهم الملك جيلاً بعد جيل في طبقتين حسبما نقصه عليك إن شاء الله تعالى.

## الخبر عن الكاهنة وقومها جراوة من زناته وشأنهم مع المسلمين عند الفتح

كانت هذه الأمة من البرير بإفريقية والمغرب في قوة وكثرة وعديد وجودع، وكانتوا يعطون الإفرنجية بأمسارهم طاعة معروفة، ملك الضواحي كلها لهم، وعليهم مظاهر الإفرنجية مما احتاجوا إليهم وما أطلّ المسلمين في عساكرهم على إفريقية للفتح ظاهروا جرجير في زحفه إليهم حتى قتلوا المسلمين وانقضت جموعهم وأفتقروا رياستهم ولم يكن بعدها بإفريقية موضع لقاء المسلمين بجمعهم لما كانت غزوتهم لكل أمة من البرير في ناحيتها وموطنها مع من تحبّ إليهم من قبل الإفرنجية.

ولما اشتغل المسلمين في حرب عليٍّ ومعاوية أغلقوا أمر إفريقية ثم ولاها معاوية بعد عام عقبة بن نافع الفهري فأذخر في المغرب في ولاته الثانية، وبلغ إلى السوس وقتل بالزارب في مرجعه. واجتمع البرير على كسلية كبيرة كبيرة أوربة، وزحف إليه بعد ذلك رُهبر بن قيس البلوي أيام عبد الملك بن مروان فهزمه وملك القبوران وأخرج المسلمين من إفريقية.

وبعد عبد الملك حسان بن النعمان في عساكر المسلمين فهزموا البرير، وقتلوا كسرية واسترجعوا القبوران وقرطاجنة وإفريقية وفُرِّيقياً الإفرنجية والروم إلى صقلية والأندلس، وأفتقروا رياسة البرير في شعوبهم.

وكان زناته أعظم قبائل البرير وأكثرها جموعاً ويطرونا، وكان موطن جراوة منهم بجبل أوراس، وهو ولد كراو بن الديرت بن جانا.

وكانت رياستهم للكاهنة دهياً بنت تابية بن نيقان بن باروا

ورجع العرب إلى مركز ملكهم بالشرق، ولم يبق لهم في نواحي المغرب دولة، ووضع العرب ما كان على كاهمهم من أمر المغرب ووطأه مُضر بعد أن رسخت الملة فيهم، وخالفت بشاشة الإيمان قلوبهم، واستيقنوا بوعد الصادق أنَّ الأرضَ اللهُ يورثها من شاء من عباده.

فلم تسلخ الملة بانسلاخ الدولة ولا تقوَّضت مباني الدين بتقريض معلم الملك، وعداً من الله لن يخلفه في قام أمره وإظهار دينه على الدين كلِّه.

فتنازعوا حيثُنَدَ البرير في طلب الملك والقيام بدعاية الأعيان من بني عبد مناف يسترون منها حسوا في ارتقاء إلى أن ظفروا من ذلك بمحظٍ مثل كاتمة إفريقيَّة، ومكناستة بالمغرب، ونافهم في ذلك زناتة، وكانتوا من أكرثهم جماعة وأشدُّهم قوَّةً فشرعوا له حتى ضربوا معهم بهم، فكان لبني يفرن بالمغرب وإفريقيَّة على يد صاحب الحمار، ثم على يد يعلى بن محمد وبني ملك ضخم.

ثم كان لغراوة على يد بني خزر دولة أخرى تمازعاً عنها مع بني يفرن وصنهاجة.

ثم انقرضت تلك الأجيال وتبرأ الملك بالمغرب بعدهم في جيل آخر منهم، فكان لبني مرين بالمغرب الأقصى ملك، ولبني عبد الرواد بالمغرب الأوسط ملك آخر تقاسمهم فيه بنو توجين والفلُّ من مغراوة حسبما ذكر ونسنوفي شرحة، وخلب أيامهم وبطونهم على الطريقة التي سلكتها في أخبار البرير، والله المستعان سبحانه لا ربَّ سواه، ولا معبد إلا إياه.

### الطبقة الأولى من زناتة ونبأ منها بالخبر عن بني يفرن وأنسابهم وشعوبهم وما كان لهم من الدول يا فريقيَّة والمغرب

وبني يفرن هؤلاء من شعوب زناتة وأوسع بطونهم، وهم عند نسبة زناتة بني يفرن بن يصلتبن بن مسراً بن زاكيا بن ورسيلك بن الديرت بن جانا، وإخوته مغراوة وبني برنيان وبني واسين، والكل بني يصلتبن.

ويفرن في لغة البرير: هو القار ويُبعض نسَابَهم يقولون: إنَّ يفرن هو ابن ورتيند بن جانا وإخوته مغراوة وغمريت ووجديجن. وبعضهم يقول: يفرن بن مرَّة بن ورسيلك بن جانا، وبعضهم يقول: هو ابن جانا لصلبه والصحيح ما نقلناه عن أبي محمد بن حزم.

الإسلام وملكت العرب، واستقلَّ بالخلافة ورياسة العرب بنو أمية اقعدوا كرسيَّ الملك بدمشق، واستولوا على سائر الأمم والأقطار، وأخْذُوا في القاصية من لدن الهند والصين في المشرق، وفرغانة في الشمال، والجيشة في الجنوب، والبرير في المغرب، وببلاد الجالقة والإفرنجية في الأندلس.

وضرب الإسلام بجرانه، واقتلت دولة العرب بكلِّ كلِّها على الأمم.

ثم جدع بنو أمية أُنوف بنى هاشم مقاسيمهم في نسب عبد مناف، والمدعين استحقاق الأمر بالوصيَّة.

وتكرَّر خروجهم عليهم، فأخْذُوا فيهم بالقتل والأسر، حتى توَّغلَت الصدور واستتحكمت الأوتار وتعدَّدت فرق الشيعة باختلافهم في مساق الخلافة من عليٍّ كرم الله وجهه إلى من بعده من بني هاشم.

فقرم ساقوها إلى آل العباس، وقوم إلى آل الحسن، وآخرون إلى آل الحسين، فدعت شيعة آل العباس بمناسن وقام بها اليهودية فكانت الدولة العظيمة الحاذرة للخلافة وزُلزلوا ببغداد واستباحوا الأمورين قتلاً وسيماً.

وخلص من جاليتهم إلى الأندلس عبد الرحمن بن معاوية بن هشام، فجدد بها دعاية الأمويين واقتطع ما وراء البحر عن ملك الهاشميين فلم تخنق لهم به راية.

ثم نفس آل أبي طالب على آل العباس ما أكرمه الله به من الخلافة والملك، فخرج المهدي محمد بن عبد الله المدعر بالنفس الركبة في بي أبي طالب على أبي جعفر المنصور، وكان من أمرهم ما هو مذكور واستحلَّتْهم جيوش بني العباس في وقائع عديدة.

وفَرَّ إدريس بن عبد الله أخوه المهدي ناجياً من بعض وقائهم إلى المغرب الأقصى فاجراه البرابرية من أوربة و Mengibla وصidente، وقاموا بدعوتهم ودعوة بنيه من بعده، ونالوا به الملك وغلبوا على المغرب الأقصى والأوسط، ويشَّوا دعاية إدريس وبنيه من أهله بعده في أهلة من زناتة مثل بني يفرن ومغراوة وقطعروه من ممالك بني العباس. واستمرَّت دولتهم إلى حين انفراطها على يد العبيدين.

ولم يزل الطالبُون أئمَّةً ذلك بالشرق يتزرعون إلى الخلافة ويشَّون دعاتهم بالقصبة إلى أن دعا أبو عبد الله المحتسب بإفريقيَّة إلى المهدي ولد إسماعيل الإمام بن جعفر الصادق، فقام ببرابرية كتمة ومن اليهم من صنهاجة وملكون إفريقيَّة من يد الأغالبة،

وقدم ابن الأشعث إفريقية من قبل أبي جعفر المنصور.

وخافه البرير فحسم العدل وسكن الحروب.

ثم انتقض بنو يفرن بناحية تلمسان ودعوا إلى الخارجية، وبابعوا أبو قرعة كيبرهم بالخلافة سنة ثمان وأربعين ومائة، وسرج إليهم ابن الأشعث الأغلب بن سودة التميمي فانتهى إلى الزاب وفر أبو قرعة إلى المغرب الأقصى، ثم راجع موطنه بعد رجوع الأغلب.

ولما انتقض البرابرة على عمر بن حفص بن أبي صفرة الملقب (هزار مرد) عام خمسين ومائة وحاصروه بطبنة كان فيمن حاصره أبو قرعة اليفرني في أربعين ألفاً صفرة من قومه وغيرهم حتى اشتد عليه الحصار، ودخل أبو قرعة في الإفراج عنه على يد ابنه على أن يعطيه أربعين ألفاً، ولابنه أربعة آلاف، فارتحل بقومه وافتضَّ البرابرة عن طبنة.

ثم حاصروه بعد ذلك بالقيروان واجتمعوا عليه وأبو قرعة معهم بثلاثمائة وخمسين ألفاً، الخيالة منها خمسة وثمانون ألفاً، وهلك عمر بن حفص في ذلك الحصار.

وقدم بزيyd بن حاتم واليَا على إفريقية فقضى جويعهم وفرَّت كلمتهم، ولحق أبو قرعة ببني يفرن أصحابه بمواطفهم من تلمسان بعد أن قتل صاحبه أبو حاتم الكندي رأس الخوارج، واستحل بم يفرن وتوجَّل بزيyd بن حاتم في المغرب ونواحيه وألتحن في أهلها إلى أن استكانوا واستقاموا.

ولم يكن لبني يفرن من بعدها انتقض حتى كان شأن أبي بزيyd بإفريقية في بي واركوا ومرغبيصة منهم حسبما ذكره إن شاء الله تعالى الكريم.

ويعرض المؤرخين ينسب أبو قرعة هذا إلى مغيلة، ولم أظفر بصحيح في ذلك، والطراحت متساوية في الجانبيين، فإن نواحيم تلمسان، وإن كانت موطنًا لبني يفرن فهي أيضًا موطن لمنيلية، والقيلياتان متباورتان.

لكن بني يفرن كانوا أشدَّ قوَّةً وأكثر جمَّا، و Migila أيضًا كانوا أشهر بالخارجية من بني يفرن لأنهم كانوا صفرة.

وكثير من الناس يقولون: إنَّ بني يفرن كانوا على مذهب أهل السنة كما ذكره ابن حزم وغيره والله أعلم.

وأنا شعوبهم ذكير ومن أشهرهم بنو واركوا ومرغبيصة.

وكان بنو يفرن هؤلاء لعهد الفتح أكبر قبائل زناتة وأشدُّها شوكة، وكان منهم بإفريقية وجبل أوراس والمغرب الأوسط بطنون وشعوب، فلما كان الفتح غشي إفريقية ومن بها من البرير جنود الله المسلمين من العرب فظماها لباسهم حتى ضرب الدين بجرانه، وحسن إسلامهم.

ولما فشا دين الخارجية في العرب وغلبهم الخلفاء بالشرق واستلهموهم نزعوا إلى القاصية، وصاروا يشرُّون بها دينهم في البرير فتلقفهم رؤساوهم على اختلاف مذاهبهم باختلاف رؤوس الخارجية في أحکامهم من إباضية وصفرية وغيرهما كما ذكرناه في بابه، فتشاهدوا في البرير وضرب فيه يفرن هؤلاء بسهم واتحلوا وقتلوا عليه.

وكان أول من جمع لذلك منهم أبو قرعة من أهل المغرب الأوسط.

ثم من بعده أبو يزيد صاحب الحمار وقومه بنو واركوا ومرغبيصة.

ثم كان لهم بالغرب الأقصى من بعد الانسلاخ من الخارجية دولتان على يد يعلى بن محمد صالح وبينه حسبما نذكر ذلك مفصلاً إن شاء الله تعالى.

### الخبر عن أبي قرعة وما كان لقومه من الملك بتلمسان ومبدأ ذلك ومصادره

كان من بني يفرن بالغرب الأوسط بطنون كثيرة بناحية تلمسان إلى جبل بي راشد المعروف بهم لهذا المهد، وهو الذين اخْتَطُوا تلمسان كما ذكره في أخبارها.

وكان رئيسهم لعهد انتقال الخليفة من بني أمية إلى بني العباس أبو قرعة ولا نعرف من نسبة أكثر من أنه منهم.

ولما انتقض البرابرة بالغرب الأقصى وقام ميسرة وقومه بدعاوة الخارجية وقتله البرابر قدّموا على أنفسهم مكانه خالد بن حيد من زناتة، فكان من حروبه مع كلثوم بن عياض وقتله إيه ما هو معروف. ورأس على زناتة من بعده أبو قرعة هذا.

ولما استأثرت دولة بني أمية كثرت الخارجية في البرير، وملك ورجومة القيروان، وهوارة وزناتة طرابلس ومكانسة سجلمسانة، وابن رستم تاهرت.

وسعى به ابن فرقان عند والي البلد فتقبض عليه واعتقله، وأقبل سرّ عان زناته إلى البلد ومعهم أبو عمّار الأعمى رأس النكارة واسمها كما سبق عبد الحميد، وكان من أخذ عنه أبو يزيد ف تعرضوا للوالى في إطلاقه، فتعلّل عليهم بطلبه في الخراج، فاجتمعوا إلى فضل ويزيد ابني أبي يزيد، وعذموا إلى السجن فقتلوا الحرس وأخرجوه، فلحق بيدهم واركلا، وأقام بها سنة مختلف إلى جبل أوراس وللبي بزال في مواطنهم بالجبل قبالة المسيلة، وإلى بني زنداك من مفراوة إلى أن أجابوه، فوصل إلى أوراس ومعه أبو عمّار الأعمى في اثنى عشر من الرحالة، ونزلوا على النكارة بالتوالات.

واجتمع إليه القرابة وسائر الخارج، وأخذ له البيعة عليهم أبو عمّار صاحبه على قتال الشيعة وعلى استباحة الغنائم والسي، وعلى أنهم إن ظفروا بالمهدية والقيروان صار الأمر شوري، وذلك سنة إحدى وثلاثين.

وترصدوا غية صاحب بغایة في بعض وجوهه فضرروا على بسيطها، واستباح بعض القصور بها سنة اثنين وثلاثين وغمس بذلك أيدي البرير في الفتنة.

ثم زحف بهم إلى بغایة واستولت عليه وعلى أصحابه المزمعة فلحقوا بالجبل.

وزحف إليهم صاحب بغایة فانهزم ورجع إلى بلده، فحاصره أبو يزيد وأوزع أبو القاسم القائم إلى كتامة في إمداد كتون صاحب بغایة، فتلحقت به العساكر فبيتهم أبو يزيد وأصحابه فلولهم، وامتنعت عليه بغایة وكاتب أبو يزيد البرير الذين حول قسطيله من بني واسين وغيرهم، فحاصروا توzer سنة ثلاث وستين ورحل إلى تبسة فدخلتها صلحًا، ثم إلى بجاية كذلك، ثم إلى مرماجنة كذلك، وأهدوا له حماراً أشهب فلزم ركوبه حتى اشتهر به.

وبلغ خبره عساكر كتامة بالإريس فانقضوا وملك الإريض وقت إمام الصلاة بها. وبعث عسكراً إلى تبسة فملوكها وقتلوا عاملها. وبلغ الخبر القائم وهو بالمهدية نهاله.

وسرح العساكر لضبط المدن والشغر، وسرح مولاه بشري الصقل إلى بجاية، وعقد ليسور على الجيوش فعسكر بناحية المهدية، وسرح خليل بن إسحاق إلى القيروان فعسكر بها.

وزحف أبو يزيد إلى بشري بجاية، واشتدت الحرب بينهم، وركب أبو يزيد حماره وأمسك عصاه فاستمات النكارة، وخالفوا بشري إلى معسكره فانهزم إلى تونس، واقتصر أبو يزيد بجاية

## الخبر عن أبي يزيد الخارجي صاحب الحمار من بني يفرن ومبدأ أمره مع الشيعة ومصادره

هذا الرجل من بني واركوا إخوة من أخيه، وكلهم من بطون بني يفرن، وكبته أبو يزيد، واسم مخلد بن كيداد لا يعلم من نسبة فيهم غير هذا.

وقال أبو محمد بن حزم: ذكر لي أبو يوسف الوراق عن أبوبن أبي يزيد أن اسمه مخلد بن كيداد بن سعد الله بن مغيث بن كرمان بن مخلد بن عثمان بن وريثة بن حونيفر بن سميران بن يفرن بن جانا وهو زناته.

قال: وقد أخبرني في بعض البرير بأسماء زائدة بين يفرن وجانا، أهـ. كلام ابن حزم.

ونسبة ابن الرقيق أيضاً في بني واسين بن ورسيك بن جانا، وقد تقدم نسبهم أول الفصل.

وكان كيداد أبوه مختلف إلى بلاد السودان في التجارة، فولد له أبو يزيد بكرها من بلاهم، وأمه أم ولد اسمها سبيكة ورجع به إلى قبطون زناته ببلاد قسطيله.

ونزل تورز متذدداً بينها وبين تقيوس، وتعلم القرآن وتاذب، وخالف النكارة فصال إلى مذاهبهم وأخذها عنهم، ورأس فيها ورحل إلى مشيختهم بتغيرت، وأخذ عن أبي عبيدة منهم أيام اعتقال عبيد الله المهدى بسجلامة.

ومات أبوه كيداد وتركه على حال من الخاصة والفقير، فكان أهل القبطون يصلونه بفضل أمواهم، وكان يعلم صبيانهم القرآن ومنذهب النكارة.

واشتهر عنه تكثير أهل الملة وسبّ عليّ فخاف وانتقل إلى تقيوس.

وكان مختلف بينها وبين توزر، وأخذ نفسه بالتغيير على الولاة.

ونفي عنه اعتقاد الخروج عن السلطان فنذر الولاة بقسطيله دمه، فخرج إلى المحج سنة عشر وثلاثمائة وأرهفه الطلب فرجع من نواحي طرابلس إلى تقيوس.

ولما هلك عبد الله أوزع إلى أهل قسطيله في القبس عليه، فلحق بالشرق وقضى الفرض وانصرف إلى موطنها، ودخل توزر سنة خمس وعشرين مسترأً.

ولما وقف بال תוכל قال القائم لأصحابه من ه هنا يرجع،  
وأتصل حصاره للمهدية، واجتمع إليه البرير من قابس وطرابلس  
ونفوسه.

وزحف إليهم ثلاث مرات فانهزم في الثالثة ولم يقلع  
وكذلك في الرابعة، واشتد الحصار على أهل المهدية ونزل الجموع  
بهم.

واجتمعت كتامة بقسطنطينة وعسكروا بها لإمداد القائم،  
فسرّح إليهم أبو يزيد يكموس المزاتي من ورجومة، فانقضى  
عسكر كتامة من قسطنطينة.

وينس القائم من مدهم وتفرق عساكر أبي زيد في  
الغارات والنهر فخفّ المعسكر، ولم يبق به إلا هوارة ورأس بنو  
كملان وكثُرت مراسلات القائم للبرير.

واستراب بهم أبو يزيد وهرب بعضهم إلى المهدية، ورحل  
آخرون إلى مواطنهم، فاشار عليه أصحابه بالإفراج عن المهدية  
فأسلموا معسركهم، ولقروا بالقيروان سنة أربع وثلاثين.  
وذهب أهل القيروان في القبض عليه فلم يتهما له، وعذله  
أبو عمّار فيما أثاره من الاستكثار من الدنيا قتاب وأقلع، وعاد  
لبس الصوف والقشش.

وشاع خبر إجناله عن المهدية فقتل النكارة في كل بلد،  
ويبعث عساكره فعاثوا في التواحي وأوقعوا بأهل الأنصار وخربوا  
كثيراً منها.

ويبعث ابنه أيوب إلى باجة فعسكر بها يتظاهر وصول المدد  
من البرير وسائر التواحي فلم يفجأه إلا وصول علي بن حدون  
الأندلسي صاحب المسيلة في حشد كتامة وزواوة، وقد مرّ  
بقسطنطينة والإرينس وسبدارية، واصطحب منها العساكر فيتهيأ  
أيوب وانقض معسركه، وتردى به فرسه في بعض الأعوار فهلك.  
ثم زحف أيوب في عساكره إلى تونس وقادها حسن بن  
علي من دعاة الشيعة فانهزم، ثم أتيحت له الكورة وحقق حسن بن  
علي بيد كتامة فعسكر بهم على قسطنطينة. وسرّح أبو يزيد جموع  
البرير لحربيه.

ثم اجتمعت لأبي يزيد حشود البرير من كل ناحية وثبتت  
إليه قوته، وارتحل إلى سوسة فحاصرها ونصب عليها المجانق.  
وهلك القائم سنة أربع وثلاثين في شوال وصارت الخلافة  
لابنه إسماعيل المنصور فبعث بالمدد إلى سوسة بعد أن اعتزم على  
الخروج إليها بنفسه فمنعه أصحابه.

واستباحها، ودخل بشري إلى تونس وارتدى البرير من كل ناحية  
فاسلم تونس وتحقّق بسوسة.

واستأمن أهل تونس إلى أبي يزيد فامتهن وولى عليهم،  
وانتهى إلى وادي مجردة فعسكر بها. ووافته الموتى هناك.  
ورعب الناس منه فأجل Glover إلى القيروان، وكثُرت الأرجيف  
وسرّب أبو يزيد جيشه في نواحي إفريقية، فشنوا الغارات وأكثروا  
السي والقتل والأسر.

ثم زحف إلى رقاده فانقض كتامة الذين كانوا بها وحقروا  
بالمهدية. ونزل أبو يزيد رقاده في مائة ألف.

ثم زحف إلى القيروان فاخصر بها خليل بن إسحاق ثم  
أخذه بعد مراوضة في الصلح، وهم يقتله فاشار عليه أبو عمّار  
باستيقائه فلم يطعه وقتله.

ودخلوا القيروان فاستباحوها ولقيه مشيخة الفقهاء فامتهن  
بعد التغريب والعتب، وعلى أن يقتلوه أولياء الشيعة، وبعث رسلاً  
في وفد من أهل القيروان إلى الناصر الأموي صاحب قرطبة ملتزماً  
لطاعته والقيام لدعوته وطالباً ملده، فرجعوا إليه بالقبول والوعد.  
ولم يزل يردد ذلك سائر أيام الفتنة حتى أوفد ابنه أيوب في  
آخرها ستة خمس وثلاثين، فكان له اتصال بالناصر سائر أيامه.

وزحف ميسور من المدينة بالعساكر وفرّ عنه بنو كملان من  
هوارة وحقروا بأبي يزيد وحرّضوه على لقاء ميسور، فزحف إليه  
واسْتوى اللقاء.

واستمات أبو يزيد والنكارية فانهزم ميسور وقتل بنو  
كملان وبعث برأسه إلى القيروان، ثم إلى المغرب واستبيح  
معسركه.

وسرّح أبو يزيد عساكره إلى مدينة سوسة فاتحومها عنوة  
وأكثرها من القتل والمثلثة.

وعظم القتل بضواحي إفريقية، وخللت القرى والمنازل ومن  
أفلته السيف أهلكه الجموع.

واستخلف أبو يزيد بالناس بعد قتل ميسور فلبس الحرير  
وركب الفاره.

ونكر عليه أصحابه ذلك، وكاتب به رؤساؤهم من البلاد،  
والقائم خلال ذلك بالمهدية يخندق على نفسه ويستقر كتامة  
وصنهاجة للحصار معه.

وزحف أبو يزيد حتى نزل المهدية وناوش عساكرها الحرب،  
فلم يزل الظهور عليهم، وملك زويلة.

اقتحمها عليهم فاعتضم أبو يزيد بقصر في ذروة القلعة فأحيط به واقتصر، وقتل أبو عمّار الأعمى ويكموس المزاتي وبنجا أبو يزيد مشخناً بالجراحة عمولاً بين ثلاثة من أصحابه فسقط في مهواه من الأوغار فوهن وسيق من الغداة إلى المنصور فامر بمعذاته.

ثم أحضره ووبيخه أقام الحجّة عليه وتجافى عن دمه، وبعثه إلى المهدية وفرض له بها الجراية فجزاه خيراً، وحمل في الفقص فمات من جراحته سنة خمس وثلاثين، وأمر به فسلخ وحشى جلدته بالتبني وطيف به في القبروان.

وهرب الفيل من أصحابه إلى ابنته فضل، وكان معه عبد بن خزر فاغروا على ساقية المنصور، وكمن لهم زيري بن مناد أمير صنهاجة فاوقع بهم، ولم يزل المنصور في أتباعه إلى أن نزل المسيلة وأنقطع أثر عبد، ووافاه عسكره هناك انقضاض حميد بن يصل عامل تيهرت من أوليائهم، وأنه ركب البحر من تنس إلى العدوة فارتحل إلى تيهرت وولي عليها وعلى تنس.

ثم قصد لؤاته فهربوا إلى الرمال، ورجع إلى إفريقيا سنة خمس وثلاثين.

ثم بلغه أنَّ فضل بن أبي يزيد أغار على جهات قسطنطبلة، فرحل من سنته في طلبه وانتهى إلى قصة ثم ارتحل إلى ميطة من أعمال الزاب، وفتح حصن ماداس مما يليه.

وهرب فضل في الرمال فأعجزه ورجع إلى القبروان سنة ست وثلاثين، ومضى فضل إلى جبل أوراس، ثم سار منه إلى باغية فحاصرها، وغدر به ماطيط بن يعلى من أصحابه، وجاء برأسه إلى المنصور، وانقرض أمر أبي يزيد وبنيه وافتقرت جموعهم، واغتال عبد الله بن بكار من رؤسائه مغزاوة بعد ذلك أبو ب

بن أبي يزيد وجاء برأسه إلى المنصور متقدراً إليه.

وتبع المنصور قبائل بني يفرن بعدها إلى أن انقطع أثر الدعوة، والبقاء لله تعالى وحده.

## الخبر عن الدولة الأولى لبني يفرن بالغرب الأوسط والأقصى

### أمورهم

#### ومصايرها

كان لبني يفرن من زناثة بطون كثيرة وكانتوا متفرقين بالمواطن، فكان منهم يأفريقية بنو واركوا ومننجصة وغيرهم كما قدّماه، وكان منهم بنواحي تلمسان ما بينها وبين تاهرت أمم كثيرة

ووصل المدد إلى سوسة فقاتلوا أبا يزيد فانهزم ولحق بالقبروان، فامتنعت عليه فاستخلص صاحبه أبا عمّار من أيديهم وارتحل عنهم.

وخرج المنصور من المهدية إلى سوسة، ثم إلى القبروان فملكتها وعفا عن أهلها وأمنهم وأحسن في خلف أبي يزيد وعياله.

وتوفى المدد إلى أبي يزيد ثالثة فاعتزم على حصار القبروان، وزحف إلى عسكر المنصور بساحتها فيتهم، واشتدَّ الصراع واستمات الأولياء وافتقرتا آخر نهارهم.

وعاودوا الزحف مرات ووصل المدد إلى المنصور من الجهات حتى إذا كان متصرف المحرّم كان الفتح، وانهزم أبو يزيد وعظم القتل في البرير ورحل المنصور في أتبعه فمُرسي عليه ثم تبَّعَ انتهي إلى باغية.

ووافاه بها كتاب محمد بن خزر بالطاعة والولادة والاستعداد للظاهرة، فكتب إليه بترصد أبي يزيد والقبض عليه، وواعده في ذلك بعشرين حلاً من المال.

ثم رحل إلى طينة فوافاه بها جعفر بن عليّ عامل المسيلة بالهدايا والأموال.

وبلغه أنَّ أبا يزيد نزل بسكرة وأنَّه كاتب محمد بن خزر يسأله النصرة، فلم يجد عنه ما يرضيه، فارتحل المنصور إلى بسكرة فتلقاء أهلها.

وفَّ أبا يزيد إلى بني بزال بجبل سالات، ثم إلى جبل كاتمة وهو جبل عياض لهذا المهد.

وارتحل المنصور في أثره إلى ومرة وبيته أبو يزيد هناك فانهزم ولم يظفر بالخاز إلى جبل سالات.

ثم لحق بالرمال ورجع عنه بنو كملان، وأمنهم المنصور على يد محمد بن خزر.

وسار المنصور في التعبية حتى نزل جبل سالات، وارتحل وراءه إلى الرمال.

ثم رجع ودخل بلاد صنهاجة، وبلغه رجوع أبي يزيد إلى جبل كاتمة فرجع إليه، ونزل عليه المنصور في كاتمة وعجيبة ززاوة وحشد بي زنداك ومتازة ومكناة ومقلاة وتقدم المنصور إليه فقاتلوا أبا يزيد وجرح التكاريء فهو مهزم واعتسبوا بجبل كاتمة، ورحل المنصور إلى المسيلة وأخصر أبو يزيد في قلعة الجبل، وعسكر المنصور إزاعها واشتدَّ الحصار، وزحف إليها مرات، ثم

من بلده، وأسر إلى بعض مستخلصيه من الأتباع فأوقعوا نفرة في أعقاب السكر طار إليها الزعماء من كثامة وصنهاجة. وزناته، وتقبض على على فهلك في طيس تلك الميحة فغض بالرماح على أيدي رجالات كثامة وصنهاجة، وذهب دمه هدراً في القبائل. وخرّب جوهر مدينة إيفكان وفرت زناته أمامه وكشف القاع في مطالبهم. وقد ذكر بعض المؤرخين أنّ على إبانا لقبي جوهرًا عند منصرته من الغزاة بمدينة تاهرت، وهناك كان فكه به بناية شلف، فتفجرت بعدها جماعة بني يفرن وذهب ملوكهم. فلم يجتمعوا إلا بعد حين على ابنه بدوي بالمغرب كما ذكره.

ولحق الكثير منهم بالأندلس كما يأتي خبره في موضعه وانقرضت دولة بني يفرن هؤلاء إلى أن عادت بعد مدة على يد علي بنعاشر.

ثم استقرت آخرًا بسلا وتعاقبت فيهم هنالك إلى آخرها كما ذكره إن شاء الله تعالى.

### الخبر عن الدولة الثانية لبني يفرن بسلا من المغرب الأقصى وأولية ذلك وتصاريقه

لما أوقع جوهر الكاتب قائد العزّ يعلي بن محمد أمير بني يفرن وملك المغرب سنة سبع وأربعين وثلاثمائة كما ذكرناه. وتفرقت جموع بني يفرن لحق ابنه بدوي بن يعلى بالمغرب الأقصى وأحسنَ جوهر من ورائه فأبعد المغرب وأصحر إلى أن رجع جوهر من المغرب.

ويقال: إن جوهرًا تقبض عليه واحتمله أسيراً فاعتقل إلى أن فُر من معتقله بعد حين، واجتمع عليه قومه من بني يفرن وكان جوهر عند منصرته من المغرب ولّى على الأدارسة التحيّز إلى الريف وبيلاد غمارة الحسن بن كنون شيخ بني محمد منهم فنزل البصرة.

وأجاز الحكم المستنصر لأول ولاته سنة خمس وثلاثمائة وزيره محمد بن قاسم بن طليس في العساكر لتدمير المغرب فجمع له الحسن بن كنون وأوقع به، ورجع إلى الأندلس مفلولاً فسرّح الحكم فولاه غالباً لتدمير المغرب واقتلاع حرثومة الأدارسة، فاجاز في العساكر وغلبهم على بلاهم وأذعجم جميعاً عن المغرب إلى الأندلس سنة خمس وستين وثلاثمائة كما ذكرناه.

ومهد دعوة الأممية بالمغرب، وأقبل الحكم مولاً غالباً

عددهم وهم الذين اخطروا مدينة تلمسان كما ذكره بعد. ومنهم أبو قرة المتربي بتلك الناحية لأول الدولة العباسية، وهو الذي حاصر عمر بن حفص بطبقة كما تقدّم. ولما انقض أمر أبي يزيد وأخوه المنصور فimin كان يافريقيه من بني يفرن أقام هؤلاء الذين كانوا بنواحي تلمسان على وفدهم. وكان رئيسهم لعهد أبي يزيد محمد بن صالح. ولما تولى المنصور محمد بن خزر وقومه مغراوة، وكان بينه وبين بني يفرن هؤلاء فتنة هلك فيها محمد بن صالح على يد عبد الله بن بكار من بني يفرن، كان متخيلاً إلى مغراوة. وولي أمره في بني يفرن من بعده ابنه يعلى فعظم صيته، واختط مدينة إيفكان.

ولما خطب عبد الرحمن الناصر طاعة الأممية من زناته أهل العدوة واستالف ملوكهم، سارع يعلى لإجابته، واجتمع عليها مع الخبر بن محمد بن خزر وقومه مغراوة، وأجلب على وهران فملكها سنة ثلاثة وأربعين وثلاثمائة من يد محمد بن عون، وكان ولاه عليها صولات اللبيطي أحد رجالات كثامة سنة ثمان وستين ومائتين فدخلها يعلى عنوة على بنيه وخرّبها.

وكان يعلى قد زحف مع الخبر بن محمد إلى تاهرت ويرز إليه ميسور الخصي في شيعته من مليء فهو مهوس وملوكها تاهرت، وتقبضوا على ميسور وعبد الله بن بكار فبعث به الخبر إلى يعلى بن محمد ليثار به، فلم يرضه كفراً لدمه ودفعه إلى من شاربه من بني يفرن.

واسفتح سلطان يعلى في ناحية المغرب وخطب على متابرها لعبد الرحمن الناصر ما بين تاهرت إلى طنجة.

واستدعى من الناصر تولية رجال يته على أمصار المغرب فقد على فاس محمد بن الخبر بن محمد بن عشيرة ونسك محمد لسنة من ولاته، واستاذن في الجهاد والرباط بالأندلس فاجاز لذلك واستخلف على عمله ابن عمّه أحد بن عثمان بن سعيد، وهو الذي اختط مائدة القرويين سنة أربع وأربعين كما ذكرناه ولم يزل سلطان يعلى بن محمد بالمغرب عظيماً إلى أن أغزى بعد العز الدين الله كاتبه جوهر الصقلي من القبور إلى المغرب سنة سبع وأربعين فلما فصل جوهر بالجنود عن تحروم إفريقيه بادر أمير زناته بالغرب يعلى بن محمد اليفرني إلى لقائه والإذعان لطاعته والأخياش إليه، وبنـد عهد الأممية، وأعمل إلى لقائه الرحلة من بلده إيفكان وأعطاه يد الانتقاد وعهد البيعة عن قومه بني يفرن وزناته، فتقبّلها جوهر وأضمر الفتاك به، وتغيّر لذلك يوم فصوله

وستين إلى مدينة سجلماسة فافتتحها وحاص أثر دولة آل مدار منها، وعقد له المنصور عليها كما ذكرنا ذلك قبل.

وزحف عقب هذا الفتح بلَكِين بن زيري قائد إفريقية للشيعة إلى المغارب سنة تسع وستين زحفه المشهور وخرج محمد بن أبي عامر من قرطبة إلى الجزيرة لمدافعته بنفسه، واحتفل من بيت المال مائة حل ومن المساكير ما لا يحصى عدده.

وأجاز جعفر بن علي بن حملون إلى سبتة، وانضمت إليه ملوك زناتة ورجع بلَكِين عنهم إلى غزو برغواطة إلى أن هلك سنة ثلاث وسبعين كما ذكرنا.

وأرجع جعفر إلى مكانه من ابن أبي عامر، لم يسمح بمقامه عنه، ووصل حسن بن كثُون خلال ذلك من القاهرة بكتاب العزيز نزار بن معبد إلى بلَكِين صاحب إفريقية في إعانته إلى ملوك المغرب وإمداده بالمال والمساكن، فأمضاه بلَكِين لسيله، وأعطاه مالاً ووعده بإضعافه ونهض إلى المغرب فوجد طاعة الروائية قد استحققت فيه.

وهلك بلَكِين إثر ذلك وشغل ابنه المنصور عن شأنه فدعا لحسن بن كثُون إلى نفسه، وأنفذ أبو محمد بن أبي عامر ابن عمّه محمد بن عبد الله وبلقب عسكلاجة لحربيه سنة خمس وسبعين وجاء أثره إلى الجزيرة فيما يشارف القصبة، وأحيط بالحسن بن كثُون فسال الأئمان وعقد له مقارعه عمر وعسكلاجة، وأشخصه إلى الحضرة فلم يغضب ابن أبي عامر أمامه، ورأى أن لا ذمة له لكثرته تکثه بفتح من ثقائه من آثاره برأسه، وانفرض أمر الأدارسة وأغحى أثرهم فاغضب عمر وعسكلاجة لذلك.

واستراح إلى الجند بأتوال ثغت عنه إلى المنصور فاستدعاه من العدو والحقه يقتوله ابن كثُون.

وعقد على العدو للوزير حسن بن أحمد بن عبد الورود السلامي، وأكلف عدده، وأطلق في المال يده، ونفذ إلى عمله سنة ست فضيبي المغرب أحسن ضبط وهابته البربرية، وتزل فاس من العدو، فعزَّ سلطانه وكثُر جمعه، وانضمَّ إليه ملوك التواحي حتى حذَّر ابن أبي عامر مغبة استقلاله، واستدعاه لييلو صحة طاعته، فاسرع اللحاق به، فضاعفت تكرمه وأعاده إلى عمله، وكان بدوي بن يعلى هذا من بين ملوك زناتة كثير الاضطراب على الأموية والمراوغة لهم بالطاعة.

وكان المنصور بن أبي عامر يضرب بيته وبين قرينه زيري بن عطيه ويقرن كلَّاً منها بمناغاة صاحبه في الاستقامة، وكان إلى زيري أميل وبطاعته أوثق، لخلوصه وصدق طريته والخيشه فكان

ورده إلى الثغر لسدَّه، وعقد على المغرب لجعيي بن محمد بن هاشم التجيبي صاحب الثغر الأعلى، وكان أجزاءه مددًا لغالب في رجال العرب وجدن الثغور حتى إذا انقض الحكم في علة الفالج وركدت ريح المروانية بالمغرب واحتاجت الدولة إلى رجالها لسدَّ الثغور ودفع العدو، استدعي بمحبي بن محمد بن هاشم من العدو، وأدله الحاجب المصطفى بعمر بن علي بن حدون أمير الزراب والمسلية النازع اليهم من دعوة الشيعة، وجعلوا بين الانتفاع به في العدو والراحة مما يتوقع منه على الدولة ومن البربرية في التباشير الخلافة لما كانوا أصاروا إليه من النكبة، وطريقه من الحنة.

ولما كان اجتماع بقرطبة من جموع البربرية فقدروا له ولأخيه بمحبي على المغرب وخالعوا عليهم وأمكثوهما من مال دُثُر وكسي فاخرة للخلع على ملوك العدو، فنهض جعفر إلى المغرب سنة خمس وستين وضبطه.

واجتمع إليه ملوك زناتة مثل بدوي بن يعلي أمير بني يفرن وابن عمَّه نوخيت بن عبد الله بن بكار، ومحمد بن الخير بن خزر وابن عمَّه بكساس بن سيد الناس، وزيري بن خزر وزيري ومقاتل ابنها عطية بن تبادلت وخزرون بن محمد وفلقول بن سعيد أمير مغراوة، وإسماعيل بن البروي أمير مكناة، ومحمد بن عمَّه عبد الله بن مدين وخزرون بن محمد الأزداجي، وكان بدوي بن يعلى من أشدَّهم قوة وأحسنهم طاعة.

ولما هلك الحكم وولي مكانه هشام المؤيد، وانفرد محمد بن أبي عامر بمحاجاته اقتصر من العدو لأول قيامه على مدينة سبتة، فضيبيها بجند السلطان ورجال الدولة، وقلدها الصنائع من أرباب السيف والأقلام، وعُزِّل في ضيبي ما وراء ذلك على ملوك زناتة وتعهدهم بالجوارث والخلع، وصار إلى إكراه وفودهم وإثبات من رغب في الإثبات في ديوان السلطان منهم، فجردوا في ولادة الدولة وبيت الدعوة.

وفسد ما بين أمير العدو جعفر بن علي وأخوه بمحبي وانقطع بمحبي مدينة البصرة لنفسه وذهب باكتر الرجال. ثم كانت على جعفر النكبة التي نكبَّه برغواطة في غزاته إيابهم، واستدعاه محمد بن أبي عامر لأول أمره لما رأه من استقامته إليه، وشدَّ أزره به وتلوى عليه كراهيَة لما يلقى بالأندلس من الحكم.

ثم أصلحه وتخلَّى لأنْخِيه عن عمل المغرب وأجاز البحر إلى ابن أبي عامر فحلَّ منه بالمكان الأثير، وتناثرت زناتة في التلُّف إلى الدولة بقرب الطاعات، فزحف خزرون بن فلقول سنة ست

وأنه لما وفد زيري على المتصور خالقه بدوي إلى فاس فملكتها، وقتل بها خلقاً من مغراوة، وأنه لما رجع زيري اعتصم بدوي بفاس فنازله زيري وهلك من مغراوة بني يفرن في ذلك الحصار خلق.

ثم اقتحمها زيري عليهم عنوة فقتله وبعث برأسه إلى سدة الخلافة بقرطبة سنة ثلث وثمانين والله أعلم.

ولما اجتمع بني يفرن على حامة تميّز بهم إلى ناحية شالة من المغرب فملكتها وما إليها من تادلا، واقتطعها من زيري، ولم ينزل عميد بني يفرن في تلك العمالة، والحرب بينه وبين زيري ومغراوة متصلة، وكانت بينه وبين المتصور صاحب القبروان مهاداة، فأهدي إليه وهو محاصر لعممه حماد بالقلعة سنة ست وأربعين، وأوفد بهديته أخيه زاوي بن زيري فلقيه بالطبلو والنيدو.

ولما هلك حامة قام بأمر بني يفرن من بعده آخره الأمير أبو الكمال تميم بن زيري بن يعلى فاستبدل بهم، وكان مستقيماً في دينه مولعاً بالجهاد، فانصرف إلى جهاد برغراطة وسلام مغراوة وأعرض عن فتنتهم.

ولما كانت سنة أربع وعشرين وأربعين تجددت العداوة بين هذين الحُيُّنَيْنِ بني يفرن ومغراوة، وثارت الإحن القديمة، وزحف أبو الكمل صاحب شالة وتادلا وما إلى ذلك في جمع يفرن.

و碧ز إلى حامة بن المعرّى في قبائل مغراوة، ودارت بينهم حروب شديدة وانكشفت مغراوة وفرّ حامض إلى وجدة، واستولى الأمير أبو الكمال تميم وقومه على فاس وغلبوا مغراوة على عمل المغرب.

واكتسح تميم اليهود بمدينة فاس، واصطلم نعمهم واستباح حرمهم.

ثم احتشد حامة من وجدة سائر قبائل مغراوة وزنانة وبعث الحاشدين في قباطينهم لجمع بلاد المغرب الأوسط، ووصل إلى تنس صربخاً لزعائهم.

وكاتب من بعد عهده من رجالاتهم، وزحف إلى فاس سنة تسع وعشرين فأخرج عنها أبو الكمال تميم ولحق بيده ومقر ملكه من شالة، وأقام بمكان عمله وموطن أماته منها إلى أن هلك سنة ست وأربعين وولى ابنه حماد إلى أن هلك سنة تسع وأربعين.

ولوي بعده ابنه يوسف إلى أن توفي سنة ثمان وخمسين، فولى بعده عمّه محمد ابن الأمير أبي تميم إلى أن هلك في حروب لتونة حين غلبهم على المغرب أجمع حسبما ذكره، والملك الله يؤمن به من يشاء من عباده والعاقبة للمنترين.

يرجو أن يتمكّن من قياد بدوي بن يعلى بمناغاته، فاستدعي زيري بن عطيّة إلى الحضرة سنة سبع وسبعين فبادر إلى القدوم عليه وتلقاه وأكبر موصله وأحسن مقامه ومتقلبه وأعظم جائزته، وسام بدوي مثلها فامتنع، وقال لرسوله: قل لابن أبي عامر: متى عهد حر الوحش تقاد للبياض؟

وارسل عنده في العيّث والفساد ونهض إليه صاحب المغرب الوزير حسن بن عبد الرؤوف في عساكرة وجموعه من جند الأندلس وملوك العدو مظاهراً عليه لعدوه زيري بن عطيّة، وجمع لهم بدوي ولقيهم سنة إحدى وثمانين فكان الظهور له.

وانهزم عسكر السلطان وجاء مغراوة، واستلهموا وجرح الوزير حسن بن عبد الرؤوف جراحات كان فيها لليل مهلكة.

وطار الخبر إلى ابن أبي عامر فاغتم بذلك وكتب إلى زيري بضبط فاس ومكتبة أصحاب حسن، وعقد له على المغرب كما نستوفي ذكره عند ذكر دولتهم.

و غالبه بدوي عليها مرّة بعد أخرى ونزع أبو البار بن زيري بن مناد الصنهاجي عن قومه، ولحق بسواحل تلمسان ناقضاً لطاعة الشيعة، وخارجًا على ابن أخيه المتصور بن بلّكين صاحب القبروان.

وخاطب ابن أبي عامر من وراء البحر وأوفد عليه ابن أخيه ووجوه قومه فسرّب إليه الأموال والصلات بفاس مع زيري حسبما ذكره، وجمع أيديهما على مدافعة بدوي، فساء أمره فيهما جيئاً إلى أن راجع أبو البار ولاية منصور ابن أخيه كما نذكر بعد.

وحاربه زيري فكان له الظهور عليه ولحق أبو البار بسبنته، ثم عاد إلى قومه.

واستفحّل زيري من بعد ذلك، وكانت بينه وبين بدوي وقعة اكتسح زيري من ماله ومعسكره مالاً كفوّه له، وسي حرمته واستلحام من قومه زهاء ثلاثة آلاف فارس. وخرج إلى الصحراء شريداً سنة ثلث وثمانين. وهلك هناك فوللي أمره في قومه حبوس ابن أخيه زيري بن يعلى، ووثب به ابن عمته أبو يداس بن دوناس فقتلته طبعاً في الرياسة من بعده، واختلف عليه قومه فأخفق أمله وعبر البحر إلى الأندلس في جمع عظيم من قومه.

وولى أمر بني يفرن من بعده حامة بن زيري بن يعلى أخوه حبوس المذكور، فاستقام عليه أمر بني يفرن وقد مر ذكره في خبر بدوي غير مرّة، وأنه كانت الحرب بينه وبين زيري بن عطيّة سجالاً، وكانا يتعاقبان ملك فاس بتناول الغلب.

وخرج هارباً فسقط من السور ومات.

وتسلم المعمد رندة من بعد ذلك ويقال: إن ذلك كان عند كائنة الحمام سنة خمس وأربعين وأن أبي نور هلك فيها. ولما بلغ الخبر ابنه أبي نصر وقع ما وقع والله أعلم.

### الخبر عن مرنجية من بطون بني يفرن

#### وشرح أحواهم

كان هذا البطن من بني يفرن بضواحي إفريقية وكانت لهم كثرة وقوه. ولما خرج أبو زيد على الشيعة وكان من أحواهم بنو واركوا ظاهروه على أمره بما كان له معهم من العصبية.

ثم انقرض أمره وأخذتهم دولة الشيعة وأولياوهم صنهاجة وولاتهم على إفريقية بالسيطرة والقهر، وإنزال العقوبات بالأنفس والأموال إلى أن تلاشوا وأصبحوا في عداد القبائل الغارمة.

ويقيت منهم أحيا نزوا ما بين القيروان وتونس أهل شاء ويفر وخيام يطعنون في نواحيه، ويتحللون الفلاح في معاشهم، وملك الموحدون إفريقية وهم بهذا الحال، وضررت عليهم المغاربة والضرائب والمسكورة مع السلطان في غزوته بعده مفروضة يحضرون بها متى استقرروا.

ولما تغلب الكعبون من بني سليم على ضواحي إفريقية وأخرجوا منها الدواودة من رياح أعداء الدولة لذلك العهد، واستظهروا بهم السلطان عليهم، اخذوا إفريقية وطنأ من قابس إلى باجة.

ثم اشتدت ولائهم للدولة وعظم الاستظهار بهم وأنطعهم ملك الدولة ما شاؤوه من الأعمال والخروج فكان في إقطاعهم خراج مرنجية هؤلاء.

ولما كانت وقعة بنو مرين على القيروان وكان بعدها في الفترة ما كان من طغيان الفتنة التي اعزز فيها العرب على السلطان والدولة، كان هؤلاء الكعبون المتغلبين مدد قوي من أحيا مرنجية هؤلاء من الخيل للحملان، والجبابة للاتفاق، والإنتقام للحملان والخالة للاستظهار بأعدادهم في الحروب فصاروا لهم لحمة وخولاً، وتملكوهم تلك العبيد، حتى إذا ذهب الله بهم الفتنة وأقام مائل الخليفة والدولة وصار ترات هذا الملك الحفصي إلى الأحق به مولانا السلطان أبي العباس أحد، فانتعش الحمر وأضاء الأفق ودفع المتغلبين من العرب عن أعماله، وقبض أيديهم عن رعياته وأصار مرنجية هؤلاء من صنایاه بعد إنزال العقوبة

وماما أبو يدادس بن دوناس قاتل حبوس بن زيري بن يعلى بن محمد فإنه لما اختلف عليه بنو يفرن وأخفق أمره في مجتمعهم له، أجاز البحر إلى الأندلس ستة اثنين وثمانين فرفعه إخوانه أبو قرة وأبو زيد وعطاف، فحل كلهم من النصور محل التكreme والإيشار ونظم في جلة الرؤساء والأمراء وأسنى له الجراية والأقطاع، وأثبت رجاله في الديوان، ومن أجاز من قومه وبعد صيته وعلا في الدولة كعبه.

ولما افترقت الجماعة واتسرا سلك الخلافة كان في حروب البربر مع جند الأندلس آثار بعيدة وأخبار غريبة، ولما ملك المستعين قرطبة سنة أربعينه واجتمع إليه من كان بالأندلس من البربرية لحق المهدى بالسفر واستجاش طاغية الجلاقة، فزحف معه إلى غرناطة وخرج المستعين في جوشه من البربرة إلى الساحل واتبعهم المهدى في جوشه فتقاعدا براوادي أبيرة فكانت بين الفريقين جولة عظم بلاه البربرة، وطار لأبي يدادس فيها ذكر، وأنهزم المهدى والطاغية وجموعهم بعد أن تصايبت المعركة وأصابت أبي يدادس بن دوناس جراحة كان فيها مهلكه، ودفن هناك.

وكان لابنه خلوف وحاته قيم بن خلوف من رجالات زناتة بالأندلس شجاعة ورياسة، وكان يحيى بن عبد الرحمن ابن أخيه عطاف من رجالاتهم، وكان له اختصاص ببني حمود، ثم بالقاسم منهم، ولاه كل قرطبة أيام خلافته والبقاء لله وحده.

### الخبر عن أبي نور بن أبي قرة وما كان له من الملك بالأندلس أيام الطوائف

هذا الرجل اسمه أبو نور بن أبي قرة بن أبي يفرن من رجالات البربر الذين استظهروا بهم قومهم أيام الفتنة، تغلب على رندة أزمان تلك الفتنة، وأنخرج منها عامر بن قتُوح من موالي الأمورية سنة خمس وأربعينه فملكتها واستحدث بها لنفسه سلطاناً. ولما استفحلا أمر ابن عبد الله ياشيلية وأسف إلى تلك ما جاوره من الأعمال والثور، نشأت الفتنة بينه وبين أبي نور هذا. واختلف حاله معه في الولاية والأخراف، وسجل له سنة ثلاثة وأربعين وأربعينه برندة وأعمالها فيما سجل له من البربر. واستدعاه بعدها سنة خمسين لبعض ولائمه وكاده بكتاب أوقفه عليه على لسان جارية بقصره تشكروه إليه ما نال منها ابنه من الحرم، فانطلق إلى بلدته وقتل ابنه. وشعر بالنكبة فمات أسفًاً وولي ابنه الآخر أبو نصر إلى سنة سبع وخمسين فنذر به بعض جنده،

على أمراء المضريّة بالقيروان، واستفحل ملوكهم وعظم شأن سلطانهم على البدو من زناته بال المغرب الأوسط.

ثم انتقض أمر بني أمية بالشّرق فكانت الفتنة بالغرب فازدادوا اعتزاً وعترأ، وهلك خلال ذلك خزر قام ملوكه ابنه محمد وخلص إلى المغرب إدريس الأكبر بن عبد الله بن حسن بن الحسن ستة سبعين ومانة في خلافة المادي.

وقام برابرة المغرب من أوربة ومدينة ومغيلة بأمره، واستوثق له الملك وقطع المغرب عن طاعة بني العباس سائر الأيام.

ثم نهض إلى المغرب الأوسط سنة أربع وسبعين فتلقاء محمد بن خزر هذا والقى إليه المقادة، وبابع له عن قومه وأمكنته من تلمسان بعد أن غلب عليها بني يفرن أهلها.

وانتظم لإدريس بن إدريس الأمر وغلب على جميع أعمال أبيه، وهلك تلمسان وقام بنو خزر هؤلاء بدعورته كما كانوا لأبيه.

وكان قد نزل تلمسان لعهد إدريس الأكبر أخوه سليمان بن عبد الله بن حسن بن الحسن القادم إليه من الشرق، وسجل له بولاية تلمسان من سجل ابنه إدريس محمد ابن عمّه سليمان من بعده، فكانت ولاية تلمسان وأمصارها في عقبه، واقتسموا ولاية ثورها الساحلية فكانت تلمسان لولد إدريس بن محمد بن سليمان، وأرشكول لولد عيسى بن محمد، وتتس لولد إبراهيم بن محمد، وسائر الضواحي من أعمال تلمسان لبني يفرن ومغراوة.

ولم يزل الملك بضواحي المغرب الأوسط لحمد بن خزر كما قلناه إلى أن كانت دولة الشيعة واستوثق لهم ملك إفريقية.

وسرح عبيد الله المهيدي إلى المغرب عروبة بن يوسف الكتامي في عساكر كثامة سنة ثمان وستين وثلاثين، فدُخَّلَ المغرب الأدنى ورجع.

ثم سرّج بعده مصالحة بن حُرس إلى المغرب في عساكر كثامة، فاستولى على أعمال الأدارسة واقتضى طاعتهم لعبيد الله.

وعقد على فاس ليحيى بن إدريس بن عمر آخر ملوك الأدارسة.

وخلع نفسه ودان بطاعتهم، وعقد له مصالحة على فاس، وعقد لموسى بن أبي العالية أمير مكتانة وصاحب تازة، واستوثق على ضواحي المغرب، ووقف إلى القيروان.

وانتقض عمر بن خزر من أعقاب محمد بن خزر الداعية لإدريس الأكبر، وحمل زناته وأهل المغرب الأوسط على البرابرة

بهم على لياذهم بالعرب وظعنهم بهم، فراجعوا الحق وأخلصوا في الانجياش ورجعوا إلى ما الفسوه من الغرامة وقوانين الخراج، وهم على ذلك لهذا العهد والله وارث الأرض ومن عليها.

### الخبر عن مغراوة من أهل الطبقة الأولى من زناته وما كان لهم من الدول بالغرب ومبدأ ذلك وتصاريقه

هؤلاء القبائل من مغراوة كانوا أوسع بطون زناته وأهل البأس والغلب منهم، ونسفهم إلى مغراوة بن يصلتين بن مسرا بن زاكيا بن ورسيلك بن الديرت بن جانا إخوة بني يفرن وبني يربنـان، وقد تقدّم الخلاف في نسفهم عند ذكر بني يفرن، وأما شعوبهم وبطونهم فكثير مثل بني يلت وبني زنداك وبني وراق وورتمير وبني أبي سعيد وبني ورسيفان ولغواط بني رغنة وغيرهم ممّن لم يحضرني أسماؤهم.

وكان مجالاتهم بارض المغرب الأوسط من شلف إلى تلمسان إلى جبل مدیونة وما إليها وظم مع إخوانهم بني يفرن اجتماعاً وافتراقاً ومناغة في أحوال البدو.

وكان لغراوة هؤلاء في بدوهم ملك كبير أدركهم عليه الإسلام فأقرّه لهم وحسن إسلامهم.

وهاجر أميرهم صولات بن وزمار إلى المدينة، ووفد على أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، فلقاه برأ وقبولاً هجرته، وعقد له على قومه ووطنه.

وانصرف إلى بلاده حبواً محبوأً مغبطاً بالدين مظاهراً لقبائل مُضر، فلم يزل هذا دأبه.

وقيل: إنه تقبض عليه أسيراً لأول الفتح في بعض حروب العرب مع البربر قبل أن يدبوا بالدين فأشخصوه إلى عثمان ل مكانه من قومه فمنّ عليه وأسلم فحسن إسلامه، وعقد له على عمله فاختصّ صولات هذا وسائر الأحياء من مغاربة بولاء عثمان وأهل بيته من بني أمية، وكانت خاصة لهم دون قريش، وظاهروا دعوة المروانية بالأندلس رعيأً لهذا الولاء على ما تراه بعد في أخبارهم.

ولما هلك صولات قام بأمره في مغراوة وسائر زناته من بعده ابنه حفص وكان من أعظم ملوكهم، ثم لا هلك قام بأمره ابنه خزر وعندما تقلص ظلّ الخلافة عن المغرب الأقصى بعض الشيء، وأطلّ فتنة ميسرة الحمير ومحظرة فاعتبر خزر وقومه

ولما خرج إسماعيل من حصار أبي يزيد ورثف إلى المغرب في أتباعه خشية محمد بن خزر على نفسه لما سلف منه في نقض دعوتهم وقتل أتباعهم، فبعث إليه بطاعة معروفة وأوعز إليه إسماعيل بطلب أبي يزيد ووعده في ذلك بعشرين حملًا من المال. وكان أخوه عبد بن خزر في موالة أبي يزيد إلى أن هلك. وتقبض إسماعيل بعد ذلك على عبد سنة أربعين وقتله، ونصب رأسه بالقيروان.

ولم يزل محمد بن خزر وابنه الخير متغلبًا على المغرب الأوسط، ومقاسماً فيها ليعلى بن محمد.

ووفد فتوح بن الخير سنة أربعين على الناصر مع مشيخة تاهرت وهران فأجازهم وصرفهم إلى أعمالهم.

ثم حدثت الفتنة بين مغراوة وصنهاجة وشغل محمد وابنه الخير بمحروفهم، وتغلب يعلى بن محمد على وهران وخربيها وعقد الناصر لمحمد بن يصل على تلمسان وأعمالها، وليعلى بن محمد على المغرب وأعماله، فراح محمد بن خزر طاعة الشيعة من أجل قريعة يعلى بن محمد.

ووفد على المعرّى بعد مهلك أبيه إسماعيل سنة اثنين وأربعين فأولاده تكرومة على طاعتهم إلى أن حضر مع جوهر في غزاته إلى المغرب بأعوام سبع أو ثمان وأربعين ثم وفد على المعرّى بعد ذلك سنة حسين، وهلك بالقيروان، وقد يئن على المائة من السنين.

وذلك الناصر الرواني عاشت على حين انتشرت دعوة الشيعة بال المغرب واتقبض أولياء الأمورية إلى أعمال سبعة وطنجة فقام بعده ابنه الحكم المستنصر، واستأنف مخاطبة ملوك العدو فاجاه محمد بن الخير بن محمد بن خزر بما كان من أبيه الخير وجده محمد في ولاية الناصر، والولاية التي لبني أمية على آل خزر بوصيّة عثمان بن عفان لصلوات بن وزمار جدهم كما ذكرناه. فأشنخ في الشيعة ورثخ بلاهم. ورمه معه بقرعه زيري بن مناد أمير صنهاجة فعقد له على حرب زناته وسوغه ما غالب عليه من أعمالهم، وجعلوا للحرب سنة ستين ومائتين فلقي بلکين بن زيري جويعهم بدسيسية من بعض أولياء محمد بن الخير قبل أن يستكمل تعبيتهم، فأبلى منهم ثباتاً وصبراً واشتدت الحرب بينهم وأنهزمت زناته، حتى إذا رأى محمد بن الخير أن قد أحبط به انتداب إلى ناحية من العسكر وذبح نفسه.

واستمرت المزية على قومه وجندل منهم في المعركة سبعة عشر أميراً سوى الأتباع. وتحيز كلٌ إلى فريقه.

من الشيعة وسرح عبد الله المهيدي مصالحة قائد المغرب في عساكر كتمة سنة تسع، ولقيه محمد بن خزر في جموع مغراوة وسائر زناته فقلَّ عساكر مصالحة وخلص إليه فقتله، وسرح عبد الله ابنه أبي القاسم في العساكر إلى المغرب سنة عشر، وعقد له على حرب محمد بن خزر وقومه، فاجفلوا إلى الصحراء، واتبع آثارهم إلى ملويه فلحقوا بسلجامة وعطف أبو القاسم على المغرب فدوخ أقطاره وجال في نواحيه وجدد لابن أبي العافية على عمله ورجع ولم يلق كياداً.

ثم إن الناصر صاحب قرطبة سماله أمل في ملك العدو، فخاطب ملوك الأدارسة وزناته، وبعث إليهم خالصته محمد بن عبد الله بن أبي عيسى سنة عشر فبادر محمد بن خزر إلى إجابة وطرد أولياء الشيعة من الزاب.

وملك شلب وتنس من أيديهم، وملك وهران وولى عليها ابنه الخير، وبث دعوة الأمورية في أعمال المغرب الأوسط ما عدا تاهرت.

وببدأ في القيام بدعوة الأمورية إدريس بن إبراهيم بن عيسى بن محمد بن سليمان صاحب أرشكول.

ثم فتح الناصر سبعة سنة سبع عشرة من يد الأدارسة وأجار موسى بن أبي العالية على طاعته، واتصلت يده بمحمد بن خزر وظاهروا على الشيعة وخالف فلقوش بن خزر أخيه محمد إلى طاعة الشيعة، وعقد له عبد الله على مغراوة.

وزحف إلى المغرب حيد بن يصل سنة إحدى وعشرين في عساكر كتمة إلى عبد الله على تاهرت فانتهى إلى فاس وأجفلت أمامه ظراغن زناته ومكناة ودوخ المغرب.

وزحف من بعده ميسور الخصيّ سنة اثنين وعشرين فحاصر فاس وامتنع عليه ورمع.

ثم انتقض حيد بن يصل سنة ثمان وعشرين وتحيز إلى محمد بن خزر. ثم أجاز إلى الناصر وولاة على المغرب الأوسط.

ثم شغل الشيعة بفتنة أبي يزيد وعظمت آثار محمد بن خزر وقومه من مغراوة، وزحفوا إلى تاهرت مع حيد بن يصل قائد الأمورية سنة ثلاث وثلاثين زحف معه الخير بن محمد وأخوه حزرة وعمه عبد الله بن خزر، ومعهم يعلى بن محمد في قومه بني يفرن، وأخذوا تاهرت عنوة وقتلوا عبد الله بن بكار، وأسروا قائدها ميسور الخصيّ بعد أن قتل حزرة بن محمد بن خزر في حروتها.

وكان محمد بن خزر وقومه زحفوا قبل ذلك إلى بسكرة ففتحوا وقتلوا زيدان الخصيّ.

وكانوا أربعة إخوة: محمد ومعبد الذي قتله إسماعيل وفلفول الذي خالف مهدياً إلى ولاية الشيعة وعبد الله هذا وكان يعرف بأمه واسمها تبادلت.

وقد قيل: إن عبد الله هذا هو ابن محمد بن خزر، وأخوه حزرة بن محمد الهاشمي في حرية مع ميسور عند فتح تاهرت.

ولما هلك الخبر بن محمد كما قيله ييد بلکین سنة إحدى وستين وارتحلت زناته إلى ما وراء ملوية من المغرب الأقصى، وصار المغرب الأوسط كله صنهاجة، واجتمع مغراوة إلى بقية آل خزر وأمراؤهم يومئذ محمد بن خير المذكور ومقاتل وزيري ابن مقاتل بن عطية بن عبد الله وخزرون بن فلفول.

ثم كان ما ذكرناه من ولاية بلکین بن زيري على إفريقية، وزحف إلى المغرب الأقصى رحْفَه المشهور سنة تسع وستين وأجلفت أمامة ملوك زناته من بني خزر وبني محمد بن صالح، وأخازروا جميعاً إلى سبتة.

وأجاز محمد بن الخبر البحر إلى المنصور بن أبي عامر صريحاً، فخرج المنصور في عساكره إلى الجزيرة مهدداً لهم بنفسه.

وعقد جعفر بن علي على حرب بلکين، وأجازه البحر وأمده بمائة حمل من المال، فاجتمعت إليه ملوك زناته وضرموا مصافهم بساحة سبتة.

وأظلّ عليهم بلکين من جبل طاون فرأى ما لا قبل له به فارتاح عليهم، وأشغل نفسه بجهاد برغاطة إلى أن هلك منتصراً من المغرب سنة اثنتين وسبعين كما ذكرنا.

وعاد جعفر بن علي إلى مكانه من الحضرة، وساهمه المنصور في حل الرياسة وبقي المغرب غلاماً من الولاية، واقتصر المنصور على ضبط سبتة ووكل إلى ملوك زناته دفاع صنهاجة وسائر أولياء الشيعة.

وقام ييلو طاعتهم إلى أن قام بالغرب الحسن بن كثون من الأدارسة، بعثه العزيز نزار من مصر لاسترجاع ملكه بالغرب، وأمده بلکين بعسكر من صنهاجة وهلك على تفتيته ذلك بلکين، ودعا الحسن إلى أمره بالغرب، وانضم إليه بدوى ابن يعلى بن محمد البقرني وأخوه زيري وابن عمّه أبو بدؤس فيما بينهم منبني يفرن، فسرّح المنصور حرية ابن عمّه أبا الحكم عمرو بن عبد الله بن أبي عامر الملقب عسكلاجة، وبعثه بالعساكر والأموال فأجاز البحر، وأخاشه إلى ملوك آل خزر محمد بن الخبر، ومقاتل وزيري ابن عطية، وخزرون بن فلفول في جمع مغراوة، وظاهروه على شأنه.

وولى بعد محمد في مغراوة ابنه الخبر وأغرى بلکين بن زيري الخليفة معد وجندل بن جعفر بن علي بن حدون صاحب المسيلة والزاب بموالاة حد بن الخبر فاستраб جعفر وبعث عنه معد لولاية إفريقية حتى اعتزم على الرحيل إلى القاهرة، فاشتافت استرابته ولحق بالخير بن محمد وقومه.

وزحفوا إلى صنهاجة فأتيحت لهم الكورة وأصيب زيري بن ماد كبير العصابة، ويعتزا برأسه إلى قرطبة في وفده من وجوهه بني خزر مع بمحى بن علي أخي جعفر.

ثم استراب بعدها جعفر من زناته ولحق بأخيه بمحى، ونزلوا على الحكم وعقد معد بلکين بن زيري على حرب زناته وأمده بالأموال والعساكر، وسوّغه ما تغلب عليه من أعمالهم، فنهض إلى المغرب سنة إحدى وستين وأوغر بالبربرية منهم وتقرى أعمال طينة وباغية والمسيلة وبسكرة وأجلفت زناته أمامه.

وتقىد إلى تاهرت فمحا من المغرب الأوسط آثار زناته، ولحق بالمغرب الأقصى.

وأتبع بلکين آثار الخبر بن محمد وقومه إلى سجلamasة، فاقوّع بهم وتفتض عليهم، فقتله صبراً وفضن جوّعهم، ودُوّن المغرب وإنكَ راجعاً، ومر بال المغرب الأوسط فاستلح بودادي زناته وتن إلىهم من الحصاصين ورفع الأمان على كلّ من ركب فرساً أو اتّجح خيلاً من سائر البربر. ونذر دماءهم فاقتصر المغرب الأوسط من زناته وساروا إلى ما وراء ملوية منبلاد المغرب الأقصى إلى أن كان من رجوع بني يعلى بن محمد إلى تلمسان وملكتهم إياها، ثم هلك بنو خزر بسجلamasة وطرابلس، وملك بني زيري ابن عطية بفاس ما نحن ذاكروه إن شاء الله تعالى.

## الخبر عن آل زيري بن عطية ملوك فاس وأعمالها من الطبقة الأولى من مغراوة وما كان لهم بالمغرب الأقصى من الملك والدولة ومبادئه ذلك وتصاريفه

كان زيري هذا أمير آل خزر في وقته، ووارث ملكهم البدوي، وهو الذي مهد الدولة بفاس والمغرب الأقصى وأورثها ببيه إلى عهد لتونة حسبما نستوفي في شرحه.

واسم زيري بن عطية بن عبد الرحمن بن خزر وجده عبد الله أخو محمد داعية الناصر الذي هلك بالقبروان كما ذكرناه.

تاجرني فما أهديت إليه حطاً للقيم، ثم غالطي بما بذله تبنتاً  
للكرم، إلا أن مجتبس بشمن الوزارة التي حطى بها عن رتبتي.  
ونفي ذلك إلى ابن أبي عامر فصرّ عليها أذنه وزاد في  
اصطناعه، وبعد يتو بن يعلى اليقري قريعه في ملك زناته يدعوه  
إلى الوفادة فأساء إجابته وقال: متى عهد المنصور حرر الوحش  
تنقاد إلى البياطرة.

وأخذ في إفساد السابلة والأجلاب على الأحياء والعيث في  
العمالة، فأوزع المنصور إلى عامله على المغرب الوزير حسن بن  
عبد الودود بن عبد العهد إليه، ومظاهره عدو زيري بن عطية عليه،  
فجمعوا له سنة إحدى وثمانين ولقوه فكانت الدائرة عليهم،  
وتخرب العسكرية وأثبت الوزير ابن عبد الودود جراحته كان فيها  
حنته.  
وبلغ الخبر إلى المنصور فشق عليه وأهمه شأن المغرب،  
وعقد عليه لوقته لزيري بن عطية، وكتب إليه بعده وأمر بضبط  
المغرب ومكتابته. جند السلطان وأصحاب حسن بن عبد الودود،  
فاضطط باعباءه وأحسن الغاء في عمله.

واستفحلا شأن يتو بن يعلى وبني يفرن، واستغللظروا على  
زيري بن عطية وأصلحوا نار الفتنة، وكانت حربهم سجالاً،  
وسيمت الرعايا بفاس كثرة تعاقبهم علينا وواتزانهم على عملها.  
وبعث الله لزيري بن عطية ومحاوته مددًا من أبي البهار بن  
زيري بن مناد بما كان انتقض لذلك العهد على أخيه منصور بن  
بلكين صاحب القبروان وإفريقية، ونزع عن دعوة الشيعة إلى  
الرواية.

واقفى أثره في ذلك خلوف بن أبي بكر صاحب تيهرت  
 وأنه عطيه لصهر كان بينهما وبين زيري، فاقتطعوا أعمالاً  
المغرب الأوسط ما بين الزاب والأندلسي، ووهران، وخطبوا في  
سائر مبارتها باسم هشام المؤيد، وخطب أبو البهار من وراء البحر  
المنصور بن أبي عامر، وأوفد عليه أبي بكر ابن أخيه جبوس بن  
زيري في طائفه من أجل بيته ووجوه قومه، فاستقبلوا بالجيش ولقاء  
رجباً وتسهيلًا، وأعظم مرصله وأاسنى جوازه وفده وصلاتهم،  
وانفذ معه إلى عمه أبي البهار بمسمياته قطعة من صنوف الثياب  
الخزّ والعبيد، وقيمتها عشرة آلاف درهم من الآية والحلبي،  
وخمسة وعشرين ألفاً من الدنانير، ودعاه إلى مظاهره زيري بن  
عطية على بدو بن يعلى، وقسم بينهما عمل المغرب شق الأبلمة  
حتى لقد اقتسموا مدينة فاس بعد عدوة، فلم يرع ذلك يتو  
ولا وزعه عن شأنه من الفتنة والأجلاب على البدو والحاضرة،

وزحف بهم أبو الحكم بن أبي عامر إلى الحسن بن كثون  
حتى أجاوه إلى الطاعة، وسأل الأمان على نفسه فقد له عمرو  
بن أبي عامر ما رضيه من ذلك، وأمكن به من قياده، وأشخاصه  
إلى الحضرة فكان من قتلها وإخفار ذمة أبي الحكم بن أبي عامر  
وقتله بعده ما تقدّم حسبما ذكرنا ذلك من قبل.

وكان مقاتل زيري ابنًا عطية من بين ملوك زناته أشدّ  
الناس غياشاً للمنصور وقياماً بطاعة المروءة.

وكان بدوي بن يعلى وقومه بنو يفرن منحرفين عن  
طاعتهم.

ولما انصرف أبو الحكم بن أبي عامر من المغرب عقد  
المنصور عليه للوزير حسن بن أحد بن عبد الودود السلمي  
وأطلق يده في انتقام الرجال والأموال فانفذ إلى عمله سنة ست  
وسبعين وأوصاه بملوك مغراوة من زناته، واستبلغ بمقاتل زيري  
من بينهم لحسن الغياشهم وطاعتهم، وأغرىه بدوي بن يعلى  
المضطرب الطاعة الشديد المراوغة، فنفذ لعمله ونزل بفاس،  
وضبط أعمال المغرب، واجتمعت إليه ملوك زناته.

وذلك مقاتل بن عطية سنة ثمان وسبعين واستقل برئاسة  
الظواعن البدو عن مغراوة أخيه زيري بن عطية، وحسنت خالته  
لابن عبد الودود صاحب المغرب وغياشه بقومه إليه.

واستدعاء المنصور من محله بفاس سنة إحدى وثمانين إشادة  
بتكرهه وأغرىه بدوي بن يعلى منافسته في الخبط وإثمار الطاعة  
فبادر إلى إجابته بعد أن استخلف على المغرب ابنه المزّ، وأنزله  
بتلمسان ثغر المغرب وولى على عدوة القرؤين من فاس علي بن  
محمد بن أبي علي قشوش، وعلى عدوة الأندلسين عبد الرحمن  
بن عبد الكري姆 بن ثعلبة.

وقدم بين يديه هدية إلى المنصور، ووند عليه فاستقبله  
بالجيش والعدة واحتفل للقاء، وأوسع نزله وجرائه ونسوء باسمه  
في الوزارة وأقطعه رزقها.

وأثبت رجاله في الديوان ووصله بقيمة هديته وأاسنى فيها  
وأعظم جائزه وفده وعجل تسريحه إلى عمله ففضل إلى إمارته من  
المغرب.

ونفي عنه خلاف ما احتسب فيه من غمط المعروف وإنكار  
الصنف، والاستنكاف من لقب الوزارة الذي نره به، حتى أنه قال  
لبعض حشمه، وقد دعاه بالوزير: وزير من يا لكع لا والله إلا أمير  
ابن أمير، واعجبًا من ابن أبي عامر وخرفته، والله لو كان  
بالأندلس رجل ما تركه على حاله، إن له مانا ليوماً، والله لقد

وأنبسط سلطانه واشتاد شوكته، وكتب بالفتح إلى النصوص وبعث إليه بعاثتين من عناق الخيل وخمسين جملًا من المهاري الستين، وألف دوقة من جلود اللحوم وأحوال من قسي الزان وقطروط الغالية والزراقة وأصناف الروحش الصحراوية كاللقط وغيره، وألف حل من التمر وأحوال من ثياب الصوف الرفيعة كثيرة، فجدد له عهده على المغرب سنة إحدى وثمانين وأتزل أحياءه بالخاء فاس في قياظتهم.

واستفحلا أمر زيري بالمغرب ودفع بي يفرن عن فاس إلى نواحي سلا، واحتضن مدينة وجدة سنة أربع وثمانين وأتزل لها عساكره وحشمه، واستعمل عليها ذويه، ونقل إليها ذخترته، وأعدها معتصماً، وكانت تغرا لعمله بين المغرب الأقصى والأوسط.

ثم فسد ما بينه وبين النصوص بما نهى عنه من التألف لشام باستبداد النصوص عليه فسامه النصوص الاضمية وأبي منها، وبعث كتابه ابن القطاع في العسكر، فاستعصى عليه وأمكنته صاحب قائد قلعة حجر النسر منها، فأشخصه إلى الحضرة.

وأحسن إليه النصوص وسماه الناصح، وكشف زيري وجهه في عداوة ابن أبي عامر والإغراء به والتلشيع لشام المؤيد والإيماعض له من هضميته وحجره، فسخطه عند ابن أبي عامر وقطع عنه رزق الوزارة، ومحى اسمه من ديوانها ونادي البراءة منه.

وعقد لراضي مولاه على المغرب وعلى حرب زيري بن عطية، وانتقد له الحماة من سائر الطبقات، وأذاج عليهم وأمكنته من الأموال للتفقات وأحوال السلاح والكمسي، وأصبحه طائفة من ملوك العدو كانوا بالحضرمة، منهم: محمد بن الخبر بن محمد بن الخبر وزيري بن خزر وابن عمّهما بكساس بن سعيد الناس.

ومن بي يفرن أبو نوخخت، بن عبد الله بن يكار.

ومن مكناسة: إسماعيل بن البوري ومحمد بن عبد الله بن مدین، ومن أزاداجة خزرون بن محمد وأمده بوجوه الجند.

وفضل من الحضرة سنة سبع وثمانين وسارة في التعيبة وأجاز البحر إلى طنجة فعسكر بسواقي ردار وزحف زيري بن عطية في قومه، فعسكر إزاءه وتوافقا ثلاثة أشهر، وأنهم واضح رجالات بي بزال بالأدهان فأشخصهم إلى الحضرة وأغرى بهم النصوص فربّتهم وتصلوا فصفح عنهم، وبعثهم في غير ذلك الوجه.

ثم تناول واضح حصن أصيلاً ونكور فقضطهما واتصلت

وشق عصا الجماعة.

وانتقض خلوف بن أبي بكر على النصوص لوقته، وراجع ولاية النصوص بن بلّكين.

ومرض أبو البار في المظاهره عليه للوصلة التي بينهما، وقعدَ عما قام له زيري بن عطية من حرب خلوف بن أبي بكر، وأوقع به زيري في رمضان سنة إحدى وثمانين واستلمه وكتيراً من أولياته، واستولى على عسكره، وأخاشه إليه عامة أصحابه.

وفرَ عطية شريداً إلى الصحراء، ثم نهض على اثرها يدُو بن يعلى وقومه فكانت بينهما لقاء صعبة انكشف فيها أصحابه يدُو استلجم منهم زهاء ثلاثة آلاف، واتخس عسكره وسيط حرمه التي كانت منهن أمها وأخته، وتحيز سائر أصحابه إلى فئة زيري وخرج شريداً إلى الصحراء إلى أن اغتاله ابن عمّه أبو يدان بن دوناس حسبما ذكرناه، وورد خبر الفتحين متتعاقبين على النصوص فعظم موقعهما لديه.

قيل: إن مقتل يدُو إنما كان عبد إيساب زيري من الوفادة، وذلك أنه لما استقدمه النصوص ووفد عليه كما ذكرناه، خالقه يدُو إلى فاس فدخلها وقتل بها من مغراوة خلقاً واستتمكن بها أمره فلما رجع زيري من وفادته امتنع به يدُو فنازله زيري وطال الحصار وهلك من الفريقين خلق ثُم اتتحمها عليه عنوة فقتل وبعث برأسه إلى سدة الخلافة بقرطبة.

إلا أن راوي هذا الخبر يجعل وفادة زيري على النصوص وقتله يدُو سنة ثلاث وثمانين فالله أعلم أي ذلك كان.

ثم إن زيري فسد ما بينه وبين أبي البار الصنهاجي وتزاحفاً فلواقع به زيري وانهزم أبو البار إلى سبتة موريأ بالعبور إلى النصوص فبادر بكتابه عيسى بن سعيد بن القطاع في قطعة من الجند إلى تلقيه فحاد عن لقائه.

وصعد إلى قلعة جراوة، وقد قدم الرُّسُل إلى ابن أخيه النصوص صاحب القيروان مستيناً إلى أن التحتم ذات بينهما.

ثم تحيز إليه وعاد إلى مكانه من عمله، وخلع ما تمسك به من طاعة الأمورة وراجع طاعة الشيعة فجمع النصوص لزيري بن عطية أعمال المغرب.

واستكفى به في سد النهر وعول عليه من بين ملوك المغرب في الذبّ عن الدعوة، وعهد إليه بمناجة أبي البار وزحف إليه زيري في أسم عديدة من قبائل زناتة وحشود البربر وفرّ أمامه، ولحق بالقيروان. واستولى زيري على تلمسان وسائر أعمال أبي البار. وملك ما بين السوس الأقصى والزارب فاتسع ملكه

النصرور بعد مهلك أبيه، وأنه خرج عليه بعد عمومته مع ماكسن بن زيري، فصرف وجهه حيثما أراد صنهاجة ينتهز فيها الفرصة.

واقتحم المترف الأوسط ونازل تاهرت وحاصر بها يطوفت بن بلكين.

وخرج باديس من القيروان صريحاً له.

فلما مرّ بطبة امتنع عليه فالقول بن خزرون وخالقه إلى إفريقية فشغله بمحربه.

وقد و كان أبو سعيد بن خزرون لحق بإفريقية وولاه النصرور على طبنة كما نذكره، فلما انتقض سار إليه باديس ودفع حماد بن بلكين في عساكر صنهاجة إلى مدفعته زيري بن عطيّة فالتيقا بواحدي ميناس قرب تاهرت، فكانت الدبرة على صنهاجة، واحتوى زيري على معسركهم واستلهم الروافد منهم.

وقتحم مدينة تاهرت وتلمسان وشلف وتسن والمسللة، وأقام الدعوة فيها كلها للمؤيد هشام وخلافه المنصور من بعده.

ثم أتى آثار صنهاجة إلى أثير قاعدة ملوكهم، فاتanax عليها واستأمن إليه زاوي بن زيري ومن معه من أكابر أهل بيته المتأذعين لباديس فاعطاهم منه ماسال، وكتب إلى المنصور بذلك يسترضيه ويشرط على نفسه الرهن والاستئتمة إن أعيد إلى الولاية، ويسنادنه في قدول زاوي وأخيه خلال، وأذن لهم وقدما سنة تسعين، وسال أخوههما أبو البهار مثل ذلك، وأنفذ رسالته يذكر تقادمه فسوقه المنصور لما سبق من نكثه.

وعائل زيري بن عطيّة وهو بمكانه من حصار أثير فافرج عنها.

وذلك في منصরه سنة إحدى وتسعين واتسعن آل خزر وكافية مغراوة من بعده على ابنه المعز بن زيري فباعره، وضبط أمرهم وأتصر عن محاربة صنهاجة ثم استجدى للمنصور واعتلى بالدعوة العاشرة وصلحت حاله عندهم، وهلك المنصور خلال ذلك ورغم المعز من ابنه عبد الملك المظفر أن يعيده إلى عمله على مال يحمله إليه وعلى أن يكون ولده معتصر رهينة بقرطبة فأواجهه إلى ذلك وكتب له عهده وأنفذ به وزيري أبا علي بن خديم ونسخته: بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد والله من الحاجب المظفر سيف الدولة دولة الإمام الخليفة هشام المؤيد بالله أمير المؤمنين أطال الله يقاه عبد الملك بن المنصور بن أبي عامر إلى كافة مدنني فاس وكافة أهل المغرب سلمهم الله. أما بعد أصلح الله شأنكم وسلم أنفسكم وأديانكم، فالحمد لله علام

الواقع بينه وبين زيري، وبيت واضح معسرك زيري بنواحي أصيلاً وهم غازون فاقع بهم. وخرج ابن أبي عامر من الحضرة لاستشراف أحوال واضح وإمداده، فسار في التعبة واحتل بالجزيرة عند فرضة الجزار، ثم بعث عن ابنه المظفر من مكان استخلافه بالزاهرة، وأجاز إلى العدوة واستكمل معه أكابر أهل الخدمة وجملة القواد.

وقفل المنصور إلى قرطبة واستدعا خبر عبد الملك بالغرب ورجع إلى عامة أصحاب زيري من ملوك البربر وتناولهم من إحسانه وبره ما لم يعهدوا مثله.

وزحف عبد الملك إلى طجة واجتمع مع واضح، وتلوّم هناك مزيجاً للعلل العسكرية، فلما استمّ تدبّره زحف في جمع لاكماء له. ولقيه زيري بواحدي مني من أحواز طنجة في شوال سنة ثمان وثمانين فدارت بينهم حرب شديدة. هم فيها أصحاب عبد الملك وثبت هو وبينما هم في حومة الحرب إذا طعن زيري بعض المؤتوريين من أتباعه اهتيل الغرة في ذلك الموقف فطعنه ثلاثة ثم نحره وأشواه بها، ومرّ يشتّد نحو المظفر، ويشعره فاستذكه به ليثوت رايته، ثم سقط إليه الصحيح فشدّ عليهم فاستوت المزعة وأثخن فيهم بالقتل، واستولى على ما كان في معسركهم مما يذهب فيه الوصف. ولحق زيري بفاس جريحاً في قتلة، فامتنع عليه أهلها ودافعواه بحرمه، فاحتملهنّ وفرّ أمام العساكر إلى الصحراء، وأسلم جميع أعماله.

وطير عبد الملك بالفتح إلى أبيه فعظم موقعه عنده وأعلن بالشكّر لله والدعاء وبث الصدقات وأعنت الموالى، وكتب إلى ابنه عبد الملك بعده على المغرب فاصلح نواحية وسدّ ثغوره، وبعث العمال في جهاته: فأنفذ محمد بن المحسن بن عبد الرودود في جند كثيف إلى تادلا واستعمل حميد بن يصل المكتاسي على سجل ماسة فخرج كلّ لوجهه، واقتضوا الطاعة وحملوا إليه الخراج، فاقفل المنصور ابنه عبد الملك في جهادي من سنة سبع وثمانين وعقد على المغرب لراضحه فقضىه واستقام على تبييره.

ثم عزله في رمضان من سنته بعيد الله ابن أخيه يحيى، ثم ولّى عليه من بعده إسماعيل بن البوري، ثم من بعده أبا الأحوص من بن عبد العزيز التنجي إلى أن هلك المنصور.

وأعاد المظفر بن المعز بن زيري من متبنه بالغرب الأوسط لولاة أبيه بالغرب فنزل بفاس، وكان من خبر زيري أنه لما استقل من نكته وهزيمة عبد الملك أيامه، واجتمع إليه بالصحراء فل مغراوة، وبلغه اضطراب صنهاجة واختلافهم على باديس بن

لذلك، ونهض إليه سنة سبع وأربعين ويرزاو إليه في جموعهم فهزمه، ورجع إلى فاس في قل من قومه وأقام على الاضطراب من أمره إلى أن هلك ستة سبع عشرة وولي من بعده ابن عمّه حامة بن المعز بن عطية، وليس كما يزعم بعض المؤرخين أنه ابنه وإنما هو اتفاق في الأسماء أوجب هذا الغلط، فاستولى حامة هذا على عملهم واستفحلاً ملكه، وقصده الأمراء والعلماء وأئته الو福德 ومدحه الشعراء ثم نازعه الأمر أبو كمال تميم بن زيري بن يعلى اليفرنى سنة اربع وعشرين وأربعين ويرزاو من بني يذو بن يعلى التغانيين على نواحي سلا، وزحف إلى فاس في قبائل بني يفرن ومن أنصاف إليهم من زنانة.

ويرزاو إليه حامة في جموع مغراوة ومن إليهم فكانت بينهم حروب شديدة أجلت عن هزيمة حامة.

وهلك من مغراوة أمم واستولى عيسى على فاس أمال المغرب، ولاد دخل فاس استباح بهود وسي حرمهم واصطلهم نعمتهم، ولحق حامة بوجلة فامتد من هنالك من قبائل مغراوة من أئمداد مدبوغه وملوؤه.

وزحف إلى فاس فدخلها ستة سبع وعشرين وتميّز تميم إلى موضع إمارته من سلا وأقام حامة في سلطان المغرب.

وزحف إليه سنة ثلاثين وأربعين القائد ابن حماد صاحب القلعة في جموع صنهاجة، وخرج إليه جمعاً حربه، وبث القائد عطاء في زنانة واستفسدهم على صاحبهم حامة، فأقصر عن لقائه ولاذ منه بالسلم والطاعة، رجع القائد عنه ورجح هو إلى فاس. وهلك ستة إحدى وثلاثين وأربعين فولى بعده ابنه دوناس ويكون أبا العطاف، واستولى على فاس وسائر عمل أبيه، وخرج عليه لأول أمره حماد ابن عمّه معنسر بن المعز فكانت له معه حروب ووقائع، وكثرت جموع حماد فقلب دوناس على الصواحي وأحرجه بمدينة فاس وختنق دوناس على نفسه الخندق المعروف بسياج حماد، وقطع حماد جريمة الوادي عن عدوة القرويين إلى أن هلك محاصرًا لها ستة خمس وثلاثين وأربعين فاستقامت دولته دوناس، وانفتحت أيامه، وكثير العمran بيده، واحتفل في تشييد المصانع وأدار السور على أراضيه، وبني بها الحمامات والفنادق فاستبح عمرانها ورحل التجار بالبضائع إليها، وهلك دوناس ستة إحدى وخمسين وأربعين وولي من بعده ابنه الفتوح وتزل بعدة الأندلس ونازعه الأمر آخره الأصغر عجيزة وامتنع بعدة القرويين، وافتقر أمرهم بافتراقهما وكانت الحرب بينهما سجالاً وجعلها بين المدينتين حيث يفضي بباب القبة بعدة القرويين لهذا العهد، وشيد الفتوح بباب عدوة الأندلسين وهو مسمى به إلى

الغيوب وغفار الذنوب ومقلب القلوب ذي البطش الشديد المبدى المعید الفعال لما يربى، لا رادًّا لأمره، ولا معقب لحكمه، بل له الملك والأمر، وبهذه الخير والشر، إيه نعبد وإيه نستعين، وإذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون.

وصلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَعَلَى أَكْلِهِ الطَّيِّبِينَ، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين والسلام عليكم أجمعين.

وإن المُرَّ بن زيري بن عطية أكرم الله تابع لدينا رسله وكتبه متصلة من هنات دفعته إليها ضرورات، ومستفروأ من سينات حطتها من توبته حسناً، والتوبة حماء للذنب، والاستغفار متقد من العيب وإذا أذن الله بشيءٍ يُرِئُه، وعسى أن تكرهوا شيئاً ولكم فيه خير وقد وعد من نفسه استشعار الطاعة، ولزوم الجادة، واعتقاد الاستقامة وحسن المعونة وخفة المونة، فوليكم ما قيل لكم، وعهدنا إليكم أن تعمل بالعدل فيكم، وأن يرفع أعمال الجحور عنكم وأن يعمّر سبلكم، وأن يقبل من محشكم وينجاوز عن مسيشكم إلا في حدود الله تبارك وتعالى وأشهدنا الله عليه بذلك وكفى الله شهيداً.

وقد وجهنا الوزير أبا محمد علي بن جدل أكرم الله وهو من ثقاتنا ووجوه رجالنا ليأخذ بشأنه ويوكل العهد فيه بذلك، وأمرناه بإشراككم فيه ومحن بأمركم معتنون وأحرالكم مطالعون، وأن يقضى على الأعلى للأدنى، ولا يرتكبكم بشيءٍ من الأدنى فتقروا بذلك وأسكنوا إليه وليمض القاضي أبو عبد الله أحکامه مشدوداً ظهره بنا، معقداً سلطانه بسلطاننا، ولا تأخذن في الله لومة لائم، فلذلك طبنا به إذ ولينا، وأملنا في إذ قلدناه، والله المستعان، وعليه التكلان، لا إله إلا هو، وتبلغوا مثنا سلاماً طيباً جزيلاً ورحمة الله وبركته كتب في ذي القعدة من سنة ست وتسعين وثلاثمائة.

ولا وصل إلى المعز بن زيري عهد المظفر إليه بولايته على المغرب ما عدا كورة سجلمسا، فإنَّ واضحاً مولى المنصور عهد بها ولاليته على المغرب بها لوانوردين بن خزرؤن بن فلفول حسبما نذكره بعد، فلم تدخل في ولاية المعز هذه.

فلما وصله عهد المظفر ضمَّ نشه وثاب إليه نشاطه، وبثَ عماله في جميع كور المغرب وجيء خراجها، ولم تزل ولاليته متسبة، وطاعة رعاه متقطمة.

ولا افترق أمر الجماعة بالأندلس واختلَّ رسم الخلافة وصار الملك فيها طائف استحدث المعز في التغلب على سجلمسا وانtraعها من أيدي بني وانوردين بن خزرؤن فاجمع

## الخبر عن بني خزرون ملوك سجلماة من الطبة الأولى من مغراوة وأولية ملكهم ومصائره

كان خزرون بن فلفول من أمراء مغراوة وأعيان بني خزر، ولما غلبهم بلکين بن زيري وصنهاجة على المغرب الأوسط تجذروا إلى المغرب الأقصى وراء ملوية.

وكان بنو خزر يدينون بالدعوة الروائية كما ذكرناه.

وكان المنصور بن أبي عامر القائم بدولة المؤيد قد اقتصر لأول حجابته من أحوال العدوة على ضبط سبعة برجال الدولة ووجوه القراد وطبقات العسكرية، ودفع ما وراءها إلى أمراء زناته من مغراوة وبني يفرن و McKenna. وعوّل في ضبط كوره وسداد ثغوره عليهم وتعهدهم بالعطاء وأفاض فيهم الإحسان فازدوا إلى بوجه التكريبات وأسباب الرصاص.

وإن خزرون بن فلفول هذا زحف يومئذ إلى سجلماة وبها المعتر من أعقاب آل مدرار، فاتتى بها أخوه المنصر بعد قيول جوهر إلى المغرب وظفر بأميرهم الشاكر الله محمد بن الفتح، فوثب المنصر من أعقابهم بعده على سجلماة وغلّاكها.

ثم وتب به أخوه أبو محمد سنة اثنين وخمسين وثلاثمائة فقتله وقام بأمر سجلماة، وأعاد بها ملك بني مدرار وتلقب المعتر بالله فزحف إليه خزرون بن فلفول سنة ست وستين في جمع مغراوة، ويرز إلى المعتر فهزمه خزرون واستولى على مدينة سجلماة وما دولة آل مدرار والخارج منها آخر الدهر، وأقام الدعوة بها للمؤيد هشام، فكانت أول دعوة أقيمت للمرؤوين بذلك الصقع ووجد للمعتر مالاً وسلاماً فاحتقبها وكتب بالفتح إلى هشام وأخذ رأس المعتر فنصب بباب سدته ونسب الآخر في ذلك الفتح لصاحبة محمد بن أبي عامر وبن طاير، وعقد خزرون على سجلماة وأعمالها، وجاءه عهد الخليفة بذلك فضبطها وقام بأمرها إلى أن هلك، فولى أمر سجلماة من بعده ابنه واتردين.

ثم كان زحف زيري بن مناد إلى المغرب الأقصى سنة تسعة وستين وفرت زناته أمامه إلى سبعة وملك أعمال المغرب وولى عليها من قبله وحاصر سبعة.

ثم أفرج عنها وشغل بجهاد برغواطة، وبلغه أن واتردين بن

الآن، واختط عجيبة باب الجيسة وهو أيضاً مسمى به إلى الآن، وإنما حنفت عليه لكثرة الدوران في استعمالهم وأقاموا على ذلك إلى أن غدر الفتوح بعجيبة أخيه سنة ثلاث وخمسين وأربعين وسبعين وبيته فظفر به وقتله، ودهم المغرب إن ذلك على ما دعمه من أمر المرباطين من لتوة، وخشي الفتوح مغبة أحواهم فأخرج عن فاس.

وزحف صاحب القلعة بلکين بن محمد بن حماد إلى المغرب سنة أربع وخمسين وأربعين وسبعين على عادتهم في غزو، ودخل فاس واحتمل من أكبابهم وأسرافهم رهناً على الطاعة، وقتل إلى قلعته، وولى على المغرب بعد الفتوح منتصر بن حماد بن منصور، وشغل بحروب لتوة.

وكانت له عليهم الراقة المشهورة سنة خمس وخمسين وأربعين وسبعين ولحق بصفيتة وملك يوسف بن تاشفين والمرباطون فاس، وخلف عليها عامله وارتحل إلى غماره فخالفه منتصر إلى فاس وملكتها وقتل العامل ومن معه من لتوة، ومثل بهم بالحرق والصلب.

ثم زحف إلى مهدي ابن يوسف الكزنائي صاحب مدينة مكناسة، وقد كان دخل في دعوة المرباطين فهزمه وبعث برأسه إلى سكون البرغواطي الحاجب صاحب سبعة.

وبلغ الخبر إلى يوسف بن تاشفين فسرح عساكر المرباطين لحصار فاس فأخذوا بمحققها، وقطعوا المراقبة عنها حتى اشتد بأهلها الحصار ومسهم الجهد.

ويرز منتصر لإحدى الراحتين فكانت الدبرة عليه، وقد في الملحمة ذلك اليوم سنة ستين وأربعين وسبعين أهل فاس من بعده لابن تميم بن منتصر فكانت أيامه أيام حصار وفتنة وجهد وغلاء.

وشغل يوسف بن تاشفين عنهم.

بفتح بلاد غماره حتى إذا كان سنة اثنين وستين وأربعين وفرغ من فتح غماره صمد إلى فاس فحاصرها أيام، ثم اقتحمها عنوة وقتل بها زهاء ثلاثة آلاف من مغراوة وبني يفرن و McKenna وقبائل زناته.

وهلك تميم في جلتهم حتى أعززت مزاراتهم فرادى، فانحدرت لهم الأخاديد وقربوا جماعات.

وخلص من نجا من القتل منهم إلى تلمسان، وأمر يوسف بن تاشفين بهدم الأسوار التي كانت فاصلة بين العدوتين وصبرهما مصرأ، وأدار عليهما سوراً واحداً، وافتراض أمر مغراوة من فاس والبقاء لله سبحانه وتعالى.

لتونة ومسوفة وسائر المثلمين، وافتتحوا أمرهم بفتح درعة سنة خمس وأربعين وأربعين فأغاروا على إيل كانت هناك في حمى لمسعود بن وانودين حماه لها وهو بسجلماسة فنهض لما دفعتهم وتفاقروا، فانهزم مسعود بن وانودين وقتل كما ذكرناه في أخبار لتونة.

ثم عادوا الغزو إلى سجلماسة فدخلوها من العام المقبل فدخلوها، وقتلوا من كان بها من قلّ مغراوة.

ثم تبعوا من بعد ذلك أعمال المغرب وبلاسوس وجبل المصامدة، واقتحموا صفروي سنة خمس وخمسين وأربعين وقتلوا من كان بها من أولاد وانودين وبقية مغراوة.

ثم افتتحوا حصون ملولة سنة ثلاثة وستين وأربعين وانقرض أمر بني وانودين كان لم يكن، والبقاء لله وحده وكل شيء هالك إلا وجهه، سبحانه وتعالى لا رب سواه، ولا معبد إلا إيمان، وهو على كل شيء قادر.

## الخبر عن ملوك طرابلس من بني خزرون بن فلفول من أهل الطبقة الأولى وأولية أمرهم وتصاريف أحواهم

كان مغراوة وبنو خزر ملوكهم قد تحرّروا إلى المغرب الأقصى أيام بلّكين، ثم أتبعهم سنة تسعة وستين في زحفه المشهور، وأحجرهم بساحل ستة حتى بعثوا صريحهم إلى المنصور.

وجاءهم إلى الجزيرة مُشارقاً لأحواهم وأمدهم بمغفر بن يحيى ومن كان معه من ملوك البربر وزنانة، فامتنعوا على بلّكين، ورجع عنهم فتّرى أعمال المغرب، وهلك في منصرفة سنة اثنين وسبعين وثلاثمائة ورجع أحياء مغراوة وبنو يفرن إلى مكانهم منه.

وبعث المنصور الوزير حسن بن عبد التوود عاملًا على المغرب، وقدم سنة ست وسبعين وثلاثمائة وخاصص مُقاتلاً وزيري ابنى عطيّة بن عبد الله بن خزر بمزيد التكرمة، فلحن نظراًهما من أهل بيتهما الغيرة من ذلك، فنزع سعيد بن خزرون بن فلفول بن خزر إلى صنهاجة سنة سبع وسبعين منحرفاً عن طاعة الأمومة.

ووافى المنصور بن بلّكين بأشير منصرفة من إحدى غزواته، فتلقاء بالقبول والمساهمة، وبالغ في تكرمه وعقد له على عمل طبنة سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة وعقد لابنه ورُو بن سعيد على إحدى بناه إحكاماً للمصالحة، فنزل سعيد وأهل بيته بمكانت إمارته

خزرون أغاث على نواحي سجلamasة، وأنه دخلها عنوة وأخذ عامله وما كان معه من المال والذخيرة، فدخل إليها سنة ثلاث وسبعين وأربعين وفصل عنها فهلك في طريقه، ورجع وانودين بن خزرون إلى سجلماسة.

وفي أثناء ذلك كان استيلاء زيري بن عطيّة بن عبد الله بن خزرون على المغرب وملك فاس بعهد هشام.

ثم انقضى على المنصور آخرأ وأجاز ابنه عبد الملك في العساكر إلى العدوة سنة ثمان وثمانين وأربعين فغلب عليها بني خزرون ونزل فاس، وبث العمال في سائر نواحي المغرب لسد الثغر وبجاهة الخراج، وعقد فيما عقد على سجلماسة لحميد بن يصل المكتاني النازع إليهم من أولياء الشيعة فقد له على سجلماسة حين فرّ عنها بنو خزرون فملكتها وأقام فيها الدعوة.

ولما قفل عبد الملك إلى العدوة وأعاد واضحًا إلى عمله بفاس، استأمن إليه كثير من وجوه بني خزرون كأن منهم وانودين بن خزرون صاحب سجلماسة وأبن عمّه فلفول بن سعيد فائتهم، ثم رجع وانودين إلى علمه بسجلماسة بعد أن تضامن أمرها وانودين وفلفول بن سعيد على مال مفروض، وعدة من الحيل والدراق يحملان ذلك إليه كل سنة.

واعطيا في ذلك أبناءهما رهناً فعقد لهما واضح بذلك، واستقلّ وانودين بعد ذلك بملك سجلماسة منذ أول سنة تسعين وأربعين مقيماً فيها للدعوة الروائية.

ورجع المعز بن زيري إلى ولاية المغرب بعهد المظفر بن أبي عامر سنة ست وسبعين وأربعين واستئتي عليه فيها أمر سجلماسة لمكان وانودين بها.

ولما انتشر سلك الخلافة بقرطبة، وكان أمر الجماعة للطوانب واستبدَّ أمراء الأنصار والشغر وولاة الأعمال بما في أيديهم، استبدَّ وانودين هذا بأعمال سجلماسة وتعطّل على عمل درعة واستضافة إليه.

ونهض المعز بن زيري صاحب فاس سنة سبع وأربعين مع جرع من مغراوة يحاول انتزاع هذه الأعمال من يد وانودين، فierz إليه في جوعه وهزمه، وكان ذلك سبباً في اضطراب أمر المعز إلى أن هلك، واستفحّل ملك وانودين واستولى على صفروي من أعمال فاس وعلى جميع قصور ملوكه، وولى عليها من أهل بيته.

ثم هلك وولي أمره من بعده ابنه مسعود بن وانودين، ولم يقف على تاريخ ولايته ومهملاً أليه.

ولما ظهر عبد الله بن ياسين واجتمع إليه المرابطون من

من طينة.

## الخبر عن ملوك طرابلس من بني خزرون بن للقول من أهل

ثم بلغه وصول باديس فافرج عنها، واتبعه باديس إلى مرماجنة، فترافقوا وقد اجتمع للفقول من قبائل زناته والبربر أمم، فلم يبتوا للأقاء وانكشفوا عنه. وانهزم إلى جبل الحشاش، وزُرِّقَ القبطون بما فيه.

وكتب باديس بالفتح إلى القبروان، وقد كان الإرجاف أحد منهم المأخذ، وفرَّ كثُرٌ منهم إلى المهدية وشرعوا في عمل الدروب بما كانوا يتوقعون من فلقول بن سعيد حين قتل أباً زعيل، وهزم جيوش صنهاجة، وكانت الواقعَة آخر سنة تسع وثمانين وثلاثمائة وانصرف باديس إلى القبروان، ثم بلغه أن أولاد زيري اجتمعوا مع فلقول بن سعيد وآتادو، ونزلوا جميعاً بمحصن تبسة فخرج باديس من القبروان إليهم، فافتقو ولحق العمومَة بزيري بن عطيَّة ما خلا مراكش وأبناء محسن، فإنهما آتاماً مع فلقول. ورجل باديس في أثره سنة إحدى وستين وثلاثمائة وانتهي إلى بسكة فقر فلقول إلى الرمال.

وكان زيري بن عطيَّة محاصراً لأشير أثناء هذه الفتنة، فافرج عنها، ورجع عنها أبو البهار بن زيري إلى باديس، وقتل معه إلى القبروان وتقدَّم فلقول بن سعيد إلى نواحي قابس وطرابلس فاجتمع إليه من هنالك من زناته، وملك طرابلس على ما ذكره. وذلك أن طرابلس كانت من أعمال مصر وكان العامل عليها بعد رحيل معدٍ إلى القاهرة عبد الله بن يخلف الكتامي.

ولما هلك معدٌ رغب بـلـكـيـنـ من نـزـارـ العـزـيزـ إـضـانـتـهاـ إلىـ عملـهـ، فـأـسـعـفـهـ بـهـ، وـوـلـيـ عـلـيـهـ تـصـولـةـ بـنـ بـكـارـ مـنـ خـواصـ مـوـالـيـهـ نـقـلـهـ إـلـيـهـ مـنـ ولـاـيـةـ بـوـنـةـ، فـأـقـامـ وـالـيـاـ عـلـيـهـ عـشـرـيـنـ سـنـةـ إـلـىـ أـيـامـ بـادـيـسـ، فـتـكـرـتـ لـهـ الأـحـوـالـ عـمـاـ عـهـدـ، وـبـعـثـ إـلـىـ الـحـاـكـمـ بمـصـرـ يـرـغـبـ الـكـوـنـ فـيـ حـضـرـتـهـ، وـأـنـ يـسـلـمـ مـنـ عـمـلـ طـرـابـلـسـ.

وكان يرجون الصقلبي يستبدل على الدولة، وكان يغضَّ بمكان يائس الصقلبي منها، فأبعده عن الحضرة لولاية برقة ثم لما تتابعت رغبة تصرولة صاحب طرابلس، أشار برجوان بيعث يائس إليها، فعقد له الحاكم عليهما، وأمره بالنهوض إلى عينها فوصلها سنة تسعين وثلاثمائة وتحقَّصَتْ بعمره وببلغ الخبر إلى باديس، فسرَّحَ القائد جعفر بن حبيب في العساكر ليصده عنها وزحف إلى يائس فكانت عليه المزعة وقتل.

ولحق فتوح بن علي من قواده بطرابلس، فامتنع بها ونازله جعفر بن حبيب وأقام عليها مدة.

وبينما هو محاصر له إذ وصله كتاب يوسف بن عامر عامل قابس يذكر أن فلقول بن سعيد نزل على قابس، وأنه قاصلد إلى

ووفد على المنصور ثانية بالقبروان سنة إحدى وثمانين، وخرج للقاء، واحتفل في تكريمه وزنه. وأدركه الموت بالقبروان فهلك لسته.

ووفد ابنه فلقول من مكان عمله، فعقد له على عمل أبيه وخلع عليه، وزفَّ إليه ابنته، وسُوَّغَ ثلاثين حلاً من المال، وثلاثين ختناً من الثياب، وقربَ إلى مراكب سرور مقللة وأعطاه عشرة من البنود منبهة، وانصرف إلى عمله.

وذلك المنصور بن بلـكـيـنـ سـنـةـ خـمـسـ وـثـيـمـيـنـ وـثـلـاثـمـائـةـ وـوـلـيـ اـبـنـهـ بـادـيـسـ فـعـدـ لـفـلـقـلـوـلـ عـلـىـ عـمـلـهـ بـطـبـنـةـ، وـلـاـ اـنـتـفـعـ زـيـرـيـ بـنـ عـطـيـّـةـ عـلـىـ الـمـوـلـىـ بـنـ اـبـيـ عـامـرـ، وـسـرـحـ إـلـيـ اـبـنـهـ المـظـفـرـ فـيـ عـسـاـكـرـ كـمـاـ قـلـنـاهـ، فـغـلـبـهـ عـلـىـ أـعـمـالـ الـمـغـرـبـ.

ولحق زيري بالقفر، ثم عاج على المغرب الأوسط، ونازل ثور صنهاجة، وحاصر تيهرت، وبها يطوفت بن بلـكـيـنـ.

وزحف إلى حماد بن بلـكـيـنـ من أشير في العساكر من تلكأة، ومعه محمد بن أبي العرب قائد باديس، بعثه في عساكر صنهاجة من القبروان مددًا ليطوفت.

وأوغر إلى حماد بن بلـكـيـنـ وهو بأشير أن يكون معهم ولقيهم زيري بن عطيَّة فقضى جواعهم، واستولى على مسكنهم، وأضطررت إفريقيَّة فتنة وتكلَّرت صنهاجة لمن كان يجهاتها من قبائل زناته.

وخرج باديس بن المنصور من رقاده في العساكر إلى المغرب. ولما مرَّ بـطـبـنـةـ استقدم فلقول بن سعيد بن خزرون ليستظره به على حرية، فاستراب واعتذر عن الوصول. وسأل تجديد العهد إلى مقدم السلطان فأُسفِّعَ.

ثم اشتتد استрабه ومن كان معه من مغراوة فارتحلوا عن طبنة وتركوها. ولما أبعد باديس رجع فلقول إلى طبنة فمات في نواحيها، ثم فعل في تيجرس كذلك، ثم حاصر باغية.

وانتهى باديس إلى أشير وفرَّ زيري بن عطيَّة إلى صحراء المغرب ورجع باديس بعد أن ولى على تاهرت وأشير عمه يطوفت بن بلـكـيـنـ وانتهى إلى المسيلة فبلغه خروج عمومته ماكسن وزاوي وعزم ومخن فخاف أبو البهار إحن زيري ولحق بهم من معسكته.

وبعث باديس في أثرهم عمَّه حماد بن بلـكـيـنـ، ورحل هو إلى فلقول بن سعيد بعد أن كان سرُّحَ عساكره إليه، وهو محاصر باغية، فهزمه وقتل قائدتهم أباً زعيل.

خزرون وأخيه وإلى النعيم بن كنون وأمراء الجريد من زناتة بأن يخرجوا لحرب صاحبهم، فخرجوا إليه وتوافقوا بصيرة ما بين قابس وطرابلس، ثم اتفقوا ولحق أصحاب خزرون بأخيه ورروا. ورجع خزرون إلى عمله وأتهمه السلطان بالداهنة في شأن أخيه ورروا.

فاستقدمه من نفزاوة فاستراب وأنظهر الخلاف وسرّح السلطان إليه فتوح بن أحد في الساكن فأجلف عن عمله، واتبعه النعيم وسائر زناتة، ولحقوا جميعاً بورروا بن سعيد سنة أربع وأربعين وثمانين وتظاهروا على الخلاف ونصبوا الحرب على مدينة طرابلس.

واشتد فساد زناتة فقتل السلطان من كان عنده من رهن زناتة، واتفق وصول مقائل ابن سعيد نازعاً عن أخيه ورروا في طائفة من أبنائه وأحواله فقتلوا معهم جميعاً، وشغل السلطان بحرب عمة حماد.

ولما غلبه بشلل وانصرف إلى القبروان بعث إليه ورروا بطاعته، ثم كان مهلك ورروا سنة خمس وأربعين سنة وانقسم قومه على ابنه خليفة وأخيه خزرون بن سعيد، واختلفت كلمتهم ودسّ حسن بن محمد عامل طرابلس في التضليل بهم.

ثم صار أكثر زناتة إلى خليفة، وناجز عنه خزرون الحرب فذله على القيطون وضبط زناتة، وقام فيه بامر أخيه وبعث بطاعته إلى السلطان باديس يمكنه من حصار القلعة فتقبلها.

ثم هلك باديس وولي ابنه المعز ست وأربعين سنة وانتقض خليفة بن ورروا عليه، وكان آخره حماد بن ورروا يضرب على أعمال طرابلس وقباس، ويواصل عليه الغارة والنهب إلى سنة ثلاث عشرة وأربعين سنة فانتقض عبد الله بن حسن صاحب طرابلس على السلطان وأسكنه من طرابلس.

وكان سبب ذلك أن المعز بن باديس لأول ولاته استقدم محمد بن حسن من عمله، واستخلفه عليها أخيه عبد الله بن حسن وقدم على المعز وفرض إليه أمر ملكته، وأقام على ذلك سبعاً، وتحكت حاله عند السلطان، وكثرت السعاية فيه فنكبه وقتل، وبلغ الخبر إلى أخيه فانتقض كما قلناه، وأمكن خليفة بن ورروا وقومه ببني خزرون بطرابلس، وقتلوا الصنهاجيين واستولوا عليهم.

ونزل خليفة بقصر عبد الله وأخرجه عنه، واستصنفى أمواله وحرمه، واتصل ملك خليفة بن ورروا وقومه ببني خزرون بطرابلس.

طرابلس، فرحل جعفر عن البلد إلى ناحية الجبل، وجاء فلفول بن سعيد فنزل بمنزله، وضاقت الحال بمعفري وأصحابه فارتحلوا مصممين على الملاجة وقادسين قابس، فتخلّى فلفول عن طريقهم وانصرفوا إلى قابس.

وقصد فلفول مدينة طرابلس فتلقاء أهلها، ونزل له فتوح بن علي عن إمارتها فملكتها، وأوطنتها من يومئذ وذلك سنة إحدى وستين وثلاثمائة وبعث بطاعته إلى الحاكم فرسّح الحاكم بمحبي بن علي بن حدون، وعقد له على أعمال طرابلس وقباس، فوصل إلى طرابلس، وارتحل معه فلفول بن سعيد وفتوح بن علي بن غنيانان في عساكر زناتة إلى حصار قابس، فحاصروها مدة أربعين يوماً، ورجعوا إلى طرابلس.

ثم رجع بمحبي بن علي إلى مصر واستبدل فلفول بعمل طرابلس، وطالت الفتنة بينه وبين باديس، ويش من صريح مصر بعث بطاعته إلى المهدى محمد بن عبد الجبار بقرطبة، وأوفد إليه رسّله في الصريح والمدد، وهلك فلفول قبل رجوعهم إليه سنة أربعين، واجتمعت زناتة إلى أخيه ورروا بن سعيد.

وزحف باديس إلى طرابلس وأجلف ورروا ومن معه من زناتة عنها، ولحق باديس من كان بها من الجندي، فلقوه في طريقه، وتمادي إلى طرابلس فدخلها ونزل قصر فلفول، وبعث إليه ورروا بن سعيد يسأل الأمان له ولقومه، فبعث إليه محمد بن حسن من صنانه، فاستقدم وقدهم بamanه فوصلهم، وولي ورروا على نفزاوة والنعيم بن كنون على قسطنطيلية وشرط عليهم أن يرحلوا بقوتهم عن أعمال طرابلس، فرجعوا إلى أصحابهم.

وارتحل باديس إلى القبروان، وولي على طرابلس محمد بن حسن، ونزل ورروا بنفزاوة والنعيم بقسطنطيلية.

ثم انتقض ورروا سنة إحدى وأربعين سنة، ولحق ببابا إيدمر فتعاقدوا على الخلاف، واستضاف النعيم بن كنون نفزاوة إلى عمله.

ورجع خزرون بن سعيد عن أخيه ورروا إلى السلطان باديس، وقدم عليه بالقبروان سنة اثنين وأربعين سنة فتقبّله ووصله، وولاه عمل أخيه نفزاوة، وولي بني مجليه من قومه على قصبة، وصارت مدن الماء كلها لزناتة، وزحف ورروا بن سعيد فيمن معه من زناتة إلى طرابلس، وierz إليه عاملها محمد بن حسن فتوافقوا ودارت بينهم حرب شديدة انهزم فيها ورروا، وهلك الكثير من قومه.

ثم راجع حصارها وضيق على أهلها فبعث باديس إلى

ولم تزل طرابلس بأيدي بني خزرون الزناتيين ولما وصل العرب الهماليون وغلبوا المعرّب بن باديس على أعمال إفريقيا واقتسموها كانت قابس وطرابلس في قسمة زغبة، والبلد لبني خزرون.

ثم استولى بنو سليم على الضاحية وغلبوا عليها زغبة ورحلوهم عن تلك المواطن ولم تزل البلد لبني خزرون. وزحف المتصرّ بن خزرون مع بني عديّ من قبائل هلال مجلبًا على أعمال بني حماد حتى نزل المسيلة ونزل أثير.

ثم خرج إليهم الناصر، فقرّأ أمامه إلى الصحراء، ورجع إلى القلعة، فرجعوا إلى الأجلاب على أعماله، فراسله الناصر على الصلح وأقطعه ضواحي الزاب وزيفة، وأوعز إلى عروس بن سندي رئيس بسكرة لمهدئه أن يمكر به، فلما وصل المتصرّ إلى بسكرة أتزله عروس ثم قتلته غيلة أعوام ستين وأربعين، وولي طرابلس من بني خزرون لم يحضرني اسمه. واختلَّ ملك صنهاجة واتصلُّ فهم ملك تلك الأعمال إلى سنة أربعين وخمسين.

ثم نزل طرابلس ونواحيها في هذه السنة مجاعة، وأصابهم منها شدة هلك فيها الناس، وفروا عنها وظهر اختلال أحوالها وفقاء حامتها، فجهز إليها رجار طاغية صقليّة أسطولاً لحصارها بعد استيلائه على المهدية وصفاقس واستقرار ولايته فيها، ووقع بين أهل طرابلس الخلاف فغلب عليهم جرجي بن ميخائيل قائد الأسطول وملكيها، وأخرج منها بني خزرون وولي على البلد شيخهم أبي يحيى بن مطروح التميمي، فانقرض أمر بني خزرون منها ويقي منهم من بقي بالضاحية إلى أن افتتح المحدون إفريقيا وكانت ثورة المسلمين بهم، وإخراج النصارى من بين ظهرهم كما ذكرنا في أخبار إفريقيا آخر الدولة الصنهاجية.

والملك لله وحده يوتيه من يشاء من عباده سبحانه لا إله غيره.

## الخبر عن بنى يعلى ملوك تلمسان من آل خزر من أهل الطبقة الأولى والإمام بعض أحوالهم ومصائرها

قد ذكرنا في أخبار محمد بن خزر وبنيه أن محمد بن الخبر الذي قتل نفسه في معركة بلكين كان من ولد الخبر وبعلى، وأنهم الذين ثاروا منهم باليهم زيري فقتلوه واتبعهم بلكين من بعد ذلك وأجلفهم إلى المغرب الأقصى حتى قتل محمد منهم

وخطاب الخليفة بالقاهرة الظاهر بن الحكم سنة سبع عشر وأربعينات بالطاعة وضممان السابلة وتشييع الرفاق، ومحظب عهده على طرابلس فأجابه إلى ذلك، وانتظم في عمله.

وأوفد في هذه السنة أخيه حمادًا على المعرّب بهديته فقبلها وكفاه عليهما.

هذا آخر ما حدث به ابن الرقيق من أخبارهم، ونقل ابن حماد وغيره أن المعرّب زحف أعوام ثلاثين وأربعينات إلى زناته بجهات طرابلس، فبرزوا إليه وهزموه.

وقتلوا عبد الله بن حماد وسبوا أخته أم العلو بنت باديس، ومنوا عليها بعد حين وأطلقوا إلى أخيها. ثم زحف إليهم ثانية فهزموه.

ثم اتيحت له الكرّة عليهم فغلبهم وأذعنوا لسلطانه، واتفقا بالمهادنة، فاستقام أمرهم على ذلك.

كان خزرون بن سعيد لما غلبه خليفة بن وروا على زناته لحق بمصر، فآقام فيها بدار الخلافة ونشأ بنوه بها، وكان منهم المتصرّ بن خزرون وأخوه سعيد.

ولما وقعت الفتنة بين الترك والمغاربة بمصر وغلبهم الترك وأجلوهم عنها، لحق المتصرّ وسعيد طرابلس وأقاما في نواحيها.

ثم ولّي سعيد أمر طرابلس ولم يزل والياً عليهما إلى أن هلك سنة سبع وعشرين وأربعين.

وقال أبو محمد التيجاني في رحلته عند ذكر طرابلس: ولما قتلت زغبة سعيد بن خزرون سنة تسع وعشرين وأربعين قدم خليفة بن خزرون من القبطون بقومه إلى ولايتها، فاماكنه منها رئيس الشورى بها يومئذ من الفقهاء أبو الحسن بن المنمر المشتهر بعلم الفراشين، وبايع له، وقام بها خزرون إلى ستة ثلاثين وأربعينات بعدها فقدم المتصرّ بن خزرون في ربيع الأول منها، ومعه عساكر زناته، فقرّ خزرون بن خليفة من طرابلس مخفياً، وملكتها المتصرّ بن خزرون، وأوقع بابن المشر ونفاء، واتصلت بها إمارته انتهى ما نقله التيجاني.

وهذا الخبر مشكل من جهة أن زغبة من العرب الهماليين وإنما جاؤوا إلى إفريقيا من مصر بعد الأربعين من تلك المائة، فلا يكون وجودهم طرابلس سنة تسع وعشرين وأربعينات إلا أن كان تقدّم بعض أجيالهم إلى إفريقيا من قبل ذلك فقد كان بنو قرة برقة، وبعثهم الحاكم مع يحيى بن علي بن حدون إلا أن ذلك لم ينلنه أحد.

أمراء تلمسان حروب ووقائع وكان زبغة أقرب إليهم بالمواطن وكان أمير تلمسان لهدهم يعني من ولد يعلى وكان وزيره وقائد حروبه أبو سعدي بن خليفة بن اليفريني، فكان كثيراً ما يخرج بالعساكر من تلمسان لقتال عرب الأثيبي وزبغة، ويحشد من إلهم من زناته من أهل المغرب الأوسط مثل مغراوة وبني يلوموا وبني عبد الواد وتوجين وبني مرين، وهلك في بعض تلك الملاحم هذا الوزير أبو سعدي أعمام خسرين وأربعين.

ثم ملك المرابطون أعمال المغرب الأقصى بعد مهلك بختي، ولولاية ابنه العباس بن بختي بتلمسان.

وسَرَّحَ يوسف بن تاشفين قائد مزدلي في عساكر لمنونة لحرب من يقي بتلمسان من مغراوة، ومن لحق بهم من فل بيزيри وقومهم، فدوَّنَ المغرب الأوسط وظفر بيعلى بن العباس بن بختي، بوز لدافعتهم، فهزمه وقتلها وانكفا راجعاً إلى المغرب.

ثم نهض يوسف بن تاشفين بنفسه في جموع المرابطين سنة ثلاث وسبعين فافتتح تلمسان واستلحَمَ بي يعلى ومن كان بها من مغراوة وقتل العباس بن بختي أميراً لها من بني يعلى.

ثم افتتح وهران وتنس وملك جبل وانشريش وشلف إلى الجزائر وانكفا راجعاً وقد حما مغراوة من المغرب الأوسط وأنزل محمد بن تينعم السوفي في عسكر من المرابطين بتلمسان، واحتَطَ مدينة تاكارارت بمكان معكسر وهو اسم محله بلسان البربر، وهي التي صارت اليوم مع تلمسان القديمة التي تسمى أكادير بلدًا واحدًا، وانقرض أمر مغراوة من جميع المغرب كأن لم يكن والبقاء لله وحده سبحانه.

### الخبر عن أمراء أغمات من مغراوة

لم أقف على أسماء هؤلاء إلا أنهم كانوا أمراء بأغمات آخر دولة بي زيري بفاس، وبني يعلى اليفريني بسلا وتناولوا في جوار المصامدة وبرغواطة.

وكان لقُوط بن يوسف بن علي آخرهم في سني الخمسين وأربعين، وكانت امرأته زينب بنت إسحاق النزاوية من إحدى نساء العالم المشهورات بالجمال والرقة.

ولما غلب المرابطون على أغمات سنة تسع وأربعين وأربعين فرقَّوط هذا إلى تادلا ونزل على محمد بن تميم اليفريني صاحب سلا وأعمالها، إلى أن افتتح المرابطون تادلاستة إحدى وخمسين وأربعين، وقتل الأمير محمد. واستلحَمَ بي يفرن،

صبراً أعوام ستين وثلاثمائة بناوحي سجلماسة قبل وصول معد إلى القاهرة، وولادة بلَكين على إفريقية وقام بامر زناته بعد الحير ابنه محمد، وعمه يعلى بن محمد. وتكررت إجازة محمد بن الحير هذا وعمه يعلى إلى النصور بن أبي عامر كما ذكرنا ذلك من قبل. وغلبهم أباينا عطيه بن عبد الله بن خزر وهم مقاتل وزيري على رياضة مغراوة.

وهلك مقاتل واختصَّ المنصور زيري بن عطيه بإثرته، وولاه على المغرب كما ذكرنا، وقارن ذلك مهلك بلَكين وانتقض أبي البار بن زيري صاحب المغرب الأوسط على باديس، فكان من شأنه مع زيري ويدو بن يعلى ما قدَّمه.

ثم استقلَّ زيري وغلبهم جيئاً على المغرب، ثم انتقض على المنصور فأجاز إليه ابنه المظفر وأخرج زناته من المغرب الأوسط، فتوغلَّ زيري في المغرب الأوسط ونازل أمصاره وانتهى إلى المسيلة وأشير.

وكان سعيد بن خزرون قد برع إلى صنهاجة وملك طينة واجتمع زناته بإفريقية عليه وعلى ابنه فلفول من بعده.

وانقض فلفول على باديس عند زحف زيري إلى المسيلة وأشير، وشنَّلَّ باديس ثم ابنه المنصور على المغرب الأوسط محرب فلفول وقومه، ودفعوا إليه حماد بن بلَكين فكانت بينه وبين زناته حروب سجال، وهلك زيري بن عطيه واستقلَّ المعزَّ ابن بملك المغرب سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة وغلب صنهاجة على تلمسان وما إليها، واحتَطَّ مدينة وجدة كما ذكرنا ذلك كلَّه من قبل.

ونزل يعلى بن محمد مدينة تلمسان فكانت خالصة له، وبقي ملكها وسائر ضواحيها في عقبه.

ثم هلك حماد بعد استباده ببلاد صنهاجة على آل بلَكين وشنَّلَّ بهم مجرب بي باديس، فاستوست ملك بي يعلى خلال ذلك بتلمسان، وانختلفت أيامهم مع آل حماد سلماً وحرباً.

ولما دخل العرب الملايين إفريقية وغلبوا المزَّ وقومه عليها واقتسموا سائر أعمالها، ثم تحطوا إلى أعمال بي حماد فأجحروهم بالقلعة وغلوهم على الضواحي فرجعوا إلى استيلائهم واستخلصوا الأثيبي منهم وزبغة.

فاستظهروا بهم على زناته المغرب الأوسط وأنزلوهم بالزاب، وأنقطعوا لهم الكثير من أعماله فكانت بينهم وبين بي يعلى

## الخبر عن بنى سنجاس وريفة والأغواط وبني ورا من قبائل

وجاء العرب الهملايين وغلبوا على الضواحي كلَّ من كان بها من صنهاجة وزنانة، وخبيث فلهم إلى المخصوص والمعاقل، وضررت عليهم المغارم إلا ما كان ببلاد القرف مثل جبل راشد، فإنهم بعدهم عن منازل الملك لا يعطون مغرماً، إلا أنه غالب عليهم هنالك العمور من بطون الهملايين، وتزلوا معهم.

ولمكروا عليهم أمرهم وصاروا لهم فيتنة ومن بنى سنجاس من نزل بالزاب، وهو لهذا العهد أهل مغارم لمن غالب على ثغورهم من مشيختهم، وأما من نزل منهم ببلاد شلف ونواحي قسطنطينة فهم لهذا العهد أهل مغارم الدول.

وكان دينهم جميعاً الخارجية على سنت زنانة في الطبقة الأولى، ومن بقي منهم اليوم بالزاب فعل ذلك.

ومن بنى سنجاس هؤلاء بارض المشتل ما بين الزاب وجبل راشد أوطنوا جباله في جوار غمرة وصاروا عند تغلب الهملايين في ملكهم يقضون الآثارة منهم.

ونزل منهم لهذا العهد السحاري من بطون عروة من زنجية، ولغلوهم على أمرهم وأصاروه خولاً.

وأما بنو ريفنة فكانوا أحياء متعددة ولما افترق أمر زنانة تخبيث منهم إلى جبل عياض وما إليه من البسيط إلى تقاورس وأقاموا في قياطفهم، فمن كان بجبل عياض منهم أهل مغارم لأمراء عياض يقضونها منهم للدولة الغالبة بحجارة، وأما من كان بسيط تقاورس فهو في أقطاع العرب لهذا العهد.

ونزل أيضاً الكثير منهم ما بين قصور الزاب وواركلا فالخطروا قرى كثيرة في عدوة واد ينحدر من الغرب إلى الشرق ويشمل على المصر الكبير والقرية المتوسطة، والأطم قد رف عليها الشجر ونضدت حفانيتها التخل، وانساحت خلاها المياه، وزهرت ببابها الصحراء، وكثر في قصورها العمران من ريفنة هؤلاء، وبهم تعرف لهذا العهد، وهو أكثرها.

ومن بنى سنجاس وبني بفرن وغيرهم من قبائل زنانة، وفرقت جاعتهم للتنافع في الرياسة فاستقلت كل طائفة منهم بقصور منها أو بواحد.

ولقد كانت فيما يقال أكثر من هذا العدد أضعافاً وأن ابن غالانية المسوبي حين كان يجلب على بلاد إفريقيا والمغرب في فنته مع الموحدين خرب عمراها، واجتث شجرها، وغور مياهها، ويشهد لذلك أثر العمران بها في أطلال الديار ورسوم البناء وأعجاز التخل المتقعر، وكان هذا العمل يرجع في أول الدولة الخصبة لعامل الزاب وكان من الموحدين، ونزل بسكرة يتزدد ما

فكان الأمير لقوط فيما استلحهم وخلفه أبو بكر بن عمر أمير المرابطين على زبيب بنت إسحاق حتى إذا ارتحل إلى الصحراء سنة ثلاثة وخمسين وأربعين واستعمل ابن عمّه يوسف بن تاشفين على المغرب، نزل له عن زوجه زبيب هذه فكان لها في سياسة أمره وسلطانه، وما أشارت إليه عند منازعته، وخلص يوسف بن تاشفين ملكه كما ذكرنا في أخبارهم.

ولم تقف من أخبار لقوط بن يوسف وقومه على غير هذا الذي كتبناه، والله ولِي العون سبحانه.

## الخبر عن بنى سنجاس وريفة والأغواط

### وبني ورا من قبائل مغراوة من أهل الطبقة

#### الأولى وتصاريف أحواهم

هذه البطون الأربعية من بطون مغراوة وقد زعم بعض الناس أنهم من بطون زنانة غير مغراوة.

أخبرني بذلك الثقة عن إبراهيم بن عبد الله التيموزغي قال وهو نسبة زنانة لمدهه: ولم تزل هذه البطون الأربعية من أوسع بطون مغراوة.

فاما بنو سنجاس فلهم مواطن في كل عمل من إفريقيا والمغاربة، فمنهم قبلة المغرب الأوسط بجبل راشد وجبل كريكة ويعمل الزاب ويعمل شلف، ومن بطونهم بنو غيار ببلاد شلف أيضاً، وبنو غيار يعمل قسطنطينة.

وكان بنو سنجاس هؤلاء من أوسع القبائل وأكثرهم عدداً، وكان لهم في فتنة زنانة وصنهاجة آثار بإفريقيا والمغرب، وأكثرها في إفساد السبيل والعيث في المدن، ونالوا قصة سنة أربع عشرة وخمسينية بعد أن عاثوا بجهات القصر، وقتلوا من وجدوا هناك من عسكر ملوكه.

وخرجت إليهم حامية قصبة فائخنا فيهم، ثم كثروا فسادهم، وسرح السلطان قائدته محمد بن أبي العرب في العساكر إلى بلاد الجريد فشردتهم عنها وأصلح السالية.

ثم عادوا إلى مثليها سنة خمس عشرة وخمسينية فأوقع بهم قائد بلاد الجريد وأخوه فيهم بالقتل، وحمل رؤوسهم إلى القبروان فعظم الفتح فيهم، ولم تزل الدولة تتبعهم بالقتل والإثخان إلى أن خضدوا من شوكهم.

والسوس ومنهم ببلاد شلف ومنهم بناحية قسطنطينة ولم يزالوا على حالم منذ انقراض زناتة الأولين، وهم لهذا العهد أهل مغارم وعسكرة مع الدول، وأكثر الذين كانوا بمراكش قد انتقل رؤساوهم إلى ناحية شلف فقلهم يوسف بن يعقوب سلطان بني مرین في أول هذه المایة الثامنة، لما ارتاب بأمرهم في تلك الناحية، وخشي من فسادهم وعيثهم، فقلهم في عسكر إلى موطن شلف لحمايةه، فنزلوا به.

وطا ارتحل بنو مرین بعد مهلك يوسف بن يعقوب أقاموا ببلاد شلف فأعاقبهم به لهذا العهد، وأحوالهم جميعاً في كل قطر متقاربة في المغرم والعسكرة مع السلطان وله الخلق والأمر جميعاً.  
سبحانه لا إله إلا هو الملك العظيم.

### الخبر عنبني يربناني إخوة مغراوة وتصاريف أحواهم

قد ذكرنا ببني يربناني هؤلاء، وأنهم إخوة مغراوة وبني يفرن، والكل ولد يصلين ونسبهم جميعاً إلى جانا مذكور هناك، وهم مبثوثون كثيراً بين زناتة في المواطن.

واما الجمورو منهم فموطتهم مملوكة من المغرب الأقصى ما بين سجلماسة وكرسيف، كانوا هناك معاورين لكتناسة في مواطنهم، واختطروا حفافي وادي ملوكة قصوراً كثيرة متقاربة الخطأ، وزلزواها وتعذر بطرنهم وأفادوها في تلك الجهات.

ومنهم بنو وطاط متوطنو لهذا العهد بالجبال المطلة على وادي ملوكة من جهة القبلة، ما بينه وبين تازى وفاس، بهم تُعرف تلك القصور لهذا العهد، وكان لبني يربناني هؤلاء صولة واعتزار، وأجاز الحكم بن المستنصر منهم، والمنصور بن أبي عامر من بعده فيما أجازوه من زناتة ثم في المایة الرابعة، وكانتوا من أفشل جند الأندلس وأشدتهم شوكة.

ويقي أهل المواطن منهم في مواطنهم مع مكتناسة أيام ملوكهم، ويجههم عصبية يجئ.

نم كانوا مع مغراوة أيضاً أيام ملوكهم المغرب الأقصى ولما ملك لتوة والموحدون من بعدهم حتى الظواعن منهم بالقفر، فاختلطوا بأحياء بني مرین الموالين لتلول المغرب من زناتة، أقاموا معهم في أحياائهم، ويقي من عجز عن الظعن منهم مواطنهم: مثل بني وطاط وغيرهم، ففرضت عليهم المثارم والجباريات.  
ولما دخل بنو مرین للمغرب ساهموا في أقسام أعماله،

بينها وبين مقره، وكان من أعماله قصور واركلة أيضاً.

ولما فتك المتصرّع بشيخة الدواودة كما قتلناه في أخباره، وقتلوا بعد ذلك عامل الزراب ابن عترة من مشيخة الموحدين، وغلبوا ضواحي الزراب وريغة وواركلة، وأقطعتهم إياها الدول بعد ذلك فصارت في إقطاعهم.

ثم عقد صاحب مجابة بعد ذلك على العمل كله لمنصور بن مزني واستقر في عقبه.

فربما يسمون بعض الأحيان أهل تلك القصور الغرم للسلطان بما كان من الأمر القديم، وبعسر عليهم في ذلك كتاب من رجاله الزراب وخليفة العرب، وبيهون عليها الأمر الدواودة ثم يقاسمهم فيما يترى لهم.

وأكبر هذه الأمصار تسمى تقرت، مصر مستبحر العمران بدوي الأحوال، كثير المياه والنخل، ورياسته في بني يوسف بن عبد الله كانت لعبد الله بن يوسف، ثم لابنه داود، ثم لأخيه يوسف بن عبد الله.

وتغلب على واركلة من يد أبي بكر بن موسى أزمان حداته، وأضافها إلى عمله.

ثم هلك وصار أمر تقرت لأخيه مسعود بن عبد الله، ثم لابنه حسن بن مسعود، ثم لابنه أحمد بن حسن شيخها لهذا العهد. وبنو يوسف بن عبد الله هؤلاء من ربيغة، ويقال: إنهم من سنجاس، وفي أهل تلك الأمصار من مذاهب الخارج وفرقهم كثير، وأكثراهم على دين العزابة ومنهم النكارة، وأقاموا على انتقال هذه الخارجية بعدهم عن مثال الأحكام.

ثم بعد مدينة تقرت بلد تماسين وهي دونها في العمran والخطة ورياسته لبني إبراهيم من ربيغة وسائر أمصارهم كذلك، كل مصر منها مستبد بأمره وحرب بحارة.

واما لتوط وهم فخذ من مغراوة أيضاً لهم في نواحي الصحراء ما بين الزراب وجبل راشد، وهم هناك قصر مشهور بهم، فيه فريق من أعقابهم على سفح من العيش لتوغله في القفر، وهو مشهورون بالنجدة والامتناع من العرب، وبينهم وبين الدوسن أقصى عمل الزراب مرحلتان، وتختلف قصورهم إليهم لتحصيل المرافق منهم.

والله يخلق ما يشاء وينتار.

واما بنو ورا فهم فخذ من مغراوة أيضاً، ويقال من زناتة وهم متشربون ومفترقون بنواحي المغرب: فمنهم بناحية مراكش

منه منداس ما بين بي يفرن من جانب الغرب، ولواثة من جانب القبلة في السرسو، ومطمطة من جانب الشرق في وانشريش، وكان أميرهم لهد يعلى بن محمد اليفرنى رجلاً منهم اسمه عنان، وكانت بينهم وبين لواثة الموطنين بالسرسو قترة متصلة، يذكر أنها بسبب امرأة من وجديين نكحت في لواثة وتلا، جامعها نساء قيوطنهم فعيرنها بالفقر، فكتبت بذلك إلى عنان تدمره، غضب واستجاش باهل عصبه من زناته وجيانته، فزحف معه على في بي يفرن وكلام بن حياتي في مغيلة وغرابة في مطمطة، ودارت الحرب بينهم وبين لواثة ملياً.

ثم غلباً لواثة على بلاد السرسو وانهوا بهم إلى كدية العابد من آخرها وهلك عنان شيخ وجديين في بعض تلك الرقائع بملاكو من جهات السرسو.

ثم جلت لواثة إلى جبل كريكة قبلة السرسو، وكان يسكنه أحياء من مغراوة يعرف شيخهم لذلك العهد علام ربيب لشيخهم عمر بن تامصا المثالك قبله، ومعنى تامصا بلسان البربر الغول.

ولما جلت لواثة إليه غدر بهم وأغرى قومه، فرضعوا أيديهم سلباً وقتلاً فلاذوا بالفار ولحقوا بجييل لعود وجبل دراك فاستقروا هنالك آخر الدهر.

ورثت وجديين مواطنهم منداس إلى أن غلبهم عليها بنو يلومن، وبني ومانور كل من جهة، ثم غالب الآخرين عليها بنو عبد الوادع بنو توجين إلى هذا العهد والله وارث الأرض ومن عليها.

وأما واغمرت ويسمون لهذا العهد غمرت، وهم إخوة وجديين من ولد ورتبيص بن جاناً كما قلناه.

فكانتوا من أوفر القبائل عدداً، ومواطنهم متفرقة، وجوهورهم بالجبال إلى قبلة بلاد صنهاجة من المشتل إلى الدوسن وكان لهم مع أبي يزيد صاحب الحمار في الشيعة آثار، وأوقع بهم إسماعيل القائم عند ظهوره على أبي يزيد وألتحن فيه، وكذلك بلّكين وصنهاجة من بعده.

ولما افترق أمر صنهاجة لحماد وبنيه كانوا شيئاً لهم على بي بلّكين.

ونزع عن حماد أيام فنته ابن أبي جلى من مشيختهم، وكان مختصاً به، فنزع إلى باديس، فوصله وحمل أصحابه، وعقد له على طبنة وأعمالها.

حتى إذا جاء العرب الملاليون وغلبوا عليهم على الضواحي

وأقطعوا لهم البلد الطيب من ضواحي سلا والمعمورة، زيادة إلى وطههم الأول بعلوية، وأنزلوهم بنواحي سلا بعد أن كان منهم أحراف عنهم في سبيل المدافعة عن مواطنهم الأول.

ثم أصبحوا ورعاً لهم بن عبد الحق سابقتهم معهم فاصطفوا للوزارة والتقدم في الحروب، ودفعواهم إلى الهمات وخلطوا بهم بأنفسهم.

وكان من أكابر رجالاتهم لعهد السلطان أبي يعقوب وأخيه أبي سعيد الوزير إبراهيم بن عيسى، استخلصوه للوزارة مرة بعد أخرى، واستعمله السلطان أبو سعيد على وزارة ابنه أبي علي، ثم لوزارة.

واستعمل ابنه السلطان أبو الحسن أبناء إبراهيم هنا في أكابر الخدام فقد لسعود بن إبراهيم على أعمال السوس عندما فتحها أعداء الثلاثين وسبعينية، ثم عزله بأخيه حسون، وعقد لسعود على بلاد الجريد من إفريقيا عند فتحه إليها ستة ثمان وأربعين وسبعينة وكان فيها مهلكه.

ونظم أخاهما موسى في طبة الوزارة، ثم افرد بها أيام نكتبه وحاته بمجله هتاتنة، واستعمله السلطان أبو عنان بعد في العظيمات، وعهد له على أعمال سديركش بنواحي قسطنطينة ورشح ابنه محمد السُّبُّع لوزارته إلى أن هلك، وتقلّبت بهم الأيام بعده.

وقلد عبد الحليم المعروف مجله ابن السلطان أبي على وزارته محمد بن السُّبُّع بعد هذا أيام حصاره لدار ملكهم ستة وسبعين وستين وسبعينة، كما نذكره في أخبارهم، فلم يقدر لهم الظفر.

ثم رجع السُّبُّع بعدها إلى عمله من دار السلطان وطبة الوزارة، وما زال يصرّف في الخدم الجليلة والأعمال الواسعة ما بين سجلمسة ومراكبش وأعمال تازى وتادلا وغمار، وهو على ذلك لهذا العهد.

والله وارث الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين.

## الخبر عن وجديين وواغمرت من قبائل زناته ومبادئه أحواهم وتصاريفها

قد تقدم أن هذين البطرين من بطن زناته من ولد ورتبيص بن جاناً، وكان لهم عدد وقوفه، ومواطنهم متفرقة في بلاد زناته.

فاما وجديين فكان جوهرهم بالغرب الأوسط، ومواطنهم

خمس وعشرين وثلاثمائة، وكان مقامه بينهم سنة مختلف إلى بيني بربال قبلة المسيلة بسالات، وإلى قبائل البربر بجبل أوراس، يدعوهم جميعاً إلى مذهب النكاري، إلى أن ارتحل إلى أوراس، واستبحر عمران هذا المصر واعتصم به بنو واركلا هؤلاء، والكثير من ظواعن زناتة عند غلب الahlابيين إياهم على المواطن، واحتضان الأئمّة بضواحي القلعة والزاب وما إليها.

ولما استبدَّ الأمير أبو زكريا بن أبي حفص بملك إفريقيا وجال في نواحيها في أتباع ابن غانية، مرّ بهذا المصر فاعجبه وكلف بالزيادة في تصويره، فاختطَّ مسجده.

العنيق وأمانته المرتفعة، وكتب عليها اسمه وتاريخ وضعه نقشًا في الحجارة.

وهذا البلد لهذا العهد بباب لولوج السفر من الزاب إلى المفارة الصحراوية المفضية إلى بلاد السودان يسلكها التجار الداخلون إليها بالبضائع وسكانها لهذا العهد من أعقاب بنى واركلا وأعقاب إخوانهم من بنى بفرن ومغراوة، ويعرف رئيسه باسم السلطان، شهْرَة غير نكيرة بينهم، ورياسته لهذه الأعصار مخصوصة بيني أبي غبول، وزعمونون أنهم من بنى واكير إحدى بيوت بنى واركلا، وهو بهذا العهد أبو بكر بن موسى بن سليمان من بنى أبي غبول، ورياستهم متصلة في عمود هذا النسب وعلى عشرين مرحلة من هذا المصر في القبلة منحرفاً إلى الغرب يسير بلد تكدة قاعدة وطن الماشين وركاب الحاج من السودان اخْطَه الم��ون من صنهاجة وهم ساكنوه لهذا العهد، وصاحبُهُ أمير من بيوتاتهم يعرفونه باسم السلطان، وبينه وبين أمير الزاب مراسلة ومهادنة.

ولقد قدمت على بسكرة ستة أربع وخمسين أيام السلطان أبي عيان في بعض الأغراض السلطانية ولقيت رسول صاحب تكدة عند يوسف بن مزنِي أمير بسكرة، وأخبرني عن استبحار هذا المصر في العمارة ومرور السابلة، وقال لي: اجتازنا بنا هذا العام سفرًّا من تجَّارَ المشرق إلى بلد مالي كانت ركابهم اثنى عشر ألف راحلة.

وذكر لي غيره أن ذلك هو لشان في كل ستة.

وهذا البلد في طاعة سلطان مالي من السودان كما في سائر تلك البلاد الصحراوية المعروفة بالملشين لهذا العهد، والله غالب على أمره سبحانه.

اعتصموا بتلك الجبال قبلة المسيلة وببلاد صنهاجة، وصدوا بها عن الطعن، وتركوا القبطون إلى مسكنى المدن.

ولما تقلب الدواودة على ضواحي الزاب وما إليها، أقطعتهم الدولة مغارم هذه الجبال التي لغمرت.

وهم لهذا العهد في سهمان أولاد يحيى بن علي بن سباع من بطونهم وكان في القديم من غمرت هؤلاء كاهن زناتة موسى بن صالح مشهور عندهم حتى الآن، ويتناقلون بينهم كلماته ببرطائهم على طريقة الرجز، فيها أخبار بالخدنان فيما يكون لهذا الجيل الزناتي من الملك والدولة، والتغلب على الأحياء والقبائل وبالبلدان.

شهد كثير من الواقعات على وفقها بصحتها، حتى لقد نقلوا من بعض كلماته ما معناه باللسان العربي أن تلمسان ينالها الخراب، وتصير دورها فدنا حتى يثير أرضها حراث أسود يثور أسود أعور.

وذكر الثقات أنهم عاينوا ذلك بعد انتشار كلامه هذه أيام لخطها الخراب في دولة بني مرين الثانية سنة ستين وسبعين، وأفطرت الخلاف بين هذا الجيل الزناتي في التشيع له والحمل عليه، فمتهمن من يزعزع أنه ولِي أو نبي، وآخرون يقولون: كاهن، ولم تفتني الأخبار الصحيحة على الجلي من أمره.

والله تعالى أعلم لا رب غيره.

## الخبر عن بنى واركلا من بطون زناتة والمصر المنسوب إليهم بصحراء إفريقيا

### وتصاريف أحواهم

بنو واركلا هؤلاء إحدى بطون زناتة كما تقدم، من ولد فربني بن جانا، وقد مر ذكرهم. وإن إخوانهم يزمرن ومنحصة وثالثة المعروفون لهذا العهد، منهم بنو واركلا وكانت فتتهم قليلة، وكانت مواطنهم قبلة الزاب، واحتظروا المصر المعروف بهم لهذا العهد على ثمانى مراحل من بسكرة في القبلة عنها ميامنة إلى المغرب، بتوها قصورةً مقتربة الخطأ.

ثم استبحر عمرانها فاتلتقت وصارت مصرًا واحدًا.

وكان معهم هنالك جماعة من بنى زنداك من مغراوة، والبعض كان هرب ابن أبي زيد النكاري عند فراره من الاعتقال لستة

الخبر عنبني بربزال إحدى بطون دمر وما كان لهم من

وأربعين بعدها إلى صنبع دعا إليه الجفلي من أهل أعماله،  
واختصتهم بدخول حام أعد لهم استبلاغاً في تكريهم.

وخلَّف ابن نوح عنده من بينهم، فلما حصلوا داخل الحمام  
طبقه عليهم، وسدّ المنافس للهواء دونهم إلى أن هلكوا.

ونجا منهم ابن نوح لسالفته يده، وطير في الحين من تسلّم  
معاملتهم وحصونهم، فانتظهم في أعماله.

وكان منهم وفدة وشريش وسائل أعمالها، وهلك من بعد  
ذلك الحاجب أبو مناد بن نوح، وولي ابنه أبو عبد الله، ولم يزد  
المتعدد بضايقه إلى أن اخْتَلَعَ له سنة ثمان وخمسين، فانتظمهَا في  
أعماله وصار إليه محمد بن أبي مناد إلى أن هلك سنة ثمان وستين  
وافتراض ملكبني نوح والبقاء لله وحده سبحانه.

### الخبر عنبني بربزال إحدى بطون دمر وما كان لهم من الملك بقراونة وأعمالها بالأندلس أيام الطوائف وأوّلية ذلك ومصائره

قد تقدم لنا أنبني بربزال هؤلاء من ولد ورنيد بن وانتن بن  
واردين بن دمر، كما ذكره ابن حزم، وأن إخوتهم بنو يصدرين  
وبنوا صغار، وبنوا بطرفت.

وكان بنو بربزال هؤلاء بفاريقية، وكانت مواطنهم منها جبل  
سالات وما إليها من أعمال المسيلة.

وكان لهم ظهور ووفر عدد، وكانت نكارة من فرق  
الخوارج.

ولما فرَّ أبو زيد أمير إسماعيل المتصور، وبِلَهُ أنَّ مُحَمَّدَ بن  
خزر يترصد له، أجمع الاعتصام بسالات وصعد إليهم، ثم أرهقته  
عساكر المتصور فانتقل عنهم إلى كتمانة، وكان من أمره ما قدمناه.

ثم استقام بنو بربزال على طاعة الشيعة وموالاة جعفر بن  
علي بن حدون صاحب المسيلة والزاب، حتى صاروا له شيئاً.

ولما انتقض جعفر على معدّ ستة سنتين وتلائمة كان بنو  
برزال هؤلاء في جلته ومن أهل خصوصيته، فأجازوا به البحر إلى  
الأندلس أيام الحكم المستنصر، فاستخدمهم ونظمهم في طبقات  
جنده إلى من كان لحق به من قبائل زناته وسائل المسيلة أيام أخْلَم  
بالدعاة الأموية، ومحاربتهم عليها للأدارسة، فاستقرّوا جميعاً  
بالأندلس وكان لبني بربزال من بينهم ظهور وغناء مشهور.

### الخبر عن دمر من بطون زناته ومن ولـي منهم بالأندلس وأوّلية ذلك ومصائره

بني دمر هؤلاء من زناته وقد تقدم لهم من ولد ورسيك  
بن أديدت بن جانا، وشعوبهم كثيرة، وكانت مواطنهم بفاريقية في  
نواحي طرابلس وجبلها وكان منهم آخرون ظواعن بالضواحي  
من عرب إفريقية.

ومن بطونهم إيدمر هؤلاء بنو ورغمة، وهم لهذا العهد مع  
قومهم بجبال طرابلس.

ومن بطونهم أيضاً بطن مسَعَ كثير الشعوب وهو: بنو  
ورنيد بن وانتن بن واردين بن دمر، وأن من شعوبهمبني ورتاتين  
وبني غرزول وبني تشورت، وربما يقال: إن هؤلاء الشعوب لا  
يتسبّبون إلى دمر من ورنيد كما تقدم، وبقايابني ورنيد لهذا العهد  
بالجبل المطل على تلمسان، بعد أن كانوا في البسيط قبلته، فزحفهم  
بوروشيد حين دخولهم من بلادهم بالصحراء إلى التل، وغلبُهم  
على تلك البساطة فازدوا إلى الجبل المعروف بهم لهذا العهد،  
وهر المطل على تلمسان وكان قد أجاز إلى الأندلس من إيدمر  
هؤلاء أعيان ورجالات حرب فيمن أجاز إليها من زناته وسائل  
البربر، أيام أخذتهم بدعة الحكم المستنصر فضمّهم السلطان إلى  
عسكره، واستظهر بهم المنصور بن أبي عامر من بعد ذلك على  
شأنه، وفرى بهم المستعين أديم دولته، ولا أصوصصب البربر على  
المستعين وبني حمود من بعده وغالباً جنود الأندلس من العرب،  
وكانت الفتنة الطويلة بينهم التي ثارت سلك الخلافة وفرقت شمل  
الجماعة، واقتسموا خطط الملك وولايات الأعمال، وكان من  
رجالاتهم نوح الدمرى، وكان من عظماء أصحاب المنصور،  
وولاه المستعين أعمال مودور وأركش فاستبد بها سنتُ أربع في  
غمار الفتنة، وأقام بها سلطاناً لنفسه إلى أن هلك سنة ثلاثة  
وثلاثين، فولى ابنه أبي مناد محمد بن نوح وتلقّب بال الحاجب عزّ  
الدولة لقبين في قرن شأن ملوك الطوائف.

وكانت بينه وبين ابن عباد صاحب غرب الأندلس خطوب  
ومرّ المتعدد في بعض أسفاره بمحصن أركش، وتطوّف مختفيًّا فقبض  
عليه بعض أصحاب ابن نوح، وساقه إليه، فخلّى سيفه وأولاه  
كرامة احتسبها عنده يداً وذلك سنة ثلاثة وأربعين، فانطلق إلى دار  
ملكه ورجع بعدها إلى ولاية الملوك الذين حوله من البربر.

وأسجل لابن نوح هذا على عملي أركش ومورور فيمن  
أسجل له منهم، فصاروا إلى مخالصته إلى أن استدعاهم سنة خمس

**الخبر عنبني ومانوا وبني يلومي من الطبقية الأولى من زناته وما كان لهم من الملك والدولة بأعمال المغرب الأوسط ومبدأ ذلك وتصاريفه**

هاتان القبيلتان من بطون زناته ومن توابع الطبقية الأولى، ولم نقف على نسبها إلى جانا، إلا أن نسبتهم متقوفون على أن يلومي وورتاجن الذي هو أبو مرين أخوان، وأن مديون آخرهما للام، ذكر لي ذلك غير واحد من نسباتهم.

وينو مرين لهذا العهد يعرفون لهم هذا النسب، ويرجون لهم العصبية به.

وكانت هاتان القبيلتان من أوفر بطون زناته وأشدتهم شوكة، ومواطنهم جميعاً بالغرب الأوسط.

وينو ومانوا منهم إلى جهة الشرق عن وادي في ميناس ومرات وما إليها من أسافل شلف وينو يلومي بالعدوة الغربية منه بالجحبات والبطحاء وسيك وسيرات وجبل هوارة ويني راشد.

وكان مغراوة ويني يفرن يقدم عليهم في الكثرة والقرفة.

ولما غالب بل يكن بن زيري مغراوة ويني يفرن على المغرب الأوسط، وأزاحهم إلى المغرب الأقصى بقيت هاتان القبيلتان مواطنهما، واستعملهم صنهاجة في حربهم، حتى إذا تقلص ملك صنهاجة عن المغرب الأوسط واعتزاوا عليهم واختص الناصر بن علناس صاحب القلعة ومحظى بجاهة بني ومانوا هزلاء بالولاية، فكانوا سيفاً لقومه دون بني يلومي.

وكانت رياسة بني ومانوا في أية منهم يعرفون ببني ماخرخ.

وأشهر المنصور بن الناصر إلى ما خرج منهم في اخته، فزوجها إيه فكان لهم بذلك مزيد ولادة في الدولة.

ولما ملك المرابطون تلمسان أغار عاصم سبعين وأربعينية وانزل يوسف بن تاشفين بها عامله محمد بن تينعم المسرفي، ودخلت أعمال المنصور وملك أمرائها إلى أن نازل المجرائر.

وهلك فولي آخره تاشفين على عمله، فغزوا أثير وافتتحوها وخربيها وكان هذين الحين من زناته أثر في مظاهرته وإمداده أحد عليهم المنصور بعدها وغزوا بني ومانوا في عساكر صنهاجة، وجمع له خلح ماخرخ فهزمه واتبعه منها إلى بجاية، وقتل مدخله إلى

ولما أراد المنصور بن أبي عامر الاستبداد على خليفته هشام، وتوقع التكبير من رجالات الدولة وموالي الحكم، استكثر ببني بزال وغيرهم من البربر وأفاض فيهم الإحسان، فأعتبر أمره وأشتد أزره حتى أسقط رجال الدولة وما رسمها، وأثبت أركان سلطانه ثم قتل أصحابهم جعفر بن يحيى كما ذكرناه خشية عصبيته بهم واستلهامهم من بعده فأصبحوا له عصبة وكان يستعملهم في الولايات النبوية والأعمال الرفيعة وكان من أعيان بني بزال هؤلاء إسحاق بن....، فولاه في قرمانة وأعمالها، فلزم ينزل واليا عليها أيام بن أبي عامر وجدد له العقد عليها المستعين في فتنة البرابة ووليها من بعده ابنه عبد الله.

ولما انقضى ملك بني حمود من قرطبة ودفع أهلها القاسم المأمون عنهم سنة أربع عشرة أربعينية أراد اللحاق بإشبيلية، وبها نائب محمد بن أبي زيري من وجوه البربر، وبقراونة عبد الله بن إسحاق البرزالي فداخلهما القاضي ابن عباد في خلع طاعة القاسم، وصله عن العاملين فأجابا إلى ذلك ثم دس للقاسم بالتحذير من عبد الله بن إسحاق فعدل القاسم عنهم جميعاً إلى شريش، واستبدل كل منهم بعمله.

ثم هلك عبد الله من بعد ذلك، وولى ابنه محمد سنة... وكانت بينه وبين المعتصم بن عباد حرب، وظاهر عليه يحيى بن على بن حمود في منازلة إشبيلية سنة ثمان عشرة وأربعينية ثم اتفق معه ابن عباد بعدها وظاهره على عبد الله بن الأفطس.

وكانت بينهما حرب كانت الدبرة فيها على ابن الأفطس، وتحصل ابنه المظفر قائد العسكر في قبضة محمد بن عبد الله بن إسحاق إلى أن عليه بعد ذلك وأطلقه.

ثم كانت الفتنة بين محمد بن إسحاق وبين المعتصم وأغار إسماعيل بن المعتصم على قرمانة في بعض الأيام بعد أن كمن الكمان من الحياة والرجل، وركب إليه محمد في قومه فاستطرد لهم إسماعيل إلى أن بلغوا الكمان فشاروا بهم وقتلوا محمد البرزالي وذلك سنة أربع وتلاتين وأربعينية وولى ابنه العزيز بن محمد وتلقب بالمستظر مناغياً في ذلك ملوك الطوائف في عهده.

ولم ينزل المعتصم يستولي على غرب الأندلس شيئاً فشيئاً إلى أن ضايقه في عمل قرمانة، واقتطع منها أسيجة والمدور، ثم اخلص له العزيز عن قرمانة سنة تسع وخمسين وأربعينية ونظمها المعتصم في مملكته، وانقضى ملك بني بزال من الأندلس ثم انقض بعد ذلك حيهم من جبل سالات، وأصبحوا في العابرين والبقاء الله وحده سبحانه.

ثم انتقضت زناته بعدها وامتنع بنو يلومي محسنهم الجعبات  
ويعهم شيوخهم سيد الناس ويدرج ابنه أمير الناس فحاصرهم  
عساكر الموحدين وغلبوا عليهم وأشخصوهم إلى المغرب.  
ونزل سيد الناس عراكش، وبها كان ملكه أيام عبد  
المؤمن. وهلك بعد ذلك بنو ماخوخ.

ولما أخذ أمير هذين الحين في الانتهاض جاذب ببني يلومي  
في تلك الأعمال بنو توجين، وشاجروهم في أحواله ثم واقعوهم  
الحرب في جوانبه وتولى ذلك فيهم عطية الخير كبير ببني توجين،  
وصلي بناها منهم معه بنو منكوش من قرمه حتى غلبوهم على  
مواطنهم وأذلوهم وأصاروهم جيرانا لهم في قياطيتهم.

واستعلى بنو عبد الواد وتوجين على هذين الحين وغيرهم  
بوليائهم للموحدين ومخالفتهم إياهم، فذهب شانهم وافتلق  
قيطونهم أوزاعا في زمانه الوارثين أوطانهم من عبد الواد وتوجين  
والبقاء لله سبحانه.

ومن بطون بني ومانوا هؤلاء بنو يالدس وقد يزعم زاعمون  
أنهم من مغراوة مواطنهم متصلة قبلة المغرب الأقصى والأوسط  
وراء العرق الحيط بعماراتها المذكورة قبل.

واحتظوا في المواطن القصور والأطم، واختذلوا بها الجنات  
من التخييل والأعناب وسائر الفواكه، فمنها على ثلاثة مراحل قبلة  
سجلماسة، وتسمى وطن توات، وفيه قصور متعددة تناهى الملايين،  
آخذة من الغرب إلى الشرق وآخرها من جانب الشرق يسمى  
تمنطيت، وهو بلد مستحيр العمران، وهو ركاب التجار المتربدين  
من المغرب إلى بلد ملي من السودان لهذا العهد، ومن بلد مال  
إليه، وبينه وبين ثغر بلد ملي المسمى غار، المفازة الجبلة لا يهتدى  
بها للسلب، ولا يمر الوارد إلا بالدليل الخير من الملتحمين الطواعن  
بذلك القرف، يستاجر التجار على البدرقة بهم بأوفى الشروط،  
ولقد كانت بلد بودي وهي أعلى تلك القصور بناية المغرب من  
ناحية السوس هي الركاب إلى والاتين الثغر الأخير من أعمال  
مالي.

ثم أهملت لما صارت الأعراب من بادية السوس يغيرون  
على ساليتها ويعترضون رفاتها، فتركوا تلك ونهجوا الطريق إلى  
بلد السودان من أعلى تمنطيت.

ومن هذه القصور قبلة تلمسان، وعلى عشر مراحل منها  
قصور يذكرارين وهي كثيرة تقارب المائة في بسيط واد منحدر من  
الغرب إلى الشرق، واستبهرت في العمran وغضت بالساكن.  
وأكثر سكان هذه القصور الغربية في الصحراء بنو يالدس

قصره وقتل زوجه أخت ماخروم تشفيأً وضعنا.

ثم نهض إلى تلمسان في العساكر واحتشد العرب من  
الأربع ورياح وزفة ومن لحق به من زناته وكانت الغزاة المشهورة  
سنة ست وثمانين وأربعين أيقى فيها على ابن تيغور المسوبي  
بعد استمكانه من البلد كما ذكرناه في أخبار صنهاجة.

ثم هلك المتصور وولي ابنه العزيز، وراجع ماخوخ ولاته  
وأصهر إليه العزيز أيضاً في ابنته فزوجها إيهاد.  
 واعتزل البدو في نواحي المغرب الأوسط، واشتعلت نار الفتنة  
بين هذين الحين من بني ومانوا وبني يلومي فكانت بينهم حروب  
ومشاهد.

وهلك ماخوخ وقام بأمره في قرمه بنوه تاشفين وعلى وأبو  
بكر، وكان أحياه زناته الثانية من بني عبد الواد وتوجين وبين راشد  
وبني ورسيفان من مغراوة مددًا للفريقين، وربما ماد بنو مرين  
إخوانهم بني يلومي لقرب مواطنهم منهم، إلا أن زناته الثانية  
لذلك العهد مغلوبون هذين الحين، وأمرهم تبع لهم إلى أن ظهر  
أمر الموحدين.

وزحف عبد المؤمن إلى المغرب الأوسط في اتباع تاشفين بن  
علي، وتقدما أبو بكر بن ماخوخ ويوسف بن يدر من بني ومانوا  
إلى طاعته، ولحقوه بمكانه من أرض الريف، فسرح معهم عساكر  
الموحدين لنظر يوسف بن وانورين وابن يغمور، فاختذلوا في بلاد  
بني يلومي وبيني عبد الواد، ولحق صريحتهم تاشفين بن علي بن  
ابن يوسف، فأمدتهم بالعساكر ونزلوا منداس.

واجتمع لبني يلومي بنو ورسيفان من مغراوة وبينو توجين  
من بني بادين وبنو عبد الواد منهم أيضاً، وشيخهم حامة بن  
مظہر، وبنو يكاسن من بني مرين وأوقعوا بيني ومانوا وقتلوا أبا  
بكر بن ماخوخ في سمتانة منهم واستنقذوا غنائمهم.

وتحصن الموحدون وقل بيني ومانوا بجبل سيرات، ولحق  
تاشفين بن ماخوخ صريحةً بعد المؤمن، وجاء في جله حتى نازل  
تاشفين بن علي بتلمسان.

ولما ارتحل في أثره إلى وهران كما قدمته سرح الشيخ أبو  
حفص في عساكر الموحدين إلى بلاد زناته فنزلوا منداس وسط  
بلادهم، وأختذلوا فيهم حتى أذعنوا للطاعة ودخلوا في الدعوة.

ووفد على عبد المؤمن بمكانه من حصار وهران بشيخهم  
يقدمهم سيد الناس بن أمير الناس شيخ بني يلومي وحامة بن  
مظہر شيخ بني عبد الواد. وعطية الخير شيخ بني توجين وغيرهم،  
فتلقوا بالقبول.

الدول إلى مظاهرتهم ومسالمتهم، حتى انقرضت دولة المرحدين فتطاولوا إلى الملك وضرروا فيه مع أهلهم بهم. وكانت لهم دول نذكراً إن شاء الله تعالى.

وكان أكثر هذه الطبة من بني واسين بن يصطفين إخوة مغراوة وبني يفرن، ويقال: إنهم من بني وانتن بن ورسيك بن جانا إخوة سارت وتاجرت، وقد تقدم ذكر هذه الأنساب وكان من بي واسين هؤلاء بيلد قسطلية.

وذكر ابن الرقيق: أن آبا يزيد النكاري لما ظهر مجبل أوراس كتب إليهم بـكانهم حول توزر بأمرهم بمصارها فحاصروها سنة ثلاثة وثلاثين وثلاثمائة.

وربما أن منهم بيلد الحامة لهذا العهد، وعرفون بي ورتاجن إحدى بطنهم.

وأما جهورهم فلم يزالوا بالغرب الأقصى ما بين ملوية إلى جبل راشد.

وذكر موسى بن أبي العافية في كتابه إلى الناصر الأموي يعرّفه بـهرمه مع ميسور مولى آبي القاسم الشيعي، وعمن صار إليه من قبائل البربر وزناتة، فذكر فيما فهم من كان على مليبة، وصا من قبائل بني واسين وبني يفرن وبني ورتاجن وبني وريت ومطمطة، فذكر منهم بني واسين لأن تلك المواطن من مواطنهم قبل الملك.

وفي هذه الطبة منهم بطرون: فمنهم بـنـو مـرـين، وـهم أـكـثـرـهم عـدـدـاً وـأـقـوـاـهـمـ سـلـطـانـاً وـمـلـكـاً وـأـعـظـمـهـمـ دـوـلـةـ.

ومنهم: أبو عبد الواد تلوهم في الكثرة والقوة، وبنو توجين من بعدهم كذلك هؤلاء أهل الملك من هذه الطبة.

وفيها من غير أهل الملك بـنـو رـاشـدـ إـخـوـةـ بـنـيـ بـادـينـ كماـ نـذـكـرـهـ، وـفيـهاـ أـهـلـ الـمـلـكـ أـيـضاـ مـنـ غـيرـ نـسـبـهـمـ بـقـيـةـ مـغـراـوةـ بـوـاطـنـهـمـ الـأـوـلـىـ مـنـ وـادـيـ شـلـفـ نـبـضـ فـيـهـمـ عـرـوـقـ الـمـلـكـ بـعـدـ اـنـقـراـضـ جـيلـهـ الـأـوـلـ، فـتـجـاـبـوـ حـبـلـهـ مـعـ أـهـلـ هـذـاـ الجـيلـ وـكـانـتـ لـهـ مـلـكـ مـوـاطـنـهـمـ دـوـلـةـ كـمـاـ نـذـكـرـهـ.

ومن أهل هذه الطبة كثير من بطنها ليس لهم ملك يذكرونه الآن حين تفصيل شعوبهم.

وذلك أن أحـيـاءـهـمـ جـيـعاـ تـشـعـبـتـ مـنـ زـحـيـكـ بـنـ وـاسـينـ فـكـانـ مـنـهـمـ بـنـوـ بـادـينـ بـنـ حـمـدـ، وـبـنـ مـرـينـ بـنـ وـرـتـاجـنـ، فـأـمـاـ بـنـ وـرـتـاجـنـ فـعـنـهـمـ مـنـ وـلـدـ وـرـتـاجـنـ بـنـ مـاـخـوـخـ بـنـ وـجـدـيـعـ بـنـ فـاتـنـ بـنـ يـدرـ بـنـ يـخـفـتـ بـنـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ وـرـتـيدـ بـنـ المـغـرـ بـنـ إـبـراهـيمـ بـنـ

هـؤـلـاءـ وـعـهـمـ مـنـ سـائـرـ قـبـائلـ زـنـاتـةـ وـالـبـرـبرـ مـثـلـ وـرـتـطـبـرـ وـمـصـابـ وـبـنـيـ عـبـدـ الـوـادـ وـبـنـيـ مـرـينـ، وـهـمـ أـهـلـ عـدـيدـ وـعـدـةـ وـبـعـدـ عـنـ هـضـيـمـةـ الـأـحـكـامـ وـذـلـكـ الـمـغـارـمـ، وـفـيـهـمـ الـرـجـالـةـ وـالـخـيـالـةـ وـأـكـثـرـ مـعـاشـهـمـ مـنـ فـلـحـ الـنـخلـ، وـفـيـهـمـ التـجـرـ إـلـىـ بـلـدـ السـوـدـانـ وـضـاحـيـهـ كـلـهـاـ مـشـتـأـةـ لـلـعـربـ، وـمـخـصـصـ بـعـيـدـ اللـهـ مـنـ الـمـعـقـلـ، عـيـتـهـمـ لـهـ قـسـمـةـ الـرـحـلـةـ.

وـرـبـماـ شـارـكـهـمـ بـنـوـ عـامـرـ بـنـ زـغـبـةـ فـيـ تـيـكـوـرـارـينـ فـتـصلـ إـلـيـهـ نـاجـعـهـمـ بـعـضـ السـيـنـ.

وـأـمـاـ عـيـدـ اللـهـ فـلـاـ بـدـ لـهـ فـيـ كـلـ سـنـةـ مـنـ رـحـلـةـ الشـتـاءـ إـلـىـ قـصـورـ تـوـاتـ وـبـلـدـ عـنـطـيـتـ، وـمـعـ نـاجـعـهـمـ خـرـجـ قـوـلـ الـتـجـارـ مـنـ الـأـمـصـارـ وـالـتـلـوـلـ حـتـىـ يـخـطـرـوـ بـتـمـنـطـيـتـ. ثـمـ يـبـذـرـقـونـ مـنـهـاـ إـلـىـ بـلـادـ السـوـدـانـ.

وـفـيـ هـذـهـ الـبـلـادـ الصـحـارـاوـيـةـ إـلـىـ مـاـ وـرـاءـ الـعـرـقـ غـرـبـيـةـ فـيـ اـسـتـبـاطـ مـاـيـاهـ الـجـارـيـةـ لـاـ تـوـجـدـ فـيـ تـلـوـلـ الـمـغـرـبـ، وـذـلـكـ أـنـ الـبـشـرـ عـفـرـ عـمـيقـةـ بـعـيـدةـ اـهـلـيـةـ وـنـطـرـيـوـ جـوـانـبـهـ إـلـىـ أـنـ يـوـصـلـ بـالـحـافـرـ إـلـىـ حـجـارـةـ صـلـدـةـ، فـتـحـتـ بـالـمـاعـاـلـ وـالـفـؤـوسـ إـلـىـ أـنـ يـرـقـ جـرـمـهـ، ثـمـ تـصـدـعـ الـفـعـلـةـ وـيـقـدـفـونـ عـلـيـهـ زـيـرـةـ مـنـ الـمـحـدـيـدـ تـكـسـرـ طـبـقـهـاـ عـلـىـ الـمـاءـ، فـيـبـعـثـ صـاعـدـاـ فـيـقـعـمـ الـبـشـرـ ثـمـ يـجـرـيـ عـلـىـ الـأـرـضـ وـادـيـاـ، وـيـزـعـمـونـ أـنـ الـمـاءـ رـبـعـاـ أـعـجـلـ بـسـرـعـهـ عـنـ كـلـ شـيـءـ.

وـهـذـهـ الـغـرـبـيـةـ مـوـجـودـةـ فـيـ قـصـورـ تـوـاتـ وـتـيـكـوـرـارـينـ وـوـارـكـلاـ وـرـيـغـ.

وـالـعـالـمـ أـبـوـ الـعـجـائبـ وـالـلـهـ الـخـلـاقـ وـالـعـلـيمـ.

وـهـذـاـ آخرـ الـكـلـامـ فـيـ الطـبـةـ الـأـوـلـىـ مـنـ زـنـاتـةـ وـلـتـرـجـعـ إـلـىـ أـخـبـارـ الطـبـةـ الثـانـيـةـ فـهـمـ وـهـمـ الـذـيـنـ اـنـصـلـتـ دـوـلـهـمـ إـلـىـ هـذـاـ الـعـهـدـ.

## أخبار الطبة الثانية من زناتة وذكر أنسابهم وشعوبهم وأوليائهم ومصائر ذلك

قد تقدم لنا في تصاعيف الكلام قبل انقراض الملك من الطبة من زناتة ما كان على يد صهاجة والمرابطين من بعدهم، وأن عصبة أجيالهم انفرت بانقراض ملوكهم ودولهم، وبقيت منهم بطرون لم يمارسوا الملك، ولا أخلفهم ترفة، فأقاموا في قياطفهم بأطراف المغربين يتبعجون جانبي الفجر والليل، ويعطون الدول حق الطاعة.

وغلبوا على بقايا الأجيال الأولى من زناتة بعد أن كانوا مغلبين لهم فأصبحت لهم السورة والعزة وصارت الحاجة من

قصور بني ريفة في المغرب، وهذا الاسم اسم لقوم الذين اخترعواها وزنلواها من شعوب بني بادين حسبما ذكرناهم الآن. ووضعوها في أرض حرة على آكام وضراب ممتعة في قتها. وبينها وبين الأرض الحجرة المعروفة بالحمدادة في سمت العرق متوسطة فيه قبالة تلك البلاد فراسخ في ناحية القبلة، وسكانها لهذا العهد شعوب بني بادين من بني عبد الواد وبني توجين ومصاب ببني زرداد فيما يضاف إليهم من شعوب زناتة، وإن كانت شهرتها مختصة بمصاب وحالها في المباني والأغراض وتفرق الجماعات بتفرق الرياسة شبيهة بحال بلاد بني ريفة والزاب.

ومنهم يجبل أوراس بأفريقيا طائفة من بني عبد الواد موطنوه منذ العهد الأقدم لأول الفتح، معروفوون بين ساكنيه. وقد ذكر بعض الأخبارين أن بني عبد الواد حضروا مع عقبة بن نافع في فتح المغرب عند إيقافه في ديار المغرب، وانتهائه إلى البحر المتوسط بالسوس في ولاته الثانية.

وهي الغزارة التي هلك فيها في منصرفه منها، وأنهم أبلوا البلاء الحسن فدعا لهم وأذن في رجوعهم قبل استمام الغزارة. ولما تحيزت زناتة إلى المغرب الأقصى أيام كتمامة وصنهاجة اجتمع شعوب بني واسين هؤلاء كلهم ما بين ملوية وصا كما ذكرناه.

وتشعبت أخاذتهم ويطونهم، وانسقوا في صحراء المغرب الأقصى والأوسط إلى بلاد الزاب وما إليها من صحاري إفريقيا إذ لم يكن للعرب في تلك الحالات كلها مذهب ولا مسلك إلى المية الخامسة كما سبق ذكره.

ولم يزالوا بتلك البلاد مشتملين لبوس العز مستمرّين للأنفة، وكان جُلُّ مكاسبهم الأنعام والماشية، وابتغاؤهم الرزق من تحيف السable، وفي ظل الرماح المشرعة، وكانت لهم في محاربة الأحياء والقبائل ومتانة الأمم والدول ومخالبة الملوك أيام ووقائع، تلمّ بها ولم تعظم العناية باستيعابها، فتاتي به.

والسبب في ذلك أن اللسان العربي كان غالباً بغلب دولة العرب وظهور الله العربية، فالكتاب والخط بلغة الدولة ولسان الملك، واللسان العمجي مستتر بجناحه مندرج في غماره، ولم يكن لهذا الجيل من زناتة في الأحكام القديمة ملك يحمل أهل الكتاب على العناية بقيود أيامهم وتدوني أخبارهم، ولم تكن مغالطة بينهم وبين أهل الأرياف والحضر، حتى يشهدوا آثارهم لإبعادهم في القفار كما رأيت في مواطنهم، وتوحشهم عن الانقياد، فبقيت

زحيك.

وأما بنو مرين بن ورتاجن فتعددت أخاذتهم ويطونهم كما ذكره بعد، حتى كثروا سائر شعوب بني ورتاجن، وصار بنو ورتاجن ملدوبين في جلة أخاذتهم وشعوبهم. وأما بنو بادين بن محمد فمن ولد زحيك ولا ذكر الآن كيف يتصل نسبهم به.

وتنتسبوا إلى شعوب كبيرة، ذكران منهم: بنو عبد الواد وبنو توجين وبنو مصاب وبنو أزرداد يجمعهم كلهم نسب بادين بن محمد.

وفي محمد هذا يجتمع بادين وبنو راشد، ثم يجتمع محمد مع ورتاجن في زحيك بن واسين، وكانت كلهم معروفيون بين زناتة الأولى ببني واسين قبل أن تعظم هذه البطون والأفخاذ، وتشعبت مع الأيام.

ويأرض إفريقيا وصحراء برقة وبلاد الزاب منهم طوائف من بقايا زناتة الأولى قبل انسابهم إلى المغرب، فمنهم يقصور غداً على عشرة مراحل قبل سرت، وكانت مختططاً منذ عهد الإسلام، وهي خطة مشتملة على قصور وأطام عديدة، وبعضها لنبي واطساً من أحباء بني مرين، يزعمون أن أولائهم اخترعواها، وهي لهذا العهد قد استبحرت في العمارة واتسعت في التمدن بما صارت محطاً لركاب الحاج من السردان، وقتل التجار إلى مصر والإسكندرية عند إراحتهم من قطع المفازة ذات الرمال العتيدة أيام طريقهم دون الأرياف والتلال، وباباً لولوج تلك المفازة والجاج والتجر في مرجعهم ومنهم ببلاد الحمة على مرحلة من غربي قابس أمّة عظيمة من بني ورتاجن.

وفرت منهم حاميها، واشتدت شوكتها وارتحل إليها التجرة بالبضائع لمناقف أسواقها، وتبعد عمارتها، وامتنعت لهذا العهد على من يزورها من مجاورها، فهم لا يزورون خراجاً ولا يسامون بغيرهم، حتى كانوا لا يعرفونه عزة جناب، وفضل بأس ومنعة.

ويرجعون أن سلفهم من بني ورتاجن اخترعواها، ورياستهم في بيت منهم يعرفون ببني وشاح، ولربما طال على رؤسائهم عهد الخلافة ووطأة الدول فيتظاولون إلى التي تنكسر على السوقه من اتخاذ الآلات، ويزرون في زي السلطان أيام الزينة تهواناً بشعار الملك، ونسيناً لما لف الاقتيد شان جيرانهم رؤساء توzer ونقطة وسابق النابة في هذه المضحة هو يملؤن مقدم توzer.

ومن بني واسين هؤلاء بقصور مصاب على خمس مراحل من جبل تيطري في القبلة بما دون الرمال وعلى ثلاث مراحل من

بعد اغاثتهم أيضاً، فاجتمع لذلك بنو يعلى ملوك تلمسان من مغراوة وجعوا من كان إليهم من بني واسين هؤلاء من بني مرین وعبد الواد وتوجين وبني راشد.

وعقدوا على حرب الملاليين لوزيرهم بو سعدى خليفة ابن اليفرني، فكان له مقامات في حروفهم ودفعهم عن ضواحي الزاب والمغرب الأوسط وما إليه من بلاد إفريقيا والمغرب الأوسط إلى أن هلك في بعض أيامه معهم، وغلب الملاليون قبائل زناتة على جميع الضواحي وأذارحهم عن الزاب وما إليه من بلاد إفريقيا، وانشمر بنو واسين هؤلاء من بني مرین وعبد الواد وتوجين عن الزاب إلى موطنهم من بصراء المغرب الأوسط من مصاب وجبل راشد إلى ملوية وفيكك.

ثم إلى سجلماسة ولاذوا ببني ومانوا وبني يلومي ملوك الضواحي بال المغرب الأوسط، وتفيأوا ظلهم واقتسموا ذلك القفر بالمواطن، فكان لبني مرین الناحية الغربية منها قبلة المغرب الأقصى بتكرارين ودبوا إلى ملوية سجلماسة، ويعدوا عن بني ومانوا وبني يلومي إلا في الأحيان وعند الضربيخ، وكان لبني بادين منها الناحية الشرقية قبلة المغرب الأوسط ما بين فيكك ومديونة إلى جبل راشد ومصاب.

وكانت بينهم وبين بني مرین فتن متصلة باتصال أيامهم في تلك المواطن سبيل القبائل الجيران في مواطنهم، وكان الغلب في حروفهم أكثر ما يكون لبني بادين لما كانت شعوبهم أكثر وعددهم أوفر، فإنهم كانوا أربعة: شعوب بني عبد الواد وبني توجين وبني زرداد وبني مصاب، وكان منهم شعب آخر وهو إخوانهم بنو راشد، لأننا قدمنا أن راشد آخر بادين.

وكان موطن بني راشد الجبل المشهور بهم بالصحراء، ولم يزالوا على هذه الحال إلى أن ظهر أمر الموحدين، فكان لبني عبد الواد وتوجين ومغراوة من المظاهرة لبني يلومي على الموحدين ما هو مذكور في أخبارهم.

ثم غلب الموحدون على المغرب الأوسط وقبائله من زناتة فاطاعوا وانقادوا، وتميز بنو عبد الواد وبنو توجين إلى الموحدين وزدلفوا إليهم ياعاض النصيحة ومشايعة الدعوة، وكان التقدم لبني عبد الواد دون الشعوب الأخرى، وأحضروا النصيحة للوحدين فاصطمع لهم دون بني مرین كما ذكر في أخبارهم واقطعهم الموحدون ضواحي المغرب الأوسط كما كانت لبني يلومي وبني ومانوا فملكونها.

وتفرد بنو مرین بعد دخول بني بادين إلى المغرب الأوسط

غفلأً إلى أن درس منها الكثير، ولم يصل إليها منها بعد مهلükهم إلا الشارد القليل يتبعه المؤرخ المضطط في مسالكه، ويقرره في شعابه ويسيره من مكانته، وأقاموا بذلك القفار إلى أن تستروا منها هضبات الملك على ما نصفه.

## الخبر عن أحوال هذه الطبقة قبل الملك وكيف كانت تصاريف أحوالهم إلى أن غلبوا على المالك والدول

وذلك أن أهل هذه الطبقة من بني واسين وشعوبهم التي سميّتها كانوا تبعاً لزناتة الأولى.

ولما ازاحت زناتة إلى المغرب الأقصى أيام كتمامة وصنهاجة، خرج بنو واسين هؤلاء إلى القفر ما بين ملوية وصا، فكانوا يرجعون إلى ملك المغرب لذلك العهد. مكتسبة أولًا ثم مغراوة من بعدهم.

ثم حسر تيار بي صنهاجة عن المغرب وتقلس ملوكهم، بعض الشيء، وصاروا إلى الاستجاشة على القاصية بقبائل زناتة، فأوضضت بروقهم، ورفت في عالم زناتة منابتهم كما قدمنا.

واقتسم أعمالها بنو ومانو وبنو يلومي ناحيتين، وكانت ملوك صنهاجة أهل القلعة إذا عسكروا للمغرب يستترونهم لغزوهم، ويجمعون حشدهم للتغلب فيه، وكان بنو واسين هؤلاء ومن تشعب منهم من القبائل الشهيرة الذكر مثل بني مرین وبني عبد الواد وبني توجين ومصاب قد ملكوا القفر ما بين ملوية وأرض الزاب، وامتنت عليهم الأرياف من المغاربة من ملوكها من زناتة الذين ذكرناهم.

وكان أهل الرياسة بذلك الأرياف والضواحي من زناتة مثل بني ومانوا وبني يلومي بالمغرب الأوسط، وبني يفرن ومغراوة بتلمسان يستجيشون بني واسين هؤلاء وشعوبهم، ويستظهرون بجموعهم على من زاحهم أو أوقارعهم من ملوك صنهاجة وزناتة وغيرهم، يجاجنون بهم عن مواطنهم لذلك، ويفرضونهم القرص الحسن من المال والسلاح والحبوب المعززة لديهم بالقفار، فيتأثرون منهم ويرتاشرون.

وعظمت حاجة بني حاد إليهم في ذلك عندما عصفت بهم ريح العرب الطوال من بني هلال بن عامر، وأصعرعوا دولة المعز وصنهاجة بالقبروان والمهدية وألانوا من حدّهم، وزحفوا إلى المغرب الأوسط فدافعوا بنو حاد عن حوزته وأوغزوا إلى زناتة

بتلك الصحراء، لما اختار الله لهم من وفور قسمهم في الملك، واستيلائهم على سلطان المغرب الذي غلبوه بالدول، واشتملوا الأقطار ونظموا المشارق إلى المغرب، واقتعدوا كراسى الدول المسامة لهم باجعلها ما بين السوس الأقصى إلى إفريقيا.

والملك لله يؤتى من يشاء من عباده.

ويقال: إنهم من ورتzman وبني سعيد وبني زجاجك وبني سنجاس، وررعاً يقال: إنهم من زناتة وليسوا من مغراوة، وكان بنو خزرون الملوك بطرابلس لما انقض أمرهم، وافتقرقا في البلاد، ولحق منهم عبد الصمد بن محمد بن خزرون بجبل أوراس فراراً من أهل بيته هنالك الذين استولوا على الأمر وجده خزرون بن خليفة هو السادس من ملوكهم بطرابلس، فاتماً بجبل أوراس مدة، ثم انتقل إلى زواوا، فاتماً بينهم أعواماً.

ثم ارتحل عنهم فنزل على بقايا قومه مغراوة بشرف من بي ورسينان وبني ورتzman وبني بو سعيد وغيرهم، فتقلوه بالمبرة والكرامة، وأوجبوا له حق البيت الذي يتسب إلى فيه، وأصهر إليهم فانكحوه وكفر ولده وعرفوا بينهم ببي محمد، ثم بالخزيرية نسبة إلى سلفه الأول.

وكان من ولده الملقب أبو ناس بن عبد الصمد بن ورجيع بن عبد الصمد.

وكان متخللاً للعبادة والخبرة، وأصهر إليه بعض ولد ماخوخ ملوك بني ومانوا بايته، فانكحه إياها، فعظم أمره عندهم بقومه ونسبه وصهره.

و جاءت دولة الموحدين على أثر ذلك فرمقوه بعين التجلة لما كان عليه من طرق الخير، فأقطعوه بروادي شرف وأقام على ذلك.

وكان له من الولد: ورجيع وهو كبيرهم، وعزيز وبغريان وما ذكور، ومن بنت ابن ماخوخ عبد الرحمن، وكان أجلهم شأنه عنده وعند قومه عبد الرحمن هذا، لما يوجبون له بولادة ماخوخ لأمه، ويترسون فيه أن له ولعقبه ملكاً.

ويزعمون أنه لما ولد خرجت به أمه إلى الصحراء فالتقته إلى شجرة وذهبت في بعض حاجتها، فاطاف بها يعسوب من النحل متواقعن عليه، وبصرت به على البعد فجاءت تدوس لما أدركها من الشفقة، وقال لها بعض العرافين: احتفظي عليه فو الله ليكون له شأن.

ونشأ عبد الرحمن هذا في جو هذه التجلة مدللاً بشبه وبأنه، وكثير عشيره من بني أبيه، واعصوصب عليه قبائل مغراوة، فكان له بذلك شوكة وفي دولة الموحدين تقدمة، لما كان يرجب لهم على نفسه من الأخياش والمخالطة والتقدم في مذاهب الطاعة. وكان السادة منهم يرون به في غزوتهم إلى إفريقيا ذاهبين وراجعين، فينزلون منه خير نزل، وهم ينقذون محمده والشكر

فأخذ بنو مرين وبني عبد الواد من شعوب بني واسين هؤلاء بمحظ من الملك أعادوا فيه لزناتة دولة وسلطاناً في الأرض، واقتادوا الأمم برسن الغلب، وناغاهم في ذلك الملك البدويإخوانهم بنو ترجن.

وكانت في هذه الطبقة الثانية بقية أخرى مما ترك آل خزر من قبائل مغراوة الأولى، كانوا مواطنين بقرار عزّهم ومتشاً جيلهم بوادي شرف، فجاذبوا هؤلاء القبائل جبل الملك وناغورهم في أطوار الرئاسة، واستطالوا بين وصل جناحهم من هذه العشار فتطاولوا إلى مقاماتهم في الملك مساهمتهم في الأمر، وما زال بنو عبد الواد في الغضن من عنائهم وجدع أنوف عصيائهم حتى أوهنتوا من بأسمهم، وخصت الدولة العبد الراية ثم المرينية باسمة الملك المخلفة من جناح تطاولهم، ومحض ذلك كله عن استبداد بنى مرين واستبعادهم جميعاً هؤلاء العصائب كما نذكر لك الآن دولتهم واحدة بعد أخرى، ومصابير أمرور هؤلاء القبائل الأربع التي هي رؤوس هذه الطبقة الثانية من زناتة.

والملك لله يؤتى من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين.

ولنبداً منها بذكر مغراوة بقية الطبقة الأولى وما كان لرؤسائهم أولاد منديل من الملك في هذه الطبقة الثانية، كما سرناه إن شاء الله تعالى.

## الخبر عن أولاد منديل من الطبقة الثانية وما أعادوا لقومهم من مغراوة من الملك بوطفهم الأول من شرف وما إليه من نواحي المغرب الأوسط

لما ذهب الملك من مغراوة بانقراض ملوكهم آل خزر، وأضمحلت دولتهم بتلمسان وسجلماسة وفاس وطرابلس، وبقية قبائل مغراوة متفرقة في مواطنهم الأول بناواحي المغاربة وإفريقيا والصحراء والتلول، والكثير منهم بعنصرهم ومركزهم الأول بوطن شرف وما إليه، فكان به بنو ورسينان وبني ورتzman وبني

لم يفارقا فيه الظعن والخيام والضواحي والبساط.

لالمذهب، فيزيد خلفاؤهم اغبطةً به.

واستولوا على مدينة مليانة وتنس ويرشك وشرشال مقيمين فيها الدعوة الخفصة واختطوا قرية مازونة.

وأدرك بعض السادة وهو ي الأرض قومه الخبر بمهلك الخليفة براكس، فخلف الذخيرة والظهر، وأسلمها إلى عبد الرحمن هذا، فنجا بدمائه بعد أن صحبه إلى نخم وطنه، فكانت له فيها ثورة أكسبته قرة وكتمة فاستركب من قومه، واستكثر من عصابته وعشائره وهلك خلال ذلك وقد فشل ريح بن عبد المؤمن وضعفت أمر الخليفة براكس.

وكان له من الولد منديل وتيسير، وكان أباً هاماً منديل، فقام بأمر قومه على حين عصفت رياح الفتنة، وأجلب ابن غانية على أعمال المغرب الأوسط وسماً لمنديل أمل في التغلب على ما يليه، فاستأسد في عربه ومحى عن أشباهه.

ثم فسح خطوطه إلى ماجاوره من البلاد فملك جبل وانشريش والمرية وما إلى ذلك واحتل قصبة مرات.

وكان سبيط متيبة لهذا العهد مستمراً في العمran آهلاً بالقرى والأماكن.

ولما قفل إلى الحضرمة عقد في مرجعه لأمراء زناته كل على قومه وورثة، فعقد للعباس ابن منديل على مغراوة، ولعبد القوي على توجين ولأولاد حبورة على ملكيش، وسُوغ لهم اتخاذ الآلة فاخذوها مشهداً منه.

وعقد العباس السلام مع يغرسين، ووفد عليه بتلمسان فلقاه مبرة وتكريماً، وذهب عنه بعدها مغاضباً.

يقال: إنه تحدث مجلسه يوماً فرعم أنه رأى فارساً واحداً يقاتل مائتين من الفرسان، فنكر ذلك من سمعه من بي عبد الواد وعرضوا تكذيبه، فخرج العباس لها مغاضباً حتى أتى قومه، وأتى يغرسين مصداق قوله، فإنه كان يعني بذلك الفارس نفسه.

ونقل الأخباريون أن أهل متيبة لذلك العهد كانوا يجمعون في ثلاثين مصرًا فجاس خلاها وأوطأ الغارات ساحتها وخرب عمرانها حتى تركها خاوية على عروشها وهو في ذلك يوهم التمسك بطاعة الموحدين، وأنه سلم لمن سالمهم وحرب على من عادهم.

وكان ابن غانية منذ غلبه الموحدون على إفريقية قد أزاحه إلى قابس وما إليها، فنزل الشيخ أبو محمد بن أبي حفص بتونس ودفعه إلى إفريقية إلى أن هلك ستة ثمان عشرة وستمائة قطعه بمحني بن غانية في استرجاع أمره وسبق إلى الثغور والأماكن يعيث فيها وبغرتها، ثم تجاوز إفريقية إلى بلاد زناته وشن عليها الغارات واكتسح البساط، وتكررت الوقائع بينه وبينهم، فجمعت له منديل بن عبد الرحمن ولقيه بمتحيجة، وكانت الدبرة عليه وانقضت عنه

مغراوة، فقتلته ابن غانية صريراً سنة اثنين أو ثلاثة وعشرين وستمائة وتغلب على الجزائر إثر نكبه، فصلب بها شلوه وصبره مثلاً للآخرين.

وقام بأمره في قرمه بنوه، وكانوا نجاءه فكان لهم العدة والشرف، وكانوا يرجعون في أمرهم إلى كبيرهم العباس، فتقبل مذاهب أبيه وأقصر عن بلاد متيبة.

ثم غلبهم بنو توجين على جبل وانشريش وضواحي المرية وما إلى ذلك.

وكان من خبر هذا الانتقاد أن أباً العباس أحد الملائكي كان كبير وقته علماً ودينًا ورواية، وكان على السندي في الحديث فرحل إليه الأعلام، وأخذ عنه الأئمة وأوقف به الشهرة على ثانياً السيادة، فانتهت إليه رياسة بلده على عهد يعقوب المتصور وبنيه، ونشأ ابنه أبو علي في جو هذه العناية وكان جموحاً للرياسة طاغياً إلى الاستبداد، وهو مع ذلك خلو من المغارم.

فلما هلك أبوه جرى في شاور رياسته طلاقاً، ثم رأى ما بين مغراوة وبين عبد الواد من الفتنة، فحدثه نفسه بالاستبداد بيلده، فجمع لها جرايمه، وقطع الدعاء للخليفة المستنصر سنة تسعة

تنس، ثم ردد الغزو إلى بلاد توجين ومغراوة حتى غلبهم آخرًا على ما بآيديهم، وملك المرية بمداخلة بي لمدينه أهلها سنة سبع وثمانين وستمائة وغلب ثابت بن منديل على مازونة، فاستولى عليها ثم نزل له عن تنس أيضًا فملكتها.

ولم يزل عثمان مراغمًا لهم إلى أن زحف إليهم سنة ثلاث وستين وستمائة فاستولى على أمصارهم وضواحيهم، وأخرجهم عنها وأجاهم إلى الجبال.

ودخل ثابت بن منديل إلى برشك مانعاً دونها، فزحف إليه عثمان وحاصره بها حتى إذا استيقن أنه أحبط به، ركب البحر إلى المغرب، ونزل على يوسف بن يعقوب سلطان بي مرين صريخاً سنة أربع وستين وستمائة فاكربه ووعده بالنصرة من عدوه، وأقام بفاس وكانت بينه وبين ابن أثبيب من رجالات بي عسکر صحبة ومداخلة، فجاء بعض الأيام إلى منزله، ودخل عليه من غير استئذان وكان ابن الأثبيب ثملاً، فسطأ به وقتلته وثار السلطان به منه، وانفتح لوطه.

وكان ثابت بن منديل قد أقام ابنه محمدًا للأمر في قومه، وولاه عليهم لعهده واستبدل ملوك مغراوة دونه.

ولما انصرف أبوه ثابت إلى المغرب أيام هو بأمارته على مغراوة.

وهلك قريباً من مهلك أبيه، فقام بأمرهم من بعده شقيقه علي، ونازعه الأمر أخوه رحون ومنيف، فقتله منيف ونكر ذلك هو منهم وأبرا من أمرائهم عليهم، فلحقاً بعثمان بن يغمراسن فاجازها إلى الأندلس.

وكان أخوهما معمر بن ثابت قائداً على الفزاعة بالبغيرة فنزل لنيف عنها، فكانت أول ولاية ولها بالأندلس.

ولحق بهم أخوه عبد المؤمن فكانوا جميعاً هناك ومن أعقاب عبد المؤمن يعقوب بن زياد بن عبد المؤمن، ومن أعقاب منيف بن عمر بن منيف وجاءة منهم هم لهذا المعهد بوطن الأندلس.

ولما هلك ثابت بن منديل سنة أربع وستين وستمائة كما قلناه، كفل السلطان ولده وأهله، وكان فيهم حافده راشد بن محمد، فأظهر إليه في اخته فانكره إياها.

ونهض إلى تلمسان سنة ثمان وستين وستمائة فأنماخ عليها، واحتل مدينة لصارها وسرح عساكره في نواحيها، وعقد على مغراوة وشلف لعمير بن ويفرن بن منديل، وبعث معه جيشاً فافتتح ملياناً وتنس وマazonة سنة تسعة وستين وستمائة ووجد

وحسين وستمائة، وبلغ الخبر إلى تونس فسرح الخليفة أخاه أبا حفص في عسكر من الموحدين في جملته دون الريح بن هراندة من آل أدفونش ملوك الحلالقة، كان نازعاً إليه عن أبيه في طائفة من قومه، فنازلاً ميلانيا أيامًا.

وداخل السلطان طائفة من مشيخة البلد المنحرفين عن أبي علي الملبياني، فسرب إليهم جنداً بالليل واقتحوها من بعض المداخل، وفر أبو علي الملبياني تحت الليل وخرج من بعض قنوات البلد، فلحق بأحياء العرب، ونزل على يعقوب بن موسى أمير العطاف من بطون زغبة، فأجراه إلى أن لحق بعدها بيعقوب بن عبد الحق، فكان من أمره ما ذكرناه في أخبارهم.

وانصرف عسكر الموحدين والأمير أبو حفص إلى الحضرة، وعقدوا محمد بن منديل على ملياناً، فاقام بها الدعوة الخصبة على سنن قومه.

ثم هلك محمد بن منديل سنة اثنين وستين وستمائة لخمس عشرة من ولاته، قتل أخوه ثابت وعايد بمنزل ظراعتهم بالخيس من بسيط بلادهم، وقتل معه عترة ابن أخيه منيف وشاركه ثابت في الأمر، واجتمع إليه قومه وتقطعت ما بين أولاد منديل وخشت صدورهم.

واستغلت يغمراسن بن زياد عليهم، ودخله عمر بن منديل أخوه في أن يمكنته من ملياناً، ويشد عصده على رياضة قومه، فشارقه على ذلك وأمكنته من أزمة البلد سنة ثمان وستين وستمائة ونادي بعز ثابت ومؤازرة عمر على الأمر فتم لهم ما أحكماه من أمرهما في مغراوة واستمكن بها يغمراسن من قيادة قومه.

ثم تناغى أولاد منديل في الإزدلاف إلى يغمراسن بمنتها نكبة لعمر، فاتفق ثابت وعايد أولاد منديل على أن يحكماه في تنس فأمكنته منها سنة اثنين وستين وستين وستمائة على اثني عشر ألفاً من الذهب.

واستمرت ولاية عمر إلى أن هلك سنة ست وستين وستمائة، فاستقل ثابت بن منديل برياسة مغراوة، وأجاز عайд آخره إلى الأندلس للرباط والجهاد مع صاحبه زياد بن محمد بن عبد القوي وعبد الملك بن يغمراسن فحول زناة واسترجع ثابت بلاد تنس وملياناً من يد يغمراسن، ونبذ إليه العهد، ثم استغلت يغمراسن عليهم واسترد تنس سنة إحدى وثمانين وستمائة بيد مهلكه.

ولما هلك يغمراسن وقام بالأمر ابنه عثمان انتقضت عليه

بن عثمان سلطان بي عبد الواد على أن يخلو له بنو مرين عن جميع ما ملكوه من أمصارهم وأعمالهم وتغورهم وبعشوا في حاماتهم وعمائمهم وأسلموها لعمال أبي زيان.

وكان راشد قد طمع في استرجاع بلاده، وزحف إلى مليانة فاحتاط بها.

فلما نزل عنها بنو مرين لأبي زيان وصارت مليانة وتنس له، أخفق سعي راشد وأفرج عن البلد.

ثم كان مهلك أبي زيان قريباً، وولي آخره أبو حمو موسى بن عثمان واستولى على المغرب الأوسط فملك تافركينت سنة سبع وسبعينة وملك بعدها مليانة والمرية، ثم ملك تننس وعقد عليها لسامح مولاه مسامح، وقارن ذلك حركة صاحب مجانية السلطان أبي القاء خالد ابن مولانا الأمير أبي زكرياء ابن السلطان أبي إسحاق إلى نتيجة لاسترجاع الجزائر من يد ابن علان الثاثر عليهم، فلقيه هناك راشد بن محمد وصار في جلته وظاهره على شأنه.

ولقاء السلطان تكرمة ويرا، وعقد له ولقومه حلفاً مع صنهاجة أولياء الدولة والمتغلبين على ضاحية مجانية وجبار زواوة، فاتصلت يد راشد بيد زعيهم يعقوب بن خلوف أحد وزراء الدولة.

ولما هض السلطان خالد للاستئثار بهلك الحضرة تونس، استعمل يعقوب بن خلوف على ضاحية وعسكر راشد معه بقومه، وأبلى في الحروب بين يديه وأغنى في مظاهرة أوليائه حتى إذا ملك حضرتهم واستولى على تراث سلفهم، أسف حاجب الدولة راشد لهذا وقومه بإضفاء الحكم في بعض حشمه، وتعرض للخرابة في السابلة، فتفقد عليه ورفع إلى سدة السلطان فأمضى فيه حكم الله.

وذهب راشد مغاضباً ولحق بوليه ابن خلوف ومسيطره من زواوة.

وكان يعقوب بن خلوف قد هلك وولي السلطان مكانه ابنه عبد الرحمن، فلم يرع حق أبيه في إكرام صديقه راشد.

وتشاجر معه في بعض الأيام مثاجرة نكر عبد الرحمن فيها ملاحاة راشد له، وألف منها، وأدل فيها راشد بمكانته من الدولة وبإمساكه، فلدغه بالقول وتناوله عبد الرحمن وحشمه وخراً بالرمارح إلى أن اقصصوه وأنذعه جميع مغراوة ولحقوا باللغور القاسية، وأقرّ منهم شفّ لما إليه كان لم يكونوا به فاجاز منهم بنو مينف وبنو بغرن إلى الأندلس للمرابطة بغير المسلمين، فكانت

راشد في نفسه إذ لم يوليه على قومه، وكان يرى أنه الأحق بنسبه وصهره، فترع عن السلطان ولحق بجبار متيجة ودس إلى أوليائه في مغراوة حتى وجد فيهم الدخلة، فاغتَلَ السير ولحق بهم، فافتراق أمر مغراوة، ودخل أهل مازونة فانتقضوا على السلطان وبيت عمر بن ويغرن بأزمور من ضواحي بلادهم فقتله، واجتمع عليه قوله وسرح السلطان إليه الكتاب من بني عسكر لنظر الحسن بن علي بن أبي الطلاق، ومن بني ورتاجن لنظر علي بن محمد الخيري، ومن بني توجين لنظر أبي بكر بن إبراهيم بن عبد القوي. ومن الجند لنظر علي بن حسان الصبحي من صنائعه، وعقد على مغراوة محمد بن عمر بن منديل، وزحفوا إلى مازونة وقد ضبطها راشد، وخلف عليها علياً وحمو أبي عمّه يحيى بن ثابت.

ولحق هو ببني بسو سعيد مطلأً عليهم وأناخت العساكر بجازنة، ووالوا عليها الحصار ستين حتى أجدهم.

وبعث علي بن يحيى أخيه حمو إلى السلطان من غير عهد فتقبض عليه ثم اضطرب الجهد إلى مركب الغرور فخرج إليهم ملقياً بيده سنة ثلاثة وسبعينة وأشخصه إلى السلطان فعنده واستيقاه، واحتسبها ثانيةً واستملأه لراشد ثم سرح العساكر إلى قاصية الشرق لنظر أخيه أبي يحيى بن يعقوب، فنازل راشد بن محمد في معقل بني بسو سعيد، وطال حصاره أيام، وأمكته الغرة بعض الأيام في العساكر، وقد تعلقوا بأغار الجبل زاحفين إليه فهزهم وهلك في تلك الواقعة حلق من بني مرين وعساكر السلطان، وذلك سنة أربع وسبعينة.

وببلغ الخبر إلى السلطان فأحفظه ذلك عليهم، وأمر ببابن عمه علي بن يحيى وأخيه حمو ومن معهم من قومهم، فقتلوا رشقاً بالسيهام واستلهمهم.

ثم سرح أخاه أبي يحيى بن يعقوب ثانية سنة أربع وسبعينة فاستولى على بلاد مغراوة ولحق راشد بجبار صنهاجة من متيجة، ومعه عمه مينف بن ثابت ومن اجتمع إليهم من قومهم، فنازلاهم أبو يحيى بن يعقوب.

وراسل راشد يوسف بن يعقوب فانعقدت بينهما السلم، ورجعت العساكر عنهم.

وأجاز مينف بن ثابت مع بنيه وعشائره إلى الأندلس، فاستقروا هناك آخر الأيام.

ولما هلك يوسف بن يعقوب بمناخه على تلمسان آخر سنة ست وسبعينة انعقدت السلم بين حافظه أبي ثابت وبين أبي زيان

منهم عصابة حامية موطنة هنالك أعقابهم لهذا العهد.

واستلحوقوا وصاروا جندًا للدول وحشماً وابعاً، وانقرض  
أهrem من بلاد شلف.

ثم كانت لبني مرين الكرة الثانية إلى تلمسان، وغلبوا آل  
زيان ومحوا آثارهم.

ثم فاء ظلهم بملك السلطان أبي عنان، وحسن تيارهم،  
وجدد الناجون من آل يغمراسن دولة ثالثة بمكان عملهم على يد  
أبي حم الأغبر ابن موسى بن يوسف كما نذكره في أخبارهم.

ثم كانت لبني مرين الكرة الثالثة إلى بلاد تلمسان، ونهض  
السلطان عبد العزيز ابن السلطان أبي الحسن إليها فاتح سنة اثنين  
وسبعين وسبعينة وسرح عساكره في اتباع أبي حم الناجم بها من  
آل يغمراسن حين فر أماته في قومه وأشياعه من العرب كما يأتي  
ذلك كله.

ولما انتهت العساكر إلى البطحاء تلوموا هنالك أيامًا لإزاحة  
عللهم وكان في جلتهم صبي من ولد علي بن راشد النجيع اسمه  
هزة، ربي بيتسا في حجر دولتهم لنعام الصراف الذي لقومه فيهـ،  
فكفلته نعمتهم وكفـه جوـهم، حتى شب واستوى وسخط رزقه في  
ديراتهم وحاله بين ولدانهم، واعتـرض بعض الأيام قائد الجيش  
الوزير أبا بكر بن غازي شاكـيا، فتجـبه وأسـاء رده، فركـب الليل  
ولـقـعـلـيـنـيـ بـيـ يـوـسـيـدـيـ مـنـ بـلـدـ شـلـفـ فـأـجـارـوـهـ وـمـعـنـوـهـ، وـنـادـيـ  
بـدـعـوـهـ قـوـمـهـ فـأـجـابـوـهـ، وـسـرـحـ إـلـيـهـ السـلـطـانـ عبدـ العـزـيزـ وزـيـرـهـ عمرـ  
بنـ سـعـودـ بـنـ منـدـيلـ بـنـ حـامـةـ كـبـيرـ تـيـرـيـغـيـنـ فـيـ جـيـشـ كـيـفـ منـ  
بـنـ مـرـينـ وـجـنـدـ فـتـزـلـ بـسـاحـةـ ذـلـكـ الجـلـيلـ فـحـاصـرـهـ حـوـلـاـ كـرـيـتاـ  
بـنـ مـهـمـ وـيـنـالـونـ مـنـهـ، وـأـمـتـعـنـاـ عـلـيـهـ وـاتـهـمـ السـلـطـانـ وـزـيـرـهـ  
بـكـرـ بـنـ غـازـيـ، فـهـضـيـ بـيـرـ الـعـساـكـرـ الضـخـمـ وـالـجـيـشـ الـكـثـيـفـةـ إـلـىـ  
أـنـ نـزـلـ بـهـمـ وـصـبـحـهـمـ القـتـالـ، فـقـذـفـ اللـهـ فـيـ قـلـوبـهـمـ الرـعـبـ  
وـأـنـزـلـهـمـ مـعـقـلـهـمـ.

وفر حزة بن علي في قل من قرمه، فلحق ببلاد حسين  
المتضيـنـ كانواـ عـلـيـهـ الـدـوـلـةـ معـ أـبـيـ زـيـانـ بـنـ أـبـيـ سـعـيدـ النـاجـمـ منـ  
آلـ يـغـمـرـاسـنـ حـسـبـمـاـ ذـكـرـهـ.

وأتـيـ بـنـ أـبـيـ سـعـيدـ طـاعـهـمـ، وـأـخـلـصـواـ الضـمـائرـ فـيـ مـغـيـبـهـ  
وـحـسـنـ مـوـقـعـهـ وـبـدـاـ لـحـمـزـةـ فـيـ الرـجـوعـ إـلـيـهـ فـاغـذـ السـيرـ فـلـمـ مـنـ  
قـوـمـهـ، حـتـىـ إـذـ أـلـمـ بـهـمـ نـكـرـهـ لـمـكـانـ ماـ اـعـتـقـلـهـ بـهـ مـنـ جـلـ الطـاعـةـ،  
فـتـسـهـلـ إـلـىـ الـبـسـاطـ وـقـصـدـ تـيمـزـرـغـتـ يـظـنـ بـهـ غـرـةـ يـتـهـرـهاـ،  
وـبـرـزـتـ إـلـيـهـ حـامـيـتـهاـ فـقـلـوـاـ حـدـهـ وـرـدـوـهـ عـلـىـ عـقـبـهـ، وـتـسـابـقـواـ فـيـ  
أـتـبـاعـهـ إـلـىـ أـنـ تـقـبـضـواـ عـلـيـهـ، وـقـادـوـهـ إـلـىـ الـوـزـيـرـ أـبـيـ غـازـيـ بـنـ

وـأـقـامـ فـلـ آخـرـ مـنـ أـوـسـاطـ قـوـمـهـ كـانـواـ  
شـوـكـةـ فـيـ عـسـاـكـرـ الدـوـلـةـ إـلـىـ أـنـ انـقـرـضـواـ وـلـحـقـ عـلـىـ بـنـ رـاشـدـ  
طـفـلـعـمـهـ فـيـ قـصـرـ بـنـ يـعقوـبـ بـنـ عـبـدـ الـحـنـ فـكـلـتـهـ، وـصـارـ أـلـادـ  
منـدـيلـ غـصـبـاـ إـلـىـ وـطـنـ بـنـ مـرـينـ قـوـلـوـهـمـ وـأـحـسـنـواـ جـوـارـهـ،  
وـأـصـهـرـواـ إـلـيـهـ سـائـرـ الدـوـلـةـ، إـلـىـ أـنـ تـغـلـبـ السـلـطـانـ أـبـوـ الـحـسـنـ  
عـلـىـ الـمـغـرـبـ الـأـوـسـطـ وـعـاـ دـوـلـةـ آـلـ زـيـانـ، وـجـمـعـ كـلـمـةـ زـانـةـ،  
وـأـنـتـظـمـ مـعـ بـلـادـهـ بـلـادـ إـفـرـيقـيـةـ وـعـمـلـ الـمـوـحـدـينـ وـكـانـتـ تـكـبـهـ  
عـلـىـ الـقـيـرـوـانـ صـدـرـ سـتـةـ تـسـعـ وـأـرـبـعـ وـسـبـعـمـاـةـ كـمـاـ شـرـحـانـ قـبـلـ.  
وـأـنـتـقـضـتـ الـعـمـالـاتـ وـالـأـطـرافـ وـأـنـتـزـىـ أـعـيـاصـ الـمـلـكـ  
بـمـوـاطـنـهـ الـأـوـلـ، فـتـوـثـبـ عـلـيـ بـنـ رـاشـدـ بـنـ مـحـمـدـ بـنـ ثـابـتـ بـنـ  
منـدـيلـ عـلـىـ بـلـادـ شـلـفـ وـتـلـكـهـ وـتـغـلـبـ عـلـىـ أـمـصـارـهـ مـلـيـانـةـ  
وـتـنـسـ وـبـرـشـكـ وـشـرـشـالـ، وـأـعـادـ مـاـ كـانـ لـسـلـفـهـ فـيـهـ مـنـ الـمـلـكـ  
عـلـىـ طـرـيقـهـ الـبـدـوـيـ، وـأـرـهـفـوـ حـدـهـمـ مـنـ طـالـبـهـمـ مـنـ القـبـائلـ.

وـخـلـصـ السـلـطـانـ أـبـوـ الـحـسـنـ مـنـ وـرـطـهـ بـاـفـرـيقـيـةـ، ثـمـ مـنـ  
وـرـطـةـ الـبـحـرـ بـرـسـيـ بـجـاـيـةـ إـلـىـ الـجـزـائـرـ بـخـاـوـلـ اـسـتـرـجـاعـ مـلـكـهـ الـمـفـرـقـ،  
فـبـعـثـ إـلـىـ عـلـيـ بـنـ رـاشـدـ وـذـكـرـهـ ذـمـتـهـ فـتـذـكـرـ وـحـنـ، وـاشـرـطـ لـفـسـهـ  
الـتـجـاـيـفـ لـهـ عـنـ مـلـكـ قـوـمـهـ بـشـلـفـ عـلـىـ أـنـ يـظـاهـرـهـ عـلـىـ بـنـ عبدـ  
الـرـادـ فـابـيـ السـلـطـانـ أـبـوـ الـحـسـنـ مـنـ اـشـتـاطـ ذـلـكـ لـهـ، فـتـحـيـزـ عـنـهـ إـلـىـ  
فـيـتـةـ بـنـ عبدـ الـرـادـ النـاجـينـ بـتـلـمـسـانـ كـمـاـ ذـكـرـنـاهـ قـبـلـ، وـظـاهـرـهـ  
عـلـيـهـ وـبـرـزـ إـلـيـهـ السـلـطـانـ أـبـوـ الـحـسـنـ مـنـ الـجـمـعـانـ  
بـشـرـبـوـةـ سـنـةـ إـحدـيـ وـخـسـيـنـ وـسـبـعـمـاـةـ فـاخـتـلـ مـصـافـ السـلـطـانـ  
أـبـيـ الـحـسـنـ وـأـنـهـمـ جـمـعـهـ، وـهـلـكـ اـبـنـ الـنـاصـرـ، وـطـاحـ دـهـ فـيـ مـغـرـاةـ  
وـهـلـؤـاءـ وـخـرـجـ إـلـىـ الصـحـرـاءـ وـلـحـقـ مـنـهـ بـالـمـغـرـبـ الـأـقـصـىـ كـمـاـ  
ذـكـرـهـ بـعـدـ.

وـتـطاـوـلـ النـاجـونـ بـتـلـمـسـانـ مـنـ آلـ يـغـمـرـاسـنـ إـلـىـ اـنـتـظـامـ بـلـادـ  
مـغـرـاةـ فـيـ مـلـكـهـ كـمـاـ كـانـ لـسـلـفـهـ، فـهـضـيـ بـيـهـ أـبـعـاسـكـرـ بـنـ عبدـ  
الـرـادـ رـدـيفـ سـلـطـانـهـ وـأـخـرـهـ أـبـرـ ثـابـتـ الزـعـيمـ بـنـ عبدـ الـرـحـمـنـ بـنـ  
يـغـمـرـاسـنـ، فـأـرـطـاـ قـوـمـهـ بـلـادـ مـغـرـاةـ سـنـةـ اـثـنـيـنـ وـخـسـيـنـ وـسـبـعـمـاـةـ  
وـفـلـ جـوـعـهـمـ وـغـلـبـهـمـ عـلـىـ الضـاحـيـةـ وـالـأـمـصـارـ.

وـأـحـجـرـ عـلـيـ بـنـ رـاشـدـ بـتـنـسـ فـيـ شـرـدـمـةـ مـنـ قـوـمـهـ، وـأـنـاخـ  
بـعـساـكـرـهـ عـلـيـهـ وـطـالـ الـحـصـارـ وـوـقـعـ الـغـلـبـ. وـمـاـ رـأـيـ عـلـيـ بـنـ رـاشـدـ  
أـنـ قـدـ أـحـيـطـ بـهـ دـخـلـ إـلـىـ زـاـوـيـةـ مـنـ زـوـاـيـاـ قـصـرـهـ اـنـتـبـذـ فـيـهـ عـنـ  
الـنـاسـ، وـذـبـحـ نـفـسـهـ مـهـدـ حـسـامـهـ، وـصـارـ مـثـلاـ وـحـدـيـاـلـلـآـخـرـينـ.

وـأـقـحـمـ الـبـلـدـ لـحـيـهـ، وـأـسـلـحـمـ فـيـ عـشـرـ عـلـيـهـ مـنـ مـغـرـاةـ،  
وـنـجـاـ الـأـخـرـونـ إـلـىـ الـأـطـرافـ الـأـرـضـ، وـلـقـرـأـ بـأـهـلـ الـدـوـلـ فـاـسـتـرـكـراـ.

الكاس.

ويقولون بلسانهم: أيت القاسم، وأيت حرف الإضافة  
النسبية عندهم.

ويزعم بنو القاسم هؤلاء أنهم من أولاد القاسم بن  
إدريس.

وربما قالوا في هذا القاسم أنه ابن محمد بن إدريس، أو ابن  
محمد بن عبد الله، أو ابن محمد بن القاسم وكلهم من أعقاب  
إدريس، مزعمًا لا مستند له إلا اتفاق بنى القاسم هؤلاء عليه، مع  
أن البداية بعدهاء عن معرفة هذه الأنساب والله أعلم بصحة ذلك.

وقد قال يغمراسن بن زيان أبو ملوكيهم لهذا العهد لما رفع  
نسبهم إلى إدريس كما يذكرون له فقال ببرطتهم ما معناه: إن كان  
هذا صحيحاً فينفعنا عند الله وأما الدنيا فإنما تلناها بسيوفنا.

ولم تزل رئاسة بنى عبد الواد في بنى القاسم لشدة شوكتهم  
واعتزاز عصبهم، وكانتوا بطراناً كثيرة ف منهم: بنو يكتين بن  
القاسم:

وكان منهم ويغرن بن مسعود بن يكتين وأخوه يكتين  
وعمر. وكان أيضًا أعدوي بن يكتين أكبر. ويقال الأصغر  
ومنهم أيضًا عبد الحق بن منغفاذ من ولد ويغرن، وكانت رئاسة  
عليهم لعبد المؤمن لعبد الحق بن منغفاذ وأعدوي بن يكتين  
وعبد الحق بن منغفاذ هو الذي استنقذ الغائط من يد بنى مرين،  
وقتل المخضب يوسف حين بعثه عبد المؤمن مع الموحدين لذلك،  
والمزخرنون يقولون: عبد الحق بن معاد بيم وعين مهملة  
مفتوحتين والف بعدها دال، وهو غلط، وليس هذا اللفظ بهذا  
الضيبي من لغة زناتة، وإنما هو تصحيف منغفاذ بيم ونون بعدها  
مفتوحتين وغير بعدهما معجمة ساكنة وفاء مفتوحة، والله أعلم.  
ومن بطون بنى القاسم أيضًا: بنو مطهر بن يمل بن يزن بن

القاسم وكان حامة بن مطهر من شيوخهم لعبد المؤمن،  
وابلى في حروب زناتة مع الموحدين. ثم حست طاعته وخياشه.

ومن بطون بنى القاسم أيضًا: بنو علي، واليهم انتهت  
رياستهم وهم أشدّهم عصبية وأكثر جمًا، وهم أربعة أخخاذ: بنو  
طاع الله، وبنو دلول وبنو كمي وبنو معطي بن جوهر، والأربعة  
بنو علي.

ونصاب الرياسة في بنى طاع الله لبني محمد بن زكدان بن  
تيدوكسن بن طاع الله، هذا ملخص الكلام في نسبهم.

ولما ملك الموحدون بلاد المغرب الأوسط وبلغوا من طاعتهم  
وأخياشهم ما كان سبباً لاستخلاصهم، فاقطعوهم عامة بلاد بني  
ومانوا، وأقاموا بتلك المواطن، وحدثت الفتنة بين بنى طاع الله

وأعز إليه السلطان بقتله في جملة أصحابه، فضرر  
أعتاقهم، وبعث بها إلى سدة السلطان وصلب أشلاءهم على  
خشب مسندة نصبها لهم ظاهر مليانة، وأمحى أمر مغراوة،  
وانقرض أمرهم وأصبحوا خولاً للأمرة، وجندًا في الدول،  
وازاعاً في الأقطار كما كانوا قبل هذه الدولة الأخيرة لهم.  
والبقاء لله وحده، وكل شيء هالك إلا وجهه.

## الخبر عن دولة بنى عبد الواد من هذه الطبقية الثانية وما كان لهم بتلمسان وببلاد المغرب الأوسط من الملك والسلطان وكيف كان مبدأ أمرهم ومصائر أحواهم

قد تقدم لنا في أول هذه الطبقية الثانية من زناتة ذكر بنى عبد  
الواد هؤلاء وأنهم من ولد بادين بن محمد إخوة توجين ومصاب  
وزردار وبنى راشد، وأن نسبهم يرتفع إلى زحيك بن واسين بن  
ورشيك بن جانا، وذكرنا كيف كانت حاكمهم قبل الملك في  
مواطنهم تلك.

وكان إخوانهم بمصاب وجبل راشد ونيكيل وملوية،  
ووصلنا من حال فنتهم مع بنى مرين إخوانهم المجتمعين معهم  
بالنسبة في زحيك بن واسين.  
ولم يزل بنو عبد الواد هؤلاء مواطنهم تلك وكان إخوانهم  
وبنو راشد وبنو زردار وبنو مصاب منجددين إليهم بالنسبة  
والخلف، وبنو توجين متابذين لهم أكثر أزمانهم.

ولم يزالوا جميعاً متغلبين على ضاحية المغرب الأوسط عامة  
الأزمان. وكانتوا تبعاً فيه لبني ومانوا وبنى يلرمي حين كان لهم  
التغلب فيه.

وربما يقال: إن شيخهم لذلك المهد كان يُعرف بيوسف بن  
تكفا، حتى إذا نزل عبد المؤمن والموحدون نواحي تلمسان،  
وسارت عساكرهم إلى بلاد زناتة تحت راية الشيخ أبي حفص،  
فأوقعوا بهم كما ذكرنا، وحسن بعد ذلك طاعة بنى عبد الواد  
وأخياشهم إلى الموحدين.

وكان بطونهم وشجورهم كبيرة أظهرها فيما يذكرون ستة:  
بنو يكتين وبنو وللوا وبنو ورصف ومقصورة وبنو تومرت  
وبنو القاسم.

الخبر إلى ابن غانية فأغذى إليه السير.  
ثم بدا له في أمر بي عبد الواد، ورأى أن ملاك أمره في خضد شكورتهم وقص جناحهم، فحدث نفسه بالفتى بشيكوهم، ومكر بهم في دعوة واعدهم لها، وفطن لتدبيره ذلك جابر بن يوسف شيخ بي عبد الواد، فراعده اللقاء والمؤازرة، وطوى له على التكث، وخرج إبراهيم بن علان إلى لقائه ففتاك به جابر.

وبادر إلى البلد فتادي بدعة المؤمن وطاعته، وكشف لأهلها القناع عن مكر ابن علان بهم، وما أوقعهم فيه من ورطة ابن غانية، فحمدوا رأيه وشكروا جابرًا على صنيعه، وجددوا البيعة للملائكة.

واجتمع إلى جابر في أمره هذا كافة بي عبد الواد وأحلافهم من بي راشد، وبعث إلى المؤمن بطاعته واعتماله في القيام بدعوه فخاطبه بالشكر، وكتب له العهد على تلمسان وسائر بلاد زناتة على رسم السادة الذين كانوا يلون ذلك من القرابة، فاضططلع بأمر المغرب الأوسط.

وكانت هذه الولاية ركوباً إلى صهوة الملك الذي اقتعدوا. ثم انقض عليهم أهل ندرومة بعد ذلك فنازلمهم وهلك في حصارها بهم غرب أثبي سنة تسع وعشرين وسبعينة.

وقام بالأمر بعده ابنه الحسن وجدد له المؤمن عهده بالولاية، ثم ضعف عن الأمر وتخلى عنه لستة أشهر من ولادته.

ودفع إليه عمه عثمان بن يوسف، وكان سُيّءَ الملكة كثير العسف والجور فثارت به الرعايا بتلمسان وأخرجوه سنة إحدى وثلاثين وسبعينة وارتضوا لكانه ابن عمه زكران، بن زيان بن ثابت الملقب بابي عزة فاستدعاوه ها، وولوه على أنفسهم ويلدهم، وسلموا له أمرهم وكان مضطلاً بأمر زناتة ومستبدًا برياستهم ومستولياً على سائر الضواحي، فنفس أبو مظهر عليه وعلى قومه بي علي إخوانهم ما آتاهم الله من الملك، وأكرهم به من السلطان وحسدوا زكران وسلفه فيما صار لهم من الملك، فشاقوه ودعوا إلى الخروج عليه، واتبعهم بنو راشد بن محمد أحلافهم منذ عهد الصحراء، وجمع لهم أبو عزة سائر قبائل بي عبد الواد، فكانت بينه وبينهم حرب سجال هلك في بعض أيامها ستة ثلاث وثلاثين وسبعينة وقام بالأمر بعده آخره يغمرا بن زيان، فرقع التسلیم والرضي به من سائر القبائل، ودان له بالطاعة جميع الأنصار.

وكتب له الخليفة الرشيد بالعهد على عمله وكان له ذلك سلماً إلى الملك الذي أورثه بنيه سائر الأئم.

وبني كمي إلى أن قتل كندوز من بي كمي زيان بن ثابت كبير بني محمد بن زكدان وشقيقهم. وقام بأمرهم بعده جابر ابن عمّه يوسف بن محمد، فثار من كندوز بزيان ابن عمّه وقتله في بعض أيامهم وحربهم.

ويقال: قتلته غيلة، وبعث برأسه ورؤوس أصحابه إلى يغمرا بن زيان بن ثابت، فنصبت عليها القدور أثافي شفافية لنفسهم من شأن أبي زيان.

وافتقر بنو كمي، وفر بهم عبد الله كبيرهم بن كندوز، فلحقوا بتونس ونزل على الأمير أبي زكرياء كما ذكره بعد. واستبد جابر بن يوسف بن محمد ببرائسة بي عبد الواد.

وأقام هذا الخليفة من بي عبد الواد بضواحي المغرب الأوسط، حتى إذا فشل ريح بي عبد المؤمن، وانتزى بمحبيه بن غانية على جهات قابس وطرابلس، وردد الغزو والغاريات على سلطنة إفريقية والمغرب الأوسط فاكتسحها وعاد فيها.

وكبس الأنصار فاقتحموا وانهبا بلاد زناتة وقتل أمراءهم، ودخل تلمسان ووهران واستباحهما وغيرهما من بلاد المغرب الأوسط، والوح على تاهرت بالغاية وإفساد السايلة وانهاب الزرع، وحطم النعم إلى أن خربت، وعفى رسماها لسفي الثلاثين من المائة السابعة.

وكانت تلمسان لذلك العهد نزلًا للحامية ومناخًا للسيد من القرابة الذي يضم نثرها، ويندب عن أخاتها وكان المؤمن استعمل على تلمسان أخاه السيد أبي سعيد، وكان غفلًا ضعيف التدبر.

وغلب الحسن بن حبون من مشيخة قومه كرمية، وكان عاملًا على الوطن.

وكانت في نفسه من بي عبد الواد ضعافان جرهما ما كان حدث لهم من التغلب على الضاحية وأهلها، فاغرى السيد أبي سعيد بجماعة مشيخة منهم وفدوا عليه فقبض عليهم واعتقلهم. وكان في حامية تلمسان له من بقايا لتونة تحالف الدولة عنهم، وأثبتهم عبد المؤمن في الديوان وجعلهم مع الحامية.

وكان زعيماً في ذلك العهد إبراهيم بن إسماعيل بن علان، وشفع عندهم في المشيخة المعتقلين من بي عبد الواد فردوه، فغضب وحي ألهه وأجعَّ الانتقاد والقيام بدعوة ابن غانية، فجدد ملك المرابطين من قومه بقضايا الشرق، فاغتار الحسن بن حبون لحيه، وتقبض على السيد أبي سعيد وأطلق المشيخة من بي عبد الواد، ونقض طاعة المؤمن وذلك سنة أربعين وعشرين فطير

و جاء على أثره من المشرق أخوه سليمان بن عبد الله فنزلها  
ورلاه أمرها ثم هلك إدريس وضعف أمرهم.

ولما برع لابنه إدريس من بعده واجتمع إليه برابرة المغرب  
نهض إلى تلمسان سنة تسع وسبعين ومائة، فجدد مسجدها  
وأصلح منبرها، وأقام بها ثلاث سنين ودخل فيها بلاد زناتة  
واستوست له طاعتهم وعقد عليها أبيه محمد ابن عمه سليمان.

ولما هلك إدريس الأصغر واقتسم بنوه أعمال المغاربة  
بإشارة أمه كترة، كانت تلمسان في سهمان عيسى بن إدريس بن  
محمد بن سليمان وأعمالها لبني أبيه محمد بن سليمان.

فلما انقرضت دولة الأدارسة من المغرب، وولى أمره موسى  
بن أبي العافية بدعة الشيعة، نهض إلى تلمسان سنة تسع عشرة  
وما تين وغلب عليها أمرها لذلك العهد الحسن بن أبي العيش بن  
عيسى بن إدريس بن محمد بن سليمان، ففر عنها إلى مليلة، وينى  
حصناً لاستئنه بناجية تكورة، فحاصره مدة، ثم عقد له سلماً على  
حصنه.

ولما تغلب الشيعة على المغرب الأوسط آخر جروا أعقاب  
محمد بن سليمان من سائر أعمال تلمسان، فأخذوا بدعة بني أمية  
من وراء البحار وأجازوا إليهم.

وتغلب على بن محمد البفري على بلاد زناتة والمغرب  
ال الأوسط، فقد له الناصر الأموي عليها وعلى تلمسان أعوام  
أربعين وثلاثمائة.

ولما هلك على وقام بأمر زناتة بعده محمد بن الخبر بن  
محمد بن خزر داعية الحكم المستنصر فملك تلمسان أعوام ستين  
وثلاثمائة.

و هلك في حروب صنهاجة وغلبهم على بلادهم، وأخلي  
إلى المغرب الأقصى ودخلت تلمسان في عمالة صنهاجة إلى أن  
اقسمت دولتهم، وافترق أمرهم.

واستقى بإمارة زناتة وولاية المغرب زيري بن عطيه، وطرد  
النصرور بن أبي عامر عن المغرب، فصار إلى بلاد صنهاجة وأجلب  
عليها، ونازل معاقلها وأمسارها مثل تلمسان ووهران وتنس  
وأشير والمسيلة.

ثم عقد المظفر بعد حين لابنه المعز بن زيري على عمل  
المغرب سنة ست وسبعين وثلاثمائة واستعمل على تلمسان ابنه  
يعلى بن زيري واستقرت ولاليتها في عقبه إلى أن انقرض أمرهم  
على يد لدونة.

## الخبر عن تلمسان وما تأدى إليها من أحوالها من الفتح أحوالها من الفتح إلى أن تأثر بها سلطان بني عبد الواد ودولتهم

هذه المدينة قاعدة المغرب الأوسط، وأم بلاد زناتة احتطها  
بني يفرن بما كانت في مواطنهم، ولم تخف على أخبارها فيما قبل  
ذلك.

وما يزعم بعض العوام من ساكنها أنها أزيلية البناء، وأن  
الجدار الذي ذكر في القرآن في قصة الخضر وموسى عليهما السلام  
هو بناية أكادير منها، فامر بعيد عن التحصل لأن موسى عليه  
السلام لم يفارق المشرق إلى المغرب، وبين إسرائيل لم يتسع ملوكهم  
لإفريقيا، فضلاً عما وراءها.

ولما هي من مقالات التشيم الجبولي عليه أهل العالم في  
فضائل ما ينسب إليهم أو ينسبون إليه من بلد أو أرض أو علم أو  
صناعة.

ولم تخف لها على خبر أقدم من خبر ابن الرقيق بأن إبا  
المهاجر الذي ولد إفريقيا بين ولايتي عقبة بن نافع الأولى والثانية،  
توغل في ديار المغرب ووصل إلى تلمسان، وبه سميت عيون  
المهاجر قريباً منها.

وذكرها الطبرى عند ذكر أبي قرة البفري وأجلبه مع أبي  
حاتم والخوارج على عمر بن حفص بطبعته.  
ثم قال: فافرجوا عنه وانصرف أبو قرة إلى موطنه بنواحي  
تلمسان.

وذكرها ابن الرقيق أيضاً في أخبار إبراهيم بن الأغلب قبل  
استبداده بآفريقيا، وأنه توغل في غزو إلى المغرب وزنلها، واسمها  
في لغة زناتة مركب من كلمتين: تلم سين ومعناهما تجمع اثنين  
يعنون البر والبحر.

ولما خلص إدريس الأكبر بن عبد الله بن الحسن إلى المغرب  
الأقصى واستولى عليه، نهض إلى المغرب الأوسط سنة أربعين  
وسبعين ومائة فتلقاء محمد بن خزر بن صولات أمير زناتة  
وتلمسان، فدخل في طاعته وحمل عليها مغراوة وبني يفرن وأسكنه  
من تلمسان فملكتها، واحتضن مسجدها وصنع منبره وأقام بها  
أشهراً وانكفا راجعاً إلى المغرب.

والملك لله يؤتى من يشاء.

النظر في تشيد أسوارها والاستبلاغ في تحصينها وسد فروجها، وأعماق المخافر نطاقاً عليها، حتى سيرها أمنع معاقل المغرب وأحسن أمصاره، وتقبل ولاتها بهذا المنصب من بعده في المعتصم بها.

وأتفق من الغريب أن أحداً السيد أبو زيد هو الذي دفع لحرب بني غانية فكان لهما في رفع الخرق والمدافع عن الدولة آثار.

وكان ابن غانية قد اجتمع إليه ذويان العرب من الملاليين بغيريقية، وخالفهم رغبة إحدى بطنهم إلى الموحدين، وتحيزوا إلى زناته المغرب الأوسط، وكان مفزعهم جيماً ومرجع نقضهم وإبراهيم إلى العامل بتلمسان من السادة في مثواهم وحاصمي حقيقتهم.

وكان ابن غانية كثيراً ما يجلب على ضواحي تلمسان وببلاد زناته ويطرقها من معه من ناعق الفتنة إلى أن خرب الكبير من أمصارها مثل تاهرت وغيرها، فأصبحت تلمسان قاعدة المغرب الأوسط، وأم هؤلاء الأحياء من زناته المغرب الكافلة لهم المهيءة في حجرها مهاد نورتهم بما خربت المديستان اللتان كانتا من قبل قواعد الدول السالفة والعصور الماضية، وهما أرشكول بسيف البحر وتأهرت فيما بين الريف والصحراء قبلة الطحاء وكان خرب هاتين المديستان فيما خرب من أمصار المغرب الأوسط في فتنة ابن غانية وباجلاب هؤلاء الأحياء من زناته وطريقهم على أهلها بسوم الحسرف والعبيث والنهب، وخطف الناس من السابلة وتغريب العمران ومخالبهم حاميتها من عساكر الموحدين، مثل: قصر عجيبة وزرقة والحضراء وشلف ومتيبة ومحزة ومرسى الدجاج والجعابات والقلعة، فلم تُصبر بها نار، ولفحت بها لسافن ضرمة، ولا صرخت لها آخر الدهر ديكة ولم ينزل عمران تلمسان بزيد وخطتها تسعة والصروح بها بالأجر والقرميد تعال وتساد إلى أن نزلها آل زيان واتخذوها داراً لملوكهم، وكرسياً لسلطانهم، فاختلطوا بها القصور الرقيقة والمنازل الحافلة وأغترسوا الرياض والبساتين وأجرروا خلالها المياه، فأصبحت أعظم أمصار المغرب.

ورحل إليها الناس من القاصية ونفت بها أسواق العلوم والصناع، فنشأ بها العلماء واشتهر فيها الأعلام وضاحت أمصار الدول الإسلامية والقواعد الخلافية.

والله وارث الأرض ومن عليها.

وعقد يوسف بن تاشفين عليها محمد بن تينعمر المسؤول وأخيه تاشفين من بعده، واستحكمت الفتنة بينه وبين المنصور بن الناصر صاحب القلعة من ملوكبني حماد، ونهض إلى تلمسان وأخذ بمحنته، وكان يغلب عليها كما ذكرنا ذلك كله في مواضعه.

ولما غالب عبد المؤمن لقرنة وقتل تاشفين بن علي بوهران خربها وخرب تلمسان بعد أن قتل الموحدون عامة أهلها، وذلك أعدام أربعين من المالية السادسة.

ثم راجع رايه فيها وندب الناس إلى عمرانها، وجع الأيدي على رم ما تلهم من أسوارها، وعقد عليها لسليمان بن وانودين من مشايخ هناته وأخى بين الموحدين وبين هذا الحي من بني عبد الواد بما بلي من طاعتهم واغيائهم.

ثم عقد عليها لابنه السيد أبي حفص، ولم ينزل آل عبد المؤمن بعد ذلك يستعملون عليها من قرابتهم وأهل بيتهم ويرجعون إليه أمر المغرب كله وزناته أجمع اهتماماً بأمرها واستقطاماً لعملها.

وكان هؤلاء الأحياء من زناته بنو عبد الواد وبنو توجين وبنو راشد قد غلبوا على ضواحي تلمسان والمغرب الأوسط وملوكها وتقربوا في بسائطها، واحتذروا باقطاع الدولة الكبير من أرضها والطيب من بلادها والوافر للجباية من قبائلها، فإذا خرجوا إلى مشايخهم بالصحراء خلفوا أتباعهم بالتلول لاعتبار أرضهم وازدراع فدتهم وجباية الخراج من رعاياهم.

وكان بنو عبد الواد من ذلك فيها بين الطحاء وملوية، ساحله وريه وصحراءه.

وصرف ولادة الموحدين بتلمسان من السادة نظرهم واهتمامهم إلى تحصينها وتشيد أسوارها، وحشد الناس إلى عمرانها والتلاقي في تصريحها واتخاذ الصروح والقصور بها، والاحتفال في مقاصر الملك واتساع خطة الدور.

وكان من أعظمهم اهتماماً بذلك وأوسعهم فيه نظراً السيد أبو عمران موسى ابن أمير المؤمنين يوسف العثماني ووليها سنة ست وخمسين وستمائة على عهد أبيه يوسف بن عبد المؤمن.

ووصلت أيام ولاته فيها، فشيد بناها وأوسع خطتها وأدار سياج الأسوار عليها، ووليها من بعد السيد أبو الحسن بن السيد أبي حفص بن عبد المؤمن، وتقبل فيها مذهبها.

ولما كان من أمر بني غانية وخروجهم من مiorقة سنة إحدى وثمانين ما قدمناه وكسبوا مجاعة فملوكها، وقطروا إلى الجزاير وملينة فغلبوا عليهم، تلافي السيد أبو الحسن أمره بإمعان

وبينه وبين أقالته بني مرين قبل ملكهم المغرب وبعد ملوكه  
وقائمه متعددة.

وله على زناته الشرق من توجين وغارواوة في قل جويعهم  
وانتساب بلادهم وتغريب أوطانهم أيام مذكورة وأثار معروفة،  
نشير إلى جميعها إن شاء الله تعالى.

### الخبر عن استيلاء الأمير أبي زكرياء على تلمسان ودخول يغمراسن في دعوته

لما استقل يغمراسن بن زيان بأمر تلمسان والمغرب الأوسط، وظفر بالسلطان وعلا كعبه على سائر أحياء زناته، نفروا عليه ما آتاه الله من العز، وكرمه به من الملك، فنابذه العهد وشاقوه الطاعة، وركبوا له ظهر الخلاف والعداوة، فشمر لحرفهم ونازلمهم في ديارهم وأحاجرهم في حصونهم ومعتصماتهم من شواهن الجبال ومحنت الأمصار وكانت له عليهم أيام مشهورة وقائمة معروفة.

وكان متولى كبر هذه الماشقة عبد القوي بن العباس شيخ بني توجين أئتمهم من بني بادين، والعباس بن متليل بن عبد الرحمن، وإنحوته أمراء مغارواة.

وكان المولى الأمير أبو زكرياء بن أبي حفص منذ استقل بأمر إفريقية واقطعها عن الإيالة المؤمنية سنة خمس وعشرين وستمائة كما ذكرناه متطاولاً إلى اختيار المغرب والاستيلاء على كرسى الدعوة بمراكنش، وكان يرى أن يظهره زناته له على شأنه يتم له ما يسمى إليه من ذلك، فكان يداخل أمراء زناته فيرغهم ويرسلهم بذلك على الأحياء من بني مرين وبني عبد الواد وتوجين وغارواوة.

وكان يغمراسن منذ تقلد طاعة آل عبد المؤمن أقام دعوتهم بعمله متخيلاً إليهم سلماً لوليهم وحرباً على عدوهم.

وكان الرشيد منهم قد ضاعف له البر والخلوص، وخطب منه مزيد الولاية والمصافحة، وعاوره الإنخاف بأنوار الألطاف والهدايا عام سبع وثلاثين وستمائة تقدماً لسراته، و Milesاً إليه عن جانب أقالته بني مرين الجلبيين على المغرب والدولة.

وأحفظ الأمير أبي زكرياء بحبي بن عبد الواحد صاحب إفريقية ما كان من اتصال يغمراسن بالرشيد، وهو من جواره بالحل التربى، واستكره ذلك.

ويبنما هو على ذلك إذ وفدي عليه عبد القوي بن العباس،

الخبر عن استقلال يغمراسن بن زيان بالملك  
والدولة بتلمسان وما إليها وكيف مهد  
الأمر لقومه وأصاره تراثاً لبنيه

كان يغمراسن بن زيان بن ثابت بن محمد من أشد هذا  
الحي بأساً، وأعظمهم في الفتوس مهابة وجلاله، وأعرفهم بصالح  
قبيله، واقرأه كاهلاً على حل الملك واضطلاعاً بالتدبير  
والرياسة، مهدت له بذلك آثاره قبل الملك وبعده.

وكان مرموماً بعين التجلة مؤملاً للأمرين عند الشيخة وتعظمه  
من أمره عند الخاصة، ويفزع إليه في نوابها العامة.

فلما ولـي هذا الأمر بعد مهلك أخيه أبي عزة زكـدان بن زيان سنة ثلاثة وثلاثين قـام به أحسن قـيـام، واـضطـلاـعـ بـأـبـائـهـ وـظـهـرـ عـلـيـ بـنـيـ مـطـهـرـ وـبـنـيـ رـاشـدـ الـخـارـجـينـ عـلـيـ أـخـيـهـ، وـأـصـارـهـ فـيـ جـلـتـهـ وـنـخـتـ سـلـطـانـهـ.

وـأـحـسـنـ السـيـرـةـ فـيـ الرـعـيـةـ، وـاستـمـالـ عـشـيرـتـهـ وـقـبـيلـهـ وـأـحـلـافـهـ مـنـ زـغـبةـ بـحـسـنـ السـيـاسـةـ وـالـاصـطـنـاعـ وـكـرـمـ الـجـوـارـ، وـأـخـذـ الـآـلـةـ وـرـتـبـ الـخـنـودـ وـالـسـالـحـ، وـاسـتـلـحـ الـسـاـكـرـ مـنـ الـرـوـمـ وـالـغـزـ رـاعـةـ وـنـاشـبـةـ.

وـفـرـضـ الـعـطـاءـ وـاتـخـذـ الـوـزـرـاءـ وـالـكـتـابـ، وـبـعـثـ فـيـ الـجـهـاتـ الـعـمـالـ وـلـبـسـ شـارـةـ الـمـلـكـ وـالـسـلـطـانـ، وـاتـقـعـدـ الـكـرـسـيـ وـحـاـ منـ آـثـارـ الـدـوـلـةـ الـمـؤـمـنـةـ، وـعـطـلـ مـنـ الـأـمـرـ وـالـنـهـيـ دـسـتـهـ، وـلـمـ يـتـرـكـ مـنـ رـسـوـمـ دـوـلـتـهـ وـالـقـابـ مـلـكـهـ إـلـاـ الدـعـاءـ عـلـيـ مـتـابـرـهـ لـلـخـلـيـفـةـ بـمـراـكـشـ، وـتـنـاـولـ التـقـلـيدـ وـالـمـهـدـ مـنـ يـدـهـ تـائـيـسـاـ لـلـكـافـةـ وـمـرـضـةـ لـلـأـكـفـاءـ مـنـ قـوـمـهـ.

وـوـفـدـ عـلـيـهـ لأـولـ دـوـلـتـهـ اـبـنـ وـضـاحـ إـثـرـ دـوـلـةـ الـمـوحـدـينـ، أـجـازـ الـبـرـ مـعـ جـالـيـةـ الـمـسـلـمـينـ مـنـ شـرـقـ الـأـنـدـلـسـ، فـاتـرـهـ وـقـرـبـ مجلـسـهـ وـأـكـرـمـ نـزـلـهـ، وـأـحـلـهـ مـنـ الـخـلـةـ وـالـشـورـىـ بـمـكـانـ اـصـطـفـاهـ لـهـ.

وـوـفـدـ فـيـ جـلـتـهـ أـبـرـ بـكـرـ بـنـ الـخـطـابـ الـمـبـاـعـ لـأـخـيـهـ بـرـسـيـةـ، وـكـانـ مـرـسـلـاـ بـلـيـغاـ، وـكـاتـبـاـ مـجـيدـاـ، وـشـاعـرـاـ مـحـسـنـاـ، فـاسـتـكـتبـهـ وـصـدرـ عـنـهـ مـنـ الرـسـائلـ فـيـ خـطـابـ خـلـفـاءـ الـمـوـحـدـينـ بـمـراـكـشـ وـتـونـسـ فـيـ عـهـودـ بـيـعـاتـهـ مـاـ تـوـقـلـ وـحـفـظـ وـلـمـ يـزـلـ يـغـمـرـاسـنـ حـمـاماـ عـنـ غـيـلهـ عـهـودـ بـعـارـياـ لـعـدوـهـ.

وـكـانـتـ لـهـ مـعـ مـلـوـكـ الـمـوـحـدـينـ مـنـ آـلـ عـبـدـ الـمـؤـمـنـ وـمـدـيـلـهـ مـنـ آـلـ أـبـيـ حـفـصـ مـوـاـطـنـ فـيـ التـمـرـسـ بـهـ وـمـنـازـلـ بـلـدـهـ، فـنـنـ ذـاكـرـهـ كـذـلـكـ.

وخطاب يغمراسن خلال ذلك الأمير أبي زكرياء رغبة في القيم بدعوهته بتلمسان، فراجعه بالإسعاف واتصال اليد على صاحب مراكبش، وسogue على ذلك جباهة اقتعها له، وأطلق أيدي العمال ليغمراسن لجبايتها.

ووفدت أمه سوط النساء للاشتراك والتقبيل فأكرم وصلها وأستى جائزتها وأحسن وفادتها ومتقلبها، وارتحل إلى حضرته لبعض عشرة ليلة من نزوله وفي أثناء طريقه ورسوس إليه بعض الحاشية باستبداد يغمراسن عليه، وأشاروا بإقامة منافسيه من زناته، وأمراء المغرب الأوسط شجاعاً في صدره ومعtrapاً عن مرامة، وإلياسهم ما ليس من شارة السلطان وزيه، فاجاب لهم وقلد عبد القوي بن عطية الترجيني، والعباس بن متليل المغراوي، وعلى بن منصور المليكيشي من قومهم ووطتهم، وعهد إليهم بذلك، وأذن لهم في اتخاذ الآلة والمراسم السلطانية على ستين يغمراسن قريتهم، فاختذوها بحضوره ويشهد من ملك الموحدين، وأقاموا مراسمهما بياب، وأخذ السير إلى تونس قرير العين بامتداد ملكه، وبلغ وطره، والإشراف على إذعان المغرب لطاعته واقياده لحكمه، وإدالة دعوة بنى عبد المؤمن فيه بدعوته.

ودخل يغمراسن بن زيان ووفي للأمير أبي زكرياء بعده، وأقام له الدعوة على سائر منابرها، وصرف إلى مشاقيه من زناته وجوره عزائمها، فإذاق عبد القوي بن العباس وأولاد متليل نكال الحرب، وسامهم سوء العذاب والفتنة، وجاس خلال ديارهم وتونغل في بلادهم وغبلهم على الكثير من عمالهم، وشرد من الأنصار والقواعد ولاتهم وأشياعهم ودعاتهم، ورفع عن الرعية ما نالهم من عدوائهم وسوء ملوكهم وقتل عسفهم وجورهم.

ولم يزل على تلك الحال إلى أن كان من حركة صاحب مراكبش بسبب أخذ يغمراسن بالدعوة الخففية ما نذكره إن شاء الله تعالى.

### الخبر عن نهوض السعيد صاحب مراكبش ومنازله يغمراسن بجبل تامزر يزدكت ومهلكه هنالك

لما انقضت دولة بنى عبد المؤمن وانتزى الشوار والدعاية بقاصية أعمالهم وقطعواها عن عمالهم، فاقطع ابن هود ما وراء البحر من جزيرة الأندلس واستبد بها، ووري بالدعاية للمستنصر بن الظاهر خليفة بغداد من العابسين لعهده، ودعا الأمير أبو

ولد متليل بن محمد صريخاً على يغمراسن، فسهلوا له أمره وسلوا له الاستيلاء على تلمسان، وجمع كلمة زناته واعتداد ذلك ركاباً لما يرموه من امتناء ملك الموحدين وانتظامه في أمره، وسلموا لارتفاعه ما يسمى إليه من ملكه، وباباً لللولوج على أهله، فحركه أملؤهم وهزه إلى التعرة صريخهم، وأهاب بالموحدين وسائر الأولياء والعساكر إلى الحركة على تلمسان، واستثفر لذلك سائر البدو من الأعراب الذين في عمله من بيني سليم وريح بظعنهم فأطعروا لداعيه، ونهض ستة تسع وثلاثين وستمائة في عساكر ضخمة وجوش وافرة، وسرح إمام حركته عبد القوي بن العباس وأولاد متليل بن محمد لخشده من باوطائهم من أحيا زناته، وأنباءهم وذؤبان قبائلهم، وأحياء زغبة أخلافهم من العرب، وضرب لهم موعداً لموافاتهم في تحرم بلادهم.

ولما نزل زاغر قبلة تبطري متنه مجالات ريح وبني سليم في المغرب، واقتله هنالك أحيا زغبة من بنى عامر وسييد، وارتحلوا معه حتى نازل تلمسان، فجمعت عساكر الموحدين وخشداً زناته وطن المغرب، بعد أن قدم إلى يغمراسن الرسل من ملائكة والأعذار والبراءة والدعاية فرجعهم بالخيبة.

ولما حللت العساكر الموحدين بساحة البلد ويرز يغمراسن وجموعه للقاء نضحthem ناشبة السلطان بالليل، فانكشفوا ولادوا بالجلدان، وعجزوا عن حماية الأسوار، فاستمكت المقاتلة من الصعود.

ورأى يغمراسن أن قد أحبط بالبلد فقصد باب العقبة من ابواب تلمسان ملتفاً على ذوبه وخاسته، واعتربته عساكر الموحدين فقسم ثوهم وجندل بعض أبطالهم، فافرجوا له، ولحق بالصحراء.

وأنسلت الجيوش إلى البلد من كل حدب، فاقتحموه وعاثوا فيه بقتل النساء والصبيان، واكتساح الأموال.

ولما تحلى غشي تلك الهيئة وحرس تيار الصدمة، وخدت نار الحرب، راجع الموحدون بصائرهم، وأنعم الأمير أبو زكرياء نظره فيمن يقلده أمر تلمسان والمغرب الأوسط، ويزتله بغيرها لإقامة دعوته الدائلة من دعوة عبد المؤمن والمدافعة عنها.

واستكبر ذلك أشرافهم وتدافعواه وتبرأ أمراء زناته منه ضعفاً عن مقاومة يغمراسن، وعلمأً بأنه الفحل الذي لا يقع انه، ولا يطرق غبله، ولا يصد عن فريسته، وسرح يغمراسن الغارات في نواحي العسكر فاختطفوا الناس من حوله، وأطلاوا من المراقب عليه.

فتواب به هؤلاء الفرسان وكان ما ذكرناه، وذلك لصفر من سنة ست وأربعين وستمائة.

ووقدت النفرة في العساكر لطائير الخبر فاجفلوا، وبادر يغمراسن إلى السعيد وهو صريح بالأرض فنزل إليه وجاهه وفداه وأقسم له على البراءة من هلكته، والخلفية واجم عصرعه يجود بنفسه إلى أن فاض واتهب العسكر بحملته، وأخذ بنو عبد الواد ما كان به من الأختيارات والفالرات.

وأختص يغمراسن بسطاط السلطان فكان له حاصلة دون قومه، واستولى على النخيرة التي كانت فيه، منها مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه يزعمون أنه أحد المصاحف التي اتسخت لعهد خلافته، وأنه كان في خزان قرطبة عند ولد عبد الرحمن الداخل، حتى صار إلى ذخائر لم تزنة فيما صار إليهم من ذخائر ملوك الطوائف بالأندلس، ثم إلى ذخائر الموحدين من خزائن لتونة، وهو لهذا العهد في خزانةبني مرين يفاس فيما استولوا عليه من ذخيرة آل زيان حين غلبه عليهم على تلمسان، واقتحامها عنوة على ملكها منهم عبد الرحمن بن موسى بن عثمان بن يغمراسن فريسة السلطان أبي الحسن، مقتحهما غالباً سنة سبع وثلاثين وسبعيناً كما ذكره.

ومنها العقد المتنظم من خرزات الياقوت الفاخرة والدرر، المشتمل على مئين متعدد من حصباته يسمى بالثعبان، وصار في خزانةبني مرين منذ ذلك الغلاب فيما اشتملوا عليه من ذخائرهم إلى أن تلف في البحر عند غرق الأسطول بالسلطان أبي الحسن بمراسي مجایة مرجعه من تونس حسبما ذكره بعد إلى ذخائر من أمثاله وطرف من أشباهه بما يستخلصه الملوك لخزائنهم ويعنون به من ذخائرهم.

ولما سكنت الغرة وركد عاصف تلك الحية نظر يغمراسن في شأن مواراة الخليفة، فجهز ورفع على الأعوداد إلى مدفنه بالعباد بمقررة الشيخ أبي مدين عفا الله عنه.

ثم نظر في شأن حرمه وأخته تاعزونت الشهيرة الذكر، بعد أن جاءها واعتذر إليها مما وقع، وأصحابهن جلة من مشيخةبني عبد الواد إلى مأتمهم الحقوقن بدرعة عند تخوم طاعتهم، فكان له بذلك حديث جميل في الإبقاء على الحرم ورعى مراتب الملك ورجع إلى تلمسان.

وقد خضدت شوكة بني عبد المؤمن وأمنهم على سلطانه

والبقاء لله وحده.

ذكر يا بن أبي حفص يافريقي لنفسه، وسما إلى جمع كلمة زناته والغلب على كرسى الدعوة بمراكنش، فنازل تلمسان وغلب عليها سنة أربعين وستمائة وقارن ذلك ولاية السعيد على بن المأمون إدريس بن المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن، وكان شههما حازماً يقطأ بعيد المهمة، فنظر في أعطاف دولته، وفاوضوا ملأاً في تنقيف أطراها وتقويم مائلتها، وأثار حفاظهم ما وقع من بني مرين في ضواحي المغرب ثم في أمصاره واستيلائهم على مكتنasa، وإقامتهم الدعوة الحفصية فيها كما ذكره.

فجهز والساکر وأزاح علهم، واستفرغ عرب المغرب وقبائله، واحتشد كافة الصامدة ونهض من مراكش آخر سنة خمس وأربعين وستمائة يريد القاصية، ويشرد بني مرين عن الأمصار الدانية.

واعتبرض العساكر والخسود بوادي بهت، وأخذ السير إلى تازى، فوصلته هنا لك طاعة بني مرين كما ذكره.

ونفر معه عسکر منهم، ونهض إلى تلمسان وما وراءها ونجا يغمراسن بن زيان وبنو عبد الواد بأهلهم وأولادهم إلى قلعة تامز وزدكت قبلة وجدة، فاعتصموا بها.

وووفد على السعيد التقى عبدون وزير يغمراسن مؤدياً للطاعة ثابتًا في مذاهب الخدمة، ومتولياً من حاجات الخليفة بتلمسان لما يدعوه إليه ويصرفه في سبيله، ومعذراً عن وصول يغمراسن، فلچ الخليفة في شأنه ولم يعتره وأبي إلا مباشرة طاعته بنفسه، وساعدته في ذلك كاتون بن جرمون السفياني صاحب الشورى بمجلسه ومن حضر من الجلة ورجعوا عبدون لاستقدمه، فتقاتل خشية على نفسه.

واعتمد السعيد الجبل في عساكره وanax بها في ساحه وأخذ يمحقهم ثلاثة، ولرابعتها ركب مهجراً على حين غفلة من الناس في قاليتهم ليتطوف على المتخصص، ويتقرى مكانه، ويصر به فارس من القوم يعرف يوسف بن عبد المؤمن الشيطان، كان أسفلاً الجبل للاحتراس وقرباً منه يغمراسن بن زيان وابن عميه يعقوب بن جابر فانقضوا عليه من بعض الشعاب، وطعنه يوسف فاكبه عن فرسه، وقتل يعقوب بن جابر وزوجه يحيى بن عطوش.

ثم استلحموا لرقطهم موليه ناصحاً من العلوج وعتبراً من الحصيان، وقاد جند النصارى آخر القمط، ووليداً ياغعاً من ولد السعيد.

ويقال: إنما كان ذلك يوم عبا العساكر وصعد الجبل للقتال، وتقدم أمم الناس فأقطعه بعض الشعاب التوعرة في طريقه،

يعقوب بن عبد الحق.

ولما قفلوا إلى المغرب صمد يغمراسن إلى سجل ماسة، لما دخلة كانت بينه وبين المبابا من عرب العقل، أهل مجالتها وذئاب فلايتها، حدثه نفسه اهتياق الغرة في سجل ماسة من أجلها، وكانت قد صارت إلى إيلاء أبي يحيى بن عبد الحق منذ ثلاث كما ذكرناه في أخبارهم.

ونذر بذلك أبو يحيى، فسابق إليها يغمراسن بن حضره من قومه فتفقهها وسد فرجها.

ووصل يغمراسن عقيب ذلك بعساكره، وأناخ بها وامتنعت عليه فافرج عنها قافلاً إلى تلمسان.

وذلك أبو يحيى بن عبد الحق إنر ذلك من قبله إلى فاس، فاستقر يغمراسن أولياءه من زناته وأحياء زبغة، ونهض إلى المغرب سنة سبع وخمسين وستمائة وانتهى إلى كلدامان.

ولقيه يعقوب بن عبد الحق في قومه ف الواقع به وولى يغمراسن منهزاً، ومر بطريقه بتافرسية فاتسفيها وعاش في نواحيها.

ثم تداعوا للسلم ووضع أوزار الحرب، وبعث يعقوب بن عبد الحق ابنه أبي مالك بذلك، قتلى عقده وإبراهيم.

ثم كان التقاوهما سنة تسع وخمسين وستمائة براجر قالة بني بزناسن، واستحکم عقد الوفاق بينهما بعد ذلك، واتصلت المهادنة إلى أن كان بينهما ما نذكره إن شاء الله تعالى.

### الخبر عن كاتبة النصارى وإيقاع يغمراسن

بهم

كان يغمراسن من بعد مهلك السعيد وانقضاض عساكر الموحدين قد استخدم طائفته من جند النصارى الذين كانوا في جملته مستثنأً بهم معتقداً بـكائهم وبماهية بهم في المواقف والمشاهد.

وناوهم طرفاً من جبل عناته، واعتزوا به واستفحوا أمرهم بتلمسان حتى إذا كانت سنة اثنين وخمسين وستمائة بعد مرجمه من بلاد توجين في إحدى حرکاته إليها، كانت قصة غدرهم الشنعاء التي أحسن الله في دفاعها عن المسلمين.

وذلك أنه ركب في بعض أيامه لاعتراض الجنود بباب المغرمادين من أبواب تلمسان.

الخبر عما كان بينه وبين بنى مرین من

### الأحداث سائر أيامه

قد ذكرنا ما كان بين هذين الحين من المناقة والمنافسة منذ الآماد المتطاولة بما كانت مجالات الفريقين بالصحراء متباورة، وكان التخن بين الفريقين وادي صا إلى فيكيك.

وكان بنو عبد المؤمن عند فشل الدولة وتغلب بنى مرین على ضاحية المغرب يستجيشون بنى عبد الواد مع عساكر الموحدين على بنى مرین فيجوسون خلال المغرب ما بين تازى إلى فاس إلى القصر في سبيل المظاهر للموحدين والطاعة لهم.

وستذكر في أخبار بنى مرین كثيراً من ذلك.

فلما هلك السعيد وأسف بنو مرین إلى ملك المغرب بما ليغمراسن أمل في مزاحتهم.

وكان أمل فاس بعد تغلب أبي يحيى بن عبد الحق عليهم قد نعموا على قومه سوء السيرة، وتمشت رجالاتهم في اليساز بطاعة الخليفة المرتضى ففعلوا فعلتهم في الفتاك بعامل أبي يحيى بن عبد الحق، والرجوع إلى طاعة الخليفة.

وأغذ أبو يحيى السير إلى منازلهم، فحاصرهم شهرأً وفي أثناء هذا الحصار اتصلت المخاطبة بين الخليفة المرتضى ويغمراسن بن زيان في الأخذ بمجررة أبي يحيى بن عبد الحق عن فاس، فأجاب يغمراسن داعيه، واستقر لها إخوانه من زناته فنفر معه عبد القوي بن عطية بقومه من توجين وكافة القبائل من زناته والمغرب، ونهضوا جميعاً إلى المغرب.

وبلغ خبرهم إلى أبي يحيى بن عبد الحق بمكانه من حصار فاس، فجمر كتابه عليها ونهض للقائهم في بقية العساكر، والتقي الجمعان ب AISLٰ من ناحية وجدة، وكانت هنالك الواقعة المشهورة بذلك المكان انكشفت فيها جوع يغمراسن، وهلك منهم يغمراسن بن تاشفين وغيره، ورجعوا في فلهم إلى تلمسان، واتصلت بعد ذلك بينهم المروء والفتات سائر أيامه، وررعا خللتها المهادنة قليلاً.

وكان بينه وبين يعقوب بن عبد الحق ذمة مواصلة أوجب له رعيها، وكثيراً ما كان يثني عنه أخاه أبي يحيى من أجلها.

ونهض أبو يحيى بن عبد الحق سنة خمس وخمسين وستمائة إلى قتاله ويرز إليه يغمراسن، وتزاحفت جموعهم بأبي سليط، فانهزم يغمراسن واعتزم أبو يحيى على اتباعه، فثناء عن ذلك أخوه

علي بن قاسم بن درع من ولد محمد. وأنزل معهما يغمراسن بن حامة فيمن معهم من عشائرهم وحشمهم فأقام ابنه يحيى أميراً عليها إلى أن هلك، فاداً منه بعد الملك ابن أخيه، فلم ينزل والياً عليها إلى أن غلب يعقوب ابن عبد الحق الموحدين على دار خلافتهم.

وإطاعته طنجة وعامة بلاد المغرب، فوجه عزمه إلى انتزاع سجلماة من طاعة يغمراسن وحف إليها في العساكر والخشود من زنانة والعرب والبربر، ونصبوا عليها آلات الحصار إلى أن سقط جانب من سورها فاقتحموها منه عنزة في صفر سنة ثلاثة وسبعين وستمائة واستباحوها وقتل القائد عبد الملك بن حنيفة ويغمراسن بن حامة ومن معهم من بنى عبد الواد وأمراء المبات، وصارت إلى طاعةبني مرين آخر الأيام: والملك بيد الله يؤتى من يشاء من عباده.

### الخبر عن حروب يغمراسن مع يعقوب بن

#### عبد الحق

قد ذكرنا ما كان من شأنبني عبد المؤمن عند فشل دولتهم، واستطالةبني مرين عليهم في الاستظهار يعني عبد الواد واتصال اليد بهم في الأخذ بمجرة عدوهم منبني مرين عليهم: ولا هلك المرتضى وولي أبو دبوس سنة خمس وستين وستمائة وهي وطيس فنته مع يعقوب بن عبد الحق، فراسل يغمراسن في مدافعته، وأكذ العهد وأسئلي المدية، فاجابه إليها يغمراسن وشن الغارات على ثور المغرب وأضر منها ناراً. وكان يعقوب بن عبد الحق عاصراً لمراكن فأخرج عنها ورجع إلى المغرب.

واحتشد جموعه، ونهض إلى لقائه وتزاحف الفريقان بروادي تلاغ، وقد استكمل كلُّ تعييشه، وكانت الرقيقة على يغمراسن استبيحت فيها حرمه واستلجم قومه، وهلك ابنه عمرأبو حفص أعز ولده عليه في أتراب له من عشيره مثل: ابن عبد الملك بن حنيفة، وابن يحيى بن مكن، وعمر بن إبراهيم بن هشا، فرجع عنه يعقوب بن عبد الحق إلى مراكن حتى انقضى شأنه في التغلب عليها، ومحا أثربني عبد المؤمن منها، وفرغ لممارسةبني عبد الواد وحشد كافة أهل المغرب من المصامدة والجماع والقبائل، ونهض إلىبني عبد الواد سنة سبعين وستمائة فبرز إليه يغمراسن في قومه وأوليانه من مغاروة والعرب، وتزاحفوا بيسلي من نواحي وجدة،

وي بينما هو واقف في موكيه عند قايلة الضاحي عدا عليه قائدتهم، وبادر النصارى إلى محمد بن زيان أخي يغمراسن فقتلواه، وأشار له بالتجوى فبرز من الصف لإسراره وأمكنته من اذنه، فتكب النصرياني وقد خالطه روعة أحسن منها يغمراسن بكره فالخاص منه، وركض النصرياني أمامه يطلب النجاة، وتبين الغدر، وثارت بهم الدماء من الحامية والرعايا، فأحيط بهم من كل جانب وتناولتهم أيدي الملائكة في كل مهلك عصباً بالرماح وهبها بالسيوف وشددوا بالعصي والحجارة حتى استلجموا، وكان يوماً مشهوراً. ولم يستخدم من بعدها جند النصارى بتلمسان حذراً من غالتهم.

ويقال: إن محمد بن زيان هو الذي دخل القائد في الفتك بأخيه يغمراسن، وأنه إنما قتله عندما لم يتم لهم الأمر تبرياً من مداخلته، فلم يهله غاشي المية للثبت في شأنها والله أعلم.

### الخبر عن تغلب يغمراسن على سجلماة

#### ثم مصيرها بعد إلى إبالة بنى مرين

كان عرب العقل منذ دخول العرب المسلمين إلى الصحراء المغرب الأقصى أحلاقاً وشيعاً لزنانة، وأكثر أخيائهم إلىبني مرين إلا ذوي عبد الله منهم بما كانت مجالاتهم لصن مجالاتبني عبد الواد ومشاركة لها.

ولما استفحلا شأنبني عبد الواد بين يدي ملوكهم زاحرهم عنها بالمناكب، وبندوا إليهم العهد واستخلصوا دونهم المبات من ذوي منصور أقثائهم، فكانوا حلقاء وشيعة ليغمراسن ولقومه.

وكان سجلماة في مجالاتهم ومتقلب رحلتهم، وكانت قد صارت إلى ملكبني مرين، ثم استبد بها القطراني، ثم ثاروا به ورجعوا إلى طاعة المرضي.

وتولى كبر ذلك علي بن عمر كما ذكرناه في أخباربني مرين.

ثم تغلب المبات على سجلماة وقتلوا عاملها علي بن عمر سنة اثنين وستين وستمائة وأثروا يغمراسن بملكتها، ودخلوا أهل البلد في القيام بدعونه وحملوه عليها.

وجاجاؤا يغمراسن فنهض إليها في قومه، وأمكنته من قيادها فقضطها، وعقد عليها لولده يحيى. وأنزل معه ابن أخيه حنيفة، واسمه عبد الملك بن محمد بن

تلمسان ما قدمتاه، والبس جيدهم شارة الملك على ما ذكرناه ونذكره في أخبارهم، فزاحوا بغمراسن بعدها بالناكب وصرف هو إليهم وجه التهمات والخروب.

ولم يزل الشأن ذلك حتى انفرض ملك هذين الحين لعهد ابنه عثمان بن يغمراسن وعلى يده، ثم على يد بني مرین من بعدهم كما يأتي ذكره.

ولما رجع يغمراسن بن زيان من لقاء بني مرین بایسلی من نواحي وجدة التي كانت سنة سبع وأربعين وستمائة، وكان معه فيها عبد القوي بن عطيه بقومه من بني توجين، وهلک مرجمه منها، فنبذ يغمراسن العهد إلى ابنه محمد الأمير بعده، وزحف إلى بلاده فجاس خلاها، ونازل حصونها فامتنعت عليه.

وأحسن محمد بن عبد القوي في دفاعه، ثم زحف ثانية سنة خسین وستمائة إلىهم فنازل حصن تافرکيت من حصونهم. وكان به على بني زيان حاقد محمد بن عبد القوي فامتنع به في طائفته من قومه.

ورحل عليه يغمراسن كظيمأ، ولم يزل يغمراسن بعدها يشن الغارة على بلادهم، ويحمر الكتاب على حصونهم. وكان بتافرکيت صنيعه من صنائع بني عبد القوي ونسبه في صنهاجة أهل ضاحية بجاية، اختص بها الحصن ورسخت قدمه فيه، واعتبر بكترة ماله وولده فأحسن الدفاع عنه، وكان له مع يغمراسن في الامتناع عليه أخبار مذكورة حتى سطا به بنو محمد بن عبد القوي حين شرهوا إلى نعمته، وأنفروا من استبداده فاتلفوا نفسه وتخطفوا نعمته، فكان حتف ذلك الحصن في حفته كما يأتي ذكره.

وعندما شبت نار الفتنة بين يغمراسن وبين محمد بن عبد القوي وصل محمد يده بعقوب بن عبد الحق.

فلما نازل يعقوب تلمسان سنة سبعة وستمائة بعد أن هدم وجدة، وهزم بغمراسن بایسلی، جاءه محمد بن عبد القوي بقومه من بني توجين، وقام معه على حصارها ورحلوا بعد الامتناع عليهم، فرجع محمد إلى مكانه.

ثم عاود يعقوب بن عبد الحق منازلة تلمسان سنة ثمانين وستمائة بعد إيقاعه بيعمراسن في خرزوزة، فلقيه محمد بن عبد القوي بالقصبات واتصلت أيديهم على تخريب بلاد يغمراسن ملياً، فنازلوا تلمسان أياماً ثم افترقا ورجع كلُّ إلى بلده.

ولما خلص يغمراسن بن زيان من حصاره زحف إلى

فكانت الديرة على يغمراسن وانكشفت جوعه، وقتل ابنه فارس، ونجا بأهله بعد أن أضرم مسكنه ناراً تقليداً من معرة اكتساحه، ونجا إلى تلمسان فاختر بها، وهم يعقوب بن عبد الحق وجده، ثم نازله بتلمسان، واجتمع إليه هنالك بنو توجين مع أميرهم محمد ابن عبد القوي، وصل يده بيد السلطان على يغمراسن وقومه، وحاصروا تلمسان أياماً فامتنعت عليهم، وأفرجوا عنها.

وولى كلَّ إلى عمله ومكان ملكه حسبما نذكره في أخبارهم. وانعقدت بينهما المهادة من بعد ذلك وفرغ يعقوب بن عبد الحق للجهاد، ويغمراسن لمغالية توجين ومغراوة على بلادهم إلى أن كان من شأنهم ما نذكره والله أعلم.

## الخبر عن شأن يغمراسن مع مغراوة وبني توجين وما كان بينهم من الأحداث

كانت أحياء من مغراوة في مواطنهم الأول من نواحي شلف قد سالمتهم الدول عند تلاشى ملوكهم، وساموهم الجباية فرضوا بها مثل: بني ورسفين وبني يليت وبني ورتزمير، وكان فيهم سلطان بني منديل بن عبد الرحمن من أعقاب آل خزر ملوكهم الأول منذ عهد الفتح وما بعده على ما ذكرناه في خبرهم.

فلما اشتر عقد الخلافة بمراكيش وتشظت عصاها وكثُر الثوار والخوارج بالجهات، استقلَّ منديل بن عبد الرحمن وبنوه من بعده بتلك الناحية وملكون مليانة وتنس وبشرشك وما إليها، وتطاولوا إلى متيبة قتلنوا عليها.

ثم مدوا أيديهم إلى جبل وانشريش وما إليه، فتناولوا الكثير من بلاده ثم أزاحهم عنها بنو عطيه وقومهم من بني توجين المعاورون لهم في مواطنهم باعلى شلف شرقى أرض السرسو وكان ذلك لأول دخول أحياء زناتة الناجمة بارض القبلة إلى التلول، فتغلب بنو عبد الواد على نواحي تلمسان إلى وادي صا.

وتغلب بنو توجين على ما بين الصحراء والتل من بلد المربة إلى جبل وانشريش، إلى مرات إلى الجبهات، وصار التخيم لملك بني عبد الواد سيك والبطحاء، فمن قبليها ل المواطن بني توجين ومن شرقها مواطن مغراوة.

وكانت الفتنة بين بني عبد الواد وبين هذين الحين منذ أول دخولهم إلى التلول.

وكان المولى الأمير أبو زكرياء بن أبي حفص يستظره بهذين الحين على بني عبد الواد ويراغبهم بهم، حتى كان من فتح

فاذن لهم في الانطلاق ولحقنا به غمراسن بن زيان حتى إذا كانت الواقعة عليه بخزوزة سنة ثمانين كما قدمناه، وزحف بعدها إلى بلاد مغراوة وتجأفي له ثابت بن منديل عن مليانة وانكفاً راجعاً إلى تلمسان، استعمل على ثغر مستغانم الرعيم بن محبى بن مكن.

فلما وصل إلى تلمسان انتقض عليه ودعا إلى الخلاف وما

عدوه من مغراوة على المظاهرة عليه، فقصد إليه غمراسن وأحجزه بها حتى لا ذهنه بالسلم على الإجازة، فقد له وأجازه.

ثم أجاز له على أثره أباه يحيى واستقر بالأندلس إلى أن هلك يحيى سنة اثنين وتسعين وستمائة ووفد الرعيم بعد ذلك على يوسف بن يعقوب وسخطه لبعض التزاعات، فاعتقله وفر من محبسه ولم يزل الأغتراب مطروحاً به إلى أن هلك والبقاء لله وحده.

ونشأ ابنه الناصر بالأندلس فكانت مثواه وموقف جهاده إلى أن هلك.

وأما أخوه علي بن يحيى فأقام بتلمسان وكان من ولده داود بن علي كبير مشيخة بين عبد الواد وصاحب شوراهم وكان منهم أيضاً إبراهيم بن علي عقد له أبوه حمو الأوسط على ابنته، فكان منها ولد ذكر، وكان لداود ابن اسمه يحيى بن داود استعمله أبو سعيد بن عبد الرحمن في دولتهم الثانية على وزارةه فكان من شأنه ما نذكره في أخبارهم والأمر لله.

### الخبر عن شأن يغمراسن في معاقدته مع ابن الأهر والطاغية على فتنة يعقوب بن عبد الحق والأخذ بجزته

كان يعقوب بن عبد الحق لما أجاز إلى الجهاد وأوقع بالعدو وخرب حصونهم، نازل أشبيلية وقرطبة، وزلزل قواعد كفرهم.

ثم أجاز ثانية، وتغل في دار الحرب وأتى زيان فيها، وتخلى له ابن أشبيلولة عن مالقة فملكها.

وكان سلطان الأندلس يومئذ الأمير محمد المدعو بالفقير ثانى ملوك بني الأهر، هو الذي استدعى يعقوب بن عبد الحق للجهاد بما عهد له أبوه الشيخ بذلك.

فلما استفحلا أمر يعقوب بالأندلس وتعاقب الشوار إلى اللياذ به خشيته ابن الأهر على نفسه، وتوقع منه مثل فعلة يوسف بن تاشفين بابن عباد، فاستعمل في أسباب الخلاص مما توهم وداخل

بلادهم وأوطا عساكره أرضهم، وغلب على الضاحية وخرب عمرانها إلى أن تملكتها بعده ابنته عثمان كما نذكر.

واما خبره مع مغراوة فكان عماد رأيه فيه التضريب بين بيبي منديل بن عبد الرحمن للمنافسة التي كانت بينهم في رياضة قومهم.

ولما رجع من واقعة تلاغ سنة ست وستين وستمائة وهي الواقعة التي هلك فيها ولده عمر زحف بعدها إلى بلاد مغراوة، فتوغل فيها وتجاوزها إلى من وراءهم من ملبيش والشعابة، وأمكنه عمر من مليانة سنة ثمان وستين وستمائة على شرط المؤازرة، والمظاهرة على إخواته، فملكها يغمراسن يومئذ وصار الكثير من مغراوة إلى ولائيته، وزحفوا معه إلى المغرب سنة سبعين وستمائة ثم زحف بعدها إلى بلادهم سنة اثنين وسبعين وستمائة فتجأفي له ثابت بن منديل عن تنس بعد أن أتى زيان في بلادهم ورجع عنها، فاسترجعها ثابت، ثم نزل له عنها ثانية سنة إحدى وثمانين وستمائة بين يدي مهلكه عندما تم له الغلب عليهم والإثناخ في بلادهم إلى أن كان الاستيلاء عليها لابنه عثمان على ما نذكره إن شاء الله.

### الخبر عن انتزاء الرعيم بن مكن ببلد مستغانم

كان بنو مكن هؤلاء من عالية القرابة من بني زيان يشاركونهم في نسب محمد بن زكдан بن تيدوكس بن طاع الله، وكان لحمد هذا أربعة من الولد كيرهم يوسف ومن ولده جابر بن يوسف أول ملوكهم وثابت بن محمد ومن ولده عبد الملك بن محمد بن علي بن قاسم بن درع المشهور بأمه حينية اخت يغمراسن بن زيان ومكين بن محمد.

وكان له من الولد يحيى وعمرش، وكان من ولد يحيى الرعيم وعلى، وكان يغمراسن بن زيان كثيراً ما يستعمل قرايته في المالك ويولهم على العمارات، وكان قد استوحش من يحيى بن مكن وابنه الرعيم وغريهما إلى الأندلس، فأجازا من هنالك إلى يعقوب بن عبد الحق سنة ثمانين وستمائة ولقياه بطنجة في إحدى حركات جهاده.

وزحف يعقوب بن عبد الحق إلى تلمسان عامئذ وهما في جملته فأدركهما النورة على قومها وأثرا مفارقة السلطان إليهم،

ما دانوا به ولابنه المستنصر من بعده من خطاب التمويل والإشادة بالطاعة والانتقاد حتى غلبوا على مراكش، وخطبوا باسم المستنصر علم، متباينها حيناً من الدهر.

ثم تبين لهم بعد متناول تلك القاصية عليه، فعطلوا منابرهم من أسماء أولئك وأقطعوهم جانب الوداد والموالاة.

ثم سموا إلى اللقب والفنون في الشارة الملكية كما تقتضيه طبيعة الدول، وأما يغمرأسن وبنوه فلم يزالوا آخرين بدعوتهم واحداً بعد واحد متوجفين عن اللقب أبداً معهم، مجددين البيعة لكل من يتجدد قيامه بالخلافة، منهم يوفدون بها كبار أبناءهم وأولى الرأي من فورهم ولم يزل الشأن ذلك.

ولما هلك الأمير أبو زكريا وقام ابنه محمد المستنصر بالأمر من بعده، وخرج عليه آخره الأمير أبو إسحاق في إحياء الدواودة من رياح، ثم غلبه المستنصر جيأعا.

ولحق الأمير أبو إسحاق بتلمسان في أهلة فاكرم بغمراسن  
نزفهم وأجاز إلى الأندلس للمرابطة بها والجهاد، حتى إذا هلك  
المستنصر سنة خمس وسبعين وستمائة واتصل به خبر مهلكه ورأى  
أنه أحق بالأمر فأجاز البحر من حينه ونزل بمرسى هنفين سنة سبع  
وسبعين وستمائة ولقاءه بغمراسن مبرأ وتقيرأ، واحتفل بقدومه  
واركب الناس لنقله، وأناه بييعته على عادته مع سلفه، ووعده  
النصرة من عدوه والموازنة على أمره.

وانتقض محمد بن أبي هلال عامل بجابة على الواثق، وخلع  
طاعته ودعا للأمير أبي إسحاق واستحنه للقدوم، فاغذر إليه السير  
من تلمسان وكان من شأنه ما قدمناه في أخباره، فلما كانت سنة  
إحدى وثمانين وستمائة وزحف يغمراسن إلى بلاد مغراوة،  
وغلبهم على الضواحي والأقصار، بعث من هنالك ابنه إبراهيم  
وسميه زنانة برهوم، ويكتنى أبا عامر أو فده في رجال من قوله  
على الخليفة أبي إسحاق لإحكام الصهر بينهما، فنزلوا منه على  
خير نزل من أسنان الجرأة، ومضاعفة الكراهة والمبرة، وظهر من  
ثاره في حروب ابن أبي عامر ما مد الأعناق إليه وقصر الشيم  
الـ: ثانية على سته.

ثم انقلب آخرأ بظعيته محبوأ محبوأ، وابتلى بها عثمان حين  
وصولها وأصبحت عقيلة قصره، فكان ذلك مفخرأ لدولته وذكرأ  
له ولقبه.

ولحق الأمير أبو زكرياء ابن الأمير أبي إسحاق بتلمسان بعد

الطاغية في اتصال اليد والظاهرة عليه، وكانت مالقة لعمر يحيى بن محلى، استعمله عليها يعقوب بن عبد الحق حين ملكتها من يد ابن شقيقولة، فاستماله ابن الأحرر وخطابه مقارنة ووعداً وأداله بشلوبانية من مالقة طعمة خالصة له فتخلّى عن مالقة إليها.

وأرسل الطاغية أساطيله في البحر لنبع الزقاق من إجازة  
السلطان وعساكره، وراسلوا يغمراسن من وراء البحر في الأخذ  
بمحجزة يعقوب وشن الغارات على ثغوره ليكون ذلك شاغلاً له  
عنهم.

فبادر يغمراسن بإحاجتهم وترددت الرسل منه إلى الطاغية  
ومن الطاغية إليه كما نذكره.

وبث السرايا والبعوث في نواحي المغارب، فشغل يعقوب عن شأن الجهاد حتى لقد ساله المهادون وأن يفرغ لجهاد العدو فإلي عليه.

وكان ذلك مما دعى يعقوب إلى الصمود إليه ومراعته  
بخوزة كما ذكرناه.

وَاللَّهُ وَارِثُ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلِمَهَا سَبِّحَهُ.

الخبر عن شأن يغمراسن مع الخلفاء من بنى أبي حفص الذي كان يقيم بتلمسان دعوتهم ويأخذ قرمده بطاعتهم

كان زناة يدينون بطاعة خلفاء الوجهين من بنى عبد المؤمن أيام كرنهم بالقفار، وبعد دخولهم إلى التلول.

فلاما فشل أمر بي عبد المؤمن ودعا الأمير أبو زكريا بن أبي  
حفص يا فرقية لنفسه، ونصب كرسي الخلافة للموحدين بتونس  
انصرفت إليه الوجهة من سائر الآفاق بالعدوتين، وأملوه للكرة،  
وأوفد زناته عليه رسلهم من كل حي بالطاعة، ولاذ مغراوة وينزو  
ترجىن بظل دعوته ودخلوا في طاعته، واستنهضوه لتلمسان،  
فنهض إليها وافتتحا سنة أربعين وستمائة ورجع إليها يغمراسن  
واستعمله عليها وعلى سائر مالكها، فلم يزل مقيناً للدعوة وابتع  
أثره بنو مرین في إقامة الدعوة له فيما غلبوا عليه من بلاد المغرب،  
وبعثوا إليه ببيعة مكتاسة وناتاري والنصر كما نذكره في أخبارهم إلى

## الخبر عن مهلك يغمراسن بن زيان وولاية ابنه عثمان وما كان في دولته من الأحداث

كان السلطان يغمراسن قد خرج من تلمسان سنة إحدى وثمانين وستمائة واستعمل عليها ابنه عثمان، وتغلب في بلاد مغراوة وملك ضواحيهم.

ونزل له ثابت بن منديل عن مدينة تنس، فتاؤها من يده.

ثم بلغه الخبر باقبال ابنه أبي عامر برهوم من تونس بابته السلطان أبي إسحاق عرس ابنه عثمان، فل้อม هنالك إلى أن لخقه بظاهر مليانة، فارتحل إلى تلمسان وأصابه الوجع في طريقه.

وعندما أحل سريره أشتد به وجعه فهلك هنالك آخر ذي القعدة من ستة، والبقاء لله وحده.

فحمله ابنه أبو عامر على أسعاد وواراه في خدر مورياً لمرضه إلى أن تجاوز بلاد مغراوة إلى سيف.

ثم أغذ السير إلى تلمسان، فلقيه أخوه عثمان بن يغمراسن ولـي عهد أبيه في قرمه، فباعيه الناس وأعطوه صفة أباهم.

ثم دخل تلمسان فباعيه العامة والخاصة، وخاطب لجنه الخليفة بتونس أبا إسحاق وبعث إليه بيبيته، فراجعه بالقبول وعقد له على عمله على الرسم.

ثم خاطب يعقوب بن عبد الحق ينطلب منه السلم، لما كان أبوه يغمراسن أوصاه به.

حدثنا شيخنا العلامة أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الأكيلبي قال: سمعت من السلطان أبي حمو موسى بن عثمان، وكان قهرياً بداره، قال: أوصى داداً يغمراسن لداداً عثمان - وداداً حرفاً كنابه عن غاية التعظيم بلتقطهم - فقال له: يا بني إن بني مرين بعد استفحال ملوكهم واستيلائهم على الأعمال الغربية وعلى حضرة الخلافة برراكسن، لا طاقة لنا بلقائهم إذا جعوا الوفور مددهم، ولا يمكنني أنا القعود عن لقائهم لعنة التكروص عن القرن التي أنت بعيد عنها.

فإياك واعتماد لقائهم، وعليك بالللياذ بالجدران متى دلفوا إليك، وحاول ما استطعت الاستيلاء على ما جاورك من عمالات الموحدين ومالكمهم يستفحلاً به ملوكك، وتكافئه حشد العدو بمدشك ولعلك تصير بعض الشغور الشرقي مقللاً لذخيرتك.

فبلغت وصية الشيخ بقلبه، وعقد عليها ضمانه، وجئن إلى السلم مع بني مرين ليفرغ عزمه لذلك.

خلوصه من مهلك قومه في واقعة الدعي ابن أبي عمارة عليهم برماجنة سنة اثنين وثمانين وستمائة فنزل من عثمان بن يغمراسن صهره خير نزل برأ واحدفاء وتكرعاً وملاطفة.

وسررت إليه أخته من القصر أنواع التحف والإنس، ولحق به أولياؤه من صنائع دولتهم وكبارهم أبو الحسن محمد بن الفقيه المحدث أبي بكر بن سيد الناس اليعمري، فتباوراً من كرامة الدولة بهم ظلأً وإنقاً واستهضفوه إلى ثرات ملوكه.

وفاوض أبا مثواه عثمان بن يغمراسن في ذلك، فنكره لما كان قد أخذه بدعوة الحضرة.

وأوفد عليه رجال دولته باليعة على العادة في ذلك، فحدث الأمير أبو زكرياء نفسه بالغرار عنه.

ولحق بداره بن هلال بن عطاف أمير البدو من بني عامر إحدى بطون زغبة، فأجاره وأبلغه مامنه بجي니 الدواودة أمراء البدو بعمل الموحدين.

نزل منهم على عطية بن سليمان بن سباع كما قدمناه، واستولى على مجاية سنة أربع وثمانين وستمائة بعد خطوب ذكرناها، واقتطعها وسائر عملها عن ملك عممه صاحب الدولة بتونس أبي حفص، ووفى للداود بن عطاف وأنطبه بوطن مجاية عملاً كبيراً أفرده بجيشه، كان فيه ايكدارن بالخمس من وادي مجاية.

واستقلَّ الأمير أبو زكرياء بملكه بونة وقسطنطينة وبجاية والجزائر والزاب وما وراءها وكان هذا الصهر وصله له مع عثمان بن يغمراسن وبنيه.

ولما نازل يوسف بن يعقوب تلمسان سنة ثمان وتسعين وستمائة، بعث الأمير أبو زكرياء المدد من جبوشه إلى عثمان بن يغمراسن، وبلغ الخبر بذلك إلى يوسف بن يعقوب، فبعث أخاه أبا يحيى في العساكر لاعتراضهم، والتقوا بجبل الزاب، فكانت الدبرة على عسكر الموحدين واستلجموا هناك وتسمى المعركة لهذا المعهد بمرسى الرقوس.

واستحوحت من أجل ذلك صاغية الخليفة بتونس إلى بني مرين، وأوفد عليهم مشيخة من الموحدين يدعوهم إلى حصار بجاية، وبعث معهم المدينة الفاخرة وبلغ خبرهم إلى عثمان بن يغمراسن من وراء جدرانه فتذكر لها وأسقط ذكر الخليفة من مباربه، وعاه من عمله، فensi هذا العهد.

والله مالك الأمر سبحانه.

فامتنعوا عليه، ثم أعطوه أيديهم على الطاعة ومقارقة قومهم بني توجين إلى سلطان بني يغمراسن، فبذروا العهد إلى بني محمد بن عبد القوي أمرائهم منذ المهد الأول.

ووصلوا أيديهم بعثمان وألزمو رعياهم وعمالهم المغارب له إلى أن ملك وانشريين من بعدها كما ذكر ذلك في أخبارهم.

وصارت بلاد توجين كلها من عمله، واستعمل الخشم مجبل وانشريين.

ثم نهض بعدها إلى المربة وبها أولاد عزيز من توجين فنازلاه، وقام بدعوتها فيها قبائل من صنهاجة يعرفون بل مدية واليهمن تنسب، فامكتوه منها سنة ثمان وثمانين وستمائة وبيت في إياته سبعة أشهر ثم انتقضت عليه ورجعت إلى ولاية أولاد عزيز وصالحه عليهما، وأعطوه من الطاعة ما كانوا يعطونه محمد بن عبد القوي وبينه فاستقام أمره في بني توجين ودانت له سائر أعمالهم.

ثم خرج سنة تسع وثمانين وستمائة إلى بلاد مغراوة لما كانوا أباً عليه لبني مرین في إحدى حركاتهم على تلمسان، فدوخها وأنزل ابنه أبا حمود بشف مرک عالمهم، فقام به وقتل هو إلى الحضرة.

وتحيز قل مغراوة إلى نواحي متيبة، وعليهم ثابت بن منديل أميرهم، فلم يزالوا بها.

ونهض عثمان إليهم سنة ثلاثة وستين وستمائة بعدها فانحجزوا بمدينة برشك، وحاصرهم بها أربعين يوماً ثم افتتحوا، وخاص ثابت البحر إلى المغرب فنزل على يوسف بن يعقوب كما ذكرناه ونذكره.

واستولى عثمان على سائر عمل مغراوة كما استول على عمل بني توجين، فانتظم بلاد المغرب الأوسط كلها وببلاد زاتنة الأولى ثم شغل بقية بني مرین كما ذكر بعد إن شاء الله تعالى.

### الخبر عن منازلة بجایة وما دعا إليها

قد ذكرنا أن المولى أبا زكريا الأوسط ابن المولى أبي إسحاق بن أبي حفص لحق بتلمسان عند فراره من بجایة أيام شيعة الدعي ابن أبي عمارة، ونزل على عثمان بن يغمراسن خير نزل.

ثم هلك الدعي ابن أبي عمارة واستقل عمه الأمير أبو حفص بالخلافة، وبعث إليه عثمان بن يغمراسن بظاعته على العادة، وأوفد عليه وجوه قومه، ودس الكثير من أهل بجایة إلى المولى أبي زكريا يستحثنه للقدوم، وبعدونه إسلام البلد إليه.

وأوفد أخيه محمد بن يغمراسن على يعقوب بن عبد الحق بمكانه من العدة الأندلسية في إجازته الرابعة إليها فخاض إليه البحر ووصله بأركش، فلقاءه برأ وكرامة، وعقد له على السلم ما أحب وانكفا راجعاً إلى أخيه، فطباط نفسه وفرغ لافتتاح البلاد الشرقية، كما نذكره إن شاء الله تعالى.

### الخبر عن شأن عثمان بن يغمراسن مع مغراوة وبني توجين وغليبه على معاقلهم والكثير من أعمالهم

لما عقد عثمان بن يغمراسن السلم مع يعقوب بن عبد الحق صرف وجهه إلى الأعمال الشرقية من بلاد توجين ومغراوة وما وراءها من أعمال الموحدين، فتغلب أولاً على ضواحي بني توجين ومغراوة وما وراءها، ودخل قاصيتها، وسار إلى بلاد مغراوة كذلك، ثم إلى متيبة فانتسب نعها وخطم زرعها ثم تجاوزها إلى بجایة فحاصرها كما ذكره بعد.

وامتنعت عليه فانكفا راجعاً ومرّ في طريقه بجازونة، فحاصرها وأطاعته، وذلك سنة ست وثمانين وستمائة ونزل له ثابت بن منديل أمير مغراوة عن تنس فاستولى عليها وانتظم سائر بلاد مغراوة في إياته.

ثم عطف في سنته على بلاد توجين فاكتسح جبوها واحتكرها بجازونة استعداداً لما يتوقع من حصار مغراوة إليها.

ثم دلف إلى تافركنيت لحاصرها وأخذ بمعتقها وداخل قائلها غالباً الخصي من موالي بني محمد بن عبد القوي، كان مولى سيد الناس منهم، فنزل له غالب عنها واستولى عليها، وانكفا إلى تلمسان.

ثم نهض إلى بني توجين سنة سبع وثمانين وستمائة فطلبهم على وانشريش مثوى ملوكهم ونبت عزهم، وفر أمامه أميرهم مولى بني زراراة من ولد محمد بن عبد القوي.

وأخذ الحلف منهم فلحق بضواحي المربة في الأعشار وأولاد عزيز من قومه.

واتبع عثمان بن يغمراسن آثارهم وشردهم من تلك القاصية، وهلك مولى زراراة في مغرة.

وكان عثمان قبل ذلك قد دوخ بلاد بني بدللين من بني توجين، ونازل رؤساءهم أولاد سلامه بالقلعة المنسوبة إليهم مرات

فلما أفرجوا عن تلمسان نهض عثمان إلى بلادهم فدخلوها  
وغلبهم عليها، وأنزل ابنه أبي حمود بها كما قدمناه.

فلمما كانت سنة خمس وستين وستمائة نهض يوسف بن  
يعقوب إلى حركته الثانية فنازل ندرورمة، ثم ارتحل عنها إلى ناحية  
هران وأطاعه أهل جبل كيده وناسكدة رياط عبد الحميد بن

الفقيه أبي زيد اليرناسي ثم كرّ راجعاً إلى المغرب.  
وخرج عثمان بن يغمراسن فاتخذ في تلك الجبال لطاعتهم  
عدوه واعتراضهم جنده، واستباح رياط ناسكدة.

ثم أغاره يعقوب بن يوسف ثالثة سنة ست وستين  
وستمائة ثم رجع إلى المغرب.

ثم أغاره رابعة سنة سبع وستين وستمائة فتآثر تلمسان  
وأحاط بها عسكره وشرعوا في البناء.

ثم أفرج عنها ثلاثة أشهر، ومر في طريقه بوجدة، فامر  
بتتجديد بناها وجع الفعلة عليها.

واستعمل أخاه أبي يحيى بن يعقوب على ذلك، وأقام لشأنه،  
ولحق يوسف بالمغرب.

وكان بنو ترجين قد نازلوا تلمسان مع يوسف بن يعقوب،  
وتولى كبر ذلك منهم أولاد سلامه أمراء بني يدللتين، وأصحاب  
القلعة المنسوبة إليهم.

فلما أفرج عنها خرج إليهم عثمان بن يغمراسن فدخل  
بلادهم وحاصرهم بالقلعة ونان منهم أضعاف ما نالوا منه، وطال  
مغيبه في بلادهم، فخالفه أبو يحيى بن يعقوب إلى ندرورمة فاتحتمها  
عنوة ب العسكرية بداخلة من قادتها زكريا بن يخلف بن المظري  
صاحب تأونت.

فاستولى بنو مرین على ندرورمة وتأونت، وجاء يوسف بن  
يعقوب على أثرها فرأوا هم ودلدوا جميعاً إلى تلمسان.  
وببلغ الخبر إلى عثمان بمكانته من حصار القلعة فطوى  
المراحل إلى تلمسان، فسبق إليها يوسف بن يعقوب بعض يوم.  
ثم أشرف طالع بي بني مرین عشي ذلك اليوم، فanaxروا بها  
في شعبان سنة ثمان وستين وستمائة وأحاط العسكر بها من جميع  
جهاتها.

وضرب يوسف بن يعقوب عليها سياجاً من الأسوار محيطاً  
به، وفتح فيه أبواباً مداخل لحربيها، واختلط لزاته إلى جانب  
الأسوار مدينة سماها المنصورة وأقام على ذلك سنين يغاديها  
القتال ويراحها.

وفارض عثمان بن يغمراسن في ذلك فابن عليه وفاء الحق  
البيعة لعمه الخليفة بالحضور فطرى عنه الخبر وتردد في التقاض  
أياماً.

ثم لحق بأحياء زغبة في مجالاتهم بالقرف، ونزل على داود بن  
هلال بن عطاف وطلب عثمان بن يغمراسن من داود إسلامه  
فابن عليه وارتحل معه إلى أعمال مجایة، وزلوا على أحياء  
الدواودة كما قدمناه ثم استولى المولى أبو زكريا بعد ذلك على  
مجایة في خبر طويل قد ذكرناه في أخباره.

واستحكمت القطيعة بينه وبين عثمان، وكانت سبباً  
لاستحكام الملااة بين عثمان وبين الخليفة بتونس.

فلما زحف إليه عثمان سنة ست وثمانين وستمائة وتربغلى  
في قاصية المشرق، أعمل الرحلة إلى عمل مجایة، ودخل سائر  
أقطارها.

ثم نازلها من بعد ذلك يروم كيدها بالاعتمال في مرضاته  
خليفته بتونس، ويسر بذلك حسواً في ارتقاء، فاتأخ عليها بعساكره  
سبعاً، ثم أفرج عنها متقدلاً إلى المغرب الأوسط، فكان من فتح  
تافركنيت ومارونة ما قدمناه.

## الخبر عن معاودة الفتنة مع بني مرین وشأن تلمسان في الحصار الطويل

لما هلك يعقوب بن عبد الحق سلطان بني مرین على السلم  
المعقد بينه وبين بني عبد الواد لشغله بالجهاد، وقام بالأمر من  
بعده في قومه ابنه يوسف كير ولده على حين اتبعهم أنفسهم شأن  
الجهاد.

وأسفهم يغمراسن وابنه بعمالأ الطاغية وابن الأخر فعقد  
يوسف بن يعقوب السلم مع الطاغية لحيه، ونزل لابن الأخر عن  
نفور الأندلس التي كانت لهم، وفرغ لحرب بني عبد الواد، واستتب  
له ذلك لأربع من مهلك أبيه، دلف إلى تلمسان سنة تسع وثمانين  
وستمائة، ولاذ منه عثمان بالأسوار فناظلها أربعين صباحاً، وقطع  
شجرها ونصب عليها المجانق والآلات ثم أحسن بامتناعها فأفرج  
عنها وإنكنا راجعاً.

وتقبل عثمان بن يغمراسن مذهب أبيه في مداخلة ابن  
الأخر والطاغية، وأوفد رسلاً عليها فلم يغن ذلك عنه شيئاً.  
وكان مغارة قد لحقوا يوسف بن يعقوب بتلمسان فنالوا  
منه أعظم التيل.

## الخبر عن مهلك عثمان بن يغماسن وولاية ابنته أبي زيان

وبلغ الخبر إلى يوسف بن يعقوب بمكانه من حصارهم فتفجع له، وعجب من صرامة قومه من بعده. واستمر حصاره إليهم إلى تمام ثمانية سنين وثلاثة أشهر من يوم نزوله، نالهم فيها من الجهد والجوع ما لم يبل أمة من الأمم، واضطروا إلى أكل الجيف والقطط والفيران حتى أنهم زعموا أنهم أكلوا فيها أشلاء الموتى من الأناسى، وخربوا السقف للوقود، وغلت أسعار الأقواف والحبوب وسائر المرافق مما تجاوز حدود العوائد.

وعجز وجدهم عنه فكان ثمن مكيال القمح الذي يسمونه البرشالة ويتبعون به، مقداره التي عشر رطلاً ونصف مثقالين ونصفاً من الذهب العين.

وثمن الرأس الواحد من البقر ستين مثقالاً، ومن الصان سبعة مثاقيل ونصفاً، وأثمان اللحمان من الجيف الرطل من لحم البغال والخمير بثمن المثقال، ومن الخيل بعشرة دراهم صغار من سكthem، والرطل من الجلد الفقري ميطة أو ذكى بثلاثين درهماً، وأهر الرأس الواحد بثقالان ونصف، والكلب بمثله والفار بعشرة دراهم واللية بمثله، والدجاجة بستة عشر درهماً، والبيض واحدة بستة دراهم، والصافير كذلك والأورقة من الزيت باثني عشر درهماً، ومن السمن بثلثها ومن الشحم بعشرين، ومن القول بثلثها، ومن الملح بعشرة، ومن الحطب كذلك والأصل الواحد من الكرنب بثلاثة أيام المقال.

ومن الخس بعشرين درهماً ومن اللفت بخمسة عشر درهماً، والواحدة من القثاء والقصوس باربعين درهماً، والخيار بثلاثة أيام الدينار، والبطيخ بثلاثين درهماً، والحبة من التين والإجاص بدرهماين.

واستهلك الناس أمرالمهم وموجودهم، وضاقت أحراهم. واستفحلا ملك يوسف بن يعقوب بمكانه من حصارها، واتسعت خطة مدينة المنصور المشيدة عليها.

ورحل إليها التجار بالبضائع من الأفاق، واستبحرت في العرمان بما لم تبلغه مدينة، وخطب الملوك سلمه ووده، ووفدت عليه رسول الموحدين وهداياهم من تونس وبجاية، وكذلك رسول صاحب مصر والشام وهديتهم، واعتبر اعتزاراً لا كفأ له كما يأتى في أخباره وأنهك الجهد حامية ببني يغماسن وقبيلتهم وأشرفوا على الملك فأعزتموا على الإلقاء باليد والخروج بهم للاستئناف، فكيف الله لهم الصنبع الغريب، ونفس عن مخنفهم بهلك السلطان يوسف بن يعقوب على يد خصي من العبدى، فأسخطته بعض

وسرح عسكره لافتتاح المغرب الأوسط وثغوره، فملك بلاد مغراوة وبلاط توجين كما ذكرناه في أخباره وجثم هو بمكانه من حصار تلمسان لا يدعوها كالأسد الضاري على فريسته إلى أن هلك عثمان وهلك هو من بعده كما ذكره.

إلى الله المصير سبحانه وتعالى لا رب غيره.

## الخبر عن مهلك عثمان بن يغماسن

### وولاية ابنته أبي زيان وانتهاء الحصار من

#### بعده إلى غايته

لما أنماخ يوسف بن يعقوب بعساكره على تلمسان، انجز بها عثمان وقومه واستسلموا، والحاصر أخذ بختقهم.

وذلك عثمان الخامسة السنين من حصارهم سنة ثلاث وسبعين، وقام بالأمر من بعده ابنه أبو زيان محمد.

أخبرني شيخنا العلامة محمد بن إبراهيم الأيلى، وكان في صباح قهرمان دارهم قال: هلك عثمان بن يغماسن بالديباس، وكان قد أعد لشربه لبناء، فلما أخذ منه الديباس واعطش، دعا بالقدر فشرب اللبن ونام فلم يكن بأوشك أن فاضت نفسه.

وكنا نرى عشر الصنائع أنه داف فيه السم تفاديًّا من معرة غلب عدوهم إياهم.

قال: وجاء الخادم إلى قعيدة بيته زوجه بنت السلطان أبي إسحاق ابن الأمير أبي زكريا بن عبد الواحد بن أبي حفص صاحب تونس، وخبرها الخبر فجاءت ووقعت عليه واسترجعت وخيمت على الأبواب بسدادها.

ثم بعثت إلى ابنه محمد أبي زيان وموسى أبي حوطزهما عن أبيهما.

وأحضرها مشيخة بني عبد الرواد وعرضوا لهم بمرض السلطان فقال أحدهم مستفهمًا عن الشأن ومتراجعاً عن القوم: السلطان معنا آنفأ، ولم يمتد الزمن لوقوع المرض، فإن يكن هلك فخبرونا، فقال له أبو حوطز: وإذا هلك فما أنت صانع؟ فقال: إنما تخشي من خالفتك، وإلا فسلطاناً أشووك الأكبر أبو زيان.

فقام أبو حوطز من مكانه وأكب على يد أخيه يقبلها، وأعطاه صفة محبته واقتدى به المشيخة، فانعقدت بيته لوقته وأشتمل بنو عبد الرواد على سلطانهم واجتمعوا إليه، ويرزوا لقتال عدوهم على العادة فكان عثمان لم يمت.

وكانت إحدى المقربيات في الأئمّة. وكان من خبر هذه الرسالة إلى يعقوب بن يوسف لما هلك تطاول للأمر الأبعاص من إخوته ووالده وحفدته، وتحيز أبو ثابت حافظه إلى بني ورتاجن لحولة كانت له فيهم، فاستجاش بهم وأعصر صبوا عليه وبعث إلى أولاد عثمان بن يغمراسن أن يعطوه الآلة ويكثروا مفرعاً له وما ملأ إن أخفق مسعاه على أنه إن تم أمره قوش عليهم معسكر بني مرین فعاددوه عليها.

ووفى لهم لما تم أمره ونزل لهم عن جميع الأعمال التي كان يوسف بن يعقوب استولى عليها من بلادهم، وجاء بجميع الكتب التي انتزها في ثغورهم وقلعوا إلى أعمالهم بالغرب الأقصى، واستكمن السلطان أبو زيان من ثغور المغرب الأوسط كلها إلى أن كان من أمره ما ذكره إن شاء الله تعالى.

### الخبر عن شأن السلطان أبي زيان من بعد الحصار إلى حين مهلكه

كان من أول ما افتحت به السلطان أبو زيان أمره بعد الخروج من هرة الحصار وتناوله الأعمال من يد بني مرین، أن نهض من تلمسان ومعه آخره أبو حمو آخر ذي الحجة من سنة ست وسبعينه، فقصد بلاد مغراوة وشرد من كان هناك منهم في طاعة بني مرین، واحتاز الثغر من يد عمالهم ودوخ قاصيّتها.

ثم عقد عليها المسامح مولاً، ورجع عنها، فنهض إلى السرسو، وكان العرب قد تملّكوه أيام الحصار، وغلبوا زناتة عليه من سويد والديلم ومن إليهم من بني يعقوب بن عامر فأجلفوا أمامه.

وابتاع آثارهم إلى أن أوقع بهم وانكما راجعاً ومر ببلاد بني توجين، فاقتضى طاعة من كان بقي بالجليل من بني عبد القوي والخشم فاطلاعه، ورياستهم يرمذ محمد بن عطية الأصم من بني عبد القوي.

وقلل إلى تلمسان لتسعة أشهر من خروجه، وقد ثقف أطراف ملک، ومسح أعطاف دولته.

فنظر في إصلاح قصوره ورياضته، ورم ما تلسم من بلده، وأصابه المرض خلال ذلك فاشتد وجده سبعاً، ثم هلك آخريات شوال من سنة سبع وسبعينه والبقاء لله وحده.

التراث الملكي فاعتمده في كسر بيته وخدع نومه، وطعنه مخجر قطع أمعاء، وأدرك فسيق إلى وزرائه ومزقوا أسلاءه ولم يبوء بشسع من نعل عيدهم كما ذكرناه والأمر لله وحده. وأذهب الله العناة عن آل زيان وقوتهم وساكنى مدنهما كانوا نشروا من الأجداد وكتباً لها في سكتهم ما أقرب فرج الله واستقراراً لحادثها.

وحدثي شيخنا محمد بن إبراهيم الألبلي قال: جلس السلطان أبو زيان صبيحة يوم ذلك الفرج وهو يوم الأربعاء في خلوة زوابيا قصره، واستدعي ابن حجاج خازن الزرع فقال له: كم بقي من الأهراء والمطامر المختومة؟ فقال له: إنما بقي عولة اليوم وغد فاستر صاه بكتمانها.

وبينما هم في ذلك دخل عليه أخوه أبو حمو فأخبره فرجم لها، وجلسوا سكوتاً لا ينظرون.

وإذا بالخادم دعد فهرمانة القصر من وصائف بنت السلطان أبي إسحاق وحظيّة أبيهم خرجت من القصر إليهم، فوقفت وحيتهم تحيتها وقالت: تقول لكم حظايا تصركم وبينات زيان حرمكم: ما لنا وللبقاء، وقد أحبط بكم وأسف لاتهامكم عدوكم، ولم يبق إلا فراق بكثيّة لصارعكم فاريحونا من معمرة السبي، وأرجعوا فيها أنفسكم وقربونا إلى مهالكنا فالحياة في الذل عذاب والوجود بعدكم عدم.

فالتفت أبو حمو إلى أخيه وكان من الشفقة بمكان وقال: قد صدقتك الخبر فما تنظر فيهم؟ فقال: يا موسى! أرجوني ثلاثاً لعل الله يجعل بعد عشر يسراً، ولا تشاوري بعدها فيهن، بل سرح اليهود والنصارى إلى قتلهم وتعال إلى نخرج مع قومنا إلى عدونا فستميت، ويقضى الله ما يشاء.

فغضب له أبو حمو ونكر الإرجاء في ذلك، وقال: إنما نحن والله نترىص المعزة بهن وبأنفسنا، وقام عنه مغضباً وجهش السلطان أبو زيان بالبكاء.

قال ابن حجاج: وأنا بمكاني بين يديه واجم لا أملك متأنراً ولا متقدماً إلى أن غلب عليه التوم فما راعني إلا حرسي الباب يشير إلى أن إذن السلطان بمكان رسول من معسكر بني مرین بسيدة القصر، فلم أطلق أرجع جوابه إلا بالإشارة واتبه السلطان من خفيف إشارتنا فزرعاً، فاذته واستدعاه.

فلما وقف بين يديه قال له: إن يوسف بن يعقوب هلك الساعة، وأنا رسول حافظه أبي ثابت إلىكم، فاستبشر السلطان واستدعي أخاه وقومه حتى أبلغ الرسول رسالته مسموع منهم،

الخبر عن دولة أبي هو الأوسط وما كان فيها من الأحداث

قوى الشكيمة صعب العربية، شرس الأخلاق مفترط الذكاء والجدة.

وهو أول ملوك زناتة، رتب مراسيم الملك وهذب قراعده، وأرهف في ذلك لأهل ملكه حدة، وقلب لهم مجن باسه حتى دلوا لعز الملك وتأدبوا بأداب السلطان.

سمعت عريف بن يحيى أمير سويد من زغبة وشيخ المجالس الملوكية لزناتة يقول ويعنيه: موسى بن عثمان هو معلم السياسة الملوكية لزناتة، وإنما كانوا رؤساء بادية حتى قام فيهم موسى بن عثمان، فحد حدودها، وهذب مراسيمها ولقنه عنده ذلك أقالته وأنظاره منهم، فتقلدوا منهبه واقتدوا بتعلمهاته كلامه.

ولما استقبل بالأمر افتح شأنه بعدد السلم مع سلطان بي مرين لأول دولته فأوفد كبراء دولته على السلطان أبي ثابت، وعقد له السلام كما راضي.

ثم صرف وجهه إلىبني توجين ومغارواة، فردد إليهم العساكر حتى دوخ بلاهم وذلل صعابهم، وشرد محمد بن عطية الأصم عن نواحي وانشريش، وراشد بن محمد عن نواحي شلف، وكان قد لحق بها بعد مهلك يوسف بن يعقوب فازاحه عنها، واستولى على العمالين، واستعمل عليهم، ووقف إلى تلمسان، ثم خرج سنة عشر وسبعيناً في عساكره إلى بلادبني توجين، ونزل تافركيت وسط بلاهم فشرد الفل من أعقاب محمد بن عبد القوي عن وانشريش، وأحثاز رياستهم في بني توجين دونهم وأدارل منهم بالحشم وبني تيغرين.

وعقد لكبيرهم يحيى بن عطية على رئاسته قومه في جبل وانشريش، وعقد يوسف بن حسن من أولاد عزيز على الربوة وأعمالها، وعقد لسعد من بني سلامة بني علي على قومه بني يدللتين إحدى بطنون بني توجين وأهل الناحية الغربية من عملهم، وأخذ من سائر بطنون بني توجين الرهن على الطاعة والجباية، واستعمل عليهم جميعاً من صنائعه قائده يوسف بن حبون الهواري، وأذن له في اتخاذ الآلة.

وعقد لولاه مسامع على بلاد مغارواة وأذن له أيضاً في اتخاذ الآلة.

وعقد محمد ابن عم يوسف على مليانة، وأذن لها وقتل إلى تلمسان والله أعلم.

## الخبر عن محو الدعوة الخفصة من منابر

### تلمسان

كانت الدعوة الخفصة بافريقيا قد انقسمت بين أعياصهم في تونس وبجاية وأعمالها، وكان التخم بينهما بلد عجيبة ووشائنة.

وكان الخليفة بتونس الأمير أبو حفص ابن الأمير أبي زكريا الأول منهم، ولو الشفوف على صاحب بجاية والشغور الغربية بالحضررة.

فكان بيته ببي زيان له والدعاء على منابرهم باسمه، وكانت لهم مع المولى الأمير أبي زكريا الأوسط صاحب بجاية وصلة ل مكان الصهر بينهم وبينه، وكانت الوحوشة قد اعترضت ذلك عندما نزل عثمان بجاية كما قدمناه.

ثم تراجعوا إلى وصلتهم واستمراوا عليها إلى أن نازل يوسف بن يعقوب تلمسان، والبيعة يومئذ للخليفة بتونس السلطان أبي عصييدة بن الواثق، والدعوة على منابر تلمسان باسمه، وهو حاقد عليهم ولا ينتهي للأمير أبي زكريا الأوسط صاحب الشغر، فلما نزل يوسف بن يعقوب على تلمسان ويعث عساكره في قاصية المشرق استجاش عثمان بن يغمراسن بصاحب بجاية، فسرح عسكراً من الموحدين لما دفعتهم عن تلك القاصية، والتقووا معهم بجييل الزاب فانكشف الموحدون بعد معرتك صعب واستلحهم بنو مرين، ويسمى العترك لهذا العهد بمرسى الرؤوس لكثرة ما تساقط في ذلك المجال من الرؤوس.

واستحكمت المنافرة بذلك بين يوسف بن يعقوب وصاحب بجاية فأوفد الخليفة بتونس على يوسف بن يعقوب مشيخة من الموحدين تجديداً لوصلة سلفهم مع سلالة وإغراء بصاحب بجاية وعمله، فجاء موقع ذلك من عثمان بن يغمراسن وأحافظه مالاً خليفة لعدوه، فقطع منابرها من ذكره، وأخرج قومه وإيالته عن دعورته، وكان ذلك آخر المائة السابعة.

والله تعالى أعلم.

## الخبر عن دولة أبي هو الأوسط وما كان فيها من الأحداث

لما هلك الأمير أبو زيان قام بالأمر بعده آخره أبو حسو في أخريات ستة سبع كما قدمناه، وكان صارماً يقطأ حازماً داهية،

حو مع عمال بني مرين وقوادهم ميليانة، وكان فيهم متليل بن محمد الكتاني صاحب أشغالهم المذكور في أخبارهم.

وكانا يقرئان ولده محمد فاشاد على أبي زيان وأبي حمو

بمكانهم من العلم، ووقع ذلك من أبي حمو أبلغ الواقع حتى إذا استقل بالأمر ابنتي المدرسة بناحية المطرم من تلمسان لطلب العلم وابتني لها مدارين عن جانبيها وجعل لها التدريس فيها في إيوانين معدلين لذلك.

واختصهما بالفتيا والشوري، فكانت لها في دولته قدم

عالية فلما طلب زيري هذا الأمان من أبي حمو وأن يبعث إليه من يأمن معه في الوصول إلى بابه، بعث إليه أبي زيد عبد الرحمن الأكبر منها، فهض لهن ذلك بعد أن استاذنه في أن يثار منه بأبيه إن قدر عليه، فاذن له.

فلما احتل برشك أيامها أيامًا ينادي فيها زيري وير哀ه بمكان نزله، وهو يعمل الحليلة في أغتياله حتى أمكنه قتله في بعض تلك الأيام سنة ثمان وسبعين، وصار أمر برشك إلى السلطان أبي حمو وانتحى منها أثر المشيخة والاستبداد والأمور يدي الله سبحانه.

### الخبر عن طاعة الجزائر واستئزال ابن علان

#### منها وذكر أوليته

كانت مدينة الجزائر هذه من أعمال صنهاجة، ومحتها بل يكنى بن زيري ونذرها بنوه من بعده.

ثم صارت إلى الموحدين وانتظمتها بنو عبد المؤمن في أمصار المغاربة وإفريقية، ولا استبد بنو أبو حفص بأمر الموحدين وبلغت دعورتهم بلاد زنانة.

وكانت تلمسان ثغراً لهم، واستعملوا عليها يغماسن وبنيه من بعده، وعلى ضواحي مغراوة بني متليل بن عبد الرحمن، وعلى واثشريش وما إليه من عمل ببني توجين محمد بن عبد القوي وبنيه.

وبقي ما وراء هذه الأعمال إلى الخصبة لولالية الموحدين من أهل دولته، فكان العامل على الجزائر من الموحدين أهل الخصبة.

وفي سنة أربع وستين وستمائة انتصروا على المستنصر ومكثوا في ذلك الانتصاف سبعاً.

ثم أوعز إلى أبي هلال صاحب بجاية بالتهوض إليها في سنة

### الخبر عن استئزال زيرم بن حماد من ثغر

#### برشك وما كان من قتله

كان هذا الغمز من مشيخة هذا المصر لوفور عشيره من مكلاته داخله وخارجها، واسمها زيري بالياء، فتصرفت فيه العامة وصار زيرم باليم.

ولما غالب يغماسن على بلاد مغراوة دخل أهل هذا المصر في طاعته.

حتى إذا هلك حدثت هذا الغمز نفسه بالانتقام والاستبداد بملك برشك ما بين مغراوة وبين عبد الواد، ومدافعة بعضهم البعض.

فاعتزم على ذلك وأمضاه وضبط برشك لنفسه سنة ثلاث وثمانين وستمائة ونهض إليه عثمان بن يغماسن سنة أربع وثمانين وستمائة بعدها، ونازله فامتنع.

ثم زحف سنة ثلاط وتسعين إلى مغراوة، فلجم ثابت بن متليل إلى برشك وحاصره عثمان بها أربعين يوماً ثم ركب البحر إلى المغرب كما قلناه.

وأخذ زيرم بعده بطاعة عثمان بن يغماسن دافعه بها، وانتقض عليه مرجعه إلى تلمسان، وشقق بنو زيان بعدها بما دهمهم من شأن الحصار، فاستبد زيرم هذا ببرشك واستفحلا شأنه بها.

وانتهى بني مرين عند غلبهم على أعمال مغراوة وتردد عساكرهم فيها بإخلاص الطاعة والانتباد، فلما انقضى إيماله ببني مرين بهلك يوسف بن يعقوب، وخرج بنو عثمان بن يغماسن من الحصار رجع إلى دينه من التمرين في الطاعة، ومقاؤلة طرقها على بعد حتى إذا غلب أبو حمو على بلاد مغراوة وتجاوزت طاعته هذا المصر إلى ما وراءه، خشيء زيري على نفسه، وخطب منه الأمان على أن ينزل له عن المصر، فبعث إليه صاحب الفتيا بدولته أبي زيد عبد الرحمن بن محمد الإمام، كان أباً له من أهل برش، وكان زيري قد قتله لأول ثورته غيلة.

وفر أبنه عبد الرحمن هذا وأخوه عيسى، ولحقا بتونس فقرأ بها، ورجعا إلى الجزائر فأوطناها.

ثم انتقلا إلى ميليانة واستعملهما بنو مرين في خطبة القضاء بمليانة.

ثم وفدا بعد مهلك يوسف بن يعقوب على أبي زيان وأبي

## الخبر عن حركة صاحب المغرب إلى

### تلمسان وأولية ذلك

ما خرج عبد الحق بن عثمان من أغراض الملك على السلطان أبي الريبع بفاس، وبائع له الحسن بن علي بن أبي الطلاق شيخ بي مرين بداخلة الوزير رحو بن يعقوب كما قدمناه في أخبارهم.

وملكوا تازى، وزحف إليهم السلطان أبو الريبع فبعثوا وفدهم إلى السلطان أبو حمو صريخاً.

ثم أعلج لهم أبو الريبع وجهتهم على تازى، فلحقوا بالسلطان أبي حمو ودعوه إلى المظاهره على المغرب ليكونوا رداء له دون قومهم.

وذلك السلطان أبو الريبع خلال ذلك واستقل بذلك المغرب أبو سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق، فطالب السلطان أبي حمو بإسلام أولئك النازعين إليه، فلما من إسلامهم وإخفار ذمه فيهم وأجازهم البحر إلى العدوة، فأغضى له السلطان أبو سعيد عنها، وعقد له السلام.

ثم استراب يعيش بن يعقوب بن عبد الحق بمكانه عند أخيه السلطان أبي سعيد لما سعى به عنده، فنزع عنه إلى تلمسان وأغاره السلطان أبو حمو على أخيه فأحافظه ذلك، ونهض إلى تلمسان سنة أربع عشرة وسبعينه وعقد لابنه الأمير أبي علي ويعنه في مقدمته، وسار هو في الساقفة.

ودخل أعمال تلمسان على هذه التعبية فاكتسح سائرها، ونازل وجدة فقاتلها وضيق عليها.

ثم تحطها إلى تلمسان فنزل بساحتها والمحجز موسى بن عثمان من وراء أسوارها، وغلب على ضواحيها ورعاياها، وسار السلطان أبو سعيد في عساكره يتقرى شعارها وبلادها بالخطم والانتفاف والعيث.

فلما أحبط به وثقلت وطأة السلطان عليه وحدر المغبة منهم الطف الحيلة في خطاب الوزراء الذين كان يسرّب أمره لهم ويخادعهم عن نصائح سلطانهم حتى اقضى مراجعتهم في شان جاره يعيش بن يعقوب وإداله من أخيه.

ثم بعث خطوطهم بذلك إلى السلطان أبي سعيد فامتنلا قبله منها خشية ورهبة، واستраб بالخاصية والأولياء ونهض إلى المغرب على تعبيه.

إحدى وسبعين وستمائة فحاصرها أشهراً وأخرج عنها.

ثم عاودها بالحصار سنة أربع وسبعين وستمائة أبو الحسن بن ياسين بعساكر الموحدين فاقتتحها عليهم عنزة واستباحها.

وقضى على مشيختها فلم يزالوا معتقلين بها إلى أن هلك المستنصر ولما انقسم أمر بنى أبي حفص واستقل الأمير أبو زكرياء الأوسط بالشغر الغربية وأبورة، ويعثرا إليه بالبيعة، وولى عليهم ابن أكمازير، وكانت ولايتها لبطة من قبل، فلم يزل هو والياً عليها إلى أن أسن وهرم.

وكان ابن علان من مشيخة الجزائر مختصاً به، ومتصفاً في أوامره ونواهيه، ومصدراً لأمارته وحصل له بذلك الرياسة على أهل الجزائر سائر أيامه.

فلما هلك ابن أكمازير حدثه نفسه بالاستبداد والانتزاء بمدينته، فبعث عن أهل الشوكة من نظراته ليلة هلاك أميره وضرب أعناقهم وأصبح منادياً بالاستبداد، واتخذ الآلة واستركب واستلتحق من الغرباء والتغالبة العرب متيبة، واستكثر من الرجال والرماء وناله عساكر بجاية مراراً فامتنع عليهم.

وغلب مليكش على جاية الكثير من بلاد متيبة، وناله أبو بخيش بن يعقوب بعساكر بي مرين عند استيلائهم على البلاد الشرقية، وترغلهم في القاصية، فأخذ مخنقتها وضيق عليها، ومر بابن علان القاضي أبو العباس الغماري رسول الأمير خالد إلى يوسف بن يعقوب، فأودعه الطاعة للسلطان والضراوة إليه في الإبقاء، فابلغ ذلك عنه وشفع له، فأوعز إلى أخيه أبي بخيسي بمصالحته.

ثم ناله الأمير خالد بعد ذلك فامتنع عليه وأقام على ذلك أربع عشرة سنة وعيون الخطوب تحرزه، والأيام تستجمع لحرمه.

فلما غلب السلطان أبو حمو على بلاد بي توجين واستعمل يوسف بن حيون المواري على وانشيرش، ومولاه مسامحاً على بلاد مغراوة، ورجع إلى تلمسان.

ثم نهض سنة اثنى عشرة وسبعينه إلى بلاد شلف فنزل بها، وقدم مولاه مسامحاً في العساكر فدخلت متيبة من سائر نواحيها، وترس الجزائر، وضيق حصارها حتى مسهم الجهد وسائل ابن علان التزول على أن يستطرط لنفسه، فتقبل السلطان اشتراطه، وملك السلطان أبو حمو الجزائر وانتظمها في أعماله.

وارتجل ابن علان في جملة مسامح، ولحقوا بالسلطان بمكانه من شلف فانكفا إلى تلمسان وابن علان في ركابه، فأسكته هنالك ووفى له بشرطه إلى أن هلك والبقاء لله وحده.

عمه أبي عامر برهوم على عسكر وأمره بحصار بجاية، وعقد محمد ابن عمه يوسف قائد ميلانة على عسكر، ولمولاه مسامح على عسكر آخر، وسرحهم إلى بجاية وما وراءها لتدوين البلاد.

وعقد لموسى بن علي الكردي على عسكر ضخم، وسرحه مع العرب من الدواودة وزغبة على طريق الصحراء.

وانطلقا إلى وجههم ذلك، وفعلنوا الأفاعيل كلَّ فيما يليه وتغلبوا في البلاد الشرقيَّة، حتى انتهوا إلى بلاد بورقة ثم اقللوا من هنالك ومرروا في طريقهم بقسطنطينة، ونازلاها أيامًا وصعدوا جبل ابن ثابت المطل عليها فاستباحوه ثم مرروا بيني باورار فاستباحوها وأضرمواها، واكتسحوا سائر ما مرروا عليه.

وحدثت بينهم المنافرة حسداً ومنافسة، فافتقرتا وخلفوا بالسلطان وأقام مسعود بن برهوم حاصراً لبجاية وبنى حصناً باصفران لمقامته وكان يسرح الجيوش لقتالها فتجول في ساحتها، ثم تراجع إلى المصنح ولم ينزل كذلك حتى بلغه خروج محمد بن يوسف فأجلل عنها على ما نذكره الآن فلم يرجعوا لحصارها إلا بعد مدة والله تعالى أعلم.

### الخبر عن خروج محمد بن يوسف ببلاد بي

#### توجين وحرروب السلطان معه

لما راجع محمد بن يوسف من قاصية المشرق كما قدمته، وسابقه إلى السلطان موسى بن علي الكردي، وجوانحه تلهب غيظاً وحدقاً عليه وسعى به عند السلطان فعلزه عن ميلانة، فوجم لها وساله زيارة ابنه الأمير أبي تاشفين بتلمسان، وهو ابن أخيه فاذن له وأوعز إلى ابنه بالقبض عليه، فابي عن ذلك، وأراد هو الرجوع إلى معسكر السلطان فخلق سبيلاً.

ولما وصل إليه تنكر له وحجبه، فاستراب وملا قلبه الرعب، وفر من المعسكر ولحق بالمدينة، ونزل على يوسف بن حسن بن عزيز عاملها للسلطان من بي توجين.

فيقال: إنه أوْنَهَهُ اعتقالاً حتى غلبه قومه على بنيته من الخروج معه، لما كان السلطان أبو حمر يوسف به من نزعاته، فأخذ له البيعة على قومه ومن إليهم من العرب.

وزحفوا إلى السلطان بمعسكره من نهل، فلقيتهم في عساكرة، فكانت الدبرة على السلطان، ولحق بتلمسان وغلب محمد بن يوسف على بلاد بي توجين وغزا ونزل ميلانة.

وخرج السلطان من تلمسان لأيام من دخوتها، وقد جمع

ثم كان خروج ابنه عمر عليه بعد مرجعه، وشغلوا عن تلمسان وأهلها بربة من الدهر حتى أمر الله في ذلك. عند وقته، والله تعالى أعلم.

### الخبر عن مبدأ حصار بجاية وشرح الداعية

إليه

لما خرج السلطان أبو سعيد إلى المغرب وشغل عن تلمسان، فرغ أبو حمر لأهل القاصية من عمله.

وكان راشد بن محمد بن ثابت بن منديل قد جاء من بلاد زواوة أثناء هذه الغمرة، فاحتل بورقة شلف واجتمع إليه أرشاب قومه، وحين تجلت الغمرة عن السلطان أبي حمر نهض إليه بعد أن استعمل ابنه أبي تاشفين على تلمسان، وجمع له الجموع فقر أمامه ناجياً إلى مثير اغترابه ببجاية.

وأقام بنو أبي سعيد بمعقلهم من جبال شلف على دعوته، فاحتل السلطان أبو حمر بوادي نهل فخيم به وجمع أهل أعماله لحصار بي أبي سعيد شيعة راشد بن محمد، واتخذ هنالك قصره المعروف باسمه.

وشرح العساكر لتدوين القاصية ولحق به هنالك الحاجب ابن أبي حمي مرجعه من الملح سنة إحدى عشرة وسبعينية، فأغاراه على مملكة بجاية ورغبه فيه و كان له فيها طمع منذ رسالة السلطان أبي يحيى إليه.

وذلك أنه لما انتقض على أخيه خالد ودعى لنفسه بقسطنطينة، ونهض إلى بجاية فانهزم عنها كما قدمته في أخباره وأوفد على السلطان أبي حمر بعض رجال دولته مغرياً له ببابن خلوف وبجاية ثم بعث إليه ابن خلوف أيضاً يسأل المظاهر والمدد فاطممه ذلك في مملكة بجاية.

ولما هلك ابن خلوف كما قدمته، لحق به كاتبه عبد الله بن هلال، فأغاراه واستحشه، وعده عن ذلك شأن الجزائر.

فلما استول على الجزائر، بعث مسامحاً مولاً في عسكر مع ابن أبي حمي، فبلغوا إلى جبل الزان وهلك ابن أبي حمي ورجع مسامح.

ثم شغله عن شأنها زحف، وفرغ من أمر عدوه، ونزل بلد شلف كما ذكرنا آنفاً ولحق به عثمان بن سباع بن يحيى، عثمان بن سباع بن شبل أمير الدواودة، يستحثانه لملك التغور الغربية من عمل المؤذنين، فاهتز لذلك وجمع له الجموع، وعقد لمسعود ابن

## الخبر عن مقتل السلطان أبي حور ولاية ابنه أبي تاشفين

وبناءً من بين عشيرته وأولى قريبه لمكان صرامته ودهائه، واختصاص أبيه برهوم المكنى أبي عامر بعثمان بن يغمراسن شقيقه من بين سائر الإخوة، فكان يؤثره على بنيه ويقاوضه في شؤونه، ويصله إلى خلواته.

وكان قد دفع إلى ابنه عبد الرحمن أبي تاشفين أثراً له من المعلجي يقولون بخدمته في مرباه ومنشأه، كان منه: هلال المعروف بالقطلاني، وسامح المسمى بالصغرى، وفرج بن عبد الله وظافر ومهدى وعلي بن تكرارت وفرج الملقب شفورة، وكان الصفهم وأعلمهم بهمفسه تلاده لهم يسمى هلالاً، وكان أبو حور كثيراً ما يقرعه ويوجه إرهاقاً في اكتساب الخلال، وربما يقنع في تبريعه لما كان عفا الله عنه فحاشاً فيحفظه لذلك.

وكان مع ذلك شديد السلطة متاجراً بالعقاب حدوده في الزجر والأدب، فكان أولئك المعلجي تحت رهب منه، وكانوا يغرون لذلك مولاهم أبي تاشفين باليه، ويعثون غيره لما يذكرون له من اصطفائه ابن أبي عامر دونه.

وقارن ذلك أن مسعود بن أبي عامر أبلى في لقاء عبد الرحمن يوسف الخارج على أبي حور البلاه الحسن عندما رجع من حصار بيجاية، فاستحمد له السلطان ذلك، وعبر ولده عبد الرحمن بمكان ابن عمها هذا من النجابة والصرامة يستجد له بذلك خلالاً وينجزه بالكمال.

وكان عمه أبو عامر إبراهيم بن يغمراسن مثرياً بما نال من جواز الملك في وفاته، وما أقطع له أبوه وأخوه سائر أيامهما. ولما هلك ستة ست وستين وستمائة استوصى أخاه عثمان بولده فضيهم، ووضع تراهم بموعده ماله، حتى يؤنس مسعود منهم الرشد في أحوالهم، حتى إذا كانت غزاة ابنه أبي سرحان مسعود هذه، وعلا فيها ذكره وبعد صيانته، رأى السلطان أبو حور أن يدفع إليه تراث أبيه لاستجماع خللاته، فاحتمل إليه من الموعده. ونفي الخبر إلى ولده أبي تاشفين وباطشه السوء من المعلجي، فحسبوه مال الدولة قد احتمل إليه بعد عهدهم عما وقع في تراث أبي عامر أبيه، واتهموا السلطان بإيشاره بولادة العهد دون ابنه، فأغروا أبي تاشفين بالتوثب على الأمر وحملوه على الفتى بمشتوىه مسعود بن أبي عامر، واعتقال السلطان أبي حور ليتم له الاستبداد.

وتحيناً لذلك قابلة المهاجرة عند منصرف السلطان من مجلسه، وقد اجتمع إليه بعض حجر القصر خاصة من البطانة وفيهم مسعود بن أبي عامر والوزراء من بنى الملاح.

الجموح وأزال العلل وأعز إلى مسعود ابن عمه برهوم بمكانه من حصار بيجاية بالوصول إليه بالعساكر، ليأخذ مهزتهم من وراهم، وخرج محمد بن يوسف من مليانة لاعتراضه، واستعمل على مليانة يوسف بن حسن بن عزيز، فلقيه ببلاد مليكش وانهزم محمد بن يوسف.

وجلأ إلى جبل موصاية وحاصره بها مسعود بن برهوم أيامه، ثم أفرج عنه وحلق بالسلطان فنازلوا جميعاً مليانة. وافتتحها السلطان عنده وجىء يوسف بن حسن أسيراً من مكمنه ببعض المسارب ففعاً عنه وأطلقه، ثم زحف إلى المدينة فملكها وأخذ الرهن من أهل تلك التواحي، وقلل إلى تلمسان.

واستطاع محمد بن يوسف على التواحي ففتح دعوه في تلك القاصية وخطب مولانا السلطان أبي بخي بالطاعة فبعث إليه بالمدية والألة، وسرقه سهام يغمراسن بن زيان من إفريقية، ووعده بالظاهرة وغلب ساق سائر بلاد بني توجين وبساع له بنو تيجرين أهل جبل وانشريش، فاستولى عليه.

ثم نهض السلطان إلى الشرق سنة سبع عشرة وسبعينية وملك المدينة واستعمل عليها يوسف بن حسن لدافعة محمد بن يوسف، واستليل في أخذ الرهن منه ومن أهل العمالات وقبائل زنانة والعرب، حتى من قومه بني عبد الواد.

ورجع إلى تلمسان وزنفسم بالقصبة وهي الغور الفسيحة الخلطة غالباً بعض الأنصار العظيمة، اتخذها للرهن وكان يبالغ في ذلك حتى كان يأخذ الرهن المتعددة من البطن الواحد والفخذ الواحد والرheet.

وتجاوز ذلك إلى أهل الأنصار والثغور والمشيخة والسوقة فملا تلك القصبة ببنائهم وأنوارهم، وشحنها بالأمم تلو الأخرى، وأذن لهم في ابناء المنازل وأخذ النساء.

واختلط لهم المساجد فجمعوا بها لصلة الجمعة، ونفت بها الأسواق والصنائع وكان حال هذه البنية من أغبر ما حكي في العصور عن سجن.

ولم يزل محمد بن يوسف بمكان خروجه من بلاد بني توجين إلى أن هلك السلطان، وبالبقاء لله.

## الخبر عن مقتل السلطان أبي حور ولاية

ابنه أبي تاشفين من بعده

كان السلطان أبو حور قد اصطفى مسعود ابن عمه برهوم

وأصبح مثلاً في الآخرين والبقاء لله.

واشخص السلطان لأول بيته سائر القرابة الذين كانوا يتلمسان من ولد يغمراسن، وأجازهم إلى العودة حذراً من مغبة ترشيحهم، وما يتوقع من الفتنة على الدولة من قبلهم وقد حجابته مولاها هلاً فاضطليع بأعابها، واستبد بالعقد والحل والإبرام والتفضي صدرأً من دولته، إلى أن تكبه حسبما نذكره.

وعقد ليحيى بن موسى السنوسي من صنائع دولتهم على شلف وسائر أعمال مغراوة، وعقد محمد بن سلامة بن علي على عمله من بلاد بني بدللتن من توجين، وعزل أخاه سعداً، فلتحق بال المغرب.

وعقد لموسى بن علي الكردي على قاصية الشرق، وجعل له حصار بجایة، وأغرى دولته بتشييد القصور واتخاذ الرياض والبساتين، فاستكمل ما شرع فيه أبوه من ذلك وأربى عليه، فاحتفلت القصور والمصانع في الحسن ما شاءت، واتسعت أخباره على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

## الخبر عن نهوض السلطان أبي تاشفين إلى محمد بن يوسف بجيبل وانشريش واستيلاته عليه

كان محمد بن يوسف بعد مرجع السلطان أبي حمو كما ذكرناه قد تقلب على جبل وانشريش وتواجهه واجتمع إليه الفل من مغراوة فاستفحل أمره، واشتدت في تلك النواحي شوكته، وأهم السلطان أبا تاشفين أمره فأعزز على النهوض إليه، وجع لذلك وأزاح العلل.

وخرج من تلمسان سنة تسع عشرة وبسبعينة واحتشد سائر القبائل من زناتة والعرب، وأناخ على وانشريش وقد اجتمع به توجين ومغراوة مع محمد بن يوسف.

وكان بتو تغيرين من بني توجين بطانة ابن عبد القوي يرجون في رئاستهم إلى عمر بن عثمان بن عطيية حسبما ذكره وكان قد استخلص سواه من بني توجين دونه فأفسنه بذلك، وداخل السلطان أبا تاشفين وواعده أن ينحرف عنه، فاقتحم السلطان عليهم الجبل والمحجر واجتصروا جميعاً بمحسن توكل، فخالفتهم عمر بن عثمان في قومه إلى السلطان بعد أن حاصرهم ثمانين، فتخرم الجموع واختل الأمر وانقض الناس فاقتصر الحصن، وتقطض على محمد بن يوسف وجيء به أسريراً إلى السلطان وهو

وكان بنو الملاح هؤلاء قد استخلصهم السلطان لحجابه سائر أيامه، وكان مسمى الحجابة عندهم قهرمانة الدار والنظر في الدخل والخروج، وهم أهل بيت من قرطبة كانوا يحترفون فيها بسكة الدنانير والدرارهم، وربما دفعوا إلى النظر في ذلك ثقة باماناتهم، ونزل أولهم بتلمسان مع جالية قرطبة فاحترفوا بحرفتهم الأولى وزادوا إليها الفلاحة واتصلوا بخدمة عثمان بن يغمراسن وابنه، وكان لهم في دولة أبي حمو مزيد حظرة وعناية، فول على حجابته منهم لأول دولته محمد بن ميمون بن الملاح ثم ابنه محمد الأشقر من بعده ثم ابنه إبراهيم بن محمد من بعدهما، واشترك معه من قرطبه علي بن عبد الله بن الملاح، فكانا يتوليان مهمة بداره ويخضران خلوته مع خاصة، فحضرورا يومئذ مع السلطان بعد انقضاء مجلسه كما قلناه، ومعه من القرابة مسعود القتيل وحاموش بن عبد الملك بن حنية.

ومن المولى معروف الكبير ابن أبي الفرج بن عنتر من ولد نصر بن علي أمير بني بزنات من توجين، وكان السلطان قد استوزره.

فلما علم أبو تاشفين باجتماعهم هجم بياته عليهم وغلبوا الحاجب على بابه حتى وجلوه متسليين بعد أن استمسكوا بإغلاقه، حتى إذا توصلوا الدار اعتوروا السلطان بأساليفهم فقتلوه.

وخام أبو تاشفين عهده، فلم يعرجاوا عليه ولاذ أبو سرحان منهم ببعض زوابيا الدار، واستمكnen من غلقها دونهم، فكسرموا الباب وقتلوا، واستلهموا من كان هناك من الطامة، فلم يفلت إلا الأقل وهلك الزرقاء بنو الملاح واستبيحت منازلهم.

وطاف الهاتف بسكن المدينة بان أبي سرحان غدر بالسلطان، وأن ابنه أبي تاشفين ثار منه، فلم يخف على الناس الشأن.

وكان موسى بن علي الكردي قائد العساكر قد سمع الصبيحة فركب إلى القصر، فوجده مغلقاً دونه، فظن الظنون فخشى استيلاء مسعود على الأمر فبعث إلى العباس بن يغمراسن كبير القرابة، فأحضره عند باب القصر حتى إذا مر بهم الهاتف واستيقن مهلك أبي سرحان، رد العباس على عقبه إلى منزله.

دخل إلى السلطان أبي تاشفين، وقد أدركه الدهش من الواقعه فتبه ونشطه لفته، وأجلسه بمجلس أبيه وتول له عقد البيعة على قومه خاصة وعلى الناس عامة، وذلك آخر جمادى الأولى من تلك السنة.

وجهز السلطان إلى مدفنه بمقدمة سلفه من القصر القديم،

وقتل مسامح مولاه، ورجع موسى بن علي بالفلُّ، فاتهمه السلطان بالادهان وكان من نكته ما ذكر في أحباره وسير العساكر سنة أربع وعشرين وسبعين فدُوخت نواحي مجاهدة، ولقيه ابن سيد الناس فهزمه، ونحا إلى البلد.

ووفد على السلطان سنة خمس وعشرين وسبعين مشيخة سليم: حزرة بن عمر بن أبي الليل وطالب بن مهلهل، الفحلان المتزاحمان في رئاسة الكعب ومحمود بن مسكن منبني القوس كبراء حكيم، فاستحوذ للحركة واستصرخوه على إفريقية، وبعث معهم العساكر لنظر قائد موسى بن علي ونصب لهم إبراهيم بن أبي بكر الشهيد من أغياض المفصين.

وخرج مولانا السلطان أبو يحيى من تونس للقائهم وخبيثهم على قسطنطينة فسابقهم إليها، فقام موسى بن علي بعساكره على قسطنطينة، وتقدم إبراهيم بن أبي بكر الشهيد في أحياه سليم إلى تونس فملكتها كما ذكرناه في أخبارهم. وأمتنعت قسطنطينة على موسى بن علي فأخرج عنها لخمس عشرة ليلة من حصارها وعاد إلى تلمسان.

ثم أغزاه السلطان سنة ست وعشرين وسبعين في الجوش وعهد إليه بتدريج الفضاحية ومحاصرة التغور، فنازل قسطنطينة وأفسد نواحيها. ثم رجع إلى مجاهدة فحاصرها، حتى إذا اذتم على الإلقاء ورأى أن حصن بكر غير صالح لتجهيز الكتاب عليها لبعده، وارتاد للبناء عليها فيما هو أقرب منه، فاختلط بمكان سوق الخميس على وادي مجاهدة مدينة لتجهيز الكتاب بها على مجاهدة، وجعل الأيدي على بناها من الفعلة والعساكر، فتمت لأربعين يوماً وسموها تامزيزدكت باسم الحصن القديم الذي كان لبني عبد الراد قبل الملك بالجليل قبلة وجدة، وأنزل بها عسكراً تناهز ثلاثة آلاف، وأوزع السلطان إلى جميع عماله ببلاد المغرب الأوسط بنقل الحبوب إليها حيث كانت، والأدم وسائر المرافق حتى الملح، وأخذ الرهن من سائر القبائل على الطاعة واستوفوا جيابتهم فنالت وطأتهم على مجاهدة واشتد حصارها وغلت أسعارها.

وبعث مولانا السلطان أبو يحيى جبوشه وقواده سنة سبع وعشرين وسبعين فسلكوا إلى مجاهدة على جبل بني عبد الجبار، وخرج بهم قائدتها أبو عبد الله بن سيد الناس إلى ذلك الحصن وقد كان موسى بن علي عند بلوغ خبرهم إليه استقر الجنود من راهه، وبعث إلى القواد قبله بالباراز فالتحق الجمعان بناحية تامزيزدكت، فانكشف ابن سيد الناس ومات ظافر الكبير مقدم المiali من الملاوي بباب السلطان واستبيح معسكرهم.

في موكيه فعدد عليه، ثم وخزه برمجه، وتناوله المiali برماجهم فاقصصوه، وحمل رأسه على القناة إلى تلمسان، فنصب بشرفات البلد، وعقد لعمر بن عثمان على جبل وانشريش وعمال بني عبد القوي، ولسيعد العربي من مواليه على عمل المدينة.

وزحف إلى الشرق فاغار على أحياه رياح وهم بودي الجنان حيث النية المفضية من بلاد حزرة إلى القبلة، وصبح أحياهم فاتتسح أموالهم وممضى في وجهه إلى مجاهدة، فعرس بساحتها ثلاثة وبها يومئذ الحبيب يعقوب بن عمر فامتنعت عليه، فظهر له وجه العترة لأوليائهم في استحصالها لهم. وقل إلى تلمسان إلى أن كان من أمره ما ذكره إن شاء الله تعالى.

## الخبر عن حصار مجاهدة والفتنة الطويلة مع الموحدين التي كان فيها حتفه وذهب سلطانه وانقضى الأمر عن قومه برهة من الدهر

لما رجع السلطان أبو تاشفين من حصار مجاهدة سنة تسع عشرة وسبعين اعتمد في تردید البعث إلى قاصية الشرق، والإلحاح بالغزو على بلاد الموحدين، فاغزاهما جبوشه سنة عشرين وسبعين فدوخوا ضواحي مجاهدة وقتلوا.

ثم غزاهم ثانية سنة إحدى وعشرين وسبعين وعليهم موسى بن علي الكردي فانتهى إلى قسطنطينة وحاصرها فامتنعت عليه فأخرج عنها، وابتلى حصن بكر لأول مضيق الوادي، وأدى مجاهدة، وأنزل به العسکر لنظر يحيى بن موسى قائد شلف وقل إلى تلمسان.

ثم نهض موسى بن علي ثلاثة سنة اثنين وعشرين وسبعين فدوخ نواحي مجاهدة ونازلها أياماً وأمتنعت عليه فأخرج عنها.

ووفد سنة ثلاثة وعشرين وسبعين على السلطان حزرة بن عمر بن أبي الليل كبير البدو بإفريقية صريحاً على صاحب إفريقية مولانا السلطان أبي يحيى، فبعث معه العساكر من زناته وعامتهم منبني توجين وبني راشد، وأمّر عليهم القواد وجعلهم لنظر قائدته موسى بن علي الكردي، ففضلوا إلى إفريقية، وخرج السلطان للقائهم، فانهزموا بنواحي مرجنّة، وتحفظتهم الأيدي فاستحلموا،

كان لم تغن بالأمس، حسبما ذكرنا ذلك في أخباره.  
والله تعالى أعلم.

## الخبر عن معاودة الفتنة بين بني مرین وحاصرهم تلمسان ومقتل السلطان أبي تاشفين بن أبي هو

كان السلطان أبو تاشفين قد عقد السلام لأول دولته مع السلطان أبي سعيد ملك المغرب، فلما انتقض عليه ابنه عمر في سنة اثنين وعشرين وسبعينة من بعد المهادنة الطويلة من لدن استبداده بسجله، بعث ابنه القعقاع إلى أبي تاشفين في الأخذ بمجزة أبي عنه، ونهض إلى مراكش فدخلها.

وزحف إليه السلطان أبو سعيد بعث أبو تاشفين قادته موسى بن علي في العساكر إلى نواحي تازى، فاستباح عمل كارت، واكتسح زروعه وقتل.

واعتندها عليه السلطان أبو سعيد، وبعث أبو تاشفين وزيره داود بن علي بن مكن رسولاً إلى السلطان أبي علي بسجله، فرجع عنه مغاضباً وجح أبو تاشفين بعدها إلى التمسك بسلم السلطان أبي سعيد، فعقد لهم ذلك وأقاموا عليها مدة.

فلما وفدي ابن مولانا السلطان أبي يحيى على السلطان أبي سعيد ملك المغرب، وانعقد الصهر بينهم كما ذكرناه في أخبارهم، وهلك السلطان أبو سعيد، نهض السلطان أبو الحسن إلى تلمسان بعد أن قدم رسلاً إلى السلطان أبي تاشفين في أن يقلع جيشه عن حصار مجاهدة، ويتجاذب للموحدين عن عمل تدلس فابي وأسأء الرد، وأسمع الرسل بجمله هجر القول.

وأذاع لهم المواли في الشتم لرسلهم يسمع من أبي تاشفين، فاحفظ ذلك السلطان أبي الحسن ونهض في جيشه سنة اثنين وثلاثين إلى تلمسان فتقطعاها إلى تراسلة وضرب لها معسکره، وأطّال المقاومة وبعث المدد إلى مجاهدة مع الحسن البطوي من صنائعه، وركبوا في أساطيله من سواحل وهران ووووافهم مولانا السلطان أبو يحيى بمجاهدة وقد جمع لحرببني عبد الواد وهدم تامزيرذكت على الرادي قبلة مجاهدة فأخذ بمحنتهها واشتد الحصار إلى أن أخذ السلطان أبو الحسن محجزتهم، فانجفلا جميعاً إلى تلمسان، وتتنفس محنق الحصار عن مجاهدة.

ونهض مولانا السلطان أبو يحيى بجيشه من تونس إلى تامزيرذكت سنة اثنين وثلاثين وسبعينة فخر بها في ساعة من نهار

ولما سخط السلطان قادته موسى بن علي ونكبه كما نذكره في أخباره أغزى يحيى بن موسى السنوسي في العساكر إلى إفريقيا ومعه القواد، فاعترا في نواحي قسنطينة واتهوا إلى بلد بونة ورجعوا.

وفي سنة تسع وعشرين وسبعينة بعدها وفدي حمزة بن عمر على السلطان أبي تاشفين صريخاً، ووفد معه أو بعده عبد الحق بن عثمان، فحل الشول من بني مرین.

وكان قد نزل على مولانا السلطان أبي يحيى منذ سنين، فسخط بعض أحواله ولحق بتلمسان، فبعث السلطان معهم جميع قواده بجيشه لنظر يحيى بن موسى.

ونصب لهم محمد بن أبي بكر بن أبي عمران من أعياص الخصيين، ولقيهم مولانا السلطان أبو يحيى بالرباس من نواحي بلاد هوارة، وانخذل عنه أحيا العرب من أولاد مهلل الذين كانوا معه، وانكشفت جوعه واستولوا على طعامته بما فيها من الحريم، وعلى ولديه أحد وعمر، فبعثوا بهم إلى تلمسان، ولحق مولانا السلطان أبو يحيى بقسطنطينة وقد أصابه بعض الجراح في حومة الحرب، وسار يحيى بن موسى وابن أبي عمران إلى تونس، واستولوا عليها ورجع يحيى بن موسى عنهم بجموع زنانة لأربعين يوماً من دخورها، فقفقل إلى تلمسان وبلغ الخبر إلى مولانا السلطان أبي يحيى بقول زنانة عنهم، فنهض إلى تونس واجهض عنها ابن أبي عمر بعد أن كان أوفرد من مجاهدة على ملك الغرب ابنه أبي زكريا يحيى ومعه أبو محمد بن تافراكن من مشيخة الموحدين صريخاً على أبي تاشفين، فكان ذلك داعية إلى انتقاض ملكه كما ذكره بعد.

و داخل السلطان أبي تاشفين بعض أهل مجاهدة، ودخلوه على عورتها، واستقدموه فنهض إليها ودخلها ونذر بذلك الحاجب ابن سيد الناس سابقه إليها، ودخل يوم نزوله عليها، وقتل من اتهمه بالداخلة فانحسم الداء.

وأقلع السلطان أبو تاشفين عنها، وولى عيسى بن مزروع من مشيخةبني عبد الواد على الجيش الذي تامزيرذكت، وأوعز إليه بناء حصن أقرب إلى مجاهدة من تامزيرذكت فبناه بالياقوتره من أعلى الرادي قبلة مجاهدة فأخذ بمحنتهها واشتد الحصار إلى أن أخذ السلطان أبو الحسن محجزتهم، فانجفلا جميعاً إلى تلمسان، وتتنفس محنق الحصار عن مجاهدة.

ونهض مولانا السلطان أبو يحيى بجيشه من تونس إلى تامزيرذكت سنة اثنين وثلاثين وسبعينة فخر بها في ساعة من نهار

جناحا عسکره، وعقابا جحافله وتهافت إليهم صقور بنی مرین من كل جو، فانكشفت عساکر البلد ورجعوا القهقرى، ثم ولوا الأدبار منهزمين لا يلوي أحد منهم على أحد، واعترضهم مهوى الخندق فطارحا فيه وتهافتوا على ردمه، فكان الهاك يرمي بالردم أكثر من المالك بالقتل.

وذلك من بني توجين يرمي بالحش وعامل جبل وانشيرش، ومحمد بن سلامة بن علي كبر بي بذلك وصاحب قلعة تاوعزدوت وما إليها من عملهم، وهما ما هما في زناته إلى أشباء هما وأمثال استلهموا في هذه الواقع فقص هذا اليوم جناح الدولة وحطمه منها، واستمرت مذلة السلطان أبي الحسن أيامه إلى آخر شهر رمضان من ستة سبع وثلاثين وسبعينة فاقتحموا يوم السابع والعشرين منه غالباً.

ولجا السلطان أبو تاشفين إلى باب قصره في لة من أصحابه، ومعه ولدان عثمان ومسعود وزيره موسى بن علي وعبد الحق بن عثمان بن محمد بن عبد الحق من أعياص بنی مرین، وهو الذي حق بهم من تونس كما ذكرناه، وسيأتي ذكره وخبره.

ومعه يرمي ابن أخيه أبو زين وأبو ثابت فمانعوا دون القصر مستبيتين إلى أن استلهموا ورفعت رؤوسهم على عصي الرماح، فطيف بها، وغضت سکك البلد من خارجها وداخلها بالعساکر، وكظلت أبواها بالزحام، حتى لقى كث الناس على أذقائهم وتواقعوا فوطروا بالحوارف وترامت أسلاؤهم ما بين الباین حتى ضاق المذهب ما بين السقف ومسلك الباب وانطلقت الأيدي على المنازل نهباً واكتساحاً، وخلص السلطان إلى المسجد الجامع، واستدعى رؤوس الفتيا والشورى أبا زيد عبد الرحمن وأبا موسى عيسى ابن الإمام، قدّهما من أعماله لمكان معتقده في أهل العلم، فحضره ورفعوا إليه أمر الناس وما نالم من ميرة ووعظاه فأتاهم ونادى مناديه برفع الأيدي عن ذلك، فسكن الاضطراب وأتصدر العرش وانتظم السلطان أبو الحسن أمصار المغرب الأوسط وعمله إلى سائر أعماله.

وتاخم الموحدين بغوره وطمسم رسم الملك لآل زيان ومعامله، واستبعي زناته عصباً تحت لوائه من بني عبد الواد وبنو توجين ومغاروة وأنقطعهم ببلاد المغرب أساماً اداهم بها من تراهم بأعمال تلمسان، فانفرض ملك آن يغمراسن برقة من الدهر إلى أن أعاده منهم أعياص سموا إليه بعد حين عند نكبة السلطان أبي الحسن بالقبروان كما ذكره، فأقام بارقه، وهبت ريحه، والله يؤتي ملكه من يشاء.

فسفت وألصقت جدرانها بالأرض وت نفس مختنق بجایة من الحصار، وانكمش بنو عبد الواد إلى ما وراء تخومهم.

وفي خلال ذلك انقض أبو علي ابن السلطان أبي سعيد على أخيه، وصمد من مقره بسجلمة إلى درعة، وفتك بالعامل وأقام فيها دعوته كما ذكر ذلك بعد.

وطار الخبر إلى السلطان أبي الحسن بحمله من تراسلة، فنكص راجعاً إلى المغرب لسم داه، وراجع السلطان أبو تاشفين عزه وانبسطت عساکره في ضواحي عمله، وكتب الكتاب وبعث بها مددًا للسلطان أبي علي.

ثم استفر قبائل زناته ورصف إلى تخوم المغرب سنة ثلاث وثلاثين وسبعينة ليأخذ مجده السلطان أبي الحسن على أخيه، واتبه إلى نفر تاوريرت ولقيه هناك تاشفين ابن السلطان أبي الحسن في كتيبة جرها أبوه معه هناك لسد التغور، ومعه منديل بن حامة شيخ تيريفين من بنی مرین في قومه.

فلما بربوا إليه انكشف ورجع إلى تلمسان.

ولما تغلب السلطان أبو الحسن على أخيه وقتلته سنة أربع وثلاثين وسبعينة جمع لغزو تلمسان وحصارها ونهض إليها سنة خمس وثلاثين وسبعينة وقد استنفذ وسعه في الاحتفال بذلك وأحاطت بها عساکره وضرب عليها سياج الأسوار وسدادات الحفاظ أطبقت عليهم، حتى لا يكاد الطيف يخلص منهم ولا إليهم.

وسرح كتابه إلى القاصية من كل جهة، فتغلب على الضواحي واقتصر الأمصار جميعاً، وخرب وجدة كما يأتي ذكر ذلك كله.

واللح علىها بالقتال يعادها ويرواحها، ونصب المجانق وانحرج بها مع السلطان أبي تاشفين زعماء زناته من بنی توجين وبني عبد الواد وكان عليهم في بعض أيامها اليوم المشهور الذي استلهمت فيه أبطالهم وهلك أمراؤهم.

وذلك أن السلطان أبي الحسن كان يساکرهم في الأسحار فيطوف من وراء أسواره التي ضرب عليهم شرطاً يرتب فيه المقابلة ويتحقق الأطراف ويسد الفروج ويسلاح الخلل، وأبو تاشفين بيت العيون في ارتصاد فرصة فيه، وأطاف في بعض الأيام متبدلاً عن الجملة فكمنا له حتى إذا سلك ما بين الجبل والبلد انقضوا عليه يحسونها فرصة قد وجدوها، وضايقوه حتى كاد سرعان الناس أن يصلوا إليه، وأحسن أهل المسکر بذلك فركبوا زرافات ووحداناً، وركب ابنه الأميران أبو عبد الرحمن وأبو مالك

ثم من بني تاير علي بن حسن بن صاف وأخوه سلمان، ومن بني لوين خضر بن محمد، ثم بنو محمود، ثم بنو بوصة. وكانت رياضة بني تاير لسلمان وعلي، ورباسة لوين خضر بن محمد.

وكادت تكون الفتنة بينهم كما كانت في مواطنهم الأولى، فإذا تعدوا للحرب تراقت إليهم أشياعهم من تلمسان، وكان نصاهم بالسهام لما كانت القسي سلاحهم.

وكانت من أشهر الوقائع بينهم وقعة بفاس سنة أربع وسبعين وستمائة، جمع لها خضر رئيس بني لوين وسلمان وعلي رئيساً بني تاير، واقتلاوا خارج باب الفتح. وتركهم يعقوب بن عبد الحق لشأنهم من الفتنة حياء منهم، فلم يعرض لهم.

وكان مهلك سلمان منهم بعد ذلك مرباطاً لثغر طريف عام تسعمائة، وكان على بن حسن ابنه موسى اصطفاه السلطان يوسف بن يعقوب، وكشف له الحجاب عن داره، وربى بين حرمته فتمكنت له دالة سخط بسيبها بعض الأحوال مما لم يرضه، فذهب مغضباً ودخل إلى تلمسان أيام كان يوسف بن يعقوب محااصراً لها، فتلقاء عثمان بن يغمراسن من التكreme والترحيب بما يناسب محله من قومه ومتزنته من اصطانع السلطان. وأشار يوسف بن يعقوب على أبيه باستماله فلقياه في حومة القتال وحادثه واعتذر له بكرامة القوم إياه، فحضره على الوفاء لهم، ورجع إلى السلطان فخبره الخبر فلم ينكر عليه.

وأقام هو بتلمسان وهلك أبوه علي بالغرب ستة سبع وسبعين.

ولما هلك عثمان بن يغمراسن زاد بنوه اصطناناً ومداخلاً، وخلطوه بأنفسهم وعقدوا له على العساكر لخارية أعدائهم. وولوه الأعمال الجليلة والرتب الرفيعة من الوزارة والمحاجبة.

ولما هلك السلطان أبو حمو وقام بأمره ابنه أبو تاشفين، وكان هو الذي تولى لهأخذ البيعة على الناس، وغضب بمكانته مولاه هلال فلما استبد عليه وكان كثيراً ما ينافي موسى بن علي وينافسه، فخشى على نفسه، واجع على إجازة البحر للمرابطة بالأندلس، فبادره هلال وتبغض عليه وغيره إلى العدوة وزرل بغرنطة، وانتظم في الغزاة المجاهدين وأمسك عن جريمة السلطان فلم يهد إليها يدأ أيام مقامه، وكانت من أئزه ما جاء به وحدث به

الخبر عن رجال دولته وهم موسى بن علي ويجي بن موسى ومولاه هلال وأوليائهم ومصارئ أمورهم واحتياصاتهم بالذكر لما طار من شهرتهم وارتفع من صيتهم

فاما موسى بن علي الحاجب المألك مع السلطان، فأصله من قبيلة الكرد من أعاجم المشرق، وقد أشرنا إلى الخلاف في نسبهم بين الأمم.

وذكر المسعودي منهم أصنافاً سماهم في كتابه من الشاهجان والبرسان والكيكان إلى آخرين منهم، وأن مواطنهم ببلاد أذربيجان والشام والموصل، وأن منهم نصاري على رأي اليعقوبية وخوارج على رأي البراءة من عثمان وعلي انتهى كلامه.

وكان منهم طوائف يجبل شهزور من عراق العرب وعامتهم يتقلبون في الرحالة ويتجمعون لسامتهم مواقع الغيث، ويتخذون الحياة لسكنهم من اللبود، وجمل مكاسبهم الشاء والبقر من الأعماق، وكانت لهم عزة وامتناع بالكثرة ورباسات بغداد أيام تغلب الأعاجم على الدولة واستبدادهم بالياسة.

ولما طمس ملك بني العباس وغلب التتر على بغداد ستة سنت وخمسين وستمائة، وقتل ملكهم هلاون آخر خلفاء العباسيين، وهو المستعصم.

ثم ساروا في ممالك العراق وأعماله، فاستولوا عليها وعبر الكثير من الكرد نهر الفرات فراراً أيام التتر لما كانوا يديرون به من الجوشية وصاروا في إيلاء الترك، فاستكشفوا أشرافهم وبيوتهم من المقام تحت سلطانهم.

وأجاز منهم إلى المغرب عشرات يعرفان ببني لوين وبين تاير فمنهم من الأتباع ودخلوا المغرب لآخر دولة الموحدين وزلوا على المرتضى بمراكش فأحسن تلقفهم وأكرم مثواهم، وأسنى لهم الجراية والأقطاع وأحلهم بال محل الرفيع من الدولة.

ولما انتقض أمر الموحدين بمندان وصوهم صاروا إلى مملكة بني مرین، ولحق بعضهم بيعمراسن بن زيان، ونزع إلى صاحب إفريقية يومذ المستنصر بيت من بني تاير لا أعرفهم، كان منهم محمد بن عبد العزيز المعروف بالمزوار، صاحب مولانا السلطان أبي يحيى وآخرون غيره منهم وكان من أشهر من بقي في إيلاء ببني مرین منهم.

ويروي من عرض مرسله، ولما خرجنوا من الحصار أوفوا به على رتب الأصطناع والتقوية.

ولما ملك أبو تاشفين استعمله بشرف مستبدًا بها وأذن له في اتخاذ الآلة.

ثم لما عزل موسى بن علي عن حرب الموحدين وقادية الشرق عزله به، وكانت المدية وتنس من عمله.

فلما نازل السلطان أبو الحسن تلمسان رأسه بالطاعة والكون معه، فقبله وجاجاً به من مكان عمله، فقدم عليه بمخيمه على تلمسان، فاختصه بإقباله ورفع مجلسه من سطنه، ولم ينزل عنه بتلك الحال إلى أن هلك بعد افتتاح تلمسان والله مصرف الأقدار.

وأما هلال فأصله من سبي النصارى القاطلوبين أهداه السلطان ابن الأخر إلى عثمان بن يغرايسن، وصار إلى السلطان أبي حور فأعطيه إلى ولده أبو تاشفين فيما أعطاه من المراتي الملعونين، ونشأ معه تريباً، وكان مختصاً عنده بالداخلة والدالة، وتولى كبر تلك الفعلة التي فعلوا بالسلطان أبي حور.

ولما ولَّ بعد ابنته أبو تاشفين ولاه على حجابته، وكان مهيباً فظاً غليظاً، فقد مُقدِّم الفضل بيابه وارهب للناس سطنته، وزحزح المرشحين عن رتب المائة إلى التعلق بأهداه، فاستولى على أمر السلطان.

ثم حذر مغبة الملك وسوء العاقب، فاستأند السلطان في الحج وركب إليه من هنین بعض السفن اشتراها مالي وشحنتها بالديد والعدة والأقواف والمقاتلة، واتَّمام كتابه الحاج محمد بن حرونة بياب السلطان على رسم النيابة عنه، واقلع ستة أربع وعشرين وسبعينة فنزل بالإسكندرية وصحب الحاج من مصر في جملة الأمير عليهم، ولقي في طريقه سلطان السودان من مالي منسى موسى، واستحكمت بينهما المودة.

ثم رجع بعد قضاء فرضه إلى تلمسان فلم يجد مكانه من السلطان ولم ينزل بعد ذلك يتذكر له وهو يسايسه بالمدارة والاستجداء إلى أن سخطه، فتقبض عليه ستة تسع وعشرين وسبعينة وأودعه سجنَه، فلم ينزل معتقلًا إلى أن هلك من وجيشه قبيل فتح تلمسان، ومهلك السلطان بيابام، فكان آية عجاء في تقارب مهلكهما واقتراض سعادتهما وخرسهما.

وقد كان السلطان أبو الحسن يتبع المالي الذين شهدوا مقتل السلطان أبي حور، وأفلت هلال هذا من عقابه بمرته والله بالغ حكمه.

الناس فاغربوا، وأنفذت جوانح هلال لها حسداً وعداؤه، فأغارى سلطانه فخاطب ابن الأخر في استقامته، فأسلمه إليه.

واستعمله السلطان في حروبه وعلى قاصيته حتى كان من نهوضه بالعساكر إلى إفريقيَّة لقاء مولانا السلطان أبي بمحبي سنة سبع وعشرين وسبعينة.

وكانت الدبرة عليه واستلحمت زنانة، ورجع في الفل فأغرى هلال السلطان والقى في نفسه التهمة به.

ونفي ذلك إليه فلحق بالعرب الدواودة، وعقد مكانه على محاصرة مجاهي ليحيى بن موسى صاحب شلف، ونزل هو على سليمان وبمحبي أبي علي بن سباع بن بمحبي من أمراء الدواودة المذكورين في أخبارهم فلقوه مبرة وتنظيمًا، واقام بين أحياهم مدة، ثم استقدمه السلطان ورجمه إلى عمله من مجلسه.

ثم تقبض عليه لأشهر، وأشخصه إلى الجزائر فاعتقله بها وضيق عليه بمحبيه ذهاباً مع أغراض مناقسة هلال، حتى إذا أسطخ هلالاً استدعاه من بمحبي أشقيق ما كان، فانطلق إليه.

فلما تقبض على هلال قد موسى بن علي حجابته، فلم ينزل مقيناً لرسمها إلى يوم اقتحم السلطان أبو الحسن تلمسان، فهلك مع أبي تاشفين وبنيه في ساحة قصرهم كما قتلوا وانقضى أمره والبقاء لله.

وانتظم بنوه بعد مهلكه في جملة السلطان أبي الحسن وكأن كيدهم سعيد قد خلص من بين القتلى في تلك الملحمة بباب القصر بعد هُنْمَةٍ من الليل مشتاخاً بالجراح، وكانت حياته بعدها تعد من الغرائب، ودخل في غزو السلطان إلى أن عادت دولة بي عبد الواد، فكان له في سوقها نفاق كما نذكره والله غالب على أمره. وأما بمحبي بن موسى فأصله من بني سنوس إحدى بطون كرمية، وله ولاء في بني كمين بالاصطناع والتزيبة.

ولما فصل بنو كمين إلى المغرب قعدوا عنهم واتصلوا ببني يغرايسن واصطنعوهم، ونشأ بمحبي بن موسى في خدمة عثمان وبنيه واصطناعهم.

ولما كان الحصار ولاه أبو حمر مهمة من الطواف بالليل على الحرس يمقاعدهم من الأسوار، وقسم القوت على المقاتلة بالمقدار، وضبط الأبواب والتقديم في حومة القتال، وكان له أغوان على ذلك من خدامه قد لزموا الكون معه في البكر والأصال والليل والنهار، وكان بمحبي هذا منهم فمرفوا له خدمته وذهبوا إلى اصطناعه وكان أول ترشيحه تردید أبي يوسف بن يعقوب مكانه من حصارهم فيما يدور بينهم من المضاربة، فكان يجلس في ذلك

وارتحل إلى المغرب كما نذكره في أخبارهم ولا فصل دعا عثمان لنفسه وانتزى على كرسيه وأخذ الآلة وأعاد من ملك بني عبد الواد رسمًا يكن لآل جرار، واستبد أشهراً قلائل إلى أن خلص إليه من آل زيان من ولد عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن من طمس معالله، وخسف به وبداره، وأعاد أمر بني عبد الواد في نصاية حسبما نذكره إن شاء الله تعالى والله أعلم.

### الخبر عن دولة أبي سعيد وأبي ثابت من آل يغمراسن وما كان فيها من الأحداث

كان الأمير أبو يحيى جدهما من أكبر ولد يغمراسن بن زيان، وكان ولـي عهده بعد مهلك أخيه عمر الأكبر. ولما تغلب يغمراسن على سجلamasة سنة إحدى وستين وستمائة استعمله عليها، فقام بها أحوالاً وولد له هناك ابنه عبد الرحمن.

ثم رجع إلى تلمسان فهلك بها ونشأ عبد الرحمن سجلamasة، ولحق بتلمسان بعد أبيه، فقام مع بني أبيه إلى أن غص السلطان بـكانه وغريه إلى الأندلس، فـكـتـ بها حـيـا، وهـلـكـ في مـرـابـطـهـ بـغـرـ قـرـمـونـةـ فـيـ بـعـضـ أـيـامـ الـجـهـادـ، وكان له بنون أربعة: يوسف وعثمان والزعيم وإبراهيم، فرجعوا إلى تلمسان وأوطنوا أعواماً حتى إذا استولى السلطان أبو الحسن على ملـكـهـ، وأـضـافـ إلىـ دـوـلـتـهـ نـقـلـهـمـ منـ تـلـمـسـانـ إلىـ الـمـغـرـبـ فـيـ جـلـةـ أـيـامـ اـعـيـاصـهـ.

ثم سـأـلـواـ إـذـنـهـ فـيـ الـمـرـابـطـةـ بـغـورـ الـأـنـدـلـسـ الـيـ فـيـ عـلـمـهـ، فـأـذـنـهـ لهم وفرض لهم العطايا وأنزلهم بالجزيرـةـ فـكـاتـ لهمـ فـيـ الـجـهـادـ مـوـاـقـفـ مـذـكـرـةـ وـمـوـاطـنـ مـعـرـوفـةـ.

ولما استقر السلطان أبو الحسن زناته لغزو إفريقيـةـ سنة ثمان وأربعين وسبعينـةـ كانواـ فـيـ جـلـةـهـ معـ قـوـمـهـ بـنـيـ عبدـ الـوـادـ وـفـيـ رـأـيـهـمـ، وـمـكـانـهـمـ مـعـلـمـ بـيـنـهـمـ.

فلما اضطرب أمر السلطان أبي الحسن وتـأـلـبـ عليهـ الكـعـوبـ منـ بـنـيـ سـلـيـمـ أـعـرـابـ إـفـرـيقـيـةـ، وـوـاضـعـهـ الـحـربـ بالـقـيـرـوانـ، كانـ بـنـوـ عبدـ الـوـادـ أـوـلـ النـازـعـينـ عـنـهـ إـلـيـهـ.

فلما كانت النكبة والـحـجـزـ بالـقـيـرـوانـ وـانـظـلـقـتـ أـيـديـ الأـعـرـابـ عـلـىـ الضـواـحـيـ وـأـنـقـضـ المـغـرـبـ مـنـ سـاـئـرـ أـعـمـالـهـ، اـذـنـواـ لـبـنـيـ عبدـ الـوـادـ فـيـ الـلـاحـقـ بـقـطـرـهـ وـمـكـانـهـمـ، فـمـرـواـ بـتـرـنـسـ وـأـقـامـواـ بـهـ أـيـامـ، وـخـلـصـ الـمـلـاـمـهـ نـجـيـاـ فـيـ شـانـ أـمـرـهـ وـمـنـ

### الخبر عن انتزاء عثمان بن جرار على ملك تلمسان بعد نكبة السلطان أبي الحسن بالقـيـرـوانـ وـعـودـ الـمـلـكـ بـذـلـكـ لـفـيـ زـيـانـ

كانـ بـنـوـ جـارـ هـؤـلـاءـ مـنـ فـصـائـلـ تـيـدوـكـسـنـ بـنـ طـاعـ الـلـهـ وـهـمـ بـنـ جـارـ بـنـ يـعـلـىـ بـنـ تـيـدوـكـسـنـ، وـكـانـ بـنـ مـعـدـ بـنـ زـكـدانـ يـغـصـونـ بـهـمـ مـذـ أـوـلـ الـأـمـرـ، حـتـىـ صـارـ الـمـلـكـ إـلـيـهـمـ وـاستـبـدـواـ بـهـ، فـجـرـواـ عـلـىـ جـبـعـ الـفـصـائـلـ مـنـ عـشـاـرـهـمـ ذـيـلـ الـاحـتـارـ. وـنـشـأـ عـثـمـانـ بـنـ يـحـيـىـ بـنـ مـحـمـدـ بـنـ جـارـ مـنـ بـنـهـمـ مـرـمـوقـاـ بـعـينـ التـجـلـةـ وـالـرـيـاسـةـ، وـسـعـيـ عـنـدـ السـلـطـانـ أـبـيـ تـاشـفـينـ بـأـنـ فـسـهـ تـطـاوـلـاـ لـلـرـئـاسـةـ فـاعـتـقـلـهـ مـدـةـ.

وـفـرـ مـنـ عـبـسـهـ فـلـحـ بـلـحـ بـلـحـ الـمـلـكـ الـمـغـرـبـ السـلـطـانـ أـبـيـ سـعـيدـ فـاتـرـ عـلـهـ وـأـكـرمـ نـزـلـ، وـاسـتـقـرـ بـمـثـاهـ فـنـسـكـ وـزـهـدـ.

وـاسـتـاذـنـ السـلـطـانـ عـنـدـ تـغـلـبـهـ عـلـىـ تـلـمـسـانـ فـيـ الـحـجـ بـالـسـاسـ فـاذـنـ لـهـ.

وـكـانـ قـانـدـ الـرـكـبـ مـنـ الـمـغـرـبـ إـلـىـ مـكـةـ سـاـئـرـ أـيـامـهـ حـتـىـ إـذـ استـولـ السـلـطـانـ أـبـيـ الـحـسـنـ عـلـىـ أـعـمـالـ الـمـوحـدـينـ، وـحـشـدـ أـهـلـ الـمـغـرـبـ مـنـ زـنـاثـةـ وـالـعـرـبـ لـدـخـولـ إـفـرـيقـيـةـ اـنـدـرـاجـ عـثـمـانـ هـذـاـ فـيـ جـلـتـهـ، وـاسـتـاذـنـ قـبـيلـ الـقـيـرـوانـ فـيـ الرـجـوعـ إـلـىـ الـمـغـرـبـ فـاذـنـ لـهـ وـلـحـقـ

بـلـمـسـانـ فـنـزـلـ عـلـىـ أـمـيرـهـ مـنـ وـلـدـ الـأـمـيرـ أـبـيـ عـنـانـ، كـانـ قـدـ عـقـدـ لـهـ عـلـىـ عـمـلـهـ، وـرـشـحـهـ لـرـوـلـاـتـهـ، فـازـدـلـفـ إـلـيـهـ بـاـيـهـ مـنـ الـخـبـرـ عـنـ أـحـوـالـ أـيـهـ، فـتـلـطـفـ فـيـ مـاـوـدـ سـعـمـهـ مـنـ تـورـطـ أـيـهـ فـيـ مـهـالـكـ إـفـرـيقـيـةـ، وـإـيـاسـهـ مـنـ خـلاـصـهـ، وـوـعـدـ بـمـصـيرـ الـأـمـرـ إـلـيـهـ عـلـىـ الـسـنـةـ الـخـرـىـ وـالـكـهـانـ.

وـكـانـ يـتـظـنـ فـيـ أـنـ لـدـيـهـ مـنـ ذـلـكـ عـلـمـاـ، وـعـلـىـ تـفـيـثـ ذـلـكـ كـانـ نـكـبةـ السـلـطـانـ أـبـيـ الـحـسـنـ بـالـقـيـرـوانـ.

وـرـظـهـ مـصـدـاقـ ظـنـهـ وـإـصـابـةـ قـيـاسـهـ فـأـغـرـاهـ بـالـتـوـبـ عـلـىـ مـلـكـ أـيـهـ بـلـمـسـانـ، وـالـبـارـ إـلـىـ فـاسـ لـغـلـبـ مـنـصـورـ بـنـ أـخـيـهـ أـبـيـ مـالـكـ عـلـيـهـ، وـكـانـ اـسـتـعـمـلـهـ جـدـهـ أـبـوـ الـحـسـنـ هـنـالـكـ وـأـرـاهـ آيـهـ سـلـطـانـهـ وـشـوـاهـدـ مـلـكـهـ، وـتـحـيلـ فـيـ إـشـاعـةـ مـهـلـكـ السـلـطـانـ أـبـيـ الـحـسـنـ وـإـلـقـائـهـ عـلـىـ الـأـسـنـةـ حـتـىـ أـوـهـ صـدـقـهـ.

وـتـصـدـىـ الـأـمـيرـ أـبـوـ عـنـانـ لـلـأـمـرـ، وـتـسـايـلـ إـلـيـهـ الـفـلـ منـ عـسـاـكـرـ بـنـيـ مـرـينـ، فـأـسـتـلـحـقـ وـبـثـ الـعـطـاءـ وـأـعـلـنـ بـالـدـعـاءـ لـفـسـهـ فـيـ رـبـيعـ سـنـةـ تـسـعـ وـأـرـبعـينـ وـسـبـعـمـائـةـ وـعـسـكـرـ خـارـجـ تـلـمـسـانـ لـلـنـهـوـضـ إـلـىـ الـمـغـرـبـ ثـمـ اـسـتـعـمـلـ عـثـمـانـ بـنـ جـارـ عـلـىـ تـلـمـسـانـ وـعـلـمـهـ

وتقبض لأول دخوله على عثمان بن يحيى بن جرار فأودعه المطبق إلى أن مات في رمضان من ستة، ويفقال: قتيلًا.

وكان من أول غزوات السلطان غزاته إلى كومية، وذلك أن كبيرهم إبراهيم بن عبد الملك كان شيخاً عليهم منذ حين من النهر، وكان يتسبّب في بني عابد، وهو قوم عبد المؤمن بن علي من بطون كومية.

فلما وقع هذا المهرج بتلمسان حسب أنه لا تجلّي غيابته وحدّثه نفسه بالانتزاع فدعا لنفسه، وأضرم بلاد كومية وما إليها من السواحل ناراً وفتحها.

فجمع له السلطان أبو ثابت ونهض إلى كومية فاستباحهم قتلاً وسبياً واقتضم هنين، ثم تدرّومة بعدها.

وتقبض على إبراهيم بن عبد الملك الخارج فجاء به معتقلًا إلى تلمسان وأودعه السجن، فلم يزل به إلى أن قتل بعد أشهر.

وكانت أمصار المغرب الأوسط وثبوره لم تزل على طاعة السلطان أبي الحسن والقيام بدعوته، وبها حاميته وعماله وأقريها إلى تلمسان مدينة وهران، كان بها القائد عبو بن سعيد بن أجانا من صنائعبني مرين، وقد ضبطها وتقدّها ولماها آفواناً ورجالاً وسلاماً، وملأ مرساها أساطيل، فكان أول ما قدموه من أعمال التهوض إليه فنهض السلطان أبو ثابت بعد أن جمع قبائل زناتة والعرب وزلل على وهران وحاصرها أيامًا.

وكان في قلوب بني راشد أحلافهم مرض فذخلوا قائد البلد في الانتقاض على السلطان أبي ثابت ووعده الرفاء بذلك عند الماجرة، فبرز وناجزهم الحرب فانهزم بنو راشد وجروا الهزيمة على من معهم وقتل محمد بن يوسف بن عنان بن فارس أخي يغمراسن بن زيان من أكبر القرابة واتهبه العسكر ونجا السلطان أبو ثابت إلى تلمسان إلى أن كان ما ذكره إن شاء الله تعالى.

### الخبر عن لقاء أبي ثابت مع الناصر ابن السلطان أبي الحسن وفتح وهران بعدها

كان السلطان أبو الحسن بعد واقعة القيروان قد لحق بتونس، فاقام بها والعرب محاصرون له ينصبون الأعياص من الموحدين لطلب تونس واحداً بعد آخر كما ذكرناه في أخبارهم.

ويبينما هو مؤمل الكراوة ووصول المدد من المغرب الأقصى إذ بلغ الخبر بانتصار السلك أجمع، ويانقاض ابنه وحافده، ثم استيلاء أبي عنان على المغرب كله، ورجوع بني عبد الواد ومغراوة

يقدمون عليهم فأصنقوه بعد الشورى على عثمان بن عبد الرحمن وأجتمعوا عليه لعهده بهم يومئذ، وقد خرّجوا به إلى الصحراء وأجلسوه بباب مصلى العيد من تونس على درقة.

ثم ازدحوا عليه بمحبت تواري شخصه عن الناس، يسلمون عليه بالإمارة ويعطّرونه الصفة على الطاعة والبيعة حتى استكملا جميعاً ثم انطلقا به إلى رحالهم.

واجتمع مغراوة أيضًا إلى أميرهم على بن راشد بن محمد بن ثابت بن منديل الذي ذكرناه من قبل، وتعاهدوا على الصحابة إلى أعمالهم والهادفة آخر الأيام واستثمار كلّ بسلطانه وتراث سلفه، وارتخلوا على تقىة ذلك جميعاً إلى المغرب.

وشنّت البوادي عليهم الغارات في كل وجه، فلم يظفروا منهم بقلامة الظفر: مثل وينفون ونوننة وبرية وأهل جبل بني ثابت. ولما مروا بيجاية وكان بها قل من مغراوة وتوجين، نزلوا بها منذ غلبياً على أعمالهم، وصاروا في جند السلطان فارتخلوا معهم. واعتبرتهم مجبل الزاب برابرة زواوة، فأوقعوا بهم وظهر من نجدهم ويلائهم في الحروب ما هو معروف لأولئك.

ثم لحقوا بشلف فنقّتهم قبائل مغراوة، وبايعوا سلطانهم على بن راشد فاستوسق ملكه.

وانصرف بنو عبد الواد والأميران أبو سعيد وأبو ثابت بعد أن أحكموا العهد وأبرّموا الوثاق مع علي بن راشد وقومه.

وكان في طريقهم بالطحاء أحياه سويد ومن معهم من أحلافهم قد نزلوا هنالك مع شيخهم ون Zimmerman بن عريف، منهزمون من تassala أمّام جيش السلطان أبي عنان فأجفلوا من هنالك، ونزل بنو عبد الواد مكانهم، وكان في جملتهم جماعة من بني جرار بن تيلوكسن كبيرهم عمران بن موسى، فقر إلى ابن عمّه عثمان بن يحيى بن جرار بتلمسان فقد له على جندي سعيد وأصحابه، فنزّع الجنديون خرّجا معه إلى السلطان أبي سعيد.

وأنقلب هو إلى تلمسان والقوم في أثره، فأدرك بطريقه وقتل.

ومر السلطان إلى البلد فشارت العامة بعثمان بن جرار فاستأمن لنفسه من السلطان فأمنه ودخل إلى قصر الملك آخر جادى الآخرة من سنة تسع وأربعين وستمائة فاقتعد أربكته وأصدر أوامره واستوزر واستكتب، وعقد لأخيه أبي ثابت الزعيم على ما وراء بابه من شؤون ملوكهما، وعلى القبيل والحروب، واقتصر هو على القاب الملك وأسمائه ولزم الدعوة.

وكان على إثر ذلك وصول السلطان أبي الحسن من تونس، كما ذكره إن شاء الله تعالى والله أعلم.

### الخبر عن وصول السلطان أبي الحسن من تونس ونزوله بالجزائر وما دار بينه وبين أبي ثابت من المخوب والحاقة بعد الهزيمة

#### بالمغرب

كان السلطان أبي الحسن بعد واقعة القيروان وحصار العرب إياه، قد طال مقامه بتونس واستدعاه أهل المغرب الأقصى وانتقض عليه أهل بلاد الجريد وبایعوا للفضل ابن مولانا السلطان أبي يحيى، فاجمع الرحلة إلى المغرب وركب السفن من تونس أيام الفطر من سنة خسین وسبعمائة فصنفت به الريح وأدركه الفرق، ففرق أسطوله على سواحل مجاهة ونجا بدمائه إلى بعض الجزر هناك، حتى لحقه أسطول من أساطيله، فنجا فيه إلى الجزائر وبها حمو بن يحيى بن العسرى قائد وصنيع أبيه، فنزل عليه.

ويادر إليه أهل ضاحيتها من مليكش والت غالبة، فاستخدمهم ويث فيهم العطاء.

واتصل خبره بوزمار بن عريف وهو في أحياه سويد، فوفد معه نصر بن عمر بن عثمان عليه في مشيخة من قومه، ووفد معه نصر بن عمر بن عثمان صاحب جبل وانشريش من بني تيغرين، وعدى بن يوسف بن زيان بن محمد بن عبد القوي الثانى بنواحي المدينة من ولد عبد القوى، فأعطيوه الطاعة واستحوذوا للخروج معهم، فردهم للحشد، فجمعوا من إيمانهم من قبائل العرب وزنانة.

وبينما الأمير أبو ثابت ببلاد مغاربة حاصراً لهم في معاقلهم إذ بلغه الخبر بذلك في ربيع سنة إحدى وخمسين وسبعمائة فعقد السلام معهم ورجع إلى قتال هؤلاء، فأخذ على متادس وخرج إلى السرس قبلة وانشريش.

وأجلل أمامة وزمار وجوع العرب الذين معه، ولحق به هناك مدد السلطان أبي عنان قائدتهم يحيى بن رحو بن تاشفين بن معطي، فاتبع أبو ثابت آثار العرب وشردهم ولحق أحياه حصين بمعاقلهم من جبل تيطرى، ثم عطف على المدينة ففتحها وعقد عليها لعمران بن موسى الجلولي من صنائعهم.

ثم نهض إلى حصين فافتتح عليهم الجبل فلاذوا بالطاعة وأعطوا أبناءهم رهناً عليها، فتجاوزوها إلى وطن حرث فدوخها،

وتوجهن إلى ملكهم بالمغرب الأوسط ووفد عليه يعقوب بن على أمير الدواودة، فاتفق مع عريف بن يحيى، أمير سويد وكبير مجلس السلطان، على أن يغيراه بيعث ابنه الناصر إلى المغرب الأوسط للدعوة التي كانت قائمة بأمصاره في الجزائر ووهران وجبل وانشريش، وكان به نصر بن عمر بن عثمان بن عطيه قائماً بدعوته، وأن يكون عريف بن نصر في جملة الناصر ل مكانه من السلطان ومكان قومه من الولاية.

وكان ذلك من عريف تقليداً من المقام بتونس فأجات إليه السلطان وبعثهم جميعاً، ولحق الناصر ببلاد حصين فأعطيوه الطاعة وارتحلوا معه، ولقيه العطاف والديالم وسويد فاجتمعوا إليه وتالبوا معه، وارتحلوا بريدون متادس.

وبينما الأمير أبو ثابت يرور معارضة الغزو إلى وهران إذ فجأه الخبر بذلك، فطير به إلى السلطان أبي عنان وجاء العسكر من بني مرiven مددًا صحبة أبي زيان ابن أخيه أبي سعيد، كان مستنفراً بالمغرب منذ نهوضهم إلى القيروان وبعث عنه أبوه فجاء مع المدد من العساكر والملاي، ونهض أبو ثابت من تلمسان أول المحرم سنة خسین وسبعمائة ويعث إلى مغاربة بالخبر فنعدوا عن مناصرته، ولحق ببلاد العطاف فلقيه الناصر هناك في جوشه بوادي ورك آخر شهر ربيع الأول، فانكشفت جموع العرب وانهزموا، ولحق الناصر بالزراب فنزل على ابن مزنی بسكنة إلى أن أصحبه من رجالات سليم من أوصله إلى أبيه بتونس.

ولحق عريف بن يحيى بالمغرب الأقصى، واحتل عند السلطان أبي عنان بمكانه من مجلسهم، فحصل على البغية ورجع العرب كلهم إلى طاعة أبي ثابت وخدمته، واسترب بصفير بن عامر بن إبراهيم فقبض عليه وأشخصه معتقلًا مع البريد إلى تلمesan، فاعتقل بها إلى أن أطلق بعد حين.

وقفل أبو ثابت إلى تلمesan قتلوا بها أيامًا، ثم نهض إلى وهران في جادى من ستة، فحاصرها أيامًا، ثم افتحتها عنوة وعفا عن علي بن جانا القائم بها بعد مهلك أخيه عبر وعلى من معه، وأطلق سبيهم واستولى على ضواحي وهران وما إليها، ورجع إلى تلمesan وقد استحكمت العداوة بينه وبين مغاربة، وكان قد استجرها ما قدمته من قعودهم عن نصره، فنهض إليهم في شوال من ستة والتقو في عدوة وادي رهيو فاقتتلوا ملياً.

ثم انكشفت مغاربة ولحقوا بمعاقلهم واستول أبو ثابت على معسكرهم وملك مازونة، وبعث بيعتها إلى أخيه السلطان أبي سعيد.

**الخبر عن حروبهم مع مغراوة واستيلاء أبي ثابت على بلادهم ثم على الجزائر ومقتل علي بن راشد بتৎسر على إثر ذلك**

كان بين هذين الحيين من عبد الواد ومعراوة فتن قديمة سائرت أيامهم، قد ذكرنا الكثير منها في أخبارهم.  
وكان بنو عبد الواد قد غلوبهم على أوطانهم حين قتل راشد بن محمد في جلاته أمامهم بين زواوة.  
ولما اجتمعوا بعد نكبة القبironان على أميرهم علي بن راشد وجاؤوا من إفريقية إلى أوطانهم مع بني عبد الواد، ولم يتقوهـم حيثـذا أن يغلـبـهم رجـعواـ إلى تـوثـيقـ العـقدـ وـتـأـكـيدـ الـعـهـدـ فـاـلـبـرـمـهـ وـاقـامـواـ عـلـىـ الـمـادـعـةـ وـالـظـاهـرـ عـلـىـ عـدـوـهـ، وـعـرـوقـ الـفـتـنـ تـبـضـ فيـ كـلـ مـنـهـ.

ولما جاء الناصر من إفريقيـةـ وزـحـفـ إـلـيـهـ أـبـوـ ثـابـتـ، قـدـ عـنـهـ عـلـيـ بنـ رـاشـدـ وـقـوـمـهـ، فـاعـتـدـهـ عـلـيـهـ وـأـسـرـهـ فـيـ نـفـسـهـ.  
ثم اجتمعوا بعد ذلك للقاء السلطان أبي الحسن حتى انهزم ومضى إلى المغرب.

فـلـمـ رـأـيـ أـبـوـ ثـابـتـ أـنـ قـدـ كـنـىـ عـدـوـهـ الـأـكـبـرـ وـفـرـغـ إـلـىـ عـدـوـهـ الـأـصـفـرـ نـظـرـ فـيـ الـاتـقـاصـ عـلـيـهـمـ.  
فـيـنـمـاـ هوـ يـرـوـمـ أـسـبـابـ ذـلـكـ إـذـ بـلـغـهـ الـخـبـرـ أـنـ بـعـضـ رـجـالـاتـ بـنـيـ كـمـيـ منـ مـغـرـاـوةـ جـاؤـواـ إـلـىـ تـلـمـسـانـ لـيـقـاتـلـهـ فـحـمـيـ لهاـ آنـهـ وـأـجـعـ لـحـبـهـ.

وـخـرـجـ مـنـ تـلـمـسـانـ فـاتـحـةـ اـثـنـيـنـ وـخـسـنـ وـسـبـعـمـائـةـ وـبـعـثـ فـيـ أحـيـاءـ زـغـبـةـ مـنـ بـنـيـ عـامـرـ وـسـوـيدـ، فـجـاؤـهـ بـفـارـسـهـ وـرـاجـلـهـ وـظـعـانـهـ، وـزـحـفـ إـلـىـ مـغـرـاـوةـ فـخـامـواـ عـنـ لـقـائـهـ، وـخـصـنـواـ بـالـجـيلـ المـطـلـ عـلـىـ تـنـسـ، فـحاـصـرـهـ فـيـ إـيـامـ أـنـصـلـتـ فـيـهـمـ الـحـربـ وـتـعـدـدـتـ الـرـوـقـائـ.

ثـمـ اـرـتـحلـ عـنـهـمـ فـجـالـ فـيـ نـوـاحـيـ الـبـلـدـ، وـدـوـخـ أـقـطـارـهـ، وـأـطـاعـتـهـ مـلـيـانـةـ الـمـدـيـةـ وـبـرـشـكـ وـشـرـشـالـ.

ثـمـ تـقـدـمـ بـجـمـوعـهـ إـلـىـ الـجـزاـئـرـ فـأـحـاطـ بـهـاـ وـفـيـهـ فـلـ بـنـيـ مـرـينـ وـعـبـدـ اللـهـ بـنـ السـلـطـانـ أـبـيـ الـحـسـنـ، تـرـكـهـ هـنـاكـ صـغـيرـاـ فـيـ كـفـالـةـ عـلـيـ بـنـ سـعـيدـ بـنـ أـجـانـ، فـغـلـبـهـ عـلـىـ الـبـلـدـ وـأـشـخـصـهـ فـيـ الـبـحـرـ إـلـىـ الـمـغـرـبـ، وـأـطـاعـهـ الـشـالـةـ وـمـلـيـكـشـ وـقـبـائلـ حـسـنـ.

وـعـقـدـ عـلـىـ الـجـزاـئـرـ لـسـعـيدـ بـنـ مـوسـىـ بـنـ عـلـيـ الـكـرـدـيـ، وـرـجـعـ إـلـىـ مـغـرـاـوةـ فـحـاصـرـهـ فـعـلـقـهـمـ الـأـوـلـ بـعـدـ أـنـ اـنـصـرـتـ

وـاسـتـخدـمـ قـبـائلـهـ مـنـ الـعـربـ وـالـبـرـيرـ، وـالـسـلـطـانـ أـبـوـ الـحـسـنـ أـنـاءـ ذـلـكـ مـقـيمـ بـالـجـزاـئـرـ.

ثـمـ قـفلـ أـبـوـ ثـابـتـ إـلـىـ تـلـمـسـانـ وـقـدـ كـانـ اـسـتـرابـ بـيـحـيـيـ بـنـ رـحـوـ وـعـسـكـرـهـ مـنـ بـنـيـ مـرـينـ.

وـأـنـهـ دـاـخـلـوـ السـلـطـانـ أـبـاـ الـحـسـنـ وـبـعـثـ فـيـهـ إـلـىـ السـلـطـانـ أـبـيـ عـنـانـ، فـأـدـالـهـ بـيـحـيـيـ بـنـ سـلـيـمانـ بـنـ مـصـورـ بـنـ عبدـ الـوـاحـدـ بـنـ يـقـرـبـ فـبـعـثـهـ قـائـداـ عـلـىـ الـحـصـنـ الـمـرـيـةـ، فـتـقـبـضـ عـلـىـ بـيـحـيـيـ بـنـ رـحـوـ وـلـحـقـواـ مـعـ أـبـيـ ثـابـتـ بـتـلـمـسـانـ.

ثـمـ أـجـازـوـ إـلـىـ الـمـغـرـبـ وـاعـتـزـ السـلـطـانـ أـبـوـ الـحـسـنـ بـعـدـ مـتـصـرـفـهـ بـاـيـهـ الـنـاصـرـ مـعـ أـوـلـيـاهـ مـنـ زـنـاثـةـ وـالـعـربـ فـاـسـتـولـ عـلـىـ الـمـدـيـةـ وـقـلـ عـثـمـانـ بـنـ عـيـسـىـ الـجـلـوـيـ.

ثـمـ تـقـدـمـ إـلـىـ مـلـيـانـ فـمـلـكـهـ، وـإـلـيـ تـيـمـوـغـتـ كـذـلـكـ.

وـجـاهـ عـلـىـ أـثـرـ السـلـطـانـ أـبـوـ الـحـسـنـ أـبـوـهـ، وـقـدـ اـجـتـمـعـتـ إـلـيـهـ الـجـمـوعـ مـنـ زـغـبـةـ وـزـنـاثـةـ وـمـنـ عـرـبـ إـفـرـيقـيـةـ سـلـيـمـ وـرـيـاحـ: مـشـلـ عـمـدـ بـنـ طـالـبـ بـنـ مـهـلـهـلـ، وـرـجـالـ مـنـ عـشـرـهـ، وـعـمـرـ بـنـ عـلـيـ بـنـ أـحـدـ الدـوـاـوـدـيـ، وـأـخـيـهـ أـبـيـ دـيـارـ، وـرـجـالـاتـ مـنـ قـوـمـهـ.

وـزـحـفـ عـلـىـ هـذـهـ الـتـعـيـةـ وـابـنـ الـنـاصـرـ أـمـامـهـ، فـاجـفـلـ عـلـيـ بـنـ رـاشـدـ وـقـوـمـهـ مـغـرـاـوةـ عـنـ بـلـادـهـ إـلـىـ الـبـطـحـاءـ، وـطـيـرـ الـخـبـرـ إـلـىـ أـبـيـ ثـابـتـ فـوـافـاهـ فـيـ قـوـمـهـ وـحـشـودـهـ، وـزـحـفـواـ جـيـعاـ إـلـىـ السـلـطـانـ أـبـيـ الـحـسـنـ، فـالـتـقـيـ الـجـمـعـانـ بـتـنـغـرـيـنـ مـنـ شـلـفـ.

وـصـابـرـوـ مـلـيـاـ، ثـمـ اـنـكـشـفـ السـلـطـانـ أـبـوـ الـحـسـنـ وـقـوـمـهـ، وـطـعنـ النـاصـرـ بـعـضـ فـرـسـانـ مـغـرـاـوةـ فـأـنـتـهـ وـهـلـكـ آخـرـ يـومـهـ.

وـقـتـ مـحـمـدـ بـنـ عـلـيـ الـعـرـفـ قـانـدـ أـسـاطـيـلـهـ وـابـنـ الـبـوـاقـ وـالـقـبـائـلـيـ كـاتـبـهـ.

وـاسـتـبـعـ مـعـسـكـرـهـ وـمـاـ فـيـهـ مـنـ مـتـاعـ وـحـرـمـ، وـخـلـصـ بـنـاهـ إـلـىـ وـانـشـرـيـشـ، وـبـعـثـ بـهـنـ أـبـوـ ثـابـتـ إـلـىـ السـلـطـانـ أـبـيـ عـنـانـ بـعـدـ أـسـتـيلـانـهـ عـلـىـ الـجـيلـ.

وـخـلـصـ السـلـطـانـ أـبـوـ الـحـسـنـ إـلـىـ أـحـيـاءـ سـوـيدـ، بـالـصـحـراءـ فـنـجـاـ بـهـ وـنـزـمـارـ بـنـ عـرـيفـ إـلـىـ سـجـلـمـاسـ كـمـاـ ذـكـرـهـ فـيـ أـخـبـارـهـ، وـدـوـخـ أـبـوـ ثـابـتـ بـلـادـ بـنـيـ تـرـجـيـنـ وـقـلـ إـلـىـ تـلـمـسـانـ وـالـلـهـ تـعـالـىـ أـعـلـمـ.

العرب إلى مشاتييها، فاشتد الحصار على مغراوة وأصاب مواشيهما المصاف. وركب السلطان أبو عنان لتلافي الأمر، فاجتمع إليه أوشاب من الناس وانتقض سائر المعسكر ثم زحف إليهم فيما فم حضره وصدقوهم القتال، فاختل مصافهم ومنحوا أكتافهم وخاضوا بغير الظلماء.

واتبع بنو مرين آثارهم وتقبض على أبي سعيد ليلتذ فقييد أخيراً إلى السلطان، فاحضره بمشهد الملا ووجه ثم تل على محبسه وقتل لئامة من ليالي اعتقاله.

وارحل السلطان أبو عنان إلى تلمسان، ولنجا الزعيم أبو ثابت بن معه من قل بني عبد الواد ومن خلص إليه منهم ذاهباً إلى بجاية ليجد في إيتال الموحدين ولية من عدوه، فيُسْتَهْ زواوة في طريقه وأبعد عن صحبة وأرجل عن فرسه وذهب راجلاً عارياً ومعه رفقاء من قومه منهم أبو زيان محمد ابن أخيه السلطان أبي سعيد، وأبو حمو موسى ابن أخيهم يوسف، وزيرهم يحيى بن داود بن مكن وكان السلطان أبو عنان أوعز إلى صاحب بجاية يومئذ الملوك أبي عبد الله حفيد مولانا السلطان أبي بكر لأن يأخذ عليهم الطرق، وينكى في طلبه العيون، فعثر عليهم بساحة البلد وتقبض على الأمير أبي ثابت الزعيم وابن أخيه محمد بن أبي سعيد وزيرهم يحيى بن داود وأدخلوا إلى بجاية.

ثم خرج صاحبها الأمير أبو عبد الله إلى لقاء السلطان أبي عنان، واقتادهم في قبضة أسره فلقيه بمعسكره من ظاهر المدينة، فاكرم وقادته وشكر صنيعه، وانكفا راجحاً إلى تلمسان فدخلها في يوم مشهود.

وحمل يومئذ أبو ثابت وزيره يحيى على جلدين يتهاديان بهما بين سماطي ذلك المقل، فكان شأنهما عجباً.

ثم سيقا ثانى يومئذا إلى مصرعهما بصحراء البلد، فقتلا عصباً بالرماح وانقرض ملك آل زيان، وذهب ما أعاده لهم بنو عبد الرحمن هؤلاء من الدولة بتلمسان إلى أن كانت هم الكرة الثالثة على يد أبي حمو موسى بن يوسف بن عبد الرحمن التمليها إلى هذا المهد على ما سذكره ونستوفى من أخباره إن شاء الله تعالى.

العرب إلى مشاتييها، فاشتد الحصار على مغراوة وأصاب مواشيهما المصاف، فانخطت دفعة واحدة من على أعلى الجبل تطلب المورد فأصابهم الدهش. ونجا ساعتها علي بن راشد إلى تس، فأحاط به أبو ثابت أيامأ.

ثم اتتحمها عليه غالباً متصرف شعبان من ستة، فاستعجل المية وتحامل على نفسه فنبث نفسه، وافتقرت مغراوة من بعده وصارت أوزاعاً في القبائل وقتل أبو ثابت إلى أن كان من حرقة السلطان على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

## الخبر عن استيلاء السلطان أبي عنان على تلمسان وانقراض أمر بني عبد الواد ثانية

لما لحق السلطان أبو الحسن بالغرب، وكان من شأنه مع ابنه أبي عنان إلى أن هلك مجبل هباتة على ما نذكره في أخبارهم. فاستوسق ملك المغرب للسلطان أبي عنان وفرغ لعدوه وسما لاسترجاع المالك الذي انتزعها أبوه من توبث عليها، وكان قد بعث إليه علي بن راشد من مكان امتناعه مجبل تس يسأل منه الشفاعة فرد أبو ثابت شفاعته وأحفظه ذلك وبلغه مقتل علي بن راشد فاجبع غزو تلمسان، ونذر بذلك أبو سعيد وأخوه، فخرج أبو ثابت لخشد القبائل من زناته والغرب متصرف ذي القدمة، ونزل بوادي شلف.

وأجتمع الناس عليه وواصلته هناك بيعة تدلس في ربيع من سنة ثلاثة وخمسين وسبعينه.

غلب عليها الموحدين جابر الخراساني من صنائعهم، وبلهه من مكانه ذلك زحف السلطان أبي عنان فرجع إلى تلمسان، ثم خرج إلى المغرب.

وجاء على أثره أنجوه السلطان أبو سعيد في العساكر من زناته ومعه بنو عامر من زغبة والفل من سويد، إذ كان جهورهم قد لحقوا بالغرب لكان عريف بن يحيى وابنه من ولايةبني مرين، فزحفوا على هذه التعبية وزحف السلطان أبو عنان في أمم المغرب من زناته والغرب المعقل والمصادمة وسائر طبقات الجنود والخشدة، وانهروا جميعاً إلى انكاد من بسيط وجدة، فكان اللقاء هنالك آخر ربيع الثاني من سنة ثلاثة وخمسين وسبعينه وأجمع بنو عبد الواد على صدمة المعسكر وقت القائلة، وبعد ضرب الأبنية وسئلة الركاب وانفراق أهل المعسكر في حاجاتهم، فأعجلوهم عن ترتيب

وأخذ السير إلى تلمسان وبها الكتائب المجمدة من بني مرiven، واتصل خبر أبي حمر بالوزير الحسن من عمر القائم بالدولة من بعد مهلك السلطان أبي عنان، والمتغلب على ولده السعيد الخليفة من بعده، فجهز المدد إلى تلمسان من الحامية والأموال، ونهض أولياء الدولة من أولاد عريف بن يحيى أمراء البدو من العرب في قومهم من سويد ومن إليهم من العرب لمساعدة السلطان أبي حمر وأشياعه، فانقض جمعهم وغلبوا على تلك المواطن واحتل السلطان أبو حمر وجموعه بساحة تلمسان، وأندوا ركابهم عليها، ونازلا رها ثلاثاً، ثم اقتحموا في صيحة الرابعة، وخرج ابن السلطان أبي عنان الذي كان أميراً عليها في لمة من قرمه، فنزل على صغير بن عامر أمير القوم، فأحسن تحمله وأصحابه من عشيرته إلى حضرة أبيه، ودخل السلطان أبو حمر إلى تلمسان يوم الأربعاء لثمانين خلوات من ربى الأول ستة ستين وسبعينة واحتل منها بقصر ملكه، واقتعد أريكته، وبوبع بيعة الخلافة، ورجع إلى النظر في تمهيد جوانب ملكه وأخرج بني مرiven عن أمصار ملكته.

والله أعلم.

### الخبر عن إجفال أبي حمر عن تلمسان أمام عساكر المغرب ثم عوده إليها

كان القائم بأمر المغرب من بعد السلطان أبي عنان وزرمه الحسن بن عمر كافل ابنه السعيد الذي أخذ له البيعة على الناس، فاستبد عليه وملك أمره، وجرى على سياسة السلطان الهاكل واقتفى أثره في الملك الدائمة والقاصية في الحماية والنظر لهم وعليهم.

ولما اتصل به خبر تلمسان وتغلب أبي حمر عليها قام في ركابه وشارق الملا في النهوض إليه، فأشاروا عليه بالقعود وتسريح الجنود والعساكر، فسرح لها ابن عممه مسعود بن رحو بن علي بن عيسى بن ماساي من بني فردود وحكمه في اختيار الرجال واستجادة السلاح وبذل الأموال واتخاذ الآلة، فزحف إلى تلمسان واتصل الخبر بالسلطان أبي حمر وأشياعه من بني عامر، فأفرج عنها ولحق بالصحراء.

ودخل الوزير مسعود بن رحو تلمسان وخالقه السلطان أبو حمر إلى المغرب، فنزل بسيط انقاد.

وسرح إليهم الوزير مسعود بن رحو ابن عممه عامر بن عبد الله في عسكر من كتبه ووجوه قومه، فأوقع بهم العرب

**الخبر عن دولة السلطان أبي حمر الأخير**  
**مدليل الدولة بتلمسان في الكرة الثالثة**  
**لقومه وشرح ما كان فيها من الأحداث**  
**هذا العهد**

كان يوسف بن عبد الرحمن هذا في إيلاء أخيه السلطان أبي سعيد بتلمسان هو وولده أبو حمر موسى وكان متخاصلاً عن مراتب الظهور، متغافياً عن التهالك في طلب العز جانحاً إلى السكون ومذاهب أهل الخير، حتى إذا عصفت بدولتهم رياح بني مرiven، وتغلب السلطان أبو عنان عليهم وابتزتهم ما كان باليدهم من الملك، وخلص ابنه أبو حمر موسى مع عمه أبي ثابت إلى الشرق، وقدفت النوى يوسف مع أشراف قومه إلى المغرب فاستقر به.

ولما تقبضن على أبي ثابت بوطن مجاهدة أغفل أمر أبي حمر من بنيهم ونبت عنه العيون، فنجا إلى تونس ونزل بها على الحاجب أبي محمد بن تافراكن، فأكرم نزله وأحله بمكان أعياص الملوك من مجلس سلطانه ووفر جرائه، ونظم معه آخرين من فل قومه، وأوزع السلطان أبو عنان إليه بإنزعاجهم عن قرارهم في دولته، فمحى لها أنه وابي عن المضيمة لسلطانه، فأغري ذلك السلطان أبي عنان بخطابته، وكانت حركته إلى بلاد إفريقيا ومتتابنة العرب من رياح وسلمي لمعبده ونقضهم لطاعته كما نستوي في خباره.

ولما كانت سنة سبع وخمسين وسبعينة قبل مهلكه اجتمع أمراء الدواودة من رياح إلى الحاجب أبي محمد بن تافراكن، ورغبوه في لحاق أبي حمر موسى بن يوسف بالمغرب من غربته، وأنهم ركبوا لذلك ليجلب على نواحي تلمسان، ويحصل للسلطان أبي عنان شغلاً عنهم وسائله أن يجهز عليه ببعض آلة السلطان.

ووافق ذلك رغبة صغير بن عامر أمير زبة في هذا الشأن، وكان يومئذ في أحياه يعقوب بن علي وجواره، فأصلاح الموحدون شأنه بما قدروا عليه ودفعوه إلى مصاحبة صغير وقومه من بني عامر، وارتحل معهم من الدواودة، عثمان بن سباع ومن أحفادهم بني دعاع بن عيسى بن رحاب وقومه ونهضوا بجماعتهم ب يريدون تلمسان وأخذوا على القفر ولقيهم أثناء طريقهم الخبر عن مهلك السلطان أبي عنان فقويت عزائمهم على ارتجاع ملوكهم، ورجعوا عنهم صولة بن يعقوب.

المغرب، وتثبت أبو عنان على الأمر، ويوبع له بتلمسان واستجتمع حافده منصور بن أبي مالك عبد الواحد لدافعته، وحشد حامية الشغر للقائه، وانقضت جموعه بباتاري وخلص إلى البلد الجديد ونازله، وكان عبد الله بن مسلم في جملته.

ولما نازله السلطان أبو عنان واتصلت الحرب بينهم أيامًا، كان له فيها ذكر.

ولما رأى أنهم أحبط بهم، سبق الناس إلى السلطان أبي عنان فرعى ساقته وقلده عمل درعة، فاضططع بها مدة خلافته ونادكت له أيام ولاليته مع عرب العقل وصلة وعهد ضرب بهما في مؤاخذتهم بهم.

وكان السلطان أبو عنان عند خروج أخيه أبي الفضل عليه لحقه بجيل ابن حيدى من معاقل درعة، أوعز إليه بان يعمل الخليفة في القبض عليه، فداخل ابن حيدى ووعده وبذل له فاجاب وأسلمه وقاده عبد الله بن مسلم أسريراً إلى أخيه السلطان أبي عنان فقتله.

ولما استولى السلطان أبو سالم رفيق أبي الفضل في مثوى اغترابهما بالأندلس على بلاد المغرب من بعد مهلك السلطان أبي عنان، وما كان أثره من الخطوب، وذلك آخر سنة ستين وسبعينة خشية ابن مسلم على نفسه، ففارق ولاليته ومكان عمله وداخل أولاد حسين أمراء العقل في النجاة به إلى تلمسان فأجادبه، ولحق بالسلطان أبي حمو في ثورة من المال وعصبة من العشير وأولياء من العرب، فسر بمقدمه وقلده لخيه وزارته وشد به أواخسي سلطانه، وفرض إليه تدبير ملكه، فاستقام أمره وجع القلوب على طاعته ونجأها بالعقل من مواطنهم الغربية، فاقبلوا إليه وعكفوا على خدمته وأفعظمهم مواطن تلمسان وأخني بينهم وبين زبغة، فعلا كعبه واستفحلا أمره، واستقامت رياسته إلى أن كان من أمره ما ذكره إن شاء الله تعالى والله تعالى أعلم.

**الخبر عن استيلاء السلطان أبي سالم على تلمسان ورجوعه إلى المغرب بعد أن ولى عليها أبي زيان حاكم السلطان أبي تاشفين وما آل أمره**

لما استورس للسلطان أبي سالم ملك المغرب وحا أثره الخوارج على الدولة، سما إلى امتداد ظله إلى أقصى تحوم زناته كما كان لأبيه وأخيه، وحركه إلى ذلك ما كان من فرار عبد الله

وأبو حمو ومن معهم واستباحوهم.

وطار الخبر إلى تلمسان واختلفت آراء من كان بها من بني مرین، ويدا ما كان في قلوبهم من الرض لغلب الحسن بن عمر على سلطنتهم ودولتهم، فتحيزوا زرافات مليابة بعض الأعياص من آل عبد الحق.

وفطن الوزير مسعود بن رحو لما دبروه، وكان في قلبه مرض من ذلك فاغتنمتها وبايع لمص收受 سليمان بن منصور بن عبد الواحد بن يعقوب بن عبد الحق كبير الأعياص المفرد بالجلة.

وارحل به ويقومه من بني مرین إلى المغرب، وتحفظ عن تلمسان وشأنها واعتبرهم عرب العقل في طريقهم إلى المغرب، ف الواقع بهم بني مرین وصمموا الطيبيهم، ورجع السلطان أبو حمو إلى تلمسان، واستقر بحضرته ودار ملكه، ولحق به عبد الله بن مسلم فاستورزه واستقام إليه فاشتد به أزره وغلب على دولته كما ذكره إلى أن هلك، والبقاء لله وحده.

**الخبر عن مقدم عبد الله بن مسلم من مكان عمله بدرعة ونزوعه من إيالة بني مرین إلى أبي حمو وتقلديه إيه الوزارة وذكر أوليته ومصائر أمره**

كان عبد الله بن مسلم هذا من وجوه بني زرداد من بني بادين إخوة بني عبد الواد وتوجين ومصاب، إلا أن بني زرداد اندرجا في بني عبد الواد لقتلهم واختلطوا بنسبيهم، ونشأ عبد الله بن مسلم في كفالة موسى بن علي لعهد السلطان أبي تاشفين مشهوراً بالبسالة والإقدام، طار له ذكر وحسن بلاه في حصار تلمسان.

ولما تغلب السلطان أبو الحسن على بني عبد الواد وابتزهم وملكلهم واستخدمهم، وكان يتقى أولى الشجاعة والإقدام منهم، فيرمي بهم ثغور المغرب، ولا اعترض بني عبد الواد ومر به عبد الله هذا ذكر له شأنه ونعت بيساه، فبعثه إلى درعة واستورصى عاملها به، فكان له عنه غناء في موقعه مع خوارج العرب بلاد حسن، جذب ذلك بضعيته، ورقى عند السلطان متزلته، وعرفه على قومه.

ولما كانت نكبة السلطان أبي الحسن بالقيروان ومرج أمر

أبناء وزرائهم مباعداً لولد السلطان أبي الحسن واحداً بعد آخر كما نذكره عند ذكر أخبارهم إن شاء الله تعالى.

### الخبر عن قدوم أبي زيان ابن السلطان أبي سعيد من المغرب لطلب ملكه وما كان من أحواله

كان أبو زيان هذا، وهو محمد بن السلطان أبي سعيد عثمان بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن، لما تقبض عليه مع عمه أبي ثابت وزيرهم يحيى بن داود بيجاية من أعمال الموحدين، وسيقرا إلى السلطان أبي عنان، فقتل أبي ثابت وزيره واستبقى محمدًا هذا وأودعه السجن سائر أيامه، حتى إذا هلك واستوسق أمر المغرب لأخيه أبي سالم من بعد خطوب وأهوال يأتي ذكرها، امتن عليه السلطان أبو سالم وأطلقه من الاعتقال ونظمه بمجلسه في مراتب الأعيان وأعده لزواجه ابن عممه.

وحدث بينه وبين السلطان أبي حمو سنة اثنين وستين وسبعينة بين يدي مهلكة نكراه بعد مرجعه من تلمسان، ومرجع أبي زيان حافظ السلطان أبي تاشفين من بعده، فتحقق السعي فيما نصبه له، وسمى له في أبي زيان هذا أمل أن يستأثر بذلك أبيه، ورأى أن يحسن الصنيع فيه فيكون فتية له، فأعطيه الآلة ونصبه للملك، ويعشه إلى وطن تلمسان، وانتهى إلى نازى ولحنه الخبر هناك بهلك السلطان أبي سالم.

ثم كانت فتن وأحداث ذكرها في محلها.

وأجلب عبد الخليم بن السلطان أبي علي بن السلطان أبي سعيد بن يعقوب بن عبد الحق على فاس، واجتمع إليه بنو مرين ونازلوا البلد الجديد.

ثم انقض جهمهم ولحق عبد الخليم بنازى كما ذكره في موضعه إن شاء الله تعالى.

ورجا من السلطان أبي حمو المظاهرة على أمره فراسله في ذلك واشترط عليه كبح ابن عمه أبي زيان فاعتقله مرضاه له، ثم ارتحل إلى سجلماسة كما ذكره بعد ونازله في طريقه أولاد حسين من العقل محلهم وأحيائهم فاستغل أبو زيان ذات يوم المتوكلين به، ووثب على فرس قائم حذاءه وركضه من معسكته عبد الخليم إلى حلة أولاد حسين مستجيرًا بهم، فأجراوه.

ولحق بيبي عامر على حين، وجفوة كانت بين السلطان أبي هو وبين خالد بن عامر أميرهم ذهب لها معاشيها، فأجلب به على

بن مسلم إلى تلمسان بجيابة عمله، فاجمع أمره على النهوض إلى تلمسان وعسكر بظاهر فاس متصرف إحدى وستين وسبعينة ويعث في الحشود فتوافت بيابه وأكملت.

ثم ارتحل إليها، وبلغ الخبر إلى السلطان أبي حمو وزيره عبد الله بن مسلم فنادوا في العرب من زغبة والعقل كافة فأجابوهم إلا شرذمة قليلة من الأحلاف، وخرجوا بهم إلى الصحراء ونازل حلهم ب العسكرية.

ولما دخل السلطان أبو سالم وبين مرين تلمسان خالفوهم إلى المغرب فنازلوا وطاط وبلاط ملوية وكرسيف، وحطموا زروعها وانفسفو أقواتها وخربوا عمرانها.

وبيل السلطان أبي سالم ما كان من صنيعهم، فاهمه أمر المغرب وأجلاب المقدسين عليه.

وكان في جملته من آل يغمراسن محمد بن عثمان بن السلطان أبي تاشفين ويكتن سامي زيان، ويعرف بالقبي ومعناه العظيم الرأس فدفعه للأسر وأعطاه الآلة وكتب له كتبية من توجين وغرواوة كانوا في جملته، ودفع إليه أعطيائهم وأنزله أبيه بتلمسان وإنكما راجعاً إلى حضرته، فأجلبت العرب والسلطان أبو حمو أمامه وخالفوه إلى تلمسان فأجلب عنها أبو زيان وتحيز إلى بيبي مرين بأصار الشرق من البطحاء ومليانة وهران وأوليائهم من بيبي توجين وسويدي من قبائل زغبة ودخل السلطان أبو حمو وزيره عبد الله بن مسلم إلى تلمسان، وكان صغير بن عامر هلك في مذهبهم ذلك.

ثم خرجوا فيمن إليهم من كافة العرب العقل وزغبة في اتباع أبي زيان ونازلوا بجبل وانشريش فيمن معه إلى أن غلبه عليه وانقض جمعه، ولحق بعكانه من إالية بيبي مرين بفاس.

ورجع السلطان أبو حمو إلى معاقل وطنه يستنقذها من ملكة بيبي مرين، فافتتح كثيرها وغلب على مليانة والبطحاء.

ثم نهض إلى وهران ونازلا إيماناً واتحتمها غلاباً، واستلحتم بها من بيبي مرين عدداً.

ثم غلب على المدينة والجزائر، وازعج عنها بيبي مرين فلحقوا بأوطانهم.

وبعث رسلاً إلى السلطان أبي سالم فقد معه السلم ووضعوا أوزار الحرب.

ثم كان بهلك السلطان أبي سالم سنة اثنين وستين وسبعينة، وقام بالأمر من بعده عمر بن عبد الله بن علي من

لما وادى الطلب بملکه، ووافق ذلك نفرة استحکمت بين السلطان أبي حم وأحمد بن رحو بن غامٰن كبر أولاد حسين من المعقل بعد أن كانوا فیته له ولوزيره عبد الله بن مسلم، فاغتثها عمر بن عبد الله وخرج أبو زيان محمد بن عثمان سنة خمس وستين وسبعيناً فنزل في حل المعلم بملوكه.

ثم نهضوا إلى وطن تلمسان وارتاد السلطان أبو حي مخالد  
بن عامر أمير بي عامر فتقبض عليه وأودعه المطبع، ثم سرح  
وزيره عبد الله بن مسلم في عساكر بيبي عبد الرواد والعرب،  
فاحسن دفاعهم وانتصروا على جورهم ورحلهم إلى ناحية الشرق،  
وهو في اتباعهم إلى أن نزلوا بالمسيلة من وطن رياح، وصاروا في  
جوار الدواودة.

ثم نزل بالوزير عبد الله بن مسلم داء الطاعون الذي عاود  
أهل العمran عامتد من بعد ما أهلكهم سنة سبع وأربعين  
وسعمانة قبلها، فانكنا به ولده وعشيه راجعين، وهلك في طريقه  
وأوصلوا شلوه إلى تلمسان فدفن بها.

وخرج السلطان أباً حمر لدافعة عدوه وقد فتَّ مهلك عبد الله في عضده.

ولما انتهى إلى البطحاء وعسكر بها، ناجزته جموع السلطان أبي زيان الحرب وأطلت راياته على المعسكر فدخل عليهم العرب وانقضوا، وأعجلهم الأمر عن أفيتهم وأزوردهم، فتركوه هاربين وانقضوا وتسلل أبو حمر يغلي النجاة إلى تلمسان وأضرب أبو زيان فسطاطه بمكان معسكته، وسابقه أمد بن رحو أمير العقل إلى منياته فلتحق بسيك وكر إليه السلطان أبو حمر فيمن معه من خاصته، وصدقه الدفاع فتكا به فرسه وقطع رأسه.

ولحق السلطان أبو حمر بحضوره وارتحل أبو زيان والعرب  
فـ، اتاعه إلهـ، أن نازـلـا بـتلـمسـانـ أناـماـ.

وحدثت المنافسة بين المعلم وزبنته، وأسف زبغة استبداد المعلم عليهم وإنفراد أولاد حسین برأي السلطان دونهم، فاغتنمتها أبو حمزة الطلاق أمیرهم خالد بن عامر من عبشه، وأخذ عليه المؤمن من الله ليختزلن الناس عنه ما استطاع، وليرجعن بقومه عن طاعة أبي زيان وليفرقن جروحه، فوفى له بذلك ونفس عليه المحن وتفرقت أحزابهم ورجع أبو زيان إلى مكانه من إيلاء بني مرين واستقام أمر السلطان أبي حمزة وصلحت دولته بعد الاتيات، إلى أن كان من أمره ما نذكره إن شاء الله تعالى.

وسرح إليهم السلطان أبو حمو عسكراً فشردهم عن  
تلمسان.  
ثم بذل المال لخالد بن عامر على أن يقصيه إلى بلاد رياح،  
ففعل وأوصله إلى بلاد الدواودة فأقام فيه.

ونهض إليه الوزير عبد الله بن مسلم في عساكر بني عبد الواد وحشود العرب وزناته فأيقن أبوالليل بالغلب وبذل له الوزير المال وشرط له التناخي عن وطنه على أن يرجع عن طاعة أبي زيان ففعل، وانصرف إلى مجاهدة ونزل على المولى أبي إسحاق ابن مولانا السلطان أبي يحيى أكرم نزل، ثم وقعت المراسلة بينه وبين السلطان أبي حرو وقتي المهادنة وانعقد السلم على إقصاء أبي زيان عن مجاهدة المتأخرة لوطنه، فارتخل إلى حضرت تونس.

ولقاء الحاج أبو محمد بن تافراين، قيوم دولة الحفصيين  
لذلك العهد من المبرة والترحيب وإثناء الجرأة به، وترفع المزالة  
بما لم يعهد بمنه من الأعياض.

الخبر عن قدوم أبي زيان حافظ السلطان  
أبي تاشفين ثانية من المغرب إلى تلمسان

لطلب ملكها وما كان من أحواله

كان العرب من سويد إحدى بطون زغبة فيلة لبني مرiven وشيعة من عهد أميرهم عريف بن يحيى مع السلطان أبي الحسن وابنه أبي عنان، فكانوا عند بني عبد الواد في عداد عدوهم من بني مرiven مع صاغية الدولة لبني عامر أقفالهم، فكانوا متابعين لبني عبد الواد آخر الأيام، وكان كبرهم وزنمار بن عريف أوطن كرسيف في جوار بني مرiven، مذ مهلك السلطان أبي عسان، وكان مرموقاً لديهم بعن التجلة يرجعون إلى رأيه ويستبعون إلى قوله.

وأهمه شأن إخوانه في موطنهم ومع أقفالهم بني عامر، فاعزم على نقض الدولة من قواuderها، وحمل صاحب المغرب عمر بن عبد الله على أن يسرح محمد بن عثمان حاقد أبي تاشفين

## الخبر عن حركة السلطان أبي حمو على

### ثغور المغرب

كان وزمار من عريف متولي كبر هذه الفتن على أبي حمو، ويعد الأعياص عليه واحداً بعد واحد، بما كان بينهم من العداوة المتصلة كما قدمناه.

وكان منزله كرسيف من ثغور المغرب.

وكان جاره محمد بن زكدان كبير بني علي من بني ونكاسن الموطنين بجبل دبدو، وكانت أيديهما عليه واحدة فلما سكن غرب الثوار عنه وأزاحهم عن وطنه إلى المغرب، وانعقد سلمه معهم، رأى أن يغزو هذين الأميرين في ثغورهما، فاعتقل الحرفة إلى المغرب فاتح سنة ست وستين وسبعينة وانتهى إلى دبدو وكرسيف، وأغفل وزمار وامتنع بمقابل الجبال، فانتهب أبو حمو الزروع وشمل بالتخريب والبيث سائر النواحي.

وقصد محمد بن زكدان أيضاً في معقل دبدو فامتنع بمحصنه الذي اخذه هناك، وعاج عليه أبو حمو برراكابه، وجاس خلال وطنه، وشمل بالتخريب والبيث نواحي بلده، وإنقاضاً إلى حضرته، وقد عظمت في تهوم بني مرین وثغرهم تكايته، وثقلت عليهم وطأته، وانعقدت بينهما تعديل المهادنة والسلم.

انصرف عزائمه إلى بلاد إفريقيا، فكانت حركته إلى بجاية من العام الم قبل ونكتبه عليها كما نذكره إن شاء الله تعالى.

## الخبر عن حركة السلطان أبي حمو إلى بجاية

### ونكتبه عليها

كان صاحب بجاية المولى الأمير أبو عبد الله لما استولى عليها وعادت إليه العودة الثانية سنة خمس وستين وسبعينة كما ذكرناه في أخباره، زحف بعدها إلى تدلس، فغلب عليها بني عبد الواد، وأنزل بها عاملة وحاميته.

ثم أظلم الجرو بينه وبين صاحب قسنطينة السلطان أبي العباس بن عمه الأمير أبي عبد الله لما جرت بينهم المعاشرة في العمارات، فشتلت بينهما فتن وحروب شغل بها عن حياة تدلس، والحق عليها عساكر بني عبد الواد بالحصار.

وأحيط بها فاوقد رسله على السلطان أبي حمو صاحب تلمسان في المهادنة على التزول له عن تدلس، فقسمها أبو حمو وأنزل بها حاميته وعقد معه السلم وأصهر إليه في أبنته فاجبة،

وزفها إليه فللقها قبيله وزرارة بأخر عملهم من حدود بجاية.  
وفرغ صاحب بجاية لشأنه، وكان أثناء الفتنة معه قد بعث إلى ترنس عن أبي زيان ابن عمه السلطان أبي سعيد لينزله بتدلس، ويشغل به السلطان أبي حمو عن فتنته.

وكان من خبر أبي زيان هذا أنه أقام بتونس بعد مهلك الحاجب أبي محمد بن تافراوين كما ذكرناه إلى أن دس إليه مرضى القلوب من مشيخة بني عبد الواد بتلمسان بالأجلاب على السلطان أبي حمو.

ووعدوه عن أنفسهم الجروح معه، فقضى إليها واعتها وارتحل بريد تغورم تلمسان وعمل بجاية.

ومر بقسطنطينة فتجانى عن الدخول إليها، وتذكر لصاحبتها، وبلغ خبره السلطان أبي العباس صاحبها يومئذ فاجمع أمره في صده عن وجهه، وحبسه بقسطنطينة وانصلت الفتنة بينه وبين ابن عمه صاحب بجاية، وكان شديد الولطة على أهل بلده مرهف الحد لهم بالعقاب الشديد، حتى لقد ضرب أعناق خسين منهم قبل أن يستكمل ستين في ملكه، فاستحكمت التفرقة وسامت الملكة، وأفضل الداء وفزع أهل البلد إلى مداخلة السلطان أبي العباس في استتقاذهم من ملكة العصف والملائكة، بما كان أتيح له من الظهور على أميرهم، فنهض إليها آخر سنة سبع وستين وسبعينة ويزر الأمير أبو عبد الله للقاء بليرو الجليل المطل على تاكررت وصبه الأمير أبو العباس بمعسكره هنالك، فاستولى عليه وركض هو فرسه ناجياً بنفسه.

ومررت الجند تعدادي في أثره حتى ادركوه، فأحاطوا به وقتلوه عصباً بالرماح عفا الله عنه.

وأجاز السلطان أبي العباس إلى البلد فدخلها متصرف يومه

لعشرين من شعبان، ولاؤ الناس به من دهش الواقعه وغضروا بدعونه، وأنوه طاعتهم، فانigliaت الغيبة واستقام الأمر، وبلغ الخبر إلى السلطان أبي حمو فاظهر الامتعاض لهلكه والقيام بشأله ويسر من ذلك حسوا في ارتقاء ونهض بغير الأمم إلى بجاية من العرب وزنانة والخشد حتى أتاها بها وملأ بخيامه الجهات بساحتها، وجنح السلطان إلى مبارزته، فتمسك به أهل البلد ولاذوا بمقامه فأسعفهم وطير البريد إلى قسنطينة، فأطلق أبي زيان من الاعتقال وسرقه الملابس والراكب والآلة، وزحف به مولاه بشير في عسكر إلى أن نزل حناء عسکر أبي حمو واضطربوا فحلتهم بسفح بيبي عبد الجبار وشنوا الغارات على عسکر أبي حمو صباح ومساء لما كان غي إليهم من مرض قلوب جنده والعرب الذين معه.

## الخبر عن خروج أبي زيان بالقاصية الشرقية من بلاد حصين وتغلبه على المدية والجزائر ومليانة وما كان من الحروب معه

لما انهزم السلطان أبو حمو بساحة بجاية عشى يومه من أوائل ذي الحجة، خاتم سبع وستين وسبعينة قرع الأمير أبو زيان طبلوه واتبع أثره، وانتهى إلى بلاد حصين من زغبة.

وكانوا سنتين من المضيمة والعنف إذا كانت الدول تحريرهم عري الرعايا العتيدة في المقرن، وتعذر بهم عن سبيل إخراجهم من زغبة أمامهم ووراءهم فارتکبوا صعب الشناق لغبة العز وبايعوه على الموت الآخر ووثقوا بمعتصمهم من جبل تيطري أن دهمتهم عسكر السلطان.

ثم أجلبوا على المدية وكان بها عسكر ضخم للسلطان أبي حمو لنظر وزرائه: عمران بن موسى بن يوسف، وموسى بن برغوث، ووادفل بن عبو بن حماد، ونازلوهم أياماً ثم غلبوهم على البلد.

وملكها الأمير أبو زيان ومن على الوزراء ومشيخة بنى عبد الرواد وترك سيلهم إلى سلطانهم، وسلك العالية في سيل حصين في التجافي عن ذل المقرن، فاعطوه يد الطاعة والانتقاد للأمير أبي زيان، وكانت في نفوس أهل الجزائر نفرة من جور العمال عليهم، فاستعملهم بها سالم بن إبراهيم بن نصر أمير العالية إلى طاعة الأمير أبي زيان ثم دعا أبو زيان أهل مليانة إلى ملتها فأجلبوا. واعتمل السلطان أبو حمو نظره في الحركة الخامسة لرأيه، فبعث في العرب وبذل المال، وأقطع البلاد على اشتتطاط منهم في الطلب.

ونحرك إلى بلاد توجين ونزل قلعة ابن سلامة سنة ثمان وستين وسبعينة يحاول طاعة أبي بكر بن عريف أمير سويد. فلم يلبث أن اخترف أيضاً عنه خالد بن عامر ولحق بأبي بكر بن عريف، واجتمعوا على الخلاف عليه وتفض طاعته. وشنوا الغارة على معسكره، فاضطرب وأجلبوا وانتهت محلاته وأنقاله، ورجع إلى تلمسان.

ثم نهض إلى مليانة فافتتحها، ويعث إلى رياح على حين طاعتهم إليه من يعقوب بن علي بن أحمد وعثمان بن يوسف بن سليمان بن علي أميري الدواودة لما كان وقع بينهما وبين السلطان مولانا أبي العباس من النفرة، فاستنهضوه للحركة على الأمير أبي

وبدا للسلطان أبي حمو ما لم يختسب من امتعاتها، وكان قد تقدم إليه بعض سماسرة الفتن وبعد على لسان المشيخة من أهل البلد أطعمه فيها، ووثق بأن ذلك يعنيه عن الاعتداء، فاستيق إليها وأنقل الحزم فيما دونها، فلما امتنعت عليه أطبق الجبو على معسكته وفسدت السابلة على العبر للميرية، واستحكم الزبون في أحياه معسكته بظهور العدو المساهم في الملك.

وبتادرت رجالات العرب من سوء المغبة وسيطرة السلطان، فتمشوا بينهم في الانقضاض وتحمّلوا لذلك وقت المقاومة، وكان السلطان لما كذبه وعد المشيخة أجمع قاتلهم، وأمر بضرب الفساطيط مضائقه للأسوار، متسنة وعرأ من الجبل لم يرضه أهل الرأي.

وخرج رجال البلد على حين غفلة فجاولوا من كان بتلك الأخبية من المقاتلة فانهزموا أمامهم وتركوها بأيديهم ففرزقوها بالسيوف.

وعاين العرب على بعد انتهام الفساطيط فأجلبوا وإنقض المعسكر بآجمعه.

وحمل السلطان أبو حمو أنقاله للرحلة ثم اجهدو عنها فتركها، وانتهت مخلفه أجمع.

وتصابع الناس بهم من كل حدب، وضاقت المسالك من ورائهم وأمامهم، وكظلت بزحامهم، وتواقعوا بخوبهم، فهملك الكثير منهم وكانت من غرائب الواقعات، تحدث الناس بها زماناً وسيقت خططياره إلى بجاية، واستثار منهان الأمير أبو زيان بمحظيته الشهيرة ابنة يحيى الرازي، ينسب إلى عبد المؤمن بن علي.

وكان أصهر فيها إلى أبيها أيام تقلبه في الاغتراب ببلاد الموحدين كما سبق، وكانت أعلى بقلبه من سواه، فخرجت في مقام الأمير أبي زيان.

ونخرج عن موقعتها حتى أوجده أهل الفتيا السبيل إلى ذلك مجيت زعموا وقع من السلطان أبي حمو في نسائه.

وخلص السلطان أبو حمو من هوة ذلك العطب بعد غصة الريح، ونجا إلى الجزائر لا يكاد يرد النفس من شناعة ذلك الهول. ثم خرج منها ولحق بتلمسان، واقتعد سرير ملكه واشتدت شوكة أبي زيان ابن عمه، وتغلب على القاصية واجتمعت إليه العرب، وكثير تابعه.

وزاحم السلطان أبي حمو بتلك الناحية الشرقية سنتين تباعاً ذكر الآن أجيالها، إن شاء الله تعالى.

زيان وبعدها إلى مجاهة.

وحضناها له طاعة البدو من رياح، وبعثوا إليه ذمتهم على ذلك فردها ونقاً بهم، ونهض من تلمسان وقد اجتمع إليه الكثير من عرب زغبة.

ولم يزل أولاد عريف بن يحيى وخالد بن عامر في أحياهم متهرفين عنه بالصحراء. وصم إلهم فأجللوا أمامه، وقصد المخالفين من حسين والأمير أبي زيان إلى معتصمهم بجبل تيطري.

وأخذ إلى السير يعقوب بن علي وعشمان بن يوسف من معهم من جموع رياح حتى نزلوا بالقطعة حذام.

وبادر أولاد عريف وخالد بن عمر إلى الدواودة ليشردوهم عن البلاد قبل أن تصل يد السلطان بيدهم، فسبحورهم يوم الخميس آخريات ذي القعدة من سنة تسع وستين وسبعينة ودارت بينهم حرب شديدة، وأجلل الدواودة أولًا ثم كان الظهور لهم آخرًا.

وقتل في المعركة من زغبة عدد، ويشروا من صدهم عما جاؤوا إليه، فانطفوا إلى حسين والأمير أبي زيان، وصعدوا إليهم بناجتهم، وصاروا لهم مددًا على السلطان أبي حمو، وشنوا الغارة على معسكته، فضمدوا نخوه وصدقه القتال، فاختل مصافه، وأنهزمت عساكرة، ونجا بنفسه إلى تلمسان على طريق الصحراء. وأجلل الدواودة إلى وطنه، وتحيز كافة العرب من زغبة إلى الأمير أبي زيان، واتبع آثار المنهزمين، ونزل بسيرات.

وخرج السلطان أبو حمو في قومه ومن بقي معه من بني عامر. وقدم خالد إلى مصادمه فقله السلطان وأجلل القوم من ورائه.

ثم تلطف في مراساته وبذل له المال وأوسع له في الاشتراط فزع إليه والتبس بخدمته، ورجع الأمير أبو زيان إلى أوليائه من حسين متسلكًا بولاية أولاد عريف.

ثم نزع محمد بن عريف إلى طاعة السلطان، وضمن له العدول بأبيه عن مذاهب الخلاف عليه، وطال سعيه في ذلك، فاتهمه السلطان وحمله خالد بن عامر عدوه على نكتبه، فتقبض عليه وأودعه السجن.

واستحكمت نفحة أخيه أبي بكر، ونهض السلطان بقومه وكافة بني عامر إليه سنة سبعين وسبعينة واستغلظ أمر أبي بكر

لجموح الحارث من بني مالك ومن وراءهم من حسين، واعتصموا بالجبال من دراك وتيطري، ونزل السلطان بجموعه لعود بلاد الدياليم من الحرب، فانتسفها والتهمها وحطمت زروعها ونهب مدابرها.

وامتنع عليه أبو بكر ومن معه من الحارث وحسين والأمير أبي زيان بينهم، فارتخل عنهم وعطف على بلاد أولاد عريف وقوتهم من سويد فملأها عياث، وخرق قلعة ابن سلامة لما كانت أحسن أوطانهم.

ورجع إلى تلمسان وهو يرى أن كان قد شفا نفسه في أولاد عريف، وغلبهم على أوطانهم، ورجع عليهم منزلة عدوهم، فكان من لحاق أبي بكر بالمغرب وحركة بني مرين ما ذكره.

### الخبر عن حركة السلطان عبد العزيز على تلمسان واستيلائه على تلمسان واسْتِيلَاهُ عَلَى تلمسان

وبني عامر بالدوسن من بلاد الزاب  
وخرج أبو زيان من تيطري إلى أحياه  
رياح

لما تقبض أبو حمو على محمد بن عريف وفرق شمل قومه سويد، وعادت في بلادهم أجمع، رأى أخيه الأكبر أبو بكر على الصريخ بملك المغرب.

فارتخل إليه بناجته من بني مالك أجمع من أحياه سويد والدياليم والعطاف حتى احتل بسائط ملوية من تحوم المغرب.

وسار إلى أخيه الأكبر وزنمار بمقره من قصر مرادة الذي اختصه براجع وادي ملوية في ظل دولة بني مرين تحت جوارهم لما كان ملاك أمرهم بيده، ومصادرهم عن آرائه خطبة ورثها عن أبيه عريف بن يحيى مع السلطان أبي سعيد وابنه أبي الحسن وابنه أبي عنان.

فتقبل ملوك المغرب مذاهب سلفهم فيه، وتنروا برائيه واستنتموا إلى نصيحته.

فلما قدم عليه أخيه أبو بكر مستجيحاً بملك المغرب، واعتبره باعتقال أخيه الآخر محمد، قدح عزائم، وأوفد أخيه أبي بكر ومشيخة قومهم من بني مالك على السلطان عبد العزيز ابن السلطان أبي الحسن منصرفه من افتتاح جبل هشاته، وظفره بعامر بن محمد بن علي النازع إلى الشناق في معتصمه، فلقوه في طريقه

واستوثق به ملكه وانزاح عنده عدوه، ولم يبق به يوماً إلا ضرمة من نار الفتنة ببلاد مغراوة يوعد من ولد علي بن راشد، سخط خالد في الديوان ولحق بجبلبني سعيد واعتصم به فجر السلطان الكتاب لحصاره، وسرح وزيره عمر بن مسعود لذلك كما ذكرناه في أخبار مغراوة واحتقر شأنه.

وأوفدت أنا عليه يوماً مشيخة الدواودة، فأوسعهم حباً وكراهة، وصدروا مملوقةً حقائبهم خالصة قلوبهم منطلقة بالشكراً استهتم.

واستمر الحال إلى أن كان ما ذكره إن شاء الله تعالى والله تعالى أعلم.

### الخبر عن اضطراب المغرب الأوسط

ورجوع أبي زيان إلى تيطري وأجلاب أبي  
هو على تلمسان ثم انهزامهما وتشريدهما  
على سائر التواحي

كان بنو عامر من زغبة شيعة خالصة لبي عبد الراد مد أول أمرهم، وخلص سعيد لبني مرين كما قدمناه، فكان من شأن عريف وبنيه عند السلطان أبي الحسن وبنيه ما هو معروف.

فلا استريح أحياهم بالدوسرى مع أبي هو، ذهبوا في القفر إشقاً وياساً من قبول بني مرين عليهم لكان ون Zimmerman بن عريف وإن كانوا من الدولة، فلحدثوا على سلطانهم أبي هو يتقلبون معه في القفار.

ثم نزع إليهم رحو بن منصور فimin طاعه من قومه عبيد الله من المعلم.

وأجلبوا على وجدة فاضطرم للتفاق على الدولة ناراً، وخشى حسين محبة أمرهم مع السلطان بما اتسموا به من الشفاق والعناid، فمدوا أيديهم إلى سلطانهم أبي زيان، وأوفد مشيختهم لاستدعائهم من حلة أولاد يحيى بن علي فاحتل بينهم وأجلبوا له على المدينة فملکوا نراحيها، وامتنع عليهم مصرها، واستمر الحال على ذلك واضطرب المغرب الأوسط على السلطان، وانتقضت به طاعته وسرح الجيوش والساكرا إلى قتال مغراوة وحسين، واجتمع مع أبو هو وبنو عامر على قصده تلمسان حتى إذا احتلوا قابياً منها دس السلطان عبد العزيز بعض شيعته إلى خالد بن عامر ورثبه في المال والحظ منه، وكان أبو هو قد أسفه

ولقاهم مبرة وتكرمة واستصرخوه لاستقاذ أحبيهم فأجاب صريخهم، ورغبوه في ملك تلمسان وما وراءها، فوافق صاغيته إلى ذلك بما كان في نفسه من الوجدة على السلطان أبي هو بقبوله كل من يتبع إليه من عربان المعلم أشياع الدولة وبدوها، وما كان بعث إليه في ذلك، وصرف عن استماعه، فاعترض على الحركة إلى تلمسان، والقى زمامه بيد ون Zimmerman وعسكر بساحة فاس.

وبعث الحاشدين في الثبور والتواحي من المغرب، فتوافت الحشود ببابه، وارتجل بعد قضاء السنك من الأضحى سنة إحدى وسبعين وسبعيناً واتصل الخبر بالسلطان أبي هو وكان مسكنراً بالبطحاء، فانكفأ راجعاً إلى تلمسان، فبعث في أوليائه من عبيد الله والأحلاف من عرب المعلم، فقسموا عن إجاجاته ونزعوا إلى ملك المغرب، فأجتمع رأيه على التحiz إلى بني عامر وأجفل غرة المحرم سنة اثنين وسبعين وسبعيناً واتصل السلطان عبد العزيز تلمسان في يوم عاشوراء بعدها وأشار ون Zimmerman بن عريف بتسرير العساكر في اتباعه، فسرح السلطان وزيره أبي بكر بن غازى بن الكاس حتى انتهى إلى البطحاء.

ثم لحق به هناك ون Zimmerman وقد حشد العرب كافة، وأخذ السير في اتباع السلطان أبي هو وبني عامر، و كانوا قد أبعدوا المذهب، وزلوا على الدواودة وسرحني إليهم يوماً تلمسان عبد العزيز يحملهم على طاعته، والدول بهم عن صحابة بني عامر وسلطانهم.

وسرح فرج بن عيسى بن عريف إلى حصن لاقضاء طاعتهم واستدعاء أبي زيان إلى حضرته، أو بندهم عهده، وانتهيا جميعاً إلى أبي زيان ففارقته أوليائه، ولحق بأولاد يحيى بن علي بن سباع من الدواودة، وانتهيت أنا إليهم فخفظت عليهم الشأن في جواره لما كانت مرضاة السلطان، وحضرتهم شأن أبي هو وبني عامر، وأوفدت مشيختهم على ون Zimmerman والوزير أبي بكر بن غازى فدلولهما على طريقه، وأخذوا السير وبيتهم بمزرطم على الدوس آخر عمل الزاب من جانب المغرب فقضوا جورهم، وانتهيا جميع معسكر السلطان أبي هو بأموالهم وأمتعته وظهره.

ولحق قلهم عصاب ورجعت العساكر من هناك، فسلكت على قصور بني عامر بالصحراء قبلة جبل راشد التي منها ربا ولوون سمعون وما إليها فانتهيا وخربرها وعاثروا فيها وانكفروا راجعين إلى تلمسان.

وفرق السلطان عماله في بلاد المغرب الأوسط من وهران ومليانة والجزائر والمدية وجبل وانشيرش.

## الخبر عن عودة السلطان أبي حمود الآخر إلى تلمسان الكرة الثالثة لبني عبد الواد في الملك

ما هلك السلطان عبد العزيز ورجع بنو مرiven إلى المغرب، نصروا من أعياص بني يغمراسن لدافمة أبي حمود من بعدهم عن تلمسان، إبراهيم بن السلطان أبي تاشفين، كان ناشطاً بدولتهم منذ مهلك أبيه.

وسلل من جلتهم عطية بن موسى مولى السلطان أبي حمود وخالفهم إلى البلد غادة رحيلهم، فقام بدعاوة مولاهم ودائع إبراهيم بن تاشفين عن مرامة، وبلغ الخبر أولياء السلطان أبي حمود من عرب المقلع أولاد يغمر بن عبد الله، فطبروا إليه التحبيب على حين غالب عليه اليأس.

وأجمع الرحلة إلى بلاد السودان لما بلغه من اجتماع العرب للحركة عليه كما قلناه، فأغذى السير من مطرح اغترابه.

وساقبه ابنه ولـي عهده في قومه عبد الرحمن أبو تاشفين مع ظهرهم عبد الله بن صغير فدخلوا إلى البلد، وتلاهم السلطان لرابعة من ذخورهم، وعاد سلطانه واقتعد أريكته، وكانت إحدى الغرائب وقبض ساعتها على وزرائه، واتهمهم بمداخلة خالد بن عامر فما نقض من عهده وظاهر عليه عدوه، فأودعهم السجن وذهبهم ليومهم حتفاً عليهم.

واستحكمت لها نفرة خالد وعشيرة، وخلصت ولاية أولاد عريف بن يحيى لنافرة بني عامر إيه، وإقبال السلطان عبد العزيز عليه، ووثق بمكان ونزمار كبيرهم في تسكين عادية ملوك العرب عنه.

ورجع إلى عهيد وطنه، وكان بنو مرiven عند انتصاراتهم إلى مغربهم قد نصروا من أعيال مغراوة، ثم بنى متليل علي بن هارون بن ثابت بن متليل وبعثوه إلى شلف مزاحة للسلطان أبي حمود ونقضاً لأطراف ملكه.

وأجلب أبو زيان ابن عمه على بلاد حصين، فكان من خبره معهما ما نذكره إن شاء الله تعالى.

بمخالطة بعض عشيره وتعقب رايـه برـايـ من لم يسلم إلى خطـه ولم يـرضـ كـفاءـه فـجـعـ إلى مـلـكـ المـغـرـبـ، وـنـزـعـ يـدـهـ منـ عـهـدـ أـبـيـ حـمـودـ، وـسـرـحـ السـلـطـانـ عـبدـ العـزـيزـ عـسـكـرـهـ إـلـىـ خـالـدـ فـأـوـقـعـ بـالـيـ حـمـودـ وـمـنـ كـانـ مـعـهـ مـنـ عـرـبـ عـبـدـ اللـهـ وـبـنـيـ عـامـرـ، وـاتـهـبـ عـسـكـرـهـ وـأـمـالـهـ، وـاحـتـقـبـ حـرـمـهـ وـحـظـيـاهـ إـلـىـ قـصـرـ السـلـطـانـ، وـتـقـبـضـ عـلـىـ مـوـلـاهـ عـطـيـةـ، فـمـنـ عـلـيـهـ السـلـطـانـ وـأـصـارـهـ فـيـ حـاشـيـةـ، وـنـجـاـ بـنـهـ إـلـىـ تـيـكـوـرـارـيـنـ آـخـرـ بـلـادـ الصـحـراءـ، فـتـزـلـ بـهـ مـنـفـرـاـ عـنـ أـهـلـهـ وـحـاشـيـةـ وـوـزـرـائـهـ، وـاـصـفـتـ زـنـاثـةـ عـلـىـ خـدـمـةـ مـلـكـ المـغـرـبـ وـافـقـ هـذـاـ فـتـحـ عـنـ دـلـلـ السـلـطـانـ فـتـحـ بـلـادـ مـغـرـاوـةـ، وـتـغـلـبـ وـزـيـرـهـ أـبـوـ بـكـرـ بـنـ غـازـيـ عـلـىـ جـلـ بـنـ يـوـسـيـ وـتـقـبـضـ عـلـىـ حـمـزةـ بـنـ عـلـيـ رـاشـدـ فـيـ لـهـ مـنـ أـصـحـابـهـ، فـضـرـبـ أـعـنـاقـهـ وـبـعـثـ بـهـ إـلـىـ سـدـةـ السـلـطـانـ، وـصـلـبـ أـشـلـاءـهـ بـسـاحـةـ مـلـيـانـةـ فـتـاظـهـرـ الـفـتـحـ وـاـكـتمـلـ الـظـهـورـ.

وـأـوـزـ السـلـطـانـ إـلـىـ وـزـيـرـهـ أـبـيـ بـكـرـ بـنـ غـازـيـ بـالـهـوـضـ إـلـىـ حـصـينـ، فـنـهـضـ إـلـيـهـ وـخـاطـبـيـهـ وـأـنـ مـقـيمـ بـسـكـرـةـ فـيـ دـعـيـةـ بـأـنـ أـحـشـدـ أـوـلـيـاءـ مـنـ الدـلـاـوـدـ وـرـيـاحـ، وـالـقـنـيـ الـوـزـيـرـ وـالـعـسـاـكـرـ عـلـىـ حـصـنـ تـيـطـريـ، فـنـازـلـاهـ أـشـهـراـ.

ثـمـ اـنـفـضـ جـوـعـهـمـ وـفـرـواـ مـنـ حـصـنـهـ، وـغـزـقـواـ كـلـ مـعـزـقـ، وـذـهـبـ أـبـوـ زـيـانـ عـلـىـ وـجـهـهـ، وـلـحـقـ بـلـادـ وـارـكـلـيـ قـبـلـ الزـابـ بـعـدـهـاـ عـنـ مـنـاـلـ الـجـيـوشـ وـالـعـسـاـكـرـ، فـاجـارـوـهـ وـأـكـرـمـواـ نـزـلـهـ.

وـضـرـبـ الـوـزـيـرـ عـلـىـ قـبـائلـ حـصـينـ وـالـعـالـىـ الـمـغـارـمـ الـقـيـلـيـةـ، فـأـعـطـرـهـاـ عـنـ يـدـ وـبـهـضـمـهـ بـاقـضـانـهـ، وـدـوـخـ قـاصـيـةـ الـثـغـورـ وـرـجـعـ إـلـىـ تـلـمـسـانـ عـلـىـ الـكـعـبـ عـزـيزـ السـلـطـانـ ظـاهـرـ الـيدـ.

وـقـدـ لـهـ السـلـطـانـ بـمـجـلـسـهـ يـوـمـ وـصـولـهـ قـوـدـأـ فـخـمـاـ، وـصـلـ فـيـ إـلـيـهـ، وـأـوـصـلـ مـنـ صـحـبـهـ مـنـ وـفـدـ الـعـربـ وـالـقـبـائلـ فـقـسـمـ فـيـهـ بـرـهـ وـعـنـيـتـهـ وـقـبـلـهـ كـلـ عـلـىـ شـاكـلـهـ.

وـاقـضـىـ مـنـ أـمـرـاءـ الـعـربـ زـغـةـ أـبـنـاءـهـ الـأـعـزـةـ رـهـنـاـ عـلـىـ الطـاعـةـ، وـسـرـحـمـ لـغـزوـ أـبـيـ حـمـودـ مـنـ تـيـكـوـرـارـيـنـ، فـانـظـلـقـواـ لـلـذـلـكـ، وـهـلـكـ السـلـطـانـ عـبدـ العـزـيزـ لـلـيـلـ قـلـاـلـ مـنـ مـقـدـمـ وـزـيـرـهـ، وـعـسـاـكـرـهـ أـوـلـيـاءـ شـهـرـ رـبـيعـ الـآـخـرـ مـنـ سـتـةـ أـرـبـعـ وـسـبـعـيـنـ وـسـبـعـمـائـةـ لـمـرـضـ مـزـمـنـ كـانـ يـقـادـيـ بالـكـتـمـانـ وـالـصـبـرـ مـنـ ظـهـورـهـ.

وـأـنـكـفـ بـنـوـ مـرـivenـ رـاجـعـينـ إـلـىـ عـالـكـهـمـ بـالـمـغـرـبـ بـعـدـ أـنـ بـاـيـعـواـ لـوـلـدـهـ درـاجـاـ حـاسـيـاـ، وـلـقـبـهـ بـالـسـعـيدـ وـجـلـلـوـهـ أـمـرـهـ إـلـىـ أـبـيـ بـكـرـ بـنـ غـازـيـ، فـمـلـكـ أـمـرـهـ عـلـيـهـمـ وـاسـتـمـرـ حـالـهـ كـمـاـ نـذـكـرـهـ فـيـ أـخـبـارـهـ إـنـ شـاءـ اللـهـ تـعـالـىـ.

**الخبر عن أجلاب عبد الله بن صغير  
وانتقام أبي بكر بن عريف ويعتئما  
للأمير أبي زيان ورجوع أبي بكر إلى  
الطاعة**

كان خالد بن عامر وابن أخيه عبد الله بن صغير وسائر إخوانهم من ولد عامر بن إبراهيم قد لحقوا بالغرب صريخاً يبني مرين لا وقع بينهم وبين أبي حمر من الفعلة التي فعل خالد معه. وبش عبد الله بن صغير من صريحهم بما عقد وزمار بن عريف من السلم بين صاحب المغرب وصاحب تلمسان، فخاض القفر معه من قومه ولحق بوطن زغبة، وأجلب على جبل راشد وبه العمور أحلاف سويد من بي هلال فاعتراضتهم سويد ودارت بينهم حرب شديدة، كان الظهور فيها لسويد عليهم. وفي خلال ذلك فسد بين السلطان وبين أبي بكر بن عريف بسبب صاحب جبل واتشريش يوسف بن عامر بن عثمان، أراده السلطان على التزول عن عمله، فقضى له أبو بكر لقديم الصداقة بين سلفهما، ووصل يده بعد عبد الله بن صغير بعد الواقعه. ودعاه إلى بيعة أبي زيان فأجابه وأوفدوا رجالاتهم عليه بمكانه من مجالس رياح، فوصل معهم ونصبوا للأمر، وتحيز محمد بن عريف إلى السلطان في جموع سويد.

ونهض السلطان من تلمسان فاتح سنة سبع وسبعين وسبعينه فین معه من قبائل بي عبد الواد وعرب المقل ورغبة، ودس إلى أولياء أبي زيان يرغبهم في المواعد وحكم أبي بكر في الاشتراط عليه ففاء إلى الطاعة والمخالصه. ورجع أبو زيان إلى مكانه من حل الدواودة، وأخذ السلطان السير إلى حضرته فتملى أريكته، وحدث بعد ذلك ما ذكره إن شاء الله تعالى.

**الخبر عن وصول خالد بن عامر من المغرب  
والحرب التي دارت بينه وبين سويد وأبي  
تاشفين هلك فيها عبد الله بن صغير  
وإخوانه**

لما بلغ خالد بن عامر بمكانته من المغرب خبر عبد الله ابن

**الخبر عن رجوع أبي زيان ابن السلطان أبي  
سعيد إلى بلاد حصين ثم خروجه عنها**

كان الأمير أبو زيان ابن السلطان أبي سعيد، لما هلك السلطان عبد العزيز وبلغ الخبر مبنجاته من واركلي، نهض منها إلى التلول، وأسف إلى الناجعة التي كان مترباً بها مسامحاً لأبي حمر فيها، فاقطعها لدعونه كما كانت، ورجع أهلها إلى ما عرفوا من طاعته، فنهض السلطان أبو حمر لتمهيد نواجهه وتثقيف أطراف ملكه، ودفع الخوارج عن مالكه، وظاهره على ذلك أمير البدو من رغبة أبو بكر ومحمد ابن عريف بن يحيى، دس اليهما بذلك كثيراً وزمار، وأخذهما بمناصحة السلطان وخالصته، فركبا من ذلك أوضح طريق وأسهل مركب.

وبنذ السلطان العهد إلى خالد وعشيرة، فضاقت عليهم الأرض ولحقا بالغرب لسابقة نزوعهم إلى السلطان عبد العزيز. وابتداً السلطان بما ليه، فازعج بظهورهما علي بن هارون عن أرض شلف سنة خمس وسبعين وسبعينه بعد حروب هلك في بعضها آخره رحمن بن هارون. وخلاص إلى مجاهة، فركب منها السفن إلى المغرب، ثم تخطى السلطان أبو حمر إلى ما وراء شلف.

وسفر محمد بن عريف بينه وبين ابن عمه بعد أن نزع إليه الكثير من أوليائه حصين والثعالبة بما بذل لهم من المال، وبما ستموا من طول الفتنة، فشارطه على الخروج من وطنه إلى جيرانهم من رياح على أتاوة تحمل إليه، فقبل ووضع أوزار الحرب، وفارق مكان ثورته، وكان لحمد بن عريف فيها أثر محمود، واستخلف سالم بن إبراهيم كبير الثعالبة المتغلب على بسيط متيجة وبلد الجزائر، بعد أن كان خب في الفتنة، وأوضاع فاقضى له من السلطان عهده من الأمان والولاية على قومه وعمله وقلد السلطان أبيه ثغر أعماله.

فأنزل ابنه بالجزائر لنظر سالم بن إبراهيم من تحت استبداده، وابنه أبي زيان بالمدية، وإنقلب السلطان إلى حضرته بتلمسان بعد أن دوخ قاصيته، وتفق اطراف عمله، وأصلاح قلوب أوليائه واستأله شيعة عدوه، فكان فتحاً لا كفاه له من بعد ما خلص من رقة الملك، وزرع من لبوس السلطان فاتبدأ من قومه ومالكه إلى قاصية الأرض، ونزل في جوار من لا ينفذ أمره ولا يقوم بطاعته. والله مالك الملك يؤتني الملك من يشاء ويعز من يشاء وينزل من يشاء.

ولحق بجبل راشد إلى أن كان من أمره ما نذكره إن شاء  
إله، والله تعالى أعلم.

### الخبر عن انتفاضة سالم بن إبراهيم ومظاهرته خالد بن عامر على الخلاف ويعتدهما للأمير أبي زيان ثم ملك خالد ومراجعة سالم الطاعة وخروج أبي زيان إلى بلاد الجريد

كان سالم بن إبراهيم هذا كبير الثالبة المتغلبين على فحص  
متىجة منذ اقراضاً مليكش، وكانت الرياسة فيهم لأهل بيته  
حسيناً ذكرناه في أخبارهم عند ذكر المقلع.

ولما كانت فتنة أبي زيان بعد نكبة أبي حمو على بجاية،  
وهبت ريح العرب واستغفلوا أمرهم، وكان سالم هذا أول من  
غمس يده في تلك الفتنة، ومكر بعلي بن غالب من بيوتات  
الجزائر، كان مغرياً عنها من لدن تقلببني مرین على المغرب  
الأوسط أيام أبي عنان، ولحق بها عندما أظلم الجسر بالفتنة،  
واستحكمت نفرة أهل الجزائر عن أبي حمو، فأظهر بها الاستبداد  
وأجتمع إليه الأوشاب والطغام.

ونكره سالم أمير الصاحبة لطمعه في الاستيلاء على الجزائر،  
فدخل في شأنه الملا من أهل المدينة، وحضرهم منه أنه يروم  
الدعوة للسلطان أبي حمو، فاستشاطوا نفرة وثاروا به، حتى إذا  
رأى سالم أنه قد أحبط به تخلصه من أيديهم وأخرجه إلى حبه  
وأنفقه هناك.

وحول دعوة الجزائر إلى الأمير أبي زيان تحت استبداده،  
حتى إذا كان من أمر بني مرین وحلّل السلطان عبد العزيز  
بتلمسان ما قدمته، أقام دعوتهما في الجزائر إلى حين مهلكه  
ورجوع أبي حمو إلى تلمسان.

وابتل حيتذ جيش أبي زيان إلى تيطرى، فاقام سالم هذا  
دعوته في أحياه وفي بلد الجزائر، خشية على نفسه من السلطان  
أبي حمو، لما كان يعتمد عليه في الإدالة من أمره بالجزائر بأمر ابن  
عمه.

ولما كان من خروج أبي زيان إلى أحياه رياح على يد محمد  
بن عريف ما قدمته واقتضى سالم عهده من السلطان، وولي ابنه  
على الجزائر، أقام سالم على أمره من الاستبداد بتلك الأعمال  
واستضافة جبائتها لنفسه، وأوزع السلطان إلى عماله باستيفاء

أخيه صغير، فقل من المغرب ينشأ من مظاهره بني مرین فخفق  
السعى في صرمه بهم لما كانوا عليه من افتراق الأمر كما ذكرناه  
قبل.

ووصل معه ساسي بن سليم في قومه بني يعقوب، وتظاهر  
الحيان على العيش في بلاد السلطان أبي حمو.

واجتمع إليهم أبناء الفتنة من كل أوب، وأجلبوا على  
الأطراف وشنوا الغارة في البلاد، وجمع أولاد عريف لحرفهم  
قوتهم من سويد وأحلافهم من العطاف، وبعشوا بالصريح إلى  
السلطان فسرح لحرب عدوه وعدوهم ابنه أبو تاشفين ولي عهده في  
قومه، وبرز لذلك في العساكر والجنود.

ولما انتهوا إلى بلاد هوارة، وأضطرب معسكره بها، أujeله  
صريخ أوليائه عن مناخ الركاب، فاستعجل الرحلة ولحق بأوليائه  
أولاد عريف ومن معهم من أشياع الدولة من زغبة.

وأخذ السير إلى وادي مينا بشرق القلعة، فتراءى الجماعان  
وتوقفوا للقاء سائر يومهم واستضافوا باضرام النيران خافة  
البيات، وأصبحوا على التعبية.

وتمشت الرجالات في مواضعه الحرب، فأعجلهم مناسبة  
ال القوم، وتراحت الصفوف، وأعلم الكمام، وكشفت الحرب عن  
ساقها، وهي الوطيس، وهبت الريح البشرة، فخفقت لها رايات  
الأمير وهدرت طبله، ودارت رحى الحرب وصمدت إليها  
كتائب العرب، فتردى فيها الأبطال منهم وانكشفوا، وأجلت  
المعركة عن عبد الله بن صغير صريعاً، فأمر أبو تاشفين فاحتز  
رأسه وطير به البريد إلى أبيه.

ثم عثرت المراكب بأنجيه ملوك من صغير مع العباس ابن  
عمه موسى بن عامر، ومحمد بن زيان من وجوه عشيرتهم  
متواقعين لجنفهم متضاجعين في مراقبتهم كائناً انددوا للمرد،  
فوخطتهم سبابك الخيل وغضبهم قنام المراكب.

وأطلقت العساكر أعتها في اتباع القوم فاستاقوا نعهم  
وأمهم وكثرت يومئذ الأنفال، وغضبهم الليل فتسروا بمناجه.

ولحقهم فلهم بجبل راشد، وأطرب أبو تاشفين أباه بمتهى  
ظهوره وملأه السرور بما صنع الله إليه على يده، وما كان له  
ولقومه من الأثر في مظاهرة أوليائه.

وطار له بها ذكر على الأيام، ورجع إلى أبيه بالحضره ملسوء  
الحقائب بالأطفال والجرائح بالسرور والأيام بالذكر عنه وعن قومه،  
ومرضى خالد لوجهه في قل من قومه.

وبعث قائدته إلى الجزائر فاستولى عليها وأقام دعوته بها، وأوفد عليه مشيختها فتقبض عليهم، وعقد على الجزائر لوزيره موسى بن برغوث، ورجع إلى تلمسان فقضى بها عبد النور، ثم أخرج سالم بن إبراهيم من محبسه إلى خارج البلاد، وقتل قصاصاً بالرماح، ونصب شلوه وأصبح مثلاً للآخرين، والبقاء لله.

وعقد السلطان ابنه المتصر على مليانة وأعمالها، ولابنه أبي زيان على وهران.

وراسله ابن يملول صاحب توزر، وصهره ابن مزني صاحب بسكرة وأولياوها من الكعوب والدواودة لما أمهم أمر السلطان أبي العباس، وخافوه على أمصارهم فراسلوا أبي حمر يضمنون له مسالة أبي زيان على أن يوفي له بما اشتطل له من المال، وعلى أن يشب نثار الفتنة من قبله على بلاد الموحدين ليشغل السلطان أبي العباس عنهم على حين عجز أبو حمو وضعف الدولة عنه فأوهمهم من نفسه القدرة وأطعمهم في ذلك.

وما زال يراجعهم ويراجعونه بالمقارنة والوعد إلى أن أحبط بابن يملول، واستولى السلطان على بلده فلحق بسكرة وهلك بها لستة من خروجه آخر سنة إحدى وثمانين وسبعينة ويفي ابن مزني من بعده متعملاً بتلك الأمانة الكاذبة إلى أن ظهر أمره وبين عجزه، فراح يطاع طاعة السلطان أبي العباس واستقام على المواجهة، ولحق الأمير أبو زيان بمحضرة السلطان بتونس فنزل بها أكرم نزل مؤملاً منه المظاهرة على عدوه.

والحال بالغرب الأوسط لهذا العهد على ما شرحته مراراً من تغلب العرب على الضواحي والكثير من الأمصار.

وتقى ظل الدولة عن القاصية وارتادها على عقبها إلى مراكزها بسيف البحر، وتصارو قدرتها على قدرتهم، وإعطاء اليد في مغالبتهم بذلك رغائب الأموال وإقطاع البلاد والتزول عن الكثير من الأمصار، والقتوع بالتضريب بينهم، والإغراء بعضهم بعض والله ولـي الأمور.

## قسمة السلطان للأعمال بين ولده وما

### حدث بينهم من التناقض

كان لهذا السلطان أبي حمو جماعة من الولد كبارهم أبو تاشفين عبد الرحمن.

ثم بعده أربعة أيام واحدة، كان تزوجها عيلة من أعمال قسنطينة أيام جولته في بلاد الموحدين، كبارهم المتصر ثم أبو زيان

جيابتها، فاستراب وبقي في أمره على المداهنة.

وحدثت إثر ذلك فتنة خالد بن عامر، فتفرض دائرة رجاء أن يكون القلب له، فيتشغل السلطان عنه ثم بدا له ما لم يختسب، وكان القلب للسلطان والأولياء.

وكان قد حدث بينه وبين محمد بن عريف عداوة فخشي أن يحمل السلطان على التهوض إليه، فبادر بالانتراض على أبيه هو، واستقدم الأمير أبو زيان فقدم عليه وجاجاً بخالد بن عامر والمخالفين معه من العرب، فوصلوا إليه أول سنة ثمان وسبعين وسبعينة، وعقد بينهم حلقاً مؤكداً، وأقام الدعوة للأمير أبي زيان بالجزائر.

ثم زحفوا إلى حصار مليانة وبها حامية السلطان فامتنعت عليهم، ورجعوا إلى الجزائر فهلك خالد بن عامر على فراشه ودفن بها، وولي أمر قومه من بعده المسعود ابن أخيه صغير، ونهض إليهم السلطان أبو حمو من تلمسان في قومه وأوليائه من العرب، فامتنعوا بجبل حسين وناوشتهم جيوش السلطان القتال بأسفل الجبل فغلبوا عليهم، وانقضت الناجعة عليهم من الديام والعاطف وبنى عامر، فلحقوا بالفقر.

ورأى سالم أصحابه أن قد أحبط بهم فلاد بالطاعة، وحمل عليها أصحابه.

وعقد لهم السلطان من ذلك ما أرادوه على أن يفارقا

الأمير أبو زيان ففعلوا.

وارتحل عنهم فلحق ببلاد رين، ثم أجازها إلى نقطة من بلاد الجريد، ثم إلى توزر، فنزل على مقدمها بني بن يملول، فاكتم نزله وأواسع قراه إلى أن كان من أمره ما ذكر.

ورجع السلطان أبو حمو إلى تلمسان وفي نفسه من سالم حرارة لكترة اضطرابه ومسارعته إلى الفتنة، حتى توسيط فصل الشتاء، وأبعدت العرب في مشائيه، فنهض من تلمسان في جيوش زناته، وأخذ السير فصيبح شخص متيبة بالغارة الشعواء.

وأجلفت الثعالبة فلحقوا برؤوس الجبال وامتنع سالم بجبل بي خليل وبعث ابنه وأوليائه إلى الجزائر فامتنعوا بها وحاصروه أيام ثم غلبوه على مكانه فانتقل إلى بني ميسرة من جبال صنهاجة وخلف أهله ومتاعه، وصار الكثير من الثعالبة إلى الطاعة، وابتلهوا بأمان السلطان وعهده إلى فحص متيبة، وبعث هو أخاه ثابتاً إلى السلطان فاقتضى له العهد، ونزل من رأس ذلك الشاهق إلى ابنه أبي تاشفين فأوصله إلى السلطان إحدى ليالي العشر الأخيرة من رمضان، فأخفر عهده وذمة ابنه، وتقبض عليه صبيحة ليلته.

استخلصه وجعله عيناً على أبيه.

وكان هو أيضاً يغضن ابن خلدون كاتب السلطان، ويغار من تقدمه عنده ويفري به أبو تاشفين جهده، فدس إلى أنساء هذه المطاولة أن الكاتب ابن خلدون إنما مطلبه بالكتاب خدمة لأبي زيان أخيه وإثارة له عليه، فاستشاط لها أبو تاشفين، وترصد منصرفه من القصر إلى بيته بعد التراويع في إحدى ليالي رمضان سنة ثمانين وسبعينة في رهط من الأوغاد، كان يطوف بهم في سكك المدينة، ويطرق بهم بيوت أهل السرور والخشنة في سبيل الفساد، فعرضوا له وطعنوه بالخناجر حتى سقط عن دابته ميتاً.

وقدما الخبر على السلطان صبيحة تلك الليلة فقام في ركبته وبعث الطلب عن أولئك الرهط في جوانب المدينة.

ثم بلغه أن ابنه أبو تاشفين صاحب الغلة، فأغضى وطوى عليها جوانحه، وأقطع أبو تاشفين مدينة وهران كما وعده. وبعث ابنه أبي زيان على بلاد حصين والمدية كما كان.

ثم طلب أبو تاشفين من أبيه أن تكون الجزائر خالصة له فأطعه إياها، وأنزل بها من إخوتة يوسف ابن الزاوية بما كان شيعة له من بينهم وفيته في صحنته وخالصته، فاقام والياً عليها، والله أعلم.

## حركة السلطان أبي حمود على ثغور المغرب

### الأقصى ودخول ابنه أبي تاشفين إلى جهات

#### مكتasse

كان السلطان أبو العباس ابن السلطان أبي سالم ملك بني مرiven بالغرب الأقصى قد نهض في عساكره سنة إحدى وثمانين وسبعينة إلى مراكش، وبها الأمير عبد الرحمن بن بوفلوس ابن السلطان أبي علي مقاسمه في نسبه وملكه.

وكان قد سُرِّع له مراكش وأعمالها عندما أجلب معه على البلد الجديد سنة خمس وسبعين وسبعينة كما في أخبارهم واستقر الأمير عبد الرحمن بمراكش.

ثم حدثت الفتنة بينه وبين السلطان أحد، ونهض إليه من قاصره أولى وثانية يفرج فيها عنه.

ثم نهض إليه سنة أربع وثمانين وسبعينة فحاصره وأخذ يختنقه وأطال الحصار.

وكان يوسف بن علي بن غانم أمير المعلم من العرب

محمد ثم عمر ويلقب عميراً، ثم بعدهم ولد كثيرون أبناء علات.

وكان أبو تاشفين ولـي عهده، وقد رفعه على الباقي وأشركه في أمره، وأوجب له الحق على وزراء دولته، فكان لذلك ردفه في ملکه ومظاهر سلطانه.

وكان مع ذلك يتعاهد أولئك الإخوة الأشقاء بمنه، ويقسم لهم من ترشيحه والنجي في خلوته، فيغضن أبو تاشفين منهم، فلما استفحـل أمر السلطان وانحـت من دولته آثار الخلاف، أعمل نظره في قسمة الأعمال بين ولـه وترشـحـهم عند إناسـ الغـيرة منهـمـ، فـولـيـ المـتصـرـ كـيـرـهمـ عـلـىـ مـلـيـةـ وـأـعـمـالـهـ،ـ وـقـدـهـ إـلـيـهـ وـمعـهـ أـخـوـهـ عـمـرـ الأـصـغرـ فـيـ كـفـالتـهـ،ـ وـولـيـ أـخـاهـمـ الـأـوـسـطـ أـبـاـ زـيـانـ عـلـىـ الـمـدـيـةـ وـمـاـ إـلـيـهـ مـنـ بـلـادـ حـصـينـ.

وـولـيـ اـبـنـ يـوسـفـ اـبـنـ الزـاـبـيـ عـلـىـ تـدـلـسـ وـمـاـ إـلـيـهـ مـنـ آـخـرـ اـعـمـالـهـ وـاسـتـقـرـ أـمـرـهـ عـلـىـ ذـلـكـ.

ثم كان من انتقاض سالم الشاعلي بالجزائر ما قدمناه، فتمي إلى السلطان أن ابنه أبي زيان دخله في الخلاف، فلما فرغ من أمر سالم كما مر وطرد أبو زيان ابن عمه عن أعماله إلى الجريد، أعمل نظره في نقل ابنه أبي زيان من المدينة إلى ولاية وهران وأعمالها بعده به عن العرب الجليلين في الفرن، وأنزل معه بعض وزرائه عيناً عليه، وأقام والياً عليها والله أعلم.

## وثبة أبي تاشفين بيعسى بن خلدون كاتب أبيه

كان أول شيء حدث من منافسة أبي تاشفين لأخوه، أن السلطان لا ولـيـ ابنـهـ أبيـ زـيـانـ عـلـىـ وـهـرـانـ وـأـعـمـالـهـ طـلـبـهـ أـبـوـ تـاشـفـينـ فيـ لـاـيـتهاـ لـنـفـسـهـ فـاسـعـهـ ظـاهـرـاـ،ـ وـعـهـدـ إـلـيـ كـاتـبـهـ يـعـسـىـ بـنـ خـلـدـونـ بـمـاـ خـلـصـهـ فـيـ كـاتـبـهـ حـتـىـ يـرـىـ الـمـخـلـصـ مـنـ ذـلـكـ،ـ فـاقـامـ الـكـاتـبـ بـطـاـولـهـ.

وـكـانـ فـيـ الدـوـلـةـ لـيـمـ مـنـ سـفـلـةـ الشـرـطـ يـدـعـىـ بـعـوـسـىـ بـنـ يـخـلـفـ،ـ صـحـبـهـ أـيـامـ الـاغـرـابـ بـتـيـكـورـارـيـنـ أـيـامـ مـلـكـ تـلـمـسـانـ عـلـيـهـمـ عـبـدـ العـزـيزـ بـنـ السـلـطـانـ أـبـيـ الـحـسـنـ كـمـاـ مـرـ.

وـخـلـالـهـ وـجـهـ السـلـطـانـ أـبـيـ حـمـودـ وـابـتـهـ،ـ فـقـرـبـ إـلـيـ بـنـدـمـتـهـ وـرـعـاهـاـ لـهـ.

فـلـمـ رـجـعـ السـلـطـانـ إـلـىـ تـلـمـسـانـ بـعـدـ مـهـلـكـ عـبـدـ العـزـيزـ قـدـمـهـ وـأـتـهـ وـاسـتـخـلـصـهـ،ـ فـكـانـ مـنـ أـخـلـصـ بـطـانـهـ وـكـانـ أـبـوـ تـاشـفـينـ أـيـضاـ

الرحلة إلى تلمسان، وخرج في عساكره وراجع يوسف بن علي الطاعة ورحل معه في جموعه.

وبلغ الخبر إلى السلطان أبي حمود فتردد بين الحصار بتلمسان ومفارقتها.

وكان بيته وبين ابن الأحمر صاحب الأندلس مواصلة، ولابن الأحمر دالة على السلطان أبي العباس كما مر. فكان يخفي له الشأن في قصد تلمسان ويليه عنها فيعطي المقادرة في ذلك، فيعمل هو السلطان أبو بستان ابن السلطان أبي العباس لا يصل إليه.

نعم أبعج السلطان أبو العباس أمره، ونهض على حين غفلة مغناً إلى تلمسان.

وتقديم الخبر إلى أبي حمود فاجع مفارقة تلمسان بعد أن ظهر لأوليائه وأهل دولته أنه على الحصار.

ثم خرج حين غشيه الليل إلى معسكره بالصنيف، وافتقده أهل بلده من صبيحتهم، فتبارأ أكثرهم إليه متعلقين بأذنيه خوفاً من معرة العدو، ثم ارتحل بطوري المراحل إلى البطحاء، ودخل السلطان أبو العباس تلمسان واستولى عليها، وجهز العساكر لاتباع أبي حمود قومه، فاجفل من البطحاء ولحق بتاجهموت فاعتاصم بمعقلها ولحق به ابنه المتصر من مليانة بما كان معه من النخيرة، فاستمد بها وأقام هناك عازماً على الامتناع والله تعالى أعلم.

### رجوع السلطان أبي العباس إلى المغرب واحتلال دولته ورجوع السلطان أبي حمود إلى ملكه بتلمسان

كان السلطان أبو العباس لما استولى على مملكة تلمسان، طير كتبه ورسله بفتحها إلى ابن الأحمر صاحب الأندلس، ويعذر له من خالفة رأيه في الحركة إليها.

وقد كان ابن الأحمر أسفه ذلك إلى ما انضم إليه من التزعزعات الملوكية التي يؤسف بها بعضهم بعضاً، وهو بطوري جواخه عليها، واطلع على فساد طاعة السلطان أبو العباس في أهل دولته ونغل ضمائرهم له، فازعج لوقته موسى ابن السلطان أبي عنان من أعياص ملوكهم، كان عنده بالأندلس، وجهزه بما يحتاج إليه ويعث في خدمته مسعود بن رحو بن ماساي إلى وزيرهم المشهور، وأركبه السفن إلى سبتة، فنزلوا بساحتها أول

متقضياً على السلطان وقد بعث السلطان العساكر إلى أحياه، فهزمه وخرروا بيته وبساتينه بسلامة ورجعوا وأقام هو بضررائه متقضياً.

فلما جهد الحصار الأمير عبد الرحمن مراكش، بعث أبا العشاير ابن عمه منصور بن السلطان أبي علي إلى يوسف بن علي بن غام، ليجلب به على فاس وبلاد المغرب، فيأخذ بمجزة السلطان ويفس من مختفه، فسار يوسف بن علي مع أبي العشاير إلى السلطان أبي حمود بتلمسان يستتجده على هذا الغرض لقدرته عليه دون العرب، بما له من العساكر والأبهة، فانجده على ذلك.

وقدم ابنه أبي تاشفين معهم، وخرج هو في أثرهم، فساروا إلى المغرب ونزل يوسف بن علي بقومه قريباً من مكناسة، ومعه الأميران أبو العشاير وأبو تاشفين.

وجاء أبو حمود من خلفهم فحاصر تازى سبعاً، وخر布 قصر تازروت المعد هنالك لنزل السلطان.

وكان السلطان قد استخلف على فاس في مغيبه علي بن مهدي العسكري من عمال دولته ووجوه قبيلته، وكان هنالك عرب المبات من المعقل قد دخلوا للميرية، فأهاب بهم ون Zimmerman بن عريف وفي الدولة من عرب سويد، وهو نازل بقصر مرادة من أحواز تازى، فاستألهم لمدعاة أبي حمود وابنه، وخرج بهم علي بن مهدي.

نم وصل الخبر باستيلاء السلطان على مراكش متصرف خمس وثمانين وسبعيناً فأجل أبو تاشفين وأبو العشاير ومن معهما من العرب، واتبعهم على بن مهدي من معه من المبات. وأجل أبو حمود على تازى ومر بمرادة على قصر ون Zimmerman فيه وعاد فيه، وانكفا راجعاً إلى تلمسان.

وفارق ابنه أبو تاشفين أصحابه أبا العشاير والعرب ولحق بأبيه إلى أن كان ما ذكره إن شاء الله تعالى.

### نهوض السلطان أبي العباس صاحب المغرب إلى تلمسان واستيلاؤه عليها واعتاصام أبي حمود بمحصن تاجهموت

لما استولى السلطان أبو العباس على مراكش كما قلناه، رجع إلى دار ملكه بفاس وقد آسفه السلطان أبو حمود بجلاته على وطنه هو وأبنه أبو تاشفين مع العرب أيام مغيبه مراكش، فاجمع

## خلع السلطان أبي حمو واستبداد ابنه أبي تاشفين بالملك

مورياً بصلاح العرب، واعتزم على لقاء ابنه المتصر بمليانة ليصل به جناحه، ويختطى إلى الجزائر فيجعلها دار ملكه بعد أن استخلف بتلمسان ابنه أبي تاشفين وحالفة على المناصحة.

واطلع موسى بن يخلف على خبيثة السلطان بذلك، فدس بها إلى أبي تاشفين على عادته، فطار به الأسف كل مطار وأعد السير من تلمسان فيمن معه من العسكر، وصبح أباه بأسافل البطحاء قبل أن يتصل بالمتصر، وكشف له القناع عن التكير والتسخط على ما بلغه، فحلف له السلطان على ذلك وأرضاه بالرجوع معه إلى تلمسان فرجعاً جيئاً.

## خلع السلطان أبي حمو واستبداد ابنه أبي تاشفين بالملك واعتقاله إياه

ولما رجع السلطان من البطحاء وبطل ما كان يؤمله من الاتصال بالمتصر، دس إليه مع خالصته من أهل دولته يعرف بعلي بن عبد الرحمن بن الكلب بأحوال من المال وبردها عنده إلى أن يجد السبيل لحاجة نفسه.

وكتب له بولاية الجزائر ليقيم بها حتى يخلص إليه واطلع موسى بن يخلف على ذلك فاطلع أبو تاشفين على الخبر، فبعث في أثره من حاشيته من اغتال ابن الكلب في طريقه وجاء إليه بالمال والكتب، فاطلع منها على حقيقة أمرهم وأنهم متربصون به، فاستشاط وجاهر أباه وغدا عليه بالقصر، فرققه على الكتاب وبالغ في عدله ووتعزز موسى بن يخلف إلى أبي تاشفين، وهجر باب السلطان وأغرى به ابنه فندا على أبيه بالقصر بعد أيام وخلعه، وأسكنه بعض حجر القصر، ووكل به، واستخلص من كان معه من الأموال والذخيرة.

ثم بعث به إلى قصبة وهران فاعتقله بها واعتقل من حضر تلمسان من إخوته، وذلك آخر ثمان وثمانين وسبعيناً وبلغ الخبر إلى المتصر بمليانة وأبي زيان وعمر، فلحقوا بقبائل حسين واستذموا بهم فأذمُّوهم وأنزلوهم عندهم بجبل تيطري.

وجمع أبو تاشفين العساكر واستألف العرب من سعيد، وبني عامر، وخرج في طلب المتصر وإخوته، ومر بمليانة فملكتها. ثم نقدم إلى جبل تيطري واقام في حصارهم به، وهم ممتنعون عليه.

والله تعالى أعلم.

ربع سنة ست وثمانين وسبعيناً واستولوا عليها.

ثم تقدموا إلى فاس فنازلا دار الملك أيامًا وبها محمد بن عثمان القائم بدولة السلطان أبي العباس والمستبد عليه، واشتبوا في حصارها وتواترت إليهم الأمداد والخسود فدخله الخور والقني بيده، ودخل السلطان موسى إلى دار الملك تاسع عشر ربيع الأول من السنة، وجلس على أريكته، وأتاه الناس طاعتهم.

وطار الخبر إلى السلطان أبي العباس بتلمسان وقد تميز الأتباع أبي حمو، ونزل على مرحلة من تلمسان بعد أن أغراه وزمار بن عريف أمير سعيد بتخريب قصور الملك بتلمسان، وكانت لا يعبر عن حسنها، اختطفها السلطان أبو حمو الأول وابنه أبو تاشفين، واستدعى لها الصناع والفعلة من الأندلس لحضارتها وبداوة دولتهم يومئذ بتلمسان، فبعث إليها السلطان أبو الوليد صاحب الأندلس بالمهرة والخذلق من أهل صناعة البناء بالأندلس، فاستجادوا لهم التصور والمنازل والبساتين بما أعياناً على الناس بعدهم أن يأتوا بمنته، فأشار و Zimmerman على السلطان أبي العباس بتخريب هذه القصور وأسوار تلمسان انتقاماً بزعمه من أبي حمو، وأخذنا بالثار منه فيما اعتمدته من تخريب دار الملك بتازى، وتخريب قصره هو بمرادة، فاتى عليها الحراب أسرع من لمح البصر.

وبينما هو في ذلك وهو يرrom السفر لتابع أبي حمو، إذ جاءه الخبر بأن السلطان موسى ابن عمه السلطان أبي عنان قد استولى على دار ملكهم بفاس، واقتعد أريكتهم، فنكر راجحاً إلى المغرب لا يلوى على شيء، وترك تلمسان لشأنها، وكان من أمره ما ياتي ذكره في أخباره، وطار الخبر إلى السلطان أبي حمو بمكانه من تاجحوموت، فأخذ السير إلى تلمسان ودخلها، وعاد إلى ملكه بها، وتफجع لتلك القصور بما ذهب من رونق حسنها، وراجع دولةبني عبد الواد وسلطانهم بتلمسان والله سبحانه وتعالى أعلم.

## تجدد المنافسة بين ولد السلطان أبي حمو ومجاهرة أبي تاشفين بذلك هم وولايته

كان التناقض بين هؤلاء الأولاد خفياً على الناس بما كان السلطان أبوهم يدامل بينهم ويداري بعضهم عن بعض.

فلما خرجوا أمام بي مرين وعادوا إلى تلمسان صار تناففهم إلى العداوة.

وأتمهم أبو تاشفين أباه بمعاملة إخوته عليه، فشمر لعقوبه وعداؤه وشعر السلطان بذلك فعمل الحركة إلى ناحية البطحاء

## نزول السلطان أبو حمو بجایة من السفين واستيلاؤه على تلمسان وحاق أبي تاشفين بالمغرب

لما ركب السلطان أبو حمو السفين ذاهباً إلى الإسكندرية، وفارق أعمال تلمسان وحاذى بجایة، داخل صاحب السفينة في أن ينزله بجایة، فأسعفه بذلك.

فخرج من الطارمة التي كان بها معتقلأً، وصار الموكلون به في طاعته.

وبعث إلى محمد بن أبي مهدي قائم الأسطول بجایة المستبد على أمرها من ولد السلطان أبي العباس بن أبي حفص.

وكان محمد بن وارث خالصة المستنصر بن أبي حمو من ناشئة دولتهم قد خلص إلى بجایة من تيطرى بعدما تفس الحصار عنهم فبعثه ابن أبي مهدي إلى السلطان أبي حمو بالإجابة إلى ما سأله وأنزله بجایة آخر ستة سنين وثمانين وسبعينة وأسكنه بستان الملك المسمى بالربيع، وطير بالخبر إلى السلطان بتونس، فشكر له ما أتاه من ذلك، وأمره بالاستبلاغ في تكريه، وأن يخرج عساكر بجایة في خدمة أبو حمو إلى حدود عمله متى احتاج إليها.

ثم خرج السلطان أبو حمو من بجایة ونزل متيبة واستقر طرائف العرب من كل ناحية فاجتمعوا إليه ونهض بربيد تلمسان واصحوصب قومه بنو عبد الواد على أبي تاشفين بما بذل فيهم من العطاء وقسم من الأموال، فنابذوا السلطان أبي حمو واستصعب عليه أمرهم وخرج إلى الصحراء وخلف ابنه أبي زيان في جبال شلف مقيناً لدعوه وبلغ إلى نامة من ناحية المغرب.

وبلغ الخبر إلى أبي تاشفين فبعث عسكراً إلى شلف مع ابنه أبي زيان ووزيره محمد بن عبد الله بن مسلم، فتوافقوا مع أبي زيان ابن السلطان أبي حمو فهزمهم وقتل أبو زيان بن أبي تاشفين وزيره ابن مسلم، وجاءة من بيته عبد الواد.

وكان أبو تاشفين لا بلغه وصول أبيه إلى نامة، سار إليه من تلمسان في جوعه، فأجلل أبو حمو إلى وادي صا واستجاجس بالأحلاف من عرب المقل هنالك، فجاؤوا لنصره، وعادوا تامة فترها، وأقام أبو تاشفين ثباته وبلغه هنالك هزيمة ابنه ومقتله، فولى منهاماً إلى تلمسان وأبو حمو في اتباعه.

ثم سرح أبو تاشفين مولاه سعادة في طائفة من العسكر لمحاولة العرب في التخلص عن أبي حمو، فانتهز أبو حمو به الفرصة

## خروج السلطان أبي حمو من الاعتقال ثم القبض عليه وتغريبه في السفين إلى المشرق

لما طال مقام أبي تاشفين على تيطرى لحصار إخوته، ارتقى بأمر أبيه وطول مغيبته عنه وشاور أصحابه في شأنه، فأشاروا بقتله وأصفقوا على ذلك، فبعث أبو تاشفين ابنه أبي زيان في لمة من حاشيته فهم: ابن الوزير عمران بن موسى، وعبد الله بن الخراساني، فقتلوا من كان معتقلأً بتلمسان من أبناء السلطان، وتقدموا إلى وهران وسمع أبو حمو بقدومهم، فأوجس الخيفة منهم واطلع من جدران القصبة ينادي بالصريح في أهل البلد، فتبادروا إليه من كل جهة، وتدل لهم محيل وصله من عمamته كان متعمماً بها، فتناولوه حتى استقر بالأرض واجتمعوا إليه.

وكان الرهط الذين جاؤوا لقتلة بباب القصر، وقد أغلقه دونهم.

فلما سمعوا المبيعة واستيقنوا الأمر، طلبوا النجاة بدمائهم.

واجتمع على السلطان أهل البلد، وتولى كبر ذلك خطبهم، وجددوا له البيعة وارتحل من حيثه إلى تلمسان، فدخلها أوائل سنة تسعة وثمانين وسبعينة وهي يومئذ عورة ما كان بنو مرين هدموا أسوارها وأزالوا حصتها.

وبعث فيمن كان مخلفاً باحياء بني عامر من أكابرهم ووجوههم، فقدموا عليه.

وطار الخبر إلى أبي تاشفين بمكانه من حصار تيطرى، فانكفا راجعاً إلى تلمسان فيمن معه من العساكر والعرب، وبادره قبل أن يستكمل أمره فاحتيط به ونجا إلى ماذنة المسجد الجامع فاعتتصم بها، ودخل أبو تاشفين القصر، وبعث في طلبه.

وأشعر بمكانه فجاء إليه بنفسه واستنزله من الماذنة، وأدركته الرقة، فجهش بالبكاء وقبل يده، وغدا به إلى القصر واعتقله بعض الحجر هنالك، ورغمب اليه أبوه في تسريحه إلى المشرق لقضاء فرضه، فشارط بعض تجار النصارى المترددين إلى تلمسان من القبطان على حلله إلى الإسكندرية، وأركبه السفين معهم بأهله من فرضة وهران ذاهباً لطيبة موكلأً به، وأقبل أبو تاشفين على القيام بدولته، والله تعالى أعلم.

## مسير أبي زيان بن أبي حمو لحصار تلمسان ثم إجفاله عنها

وبلغ الخبر إلى أبي تاشفين فقادم إلى تلمسان فجدد المكر والخديعة وشيطان الفتنة والشر موسى بن يخلف، فاستولى عليها وأقام دعوة أبي تاشفين فيها، فطير أبو حمو ابنه عمر إليه، فصبهها بها للليلة من مسيره، فأسلمها أهل البلد.

وتقبض عليه، وجاء به أسريراً إلى أبيه بمكانه من الغيران، فرمي أبو حمو على فعاله ثم أذاقه اليم عقابه ونكاله، وأمر به قتل أشنع قتلة.

وجاءت العيون إلى أبي فارس ابن صاحب المغرب وزيره ابن علال بمكان أبي حمو وأعرايه بالغiran، فنهض الوزير ابن علال في عساكر بي مرين لغزرة، وسار أمامهم سليمان بن ناجي من الأحلاف إحدى بطرن العقل، يدل بهم طريق القفر حتى صبحوه ومن معه من أحياء الخراج في مكان مقامتهم بالغiran.

واناوشوهم القاتل فالم يطيقوهم لكثتهم، وولوا منهزمين، وكما بالسلطان أبي حمو فرسه سقط وأدركه بعض فرسائهم وعرفه فقتلته عصباً بالرماح، وجاؤوا برأسه إلى الوزير ابن علال وأبي تاشفين، وجاءوا بابنه عمر أسيراً.

وهم أبو تاشفين آخره بقتله فمنعوه أياماً، ثم أمكنوه منه قتله، ودخل أبو تاشفين إلى تلمسان أواخر سنة إحدى وتسعين وسبعينه وخيم الوزير وعاشر بي مرين بظاهر البلد حتى دفع إليهم ما شارطهم عليه من المال.

ثم قفلوا إلى المغرب وأقام هو بتلمسان يقيم دعوة السلطان أبي العباس صاحب المغرب وينظر له على متبره، ويعيث فيه بالضربة كل سنة كما اشترط على نفسه إلى أن كان ما ذكره إن شاء الله تعالى.

## مسير أبي زيان بن أبي حمو لحصار تلمسان ثم إجفاله عنها وحاقه بصاحب المغرب

كان السلطان أبو حمو قد ول على الجزائر ابنه أبي زيان لما عاد إلى ملكه بتلمسان، وأخرج منها أبي تاشفين.

فلما قتل أبو حمو بالغiran كما قلتاه، وخرج أبو زيان من الجزائر ناجياً إلى أحياء حصين يؤمل الكرا بهم والأخذ بشأليه وأخيه، فاشتملوا عليه وأجابوا صريمه.

ثم وفده عليه أمراء بي عاصر من زغبة يدعونه لملكه، فشار إليهم وقام بدعونه وطاعته شيخهم المسعود بن صغير، ونهضوا جميعاً إلى تلمسان في رجب سنة اثنين وسبعين وسبعينه

وهزم وقبض عليه، وبلغ الخبر إلى أبي تاشفين بتلمسان، وكان يومن الحج عند سعادة فيما توجه فيه، فأخفق سعيه، وانقض عنه بنو عبد الواد والعرب الذين معه، وخرج هارباً من تلمسان مع أوليائه، من سويد إلى مشاتيهم بالصحراء.

ودخل السلطان أبو حمو تلمسان في رجب سنة تسعين وسبعينه وقدم عليه أبناؤه فأقاموا معه بتلمسان، فطرق المتصر ابنه المرض فهلك بها لأيام من دخوله تلمسان، واستقر الأمر على ذلك، والله أعلم.

## نهوض أبي تاشفين بعساكر بي مرين

### ومقتل السلطان أبي حمو

ما خرج أبو تاشفين من تلمسان أيام أبيه، واتصل بأحياء سويد، أجمعوا رأيهم على الاستنجاد بصاحب المغرب، فوفد أبو تاشفين ومعه محمد بن عريف شيخ سويد على السلطان أبي العباس صاحب فاس، وسلطان بي مرين صريجين على شأنهما، فقبل وفادتهما ووعدهما بالنصر من عدوهما.

وأقام أبو تاشفين عنده يتظاهر إجاز وعده، وكان بين أبي حمو وأبن الأحمر صاحب الأندرس وشيبة ود وعقيدة وصلة، ولابن الأحمر دالة وتحكم في دولة أبي العباس صاحب المغرب بما سلف من مظاهرته على أمره منذ أول دولته، فبعث أبو حمو في الدفاع عنه بإجازة أبي تاشفين من المغرب إليه، فلم يجيء صاحب المغرب وفاء بذمه وعلله بالقعود عن نصره واللح عليه ابن الأحمر في ذلك، فتعلل بالمعاذير.

وكان أبو تاشفين قد عقد لأول قدومه مع وزير الدولة محمد بن يوسف بن علال حلماً اعتقاد الرفقاء به، فكان هواه في إنجاده ونصره من عدوه، فلم ينزل يقتل للسلطان في الذروة والغارب، ويلوي عن ابن الأحمر المعايد حتى أجا به السلطان إلى غرضه.

وسرح ابنه الأمير أبي فارس والوزير محمد بن علال في العساكر لمصارحة أبي تاشفين.

وفصلوا من فاس أواخر إحدى وتسعين وسبعينه وانتهوا إلى تازى.

وبلغ خبرهم إلى السلطان أبي حمو فخرج من تلمسان وجمعته من بي عاصر والجراح بن عبيد الله وقطع جبل بي ورنيد المطل على تلمسان، وأقام بالغiran من جهاته.

## وفاة أبي العباس صاحب المغرب واستيلاء أبي زيان بن أبي حمود على تلمسان والمغرب الأوسط

كان السلطان أبو العباس بن أبي سالم لما وصل إلى تازى، ويouth ابنه أبا فارس إلى تلمسان فملكتها، وأقام هو بتازى يشارف أحوال ابنه وزيره صالح الذي تقدم الفتح البلاد الشرقية. وكان يوسف بن علي بن غامم أمير أولاد حسين من العقل قد حج ستة ثلاث وتسعين وسبعينة واتصل علّك مصر من الترك الملك الظاهر برقوق، وتقدمت إلى السلطان فيه وأخبرته بمحله من قرمه، فأكرم تلقّيه وحمله بعد قضاء حجه هدية إلى صاحب المغرب، بطرقه فيها بتحف من بضائع بلده على عادة الملوك فلما قدم يوسف بن علي بها على السلطان أبي العباس أعظم موقعها، وجلس في مجلس حفل لعرضها والباها بها، وشرع في المكافأة عنها بتخمير الجيد والبصائر والثياب، حتى استكمل من ذلك ما رضيه، واعتم على اتفاها مع يوسف بن علي حاملها الأول وأنه يرسله من تازى أيام مقامته تلك، فطرقه هنالك مرض كان فيه حتفه في حرم ستة ست وتسعين وسبعينة واستدعوا ابنه أبا فارس من تلمسان فباعوه بتازى، وولوه مكانه، ورجعوه إلى قاس، وأطلقوا إبا زيان بن أبي حمود من الاعتقال، وبعثوا به إلى تلمسان أميراً عليهما، وقاما بدعاوة السلطان أبي فارس فيها، فسار إليها وملكتها، وكان آخره يوسف بن الزابية قد اتصل بأحبابه بني عامر يرثون ملك تلمسان والأجلاب عليها، فبعث إليهم أبو زيان عندما بلغه ذلك وبذل لهم عطاء جزيلاً على أن يبعثوا به إليه، فأجابوا إلى ذلك وأسلموه إلى ثقات أبي زيان، وساروا به فأعتبرتهم بعض أحياء العرب ليستقذوه منهم، فبادروا بقتله، وحملوا رأسه إلى أخيه أبي زيان فسكنت أحواله، وذهبت الفتنة بذهابه، واستقامت أمور دولته، وهو على ذلك لهذا العهد والله غالب على أمره.

وقد انتهى بنا القول في دولة بني عبد الواد من زناته الثانية، وبقي علينا خبر الرهط الذين تحيزوا منهم إلى بني مرين منذ أول الدولة، وهم بنو كمي من فصائل علي بن القاسم إخوة طاع الله بن علي، وخبر بني كندوز أمرائهم براكس، فلنرجع إلى ذكر أخبارهم، وبها تستوفي الكلام في أخبار بني عبد الواد.

والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

فحاصروها أيام ثم سرب أبو تاشفين المال في العرب، فافتقرت عن أبي زيان، وخرج إليه أبو تاشفين فهزمه في شعبان من السنة. ولحق بالصحراء واستيلاء أحياء العقل، وعاد حصار تلمسان في شوال، ويعث أبو تاشفين ابنه صرخاً إلى المغرب، فجاءه بمدد من العسكر.

ولما انتهى إلى تاوريرت أخرج أبو زيان عن تلمسان، وأجلف إلى الصحراء ثم أجمع رأيه على الوفادة إلى صاحب المغرب فرفد عليه صرخاً، فتلقاءه وير مقدمه، ووعلده النصر من عدوه، وأقام عنه إلى حين مهلك أبي تاشفين والله تعالى أعلم.

## وفاة أبي تاشفين واستيلاء صاحب المغرب على تلمسان

لم يزل هذا الأمير أبو تاشفين ملكاً على تلمسان ومقيناً فيها للدعوة صاحب المغرب أبي العباس ابن السلطان أبي سالم، ومؤدياً للضررية التي فرضها عليه منذ ملكه، وأخوه الأمير أبو زيان مقيم عند صاحب المغرب يتظر وعده في النصر عليه حتى تغير السلطان أبو العباس على أبي تاشفين في بعض التزاعات الملوكي، فأجاد داعي أبي زيان وجهه بالعساكر ملك تلمسان، فسار لذلك متصرف ستة خمس وسبعين وسبعينة وانتهى إلى تازى وكان أبو تاشفين قد طرقه مرض أزم من به ثم هلك منه في رمضان من السنة.

وكان القائم بدولته أحد بن العز من صنائعهم، وكان يمت إليه بخوزلة، فولى بعده مكانه صبياً من أبنائه وقام بكتالته، وكان يوسف بن أبي حمود هو ابن الزابية والياً على الجزائر من قبل أبي تاشفين، فلما بلغ الخبر أغذ السير مع العرب، ودخل تلمسان فقتل أحد بن العز والصبي المكفول ابن أخيه أبي تاشفين.

فلما بلغ الخبر إلى السلطان أبي العباس صاحب المغرب، خرج إلى تازى ويعث من هنالك ابنه أبا فارس في العساكر، ورد أبو زيان بن أبي حمود إلى قاس ووكل به.

وسار ابنه أبو فارس إلى تلمسان فملكتها، وأقام فيها دعوة أبيه، وتقدم وزير أبيه صالح بن حمود إلى مليانة فملكتها وما بعدها من الجزائر وتلمس إلى حدود بجاية.

واعتتصم يوسف بن الزابية بمصن تاجحوم.

وأقام الوزير صالح بمحاصره، وانقرضت دعوة بني عبد الواد من المغرب الأوسط، والله غالب على أمره.

وذلك عبد الله بن كندوز، وصارت رئاستهم من بعده  
لابنه عمر بن عبد الله.

فلما نهض يعقوب بن يعقوب بن عبد الحق إلى المغرب الأوسط وشغل بمصار تلمسان، وحدث الناس بما نزل بعد السواد من بنى مرين، أخذت بنى كمي الحمية وامتصوا لقوتهم، وأجعوا الخلاف والخروج على السلطان.

ولحقوا بالحاجة سنة ثلاط وبسبعينات، واستولوا على بلاد السوس، فخرج إليهم أخوه السلطان الأمير مراكش يعيش بن يعقوب، فناجزوه الحرب بتدارت وغلبوه، واستمروا على خلافهم.

ثم عاود حاربهم بتأمطريت سنة أربع وبسبعينات بعدها، فهزهم المزيلة الكبرى التي قصت جناحهم.

وقتل عمر بن عبد الله وجاءه من كبرائهم، وفروا أمامه إلى الصحراء، ولحقوا بتلمسان وهدم يعيش بن يعقوب تارودت قاعدة أرض السوس، وأقام بنو كندوز بعدها بتلمسان خروا من ستة أشهر ثم توجسوا للغدر من ولد عثمان بن يغمراسن فرجعوا إلى مراكش واتبعهم عساكر السلطان وأبلى منهم في القتال عنهم محمد بن أبي بكر بن حمامة بن كندوز، وخالصوا إلى منجاتهم مشردين بصحراء السوس إلى أن هلك السلطان يوسف بن يعقوب.

وراجعوا طاعة الملك بال المغرب فعنوا لهم عمما سلف من هذه الجريمة وعاودوهم إلى مكانهم من الولاية، فأخضوا النصيحة والمخالصة.

وكان أميرهم من بعد عمر ابنه محمد، وأقام في إمارتهم ستين ثم ابنه موسى بن محمد من بعده كذلك واستخلصه السلطان أبو الحسن أيام الفتنة بينه وبين أخيه أبي علي، لهد أيهما السلطان أبي سعيد ومن بعده، فكانت له في المدافعة عن نواحي مراكش آثار وأيام.

ثم هلك موسى بن محمد فول السلطان أبو الحسن مكانه ابنه يعقوب بن موسى.

ولما غلب على تلمسان وأصار بني عبد الواحد في خوله وجنوده، تشتت رجالاته وتباينوا أشجارتهم حتى إذا كانت واقعة القبروان المشهورة وتوافق السلطان وبني سليم داخلهم يعقوب بن موسى في أن ينخلع عن السلطان إليهم ببني عبد الواحد ومن إليهم من مغاروة وتوجين، وواعدهم لذلك، ثم مشى في قومه وكافة بنى عبد الواحد فأجابوه إلى ذلك.

## الخبر عن بنى كمي إحدى بطون بنى القاسم بن عبد الواحد وكيف نزعوا إلى بنى مرين وما صار لهم بنواحي مراكش وأرض السوس من الرياسة

قد تقدم لنا أول الكلام في بنى عبد الواحد أن بنى كمي هؤلاء من شعوب القاسم، وأنهم بنو علي بن ميل بن يركن بن القاسمإخوة بنى طاع الله وبني دلوك وبني معطي بن جوهر بن علي.

وذكرنا ما كان بين بنى طاع الله وبين إخوانهم بنى كمي من الفتنة، وكيف قتل كندوز بن عبد الله كبير بنى كمي زيان بن ثابت بن محمد كبير بنى طاع الله، وأن جابر بن يوسف بن محمد القائم بالأمر من بعده ثار منهم بزيان، وقتل به كندوزاً غليلة أو حرباً، وبعد برأسه إلى يغراسن بن زيان فنصب عليها أهل بيته القدور شفافية لفوسيهم.

واستمر الغلب بعدها على بنى كمي، فلحقوا بمحضرة تونس وكبارهم إذ ذاك عبد الله بن كندوز.

ونزلوا على الأمير أبي زكريا حتى كان من استيلائه على تلمسان ما قدمنا ذكره.

وطمع عبد الله في الاستبداد بتلمسان، فلم يتفق ذلك.

ولما هلك مولانا الأمير أبي زكريا، وولي ابنه المتصر، أقام عبد الله صدرأ من دولته.

ثم ارتحل هو وقومه إلى المغرب وزُل على يعقوب بن عبد الحق قبيل فتح مراكش، فاهتز يعقوب لقدرته وأحله بالمكان الرابع من دولته.

وأنزل قومه بجهات مراكش، وأنقطعهم البلاد التي كفthem مهماتهم وجعل السلطان انتاج إيه وراحته في أحياهم.

وقدم على رعيتها حسان بن أبي سعيد الصيحي وأخاه موسى، وصل في لفيفة من بلاد المشرق، وكانا عارفين برعاية الإبل والقيام عليها، وأقاموا يتقلبون في تلك البلاد، ويعبدون في نجعتها إلى أرض السوس.

وأوفد يعقوب بن عبد الحق عبد الله بن كندوز هذا على المستنصر صاحب إفريقية سنة خمس وستين وستمائة مع عامر ابن أخيه إدريس كما قدمناه.

والتحق بنو كمي ببني مرين وأصبحوا إحدى بطونهم.

يفرن الذين كانوا ملوك تلمسان لأول الإسلام، وكان منهم أبو قرة الصفرى كما قدمناه وكان منه بعده ذلك يعلى بن محمد الأمير الذي قتلته جوهر الصقلي قائد الشيعة كما ذكرناه في أخبارهم.

ويعلى هذا هو الذي اخْتَطَ بهذا الجبل مدينة إيفكانتي هدمها جوهر يوم قتله.

فَلِمَا مَلَكَ بْنُ رَاشِدَ هَذَا الْجَبَلَ اسْتَوْطَنَهُ وَصَارَ حَصْنًا لَّهُمْ وَمَجَالَتِهِ فِي سَاحِفَةِ الْقَبْلَةِ إِلَى أَنْ غَلَبَهُمُ الْعَرَبُ عَلَيْهِمْ هَذَا الْعَهْدُ وَالْجَزْوَهُمْ إِلَى الْجَبَلِ وَكَانَ غَلْبُ بْنِ رَاشِدٍ عَلَى هَذِهِ الْأُوْطَانِ بَيْنَ يَدِي دُخُولِ بْنِ عَبْدِ الْوَادِ إِلَى الْمَغْرِبِ الْأَوْسَطِ، وَكَانُوا شِيعَةً لَّهُمْ وَاحْلَافًا فِي فَتْتَهُمْ مَعَ بْنِ تَوْجِينَ وَبْنِ مَرِينَ، وَكَانَتْ رِيَاسَتُهُمْ فِي بَيْتِ مَنْ يَعْرُفُونَ بَيْنِ عَمْرَانَ، وَكَانَ الْقَائِمُ بِهَا لَأَوْلَادِ دُخْرَهِمْ إِبْرَاهِيمَ بْنَ عَمْرَانَ وَاسْتَبَدَ عَلَيْهِ إِخْرَوْهُ وَنَزْمَارُ وَقَامَ بِإِمْرَهُمْ إِلَى أَنْ هَلَكَ، فَوَلَى ابْنَهُ مَقَاتِلَ بْنَ وَنَزْمَارَ وَقُتِلَ عَمَّهُ إِبْرَاهِيمُ وَتَفَرَّقَتْ رِيَاسَةُ بَنِي عَمْرَانَ مِنْ يَوْمَئِذٍ بَيْنَ بَنِي إِبْرَاهِيمِ وَبَنِي وَنَزْمَارِ إِلَّا أَنْ رِيَاسَةَ بَنِي إِبْرَاهِيمَ ظَهَرَ، فَوَلَى بَعْدَ إِبْرَاهِيمِ بْنَ عَمْرَانَ ابْنَهُ وَنَزْمَارَ وَكَانَ مَعَاصِرًا لِيَغْرِسَنَ بْنَ زَيَانَ وَطَالَ عَمَرُهُ، وَلَا هَلَكَ لَتَسْعِينَ مِنَ الْمَائِةِ السَّابِعَةِ وَلِيَأْمُرُهُمْ غَامِ بْنُ أَنْجِيَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ.

ثُمَّ كَانَ فِيهِمْ مَنْ بَعْدَهُ مُوسَى بْنُ يَحْيَى بْنُ وَنَزْمَارَ، لَا أَدْرِي مَعَاقِبًا لِغَانِمٍ أَوْ تَوْسِطَهُمَا أَحَدٌ.

وَلَا حَزْفٌ بْنُ مَرِينَ إِلَى تلمسان آخر زحفهم، صار بْنُ راشد هؤلاء إلى طاعة السلطان أبي الحسن، وشيخهم لذلك العهد أبو يحيى موسى بن عبد الرحمن بن ون Zimmerman.

وَأَخْضَرَ تلمسانَ بْنَ عَمَّهُ كَرْجُونَ بْنَ وَنَزْمَارَ وَانْفَرَضَ أَمْرُ بْنِ عَبْدِ الْوَادِ وَأَشْيَاعُهُمْ.

وَنَقْلَ بْنُ مَرِينَ رَؤُوسَ زَيَّانَةَ أَجْمَعَ إِلَى الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى، فَكَانَ بْنُ وَنَزْمَارَ هُؤُلَاءِ مِنْ صَارَ إِلَى الْمَغْرِبِ وَأَوْطَنَهُ إِلَى أَنْ صَارَ الْأَمْرُ لَبْنِي عَبْدِ الْوَادِ فِي الْكَرْكَةِ الْأَلْثَالِةِ عَلَى يَدِ أَبْيِهِ حُمُو الْأَخِيرِ مُوسَى بْنُ يَوْسَفَ.

وَكَانَ شِيَخُ بَنِي رَاشِدٍ لِعَهْدِ زَيَانَ بْنِ أَبْيِ يَحْيَى بْنِ مُوسَى الْمَذْكُورِ أَقْلَى إِلَيْهِمْ مِنَ الْمَغْرِبِ مِنْ إِلَيْهِ بَنِي مَرِينَ، فَاتَّهَمَهُ أَبْرَاهِيمُ بَنُو مَدَالِخَلِتِهِمْ، فَتَقْبَضَ عَلَيْهِ وَاعْتَقَلَهُ مَدَةً بِوَهْرَانَ وَفَرَّ مِنْ مَعْتَقْلِهِ فَلَحَقَ بِالْمَغْرِبِ وَارْتَمَلَ بَيْنَ أَجْيَانِهِ مَدَةً.

ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الطَّاغِيَةِ وَاقْتَضَى الْعَهْدُ مِنَ السُّلْطَانِ أَبْيِ حُمُو، وَوَلَاهُ عَلَى قَوْمِهِ.

ثُمَّ تَقْبَضَ عَلَيْهِ وَاعْتَقَلَهُ إِلَى أَنْ قُتِلَهُ بِمَحْبَسِهِ سَنَةَ ثَمَانَ

وَلَحَقُوا جَيْعاً بَنِي سَلِيمِ، فَجَرَوْا بِذَلِكَ الْمُزِيَّةَ عَلَى السُّلْطَانِ وَكَانَتْ نَكْبَةُ الْقَبْرَوَانِ الْمَشْهُورَةُ. وَلَحَقَ بَعْدَهَا بْنُ عَبْدِ الْوَادِ بِتَلْمَسَانَ، وَوَلَوْا أَمْرَهُمْ فِي بَنِي يَغْمَاسَنَ.

وَهُنَّكَ يَعْقُوبُ بْنُ مُوسَى بِإِفْرِيقِيَّةِ، وَلَحَقَ أَخْرَوْهُ رَحْمَهُ بِالْمَغْرِبِ.

وَكَانَ السُّلْطَانُ أَبُو عَنَانَ قَدْ اسْتَعْمَلَ عَلَى جَاعِتِهِمْ وَعَمَلُهُمْ عَبْوُ بْنُ يَوسَفُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَهُوَ أَبُنُ عَمِّهِمْ دُنْيَا، فَأَقْنَامَ فِيهِمْ كَذَلِكَ حَتَّى هَلَكَ، فَوَلِيَ مِنْ بَعْدِهِ ابْنُهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْوٍ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ هَذَا الْعَهْدُ، يَعْسِكُونَ لِلْأَمْرِ بِمَرَاكِشِ، وَيَتَولَّونَ مِنْ خَدْمَةِ السُّلْطَانِ هَنَالِكَ مَا هُمْ فِيهِ الغَنَاءُ وَالْكَفَافِيَّةُ.

فَكَانُوهُمْ بَعْزَلُ عَنِ بَنِي عَبْدِ الْوَادِ لِاستِحْكَامِ الْعَدَاوَةِ بِمَقْتَلِ زَيَانَ بْنِ ثَابَتَ.

وَاللَّهُ وَارِثُ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا، وَهُوَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ، لَا رَبَّ غَيْرُهُ وَلَا مَعْبُودٌ سَوَاهُ.

## الخبر عن بني راشد بن محمد بن بادين وذكر أوليائهم وتصارييف أحواهم

وَإِنَّا قَدْمَنَا ذَكْرَهُمْ قَبْلَ اسْتِعْمَالِ بَطُونَ بَنِي بَادِينَ لَأَنَّهُمْ لَمْ يَرَالُوا أَحَلَافًا لَبْنِي عَبْدِ الْوَادِ وَمَنْ جَلَتْهُمْ، فَكَانَتْ أَخْبَارُهُمْ مِنْ أَخْبَارِهِمْ، وَأَمَّا رَاشِدُ أَبْوَهُمْ فَهُوَ أَخْرُ بَادِينَ.

وَأَخْتَصَّ بَنُوهُ كَمَا قَلَّنَا بَيْنِي عَبْدِ الْوَادِ، وَكَانَتْ مَوَاطِنُهُمْ بِالصَّحْرَاءِ بِالْجَبَلِ الْمُعْرُوفِ بِرَاشِدٍ أَسْمَهُمْ.

وَكَانَتْ مَوَاطِنُهُمْ مَدِيُونَةً مِنْ قَبَائِلِ الْبَرِّ بِقَبْلَةِ تَاسِلَةِ وَبِنْوَرِ.

وَرَنِيدَ مِنْ بَطُونَ دَمَرِ قَبْلَةِ تَلْمَسَانَ إِلَى قَصْرِ سَعِيدَ.

وَكَانَ جَبَلُ هَوَارَةِ مَوْطَنِهِ لَبْنِي يَلْوَمَانَ الَّذِينَ كَانُوا لِهُمُ الْمَلِكُ كَمَا قَدَّمْنَا.

وَلَا اضْمِحْلُ أَمْرُ بَنِي يَلْوَمَانَ وَذَهَبَتْ دُولَتِهِمْ، زَحْفُ بَنِي رَاشِدِ هُؤُلَاءِ مِنْ مَوَاطِنِهِمْ بِجَبَلِ رَاشِدٍ إِلَى بَسَاطِ مَدِيُونَةِ وَبِنِي وَرَنِيدَ، فَشَنَّوْا عَلَيْهِمُ الْغَارَاتِ، وَطَالَتْ بَيْنَهُمُ الْحَرْبُ إِلَى أَنْ غَلَبُرُهُمْ عَلَى مَوَاطِنِهِمْ وَأَجْزَوُهُمْ إِلَى الْأَوْعَارِ؛ فَاسْتَوْطَنَ بَنُو وَرَنِيدَ الْجَبَلِ الْمُطْلَقِ عَلَى تَلْمَسَانَ، وَاسْتَوْطَنَ مَدِيُونَةَ جَبَلِ تَاسِلَةِ.

وَمَلِكُ بَنُو رَاشِدٍ بِسَائِطِهِمِ الْقَبْلِيَّةِ.

ثُمَّ اسْتَوْطَنَوا جَبَلِهِمُ الْمُرْفُو بِهِمْ هَذَا الْعَهْدُ، وَهُوَ بَلْدُ بَنِي

## الخبر عن بني توجين من شعوب بني بادين من أهل هذه الطبقة

وكانت رياستهم لعهد الموحدين لعطيه بن مناد بن العباس بن دافلن، وكان يلقب عطية الحيو.

وكانت بينهم لهده وبين بني عبد الواحد حروب، كان متولى كبرها من بني عبد الواحد شيخهم لذلك العهد أعدوا بن يكتمن بن القاسم، فلم تزل تلك الفتنة بينهم إلى أن غلبهم بنو عبد الواحد آخرًا على مواطنهم كما نذكره.

ولما هلك عطية الحيو قام بأمرهم ابنه العباس، وكانت له آثار في الإجلاب على ضواحي المغرب الأوسط.

ونقض طاعة الموحدين إلى أن هلك ستة سبع وستمائة، دس عليه عامل تلمسان يومئذ أبو زيد بن بوجان من اغتاله فقتله. وقام بأمرهم من بعده ابنه عبد القوي، فانفرد برياستهم وتوارثها عقبه من بعده كما نذكره.

وكان من أشهر بطون بني توجين هؤلاء يومئذ بنو يدللن وبنو غزوي وبنو مادون وبنو زنداك وبنو سيل وبنو قاضي وبنو مامت، ويجمع هؤلاء الستة بنو مدن.

ثم بنو تغيرين وبنو يرناتن وبنو منكوش، ويجمع هؤلاء الثلاثة بنو رسوغين، ونسب بني زنداك دخيل فيهم، وإنما هم من بطون مغراوة.

وبنو منكوش هؤلاء منهم عبد القوي بن العباس ابن عطية الحيو، هكذا رأيت نسبة بعض مورخي زناته المكتoshi. وكانت رياضة بني توجين جمعاً عند انفراط أمر بني عبد المؤمن لعبد القوي بن العباس بن عطية الحيو، وأحيائهم جميعاً بتلك الحالات القبلية.

فلما وهن أمر بني عبد المؤمن وتغلب مغراوة على بسانط متيبة، ثم على جبل وانشريش، نازعهم عبد القوي وقومه أمر وانشريش، وغالبواهم إلى أن غلبوهم عليه، واستقر في ملكهم وأوطنه بنو تغيرين وبنو منكوش من أحياهم.

ثم نقلوا على منداس وأوطنها أحياهم بني مدن جميعاً. وكان الظهور منهم لبني يدللن، ورياسة بني يدللن لبني سلامة.

وبقي بنو يرناتن من بطونهم مواطنهم الأول قبل وانشريش.

وكان من أخلاف بني عطية الحيو بنو تغيرين منهم خاصة، وأولاد عزيز بن يعقوب، ويعرفون جميعاً بالحشم ولما تغلبوا على الأوطان والتلول، وأذاحوا مغراوة عن المدية ووانشريش

وستين وسبعيناً، وانقرض أمر بني وزمار بن إبراهيم، وأما بنو وزمار بن عمران فقام بأمرهم بعد مقاتلة بن وزمار آخره أبو زركن بن وزمار، ثم ابنه يوسف بن أبي زركن، ثم آخرون من بعدهم لم تخضرني اسماؤهم إلى أن غالب عليهم بنو وزمار بن إبراهيم.

وقد ذهبت لهذا العهد رياضة أولاد عمران جميعاً، وصار بنو راشد خولاً للسلطان وجباية، وبقيتهم على الحال التي ذكرناها، والله وارث الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين.

## الخبر عن بني توجين من شعوب بني بادين من أهل هذه الطبقة الثالثة من زناته وما كان لهم من الدولة والسلطان بالمغرب الأوسط وأولية ذلك ومصائره

كان هذا الحلي من أعظم أحياء بني بادين وأوفرهم عدداً وكانت مواطنهم حفافي وادي شلف قبلة جبل وانشريش من أرض السرسو، وهو المسماى لهذا العهد نهر واصل وكان بأرض السرسو بجهة الغرب منهم بطون من لوانة، وغلبهم عليها بنو وجديين ومطمطة.

ثم صارت أرض السرسو لبني توجين هؤلاء واستضافوها إلى مواطنهم الأول صارت مواطنهم ما بين موطن بني راشد وجبل دراك في جانب القبلة. وكانت رياستهم أيام صنهاجة لعطيه بن دافلن، وابن عمه لقمان بن المعتر كما ذكره ابن الرقيق.

ولما كانت فتنة حاد بن بل يكن مع عمه باديس، ونهض إليه باديس من القبور حتى احتل بواudi شلف، تخيز إليهم بنو توجين هؤلاء، وكانت لهم في حروب حاد آثار مذكورة.

وكان لقمان بن المعتر أظهر من عطية بن دافلن، وكان قومهم يومئذ زهاء ثلاثة آلاف. وأوفد لقمان ابنه يدر على باديس قبل اللقاء طاعة له والمخياشأ.

فلما انهزم حاد رعى لهم باديس المخياشهم إليه، وسونغ لهم ما غنموه، وعقد للقمان على قومه وموطنه، وعلى ما يفتحه من البلاد بدعورته ثم انفرد برياستهم بعد حين بنو دافلن. وبقال إنه دافلن بن أبي بكر بن الغلب.

محمد بن عبد القوي، وولي عهد أبيه سابع مواراته. وتافر كنست، واستأثروا بملكتها وملك الأوطان عن غربيها مثل: متداش والجعفات وناوغزوت، ورئيسهم لذلك العهد عبد القوي بن العباس، والكل لأمره.

وفر ابنه صالح بن يوسف إلى بلاد صنهاجة بجبال المدينة، فقام بها هو وبنته. فصار له ملك بدوي ولم يفارق فيه سكني الخيام ولا إبعاد النجعة ولا إيلاف الرحلتين.

واسقبل محمد برياسة بني توجين، واستغله ملكه، وكان الفحل الذي لا يقع أفعى. يتنهون في مشاتיהם إلى مصائب والزاب، وينزلون في المصايف بلادهم هذه من التل ولم ينزل هذا شأن عبد القوي وابنه محمد، إلى أن تنازع بنوه الأمر من بعده، وقتل بعضهم بعضاً.

واسقبل محمد برياسة بني توجين، واستغله ملكه، وكان عليه فار تجعل عنها، ثم تواضعوا أوزار الحرب ودعاه يغمراسن إلى مثل ما دعا إليه آباء من غزو بني مرين في بلادهم فأجاب.

ونهضوا سنة سبع وخمسين وستمائة ومعهم مغراوة فانتهوا إلى كلدمان ما بين تازى وأرض الريف ولقيهم يعقوب بن عبد الحق في جموعه فانكشفوا ورجعوا منهزمين إلى بلادهم كما ذكرناه.

وكانت بينه بعد ذلك وبين يغمراسن فتن وحروب، فتازله فيها بجبل وانشريش مرات، وجاس خلال وطنه ولم يقع بعدها بينهما مراجعة لاستبداد يغمراسن بالملك، وسموه إلى التغلب على زناة أجمع وببلادهم، وكانتوا جميعاً منحاشين إلى الدعوة الخففية.

وكان محمد بن عبد القوي كبير الصاغية إلى السلطان المستنصر.

ولما نزل النصارى الإفرنجية بساحل تونس سنة ثمان وستين وستمائة وطمعوا في ملك الحضرة، بعث المستنصر إلى ملوك زناة بالصریخ فصرفوا وجوههم إليه، وخف من بينهم محمد بن عبد القوي في قومه ومن احتشد من أهل وطنه، ونزل على السلطان بتونس وألبى في جهاد العدو أحسن البلا، وكانت له في أيامه معهم مقامات مذكورة، وموافق، عند الله محتسبة معدودة.

ولما ارتحل العدو عن الحضرة وأخذ محمد بن عبد القوي في الانصراف إلى وطنه، أنسى السلطان جائزته، وعم بالإحسان وجوه قومه وعساكره، وأقطعه بلد مقرة وأوامش من وطن الزاب، وأحسن منقلبه.

ولم يزل بعد ذلك متعلقاً بظاعته مستظهراً على عدوه بالأخياش إليه.

ولما استغله بني مرين على يغمراسن بعد استيلائهم على أمصار المغرب واستبدادهم بملكته، وصل محمد بيده بهم في الاستظهار على يغمراسن، وأوفد ابنه زيان بن محمد عليهم.

ولما نهض يعقوب بن عبد الحق إلى تلمسان سنة سبعين

وكان عبد القوي لما غالب مغراوة على جبل وانشريش، اختطف حصن مرات، بعد أن كان منديل المغراوي شرع في اختطاطه، فبني منه القصبة ولم يكملاه، فأكمله محمد بن عبد القوي من بعدهم.

ولما استبدل بني أبي حفص بأبي يافريقيبة، وصارت لهم خلافة الموحدين نهض الأمير أبو زكرياء إلى المغرب الأوسط، دخلت في طاعته قبائل صنهاجة، وفرت زناة أماهه وردد إليهم الفرزدق، فأصاب منهم وقبض في بعض غزوته على عبد القوي بن العباس أمير بني توجين فاعتقله بالحضرمة ثم من عليه وأطلقه على أن يستألف له قومه، فصاروا شيعة له ولقومه آخر الدهر.

ونهض الأمير أبو زكرياء بعدها إلى تلمسان، فكان عبد القوي وقومه في جملته حتى إذا ملك تلمسان، ورجع إلى الحضرة عقد لعبد القوي هذا على قومه ووطنه، وأذن له في اتخاذ الآلة، فكانت أول مراسم الملك لبني توجين هؤلاء وكانت حالمهم مع بني عبد الواد مختلف في السلم وال Herb.

ولما هلك السعيد على يدي يغمراسن وقومه كما ذكرناه، استغله بني مرين سائر أحياء زناة لغزو المغرب، ومسابقة بني مرين إليه، فنفر معه عبد القوي في قومه سنة سبع وأربعين وستمائة وانهوا إلى تازى، واعتراضهم أبو بحبي بن عبد الحق أمير بني مرين في قومه، فنكصوا وابتعدوا إلى انقاد نكان اللقاء، وانكشفت جروح بني بادين وكانت المهزيمة التي ذكرناها في أخبار بني عبد الواد.

وهلك عبد القوي مرجعه منها في سنته بالوضع المعروف ما حنون من مواطنهم وتصدى للقيام بأمرهم بعده ابنه يوسف، فمكث في تلك الإمارة أسبوعاً، ثم قتله على جدث أبيه أخوه

وفر بنو صالح ابن أخيه يوسف بن عبد القوي من مكانتهم بين صنهاجة منذ مقتل أبيه يوسف كما ذكرناه ولحقوا بلاد الموحدين بأفريقية، فلقوهم مبرة وتكريراً.

وأقطعوا لهم بضواحي قسنطينة، وكانتوا يعودون عليهم أيام حربهم وفي مواطن قتالهم.

وكان من أشهرهم عمر بن صالح وابنه صالح ويجيسي بن عمر، وحالفه يجيسي بن صالح بن عمر في آخرین مشاهير.

وأعقبهم لهذا العهد بنواحي قسنطينة وفي إالية الملوك من آل أبي حفص، يسكنرون معهم في غزواتهم ويبلون في حربهم، ويقومون بوظائف خدمتهم.

وكان الوالي من أولاد عزيز على المدينة حسن بن يعقوب، وبنته من بعده يوسف وعلي، وكانت مواطنهم ما بين المدينة وموطنهما الأول ماختون.

وكان بنو بدللن أيضاً من بني توجين قد استولوا على حصن الجعيات وقلعة تاوزغوت ونزل القلعة كبارهم سلامة بن علي مقيماً على طاعة محمد بن عبد القوي وقومه، فاتصل ملك محمد بن عبد القوي في ضواحي المغرب الأوسط ما بين مواطنين بي راشد إلى بلاد صنهاجة بنواحي المدينة، وما في قبلة ذلك من بلاد السرسو وجالبه إلى أرض الزاب.

وكان بعد الرحلة في مشتاه فينزل الدوسن ومقرة والمسلة. ولم يزل دأبه ذلك.

ولما هلك يغمراسن سنة إحدى وثمانين وستمائة كما ذكرناه استجدة الفتنة بين عثمان ابنه وبين محمد بن عبد القوي فنهى إليه عثمان في جموعه من بني عبد الواحد والعساكرة سنة اثنين وثمانين، فحاصره بجبل وانشريش واستعن عليه، فعادت في نواحي وطنه وقتل إلى تلمسان. وهلك محمد بن عبد القوي، على أثر ذلك سنة أربع وثمانين وستمائة وولي من بعده ابنه سيد الناس، فلم تطل مدة ملكه وقتلته أخوه موسى لسنة أو نحوها من بعده مهلك أخيه.

وأقام موسى بن محمد في أمارة بني توجين نحو من عامين.

وكان أهل مرات من أشد أهل وطنه شرورة وأقواهم غاللة، فحدثته نفسه أن يستلحّم مشيختهم ويريح نفسه من محاذرتهم، فاجمع لذلك وزملها، وندروا بشأنه ورأيه فيهم فاستمانوا جميعاً وثاروا به فقاتلتهم.

ثم انهزم مختنا بالجراحة وأجلاؤه إلى مهاوي الحصن فتردى

وستمائة وأوقع يغمراسن في إيسلي من إن ked الراقة التي هلك فيها ابنه فارس نهض إلى محمد بن عبد القوي للقائه ومر في طريقه بالبطحاء، وهي يومئذ ثغر لأعمال يغمراسن فهدمها ولقي يعقوب بن عبد الحق في ساحة تلمسان مباهاً بالاته فاكترم بعقوب وقادته وبر مقدمه ونازلواها أياماً فامتعمت عليهم، وأجمعوا على الإنزال ونادن لهم يعقوب بن عبد الحق ليثلمون عليها إلى أن يلحق محمد وقومه ببلادهم، حذرأ عليهم من غاللة يغمراسن فعل، وملا حفانيهم بالخاف، وجنب لهم مائة من الجياد العتاق بالراكب الثقيلة، وأراح عليهم ألف ناقة حلوب، وعمهم بالصلات والخلع الناخرة، واستكثر لهم من السلاح والغازات والأسباب والحملان وارتخلوا، ولحق محمد بن عبد القوي بمكانه من جبل وانشريش، واتصلت حربهم مع يغمراسن، وكثير إجلابه على وطنه وعيشه في بلاده وهو مع ذلك مقيم على موالة يعقوب بن عبد الحق وإنحافه بالعتاق من الخيل والمستجاد من الطرف.

حتى كان يعقوب إذا اشتهرت على يغمراسن في مهادنته جعل سليمهم من سلمه، وحرفهم من حرره، ويسبيهم كان نهوض يعقوب بن عبد الحق سنة ثمانين وستمائة لما اشتهرت عليه ذلك، ولحق في قبولة، فنهض إليه وأوقع به بخزروزة.

ثم انماخ عليه بتلمسان، ووافاه هنالك محمد بن عبد القوي فلقه في القصبات، وعاشروا في نواحي تلمسان نهاها وغرياً.

ثم أذن يعقوب حمداً وقومه في الانطلاق إلى بلادهم، وتلهم هو بمكانه من ضواحي تلمسان بمقدمة من جاتهم إلى مكانتهم من وانشريش حذرأ عليهم من اعتراض يغمراسن.

ولم يزل شانهم ذلك إلى أن هلك يغمراسن بشدبوبة من بلاد مفراوة خاصة إحدى وثمانين وستمائة وفي خلال ذلك استغلاظ بني مرين على بني عبد الواحد، استوسع محمد هذا ملكه، فتغلب على أوطان صنهاجة بجبل المدينة، وأخرج العالية من جبل تبطري بعد أن غدر بمشيختهم وقتلهم، فانزاحوا عنه إلى بسائط متيبة وأوطنوها.

واستولى محمد على حصن المدينة وهو المسما بأهله لمدينة (فتح اللام والميم وكسر الدال وتشديد الياء بعدها وهاء النسب في آخرها).

وهم بطن من بطون صنهاجة وكان المخطط لها بلکين بن زيري.

ولما استولى محمد عليها وعلى ضواحيها أُنزل بها أولاد عزيز بن يعقوب من حشمه وجعلها لهم موطنًا وولاية.

ثم هلك فنصب بنو تيغرين بعده أخاه عطية المعروف منها و هلك.

بالأصم، وخالفهم أولاد عزيز وجميع قبائل توجين فبايعوا ليوسف ابن زيان بن محمد.

وزحفوا إلى جبل وانشريش فحاصروا به عطية وبني تيغرين  
عاماً أو يزيد وكان يحيى بن عطية كبير بني تيغرين هو الذي ترول  
البيعة لعطية الأصم.

فَلِمَا اشْتَدَ بِهِمُ الْحَسَارُ وَاسْتَغْرَلَ مُلَكُ يَوْسُفَ بْنَ يَعْقُوبَ  
بِعَكَانَةِ مِنْ حَسَارٍ تَلْمِسَانَ وَرَغْبَةِ فِي مُلَكِ جَبَلٍ وَانْشَرِيسِ فَبَعْثَتْ  
مَعَهُ الْجَيْشَ لِنَظَرِ أَخِيهِ أَبِي سَرْحَانَ، ثُمَّ أَخْيَهُ أَبِي يَحْيَى.

وكان نهوض أبي يحيى سنة إحدى وسبعينات، فتوغل في  
ناحية الشرق، ولما رجع صمد إلى جبل وانشريش، فهدم حصنَه،  
وقفل ونهض ثانية إلى بلاد بني توجين فشردهم عنها، وأطاعه أهل  
تافركيت، ثم انتهى إلى المدينة فاقتحمها صلحًا، وانتخط قصبتها  
ورجع إلى أخيه يوسف بن يعقوب، فانتقض أهل تافركيت بعد  
صدروره عنها.

ثم راجع بنو عبد القرى بصائرهم في التمسك بالطاعة،  
ووفدوا على يوسف بن يعقوب فتقبل طاعتهم وأعادهم إلى  
بلادهم، أقطع لهم.

وولى عليهم علي بن الناصر بن عبد القوي، وجعل وزارته ليحيى بن عطية فغلبه على دولته، واستقام ملوكه.

وهلك خلال ذلك فعقد يوسف بن بن يعقوب مكانه محمد بن عطية الأصم، واستقام على طاعته وقتاً، ثم انقضى بين يدي مهلكه سنة ست وسبعينة وحمل قومه على الخلاف.

ولما هلك يوسف بن يعقوب وتحجّف بتو مرين من بعدها  
لبني يغمراسن عن جميع الأ MCSارات التي علّلوكها بالغرب الأوسط،  
استمكّن بني يغمراسن منها ودفعوا المتكلّفين عليهما.

ولحق الفيل من أولاد عبد القوي ببلاد الموحدين، فحلوا من دولتهم محل الإيثار والتكرمة.

وكان للعباس بن محمد بن عبد القوي مع الملوك من الـ أبي حفص مقام الخلة والمصافحة إلى أن هلك، وبقي عقبه في جند السلطان.

ولما خلا الجو من هؤلاء المرشحين تغلب على جبل  
وانشريش من بعدهم كبير بني تغرين وهو يحيى بن عطية بن  
يوسف بن المنصور، ويزعمون أنهم دخلاء في بني تغرين؛  
وأن المنصور هو أحد بن محمد من أعقاب يعلى بن محمد

وولي من بعد عمر ابن أخيه إسماعيل بن محمد ملءة أربعة  
أعوام، ثم غدر به أولاد عمّه زيـان بن محمد فقتلـوه وولـوا كـبرـهم  
بن زيـان وكان حـسن الـولاـية عـلـيـهـمـ، يـقـالـ: ما ولـي بـعـدـ محمدـ فـيهـمـ  
مـثـلـهـ.

وفي خلال هذه الولاية استغلظ عليهم بنو عبد الواحد  
واشتدت وطأة عثمان بن يغماسن عليهم بعد مهلك أبيهم محمد،  
فنهض إليهم سنة ست وثمانين وستمائة وحاصرهم مجبل  
وانشريش واعت في أوطنهم ونقل زروعها إلى مازونة حين غلب  
عليها مغواة.

ثم نازل حصن تافر كنيت وملكتها بداخلة القائد بها غالب  
الخصي مولى سيد الناس بن محمد، وقتل إلى تلمسان.

ثم نهض إلى أولاد سلامة بقلعة تاوزعوت، وامتنعوا عليه مراراً، ثم أعطوه اليد على الطاعة ومقارقة بنى محمد بن عبد القوي فنبذوا لهم العهد وصاروا إلى إيلال عثمان بن يغمراسن وفرضوا لهم المغaram على بني يدللت.

وسلك عثمان بن يغماسن مسلك التضرير بين قبائل بني توجين ونحر بعضهم على إبراهيم بن زيان أميرهم، فعدا عليه زكران بن أعمجي شيخ بني مادون وقتله بالبطحاء في إحدى غزواته لسبعة أشهر من ملكه.

وولي من بعده موسى بن زرارة بن محمد بن عبد القوي،  
بابيع له بنو تيغرين وخالف سائر بني ترجمان فأقام بعض سنة.

وَعُثْمَانَ بْنَ يَعْمَرَاسِنَ فِي خَلَالِ هَذَا يَسْتَأْلِفُ بْنَيْ تَوْجِينَ  
شَعْبًا فَشَعْبًا إِلَى أَنْ نَهَضَ إِلَى جَبَلٍ وَانْشَرِيشَ فَمُكَاهَةً وَفَرَّ أَمَامَهُ  
وَمِنْهُ زَلْكَةُ الْمَنَاجَةِ الْمَدِيَةُ وَهَذَا فِي مَفْهُومِ ذَلِكِ

ثم نهض عثمان إلى المدينة سنة ثمان وثمانين وستمائة بعدها فملكها بداخلة المدينة من قبائل صنهاجة، غدروا بأولاد عزيز وأمكروا له منها.

ثم انتصروا عليه لسبعة أشهر ورجعوا إلى إيلاء أولاد عزيز،  
فصالحوا عثمان بن يوسف على الآتاوية والطاعة كما كانوا مع  
محمد بن عبد القوي وبنته، فملك عثمان بن يغماسن على عامرة

ثم شغل بما دهمه من مطالبة بني مرین أيام يوسف بن  
يعقوب، فولى على بني توجين من بني عبد القوي أبو بكر  
بن إبراهيم بن محمد ملة عامين، أخاف فيها الناس وأساء السيرة.

سلطان بنى يفرن.

وناغي الخارج في دعوتهم، واشتمل عليه بنو عزيز هؤلاء وبنو يرناتن جرائهم، وزحف إلى جبل وانشريش لينال مع الحشم من مديلي أمرهم والمداخلين لعدوهم في قطع دابرهم، وكثيرهم يومئذ نصر بن عمر بن عثمان.

وابي نصر المسعود ابن بو زيد بن خالد بن محمد بن عبد القوي من أعقابهم، ثم خالص إليه من جملة عدي بن يوسف حدرأ على نفسه من أصحابه.

وقاتلهم عدي وقومه فامتنعوا عليه، ودارت بينهم حروب كانت العاقبة فيها والظهور لنصر بن عمر وقومه.

ثم دخل عدي في جملة السلطان أبي الحسن لما خالص من تونس إلى الجزائر، وقي مسعود بينهم وملكه أبو سعيد بن عبد الرحمن لما ملك تلمسان هو وقومه فلزم هناك إلى أن غلبه السلطان أبو عنان، فصار في جملته بعد أن فر إلى زواوة.

واستنزله منها ونقله إلى فاس وانتقض ملكهم ودولتهم، وانقطع أثر بنى محمد بن عبد القوي.

وأقام نصر بن عثمان في ولاية جبل وانشريش وعقد له السلطان أبو عنان عليه سائر دولته.

ولم يزل قائماً بدعوة بنى مرين من بعده إلى أن غلبهم السلطان أبو حمو الأخير، وهو موسى بن يوسف على الأمر، فأعطيه نصر الطاعة.

ثم اضطررت نار الفتنة بين العرب وبين بنى عبد الواد أعوام سبعين وسبعين، وقاموا بدعة أبي زيان ابن السلطان أبي سعيد عم أبو حمو، فاخشا نصر بن عمر إليهم وأخذ بدعة الأمير أبي زيان حيناً ثم هلك أيام تلك الفتنة وقام بأمرهم من بعده آخره يوسف بن عمر متقدلاً مذاهبه وهو لهذا العهد وهو سنة ثلاث وثمانين وبسبعينه صاحب جبل وانشريش، وحاله مع أبي حمو مختلف في الطاعة والخلاف، والله مالك الأمور، لا رب غيره ولا معبود سواه.

## الخبر عن بنى سلامة أصحاب قلعة تاوزعوت ورؤسائهم تاجرون من هذه الطبقة الثانية وأوليائهم

### ومصادرهم

كان بنو يدللتن هؤلاء من شعوب بنى تاجرين وأشدتهم

فأقام بيجي بن عطيه هذا في رياستهم أيامأ ثم هلك، وقام بأمره من بعده أخوه عثمان بن عطيه.

ثم هلك وولى من بعد ابنه عمر بن عثمان، واستقل مع قومه بجبل وانشريش، واستقل أولاد عزيز بالمديبة ونواحيها ورياستهم ليوسف وعلى أبي حسن ابن يعقوب، والكل في طاعة أبي حمو سلطان بنى عبد الواد بما غلبهم على أمرهم، وانتزع الرياسة من بنى عبد القوي أمرائهم إلى أن خرج على السلطان أبي حمو محمد ابن عمته يوسف بن بغماسن، ولحق بأولاد عزيز فبايعوه وداخلوا في شأنه عمر بن عثمان كبير بنى تغرين وصاحب جبل وانشريش، فأجابهم وأافق معهم سائر الأعشاش ومنكوشة وبنو يرناتن.

وزحفوا مع محمد بن يوسف إلى السلطان أبي حمو في معسكره بتهل فقضوه، وكان من شأن فتنته معهم ما ذكرناه في أخبار بنى عبد الواد إلى أن هلك السلطان أبو حمو وولي ابنه أبو تاشفين، فنهض إليهم في العساكر، وكان عمر بن عثمان قد لحقه الغيرة من مخالصه محمد بن يوسف لأولاد عزيز دون قومه، فدخل السلطان إبا تاشفين في الأحراف عنه، فلما نزل بالجبل، ولحق محمد بن يوسف بمحسن توكل ليتمكن له، نزع عنه عمر بن عثمان ولحق بأبي تاشفين ودله على مكان المحسن، فدلّف إليه أبو تاشفين وأخذ بمختنه.

وافتراق عن محمد بن يوسف أولياؤه وأتباعه فتقبض عليه، وقد أسرى إلى السلطان أبي تاشفين فقتل بن يديه عصاً بالرماح سنة تسع عشرة وسبعينه وبعث برأسه إلى تلمسان، وصلب شلوه بالمحصن الذي امتنع فيه أيام انتزاعه.

ورجع أمر وانشريش إلى عمر بن عثمان هذا، وحصلت ولاته لأبي تاشفين إلى أن هلك بتلمسان في بعض أيامهم مع بنى مرين، أعوام نازها السلطان أبو الحسن كما ذكرنا في أخبار الحصار.

ثم لما تغلب بنو مرين على المغرب الأوسط استعمل السلطان أبو الحسن ابنه نصر بن عمر على الجبل، وكان خير والوفاء بأزمته والطاعة، وخلوصاً في الولاية، وصدقـاً في الأخشاش، وإنحساناً للملكة، وتوفيراً للنجاة.

ولما كانت نكبة السلطان أبي الحسن بالقيروان، وتطاول الأعياض من زناتة إلى استرجاع ملکهم، انتزى بضواحي المدينة من آل عبد القوي عدي بن يوسف بن زيان بن محمد بن عبد القوي،

إلى أن هلك يوسف بن يعقوب ورجع أمر المغرب الأوسط لبني عبد الواد فوضعوا الأنواط على بني توجين وأصاروهم إلى الجباية.

ولم يزل سعد على ولايته إلى أن هلك أبو حمو وولي أبو تاشفين، ف Suspended سعداً ويعث عن أخيه محمد من جبل راشد، قوله مكانه.

ولحق سعد بالمغرب، وجاء في جلة السلطان أبي الحسن، ودخل آخره محمد مع أبي تاشفين فالحضر بتلمسان، وولي سعد بن سلامة مكانه.

ثم هلك محمد في بعض أيام الحصار وحربه.

ولما انقض أمر بني عبد الواد رغب سعد من السلطان خليلة سبيله لقضاء فرضه، فجع وهلك مر جمعه من الحج في طريقه وعهد إلى السلطان أبي الحسن واستوصاه بيته على لسان وليه عريف بن يحيى كبير بني سويد.

فولى السلطان أبو الحسن ابنه سليمان بن سعد على بني يدللتن والقلعة، وانقض أمر السلطان أبي الحسن وعاد الأمر إلى أبي سعيد ولبي ثابت أبي عبد الرحمن بن يحيى بن يغماسن، فكانت بيته وبينه وبينهم ولاية المغارف.

وكان أولياً لهم من العرب بني سويد من زغبة بما كانوا في جيرانهم في مواطنهم من ناحية القبلة، فطماع ونزمار بن عريف شيخهم في التغلب على وطن بني يدللتن، ومانعه دونه سليمان هذا، وبالغ في دفاعه إلى أن ملك السلطان أبو عنان بلاد المغرب الأوسط، ورعى لوزمار، وابنه عريف حق أخياشهم إليه وهو جرتهم إلى قومه، فقطع ونزمار بن عريف القلعة وما إليها وجباية بني يدللتن أجمع.

ولحق سليمان بن سعد بن سلامة في جنده ووجوه عسكره إلى أن هلك السلطان، وعاد الأمر لبني عبد الواد على يد أبي حمو الأخير، فولى سليمان على القلعة وعلى قومه واستغاث العرب عليه.

فاستأباب سليمان هذا ونذر بالشر منه، فلتحق بأولاد عريف، ثم راجع الطاعة فتقبض عليه وأغتاله، وذهب دمه هدا.

ثم غلبه العرب على عامة المغرب الأوسط، وأقطع القلعة وهي يدللتن لأولاد عريف استخلافاً له.

ثم أقطعهم بني مادون ثم منداس، فأصبحت بطرور توجين كلها خولاً لسويد وعيذاً لجيابتهم إلا جبل رانشريش فإنه لم ينزل

شوكه وأوفرهم عدداً، وكان لهم ظهور من بين سائر تلك البطون. وكان بنو عبد القوي ملوك بني توجين يعرفون لهم ذلك، ويوجبون لهم حقه.

ولما دخلوا إلى التلول بعد انتراض بني يلومي وبني ومانوا نزل بنو قاضي منهم وبني مادون بأرض منداس، فأوطنوها. وجاء بنو يدللتن على أثرهم، فأوطنوا الحببات وتساوغزوت ورياستهم يومئذ لنصر بن سلطان بن عيسى.

ثم هلك ققام بأمرهم ابنه مناد بن نصر، ثم أخوه علي بن نصر من بعده ثم ابنه إبراهيم بن علي من بعده.

ثم هلك وقام بأمرهم أخوه سلامة بن علي على حين استفحلا ملك عبد القوي وبنيه، فاستفحلا أمره هو في قومه واختطف القلعة تاوغزوت المنسوبة إليه وإليه، وكانت من قبل رباطاً لبعض المتقاعدين من عرب سويد.

ويزعم بنو سلامة هؤلاء أنهم دخلاء في نسب توجين، وأنهم من العرب ثم من بني سليم بن منصور.

وجاء جدهم عيسى أو سلطان نازعاً عن قومه لدم أصبه فيهم، فخلطه شيخ بني يدللتن من بني توجين بنسبيه، وكفل بيته من بعده فكانت له سبيلاً في رياسته على بني يدللتن وبينه من بعده.

ولما هلك سلامة بن علي قام بأمرهم من بعده ابنه يغماسن بن سلامة، على حين استغاثة بنو عبد الواد على بني توجين من بعد مهلك محمد بن عبد القوي سلطانهم الأكبر.

فكانت عثمان بن يغماسن يتردد إلى بلادهم بالغزو، ويطلب فيها العيش ونازل في بعض غزواته قلعتهم هذه، وبها يغماسن فامتنع عليه وخالقه يوسف بن يعقوب وبني مرين إلى تلمسان، فاجفل على القلعة سابق بني مرين إلى دار ملكه واتبعه يغماسن بن سلامة مغيراً في أعقابه، فكر إليه بالمكان المعروف بتلبيوان.

ودارت بينهم هنالك حرب هلك فيها يغماسن بن سلامة، وقام بالأمر من بعده أخوه محمد بن سلامة، فأذعن لطاعة عثمان بن يغماسن، وخالق بني محمد بن عبد القوي وجعل الآثار على قومه ووطنه للملك بني عبد الواد، فلم تزل عليهم للملك تلمسان.

ولحق آخره سعد بالمغرب، وجاء في جلة السلطان يوسف بن يعقوب في غزوه التي حاصر فيها تلمسان حصاره الطويل، فرعى لسعد بن سلامة هجرته إليه وولاه على بني يدللتن والقلعة. وفر آخره محمد بن سلامة فلتحق بمنطقة جبل راشد وأقام هنالك

## الخبر عن بنى يرثاتن إحدى بطون توجين من هذه الطبقة

ومن مشاهيرهم عمر الذي قتله السلطان أبو الحسن مبرات حين سعى به أنه داخل في اغتياله، ففر وأدركه فقتل بمرات. ومنهم متليل الذي قتله بنو تيغرين أيام ولوا على بن الناصر وقتلوا معه عبو بن حسن بن عزيز، ومنهم عنان ومات قتيلاً في حصار تلمسان أيام أبي تاشفين، ومنهم مسعود ومهيب وسعد وداود وموسى ويعقوب والعباس ويوسف في آخرین معروفي عنهم.

هذا شأن أولاد نصر بن علي بن نصر بن مهيب.

وأما ولد عتر أخيه فكان منهم أبو الفتح بن عتر.

ثم من ولده عيسى بن أبي الفتح، فكان رئيساً على بني أبيه، وكانت إحدى وصائفهم سقطت بدار عثمان بن يغماسن، وادعت الحمل من سيدها أبي الفتح، وجاءت باخ لعيسى سنتي معروفاً، ربي بدارهم.

واسترزره أبو حمو وابنه من بعده، وبلغ المبالغ في دولتهم وكان يدعى معرف الكبير.

ولحق به أيام رياسته في دولة أبي حمو الأول أخوه عيسى بن أبي الفتح مغاضباً لقومه، فسعى له في الولاية على بني راشد وجابة أوطانهم، وأنزله بلد سعيدة، فكانت له بها إماره، وكان له من الولد أبو بكر وعبو وظاهر وورزمار، وعندما غلب بني مرين على بني عبد الواد ولاهم السلطان أبو الحسن على بني يرثاتن متداولين وأاما ولد تاسرغينيت من بني علي بن نصر بن مهيب، فلم يكن لهم ذكر في رياسة قومهم، إلا أن بعض وصائفهم سقطت أيضاً إلى دار أبي تاشفين فولدت غالماً يعرف بعطيه بن موسى نشاً في دارهم فنسب إلى بني تاسرغينيت فولاه.

هذا المهد عامل أبي حمو الأخير على شلف وما إليه.

وقد غلب العرب هذا العهد على وطن بني يرثاتن، وملوكها عليهم يعود ومحاربون وبقيت صباتهم بجبل ورينة.

وعليهم لهذا العهد أمير من ولد نصر بن علي بن نصر بن مهيب، يعطون المفرم للسلطان ويصانعون العرب بالأتواء.

وبيد الله تصارييف الأمور سبحانه لا رب غيره.

لبني تيغرين والوالى عليهم يوسف بن عمر منهم كما قلناه.

ونظم أبو حمو أولاد سلامه في جنده وأثبتهم في ديوانه وأقطعهم القصبات من نواحي تلمسان في عطائهم وهم على ذلك لهذا الهد.

ولله الخلق والأمر، لا رب سواه ولا معبود إلا إيه، له الحكم، إليه ترجعون، وهو نعم المولى ونعم التنصير، وهو على كل شيء قادر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

## الخبر عن بنى يرثاتن إحدى بطون توجين توجين

### من هذه الطبقة الثانية وما كان لهم من

### التغلب والإمارة وذكر أوليائهم ومصائرهم

كان بني يرثاتن هؤلاء من أوفر قبائل بني توجين وأعزهم جاباً وأكبرهم صيتاً.

ولما دخل بنو توجين إلى تلول المغرب الأوسط، أقاموا مواطنهم الأولى ما بين ومحاربون ووريته.

ثم يعودون من القبة يحملون جابي نهر واصل من أعلى وادي شلف.

وكانت رياستهم في نصر بن علي بن قيم بن يوسف بن بو نوال، وكان شيخهم مهيب بن نصر منهم، وكان عبد القوي بن العباس وابنه محمد أمراً ببني توجين يختصونهم بالإثارة والتجلة لكانهم من قومهم، وما يؤمنون من عظيم عنائهم.

وكان محمد بن عبد القوي في سلطانه يولي عليهم من الحشم أولاد عزيز، وكان واليهم لعهد وعهد بني عبو بن حسن بن عزيز.

وقد كان أصهار مهيب بن نصر إلى عبد القوي في ابنته، فاتنكحه إياها وولدت له نصر بن مهيب، فشرفت خولته بمحمد بن عبد القوي وعلا كبه في أمارته.

ثم ولـي بعده ابنه علي بن نصر، وكان له من الولد نصر وعتر وآخرون يعرفون باسمهم، وأسمها تاسرغينيت.

ولي بعده ابنه نصر بن علي فطال أمد إمارته في قومه.

واختلف بنو عبد القوي وغليهم بنو عبد الواد على ما يأذيهم، فصرفت ملوك زناته وجه العانيا إليه فبعد صيته وعرف بنوه من بعده بشهرته، وكان ولوداً فيقال: إنه خلف ثلاثة عشر من البنين، ما منهم إلا صاحب حرب أو مقرب.

فحاصره بتلمسان.

وسرح الشيخ أبا حفص في العساكر لحرب زناتة بالمغرب الأوسط، وجع له بنو بادين كلهم وبنو يلومي وبنو مرین ومخراوة فقض الموحدين جموعهم واستحلموا أكثرهم. ثم راجع بنو يلومي وبنو بادين طاعتهم، وأخلص بنو عبد الواد في خدمتهم ولنصيبتهم.

ولحق بنو مرین بالقفر، فلما غلب عبد المؤمن على وهران واستولى على أموال لمنونة وبعث ذخيرتهم بتلك الغنائم إلى جبل تينمل حيث داره، ومن أین كان منبعث الدعوة. وببلغ الخبر إلى بني مرین بمكانهم من الزاب، وشيخهم يومئذ المخضب بن عسکر، فأجتمع اعترافها بقرمه ولحق العير بوادي تلاغ، فاحتازها من أيدي الموحدين.

واستفن عبد المؤمن لاستقادتها أولياء من زناتة، وسرحهم مع الموحدين لذلك، فأبلى بنو عبد الواد فيها بلاء حسناً.

وكان اللقاء في فحص مسون، وانكشف بنو مرین، وقتل المخضب بن عسکر، واكتسح بنو عبد الواد حللهم، وذلك سنة أربعين وخمسينية فلتحق بنو مرین بعدها بصحرائهم، ومعالات قبرهم، وقام بأمرهم من بعد المخضب أبو بكر ابن عمه حامة ابن محمد إلى أن هلك، فقام بأمره ابنه عبيو، ولم يزل مطاعاً فيهم إلى أن استفrem النصّور لغزة الأركة، فشنّدوها وأبلوا البلاء الحسن وأصابت عبيو يومئذ جراحة انتقضت عليه مرجه منها، فهلك بصحراء الزاب سنة إحدى وستين وخمسينية.

وكان من رياضة عبد الحق ابنه من بعده، ويقائهما في عقبه ما نذكره إن شاء الله تعالى.

**الخبر عن أمارة عبد الحق بن محيو المستقرة**  
في بنيه وإمارة ابنه عثمان من بعده ثم أخيه  
محمد بن عبد الحق بعدهما وما كان فيها

### من الأحداث

لما هلك عبيو بن أبي بكر بن حامة من جراحته كما قلناه، وكان له من الولد عبد الحق وحسناف ويجياتن.

وكان عبد الحق أكبرهم، فقام بأمر بني مرین، وكان خير أمير عليهم قياماً بصالحهم وتعففاً عما في أيديهم، وتقرعوا له على الجادة ونظراً في العراق، واستمرت أيامهم.

**الخبر عن بني مرین وأنسابهم وشعوبهم وما تأثروا بالغرب**

تأثروا بالغرب من السلطان والدولة التي استبعت سائر زناتة وانتظمت كراسى الملك بالعدوتين وأولية ذلك ومصائره

قد ذكرنا أن بني مرین هؤلاء من شعوب بني واسين، وذكروا نسب واسين في زناتة، وذكروا أنهم بنو مرین بن ورتاجن بن ماخوخ بن جديع بن فاتن بن يدر بن يخفت بن عبد الله بن رتبص بن العز بن إبراهيم بن سحبك بن واسين، وأنهم إخوة بني يلومي ومديونة. وربما يشهد بذلك جوار مواطنهم قبل الملك ما بين صا

وملوبة. وذكروا كيف اقتسموا الضاحية والقفر مع أخوانهم بني بادين بن محمد، وكيف اتصلت فتنتهم معهم سائر أيامهم. وكان الغلب أولاً لبني بادين بن محمد لكثرة عددهم فإنهم كما ذكرنا خمسة بطون: بنو عبد الواد وتوجين ومصاب، وبنو زردال وإنوائهم بنو راشد بن محمد. وكانت أهل تلول الغرب الأوسط دونهم.

ويقى هذا الحلي من بني مرین ب مجالات القفر من فيكيك إلى سجلماسة إلى ملوبة وربما ينطرون في ظعنهم إلى بلاد الزاب. ويدرك نسباتهم أن الرئاسة فيهم قبل تلك المصور كانت لمحمد بن ورزين بن فكتوس بن كوماط بن مرین، وأنه كان محمد إخوة آخرون يعرفون بأسمائهم تالتلت وكان بنو عمه ونكاسن بن فكتوس.

وكان محمد من الولد سبعة: شقيقان وهم: حامة وعسکر، وأبناء علات أمهات أولاد: وهم سنكمان وسكميان وسكم ووراغ وقرنوت وتسمى هذه الخمسة في لسانهم تيريعين، ومعناه عندهم الجماعة.

يزعمون أن محمداً لما هلك قام بأمره في قومه ابنه حامة، وكان الأكبر ثم من بعده أخوه عسکر، وكان له من الولد ثلاثة: نكوم وأبى يكنى، ويلقب المخضب، وعلى ويلقب لاادر. ولما هلك قام برئاسته فيهم ابنه المخضب فلم يزل أميراً عليهم إلى أن كان أمراً للموحدين. وزحف عبد المؤمن إلى تاشفين بن علي بن يوسف

اختلفت بنو محمد ورؤساؤهم واتباعهم من عشائرهم بنو عسکر بن محمد، لمناقسة وجدوها في أنفسهم من استقلال بني عمهم حامة بن محمد بالرياسة دونهم، بعد أن كان أرمض عندهم منها في عسکر، وابنه المخضب إياض من أخلف بارقة.

فحالفوا عبد الحق أميرهم وقومه إلى مظاهرة أولياء الموحدين، وحامية المغرب من قبائل رياح الموطنين بالضبط وأزارغار الحديث عدهم بالتوحش والعز منذ إنزال المتصور إبراهيم بذلك القطر من إفريقية، فتحيزوا إليهم وكاثر وهم على قومهم وصمدوا جميعاً للقاء بني مرین سنة أربع عشرة وستمائة، ودارت بينهم حرب تولى الصبر مقامها وهلك فيها أميرهم عبد الحق وكثير بنيه إدريس وتذامر لهلكها بتو مرین وجلى تلك الحومة حامة بن يصلين من بني عسکر، والأمير ابن محيى السكمي فانكشفت رياح آخر، وقتل منهم أبطال.

وول بتو مرین عليهم بعد مهلك عبد الحق ابنه عثمان تلو إدريس، وشهرته بينهم أدرغال، ومعناه بروطتهم الأعور.

وكان عبد الحق من الولد عشرة، تسعه ذكور وأختهم ورطلهم: إدريس وعبد الله ورحو لامرأة من بني علي اسمها سوط النساء، وعثمان وحمد لامرأة من بني ونكسن اسمها النوار بنت تصاليت، وأبر بكر لامرأة من بني تافت وهي تاغزونت بنت أبي بكر بن حفص، وزيان لامرأة من بني ورتاجن، وأبر عياد لامرأة من بني دلور إحدى بطون عبد الرواد واسمها أم الفرج، ويعقرب لأم اليمين بنت محلى من بطورية.

وكان أكبرهم إدريس المالك مع أبيه عبد الحق، فقام بأمر بني مرین من بعد عبد الحق ابنه عثمان، بايعه لوقته حامة بن يصلين ولبر بن محيى ومن إليهما من مشيخة قومها واتبعوا منهزمة رياح وأثخنوا فيهم.

وثار عثمان بأبيه وأخيه حتى شفأ نفسه منهم ولاذوا بالسلم، فسالمهم على آثاره يؤدونها إليه وإلى قومه كل سنة. ثم استشرى من بعد ذلك داء بني مرین وأعضل خطفهم، وكثير التوار بال المغرب، وامتنع عامة الرعايا عن المغرم، وفسدت السابلة.

واعتصم الأماء والعمال من السلطان فيمن دونه بالأمسار والمدن، وغلبوا أولئك على الضاحية وتقلص ظل الحكم عن البدو جملة.

وافتقد بتو مرین الحامية دون الوطن والدفاع، فتمدوا إلى البلاد يداً.

ولما هلك الناصر رابع خلفاء الموحدين بالمغرب سنة عشر وستمائة مرجعه من غزوة العقارب، وقام بأمر الموحدين من بعده ابنه يوسف المستنصر، نصبه الموحدون للأمر غلاماً لم يبلغ الخامن.

وشغله أحوال الصبا وجنونه عن القيام بالسياسة وتدبير الملك، فأضاع الحزم وأغفل الأمور وترك كل الموحدون بما أرخى لهم من طبل الدالة عليه ونفس عن مخنته من قضية الاستبداد والقهر، فضاعت التغور وضفت الحامية وتهاونوا بأمرهم، وفتشلت ريجهم.

وكان هذا الحي لذلك العهد بمحالات القفار، من فيكيك إلى صا وملوية كما قدمناه من شأنهم.

وكانتوا يطرون في صعودهم إلى التلول والأرياف منذ أول دولة الموحدين وما قبلها جهات كرسيف إلى وطاط، ويانسون من هنالك من بقايا زناته الأولى: مثل مكتانة بجبل تازى، وبني برنيان من مغراوة الموطنين قصور وطاط من أعلى ملوية فيقلبون بتلك الجهات عام الرابع والمصيف، وينحدرون إلى مشاتيهم بما امتازوا به من الحروب لأقوائهم.

فلما رأوا من اختلال بلاد المغرب ما رأوا انهزوا فيها الفرصة، وخطروا إليها الفخر، ودخلوا ثناياه، وترقروا في جهاته وأرجعوا بعيلهم وركابهم على ساكته، واكتسحوا بالغارة والنهب عامة بساناتهم وجلأت الرعايا إلى معتصماتهم ومعاقيهم، وكثروا شاكبيهم وأظلموا بخواصيبيهم وبين السلطان والدولة، فآذنوه بالحرب وأجعلوا الغزوهم وقطع دابرهم.

وأغرى الخليفة المستنصر عظيم الموحدين أبا علي بن واندين بجمع العساكر والخشود من مراكش، وسرحه إلى السيد أبي إبراهيم ابن أمير الموحدين يوسف بن عبد المؤمن بمكانه من إمارة فارس ولوذر إلى أنه يخرج لغزو بني مرین، وأمره أن يشنن ولا يستبني.

واتصل الخبر ببني مرین وهم في جهات الريف وببلاد بطورية، فتركوا ثناياهم محصن تازوتاً، وصمدوا إليهم.

والتقى الجمعان بسوادي نكور، فكان الظاهر لبني مرین والدببة على الموحدين وامتلاك الأيدي من أسلابهم وأعتنتهم، ورجعوا إلى تازى وفاس عراة يخسفون عليهم من ورق النبات المعروف عند أهل المغرب بالمشغلة يوارون به سوانthem لكثرة الخصب عامدنة، واعتمار الفدن بالزرع وأصناف الباقلا حتى لقد سميت الواقعية برمذن عام المشغلة.

وصمد بتو مرین بعدها إلى تازى، فقلوا حاميتها أخرى. ثم

وزحف إليهم بنو مرين بوادي ياباش، وصبر الفريقان، وهلك الأمير محمد بن عبد الحق في الجولة يد زعيم من زعماء الروم.

وانكشفت بنو مرين واتبعهم الموحدون، ودخلوا تحت الليل، فلحقوا بجيش غياثة من نواحي تازى واعتصموا بها أياماً. ثم خرجوا إلى بلاد الصحراء، وولوا عليهم أبي يحيى بن عبد الحق، فقام بأمرهم على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

### الخبر عن دولة الأمير أبي يحيى بن عبد الحق مدبل الأمر لقومه بنو مرين وفاتح الأمصار ومقيم الرسوم الملكية من الآلة وغيرها لمن بعده من أمرائهم

لما ولّ أبو يحيى بن عبد الحق أمير بنو مرين سنة اثنين وأربعين وستمائة، كان من أول ما ذهب إليه ورآه من النظر لقومه، أن قسم بلاد المغرب وقبائل جبارته بين عشائر بنو مرين وأنزل كلّاً منهم في نهاية تسوغها سائر الأيام طعمة فاستركبوا الرجل أتباعهم، واستلتحقوا من غاصبهم، وتوفّرت عساكرهم. ثم نبضت نار المنافسة بين أحياائهم، وخالف بنو عسكر جماعتهم، وصاروا إلى الموحدين، فحضرتهم على أبي يحيى بن عبد الحق وبني حامة وأغروهم بهم ويعثروا الصريحة إلى يغماسن بن زيان، فوصل إلى قومه إلى فاس واجتمعوا جميعاً إلى قائد الموحدين، وأعطوا الرهن على صدق البلاء في الأمير أبي يحيى وأبوعاه، وصمدوا إليه حتى انتهوا إلى ورغة، ثم إلى كرت، وأعجزهم فانكفروا راجعين إلى فاس.

ونذر يغماسن بقدر الموحدين، فخرج في قومه مع أوليائه بني عسكر، وعارضهم الأمير أبو يحيى بوادي سبو، فلم يطق حربهم، ورجع عنهم عسكر الموحدين بما صرخ في معسكرهم من موت الخليفة السعيد.

ثم يعثروا إليه للاظفتهم في الفتنة إلى الطاعة ومنذهب الخدمة، القائد عنبر الحصي مولى الخليفة في حصة من الروم والنأشبة، فتقبض عليهم بنو عسكر وتعسكروا بهم في رهنهما، وقتلوا كافة النصارى، فأطلق أبناءهم ولحق يغماسن وقومه بتلمسان، ثم رجع بنو عسكر إلى ولاية أميرهم أبي يحيى، واجتمع بنو مرين لشأنهم وغلقوا الأعمال.

وسار بهم أميرهم أبو سعيد عثمان بن عبد الحق في نواحي المغرب يتقرى مسالكه وشعوبه، ويضع المغارم على أهلها حتى دخل أكثرهم في أمره، فباعه من الطواعن الشاوية والقبائل الأهلة: هوارة وزكار، ثم تسلّل ومكناسة، ثم بطرونة وقنطرة، ثم سدراته، وبهلولة ومديونة ففرض عليهم المخراج والزمام المغارم، وفرق فيهم العمال ثم فرض على أمصار المغرب مثل فاس وتازى ومكناسة وقصر كاتمة ضريبة معلومة يودونها إليه على رأس كل حول، على أن يكف الغارة عنهم ويسلاح سابلتهم.

ثم غزا طواعن زناتة سنة عشرين وستمائة، وأثخن فيهم حتى أذعنا، وقبض عليهم عما امتدت إليه من الفساد والنهب. وعطف بعدها على رياح أهل آزغار والمحيط وأثار به بأبيه، فانخرن فيهم وأبادهم ولم يزل ذلك إلى أن هلك باختيار علجة سنة سبع وثلاثين وستمائة.

وقام بأمر بنو مرين من بعده أخوه محمد بن عبد الحق، فتقبل سنّ أخيه في تاريخ بلاد المغرب وأخذ الضريبة من أمصاره وجباية المغارم والوضائع من طواعنه وبدوه وسائر رعاياه وبعث الرشيد أبي محمد بن وانددين لحربيهم وعقد له على مكناسة، فدخلتها واجحف بأهلها في المغارم.

ثم نزل بنو مرين بتتجدد وغير من ضواحيها، فنادي في عساكره وخرج إليهم، فدارت بينهم حرب شديدة هلك فيها خلق من الجنين.

ويارز محمد بن إدريس بن عبد الحق قائدًا من الروم، واحتلّها ضربتين هلك العلاج بإحداهما، والجراح محمد في وجهه بالأخرى واندلّ جرحه، فصار أثر في وجهه لقب من أجله أبا ضربة.

ثم شد بنو مرين على الموحدين، فانكشفوا ورجع ابن وانددين إلى مكناسة مفلولاً وبقي بنو عبد المؤمن أثناء ذلك في مرض من الأيام، وتناقل عن الحماية ثم أومضت دولتهم آخرًا إيماض الحمود.

وذلك أنه لما هلك الرشيد بن المأمون سنة أربعين وستمائة، وولى أخوه علي وتلقب بالسعيد، وبإيعه أهل المغرب، انصرفت عزائمه إلى غزو بنو مرين، وقطع أطماءهم عما سمت إليه من تلك الوطن، فأغزى عسكر الموحدين لقتالهم، ومعهم قبائل العرب والمصادمة وجحود الروم.

فنهضوا سنة اثنين وأربعين وستمائة في جيش كثيف يناهز عشرين ألفاً فيما زعموا.

الخشوع ووجوم الذنب والتسلل، فعفا عنهم وتقبل فيهم، وارتخل إلى تازى في اتباع بي مرين.

وأجمع بنو أوطاس الفنك ببابي يحيى بن عبد الحق غيرة ومنافسة، ودس إليه بذلك مهيب من مشيختهم، فترحل عنهم إلى بلاد بي زناسن، وزنل عين الصفا.

ثم راجع نظره في مسالة الموحدين والفتنة إلى أمرهم ومظاهرتهم على عدوهم يغرسن وقومه من بي عبد الواد ليكون فيها شفاء نفسه منهم، فا kaldı مشيخة قومه عليه بتازى، فادروا طاعته وفتنته، فتقبلها وصفح لهم عن الجرائر التي أتواها، وسائلوه أن يستكفي بالأمير أبي يحيى في أمر تلمسان ويعمراسن، على أن يمده بالعساكر راحة وناشرة.

فاتهم الموحدون وخذلوا منهم غاللة العصبية، فامرهم السعيد بالعسكرة معه فامده الأمير أبو يحيى بخمسة مائة من قبائل بي مرين.

وعقد عليهم لابن عمه أبي عياد بن يحيى بن أبي بكر بن حامة، وخرجوا تحت رايات السلطان، ونهض من تازى يريد تلمسان وما وراءها، وكان من خبر مهلكه على جبل تامزيزدكت ييد بي عبد الواد ما ذكرناه في أخبارهم.

ولما هلك وانقضت عساكره متسابقين إلى مراكش، وجهورهم مجتمعون إلى عبد الله بن الخليفة السعيد ولـي عهده، وتحت رايات أبيه، وطار الخبر بذلك إلى الأمير أبي يحيى بن عبد الحق، وهو مجاهات بي زناسن، وقد خلص إليه هنالك ابن عمه أبو عياد.

وبعث بي مرين من تيار تلك الصدمة، فاتهز الفرصة وأرصد لعسكر الموحدين وفلهم بكرسيه، فأوقع بهم وامتلات أيدي بي مرين من أسلائهم، وانتزعا الآلة من أيديهم.

وأصار إلى كتبة الروم والناشبة من الغزو، واتخذ المركب الملكي، وهلك الأمير عبد الله بن السعيد في جوانب تلك الملجمة، وينسو للموحدين بعدهما من الكرة.

ونهض الأمير أبو يحيى وقومه إلى بلاد المغرب متسابقين إليه يغرسن بن زيان بما كان ملوك الموحدين أوجدوهم السبيل إلى ذلك باستجاشة على بي مرين أيام فتنهم معهم، فكانوا يسيرون به حرث المغرب ويرطونه عساكر قومه ما بين تازى إلى فاس، إلى القصر مع عساكر الموحدين، فكان ليغرسن وقومه بذلك طمع فيها لولا ما كبحهم فأس بي مرين وجدع من أنوفهم.

وكان أول ما بدأ به أبو يحيى بن عبد الحق أعمال وطاط،

ثم مدوا عينهم إلى عملك الأنصار، فنزل أبو يحيى بحملته جبل زرهون، ودعا أهل مكانة إلى بيعة الأمير أبي زكرياء بن أبي حفص صاحب إفريقية، لما كان يومئذ على دعوته وفي ولاته، فحاصرها وضيق عليها بقطع المرافق وتردد الغارات ومعاودة الحرب، إلى أن أذعنوا لطاعته، فافتتحها صلحًا بداخلة أخيه يعقوب بن عبد الحق لزعيمها أبي الحسن بن أبي العافية.

ويعثروا بيعتهم إلى الأمير أبي زكرياء، وكانت من إنشاء أبي المطرف بن عميرة، وكان قاضياً فيهم يومئذ، فأقطعه السلطان ليقرب ثلث جايتها، ثم أحس الأمير أبو يحيى بن عبد الحق من نفسه الاستبداد، ومن قبيل الاستيلاء فأخذ الآلة.

وبلغ الخبر إلى السعيد بغلبه على مكانة وصرفها إلى دعوة ابن أبي حفص، فوجم لها وفاوض الملا من أهل دولته في أمره، وأبراهيم كيف اقطع الأمر منهم شيئاً فشيئاً: فابن أبي حفص اقطع إفريقية، ثم يغرسن بن زيان وبنو عبد الواد اقطعوا تلمسان والمغرب الأوسط، وأقاموا فيها دعوة ابن أبي حفص، وأطمعوه في الحركة إلى مراكش بمظاهرتهم.

وابن هود اقطع عدوة الأندلس، وأقام فيها دعوة بني العباس، وابن الأهر في الجانب الآخر مفيم لدعوة ابن أبي حفص.

وهو لاء بي مرين تغلبوا على ضواحي المغرب، ثم سموا إلى عملك الأنصار، ثم افتح أميرهم أبو يحيى مكانة وأظهر فيها دعوة ابن أبي حفص، وجاهر بالاستبداد، وروشك إن رضينا هذه الدينية، وأغضبنا عن هذه الواقعات أن يختلي الأمر أو تقرض الدعوة، فتدامروا وامتعضوا وتداعروا للصمود إليه.

فجهز السعيد عساكره، واحتشد عرب المغرب وقبائله، واستفر الموحدين والمصادمة، ونهض من مراكش سنة خمس وأربعين وستمائة يريد مكانة: وبي مرين أولاً، ثم تلمسان ويعمراسن ثانياً، ثم إفريقية وابن أبي حفص آخرًا، واعتراض العساكر والخشود بروادي بهت.

ووصل الأمير أبو يحيى إلى معسكره متوارياً عنهم عيناً لقومه، حتى صدقهم كنه الخبر، وعلم أن لا طاقة له بهم، فأخرج عن البلاد، وتذاذر بنو مرين بذلك من أماكنهم، فتلحقوا به واجتمعوا إليه بزارطا من بلاد الريف.

ونزل سعيد مكانة، ولاذ أهلها بالطاعة، وسألوا العفو عن الجريمة، واستثنعوا بالصالحة، برب بها الأولاد على روؤسهم، وانظموا مع النساء في صعيد حاسرات منكسرات الطرف من

**الخبر عن انتفاضة أهل فاس على أبي يحيى  
بن عبد الحق وظفره بهم بعد إيقاعه  
يغمر أسن وقومه بأيسلي**

لما ملك الأمر أبو يحيى بن عبد الحق بمدينة فاس سنة ست وأربعين وستمائة، استولى على بلاد المغرب بعد مهلك السعيد.

وقام بأمر المرحدين بمراكش أبو حفص عمر المرتضى بن السيد أبي إبراهيم إسحاق الذي كان قائد عسكر المرحدين في حربهم مع بي مرين عام المشغلة، ابن أمير المؤمنين أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن، كان السعيد تركه والياً بقبضة رباط الفتح من سلا، فاستدعاهم المرحدين وبابيعوه بيعة الخلافة، وقام بأمرهم. فلما تغلب الأمير أبو يحيى على بلاد المغرب وملك مدينة فاس كما ذكرناه، خرج إلى بلاد فازاز والمعدن لفتح بلاد زناتة وتدخين نواحيها، واستعمل على فاس مولاه السعدي بن خريباش، من جماعة الحشم أخلاف بي مرين وصناعهم.

وكان الأمير أبي يحيى استبعى بها من كان فيها من عسكر المرحدين من غير عصفهم في السبيل التي كانوا عليها من الخدمة. وكان فيهم طائفة من الروم، استخدمهم إلى نظر قادتهم شأنه، كانوا من حصة السعدي هنالك.

ووقيت بينهم وبين شيع المرحدين من أهل البلد مداخلة، وفتكتوا بالسعدي عاملهم وقلبوا الدعوة للمرتضى الخليفة بمراكش سكبة الخلبة وتغلق المضمار.

وكان المتولى لكبر تلك الثورة ابن حشار المشرف وأخوه ابن أبي طاطرو وابنه، اجتمعوا إلى القاضي أبي عبد الرحمن الغيلي، زعيم فتنة الشورى بينهم يومئذ وتوامروا فيها، وأغاروا قائد الروم بقتل السعدي، وعدوا عليه بمقعد حكمه من القصبة، وهاجوه بعض المحاورات فغضبت ووشب عليه الرومي، فقتله وطاف برأسه المائف بسكن المدينة في شوال سنة سبع وأربعين وستمائة، واتتهت داره، واستبيحت حرمه، ونصبوا قائد الروم لضبط البلد، ويعثروا بيعتهم إلى المرتضى.

وأتصل الخبر بالأمير أبي يحيى، وهو منازل بلد فازاز، فأفوج عنها، وأخذ السير إلى فاس، فأناخ بعساكره عليها، وشمر لحصارها، وقطع السبلة عنها.

وبعثوا إلى المرتضى بالصريح، فلم يرجع إليهم قولاً، ولا ملك لهم ضراً ولا نفعاً، ولا وجه لما نزل بهم وجهأً، حاشا إيه

فافتتح حصونهم ملوية ودخل جبلهم.

ثم رحل إلى فاس، وقد أجمع أمره على انتزاعها من ملكة بني عبد المؤمن، وإقامه الدعوة لابن أبي حفص بها ويسائر نواحيها، والعامل بها برومند السيد أبو العباس، فأناخ عليها بركاته، وتلطف في مداخلة أهلها، وضمن لهم جيل النظر وحيد السياسة، وكف الأيدي عنهم، والحماية لهم بحسن المغبة، وصالح العائدة، فاجابوه ووتقروا بعده وعناته، وأتوا إلى ظلله ورثكروا إلى طاعته، واتصال الدعوة الخففية بأمره، ونبذوا طاعة بي عبد المؤمن يأساً من صرختهم وكثرتهم.

وحضر أبو محمد القشتالي، وأشهده الله على الوفاء بما اشترط على نفسه من النظر لهم والذب عنهم، وحسن الملكة والكافلة، وتقبل مذاهب العدل فيهم، فكان حضوره ملاك تلك العقدة والبركة التي يعرف أثرها خلفهم في تلك البيعة، وكانت البيعة بالرابطة خارج باب الفتوح.

ودخل إلى قبة فاس لشهرين اثنين من مهلك السعيد، فاتح ست وأربعين وستمائة، وأخرج السيد أبا العباس من القصبة، وبعث معه حسين فارساً أجازوه أم ربيع ورجعوا، ثم نهض إلى منازلة تازى، وبها السيد أبو علي، فنازلاها أربعة أشهر، ثم نزلوا على حكمه، فقتلتهم ومن على آخرين منهم، وسد ثغرها، وتفقد أطرافها، وأقطع رباط تازى وحصون ملوية لأخيه يعقوب بن عبد الحق.

ورجع إلى فاس، فوفد عليه بها مشيخة أهل مكناسة، وجددوا بيعتهم وعاددوا طاعتهم، وحق بهم على أثرهم أهل سلا ورباط الفتح، فتملك الأمير أبو يحيى هذه البلاد الأربعية أمهات أمصار المغرب، واستولى على نواحيها إلى وادي أم ربيع، فقام فيها دعوة ابن أبي حفص، وبعث بها إليه.

واستبد بنو مرين بملك المغرب الأقصى، وبنو عبد الواد بملك المغرب الأوسط، وبنو أبي حفص يافريقيه، وخد ذبال آن عبد المؤمن، وركدت ريجهم، وأذلت بالانقضاض دولتهم، وأشرف على الفناء أمرهم.

وللله عافية الأمور.

## الخبر عن تغلب الأمير أبي يحيى على مدينة سلا وارتجاعها

ثم تخطى إلى مدينة سلا ورباط الفتح سنة تسعة وأربعين وستمائة، فملكتها وتاخت الموحدين بغيرها.

واستعمل عليها ابن أخيه يعقوب بن عبد الله ابن عبد الحق، وعده له على ذلك الغرر، وضم إليه الأعمال. ويبلغ الخبر بذلك إلى المرتضى، فأفهمه الشأن.

وأحضر الملا من الموحدين فقاوضهم، واعترم على حرببني مرين.

وسرح العساكر سنة خمسين وستمائة، فأحاطت بسلا، فاقتصرها وعادت إلى طاعة المرتضى.

وعقد عليها لأبي عبد الله بن أبي يعلو من مشيخة الموحدين.

وكان المرتضى قد صمد بنفسه سنة تسعة وأربعين وستمائة إلى محاربةبني مرين في جموع الموحدين وعساكر الدولة، صمد بنو مرين للقاء.

والتقى الجماعان بائلولين، فقضوا جوعه، وكانت الدبرة عليه والظهور لهم.

ثم كان بعدها فتح سلا، وغلب الموحدين عليها.

وأجمع الرتفى بعدها على احتشاد أهل سلطنه، ومعاودة الخروج بنفسه إلى غزوهن لما خشي من امتداد أمرهم.

وتقلص ملك الموحدين، فعسكر خارج حضرته سنة ثلاث وخمسين وستمائة وبعث الحاشرين في الجهات، فاجتمع إليه أمر الموحدين والعرب والمصامدة.

وأخذ السير تلقاهم، حتى إذا انتهى إلى جبال بهلولة من نواحي فاس، وصمد إليه الأمير أبو يحيى في عساكربني مرين، ومن اجتمع إليهم من دونهم، والتقى الجماعان هنالك.

وصدقهم بنو مرين القتال، فاحتل مصاف السلطان، وانهزمت عساكره وأسلمه قومه، ورجع إلى مراكش متولاً.

واستولى القوم على معسکره واستباحوا سرادقه وفساططه، وانتهروا جميع ما وجدوا بها من المال والذخيرة واستنقوا سائر الكراع والظهر، وامتلأت أيديهم من الغنائم، واعتز أمرهم وانبسط سلطنه، وكان يوماً له ما بعده.

وأغرى أثر هذه الحركة عساكربني مرين تادلا واستباح بني جابر حاميها من جسم بيلد أبي نفيس، واستلجم أبطالهم، والآن من حدهم، وخضد من شرکتهم.

استجاش بالأمير أبي يحيى يغمراسن بن زيان على أمره، وأغراه بعوده، وأمله لكشف هذه النازلة عن المعاش إلى طاعته.

وتعلقت أطماع يغمراسن بطريق بلاد المغرب، فاحتشد لحركته، ونهض من تلمسان للأخذ بجزء الأمير أبي يحيى يغمراسن، وإجابة صریخ الخليفة لذلك.

وبلغ الأمير أبي يحيى خبر نهو حبه إليه لتسعة أشهر من منازله البلد، فجمي الكتاب عليها، صمد إليه قبل وصوله من خوم بلاده، والتقي الجماعان ب AISI من بساط وجدة، فتزاحف القوم وأبلوا، وكانت ملحمة عظيمة، هلك فيها عبد الحق بن محمد بن عبد الحق بيد إبراهيم بن هشام من بني عبد الواد.

ثم انكشف بنو عبد الواد، وهلك يغمراسن بن تاشفين من أكابر مشيختهم، ونجا يغمراسن بن زيان إلى تلمسان.

وانكفا الأمير أبو يحيى إلى معسکره للأخذ بمحنة فاس، فسقط في أيدي أهلها، ولم يجدوا ولية من دون طاعته، فسألوا الأمان، وينزله لهم على غرم ما تلف له من المال بداره يوم الشور، وقدره مائة ألف دينار، فتحملوها وأمكنته من قياد البلد، فدخلها في جادى من ستة ثمان وأربعين وستمائة.

وطالبهم بالمال، فعجزوا وتفضوا شرطه، فحق عليهم القول.

وتفقى على القاضي أبي عبد الرحمن وابن أبي طاطرو وابنه، وابن حشار وأخيه التوين كبر الفعلة فقتلهم، ورفع على الشرفات رؤوسهم، وأخذ الباقين بغم المال طرعاً أو كرها، فكان ذلك ما عبد ربعة فاس وقادهم لأحكام بني مرين، وضرب الربب على قلوبهم لهذا المهد، فخشعت منهم الأصوات وانقادت لهم، ولم يجدوا بعدها أنفسهم بغمس يد في فتنة. والله مالك الأرض ومن عليها.

## الخبر عن تغلب الأمير أبي يحيى على مدينة سلا وارتجاعها من يده وهزيمة المرتضى بعدها

لما كمل للأمير أبي يحيى فتح مدينة فاس، واستوسع أمر بني مرين بها، رجع إلى ما كان فيه من منازله ببلاد فازاز ففتحها. ودخل أوطان زنانة، واقتضى مغارهم وحسم علل النائزين فيها.

**الخبر عن مهلك الأمير أبي يحيى وما كان**  
**أثر ذلك من الأحداث التي تمخضت عن**  
**استبداد أخيه يعقوب بن عبد الحق بالأمر**

لما راجع الأمير أبو يحيى من حرب يغمراسن بسجلماسة،  
 أقام أياماً بفاس.

ثم نهض إلى سجلماسة متقدماً لثغرها، فانقلب منها  
 عليه، وهلك حتف أنهى على سرير ملكه في رجب سنة ست  
 وخمسين وستمائة أمشي ما كان عزماً، وأطэрل إلى تناول الملك يداً.  
 اختطفته يد المتون عن شأنه ودفعت بمقبرة باب الفتوح من  
 فاس، ضججاً للملوكي أبي محمد القشتالي كما عهد لأهل بيته.  
 وتصدى للقيام بأمره ابنه عمر واشتمل عليه عامة قومه.  
 ومالت المشيخة وأهل الخلل والعقد إلى عمه يعقوب بن عبد  
 الحق، وكان غالباً عن مهلك أخيه بتازى، فلما بلغه الخبر أسرع  
 اللحاق بفاس وتوجهت إليه وجوه الأكابر.

وأحسن عمر بصاغية الناس إليه، وحرضه أتباعه على  
 الفتاك بعمه، فاعتصم بالقصبة، وسعى الناس في الإصلاح بيهما،  
 فتفادي يعقوب عن الأمر، ودفعه إلى ابن أخيه، على أن يكون له  
 بلاط تازى وبطريقة وملوية، ولما لحق بتازى واجتمع إليه كافة بني  
 مرین، عذله فيما كان منه فاستلام، وحملوه على العودة في الأمر،  
 ووعدهم من أنفسهم المظاهر والمؤازرة فأجابوا، وبإيعوه وصمد إلى  
 فاس، ويزر عمر للقائه فاتهى إلى المسجدين، ولما تراءى الجمعان  
 خذله جنوده وأسلموه، فرجع إلى فاس مفلولاً، وجه الرغبة إلى  
 عمه أن يقطعه مكتافة ونزل له عن الأمر، فأجابه إلى ذلك،  
 ودخل السلطان أبو يوسف يقرب بن عبد الحق مدينة فاس  
 فملكها سنة سبع وخمسين وستمائة وتمت طاعته في بلاط المغرب  
 ما بين ملوية وأم الريبي وسجلماسة وقصر كاتمة.

واقتصر عمر على إمارة مكتافة فتلوكها أياماً ثم اغتاله من  
 عشيره عمر وإبراهيم ابنه عمه عثمان بن عبد الحق والعباس ابن  
 عمه محمد بن عبد الحق فقتلواه وثاروا منه بدم كانوا يعتدونه عليه.  
 وهلك لعام وبعض عام من إمارته، فكفى يعقوب شأنه  
 واستقام سلطانه، وذهب المنازع والمشاق عن أمره.

وكان يغمراسن بعد مهلك قرنه الأمير أبي يحيى سما له  
 الأمل في الأجلاب على المغرب، فجمع لذلك قرمه واستجاش  
 بي توجين وغمراوة وأطعمهم في غيل الأسود ونهضوا إلى المغرب

وفي أثناء هذه الحروب كان مقتل علي بن عثمان بن عبد  
 الحق، وهو ابن أخي الأمير أبي يحيى، شعر منه بفساد الدخلة  
 والاجتماع للتثبت به، فدس لابنه أبي حديد مفتاح بقتله، بجهات  
 مكتافة سنة إحدى وخمسين وستمائة والله تعالى أعلم.

والله تعالى أعلم.

### الخبر عن فتح سجلماسة وبلاط القبلة وما كان في ذلك من الأحداث

لما يشن بن عبد المؤمن من غلبهم بني مرین على ما صار في  
 أيديهم من بلاط المغرب وعادوا إلى مدافعتهم عن صباية الدولة  
 التي تحلى بها شفاههم لو أطاقوا المدافعة عنها وملك بنو مرین  
 عامة بلاط التلول، اعتزم الأمير أبي يحيى بعدها على الحركة إلى  
 بلاط القبلة ففتح سجلماسة ودرعة وما إليها سنة ثلاثة وخمسين  
 وستمائة فافتتحها مداخلة من ابن القطراني، غدر بعامل الموحدين  
 فقبض عليهم، وأمكن منها الأمير أبي يحيى فملوكها، وما إليها من  
 درعة سائر بلاط القبلة، وعقد عليها لابنه أبي حديد.

وببلغ الخبر إلى المرتضى فسرح العساكر سنة أربع وخمسين  
 وستمائة لاستقاذتها، وعقد عليهم لابن عطوش من مشيخة  
 الموحدين، فأغد الأمير أبو يحيى السير إليها وابنه أبو حديد  
 مفتاح وأحس به ابن عطوش ففر راجعاً إلى مراكش، ثم نهض  
 سنة خمس وخمسين وستمائة إلى محاربة يغمراسن ولقيه بباب سليط،  
 فألقي به واعتزم على اتباعه، فتنهى عن رأيه في ذلك آخره يعقوب  
 بن عبد الحق لعهد تأكيد بيته وبين يغمراسن فرجع.

ولما انتهى إلى المقرمة هذه، بلغه أن يغمراسن تصد  
 سجلماسة ودرعة مداخلة من بعض أهلها أطمعته في ملوكها، فأخذ  
 السير إليها بجموعه، ودخلتها. ولصيحة دخوله وصل يغمراسن  
 لشأنه، فلما علم بمكان أبي يحيى من البلد سقط في يده ويش من  
 غلبه، ودارت بينهم حرب تكافيا فيها وهلك سليمان بن عثمان  
 بن عبد الحق ابن أخي الأمير أبي يحيى، وانقلب يغمراسن إلى  
 بلده، وعقد الأمير أبو يحيى على سجلماسة ودرعة وسائر بلاط  
 القبلة ليوسف بن يزكاسن، واستعمل على الجباية عبد السلام  
 الأولي وداود بن يوسف، وإنكراً راجعاً إلى فاس.

والله تعالى أعلم.

رباط الفتح وأسلمه فضيبله السلطان يعقوب بن عبد الحق إلى  
ثُم نهض إلى بلاد تامسنا وانقى، فملكها وضيبلها ولحق  
يعقوب بن عبد الله بمحسن علودان من جبال غماره، فامتنع به  
وسرح السلطان ابنه أبا مالك عبد الواحد وعلى بن زياد لمنازله.  
وسار إلى لقاء يغمراسن لقاء المهدانة، فلقيه بوادي عرمان  
وافترا على السلم ووضع أوزار الحرب، ورجع السلطان إلى  
المغرب فخرج عليه بنو أخيه أولاد إدريس، ولحقوا بقصر كامة،  
شاعروا بيعقوب ابن عمهم عبد الله على راية.

واجتمعوا إلى كبرهم محمد بن إدريس فيمن إليهم من  
العشير والصنائع، فنهض إليهم واعتتصموا بجبال غماره، ثُم  
استزدهم واسترضاهم وعقد لعامر بن إدريس سنة ستين وستمائة  
على عسکر من ثلاثة آلاف فارس أو يزيدون من المطروعة من بني  
مرین، وأغرامهم إلى العدو بجهاد العدو وحملهم، وفرض لهم  
وشفع بها عمله في واقعة سلا وهو أول جيش أجاز من بني مرین،  
فكان لهم في الجهاد والرابطة مقامات محمودة وذكر خالد قبل  
سيبلهم فيها خلفهم من بعدهم حسبما ذكره.

وأقام يعقوب بن عبد الله خارجاً بالزاخي متقللاً في  
الجهات إلى أن قتله طلحة بن علی بسايقه غبولة من ناحية سلا  
سنة ثمان وستين وستمائة فكفي السلطان شأنه.  
وكان المرتضى من توالٍ عليهم الواقع واستمر الظهور  
لبني مرین الخجز في جدراته وتوارى بالأسوار عن عدوه، فلم يسم  
إلى لقاء زحف ولا حدث نفسه إلى شهود حرب، واستأنس بنو  
مرین على الدولة وشرعوا إلى التهام البقية، وأسفوا إلى منازلة  
مراكش دار الخلافة، كما ذكره إن شاء الله تعالى.

### الخبر عن منازلة السلطان أبي يوسف

حضره مراكش دار الخلافة وعنصر الدولة  
وما كان أثر ذلك من نزوع أبي دبوس إليه  
وكيف نبهه للأمر وكان مهلك المرضي  
على يده ثم انتقض عليه

لما فرغ السلطان من شأن الخوارج عليه من عشيره،  
استجمع لمنازلة المرتضى والموحدين في دارهم، ورأى أنه أوهن  
لدولتهم وأقوى لأمره عليهم.

وبعد قومه واحتشد أهل مالكه، واستكملاً تعبيته وسار

حتى انتهوا إلى كلدامان وصمد السلطان يعقوب بن عبد الحق إلى  
لائهم فغلبهم ورجعوا على تعبيه، ومر بغمراسن ببلاد بطربة  
فأحرق وانتسف واستباح وأعظم فيها النكبة.  
ورجع السلطان إلى فاس وتقبل منهب أخيه الأمير أبي  
يمين في فتح أمصار المغرب وتذويخ أنظاره.  
وكان مما أكرمه الله به أن فتح أمره باستقاذ مدينة سلا من  
أيدي النصارى، فكان له بها أثر جليل وذكر خالد، على ما ذكره  
إن شاء الله تعالى.

### الخبر عن فجاءة العدو مدينة سلا

#### واستقاذها من أيديهم

كان يعقوب بن عبد الله قد استعمله عمه الأمير أبو يحيى  
على مدينة سلا لما ملكها كما ذكرنا.  
فلما استرجعها الموحدون من يده أقام يتقلب في جهاتها  
مرصداً لأهلها وحاميتها.

ولما بويح عمه يعقوب بن عبد الحق أسفته بعض الأحوال،  
فذهب مغاضباً حتى نزل غبولة، وألطاف الحيلة في تلك رباط  
الفتح وسلا ليعدتها ذريعة لما أسر في نفسه، فتمت له الحيلة،  
وركب عاملها ابن يعلو البحر فراراً إلى أزمور وخلف أمواله  
وحرمه فتملك يعقوب بن عبد الله البلد وجاهر بالخلمان،  
وصرف إلى منازلة عمه السلطان أبي يوسف وجوه العزم، وداخل  
تجار الحرب في الإمداد بالسلاح.

فتحاوروا في ذلك وكتوت سفر المترددين بينهم، حتى كثروا  
أهلها واهتبوا يوم الفطر من سنة ثمان وخمسين وستمائة عند  
شغل الناس بعيدهم.

وتاروا سلا، وسبوا الخرم واتهباً الأموال، وضيبلوا البلد  
وامتنع يعقوب بن عبد الله برباط الفتح، وطار الصربيخ إلى  
السلطان أبي يوسف، وكان بتازى متشرقاً لأحوال يغمراسن،  
فنادى في قومه، وطاروا بأجنحة الخيول ووصلها ليوم وليلة،  
وتوالحت به أهلاً المسلمين من أهل الديوان والمطروعة.

ونازلها أربع عشرة ليلة، ثم اقتحمها عليهم عنوة، وانحن  
فيهم بالقتل، ثم رم بالبناء ما كان مثلياً من سورها الغربي حيث  
أمكنت منه الفرصة في البلد وتناول البناء فيه بيده والله لا يضيع  
عمل عامل.

وتخشي يعقوب بن عبد الله بادرة السلطان، فخرج من

التهامه على ما نذكر لو أمهله الأيام، وانفسح له الأجل.

### الخبر عن وقعة تلاع بين السلطان يعقوب بن عبد الحق ويغمراسن بن زيان بإغراء أبي دبوس وتصريبه

لما نازل السلطان أبو يوسف حضرة مراكش وقعد على براثنه للتوبة علمه، لم يجد أبو دبوس ولية من دون قصده إلا استجاشته بيعمراسن وقومه عليه، ليأخذوا بجزته عنه، ويشغلوه من ورائه.

بعث إليه الصريح في كشف بلوه ومدافعة عدوه، وأكد العهد وأنسى المهدية، فشم يغمراسن لاستقاذة وجذب عدوه من ورائه، وشن الغارات على ثغور المغرب وأضرمها ناراً فما هاج عليه وعلى قومه من السلطان يعقوب لينا عادياً، وأرهف منه عزماً ماضياً، وأفرج يعقوب على مراكش بعزم التهوض إلى تلمسان، ونزل بفاس، وتلزم بها أيامًا حتى أخذ أهبة الحرب، وأكمل استعدادها ورحل ناتج ست وستين وستمائة وسلك على كرسيف، ثم على تافرطا، وترافق الفريقان بروادي تلاع، وعبا كل منهم كتابه ورتب مصافه، ويرز النساء سافرات الرجوه في سبيل التحرير يحيى ويعدين ويرغبن ولانا الفيء، وما الهمار، وكثير حشود المغرب جموع بني عبد الواحد ومن إليهم، انكشفوا ومنحوا العدو أكتافهم.

وهلك أبو حفص عمر كبير والد يغمراسن وولي عهده في جماعة من عشيره، ذكرناهم في أخباره.

وأخذ يغمراسن باعقاب قومه، فكان لهم ردماً إلى أن خلصوا من المعركة ووصلوا إلى بلادهم في جهادى من سنتهم، وعاد السلطان أبو يوسف إلى مكانه من حصار مراكش والله أعلم.

### الخبر عن السفاراة والمهاداة التي وقعت بين السلطان يعقوب ابن عبد الحق وبين المستنصر الخليفة بتونس من آل أبي حفص

كان الأمير أبو زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص متداً ل نفسه بتونس سنة خمس وعشرين وستمائة طموحاً إلى ملك مراكش مقر الدعوة ومنبعث الدولة وأصل الخلافة.

حتى انتهى إلى إيكليسيز فأعزتم على ذلك سنة ستين وستمائة وشارف دار الخلافة، ثم نزل بقعرها وأخذ بمحنته.

وعقد المرتضى على حريهم للسيد أبي العلاء إدريس المكنى بأبي دبوس ابن السيد أبي عبد الله بن أبي حفص بن عبد المؤمن، فعُبا كتابه ورتب مصافه، وبرز لما دفعتهم ظاهر الحضرة، فكانت بينهم حروب بعد العهد بهنلها، استشهد فيها الأمير عبد الله بن يعقوب بن عبد الحق، وكانتوا يسمونه برباطتهم أي جحوب فقت مهلكه في عضدهم، وارتحلوا عنها إلى عملهم، واعتراضتهم عساكر الموحدين بروادي أم ربيع، وعليهم يحيى بن عبد الله بن وانودين، فاقتتلوا في بطن الوادي وإنهزمت عساكر الموحدين.

وكان في مليل الوادي كدى تخسر عنها غمراً الماء وتبدو كأنها أرجل، فسميت الواقعية بها أم الرجلين.

ثم سعى بعض سماة الفتن عند الخليفة المرتضى في ابن عمه وقائد حربه السيد أبي دبوس بطلبـه الأمر لنفسه، وشعر بالسعادة فخشي بأدراة المرتضى وحلـ بالسلطان أبي يوسف مدخلـه إلى فاس من منازلـه آخرـ سنة إحدى وستين وستمائة نازعاً إليه، فقامـ عنده مليأـ.

ثم سـلـ منه الإعـانـة على أمرـه بـعـسـكـرـ يـمـدـهـ وـآلـ يـتـخـذـهـ لـمـلـكـهـ، وـمـاـ يـصـرـفـهـ فـيـ ضـرـرـهـ عـلـىـ أـنـ يـشـرـكـهـ فـيـ الـغـنـيمـةـ وـالـفـتحـ وـالـسـلطـانـ، فـأـمـدـهـ بـخـمـسـةـ آـلـافـ مـنـ بـنـيـ مـرـينـ، وـبـالـكـفـائـةـ مـنـ الـمـالـ وـالـمـسـتـجـادـ مـنـ الـآـلـةـ وـأـهـابـ لـهـ بـالـعـرـبـ وـالـقـبـائـلـ مـنـ أـهـلـ مـالـهـ وـمـنـ سـواـهـ أـنـ يـكـونـواـ يـدـاـ مـعـهـ.

وسـارـ فـيـ الـكـاتـبـ حتـىـ شـارـفـ الـحـضـرـةـ، وـدـسـ إـلـ أـشـيـاعـهـ وـمـنـ يـدـاخـلـهـ مـنـ الـمـوـهـدـينـ فـيـ أـمـرـهـ، فـشـارـواـ بـالـمـرـتضـىـ وـاجـهـهـوـهـ عـنـهـ، فـلـحـقـ بـأـمـرـهـ مـسـتـجـيشـاـ بـصـهـرـهـ أـبـيـ عـطـوشـ.

وـدـخـلـ أـبـيـ دـبـوـسـ الـحـضـرـةـ فـيـ الـمـحـرـمـ فـاتـحـ خـمـسـ وـسـتـيـنـ وـسـتـمـائـةـ وـتـقـبـضـ أـبـنـ عـطـوشـ عـاـمـ أـرـمـرـ عـلـىـ الـمـرـتضـىـ وـاقـتـادـهـ أـسـيرـاـ إـلـ أـبـيـ دـبـوـسـ، فـبـعـثـ مـوـلـاهـ مـزـاحـماـ اـحـتـرـ رـاسـهـ فـيـ طـرـيقـ، وـاسـتـقـلـ بـالـخـلـافـةـ وـصـبـابـةـ أـلـ عبدـ المؤـمنـ.

ثـمـ بـعـثـ إـلـيـهـ الـسـلـطـانـ فـيـ الـوفـاءـ بـالـمـاشـرـطةـ، فـعـتاـ وـاسـتـكـفـ، وـنـقـضـ الـعـهـدـ وـأـسـاءـ الـخـطـابـ، فـنـهـضـ إـلـيـهـ فـيـ جـمـوعـ بـنـيـ مـرـينـ وـعـساـكـرـ الـمـغـرـبـ، فـخـامـ عـنـ الـلـقـاءـ وـأـخـبـرـ مـرـاكـشـ، وـنـازـلـ الـسـلـطـانـ أـيـامـ بـيـاعـاـ ثـمـ سـارـ فـيـ الـجـهـاتـ وـالـنـوـاحـيـ بـحـطـمـ الـرـزـعـ وـبـنـسـفـ الـأـقـوـاتـ.

وـعـجزـ أـبـيـ دـبـوـسـ عـنـ دـفـاعـهـ، فـاسـتـجـاشـ عـلـيـهـ بـيـغـمـارـسـنـ بـنـ زـيـانـ لـفـتـ فـيـ عـضـدـهـ وـيـشـغـلـهـ مـنـ وـرـائـهـ، وـيـأـخـذـ بـجـزـتـهـ عـنـ

ثم أوفد المستنصر على السلطان يعقوب بن عبد الحق آخر  
سنة تسع وستين وستمائة بعدها شيخ الجماعة من الموحدين لعهده  
ابا زكريا يحيى بن صالح الهمتاني مع جماعة من مشيخة الموحدين  
في مراقبة محمد الكشاني، وبعث معهم إلى السلطان هدية سنوية  
يلالطف بها ويتاحفه، انتخب فيها من الجياد والسلاح وأصناف  
الذباب الغربية العمل ما انتهائه.

ووقف رضاه وهمة على الاستكثار منه، فحسن موقعها  
وتحدث بها وانقلب وفده أحسن منقلب بعد أن تلطّف محمد  
الكتاني في ذكر الخليفة المستنصر على منبر مراكش، قسم له،  
وشهد له وفدي الموحدين فعظم سرورهم وانقلبوا مسوروين،  
واتصلت بعد ذلك مهاداة المستنصر ليعقوب بن عبد الحق إلى أن  
هلك، وجرى ابنه الواقع من بعده على سنته، فبعث إليهم سنة  
سبعين وستمائة هدية حافظة، بعث بها القاضي أبي العباس  
الغماري قاضي وجایة فعظم مرعوها، وكان لأبي العباس الغماري  
بالمغرب ذكر تحدث به الناس والله أعلم.

الخبر عن فتح مراكش ومهلك أبي دبوس  
وانقراض دولة الموحدين من المغرب

لما رجع السلطان أبو يوسف من حرب يغمراسن ورأى أنه قد كف من غربه ورد من كيده وكيد أبي دبروس صريخه، صرف حيث نزل عزائمه إلى مجازة مراكش، والعودة إلى مضائقتها كما كان لأول أمره، ونهض لغزاته من فاس في شعبان من سنته.

ولما أجاز أم الريح، بث السرايا وسرح الغارات، وأطلقت الأيدي والأغنة للنهب، فخطمروا من زروعها واتسفنوا آثارها، وتقرى نواحيها كذلك بقية عامه.

ثم غزا عرب الخلط من حشم بتبادلًا، فائخن فيهـ  
واستباـهمـ.

ثم نزل وادي العياد، ثم غزا بلاد صنهاجة، ولم يزل ينتقل ركابه ب أنحاء البلاد المراكشية وأحوازها حتى حضرت صدور بني عبد المؤمن وقرمه، وأغراهم أولياء الدولة من عرب جشم بنهوض الخليفة لمدافعة عدوه، فجتمع لذلك ويرز في جيوش ضخمة وجموع وافرة، واستجره أبو يوسف بالفار أيامه ليبعد عن مدد الصريخ، فستمك من منه حتى نزل عفو.

ثم كر إلية والتحم القتال فاختل مصافه وفر عساكره،  
وانهزم يرب مراكش فأدركوه دون أمره، وأعتقه أجله، فطعن في

وكان يؤمل لذلك زناة، وإنما دونة من خضد شوكة آل عبد المؤمن، وتقليل أظافر باسهم، وردهم على اعتقابهم أن يخلصوا إليه، وتغلب على تلميذان سنة أربعين وستمائة ودخل يغمراسن بن زيان في دعورته وصار فتاة له وشيعته على عدوه كما ذكرناه، فوصل به جناحه للمداعة.

وناغه بنو مرين في مراسلة ابن أبي حفص ومخاطبه،  
وتحفيض عليه فيما يهمه من شأن عدوه، وحمل ما يفتحون من  
بلاد المغرب على اليعنة له والطاعة مثل: فاس ومكناة والقصرين.

وكان هو يلطف بهم بالتحف والمهدايا، ويربهم البر في الكتاب والخطاب والمعاملة وتكريم الوفد غير سيل آن عبد المؤمن، فكانوا يجتمعون بذلك إلى تجديد مراسلمته، وإيفاد قرباتهم عليه.

وولى ابنه المستنصر من بعده سنة سبع وأربعين وستمائة  
فتقبل مذاهب أبيه وأوفى عليه بالإيمان إليهم بمنازلة مراكش،  
وضممان الاتفاق عليهم فيها، فكان يبعث لذلك أحلاً، من المال  
والسلاح وأعداد وافرة من الخيل براكيها للحملان، ولم يزل دأبه  
ذلك معهم.

ولما فعل ابن أبي دبوس فعلته في تقضي العهد واستجتمع السلطان لمنازلته، قدم بين يدي عمله مراسلة الخليفة المستنصر بخبر الخبر ويطلطف له في استئنال المدد، فأوافد عليه ابن أخيه عامر بن إدريس بن عبد الحق، وأصحابه عبد الله بن كندوز لعبد الوادي كثير بنى كمبي، وقريع بيغمراسن الذي ثار يغمراسن من أبيه كندوز بأبيه زيان كما ذكرناه في أخبارهم.

وكان خلص إليه من حضرة المستنصر فله مسيرة وتكريماً، وأوفد معهما الكاتب أبي عبد الله محمد بن محمد الكناني من صنائع دولة آل المؤمن، كان نزع إلى أخيه الأمير أبي يحيى لما رأى من اختلال الدولة، وأنزله مكتنasaة وأثره بالصحبة والخالة، فجتمع له يعقوب بن عبد الحق في هذا الوفد من الأشراف من يحسن الرياسة، ويعرب عما في الضماير، ويبدل على شرف مرسله.

فوفدوا على المستنصر سنة خمس وستين وستمائة وأدوا رسالتهم وحرکوا له جوار المظاهر على صاحب مراكش وكبح عنانه، فحسن واهتز سروراً من اعواده، ولقاهم مبرة التكريم وأحسن النزل، ورد الأمير عامر بن إدريس، وعبد الله بن كندوز لوقتهم.

وغسك بالكتاني من بينهم لصاحبة وفده، فطال مقامه عنده  
إلى أن كان من فتح مراكش ما نذكره.

من ولد أخيه عبد الله وإدريس لأمهما سوط النساء، ووجدوا في أنفسهم لما يرون أن عبد الله وإدريس أكباد ولد عبد الحق، ولهم التقدم على من بعدهما من ولده، وأنهما أحق بالأمر، فعادت هيف إلى أدبارها، ونفسوا على ابن السلطان ما أخذ له من البيعة والعهد، وزرعوا عنه إلى جبل علودان من جبال غماره عش خلافهم، ومدرج فتنهم، وذلك ستة تسع وستين وستمائة ورياست يومئذ محمد بن إدريس وموسى بن رحو بن عبد الله، وخرج معهم ولد أبي عياد بن عبد الحق وأغراهم السلطان ولده أبي يعقوب يوسف في خمسة آلاف من عساكره، فاحاط بهم وأخذ بمخنثهم، ولحق به أخوه أبو مالك في عساكرة، ومعه مسعود بن كانوا شيخ سفيان.

ثم خرج في أثرهم السلطان أبو يوسف واجتمع معسكراً لهم بتافركا ونازلوهم ثلاثة، وهلك في حروبهم متذيل بن ورتليم، ولما رأوا أن قد أحبط بهم سالوا الأمان، فنزله وأنزفه، واستل سخانهم ومسح ما في صدورهم، ووصل بهم إلى حضرته.

سالوا منه الأذن في اللحاق بتلمسان حياء من كبر ما ارتكبوه، فاذن لهم، وأجازوا البحر إلى الأندلس، وخالفهم عامر بن إدريس لما نس من صاغية السلطان إليه، فتختلف عنهم بتلمسان حتى توثق لنفسه بالعهد وعاد إلى قومه بعد منازلة السلطان تلمسان كما نذكره الآن.

واحتل بنو إدريس وعبد الله وابن عمهم عياد بالأندلس على حين انقر من الحامية جوها، واستأنس العدو على ثغراها، وتخلبت شفاههم للاتهاماها فاحتلواها أسوداً ضاربة، وسيوفاً ماضية، معودين لقاء الأبطال وقراء الخطوف والتزال، مستغلظين بخشونة البدوة وصرامة الغز وسالة التوحش فعظمت نكباتهم في العدو واعتربوا شجى في صدره دون الوطن الذي كان طعمه له في ظنه، وارتدوه على عقبه، ونشطروا من همم المسلمين المستضعفين وراء البحر ويسطروا من آمالهم لمدافعة طاغيهم.

وازاحوا أمير الأندلس في رياستها عنكب، فتجافي لهم عن خطبة الحرب ورياسة الغزاة من أهل العدو من أعياصهم وقبائلهم ومن سواهم من أمم البربرة، وتناقلوه وساهموه في الجباية بفرض العطايا والديون، فنزله لهم واستمرروا على ذلك الهد وحسن أمرهم فيها كما سنتذكره بعد في أخبار القرابة.

ثم أعمل السلطان نظره في غزو تلمسان على ما نذكره إن

مفره وخر صريعاً للidiens والقم واحتز رأسه، وهلك بهلكه وزيره عمران وكاتبته علي بن عبد الله المغيلي.

وارتحل السلطان أبو يوسف إلى مراكش وفر من كان بها من الموحدين، فلحقوا بجبل تينملل، وبایعوا لإسحاق أخيه المرتضى، فبقي ذبالة هنالك سنين.

ثم تقبض عليه سنة أربع وسبعين وستمائة، وسيق إلى السلطان هو وأبو سعيد ابن عميه السيد أبي الريبع والقبائلي وأولاده فقتلوا جميعاً، وانقرض أمر بني عبد المؤمن.

والله وارث الأرض ومن عليها.

وخرج الملا وأهل الشورى من الحضرة إلى السلطان فامنهم ووصلهم.

ودخل مراكش في بروز فخم فاتح سنة ثمان وستين وستمائة وورث ملك آل عبد المؤمن وتولاه.

واستوسق أمره بالغرب، وتطامن الناس لباسه، وسكنوا لظل سلطانه.

وأقام مراكش إلى رمضان من ستة، وأغزى ابنه الأمير أبي مالك إلى بلاد السوس فافتتحها وأرغل في ديارها ودرخ أطارها، ثم خرج بنفسه إلى المغرب للبلاد فأوقع بهم الواقعة المشهورة التي خضدت من شوكتهم، ورجع لشهرين من غزاته، ثم أجمع الرحلة إلى داره بفاس فقد على مراكش وأعمالها محمد بن علي من كبار أوليائهم ومن أهل خولته، وكان من طبقة الوزراء حسبما يأتي التعريف به ويعشيره، وأنزله بقصبة مراكش، وجعل المصالح أعمالها لنظره، وعهد إليه بتدوين الأقطار ومحر آثار بني عبد المؤمن، وفضل إلى حضرته وأراح بسلا، فكان من خبر عهده لابنه ما نذكره إن شاء الله تعالى.

### الخبر عن عهد السلطان لابنه أبي مالك وما كان عقب ذلك من خروج القرابة عليه أولاد أخيه إدريس وإجازتهم إلى الأندلس

ما تلوم السلطان بسلا منصرفه من رباط الفتح واراح بها ركابه عرض له طائف من المرض ووعك وعكاً شديداً.

فلما أبل جع قومه وعهد بأمره فيه لابنه أبي مالك عبد الواحد كبير ولده، بما علم من أهليته لذلك.

وأخذ له البيعة عليهم، واعطروها طوعاً، وأسف القرابة

شاء الله تعالى.

الحرب واستعد للقاء.

واحتشد زناته أهل مالكه بالشرق من بي عبد الواد وبني راشد ومغراوة وأحلافهم من العرب زبغة، فلنج في ذلك واستكبر وصم عن إسعافهم.

وزحف في جوعنه، والتقوى الجمعان بواudi إيسلي من بسائط وجدة، والسلطان أبو يوسف قد عبأ كتائبه، ورتب مصانه وجعل ولديه الأمرين أبي مالك وأبي يعقوب في الجناحين، وسار في القلب، فدارت بينهم حرب شديدة أخلت عن مهلك فارس بن يغماسن، وجاءة من بي عبد الواد.

وكثائرهم حشود المغرب الأقصى وقبائله، وعسكر الموحدين والبلاد المراكشية فولوا الأدبار، وهلك عامة عسكر الروم ليثا لهم ثبات السلطان فطحthem رحى الحرب، وتقبض على قائدتهم بربنس، ونجا يغماسن بن زيان في فله مدافعاً دون أهله إلى تلمسان، ومر بفمطاطية، فأضرموا ناراً، وانتهب معسكته، واستبيحت حرمه.

وأقام السلطان أبو يوسف على وجدة حتى خربها واضرع بالتراب أسوارها، والصنف بالرغام جدرانها.

ثم نهض إلى تلمسان فحاصرها أياماً وأطلق الأيدي في ساحتها بالنهب والعبيث، وشن الغارات على البسائط، فاكتسحها سبياً وسفها سفناً.

وهلك في طريقه إلى تلمسان وزيره عيسى بن ماساي، وكان من عليه وزرائه وحاة ميدانه له في ذلك أخبار مذكورة، وكان مهلكه في شوال من هذه السنة، ووصله بهثأه من حصارها محمد بن عبد القوي أمير بي توجين، ومستنصره على بي عبد الواد لما نال منه يغماسن من ضيم القهر وذل الغلبة والتخفيف وصله في كافة قبيله مباهاة باكتئنه، فأكرم السلطان أبو يوسف وقادته واستركب الناس لملائمه وبرور مقدمه.

وانخذلوا ربطة السلاح لمباهاته، وأقام محاصراً لتلمسان معه أياماً حتى وقع اليأس وامتنع البلد، واشتدت شوكة حاميته ثم أجمع السلطان أبو يوسف على الإفراج عنها وأشار على الأمير محمد بن عبد القوي وقومه بالفصول قبل قتلهم، وأن يغذوا السير إلى بلادهم.

وملاع حقائبهم ياخافه وتجنب لهم من المأنة من المقربات براكبها، وأراح عليهم ألف ناقة حلوب، وعمهم بالصلات من الخلح والكساء الفاخرة.

واستكثر لهم السلاح والغازات والقاطفط، وحملهم على

## الخبر عن حركة السلطان أبي يوسف إلى تلمسان وواقعته على يغماسن وقومه يايسلي

لما غلب السلطان أبو يوسف على بي عبد المؤمن وفتح مراكش واستولى على ملوكهم ستة ثمان وستين وستمائة وعاد إلى فاس كما ذكرنا، تحرك ما كان في نفسه من ضغائن يغماسن وبني عبد الواد، وما أسفوا به من تخذيل عزائمهم ومجاذبته عن قصده. ورأى أن واقعة تلاغ لم تشف صدره، ولا أطفأت نار موجودته، فاجمع أمره على غزوه.

وأقدر بما صار إليه من الملك والسلطان على حشر أهل المغرب لحربيهم وقطع دابرهم، فعسكر بظاهر فاس، وسرج ولده وولي عهده أبي مالك إلى مراكش في خواصه ووزرائه حاشرين في مدائنهما وضواحيها وقبائل العرب والمصامية وبيني ورا وغمرة وصنهاجة، ويقايا عساكر الموحدين بالحضر، وحامية الأنصار من جند الروم وناشبة الغزو فاستكثر من أعدادهم واستوفى حشدهم. واحتفل السلطان بحركته وارتحل إلى فاس ستة سبيعين وستمائة وتلزم بمملوكة إلى أن لحقته الحشود وتوافت إليه أعداد العرب من قبائل جشم أهل تامستا الذين هم سفيان والخلط والعاصم، وبنو جابر ومن معهم من الأثيج، وقبائل ذوي حسان والشبانات من المعقل أهل السوس الأقصى، وقبائل رياح أهل آزغار والمبط.

فاعتراض هنالك عساكره وعوا موابكه، فيقال: بلغت ثلاثة ألفاً، وارتحل يريد تلمسان، ولما انتهى إلى أنكاد واقتله رسول ابن الأحرar هنالك قد المسلمين بالأندلس صريحاً على العدو ويستجشون بأخواتهم المسلمين ويسألونهم الإعانة، فتحركت همة للجهاد ونصر المسلمين من عدوهم.

ونظر في صرف الشواغل عن ذلك، وجسح إلى السلم مع يغماسن، وصوب الملا في ذلك رايه لما كانوا عليه من إشار الجهاد.

وانتدب جماعة من المشيخة إلى السعي في إصلاح بينهما، والكف عن غرب عداوتهما.

وساروا إلى يغماسن فوافوه بظاهر تلمسان وقد أخذ أهبة

وأراح بيجاية، فكان فيها هلاكه سنة ست وأربعين وستمائة ويقال: بل هلك في سفيته ودفن بيجاية، ولما هلك الأمير أبو زكريا سنة سبع وأربعين وستمائة بعدها انتقض أهل سبطة على ابنه المستنصر وطردوا ابن الشهيد، وقتلوا العمال الذين كانوا معه، وصرفوا الدعوة إلى المرضى.

وتولى كبر ذلك حجبون الزنداحي بمداخلة أبي القاسم العزفي كبير المشيخة سبطة، وأعظمهم مجلته، ونشأ في حجر أبيه الفقيه الصالح أبي العباس أحمد مكفوفاً بالجلالة مغدوّاً بالعلم والدين، بما كان له فيما قدم إلى أن هلك، فأرجب أهل البلد لابنه ما عرفوه لحقه وحق أبيه من قبله، فكانوا يغزون إليه في المهمات ويسلمون له في الشورى، فأغرى الزنداحي بهذه الفعلة ففعلها فعقد المرضى لأبي القاسم العزفي على سبطة مستقلّاً من غير إشراف أحد من السادة، ولا من الموحدين، وأكفى بعثاته في ذلك التغر وعقد لحجبون الزنداحي على قيادة الأساطيل بال المغرب، فورثها عنه بنوه إلى أن زادهم العزفي عن تراثه، فقووضوا عن سبطة فعنهم من نزل بخلافة على ابن الأعمّر ومنهم من نزل بيجاية على آل أبي حفص، وطم في الدولتين آثار شهيد برياستهم.

واستقلّ الفقيه أبو القاسم العزفي ببرائسة سبطة، وأورثها بنيه من بعده على ما ذكره بعد.

وكانت طنجة تالية سبطة فيسائر الأحوال وتبعاً لها، فاتبع ابن الأمير صاحبها إمارة الفقيه أبي القاسم.

ثم انتقض عليه لسته واستبد وخطب لابن أبي حفص، ثم للعباسي، ثم نفسه، وسلم فيها مسلك العزفي في سبطة، وليشوا كذلك ما شاء الله، حتى إذا ملك بنو مرiven المغرب وانشروا في شعابه، ومدوا اليه إلى مالكه فتناولوها، ونزلوا معاقله وحصونه فاقتحموها، وهلك الأمير أبو بيجي ابن عبد الحق وبابنه عمر من بعده.

وتخيز بنوه في ذويهم وأتباعهم وحشّهم إلى ناحية طنجة وأصيلاً، فأوطنوا ضاحيتها وأفسدوا ساحتها وضيقوا على ساكنها، واكتسحوا ما حرا إليها، وشارطهم ابن الأمين على خراج معلوم على أن يكفوا الأذية ويعمّوا الحزرة يصلحوا السابلة، فاتصلت يده بآيديهم، وترددوا إلى البلد لاقتضاء حاجتهم.

ثم مكروا وأضمرروا الغدر ودخلوا في بعض أيامهم متلبطين بالسلاح، وفكروا ببابن الأمين غيلة، فشارت بهم العامة لحيّهم واستحلّموا لمصرع واحد سنة واحد وستين وستمائة واجتمعوا إلى ولده وبقيت في ملكته خمسة أشهر.

الظهر، وارتحلوا وتلوم السلطان أيامه لنجاتهم إلى مقبرهم من جبل وانشريش حذراً من غائلة يغرسن من انهاز الفرصة فيهم. ثم قفل إلى فاس ودخلها مفتح إحدى وسبعين وستمائة وهلك ولده الأمير أبو مالك ولـ عهده لأيام من مقدمه، فاسف لهلكه، ثم تعزى بالصبر الجميل عن فقده، ورجع إلى حاله في افتتاح بلاد المغرب.

وكان في غزوته هذه ملك حصن تاونت، وهو معقل مطغرة، وشحنه بالأقوات لما رأه ثغراً مجاوراً لعدوه، وأسلمه لنظر هارون شيخ مطغرة.

ثم ملك حصن مليلة بساحل الريف مرجعه من غزاته هذه، وأقام هارون بمحصن تاونت، ودعا لنفسه. ولم يزل يغمراسن يردد الغزو إليه حتى فر من الحصن وأسلمه سنة خمس وسبعين وستمائة وتحق بالسلطان أبي يوسف كما ذكرناه في أخباره، عند ذكر قبيلة مطغرة وكان من شأنه ما ذكرناه هنا لك.

## الخبر عن افتتاح مدينة طنجة وطاعة أهل سبطة وفرض الأتاوة عليهم وما قارن ذلك

### من الأحداث

كانت هاتان المدينتان سبطة وطنجة مذ أول دولة الموحدين من أعظم عماليتهم، وأكبر مالكمهما بما كانت تغير العدة ومرفأ الأساطيل، ودار إنشاء الآلة البحرية، وفرضه الجواز إلى الجهاد. فكانت ولايتها مختصة بالقرابة من السادة بني عبد المؤمن.

وقد ذكرنا أن الرشيد كان عقد على أعمالها لأبي علي بن يافريقيه ومهرليك الرشيد، صرف الدعوة إليه سنة أربعين وستمائة وبقيت إليه بالمال والبيعة مع ابنه أبي القاسم.

وولى على طنجة يوسف بن محمد بن عبد الله بن أحد الهمدانى المعروف ببابن الأمين قائداً على الرجل الأنجلسيين، وضابطاً للقصبة.

وعقد الأمير أبو زكريا على سبطة لأبي بيجي بن أبي زكريا، ابن عمه أبي بيجي الشهيد ابن الشيخ أبي حفص فنزل بها فاسترب أبو علي ابن خلاص من العوّاقب عند مهرليك ابنه الوارد على السلطان غريقاً في البحر، فرحل بجملته إلى تونس في السفن،

وأن يغمراسن بن زيان من بعد وفاة أبي سليم سنة خمس وخمسين وستمائة، قصدها لعوره دل عليها، وغرة أهل أصابتها، فساقبه إليها أبو يحيى ومانعه من دونها ورجع عنها خائب المسعى مفلول الحامية.

وكان الأمير أبو يحيى من بعد أن عقد عليها ليوسف بن يزكاسن عقد عليها من بعده لستة ونصف من ولايته ليحيى بن أبي منديل كبيربني عسكر أقابهم، ومقاسميهم نسب محمد بن ورخيص ثم عقد عليها لشهرين محمد بن عمران ابن عبدة من بني يربيان صنائع دولتهم.

واستعمل معه على الجباية أبا طالب بن الحبشي وجعل مصلحة الجند بها إلى نظر أبي يحيى القطري، وملكه قيادتهم، وأقاموا على ذلك ستين اثنين.

ولما هلك الأمير أبو يحيى وشغل السلطان أبو يوسف محرب يغمراسن ومتازلة مراكش، سما للقطري أهل في الاستبداد بها، وداخل في ذلك بعض أهل الفتن وظاهره يوسف بن فرج العزفي وقتوكوا بعمار الورند غزانى شيخ الجماعة بالبلد، واتمرروا بمحمد بن عمران بن عبدة، فخرج ولحق بالسلطان، واستبد القطري بها، ثم ثار به أهل البلد سنة ثمان وخمسين وستمائة لستة ونصفها من لدن استبداده وقلوه، وصرقوا بيعتهم إلى الخليفة المرتضى بمراكش، وتولى كبر ذلك القاضي ابن حجاج وعلي بن عمر، فعقد له المرتضى عليهم وأقام بها أميراً.

ونازلته عساكر بني مرین والسلطان أبو يوسف سنة ستين وستمائة ونصب عليها آلات المصادر فأحرقوها وامتنعوا، فافرج عنهم، وأقام علي بن عمر في سلطانه ذلك ثلاث سنين، ثم هلك. وكان الأمير يغمراسن بن زيان منذ غالب الموحدين على تلمسان والمغرب الأوسط، وصار في مملكته، تحيز إليه من عرب المقلع قبل المبات من ذوي منصور، بما كانت مجالات المقلع مجاورة لمجالات بني بادين في الفقر.

وإنما ارتحلوا عنها من بعد ما جاجأ يغمراسن ببني عامر من مجالاتهم بمصايب بلاد بني بزيد، فراححوا المقلع بالمناكب عن مجالاتهم ببلاد فيكيك وصا.

ورحلوهم إلى ملوية وما وراءها من بلاد سجلماستة، فملکوا تلك المجالات.

وبنذ يغمراسن العهد إلى ذوي عبيد الله منهم واستخلص المبات هؤلاء، فكانوا له حلقاً وشيعة ولقمه ودعونه خالصة.

وكانت سجلماستة في مجالاتهم ومنقلب ظعنهم وناجتهم،

ثم استولى عليها العزفي فنهض إليه عساكره من الرجل برأه وبحراً، واستولى عليها، وفر ابن الأمين ولحق بتونس ونزل على المستنصر واستقرت طنجة في إيلالة العزفي فضبطها وقام بأمرها، وولى عليها من قبله، وأشرك الملا من أشرافه في الشورى.

ونازلها الأمير أبو مالك سنة ست وستين وستمائة فامتنعت عليه وأقامت على ذلك ستة، حتى إذا انتظم السلطان أبو يوسف ببلاد المغرب في مملكته، واستولى على حضرة مراكش ومحا دولة بني عبد المؤمن، وفرغ من أمر عدوه بغمراسن، وهو بتلك الناحية واستضافة عملها، فاجمع الحركة إليها ونازل طنجة مفتتح سنة اثنين وسبعين بما كانت في البسيط من دون سبة، وأقام عليها أياماً.

ثم اعتزم على الإفراج، فقتل اللـه في قلوبهم الرعب، وافقـرـ بـيـنـهـمـ، وـتـنـادـيـ بـعـضـ النـاشـيـةـ مـنـ السـوـرـ بـشـعـابـ بـنـ مـرـيـنـ، فـبـادـرـ سـرـعـانـ النـاسـ إـلـىـ تـسـوـرـ حـيـاطـهـاـ فـمـلـكـوـهـ عـلـيـهـمـ، وـقـاتـلـوـهـ أـهـلـ الـبـلـدـ ظـلـامـ لـيـلـتـهـمـ، ثـمـ دـخـلـوـ الـبـلـدـ مـنـ صـيـبـحـتـهـاـ عـنـوـةـ، وـنـادـيـ مـنـادـيـ السـلـطـانـ فـيـ النـاسـ بـالـأـمـانـ وـالـعـفـرـ عـنـ أـهـلـ الـبـلـدـ، فـسـكـنـ وـمـهـدـ وـفـرـغـ مـنـ شـانـ طـنجـةـ.

ثم بعث ولده الأمير أبا يعقوب في عساكر ضخمة لمنازلة العزفي بسبعة وإرثاقه على الطاعة، فنازلها أياماً، ثم لاذ بالطاعة على المتعة.

واشتربط على نفسه خراجاً يؤديه كل سنة، فتقبل السلطان منه، وأفرجت عساكره عنهم، وقف إلى حضرته.

وصرف نظره إلى فتح سجلماستة وإزاجع بنى عبد الواد المتغلبين عليها، كما تذكره إن شاء الله تعالى.

## الخبر عن فتح سجلماستة الثاني ودخولها عنوة على بنى عبد الواد والمبات من عرب المقلع

قد ذكرنا ما كان من تغلب الأمير أبي يحيى بن عبد الحق مدينة على سجلماستة ويلاه درعة وأنه عقد عليها وعلى سائر بلاد القبلة ليوسف بن يزكاسن، وأنزل معه ابنه مفتاحاً المكنى بأبي حديد في مشيخة لحياطتها.

وأن المرتضى سرح وزيره ابن عطوش سنة أربع وخمسين وستمائة في العساكر لاسترجاعها، فنهض إليه الأمير أبو يحيى إليه وشرد عنها ورجعه على عقبه.

وبلغ الخبر بوفادة أبي طالب ابن صاحب سبعة الفقيه أبي القاسم العزى على قاس، فأغدق السير إلى حضرته، وأكرم وقادته وأحسن متنبله إلى أبيه ملوك الحقائب بيده، رطب اللسان بشكره. ثم شرع في إجازة ولده إلى العدو كما نذكر الآن إن شاء الله تعالى.

### الخبر عن شأن الجهاد وظهور السلطان أبي يوسف على الصارى وقتل زعيمهم دنه وما قارن ذلك

كانت عدوة الأنجلترا منذ أول الفتح ثغرًا للمسلمين، فيه جهادهم ورباطهم ومدارج شهادتهم وسبيل سعادتهم. وكانت مواطنهم فيه على مثل الرضف، وبين الظفر والناب من أسود الكفر لتوفر أمتهم في جوارها وإحاطتهم بها من جميع جهاتها، وحجز البحر بينهم وبين إخوانهم المسلمين وقد كان عمر بن عبد العزيز رأى أن يخرج المسلمين منها لانقطاعهم عن قومهم وأهل دينهم، وبعدهم عن الصريخ، وشاروا في ذلك كبار التابعين وأشراف العرب فرأوه زليلاً.

وعازم عليه لولا ما اعتاقه من المية وعلى ذلك، فكان للإسلام فيه اعتزاز على من جاورهم من أهل الكفر، بطول دولة العرب من قريش ومضر واليمن.

وكانت نهاية عزهم وسورة غلبهم أيام بني أمية بها، الطائرة الذكر الباسطة جناحها على العدوين منذ ثلاثة مئتين من السنين أو ما يقاربها.

حتى انتشر سلوكها بعد المائة الرابعة من الهجرة، وافتقرت الجماعة طرائف وفشلوا ريح المسلمين وراء البحر بفتاء دولة العرب.

وعازر البربر بال المغرب واستفحلا شأنهم وجاءت دولته المرابطين فجمعوا ما كان مفترقاً بال المغرب من كلمة الإسلام، ومسكوا بالسنة وتشوفوا إلى الجهاد، واستدعاهم إخوانهم من وراء البحر للمساعدة عليهم، فأجازوا إليهم وأبلوا في جهاد العدو أحسن بلاء، وأوقعوا بالطاغية ابن أذفونش يوم الزلاقه وغيرها، وفتحوا حصوناً واسترجعوا أخرى واستنزلوا الشوار ملوك الطراف، وجعلوا الكلمة بالعدوين.

وجاء علىي أثرهم الموحدون سالكين أحسن مذاهبهم،

ولهم فيها طاعة معروفة.

فلما هلك علي بن عمر آثروا يغرسن بملكتها، فحملوا أهل البلد على القيام بدعوتهم، وخاطبوا وجاجوا به، فغشياهم بعساكره وملكتها وضيبيها.

وعقد عليها عبد الملك بن محمد بن علي بن قاسم بن درع من ولد محمد بن زكريا بن تيدوكسن ويعرف باسم حنية نسبة إلى أم أبيه اخت يغمراسن بن حامة، وأنزل معهما ولده الأمير يحيى لإقامة الرسم الملكي، ثم أداه باخته من السنة الأخرى، وكذا كان شأنه في كل سنة.

ولما فتح السلطان أبو يوسف بلاد المغرب وانتظم أصاره ومعاقله في طاعته، وغلببني عبد المؤمن على دار خلافتهم، وحا رسمهم، وافتتح طنجة وطريق سبتة مرقي الجواز إلى العدوة، وتنفر المغرب، سما أمره إلى بلاد القبلة فوجه عزمه إلى انتزاع سجلamasة من أبي عبد الواد المتغلبين عليها وإدالله دعوته فيها من دعوته، فنهض إليها في العساكر والخشود في رجب من سنة ثالثين وسبعين وستمائة فنازلاً وقد حشد إليها أهل المغرب أجمع من زناتة والعرب والبربر وكافة الجنود والعساكر، ونصب عليها آلات الحصار من الجانيق والمرادات، وهدموا القسط القاذف بمصلى الحديدي بيت من خزانة أمام النار الموقدة في البارود بطبيعة غريبة ترد الأفعال إلى قدرة بارتها.

فأقام عليها حولاً كريتاً يغاديها القتال ويرواحها، إلى أن سقطت ذات يوم على حين غفلة طافية من سورها باللحاج الحجارة من المنجنيق عليه، فباءدوا إلى اقتحام البلد، فدخلوها عنزة من تلك الفرجة في صفر من سنة ثلاث وسبعين وستمائة فقتلوا المقاتلة والخامية وسقوا الرعية، وقتل القائدان عبد الملك بن حنية وغمراسن بن حامة، ومن كان معهم منبني عبد الواد وأمراء البنات، وكم فتح بلاد المغرب للسلطان أبي يوسف، وتمشت طاعته في أقطاره.

فلم يبق فيه معقل يدين بغير دعوته، ولا جماعة تحجز إلى غير فيتها ولا أمل ينصرف إلى سواه، ولا كملت له نعم الله في استيساق ملكه وتعهد أمره، انتصر أمره إلى الغزو وإثمار طاعة الله بجهاد أعدائه، واستقذ المستضعفين وراء البحر من عباده على ما نذكر.

ولما انكفا راجعاً من سجلamasة، قصد مراكش من حيث جاء، ثم قتل إلى سلا فثار بها أياماً ونظر في شؤونها، وسد نهرها.

بينهما من الحصون والقواعد والمعاقل التي لا تعد ولا تُحصى، وأنقرض أمر الثوار بالشرق وتفرد ابن الأهر بغرب الأندلس، وضاق نطاقه عن المانعة دون البسائط الفيوج من أرض الفرتيرة وما قاربها، ورأى أن التمسك بها مع قلة العدد وضعف الشوكة ما يرهن أمره ويقطع فيه عدوه، ففقد السلم للطاغية على التزول عنها أجمع، وجل بالمسلمين إلى سيف البحر معتصمين بأوعاره من عدوهم، واختار لرزله مدينة غرناطة، وابتني بها لسكنه حصن الحمراء حسبما شرحتنا ذلك كله في موضعه.

وفي أثناء هذا كله لم يزل صريخه ينادي بال المسلمين من وراء البحر والملا من أهل الأندلس ينددون على أمير المسلمين أبي يوسف للإعنة ونصر الله، واستقذار الحرم والولدان من آيات العدو فلا يجد مفرعاً إلى ذلك بما كان فيه من مجاذبة الجبل مع المسلمين، ثم مع يغرسن، ثم تشغله بفتح بلاد المغرب وتدويخ أقطاره إلى أن هلك السلطان أبو عبد الله محمد بن يوسف ابن الأهر المعروف بالشيخ، وأبي دبوس، لقبين كانا له على حين استكمال أمير المسلمين فتح المغرب وفراجه من شأن عدوه ستة إحدى وسبعين وستمائة على أن بني مرين كانوا يؤثرون الجهاد ويسموون إليه وفي ثورتهم جنوح إليه وصاغية.

ولما استوحش بنو إدريس بن عبد الحق وخرجوا سنة إحدى وستين وستمائة على السلطان يعقوب بن عبد الحق واستصلحهم انتدب الكبير منهم للغزو وإجازة البحر لصريح المسلمين بالأندلس، واجتمع إليهم من مطوعة بني مرين عسكر ضخم من الغزاة ثلاثة آلاف أو يزيدون وعقد السلطان على ذلك العسكر لعامر بن إدريس فوصلوا إلى الأندلس فكان لهم فيها ذكر ونكأية في العدو، وكان الشيخ ابن الأهر عهد إلى ولده القائم بالأمر بعده محمد، الشهير بالفقيم، لاتحالة طلب العلم أيام أبيه.

وأوصاه بأن يتمسك بعروة أمير المسلمين ويخطب نصره، ويدرأ وبقومه عن نفسه وعن المسلمين تكالب الطاغية.

فبادر لذلك حين مواراة أبيه وأوفد مشيخة الأندلس كافة عليه، ولقيه وفدهم منصرفًا من فتح سجلamasة خاتم الفتوح بالثغر المربية ومقد المراك.

وتنددوا للإسلام بالثار وألقوا إليه كنه الخبر عن كلب العدو على المسلمين، ونقل وطان، فحيوا فادتهم ويَرُّ رؤسائهم، وياذر لإنجاحه داعي الله واستئام الجنة.

وكان أمير المسلمين منذ أول أمره مؤثراً عمل الجهاد كلماً به مختاراً له متى أعطي الخيار من سائر أمالم، حتى لقد كان اعتزم

فكان له في الجهاد آثار على الطاغية وأيام:

منها يوم الأرك ليعقوب المتصور وغيره من الأيام، حتى إذا فشلت ريح الموحدين وافترقت كلمتهم وتنازع الأمر سادة بي عبد المؤمن الأمراء بالأندلس، ومحاربوا على الخلافة واستجاشوا بالطاغية وأمكتنه من كثير من حصون المسلمين طعمة على الاستظهار، فخشى أهل الأندلس على أنفسهم وثاروا بالمرحدين وأخرجوهم وتول ذلك ابن هود ببرسية وشرق الأندلس، وعم بدعوته سائر أقطارها، وأقام فيها الدعوة للعباسين، وخطبهم ببغداد كما ذكرناه في أخباره، واستوفينا كلًّا مما وصفناه في مكانه.

ثم عجز ابن هود عن الفرية لبعدها عنه، وفقده للعصابة المتأولة لها، وأنه لم تكن صنعته في الملك مستحکمة وتكلب الطاغية على الأندلس من كل جهة، وكثير اختلاف المسلمين بينهم، وشغل بنو عبد المؤمن بما دهم المغرب من شأن بني مرين وزنانة.

فتلافق محمد بن يوسف بن الأهر أمر الفرية، وثار به صنه أرجونة وكان شجاعاً قدماً ثبتاً في الحروب، فتلقف الكرة من يد ابن هود خلع الدعوة العباسية، ودعا للأمير أبي زكريا بن أبي حفص سنة تسع وعشرين وستمائة فلم يزل في فتنة ابن هود بجانب الجبل ويقاربه على عمارات الأندلس واحدة بعد أخرى إلى أن هلك ابن هود سنة خمس وثلاثين وستمائة.

وتكلب العدو خلال ذلك على جزيرة الأندلس من كل جانب ووفر له ابن هود في الجزية وبلغ بها أربعين ألف من الدنائير في كل سنة، ونزل له عن ثلاثين من حصون المسلمين.

وخشي ابن الأهر أن يستغلظ عليه بالطاغية فججح هو إليه ونقشك بعروته، ونفر في جملته إلى منازلة إشبيلية نكأية لأهله.

ولما هلك الأمير أبو زكريا نبذ الدعوة الحفصية، واستبد لنفسه، وتسمى بأمير المسلمين، ونمازعه بالشرق أعقاب ابن هود وبني مرديش، ودعاه الأمر إلى التزول للطاغية من بلاد الفرتيرة، فنزل عنها بأسرها.

وكانت هذه المدة من سنة اثنين وعشرين إلى سنة سبعين، فترة ضاعت فيها ثور المسلمين واستبيح حمام، والتهم العدو بلاهم وأموالهم نهباً في الحروب، ووضيعة ومداراة في السلم.

واستول طواغيت الكفر على مصارعها وقواعدها فملك ابن أدفونش قرطبة سنة ست وثلاثين، وجيـانـ سنة أربعـ وـاربعـين، وأشبيلـيةـ سنة ستـ وأربعـين.

وملك قصـ بـرشـلونـةـ مدـيـنةـ بـلـنسـيـةـ سـيـعـ وـثـلـاثـينـ إـلـىـ ما

على الغزو إلى الأندلس أيام أخيه الأمير أبي بحبي وطلب إذنه في ذلك عندما ملوكوا مكناة سنة ثلات وأربعين وستمائة فلم يأذن له وفصل إلى الغزو في حشمه وذويه ومن أطاعه من عشيرته.

وأوزع الأمير أبو بحبي لصاحب الأمر بسببة لذلك العهد أبي على بن خلاص بن يمنعه الإجازة، ويقطع عنه أسبابها.

ثُم استقر الكافة واحتشد القبائل والجماع، ودعا المسلمين إلى الجهاد، وخطاب في ذلك كافة أهل المغرب من زناتة والعرب والمرحدين والصادمة وصنهاجة وغمارة وأوربة ومكناة وجميع قبائل البربرية وأهل المغرب من المرتزقة والمطروعة.

وأهاب بهم وشرع في إجازة البحر، فأجازه من فرضة طنجة لصفر من سنة أربع وسبعين وستمائة واحتل ساحل طريف.

وكان لما استنصره السلطان ابن الأخر وأوفد عليه مشائخ الأندلس اشتربط عليه التزول عن بعض التغور بساحل الفرضة لاحتلال عساكرة، فتجافي له عن رندة وطريف.

ولما احتل بطنجة بادر إليه ابن هشام الشائر بالجزيرية الخضراء، أجاز البحر إليه، ولقيه بظاهر طنجة فادي له طاعته وأمكنته من قياد بلدته.

وكان الرئيس أبو محمد بن أشقيقولة وأخوه أبو إسحاق شهر السلطان بن الأخر تبعاً له في أمره ومؤازراً له على شأنه كله.

وابوهما أبو الحسن هو الذي تولى له كبر الثورة على ابن هود ومدخلة أهل إشبيلية في الفتكت بين الباقي.

فلما استوت قدمه في ملكه وغلب التوار بالأندلس واستولى على أمره فسد ما بينهما بعد أن كان ولـ أبي محمد على مالقه وأبا إسحاق على وادي آش، فامتنع أبو محمد بن أشقيقولة بمالقة واستأثر بها وغیريتها دونه.

ومع ذلك كانوا على الطاغية فينة ولحمة، ولما أحس أبو محمد بن أشقيقولة بإجازة السلطان يعقوب بن عبد الحق، قدم إليه الوفد من أهل مالقة بيعتهم وصربيتهم، وأخشاش إلى جانب السلطان وولايته، وأغضنه المخالصة والنصيحة.

ولما احتل السلطان بساحة طريف ملايات كتابه ساحة الأرض ما بينهما وبين الجزيرية وتسابق السلطان ابن الأخر، وهو محمد الفقيه بن محمد الشيخ أبي دبوس صاحب غرناطة والرئيس أبو محمد بن أشقيقولة صاحب مالقة والغربيّة، وأخوه أبو إسحاق صاحب وادي آش إلى لقاء السلطان وتgatherوا في بربور مقدمه والإذعان له، فقاويا همما في أمور الجهد، ورجعوا له ل حينه إلى بليدهما.

على الغزو إلى الأندلس أيام أخيه الأمير أبي بحبي وطلب إذنه في ذلك عندما ملوكوا مكناة سنة ثلات وأربعين وستمائة فلم يأذن له وفصل إلى الغزو في حشمه وذويه ومن أطاعه من عشيرته.

وأوزع الأمير أبو بحبي لصاحب الأمر بسببة لذلك العهد أبي على بن خلاص بن يمنعه الإجازة، ويقطع عنه أسبابها.

ولما انتهى إلى قصر الجواز، ثنى عزمه عن ذلك الولي يعقوب بن هارون الخيري، ووعده بالجهاد أميراً مستتصراً للMuslimين ظاهراً على العدو، فكان في نفسه من ذلك شغل وإله صاغية.

فلما قدم عليه هذا الوفد نبهوا عزائمهم وذروا همتهم، فأعمل في الاحتشاد وبعث في التفير.

ونهض من فاس في شهر شوال من سنة ثلات وسبعين وستمائة إلى فرضة المجاز من طنجة.

وجهز خمسة آلاف من قومه أزاح عللهم واستوفى عظامهم وعقد عليهم لابنه منديل وأعطاه الرابعة.

واستدعي من العزف صالح سبعة السفن لإجازتهم فرافاه ينصر الجواز عشرين من الأساطيل، فأجاز العسكر وزبل بطيء، وأراح ثلاثة، ودخل دار الحرب وتوجل فيها، وأجلب على ثغرها وبسانطها.

وامتلأت أيديهم من الغنائم وأثخنوا بالقتل والأسر وتخريب العمran ونصف الآثار، حتى نزل بساحة شريش، فخاح حاميتها عن اللقاء وأخرجوا في البلد، فقتل عنها إلى الجزيرية وقد امتلأت أيديهم من الأموال وحقائبهم من السي وركائبهم من الكراع والسلاح.

ورأى أهل الأندلس أن قد ثاروا بعام العقاب حتى جاءت بعدها الطامة الكبرى على أهل الكفر، واتصل الخبر بأمير المسلمين فاعتزم على الغزو بنفسه، وخشي على ثغر بلاده من عاديه يغمراسن في الفتنة، فبعث حافظه تاشفين بن عبد الواحد في وفد من بي مرين لعقد السلام مع يغمراسن والرجوع للاقتفاق والمواعدة.

ووضع أوزار الحرب بين المسلمين للقيام بوظيفة الجهاد فأكبر موصله ووصل قومه.

وبادر إلى الإجابة والألفة، وأوفد مشيخة بي عبد الواد على السلطان لعقد السلام.

وبعث معهم الرسل وأسني المدية وجمع الله كلمة

بدرهم واحد، وكذلك السلاح.

وأقام أمير المسلمين بالجزيرة أياماً ثم خرج جمادى عازياً إلى أشبيلية فجاس خلاها وتقرى نواحيها وأقطارها، وأتى بن خالق القتل والنهب في جهاتها وعمرانها، وارتحل إلى شريش فإذا بها وبالأبيض والاكتساح.

ورجع إلى الجزيرة لشهرين من غزاته، ونظر في اختطاط مدينة بفرضة المجاز من العدو لتزل عسكره متبنداً عن الرعية لما يلحظهم من ضرر العسكر وجفائهم، وتخير لها مكاناً لصق الجزيرة، فأوعز بناء المدينة المشهورة بالبنية وجعل ذلك لنظر من يقظ به من دونه.

ثم أجاز البحر إلى المغرب في رجب من سنة أربع وسبعين وستمائة فكان مغيبه وراء البحر ستة أشهر، واحتل بقصر مصمودة وأمر بناء السور على بادس مرفاً الجواز ببلاد غماره.

وتولى ذلك إبراهيم بن عيسى كبير بنى وسنان بن حبيب، ثم رحل إلى قاس فدخلها في شعبان، وصرف النظر إلى أحوال دولته، واحتطاط البلد الجديد لتزله وتزل حاشيته، واستنزل الشوار عليه بالمنزه على ما ذكره إن شاء الله تعالى.

### الخبر عن اختطاط البلد الجديد بفاس وما كان على تفيفه ذلك من الأحداث

لما قفل أمير المسلمين من غزاته الجهادية، وتم صنع الله لديه في ظهور الإسلام على يده واعتذار أهل الأندلس بفتحه راح بالمنزه إلى نعمة أخرى من ظهور أوليائه وحسن أداؤه الفساد في دولته، شفعت مراهب السعادة، وأكملت عوائد الصنع، وذلك أن صيابة بن عبد المؤمن وفلهما، لما فروا من مراكش عند الفتح لحقوا بجبل تينملل جربة أميرهم، ومبني دعوته، وملحد خلقائهم، وحضره سلفهم، ودار إمامهم، ومسجد مهديهم.

كانوا يعكفون عليه متمنين بطيشه، ملتزمين بركرة زيارته، ويقدمون ذلك أمام غزوتهم قربة بين يدي أعمالهم يعتدونها من صالح مسامعهم.

فلما خلص الفيل إليه انتصروا بعقله وآتوا إلى وكونه، ونصبوا للقيام بأمرهم عيناً من أغراض خلقه بن عبد المؤمن ضعيف المني خاسر الصفة من موهاب الحظ، وهو إسحاق آخر عمر المرتضى.

وبالبعده ستة تسع وستمائة يرجون منه رجع الكروة،

وانصرف ابن الأهر منضياً لبعض التزاعات أحفظته وأخذ السلطان السير إلى الفرتيرة، وعقد لولده الأمير أبي يعقوب على خمسة آلاف من عسكره، وسرح كتابه في البساط وخلال العاشر ينسف الزرع وتحطم الغرس وينحرب العمران وتتهب الأموال وتكتسح السرح وتقاتل المقائلة وتسبي النساء والذرية، حتى انتهى إلى المدور وبإيادة وأبدة واقتجم حصن بلمة عنزة.

وأنى على سائر الحصون في طريقه فطمس معالمها واتسح أموالها، وقتل والأرض عموج سيباً إلى أن عرس باستجة من تحوم دار الحرب.

وجاءه النذير ببابع العدو وأثارهم لاستقاذ أسراههم وارتجاع أمرائهم، وأن زعيم الروم وعظمتهم دنه خرج في طلبهم بأمم بلاد النصرانية من المختلم فما فرقه.

فقد السلطان الغنائم بين يديه وسرح الفأ من الفرسان أمامها، وسار يقفيها، حتى إذا أطلت رايات العدو من ورائهم كان الزحف، ررتب المصف وحرض وذكر.

وراجعت زناته بصائرها وعزائمها وتحركت هممها، وأبلت في طاعة ربها والذب عن ديها، وجاءت بما يعرف من بأسها وبلالها في مقاماتها ومواضعها.

ولم يك إلا كلا ولا، حتى هبت ريح النصر وظهر أمر الله وانكشف جموع الصرانية، وقتل الزعيم دنه والكثير من جموع أهل الكفر، ومنح الله المسلمين أكتافهم، واحتل القتل فيهم.

وأخصي القتلى في المعركة فكانوا ستة آلاف، واستشهد من المسلمين ما يناهز الثلاثين أكرهم الله بالشهادة وأثراهم بما عنده، ونصر الله حزبه وأعز أولياءه وأظهر دينه، وبدأ للعدو ما لم يختبئ بمحاجة هذه العصابة عن الملة وقيامتها بنصر الكلمة.

وبعث أمير المسلمين برأس الزعيم دنه إلى ابن الأهر فرده زعموا سراً إلى قومه بعد أن طبئ وأكرمه، ولادة أخلصها لهم، مداراة وأخراجها عن أمير المسلمين، ظهرت شواهده عليه بعد حين كما ذكره، وقتل أمير المسلمين من غزاته إلى الجزيرة متتصف ربيع من سنته، فقسم في المجاهدين الغنائم وما نفله الله من أموال عدوهم وسياههم وأسراههم وكرائهم، بعد الاستئثار بالخمس ليت المال على موجب الكتاب والستة ليصرفه في مصارفه.

ويقال: كان مبلغ الغنائم في هذه الغزارة من القر مائة ألف وأربعمائة وعشرين ألفاً، ومن الأسرى سبعة آلاف وثمانمائة وثلاثين، ومن الكراع أربعة عشر ألفاً وستمائة، وأما الغنم فاتسعت عن الحصر كثرة، حتى لقد زعموا بيعت الشاة في الجزيرة

واحضر لها الحزى والمعدلين لحرّات الكراكب، فاعتاموا في  
الطراوّل النجميّة مما يرضون أثّره، ورصدوا أوانه.  
وكان فيهم الإمامان أبو الحسن بن القطان وأبو عبد الله بن  
الجبار، المقدّمان في الصناعة، فكمّل تشييد هذه المدينة على ما  
رسم وكما رضي، وزرّها بخاشيّته، وذويه ستة أربع وسبعين  
وستمائة كما ذكرناه.  
واختطروا بها الدور والمنازل، وأجرى فيها المياه إلى قصوره،  
وكانت من أعظم آثار هذه الدولة وأيقانها على الأيام.

ثم أوعز بعد ذلك ببناء قصبة مدينة مكناة، فشرع في بنائها من سنته، وكان حين إجازته البحر قافلاً من غزاته لحق طلحة بن مخلب مجبل أوزور نازعاً إلى قبائل زناتة من صنهاجة، فاغذر إليه السلطان بعساكرة وanax عليه، واستنزله لشهر على ما سأله من الأمان والرتبة، وحسم الداء من خروجه، واستوزر صنيعته فتح الله السدراتي، وأجرى له رزق الوزارة على عوائدهم.

ثم بعث إلى يغمراسن كفاء هديته التي أخلفه بها بين يدي غزاته، وكان شغلها عنها أمر الجهاد، فبعث له فسطاطا رائقاً كان صنع له براكش، وحكمات مهيبة بالذهب والفضة، وثلاثين من البغال الفارهة ذكوراً وإناثاً براكبها الفارسية من السروج، والنسوانية من الولايات، وأهمالاً من الأديم المعروف دباغة بالشركسي، إلى غير ذلك مما يباهي به ملوك المغرب وبنافسون فيه. وفي سنة خمس وسبعين وستمائة من بعدها أهدى له محمد بن عبد القوي أمير بني توجين، وصاحب جبل وانشيريش أربعة من الجياد انتقاها من خيل المغرب كافة، ورأى أنها على قلة عددها أحفل، هدية.

وفي نفسه أثناء هذا كله من الجهاد شغل شاغل ينطوي إليه  
سائر أعماله حسبما نذكر.

الخبر عن إجازة أمير المسلمين ثانية وما  
كان فيها من الغزوات

لما قفل أمير المسلمين من غزاته الأولى، واستنزل الخوارج  
وتفقد الشغور، وهادى الملك واختط المدينة لنزله كما ذكرنا ذلك  
كمل.

ثم خرج فاتح سنة ست وسبعين وستمائة إلى جهة مراكش  
لسد ثغوره، وتنقيف أطرافه، وتوغل في أرض السوس، وبعث  
وزيره فتح الله بالمساكن فجاس خالله، ثم انكنا راجعاً.

وإدالة الدولة، وكان المولى لكرب ذلك وزير دولتهم ابن عطوش.  
ولما عقد السلطان يعقوب بن عبد الحق محمد بن علي بن  
محلى على أعمال مراكش، لم يقدم عملاً على محاربهم، وتحذيل  
الناس عنهم، واستسلامه أشياعهم.  
وجعوا له سنة أربع وسبعين وستمائة على غزة ظنها،  
فاوقع بهم وفل من غربهم، ثم صمد إلى الجبل لشهر ربيع من  
سنة فاقض عذرته وقض خاتمه، واقتصر عليهم عنوة بعد  
مداولة النزال والحرب.  
وذلك الوزير ابن عطوش في جوانب الملحمة، وتقبض  
على خليفهم المستضعف، وابن عمه أبي سعيد ابن السيد أبي  
الربيع ومن معهما من الأولياء، وجبوا إلى مصارعهم بباب  
الشرعية بمراكش، فضررت أنفاسهم وصلبت أشلاءهم.  
وكان فيما قتل منهم كاتبه القبائلي وأولاده، وعاثت  
العاشر في جبل تتميل واكتسحت أمره.

وبعثرت قبور خلفاء من بني عبد المؤمن، واستخرج شلو  
يرسف وابنه يعقوب المنصور، فقطعت رؤوسهم، وتولى كبر ذلك  
أبو علي الملباني النازع إلى السلطان أبي يوسف من مليانة عش  
غوايته ومواطن انتقامه كما قدمناه.

وكان السلطان أقطعه بلاد أغمات إكراماً لوفاته، فحضر هذه الفزارة في جلة العساكر ورأى أن قد شفى نفسه بإخراج هؤلاء الخلقاء من أراضيهما، والعيت باشلانهم لما نقم منه الموحدون، وأزعجهوه من قراره، فتذكرةها السلطان جلاله، وتتجاوز عنها للمليني تأييساً لقربته وجواره، وعدها من هناته.

ولما وصل أمير المسلمين إلى حضرته من غزوة الجهاد، ترددت عليه أخبار هذه الملحمة، وقطع دابر بنى عبد المؤمن، فظاهر السرور لديه، وارتفعت إلى الله كلمات الشكر طيبة منه.

ولما سكن غرب الشوار، وتهجد أمر المغرب، ورأى أمير المسلمين أن أمره قد استفحلاً، وملكه قد استوستق، واتسع نطاق دولته، وعظمت غاشيته وكثرة وافده، رأى أن يخليط بلدًا يتميز بسكناه في حاشيته وأهل خدمته وأوليائه الحاملين سرير ملكه.

فامر ببناء البلد الجديد لصق فاس، بساحة الوادي المخترق وسطها من أعلى، وشرع في تأسيسها لثالث من شوال في سنة أربع وسبعين وستمائة هذه وجمع الأيدي عليها، وحشد الصناع والفعلة لبنيتها.

وسيط النساء ونقتل الأموال وخرب الحصن، ثم بث السرايا والغارات في البياض فاكتسحها وأملاكت الأيدي وأثرى العسكر وتقروا المنازل والعمار في طريقهم حتى احتلوا ساحة قرطبة فنازولوها، واحتجزت حامية العدو من وراء أسوارها وابتلت بعوث المسلمين وسرابا لهم في نواحيها، فسفروا آثارها، وخرموا عمرانها واكتسحوا قراها وضياعها، وتعدد على جهانها، فدخل حصن بركونة عنوة، ثم أرجونة كذلك، وقدم بعثاً إلى جيان قاسمها حظها من الحسق والدمار، وخام الطاغية عن اللقاء وأيقن خراب عمرانه، وتلاف بلاده.

فجئ إلى الصلح وخطبه من أمير المسلمين، فدفعه إلى ابن الأخر وجعل الأمر في ذلك إليه تكمة لشهده ووفاء مجده، فأجابهم ابن الأخر إليه بعد عرضه على أمير المسلمين والتماس إذنه فيه وإبداء ما فيه من المصلحة وجروح أهل الأندلس إليه منذ المدة الطويلة، فانعقد السلام.

وقفل أمير المسلمين من غزاته وجعل طريقه على غرناطة احتفاء بالسلطان ابن الأخر وخرج له عن الغنائم كلها، فاحتوى عليها.

ودخل أمير المسلمين إلى الجزيرة في أول رجب من عام يومئذ، فراح ونظر في ترتيب المسالح على التغور، وتملك مالقة كما ذكره.

### الخبر عن تملك السلطان مدينة مالقة من يد ابن أشقيلوة

كان بنو أشقيلوة هؤلاء من رؤساء الأندلس المؤمنين ولداعمة العدو، وكانوا نظرة لابن الأخر في الرياسة، وهم أبو محمد عبد الله وأبو إسحاق إبراهيم ابنا أبي الحسن بن أشقيلوة.

وكان أبو محمد منهم صهراً له على ابنته فكانوا له بذلك خالصة فأشتركم في أمره واعتتصد بعصاهم ويأبى لهم من قبل على مقاومة ابن هود وسائر الشوار حتى إذا استمكن من فرسته واستوى على كرسيه استبد دونهم وأنزلهم إلى مقامات الوزراء.

وعقد لأبي محمد صهره على ابنته على مدينة مالقة والغربية، وعقد لأبي الحسن صهره على أخيه على وادي آش وما إليه، وعقد لابنه أبي إسحاق إبراهيم بن علي على قمارش وما إلى ذلك، ووجدوا في أنفسهم، واستمر الحال على ذلك.

ولما هلك الشيخ ابن الأخر سنة إحدى وسبعين وستمائة

وخاطب قبائل المغرب كافة بالنفير إلى الجهاد، فنباطزوا واستمر على تحريضهم، ونهض إلى رباط الفتح وتلوم بها في انتظار الغزاة وثبطوا، فخف هو في خاصته وحاشيته واحتل بالفرضة من قصر المجاز، وتلاحق به الناس فأجاز البحر وأحتل بطرير آخر عمر، ثم ارغل إلى الجزيرة، ثم إلى رندة.

ووافاه هناك الرئيس أبو إسحاق بن أشقيلوة صاحب قمارش، وأبو محمد صاحب مالقة للغزو معه.

وارتحلوا إلى منازلة أشبيلية فعرسوا عليها يوم المولد النبوى، وكان بها ملك الخلاقية ابن أوفونش، فخام عن اللقاء وبرز إلى ساحة البلد محاماً عن أهلهما.

ورتب أمير المسلمين مصافه وجعل ولده الأمير أبا يعقوب في المقدمة، وزحف في التعبية فاحتجزوا العدو البلد، واتحروا أثربهم الوادي وأخنعوا فيهم، وبات العساكر ليتهم بمحolan في متون جيادهم وقد أضرموا النيران بساحتها، وارتعل من الغد إلى أرض الشرق، ويث السرايا والغوار في سائر التواحي، وأناخ بجمهور العساكر عليها، فلم يزل يقتري تلك الجهات حتى أباد عمرانها وطمس معالمها، ودخل حصن قطنية وحسن جليانة وحسن القلعة عنوة، وأثخن بالقتل والسي.

ثم قفل بالغنائم والأنفال إلى الجزيرة لسرار شهره، فرارج وقسم الغنائم في المجاهدين.

ثم خرج غازياً إلى شريش متصرف رباع الآخر فنازها وأذاقها نكال الحرب، وأنقر نواحيها، وقطع أشجارها وأباد غصراها وحرق ديارها، ونسف آثارها، وأثخن فيها بالقتل والأسر.

وبعث ولده الأمير أبا يعقوب في سرية من معسكته للغوار على أشبيلية وحسنون الوادي، فبالغ في التكاثة واكتسح حصن روطة وشلوقة ومليانه والقناطر.

ثم صبح إشبيلية بغاره فاكتسحها وإنكنا إلى أمير المسلمين، فقلعوا جيعاً إلى الجزيرة، وأراح وقسم في المجاهدين غنائمهم.

ثم ندب إلى غزو قرطبة، ورغبهم في عمرانها وشروع ساكنها، وخصب بلادها، فاهطعوا إلى إيجابته، وخاطب ابن الأخر يستغره.

وخرج لأول جادى من الجزيرة، ووافاه ابن الأخر بناحية أرشدونة، فكرم وصوله وشكر خوفه إلى الجهاد ويداره.

ونازلوا حصن بي بشير فدخل عنوة، وقتل المقاتلة

ثم أجاز إلى المغرب سنة سبع وسبعين وستمائة وقد اهتزت الدنيا لقدومه وأمتلأ القلوب بما كفه الله من نصر المسلمين بالعدوة، وعلو راية السلطان على كل راية.

واعظمت لذلك موجدة ابن الأخر، ونشأت الفتنة كما ذكره إن شاء الله تعالى.

### الخبر عن تظاهر ابن الأخر والطاغية على منع السلطان أبي يوسف من إجازة البحر وإصفاق يغمراسن بن زيان معهم من وراء البحر على الأخذ بمحجزته عنهم وواقعة السلطان على يغمراسن بخزروزة

لما أجاز أمير المسلمين إلى العدو إجازته الأولى، ولقي العدو بستجة، وقتل الله دنه بأيدي عسكره، وصنع له من الظهور والعز ما لا كفاه له، ارتاب ابن الأخر بمكانه، فبدأ له من ذلك ما لم يحسب، وظن بأمير المسلمين الظنون، واعتراض ذكره شأن يوسف بن تاشفين والمراطيين مع ابن عباد سلطان الأندلس. وأكد ذلك عنده جنوح الرؤساء من بي أشقيقولة وغيرهم إليه وانقيادهم لأمره، فغضي بمكانه وحضر غرائله.

وتذكر الجو بينهما وأجاز إجازته الثانية، فانتقض ابن الأخر عن لقائه، ودارت بينهما مخاطبات شعرية في معنى العتاب على السنة كابها نسراها الآآن، فمن ذلك قصيدة كتبها إليه ابن الأخر سنة أربع وسبعين وستمائة بعد واقعة دنه واعتزامه على الرجوع إلى المغرب، فخاطبه بها ليلة الإقامة بالجزيرة حذراً من غائلة العدو، وينحر فيها منحى الاستعطاف وهي من نظم كاتبه أبي عمر بن المرابط:

هل من معيني في الموى أو منجي من مهمن في الأرض أو من منجد هذا الموى داع فهل من سعف ياجبة وإنابة أو مسعد هذه سيل الرشد قد وضحت فهل بالبدوين من أمرى مسترشد يرجو النجاة بجنة الفردوس أو يخشى المسير إلى الجحيم المقد؟ يا آمل النصر العزيز على العدى أجب المدى تسعده وتوسد سر النجاة إلى النجاة مشمراً إن المدى هو النجاة لمن هدي يا من يقول غالباً أتوب ولا غد الذيك علم أن تعيش إلى غد لا تفترر بنسبية الأجل الذي إن لم يحيى لك نفاده فكان قد سفر عليك طويلاً أيامه لم تستعد لطوله فاستعدد

وول ابن الفقيه محمد، سموا إلى متازته.

وأوفد أبو محمد صاحب مالقة ابنه أبي سعيد على السلطان بعقوب بن عبد الحق، وهو متازل طنجة.

ووفد معه أبو عبد الله بن متليل فكرم وفادتهما وأحسن وانكفي راجعين فيبعث الرئيس أبو محمد إلى السلطان بطاعته ويعمه أهل مالقة سنة ثلث وسبعين وستمائة وعقد له عدا على، وزع ابنه أبو سعيد فرج إلى دار الحرب، ثم رجع لسته فقتل بمالقة.

ولما أجاز السلطان إلى الأندلس إجازته الأولى سنة أربع وسبعين وستمائة تلقاه أبو محمد بالجزيرة مع ابن الأخر وفاضهما السلطان في شؤون الجهاد وردهما إلى أحاطهما.

ولما أجاز إجازته الثانية سنة ست وسبعين وستمائة لقيه بالجزيرة الرئيس ابن أشقيقولة: أبو محمد صاحب مالقة، وأخوه أبو إسحاق صاحب وادي آش وقامارش، فشهادا معه الغزا.

ولما قفل اعتلى أبو محمد صاحب مالقة، ثم هلك غرة جادى من سنته فلتحق ابنه محمد بالسلطان آخر شهر رمضان، وهو متلوه بالجزيرة، منصرفة من الغزو كما ذكرنا، فنزل له عن البلد ودعاه إلى اختيارها، فقد عليها لابنه أبي زيان متليل، فسار إليها في

بعث، وكان ابن أشقيقولة حين فصوله إلى لقاء السلطان، أمر ابنه محمد الأزرق بن أبي الحجاج يوسف بن الزرقان بإخلاء منازل للسلطان بالقصبة وإعادتها، فتم ذلك لثلاث ليال، وضرب الأمير أبو زيان مسكنه بخارجها، وأنفذ محمد بن عمران بن عبلة في رهط من رجال بي مرين إلى القصبة فنزلها وملك أمر البلد.

وكان السلطان ابن الأخر لما بلغه وفاة أبي محمد بن أشقيقولة سما أمره إلى الاستيلاء على مالقة وأن ابن أخيه شيبة له، وبعث لذلك وزيره أبي سلطان عزيز الداني، فرافقي مسكن الأمير أبي زيان بساحتها، ورجا أن يتتجانى عنها لسلطانه، فأعرض عن ذلك وتجهم له، ودخل إليها لثلاث بقين من رمضان، وانقلب الداني عنها بمنفي حنين.

ولما قضى السلطان بالجزيرة صومه ونسكه، خرج إلى مالقة فرافقاها سادس شوال، ويرز إلى أهلها في يوم مشهود، احتفلوا به احتفال أيام الزينة سروراً يقدم السلطان، ودخولهم في إياته، وأقام فيهم إلى خاتم سنته.

ثم عقد عليها لعمر بن يحيى بن على من صنائع دولتهم، وأنزل معه المسالح وزيان بن أبي عياد بن عبد الحق في طائفة لنظره من أبطال بي مرين، واستوصاه بمحمد بن أشقيقولة وارتحل إلى الجزيرة.

زاد لكتل مسافر فستروف  
هذا الجهاد رئيس أعمال التقى  
خذ منه زادك لارتحالك تسعد  
هذا الربط بأرض أتيلس فرح منه لما يرضي الملك وأغتصدي  
سودت وجهك بالماضي فالتمس وجهًا للقيا الله غير مسدود  
محى الدمرع خطبة المتمدد  
واسع الخطاب بالندوع فرمي من ذيوب، لربه من ذبيه أو يهتدى  
من ذيظهر نفسه بعزيمة مشحونة في نصر دين محمد  
أنتز من أرض العدو مدائن والله في أنطماره لم يبعد  
وتسلل أرض المسلمين وتبليلى بملائين سطراً بكل موحد  
كم جامع فيها عبد كتبة فأهل عليه أسى فلا تجلد  
القس والشاقوس فوق منارة والثغر والختير وسط المسجد  
أسفاً عليها افترت صلوتها من قاتلين وراكعين ومسجد  
وتوهضت منهم بكل معاند مستكبر مذكأن لم يشهد  
كم من أسير عندهم وأسيرة فكلهم يغنى النساء فما فدى  
كم من عقبة عشر معقوله فيهم تولد لو انها في ملحد  
كم من وليد بينهم قد ود من ولداته وذااته لم يولد  
كم من تقى في السلاسل موشق يكى لأخر في الكبول مقيد  
وشهيد معترك توزعه الردى ما بين حدي ذابل ومهند  
ضجت ملائكة السماء لحالهم ورثى لهم من قلبه كالجلمد  
أفلاتنوب قلوبكم إخواننا عادهانا من ردئ أو من ردي  
أفلاتراعون الأذمة بيتا من حرمة وعبة وتسود  
اكذا بعيث السروم في إخرانكسم وسيوفكم للشارلم تقلد  
باحرة لحية الإسلام قد خدت وكانت قبل ذات توقد  
لين العزائم مالها لا تقضى هل يقطع المحنى غير مجرد  
ابني مرین انتسم جراننا وأحق من في صرحة بهم أبتدى  
فالحار كان به يوصي المصطفى جبريل حقاً في الصحيح المسترد  
ابني مرین والقبائل كلها في المغرب الأدنى لنا والأبعد  
كتب المهداد عليكم قبادروا منه إلى فرض الأحق الأوكد  
وارضوا بإحدى الحسينين وافتضوا حسناً تقروا بالحسان الخرد  
هذى الجنان تفتحت أبوابها والحرور قاعدة لكم بالمرصد  
هل من بائع من ربه من مشتر منه الحصول على التعميم السرمد  
له في نصر الحقيقة موعد صدق فشروا باتجاه المورد  
هذى الغنور بكم إليكم تشتكى شكوك العليم إلى الفني الأوحد  
ما بال شمل المسلمين مبدد فيها وشمل الكفر غير مبدد  
انتسم جيوش الله ملء فضائه تاسون للدين الغريب المفرد  
ماذا اعتذاركم غداً لنیکم وطريق هذا العذر غير مهدد  
إن قال لم فرطتم في أمري؟ وتركتهم للعنود المتبدى  
له لسوان العقوبة لم تخف لكتفي الحياة من وجه ذلك السيد

قائد بني مرین و محمد بن أشقيلولة.  
وامکن ابن الأخر من البلد فدخلها آخر رمضان من ستة.  
وانزل ابن معلى بشلویانية واحتمل ذخيرته وما كان  
السلطان اتنمه عليه من المال والعدة الجهادية.

وانتصلت يد ابن الأخر بيد الطاغية على منع أمير المسلمين  
من الإجازة، وراسلوا يغمراسن بن زيان من وراء البحر وراسلهم  
في مشاكلة السلطان وإفساد ثورته وإنزال العائق به المائعة من  
حركته، والأخذ بأذى الله عن النهوض إلى الجهاد، وأسروا فيما بينهم  
بينهما الإنفاف والمهادنة.

وجنب يغمراسن إلى ابن الأخر ثلاثة من عتاق الخيل مع  
ثياب من عمل الصوف، وبعث إليه ابن الأخر صحبة ابن مروان  
التجاني كفاء ذلك عشرة آلاف دينار، فلم يرض بالمال في هديته  
ورده.

وأصفقت أيديهم جيئاً على السلطان، ورأوا أن قد بلغوا  
في إحكام أمرهم وسد مذاهبهم، وانتصل الخبر بأمير المسلمين  
وهو براکش.

كان صمد إليها مرجعه من الغزو في شهر المحرم فاتح سبع  
وسبعين وستمائة لما كان من عيشه العرب جسم بتامسنا وإفسادهم  
السابلة، فتفقد أطرافها وحسم أدواتها.

ولما بلغه خبر ابن معلى ومالقة ونائلة الطاغية للجزيرة  
نهض ثلاثة من شوال يريد طنجة.

ولما انتهى إلى تامسنا، وفاه الخبر بنزول الطاغية على  
الجزيرة، ولإحاطة عساكره بها سادس شوال، بعد أن كانت أساطيله  
منازلتها منذ ربيع، وأنه مشرف على التهامها، وبعثوا إليه يستعدونه  
فاعتزم على الرحيل.

ثم اتصل به الخبر مخزوج مسعود بن كانون أمير سفيان من  
جسم ببلاد نفيس من المصاصدة خامس ذي القعدة، وأن الناس  
اجتمعوا إليه من قومه وغيرهم، فكر إليه راجعاً وقدم بين يديه  
حافده تاشفين بن بو مالك، ووزيره يحيى بن حازم، وجاء على  
ساقتهم وفروا أمام جبوشه، وانتبه معسكرهم وحللهم، واستباح  
عرب الحارث بن سفيان.

ولحق مسعود بعقل السكسيوي، ونائلة السلطان بعساكره  
أياماً.

ثم سرح ابنه الأمير أبا بن زيان متذيل إلى بلاد السوس  
لتمهيدها وتدعيم أنظارها، فأوغل في ديارها ووقف إلى أبيه خاتم

السنين سنة سبع وأربعين وستمائة ثم خرجت ثانية سنة اثنين  
وخمسين وستمائة فقطعت مجده أخرى وهلكت بمصر من صرفها  
من تلك السنة سنة ثلاث وخمسين وستمائة فكان لبني معلى أبيهما  
مكان من الدولة ودالة على السلطان لخزولتهم ووشایج قرباتهم  
وغناهم في قومهم. ولما استولى السلطان على حضررة الموحدين  
مراکش، عقد محمد بن علي بن معلى على جميع أعمالها، فكانت له  
في الأضطلاع بها مقامات محمودة.

وانتصلت أيام ولايته عليها من لدن سنة ثمان وستين إلى  
سنة سبع وثمانين وستمائة ثم كان مهلكه أيام يوسف بن يعقوب  
كما ذكرنا.

ولما نزع محمد بن أشقيلولة إلى السلطان بالجزيرة سنة ست  
وسبعين وستمائة متراجياً له عن ولاية مالقة بعد وفاة أبي الرئيس  
أبي محمد، واستولى السلطان عليها، واعتمد على الإجازة كما  
قدمناه، عقد على مالقة والغربية وسائر ثغورها وأعمالها لعمر بن  
يجي بن معلى.

وكان أخوه طلحة بن يحيى ذاتي وصرامة وقوة شديدة،  
وعتزاز على السلطان بمكان الخرولة، وهو الذي قتل يعقوب بن  
عبد الحق بغلوة سنة ثمان وستين وستمائة كما قلنا، وظاهر فتح  
الله السادس مولى السلطان ووزيره على قتال أبي العلاء بن أبي  
طلحة بن أبي قريش، عامل المغرب بكدية العرابش من ظاهر  
فاس سنة اثنين وستين وستمائة وزرع سنة أربع وسبعين وستمائة  
إلى جبل أزور عند مرجع السلطان من إجازته الأولى، فاستنزله  
ورجعه إلى مجلسه من جمله.

ثم نزع من الجزيرة إلى غرناطة سنة ست وسبعين وستمائة  
عند مرجع السلطان من أمر مالقة، وأجاز البحر إلى بلاد الريف.  
ثم رجع إلى القبة وقام بين يدي توجين.

ثم أجاز البحر إلى الأندلس سنة سبع وسبعين وستمائة  
عندما أضرم نار هذه الفتنة بين السلطان وبين ابن الأخر والطاغية،  
واحتل أسطول النصارى بالرقاق، وانقطع عساكر السلطان وراء  
البحر.

وأحسن أخوه عمر صاحب مالقة بإطلاق الجنو بينه وبين  
السلطان بما كان من أمر أخيه طلحة من قبل فلاطفه ابن الأخر  
عند استقراره بغرناطة في مداخلة أخيه عمر في التزول عن مالقة،  
والاعتياض عنها بشلویانية والمكتب طعنة.

وخطابه في ذلك أخوه طلحة فاجاب وخرج ابن الأخر  
بعساكره إلى مالقة، وتقبض عمر بن معلى على زيان بن بو عياد

ستة.

وأجابه إلى ذلك الطاغية رهبة من بأسهم، وموجدة على ابن الأخر في مدد أهل الجزيرة، وبعث أساقفته لعقد ذلك فأجازهم الأمير أبو يعقوب إلى أبيه أمير المسلمين فغضب لها، ونكرها على ابنه، وزوّى عنه وجه رضاه، ورجحهم إلى طاغيهم مخفقين السعي.

وأجاز أبو يعقوب ابن السلطان إلى أبيه ومعه وفد أهل الجزيرة، فلقوه السلطان بمكانه من بلاد السوس.

وولى عليهم ابنه أبي زيان متذيل فنزل بالجزيرة، وأحكم العقدة مع الطاغية، ونازل مريلة من طاعة ابن الأخر برأ وجراً فامتاعت عليه ورجع إلى الجزيرة، وانضوى إليه أهل الحصون الغربية بطاعتهم حذراً من الطاغية فقبلهم، ثم جاءه المدد من المغرب، ونازل رندة فامتاعت، والطاغية أثناء ذلك يجوس خلال الأندلس.

ونازل ابن الأخر بغرنطة مع بني أشبيلية وابن الدليل.

ثم راجع ابن الأخر مسللة بني مرين، وبعث لأبي زيان ابن السلطان بالصلح، واجتمع معه بأحواز مريلة كما ذكر بعد.

ولما ارتحل السلطان من معسركه إلى جبل السكسيوي يريد السوس، ثم أغرى العساكر ورجع من طريقه إلى مراكش حتى إذا انقضت غزوة البرير قفل إلى فاس، وبعث خطابه إلى الآفاق مستغراً للجهاد.

وفصل في رجب من سنة ثمان وسبعين وستمائة حتى انتهى، إلى طنجة وعاين ما اختل من أحوال المسلمين في تلك الفترة، وما جرت إليه الفتنة ابن الأخر من اعتزار الطاغية، وما حدثه نفسه من التهام الجزيرة الأندلسية ومن فيها.

وظاهروه على ابن الأخر منافسوه في رياسته بنو أشبيلية، فاستجره الرئيس أبو الحسن بن أبي إسحاق صاحب وادي آش، ونازل معه غرنطة سنة تسع وسبعين وستمائة خمسة عشر يوماً ثم أفرجوا عنها، ولقيتهم عساكر غرنطة من زناته فعد ذلك من سنتهم، وعليهم طلحة بن علی وشافع بن معطى كبير تيريفين بمحصن المسلى، فاظهروهم الله عليهم.

وذلك من النصارى ما ينافس سبعمائة من فرسانهم، واستشهد فيها من أعياص بني مرين عثمان بن محمد بن عبد الحق.

واستجر الطاغية ستة نماذن وستمائة بعدها الرئيس أبو محمد عبد الله آخر صاحب وادي آش إلى منازلة غرنطة، فنازلاها الطاغية وأقام عليها أياماً.

وأتصل بالسلطان ما نال أهل الجزيرة من ضيق الحصار وشدة القتال وأعوان الأقوات، وأنهم قتلوا الأصارع من أولادهم خشية عليهم من معرة الكفر، فآهمه ذلك وأعمل النظر فيه، وعقد لولي عهده ابنه الأمير أبي يعقوب من مراكش على الغزو إليها.

وأغزى الأساطيل في البحر إلى جهاد عدوهم، فوصل إلى طنجة لصفر من سنة ثمان وسبعين وستمائة وأواعز إلى البلاد البحرية لإعداد الأساطيل للغزارة بسببة وطنجة وسلا، وقسم الأعطيات وتوفرت همم المسلمين على الجهاد، وصدق عزائمهم على الموت.

وابلي الفقيه أبو حاتم العزفي صاحب سبعة لما بلغه خطاب أمير المسلمين في ذلك البلاط الحسن، وقام فيه القام الحمود، واستقر كافة أهل بلده فركبوا البحر أجمعين من المختلم فيما فوقه.

ورأى ابن الأخر ما نزل بال المسلمين في الجزيرة، وإشراف الطاغية على أخذها، فندم في عمالاته وبنذ عهده، وأعد أساطيل سواحله من المنكب والمريء ومالة مداراً للمسلمين.

وأجتمعت الأساطيل برقاً سبعة تناهز السبعين، قد أخذت بطرفي الرزاق في أحفل زي وأحسن قوة وأكملاً عدلاً وأوفر عدداً، وعقد لهم الأمير أبو يعقوب رايته، وألتموا عن طنجة ثامن ربيع الأول.

وانتشرت قلعاتهم في البحر فأجازوه، وياتوا ليلة المولد الكريم بمرقى الجبل، وصيروا العدو وأساطيلهم تناهز الأربعين، فتظاهروا في دروعهم وأسبغوا من سكتهم، وأخلصوا الله عزائمهم، وصدقوا مع الله نياتهم، وتنادوا بالجلنة شعارهم، ووضعوا وذكر خطبائهم، والتحم القتال ونزل الصبر.

ولم يكن إلا كلاً ولا حتى نضحوا العدو بالليل، فانكشفوا وتساقطوا في العباب، فاستلهمهم السيف وغضبهم اليم، وملك المسلمون أساطيلهم ودخلوا مرمى الجزيرة وفرضتها عنوة، فاختل معسكر الطاغية، ودخلهم الرعب من إحراز الأمير أبي يعقوب ومن معه من الحامية، فانفوج لحيته عن البلد، وانتشر النساء والصبيان بساحتهم، وغلبت المقاتلة كثيراً من المعسكر على مخلفهم، ففتنوا من الخطة والأدم والفواكه ما ملاً أسواق البلد أيامه، حتى وصلتها الميرة من التواحي.

وأجاز الأمير أبو يعقوب لحيته فأرهب العدو في كل ناحية، وصدوه عن الغزو إلى دار الحرب شأن الفتنة مع ابن الأخر، فرأى أن يعقد مع الطاغية سلماً، ويصل به لمنازلة غرنطة يداً.

من سنة ثمانين وستمائة ثم نهض إلى مراكش فاحتل بها فاتح إحدى وثمانين وستمائة بعدها، وسرح ابنه الأمير أبا يعقوب إلى السوس لتدويخ أقطاره، ووافاه براكش صريخ الطاغية على ابنه شاحنة الخارج عليه، فاغتسل الفرصة في فساد بينهم لقضاء أربه من الجهاد، وارتحل مبادراً بالإجازة إلى الأندلس.

والله تعالى أعلم.

### الخبر عن إجازة السلطان أبي يوسف ثلاثة باستدعاء الطاغية خروج ابنه شاجحة عليه وافتراق كلمة النصرانية وما كان في هذه

#### الإجازة من الغزوات

لما رجع السلطان من غزوة تلمسان إلى فاس، وارتحل إلى مراكش وفاه بها وفدى الطاغية من بطارقته وزعماء دولته، وقاميص منه صرخاً على ابنه شاجحة.

خرج عليه في طائفة من النصارى وغلبوه على أمره، فاستنصر أمير المسلمين ودعا له ربيهم وأمله لاسترجاع ملكه من أيديهم، فأجاب أمير المسلمين داعية رجاء للكرة بالاقترافهم، وارتحل حتى انتهى إلى قصر المجاز، وأوزع إلى الناس بالتفير إلى الجهاد، وأجاز إلى الخضراء فاحتل بها لربع الثاني من سنة إحدى وثمانين وستمائة واجتمعت عليه صالح الشغور بالأندلس وسار حتى نزل صخرة عياد، فوافاه بها الطاغية ذليلاً لعز الإسلام مؤملاً صرخ السلطان، فأكابر وفادته وكرم موصله وعظم قدره، وأمده لنفقاته بمائة ألف من مال المسلمين استرهن فيها التاج الذخيرة عند سلفه، ويفي بدارهم فخراً للأععقاب لهذا العهد.

ودخل معه دار المغرب غازياً حتى نازل قرطبة، وبها شاجحة ابن الطاغية الخارج عليه مع طائفة، فقاتلها أياماً ثم أفرج عنها، وتنقل في جهاتها ونراوحها وارتحل إلى طليطلة فعاش في جهاتها، وخرب عمرانها حتى انتهى إلى حصن مجريط من أقصى الضر، فامتلأت أيدي المسلمين وضاق معسركهم بالغثام التي استقاوها.

وقفل إلى الجزيرة فاحتل بها لشعبان من ستة، وكان عمر بن على نزع إلى طاعة السلطان فهم به ابن الأحمر، ونبذ إليه عهده.

وارتفع المنكب من يده ونازله بعساكره فاتح هذه السنة، فجهز السلطان إليه لوصوله الجزيرة أسطوله، وأفرج ابن الأحمر

ثم ارتحل وقد اعتز عليهم، وأشفق السلطان على المسلمين وعلى ما نال ابن الأحمر من خسف الطاغية، فراسله في المواجهة واتفاق الكلمة وشرط عليه التزول عن مالقة، وامتنع فرجع السلطان إلى إزالة العائق المانع عن شأنه من الجهاد، وكان من أعظمها فتنة يغمراسن.

واستيقن ما دار بينه وبين ابن الأحمر والطاغية ابن أخي أدفونش من الاتصال والإصفاق فبعث إليه في تجديد الصلح والاتفاق، فلجم وكشف الروجه في العناد وأعلن بما وقع بينه وبين أهل العدوة مسلمهم وكافرهم من الوصلة، وأنه معترض على وصل بلاد المغرب، فصرف أمير المسلمين عزمه إلى غزو يغمراسن.

وقفل إلى فاس لثلاثة أشهر من نزوله طنجة، فدخلها آخر شوال وأعاد الرسل إلى يغمراسن لإقامة الحجة عليه، والتخلص بسلامةبني توجين والتجافي عنهم لموالاتهم أمير المسلمين، فقام يغمراسن في ركابه وقد ولج في طغيانه.

وارتحل أمير المسلمين من فاس خاتمة سنة تسعة وسبعين وستمائة وقدم ابنه أبا يعقوب في العساكر وأدركه بتاري.

ولما انتهى إلى ملوية تلوم في انتظار العساكر ثم ارتحل إلى نامه ثم تلقا وصمد إليه يغمراسن بمحشود زناته والعرب بحملهم وكافة ناجعتهم، والقتلت عيون القرم، وكانت بينهم حرب.

وركب على آثارهما العسكريان فالحجم القتال، وكان الرمح مخربزة من ملعب تيفي، ورتب أمير المسلمين مصافه وجعل كتيته وكتيبة ابنه الأمير أبا يعقوب جناحين للعسكر.

واشتند القتال سائر النهار، وانكشف بنو عبد الرواد عندما أراح القوم، وانتبه جميع مخلفهم وما كان في معسركهم من المتابع والكراع والسلاح والفساطيط، وبات معسرك أمير المسلمين ليتهم في صهوات خيلهم، واتبعوا من الغد آثار عدوهم، واكتسحت أموال العرب الناجعة الذين كانوا مع يغمراسن، وامتلأ بيدي بني مرين من نعمتهم وشانهم.

ودخلوا بلاد يغمراسن وزناته.

ووافاه هنالك محمد بن عبد القوي أمير بنى توجين، لقيه بناحية القصبات، وعاثروا جميعاً في بلاده نهاً وتخرجاً ثم أذن لبني توجين في اللحاق ببلادهم وأخذ هنر بمحشود تلمسان متلواماً لوصول محمد بن عبد القوي وقومه إلى مناجاتهم من جبل وانشريش حذراً عليهم من غاللة يغمراسن.

ثم أفرج عنها وقفل إلى المغرب ودخل فاس شهر رمضان

عنه، فبادر إلى السلطان بطاعته، ووصل ببيعة شلوبانية فأباها فيها تقرت جميع ما فيها.  
ولم يتبه إلى طليطلة لثاقل الناس بكثرة الغنائم، وأثخن في بدعونه.

قتل، وقفل على غير طريقه فاثخن وخرب واتهى إلى أبدة.  
ووقف بساحتها والعدو منحازون، ثم رجع إلى معسكره  
بسياسة وأراح ثلاثة ينسف آثارها ويقتلع شجراءها وقفل إلى الجزيرة فاحتل بها شهر رجب وقسم الغنائم وقفل من الخمس.

وولى على الجزيرة حاقده عيسى ابن الأمير أبي مالك ابنيه،  
فهلك شهيداً بالمعترك لشهرين من ولادته، وأجاز السلطان غرة  
شعبان إلى المغرب، ومعه ابنه أبو زيان متدين، وأراح بطنجة ثلاثة  
وأخذ السير إلى فاس فاحتل بها آخر شعبان، ولما قضى صيامه  
ونسكه، ارتحل إلىمراكش لتمهيدها، وتقدّم أحواها.

وقسام من نظره لنواحي سلا وأثور، فاتّم رباط الفتح  
شهرين اثنين، واحتل مراكش فاتح ثلث وثمانين وستمائة ويلفه  
مهلك الطاغية ابن أدفونش واجتماع النصارى على ابنه شاغية  
الخارج عليه، فتحرّكت إلى الجهاد عزائم وسرح الأمير لبا يعقوب  
ولي عهده بالعسكر إلى بلاد السوس لغزو العرب، وكف عاديتهم،  
ومحو آثار الخارج المترzin على الدولة، فاجفلوا أمامه، واتبع  
آثارهم إلى الساقية الحمراء آخر العمران من بلاد السوس، فهلك  
أكثر العرب في تلك القفار مسغبة وعطشاً، وقفل لما بلغه من  
اعتلال أمير المسلمين، ووصل إلى مراكش وقد أبل، واعترم على  
الجهاد والغزو شكر الله، كما نذكره إن شاء الله تعالى.

## الخبر عن إجازة السلطان أبي يوسف الرابعة ومحاصرة شريش وما تخلل ذلك من الغزوات

لما اعتزم أمير المسلمين على الإجازة واعتبر ضجنوده  
وحاشيه، وأراح عليهم، وبعث في قبائل المغرب بالفير، ونهض  
من مراكش في جمادى الآخرة لثلاث وثمانين وستمائة.  
واحتل رباط الفتح متصرف شعبان فقضى به صومه  
ونسكه، ثم ارتحل إلى قصور مصمودة وشرع في إجازة العساكر  
والخشود من المرتزقة والمطروعة خاتم سنته، ثم أجزاء البحر بنفسه  
غرة صفر من سنة أربع وثمانين وستمائة بعدها واحتل بطريرف،  
ثم سار منها إلى الخضراء وأراح أياماً.

ثم خرج غازياً حتى انتهى إلى وادي لك، وسرح الخيول في  
بلاد العدو ويسانطها تغير وتحرق وتنسف.

ثم راجع طاعة ابن الأحرار في شوال من سنته، فقبل فيته  
واعرض عنها بالنكب إلى أن كان ما نذكره إن شاء الله تعالى والله  
أعلم.

## الخبر عن شأن السلم مع ابن الأحرار وتجاهي السلطان له عن مالقة ثم تجديد الغزو بعد ذلك

لما اتصلت يد السلطان بيد الطاغية، خشي ابن الأحرار  
غالاته، فجئ إلى موالة شاغحة الخارج عن أبيه، ووصل يده بيده،  
وأكد له العقد على نفسه واضطربت له الأندرس ناراً وفته.

ولم يعن شاغحة عن ابن الأحرار شيئاً ورجع السلطان من  
غزاته مع الطاغية، وقد ظهر على ابنه فاجع على منازلة مالقة،  
ونهض إليها من الجزيرة فاتح اثنين وثمانين وستمائة فتغلب على  
الخصوص الغربية كلها، ثم أسف إلى مالقة فانما عليها بعساكرة.  
وضاق النطاق على ابن الأحرار وبدا له سوء المبة في شأن  
مالقة ومداخلة ابن محلى في الغدر بها، وأعمل نظره في الخلاص  
من ورطها.

ولم ير لها إلا ولـيـ عـهـدـ السـلـطـانـ اـبـنـ أـبـيـ يـوسـفـ،ـ فـخـاطـبـهـ  
بـمـكـانـهـ مـنـ الـمـغـرـبـ مـسـتـصـرـخـاـ لـرـقـعـ هـذـاـ الـخـرـقـ،ـ وـجـعـ كـلـمـةـ  
الـمـسـلـمـينـ عـلـىـ عـدـوـهـ،ـ فـأـجـابـهـ وـاعـتـنـىـ الـثـرـيـةـ فـمـسـعـاهـ.

وأجاز لشهر صفر، فرأى أمير المسلمين بعسكره على  
مالقة، ورحب منه السلم لابن الأحرار عن شأن مالقة والتتجافي له  
عنها، فأسعف رغبة ابنه لما يؤمل في ذلك من رضى الله فيجهاد  
وعدوه إعلاء كلمته.

وانعقد السلم وانبسط أمل ابن الأحرار، وتجددت عزائم  
المسلمين، وقفل السلطان إلى الجزيرة ويث السرايا في دار الحرب  
فأوغلو وأثخنوا.

ثم استأنف الغزو بنفسه إلى طليطلة فخرج غازياً غرة ربيع  
الثاني من سنة اثنين وثمانين وستمائة حتى انتهى إلى قرطبة،  
فاثخن وعم وخرب العمران وافتتح الخصون ثم ارتحل نحو البيرية  
وخلف مسكنراً بظاهر بيسة وأخذ السير في أرض قفر، ولليلتين  
انتهى إلى البيرية من نواحي طليطلة، فسرح الخيل في البساط حتى

واعترض العساكر المواتية يومئذ فكانت ثلاثة عشر ألفاً من المصامدة، وثمانية آلاف من برابرة المغرب متطعون كلهم بالجهاد، فعقد له السلطان على خمسة آلاف من المرتزقة والقين من المنطوعة وثلاثة عشر ألفاً من الرجل والقين من الناشبة وسرحه لغزو إشبيلية والإخنان في نواحيها، فعميكتابه ونهض لوجهه، وبث الغارات بين يديه، فأثخنوا وسبوا وقتلوا واقتحموا الحصون واكتسحوا الأموال.

واعاج على الشرف والغاية من بسيط إشبيلية فنسف قراها واقتتحم من حصونها عدة، ووقف إلى معسكر أمير المسلمين ظاهراً عزيزاً غائماً.

ولسداس ربيع الثاني وصل الأمير أبو زيان متليل بن طريف بعسكره وافر من المسلمين فعقد له غداة وصوله وأمده بعسكر آخر وأعزاه قر蒙ة والرادي الكبير، فأغار على قر蒙ة، وطمعت حاميته في المدافعة فبزروا له وصدقهم القتال فانكشفوا حتى أحجزوه في البلد، ثم أهاطوا ببرج كان قريباً من البلد فقاتلوه ساعة من نهار واقتتحموه عنوة، ولم يزل يتقرى المنازل والعرمان حتى وقف بساحة إشبيلية، فأغار واكتسح واقتتحم برجاً كان هنالك عيناً على المسلمين، وأضرمه ناراً، وامتلأت أيدي عساكره، ووقف إلى معسكر أمير المسلمين.

ولثلاث عشرة من ربيع الثاني عقد للأمير أبي يعقوب لمنازلة جزيرة كبوتر، فقصد إليها وقاتلها واقتتحما عنة. وفي ثاني جمادى عقد لطلحة بن يحيى بن مخلي، وكان بعد مدخلته أخاه عمر في شأن مالقة سنة خمس وسبعين وستمائة خرج إلى الحرج، فقضى فرضه ورجع، ومر في طريقه بتونس واتهمه الداعي ابن أبي عمارة كان بها يومئذ فاعتقله سنة اثنين وثمانين، ثم سرحه ولحق بقومه بالغرب.

ثم أجاز الأندرس غازياً في ركب السلطان، فعقد له في هذه الغزاة على مائتين من الفرسان وسرحه إلى إشبيلية ليكون ريبة للمعسكر وبعث معه لذلك عيوناً من اليهود والمعاهدين من النصارى، يتعرفون له أخبار الطاغية شانحة وأمير المسلمين أثناء ذلك يعادى شريش ويرأوها بالقتال والتخييب، ونصف الآثار، وبث السرايا كل يوم وليلة في بلاد العدو، فلا يخلو يوماً عن تحبيز عسكر أو أجزاء جيش أو عقد راية أو بعث سرية، حتى انتسق العرمان في جميع بلاد النصرانية، وخرب بسائط إشبيلية ولبلة وقرمونة واستجة وجبار الشرف وجميع بسائط الفرتيرة. وألبى في هذه الغزوات عياد العاصي من شيخ جشم،

فلما خرب بلاد النصرانية ودمر أرضهم قصد مدينة شريش، فنزل بساحتها وأنجع عليها، وبث السرايا والغارات في جميع نواحيها، وبعث عن المسالع التي كانت بالشغر، فتوافت لدب.

ولحقه حافظه عمر بن أبي مالك مجتمع وافر من المجاهدين من أهل المغرب فرساناً ورجالاً، وواهته حصة العزف من سبة غزاة ناشبة تاهر خمسة من الرجل.

وأوزع إلى ولی عهده الأمير أبي يعقوب باستفار من بيته بالعدوة من المسلمين إلى الجهاد، وعقد لحافظه الآخر منصور بن عبد الواحد على ألف فارس من الغزاة.

وأعطاه الرایة وسرحه لغزو إشبيلية لأنخر صفر من سنته، فغنموا ومرروا بقرمونة في منصرتهم فاستباحوها واثخنوا بالقتل والأسار ورجعوا وقد امتلأت أيديهم من العناائم.

وبعث وزيره محمد بن وعنة ومحمد بن عمران بن عبلة عيوناً، فوافوا حصن القناطر وروطة، واستكشفوا ضعف الحامية واختلال الشغر، فقد ثانية لحافظه عمر بن عبد الواحد على مثلاها من الفرسان ثلاثة من ربيع وأعطاه الرایة، وسرحه إلى بساط وادي للك، فرجعوا من العناائم بما ملا العساكر بعد أن اثخنوا فيها بالقتل والتخييب وتغريق الزروع واقتلاع الشمار، وأبادوا عمرانها.

ثم سرح ثامن ربيع عسكراً للإغارة على حصن اركشن، ووافره على غرة فاكتسحوا أموالهم، ثم عقد تاسع ربيع لابنه أبي معروف على ألف من الفرسان، وسرحه لغزو إشبيلية فساروا حتى توقف عليهم، وأخرجت منه حاميته، فخرب عمرانها وحرق زروعها وقطع شجرها، وامتلأت أيدي عسكره سبياً وأموالاً، ورجع إلى معسكر السلطان مملؤاً للخائب.

ثم عقد ثالثة لحافظه عمر متصرف ربيع لغزو حصن كان بالقرب من معسكته، وسرح معه الرجل من الناشبة والفعلة بالآلات، وأمده بالرجل من المصامدة، وغزاة سبعة فاقتتحموه عنوة على أهله، وقتلوا المقاتلة وسبوا النساء والذرية، وأضرعوا خده بالتراب.

وليسع عشرة من الشهر ركب السلطان إلى حصن سقوط قريباً من معسكته، فخرقه وحرقه بالنار، واستباحه، وقتل المقاتلة وسيى أهله.

ولعشرين من شهره وصل ولی عهده، الأمير أبو يعقوب من العدوة بغير أهل المغرب وكافة القبائل في جيوش ضخمة، وعساكر موفورة، وركب أمير المسلمين للقائهم وبرور مقدمهم.

ذلك، متوجعين بما أذاقهم جنود الله من سوء العذاب وأليم النكال، وحملوه على الضراعة لأمير المسلمين في السلم، وافتاد الملا من كبار الضرار عليه في ذلك، وإنما فلأتزال تصيبهم منه قارعة، وتخل قريباً من دارهم فأجاب إلى ما دعوه إليه من الخسف والمضيمة لدليه.

وأوفد على أمير المسلمين من بطارقهم وقماصتهم وأساقفهم يخطبون السلم ويضرعون في المهادنة والإبقاء ووضع أوزار الحرب، فردهم أمير المسلمين اعتراضاً عليهم.

ثم أعادهم الطاغية بتردد الرغبة على أن يشترط ما شاء من عز دينه وقومه. فاسعفهم أمير المسلمين وجئن إلى السلم لما تيقن صاغيتهم إليه وذلم لعز الإسلام، وأجاهم إلى ما سالوه واشترط عليهم ما تقبلوه من مسألة المسلمين كافة من قومه وغير قومه، والوقوف عند مرضاته في ولاية جiranه من الملوك أو عداوتهم، ورفع الضربة عن تجار المسلمين بدار الحرب من بلاده، وترك التضبيب بين ملوك المسلمين والدخول بينهم في فتنة.

وبعث ثقته عبد الحق ابن الترجان لاشتراض ذلك وأحكام عقده، فاستبلغ وأكد في الرفاء.

ووفدت رسل ابن الأحرار على الطاغية وهو عنده لعقد السلام معه دون أمير المسلمين وعلى مدافعته عنه، فحضرهم بشهد ابن الترجان وأسمعهم ما عقد لأمير المسلمين على قومه وأهل ملته وقال لهم: إنما أنتم عبيد آبائكم فلستم معي في مقام السلم أو الحرب، وهذا ملك المسلمين ولست أطيق مقاومته ولا دفاعه عنكم فانصرفوا.

ولما رأى عبد الحق صاغيته إلى مرضاة السلطان وسوس إليه بالرفادة لتمكن الألفة وتستحكم العقدة، وأراه مغبة ذلك في سل السخيمية وتسكين الحفظة وتمكين الألفة، فصغى إلى وفاته وسائل لقي الأمير أبي يعقوب ولبي عهده من قبل ليطمئن عليه، فوصل إليه ولقيه على فراسخ من شريش، وباتا بمعسكر المسلمين هنالك.

ثم ارتحلا من الغد للقاء أمير المسلمين وقد أمر الناس بالاستقبال للقاء الطاغية وقومه، وإظهار شعار الإسلام وأبهته، فاحتلوا وتأهلو وأظهروا عز الملة وشدة الشوكة ووفر الحامية.

ولقيه أمير المسلمين بأحسن مبرة وأتم كرامة يلقى بها مثله من عظماء الملل وقدم الطاغية بين يديه هدية اخف بها أمير المسلمين وابنه من طرف بلاده، كان فيها زوج من الحيوان الوحشي المعنى بالفيل، وحمار من حمر الوحش إلى غير ذلك من الطرف.

وخضر الغزي أمير الأكراد بلاء عظيماً، وكان لهم فيها ذكر، وكذلك غزاة سبعة وسائر المجاهدين والعرب من جسم وغيرهم.

فلما دمرها تدميراً ونسفها تخرباً واكتسحها غارة ونهباً، وزحم فصل الشتاء وانقطعت الميرة عن المسكر، اعتزم على القفول وأخرج عن شريش لآخر رجب، وواهله مدد غرناطة من عساكر الغزاة وقادهم يعلى بن أبي عياد بن عبد الحق بواحد بردة، فلقاهم مبرة، وتكريماً واقتليوا إلى أهلهم.

وأتصل به أن العدو أعز إلى أساطيله باحتلال الزقاق والاعتراض دون الفراض فأوزع أمير المسلمين إلى جميع سواحله من سبعة وطنجة والمنكب وجزيرة وطيف وببلاد الريف وربط الفتح، واستدعي أساطيله فتوافت منها ستة وثلاثون سطولاً متكاملة في عدتها وعددها، فاحجمت أساطيل العدو عنها وارتدت على أعقابها، واحتل بالجزيرية غرة رمضان.

واستيقن الطاغية شاحنة وأهل ملته أن بلادهم قد فنيت وأرضاهم خربت وتبينا العجز عن المدافعة والحماية، فجندوا إلى السلم وضرعوا إلى أمير المسلمين في كف عادته عنهم على ما يذكر ووصل إلى السلطان يمكنه من منازلة شريش عمر بن أبي يحيى بن على نازعاً إلى طاعته، فأنهم لما سبق من تلاعبه وأمر أخيه طلحة بنكتبه.

واحتمل إلى طريف فاعتقل بها، وسار طلحة إلى المنكب فاستصفى أموال أخيه عمر وذخائره وحملها إلى السلطان. وأقر ثانية أخيه موسى على عمله بالمنكب، وأمدده بعسكر من الرجل، ثم أطلق عمر للباب من اعتقاله، وأجاز طلحة وعمر في ركاب السلطان.

ونزع منصور بن أبي مالك حاقد السلطان إلى غرناطة، ثم لحق منها بالمنكب وأقام مع موسى بن أبي يحيى بن على، فافتقر السلطان ورضي بمقامه والله تعالى أعلم.

## الخبر عن وفادة الطاغية شاحنة وانعقاد السلم ومهلك السلطان على تفية ذلك

لما نزل باسم النصرانية بلاد ابن أدفونش من أمير المسلمين ما نزل من تدمير قراهم واقتتاح أماواهم وسيجي نسائهم وإيادة مقاولتهم وتخريب معاقلهم واتساف عمراهم، زاغت منهم الأ بصار وبلغت القلوب الخاجر واستيقنوا أن لا عاصم من أمير المسلمين، فاجتمعوا إلى طاغيتهم شاحنة، خاشعة أبصارهم ترهقهم

## الخبر عن دولة السلطان أبي يعقوب وما كان فيها من الأحداث وشأن الخوارج عليه لأول دولته

لما اعتُلَ أمير المسلمين أبو يوسف بالجزيرة، مرضه نسأله، وطير بالخبر إلى ولِي العهد الأمير أبي يعقوب وهو به مكانه من المغرب، فأغذَ السير، وقضى أمير المسلمين قبل وصوله، فأخذ له البيعة على الناس وزرائه أئمَّة وعظماء قومه، وأجاز إليهم البحر، فجددوا بيته غرة صفر سنة خمس وثمانين وستمائة وأخذوها على الكافية.

واعقدَ أمير السلطان يومئذ فرق الأموال وأجلَ الصلات، وسرح من في السجن في ورفع عن الناس الأخذ بزكارة الفطر، ووكلَّهم فيها إلى أمانتهم.

وبَقْضَ أيدي العمال عن الظلم والاعتداء والجور على الرعایا، ورفع المكسوس ومحاربة رسوم الرتب، وصرف اعتماده إلى إصلاح السابقة.

وكان أول شيء أحدثَ من أمره إلى أن بعثَ إلى ابن الأحرار ضرب موعداً للقاء، فبدرَ إليه ولقيه بظاهر مريةلة، لأول ربيع، ولقاءه مبرأة وتكريراً وتحفياً له عن جميع التغور الأندلسية التي كانت لملكته ما عدا الجزيرة وطريف.

وتفرقَ من مكانهما على أكمل حالات المصافة والوصلة، ورجعَ السلطان إلى الجزيرة ووافاه بها وقد الطاغية شانحة مجدين حكمَ السُّلْطَن الذي عقدَ له أمير المسلمين عفَا الله عنه فاجابهم. ولما تَعَهَّدَ أمير الأندلس وفرغَ من النظر إليها، عقدَ أخيه أبي عطية العباس على التغور الغربية والإمارة عليها.

وعقدَ علي بن يوسف بن يذكاسن على مسالحها، وأمده بثلاثة آلاف من عساكره.

وأجازَ إلى المغرب فاحتلَ بقصر مصمودة سابع ربيع الثاني.

ثم ارتحلَ إلى فاس، واحتلَ بها لاثنتي عشرة خلتَ من جمادى، ولحين استقراره بدار ملكه، خرجَ عليه محمد بن إدريس بن عبد الحق في إشتوته وبنيه وذويهم، ولحقَ بجيشه درعة، ودعا لنفسه، وسرحَ إليهم السلطان أخاه أبا معرف، فبدلاً له في التزوع إليهم، فلحقَ بهم، فاذْغَاهُمُ السلطان بمساكره ورددَ إليهم العورت والكتائب، وتلطفَ في استنزال أخيه، فنزلَ عن الخلاف وعادَ إلى حسن طاعته.

تقبَّلَها السلطان وابنه وقابلَوه بكفافتها ومضايقها، وكملَ عقدَ السُّلْطَن، وتقبَّلَ الطاغية سائر الشروط ورضيَ بعزمِ الإسلام عليه وانقلبَ إلى قوته بملء صدره من الرضا والمُسْرَة وسالَ منه أمير المسلمين أن يبعثَ من كتبِ العلم التي بأيدي النصارى من لُدُنِ استيلائهم على مدياين الإسلام، فاستكثرَ من أصنافها في ثلاثة عشر حملًا بعثَ بها إليه، فرقَّها السلطان بالمدرسة التي أسسَها بفاس لطلبِ العلم.

وقفلَ أمير المسلمين إلى الجزيرة لليلتين يقيتاً لرمضان، فقضى صومه ونسكه، وجعلَ من قيام ليله جزءاً لحاضرة أهل العلم.

وأعدَ الشعراً كلماتَ أنشدوها يوم الفطر يشهد الملا في مجلسِ أمير المسلمين.

وكان من أسباقهم في ذلك الميدان شاعر الدولة عزوز المكاني، ذكرَ فيها سير أمير المسلمين وزوجاته على نسقِ.

ثم أعملَ أمير المسلمين نظره في التغور فرتَّبَ بها المسالح وعقدَ عليها لابنه الأمير أبي زيان متليل، وأنزلَه بزكوان مقربة مالقة، واستوصاه بأن لا يحدثَ في بلاد ابن الأحرار حدثاً.

واعقدَ لعياد بن أبي عياض العاصمي على مسلحة أخرى، وأنزلَه بأصطبونة.

وأجازَ ابنه الأمير أبي يعقوب لفقدِ أحوالِ المغرب ومبشرة أمره، فأجازَ في أسطول القائد محمد بن أبي القاسم الرنداحي قائداً سبعة، وأوعزَ إليه بالبناء على قبر أبيه الملوك عبد الحق، وابنه إدريس بناه طست، فاختلطَ هنالك رباطاً وبني على قبورهم أسماءً من الرخام، ونقشها بالكتاب، ورتبَ عليها قراءة لثلاثة القرآن، ووقفَ على ذلك ضياعاً وفدىً.

وهلَكَ خلالَ ذلك وزيره يحيى بن أبي متليل العسكري لتصفِ رمضان.

ثم اعتُلَ بعد ذلك أمير المسلمين لشهر ذي الحجة ومرضَ واشتَدَ وجعه وهلكَ لآخرِ حرمَ ستة خمس وثمانين وستمائة من المجرة والله أعلم.

بالقتل والسيب.  
واستكثر من رؤوسهم فعلقت بشرفات مراكش وسجلماسة  
وقاص.  
وعاد من غزوته إلى مراكش آخر شوال، فنكب محمد بن علي بن مخلص عاملها القديم الولاية عليها من لدن غالب الموحدين، لما وقع من الارتياح بأولاد مخلص بما أثاره كبريه طلحة، فنكب عزة الحرم من سنة سبع وثمانين وستمائة، وهلك في محسه شهر صفر بعده.

وهلك على إثر ذلك المزوار قاسم بن عبو.  
وعقد السلطان على مراكش وأعمالها محمد بن عطرو الجناتي من موالي دولتهم ولاء الحلف، وترك معه ابنه أبو عامر.  
ثم ارتحل إلى حضرة فاس، فاحتل بها متصرف ربيع، ووافته بها عروسه ابنة موسى بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق من غرناطة في وفده وزراء ابن الأخر وأهل دولته، فأعرس بها وكان بعث إلى أبيها من قبل في الإظهار بها.  
ووافت معها رسول ابن الأخر يسألونه التجاني عن وادي آش، فأسعفهم بها، كما نذكر إن شاء الله تعالى.

## الخبر عن دخول وادي آش في طاعة السلطان ثم رجوعها إلى طاعة ابن الأخر

كان أبو الحسن بن أشقيق ليلة ظهر السلطان ابن الأخر على ملوكه، ويعينه على شأنه، وكان له في الدولة بذلك مكان.  
ولما هلك خلف من الولدان أبا محمد عبد الله وأبا إسحاق ابراهيم، فقد ابن الأخر لأبي محمد على مالقة والأبي إسحاق على قمارش ووادي آش.

ولما هلك السلطان ابن الأخر حدثت مغاضبات ومنافسات بينهما، وتآدى ذلك إلى الفتنة كما قلناه ودخل أبو محمد في طاعة السلطان أبي يوسف.

ثم هلك فلحق ابنه محمد بالسلطان، وتزول له عن البلد سنة ست وسبعين وستمائة ثم هلك أبو إسحاق سنة اثنين وثمانين وستمائة وغلب ابن الأخر على حصن قمارش وصار إليه.

وكان الرئيس أبو إسحاق قد عقد لابنه أبي الحسن على وادي آش وحصونها، واتصلت الفتنة بينه وبين ابن الأخر، وظاهر أبو الحسن عليه الطاغية وأجلب أخيه أبو محمد على غرناطة هو

وفر أولاد إدريس إلى تلمسان، وتقبض عليهم أنباء طريقهم، وسرح السلطان أخاه أبا زيان إلى تازى، وأوعز إليه بقتلهم بمليلي خارج تازى لرجب من سنة خمس وثمانين وستمائة ورحب بالأعياض عند ذلك من بادرة السلطان فتفرقوا ولحق بغرنطة أولاد أبي العلاء إدريس بن عبد الحق، وأولاد أبي يحيى بن عبد الحق، وأولاد عثمان بن يزول.  
ورجع أولاد أبي يحيى إلى السلطان بعد القضاء عهده وأمانه.

وهلك أخوه محمد بن الجليلد بن يعقوب بن عبد الحق لشعبان من سنته، وهلك عمر ابن أخيه أبي مالك بطنجة.  
ثم خرج على السلطان عمر بن عثمان بن يوسف العسكري بقلعة قنلاوة، ونبذ الطاغية وأذن بالحرب.

وأوعز السلطان إلى بي عسكر ومن إليهم من القبائل المجاورين لها، فاختشدوا له ونازلوه، ثم نهض برکابه وعساكره إلى منازله، واحتل بندورة، وخافه عمر على نفسه، وأيقن أنه أحبط به، فسأل الأمان وبذله السلطان على شريطة اللحاق بتلمسان، فبعث من توقي له من الخيرة فنزل. فوفى له السلطان بعهده، ولحق بتلمسان بأهله وولده.

ثم ارتحل السلطان في رمضان من سنته إلى مراكش لتمهيد المغاربه، وتنقيف أطرافها، واحتل بها في شوال، واعتمل النظر في مصالحها، ونزع خلال ذلك طلحة بن مخلص البطوي إلى بي حسان من العقل، وخرج على السلطان ودعا لنفسه.

وعقد السلطان لتصور ابن أخيه أبي مالك على العساكر، وعهد له بولاية السوس وسرحه لاستئصال الخوارج، ومحسو أثار الفساد.

وارتاب يمكن أخيه عمر فربه إلى غرناطة، فقتل أولاد أبي العلاء يوم وصوله إليها، فesar الأمير منصور في الجيوش والكتائب، وغزا عرب المعقل وأثخن فيهم.

وقتل طلحة بن مخلص في بعض حروبهم لثلاث عشرة من جهادى سنة ست وثمانين وستمائة وبعث برأسه إلى سدة السلطان فلقي بتأزي.

ثم نهض السلطان في رمضان لغزو المعقل بصرحاء درعة بما أضرروا العمران وأفسدوا السابلة.

وسار إليهم في اثنى عشر ألفاً من الفرسان، ومر على بلاد هسكة معترضاً جبل درن، وأدركهم بالقرن نواجع، فأثخن فيهم

وابن الدليل.

ولبثوا عنده أيامًا.

ثم عطف السلطان على ابنه رحم لما عطفت ابنته عليه، فرضي عنه وأعاده إلى مكانه، وطالب عثمان بن يغمراسن صاحب تلمسان أن يسلم إليه ابن عطرو الناجم في التفاوض مع ابنه، فأبى من إضاعة جواره، وإنفخار ذمته، وأغلظ له الرسول في القول فسطا به واعتقله، ثارت من السلطان الخفاظ الكامنة، وتحركت الإحرن القديمة، والتراث المتواترة.

واعترم على غزو تلمسان والله أعلم.

### الخبر عن تجدد الفتنة مع عثمان بن

يغمراسن وغزو السلطان مدينة تلمسان  
ومنازله إياها

كانت الفتنة بين هذين الحين قديمة من لدن مجالاتهم بالمقارن من صحراء ملوية إلى ص، إلى فيكيك إلى مصاب، ولما انتقلوا إلى التلول وتقلدوا على الضواحي بال المغرب الأقصى والأوسط، لم تزل فتنتهم متصلة وأيام حروبهم فيها مذكورة.

وكان دولة الموحدين عند احتلالها وباتيتها تستنصر منهم بالتضبيب بينهم والفتنة، فتأكدت لذلك أحواهما واتصلت أيامها.

وكان بين يغمراسن بن زيان وأبي يحيى بن عبد الحق فيها وقائع ومشاهد، نقلنا منها بعضًا من كل واستظراف الموحدون بيعمراسن عليه في بعضها.

وكان الغلب أكثر ما يكون لأبي يحيى بن عبد الحق لوفرور قبيله إلا أن يغمراسن كان يتصدى لقاومته في سائر وقائمه.

ولما طمس أثر بيء عبد المؤمن واستولى بعقوب ابن عبد الحق على ملكهم، وصارت في جلته عساكرهم، فضاعف عليه، وأسف على ملك يغمراسن ملكه.

وجع له فاقوع به في تلاع الواقعه المعروفة، ثم أوقع به ثانية وثالثة.

ولما استولت قدم بعقوب بن عبد الحق في ملكه، واستكملا فتح المغرب وسائر أمصاره، وكبح يغمراسن عن النطاول إلى مقاومته، وأوهن قواه بقل جورعه ومنازله في داره، ومظاهره أقتله من زنانة بي توجين ومغراوة عليه فانصرف بعد ذلك إلى الجهاد، فكان له فيه شغل عمًا سواه كما نقلناه في أخباره.

ولما ارتاب ابن الأخر بمكان السلطان بعقوب بن عبد الحق

وطال أمر الفتنة بينهما وبين ابن الأخر وأجلب آخره أبو محمد على غربانة مع الطاغية. ثم انعقد السلم بين المسلمين والنصارى، وخشي أبو الحسن بن أشقيقولة على نفسه عادية ابن الأخر، فتذممت بطاعة صاحب المغرب، وأقام دعوته بودادي آش سنة ست وثمانين وستمائة فلم يعرض لها ابن الأخر حتى إذا وقعت المواصلة بينه وبين السلطان أبي يعقوب، وكان شأن هذا الصرح على يده، بعث رسله إلى السلطان يسأله التوجيه عن وادي آش، فتجأفي له عنها ويبعث إلى أبي الحسن بن أشقيقولة بذلك فتركها.

وارتحل إليه سنة سبع وثمانين وستمائة ولقيه بسلا، فأعطيه القصر الكبير وأعماله طعمة سوغره إياها، ثم نزل لبنيه آخر دولتهم.

واستمكن ابن الأخر من وادي آش وحضرها، ولم يبق له بالأندلس منازع من قرابته.

والله يوتى ملكه من يشاء.

### الخبر عن خروج الأمير أبي عامر ونزوشه إلى مراكش ثم فينته إلى الطاعة

لما احتل السلطان بفاس وأقام بها خرج عليه ابنه أبو عامر، ولحق مراكش، ودعا لنفسه أخرىات شوال من سنة سبع وثمانين وستمائة وساعدته على الخلاف والانتزاع عاملها محمد بن عطرو.

وخرج السلطان في أثره إلى مراكش، فبرز إلى لقائه، فكانت الدائرة عليهم وحاصرهم السلطان براكش أيامًا.

ثم خلص أبو عامر إلى بيت المال فاستتصفى ما فيه وقتل المشرف ابن أبي البركات، ولحق محل المصادة، ودخل السلطان من غده إلى البلد يوم عرفة، فعملا وسكن ونهض منصور ابن أخيه أبي مالك من السوس إلى حاجة فدوخ أخاهما.

ثم سرح إليه المدد من مراكش، فألوّعوا بذكره من برابرة السوس، وقتل منهم ما ينذر أربعين من سرواته.

وكان فيما قتل شيخهم حبون بن إبراهيم.

ثم إن ابنه أبي عامر ضاق ذرعه بسخط أبيه، وإجلابه في الخلاف، فلحق بتلمسان ومعه وزيره ابن عطرو فاتح سنة ثمان وثمانين وستمائة فألوّاه عثمان بن يغمراسن، ومهد لهم المكان

## الخبر عن انتقاض الطاغية وإجازة السلطان لغزوه

ثم خرج ابنه عليه آخرأً كما ذكرناه بمسالة الشيطان محمد بن عطرو، ثم فاء إلى طاعة أبيه ورضي عنه، وأعاده إلى مكانه من يغماسن في الأخذ بمحجزته، وأجابهم إليها وجرد عزائمها، واتصلت أيديهم في التظاهر عليه.

وطالب عثمان بن يغماسن كما ذكرناه في ابن عطرو المترى

عليه مع ابنه، فأبى عثمان من إسلامه وتحركت حفظة السلطان واعترض على غزوهم، فارتحل من مراكش لصفر من سنة تسع وثمانين وعقد عليها لابنه الأمير أبي عبد الرحمن.

ثم نهض لغزاته من فاس آخر ربيع من ستة في عساكرة وجندوه، وحشد القبائل وكافة أهل المغرب، وسار حتى نزل تلمسان فأخجز عثمان وقومه بها، ولاذوا منه بجدارتها.

فسار في تواجدها ينسف الآثار ويخرس العمارات وبخطف الزرع، ثم نزل بذراع الصابون من ساحتها.

ثم انطلق منه إلى ثمامه وحاصرها أربعين يوماً، وقطع شجراءها، وأباد غصراها، ولما امتنعت عليه أخرج عنها وانكفا راجعاً إلى المغرب، وقضى نسك الفطر بعين الصفا من بلاد بني يزناتن، ونسك الأضحى وقربانه بتاري، وتلبث بها، ومنها كان فصوله للغزو عند انتقاض الطاغية كما نذكره إن شاء الله تعالى.

## الخبر عن انتقاض الطاغية وإجازة السلطان لغزو

لما رجع السلطان من غزو تلمسان وفاه الخبر بأن الطاغية شانحة انتقض ونبذ المعهد، وتجازوز التخوم وأشار على الشغور، فأوعز إلى قائد المسالع علي بن يوسف بن يزكاسن بالدخول إلى دار الحرب ومنازلة شريش وشن الغارات على بلاد الطاغية، فنهض لذلك في ربيع الآخر من سنة تسعين وستمائة وجامس خلالها، وتغل في أقطارها، وأبلغ في النكبة.

وفصل السلطان من تاري غازياً على أثره في جادى، واحتل قصر مصمودة، واستقر أهل المغرب وقبائله.

ونفروا وشرع في إجازتهم البحر.

وبعث الطاغية أسطيله إلى الزقاق حجزاً دون الإجازة، فأوعز السلطان إلى قواد أسطيله بالسواحل وأغراهم.

والتفت الأسطيل ببحر الزقاق في شعبان فاقتلاوا وانكشف المسلمون ومحصهم الله.

ثم أغزاهم ثانية وخامت أسطيل العدو عن اللقاء،

من الأندلس، وحذره على ملكه، و ظاهر مع الطاغية على منعه من الإجازة إلى عدوتهم، خشوا أن يستقلوا بمدافعه، فراسلوا يغماسن في الأخذ بمحجزته، وأجابهم إليها وجرد عزائمها، واتصلت أيديهم في التظاهر عليه.

ثم فسد ما بين ابن الأحر والطاغية ولم يكن له بد من ولاية يعقوب بن عبد الحق، فتلولاه بواسطة ابنه يوسف بن يعقوب كما ذكرناه وأطلعلوه على خباء يغماسن في مظاهرتهم، فأغراهم ستة سبعين وستمائة وهزمهم مخربوزة.

وانزله بتلمسان وأوطا عدوه من بني توجين ساحته كما ذكرناه.

ثم انصرف إلى شأنه من الجهاد، وهلك يغماسن بن زيان على تفتيته ذلك سنة إحدى وثمانين وستمائة، وأوصى ابنه عثمانولي عهده، زعموا أن لا يجدت نفسه بمقاومة بني مرین ومساماتهم في الغلب، وأن لا يبرز إلى لقائهم بالصحراء، وأن يلوذ منهم بالجدران متى سموا إليه.

والقى إليه، - زعموا - أن بني مرین بعد تغلبهم على مراكش، وإضافة سلطان الموحدين إلى سلطانهم، أزادت قوتهم وتضاعف عليهم.

وقال له - زعموا - فيما أوصاه: لا يغرنك أني زحفت بعدها إليهم، وبرزت إلى لقائهم، فإباني أفت أن أرجع عن مقاومتهم بعد اعتمادها، وأنترك مبارزتهم وقد عرفها الناس وأنت فلا يضرك العجز عن مبارزتهم والتکول عن لقائهم، فليس لك في ذلك مقام معلوم، ولا عادة سالفة، واجهد جهذاً في التغلب على إفريقية ورماها، فإن فعلت كانت الماهضة.

وهذه الوصاة - زعموا - هي التي حللت عثمان وبنيه من بعده على طلب ملك إفريقية، ومتازلة مجاهدة وحربهم مع الموحدين.

ولما هلك يغماسن ذهب عثمان ابنه إلى مسالة بني مرین، فبعث أخاه محمدأً إلى السلطان يعقوب بن عبد الحق، وأجاز البحر إليه بالأندلس.

ووافاه مراكش في إجازته الرابعة سنة أربع وثمانين وستمائة فقد له ما جاء إليه من السلم والمهادنة، ورجعه إلى أخيه وقومه ممتليأً كرامة وஸوراً.

و هلك يعقوب بن عبد الحق أثر ذلك ستة خمس وثمانين وستمائة وقام بالأمر ابنه يوسف بن يعقوب، وانتزى الخوارج عليه بكل جهة، فنشر لهم واستنزلهم وحسم أدواتهم.

وضرب ابن الأهر معسكره بحلاقة قريباً منه، وسرب إليه المدد من السلاح والرجال والميرة من الأقوات، وبعث عسكراً لمنازلة حصن أصطبوته، وتغلب عليه بعد مدة من الحصار.

واتصلت هذه الحال أربعة أشهر حتى أصاب أهل طريف الجهد، ونال منهم الحصار، فراسلوا الطاغية في الصلح والتزول عن البلد، فصالحهم واستتر لهم سنة إحدى وتسعين وستمائة ووفى لهم بعهده واستشرف ابن الأهر إلى تجاهي الطاغية عنها لما عهدا عليه، فأعرض عن ذلك واستأثر بها بعد أن كان نزل له عن ستة من الحصون عوضاً منها، ففسد ذات بينهما، ورجع ابن الأهر إلى قمسكه بالسلطان واستغاثاته به لأهل ملته على الطاغية.

وأوفد ابن عمه الرئيس أبي سعيد فرج بن إسماعيل بن يوسف وزيره أبي سلطان عزيز الداني في وفد من أهل حضرته لتجديد العهد وتأكيد المودة وتقدير المعذرة عن شأن طريف، فوافوه مكانه من منازله تازروطا كما ذكر بعد:

فأبرموا العقد وأحكمو الصلح وانتصرفوا إلى ابن الأهر سنة اثنين وتسعين وستمائة ياسعاف غرضه من المواجهة واتصال اليد.

وذلك خلال ذلك قائد المسالح بالأندلس علي بن يركاسن في ربيع الأول سنة اثنين وتسعين وستمائة وعقد السلطان لابنه ولـي عهده، الأمير أبي عامر على ثبور الأندلس التي في طاعته، وعهد له بالنظر في مصالحها.

وأنفله إلى المجاز بعسكته فوافاه هنالك السلطان ابن الأهر كما ذكر إن شاء الله تعالى والله أعلم.

### الخبر عن وفادة ابن الأهر على السلطان والتقائهما بطنجة

لما رجعت الرسل إلى ابن الأهر، وقد كرمت وفادتهم وقضيت حاجاتهم، وأحكمت في المواجهة مقاصدهم، وقع ذلك من ابن الأهر أجمل موقع، وطار سروراً من أغواره.

وأجمع الرحلة إلى السلطان لاستحکام العقد والاستبلاغ في العذر عن واقعة طريف وشأنها، واستعدادهم لإغاثة المسلمين ونصرهم من عدوهم، فأعتم على ذلك وأجاز البحر ذا القعدة سنة اثنين وتسعين وستمائة واحتل بيونش من ساحة سبعة.

ثم ارتحل إلى طنجة، وقدم بين يدي خبواه هدية سنة الحلف بها السلطان، كان من أحفلها وأحسنها مرقماً لديه فيما زعموا

وصادعوا عن الزقاق، وملكته أساطيل السلطان فأجاز آخريات رمضان واحتل بطريف.

ثم دخل دار الحرب غازياً، فنازل حصن بغير ثلاثة أشهر، وضيق عليهم.

وبث السرايا في أرض العدو، وردد الغارات على شريش، وإشبيلية ونواحيها إلى أن بلغ في نكبة والإثخان.

وقضى من الجهد وطراً، وزاحمه فضل الشقاء وانقطاع الميرة عن المعسكر، فأخرج عن الحصن ورجع إلى الجزيرة.

ثم أجاز إلى المغرب فاتح إحدى وتسعين وستمائة فتظاهر ابن الأهر والطاغية على منع الإجازة كما ذكره إن شاء الله تعالى والله أعلم.

### الخبر عن انتفاض ابن الأهر ومظاهرته الطاغية على طريف أعادها الله

ما قتل السلطان من غزاته فاتح إحدى وتسعين وستمائة كما ذكرناه وقد أبلغ في نكبة العدو وانخن في بلاده، فأهل الطاغية أمره، وقتلوا عليه وطاته، والتمس الوليمة من دونه.

وحذر ابن الأهر غائته، ورأى أن مغبة حاله الاستيلاء على الأندلس وغلبه على أمره، فقاوموا الطاغية وخالصوا غيّاً.

وتحذروا أن استمكانه من الإجازة إليهم إنما هو بقرب مسافة بحر الزقاق، وانتظام ثبور المسلمين حفافيه بتصرف شوانبهم وسفنهم متى أرادوا فضلاً عن الأساطيل وإن أم تلك الثبور طريف، وأنهم إذا استمكروا منها كانت ربيعة لهم على بحر الزقاق.

وكان أسطولهم من مرقاها ببر صد الأساطيل صاحب المغرب الخاثسين بجهة ذلك البحر، فاعتزم الطاغية على منازلة طريف.

وزعم له ابن الأهر بمظاهرته على ذلك، وشرط له المدد والميرة لأقوات العسكر أيام منازلتها، على أن تكون له إن حلقت، وتعاونوا على ذلك واناخ الطاغية بعساكر النصرانية على طريف.

وألح عليها بالقتال ونصب الآلات وانقطع عنها المدد والميرة.

واحتلت أساطيله ببحر الزقاق، فحالوا دون الصريح من السلطان، وإن كانوا المسلمين.

## الخبر عن انتزاء الوزير الوطاس بمحض تازوطا من جهة

وطاس من لدن دخوله بني مرين المغرب واقتاصهم لأعماله فكانت ضواحيها لتزهو وأمصارها ورعاياها جلبيتها.

وكان حصن تازوطا بها من أمنع معاقل المغرب وكان الملوك من أولاد عبد الحق يعتنون بشأنه، وينزلون به من أوليائهم من يقون بعثاته واطلاعه، ليكون آخذاً بناصية هؤلاء الرهط وشجاً في صدورهم عما يسمون إليه وكان السلطان قد عقد عليه لتصور ابن أخيه الأمير أبي مالك بعد مهلك أبيه أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق.

وكان عمر بن يحيى ابن الوزير وأخوه عامر رئيسين على بني طاس لذلك العهد، فاسترهنوا أمر السلطان بعد مهلك أبيه، وحدثوا أنفسهم بالانتزاء بتازوطا والاستبداد بتلك الناحية، فوثب عمر منهم بمنصور ابن أخيه السلطان شهر شوال من سنة إحدى وتسعين وستمائة فتك برجاله ذذبه وأزعجه عنه، وغلبه على مال الجباية الذي كان يقتصره، فاستصفاه واستثار به، واستبد وشجن الحصن برجاله وحاشيته ووجوه قومه.

ووصل منصور إلى السلطان وهلك لليل من مناجاته أسفًا لما أصابه، وسرح السلطان وزير الطائر الذكر عمر بن السعود بن خرباش بالعساكر لمتازته فاتأخ عليه، ثم نهض السلطان على أمره ووافاه وضرب مسكنه بساحتة.

وخلال عامر أخيه عمر إلى السلطان بقومه حنراً من مغبة الأمر، وافتلق عمر لشدة الحصار ويش من الخلاص، وظن أن قد أحبط به ودس إلى أخيه عامر، فاذن السلطان في مداخلته في التزول على الحصن فاذن له، واحتمل ذخيرته وفر إلى تلمسان.

ويذا لعامر في رأيه عندما خلص إلى الحصن وخلا له من عمر أخيه الجر، وحنر غائلة السلطان وخشي أن يشار منه بأخيه، فامتنع بالحصن، ثم ندم وسقط في يده.

وفي خلال ذلك كان وصول وفد الأندلس، وأرسوا أساطيلهم بمرقى غساسة، فتقبلت شفاعتهم على شريطة إجازته إلى السلطان لوجهتهم لديه، فتقبلت شفاعتهم على شريطة إجازته إلى الأندلس، وكرو ذلك وقدم بين يديه بعض حاشيته إلى الأسطول مكرأً بهم، وخاض الليل إلى تلمسان، فتقبض السلطان على ولده وقتله.

وأسلم أهل الأسطول من كان من حاشيته لديهم، وتجأروا عن إجازتهم على السلطان لما مكر بهم عامر، فاستلحموا مع من كان بالحصن من أتباعهم وقربائهم وذرياتهم وتملك السلطان حصن تازوطا ونزل به عماله ومسلحته، وقلل إلى حضرته بفاس

المصحف الكبير، أحد مصاحف عثمان بن عفان أحد الأربع المثبتة إلى الآفاق، المخصص هذا منها بالغرب، كما نقله السلف.

كان بنو أمية يتوارثونه بقرطبة، فتلقاء الأمير أبو عامر هنالك، وأخوه الأمير أبو عبد الرحمن ابن السلطان واحتفل في مبرته.

ثم جاء السلطان على أثرهما من حضرته لتلقيه وبروره مقدمه، ووافاه بطنجة، وأبلغ في تكريمه وبر وفادته ما يكرم به مثله.

وبسط ابن الأهر العذر عن شأن طريف فتجافي السلطان عن العدل وأعرض عنه وقبل منه وبر واحتفى ووصل وأجزل، ونزل له ابن الأهر عن الجزيرة ورندة والغريبة وعشرين حصناً من ثغور الأندلس كانت من قبل لطاعة صاحب المغرب ونزل عساكرة، وعاد ابن الأهر إلى الأندلس خاتم اثنين وتسعين وستمائة محبواً محبوراً.

وأجازت عساكر السلطان معه لختار طريف وعقد على حرها ومتنازتها لوزير الطائر الذكر عمر بن السعود بن خرباش الجشي، فنازلاً مدة، وامتنعت فاقر عنها، وصرف السلطان همه إلى غزو تلمسان وحصارها، كما نذكر إن شاء الله تعالى.

## الخبر عن انتزاء الوزير الوطاس بمحض تازوطا من جهة الريف واستنزال السلطان إياته

كان بنو الوزير هؤلاء رؤساء بني طاس من قبائل بني مرين، ويررون أن نسبهم دخيل في بني مرين.

وأنهم من أعقاب علي بن يوسف بن تاشفين لحقوا بالبدو وزنلوا على بني طاس، ورسخت فيهم عروفهم حتى ليسوا جلدتهم.

ولم يزل السزو متربعاً بين أعيينهم لذلك، والرياسة شاغرة بائزفهم، وكانتا يرثمون الفتك بالأمراء من أولاد عبد الحق، فلم يطيقوه.

ولما احتل السعيد بتازى غازياً إلى تلمسان كما ذكرناه، ولحق بيلدهم الأمير أبو يحيى بن عبد الحق اتمردوا في الفتكت به، ونذر بشانهم فارتحل، ففر إلى غبولة وعين الصفا من بلاد بني بزناسن، وهنالك بلغه خبر مهلك السعيد وكانت بلاد الريف لبني

## الخبر عن تردید الغزو الى تلمسان

### ومنازلتهمما

كان عثمان بن يغمراسن بعد إفراج السلطان سنة تسع وثمانين وستمائة وانتقام الطاغية وابن الأحرر عليه كما قلناه، صرف إلى ولايتهما وجه تدبیره وأوفد على الطاغية ابن بريدي من صنائع دولته سنة اثنتين وتسعين وستمائة ورجعه الطاغية مع الریک ریکسن رسول من کبار قومه.

ثم أعاد إليه الحاج المسعود من حاشيته، ووصل بيده يده يظن ذلك دافعاً عنه، واعتدها السلطان عليه وطوى له على التك.

حتى إذا فرغ من شأن الأندلس وهلك الطاغية شانحة سنة ثلاث وتسعين وستمائة لإحدى عشرة من سفي ملكه، وارتحل السلطان إلى طنجة لمشاركة أحوال الأندلس سنة أربع وتسعين وستمائة فاجاز إليه السلطان ابن الأحرر ولقيه بطنجة، وأحكم معه المؤاخاة.

ولما استيقن سكون أحواهها، نزل ابن الأحرر عن جميع التغور التي بها لطاعته، وأجمع غزو تلمسان، وتحقّق به بين يدي ذلك ثابت بن منديل المغراوي صريحاً على ابن يغمراسن ومستجيحاً بقومه فقبله وأجاره.

وكان أصحاب الناس أعيون اثنتين وتسعين وستمائة وما بعدها قحط، ونالهم ستة وهناها.

ثم إن الله رحم خلقه وأدر نعمته، وأعاد الناس إلى ما عهدوه من سبور نعمتهم وخصب عيشهم.

ووفد عليه سنة أربع وتسعين وستمائة ثابت بن منديل أمير مغراوة مستصرحاً به من عثمان بن يغمراسن، فبعث من كبار قومه موسى بن أبي حمو إلى تلمسان شفيعاً لثابت بن منديل فرده عثمان أربع رد وأساه في إجابته، فعاود الرسالة إليه في شأنه، فلسم تردهم إلا ضرراً فاعتزم على غزو بلادهم واستعد لذلك، ونهض سنة أربع وتسعين وستمائة حتى انتهى إلى بلاد تاوريرت، وكانت تتماماً لعمل بي مرين وبي عبد الواد في جانها عامل السلطان أبي يعقوب، وفي جانها الآخر عامل عثمان بن يغمراسن.

فطرد السلطان عامل ابن يغمراسن وغيّر بها، واختط الحصن الذي هنالك لهذا العهد تولاه بنفسه يغادي الفعلة ويراوحهم، وأكمل بناءه، في شهر رمضان من ستة.

آخر جادى من سنة اثنتين وتسعين وستمائة والله تعالى أعلم.

## الخبر عن نزوع أبي عامر ابن السلطان إلى بلاد الريف وجبل غماره

كان الأمير أبو عامر بعد إجازة ابن الأحرر إلى السلطان أبيه ورضاه عنه، وتأكيد موئاهاته، وإغزاء وزيره عمر بن السعود لمنازله طريف، واستنزله أولاد الوزير المتربين بمحسن تازوطاً رجع من قصر مصمودة إلى بلاد الريف بإيعاز أبيه إليه بذلك لسكن أحواهها.

وكان أولاد الأمير أبي يحيى بن عبد الحق قد نزعوا إلى تلمسان لسعایة فيهم، وقررت في صدر السلطان، فأقاموا بها أياماً، ثم استعطفوا السلطان واسترضاوه، فرضي وأذن لهم في الرجوع إلى محلهم من قومهم ودولتهم.

وبلغ الخبر الأمير أبي عامر وهو يعسكره من الريف، فأجمع على اختيارهم في طريقهم يظن أنه يرضي بذلك أباه.

واعتراضهم بواudi القطف من بلاد ملوية سنة خمس وستين وستمائة فاستلحهم واتجه الخبر إلى السلطان فقام في ركابه وعقد، وبرا إلى الله من إختفار ذمته، ومن صينع ابنه، وسخطه وأقصاه، فذهب مغاضباً وتحقّق بلاد الريف، ثم صعد إلى جبل غماره فلم يزل طريراً بينهم.

وانزلته عساكر أبيه لنظر ميمون بن ودران الجشمي، ثم لنظر زين بن الملاة تاميونت.

وأوقع بهم مراراً آخرها بيرزيكن سنة سبع وستين وستمائة، وذكر الزليخي مؤرخ دولتهم أن خروجه بجبل غمارة كان سنة أربع وستين وستمائة وقتلته لأولاد الأمير أبي يحيى كان سنة خمس وستين وستمائة بعدما أغраб بهم من مشوى انتزاهه، وقتلهم كما ذكرناه والله أعلم.

ولم يزل هذا دأبه إلى أن هلك بيني سعيد من جبال غمارة سنة ثمان وستين وستمائة ونقل شلوه إلى فاس فوروي بباب الفتوح مجلجاً قومهم هنالك.

وأعقب ولدين كفلهما السلطان جدهما، فكانا الخليفتين من بعده على ما ذكر إن شاء الله تعالى والله أعلم.

## الخبر عن الحصار الكبير لتلمسان وما تخلل ذلك من الأحداث

لما توفرت عزائم السلطان عن النهوض إلى تلمسان، ومحاولة حصارها إلى أن يظفر بها ويقومها، واستيقن أنه لا مدفع له عن ذلك، فنهض من فاس في شهر رجب سنة ثمان وستين وستمائة بعد أن استكمل حشده.

ونادى في قومه، واعترض عساكره وأجل أعيانهم وأراح عليهم.

وارتحل في العيبة واحتل بساحة تلمسان ثاني شعبان وأناخ عليها وضرب معسكره بفناها.

وأحجز عثمان بن يغمراسن وحاميتها من قومه، وأدار الأسوار سياجاً على عمرانها كلها، ومن ورائها نطاق الحفير البعيد المهوي.

ورتب المسالك على أبوابها وفرجها، وسرح عساكره إلى هنین فافتتحها وأتوا طاعتهم، وألوقدوا مشيختهم وسط شعبان.

ثم سرح عساكره لمحاصرة وهران وتقرى البسائط ومتازلة الأمصار، فأخذت مازونة في جادى الآخرة من ستة تسع وستين وستمائة ونهض في شعبان بعده، فافتتح تالوت والقصبات وتأمزردكت في رمضان منه، وفيه كان فتح مدينة وهران، وسار عساكره في الجهات إلى أن بلغت مجاهدة كما نذكره.

وأخذ الرعب بقلوب الأمم بالنواحي، وتغلب على ضواحي مغراوة وترجون، وسارت فيها عساكره ودوختها كتابه، واقتتحت أمصارها راياته مثل مليانة ومستغانم وشرشال والبطحاء ووانشريش والمربية وتابغركينت، وأطاعمه زيري المنزي برشك وأتى بيته.

وابن علان التبرى بالجزائر وأتى بيته.

وأزعج الناكين منهم عن طاعته، واستألف أهل الصاغية كما نذكره.

وحذر الموحدون من ورائهم بفاريقية ملوك مجاهة وملوك تونس، فصدوا إليه يد الموصلة ولاطفوه بالتحافة والمهادة، وخطاب صاحب الديار المصرية ملك الترك وهاده وراجعه كما نذكره، ووفد عليه شرفاء مكة بنو أبي تمي كما نذكره.

وهو في خلال ذلك مستجمع للسيطرة بالحصار والتضييق، متجرف عن القتال إلا في بعض الأيام، ولم تبلغ - زعموا - أربعة

وأنخذه ثغراً لملكه، وأنزل بي عسكر لحياته وسد فوجهه، وعقد عليهم لأخيه أبي يحيى بن يعقوب، وأنكفا راجعاً إلى الحضرة.

ثم خرج من فاس ستة خمس وستين وستمائة غازياً إلى تلمسان، ومر بوجدة، فهدم أسوارها وتغلب على مسيفة والزغاردة، وانتهى إلى ندرومة، ونازلاً أربعين يوماً ورمها بالمباني، وضيق علىها فامتنعت عليه فافرج عنها ثانية الفطر.

ثم غزا تلمسان ستة ست وستين وستمائة ويرز لمدافعته عثمان بن يغمراسن، فهزمه وأحجزه بتلمسان، ونزل بساحتها وقتل خلقاً من أهليها، ونازلاً أياماً، ثم أطلق عنها وقتل إلى المغرب وقضى منسك الأضحى من ستة بنازاري.

فأعرض هنالك محايدة ثابت بن منديل، كان أصهر فيها إلى جدها قبل مهلهك ستة ست وستين وستمائة قتيلاً ببحيرة الزيتون من ظاهر فاس، قتل بعض بنى ورتاجن في دم كان لهم في قومه، فثار السلطان به من قاتله وأعرض محايدته، وأوعز بناء القصر بنازاري، وقتل إلى فاس فاتح ستة سبع وستين وستمائة، ثم ارتحل إلى مكتنasa وانكفا إلى فاس.

ثم نهض في جادى غازياً لتلمسان ومر بوجدة فأوزع بنائهما وتحчин أسوارها، وانخذل فيها قصبة وداراً لسكناه ومسجدًا وأغزى إلى تلمسان، ونزل بساحتها، وأحاطت عساكره إحاطة المالة بها، ونصب عليها القوس البعيدة التز عظيمة الهيكل المسماة بقوس الزيار ازدلف إليه الصناع والمهندسون بعملها، وكانت تتوارد على أحد عشر بنالاً.

ثم لما امتنعت عليه تلمسان أخرج عنها فاتح ستة ثمان وستين وستمائة ومر بوجدة، فائز بها الكتاب من بنى عسكر لغير أخيه أبي يحيى بن يعقوب كما كانوا بنازير، وأوعز إليهم فتردد الغارات على أعمال ابن يغمراسن وإفساد سابلتها.

وضافت أحوالهم ويشوا من صريخ أصحابهم، فأوقدوا على الأمير أبي يحيى وفداً منهم يسألون الأمان لمن وراءهم من قومهم، على أن يمكنه من قياد بلدتهم، ويدينوا بطاعة السلطان، فيذل لهم من ذلك ما أرضهم، ودخل البلد بعسكره، واتبعهم أهل تاورونت وأوقد مشيختهم جميعاً على السلطان آخر جادى، فقدروا عليه محضرته وأدوا طاعتهم، فقبلها، ورغباً إليه في الحركة إلى بلادهم ليريحهم من ملحة وعدوهم ابن يغمراسن، ووصفوا من عسفه وجوره وضعفه عن الحماية، ما استنهض السلطان لذلك على ما نذكر إن شاء الله تعالى، والله أعلم.

واعتصم راشد بن محمد بن ثابت بن منديل صهر السلطان بقليله فنزلوه بها، ثم استنزلوه على الأمان سنة تسعة وستين وستمائة فأوفدوه على السلطان، فلقاه مبرةً وتكرمةً، وخلطه بحملته ل مكان صهره معه.

ثم افتحوا مدينة تدلس ومازونة وشرشال، وأعطي زيري بن حاد التترى على برشك من بلادهم يد الطاعة، وأوفد على السلطان للبيعة، واستولوا على ضواحي شلف كلها، ولاذ مغراوة بطااعة السلطان.

وعقد عليهم وعلى جميع بلادهم لعمر بن ويفرن بن منديل فاسف لذلك راشد بن محمد لما كان يراه لنفسه من الاختصاص. ولما كانت أخته حظية السلطان وكرسته، ونافس عمر بن ويفرن في إمارة قومه، فلحق بجيال متيبة، وأجلب على من هنالك من عمال السلطان وعساكره وأخاиш إليه مرضى القلوب من قومه، فاعتوصبوا عليه.

وداخل أهل مازونة فاتقضوا على السلطان وملكته أمرهم في ربيع من المائة السابعة.

ثم بيت عمر بن ويفرن بمعسكره من وازمور، فقتلته واستباح المعسكر.

ويبلغ الخبر إلى السلطان، فسرح العساكر من بي مرين وعقد على بن الحسن بن أبي الطلاق على قومه من بي عسکر، ولعلي بن محمد الخيري على قومه من بي ورتاجن، وجعل الأمر شوري بينهما، وأشرك معهما علياً الحسانى من صنائع دولته، وأبا بكر بن إبراهيم بن عبد القوى من أعياص بي توجين، وعقد على مغراوة محمد بن عمر بن منديل، وأشرك معهم، وزحفوا إلى راشد.

ولما أحسن بالعساكر جأوا إلى معلم بي بو سعيد فيما معه من شيعة مغراوة.

وانزل مازونة علياً وهو ابن عميه يحيى بن ثابت، واستوصاه بضبط البلد، وأنه مشرف عليهم من الجبل.

وجاءت عساكر السلطان إلى بلاد مغراوة فتغلبوا على البيشاط وأثروا بمازونة، وضربوا معسكراً بساحتها، وأخذوا بمحنتها، واهبلا على وقومه غرة في معسكر بي مرين فيهم سنة إحدى وسبعين.

وانقض المعسكر وتقبض على علي بن محمد الخيري، ثم امتنعوا عليه وعاد المعسكر إلى مكانتهم من حصارهم، وجدهم حالم فنزل إليهم حمو بن يحيى على حكم السلطان، وأنذروه إليه

أو خسنه ينزل شديد العقاب والسيطرة من يميرها ويأخذ بالمرصاد على من يتسلل بالأقواء إليها.

قد جعل سردار الأسوار الخبيطة ملائكةً لأمره في ذلك، فلا يخلص إليهم الطيف ولا يكاد يصل إليهم العيث مدة مقامه عليها، إلى أن هلك بعد مائة شهر كما نذكره.

واختلط بمكان فساطيط المعسكر قصرًا لسكناه، وأخذ فيه مسجداً لصاله وأدار عليها السور، وأمر الناس ببناء بيتوا الدور الواسعة والمنازل الرحيبة والقصور الأنيقة، واتخذوا البيشاطين وأجروا المياه.

ثم أمر بإدارة السور سياجاً على ذلك ستة اثنين وسبعين، وصيّرها مصرًا، فكانت من أعظم الأمصار والمدن وأحفلها اتساع خطبة وكثرة عمران ونفاق أسواق، واحتفل بناء وتشيد منعة.

وأمر بالتخاذل الحمامات والخانات والمارستان، وابتلى بها مسجداً جامعاً، وشيد له مأدنة رفيعة، فكان من أichel مساجد الأمصار وأعظمها، وسمّاها المصورة، واستبرأت عمرانها ونفت أسواقها، ورحل إليها التجار بالبضائع من الآفاق فكانت إحدى مدنى المغرب.

وخرّبها آل يغمراسن عند مهلكه، وارتحال كتابه عنها، بعد أن كان بنو عبد الواد أشرفوا على الملك، وأذروا بالاقراض كما نذكره، فدار لهم من لطف الله ما شأنه أن يتدارك التورطين في الملك، والله غالب على أمره.

## الخبر عن افتتاح بلاد مغراوة وما تخلل ذلك من الأحداث

لما أنزع السلطان عن تلمسان وتغلب على ضواحي بي عبد الواد، وافتتح أمصارهم، سما إلى التغلب على عمالك مغراوة وبني توجين.

وكان ثابت بن منديل قد وفد على السلطان بغير ملكه من فاس سنة أربع وستين وستمائة وأصهر إليه في حافظته، فعقد له عليهما.

وذلك ثابت بمكان وقادته من دولتهم، وأعرس السلطان محافظته سنة ست وستين وستمائة كما ذكرنا ذلك من قبل، فلما تغلب السلطان على مال بي عبد الواد جهز عساكرة إلى بلاد مغراوة، وعقد عليهما علي بن محمد بن عظماء بي ورتاجن، فتغلبوا على الضواحي وشردوا مغراوة إلى رؤوس المعاقل.

تفقض عليه.

جبل وانشريش وهدم حصنهم به، ورجع إلى الطاعة.

ثم بادره أهل تافركينت سنة ثلاط وسبعمائة بياتان الطاعة.  
ونقضوا بعدها.

ثم بعث أهل المدينة بطاعتهم للسلطان، فتقابلا وأعز بناء  
قصبتها.

وراجع بنو عبد القوي بعد ذلك بصائرهم في طاعة  
السلطان، ووفدوا عليه بكانه من المنصورة مدينته الخبطنة على  
تلمسان سنة ثلاط وسبعمائة فقبل طاعتهم ورعى سابقتهم،  
وأعادهم إلى بلادهم وأنظعهم، وولى عليهم علي بن الناصر بن  
عبد القوي، وأوزع بناء قصبة المدينة سنة أربع وكملت سنة خمس  
وسبعمائة وهلك علي بن الناصر خلال ذلك، فقد عليهم محمد  
بن عطية الأصم كما ذكرنا.

فاستمر على الطاعة، ثم انقض سنة ست وسبعمائة وحمل  
قومه على الخلاف، وانتذروا عن الوطن إلى أن هلك يوسف بن  
يعقوب كما ذكرناه، والله تعالى أعلم.

## الخبر عن مراسلة الموحدين ملوك إفريقية بتونس وبجاية وأحواله معهم

كان لبني أبي حفص ملوك إفريقيبة مع زناته هؤلاء أهل  
المغرب من بني مرين وبني عبد الراد سوابق مذكورة، فكانت لهم  
على يغمراسن وبنيه طاعة معروفة يسودون بيعتها وينظبون على  
منابرهم بدعوتها مذ تغلب الأمير أبي زكرياء يحيى بن عبد الواحد  
على تلمسان.

وعقد عليها يغمراسن، واستمر حاكم على ذلك.

وكانت لهم أيضاً مع بني مرين ولدية سابقة بما كان بني مرين  
منذ أول أمرهم يخاطبون الأمير أبي زكرياء، ويعثون له بيعة البلاد  
التي تغلبوا عليها: مثل مكتاسة والقصر ومراكب آخرأ.

ثم صارت خالصة من لدن عهد المستنصر ويعقوب بن عبد  
الحق.

وكانتوا يتحفونهم بالمال والهدايا في سبيل المدد على أصحاب  
مراكب، وقد ذكرنا السفاراة التي وقعت بينهما سنة خمس وستين  
وسبعمائة وإن يعقوب أوفد عامر بن إدريس عبد الله بن كندوز  
ومحمد الكتاني، وأوفد عليه المستنصر سنة سبع وستين وسبعين  
بعدها كبر الموحدين يحيى بن صالح الهاشمي في وفد من مشيخة

ثم نزل على ثانية من غير عهد، فأشخصوه إلى السلطان  
فلقاء مرةً وتكرعاً، تأييساً لراشد المتنزه بعقله.

واقتحمت مازونة على أهلها عنوة سنة ثلاط وسبعمائة  
فمات منهم عالم واحتملت رؤوسهم إلى سدة السلطان، فرميت في  
حفائر البلد المحصور إرهاباً لهم وتخذيلها، وما عقد السلطان لأخيه  
أبي يحيى على بلاد الشرق وسرحه لتدوين التخorum، نازل راشد  
معقله من بني بو سعيد، فيبيت راشد معسكرهم إحدى لياليه،  
فانقضوا وقتل طائفة من بني مرين.

ووجد السلطان لها فامر بقتل علي وهو ابن عميه يحيى،  
ومن كان معتقداً معهما من قومهما.

ورفعوا كل الجنود وأثيوبم بالسياه، ونزل راشد بعدها  
عن معقله ولحق بمجيئه، وأخاشه إليه عممه منيف بن ثابت،  
وأوشاب من مغراوة وتحيز الآخرون إلى أميرهم محمد بن عمر بن  
منديل الذي عقد له السلطان عليهم ثم تأشيت على راشد ومنيف  
خوارج الثعالبة ومليكسن، وصمد إليهم الأمير أبو يحيى في  
عساكره ثانية، وناظهم بمعاقلهم ورغبا في السلم، فبذل السلطان  
لهم، وأجاز منيف بن ثابت إلى الأندلس فيما إليه من بنيه  
وعشيره، فاستقروا بها آخر الأيام.

ولحق راشد ببلاد الموحدين ووفد محمد بن منديل سنة  
خمس وسبعمائة على السلطان، فلوسعه جباً وتكرعاً.

وتهدت بلاد مغراوة واستبد بملكها السلطان، وصرف إليها  
العمال، ولم يزل كذلك إلى أن هلك سنة ست وسبعمائة والله  
تعالى أعلم.

## الخبر عن افتتاح بلاد بني توجين وما تخلل ذلك

لما نازل يوسف بن يعقوب تلمسان وأحاط بها، وتنقلب  
على بلاد بني عبد الراد، سما إلى ذلك بلاد بني توجين.

وكان عثمان بن يغمراسن قد غلبهم على مواطنهم، وملك  
جبل وانشريش وتصرف في بلاد عبد القوي بالولاية والعزل وأخذ  
الأتاوة سنة إحدى وسبعمائة، وأوزع إلى السلطان ببناء البطماء  
التي هدمها محمد بن عبد القوي، فبناتها وترغل في قاصية المشرق،  
ثم انكفا راجعاً إلى حضرة أخيه وعطف على بلاد بني توجين سنة  
اثنتين وسبعمائة وفر بنو عبد القوي إلى ضواحيهم بالفقر، ودخل

أيام، جلا فيها أولياء السلطان أبي البقاء عن أنفسهم وسلطانهم، وأمر ببروشن السلطان المسمى بالبديع فخربه، وكان من أنيق الرياض وأحفلها.

وقفل إلى مكانه من تدوينه البلاد، وأعرض عن أعمال الموحدين.

وكان صاحب تونس لذلك المعهد محمد المستنصر الملقب بأبي عصيدة بن يحيى الواقن، فأوفد على السلطان شيخ الموحدين بدولته محمد بن أكماسير في أسباب الولاية، ومحكمًا مذاهب الروصلة، ومقرراً سوابق السلف، فوفد في مشيخة من قومه لشعبان ستة ثلاث وسبعين.

وناغاه الأمير أبو البقاء خالد صاحب بجاية، وأوفد مشيخة من أهل دولته كذلك وير السلطان وفادتهم وأحسن مقتليهم.

ثم عاد ابن أكماسير سنة أربع وسبعين، ومعه شيخ الموحدين وصاحب السلطان أبو عبد الله بن يز يكن في وفد من عظاماء الموحدين، وأوفد صاحب بجاية حاجبه أبي محمد الرخامي، وشيخ الموحدين بدولته عياد بن سعيد بن عثيمين.

ووفدوا جميعاً على السلطان ثالث جادى، فأحسن السلطان في تكرمهما ما شاء، وأوصلهم إلى نفسه بمساكن داره وأراهم أبهة ملكه وأطافلهم تصوره ورياضه بعد أن فرشت ونفت، فملا قلوبهم جلاً وعظمة، ثم بعثهم إلى المغرب ليطرفوا على قصور الملك بفاس ومراكش، وشاهدوا آثار سلفهم، وأوعز إلى عمال المغرب بالاستبلاغ في تكرمهما وإعفائهما، فاتهوا من ذلك إلى الغاية، وانقلبوا إلى حضرته آخر جادى، وانصرفوا إلى ملوكهم بالحديث عن شأن رسالتهم وكرامة وفندهم.

ثم أعاد ملوكهم مراسلة السلطان سنة خمس وسبعين، بعدها، فوفد أبو عبد الله بن أكماسير من تونس وعياد بن سعيد بن عثيمين من بجاية.

وأوفد السلطان على صاحب تونس مع رسوله صاحب الفتيا مجضرته الفقية أبي الحسن التنسى وعلى بن يحيى البرشكى رسولين يسألانه المدد بأسطوله، فقضوا رسالتهم سنة خمس وسبعين.

ووصل بخبرها أبو عبد الله المزدورى من مشيخة الموحدين، واقترن بذلك وصول حسون بن محمد بن حسون المكتانى من صنائع السلطان.

كما أوفده مع ابن عثيمين على مراسلة الأمير أبي البقاء خالد صاحب بجاية في طلب الأسطول أيضاً، فرجعه بالمعاذير.

الموحدين، ومعهم هدية سنية.

ثم أوفد الواقن ابنه سنة سبع وسبعين قاضي بجاية المذكور أبا العباس أحد الغمارى، وأسى الهدية معه.

ولم يزل الشأن بينهم هذا إلى أن افترق أمر آل أبي حفص، وطار الأمير أبو زكرياء ابن الأمير أبي إسحاق بن يحيى بن عبد الواحد من عشه بتلمسان في وكر عثمان بن يغمراسن، وأسف إلى بجاية فاستولى عليها سنة ثلاثة وثمانين وستمائة، واستضاف إليها قسطنطينة وبوئنة، وصيّرها عملاً لملكه، ونصّب بها كرسياً لأمره، وأسف عثمان بن يغمراسن لفراره من بلدته لما كان عليه من التمسك بدعوة عمه أبي حفص صاحب تونس، فشق ذلك عليه ونكره، واستمر الحال على ذلك.

ولما أخذ السلطان يوسف بن يعقوب بخنق تلمسان وأوسع قواعده ملكه بساحتها، وسرح عساكره لاتهام الأنصار والجهات، وتوجس الموحدون الخفة منه على أوطانهم.

وكان الأمير أبو زكرياء في جهات تدلّس محامياً عن حوزته وعمله.

ووصله هنالك راشد بن محمد نازعاً عن السلطان أبي يعقوب.

ثم طلت العساكر على تلك الجهات في أتباعه، فزحف إليه عسكر الموحدين سنة تسعة وسبعين وستمائة بناحية جبل الزاب، فقضوا جمه واققوها به واستلهموا جنوده، واستبهر القتل فيهم، وبقيت عظامهم مائلاً بمصارعهم سنين.

ورجع الأمير أبو زكرياء إلى بجاية فالخصر بها وهلك على تفتيته ذلك على رأس المائة السابعة.

وقارن ذلك مغاضبة بينه وبين أمير الدواودة لعهده عثمان بن سباع بن يحيى بن دريد بن مسعود البلط، فوفد على السلطان آخريات إحدى وسبعين، ورغبه في ملك بجاية.

واستفدّ للسير إليها، فأزعز إلى أخيه الأمير أبي يحيى يمكنه من منازلة مغراوة و مليكش والتغالبة، بأن ينهض إلى عمل الموحدين.

وسار عثمان بن سباع وقومه بين يدي العساكر يتصدون الطريق إلى أن تجاوز الأمير أبو يحيى بعساكره بجاية، واحتل بتاكرارت من أوطان سدوشكش من أعمال بجاية.

وأطل على بلاد سدوشكش وانكفا راجعاً، فأطلق عساكره بساحة بجاية وبها الأمير خالد بن يحيى، وناشئهم القتال بعض

المغرب وما عونه، ونهج بها السبيل بها للحجاج من أهل المغرب،  
لما جمعوا الحج ستة أربع وسبعيناً بعدها وعقد السلطان على  
دلالتهم لأبي زيد الغفارى، وفضلوا من تلمسان لشهر ربى  
اللأول.

وفي شهر ربيع الآخر بعده كان مقدم الحاج الأولين حملة المصحف ووفد معهم على السلطان الشريف ليبدأ بن أبي ثني نازعاً عن سلطان الترك لما كان تقضى على آخره خصبة ورميته إثر مهلك أيهم أبي ثني صاحب مكة سنة إحدى وسبعينمائة، فاستبلغ السلطان في تكريمه وسرحه إلى المغرب ليجول في أقطاره، ويطرف على معالم المملكة وقصوره، وأوعز إلى العمال بتكريمه وإغاثه كلَّ على شاكلته.

ورجع إلى حضرة السلطان سنة خمس وسبعين وفصل منها إلى المشرق، وصحبه من أعلام المغرب أبو عبد الله فوزي حاجاً، ولش bian من ستة خمس وسبعين وصل أبو زيد الغفارى ذليل ركب الحاج الآخرين، ومعه بيعة الشرفاء أهل للسلطان، لا أسفهم صاحب مصر بالقبض على إخوانهم، وكان شأنهم ذلك حتى غاضبهم السلطان.

فقد سبق في أخبار المستنصر بن أبي حفص مثلها، وأهداى إلى السلطان ثوياً من كسوة البيت شغف به، وأخذ منه ثوياً للباسه في الجمع والأعياد يستبطنه بين ثيابه تبركاً به، ولما وصلت هدية لسلطان إلٰ صاحب مصر لعهده الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحي حسن موقعها لديه، وذهب إلى المكافأة، فجمع من طرف ثلاثة من الثياب والحيوان ما يستغرب جسنه ومشكله، من نوع لفيف والزرافة، وأوفد بها من عظامه دولته الأمير التليلي وفصل من القاهرة أخريات ستة خمس وسبعينمائة ووصلت إلى تونس في يوم من سنة ست وسبعمائة بعدها.

ثم كان وصوها إلى سدة السلطان بالصورة من البلد  
الجديد في جهاد الآخرة، واهتز السلطان لتدوتها واستركب  
لناس لقائهم، واحتفل للقاء هذا الأمير التليبي ومن معه من أمراء  
الترك، وير وقادتهم، واستبلغ في تكريهم نزلاً وقرى، وبعثهم إلى  
المغرب على العادة في مبرة أمثالهم، وهكذا السلطان خلال ذلك  
وقبيل أبو ثابت ستة من بعده في تكريهم، فاحسن مقلبيهم وملا  
حقائبهم صلة وبرأ، وفصلوا من المغرب الذي الحجة سنة سبيع  
سبعمائة ولا انتهوا إلى بلاد بني حسن في ربیع من سنة ثماني  
سبعمائة اعترضهم الأعراب بالقفر فأنهبوهم وخلصوا إلى مصر  
بهرية الذقن، فلم يعودوا بعدها إلى المغرب سفراً ولا لفتوا إليه  
جهات.

وأوفدوا معه عبد الحق بن سليمان تلقاهم السلطان بالبراء، وأوعز إلى عامله بوهران أن يستبلغ في تكريمه عمرة الأسطول، فجرى في ذلك على مذهبها واقتليوا جميعاً أحسن مقتل.

وَغَنِي السُّلْطَانُ عَنْ أَسْطُرِهِمْ لِغَوَافِتْ وَقْتِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ مِنْ  
مَنَازِلَةِ بِلَادِ السَّوَاحِلِ إِذْ كَانَ قَدْ تَمَلَّكَهَا أَيَامُ عَمَاظِلَتِهِمْ بِيَعْتِهِ.

وانتقل الخبر بصاحب تلمسان الأمير أبي زيان بن عثمان  
المتابع أيام الحصار عند مهلك أبيه عثمان بن يغمراسن آخر سنة  
ثلاث وسبعيناً نبلغه صنع الموحدين في مواليتهم عدوهم  
السلطان يوسف بن يعقوب ومظاهرته بأساطيلهم عليه، فأسفه  
ذلك وأخرس متبرهم عما كانت تتطق به من الدعاء من عهد  
يغمراسن، فلم يراجع دعورتهم من بعد، وهلك السلطان على تقنية  
ذلك، وبالبقاء لله وحده.

الخبر عن مراسلة المشرق الأقصى  
ومهاداتهم ووفادة أمراء الترك على  
السلطان وما تخلل

لما استولى السلطان على المغرب الأوسط بملكه وأعماله، وهنائه ملوك الأقطار وأعراش الضواحي والقفار، وصلاحت السابقة ومشت الرفاق إلى الأفاق، استجد أهل المغرب عزماً في قضاء فرضهم، ورغباً من السلطان إذنه لركب الحاج في السفن إلى مكة، فقد كان عدهم بعد بثيلها لفساد السابقة واستهجان الدول.

فسمى للسلطان في ذلك أمل ودخله بحرب الله وروضة نبيه الشوق، فأمر بانتخاب مصحف رائق الصنعة، كتبه ونفعه أحمد بن حسن الكاتب المحسن، واستوسع في جرمته وجعل غشاهه من بدائع الصنعة، واستكثر فيه من مغالق الذهب المظيم بجزارات الدر والياقوت، وجعلت منها حصانة وسط المغلق لغوث الحصيات مقداراً وشكلأً وحسناً، واستكثر من الأصولنة عليه ووقفه على الحرم الشريف، وبعث به مع الحاج ستة ثلاث وسبعينة وعني بشأن هذا الركب، فسرح معهم حامية من زناته تناهز خمس مائة من الأبطال، وقد القضاء عليهم محمد بن رغوش من أعلام أهل المغرب، وخاطب صاحب الديار المصرية واستو صاه بجاج المغرب من أهل ملكته، وأتخذه بهدية من طرف بلاد المغرب فاستكثر فيها من الخيل العراب والمطايا الفارهة. يقال: إن المطايا كانت منها أربعينية حدثني بذلك من لقيته إلى ما يناسب ذلك من طرف

وقام بأمر الأندلس من بعده ابنه محمد المعروف بالملخوع. واستبد عليه كاتبه أبو عبد الله بن الحكيم من مشيخة رندة، كان اصطفاه لكتابه أيام أبيه، فاضططع بأمره وغلب عليه. وكان هذا السلطان الملخوع ضرير البصر وقال: إنه ابن الحكيم، فغلب عليه واستبد إلى أن قتلهم آخره أبو الجيوش نصر سنة ثمان وسبعينه كما ذكره، وكان من أول آرائه عند استيلائه على الأمر من بعد أبيه المبادرة إلى إحكام ولاية السلطان، واتصال يده بيده، فأوفد إليه حنين ولابنه ووزير أبيه السلطان عزيز الداني، وزبیره الكاتب أبي عبد الله بن الحكيم، فوفدوا على السلطان بعسکره من حصار تلمسان وتلقيا بالقبول والمبرأة، وجدت له أحكام الود والولاية، وانقلبا إلى مرسلهما خير مقلب.

وتقدم السلطان إليهم في المدد برجل الأندلس وناشتبهم المعودين متلازمه الحصون والمنساغرة بالرباط، فتبادروا إلى إسعافه، وبعثوا حصتهم لгин مرجعهم إلى سلطانهم، فوصلت سنة اثنين وسبعينه، وكانت لهم نكبة في العدو وأثر في البلد المخوب.

ثم بدا محمد بن الأخر الملخوع في ولاية السلطان بمنافسات جرت إلى ذلك.

ويعد إلى ابن ادفونش هراندة بن شانجه، وأحکم له عقد السلام ولاطفة في الولاية، فانعقد ذلك بينهما سنة ثلاثة وسبعينه واتصل خبره بالسلطان فخطه ورجع إليهم حصتهم آخر سنة ثلاثة وسبعينه، لستة من مقدمهم بعد أن أبلوا وأنجروا، وطوى لهم على التكث واعتمل ابن الأخر وشيشه في الاستعداد لمدافعة السلطان والإرصاد لسيطرته بهم.

وأوغز إلى صاحب مالقة عم الرئيس أبي سعيد فرج بن إسماعيل بن محمد بن نصر، وليه من دون القرابة بما كان له الصهر على أخيه، والمخطط بغدر العربية، فأوغز إليه بمداخلة أهل سبطة في خلع طاعة السلطان والقبض على بي العزفي، والرجوع إلى ولاية ابن الأخر.

وكان أهل سبطة متذ هلك إبراهيم الفقيه أبو القاسم العزفي ستة سبع وسبعين وستمائة قام بأمرهم ولده أبو حاتم، وكان آخره أبو طالب ردفأله في الأمر إلا أنه استبد عليه بصاغته إلى الرياسة، وإيثار أبي حاتم للخصول مع إيمانه حتى أخبيه الأكبر، وإنجابه الداعي متى رفع إليه فاستقام أمرهما مدة.

وكان من سياسهما من أول أمرهما، الأخذ بدعاوة السلطان فيما لظرهما، والعمل بطاعته والتتجان عن السكنى بقصور الملك والتخرج عن أبهة السلطان لكتاهما، فأنزلوا بالقصبة

وطال ما أوفد عليهم ملوك المغرب بعدها من رجال دولتهم من يؤبه به، يهادونهم ويكافرون ولا يزيدون في ذلك كله على الخطاب شيئاً، وكان الناس لعهدهم ذلك يتهمون أن الذين نهبوهم أغرب حчин بديسيمة من صاحب تلمسان أبي حمو لعهدهم، منافسة لصاحب المغرب لما بينهم من العداوات والإحن القديمة.

أخبرني شيخنا محمد بن إبراهيم الألبلي قال: حضرت بين يدي السلطان وقد وصله بعض الحاج من أهل بلده مستصصباً كتاب الملك الناصر بالتعاب على شأن هؤلاء الأماء، وما أصابهم في طريقهم من بلاده، وأهدى له مع ذلك كوزين بدهن البلسان قسي الغز المؤنقة الصنعة من العرى والعقب، فاستقل السلطان هديته تلك بنسبة ما أهدوا إلى ملك المغرب، ثم استدعي القاضي محمد بن هدية، وكان يكتب عنه فقال له: الآن اكتب إلى الملك الناصر ما أقول لك، ولا تحرف كلمة عن موضعها إلا ما تقتضيه صناعة الأغرب، وقل له: أما اعتابك على شأن الرسل وما أصابهم في طريقهم فقد حضروا عندي وأبانت لهم الاستعمال حذرأ ما أصابهم، وأريتهم مخاوف بلادنا وما فيها من غوايل الأغرب، فكان جوابهم: إنما جتنا من عند ملك المغرب فكيف نخاف! مفترين بشانهم يحسبون أن أمره نافذ في أغرب قبائلنا.

وأما الهدية فردد عليك، أما دهن البلسان فنحن قوم بادية لا نعرف إلا الزيت وحسبنا به دهناً.

واما المالك الرماة قد افتحنا بهم إشبيلية وصرفناهم إليك لفتح بهم بغداد والسلام.

قال لي شيخنا: وكان الناس إذ ذاك لا يشكرون أن انتهائهم كان بإذن منه، وكان هذا الكتاب دليلاً على ما في نفسه.

وربك يعلم ما تكون صدورهم وما يعلنون.

### الخير عن انتفاض ابن الأخر واستيلاء الرئيس أبي سعيد على سبطة وخروج عثمان بن أبي العلاء في غماره

لما أحکم السلطان عقد المهادنة والولاية مع السلطان ابن الأخر المعروف بالفقير، عند إجازته إليه بطنجة سنة اثنين وسبعينه كاما ذكرناه، وفرغ لعدوه تسلك ابن الأخر بولايته تلك إلى أن هلك سنة إحدى وسبعينه في شهر شعبان منه.

الأمير أبا سالم لسد تلك الفرجة، وجمع إليه العساكر وتقدم إليه بإحسان قبائل الريف وببلاد تازى، فأغذى السير إليها وأحاطت عساكره بها، فحاصرها مدة.

ثم بيته عثمان بن أبي العلاء فاختل معسكره، وأنبر عنها منهزاً، فسخطه السلطان وزوّي عنه وجه رضاه، وسار عثمان بن أبي العلاء في نواحي سبتة، وببلاد غماره، وتغلب على تيكيسان، وانتهى إلى قصر ابن عبد الكريم في آخر ستة ست وبسبعينة لستة من استيلائهم على سبتة، مقيناً رسم السلطان منادياً بالدعاء لنفسه، فأعتم السلطان على التهوض عند الفراغ إليه من أمر تلمسان، لما كانت على شفا هلة ومحابية انتفاض، لولا عائق الأقدار بهلكه، كما ذكر إن شاه الله تعالى.

### الخبر عن انتفاضة بني كمي من بني عبد الواد وخروجهم بأرض السوس

كان هؤلاء الرهط من بني عبد الواد ثم من بطنون بني علي من شعب أبي القاسم، وكانتوا يرجعون في رياستهم إلى كندوزين بن كمي، ولما استقل برئاسة أولاد علي زيان بن ثابت بن محمد من أولاد طاع الله، نفس عليه كندوز هذا ما آتاه الله من الرياسة، وجاذبه جبهها، واحترق زيان شأنه فلم يحفل به، ثم ناشب عليه أخلاق من قومهم وواضعهم الحرب.

وهلك زيان بيد كندوز، وقام بأمر أولاد علي جابر بن يوسف بن محمد.

ثم تناقلت الرياسة فيهم إلى أن عادت في ولد ثابت بن محمد، واستقل بها أبو عزة زكдан بن زيان ولم تطل أيامه. والتحم بين أولاد كمي وبين أولاد طاع الله، وتناسوا الإحن، وصارت رئاسة أولاد طاع الله ليغرسن بن زيان، واستبعدوا قبائل عبد الواد كافة، واعتمل يغرسن في الشارب عليه زيان من قاتله كندوز، فاعتاله بيته، دعاه مأدبة جمع لها بني أبيه، حتى إذا أطمان المجلس تعاوروه بأساليبهم واحتزروا رأسه، ويعثروا به إلى أمهم، فنصبت عليه القدر ثالث أثافيها تشفيأً منه وحفيظة.

وطالب يغرسن بقية بني كندوز فقرروا أمام مطالبته، وأبعدوا المنصب ولحقوا بالأمير أبي زكريا بن عبد الواحد بن أبي حفص، فأقاموا بيته أحوالاً، وكانتوا يرجعون في رياستهم لعبد الله بن كندوز، ثم تذكروا عهد البداوة وحنوا إلى عشير زنانة، فراجعوا المغرب ولحقوا ببني مرiven أثافتهم.

عبد الله بن مخلص قائدًا من البيوتات اصطنعوه وجعلوا له أحكام البلد، وضبط المحامية له فاضططع بذلك سنين.

ثم أسفه يحيى بن أبي طالب بعض التزعمات الرياسية وحجر عليه الأحكام في ذويه، ثم أفرزى به أباه وطالبه بحساب الخراج لعطاء المحامية وغفلوا عما وراءها من التظلم فيه والريبة به نفقة بمكانه واستنامته إليه.

وهم مع ذلك على أطمئن في موالة السلطان والأخذ بدعروته والوفود عليه في أوقاته.

ولما فسدت ولاية ابن الأحر للسلطان وعقد على محارلة سبتة وجد السبيل إلى ذلك بما طرأ صاحب الأحكام بالقصبة على التكث، فدخله الرئيس أبو سعيد صاحب الغرب بالقلعة جارة سبتة، ووعده الغدر ببني العزفي وأن يصحبهم بأساطيله، فشرع الرئيس أبو سعيد في إنشاء الأساطيل البحرية، واستئثار الناس للمناغرة، وإن العدو له ولائحة بمصرد، وشحنت بالفرسان والرجل والناثنة والأقورات، وأخفى وجه قصده عن الناس، حتى إذا أقلعت أساطيله وبيت سبتة لسبعين وعشرين من شوال سنة خمس وسبعينة وأرسى بساحتها لموعده صاحب القصبة، فادخله إلى حصنه فملكه، ونشر رايته بأ سوراه، وسرب جيوشه إلى البلد فتسايلوا وركب إلى دور بني العزفي فتقبس عليهم، وعلى ولدهم وحاشيتهم.

وطير الخبر إلى السلطان بغرنطة، فوصل الوزير أبو عبد الله بن الحكيم، ونادي في الناس بالأمان، وبسيط المعدلة، وأركب بني العزفي في السفن إلى مالقة.

ثم أجازوا إلى غرناطة وقدموا على ابن الأحر، فأجل قدومهم واركب الناس إلى لقائهم، وجلس له جلوساً فخاماً حتى أدوا بيعتهم وقضوا وفادتهم، وأنزلوا بالقصور وأجريت عليهم سنيات الأزرق، واستقروا بالأندلس إلى أن صاروا إلى المغرب بعد كما ذكر.

وابسط الرئيس أبو سعيد بأمر سبته وشق أطرافها وسد تنورها، وأقام دعوة ابن عمه صاحب الأندلس بمالقا.

وكان عثمان بن أبي العلاء بن عبد الحق من أعيان الملك المريني أجاز معه البحر إليها أميراً على الغرفة الذين كانوا بمالقة، وقاداً لعصبته تحت لواءه فموره بنصبه للملك بالغرب.

وخطب قبائل غماره بذلك، فوقفوا بين الإنقام والإحجام واتصل ذلك كله بالسلطان وهو يعسكره من حصار تلمسان، فاستطاع لها غضباً وحمي أنفه بعزم، واستئثره الصريح، فبعث ابنه

كابر عن كابر، ولقد أدركت بفاس على عهد السلطان أبي عنان وأخيه أبي سالم من بعده شيخاً كبيراً من ولد عبد الرحمن هذا، فحدثني بمثل ذلك، وأنهم ولد أبي بكر الصديق، والله أعلم. ولم يزل بنو كندوز مشردين بصحراء السوس إلى أن هلك السلطان، وراجعوا طاعة الملوك من بني مرين من بعده وغعوا لهم عما سلف من هذه الجريمة، وأعادوهم إلى مكانهم من الولاية، فأخضروا التصيحة والمخالصة إلى هذا المعهد كما نذكر إن شاء الله تعالى.

### الخبر عن مهلك المشيخة المصامدة بتلبيس أبي الملياني

قد ذكرنا شأن أبي علي الملياني وأوليته في أخبار مغراوة الثانية، وما كان من ثورته بمليانة وانتزاعه عليها.

ثم إذ عاج العساكر إيه منها ولاقوه يعقوب بن عبد الحق سلطان بني مرين، وما أحلهه من مراتب التكمة والمرة. وأقطعه بلد أغمات طعنة، فاستقر بها، وما كان منه في العيش باشلاء الموحدين وبئش أجدائهم، وموجدة السلطان والناس عليه لذلك.

وارصد له المصامدة الغواص لما كان منه في ذلك، ولما هلك يعقوب بن عبد الحق استعمله يوسف بن يعقوب على جايده المصامدة، فلم يفلطع بها وسعى به مشيختهم عند السلطان أنه احتاج المال ل نفسه، وحاшибه فصدقوا السعاية، فاعتقله السلطان فاقصاه، وهلك ستة ست وثمانين وستمائة واصطنعه السلطان أحمد ابن أخيه واستعمله في كتابته، وأقام على ذلك بيابه وفي جملته.

وكان السلطان سخطه على مشيخة المصامدة على بن محمد كبير هناته، وعبد الكريم بن عيسى كبير كدميرة، وأوعز إلى ابنه علي الأمير براكش باعتقالهما، فأعتقله فيما لمن لهم من الولد والخاشية، وأحسن بذلك أحد بن الملياني فاستعجل الثار.

وكانت العلامة السلطانية على الكتاب في الدولة لم تختصر بكتاب واحد، بل كل منهم يضع العلامة بخطه على كتابه إذا أكمله، لما كانوا كلهم ثقة أمناء، وكانوا عند السلطان كأسنان المشط.

فكتب أحد بن الملياني إلى ابن السلطان الأمير براكش سنة سبع وسبعين وستمائة كتاباً عن أمر أخيه، يأمره فيه بقتل مشيخة المصامدة ولا يهملهم طرفة عين، ووضع عليه العلامة التي تنفذ بها الأوامر، وختم الكتاب، وبعث به مع البريد وبخبا بنفسه إلى البلد

ونزل عبد الله بن كندوز على يعقوب بن عبد الحق خير نزل، لقاء من البر والترحيب بما ملا صدره وأكذ أغباثه وأقطعه بناحية مراكش الكفاية له ولقومه، وأنظم هنالك.

وجعل انتجاج إيله وراحته لحسان بن أبي سعيد الصيحي وأخيه موسى من ذويهم وحاشيتهم، والطف متزله عبد الله ورفع مكانه بمجلسه، واكتفى به في كثير من أموره وأوفده على المستنصر صاحب إفريقية سنة حسن وستين وستمائة مع عامر ابن أخيه إدريس كما قدمته.

واستقر بنو كندوز هؤلاء بالغرب الأقصى، واستمرت الأيام على ذلك وصاروا من مجلة قبائل بني مرين وفي عدادهم. وهلك عبد الله بن كندوز وصارت رياستهم لعمر ابنه من بعده.

ولما لفت السلطان يوسف بن يعقوب عزائمه إلى بني عبد الواد ونازل تلمسان، وطاول حصارها، واستطاع بنو مرين وذووهم على بني عبد الواد، وأحسوا بها أخذتهم العزة بالائم، وأدركهم النفرة، فأجمع بنو كندوز هؤلاء الخلاف والخروج على السلطان وخلفوا بمحاجة سنة ثلاث وسبعين.

واحتفل الأمير براكش يعيش بن يعقوب لغزوهم سنة أربع وسبعين، فناجروه الحرب بتادرت، واستمروا على خلافهم. ثم قاتلهم يعيش وعساكره ثانية بـ تاطريت سنة أربع وسبعين فهزّهم المزعنة الكبرى التي قصّت جناحهم وأوهنت بأسمهم.

وقتل جماعة من بني عبد الواد بـ بارعارض وباماكا، وأثخن يعيش بن يعقوب في بلاد السوس، وهدم تارودانت قاعدة أرضها وأم قراها، كان بها عبد الرحمن بن الحسن بن يذر من بقية الأمراء على السوس من قبل بني عبد المؤمن، وقد مر ذكرهم.

وكانت بينه وبين عرب المعقل من الشباتات وبيني حسان منذ انقضت دولة الموحدين حروب سجال هلك في بعضها عمه علي بن يذر سنة ثمان وستين وستمائة وصارت أمارة بعد حين إلى عبد الرحمن هذا، ولم يزالوا في حربه إلى أن ملك السوس يعيش بن يعقوب، وهدم تارودانت.

ثم راجع عبد الرحمن أمره وبيني بلده تارودانت هذه سنة ست بعدها.

وتزعم بنو يذر هؤلاء أنهم مستقرون بذلك القطر من لدن عهد الطوالع من العرب، وأنهم لم يزالوا أمراء بها يعقد لهم ولاية

عليهم، فسطوا بهم سطوة واحدة واعتقلوا في شعبان من سنة أحدي وسبعينة بمعسكره من حصار تلمسان.

وقتل خليفة الكبير وأخوه إبراهيم وموسى بن السبكي وأخوته بعد أن احتجنوا ومثل بهم، وأتت الكبة على حاشيهم وذريهم وأقاربهم، فلم يبق منهم باقية، واستبقى منهم خليفة الصغير احتقاراً لشأنه، حتى كان من قتلها بعد ما ذكر، وعثت بسائرهم، وظهرت الدولة من رجسمهم، وأزيلت عنها معزة براستهم، والأمور بيد الله سبحانه.

### الخبر عن مهلك السلطان أبي يعقوب

كان في جلة السلطان وحاشيته مولى من العبيدي الحصيان من موالي ابن الملياني يسمى سعادة، صار إلى السلطان من لدن استعماله إيه بيراكش، وكان على ثبع من الجهل والغباء.

وكان السلطان يخلط الحصيان بأهله ويكشف لهم الحجاب عن ذوات حارمه، ولما كانت واقعة العز مولاً، واتهم بمداخلة بعض الحرم، وقتل بالظنة، واستراب السلطان بكثير من حاشيته الملابسين للدار، اعتقل جلة من الحصيان كان فيهم عمير الكبير عريفهم، وحجب سائرهم فارتاعوا لذلك وسلوت لهذا الحصي الخيش نفسه الشيطانية الفتاك بالسلطان، فعمد إليه وهو يعيش الحجر من قصره، وأذنه فاذن له فالله مستلقياً على فراشه مخضبًا بالحناء، فوثب عليه فطعنه طعنات قطع بها أمعاءه وخرج هارباً، وانطلق الأولياء في آخر، فأدرك من العشي بناحبة تاسالة فتقبض عليه، وسيق إلى القصر فقتله العبيد والحاشية، وصابر السلطان مثنه إلى آخر النهار، ثم قضى رحمه الله يوم الأربعاء سابع ذي القعدة من سنة ست وسبعينة وقبر هنالك، ثم نقل بعد ما سكت الميوعة إلى مقبرتهم بشالة، دفن بها مع سلفه والبقاء للوحدة.

### الخبر عن ولاية السلطان أبي ثابت واستلحامه المرشحين وما تخلل ذلك من الأحداث

كان الأمير أبو عامر ابن السلطان أبي يعقوب وولي عهده لما هلك طربداً ببلادبني سعيد من غماره والريف سنة ثمان وسبعين وستمائة كما ذكرناه، خلف ولديه عامراً وسلامان في كفالة السلطان جدهما، فكان لما عينه حلاوة وفي قلبه لوطنة،

الجديد، وعجب الناس من شأنه.

ولما وصل الكتاب إلى ابن السلطان أخرج أولئك الرهط المعتقلين من المصايدة إلى مصارعهم، وقتل علي بن محمد، وعبد الكريم بن عيشي وولد عيسى، وعلى ومنصور وابن أخيه عبد العزيز.

وطير الأمير وزيره إلى أبيه بالخبر فقتله عليه حقاً عليه، وأنفذ البريد باعتقال ابنه، وحرّد على ابن الملياني فافتقد ولحق بتلمسان ونزل على آل زيان، ثم لحق من بعدها بالأندلس عند إفراج السلطان عنها في تلك السنة كما ذكرنا، وبها هلك.

واقتصر السلطان من يومئذ في صنع علامته على من يختاره لها من صنائعه، وبنق بأمانته.

وجعلها لذلك العهد لعبد الله بن أبي مدين خالصته المضطط بمأمور مملكته، فاختصت من بعده هذا العهد، والله تعالى أعلم.

### الخبر عن رياضة اليهود بني رقاصة ومقتلهم

كان السلطان يوسف بن يعقوب في صباح مؤثراً للذاته مستتراً بها عن أبيه يعقوب بن عبد الحق لكانه من الدين والورقار، وكان يشرب الخمر ويعاقر بها الندمان.

وكان خليفة بن رقاصة من اليهود المعاهدين بفاس قهرماناً لداره على عادة الأمراء في مثله من المعاهدين، فكان يزدلف إليه بوجوه الخدم ومناهيبها، فاستعمله هذا الأمير في اعتصارها والقيام على شؤونها، فكانت له بذلك خلوة منه أو جبت له الحظ عنده، حتى إذا هلك يعقوب بن عبد الحق واستقل ابنه يوسف بأخباء مملكته، واتصلت خلواته في معاقرة الندمان، انفرد ابن رقاصة بخلوته لذلك مع ما كان من القهرة، فعظمت رياسته وعلا كعبه في الدولة، وتلقى الخاصة الأوامر منه، فصارت له الواجهة بينهم وعظم قدره بعظم الدولة.

أخبارنا شيخنا الألباني أنه كان خليفة هذا أخ يسمى إبراهيم، وابن عم يسمى خليفة، لقبه بالصغير لكانه هو من هذا الاسم.

وكان له شهر يعرفون ببني السبكي، كبيرهم موسى، وكان رديفة في قهرمه، فلم يفق السلطان من نشرة صباحه وملهاته حتى وجدهم على حال استبعاد فيها العالية من القبيل والوزراء والشرفاء والعلماء فاهمه ذلك وترصد بهم وقططن لذنبه فيهم خالصته عبد الله بن أبي مدين فسعي عنده فيهم، وأوجده السبيل

الكاتب، وأخباره بفارس أبي سالم، وباتفاق الناس على طاعته، ورغم إليه في المسالة ليتهم حتى يفجر الصباح خشية على دارهم من معرة العساكر وهجومها ففعل.

وأمره الأمير أبو يحيى باعتقال أبي الحجاج بن أشقيقولة، فاعتقله لقديم من العداوة كانت بينهما، ثم أمر بقتله، وإنفاذ رأسه فقط.

وأمر السلطان ليتذبذب بأضرام اليران حتى إذا أضاء الظلام بات راكباً، ودخل القصر لصبه فواري جسد السلطان بعد أن صلي عليه.

وغض بمكان الأمير أبي يحيى لما تعدد فيه الترشيح وفاوض في شأنه كبير القرابة يومئذ عبد الحق بن عثمان ابن الأمير أبي يفرن، محمد بن عبد الحق ومن حضره من الوزراء: مثل إبراهيم بن عبد الجليل الرنكاسي وإبراهيم بن عيسى اليرينياني وغيرهما من الخاصة، فأشاروا بقتله، وغيث عنه كلمات في معنى التريص بالسلطان ودولته، وابتغاء العصابة لأمره.

وركب الأمير أبو يحيى إلى القصر ثالث البيعة، فأخذ السلطان بيده ودخل معه إلى الحرم، لعزائهن عن أخيه السلطان. ثم خرج على الخاصة وتخلّف عنه السلطان وقد دس إلى عبد الحق بن عثمان أن يتقبض عليه ففعل.

ثم بز السلطان إليهم وهو موئذ فامر بالإجهاز عليه، ولم يهلهل، والحق به يومئذ وزير عيسى بن موسى الفودودي، وفشا الخبر بهلك هؤلاء الرهط، فرغل منه القرابة، ففر يعيش بن يعقوب آخر السلطان وابنه عثمان المعروف بأمه قضيب ومسعود بن أبي مالك، والعباس بن رحون بن عبد الله بن عبد الحق ولحقوا جميعاً بعثمان بن أبي العلاء بمكانه من غماره، وخلا الجو من المرشحين، واستبد السلطان بذلك قومه، وأمن غواص المازعين.

ولما تم له الأمر واستوست الملك، وفي بني عثمان بن يغمراسن بالإفراج عنهم، ونزل لهم عن جميع البلاد التي صارت إلى طاعته من بلاد المغرب الأوسط من أعمالهم، وأعمال بني توجن وغمراوة، ودعاه إلى بدار المغرب، ما كان من احتلال عثمان بن أبي العلاء بن عبد الله بن عبد الحق بستة، ودعاه ل نفسه بين يدي مهلك السلطان، وخروجه إلى بلاد غماره، واستيلائه على قصر كتابة، واعتمد على الرحلة إلى المغرب وفرض الأمر في الرحلة باهل المدينة الجديدة للوزير إبراهيم بن عبد الجليل لما كانت حيتناً عامرة بالساكن مستجرة في الاعتمار، ممثلة من الخرائن والألة، فاحسن السياسة في أمرهم وضرب لهم

لمكان حبه لأبيهما واغترابه عنه، فحدب عليهم وأنزلهما من نفسه بمكان.

وكان الأمير أبو ثابت عامر منها صقر قومه، إقداماً وشجاعة وجراة، وكانت له في بي ورتاجن خزولة، فلعن مهلك السلطان عرضوا له ودعوه للبيعة فباعوه، وحصر لها الأمير أبو يحيى بن يعقوب عم أبيه، عشر مجتمعهم اتفاقاً، وحلوه على الطاعة، وكان أقرب للأمر منه لو حضره رجال، فأعطي القياد في المساعدة، وطوى على الكث.

ويادر الحاشية والوزراء بالبلد الجديد عند مهلك السلطان،

فيابعوا ابنه الأمير أبي سالم.

وكاد أمر بني مرين أن يفترق وكلتهم أن تنسد، فبعث الأمير أبو ثابت لحيه إلى تلمسان للأمير أبي زيان وبني حمو ببني عثمان بن يغمراسن، وعقد لهم حلقاً على الإفراج عنهم، على أن يمداده بالآلة ويرفعوا له كسر البيت إن كان غير ما أمل.

وحضر للعقد أبو حمو فاحكمه وماك أكثر بني مرين وأهل الخل والعقد إلى الأمير أبي ثابت.

وفند بيعة أبي سالم البطانة والوزراء والحاشية والأجناد ومن إليهم، وكان مسكنه بالبلد الجديد، وأشاروا عليه بالمناجزة فخرج وقد عبا كتابه، فوقف وبهت وخام عن اللقاء ووعدهم الإندام بالغذاء، وكر راجعاً إلى قصره، فينسوا منه، وتسللوا لواذا إلى الأمير أبي ثابت، وهو يمرقب من الجبل يطل عليهم حتى إذا انحجز أبو سالم بالبلد، المخاش إليه الجملة دفعة واحدة.

فلما استرفت العساكر والقبائل لديه، زحف إلى البلد الجديد متوجه السلطان وسياج قصوره ومحيط عزمه، وانتهى إلى ساحتها معتماً.

وخرج إلى الوزير يخلف بن عمران الفودودي، فأرجل عن فرسه بأمر أبي يحيى، وقتل بين يديه عصباً بالرماح، وكان قريب عهد بالوزارة، استوزره السلطان قبل مهلكه في شعبان من سنة ست وسبعينه.

وفر أبو سالم إلى جهة المغرب وصحبه من عشيره من أولاد رحون بن عبد الله بن عبد الحق العباسي وعيسى وعلى ابن رحون وأبن أخيهم جمال الدين بن موسى.

وأثنائهم الأمير أبو ثابت شرذمة من عسكره ادر كوهم بن درومة، فتقبضوا عليهم ونفذوا أمر السلطان بقتل أبي سالم وجمال الدين، واستبقى الآخرين، وأمر بإحراق باب البلد ليفتحها العسكر، فسلط عليه فهرمان دارهم عبد الله بن أبي مدین

ولما لحق يوسف بن أبي عياد بجبل هسكورة، نزل على خلوف بن عبو، وتذمّم بجواره، فلم يجره على السلطان، وتقبض عليه، واقتاده إلى مراكش مع ثمانية من أصحابه تولوا كبر ذلك الأمر، فقتلوا في مصرع واحد بعد أن مثل بهم بالسياط.

وبعث رأس يوسف إلى فاس، فنصب بسورها وألتحن بالقتل فيما سواهم من داخله في الانتزاء، فاستلحم منهم أمّا براكنش وأغاث.

وخط خلال ذلك وزيره إبراهيم بن عبد الجليل فاعتقله واعتقل عشرة من بني دولين من بني ونكاسن، وقتل الحسن بن دولين منهم، ثم عفا عنهم.

وخرج متصرف شعبان إلى منازلة السكسيوي وتدرّيّخ جهات مراكش، فتلقاء السكسيوي بطاعته المعروفة، وأسنى المدينة فتقبل طاعته وخدمته.

ثم سرح قائدة يعقوب بن أصناك في اتباع زكتنة حتى توغل في بلاد السوس فقروا أمامه إلى الرمال، انقطع أثرهم ورجع إلى معسرك السلطان. وإنكماً السلطان بعساكره إلى مراكش، فاحتل بها غرة رمضان.

ثم قفل إلى فاس بعد أن قتل جماعة من شيوخ بني دورا، وجعل طريقه على بلاد صنهاجة، وسار في بلاد تامسنا، وتلقاء عرب جشم من قبائل الخلط وسفيان وبني جابر والعاصم، فاستصحبهم إلى آنفي وتقبض على ستين من أشياخهم، فاستلحم منهم عشرين من ذوي عيادة إفساد السابلة، ودخل رباط الفتح آخريات رمضان فقتل هناك من الأعراب أمّة من يؤثر عنه الحرابة، ثم ارتحل متصرف شوال لغزو رياح أهل أزغار والمبطر، وأثار منهم بالإحن القديمة، فائتخن فيهم بالقتل والسيبي وقتل إلى فاس، فاحتل بها متصرف ذي القعدة.

وجاء الخبر بهزيمة عبد الحق بن عثمان، واستلحام الروم من عسكره، ومهلك عبد الواحد الفردودي من رجالات دولته.

وإن عثمان بن أبي العلاء قد استفحّل أمره بمحات غماره، فألاعى لغزوه، والله أعلم.

الأجال والمراعيد أن استوفوا بالرحلة، وتركوها قواء، خربها بنو عثمان بن يغمراسن عند رحلةبني مرین إلى المغرب، وتحيّنوا لذلك فترات الفتنة، وطمسوا معاملها طمساً ونسفوها نسفاً.

وقدم السلطان بن يديه من القرابة الحسن بن عامر بن عبد الله أتعجّب في العساكر والجنود، وعقد له على حرب ابن أبي العلاء.

وتلّم بالبلد الجديد لمؤلفة المسالع التي كانت شفور الشرق، لا نزل عنها جميعاً لبني عثمان بن يغمراسن وارتحل غرة ذي القعدة، ودخل فاس فاتح سبع وسبعينه والله أعلم.

### الخبر عن انتزاء يوسف بن أبي عياد براكنش وتغلب السلطان عليه

لما فصل السلطان أبو ثابت من معسركهم بتلمسان إلى المغرب، قدم بن يديه من قرابة الحسن بن عامر بن عبد الله أتعجّب ابن السلطان أبي يوسف في العساكر والجنود، وعقد له على حرب عثمان بن أبي العلاء كما ذكرنا، وعقد له على بلاد مراكش وزواحيتها لابن عمّه الآخر يوسف بن محمد بن أبي عياد بن الحق، وعهد له بالنظر في أحوالها، فسار إليها واحتل بها.

ثم حدّثه نفسه بالانتزاء، فقتل السوالي براكنش، واستركب واستلحق، وأخذ الآلة، وجاهر بالخلعان.

وتقبض على والي البلد فقتله بالسوط في جمادى سنة سبع وسبعينه، ودعا لنفسه.

وأتصل الخبر بالسلطان لأول قドمه، فسرح إليه وزيره يوسف بن عيسى بن السعود الجشي، ويعقوب بن أصناك في خمسة آلاف من عساكره، ودفعهم إلى حربيه، وخرج في أطهرهم بكتابه.

وierz يوسف بن أبي عياد، وأجاز وادي أم الريبي فانهزم أمام الوزير وعساكره وأتبّعه الوزير ففر إلى أغمات.

ثم فر إلى جبال هسكورة، ولحق به موسى بن أبي سعيد الصبيحي من أغمات، تليل من سورها، ودخل الوزير يوسف في مراكش، ثم خرج في أثره ولحقه، فكانت بينهما جولة، وقتل منها خلقاً، ولحق بهسكورة.

ودخل السلطان أبو ثابت مراكش متصرف رجب من سنة سبع وسبعينه وأمر بقتل أوربة المداخلين كانوا له في انتزاهه فاستلحموا.

الحق بن عثمان بن محمد بن عبد الحق من رجال بيته، فرحف إليه، ونهض عثمان إلى لقائه متصرف ذي الحجة سنة سبع وسبعمائة فهزمه واستلجم من كان معه من جند الروم.

وذلك في تلك الواقعة عبد الواحد الفدوبي من رجالات السلطان المرشحين رداء الوزارة، وصار عثمان إلى قصر كاتمة فنازله، واستولى على جهاته.

وعلى تبنته ذلك كان رجوع السلطان من غزوة مراكش وقد حسم الداء ومحا أثر النفاق، فأعتمد على الحركة إلى بلاد غماره ليمحو منها دعوة ابن أبي العلاء التي كانت تلتج عليه مالكه بالغرب، ويرده على عقبه ويستخلص سبعة من يد ابن الأحمر لما صارت ركاباً لمن يروم الانتقام والخروج من القرابة والأعيان المستفرين وراء البحر غزوة في سبيل الله، فنهض من فاس متصرف ذي الحجة من سنة سبع وسبعمائة. ولما انتهى إلى قصر كاتمة ثلوم بها ثلاثة حتى توافت عساكره وحشوده، وكمل اعتراضها وفر عثمان بن أبي العلاء أمامه، وارتحل السلطان في اتباعه فنازل حصن علودان واقتحمها عنوة، واستلجم بها زهاء أربعمائة.

ثم نازل بلد الدمنة، فاقتحمها واثخن فيها قتلاً وسبياً لتمسكها بطاعة ابن أبي العلاء ومظاهرتها له، على كبس القصر واستباخته.

ثم ارتحل إلى طنجة واحتل بها غرة سنة ثمان وسبعمائة وإنجز ابن أبي العلاء بسبعة من أوليائه وسرح السلطان عساكره، فتقرت نواحي سبعة بالاكتساح والغارة.

وأمر باختطاط بلد تيطاوين لنزول عساكره والأخذ بمختنق سبعة، وأوفد كبير الفقهاء بمجلسه أبا يحيى بن أبي الصبر إليهم في شأن التزول له عن البلد.

وفي خلال ذلك اعتلى السلطان بحرض وقضى لأيام قلائل في ثامن صفر من سنته، ودفن بظاهر طنجة، ثم حل شلوه بعد أيام إلى مدفن أبيه بشالة فوروي هنالك.  
رحمة الله عليه وعليهم.

## الخبر عن دولة السلطان أبي الريبع وما كان فيها من الأحداث

لما هلك السلطان أبو ثابت ثابت للقيام بالأمر عمه علي ابن السلطان أبي يعقوب المعروف بأمه رزبكة، وخلص الملا من

الخبر عن غزوة السلطان مدافعة عثمان بن أبي العلاء ببلاد الهبط ومهلكه بطsegue من

### بعد ظهوره

لما ملك الرئيس أبو سعيد فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر بسبعة سنة خمس وسبعمائة، وأقام بها الدعاية لابن عمه المخلوع محمد بن محمد القمي بن محمد بن محمد الشيشي بن يوسف بن نصر كما ذكرناه، وأجاز معه رئيس الغزاة المجاهدين بحمل إمارته من مالقة عثمان بن أبي العلاء إدريس بن عبد الله بن عبد الحق من أغياض هذا البيت، كان مرشحاً للملك فيهـ.

واستقدمه معه ليفرق به الكلمة في المغرب ويشغل بقتنة الدولة مدافعة عن سبعة لما كانوا أهاجوا السلطان وقومه باخذها واستئنام ملكها.

وطمع عثمان في ملك المغرب بإمدادهم ومظاهرتهم، وسولت له نفسه ذلك، فخرج من سبعة وولى على جيش الغزوة بعده عمر ابن عمه رحو بن عبد الله.

ونجم هو ببلاد غماره، فدعا لنفسه وأجایته القبائل منهم، واحتل محسن علودان من أمنع معاقلتهم، وبايعوه على الموت، ثم نهض إلى أصيلاً والعرائش فقلب عليها.

وأتصل ذلك كله بالسلطان المالك أبي يعقوب فلم يحركه استهانة بأمرهم.

وبعد ابنة أبي سالم بالعساكر، فنازل سبعة أيام، ثم ألقى عنها، وبعد انتهاء يعيش بن يعقوب وأنزله طنجة، وجهز معه الكتاب وجعلها ثغرأً.

وزحف إليه عثمان بن أبي العلاء فتأخر عن طنجة إلى القصر، ثم أتبه فخرج أهل القصر فرساناً ورجالاً ورماءً مع يعيش، فوصلوا إلى وادي ورا، ثم انهزموا إلى البلد.

ومات عمر بن ياسين، ونازل عثمان عليهم القصر يوماً، ثم دخله من غده.

ثم كان مهلك السلطان، ومفر يعيش بن يعقوب خيفة من أبي ثابت، فلحق بعثمان بن أبي العلاء واستقام أمره بتلك الجهات برهة.

وكان السلطان أبو ثابت لما احتل بالغرب شغله ما كان من انتزاع يوسف بن محمد بن أبي عياد براكش كما قدمناه، فقد على حرب عثمان بن أبي العلاء مكان عمه يعيش بن يعقوب بعد

## الخبر عن مقتل عبد الله بن أبي مدين

وكان بنو عبد الحق قد تجروا شعيب هذا فيمن تجروا للصحابة من أهل الدين، فكان إمام صلاتهم.

وكان يعقوب بن عبد الحق أشد هم صحابة له، وأفأهله به ذماماً فاتصل به جبله، واستمرت صحابته، وعظم في الدولة قدره وانبسط بين الناس جاه ولده وأقاربه وحاشيته.

وربي بنو شعيب هذا: عبد الله و محمد المعروف بال الحاج، ولبو القاسم من بعدهم من إخوتهم بقسر كامة في جو ذلك الجاه.

وهلك السلطان يعقوب بن عبد الحق فاستخلصهم يوسف بن يعقوب لخدمته، واستعملهم على مختصاته، ثم ترقى بهم في رتب خدمته وأخصائه، درجة بعد أخرى إلى أن هلك أبوهم مدين شعيب سنة سبع وستين وستمائة وكان المقدم منهم عند السلطان عبد الله، فأوفى به على ثبات العز والوزارة والخلة والولاية.

وتقديم بخطوته في مجلسه كل حظرة، واختصه بوضع علامته على الرسائل والأوامر الصادرة عنه، وجعل إليه حسبان الخارج والضرب على أيدي العمال، وتقييد الأوامر بالبسط والقبض، واستخلصه لمناجاة الخلوات والإفضاء بذات الصدور، فوقف بيابه الأشراف من الخاصة والقبيل والقرابة والولد، وتوددوا وخطبوا نائله.

وكان عبد الله استعمل مع ذلك أخاه حمداً على جبابة المصامدة براشاش، وهنا أبا القاسم الدعوة بفاس، فاتقام بها متلبساً راحته عريضاً جاهه، طاغياً كاسياً، تسرب إليه أمرالعمال في سبيل الإخاف، وتفتف بيابه صدور الركائب إلى أن هلك السلطان أبو يعقوب يوسف.

ويقال: إن له خائنة في دمه مع سعاية الملياني.

ولما ولـي السلطان أبو ثابت ضاعف رتبته وشفع لديه خطته ورفع على الأقدار قدره. ثم ولـي من بعده آخره أبو الريـبع فـقتل في مذهب سلفه.

وكان بنو رقاصة اليهود حين نكبا، باشر نكبتهم لكانه من إصدار الأوامر، ويزعمون أن له فيهم سعاية، وكان خليفة الأصغر منهم قد استبقي كما ذكرناه، فلما أفضى الأمر إلى السلطان أبي الريـبع استعمل خليفة بداره في بعض المهن، ولا يلبـس الخدم حتى اتصل ب المباشرة السلطان، فجعل غايـته السعاية بعد الله بن أبي مدين

وكان يؤثر عن السلطان أبي الـربع أنه لا يؤمن بـواقـعـه مع حزم ذـويـهـ، وـتـعـرـفـ خـلـيـفـةـ ذـلـكـ مـنـ مـقـالـاتـ النـاسـ، فـدـسـ إـلـىـ

بني مرين أهل الخل والعقد إلى أخيه أبي الـربع فـبـاعـوهـ.

وـتـقـبـضـ عـلـىـ عـمـهـ عـلـيـ بـنـ رـزـيـكـةـ الـسـتـامـ لـلـأـمـرـ، فـعـاـتـلـهـ بـطـنـجـةـ إـلـىـ أـنـ هـلـكـ سـنـةـ عـشـرـ وـسـبـعـمـائـةـ بـجـمـادـيـ، وـبـثـ العـطـاءـ فـيـ النـاسـ وـأـجـزـلـ الصـلـاتـ وـأـرـغـلـ خـمـوـ فـاسـ.

وـاتـبـعـهـ عـثـمـانـ بـنـ أـبـيـ الـعـلـاءـ فـيـ جـيـشـ كـيـفـ، وـبـيـتـهـ وـقـدـ نـذـرـ بـهـ الـعـسـكـرـ فـأـقـيـظـارـ لـيـلـهـ وـوـافـاهـمـ عـلـىـ الـظـهـرـ بـسـاحـةـ عـلـوـدـانـ، فـنـاجـزـهـ الـحـربـ، وـكـانـ الـدـائـرـةـ عـلـىـ عـثـمـانـ وـقـوـمـهـ، وـتـقـبـضـ عـلـىـ وـلـدـهـ وـكـثـيرـ مـنـ عـسـكـرـهـ، وـأـثـخـنـ أـوـلـيـاءـ السـلـطـانـ فـيـهـ بـالـقـتـلـ وـالـسـيـ، وـكـانـ الـظـهـورـ الـذـيـ لـاـ كـفـاءـ لـهـ.

وـوـصـلـ أـبـيـ بـحـيـيـ بـنـ أـبـيـ الصـبـرـ إـلـىـ الـأـنـدـلـسـ، وـقـدـ أـحـكـمـ عـقـدـ الـصـلـحـ، وـقـدـ كـانـ أـبـنـ الـأـحـمـرـ جـاءـ لـلـقـاءـ السـلـطـانـ أـبـيـ ثـابـتـ، وـوـصـلـ إـلـىـ الـجـزـيرـةـ الـخـضـرـاءـ فـأـذـرـكـهـ خـبـرـ مـهـلـكـهـ، فـتـرـقـفـ عـنـ الـجـوـازـ، وـأـجـازـ أـبـيـ الصـبـرـ بـالـحـكـامـ الـمـاـخـاـةـ.

وـاجـتـازـ عـثـمـانـ بـنـ أـبـيـ الـعـلـاءـ إـلـىـ الـعـدـوـةـ فـيـمـنـ مـعـهـ مـنـ الـقـرـابـةـ، فـلـخـتـ بـغـرـنـاطـةـ.

وـأـغـدـ السـلـطـانـ السـيـرـ إـلـىـ حـضـرـتـهـ، فـدـخـلـ فـاسـ أـخـرـ رـيـبعـ منـ سـنـةـ ثـمـانـ وـسـبـعـمـائـةـ وـاستـقـامتـ الـأـمـرـ وـقـهـدـ الـمـلـكـ، وـعـقـدـ الـسـلـمـ مـعـ صـاحـبـ تـلـمـسـانـ مـوـسـىـ بـنـ يـغـمـرـاسـنـ، وـاقـامـ وـادـعـاـ بـخـصـرـتـهـ.

وـكـانـ أـيـامـ خـبـرـ أـيـامـ، هـدـنـةـ وـسـكـونـةـ وـرـثـاـ لـأـهـلـ الـدـوـلـةـ، وـفـيـ أـيـامـ تـفـالـ النـاسـ فـيـ أـثـمـانـ الـعـقـارـ، فـبـلـغـ قـيمـتـهاـ فـوقـ الـمـعـادـ، حـتـىـ لـقـدـ بـعـيـعـ كـثـيرـ مـنـ الدـوـرـ بـفـاسـ بـأـلـفـ دـيـنـارـ مـنـ الـذـهـبـ الـعـيـنـ. وـتـنـافـسـ النـاسـ فـيـ الـبـنـاءـ فـعـالـوـ الـصـرـوـحـ، وـأـخـذـوـ الـقـصـورـ الـمـشـيـدـ بـالـصـخـرـ وـالـرـخـامـ وـزـخـرـفـهـ بـالـزـلـيجـ وـالـقـوشـ.

وـتـنـاغـمـوـ فـيـ لـبـسـ الـحـرـيرـ وـرـكـوبـ الـفـارـهـ، وـأـكـلـ الـطـيـبـ وـأـقـتـانـ الـحـلـيـ مـنـ الـذـهـبـ وـالـفـضـةـ.

وـاسـتـجـرـ الـعـمـرـانـ، وـظـهـرـتـ الزـيـنـةـ وـالـتـرـفـ، وـالـسـلـطـانـ وـادـعـ بـدارـهـ مـتـمـلـ أـرـيـكـهـ إـلـىـ أـنـ هـلـكـ كـمـاـ ذـكـرـهـ، إـنـ شـاءـ اللهـ تـعـالـ.

## الخبر عن مقتل عبد الله بن أبي مدين

كان أبو شعيب بن مخروف من بنـيـ أـبـيـ عـثـمـانـ مـنـ قـبـائلـ كـتـامـةـ الـجـاـوـرـينـ لـلـقـصـرـ الـكـبـيرـ، وـكـانـ مـتـحـلـاـ لـلـبـنـينـ مـشـهـراـ بـهـ.

وـلـمـ أـجـلـبـ بـنـوـ مـرـينـ عـلـىـ الـمـغـرـبـ وـجـالـوـ فـيـ بـسـاطـهـ، وـتـنـلـيـوـ عـلـىـ ضـواـحـيـهـ، صـاحـبـ الـبـرـ مـنـهـ وـالـفـاجـرـ مـنـ أـهـلـهـ.

عليه الملا من مشيخة سبة وأهل الشورى.  
وبلغ الخبر إلى ابن الأحرار فارتاع لذلك وخشي عادية

وكان الطاغية في تلك الأيام نازل الجزيرة الخضراء، وألقع عنها على الصالح بعد أن أذاقها من الحصار شدة، وبعد أن نازل جبل الفتح، فتغلب عليه وملكه.

وانهزم زعيم من زعمائه يعرف بالفشل بيرس، هزمه أبو  
يجيبي بن عبد الله بن أبي العلاء صاحب الجند بالقة، لقيه مجوس  
خلال الليل بعد مثلك الحال ، ففهم التصارى وقتلوا أحير قتل.

واهم المسلمين شأن الجبل فبادر السلطان أبو الحيوش  
بإنفاذ رسالته راغبين في السلم خاطبين للولاية، وتبع بالتزوال عن  
الخزيرة ورندة وحصونها، ترغيباً للسلطان في الجهاد، فقبل منه  
السلطان وعقد له الصلح على ما رغب، وأصره إليه في احته،  
فأنكحه إياها، وبعث باللدد للجهاد، أمراً وخليلاً وجناب مع  
عثمان بن عيسى اليرزياني، واتصلت بينهما والهادنة والولاية إلى  
مehrak السلطان والقاء الله وحده.

الخبر عن يعنة عبد الحق بن عثمان بعمالء  
الوزير والشيخة وظهور السلطان عليهم ثم  
مهلكه بعد ذلك

كانت رسيل ابن الأحر خلال هذه المهادنة والمكتبات مختلف إلى باب السلطان، ووصل منهم في بعض أحيانها خلف من متربهم، فجاهر بالكبائر، فكشف صفة وجهه في معاقرة لهم، والادمان عليه.

وكان السلطان منذ شهر جمادى الأول سنة تسعة وسبعين  
من عزل القاضي بفاس أبا غالب المغيلي، وعهد بأحكام القضاء  
شيخ الفتيا المذكور بها أبي الحسن الملقب بالصغرير.

وكان على ثبيح من تغيير المكرات والتعسّف فيها، حتى  
لقد كان مطاؤعاً في ذلك وسواس النشك الأعمى، متجاوزاً بها  
الحدود المتعارفة من أهل الشريعة في سائر الأمصار، وأحضر عنده  
ذات يوم هذا الرسول ثملاً، وحضر العدول فاسترحوه، ثم  
اضمسي حكم الله فيه، وأقام عليه الحدود، وأصرمه هذه الموجلة،  
ناظرطم غيظاً وتعرض للوزير رحو بن يعقوب الوطاسي منتصره  
من دار السلطان في موكيه، وكشف عن ظهره بريه أثر السياط  
ويتعين عليهم سوه هذا المرتكب مع الرسل.

السلطان أن عبد الله بن أبي مدين يعرض باتهام السلطان في ابنته، وأن صدره وغير بذلك، وأنه متعرض بالدولة.

وكان يخشي العائلة لما كان عليه من مداخلة القبيل، ولما كان داعية من دعاء آل يعقوب، فتتجول السلطان دفع غائلته واستدعاه صبيحة زفاف ابنته، زعموا على زوجها فاستحبه قائد الروم من داره بفاس، ونذر بالشر، فلم يغنه النذر، ومر في طريقه إلى دار السلطان بمقبرة أبي يحيى بن العربي، فطعنه القائد هنالك من وراءه طعنة أكبه على ذقنه، واحتز رأسه فالله بين أيدي السلطان.

ودخل الوزير سليمان بن بوزي肯 فوجده بين يديه، فذهبت نفسه عليه على مكانه من الدولة حسرة وأسفًا، وأيقظ السلطان لمكر اليهودي، فرققه على براعة كان ابن أبي مدين بعثها معه إلى السلطان بالاتصال والتحالف، فتيقظ وعلم مكر اليهودي به، فندم وفتى لحيته بخليفة بن رقاصة وذويه من اليهود المتصدرين للخدمة، وسطأ بهم سطوة المملكة، فأصبحوا مثلاً للأغترابين، والله أعلم.

## الخبر عن ثورة أهل سبتة بالأندلسين ومراجعتهم طاعة السلطان

لما قفل السلطان أبوالربيع من غزة سبتة بعد أن شرد  
عثمان بن أبي العلاء وأحجزه سبتة، وأجاز منها إلى العدوة ومن  
كان معه من القرابة كما قلنا، بلغه الخبر بضجر أهل سبتة،  
ومرض قلوبهم من ولادة الأندلسين عليهم وسوء ملكتهم.

ودس إلى بعض أشياعه بالبلد مثل ذلك، فأغزى صنيعته تاشفين بن يعقوب الوطاسي آخا وزيره في عساكر ضخمة منبني مرين، وسائر الطبقات من الجندي.

وأوزع إليه بالتقدم إلى سبعة منازلها، فأخذ إليها السير  
ونزل بساحتها، ولما أحس به أهل البلد بهشت رجالاتهم وتسادوا  
بشعارهم، وثاروا على من كان منهم من قواد ابن الآخر وعماله  
وآخر جوا منها حاميته وجنوده، واقتحموا العساكر واحتل تاشفين  
بن يعقوب بقصتها عاشر صفر من سنة تسعة وسبعين.

وطير الفوائق بالخبر إلى السلطان فعم السرور وعظم شأن  
الفتح، وتقبض على قائد القصبة أبي زكريا يحيى بن مليلة، وعلى  
قائد البحر أبي الحسن بن كمasha، وعلى قائد الحروب بها من  
الأعياص عمر بن رحؤ بن عبد الله بن عبد الحق، كان صاحب  
الأندلس عقد له مكان ابن عمته عثمان بن أبي العلاء عند إجازته  
البحر إلى الجهاد كما ذكرنا، وكتب إلى السلطان بالفتح، وأوفد

وذهبهم بالقتل والسي، ثم اعتل أثناء ذلك وهلك للبيال من اعتلاله سلغ جادى الآخرة من سنة عشر وسبعيناً ووري بصحن الجامع الأعظم من تازى، وبريع السلطان أبو سعيد، كما نذكره إن شاء الله.

تبرم بذلك الوزير وأدركه حفيظة، وسرح وزنته وحشمه في إحضار القاضي على أسوأ الحالات من التكيل والتل لقنه، فقضوا بذلك الوجه، واعتضم القاضي بالمسجد الجامع، ونادى المسلمين، فثارت العامة بهم، ومرج أمر الناس.

## الخبر عن دولة السلطان أبي سعيد وما كان فيها من الأحداث

ما هلك السلطان أبو الربيع بتازى تطاول للأمر عمه عثمان ابن السلطان أبي يعقوب المعروف باسمه قضيب، واستلم النصب وأسدى في ذلك وألح، وحضر الوزراء والمشيخة بالقصر بعد هدوء من الليل، فاستشاروا بشيخ القرابة يومشذ وكبير الأعياص المرشحين العالى القعد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق، ودست أخته عربة إليهم بالوعد، وسررت إليهم الأموال.

وجاءهم عثمان ابن السلطان أبي يعقوب مستاماً، فزجروه واستدعوا السلطان أبي سعيد، فحضر وبايعوه ليثبت وأنفذ كتابه إلى التواحي والجهات باقتضاء البيعة.

وسرح ابنه الأكبر الأمير أبي الحسن إلى فاس، فدخلها غرة رجب من سنة عشر وسبعيناً، ودخل القصر واطلع على أمواله وذخريته، وفي غد ليلته أخذت البيعة العامة للسلطان بظاهر تازى علىبني مرين، وسائر زنانة القبائل والعرب والعساكر والخاشية والمولى والصنائع والصناعات والعلماء والصلحاء ونقباء الناس وعرفائهم والخاصية والدهماء.

فقام بالأمر واستوست له الملك، وفرق الأعطيات وأسى الجوانز، وتقدّم الدواوين ورفع الظلمات، وحط المغارم والملكون، وسرح أهل السجون، ورفع عن أهل فاس وظيفة الرابع وارتحل لعشرين من شهر رجب إلى حضرته، فاحتل بفاس، وقدم عليه وفود الهئنة من جميع بلاد المغرب.

ثم خرج الذي القعدة بعدها إلى رباط الفتح لتقدّم الأحوال والنظر في أحوال الرعایا، واهتم بالجهاد، وإنشاء الأساطيل للغزو في سبيل الله.

وما قضى منك الأضحى بعده، رجع إلى حضرته بفاس، ثم عقد سنة إحدى عشرة وسبعيناً لأنبيه الأمير أبي البقاء يعيش على ثغور الأندلس: الجزيرة ووندة وما إليها من المصون.

ثم نهض من المصون سنة ثلاثة عشرة وسبعيناً إلى

وانتصل الخبر بالسلطان فتلاهه بالبعث في أولئك النفر من وزعة الوزير، وضرب أعناقهم، وجعلهم عظة لمن وراءهم، فأسراها الوزير في نفسه، وداخل الحسن بن علي بن أبي الطلاق من بي عسكر بن محمد شيخ بني مرين، والمسلم له في شوارهم، وقاد الروم غنصاله المنفرد برباسة العسكر وشوكته، وكان لهم بالوزير اختصاص آخر له على سلطانه، فدعاهم إلى بيعة عبد الحق بن عثمان بن محمد بن عبد الحق كبير القرابة وأسد الأعياص، وخلع طاعة السلطان فأجابوه وبايعوا له، وتم أمرهم شيئاً.

ثم خرجنوا عاشر جادى من سنة عشر وسبعيناً إلى ظاهر البلد الجديد بمكان الرمكة، وجاهروا بالخلعان وأقاموا الآلة وبايعوا سلطانهم عبد الحق على عيون الملا وعسكروا بالعدوة القصوى من سبُو تحم بلاد العسكر، وأزاء بدوره من معاقل الحسن بن علي زعيم تلك الثورة.

ثم ارتحلوا من الغد إلى تازى وخرج السلطان في إثرهم فعسكر بسر وتلون لاعتراض العساكر، وإزاحة العلل، واحتل القروم برباط تازى، وأوندوا على موسى عثمان بن يعمراسن سلطان بني عبد الواد يدعونه إلى المظاهرة واتصال البيد، والمدد بالعساكر والأموال جنوحًا إلى التي هي آثر لديه من تفريق كلمة عدوه، فتناقل عن ذلك لمكان السلم الذي عقد له السلطان أول الدولة، وليس بين سبل القوم.

وقدم السلطان بين يديه يوسف بن عيسى الجشمي، وعمر بن موسى الفودودي في جموع كثيبة من بني مرين، وسار في ساقتهم، فانكشف القوم عن تازى وخلفوا بتلمسان صريحاً.

وحمد السلطان معبة نظره في التناقل عن نصرهم ووجد بها الحجة عليهم، إذ غاية مظاهراته إياهم أن يملكون تازى، وقد انكشفوا عنها فيشيروا من صريحة وأجاز عبد الحق بن عثمان ورحو بن يعقوب إلى الأندلس، فأقام رحوا بها إلى أن قتله أولاد ابن أبي العلاء، ورجع الحسن بن علي إلى مكانه من قبيله وعمله من مجلس السلطان بعد أن اقتضى عهده بالأمان على ذلك ولا احتل الحسن بتازى حسم الداء ومحنة أثر الشقاق، وأثخن في حاشية الخوارج

## الخبر عن انتفاضة الأمير أبي علي وما كان بينه وبين أبيه من الواقعات

كان للسلطان أبي سعيد اثنان من الولد أكبرهما لأمهه الحشيشية، وهو علي، والأخر لملوكة من سبي النصرانية وهو عمر. وكان هذا الأصغر أثراً هما لديه، وأعلقهما بقلبه منذ نشأ، فكان عليه حديباً ويه مشغوفاً.

ولما استولى السلطان على ملك المغرب، رشحه لولاية عهده، وهو شاب لم يطر شاربه، ووضعوا له القاب الإمارة، وصبر معه الجلسات والخاصية والكتاب وأمره باتخاذ العلامة في كتبه. وعقد على وزارته لإبراهيم بن عيسى اليرينياني من صنائع دولتهم وبكار المرشحين بها.

ولما رأى أخوه الأكبر أبو الحسن صاغية أبيهما اليه، وكان شديد البرور لوالديه، أخافش إليه وصار في جلته، وخلط نفسه بخاشيته طاعة لأبيه واستمرت حال الأمير أبي علي على هذا، وخطابه للملوك من النواحي وخطابهم، وهادوه وعقد الربايات، وأثبتت في الديوان ومحاسن وزاد في العطاء ونقص، وكاد أن يستبد.

ولما قفل السلطان أبي سعيد من غزاته إلى تلمسان سنة أربع عشرة وسبعين، أقام بتازى وبعث ولديه إلى فاس، فلما استقر الأمير أبو علي بفاس حدنته نفسه بالاستبداد على أبيه، وخلعه ورأوا ضده المداخلون له في المكر بالسلطان حتى يتقبض عليه، فأبى وركب الخلاف وجاهر بالخلعان ودعا لنفسه، فأطاعه الناس لما كان السلطان جعل إليه من أمرهم، وعسكر بساحة البلد الجديد برييد غزو السلطان، فبرز من تازى بعسكره يقدم رجالاً ويؤثر أخرى.

ثم بدا للأمير أبي علي في شأن وزيره، وحدثه نفسه بالقبض عليه استرابة به لما كان بلغه من المكابحة بينه وبين السلطان، فبعث لذلك عمر بن يخلف الفودوي، وتقطن الوزير لما جاء به من المكر، فتقبض عليه ونزع إلى السلطان أبي سعيد فقبله ورضي عنه، وارتحل إلى لقاء ابنه. ولحق ابنه الأمير أبو الحسن نازعاً إليه من جملة أخيه أبي مصاف السلطان وانهزم عسكره وأفلت بعد أن أصابته جراحه في يده وهن لها، ولحق بتازى فليلاً جريحاً.

ولحق ابنه الأمير أبو الحسن نازعاً إليه من جملة أخيه أبي علي بعد المخنة وفاة محبقيه، فاستبشر السلطان بالظهور والفتح،

مراکش لما كان بها من اختلال الأحوال، وخروج عدي بن هنو المفسوري، ونقضه للطاعة، فنزل به وحاصره مدة، واقتصر حصنه عنده عليه، وحمله مقيداً إلى دار ملكه، فأوردته المطبق، ثم رجع إلى غزو تلمسان، والله أعلم.

## الخبر عن حركة السلطان أبي سعيد إلى تلمسان أولى حركاته إليها

لما خرج عبد الحق بن عثمان على السلطان أبي الريبع، وتنقلب على تازى، بمظاهره الحسن بن علي بن أبي الطلاق كبير بنى عسكر، واختلف رسلهم إلى أبي حمو موسى بن عثمان سلطان بي عبد الواد، اسف ذلك بي مرين وحرك مزاجهم، ولما لحق الخارجون على الدولة بالسلطان أبي حمو وأقبل عليهم أضرم ذلك حقد بي مرين.

ولما استولى السلطان أبو سعيد الأمر وفي أنفسهم من بني عبد الواد غصة فلما استرسق أمر السلطان، ودخل الجهات المراكشية، وعقد على البلاد الأندلسية وفرغ من شأن المغرب، اعتزم على غزو تلمسان فنهض إليها سنة أربع عشرة وسبعين. ولما انتهى إلى وادي ملوية قدم ابنيه أبي الحسن وأبا علي في عسكرين عظيمين في الجناحين، وسار في ساقتهما، ودخل بلاد بي عبد الواد على هذه التالية، فاكتسح نواحيها وأصطلم نعمها، ونازل وجدة، فقاتلها قتالاً شديداً وامتنعت عليه ثم نهض إلى تلمسان فنزل بالملعب من ساحتها.

وانحجز موسى بن عثمان من وراء أسوارها، وغلب على معاقلتها ورعاياها وسائر ضواحيها، فحطمتها حطمها، ونسف جهاتها نسفاً، ودخل جبال بي زناسن وفتح معاقلتها وأثخن فيها وانتهى إلى وجدة.

وكان معه في عسكره أخوه يعيش بن يعقوب، وقد أدركه بعض الاسترابة بأمره فقر إلى تلمسان، ونزل على أبي حمو ورجع السلطان على تعبيته إلى تازى، فأقام بها.

وبعث ولده الأمير أبي علي إلى فاس فكان من خروجه على أبيه ما ذكر إن شاء الله تعالى.

وأباد سلطانه.

وأقام لبني مرين في بلاد القبلة ملكاً وسلطاناً، وانتقض على السلطان سنة عشرين وسبعيناً وتغلب على درعاً، وسما إلى طلب مراكش، فعقد السلطان على حرية أخيه الأمير أبي الحسن، وجعله إليه، وأعزاه ونهض على أمره، فاحتلوا مراكش، ونفروا أطراها وحسموا عللها، وعقد عليها لكتذور بن عثمان من صنائع دولتهم، وقتلوا بعسكرهم إلى الحضرة.

ثم نهض الأمير أبو علي سنة اثنين وعشرين وسبعيناً بجموعه من سجلamasة وأخذ السير إلى مراكش، فاحتلت عساكره بها قبل أن يجتمع لكتذور أمره، فقبض عليه وضرب عنقه ورفعه على القناة وملك مراكش وسائر ضواحيها.

وبلغ الخبر إلى السلطان، فخرج من حضرته في عساكره بعد أن احتشد وأزاح العلل، واستوفى الأعطيات، وقدم بين يديه ابنه الأمير أبا الحسن ولـي عهده والغالب على أمره في عساكره وبجوعه، وجاء في ساقته، وسار على هذه التعبية.

ولما انتهى إلى توتون من وادي ملوية نذروا بالبيات من أبي علي وجندوه، فخذلوه وأيقظوا ليلتهم، وبيتهم بعسكرهم ذلك، فنکات الذایرة عليهم، وفل عسكره، وارحلوا من اللد في أمره.

وسلك على جبال درن، وافتقرت جنوبيه في أوغاره، ولحقهم من معراجها شناعات، حتى ترجل الأمير أبو علي عن فرسه، وسعى على قدميه، وخلصوا من ورطة ذلك الجبل بعد عصب الريق، ولحق بسجلamasة، ومهد السلطان نواحي مراكش واستعمل عليها ورتب الحامية بها. وعقد على جباهي أمراء الصامدة وزواحي مراكش لموسى بن علي بن محمد الكناني، فعظم عناؤه في ذلك واضطلاعه وامتدت أيام ولايته وارتحل السلطان إلى سجلamasة، فدفعه الأمير أبو علي بالحضور في الصحف والرضي والعودة إلى السلم، فاجابه السلطان لما كان شغفه من حبه، فقد كان يؤثر عنه من ذلك غرائب، ورجع إلى الحضرة وأقام الأمير أبو علي بمكانه من القبلة إلى أن هلك السلطان، وتغلب عليه آخره السلطان أبو الحسن كما نذكره إن شاء الله تعالى.

### الخبر عن نكبة منديل الكناني ومقتله

كان أبوه محمد بن محمد الكناني من علمة الكتاب بدولة الموحدين، ونزع من مراكش عندما أخْلَىُّ نظام بن عبد المؤمن وانقض عليهم إلى مكانة، فأوطنها في إالية بني مرين، واتصل بالسلطان يعقوب بن عبد الحق فصحبه فيمن كان يتأثر على

وحيد المغبة، وأنجح الأمير أبو علي بعساكره على تازى، وسعى الخواص بين السلطان وبينه في الصلح على أن يخرج له السلطان عن الأمر ويقتصر على تازى وجهاتها، فتم ذلك بينهما وانعقد، وشهد الملا من مشيخة العرب وزنانة وأهل الأمصار، فاستحكم عقده وانكفا الأمير أبو علي إلى حضرة فاس ملكاً، وتوقفت إليه بيعة الأمصار بالمغرب ووفدهم، واستوسق أمره.

ثم اتعمل على إثر ذلك وأشتاد وجعه، وصار إلى حال الموت وخشي الناس على أنفسهم تلاشى الأمر بهلكه، فتسابلوا إلى السلطان تازى، ثم نزع على الأمير أبي علي وزيره أبو بكر بن النوان وكاتبه منديل بن محمد الكناني، وسائر خواصه، فلتحقوا بالسلطان وحملوه على تلافي الأمر، فنهض من تازى واجتمع إليه كافة بني مرين والجناد.

وعسكر على البلد الجديد وأقام محاصراً لها، وابتلى داراً لسكناه وجعل لابنه الأمير أبي الحسن ما كان لأخيه أبي علي من ولادة العهد وتقويض الأمر.

وتفرب أبو علي بطائفة من النصارى المستخدمين بدولته، كان قائدتهم يمت إليه بالخزولة، وضبط البلد مدة مرضه حتى إذا أفاق وتبين اختلال أمره، بعث إلى أبيه في الصحف والرضي، وأن ينزل له عما انتزى عليه من الأمر على أن يقطعه سجلamasة وما إليها، ويسوغه ما احتمل من المال والذخيرة من دراهم، فأجابه إلى ذلك، وانعقد بينهما سنة خمس عشرة وسبعيناً وخرج الأمير أبو علي بخاصة وحشمه، وعسكر بالزيتون من ظاهر البلد، ووفى له السلطان بما اشترط وارتحل إلى سجلamasة، ودخل السلطان إلى البلد الجديد ونزل بقصره، وأصلح شؤون ملوكه، وأنزل ابنه الأمير أبي الحسن بالدار البيضاء من قصوره، وفوض إليه في سلطانه تقويض الاستقلال، وأذن له في اتخاذ الوزراء والكتاب، ووضع العلامة على كتابه وسائر ما كان لأخيه، ووفدت إليه بيعات الأمصار بالمغرب، ورجعوا إلى طاعته.

ونزل الأمير أبو علي بسجلamasة فلما بهما ملوكاً، ودون الدواوين، واستلحق واستركب، وفرض العطايا واستخدم طراعن العرب من المعلم، وافتتح معاقل الصحراء وقصور توات وتيكوارين وتنطيط، وغزا بلاد السوس فانتهها وتغلب على ضواحيها، وأنقض في إعراضها من ذوي حسان والشبات وزكنته، حتى استقاموا على طاعته.

وبيت عبد الرحمن بن الحسن بن يدر أمير الأمصار بالسوس في تارودانت مقره، فافتتحها عليه عنوة وقتلها، واصطلم نعمته

صحابته من أعلام المغارب.

وسفر عنه إلى الملوك كما ذكرنا، في سفاراته إلى المستنصر سنة خمس وستين وستمائة وهلك السلطان يعقوب بن عبد الحق وازاد الكاتب عند ابنه يوسف حظرة ومكانة إلى أن سخطه ونكبه سبعة وستين وستمائة وأقصاه من يومئذ وهلك في حال سخطه وبقي من بعده ابنه منديل هذا في جملة السلطان أبي يعقوب مثراً بمقام عبد الله بن أبي مدين المستول على قهرمة دار السلطان ومخالصته في خلواته غضباً لذلك، متوقعاً للنكبة في أكثر أيامه ماضرمة له بالحسد جوانحه، مع ما كان عليه من القيام على حسبان الديوان عرف فيه بسبقه وشهادته به صديقه وعدوه.

ولا تغلب السلطان على ضاحية شلف وأمصار من بلاد مغراوة واستعمله على حسبان الجباية، وجعل إليه ديوان العسكر هنالك، وإن نظره اعتراضهم وتحييضمهم، فنزل على بمنياه مع من كان هنالك من الأمراء: مثل علي بن محمد الخيري والحسن بن علي بن أبي الطلاق العسكري إلى أن هلك السلطان أبو يعقوب، ورجع أبو ثابت إلى أبي زيان وأخيه أبو حمو ملوك بن عبد الواحد، ونزل لهم عنها فرجع إلى المغرب ولحق بالسلطان أبي ثابت وهو في طريقه بأبي زيان وأخيه أبي حمو، فخف عليهم، وحللا بعيونهما، واستبدلوا في تكريه وانصراف إلى مغربه.

وكان أيام معاشر السلطان يوسف بن يعقوب على تلمسان قد صحب أخاه أبي سعيد عثمان بن يعقوب في حال خوله، وتتأكدت بينهما الخلطة التي رعاهما له السلطان أبو سعيد.

فلما ولـي أمر المغرب مت بذلك إليه، فعرفه له واحتضنه وخالصه، وجعل إليه وضع علامته وحسبان جبايته، ومستخلصه أحواله، والمفاوضة بذات صدره، ورفع مجلسه، وقدمه على خاصته.

وكان كثير الصاغية للأمير أبي علي ابنه المتغلب على أبيه أول أمره، ولا استبد وخلع أباه أخاشه منديل هذا إليه، ثم نزع عنه حين تبين اختلال أمره، وكان الأمير أبو الحسن يعتقد له ولادة أخيه أبي علي لما كان بينهما من المنافسة وكان كثيراً ما يوغر صدره بإيجاب حق عمر عليه، وامتهانه في خدمته، وطوى له على النكث حتى إذا انفرد بمجلس أبيه وفضل عمر إلى سجل مسامحة أحکم السعاية فيه والآلاء في الهلكة التي أصر السلطان عليها أذناً واعية، حتى تاذن الله يهلاكه.

وكان منديل هذا كثيراً ما يغضب السلطان في المحاورة والخطاب دالة عليه وكبراً، فاعتذر عليه من ذلك كلمات وأحوالاً،

وخطه سنة ثمان عشرة وسبعيناً وأذن لابنه أبي الحسن في نكته، فأعاقله واستصفى أمواله، وطوى ديوانه وامتنحه أياماً، ثم قتله ب مجلسه ختناً، ويقال: جوعاً، وذهب مثلاً في الغابرین، والله خير الوارثين.

## الخبر عن انقضاض العزفي بسببة ومتنازله ثم مصريرها إلى طاعة السلطان بعد مهلكة

كان بني العزفي لما تغلب عليهم الرئيس أبو سعيد وتقهم إلى غربنطة سنة خمس وسبعيناً واستقروا بها في إيلال المخلوع، الثالث ملوك بني الأهر، حتى إذا استولى السلطان أبو الريبع على سبعة سنـه تسع وسبعيناً آذنوا في الإجازة إلى المغرب، وأجازوا إلى فاس، واستقروا بها وكان يحيى وعبد الرحمن ابنـا أبي طالب من سرائهم وكبارـهم، وكانتـا يغشـون مجالـس أهـل العلم، بما كانواـ علىـه من انتـحالـ الطـبـ.

وكانـ السلطـانـ أبوـ سـعـيدـ أيامـ أمـارةـ بـنـيـ أـبيـ يـجالـسـ بـالـمسـجـدـ الجـامـعـ لـلـقـرـوـيـنـ شـيـخـ الفتـيـأـ أـبـيـ الحـسـنـ الصـغـيرـ وـكـانـ يـحيـيـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ يـلـازـمـهـ، فـاتـصـلـ بـهـ وـصـارـتـ لـهـ وـسـيـلـةـ يـحـسـهـاـ عـنـهـ.

فـلـماـ ولـيـ الـأـمـرـ وـاسـتـقـلـ بـهـ، رـعـيـ لـهـ زـمـانـ صـاحـبـهـ، وـوـفـيـ لـهـ مـقـاصـدـهـ وـعـقـدـ لـيـحـيـ عـلـىـ سـبـةـ، وـرـجـعـهـ إـلـىـ مـقـرـ إـسـمـاـتـهـ مـنـهـ وـعـلـىـ رـيـاستـهـ، فـارـتـحـلـوـ إـلـيـهـ سـنـةـ عـشـرـ وـسـبـعـيـنـةـ وـأـقـامـوـاـ دـوـرـةـ السـلـطـانـ أـبـيـ سـعـيدـ وـالـزـمـرـاـ طـاعـتـهـ.

ثـمـ تـغلـبـ الـأـمـيرـ أـبـوـ عـلـيـ عـلـىـ أـبـرـ أـيـهـ، وـاسـتـبـدـ عـلـيـهـ فـعـقـدـ عـلـىـ سـبـةـ لأـبـيـ زـكـرـيـاـ جـبـونـ بـنـ أـبـيـ الـعـلـاءـ الـقـرـشـيـ، وـعـزـلـ يـحيـيـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ عـنـهـ، وـاسـتـقـدـمـهـ إـلـىـ فـاسـ قـدـمـهـاـ هـرـ وـأـبـوـ أـبـوـ طـالـبـ وـعـمـهـ حـاتـمـ، فـاسـتـقـرـوـاـ فـيـ جـلـةـ السـلـطـانـ.

وـهـلـكـ أـبـوـ طـالـبـ بـفـاسـ خـلـالـ ذـلـكـ حـتـىـ إـذـ كـانـ مـنـ خـروـجـ الـأـمـيرـ أـبـيـ عـلـيـ عـلـىـ أـبـيـ ماـ قـدـمـنـاهـ، لـحـقـ يـحيـيـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ وـأـخـوـهـ بـالـسـلـطـانـ نـازـعـنـهـ مـنـ جـلـةـ الـأـمـيرـ أـبـيـ عـلـيـ.

فـلـماـ اـحـتـلـ بـالـبـلـدـ الـجـدـيدـ وـنـازـلـهـ السـلـطـانـ بـهـ فـجـيـشـ عـقـدـ السـلـطـانـ لـيـحـيـيـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ عـلـىـ سـبـةـ، وـبـعـثـهـ إـلـيـهـ لـيـقـيمـ دـعـوـتـهـ بـتـلـكـ الـجـهـاتـ وـتـمـسـكـ بـاـبـهـ مـحـمـدـ رـهـنـاـ عـلـىـ طـاعـتـهـ، فـاسـتـقـلـ بـاـبـهـ، وـأـقـامـ طـاعـةـ السـلـطـانـ دـعـوـتـهـ بـهـ وـأـخـذـ بـعـتـهـ عـلـىـ النـاسـ، وـاتـصـلـ ذـلـكـ سـيـنـ، وـهـلـكـ عـمـهـ أـبـوـ حـاتـمـ هـنـالـكـ بـعـدـ مـرـجـعـهـ مـعـهـ مـنـ مـغـرـبـ.

وـلـسـنـةـ سـتـ عـشـرـ وـسـبـعـيـنـةـ اـنـقـضـ عـلـىـ السـلـطـانـ وـبـذـ

أفراد على سبعة، فشرعوا في بنائها سنة تسع وعشرين وسبعيناً وانكنا راجعاً إلى حضرته.

### الخبر عن استقدام عبد المهيمن للكتابة

#### والعلامة

كان بنو عبد المهيمن من بيوتات سبعة، ونسبهم في حضرة موت، وكانت أهل تحفة ووقار، متخلين للعلم. وكان أبو محمد قاضياً بسبعة أيام أبي طالب وأبي حاتم، وكان له معهم صهر.

ونشأ ابنه عبد المهيمن هنا في حجر الطب والجلالة، وقرأ صنعة العربية على الأستاذ الغافقي وحذف فيها. ولما نزلت بهم نكبة الرئيس أبي سعيد سنة خمس وسبعيناً واحتلوا إلى غرناطة، احتمل فيهم القاضي محمد بن عبد المهيمن وأبنه.

وقرأ عبد المهيمن بغرناطة على مشيختها، وازداد علمًا وبصراً باللسان والحديث، واستكتب بدار السلطان محمد المخلوع، واختص بوزيره المتغلب على دولته محمد بن عبد الحكيم الرندي فيما اختص به من رؤسائهم بني العزف.

ثم رجع بعد نكبة ابن الحكم إلى سبعة، وكتب عن قادها بن مسلمة مدة.

ولما استخلص بنو مرين سبعة سنة تسع وسبعيناً اقتصر على الكتابة، وأقام متخللاً مذاهب سلفه في اتحاد العلم ولزوم المروءة.

ولما استولى السلطان أبو سعيد على المغرب واستقل بولاية العهد، وتغلب على الأمر ابنه أبو علي، وكانت محباً للعلم مولعاً بأهله متخللاً لفتوته، وكانت دولته خلواً من صناعة الترسيل منذ عهد المرحدين للداودة الموجودة في دولتهم.

وحصل للأمير أبي علي بعض البصر بالبلاغة واللسان تقطن به لشأن ذلك، وخلو دولتهم من الكتاب المرسلين، وأنهم إنما يحكمون الخط الذي حذفوا فيه.

ورأى فيه الأصحاب تشير إلى عبد المهيمن في رئاسة تلك الصناعة، فولع به، وكان كثير الرفادة مع أهل بلده أوقات وقادتهم، فيخصه الأمير أبو علي بمزيد من سره وكرامته، ويرفع مجلسه، ويخطبه للكتابة وهو يتنعم عليه، حتى إذا أمضى عزيمته في

طاعة الأمر، ورجع إلى حال سلفه من أمر الشورى في البلد. واستقدم من الأندلس عبد الحق بن عثمان فقدم إليه وعقد له على الحرب ليفرق به الكلمة، ويوجهن بأسه عزائم السلطان في مطالبته.

وجهز السلطان إليه العساكر من بني مرين وعقد على حربه للوزير إبراهيم بن عيسى، فرحب إليه وحاصره، وتعلل عليهم بطلب ابنه، فبعث به السلطان إلى وزيره إبراهيم ليعطي الطاعة، فسلمه، وجاء الخبر من عيون كانت بالعسكر أن ابنه كان في فساطط الوزير بساحة البحر، بحيث يتأتي الفرصة في اخذه، فبيت العسكر، وهجم عبد الحق بن عثمان بخشمته وذريته على فساطط الوزير، فاحتله إلى أبيه وركبت العساكر للهبة، فلم يقفوا على خبر حتى تفقد الوزير ابن العزف، واتهموا قائدتهم إبراهيم بن عيسى الوزير ب瞖الء العدو على ذلك، فاجتمعوا مشيختهم وتقبضوا عليه، وحملوه إلى السلطان ابتلاءً للطاعة واستصاراً في نصح السلطان، فشكر لهم وأطلق وزيره لابلاء نصيحته، ورغم بخيت بن العزف بعدها في رضى السلطان وولاته.

ونهض السلطان سنة تسع عشرة وسبعيناً إلى طنجة لاختبار طاعته، فقد له على سبعة واثنتين هو على نفسه الوفاء بجيابة السلطان، وأسى هديته في كل سنة.

واستمرت الحال على ذلك إلى أن هلك بخيت العزف سنة عشرين وسبعيناً.

وقام بالأمر ابنه محمد إلى نظر ابن عميه محمد بن علي بن الفقيه أبي القاسم شيخ قرابتهم.

وكان قائد الأساطيل بسبعة ولـي النظر فيها بعد أن نزع القائد بخيت الزنادي إلى الأندلس، واختلف الغوغاء بسبعة، وانهزم السلطان الفرصة فاجمع على الهوض إليها سنة ثمان وعشرين وسبعيناً، وقادروا بإيتاء طاعتهم.

وعجز محمد بن بخيت عن المناهضة، وظنه محمد بن علي من نفسه، ف تعرض للأمر في أوغاد من اللقيق، فاجتمعوا إليه ودافعهم الملا عن ذلك، وحملوهم على الطاعة، واقتادوا بني العزف إلى السلطان فانقادوا، واحتل السلطان بقصبة سبعة، وتفق جهاتها ورم مثلثها وأصلاح خللها، واستعمل كبار رجالاته وخواص مجلسه في أعمالها، فقد حاجبه عامر بن فتح الله السدراتي على حمايتها، وعقد لأبي القاسم بن أبي مدين على جيابتها والنظر في مبانيها، وإخراج الأموال للنفقات فيها، وأسى جوائز الملا من مشيختها، ووفر إقطاعاتهم وجراباتهم، وأوزع بناء البلد المسمى

يسير فيه عشرون راكباً.

وتفطن لهم المسلمين وحرقوا قبالتهم مثله إلى أن نفذ بعضهم لبعض، واقتلوها تحت الأرض وعقد ابن الأحرار لعثمان بن أبي العلاء زعيم الأعياض على عسكر بعثه مددًا لأهل المريña، فلقيه جم من النصارى كان الطاغية بعثهم لحصار مرشانة، فهزهم عثمان واستحلّهم، وزُلّ قرباً من معسكر الطاغية والج يغادتهم ومرأوحتهم إلى أن رغبوا إليه في السلم وأفرج عن البلد. وتغلب الطاغية، خلال ذلك على جبل الفتح، وأقامت عساكره على ش蔓ة واصطبونه، وزحف العباس بن رحو بن عبد الله وعثمان بن أبي العلاء في العساكر لإغاثة البلدين، فاولع عثمان بمعسكر اصطبونه، وقتل قائدتهم الفتش بترس في نحو ثلاثة آلاف فارس واستحلّموها.

ثم زحف عثمان لإغاثة العباس وكان دخل عوجين فحاصرته جم النصارى به، فانقضوا على زحفه، وبلغ الخبر إلى الطاغية بمكانه من ظاهر الجزيرة بفتح عثمان في قومه، فسرج جم النصرانية إليه، ولقيهم عثمان فأوقع بهم، وقتل زعماءهم. وارتغل الطاغية يريد لقاءهم فخالقه أهل البلد إلى معسكره، وانتهوا بمحلات وفساططه، وأتيحت للمسلمين عليهم الكرا، وامتلأت الأيدي من غنائمهم وأسراهم.

ثم هلك الطاغية إثر هذه الهزائم سنة اثنى عشرة وسبعين وهو هراندة بن شانحة.

وولي من بعده ابنه الهشة طفلاً صغيراً، جعلوه لنظر عمه دون بطرة بن شانحة، وزعيم النصرانية جوان فكلافاً. واستقام أمرهم على ذلك، وشغل السلطان أبو سعيد ملك المغرب بشأن ابنه وخروجه، فاحتل النصرانية الغرة في الأندلس وزحفوا إلى غرناطة سنة ثمان عشرة وسبعينة وأساحروا فيها بعسكرهم وأئمهم.

وبعث أهل الأندلس صریحهم إلى السلطان واعتذر لهم بمكان أبي العلاء من دولتهم، وحمله من رياستهم، وأنه مرشح للأمر في قومه بني مرين، يخشى معه تفريح من الكلمة، وشرط عليهم أن يدفعوه إليه برمه حتى يتم أمر الجهاد، ويُعيد هو إليهم حرفة على المسلمين، ولم يكتنهم ذلك لكان عثمان بن أبي العلاء لصراطته وعصابته من قومه، فاخفق سعيهم واستحلّموها.

وأطالت أمم النصرانية بغرناطة، وطمعوا في التهامها، ثم إن الله نفس مخنفهم، ودافع بيد قدرته عنهم، وكيف لعثمان بن أبي العلاء وعصبته واقعة فيهم كانت من أغرب الواقع.

ذلك أوعز إلى عامله بسبعة سنة اثنى عشرة وسبعينة أن يشخصه إلى بابه فقلده كتابه وعلامته حتى إذا خرج أبو علي على أبيه تخيز عبد المهيمن إلى الأمير أبي الحسن، فلما صولج أبو علي على التزول عن البلد الجديد وكتب شروطه على السلطان كان من جملتها كون عبد المهيمن معه، وأمضى له السلطان ذلك وأنف الأمير أبو الحسن منها، فاتسم ليقتلته إن عمل بذلك، فرفع عبد المهيمن أمره إلى السلطان ولازمه، وألقى نفسه بين يديه، فرق الشكواه وأمره باعتزاهما معاً والرجوع إلى خدمته، وأنزله بمعسكره وقام على ذلك، واختصه منديل الكناني كبير الدولة وزعيم الخاصة، وأنكحه ابنته.

ولما تكب منديل الكناني جعل السلطان علامته لأبي القاسم بن أبي مدین، وكان غفلاً خلواً من الآداب، فكان يرجع إلى عبد المهيمن في قراءة الكتب وإصلاحها، وإن شاتها حتى عرف السلطان له ذلك، فاقتصر عليه وجعل وضع العالمة إليه سنة ثمان عشرة وسبعينة فاضطط لها ورسخت قدمه في مجلس السلطان، وارتفع صيته.

واستمر على ذلك أيام السلطان وابنه أبي الحسن من بعده إلى أن هلك بتونس في الطاعون الجارف سنة تسعة وأربعين وسبعينة والله خير الوارثين.

## الخبر عن صریح أهل الأندلس بالسلطان

### ومهلك بطرة على غرناطة

كان الطاغية شانحة بن أدفونش قد تکالب على أهل الأندلس من بعد أبيه هراندة الهاكل سنة اثنين وثمانين وسبعينة ومنذ غلب على طريف وشغل السلطان يوسف بن يعقوب بعده بيغمراسن، ثم تشاغل حفته من بعده بأمرهم وتقاصرت مدهم، وهلك شانحة سنة ثلاث وسبعين وولي ابنه هراندة ونال ز الجزيرة الخضراء فرضة الجهاد لبني مرين حولاً كاملاً، ونال ز اساطيله جبل الفتح وأشتد الحصار على المسلمين.

وراسل هراندة بن أدفونش صاحب برشلونة أن يشغل أهل الأندلس من ورائهم، ويسأخذ مجزتهم، فنال ز المريña وحاصرها الحصار المشهور سنة تسعة وسبعينة ونصب عليها الآلات.

وكان منها برج المود المشهور بطول الأسوار بمقدار ثلاث قامات، وتحيل المسلمين على إحراقه فاحرق. وحفر العدو تحت الأرض مسراً عريضاً المسافة مقدار ما

ابن عمه أبي عامر إبراهيم لضايقها.

وكان خلال ذلك ما قدمته من خروج محمد بن يوسف بن يغمراسن عليه سنة وقيام بي توجين بأمره، وقطع جبل وانشريش من عمالة ملكه.

واستمرت الحال على ذلك حتى هلك السلطان أبو حمراء ثمان عشرة وسبعين سنة وقام بأمرهم ابنه أبو تاشفين عبد الرحمن فصنع له في ابن عمه محمد بن يوسف.

ونهض إليه بعساكره بيبي عبد الواد حتى نازله بمعتصمه من جبل وانشريش ودخله عمر بن عثمان كبير بيبي تيغرين في المكر به، فقبض عليه وقتله سنة تسع عشرة وسبعينة وارتحل إلى بجاية حتى احتل ساحتها، وامتنع عليه الحاجب ابن غمر فاقام يوماً أو بعضه، ثم انكفا راجعاً إلى تلمسان، وردد العبروت إلى أوطان بجاية، وابتني الحصون لتجمير الكتاب، فابتني بسادي بجاية من أعلى حصن بكر، ثم حصن تميززدكت يليه.

ثم اخترط بيكلات على مرحلة منها بلداً سمأه تميززدكت على اسم المعلم الذي كان لأوطنه بالجليل قبلة وجدة.

وامتنع يغمراسن به على السعيد كما قدمته، فاختلط بلد بيكلات هذه، وشحنتها بالأقواف والعساكر، وصيرها ثغرًا للملك، وأنزل بها جنده، وعقد عليها لرسى بن علي العزفي كبير دولته، ودولة ابنه.

واستحوذ أمراء الكهوب من بيبي سليم للملك إفرقيية حين مغاضبتهم لمولانا السلطان أبي يحيى فأغرس معهم جيوش زنانة، وعقد على تونس للأعياص من آل أبي حفص: الأمير أبي عبد الله محمد بن أبي يحيى اللحاني، ولبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن عمران، وأبي إسحاق بن أبي يحيى الشهيد، مرة بعد أخرى كما ذكرنا في أخبارهم جميعاً.

وكانت حربهم سجالاً إلى أن كان بين جيوش زنانة الموحدين الرمح المشهور بالرياش من نواحي مرماجنة سنة تسع وعشرين وسبعينة زحفت فيه إلى السلطان أبي يحيى عساكر زنانة مع حزة بن عمر أمير بيبي كعب، ومن إليه من البدو، وعليهم يحيى بن موسى من صنائع دولة آل يغمراسن.

وقد نصبوا للملك محمد بن أبي عمران بن أبي حفص، ومعهم عبد الحق بن عثمان من أغياص بيبي عبد الحق في بنية وذويه، وكان نزع إليهم من عند الموحدين كما ذكرناه، فاختلط مصالف مولانا السلطان أبي يحيى وانهزم، واستولوا على فساطيطه بما فيها من الذخيرة والحررم، واتهبوه معسكراً، وقبضوا على

صمدوا إلى موقف الطاغية بحملتهم، وكانت زهاء مائتين أو أكثر، وصابرهم حتى خالطوه في مراكزهم، فصرعوا بطرة وجوان، وولوهم الأدب، واعتبرتهم من ورائهم مسارب الماء للشرب من شنيل فطارحوا فيها، وهلك أكثرهم، واكتسحت أمواهم، وأعز الله دينه، وأهلك عدوه، ونصب رأس بطرة بسور البلد عبرة لم يذكر، وهو باق هناك لهذا العهد، والله تعالى أعلم.

### الخبر عن شهر الموحدين والحركة إلى تلمسان على أثره وما تخلل ذلك من الأحداث

لما انفجح الحصار عن ولد عثمان بن يغمراسن بن زيان أحد ملوك بيبي عبد الواد سنة ست وسبعينة وتحفاني أبو ثابت عن بلادهم، وزُل لهم عما كان بمنها بسيوفهم.

واستقل أبو حمبلة بيبي عبد الواد على رأس الحول منها، صرف نظره واهتمامه إلى بلاد الشرق، فتغلب على بلاد مغراوة، ثم على بلاد بيبي توجين، وحاصر سلطانهم.

ولحق أعياصهم من ولد القوي بن عطيه وولد متليل بن عبد الرحمن بالموحدين آل أبي حفص مع من تبعهم من رؤوس قبائلهم، وصاروا في جلة عساكرهم.

واستلحق مولانا السلطان أبي يحيى وحاجبه يعقوب بن عمر منهم جنداً كثيناً أتباه في الديوان، وغالب بهم الخوارج والمناذعين للدوله.

ثم زحف أبو حمراء إلى الجزائر وغلب ابن علان عليها سنة ونقله إلى تلمسان ووفى له.

وفر بنو منصور أمراء ملكيش أهل بسيط نتيجة من صنهاجة، فلحقوا بالموحدين واصططوا بهم، وتملك قاصية المغرب الأوسط وناхم عمل الموحدين بعمله.

ثم تغلب على تدلس سنة اثنى عشرة وسبعينة وتحفني على مولانا السلطان أبي يحيى بما وقع بينهم من المراسلة أيام انتهاء ابن مخلوف ببجاية كما ذكرناه في أخباره، بحيث عزائمها لمنازتها وطلب بلاد الموحدين، وأوطأ عساكره أرضهم، وناسلوا مصادرهم بجاية وقسطنطينة.

واختص بجاية بشوكته من ذلك، وجهز العساكر مع مسعود

لركرها وحمل أثقالها، وصيغت حكمات الذهب والفضة وقدرت  
ولايا الخير المغشاة بالذهب، واحتفل لوفداتها وأعراسها غابة  
الاحتفال بما لم يسمع مثله في دولتهم  
وتولت قهارمة الدار من عجز من النساء ما يتولاه مثلهم  
من ذلك الصنيع، وتحدث الناس به، وهلك السلطان أبو سعيد بن  
يدي موصلها، والبقاء لله وحده.

### الخبر عن مهلك السلطان أبي سعيد عفا الله عنه وولاية ابنه السلطان أبي الحسن وما تخلل ذلك من الأحداث

كان السلطان لما بلغه وصول العروس بنت مولانا السلطان  
أبي يحيى سنة إحدى وثلاثين وسبعين واهتزت الدولة لقدومها  
عليهم تعظيمًا لحق أيتها وقومها واحتفاء بها، ارتحل السلطان أبو  
سعيد إلى تازى ليشارف أحواها بنفسه احتفاء في تكريها وسروراً  
بعرس ابنه.

واعتل هنالك ومرض حتى أشفى على الملائكة، وارتحل به  
ولي العهد الأمير أبو الحسن إلى الحضرة، وحله في فراشه على  
اكتاف الحاشية والخول، حتى نزل بسبو، ثم دخله كذلك ليلاً إلى  
داره، وأدركه الميت في طرفة، فقضى رحمة الله عليه، فوضعوه  
بمكانه من البيت.

واستدعي الصالحين لمواراته، ففوراً لشهر ذي الحجة من  
سنة إحدى وثلاثين وستمائة والبقاء لله وحده، وكل شيء هالك  
إلا وجهه.

ولما هلك السلطان أبو سعيد اجتمع الخاصة من المشيخة  
ورجالات الدولة لولي عهده الأمير أبي الحسن، وعقدوا له على  
أنفسهم، وآتوه طاعتهم ويعتهم، وأمر بنقل معسركه من سبو  
وأضرب بالزيتون من ساحة فاس.

ولما ووري السلطان، خرج إلى معسركه بالتعيبة، واجتمع  
إليه الناس على طبقاتهم لأداء البيعة، وجلس بقططاطه، وتولى  
أخذ البيعة له يومئذ على الناس المزارع عبو بن قاسم رئيس  
الوزعة والمتصوفين وحاجب الباب القديم الولالية بذلك في دارهم  
منذ عهد السلطان يوسف بن يعقوب.

وزفت إليه ليلتذ عروسه بنت السلطان أبي يحيى، فأعراض  
بها بمكانه من المعسكر، واجع أمره على الانتقام لأبيها من عدوه.

ولديه المؤلين أحد وعمر، وأشخاصهما إلى تلمسان.  
وأصيب السلطان في بدنـه بجراحات أوهـته، وخلص إلى  
بونـة ناجـياً بـرمـقة، وركـب السـفينـ منها إلى بـجاـية، فـاقـامـ بهاـ بـدامـلـ  
جـراحـهـ، واستـولـت زـانـةـ عـلـىـ توـنـسـ.  
ودـخلـهاـ مـحمدـ بـنـ أـبـيـ عـمـرانـ وـسـمـوـهـ باـسـمـ السـلطـانـ  
وـمـقـادـهـ فيـ يـدـ يـحـيـيـ بـنـ مـوسـىـ أـمـرـ زـانـةـ.

وـاعـتـزـمـ مـولـانـاـ السـلطـانـ أـبـيـ يـحـيـيـ عـلـىـ الرـفـادـ عـلـىـ مـلـكـ  
المـغـربـ السـلطـانـ أـبـيـ سـعـيدـ بـنـ فـيـضـ صـرـيـخـ عـلـىـ آـلـ يـغـرـاسـ.  
وـأـشـارـ حـاجـبـ مـحـمـدـ بـنـ سـيـدـ النـاسـ يـافـنـادـ أـبـنـ الـأـمـرـ أـبـيـ  
زـكـرـيـاـ صـاحـبـ التـغـرـ استـكـافـ لـهـ عـنـ مـلـهـاـ، فـقـبـلـ إـشـارـتـهـ وـأـرـكـبـ  
أـبـنـ الـبـحـرـ لـذـلـكـ.

وـبـعـدـ إـلـيـهـ مـعـهـ أـبـاـ مـحـمـدـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ تـافـرـاكـينـ مـنـ مـشـيخـةـ  
الـمـوحـدـينـ نـافـضاـ أـمـامـهـ طـرـقـ المـقـاصـدـ وـالـجـاـزوـاتـ، وـنـزـلـواـ بـغـاسـةـ  
مـنـ سـوـاـحـلـ الـمـغـربـ، وـقـدـمـواـ عـلـىـ السـلطـانـ أـبـيـ سـعـيدـ بـحـضـرـتـهـ،  
وـأـبـلـغـهـ صـرـيـخـ مـوـلـانـاـ السـلطـانـ أـبـيـ يـحـيـيـ، فـاهـتـرـلـذـلـكـ هوـ وـابـنـهـ  
الـأـمـرـ أـبـيـ الـحـسـنـ، وـقـالـ لـلـأـمـرـ فـيـ ذـلـكـ الـمـحـفـلـ: يـاـ بـنـ لـقـدـ أـكـبرـ  
قـوـمـنـاـ قـدـصـكـ وـمـوـصـلـكـ، وـالـلـهـ لـأـبـلـذـلـنـ فـيـ مـظـاهـرـكـمـ مـالـيـ وـقـوـمـيـ  
وـنـفـسـيـ، وـلـأـسـرـينـ بـعـسـاـكـريـ إـلـىـ تـلـمـسـانـ فـانـزـهـاـ مـعـ أـيـكـ.  
فـانـصـرـفـواـ إـلـىـ مـنـازـلـ مـسـرـورـينـ.

وـكـانـ فـيـماـ شـرـطـهـ عـلـيـهـ السـلطـانـ أـبـيـ سـعـيدـ مـسـيرـ مـوـلـانـاـ  
الـسـلطـانـ أـبـيـ يـحـيـيـ إـلـىـ مـنـازـلـ تـلـمـسـانـ مـعـ فـقـلـواـ.  
وـنـهـضـ السـلطـانـ أـبـوـ سـعـيدـ إـلـىـ تـلـمـسـانـ سـنـةـ ثـلـاثـيـنـ  
وـسـبـعـمـائـةـ وـلـاـ تـنـهـيـ إـلـىـ وـادـيـ مـلـوـيـةـ وـعـسـكـرـ بـصـرـةـ، جـاءـهـمـ الـخـبرـ  
الـيـقـيـنـ بـاستـيـلاءـ السـلطـانـ أـبـيـ يـحـيـيـ عـلـىـ حـضـرـةـ توـنـسـ، وـإـجـاهـهـ  
زـانـةـ وـسـلـطـانـهـمـ عـنـهـ.

وـاسـتـدـعـيـ مـوـلـانـاـ السـلطـانـ الـأـمـرـ أـبـاـ زـكـرـيـاـ يـحـيـيـ أـبـنـهـ وـوزـيرـهـ  
أـبـاـ مـحـمـدـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ تـافـرـاكـينـ وـأـمـرـهـ بـالـنـصـرـافـ إـلـىـ صـاحـبـهـ  
وـاسـىـ جـوـاـزـهـمـ وـحـاجـاتـهـمـ، وـرـكـبـواـ اـسـاطـيلـهـمـ مـنـ غـاسـةـ  
وـأـرـسـلـ مـعـهـ لـلـخـطـبـةـ وـالـصـهـرـ إـبـرـاهـيمـ بـنـ أـبـيـ حـاتـمـ الـعـزـيـ  
وـالـقـاضـيـ مـخـضـرـتـهـ أـبـاـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ عـبـدـ الرـزـاقـ، وـانـكـفـاـ عـلـىـ عـقـبـهـ  
رـاجـعـاـ إـلـىـ حـضـرـتـهـ.

وـلـاـ انـقـدـ الصـهـرـ بـنـ الـأـمـرـ أـبـيـ الـحـسـنـ، وـالـسـلطـانـ أـبـيـ  
يـحـيـيـ فـيـ اـبـنـهـ شـيـقـةـ الـأـمـرـ يـحـيـيـ، زـفـهاـ إـلـيـهـ فـيـ اـسـاطـيلـهـ مـعـ مـشـيخـةـ  
مـنـ الـمـوحـدـينـ: كـبـرـهـمـ أـبـوـ القـاسـمـ بـنـ عـتـنـ، وـوـصـلـواـ بـهـاـ إـلـىـ مـرـسـىـ  
غـاسـةـ سـنـةـ إـحـدىـ وـلـلـاثـيـنـ بـنـ يـدـيـ مـهـلـكـ السـلطـانـ أـبـيـ سـعـيدـ،  
فـقـامـواـ بـهـاـ عـلـىـ إـقـدـامـ الـبـرـ وـالـكـرـمـ، وـيـعـشـواـ الـظـهـرـ إـلـىـ غـاسـةـ

## الخبر عن انقضاض الأمير أبي علي ونهوض السلطان أبي

والعرب والبرير وسائر الحشود، فخرموا عمرانها واتهوا ما كان من الأقوات مختزناً بها، وكان جمراً لا يدرك ساحله، لما كان السلطان أبو حمو من لدن اختطها قد أوعز إلى العمال بسائر البلاد الشرقية، من عمل البطحاء أن ينقلوا عشرات الحبوب إليها وسائر الأقوات، وتقبل ابنه السلطان أبو تاشفين منهبه في ذلك.

ولم يزل دأبهم إلى حين حلت بها هذه الفاقرة فانتهب الناس من تلك الأقوات ما لا كفاه له.

وأضرعوا مخطتها بالأرض فنسفوا نسفاً، وذرواها قاعاً صفصحاً.

والسلطان أبو الحسن خلال ذلك متشفوف لأحوالهم متظاهر قدوم مولانا السلطان أبي يحيى بعساكره عليه لمنازلة تلمسان، حتى وفاه الخبر بانقضاض أخيه كما نذكره، فانكنا راجعاً، واتصل الخبر بمولانا السلطان أبي يحيى ففقل إلى حضرته.

وحمل البطروي معه وأسرى جائزته وجوائز عسكره، وانصرفا إلى السلطان مرسلهم في شفهم من ساعتها، وانقبض عنان السلطان أبي تاشفين عن غزو بلاد الموحدين إلى أن انقرض أمره، وبالبقاء لله وحده.

## الخبر عن انقضاض الأمير أبي علي ونهوض السلطان أبي الحسن إليه وظفره به

لما توغل السلطان أبو الحسن في غزوة تلمسان وتجاوزها إلى تراسلة لوعد مولانا السلطان أبي يحيى، دس أبو تاشفين إلى الأمير أبي علي في اتصال اليد والاتفاق على السلطان أبي الحسن، وأن يأخذ كل واحد منها بمجزته عن صاحبه متى هم به، وانعقد بينهما على ذلك.

وانقضض الأمير أبو علي على أخيه السلطان أبي الحسن، ونهض من سجلماسة إلى درعة فقتل بها عامل السلطان، واستعمل عليها من ذويه، وسرج العسكر إلى بلاد مراكش. واتصل الخبر بالسلطان وهو بعساكره بتراسلة، فأحافظه شأنه، وأجمع على الانتقام منه، فانكنا راجعاً إلى الخضراء.

وأنزل بنشر تاوريرت تخم عمله عسكراً، وعقد عليه لابه تاشفين، وجعله إلى نظر وزيره متليل بن حامة بن تيريفين، وأخذ السير إلى سجلماسة، فنزل عليها وأحاطت عساكره بها، وأخذ بمختفتها وحشد الفعلة والصنائع لعمل الآلات لحصارها، والبناء بساحتها.

وبدأ باستكشاف حال أخيه أبي علي، وكان السلطان أبواه مما يستوصيه به لما كان له بقبيله من العلاقة.

وكان ولـ العهد هذا يؤثر لرضاه جهده، فاعتزم على الحركة إلى سجلماسة لمشاركة أحواله، والله تعالى أعلم.

## الخبر عن حركة السلطان أبي الحسن إلى

سجلماسة وانكفاء عنها إلى تلمسان بعد

### الصلح مع أخيه والاتفاق

لما هلك السلطان أبو سعيد وكملت بيعة السلطان أبي الحسن، وكان كثيراً ما يستوصيه بأخيه أبي علي لما كان كلفاً به شفوقاً عليه، فاراد مشارقة أحواله قبل النهوض إلى تلمسان، فارتحل معسكته بالزيتون قاصداً سجلماسة، وتلقته في طريقه وفود الأمير أبي علي أخيه مؤدياً حقه، موجباً بمراته، مهنتاً له بما آتاه الله من الملك، متغافلاً عن المزارعة فيه، قانعاً من تراث أبيه بما حصل في يده، طالباً العقد له بذلك من أخيه.

فأجابه السلطان أبو الحسن إلى ما سأله، وعقد له على سجلماسة وما إليها من بلاد القبلة كما كان له عهد أبيهما.

وشهد الملاً من القبيل وسائر زناته والعرب، وانكفاء راجعاً إلى تلمسان لإجازة صريح الموحدين، وأخذ السير إليها.

ولما انتهى إلى تلمسان تكب عنها متجاوزاً إلى جهة الشرق لوعد مولانا السلطان أبي يحيى بالتزول معه على تلمسان، كما كان عليه وفاقهم ومشارطتهم مع الأمير أبي زكريا الرسول إليهم. فاحتل بتراسلة في شعبان من سنة اثنين وثلاثين وسبعينة وتلزم بها وأوعز إلى أساطيله بمراسيم المغرب فاذدوا إلى سواحل تلمسان.

وجهز لمولانا السلطان أبي يحيى مددًا من عساكره أركبهم الأساطيل من سواحل وهران، وعقد عليهم محمد البطري من صنائع دولته، وزلزوا بجایة، ووافوا بها مولانا السلطان أبي يحيى فصاروا في جملته.

ونهضوا معه إلى تيكلاط نفر بني عبد الرواد الجمرة بها الكتاب لحصار بجاية، وبها يومذ ابن هزرع من قوادهم، وأجفل من كان بها من العسكر قبل وصوله إليهم، فلحقوا بأخر عملهم من المغرب الأوسط.

وأناخ مولانا السلطان أبو يحيى عليها بعساكره من الموحدين

وأقام يغاديه القتال ويرواحها حولاً كريتاً.

ونهض أبو تاشفين في عساكره وقمه إلى ثغر المغرب ليوطنه عساكره، وبعث في نواحيه بعذاب السلطان عن مكانه من حصاره.

ولما انتهى إلى تاوريرت بربز إليه ابن السلطان في وزرائه وعساكره، وزحفوا إليه في التعبية، فاحتل مصافه وانهزم ولم يلتقي أحداً، وعاد إلى منتجذه ويادر إلى إمداد الأمير أبي علي بعسكته، فقد على حصة من جنده وبعث بهم إليه، فتسربوا إلى البلد زرافات ووحداناً حتى استكملاً عنده، وظاظهم السلطان الحصار وإنزل بهم أنواع الحرب والنكال حتى تغلب عليهم، واقتصرم البلد عنده، وتبقى على الأمير أبي علي عند باب قصره، وسيق إلى السلطان فاملهه واعتقله، واستولى على ملكه.

وعقد على سجله سلامه واستعمل عليهما، ورحل متكتفاً إلى الحضرة، فاحتل بها سنة ثلاثة وثلاثين وسبعيناً واعتقل أخاه في إحدى حجر القصر إلى أن قتله لأشهر من اعتقاله ختنا بمحبسه.

وعذر له هذا الفتح بفتح الجبل واسترجاعه من يد العدو ودمره الله بآيدي عساكره، وتحت راية ابنه أبي مالك، كما ذكره إن شاء الله تعالى.

### الخبر عن منازلة جبل الفتح واستئثار الأمير

#### أبي مالك وال المسلمين به

لما هلك السلطان أبو الريد ابن الرئيس أبي سعيد المثلب على ملك الأندلس من يد ابن عمه أبي الجيوش، قام بالأمر من بعده ابنه محمد طفلأً صغيراً لنظر وزير محمد بن الحروق من بيوت الأندلس وصنائع الدولة، واستبد عليه.

فلما شب وناهز أنف من الاستبداد عليه، وأغراه المعلوجي من حشمته بالوزير، فاغتاله وقتله سنة تسع وعشرين وسبعيناً وشمر للاستبداد وشد أواخي الملك.

وكان الطاغية قد أخذ جبل الفتح سنة تسع، وجاورت الصريانية به ثخور الفرضة، وكان شجاعاً في صدرها، وأهمل المسلمين شأنه.

وشغل عنهم صاحب المغرب بما كان فيه من فتنه ابنه، فرجعوا الجزيرة وحصونها إلى ابن الأخر منذ ستة اثنين عشر وسبعيناً لأول المائة الثامنة.

واستغلوا الطاغية عليهم بعد ذلك فرجعوا الجزيرة إلى

صاحب المغرب سنة تسع وعشرين وسبعيناً وول عليها السلطان أبو سعيد من أهل دولته سلطان بن مهلهل من عرب الخلط أخواله.

وأوفَّ الطاغية إلى حصونها عند مهلك السلطان أبي سعيد فملك أكثرها، ومنع البحر من الإجازة، وقارن ذلك استبداد صاحب الأندلس، وتله لوزيره ابن الحروق، وأهمه شأن الطاغية، فبادر إلى إجازة البحر.

ووفد على السلطان أبي الحسن بدار ملكه من فاس سنة اثنين وثلاثين وسبعيناً فاكيبر موصله واركب الناس للقاء، وإنزله ببروض المصارة لصق داره، واستبلغ في تكريمه.

وفاوضه ابن الأخر في شأن المسلمين وراء البحر، وما أهمهم من عدوهم، وشكاه إليه حال الجبل واعتراضه شجاع في صدر الغور، فاشكاه السلطان، وعامل الله في أسباب الجهاد، وكان مشغوفاً به متقبلاً مذهب جده يعقوب فيه.

وعقد لابنه الأمير أبي مالك على خمسة آلاف من بني مرین، وأنفذه مع السلطان محمد بن إسماعيل لمنازلة الجبل، فاحتل الجزيرة، وتتابع إليه الأسطول بالمدد.

وارسل ابن الأخر حاشرين في الأندلس، فتسابلوا إليه، وأضربوا عساكرهم جميعاً بساحة الجبل، وأبلوا في حربه ومنازله البلاط الحسن، إلى أن تغلبوا عليه سنة ثلاثة وثلاثين وسبعيناً واقتحموا المسلمين عنوة، ونقلهم الله من كان به من الضرار بما معهم، وفواه الطاغية بأيمان الكفر ثلاثة فتحه، وقد شحنه المسلمين بالأقواف، نقلوها من الجزيرة على خيولهم، وياشر نقلها الأمير أبو مالك وابن الأخر، فنقلها الناس عامه.

وتخير الأمير أبو مالك إلى الجزيرة وترك بالجبل مجيسى بن طلحة بن مخلصى من وزراء أبيه.

ووصل الطاغية بعد ثلاثة فاتح عليه، ويرز أبو مالك بعساكره، فنزل قلاته وبعث إلى الأمير أبي عبد الله صاحب الأندلس، فوصل مجشد المسلمين بعد أن درخ أرض النصرانية. وخرج فنزل ببازلاء عسكر الطاغية، وتحصن العدو في علتهم.

وأقاموا كذلك عادية لقرب العهد بارتجاعه، وخفة ما به من الخامة والسلاح، فبادر السلطان ابن الأخر إلى لقاء الطاغية. وسبق الناس إلى فسطاطه عجلأً بائعاً نفسه من الله في رضي المسلمين، وسد فرجتهم، فقتلها الطاغية راجلاً حاسراً

## الخبر عن حصار تلمسان وتغلب السلطان أبي الحسن عليهما

وتواترت إليه إمداد النواحي وجهاتها وحشودها، وربض على فريسته، ووفدت إليه قبائل مغراوة وبني توجين فثاروه طاعتهم.

ثم سرح عساكره إلى الجهات فتغلب على وهران وهنین، ثم على مليانة وتنس والجزائر كذلك سنة ست وثلاثين وسبعين، ونزع إلى يحيى بن موسى صاحب القاصية الشرقية من عمله، والماخ كأن لعمل الموحدين، والقائم بمحصار مجاهي بعد نكبة موسى بن علي فلقاه مبرأ وتكريعاً، ورفع مجلسه في بساطه ونظمه في طبقات وزرائه وجلساته.

وعقد على فتح البلاد الشرقية ليحيى بن سليمان العسكري الكبير بنى عسكر بن محمد وشيخ بنى مرین، وصاحب شوراهم بمجلس السلطان، والمخصوص بالصهر من السلطان، عقد له على ابنته فسارة في الألوية والجنود وطوع ضاحية الشرق وقبائله، وافتتح أمصاره حتى انتهى إلى المرينة.

ونظم البلاد في طاعة السلطان، وأخذ مقاتلتها إلى معسكته فلحقوا له وكثروا جنوده.

واستعمل السلطان على وانشريش وعمل الخشم من بنى توجين.

وعقد لسعد بن سلامة بن علي على كل بنى بدللتن، وجعل الوالي بالقلعة إلى نظره، وكان خلص إليه بالغرب قبل فصله نازعاً عن أبي تاشفين لمكان أخيه قريعه محمد من الدولة. واستعمل السلطان أيضاً على شلف وسائر أعمال المغرب الأوسط.

واختط السلطان بغربي تلمسان البلد الجديد لسكناه، ونزل عساكره وسماء المصورية، وأدار على البلد المخروب سياجاً من السور ونطاقاً من الخندق، ونصب المجانق والآلات من رراء خندقه وشيد قبالة كل برج من أبراج البلد برجاً على ساقه خندقة ينضح رمانه بالليل رماتهم، ويشغلونهم بأنفسهم حتى شيد برجاً آخر أقرب منه، وترتفع شرفاته فوق خندقهم.

ولم يزل يتقارب بوضع الأبراج من حد إلى ما بعده، حتى اختطفها من قرب على ساقه خندقهم.

وتماصل المقاتلة بالسيوف من أعلىها، ورتب المجانق إلى رجها ودكها، فنالت من ذلك فوق الغاية، واشتد الحرب وضاق نطاق الحصار.

وكان السلطان يصحبهم كل يوم بالبكور والتطوراف على

اعظاماً لوصله، وأجابه إلى ما سأله من الإفراج عن هذا العقل، وألحنه بذخائر مما لديه، وارتحل لنوره.

وأخذ الأمير أبو مالك في تنفيذ أطراف الثغر، وسد فروجه، وأنزل الحامة به، ونقل الأقوات إليه، وكان فتحاً طرق دولة السلطان أبي الحسن قلادة الفخر إلى آخر الأيام.

ثم رجع بعدها إلى شأنه من منازلة تلمسان وحصاره، كما سندكره إن شاء الله تعالى.

## الخبر عن حصار تلمسان وتغلب السلطان

### أبي الحسن عليها وانقراض أمر بنى عبد الواد بهلك أبي تاشفين

لما تغلب السلطان على أخيه وحسم علة انتزاعه ومنازعته وسد ثغور المغرب، وعظمت لديه نعمة الله بظهور عساكره على النصرانية، وارتجاع جبل الفتح من أيديهم بعد أن أقام في ملكة الطاغية نحواً من عشرين سنة، فرغ لعدوه وأجمع على غزو تلمسان.

ووفد عليه رسول السلطان أبي يحيى في سيل التهنة بالفتح والأخذ بمحجة أبي تاشفين على التغور.

وأوفد السلطان إلى أبي تاشفين شفاعة في أن يتخلص عن عمل الموحدين جلة، ولتراجع لهم عن تدليس، ويرجع إلى تحرم عمله منذ أول الأمر، ولو عانته ليعلم الناس جاء السلطان عند الملوك، ويقدروه حق قدره، واستكشف أبو تاشفين مع ذلك وليج وأغاظل للرسل في القسوة، وأفحش مجلسه بعض السفهاء من العبيد في الرد عليهم والنيل من مرسليهم، فانقلبوا إليه بما أحظوا، فابتلاع عزائم السلطان للصمود إليهم.

وعساكر بساحة البلد الجديد، وبعث وزراؤه إلى قاصية البلاد الراكشية لخشد القبائل والعساكر، ثم تعجل فاعترض جنوده وأزاح عللهم وعيي مواكبهم، وسار في التعبية، وفصل بمعسكره من فاس أواسط خمس وثلاثين وسبعينة وسار بغير الشوك والمدر من أمم المغرب وجنوده، ومر بوجدة، فجمر الكتاب لحصارها.

ثم من بدرومة فقاتلها بعض يوم واقتصرها، فقتل حاميتها واستولى عليها آخر سنة خمس وثلاثين وسبعينة ثم سار على تعبية حتى أناخ على تلمسان، وبلغه الخبر بتغلب عساكره على وجدة سنة ست وثلاثين وسبعينة فلauerz إلى بتخريب أسوارها، فاضر عرها بالأرض.

وذكره بما نال الناس من النهب، فركب لذلك بنفسه وسكن وأوزع جنوده وأشياعه من الرعية، وقبض أيديهم عن الفساد وعاد إلى مسكنه بالبلد الجديد.

وقد كمل الفتح وعز النصر، وشهد ذلك اليوم أبو محمد عبد الله بن تافراكن، وإفاه رسولًا عن مولانا السلطان أبي يحيى مجددًا للمهد، وكاد أن يتزل عن فرسه هو ووليه عريف بن جيسي أمير سويد.

ودخل تونس لسبعين عشرة ليلة من زينة الفتح، فعظم السرور عند السلطان أبي يحيى بهلك عدوه والاتقام منه بشارة، واعتها بمساعيه.

ورفع السلطان أبو الحسن القتل عنبني عبد الواد أعدائهم، وشفى نفسه بقتل سلطانهم، وغفا عنهم وأثبthem في الديوان، وفرض لهم العطايا، واستبعدهم على راياتهم وماراكزهم.

ووجع كلمةبني واسين منبني مرين وبني عبد الواد وتوجين، وسائر زنانة وأنزلهم ببلاد المغرب وسد بكل طائفة منهم ثغراً من أعمالها، وساروا عصباً تحت لوائه، فأذل منهم بقاصية السوس وببلاد غماره، وأجاز منهم إلى ثنور عمله بالأندلس حامية ومرابطين، واندرجا في جلته، واسع نطاق ملكه.

وأصبح ملك زنانة بعد أن كان ملكبني مرين وسلطان العدوتين بعد أن كان سلطان المغرب.

## الخبر عن نكبة الأمير عبد الرحمن بمحنة وتقضي السلطان عليه ثم مهلكه آخرًا

قد قدمنا ما كان من اشتراط السلطان أبي سعيد على الموحدين منازلتهم، تلمسان مع عساكره، وتلوم السلطان أبي الحسن بناسلة لانتظار مولانا السلطان أبي يحيى.

ولما نازل تلمسان بعساكره المرة الثانية، لم يطالبهم بذلك.

وكان أبو محمد بن تافراكن يتردد إليه وهو بعسكره من حصار تلمسان مؤدياً حقه مستجبراً مآل عدوهم.

فلما تغلب على تلمسان أسر إليه سفيره أبو محمد بن تافراكن بآن سلطانه قاد عليه للقائه وتهنته بالظفر بعده.

وتشرف السلطان أبو الحسن إليها لما كان يحب الفخر يعني به، وارتحل من تلمسان سنة ثمان وثلاثين وسبعين، وعسكر ببساطة ممتليءاً وفادة مولانا السلطان أبي يحيى عليه.

البلد من جميع جهاته لفقد المقاتلة في مراكزهم، وربما ينفرد في طواوه بعض الأيام عن حاشيته، فاحتلوا الأمر بحسبونه غرة.

وصفو جيوشهم من وراء السور مما يلي الجبل المطل على البلد، حتى إذا حاذأه السلطان في طريقه فتحوا أبوابهم، وأرسلوا عليه عقبان جنودهم، واضطربوا إلى سفح الجبل حتى لحق بأوغاره، وكاد أن يتزل عن فرسه هو ووليه عريف بن جيسي أمير سويد.

ووصل الصائح إلى المعسكر فركب الأميران ابنه: أبو عبد الرحمن وأبو مالك، في جموعبني مرين، وتهافت فرسان المعسكر من كل جانب، فشمر جنودبني عبد الواد إلى مراكزهم، ثم دفعوهم عنها، وحملوهم على هوة الخندق فطارحا فيه وترادفوا وهلك بالحظوظ أكثر من هلك بالقتل.

واستلجم في ذلك اليوم زعماء ملاجهم مثل عمر بن عثمان كبار الخصم منبني توجين، ومحمد بن سلامة بن علي كبيربني يدللن منهم أيضاً وغيرهم، وكان يوماً له ما بعده، واعتزلبني مرين عليهم من يومئذ، ونذربني عبد الواد بالتعجب عليهم، واتصلت الحرب مدة عامين.

ثم اقتحمها السلطان غالباً لسبعين وعشرين من رمضان سنة سبع وثلاثين وسبعين، ووقف أبو تاشفين بساحة قصره مع خاصته، وقاتل هنالك حتى قتل ابنه عثمان ومسعود ووزيره موسى بن علي وولي عبد الحق بن عثمان بن محمد من أعيان عبد الحق، نوع إليه من جلة الموحدين كما أشرنا إليه ونستوري خبره، فهلك هو وابنه وابن أخيه، وأختت السلطان أبا تاشفين الجراحة ووهن لها، فقضى عليه.

واحتقى بعض الفرسان إلى السلطان فلقيه الأمير أبو عبد الرحمن صالي تلك الحروب وأورد غمرتها بنفسه، فاعتربه وقد غض الطرف عوكمه، فأمر به في الحين فقتل، واحتز رأسه، وسخط ذلك السلطان من فعله لحرمه على توبخه وتقريعه، وذهب مثلاً في الغاربين.

واقتحم السلطان بكلفة عساكره، وتراقع الناس بباب كشوط جنوبهم من كظيط الزحام، فهلك منهم أمن.

وانطلققت أيدي النهب على البلد فلحقت الكثير من أهله معرات في أماواهم وحرفهم، وخلص السلطان إلى المسجد الجامع مع ملة من خواصه وحاشيته.

واستدعى شيخ الفتيا بالبلد: أبو زيد وأبو موسى ابن الإمام، وفاء بحق العلم وأهله، فخلصوا إليه بعد الجهد ووعظوه

وأنفذ السلطان حاجبه علال بن محمد فقضى عليه.

ولحق وزيره زيان بن عمر الوطاسي بالموحدين فأغاروه، ورضي السلطان صبيحة نزوح أبي عبد الرحمن عن أخيه أبي مالك، وعقد له على ثور عمه بالأندلس، وصرفه إليها، وانكفا إلى تلمسان، والله أعلم.

### الخبر عن خروج ابن هيدور وتليسه بأبي عبد الرحمن

عبد الرحمن

لما تقبض السلطان على ابنه عبد الرحمن وأودعه السجن، تفرق خدمه وحشمه وانذروا في الجهات.

وهم جازر من مطيخه، كان يعرف بابن هيدور، كان شيئاً له في الصورة، فلتحق بيئي عامر من زغبة، وكأنها لذلك العهد منحرفين عن الطاعة، خوارج على الدولة لما كان السلطان وأبواه قد اختصاً عريف بن يحيى أمير بيئي سعيد أقفالهم، منذ نزع إليهم عن أبي تاشفين، فركبوا سنن الخلافة وليسوا جلة الفساق، وانتبذوا بالفقار، ورباستهم لذلك العهد لصغير بن عامر، وإخوته.

وعقد السلطان على حربهم لونزمار ابن ولبه عريف، وكان سيد البدو يومئذ، فجمع لهم وشمر لطلبهم، وأبعدوا إمامه في المذاهب، وأوقع بهم مراراً.

ولحق بهم هذا الجازر، وانتسب لهم إلى السلطان أبي الحسن وأنه أبو عبد الرحمن ابنه النازع عنه، فشيء لهم وباعوه وأجلبوا به على نواحي المدينة.

ويرز إلىهم قائدتها مجاهد من صنائع الدولة، ففضلوا جمعه وانهزم أمامهم.

ثم جمع لهم ونزمار وفرروا عن تلك التراخي وافتلق جمعهم، ونبذوا لذلك الجازر عهده، فلتحق بيئي براتن من زواوة، ونزل على سيدتهم شمشي فقامت بأمره، وحمل بتوها من بيئي عبد الصمد قومهم على طاعته.

وشاع في الناس خبره: فمن مصدق ومن مكذب حتى تبيّنت حاله ووقفوا على كتبه في اتسابه، فنبذوا عهده ولحق بالدواودة أمراء رياح، ونزل على سيدتهم يعقوب بن علي، وانتسب له في مثل ذلك السبب، فاجراه إلى أن صدق نسبه.

وأوزع السلطان إلى مولانا السلطان أبي يحيى في شأنه، فبعث إلى يعقوب بن علي فيه وأرسل إليه زيان بن عمر وزير أبي

وتкаسل السلطان عنها لما أراه سيفه المتحكم في دولته محمد بن الحكيم من حذر مغبها، وقال له: إن لقاء سلطانين لا يتحقق إلا في يوم على أحدهما، فكره ذلك السلطان وتقاعد عنه. وطال مقام السلطان أبي الحسن في انتظار الموعد الذي ألقى إليه أبو محمد بن تافراين، وأعتقل لأشهر من مقامه ومرض بفسطاطه، وتحدث أهل المعسكر بهلهلكه.

وكان ابنه الأمير أبو عبد الرحمن وأبو مالك متباuginين في ولاية عهده منذ أيام جدهما أبي سعيد.

وكان السلطان قد جعل لهما من أول دولته ألقاب الإمارة وأحوالها من أتخاذ الوزراء والكتاب وضع العلامة وتدوين الدواوين وإثبات العطاء.

واستلحاق الفرسان والانفراد بالعساكر، فكانا من ذلك على ثيج، وجعل لهما مع ذلك الجلوس لمقعد فصله، مناوية لتنفيذ الأوامر السلطانية، فكانا لذلك ردفين له في سلطانه.

ولما اشتد وجع السلطان تشتت سماسة الفتنة بين هذين الأمرين وحزب أهل المعسكر لهما أحراياً، ويث كل واحد منها المال وحمل على التبريات، وصارت شيئاً وانقسموا فرقاً.

وهم الأمير أبو عبد الرحمن بالتوثب على الأمر قبل أن يتبيّن حال السلطان بإغراه وزرائه وبطاته بذلك.

وقطعن خاصة السلطان لها، فأخبروه الخبر وحضره على الخروج إلى الناس قبل أن يتفاقم الأمر ويتسع الخرق، فبرز إلى فساطط جلوسه وتسامح أهل المعسكر به، فازدوا على مجلسه وتقبيل يده.

وتقبض على أهل الظنة من العساكر، فأودعهم السجن وسخط على الأمرين، ورحل الناس من معسكرهما، فردهما إلى معسركه.

ثم رجع إلى فساططه فارتاد الأميران لذلك ووجه، وقطعت نار فتنهما وسكن سعي المفسدين عندهما وانتبذ الناس عنهم.

فاشتدت روعة الأمير أبي عبد الرحمن، وركب من فساططه وخاض الليل، وأصبح محلة أولاد زغللى أمراء زغبة الموطنين بأرض حزرة، فتقبض عليه أميرهم موسى بن أبي الفضل، ورده إلى أبيه، فاعتقله برجدة، ورتب العيون لحراسته من حشمه إلى أن قتلته بعد ذلك ستة اثنين وأربعين وسبعيناً، ترثى بالسجان فقتله.

## الخبر عن واقعة الملند والظفر به وظهور أساطيل المسلمين على أسطول النصارى

لما بلغ الخبر إلى السلطان باستشهاد ابنه، أخرج وزاره إلى السواحل لتجهيز الأساطيل، وفتح ديوان العطاء، واعتبر الجنود وأزاح علهم، واستقر أهل المغرب وارتحل إلى سبتة لي Ashton أحوال الجهاد، وتسامعت أمم النصرانية بذلك، فاستعدوا للدفاع، وأخرج الطاغية أسطوله إلى الزقاق ليمنع السلطان من الإجازة.

واستحوذ السلطان أساطيل المسلمين من مرسي العدوة، وبعث إلى المرحدين بتجهيز أسطولهم إليه، فعقدوا عليه لزيد بن فرجون قائد أساطيل مجاهدة من صنائع دولتهم، وأوفى سبعة في ستة عشر من أساطيل إفريقية، كان فيها من طرابلس وقباس وجربة وتونس وبونة وبجاية.

وتواترت أساطيل المغاربة بمرسى سبعة تناهز المائة، وعقد السلطان عليها محمد بن علي العزي지 الذي كان صاحب سبعة يوم فتحها، وأمره بمناجزة أساطول النصارى بالزقاق، وقد اكتمل عديدهم وعدتهم، فاستألموا وتظاهرلوا في السلاح، وتراحموا إلى أساطول النصارى وتراوقوا ملياً.

ثم قربوا الأساطيل بعضها إلى بعض وقرنوا للمصاع، فلم يكن إلا كلا ولا حتى هبت ريح النصر، وأظفر الله المسلمين بعدهم، وخالطوهم في أساطيلهم واستلهموه قهراً بالسيوف، وطعنوا بالرماح، ولقوا أشلاءهم في اليم وقتلوا قادتهم الملند واستنقوا أساطيلهم مجتوبة إلى مرسى سبعة، فبرز الناس لمشاهدتها وطيفت بكثير من رؤوسهم في جوانب البلد، ونظمت أصناف الأسرى بدار الإنشاء.

وعظم الفتح وجلس السلطان للتهنة، وأنشد الشاعراء بين يديه، وكان يوماً من أغرب الأيام، ولله سبحانه.

## الخبر عن واقعة طريف وتحيص المسلمين

لما ظفر المسلمون بأساطول النصارى وخضدوا شوكتهم عن مانعة الجواز، شرع السلطان في إجازة العسرك الغزا من المرتزقين، وانتظمت الأساطيل بسلسلة واحدة من العدوة إلى العدوة.

ولما استكملا إجازة العسакر أجاز هو في أسطوله وخاصة وحشمه آخر سنة أربعين وبسبعينة ونزل بساحة طريف وanax بعساكره عليها، وأضطراب معسكته بفنائهم، وبدأ بمنازلتها.

عبد الرحمن النازع إليهم فكشف لهم عن خبيثه فتقبض عليهم بعقوب وأشخصه إلى السلطان مع ذويه، فلحق به يمكنه من سبعة فامتحنه السلطان وقطعه من خلاف وشخص دائء، وبقي بالغرب تحت جريمة من الدولة إلى أن هلك سنة ثمان وسبعين وبسبعينه والله تعالى أعلم.

## الخبر عن شأن الجهاد وإغراء السلطان ابنه الأمير أبا مالك واستشهاده

لما فرغ السلطان من أمر عدوه وما تبع ذلك من الأحوال، صرف اعزامه إلى الجهاد لما كان كلما به.

وكان الطاغية منذ شغل بسو مرین عن الجهاد منذ عهد يوسف بن يعقوب وقد اعتزوا على المسلمين بالعدوة، ونالوا معاقلهم، وتغلبوا على الكثير منها، وارتحلوا الجبل ونالوا السلطان أبا الوليد في عقر داره بغرنطة، ووضعوا عليهم الجزية فتقبلوها وأسفروا إلى التهام المسلمين بالأندلس.

فلما فرغ السلطان أبو الحسن من شأن عدوه وغلب على الأيدي يده، وانفسح نطاق ملكه، دعوه نفسه إلى الجهاد.

وأوزع إلى ابنه الأمير أبا مالك أمير الغور من عمله من الدعوة سنة أربعين وبسبعينة بالدخول إلى دار الحرب.

وجهز إليه العساكر من حضرته وأخذ إلى السوزراء، فشخص غازياً في الجبل، وتغلب في بلاد الطاغية واتسحها، وخرج بالسي وغاثما إلى أدنى صدره من أرضهم وanax بها.

وأصل به الخبر بأن النصارى جعوا له، وأخذوا السير في اتباعه، وأشار عليه الملا بالخروج من أرضهم وإجازة الوادي الذي كان تحيطاً بين أرض الإسلام ودار الحرب، وأن يسير إلى مدن المسلمين فيميت بها، فلنج في إياته وصمم على التعریس.

وكان قدماً ثبتاً إلا أنه غير بصير بالخروب لكان سنه، فصبتهم عساكر النصرانية في مضاجعهم قبل أن يركبوا وخطبوا في أباتיהם.

وأندرك الأمير أبا مالك قبل أن يستوي على فرسه فجذلوه واستلهموا الكثير من قومه، واحتروا على المعسكر بما فيه من أموال المسلمين، ورجعوا على أعقابهم.

وأصل الخبر بالسلطان فتفجع لهلاك ابنه، واسترحم له، واحتبس عند الله أجره وفي سيله قتل، وشرع في إجازة العساقر للجهاد وتجهيز الأساطيل.

## الخبر عن منازلة الطاغية الجزيرة، ثم تغلبه عليها بعد أن غاب على القلعة من ثغور ابن الأهر

لما راجع الطاغية من واقعة طريف استأسد على المسلمين بالأندلس، وطمع في التهامهم، وجمع عساكر النصرانية، وزُلَّ قلعة بي سعيد ثغر غرناطة، وعلى مرحلة منها. وبجمع الآلات والأيدي على حصارها، واشتد محنقها وأصابهم الجهد من العطش، فنزلوا على حكمه ستة اثنين وأربعين وبسبعيناً وأدال الله الطيب منها بالخيث، وانصرف إلى بلده.

وكان السلطان أبو الحسن لما أجاز إلى سبعة أخذ نفسه بالعودة إلى الجهاد لرجع الكربة وبعث في الأمصار للاستفار، وأنخرج قواه إلى سواحل البحر لتجهيز الأساطيل حتى أكمل له منها عدد.

ثم ارتحل إلى سبعة لمشارقها، وقدم عسكره إلى العدوة مع وزيره عسكر بن تاحضرت.

وبعث على الجزيرة محمد بن العباس بن تاحضرت من قرابة الوزير، وبعث إليها مددًا من العسكر مع موسى بن إبراهيم الريزياني من المرشحين للوزارة بباب، وبلغ الطاغية خبره فجهز أساطيله وأجرأه إلى بحر الزقاق لمدافعته.

ونلاقت الأساطيل فمحص الله المسلمين واستشهد منهم أعداد وتغلب أسطول الطاغية على بحر الزقاق وملكته دون المسلمين وأقبل الطاغية من إشبيلية بغير عساكر النصرانية حتى اتَّخ بها على الجزيرة الخضراء مرقى أساطيل المسلمين وفرضه الجبار، وأهل أن ينظمهما في ملكته مع جارتها طريف، وحشد الفعلة والصناع للآلات، وجمع الأيدي عليها وطاوتها الحصار، واتخذ أهل العسكرية بيوتاً من الخشب للمطاولة.

وجاء السلطان أبو الحجاج بعساكر الأندلس فنزل قبالة الطاغية بظاهر جبل الفتح في سبيل الممانعة.

وأقام السلطان أبو الحسن بمكانه من سبعة يسرُّب إليها المدد من الفرسان والمال والزرع في أحابين الغفلة من أساطيلهم، وتحت جناح الليل، فلم ينتهم ذلك، واشتد عليهم الحصار وأصابهم الجهد.

وأجاز إلى السلطان أبو الحجاج يفاوضه في شأن السلم مع الطاغية، بعد أن أذن له الطاغية في الإجازة مكرًا به.

وواجه سلطان الأندلس أبو الحجاج ابن السلطان أبي الوليد بعسكر الأندلس من غزاة زناثة وحامية الشور ورجل البدو، فعسِّكروا حدو مسكنه وأحاطوا بطریف نطاقاً واحداً، وأتزلوا بهم أنواع القتال، ونصبوا عليها الآلات.

ووجه الطاغية أسطولاً آخر اعترض به الزقاق لقطع المرافق عن المعسكر، وطوال ثوامِّم يمكنهم من حصار البلد، فقيمت أژادتهم واقتدوا العلوفات، فوهن الظهر واحتلت أحوال المسكن.

واحتشد الطاغية أمم النصرانية وظاهره البرتغال صاحب أشبورنة، وغرب الأندلس، فجاء معه في قومه، وزحف إليهم لستة أشهر من نزولهم.

ولما قرب عسكرهم سرب إلى طريف جيشاً من النصارى أکمنهم بها، فدخلوها ليلاً على حين غفلة من العسس الذي أرصد لهم.

وأحسوا بهم آخر ليلتهم، فشاروا بهم من مراصدهم وأدرکوا أعقابهم قبل دخول البلد، فقتلوا منهم عدداً ولبسوا على السلطان بأنه لم يدخل البلد سواماً حذراً من سطوه.

وزحف الطاغية من الغد في جوشه، وعبا السلطان عساكر المسلمين صرفًا، وتراحموا. ولما نشبت الحرب برز الجيش الكمين من البلد وخالقوهم إلى المعسكر، وعمدوا إلى فساطيط السلطان ودافعهم عنها الناشبة الذين أعدوا لحراستها فاستلجموهم.

ثم دافعهم النساء عن أنفسهن فقتلواهن وخلصوا إلى حظايا السلطان: عائشة بنت عمها أبي يحيى بن يعقوب، وفاطمة بنت مولانا السلطان أبي يحيى ملك إفريقية، وغيرهما من حظاياه فقتلواهن واستلبواهن.

وانتبهوا سائر الفساطيط وأضرموا العسكر ناراً وأحسن المسلمين بما ورائهم في عسكرهم فاختل مصافهم وارتدوا على أعقابهم بعد أن كان ابن السلطان صمم في طائفة من قومه وذويه حتى خالطهم في صفوفهم، فأحاطوا به وتقبضوا عليه، وولى السلطان متخيزاً إلى فئة المسلمين، واستشهد كثير من الغزاة ووصل الطاغية إلى فساطيط السلطان من المحلة وانكر قتل النساء والولدان، ووقف منها ينتهي أثره، وإنكفا راجعاً إلى بلاده، ولحق ابن الأهر بغرنطة، وخالص السلطان إلى الجزيرة، ثم إلى الجبل، ثم ركب السفين إلى سبعة في ليلته ومحص الله المسلمين وأجزل ثوابهم، وارجاً لهم الكرة على عدوهم.

ودخلوا في ذلك مواليه من الملعوجي لما أسفهم به من إرهاف حده والتضييق عليهم في جاهه، فبرموا وطروا على النكث، حتى إذا وجدوا من أبي العلاء داعية إلى ذلك، خفروا إلى إجابتها ونذر بهم محمد بن الأحر فبعثت عن السفين تعرضه في طريقه وساحل إليه، وتسابقاً لشأنهم قبل فوره، فأدركوه دون حصن أصطبهنة، وعثبوه فاستعبّ، وأغلظوا له في القول، وقتلوا مولاه عاصماً صاحب ديوان العطاء تخلياً عليه.

ونكر السلطان ذلك فتناولوه بالرماح طعنًا حتى قعده. ورجعوا إلى المعسكر فاستدعوا من كان داخلهم من الموالي. وجاؤوا باخيه أبي الحجاج يوسف بن أبي الوليد، فباعوا له وأصفقاً على تقدّمه.

وسرح عليه قائد ابن عزون، فاستولى له على دار ملكه، وتم أمره وحجه رضوان مولى ليهم، واستبد عليه، وسكن بين جنبيه من بي أبي العلاء وقلهم لأخيه داء دخيل، حتى إذا سما السلطان أبو الحسن إلى الجهاد، وأجاز المدد إلى تغور عمله بالأندلس، وعقد لابنه الأمير أبي مالك، أسر إليهم في شأن بي أبي العلاء بما كان أبوه السلطان أبو سعيد اشترط عليهم في مثلها، وافق منهم داعية لذلك فتقبض عليهم أبو الحجاج وأعدّهم المطبق أجمع.

ثم أشخاصهم في السفين إلى مراسى إفريقية، فنزلوا بتونس على مولانا السلطان أبي بحبي، وبعث فيهم السلطان أبو الحسن إليه فاعتقلهم، ثم أوعز إليه مع عريف الرزعة ببابه ميمون بن بكرون في إشخاصهم إلى حضرته، فتوقف عنها، وأوى من إخبار ذمّتهم وتوسوس إليه وزير أبو محمد بن تافراكتين بأن مقصد السلطان ذيهم غير ما ظنوا به من الشر، وراغب في منه السلطان بيعتهم إليه والمبالغة في الشفاعة فيهم، علمًا بأن شفاعته لا ترد فاجابه إلى ذلك، وجنّبهم إليه مع ابن بكرون.

وابتعهم أبو محمد بن تافراكتين بكتاب الشفاعة فيهم من السلطان.

وقدموا على السلطان أبي الحسن مرجعه من الجهاد سنة اثنين وأربعين وسبعينة فتلقاهم بالبر والتربّيب إكراماً لشفيعهم، وأنزلهم بمعسكره وجنب لهم القرىات بالراكب الثقيلة، وسرّب لهم الفساطيط، وأسني لهم الخالع والجوانز وفرض لهم أعلى رتب العطاء وصاروا في جملته.

ولما احتل بسبعة لمشاركة أحوال الجزيرة، سعى عنده فيهم بأن كثيراً من المفسدين يدخلونهم في الخروج والتّوّب على الملك،

وترصدته بعض الأساطيل في طريقه فصدقهم المسلمون القتال وخلصوا إلى الساحل بعد غص الريق، وضاقت أحوال هذه الجزيرة ومن كان بها من عساكر السلطان، وسائلوا من الطاغية الأمان على أن ينزلوا عن البلد فبذله وخرجوه فوفى لهم.

وأجازوا إلى المغرب سنة ثلاط وأربعين وسبعينة فأنزلهم السلطان بيلاه خير نزل، ولقاهم من المبرة والكرامة ما أعاد لهم ما فاتهم، أو خلع عليهم وحملهم وأجازهم بما تحدث به الناس.

وتقبض على وزيره عسکر بن تاحضرت عقوبة على تقصيره في المدّافة، مع تذكره منها لما كان لديه من العساكر.

وانكناً السلطان إلى حضرته موقتاً بظهور أمر الله، وإنجاز وعده في رجوع الكرة وعلو الدين، والله متم نوره ولو كره الكافرون.

## الخبر عن شفاعة صاحب تونس في أولاد أبي العلاء ووصوهم إلى السلطان

كان عثمان بن أبي العلاء من أعيان آل عبد الحق، شيخ الغزاة الجاهدين من زناتة والبرير بالأندلس.

وكان له فيها مقام معلوم في حياة الشغور ومدّافة العدو، وغزو دار الحرب، ومساهمة صاحب الأندلس المجاهد كما نستوي في أخباره.

وكان السلطان أبو سعيد لما استصرخ به أهل الأندلس اعتذر بمكانة بينهم، واشترط عليهم أن يكتسوه من قياده حتى يقضي نوبة الجهاد، فلم يسعفه بذلك.

ولما هلك عثمان بن أبي العلاء، قام بالأمر من بعده في مراسى الجهاد بنوه وكانتا يرجعون في رياستهم إلى كبيرهم أبي ثابت عامر.

وقويت عصابتهم والأبناء والموالي، وغلبت على يد السلطان يدهم، واستبدوا عليه في أكثر الأحوال، واستتكف لها، وكان ذلك ما دعا إلى القodium على السلطان أبي الحسن.

وارتاب بنو أبي العلاء بجازته إليه، واتهموه على أنفسهم، واستعدّهم إلى منازلة جبل الفتح على كره.

فلما تغلب المسلمون عليهم، وقضى ابن الأحر من مدّافة الطاغية عنه بالرغبة ما قضى كما ذكرناه، واعتم على القبول إلى حضرته، أجمعوا على الفتّاك به في طرقه.

## الخبر عن هدية السلطان إلى المشرق وبعثه بنسخة المصحف

وما عونه وأسلحته، ومن نسخ الصوف المحكم ثياباً وأكسيه وبرانس وعمائم، وأزاراً معلمة وغير معلمة، ومن نسخ الحرير الفائق المعلم بالذهب ملوناً وغير ملون، وساذجاً منمقاً، ومن الدرق الجلوبية من بلاد الصحراء المحكمة بالدبغ المتعارف، وتنسب إلى اللطم.

ومن حرش المقرب وما عونه وما يستظرف صناعته بالشرق، حتى لتد كان فيها مكيل من حصى الجوهر والياقوت.

واعتزمت حظية من حظايا أبيه على الحج في ركابه ذلك، فاذن لها واستبلغ في تكريها، واستوصى بها واده سلطان مصر في كتابه.

ووصلوا من تلمسان وأدوا رسالتهم إلى الملك الناصر وهديتهم، فقبلتها وحسن لبيه موقعها.

وكان يوم وفادتهم عليه بمصر يوماً مشهوراً، تحدث به الناس دهراً، ولقاهم في طريقهم أنواع البر والتكرمة حتى قصروا فرضهم، ووضعوا المصحف الكريم حيث أمرهم صاحبهم.

وأنهى هدية السلطان من فساطيطهم الغربية الميكل والصنعة بالغرب، ومن ثياب الإسكندرية البدعة النسخ المرقومة بالذهب، ورجعهم بها إلى مرسليهم وقد استبلغ في تكريهم ووصلتهم، وبقي حديث هذه الهدية مذكوراً بين الناس لهذا العهد.

ثم انتسخ السلطان نسخة أخرى من المصحف الكريم على القانون الأول، ووقفها على القراء بالمدينة، وبعثها مع من تخierre لذلك العهد من أهل دولته.

وانتصلت الولاية بينه وبين الملك الناصر إلى أن هلك سنة إحدى وأربعين وسبعيناً وولي الأمر من بعده ابنه أبو الفداء إسماعيل، فخاطبه السلطان وأخذه وزاه عن أبيه، وأوفد عليه كاتبه وصاحب ديوان الخراج ياباً الفضل بن عبد الله بن أبي مدين فقضى من وفاته ما حمل.

وكان شأنه عجباً في إظهار أبيه سلطانه، والإتفاق على المستضعفين من الحاج في سبيهم، وإعفاف رجال الدولة التركية بذات يده والتعطف عما في أيديهم.

ثم شرع السلطان بعده عند استيلائه على إفريقية كما نذكره في كتابة نسخة أخرى من المصحف الكريم ليوقفها بيتها المقدس، فلم يقدر على إتمامها، وهلك قبل فراغه من نسخها، كما نذكره إن شاء الله تعالى.

فتقبض عليهم وأودعهم في السجن بمكتناسة، إلى أن كان من خبرهم مع ابنه أبي عنان ما نذكره إن شاء الله تعالى، والله أعلم.

## الخبر عن هدية السلطان إلى المشرق وبعثه

بنسخة المصحف من خطه إلى الحرمين

والقدس

كان للسلطان أبي الحسن مذاهب في ولاية ملوك المشرق، والكلف بالمعاهد الشريفة تقبله من سلفه، وضاعفه لديه متين دياته.

ولما قضى من أمر تلمسان ما قضى، وتغلب على المغرب الأوسط، وصار أهل التواحي تحت رقبة منه، واستطاع بمناج سلطانه، وخاطب لبنيه صاحب مصر والشام محمد بن قلاوون الملك الناصر، وعرفه بالفتح وارتفاع العوائق عن الحاج في سبابتهم، وكان فرانقه في ذلك فارس بن ميمون بن درار، وعاد بجواب الكتاب وتغريب المودة بين السلف.

وأجمع السلطان على كتابة نسخة أنيقة من المصحف الكريم بخط يديه ليقوها بالحرم الشريف قربة إلى الله تعالى، وابتغاء للمثوبة، فانتسخها وجع الوراقين لمعانة تذهيبها وتميقتها، والقراء لضبطها وتهذيبها حتى اكتمل شأنها.

وصنع لها وعاء مؤلف من خشب الأبنوس والعاج والصندل فائق الصنعة وغشي بصفائح الذهب، ونظم بالجلوهر والياقوت، واحتذت له أصواته الجلد المحكم الصناعة، المرقوم أديها بخبوط الذهب ومن فوقها غلاف الحرير والديباج وأغشية الكتان. وأخرج من خزانته أموالاً عيناً لشراء الضياع بالشرق لتكون وقفًا على القراء فيها، وأوفد على الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر والشام من خواص مجلسه وكبار أهل دولته، عريف بن يحيى أمير زغبة، والسابق القديم في سطحه على كل خالصة وعطيه بن مهلهل بن يحيى كبير الخلوة.

وبعث كاتبه أبا الفضل بن محمد بن أبي مدين وعريف الوعزة بدولته وصاحب الباب عبوب بن قاسم المزوار، واحتفل في المدينة للسلطان صاحب مصر احتفالاً تحدث به الناس دهراً.

ووقفت على برنامج المدينة بخط أبي الفضل بن أبي مدين هذا الرسول ووعيه وأنسيته وذكر لي بعض قهارمة الدار أنه كان فيها خمسة من عناق الخيل المقربات، بسرور الذهب والنضة وجلحها، خالصاً وعششاً وعرهما، وخمسة حل من متاع الغرب

## الخبر عن إصهار السلطان إلى صاحب

تونس

لما هلكت ابنة مولانا السلطان أبي الحسن بطريف فيمن هلك من حظايا السلطان أبي الحسن بفساططيه، بقي في نفسه منها شيء حنيباً إلى ما شففته به من خلاها وعزتها سلطانها، وقيامها على بيتها، وظرفها في تصرفاتها، والاستماع بأحوال الترف ولذادة العيش في عشرتها، فسما أمله إلى الاعتياض منها ببعض آخراتها. وأوفد في خطبها ولية عريف بن يحيى أمير زغبة، وكانت الجبارية والعساكر بدولته أبا الفضل بن عبد الله بن أبي مدین، وفقيه الفتيا بمجلسه أبا عبد الله محمد بن سليمان السطي، ومولاه عنبر الخصي، فوردوا يوم مئتي من سنة ست وأربعين وسبعيناً وأنزلوا منزل البر، واستبلغ في تكريهم ودس الحاجب أبو محمد عبد الله بن تافراكين إلى سلطانه غرض وقادتهم، فأبى عن ذلك صوناً لحرمه عن جولة الأقطار وتحكم الرجال، واستعظاماً لشنل هذا العرس.

ولم يزل حاجبه ابن تافراكين يخفيض عليه الشأن ويعظم عليه حق السلطان أبي الحسن في رد خطبته مع الأزمة السالفة بينهما من الصهر والمخالطة إلى أن أجاب وأسعف.

وجعل ذلك إليه فانعقد الصهر بينهما وأخذ الحاجب في شوار العروس، وتأنق فيه واحتفل واستكثر وطال ثواء الرسل إلى أن استكمل وارتخلوا من تونس لشهر ربیع من سنة سبع وسبعيناً وأوزع مولانا السلطان أبو يحيى إلى ابنته الفضل صاحب بونة وشقيق هذه العروس أن يزفها على السلطان أبي الحسن قياماً لحقه، وبعث من بابه مشيخة من المرحدين مقدمهم عبد الواحد بن أكمازير، صحروا راكبها إليه.

ووردوا جميعاً على السلطان واتصل بهم الخبر أثناء طريقهم بهلك مولانا أبي يحيى عفا الله عنه، فعزّاهم السلطان أبو الحسين عنه عندما وصلوا إليه، واستبلغ في تكريهم وأجل موعد أخيه الفضل سلطانه ومظاهرته على تراث أخيه فاطمة ت به الدار إلى أن سار في جلة السلطان وتحت الريته إلى إفريقية كما نذكر إن شاء الله تعالى.

## الخبر عن هدية السلطان إلى ملك مالي من

السودان المجاورين للمغرب

كان للسلطان أبي الحسن منهب في الفخر معروف بتناوله إلى مناغة الملوك الأعظم واقتفاء سنته في مهاداة الأقال والأنصار، وإنفاذ الرسل على ملوك النواحي القاصية والتلخوم البعيدة.

وكان ملك مالي أعظم ملوك السودان لعهده مجاؤراً لملكه بالمغرب على مائة مرحلة في القرف من ثغور عمالكه القبلية.

ولما غلببني عبد الواد على تمسان وابتزه ملوكهم، واستول على ممالك المغرب الأوسط، وتحدى الناس بشأن أبي شافن وحضاره ومقتلها، وما كان للسلطان في ذلك من سورة التغلب وأية العز وإهانة العدو وشاعت أخبار ذلك في الآفاق.

وسما سلطان مالي منسا موسى المتقدم ذكره في أخبارهم إلى مخاطبته، فأوفد عليه فرانقين من أهل مملكته مع ترجان من الملثمين المجاورين لملوكهم من صنهاجة، فوردوا على السلطان في التهتهة بالتلغلب والظفر بالعدو، فأكرم وقادتهم وأحسن مواعهم ونقلتهم.

ونزع إلى طريقته في الفخر، فانتخب طرفاً من متاع المغرب و ساعده من ذخيرة داره وأستأهانه، وعيّن رجالاً من أهل دولته، كان فيهم كاتب الديوان أبو طالب بن محمد بن أبي مدین ومولاه عنبر الخصي، وأوفدتهم بها على ملك مالي منسا سليمان بن منسا موسى، لهلك أبيه قبل مرجع وفده.

وأوزع إلى أغرب الفلاة من المعقل بالسير معهم ذاهبين وجائين، فشعر لذلك علي بن غام أمير أولاد جار الله من المعلم، وصحبهم في طريقهم امتالاً لأمر السلطان.

وتغل ذلك الركاب في القرف إلى بلد مالي بعد الجهد وطول المشقة، فاحسن مبرتهم وأعظم موصلهم وأكرم وقادتهم ونقلتهم.

وعادوا إلى مرسليهم في وفد من كبار مالي يعظمون سلطانه، ويوجبون حقه، ويؤدون طاعته من خضوع مرسليهم وقيامه بحق السلطان واعتماله في مرضاته ما استوصاهم به، فأدروا رسالتهم وبلغ السلطان إرباً من اعتزازه على الملوك وخضوعهم لسلطانه، وقضى حق الشكر لله في صنعه.

الخبر عن حركة السلطان إلى إفريقية

وَاسْتِبْلَاثُهُ عَلَيْهَا

كان السلطان أبو الحسن قد امتدت عينه إلى ملك إفريقيا لولا مكان مولانا السلطان أبي بحبي من ولاية صهره، واقام يتحين لها الوفاة، ولما بعث إليه في الصهر واشيع بتلمسان أن الموحدين ردوا خطبته، نهض من المنصورة بتلمسان وأخذ السير إلى فالنس ففتح ديوان العطاء، وأزار حل عساكرةه، وعقد على المغرب الأقصى حلفاء منصور ابن الأمير أبي مالك، وفرض إلى الحسن بن سليمان بن يربزكين في أحکام الشرطة، وعقد له على الضاحية، وارتحل إلى تلمسان مضمراً الحرفة إلى إفريقيا حتى إذا جاء الخبر اليقين بالإسعاف إلى والزفاف سكن غريبه وهذا طائره.

فلمـا هـلـك السـلـطـان أـبـو يـحيـيـ في رـجـب مـن سـنة سـبعـ وأـرـبعـين وـسـبـعـمـائـة، وـكـانـ من قـيـامـ اـبـنـه عـمـرـ بـالـأـمـرـ، وـنـزـوعـ الحاجـ أـبـي مـحـمـدـ بنـ تـافـراـكـينـ في رـمـضـانـ مـنـهاـ ماـ ذـكـرـاهـ، تـحـركـتـ عـزـائـيمـ لـذـلـكـ، وـرـغـبـهـ اـبـنـ تـافـراـكـينـ في مـلـكـ الـمـوـحـدـينـ، فـرـغـبـ وـجـاءـ عـلـىـ أـثـرـ الـخـبـرـ بـمـاـ كـانـ مـنـ قـتـلـ عمرـ لـأـخـيـهـ أـمـدـ وـلـيـ الـعـهـدـ، وـكـانـ يـسـتـظـهـرـ عـلـىـ عـهـدـهـ بـكـتـابـ أـيـهـ، وـمـاـ أـوـدـعـهـ السـلـطـانـ بـطـرـتـهـ مـنـ الـرـفـاقـ عـلـىـ ذـلـكـ بـخـطـهـ، اـقـضـاهـ مـنـ حـاجـيـهـ أـبـو القـاسـمـ بنـ عـتـرـ فيـ سـفـارـتـهـ إـلـيـهـ، فـامـتـضـعـ السـلـطـانـ لـمـاـ أـضـاعـ عمرـ مـنـ عـهـدـ أـيـهـ، وـهـدـرـ مـنـ دـمـ أـخـيـهـ، وـارـتـكـبـ مـذـاهـبـ الـعـقـوقـ فـيـهـ، وـخـرـقـ السـيـاحـ الـذـيـ فـرـضـهـ بـخـطـهـ عـلـيـهـمـ، فـاجـعـ الـحـرـكـةـ إـلـىـ إـفـرـيقـيـةـ وـلـخـقـ بـهـ خـالـدـ بـنـ حـزـةـ بـنـ نـازـعـاـ إـلـيـهـ مـسـتـقـدـاـ مـسـيرـهـ، فـقـطـحـ دـيـوـانـ الـعـطـاءـ وـنـادـيـ فـيـ النـاسـ بـالـسـيـرـ إـلـىـ إـفـرـيقـيـةـ، وـأـزـاحـ عـلـلـهـمـ.

وكان صاحب بجية المولى أبو عبد الله حافظ مولانا السلطان أبي بحبي، وفدي على السلطان أبي الحسن إثر مهلك جده يقرر

فلمما استيأس منه واستيقن حركته ينفسه إلى إفريقيا، طلب  
الرجوع إلى مكانه فاسعف وفصل إلى بجاية.

ولما قضى السلطان منسك الأضحى من ستة سبع وأربعين  
وسبعيناً عقد لابنه الأمير أبي عتاق على المغرب الأوسط، وعهد  
إليه بالنظر في أموره كلفة، وجعل إليه جايتة، وارتحل بريد إفريقية،  
وسار في جملته هو وخالد بن حزنة أميرaldo.

ولما احتل بورهان وفاه هنالك وفد قسطنطيلية وبلاط الجرید،  
يقدمهم أمد بن مکي أمیر جربة وردیف أخيه عبد الملک في إمارة  
قباس، ويحیى بن محمد بن عبلون أمیر توزر سقط إليها بعد خروج

الأمير أبي العباس ولـي العهد عنها، ومهلكه بتونس، وأحد بن عمر بن العابد رئيس نقطة، رجعا إليها كذلك بعد مهلك ولـي المهد، فلقيه هؤلاء الرؤساء بورهان في ملا من وجوه بلاهم، فأنطوه يـعنهم وقضوا حـن طاعته.

وتناقل محمد بن ثابت أمير طرابلس عن اللحاق به، فبعث  
يعته معهم، فأكمل وفهم وعقد لهم على أمصارهم، وصرفهم إلى  
أعمالهم، ومسك بأحمد بن مكي لصحابة ركابه، وفي جلت، وأخذ  
السر.

ولما احتل بيبي حسن من أعمال بجایة، وفاه بها منصور بن مزنی امير بسكرة وببلاد الزاب في وفدي من اهل وطنه، وبعقوب بن علي بن احمد سيد الدواودة وأمير البدو بضاحية بجایة وقسطنطينة، فتقاهم بالمرة والاحفاء والزمهم ساقته، وسرح بين يديه قاتله حمو بن يحيى العشري من صنائع ابيه.

فَلَمَّا عَسْكَرَ بِسَاحِةِ مُجَايَةِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ أَبِي عَلَيْهِ أَهْلُ الْبَلْدِ  
رَهْبَةً مِنَ السُّلْطَانِ وَرَغْبَةً فِيهِ، وَانْفَضُوا مِنْ حَوْلِهِ، وَلَحْقَتْ  
مُشَخْصِتِيهِ بِالْفَضَّاهِ، وَأَهْلِهِ، وَالشَّهْرِيِّ، عَمَلِيَّهُ، السُّلْطَانِ.

وسابقهم إليه حاجي فارح مول ابن سيد الناس، فأدلى طاعته ورجعه إليه بالغزو للقاء ركابه.

وارتحل حتى إذا أطلت رياطه على البلد، بادر المولى أبو عبد الله ولقيه بساحة البلد، واعتذر من مختلفه فقبل عنده وأحله من البرور والكرمة محل الولد العزيز، واقطعه عمل كومية من ضواحي هينين، وأسنى جرایته بتلمسان وأصحابه إلى ابنه أبي عenan صاحب المغرب الأوسط واستوصاه به، ودخل بجاتية فرفع عنهم الظلamas وحط عليهم الربيع من المغارم، ونظر في أحوال ثغرها فتفهها وسد فروجها.

وعقد عليها محمد بن الثوار من طبقة الوزراء والمرشحين لها، وأُنْزَلَ معاً حامِيَةً من بني مرِين، وكاتبُ الْخَرَاجِ يَبْاهِ بِرِّكَاتِهِ حُسْنُ بنِ الْوَاقِ، وَأَرْتَحُلُ، مَعْذَا لَسْرَهِ حَتَّىٰ احْتَلَ بَقِيَّةَ سَطْنَاطِيَّةِ.

وتلقاه أميرها أبو زيد حاقد مولانا السلطان أبي يحيى  
واخوه أبو العباس أحمد وأبو يحيى ذكريا وسائر إخوتهم، فاتوه  
معتهم ونزلوا عن عملهم.

وأدالم السلطان منه بندرورة من عمل تلمسان، عقد  
للمولى أبي زيد على إمارتها، وجعل له إسوة إخوته في إقطاع  
جيانتها، ودخل البلد وعقد عليها محمد بن العباس، وأنزل معه  
الإمام عبد الله في قصره من بناءه ك

وأمضه . اقطاعات الدواودة وآفاه هنالك عمر بن حزنة

من معسكته بسيجوم إلى باب البلد ينهر ثلاثة أميال أو أربعة. سيد الكعوب لعهده وأمير البدو مستحثاً لركابه.

وأخبره برحل السلطان عمر بن مولانا أبي يحيى من تونس وأخوه مهلهل أقتابهم من الكعوب متوجهاً إلى ناحية قابس.

وركب بنو مرين في جموعهم على مراكزهم وتحت رياتهم. وأشار على السلطان بتسريع العساكر لاعتراضه قبل أن يخلص إلى طرابلس، فسرح معه حمو بن يحيى العشري قائد في عسكر منبني مرين والجند.

وركب السلطان أبو عبد الله محمد آخر مولانا السلطان أبي يحيى، ويليه أبو زغة، ويليه أبو محمد عبد الله بن تافراكتين بقضطينة مع ولدتها من خرج الأمير أبو فارس فأطلقهم السلطان أبو العباس وصحبه إلى تونس، فكانوا طرزاً في ذلك الموكب فيما لا يخصى من أغراضبني مرين وكبارتهم، وهدرت طبلة، وخفقت رياته، وكانت يومذن مائة.

وارتقوا في اتباع السلطان أبي حفص، وتلوم السلطان أبو الحسن بقضطينة، واعتراض عساكره بسطح الجعاب منها.

ووصل يوسف بن مزني إلى عمله بالزالب، بعد أن خلع عليه وحمله.

وجاء والماكب تخمس عليه صفاً صفاً إلى أن وصل إلى البلد، وقد ماجت الأرض بالجيوش، وكان يوماً لما يربى مثله فيما عقلناه.

ودخل السلطان إلى القصر وخليع على أبي محمد بن تافراكتين كسوته وقرب اليد فرسه بسرجه وجامده، وطعم الناس بين يديه واتشروا.

ودخل السلطان مع أبي محمد بن تافراكتين إلى حجر القصر ومساكن الخلفاء، فطاف عليها ودخل منه إلى الرياض المتصلة به المدعوة برأس الطاية، فطاف على بساطته وجوانذه، وأفضى منه إلى معسكته وأنزل يحيى بن سليمان بقصبة تونس في عسكر لحمايتها.

ووصل إليه فل الأمير أبي حفص والأسرى بقابس مقرندين في أصنادهم، فأودعهم السجن بعد أن قطع أبا القاسم بن عشو وصخر بن موسى من خلاف، لفتيا الفقهاء بجرائهم.

وارتحل من الغد إلى القيروان فجال في نواحيها، ووقف على آثار الأولين ومصانع الأقدمين والطلول المائة لصنهاجة والعبيدين، وزار أجداث العلماء والصالحين.

ثم سار إلى المهدية ووقف على ساحل البحر، ونظر في عاقبة الذين كانوا من قبله أشد قوة وأثراً في الأرض، واعتبر بأحوالهم.

ومن في طريقه بقصر الأجم ورباط المستير، واتكفاً راجعاً إلى تونس، واحتل بها غرة رمضان وأنزل المسالح على ثبور إفريقيا، وقطع لبني مرين البلاد والضواحي، وأفضى إقطاعات المرحدين للغرب.

واستعمل على الجهات وسكن القصر وقد كُمل وعظم

ثُم ارتحل إلى تونس واحتل بها يوم الأربعاء الثامن من جمادى الآخرة من سنة ثمان.

وتلقاه وفد تونس وملؤها من شيخ الشورى وأرباب الفتيا، فأتوا طاعتهم وانقلبوا مسرورين بملكتهم.

ثم عبا يوم السبت لدخولها مواكب، وصف جنده سماطين

فكم في سبيل الله شن إغارة لما شاد أهل الكفر أست تحرب ولسارد الله إن تمام منه تقلدها من مطیع ومنصب أنسى بك للبيزنطي آية تعرى بها عن لام الحق غیب فجت كما يرضي بك الله سالكا سبیل رضوانه بك يذهب وقت بامر الله حق قيامه يناضل عنه منك نصل مدرّب واصبح أهل الله أهلاً وشيعة لكم وهم منكم مكان ومنصب وحل بأهل الفتك ما حل عزّهم وقام لديهم واعظ ومشروب وناداك مصر والعراق وشامه بدارا، فصلع الدين عندك يشعب وحيثك أو كادت تخيفي منابر عليها دعاء الحق باسمك تحطب فسارع كل دان وشاسع إلى طاعة الله تحسب فلما مصر إلا قد تناه أهله ولا أرض إلا باذكارك تحصّب وما الأرض إلا متزل أنت ريه وما حلها إلا السود الموجب تملكت شطر الأرض كسباً وسطرها تراثاً طاب الملك إرثاً ومكتب يجيش على الألواح والماء يمتطي ويجش على الضمر الصوافن يركب وجيش من الإحسان والعدل والتقوى وذاك لعمر الله أعلى وأغلب ثابت فلما ان اطلت عساكر ترى الشهب مما يستباح وينهب فلامركب إلا زين راكباً ولا راكب إلا به ازانة مركب وما تونس إلا مصر مروع وفي حرم امست لديك ترب وما أهله إلا بغاث لصادق وبالعزم منك استسروا وتعقبوا وقد كت قبل اليوم كهف زعيمهم فها أنت كهف للجميع وهو رب وكل يرى أن الزمان أداله بكم فأجاب العيش والعيش خصب وكذلك ابن حمزة طائع وإن اعتلت به السن إجلالاً وأنت له أب وما ذاك إلا أن عدلك يتمي إلى الخلفاء الراشدين وتبني سامت في ملك ونسك بخطبة حذياك محراب لديها وموكب إذا لذ للأسلام خسر ملأة فلذلك القرآن تالو وتكب وإن أدمي القوم الصبور فلما على ركمات بالضحى انت تدب وإن حدوا شرب الغبوق فلما شرابك بالإسماء ذكر مرتب وإن خشت أخلاقهم وتحجروا فما انت فقط لا، ولا منجح بقد كرمت منك السجايا فاصبحت إذا ما أمد الدهر عملو وتعذب كما شدت ييأ في ذراة عشر يزيد بهم قحطان فخرأ ويعرب هم التارك قلب القساور خضعاً وعن شارهم كفت عييد وأغلب هم الناس والأملاك تحت جوارهم هم العظم والأرض العظيمة تغرب هم المالك الملك العظيم ودستهم على كاهل السبع الشداد مطبل لقد أصبحت بغداد تحصد فاسهم ودجلة ودت أن يكون بهاسب نجحت سماء الجد منهم كراكباً لقد حل منها شارق وغرب فالله منه مئم ثلة يعرية يروم ثابعاً الأعجمي فيعرب لقد قام عبد الحق للحق طالباً فما قاته منه الذي قام بطلب وأعقب بغيرها يوم سبيله فلم يخطئ وهو السيل الملحب وخلف عثمان فلله صارم به بان للإسلام شرع ومنصب

الفتح وعظمت في الاستيلاء على المالك والدول المنية، واتسعت مالكه ما بين مسراته والسوس الأقصى من هذه العدوة، وإلى رندة من عدوة الأندلس، والملك الله يوتنه من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين ورفع إليه الشعرا بتونس يهونه بالفتح، وكان سابقهم في تلك التوبة أبو القاسم الروحي من ناشئة أهل الأدب فرفع إليه قوله:

اجابك شرق إذ دعوت ومغرب فمكك هشت لقاء ويترقب  
وناداك مصر والعراق وشامه بدارا، فصلع الدين عندك يشعب  
وحبيتك او كادت تخيفي منابر عليها دعاء الحق باسمك تحطب  
فسارع كل دان وشاسع إلى طاعة الله تحسب  
وتافت لك الأرواح حباً ورغبة وانت على الآمال تتأي وتقرب  
فبالبلدة اليساء لبك معاشر وانت بافق الناصرية ترقب  
ووافتكم من ذات التخل وفودها فلما هم أهل لديك ومرحب  
ولم تلتف عن إباء بمحابي ولكن تراضي الصعب حيناً وترك  
تابت فلما ان اطلت عساكر ترى الشهب مما يستباح وينهب  
تبادر منهم مدعون ومسلم وادعن منهم شاغر ومؤلب  
وماتونس إلا مصر مروع وفي حرم امست لديك ترب  
وما أهله إلا بغاث لصادق وبالعزم منك استسروا وتعقبوا  
وقد كت قبل اليوم كهف زعيمهم فها أنت كهف للجميع وهو رب  
 وكل يرى أن الزمان أداله بكم فأجاب العيش والعيش خصب  
وكذلك ابن حمزة طائع وإن اعتلت به السن إجلالاً وأنت له أب  
وما ذاك إلا أن عدلك يتمي إلى الخلفاء الراشدين وتبني  
ساميت في ملك ونسك بخطبة حذياك محراب لديها وموكب  
إذا لذ للأسلام خسر ملأة فلذلك القرآن تالو وتكب  
إن أدمي القوم الصبور فلما على ركمات بالضحى انت تدب  
إن حدوا شرب الغبوق فلما شرابك بالإسماء ذكر مرتب  
إن خشت أخلاقهم وتحجروا فما انت فقط لا، ولا منجح بقد  
كرمت منك السجايا فاصبحت إذا ما أمد الدهر عملو وتعذب  
كما شدت ييأ في ذراة عشر يزيد بهم قحطان فخرأ ويعرب  
هم التارك قلب القساور خضعاً وعن شارهم كفت عييد وأغلب  
هم الناس والأملاك تحت جوارهم هم العظم والأرض العظيمة تغرب  
هم المالك الملك العظيم ودستهم على كاهل السبع الشداد مطبل  
لقد أصبحت بغداد تحصد فاسهم ودجلة ودت أن يكون بهاسب  
نجحت سماء الجد منهم كراكباً لقد حل منها شارق وغرب  
فالله منه مئم ثلة يعرية يروم ثابعاً الأعجمي فيعرب  
لقد قام عبد الحق للحق طالباً فما قاته منه الذي قام بطلب  
وأعقب بغيرها يوم سبيله فلم يخطئ وهو السيل الملحب  
وخلف عثمان فلله صارم به بان للإسلام شرع ومنصب

فأعطوها بالكرامة.

ثم هلك باغتيال الدولة له فيما يزعمون، وقام بالأمر بنوه فلم يعرفوا عاقب الأمور وبلغوا باعتصاف الدول، ولم يعهدوا ولا سمعوا لسلامهم غير الاعتزاز فحدثتهم أنفسهم بالفتنة والاعتزاز على قائد الدولة. وحاربوه فغلبوا، وأجلبوا على السلطان في ملكه، ونازلوه بعمر داره سنة اثنين وأربعين وسبعينة ولما سامهم الأمير عمر ابن مولانا الأمير أبي يحيى الحضيمة بعد مهلك أبيه نزعوا إلى أخيه ولـي العهد، فجاء إلى تونس وملكتها سبعاً.

ثم اتّهمها عليه آخره الأمير أبو حفص فقتله، وتقبض يوم اقتحامه البلد على أبي المول بن حزة أخيهم، فقتله صبراً بباب داره بالقصبة، فأسفتهم بها، وتداعوا إلى السلطان أبي الحسن ورغبوه في ملك إفريقيا واستقذوه إليها.

ولما تغلب السلطان على الوطن وكانت حاله في اعزاز على من في طاعته غير حال المرحدين وملكته للبدو غير ملوكهم، وحين رأى اعزازهم على الدولة وكثرة ما أقطعتهم من الضواحي والأمصار، نكره وأدالمس من الأمصار التي أقطعهم الموحدون بأعطيات فرضها لهم في الدبران.

واستكثر جبارتهم، فتقسمهم الكثير منها وشكى إليه الرعية من البدو ما ينالونهم به من الظلامات والجحود بفرض الأتاوة التي يسمونها الخفارة، فقضى أبيهم عنها وأوعز إلى الرعايا بمنعهم منها، فارتباوا لذلك، وفسدت نياتهم وقتلت وطأة الدولة عليهم فترصدوا لها.

وتسامع ذوياتهم وبواديهم بذلك، فأغاروا على قياطينبني مرين ومسالهم بشعور إفريقيا وفروجها، واستاقوا أموالهم، وكثروا شكتهم وأظلم الجر بینهم وبين السلطان والدولة.

ووفد عليه بتونس بعد مرجعه من المهدية وفدى من مشيختهم، كان فيهم خالد بن حزة مستحثة إلى إفريقيا، وأخوه أحد وخليفة بن عبد الله بن مسكن، وابن عميه خليفة بن بو زيد من أولاد القوس، فائز لهم السلطان وأكرهم.

ثم رفع إليه الأمير عبد الواحد ابن السلطان أبي يحيى زكريا بن اللحياني كان في جملته، وكان من خبره أنه رجع من الشرق بعد مهلك أبيه بمصر كما قدمه سنة اثنين وثلاثين وسبعينة فدعى لنفسه بجهات طرابلس.

وتابعه أغرب دباب، وبایع له عبد الملك بن مكي صاحب قابس، ونهض معه إلى تونس في غيبة السلطان لتخریب تيمزیدكت كما ذكرناه، فملكتها أيامًا وأحسن برجع السلطان

## الخبر عن واقعة العرب مع السلطان بالقيروان وما تخللها

كان هؤلاء الكهوب من بني سليم رؤساء البدو بإفريقية، وكان لهم اعزاز على الدولة لا يعرفون غيره منذ أوها بل وما قبله، إذ كان سليم هؤلاء منذ تغلب العرب من مصر على الدول والممالك أول الإسلام انتدوا إلى الضواحي والقرارات، وأعطوا من صدقائهم عن عزة، وارتابا للخلافة بهم لذلك حتى لقد أوصى المنصور ابنه المهدي أن لا يستعين بأحد منهم كما ذكر الطبري.

فلما ثالت الدولة العباسية واستبد الموالى من العجم عليهم، واعتزل بنو سليم هؤلاء بالقفر من أرض نجد، وأجلبوا على الحاج بالحرمين، وتالهم منهم مرات، ولما انقسم ملك الإسلام بين العباسية والشيعة واختلطوا القاهرة، نفت هدم إذ ذاك أسواق الفتنة والعزز، وساموا الدولتين بالفضيحة وقطع السبلة.

ثم أغراهم العبيدرون بالمغرب وأجلزوا إلى برقة على إثر الملاليين فخربوا عمرانها وأجروا في خلاتها، حتى إذا خرج ابن غانية على الموحدين وانتزى باللغور الشرقية: طرابلس وقباس، واجتمع معه على ذلك قرافق الغزي مولى بني أيوب ملك مصر والشام، وانضاف إليهم أفاريق العرب من بني سليم هؤلاء وغيرهم، فأجلبوا عليهم على الضواحي والأمصار، وصاروا في جلتهم من ناعق فتنهم.

ولما هلك قرافق وابن غانية واستبد آل أبي حفص بإفريقية واعتزل الدواودة على الأمير أبي زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص، استظهر عليهم بني سليم هؤلاء، وزاجهم بظراعنهم وأقطعهم بإفريقية وقلتهم عن محالاتهم بطرابلس وأنزلهم بالقيروان، فكان لهم من الدولة مكان وعليها اعزاز، ولما افترق سلطان بي أبي حفص، واستبد الكهوب برياسة البدو، وضرروا بين أعيانها وسعوا في شقائقها، أصابت منهم وأصابوا منها، وكان بين مولانا الأمير أبي يحيى وبين حزة بن عمر أخي الأمير منازعة وقتن وحرب سجال أعاده عليها ما كان من زحف بي عبد الواحد إلى إفريقيا وطعنه في تملك ثغورها، فكان يستجر جيوشهم لذلك، وينصب الأعيان من آل أبي حفص يزاجهم بهم، ثم غلبه مولانا السلطان أبو بكر آخرًا وقاده إلى الطاعة ما كان من قطع كلمة الزبون عن مولانا السلطان أبي يحيى، وهلاك عدوه من آل يغمراسن، بسيف وليه وظهيره السلطان أبي الحسن، فاذعن وسكن غرب اعزازه، وحل بني سليم على إعطاء صدقائهم،

وانتقطاع أمر بني عبد المؤمن منها، وأثارهم منذ الأحوال العديدة والأماد المتقدمة نفسى أمرهم.

وذلك عثمان بن إدريس هذا بجريدة، ثم ابنه عبد السلام بعده، وترك من الولد ثلاثة أصغرهم أحمد، وكان صناع اليدين.

ولحقوا بتونس بعدما طرحت بهم طرائق الاغتراب، وظنوا أن قد تنوسي شأن أيامهم، فتقبض عليهم مولاتا السلطان أبو يحيى وأودعهم السجن إلى أن غربهم إلى الإسكندرية سنة أربع وأربعين وسبعين ورجع أحمد منهم إلى إفريقيا، واحتل بتوزر محظياً بمحنة الخليفة يتبعش منها، فاستدعاه بنو كعب هؤلاء حين اتفقت هؤواهم ومن اتبعهم من أحفادهم أولاد القوس، وسائر شعوب علاق، وخرج إليهم من توزر فنصبوا للأمر وجعلوا له شيئاً من الفساطيط والآلة والكسوة الفاخرة والمقرابات، وأقاموا له رسم السلطان، وعسكروا عليه بحملهم وقباطيهم، وارتحلوا بالناجزة السلطان، ولما قضى منسك الأضحى من سنة ثمان وأربعين وسبعين ارتحل من ساحة تونس يريدهم، فرافاهم في العرج ما بين وتبسط تونس وتبسيط القيروان المسمى بالثانية، فاجفلوا أمامه وصدقوا القتال متزمن، وهو في اتباعهم إلى أن احتل بالقيروان، ورأوا أن لا ملجأ منه، فتدامروا واتفقوا على الاستمامة، ودسوا إليهم من عسكر السلطان بنو عبد الواحد ومغراوة وبني توجين فغلبوا بني مرين، ووعدوهم بالناجزة صبيحة يومهم ليتحيزوا إليهم برأتهم، فنصبوا معسكر السلطان، وركب إليهم في الآلة والتعية، واحتل المصال، وتحيز إليهم للكثير، ونجا السلطان إلى القيروان فدخلها في الفيل من عساكره ثمان المحرم فاتح تسع وعشرين وسبعين، وتدافعت ساقات العرب في أثره وتسابقاً إلى المعسكر، فاحتبوه ودخلوا قسطاط السلطان، فاستولوا على ذخيرةه والكثير من حرمته، وأحاطوا بالقيروان، وأحدقت حللم بها سياجاً، وتعاونت ذيابهم بأطراف البقاع، وأجلب ناعق الفتنة من كل مكان.

ويبلغ الخبر إلى تونس فاستحسن بالقصبة أولياء السلطان وحرمه، ونزع ابن تافراكت من جلة السلطان بالقيروان إليهم، فعقدوا له على حجاجة سلطانهم أحمد بن أبي دبوس ودفعوه إلى محاربة من كان بقصبة تونس، فاغذر إليها السير واجتمع إليه أشياع الموحدين وزعائف الغرقاء والجند، وأحاطوا بالقصبة، وغادها بالقتال، ونصب المنجنيق لحصارها.

ووصل سلطانه أحمد على أثره، وامتنعت عليهم، ولم يغزوا فيها غناً، وافتقر أمر الكعرب وخالق بعضهم بعضًا إلى السلطان، وتساقطوا إليه، فتنفس خنق الحصار عن القيروان، واحتلقت إليه

فأجلل عنها.

ولحق عبد الواحد بن اللحياني إلى تلمسان، إلى أن دلف إليها السلطان أبو الحسن بعساكرة، ففارقوه وخرج إليه، فأحله محل التكreme والميرة واستقر في جمله إلى أن ملك تونس.

ورفع إليه عند مقدم هذا الرفد أنهم دعوا إليه مع بعض حشmem، وطلبوه في الخروج معهم ليتصبو للأمر بإفريقيا وتبرأ إلى السلطان من ذلك، فأحضروا بالقصر ووفتهم الحاجب علال بن محمد بن المصود، وأمر بهم، فسجعوا إلى السجن.

وفتح السلطان ديوان العطاء وعسكر بسيجوم بساحة البلد بعد قضائه منسك الفطر من ستة.

وبعث في المسالح والعساكر فتوافروا يابه واتصل الخبر بأولاد أبي الليل القدس باعتقال وفدهم وعسكرة السلطان لهم، فضاقت عليهم الأرض بما رحب وتعاقدوا على الموت، وبعثوا إلى أقاطلهم أولاد مهلهل بن قاسم بن أسد.

وكأنها بعد مهلهل سلطانهم أبي حفص قد لحقوا بالقفر وانتبذوا عن إفريقيا فراراً من مطالبة السلطان بما كانوا شيعة لدعوته.

فاغذر السير إليهم أبو الليل بن حمزة متطارحاً عليهم بنفسه في الاجتماع للخروج على السلطان، فأجابوه وارتحلوا معه.

وتواترت أحياء بني كعب وحكيم جميعاً بتوزر من بلاد الجريد، فهدروا الدماء بينهم وتذاروا وتباعروا على الموت، والتمسوا من أغصان الملك من ينصبوا للأمر، فذهب بعض سماسترة الفتى على رجل من أعقاب أبي دبوس فريسة بني مرين من حلفاء بني عبد المؤمن بمراكش، عندما استولوا عليها.

وكان من خبره أن إباه عثمان بن إدريس بن أبي دبوس لحق بعد مهلهل إليه بالأندلس، وصاحب هنالك مرغم بن صابر شيخ بني دباب وهو أسير برشلونة.

فلما انطلق من أسره صحبه إلى وطن دباب بعد أن عقد تمص برشلونة بينهما حلفاً، وأمددهما بالأسطول على مال التزمه له.

ونزل بضواحي طرابلس وجبار البرير بها، ودعا لنفسه هنالك وقام بدعرته كافة العرب من دباب، وقاتل طرابلس، فامتنعت عليه.

ثم بايعه أسد بن أبي الليل شيخ الكهرب بإفريقيا، وأجلب به على تونس، فلم يتم أمره لرسوخ دعوة المخصبين بإفريقيا

حتى إذا كانت نكبة السلطان بالقيروان، سما إلى التوثب على ملك سلفه.

وكان أهل قسطنطينة وبجاية قد برموا من الدولة، واستقلوا وطأة الإيالة لما اعتادوا من الملكة الرقيقة، فأشروا إلى الثورة عندما بلغهم خبر النكبة.

وقد كان ترافق بقسطنطينة ركاب من المغرب فيه طوائف من الرفود والعساكر، وكان فيهم ابن صغير من أبناء السلطان، عقد له على عسكر من أهل المغرب، وأوزع إليه باللحاق بتونس، وفيهم عمال المغرب قدموا عند رأس الحول بجيابتهم وحسباتهم، وفيهم أيضاً وقد من زعماء النصارى بعثهم الطاغية ابن أدوفونش مع تاشفين ابن السلطان لما أطلقه من الأسر بعد عقد السلم والهدنة، وكان أسيراً عندهم من لدن واقعة طريف كما ذكرناه، وكان أصابة مس من الجنون.

فلما خلصت الولاية بين السلطان والطاغية، وعظم عنده الإيمان والهداية، وبلغ خبر السلطان وتغلبه إفريقياً، أطلق ابنه تاشفين وبعث معه هؤلاء الزعامات للتهتنة، وفيهم أيضاً وقد من أهل مالي ملوك السودان بالغرب، أو فدتهم ملوكهم من سليمان للتهتنة بسلطان إفريقياً، وكان معهم أيضاً يوسف بن مزنني عامل الزباب وأميره، قدم بجياباته عمله، واتصل به خبر الركاب بقسطنطينة فلحق بهم مؤثراً صحباتهم إلى سدة السلطان.

وتزافى هؤلاء الرفود جميعاً بقسطنطينة، واعصوا صدوراً على ولد السلطان.

فلما وصل خبر النكبة أشراب الغوغاء من أهل البلد إلى الثورة، وتجلت شفاههم إلى ما يليديهم من أموال الجباية وأحوال الشروة، فتقموا عليهم سوء الملكة، ودس مشيختهم إلى المولى الفضل ابن مولانا السلطان أبي يحيى بمكانه من بونة، وقد كشف القناع في الانتراء على عمله والدعاء لنفسه، فخطبوه للأمر، واستحوذوه للقدوم، فأغذى السير.

وتسامع بخبره أولياء السلطان، فخشى ابن مزنني على نفسه، وخرج إلى معسكره مجلحة يعقوب بن علي أمير الدواودة، وجلا ابن السلطان وأولياؤه إلى القصبة.

ومكر بهم أهل البلد في الدفاع دونهم حتى إذا أطلت رياضات مولانا الفضل وثروا بهم وأحجزوهم بالقصبة وأحاطوا بهم حتى استنزلوهم على أمان عقدوه لهم.

ولحقوا مجلحة يعقوب، فمسكروا بها بعد أن نقض أهل البلد عهدهم في ذات يدهم، فاستتصفوه وأشار عليهم ابن مزنني

رسول أولاد مهلل، وأحس بهم أولاد أبي الليل فدخل أبو الليل بن حزة بنفسه، وعاهد السلطان على الإفراج، ولم يف بعهده. وداخل السلطان وأولاد مهلل في الخروج معهم إلى سوسة، فعاهدوه على ذلك.

وواعد أسطوله برساها وخرج معهم ليلاً على تعية، فلحق بسوسة وبلغ الخبر إلى ابن تافراين بمكانه من حصار القصبة، فركب السفين ليلاً إلى الإسكندرية. وارتاد سلطانهم ابن أبي دبوس، لما وقف على خبره فانقض عليهم وأفرجوا عن القصبة.

وركب السلطان أسطوله من سوسة، ونزل بتونس آخر جادى واعتمل في إصلاح أسوارها وإدارة الخندق عليها، وأقام لها من الامتناع والتخصيص رسمًا ثبت له من بعده، ودفع به نحو عدوه، واستقل من نكبة القيروان وعثرتها، وخلص من هوتها والله يفعل ما يشاء.

ولحق أولاد أبي الليل وسلطانهم أحمد بن أبي دبوس بتونس، فأحاطوا بالسلطان واستبلغوا في حصاره، وخلصت ولاية أولاد مهلل للسلطان، فنقول عليهم ثم راجع بنو حزة رأيهم في طاعة السلطان ودخل كبيرهم عمر إليه في شعبان، وتقبضوا على سلطانهم أحمد بن أبي دبوس وقادوه إلى السلطان استبلاغاً في الطاعة، وإنماضاً للولاية فتقبل فيتهم، وأودع ابن أبي دبوس السجن، وأصهر إلى عمر بابنه أبي الفضل، فعقد له على بنته، واختلفت أحواهم في الطاعة والآخراف إلى أن كان ما ذكر. والله غالب على أمره.

## الخير عن انتفاضة الثغور الغربية ورجوعها إلى دعوة المحددين

كان المولى الفضل ابن مولانا السلطان أبي يحيى، لما قدم على السلطان أبي الحسن بتلمسان في زفاف شقيقته سنة سبع وأربعين وسبعينة بعدما اتصل به في طريقه مهلك أبيه، أوسع له السلطان كتفه، ومهد له جانب كرامته وبره، وغمز له بوعده في المظاهره على ملك أبيه يعزى به عن فقده.

وارتحل السلطان إلى إفريقيا، والمولى أبو الفضل يرجي أن يجعل سلطانها إليه، حتى إذا استولى السلطان على التغرين بجاية وقسطنطينة، وارتحل إلى تونس، عقد له على مكان إمارته أيام أبيه بونة، وصرفه إليها، فانقطع أمره وفسد ضميره وطوى إلى النكت

فصادف منه أذناً واعية، واشتمل عليه ابن جرار من بعدها. فلما ورد الخبر بنكبة السلطان أغراه ابن جرار بالتثبت على الملك، وسول له الاستئثار به على إخوانه تيقناً بهلك السلطان، ثم أوهمه الصدق بإرجاف الناس بموت السلطان، فأعتزم وشحد عزمه في ذلك ما اتصل به من حادث السلطان منصور ابن الأمير أبي مالك صاحب فاس وأعمال المغرب من الانتزاء على عمله، وأنه فتح ديوان العطاء واستلحق واستركب لغيبة بني مرین عن بلادهم، وخلاء جوء من عساكرهم، وأظهر العسكر والخشد لاستنقاذ السلطان من هوة القiroان يسر منها خسواً في ارتفاع، وتقطن لشأنه الحسن بن سليمان بن يرزيكن عامل القصبة بفاس، وصاحب الشرطة بالضواحي، فاستأذنه باللحاق بالسلطان، فاذن له راحة من مكانه.

وأصحابه عمال المصامدة ونواحي مراكش ليستقدمهم على السلطان بجياباتهم، فلحق بالأمير أبي عنان على حين أمضى عزيمته على التثبت والدعاء لنفسه، فقبض أمرؤهم وأخرج ما كان بموضع السلطان بالنصرة من المال والذخيرة، وجاهر بالدعاء لنفسه، وجلس للبيعة بمجلس السلطان من قصره في ربيع من سنة تسع وأربعين وسبعينة فبايعه الملا.

وقرأ كتاب يعتمهم على الأشهاد، ثم بايعه العامة، وانقضى المجلس وقد انعد سلطانه ورست قواعد ملكته، وركب في التعيبة والآللة حتى نزل بتبة الملعب.

وأهم الناس واتشروا وعقد على وزارته للحسن بن سليمان بن يرزيكن، ثم لفارس بن ميمون بن ودرار وجعله رديفاً له وبعها، ورفع مكان ابن جرار عليهم.

واختص لوليته ومناجاة خلوته كاتبه أبا عبد الله بن محمد ابن القاضي عبد الله بن أبي عمر وسند ذكر خبره.

ثم فتح الديوان واستركب من تساقط إليه من فل أبيه، وخلع عليهم ودفع إليهم أعطيائهم وأزاح عليهم.

وبينما هو يrepid الرحمة إلى المغرب إذ بلغه أن وزمار ابنولي السلطان، وخالصته عريف بن يحيى، وكان أمير زغبة لعهده ومقدماً على سائر البدو، وبلغه أنه قد جمع له يrepid حرية، وغلبه على ما صار إليه من الانتزاء والثورة على أبيه.

وأنه قصد تلمسان بجامعة من العرب وزناته المغرب الأوسط، فعقد للحسن بن سليمان وزيره على حرية وأعطاه الآلة وسرمه للقاءه، وسرح معه من حضره من بني عامر أفتال سويد، وارتحل الوزير بعسكره حتى احتل بتاسالة، وناجزه وزمار

باللحاق بعسكرة ليكون ركابهم إلى السلطان، فارتحلوا جميعاً في جرار يعقوب لما من ملك تلك الضواحي، حتى لحقوا بعسكرة، وزلوا منها على ابن مزني خيرنzel، وكفاهم كل شيء بهمهم على طبقاتهم ومقامتهم، وعناية السلطان من كان وافداً منهم، حتى سار بهم يعقوب بن علي إلى السلطان وأوفدهم عليه في رجب من ستة. واتصل الخبر بأهل بجاية بالفعلة التي فعل أهل قسنطينة، فساجلواهم في الثورة، وكسروا منازل أولياء السلطان وعسكره وعماليه، فاستباحوها واستلبوهم وأخرجوهم من بين ظهرانيهم عراة، فلحقوا بالغرب وطيروا بالخبر إلى المولى أبي الفضل، واستحوذوا للقدوم، فقدم عليهم وعقد على قسنطينة وبوتنة لمن استكفى به من خاصته ورجالات دولته، واحتل بجاية لشهر ربيع من ستة، وأعاد ملك سلفه.

واستوسق أمره بهذه التغور إلى أن كان من خبره مع السلطان بعد خروجه من بجاية ما ذكره إن شاء الله تعالى.

## الخبر عن انتزاء أولاد السلطان بالغرب الأوسط والأقصى ثم استقلال أبي عنان ملك المغرب كله

لما اتصل خبر النكبة بالقiroان بالأمير أبي عنان ابن السلطان، وكان صاحب تلمسان والمغرب الأوسط، وتساقط إليه الفيل من عسكر أبيه عراة زرافات ووحدان، وأرجف الناس بهلك السلطان بالقiroان، فتطاول الأمير أبو عنان للاستئثار بملك أبيه، دون الآباء، لما كان له من الإيشار عند أبيه لصياته وعفافه، واستظهار القرآن، فكان مخللاً بعين أبي لأمثالها.

وكان عثمان بن يحيى بن جرار من مشيخة بني عبد الواد ولو لا تدوين بن طاع الله منهم، وكان له محل من الدولة كما ذكرناه في خبره، وكان السلطان أذن له في الرجوع إلى المغرب، فرجع من عسكره باللهدية، وزل بزاوية العباد من تلمسان، وكان مسماً وقوراً، جهينة خبر متعنا في حديثه، وكان يرجم فيه الوقوف على الحدثان.

وكان الأمير أبو عنان متشوقاً إلى أخبار أبيه، فقنع إلى عثمان بن جرار في تعرفها، واستدعاه وأنس به، وكان في قلبه مرض من السلطان، فلأودع أذن الأمير أبي عنان ما أراد من الأقاويل من تورط السلطان في المهلكة، وبشره بمصير الأمر إليه،

واجتمع إليه قومه من بني مرين إلا من أقام مع السلطان بتونس وفأه بمحقق، وحصن جناح أبيه عن الكثرة على الكعب الناكين لعهده، الناكين عن طاعته، فاتأتم بتونس يرجي الأيام، ويأمل الكثرة، والأطراف تتقضى والخوارج تتجدد إلى أن ارتحل إلى المغرب بعد اليأس، كما نذكره إن شاء الله تعالى.

### الخبر عن انقضاض الواحي وانزاء بني عبد الواد بتلمسان ومغراوة بشلف وتوجين بالمدية

لما كانت نكبة السلطان بالقيروان وانتشر ملك زناتة، وانتقضت قواعد سلطانهم، اجتمع كل قوم منهم لإبرام أمرهم والنظر في شأن جماعتهم، وكانوا جميعاً نزعوا إلى الكعب الخارجين على السلطان، ويتزوعهم كانت الدايرة عليه. ولحقوا بتونس مع الحاج أبي محمد بن تافراكتين ليلحقوا منها بأعماهم.

وكان في جلة السلطان جماعة من أعياصهم: منهم عثمان وإنورته الزعيم ويوسف وإبراهيم أبناء عبد الرحمن بن يغمراسن بن زيان سلطان بني عبد الواد، صاروا في إية السلطان منذ فتح تلمسان وأنزلهم بالجزيرية للرباط.

ثم رجعوا بعد استئثار الطاغية بها إلى مكانتهم من دولتهم، وساروا إلى القiroان تحت لوائه ومنهم علي بن راشد بن محمد بن ثابت بن منديل.

وقد ذكرنا أخبار أبيه وأنه ربي في إية السلطان وجرو الدولة يتيمًا، وكفلته نعمتها منذ نشاته حتى كأنه لا يعرف سواها، فاجتمع بني عبد الواد بتونس وعقدوا على أنفسهم لعشمان بن عبد الرحمن بما كان كبير إخوتة، وأنه بييعتهم بشرقي المصلى العتيق المطل على سجحوم من ساحة البلد، لعهده بهم يومئذ.

وقد وضعوا له بالأرض درقة من الماء أجلسوه عليها، ثم ازدحوا مكبين على يده يقللونها للبيعة.

ثم اجتمع من بعدهم مغراوة إلى علي بن راشد وبإيعوه وحفروا به.

وتعاهد بني عبد الواد ومغراوة على الألفة وانتظام الكلمة وهدر الدماء.

وارتحلوا إلى أعمالهم بالمغرب الأوسط، فنزل على بن راشد

الحرب، فقتل جوعه ومنحوا أكباثهم، واتبع الوزير وعسكره آثارهم، واكتسح أموالهم وحللهم، وعاد إلى سلطانه بالفتح والغنائم.

وارتحل الأمير أبو عنان إلى المغارب، وعقد على تلمسان لعثمان بن جرار وأنزله بالقصر القديم منها، حتى كان من أمره مع عثمان بن عبد الرحمن ما ذكرنا في أخبارهم.

ولما انتهى إلى وادي الزيتون وشي إلى سالوزير الحسن بن سليمان أنه مضرم الفتوك به بتازى ترلفا إلى السلطان ووفاء بطاعته، وأنه داخل في ذلك الحافظ منصور صاحب أعمال المغرب، بما كان يظهر من طاعة جده، وارتبا الأمير أبو عنان به واستظهر واشيه على ذلك بكتابه.

فلما قرأه تقبض عليه، وقتل بالمساء ختفاً، وأخذ السير إلى المغرب.

وبلغ الخبر منصور بن أبي مالك صاحب فاس فزحف للقاء، واتقى الجماع بساحة تازى وبوادي أبي الأجراف، فاختل مصادف منصور وانهزمت جوعه ولحق بفاس.

وأخذ بالبلد الجديد وارتحل الأمير أبو عنان في أثره، وتسايل الناس على طبقاتهم إليه، وأتسوه الطاعة واتناخ بعساكره على البلد الجديد في ربيع الآخر من سنة تسع وأربعين، وأخذ بمختفتها وجع الأيدي والفعلة على الآلات لحصارها، ولحين نزوله على البلد الجديد أوعز إلى الوالي بمكناسة، أن يطلق أولاد أبي العلاء المعطلين بالقصبة، فأطلقهم ولحقوا به فاتقاوا معه على حصار البلد الجديد، وطال غرسه بها إلى أن ضاقت أحوالهم واختلفت أهواههم، وزرع إليه أهل الشوكة منهم.

ونزع إليهم إدريس بن عثمان بن أبي العلاء فيمن إليه من الخاشية ياذنه له في ذلك سرًا ليمكنه بهم، فدس إليه وواعده الثورة بالبلد، فثار بها واتقحمها الأمير أبو عنان عليهم، ونزل منصور بن أبي مالك على حكمه، فاعتقله إلى أن قتله بمحبسه، واستولى على دار الملك وسائر أعمال المغرب وتسابقت إليه وفسود الأمصار للتنة والبيعة.

وقس克 أهل سبعة بطاقة السلطان والإنقاذ لقائهم عبد الله بن علي بن سعيد من طبة الوزراء حيناً، ثم توثيروا به وعقدوا على أنفسهم للأمير أبي عنان، وقدروا عاملهم إليه.

وتولى كبر الثورة فيه زعيمهم الشريف أبو العباس أحد بن محمد بن راقع من بيت أبي الشريف من آل الحسن، كانوا انقلوا إليها من صقلية، واستوسق للأمير أبي عنان ملك المغرب،

تتغيرن في رياسته، وانخاش إليه أولاد عزيز من بنى توجين أهل ضاحية المدينة فقاموا بأمره، واعصوصبوا عليه، وكانت بينه وبين أبناء عمر بن عثمان حرب سجال إلى أن هلك، وخلص أمر بنى توجين لأبناء عمر بن عثمان، وهو مقيم خلال ذلك بتونس إلى أن السلطان ومسكمهم بدعوته، أزمع الرحلة، واحتل بالجزائر كما نذكره إن شاء الله تعالى.

### الخبر عن رجوع أمراء الثغور الغربية من الموحدين إلى ثغورهم بمجاية وقسطنطينة

لما توشب الأمير أبي عنان على ملك أبيه وبريص بتلمسان، وكانت للأمير أبي عبد الله محمد ابن الأمير أبي زكريا صاحب مجاهة لديه خلة ومصافة، من لدن بعثه إليه السلطان أبوه من مجاهة، وائزله بتلمسان فرعى له السابقة وأثره في الإمارة، وعقد له على محل إمارته من مجاهة، وأمده بما يرضيه من المال والسلاح.

ودفعه إليها ليكون حجزاً دون السلطان بتونس، وضمن له هذا الأمير صده عن الخلوص إليه، وسد المذاهب دونه، وأوزع أبو عنان إلى أساطيله بوهران، فركبها الأمير إلى تدليس ودخلها.

ونزع إليه صنهاجة أهل ضاحية مجاهة، عن عمه المولى أبي العباس الفضل واعصوصبوا عليه وقاموا بأمره لقديم نعمته وسالف إمارة أبيه.

ولما ارغل الأمير أبو عنان إلى المغرب، رحل في جملته المولى أبو زيد عبد الرحمن ابن مولانا الأمير أبي عبد الله صاحب قسطنطينة ومعه إخواته، فاختصهم يومئذ بتقربيه وخلطهم بنفسه.

فلمًا غلب الأمير أبو عنان منصور ابن أخيه أبي مالك على البلد الجديد، واستولى على المغرب رأى أن يبعث ملوك الموحدين إلى بلادهم، ويدفع في صدر أبيه يمكنهم فسح المولى أبي زيد وجميع إخواته، وكان منهم مولانا السلطان أبو العباس الذي جبر الله به الصدug ونظم الشمل، فوصلوا إلى موطن ملوكهم وحمل إمارتهم.

وكان مولاهم نبيل حاجب أبيهم قد تقدم إلى مجاهة، ولحق بالمولى أبي عبد الله يمكنه من حصارها.

ثم تقدم إلى قسطنطينة وبها مولى من موالي السلطان المتغلب عليها، وهو المولى أبو العباس الفضل، فلحن إطلاعه على جهاتهما وشعور أهلها يمكنه لفتح منهما عازف المودة وذكرها جيل

وقومه بموضع عملهم من ضواحي شلف، وتغلبوا على أمصاره واقتصرت تس وأخرجوا منها أولياء السلطان وعسكره، وقتلوا القاضي بازونة سرحان، كان مقيماً للدعاية السلطان بها، ثم سولت له نفسه التوثب والانتزاء، فدعا لنفسه، وقتلته علي بن راشد وقومه.

وأجاز عثمان بن عبد الرحمن وقومه من بنى عبد الواد إلى محل ملكهم بتلمسان، وألقو عثمان بن جرار قد انتزى بها بعد منصرف الأمير أبي عنان ودعا لنفسه، فتجهزم له الناس لتوبته على المنصب الذي ليس لأبيه، واستمسك بالبلد أياماً يؤمل نزوع قومه إليه.

ثم زحف إليه بنو عبد الواد وسلطانهم فصدقواه الزحف، وثارت به الغراء، وكسروا أبواب البلد، وخرجوا إلى السلطان فادخلوه القصر، واحتل به في جمادي من سنة تسع وأربعين وبسبعينة وتسابق الناس إلى مجلسه مثنى وفرادي، وبايعوه البيعة العامة.

وتقدّم ابن جرار، ثم أغري به البحث، فعثر عليه ببعض زوايا القصر، واحتمل إلى المطبق فأودع به إلى أن سرب إليه الماء فمات غريقاً في هوته.

وساهم السلطان أبو سعيد عثمان أخيه أبا ثابت الزعيم في سلطانه، وشركه في أمره، وأردفه في ملكه، وجعل إليه أمر الحرب والضواحي والبدو كلها.

واستوزر قريبه يحيى بن داود بن مكن، من ولد محمد بن تيدوكسن بن طاع الله، واستوسق ملوكهم، وأوفدوا مشيختهم على الأمير أبي عنان صاحب المغرب، وسلطان بنى مرین، فعقدوا معه السلام والهدنة، واشترطوا له على أنفسهم دفاع السلطان أبيه عن الخلوص إليه.

وزحفوا إلى وهران من ثبور أعمالهم، ونزلوا بها أولياء السلطان وعساكره، وعاملها يومئذ عبو بن جانا من صنائع السلطان إلى أن غلبوه عليها، واستنزلوه صلحًا لأشهر من حصارها.

واستمسك أهل الجزائر بطااعة السلطان، واعتصموا بها، وعقد علىها لقائده محمد بن يحيى العشري من صنائع أبيه، بعضه إليهم من تونس بعد نكبة القبروان.

ونجح بالمدية علي بن يوسف بن زيان بن محمد بن عبد القوي داعياً لنفسه، وطالباً سلطان سلفه، وامتنع عليه معقل ملوكهم بجعل وانشريش مكان ولد عمر بن عثمان وقومهم بني

ومن زناته من بني توجين أهل وانشريش وغيرهم.  
وزحف إليهم الرعيم أبو ثابت من تلمسان في قومه من بني عبد الواد وغيرهم للمساعدة.

والتقى الجمuan بوادي ورك وانقضت جموع الناصر وانذروا، ورجع على عقبه إلى بسكرة وخالص عريف بن يحيى إلى قومه سويد، ثم قطع القفر إلى المغرب الأقصى.

ولحق بالأمير أبي عنان فنزل منه بالطف محل، ورجع الناصر إلى بسكرة، وارتحل مع أوليائهم أولاد مهلهل للمساعدة أولاد أبي الليل وسلطانهم المولى الفضل عن تونس كما ذكرناه. واحسوا بهم، فنهضوا إليهم، وفروا أمامهم، إلى أن خلص الناصر إلى بسكرة ثانية، واتخذها مثوى إلى أن لحق باليه بالجزائر عند رحلته من تونس إليها كما نذكره إن شاء الله تعالى.

### الخبر عن رحلة السلطان أبي الحسن إلى المغرب وتغلب المولى الفضل على تونس وما دعا إلى ذلك من الأحوال

لما خلص المولى أبو العباس الفضل ابن مولانا السلطان أبي يحيى من نكبة بجاية، وامتن عليه ابن أخيه، فلتحق بمحل إمارته من بونة.

ووافته بها مشيخة أولاد أبي الليل، أو فدهم عليه بنو حزرة بن عمر يستحثونه لملك إفريقيا، يرغبونه فيه، فأجاب داعيهم ونهض إليهم بعد قضاء نسك القطر من ستة تسع وأربعين، ونزل محلهم وأرجعوا مخليهم ورکابهم على ضواحي إفريقيا، وجوهاه، وصمدوا إلى تونس فنازلوها وأخذوا بعثتها أيامًا، ثم أخذت بمحجزتهم عنها شيعة السلطان وأولياؤه من أولاد مهلهل وبابه الناصر عند قفوله من المغرب الأوسط مفلسوًا فرحلوهم وشدودهم؛ ثم رجعوا إلى مكانهم من حصارها، ثم افتصروا عنها. وتحيز خالد بن حزرة إلى شيعة السلطان أبي الحسن من أولاد مهلهل وقومه، فاعتزوا به وذهب عمر بن حزرة إلى المشرق لقضاء فرضه، وأجفل أبو الليل أخوه والمولى الفضل إلى القفر حتى كان من دخول أهل الجريد في طاعته ما سنذكره إن شاء الله تعالى.

وكان السلطان لما خلص من القبوران إلى تونس، وقد إليه أحد بن مكي مهيناً ومحاوضاً في شأن الغفر وما مني به من انتقام

الإيالة، وأجعوا التوثب بروالديهم.  
واحتل نبيل بظاهر قسطنطينة فشرحت العامة إلى إمارته والقيام بدعة مواليه.

وتوبت أشياعهم على أولياء عمهم فاخرجموهم واستولى القائد نبيل على قسطنطينة وأعمالها وأقام دعوة المولى أبي زيد وإخوته كما كانت أول مرة بها: وجاؤوا من المغرب إلى مركز إمارتهم ودعوتهم بها قائمة، ورأيهم على أخوانها خاقفة فاحتلوا بها حلول الأسد بعرتها والكرابك باتفاقها، ونهض المولى أبو عبد الله محمد فيما اجتمع إليه من البطانة والألواء، إلى عاصرة بلد بجاية، فأحجز عمه بالبلد، وأخذ بمحفظتها أيامًا، ثم أفرج عنها، ثم رجع إلى مكانه من حصارها.

ودس إليه بعض أشياعه بالبلد، وسررب المال في الغوغاء، فرعا عدوه فتح أبواب الريض في إحدى ليالي رمضان سنة تسع وأربعين وسبعينة واقتصر البلد وملاه الفضاء بهدير طبولة، فهرب الناس من مراقدتهم فرعون وقد ولح الأمير وقومه البلد.

وبلغ الأمير أبو العباس الفضل إلى شعاب الجبل وكواربه المطل على القصبة راجلاً حافياً، فاختفى إلى أن عثر عليه ضحى النهار، وسبق إلى ابن أخيه، فمن عليه وأركبه السفين إلى محل إمارته من بونة.

وخلص ملك بجاية للمولى الأمير أبي عبد الله هذا واقتعد سرير آباه بها، وكتبوا للأمير أبي عنان بالفتح، وتجديد المصالحة والمالاة، والعمل على معاونة أخيه من جهةاته، والله تعالى أعلم.

### الخبر عن نهوض الناصر ابن السلطان ووليه عريف بن يحيى من تونس إلى المغرب الأوسط

لما بلغ السلطان خبر ما وقع بالمغرب من انتقام أطراه، وتغلب الأعيان من قومه وسواهم على أعماله، ووصل إليه يعقوب بن علي أمير الدواودة بولده وعماله ووفده، نظر في تلاني أمره فسرح ولده الناصر إلى المغرب الأوسط لارتفاع ملوكهم، ومحو آثار الخوارج من أعمالهم.

فنهض مع يعقوب بن علي وأصحابه وليه عريف بن يحيى أمير زغبة ليستظهر به على ملك المغرب، وقد همما طليعة بين يديه، وسار الناصر إلى بسكرة، وأضطرب معسكره بها، ثم فصل من بلاد رياح إلى بلاد زغبة، واجتمع إليه أولياؤهم من العرب

الأطراف وفساد الرعية.

وتدارك السلطان أمره عند فواته بالتلويه على أهل القطر من جنسهم استلاؤه للكافة، واستبقاء لطاعتهم.

فقد على عمل قابس وجربة والحمدة، وما إليها بعد الواحد ابن السلطان أبي زكريا بن أحمد اللاحاني، وأنفذه مع أحد بن مكي إلى عمله، فهلك بجربة لليل من مقدمه بالطاعون الجارف عامئد.

وعقد أبي القاسم بن عتو شيخ الموحدين على توزر ونقطة وسائر بلاد الجريد، بعد أن كان استخلصه عند مفر أبي محمد بن تافراين قريعة، وما ظهر من سوء دخلته، فنزل بتوزر وجع أهل الجريد على الولاية والمخالصه، ولما نازل المولى أبو العباس الفضل تونس مرتين، وشرد أولاد مهلهل وامتنع عليه، عمد إلى الجريد سنة خمس وسبعيناً يحاول فيه ملكاً، وخطب أبا القاسم بن عتو يذكره عهده وعهد سلفه وحقوقهم، فتذكر وحسن، ونظر إلى ما ناله به السلطان من الملة في أطراه، واستثار كامن حقده، فاخغر وحمل الناس على طاعة المولى الفضل ابن مولانا السلطان أبي يحيى، فسارعوا إلى الإجابة وبايدهم أهل توزر وقصبة ونقطة والحمدة، ثم دعا ابن مكي إلى طاعته فأجاب إليها وبايدهم أهل قابس وجربة أيضاً.

وانتهى الخبر إلى السلطان باستيلاء المولى الفضل على أمصار إفريقية، وأنه تاهض إلى تونس، فآهمه الشأن وخشي على أمره، وكانت بطاته يوسوسون إليه بالرحلة إلى المغرب لاسترجاع نعمتهم باسترجاج ملکه، فأجابهم إليها وشحن أساطيله بالأقوان، وأزاح علل المسافرين.

ولما قضى منسك الفطر من سنة خمسين وسبعيناً ركب البحر أيام استفحال فصل الشتاء، وعقد لابنه أبي الفضل على تونس ثقة بما بينه وبين أولاد حزة من الظهر، وتقادياً بمكانه عن معرة الغوغاء وثورتهم.

وأقلع من مرسي تونس، وخمس دخل مرسي مجایة، وقد احتجوا إلى الماء فمنهم صاحب مجایة من الورود، وألوغز إلى سائر سواحله بمنهم، فزحفوا إلى الساحل وقتلوا من صدهم عن الماء إلى أن غلوبهم عليه واستقوا وألقعوا، وعصفت بهم الريح ليبلتد وجاءهم الموج من كل مكان، وألقاهم اليم بالساحل بعد أن تكسرت الأجفان، وغرق الكثير من بطانة السلطان وعامة الناس، وقد الموج بالسلطان فالقاء إلى الجزيرة قرب الساحل منبلاد زواوة مع بعض حشمه عراة، فمكثوا ليلتهم وصيّبهم جهن من

الأساطيل كان قد سلم من ذلك العاصف، فقدنوا إليه حين رأوه وقد تصايع به البرير من الجبال وتواتروا إليه فاختطفه أولياؤه من أهل الجفن قبل أن يصل إليه البرير، وقدنوا به إلى الجزائر فنزل بها، ولأم صدده.

وخلع على من وصل من قل الأساطيل ومن خلص إليه من أوليائه، ولحق به ابنه الناصر من بسكرة، واتصل بالمولى الفضل خرج رحيله من تونس وهو ببلاد الجريد، فأخذ السير إلى تونس، وزل بها على ابنه ومن كان بها من مختلف أوليائه، فغلبوا عليهم عليها، واتصل أهل البلد بهم وأحاطوا يوم منى بالقصبة.

واستنزلوا ابن السلطان أبا الفضل الأمير بالقصبة على الأمان، فخرج إلى بيت أبي الليل بن حزة، وأنفذ معه من بلغه إلى مأمه، فلحق بالجزائر بأبيه ويادر إلى السلطان عدي بن يوسف المتزي بالمدينة من بيبي عبد القوي، فصار في جملته، وخرج له عن الأمر، وزعم أنه إنما كان قائماً بدعوه، فقبل منه وأقره على عمله.

ووفد عليه أولياؤه من المغرب: سويد والحارث ومحسين ومن إليهم من اجتمع إلى وليه ون Zimmerman بن عريف المتمسك بطاعته. ووفد عليه أيضاً علي بن راشد أمير مفراوة، وأغراه بيبي عبد الواد، واشترط عليه إقراره بوطنه وعمله إذا تم أمره، فلابي من قبل الاشتراط ظناً بعده عن التكث، فتنزع عنه وصار إلى مظاهرة بيبي عبد الواد عليه.

وبعث أبو سعيد عثمان صاحب تلمسان إلى الأمير أبي عنان في المدد، فبعث إليه بعسكر من بيبي مرين عقد عليهم ليجيسى بن رحو بن تاشفين بن معطي من تيرييغ، وزحف الزعيم أبو ثابت إلى حرب السلطان أبي الحسن فيما اجتمع إليه من عسكر بيبي مرين ومفراوة.

وخرج السلطان من الجزائر وعسكر بمتحجة، واحتشد وزنمار سائر العرب بحملهم، ووافاه بهم، وارتخلوا إلى شلسف، ولما التقى الجماعان، بشدوبونه صدقه مغراوة الحملة وصابرهم ابنه الناصر وطعن في الجولة فهلك فاحتل مصاف السلطان واستبيح مسكنه، وانتهت فساطيطه، وخلص مع وليه ون Zimmerman بن عريف وقومه بعد أن استبيحت حلهم، فخرجو إلى جبل وانشريش، ثم لحقوا بجبل راشد، ورجع القوم عن اتباعهم، وإنكفوا إلى الجزائر فتغلبوا عليها، وأخرجوا من كان بها من أولياء السلطان ومحوا آثار دعوته من المغرب الأوسط جملة، والأمر بيد الله يؤتيه من يشاء.

عبد المؤمن كبير بني ونكسن، وبلغه قصد السلطان إلى مراكش، فاعترم على الرحلة إليها وأبى عليه قومه، فرجع إلى فاس إلى أن كان من خبرهم مع السلطان ما ذكره.

### الخبر عن استيلاء السلطان على مراكش ثم انهزامه أمام الأمير أبي عنان ومهلكه بجبل منتاتة عفا الله عنه

لما أجمل السلطان من سجلماسة سنة إحدى وخمسين وسبعينة بين يدي الأمير أبي عنان وعساكر بني مرين، وقصد مراكش، وركب إليها الأوغار من جبال المصادمة، ولما شارفها تسارع إليه أهل جهاتها بالطاعة من كل أوب، ونسلاوا من كل حدب.

ولحق عامل مراكش بالأمير أبي عنان ونزع إلى السلطان صاحب ديوان الجباية أبو الجد محمد بن أبي مدين بما كان في المودع من مال الجباية، فاختصه واستكتبه وجعل إليه علامته، واستركب واستلتحق وجبي الأموال، ويث العطاء، ودخل في طاعته قبائل العرب من جشم وسائر المصادمة، وثاب له ملك مراكش أمل معه أن يستولي على سلطانه، ويرتّحى فارتّح أمره من يد مبتهه.

وكان الأمير أبو عنان لما رجع إلى فاس عسكر بساحتها، وشرع في العطاء وأزاح العلل، وتفقص على كاتب الجباية حزة بن شعيب بن محمد بن أبي مدين، اتهمه بحملة بني مرين في الإبایة عليه عن اللحاق بمراكش من سجلماسة.

وأثار حقده في ذلك ما كان من نزوع عمّه أبي الجد إلى السلطان بأموال الجباية، ووسوس إليه في السعاية به كاته وخلصته أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي عمرو لما بينهما من المخاصمة، فتقبض عليه وامتحنه، ثم قطع لسانه وهلك في ذلك الامتحان، وارتحل الأمير أبو عنان وجروم بني مرين إلى مراكش، ويرز السلطان إلى لقائهم ومدافعتهم، وانتهى كل واحد من الفريقين إلى وادي أم ربيع، وتربص كل واحد بصاحبه إجازة الرادي.

ثم أجازه السلطان أبو الحسن وأصبحوا جميعاً في التعبية، والتقي المجتمع بتمادغرسٍ في آخر صفر من سنة إحدى وخمسين وسبعينة فاختل مصاف السلطان وانهزم عساكره، ولحق به أبطال بني مرين فرجعوا عنه حياءً وهيبةً.

### الخبر عن استيلاء السلطان على سجلماسة ثم فراره عنها أمام ابنه إلى مراكش ثم استيلاؤه عليها وما تخلل ذلك

لما انقضت جموع السلطان بشبدونه وفلت عساكره، وهلك الناصر ابنه، خلص إلى الصحراء مع ولده ون Zimmerman وطلق محلل قومه سويد وأوطانهم قبلة جبل وانشريش، وأجمع أمره على قصد المغرب موطن قومه ومبني عزه ودار ملكه.

وارتحل معه ولده ون Zimmerman بالناجعة من قومه، وخرجوا إلى جبل راشد.

ثم أبعدوا المذاهب وقطعوا المفارق وسلكوا إلى سجلماسة في القفر.

فلما أطلوا عليها وعain أهلها السلطان تهافتوا عليه تهافت الفراش، وخرج إلى العذاري من وراء ستورهن صاغية إليه، وإشاراً لإياته، وفر العامل بسجلماسة إلى منجاهه.

وكان الأمير أبو عنان لما بلغه الخبر بقصد سجلماسة، ارتحل إليها في قومه وكافة عساكره بعد أن أزاح علّهم وأفاض عطاءه فيهم، وكان لبني مرين نفرة عن السلطان وحضر من غالاته جناباتهم بالتحاذل في المواجه، والفار عنه في الشدائ، ولما كان يبعده في الأسفار ويتجشّم بهم المهالك، فكانوا لذلك مجتمعين على متابعته، وخلصين في مناصحة ابنه متابعة، فما لبث السلطان أن جاءه الخبر بوصولهم إليه في العساكر الضخمة، مغتنمين السير إلى دفاعه، وعلم من حاله أنه لا يطيق لقاءهم، وأجمل عنه ون Zimmerman ولده في قومه سويد.

وكان من خبره أن عريف بن يحيى كان نزع إلى الأمير أبي عنان وأحله بمحله المعهود من تشريفهم وولايته، حتى إذا بلغه الخبر بمناصحة ون Zimmerman للسلطان وظاهرته وقصده الغرب معه بناجعته، زوى عنه وجه رضاه بعض الشيء، وأقسم له لئن لم يفارق السلطان لأوقعن بك وبائك عنتر. وكان معه من جلة الأمير أبي عنان، وأمره بأن يكتب له بذلك، فأثر ون Zimmerman رضي إليه، وعلم أن غناه عن السلطان في وطن المغرب قليل، فاجفل عنه ولحق بالزاب وانتبذ عن قومه، والقى عصاه بيسكرة، فكان ثراوته بها إلى أن لحق بالأمير أبي عنان على ما ذكره.

ولما أجمل السلطان عن سجلماسة، ودخل الأمير أبو عنان إليها وتفق أطراها وسد فروجها، وعقد عليها ليحيى بن عمر بن

**الخبر عن حركة السلطان أبي عنان إلى  
تلمسان وإيقاعه ببني عبد الواد بأنكاد  
ومهلك أبي سعيد سلطانهم**

لما هلك السلطان أبو الحسن وانتقض شأن الحصار وارتحل  
السلطان أبو عنان إلى فاس ونقل شلور أبيه إلى مقبرتهم بشالة فدنه  
مع من هنالك من سلفه.

وأخذ السير إلى فاس وقد استبد بالأمر، وخلت الدولة عن  
المنزاع، فاحتل بفاس واجمع أمره على غزو بني عبد الواد لارتجاع  
ما بايدهم من الملك الذي سموا لاستخلاصه.

ولما كان فاتح سنة ثلث وخمسين وسبعين نادى بالعطاء  
وازاح العلل، وعسكر بساحة البلد الجديد، واعتبر العساكر  
وارتحل يريد تلمسان، وانصل الخبر بأبي سعيد وأخيه، فجمعوا  
قومهم ومن إليهم من الأشیاع والأحزاب من زناته والعرب،  
وارتحلوا إلى لقائه، ونزل السلطان بعسكر وادي ملوية، وتلسم به  
أياماً لاعتراض الحشد والعرب.

ثم رحل على تعبية حتى إذا احتل بسيط أنكاد وتراءى  
الجمعان، انقض سرعن المعسكر وخلفوا بالغرب وركب السلطان  
في تعبية وخاض بحر القتال، وقد أظلم الجبو به حتى إذا خلص  
إليهم من غمرة، وخطا لهم في صفوفهم، ولو الأديبار، ومنحوم  
الأكفاف، واتبع بنو مرين آثارهم فاستولوا على معسكرهم  
 واستباحوه واستلهموهم قتلاً وسبباً، وصفدوهم أسارى،  
وغيثهم الليل وهم متسلبون في آثارهم، وتنقض على أبي سعيد  
سلطانهم، فسيق إلى السلطان وأمر باعتقاله، وأطلق أيدي بني مرين  
من الغد على حلل العرب من العقل، فاستباحوهم واقتضوا  
أموالهم جزاء بما شرعوا إليه من النهب في الحنة في هيبة ذلك  
الجال.

ثم ارتحل به على تعبية إلى تلمسان فاحتل بها لريبع من  
سته، واستوت في ملتها قدمه، وأحضر أبا سعيد فقرعه ووجهه  
وأرآه أعماله حسنة عليه، وأحضر الفقهاء وأرباب الفتيا، فاقروا  
بحربته وقتلها.

وأمضى حكم الله فيه، فذبح في مجلسه لناسعة من اعتقاله،  
وجعله مثلاً للآخرين.

وخلص أخوة الزعيم أبو ثابت إلى قاصية الشرق، فكان من  
خبره ما ذكره إن شاء الله تعالى والله أعلم.

وكبا به فرسه يومئذ في مفره، فسقط إلى الأرض والفرسان  
تحوم حوله.

واعتبر ضمهم دونه أبو دينار سليمان بن علي بن أحد أمير  
الدواودة، ورديف أخيه يعقوب، كان حاجراً مع السلطان من  
الجزائر، ولم يزل في جملته إلى يومئذ، فدافع عنه حتى ركب وسار  
من ورائه رداءً له.

وتقبض على حاجبه علال بن محمد، فصار في يد الأمير  
أبي عنان وأودعه السجن إلى أن امتن عليه بعد مهلك أبيه.  
وخلص السلطان إلى جبل هناتة ومعه كيرهم عبد العزيز  
بن محمد بن علي، فنزل عليه وأجاره واجتمع إليه الملا من هناتة  
ومن انصاف إليهم من المصامدة، وتدامروا وتعاهدوا على الدفاع  
عنه، وبايعوه على الموت، وجاء أبو عنان على أثره حتى احتل  
مراكش، وأنزل عساكره على جبل هناتة، ورتب المسالح لمحارمه  
وحربه، وطال عليه ثراؤه، وطلب السلطان من ابنه الإبقاء، وبعث  
في حاجبه محمد بن أبي عمرو فحضر عنده، وأحسن العذر عن  
الأمير أبي عنان والتمس له الرضى منه، فرضي عنه، وكتب له  
بولاية عهده.

وأوزع إليه بان يبعث له مالاً وكسى، فسرح الحاجب ابن  
أبي عمرو إلى إخراجها من المودع بدار ملوكهم، واعتقل السلطان  
خلال ذلك، فمرضه أولياًه وخاصة، وافتقد لإخراج الدم، ثم  
باشر الماء بعضو للطهارة، فورم وهلك لليال قريبة عفا الله عنه،  
لثلاث وعشرين من ربيع الثاني سنة اثنين وخمسين وسبعين  
ويبعث أولياًه بالخبر إلى ابنه بمحسكة من ساحة مراكش، ورفقاً  
على أعوده إليه فلتقاء حافياً حاسراً، وقبل أعوده وبكى،  
 واسترجع ورضي عن أوليائه وخاصة، وأنزلهم بال محل الذي رضوه  
من دولته، ووارى أبوه بمراكش إلى أن نقله إلى مقبرة سلفه بشالة في  
طريقه إلى فاس وتلقى أبا دينار بن علي بن أحد بالقبول والكرامة،  
 وأنحله من كنه حل الرحب والسعفة، وأنسى جوازه، وخلع عليه  
وحمله.

وانصرف من فاس إلى قومه يستحثهم للقاء السلطان أبي  
عنان بتلمسان لما كان أجمع على الحركة إليها بعد مهلك أبيه،  
ورفعى عبد العزيز بن محمد أمير هناتة إجارته للسلطان واستماته  
دونه، ففقد له على قومه وأحله بال محل الرفيع من دولته ومجلسه،  
وابسطل في تكريمه، والله تعالى أعلم.

## الخبر عن قتل السلطان أبي ثابت بجایة وانتقال صاحبها إلى المغرب

لما وصل المولى أبو عبد الله محمد ابن الأمير أبي زكريا محبى صاحب بجایة إلى السلطان بمكانه من المدينة في شعبان من ستة وأقبل السلطان عليه، وبرأه كتف ترجيه وكرامته، خلص الأمير به بخيانة، وشكى إليه ما تلقاه من أهل عمله من الامتناع من الجباية والسعى في الفساد، وما يتبع ذلك من زبائن الحامية واستبداد البطانة وكان السلطان متشوقاً لملتها، فأشار عليه بالتزول عنها، يعرضه عنها ما شاء من بلاده، فسارع إلى قبول إشارته، ودس إليه مع حاجبه محمد بن أبي عمرو أن يستبد بذلك على رؤوس الملاء، ففعل، وتقى عليه بطانته ذلك، وفرّ بعضهم من معسكره، فلحق بأفريقيا، ومنهم علي بن القائد محمد بن الحكم.

وأمره السلطان أن يكتب بخطه إلى عامله على البلد بالتزول عنها وعيّن عمال السلطان منها فجعل وعقد السلطان عليها لعمر بن على الوطاسي من أولاد الوزير الذي ذكرنا خبر انتزاعهم بتراوشاً من قبل، ولما قضى السلطان حاجته من المغرب الأوسط واستوى على بجایة، انكنا راجعاً إلى تلمسان لشهود الفطر بها، ودخلها في يوم مشهود، وحل أيام ثابت وزبیره بمحى بن داود على جليلين يختران بهما في ذلك المخلب بين السماطرين، فكانا عبرة لمن حضر وسقى من الغد إلى مصارعها، فقتللا قعضاً بالرماح، وأنزل السلطان المولى الأمير أبي عبد الله صاحب بجایة خير نزل، وفرض له في مجلسه تكرامة به إلى أن كان من توفّي صنهاجة وأهل بجایة بعمر بن علي ما نحن ذاكروه إن شاء الله تعالى.

## الخبر عن ثورة أهل بجایة ونهوض الحاجب إليها في العساكر

كان صنهاجة هؤلاء من أعقاب تكلاة ملوك القلعة وبجایة، نزل أولو لهم بوادي بجایة بين القبائل من برابرتها الكثامين في مواطن بي وراسكل منذ أول دولة الموحدين، وأقطعواهم على العسكرية منهم، ولا ضعفت جنود الموحدين وقل عددهم انفردوا بالعسكر مع السلطان، وصار لهم بذلك اعتزاز وزبون على الدولة.

وكان المولى الأمير أبو عبد الله هذا قد أصاب منهم لأول أمره، وقتل محمد بن تميم، من أكبر مشيختهم، وكان حاجبه فارج

## الخبر عن شأن أبي ثابت وإيقاع بني مرین به بوادي شلف وتقبض الموحدين عليه ببجایة

لما أوقع السلطان ببني عبد الواحد بانكاد، وتبصر على أبي سعيد سلطانهم، خلص أبو ثابت آخره في قل منههم، ومر بوتلمسان، فاحتفل حرمهم وخلفهم، وأجلل إلى الشرق، فاحتل شلف من بلاد مغراوة وعسكر هنالك.

وأجتمع إليه أشباب من زناتة، وحدث نفسه باللقاء، ووعدها بالصبر والثبات، وسرح السلطان وزيره فارس بن ميمون بن ودرار في عساكر بني مرین والجند، فأخذ السير إليهم وارتحل من تلمسان على أثره، ولما ترامى الجمعان صدق الفريقان الجاولة، وخاضوا النهر بالقراء.

ثم صدق بنو مرین الحملة وأجازوا النهر إليهم، فاكتشفوا واتبعوا آثارهم واستلهموهم، واستباحوا معسكراً واستقروا أمواهم ودواهم ونساءهم، وارتحلوا في أتبعاهم، وكتب الوزير بالفتح إلى السلطان، ومر أبو ثابت بالجزائر طارقاً، وأجاز إلى قاصية الشرق، فاعتبرضتهم قبائل زواوة وأرجلوهم عن خيلهم، واتهروا أسلابهم، ومرروا حفنة عرابة، واحتل الوزير بالجزائر، واستوى عليها واقتضى بيعة السلطان منهم فآتوها، واحتل الوزير بالمدينة وأزعز إلى أمير بجایة المولى أبي عبد الله محمد حافظ مولانا الأمير أبي بمحى مع ولبه وزمار وخالفته يعقوب بن علي بالمرصاد، وذر بعض الجسم على أبي ثابت وأبي زيان ابن أخيه أبي سعيد وزبیرهم بمحى بن داود، فرفعوهم إلى الأمير بجایة، فاعتقلهم وارتحل إلى لقاء السلطان بالمدية ويعتزم مع مقدمته، وجاء على أثرهم ونزل على السلطان بمعسكره من المدينة خير نزل، بعد أن تلقاه بالبررة والاحتفاء، وركب للقائه، ونزل عن فرسه للسلطان، فنزل السلطان برأه، وأودع أبي ثابت السجن.

وتواترت إليه وفود الدواودة بمكانه من المدينة، فأكرم وفدهم وأسنى أعطيائهم من الخلح والحملان والذهب، وانقلبوا خير منقلب، وواقتئ بمكانه ذلك بيعة ابن مزنی عامل الزاب ووفدهم، فأكرمهم ووصلهم.

وفرغ السلطان من شأن المغرب الأوسط، وبيث العمال في نواحیه، وتفقد أطرافه، وسمى إلى ملك إفريقية كما نذكره إن شاء الله تعالى.

فلم بلغ الخبر إلى السلطان أمر حاجبه محمد بن أبي عمرو بالهوض إلى بجاية، فعسكر بساحة تلمسان.

وانتقى له السلطان من قومه وجنوده خمسة آلاف فارس أزاح عليهم، واستوفى أعطياتهم وسرحه فنهض من تلمسان بعد قضاء منسك الأضحى، وأخذ السير إلى بجاية، وطا نزل ببني حسن جع له صنهاجة ثم خاموا عن اللقاء، ولحقوا بقسطنطينة وأجازوا إلى تونس واختل الحاجب ب العسكرية من خمس بركلات، وخرج إلى المشيخة والوزراء، فقبض على القائد هلال وأشخاصه إلى السلطان ودخل البلد على التعية، واختل بقصبته لم يفتح أربع وخمسين وسبعيناً وسكن الناس وخلع على المشيخة، واحتضن علي بن المليت ومحمد بن سيد الناس، واستظرهم بهم على أمره، وتقبض على جماعة من الغوغاء ثقباء علي من تحت أيديهم بينهم بالمداخلة في التوبيث ينمازرون ماتين، واعتقلهم وأرکبهم السفين إلى المغرب، فواد الناس وسكنوا وتوافت وفود الدواودة من كل جهة، فأجزل صلاتهم واقتضى على الطاعة رهنهم.

ووصل عامل الزاب يوسف، وسد فروجه وارتاحل إلى تلمسان لأول جمادى لشهرين من مدخله وأخذ السير بن معه من العرب والوفود، وكانت يومئذ في جلتهم، وقد خلع علي وحملني وأجزل صلبي، وضرب لي القساطيط، فرفدت في ركابه، وقد تلمسان لأول جمادى الآخرة، فجلس السلطان على الرفود واعترض ما جنب له من الجياد والمهدية، وكان يوماً مشهوداً.

ثم أsenى السلطان جواز الرفود، واحتضن يوسف بن مزنبي ويعقوب بن علي بمزيد من البر والصلة، وخصوصيات من الكرامة، واتمررهم في شان إفريقيا ومنازلة قسطنطينة.

ورجع معهم الحاجب ابن أبي عمرو على كره منه لما ذكره من أخباره، وانصرفا إلى موطنهم لأول شعبان من ستة أربع وخمسين وسبعيناً وانقلب معه بعد إثناء الجائزة والخلع والحملان من السلطان، والوعد الجميل بتجديد ما لي ولقسمي يبلدنا من الأقطاع والله أعلم.

### الخبر عن الحاجب ابن أبي عمرو وما عقد له السلطان على ثغر بجاية وعلى منازلة قسطنطينة ونهوضه لذلك

سلف هذا الرجل من أهل المهدية من أجناد العرب من بني قيم بإفريقية، واتنقل جده على إلى تونس باستدعاء السلطان

مولى ابن سيد الناس عريفاً عليهم من عهد أبيه الأمير أبي زكريا، وكان مستبداً على المولى أبي عبد الله، فلما نزل عن إمارته للسلطان أبي عنان سخط ذلك وتنقم عليه، وأسرها في نفسه ولم يدها له، وسرحه أميره مع عمر بن علي الوطاسي لنقل حرمته ومتاعه وמאיه داره، فوصل إليها وشكى إليه الصنهاجيون مغبة أمرهم في نقل الوطاسة وسوء الملكة فاشكاهم ودعاه إلى الشورة بين مرين، والقيام بدعاوة الموحدين للمولى أبي زيد صاحب قسطنطينة، فأجابوه وتوعدوا بالفتنة بعمر بن علي بمجلسه من القصبة.

وتولى كبرها منصور بن الحاج من مشيختهم، وباكره بداره على عادة الأمراء، ولما أكب عليه للثم أطرافه طعنه بمنجره، وفر إلى بيته جريحاً فوجلوه عليه واستلجموه.

وثارت الغوغاء من أهل البلد أول ذي الحجة من ستة ثلاث وخمسين وسبعيناً.

وركب الحاجب فارح وهتف الهاتف بدعاوة المولى أبي زيد، وطيروا بالخبر إليه واستدعوه، فتلقى عن إجابتهم، وبعث مولى من المعلوجي للقيام بأمره.

وبلغ الخبر إلى السلطان فاتهم المولى أبو عبد الله بمداخلة حاجبه، فاعتقله بداره.

واعتلق وقذاً من ملاه بجاية كان ببابه، وثبتت آراء المشيخة من أهل بجاية، وتشتت رجالاتهم وأولوا الرأي والشورى منهم في، الفتنة بصنهاجة والعلج، وداخلهم القائد هلال ابن سيد الناس من المعلوجي، وعلى بن محمد بن المليت حاجب الأمير أبي زكريا بمحبيه، ومحمد بن الحاجب أبي عبد الله بن سيد الناس وتوعدوا للفتنة بفارح يوم وصول النائب من قبل صاحب قسطنطينة، فجهروا بالنکير على الحاجب، ودعوه إلى المسجد ليؤمره، ونذر أمرهم فأعتمدوا دار شيخ الفتيا أحد بن إدريس فاقتحموا عليه الدار، وبإشره مولاهم محمد بن سيد الناس، فطعنوه وأشواه، ورمى بشلوه في سقف الدار، وقطع رأسه، فبعثوا به إلى السلطان، وفر منصور بن الحاج وقومه صنهاجة من البلد، وكان بالمرسى أحد بن سعيد القرمني من حاشية السلطان، جاء في السفين لبعض حاجاته من تونس، ووافى مرسى بجاية يومئذ فأنزلوه واعصروا عليه، وتنادوا بدعاوة السلطان وطاعته، فأشار عليهم أحد القرمني أن يبعثوا إلى قائد تدليس من مشيخة بني مرين بمحبات بن عمر بن عبد المؤمن الونكاسي، فاستدعوه ووصل إليهم في لمة من العسكر، ويعثوا بأبحارهم إلى السلطان وانتظروا.

لهم وجه السلطان منه عند نهوضه إلى بجایة، حامت أعراض السعاية على مكانه فقرطست وألقى السلطان أذنه إلى استماعها. فلما رجع من بجایة، وكانت له الدالة على السلطان، وجد عليه في قبول الألاقى.

ولقيه مغاضباً فتذكر له السلطان، ثم تخمني بطلب الغية عن الدولة، أن يعقد له على بجایة متوهماً أن السلطان ضئن به، فبادر السلطان إلى إسعافه، وبدأ له ما يختص من الإعراض عنه، ورجع إلى الرغبة في الإقالة فلم يسعف.

وعقد له على حرب قسطنطينية وحكمه في المال والجيش، وارتحل في شعبان من سنة أربع وخمسين وسبعمائة واحتل بجایة آخرها وأشتبها بها.

ونصب الموحدون تاشفين ابن السلطان أبي الحسن المعتقل عندهم من لدن عهد المولى الفضل واعتقاله إيه، فنصبوه للأمر لتفريق كلمة بنى مرين وأجمعوا على الآلة والفساطيط، وقام بأمره ميمون بن علي لمناقشه مع أخيه يعقوب، وسمع مجراه يعقوب، فاغذر السير إليه بحمله من بلاد الزاب، وفرق جعهم وردهم على أعقابهم، وأحجزهم بالليل.

ولما انصرم الشتاء وتقضى منسك الأضحى، عسکر بساحة البلد، واعترض العساكر وأزاح عليهم، وفرق أعطياتهم، وارتحل إلى منازلة قسطنطينية، واجتمع إليه الدواودة محللهم، وجمع المولى أبو زيد صاحب قسطنطينية من كان على دعوته من أحياء بورنة وميمون بن علي بن أمد وشيعته من الدواودة، وعقد عليهم حاجبه نبيل وسرحه للقاء ابن أبي عمرو وعساكره، فاوقف بهم الحاجب لجمادى من سنة خمس وسبعمائة واتسح أموالهم ونالق قسطنطينية حتى تقادوا منه بتمكينه من تاشفين ابن السلطان أبي الحسن المنصوب للأمر، فاقتادوه إليه وأشخصه إلى أخيه السلطان.

وأوفد المولى أبو زيد ابنه على السلطان أبي عنان، فتقبل وفادته وشكر مراجعته، وانكفا الحاجب ابن أبي عمرو إلى بجایة وأقام بها إلى أن هلك في المحرم فاتح سنة ست وستين وسبعمائة فذهب حميد السيرة عند أهل البلد، وتجمعوا لهملكه، وبعث السلطان دوابه لارتفاع عياله وولده، وتنقل شلوه إلى مقبرة أبيه بتلمسان، وسرح ابنه أبي زيان في عساكر بي مرين لمواراته بها.

وعقد على بجایة عبد الله بن علي بن سعيد وزيره، فنهض إليها في شهر ربيع من سنة ست وخمسين وسبعمائة واستقر بها وقتل ما حده الناس من مذاهب الحاجب وسيره فيها على ما نذكره، وجهز العساكر إلى حصار قسطنطينية إلى أن كان من فتحها ما

المستنصر، وكان فقيهاً عارفاً بالفتيا والأحكام، وقلده القضاة بالحضرمة واستعمله على كتابة علامته في الرسائل والأوامر الكبرى والصغرى، فاضططع بذلك، وهلك على حالة من التجلة والمنصب، وقلد ابنه عبد الله من بعده العلامتين أيام أبي حفص عمر ابن الأمير أبي زكريا كما كان لأنبيه، فاضططع بذلك وكان آخره أحد بن علي مستينا وقوراً متخللاً للعلم، ونشأ ابنه محمد وقرأ بتونس، وتلقه على مشيختها.

ولما الثالث أمرهم وتلاشت أحواهم، خرج محمد بن أحمد بن علي مبتغاً للرزق والمعاش، وطوطحت به الطواحة إلى بلد القل، وكان متخللاً للطلب والكتابة، فاستعمل شاهداً يرسى القل أيام رياضة الحاجب ابن غمر، وكانت له صحبة مع حسن بن محمد السبتي المتخل بحسب الشرف، وكانت رفيقين في مطارح اغترابهما، فسعى له في مرافقة في الشهادة، فأس ساعنا واتصالاً بابن غمر فحمد مذاهبها.

ولما نزع الشريف عبد الوهاب زعيم تدلس إلى طاعة الموحدين أيام الثبات أبي حسو مخزوج محمد بن يوسف عليه، واعتلال الدولة، ودخل في أمر ابن غمر وجنته، فبعث محمد بن أبي عمرو إلى تدلس، واستعمل حسن الشريف في القضاء، ومحمد بن عمرو في شهادة الديوان.

فلما برئت الدولة من مرضها، واستفحلاً أمر أبي حسو وتغلب على تدلس، وجاء رئيس الفتيا ابن الإمام لاقضاء طاعتها، وإنفاذ أهلها على السلطان كانوا في الوفد، واستقرروا بتلمسان يومئذ واستعملوا معاً في خطبة القضاة متعقبين أيام أبي عبد الرواد وأيام السلطان أبي الحسن.

وتعصب على ابن أبي عمرو أيام قضايه جماعة من مشيخة البلد، وسعوا به إلى السلطان أبي الحسن، وتقليموا فاشكاهم على علم ببراته، وان除此ه بتأديب ولده فارس هذا وتعليميه، فألفغ وسعه في ذلك وربى ولده محمد هذا الحاجب مع السلطان أبي عنان مرقاً جليلاً وألقى عليه محبه حتى إذا خلص له الملك رفع رتبة محمد بن أبي عمرو هذا، ورقاه من منزلة إلى أخرى حتى إذا أوفى به على سائر المراتب، وجعل إلى العلامة والقيادة والمحاجبة والسفارة وديوان الجند والحساب والقهرمة وسائر القباب دولته، وخصوصيات داره، فانصرفت إليه الوجوه، ووقيعت بيابه أشراف من الأعيان والقبائل والشرفاء والعلماء، وسرب إلى العمال أموال الجالية تزلفاً، وطال أمره واستيلاؤه على السلطان ونفس عليه رجال الدولة ووزراؤها ما أثار الله من الحظ، حتى إذا خلا

## الخبر عن انتقاض عيسى بن الحسن بجبل الفتح ومهلكه

في ثغوره وأمصاره مثل إيفري وفوريان وتارودانت، وقف أطرافه  
وسد فروجه.

وسار أبو الفضل في جبال المصامدة إلى أن انتهى إلى  
صناعة، وألقى بنفسه على ابن حميدي منهم مما يلي بلاد درعة،  
فأجراه وقام بأمره.

وانزله عامل درعة يومئذ عبد الله بن مسلم الزرداي من  
مشيخة دولةبني عبد الواد، كان اصطنه السلطان أبو الحسن منذ  
تغلبه عليهم، وفتحه لتلمسان سنة سبع وثلاثين وسبعيناً فاستقر  
في دولتهم، ومن مجلة صنائعهم، فأخذ بمحنة ابن حميدي وأرهبه  
بوصول العساكر والوزراء إليه، ودخله في التقاض على أبي  
الفضل، وأن يبذل له في ذلك ما أحب من المال، فأجاب ولاطف  
عبد الله بن مسلم الأمير أبي الفضل ووعده من نفسه الدخول في  
الأمر، وطلب لقاءه، فركب إليه أبو الفضل. ولما استمكن منه عبد  
الله بن مسلم تقاض عليه، ودفع لابن الحميدي ما اشترط له من  
المال، وأشخصه معتقاً إلى أخيه السلطان أبي عنان سنة خمس  
وخمسين وسبعيناً فاودعه السجن، وكتب بالفتح إلى القاصية، ثم  
قتله لليل من اعتقاله خفقاً بمحبسه.  
وانقضى أمر الخوارج، ونهدت الدولة إلى أن كان ما ذكره  
إن شاء الله تعالى.

## الخبر عن انتقاض عيسى بن الحسن بجبل الفتح ومهلكه

كان عيسى بن الحسن بن علي بن أبي الطلاق هذا من  
مشيخة بني مرين، وكان صاحب شوراهم لعهده وقد كنا قد صننا  
من أخبار أبيه الحسن عند ذكر دولة أبي الريبع.

وكان السلطان أبو الحسن قد عقد له على ثغور عمله  
بالأندلس وأنزله بجبل الفتح عندما أكمل بناءه وجعل إليه النظر في  
مصالح الشعور وتفرق العطاء على مصالحها، فطالع عهد ولاته  
ورسخ فيها قدمه، وكان السلطان أبو الحسن يبعث عنه في  
الشورى متى عنى.

وحضره عند سفره إلى إفريقيا وأشار عليه بالإقصار عنها،  
وأراه أن قبائل بني مرين لا تهي أعدادهم بمسالح الثغور إذا رتبت  
شرقاً وغرباً وعدوة البحر وأن إفريقياً تحتاج من ذلك إلى أوفر  
الأعداد وأشد الشوكة لغزو العرب عليها، وبعد عهدهم بالانتياد  
فأعرض السلطان عن نصيحته لما كان شره إلى مملكتها، وصرفه إلى

ذكره بعد إن شاء الله تعالى.

## الخبر عن خروج أبي الفضل ابن السلطان بجبل السكسبيوي ومكر عامل درعة به ومهلكه

كان السلطان أبو عنان بعد مهلكه أبيه لحق به في جنته  
أخوه أبو الفضل محمد وأبو سالم إبراهيم، وتذهب في ترشيحهما  
وحذر عليهما مغبة، فاشخصهما إلى الأندلس، واستقرتا بها في  
إيالة أبي الحاجاج ابن السلطان أبي الوليد ابن الرئيس أبي سعيد.

ثم ندم على ما آتاه من ذلك، فلما استولى على تلمسان  
والمغرب الأوسط، ورأى أن قد استفحلا أمره واعتبر بسلطانه،  
أزعز إلى أبي الحاجاج أن يشخصهما إليه ليكون مقامهما لديه  
أح�ط للكلمة من أن يعتمد على تفريضهما سماحة الفتن.

وخشي أبو الحاجاج عليهما غائتهما فأبا من إسلامهما إليه،  
وأجاب الرسل بأنه لا يخفر ذمته وجوار المسلمين المجاهدين،  
فاحفظ السلطان كلمته، وأوعز إلى حاجبه محمد بن أبي عمرو بأن  
يختابه في ذلك بالتوبخ واللامنة، فكتب له كتاباً أبدع فيه وفقني  
عليه الحاجب بيجابة أيام كوني معه، فقضيت العجب من فصوله  
وأغراضه، وما قرأه أبو الحاجاج دس إلى كبارهما أبي الفضل  
باللهاق بالطاغية، وكانت بينهما ولادة وخلافة منذ مهلكه أبيه  
الفشنة على جبل الفتح سنة إحدى وخمسين وسبعيناً، فنزع إليه  
أبو الفضل وأجاره، وجهز له أسطولاً إلى مراسى المغرب، وأنزله  
بساحل السوس، فلحق بالسكسبيوي عبد الله ودعا لفسمه.

وبلغ الخبر إلى السلطان بين يدي مقدم حاجبه ابن أبي  
عمرو من فتح بجاية سنة أربع وخمسين وسبعيناً فجهز عساكره  
إلى المغرب وعقد على حرب السكسبيوي لوزيره فارس بن ميمون  
بن ودرار وسرحه إليه، فنهض من تلمسان لريبع سنة أربع  
وخمسين وسبعيناً وأخذ السير إلى السكسبيوي ونزل بمحنة،  
واخاطبه، واحتخط مدينة لعسکر وتجهيز كتابه بسفح جبله،  
وسماها القاهرة.

واشتد الحصار على السكسبيوي وراسل الوزير في الرجوع  
إلى الطاعة المعروفة، وأن يتبدل العهد إلى أبي الفضل، فقارقه وتنقل  
في جبال المصامدة.

ودخل الوزير فارس إلى أرض السوس فdroخ اقطماره،  
ومهد أخاه، وسارت الألوية والجيوش في جهاته، ورتب المصالح

مته۔

مكان عمله بالشغف، الأندلسية.

وخلال به سليمان بن داود بن أعراب العسكري، كان من خواصه وأهل شوراء، وكان عيسى قد مكن قومه عند السلطان واستعمله على رندة، فلما ظهر عيسى بالخلعان، وركب له ظهر الغدر، خالله سليمان هذا إلى طاعة السلطان، وأنفذ كتبه وطاعته، واشتبه عليه الأمر فندم إذ لم يكن ببني أمره على أساس من الرأي، فلما احتل أسطول أحمد بن الخطيب عرسى الجبل، خرج إليه وناشده الله والمعبد أن يبلغ السلطان طاعته، والبراءة مما صنع أهل الجبل، ونسبيها إليهم.

فبعد ذلك خشي غمارة على أنفسهم، فشاروا به، وجلأ إلى الحصن فاقتحموه عليه وشدوه وابنه وثناً، والقروه في أسطول ابن الخطيب، وأنزله بسبعة وطير للسلطان بالخبر، فخلع عليه وأمر خاصةه فخلعوا عليه.

وبعث عمر ابن وزيره عبد الله بن علي وعمر بن العجوز  
وقائد جند النصارى، فاحضروهما بدار السلطان يوم مني من سنة  
وسبعينه وجلس لهما السلطان ووقفا بين يديه وتصللا  
واعتذرنا، فلم يقبل منها وأودعهما السجن وشد وثاقهما، حتى  
قضى منمل الأضحى.

ولما كان خاتم سنته أمر بهما فجنبًا إلى مصارعهما وقتل عيسى تعصباً بالرماح، وقطع ابنه أبو يحيى من خلاف، وأبى من مداواة قطعه، فلم يزل يتشحط في دمه إلى أن هلك لثانية قطعه، وأصيباً مثلًا في الآخرين، وعقد على جبل الفتح وسائر ثغور الأندلس لسليمان بن داود إلى أن كان من الأمر ما ذكره إن شاء الله تعالى.

الخبر عن نهوض السلطان إلى قسنطينة  
وفتحها ثم فتح تونس عقبها

لما هلك الحاج محمد بن أبي عمرو، عقد السلطان على  
تفور بجاهة وما وراءها من بلاد إفريقيا لوزيره عبد الله بن علي بن  
سعید، وسوحه إليها وأطلق يده في الجباية والعطاء.  
وكانت جبال ضواحي قسطنطينية قد تملکها السلطان بما كانت  
الله، أمة مذلة عليها.

وكان عامة أهل ذلك الوطن قبائل سدويكش، وعقد السلطان عليهم لموسى بن إبراهيم بن عيسى، وأنزله بتاوريت آخر عمل، بجابة في أقاربه وولده وصناعته.

ولما كانت نكبة القيروان وانتزى الابناء بفاس وتلمسان،  
أجاز البحر لحسن الداء ونزل بفساسة ثم انتقل إلى وطنه بتازى  
وجمع قومه بني عسکر، وآلفى السلطان أبو عنان قد هزم عساكر  
ابن أخيه وأخذ مخنته، فأجلب عليه وبيته بعسکره من ساحة  
البلد الجديد وعقد السلطان أبو عنان على حرية لصنعته سعيد بن  
مرسى العجيسى وأنزله بغير بلاد بني عسکر على واد يورلوا.

وتواقا كذلك أياماً حتى تغلب السلطان أبو عنان على البلد الجديد، ثم راسل عيسى بن الحسن في الرجوع إلى طاعته وأبطأ عنه صريح السلطان أبي الحسن باتفاقية فراجمه واشترط عليه، فتقبل وسار إليه فلتقاء السلطان وامتلا سروراً بمقدمه وأنزله قصورة وجعل الشورى إليه في مجلسه واستمرت على ذلك حاله.

ولما تكفت حال ابن أبي عمرو بعد مهلك السلطان أبي الحسن وانفرد بخلة السلطان ومناجاته وحجب عن الخاصة والبطانة أحفظه ذلك ولم يدها واستأنف السلطان في الحج فاذن له وقضى فرضه ورجع إلى محله من بساط السلطان سنة ست وخمسين وسبعمائة ولقي ابن أبي عمرو بيجاهية، وتطارح عليه في أن يصلح حاله عند سلطانه، فوعده في ذلك، ولما وفد على السلطان وجده قد استبد في الشورى، وتنكر للخاصة والجلساء، فاستأنفه في الرجوع إلى مجلسه من التغز لإقامة رسم الجهاد فاذن له.

واجاز البحر إلى جبل الفتح من سنته، وكان صاحب ديوان  
العطاء بالجبل يحيى الفرقاجي، وكان مستظهراً على العمال، وكان  
ابنه أبو يحيى قد برم بكانه.

فلمما وصل عيسى إلى الجبل أتبعه السلطان بأعطيه المسالح مع مسعود بن كندوز من صنائع دولته، فسرب الفرقاجي إلى الضرب على يده شأنه مع ابنه أيام مغيث، وأنف عيسى من ذلك فتقبض عليه، وأودعه المطبق، ورد ابن كندوز على عقيبه، وأركبه السفين من ليته إلى سبتة، وجاهر بالخلعان، ويبلغ الخبر إلى السلطان أبي عنان فقلت لذلك، وقام في ركبته وقد، وأوعز بتجهيز الأسطول، وظن أنه قد تدبر من الطاغية وابن الأهر وبعث أحمد بن الخطيب قائد البحر بطنجة عيناً على شأنهم، فوصل إلى مرسى الجبل.

وكان عيسى بن الحسن لما جاهر بالخلعان ثمثت رجالات الشفر وعرفاء الرجل من غمارة الغزاة الموطنين بالجبيل، وتحدثوا في شأنه، وامتنعوا من الخر裘 على السلطان، وتأمروا في إسلامه

الأرض بعساكره، ذعر أهل البلد، وألقوا بأيديهم إلى الإذعان، وانقضوا من حول سلطانهم مهظعين إلى السلطان، ومحيز صاحب البلد في خاصته إلى القصبة.

ووصل أخوه المولى الفضل يطلب الأمان، فبدله السلطان لهم وخرجوا، وأنزلهم بمعسكره أياماً، ثم بعث بالسلطان في الأسطول إلى سبتة فاعتقله بها إلى أن كان من أمره ما نذكره بعد.

وعقد على قسطنطينة لمنصور بن الحاج مخلف الباباني من مشيخةبني مرين وأهل الشورى منهم، وأنزله بالقصبة في شعبان من ستة، ووصل إليه بمعسكره من ساحة قسطنطينة بيعة يحيى بن يملول صاحب توزر، وبيعة علي بن الخلف صاحب نفطة، ووفد ابن مكي فجدد طاعته.

ووصل إليه أولاد مهلل أمراء الكعبوب وأقاتل بنى أبي الليل يستحثونه لملك تونس، فسرح معهم العساكر وعقد عليها ليحيى بن رحو بن تاشفين، وبعث أسطوله في البحر مددأ لهم، وعقد عليه للرئيس محمد بن يوسف الأبيك، وساروا إلى تونس وأخرج الحاجاب أبو محمد بن تافراكتين سلطانه أبا إسحاق إبراهيم مولانا أبي ميلة، فيستوه واتهموا معسكره وقتلوا أولاده وخلصوا إلى تاوريرت، ثم إلى بجاية، ولحق بولانا السلطان مفلولاً.

ووصل الأسطول إلى مرسى تونس فقاتلهم يوماً أو بعض يوم، وركب الليل إلى المهدية فتحصن بها.

ودخل أولياء السلطان إلى تونس في رمضان من سنة ثمان وسبعمائة وأقاموا بها دعوته.

واحتل يحيى بن رحو بالقصبة، وأنفذ الأوامر، وكتبوا إلى السلطان بالفتح.

ونظر السلطان بعد ذلك في أحوال الوطن، وقبض أيدي العرب من رياح عن الآثار التي يسمونها الخفار فارتباها، وطالبهم بالرهن فأجعوا على الخلاف، فارهف لهم حده، وتبين يعقوب بن علي أميرهم مكره، فخرج معهم ولحقوا جميعاً بالزاب، وارتحل في أثرهم، وسار يوسف بن مزنی عامل الزاب بنفسه، الطريق أمامه حتى نزل بعسكرة.

ثم ارتحل إلى طرفة فقبض على مقدمها عبد الرحمن بن أحمد بإشارة ابن مزنی، وخرب حصون يعقوب بن علي، وأجفلوا إلى القرف أمامه، ورجع عنهم.

وحل له ابن مزنی جباية الزاب بعد أن وعد عامة معسكره بالقري من الخنطة والأدم واللحمان والعلوفة ثلاثة ليال نفذت في ذلك، وكفأه السلطان على صنيعه، فخلع عليه وعلى ولده

ولما نزل ابن أبي عمرو مجاهة وأخذ بمخنق قسطنطينة، ثم ارتحل عنها على ما عقد من السلم مع المولى الأمير أبي زيد، أُنزل موسى بن إبراهيم ميلة، فاستقر بها.

ولما ولي وزير عبد الله بن علي أمر إفريقية، أعزه إليه السلطان بمنازلة قسطنطينة، فنازلاها سنة سبع وخمسين وسبعمائة وأخذ بمخنقها، ونصب المنجنيق عليها، وانتد الحصار بأهلها، وكانتوا أن يلقوا بالبلد لولا ما بلغ المعسكر من الإرجاف بهيلك السلطان فأفرجوا عنها، ولحق المولى أبو زيد ببونة، وأسلم البلد إلى أخيه مولانا أمير المؤمنين أبي العباس أبده الله تعالى، عندما وصل إليه من إفريقية، كان بها مع العرب طالباً ملوكهم بتونس، وجلبوا بهم على ابن تافراكتين متذلزواً تونس سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة كما مر، فلما رجع الآن إلى قسطنطينة مع خالد بن حزرة، دخل المولى أبو زيد في خروجه إلى حصار تونس، وإقامة مولانا أبي العباس بقسطنطينة، فأجاب لذلك وخرج معه، ودخل مولانا أبو العباس إلى قسطنطينة، فدعا لنفسه، وضبط قسطنطينة وكان مدللاً بياسه وإندامه، وداخله بعض المترافقين من بني مرين من أولاد يوسف رؤساء سدوكيش في تبیت موسى بن إبراهيم بمعسكره من ميلة، فيستوه واتهموا معسكره وقتلوا أولاده وخلصوا إلى تاوريرت، ثم إلى بجاية، ولحق بولانا السلطان مفلولاً.

ونكر السلطان على وزيره عبد الله بن علي ما وقع موسى بن إبراهيم، وأنه قصر في إمداده، فسرح شعب بن ميمون وقبض عليه، وأخضصه إلى السلطان معتقلًا، وعقد على بجاية مكانه ليحيى بن ميمون بن مصמוד من صنائع دولته، وفي خلال ذلك راسل المولى أبو زيد الحاجاب أبا عبد الله بن تافراكتين المتغلب على عمه إبراهيم في التزول لهس عن بونة، والقدوم عليهم بتونس، فقبلوه وأحلوه محل ولي العهد، واستعملوا على بونة من صنائعهم، ولما بلغ خبر موسى بن إبراهيم إلى السلطان أيام التشريق من سنة سبع وخمسين وسبعمائة انتزع على الحركة إلى إفريقية، واضطرب معسكره بساحة البلد الجديد، ويعثر في الحشد إلى مراكش.

وأعز إلى بني مرين بأخذ الأبهة للسفر، وجلس للعطاء والاعتراض من لدن وصول الخبر إليه إلى شهر ربيع من سنة ثمان وسبعمائة.

ثم ارتحل من فاس وسرح في مقدمته وزيره فارس بن ميمون في العساكر، وسار في الساحة على التعبية إلى أن احتل بجاية، وتلوم لازحة العلل، ونماذل الوزير قسطنطينة.

ثم جاء السلطان على أثره ولما أطلت راياته، وماجت

السلطان طرائف من أولاد سباع بن يحيى وكثيرهم يومنذ عثمان بن يوسف بن سليمان، فاخشاوا جميعاً للوزير ونزلوا على معسكة جملتهم.

وارتحل السلطان في أثره حتى احتل بتلمسان فأقام بها  
لمشارقة أحواله منها، واحتل الوزير سليمان بوطن قسطنطينية.

وأوزع السلطان إلى عامل الباب يوسف بن مزنی بأن تكون يده معه، وأن يؤمّره في أحوال الدواودة لرسوخه في معروفة، فارتحل إليه من بسكرة، ونالوا جبل أوراس واقتضوا جبابته ومعماره، وشردوا المخالفين من الدواودة عن العيش في الوطن، فتم غرضهم من ذلك.

وانتهى الوزير وعساكر السلطان إلى أول أوطن إفريقياً من آخر مجالات رياح، وإنكفاً راجعاً إلى المغرب.

ووافي السلطان بتلمسان، ووصلت معه وفود العرب الذين  
أبلوا في الخدمة، فوصلهم السلطان وخلع عليهم وحملهم، وفرض  
 لهم العطاء بالزراب وكتب لهم به، وانقلبوا إلى أهلهم، ووفد على  
أثرهم أحمد بن يوسف بن مزنني، أوفده أبوه بهدية السلطان من  
الخيل والرقيق والدرق فقبلها السلطان وأكرم وقادته وأنزله،  
 واستصحبه إلى قاس ليريye أحوال كرامته، ويستبلغ في الاحتفاء به،  
 واحتل بدار ملكه متصرف ذي القعدة من سنة تسع وخمسين  
 وسبعمائة والله أعلم.

الخبر عن مهلك السلطان أبي عنان ونصب  
السعيد للأمر باستبداد الوزير الحسن بن

عمر في ذلك

لما وصل السلطان إلى دار ملكه يفاس، احتل بها بين يدي العيد الأكبر حتى إذا قضى الصلاة من يوم الأضحى أدركه المرض، وأعجله طائف الوجع عن الجلوس يوم العيد على العادة، فدخل إلى قصره ولزم فراشه، واشتد به وجعه، وألطاف به النساء يحيى قضيته.

وكان ابيه أبو زيان ولي عهده، وكان وزيره موسى بن عيسى العقولى من صناع دولتهم وأبناء وزرائهم، قد عقد له السلطان على وزارةه واستوصاه به، فتتجهل الأمر، ودخل رؤوس بي مرين في الأخياش إلى أميرهم والفتى بالوزير الحسن بن عمر وداخله في ذلك عمر بن ميمون لعداوة بينهما وبين الوزير فخشىهم الحسن بن عمر على نفسه.

وألا نسي جوازهم ورجعوا إلى قسطنطينية، واعترض على الرحلة إلى تونس.

وضاق ذرع العساكر بشأن الفحقات والأبعاد في المذاهب  
وارتكاب الخطأ في دخول إفريقيا، فتمشت رجالاتهم في  
الانقضاض عن السلطان.

وادخلوا الوزير فارس بن ميمون فراقبهم عليه وأذن  
المشيخة والنقباء لمن تحت أيديهم من القبائل في اللحاق بالملغرب  
حتى تفردوا، وغى الخبر إلى السلطان أنهم تآمروا في قتلها.  
ونصب إدريس بن عثمان بن أبي العلاء للأمر، فأسرها في  
نفسه ولم يبذلها لهم.

رأى قلة العساكر وعلم بالفضاضهم، فكر راجعاً إلى المغرب بعد أن ارتحل عن قسطنطينة مرحلتين إلى الشرق، وأخذ السر إلى فاس، واحتيا بها غرة ذهبية، الحجة من ستة.

وتقبض يوم دخوله على وزيره فارس بن ميمون، اتهمه  
بعد داخلة بني مرין في شأنه، وقتل رابع أيام التشريق قعضا بالرماح،  
وتقبض على مشيخة بني مرין فاستحلهم وأدمع منهم السجن،  
ويبلغ إلى الجهات خبر رجوعه من قسطنطينة إلى المغرب فارتخل أبو  
محمد بن تاغراكي من المهدية إلى تونس، ولما أطل عليها ثار شيعته  
بالبلد على من كان بها من عساكر السلطان، وخلصوا إلى السفين،  
منفجروا إلى المغرب، وجاء على أثرهم يحيى بن رحو بن معه من  
العساكر كان معه أولاد مهلل، بناحية الجريد لاقتسام جبايتهم،  
واجتمعوا بباب السلطان، وأرجأ حرкـة إلى اليوم القـابل، فكان ما  
ذكـره إن شاء الله تعالى.

## الخبر عن وزارة سليمان بن داود ونهوضه

لما رجع السلطان من إفريقيا ولم يستتم فتحها، بقي في نفسه منها شيء، وخشي على ضواحي قسطنطينة من يعقوب بن علي ورمن معه من الدواودة المخالفين، فأهمه شأنهم، واستدعاي سليمان بن داود من مكانه ببغور الأندلس، وعقد له على وزارته، وسرحه في العسكر إلى إفريقيا، فارتخل إليها في ربیع من سنة تسع وخمسين وسبعينه وكان يعقوب بن علي لما كشف وجهه في الخلاف، أقام السلطان مكانه أخيه ميمون بن علي مزارعه، وقدمه على أولاد محمد من الدواودة، وأحله مكانه من رئاسة البدو والضواحي، ونزع إليه عن أخيه يعقوب الكثرة من قومه، وتمسك بطاعة

الخبر عن تجهيز العساكر إلى مراكش  
ونهوض الوزير سليمان بن داود لمحاربة

عامر بن محمد بن علي

كان عامر بن محمد بن علي شيخ هناتة من قبائل المصاومة، وكان السلطان يعقوب قد استعمل أبوه محمد بن علي على جيشه، والسلطان أبو سعيد استعمل عممه موسى بن علي وريسي عامر هذا في كفالة الدولة، وسار في جملة السلطان إلى إفريقية، وولاه السلطان أحكم الشرطة بتونس.

ولما ركب البحر إلى الترب أركب حرمته وحظايه في السفين، وجعلهم إلى نظر عامر بن محمد.

وأجازوا البحر إلى الأندلس فنزلوا المريء وبلغهم غرق الأسطول بالسلطان أبي الحسن وعساكرةه، فأقام بهم بمكانه من المريء، وبعد السلطان أبو عنان عنه، فلم يجرب داعيه وفاء بيضة أبيه، حتى إذا هلك السلطان أبو الحسن بدارهم بالجلب، ورعن لهم السلطان أبو عنان إجارتهم لأبيه، حين لفظته البلاد وتحمّاه الناس، أجمع أمره على الرفادة عليه، فورق بين معه من الحرم.

وأكرم السلطان أبو عنان وفاته وأحسن نزله، ثم عقد له على جباهه المصامدة سنة أربع وخمسين وسبعمائة وبعثه لها من تلميسان، فاضططلع بهذه الولاية وأحسن الغناء فيها، والكمفأة عليها، حتى كان السلطان أبو عنان يقول: وددت لو أصبحت رجلاً يكفيني ناحية المشرق من سلطاني كما كفاني عامر بن محمد ناحية الغرب، واتورع، ونافسه الوزراء في مقامه ذلك عند السلطان ورتبته.

وأفرد الحسن بن عامر آخر الأمر بوزارة السلطان،  
واشتدت منافستهم وانتهت إلى العداوة والسباعية.

وكان السلطان بين يدي مهلكه ولـى أبناءه الأصاغر على أعمال ملـكه، فعقد لابنه محمد المعتمد على مراكش، واستوزر له، وجعله إلى نظر عامر واستوصاه به.

فلمَّا هُلِكَ السُّلْطَانُ وَاتَّقَلَ الْحَسْنُ بْنُ عُمَرَ بِالْأَمْرِ وَنَصَرَ  
الْسَّعِيدَ لِلْمُلْكِ، اسْتَقْدَمَ الْأَبْنَاءَ مِنَ الْجَهَاتِ، فَبُعْثِتَ عَنِ الْمُعْتَمِدِ  
بِيرَاكْشَ فَإِنَّهُ عَلَيْهِ عَامِرٌ مِنَ الرِّفَادَةِ عَلَيْهِمْ؛ وَصَعَدَ بِهِ إِلَى مَعْقَلِهِ  
مِنْ جَبَلِ هَتَّاتَةِ، وَبَلَغَ الْحَسْنُ بْنُ عُمَرَ خَبْرَهُ، فَجَهَزَ إِلَيْهِ الْعَساَكِرَ  
وَأَزَاحَ عَلَلَهُمْ، وَعَقَدَ عَلَى حَرِبِهِ لِلْوَزِيرِ سَلِيمَانَ بْنِ دَاؤِدَ مَسَاهِمَةً  
فِي الْتَّيَامِ بِالْأَمْرِ، وَسَرَّحَهُ فِي الْمُحْرَمِ سَنَةِ سَتِينَ وَسَبْعِمَائَةٍ، فَأَعْذَدَ

وافتراض عليه أهل المجلس بذات صدره، وكانت نفرتهم عن  
ولي العهد مستحكمة لما بلوا من سوء دخلته وشر ملكته، فاتفاقوا  
على تحرير الأمر عنه.

ثم غيّر لهم أن السلطان مشرف على المملكة لا محالة، وأنه  
موقع بهم من قبل مهلكه، فأجعوا أمرهم على الفتك به والبيعة  
لأخيه السعيد طفلاً حسرياً، وياكروا دار السلطان وتقبضوا على  
وزيره موسى بن عيسى وعمر بن ميمون فقتلواهما وأجلسوا  
السعد للبيعة.

وأوعز وزيره مسعود بن رحوم بن ماسايم بالقبض على أبي زيان من نواحي القصر، فدخل إليه ونافض في إخراجه من بين الحرم، وقاده إلى أخيه فباعمه وتله إلى بعض حجر القصر، فائلف فيها مهجنه.

واسْتَقْلَ الْحَسْنُ بْنُ عُمَرَ بِالْأَمْرِ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ الرَّابِعِ  
وَالْعَشْرِينَ لَذِي الْحِجَةِ مِنْ سَنَةِ تَسْعَ وَخَمْسِينَ وَسَبْعَمِائَةِ وَالسُّلْطَانِ  
أَثْنَا عَامَيْنِ إِذَا كَانَ عَلَى فَرَاسَهِ يَمْبُودُ بِنَفْسِهِ.

وارتقب الناس دفنه يوم الخميس والجمعة بعده، فلم يدفن فارتباً، وفتشا الكلام وراتب الجماعة، فأدخل الوزير - زعموا -  
إليه بمكانه من بيته من غطه حتى أثلفه.

وَدُفِنَ يَوْمَ السَّبْتِ، وَحَجَبَ الْمُحَسِّنُ بْنُ عُمَرَ الرَّوْلِيُّ السَّعِيدُ  
الْمُنْصُوبُ لِلأَمْرِ، وَأَعْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ، وَتَفَرَّدَ بِالْأَمْرِ وَالنَّهِيِّ دُونَهُ.

ولحق عبد الرحمن ابن السلطان أبي عنان بجبل كاي يوم الجمعة أخيه، وكان أسن منه وإنما آثاروه لكان ابن عممه مسعود بن ماسايني من وزارته، فبعثوا إليه من لاطفه واستنزله على الأمان، وجاء به إلى أخيه فاعتقله الحسن بالقصبة من قاس.

وبعث عن أبناء السلطان الأصاغر الأمراء بالشغور: فجاء  
المعتصم من سجلماسة، وامتنع المعتمد ببراكنش، وكان بها كفالة  
عامر بن محمد الفتاني استوطنه به السلطان وجعله هناك لنظره،  
فمنعه من الوصول، وخرج به من مراكش إلى معقله من جبل  
هتاتنة، وجهز الوزير العساكر لمحاربته، ولم يزل هناك إلى أن  
استنزله عمه السلطان أبو سالم عند استيلائه على ملك المغرب،  
كما ذكره إن شاء الله تعالى والله أعلم.

موسى بن يوسف هذا فيمين كان عندهم من زناته قومه وكان بنو عامر من زغبة خارجين على السلطان أبي عنان منذ غلبه بنو عبد الواد على تلمسان وكانت رياستهم إلى صغير بن علي، وإبراهيم، فلحق بـأفريقية في قومه وتزلاوا على يعقوب بن علي، وجاوروه بـجبلهم وظعنهم، فلما أفرجوا عن قسطنطينة بعد انتهاها، واعترض صغير على الرحلة بقومه إلى وطنهم من صحراء المغرب الأوسط، دعوا موسى بن يوسف هذا إلى الرحلة معهم ليتصبوه للأمر، ويجلبوا به على تلمسان، فخلع الموحدون سبيله، وأعادوه بما أقدروا عليه لوقتهم، وعلى حال سفرهم من آلة وفساط وارتحل معهم بي عامر، وارتحل مع صولة بن يعقوب بن علي وزيان بن عثمان بن سعيد من أمراء الدواودة، ودغار بن عيسى في حلله من بي سعيد إحدى بطون رياح وأخذ السير إلى المغرب للعيش في نواحيه.

وجع لهم أقتالهم من سويد أولياء السلطان والدولة، والتقدوا بقبيلة تلمسان، فأنهزمت سويد وهلك عثمان بن كثيرهم وزمار، وكان مهلك السلطان في خلال ذلك.

وكان السلطان حين استعمل الأبناء على الجهات، عقد محمد الهدي من أولاده على تلمسان.

ولما اتصل الخبر بوفاة السلطان بالعرب، أغذوا السير إلى تلمسان، وملكوا ضواحيها، وجهز الحسن بن عمر إليها عسكراً عقد عليه وعلى الخامسة الذين بها لسعيد بن موسى العجسي من صنائع السلطان، وسرحه إليها، وسار في جملته أحمد بن مزني فاصلاً إلى عمله بعد أن وصله وتحل على وحله، وسار سعيد بن موسى في العساكر إلى تلمسان، فاحتل بها في صفر من سنة ستين وسبعينه ورمح عليهم جموع بي عامر وسلطانهم أبو موسى بن يوسف، فغلبواهم على الضاحية وأخرجواهم بالبلد.

ثم نازلواهم الحرب أيام، واقتحمواها عليهم لثمان خلون من ربىع، واستباحوا من كان بها من العساكر، وامتلأت أيديهم من أسلابهم ونهابهم.

وخلص سعيد بن موسى بابن السلطان إلى حالة صغير بن عامر فأجراه ومن جاءه على أثره من قومه، وأوقف معهم رجاليات من بي عامر ينضرون الطريق أمامه إلى أن أبلغوه مامنه من دار ملکهم، واستولى أبو حمو على ملك تلمسان، واستثار بالهدية التي ألقى بمودعها، كان السلطان انتقاماً وبعث بها إلى صاحب برشلونة بطرة بن القنط وبعث إليه بها بفرس أحدهم من مقرباته بركب و glam ذهبيين نقيلين.

السير إلى مراكش واستولى عليها، وصمد إلى الجبل فأحاط به، وضيق على عامر وطاول منازلته.

وأشرف على اقتحام معلقه إلى أن بلغه خبر افتراق بني مرین، وخروج منصور بن سليمان من أغياص الملك على الدولة، وأنه منازل للبلد الجديد، فانقض المعسكر من حوله وتسابقاً إلى منصور بن سليمان، فلحق به الوزير سليمان بن داود وتفنس المحتق عن عامر، إلى أن استولى السلطان أبو سالم على ملك المغرب في شعبان من سنة ستين وسبعينه واستقدم عامر والمعتمد ابن أخيه من مكانهم بالجبل، فقدم عليه وأسلمه إليه كما نذكر إن شاء الله تعالى.

## الخبر عن ظهور أبي حمو بنواحي تلمسان وتجهيز العساكر لمدافعته، ثم تغلبه عليها وما تخلل ذلك من الأحداث

كان أبناء عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن هؤلاء أربعة كما ذكرنا في أخبارهم، وكان يوسف كثيرهم وكان سكوتاً متاحلاً لطرق الخير لا يريد علوّاً في الأرض، ولما هلك أخوه عثمان بتلمسان، عقد له على تنس، وكان ابنه موسى متقدلاً منه به في السكون والدعة، وعجائبة أهل الشر، ولما تغلب السلطان أبو عنان عليهم سنة ثلاث وخمسين وسبعينه وفر أبو ثابت إلى قاصية الشرق، واهتب لهم قبائل زواوة وأزر جلوهم عن خيلهم سعوا على أقادهم، وانتبذ أبو ثابت وأبو زيان ابن أخيه أبي سعيد وموسى ابن أخيه يوسف وزيرهم يحيى بن داود ناحية عن قومهم، وسلكوا غير طريقهم، وتقبس على أبي ثابت ويحيى بن داود محمد بن عثمان، وخلص موسى إلى تونس فنزل على الحاجب أبي محمد بن تافراكتين وسلطانه خير نزل، وأجراه مع فل من قومه خلصوا إليهم وأسروا جرائهم.

وبعث السلطان أبو عنان فيهم إلى ابن تافراكتين فأبى من إسلامهم وجاهر بإجاراتهم على السلطان.

ولما استولت عساكر السلطان على تونس، وأجفل عنها سلطانها أبو إسحاق إبراهيم ابن مولانا السلطان أبي يحيى، خرج موسى بن يوسف هذا في جملته، ولما رجع السلطان إلى المغرب صمد الملوك أبو إسحاق إبراهيم ابن مولانا السلطان أبي يحيى، وابن أخيه الملوك أبو زيد صاحب قسطنطينة مع يعقوب بن علي وقومه من الدواودة إلى منازلة قسطنطينة وارتفاعها، وسار في جملتهم

فأخذ أبو حمرو ذلك الفرس لركوبه، و  
صارفة ووجه مذاهبه، والله غالب على أمره.

فما بلغ الخبر وجاض الناس لها جيضة الحمر، خلص بعضهم نحو بساحة البلد، واتفقوا على البيعة ليعيش بن علي بن أبي زيان ابن السلطان أبي يعقوب فبايعوه.

وانتهى الخبر إلى الوزير مسعود بن رحرو، وكان متخيلاً  
السلطان منصور بن سليمان فاستدعاه وأكرهه على البيعة، وبياضه  
معه الرئيس الأكبر من بني الأهر، وقائد جند النصارى القمدوز،  
وتسلّل إليه الناس، وتسامع الملا من بني مرین بالخبر، فبادروا إليه  
من كل جانب.

وذهب يعيش بن أبي زيان لوجهه، فركب البحر وخلص إلى الأندلس، وانعقد الأمر لمصور بن سليمان. واجتمع بني مرين على كلمته، وارتحل بهم من تلمسان

واعتراضهم جموع العرب في طريقهم فأوقعوا بهم،  
وامتلأت أيديهم من أسلابهم وظعنهم.

وأغذوا السير إلى المغرب، واحتلوا بسبوا في منتصف جادى الآخرة، ويبلغ الخبر إلى الحسن بن عمر فاضطرب معاشره بساحة البلد، وأخرج السلطان في الآلة والتعبية إلى أن أزله بفسطاطه.

ولما غشيمهم الليل انقضوا عنه ونزع الملا إلى السلطان منصور بن سليمان، فأقرّ الشموع وأذكى النيران حول الفسطاط، وجمع الولاي والجندي وأركب السلطان ودخل إلى قصره، والمحجز بالبلد الجديد، وأصبح منصور بن سليمان فارتحل في العصبة حتى نزل بكتيبة العرائس في الثاني والعشرين لجمادي، واضطرب معسركه بها، وغدا عليها بالقتال وشد عليها الحملات، وامتنعت ليومها، ثم جم الأيدي على اخناد الآلات للحصار.

واجتمعت إليه وفود الأمصار بالغرب للبيعة، ولحقت به  
كتائببني مرين التي كانت جماعة مراكش لحصار عامر مع الوزير  
سليمان بن داود فاسترزه، وأطلق عبد الله بن علي وزير  
السلطان أبي عنان من معتقله فاسترزه أيضاً. وأوعز بإطلاق  
مولانا أبي العباس صاحب قسطنطينة من معتقله بسببة، فخلص منه  
خلوص، الامر يـ بعد السـكـ.

وامر منصور بن سليمان بتسريح السجون، فخرج من كان بها من دعاير مجاهية وقسطنطينية، وكانوا معتقلين من لدن استحراذ السلطان أبي عنان على بلادهم.

الخبر عن نهوض الوزير مسعود بن ماساي  
إلى تلمسان وتغلبه عليها ثم انتقام منه ونفيه  
منصور بن سليمان للأمر

لما بلغ الوزير الحسن ين عمر خير تلمسان واستيلاء أبي  
هو عليهما، جمع مشيخةبني مرین وأمرهم بالنهوض إليهما، فأبوا  
عليه من النهوض بنفسه، وأشاروا بتجهيز العساكر ووعدهو  
يسيرهم كافة، ففتح ديوان العطاء وفرق الأموال وأسني الصلات  
وأزاح العلل، وعسكر بساحة البلد الجديد.

ثم عقد عليهم لمسعود بن رحون مسامي وحمل معه المال وأعطياه الآلة وسار في الألوية والعساكر.

وكان في جملة منصور بن سليمان بن منصور بن أبي مالك بن يعقوب بن عبد الحق، وكان الناس يرجون بان سلطان المغرب صائر إليه بعد مهلك أبي عنان، وشاء ذلك على السنة الناس وذاع وتحدث به السمر والندمان، وخشي منصور على نفسه لذلك، فجاء إلى الوزير وشكى إليه ذلك، فانتهراه بان لا يمتنع بفكرة مثل هذا الوسواس انتهاراً خلا من وجه السياسة، فازدجر وأقصر.

ولقد شهدت هذا الوطن، ورحت ذلة انكساره وخضوعه  
في موقفه.

ورحل الوزير مسعود في العيبة وأخرج أبو حمو عن  
تلمسان، ودخلها مسعود في ربيع الثاني واستولى عليها.  
وخرج أبو حمو إلى الصحراء، وقد اجتمعـت إليه جمـعـة  
العرب من زغـة والمـقـلـة.

ثم خالقو بني مرين إلى المغرب واحتلوا بانكاد محلهم  
وطوا عنهم، وجهز مسعود بن رحو إليهم عسكراً من جنوده انتقى  
فيه مشيخة من بني مرين وأمرائهم، وعقد عليهم لسامر ابن عممه  
عيوب بن ماساي، وسرحهم فزحفوا إليه بساحة وجدة، وصدقهم  
العرب الحملة، فانكشفوا واستبيح معسركهم، واستتبلت  
مشيختهم، وأرجلوا عن خللمهم، ودخلوا إلى وجدة عرة.

وبلغ الخبر إلى بنى مرین بتلمسان، وكان في قلربهم مرض من استبداد الوزير عليهم وحجزه لسلطانهم، فكانوا يتصرّون

القصص بالزقاق، وضرروا بذلك الموعد وأخلفه السلطان بهدية سنينة من ماتع المغرب وماعونه، ومركب ذهي صنيع، ومقرب من جياده وأنفذها إليه، فبلغت تلمسان، وهلكت قبل وصولها إلى محلها، ولما هلك السلطان أبو عنان أمل آخره المولى أبو سالم ملك أخيه، وطبع في مظاهره أهل الأندلس له على ذلك لما كان بينهم وبين أخيه، واستدعاه أشياع من أهل المغرب، ووصل البعض منهم إليه بمكانه من غرناطة، وطلب الإذن من رضوان في الإجازة، فابى عليه، فأخفظه ذلك.

ونزع إلى ملك قشتالة متظاهراً بنفسه عليه أن يجهز له الأسطول للإجازة إلى المغرب، فاشترط عليه وقبل شرطه.

وأجازه في أسطوله إلى مراكش، فامتنع عامر من قوله لما كان فيه من التضيق والخصار بمحصة سليمان بن داود كما ذكرنا، فانكفا راجعاً على عقبه.

فلها حاذى طنجة وبلاط غمارة والقى بنفسه إليهم، ونزل بالصفحة من بلادهم، واحتسلت عليه قبائلهم، وتسللوا إليه من كل حد وباعوه على الموت، وملك ستة وطنجة، وبها يومئذ السلطان أبو العباس بن أبي حفص صاحب قسطنطينة لحق بها بعد الخروج من اعتقاله ستة كما ذكرنا، فاختصه المولى أبو سالم بالصحابة والخلة، والله في اغترابه ذلك، إلى أن استولى على ملكه، والقى بطنجة الحسن بن يوسف الورتاجي، وكاتب ديوان الخند أنا الحسن بن علي بن السعود، والشريف أبو القاسم التلمساني، كان منصور بن سليمان ارتبا بهم واتهمهم بمداخلة الحسن بن عمر بمكانه من البلد الجديد، فصر لهم من معسكة.

إلى الأندلس، ف ovarوا المولى أبي سالم عند استيلاته على طنجة، فساروا في إياته، واستوزر الحسن بن يوسف، واستكتب لعلمهاتي الحسن علي بن السعود، واختص الشريف بالجالسة والمراكبة.

ثم قام أهل التغور الأندلسية بدعورته، وأجاز يحيى بن عمر صاحب جبل الفتح إلى بن كان معه من المعسكة، وطالب حصاة المولى أبي سالم واتسع معسكته، وبلغ خبره إلى الشائر على البلد الجديد منصور بن سليمان، فجهز عسكراً لدقاعته وعقد عليه لأخرية عيسى وطلحة وأنزلم قصر كاتمة، وقاتلوه فهزموه، واعتصم بالجبل وبادر الحسن بن عمر من وراء الجدران فبعث إليه بطاعته، ووعده بالتمكن من دار ملوكه.

و داخل بعض أشياء المولى أبي سالم مسعود بن رحو بن ماساي وزير منصور في التزوع إلى السلطان، وكان قد ارتبا منصور وبابه على، فتنزع وانقض الناس من حول منصور، وتخاذل

بالقتال ويرواحها ونزع عنه إلى الوزير الحسن بن عمر طائفه من بي مرين، ولحق آخرون ببلادهم، وانتقضوا عليه يتظرون مآل أمره.

ولبث على هذه الحال إلى غرة شعبان، فكان من قدوم السلطان أبي سالم ملك سلفه بالمغرب، واستيلاته عليه، ما نذكره إن شاء الله تعالى.

## الخبر عن نزول المولى أبي سالم بجبل غمارة واستيلاته على ملك المغرب ومقتل منصور

### بن سليمان

كان السلطان أبو سالم بعد ملوك أبيه واستقراره بالأندلس، وخرج أبي الفضل بالسوس لطلب الأمر، ثم ظفر السلطان أبي عنان به ومملكته كما ذكرنا، قد تورع وسكن وساله السلطان.

ثم هلك سلطان الأندلس أبو الحاجاج سنة خمس وخمسين وسبعينة يوم الفطر بصلى العيد طعنه أسود مدسوس كان ينسب إلى أخيه محمد من بعض إماء قصرهم.

ونصبوا للأمر ابنه محمد وأحتجبه مولاً رضوان، واستبد عليه، وكان للسلطان أبي عنان اعتراض كما ذكرنا، وكان يؤمل ملك الأندلس.

وأوغز إليهم عندما طرقه من طائف المرض سنة سبع وخمسين وسبعينة أن يبعثوا إليه طيب دارهم إبراهيم بن زرزر الذي، وامتنع من ذلك اليهودي، واعتذرها عنده فنكر لهم السلطان قبله، ولما وصل إلى فاس من فتح قسطنطينة وإفريقية وتقپض على وزيره والمشيخة من قبله، تخلياً عليهم إذ لم يبادر السلطان بنفسه وحاججه للتنهي.

وأظلم الجر بینهم، واعترض على النهوض إليهم وكانتوا منحاشين بالجملة إلى الطاغية بطرة بن أدفونش صاحب قشتالة، منذ ملوك أبيه المنشية على جبل الفتح سنة إحدى وخمسين وسبعينة ثم استبد رضوان على الدولة بعد ملوك أبي الحاجاج، فكانت له صاغية إليهم، ظاهراًها النظر لل المسلمين بحملة عدوهم، وكان السلطان أبو عنان يعتد ذلك عليهم، وعلم أنه لا بد أن يدهم بأساطيله ويدافعوه عن الإجازة إليهم.

وكان بين الطاغية بطرة وبين قصص برشنونة فتنة هلك فيها أهل ملتهم، فصرف السلطان قصده إلى قصص برشنونة وخاطبه في اتصال اليد على أدفونش، واجتماع أسطول المسلمين وأسطول

## الخبر عن خلع ابن الأهر صاحب غرناطة ومقتل رضوان ومقدمه على السلطان

لما هلك السلطان أبو الحاجع سنة خمس وخمسين وسبعين  
ونصب ابنه محمد للأمر، واستبد عليه رضوان مول أبيه، وكان قد  
رشح ابنه الأصغر إسماعيل بما الفي عليه وعلى أمه من محنته.

فلما عدلوا بالأمر عنه حجبوه بعض قصورهم، وكان له  
صهر من ابن عميه محمد بن إسماعيل ابن الرئيس أبي سعيد في  
شقيقه فكان يدعوه سراً إلى القيام بأمره متى أمكنته فرصة في  
الدولة، فخرج السلطان إلى بعض متراهاته برياضه، فصعد سور  
الحمراء ليلة سبع وعشرين من رمضان من سنة ستين وسبعين  
أوشاب، جمعهم من الطعام ثورته.

وأعمد إلى دار الحاجب رضوان فاقتصر عليهم الدار وقتلها بين  
حرمه وبيناته، وقربوا إلى إسماعيل فرسه فركبه فأدخلوه القصر  
وأعلنوا بيته، وقرعوا طبوضهم بسور الحمراء، وفر السلطان من  
مكانه بمترهه بريادي آتش وغدا الخاصة والعامة على إسماعيل؛  
فبايعوه واستبد عليه هذا الرئيس ابن عميه. ثم قتله لأشهر من  
بيته، واستقل بسلطان الأندلس ولما لحق أبو عبد الله بريادي آتش  
بعد مقتل حاجبه رضوان، واتصل الخبر بالسلطان المولى أبي سالم،  
امتضى لهلك رضوان، وخلع السلطان رعياناً لما سلف له في  
جوارهم، وأزعج لحيته أبا القاسم الشريف من أهل مجلسه  
لاستقدامه، فوصل إلى الأندلس وعقد مع أهل الدولة على إجازة  
المخلوع من وادي آتش إلى المغرب، وأطلقا من اعتقالهم الوزير  
الكاتب أبا عبد الله بن الخطيب، كانوا اعتقلوه لأول أمره لما كان  
رديفاً للحاجب رضوان وركتا لدولة المخلوع.

فأوصى المولى أبو سالم إليهم بإطلاقه فأطلقوه ولحق الرسول  
أبو القاسم الشريف بسلطانه المخلوع بريادي آتش للإجازة إلى  
المغرب وأجاز لذى العدة من ستة.

وقدم على السلطان بفاس وأجل قدمه، وركب للقاء،  
ودخل به إلى مجلس ملكه وقد احتفل بزيته، وغض بالمشيخة  
والعلية ووقف وزير ابن الخطيب فأشد السلطان قضيته الرائية  
يستصرخه لسلطانه، ويستتحثه لمظاهرته على أمره.

واستعطف واسترحم بما أبكي الناس شفقة ورحمة، ونص

أشياعه من بي مرين، ولحق بيادس من سواحل المغرب.  
ومشى أهل المعسكر بآجمعهم في ساقائهم ومواكبهم على  
التعبية، فلتحقوا بالسلطان أبي سالم واستقذوه إلى دار ملكه، فأخذ  
السيء وخليع الحسن بن عمر سلطانه السعيد عن الأمر، وأسلمه  
إلى عمده وخرج إليه فبایعه.

ودخل السلطان إلى البلد الجديد يوم الجمعة متصرف شعبان  
من سنة ستين وسبعين واستول على ملك المغرب، وتواترت  
وفود النواحي بالبيعات، وعقد للحسن بن عمر على مراكش،  
وجهزه إليها بالعساكر ربة بمكانه.

واستوزر مسعود بن رحو بن ماساي والحسن بن يوسف  
البروتاجني، وأصطفى من خواصه خطيب أبا الفقيه أبا عبد الله  
محمد بن أحد بن مزوق، وجعل إلى مؤلف هذا الكتاب توقعه  
وكتابه سره.

وكنت نزعت إليه من معسكر منصور بن سليمان بكدية  
العرائس لما رأيت من اختلال أحواله، ومصير الأمر إلى السلطان،  
فأتسل على وأنزلني بمحل البنوة واستخلاصي لكتابته.

واستوسن أمره بالغرب وتقبض شيعة السلطان بيادس  
على منصور بن سليمان وابنه علي وقادوهم مصفدين إلى سدته،  
وأحضرهم ووجههم، وجنوا إلى مصارعهم، فقتلوا قعضاً بالرماح  
آخر شعبان من ستة.

وجمع الأبناء والقرابة المرشحين من ولد أبيه وعمه،  
وأشخصهم إلى رندة من ثورهم بالأندلس، ووكل بهم من  
بحارتهم، وزرع محمد بن أبي أخيه أبي عبد الرحمن منهم إلى  
غرناطة، ثم لحق منها بالطاغية، واستقر لديه حتى كان من مملكته  
المغرب ما نقصه، وهلك الياقون غرقاً في البحر بريغاز السلطان  
 بذلك بعد مدة من سلطانه، أركبهم السفين إلى المشرق، ثم  
غرقهم، وخلص الملك من الخوارج والمنازعين، واستوسن له  
الأمر، والله غالب على أمره.

واحتفل السلطان في كرامة مولانا السلطان أبي العباس،  
وشاد بيده وأوزع باختاذ دار عامر بن فتح الله وزير أبيه لزوله،  
ومهد له المجلس لضيق أربكته، ووعده بالظاهرة على ملكه إلى أن  
بعشه من تلمسان عند استيلائه عليها، كما نذكر إن شاء الله تعالى.

القصيدة:

سلا هل للبيها من خبرة ذكر وهل أعشب الوادي ونم به الزهر  
وهل باكر الوسمى داراً على اللوا عفت آتها إلا التوهيم والذكر

بلادى الـى عاـطـيـتـ مـشـمـوـلـةـ المـوـىـ باـكـانـهـاـ وـالـبـيـشـ فـيـنـانـ خـضـرـ وـأـنـتـ الـذـيـ تـدـعـيـ إـذـاـ دـهـمـ الرـدـىـ وـأـنـتـ الـذـيـ تـرـجـىـ إـذـاـ أـخـلـفـ القـطـرـ وجـوـىـ الـذـيـ رـىـ جـنـاحـيـ وـكـرـ فـهـاـ آـنـاـ ذـاـ مـالـىـ جـنـاحـ وـلـاـ وـكـرـ وـأـنـتـ إـذـاـ جـارـ الزـمـانـ بـحـكـمـهـ لـكـ التـقـنـ وـالـإـسـرـامـ وـالـنـهـىـ وـالـأـمـرـ بـنـتـ بـيـ لـاـ عـنـ جـفـوـةـ وـمـلـلـةـ وـلـاـ نـسـخـ الـوـصـلـ الـهـنـىـ بـهـاـ هـجـرـ وـهـنـاـ إـبـنـ نـصـرـ قـدـأـتـيـ وـجـنـاحـهـ كـسـيرـ وـمـنـ عـلـيـكـ يـلـتـمـسـ الـجـرـ وـلـكـهـاـ الـذـيـ قـلـيلـ مـتـاعـهـ وـلـلـهـاـ دـابـأـتـزـورـ وـتـزـورـ غـرـبـ يـرـجـىـ مـنـكـ مـاـنـ أـهـلـهـ فـلـاـ كـنـتـ تـبـغـ الـفـخـرـ فـمـنـ لـيـ بـيـلـ الـقـرـبـ مـنـهـاـ وـدـونـتـاـ مـلـىـ طـالـ حـتـىـ يـوـمـ عـنـدـنـاـ شـهـرـ فـعـدـيـاـ أـمـيـرـ الـسـلـمـينـ لـيـعـةـ مـوـقـةـ قـدـ حلـ عـقـدـهـاـ الـفـدـرـ وـلـهـ عـيـنـاـ مـنـ رـاتـاـ وـلـلـأـسـىـ ضـرـامـ لـهـ فـيـ كـلـ جـانـحـهـ جـرـ وـمـثـلـكـ مـنـ يـرـعـيـ الـدـخـلـ وـمـنـ دـعـاـ بـأـلـ مـرـيـنـ جـاهـ العـزـ وـالـصـرـ وـقـدـ بـدـدـتـ دـرـ الدـمـوـعـ يـدـ السـوـىـ وـلـلـبـينـ أـشـجـانـ تـضـيـقـ لـهـ الصـلـرـ وـخـذـيـاـ إـسـامـ الـحـقـ لـلـحـقـ شـارـهـ فـيـ ضـمـنـ مـاـتـيـ بـهـ العـزـ وـالـأـجـرـ بـكـيـاـ عـلـىـ الـنـهـرـ السـرـورـ عـشـيـةـ فـنـادـ أـجـاجـاـ بـعـدـنـاـ ذـلـكـ الـهـرـ وـأـنـتـ لـهـاـيـاـ نـاصـرـ الـحـقـ فـلـقـمـ مـحـقـ فـمـاـ زـيـدـ يـرـجـىـ وـلـاـ عـمـرـ أـقـولـ لـأـطـمـانـيـ وـقـدـ غـالـهـ الـسـرـىـ وـأـسـهـاـ الـحـادـىـ وـأـوـحـشـهاـ الـزـجـرـ فـلـاـنـ قـيـلـ مـالـ مـالـكـ الـدـشـرـ وـافـرـ وـإـنـ قـيـلـ جـيشـ عـنـدـ الـعـسـكـرـ الـجـرـ روـيـدـكـ بـعـدـ السـرـ يـرـ فـاـبـشـرـيـ يـاـجـارـ وـعـدـ اللـهـ قـدـ ذـعـبـ الـعـسـرـ يـكـفـ بـكـ العـادـيـ وـيـمـيـاـ بـكـ الـهـدـىـ وـيـبـيـكـ الـإـسـلـامـ مـاـ هـدـمـ الـكـفـرـ وـلـهـ فـيـنـاسـ غـيـبـ وـرـيـاـ أـنـيـ النـفـعـ مـنـ حـالـ يـكـونـ بـهـاـ الضـرـ اـعـدـهـ إـلـىـ أـوـطـانـهـ عـنـكـ ثـانـيـاـ وـقـلـلـهـ نـعـمـكـ الـيـ مـاـلـهـاـ حـصـرـ وـإـنـ تـجـنـنـ الـأـيـامـ لـمـ يـجـنـنـ الـنـهـىـ وـإـنـ تـخـذـلـ الـأـقـوـامـ لـمـ يـخـذـلـ الـصـبـرـ وـعـاجـلـ قـلـوبـ النـاسـ فـيـ بـهـ يـجـرـهـاـ فـقـدـ صـدـهـمـ عـنـهـ التـغلـبـ وـالـقـهـرـ وـإـنـ عـرـكـتـ مـنـيـ الـخـطـوبـ بـعـرـيـاـ تـقـافـ أـسـاوـيـ عـنـدـ الـخـلـوـ وـالـسـرـ وـهـمـ يـرـقـبـونـ الـفـعـلـ مـنـكـ وـصـفـقـةـ خـالـوـهـاـ يـنـاكـ مـاـ بـعـدـهـاـ خـسـرـ قـدـ عـجـمـتـ عـوـدـاـ صـلـيـاـ عـلـىـ الـنـوـىـ وـعـزـمـاـ كـمـاـ تـمـضـيـ الـمـهـنـةـ الـبـلـرـ مـرـامـكـ سـهـلـ لـاـ يـؤـدـكـ كـفـلـهـ سـوـيـ اـهـرـ ماـ إـنـ لـهـ فـيـ الـعـلـىـ حـظـرـ إـنـ أـنـتـ بـالـيـضـاءـ قـدـ زـرـتـ مـتـزـلـيـ فـلـاـ الـلـحـمـ حـلـ مـاـ حـيـتـ وـلـاـ ظـهـرـ وـمـاـ الـعـمـرـ إـلـاـ زـيـنـةـ مـسـتـعـارـةـ تـرـدـ وـلـكـنـ الشـاءـ هـوـ الـعـمـرـ زـجـنـاـ بـإـبـراهـيمـ مـلـءـ هـمـوـنـاـ فـلـمـ أـرـيـاـ وـجـهـ صـلـقـ الـزـجـرـ وـمـنـ بـاعـ مـاـ يـفـنـيـ يـاـقـ مـخـلـدـ فـقـدـ أـجـمـعـ الـمـسـعـ وـقـدـ رـيـحـ الـتـجـرـ بـمـتـخـبـ مـنـ آلـ يـعـقوـبـ كـلـمـاـ دـجاـ الـخـطـبـ لـمـ يـكـذـبـ لـعـزـمـهـ فـخـرـ وـمـنـ دـونـ مـاـ يـقـيـهـ يـاـ مـالـكـ الـعـلاـ جـيـادـ الـمـنـاـكـيـ وـالـمـجـلـةـ الـفـرـ تـاقـلـتـ الـرـكـبـانـ طـيـبـ حـدـيـثـهـ فـلـمـ أـرـأـهـ صـلـقـ الـخـبـرـ وـرـادـ وـشـقـرـ وـاضـحـاتـ شـيـاتـهـ فـاجـامـهـاـ تـبـرـ وـارـجـلـهـاـ بـرـ نـدـيـ لـوـحـوـ الـبـحـرـ لـذـمـاقـةـ وـلـمـ يـعـقـبـ مـلـهـ أـبـلـاـ جـزـرـ وـشـهـبـ إـذـاـ مـضـرـتـ يـوـمـ غـارـةـ مـطـهـمـ غـارـتـ بـهـاـ الـأـنـجـمـ الـزـهـرـ وـبـائـسـ غـلـاـ يـرـتـاعـ مـنـ خـوفـهـ الـرـدـىـ وـتـرـفـلـ فـيـ أـبـيـالـ الـبـكـةـ الـبـكـرـ وـأـسـرـ جـالـ مـنـ مـرـيـنـ أـعـزـةـ عـانـهـاـ يـيـضـ وـآسـالـاـ سـمـرـ أـطـاعـهـتـ حـتـىـ الـعـصـمـ فـيـ قـنـ الـرـبـاـ وـهـشـتـ إـلـىـ تـامـيـلـ الـأـخـيـمـ الـزـهـرـ عـلـيـهـمـ مـنـ الـمـانـيـ كـلـ مـقـاضـةـ تـدـافـعـ فـيـ اـعـطـاهـاـ الـلـجـجـ الـخـضـرـ قـصـدـنـاـكـ يـاـ مـوـلـ الـلـوـكـ عـلـىـ الـنـوـىـ لـتـصـفـاـ مـاـ جـنـىـ عـبـدـ الـدـهـرـ هـمـ الـقـوـمـ إـنـ هـبـواـ الـكـشـفـ مـلـمـةـ فـلـاـ الـلـقـنـ صـعـبـ وـلـاـ الـرـقـنـ وـعـرـ كـفـنـاـ بـكـ الـأـيـامـ عـنـ غـلـوـهـاـ وـقـدـ رـابـنـاـ مـنـهـاـ الـتـعـفـ وـالـكـبـرـ إـذـاـ سـلـواـ اـعـطـرـواـ وـإـنـ نـوـزـعـواـ سـطـواـ وـإـنـ عـادـهـواـ بـرـ وـعـدـنـاـ بـذـاكـ الـجـدـ فـاـنـصـرـ الـرـدـىـ وـلـذـاكـ الـعـزـ فـاـنـهـمـ الـذـعـرـ وـإـنـ سـعـمـواـ الـعـورـاءـ وـفـرـواـ بـاـنـفـسـ حـرـامـ عـلـىـ هـمـانـهـاـ فـيـ الرـغـيـ الـفـرـ وـلـاـ أـتـيـاـ الـبـحـرـ يـرـهـبـ مـوـجـهـ ذـكـرـنـاـ بـذـاكـ الـغـمـ فـاـنـقـرـ الـبـحـرـ وـإـنـ مـدـحـوـاـ اـهـتـرـواـ اـرـيـاحـاـ كـانـهـمـ نـشـاـوـيـ تـشـتـ فـيـ مـعـاطـفـهـمـ خـرـ خـلـافتـ الـعـظـمـيـ وـمـنـ لـمـ يـدـنـ بـهـاـ فـيـاءـنـاـ لـفـوـ وـعـرـفـانـهـ تـكـرـ وـتـبـسـ مـاـ بـيـنـ الـرـشـيـخـ تـغـرـهـمـ وـمـاـ بـيـنـ الـلـوـحـ يـتـسـمـ الـزـهـرـ وـوـصـفـكـ يـهـيـدـيـ الـمـدـ قـصـدـ صـوابـهـ إـذـ خـلـ فيـ أـوـصـافـ مـنـ دـونـ الـشـعـرـ أـمـلـاـيـ غـاـضـتـ فـكـرـتـيـ وـتـبـلـدـ طـبـاعـيـ، فـلـاـ طـبـعـ بـعـينـ وـلـاـ فـكـرـ دـعـتـ قـلـوبـ الـمـسـلـمـينـ وـاـخـلـصـتـ وـقـدـ طـابـ مـنـهـاـ السـرـ اللـهـ وـالـجـهـرـ وـلـوـلـاـ حـنـانـ مـنـكـ دـارـكـنـيـ بـهـ وـأـحـيـتـنـيـ لـمـ يـقـ عـيـنـ وـلـاـ إـسـرـ وـمـدـتـ إـلـىـ اللـهـ الـأـكـفـ ضـرـاءـ فـقـالـ لـهـ مـنـ اللـهـ قـدـ قـضـيـ الـأـمـرـ فـأـوـجـدـتـ مـنـيـ فـاتـاـيـ نـاتـ وـأـشـرـتـ مـيـتاـ ضـمـ اـشـلـاءـ قـبـرـ وـالـبـسـهـاـ الـعـمـىـ بـيـعـنـكـ الـيـ قـدـ حـلـ الـفـلـافـةـ هـالـةـ لـقـامـتـ زـمانـاـ لـاـ يـلـوحـ بـهـاـ الـبـلـرـ وـلـكـنـاـنـاـيـ بـاـنـسـتـطـيعـهـ وـمـنـ بـذـلـ الـجـهـودـ حـتـلـ الـعـنـرـ وـرـدـ عـلـيـكـ اللـهـ حـقـكـ إـذـ قـضـيـ بـأـنـ تـشـمـلـ الـعـمـىـ وـيـنـسـلـ الـسـرـ ثـمـ اـنـفـضـ الـجـلـسـ وـاـنـصـرـ اـبـنـ الـأـهـرـ إـلـىـ نـزـلـهـ، وـقـدـ فـرـشـتـ وـقـادـ إـلـيـكـ الـمـلـكـ رـفـقـاـ مـلـقـهـ وـقـدـ عـدـمـواـ رـكـنـ الـأـمـانـةـ وـاـضـطـرـواـ وـرـازـدـكـ بـالـتـحـيـصـ عـرـزاـ وـرـفـعـةـ وـلـجـراـ وـلـوـلـاـ السـبـكـ مـاـ عـرـفـ الـثـبـرـ

وضرب بالعصا، وتل إلى محبسه، وقتل للبيال من اعتقاله عصاً بالرماح ساحة البلد، وصلب شلوه بسور البلد عند باب الحروق، وأصبح مثلاً في الآخرين.

الصنائع، وانخفظ عليه رسم سلطانه في المركب والرجل، ولم يفقد من القاب ملكه إلا الآلة أدباً مع السلطان، واستقر في جمله إلى أن كان من حاقه بالأندلس، وارتجاع ملكه سنة ثلات وستين وبسبعينة ما ذكره إن شاء الله تعالى.

## الخبر عن وفـد السـودان وهـديـتـهـم وإـغـارـابـهـمـ فـيـهاـ بـالـزـرـافـةـ

كان السلطان أبو الحسن لما أهدى إلى ملك السودان منسا

سليمان بن منسا موسى هديته المذكورة في خبره، اعتمد في مكافأته وجمع لهاداته من طرف أرضه وغرايب بلاده، وهكذا السلطان أبو الحسن خلال ذلك، ووصلت المدية إلى أقصى تغورهم من والاتن هلك منسا سليمان قبل وصولها.

واختلف أهل مالي وافقن ملوكهم، وتواتب ملوكهم على الأمر وقتل بعضهم بعضاً، وشغلوا بالفتنة حتى قام فيهم منسا جادة واستوست له أمرهم ونظر في أعطاف ملكه، وأخبر بشأن المدية وأخبر أنها بواساتن فأمر بإلقاذها إلى ملك المغرب، وضم إليها الزرافة الحيوان الغريب الشكل، العظيم المبكي، المختلف الشبه بالحيوانات.

وفصلوا بها من بلادهم فوصلوا إلى فاس في صفر من سنة اثنين وستين وبسبعينة وكان يوم وقادتهم يوماً مشهوداً جلس لهم السلطان برج الذهب مجلس العرض.

ونزد في الناس بالبروز إلى الصحراء، فبرزوا ينسلون من كل حدب حتى غص بهم الفضاء وركب بعضهم بعضًا في الأزدحام على الزرافة إعجاباً بخلقتها وأنشد الشعرا في عرض الملح والتهنة، ووصف الحال.

وحضر الوفد بين يدي السلطان وأدوا رسالاتهم بتاكيد الود والمصالحة، والعدر عن إيهاء المدية بما كان من اختلاف أهل مالي وتواتبهم على الأمر، وتعظيم سلطانهم وما صاروا إليه.

والترجان يتترجم عنهم وهم يصدقونه بالنزع في أوتار قسيهم عادة معروفة لهم.

وحيروا السلطان يحيون التراب على رؤوسهم على سنة ملوك العجم.

ثم ركب السلطان وانقض ذلك المجلس وقد طار به الذكر. واستقر ذلك الوفد في إيلال السلطان وتحت جرايته، وهكذا السلطان قبل انصرافهم، فوصلهم القائم بالأمر من بعده، وإنصرفا إلى مراكش وأجازوا منها إلى ذوي حسان عبد السوس

## الخبر عن انتقاض الحسن بن عمر وخروجه

### بتـادـلاـ وـتـغلـبـ السـلـطـانـ عـلـيـهـ وـمـهـلـكـهـ

لما فصل الوزير الحسن بن عمر إلى مراكش واستقر بها، تأثر له بها سلطان ورياسة، نفسها عليه الوزراء بمجلس السلطان وسعوا في تذكر السلطان له، حتى أظلم الجو بينهما، وشعر الوزير بذلك فارتـاب بمـكانـهـ، وخشـيـ بـادـرةـ السـلـطـانـ عـلـىـ نـفـسـهـ، وخرج من مراكش في شهر صفر من سنة إحدى وستين وبسبعينة فلحق بتـادـلاـ منحرـافـاـ عنـ الطـاعـةـ، مـرـتـبـكاـ فيـ أمرـهـ، وـتـلـقـاهـ بـنـوـ جـابرـ من جـشـمـ، واعـصـوـصـبـواـ عـلـيـهـ وأـجـارـوهـ.

وـجـهزـ السـلـطـانـ عـسـاـكـرـهـ إـلـىـ حـرـبـهـ، وـعـقـدـ عـلـيـهـ لـوـزـيرـهـ الحـسـنـ بـنـ يـوسـفـ وـسـرـحـهـ إـلـيـهـ فـاحـتـلـ بـتـادـلاـ، وـلـحـقـ الحـسـنـ بـنـ عمرـ بـالـجـبـلـ، وـاعـتصـمـ بـهـ مـعـ حـسـنـ بـنـ عـلـيـ الـوـرـدـيـ كـبـرـهـ.

وـأـحـاطـتـ بـهـمـ الـعـسـاـكـرـ وـأـحـذـواـ بـخـنـقـهـمـ، وـدـاخـلـ الـوـزـيرـ بـعـضـ أـهـلـ الـجـبـلـ مـنـ صـنـاكـةـ فـيـ الثـورـةـ بـهـمـ، وـسـرـبـ إـلـيـهـ الـمـالـ فـتـلـوـاـ بـهـمـ، وـانـفـضـ جـعـهـمـ، وـتـقـبـضـ عـلـىـ الـحـسـنـ بـنـ عـمـرـ، وـقـادـوـهـ بـرـمـتـهـ إـلـىـ عـسـكـرـ السـلـطـانـ فـاعـتـقـلـهـ الـوـزـيرـ، وـانـكـفـاـ رـاجـعاـ إـلـىـ الـحـضـرـةـ.

وـقـدـ بـهـ عـلـىـ السـلـطـانـ فـيـ يـوـمـ مـشـهـودـ، وـاـسـتـرـكـ السـلـطـانـ فـيـ الـعـسـكـرـ وـجـلسـ بـرـجـ الـذـهـبـ مـقـعـدـهـ مـنـ سـاحـةـ الـبـلـدـ لـاعـتـرـاضـ عـسـاـكـرـهـ.

وـحـلـ الحـسـنـ بـنـ عـمـرـ عـلـىـ جـلـ طـافـ بـهـ بـيـنـ أـهـلـ دـلـكـ الـحـشـرـ، وـقـرـبـ إـلـىـ الـجـلـسـ فـاـوـمـاـ إـلـىـ تـقـيـلـ الـأـرـضـ فـوـقـ جـلـهـ، وـرـكـ السـلـطـانـ إـلـىـ قـصـرـهـ، وـانـفـضـ الـجـمـيعـ وـقـدـ شـهـدـواـ عـبـرـةـ مـنـ عـبـرـ الدـنـيـاـ.

وـدـخـلـ السـلـطـانـ قـصـرـهـ وـاـتـعـدـ أـرـيـكـهـ وـاسـتـدـعـ خـاصـتـهـ وـجـلـسـاءـ، وـاحـضـرـهـ فـوـجـهـ وـقـرـرـ عـلـيـهـ مـرـتـبـهـ، فـتـلـوـيـ بـالـعـاذـبـ وـفـرـعـ إـلـىـ الـإـنـكـارـ.

وـحـضـرـتـ يـوـمـشـدـ هـذـاـ الـجـلـسـ فـيـنـ حـضـرـهـ مـنـ الـعـلـيـةـ وـالـخـاصـةـ، فـكـانـ مـقـاماـ تـسـيلـ فـيـ الـعـيـونـ رـحـمـةـ وـعـرـبةـ.

ثـمـ أـمـرـ بـهـ السـلـطـانـ فـسـحـبـ عـلـىـ وـجـهـهـ، وـتـنـفـتـ لـحـيـهـ

من المعقل المتصلين ببلادهم.

ولحقوا من هنالك بسلطانهم، والأمر لله سبحانه.

### الخبر عن حركة السلطان إلى تلمسان

واستيلاته عليها وإيشار أبي زيان حاقد أبي

تاشفين بملكها وما كان مع ذلك من صرف

أمراء الموحدين إلى بلادهم

لما استقل السلطان يملّك المغرب سنة ستين وسبعينة كما ذكرناه، وكان العامل على درعة عبد الله بن مسلم الزردايى من اختلافبني عبد الواد وشيعة آل زيان، اصطنعه السلطان أبو الحسن عند تغلبه على تلمسان.  
واستعمله ابنه أبو عنان بعد ذلك على بلاد درعة كما ذكرناه.

وتولى المكر بأبي الفضل ابن السلطان أبي الحسن حين خروجه على أخيه السلطان أبي عنان مجبل ابن حيدى فارتبا عند استقلال المولى أبي سالم بالأمر، وخشي بادرته لما نابهم من حقد عليه بسبب أخيه أبي الفضل، لما بينهما من لحمة الاغتراب، ف الداخل بطانة له من عرب المعقل، واحتمل ذخائره وأمواله وأهله وقطع الفرق إلى تلمسان، ولحق بالسلطان أبي هو آخر سنة ستين وسبعينة فنزل منه خير نزل، وعقد له حين وصوله على وزارته، وبayahه ويمكان، وفرض إليه في التدبير والحل والعقد، فشمر هو عن ساعده في الخدمة، وجأجا بعرب المعقل من مواطنهم رغبة في ولاته وإيشاراً لمكانه من الدولة، ورهبة من السلطان بالغرب لما كانوا ارتکبوا من موافقة بنسى مرين مرة بعد أخرى، فاستقرروا بتلمسان واغشاوا جميعاً إلى بني عبد الواد، وبعث السلطان إلى أبيه هو في شأن عاملهم عبد الله بن مسلم، فلم يرجع له جواباً عنه، وحضر عليه ولادة المعلم أهل وطنه، فلقي في شأنهم فاجمع السلطان أمره على النهوض إليه.

واضطرب معسكره بساحة البلد وفتح ديوان العطاء ونادي في الناس بالتأثير إلى تلمسان، وأزاح العلل.

وبعث الحاشدين من وزرائه إلى مراكش فتوافت حشود الجهات ببابه، وفضل من فاس في مجدد من ستة إحدى وستين وسبعينة وجمع أبو حمر من في إياته وعلى التشيع لدولته من زناتة والعرب من بني عامر والمعلم كافة، ما عدا العمارة، كان

أميرهم الزبير بن طلحة متعيناً إلى السلطان، وأجفلوا عن تلمسان وخرجوها إلى الصحراء.

ودخل السلطان إلى تلمسان ثالث رجب، وخالقه أبو حمر وأشياعه إلى المغرب، فنزلوا كرسيف بلد وزمار بن عريف، وخربوه واكتسحوا ما وجدوا فيه حتى على وزمار وقومه بولايةبني مرين.

وخطروا إلى وطاط، فعاثوا في نواحيه، وانقلبوا إلى أنكاد، وبلغ السلطان خبرهم فتلافي أمر المغرب.

وعقد على تلمسان حاقد من حفدة السلطان أبي تاشفين، كان ربي في حجرهم وتحت كفالة نعمتهم، وهو أبو زيان محمد بن عثمان، وشهرته بالفتى، وأنزله بالقصر القديم من تلمسان وعسكر عليه زناتة الشرق كلهم، واسترزّ له ابن عمته عمر بن محمد بن إبراهيم بن مكن ومن أبناء وزرائهم سعيد بن موسى بن علي، وأعطيه عشرة أحوال من المال دنانير ودرارهم، ودفع إليه الآلة.

وذكر حيثذا لمولانا السلطان أبي العباس سوابقه ولخلافه في المثلث الحشن، فنزل له عن محل إمارته قسطنطينة.

وصرف أيضاً المولى أبي عبد الله صاحب مجابة لاسترجاع بلده مجابة، فعقد لها بذلك وحملهما، وخلع عليهم وأعطاهما حللين من المال.

وكان مجابة لذلك العهد قد تغلب عليها عهم المولى أبو إسحاق إبراهيم صاحب تونس، فكتب إلى عاملهم على قسطنطينة منصور بن الحاج خلوف أن ينزل عن بلده لمولانا السلطان أبي العباس، ويعكته منها، وودع هؤلاء الأمراء وانكنا راجعاً إلى حضرته لسد ثغور المغرب، وحسن داء العدو، فدخل فاس في شعبان من ستة.

ولم يلبث أن رجع أبو زيان على أثره بعد أن أجفل عن تلمسان ولحق بروانش.

وتغلب عليه أبو حمر وفض جوعه، فلتحق بالسلطان واستقل أبو حمر بملك تلمسان، وبعث في السلم إلى السلطان فعقد له من ذلك ما رضيه كما ذكرناه.

والوزراء، وعكف على بابه القواد والأمراء وصار زمام الدولة بيده.

وكان يتجاهلي عن ذلك أكثر أوقاته حذراً من المغبة، ويزجر من يتعرض له في الشكابة ويردهم إلى أصحاب المراتب والخطط بباب السلطان، وهو يعلمون أنه قد ضرب على أيديهم، فتقموا ذلك وسخطوا الدولة من أجله.

ومرضت قلوب أهل الخل والعقد من تقدمه، ونفس عليه الوزراء ما تعين له عند السلطان من الحظ، فتريصوا بالدولة وشمل هذا الداء الخاصة وال العامة.

وكان عمر بن عبد الله بن علي لما هلك أبوه الوزير عبد الله بن علي في جادى سنة ستين وسبعيناً عند استيلاء السلطان على ملكه، تجلت شفاعة الدولة إلى تراثه، وكان مثرياً فاستجار بهم باين مرزوق، وسامحه من تراث أبيه بعد أن حلوا السلطان على التيل منه، والإهانة به، فأجراه منهم.

وُرِفِعَ عند السلطان رتبته وحمله على الإصهار إليه في آخره، وقلده السلطان أمانة البلد الجديد دار ملكه متى عنت له الرحلة عنها وأصهر عمر إلى وزير الدولة مسعود بن ماسي تسكتناً لغيره واستخلاصاً لموته، وسفر عن السلطان إلى صاحب تلمسان في شعبان من سنة اثنين وستين وسبعيناً وغبي عنه أنه داشر صاحب تلمسان في بعض المكر فهم بنكبه وقتلها، ودافع عنه ابن مرزوق وخلص من عقابه، وطوى من ذلك على النكث وتربيص الدولة.

وأعيد إلى مكانه من الأمانة على دار الملك أول ذي القعدة مرجعه من تلمسان لما كان السلطان قد تحول عنها إلى القصبة بفاس، واختلط إيواناً فخماً بللوسه بها، لضيق قصوره متعيناً الآبردين.

فلما استولى عمر على دار الملك حدثه نفسه بالتوثب وسول له ذلك ما اطلع عليه من مرض القلوب والنكير على الدولة، بكمان ابن مرزوق من السلطان فداخل قائد الجندي النصاري غريسة بن انطون وتدعوا لذلك ليلة الثلاثاء لسبعين عشر من ذي القعدة سنة اثنين وستين وسبعيناً وخلصوا إلى تاشفيني الموسوس ابن السلطان أبي الحسن بمكانه من البلد الجديد، فخلعوا عليه وألسسوه شارة الملك، وقربوا له مرتكبة وأخرجوه إلى أريكة السلطان فأقعدهوا عليها.

وأكرهوا شيخ الحامية والناشية محمد بن الزرقان على البيعة له، وجهروا بالخلمان وقرعوا الطبول ودخلوا إلى مودع المال،

## الخبر عن مهلك السلطان أبي سالم واستيلاء هو بن عبد الله على ملك المغرب ونصبه للملوك واحداً بعد آخر إلى أن هلك

كان السلطان قد غالب على هوا الخطيب أبو عبد الله بن مرزوق وكان من خبره أن سلفه من أهل رباط الشيخ أبي مدین كان جده قائماً على خدمة قبره ومسجدة واتصل القيام على هنا الرباط في عقبه، وكان جده الثالث محمد معروفاً بالولاية، ولا مات دفنه يغمراسن بالقصر القديم ليجاوره بجدته تبركاً به، وكان ابنه أحد أبو محمد هذا قد ارتحل إلى المشرق، وجاور الحرمين إلى أن هلك ورثي محمد ابنه بالشرق ما بين الحجاز ومصر.

وقفل إلى المغرب بعد أن شدا شيئاً في الطلب وتفقه على أولاد الإمام، ولما ابتدى السلطان أبو الحسن مسجد العباد ولاه الخطابة به، وسمعه يخطب على المنبر وقد أحسن في ذكره والدعاء له، فحلبي يعنيه واستخلصه لنفسه وأحله محل القرب من مجلسه، وجعله خطيباً حيث يصلى من مساجد المغرب، وسفر عنه إلى الملك، وما كانت نكبة القيروان خلص إلى المغرب واستقر برباط العباد محل سلفه، بعد أحوال أضرينا عن ذكرها اختصاراً.

ولما خلص السلطان إلى السفارة عنه إلى السلطان أبي الحسن وإصلاح بيهما فسار لذلك ونقمه أبو ثابت وبني عبد الواد ونكروه على سلطانهم، وسرحوا صغير بن عامر في اتباعه، فتقبض عليه وأودعه المطبق.

ثم أشتصوه بعد حين إلى الأندلس فاتصل بأبي الحجاج صاحب غرناطة، وولاه خطابته لما اشتهر به من إجاده الخطبة للملوك بزعمه.

والف Sultan أبا سالم في مشوي غربته من غرناطة، وشاركه عند أبي الحجاج في مهماته. ولما نزل بجيال غماره داخل بني مرين والوزراء في القيام بدعوته، وكان له في ذلك مقام محمود.

فرعن السلطان وسائله ومولاته القديمة والحادية إلى مقامه عند أبيه، فلما استوثق له ملك المغرب اختصه بولايته والقى عليه محبتة وعانته، وكان مؤامره ونجي خلوته والغالب على هواه، فانصرفت إليه الوجهة وخضعت له الرقاب ووطئ عتبته الأشراف

بن ونصار فلما رجع عن السلطان ليلة انقضاضهم نزل عليه وكان يعاوره الخمر فبته شجوه وفاوضا في اغتيال عمرو وإقامة معتقله سليمان بن داود في الوزارة لما هو عليه من السن ورسوخ القدم في الأمر، وغبي إلى عمر الخبر.

فارتاب وكان خلوا من العصابة ففرز إلى قائد الموكب السلطاني من الرجل الأندلسيين يومذ إبراهيم البطروحي، فإنه أمره وبايده على الاستئناف دونه.

ثم استقل عصابتهم ففرز إلى يحيى بن رحو شيخ بن مرين وصاحب شوراهم فشكاه إليه، فاشكاه ووعده الفتكت بابن أنطول وأصحابه.

وانبرم عقد ابن أنطول وسليمان بن ونصار على شأنهم وغدوا إلى القصر.

وأدخل ابن أنطول طائفة من النصارى للاستظهار بهم ولما توافت بنو مرين بمجلس السلطان على عادتهم وطعموا دعا عمر بن عبد الله القائد ابن أنطول بين يدي يحيى بن رحو وقد أحضر البطروحي رجل الأندلسيين فسألة تحويل سليمان بن داود من داره إلى السجن فأبى وضن به عن الإهانة حتى يثال مثلها من ابن ماسي صاحبه فأمر عمر بن عبد الله بالقبض عليه، فكسر في وجوده الرجال واختلط سكينه للمدافعة فتواثبت بنو مرين وقتلوه لحيته، واستلهموا من وجوده بالدار من جند النصارى بعد جولة، وفروا إلى معسكرهم ويعرف بالملح جوار البلد الجديد.

وأرجف الغراغاء بالمدينة أن ابن أنطول غدر بالوزير فقتل جند النصارى حيث وجدوا من سكك المدينة، وتراحو إلى الملاح لاستلحام من به من الجندي، وركب بنو مرين لحماية جندهم من معرة الغراغاء.

وانتبه يومذ الكثير من أموالهم وأمتعتهم وقتل النصارى كثيراً من الجنان كانوا يعاورون الخبر بالملح، واستبد عمر بالدار واعتقل سليمان بن ونصار إلى الليل، وبعث من قتله بمحبسه.

وحول سليمان بن داود إلى بعض الدور بدار الملك واعتقله بها، واستولى على أمره ورجع في الشورى إلى يحيى بن رحو، واصتصب بنو مرين عليه، واعتز على الوزراء والدولة، وكان عدواً الخاصة السلطان أبي سالم حريراً على قتلهم، وكان عمر يزيد استبقاءهم لما أمله في ابن ماساي، فاختلت أهؤهمما وبين ليحيى بن رحو والشيخة صاعيته إلى ابن ماساي فخشت صدورهم عليه ودبوا في شأنه.

فأفاضوا العطاء من غير تقدير ولا حسبان، وماج أهل البلد الجديد من الجندي بعضهم في بعض، واحتظروا ما وصلوا إليهم من العطاء، واتهبو ما كان بالمخازن الخارجية من السلع والعدة وأضرموا النار في بيوتها ستراً على ما ضاع منها، وأصبح السلطان بمكانه من القصبة، فركب واجتمع إليه من حضر من الأولياء والقبائل، وغدا على البلد الجديد وطاف بها يروم فيها منفذأً، فاستصعبت واضطرب معسكته بكدية العرائس لضارها، ونادي في الناس بالاجتماع إليه.

ونزل عند قاتلة المهاجرة بفسطاطه فتسابيل الناس عنه إلى البلد الجديد فوجأً بعد فوج يمرأ منه إلى أن سار إليها أهل مجلسه وخاصة، فطلب النجاة بنفسه وركب في لمة من الفرسان مع وزيره: مسعود بن رحو بن سليمان بن داود ومقدم الموالى والجندي ببابه سليمان بن ونصار، وأذن لابن مرزوق في الدخول إلى داره، ومضى على وجهه.

ولما غشيمهم الليل انقضوا عنه، ورجع الوزيران إلى دار الملك فتقبض عليهم عمر بن عبد الله ومساهمه غرسية بن أنطول واعتقلاهما متفرقين، وأشخص على بن مهدي بن يرزيجين في طلب السلطان، فعش عليه نائماً في بعض الماجاشي بودي ورغبة، وقد نزع عنه لباسه اختفاء بشخصه، وتوارى على العيون بمكانه، فتقبض عليه وحمله على بغل، وطير الخبر إلى عمر بن عبد الله فازرع لتفقيه شعيب بن ميمون بن داود وفتح الله بن عامر بن فتح الله، وأمرهما بقتله وإنفاذ رأسه، فلقياه مجندة القصب وراء كدية العرائس، وأمرها بعض جنود النصارى أن يتول ذمه وحمل رأسه في مخلافة، فوضعه بين يدي الوزير والشيخة.

واستقل عمر بالأمر ونصب الموسوس تأشفين بموه به على الناس، وجرت الأمور إلى غاياتها ولكل أجل كتاب.

## الخبر عن الفتكة بابن أنطون قائد العسكر من النصارى من النصارى ثم خروج يحيى بن رحو وبني مرين عن الطاعة

لما تقبض عمر بن عبد الله على الوزير، جعل معتقل سليمان بن داود بدار غرسية قائد النصارى ومعتقل ابن ماسي بداره صيانته عن الامهان لكان صهراً.

ولما كان يؤمل منه من الاستظهار على أمره بعصابته من الأبناء والأحنة والقرابة وكان غرسية بن أنطون صديقاً لسليمان

## الخبر عن وصول عبد الحليم ابن السلطان أبي علي من تلمسان

من المغاضبة لذلك ما قدمه.

ولما اعتقل السلطان أبو سالم الأبناء المرشحين برئته، كما قدمنا، نزع منهم عبد الرحمن بن علي بن أبي يفلوسن إلى غرناطة فلحق بأعمامه.

وكان السلطان أبو سالم يمكّنهم مستریباً بشأنهم حتى لقد قتل محمد بن أبي يفلوسن ابن أخيه تاحضرت وهو في حجرها وحجزه، استرابة بما ثبّت عنه.

ولما أجاز أبو عبد الله المخلوع ابن أبي الحاجاج، إلى المغرب وزُل علىه وصار إلى إياته، ورأى أن قد ملك أمره في هؤلاء المرشحين بغرناطة، وراسل الرئيس محمد بن إسماعيل عند توبيه على الأمر واستلحامه أبناء السلطان أبي الحاجاج، فراسله في اعتقالهم على أن يمسك المخلوع عن التهامه ويقبض عنانه عن الموري عليه فاعتقلهم ثم فسد ما بين الرئيس والطاغية، وزحف إليهم والتمم كثيراً من حصون المسلمين.

ويُبعث إلى السلطان أبي سالم في أن يخلّي سبيل المخلوع إليه، فامتنع وفاة الرئيس.

ثم دافع الطاغية عن ثغرره ياسعاف طلبه، فجهز المخلوع وملا حقائقه صلات وأعطاه الآلة، وأوغر إلى أسطوله بسبعة فجهز وبعث علال بن محمد ثقة إلى فاركبه الأسطول وركب معه إلى الطاغية.

وخلص الخبر إلى الرئيس يمكّنه من سلطان غرناطة، وكان أبو حُوشاص تلمسان يراسله في أولاد أبي علي، وأن يجهزهم إليه ليجدهم زبوناً على السلطان أبي سالم، فبادر لخيه وأطلقهم من مكان اعتقالهم، وأركب عبد الحليم وعبد المؤمن وعبد الرحمن ابن أخيهما على أبي يفلوسن في الأسطول، وأجازهما إلى هنـين بـنـي مـهـلـكـ السـلـطـانـ أبيـ سـالـمـ، فـتـلـواـ منـ صـاحـبـ تـلـمـسـانـ بـأـعـزـ جـوارـ، وـنـصـبـ عبدـ الحـليمـ مـنـهـ مـلـكـ الـمـغـرـبـ.

وكان محمد السبيع بن موسى بن إبراهيم نزع عن عمر ولحق بتلمسان، فتوافق معهم وأخبرهم بمثل ذلك السلطان وبایع له وأفرأه بالرحلة إلى المغرب ثم تابعت رسائل بي مرين بـنـلـهـ، فـسـرـحـ أـبـوـ حـوـ وـأـعـطـهـ الآـلـةـ، وـأـسـتـرـزـ لـهـ مـحـمـدـ السـبـيعـ وـأـرـتـحـلـ معـهـ يـغـذـانـ السـيـرـ.

ولقيه بطريقه محمد بن زكدان من أولاد علي من شيوخ بي وتكاسن أهل ديدو ثغر المغرب منذ دخول بي مرين إليه، فبايعه وحل قومه على طاعته، وأخذ السير وكان يحيى بن رحو والمشيخة لما بند عمر بن عبد الله إليهم العهد، وعسكروا بباب الفتوح،

وخاطب هو عامر بن محمد في اتصال اليد واقتسام ملك المغرب، ويُبعث إليه بابي الفضل ابن السلطان أبي سالم، أعتده عنده ولبيحة لخلاصه من ريبة المختار الذي هم به مشيخة بني مرين.

وكان أبو الفضل هذا بالقصبة تحت الرقة والإرصاد، ففقد من مكانه، وأغلظ المشيخة في العتب لعمر على ذلك، فلما يستعبد، ونبذ إليهم العهد وامتنع بالبلد الجديد، ومنهم من الدخول إليه فاعصوصبوا على كبارهم يحيى بن رحو وعسكروا بباب الفتوح، وجاؤوا بعد الحليم ابن السلطان أبي علي وكان من خبرهم معه ما ذكره.

وأطلق عمر بن عبد الله مسعود بن ماساي من محبسه وسرحه إلى مراكش، ووادعوه في الإجلاب عليهم أن حاصروه كما ذكره.

## الخبر عن وصول عبد الحليم ابن السلطان

### أبي علي من تلمسان وحصار البلد الجديد

كان السلطان أبو الحسن لما قتل أخاه الأمير أبي علي وقضى الحق الذي له في ذمته عمل بالحق الذي عليه في ولده وحرمه، فكتلهم وأغذاهم نعمته، وساواهم بولده في كافة شؤونهم، وأنجح ابنته تاحضرت العزيزة عليه علياً منهم المكتن أبي يفلوسن وزرع عنه وهو بالقيروان أيام النكبة ولحق بالعرب.

وأجلب معهم على السلطان بالقيروان وتونس، ثم انصرف من إفريقية ولحق بتلمسان ونزل على سلطانها أبي سعيد عثمان بن عبد الرحمن فبزاه كرامته.

ثم شرع في الإجازة إلى الأندلس، ويُبعث فيه السلطان أبو عنان قبل فضوله، فاشخصه إليه فاعتقله ثم أحضره ووبحه على مرتكبه مع السلطان أبي الحسن ووجهه حقه.

ثم قتله للبيتين من شهر إحدى وخمسين وسبعينه، ولما هلك السلطان أبو الحسن وخلفت جملته من الخاصة والأبناء بالسلطان أبي عنان، وأشخص إخوته إلى الأندلس، وأشخص معهم ولد الأمير أبي علي هؤلاء: عبد الحليم وعبد المؤمن والمتصور والناصر وسعيد ابن أخيهم أبي زيان، فاستقرّوا بالأندلس في جوار ابن الأخر.

ثم طلب أبو عنان إشخاصهم بعد، كما طلب إشخاص أخيه، فأجارهم ابن الأخر جيّعاً وامتنع من إسلامهم إليه، وكان

عنها بعد أن وضع الملا على خطوطهم من بنى مرين والخاصة والشرفاء، فسار ابن الأحرار إلى الطاغية.

وسأله منه تسرير محمد هذا إلى ملكه، وأن قبيله دعوه إلى ذلك فسرحه بعد أن شرط عليه، وكتب الكتاب بقبوله وفصل من إشبيلية في شهر الحرم فاتح ثلات وستين وبسبعينة وزنزل بسبعة وبها سعيد بن عثمان من قرابة عمر بن عبد الله وأرضه لقدمه فطير بالخبر إليه فخلع أبا عمر من الملك، وأنزله بداره مع حزمه. وبعث إلى السلطان أبي زيان محمد بالبيعة والآلة والفساطيط ثم جهز عسكراً للقاءه فتلقوه بطنجة. وأخذ السير إلى الحضرة فنزل متصرف شهر صفر بكتيبة العرائس.

واضطربت معسكره بها، وتلقاه الوزير يومئذ ويابعه وأخرج فسطاطه، فاضطر به بمعسكره وتلوم السلطان ممالك ثلاثاً ثم دخل في الرابع إلى قصره واقتعد أريكته وتودع ملكه وعمر مستبد عليه لا يكل إليه أمراً ولا نهياً واستطال عن ذلك المزارعون أولاد أبي علي كما نذكره إن شاء الله تعالى.

### الخبر عن تجهيز السلطان عبد الحليم وإخوته إلى سجلماسة بعد الواقعه عليهم بمكناسه

لما سمع عبد الحليم بقدوم محمد بن أبي عبد الرحمن من سبعة إلى فاس وهو بمكناه من تازى، سرح أخاه عبد المؤمن وعبد الرحمن ابن أخيه إلى اعتراضه، فاتجهوا إلى مكناسة وخاموا عن لقائه، فلما دخل إلى البلد الجديد أجلبوا بالغارة على التواحي وكثروا العيش.

وأجمع الوزير عمر على الخروج إليهم بالعساكر، فبرز في العيبة والآلاء، ويات بوايي التجاء.

ثم أصبح على تعبية وأخذ السير إلى مكناسة، فزحف إليه عبد المؤمن وابن أخيه عبد الرحمن في جموعهم فجاوهم القتال ساعة، ثم صمد إليهم فدفعهم عن مكناسة.

وانكشفوا فلحقوا باخיהם السلطان عبد الحليم بتازى، ونزل الوزير عمر بباحة مكناسة، وأوفد بالفتح على السلطان، وكانت وافده إليه يومئذ، فعمت البشري واتصل السرور، وتهنأ السلطان ملكه وتودع من يومئذ سلطانه.

أوفدوا مشيخة منهم على تلميذ لاستقدام السلطان عبد الحليم، ففوجوه بتازى ورجعوا معه، وتلقته جماعة بنى مرين بسبو، ونزلوا على البلد الجديد يوم السبت سابع حزير من سنة ثلات وستين وبسبعينة وأضربوا معسكراً بكتيبة العرائس، وغادروا البلد القتال وراوحوها سبعة أيام، وبيعات الأمصار توافدهم والخشود تسابيل إليهم ثم إن عمر بن عبد الله برز من السبت القابل في مقدمة السلطان أبي عمر بن معه من الجند المسلمين والنصارى، راحمة وناشية، ووكل السلطان من جانبه في الساقية على التعية المحكمة.

وناشبهم الحرب فدللوا إليه فاستطعدهم ليتمكن الناشبة من عقرهم من الأسوار حتى فشت فهم الجراحات.

ثم صمم خوفهم وانفوج القلب وانقضت الجموع وزحف السلطان في الساقية فانذعوا في الجهات.

وافارق بنو مرين إلى مواطنهم ولحق بهم بن رحو براكش مع مبارك بن إبراهيم شيخ الخلط، ولحق عبد الحليم وإنحرته بتازى بعد أن شهد لهم أهل القام بصدق الجلاء وحسن البلاء في ذلك المجال وصابر عمر بن عبد الله أمره يتظاهر قدوم محمد بن أبي عبد الرحمن كما نذكره إن شاء الله تعالى.

### الخبر عن قدوم محمد ابن الأمير أبي عبد الرحمن وبيعته بالبلد الجديد في كفالة عمر بن عبد الله

لأنبذ عمر إلى بنى مرين عهدهم واعصر صبوا عليه، ونكروا ما جاء به من البيعة لأبي عمر مع فقدانه العقل الذي هو شرط الخلافة شرعاً وعادة، وتنعموا عليه، اتهم نفسه في نظره، وفرع إلى التماس المرشحين، فوق نظره على حافظ السلطان أبي الحسن محمد ابن الأمير أبي عبد الرحمن النازع لأول دولة السلطان أبي سالم من رندة إلى الطاغية.

وكان قد نزل منه بخير مشوى، فبعث إليه مولاه عتيقاً الخصي، ثم تلاه بعثمان بن الياسمين، ثم تلاهما بالرئيسي الأبكى من بنى الأحرار في كل ذلك يستحث قدمه، وخطاب المخلوع ابن الأحرار وهو في جوار الطاغية كما قدمته وقرب عهد بجوارهم، فخاطبه في استحسانه واستخلاصه من يد الطاغية.

وكان المخلوع يرتاد لنفسه نزواً من ثور المسلمين لما كان فسد بينه وبين الطاغية ورام التزوع عن إيمانه فاشترط على الوزير عمر النزول له عن رندة فقبل شرطه، وبعث إليه الكتاب بالنزول

وكان عامر بن محمد جمعاً القدوم على السلطان فقدم في  
صحابته ونزل من الدولة بخير منزل، وعقد السلطان لسعود بن  
روح على وزارة الرزير عمر واضططع بها، ودفعه عمر  
إليها استنارة إليه وثقة بمكانه واستظهارها بعصابته.

وعقد مع عامر بن محمد الحلف على مقاسمة المغرب من  
نخْم وادي أم ربيع وجعل إمارة مراكش لأبي الفضل ابن السلطان  
أبي سالم إسحاقاً بفرض عامر بن محمد في ذلك وأشهر عامر إليهم  
في بنت مولانا السلطان أبي يحيى التوفى عنها السلطان أبو  
الحسن، فحملوا أولياءها على العقد له عليهما وانكفا راجعاً إلى  
مكان عمله بمراكش بغير الدنيا وراءه عزاً وثروة وتابعاه لجمادى من  
سنة ثلاثة وستين وسبعينة وصرف عمر عزّته إلى ترشيد عبد  
الحليم وأخيه من سجلamasة، كما نذكره إن شاء الله تعالى.

الخبر عن زحف الوزير عمر بن عبد الله  
إلى سجلماسة

لما احتل عبد الحليم وإخوته بسجلماسة، اجتمع إليهم  
عرب العقل بكافة حلتهم.  
واقتضوا خراج البلاد فوزعوه فيهم، واقتضوا على الطاعة  
رهنهم.  
وأقطعهم جهات المختص بأسرها واعصوصبوا عليه.  
واستحثه يحيى بن رحو ومن هنالك من مشيخة بني مرين  
إلى النهوض للغرب، فأجمع أمره على ذلك.  
وتذير الوزير عمر أمره وخشي أن يضطرم جرمه، فاجمع  
الحركة إليه، ونادى في الناس بالعطاء والصلة فاجتمعوا إليه وبيث  
العطاء فيهم.  
وعاشرن العساكر وأزاح العلل وارتحل من ظاهر فاس في  
شعبان من سنة ثلاثة وستين وبسبعينه وارتحل معه ظهيره مسعود  
بن ماساي ويرز السلطان عبد الحليم إلى لقائهم.  
ولما تراءت الفتتان بتأزعه مطرت عند فرج الجبل المفضي من

ثم تراقبوا أيامًا وقشت بينهم رجالات العرب في الصلح والتجانفي بعد الحليم عن سجل مسامحة تراث أبيه، فانعقد مسعود ما بينهما وافتقرتا، ورجع كل واحد منها إلى عمله ومكانه من سلطانه.

ولما وصل عبد المؤمن إلى أخيه عبد الحليم بتازى مفلولاً  
انقض معسكره وتزعوا عنه إلى فاس، وذهب لوجهه هو وإخوه  
مع وزيرهم السبيع ومن كان معهم من العرب العقل، فلحقوا  
بسجلماسة.

وكان أهلها قد دخلوا في بيعتهم ودانوا بطاعتهم واستقرروا بها، وجددوا رسم الملك والسلطان إلى أن كان من خروجهم عنها ما نذكره إن شاء الله تعالى.

الخبر عن قدوم عامر بن محمد ومسعود بن  
ناسی من مراكش وما كان من وزارة ابن  
ناسی واستبداد عامر بن محمد بمراکش

كان السلطان أبو سالم لما استقل بملك المغرب، استعمل على جباية المصامدة وولاية مراكش محمد بن أبي العلاء بن أبي طلحة من أبناء العمال، وكان مرضطلاً بها، ونافس الكثير من ذوي عامر فأحفظه ذلك وربما تكررت سعادته في عامر عند السلطان ولم يقبل.

ثم سرح مسعود بن ماساي كما ذكرناه، ولما أحاط بنو مرين بالبلد الجديد جمع عامر من إليه من الجنود والخسرو ومحفظ يابني الفضل ابن السلطان أبي سالم إلى آنقى، ونزل بوادي أم ربيع، ولما انقضى جعهم من على البلد الجديد، لحق به يحيى بن رحوس، وكان له صديقاً ملطفاً، فتذكر له توفيقه لعمر بن عبد الله وصاحبه مسعود، وبعثه إلى الجبل ولم يشهده الجمع، فذهب مغاضباً، ولحق بسلامة بالسلطان عبد الحليم وهلك في بعض حروبه مع العرب.

ولما انقضى عبد المؤمن وأجفل عبد الخليم من تازى وخلفوا بسجلماسة، واستمرت الأمر لعمر بن عبد الله وفرغ من شأن المنازعين ومضايقتهم له، رجع إلى ما كان يؤمّله من الاستظهار على أمره بمسعود بن رحو وإخترته وأقاربه لمكان الصرح الذي بينهما، فاستقدمه للوزارة مرضأة لبني مرين لما كانوا عليه من استعمالتهم لبعض المذاهب والاغضاء عما ناله به من النكارة.

الإسكندرية سنة ست وستين وسبعينة واستقل عبد المؤمن بأمر سجلماسة حتى كان من نهوض العساكر إليه ما نذكره إن شاء الله تعالى.

### الخبر عن نهوض ابن ماساي بالعساكر إلى سجلماسة واستيلاته عليها وخلق عبد المؤمن بمراكمش

لما افترقت كلمة أولاد السلطان أبي علي وخلع عبد المؤمن أخيه طاول الوزير عمر إلى التغلب عليهم.

ونزع إليه الأحلاف عدو أولاد حسين وشيعة عبد الحليم المخلوع، فجهز العساكر وبث العطاء وأذاج العلل، وسرح ظهيره مسعود بن ماساي إلى سجلماسة، فنهض إليها في ربيع من سنة أربع وسبعينة.

وتلقاه الأحلاف بحملهم وناجتهم، وأخذ السير ونزع الكثير من أولاد حسين إلى الوزير مسعود.

وبعث عامر بن محمد عن عبد المؤمن فرحل عن سجلماسة، فتركها ولحق بعامر فتقبض عليه واعتقله بداره من جبل هاتنة.

ودخل الوزير مسعود إلى سجلماسة واستولى عليها. واقتلع منها جرثومة الشقاق باختلاع دعوة أولاد أبي علي منها.

وكَرَّ راجعاً إلى المغرب لشهرين من حرتكه، فاحتل بفاس إلى أن كان من خبره وانتقامه على عمر وفساد ما بينهما ما نذكره.

### الخبر عن انتقام عامر ثم انتقام الوزير ابن ماساي على أثره

لما استقل عامر بالناحية الغربية من جبال المصامدة ومراميش وما إلى ذلك من الأعمال واستبد بها، ونصب لأمره أبو الفضل ابن السلطان أبي سالم واستوزر له واستكتب، وصارت كأنها دولة مستقلة، فصرف إليه النازعون من بنى مرين على الدولة وجروه مفهوم وجلوا إليه، فأجراهم عن الدولة واجتمع إليه منهم ملا. وأشاروا عليه باستئدام عبد المؤمن وأنه أبلغ ترشيحاً من

ودخل عمر والوزير مسعود إلى البلد الجديد في رمضان من ستة، وتلقاهما سلطانهما بأنواع المبرة والكرامة.

ونزع الوزير محمد السبيع عن السلطان عبد الحليم إلى الوزير عمر وسلطانه فقبل وحل محل الكرامة والردافة للوزارة واستقر كل مكانه، وتودعوا أمرهم إلى أن كان من خلع عبد المؤمن لأخيه عبد الحليم، ما نذكره إن شاء الله تعالى.

### الخبر عن بيعة العرب لعبد المؤمن وخروج عبد الحليم إلى المشرق

#### عبد الحليم إلى المشرق

لما راجع عبد الحليم بعد عقد السلام مع الوزير عمر إلى سجلماسة واستقر بها. وكانت عرب المعلم من ذوي منصور فريقين: الأحلاف وأولاد حسين.

وكانت سجلماسة وطنًا للأحلاف وفي مجالاتهم منذ أول أمرهم ودخولهم المغرب.

وكان من أولاد حسين في مملأة الوزير عمر ما قدمناه، وكانت صافية السلطان عبد الحليم إلى الأحلاف بسبب ذلك أكثر، فأسف ذلك أولاد حسين على الأحلاف وتحمّل بيتهما لذلك فتنة وتراحضاً.

وأخرج السلطان عبد الحليم أخيه عبد المؤمن لرقط ما بينهما من المشرق ولأمته، فلما قدم على أولاد حسين دعوه إلى البيعة والقيام بأمره فابى وأكرهوه عليها وبايموه.

وزحفوا إلى سجلماسة في صفر من سنة أربع وستين وستمائة ويرز عبد الحليم إليهم في أوليائه من الأحلاف وتوافقوا ملياً وعقلوا رواحهم ثم انكشف الأحلاف وانهزموا.

وهلك يحيى بن رحو كبير المشيخة من بنى مرين يومئذ في حربهم.

وتغلبوا على سجلماسة، ودخل إليها عبد المؤمن وتخلّى له آخره عبد الحليم عن الأمر وخرج إلى المشرق لقضاء فرضه، فردهم ورزوهم بما أراد وارتدى إلى الحج وقطع المفارة إلى بلد مالي من السودان.

وصحب منها ركاب الحاج إلى مصر، ونزل على أميرها المتغلب على سلطانها يومئذ، وهو يلغى المخاصمكي وأنهى خبره إليه وعرف بمقامه، فاستلقي في تكريمه بما يناسب بيته وسلطانه.

وقضى حجه وانصرف إلى المغرب، فهلك بقرب

## الخبر عن نهوض الوزير عمر سلطانه إلى مراكش

أبي الفضل بن سبـه وقيـمه على أمره وصـاغـيـة بـنـيـ مـريـنـ إـلـيـهـ، فـاستـدـعـاهـ وأـظـهـرـ لـعـمـرـ أـنـهـ يـرـومـ بـذـلـكـ مـصـلـحـتـهـ وـالـمـكـرـ لـعـبدـ الـمـؤـمـنـ، وـغـيـرـ ذـلـكـ كـلـهـ إـلـىـ عـمـرـ قـارـتـابـ بـهـ وـنـزـعـ إـلـيـهـ آـخـرـ مـنـ نـزـعـ السـيـبـعـ بـنـ مـوسـىـ بـنـ إـبرـاهـيمـ الـوـزـيرـ.

كان عبد الحليم فكشف عمر القناع في مطالبته وتجهيز العساكر إليه.

واستراب باهل ولايته، وعثر على كتاب من الوزير مسعود بن ماساي إليه يخالصه وبيذل له النصيحة، فتقبض على حامله وأودعه السجن، فتنكر مسعود وأغراه صاحبته الملابسون له من بني مرين بالخروج ومنازعة عمر في الأمر، ووعده النصر منه، فاضطرب معسكره بالزيتون من خارج فاس مورياناً بالتزعة إيان الرابع، وزخرف الأرض في شهر رجب من سنة خمس وسبعينه.

وبنى أصحابه الفساطيط في معسكره حتى إذا استوفوا جعهم واعتمز على الخروج، ارتحل مجاهراً بالخلاف، وعسكر بوادي النجا من كان يده الخروج منه من بني مرين.

ثم ارتحل إلى مكانة، وكتب إلى عبد الرحمن بن علي بن أبي يفلوسن، يستقدمه للبيعة، وكان مجاهات تادلا قد خرج بها بعد انتصارهم من سجلماسة، وتخلقه عن أخيه عبد المؤمن.

وبعث عامر إليه بعثاً فهزمه ثم طق ببني ونكسن، فبعث إليه ابن ماساي وأصحابه، فتقد عليهم وبابعوه.

وأخرج عمر سلطانه محمد بن أبي عبد الرحمن وعسكر بكدية العرائس، وبث العطاء وأزاح العلل.

ثم ارتحل إلى وادي النجا، فبيته مسعود وقومه فثبت هو ومعسكره في مراكزهم حتى اخياض الظلام وفروا أمامهم، فاتبعوا آثارهم وانقض عليهم وبدأ لهم ما لم يختبئه من أصفاق الناس على السلطان ووزيره عمر واعتراضهم بطاعته، فانذروا.

ولحق مسعود بن ماساي بن رحو بتادلا، ولحق الأمير عبد الرحمن ببلاد بني ونكسن، ورجع عمر والسلطان إلى مكانهم من الحضرة.

واستمال مشيخة بني مرين فرجعوا إليه وغافلهم عنها واستصلحهم.

وخشي عمر مغبة ذلك، فألان له في القول ولاطفه في الخطاب، وسعى بینهما في الصلح حسون بن علي الصبيحي فقد له عمر من ذلك ما ابتعاه، وانقلب إلى فاس.

ورجع عامر عبد المؤمن إلى معقله وأجرى الأحوال على ما كانت من قبل إلى أن بلغتهم قتل الوزير عمر لسلطانه، كما

وتسلك أبو بكر بن حامة بدعوة عبد الرحمن بن أبي يفلوسن وأقامها في نواحية، وبابعه عليها موسى بن سيد الناس من بني علي أهل جبل بدبو من بني ونكسن بما كان صهراً له.

وخلاله قومه إلى الوزير عمر وأغراه بالنهوض إلى أبي بكر

نذكره إن شاء الله تعالى.

## الخبر عن مقتل الوزير عمر بن عبد الله

### واستبداد السلطان عبد العزيز بأمره

كان عمر قد عظم استبداده على السلطان عبد العزيز فحجره ومنعه من التصرف في شيء من أمره، ومنع الناس من التعرض له في شيء من أمرهم.

وكانت أمه حندة عليه إشفاقاً وجباً.

وكان عمر لما ملك أمره واستبد عليه، سما إلى الإصهاار إليهم في بنت السلطان أبي عنان، واشترط لها - تولية أخيه الأمير وهي ذلك إلى السلطان، وأن عمر مقتله لا محالة.

وقارن ذلك أن عمر أوعز إلى السلطان بالتحول عن قصره إلى القصبة، فركب أسنة الغدر لاضطراره واعترض على الفتكت به، وأكمن بزوايا داره جماعة من الرجال وأعدتهم بالتوفيق به. ثم استدعاه إلى بيته للمؤامرة معه على سنته، فدخل معه وأغلق المولى من الخصيان باب القصر من ورائه، ثم أغلوظ له السلطان بالقول وعتبه.

ودلف الرجال إليه من زوايا الدار فتناولوه بالسيوف هريراً.

وصرخ بيطانته بحيث أسمعهم فحملوا على الباب وكسروا أغلاقه فالقوه مضرجاً بدمائه، فولوا الأبار وانقضوا من القصر وانذعوا وخرج السلطان إلى مجلسه فاقتعد أريكته واستدعاي خاصة.

وعقد عمر بن مسعود بن منديل بن حامة من بني مرين وشعيوب بن ميمون بن ودرار من الجشم وبخيبي بن ميمون المصمود من المولى، وكملت بيعته متتصف ذي القعدة سنة ثمان وسبعين وسبعيناً وتقبض على علي بن الوزير عمر وأخيه وعمه وحاشييهم، وذويهم واعتقلهم حتى أتى القتل عليهم الليل.

واستأصل النكال شاقتهم وسكن وأمن ورد النافرين بأمانه وبسط لهم في وجه بشره ثم تقبض لأيام على سليمان بن داود وعبيد السبيع، وكانا في محاصلة عمر بمكان فاعتقلهما استرابة بهما ولشيء نهى له عنهما.

وأودعهما السجن إلى أن هلكا واعتقل معهما علال بن محمد والشريف أبا القاسم ربيبة بصحابتها.

ثم امتن عليهما بشفاعة ابن الخطيب وزير ابن الأحر وآقصاه.

ثم أطلق عنانه في الاستبداد وقضى أيدي الخاصة والبطانة

## الخبر عن مهلك السلطان محمد بن أبي عبد الرحمن وبيعة عبد العزيز ابن السلطان أبي الحسن

كان شأن هذا الوزير عمر في الاستبداد على سلطانه هذا عجباً حتى بلغ مبلغ الحجر للستهاء من الصيان.

وكان جعل عليه العيون والرقباء حتى من حرمه وأهل قصره.

وكان السلطان كثيراً ما يتنفس الصعداء من ذلك مع ندائه ومن يختصه بذلك من حرمه إلى أن حدث نفسه باغتيال الوزير، وأمر بذلك طائفة من العبيد كانوا يختصون به، فتمي القول، وأرسل به إلى الوزير بعض الحرمن كانوا عيناً له عليه، فخشى على نفسه، وكان من الاستبداد والدولة أن الحجاب مرفوع له عن خلوات السلطان وحرمه، ومكافحة رتبه، فخلص إليه في حشمه وهو معاق لنداته، فطردهم عنه وتناوله غطاً حتى فاض وألقوه في بئر بروض الغزلان.

واستدعي الخاصة فأراهم مكانه وأنه سقط عن ذاته وهو ثمل في تلك البئر، وذلك في الحرم فاتح ثمان وسبعين وسبعيناً لست سين من خلافته.

واستدعي من حينئذ عبد العزيز ابن السلطان أبي الحسن وكان في بعض الدور من القصبة بفاس تحت الرقباء والحراسة من الوزير لما كان السلطان محمد يروم الفتكت به غيره منه على الملك، لكان ترشيه، فحضر بالقصر وجلس على سرير الملك.

وفتحت الأبواب لبني مرين وال الخاصة والعامة فازدحروا على تقبيل يده معطين الصفتة بطاعته.

وكل أمره ويدار الوزير من حينه إلى تمهيز العساكر إلى مراكش ونادي بالعطاء وفتح الديوران وكميل الاعتزاض وارتحل بسلطانه من فاس في شهر شعبان، وأخذ السير إلى مراكش ونزل عامر بن محمد بمعقله من جبل هناتة ومعه الأمير أبو الفضل ابن السلطان أبي سالم عبد المؤمن ابن السلطان أبي علي، أطلقه من الاعتقال أيضاً وأجلسه موازي ابن عمده، وانخذله الآلة يعوه به في شأنه الأول، ثم سعى بينه وبين عمر في الصلح، فانعقد بينهما وانكنا راجعاً بسلطانه إلى فاس في شهر شوال، فكان حفته إثر ذلك، كما نذكره إن شاء الله تعالى والله أعلم.

## الخبر عن نكبة الوزير يحيى بن ميمون بن المصمود ومقتله

عن التصرف في شيء من سلطانه إلا بإذنه وعن أمره، وهلك مسقطه.

ثم لحق بعامر بن محمد ولحق أبو الفضل بقبائل صناعة من ورائهم.

وداخلهم أشياع السلطان من بني جابر وبذلوا لهم المال الدثر في إسلامه، فأسلموه وبعث السلطان إليهم وزيره يحيى بن ميمون، فجاء به أسيراً وأحضره السلطان فرقنه وقرعه واعتقله بفساطط في جواره، ثم غط من الليل.

وكان مهلكه في رمضان من سنة تسع وستين وسبعينة سنين من إمارته على مراكش، وبعث السلطان أبي سالم نفسه مثلها في عامر بن محمد، لكن استبداده عليه، وأغراء بذلك بطانته، وتوجس لها عامر فتمارض بداره، واستأنده في الصعود إلى معتصمه بالجليل ليمرره هناك حرمه وأقاربه، وارتخل بحملته، ويسأ أبو الفضل من الاستمكان منه وأغراه حشمه بالراحة من عبد المؤمن.

## الخبر عن نكبة الوزير يحيى بن ميمون بن المصمود ومقتله

كان يحيى بن ميمون هذا من رجالات دولتهم وربى في دولة السلطان أبي المحسن، وكان عمده علال عدواً له لعداوة أبيه. ولما انتزى السلطان أبو عنان على ملك أبيه، استخلص يحيى هذا سائر أيامه، وهلك عمر يوم مهلكه كما ذكرناه.

واستعمل يحيى هذا بيجابة، فلم يزل بها إلى أن تقبض عليه المحددون، لما استخلصوا بجاية من يده. وسار إلى تونس واعتقل بها مدة، ثم صرفوه إلى المغرب أيام عمر، فاختص به.

ولما عقد له السلطان عبد العزيز على وزارته وكان قوي الشكيمة شديد الحزم وصعب العداوة مرهف الحد، وكان عمده علال بعد أن أطلقه السلطان من الاختقال مكده عن إذنه وأقامه متصرفاً بين يديه، فالقى إلى السلطان استبداد يحيى عليه وحذره من شأنه، ورفع إليه أنه يروم تحويل الدعوة لبعض القرابة من آل عبد الحق، وأنه داخل في ذلك قواد الجندي من النصارى.

وأصاب الوزير وجع قعد به عن مجلس السلطان، فاختطف الناس إلى زيارته وعكف يابه قرداد النصارى، فاستراب بأمرهم وتيقن الأمر بعكرفهم، فأرسل السلطان من حشمه من تقبض عليه وأودعه السجن.

ثم جنب إلى مصرعه من الغد وقتل تعصباً بالرماح، وقتل المتهمون من القرابة وقواد الجندي، واستلحموا جميعاً وصاروا مثلاً

لأشهر من استبداد الوزير شبيب بن ميمون.

ثم هلك يحيى بن ميمون على ما ذكره إن شاء الله تعالى.

## الخبر عن انتزاء أبي الفضل بن المولى أبي سالم ثم نهوض السلطان إليه ومهلكه

لما فتك السلطان عبد العزيز بعمر بن عبد الله المتغلب عليه، سولت لأبي الفضل ابن السلطان أبي سالم نفسه مثلها في عامر بن محمد، لكن استبداده عليه، وأغراء بذلك بطانته، وتوجس لها عامر فتمارض بداره، واستأنده في الصعود إلى معتصمه بالجليل ليمرره هناك حرمه وأقاربه، وارتخل بحملته، ويسأ أبو الفضل من الاستمakan منه وأغراه حشمه بالراحة من عبد المؤمن.

ولليال من منصرف عامر ثمل أبو الفضل ذات ليلة، وبعث عن قائد الجندي من النصارى، فأمره بقتل عبد المؤمن بمكان معتصمه من قبة مراكش فجاء برأسه إليه، وطار الخبر إلى عامر فارتاع وحد الله أن خلص من غاثته.

وبعث بيته إلى السلطان عبد العزيز وأغراه ببابي الفضل ورغبه في ملك مراكش.

ووعله بالظاهرة فاجمع السلطان أمره على التهوض إلى مراكش، ونادي في الناس بالعطاء، وقضى أسباب حركه وارتخل من فاس سنة تسع وستين وسبعينة واستبد أبو الفضل بعد مهلك عبد المؤمن واسترزز طحة السنوري وجعل علامته محمد بن محمد بن منديل الكتاني، وجعل شوراه لمبارك بن إبراهيم بن عطيه الخلطي.

ثم أشخاص طحة التينوري بسعادة الكتاني، فقتله واعتمد بعساكره منازلة عامر.

ولما فصل لذلك من مراكش جاءه الخبر بحركة السلطان عبد العزيز إليه، فانقض معسكره ولحق بناهلاً ليغتصب بها في معلم بني جابر.

وعاج السلطان إليها بعساكره عن مراكش إليها، فنازله وأخذ بمحنته وقاتلها، فقتل عسكره وداخله بعض بني جابر في الإخلال بعاصمه يوم الحرب مع مال بذلك لهم، ففعلوا، وانهزمت عساكر أبي الفضل وجماعه، وتقبض على أشياعه.

وسيق مبارك بن إبراهيم إلى السلطان فاعتقله إلى أن قتله مع عامر عند مهلكه كما ذكره وفر الكتاني إلى حيث لم يعلم

الخد وتفضيل ابنه أبي بكر عليه فبلغ خبره إلى السلطان واقتضى له وثيقة من الأمان والهدى بعث به إليه فثار بعنه.

واستدعي القبائل من الجبل إلى طاعة السلطان فأجابوه واستحث السلطان لزاحف إليهم، فزحفت العساكر، الجنود واستولت على معتصم الجبل.

ولما استيقن عامر أن قد أحطبه به أوعز إلى ابنه أن يلحق بالسلطان موهاً بالترويع، فالقى بنفسه إليه وبدل له الأمان والحقه بحملته.

واتبدع عامر عن الناس وذهب لوجهه ليخلاص إلى السوس فرده الثلوج.

وقد كانت السماء أرسلت به منذ أيام برداً وتلجاً حتى تراكم بالجبل بعضه على بعض، وسد المثالك فاتحمه عامر وهلك فيه بعض حرمه وفقد مرకوبه.

وعابن الحلكة العاجلة فرجع خفياً أثره إلى غار أوى إليه مع أدلاء بذل لهم المال يسلكون به ظهر الجبل إلى الصحراء بالسوس، وأقاموا يتظرون إمساك الثلوج، وأغرى السلطان بالبحث عنه فدخلهم عليه بعض البرير عثروا عليه فسيق إلى السلطان وأحضره بين يديه ووجهه فاعتذر وغنم بالطاعة.

ورغب في الإقالة واعترف بالنسب، فحمل إلى مضرببني له بزاره فسطاطن السلطان، واعتقل هنالك.

وتقبض يومئذ على محمد بن الكناني فاعتقل وانتطلقت الأيدي على معاقل عامر ودياره، فاتهبت من الأموال والسلاح والذخيرة والزرع والأقوات والخرثي ما لا عين رأت ولا خطر على قلب أحد منهم.

واستولى السلطان على الجبل ومعاقله في رمضان من ستة إحدى وسبعين وسبعمائة لحول من يوم حصاره.

وعقد على هتافته لفارس بن عبد العزيز بن محمد بن علي وارتحل إلى فاس واحتل بها آخر رمضان ودخلها في يوم مشهود برب فيه الناس.

وحل عامر وسلطانه تاشفين على جلين وقد أفرغ عليهما الرث وعثث بهما أيدي الإهانة فكان ذلك عبرة لمن رأه ولما قضى منشك الفطر أحضر عامراً فقرره بندرية وأوتى بكتابه يخاطب فيه أباً حمو ويستتجده على السلطان فشهد عليه وأمر به السلطان فامتحن ولم يزل يجلد حتى انتهى لحمه، وضرب بالعصبي حتى ورمت أعضاؤه، وهلك بين يدي الوعزة، وأحضر الكناني

في الآخرين، والأمر لله.

## الخبر عن حركة السلطان إلى عامر بن محمد ومتذلته بجبله ثم الظرف به

لما فرغ السلطان من شأن أبي الفضل عقد على مراكش علي بن محمد بن أجانا من صنائع دولتهم، وأوعز إليه بالتضييق على عامر والأخذ بمخنقه وإجائه إلى الطاعة.

وانقلب إلى فاس، واعترم على الحركة إلى تلمسان، وبينما هو في الاستئثار كذلك إذ جاءه الخبر بأن علي بن أجانا نقض إلى عامر وحاصره أيام، وأن عامراً زحف إليه. فقضى معسكته وتقبض على ابن أجانا والكثير من العسكر، فاعتقلهم، فقام السلطان في ركابه وقد، وأجمع أمره على النهوض إليه بكافة بي مرين وأهل المغرب، فبعث في الحشود وبث الطعام، وعسكر بظاهر البلد حتى استوفى الغرض وعقد على وزارته لأبي بكر بن الغازى بن يحيى بن الكاس، لما كان فيه من خايل الرياسة والكافلية، ورفع محله.

وارتحل ستة سبعين وسبعمائة فاحتل بمراكش، ثم خرج إلى متذلته الجبل ونازله، وكان عامر بن محمد قد نصب بعض الأعياص من آل عبد الحق من ولد أبي ثابت بن يعقوب بن عبد الله اسمه تاشفين، وتحق به علي بن عمر وبغلان من شيوخ بني ورتاجن كبير بني مرين، وصاحب الشرى فيهم لمهد، فاشتد أزره به.

وتواتي به كثير من الجناد التازعين عن السلطان رهبة من باسه أو سخطه حاله، أو رغبة فما عند عامر فربتهم، وأمسك الله يده عن الطعام، فلم يسل بقطرة، وطال مشوى السلطان بساحته وعلى حصاره، وبوأ المقاعد للمقاتلة وقاده للقتال وراوحه. وتغلب على حصونه شيئاً إلى أن تغلق بأعلى جبل تامسکروط، وكان لأبي بكر بن غازي غناه مذكور، وينسى أصحاب عامر وأشياعه من عطائه.

وفسد ما بينه وبين علي بن عمر هذا، فدس إلى السلطان يطلب الأمان، وتوقى لنفسه ثم نزع إليه.

وداخله فارس بن عبد العزيز بن أخي عامر في القيام بدعة السلطان والخلاف على عمه، لما كان يوصف به من إرهاف

## الخبر عن حركة السلطان إلى تلمسان واستيلاته عليها

ثم رجع إلى غرناطة، ولم تزل الفتنة قائمة بين بطرة وأخيه القبط إلى أن غالب عليه القبط وقتله. وفي خلال هذه الفتنة بقيت ثورتهم مما يلي أرض المسلمين عورة. وتشوف المسلمون إلى ارجاع الجزيرة التي قرب عهدهم باتظامها في مملكة المسلمين.

وكان صاحب المغرب في شغل عن ذلك بما كان فيه من انتقاض أبي الفضل ابن أخيه وعامر بن محمد، فراسل صاحب الأندلس في أن يزحف إليه عساكره على أن عليه عطاءهم وإمداده بالمال والأساطيل وعلى أن يكون مثابة جهادها خالصة له، فاجاب إلى ذلك وبعث إليه أحال المآل.

وأوعز إلى أساطيله سبتة فعمرت وأقلعت إلى مرسي الجزيرة لحصارها وزحف ابن الأحرar بعساكر المسلمين على أثرها بعد أن قسم فيها العطاء وأزاح العلل، واستعد الآلة للحصار، فنارها أيامًا قلائل.

ثم أيقن النصارى بأهلكه لبعدهم عن الصريح وبأسهم من مدد ملوكهم والقوا باليد وسالوا التزول على حكم السلم فأباهم السلطان عليه وتذروا عن البلد وأقيمت فيها شعائر الإسلام ومراسمه، وحيث منها كلمة الكفر وطريقه، وكتب الله أجرها لمن أخلص في معاملته وكان وذلك سنة سبعين وسبعين وسبعينة وولي ابن الأحرar عليها من قبله.

ولم تزل نظره إلى أن تحضر النظر عن هدمها خشية استيلاء النصارى عليها، فهدمت أعيون ثماني وسبعينة وأصبحت خاوية كان لم تغن بالأمس، والبقاء لله وحده.

## الخبر عن حركة السلطان إلى تلمسان واستيلاته عليها وعلى سائر بلادها وفرار

### أبي حمو عنها

كان عرب العقل موطنيين بصحراء المغرب من لدن السوس ودرعة وتأفیلات وملوية وصا.

وكان بتو منصور منهم أولاد حسين والأحلاف مختصين بطاعة بني مرين وفي وطتهم.

وكانتا مغليتين للدولة تحت قهر من سلطانها، ولما ارتجع بنو عبد الواد ملوكهم، بتلمسان على يد أبي حمو، وكان الاختلاف

فعمل به مثله. وجنب تاشفين سلطانه إلى مصر عمه فقتل عصاً بالرمي وجنب مبارك بن إبراهيم من محبه بعد طول الاعتقال، فالحق بهم ولكن أجل كتاب وصفا الجلو للسلطان من المنازعين، وفرغ لغزو تلمسان كما نذكره إن شاء الله تعالى.

## الخبر عن ارجاع الجزيرة الخضراء

قد تقدم لنا ذكر تغلب الطاغية المنشية على الجزيرة سنة ثلاث وأربعين وسبعينة وأنه تازل بعدها جبل الفتح سنة إحدى وخمسين وسبعينة وهلك بالطاعون وهو محاصر له عندما استفحلا أمره، واشتدت شركته.

فكفى الله شأنه وولي أمر الجلالقة بعده ابنه بطرة، وعدا على سائر إخواته.

وغر أخوه القبط ابن حظية أبيه المسماة بلغتهم الريق بهمزة إلى قمص برشلونة فأجاشه وأنزله خير نزل.

ولحق به من الزعماء المركش ابن خاله وغيره من أئمائهم وبعث إليه بطرة ملك قشتالة في إسلام أخيه فأبى من إخفار جواره.

وححدث بينهما بسبب ذلك الفتنة الطويلة افتتاح بطرة فيها

كثيراً من معاقل صاحب برشلونة وأوطا عساكره نحو أبي أرضه، وحاصر بلنسبة قاعدة شرق الأندلس مراراً وأرجف عليها عساكره، وملا البحر إليها بأساطيله إلى أن ثقلت على النصارى

وطأته وساعت فيهم ملكته، فانقضوا عليه ودعوا القبط أخاه

فرجف إلى قربطة.

وثار على بطرة أهل إشبيلية وتيقن صافية النصارى إليه، ففر عن مالكه ولحق بملك الإفرنج وراء جلية وفي الجوف عنها وهو صاحب انكلاطرة، واسمها القدس غالان.

ووفد عليه صريحةً سنة سبع وستين وسبعينة فجمع قومه وخرج في صريحة إلى أن استولى على مالكه، ورجع ملك الإفرنج فعاد النصارى إلى شأنهم مع بطرة.

وغلب القبط على سائر المالك فتحيز بطرة إلى ثبوره

ما يلي بلاد المسلمين، ونادي صريحة بابن الأحرار فانهز فيها

الفرصة.

ودخل عساكر المسلمين فائخن في أرض النصارى، وخرب

معاقلهم ومدنهم مثل أبدة وجيان وغيرهما من أمهات أمصارهم.

الشرق وبني عامر من عرب زغبة.

وتواترت جموعه بساحة تلمسان واضطرب هنالك معسكره واستعرض جنوده واعترض على الزحف للقاء بنى مرين ثقة بمكان المعلم.

وتحيز من كان معه من عرب المعلم الأحلاف وعيده الله إلى السلطان عبد العزيز بمداخلة ولهم وزمار.

واجتمعوا إليه وسرح معهم صنائعه فارتحلوا بين يديه وسلكوا طريق الصحرا.

وبلغ خبر تحيزهم وإيقاظهم إلى أبي حمراء فأجلف هو وجنوده وأشيعوا من بنى عامر وسلكوا على البطحاء.

ثم ارتحلوا عنها وعادوا على منداس وخرجوا إلى بلاد الديالم.

ثم لحقوا بوطن رياح فنزلوا على أولاد سباع بن علي بن يحيى.

وارتحل السلطان عبد العزيز من تازى وقدم بين يديه وزيره أبي بكر بن غازى، فدخل تلمسان وملكتها.

ورحل السلطان على أثره وأحتل بتلمسان يوم عاشوراء من سنة اثنين وسبعين وسبعينة، فدخلها في يوم مشهود واستولى عليها وعقد لوزيره أبي بكر بن غازى على العسكر من بنى مرين والجنود والعرب من المعلم وسويد، وسرحه في اتباعهم وجعل شوراه إلى ولية وزمار وفوض إليه في ذلك.

وارتحلوا من تلمسان آخر المحرم وكانت وافداً على أبي حمراء.

فلما أجلف عن تلمسان ودعته وانصرفت إلى هنین للإجازة إلى الأندلس.

ووشي بعض المفسدين عند السلطان بأنى احتملت مالاً للأندلس، فبعث جريدة من عسكره للقبض علىي، وافوه بوادي الزيتون قبل مدخله إلى تلمسان فاحضرني وسائلى، وتبين كذب الواشين فاطلقني وخلع علىي وحملني.

ولما ارتحل الوزير في اتباع أبي حمراء استدعاني وأمرني بالنهوض إلى رياح والقيام فيهم بطاعته، وصرفهم عن طاعة أبي حمراء وصريحه، فنهضت لذلك، ولحقت بالوزير بالبطحاء، وارتحلت معه إلى وادي وراك من بلاد العطاف فدعته وذهبت لوجهى وجعلت رياحاً على طاعة السلطان ونكبت بهم عن صريح أبي حمراء فنكبا عنها.

وخرج أبو زيان من محل بئرته بمصبن، فلحق بأولاد محمد

بالمغرب، عاث هؤلاء المعلم وأكثروا في الوطن الفساد.

ولما استقلت الدولة من عثراها تحيزوا إلى بنى عبد الواحد وأقطعوهم في أوطانهم.

واسقروا هنالك من لدن نزوع عبد الله بن مسلم العامل كان بدرعة إلى أبي حمراء وزارته له، وفسد ما بين سلطان المغرب وبين أبي حمراء ذلك.

ونهض أبو حمراء ست وستين وسبعينة إلى المغرب، وعاث في نواحي ديدو ثغر المغرب فثبت لذلك نار العداوة بينه وبين صاحب الثغر محمد بن زكdan فكان داعية لعداء صاحب المغرب على الأيام.

ولما استبد السلطان عبد العزيز وهلك أصحابه عبد الله بن مسلم، وترددت الرسل بين أبي حمراء وبين السلطان عبد العزيز، كان فيما اشترط عليه التجافي عن قبول المعلم عرب وطن، لما فيه من الاستكثار بهم عليه.

وابى عليهم أبو حمراء منها لاستظهاره بهم على زغبة من أهل وطنه وغيرهم.

وكثير التلاحم في ذلك وأحافظ السلطان وهم بالنهوض إليه سنة سبعين وسبعينة وأقصر لما أخذ بمحجزته من خلاف عامر.

وصاحب الثغر محمد بن زكdan أشاء ذلك بمحضه على الحركة إلى أبي حمراء برغبته في ملك تلمسان.

ولما قضى السلطان من حركة مراكش وفرغ من شأن عامر ورجع إلى فاس، وفاته بها أبو بكر بن عريف أمير سويد في قومه من بي مالك بملتهم وناجتهم، صرخاً على أبي حمراء لما نال منهم.

وتقضى على أخيهم محمد ورؤسائه بنى مالك جزاء بما يعرف لهم ولسلفهم من ولادة صاحب المغرب.

ووفد عليه مهم رسول أهل الجزائر ببيعتهم يستحقون السلطان لاستقادتهم من هواته.

ووامر السلطان بذلك ولية وزمار بن عرير ومحمد بن زكdan صاحب ديدو فزعموا له بالغباء في ذلك واعترض على النهوض إلى تلمسان وبعث الحاشرين إلى مراكش للاحتضاد، وترافي الناس بيابه على طبقاتهم أيام من سنتي إحدى وسبعين وسبعينة وأفاض العطاء وإزاح العلل، ولما قضى منسكه في الأضحى اعترض العسكر وارتحل إلى تلمسان، واحتل تازى.

وبلغ خبر نهوضه إلى أبي حمراء، فجمع من إليه من زنانة

**الخبر عن اضطراب المغرب الأوسط  
ورجمع أبي زيان إلى تيطرى وأجلاب  
العرب بأبيه هو على تلمسان إلى أن غلبهم  
السلطان جيئاً على الأمر واستوسق له  
الملك**

لما خلص أبو حمو من واقعة الدوسرن هو وأحياء بني عامر وأشياعه، لحقوا بالصحراء، وأبعدوا فيها عن قصورهم قبلة جبل راشد.

ورجع الوزير وزمار بن عريف بأحياء العرب كافة من زغبة والمعقل.

وكان السلطان لما احتل بتلمسان طلب العرب منه إطلاق أيديهم على ما أقطعهم أبو حمو إيه من الرطن على الزسون والاعتراض عليه، فاستكشف من ذلك لعظم سلطانه واستبداد ملكه، فسخطوا أحواله ورجوا أن يكون لأبي حمو ظهور ينالون به من ذلك ما أملوه.

فلما انحزم وقت عساكره، وظهر السلطان ظهوراً لا كفاه له فيشوا، وأزمع رحو بن منصور بن يعقوب أمير الخوارج من عبيد الله إحدى بطنون المعلم الخروج على السلطان، ولما خرج العرب إلى مشاتهم لحق بأبي حمو وأحياء بني عامر وكاثرهم وقادهم إلى العيش في الأوطان، وأجلبوا على مالك السلطان ونازلا وجدة في رجب من سنة اثنين وسبعين وسبعيناً وصمد نحوم العساكر من تلمسان، فأجلفوا وعادوا إلى البطحاء فاكتسحوا أوطانهم.

ونهض إليهم الوزير في العساكر فقوروا أمامه، واتبع آثارهم إلى أن أصرعوا.

واستسر خلال ذلك بثالث حزرة بن علي بن راشد، فييت معسكر الوزير بمكانه من حصاته بشلف، فقضى جوعه ولحق مفلولاً بالبطحاء وبلغ الخبر إلى حصن وكاثر راهبين من السلطان، لما اشتهر عنهم من الخلاف على الدول والقيام بأمر الخوارج، فنجاجزوا بأبي زيان التاجر كان عندهم من مكانه بأحياء أولاد يحيى بن علي بن سباع من الدوادودة، فلتحق بهم وأجلبوا على ضواحي المدينة ونازلا عسكر السلطان بها، واضطرب المغرب الأوسط ناراً، واتصل ذلك به مدة.

ولما كان سنة ثلاثة وسبعين وسبعيناً واستسلام السلطان

بن علي بن سباع من الدوادودة.

وارتحل أبو حمو من المسيلة فنزل بالدوسرن وتلهم بها، وأوفدت من الدوادودة على الوزير وزمار فكانوا أدلاً هم في النهوض إليه، ووافوه بمكانه من الدوسرن في معركته من زناته وحلل بني عامر، والوزير في التعبية، وأم زناته والعرب من المعقل وزغبة ورياح معدقة به، فأشجهضوه عن ماله ومعسكره، فانتهت بأسره.

واكتسحت أموال العرب الذين معه، ونجا بدمه إلى مصاب. وتلاحقت به ولده وقومه متفرقين على كل مفازة، وتلهم الوزير بالدوسرن أياماً.

ووافاه بذلك الحاف بني مزنى وانقلب إلى المغرب. ومر على قصور بني عامر بالصحراء فاستباحها، وشردهم عنها إلى قاصية القفر ومفازة العطش، ولحق بتلمسان في ربى الثاني.

ووفدت أنا بالدوادودة على السلطان ورئيسهم أبو الدينار بن علي بن أحمد، فبر السلطان مقدمه ورعي له سوابقه عند أبيه، وخلع عليه وحمله وخليع على الوفد كافة وانصرفا إلى مواطنهم. وبعث السلطان عمالة في الأمصار، وعقد لصنانعه على التراخي، وجه الكتائب مع وزيره عمر بن مسعود بن متليل بن حامة، لحصار حزرة بن علي بن راشد من آل ثابت بن متليل، كان ربي في حجر الدولة ونشأ في جو نعمتها وسخط حاله لديهم، فنزع إلى وطن سلفه من بلاد مغراوة.

ونزل بمبيل بني برو سعيد فأجاروه وبايعوه على الموت دونه. وسرح السلطان وزيره إلى الأخذ بمحنته، فنزل عليهم وقاتلهم وامتنعوا في رأس شاهق لهم، فألوطن الوزير بالخميس من وادي شلف وأحرجهم بمعتصمه.

وتوقف لديه الأمداد من تلمسان، فجمرها كتاب وبرأهم المقاعد للحصار، وأقام هنالك واستولى السلطان على سائر الوطن من الأمصار والأعمال، وعقد عليها واستوسق له ملك المغرب الأوسط كما كان لسلفة.

والله تعالى أعلم، والملك بيد الله يؤتيه من يشاء من عباده.

القعدة من سنة ثلات وسبعين وسبعمائة من بنى عامر وأولاد  
يغمور من العقل، وعقد عليهم محمد بن عثمان من قرابة أبي بكر  
بن غازى وتعرضوا للقائهم، فانقض جعهم ومنحوا أكاففهم  
وأحيط بعسكر أبي حمو وحل العرب فاكتسح ما فيها واستولى  
بني مرين على أمواله وحرمه وولده، فاستاقوهم إلى السلطان  
فأشخصهم إلى فاس فأذلهم بقصوره.

وقتضى على مولاه عطية بن موسى صاحب شلف، فامتن  
عليه والحقه بحملته.

ونجا أبو حمو والقى بنفسه إلى عبد الله بن صغير مستميتاً،  
فامتن عليه وبعث معه الأدلة إلى تيكوارين من بلاد القبلة، فتركتها  
وكان ذلك بين يدي فتح تيطري بليال.

واسرت قدم السلطان في ملكه واستولى على المغرب  
الأوسط، ودفع الثوار والخوارج عنه، واستمال كافة العرب إلى  
طاعته فأثارها راغبين راهبين.

ووفد عليه الوزير أبو بكر بن غازى من قاصية الشرق  
ومعه مشيخة العرب من كل حي من أحياهم فوصلهم واحتفى  
بقدومهم، وركب لقاء الوزير وطلب المشيخة في الرهن على  
الطاعة والاستخلاف لتشريف أبي حمو من تيكوارين، وأوسع  
حفاياتهم وبرهم وانصرفوا إلى مشاتיהם معتملين في أسباب الحركة  
إلى تيكوارين إلى أن كان ما ذكره إن شاء الله تعالى.

### الخبر عن قدول الوزير ابن الخطيب على السلطان بتلمسان نازعاً إليه عن سلطانه ابن الأهر صاحب الأندلس

أصل هذا الرجل من لوحة على مرحلة من غرناطة من  
البسيط الذي فيه ساحتها المسمى بالبرج على وادي شنجيل،  
ويقال: شنيل المنحرف في ذلك البسيط من الخنوب إلى الشمال،  
كان له بها سلف معدود في وزارتها.

وانقل أبو عبد الله إلى غرناطة واستخدم للملك بي الأهر،  
واستعمل على مخازن الطعام، ونشأ ابنه محمد هذا بغراطة وقرأ  
وتآدب على مشيختها واتخض بصحة الحكيم المشهور يحيى بن  
هذيل، وأخذ عنه العلوم الفلسفية ويز في الطب واتحل الأدب.  
وانخذ عن أشياخه وأمتلا من خروض اللسان من نظمه  
وثره مع انتقام الجيد منه، ونبغ في الشعر والترسل حيث لا يجازى  
فيهما.

رحو بن منصور عن أبي حمو وبذل له مالاً وقطعه ما أحب من  
الضواحي، وفعل ذلك بسائزهم وملا صدورهم ترغباً.

واعترض على تحهيز العساكر معهم لجسم أدباء الفساد  
واخراج الثوار من التواحي.

واثتهم وزيره عمر بن مسعود بالمداهنة في أمر المغراوى،  
فسرّح من دويه من تقبض عليه وأشخاصه إلى حضرته مقيداً.

واعتقله بفاس وجهز عساكره واعتراض جنوده، وعقد  
لوزيره أبي بكر بن غازى على حرب الثوار والخوارج، فنهض من  
تلمسان في رجب سنة ثلات وسبعين وسبعمائة واعتمد حزة بن  
علي بن راشد في معتصمته بجبل بني بو سعيد، والعج عليهم بالقتال  
فضضتهم الحرب بناها وداخلهم الرعب وأوفدوا مشيختهم على  
الوزير بالطاعة، ونبذ العهد إلى حزة فقد لهم ما ابغواه.

ولحق حزة بأبي زيان بمكانه من حصين، ثم أتى عزمه عن  
ذلك ورجع إلى ضواحي شلف.

وابيته بعض الحامية يتيمروغت فثبتوا في مراكزهم وانقضى  
جمعه وتفيض عليه وسيق إلى الوزير فاعتقله وبعث إلى السلطان في  
شانه، فأمر بقتله، فاحتز رأسه ورؤوس أشياخه وبعث بهم إلى  
السلطان وعلق أشلاءهم بأسوار مليانة.

ثم زحف إلى حصين فأحرجهم بمقلاهم بسيطرى،  
واجتمعت إليه أحياء زغبة كافة.

فاحتاط بهم من كل جانب وطاو لهم الحصار وغادهم  
الحرب، وخطبني السلطان بمحكاني من الزاب، وأوعز إلى بنفيه  
رياح كافة إلى معسكر الوزير واستفرتهم بأحياءهم وناجعتهم،  
ونازلنا الجبل من جانب الصحراء مما يلي ضواحي رياح، فأصابهم  
الجهد وداخلهم الرعب، وانقضوا من العقل واندعوا في الجهات  
في المحرم فاتح أربع وسبعين وسبعمائة ولحق أبو زيان بواركلي،  
واسرتوا الوزير على العقل وانتهى ما فيه، واقتضى رهن حصين  
على الطاعة وقرر عليهم الوضائع والمغارب، فأطعروا عن يد.  
وكان أبو حمو في خلال ذلك قد أجلب على تلمسان يتهز

الفرصة في انتباذ العساكر عن السلطان.

وكان وليه خالد بن عامر أمير بني عامر من زغبة مريد  
الطاعة، لما اتتهم أبو حمو به من ولاية ردفنة عبد الله بن عسكر بن  
المعروف دونه، فأسخطه ذلك، وداخل السلطان عبد العزيز في  
الإنحراف إليه عن أبي حمو على مال إليه، فترفع عنه.

وجهز له السلطان عسكراً لحرب أبي حمو وأشياخه في ذي

والناس طرأً بارض اندلس لولاك ما اوطنوا ولا عمروا  
وجلة الامر انه وطن في غير علیاك ماله وطر  
ومن به مذ وصلت جبههم ما جحدوا نعمة ولا كفروا  
وقد اهتمتهم تقوتهم فوجهونى إليك وانتظروا  
فاهتز السلطان بهذه الآيات وأذن له في الجلوس، وقال له  
قبل أن مجلس ما ترجع إليهم إلا بجميع طلباتهم:

ثم أثقل كاهمهم بإحسانه، وردهم بجميع ما طلبوه.

وقال لي شيخنا القاضي أبو القاسم الشريفي وكان معه في ذلك الوقت: لم يسمع بسفير قضى سفارته قبل أن يسلم على السلطان إلا هذا، ومكث دولتهم هذه بالأندلس خمس سنين.

ثم نازلهم محمد الرئيس ابن عم السلطان شركه في جده الرئيس أبي سعيد، وتحين خروج السلطان إلى متزره خارج الحمراء.

وتسرور دار الملك المعروفة بالحمراء وكيس رضواناً في بيته، فقتلها، ونصب للملك إسماعيل ابن السلطان أبي الحجاج، لما كان صهره على شقيقته، وكان معتقلاً بالحمراء، فاخترجه وبايده وقام بأمره مستبداً عليه.

وأحسن السلطان محمد بقوع الطبول وهو بالبستان، فركب ناجياً إلى وادي آش وضبطها.

وبعث بالخبر إلى السلطان أبي سالم إنما استولى على ملك أبيائه بالغرب، وقد كان مثواه أيام أخيه أبي عنان عندهم بالأندلس.

واعتقل الرئيس القائم بالدولة هذا الوزير ابن الخطيب وضيق عليه في عبسه.

وكانت بينه وبين الخطيب ابن مرزوق مرودة استحلبت أيام مقامه بالأندلس كما مر.

وكان غالباً على هوى السلطان أبي سالم، فزین له استدعاء هذا السلطان المخلوع من وادي آش يعده زبوناً على أهل الأندلس، ويکف به عادية القرابة المرشحين هنالك متى طمحوا إلى ملك المغرب، فقبل ذلك منه.

وخاطب أهل الأندلس في تسهيل طريقه من وادي آش إليه.

وبعث من أهل مجلسه الشريف أبي القاسم التلمساني، وحمله مع ذلك الشفاعة في ابن الخطيب، وحل معتقله.

وامتدح السلطان أبي الحجاج من ملوك بني الأحرar لعصره وأملاً الدولة بعده وانتشرت في الأفاق، فرقاه السلطان إلى خدمته وأثبته في ديوان الكتاب ببابه مرؤوساً بابي الحسن بن الجياب شيخ العدولتين في النظم والشعر وسائر العلوم الأدبية.

وكتب السلطان بغرنطة من لدن أيام محمد بن الحكيم المستبد عليه كما مر في سلفه، عندما قتل وزيره محمد بن الحكيم المستبد عليه كما مر في أخبارهم.

فاستبد ابن الجياب برئاسة الكتاب من يومئذ إلى أن هلك في الطاعون الجارف سنة تسع وأربعين وسبعينة، فولى السلطان أبو الحجاج حينئذ محمد بن الخطيب هذا رئاسة الكتاب ببابه مثابة بالوزارة، ولقب بها فاستقل بذلك.

وصدرت عنه غرائب من الترسل في مكتبات جيرانهم من ملوك العدوة.

ثم دخله السلطان في تولية العمال على يديه بالمشاركات، فجمع له بها أمراً، وبلغ في المخالصة إلى حيث لم يبلغ بأحد من قبله.

وسفر عنه إلى السلطان أبي عنان ملك بني مرiven بالعدوة مقرها بابيه السلطان أبي الحسن فجلّى في أغراض سفارته.

ثم هلك السلطان أبو الحجاج سنة خمس وخمسين وسبعينة عدا عليه بعض الزعافن يوم الفطر بالمسجد في سجوده للصلوة، وطعنه فأشواه وفاض لوقته، وتعاروت سيفوف الموالي الملعوجي هذا القاتل فمزقوه أشلاء.

ويوري ابنه محمد بالأمر لوقته، وقام بأمره مولاهم رضوان الراسخ القدم في قيادة عساكرهم وكفالة الأصحاب من ملوكهم.

واستبد بالدولة، وأفرد ابن الخطيب بوزارته كما كان لأبيه، وانخذل لكتابته غيره، وجعل ابن الخطيب رديفاً له في أمره ومشاركاً في استبداده معنى، فجرت الدولة على أحسن حال وأقلم طريقة.

ثم بعنوا الوزير ابن الخطيب سفيراً إلى السلطان أبي عنان مستمدأ له على عدوهم الطاغية على عادتهم مع سلفه.

فلما قدم على السلطان ومثل بين يديه، تقدم الوفد الذين معه من وزراء الأندلس وفقهائهم واستاذه في إنشاد شيء من الشعر يقدمه بين يديه غواه، فاذن له، وأنشد وهو قائماً:

خلفية الله ساعد القذر علاك ما لام في الدجى قمر  
ودافعت عنك كف قدرته ما ليس يستطيع دفعه البشر  
 وجهك في النابات بدر لنا في محل كفك المطر

وخطابي السلطان المخلوع في ذلك، وكانت بيقي وبين عمر بن عبد الله ذمة مرعية ومخالصة متأكدة، فوفيت للسلطان بذلك من عمر بن عبد الله.

وحلته على أن يرد عليه مدينة رندة إذ هي تراث سلفه، فقبل إشارتي في ذلك، وتسرّعها السلطان المخلوع، ونزل بها وعلى بن يحيى في جلته، وهو مقدم في بطانته، ثم غزوا منها مالقة، فكانت ركاباً للفتح.

وملكها السلطان واستولى بعده على دار ملكها بغرنطة، وعثمان بن يحيى مقدم القوم في الدولة عريق في المخالصة، وله على السلطان دالة واستبداد على هواه.

فلما وصل ابن الخطيب بأهل السلطان وولده، وأعاده السلطان إلى مكانه في الدولة من على يده وقبول إشارته، فأدركه الغيرة من عثمان، ونكر على السلطان الاستكفاء به، والتلخوف من هؤلاء الأعيان على ملكه، فخذله السلطان وأخذ في التدبير عليه حتى نكبه وأباه وإنحرفه في رمضان سنة أربع وستين وبسمة وأودعهم المطبق.

ثم غربهم بعد ذلك، وخلا ابن الخطيب الجو وغلب على هوى السلطان ودفع إليه تدبير الدولة، وخلط بينه بندمانه وأهل خلوته، وافتقد ابن الخطيب بالخل والعقد وانصرفت إليه الوجوه وعلقت عليه الآمال، وغشي بابه الخاصة والكافنة.

وغضت به بطانة السلطان وحاشيته، ففتتواعلى السعيات فيه وقد صم السلطان عن قبولها، وغي الخبر بذلك إلى ابن الخطيب، فشمر عن ساعده في التقويض عنهم.

واستخدم للسلطان عبد العزيز ابن السلطان أبي الحسن ملك العدوة يومئذ في التقبض على ابن عمه عبد الرحمن بن أبي يفلوسن ابن السلطان أبي علي.

كانوا قد نصبوه شيئاً على الغزاة بالأندلس لما أجاز من العدوة بعدما جاس خلاها لطلب الملك، وأضرم بها نار الفتنة في كل ناحية وأحسن دفاعه الوزير عمر بن عبد الله القائم حيث شد بسي العدوين، فاضطر إلى الإجازة إلى الأندلس، فأجاز هو وزيره مسعود بن ماسي ونزلوا على السلطان المخلوع أعدام سبع وستين وبسمة فاكروا نزفهم، وتوفي علي بن بدر الدين شيخ الغزا، فقدم عبد الرحمن مكانه.

وكان السلطان عبد العزيز قد استبد بكله بعد قتل الوزير عمر بن عبد الله، فغض بما فعله السلطان المخلوع من ذلك، وتوقع انتقامه أمره منهم.

فانطلق، وصحب الشريف أبا القاسم إلى وادي آش وسار في ركاب سلطانه.

وقدموا على السلطان أبي سالم فاهاز لقدر ابن الأحرور كفي موكب لتلنيه، وأجلسه إزاء كرسيه، وأنشد ابن الخطيب قصيدة كما مر يستصرخ السلطان لنصره، فوعده وكان يوماً مشهوراً وقد ذكره.

ثم أكرم مثواه وأرغد نزله، ووفر أرزاق القادمين في ركابه وانتظر به، وأرغد عيش ابن الخطيب في الجراية والأنقطاع.

ثم استأنس واستأذن السلطان في التحول إلى جهات مراكش والوقوف على آثار الملك بها، فاذن له وكتب إلى العمال بالخافه، فتبازروا في ذلك وحصر منه على حظ وعندما مر بسلا في قبوره من سفره، دخل مقبرة الملوك بشالة ووقف على قبر السلطان أبي الحسن وأنشد قصيدة على روى الراء الموصولة يرثيه ويستجير به في استرجاع ضياعه بقرطبة مطلعها:

إن بان منزله وشلت داره قامت مقام عيشه أخباره قسم زمانك عبرة أو عبرة هذا ثراه وهذه آثاره

فكتب السلطان أبو سالم في ذلك إلى أهل الأندلس بالشفاعة، فشعروا، واستقر هو بسلا متبنداً عن سلطانه طول مقامه بالعدوة.

ثم عاد السلطان محمد المخلوع إلى مكانه بالأندلس ستة ثلاث وستين وبسمة كما مر في أخباره.

وبعث عن مخلفه بقاس من الأهل والولد والقائم بالدولة يومئذ عمر بن عبد الله بن علي فاستقدم ابن الخطيب من سلا وبعثهم لنظره.

وسر السلطان بقدومه ورده إلى منزله كما كان مع رضوان كافله.

وكان عثمان بن يحيى بن عمر شيخ الغزا وابن شيوخهم قد لحق بالطاغية في ركاب أبيه عندما أحسن بالشر من الرئيس صاحب غرناطة.

وأجاز يحيى من هناك إلى العدوة وأقام عثمان بدار الحرب، فصحب السلطان في مثوى أغترابه هناك، وتنقلب في هذا مذاهب خدمته، والحرفوا عن الطاغية عندما ينسوا من الفتاح على يديه، فتحولوا عنه إلى ثغور بلاده، وخطابوا عمر بن عبد الله في أن يمكنهم من بعض التغور الغربية التي لطاعتهم بالأندلس، يرتفبون منها الفتح.

أحد ما كان في جواري .  
ووقف على خطيبات ابن عبد الرحمن يسر بها في بنى مرین ،  
فجزع لذلك .  
ثم وفر الحراية والأقطاع له ولبنيه ولمن جاء من فرسان  
الأندلس في جملته .  
فلما هلك السلطان عبد العزيز سنة أربعين وسبعين وسبعين  
ورجع بنو مرین إلى المغرب وتركوا تلمسان ، سار هو في ركاب  
الوزير أبي بكر بن غازي القائم بالدولة ، فنزل بفاس واستكثر من  
شراء الضياع وتائق في بناء المساكن وأغتراس الجنات ، وحفظ عليه  
القائم بالدولة الرسوم التي رسها له السلطان المنوفي .  
وانتصل حاله على ذلك إلى أن كان ما ذكره إن شاء الله تعالى .

### الخبر عن مهلك السلطان عبد العزيز وبيعة ابنه السعيد واستبداد أبي بكر بن غازي عليه ورجوع بنی مرین إلى المغرب

كان السلطان منذ أول نشاته قد أزمته به الحمى بما أصابه  
من مرض التحول ، ولأجل ذلك تجافي السلطان أبو سالم على  
احتماله مع الأبناء إلى رندة ، ولما شب أفاق من مرضه وصلاح  
بنده ، ثم عاوده وجده في مثواه بتلمسان وتزايد نحوله .  
ولما كمل الفتح واستفحلا الأمور واشتد به الوجع وصابر  
المرض وكتمه عن الناس خشية الإرجاف ، واضطربت معسكره  
خارج تلمسان للحاق بال المغرب ، ولا كان ليلة الثاني والعشرين من  
ربيع الآخر سنة أربعين وسبعين وسبعين قضى متودعا بين أهله  
وولده ودس الخدم بالخبر إلى الوزير ، فخرج على الناس وقد  
احتمل محمد السعيد ابن السلطان على كفه فعزى الناس عن  
خليفتهم لسبعين سنين من خلاقته ، والقى ابنه بين أيديهم فازدوا  
عليه باكين متفجعين ، يعطونه الصفة ويقبلون يديه لليمة ،  
وآخر جوه إلى المعسكر .

ثم أخرج الوزير شلو السلطان على أعواذه وأنزله  
بفساطيه وأيقظ بالليل بحراسة العسكر ، وأذن في الناس بالرحيل ،  
فخرجوا أتواجاً إلى المحلة .

ثم ارتحلوا ثلاثة ، وأخذوا السير إلى المغرب واحتلوا بتازى  
ثم أخذوا السير إلى فاس ، واحتل ابن السلطان بدار ملکه وجلس  
للبيعة العامة بقصره ، وتواتفت وفود الأمصار بيعاتهم على العادة .  
واستبد عليه الوزير أبو بكر بن غازي ، وحجبه بقصره

وداخله ابن الخطيب في اعتقال ابن أبي يفلوسن وابن  
ماساي وإراحة نفسه من شعبهم ، على أن يكون له المكان من  
دولته متى نزع إليه ، فأجابه إلى ذلك وكتب له المهد بخطه ، على  
يد سفيره إلى الأندلس ، وكانته أبي بحبي بن أبي مدين وأغرى ابن  
الخطيب سلطانه بالقبض على ابن أبي يفلوسن وابن ماسي  
فتقبض عليهم ، واعتقلهما وفي خلال ذلك استحكمت نفرة ابن  
الخطيب لما بلغه عن البطانة من القذف فيه والسباحة .

وربما تخيل له أن السلطان مال إلى قبرها وأنهم قد أحظوا  
عليه ، فأجمع التحول عن الأندلس إلى المغرب ، واستأند السلطان  
في تفقد الشور الغربية ، وسار إليها في لة من فرسانه ، ومعه ابنه  
علي الذي كان خالصة السلطان وذهب لطيبة .  
لما حاذى جبل الفتح فرحة الجماز إلى العدوة ، مال إليه  
وسروح إذنه بين يديه ، فخرج قائد الجبل لتلقيه .

وقد كان السلطان عبد العزيز قد أوعز إليه بذلك ، وجهز  
إليه الأسطول من حينه ، فأجاز إلى سبعة وتلقاء ولاتها بأنواع  
التكرمة وأمثال المراسيم .  
ثم سلك لقصد السلطان ، فقدم عليه سنة ثلات وسبعين  
وسبعين بمقامته من تلمسان ، فاهتزت له الدولة .

وأركب السلطان خاصة لتلقيه ، وأحله بمجلسه بمحل الأمن  
والبطمة ، ومن دولته يمكن الشرف والعزة .  
واخرج لوقته كاتبه أبي بحبي بن أبي مدين سفيراً إلى  
الأندلس في طلب أهله وولده ، فجاء بهم على أكمل الحالات من  
الأمن والتكرمة .

ثم لغط المنافقون له في شأنه وأوعزوا سلطانه بطبع عثراته ،  
وابدى ما كان كامتا في نفسه من سقطات ذاته ، وإحسانه عصابة .  
وشاع على السنة أعدائه كلمات منسوبة إلى الزندقة  
أحصوها عليه ونسبوها إليه ، ورفعت إلى قاضي الحضرة الحسن بن  
الحسن ، فاسترعاها وسجل عليه بالزندقة ، وراجع صاحب  
الأندلس رأيه فيه .

وبعث القاضي أبو الحسن إلى السلطان عبد العزيز في  
الانتقام منه بتلك السجلات ، وإضفاء حكم الله فيه ، فقسم لذلك  
وائف لذمته أن تخفر ولجواره أن يرد وقال لهم : هلا انتقمتم وهو  
عندكم وانتم عالمون بما كان عليه ؟ وأما أنا فلا يخلص إليه بذلك

## الخبر عن إجازة الأمير عبد الرحمن بن أبي يفلوسن إلى المغرب واجتماع بطوية إليه وقيامهم بدعوته

كان محمد المخلوع ابن الأخر قد رجع من رندة إلى ملكه بغرنطة في جمادى من سنة ثلث وستين وسبعين وقتل له الطاغية عدوة الرئيس المترى على ملكه حين هرب من غرناطة إليه وفأمه بهدم المخلوع، واستوى على كرسيه واستقل بملكه، ولحق به كاتبه وكاتب أبيه محمد بن الخطيب فاستخلصه وعقد له على وزارته، وفرض إليه في القيام بملكه فاستولى عليه وملك هواه.

وكان عليه متدة إلى المغرب وسكناه إلى أن نزلت به آفة في رياسته، فكان لذلك يقدم السوابق والوسائل عند ملوكه، وكان لأبناء السلطان أبي الحسن كلهم غيرة من ولد عمهم السلطان أبي علي وينشونهم على أمرهم.

ولما لحق الأمير عبد الرحمن بالأندلس اصطفاه ابن الخطيب واستخلصه لنجراءه، ورفع في الدولة رتبته وأعلى منزلته، وحمل السلطان على أن عقد له على الغزاة المجاهدين من زناته مكان بيته من الأعياص، فكانت له آثار في الإضطلاع بها، ولما استبدَّ السلطان عبد العزيز بأمره واستقل بملكه، وكان ابن الخطيب ساعياً في مرضاكه عند السلطان، فدس إليه باعتقال عبد الرحمن بن كابي يفلوسن ووزيره المطارد به مسعود بن ماساي، وأدار ابن الخطيب في ذلك مكره وحلَّ السلطان عليهمما إلى أن سطا بهما ابن الأخر واعتقلاهما سائر أيام السلطان عبد العزيز وتغير الجحون بين ابن الأخر ووزيره ابن الخطيب وأظلم فتنكر له، فتنزع عنه إلى عبد العزيز إلى سلطان المغرب سنة اثنين وسبعين وسبعينة لما قدم من الوسائل ومهد من السوابق فقبله السلطان وأحلاه من مجلسه محل الاصطفاء والقرب.

ونخاطب ابن الأخر في أهله وولده، فبعثهم إليه واستقر في جملة السلطان.

ثم تأكدت الدعاوة بينه وبين ابن الأخر فرحب السلطان في ملك الأندلس وحمله عليه وتواعدوا لذلك عند مرجعه من تلمسان إلى المغرب.

وغي ذلك إلى ابن الأخر فبعث إلى السلطان بهدية لم يسمع بمثلها، انتق فيها من متع الأندلس و ساعونها وبغاتها الفارهة ومعلوجي السي وجواريه، وأوفد بها رسلاً يطلب إسلام وزيره

وحجره عن التصرف في شيء من سلطانه، ولم يكن في سن التصرف، واستعمل على الجهات وجلس بمجلس الفضل، واشتغل بأمر المغرب إبراماً ونقضاً إلى أن كان ما ذكره إن شاء الله تعالى.

## الخبر عن استيلاء أبي حو على تلمسان والمغرب الأوسط

لما فصل بنو مرين من تلمسان إثر مهلك السلطان عبد العزيز واحتلوا بنازري اجتمع الشيشنة وعقدوا على تلمسان لإبراهيم ابن السلطان أبي تاشفين كان ربي في كفالة دولتهم منذ مهلك أبيه، فأثاروه بذلك خلوصه، وبعثوه مع رحو بن منصور مغراوة إلى وطن ملوكهم بشللف.

وعقدوا عليهم لعلي بن هارون بن منديل بن عبد الرحمن وأخيه رحمن وانصرفوا إلى بلادهم.

وكان عطيه بن موسى مولى أبي حو قد صار إلى السلطان عبد العزيز وألحقه بمحملته وبطانته، فلما هلك السلطان خرج من القصر واختفى بالبلد حتى إذا فصل بنو مرين من معسركهم ظاهر البلد، خرج من مكان اختفائهم، وقام بدعاوة مولاه أبي حسو، واجتمع إليه شيبة من أهل البلد مع من تأشب إليهم من الغراغاء، وحملوا الخاصة على البيعة لأبي حسو، ووصلهم إبراهيم بن أبي تاشفين مع رحو بن منصور وقومه من عبد الله، فتابدوه وامتنعوا عليه، فرجع عنهم إلى المغرب، وطير أولاد يغمور أولياء أبي حسو من عبد الله بالخبر إليه وهو يمثواه من تيكوراين.

وانتصل بابنه أبي تاشفين وهو محبي بي عامر فبادر إلى تلمسان ودخلها ومن معه من بي عبد الواد، وتساقط إلى فلهem من كل جانب، ووصل السلطان على إثرهم بعد اليأس منه، فدخلها في جمادى من سنة أربع وسبعين وسبعينة واستقل بملكه، وتقبض على بطانته الذين آسفوه في اغترابه، وهي له عنهم السعي عليه، فقتلهم، ورجع ملك بي عبد الواد وسلطانهم، ونهض إلى مغراوة أولياء بي مرين بمكانهم من شللف، فغلبهم عليه بعد مطاولة وحروب سجال هلك فيها رحمن بن هارون، وما دعوة بي مرين من ضواحي المغرب الأوسط وأمساره، واستقل بالأمر حسبما ذكرناه في أخبار، وانتصل الخبر بالوزير أبي بكر بن غازى فهم بالتهوض إليه، ثم ثنى عزمه ما كان من خروج الأمير عبد الرحمن بنناحة بطريقة فشله شأنه عن ذلك.

وبعثوا إليه بقية الأبناء والقرابة فقبل محمد بن عثمان شرطه وكان سفيره في ذلك أحد الرعنيني من طبقة كتاب الأشغال بسبته، كان السلطان أبو الحسن تزوج أمه ليلة إجازته من واقعة طريف وافتقد حظاً ياه، حتى لحق به الحرم من فاس، فردها إلى أهلها ونشأ الرعنيني في توهم هذه الكفالة، فانتفع خبره بذلك وبحسبها وصلة إلى أبناء السلطان أبي الحسن، وكان سفيراً بين محمد بن عثمان وبين الأخر، فأقام رياسة في هذه الدولة، ركب محمد بن عثمان من سبته إلى طنجة، وقد صد مكان اعتقالهم.

واستدعى أبا العباس أحمد بن السلطان أبي سالم من مكانه مع الأبناء فيابع له، وحل الناس على طاعته، واستقدم أهل سبته بكتاب البيعة، فقدموا وخطاب أهل الجبل فبایموا، وأخرج ابن الأخر عنهم.

وبعث إليه محمد بن عثمان بالتزول له عن جبل الفتح، وخطابوا أهله بالرجوع إلى طاعته، فارتحل من مالة إيه ودخله واستولى عليه، وعما دعوه بني مرین مما وراء البحر، وأهدى للسلطان أبي العباس وأمده بعسكر من غزوة الأندلس وحمل إليه مالاً للإعانة على أمره.

وكان محمد بن عثمان عند فصوله من فاس، وودعه الوزير ابن عمه وفاوضه في شأن السلطان، وأن يقدم للناس إماماً يرجعون إليه ويترك لهم أمرهم وأمره في ذلك، ولم يفترقا على مرم من أمرهم.

فلما ارتكب هذا المركب وجاء بهذا الأمر، خطاب الوزير يوجه عليه بأنه فعل يقتضي المؤامرة، وأنه عن إذنه والله أعلم بما دار بينهما ولع الوزير في تكذيبه والبراءة للناس مما رمى به ولا طفة في نقض ذلك الأمر، ورد أبا العباس إلى مكانه مع الأبناء تحت الحوطة، وأبي محمد بن عثمان من ذلك ودافعه باجتماع الناس وانعقاد الأمر.

وبينما الوزير يروم ذلك جاءه الخبر بأن محمد بن عثمان شخص الأبناء المعتقلين كلهم إلى الأندلس، وأنهم حصلوا في كفالة ابن الأخر، فترجم وأعرض عن ابن عمه وسلطانه، ونهض إلى تازى ليفرغ من عدوه إليهم، فنازله الأمير عبد الرحمن واحد بمخفقه، واهتب محمد بن الأخر شرعاً، واصطف هذا مدد السلطان ابن الأخر وعسكره تحت رايته، عقدها عليهم ليوسف بن سليمان بن عثمان بن أبي العلاء من مشيخة الغزاوة المجاهدين، وعسكر آخر من رجال الأندلس الناشبة ينهازون سبعينية.

ابن الخطيب إليه وأبي السلطان من ذلك ونكره، ولما هلك واستبد الأخر في بمثل ما خطاب السلطان، فلنج واستكشف عن ذلك واتبع الرد، وانصرف رسوله إليه، وقد رهب سطوطه، فأطلق ابن الأخر لخيه عبد الرحمن بن أبي يفلوسن وأركبه الأسطول وقد ذهب إلى ساحل بطورية ومعه الوزير مسعود بن ماسي ونهض إلى جبل الفتح ونازله بعساكرة.

ونزل عبد الرحمن بطورية في ذي القعدة من سنة أربع وسبعين وسبعين، ومعه وزير مسعود بن ماسي، فاجتمع قبائل بطورية إليه وبايعوه على القيام بدعاوته والموت دونه، واتصل الخبر بالوزير أبي بكر بن غازي فعقد لابن عمه محمد بن عثمان على سبته وبعثه لسد ثغورها لما خشي عليها من ابن الأخر، ونهض من فاس بالعساكرة والإلة ونازل عبد الرحمن بطورية، فامتنع عليه فقاتله أيام ثم رجع إلى تازى ثم إلى فاس، ودخل الأمير عبد الرحمن تازى واستولى عليها، ودخل الوزير إلى فاس وقعد بمجلس الفصل، وهو جمع العودة إلى تازى لتشريد عدوه إلى أن جاءه الخبر ببيعة السلطان أبي العباس أحمد بن السلطان أبي سالم حسبما ذكره إن شاء الله تعالى.

## الخبر عن بيعة السلطان أبي العباس أحمد بن أبي سالم واستقلاله بالملك وما كان خلال ذلك من الأحداث

لما نزل محمد بن عثمان بالشغر من سبته لسد فروجها، ومدعاة ما يخشى من عادية ابن الأخر عليها، وكان قد طاول حصار جبل الفتح واحد بمخفقه، وتكررت المواصلة بينه وبين محمد بن عثمان بالتعاب، فاستعتبر له وقبح ما جاء به ابن عمه من الاستغلال له، فوجد ابن الأخر بذلك السبيل إلى غرضه، وداخله في البيعة لأن السلطان أبي سالم من الأبناء الذين كانوا بطنجة تحت الرقبة والحوطة، وأن يقيمه للمسلمين سلطاناً مستبداً بحرب بسياجهم ويدافع عنهم ولا يتركهم فرضي وهملأ.

ويجيء بيعة الصبي الذي لم تتعقد بيته شرعاً، وختص هذا بالسلطان من بين أولئك الأولاد وفاة محقق أبيه، ووعده بالظاهر على ذلك، واشتربط عليه أن ينزلوا له عن الجبل إذا انعقد أمرهم، ويشخصوا إليه بيعة الأبناء والقرابة من طنجة ليكونوا في إيلاته وتحت حرطته، وأن يبعثوا إليه ببيان الخطيب متى قدروا عليه،

مراكش، وأن يدينه بها من سجله ماسة فعقدوا له عل كره، وطروا على المكر.

وخرج الوزير أبو بكر إلى السلطان أبي العباس أحمد، وبايده واقتضى عهده بالأمان وتخلية سبيله من الوزارة فنزله.

ودخل السلطان أبو العباس إلى البلد الجديد سابع الحرم، وارتحل الأمير عبد الرحمن يومئذ إلى مراكش واستولى عليها، وارتحل معه علي بن عمر بن ويغان شيخ بني مرین والوزير ابن ماسای، ثم نزع عنه ابن ماسای الفاس لهدف كان قد اقتضاه من السلطان أبي العباس، وأجاز البحر إلى الأندلس واستقر بها في إیالة ابن الأهر، واستقل السلطان أبو العباس ابن السلطان أبي سالم بملك المغرب وزیره محمد بن عثمان بن الكاس، وفرض إليه شؤونه وغلب على هواه.

وصار أمر الشورى إلى سليمان بن داود، كان نزع إليه من البلد الجديد من جلة أبي بكر بن غازى بعد أن كان أطلقه من مجده، واستخلصه.

وجعل إليه مرجع إبراهيم ونقضه فتركه أحوج ما كان إليه، ولحق بالسلطان أبي العباس بمكانه من حصار البلد الجديد.

فلما استوست ملكه التي الوزير محمد بن عثمان إليه بعقد الدولة، وصار إليه أمر الشورى ورياسة المشيخة.

واستحکمت المودة بينهم وبين السلطان ابن الأهر وتأکدت المداخلة، وجعلوا إليه المرجع في تقضيهم وإبراهيم ل مكان الأبناء المرشحين في إیالته.

ولما ارتحل الأمير عبد الرحمن إلى مراكش نبذوا إليه العهد وتخللوا عليه بأن العقد الأول له: إنما كان على ملك سلفه ومراسک إنما أباهم إلى العقد عليها إلقاء، واعتمدوا على التهوض إليه ثم أقصروا وانعقدت بينهم السلم سنة ست وسبعين وسبعينة وجعلوا التخيم بينهما أزمور وعقدوا على ثغرها لحسن بن علي الصبيحي فلم يزل عليها إلى أن هلك كما ذكره إن شاء الله تعالى.

## الخبر عن مقتل ابن الخطيب

ولما استولى السلطان أبو العباس على البلد الجديد دار ملكه فاتح ست وسبعين وسبعينة واستقل سلطانه والوزير محمد بن عثمان مستبد عليه، وسلامان بن داود من أعراب بني عسکر رديف له، وقد كان الشرط وقع بينه وبين السلطان ابن الأهر

وبعث ابن الأهر رسلا إلى الأمير عبد الرحمن باتصال اليد بابن عمته السلطان أبي العباس أحمد، ومظاهرته على ملك سلفه بفاس واجتمعوا معاً لمنازعتهما، وعقد بينهما الاتفاق والمواصلة وأن يختص عبد الرحمن بملك سلفه فتراضايا، وزحف محمد بن عثمان وسلطانه إلى فاس خالقوا إليه الوزير وانتهوا إلى قصر ابن عبد الكريم، وبلغ الخبر إلى الوزير بمكانه من حصار تازى فانقض معسكره ورجع إلى فاس ونزل بكدية العرائس.

وانتهى السلطان أبو العباس أحمد إلى زرهون، فقصد إليه الوزير بعسكره، وصمم نحوه بمكانه من قنة الجبل، فاختل مصافه وانهزمت ساقة العسكر من وراءه، ورجع على عقبه مفلولاً وانتهب العسكر ودخل إلى البلد الجديد وجأجا بالعرب من أولاد حسين أن يسكنروا له بالزيتون ظاهر فاس، وينخرج بمجموعه إلى حللهم، فنهض إليهم الأمير عبد الرحمن من تازى من كان معه من العرب الأخلاق وشردهم إلى الصحراء، وشارف السلطان أبي العباس أحد بمجموعة من العرب وزنانة، وبعشوا إلى والي سلفهم وزمار بن عريف بمكانه من قصر مرادة الذي اختطه بملوية فجاءهم وأطلعواه على كامن أسرارهم، فاشار عليهم بالاجتماع والاتفاق فاجتمعوا بواي النجا.

وحضر لعقدهم واتفاقهم وحلفهم على اتصال اليد على عدوهم ومنازلته بالبلد الجديد حتى يمكن الله إليه منه وارتحلوا بزحفهم إلى كدية العرائس في ذي القعدة من سنة خمس وسبعين وسبعينة ويرز إليهم الوزير بعسكره فدارت الحرب وهي الرطيس واشتد القتال ملياً.

ثم زحف إليه العسكران بساقتهما وآتھما فاختل مصافه وانهزمت جيشه وجوشه وأحيط به، وخُلص إلى البلد الجديد بعد عصب بالربق.

وأضرب السلطان أبو العباس معسكره بكدية العرائس، ونزل الأمير عبد الرحمن بأزاره، وضربوا على البلد الجديد سياجاً بالبناء للحصار وأنزلوا بها أنواع القتال والإرهاب.

ووصلهم مدد السلطان ابن الأهر من الرجالية.. حصارها، واحتكموا في ضياع ابن الخطيب بفاس، فهدموها وعاثوا فيها.

ولما كان فاتح سنة ست وسبعين وسبعينة داخل محمد بن عثمان ابن عمته أبا بكر في التزول عن البلد الجديد والبيعة للسلطان، لما كان الحصار قد اشتد به ويش من الصريغ، وأعجزه المال فأجاب واشترط عليهم الأمير عبد الرحمن التجافي عن أعمال

عندما بويغ بطنجة على نكبة ابن الخطيب وإسلامه إليه لمانعه إلى عنه أنه كان يغري السلطان عبد العزيز مملك الأندلس.

وَمَا قَالَ فِي ذَلِكَ:  
 بعدنا وإن جاورتنا اليسوت  
 وجئتني لوعد وخفن صمروت  
 كجهر الصلات تلاه القنوت  
 وإنفاسنا سكتت دفعة  
 وكنا عظاماً فصرنا عظاماً  
 وكنا شموس سماء العلا  
 وكنا عظاماً فصرنا عظاماً  
 عرين فباحت علينا السموون  
 فكم جذلت ذا الحسام الظبا  
 وذو البحث كم جذلت  
 وكم سيق للقبر في خرقية  
 فتنى ملنت من كساه  
 فقل للعسا ذهب ابن الخطيب  
 وفات فمن ذا الذي لا يفوت  
 ومن كان يفرح منهم له  
 فقل يفرح اليوم من لا يموت

فلما زحف السلطان أبو العباس من طنجة ولقي الوزير أبو بكر بن غازى بساحة البلد الجديد، فهزمه السلطان ولاذ منه بالحصار، آوى معه ابن الخطيب إلى البلد الجديد خوفاً على نفسه، فلما استولى السلطان على البلد الجديد أقام أياماً، ثم أمره سليمان بن داود بالقبض عليه فقبضوا عليه وأودعوه السجن وطيروا بالخبر إلى السلطان ابن الأخر وكان سليمان بن داود شديد العداوة لابن الخطيب بما كان سليمان بن داود قد بايعه السلطان ابن الأخر على مشيخة الغزاة بالأندلس، متى أعاده الله إلى ملكه.

فلما استقر له سلطانه أجاز إليه سفراً عن عمر بن عبد الله ومتضياً عهده من السلطان.

فصدح ابن الخطيب عن ذلك بأن تلك الرياسة لأعياص الملك من آل عبد الحق، لأنهم يعسوب زناة فرجع سليمان يائساً وفقد ذلك لابن الخطيب.

ثم جاور الأندلس محل إمارته من جبل الفتح، فكانت تقع بينه وبين ابن الخطيب مكاببات ينفس كل واحد منها بصاحبه بما يحفظه لما كمن في صدورهما.

وحين بلغ الخبر بالقبض على ابن الخطيب إلى السلطان ابن الأخر بعث كاتبه ووزيره بعد ابن الخطيب، وهو أبو عبد الله بن زمرك، فقدم على السلطان أبي العباس وأحضر ابن الخطيب بالشوري في مجلسه الخاصة وأهل الشوري، وعرض عليه بعض الكلمات وقت له في كتابة، فعظم عليه النكير فيها فريخ وتكل وأمتحن بالعذاب مشهد ذلك الملا من الناس تل إلى محبسه، واشتوروا في قتلته بمقتضى تلك المقالات المسجلة عليه، وألقى بعض الفقهاء فيه ودس سليمان بن داود إليه بعض الأوغاد من حاشيته بقتله، فطرقوا السجن ليلاً ومعهم زعافنة جاؤوا في ليفيف الخدم مع سفراء السلطان ابن الأخر، وقتلوا خفناً في محبسه، وأخرجوا شلوه من الغد فدفن في مقبرة باب المحرق، ثم أصبح من الغد على شافة قبره طريراً وقد جمعت له أعماد وأضرمت عليه ناراً، فاحتراق شعره وأسود بشره، فأعيد إلى حفته، وكان في ذلك انتهاء محنته وعجب الناس من هذه الشناعة التي جاء بها سليمان واعتدوها من هناته وعظم التكير فيها عليه وعلى قومه وأهل دولته، والله الفعال لما يريد وكان عفا الله عنه أيام امتحانه بالسجن يتوقع مصيبة الموت، فتُجيش هرائقه لشعر يكفي نفسه

## الخبر عن إجازة سليمان بن داود الأندلس ومقامه بها إلى أن هلك

كان سليمان بن داود هذا منذ عضته الخطروب واختلفت عليه التكاليف بروم الفرار بنفسه إلى الأندلس للمقامة مع الغزاة المجاهدين من قومه.

ولما استقر السلطان ابن الأخر بفاس عند خلعه ووفاته على السلطان أبي سالم سنة إحدى وستين وسبعينه داخله سليمان بن داود في تأميم الكون عنده، فعاشه على ذلك وأن يقدمه على الغزاة المجاهدين.

فلما عاد إلى ملكه وفد عليه سليمان بن داود بغرنطة في سبيل السفاراة عن عمر بن عبد الله سنة ست وستين وسبعينه وأن يؤكّد عقده من السلطان، فحال دون ابن الخطيب وثنى رأي السلطان عن ذلك بأن شياخة الغزاة مخصوصة بأعياص الملك من بي عبد الحق لمكان عصابتهم بالأندلس، فانتفخ أمل سليمان حيثن وحدها على ابن الخطيب ورجع إلى مرسله، ثم كانت نكبة أيام السلطان عبد العزيز فلم يخلص منها إلا بعد ملوكه، أطلقه أبو بكر بن غازى الأمر من بعده، ليعتمد بمكانه على شأنه.

فلما اشتد الحصار على ابن غازى خرج عنه سليمان ولحق بالسلطان أبي العباس ابن المولى أبي سالم بمكانته من ظاهر البلد الجديد، فكان ذلك من أسباب الفتح، ولما دخل السلطان إلى دار ملوكه من البلد الجديد فاتح سنة ست وسبعين وسبعينه واستوسق أمره، رفع مجلس سليمان وأحله محل الشوري، واعتضد به وزيره محمد بن عثمان واستخلصه كما ذكرنا.

عمله من المنافسة، فخاطب السلطان ابن الأحمر من وراء البحر ولا طفة بالتحف والمدايا.

فكتب إلى ابن عمه محمد بن عثمان يخصه على إعادته إلى مكانه دفعاً لغواطله، ثابي من ذلك، وداخله ون Zimmerman بن عريف في بعضها كذلك، فلجم في الامتناع وعمل سلطانه على نبذ العهد إلى أبي بكر بن غازي، فتذكر له وأجمع المسير إليه بعساكر العرب، فخرج من قاس سنة تسع وسبعين وسبعينة وبلغ الخبر إلى أبي بكر بن غازي فاستجاش بالعرب واستئتمهم للوصول، فوصل إلى الأخلاق من العقل، وسرى بهم أمر الله، وخرج من غساسة فالقى بينهم، وعمد إلى بعض العرب الطارئين فنصبه للأمر مشيناً بعض أولاد السلطان أبي الحسن.

وزحف إلى السلطان حتى نزل بتازى، فأجلفت أحياه العرب أمام العساكر من بي مرين والجند، ونجا ابن غازي منه ندماهه.

ثم دخله ون Zimmerman بن عريف في الإذعان للسلطان عن شق الخلاف، فأجاب ووصل به إلى سدة الملك، فبعث به السلطان محتاطاً عليه إلى قاس فاعتقل بها.

ونزلت مقدمات العساكر بودي ملوية، ودخل صاحب تلسان منها رعب، فاُلقي على السلطان من قومه وكبار مجلسه ملطفاً ومدارياً، فقبل منه وعقد له السلم، وأصدر به كتابه وعهده بخطه، وانكفا راجعاً إلى حضرته بعد أن بعث العمال في تلك التراخي على جياتها، فجمعوا له منها ما رضي.

ولما احتل بدار ملكه، أخذ أمره بقتل أبي بكر بن غازي فقتل مجلسه طغناً بالخاجر وذهب مثلاً في الأيام، واستوسق للسلطان أمره.

وأحكم العقد مع الأمير عبد الرحمن بن أبي يفلوسن صاحب مراكش واتصل بينهما، وترددت المهادة منها بعض إلى بعض، وللي صاحب الأندلس وإليهما منه فامتلات المغرب هذه وأمنا، وانبعثت الآمال بساطاً وبغيطة والحال متصلة على ذلك لهذا العهد آخر سنة إحدى وثمانين وسبعينة أيام إشرافنا على هذا التاليف، والله مقتدر الليل والنهار.

وكان يرجع إلى رايده وهو في خلال ذلك بمحاول اللحاق بالأندلس، فكان من أول أمره التقرب إلى السلطان ابن الأحمر بإغارة الوزير محمد بن عثمان بقتل ابن الخطيب مثنوئ، فتم ذلك لأول الدولة.

وجرت الأمور بعدها على الاعتماد في مرضاته إلى أن حاول السفارة إليه في أغراض سلطانه، سنة ثمان وسبعينة في صحبة ون Zimmerman بن عريف، فلتقاهم السلطان ابن الأحمر بما يتلقى به أمثلهما وأغرب في تكرمتها.

واما ون Zimmerman فانقلب راجعاً لأول بداية الرسالة، اقتضى من السلطان خطته لقواد أسطوله بتسهيل الإجازة متى رامها. وخرج يتصدى فلحق بمرسى مالقة ودفع أمر السلطان بخطه إلى قائد الأسطول، فأجاوه إلى سبعة وطلق بمكانه.

واما سليمان فاعترم على المقام عند ابن الأحمر وأقام هنالك خالصة وخلياً ومشاوراً، إلى أن هلك سنة إحدى وثمانين وسبعينة.

## الخبر عن شأن الوزير أبي بكر بن غازي وما كان من تغريبه إلى مایرقة ثم رجوعه وانتقاضه بعد ذلك وموته

لما اشتد الحصار بالوزير أبي بكر بن غازي وفيت أمواله وأموال السلطان، وظن أنه أحبط به، دخله الوزير محمد بن عثمان من مكانهم بمصاربه بالتزول عن البلد على الأمان والإبقاء فأجاب وخرج إلى السلطان أبي العباس بن أبي سالم، فقد له أماناً بخطه، وتحول إلى داره بفاس وسلم سلطانه المتصوب للأمر، فسلمه منه الوزير محمد بن عثمان، واشتدى الاحتياط عليه إلى أن بعثه إلى السلطان ابن الأحمر، فكان في جملة الأبناء عنده، ودخل السلطان أبو العباس إلى دار ملكه واقتعد سريره ونفذت في المالك أوامرها. وأقام أبو بكر بن غازي على حاله بداره والخاصية يباكونه والنفوس منطوية على تأميمه، فغضض به أهل الدولة وترددت فيه السعاية، وتقبض عليه السلطان وأشبعه إلى غسasse، وركب منها السفين إلى ميرقة آخر ست وسبعين وسبعينة فقام بها شهراً ومخاطبته متزدة إلى الوزير محمد بن عثمان.

ثم عطفته عليه رحم، فاذن له في القدوم على المغرب والمقامة بغضasse فقدمها أوائل سنة سبع وسبعين وسبعينة واستبد بamarتها، وبدأ له رأي في تأميم الرتبة وظهر ما كان يخفيه لابن

الصيحي وأغراه بالإجلاب على عمل مراكش، وزحفوا جميعاً إلى عمل صنهاجة.

وسرح الأمير عبد الرحمن للداعتهم كبير دولته يومئذ وابن عمه عبد الكرييم بن عيسى بن سليمان بن منصور بن بي مالك، وهو عبد الواحد بن يعقوب بن عبد الحق، فخرج في الساكن ومعه منصور مولى الأمير عبد الرحمن، فلقوه علي بن عمر وهزموه وأخذوا سواده، ونجا إلى أزمرور، ثم وفد هو وحسون بن علي إلى السلطان بفاس.

ووقعت أئمه ذلك المراسلة بين السلطانين، وانعقد بينهما الصلح.

فأقام علي بن عمر بفاس ورجع حسون بن علي إلى مكان عمله بأزمرور، ثم انتقض ما بين السلطانين ثانيةً.

وكان للأمير عبد الرحمن آخران من ولد محمد بن يعقوب بن حسان الصيحي وهما علي وأحمد، جرثوماً بغي وفساد، وعدا على كبرهما علي ابن عمه علي يعقوب بن علي بن حسان فقتله، واستعدى آخره موسى عليه السلطان فأعاداه.

واذن له أن يثار منه بأشيه فقتله فجزع لذلك أحد أخوه علي، وهو بقتل موسى، فاستجار موسى بيعقوب بن موسى بن سيد الناس كبير بني ونكاسن، وصهر الأمير عبد الرحمن.

وأقام أياماً في جواره، ثم هرب إلى أزمرور فلفتح نار الفتنة.

ونهض الأمير عبد الرحمن إلى أزمرور فلم يطق حسون بن علي دفاعه فملكتها عليه وقتلها واستباحها.

وبلغ الخبر إلى السلطان بفاس فنهض في عساكره وانتهى إلى سلا.

ورجع الأمير عبد الرحمن إلى مراكش، وسار السلطان في اتباعه حتى نزل بفحص أكمليم قريباً من مراكش، وأقام هناك نحوه من ثلاثة أشهر والقتال يتردد بينهم.

ثم سعى بين السلطانين في الصلح، فاصطلحا على حدود العمارات أولًا، وانكفا صاحب فاس إلى بلاده.

وبعث الحسن بن يحيى بن حسون الصنهاجي عاملًا على التمر بآزمرور، فأقام بها، وكان أصله من صنهاجة أهل وطن أزمرور، وله سلف في خدمةبني مرين منذ أول دولتهم، وكان أبوه يحيى في دولة السلطان أبي الحسن عاملًا في الجباية بآزمرور وغيرها.

وهلك في خدمته بتربس أيام مقام السلطان بها، وترك ولده

## الخبر عن انتقاض الصلح بين الأمير عبد الرحمن صاحب مراكش والسلطان أبي العباس صاحب فاس واستيلاء عبد الرحمن على أزمرور ومقتل عاملها حسون بن علي

كان علي بن عمر كبير بني ورتاجن وشيخ بني ويغلان منهم، قد تحيز إلى الأمير عبد الرحمن منذ إجازته من الأندلس واستيلائه على تازى ثم زحفه إلى حصار البلد الجديد مع السلطان أبي العباس كما مر.

فوصل في جملته إلى مراكش، وكان صاحب شوراه وكبير دولته.

وكان يضطعن على خالد بن إبراهيم المدازي شيخ حاجة من قبائل المصادمة ما بين مراكش وببلاد السوس، وقد كان علي بن عمر انتقض على ابن غازي الوزير المستبد بعد السلطان عبد العزيز، ولحق بالسوس.

ومر خالد بن إبراهيم هذا فاعتبره في طريقة وأخذ الكثير من أ同胞ه ورواحله، وخلص هو إلى منتجاته بالسوس، وقد حقد ذلك خالد.

ثم بعث عن شيخ العقل عندما أجاز الأمير عبد الرحمن من الأندلس إلى تازى يروم اللحاق بهم، فرفدوا عليه.

وسار معهم إلى أحياائهم وأقام معهم وهو في طاعة الأمير عبد الرحمن ودعونه إلى أن انصل به بين يدي حصاره البلد الجديد مع السلطان أبي العباس.

فلما فتح السلطان البلد الجديد أول سنة ست وسبعين وسبعينية واستولى على ملكهم بها، وفصل عبد الرحمن إلى مراكش كما كان الرفاق بينهم، وسار علي بن عمر في جملة الأمير عبد الرحمن إلى مراكش، واستاذته في قتل خالد صاحبه، فلم يأذن له، فألقيه ذلك وطريقه عليه، وبعد أيام صعد إلى جبل وريكة في غرض من أغراض الدولة، وتقدم إلى حافظه عامر ابن ابيه محمد بقتل خالد، فقتله في بعض الأيام بظاهر مراكش، ولحق مجده علي بن عمر بوريكة، فنطاف له الأمير عبد الرحمن وأرسله بالملالية والاستعطاف.

ثم ركب إليه بنفسه واستخلصه ونزل به إلى مراكش فلما قام معه أيامًا.

ثم ارتاب ولحق بآزمرور وعاملها يومئذ حسون بن علي

حدوداً بين الدولتين ووادي أم ربيع.

واستمر صاحب فاس على الإباهة من ذلك، فنهض الأمير عبد الرحمن من مراكش، ودخل الحسن بن يحيى في طاعته فملكها، وبعث مولاه متصوراً في العساكر إلى أنف فاستولى عليها وصدر أعيانها وقاضيها وواليها وبلغ الخبر إلى السلطان، فنهض من فاس في عساكرة، واتهى إلى سلا، فهرب متصور من أنف وتركها.

ولحق بمولاه عبد الرحمن فأجفل من أزمور إلى مراكش، والسلطان في أثره حتى انتهى إلى قنطرة الوادي، على غلوة من البلد، وأقام خمسة أشهر يحاصرها، واتصل الخبر بالسلطان ابن الأهر صاحب الأندلس، فبعث خالصته الوزير أبي القاسم ابن الحكيم الرندي ليعقد الصلح بينهما، فعقده على أن استرهم السلطان أولاد الأمير عبد الرحمن وحافظاً أبي الحسن، وانكفا السلطان راجعاً إلى سلا.

ولحق به جماعة من جملة الأمير عبد الرحمن من بني مرين وغيرهم، نزعوا عنه، وكان منهم أحد بن محمد بن يعقوب الصيحي لقي في طريقه مولى الأمير عبد الرحمن، جاءه به مكرهاً إلى السلطان.

وكان من النازعين أيضاً يعقوب بن سيد الناس كبير بني ونكسن، وأبو بكر بن رحو بن الحسن بن علي بن أبي الطلاق، ومحمد بن مسعود الإدريسي وزيان بن علي بن عمر الوطاسي وغيرهم من المشاهير.

وقدموا على السلطان بسلا فقبلتهم وأحسن كرامتهم، ورحل راجعاً إلى فاس. والله أعلم.

### انتفاض علي بن زكريا شيخ المساكرة على الأمير عبد الرحمن وفتكه بمولاه منصور ومقتل الأمير عبد الرحمن

لما رجع السلطان إلى فاس وبدأ من الخلل في دولة الأمير عبد الرحمن وانتفاض الناس عليه ما قدمناه، نزع يده من التعزير على العساكر، وشرع في تحسين البلد. وضرب الأسوار على القصبة وحرق الختادق وتبين بذلك اختلال أمره.

وكان علي بن زكريا شيخ هسكورة كبير المصامدة في دعوته منذ دخل مراكش فتلافي أمره مع صاحب فاس، ومد إليه يداً من

يستعملون في مثل ذلك، ونزع الحسن هذا منهم إلى الجندي فلبس شارتها وتصرف في الولاية المناسب لها، واتصل بمحمدية السلطان أبي العباس لأول يبعثه بطنجة.

وكان يومذ عاملأً بالقصر الكبير فدخل في دعوته وصار في جملته، وشهد معه الفتح واستعمله في خطط السيف، حتى لا يراه أزمر هذه الولاية فقام بها كما ذكرنا.

وأما الصبيحيون فالخبر عن أوليائهم أن جدهم حسان من قبيلة صبيح من أفاريق سويد، جاء مع عبد الله بن كندوز الكمي من بني عبد الراد حين جاء من تونس وأفاداً على السلطان يعقوب بن عبد الحق إليه بتجدّع كما مر، وكان حسان من رعاه إيه.

فلما استقر عبد الله بن كندوز بناحية مراكش وأقطعه السلطان يعقوب في أعمالها، وكان الظاهر الذي يحمل عليه السلطان متفرقًا في شاوية المغرب، فجمعته وجعله لنظر عبد الله بن كندوز، فجمع له الرعاة وكبارهم يومذ حسان الصبيحي، فكان ياشر السلطان في شأن ذلك الظاهر ويطالبه في مهماته، فحصلت له بذلك مداخلة وأجلبت إليه الحظ، حتى ارتفع وكبر. ونشأ ولده في ظل الدولة وزعها وتصروا في الولايات فيها، وانفردوا بالشاوية فلم تزل ولادتها متوارثة فيهم مقسمة بينهم لهذا العهد إلى ما كانوا يتصرفون فيه من غير ذلك من الولايات، وكان حسان من الولد علي ويعقوب وطلحة وغيرهم، ومن حسان هذا تفرعت شعوبهم في ولده، وهو لهذا العهد متصرفون في الدولة على ما كان سلفهم من ولاية الشاوية والنظر في رواحل السلطان والظاهر الذي يحمل من الإبل، وله عدد وكثرة وبناثة في الدولة، والله أعلم.

### الانتفاض الثاني بين صاحب فاس وصاحب مراكش ونهوض صاحب فاس إليه وحصاره ثم عودهما إلى الصلح

لما رجع السلطان إلى فاس على ما استقر من الصلح، طلب الأمير عبد الرحمن أن يدخل عمالة صنهاجة ودكة في أعماله، وكتب السلطان إلى الحسن بن يحيى عامل أزمور وتلك العمالة بأن يترجه إليه ويسد المذاهب دونه في ذلك.

وكان الحسن بن يحيى مضطغناً على الدولة، فلما وصل إليه داخله في الخلاف وأن يملأه تلك العمالة، فازداد الأمير عبد الرحمن بذلك قوة على أمره، وتعلل على صاحب فاس بـأن يكون

أعمال المغرب، وظفر بعده ودفع النازعين عن ملكه، والله أعلم.

طاعته.

## اجلاب العرب على المغرب في مغيب السلطان بقريبه من ولد أبي علي وبأبي تاشفين بن أبي هو صاحب تلمسان ومجيء أبي هو على أثرهم

كان أولاد حسين من عرب المعقل خالفين على السلطان  
من قبل مسيره إلى مراكش.

وكان شيخهم يوسف بن علي بن غامق قد حدثت بينه وبين  
الوزير القائم على الدولة محمد بن عثمان متافرة وقتة.  
وبعث العساكر إلى سجلamasة، فخرب ما كان له بها من  
العقار والأملاك، وأقام متلقضاً بالقرف.

فلما حاصر السلطان الأمير عبد الرحمن بمراكش وأخذ  
بعضه أرسل أبي العشائر ابن عممه منصور إلى يوسف بن علي  
وقرمه، ليجلبوه به على المغرب ويأخذوا بمحجزة السلطان عن  
حصاره، فسار ذلك وما قدم على يوسف سار به إلى تلمسان  
مستجيئاً بالسلطان أبي هو لذلك القصد، بما كان بينه وبين الأمير  
عبد الرحمن من العهد على ذلك.

فبعث أبو هو معهم ابنه أبي تاشفين في بعض عساكره،  
وسار في الباقين على أثرهم.  
وسار أبو تاشفين وأبو العشائر إلى أحياه العرب، فدخلوا  
إلى أحواز مكناسة وعاشروا فيها.

وكان السلطان عند سفره إلى مراكش استخلف على دار  
ملكه بناس علي بن مهدي العسكري في جماعة من الجن.

واستجده بونزمار بن عريف شيخ سويد وهي الدولة المقim  
بأحيائه بنواحي ملوية، فخالف بين العرب المعقل واستخلف منهم  
العمارة والمبان وهم الأحلاف واجتمع مع علي بن مهدي،  
وساروا للدفاع عن العدو بنواحي مكناسة فتصدّوهم عن مراهم  
ومنعوهم من دخول البلاد فأقاموا متوافقين أيامًا.

وقصد أبو هو في عسكره مدينة تازى وحاصرها سبعاً،  
وخرّب قصر الملك هنالك ومسجدة المعروفة بقصر تازورت.

وبيّنوا لهم على ذلك بلغ الخبر الباقين بفتح مراكش وقتل  
الأمير عبد الرحمن، فاجتلوها من كل ناحية.

ثم انقضى على الأمير عبد الرحمن ودخل في دعوة  
السلطان، وبعث إليه الأمير عبد الرحمن مولاً منصورةً يستائفه،  
فأرصل إليه في طريقه من حاشيته من قتلته، ثم بعث برأسه إلى  
فاس، فهُبَطَ السلطان في عساكره إلى مراكش.  
واعتصم الأمير عبد الرحمن بالقصبة وقد كان أفرادها عن  
المدينة بالأسوار.

وتحدق عليها فملك السلطان المدينة ورتب على القصبة  
المقاتلة من كل جهة، ونصب الآلة وأدار عليها من جهة المدينة  
حائطاً وأقام يحاصرها سبعة أشهر يغادها بالقتال ويرواوها.

وكان أحد بن محمد الصيحي من الذين بوأوا المقادع  
لقتالها، فهم بالانتهاض وحدثه نفسه بقدرة السلطان والتربّب به.

وسعي بذلك إلى السلطان، فتقبض عليه وحبسه.

وبعث السلطان بالغير إلى أعماله فتوافت الأمداد من كل  
ناحية، وبعث صاحب الأندلس إليه مداداً من العسكر.

فلما اشتد الحصار بالأمير عبد الرحمن ونفذت الأقواء،  
وأيقن أصحابه بالهزيمة، وأهملتهم أنفسهم.

فهرب عنه وزيره ثغر بن العلم من بقية محمد بن عمر شيخ  
المساكمة والمصادمة لعهد السلطان أبي الحسن وابنته، وقد مر ذكره.  
فلما لحق هذا بالسلطان وعلم أنه إنما جاء مضطراً قبض  
عليه وحبسه.

ثم انقض الناس عن الأمير عبد الرحمن وزلوا من الأسوار  
ناجين إلى السلطان.

وأصبح في قصبه منفرداً، وقد بات ليته يراوض ولديه  
على الاستماتة وهما: أبو عامر وسلمي.

وركب السلطان من الغد في التعبية وجاء إلى القصبة  
فاقتتحمها بمقدمته، ولقيهم الأمير عبد الرحمن ووليهه بأساراك  
الميدان الذي بين أبواب دورهم، فجالوا عليهم جولة قتل فيها هو  
ووليهه، تولى قتلهم علي بن إدريس الشالقني وزيان بن عمر  
الوطاسي وطالما ما كان زيان يمترى يدي نعمهم وغير ذيله خيلاء  
في جاههم، فذهب مثلًا في كفران التعمدة وسوء الجزاء، والله لا  
يظلم متقى ذرة.

وكان ذلك خاتم جهادى الآخرة سنة أربعين وثمانين  
وسبعينية.

ثم رحل السلطان متقلباً إلى فاس، وقد استولى على سائر

## إجازة السلطان موسى ابن السلطان أبي عنان من الأندلس إلى المغرب واستيلاته على الملك وظفره بابن عمه السلطان أبي العباس وإذ عاجه إلى الأندلس

قد تقدم أن السلطان محمد بن الأحمر المخلوع، كان له تحكم في دولة السلطان أبي العباس بن أبي سالم صاحب المغرب بما كان من إشارته على محمد بن عثمان بيته وهو معتقل بطنجة، ثم بما أمله من مدد العساكر والأموال، حتى تم أمره واستولى على البلد الجديد كما قدمناه في أول خبره، فيما كان له من الزبون عليهم بالقرابة المرشحين الذين كانوا معتقلين بطنجة مع السلطان أبي العباس من أسباط السلطان أبي الحسن من ولد أبي عنان وأبي سالم والفضل وأبي عامر وأبي عبد الرحمن وغيرهم.

وكانتوا متعاهدين في معتقلهم أن من أتاح الله لهم الملك منهم فيخرجهم من الاعتقال ويجيزهم إلى الأندلس.

فلما بويع السلطان أبو العباس وفي لهم بهذا العهد وأجازهم، فنزلوا على السلطان ابن الأحمر أكرم نزل، انتزلم بقصور ملكه بالحراء وقرب لهم الملك، وأفاض عليهم العطاء ووسع لهم الجرایات والأرزاق وأقاموا هنالك في ظل ظليل من كفه فكان لهم زيون على ملك المغرب وكان الوزير القائم بهما محمد بن عثمان يقدر له قدر ذلك كله فيجري في أغراضه وقصوده وتحكمه في الدولة ما شاء الله أن يحکمه، حتى توجهت الوجوه إلى ابن الأحمر وراء البحر من شيوخ بيتي مرين والعرب وأصبح المغرب كأنه من بعض أعمال الأندلس.

ولما نهض السلطان إلى تلمسان خاطبوا وأوصوه بالغرب، وأنزل محمد بن عثمان بدار الملك كاتبه محمد بن الحسن، كان مصطفعاً عنده من بقية شيع الموحدين بجاجة، فاختصه ورقاه واستخلفه في سفره هذا على دار الملك.

فلما انتهوا إلى تلمسان وحصل له من الفتح ما حصل، كثروا بالخبر إلى السلطان ابن الأحمر مع شيطان من ذرية عبو بن قاسم المزداد كان بدارهم وهو عبد الواحد بن محمد بن عبو كان يسمون بنفسه إلى العظام التي ليس لها بأهل ويترىص لذلك بالدولة.

وكان ابن الأحمر مع كثرة تحكمه فيه يجيء عليهم بعض الأوقات بما يأتونه من تقصير في شفاعة أو مخالفة في أمر لا يجدون

وخرج أولاد حسين وأبو العشار وأبو تاشفين والعرب الأخلاف في انبائهم، وأجلل أبو حسو عن تاري راجعاً إلى تلمسان ومر بقصر وزمار في نواحي بطورية المعروفة بمرادة، فهدمه ووصل السلطان إلى فاس وقد تم له الظهور والفتح إلى أن كان ما ذكره إن شاء الله تعالى.

## نهوض السلطان إلى تلمسان وفتحها وتخريبيها

كان السلطان لما بلغه ما فعل العرب وأبو حسو بالغرب لم بشغله ذلك عن شأنه، ونظم على أبي حسو ما أتاهم من ذلك، وأنه نقض عهده من غير داع إلى التقض. فلما احتل بدار ملكه بفاس أراح أياماً، ثم أجمع عزمه على النهوض إلى تلمسان.

وخرج في عساكره على عادتهم وانتهى إلى تاوريرت، وبلغ إلى أبي حسو، فاضطررت في أمره واعتمد على الحصار، وجمع أهل البلد عليه واستعدوا له.

ثم خرج في بعض تلك الليالي بولده وأهله وفي خاصته، وأصبح غنيماً بالصفصاف والفضائل أهل البلد إليه بعضهم بعياله وولده مستمسكين به، متقادمين من معرة هجوم عساكر المغرب ولم يزعه ذلك عن قصده، وارتغل ذاتياً إلى البطحاء.

ثم قصد بلاد مغراوة فنزل في بي بو سعيد قريباً من شلف، وانزل ولده الأصغر وأهله بمحسن تاجموموت.

وجاء السلطان إلى تلمسان فملكها واستقر بها أياماً.

ثم هدم أسوارها وقصور الملك بها، بإغراقه وليه وزمار جزاء بما فعله أبو حسو في تخريب قصر تازروت ومحصن مرادة.

ثم خرج من تلمسان في اتباع أبي حسو، ونزل على مرحلة منها.

وبلغه الخبر هنالك بإجازة السلطان موسى ابن عمه أبي عنان من الأندلس إلى المغرب وأنه خالقه إلى دار الملك، فانتفقا راجعاً وأخذ السير إلى المغرب كما نذكر.

ورجع أبو حسو إلى تلمسان واستقر في ملكه بها، كما تقدم في أخباره.

عنها ولبيجة، فيضطغن لهم ذلك.

مع العرب أو قصد المقرب.

ثم استمر عزمه، ونازل بتازى وأقام بها أربعاً، وتقدم إلى الركن، وأهل دولته خلال ذلك يخوضون في الانتفاض عليه ميلاً إلى ابن عمه السلطان موسى المستولى على فاس، ويوم أصبح من الركن مرتحلاً أرجعوا به، ثم انقضوا عنه طوائف قاصدين فاس، ورجع هو إلى تازى بعد أن انتبه معسكره وأضرمت النار في خيامه وخزاناته.

ثم صبح تازى من ليلته فدخلها، وعاملها يومئذ الخير من موالي السلطان أبي الحسن.

وذهب محمد بن عثمان إلى ولـيـةـ الـدـولـةـ وـنـزـمـارـ بـنـ عـرـيفـ . وأـمـرـاءـ الـمـغـرـبـ مـنـ الـعـقـلـ .

ولما دخل السلطان أبو العباس إلى تازى كتب إلى ابن عمه السلطان موسى يذكره العهد بينهما، وقد كان السلطان ابن الأحرر عهد إليه أن يبعث به إليه إن ظفر به، فبادر السلطان موسى باستدعائه مع جماعة من وجوه بي عسكر، أهل تلك الناحية، وهم ذكريا بن يحيى بن سليمان ومحمد بن سليمان داود بن عراب، ومعهم العباس بن عمر الوستاني فجاؤوا به وأنزلوه بالزاوية بغدير الحفص من ظاهر فاس، فقد هنالك ثم بعث إلى الأندلس موكلاً به مع عمر بن رحو أخي الوزير مسعود بن ماساي.

واستصحب معه ابنه آبا فارس وترك سائرهم بفاس وأجاز البحر من سبتة فأنزله السلطان ابن الأحرر بقلعة ملكه الحمرا، وفك قبرده ووكل به، ووسع له الجراية وأقام هنالك مختطاً به إلى أن كان ما نذرته إن شاء الله تعالى.

### نكتة الوزير محمد بن عثمان ومقتله

أصل هذا الوزير من بني الكاس إحدى بطون بني ورتاجن، وكان بن عبد الحق عندما تأثروا ملوكهم بالمغرب يستعملون منهم في الوزارة.

وربما وقعت بينهم وبين الخصم وبين فرود المختصين بالوزارة عندهم مزاجة، أجازوا بسببيها إلى الأندلس، وربما وقع بينهم هنالك وبين بني إدريس وبين عبد الله منافسات، فتلوا بما بعض بني الكاس، منهم في دولة السلطان أبي سعيد وابنه أبي الحسن، وتهذب بالخلاف ثم استوزر السلطان أبو الحسن بعد مهلك وزيره يحيى بن طلحة ابن عملي بمكانه من حصار تلمسان، وقام بوزارته أعواماً، وحضر معه واقعة طريف سنة إحدى

فلنا قدم عليه عبد الواحد هذا بخبر الفتح وقصص عليه القصص، دس له أن أهل الدولة مضطربون على سلطانهم ومستبدلون به لور وجدوا، وأبلغ من ذلك ما حل لهم.

وأشار له بخلاء المغرب من الخامية جلة وأن دار الملك ليس بها إلا كاتب حضري لا يحسن المدافة، وهو أعرف به، فانهزم ابن الأحرر الفرصة وجهز موسى ابن السلطان أبي عنان من الأسباط المقيمين عنده.

واستوزر له مسعود بن رحو بن ماساي من طبة الوزراء من بني مرين ومن بني فرود من أحفادهم.

وله في ذلك سلف وقد كان بهم من قبل وزيراً للأمير عبد الرحمن بن أبي يفلوس حين أجاز إلى المغرب أيام استبداد أبي بكر بن غازي، فلم يزل معه حتى كان حصار البلد الجديد واستيلاء السلطان أبي العباس عليها.

وذهب الأمير عبد الرحمن إلى مراكش فاستأنه مسعود في الانصراف إلى الأندلس، فاذن له ورجع عنه إلى فاس.

ثم فارقهم وأجاز إلى الأندلس متزدعاً ومتزدداً للكمال ومعلولاً على ابن الأحرر، فتلقاء بالقبول وأوسع له بالتزول والجرارة وخلطه بنفسه وأحضره مع نداماته، ولم يزل كذلك إلى أن جهزه وزيراً للمغرب مع موسى ابن السلطان أبي عنان وبعث معهم عسكراً، ثم ركب معهم السفين إلى سبتة وكانت بينه وبينه شرفاتها ورؤساء الشورى بها مداخلة، فقاموا بداخلة السلطان موسى وأدخلوه وقبضوا على عاملها رحو بن الزعيم المكدي وجاوروا به إلى السلطان فليلها غرة صفر من سنة ست وثمانين وسبعينة وسلمها إلى ابن الأحرر، فدخلت في طاعته وسار هو إلى فاس، فوصلها لأيام قربة، وأحاط بدار الملك، واجتمع إليه الغوغاء، ونزل الدشيش بمحمد بن الحسن فبادر بطاعته.

ودخل السلطان موسى إلى دار الملك، وقبض عليه لوقته، وذلك في عاشر ربيع الأول من السنة.

وجاء الناس بطاعتهم من كل جانب، وبلغ الخبر إلى السلطان أبي العباس بمكانه من نواحي تلمسان بأن السلطان موسى قد نزل بسبته، فجهز علي بن منصور ترجان الجندي النصاري بيابه مع طائفة منهم، ويعthem حامية لدار الملك فانهروا إلى تازى وبلغهم خبر فتحها فأقاموا هنالك.

وأخذ السلطان أبو العباس السير إلى فاس، فلقيه خبر فتحها بتاوريرت فتقدم إلى ملوية وتردد في رأيه بين المسير إلى سجلmasة

وافتراق أشياع الوزير محمد بن عثمان من قرابته وبطانته، فطلبوا بطن الأرض ولحق منهم ابن أخيه العباس بن المقداد بتونس، فوجد هنالك الحسن بن الناصر ابن السلطان أبي علي قد لحق بها من مقره بالأندلس في سبيل طلب الملك ثات له رأي في الرجوع به إلى المغرب لطلب الأمر هنالك، فسرح به من تونس وقطع المفاوز والمشاق إلى أن انتهى إلى جبل غمارة، ونزل على أهل الصفيحة منهم، فأكروا مشواه وتلقية، وأعلنوا بالقيام بدعوته، واستوزر العباس بن المقداد.

وبلغ الخبر إلى مسعود ابن ماساي بفاس، فجهز العساكر مع أخيه مهدي بن ماساي، فحاصرها بجبل الصفيحة أيامًا، وامتنع عليهم، فتجهز الوزير مسعود بن ماساي بالعساكر لطلبهم من دار الملك وساروا لحصاره، ثم رجع من طريقه لما بلغه من وفاة السلطان بعد والله أعلم.

### وفاة السلطان موسى والبيعة للمنتصر ابن السلطان أبي العباس

كان السلطان موسى لما استقل بملك المغرب استكشف من استبداد ابن ماساي عليه وداخل بطانته في الفتكت به. وأكثر ما كان يقاوض في ذلك كاتبه وخالصته محمد ابن كاتب أخيه، وخالصته محمد بن أبي عمر.

وكان للسلطان موسى ندمان يطلعهم كل الكثير من أموره منهم العباس بن عمرو بن عثمان الستاني، وكان الوزير مسعود بن ماساي قد خلف أباه عمر على أمه وربى في حجر، فكان يدل إليه بذلك، ويشي له بما يدور في مجلس السلطان في شأنه.

فحصلت للوزير بسبب ذلك نفرة طلب لأجلها البعد عن السلطان، وبادر للخروج لمدافعة الحسن القائم بغمارة واستخلف على دار الملك أخيه يعيش بن رحو بن ماساي.

فلما انتهى إلى القصر الكبير لحقه الخبر بوفاة السلطان موسى، وكانت وفاته في شهر جمادى الآخرة طرفة المرض فهلك ليوم وليلة حتى.

كان الناس يرمون يعيش أخا الوزير بأنه سمه، وبادر يعيش فنصب ابن أخيه للملك، وهو المنتصر ابن السلطان أبي العباس، وانكنا الوزير مسعود راجعًا من القصر، وقتل السبيع محمد بن موسى بن إبراهيم موسى من طبة الوزراء، وقد مر ذكره وذكر قوله، وكان اعتقله أيام السلطان موسى فقتله بعد وفاته،

وأربعين وسبعيناً من هذه المائة، واستشهد فيها، ونشأ ابنه أبو بكر في ظل الدولة متعًا محسن الكفالة وسعة الرزق، وكانت أمه أم ولد، وخلفه عليها ابن عمها محمد بن عثمان هذا الوزير، فنشأ أبو بكر في حجره.

وكان أعلى رتبة منه بأولية أبيه وسلفه، حتى إذا بلغ أشدّه واستوى سمت به الخلال، وجالت أبصار الملوك في اختياره وترشيحه، حتى استوزر السلطان عبد العزيز كما قلناه.

وقام بوزارته أحسن قيام، وأصبح محمد بن عثمان هذا رديفه.

وهلك السلطان عبد العزيز فنصب الوزير أبو بكر ابنه السعيد للملك صبياً لم يشر، وكان من انتقاض أمره وحضاره بالبلد الجديد واستيلاء السلطان أبي العباس عليه ما قمناه، وقام محمد بن عثمان بوزارة السلطان أبي العباس مستبدًا عليه، ودفع إليه أمور ملكه، وشغل بذلكه، فعانى محمد بن عثمان من أمور الدولة ما عاناه حتى كان من استيلاء السلطان موسى على ملکهم ما مر.

وانقض بنو مرين عن السلطان أبو العباس وفارقه محمد بن عثمان إلى ولی الدولة ونizar بن عريف وهو مقيم بظاهر تازى، وتذمّر له فتجهم له ونizar وأعرض عنه، فسار مغضداً إلى أحياه المبات من عرب المقلع.

كانوا هنالك قبلة تازى لذمة صحابة كانت بينه وبين شيخهم أحد ابن عم فنزل عليه متذمماً، فخادعه وبعث مخبره إلى السلطان، فجهز إليه عسكراً مع المزوار عبد الواحد بن محمد بن عبو بن قاسم وزروق بن توقيط والحسن أوافو من المولى فتبرأ منه العرب وأسلموا إليهم، فجاؤوا به وأشهروه يوم دخوله إلى فاس.

واعتقل أيامًا وامتحن في سبيل المصادر حتى استصفى، ثم قتل ذيحاً بمحبسه، والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوراثين.

### الخبر عن خروج الحسن بن الناصر بغمارة ونهرض الوزير ونهوض الوزير ابن ماساي إليه بالعساكر

لم استقل السلطان موسى بملك المغرب وقام مسعود بن ماساي بوزارته مستبدًا عليه، وكان من تغييرهم السلطان أبا العباس إلى الأندلس ونكبتهم وزيره محمد بن عثمان وقتلهم إيه

واستمرت أمور الدولة في استقلاله والله أعلم.

### إجازة الواثق محمد بن أبي الفضل ابن السلطان أبي الحسن من الأندلس والبيعة له بفاس

من عرب المعلم المخالفين منذ أيام السلطان موسى، ونزل على شيخهم موسى بن بن غامد للدمة صحبة بينهما من جوارهم في المواطن.

وكان معه في ذلك الخلاف محمد بن يوسف بن علال، كان أبوه يوسف من صنائع السلطان أبي الحسن، ونشأ دولة استوحشا من الوزير، فلحقا بالغرب فلما جاء هذا السلطان الواثق قدما عليه، فلقيهما بالتكرمة وأحلاهما في مقامهما من الدولة، وخرج الوزير مسعود بن ماساي في العساكر، ونزل قبلتهم بمجل غليلة وقاتلهم هناك أياماً وداخل الذين مع الواثق واستملاهم. وبعث عساكر إلى مكانة فحاصروها، وكان بها يومئذ عبد الحق بن الحسن بن يوسف الورتاجني، فاستنزله منها وملكتها، وترددت المراسلات بينه وبين الواثق وأصحابه على أن ينصبه للأمر.

وبعث بالنصر النصوب عنده إلى أبيه السلطان أبي العباس بالأندلس وانعقد الأمر بينهم على ذلك.

وسار الواثق في أصحابه إلى الوزير ابن ماساي فنزل عليه، ومضى يعيش بن علي بن فارس عنهم ذاهباً لوجهه.

وسار الوزير بالوثائق إلى دار الملك، فباعه في شوال سنة ثمان وثمانين وسبعينية بعد أن اشترط عليه لنفسه وأصحابه ما شاء.

وأجاز سلطانه المتصر إلى أبيه السلطان أبي العباس بالأندلس وقبض على جماعة من كان مع الواثق مثل المزوار عبد الواحد وقتلها، وعلى فارح بن مهدي وحبسه، وعلى الخير مولى الأمير عبد الرحمن وامتحنه، وعلى آخرين سواهم.

ثم قبض على جماعة من بطانة السلطان موسى كانوا يداخلونه في الفتاك به، فحبسهم وقتل بعضهم.

وعلى جند الأندلس الذين جاؤوا مددًا للوثائق، وعلى قواهم من معلوجي ابن الأخر فأودعهم السجون.

ثم قبض على كاتب السلطان موسى بن أبي الفضل بن أبي عمر مرجعه من السفارة عن سلطانه إلى الأندلس، فاعتقله وصادره ثم أخلى سبيله ثم بعث إلى الحسن بن الناصر الثائر بمجل الصفيحة من غماره مع إدريس بن موسى بن يوسف الياباني، فخادعه باستدعائه للملك والبيعة له، فخدعه واستنزله وجاء به فاعتقله الوزير أيامًا ثم أجازه إلى الأندلس، واستقر الأمر على ذلك، والله أعلم.

كان الوزير مسعود بن ماساي لما استوحش من السلطان موسى بعث ابنه بخي وعبد الواحد المزوار إلى السلطان ابن الأخر يسأل منه إعادة السلطان أبي العباس إلى ملكه فاخرجه ابن الأخر من الاعتقال وجاء به إلى جبل الفتح يروم إجازته إلى العدوة.

فلما توفي السلطان موسى بدا للوزير مسعود في أمره، ودس للسلطان ابن الأخر بردًا، وأن يبعث إليه بالوثائق محمد بن أبي الفضل ابن السلطان أبي الحسن من القرابة المقيمين عنده.

ورأه اليق بالاستبداد والإجر، فاسعنه ابن الأخر في ذلك، ورد السلطان أحمد إلى مكانه بالحراء، وجاء بالوثائق فحضر بمجل الفتح عنده وفي خلال ذلك وصل جماعة من أهل الدولة انتقضوا على الوزير مسعود، ولحقوا بستة وأجازوا إلى السلطان ابن الأخر وهم يعيش بن علي بن فارس الياباني وسيور بن بخيتان بن عمر الونكاسي وأحمد بن محمد الصبيحي، فرفع إليهم الواثق، ورجعوا به إلى المغرب على أنهم في خدمة الوزير، حتى إذا انتهوا إلى جبل زرهون المطل على مكانة أظهروا الخلاف على الوزير وصعدوا إلى قبائل زرهون واعتصموا بمجلهم.

ولحق بهم من كان على مثل دينهم من الخلاف على ابن ماساي وصاروا معهم يداً مثل طلحة بن الزبير الورتاجني وسيور بن بخيتان بن عمر الونكاسي ومحمد التونسي من بني أبي الطلاق وفارح بن مهدي من معلوجي السلطان، وأصله من موالي بني زيان ملوك تلمسان.

وكان أحمد بن محمد الصبيحي من حين جاء مع الواثق قد استطاع على أصحابه فاظهر الاستبداد بما كان من طائفة الجندي المستخدمين، فغضض به أهل الدولة وتبرأوا منه للسلطان الواثق، فاظهر لهم البراءة منه، فوثبوا به وقتلوه عند باب خيمة السلطان، وتولى كبر ذلك يعيش بن علي بن فارس الياباني كبير بني مرین، فذهب مثلاً في الغابرين، ولم تبك عليه سماء ولا أرض.

وكان رورق ابن توقريط من موالي بني علي بن زيان من شيوخ بني وانكاسين وكان من أعيان الدولة وقدمي الجندي، قد انتقض على الدولة أيام السلطان موسى ولحق بأخيه أولاد حسين

**مسير السلطان أبي العباس من سبعة لطلب  
ملكه بفاس ونهوض ابن ماساي لدفاعه  
ورجوعه منهذاً**

ولما استولى السلطان أبو العباس على سبعة وتم له ملكها، واعترض على المسير لطلب ملكه بفاس، وأغراء ابن الأهر بذلك ووعده بالمداد لما كان من مداخلة ابن ماساي بجماعة من بطانته في أن يقتلوه ويلمكرا الرئيس الأبكم يقال: إن الذي داشره في ذلك من بطانته ابن الأهر يوسف بن مسعود البلنسي، وعمر بن الوزير أبي القاسم بن الحكيم الرندي وشعر بهم السلطان ابن الأهر وهو يومئذ على جبل الفتح بطالع أمور السلطان أبي العباس، فقتلهم جميعاً وإخوانهم.

ويقال: إن ذلك كان بسعادة القائم على دولته مولاه خالد، كان يغضب بهم ويعاودهم، فاحتال عليهم بهذه.

ومنذ سعادته بهم، فاستشاط ابن الأهر غضباً على ابن ماساي، وبعث إلى السلطان أبي العباس يستقره للرحلة إلى طلب ملكه، فاستختلف على سبعة رحوا ابن الزعيم المكودي عاملها من قبل كما وسار إلى طنجة وعاملها من قبل الواشق صالح بن حمو الياباني ومعه بها الرئيس الأبكم من قبل العساكر، فحاصرها أياماً وأمتنعت عليه فجرم عليها عسكراً وسار معها إلى أصيلة، فدخلت في دعوته وملكها.

ونهض الوزير ابن فاس في العساكر بعد أن استخلف أخاه يعيش على دار الملك وسار.

ولحقت مقدمته بأصيلاً فقارتها السلطان أبو العباس، وصعد إلى جبل الصفيحة، فاعتصم به وجاء الوزير ابن ماساي فتقدما إلى حصاته بالجبل، وجمع عليه رمأ الرجل من الأندلس الذين كانوا بطنجة، وقام يحاصره بالصفيحة شهرين.

وكان يوسف بن علي بن غام شيخ أولاد حسين من العرب المعلم، مخالفًا على الوزير مسعود وداعية إلى السلطان أبي العباس وشيعة له، وكان يراسل ابن الأهر في شأنه.

فلما سمع باستيلائه على سبعة وإقباله على فاس، جمع أشياعه من العرب، ودخل إلى بلاد المغرب ونزل ما بين فاس ومكناسة، وشن الغارات على البساطط واكتسحها، وأرجف الرعایا وأجلفو إلى الحصون، وكان وزمار بن عريف ولـي الدولة شيعة للسلطان، وكان يكاتبه وهو بالأندلس ويكتب ابن الأهر في

**الفتنة بين الوزير ابن ماساي وبين السلطان  
ابن الأهر واجازة السلطان أبي العباس إلى  
سبعة لطلب ملكها واستيلاؤه عليها**

لما بلغ الوزير ابن ماساي للوائق ورأى أنه قد استقل بالدولة ودفع عنها الشواغب وصرف نظره إلى استرجاع ما فطر من أعمال الدولة، وافتتح أمره سبعة، كان السلطان موسى لأول إجازته أعطاها لابن الأهر كما مر.

فبعث إليه الآن الوزير ابن ماساي في ارجاعها منه على سبيل الملاطفة، فاستشاط لها ابن الأهر ولع في الرد، فنشأت الفتنة لذلك، وجهز ابن ماساي العساكر لحصار سبعة مع العباس بن عمر بن عثمان الوسناني ويجي بن علال بن أصمود، والرئيس محمد بن محمد الأبكم من بني الأهر.

ثم من بيت السلطان الشیخ فاتح أمرهم ومهد دولتهم، وراسل السلطان إشبيلية والجلالة من بني أدفونش وراء البحر، بأن يبعث إليهم ابن عم السلطان ابن الأهر محمد بن إسماعيل مع الرئيس الأبكم ليجلبنا من ناحية على الأندلس.

وجاءت عساكر الوزير إلى سبعة فحاصروها ودخلوها عنوة، واعتتصم حامية الأندلس الذين كانوا بها بالقصبة، واتصلت الجولة بين الفريقين وسط البلد، وأوقف أهل القصبة الزيان بالجليل علامة على أمرهم ليراهما ابن الأهر، وكان مقيناً بالقلعة، فبادر بتجهيز الأسطول مشحوناً بالقاتلة مددأ لهم.

ثم استدعى السلطان أبي العباس من مكانه بالحمراء، وأركبه اسفين إلى سبعة، فأصبح إلى القصبة في غرة صفر سنة تسع وثمانين وسبعيناً وأشرف عليهم من الغد وناداهم من السور يدعوهم إلى طاعته.

فلما رأوه اضطربوا واقتروا وخرج إليهم، فنهب سوادهم ودخلوا في طاعته متسالين، ورجع جهور العرب ومقدموهم إلى طنجة واستولى السلطان على مدينة سبعة.

وبعث إليه ابن الأهر بالتزوال عنها، وردها إليه فاستقرت في ملكه وكملت بها بيته، وكان يوليه أمور الضيافان الواردين والله تعالى أعلم.

شأنه.

فلما بلغ الخبر بوصول السلطان إلى سبته واستيلائه عليها تطاولت رؤوس أوليائه إلى إظهار دعوته بجبل المساكرة وشيخهم علي بن ذكريا.

وبعث الوزير مسعود من مكانه في حصار السلطان بالصفيحة في إمداده بالعساكر من مراكش، فزحف إليه مخلوف بن سليمان الوارتي صاحب الأعمال ما بين مراكش والسوس، وقد الباقون عن قصده وتفرقوا.

وصعد أبو ثابت حافظ علي بن عمر إلى جبل المساكرة ومعه يوسف بن يعقوب بن علي الصبيحي، فاستمد من علي بن ذكريا ورجع إلى مراكش مجبراً على عمر بن رحو مناوشة القتال ساعة، ثم غلبه على البلد وملكها من يده ونزل بقصبة الملك، وحبس عمر بن رحو بها.

وكتب للسلطان بذلك، وهو بمكتاسة متوجهاً إلى فاس، فكتب إليه بأن يصله بعساكر مراكش لحصار دار الملك فجمع العساكر واستخلف على قصبة مراكش بعضبني عممه ولحق بالسلطان، وأقام معه في حصار البلد الجديد، والله أعلم.

## ولاية المنصور ابن السلطان أبي علي على مراكش واستقلاله بها

كان السلطان أبو العباس حين ملك المغرب بعث ابنه المنصور في البحر إلى سلا واستولر عليه عبد الحق بن الحسن بن يوسف فوصل إلى سلا وأقام بها، ومر به زورق بن توقيط راجعاً من دكالة، وقد بلغه نزول السلطان على البلد الجديد فلطف في استدعائه، ثم قبض عليه وبعث به إلى أبيه مقيداً فاودعه السجن وقتل بعد ذلك في محبسه.

ثم بعث السلطان إلى ابنه المنصور بولاية مراكش وأن يسير إليها فلما وصل امتنع النائب بالقصبة من أن يمكّنه من البلد إلا أن يدخل إليه منفرداً عن أصحابه وبطانته وكان علي بن عبد العزيز شيخ هئاته مداخلة لنائب القصبة، فدس عبد الحق وزير المنصور أن النائب قد هم بقتله، وحيثند تكون المنصور من القصبة.

فاجفل بالمنصور وصعد إلى جبل هنتاتة، وطير بالخبر إلى السلطان، فتغير لأبي ثابت وأمره أن يكاتب نائبه بتمكين ابنه من القصبة.

واستولر له سعيد بن عبدون وبعثه بالكتاب، وعزل عبد

فارس إلى ون Zimmerman مكانه من نواحي تازى، وبعث ابنه سبور بن عحيان بن عمر، فقام ون Zimmerman بدعوته، وسار به إلى مدينة تازى، وعاملها سليمان بن بوجيه الفدوبي من قربة الوزير ابن ماسي. فلما نزل به أبو فارس ابن السلطان بادر إلى طاعته، وأمكنته من البلد، فاستولى عليها واستولر سليمان هذا.

وسار إلى صفروي ومعه ون Zimmerman للاجتماع بعرب العقل وأصنافهم على حصار فاس.

وكان محمد بن الدمعة عاماً على ورغة، فبعث إليه السلطان عسكراً مع العباس بن المقاد ابن اخت الوزير محمد بن عثمان قتلته وجاؤوا برأسه، ونجم الخلاف على يعيش نائب البلد الجديد من كل جهة، وطير يعيش بن ماسي النائب بدار الملك بالخبر بذلك كله إلى أخيه مكانه من حصار السلطان بالصفيحة، فانقضت عنه العساكر وأجفل راجعاً إلى فاس.

وسار السلطان في اتباعه ودخل في طاعته عامل مكتاسة، الخبر مولى الأمير عبد الرحمن ولقيه يوسف بن علي بن غام وحسن معه من أحيا العرب، وساروا جميعاً إلى فاس.

وكان أبو فارس ابن السلطان قد رحل من تازى إلى صفروي للقاء أبيه، فأعترضه الوزير ابن ماسي في العساكر ورجا أن يفله.

ولقيه بنبي بهلول فزع أهل العسكر إلى أبي فارس ورجع الوزير منهزاً ودخل البلد الجديد، فاعتتصم بها وبلغ خبره إلى السلطان وهو بمكتاسة، فارتحال يغذ السير إلى فاس، وسار ابنه أبو فارس للقاء على وادي النجا.

وصبحوا البلد الجديد فنزلوا عليه بجموعهم وقد اعتصم به الوزير في أوليائه وبطانته، ومعه يغمراسن بن محمد الشالقني ورهائن بي مرين الذين استرهنهم عند مسيرة للقاء السلطان بأصيلاً، والله أعلم.

## ظهور دعوة السلطان أبي العباس في مراكش واستيلاء أوليائه عليها

كان الوزير مسعود بن ماسي قد ول على مراكش وأعمال المصامدة أخاه عمر بن رحو وكانت متنظمة في طاعته.

## وزارة محمد بن هلال

كان أبوه يوسف بن هلال من نشأة الدولة وصناعة السلطان أبي الحسن، وربى في داره.

ولما ضخم أمره سما به إلى ولية الأعمال، فولاه على درعة فأثري وأنجب وباهي أولياء الدولة، ثم ولاه السلطان أبو عنان أمر مطبخه ومائته وضيوفه واستكفي في ذلك، وولاه أخوه أبو سالم بعده كذلك.

ثم بعثه إلى سجلماسة فعانى بها من أمور العرب مشقة، وزعله عنها، فهلك بفاس وكان له جماعة من ولد قد نشأوا في ظل هذه النعم، وحدثت النجابة بمحمد منهم.

فلما ولى السلطان أبو العباس استعمله في أمور الضياف والمائدة كما كانت لأبيه، ثم رقاه إلى المخالصة وخالطه بنفسه، فلما خلع السلطان واستولى الوزير ابن ماساي على المغرب، وكانت بينه وبين أخيه يعيش بن ماساي إحن قديمة، فسكن لصونهم حتى إذا اضطربت نار الفتنة بالغرب وأجلب عرب في العقل الخلاف، واستوحش محمد هذا فلحق بأحيائهم مع زروق بن تقريط كـما مر ذكره وزلا على يوسف بن علي بن غام شيخ أولاد حسين، وأقاما معه في خلافة، حتى إذا أجاز السلطان الراion من الأندلس ووصل مع أصحابه إلى جبل زرهون، وأظهروا الخلاف على الوزير ابن ماساي بادر محمد هذا وزروق إلى السلطان، ودخلوا في طاعته متبرئين من التفاق الذي حالمهم عليه عداوة الوزير ابن ماساي.

فما كان إلا أن انعقد الصلح بين الراion وابن ماساي وسار به وي أصحابه إلى فاس، وحصلوا في قبضة ابن ماساي ففأـهمـ عـما كانـ مـنـهـ، واستعملـهـ فيـ معـهـودـ وـلـاهـيمـ.

ثم جاء الخبر بإجازة السلطان أبي العباس إلى سبعة فاضطرب محمد بن يوسف وذكر خالصـةـ السـلطـانـ وـمنـافـةـ بيـ مـاسـايـ، فـأـجـعـهـ أمرـهـ وـلـحـقـ بـسـبـةـ فـتـلـقـاهـ السـلـطـانـ بـالـكـرـامـةـ، وـبـرـ يـقـدـمـهـ وـدـفـعـهـ إـلـىـ الـقـيـامـ بـأـمـرـ دـوـلـتـهـ، فـلـمـ يـزـلـ مـتـصـرـفـاـ بـيـنـ يـدـيهـ إـلـىـ كـلـ بـيـتـ مـنـهـ، آنـ تـزـلـ عـلـىـ الـبـلـدـ الـجـدـيدـ.

ولأيام من حصارها خلع عليه للوزارة ودفعه إليها، فقام بها أحسن قيام، ثم كان الفتح وانتظمت أمور الدولة، وحمد هذا يصرف الوزارة على أحسن أحراها إلى أن كان ما ذكره إن شاء الله تعالى.

الحق عن وزارة ابنه، واستدعاه إلى فاس، فوصل سعيد بن عبدون إلى مراكش، ودفع إلى النائب بالقصبة كتاب مستخلفه فأجاب إلى الامتثال، وأمكـنهـ منـ القـصـبةـ وـاعـتـزـلـ عـنـهاـ فـدـخـلـهاـ.

وبعث عن المتصر ابن السلطان، واستولوا عليها، وقبضـاـ علىـ نـائـبـ عـامـرـ الذـيـ كانـ بهاـ وـسـائـرـ شـيـعـتـهـ وـبـطـانـتـهـ، وـامـتـحـنـوـهـ وـاسـتـصـفـوـهـ إـلـىـ أـنـ كـانـ مـاـ نـذـكـرـهـ إـنـ شـاءـ اللـهـ تـعـالـىـ.

## حصار البلد الجديد وفتحها ونكبة الوزير

### ابن ماساي ومقتله

لما نزل السلطان على البلد الجديد واجتمع إليه سائر قبيله وأوليائه وبياته، داخل الوزير مسعود الحق على وجوه بني مرين لاتبادهم عنه.

وهم يقتلـ أـبـنـهـمـ الـذـيـنـ اـسـتـهـنـهـمـ عـلـىـ الرـفـاءـ لـهـ، فـلـاطـفـهـ يـغـمـرـ اـسـالـفـيـ فـيـ المـعـ منـ ذـلـكـ، فـاقـصـرـ عـنـهـ وـضـيقـ السـلـطـانـ خـنـقـهـ بـالـحـصـارـ ثـلـاثـ أـشـهـرـ حتـىـ دـعـاـ إـلـىـ السـنـزـوـلـ وـالـطـاعـةـ، فـبـعـثـ السـلـطـانـ إـلـىـ وـلـيـ الدـوـلـةـ وـنـزـمـارـ بـنـ عـرـيفـ وـخـالـصـتـهـ مـحـمـدـ بـنـ يـوسـفـ بـنـ عـلـالـ فـعـتـدـ مـعـهـ الـأـمـانـ لـفـسـهـ وـلـمـ مـعـهـ عـلـىـ أـنـ يـسـتـمـرـ عـلـىـ الـوـزـارـةـ وـيـبـعـثـ بـسـلـطـانـهـ الـرـائـقـ إـلـىـ الـأـنـدـلـسـ، وـاسـتـحـلـفـهـمـ عـلـىـ ذـلـكـ وـخـرـجـ مـعـهـمـ السـلـطـانـ فـدـخـلـ السـلـطـانـ البلدـ الجـدـيدـ خـامـسـ رـمـضـانـ سـنـةـ تـسـعـ وـثـمـانـ وـسـبـعـمـائـةـ لـثـلـاثـ أـعـوـامـ وـأـرـبـعـةـ أـشـهـرـ مـنـ خـلـعـهـ.

ولـخـينـ دـخـولـهـ قـبـضـ علىـ الـرـاـيـنـ وـبـعـثـ بـهـ مـعـتـلـاـ إـلـىـ طـنـجهـ وـقـتـلـ بـهـ بـعـدـ ذـلـكـ، وـلـاـ استـرـوىـ عـلـىـ أـمـرـهـ قـبـضـ عـلـىـ الـوـزـيـرـ إـبـنـ مـسـعـودـ لـيـوـمـينـ مـنـ دـخـولـهـ وـعـلـىـ إـخـرـاهـ وـحـاشـيـتـهـ وـامـتـحـنـهـمـ جـيـعاـ فـهـلـكـواـ فـيـ الـعـذـابـ.

ثم سـلـطـ عـلـىـ مـسـعـودـ مـنـ العـذـابـ وـالـإـنـقـاصـ مـاـ لـيـعـبرـ عـنـهـ وـنـقـمـ عـلـيـهـ مـاـ فـعـلـهـ فـيـ بـدـورـ بـنـيـ مـرـينـ النـازـعـينـ إـلـىـ السـلـطـانـ فإـنهـ كانـ مـتـىـ هـرـبـ مـنـهـ أـحـدـ مـنـهـ يـعـدـ إـلـىـ بـيـوـتـهـ فـيـهـاـ وـيـخـرـبـهـ فـأـمـرـ السـلـطـانـ بـعـقـابـهـ فـأـطـلـلـهـاـ فـكـانـ يـؤـتـىـ بـهـ إـلـىـ كـلـ بـيـتـ مـنـهـ، فـيـضـرـبـ عـشـرـينـ سـوـطـاـ إـلـىـ أـنـ أـنـجـشـ فـيـ الـعـذـابـ وـتـجاـوزـ الـحـدـ.

ثـمـ أـمـرـ بـهـ فـقـطـعـ الثـانـيـةـ مـنـ الـأـرـبـعـةـ، فـهـلـكـ عـنـ قـطـعـ الثـانـيـةـ فـذـهـبـ مـثـلـاـ فـيـ الـأـخـرـينـ.

## ظهور محمد بن السلطان عبد الحليم

### بسجلماسة

قد تقدم لنا ذكر السلطان عبد الحليم ابن السلطان أبي على، وكان يدعى حلبي كيف، بايع له بنو مرين وأجلبوا به على عمر بن عبد الله سنة ثلاثة وستين وسبعينية أيام بيته للسلطان أبي عمر ابن السلطان أبي الحسن.

وحاصروا معه البلد الجديد حتى خرج لدفاعهم وقاتلهم، فانهزموا واقتربوا.

ولحق السلطان عبد الحليم بتازى وأخوه عبد المؤمن بمكناة، ومعه ابن أخيهما عبد الرحمن بن أبي يفلوسن.

ثم بايع الوزير مسعود بن ابن ماساي قد ول عليها من قرينته ابن السلطان أبي الحسن واستبدل به من أبي عمر لما كان بنو مرين يرمونه به من الجنون والوسوء، فاستدعي محمد بن أبي عبد الرحمن من مطراح اغترابه بإشبيلية وبایع له وخرج في العساكرة ل الدفاع عبد المؤمن وعبد الرحمن عن مكناة فلقيهما وهزمهما ولحقا بالسلطان عبد الحليم بتازى وساروا جيئا إلى سجلماسة فاستقروا فيها والسلطان عبد الحليم، وقد تقدم خبر ذلك كله في أماكنه.

ثم كان الخلاف بين عرب المقلع أولاد حسين والأحلاف وخرج عبد المؤمن للإصلاح بينهم، فبايع له أولاد حسين ونصبوه كرهاً للملك.

وخرج السلطان عبد الحليم إليهم في جموع الأحلاف فقاتلوه وهزموه، وقتلوا كبار قومه، كان منهم مجىء بن رحو بن تاشفين بن معطي شيخ بني تيريفن وكبير دولة بني مرين، أجلت المعركة عن قته، ودخل عبد المؤمن البلد متفرداً بالملك.

وصرف السلطان أخيه عبد الحليم إلى المشرق لقضاء فرضه لرغبتة في ذلك، فسار على طريق القفر مسلك الحاج من التكرور إلى أن وصل القاهرة، والمستبد بها يومئذ يبلغنا الحاصلكي، على الأشرف شعبان بن حسين من أسباط الملك الناصر محمد بن قلاوون، فأكرم وفاته ووسع نزله وجرابته، وأدر حاشيته بالأرزاق، ثم أعاده على طريقه إلى الحج بالأزواب والأكبة والظهر من الكراع والخلف.

ولما انصرف من حجه زوجه لسفر المغرب، وهلك بتزوجه سنة سبع وستين وسبعينية ورجع حاشيته إلى المغرب بحرمه وولده.

وكان ترك حمدأ هذا رضيئاً، فشب مقلباً من الدول من ملك إلى آخر، متبدلًّا عن قوته بغيرة بني السلطان أبي الحسن من بني عمهم السلطان أبي علي.

وكان أكثر ما يكون مقامه عند أبي حسو سلطان بني عبد الواد بتلمسان لما يروم به من الأجلاب على المغرب، ودفع عادية بنى مرين عنهم.

فلما وقع بالغرب من انتقام عرب المقلع على الوزير مسعود بن ماساي سنة تسعة وثمانين وسبعينية ما وقع واستمرروا على الخلاف عليه، انتهز أبو حسو الفرصة، وبعث محمد بن علي بن عبد الحليم هذا إلى المقلع ليجلبوا به على المغرب، ويذرقوا من ملكه ما قدروا عليه، فلتحق بأحياءهم وتنزل على الأحلاف الذين هم أمس رحماً بسجلماسة وأقرب موطنًا إليها.

وكان الوزير مسعود بن ابن ماساي قد ول عليها من قرينته على بن إبراهيم بن عبو بن ماساي، فلما ظهر عليه السلطان أبو العباس وضيق مختفه بالبلد الجديد، دس إلى الأحلاف وإلى قريبه على بن إبراهيم أن ينصبوا محمد ابن السلطان أبي العباس عنه، وينفسوا من خناقه، ففعلوا ذلك.

ودخل محمد إلى سجلماسة فملكتها، وقام علي بن إبراهيم بوزارته حتى إذا استولى السلطان أبو العباس على البلد الجديد، وفتكت بالوزير مسعود بن ماساي وبإختورته وسائر قريبه، اضطرب علي بن إبراهيم فنسد ما بينه وبين سلطانه محمد، فخرج عنه من سجلماسة وعاد إلى أبي حسو سلطان تلمسان كما كان.

ثم زادت هواجس على بن إبراهيم وارتباشه فخرج عن سجلماسة وتركها، ولحق بأحياء العرب، وسارت طائفة منهم إلى أن بلغه مأمه.

ونزل على السلطان أبي حسو إلى أن هلك، فسار إلى تونس وحضر وفاة السلطان أبي العباس بها سنة ست وستين وسبعينية ولحق محمد ابن السلطان عبد الحليم بعد مهلك أبي حسو بتونس. ثم ارتحل بعد وفاة السلطان أبي العباس إلى المشرق في سبيل جولة و茅واة واعتراض لحجة، والله تعالى أعلم.

**نكتة ابن أبي عمرو ومهلكه وحركات ابن**

**حسون**

ما استقل السلطان بملكه واقتعد سريره، صرف نظره إلى أولياء تلك الدولة ومن يرتاب منه، وكان محمد بن أبي عمرو قد

وملك البلد الجديد فقبض عليه وامتحنه، إلى أن هلك،  
والله وارث الأرض ومن عليها.

تقديم ذكره وأوليته، من مجلة خواصه وندمانه.  
وكان السلطان يقسم له من عنايه وجبل نظره ويرفعه عن  
نظرائه.

### خلاف علي بن زكريا بجبل المساكرة ونكتبه

لما ملك السلطان البلد الجديد واستوى على ملکه، وفـد  
عليه علي بن زكريا شيخ هسکورة مستصباً بما قدم من سوابقه.  
وقد كان حضـر معـه حصارـ البلدـ الجـديـدـ وـاستـدـعـاـ، فـجـاءـ  
بـقوـمهـ وـعـساـكـرـ الـصـامـدةـ وـأـيـلـىـ فـيـ حـصـارـهـ، فـرعـىـ السـلـطـانـ  
سوـابـقـهـ وـوـلاـهـ الرـوـلـيـةـ الـكـبـرـىـ عـلـىـ الـصـامـدةـ عـلـىـ عـادـةـ الدـوـلـةـ فـيـ  
ذـلـكـ.

فلما ولـيـ السـلـطـانـ مـوسـىـ نـزـعـتـ بـهـ إـلـيـهـ نـواـزـعـ الـخـالـصـةـ  
لـأـيـهـ مـنـ السـلـطـانـ أـبـيـ عـنـانـ فـقـدـ كـانـ أـبـوهـ مـنـ أـعـزـ بـطـانـهـ كـمـاـ مـرـ.  
فـاسـتـخـالـصـهـ السـلـطـانـ مـوسـىـ لـلـشـورـىـ وـرـفـعـهـ عـلـىـ مـنـابـرـ أـهـلـ  
الـدـوـلـةـ.

وـجـعـلـ إـلـيـهـ كـتـابـهـ عـلـىـ الـمـرـاسـمـ السـلـطـانـيـةـ، كـمـاـ كـانـ  
لـأـيـهـ.  
وـكـانـ يـفـاوـضـهـ فـيـ مـهـمـاتـهـ وـيرـجـعـ إـلـيـهـ فـيـ أـمـرـهـ حـتـىـ غـصـنـ  
بـهـ أـهـلـ الدـوـلـةـ وـغـيـ عـنـهـ لـلـوـزـيرـ مـسـعـودـ بـنـ مـاسـايـ أـنـ يـدـاـخـلـ  
الـسـلـطـانـ فـيـ نـكـبـةـ.

وـرـبـاـ سـعـيـ عـنـدـ سـلـطـانـهـ فـيـ جـمـاعـةـ مـنـ بـطـانـهـ السـلـطـانـ أـحـدـ،  
فـائـىـ عـلـىـهـ النـكـالـ وـالـقـتـلـ لـفـلـقـاتـ كـانـتـ بـيـنـهـ وـبـيـنـهـ فـيـ مـجـالـسـ  
الـمـادـمـةـ عـنـدـ السـلـطـانـ حـقـدـهـ لـهـ.

فـلـمـ ظـفـرـ بـالـحـلـظـ مـنـ سـلـطـانـهـ، سـعـيـ بـهـمـ فـقـتـلـهـ.  
وـكـانـ الـقـاضـيـ أـبـوـ إـسـحـاقـ إـبـراهـيمـ الـبرـنـاسـيـ مـنـ بـطـانـهـ  
سـلـطـانـهـ وـكـانـ يـخـضـرـ مـعـ نـدـمـانـهـ فـحـقـدـ لـهـ أـبـنـ أـبـيـ عـمـرـ بـعـضـ  
الـكـلـمـاتـ، وـأـغـرـىـ بـهـ سـلـطـانـهـ فـضـرـيـهـ وـأـطـافـهـ، وـجـاءـ بـهـ شـنـعـاءـ  
غـرـيـبـةـ فـيـ الـقـبـحـ.

وـسـفـرـ عـنـ سـلـطـانـهـ إـلـىـ الـأـنـدـلـسـ، وـكـانـ يـسـرـ بـحـتـرـ السـلـطـانـ  
هـذـاـ وـمـكـانـ اـعـتـقـالـهـ، وـرـبـاـ تـلـقـاهـ فـلـمـ يـلـمـ وـلـاـ بـتـحـيـهـ، وـلـاـ يـرـجـعـ لـهـ  
حـقـاـ، فـاحـفـظـ ذـلـكـ السـلـطـانـ.

وـلـلـفـرـغـ مـنـ أـمـرـ أـبـنـ مـاسـايـ قـبـضـ عـلـىـ أـبـنـ أـبـيـ عـمـرـ  
وـلـوـأـدـعـهـ السـجـنـ، ثـمـ اـمـتـحـنـهـ بـعـدـ أـيـامـ إـلـىـ أـنـ هـلـكـ ضـرـبـاـ بـالـسـيـاطـ،  
عـفـاـ اللـهـ عـنـهـ.

وـحـلـ إـلـىـ دـارـهـ، وـبـيـنـاـ أـهـلـهـ يـجهـزـونـهـ إـلـىـ قـبـرهـ إـذـاـ بـالـسـلـطـانـ  
قـدـ أـمـرـ بـاـنـ يـسـعـبـ فـيـ نـوـاحـيـ الـبـلـدـ بـلـاغـاـ فـيـ التـكـيلـ، فـحـمـلـ مـنـ  
نـعـشـ وـقـدـ رـبـطـ حـبـلـ بـرـجـلـهـ، وـسـحـبـ فـيـ سـائـرـ أـخـاءـ الـمـدـيـنـةـ، ثـمـ  
الـقـيـ علىـ بـعـضـ الـكـبـابـ، مـنـ اـطـرـافـهـ وـأـصـبـحـ مـثـلـاـ فـيـ الـآخـرـينـ ثـمـ  
قـبـضـ عـلـىـ حـرـكـاتـ أـبـنـ حـسـونـ الـنـيـاطـيـ وـكـانـ مـخـبـاـ فـيـ الـفـتـنـةـ،  
مـوـضـعـاـ وـكـانـ الـعـربـ الـمـخـالـفـونـ مـنـ الـعـقـلـ، وـلـاـ أـجـازـ السـلـطـانـ إـلـىـ  
سـيـبـةـ وـحـرـكـاتـ هـذـاـ بـتـدـلاـ، أـرـادـهـ عـلـىـ طـاعـةـ السـلـطـانـ فـمـتـعـ أـلـاـ  
ثـمـ أـكـرـهـ وـجـاؤـهـ بـإـلـىـ السـلـطـانـ فـطـرـىـ لـهـ عـلـىـ ذـلـكـ حـتـىـ  
اسـتـقـامـ أـمـرـهـ.

### وفادة أبي تاشفين على السلطان أبي العباس صريحاً على أبيه ومسيره بالعساكر ومقتل أبيه السلطان أبي هو

كان أبو تاشفين ابن السلطان أبي هو قد وُثِّبَ على أبيه  
آخر ثمان وثمانين وسبعيناً بِمِالَاتِهِ لغيره من إخوته واعتقله  
بوهران.

وبعث السلطان أبو حمر إلى السلطان ابن الأحمر لما علم من استطالة على دولة بني مرين كما مر، يتوصل إليه في أن يصدّهم عن صریخ أبي تاشفين وإمداده عليه فخلا ابن الأحمر في ذلك وجعلها من أهم حاجاته.

وخطاب السلطان أبا العباس في أن يجيز إليه أبا تاشفين، فتغلل عليه في ذلك بأنه استجار بابنه أبي فاس واستدنه به.

ولم يزل الوزير ابن علال يفضل لسلطانه ولا بن الأحر في الذروة والغارب، حتى تم أمره وأنجز له السلطان بالنظر موعده.

وبعث ابنه الأمير أبا فارس والوزير ابن علال في العساكر صريخين له، وانتهوا إلى تازى.

وبلغ الخبر إلى أبي حمر فخرج من تلمسان في عساكرة، واستائف أولياءه من عبيد الله.

ونزل بالغiran من وراء جبل بني ورتيد المطل على تلمسان، وأقام هنالك متحصناً بالجبل، وجاءت العيون إلى عساكر بني مرين بتازى من مكانه هو وأعرايه من الغiran، فأجمعوا غزوه.

وسار الوزير علال وأبو تاشفين وسلكوا الففر ودلهم سليمان بن ناجي من الأحلاف، حتى صبحوا أبا حمر ومن معه من أحياه الخراج في مکانهم من القيران.

فجاولوهم ساعة، ثم ولوا منهزمين، وكبا بالسلطان أبي حمر فرسه فقط، وأدركه بعض أصحاب أبي تاشفين فقتلوه قصاصاً بالرماح، وجاؤوا برأسه إلى ابنه أبي تاشفين والوزير ابن علال، فبعثوا به إلى السلطان، وجيء بابنه عمير أسيراً، فهم أخوه أبو تاشفين بقتله، فمنعه بنو مرين أيامأ.

ثم أمكنوه منه فقتله، ودخل تلمسان آخر إحدى وتسعين وسبعيناً وختم الوزير وعساكر بني مرين بظاهر البلد، حتى دفع إليهم ما شارطهم عليه من المال.

ثم قفلوا إلى المغرب وأقام أبو تاشفين بتلمسان يقيم دعوة السلطان أبي العباس صاحب المغرب ويخطب له على منابر تلمسان وأعمالها، ويعث إلى بالضريرية كل سنة، كما اشترط على نفسه.

وكان أبو حمر لما ملك تلمسان ولـ ابنه أبا زيان على الجزائر، فلما بلغه مقتل أبيه امتنع ولحق بأحياء صريخ ناجي وصريجاً، وجاءه وفدي بني عامر من زغبة يدعونه للملك.

فسار إليهم.

وقام بدعوتهم شيخهم المسعود بن صغير، ونهضوا جميعاً إلى

وخرج بالعساكر لطلب إخوته المتصر وأبي زيان وعمر فامتنعوا عند حصين بجبل تيطري فحاصرهم أياماً، ثم تذكر عائلة أبيه، فبعث أبا زيان في جماعة من بطانته منهم موسى ابن الوزير عمران بن موسى وعبد الله بن جابر الخراساني، فقتلوا بعض ولده بتلمسان، ومضوا إليه وهو مجحبه في وهران.

فلما شعر بهم أشرف من الحصن ونادي في أهل المدينة متذمماً بهم، فهربوا إليه.

وتدلى إليهم في عمamته وقد احترم بها فائزلوه وأحدقوها به وأجلسوها على سريره.

وتولى كبر ذلك خطيب البلد ابن خزروت ولحق أبو زيان بن أبي تاشفين ناجياً إلى تلمسان، واتبعه السلطان أبو حمر ففر منها إلى أبيه.

ودخل أبو حمر تلمسان وهي طلل وأسوارها خراب، فاقام فيها رسم دولته.

وبلغ الخبر إلى أبي تاشفين فأجفل من بيطرى وأخذ السير فدخلها، واعتصم أبوه بمئذنة المسجد، فاستنزله منها وتجاهى عن قتلته.

ورغب إليه أبو حمر في رحلة المشرق لقضاء فرضه، فاسعفه وأركبه السفين مع بعض تجار النصارى إلى الإسكندرية موكلاً به.

فلما حاذى مرسى بجایة لاطف النصارى في تحليبة سibile فاسعفه وملك أمره.

وبعث إلى صاحب الأمر بجایة يستأنه في النزول، فاذن له.

وسار منها إلى الجزائر، واستخدم العرب واستصعب عليه أمر تلمسان، فخرج إلى الصحراء.

وجاء إلى تلمسان من جهة المغرب فهزم عساكر ابنه أبي تاشفين وملكتها.

وخرج أبو زيان هارباً منها، فلحق بأحياء سويد في مشايتها.

ودخل أبو حمر تلمسان في رجب سنة تسعين وسبعيناً، وقد تقدم شرح هذه الأخبار كلها مستوعبة.

ثم وفد أبو تاشفين مع محمد بن عريف شيخ سويد على السلطان أبي العباس صريحاً على أبيه، ومؤملاً الكرة بإمداده.

فقبله السلطان وأجل عليه المواعيد وقام أبو تاشفين في انتظارها والوزير محمد بن يوسف بن علال يده وينيه ويختلف له على الرفاء.

تلمسان في رجب سنة اثنين وتسعين وسبعين فحاصروها أياماً.  
ثم سرب أبو تاشفين المال في العرب فاقرقوها عن أبي زيان،  
وخرج إليهم أبو تاشفين فهزمه في شعبان من السنة.  
ولحق بالصحراء واستألف أحياء المقل، وعاد حصار  
تلمسان في شوال.  
وبعث أبو تاشفين ابنه صريخاً إلى المغرب، فجاءه بجدد من  
العساكر.  
ولما انتهى إلى تاوريرت، أفرج أبو زيان عن تلمسان وأجفل  
إلى الصحراء.  
ثم أجمع رأيه على الوفادة إلى صاحب المغرب، فوفد عليه  
صريخاً فتلقاءه وبر مقدمه ووعده النصر من عدوه.  
وأقام عنده إلى حين مهلك أبي تاشفين، والله أعلم.

### وفاة أبي العباس صاحب المغرب واستيلاء أبي زيان بن أبي حمود على تلمسان والمغرب الأوسط

كان السلطان أبو العباس بن أبي سالم لما وصل إلى تازى  
وبعث ابنه أبا فارس إلى تلمسان فملكتها، وأقام هو بتازى يشارف  
أحوال ابنه وزوجته صالح الذي تقدم لفتح البلاد الشرقية.  
وكان يوسف بن علي بن غامم أمير أولاد حسين من المقل  
قد حج سنتين ثم تسعين وسبعين وسبعين واتصل بملك مصر من  
الترك الملك الظاهر بررقق.  
وتقصدت إلى السلطان فيه وأخبرته بحمله من قومه، فأكرم  
تلقيه وحمله بعد قضاء حجه هدية إلى صاحب المغرب، يطرفة فيها  
بتحف من بضائع بلدته على عادة الملوك.  
فلما قدم يوسف بها على السلطان أبي العباس أعظم  
موقعها وجلس في مجلس حفل لعرضها واللباهة بها.  
وشرع في المكافحة عليها بتجهيز الجياد والبغانع والثياب،  
حتى استكمل من ذلك ما رضيه.

واعترض على إيقادها مع يوسف بن علي حاملها الأول.  
وأنه يرسله من تازى أيام مقامته تلك، فطرقه هناك مرض  
كان فيه حفنه في شهر حرم سنة ست وتسعين وسبعين وسبعين  
واستدعوا ابنه أبا فارس من تلمسان فباعوه بتازى ولو سه مكانه،  
ورجعوا به إلى فاس.  
وأطلقوا أبا زيان بن أبي حمود من الاعتقال، وبعثوا به إلى  
تلمسان أميراً عليها، وقائماً بدعوة السلطان أبي فارس فيها، فسار  
إليها وملكتها، وكان آخره يوسف بن الزاوية قد اتصل بأحياء بني  
عامر يروم ملك تلمسان والإجلاب عليها، فبعث إليهم أبو زيان  
عندما بلغه ذلك وبين لهم عطاء جزيلاً على أن يعشوا به إليه،  
فأجابوه إلى ذلك، وأسلموه إلى ثقات أبي زيان.

لم يزل هذا الأمير أبو تاشفين مملكاً على تلمسان ومقيناً  
فيها للدعاوة صاحب المغرب أبي العباس ابن السلطان أبي سالم،  
ومؤدياً الضريبة التي فرضها عليه منذ ملكه، وأخوه الأمير أبو  
زيان عند صاحب المغرب يتضرر وعده بالنصر عليه، حتى تغير  
السلطان أبو العباس على أبي تاشفين في بعض التزيعات الملوكيه،  
فأجاب داعي أبي زيان وجهزه بالعساكر لملك تلمسان، فسار  
لذلك متصرف سنة خمس وتسعين وسبعين وسبعين  
وانتهى إلى تازى، وكان أبو تاشفين قد طرقه مرض أزمته،  
ثم هلك منه في رمضان من السنة.

وكان القائم بدولته أحد بن العز من صنائعهم وكان يمت  
إليه بخولة، فولى بعده مكانه صبياً من أبنائه، وأقام بكفالته.  
وكان يوسف بن أبي حمود هو ابن الزاوية واليَا على الجزائر  
من قبل أبي تاشفين، فلما بلغه الخبر أغذ السير مع العرب فدخل  
تلمسان، وقتل أحد بن العز والصبي المكفول ابن أخيه أبي  
تاشفين، فلما بلغ الخبر إلى السلطان أبي العباس صاحب المغرب  
خرج إلى تازى، وبعث من هناك ابنه أبا فارس في العساكر ورد  
أبا زيان بن أبي حمود إلى فاس، ووكل به.  
وسار ابنه أبو فارس إلى تلمسان فملكتها وأقام فيها دعوة  
أبيه.

## الخبر عن القرابة المرشحين من آل عبد الحق من الغزاة

القيام بدعورته، وأوفدوا عليه المشيخة بيعتهم.

وكان يعقوب بن عبد الحق أهل في الجهاد وحرص عليه.

فاعترض في سلطان أخيه أبي يحيى على الإجازة لذلك، فمنعه

ضمه به على الاغتراب عنه.

وأزعز إلى صاحب سبعة يومن أبي علي بن خلاص بنعنه

منها، فوعر له السبيل وسد عليه المذاهب.

ولم يشب يعقوب بن عبد الحق أن قام سلطان المغرب بعد أخيه أبي يحيى وشغل شأنه.

وأهم شأن ابن أخيه إدريس بن الحق بما كان فيه من

الترشيح والمنافسة لبنيه واستدنه عامر بن إدريس منهم في

الجهاد بعد العدوة، فاغتنمها منه وعقد له من مطوعة زناته على

ثلاثة آلاف أو يزيدون، وأجاز معه رحو ابن عمه عبد الله بن عبد

الحق. وساروا به فاعتراضهم بعض أحياء العرب ليستنقذوه منهم، فبادروا بقتله، وحملوا رأسه إلى أخيه أبي زيان فسكت أحواله وذهب الفتنة بذهابه، واستقامت أمور دولته، وهو على ذلك لهذا العهد، والله غالب على أمره، وهو على كل شيء قادر.

وقد انتهى بنا القول في دولة بي عبد الواد من زناته الثانية، وبقي علينا خبر الرهط الذين تخيزوا منهم إلىبني مرين من أول الدولة.

وهم بنو كمي من فصائل علي بن القاسم إخوة طاع الله بن علي، وخر بنى كندوز أمرائهم براش.

فانترجع إلى ذكر أخبارهم، وبها تستوفي الكلام في أخبار بي عبد الواد، والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

## الخبر عن القرابة المرشحين من آل عبد الحق من الغزاة المجاهدين بالأندلس الذين قاسموا ابن الأحمر في ملکه وانفردوا برئاسة

### جهاده

كانت الجزيرة الأندلسية وراء البحر منذ انقراض أمر بي عبد الرحمن وقيام ابن الأحمر بأمرها، قليلة الحامية، ضعيفة الأحوال إلا من يلهمه الله لعمل الجهاد من قبائل زناته المؤملين كرمة الملك والتقى ممالك المغرب، وخصوصاً بني مرين أهل المغرب الأقصى لاتصال عدوة الأندلس بيسائطه وتعدد الفراغ يحرز الرفاق القريب العدوتين.

وما زال هذا الزقاق على قديم الزمان لأجل ذلك فرضة دون سواحل المغرب.

ولما استولى بنو مرين على مالكه، وضاقت أحوال المسلمين بالأندلس، وأخذ يختتهم الطاغية حتى الجاهم إلى سيف البحر واستثار بالفزع تبرة وما وراءها.

واستثار بنو القمح أهل برشلونة وقطلوسة بشرق الأندلس.

وانتشر في الأنطارات ما كان من أمر قربطة وأختها إشبيلية وبلينسية، وامتعض لذلك المسلمين وتنافسوا في الجهاد وإمداد الأندلس بأموالهم وأنفسهم، وسابق الناس إلى ذلك الأمير أبو زكرياء بن أبي حفص بما كان صاحب الرقة والمؤمل للكرة، فاستنفذ الكثير من أمواله ومقربياته في إمدادهم بعد أن كانوا آثروا

وفصلوا إلى الأندلس سنة إحدى وستين وستمائة فحسنت

آثارهم في الجهاد وكرمت مقاماتهم.

ثم رجع عامر بن إدريس إلى المغرب وكثير انتقاض القرابة.

وانفهم أقباط زناته في مثلها، فاجتمع أبناء الملوك بالملوك

الأوسط مثل عبد الملك ويغمارس بن زيان وعايد بن منديل بن

عبد الرحمن وزيان بن محمد ابن عبد القوي فتعاقدوا على الإجازة

إلى الأندلس إلى الجهاد، وأجازوا فيمن خف معهم من قومهم سنة

ست وسبعين وستمائة، فامتلأت الأندلس بأقباط زناته وأعياص

الملك منهم.

وكان فيمن أجاز من أعياصهم بنو عيسى بن يحيى بن

وسناف بن عبو ابن أبي بكر بن حامة.

ومنهم سليمان وإبراهيم وكانت لها آثار في الجهاد

ومقامات محمودة، وكان موسى بن رحو لما نازله السلطان وبنو

عبد الله بن عبد الحق محسن علودان وزلوا على عهده الحق

بتلمسان.

وكان بنو عبد الله بن عبد الحق وإدريس بن عبد الحق

عصبة من بين سائرهم، لأن عبد الله وإدريس كانوا شقيقين لسوط

النساء بنت عبد الحق، فاقتفى أثر يعقوب بن عبد الحق بن عبد

الله محمداً ابن عمه إدريس، وخرج على السلطان بقصر كتمة سنة

ثلاث وستين وستمائة، ثم استرضاه عمه واستنزله.

ويقي يعقوب بن عبد الله في انتقاده يتقل في الجهات إلى

أن قتل طلحة بن علوي من أولياء السلطان سنة ثمان وستين

وقلب للسلطان ليوسف ظهر الجن، واستظهير عليه بالاعياص من قرابةه.

وكان هؤلاء القرابة من أولاد رحو بن عبد الله بن عبد الحق وإدريس بن عبد الله وإدريس بن عبد الحق، وينسبون جميعاً إلى سوط النساء كما ذكرناه، ومن أولاد أبي عياد بن عبد الحق لما أوجسوا الخيفة من السلطان واستشعروا التكير منه، لحقوا بالأندلس تورباً بالجهاد، واتذدوا عن الشول فراراً من حمله.

وقد كان السلطان أبو يوسف متى أحسن بريئة منه في ذلك  
إذا انتقضوا عليه أشخاصهم إلى الأندلس، فاجتمع من ثم عند ابن  
الأخر عصابة من أولاد عبد الحق كما قلناه، وأولاد وسنان  
أولاد نزول وتأشين بن معطر، كبر بن، ثم يبغى من بن، محمد.

وبعهم أولاد حمل أخوال السلطان أبي يوسف، وكان ابن الأخر كثيراً ما يعقد لهم على الفراز المجهدين من زناته لدار الحرب، فعقد أولاً لموسى بن رحو سنة ثلاث وسبعين وستمائة وألاخيه عبد الحق بعد انتصافه إلى المغرب، ثم لإبراهيم بن عيسى بعد انصرافهما معاً كما قلنا.

ثم رجعاً فعقد لموسى بن رحو ثانية على أشيائحة، ابْتَلَهُ قدماء في الرِّيَاسَةِ لِيُحْسِنَ بِهِ دِفَاعَ السُّلْطَانِ أَبِي يُوسُفَ عَنْهُمْ، ثُمَّ تَدَاوَلَتِ الْإِمَارَةُ فِيهِمْ مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَوْمَتِهِمْ.

وربما عقد قبل ذلك أزمان الفترة لعلي بن أبي عياد بن عبد الحق في بعض الغزوات، ولتأشيفين بن معطي في أخرى سنة تسع وسبعين وستمائة ومعه طلحة بن مخلص، فاعتذروا الطاغية دون حضر المسلمين وربما كان لهم الظهور.

ثم حدثت الفتنة بينه وبين السلطان أبي تاشفين وعقد ابن الأحر في بعض حروبه معه لعلي بن أبي عياد على زناته جميعاً، وحاشئهم إلى رايته، فانقضت جموع أبي يوسف، وظهرروا عليه، وتقىضوا في المعركة على ابنه متليل، واستأتوه أسريراً إلى أن أطلقه السلطان ابن الأحر في سلم عقده بعد مهلتكه، مع ابنه يوسف بن يعقوب.

واستبد موسى بن رحو من بعدها يامارة الغزاة بالأندلس  
إلى أن هلك، فوليها من بعده أخوه عبد الحق إلى أن هلك سنة  
تسعين وستمائة وكان مظفر الرأبة على عدو المسلمين.

ولما هلك ولی من بعده ابنه حمو بن عبد الحق فكانت هذه الإمارة متصلة في بيته رحرو إلى أن انتقلت منهم إلى إخوانهم من بيته أبي العلاء وغيرهم.

وأندرج حروف جملة عثمان بن أبي العلاء من بعده حسبما

وستمائية بجهات سلا، فكفى السلطان شأنه.  
ولما كان من عهد السلطان لابه أبي مالك ما قدمته نفس  
عليه هؤلاء القرابة هذا الشأن، فانتقضوا ولحق محمد ابن ادريس  
بحص: عل دان.

ولحق موسى بن رحو بن عبد الله بجبل غماره ومعه أولاد  
عمه أبي عياد بن عبد الحق، ونزاهم السلطان حتى نزلوا على  
عهده، وأجازهم إلى الأندلس سنة سبعين وستمائة، فأتاموا بها  
للمجاهد سرقاً وناصتهم أقبال زناته في مثلها بتلمسان، وأجاز منها  
إلى الأندلس سنة سبعين وستمائة، فولاه السلطان ابن الأخر على  
جميع الغزارة المجاهدين هنالك، لما كان كبيرهم ومحل سؤلهم.  
ولم يلبث أن عاد إلى المغرب، فولى السلطان مكانه أخاه عبد  
الحفيظ.

ثم رجع عنه مغاضباً إلى تلمسان، فولى مكانه على الغزارة  
المجاهدين إبراهيم بن عيسى بن يحيى بن وستانف إلى أن كان ما  
ذكره إن شاء الله تعالى.

الخبر عن موسى بن رحو فاتح هذه الرياسة  
بالأندلس وخبر أخيه عبد الحق من بعده  
وابنه حمو بن عبد الحق بعدهما

لما هلك السلطان الشيخ بن الأحمر وولى ابنه السلطان الفقيه، ووفد على السلطان يعقوب بن عبد الحق صريحاً للMuslimين، فأجاز إليه أول إجازته سنة ثلاث وسبعين وستمائة وأربعين ببيشون النصرانية.

وقتل الزعيم ذنه واستولى له الغلب على الأندلس، وبهذا  
لابن الأحرار في أمره وخشي مغبته، وتوقع أن يكون شأنه معه شأن  
يوسف بن تاشفين والمغاربيين مما أبين عياد.

وكان بالأندلس قرابته بنو أشبيلولة قد قاسموه في مالكها، وإنفردوا بواحد آتش ومقالة وقمارش، حسبما ذكرناه في أخباره مع السلطان، وانتقض عليه أيضاً من رؤساء الأندلس ابن عبدوبل وابن الدليل، وكما كانا يحملون علم بلاد المسلمين.

وكانوا قد استجذروا جيوش النصرانية ونازلا غرناطة،  
وعاثوا في الجهات، فلما استوت قدم السلطان يعقوب بن عبد  
الحق بالأندلس، وصل هؤلاء الشوار به أيديهم، فخشיהם ابن  
الأخر جيئاً على نفسه.

## الخبر عن عبد الحق بن عثمان شيخ الغزاة بالأندلس

بالطاغية وأجاز إلى سبعة، فاستظره به يحيى بن أبي طالب العزفي أيام حصار السلطان أبي سعيد إيماء، فكان له في حمامة نفره والدفاع دونه آثار مذكورة.

ثم عقد السلطان أبو سعيد السلم ليحيى العزفي، وأفرج عنه، فارتحل عبد الحق بن عثمان إلى إفريقيا، ونزل بجایة سنة تسعة عشرة وبسمعانية على أبي عبد الرحمن بن عمر صاحب السلطان ألى يحيى المستبد بالشغر الغربية، فاكرم نزله، وأوسع قرائه، وضرب له الفساطيط بالزينة من ساحة البلد استبلاغاً في تكريمه وحمله وأصحابه على مائة وخمسين من الخيل، ثم أقدمهم على السلطان بتونس فبر مقدمهم، وخلط عبد الحق بنفسه وأثره بالخلة والصحابة، وأجله بمكان الاستظهار به وبصماته.

ولما عقد السلطان محمد بن سيد الناس على حجابته سنة سبع وعشرين وبسمعانية واستقدمه لذلك من ثغر بجاية كما ذكرناه، عظمت رياسته واستغلاله حجابه، وحجب عبد الحق ذات يوم عن بابه، فسقطها وذهب مغاضباً، وداخل أبا فارس في الخروج على أخيه، فأجابه وخرج به من تونس، فكان من خبرهم ومقتل أبي فارس وخلوص عبد الحق إلى تلمسان ونزوله على أبي تاشفين، وغزوه إلى إفريقيا مع عساكر بني مرین بعد الرواد سنة سبع وعشرين وبسمعانية ما ذكرناه في أخبار الدولة الحفصية.

ثم لما رجع بنو عبد الخالق إلى تلمسان صمد مولانا السلطان أبو يحيى إلى تونس في أخباريسته.

وفر ابن أبي عمران السلطان المنصوب بتونس من بني أبي حفص إلى أحياه العرب، وتقبض على أبي رزيان ابن أخي عبد الحق بن عثمان في لة من أصحابه، فقتله قعضاً بالرماح.

ورجع عبد الحق بن عثمان إلى مكانه من تلمسان، فقام بهم Shawa عند أبي تاشفين متوفياً من الكراهة والاعتزاز ما شاء إلى أن هلك بهمك أبي تاشفين يوم اقتحم السلطان أبو الحسن تلمسان عليهم سنة سبع وثلاثين وبسمعانية وقتلوا جميعاً عند قصر الملك أبو تاشفين وأبناء عثمان ومسعود وحاجبه موسى بن علي، وتزيله عبد الحق هذا، وأبو ثابت ابن أخيه، فقطعت رؤوسهم وتركوا أشلاءهم بساحة النصر عبرة للمعتبرين حسبما ذكرناه في أخبار أبي تاشفين، والله أعلم.

نذكر. وأما إبراهيم بن عيسى الوستاني فإنه رجع إلى المغرب، ونزل على يوسف بن يعقوب وقتله بمكانه من حصار تلمسان بعد حين من الدهر، وبعد أن كبر وعمى.

والله مالك الأمور لا رب غيره، وكان مهلك يعلى ابن أبي عياد سنة سبع وثمانين وستمائة ومعطي بن أبي تاشفين سنة تسعة وثمانين وستمائة وطلحة بن محبى سنة ست وثمانين وستمائة والله أعلم.

## الخبر عن عبد الحق بن عثمان شيخ الغزاة بالأندلس

كان عبد الحق هذا من أعيان الملك المربي ويعاصيه وهو من ولد محمد بن عبد الحق ثاني الأمراء على بني مرین بعد أبيهم عبد الحق.

وهلك أبوه عثمان بن محمد بالأندلس إحدى أيام الجهاد سنة تسعة وسبعين وستمائة وربى ابنه عبد الحق هذا في حجر السلطان يوسف بن يعقوب إلى أن كان من أمر خروجه مع الوزير رحو بن يعقوب على السلطان أبي الربيع ما ذكرناه في أخباره.

ولحق بتلمسان وأجاز منها إلى الأندلس، وسلطانه يومئذ أبو الجيوش ابن السلطان الفقيه، وشيخ زناة بها هو بن عبد الحق بن رحو.

وخاطبهم السلطان أبو سعيد ملك المغرب في اعتقاله، فأجابوه وفر من محبسه، ولحق بدار الحرب.

ولما انقض أبو الوليد ابن الرئيس أبي سعيد وبائع نفسه بالقلة، وزحف إلى غرناطة فنازلاه، ووقعت الحرب بظاهرها بين الفريقين وأخذ في بعض أيامها هو بن عبد الحق أسرى، وسوق إلى السلطان أبي الوليد.

وكان معه عمه أبو العباس بن رحو فألي من إسار ابن أخيه وخلي عنه، فرجع إلى سلطانه فارتبا له بذلك.

وعقد على الغزاة مكانه لعبد الحق بن عثمان استدعاءه من مكانه بدار الحرب، ثم غلبهم أبو الوليد على غرناطة.

وتحول أبو الجيوش إلى وادي آش على سلم انعقد بينهم، وسار معه عبد الحق بن عثمان على شأنه.

ثم وقعت بينه وبين أبي الجيوش مغاضبة، لحق لأجلها

## الخبر عن عثمان بن أبي العلاء من أمراء الغزاة المجاهدين بالأندلس

الحق تشعب نسله فيهم، وأجاز رحرو إلى الأندلس مع عامر و محمد ابنى عمه إدريس.

لهم أجاز موسى ابنه سنة تسعة وسبعين وستمائة مع أولاد أبي عياد وأولاد سوط النساء.

كم رجع إلى عمله من الدولة وفِي ثانية سنة خمس وسبعين وستمائة إلى تلمسان، وأجاز منها إلى الأندلس واستقر بها.

وأجاز أولاد أبي العلاء سنة خمس وثمانين وستمائة مع أولاد أبي يحيى بن عبد الحق وأولاد عثمان بن عبد الحق واستقروا بالأندلس، وكانتوا يرجعون في رياضتهم ل الكبيرهم عبد الله بن أبي العلاء.

وعقد له ابن الأحرار على الغزاة من زناته فيمين كان يعقد لهم من زناته قبل استقرار المنصب، إلى أن هلك شهيداً في إحدى غزوته سنة ثلاثة وسبعين وستمائة وعُقد المخلوع ابن الأحرار لأبيه عثمان بن أبي العلاء، على حامية مالقة وغريتها من الغزاة لنظر ابن عمه الرئيس أبي سعيد فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر.

ولما غدر الرئيس أبو سعيد بسبعين سنة خمس وسبعين وستمائة وفتله الخليفة في تملكتها واضطربت نار العداوة بينه وبين صاحب المغرب، فنصبوا عثمان هذا للأمر، وأجازوه إلى غماره، فشار بها ودعا نفسه، وتغلب على أصيلاً والعرائش، وكان ما ذكرنا إلى أن غلبه أبو الربيع سنة ثمانين وستمائة، ورجع إلى مكانه بالأندلس ولما اعتزم أبو الوليد ابن الرئيس أبي سعيد على الخروج على أبي الجيوش صاحب غرناطة ودخل في ذلك شيخ الغزاة بالقلعة عثمان بن أبي العلاء، فساعدته عليه، واعتقل أبوه الرئيس أبي سعيد، وزحف إلى غرناطة سنة أربع عشرة وسبعين وستمائة فلما استولى عليها عقد لثمانان هذا على إمارة الغزاة المجاهدين من زناته، وصرف عنها عثمان بن عبد الحق بن عثمان، فلحق ببرادي آتش مع أبي الجيوش.

وصار حمد بن عبد الحق بن رحرو في جملته بعد أن كان شيئاً على الغزاة كما قلناه.

واستقرت أيام ولادة عثمان هذا، وبعد فيها صيته، وخصص صاحب المغرب أبو سعيد بمكانه، ولما استنصره المسلمين للجهاد سنة ثمان عشرة وسبعين وستمائة اعتذر بمكان عثمان هذا، واشترط عليهم التبغض عليه حتى يرجع عنهم فلم يكن ذلك، ونال زلقة غرناطة وحاصرها، وكان لثمانان وبنيه في ذلك آثار مذكورة.

كان أولاد سوط النساء من ولد عبد الحق، أهل عصابة واعتزاز على قومهم، وهم أولاد إدريس وعبد الله ابنها والشقيقين كما ذكرنا.

وكان مهلك إدريس الأكبر يوم مهلك أبيه بتافرضيت ومهلك عبد الله قبله.

وخلف عبد الله ثلاثة من الولد تشعب فيهم نسله، وهم: يعقوب ورحرو وإدريس.

واستعمل أبو يحيى بن عبد الحق يعقوباً منهم على سلا عند انتتاحه إياها سنة تسعة وأربعين وستمائة ثم استرئ بها بعد ذلك على عمه يعقوب سنة ثمان وخمسين وستمائة، وكان من شأن ثورة النصارى بها ما ذكرناه، واستخلصها يعقوب بن عبد الحق ولحق يعقوب بن عبد الله بعلودان من بلاد غماره، وانتبع بها، وخرج على أثره ابن عمه إدريس وهما: عامر و محمد، وانتزوا بالقصر الكبير، ولحق بهم كافة أولاد سوط النساء.

وطالبهم السلطان فلتحقوا بجيال غماره وناظرهم، ثم استنططهم بعد ذلك على الأمان، وعقد لعامر على الغزو إلى الأندلس سنة ستين وستمائة كما ذكرنا، وأجاز معه رحرو بن عبد الله.

ورجع محمد بن عامر وفر إلى تلمسان سنة ثمانين وستمائة وأجاز منها إلى الأندلس.

ثم خرجوا على السلطان يعقوب بن عبد الحق سنة تسعة وثمانين وستمائة ومعهم ولد أبي عياد بن عبد الحق واعتتصموا بعلودان، واستنططهم السلطان على اللحاق بتلمسان فلتحقوا بها.

وأجاز أولاد سوط النساء وأولاد أبي عياد كافة إلى الأندلس واستقروا بها يومئذ، ورجع عامر منهم و محمد وكان من خبره ما ذكر.

وهلك يعقوب بن عبد الله سنة ثمان وستين وستمائة في اغترابه بقوله من رباط الفتح، قتله طلحة بن مخلي.

واستقر بنوه من أولاد سوط النساء بالمغرب، وكان ابنه أبو ثابت أميراً على بلاد السوس أيام السلطان يوسف بن يعقوب وأوقع بزكمة سنة تسعة وسبعين وستمائة ولم يزل وبنوه بالمغرب من يومئذ.

وكان من إخواته أبي العلاء ورحرو ابن عبد الله بن عبد

والبقاء لله وحده.

## الخبر عن رياضة ابنه أبي ثابت من بعده ومصير أمرهم

لما هلك شيخ الغزاة ويعسوب زناته عثمان بن أبي العلاء،  
قام بأمره في قومه ابنه أبو ثابت عامر، وعقد السلطان أبو عبد الله  
بن أبي الوليد له على الغزاة الجاهدين كما كان أبوه، فعظم شأنه  
قوة شديدة وكثرة عصابة ونفوذرأي ويسالة.

وكان لقومه اعتراضاً على الدولة، بما عجموا من عودها،  
وكانت أولى بأس وقرة فيها واستبداد عليها، وكان السلطان محمد  
بن أبي الوليد مستكيناً عن الاستبداد عليه في القلة والكثرة، فكان  
كثيراً ما يفرقهم بسفه آرائهم والتضييق عليهم في جاههم.

ولما وند على السلطان أبي الحسن سنة اثنين وثلاثين  
وسبعينه صرحاً على الطاغية، واستبد ابنه الأمير أبي مالك لزيارة  
جبل الفتح، اتهموه بمداخلة السلطان أبي الحسن في شأنهم،  
فتذكروا وأجمعوا الفتنة به، ودخلوا في ذلك بعض صنائعه من  
كان متريضاً بالدولة فساعدوه.

ولما افتح الجبل وكان من شأنه ما قدمنا ذكره، وزحف  
الطاغية فانقض عليه، وقصد ابن الأحرار الطاغية في بيته راغباً أن  
يرجع إلى الحصن، فرجع وافتقرت عساكر المسلمين، ارتحل  
السلطان ابن الأحرار إلى غرناطة سنة ثلاث وثلاثين وسبعينه وقد  
قدوا له بمصرد من طريقه.

ونفي الخبر إليه، فدعى بأسطوله لركوب البحر إلى مالقة،  
وابتلى بهم الخبر بذلك، فتباردوا إليه ولقوه بطريقه من ساحل  
اصطبونة، فلاحوه واعتبروه في شأن صنيعه عاصم بالرماح فنكر ذلك عليهم،  
وحاجهم عنه، فاعتبروا عاصماً بالرماح فنكر ذلك عليهم،  
فالحقوه به، وخر صريعاً عن مر Kirby، ويعثروا إلى أخيه يوسف  
فأعطوه بيعتهم، وصفقة أيامهم، ورجعوا به إلى غرناطة وهو حذر  
منهم لفعلهم التي فعلوا، واستمر الحال على ذلك.

ولما استكملا السلطان أبو الحسن نفتح تلمسان وصرف  
عزمته إلى المهداد داخل ابن الأحرار في إزاحتهم عن الأندلس مكان  
جهاده، فصادف منه إسعافاً وقبولاً وحرضاً على ذلك، وتقبض  
على أبي ثابت وإخترته إدريس ومنتور وسلطان.

وفر أنجحهم سليمان فلتحق بالطاغية، وكان له في يوم  
طريف أثر في الإيقاع بال المسلمين، ولما تقبض ابن الأحرار على أبي

وأتاح الله للMuslimين في النصرانية على يد عثمان هذا وبينه  
ما لم يخطر على قلب أحد منهم، فتأكد اغتيال الدولة والMuslimين  
بمكانهم إلى أن هلك أبو الوليد سنة خمس وعشرين وسبعينه،  
باغتيال بعض الرؤساء من قرابته بمداخلة عثمان هذا، زعموا في  
غرره، ونصب للأمر ابنه محمد صبياً لم يبلغ الحلم.

وأقام بأمره وزيره محمد بن الحروق من صنائع دولتهم،  
فاستبد عليه والنقي زمام الدولة بيد عثمان في التقى والإبرام،  
فاعتز عليهم وقادهم في الأمر، واستثار في أعطيات الغزاة بكثير  
من أموال الجباية، حتى خشي الوزير على الدولة.

وأدأ الرأي في كبره على التغلب، فجمع وفسد ما بينه  
 وبين الوزير ابن الحروق، فانتقض عليه وخرج مغاضباً، فاضطربت  
فساططه بمرج غرناطة.

واعتصم بجاعة الغزاة من قبائل زناته عليه، واعتصم  
الوزير وأهل الدولة بالحمراء وسعى الناس بينهما أياماً، وأدار  
الوزير الرأي في أن يتصل له كفراً من قرابه، مجازيه الجبل، يشغله  
بشأنه عن الدولة، فجاجاً يحيى بن عمر بن رحو بن عبد الله بن  
عبد الحق وكان في جملة عثمان وأشهر إليه في ابنته فدخل إليه  
وعقد له على الغزاة وتسابلوه إليه.

وتفرد عثمان بعسكره في عشيره وولده، وعقد معه السلم  
في أن يحيى إلى المغرب.

وأوفد بطنه على السلطان أبي سعيد سنة ثمان وعشرين  
وسبعينه وارتحل من ساحة غرناطة في ألف فارس من ذويه  
وأقاربه وحشمه.

وقصد المربة ليجعلها فرضة لجازة، حتى إذا حاذى أندوس،  
وكان بينه وبين رؤسانها مداخلة، فخرجوا إليه مؤذن حق مبرته،  
فقدر بهم وركب إليها فملكها وضبطها، وأنزل بها حرمه وأتقائه.  
ودعا محمد ابن الرئيس أبي سعيد من شلوبانية وكان نازلاً  
بها، ف جاء إليه ونصبه للأمر، وشن الغارات على غرناطة صباحاً  
ومساءً، واخضرت نار الفتنة، واستركب يحيى بن رحو من قدر  
عليه من زناته.

وطالت الحرب سنتين حتى إذا فتك السلطان محمد بن  
الأحرار بوزيره ابن الحروق، استدعي عثمان بن أبي العلاء، وعقد  
له السلم على أن يحيى عمه إلى المغرب ويلحق بغرناطة لشأنه من  
رياسة الغزاة، فتم ذلك سنة سبع وعشرين وسبعينه ورجع إلى  
مكانه من الدولة، وهلك إثر ذلك لسيع وثلاثين سنة من إمارته  
على الغزاة.

إلى سبعة مع الرئيس أبي سعيد وعثمان بن أبي العلاء سنة خمس وسبعينة وولي بعدها على الغزاة المجاهدين ثم رجع إلى الأندلس، ولم يلبث بعدها أن أجاز إلى المغرب.

ونزل على السلطان أبي سعيد، فاكرم نزله، ثم رجع إلى الأندلس.

ولما ولّ إمارة الغزاة عثمان بن أبي العلاء، وكان بينهم من المنافسة ما يكون بين فحول الشول، أشخص بيبي رحو جيئاً إلى إفريقية، فنزلوا على مولانا السلطان أبي يحيى خير نزل، اصطفاه واستخلصهم واستظهر جعهم في حربه.

وذلك عمر بن رحو يبلاد الجريد وقبره يشيري من نفزاوة معروف، وزع ابنه يحيى من بين إخورته عن مولانا السلطان أبي يحيى، وصار في جلة ابن أبي عمران، ثم لحق بزرواء وأقام في بيبي يراثن سنين، ثم أجاز إلى الأندلس واستقر بمكانه من قومه.

واصطفاه عثمان بن أبي العلاء وأصهر إليه بابته، وخلطه بنفسه، وما فسد ما بينه وبين ابن المحرق وزير السلطان بغناطة سنة سبع وعشرين وسبعينة واعصوصب عليه الغزاة بمعسكره من مرج غربانة دس إليه يومذ ابن المحرق إلى يحيى بن عمر هذا، ودعا إلى مكان عثمان ليغطيه بذلك، فأجاب ونزع عن عثمان وقومه إلى ابن المحرق وسلطانه.

وعقد له على الغزاة فتسايلوا إليه عن عثمان شيخهم، وانصرف إلى المدينة وكان من شأنه ما قصصناه في أخباره، وأقام يحيى بن عمر في رياسته إلى أن هلك ابن المحرق بفتحة سلطانه، واستدعى عثمان بنى أبي العلاء للرياسة فرجع إليها.

وصرف يحيى بن عمر إلى وادي آش، وعقد له على الغزاة بها فاقام حياماً، ثم رجع إلى مكانه بين قومه.

واصطفاه عثمان بن أبي العلاء وابنه أبو ثابت لما كانت أمره بنت موسى بن رحو، فكان يتعصب لخوزولته فيهم ثم هلك عثمان وكان ما قدمته من شأن ولده وفتكم بالسلطان المخلوع.

وتقبض آخرهم أبو الحجاج عليهم، وأشخصهم إلى إفريقية وفرض مباني رياستهم، وعقد على الغزاة مكانهم ليحيى بن عمر هذا، فاضططلع بها أحسن اضطلاع.

واستمرت حاله وحضر مشاهد أبي الحجاج مع السلطان أبي الحسن، فظهرت كفایته وغناؤه.

ولما هلك أبو الحجاج سنة خمس وخمسين وسبعينة طعنها بمصلى العيد، في آخر سجدة من صلاته، بيد عبد من عبيد

ثابت وإخورته، أودعهم جميعاً المطبق أياماً، ثم غرّبهم إلى إفريقية، فنزلوا بتونس على مولانا السلطان أبي يحيى.

وأعز إلى السلطان أبو الحسن بالتروّن منهم أن يتصلوا بناوحي المغرب، وبخالقه إليها أيام شغله بالجهاد في الأندلس، فاعتقلهم وأوفد أبو محمد بن تافراكتين إلى سدة السلطان أبي الحسن إليه شفعياً فيهم، فقبل شفاعته وأحسن نزفهم وكرامتهم، حتى إذا احتل سبعة أيام حصار الجزيرة في سنة ثلاث وأربعين وسبعينة سعى بهم عنده، فتقبض عليهم واعتقلهم بمكناة.

ولما انتزى ابنه الأمير أبو عنان على الأمر، وهزم منصور ابن أخيه أبي مالك صاحب فاس، وناله بالبلد الجديد، بعث فيهم إلى مكناة، فأطلقهم من الاعتقال وأفاض فيهم الإحسان والعطار واستظرهم بهم شأنه.

وأحل أبو ثابت محل الشورى من مجلسه، ودخل إدريس أخاه في المكر بالبلد الجديد، فنزع إليها ومكر بهم، وثار عليهم إلى أن نزلوا على حكم السلطان أبي عنان، فقد لأبي ثابت على سبعة وبلاد الريف ليشارف منها الأندلس محل إمارته.

وأطلق يده في المال والجيش، وفصل لذلك، فهلك بالطاعون يومذ سنة تسع وأربعين وسبعينة بمعسكره أزيد معاشر السلطان من حصار البلد الجديد.

واستقر إخوانه في إيلاء السلطان أبي عنان بالغرب الأقصى إلى أن كان من مفر أخيه إدريس وولاته على الغزاة بالأندلس، ما ذكره إن شاء الله تعالى.

### الخبر عن يحيى بن عمر بن رحو وإمارته على الغزاة بالأندلس أولاً وثانياً ومبدأ ذلك وتصارييفه

كان رحو بن عبد الله كبير ولد عبد الله بن عبد الحق، وكان له بنون كثيرون، وتشعب نسله فيهم، منهم: موسى وعبد الحق والعباس وعمر ومحمد وعلى ويوسف.

وأجازوا كلهم إلى الأندلس مع أولاد سوط نساء من تلمسان كما قدمناه.

وأقام عمر بعدها بتلمسان مدة وانخذ بها الأهل والولد.

ثم لحقهم وولي موسى إمارة الغزاة بعد إبراهيم بن عيسى الوستاني، وبعده أخوه عبد الحق على الغزاة أقام بها مدة وأجاز

## الخبر عن إدريس بن عثمان بن أبي العلاء وإمارته بالأندلس

ليحيى بن عمر على إمارة الغزاة كما كان وأعلى يده، واستخلص عثمان لشواره وخلطه ببطانة.

ونافسه الوزير يومئذ محمد بن الخطيب فسمى فيهم، وأغري السلطان بهم، فتقبض عليهم سنة أربع وستين وسبعين سنة وأردوهم المطبق.

ثم انسلخ يحيى سنة ست وستين وسبعين سنة إلى المشرق وركب السفين من المدينة فنزل بالاسكندرية، ورجع منها إلى المغرب، ونزل على عمر بن عبد الله أيام استبداده واستقر به في كرامة وخير مقامة، ولم ينزل بالمغرب على أعز الأحوال إلى أن هلك ستة اثنين وثمانين وسبعين سنة ثم استخلص ابنه أبي سعيد عثمان من الاعتقال سنة سبع وستين وسبعين سنة إلى إفريقية ونزل بيجاء على مولانا السلطان أبي العباس حافظ مولانا السلطان أبي يحيى واستقر في جملة، وحضر معه فتح تونس وألبى فيه.

وأطاع له السلطان وأسنى له الجرابة، وخلطه بنفسه واضطهاده لشواره وخالته، وهو لهذا العهد من عظماء مجلسه وظهوره في مقامات حروبه، وإن خوته بالأندلس على مراكز عزهم وفي ظلال عصيائهم مع قومهم، وقد ذهب مواجد السلطان بالأندلس عليهم وصار إلى جبل رايه فيه.  
والله مالك الملك ومقلب القلوب لا رب غيره.

## الخبر عن إدريس بن عثمان بن أبي العلاء وإمارته بالأندلس ومصاير أمره

لما هلك أبو ثابت بن عثمان بن أبي العلاء سنة خمسين وسبعين، واستقر إخوانه في جملة السلطان أبي عنان ملك المغرب وأقطفهم وأسنى جراياتهم، وكان في إدريس منهم بقية الترشيح براءة الناس به.

فلما نهض السلطان إلى فتح قسطنطينة سنة ثمان وخمسين وسبعين توغل في ديار إفريقية وحام قومه عن مواقعها، تخليوا عليه في الرجوع به عن قصده منها.

وأذنت الشيخة لمن معهم من قومهم في الانطلاق إلى المغرب حتى خف المسكر من أهله وتأمروا، زعموا في اغتيال السلطان والإدلة منه بإدريس هذا، ونذر بذلك فكر راجعاً كما ذكرناه في أخباره.

ولما اشيع ذلك بلغ إدريس شأنه فركب ظهر الغدر وفر من العسكر ليلاً، ولحق بتونس، ونزل على القائم بالدولة يومئذ

اصطبلاه مصاب في عقله، أغري - زعموا به، وقتل لخيه صبراً بالسيوف.

وبويع لابنه محمد، أخذ له البيعة على الناس يومئذ مولاه رضوان من معلوجيهم، حاجب أبيه وعمه.

وقام بأمره واستبد عليه وحجره، فقسام يحيى بن عمر هذا في شأنه وشاركه في أمره وشد أزر سلطانه به، حتى إذا ثار بالحراء الرئيس ابن عمهم محمد بن إسماعيل بن محمد ابن الرئيس أبي سعيد قائماً بدعة إسماعيل بن أبي الحاج أحبي السلطان محمد كان ساكناً بالحراء.

وتحينوا لذلك مغيب السلطان في متربته بروضة خارج الحمراء، فخالقوه إليها وكسروها ليلاً فقتلوا الحاجب المستبد رضوان، وأجلس السلطان على سرير ملكه ونادوا بالناس إلى بيته.

ولما أصبح غداً عليهم يحيى بن عمر بعد أن ينسوا منه وخشوا عاديته، فتأثهم بيته وأعطى إليها صفتته وانصرف إلى منزله.

وبعد استيلائهم استخلصوا إدريس بن عثمان بن أبي العلاء، كان يصل إليهم من دار الحرب بارض برشلونة كما نذكر، وولوه إمارة الغزاة واتمروا في التقى على يحيى بن عمر، ونذر بذلك فركب في حاشيته يوم دار الحرب من أرض الجالقة، واتبعه إدريس فيما من قومه، فقاتلهم صدر نهاره وفض جوعهم.

ثم خلص إلى خوم النصرانية ولحق منها بسدة ملك المغرب على أثر سلطانه محمد المخلوع بن أبي الحاج، وخلف ابنه أبي سعيد عثمان بدار الحرب.

ونزل يومئذ على السلطان أبي سالم سنة إحدى وستين وسبعين فاكم مثواه وأحله من مجلسه محل الشورى والموامرة، واستقر في جملة إلى أن بعث ملك قشتالة في السلطان المخلوع، بإشارة ابنه أبي سعيد وسعاته في ذلك، ليجلب به على أهل الأندلس بما تقضوا من عهده.

ووجهه السلطان أبو سالم سنة ثلاثة وستين وسبعين فصحبه يحيى بن عمر هذا.

ولقيهم ابنه أبي سعيد عثمان وقاموا بأمر سلطانهم، واستولى على الأندلس بظاهرتهم، وكان لهم أثار في ذلك.

ولما استول على غرناطة سنة ثلاثة وستين وسبعين عقد

## الخبر عن إمارة علي بن بدر الدين على الغزاة بالأندلس ومصاير أمره

قد ذكرنا أن موسى بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق، كان أجاز إلى الأندلس مع محمد وعامر أبي إدريس بن عبد الحق وقومهم، أولاد سوط النساء سنة تسع وستين وسبعين سنة، ثم رجع إلى المغرب وفر إلى تلمسان وأجاز منها إلى الأندلس، وولي إمارة الغزاة بها إلى أن هلك بعد أن أصهر إليه السلطان يوسف بن يعقوب في بيته، فعقد له عليها وزفها إليه سنة تسع وسبعين وسبعين سنة مع وفده من قومهم.

وكان موسى بن رحو من الولد جاعلة أكبرهم الحمدان جمال الدين وبدر الدين، وضع عليهما هذين اللقين على طريقة أهل المشرق الشريف المكي الواقد على المغرب لذلك العهد من شرفاته مكة.

وكان هؤلاء الأعياص من ملوكهم وأقبليهم يعظرون أهل البيت النبوي ويلتمسون الدعاء والبركة منهم فيما تيسر من أحوالهم، فحمل موسى بن رحو ولديه هذين عند وضعهما إلى الشريف يختكهما ويدعوه لهما، فقال له الشريف: خذ إليك جمال الدين، وقال في الآخر: خذ إليك بدر الدين، فاستحب موسى دعاهما بهذين اللقين تبركاً في تسمية الشريف بهما، فاشتهرتا بهذين الاسمين.

ولما بلغا الأشد وشاركاً أباهما في حمل الرياسة وكان من ملوكه ما ذكرناه، واخرفت رياضة الغزاة عنهم إلى عمهم عبد الحق وابنه، فلحق جمال الدين منهما بالطاغية سنة ثلاثة ثم أجاز البحر من قرطاجنة إلى السلطان يوسف بن يعقوب من مسكنه من حصار تلمسان، واستقر في جنته حتى إذا هلك السلطان تصدى ابنه أبو سالم للقيام بأمره، وكان مغلباً مضعفاً فلم يتم أمره، وتناول الملك أبو ثابت حافظ السلطان واستولى عليه.

وفأ أبو سالم عشي مهلكه ومعه من القرابة جمال الدين هذا وأعمامه العباس وعيسي وعلي بنو رحو بن عبد الله، فتقبض عليهم في طريقهم بمديونة وسيقوا إلى السلطان أبي ثابت، فقتل عمه أبا سالم وجمال الدين بن موسى بن رحو، وأمنت على الباقيين واستحياهم، وانتصر السلطان بعدها إلى الأندلس، فكانت له في الجهاد آثار كما ذكرناه قبل.

وأما بدر الدين فلم يزل بالأندلس مع قومه، وخلله من الرياسة والتجلة محله من النسب إلى أن هلك، فقام بأمره من بعده

ال حاجب أبي محمد بن تافراكن خير نزل وأبره. وركب السفين من تونس إلى العدوة، فنزل على ابن القمص صاحب برشلونة في حشهه وذويه.

وأقام هناك إلى أن كان من مهلك رضوان الحاجب المستبد بالأندلس سنة ستين وسبعينه ما قدمناه فتزع إلى مبنه من غرناطة.

ونزل على إسماعيل ابن السلطان أبي الحجاج والقائم بدولته يومئذ الرئيس محمد ابن عميه إسماعيل بن محمد الرئيس أبي سعيد فلقه مبرأ وتكرماً ورجوه بالإدالة به من يحيى بن عمر أمير الغزاة يومئذ، لما كانوا يتهمونه به من عمالء المخلوع صاحب الأمر عليهم.

ولما نزع يحيى بن عمر إلى الطاغية، ولحق بدار الحرب سنة إحدى وستين وسبعينه عقدوا لإدريس بن عثمان هذا على الغزاة مكانه، وولوه خطة أبيه وأخيه بدولتهم، فاضطرب بها.

وما الرئيس محمد على قتل سلطانه إسماعيل بن الحجاج واستبدل بالأمر، ولستين من ولاته غلبه المخلوع أبو عبد الله على الأمر، ورثه إليه من رندة، كان نزل بها بعد خروجه من دار الحرب مغاضباً للطاغية.

وأذن له وزير المغرب عمر بن عبد الله في نزولها فنزلها، ثم زحف إلى الثائر بغرنطة على ملوكهم الرئيس وحاشيته فأجلفوها.

ولحق الرئيس محمد بن إدريس هذا بقتاله، ونزلوا في جلتهم وحاشياتهم على الطاغية، فتقبض عليهم، وقتل الرئيس محمد وحاشيته جراء بما أثوه من غدر رضوان.

ثم غدر السلطان إسماعيل من بعده وأودع إدريس ومن معه من الغزاة السجن بإشبيلية، فلم يزل في أسره إلى أن تخيل في الفرار بداخلة مسلم من الدجن أعد له فرساً أزاء معتقله، ففك قيده، ونقب الباب، وامتطى فرسه ولحق بارض المسلمين سنة ست وستين وسبعينه واتبعه فأعجزهم، وجاء إلى السلطان أبي عبد الله محمد المخلوع فاكرم نزله وأحسن مبراته، ثم استاذته في اللحاق بالغرب فأذن له وأجازه إلى سبتة، وبلغ شأنه إلى عامل الأمر بالغرب يومئذ عمر بن عبد الله، فأوزع إلى صاحب سبتة بالتقبيض عليه لمكان ما يؤنس من ترشيحه.

وأودعه السجن بمكتنasa، ثم نقله السلطان عبد العزيز إلى سجن الغور بفاس، ثم قتلوه خلقاً سنة سبعين وسبعينه والله وارث الأرض ومن عليها.

الخبر عن إمارة عبد الرحمن بن علي أبي يفلوسن ابن السلطان أبي علي على الغزاة بالأندلس ومصاير أمره

كان أولاد السلطان أبي علي قد استقرروا بالأندلس  
وأجازوا إلى طلب الأمر بالمغرب.

وكان من أمرهم ما شرحته، إلى أن أجاز عبد الرحمن هذا  
مع وزيره المظاير به مسعود بن رحوي بن ماساي سنة ست وستين  
وسبعينة من غساسة على سلم عقده لهم وزير المغرب المستبد  
يأمره يومئذ عمر بن عبد الله.

نزل عبد الرحمن هذا بالمنكب، وكان السلطان يومنه  
معسكراً بها فلقياه من البر بما يناسبه، وأكرم مثواه وألسني الجرأة  
له ولو زيره لخاشته.

واستقروا في جملة الغزاة المجاهدين حتى إذا هلك علي بن بدر الدين سنة ثمان وستين وسبعين نظر السلطان فيمن يوليه أمرهم، فعثر اختياره على عبد الرحمن هذا لما عرف به من المسالة والإقدام ولقرب الشراحع بينه وبين ملك المغرب يومئذ، التي هي ملاك الترشيح لهذه المخطة بالأندلس كما قدمناه، لما كانت وشائع ولد عبد الله بن عبد الحق قد بعثت باتصال الملك في عمود نسب صاحب المغرب دون تسيبهم، فأثاره صاحب الأندلس بها، وعقد له على الغزاة المجاهدين سنة ثمان وستين وسبعين وأضفى عليه لبوس الكراهة والتجلة واقعده بمجلس الوزارة كما كان الأمراء قبله، واتصل الخبر بسلطان المغرب يومئذ عبد العزيز ابن السلطان أبي الحسن، فغضب مكانه، وتوهم أن هذه الإمارة زيادة في ترشيحة ووسيلة لملكته، وكانت لوزير الأندلس محمد بن الخطيب مداخلة مع صاحب المغرب، بما أمل أن يجعله فيه لاعتصامه، فأواعز إليه بالتحليل على إفساد ما بينه وبين صاحب الأندلس، فجهد في ذلك حمدله.

ولبست عليه وعلى وزيره مسعود بن ماساي كتب إلى  
علماء القبيل وبعض البطانة من أهل الدولة بالترثي والدعوة إلى  
الخروج على صاحب المغرب، فأحضرهم السلطان ابن الأهر  
واعطاهم كتابهم، فشهد عليهم وأمر بهم فاعتقلوا في المطبع سنة  
سبعين وسبعمائة واسترضى صاحب المغرب ب فعلته فيهم، ونزع  
الوزير ابن الخطيب بعد ذلك إلى السلطان عبد العزيز، وتبين

<sup>١٠</sup> هـ)، عبد العزىز، وأظله الحسين بن صالح الأندلسى،

ابنه علي بن بدر الدين مزاحماً لقومه في الرياسة، مباهياً لهم في الترشيح.

وكان كثيراً ما يعتقد له ملوك بني الأحرر على الغزارة من زنادرة المرابطين بالشغور فيما بعد عن الحضرة من قواعد الأندلس، مثل مالقة والمرية ووادي آش، سبيل المرشحين من أهل بيته، وكانت إمارة الغزارة بالأندلس مستأثرة بأمر السيف وال الحرب، مقاسمة للسلطان أكثر الجباية في الأعطيه والأزرق لما كانت الحاجة إليهم في مدافعة العدو ومقارعة ملك المغرب إلى ملك الأندلس، وكانتوا يغضون لهم عن استطالتهم عليهم لمكان حاجتهم إلى دفاع العدوين، حتى إذا سكن ريح الطاغية بما كان من شغله بفتنة أهل دينه منذ متصف هذه المائة، وشغل بنو مرiven أيضاً بعد مهلك السلطان أبي الحسن وتناسوا عهد الغلب على أقْلَامِهِ وجيزانِهِ، وتناسوا عهد ذلك أجمع، فاعترض صاحب الأندلس على محو هذه الخطبة من دولته.

واغراه بذلك وزير ابن الخطيب كما ذكرناه حرصاً على خلاء الجولة، فقبض على محبى بن عمر وبنيه سنة أربع وستين وسبعينة كما ذكرناه، وعقد على الغزاوة المجاهدين لابنه ولـ عهده الأمير يوسف، وما رسم الخطة لبني مرين بالجملة إلى أن توجه فتاء الخامية منهم بفناء بيوت العصبية الكبرى، فراجع رأيه في ذلك.

وكان علي بن بدر الدين خالصة له وكان مقدماً على الغزارة  
بودي آش.

ولما لحق السلطان به ناجياً من النكبة ليلة مهلك رضوان،  
مانع دونه وظاهره على أمره حتى إذا ارتحل إلى المغرب ارتحل  
معه، وزنلوا جميعاً على السلطان أبي سالم سنة إحدى وستين  
وسبعينه كما ذكرناه.

ولما رجع إلى الأندلس رجع في جملته فكان له بذلك عهد  
وذهمه رعاهموا السلطان له، وكان يستخلصه ويناجيه.

فلم ينقد مكان الأمير على الغزارة ونظر فيمن يوليه عشر اختياره على هذا لسابقته ووسائله وما تولاه من نصيحة ووقوفه عند حده، فعقد له سنة سبع وستين وسبعينة على الغزارة كما كان أولوه، فقام بها واضططع بأمورها، واستمرت حاله إلى أن هلك حتف أنه ستة ثمان وستين وسبعينة، وبقي وجه ربك ذو الحال والإكرام.

وبين القائم بالدولة أبي بكر بن غازى كما قدمناه، وامتنع ابن الأحرر للMuslimين من الفوضى، أطلق عبد الرحمن بن أبي يفلومن وزيره مسعود بن ماساي من الاعتقال وجهز لهما الأسطول، فجازوا فيه إلى المغرب وتذروا بمرسى غساسة على طريقة داعياً لنفسه، فقاموا بأمره وكان من شأنه مع الوزير أبي بكر بن غازى ما قصصناه، واستقر آخرًا بمراكش وتقاسم مالك المغرب وأعماله مع السلطان أبي العباس أحمد بن أبي سالم صاحب المغرب لهذا العهد، وصار التحالف بينهما وادي ملوية.

ووقف كل واحد منها عند حدوده، وأغفل صاحب الأندلس هذه الخطة من دولته ومحا رسمها من ملوكه.

وصار أمر الغزاة المجاهدين إليه، وبasher أحوالهم بنفسه، وعمهم بنظره، وخصوص القرابة المرشحين منهم بزيد تكرمه وعناته.

والأمر على ذلك لهذا العهد، وهو سنة ثلاثة وثمانين وسبعينة والله مالك الملك يؤتني الملك من يشاء ويتعذر الملك من يشاء لا رب غيره ولا معبود سواه، والحمد لله على كل حال، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

تم كتاب أخبار الدول الإسلامية بال المغرب لولي الدين أبي زيد عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي الإشبيلي المالكي، والحمد لله رب العالمين.

## التعريف بابن خلدون مؤلف هذا الكتاب

هانئ بن الخطاب بن كريب بن معد يكرب بن الحارث بن وائل بن حجر قال: وكان من عقبة كريب بن عثمان بن خلدون وأخوه خالد، وكانا من أعمدة ثوار الأندلس.

قال ابن حزم: وأخوه محمد، كان من عقبة أبو العاصي عمرو بن محمد بن خالد بن محمد بن خلدون. وبني أبي العاصي محمد وأحمد وعبد الله.

قال: وأخوه عثمان، له عقب و منهم الحكيم المشهور بالأندلس تلميذ مسلمة المجريطي.

وهو أبو سلم عمر بن محمد بن بقي بن عبد الله بن بكر بن خالد بن عثمان بن خالد بن عثمان بن خلدون الداخل. وابن عمته أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله.

قال: ولم يبق من ولد كريب الرئيس المذكور إلا أبو الفضل بن محمد بن خلف بن أحمد بن عبد الله بن كريب انتهى، كلام ابن حزم.

سلفه بالأندلس، ولما دخل خلدون بن عثمان جدنا إلى الأندلس، نزل بقرمونة في رهط من قومه حضرموت، ونشأ بيت بيته بها، ثم انتقلوا إلى إشبيلية.

وكانوا في جند اليمن، وكان لكريبي من عقبة وأخيه خالد الثورة المعروفة بإشبيلية أيام الأمير عبد الله المرواني، ثار على ابن أبي عبدة وملكتها من يده أعواماً. ثم ثار عليه إبراهيم بن حجاج ياملأه الأمير عبد الله وقتلها، وذلك في أواخر المائة الثالثة.

وتلخيص الخبر عن ثورته ما نقله ابن سعيد عن الحجاري وابن حيان وغيرهما، وينقلونه عن ابن الأشعث مؤرخ إشبيلية أن الأندلس لما اضطربت بالفتن أيام الأمير عبد الله، تطاول رؤساء إشبيلية إلى الثورة والاستبداد، وكان رؤساؤها المطاولون إلى ذلك في ثلاثة بيوت: بيت بني أبي عبدة ورئيسهم يومئذ أمية بن عبد الغافر بن أبي عبدة، وكان عبد الرحمن الداخل ولأبا عبدة، إشبيلية وأعماله، وكان حافظه أمية من أعلام الدولة بقراطبة، ويرثونه المالك الضخمة.

وبيت بني خلدون هؤلاء ورؤسهم كريب المذكور، ويردفه خالد آخره.

قال ابن حيان: وبيت بني خلدون إلى الآن في إشبيلية، نهاية في النهاية، ولم تزل أعلامه بين رئاسة سلطانية ورياسة علمية. ثم بيت بني حجاج ورؤسهم يومئذ عبد الله.

## التعريف بابن خلدون مؤلف هذا الكتاب

وأصل هذا البيت من إشبيلية انتقل سلفنا عند الجلاء وغلب ملك الجلاقة ابن أدفونش عنها إلى تونس في أواسط المائة السابعة.

(نسبه) عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن خلدون، لا ذكر من نسي إلى خلدون غير هؤلاء العشرة، ويغلب على الظن أنهما أكثر، وأنه سقط مثلهم عدداً، لأن خلدون هنا هو الداخل إلى الأندلس، فإن كان أول الفتح فالمدة لهذا العهد سبعمائة سنة، فيكونون زهاء العشرين، ثلاثة لكل مائة، كما تقدم في أول الكتاب الأول.

ونسبنا في حضرموت من عرب اليمن إلى وائل بن حجر من أقىال العرب، معروف وله صحة.

قال أبو محمد بن حزم في كتاب «الجمهرة»: هو وائل بن حجر بن سعد بن مسروق بن وائل، ابن التعمان بن ربيعة بن الحارث بن عوف بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن شرحبيل بن الحارث بن مالك بن مرة بن حميري بن زيد بن الحضرمي بن عمرو بن عبد الله بن هانئ بن جرشم بن عبد شمس بن زيد بن لوي بن ثابت بن قدامة بن أعجمي بن مالك بن لوي بن قحطان، وابنه علقمة بن وائل وعبد الجبار بن وائل.

وذكره أبو عمر بن عبد البر في حرف السواو من «الاستيعاب».

وأنه وقد على النبي ﷺ، فبسط له رداءه وأجلسه عليه، وقال: «اللهم بارك في وائل بن حجر وولده وولد ولده إلى يوم القيمة».

وبعث معه جارية بن أبي سفيان إلى قومه يعلمهم الإسلام والقرآن، فكانت له بذلك صاحبة مع معاوية. ووفد عليه لأول خلافة فأجازه، فرد عليه جائزته ولم يقبلها.

ولما كانت واقعة حجر بن عدي الكندي بالකوفة، اجتمع رؤوس أهل اليمن، وفيهم هذا فكانوا مع زياد بن أبي سفيان عليه، حتى أثقوه وجاؤوا به إلى معاوية فقتله كما هو معروف. وقال ابن حزم: ويذكر بنو خلدون الإشبيليون من ولده، وجدتهم الداخل من الشرق خالد المعروف بخلدون بن عثمان بن

قال ابن حيان: وحسن مدينة قرمونة من أعظم معاقل الأندلس، وجعلها مرتبطاً لخليوه، وكان ينتقل بينها وبين إشبيلية، وأخذ الجندي ورتبهم طبقات، وكان يصانع الأمير عبد الله بالأموال والهدايا، ويعتبر إلى المدد في الصوائف.

وكان مقصوداً ممدحاً، قصده أهل البيوتات فوصلتهم، ومدحه الشعراء فأجازهم واتجعه ومدحه أبو عمر بن عبد ربه صاحب «العقد» وقصده من بين سائر الثوار فعرف حقه وأعظم جائزته.

ولم يزل بيت بني خلدون بإشبيلية - كما ذكره ابن حيان وابن حزم وغيرهما - سائر أيام بني أمية إلى أزمان الطوائف - وانحنت عنهم الإمارة بما ذهب لهم من الشوكة.

ولما علا كعب ابن عياد بإشبيلية، واستبد على أهلها استوزر من بني خلدون هؤلاء واستعملهم في رتب دولته، وحضرروا معه وقعة الراقة كانت لابن عياد ول يوسف بن تاشفين على ملك الجالاقلة، فاستشهد فيها طائفة كبيرة من بني خلدون هؤلاء ثبتوا في الجولة مع ابن عياد فاستلموا في ذلك الموقف، ثم كان الظهور لل المسلمين، ونصرهم الله على عدوهم.

ثم تغلب يوسف بن تاشفين والمرابطون على الأندلس، وأضمحلت دولة العرب وفنيت قبائلهم.

سلفة إفريقية: ولما استولى الموحدين على الأندلس وملكوها من بد المرابطين، وكان ملوكهم: عبد المؤمن وبنيه، وكان الشيخ أبو حفص كبير هئاته زعيم دولتهم، ولوله على إشبيلية وغرب الأندلس مراراً، ثم لوا ابنه عبد الواحد عليهم في بعض أيامهم، ثم ابنه أبي زكريا كذلك، فكان لسلفنا بإشبيلية اتصال بهم، وأهدى بعض أجدادنا من قبل الأمهات، ويعرف بابن الحبيب للأمير أبي زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص أيام ولادته عليهم، جارية من سبي الجالاقلة، انخلعاً أم ولد، وكان له منها ابنه أبو يحيى زكريا وفي عهده الحالك في أيامه، وأخوه عمر وأبو بكر، وكانت تلقب أم الحالفاء.

ثم انتقل الأمير أبو زكريا إلى ولاية إفريقية سنة عشرين وستمائة، ودعا نفسه بها وخلع دعوة بني عبد المؤمن سنة خمس وعشرين وستمائة واستبدل بإفريقية، وانتقضت دولة الموحدين بالأندلس، وثار عليهم ابن هود.

ثم هلك واضطربت الأندلس وتکالب الطاغية عليها، وردد الغزو إلى الفرتيرة بسيط قرطبة وإشبيلية إلى جيان. وثار ابن الأخر بغرب الأندلس من حسن أرجونة برجو

قال ابن حيان: هم يعني - بني حجاج - من خشم وبيتهم إلى الآن في إشبيلية ثابت الأصل نابت الفرع موسوم بالريادة السلطانية والعلمية.

فلما عظمت الفتنة بالأندلس أعواام الثمانين والماضيين، وكان الأمير عبد الله قد ول على إشبيلية أمية بن عبد الغافر، ويعتبر معه ابنه عمداً وجعله في كفالته، فاجتمع هؤلاء الفرق وثاروا بمحمد بن الأمير عبد الله، وبأممية أصحابهم، وهو يمالئهم على ذلك، ويؤكد بابن الأمير عبد الله.

وحاصروهما في القصر حتى طلب منهم المحاق بأبيه فأخرجهوه، واستبد أمية بإشبيلية، ودس على عبد الله بن حجاج من قتلهم، وأقام أخيه إبراهيم مكانه.

وضبط إشبيلية واسترهم أولاد بني خلدون وبني حجاج ثم ثاروا به، وهم بقتل أبنائهم فراجعوا طاعته، وحلقوه له، فاطلق أبناءهم فانتقضوا ثانية، وحاربوه فاستمات وقتل حرمته وعقر خبوبه، وأحرق موجوده. وقاتلهم حتى قتلوا مقلباً غير مدبر، وعاثت العامة في رأسه.

وكتبوا إلى الأمير عبد الله بأنه خلع فقتلوه، فقبل منه مداراة، ويعتبر عليهم هشام بن عبد الرحمن من قرابته، فاستبدوا عليه وفتروا بابته، وتولى كبر ذلك كريب بن خلدون، واستقل بإمارتها.

وكان إبراهيم بن حجاج بعد ما قتل أخوه عبد الله - على ما ذكره ابن سعيد عن الحجاري - سمت نفسه إلى التفرد، فظاهر ابن حفصون أعظم ثوار الأندلس يومئذ، وكان بمالقة وأعمالها إلى رندة، فكان له منه ردة.

ثم انصرف إلى مداراة كريب بن خلدون وملابسته، فردد في أمره، وشركه في سلطانه، وكان في كريب تحامل على الرعية وتعصب، فكان يتوجه لهم ويعذب عليهم، وابن حجاج يسلك بهم الرفق والتلطف في الشفاعة لهم عنده، فاخترعوا عن كريب إلى إبراهيم.

ثم دس إلى الأمير عبد الله يطلب منه الكتاب بولاية إشبيلية، لسكن إليه العامة، فكتب إليه العهد بذلك، وأطلع عليه عرفاء البلد مع ما أشربوا من حبه، والنفرة عن كريب، ثم أجمع الثورة.

وهاجت العامة بكريباً فقتلوه، ويعتبر برأسه إلى الأمير عبد الله، واستقر بإماراة إشبيلية.

ثم استعفى جدنا من ذلك فأغفاه ورجع إلى الحضرة، ولما غالب الداعي ابن أبي عمارة على ملوكهم بتونس، اعتقل جدنا أبو بكر عمداً، وصادره على الأموال ثم قتله خنقًا في محبسه.

وذهب ابنه محمد جدنا الأقرب مع السلطان أبي إسحاق وأبنائه إلى جهة فقضى عليه ابنه أبو فارس، وخرج مع العساكر هو وإخواته لمدافعة الداعي ابن أبي عمارة، وهو يسبه بالفضل بن المخلوع حتى إذا استلمحوا بمراجحة خلص جدنا محمد مع أبي حفص - ابن الأمير أبي زكريا من الملحة، ومعهما الفازاري وأبو الحسين بن سيد الناس فلحقوا بمنجاتهم من قلعة سنان.

وكان الفازاري من صنائع الملول أبي حفص، وكان يؤثره عليهم...

فاما أبو الحسين بن سيد الناس، فاستكشف من ليشار الفازاري عليه، بما كان أعلى رتبة منه بيده إشبيلية، ولحق بالملول أبي زكريا الأوسط بتلمسان، وكان من شأنه ما ذكرناه.

واما محمد بن خلدون فأقام مع الأمير أبي حفص وسكن لإيشار الفازاري.

ولما استولى أبو حفص على الأمور رعى له سابنته وقطعه، ونظمه في جلة القواد ومراتب أهل الحرب، واستكفى به في الكثير من أمر ملكه، ورشحه لحجابته من بعد الفازاري، وهلك فكان من بعده حاقد أخيه المستنصر أبو عصيدة، واصطفى لحجابته محمد بن إبراهيم الدباغ كاتب الفازاري وجعل محمد بن خلدون رديفاً في حجابته.

فكان كذلك إلى أن هلك السلطان، وجاءت دولة الأمير خالد، فأيقأه على حاله من التجلة والكرامة، ولم يستعمله ولا عقد له، إلى أن كانت دولة أبي بحبي بن اللحياني فاصطنه، واستكفى به عندما نبضت عروق الغلب للعرب، ودفعه إلى حيادة الجزيرة من دلاج أحد بطون سليم الموطنين بنواحيها، فكانت له في ذلك آثار مذكورة.

ولما انقرضت دولة ابن اللحياني خرج إلى المشرق وقضى فرضه سنة ثمان عشرة وأظهر التوبة والإصلاح، وعاود الحجج متفللاً سنة ثلاث وعشرين وسبعينة ولزم كسر بيته.

وابقى السلطان أبو بحبي عليه نعمته في كثير مما كان بيده من الانقطاع والجرأة، ودعاه إلى حجابته مراراً فامتنع.

أخبرني محمد بن منصور بن مزني قال: لما هلك الحاجب محمد بن عبد العزيز الكردي المعروف بالمزارع سنة سبع وعشرين وسبعينة، استدعي السلطان جدك محمد بن خلدون وأراده على

التماسك لما بقي من رمق الأندرس، وفاوض أهل الشرى يومئذ بإشبيلية، وهم بنو الباقي، وبنو الجد، وبنو الوزير، وبنو سيد الناس، وبنو خلدون.

وداخلهم في الثورة على ابن هود، وأن يتباينا للطاغية عن الفرنسية، ويتمسكون بالجبل الساحلي وأمصارها المتعرجة، من مالقة إلى غربناطة إلى المرية، فلم يوافقوه على بلدتهم.

وكان مقدمهم أبو مروان الباقي، فنادبهم ابن الأهر وخليط طاعة الباقي وبایع مرة لابن هود ومرة لصاحب مراكش من بي عبد المؤمن، ومرة للأمير أبي زكريا صاحب إفريقيا.

ونزل غربناطة وأخذها دار للملك، وبقيت الفرنسية وأمصارها ضاحية من ظل الملك، فخشى بنو خلدون سوء العاقبة مع الطاغية، وارتحلوا من إشبيلية إلى العدوة، ونزلوا سبتة، وأجلب الطاغية على تلك التبور فملك قرطبة وإشبيلية وقرمونة وجيان وما إليها في مدة عشرين سنة.

ولما نزل بنو خلدون بستة أشهر إليهم العزيز بابناته وبناته، فاختلط بهم، وكان لهم صهر مذكور.

وكان جدنا الحسن بن محمد، وهو سبط ابن الحبيب قد أجاز فيما أجاز معهم، فذكر سابق سلفه عند الأمير أبي زكريا، فقصده، وقدم عليه فأكرم قدومه، وارتحل إلى المشرق فقضى فرضه.

ثم رجع ولحق بالأمير أبي زكريا على بونة، فأكرمه واستقر في ظل دولته ومرعى نعمته، وفرض له الأرزاق وأقطع الأقطاع.

وهلk هنالك دفن بونة وخلف ابنه حمدأً أبو بكر، فنشأ في جو تلك النعمة ومرعاها. وهلك الأمير أبو زكريا بونة سنة سبع وأربعين وستمائة وولي ابنه المستنصر محمد، فأجرى جدنا إبا بكر على ما كان لأبيه.

ثم ضرب الدهر ضرباته، وهلك المستنصر سنة خمس وسبعين وستمائة، وولي ابنه بحبي، وجاء أخوه الأمير أبو إسحاق من الأندرس بعد أن كان فر أمام أخيه المستنصر، فخلع بحبي، واستقل هو بملك إفريقيا، ودفع جدنا إبا بكر حمدأً إلى عمل الأشغال في الدولة على سجن عظاماء المرحدين فيها قبله، من الانفراد بولاية العمال وعزهم وحسبانهم على الجباية، فاضططع بذلك الرتبة.

ثم عقد السلطان أبو إسحاق لابنه محمد، وهو جدنا الأقرب على حجابته ولي عهده ابنه أبي فارس أيام أقصاه إلى بجاية.

ودرست عليه كتبأ جمة مثل كتاب «التسهيل» لابن مالك، و «مختصر ابن الحاجب» في الفقه ولم أكملها بالحفظ، وفي خلال ذلك تعلمت صناعة العربية على والدي وعلى أستاذي تونس: منهم الشيخ أبو عبد الله بن العربي الحصايري، وكان إماماً في التحو وله شرح مستوفى على كتاب التسهيل.

ومنهم أبو عبد الله محمد بن الشواش الزرزالي.

ومنهم أبو العباس أحمد بن القصار، كان متعمقاً في صناعة التحو، وله شرح على قصيدة البردة المشهورة في مدح الجناب النبوى وهو حي لهذا العهد بتونس. ومنهم إمام العربية والأدب بتونس أبو عبد الله محمد بن بحر، لازمت مجلسه وأفدت عليه، وكان بحراً زاخراً في علوم اللسان.

وأشار علي محفظ الشعر فحفظت كتب الأشعار الستة، والخمسة للأعلم وشعر حبيب وطاقة من شعر النبي، ومن أشعار كتاب الأغاني.

ولازمت أيضاً مجلس إمام المحدثين بتونس، شمس الدين أبي عبد الله بن جابر بن سلطان القيسى الراذيشي صاحب الرحلتين، وسمعت عليه كتاب مسلم بن الحجاج إلا فوتاناً يسيراً من كتاب الصيد، وسمعت عليه كتاب الموطأ من أوله إلى آخره، وبعضاً من الأمهات الخمس، وناولني كتبأ كثيرة في العربية والفقه وأجازني إجازة عامة، وأخبرني عن مشائخه المذكورين في برناجمه أشهرهم بتونس قاضي الجماعة أبو العباس أحمد بن الغماز الخزرجي.

وأخذت الفقه بتونس عن جماعة، منهم أبو عبد الله بن عبد الله الجياني، وأبو القاسم محمد القصير، وقرارات عليه كتاب «المهذب» لأبي سعيد البرادعي، مختصر المدونة، وكتاب المالكية، وفتقهت عليه.

وكنت في خلال ذلك أتاب مجلس شيخنا الإمام قاضي الجماعة أبي عبد الله بن عبد السلام مع أخي محمد رحمة الله عليهما، وأفدت منه وسمعت عليه أثناء ذلك كتاب الموطأ للإمام مالك، وكانت له فيه طرق عالية عن أبي محمد بن هارون الطائي قبل اختلاطه - إلى غير هؤلاء من مشيخة تونس، وكلهم في الطاعون الجارف.

وكان قدمنا علينا في مجلة السلطان أبي الحسن عندما ملك إفريقيا سنة ثمان وأربعين جماعة من أهل العلم كان يلزمهم شهر مجلسه، ويتجمل بمكانتهم فيه، فنهم شيخ الفتيا بالمغرب

الحجابة، وأن يفرض إليه في أمره، فأباً واستعننى فأعفاه ووامره فيمن يوليه حجابته، فأشار عليه بصاحب الثغر: جيادة محمد بن أبي الحسن بن سيد الناس لاستحقاقه ذلك بكفایته واضطلاعه، ولقدیم صحابة بين سلفهما بتونس، وبإرشاده من قبل.

وقال له: هو أقدر على ذلك بما هو عليه من الحاشية والذين فعل السلطان على إشارته واستدعى ابن سيد الناس وولاه حجابته.

وكان السلطان أبو بحبي إذا خرج من تونس يستعمل جدناً محمدأ عليها وثواباً بنظره واستتمامة إليه إلى أن هلك سنة سبع وثلاثين وسبعينة وزرع ابنه، وهو والدي محمد أبو بكر عن طريقة السيف والخدمة إلى طرفة العلم والرباط، لما نشأ عليه في حجر أبي عبد الله الزبيدي الشهير بالفقية، كان كبير تونس لعهده في العلم والفتيا، واتصال طرق الولاية التي ورثها عن أبيه حسين وعمه حسن، الوليين الشهيرين.

وكان جدنا رحمة الله قد لزمه من يوم نزوعه عن طريقه، والزمه ابنه وهو والدي رحمة الله فقرأ وتنقى، وكان مقدماً في صناعة العربية، وله بصر بالشعر وفنونه، عهدي بأهل الأدب يتحاكون إليه فيه، ويعرضون حوكهم عليه، وهلك في الطاعون الجارف سنة سبع وأربعين وسبعينة.

## نشاته ومشيخته وحاله

اما نشأتي: فإني ولدت بتونس في غرة رمضان سنة اثنين وثلاثين وسبعينة، وربت في حجر والدي رحمة الله إلى أن أيفعت وقرأت القرآن العظيم على الأستاذ المكتب أبي عبد الله محمد بن سعد بن برال، الأننصاري، أصله من جالية الأندلس من أعمال بلنسية، أخذ عن مشيخة بلنسية وأعمالها، وكان إماماً في القراءات لا يلحق شاؤه، وكان من أشهر شيوخه في القراءات السبع أبو العباس أحمد بن محمد البطرني، ومشيخته فيها، وأسنانه معروفة وبعد أن استظهرت القرآن الكريم من حفظي، قرأه عليه بالقراءات السبع المشهورة إفراداً وجمعـاً في إحدى وعشرين ختمة، ثم جمعتها في ختمة واحدة أخرى ثم قرأت برواية يعقوب ختمة واحدة جمـعاً بين الروايتين عنه، وعرضت عليه رحمة الله قصيدي الشاطي اللامية في القراءات والرائية في الرسم وأخبرني بهما عن الأستاذ أبي العباس البطرني وغيره من شيوخه، وعرضت عليه كتاب «القصي لأحاديث الموطأ» لابن عبد البر هذا به حدو كتابه «التمهيد على الموطأ» مقتضياً على الأحاديث فقط.

ثم اختصه السلطان أبي الحسن ونظمه في جلة العلماء بمجلسه، وهو في خلال ذلك يعلم العلوم العقلية، وبيتها بين أهل المغرب حتى حذق فيها الكثير منهم من سائر أصارحها، والحق الأصغر بالأكابر في تعليمه.

ولما قدم على تونس في جلة السلطان أبي الحسن، لزمه، وأخذت عنه الأصلين، والمنطق، وسائر الفنون الحكيمية، والتعليمية، وكان رحمه الله يشهد له بالتربيز في ذلك.

ومن قدم في جلة السلطان أبي الحسن، صاحبنا أبو القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان الماليقي، كان يكتب عن السلطان ويلازم خدمة أبي محمد عبد الهيمين رئيس الكتاب يومئذ، وصاحب العلامة التي تتوضع عن السلطان أسفل المراسيم والمخاطبات، وبعضاها يضعه السلطان بخطه.

وكان ابن رضوان هذا من مفاخر المغرب في براعة خطه، وكثرة علمه، وحسن سنته، وإجادته في فقه الوثائق، والبلاغة في الترسيل عن السلطان، وحرك الشعر والخطابة على المنابر، لأنه كان كثيراً ما يصل إلى السلطان.

فلمما قدم علينا تونس صحبته، واغتبطت به، وإن لم أخذه شيئاً، لقاربة السن، فقد أخذت منه كما أخذت منهم.

وقد مدحه صاحبنا أبو القاسم الروحوي شاعر تونس في قصيدة على روى النون يرغب منه تذكرة شيخه أبي محمد عبد الهيمين في إيصال مدحه للسلطان أبي الحسن في قصيده على روى الباء، وقد تقدم ذكرها في أخبار السلطان.

وذكر في مدح ابن رضوان أعلام العلماء القادمين مع السلطان وهي هذه:

عرفت زماني حين انكرت عرفاني وأبانت أن لا حظ في كف كبوان وإن لا اخبار في اختيار مقorum وإن لا قسراع بالقرآن لأقران لأضعف قاضٍ في الدليل برجحان وإن انقارب المرء من فراته فمن بعد ما شمت الحلب ولم أرغ ولم يعشى للنار لمع شعاعها ولم يبق لي في الغيب من أمل سوى هنالك الفتى العلا تنسى إلى أنس ضئيل عندهم فخر غسان وأرعيت من روض الناذب ياتعاً وردت قلم تجدب لدبى رياضتي فحسبك من آدابه كل زاجر بخيك معمولاً بذر ومرجان طروس ابن سهل أو سوالف بوران

وإمام مذهب مالك أبو عبد الله محمد بن سليمان السطي، فكنت أتاب مجلسه وافت عليه.

ومنهم كاتب السلطان أبي الحسن وصاحب علامته التي تتوضع أساساً مكتوباته، إمام المحدثين والنحواء بال المغرب أبو محمد عبد الهيمين بن عبد المهيمن الحضرمي، لازمه وأخذت عنه ساماً وإجازة، الأمهات است.

وكتاب الموطأ، والسير لابن إسحاق، وكتاب ابن الصلاح في الحديث، وكثيراً كثيرة شدت عن حفظي.

وكانت بضاعته في الحديث وافرة، ونخلته في التقيد والحفظ كاملة، كانت له خزانة من الكتب تزيد على ثلاثة آلاف سفر في الحديث والفقه والعربي والأدب والمعقول وسائر الفنون، مضبوطة كلها مقابلة، ولا يخلو ديوان منها عن ضبط بخط بعض شيوخه المعروفيين في سنته إلى مؤلفه، حتى الفقه والعربي الغريبة الإسناد إلى مؤلفيها في هذه العصور.

ومنهم الشيخ أبو العباس أحد الزواوي إمام المقربين بالغرب.

قرأت عليه القرآن العظيم بالجامع الكبير بين القراءات السبع، من طريق أبي عمرو الداني وابن شريح في ختمه ولم أكملها، وسمعت عليه عدة كتب، وأجازني بالإجازة العامة.

ومنهم شيخ العلوم العقلية أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلي أصله من تلمسان، وبها نشأ، وقرأ كتب التعاليم وحذق فيها، وأظله الحصار الكبير بتلمسان أعوام المائة السابعة، فخرج منها وحاج ولقي أعلام الشرق يومئذ، فلم يأخذ عنهم لأنّه كان مختطاً بعارض عرض في عقله.

ثم رجع من المشرق وأفاق وقرأ المنطق والأصلين على الشيخ أبي موسى عيسى ابن الإمام، وكان قرأ بتونس مع أخيه أبي زيد عبد الرحمن على تلاميذ ابن زيتون الشهير الذكر وجاء إلى تلمسان بعلم كبير من المقبول والمعقول، فقرأ الآبلي على أبي موسى منها كلناه، ثم خرج من تلمسان هارباً إلى المغرب لأن سلطانها يومئذ أبو حمر من ولد يغمراسن بن زيان، كان يكرهه على التصرف في أعماله، وضبط الجيابية محسبياته، ففر إلى المغرب، ولحق بمراكنش، ولازم العالم الشهير أبي العباس بن البناء الشهير الذكر، فحصل عنه سائر العلوم العقلية، وورث مقامه فيها وأرتفع، ثم صعد إلى جبال المساكنة بعد وفاة الشيخ باستدعاء على بن محمد بن تروميت ليقرأ عليه، فأقامه وبعد أعوام استنزله ملك المغرب، السلطان أبو سعيد، وأسكنه بالبلد الجديد والأبلي معه.

ثم كانت واقعة العرب على السلطان بالقيروان في فاتحة تسع وأربعين وسبعينة فشغلا عن ذلك ولم يظفر هذا الرحوي بطلبته.

ثم جاء الطاعون بالجاحظ فطوى البساط بما فيه، وهلك عبد المهيمن فيمن هلك، ودفن بمقدمة سلفنا بتونس، خلدة كانت بينه وبين والدي رحمه الله أيام قدمهم علينا.

فلمما كانت واقعة القيروان ثار أهل تونس من كان عندهم من أشياع السلطان أبي الحسن، فاعتاصموا بالقصبة دار الملك، حيث كان ولد السلطان وأهله، وانتقض عليه ابن تافراكتين، وخرج من القيروان إلى العرب، وهو يحاصرون السلطان، وقد اجتمعوا على ابن أبي دبوس وبابيعواله كما مر في أخبار السلطان، فبعثوا ابن تافراكتين إلى تونس، فحاصر القصبة وامتنعت عليه.

وكان عبد المهيمن يوم ثورة أهل تونس، ووقوع المبيعة خرج من بيته إلى دارنا فاختفى عند أبي رحمة الله، وقام متخفياً عنداً نحواً من ثلاثة أشهر.

ثم نجا السلطان من القيروان إلى سوسة، وركب البحر إلى تونس، وفر ابن تافراكتين إلى المشرق، وخرج عبد المهيمن من الاختفاء، وأعاده السلطان إلى ما كان عليه من وظيفة العلامة والكتابة وكان كثيراً ما يخاطب والدي رحمة الله ويشكره على موالاته، وما كتب إليه وحفظه من خطبه: محمد ذوي المكارم قد ثانى فعال شكره أبداً عناني جزى الله ابن خلدون حياة منعمة وخلداً في الجنان فكسم أولى ووال من جبيل وبر بالفعال وباللسان وراعي الحضرة في الذي قد حنا من وده ومن الجنان أنا بكر شاؤك طول دهري أردد باللسان وبالجنان وعن عليك ما امتدت حباتي أكافع بالحسام وباللسان فمك أندت خلا لست دهري أرى عن جبه أني عناني وهو لاء الأعلام الذين ذكرهم الرحوي في شعره، هم سباق الخلبة في مجلس السلطان أبي الحسن، اصطوفاهم لصحابته من بين أهل المغرب، فاما ابن الإمام منهم، فكانا أخرين من أهل بشك من أعمال تلمسان، واسم أكبرهما أبو زيد عبد الرحمن، والأصغر أبو موسى عيسى.

وكان أبوهما إماماً بعض مساجد بشك، واتهمه التغلب يومئذ على البلد زيرم بن حماد.

بان عنده وديعة من المال لبعض أعدائه، فطالبه بها، فلاذ

وفي وشه الأطراس قل هو صناعي بأسداء إنعام وإبلاء إحسان فقل سبابلي إن يناثك لفظة خلائق لم تخلق سدى بل تكمّلت ثم يقول في ذكر العلماء الفادمين: هم القرم كل القوم أما حلوهم فلا طيش يعروهم وأما علوهم بفقوه يشيم الأصحابي صباحة وحسن جدال للخصوم ومنطق يبيحان في الأخفي بأوضح برهان سنت روضة الأداب منهم سحابة سجين على سجaban أنياب نisan على مدن اللثيا لأنف تلمسان بفخر على بغداد في عصر بغداد ومستوبل ما مال عنه لأظمان وبالأبلي استقت الأرض وبلها وقد ظفرت منه بوصل وقريان وهامت على عبد المهيمن تونس وإن هوبت كل محب ابن رضوان وما علقت مني الضماائر غيره وكتب هذا الشاعر: صاحبنا الرحوي يذكر عبد المهيمن بذلك.

لهي النفس في اكتساب وسعى وهو العمر في انتهاب وفي يتورخي المدى وساع لرشد وأرى الناس بين ساع لشي فنترى منه باحسن زي وأرى العلم للبرية زينا في ابن عبد المهيمن الحضرمي حل بالرتبة العلية في حضرة فله قد أطاع كل عصي قدر ما يفيض منه احتذار بفأي تراه يقضى برأي ينسح العز والعلا ويسوال فهو يزري بالصارم المشرقي هو أعلى الأقلام في كل عصر حليت بكلم الرياسة منه سالك فقي النظام درأ وطوراً بدع للبديع ترمي مصر ولصالي بسي بروي بوعي إاته بالشام كالاعجمي يشنى السواردون منها بري محدث مجڑؤ مروي يضع النور في لحاظ العمري وبفقهه ينحي على سبيبوه ببيان في المهمات جلبي عن خفاياه فطنَةُ الفارسي لأنسادي رب الندى والندى فالقلها راضياً بوجه رضي والترقي للجانب العلوي كل دان تبني وكيل قصبي بنت فكري تعزّضت لحماكم تبني الغرب من مراقبي الأمانى فإنلها مرامها نلت ستها

إلى بلدهما وتوفي أبو زيد منها إثر ذلك، وبقي أخوه أبو موسى متيناً ما شاء من ظلال تلك الكراهة.

ولما سار السلطان أبو الحسن إلى إفريقيا سنة ثمان وأربعين وسبعينه كما مر في أخباره استصحب أبي موسى ابن الإمام معه مكرماً موقرأً، على الحال، قريب المجلس منه فلما استولى على إفريقيا سرحة إلى بلده، فأقام بها يسراً وهلك في الطاعون الجارف ستة تسع وأربعين وسبعينه وبقي أعقابهما بتلمسان دارجين في مسالك تلك الكراهة متقللين قللها طبقاً عن طبق إلى هذا العهد.

وأما السطى، واسمه محمد بن سليمان من قبيلة سطة، من بطون أوربة بنواحي فاس، فنزل أبوه سليمان مدينة فاس ونشأ محمد بها وأخذ العلم عن الشيخ أبي الحسن الصغير إمام المالكية بالغرب، والطائر الذكر وقاضي الجماعة بفاس، وتفقه وقرأ عليه، وكان أحفظ الناس للذهب مالك، وألقفهم فيه.

وكان السلطان أبو الحسن لدينه وسراؤه وبعد شاؤه في الفضل يتشرف إلى تزويه مجلسه بالعلماء، واختار منهم جماعة لصحابته ومجالسته، كان منهم هذا الإمام محمد بن سليمان.

وقدم علينا بتونس في جملته، فشهادنا وفور فضائله، وكان في الفقه من بينها لا يجاري حفظاً وفهمـا، عهدي به وأخي محمد رحـه تعالى، يقرأ عليه من كتاب التبصرة لأبي الحسن اللخمي، وهو يصححـه عليه من إملائه وحفظـه في مجالـة عديدة، وكذا كان حالـه في أكثر ما يعني حله من الكتب.

وحضر مع السلطان أبي الحسن واقعة القبروان وخلص معه إلى تونس، واقام بها نحوـا من ستين، وانتقض المقرب على السلطان واستقل به ابنه أبو عنان.

ثم ركب السلطان أبو الحسن في أساطيله من تونس آخر سنة خمسين وسبعينه ومر بجاية فأدركه الغرق في سواحلها، فغرقت أساطيله وغرق أهلـه، وأكثر من كان معه من هؤلاء الفضلاء وغيرـهم، وألقـاه البحر بعض الجزـر هناك حتى استنقـذـه منه بعضـ أساطيلـه، ونجـبا إلى الجزـر بعد أن تلفـ موجودـه، وهـلكـ الكبيرـ من عـيـالـهـ وأـصـاحـابـهـ، وـكانـ منـ أمرـهـ ماـ مرـ فيـ أـخـارـهـ.

وأـماـ الآـبـلـيـ وـاسـمـهـ مـحمدـ بنـ إـبرـاهـيمـ فـمـشـئـهـ بتـلـمـسانـ، وـأـصـلـهـ منـ جـالـيـةـ الـأـنـدـلـسـ منـ أـهـلـ آـبـلـةـ منـ بـلـادـ الجـرـوفـ منهاـ، أـجـازـ أـبـوـهـ وـعـمـهـ أـحـدـ، فـاستـخدـمـهـ يـغـمـرـاسـنـ بنـ زـيـانـ وـولـدـهـ فيـ جـنـدـهـ، وـأـصـهـرـ إـبـرـاهـيمـ مـنـهـماـ إـلـىـ القـاضـيـ بتـلـمـسانـ مـحـمـدـ بنـ جـنـدـهـ، غـلـبـونـ فيـ اـبـتـهـ، فـولـدـتـ لـهـ مـحـمـداـ هـذـاـ.

ونـشـأـ بتـلـمـسانـ فيـ كـفـالـةـ جـدـهـ القـاضـيـ، فـشـأـ لـهـ بـذـلـكـ مـيلـ

بـالـامـتـاعـ، وـبـيـهـ زـيرـ لـيـتـزـعـ المـالـ مـنـ يـدـهـ، فـدـافـعـهـ وـقـتـلـ، وـارـتـحـلـ إـلـىـ هـذـانـ الـأـخـوـانـ إـلـىـ تـونـسـ فـيـ المـائـةـ السـابـقـةـ، وـأـخـذـ الـعـلـمـ بـهـ عـنـ تـلـامـيـدـ اـبـنـ زـيـتونـ، وـتـقـنـهـ عـلـىـ أـصـحـابـ اـبـيـ عـبدـ اللـهـ بـنـ شـعـبـ الدـكـالـيـ، وـاتـقـلـاـ إـلـىـ الـمـغـرـبـ بـحـفـظـ وـافـرـ مـنـ الـعـلـمـ، وـأـقـاماـ بـالـجـزـرـ يـثـانـ بـهـ الـعـلـمـ لـاـمـتـاعـ بـرـشـكـ عـلـيـهـمـاـ مـنـ أـجـلـ [ـصـرـزاـ] زـيرـ الـمـتـغلـبـ عـلـيـهـاـ، وـالـسـلـطـانـ أـبـوـ يـعقوـبـ يـومـنـدـ صـاحـبـ الـمـغـرـبـ الـأـقـصـىـ مـنـ بـيـ مـرـيـنـ جـاتـمـ عـلـىـ تـلـمـسانـ يـمـاـصـرـهـاـ الـحـصارـ الـطـوـرـلـ الـمـشـهـورـ، وـقـدـ بـثـ بـهـ جـوـشـهـ فـيـ نـواـحـيـهـ، وـغـلـبـ عـلـىـ الـكـثـيرـ مـنـ أـعـمـالـهـ وـأـصـارـهـ، وـمـلـكـ عـمـلـ مـغـرـاوـةـ بـشـلـفـ، وـحـاضـرـهـ مـلـيـانـةـ، بـعـثـ عـلـيـهـ الـحـسـنـ بـنـ بـنـ عـلـيـ اـبـيـ الـطـلاقـ مـنـ بـيـ عـسـكـرـ، وـعـلـيـ بـنـ مـحـمـدـ الـخـيـريـ مـنـ بـيـ وـرـتـاجـنـ، وـعـهـمـاـ لـضـبـطـ الـجـبـاـيـةـ وـاسـتـخـلـاصـ الـأـمـوـالــ الـكـاتـبـ مـنـدـيـلـ بـنـ مـحـمـدـ الـكـاتـنـيـ، فـارـتـحـلـ هـذـانـ الـأـخـوـانـ يـومـنـدـ مـنـ الـجـزـرـ، وـاخـتـلـاـ بـلـيـانـةـ فـحـلـيـاـ بـعـيـنـ مـنـدـيـلـ الـكـاتـنـيـ، فـقـرـيـهـمـاـ وـاصـطـفـاهـمـاـ، وـاتـخـذـهـمـاـ لـتـعـلـيمـ ولـدـهـ مـحـمـدـ.

ثـمـ هـلـكـ يـوسـفـ بـنـ يـعقوـبـ سـلـطـانـ الـمـغـرـبـ بـمـكـانـهـ مـنـ حـصـارـ تـلـمـسانـ سـنـةـ خـسـ وـسـبـعـمـانـهـ عـلـىـ يـدـ خـصـيـهـ مـنـ خـصـيـانـهـ طـعـنـهـ فـاشـواـهـ، وهـلـكـ.

وـقـامـ بـالـمـلـكـ بـعـدـ حـادـهـ أـبـوـ ثـابـتـ بـعـدـ أـمـورـ ذـكـرـنـاـهـ مـنـ أـخـبـارـهـ، وـوـقـعـ بـيـهـ وـبـيـنـ صـاحـبـ تـلـمـسانـ يـومـنـدـ، أـبـيـ زـيـانـ مـحـمـدـ بـنـ عـشـمـانـ بـنـ يـغـمـرـاسـ وـأـخـيـهـ أـبـيـ حـوـ الـعـهـ المـتـأـكـدـ عـلـىـ الإـفـراجـ عـنـ تـلـمـسانـ، وـرـدـ أـعـمـالـهـ عـلـيـهـمـ، فـوـقـيـهـ لـهـ بـذـلـكـ وـعـادـ إـلـىـ الـمـغـرـبـ، وـارـتـحـلـ اـبـنـ أـبـيـ الـطـلاقـ وـالـخـيـريـ، وـالـكـاتـنـيـ مـنـ مـلـيـانـ رـاجـيـنـ إـلـىـ الـمـغـرـبـ.

وـمـرـواـ بـتـلـمـسانـ وـمـعـ الـكـاتـنـيـ هـذـانـ الـأـخـوـانـ فـأـوـصـلـهـمـاـ إـلـىـ أـبـيـ حـوـ وـأـنـثـيـهـمـاـ وـعـرـفـهـ بـمـقـامـهـمـاـ فـيـ الـعـلـمـ، فـاغـتـبـطـ بـهـمـاـ أـبـوـ حـوـ وـبـنـيـهـ لـهـمـاـ الـمـدـرـسـةـ الـمـعـرـوـفـ بـهـمـاـ بـتـلـمـسانـ، وـأـقـاماـ عـنـهـ عـلـىـ هـدـيـ أـهـلـ الـعـلـمـ، وـسـتـهـمـ.

وـهـلـكـ أـبـيـ حـوـ، وـكـانـاـ كـذـلـكـ مـعـ اـبـهـ أـبـيـ تـاشـفـينـ إـلـىـ زـحـفـ السـلـطـانـ أـبـوـ الـحـسـنـ الـمـرـيـيـ إـلـىـ تـلـمـسانـ، وـمـلـكـهـ عـنـةـ سـنـةـ سـبـعـ وـثـلـاثـيـنـ وـسـبـعـمـانـهـ وـكـانـتـ لـهـمـاـ شـهـرـةـ فـيـ أـقـطـارـ الـمـغـرـبـ، أـبـتـتـ لـهـمـاـ فـيـ نـفـسـ السـلـطـانـ عـقـيـدـةـ صـالـحـةـ، فـاسـتـدـعـاهـمـاـ لـحـينـ دـخـولـهـ، وـأـدـنـيـهـمـاـ وـاشـادـ بـتـكـرـمـهـ، وـرـفـعـ عـلـيـهـمـاـ عـلـىـ أـهـلـ طـبـقـهـمـ، وـصـارـ يـجـمـلـ بـهـمـاـ مـلـيـانـ مـنـ مـرـاـ بـتـلـمـسانـ أوـ وـفـدـاـ عـلـيـهـ فـيـ الـأـوـقـاتـ الـتـيـ يـفـدـ فـيـهـ أـعـيـانـ بـلـدـهـمـ.

ثـمـ اـسـتـفـرـهـمـاـ إـلـىـ الـغـزوـ وـحـضـرـاـ مـعـهـ وـاقـعـةـ طـرـيفـ، وـعـادـاـ

معه من أصحابه من أوصله إلى مأمه من بلاد زواوة من أطراف المغرب.

وقال لي شيخنا رحمه الله: كان معى دنائير كثيرة تزودتها من المغرب واستبطتها في جهة كنتلبسها، فلما نزل بي ما نزل انتزعها مي، حتى إذا بعث أصحابه يسيعونى إلى المغرب دفعها إليهم، حتى إذا أوصلونى إلى المأمن أعطوني إياها، وأشهدوا على بها في كتاب حلوه معهم إليه كما أمرهم.

ثم قارن وصول شيخنا إلى المغرب مهلك يوسف بن يعقوب وخلاص أهل تلمسان من الحصار، فعاد إلى تلمسان وقد أفاق من اختلاطه، وابتعد همه إلى تعلم العلم.

وكان مائلاً إلى العقليات فقرأ المطق على أبي موسى ابن الإمام، وجلة من الأصلين، وكان أبو هو صاحب تلمسان يومئذ قد استفحلاً ملوكه، وكان ضابطاً لأموره، وبلغه عن شيخنا تقدمه في علم الحساب، فدفعه إلى ضبط أمواله ومشاركة عماله.

ونتادى شيخنا من ذلك فاكره عليه، فأعمل الخليفة في الفرار منه، ولحق بفاس أيام السلطان أبي الربيع، وبعث فيه أبو حمو، فاختفى بفاس عند شيخ التعاليم من اليهود خلوف المغيلي، فاستوفى عليه فنونها، وحذق وخرج متوارياً من فاس، فلتحق براشش أعوام العشر والسبعين مائة.

ونزل على الإمام أبي العباس بن البناء شيخ المعقول والمتقول، والمبرز في التصوف علمًاً وحالاً، فلزمه، وأخذ عنه وتضلع من علم المعقول والتعاليم والحكمة.

ثم استدعاه شيخ المساكنة علي بن محمد بن ترومي ليقرأ عليه، وكان مرضًا في طاعته للسلطان، فصعد إليه شيخنا وأقام عنده مدة، قرأ عليه فيها وحصل.

واجتمع طلبة العلم هنالك على الشيخ، فكثرت إفاداته، واستفاداته، وعلى بن محمد في ذلك على محبه وتعظيمه، وامتثال إشارته، فغلب على هواه، وعظمت رياسته في تلك القبائل.

ولما استنزل السلطان أبو سعيد علي بن ترومي من جبله، نزل الشيخ معه، وسكن بفاس.

وأمثال عليه طلبة العلم من كل ناحية، فانتشر علمه، وأشهر ذكره، فلما فتح السلطان أبو الحسن تلمسان ولقي أبا موسى ابن الإمام، ذكره له بأطيب الذكر، ووصفه بالتقدم في العلوم، وكان السلطان معيناً بجمع العلماء مجلسه كما ذكرنا.

فاستدعاه من مكانه بفاس ونظمه في طبقة العلماء بمجلسه،

إلى انتقال العلم عن الجندي التي كانت متصلة بهيه وعمه.

فلما يقع وأدرك سبق إلى ذهنه حبة التعاليم، فبرع فيها وأشتهر وعكف الناس عليه في تعلمها، وهو في سن البلوغ.

ثم أطل السلطان يوسف بن يعقوب على تلمسان وجنم عليها يحاصرها، وسيربعه إلى الأعمال، فافتتح أكثرها.

وكان إبراهيم الآبلي قائداً بهين مرسي تلمسان في لجة من الجندي، فلما ملكها يوسف بن يعقوب اعتقل من وجده بها من شيخ ابن زيان واعتقل إبراهيم الآبلي فيه، وشاء الخبر في تلمسان بأن يوسف بن يعقوب يسترهن أبناءهم ويطلقهم، فتشوف ابنه محمد إلى اللحاق به من أجل ذلك.

وأغراء أهله بالغزم عليه، فتسور الأسوار وخرج إلى أبيه فلم يجد خبر الاسترهان صحيحًا.

واستخدمه يوسف بن يعقوب قائداً على الجندي الأندلسين بين بتاوريرات، فكره المقام على ذلك، ونزع عن طوره، ولبس المسوح، وسار قاصداً إلى الحج.

وانتهى إلى رباط العباد مختلفاً في صحبة القراء، فوجد هنالك رئيساً من كربلاء ثم من بنى الحسين جاء إلى المغرب بيروم إقامة دعوتهم فيه، وكان معلقاً، فلما رأى عساكر يوسف بن يعقوب وشدة هيبيه غلب عليه اليأس من مرامة ونزع عن ذلك، واعترض على الرجوع إلى بلده، فسار شيخنا محمد بن إبراهيم في جملته.

قال لي رحمه الله: وبعد حين انكشف لي حاله وما جاء له، واندرجت في جملة أصحابه وتابعه.

قال: وكان يتلقاه في كل بلد من أصحابه وأشياعه وخدمه من يأتيه بالأزواد والنقوص من بلده، إلى أن ركناً البحر من تونس إلى الإسكندرية.

قال: وانتدلت على الغلمة في البحر واستجابت من كثرة الاغتسال لمكان هذا الرئيس، فأشار علي بعض بطانته بشرب الكافور، فاغترفت منه غرفة فشربتها فاختلطت.

وقدم الديار المصرية على تلك الحال، وبها يومئذ تقى الدين بن دقيق العيد وابن الرفعة وصفى الدين الهندي، والتبريزى وابن البديع وغيرهم من فرسان المعقول والمتقول.

فلم يكن قصاراه إلا تميز أشخاصهم إذا ذكرهم لنا، لما كان به من الاختلاط.

نعم حج مع ذلك الرئيس وسار في جملته إلى كربلاء فبعث

فكب له أهل المغرب والأندلس والشرق، واستكتبه رئيس الأندلس يومئذ الوزير أبو عبد الله بن الحكيم الرندي، المستبد على السلطان المخلوع من بي الأحرق فكتب عنه ونظمه في طبقة الفضلاء الذين كانوا بمجلسه، مثل الحديث الراحلة أبي عبد الله بن رشيد الفهري وأبي العباس أحمد بن العزفي، والعالم الصوفي المتجرد أبي عبد الله محمد بن خيس التلمساني، وكانت لا يجازي بـ في البلاغة والشعر - إلى غير هؤلاء من كان مختصاً به، وقد ذكرهم ابن الخطيب في تاريخ غرناطة.

فَلَمَّا نَكَبَ الْوَزِيرُ ابْنَ الْحَكَيمِ، وَعَادَتْ سَبْتَةُ إِلَى طَاعَةِ بْنِ مَرِينِ، عَادَ عَبْدُ الْمَهِيمِ إِلَيْهَا وَاسْتَقَرَّ بِهَا.

ثم ولـي الأمر أبو سعيد وغلـب عليه ابنه أبو علي، واستـبدـلـ مـحملـ الدـولـةـ، تـشـرـفـ إـلـىـ اـسـتـدـعـاءـ الـفـضـلـاءـ، وـتـجـمـلـ الـدـولـةـ بـمـكـانـهـ، فـاسـتـقـدـمـ عـبـدـ الـهـيـمـنـ منـ سـيـةـ وـاسـتـكـبـهـ سـنـةـ اـثـيـ عشرـةـ وـسـبـعـمـائـةـ.

ثـمـ خـالـفـ عـلـىـ أـيـهـ سـنـةـ أـربعـ عـشـرـةـ وـسـبـعـمـائـةـ، وـامـتـنـعـ

بـالـبـلـدـ الجـديـدـ، وـخـرـجـ مـنـهـ إـلـىـ سـجـلـمـاسـةـ بـصـلـحـ عـقـدـهـ معـ أـيـهـ،

فـقـمـسـكـ السـلـطـانـ أـبـوـ سـعـيدـ بـعـدـ الـهـيـمـنـ وـاتـخـذـهـ كـاتـبـاـ إـلـىـ دـفـعـهـ

إـلـىـ رـيـاسـةـ الـكـتـابـ، وـرـسـمـ عـلـامـتـهـ فـيـ الرـسـائـلـ وـالـأـوـامـرـ، فـقـدـمـ

لـذـلـكـ سـنـةـ ثـمـانـ عـشـرـةـ وـسـبـعـمـائـةـ، وـلـمـ يـزـلـ عـلـيـهاـ سـائـرـ أـيـامـ

الـسـلـطـانـ أـبـيـ سـعـيدـ وـابـنـهـ أـبـيـ الـحـسـنـ.

وسائل مع أبي الحسن إلى إفريقية، وتختلف عن واقعة القبروان بتونس، لما كان به علة القرص، فلما كانت الهيئة بتونس، ووصل خبر الواقعة، وتعزز أشیاع السلطان إلى القصبة مع حرمته، تسرب عبد المهيمن في المدينة متبدلاً عنهم، وتوارى في يتنا خشية أن يصاب بهم مكره.

فَلَمَّا أَخْبَلَتْ تِلْكَ الْغَيَابَةَ، وَخَرَجَ السُّلْطَانُ مِنَ الْقَيْرَوَانَ إِلَى سُوْسَةَ وَرَكِبَ مِنْهَا الْبَحْرَ إِلَى تُونِسَ، أَعْرَضَ عَنْ عَبْدِ الْمَهِيمِ لَا سُخْطَ غَيْبَتِهِ عَنْ قَوْمِهِ بِالْقَبْصَةِ، وَجَعَلَ الْعَالَمَةَ لَأَبِي الْفَضْلِ ابْنِ الرَّئِيسِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مَدِينٍ وَقَدْ كَانَتْ مَقْصُورَةً مِنْ قَبْلِهِ عَلَى هَذَا الْبَيْتِ، وَأَقَامَ عَبْدُ الْمَهِيمِ عَطْلَانًا مِنَ الْعَمَلِ مُدَّةً أَشْهُرًا.

ثم اعبه السلطان ورضي عنه، وأعاد إليه العلامة كما كان، وهكذا لأيام قلائل بتونس بالطاعون الجارف سنة تسع وأربعين، وسيعماةه وموالده سنة خمس وسبعين وستمائة من المائة قبلها، وقد استوعب ابن الخطيب التعريف به في تاريخ غرناطة، فليطالعه هناك من: أحب الوقوف عليه.

وأما ابن رضوان الذي ذكره الرحوي في قصيده، فهو أبو القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان التجاري أصله من

وعكف على التدريس والتعليم، ولازم صحابة السلطان، وحضر معه واقعة طريف، وواقعة القيروان بفاريقية.

وكانت قد حصلت بينه وبين والدي رحمة الله صاحبه،  
كنت وسليبي إليه في القراءة عليه، فلزamt مجلسه وأخذت عنه  
وافتتحت العلوم العقلية بالتعاليم، ثم قرأت المنطق وما بعده من  
الأصولين، وعلوم الحكمة.

وعرض أثناء ذلك ركب السلطان أساطيله من تونس إلى المغرب.

وكان الشيخ في نزلنا وكفالتنا، فأشروا عليه بالقام وتبطئنا عن السفر، فقبل وأقام، وطالبا به السلطان أبو الحسن فاحسنا له العذر، فتراجعا عنه.

وكان من حديث غرفة في البحر ما قدمناه.  
وأقام الشيخ بتونس، وحن وأهل بلدنا جيئاً نتساجل هتانة  
وفرغ ابنه أبو عنان من شواقلته، وملك تلمسان من بي عبد الواد،  
كتب فيه بطلبه من صاحب تونس وسلطانها يومئذ أبو إسحاق  
إبراهيم ابن السلطان أبي يحيى في كفالةشيخ الموحدين أبي محمد  
بن تافراكتين، فأرسله إلى سفيره، وركب معه البحر في أسطول  
السلطان الذي جاء فيه السفير، ومر بجایة ودخلها، وأقام بها  
شهرًا، حتىقرأ عليه طلبة العلم بها مختصر ابن الحاچب في أصول  
الفقہ برغتهم في ذلك منه ومن صاحب الأسطول.

ثم ارتحل ونزل ببرسى هنین وقدم على السلطان بتلمسان، وأحله محل التكreme، ونظممه في طيبة أشياخه من العلماء، وكان يقرأ عليه وبأخذ عنه إلى أن هلك بفاس سنة سبع وخمسين وسبعين.

وأخبرني رحمه الله أن مولده بتلمسان سنة إحدى وثمانين  
وستمائة.

واما (عبد المهيمن) كاتب السلطان أبي الحسن، فاصله من  
سبعة، وبيتهم بها قديم، ويعرفون ببني عبد المهيمن وكان أبوه محمد  
فاصيبها أيام بي العزف.

ونشأ ابن عبد المهيمن في كفالته وأخذ عن مشيختها  
واختص بأستاذ أبي إسحاق الغافقي، ولما ملك عليهم الرئيس  
أبو سعيد صاحب الأندلس سبتة، ونقلبني العزفي مع جملة أميابها  
إلى غرناطة، ونقل معهم القاضي محمد بن عبد المهيمن وابنه عبد  
المهيمن، فاستكمل قراءة العلم هنالك وأخذ عن أبي جعفر  
مشيختها ابن الزبير ونظراه، وتقىد في معرفة كتاب سيبويه، وبرز  
في علم الاستناد، وكثرة المشيخة.

بدهم، ولية وصحبة وانتظام في السمر، وغشيان المجالس الخاصة، وهو من ذلك يدنه من السلطان، وينفق سوقة عنده، ويستكفي به في مواقف خدمته إذا غاب عنها لما هو أهم، فحلي بعين السلطان ونفقت عنده فضائله.

فلما سار ابن أبي عمرو في العساكر إلى مجاهدة سنة أربع وسبعين وبسبعينه انفرد ابن رضوان بقلم الكتاب عن السلطان، ثم رجع ابن أبي عمرو وقد سخطه السلطان، فاقصاه إلى مجاهدة وولاه عليها، وعلى سائر أعمالها، وعلى حرب المرحدين بقضطانيا.

وأفرد ابن رضوان بالكتابة، وجعل إليه العلامة كما كانت لابن أبي عمرو، فاستقل بها موفر الأقطاع والأسماء والجاه. ثم سخطه آخر سبع وسبعين وبسبعينه وجعل العلامة محمد بن أبي القاسم بن أبي مدين والإنشاء والتتوقيع لأبي إسحاق إبراهيم بن الحاج الغرناطي، فلما كانت دولة السلطان أبي سالم جعل العلامة علي بن محمد بن مسعود صاحب ديوان العساكر والإنشاء والتتوقيع والسر مؤلف الكتاب عبد الرحمن بن خلدون.

ثم هلك أبو سالم سنة اثنين وستين وبسبعينه واستبد الوزير عمر بن عبد الله على من كنته من أبنائهم، فجعل العلامة لابن رضوان سائر أيامه، وقتله عبد العزيز ابن السلطان أبي الحسن، واستبد بملكه، فلم يزل ابن رضوان على العلامة، وهلك عبد العزيز وولى ابنه السعيد في كفالة الوزير أبي بكر بن غازوي بن الكاس وأبن رضوان على حاله، ثم غلب السلطان أحد على الملك وانتزعه من السعيد وأبي بكر بن غازوي، وقام بتذليل دولته محمد بن عثمان بن الكاس، مستبداً عليه، والعلامة لابن رضوان كما كانت إلى أن هلك بأزمور في بعض حركة السلطان أحد إلى مراكش، لخصار عبد الرحمن بن أبي يفلوسين ابن السلطان أبي علي.

وكان في جملة السلطان أبي الحسن جماعة كبيرة من فضلاء المغرب وأعيانه، هلك كثير منهم في الطاعون الجارف بتونس، وغرق جماعة منهم في أسطوله لما غرق، وتحطمت النكبة منهم آخرين إلى أن استوفوا ما قدر من آجالهم.

فمن حضر معه بافريقيا من العلماء، شيخنا أبو العباس أحمد بن محمد الزواوي شيخ القراءات بالغرب، أخذ العلم والعربية عن مشيخة فاس، وروى عن الرحاله أبي عبد الله بن رشيد، وكان إماماً في فن القراءات وصاحب ملكرة فيها لا تجاري، وله مع ذلك صوت من مزامير آل داود وكان يصلبي بالسلطان

الأندلس، نشا بمالقة، وأخذ عن مشيختها، وحنق في العربية والأدب، وتفنن في العلوم ونظم ونشر، وكان عيذاً في الترسيل، ومحضاً في كتابة الوثائق.

وارتحل بعد واقعة طريف وزل بستة، ولقي بها السلطان أبي الحسن ومدحه وأجازه، واختص بالقاضي إبراهيم بن أبي يحيى، وهو يومئذ قاضي العساكر وخطيب السلطان، وكان يستبيه في القضاء والخطابة، ثم نظمه في حلبة الكتاب بباب السلطان.

واختص بخدمة عبد المهيمن رئيس الكتاب والأخذ عنه، إلى أن رحل السلطان إلى إفريقيا، وكانت واقعة القيروان، والمحصر بقصبة تونس من المحصر بها من أشياعه مع أهله وحرمه.

وكان السلطان قد خلف ابن رضوان هذا بتونس في بعض خدمه، فجلى عند الحصار فيما عرض لهم من المكاتب، وتولى كبر ذلك، فقام فيه أحسن قيام إلى أن وصل السلطان من القيروان، فرعى له حق خدمته تائساً وقرباً، وكثرة استعماله إلى أن ارتحل من تونس في الأسطول إلى المغرب سنة خمسين وبسبعينه كما مر.

واستخلف بتونس ابنه أبي الفضل، وخلف أبي القاسم بن رضوان كاتباً له، وأقام كذلك أياماً.

ثم غلبهم على تونس سلطان المرحدين الفضل ابن السلطان أبي يحيى.

ونجا أبو الفضل إلى أبيه، ولم يطق ابن رضوان الرحمة معه، فاقام بتونس حولاً، ثم ركب البحر إلى الأندلس، وأقام بالمرية مع جملة من هنالك من أشباع السلطان أبي الحسن، كان فيهم عامر بن محمد بن علي شيخ هناته كافلاً لحرم السلطان أبي الحسن وابنه.

ارتكبهم السفين معه من تونس عندما ارتحل، فخلصوا إلى الأندلس، ونزلوا بالمرية وأقاموا بها تحت جرارة سلطان الأندلس، فلحق بهم ابن رضوان وأقام معهم.

ودعاء أبو الحجاج سلطان الأندلس إلى أن يستكبه فامتبع، ثم هلك السلطان أبي الحسن وارتحل خلفه الذين كانوا بالمرية، ووندوا على السلطان أبي عنان، ووفد معهم ابن رضوان، فرعى له وسائله في خدمة أبيه، واستكبه واختص بشهود مجلسه مع طلبة العلم بحضرته.

وكان محمد بن أبي عمرو يومئذ رئيس الدولة، ونجي الخلوة وصاحب العلامة، وحسبان الجبائية والعساكر، قد غلب على هوى السلطان، واختص به، فاستخدم له ابن رضوان حتى علق منه

التراثي وقرأ عليه بعض الأحيان حزبه.

بلغنا بعد التسعين أنه هلك هنالك حتف أنه والبقاء لله وحده.

ومنهم شيخ التعاليم أبو عبد الله محمد بن محمد بن الصباغ من أهل مكتنسة، كان مبرزاً في العقول والمنقول، ولعنةً على الحديث وبرجاله، وإماماً في معرفة كتاب الموطأ وأقوائه، تلمسان، أخذ العلم بيده عن مشيختها، وعن شيخنا الألبى ويرز عليه.

ثم ارتحل إلى المغرب فلقي بستبة إمام التعاليم أبا عبد الله محمد بن هلال شارح المخططي في المية، وأخذ بمراسخ عن الإمام أبي العباس بن البناء، وكان إماماً في علوم النجامة وأحكامها، وما يتعلق بها، ورجع إلى تلمسان بعلم كبير، واستخلصته الدولة.

فلما هلك أبو تاشفين وملك السلطان أبو الحسن نظمه في جملته وأجرى له رزقه، فحضر معه بفارقية وهلك في الطاعون.

ومنهم أبو العباس أحد بن شعيب من أهل فاس، برع في الأدب واللسان والعلوم العقلية، من الفلسفة والتعاليم والطبع وغيرها.

ونظمه السلطان أبو سعيد في حلبة الكتاب وأجرى عليه الرزق مع الأطباء لتقديمه فيهم، فكان كاتبه وطبيبه، وكذا مع السلطان أبي الحسن بعده، فحضر بفارقية وهلك بها في ذلك الطاعون.

وكان له شعر سابق به الفحول من المتقدمين والمتاخرين، وكانت له إمامية في نقد الشعر وبصر به، وما حضرني الآن من شعره:

دار الموى نجد وساكها  
هل باكر الوسمى ساحتها  
مستشفي بالبان والرنـد  
قصدي وإن جاروا عن القصد  
منها وزرق مياهـها وردي  
احسـى المدامع أهـيف القدـ  
ومطـارـنـ النـظـراتـ فيـ رـشـاءـ  
قتلـ الحـبـ بـهـاـ عـلـىـ عـمـدـ  
ريـثـ المـطـوـبـ وـعـاثـرـ المـجـدـ  
ماـعـشـتـ لـآـسـىـ عـلـىـ الـفـقـدـ  
فـقـدـواـ فـلاـ وـأـيـكـ بـعـدـهـ  
وـغـدـواـ دـفـنـاـ قـدـ تـضـمـنـهـ  
قـنـفـ السـوـىـ وـتـنـفـةـ الـبـعـدـ  
أـجـرـىـ عـلـىـ العـبـشـ بـعـدـهـ  
لـاـ تـلـحـنـ يـاـ صـاحـ فيـ شـجـنـ  
بـالـغـربـ لـيـ سـكـنـ تـاـوـيـيـ  
فـرـخـانـ قـدـ تـرـكـ يـاضـيـعـةـ  
وـمـنـهـ صـاحـبـناـ الخـطـبـ أـبـوـ عبدـ اللهـ بـنـ أحـمـدـ بـنـ مـرـزوـقـ

ومن حضر معه بفارقية الفقيه أبو عبد الله محمد بن محمد بن الصباغ من أهل مكتنسة، كان مبرزاً في العقول والمنقول، وعارضاً على الحديث وبرجاله، وإماماً في معرفة كتاب الموطأ وأقوائه، أخذ العلوم عن مشيخته فاس، ولقي شيخنا أبا عبد الله الألبى، ولازمه وأخذ عنه العلوم العقلية، فاستند بقية طبله عليه، فبرز آخرًا، وانتهت السلطان مجلسه واستدعاه، ولم يزل معه إلى أن هلك غريقاً في ذلك الأسطول.

ومنهم القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد النور من أعمال ندرومة ونسبه في صنهاجة كان مبرزاً في الفقه على مذهب الإمام مالك بن أنس، تفقه فيه على الآخرين أبي زيد وأبي موسى أبي الإمام، وكان من جلة أصحابه.

ولما استولى السلطان أبو الحسن على تلمسان رفع من منزلة أبي الإمام واحتضنها بالشوري في بلدتها.

وكان يستكثر من أهل العلم في دولته، ويجرى لهم الأرزاق ويعمر بهم مجلسه، فطلب يومئذ من ابن الإمام أن يختار له من أصحابه من ينظمه في فقهاء المجالس، فأشاروا عليه بابن عبد النور هذا، فادناه وقرب مجلسه، وولاه قضاء عسكره، ولم يزل في جملته إلى أن هلك بالطاعون بتونس سنة تسع وأربعين وسبعينة وكان قد خلف بتلمسان أخيه علياً رفيقه في دروس ابن الإمام إلا أنه أقصر باغعاً منه في الفقه.

فلما خلع السلطان أبو عنان طاعة أبيه السلطان أبي الحسن، ونهض إلى فاس، استقر في جملته وولاه قضاء مكتنسة، فلم يزل بها حتى تغلب عمر بن عبد الله على الدولة كما مر، نزع إلى قضاء فرضه فسرحة.

فخرج حاجاً سنة أربع وستين وسبعينة فلما قدم على مكة وكان به بقية مرض، هلك في طوف القدوم.

وأوصى أمير الحاج على ابنه محمد، وأن يبلغ وصيته به للأمير المتغلب على الديار المصرية يومئذ بليغاً الخاصكي فأحسن خلافته فيه وولاه من وظائف الفقهاء ما سد به خلته، وصان عن سؤال الناس وجهه، وكان له عفا الله عنه كلف بعلم الكيمياء، تابعاً لمن غلظ في ذلك من أمثاله.

فلم يزل يعاني من ذلك ما بورطه مع الناس في دينه وعرضه إلى أن دعوه الضرورة للترحل عن مصر، ولحق ببغداد وناله مثل ذلك.

فلحق بماردين واستقر عند أصحابها، فأحسن جواره إلى أن

بن يحيى بن يغمراسن بن زيان قد بايع له قبيلة بنو عبد الواد بعد واقعة القيروان بتونس، وابن تافراكن يومئذ محاصر للقصبة كما مر في أخبارهم.

وأنصروا إلى تلمسان فوجدوا بها أبا سعيد عثمان بن جرار من بيت ملوكهم وقد استعمله عليها السلطان أبو عنان عند انتقامه على أبيه، ومسيره إلى فاس، وانتقض ابن جرار من بعده، ودعا لنفسه، وصمد إلى عثمان بن عبد الرحمن ومعه آخره أبو ثابت وقومهما، فملكوا تلمسان من يد ابن جرار وجبوه ثم قتلوا.

واستبد أبو سعيد بملك تلمسان وأخره أبو ثابت برادفه، وركب السلطان أبو الحسن البحر من تونس وغرق أسطوله ونجا هو إلى الجزائر فاحتل بها، وأخذ في الحشد إلى تلمسان، فرأى أبو سعيد أن يكف غريه عنهم، بمماطلة تقع بينهما، واختار لذلك الخطيب بن مرزوق فاستدعاه وأسر إليه بما يلقيه عنه للسلطان أبي الحسن، وذهب بذلك على طريق الصحراء.

وأطلع أبو ثابت وقومهم على الخبر فنکروه على أبي سعيد وعاتبوه، فبعثوا صفير بن عامر في اعتراض ابن مرزوق فجاء به وجبوه أيامًا.

ثم أجازوه البحر إلى الأندلس فنزل على السلطان أبي الحجاج بعنراطة، وله إليه وسيلة منذ اجتماعه به بمجلس السلطان أبي الحسن بسبعة إثرب واقعة طريف، فرعى له أبو الحجاج ذمة تلك المعرفة، وأدناه واستعمله في الخطابة بجامعه بالحمراء.

فلم يزل خطيبه إلى أن استدعاه السلطان أبو عنان سنة أربع وخمسين وسبعين بعد مهلك أبيه، واستيلائه على تلمسان وأعمالها، فقدم عليه ورعى له وسائله، ونظمه في أكبر أهل مجلسه.

وكان يقرأ الكتاب بين يديه في مجلسه العلمي ويدرس في نوبته مع من يدرس في مجلسه منهم.

ثم بعثه إلى تونس عام ملكها سنة ثمان وخمسين وسبعين ليخطب له ابنة السلطان أبي يحيى، فردد تلك الخطبة وانحافت بتونس.

ووشى إلى السلطان أبي عنان أنه كان مطلاً على مكانها، فسخطه لذلك ورجع السلطان من قسطنطينة، فثار أهل تونس من كان بها من عماله وحماته.

واستقدموا أبا محمد بن تافراكن من المهدية، فجاء وملك البلد، وركب القوم الأسطول ونزلوا بمراسي تلمسان.

من أهل تلمسان، كان سلفه نزلاء الشيخ أبي مدین بالعباد، ومتوارثين خدمة تربته من لدن جدهم خادمه في حياته.

وكان جده الخامس أو السادس واسمه أبو بكر بن مرزوق معروفاً بالولاية فيه.

ولما هلك دفعه يغمراسن بن زيان سلطان تلمسان من بني عبد الواد ففي التربة بقصره، ليدفن بإزاره متى قدر بوفاته.

ونشأ محمد هذا بتلمسان، وموالده - فيما أخبرني - سنة عشر وسبعين، وارتغل مع أبيه إلى المشرق.

وجاور أبوه بالحرمين الشريفين، ورجع هو إلى القاهرة وأقام بها، وقرأ على برهان الدين الصفاقسي المالكي وأخيه، ويرجع في الطبع والرواية، وكان مجید الخطين، ثم رجع سنة خمس وثلاثين وسبعين إلى المغرب ولقي السلطان أبا الحسن بمكاحنه في تلمسان، وقد شيد بالعباد مسجداً عظيماً، وكان عممه محمد بن مرزوق خطيباً على عادتهم في العabad، وتوفي فولاه السلطان خطابة ذلك المسجد مكان عممه.

وسمعه يخطب على المنبر ويشيد بذلك والثاء عليه، فحلبي يعنيه وختصه وقربه، وهو مع ذلك يلازم مجلس الشيوخين أبي الإمام، ويساير نفسه بلقاء الفضلاء والأكابر والأخذ عنهم، والسلطان في كل يوم يزيد رتبة، وحضر معه واقعة طريف التي كان فيها تحبس المسلمين، فكان يستعمله في السفاراة عنه إلى صاحب الأندلس، ثم سفر عنه بعد أن ملك إفريقية إلى ابن أدفونش ملك قشتالة في تحرير الصلح، واستقذ أبو عمر تاشفين، كان أسر يوم طريف فتغلب في تلك السفاراة عن واقعة القيروان.

ورجع إلى تاشفين مع طائفة من زعماء النصرانية جاؤوا في السفاراة عن ملتهم، ولقيهم خبر واقعة القيروان بقسطنطينة من بلاد إفريقية، وبها عامل السلطان وحاميته، فثار أهل قسطنطينة بهم جميعاً ونهبوا، وخطبوا للفضل ابن السلطان أبي يحيى، وراجعوا دعوة الموحدين، واستدعوه فجاء إليهم وملك البلد.

وانطلق ابن مرزوق عائداً إلى المغرب مع جماعة من الأعيان، والعامل والسفراء عن الملوك.

ووفد على السلطان أبي عنان بفاس مع أمه حظبة أبي الحسن وأثيرته، كانت راحلة إليه، فأدركها الخبر بقسطنطينة، وحضرت الهيئة واتصل بها الخبر بتوثيقها أبي عنان على ملك أبيه واستيلائه على فاس، فرجعت إليه وأبن مرزوق في خدمتها.

ثم طلب اللحاق بتلمسان فسرحوه إليها، وأقام بالعباد مكان سلفه، وعلى تلمسان يومئذ أبو سعيد عثمان بن عبد الرحمن

مقره بقسطنطينة إلى تونس فملكتها، وقتل خالداً سنة اثنين وسبعين وبسبعينة.

وكان ابن مرزوق يسترب منه لما كان يليل وهو يفاس مع ابن عمه أبي عبد الله محمد صاحب مجابة، ويثرثره عند السلطان أبي سالم عليه، فعزله السلطان أبو العباس عن الخطبة بتونس، فرجم لها وأربع الرحلة إلى المشرق.

وسرحه السلطان فركب السفين ونزل بالإسكندرية، ثم ارتحل إلى القاهرة ولقي أهل العلم وأمراء الدولة، ونفت بضائعه عندهم، وأوصلوه إلى السلطان وهو يومئذ الأشرف. فكان يحضر مجلسه وولوه الوظائف العلمية، فكان يتجمع منها معاشه.

وكان الذي وصل حبله بالسلطان استداره محمد بن آقبغا آص لقيه أول قدومه فحلي عينيه، واستظرف جملته، فسعن له والفتحت سعياته، ولم ينزل مقيناً بالقاهرة موقر الربطة معروف الفضيلة، مرشحاً لنقضاء المالكية ملازماً للتدرس في وظائفه إلى أن هلك سنة إحدى وثمانين وبسبعينة هكذا ذكر من حضرنا من جلة السلطان أبي الحسن من أشياعنا وأصحابنا، وليس موضوع الكتاب الإطالة، فلنقتصر على هذا القدر، ونرجع إلى ما كان فيه من أخبار المؤلف.

### ولاية العلامة بتونس ثم الرحلة بعدها إلى المغرب والكتابة عن السلطان أبي عنان

لم أزل منذ نشأت وناهضت مكتبًا على تحصيل العلم، حريصاً على اقتداء الفضائل، متقللاً بين دروس العلم وحلقاته، إلى أن كان الطاغون الجارف، وذهب الأعيان والصدرور وجميع المشيخة، وهلك أبوابي رحهما الله.

ولزمت مجلس شيخنا أبي عبد الله الأبلبي، وعكفت على القراءة عليه ثلاثة سنين إلى أن شدوت بعض الشيء، واستدعاه السلطان أبو عنان فارتعش إليه، واستدعاني أبو محمد بن تافراين المستبد على الدولة يومئذ بتونس إلى كتابة العلامة عن سلطانه أبي إسحاق.

وقد نهض إليه من قسطنطينة صاحبها الأمير أبو زيد حافظ السلطان أبي مجسي في عساكرة، ومعه العرب أولاد مهلهل الذين استجذروه لذلك، فأخرج ابن تافراين سلطانه أبا إسحاق مع العرب أولاد أبي الليل، وبث العطاء في عساكرة، وعمر له المراتب

وأوزع السلطان أبو عنان باعتقال ابن مرزوق، وخرج لذلك مجسي بن شعيب من مقدمي الجنادرة ببابه، فلقيه بتاسالة فقيده هناك، وجاء به فأحضره السلطان وقرعه، ثم جلسه مدة وأطلقه بين يدي مهلكه.

واضطربت الدولة بعد موت السلطان أبي عنان، وبايع بنسو مرين لبعض الأعيان من بي يعقوب بن عبد الحق، وحاصرروا البلد الجديد، وبها ابنه السعيد وزوجه المستبد عليه الحسن بن عمر، وكان السلطان أبو سالم بالأندلس غريبه إليها آخره السلطان أبو عنان مع بي عمهم ولد السلطان أبي علي بعد وفاة السلطان أبي الحسن، وحصل لهم جميعاً في قبضته.

فلما توفي أراد أبو سالم التهوض لملكه بالغرب، فمنعه رضوان القائم يومئذ بملك الأندلس مستبداً على ابن السلطان أبي الحجاج، فلحق هو بأشبيلية من دار الحرب، ونزل على بطرة ملكهم يومئذ، فيها له السفين وأجازه إلى العدوة فنزل، بمجل الصفيحة من بلاد غماره، وقام بدعوه بنو مشني وبنو منير أهل ذلك الجبل منهم، حتى تم أمره واستولى على ملكه في خبر طرابيل ذكرناه في أخبار دولتهم.

وكان ابن مرزوق يدخله وهو بالأندلس ويستخدم له، ويفاوضه في أمره وربما كان يكتبه، وهو بمجل الصفيحة، ويدخل زعماء قومه في الأخذ بدعوه.

فلما ملك السلطان أبو سالم رعى له تلك الوسائل أجمع، ورفعه على الناس، والقى عليه محبه وجعل زمام الأمور بيده، فوطئ الناس عقبه وغشى أشراف الدولة بابه، وصرفوا الوجه إليه، فمرضت لذلك قلوب أهل الدولة ونفسمه على السلطان، وترىضا به حتى توثب عمر بن عبد الله بالبلد الجديد، وافتراق الناس عن السلطان.

وقتله عمر بن عبد الله آخر اثنين وستين وبسبعينة وحبس ابن مرزوق وأغرى به سلطانه الذي نصبه محمد بن عبد الرحمن بن أبي الحسن فامتحنه واستصفاه، ثم أطلقه بعد أن رام كثير من أهل الدولة قتله فمنعه منهم.

ولحق بتونس سنة أربع وستين وبسبعينة ونزل على السلطان أبي إسحاق وصاحب دولته المستبد عليه أبي محمد بن تافراين، فأكرموا نزله وولوه الخطابة بجامع الموحدين بتونس.

وأقام بها إلى أن هلك السلطان أبو إسحاق سنة سبعين وبسبعينة وول ابنه خالد.

وزحف السلطان أبو العباس حافظ السلطان أبي مجسي من

والوظائف.

وتعلل عليه صاحب العلامة أبو عبد الله بن عمر بالاسترادة من العطاء، فعزله وأدالني منه، فكتبت العلامة للسلطان، وهي وضع «الحمد لله والشكر لله» بالقلم الغليظ ما بين البسمة وما بعدها من مخاطبة أو مرسوم.

وخرجت معهم أول سنة ثلاث وخمسين وسبعيناً وقد كنت منظواً على مقارتهم لما أصابي من الاستيحاش للهاب أشياعي وعلقني عن طلب العلم.

فلمما رجع بنو مرين إلى مراكزهم بالمغرب انكسر تيارهم عن إفريقية، وأكثر من كان معهم من الفضلاء صحابة وأشياخ، فاعتزمت على اللحاق بهم.

وصدقني عن ذلك أخي وكبيري محمد رحمه الله، فلما دعيت إلى هذه الوظيفة سارعت إلى الإجابة لتحصيل غرضي من اللحاق بالمغرب، وكان كذلك، فإنما لما خرجنا من تونس نزلنا بلاد هوارة، وزحفت العساكر بعضها إلى بعض بشخص مرتجحة وإنهم صفتوا ونجوت أنا إلى أبة، فأقمت بها عند الشيخ عبد الرحمن الوشاني من كبراء المراطين، ثم تحولت إلى سبعة ونزلت بها على محمد بن عبدون صاحبها، فأقمت عنده ليلاً حتى هاً في الطريق وبذرقي لي مع رفيق من العرب، وسافرت إلى قصص، وأقمت بها أياماً أترصد الطريق حتى قدم علينا بها الفقيه محمد بن الرئيس منصور بن مزنی، وأخوه يوسف يومئذ صاحب الزاب وكان هو بتونس، فلما حاصرها الأمير أبو زيد خرج إليه فكان معه.

ثم بلغتهم الخبر بأن السلطان أبي عنان ملك المغرب، نهض إلى تلمسان فملكتها، وقتل سلطانها عثمان بن عبد الرحمن، وأخاه أبي ثابت وأنه انتهى إلى المدينة وملك مجاعة من يد صاحبها الأمير أبي عبد الله من خندة السلطان أبي محبسي، وراسله عندما أطل على بلده، فسار إليه، ونزل له عنها.

وصار في جنته، وولى أبو عنان على مجاعة عمر بن علي شيخ بنى وطاس من بنى الوزير شيوخهم.

فلمما بلغتهم هذا الخبر أجهل الأمير عبد الرحمن من مكانه على حصار تونس، ومر بقصبة فدخل إلينا محمد بن مزنی ذاهباً إلى الزاب، فرافقته إلى بسكرة، ودخلت إلى أخيه هنالك، ونزل هو بعيسى قری الزاب تحت جراية أخيه إلى أن انصرم الشتاء.

وكان أبو عنان لما ملك مجاعة ولل عليها عمر بن علي بن الوزير من شيوخ بنى وطاس فجاء فارج مولى الأمير أبي عبد الله

لنقل حرمته وولده، فدخل بعض السفهاء من صنهاجة في قتل عمر بن علي فقتله في مجلسه ووثب هو على البلد وبعث إلى الأمير أبي زيد يستدعيه من قسنطينة، فتمشت رجالات البلد فيما بينهم خشية من سطوة السلطان، ثم ثاروا بفارج فقتلوا وأعادوا دعوة السلطان كما كانت.

وبعثوا عن عامل السلطان بتسلس بمحاجن بن عمر بن عبد المؤمن شيخ بنى ونكاسن من بنى مرين، فملكته قيادهم وبعثوا إلى السلطان بطاعتهم، فأنجح لوقته حاجبه محمد بن أبي عمرو، وأكثف له الجندي وصرف معه وجوه دولته وأعيان بطانة. وارتحلت أنا من بسكرة وافتاد على السلطان أبي عنان بتلمسان، فلقيت ابن أبي عمرو بالبطحاء، وتلقاني من الكرامة بما لم أحتسيه، وردني معه إلى مجاعة فشهدت الفتاح، وتسايلت وفود إفريقية إليه.

فلما رجع السلطان وفدت معهم فنانى من كرامته، وإحسانه ما لم أحتسيه، إذ كنت شاباً لم يطر شاريبي. ثم انصرفت مع الرفود ورجع ابن أبي عمرو إلى مجاعة، فاقامت عنده حتى انصرم الشتاء من أواخر أربعين وسبعيناً وعاد السلطان أبو عنان إلى فاس وجمع أهل العلم للتحلية بمجلسه، وجرى ذكري عنده وهو يتقدى طلبة العلم للذاكرة في ذلك المجلس، فأخبره الذين لقيتهم بتونس عني ووصفووني له، فكتب إلى الحاجب يستقدمي، فقدمت عليه سنة خمس وخمسين وسبعيناً ونظمي في أهل مجلسه العلمي، والزمي شهود الصلوات معه، ثم استعملني في كتابه والتوريق ببين يديه على كره مني، إذ كنت لم أعهد مثله لسلفي.

وعكفت على النظر والقراءة ولقاء المشيخة من أهل المغرب ومن أهل الأندلس الراقدين في غرض السفار، وحصلت من الإفادة منهم على الغنية.

وكان في جنته يومئذ الأستاذ أبو عبد الله محمد بن الصفار من أهل مراكش إمام القراءات لوقته، أخذ عن جماعة من مشيخة المغرب كبارهم شيخ الحدثين الرحالة أبو عبد الله محمد بن رشيد الفهري سيد أهل المغرب، وكان يعارض السلطان القرآن برواياته السبع إلى أن توفي.

ومنهم قاضي الجماعة بفاس أبو عبد الله محمد المقري صاحبنا، من أهل تلمسان، أخذ العلم بها عن أبي عبد الله السلاوي ورد عليها من المغرب خلواً من المعارف.

ثم دعته همته إلى التحلية بالعلم، فعكف في بيته على

مدارس القرآن فحفظه، وقرأه بالسبع.

وبعمائة وكان يوماً مشهوراً.  
واسقر القاضي المقرى في مكانه بباب السلطان عطلا من الولاية والجرأة.

وجرت عليه بعد ذلك مخنة من السلطان بسبب خصومه وقت بينه وبين أقاربه، امتنع من الخضور معهم عند القاضي الفشتالي، فتقدم السلطان إلى بعض أكابر الرزعة بيابه بأن يسجه إلى مجلس القاضي حتى أخذ فيه حكمه، فكان الناس يدعونها مخنة، ثم ولاد السلطان بعد ذلك قضاء العساكر في دولته، عندما ارتحل إلى قسطنطينة.

فلما افتحها وعاد إلى دار ملكه بفاس آخر ثمان وخمسين وبعمائة اعتلى القاضي المقرى في طريقه، وهلك عند قدومه بفاس.

ومنهم صاحبنا الإمام العالم الفذ، فارس المعقول والمقبول، وصاحب الفروع والأصول، أبو عبد الله محمد بن أحمد الشريف الحسني، ويعرف بالعلوي نسبة إلى قرية من أعمال تلمسان، تسمى العلوين، فكان أهل بيته لا يدافعون في نسبهم.

وربما يغمز فيه بعض الفجوة من يزعمه دينه ولا معرفته بالأنساب فيعد من اللغو، ولا يلتفت إليه، نشأ هذا الرجل بتلمسان وأخذ العلم عن مشيختها، وخصوصاً بأولاد الإمام وتقهقه عليهم في الفقه والأصول والكلام، ثم لزم شيخنا أبي عبد الله الألبى وتضلع من معارفه، فاستبحر وتفجرت ينابيع العلوم من مداركه.

ثم ارتحل إلى تونس في بعض مذاهبه سنة أربعين وبعمائة ولقي شيخنا القاضي أبي عبد الله بن عبد السلام وحضر مجلسه وأقاد منه، واستعظم رتبته في العلم.

وكان ابن عبد السلام يصغي إليه ويؤثر حمله ويعرف حقه حتى زعموا أنه كان يخلو به في بيته، فيقرأ عليه فصل التصوف من كتاب الإشارات، لابن سينا، بما كان هو قد أحكم ذلك الكتاب على شيخنا الألبى وقرأ عليه كثيراً من كتاب الشفاء لابن سينا، ومن تلخيص كتب أرسطو لابن رشد، ومن الحساب والهندسة والفرائض علاوة على ما كان يحمله من الفقه والערבية وسائر علوم الشرعية، وكانت له في كتب الخلافيات يد طولى، وقدم عالية، فعرف له ابن عبد السلام ذلك كله وأوجب حقه، وانقلب إلى تلمسان، وانتصب لتدريس العلم وبشه فعلاً المغرب معارف وتلاميذه، إلى أن اضطرب المغرب بعد واقعة القiroوان.

ثم هلك السلطان أبو الحسن، وزحف ابنه أبو عنان إلى

ثم عكف على كتاب الشهيل في العربية فحفظه، ثم على مختصر ابن الحاجب في الفقه والأصول فحفظهما.

ثم لزم الفقيه عمران المشدلي من تلاميذه أبي علي ناصر الدين، وفقهه عليه، وبرز في العلوم إلى حيث لم تتحقق غايته.

وبنى السلطان أبو تاشفين مدرسته بتلمسان، فقدمه للتدرس بها، يضاهي به أولاد الإمام، وفقهه عليه بتلمسان جماعة كان من أوفرهم سهاماً في العلوم أبو عبد الله المقرى هذا.

ولما جاء شيخنا أبو عبد الله الألبى إلى تلمسان عند استيلاء السلطان أبي الحسن عليها، وكان أبو عبد الله السلاوي قد قتل يوم فتح تلمسان، قتله بعض أشياخ السلطان لذنب أسفله في خدمة أخيه أبي علي بسجل ماسة قبل انتقاله العلم، وكان السلطان يعتده عليه، فقتل بباب المدرسة، فلزم أبو عبد الله المقرى بعده مجلس شيخنا الألبى، ومجالس أبني الإمام، واستبحر في العلوم وتقن.

ولما انتقض السلطان أبو عنان سنة تسع وأربعين وبعمائة وخلع أباه، ندبه إلى كتاب البيعة فكتبها وقرأها على الناس في يوم مشهود.

وارتحل مع السلطان إلى فاس، فلما ملكها عزل قاضيها الشيخ المعمراً أبي عبد الله بن عبد الرزاق وولاه مكانه، فلم يزل قاضياً بها إلى أن سخطه لبعض التزاعات الملوكية، فعزله وأدال منه بالفقير أبي عبد الله الفشتالي آخر سنة ست وخمسين وبعمائة، ثم بعثه في سفارة إلى الأندلس فمات في نهره.

قام السلطان لها في ركبته، ونكر على صاحب الأندلس ابن الأحرى تمسكه به، وبعث إليه فيه يستقدمه، فلاذ منه ابن الأحرى بالشفاعة فيه، واقتضى له كتاب أمان بخط السلطان أبي عنان، وأوفده مع جماعة من شيوخ العلم بغرنطة منهم: القاضيان بغرنطة شيخنا أبو القاسم الشريف السبكي شيخ الدنيا جلاله وعلمأً وقارأً ورياسة، إمام حركاً وفقداً في نظره وثره.

وشيخنا الأحرى أبو البركات محمد بن محمد بن إبراهيم بن الحاج البليقى من أهل المريدة شيخ المحدثين والفقهاء والأدباء والصوفية والخطباء بالأندلس، وسيد أهل العلم بياطلاق، والمتقن في أساليب المعرف، وأداب الصحبة للملوك فمن دونهم، فوفداً به على السلطان شفيعين على عظيم تشرفه للقائهم، فقبلت الشفاعة وأنجلحت الرسيلة.

حضرت بمجلس السلطان يوم وفاتهما سنة سبع وخمسين

أميرها، ولقيه، فرقع من قلبه بمكان إلى أن كانت واقعة القبروان. وخلع أبو عنان واستبد بالأمر فاستكتبه وحمله معه إلى المغرب، ولم يسم به إلى العلامة لأنه أتى بها محمد بن أبي عمر بما كان أبوه يعلم القرآن والعلم.

وريبي محمد بداره، فولاه العلامة، والبرجي مرادف له في رياسته إلى أن انقضوا جميعاً.

وهلك السلطان أبو عنان واستولى أخيه أبو سالم على ملك المغرب، وغلب ابن مرزوق على هواه كما قدمنا، فنقل البرجي من الكتابة واستعمله في قضاء العساكر، فلم يزل على القضاء إلى أن هلك ستة ست وثمانين وسبعمائة وأربعين رحمة الله أن مولده سنة عشر وسبعمائة.

ومنهم: شيخنا العمر الرحالة أبو عبد الله محمد بن عبد الرزاق شيخ وقته جلالة وتربية وعلماً وخبرة بأهل بلده، وعظمته فيهم.

نشأ بفاس وأخذ عن مشيختها، وارتحل إلى تونس فلقي القاضي أبي إسحاق بن عبد الرفيع والقاضي أبي عبد الله التفراوي، وأهل طبقتهم، وأخذ عنهم وتفقه عليهم، ورجع إلى المغرب ولازم سنن الأكابر والشافعى إلى أن ولاه السلطان أبو الحسن القضاء بمدينة فاس، فأقام على ذلك إلى أن جاء السلطان أبو عنان من تلمسان بعد واقعة القبروان، وخلعه أبوه فعزله بالفقير أبي عبد الله المقري، وأقام عطلاً في بيته.

ولما جمع السلطان مشيخة العلم للتحقيق بمجلسه، والإفادة منهم، واستدعاى شيخنا أبي عبد الله بن عبد الرزاق، فكان يأخذ عنه الحديث، ويقرأ عليه القرآن برواياته في مجلس خاص إلى أن هلك رحمة الله بين يدي مهلك السلطان أبي عنان، إلى آخرین وأخرين من أهل المغرب والأندلس، كلهم لقيت وذاقت وأفتت منه، وأجازني بالإجازة العامة.

## حدوث النكبة من السلطان أبي عنان

كان اتصالياً بالسلطان أبي عنان آخر ستة ست وخمسين وسبعمائة وقربي وأدناه، واستعملني في كتابته، حتى تکدر جوبي عنده بعد أن كان لا يعبر عن صفاته.

ثم اعتلى السلطان آخر سبع وخمسين وسبعمائة وكان قد حصلت بيني وبين الأمير محمد صاحب مجاهة من الموحدين مداخلة، أحكمها ما كان لسلفي في دولتهم.

تلمسان فملكتها ستة ثلاث وخمسين وسبعمائة فاستخلص الشريف أبي عبد الله واختاره مجلسه العلمي مع من اختار من المشيخة، ورحل به إلى فاس فتبرم الشريف من الاغتراب وردد الشكوى وعرف السلطان بذلك وارتبا به.

ثم بلغه أبناء ذلك أن عثمان بن عبد الرحمن سلطان تلمسان أوصاه على ولده، وأودع له مالاً عند بعض الأعيان من أهل تلمسان، وأن الشريف مطلع على ذلك، فانتزع الوديعة وسخط الشريف بذلك ونكبه، وأقام في اعتقاله أشهراً، ثم تلقاه أول ست وخمسين وسبعمائة وأقصاه، ثم أعتبه بعد فتح قسطنطينة وأعاده إلى مجلسه إلى أن هلك السلطان آخر سبع وخمسين وسبعمائة.

وملك أبو حمو بن يوسف بن عبد الرحمن تلمسان من بد بني مرين، واستدعاى الشريف من فاس فسرحه القائم بالأمر يومئذ الوزير عمر بن عبد الله فانطلق إلى تلمسان.

وتلقاه أبو حمو براحتية، وأظهر له في ابته فزووجه إيه، وبنى له مدرسة جعل في بعض جوانبها مدفن أبيه وعمه، وأقام الشريف يدرس العلم إلى أن هلك ستة إحدى وسبعين وسبعمائة وأخبرني رحمة الله أن مولده ستة عشر وسبعمائة.

ومنهم صاحبنا الكاتب القاضي أبو القاسم محمد بن يحيى البرجي من برجة الأندلس.

كان كاتب السلطان أبي عنان وصاحب الإنشاء والسر في دولته، وكان مختصاً به، وأثيراً لديه.

وأصله من برجة الأندلس نشا بها واجتهد في العلم والتحصيل، وقرأ وسمع وتفقه على مشيخة الأندلس.

وابستحر في الأدب ويزر في النظم والنشر، وكان لا يجاري في كرم الطباع وحسن المعاشرة، ولين الجانب وبذل البشر والمعروف.

وارتحل إلى مجاهة في عشر الأربعين والسبعين، وبها الأمير أبو زكريا ابن السلطان أبي يحيى متقدماً بملكها على حين أفترت من رسم الكتابة والبلاغة، فبادرت أهل الدولة إلى اصطفائه وإثارة خطبة الإنشاء والكتابة عن السلطان إلى أن هلك الأمير أبو زكريا، ونصب ابنه محمد مكانه، فكتب عنه على رسمه ثم هلك السلطان أبو يحيى، وزحف السلطان أبو الحسن إلى إفريقية واستولى على مجاهة، ونقل الأمير محمد بأهله وحاشيته إلى تلمسان كما تقدم في أخباره، فنزل أبو القاسم البرجي تلمسان، وأقام بها واتصل خبره بأبي عنان ابن السلطان أبي الحسن وهو يومئذ

أبي عنان، بالبلد الجديد، فقصصني ابن مرزوق في ذلك، وأوصل إلى كتاب السلطان أبي سالم.

بالخصوص على ذلك، وإجمال الرعد فيه.

والقى علي حمله، فنهضت به، وتقدمت إلى شيخ بني مرين، وأمراء الدولة بالتعريف على ذلك، حتى أجابت، حتى مرزوق إلى الحسن بن عمر، يدعوه إلى طاعة السلطان أبي سالم، وقد ضجر من الحصار، فبادر إلى الإجابة، واتفق رأي بني مرين على الانقضاض عن منصور بن سليمان، والدخول إلى البلد الجديد، فلما تم عقدتهم على ذلك تزعمت إلى السلطان أبي سالم في طائفة من جنود أهل الدولة، كان منهم محمد بن عثمان بن الكاس، المستبد بعد ذلك بملك المغرب على سلطانه، وكان ذلك التزوع مبدأ حظه، وفاتحة رياسته، بسعالي له عند السلطان، فلما قدمت على السلطان بالصفيحة، بما عندي من أحجار الدولة، وما أجمعوا عليه من خلع منصور بن سليمان، وبال وعد الذي ضربوه لذلك، واستحشته.

فارتحل، ولقينا الشير ياجفال منصور بن سليمان، وفراره إلى نواحي بادس، ودخوله بني مرين إلى البلد الجديد، وإظهار الحسن بن عمر دعوة السلطان أبي سالم.

ثم لقيتنا، بالقصر الكبير، قبائل السلطان، وعساكره، على رياتهم، وزير منصور بن سليمان، وهو مسعود بن رحو بن ماساي، تلقاه السلطان بالكرامة كما يحب له، واستوزره ثانية للحسن بن يوسف بن علي بن محمد الوراثي السابق إلى وزارته، لقيه بيضة، وقد غريه منصور بن سليمان إلى الأندلس فاستوزره واستكناه.

ولما اجتمعت العساكر عنده بالقصر صعد إلى فاس ولقيه الحسن بن عمر بظاهرها، فأعطاه طاعته، ودخل إلى دار ملكه وأثنا في ر McCabe، لخمس عشرة ليلة من نزوعي إليه، متصف شعبان سنة ستين وسبعين، فرعى لي السابقة واستعملني في كتابة سره، والرسيل عنه، والإنشاء لخطاباته، وكان أكثرها يصدر عنني بالكلام المرسل أن يشاركي أحد من يتحل الكتابة في الأنساج، لضعف اتحالها، وخفاء العالى منها على أكثر الناس، بخلاف المرسل، فافتقدت به يومئذ، وكان مستغرياً عندهم بين أهل الصناعة.

ثم أخذت نفسى بالشعر، واثال على منه بمور، توسطت بين الإجادة والقصور، وكان ما أنشدته إيه ليلة المولد النبوى من سنة اثنين وستين وسبعين:

وغلبت عن التحفظ في مثل ذلك، من غيرة السلطان، فما هو إلا أن شغل بوجعه، حتى أتى إليه بعض الغواة أن صاحب مجاهية معتمل في الفرار ليسترجع بلده، وبها يومئذ وزير الكبير عبد الله بن علي، فأنبعث السلطان لذلك، ويادر بالقبض عليه.

وكان فيما أتى إليه أتى دخلته في ذلك، فقبض على وامتحنتي وحبسي وذلك في ثامن عشر صفر، سنة ثمان وخمسين.

ثم أطلق الأمير عمداً وما زلت أنا في اعتقاله إلى أن هلك، وخطابه بين يدي مهلكه مستطعطاً بقصدية أولها:

على أي حال للباب أتعاتب وأي صروف للزمان أغلال كفى حزناً أتى على القرب نازح وأتى على دعوى شهودي غائب وأتى على حكم الحزاد نازل تساملي طوراً وطوراً محارب

ومنها في الشوق:

سلوتهم إلا ادكار معاهد لها في الليالي الفسارات غرائب وإن نسم الريح منهم بشوفقي إليهم وتصيبني البروق اللواكب وهي طويلة، غور متى بيتاً ذهبت عن حظي، فكان لها منه موقع، وهش لها وكان بتلمسان، فوعد بالإفراج عني عند حلوله بفاس، وخمس ليال من حلوله طرقه الوجع، وهلك لخمس عشرة ليلة، في رابع وعشرين ذي الحجة، خاتم تسع وخمسين وسبعين.

وبادر القائم بالدولة، الوزير الحسن بن عمر إلى إطلاق جماعة من المعتقلين، كنت فيهم، فخلع علي، وحلني، وأعادني إلى ما كنت عليه، وطلبت منه الانصراف إلى بلدي، فألبني علي، وعاملني بوجه كرامته، ومذاهب إحسانه، إلى أن اضطرب أمره، وانتقض عليه بنو مرين، وكان ما قدمته في أخبارهم.

## الكتابة عن السلطان أبي سالم في السر والإنشاء

ولما أجاز السلطان أبو سالم من الأندلس لطلب ملكه، ونزل بجبل الصفيحة من بلاد غماره.

وكان الخطيب ابن مرزوق بفاس، فبث دعوته سراً، واستعان بي على أمره، بما كان بيبي وبين أشياخ بني مرين من الحبة والاتلاف، فحملت الكثير منهم على ذلك، وأجاوبني إليه، وأنا يومئذ أكتب عن القائم بأمر بني مرين، منصور بن سليمان بن منصور بن عبد الواحد بن يعقوب بن عبد الحق، وقد نصبوه للملك، وحاصروا الوزير الحسن بن عمر، وسلطانه السعيد ابن

أسرقن في هجري وفي تعذبي وأطلن موقف عربتي وخيبي والمائعين الجار حتى عرضه في منتدى الأعلاء غير معيب وابن يوم الين وفقة ساعة لوداع مشغوف الفؤاد كليب نخشى بوادرهم ويرجى حلمهم والعز شيمة مرجى ومهب الله عهد الظاعنين وغضادوا قلبي رهين صيابة ووجيبي غربت ركابهم ودمعي سافع فشرقت بعدهم عاء غروب يا ناقعاً بالعتب غلة شوقهم رحماك في عذلي وفي تسلبي ينتدب الصب الملام وإنني ساء الملام لدى غير شروب حتى انجلت ظلم الظلام سعيه وسطاً المدى بفريقها المظلوب ما هاجني طرب ولا اعتناد الجلوى لولا تذكر متزل وحيب يابن الأولى شادوا المخلافة بالتفى واستائزوك بناجها المقصوب أهفو إلى الأطلال كانت مطلعأً للبلد منهم أو كاس ربيب عشت به أيدى البلى وترددت في عطفها للدهر أي خطوب تبلس معاهدها وإن مهودها ليجلها وصفي وحسن نسيبي كرم ربه أورغبة بك في العلى تقاد بالسترغيب والترهيب وإذا الدبار تعرضت لميئم هزته ذكرها إلى الشبيب إيه عن الصبر الجميل فإنه الوري بين فؤادي المنهوب لم أنها والدهر يثني صرفه ويفض طرف حاسد ورقب والسدار منقة حامستها بما بست من الأيام كل قنبيب يا ساق الأطعنان يعصف الفلا وبواصل الأساد بالتساوير منهاقعن رحل كل منزل شوان من ابن ومن لفوب تجادب الفحات فضل ردائه في ملقاها من صباً وجنوب إن هام من ظماً الصيابة صعبه نهلوا بمرور دمع المسكوب او تعرض مسراهم سد الدجى صدعوا الدجى بغامة المشوب في كل شعب منية من دونها هجر الأمانى او لقاء شعوب هلا عطفت صدورهن إلى التي فيها البانة أعين وقلوب فنوم من اكتاف يشتب مامنا يكتبك ما تخشاه من تثريب حيث النبوة آيه ماجلسوة تتلو من الآثار كل غريب سر عجيب لم يمحجه الشرى ما كان سر الله بالمحجوب ومنها بعد تعديد معجزاته ~~تملاكه~~ والأطناب في مدحه: إني دعرتك وافتقاً يا جابي يا خير مدعو وخير محب قرئ في مدحني فإن يك طيماً فيما الذكرك من أربع الطيب ماذا عسى يغى المطيل وقد حوى في مدحك القرآن كل مطيب يأهل تبلغني الليالي زورة تننسى إلى الفوز بالغاروب أعنو خططائي بخلاصي بها وأحاط أوزاري واصر ذوري في فتبة هجرروا المنى وتعودوا إنساء كل نحية وخيبي يطري صحاف ليلهم فرق النساء ما شئت من حب ومن تقريب إن رئم الحادى بنكرك رددوا أنفاس مثناق إليك طروسي أو غرد الركب الخلى بطيبة حنوا لمناهما حنن النيب ورشوا اعتناف اليى عن آبائهم إرث الخلافة في بي يعقوب الطاععين الخليل وهي عرابيس يغنى مشار القبع كل سبيب والواهبين المقربات صوافتـاً من كل خوار العنان لعوب

ومنها في ذكر خلوصي إليه وما ارتكتبه فيه:

له مبني إذ تساورني ذكره وهو بشائر فرد وجرع أنيال أولى اليد وقضيت حق الجند من قصدي فربوت من عز ومن رفدي آمالـه بمطالب الجند ما قلت هنـي جنة الخلد فـذـفـ النـوى ودونـهم آـنـي اـنـفتـ على رـجاـنـهم وملـكـتـ عـزـ جـيـعـهـمـ وـحدـيـ

وكان بنو عبد الواد قد راجعوا ملوكهم بتلمسان والمغرب الأوسط فمعندي من ذلك أن ينفيه أبو حرو صاحب تلمسان بمكاني، فأقيم عنده، ولع في المنع من ذلك، وأبيت أنا إلا الرحلة، واستحررت في ذلك بردفه وصديقه الوزير مسعود بن رحوب ماساي، ودخلت عليه يوم الفطر سنة ثلاثة وستين وسبعينة فأشدته:

هنيأ بصوم لا عداه قبول وبشرى بعيد أنت فيه منيل وهنها من عزة وسعادة تابع أعوام بها وفصول سقى الله دهرًا أنت إنسان عينه ولا من رباعي حال عول فعصرك ما بين الليالي مواسم لها غرر وضاحه وحجول وجابك المأمول للجود مشرع بحوم عليه عالم وجهول عاك وإن ضن الزمان منولي فرسم الأمانى من سواك محيل أجريني فليس الدهري بسلام إذا لم يكن لي في ذراك مقابل وأولني الحسى بما أتأمل فمثلك يسلو راجياً وليل ووالله ما رمت الترح عن قلى ولا سخطة للعيش فهو جزيل ولا رغبة عن هذه الدار إنها لظل على هنا الأيام ظليل ولكن ناى بالشعب عنى جبار شجاهن خطب والفرق طويل بهيج بين الوجانى نازح وأن فؤادي حيث هن حلول عزيز عليهم الذي قد لقيته وأن أغترابي في البلاد يطبل توارت بآياتي البقاء كائني تحيطت أو غلات ركابي غول ذكرتك يا مغنى الأحبة والهوى فظارت بقلبي آنة وعویل وحيث عن سوق رباك كائناً يمثل لي نسوى بها وطلسون أحبابنا والمهدي يبني وبينكم كريم ومامعد الكريم يمحول إذا انما ترض المحصول مداععي فلا قربتي في اللقاء حمول إلام مقامي حيث لم ترد العلس مسرادي ولم تعط القيادة ذاتكوا أجاذب فضل العمر يوماً وليلة وسامه صلاح ينها واصيل وينصب بي ما بين ياس ومطعم زمان بليل العملات يحيل تعلقني عنده أمان خروادع ويؤنسني ليسان منه مطحول أما للبالي لا ترد خطوبها ففي كيدي من وقعن فلول يروعني عن صرفها كل حادث تقادله صم الجبال تزول أداري على الرغم العدى لا لريمة يصانع واث خوفها واعلنوا وأغدو باشجاني على لاً كائناً تجود بفسقى زفراً وغليل واتسي وإن أصبحت في دار غربة تحجل الليالي سلوتي وتديل وصلتني الأيسام عن خير متزل عهدت به أن لا يضام تزيل لأعلم أن الخير والشريتهي ملأه وأن الله سوف يديل واتسي عزيز بابن ماساي مكث وان هان أنصار ويان خليل فأعاني الوزير مسعود عليه حتى أذن لي في الانطلاق على

ورقمة الأعطاف حالبة وحشية الأساب ما أنت في موحش اليداء بالقوه تسمو بجيده بسالع صعداً شرف الصرح بغیر ما جهد ولربما قصرت عن الوهد قطعت إليك تناضاً وصلت تخدى على استصعبها ذلةً بسعودك اللائي ضمن لنا طول الحياة بعثة رغد يرجون غيرك مكرم الوفد أيدى السرى بالغور والتاج أو كالحسام يسل من غمد من غير إنكار ولا حسد فخرًا على الآثار والمند عن رتبة النصور والمهدى يشقون بالحسنى التي سبقت وسرورن لحظك من وفادتهم بما مستعيناً جمل في شرف جازاك ربك عن خليقه خير الجزاء فنعم ما يسدي في عزة ابساً وفي سعد ويفيت للذى ومساكها وأشدهه في سائر أيامه غير هاتين القصيدين كثيراً لم يحضرني الآن شيء منه.

ثم غالب ابن مرزوق على هواه وانفرد بمخالطته وكبح الشكائم عن قربه، فانقضت وقصرت الخطرو مع البقاء على ما كنت فيه من كتابة سره وإنشاء مخاطباته ومراسمه.

ثم ولاني آخر الدولة «خطبة المظالم» فوفتها حقها ودفعت للكثير ما أرجو ثوابه.

ولم يزل ابن مرزوق آخذًا في سعادته بي ويأمثالى من أهل الدولة، غيره ونافقة إلى أن انقضى الأمر على السلطان بسببه، وثار الوزير عمر بن عبد الله بدار الملك فصار إليه الناس، وبندوا السلطان وبيته، وكان في ذلك هلاكه على ما ذكرناه في أخبارهم.

ولما قام الوزير عمر بالأمر أقرني على ما كنت عليه، ووفر أقطاعي وزاد في جرأتي وكانت أسمو بطغيان الشباب إلى أرفع مما كنت فيه وأدلى في ذلك بسابق مودة معه، منذ أيام السلطان أبي عنان، وصحابة استحکم عقدها بيبي وبيني وبين الأمير أبي عبد الله صاحب مجاهة فكان ثالث أثانياً ومصقلة فكاحتنا واشتدت غيرة السلطان لذلك كما مر، وسطاً بنا، وتفاصل عن عمر بن عبد الله لمكان أبيه من ثغر مجاهة ثم حلني الإدلال عليه أيام سلطانه، وما ارتکبه في حقني من القصور بي عما أسمو إليه إلى أن هجرته، وقعدت عن دار السلطان مغاضباً له، فتذكر لي وأقطعني جاباً من الإعراض، فطلبت الرحلة إلى بلدي يافريقيه.

بعث إلى النصارى في ذلك فأجابوه.

وفادي هذا الرجل وأباه على ثلاثة آلاف دينار، ورجعوا إلى سبعة وانفرض بنو العزفي دولتهم، وهلك والد الشريف وصار هو إلى رئاسة الشورى.

ولما كانت واقعة القبروان، وخلع أبو عنان أباه واستولى على المغرب، وكان سبعة عبد الله بن علي الوزير والياً من قبل السلطان أبي الحسن، فتمسك بدعوته، ومال أهل البلد إلى السلطان أبي عنان وبث فيهم الشريف دعوته، فشاروا بالوزير وأخرجوه ووفدوا على أبي عنان وأمكنته من بلدتهم، فولى عليهم من عظامه دولته سعيد بن موسى العجيسى كافل تربيته في صغره وأفرد هذا الشريف برياسة الشورى في سبعة فلم يكن يقطع أمر دونه، ووفد على السلطان بعض الأيام فلتقاهم من الكرامة بما لا يشاركه فيه أحد من وفود الملك والعلماء.

ولم يزل على ذلك سائر أيام السلطان وبعد وفاته، وكان معظمماً وقرر المجلس، هش القاء كريم الرفادة، متخللاً بالعلم والأدب، متخللاً للشعر غاية في الكرم وحسن العهد، وسذاجة النفس، وما مررت به سنة أربع وستين وسبعينة أتزلقني بيته أزاء المسجد الجامع، ورأيت منه ما لا يقدر مثله من الملوك، وأربكتني الحرقة ليلة سفري يباشر درجتها إلى الماء بيده، إغراياً في الفضل والمساهمة، وحططت بمبيل الفتح وهو يومئذ لصاحب المغرب، ثم خرجت منه إلى غرناطة وكانت للسلطان ابن الأحرar وزيره ابن الخطيب بشائي، وليلة بت بقرب غرناطة على بريد منها، لقيتني كتاب ابن الخطيب يهتني بالقدوم، ويؤنسني ونصه:

حللت حلول العيت في البلد الداخل على الطائر الميمون والرحب والسهل  
يبيأ من تنزو الروحه لوجهه من الشيخ والطفل المهدى والكمel  
لقد نشأت عندي للقباك غبطة تسي أغباطي بالشيش والأهل  
وودي لا يحتاج فيه لشاهد وتقربى المعلوم ضرب من الجهل  
اقسمت من حجت قريش ليته وقرب صرفت أزمة الأحياء  
لبنه ونور ضربت الأمثال بمشكاته وزنته لو خيرت أيها الحبيب  
الذى زيارته الأمينة السنية، والعارفة الوارفة، واللطيفة الطيفية بين  
رجع الشباب يقطر ما، ويرف ثاء، ويفازل عيون الكواكب،  
فضلاً عن الكواكب، إشارة وإيماء، بحيث لا الوخط يلم بسياح  
لنه، أو يقتدح ذباله في ظلمته، أو يقدم حواريه في ملته، من  
الأصحاب وأمه.

وزمانه روح وراح، ومغدى في التيس ومراح، وقصف  
صراح ورقى وجراح، واتخاب واقتراح، وصدر ما بها إلا

شريبة العدول عن تلمستان في أي مذهب أردت، فاختارت الأندلس وصرفت ولدي وأهلي إلى آخرالمهم، أولاد القائد محمد بن الحكيم بقسطنطينة فاتح أربع وستين وسبعينة وجعلت أنا طرفي على الأندلس، وكان سلطانها أبو عبد الله المخلوع، حين وفد على السلطان أبي سالم بفاس، وأقام عنده، حصلت لي معه سابقة وصلة ووسيلة خدمة، من جهة وزيره أبي عبد الله بن الخطيب، وما كان بيبي وبينه من الصحابة، فكنت أقوم بخدمته وأعمل في قضاة حاجاته في الدولة، ولا أجاز باستدعاء الطاغية لاسترجاع ملكه حين فسد ما بين الطاغية وبين الرئيس المترتب عليه بالأندلس من قرباته، خلفته فيما ترك من عياله وولده بفاس، خير خلف في قضاة حاجاتهم وإدارتهم، من المترفين لها، والاستخدام لهم.

ثم فسد ما بين الطاغية وبينه، قبل ظفره بمملكته، برجوعه عما اشتراه له من التجافي عن حصنون المسلمين التي تملكتها ياجلابه ففارقه إلى بلاد المسلمين وتزل باسحة وكتب إلى عمر بن عبد الله يطلب مصرًا يتزله من أمصار الأندلس الغربية التي كانت ركاباً لملوك المغرب في جهادهم.

وخطبني أنا في ذلك، فكنت له نعم الوسيلة عند عمر، حتى تم قصده من ذلك، وتجاهفي عن رئدة وأعمالها، فنزلها وتملكتها، وكانت دار هجرته، وركاب فتحه، وملك منها الأندلس أواسط ثلاث وستين وسبعينة واستوحشت أنا من عمر إثر ذلك كما مر، وارتحلت إليه معمولاً على سوابقي عنده، فغرب في المكافأة كما نذكر إن شاء الله تعالى.

## الرحلة إلى الأندلس

ولا أبجع الرحلة إلى الأندلس بعثت بأهلي وولدي إلى آخرالمهم بقسطنطينة، وكتبت لهم إلى صاحبها السلطان أبي العباس من حفدة السلطان أبي يحيى وأبي أمر على الأندلس وأجيز إليه من هناك.

وسررت إلى سبعة فرصة المجاز، وكثيرها يومئذ الشريف أبو العباس أحد بن الشريف الحسني ذو النسب الواضح السالم من الريبة عند كافة أهل المغرب، انتقل سلفه إلى سبعة من صقلية، وأكرمه بنو العزفي أولاً وصاهر وهم، ثم عظم صيتهم في البلد فتکروا لهم وغربهم بمحى العزفي آخرهم إلى الجزيرة، فاعتبر ضيّتهم مراكب النصارى في الزفاف فأسروهم.

وانتدب السلطان أبو سعيد إلى فديتهم رعاية لشرفهم،

ولم يزل على اغبائه إلى أن انصرفت عنه، فزورني وحملني  
واختصني ببعثة فارهة مركب ثقيل وجلام ذهبيين، أهدىهم إلى  
السلطان فاقطعني قرية إلبيرا من أراضي السقى بمرج غرناطة  
وكتب بها مشوراً كان نصه ثم حضرت ليلة المولد النبوي الخامسة  
قدومي، وكان يختلف في الصنف فيها والدعوة وإنشاد الشعر اقتداء  
بملوك المغرب، فأشدهه ليتذكرة:

حيي العائد كاتب قبل تحييني بوافد الدمع برويها ويظمني  
إن الألى نرحت داري ودارهم تحملوا القلب في آثارهم دوني  
وقت انشد صبراً ضاع بعدهم فيهما واسال رسمًا لا ينساني  
أشيل الربيع من شرق فائضه وكيف والفك يديه ويقصيني  
ويذهب الوجد مني كل لؤلؤة مازال قلبي عليهما غير مأمون  
ست جنونني مغاني الربيع بعدهم بالمنع وقف على أطلاله الجسون  
قد كان للقلب داعي الموى شغل لسان قلبي إلى السلوان يدعوني  
احباباً هل لهمس الوصل مذكر منكم وهل نسمة عنكم تخيني  
مال وللطيف لا يتعاد زائره وللتسميم عليهلاً لا يداربني  
يا أهل نجد وما نجد وساكنها حسناً سوى جنة الفردوس والعين  
اعندكم أنتي ما مر ذكركم إلا انتشت كان الرابع تثنيني  
اصبو إلى البرق من ألغاء ارضكم شوفاً ولو لاكم ما كان يصيبي  
يا نازحاً والى تنبئ من خلدي حتى لأحبه قرباً ينساني  
أسلى هواك فنادي عن سواك وما سواك يوماً بحال عنك يسليني  
ترى الليلي أنسنك إدكاري يا من لم تكن ذكره الأيام تنسني

ومنها في وصف الإبران الذي بناه جلوسه بين قصوره  
يا مصنعاً شيدت منه السعودية لا يطرق الدهر بنائه بتوهين  
صرح بحار لدب الطرف مفتناً فيما يرافقك من شكل وتلوين  
بعدن إيسوان كسرى إن مشورك السامي لأعظم من تلك الأراوين  
ودع دمشق ومتناها فقصرك ذا أشهى إلى القلب من أبواب جبرون

ومنها في التعريض بمتصفي من العدة:  
من مبلغ عي الصحوب الألى تركوا ودي وضاع حمام إذ أضاعوني  
أنى أربت من العلبة إلى حرم كادت مغانيه بالبشرى تخيني  
وأنتي ظاعنأ لم الق بعدهم دهرًا أشاكى ولا خصماً يشاكنى  
لا كالي انفترت عهدي ليالي إذ أقلب الطرف بين الحروف والهسون  
سيقاً ورغباً لأسامي التي ظفرت يداي منها محظوظ غير مفرون  
ارتاد منها ملماً لا ياطلي وعداً وارجو كريماً لا يعنينى  
وهاك منها قوارف طيهأ حكم مثل الأزاهر في طي الرياحين  
تلوح إن جلبت دراً وإن تلبيت تثني عليك بآفاق السباتين  
عانت منها يهودي كل شاردة لولا سعودك ما كادت تواترين  
يُمانع الفكر عنها ما تقسمه من كل حزن بطي الصدر مكون

انشراح، ومسرات تردها أفراح، وبين قدومك خليع الرسن متعناً،  
والحمد لله باليقظة والوشن، حكمًا في نسك الجنيد أو فتك  
الحسن، متعناً بظرف المعارف، مالناً أكف الصبارف ماحياً بأتوار  
البراهين شبه الزخارف، لما اخترت الشباب وإن شاتقي زمنه،  
وأعياني ثمنه، وأجرت سحاب دمعي دمنه.

فالحمد لله الذي رقى جنون أغترابي وملكتي أزمة آرابي  
وغبطي بعائي وترابي، ومالف أترابي، وقد أغصني بلذذ شرابي،  
ووقع على سطوره المعتبرة إضرابي.

وعجلت هذه مغبطة بمناخ الطيبة، متهى الطيبة وملتقى  
لل سعود غير الطيبة وتهنى الآمال الوثيرة الوطيبة فما شئت من  
نقوس عاطشة إلى ريك، متجملة بزيك، عاقلة خطأ مهريك ومولى  
مكارمه، نشيدة أمثالك، ومظان مثالك، وسيصدق الخبر ما هنالك،  
ويسع فضل مجده في التخلف عن الإصلاح لا بل للقاء من وراء  
البحار والسلام.

ثم أصبحت من اللذ قادماً على البلد وذلك ثامن ربيع  
الأول عام أربعة وستين وسبعمائة وقد اهتز السلطان لقدومي،  
وهيأ لي المتزل من قصوره بفرشه ومامعونه، وأركب خاصته للقاضي  
تحفياً وبرأ، ومجازاة بالحسنى.

ثم دخلت عليه فقابلني بما يناسب ذلك، وخلع على  
وانصرفت.

وخرج الوزير ابن الخطيب فشيعي إلى مكان نزلي، ثم  
نظمي في علية أهل مجلسه، واختصني بالتجي في خلونه، والمواكبة  
في ركوبه والمواكبة والمطالية والفكاهة في خلوات أنسه، وأقمت  
على ذلك عنده، وسفرت عنه ستة مخس وستين وسبعمائة إلى  
الطاغية ملك قشتالة يومئذ، بتره بن المنشة بن أدفونش لاتفاق عقد  
الصلح ما بينه وبين ملوك العدو بهدية فاخرة من ثياب الحرير  
والجياد المقربات بمراكب الذهب الثقيلة، فلقيت الطاغية بإشبيلية  
وعاينت آثار سلفي بها، وعاملني من الكراهة بما لا مزيد عليه،  
وأظهر الاغبطة بعكاني، وعلم أولية سلفنا بإشبيلية وأثنى على  
عنه طبيه إبراهيم بن زرر اليهودي المقدم في الطب والتاجمة  
وكان لقبي بمجلس السلطان أبي عنان وقد استدعاء بستطه، وهو  
يومئذ بدار ابن الأهر بالأندلس.

ثم نزع بعد مهلك رضوان القائم بدولتهم إلى الطاغية،  
فأقام عنده ونظمه في أطبائه، فلما قدمت أنا عليه أنتي على عنده،  
فطلب الطاغية مني حيثذا المقام عنده، وأن يرد علي تراث سلفي  
بإشبيلية وكان يهد زعماء دولته، فتفاذيت من ذلك بما قبله.

لكن بعدك ذلت لي شواردها فرضت منها بتجهيز وترى  
بقيت دهرك في أحسن وفي دعوة ودام ملوك في نصر وتمكين  
ولما استقر، واطمأن الدار، وكان من السلطان الاغتساب  
والاستئثار، وكثر الخذين إلى الأهل والذكار، أمر باستقدام أهلي  
من مطرح أغترابهم بقسطنطينية، فبعث عنهم من جاء بهم إلى  
تلمسان، وأمر قائد الأسطول بالمرية، فسار لإجازتهم في أسطوله،  
وصحا الشرق لولا عبرة وخيب وذكرى نجد الوجد حين تشبّب  
واحتلوا بالمرية.

واستأنفت السلطان في تلقيهم، وقدرت بهم على الحضرة  
بعد أن هيأت لهم المنزل والبستان ودمنة الفلاح، وسائر ضروريات  
العيش.

وكتب الوزير ابن الخطيب عندما قاربت الحضرة، وقد  
كُتِبَ إِلَيْهِ أَسْأَدُهُ فِي الْقَدْرَمْ، وَمَا اعْتَمَدَهُ فِي أَحْوَالِهِ  
سِيدِي، قَدِمَتْ بِالظِّيَارَةِ الْمَاجِنِيَّةِ عَلَى الْبَلْدِ الْأَمِينِ، وَاسْتَضَفَتْ  
الْمَالِكِ الْمُؤْمِنِيَّةِ الْمَالِكِيَّةِ

وصلتني البراءة العربية عن كتب اللقاء، ودنو المزار، وذهب  
البعد، وقرب الدار، وأستفهم سيدى عما عندي في القدوم على  
المخدوم، والحق أن يتقدم سيدى إلى الباب الكريم في الوقت الذي  
يجد المجلس الجمهوري لم يفضح حجيجه، ولا صرح بهيجه ويصل  
الأهل بعده إلى الحال الذى هياته السعادة لاستقرارهم، واختياره  
المن قبل اختيارهم والسلام.

ثم لم يلبث الأعداء وأهل السعيايات أن خلوا الوزير ابن الخطيب من ملابسي للسلطان، وائتمناه على، وحركرا له جواد الغرفة فتنكر .

وسممت منه رائحة الانتهاك مع استبداده بالدولة،  
وتحكمه في سائر أحوالها، وجاءتني كتب السلطان أبي عبد الله  
صاحب مجاهدة بأنه استولى عليها في رمضان سنة خمس وسبعين  
وسبعمائة واستدعاي إليه، فاستأذنت السلطان ابن الأحمر في  
الارتحال إليه.

وعلمت عليه شأن ابن الخطيب إبقاء لودته، فارتضى ذلك، ولم يسعه إلا الإسعاف فرود وزود وكتب لي مرسوم التشییع من إملاء الوزیر ابن الخطيب نصه:

هذا ظهير كريم، تضمن تشيعاً وترفيعاً وإكراماً وإعظاماً،  
ركان لعمل الصنائع خاتماً، وعلى الذي أحسن تماماً، وأشاد به  
لم يعتمد به بالاغباط الذي راق قساماً وتتوفر إقساماً وأعلن له  
القبول إن نوى بعد النوى رجوعاً أو أثر على الظنون المزمع  
نقاوماً.

لكن بسعده ذلت لي شواردها فرضت منها بتحمير وتربيـن  
بقيـت دهرـك في أحسن وفي دعـة ودام ملـكـك في نصـر وتكـين  
وأنشدـته سـنة خـسـ وستـين وسبـعـةـنـةـ في إـعـذـارـ وـلـدـهـ،  
والـصـنـعـ الـذـيـ اـحـقـلـ هـمـ فـيـهـ، وـدـعـاـ إـلـيـهـ الجـفـلـيـ منـ نـواـحـيـ  
الـأـنـجـانـ إـمـنـيـنـ بـالـأـنـجـانـ

صحا الشوق لولا عبرة ونحيب  
وذكرى تجد الوجد حين شوب  
ولقلب ابى إلا الوفاء بعهده  
 وإن نزحت دار وبان حبيب  
فؤاد لذكار العهود طرورب  
ولله مني بعد حادثة النسوى  
يزرقه طيف الخيال إذا سرى  
ونذكى حشام فتحة وهبوب  
خليلى لا تسعدا فدعا الأسى  
فليلى لما يدعى الأسى لم يحب  
اللأ على الأطلال يقضى حقوقها  
من الدمع فياض الشرون سكوب  
حشاشة نفسى الدموع تذوب  
ولا تعذلاس فى البكاء فانها

هم التيار الظالم على اهلي بيات فتح شاهن عجيب  
شهابان في الميجا غمامان في الندى تسع المعالى منهم وتصوب  
يدان لبسط المكرمات نامها إلى الجيد فياض الليبين وهوب

وكتب في التاسع عشر من جادى الأولى عام ست وستين  
وسبعين.

وبعد التاريخ العلامة بنخط السلطان، ونصها «صح هذا».

### الرحلة من الأندلس إلى بجاية وولاية الحجابة بها على الاستبداد

كانت بجاية ثنراً لإفريقية في دولة أبي حفص من  
الموحدين.

ولما صار أمرهم للسلطان أبي يحيى بكر بن منهم، واستقل  
بملك إفريقيا، ول في ثغر بجاية ابنه الأمير أبا زكريا، وفي ثغر  
قسطنطينة ابنه الأمير عبد الله.

وكان بنو عبد الواحد ملوك تلمسان والمغرب الأوسط  
يتازعونه في أعماله، ويحمدون العساكر على بجاية، ويجلسون على  
قسطنطينة إلى أن تسلك السلطان أبو بكر بذمة من السلطان أبي  
الحسن ملك المغرب الأقصى من بني مرین، وله الشفوف على  
سائر ملوكهم.

وزحف السلطان أبو الحسن إلى تلمسان فأخذ بمحقها  
ستين أو أزيد، وملكتها عنوة وقتل سلطانها أبي تاشفين وذلك سنة  
سبعين وثلاثين وسبعين، وخف ما كان على الموحدين من إصر  
بني عبد الواحد، واستقامت دولتهم.

ثم هلك أبو عبد الله محمد ابن السلطان أبي يحيى بقسطنطينة  
سنة أربعين وسبعين، وخلف سبعة من الولد، كيبرهم أبو زيد مikan  
عبد الرحمن، ثم أبو العباس أحد، فول الأمير أبا زيد مكان  
أبيه في كفالة نبيل مولاه ثم توفي الأمير أبو زكريا ببجاية  
سنة ست وأربعين وخلف ثلاثة من الولد كيبرهم أبو عبد  
الله محمد، وبعث السلطان أبو بكر ابنه الأمير أبا حفص عليها،  
فمال أهل بجاية إلى الأمير أبي عبد الله بن أبي زكريا، وانحرفوا  
عن الأمير عمر وأخرجوه.

وبادر السلطان فرقع هذا الخرق بولاية أبي عبد الله عليهم  
كما طلبوا.

ثم توفي السلطان أبو بكر مستصنف سبع وأربعين وسبعين  
وزحف أبو الحسن إلى إفريقيا فملكها، ونقل الأمراء من بجاية  
وقدسية إلى المغرب.

وأقطع لهم هنالك إلى أن كانت حادثة القيروان، وخلع  
السلطان أبو عنان أيامه.

أمر به، وأمضى العمل عقاضاه، وحسبه الأمير أبو عبد الله  
محمد ابن مولانا أمير المسلمين أبي الحجاج ابن مولانا أمير  
المسلمين أبي الرؤيد بن نصر أبو عبد الله أميره، وأعز نصره، وأعلى  
ذكره، للولي الجليس، الخطفي المكين، المقرب الأرد الأحب الفقيه  
الجليل الصدر الأوحد، الرئيس العلم الفاضل الكامل، المرفع  
الأسمى الأظهر الأرضي الأخلاص الأصفى أبي زيد عبد الرحمن  
بن الشيخ الجليل، الحبيب الأصيل المرفع العظيم، الصدر الأوحد،  
الأسمى الأفضل المقرر المبرور أبي يحيى أبي بكر ابن الشيخ  
الجليل الكبير، الرفيع الماجد، القائد الخطفي، المعظم المقر، المبرور  
المرحوم أبي عبد الله بن خلدون.

وصل الله له أسباب السعادة، وبلغه من فضله أقصى  
الإرادة، أعلن بما عند، أيده الله من الاعتقاد الجميل في جانبه  
المرفع، وإن كان غنياً عن الإعلان، وأعرب عن معرفته بقدراته في  
الحسين، العلماء الرؤساء الأعيان، وأشاد باتصال رضاه عن  
مقاصده البرة وشيمه الحسان، من لدن وف بابه، وفادة العز  
الراشخ البيان، وأقام المقام الذي عين له رغفة المكان، وإجلال  
الشأن، إلى أن عزم على قصد وطنه، أبلغه الله ذلك في ظل اليمن  
والأمان، وكفالة الرحمن بعد الانقطاع المرمى على الخبر بالعيان،  
والتمسك بجواره بمهد الإمكاني، ثم قبول عذرها بما جلت الأنفس  
عليه من الختين إلى المعاهد والأوطان.

بعد أن لم يدخل عنده كرامة رفيعة، ولم يحجب عنه وجهه  
صنيعه، فولاه القيادة والسفارة وأحله جليساً معتمداً بالإشارة  
والبسه من الحظورة والتقريب أنهى الشارة، وجعل عمله من  
حضرته مقصوداً بالمثل معنياً بالإشارة، ثم أصدقه تشبيعاً يشهد  
بالضمانة بفراقه، ويجمع له بر الوجهة من جميع آفاقه، و يجعله يده  
رتيمه خنصر ووثيقة سامع أو مصر، ففهمها لوى اخذه إلى هذه  
البلاد بعد قضاء وطره، وتقلية من نهمة سفره، أو نزع به حسن  
العهد وحنين الود، فصدر العناية به مشروح، وباب الرضا والقبول  
مفتوح، وأما عهده من الحظورة والبر منور.

فما كان القصد في مثله من أجداد الأولياء ليتحول، ولا  
الاعتقاد الكريم ليبدل، ولا الأخير من الأحوال ليسخ الأول.

على هذا فليطرو ضميره، وليرد ما شاء غيره ومن وقف  
عليه من القواد والأشياخ والخدم برأً وبهراً على اختلاف الخطط  
والرتب، وتبين الأحوال والنسب، أن يعرفوا حق هذا الاعتقاد في  
كل ما يحتاج إليه من تشيع ونزول، وإعانة وقبول، واعتقاء  
موصول إلى أن يكمل الغرض، ويؤدي من امتثال هذا الأمر  
الواجب المفترض بحمل الله وقوته.

ونهض السلطان إليه من قاس ستة ثمان وخمسين وسبعينة فبراً منه أهل البلد وأسلموا، فبعثه إلى سبعة في البحر، واعتقله بها حتى إذا ملك السلطان أبو سالم سبعة عند إجازته من الأندلس ستة ستين وسبعينة أطلقه من الاعتقال وصحبه إلى دار ملكه ووعده برد بلده عليه.

فلما ول أبا زيان على تلمسان أشار عليه خاصته ونصحاؤه بأن يبعث هؤلاء الموحدين إلى ثعورهم، فبعث أبا عبد الله إلى بجاية وقد كان ملكها عمه أبو إسحاق صاحب تونس، ومكفول بن تافراكتين من يدبني مرين.

وبعث أبا العباس إلى قسطنطينة، وبها زعيم من زعماءبني مرين، وكتب إليه السلطان أبو سالم أن يفرج له عنها فملكتها لوقته، وسار الأمير أبو عبد الله إلى بجاية فطال إجلابه عليها، ومعاودته حصارها، ولع أحملها في الامتناع منه مع السلطان أبي إسحاق.

وقد كان لي المقام الحمود في بعث هؤلاء الأمراء إلى بلادهم، وتوليت كبر ذلك مع خاصة السلطان أبي سالم وكبار أهل مجلسه، حتى تم القصد من ذلك، وكتب لي الأمير أبو عبد الله يخاطه عهداً بولاية الحجابة متى حصل على سلطنته، ومعنى الحجابة في دولتنا بالغرب الاستقلال بالدولة، والوساطة بين السلطان وبين أهل دولته، لا يشاركه في ذلك أحد.

وكان لي آخر اسمه يحيى، أصغر مني، فبعثته مع الأمير أبي عبد الله حافظاً للرسم، ورجعت مع السلطان إلى قاس. ثم كان ما قدمته من إتصاري إلى الأندلس والمقام بها إلى أن تنكر الوزير ابن الخطيب وأظلم الجور ببني وبيه.

وينبأنا نحن في ذلك، وصل الخبر باستيلاء الأمير أبي عبد الله على بجاية من يد عمه في رمضان ستة خمس وستين وسبعينة وكتب الأمير أبو عبد الله يستقدمي، فاعتزمت على ذلك، ونكر السلطان أبو عبد الله بن الأخر ذلك مني، لا يظنه لسوى ذلك، إذ لم يطلع على ما كان يبني وبين الوزير ابن الخطيب، فاضمضت العزم، ووقع منه الإسعاف والبر والألطاف.

وركبت البحر من ساحل المرينة متصرف ست وستين وسبعينة وزلت بجاية الخامسة من الإقلاع، فاحتفل السلطان صاحب بجاية لقدمي، وأركب أهل دولته للقائي، وتهافت أهل البلد علي من كل أوب يمسحون أعطافي، ويقبلون بيدي، وكان يوماً مشهوداً.

ثم وصلت إلى السلطان فجيا وفدي، وخلص وحمل،

وارتحل من تلمسان إلى فاس، فنقل معه هؤلاء الأمراء أهل بجاية وقسطنطينة، وخلطهم بنفسه، وبالغ في تكرمتهم.

ثم صرفهم إلى ثورتهم الأمير أبا عبد الله أولاً، وإنحرف من تلمسان، وأبا زيد وإنحرفه من قاس ليستبدوا بشغورهم، وبخنعوا الناس عن السلطان أبي الحسن، فوصلوا إلى بلادهم وملوكها بعد أن كان الفضل ابن السلطان أبي بكر قد استولى عليهما من يدبني مرين، فانتزعوها منه.

واستقر أبو عبد الله بجاية حتى إذا هلك السلطان أبو الحسن ب المجال المصادمة، وزحف أبو عنان إلى تلمسان ستة ثلاث وخمسين وسبعينة فهرم ملوكها من بني عبد الواد وأبادهم، ونزل المدينة وأطحل على بجاية، وبادر الأمير أبو عبد الله للقائي، وشكا إليه ما يلقاه من زيون الجندي والعرب، وقتل الجباية.

وخرج له عن ثغر بجاية فملكتها، وأنزل عمالة بها، ونقل الأمير أبا عبد الله معه إلى المغرب، فلم يزل عنده في حفالية وكرامة.

ولما قدمت على السلطان أبي عنان آخر ستة خمس وخمسين وسبعينة واستخلصني، نبضت عروق السوابق بين سلفي وسلفي الأمير أبي عبد الله، واستدعاني للصحابية، فأسرعت و كان السلطان أبو عنان شديد الغيرة من مثل ذلك.

ثم كثر المنافقون ورفعوا إلى السلطان وقد طرقه مرض أرجف له الناس، فرفروا له أن الأمير أبا عبد الله اعتزم على الفرار إلى بجاية، وأنني عاقدته على ذلك، على أن يولياني حجابته، فانبعث لها السلطان وسطاً بنا واعتقلني نحوه من ستين إلى أن هلك.

وجاء السلطان أبو سالم واستولى على المغرب، ووليت كتابة سره، ثم نهض إلى تلمسان وملوكها من بني عبد الواد، وإنحرف منها أبا حمو موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن، ثم اعتزم على الرجوع إلى قاس، وولى على تلمسان أبا زيان محمد بن أبي سعيد عثمان ابن السلطان أبي تاشفين وأمده بالأموال والعساكر من أهل وطنه ليدافع أبا حمو عن تلمسان ويكون خالصة له، وكان الأمير أبو عبد الله صاحب بجاية معه كما ذكرناه، والأمير أبو العباس صاحب قسطنطينة بعد أن كان بنسو مرين حاصروا أخيه أبا زيد بقسطنطينة أعراماً تبعاً.

ثم خرج بعض مذاهبه إلى بونة، وترك أخيه أبا العباس بها فخلعه، واستبدل بالأمر دونه وخرج إلى العساكرة المجردة عليها من بني مرين، فهزهم وانحن فيهم.

ثم بدا للسلطان في أمره، وقبض على أخيه واعتلله ببرنته، وكبس ببرنته، يظن بها ذخيرة وأموالاً فأخفق ظنه. ثم ارتحلت من أحياه يعقوب بن علي وقصدت بسكرة لصاحبة بيبي وبين شيخها أحد بن يوسف بن مزنني، وبين أبيه، وساهم في الحادث بماله وتجاهه.

### مشائعة أبي حمو صاحب تلمسان

كان السلطان أبو حمو قد التحزم ما بينه وبين السلطان أبي عبد الله صاحب مجاهة بالصهر في ابنته، وكانت عنده بتلمسان. فلما بلغه مقتل أبيها واستيلاء السلطان أبي العباس ابن عمه صاحب قسنطينة على مجاهة، أظهر الامتعاض لذلك، وكان أهل مجاهة قد ترجعوا الخيفة من سلطانهم بإرهاف حده، وشدة سلطوته فالخرفوا عنه باطنًا وكتابوا ابن عمه بقسنطينة كما ذكرناه. ودسوا للسلطان أبي حمو بملتها يرجون الخلاص من صاحبهم بأحدهما.

فلما استولى السلطان أبو العباس وقتل ابن عمه رأوا أن جرهم قد اندرمل، وحاجتهم قد قضيت، فاعصوصبوا عليه، وأظهروا السلطان أبو حمو الامتعاض للواقعة يسر منها حسوا في ارتفاع، ويجعله ذريعة للاستيلاء على مجاهة، بما كان يرى نفسه كفؤها بعده وعدديه، وما سلف من قوله في حصارها، فسار من تلمسان بحر الشوك والمدر حتى خيم بالرشة من ساحتها، ومعه أحياء زغبة بجومعهم وطعائهم من لدن تلمسان إلى بلاد حصين

من بيبي عامر وبني يعقوب وسويد والديالم والعطاف ومحسين. وأخرج أبو العباس بالبلد في شرذمة من الجند أجهله السلطان أبو حمو عن استيعاب الحشد، ودافع أهل البلد أحسن الدفاع، وبعث السلطان أبو العباس عن أبي زيان ابن السلطان أبي سعيد عم أبي حمو من قسنطينة، كان معتقلًا بها، وأمر مولاه وقائد عسكره بشيرًا أن يخرج معه في العساكر، وساروا حتى نزلوا ببني عبد الجبار قبلة معسكر أبي حمو، وكانت رجالات زغبة قد وجروا من السلطان، وأبلغهم التذير أنه إن ملك مجاهة اعتقلهم بها، فراسلوا أبي زيان وركبوا إليه، واعتقدوا معه وخرج رجل البلد بعض الأيام من أعلى الحصن، ودفعوا شرذمة كانت مجمرة إزائهم، فاقتلعوا خباءهم، وأسهلوا من تلك العقبة إلى بسيط الرشة، وعاينهم العرب بأقصى مكانتهم من المعسكر فأ ejacلوا، وتتابع الناس في الإيقفال حتى أفردوا السلطان في غنمه فحمل رواحه وسار، وغضت الطرق بزحامهم، وترافقوا بعضهم على

وأصبحت من الغد، وقد أمر السلطان أهل الدولة ببابكراة بابي، واستقلت بحمل ملوكه، واستفرغت جهدي في سياسة أمروره وتنبئ سلطانه، وقدمني للخطابة بمجمع القصبة وأنا مع ذلك، عاكف بعد انتصاري من تدبير الملك غدوة، إلى تدريس العلم أثناء النهار بمجمع القصبة، لا أتفك عن ذلك.

ووجدت بيته وبين ابن عمه السلطان أبي العباس صاحب قسنطينة ثانية، أحدثها المشاجحة في حدود الأعمال من الرعایا والعمال، وشبّت نار هذه الفتنة عرب أوطنهم من الدواودة من رياح، تفينا سوق الزبون يمرون به أمرالهم، فكانوا في كل سنة يجمع بعضهم البعض فالتقوا سنة ست وستين وسبعينة بفرجيرو، وانقسم العرب عليهم، وكان يعقوب بن علي مع السلطان أبي العباس، فانهزم السلطان أبو عبد الله ورجع إلى مجاهة مفلولاً بعد أن كنت جمعت له أمرالـأكثرة أتفق جميعها في العرب، ولما رجع وأعزت رهنهم على الطاعة، حتى استرفت منهم المجاهة، وكان المتعين من المغارم منذ سنين، فدخلت بلادهم واستبحثت حمام، وأخذت رهنهم على الطاعة، حتى استرفت منهم المجاهة، وكان لنا في ذلك مدد وإعانة.

ثم بعث صاحب تلمسان إلى السلطان أبي عبد الله يطلب منه الصهر، فأسعفه بذلك ليصل يده به على ابن عمه، وزوجه ابنته، ثم نهض السلطان أبو العباس سنة سبع وستين وسبعينة وجاس أو طان مجاهة، وكاتب أهل البلد، وكانوا وجلين من السلطان أبي عبد الله بما كان يرهف الحد لهم، ويشد وطاته عليهم، فأجابوه إلى الانحراف عنه.

وخرج السلطان أبو عبد الله يروم مدافعته، ونزل جبل ليزو معتصماً به، ففيته السلطان أبو العباس في عساكره وجموع الأعراب من أولاد محمد بن رياح عكائه ذلك، بإغراء ابن صخر وقبائل سدو يكش، وكبسه في غنمه وركض هارباً، فلحقه وقتلها، وسار إلى البلد بمراعدة أهلها.

وجاءني الخبر بذلك، وأنا مقيم بقصبة السلطان وقصوره، وطلب مني جماعة من أهل البلد القيام بالأمر والبيعة لبعض من أبناء السلطان، فتضاديت من ذلك، وخرجت إلى السلطان أبي العباس فاكترمي وحابني، وأمكتنه من بلده، وأجرى أحوالى كلها على معهودها.

وكثرت السعاية عنده في والتحذير من مكانى، وشعرت بذلك، فطلبت الإذن في الانتصار بعد ما كان منه في ذلك، فاذن لي بعد لأبي، وخرجت إلى العرب، ونزلت على يعقوب بن علي.

الله لما لكم فيه من التوبيه، والقدر النبيه، حاجباً علي بابنا،  
ومستودعاً لأسرارنا، وصاحبها الكريمه علامتنا، إلى ما يشากل ذلك  
من الأعمال العجم، والختير الجسيم، والاعتناء والتكريم.  
لا يشارككم مشارك في ذلك، ولا يزاحمكم أحد، وإن وجد  
من أمثالك فأعملوه وعلوا عليه، والله تعالى يتولاكم، ويصل  
سراءكم، ويزولي احتفاءكم.  
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وتأدت إلى هذه الكتب السلطانية على يد سفير من وزرائه جاء إلى أشياخ الدواودة في هذا الفرض، فقمت له في ذلك أحسن قيام وشابتنه أحسن مثابة، وحملتهم على إجابة داعي السلطان والبدار إلى خدمته.

والخمر كبراهم عن خدمة السلطان أبي العباس إلى خدمته، والاعتمال في مذاهبه، واستقام غرضه من ذلك، وكان أئمـي يحيى قد خلص من اعتقاله بيونه، وقدم على بسكرة، فبعثـه إلى السلطان أبي حمـر كالنـاـب عـنـيـ فيـ الـوـظـيـفـةـ، مـتـفـادـيـاـً عـنـ تـجـشـمـ أـهـمـاـلـاـ ماـ بـاـكـتـ نـزـعـتـ عنـ غـرـاـيـةـ الرـتـبـ.

وطال علي إغفال العلم، فأعرضت عن الخوض في أحوال الملوك، وبعثت الهمة على المطالعة والتدرис، فوصل إليه الآخر فاستكفي به في ذلك، ودفعه إليه.

ووصلني مع هذه الكتب السلطانية كتاب رسالة من الوزير أبي عبد الله بن الخطيب من غرناطة يتшوق إلى، وتأدي إلى تلمسان على يد سفراء السلطان ابن الأهر، فبعثت إلى به من هناك ونصه:

بنفسى وما نفسى على بهنة فيتلي عنها المكاس بأنثمان  
حليب ناي عيني وصم لأتسي وراش سهام الين عمداً فاصمانى  
وقد كان هم الشيب لا كان- كافيا فقد ادنسى لساترحل همان  
شرعت له من دمع عيني مسوارداً فكدر شربى بالفارق واظمانى  
واربعين من حسن عهدي جيمه فاجدب آمالى وألوحش ازمانى  
حلفت على ما عنده لي من رضى قياساً بما عندي فاختت أيامى  
واتي على ما نالى منه من قلى لأشتاق من لقياه نفبة ظمان  
سلت جنونى فيه تقريب عرشه فقط بجن الشوق جن سليمان  
إذا ما دعا داع من القوم باسمه وثبت وما استبنت شيمه هيمان  
وتالله ما أصفيت فيه لعاذل تحميته حتى اروعى وغامسانى  
ولا استشعرت نفسى برحة عابد تظلل يوماً مثله عبد رحمن  
ولا شعرت من قبله بشوق تحمل منها بين روح وجثمان  
أما الشوق فحدث عن البحر ولا حرج، وأما الصير فسأل

بعض، فهلك منهم عوالم.  
وأنخذهم سكان الجبال من البرير بالتهب من كل ناحية،  
وقد غشتهم الليل، فتركوا أرودتهم ورحالم.

وخلص السلطان ومن خلص منهم بعد عصب الريق،  
وأصبحوا على منجاة.

وقدفت بهم الطرق من كل ناحية إلى تلمسان، وكان السلطان أبو حي قد بلغه خروجي من مجاهدة، وما أحدثه السلطان بعدى في أخي وأهلي وخلفي، فكتب إلى يستقدمي قبل هذه الواقعمة، وكانت الأمور قد اشتباهت، فتقاديت بالأعذار، وأقمت بأحياء يعقوب بن علي.

ثم ارتحلت إلى بسكرة فافتقدت بها عند أميرها أحد بن يوسف بن مزنني.

فلام وصل السلطان ابر حمر إلى تلمسان وقد جزع للواقعة،  
أخذ في استلاف قبائل رياح ليجلب بهم مع عساكره على أوطان  
مجاية، وخاطبني في ذلك لقرب عهدي باستبعائهم، وملك زمامهم،  
ورأى أن يمول علي في ذلك، واستدعاني لحجابته وعلامته،

«الحمد لله على ما أنعم، والشكر لله على ما وهب،  
ليعلم الفقيه المكرم أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون، حفظه الله،  
على أنك تصل إلى مقامنا الكريم لما أخصصناك به من الرتبة  
المبنية، والمتزللة المبنية، وهو قلم خلاقتنا، والانتظام في سلك  
أولياتنا، وقد أعلمتك بذلك، وكتب بخط يده عبد الله التركل  
عليه الله، مرسى بن يوسف لطف الله به وخار له.

ويعده بخط الكاتب ما نصه: بتاريخ السابع عشر من شهر  
رجب الفرد الذي من عام تسع وستين وسبعمائة، عرفنا الله  
آخر.

ونص الكتاب الذي هذه مدريجته، وهو بخط الكاتب:  
أكركم الله يا فقيه أبا زيد ووال رعاياكم، إنما قد ثبت عندنا،  
وصح لدينا ما انتظروه عليه من الخبرة في مقامنا، والانقطاع إلى  
جنابنا، والتسبیح قديماً وحديثاً لنا، مع ما نعلمه من محسن اشتملت  
عليها أوصافكم، ومعارف فقتم فيها نظراً لكم، ورسوخ قدم في  
الفنون العلمية والأداب العربية.

وكانت خطبة الحجابة ببابنا العليي -أسماه الله- أكبر درجات أمثالكم، وأرفع الخطوط لنظرائهم، قرباً منا، وختصاصاً بمقامنا، واطلاعاً على خفايا أسرارنا، آثرناكم بها إشاراً، وقدمناكم لها اصطفاءً واختياراً، فاعملوا على الوصول إلى بابنا العليي أسماء

فوحّقْهُ لَقَدْ اتَّدِبَتْ لِرَصْفَهِ  
بِالْبَخْلِ لِرَوْلَا أَنْ حَصَّا دَارَهِ  
بَلْدَ مَتِي أَذْكُرُهُ تَهْجِيجَ لَوْعَيِي  
وَإِذَا قَدَحَتْ الْزَّنْدَ طَارَ شَارَاهِ

اللَّهُمَّ غَفِرًا، وَأَيْنَ قَرَارَهُ النَّخِيلِ، مِنْ مَثَوِي الْأَقْلَفِ الْبَخِيلِ،  
وَمَكْذِبَةِ الْمَخِيلِ، وَأَيْنَ ثَانِيَهُ هَجَرِ، مِنْ مَتَبَوِا مِنَ الْخَدِ وَفَجَرِ:  
مِنْ أَنْكَرِ غَيْشَا مَشَوِهِ  
فِي الْأَرْضِ يَسْرُهُ بِمَخْلُفِهِ  
فَبَنَانِ بَنِي مَزَنِي مَزَنِ  
تَهَوَّلَ بِلَطْفِ مَصْرَفِهِ  
مَزَنِ مَذْحَلَ بِسَكْرَةِ  
يَوْمًا نَظَفَتْ بِمَصْحَفِهِ  
شَكَرَتْ حَتَّى بَعْرَاهِهِ  
وَبِعَنَاهِهِ وَبِأَرْفَاهِهِ  
ضَحَّكَتْ بَابِي الْعَبَاسِ مِنَ الْأَيَامِ ثَانِيَا زَحْرَفَهَا  
وَتَكَرَّتْ الْنَّيَا حَتَّى عَرَفَتْ مِنْهُ بِمَعْرَفَهَا

بَلْ نَقُولُ: يَا مَحْلُ الرَّوْلَدِ **لَا أَقْسَمُ بِهَذَا الْبَلَدِ**. وَأَنْتَ حَلْ  
بِهَذَا الْبَلَدِ **لَقَدْ حَلَ بَيْنَ عَرَى الْجَلَدِ**، وَخَلَدَ الشَّوْرُ بَعْدَكِ يَا ابْنَ  
خَلِدَوْنَ فِي الصَّمِيمِ مِنَ الْخَلَدِ، فَجِبَ اللَّهُ زَمَانًا شَفَيتِ فِي قَرِبِكِ  
زَمَانَتِهِ، وَاجْتَلَتِ فِي صَدِيفِ مَجْدِكِ جَانَتِهِ، وَقُضِيَتِ فِي مَرْعَى خَلْتِكِ  
لِبَانَتِهِ، وَأَهْلًا بِرَوْضَهِ أَظْلَلَتِ أَشْتَانَاتِ مَعَارِفِكِ بَانَتِهِ، فَحَمَانَهُ بَعْدَكِ  
تَنَبَّدَ فِي سَاعِدَهَا الْجَنْدِبِ، وَنَوَاسِمَهُ تَرَقَّتِيَّا فَتَقَاشَيِ، وَعَشَانَهُ  
تَخَافَتْ وَتَلَاشَيِ، وَأَدَواهُ فِي ارْتِبَاكِ، وَحَائِمَهُ فِي سَامَ ذِي  
اشْتِبَاكِ، كَانَ لَمْ تَكُنْ قَمَرَ هَالَاتِ قَبَابِهِ، وَلَمْ يَكُنْ أَسْكَ شَارِعَ بَابِهِ،  
إِلَى صَفَرَةِ الظَّرْفِ وَلِبَابِهِ، وَلَمْ يَسْبِعِ إِنْسَانَ عِينِكِ فِي مَاءِ شَبَابِهِ،  
فَلَهَفَيِ عَلَيْكِ مِنْ درَةِ اخْتِلَستِهَا يَدُ النَّوْيِ، وَمَطْلُ بِرَدَهَا الْدَّهْرِ  
وَلَوْيِ، وَنَعْنَقَ الْغَرَابَ بَيْنَهَا فِي رَبِيعِ الْمَهْرِ، وَنَطَقَ بِالْجَرْجِ فَمَا نَطَقَ  
عَنِ الْمَهْرِ، وَبَأْيَ شَيْءٍ يَعْتَاضُ مِنْكِ أَيْتَهَا الْرِّيَاضِ، بَعْدَ أَنْ طَمَأَ  
نَهْرَكِ الْفَيَاضِ، وَفَهَقَتِ الْحَيَاضِ، وَلَا كَانَ الشَّانِيَّ الْمَشْنُوَّ وَالْجَرْبِ  
الْمَهْتَوِيَّ مِنْ قَطْعِ لَلِي أَغَارَ عَلَى الصَّبِحِ فَاحْتَمَلَ، وَشَارَكَ فِي النَّمِ  
النَّاقَةِ وَالْجَمْلِ، وَاسْتَأْثَرَ جَنْحَهُ بِيَدِ النَّادِي لَمَّا كَمِلَ، نَشَرَ الشَّرَاعِ  
فِرَاعَ، وَوَاصِلَ الْإِسْرَاعَ، فَكَانَتِهَا هُوَ تَمَسَّحُ النَّيلَ ضَابِقَ الْأَجَابِ فِي  
الْبَرَّةِ، وَانتَطَفَ لَهُمْ مِنْ الشَّطْنَ زَرْعَهُ الْبَيْنِ، وَعَنِ الزَّرْهَةِ، وَلَجَحَ  
بَهَا، وَالْعَيْنُ تَنَظَّرُ، وَالْغَمُّ عنِ الْإِتَابَعِ يَعْتَرُ، فَلَمْ يَقْدِرْ إِلَّا عَلَى  
الْأَسْفِ، وَالْتَّمَاحِ الْأَثْرِ الْمَتَسْفِ، وَالرَّجُوعِ عَلَيْهِ الْعَيْةِ مِنَ الْحَيَاةِ،  
وَوَقَرَ الْجَسْرَةِ مِنَ الْحَسْرَةِ، إِنَّا نَشْكُرُ إِلَى اللَّهِ الْبَثِّ وَالْحَزْنِ،  
وَنَسْتَمْطِرُ مِنْ عَبْرَاتِنَا الْمَزْنِ، وَيَسِيفُ الرَّجَاءِ نَصْوَلِ، وَإِذَا اشْرَعْتَ  
لِلْيَأسِ أَسْنَةَ وَنَصْوَلَ:

مَا أَنْدَرَ اللَّهُ أَنْ يَدْنِي عَلَى شَحْطِهِ  
فَإِنْ كَانَ كَلْمُ الْفَرَاقِ رَغِيْبًا، لَمَّا نَوَيْتَ مَغِيْبًا، وَجَلَّتِ الْوَرَقَتِ  
الْمَهْنِيَّ تَشْغِيْلًا، فَلَعِلَّ الْمَلْتَقِيَّ يَكُونُ قَرِيبًا، وَحَدِيثِهِ يَرْوَى صَحِيْحًا  
غَرِيْبًا.

يَهِ سَيِّدِي! كَيْفَ حَالَ تَلِكَ الشَّمَائِيلَ الْمَزْهَرَةَ الْخَمَائِلَ،

بِهِ أَيْهَةِ درَجِ، بَعْدَ أَنْ تَجَازُ الْلَّوْرِيَّ وَالْمَنْعَرِجِ، لَكِنَ الشَّدَّةُ تَعْشَقُ  
الْفَرَجِ، وَالْمَوْمِنُ يَشْتَقُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ الْأَرْجَ، وَلَيَ بِالصَّبَرِ عَلَى إِيْرِ  
الْدَّبِرِ لَا بِالضَّرِبِ الْمَبْرِ، وَمَطَاوِلَةِ الْيَوْمِ وَالْشَّهَرِ، تَحْتَ حَكْمِ  
الْقَهْرِ، وَمِنْ لَلَّعِينِ أَنْ تَسْلُو سَلْوَنَ الْمَقْسِرِ عَنِ إِنْسَانِهِ الْمَبْرِ، أَوْ  
تَنْهَلَ ذَهَولُ الْزَّاهِدِ عَنِ سَرَّهَا الرَّائِيِّ وَالْمَشَاهِدِ، وَفِي الْمَجْدِ مَضْعَفَةِ  
يَصْلَحُ إِذَا صَلَحَتِ، فَكَيْفَ حَالَهُ إِنْ رَحَلَ عَنْهُ وَإِنْ تَرَحَّتِ، وَإِذَا  
كَانَ الْفَرَاقُ هُوَ الْحَمَامُ الْأَوَّلُ، فَلَامَ الْمَعْوَلَ الْمَعْوَلَ أَعْيَتِ مَرَاوِيَّةَ الْفَرَاقِ  
عَمَلَ الرَّاقِ، وَكَادَتْ لَوْعَةَ الْأَشْتِيَّاقيِّ أَنْ تَنْضَبِ إِلَى السَّيَّاقِ.

تَرْكِمُونِي بِعَدِ تَشْيِعِكِمْ أَوْسَعَ أَمْرَ الصَّبَرِ عَصِيَّانَا

أَقْرَعَ سَيِّني نَدِمًا تَارَةً وَاسْتَمْبِعَ الدَّمَعَ أَحْيَانَا

وَرِبِّي تَعْلَلَتْ بِغَشِيَانِ الْمَعَاهِدِ الْخَالِيَّةِ، وَجَدَتْ رَسُومَ الْأَمْسِ  
بِجَبَرِيَّةِ الرَّسُومِ الْبَالِيَّةِ، أَسْأَلَتْ نَوْنَنَ التَّؤْيِيَّ عَنِ أَهْلِيِّهِ، وَمِيمَ الْمَرْقَدِ  
الْمَهْجُورِ عَنِ مَصْطَلِيِّهِ، وَثَاءَ الْأَكَافِيَّ الْمَلَثَةِ عَنِ مَنَازِلِ الْمَوْهِدِينِ،  
وَأَحَارَ وَبَيْنَ تَلِكَ الْأَطْلَالِ حَرِيَّةَ الْمَلَحِدِينِ، لَقَدْ ضَلَّلَتْ إِذَاً وَمَا أَنَا  
مِنَ الْمَهَدِيِّينِ، كَلَفَتْ لَعْرُ اللَّهِ بِسَالَ عَنِ جَفُونِيِّ الْمَوْرَقَةِ، وَنَاثَمَ عَنِ  
هَمُومِيِّ، الْمَتَجَمِعَةِ وَالْمَتَرَقَّةِ، طَعَنَ عَنِ مَلَالِ، لَا مَتَرْبَمَا مَنَا بَشَرَ  
خَالِلَ.

وَكَدَرَ الْوَصْلُ بَعْدَ صَفَائِهِ، وَضَرَحَ النَّصْلُ بَعْدَ عَهْدِ وَفَائِهِ:  
أَقْلَلَ الْأَشْتِيَّاقيِّ إِلَيْهَا الْقَلْبَ إِنْمَا رَأَيْتَ تَصْفِيَ الْوَدِ مِنْ لَيْسَ جَازِيَا  
فَهَا أَنَا أَبْكِي عَلَيْهِ بَدَمَ أَسَالَهُ، وَأَنْدَبَ فِي رَبِيعِ الْفَرَاقِ أَسَى  
لَهُ، وَأَشْكَرَ إِلَيْهِ حَالَ قَلْبِ صَدَعَهُ، وَأَوْدَعَهُ مِنْ الْوَرْجِ مَا أَوْدَعَهُ،  
لَا خَدَعَهُ، ثُمَّ قَلَّاهُ وَوَدَعَهُ، وَأَنْشَقَ رَيَاهُ أَنْفَ ارْتِيَاحَ قَدْ جَدَعَهُ،  
وَاسْتَعْدَدَهُ عَلَى ظَلَمِ ابْنَدَعَهُ.

خَلِيلِيِّ فِيمَا عَشَتِمَا هَلْ رَأَيْتَما قَبِيلَا بَكِيَّ مِنْ حَبِّ قَاتِلِهِ قَبْلِيِّ

فَلَوْلَا عَسَى الرَّجَاءِ وَلَعِلَهُ، لَا بِلَشَفَاعَةِ الْمُحَلِّ الْذِي حَلَهُ،  
لَنْشَرَتْ الْوَرِيَّةِ الْعَتَبِ وَيَشَتَّتَ كَتَابِهَا كَمَنَاءِ فِي شَعَابِ الْكِتَبِ، تَهَزَّ  
مِنَ الْأَلْفَاتِ رَمَاحًا خَزَرَ الْأَسْنَةَ وَتَوَتَّ مِنَ التَّرَنَاتِ أَمْشَالِ الْقَسِيِّ  
الْمَرْنَةِ، وَتَقْرَدَ مِنْ جَمْعِ الْطَّرَسِ وَالنَّقْسِ بِلَقَا تَرَدِيَ فِي الْأَعْنَةِ،  
وَلَكِنَّهُ أَوَى إِلَى حَرْمِ الْأَمْيَنِ، وَتَقْيَا ظَلَالَ الْجَوَارِ الْمَؤْمِنِ مِنْ مَعْرَةِ  
الْغَوَارِ عَنِ الشَّمَالِ وَالْيَمِينِ، حَرْمَ الْخَلَالِ الْمَزَبَنَةِ، وَالظَّلَالِ الْيَزِنَةِ،  
وَالْهَلَمِ الْسَّبِيَّنَةِ، وَالشَّيْمِ الْيَلِيَّنَةِ، لَا تَرْضِي بَالْدُونُ وَلَا بِالْدِنِيَّةِ، حِيثُ  
الرَّفِدُ الْمَنْوَحُ، وَالْطَّيْرُ الْمَيَّانُ يَزْجُرُ لَهَا السَّنْوَحَ وَالْمَثَوِيَّ الَّذِي إِلَيْهِ  
مَهْمَا تَقَارَعَ الْكَرَامُ عَلَى الْضَّيْفَانَ، حَوْلَ جَوَابِيِّ الْجَفَانَ، فَهُوَ  
الْجَنْوَرُ:

كَبَ كَانَ عَلَيْهِ مِنْ شَمْسِ الْفَصْحِيِّ نُورًا وَمِنْ ثَلْقِ الصَّبَاحِ عَمْودًا  
وَمِنْ حَلِّ بَتِلَكَ الْمَثَابَةِ قَدْ اطْمَانَ جَنْبَهُ، وَتَغْمَدَ بِالْعَفْرِ ذَنْبَهُ،  
وَلَهُ دَرِ القَاتِلِ:

عن المطعم، وبالعين الكليلة فالملح، واغتنم لباس ثوب الشواب،  
وأشف بعض الجوى بالجواب.

تولاك الله فيما استضفت وملكت، ولا بعدت ولا هلكت،  
وكان لك آية سلكت، ووسمك في السعادة بأوضاع السمات،  
وأناح لقاءك من قبل المات، والسلام الكريم يعتمد حلال ولدي  
وساكن خلدي، بل أخي وإن انتقى عتبه وسيدي، ورحمة الله  
ويركاته، من حبة المشاتق إلى محمد بن عبد الله بن الخطيب في  
الرابع عشر من شهر ربيع الثاني من عام سبعين وسبعين.

وكان تقدم منه قبل هذه الرسالة كتاب آخر إلى، بعث به إلى  
تلمسان تناحر وصولة، حتى بعث به الأخ يحيى عند وفاته على  
السلطان، ونص الكتاب.

يا سيدي إجلالاً واعتداداً، وأخي وداً واعتقاداً، وحمل  
ولدي شفقة سكتت مي فزادة.

طال علي انقطاع أباائك، واختفاء أخبارك، فرجوت أن تبلغ  
النية هذا المكتوب إليك، ومخترق به الموضع دونك، وإن كنت في  
مبائلك كالعاطش الذي لا يروي، والأكل الذي لا يشبع، شأن من  
تجاوز الحدود الطبيعية، والعوائد المألوفة، فانا الآن -بعد إنهاء  
التحية المطلولة الروض بهذه الدمعة، وتغير التسوق القديم اللزيم،  
وشكوى العياد الآليم، وسؤال إناحة القرب قبل الفوت من الله  
ميسير المسير، ومقرب البعيد، أسأل عن أحوالك سؤال أبعد  
الناس محالاً في مجال الخلوص لك، وأشهدهم حرصاً على اتصال  
سعادتك، وقد اتصل بي في هذه الأيام ما جرى به القدر من تنويع  
الحال لديك، واستقرارك بيسكرة محل الغبطة بك باللجة إلى تلك  
الرياسة الزكية، الكريمة الأب، الشهيرة الفضل، المعروفة القدر على  
البعد، حرسها الله ملجاً للفضلاء، وخيمًا لرجال العلiae، ومهما  
لطلب الثناء، بحوله وقوته، وما كل وقت تأتى فيه السلامة فاحمدو  
الله على الخلاص، وقاربوا في معاملة الآمال، وضمنوا بتلك الذات  
الفضلية عن المشاق، وأهلوا بها عن المثاليف، فمطلوب الحريص  
على الدنيا خسيس، والموانع الحافة جمة، والحاصل حسرة، وبائل  
السعى تحصل حاله العافية، والعاقل لا يستنكح الاستغراف فيما  
آخره الموت، إنما ينال منه الضروري، ومثلك لا يعجزه -مع  
التماس العافية- إضعاف ما يرجى به العمر من المأكل والمشرب،  
وحسبنا الله.

وإن تشوقت حال الحب تلك السيادة الفذة والبنوة البرة،  
فالحال حال من جعل الزمام بيد القدر، والسير في مهيع الغفلة،  
والسبع في تيار الشواغل، ومن وراء الأمور غيب محظوظ، وأجل

والشيم الحامية الديم؟ هل يمر بيالها من راعت بالبعد باله، وأخذت  
بعاصف بين ذباله؟ أو ترثي لشون شأنها سكب لا يفتر، وشوق  
بيت جبال الصبر ويترا وضنى تقصر عن حلله الفاقعة صناء  
وتستر والأمر أعظم والله يستر، وما الذي يضيرك حين من لفح  
السموم نصيرك، بعد أن أضرمت وأشعّلت وأوقدت، وجعلت  
و فعلت فعلتك التي فعلت، إن تترافق بذماء، أو ترد بنبأء،  
أرماق ظاء، وتعاهد المعاهد بتحية يشم عليها شذا أنساك، أو  
تنظر إليها -على بعد- بعقلة حوراء من بياض قرطاسك وسجاد  
أنفاسك، فربما قنعت الأنفس الحبة بخيال زور، وتعللت بنوال  
منزور، ورضيت لما تصد العقاوه بزبور:

يا من ترحل والرياح لأجله تشقق إن هبت شذا رياها  
غمياً النفوس إذا بعثت تحية وإذا عزمت أقرأ «ومن أيها»

ولثن أحيت بها فيما سلف نفوساً تنديك، والله إلى الخير  
يهديك، فتحن نقول معاشر مواديك «أثني ولا تجعلها بيبة لدبيك»  
وعذرًا فإنني لم أجرب على خطابك بالفقر الفقير، وأدللت لدى  
حجراتك برفع العفيرة، عن نشاط بعثت مرسومه ولا اغبطة  
بالأدب تغري بسياسة سوسيه، وابساط أوحى إلى على الفترة  
ناموسه وإنما هو اتفاق جرته نفحة المصدر، وهناء الحرب المجدور،  
 وإن تعلل به مفارق، فثم قياس فارق، أو لحن غنى به بعد البعد  
مخارق؛ والذي هيأ هذا القدر وسيبه، وسهل المكروه إلى منه  
وحبيبه، ما اقتضاه الصنو يحيى، -مد الله حياته، وحرس من  
الحوادث ذاته- من خطاب ارتشف به لهذه القرىحة بالاتها، بعد أن  
رضي علاتها، ورشح إلى الصهر الحضري سلالتها، فلم يسع إلا  
إسعافه، بما أعاذه، فأتملت عمياً ما لا يدع في يوم الرهان غمياً  
وأسمعته وجباً لما ساجلت بهذه الترهات سحراً عجيبة، حتى إذا  
الف القلم العريان سبحة، وجع بزدون الغزاره فلم أطلق كبحه،  
لم أفق من غمرة غلوه و موقف متله، إلا وقد تخيز إلى فتك معتزاً  
بل معتراً، واستقبلها ضاحكاً مفتراً، وهش لها برأ، وإن كان من  
الحجل مصفرأً، وليس بأول من هجر، في التماس والوصل من  
هجر، أو بعث التمر إلى هجر، وأي نسب بين اليوم وبين زخرف  
الكلام، وإجالة جياد الأقلام، في محاربة الأعلام، بعد أن حال  
الجريض دون القربيض، وشغل المريض عن التعريض، وغلب  
حتى الكسل، وضلل الشعارات البيض كانها الأسل، تروع برقط  
الحيات، سرب الحياة، وتطرق بذوات الغرر، والشباب عند  
البيات، والشيب الموت العاجل، وإذا أيض زرع صيحة المناجل،

والعتبر الآجل، وإذا اشتغل الشيخ بغیر معاده، حكم في الظاهر  
بإيعاده، وأسره في ملکة عاده، فاغض أبناءك الله، واسمح لن قصر

في الآمال.

وقد تلقب السلطان - أيده الله - بعقب هذه المكفيات بالغنى بالله - وصدرت عنه مخاطبات بمجمل الفتوح ومفصلها يعظم الحرص على إيصالها إلى تلك الفضائل لو أمكن.

وأما ما يرجع إلى ما يتلخص إليه ذلك الكمال من شغل الوقت، فصدرت تقديراته، وتصانيف يقال فيها - بعد ما أعملته تلك السيادة من الانصراف - يا إبراهيم ولا إبراهيم اليوم.

منها: أن كتاباً رفع إلى السلطان في الجهة من تصنيف ابن أبي حجلة من المشارقة أشار الأصحاب بمعارضته فعارضته، وجعلت الموضوع أشرف، وهو مجدة الله، فجاء كتاباً دعى الأصحاب غربته.

وقد وجه إلى المشرق وصحبة كتاب: «تاريخ غرناطة» وغيره من تأكيفي.

وتعرف تخييه بخانقاه سعيد السعداء من مصر، واثال الناس عليه، وهو في لطافة الأغراض، يتكلف أغراض المشارقة من ملحة: سلمت لصرفى الموى من بلد بهديه هواوه لدى استشاقه من ينكر دعواني نقل عبي له تكفي امرأة العزيز من عشاقه؟ والله يرزق الإعانة في اتساخه وتوجيهه.

وصدر عن جزء سميته: (الغرة على أهل الخيرة) وجزء سميته: «حمد الجمهور على السنن المشهور».

والإكباب على اختصار كتاب (الناج) للجوهرى ورد حجمه إلى مقدار الخمس، مع حفظ ترتيبه السهل، والله المعين على مشغلة نقطع بها هذه البرهة القريبة البداءة من التمة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

والمطلوب المشابرة على تعريف يصل من تلك السيادة والبررة، إذ لا يتعذر وجود قائل من حج، أو لاحق بتلمسان يبعثها السيد الشريف منها، فالنفس شديدة التعطش، والقلوب قد بلغت من - الشوق والاستطلاع - الخنجر.

والله أسأل أن يصون في البعد وديعي منك لديه، ويلبسك العافية، وخلصك ولدك من الورطة، ومحملنا أجمعين على الجادة. ويختم لنا بالسعادة.

والسلام الكريم عوداً على بدءه، ورحمة الله وبركاته من الحب المشوق الذاكرا الذي ادعى ابن الخطيب، في الثاني من جمادى الأولى من عام تسعه وستين وسبعين انتهى.

مكتوب، نومل فيه عادة الستر من الله، إلا أن الضجر الذي تعلمونه حفظه الناس لما عجزت الحيلة، وأعزز الناس وسدت المذاهب، والشأن اليوم شأن الناس فيما يقرب من الاعتدال.

وفيما يرجع إلى السلطان - تولاه الله - على أضعاف ما باشر سيدى من الأغبياء في البر، ووصل سبب الاتحام والاشتمال مع الأسقلال وما يتوجه متعدد الظهور، والحمد لله.

وفما يرجع إلى الأحباب والأولاد فعلى ما علمت إلا أن الشوق خامر القلوب، وتصور اللقاء مما يزهد في الوطن، وحاضر العم سنت الله ذلك على أفضل حال، ويسره قبل الارتحال عن دار الحال.

وفيما يرجع إلى الوطن فاحتلام النائم خصباً، وهدنة وظهوراً على العدو، وحسبك فافتتاح حصن آثر وبرغة القاطعة بين بلاد الإسلام، ووبدة والعارين وبغيه وحصن السهلة في عام.

ثم دخول بلد إطيرية بنت إيشيلية عنوة، والاستيلاء على ما يناهر خمسة آلاف من النبي ثم فتح دار الملك، ولدة قرطبة: ومدينة جيان عنوة في اليوم الأغر المحجل، وقتل المقاتلة، وسيبي الذريبة، وتفعية الآثار حتى لا يلم بها العمران، ثم افتتاح مدينة إبدة التي تلف جيان في ملائتها، دار التاجر، والرفاهية والبني الحافظة، والنعم الثرة، نسأل الله - جل وعلا - أن يصل عوائد نصره، ولا يقطع عنا سبب رحنته، وأن ينفع بما أuan عليه من السعي في ذلك والإعانة عليه.

ولم يتزد من الحوادث إلا ما علمت من أخذ الله لنسمة السوء، وخبت الأرض، المسلوب من أثر الخير: عمر بن عبد الله، وتحكم شر المية في نفسه، وإitan النكال على حاشيته، والاستئصال على ذاته، والاضطراب مستول على الوطن بعده، إلا أن الغرب على علاته لا يرجحه غيره.

والأندلس اليوم شيخ غزاتها عبد الرحمن بن علي ابن السلطان أبي علي، بعد وفاة الشيخ أبي الحسن: علي بن بدر الدين رحمه الله.

وقد استقر بها - بعد انصراف - سيدى الأمير المذكور، والوزير مسعود بن رحو، وعمر بن عثمان بن سليمان.

والسلطان ملك النصارى بطره قد عاد إلى ملكه بإيشيلية، وأنخوه مجلب عليه بقتالية وقرطبة مخلافة عليه، قائمة بطائفة من كبار النصارى الماخفين على أنفسهم، داعين لأحبيه، والمسلمون قد اغتنموا هبوب هذه الريح.

وخرق الله لهم عوائد في باب الظهور والخير، لم تكن تختضر

الأمل، ومغالية للأيام على الحظ، وإقطاعاً للغفلة جانب العمر.  
هل نافعي والجد في صبب مري مع الأمسال في صعد  
رجع الله بنا إليه، ولعل في عظتكم النافعة شفاء هذا الداء،  
العياء إن شاء الله، على أن لطف الله مصاحب وجوار هذه  
الرياسة المزنية، وحسبك بها علمية عصمة وافية، صرفت وجه  
القصد إلى ذخريتي التي كنت أعتندها منهم كما علمتم، على حين  
تفاقم الخطب، وتلون الدهر، والإفلات من مظان النكبة، وقد  
رتعت حروها بعدما جرته الحادثة بهلك السلطان المرحوم على يد  
ابن عمّه، قريبه في الملك وقسمه في النسب، واليثاث الجاه، وتغير  
السلطان، واعتقال الأخ المخالف، واليأس منه لو لا تكيف الله في  
نخائه، والعيث بعده في المتزل والولد، واغتصاب الضياع المقتنة من  
بقايا ما متعت به الدولة المصرية أبقاها الله من التعمة، فآوى إلى  
الوكر، وساهم في الحادث وأشترك في الجاه والمال، وأعان على  
نوابي الدهر وطلب الوثر حين رأى الدهر قلاني وأمل الملوك،  
استخلاصي، وتجاوزوا في إنجافي والله المخلص من عقال الأمال،  
والمرشد إلى نبذ هذه المخطوظ المرطبة.

وأباني سيدى بما صدر عنه من التصانيف الغربية والرسائل  
البلية في هذه الفتوحات الجليلة، وبردي لو وقع الالتحاف بها أو  
بعضها، فلقد عاولدنى الندم على ما فرط.

وأما أخبار هذا القطر فلا زيادة على ما علمتم من استقرار السلطان أبي إسحاق ابن السلطان أبي يحيى بتونس مستبداً بأمره بالحضرية بعد مهلك شيخ المؤحدين أبي محمد بن تافراين القائم بأمره، رحمة الله عليه مضايقاً في جنابه الوطن وأحكامه بالعرب، المستظہر بن بادعوته، مصانعاً لهم بوفة علی، أمان الرعایا والساپلة.

لو أمكن حسن السياسة جهد الورقت، ومن انتظام مجاية محل دولتنا في أمر صاحب فلسطينية وبونته غالباً كما علمتم، محملاً الدولة بصرامة وفورة شكيمته فوق طرقها، من الاستبداد والضرب على أيدي المستغلين من الأعراب، متقضى الطاعة أكثر أوقاته بذلك إلا ما شمل البلاد من تغلب العرب وتقص الأراضي من الأطراف والوسط، ونخود ذبال الدول في كل جهة وكل بداية فائل تمام.

وأما أخبار المغرب الأقصى والأدنى فلديكم طلعة.  
واما المشرق فالأخبار الحاج هذه السنة من اختلاله، وانتقاض  
سلطانه، وارتفاع الجفنة على كرسيه، وفساد المصانع والسكنيات  
المعدة لورف الله حاج بيته، ما يسخن العين ويطبل البث، حتى  
يعلموا أن المسحة اتصلت بالقاهرة أياماً.

فأجبته عن هذه المخاطبات، وتفاهمت من السجع خشية  
القصور عن مساجلته فلم يكن شاؤه يلحق.

ونص الجواب: سيدى مجدأ وعلوأ، وواحدى ذخراً مرجواً  
و عمل والدى برأً وحنواً.

ما زال الشوق - مذنث بـي وبـك الدار، واستـحـكم بـينـا  
البعـاد - يـرـعـي سـمـعـي أـبـاءـكـ، وـيـخـيلـ إـلـيـ منـ أـسـدـيـ الـرـيـاحـ تـنـاـولـ  
رسـائـلـكـ، حـتـىـ وـرـدـ كـتـابـكـ العـزـيزـ عـلـىـ اـسـطـلـاعـ، وـعـهـدـ غـيرـ  
مضـاعـ وـوـدـ ذـيـ أـجـنـاسـ وـأـنـوـاعـ، فـشـرـ بـقـلـبـيـ مـيـتـ السـلـوـ وـحـشـرـ  
أـنـوـاعـ الـمـسـرـاتـ، وـقـدـحـ لـلـقـائـكـ زـنـادـ الـأـمـلـ، وـمـنـ اللـهـ أـسـأـلـ الـإـمـانـ  
بـكـ قـبـلـ الغـوتـ عـلـىـ ماـ يـرـضـيـكـ، وـيـسـيـ أـمـانـيـ وـأـمـانـيـكـ.

وحيثه خيبة الهاشم، لموقع الغمام، والمدخل للصباح المتبلج، وأمل على مقترن الأولياء خصوصاً فيك، من اطمنان الحال، وحسن القرار، وذهبوا المراجس، وسكنون النفرة، وعموماً في الدولة من رسوخ القدم، وهبوب ريح النصر، والظهور على عدو الله باسترجاع الحصون التي استنقذوها في اعتلال الدولة، وتغريب العاقل التي هي قواعد المصانة، غريبة لا تثبت إلا في الخلم وآية من آيات الله، وإن خيبة هذا الفتح في طي العصور السالفة إلى هذه المدة الكريمة، ولدليل على عنابة الله بتلك الذات الشرفية، حين ظهرت على يدها خوارق العادة، وما تجدد آخر الأيام من معجزات الله، وكمل فيها والحمد لله محسن التدبير وعین التنبیه، من حميد الآخر، وخالد الذكر، طراز في حلقة الخلافة النصرية، وتابع في مفرق الوزارة.

كتبه الله لكم فيما يرضاه الله من عباده.  
ووقدت عليه الأشراف من أهل هذا القطر المحسوس،  
وأذعنـت في الملـا سرورـاً لعزـ الإسلامـ واظهـارـاً للنـعمةـ، واستطـرـادـاً  
لـذـكـرـ الـدـولـةـ الـمـلـوـرـيـةـ بماـ سـتـحـقـهـ منـ طـيـبـ الثـنـاءـ وـالـتـمـاسـ الدـعـاءـ،  
وـالـحـدـيـثـ بـنـعـمـتـهاـ، وـالـإـشـادـةـ بـفـضـلـهاـ عـلـىـ الدـوـلـ السـالـفـةـ وـالـخـالـفـةـ  
وـتـقـدـمـهاـ، فـانـشـرـتـ الصـدـورـ حـبـاءـ، وـامـتـلـاتـ الـقـلـوبـ إـجـلاـسـاً  
وـتـعـظـيمـاً، وـجـسـنتـ الـأـثـيـارـ اـعـتـقادـاً دـعـاءـ.

وكان كتاب سيدى لشرف تلك الدولة عنواناً، ولما عساه يستجعى من نعي فى مناقها ترجانها، زاده الله من فضله، وأمتع المسلمين بيقاوه وبنته شكوى الغريب من الشوق المزعج، والشيرة التي تكاد تذهب بالنفس أسفًا لتجانى عن مهاد الأمان والتقويض عن دار العزيز المولى المنعم، والسيد الكريم، والبلد الطيب، والإخوان البررة «ولئن كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَا سَتَكْتُرُّتُ مِنَ الْخَيْرِ»، وإن تشوفت السيادة الكريمة إلى الحال، فعلم، ما علمتم سرًا مع

خليل عليه في تعريفكم بها، وأما البواطن فمما لا تُسأله كثرة وجاهة، وأخص بالصاد ما أظن شفوفكم إليه حال، فاعلموا أنني قد بلغ بي الماء الزبي واستول على سوء المزاج المنحرف، وتولست بالأمراض، وأعز العلاج لبقاء السبب، والعجز عن دفعه، وهي هذه المداخلة جعل الله عاقبتها إلى خير، ولم أترك وجهها من وجوه الحيلة إلا بذلك، فما أغنى ذلك عني شيئاً، ولو لا أنني بعدكم شغلت الفكر بهذا التاليف مع الزهد، وبعد المهد، وعدم الإلماع بطالعة الكتب، لم يتمش حالي من طريق فساد الفكر إلى هذا الحال، وأآخر ما صدر عني كتاب سميت باستزال اللطف الموجود في أسر الوجود.

أملتيه في هذه الأيام التي أقيم فيها رسم النيابة عن السلطان في سفره إلى الجهاد بودي لو وفقتهم عليه، وعلى كتابي في الجبة، وعسى الله أن يسر ذلك.

ومع هذا كله والله ما قصرت في الحرص على إيصال مكتوب إليكم إما من جهة أخيكم أو من جهة السيد الشريف أبي عبد الله، حتى من المغرب إذا سمعت الركب متوجهها منه، فلا أدرى هل بلغكم شيء من ذلك أم لا، والأحوال كلها على ما ترتكموا عليها، وأحبابكم خير على ما علمتم من الشوق والتشوف، والاراضن لمقارنتكم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

والله يحفظكم ويكون لكم، ويتول أمركم، والسلام عليكم ورحمة الله.

من الحب الواحش الشيخ ابن الخطيب في غرة ربيع الثاني من عام إحدى وسبعين وسبعمائة.  
وبياته مدرجة نصها:

سيدي رضي الله عنكم استقر بتلمسان في سبيل تقلب ومطارة مراج تعرفونه صاحبنا المقدم في صنعة الطب أبو عبد الله الشقوري.

فإذا اتصل بكم فأعينوه على ما يقف عليه اختياره، وهذا لا يحتاج معه إلى مثلكم.

عنوانه سيدي وحمل أخي الفقيه الجليل الصدر الكبير المعظم الرئيس الحاج العالم الفاضل الوزير ابن خلدون.

وصل الله سعاده وحرس مجده بهته.

إنما طولت ذكر هذه المخاطبات، وإن كانت فيما يظهر خارجة عن غرض الكتاب لأن فيها كثيراً من أخباري وشرح حال فیستوفي ذلك منها ما يتلمس علىه من المطالعين للكتاب.

وكثير المرج في أزقها وأسوقها لما وقع بين استدمر المتغلب بعد يبلغ المتصكي، وبين سلطانه ظاهر القلعة، من الجولة التي كانت دائتها عليه، أجلت عن زهاء الخمسينات قتلى، من حاشيته، وموالي يلغوا، وتقبض على الباقين، فأودع منهم السجون، وصلب الكثير، وقتل استدمر في محبسه، وألقى زمام الدولة بيد كبير من موالي السلطان فقام بها مستيناً وقادها مستقلاً، وبيد الله تصريف الأمور ومظاهر الغيوب جل وعلا.

ورغبي من سيدي أبقاء الله أن لا يغيب خطابه عني متى أمكن، يصل بذلك منه الجمعة، وأن يقبل عنى أقسام تلك الذات الملووية، ويعرفه بما عندي من التشيع لسلطانه، والشكر لنعمته، وأن ينهي عني حاشيته وأهل اختصاصه التحية المختلسة من أنفاس الرياض، كبرهم وصغرهم.

وقد تأدي مني إلى حضرته الكريمة خطاب على يد الحاج نافع سلمه الله تناوله من الأخ يحيى عند لقائه إيه بتلمسان محضرة السلطان أبي هو أبده الله، فربما يصل وسيدي بوضع من ثانية ودعاني ما عجز عنه الكتاب، والله يعيكم ذخراً للمسلمين وملاذاً للآملين بفضلة، والسلام عليكم، وعلى من لاذ بكم من السادة الأولاد الناجب، والأهل والحاشية والأصحاب، من المحب فيكم المعتد بكم شيعة فضلهم ابن خلدون ورحمة الله وبركاته.

عنوانه سيدي وعمادي ورب الصنائع والأيادي والفضائل الكريمة الحرام والمبدى إمام الأمة، علم الأنمة، تاج الملة فخر العلماء الجلالة عماد الإسلام، مصطفى الملوك الكرام، نكبة الدول، كافل الإمامة، تاج الدول أثير الله، ولـيـ أمـيرـ المـسـلمـينـ، الغـنـيـ بالـلـهـ أـبـدـهـ اللـهـ، الـوـزـيرـ أـبـوـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ الـخـطـيـبـ أـبـاءـ اللـهـ، وـتـولـ عنـ الـمـسـلـمـينـ جـزاـهـ.

وكتب إلى من غرناطة: يا سيدي ووليبي وأخي وحمل ولدي! كان الله لكم حيث كنتم ولا اعدكم لطفه وعانته، لو كان مستقركم بحيث يتأتى اليه تردید رسول، واو إيفاد متطلع أو توجيه نائب، لرجعت على نفسى باللائمه فى إغفال حكمكم، ولكن العذر ما علمتم، واحدوا الله على الاستقرار فى كشف ذلك الفاضل الذى وسعكم كفته، وشملكم فضله، شكر الله حسيبه الذى لم يخلف وشهرته الي لم تقدر.

وإنني اغتنمت سفر هذا الشيخ وافت الحرمين بمجموع الفتاح في إيصال كتابي هذا، وبردي لو وفقتهم على ما لديه من الضااعة التي أنت رأسها وصدرها، فيكون لكم في ذلك بعض أنس، وربما تأدي ذلك في بعضه مما لم يختتم عليه وظاهر الأمور

ثم دخلت زغبة في طاعته واجتمعوا على خدمته ونهض من تلمسان لشفاء نفسه من حصين وبجاية، وذلك في آخريات إحدى وسبعين وسبعمائة فوقدت عليه بطافة من الدواودة أولاد عثمان بن يوسف بن سليمان لشارف أحواله، ونطالعه بما يرسم هم في خدمته، فلقيناه بالطحاء، وضرب لنا موعداً بالجزائر، انصرف به العرب إلى أهليهم، وتختلفت بعدهم لقضاء بعض الأغراض واللحاق بهم، وصلت به عبد الفطر على الطحاء، وخطبت به وأشتدت عند انصرافه من المصلى تهنة بالعيد وغرضه:

هذى الديار فجهن صباحاً وقف الطابيا بينهن طلاحاً  
لا تسأل الأطلال إن لم تروها عبرات عينك وأكفاً متاحاً  
فلقد أخذن على جفونك مونقاً أن لا يربين مع العياد شحاحاً  
لبيه عن الحمى الجميع ورما طرب الفؤاد لذكرهم فارتاحاً  
ومنازل للظاعنين استجمعت حزنًا وكانت بالسرور فصاحتا

وهي طريلة، ولم يبق في حفظي منها إلا هذا.

وبينما نحن في ذلك بلغ الخبر بأن السلطان عبد العزيز صاحب المغرب الأقصى من بني مرین قد استولى على جبل عامر بن محمد الهنائي براكنش، وكان أخذ بمحققة متذ حول، وساقه إلى فاس، فقتله بالعذاب، وأنه عازم على النهوض إلى تلمسان لما سلف من السلطان أبي حرو أثناء حصار السلطان عبد العزيز لعامر في جبلة، من الإجلاب على ثبور المغرب، ولحين وصول هذا الخبر، أضرب السلطان أبي حرو على ذلك الشأن الذي كان فيه، وكر راجعاً إلى تلمسان.

وأخذ في أسباب الخروج إلى الصحراء مع شيعة بني عامر من أحيا زغبة، فاستألف وجع وشد الرحال وقضى عبد الأضحى، وطلبت منه الإذن في الانصراف إلى الأندلس لتعذر الوجهة إلى بلاد رياح، وقد أظلم الجو بالفتنة، وانقطعت السبل، فاذن لي وحملني رسالة فيما بينه وبين السلطان ابن الأهر.

وانصرفت إلى المرسى بيهين، وجاءه الخبر بنزول صاحب المغرب تازا في عساكرة، فاجفل بعدي من تلمسان ذاهباً إلى الصحراء على طريق الطحاء.

وتذذر على ركوب البحر من هنبن فأقصرت، وتأدى الخبر إلى السلطان عبد العزيز باني مقسم بيهين، وأن معى ودبعة احتملتها إلى صاحب الأندلس، تخيل ذلك بعض الغواة، وكتب إلى السلطان عبد العزيز فائفـ من وقه سرية من تازا تعترضـ لاسترجاع تلك الوديعة، واستمر هو إلى تلمسان، ووافتـ السرية

ثم إن السلطان أبي حرو لم ينزل معتملاً في الإجلاب على بجاية واستللاف قبائل رياح لذلك، ومعولاً على مشياعـ فيـهـ ووصلـ يـدهـ معـ ذلكـ بالـسلطـانـ أبيـ إـسـحـاقـ ابنـ السـلـطـانـ أبيـ بـكـرـ صـاحـبـ تـونـسـ منـ بـنـيـ أبيـ حـفـصـ،ـ لـمـ كـانـ بـيـهـ وـبـنـيـ أبيـ العـبـاسـ صـاحـبـ بـجاـيـةـ وـقـسـطـنـطـيـةـ وـهـوـ اـبـنـ أـخـيـهـ مـنـ الـعـدـاوـةـ الـتـيـ تـقـضـيـهـاـ مـقـاسـمـةـ الـنـسـبـ وـالـمـلـكـ،ـ فـكـانـ يـوـفـدـ رـسـلـهـ عـلـيـهـ فـيـ كـلـ وـقـتـ،ـ وـيـمـرـونـ بـأـنـاـ بـسـكـرـةـ.

فاكـدـ الرـوـصـلـةـ بـخـاطـبـةـ كـلـ مـنـهـمـ،ـ وـكـانـ أـبـوـ زـيـانـ أـبـنـ عـمـ السـلـطـانـ أـبـيـ حـرـوـ بـعـدـ إـجـفـالـهـ عـنـ بـجاـيـةـ وـاخـتـالـ مـعـسـكـرـهـ قـدـ سـارـ فـيـ أـثـرـهـ إـلـىـ تـلـمـسـانـ،ـ وـاجـلـ بـلـىـ نـوـاجـيـهـ فـلـمـ يـظـفـرـ بـشـيـ،ـ وـعـادـ إـلـىـ بـلـادـ حـصـينـ فـأـقـامـ بـيـنـهـمـ،ـ وـاشـتـملـوـاـ عـلـيـهـ،ـ وـنـجـمـ التـفـاقـ فـيـ سـائـرـ أـعـمـالـ الـمـرـغـبـ الـأـوـسـطـ وـاـخـتـلـفـ أـحـيـاءـ زـغـبـةـ عـلـىـ السـلـطـانـ،ـ وـانتـبـدـ الـكـثـيرـ عـنـهـ إـلـىـ الـقـفـرـ.

ولـمـ يـزـلـ يـسـتـأـلـهـمـ حـتـىـ اـجـتـمـعـ لـهـ الـكـثـيرـ مـنـهـمـ،ـ فـخـرـجـ فـيـ عـسـاـكـرـهـ مـتـصـفـ تـسـعـ وـسـيـنـ وـسـبـعـمـائـةـ إـلـىـ حـصـينـ وـأـبـيـ زـيـانـ،ـ وـاعـتـصـمـواـ بـجـبـلـ تـيـطـرـىـ،ـ وـبـعـثـ إـلـىـ فـيـ اـسـتـفـارـ الـدـوـاـدـوـةـ لـلـأـخـذـ بـحـجزـهـمـ مـنـ جـهـةـ الصـحـراءـ،ـ وـكـتبـ يـسـتـدـعـيـ أـشـيـاـنـهـمـ يـعـقـوبـ بـنـ عـلـيـ كـبـيرـ أـلـاـدـ حـمـدـ،ـ وـعـثـمـانـ بـنـ يـوسـفـ كـبـيرـ أـلـاـدـ سـبـعـ بـنـ يـمـحـىـ.

وـكـتبـ إـلـىـ اـبـنـ مـزـنـيـ قـعـيدـةـ وـطـنـهـ بـإـمـادـهـمـ فـيـ ذـلـكـ،ـ فـأـمـدـهـمـ،ـ وـسـرـنـاـ مـغـرـبـينـ إـلـيـهـ حـتـىـ نـزـلـاـ قـطـفـاـ قـبـلـةـ بـيـطـرـىـ،ـ وـقـدـ أـحـاطـ السـلـطـانـ بـهـ مـنـ جـهـةـ التـلـ،ـ عـلـىـ آنـ إـذـ فـرـغـ مـنـ شـانـهـ سـارـ مـعـنـاـ إـلـىـ بـجاـيـةـ،ـ وـبـلـغـ الـحـرـبـ إـلـىـ صـاحـبـ بـجاـيـةـ أـبـيـ عـبـاسـ فـسـكـرـ بـنـ اـسـتـأـلـفـ مـنـ بـقـائـلـ رـياـحـ،ـ وـعـسـكـرـ بـطـرـفـ نـيـةـ القـصـابـ المـفـضـيـ إـلـىـ الـمـسـيـلـةـ.

وـبـيـنـماـ نـحـنـ عـلـىـ ذـلـكـ اـجـتـمـعـ الـمـخـالـفـونـ مـنـ زـغـبـةـ،ـ وـهـمـ خـالـدـ بـنـ عـامـرـ كـبـيرـ بـنـ عـامـرـ،ـ وـأـلـاـدـ عـرـيفـ كـبـراءـ سـوـيدـ،ـ وـنـهـضـواـ إـلـيـناـ بـكـانـتـاـ مـنـ الـقـطـفـاـ،ـ فـاجـلـتـ أـحـيـاءـ الـدـوـاـدـوـةـ،ـ وـتـأـخـرـنـاـ إـلـىـ الـمـسـيـلـةـ.

ثـمـ إـلـىـ الزـابـ،ـ وـسـارـتـ زـغـبـةـ إـلـىـ بـيـطـرـىـ وـاجـتـمـعـواـ مـعـ أـبـيـ زـيـانـ وـحـصـينـ وـهـجـمـواـ عـلـىـ مـعـسـكـرـ أـبـيـ حـرـوـ فـلـلـوـ وـرـجـعـ مـنـهـمـاـ إـلـىـ تـلـمـسـانـ.

ولـمـ يـزـلـ مـنـ بـعـدـ ذـلـكـ عـلـىـ اـسـتـلـافـ زـغـبـهـ وـرـياـحـ بـؤـملـ الـظـفـرـ بـوـطـهـ وـابـنـ عـمـهـ،ـ وـالـكـرـةـ عـلـىـ بـجاـيـةـ عـامـاـ فـقـاماـ،ـ وـأـنـاـ عـلـىـ حـالـيـ فـيـ مـشـيـاعـتـهـ،ـ وـايـلـافـ مـاـ بـيـهـ وـبـيـنـ الـدـوـاـدـوـةـ،ـ وـالـسـلـطـانـ أـبـيـ إـسـحـاقـ صـاحـبـ تـونـسـ وـابـنـ خـالـدـ مـنـ بـعـدهـ.

وأنحرجه معه من تلمسان مقيداً واحتمله في معسكته، فأكاد على وزنمار يومئذ في المحاولة على استخلاصه بما أمكن، وبعث معي ابن أخيه عيسى في جماعة من سويد يترافق بي ويقدم إلى أحياه حصين ياخراج أبي زيان من بينهم، فسرنا جميعاً وانتبهنا إلى أحياه حصين وأخبرهم فرح بن عيسى بوصية عمه وزنمار إليه فنبذوا إلى أبي زيان عهده، ويعثروا معه منهم من أوصله إلى بلاد رياح.

ونزل على أولاد يحيى بن علي بن سباع، وتوغلوا به في القفر، واستمررت أنا ذاهباً إلى بلاد رياح، فلما انتهيت إلى المسيلة الفيت السلطان أبي حمو وأحياء رياح مسكونين قريباً منها في وطن أولاد سباع بن يحيى من الدواودة، وقد تسابلوا إليه، وبذلك فيهم العطاء ليجتمعوا إليه، فلما سمعوا بمكاني بالمسيلة، جاؤوا إلى فحملتهم على طاعة السلطان عبد العزيز، وأوفدت أعيانهم وشيوخهم على الوزير أبي بكر بن غازي، فلقوه ببلاد الديام عند نهر واصل، فأثاره طاعتهم، ودعوه إلى دخول بلادهم في اتباع عدوه، ونهض معهم.

وتقدمت أنا من المسيلة إلى بسكرة، فلقيت بها يعقوب بن علي، واتفق هو وابن مزنبي على طاعة السلطان، وبعث ابنه حمداً للقاء أبي حمو، وأمير بنى عامر خالد بن عامر يدعوه إلى نزول وطنه، والبعد به عن بلاد السلطان عبد العزيز، فوجده متليلاً من المسيلة إلى الصحراء.

ولقيه على الدوسن ويات ليلته يعرض عليهم التحول من وطن أولاد بنى سباع إلى وطنهم بشريقي الزاب.

وأصبح يومه كذلك، فما راعهم آخر النهار إلا انتشار العجاج خارجاً إليهم من أنواه الشتنة، فركبوا يستشرقون، وإذا بهوادي الخيل طالعة من الشتنة، وعساكر بي مرين والمعقل وزغبة متالية أمام الوزير أبي بكر بن غازي قد دل بهم الطريق وقد أولاد سباع الذين بعثتهم من المسيلة، فلما أشرفوا على المخيم أغروا عليه مع غروب الشمس، فاجفل بنو عامر وانتهب خيم السلطان أبي حمو ورخائه وأمواله.

ونجا بنفسه تحت الليل، وغرق شمل ولده وحرمه حتى خلصوا إليه بعد أيام، واجتمعوا بقصور مصاب من بلاد الصحراء وأمتلأت أيدي العساكر والعرب من نهايهم، وانطلق محمد بن عريف في تلك الهيئة وأطلق الموكلون به وجاء إلى الوزير وأخيه وزنمار وتلقوه بما يحب له، وأقام الوزير أبو بكر بن غازي بالدوسن أيام أراج فيها.

بهين وكشفوا الخبر، فلم يقفوا على صحته، وحملني إلى السلطان فليقيه قريباً من تلمسان، واستكشفني عن ذلك الخبر فأعلمه بيقيه، وعفني على مفارقة دارهم، فاعتذر له بما كان من عمر بن عبد الله المستبد عليهم، وشهد لي كبير مجلسه، وولي أبيه وأبنه وليه وزنمار بن عريف، ووزيره عمر بن مسعود بن منديل بن حامة، واحتفت الألطاف، وسائلني في ذلك المجلس عن أمر مجایة، وأنهمي أنه يروي تملكتها، فهومنت عليه السبيل إلى ذلك فسر به، وأتمت تلك الليلة في الاعتقال، ثم أطلقني من الغد فعمدت إلى رباط الشيخ الرول أبي مدين وزنلت بمحواره مؤنراً للتخلي والانقطاع للعلم، لو تركت له.

## مشيّعة السلطان عبد العزيز صاحب

### المغرب على بن عبد الواد

ولما دخل السلطان عبد العزيز إلى تلمسان واستولى عليها، وبلغ خبره إلى أبي حمو وهو بالبطحاء، فاجفل من هنالك، وخرج في قومه وشيّعه من بنى عامر ذاهباً إلى بلاد رياح، فسرح السلطان وزيره أبي بكر بن غازي في العساكر لاتباعه. وجمع عليه أحياه زغبة والمعقل باستلاف وليه وزنمار وتدبريه.

ثم أعمل السلطان نظره ورأى أن يقدمني أمامه إلى بلاد رياح لأوطد أمره، وأحلهم على مناصره وشقاء نفسه من عدوه بما كان السلطان أليس من استبعان رياح وتصريفهم فيما يريده من مذاهب الطاعة، فاستدعاني من خلوتي بالعياد عند رباط الرول أبي مدين.

وأنا قد أخذت في تدريس العلم واعتمدت على الانقطاع، فاتسيني وقربي، ودعاني لما ذهب إليه من ذلك، فلم يسعني إلا إجابته، وخلع على وحملني، وكتب إلى شيخ الدواودة بامتثال أمري وما ألقى إليهم من أوامرها، وكتب إلى يعقوب بن علي وابن مزنبي بمساعدتي على ذلك، وأن يحاولوا على استخلاص أبي حمو من بين أحياه بنى عامر، ويجولوه إلى حي يعقوب بن علي، فوردهته وإنصرفت في عاشوراء ستة اثنين وسبعين وسبعيناً فلتحقت الوزير في عساكره وأحياء العرب من المقل وزغبة على البطحاء، ولقيه ودفعت إليه كتاب السلطان، وتقدمت أمامه وشيّعني وزنمار يومئذ وأوصاني بأخيه محمد، وقد كان أبو حمو قبض عليه عندما أحسن منهم بالخلاف، وأنهم يرمواون الرحمة إلى المغرب.

فكان جوابي عنه ما نصه:

الحمد لله ولا قرة إلا بالله، ولا راد لما قضاه الله.

يا سيدي ونعم الذخر الأبدى، والعروة الوثقى التي اعتقلتها يدي أسلم عليك سلام القدوم على المخدوم، والخضوع للملك المتبرع، لا بل أحискم تحية المشوق للمعشوق، والمدلنج للصالح المتبلج، وأتقر ما أعلم ب الصحيح عقدي فيه من حبي لكم، ومعرفتي بمقداركم، وذهابي إلى أبعد الغايات في تعظيمكم، والثناء عليكم، والإشادة في الانفاق بمناقبكم دينناً معروفاً، وسجية راسخة يعلم الله وكفى بالله شهيداً.

وبهذا كما في علمكم قسماً ما اختلف لي فيه أولاً وأخراً، ولا شاهداً ولا غائباً، وأتسلم أعلم بما في نفسه وأكبر شهادة في خفايا ضميري، ولو كنت ذاك فقد سلف من حقوقكم، وجئتكم أحذكم، واجتلاب الحظ لو هياه القدر، لمساعيكم وإيثاري بالمكان من سلطانكم ودولتكم، ما يستلين معاطف القلوب، ويستل سخام الهواجرس، فانا أحشاكم من استشعار نبوءة أو إحقاق ظن، ولو تعلق بقلب ساق حر ذره وذرء فحاش الله أن يقعده في الخلوص لكم، أو يرجع سوابقكم، إنما هو خيبة الفؤاد إلى الحشر أو اللقاء.

وو الله وجميع ما يقسم به، ما اطلع على مستكنه مني غير صديقي، وصديقهكم الملائس، كان لي ولهم، الحكيم الفاضل العلم أبي عبد الله الشعوري أعزه الله، نفحة مصدر، وبمائة خلوص، إذ أنا أعلم الناس بمكانه منكم، وقد علم ما كان مني حين مفارقة صاحب تلمسان وأضمحلال أمره من إجماع الأمر على الرحلة إليكم، والخروف إلى حاضرة البحر للإجازة إلى عدوكم تعرضت فيها للتهم، ووقفت بمجال الظنون، حتى تورطت في الملكة بما ارتفع عن عالم آتاها، ولا طرب العقد عليه، لولا حلم مولانا الخليفة وحسن رأيه في وثبات بصيرته، لكتن في المالكين الأولين، كل ذلك شوقاً إلى لقائكم، وغناً لأسكنكم، فلا ظنوا بي الظنون، ولا تصدقا في التوهمنات، فانا من عملتم صدقة وسنداجة وخلوصاً، واتفاق ظاهر وباطن، أثبت الناس عهداً وأحفظهم غيّاً، وأعرفهم بوزن الإخوان، وزميلا الفضلاء، ولأمر ما تأخر كتابي من تلمسان، فإني كنت أستشعر من استضافي ربّاً بخطاب سواه، خصوصاً جهتكم، تقديم ما بين الدولتين من الانحدار والمظاهره، واتصال اليد مع أن الرسول تردد إلى وأعلمني اهتمامكم واهتمام السلطان تولاه الله باستكشاف ما انبهم من حال، فلم أترك شيئاً مما أعلم تشوقكم إليه إلا وكشفت له قناعه، وأمته على بلاغه، ولم أزل بعد انتباش مولانا الخليفة لدماني وجذبه بضيعي، سائحاً

ويبعث إليه ابن مزنى بطاعته وأرغده له من الزاد والعلوفة، وارتحل راجعاً إلى المغرب، وتختلفت بهد أيامه عند أهلي بيسكره، ثم ارتحلت إلى السلطان في وفد عظيم من الدواودة، يقدمهم أبو دينار آخر يعقوب بن علي وجاءه من أعيانهم.

فسابقنا الوزير إلى تلمسان وقدمنا على السلطان فوسعنا من حبائه وتكلمه، ونزله ما بعد العهد بمثله.

ثم جاء من بعدها الوزير أبو بكر بن غازي على الصحراء بعد أن مر بقصور بني عامر هنالك، فخر بها وكان يوم قدومه على السلطان يوماً مشهوداً، وأذن بعدها لوفود الدواودة بالانصراف إلى بلادهم.

وقد كان يتظر بهم قدوم الوزير ووليه ونظام بن عريف، فدعوه وبالغ في الإحسان إليهم وانصرفوا إلى بلادهم.

ثم أعمل نظره في إخراج أبي زيان من بين أحباء الدواودة لما خشي من رجوعه إلى حصين، فوامرني في ذلك، وأطلقتني إليهم في محاولة انصرافه عنهم، فانطلقت لذلك.

وكان أحباء حصين قد توجسوا الخيفة من السلطان، وتكلروا له، وانصرفوا إلى أهلهم بعد مرجعهم من غزاتهم مع الوزير، ويا دروا باستدعاء أبي زيان من مكانه عند أولاد يحيى بن علي، وأنزلوه بينهم، واشتملوا عليه، وعادوا إلى الخلاف الذي كانوا عليه أيام أبي حمو واحتفل المغرب الأوسط ناراً.

ونجم صبي من بيت الملك في مغراوة وهو حزة بن علي بن راشد، فر من معسكر الوزير ابن غازي أيام مقامه عليها، فاستولى على شرف وبلاط قومه، ويُبعث السلطان وزير بن مسعود في العساكر لمنازلته، وأعيا داؤه وانقطعت أنا بيسكره، وحال ذلك ما بين ويين السلطان إلا بالكتاب والرسالة.

وبلغني في تلك الأيام وأنا بيسكره مفر الوزير ابن الخطيب من الأندلس وقدومه على السلطان بتلمسان حين توجس الخليفة من سلطانه، بما كان له من الاستبداد عليه، وكثرة السعاية من البطانة فيه، فأعمل الرحلة إلى الشعور المغربية مطالعتها بإذن سلطانه، فلما حاذى جبل الفرضة قبل الفرضة دخل إلى الجبل وبيده عهد السلطان عبد العزيز إلى القائد هنالك بقوله.

وأجاز البحر من حينه إلى سبتة، وسار إلى السلطان بتلمسان، وقدم عليهما في يوم مشهود، وتلقاه السلطان من الحظرة والتقريب وإدار النعم بما لا يعهد مثله.

وكتب إلى من تلمسان يعرفي بمحبه، ويلسم بعض العتاب على ما بلغه من حديثي الأول بالأندلس، ولم يحضرني الآن كتابه

في تيار الشواغل كما علمتم القاطعة حتى عن الفكر.

بطنين على السر.

وتشرفي بما يرجع به إليكم سيدى وصديقى وصديقتك  
المغرب في المجد والفضل، المساهم في الشدائى، كبير المغرب، وظاهر  
الدولة، أبو يحيى بن أبي مدين، - كان الله له - في شأن الولد  
والمخالف تشرف الصديق لكم، الضئن على الأيام بقلامة الظفر  
من ذات يدكم، فأطلعنى طلع ذلك، ولا بهمكم فالفارق الواقع  
حسن، والسلطان كبير، والأثر جليل، والعدو الساعي قليل وحقر،  
والنية صالحة، والعمل خالص، ومن كان الله كان الله له.

واستطلاع الرئاسة المزينة الكافية - كافا الله يدها البيضاء -  
عي وعكم إلى مثله من أحوالكم استطلاع من يسترجى وزانكم،  
ويشكراً الزمان على ولاده بثلكم.

وقد قررت من لعلومه من مناقبكم، وبعد شاؤكم وغريب  
منهاكم، ما شهدت به آثاركم الشائعة الخالدة في الرسائل، المتداية  
على السنة الصادر والوارد من الكافة، من حمل الدولة، واستقامة  
السياسة، ووقتها على سلامكم، وهو يراجعكم بالتحية،  
ويساهمكم بالدعاء.

ولسامي على سيدى، وفلذة كبدي وحمل ولدى، الفقيه  
الزكي الصدر أبي الحسن نجليكم، أعزه الله وقد وقع مني موقع  
البشرى حلوله من الدولة بالمكان العزيز والرتبة النابهة، والله  
يلحقكم جميعاً رداء العافية، والستر ويهدى لكم محل الغبطة والأمن،  
ويفتح عليكم ما أسمى من نعمتكم، ويجيركم على عوائد لطفه  
وعنايته، والسلام الكريم يخصكم من الحب الشاكر الداعي الشائق  
شيعة فضلكم، عبد الرحمن بن خلدون ورحمة الله وبركاته.

في يوم الفطر عام اثنين وسبعين وسبعين.

وكان بعث إلى مع كتابه نسخة كتابه إلى سلطانه ابن الأهر،  
صاحب الأندلس عندما دخل جبل الفتح، وصار إلى إبالة بنى  
مررين، فخطابه من هناك بهذا الكتاب، فرأيت أن أثبته هنا، وإن لم  
يكن من غرض التأليف لغراحته، ونهايته في الجودة، وإن مثله لا  
يهمل من مثل هذا الكتاب، مع ما فيه من زيادة الاطلاع على  
أخبار الدول في تفاصيل أحوالها ونص الكتاب:

يأتوا فمن كان باكياً يكىء هذى ركب السرى بلا شك  
فمن ظهور الركب معملة إلى بطرون الرئيس إلى الفلك  
تصدع الشمل متلماً اخدرت إلى صبور جواهر السلك  
من النوى قبل لم أزل حنراً هذا النوى جل مالك الملك  
مولاي كان الله لكم، وتولى أمركم.

أسلم عليكم سلام الوداع، وأدعوا الله في تيسير اللقاء

وسقطت إلى بمحل خدمتي من هذه القاصية، أخبار  
خلوصكم إلى المغرب قبل وصول راجلي إلى الخضرة، غير جليه  
ولا ملتبته، ولم يتبعن ملقي العصى، ولا مستقر النوى، فارجيت  
الخطاب إلى استجلانها، وأفدت في كتابكم العزيز على الجاري  
على سنن الفضل، ومذاهب المجد، غريب ما كيقه القدر من تنوع  
الحال لدىكم، وعجبت من ثأبي أملكم الشارد فيه كما كانا نسبعده  
عند المقاوضة، فحمدت الله لكم على الخلاص من ورطة الدول  
على أحسن الوجه، وأجل المخارج الحميدة العاقبة في الدنيا  
والدين، العائدة محسن المال في المخلاف: من أهل وولد ومتاع وأثر  
بعد أن رضتم جموع الأيام وتقاسم قلل العز وقدمت الدنيا  
مجاذيفها وأخذتم بأفاق السماء على أهلها.

وهنئنا فقد نالت نفسكم التواقة أبعد أمانها، ثم تاقت إلى ما  
 عند الله، وأشهد لما لم يتم للإعراض عن الدين، ونزع اليد من  
حطامها عند الإصلاح والإقبال، ونهى الآمال إلا جذباً وعانيا  
من الله وجهاً، وإذا أراد الله أمراً يسر أسبابه.

واتصل بي ما كان من تحفني المثابة الملوية بكم واهتزاز  
الدولة لقدركم، ومثل تلك الخلافة، أيها الله من يثابر على  
المفاحر، ويستائر بالأخير، وليت ذلك عند إقبالكم على المحظ،  
وأنسكم باحتلال الآمال، حتى يحسن المثال بكم وينجمل السرير  
الملوكي بمحلكم، فاظلن إن هذا الباعث الذي هزم الآمال وبذل  
الحظوظ، وهون المفارق العزيز بسموك الفرار إلى الله حتى يأخذ  
بيدكم إلى فضاء المواجهة، ويستوي بكم على جودي الرياضة،  
والله يهدى للي هي أقوم.

وكأني بالأقدام بلت والبصائر يلهمان الحق صفت  
والمقامات خلفت، بعد أن استقبلت، والعرفان شيمة أنساره  
وبوارقه، والوصول انكشفت حقائقه لما ارتفعت عوائقه.

وأما حالى والظن بكم الاهتمام بها، والبحث عنها فغير  
خفية بالباب الملوى أعلاه الله، وظهورها في طاعته، ومصدرها  
عن أمره، وتصاريفها في خدمته، والرغم أنني قمت المقام المحمود في  
التشيع والأخياش، واستسلامة الكافة إلى المناصحة، ومخالطة القلوب  
للولاية، وما يتشونه معدكم، ويتطلع إليه فضلكم، واهتمامكم من  
خاصتها في النفس والولد، فجهينة خبره مؤدي كتابي إليكم،  
ناشئ تأيي وثمرة ترببي، فسهلوا له الإذن، وألينوا له جانب  
التجوى حتى يؤدي ما عندي وما عندكم، وخذلوه بأعقاب  
الأحاديث أن يقف عند مبادئها، واتمنوه على ما تحدثون، فليس

وأنصرفت بقصد شريف فقت به أشياخني وكبار وطني وأهل طوري، وتركتم على أتم ما أرضاه، مثياً عليكم داعياً لكم، وإن فسح الله في الأمد، وقصى الحاجة، فاملأى العودة إلى ولدي وتربيق، وإن قطع الأجل فارجو أن تكون من وقع أجره على الله. فإن كان تصرفي صواباً وجارياً على السداد، فلا يلام من

أصاب، وإن كان عن حق، وفساد عقل، فلا يلام من اخْتَلَ عَقْلَهُ، وفسد مزاجه، بل يغرن ويشقق عليه، ويرجم، وإن لم يعط مولاي أمري حقه من العدل، وجلبت النزوب، وحشرت بعدي العيوب، فحياؤه وتناصفه يذكر ذلك، ويستحضر الحسنات من التربية والتعليم وخدمة السلف، وخليل الآثار وتسمية الولد وتلقيب السلطان، والإرشاد إلى الأعمال الصالحة، والمداخلة والملابسة، لم يتخلل ذلك قط خيانة في مال ولا سر، ولا غش في تدبير ولا تعلق به عار، ولا كدره نقص، ولا حل عليه خوف منكم، ولا طمع فيما يدكم، فإنما لم تكن هذه دواعي الرعي والوصلة والإبقاء، فقيم تكون بين بي آدم؟

وأنا قد رحلت فلا أوصيكم بمال، فهو عندي أهون متراك، ولا بولد فهم رجالكم، وخدامكم، ومن يحرض مثلكم على الاستكثار منهم، ولا بيعاً، فهي من مribيات يتكىم، وخواص داركم، إنما أوصيكم بمحظي العزيز، كان علي بوطنك، وهو أنت، فانا أوصيكم بكم، فارعنوني فيكم خاصة.

أوصيكم بتقوى الله والعمل للقد، وقبض عنان اللهو في موطن الجد، والحياة من الله الذي حصل وقاتل، وأعاد النعم بعد زوالها **﴿لَنُنَظِّرَ كَيْفَ تَعْتَلُونَ﴾**، وأطلب منكم عرض ما وفرته عليكم من زاد طريق ومكافأة وإعانة، زاداً سهلاً عليكم، وهو أن تقولوا لي: غفر الله لك ما ضيغت من حقي خطأ أو عمداً، وإذا فعلتم ذلك فقد رضيت.

وأعلموا أيضاً على جهة النصيحة أن ابن الخطيب مشهور في كل قطر، وعند كل ملك، واعتقاده وبره والسؤال عنه وذكره بالجميل، والأذن في زيارته مخابية منكم سحابة رحمة نزلت، ثم أقشعتم وتركتم كان ابن الخطيب بوطنك سحابة رحمة نزلت، ثم أقشعتم وتركتم الأزهر تفوح والمحاسن تلروح، ومثاله معكم مثل المرضعة، أرضعت السياسة، والتلبير اليتون، ثم رقدتكم في مهد الصلح والأمان، وغضتكم بقناع العافية، وانصرفت إلى الحمام تغسل اللين والوضر، وتعود فإن وجدت الرضيع نائماً فحسن، أو قد اتبه فلم تتركه إلا في حد الفطام.

ونختكم لكم هذه الغزارة بالخلف الأكيد أني ما تركت لكم

والاجتماع، بعد التفرق والانصدام، وأقر لدكم أن الإنسان أسير الأقدار، مسلوب الاختيار، متقلب في حكم الخواطر والأفكار، وأن لا بد لكل أول من آخر، وأن التفرق لما لزم كل اثنين بموت أو في حياة، ولم يكن منه بد، كان خير أنواعه الواقعه بين الأحباب، ما وقع على الزوجه الجميلة البريئة من الشرور.

ويعلم مولاي حال عبده منه وصل إليكم من المغرب بولدكم، ومقامه لدكم بحال قلت، ولو لا تعليكم وعدكم وارتقاب اللطائف في تقليل قلبكم، وقطع مراحل الأيام حريصاً على استكمال سنتكم، ونهوض ولدكم واضطلاعكم بأمركم، وتكن هدنة وطنكم، وما تحمل في ذلك من ترك غرضه لغرضكم، وما استقر بيده من عهوركم، وأن العبد الآن لا تسبب لكم في المدنة من بعد الظهور والعز، ونفع السعي وتأني لستين كثيرة الصلح، ومن بعد أن لم يبق لكم بالأندلس مشغب من القرابة، وتحرك لطائلة التغور الغربية، وقرب من فرصة الجبار واتصال الأرض ببلاد المشرق، طرقه الأفكار وزعزعت صبره رياح الخواطر، وتذكر أشرف العمر على التمام، وعواقب الاستعرار، وسيرة الفضلاء عند شمال البياض، فغلبته حال شديدة هزمت التعشق بالشمل الجميع، والوطن المليح، والجاه الكبير، والسلطان القليل النظير، وعمل يقتضى قوله: «أموتوا قبل أن عوتوا» فإن صحت الحال المرجو من إمداد الله، تنتقلت الأقدام إلى أمام، وقوى التعلق بعروة الله الرئقى، وإن وقع العجز، وافتضح العز، فالله يعاملنا بلطفة، وهذا المركب مرام صعب، لكن سهله على أمور: منها أن الانصراف لما لم يكن منه بد، لم يتغير على غير هذه الصورة، إذ كان عندكم من باب الحال، ومنها أن مولاي لو سمح لي بفرض الانصراف لم تكن لي قدرة على موقف داعمه، لا والله! ولكن الموت أسبق إلى، وكفى بهذه الوسيلة الحسنة - التي يعرفها - وسيلة.

ومنها حرصي على أن يظهر صدق دعواني فيما كنت أهتف به، وأظن أني لا أصدق.

ومنها اغتنام المفارقة في زمن الأمان والمدنية الطويلة والاستغناء إذا كان الانصراف المفروض ضرورياً قيحاً في غير هذه الحال.

ومنها - وهو أقوى الأعذار - أني مهما لم أطق تمام هذا الأمر أو ضاق ذرعني به، لعجز أو مرض أو خوف طريق، أو نفاد زاد أو شوق غالب، رجعت رجوع الألب الشفيف إلى الولد البر الرضي، إذ لم أخلف ورائي مانعاً من الرجوع من قول قيسح أو فعل، بل خللت الوسائل المرعية، والأثار الخالدة، والسير الجميلة،

نسار في العسكر واستغرق أحياه العرب من زغبة فأوعبهم ونهض إلى حسين فامتنعوا بجبل تطري، ونزل الوزير بعساكره ومن معه من أحياه زغبة على جبل تطري من جهة التل، فأخذ بمختفهم، وكانت السلطان أشياخ الدواودة من رياح بالمسير إلى حصار نظيرى من جهة القلعة.

وكاتب أحد بن مزني صاحب بسكرة يامداهم باعطياتهم  
وكتب إلى يامرني بالمسير بهم لذلك، فاجتمعوا علىِّي، وسرت بهم  
أول سنة أربعين وسبعين وبعمانة حتى نزلنا بالقطفه، ووفدت في  
جماعة منهم علىِّ الوزير عكane من حصار تيطري، فحد لهم حدود  
لخدمة، وشارطتهم علىِّ الجزاء.

ورجعت إلى أحياهم بالقطفة، فاشتدوا في حصار الجبل وأخاولهم بسوامهم وظهرهم إلى قته، فهلك لهم الخف والحاfer، وضاق ذرعهم بالحصار من كل جانب، وراسل بعضهم في الطاعة خفية فارتاد بعضهم من بعض وانقضوا ليلاً من الجبل، وأبو زيان معهم ذاهبين إلى الصحراء، واستولى الوزير على الجبل بما فيه من مخلفهم، ولما بلغوا مأْنِهم من القفر نبذوا إلى أبي زيان عهده، فلحق بجيال غمرة، ووفد أعيانهم على السلطان عبد العزيز بتلمسان، وفاوزوا إلى طاعته فتقبيل فيتهم، وأعادهم إلى أوطانهم، وتقىدم إلى الوزير - عن أمر السلطان - بالسير مع أولاد يحيى بن علي بن سباع للقبض على أبي زيان في جبل غمرة، وفاء بمحق الطاعة لأن غمرة من رعياهم، فمضينا لذلك، فلم نجده عندهم، وأخبرونا أنه ارتحل عنهم إلى بلد وإن كلا من مدن الصحراء، فنزل على صاحبها أبي بكر بن سليمان، فانصرفنا من هناك، ومضى أولاد يحيى بن علي إلى أحياهم، ورجعت أنا إلى أهلي بيسكرة، وخلطت السلطان بما وقع في ذلك، وأقمت متظراً لأمره حتى جاءني استدعاؤه إلى حضرته فارتحلت إليه.

فضل الوزير ابن الخطيب

وكان الوزير ابن الخطيب آية من آيات الله في النظم والثر،  
والمعارف والأدب، لا يسأجل مداعه، ولا يهتدى فيها بمثل هداعه.  
فمما كتب عن سلطانه إلى سلطان تونس جواباً عن كتاب  
وصل إليه مصحوباً بهدية من الخليل والرقيق، فراجعهم عنه بما  
رضي إلى آخره:

الخلافة التي ارتفع في عقائد فضلها الأصيل القواعد  
الخلاف، واستقلت مباني فخرها الشائع، وعزها الذايئ، على ما  
أسسه الأسلاف ووجب لحقها الجازم، وفرضها اللازم الاعتراف،

وجه نصيحة في دين ولا في دنيا إلا وقد وفيتها لكم، ولا فارتكم إلا عن عجز، ومن ظن خلاف هذا فقد ظلموني وظلمكم، والله يرشدكم ويتحول أمركم، ونقول: خاطركم في ركوب البحار.

ننتهت نسخة الكتاب وفي طيها هذه الآيات:

صاب مزن اللدوع من جفن صبك  
عندما استرخ الصبا من مهبلك  
كيف يسلو يا جنتي عنك قلب وقد  
كان قبل الوجود جن محبك  
ثم قل كيف كان بعد انشاء السر  
وح من أنسك الشهي وقربك  
لم يسدع بيتك المنيع حماء  
لسواه إلا إلى بيت ربيك  
أول عنزي الرضى فما جئت بداعاً  
دمت والفضل والرضا من دابلك  
ولذا ما ادعمنت كربلاً لفقي  
أين كريسي ووحوشي من كربلك  
حلك لحدى وتربيتي في تربيك  
يا زماناً أشرى الفراق شملني  
اركبتي صروفك الصعب حتى  
جئت بالين وهو أصعب صعبك  
وكتب آخر النسخة بخطاطي:

وكتب آخر النسخة يخاطبني:

هذا ما تيسر، والله ولي الخير لي ولكم من هذا الخطاب الذي لا نسبة بينه وبين أولي الكمال، رددنا الله إليه، وأخلص توكلنا عليه، وصرف الرغبة إلى ما لديه.

وفي طبع النسخة مدرجة نصها:

رضي الله عن سعادتكم، أونسكم بما صدر مني أثناء هذا الواقع، مما استحضره الولد في الوقت، وهو يسلم عليكم بما يحب لكم، وقد حصل من حظيرة هذا المقام الكرييم على حظ وافر، وأجزل إحسانه ونوه بمحاباته، وأثبت الفرسان خلفه، والحمد لله أنتهى.

ثم اتصل مقامي بسكرة والمغرب الأوسط، مضطرب بالفتنة المانعة من الاتصال بالسلطان عبد العزيز وجزء بن علي بن راشد ببلاد مغراوة والوزير عمر بن مسعود في المساكير بمحاصره، محصن تاج حمروت وأبر زيان العبد الروادي ببلاد حسين وهم مشتملون عليه وقائمون بدعوته.

ثم سخط السلطان وزیره عمر بن مسعود ونکر منه تقصیره  
في أمر حزة وأصحابه، فاستدعاه إلى تلمسان وقض عليه، وبعث  
به إلى ناس معتملاً، فحبس هناك، وجهز العساكر معه الوزير ابى  
بكير بن غازى، فنهض إليه، وحاصره ففر من المصن ولحق بمليانة  
مجتازاً عليها، فانذر به عاملها فقتل عاليه، وسيق إلى الوزير في  
جماعة من أصحابه، فضرب أعناقهم، وصلبهم عظة ومذجراً  
لأهل الفتنة.

ثم أوعز السلطان إلى الوزير بالمسير إلى حصنين وأبي زيان،

بصفات ملائكة السموات بعد إيلاسها.

والصلوة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله سراج المداية ونبراسها عند اقتداء الأنوار واقتباسها، مطهر الأرض من أوضارها وأدنسها، ومصطفى الله من بين ناسها، وسيد الرسل الكرام ما بين شينها وإلياسها، الآتي مهمتنا على آثارها، في حين فترتها ومن بعد نصرتها واستياثتها، مرغم الضراغم في أخياسها، بعد افتراضها وافتراضها، ومغفر أجرام الأصنام ومصمت أجراسها.

والرضا عن الله وأصحابه وعترته وأحزابه، حماه شرعته البيضاء وحراسها، وملقحي غراسها، ليسوت الرغى عند احتدام مراسها، ورهبان الدجى تكفل مناجاة السميم العليم، في وحشة الليل بهيم يلناسها، وتفاوح نسيم الأسحار، عند الاستغفار، بطيب أنفاسها.

والدعاء لخلافتكم العلية المستنصرية بالصناعات التي تشتعش أيدي العزة القعس من أكراسها، ولا زالت العصمة الألهية كفيلة باحترامها واحتراسها، وأنباء الفتوح، المؤيدة بالملائكة والروح، ريحان جلاسها وآيات المفاخر التي ترك الأول للآخر، مكتبة الأسطار باطراسها وميادين الوجود بمحالاً جلياد جودها وباسها، والعز والعدل منسوبين لفسطاطها وقططاسها، وصفحة النصر العزيز تقبس كفها، المؤيدة بالله، على رياسها، عند اهتياج أضدادها، وشره انكاسها، لاتهاب البلاد وانتهاسها وهبوب رياح رياحها وتrepid مراسها.

فإنا كتبنا إليكم كتب الله لكم من كتائب نصره أمداداً تذعن عن عناق الأنام لطاعة ملوككم المنصور الأعلام، عند إحساسها، واتاكم من آيات العنيات، آية تضرب الصخرة الصماء، من عصاها بعصاها، فتبارد بابتجاسها، من حراء غرباطة، حرثها الله، وأيام الإسلام، بعنابة الملك العلام تحفل وفود الملائكة الكرام، لولائمها وأعراضها، وطوععين الطعان، في عدو الدين المعان، تجدد عهدها بعام عمواسها.

والحمد لله حمدًا معاداً يقيد شوارد النعم، ويستدر مواهب الجود والكرم ويؤمن من انتكاث الجدد وانتكاسها، ولـي الآمال ومكاسها وخلافكم هي المتابة التي يزهى الوجود بمحاسن مجدها، وهو الرياض بوردها وآسها، وتستمد أضواء الفضائل من مقباسها، وتروي رواة الإفادة، والإجاده غريب الوجادة، عن ضحاكها وعباسها.

وإلى هذا أعلى الله معارج قدركم، وقد فعل، وأنطق بمحجع فخركم من احتفى واتعل، فإنه وصلنا كتابكم الذي حسبناه، على

ووسعت الأملئين لها الجوانب الرحيبة والأكتاف فامتزاجنا بعلاها المنيف، وولاتها الشريف، كما امترج الماء والسلاف، وثأرنا على مجدها الكريم، وفضلها العظيم، كما تأرجت الرياض الأقواف، لما زارها الغمام الروكاف، ودعاؤنا بطرول بقائهما، واتصال علاقتهما، يسمو به إلى قرع أبواب السموات العلا الاستشراف، وحرصنا على ترقية حقرها العظيمة، وفواضلها العميقة، لا تحصره الحدود، ولا تدركه الأوصاف، وإن عنذر في التقصير عن نيل ذلك المرام الكبير الحق والإنصاف، خلافة وجهة تعظينا إذ توجهت الوجوه ومن نثره إذا أهمنا ما نرجوه، وتقديه ونبديه إذا استمنح المقرب واستدفع المكره السلطان الكذا بن أبي إسحاق بن السلطان الكذا، أبي يحيى بن أبي بكر بن السلطان الكذا، أبي زكرياء بن السلطان الكذا، أبي محمد بن عبد الواحد بن أبي حفص، زكرياء ابن الشيخ الكذا، أبي إسحاق ابن الأمير الكذا، أبي أبا الله ومقامه مقام إبراهيم رزقاً وأماناً.

لا ينبع جلب الشرات إليه وقتاً ولا يعيّن زماناً، وكان على من يخطف الناس من حوله مؤيداً بالله معاناً.

معظم قدره العالى على الأقدار، وم مقابل داعي حقه بالابتدار، المتنى على معاليه المخلدة الآثار، في أصونة، النظام والثار، ثناء الروضة المطار، على الأمطار، الداعي إلى الله بطرول بقائه في عصمة منسللة الأستار، وعزوة ثابتة المركز مستقيمة المدار، وأن يختت له بعد بلوغ غابات الحال، ونهاية الأعمال، بالزالقى وعقبى الدار.

عبد الله الغنى بالله أمير المسلمين، محمد بن مولانا أمير المسلمين، أبي الرؤيد إسماعيل بن فرج بن نصر.

سلام كريم كما حللت أحاديث الأزهار نسمات الأسحار، وروت ثغور الأقلاحي والبهار، عن مسلسلات الأنهار، وتعلى على منصة الاشتهر، وجه عروس النهار يخنق خلافتكم الكريمة النجار، العزيزة الجار ورحمة الله وبركاته.

اما بعد أحد الله الذي أخفى حكمته البالغة عن أذهان البشر، فعجزت عن قياسها، وجعل الأرواح اجتاداً مجنة كما ورد في الخبر. تحن إلى أجناسها، منجد هذه الملة من أوليائه الجلة من يروض الآمال بعد شamasها، ويسير الأغراض قبل التماسها، ويعنى بتجديد المودات في ذاته وابتناء مرضاته على حين أخلاق لباسها الملك الحق، واصل الأسباب بحرله، بعد انتكاث أمراسها ومحني التفوس بطلوله، بعد إفلاسها حمدًا يدر أخلاف النعم بعد إيساسها، وينشر رسم الأموال من أرماسها، وينقدس التفوس

الطباع من مصبهما، فاتت أكلها مرتين ياذن ربها.

لابل كتيبة عز طاعت بقنا الألفات سطورها، فلا يرومها  
النقد ولا يطيرها، وزرعت عن قسي التونات خطوطها، واصطفت  
من بياض الطرس، وسودان القنس، بلق تحوطها.

فما كأس المدير، على الغدير، بين المخربين والمسدرين، تقامر  
بنزد الحباب، عقول ذوي الألباب، وتفرق كسرى في العباب،  
وتهدي، وهي الشمطاء نشاط الشباب، وقد أسرج ابن سريح  
والجم، وأفصح الغريض بعد ما ججم، وأعرب الثاني الأعجم،  
ووقد معبد بالقضيب، وشرعت في حساب العقد بنان الكف  
الخصيب، وكأن الأنامل فوق مثالث العورد ومتانه، وعند إغراء  
القثيل ثانية، وإجابة صدى الغناء بين معانبه، المرادون تشرع في  
الروشي، أو العناكب تسرع في المشي، وما المخبر بنيل الرغائب، أو  
قد يدور الحبيب الغائب.

لاب إشارة البشير، بكم المشير، على العشير، بأجلب للسرور، من زائره الملقى بالبرور، وأدعى للحبور، من سفيره المهج السفوري، فلم نر مثله من كتبية كتاب تحبب الحرد، تمرح في الأرسان، وتشوف مجازي ظهورها إلى عرائض الفرسان، وتهز معاطف الارياح، من صهيلاها الصرائح، بالنغمات الحسان، إذا أوجست الصريح نازعت أفناء الأعنة، وكاثرت باستة آذانها مشرعة الأستة، فإن ادعى الظليم أشكالها فهو ظالم، أو نازعها الظبي هواديها وأكفالها فهو هاذ أو حالم، وإن ستل الأصمعي عن عيوب الغر والأوضاح، قال مشيراً إلى وجوهها الصباح:  
‘جلدة بين العين والأنف سالم’

من كل الشوى، مسابق للنجم إذا هوى، سامي الشليل،  
عربيض ما تمحش الشليل، مسوحة أعطاها بمنديل النسيم البليل.  
من أحمر كالدماء، تخلى على الندام، عقب الفدام، أخفف لونه  
بالورد، في زمن البرد، وحيى أفق حياء بكوكب السعد، وتشوف  
الواصفون إلى عد محاسنه فأعيا على العد، بحر يساجل البحر عند  
المد، وريح تباري الريح عند الشد، بالذراع الأشد، حكم له مدير  
فلck الكلب باعتدال فصل القد، وميزه قدره المميز عند الاستبقاء،  
يقنصب السباق، عند اعتبار الحد، وولد مختلط غرته أشكال الجمال،  
على الكمال، بين اليساض والمحمرة ونقاء الحد، وحفظ الخلق  
الوجيه، عن جده الوجيه، ولا تذكر الرواية على الحافظ ابن الجلد.  
وأشقر، أبي الخلق، والوجه الطلاق أن يمحى، كلاما صبيح من  
السعجد، وطرف بالدر وأنعل بالزير جد، ووسم في الحديث بسمة

صنائع الله لنا، تميمة لا تقلع بعدها عين، وجعلناه على حلل  
مواهبه قلادة لا يحتاج معها زين، ودعوناه من جيب الكناية آية  
بضاء الكتابة، لم يبق معها شك ولا من، وقرأنا منه وثيقة ود  
هضم فيها عن غريم الزمان دين، ورأينا منه إنشاء، خدم اليراع  
بين يديه وشأنه، واحترم بهميان عقدته مشاة، وسُئل عن معانيه  
الآخراع فقال: «إذا أنشأناه إنشاء»، فأهلنا به من عربي أبي  
يصف السانح والبابة، وبين فيحسن الإبابة، أدى الأمانة، وسُئل  
عن حيه فاتنمى إلى كنانة، وأفصح وهو لا ينس، وتهللت قسماته  
وليل حبره يعبس وكان خاقنه المقلل على صوانه، المتحف بياكر  
الورود في غير أوانه، رُعِفَ من مسك عنوانه الله من قلم ديج تلك  
الحلل، ونقع بمعاجج الدواة المستمدة من عين الحياة الغلل فلقد  
مخارق في البرود، مقتدياً بالخلافة التي خلد فخرها في الوجود، فجاد  
بسر البيان ولبابه، وسُمعَ في سبيل الكرم حتى عباء شبابه، وجمع  
لفرط بشاشته وفهماته، بعد شهادة السيف بشهامته، فمشى من  
الترجيب، في الطرس الرحب، على أم هامته.

وأكرم به من حكيم، أفصح بملغوز الإكسير، في اللفظ  
اليسير، وشرح بلسان الخبر، سر صناعة التدبير، كائناً خدم الملكة  
الساحرة بتلك البلاد، قبل اشتجار الجلااد، فاتره بالطارف من  
سحرها والتلاد، أو عشر بالعلقة، وتريك القديمة المطلقة، بدفيه دار،  
أو كثر تحت جدار، أو ظفر لبني الحنايا، قبل أن تقطع به عن  
أمانة المطاب، بيديعة، أو حلف جرجير الروم، قبل متازلة القرؤم،  
على وديعة، أو أسلمه ابن أبي سرح، في نشب للفتح وسرح، أو  
حتم له روح بن حاتم يبلغ المطلب، أو غالب الحظوظ بمحمدمة آل  
الأغلب، أو خصه زيادة الله بمزيد، أو شارك الشيعة في أمر أبي  
مزيد، أو سار على منهاج، في مناصحة بني صنهاج، وفضح بتخليل  
أمدادهم كل هاج.

وأعجب به، وقد عزز منه متن البيان بثالث، فجلب سحر الأسماء، واسترقاق الطياع، بين مثان للإبداع ومثالث، كيف اقتدر على هذا المجيد، وناصح مع التثبت مقام التوحيد، تستغفر الله ولـه العون، على الصمت والصون، فالقليل هو الموحد قبل الكون، والمتصف من صفات السادة، أولى العبادة، بضمور الجسم وصفرة اللون، إنما هي كرامة فاروقية، وأشارـة من حديث سارة وفـقـية، سفر وجهـها في الأعـقـابـ، بعد طـول الانتـقـابـ، وتـداول الأـحـقـابـ، ولـسان منـابـ، عنـ كـرـيمـ جـنـابـ، وإصـابةـ السـهـمـ لـسـواـهـ مـحـسـوـبةـ، وإـلـيـ الرـاميـ الذـيـ سـدـهـ منـسـوـبةـ، ولاـ تـكـرـ علىـ الغـامـ بـارـقةـ، ولاـ علىـ المـتـحـقـينـ بـقـامـ التـوـحـيدـ كـرـامـةـ خـارـقةـ، فـمـاـ شـاءـهـ الفـضـلـ منـ غـرـائبـ بـرـ وجـدـ، وـعـارـيبـ خـلـقـ كـرـيمـ رـكـعـ الشـكـرـ فـيهـ وـسـجـدـ،

إلى رتبة المخوم طرف الخديم، وقورن المثري بالعديم، وبخس في سوق الكبد الكيل، ودجا الليل، وظهر في تلك الأنصاف الميل، لما تذوكت الخيل، فجيء بالرجب والخطار، والذاند وذى الخمار وداحس والسكب، والأبيسر وزاد الركب، والجموح واليحموم، والكميت ومكترم، والأعرج وحلوان، ولاحق والغضبان، وغفرز والزعفران والمغير واللعلاب، والأغر والغراب، وشعلة والعقارب، والفياض واليعوب، والمنذهب واليعسوب، والصموت والقطيب، وهيدب والصبيب، وأهلوب وهداع، والحرون وخراج، وعلوى والجناح، والأحوى وجاج، والعصا والتاعمة، والبلقاء والحمامة، وسكاب والجرادة، وخوصاء والعرادة، فكم بين الشاهد والغائب، والفروض والرغائب، وفرق ما بين الأثير والعيان، غني عن البيان، وشتان بين الصريح والمشتبه، والله در القائل:

خذ ما تراه ودع شپنا سمعت به

والناس يختلف به الحكم، وشر الدواب عند التفضيل بين هذه الدواب الصم البكم إلا ما ركبه نبي، أو كان له يوم الافتخار ويرهان خفي ومفضل ما سمع على ما رأى غبي، فلو أصنفت محاسنها التي وصفت، لأقضمت حب القلوب علها، وأوردت ماء الشيبة نظفها، واتخذت لها من عنذر المخدود الملاح عنذر موشية، وجعلت بصير الحان القيان كل عشية، وأنعلت بالأملة، وغطت بالرياض بدل الأجلة إلى الرقيق، الخلائق بالحسن الحقير، يسوقة إلى مثوى الرعاية روقه الفتیان رعاته، وبهدي عقيقها من سبجه شكالاً تشهد للمختار سبحانه بإحکام مخترعاته، وفقت ناظر الاستحسان لا يريم، لما بهره منظرها الوسيم، وتحامل الظليم، وتوتساول الريم وأخرس مفوه اللسان، وهو مملكتا البیان، الخفیظ للعلمیم، وناب لسان الحال، عن لسان المقال، عند الاعتقال، فقات يخاطب المقام الذي أطلعت أزهارها غمام جوده، واقتضت ختيارها برکات وجوده: لو علمنا أيها الملك الأصيل، الذي كرم منه الأجال والتفضيل، أن الثناء يوازيها، لكننا لك بكيلك، أو لشکر يعادلها ومجازيها، لتعرضنا بالمرشل إلى نيل نيلك، أو قلتنا هي التي أشار إليها مستصرخ سلفك المستنصر بقوله:

أدرك هنريك ، حين شرق بدمعه الشرق، وانهزم الجمع  
راستولى الفرق، واتسع فيه والحكم لله الخرق ورأى أن مقام  
لتورجد بالظاهرة على التلبيث، وحزبه الخبيث، الأولى والأحق.

والآن قد أغنى الله بذلك البنية، عن اتخاذ الطوال الردينية،  
بالدعاء من تلك المثابة الدينية إلى رب البنية، عن الأمداد السننة  
الأجود تخوض بحر الماء إلى بحر البنية وعن الجرد العربية، في  
مقاؤد الليوث الأبية، وجدد برسم هذه المهدية، مراسيم العهود

اليمن والبركة، وانحصر بفلج الخصام، عند اشتجار المعركة،  
وانفرد عصاف السهام، المكسرة على الهام، في الفرائض  
المشتركة، وانصف ذلك كنهي محركي الإرادة والطبع من أصناف  
الحركة، أصغى إلى السماء بأذن ملهم، وأغرى لسان الصهيل عند  
التباس معاني الممز والتسلیم ببيان الم لهم، وفنتت العيون من  
ذهب جسمه، ولجين نحمه، بالديمار والدهرهم، فإن انقض فرجهم،  
أو ريح لها حجم، وإن اعترض فشقق لام به للنجم نجم.

وأصفر قيد الأوابد الحرة، وأمسك المحسن وأطلق الغرة،  
وسئل من أنت في قواد الكتائب، وأولي الأخبار العجائب؟ فقال:  
أنا المهلب بن أبي صفرة، نرجس هذه الأنوار، في رياض الأكونان،  
تحشى به وجوه الحرب العوان، أغمار بنخوة الصائل، على  
معصفرات الأصائل، فارتداها، وعمد إلى خيوط شعاع الشمس،  
عند جاخة الأمس، فاللم منها حلته وأسدتها، واستعدت عليه  
تلك المحسن بما أعادها، فهو أصيل تمسك بذيل الليل عرفة  
وذيله، وكركب يطلعه من القتام ليله، فيحسمه فرقد الأفق  
وسهله.

وأشه布 تغشى من لونه مفاضة، وتسربل منه لامة  
فضفاضة، قد احتفل زينه، لما رقى بالبنال جلبيه، فهو الأشطم،  
الذى حقه لا يغطى، والمدارع المسارع، والأعززل الدزارع، وراقي  
المضاب الفعارع، ومكتوب الكتبية البارع.

وأكرم به من مرتعض سالك، ومجتهد على غایات السابقين  
الأولين متلهالك، وأشهب يروي من الخليفة، ذي الشيم الميفه، عن  
مالك.

وحبارى كلما سبق وباري، استعار جناح الحبارى، فإذا  
أعملت الحسبة، قيل من هنا جاءت النسبة، طرد التمر، لما عظم  
أمره وأمر، فنسخ وجوده بعده، وابتزه الفروة ملطفة بدمه، وكان  
مضاعف الورد ثر عليه من طقه، أو القلك، لما ذهب الحالك،  
مزج فيه بياض صبحة محمرة شفقة، وقرطاسي حقه لا يجهل، متى  
ما ترقى العين فيه تستغل، إن نوع عنه جله، فهو غنم كل، انفرد  
بإعادة الألوان، قبل أن تشوها يد الأكون، أو غزتها أفلام الملوان،  
يتقدم الكتبية منه لواء ناصع، أو أيض مناصع، ليس وقار المشيب،  
في رباعي العمر الشيشيب، وأنصت الآذان من صهيلة الطيل  
المطيب، لما ارتدى بالبياض إلى نغمة الخطيب، وإن تعجب منه  
للتأخير متتب، قلتنا: الواو لا ترتب، ما بين فعل وحرة، وبهرمانة  
ودرة، وبيا لله من ابتسام غرة، ووضوح بين في طرة، وبوجهة للعين  
وقرة، وإن ول الناس بامتداخ القديم، وخصوصاً الحديث بفري  
الأدين، أوجب المتخصص، وإن أبي المنصب، مرتبة التقديم، وطبع

تُوهم حس العيان، أنها قطع من بعض العنوان، وتکاد تناول قرصان البدر بالبيان، متكلفة للمؤمنين من فزع الدنيا والآخرة بالأمان.

**وأترضنا الله قرضاً، وأوسعنا مدونة الجيش عرضأً، وفرضنا**

إنصافه مع الأهلة فرضاً، واستندنا من التوكيل على الله الغني الحميد إلى ظل لراء، وبندنا إلى الطاغية عهده على سوء وقلنا: ربنا أنت العزيز، وكل جبار لعزك ذليل، وحزبك هو الكثير، وما سواه قليل، أنت الكافي، ووعدك الوعد الراقي، فألفنا علينا مدارع الصابرين، واكتبنا من الفائزين بمحظوظ رضاك الظافرين، وثبتت أقدامنا ونصرنا على القوم الكافرين.

فتحركتنا أول الحرّات، وفاعة مصحف البركات، في خف من الحشود، واقتصر على ما بحضرتنا من العساكر المظفرة والجنود، إلى حصن آشر البازي المطل، وركاب العدو الضال المضل، ومهدي نفات الصل، على امتناعه وارتقاءه، وسمو يفاعه، وما بذل العدو فيه من استعداده، وتوفير أسلحته وأزواده، وانتخاب المجاده، فصلينا بنفسنا ناره، وزاحنا عليه الشهداء نصابر أواره وتلقى بالجراح العزيزة سهامه السامة، وجلامده الملموسة وأحجاره، حتى فرعنًا مهول من لا حول ولا قوة إلا به أبراجه المتيبة وأسواره، وكفنا عن البلاد والعباد أضراره، بعد أن استضفنا إليه حصن السهلة جاره، ورحلنا عنه بعد أن شحناء رابطة وحامية، وأزوادًا نامية، وعملنا بيدنا في رم ما ثلم القتال، ويقر من بطون مسابقة الرجال، واقتدينا بيننا صلوات الله عليه وسلمه في الخندق لما حمى ذلك المجال، ووقع الارتجاز المقوول حدبة والارتفاع، وما كان ليقر للإسلام مع تركه القرار، وقد كثب الجوار، وتداعى الدعرة وتعاوي الشرار.

وقد كنا أغربنا من بالجهة الغربية من المسلمين بمدينة برغة التي سدت بين القاعدتين رندة ومالقة الطريق، وأبست ذل الفراق ذلك الفريق، ومنعهما أن يسيغوا الرريق، فلا سبيل إلى الإمام، لطيف المنام، إلا في الأحلام، ولا رسالة إلا أجنحة هدل الحمام، فيسر الله فتحها، وجعل منحها، بعد حرب أبنت فيها التحور، وتزيث الحرور.

وتبع هذه الأم بنات شهيرة، وبقع للزرع والضرع خيرة، فشفي التغر من بؤسه، وتهلل وجه الإسلام بتلك الناحية الناجية بعد عبوسه.

ثم أعملنا الحركة إلى مدينة إطيرية، على بعد المدى، وتغلغلها في بلاد العدا، واقتحام هول الفلا وغول الردي، مدينة تبتها حصن فأوسعنا الدار، وأغلت الشوار، وراعت الاستكثار،

الرودية، والدمم الموحدية، لتكون علامة على الأصل، ومكذبة للدعى الرقق والفصل، وإشعاراً بالألفة التي لا تزال الفها الفوصل، ولأمها حراماً على النصل.

وحضر بين يدينا رسولكم، فقرر من فضلكم ما لا ينكره من عرف علو مقداركم، وأصالحة داركم، وفلك إيداركم، وقطب مداركم، وأجيئه عنه بجهد ما كنا لتفنع من جناه المتصحر، بالقبض المختصر، ولا لتقابل طول طوله بالقصر، لولا طرو المصر.

وقد كان بين الأسلاف رحمة الله عليهم ورضوانه ود أبرمت من أجل الله معاقده، ووثرت للخلوص، الجلي التصوص، مضاجعه القارة ومرافقه، وتعاهد بالجحيل يرجع لفقده فاقده، أيس الله إلا أن يكون لكم الفضل في تجديده، والعططف بتوكيده، فنحن الآن لا ندرى أي مكاريمكم ذكر، أو أي فراضكم نشرح أو نشكر، أما فاختكم التي هي في الحقيقة عندنا ففتح، أم هديتكم، وفي وصفها للأقلام سرح، ولعدو الإسلام بمحكمة حكمتها كبح، إنما نكل الشكر لن يوفي في جزء الأعمال البرة، ولا يخس مقفال النزرة ولا أدنى من مقابل النزرة، ذي الرحمة الشرة، والألطاف المتصلة المستمرة، لا إله إلا هو.

إن تشوقتم إلى الأحوال الراهنة، وأسباب الكفر الراهية بقدرة الله الراهنة، فنحن نظرفكم بطرفها، ونطلعكم على سبيل الإجاع بطرفها، وهو إننا لما أعادنا الله من التمجيص، إلى مثابة التخصيص، من بعد المرام العريض، كحلنا ب توفيق الله بضر البصيرة، ووقفنا على سبيله مساعي الحياة القصيرة، ورأينا كما نقل إلينا، وكرر على من قبلنا وعلينا أن الدنيا وإن غير الفرور وأنام على سرر الغفلة السرور، فلم ينفع الخطور على أجداث الأجياب والمرور، جسر يعبر، ومتاع لا يغبط من حبي به ولا يحب، إنما هو خير يخبر، وأن الحسرة بقدر ما على تركه يخبر، وأن الأعمار أحلام، وأن الناس نيا، وربما رحل الراحل عن الخان، وقد جلله بالأذى والدخان، أو ترك به طيباً، وثناء يقزم بعد للآتي خطيباً، فجعلنا العدل في الأمور ملائكة، والتقدّد للغور مساواة، وضجيع المهد، حديث الجهد، وأحكامه مناط الاجتهد، وقوله: **«فِي أَيْهَا الَّذِينَ أَمْنَوْا هُلْ أُكُلُّمْ عَلَى تِجَارَةٍ»** من حجج الاستشهاد، وبادرنا رمق المحسون المضاعة وجنجح التقية دامس، وعواريها لا ترد يد لامس، وساكنها باش، والأعصم في شعفاتها من العصمة باش، فزينا ببعض الشرفات ثابها، وأفعمنا بالذهب الفرات ركايها وغضينا بالصفيح المضاعف أبوابها، واحتسبنا عند موفي الأجر ثوابها، ويهضنا بناصع الكلس أثوابها، فهي اليوم

ووشاح الأفق المرقوم، بزهر التنجوم، قد دار دائرة، والليل من خوف الصباح، على سطحه المستباح، قد شابت غدائره، والسرير يرفف باليمين طائراً، والسماك الرامض يشار بعن الإسلام ثائراً، والنائم راعده فرائص الجسد، من خوف الأسد، والقوس يرسل سهم السعادة، بوتر العادة، إلى أهداف النعم العادة، والجرواء عابرة نهر الجرة، والزهرة تغادر من الشعري العبور بالضرر، وعطارد يسدي في جبل المزروع، على البلد المزروع وبلحمه، وينظر على أشكالها الهندسية فيفهمه، والأحر يبهر، ويعلمه الأبيض يغري وبنهر، والمشتري يبدىء في فضل الجهاد ويعيد، ويزاحم في الحلقات على ما للسعادة من الصفقات، ويزيد، وزحل عن الطالع متزحل، وعن العاشر مرتعلاً، وفي زلق السعدور وحل، والبدر يطالع حجر المتجميق، كيف يهوي إلى النيق، ومطلع الشمس يربك، وجدار الأفق يكاد بالعيون عنها يتقب.

ولما فشا سر الصباح، واهترت أعطاف الرياحات بتحيات مبشرات الرياح أطلتنا عليه إطلاع الأسود على الفرائس، والفحول على العرائس، فنظرنا منظراً يروع باساً ومنعة، ويروّق وضعماً وصنعة، تلتفت معاقله الشم للسحاب ببرود، ووردت من غدر المزن في برود، وأشرعت لاقطاف أزهار التنجوم والذراع بين الناطق معاصم رود، وبيلداً يعي الماسح والذارع، ويتنظم الحاني والأجارع، فقلنا: اللهم نفله أيدي عبادك، وإننا فيه آية من آيات جهادك، وزلتنا بساحتها العريضة المترون، نزول الغيث المترون، ويتمنا من فحصها بسورة "التين والزيتون"، متبرئة من أمان الرحمن للبلد المترون، وأعجلنا الناس بمحمية نفوسهم النفيسة، وسجية شجاعتهم البشّة، عن أن تبوا للقتال المقاوم، وتذني باسماع شهر الفير منهم الأبعد، وقبل أن يلتقي الخديم بالمخدوّم، ويركم المتجميق ركعى القدوم، فدفعوا من أصرح إليهم من الفرسان وسبق إلى حومة الميدان، حتى أحجزوه في البلد، وسلبواهم لباس الجلد، في موقف ينهل الوالد عن الولد، صابت السهام فيه غماماً، وطارت كأسراب الحمام تهوى حماماً، وأضحت القنا فضداً، بعد أن كانت شهاباً رصاداً، وماج بحر القنام بامواج النصول، وأخذ الأرض الرجالن لزلزال الصياغ الموصول، فلا ترى إلا شهيداً تظلل مصرعه الحور، وصريعًا تقذف به إلى الساحل تلك البحور، ونواشب تبأى بها الرجوه الوجهة عند الله والتحور، فالقضب، فروده يخضب، والأسمر، غصنه يستمر، والمفتر، حاه يخفر، وظهور القسي تقضم، وعصم الجند الكوافر تفصم، وورق اليلب في المقلب يسقط، والبيض تكتب والسمر تنقطع، فاتحتم الريض الأعظم لحيته، وأظهر الله لعيون المبصرين

وبيسطت الاعتمار، رجع لدينا قصدها على بعد، والطريق الجعد، ما أسفت به المسلمين من استصال طاقة من أسراه، مرروا بها آمنين، وبطائزها المشووم متيمزين، قد انهكهم الاعتصال، والقيود الثقال، وأضعرهم الأسار وجلهم الإنكسار، فجدلواهم في مصرع واحد، وتركوهم عبرة للرائي والمشاهد، وأهدوا برقعتهم إلى الإسلام نكل الراجد، وترة الماجد، فكبستها كبساً، وفجانها بإهام من لا يضل ولا ينسى وصيحتها الخيل، ثم تلاحق الرجل لما جن الليل، وحاق بها الرييل، فأيّع منها الذمار، وأخذها الدمار، ومحقت من مصانعها البيض الأهلة وخسفت الأقمار، وشفيت من دماء هايلها الضلع الحرار، وسلطت على هيكلها النار، واستولى على الآلاف العديدة من تسبيها الأسas، وانتهى إلى إشبيلية الثكلى المغار فجلل وجهه من بها من كبار التصرانة الصغار، واستولت الأيدي على ما لا يسعه الوصف ولا تقوله الأوقار.

وعدنا والأرض تخرج سبياً، لم تترك بعقربين شيئاً ولا بوجرة ظبياً، والعقال حسرى، والعيون يبهرها الصنع الأسرى وصبح السرى قد حدد من بعد المسرى، فسبحان الذي أسرى، ولسان الحمية ينادي، في تلك الكنائس المخربة والنواodi: يا ثارات الأسرى!

ولم يكن إلا أن نقلت الأفقال، ووسمت بالأوضاح الأغالب، وعذرت الموادي والأكفال، وكان إلى غزو مدينة جيان الاحتلال، قدنا إليها الجرد تلاعب الظلال نشاطاً، والأبطال تقتحم الأخطر رضى بما عند الله واغتابطاً، والمهنددة الدلق تسبق إلى الرقاب استلالاً واحتراطاً، واستكثروا من عدد القتال احتياطاً، وأزاحتا العلل عن أراد جهاداً منجياً غباره من دخان جهنم ورباطاً، ونادينا الجهاد! الجهاد! يا أمة الجهاد! راية النبي الماد! الجنة تحت ظلال السيف الحداد! فهز النساء إلى الله تعالى كل عامر وغامر، واتسم الجم من دعوى الحق إلى أمر أمر، وأنى الناس من الفجور العميق رجالةً وعلى كل ضامر، وكاثر الرياحات أزهار البطاح لوناً وعداً، وسدت الحشود مسالك الطريق العريضة سداً، ومد بحرها الزاخر مداً، فلا يجد لها الناظر ولا الماظر حداً.

وهذه المدينة هي الأم الولود، والجنة التي في النار لسكانها من الكفار الخلود، وك Rossi الملك، وعجنة الوسطى من السلك، باعت بالمزايا العديدة ونجحت، وعند الوزان بغيرها من أمات البلدان رجحت، غاب الأسود، وجرح لييات السود، ومنصب التماثيل المائلة، وملعق النواقيس المصلصلة.

فاذينا إليها المراحل، وعنينا بمحار العملات المستقلات منها الساحل، ولما أكثنا جوارها، وكدنا نلتجمع نارها، تحركنا إليها

وربة الشهرة السافرة، والأئباء المسافرة، قربطة، وما أدرك ما هية! ذات الأرجاء الحالية الكاسية، والأطوار الراسخة الراسية، والمباني المباهية، والزهاء الزاهية، والمحاسن غير المتناهية، حيث هالة بدر السماء قد استدارت من سور المشيد البناء داراً، ونهر الجمرة من نهرها الفياض، المسلول حسامه من عمود الغياض، قد لصق بها جاراً، وفلك الدولاب، المعتدل الانقلاب، قد استقام مداراً، ورجع الخين اشتياقاً إلى الحبيب الأول وادكاراً حيث الطرد الكاتالج، يزدان بلجين العذب الجاج، فيزري بنج كسرى وداراً، حيث قسي الجسور الجديدة، كأنها عرج المطي العديدة، تعبر النهر قطاراً، حيث آثار العامي المجاهد، تعيق بين تلك المعاهد، شذى معطاراً، حيث كرام السحائب، تزور عرائس الرياض الجباب، فتحمل لها من الدر ثماراً، حيث شمول الشمال تدار على الأدواع، بالغدو والروح، فترى الفصون سكارى، وما هي سكارى حيث أيدي الافتتاح، تفترس من شفاقن البطاح أبكاراً، حيث ثبور الأقاح الباسم، تقبلها بالسحر زوار التواسم، فتفخّق قلوب التجorum الغيارى، حيث المصلى العتيق، وقد رحب مجالاً وطال مشاراً، وأزرى بيلات الوليد احتقاراً، حيث الظهور المثارة بسلاح الفلاح، تجحب عن مثل أسممة المهاوى، والبطون كأنها لتدميت الغمامات بطون العذارى، والأدواع العالية، تخترق أعلامها المادية، بالجلداول المباري.

فما شئت من جو يقيل، ومعرس للحسن ومقيل، ومالك للعقل وعقل، وخائل، كم فيها للبلبل، من قال وقيل، وخيفيف يجاوز بثقل، وسبابل تحكي من فوق سوقها، وقصب بسوقها، المهزمات على الآلفات، والعصافير البدعة الصفات، فوق القبض المؤتلفات، تمبل لمبوب الصبا والجنوب، مائة الجيرب، بدر الحبوب، وبطاح لا تعرف عين المخل، فتطلبه بالذحل، ولا تصرف في خدمة بيس قباب الأزهار، عند افتتاح السوسن والبهار، غير العبدان من سودان النحل، وبحر الفلاح الذي لا يدرك ساحله، ولا يليغ الطية العيدة راحله، إلى الوادي، وسرم التوادي، وقرار دموع الغرادي، للتجاسر على تخطيه، عند تقطي، الجسر العادي، والوطن الذي ليس من عمرو ولا زيد، والفرا الذي في جوفه كل صيد أقل كرميه خلافة الإسلام، وأغار بالرصافة والجسر دار السلام، وما عسى أن تطنب في وصفه السنة الأقلام أو تعبّر به عن ذلك الكمال فنون الكلام.

فأعملنا إليها السرى والسير، وقدنا إليها الخيل قد عقد الله في نواصيها الخير.

ولما وقفنا بظاهرها المبهم العجب، واصطفنا بخارجهما

والمستبررين عزة دينه، وتبرأ الشيطان من خدينه، ونهب الكفار وخذلوا، وبكل مرصد جدوا ثم دخل البلد بعده غلاباً، وجحل تلالاً واستلباً، فلا تسأل إلا الظبا والأسل عن قيام ساعته، وهو يومها وشانته، وتخريب المبانت والمباني، وغنى الأيدي من خزان تلك المغاني، ونقل الوجود الأول إلى الوجود الثاني وتخارق السيف فجاء بغیر المعاد، ونهلت القنا الردينية من الدماء، حتى كادت تورق كالاغصان المفترسة والأوتاد، وهمت أشلاك القسي وساحت، وأرنت حتى مجت، وفقدت موادها فشحت، مما الحت، وسدت المسالك جثث القتلى فمتعت العابر، واستأصل اللهم من عدوه الشفاعة وقطع الدابر، وأزلف الشهيد وأحسب الصابر، وسبقت رسيل الفتح الذي يسلم يسمع بمثله في الزمن الغابر تنقل البشرى من أفواه الخبراء، إلى آذان المنابر.

أقمنا بها أياماً نعقر الأشجار، وستأصل بالتخريب الوجه، ولسان الانتقام من عبة الأصنام، ينادي: يا ثارات الإسكندرية تشفيأنا من الفجر، ورعينا لحق الجار، وقتلنا وأجححة الريات، برياح العنبيات، خاقفة وألواق التوفيق الناشئة من خطوط الطريق، موافقة، وأسوق العز بالله نافقة، وحملاء الرفق مصاحبة والحمد لله مراقبة، وقد ضاقت ذروع الحال، عن اعتناق الصهب السبال، ورفعت على الأكتاف، رداء كرام الأنفال، وقلقلت من التراقييس أجرام الجبال، باهندام والاحتياط، وهلك بهلهل هذه الأم بناط التخريب أسوارها، ويس揆زن حجرها الكافل، شمل

ثم تحركنا بعدها حركة الفتح، وأرسلنا دلاء الأدلة قبل الملح، فبشرت بالفتح وقصدنا مدينة أبده، وهي ثانية الجناحين، وكبرى الآختين، ومساهمة جيان في حين الخين، مدينة أخذت عرض الفضاء الآخر، وتمشت فيه أرياضها تمثيل الكتابة الجامحة في المهرق، المشتملة على المساجر والماكساب، والوضع المناسب، والفلج المعبي ريعه عمل الحاسب وكواهنة الدبر الالاسب المتعددة العباس، فأشباح العفاء بربوعها العامرة، ودارت كؤوس عقار المحتوف، ببيان السيوف، على متديرها المعاقرة، وصيحتها طلائع الفاقرة، وأغرت ببطون أسوارها عرج المعاول الباقرة، ودخلت مديتها عننة السيف، في أسرع من خطرة الطيف، ولا تسأل عن الكيف، فلم يبلغ العفاء من مدينة حافلة، وعقيبة في حلل المحاسن رافلة، ما بلغ من هذه البائسة التي سجدت لألهة السيران أبرا جها، وتضاءل بالرغام معراجها، وضفت على أعطاها ملابس الخذلان، وأفقر من كنائسها كناس الغزلان.

ثم تاهينا لغزو أم القرى الكافرة، وخرائن الزاين الواقفة،

الانتهاء إلى الحد والمقدار، والرقوف عند اختفاء سر الأقدار.  
ثم عبرنا نهرها، وشدنا بآيدي الله قهراها، وضيقنا  
حصراها، وأدرنا باللآلئ القباب البياض خضرها وأقمنا بها أياما  
غور عميان البند على فريستها حياما، وترمي الأدواخ بوارها،  
وتسلط البيران على أقطارها، فلولا عائق المطر، لحصلنا من فتح  
ذلك الوطن على الوطرين، فرأينا أن نروضها بالاجتثاث والاتساف،  
ونولى على زروعها وربوعها كرات رياح الاعتساف، حتى يتهيأ  
للإسلام لوك طعمتها، ويتهيأ بفضل الله إرث نعمتها، ثم كانت  
من موقفها الإفاضة من بعد غمر النجور، وقدف جار الدمار على  
العدو المدحور، وتدافعت خلفنا السبقات المتسلقات تدافع أمواج  
البحور.

ويعد أن الحجنا على جناتها المصحررة، وكرومها المستبرحة  
إلاح الغريم، وعواضتها المنظر الكريه من المنظر الكريم، وطاف  
عليها طائف من ربنا فأصبحت كالصرىم، وأغرتنا حلاق النار  
بجم الجحيم، وراكنا في أحواز أجرانها غمام الدخان، يذكر  
طيبة البان يوم العيدين، وأرسلنا رياح الغارات لا تذر من شيء أنت  
عليه إلا جعلته كالرميم، واستقبلنا الوادي بهول مدد، وبروع سيفه  
الصقيل حتّى، فيسره الله من بعد الأعواز، وانطلقت على الفرصة  
بتلك الفرضة أيدى الانتهاء، وسألنا من سائله أسد بن الفرات  
فافتى برجهان الجوان، فعم الاكتساح والاستباح جميع الأحوال  
فأدبل المصنون، واتهبت القرى، وهدت الحصون، واجشت  
الأصول، وحطمت الفصون ولم ترفع عنها إلى اليوم غارة تصاحها  
بالموس، وتطلع عليها غررها الضاحكة باليوم العبوس، فهي الآن  
مجرى السوابق وجسر الموالي على التوالى، والحسرات تتجدد في  
أطلالها البوالى، وكان بها قد ضرعت، وإلى الدعوة الحمدية  
أسرعت، بقدرة من لو أنزل القرآن على الجبال لخشعت من خشية  
الله وتصدعت، وزعة من أذعنت الجبارية لعزه وحضرت، وعدنا  
والبنود لا يعرف اللف نشرها، والوجوه المباهدة لا يخالط التقليب  
بشرها، والأيدي بالعروبة الوثنى متلقة، والألسن بشكر نعم الله  
منطلقة، والسيوف في مضاجع الغمود فلقه، وسرابيل الدروع  
خلقه، والجياد من ردها إلى المرابط والأواري، رد العواري حنقة،  
وبعبارات الغيط المكظوم مختفقة، تنظر إلينا نظر العاتب، وتعدون من  
مياذين الاختيال والراح، تحت حلل السلاح، عود الصبيان إلى  
المكاتب، والطبليل بلسان العز هادر والعزم إلى منادي العود الحبيب  
مبادر، وجود نوع الرماح، من بعد ذلك الكفاح نادر، والقاسم  
يرتب بين يديه من السبي النواور، ووارد مناهل الأجور، غير  
الملاء، ولا المهجور، غير صادر، ومناظر الفصل الآتي، عقب

المبت المنجب، والقلوب تلتئم الإعانة من معنم مجزل، وتننزل  
مدد الملائكة من منجد متزل، والركائب واقفة من خلفنا بمعزل،  
تناشد في معاهد الإسلام:

فينا لك من ذكري حبيب متزل

برز من حاميتها الحامية، ووقد النار الحامية، وبقية السيف  
الرافعة على الحصاد النامية، قطع الغمامات الحامية، وأمواج البحور  
الطاامية، واستجنت بطلال أبطال المجال، أعداد الرجال، الناشبة  
والرامية، وتصدى للنزال، من صناديدها الصهب السبال، أمثال  
المضاب الراسية، تجنبها جنن السوابق الكاسية، ومخازيرها المقادية  
للبطلان يوم بؤسها بفوسها الماوية، وخنازيرها التي عدتها عن  
قبول حجج الله ورسوله، ستور الظلم الغاشية، وصخور القلوب  
القاسية، فكان بين الفريقين أمام جسرها الذي فرق البحر، وحلسى  
بلجيته، ولآلئ زينه، منها النحر، حرب لم تسج الأزمان على  
منواها، ولا أنت الأيام الجبال بمثل الأيام أهواها، من قاسها  
بالنحجار أنك فجر، أو مثلها بغير الهماء خرف وهجر، ومن  
شبهها بحرب داحس والغباء، فما عرف الخبر، فليس من جرب  
وخبر، ومن نظرها يوم شعب جلة فهو ذو بله، أو عادها يطعن  
عقل، فغير عاقل، أو احتاج يوم ذي قار، فهو إلى المعرفة ذر  
افتقار، أو ناضل يوم الكديد، فنهمه غير السيد، إنما كان مقاماً  
غير معتمد، ومرعى نفوس سلم يف بوصفه لسان مرتد وزلزال  
جبال أوتاد، ومختلف مذكور لسلطان الشيطان وعتاد، أعلم فيه  
البطل الباسل، وتورد الأبيض الباتر، وتآود الأسمر العاصل، ودوم  
الجليد المتكاسل، وابعث من حدب الخيبة، إلى هدف الرمية،  
الناشر الناصل، ورويت لرسلات السهام المراسل، ثم أفضى أمر  
الرماح إلى الشاجر والارتباك، ونشبت الأسنة في الدروع ثشب  
السمك في الشباك، ثم اختلط المرعي بالحمل، وعزل الرديبي عن  
العمل، وعادت السيف من فوق المفارق تيجاناً، بعد أن شقت  
غدر السوابق خلجاناً، وانحدرت جداول الدروع، فصارت بحراً،  
وكان التعانق، فلا ترى إلا خمراً يلازم خمراً، عنق داع، و موقف  
شمل ذي انصداع، وإجابة مناد إلى فراق الأبد داع، واستكشفت  
ماك الصبر الأنفس الشفافة، وهبت بريح النصر الطلقان البشرة  
المفافة، ثم أمد السبيل ذلك العباب، وصقل الاستبسار الأباب،  
واستخلص العزم صفوة اللباب، وقال لسان النصر: [ادخلو  
 عليهم الباب] فأصبحت طواهف الكفار، حصائد مناجل الشفار،  
فمقابرهم قد رضيت حرماتها بالأختمار، ورؤوسهم محطورة في  
غير مقام الاستفتار، وعلت الرياحات من فوق تلك الأبراج  
المستطرفة والأسوار، ورفف على المدينة جناح البوار، لولا

كثيراً أثيراً، ما أطلاع الصبح وجهأً مثيراً، بعد أن أرسل النسيم سفيراً، وكان الرميس باسم لأكوناس الفعائم، على أزهار الكعائم مديراً، ورحمة الله وبركاته.

وكتب إلى يهتني عولود، ويعاتب على تأخير الخبر بولاده

عنده: هنباً أبا الفضل الرضا وأبا زيد وأمنت من بغي يخاف ومن كيد بطاطل عن طال في السعد شاؤه فما هو من عمرو الرجال ولا زيد

وقيد بشكر الله أنعمه التي أوابدها تألي سوى الشكر من قيد

أهلاً بدرى المكاتب، وصدرى المراتب، وعتبي الزمن

المعاتب ويكى المشتري والكاتب، ومرحباً بالطالع، في أسعد الطالع، والثاقب في أجلى المراقب، وسهلاً بغني البشر، وعززة الأهل

والعشرين، وتأج الفخر الذي يقص عنه كسرى وأردشير، الآن

اعتصدت الحلة الحضرمية بالفارس، وأمن السارح في حمى

الحارس، وسعدت بالمشير الكبير، أفلاك التدوير، من حلقات

المدارس، وقررت بالجني الكريم عن الغارس، واحتقرت أنظار

الأبلى وأئماث ابن الدارس وقيل للمشكلات: طالما الفت الخمرة،

وامضبت على الأذهان الأمرة، فناهي للغارة الميحة لحمك،

وتحيزى إلى نفقة البطل المستثار برشف ملائكة.

و الله من نسبة احتفى فيها المشتري واحتفل، وكفى سفي تربتها وكفل، واختال عطارات في حلل الجذل لها ورفل، واتضحت الحدود، وتهلل الرجوه، وتنافست المثلثات تؤمل الحظ وترجوه، وبنه البيت على واجهه، وأشار لحظ الشرف بمحاجبه، وأسرع نير التربية في الأوربة، قائماً في الاعتدار مقام التربية، واستثار بالبروج المولدة بيت البنين، وتخطت خطأ القمر رأس الجوزهر وذنب البنين، وساوق منها حكم الأصل، حذوك النعل بالتعل، تحويل السنين، وحقن هذا المولود بين المواليد نسبة عمر الوالد، فتجاوز درجة الثنين، واقترب بعاشره العستان، اقتزان الحسد، وثبت بدقيقته مركزه قلب الأسد، وسرق من بيت أعدائه خرثي الغل والحسد، ونفتقت طرق التسيير، كما نفعل بين يدي السادة عند المسير، وسقط الشيخ المرم من الدرج في البير، ودفع المقاتل إلى الوبال الكبير:

لم لا ينسى العلا أو يعقد الناج والمشتري طالع والشمس ميلاد والسعدي يركض في ميدانها مرحاً جذلان والفالك الدوار هملاد كان به والله يهديه قد انتقل من مهد التنويم، إلى النهج القوي، ومن أركبة النزاع، إلى تصريف اليراع، ومن كد الدایة، إلى مقام المداية، والغاية المختطفة البداية جعل الله وقايته عليه عونه، وقسم حسلته قسمة عرم اللحم، بين منخفقة ونطيحة

أخيه الشاتي، على المطلوب المواتي مصادر والله على تيسير الصعب، وتحويل المتن الرغاب قادر، لا إله إلا هو.

فما أجل لنا صنعه الحفي، وأكرم بنا لطفه الحفي، اللهم لا نخصي ثناء عليك، ولا نلتجأ منك إلا إليك، ولا نلتزم خير الدنيا والأخرة إلا لديك، فأعد علينا عواند نصرك، يا مبدئ يا معيد، وأعنا من سائل شكرك، على ما يمثال به المزيد، يا حي يا قيوم يا فعال لما يريد.

وقارنت رسالتكم الميمونة لدينا حدق فتح بعيد صيته، مشرئب ليته، وفخر من فوق النجوم العظام ميته عجبنا من تأتي أمه الشارد، وقلنا: البركة في قدم الراشد وهو أن ملك النصارى لاطفنا بجملة من الحصون كانت من مملكة الإسلام قد غصبت، والتمايل فيها ببيوت الله قد نصبت أداماً الله بمحاولتنا. الطبيب من الحديث، والتوحيد من التلثيث، وعاد إليه الإسلام عود الأب الغائب، إلى البنات الحبائب، يسأل عن شرورها، ويسعى دموع الرقة من جفونها وهي للروم خطة خسف قلماً ارتكيوها فيما نعلم من العهود، ونادر من نوادر الوجود.

ولى الله علينا وعليكم عوارف الجود، وجعلنا في محاريب الشرك من الركع السجود.

عرفناكم بعمولات أمور تحتها تفسير، وعن من الله وتبصير، إذ استيقاء الجزيئات عسير لسرركم بما منع الله دينكم، وننوح بعزم الملة الحسينية جيئنكم، ونخطب بعده دعاءكم وتأمينكم، فإن دعاء المؤمن لأنبيه بظهور الغيب سلاح ماض، وكفيل بالموهاب المسؤولية من التنميم الوهاب متلاشى وأنتم أول من ساهم في بره، وعامل الله بكلوص سر، وأين يذهب التفضل عن بيتكم، وهو صفة حيكم، وتراث ميتكم، ولكن مزية القدم، ورسوخ القدم والخلافة مقرها إياوانتكم، وأصحاب الإمام مالك رضي الله عنه مستقرها قبروان لكم، وهجير المنابر ذكر إمامكم، والتوحيد إعلام، والواقع الشهير في الكفر منسوبة إلى أيامكم، والصحابة الكرام فتحة أوطنكم، وسلامة الفاروق عليه السلام وشائع سلطانكم، ونحن نستكثر من بركة خطابكم، ووصلة جنابكم ولولا الأعذار لوالينا بالمتزبدات تعريف أبوابكم.

والله عز وجل. يتول علينا من شكركم المحتorum، ما قصر المكتوب منه عن المكتوم، ويفيكم لإقامة الرسوم، ويحمل محبتكم من القلوب محل الأرواح من الجحوم، وهو سبحانه يحصل سعدكم، ويجرس مجدهم، ويوالي نعمه عندهم.

والسلام الكريم، الطيب الرزكي المبارك البر العميم، يغصكم

صدره بذلك، فكتب إلى وزنمار بن عريف، ولـي السلطان، وصاحب شواره، يتفسن الصعداء من ذلك، فأنهـاـهـ إلىـ السـلـطـانـ، فاستدعـاهـ لـوقـتهـ، وارـتـحلـتـ منـ بـسـكـرـةـ بـالـأـهـلـ والـولـدـ، فـيـ يـوـمـ المـولـدـ الـكـرـيمـ سـنـةـ أـرـبـعـ وـسـبـعـ وـسـعـمـانـةـ مـتـرـجـهاـ إـلـىـ السـلـطـانـ وقدـ كانـ طـرـقـ الـمـرـضـ فـمـاـ هوـ إـلـاـ أنـ وـصـلـتـ مـلـيـانـةـ مـنـ أـعـمـالـ المـغـرـبـ الـأـوـرـسـطـ، فـلـقـيـ هـنـالـكـ خـبـرـ وـفـانـهـ، وـأـنـ اـبـيـ أـبـكـرـ السـعـيدـ نـصـبـ بـعـدـ لـلـأـمـرـ فـيـ كـنـالـةـ الـرـئـيـزـ أـبـيـ بـكـرـ بـنـ غـازـيـ وـأـنـهـ اـرـتـحلـ إـلـىـ الـمـغـرـبـ الـأـقـصـىـ مـغـداـ السـيرـ إـلـىـ فـاسـ، وـكـانـ عـلـىـ مـلـيـانـةـ يـوـمـثـدـ عـلـىـ بـنـ حـسـونـ بـنـ أـبـيـ عـلـيـ الـيـنـاطـيـ مـنـ قـوـادـ السـلـطـانـ وـمـوـالـيـ بيـتـهـ، فـارـتـحلـتـ مـعـهـ إـلـىـ أـحـيـاءـ الـعـاطـفـ وـتـرـلـنـاـ عـلـىـ أـوـلـادـ يـعقوـبـ بـنـ مـوسـىـ مـنـ أـمـرـاهـمـ، بـنـرـقـ لـيـ بـعـضـهـمـ إـلـىـ حـلـةـ أـوـلـادـ عـرـيفـ: أـمـرـاءـ سـوـيـدـ، ثـمـ لـحـقـ بـنـاـ بـعـدـ أـيـامـ عـلـيـ بـنـ حـسـونـ فـيـ عـسـكـرـهـ وـارـتـحلـتـ جـيـعـاـ إـلـىـ الـمـغـرـبـ عـلـىـ طـرـيقـ الـصـحـراءـ، وـكـانـ أـبـيـ حـوـرـ قدـ رـجـعـ بـعـدـ مـهـلـكـ السـلـطـانـ مـنـ مـكـانـ اـنـتـابـهـ بـالـفـقـرـ فـيـ تـيـكـوـرـارـيـنـ إـلـىـ تـلـمـسـانـ فـاسـتـولـ عـلـيـهـاـ وـعـلـىـ سـائـرـ أـعـمـالـهـ، فـلـأـوـزـ إـلـىـ بـنـ يـغـمـورـ مـنـ شـيـوخـ عـيـدـ اللـهـ مـنـ الـمـعـقـلـ أـنـ يـعـتـرـضـونـ مـحـدـودـ بـلـادـهـمـ مـنـ رـأـسـ الـعـينـ غـرـجـ وـادـيـ زـاـ، فـاعـتـرـضـونـاـ هـنـالـكـ فـنـجـاـ مـنـ نـخـامـاـ عـلـىـ خـيـوـلـهـ إـلـىـ جـبـلـ دـبـدـ وـاتـهـبـواـ جـمـيعـ ماـ كـانـ مـعـنـاـ وـأـرـجـلـوـاـ كـثـيرـ مـنـ الـفـرـسـانـ، وـكـنـتـ فـيـهـمـ، وـبـيـقـيـتـ يـوـمـيـنـ فـيـ قـفـرـهـ ضـاحـيـاـ عـارـيـاـ إـلـىـ أـنـ خـلـصـتـ إـلـىـ الـعـمـرـانـ وـلـحـقـتـ بـأـصـحـابـيـ بـجـبـلـ دـبـدـ وـوـقـعـ فـيـ خـلـالـ ذـلـكـ مـنـ الـأـلـافـ إـلـىـ مـاـ لـاـ يـعـرـعـهـ، وـلـاـ يـسـعـ الـوـفـاءـ بـشـكـرـ.

ثـمـ سـرـنـاـ إـلـىـ فـاسـ وـوـقـدـتـ عـلـىـ الـوـزـيـرـ أـبـيـ بـكـرـ وـابـنـ عـمـهـ محمدـ بـنـ عـثـمـانـ بـفـاسـ فـيـ جـادـيـ مـنـ الـسـنـةـ، وـكـانـ لـيـ مـعـهـ قـدـيمـ صـحـبـةـ وـاـخـتـصـاصـ مـنـذـ نـزـعـ مـعـيـ إـلـىـ السـلـطـانـ أـبـيـ سـالـمـ بـجـبـلـ الصـفـيـحةـ، عـنـ إـجازـتـهـ مـنـ الـأـنـدـلـسـ طـلـبـ مـلـكـهـ كـمـاـ مـرـ فيـ غـيرـ مـوـضـعـ مـنـ الـكـتـابـ، فـلـقـيـ مـنـ بـرـ الـوـزـيـرـ وـكـرـامـهـ وـتـوـفـيـ جـرـاـيـهـ وـإـقـطـاعـهـ، فـوـقـ مـاـ اـحـتـسـبـ وـأـقـتـمـ بـمـكـانـيـ مـنـ دـوـلـهـ أـثـيـرـ الـحـلـ، نـابـهـ الرـبـةـ عـرـيـضـ الـجـاهـ، مـنـهـ الـمـلـىـنـ عـنـ الـسـلـطـانـ.

ثـمـ اـنـصـرـمـ فـصـلـ الشـتـاءـ وـحـدـثـ بـيـنـ الـوـزـيـرـ أـبـيـ بـكـرـ بـنـ غـازـيـ وـبـيـنـ السـلـطـانـ اـبـنـ الـأـحـمـرـ مـنـافـرـةـ بـسـبـبـ اـبـنـ الـخـطـيـبـ، وـمـاـ دـعـاـ إـلـيـ اـبـنـ الـأـحـمـرـ مـنـ إـيـعادـهـ عـنـهـمـ وـأـنـ الـوـزـيـرـ مـنـ ذـلـكـ فـاـظـلـمـ الـجـوـيـهـمـ، وـأـنـدـ الـوـزـيـرـ فـيـ تـجـهـيزـ بـعـضـ الـقـرـابـةـ مـنـ بـنـيـ الـأـحـمـرـ لـلـإـجـلـابـ عـلـىـ الـأـنـدـلـسـ فـبـادـرـ اـبـنـ الـأـحـمـرـ إـلـىـ إـطـلاقـ الـأـمـيـرـ عـبدـ الـرـحـمـنـ بـنـ أـبـيـ يـفـلـوـسـنـ مـنـ وـلـدـ السـلـطـانـ أـبـيـ عـلـيـ، وـالـوـزـيـرـ مـسـعـودـ بـنـ رـحـوـنـ بـنـ مـاسـايـ كـانـ جـسـهـمـاـ أـيـامـ السـلـطـانـ عـبدـ الـعـزـيزـ وـبـيـاشـارـهـ بـذـلـكـ لـابـنـ الـخـطـيـبـ حـيـنـ كـانـ فـيـ وـزـارـتـهـ بـالـأـنـدـلـسـ، فـأـطـلـقـهـمـاـ الـآنـ وـبـعـثـهـمـاـ طـلـبـ الـمـلـكـ بـالـمـلـكـ بـالـمـلـكـ، وـجـازـهـمـاـ فـيـ الـوـشـةـ فـيـمـاـ يـورـدـونـ عـلـىـ سـمـعـهـ مـنـ الـتـقـولـ وـالـاخـلـاقـ، وـجـاشـ

وـمـتـرـيـةـ وـمـوـقـرـةـ، وـحـفـظـ هـلـالـهـ فـيـ الـبـدـارـ إـلـىـ قـمـهـ وـبـعـدـ قـمـهـ، وـأـقـرـ بـهـ عـيـنـ أـلـيـهـ وـأـمـهـ.

غـيرـ أـنـيـ وـالـلـهـ يـغـرـ لـسـيـديـ بـيـدـ أـنـيـ رـاكـعـ فـيـ سـبـيلـ الشـكـرـ وـسـاجـدـ، فـلـأـنـ عـاتـبـ وـوـاجـدـ، إـذـ كـانـ ظـنـيـ أـنـ الـبـرـيدـ بـهـذـاـ الـخـبرـ إـلـىـ يـعـملـ، وـإـنـ إـنـخـافـيـ بـهـ لـاـ يـهـمـ، فـانـكـسـتـ الـقـضـيـةـ، وـرـأـبـتـ الـحـالـ الـمـرـضـيـ، وـفـضـلـتـ الـأـمـرـ الـذـاتـيـ الـأـمـرـ الـعـرـضـيـ، وـالـحـكـمـ جـازـمـ، وـأـحدـ الـفـرـضـيـنـ لـازـمـ إـمـاـ عـدـمـ السـوـيـةـ، وـيـعـارـضـهـ اـعـتـاءـ جـبـلـ مـغـارـ، وـعـهـدـهـ سـلـمـ لـمـ يـدـخـلـهـ جـزـيـةـ وـلـاـ صـفـارـ، أـوـ جـهـلـ بـمـقـدـارـ الـهـبـةـ، وـيـعـارـضـهـ عـلـمـ بـمـقـدـارـ الـحـقـرـقـ، وـرـضـيـ مـنـافـ لـلـعـقـوـقـ، فـوـقـعـ الـأـشـكـالـ وـرـبـاـ لـطـفـ عـذـرـ كـانـ عـلـيـهـ الـاـتـكـالـ.

وـإـذـ لـمـ يـبـشـرـ مـثـلـيـ بـمـنـحةـ اللـهـ قـبـلـ تـلـكـ الذـاتـ السـرـيـةـ، الـخـلـيقـةـ بـالـنـعـمـ الـحـرـيـةـ، فـمـنـ النـبـيـ يـبـشـرـ، وـعـلـىـ مـنـ يـعـرضـ بـزـهاـ أوـ يـنـشـرـ، وـهـيـ الـتـيـ وـاـصـلـتـ التـقـنـدـ، وـيـهـرـجـتـ الـعـاـمـلـةـ وـأـبـتـ أـنـ تـقـنـدـ، وـأـنـسـتـ الـفـرـغـةـ وـجـرـحـهاـ غـيرـ مـنـدـمـلـ، وـنـفـسـ الـكـرـبةـ وـجـنـحـهاـ عـلـىـ الـجـوـانـجـ مـشـتـمـلـ، فـمـتـىـ فـرـضـ نـسـيـانـ الـحـقـرـقـ لـمـ يـنـلـيـ فـرـضـ، وـلـاـ شـهـدـهـ بـهـ عـلـىـ سـمـاءـ وـلـاـ أـرـضـ، وـإـنـ قـسـرـ فـيـمـاـ يـمـبـ لـسـيـديـ عـمـلـ، لـمـ يـقـصـرـ رـجـاءـ وـلـاـ أـمـلـ، وـلـيـ فـيـ شـرـ حـمـدـ نـاقـةـ وـجـلـ.

وـمـنـ جـلـ وـعـلـاـ نـسـاـلـ أـنـ يـرـيـهـ قـرـةـ الـعـيـنـ فـيـ نـفـسـهـ وـمـالـهـ وـبـيـنـهـ، وـيـجـعـلـ أـكـبـرـ عـطـاـيـاـ الـمـيـالـاجـ أـصـغـرـ سـيـنـهـ، وـيـقـلـدـ عـوـاتـقـ الـكـوـاـكـبـ الـبـابـيـةـ هـاـشـلـ أـمـانـهـ وـإـنـ تـشـوـفـ سـيـديـ لـحـالـ وـلـيـهـ، فـخـلـوـةـ طـيـةـ، وـرـحـمـةـ مـنـ جـانـبـ اللـهـ صـيـبـةـ، وـيـرـقـ يـشـامـ، فـيـقـالـ: حـدـثـ مـاـ وـرـاءـكـ يـاـ هـشـامـ.

وـلـهـ درـ شـيـخـتـاـ إـذـ يـقـولـ: لاـ بـارـكـ اللـهـ فـيـ إـنـ لـمـ أـصـرـفـ الـفـنـسـ فـيـ الـأـهـمـ وـكـثـرـ اللـهـ فـيـ هـمـوـمـيـ إـنـ كـانـ غـيرـ الـخـلـاـصـ هـمـيـ وإنـ أـنـعـمـ سـيـديـ بـالـلـامـعـ بـخـالـةـ، وـحـالـ الـوـلـدـ الـمـبـارـكـ، فـذـلـكـ مـنـ غـرـ إـسـانـهـ، وـمـتـلـهـ فـيـ لـحـظـ لـحـظـيـ، بـعـزـلـةـ إـسـانـ، وـالـسـلـامـ.

## العودة إلى المغرب الأقصى

وـلـاـ كـنـتـ فـيـ الـاعـتـمـالـ فـيـ مـشـاعـةـ السـلـطـانـ عـبدـ الـعـزـيزـ مـلـكـ الـمـغـرـبـ، كـمـاـ ذـكـرـتـ تـفـاصـيلـهـ، وـأـنـ مـقـيمـ بـسـكـرـةـ فـيـ جـوـارـ صـاحـبـهاـ أـحـدـ بـنـ يـوـسـفـ بـنـ مـزـنـيـ، وـهـوـ صـاحـبـ زـمـامـ رـيـاحـ، وـأـكـثـرـ عـطـاـيـهـ مـنـ السـلـطـانـ مـفـتـرـضـ عـلـيـهـ فـيـ جـيـاـيـةـ الـرـابـ، وـهـمـ يـرـجـعـونـ إـلـيـهـ الـكـثـيرـ مـنـ أـمـرـهـمـ، فـلـمـ أـشـعـرـ إـلـاـ وـقـدـ حـدـثـتـ الـمـنـافـسـةـ مـنـهـ فـيـ اـسـتـيـاعـ الـعـربـ، وـوـغـرـ صـدـرـهـ، وـصـدـقـ فـيـ ظـنـوـنـهـ وـتـوـهـمـاتـهـ، وـطـارـوـعـ الـوـشـةـ فـيـمـاـ يـورـدـونـ عـلـىـ سـمـعـهـ مـنـ الـتـقـولـ وـالـاخـلـاقـ، وـجـاشـ

محمد بن عثمان في ذلك، واستدعاه واستمده و كان وزمار بن عريف ولـي سلفهم قد أظلم الجر بيته وبين الوزير أبي بكر، لأنـه سـالـهـ وـهـ يـحاـصـرـ تـازـيـ فـيـ الصـلـعـ معـ الـأـمـيـرـ عبدـ الرـحـنـ فـاتـمـتـ،ـ وـاـتـهـمـ بـمـداـخـلـهـ وـالـمـيلـ لـهـ،ـ فـاعـتـمـ عـلـىـ القـبـضـ عـلـىـهـ،ـ وـدـسـ إـلـيـهـ بـذـلـكـ بـعـضـ عـيـونـهـ،ـ فـرـكـ الـلـيـلـ وـلـحـقـ بـاحـيـاءـ الـأـحـلـافـ مـنـ الـعـقـلـ،ـ وـكـانـواـ شـيـعـةـ لـلـأـمـيـرـ عبدـ الرـحـنـ،ـ وـمـعـهـ عـلـيـ بنـ عـمـرـ الـوـيـلـانـيـ كـبـيرـ بـنـيـ وـرـنـاجـنـ،ـ كـانـ اـنـقـضـ عـلـىـ الـوـزـيـرـ اـبـنـ غـازـيـ وـلـحـقـ بـالـسـوسـ.

ثم خاض القفر إلى هؤلاء الأحلاف فنزل بينهم مقاماً للدعوة الأمير عبد الرحمن، فجاءهم وزمار مقلتاً من حالة الوزير أبي بكر وحرضهم على ما هم فيه، ثم بلغهم خبر السلطان أحمد بن أبي سالم وزيره محمد، ابن عثمان، وجاءهم وافقهم وافق الأمير عبد الرحمن يستدعيم.

وخرج من تازى فلقيهم، وزرل بن أخيائهم، ورحلوا جميعاً إلى إمداد السلطان أبي العباس حتى انتهوا إلى صفووى.

ثم اجتمعوا جميعاً على وادي النجا، وتعاقدوا على شأنهم، وأصبحوا من الغد على التعبة، كل من ناحيته.

وركب الوزير أبو بكر لقتالهم فلم يطق، وولى منهـما فاخـجـرـ بـالـبـلـدـ الـجـدـيدـ،ـ وـخـيـمـ الـقـرـمـ بـكـدـيـةـ الـعـرـائـسـ مـحـاـصـرـيـنـ لـهـ،ـ وـذـلـكـ أـيـامـ عـيـدـ الـفـطـرـ مـنـ سـنـةـ خـمـسـ وـسـبـعـمـائـةـ فـحـاصـرـوـهـ ثـلـاثـةـ شـهـرـ وـأـخـذـوـ بـعـثـقـهـ إـلـىـ جـهـدـ الـحـصارـ الـوـزـيـرـ وـمـنـ مـعـهـ،ـ فـاذـعـنـ لـلـصـلـعـ عـلـىـ خـلـعـ الصـيـيـ المـنـصـوبـ السـعـيدـ اـبـنـ السـلـطـانـ عبدـ العـزيـزـ،ـ وـخـرـوجـهـ إـلـىـ السـلـطـانـ أـبـيـ الـعـيـاسـ اـبـنـ عـمـهـ،ـ وـالـيـعـيـةـ لـهـ،ـ وـكـانـ السـلـطـانـ أـبـيـ الـعـيـاسـ أـبـيـ الرـحـنـ قـدـ تـعـاهـدـواـ عـنـدـ الـاجـتمـاعـ بـوـادـيـ النـجاـ عـلـىـ التـعاـونـ وـالـتـنـاصـرـ،ـ عـلـىـ أـنـ الـمـلـكـ لـلـسـلـطـانـ أـبـيـ الـعـيـاسـ بـسـائـرـ أـعـمـالـ الـمـغـرـبـ،ـ وـأـنـ لـلـأـمـيـرـ عبدـ الرـحـنـ بـلـدـاـ سـجـلـامـةـ وـدـرـعـةـ وـالـأـعـمـالـ الـتـيـ كـانـتـ جـلـدـهـ السـلـطـانـ أـبـيـ عـلـيـ أـخـيـ السـلـطـانـ أـبـيـ الـحـسـنـ.

ثم بدا للأمير عبد الرحمن في ذلك أيام الحصار، واشتبط بطلب مراكش وأعمالها فأغضبوه في ذلك، وشارطوه عليه حتى يتم لهم الفتح، فلما انعقد بما بين السلطان أبو العباس والوزير أبي بكر، وخرج إليه من البلد الجديـدـ،ـ وخلـعـ سـلـطـانـهـ الصـيـيـ المـنـصـوبـ ودخلـ السـلـطـانـ أبوـ العـيـاسـ إـلـىـ دـارـ الـمـلـكـ فـاتـحـ سـتـ وـسـبـعـمـائـةـ وـارـخـلـ الـأـمـيـرـ عبدـ الرـحـنـ يـغـذـ السـيـرـ إـلـىـ مـرـاكـشـ،ـ وـبـدـاـ للـسـلـطـانـ أـبـيـ الـعـيـاسـ وـوـزـيـرـهـ مـعـدـ بنـ عـثـمـانـ فـسـرـحـواـ الـعـسـاـكـرـ فـيـ اـتـبـاعـهـ،ـ وـاـتـهـمـ خـلـقـهـ إـلـىـ وـادـيـ بـهـتـ فـوـاقـهـ سـاعـةـ مـنـ

الأسطول إلى سواحل غساسة فنزلوا بها وملقوـنـ بـقـبـائلـ بـطـوـرـيةـ هـنـالـكـ،ـ فـاـتـمـلـوـاـ عـلـيـهـمـ،ـ وـقـامـوـ بـدـعـوـةـ الـأـمـيـرـ عبدـ الرـحـنـ.

ونهض ابن الأخر من غرناطة في عساكر الأندلس فنزل على جبل الفتح محاصره، وبلغت الأخبار بذلك إلى الوزير أبي بكر بن غازي القائم بدوله بني مرين، فجهز لحبه ابن عمـهـ محمد بن عثمان بن الكاس إلى سبعة لإمداد الحامية الذين لهم بالجبل، ونهض هو في العساكر إلى بطورية لقتال الأمير عبد الرحمن، فوجده قد ملك تازى، فقام عليها محاصره، وكان السلطان عبد العزيز قد جمع شباباً من بني أبيه المرشحين، فحبسهم بطنجـةـ.

فـلـمـ وـافـيـ مـحـمـدـ بـنـ الـكـاسـ سـبـةـ وـقـعـتـ الـرـاـسـلـةـ بـيـهـ وـبـيـنـ ابنـ الـأـخـرـ وـعـتـبـ كـلـ مـنـهـاـ صـاحـبـهـ عـلـىـ مـاـ كـانـ مـنـهـ،ـ وـاـشـتـدـ عـذـلـ ابنـ الـأـخـرـ عـلـىـ إـخـلـاـتـهـ الـكـرـسـيـ مـنـ كـفـتـهـ،ـ وـنـصـبـهـ السـعـيدـ بـنـ عبدـ العـزيـزـ صـيـباـ لـمـ يـغـرـ،ـ فـاستـعـتـبـ لـهـ مـحـمـدـ،ـ وـاـسـتـقـالـ مـنـ ذـلـكـ،ـ فـحـمـلـهـ أـبـنـ الـأـخـرـ عـلـىـ أـنـ يـبـاعـ لـأـحـدـ الـأـبـنـاءـ الـمـبـوـسـينـ بـطـنجـةـ،ـ وـقـدـ كـانـ الـوـزـيـرـ أـبـوـ بـكـرـ أـوـصـاهـ أـيـضاـ بـأـنـ تـضـافـيـقـهـ عـلـىـ الـأـمـرـ مـنـ الـأـمـيـرـ عبدـ الرـحـنـ،ـ فـيـفـرـجـ عـنـهـ بـالـيـعـةـ لـأـحـدـ الـأـبـنـاءـ.

وـكـانـ مـحـمـدـ بـنـ الـكـاسـ قـدـ اـسـتـوـرـهـ السـلـطـانـ أبوـ سـالـمـ لـابـهـ أـحـدـ إـسـاـمـ مـلـكـهـ،ـ فـبـادـرـ مـنـ وـقـتـهـ إـلـىـ طـنجـةـ وـأـخـرـ أـحـدـ بـنـ السـلـطـانـ أـبـيـ سـالـمـ مـنـ مـعـبـدـهـ،ـ وـيـبـاعـ لـهـ وـسـارـ بـهـ إـلـىـ سـبـةـ،ـ وـكـتبـ لـابـنـ الـأـخـرـ يـعـرـفـ بـذـلـكـ،ـ وـيـطـلـبـ مـنـهـ المـدـدـ عـلـىـ أـنـ يـنـزـلـ لـهـ عـنـ جـلـ الفـتـحـ،ـ فـأـمـدـهـ بـاـ شـاءـ مـنـ الـمـالـ وـالـعـسـكـرـ وـاسـتـوـىـ عـلـىـ جـلـ الفـتـحـ وـشـحـنـهـ بـحـامـيـتـهـ،ـ وـكـانـ أـحـدـ بـنـ السـلـطـانـ أـبـيـ سـالـمـ قـدـ تـعـاـهـدـ مـعـ بـيـ أـبـيـهـ فـيـ مـعـبـدـهـ،ـ فـلـمـ يـبـاعـ لـهـ ذـهـبـ وـعـهـدـهـ،ـ وـأـجـازـهـ جـمـيعـاـ،ـ فـنـزـلـوـاـ عـلـىـ السـلـطـانـ أـبـنـ الـأـخـرـ،ـ فـاـكـرـمـ نـزـلـهـ وـوـفـرـ جـرـاـيـاتـهـ.

وـبـلـغـ الـخـبـرـ بـذـلـكـ كـلـهـ إـلـىـ الـوـزـيـرـ أـبـوـ بـكـرـ بـمـكـانـهـ مـنـ حـصـارـ الـأـمـيـرـ عبدـ الرـحـنـ بـتـازـةـ،ـ فـأـخـذـهـ الـمـقـدـعـ مـنـ فـلـعـةـ بـنـ عـمـهـ،ـ وـقـوـضـ رـاجـعـاـ إـلـىـ دـارـ الـمـلـكـ،ـ وـعـسـكـرـ بـكـدـيـةـ الـعـرـائـسـ مـنـ ظـاهـرـهـ وـتـوـعـدـ بـنـ عـمـهـ مـحـمـدـ بـنـ عـثـمـانـ فـاعـتـدـرـ بـأـنـهـ إـنـاـمـلـ وـصـيـةـ،ـ فـاـسـتـشـاطـ وـتـهـدـدـ وـاتـسـعـ الـخـرـقـ بـيـهـمـاـ وـارـخـلـ مـحـمـدـ بـنـ عـثـمـانـ بـسـلـطـانـهـ وـمـدـدـهـ مـنـ عـسـكـرـ الـأـنـدـلـسـ إـلـىـ أـنـ اـحـتـلـ بـجـلـ زـرـهـونـ الـمـطـلـ عـلـىـ مـكـنـاسـ،ـ وـعـسـكـرـ بـهـ،ـ وـاـشـتـمـلـوـاـ عـلـىـهـ،ـ وـزـحـفـ إـلـىـهـ الـوـزـيـرـ أـبـوـ بـكـرـ وـصـدـ بـجـلـ فـقـاتـلـوـهـ وـهـزـمـوـهـ،ـ وـرـجـعـ إـلـىـ مـكـانـهـ بـظـاهـرـ دـارـ الـمـلـكـ،ـ وـكـانـ السـلـطـانـ أـبـنـ الـأـخـرـ قـدـ أـوـصـىـ مـحـمـدـ بـنـ عـثـمـانـ بـالـاسـتـعـانـ بـالـأـمـيـرـ عبدـ الرـحـنـ وـالـأـعـضـادـ بـهـ،ـ وـمـسـاـهـمـتـهـ فـيـ جـانـبـ مـنـ أـعـمـالـ الـمـغـرـبـ بـيـسـتـبـدـ بـهـ لـفـسـهـ،ـ فـرـاسـلـهـ

## الإجازة ثانية إلى الأندلس ثم إلى تلمسان واللحاق بأحياء العرب والمقدمة عند أولاد

عريف

ولما كان ما قصصته من تذكر السلطان أبي العباس صاحب فاس والذئاب مع الأمير عبد الرحمن ثم الرجوع عنه إلى ون Zimmerman بن عريف طلبًا لوسيلته في اتصاراف إلى الأندلس بقصد القرارات والنقاش، والعكوف على قراءة العلم، فتم ذلك ووقع الإسعاف به بعد الامتناع، وأجازت إلى الأندلس في ربىع [ستة] ست وسبعين وسبعين وسبعينة ولقيه السلطان بالبر والكرامة وحسن التزل على عادته وكانت لقيت بحبل الفتح كاتب السلطان ابن الأخر من بعد ابن الخطيب الفقيه أبا عبد الله بن زمرك، ذاهبًا إلى فاس في غرض التهافتة، وأجاز إلى سبتة في أسطوله، وأوصيته بزيارة أهلي ولدي إلى غرناطة، فلما وصل إلى فاس، وتحدث مع أهل الدولة في إجازتهم، تذكرة بذلك، وسامهم استقرارهم بالأندلس، واتهموا أني ربما أهل السلطان ابن الأخر على الميل إلى الأمير عبد الرحمن الذي اتهموني بملابساته، ومنعوا أهلي من اللحاق بي.

وخطبوا السلطان ابن الأخر في أن يرجعني إليهم، فأبى من ذلك، فطلبوه منه أن يعيزني إلى عدوة تلمسان، وكان مسعود بن ماساي قد أذنا له في اللحاق بالأندلس، فحملوه على مشافهة السلطان بذلك، وأبدوا له أني كنت ساعيًّا في خلاص ابن الخطيب، وكانوا قد اعتقلوه لأول استيلائهم على البلد الجديد وظفره به.

وبعد إلى ابن الخطيب من عبشه مستصرخًا بي، ومتسللًا، فخاطب في شأن أهل الدولة، وعزلت فيه منهم على زنمار وابن ماساي، فلم تتوجه تلك السعاية، وقتل ابن الخطيب، بمحبسه، فلما قدم ابن ماساي على السلطان ابن الأخر، وقد أغثروه بي فالقى إلى السلطان ما كان مفي في شأن ابن الخطيب، فاستترش لذلك، وأسعفهم يجازي إلى العدوة، ونزلت بهنرين والجو بيبي وبين السلطان أبي حمو مظلوم بما كان مفي في إجلاب العرب عليه بالزراب كما مر.

فأزعز بمقامي بهنرين، ثم وفدي عليه محمد بن عريف فعذله في شأنى فبعث عنى إلى تلمسان، واستقررت بها بالعباد، ولحق بي أهلي ولدي من فاس، وأقاموا معي وذلك في عيد الفطر سنة ست وسبعين وسبعينة وأخذت في بث العلم، وعرض للسلطان

نهار، ثم أحجموا عنه، وولوا على رياطهم، وسار هو إلى مراكش، ورجع عنه وزيره مسعود بن ماساي بعد أن طلب منه الإجازة إلى الأندلس يتوجها بها، فسرحه لذلك، وسار إلى مراكش فملكتها.

وأما أنا فكنت مقيناً بفاس في ظل الدولة وعناتها، منذ ندمت على الوزير ستة أربع وسبعين وسبعينة كما مر، عاكفاً على قراءة العلم وتدرسيه، فلما جاء السلطان أبي العباس والأمير عبد الرحمن وعسكروا بكدية العرائس، وخرج أهل الدولة إليهم من الفقهاء والكتاب والجند، وأذن للناس جميعاً في مباكرة أبواب السلطانين من غير تذكر في ذلك، فكنت أباكمهما معاً، وكان بيبي وبين الوزير محمد بن عثمان ما مر ذكره قبل هذا، فكان يظهر لي رعاية ذلك، ويكثر من المواعيد، وكان الأمير عبد الرحمن يميل إلى ويستدعيني أكثر أوقاته، ويشاورني في أحواله، فغضض بذلك الوزير محمد بن عثمان وأغلى سلطانه فقبض على.

وسمع الأمير عبد الرحمن بذلك، وعلم أبي إنما وبيت من جراه، فحلل ليقرضن خياماً، وبعث وزيره مسعود بن ماساي بذلك، فاطلقونى من الغد، ثم كان افتراهما ثلاثة.

ودخل السلطان أبي العباس دار الملك، وسار الأمير عبد الرحمن إلى مراكش، وكانت أنا يومئذ مستوحشاً، فصاحت الأميرة عبد الرحمن معتزماً على الإجازة إلى الأندلس من ساحل أسفي، معلولاً في ذلك على صحبة الوزير مسعود بن ماساي هروي فيه، فلما رجع مسعود أثني عزمي في ذلك، ولحقنا بزنمار بن عريف بمكانه من نواحي كرسيف، لقدمه وسيلة إلى السلطان أبي العباس صاحب فاس في الجزا إلى الأندلس، ووافينا عنده داعي السلطان فصحبناه إلى فاس، واستاذنه في شاني، فأذن لي بعد مطاولة وعلى كره من الوزير محمد بن عثمان وسلمان بن دارد بن أعزاب، ورجال الدولة.

وكان الأخ يحيى لما رحل السلطان أبي حمو من تلمسان، رجع عنه من بلاد زغبة إلى السلطان عبد العزيز، فاستقر في خدمته، وبعده في خدمة ابنه محمد السعيد المنصب مكانه.

ولما استولى السلطان أبي العباس على البلد الجديد استاذن الأخ في اللحاق بتلمسان، فأذن له وقدم على السلطان أبي حمو، فأعاده إلى كتابة سره كما كان أول أمره، وأذن لي أساً بعده فانتقلت إلى الأندلس بقصد القرار والدعة إلى أن كان ما ذكر إن شاء الله تعالى.

بضاحية قسطنطينة، ومعه صاحبها الأمير إبراهيم ابن السلطان أبي العباس بمحمي وفي مسكنه، فحضرت عنده وقسم لي من بره وكرامته فوق الرضى وأذن لي في الدخول إلى قسطنطينة وإقامة أهلي في كفالة إحسانه، بينما أصل إلى حضرة أبيه، وبعث يعقوب بن علي معي ابن أخيه أبي دينار في جماعة من قومه، وسرنا إلى السلطان أبي العباس وهو يومئذ قد خرج من تونس في العساكر إلى بلاد الجريد لاستقبال شيوخها عن كراسى الفتنة التي كانوا عليها، فوافيت به ظاهر سوسة، فجأا وفادتي وبر مقدمي وبالغ في تأثيري، وشاورني في مهمات أمره، ثم ردني إلى تونس وأواعز إلى نابه بها مولاه فارح بتهيه المنزل، والكافية في الجرارة والعلوقة، وجزيل الإحسان، فرجعت إلى تونس في شعبان من السنة، وأوَّلت إلى ظل ظليل من عنابة السلطان وحرمه، وبعثت إلى الأهل والولد وجعلت شملهم في مرعى تلك التumba، والقيت عصا السيارات، وطالت غيبة السلطان إلى أن افتتح أمصار الجريد، وذهب فلهم في التواخي، ولحق زعيمهم يحيى بن يملول بيسكرة، ونزل على صهره ابن مزنبي، وقسم السلطان بلاد الجريد بين ولداته، فأنزل ابنه محمدًا للتتصر بتوزر وجعل نقطة ونقزاوة من أعماله، وائز ابنه أبي بكر بقصبة، وعاد إلى تونس مظفراً ماهداً، فاقبل على وستاناني بجلساته، والنجي في خلوته، فغضض بطانته من ذلك، وأفاوضوا في السعایات عند السلطان فلم تنجح، وكأنوا يعكفون على إمام الجامع، وشيخ الفتيا محمد بن عرفة، وكان في قلبه نكتة من الغيرة من لدن اجتماعنا في المربي مجالس الشیوخ، فكثيراً ما كان يظهر شفوري عليه، وإن كان أحسن مني فاسودت تلك النكتة في قلبه، ولم تفارقه، ولا قدمت تونس اثنا عشر على طلبة العلم من أصحابه وسواءهم؛ يطلبون الإفادة والاشتغال، وأسعفهم بذلك، فعظم عليه، وكان يسر التغير إلى الكثير منهم، فلم يقبلوا، واشتدت غيره وواقف ذلك اجتماع الطائفة إليه، واتفقوا على شأنهم في التأييب علىِ السعایة بي، والسلطان خلال ذلك معرض عنهم في ذلك، وقد كلفني بالأكباب على تأليف هذا الكتاب لتشوفه إلى المعارف والأخبار، واتقاء الفضائل فاكملت منه أخبار البرير وزنانة، وكتب من أخبار الدولتين وما قبل الإسلام ما وصل إلى منها، وأكملت منها نسخة رفعتها إلى خزانته.

وكان مما يغرون به على السلطان قعودي عن امتداحه، فإني كنت قد أهملت الشعر واتحالي جلة، وتفرغت للعلم فقط، فكثروا يقولون له: إنما ترك ذلك استهانة بسلطانك لكثرة امتداحه للملوك قبلك، وتتسنم ذلك عنهم من جهة بعض الصديقين من بطانتهم، فلما رفعت له الكتاب وتوجهه باسمه أنشدت في ذلك

أبي حمو أثناء ذلك رأي في الدواودة، وحاجة إلى استلافهم، فاستدعاني وكلفي السفارة إليهم في هذا الغرض، فاستوحشت منه ونكرته على نفسي لما آثرته من التخلّي والإقطاع، وأجبته إلى ذلك ظاهر، وخرجت مسافرًا من تلمسان حتى انتهيت إلى البطحاء، فعدلت ذات اليمين إلى منداس وخلفت بأحياء أولاد عريف قبلة جبل كرويل فتلقواني بالتحفي والكرامة، وأقمت بينهم أيامًا حتى بعثوا عن أهلي وولدي بتلمسان، وأحسنت العذر إلى السلطان عني في العجز عن قضاء خدمته، وأنزلوني بأهلي في قلعة ابن سلامة من بلاد بني توجين التي صارت لهم باقطاع السلطان فاقت بها أربعة أعوام متخلّياً عن الشواغل كلها، وشرعت في تأليف هذا الكتاب، وأنا مقيم بها، وأكملت المقدمة منه على ذلك النحو الغريب الذي اهتديت إليه في تلك الخلوة، فسألت فيها شباب الكلام والمعانى على الفكر حتى امتحضت زبدتها، وتالفت ناتجها، وكانت من بعد ذلك الفية إلى تونس كما ذكره إن شاء الله تعالى.

## الفية إلى السلطان أبي العباس بتونس والمقام بها

ولما نزلت بقلعة ابن سلامة بين أحياه أولاد عريف، وسكتت بقصر أبي بكر بن عريف الذي احتضنه بها وكان من أحفل المساكن وأوثقها.

ثم طال مقامي هنالك وأنا مستوحش من دولة المغرب وتلمسان، وعاكف على تأليف هذا الكتاب، وقد فرغت من مقدمته إلى أخبار العرب والبرير وزنانة، وتشوفت إلى مطالعة الكتب والدواوين التي لا توجد إلا بالأمسكار، بعد أن أملئت الكثير من حفظي، وأردت التتفريح والتصحيح، ثم طرقني مرض أوفى بي على الشيبة لولا ما تدارك من لطف الله، فحدث عندي ميل إلى مراجعة السلطان أبي العباس والرحلة إلى تونس، حيث قرار أبيه ومساكنهم، وأثارهم وقبورهم، فبادرت إلى خطاب السلطان بالفية إلى طاعته والمراجعة، وانتظرت فما كان غير بعيد، وإذا بخطابه وعهوده بالإيمان والاستحثاث للقدوم؛ فكان الخفوف للرحلة فطعنت عن أولاد عريف مع عرب الأخضر من بادية رياح، كانوا هنالك يتجمعون الميرة بمنداس، وارتحلنا في رجب سنة ثمانين وسبعيناً وسلكنا القفر إلى الدوسن من أطراف الزاب.

ثم صعدت إلى التل مع حاشية يعقوب بن علي وجدتهم برفوار الضيعة التي احتطتها بالزاب، فرحلتهم معه إلى أن نزلنا عليه

الله منك مزيد عزماً تغضي كما يغضي القضاء المرسل  
جئت الزمان بمحبت أعضل خطبة فاقت عنده وهو أكلع أعنده  
والشتمل من أبنائه متتصدع وحسي خلافته مضاع مهملاً  
والخلق قد صرفا إليك قلوبهم ورجوا صلاح الحال منك وأملوا  
فتعجلت لما انتدب لأمره بالباس والعزم الذي لا يهمل  
ذللت منه جاعلاً لا يشيني سهلت وعراً كاد لا يتسلل  
والت من شرس العترة وذتهم عن ذلك الحرك الذي قد حلّوا  
كانت لصولة صولة ولقومه يهدو ذؤيب بها وتسطير المقلل  
ومهلل تسيدي وتلهم في السبي ما أحكمها فهي بعد مهلل  
والمراد بصلة هنا صولة بن خالد بن حزة أولاد أبي الليل.  
وذؤيب: هو ابن عمّه أحد بن حزة.

والعقل فريق من العرب من أحفادهم، ومهلل: هم بنو  
مهليل بن قاسم أنظارهم واقتالم.

ثم رجعت إلى وصف العرب وأحيائهم:

عجب الأئم لشأنهم بادرون قد قدفت مجدهم المطبي الذليل  
رفعوا القباب على العماد الجلد السلاهب والرماح العسل  
في كل ظامي الترب مقصد الحمى تهوي للجهة الظماء فتهلل  
جن شرابهم السراب ورزقهم رمح بروح به الكمي ومنصل  
حي حلول بالعراء ودونهم قذف الشري إن يطعنوا أو يقبلوا  
كانوا يروعون الملوك بما بدروا وغدت ترفة بالتعيم وتحضل  
فيبدوت لا تلوى على دعوة ولا تأوي إلى ظل القصور وتهلل  
طورا يصافحك المجبر وتأرة فيه بخفايق البنود تظلل  
وإذا طاعطى الضمر في يوم الوغى كاس النجيع فبالصهليل تعلل  
خشوشنا في العز معتملاً له في مثل هذا يحسن المستعمل  
نفرى حتى البيداء لا يسرى بها ركب ولا يهري إليه جحفل  
ونغير أذىال الكتاب فوقها تختال في السمر الطوال وترفل  
ترميهم منها بكل مدجع شاكى السلاح إذا استعار الأعزل  
وبكل أسمى غصنه متاؤد وبكل أيسى شطه متهدل  
حتى تفرق ذلك الجمع الأول عصفت بهم ريح الجلايد فنزلوا  
ثمة استعملتهم بائنكم التي خضعوا العزك بعدها وتذلّوا  
ونزعت من أهل الجريدين غرابة كانت بهم أبداً تخد وتهزل  
خرست من بيتها ما أصلوا وقطعت من بيتها ما شيدوا  
ونظمت من أمصاره ونفورة للملك عقداً بالفتح يفصل  
فسدلت مطلع النفاق وانت لا تبو ظباك ولا العزيمة تتكل  
 بشكيمة مرهوبة وسياسة تجري كما يجري فرات سلسلي  
عذب الزمان لها ولذ مذاقه من بعد ما قد منه الحنظل  
فقصوى الأئم لعز أروع مالك سهل الخلقة ماجد متفضل

اليوم هذه القصيدة أمتدحه، وأذكر سيره وفتوحاته وأعتذر عن  
انتحال الشعر واستعطفه بهدية الكتاب إليه فقلت:  
هل غير بابك للغريب مؤمل أو عن جنابك للأمانى معدل  
هي همة بعثت إليك على النوى عزماً كما شخذ الحسام الصيق  
متبروا الدنيا ومتجمع المدى والغيث حيث العارض المتهلل  
حيث التصور الزاهرات متيبة تبني بها زهر التجرم وتعفل  
حيث الخياط البيض يرفع للعلا والكمرات طرافها المتهدل  
حيث الحمى للعز في ساحتها ظل أفاءه الرشيج الذيل  
حيث الكرام ينوب عن نار القرى عرف الكباء بخيهم والمندل  
حيث الرماح يكاد يورق عورها مما تعزل من الدماء  
حيث الجياد أملهن شجعان بنوا مما أطالوا في المغار وأوغروا  
حيث الوجه الفر قنعوا الحياة والبشر في صفحاتها يتهلل  
حيث الملوك الصيد والنسر الآلى عز الجوار لديهم والمستزل  
من شيعة المهدي بل من شيعة التوحيد به الكتاب يفصل  
شادوا على القوى مباني عزهم الله ما شادوا بذلك وائلوا  
بل شيعة الرحمن التي جهم في خلقه فسموا بذلك وفضلوا  
ادراك والفاروق جسد أور قوم أبو حفص أب لهم وما  
وابى على تقوهمن معذل وسب كما اضطررت أنايب القنا  
سام على هام الزمان كانه شادوا على غول الدجى لا يتقى  
فضل الأنام حديثهم وقد يهمم ولأنت إن فضلوا أعزوا وأفضل  
وبنوا على قلل التجرم ووطدوا ولقد أقول لخائض مجر الفلا  
والليل مزيد الجوانب إلى ما يهمم ولما على غول الدجى لا يتقى  
متقلب فوق الرجال كانه طيف باطر المهداد موكل  
يغنى مثال الفوز من طرق الغنى ويرود مخصوصها الذي لا يحمل  
أرج الركاب فقد ظفرت بواهب يعطي عطاء المعين في جزل  
الكارلوض حياء ندى محضل الله من خلق كريم في الندى  
هذا أمير المؤمنين إمامنا في الدين والدنيا إليه المؤمن  
هذا أبو العباس خير خليفة شهدت له الشيم التي لا تجهل  
مستنصر بالله في قهر العدا وعلى إعانته ربى متوكلا  
سبق الملوك إلى العلا متهملا الله منك السابق المتهلل  
فلا تأت على المالكين وإن غدوا يسابقون إلى العلا وآكميل  
قايس قد يأها منهم بقديمهم فالامر فيه واضح لا يجهل  
دانوا لفرومكم بأقوم طاعة هي عروة الدين التي لا تفضل  
سائل تلمسانا بها وزنانة ومربن قلهم كما قد يفضل  
واسأل باندلس مدائن ملكها تخبرك حين استياسوا واستوهلوا  
واسأل بنا مراكشاً وقصورها ولقد ثنيب رسومها من يسأل  
با إيهما الملك الذي في نعنه ملء القلوب وفرق ما يتعشل

وتطبّقت في القلوب على الرضى  
يا مالكًا وسُعَ الزمان وأهله دُعَةً  
فالأرض لا يخشى بها غول ولا  
والسُّفُر يجتازيون كل توفّة

فخاطبته بهذه القصيدة:  
ضحكَت وجوهُ النَّورِ بعد عبُوسٍ وَجَلَّتْ رَحْمَةً من بَوسٍ  
وتوضحتَ غُرَبُ الشَّائِرِ بعدها انبَهْتَ فَأَطْلَعْنَا حَلَةَ الْعِيسٍ  
صَدَعْرَا بِهَا لِيلَ الْعَصُومِ كَائِنًا صَدَعْرَا الظَّلَامِ بِجَذْوَةِ الْقَبُوسٍ  
فَكَانُوكُمْ بَشَّرَا حَيَاةً فِي السُّورِ نَشَرْتَ هَا الْأَمَالَ مِنْ مَرْمُوسٍ  
قَرَتْ عَيْنَ الْخَلْقِ مِنْهَا بَالِي أَخْفَتَ مِنْ النَّعَمَاءِ خَيْرَ لِبُوسٍ  
فَكَانَ قَوْمِي نَادِمَتْهُ تَرْفَقَ شَرِبَا النَّعِيمَ لَهَا بَغْرِ كَوْسٍ  
يَتَمَابِلُونَ مِنَ الْمَرَّةِ وَالرَّضا وَيَتَمَابِلُونَ أَهْلَةَ بَشَّمُوسٍ  
مِنْ رَاكِبٍ وَافِي يُحِسِّي رَاكِباً وَجَلِيسٌ أَنْسٌ قَادِهِ جَلِيسٌ  
وَمَشْفَعُ اللَّهِ بِزَنْسٍ عَنْهُ أَثْرَ الْمَدِي فِي الْمَهَدِ الْمَائُوسٍ  
يَعْتَدُ مِنْهَا رَحْمَةً قَدْسِيَّةً فَيَسُوءُ لِلرِّمَنِ بِالْقَدْلِيَّسٍ  
طَبُ بِإِلْخَاصِ الدَّعَاءِ وَإِنَّهُ يَشْفِي مِنَ الدَّاءِ الْيَاسِ يَوْسِيٍّ

والمعنى به إمام الجامع الأعظم، جامع الزينة بتونس.

فأَصَدَ عنِ إِدَاكِهِنْ وَأَعْزَلَ  
يَا بَنَ الْخَلَافَةِ وَالَّذِينَ بِنَرْهُمْ نَهَجَتْ سَيْلُ الْحَقِّ بَعْدَ دُرُوسٍ  
وَالنَّاظِمِ بِشَرْدِ الْقَوَافِيِّ تَجْفَلَ  
هُجْرُ النَّى فِيهَا وَلِلَّاتُ النَّى فِي لَلَّةِ التَّهْجِيرِ وَالتَّغَيِّيْسِ  
حَاطُ الرَّعِيَّةَ بِالْبَيْسِيَّةِ فَانْضَوَتْ مِنْهُ لِأَكْرَمِ مَالِكِ وَسَيْوسِ  
أَسْدِ بَجَامِيِّ عَنْ هَى أَشْبَالِهِ حَتَّى ضَوَّرَا مِنْهُ لَأَمْنَتْ خَيْسِ  
قَسْمَأَبُوشِيِّ الْبَطَاحِ وَقَدْ غَدَتْ تَخَالَ زَهْوَأَ فِي ثَيَابِ عَرَوْسِ  
وَالْمَالَاتِ مِنَ الْمَخَابِيَّاجَمِّنَا يَخْبِرُنَ عنْ طَسْ وَفَلِ جَدِيسِ  
خُوصَ مَضْمُرَةِ الْبَطَوْنِ كَائِنَا أَنْهَاءَ رَكْبِ فِي الْفَلَةِ حَيْسِ  
وَخَزَّ الْبَلِى مِنْهَا الْغَواَرِبِ وَالْتَّنْرِي فَلَقْتَ حَذْرَنَا بِالْعَيْوَنِ الشَّوْسِ  
لِبَقَاكِ حَرْزِ الْلَّائَامِ وَعَصْمَةَ وَجِيَّاهَ لَرَوَاهِ لَنْسَا وَنَقْرَوسِ  
وَلَأَنَّ كَافِلَ دِيَتَنَا بِحَمَيَّةِ لَوَلَاكِ ضَيْعَ عَهْدَهَا وَتَرْسِيَّ  
اللَّهِ أَعْطَاكِ الْسَّيِّ لَأَفْوَهَهَا وَجْبَاكِ حَظَّاَيِّيَّسِ بِالْمَلَكُوسِ  
تَنْهَوَ الْقُلُوبَ إِلَيْكِ قَبْلَ وَجْهَنَا سَيَانَ مِنْ رَأْسِ وَمِنْ مَرْؤُوسِ  
فَلَذَا أَقْمَتَ فَلَانَ رَعِبَكِ رَاحِلَ يَعْمِي عَلَى الْأَعْدَاءِ كَلَ وَطَبِسَ  
وَإِذَا رَحَلَتْ فَلَلْسَّعَادَةَ آيَةَ تَقَادِهَا فِي مَوْكِبِ وَخَيْسِ  
وَإِذَا الْأَدَلَةِ فِي الْكَمَالِ تَطَبَّقَتْ جَاءَتْ بِمَسْمَعِهَا وَمَقِيسِ  
فَلَاعِمَ بِلَكَكِ دُولَةَ عَادِيَةَ تَشْفِي الْأَعْدَاءِ بِالْعَنَابِ الْيَسِ  
وَالْيَكِهَا مِنِّي عَلَى خَجَلِهَا عَذَرَاهُ قَدْ حَلَيْتَ بِكَلِّ تَفِيسِ  
عَذَرَأَ قَدْ طَمَسَ الشَّابِ وَنَوْرَهُ وَأَنَّهُ صَبَحَ الشَّبَّ عَنْدَ طَمُوسِ  
لَوَلَا عَنْيَايِكِ الْأَوْلَيَّتِي مَا كَانَتْ أَعْنِي بَعْدَهَا بَطَرُوسِ  
وَاللَّهِ مَا أَبْقَيْتَ مَارَسَةَ النَّوَى مِنِي سَوَى مَرَسِ أَحْمَمِ دَرِيسِ  
الْمَنْيِ الزَّمَانِ عَلَيِّ فِي الْأَدَبِ الْنَّى دَارَسَتْ بِمَجَامِعِ دَرِيسِ  
فَسَطَاعَلِي وَفَرِي وَرَوْعَ مَانِي وَاجْتَسَتْ مَدْحَوَ الشَّاطِئِ غَرَوْسِي  
وَرَضَكَ رَحْمَتِي الْيَيِّ أَعْتَدَهَا غَيْيِي مِنِي نَفْسِي وَتَدَهَبَ بَرَوْسِي

سيَانَ مِنْهَا الطَّفَلُ وَالْمَكْهُولُ  
وَامْنَا فَوْقَ مَا قَدْ أَمْلَأَ  
يَعْدُ بِسَاحَتِهَا الْمَزِيرُ الْمَشْبِلُ  
سَرَبُ الْقَطَّامَا رَاعِهِنَّ الْأَجْدَلُ  
سَبَحَانَ مِنْ بَعْلَكَ قَدْ أَجْيَا الْمَنِي  
قَصَدَ السَّلِيلُ فَابْصِرَ التَّسَّامِلُ  
فَتَمِيزَ فِي حَلِّ الْجَمَالِ وَتَرْفَلُ  
فَسِيمَحَا لِيَسَ فِيهَا بَجَهَلُ  
مِنْ نُورِ غَرَنَهُ الْيَيِّ هِيَ أَجْهَلُ  
وَكَانَ أَنْوَارُ الْكَوَاكِبِ ضَوْعَفَتْ  
وَكَانَ أَرْفَعُ الْحَجَابِ لَتَنْجَلَ  
وَمِنْهَا فِي الْعَذَرِ عَنْ مَدْحَهِ:

مُولَيِّي غَاضَتْ فَكْرَتِي وَبَلَدَتْ  
مِنِي الْبَطَاعِ نَكَلَ شَيْءَ مَشْكُلَ  
تَسْمُو إِلَى درَكِ الْحَقَّاَنِ هَمَتْ  
فَأَصَدَ عَنِ إِدَراكِهِنْ وَأَعْزَلَ  
وَتَعْرُودَ غَوْرَا بَيْنَمَا سَتَرَسِلَ  
يَا بَنَ الْخَلَافَةِ وَالَّذِينَ بِنَرْهُمْ نَهَجَتْ سَيْلُ الْحَقِّ بَعْدَ دُرُوسِ  
وَالنَّاظِمِ بِشَرْدِ الْقَوَافِيِّ تَجْفَلَ  
فَأَبْيَتْ يَعْلَجَ الْكَلَامَ بِخَاطِرِي  
مِنْ بَعْدِ حَوْلِ اتْنِيقِهِ وَلَمْ يَكُنْ  
فَأَصْوَنَهُ عَنِ أَهْلِهِ مَتَارِيَا  
وَهِيَ الْبَضَاعَةُ فِي الْقَبُولِ نَفَاقَهَا  
وَبَنَاتْ فَكَرِي إِنْ أَتَكَ كَلِيلَةَ  
فَلَهَا الْفَخَارِ إِذَا مَنَحْتَ قِبَوْلَهَا

وَمِنْهَا فِي ذَكْرِ الْكِتَابِ الْمُؤْلَفِ بِخَزَانَتِهِ:

عِبَرَأَ يَدِينَ بِفَضْلِهَا مِنْ بَعْدِ  
غَبَرَوَا فَتَجْمَلُ عَنْهُمْ وَتَنْصَلُ  
وَثَمَرَدَ قَبَلَهُمْ وَعَادَ الْأَرْأَلُ  
تَبَدَّى الْبَاعِيَّ وَالْعَمَالَ سَرَهَا  
وَالْقَانِمُونَ بِمَلَةِ الْإِسْلَامِ مِنْ  
لَحْصَتْ كِتَبَ الْأَوْلَيْنَ لَجَعَهَا  
وَالْأَنْتَ حَوْشِيَ الْكَلَامَ كَائِنَا  
أَهْدَيْتَ مِنْهُ إِلَى عَلَالِ جَوَاهِرَا  
وَجَعَلْتَهُ لَصَوانَ مَلَكَكَ مَفْخِرا  
وَاللَّهُ مَا أَسْرَفَ فِيمَا قَلَتْهُ شَيْتا  
وَلَأَنَّتْ ارْسَخَ فِي الْمَعَارِفِ رَتِبَةَ  
فَمَلَاكَ كُلَّ فَضْلَةَ وَحَقِيقَةَ  
وَالْحَقِّ عَنْدَكَ فِي الْأَمْسُورِ مَقْدِمَ  
فَاحْكُمْ بِمَا تَرْضَى فَأَنْتَ الْأَعْدَلُ  
فَاللَّهُ يَخْلُقُهُمْ وَرَعِيكَ يَكْمِلُ  
وَكُنْتَ لَمَا انْصَرَفْتَ مِنْ مَعْسِكَرِهِ عَلَى سَوْسَةِ إِلَى تُونِسِ،  
بِلَغَيْتَ وَأَنَا مَقِيمٌ بِهَا أَنَّهُ أَصَابَهُ فِي طَرِيقِهِ مَرْضٌ، وَعَقْبَهُ إِلَالِ

وتزهـرـ الحـوـانـكـ والمـدارـسـ والـكـواـكـبـ بـأـفـاقـهـ، وـتـضـيـ الـبـدـورـ والـكـواـكـبـ مـنـ عـلـمـائـهـ، قـدـ مـثـلـ بـشـاطـئـ بـحـرـ الـبـيلـ نـهـرـ الـجـنـةـ ومـدـفـعـ مـيـاهـ السـمـاءـ، يـسـقـيـهـمـ العـلـلـ وـالـهـلـ سـيـحـهـ، وـيـجـنـيـهـمـ الـثـرـاتـ وـالـخـيـرـاتـ ثـجـهـ وـمـرـرـتـ فـيـ سـكـكـ الـمـدـنـيـةـ تـغـصـ بـزـحـامـ الـمـارـاـ، وـأـسـوـاقـهـ تـزـخـرـ بـالـنـعـمـ. وـمـاـ زـلـتـ تـنـحـدـثـ عـنـ هـذـاـ الـبـلـدـ وـيـعـدـ مـدـاهـ فـيـ الـمـرـانـ وـاتـسـاعـ الـأـحـوـالـ، وـلـقـدـ اـخـتـلـفـ عـبـارـاتـ مـنـ لـقـيـاهـ مـنـ شـيـوخـناـ وـاصـحـابـناـ حـاجـهـمـ وـتـاجـهـمـ فـيـ الـحـدـيـثـ عـنـهـ، سـالـتـ صـاحـبـنـاـ قـاضـيـ الـجـمـاعـةـ بـفـاسـ وـكـبـيرـ الـعـلـمـاءـ بـالـمـغـرـبـ أـبـاـ عـبـدـ اللـهـ الـقـرـيـيـ مـقـدـمـهـ مـنـ الـحـجـجـ سـنـةـ أـرـبـعـينـ وـسـبـعـمـائـةـ فـقـلـتـ لـهـ: كـيـفـ هـذـهـ الـقـاهـرـةـ؟ فـقـالـ: مـنـ لـمـ يـرـهـاـ لـمـ يـعـرـفـ عـزـ الـإـسـلـامـ.

وسـالـتـ شـيخـنـاـ أـبـاـ الـعـبـاسـ بـنـ إـدـرـيسـ كـبـيرـ الـعـلـمـاءـ بـجـاـيـةـ مـثـلـ ذـلـكـ فـقـالـ: كـانـاـ اـنـطـلـقـ أـهـلـهـ مـنـ السـحـابـ يـشـرـ إـلـىـ كـثـرـ أـهـمـ وـأـمـمـ الـعـرـاقـ.

وـحـضـرـ صـاحـبـنـاـ قـاضـيـ الـعـسـكـرـ بـفـاسـ الـفـقـيـهـ الـكـاتـبـ أـبـرـ القـاسـمـ الـبـرـجـيـ بـمـجـلـسـ الـسـلـطـانـ أـبـيـ عـنـانـ، مـنـصـرـهـ مـنـ السـفـارـةـ عـنـهـ إـلـىـ مـلـوـكـ مـصـرـ وـتـادـيـةـ رـسـالـتـهـ الـنـبـوـيـةـ إـلـىـ الـضـرـبـ الـكـرـيـمـ سـنـةـ سـتـ وـخـسـينـ وـسـبـعـمـائـةـ فـسـالـتـهـ عـنـ الـقـاهـرـةـ فـقـالـ:

أـقـولـ فـيـ الـعـبـارـةـ عـنـهـ عـلـىـ سـيـلـ الـاـخـتـصـارـ: إـنـ الـذـيـ يـتـخـيلـ الـإـنـسـانـ فـيـاـ يـرـاهـ دـوـنـ الـصـورـةـ الـتـيـ تـخـيـلـهـ لـاتـسـاعـ الـخـيـالـ عـنـ كـلـ مـحـسـوسـ، إـلـىـ الـقـاهـرـةـ فـيـاـهـ أـوـسـعـ مـنـ كـلـ مـاـ يـتـخـتلـ فـيـهـ. فـأـعـجـبـ الـسـلـطـانـ وـالـخـاطـرـونـ لـذـلـكـ.

وـلـاـ دـخـلـتـهـ أـقـمـتـ أـيـامـاـ وـاـنـتـالـ عـلـىـ طـلـبـ الـعـلـمـ بـهـاـ يـلـتـمـسـونـ الـإـقـادـةـ مـعـ قـلـةـ الـبـصـاعـةـ، وـلـمـ يـوـسـعـنـيـ عـذـرـاـ فـجـلـسـتـ لـلـتـدـرـيسـ بـالـجـامـعـ الـأـزـمـرـ مـنـهـاـ.

ثـمـ كـانـ الـاتـصالـ بـالـسـلـطـانـ فـأـبـرـ اللـقاءـ مـقـاـميـ وـأـنـ الـغـرـبةـ، وـوـفـرـ الـجـرـاـيـةـ مـنـ صـدـقـاتـهـ شـائـهـ مـعـ أـهـلـ الـعـلـمـ، وـانتـظـرـتـ لـحـاقـ أـهـلـيـ وـولـدـيـ مـنـ تـونـسـ، وـقـدـ صـدـهـمـ الـسـلـطـانـ هـنـالـكـ عـنـ السـفـرـ اـغـيـاطـاـ بـعـودـيـ إـلـيـهـ فـطـلـبـتـ مـنـ الـسـلـطـانـ صـاحـبـ مـصـرـ الشـفـاعةـ إـلـيـهـ لـتـخـلـيـةـ سـيـلـهـمـ، فـخـاطـبـهـ فـيـ ذـلـكـ بـماـ نـصـهـ.

بـسـمـ اللـهـ الرـحـمـنـ الرـحـيمـ.

عبدـ اللهـ وـولـيـهـ أـخـوهـ بـرـقـقـ [....]

الـسـلـطـانـ الـأـعـظـمـ، الـمـالـكـ الـمـلـكـ الـظـاهـرـ، الـسـيـدـ الـأـجـلـ، الـعـالـمـ الـعـادـلـ، الـمـؤـيدـ الـجـاهـدـ، الـمـرـابـطـ الـمـشـاغـرـ، الـمـقـرـ، الـشـاهـنشـاهـ، سـيفـ الـدـنـيـاـ وـالـدـيـنـ، سـلـطـانـ الـإـسـلـامـ وـالـمـسـلـمـيـنـ، عـبـيـ الـعـدـلـ فـيـ الـعـالـمـ، مـنـصـفـ الـمـظـلـومـيـنـ مـنـ الـظـالـمـيـنـ، وـارـثـ الـمـلـكـ، سـلـطـانـ الـعـربـ وـالـعـجمـ وـالـتـرـكـ، إـسـكـنـدـرـ الـزـمـانـ، مـوـلـيـ الـإـحـسانـ، مـلـكـ أـصـحـابـ

ثـمـ كـتـرـتـ سـعـيـةـ الـبـطـانـةـ بـكـلـ نـوـعـ مـنـ أـنـوـاعـ السـعـيـاتـ، وـابـنـ عـرـفـةـ يـزـيدـ فـيـ إـغـرـانـهـ مـنـ اـجـتـمـعـاـ إـلـيـهـ، إـلـىـ أـنـ أـغـرـوـاـ السـلـطـانـ بـسـفـرـيـ مـعـهـ، وـلـقـنـرـاـ النـائبـ بـتـونـسـ الـقـائـدـ فـارـجـ مـنـ مـوـالـيـ السـلـطـانـ أـنـ يـتـقـادـيـ مـعـهـ مـقـامـيـهـ خـشـيـةـ عـلـىـ أـمـرـهـ مـنـ بـزـعـمـهـ، وـتـوـاطـأـواـ عـلـىـ أـنـ يـشـهـدـ أـبـنـ عـرـفـةـ بـذـلـكـ لـلـسـلـطـانـ شـهـدـهـ بـفـيـ غـيـةـ مـنـ وـنـكـرـ السـلـطـانـ عـلـيـهـمـ ذـلـكـ، ثـمـ بـعـثـ إـلـىـ أـمـرـنـيـ بـالـسـفـرـ مـعـهـ، فـسـارـعـتـ إـلـىـ الـإـمـتـالـ، وـقـدـ شـقـ ذـلـكـ عـلـىـ، إـلـاـ أـنـيـ لـمـ أـجـدـ مـحـصـاـ عـنـهـ، فـخـرـجـتـ مـعـهـ وـاـنـتـهـيـتـ إـلـىـ تـبـسـةـ، وـسـطـ تـلـولـ أـفـرـيقـيـةـ، وـكـانـ مـنـحدـرـاـ فـيـ عـسـكـرـهـ وـتـوـابـعـهـ مـنـ الـعـرـبـ إـلـىـ تـوزـرـ لـأـبـنـ يـلـمـلـوـلـ أـجـلـبـ عـلـيـهـاـ سـنـةـ تـلـاثـ وـثـمـانـيـنـ وـسـبـعـمـائـةـ وـاسـتـقـلـلـاـ مـنـ يـدـ أـبـنـهـ، فـسـارـ السـلـطـانـ إـلـيـهـ، وـشـرـدـهـ عـنـهـ، وـأـعـادـ إـلـيـهـ أـبـنـهـ وـأـوـلـيـاهـ. وـلـاـ نـهـضـ مـنـ تـبـسـةـ رـجـعـيـ إـلـىـ تـونـسـ فـأـقـمـتـ بـضـيـعـيـ الـرـيـاحـينـ مـنـ نـوـاحـيـهـ لـضـمـ زـوـعـيـ بـهـاـ إـلـىـ أـنـ قـلـ السـلـطـانـ ظـافـرـاـ مـنـصـورـاـ فـصـحـبـتـ إـلـىـ تـونـسـ.

وـلـمـ كـانـ شـهـرـ شـعـبـانـ مـنـ سـنـةـ أـرـبـعـ وـثـمـانـيـنـ وـسـبـعـمـائـةـ أـجـمـعـ السـلـطـانـ الـحـرـكـةـ إـلـىـ الزـابـ بـمـاـ كـانـ صـاحـبـهـ أـبـنـ مـنـيـ قـدـ آوـيـ أـبـنـ يـلـمـلـوـلـ إـلـيـهـ وـمـهـدـهـ لـهـ فـخـشـيـتـ أـنـ يـعـودـ فـيـ شـانـيـ ماـ كـانـ فـيـ السـنـةـ قـبـلـهـ، وـكـانـ بـالـرـسـيـ سـفـيـنةـ لـتـجـارـ الـإـسـكـنـدـرـيـةـ قـدـ شـحـنـهـاـ التـجـارـ بـأـمـتـعـهـمـ وـعـروـضـهـمـ، وـهـيـ مـقـلـعـةـ إـلـىـ الـإـسـكـنـدـرـيـةـ فـتـظـارـحـتـ عـلـىـ السـلـطـانـ، وـتـوـسـلـتـ إـلـيـهـ فـيـ تـخـلـيـةـ سـيـلـيـ لـقـضـاءـ فـرـضـيـ، فـاذـنـ لـيـ فـيـ ذـلـكـ، وـخـرـجـتـ إـلـىـ الـمـرـسـيـ وـالـنـاسـ مـتـسـاـلـيـوـنـ عـلـىـ أـثـرـيـ مـنـ أـعـيـانـ الـدـوـلـةـ وـالـبـلـدـ وـطـلـبـ الـعـلـمـ، فـوـدـعـهـمـ وـرـكـبـ الـبـحـرـ مـتـصـفـ شـعـبـانـ مـنـ سـنـةـ، وـقـوـضـتـ عـنـهـمـ بـحـيـثـ كـانـتـ الـخـيـرـةـ مـنـ اللـهـ سـبـحـانـهـ، وـتـفـرـغـتـ لـتـجـدـيـدـ مـاـ كـانـ عـنـدـيـ مـنـ أـثـارـ الـعـلـمـ، وـالـلـهـ وـلـيـ الـأـمـرـ سـبـحـانـهـ.

## الرحلة إلى المشرق وولاية القضاء بمصر

وـلـاـ رـحـلتـ مـنـ تـونـسـ مـنـصـفـ شـعـبـانـ مـنـ سـنـةـ أـرـبـعـ وـثـمـانـيـنـ وـسـبـعـمـائـةـ أـقـنـتـاـ فـيـ الـبـحـرـ خـوـاـ منـ أـرـبـعـنـ لـيـلـةـ، ثـمـ وـافـيـاـ مـرـسـيـ الـإـسـكـنـدـرـيـةـ بـوـمـ الـفـطـرـ، وـلـعـشـرـ لـيـالـ مـنـ جـلوـسـ الـمـلـكـ الـظـاهـرـ عـلـىـ تـختـهـ، وـاقـعـادـ كـرـسـيـ الـمـلـكـ دـوـنـ أـهـلـهـ بـيـ قـلـاـوـنـ، وـكـنـاـ عـلـىـ تـرـقـ بـذـلـكـ، لـمـ لـاـ كـانـ يـؤـثـرـ بـقـاصـيـ الـبـلـادـ مـنـ سـمـوـهـ لـذـلـكـ، وـعـيـهـدـهـ لـهـ. وـأـقـمـتـ بـالـإـسـكـنـدـرـيـةـ شـهـراـ لـتـهـيـةـ أـسـبـابـ الـحـجـ، وـلـمـ يـقـدـرـ عـاـمـتـذـ، فـانـتـلـقـتـ إـلـىـ الـقـاهـرـةـ أـوـلـ ذـيـ الـعـقـدـ فـرـأـيـتـ حـاـضـرـةـ الـدـنـيـاـ وـبـيـسـانـ الـعـالـمـ وـمـحـشـرـ الـأـمـمـ وـمـدـرـجـ الـذـرـ مـنـ الـبـشـرـ، وـإـبـرـانـ الـإـسـلـامـ وـكـرـسـيـ الـمـلـكـ، تـلـوحـ الـقـصـورـ وـالـأـوـاـوـيـنـ فـيـ جـوـهـ

له من غريب وصف دار، قد أتى عنكم بكل غريب؛ وما برح - من حين ورد علينا - يبالغ في شكر الحضرة العلية، ومدح صفاتها الجميلة، إلى أن استمال خواترنا الشريفة إلى جهها، وأثرنا المكابية إليها.

### والعين تعشق قبل الأذن أحياناً

وذكر لنا في أثناء ذلك، أهله وأولاده، في مملكة تونس تحت نظر الحضرة العلية، وقصد إحضارهم إليه ليقمعوا عنده، ويختبئ شمله بهم مدة إقامته عندنا، فاقتضت آراؤنا الشريفة، الكتابة إلى الحضرة العلية لهذاين السبيلين الجميلين، وقد أثروا إعلام الحضرة العلية بذلك، ليكون على خاطره الكريم، والقصد من محبته، يقدم أمره العالى بطلب أهل الشيخ ولـي الدين المشار إليه، وإزاحة اعتذارهم، وإزالة عوانفهم، والوصية بهم، وتجهيزهم إليه مكرمين، محترمين، على أجمل الوجوه صحبة قاصده الشـيخ الصالح، العـارف السـالك الأولـد، سـعد الدين مـسـعـود المـكـانـسـي، الـواـصـلـ بـهـذـهـ الـمـاكـابـيـةـ أـعـزـهـ اللـهـ، وـيـكـونـ تـجـهـيزـهـ عـلـىـ مـرـكـبـ مـرـاكـبـ الـحـضـرـةـ الـعـلـيـةـ، مـعـ تـوـصـيـةـ مـنـ بـهـاـ مـنـ الـبـحـرـيـةـ بـمـضـاعـفـةـ إـكـرـامـ الـمـشـارـ إـلـيـهـمـ وـرـعـاـيـتـهـمـ، وـتـأـكـيدـهـمـ عـلـىـ هـذـاـ الـعـنـىـ، إـذـاـ وـصـلـ مـنـ بـهـاـ مـنـ الـبـحـرـيـةـ، كـانـ هـمـ الـأـمـنـ وـالـإـحـسـانـ فـوـقـ مـاـ فـيـ أـنـسـهـمـ، وـيرـبـيـ عـلـىـ أـمـلـهـمـ، مـحـيـتـ يـهـتـمـ بـذـلـكـ عـلـىـ مـاـ عـهـدـ مـنـ مـحـبـتـهـ، وـجـيـلـ اـعـتـمـادـهـ، مـعـ مـاـ يـتـحـفـ بـهـ مـنـ مـرـاسـلـاتـهـ، وـمـقـاصـدـهـ وـمـكـابـيـاتـهـ. وـالـلـهـ تـعـالـىـ يـحـرـسـ بـلـانـكـتـهـ وـأـيـاهـ، بـنـهـ وـيـنـهـ إـنـ شـاءـ اللـهـ.

كتب خامس عشر صفر المبارك من سنة ست وثمانين وسبعين حسب المرسوم الشريف. الحمد لله وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

ثم هلك بعض المدرسين بمدرسة القمحية بمصر، من وقف صلاح الدين بن أيوب، فولاني تدريسها مكانه، وبينما أنا في ذلك، إذ سخط السلطان قاضي المالكية في دولته، لبعض التزعات فعزله، وهو رابع أربعة بعد المذاهب، يدعى كل منهم قاضي القضاة، تميزاً عن الحكم بالنيابة عنهم، لاتساع خطة هذا العمور، وكثرة عوالمه، وما يرتفع من الخصومات في جوانبه، وكبير جماعتهم قاضي الشافعية، لعموم ولايته في الأعمال شرقاً وغرباً، وبالصعيد والفيوم، واستقلاله بالنظر في أموال اليتامي والوصايا، ولقد يقال بأن مباشرة السلطان قدعاً بالولاية إنما كانت تكون له.

فلما عزل هذا القاضي المالكي سنة ست وثمانين وسبعين اختصني السلطان بهذه الولاية تأهلاً لمكابي وتنويعها بذكرى

التخوت والأسرة والتيجان، واهب الأقاليم والأقطار، ميد الطغاة والبناء والكافر، ملك البحرين، مسلك سبيل القبلتين، خادم الحرمين الشرفين، ظل الله في أرضه، القائم بسته وفرضه، سلطان البسيطة مؤمن الأرض الخبيطة، سيد الملوك والسلطانين، قسم أمير المؤمنين، أبو سعيد بررقوق ابن الشهيد شرف الدنيا والدين أبي المعالي أنس. خلد الله سلطانه، ونصر جيوشه وأعوانه - يخص الحضرة السنوية السريّة، المظفرة الميمونة، المنصورة المصونة، حضرة السلطان العالم، العادل المؤيد، المجاهد الأوحد، أبي العباس، ذخر الإسلام والمسلمين، عدة الدنيا والدين، قدوة المحدثين، ناصر الغزاوة والمجاهدين، سيف جماعة الشاكرين، صلاح الدول. لا زالت مملكته بقوته عامرة، ومهابته لنفس الجبار قاهرة، ومعدلته بوئه غرفات العز في الدنيا والآخرة، سلام صفا ورده وضفافاً بربده، وثناء فاح نده، وللاح سعدده، ووداد زاد وجده، وجاد جده.

أما بعد حمد الله الذي جعل القلوب أجناداً مجندة، وأسباب الوداد على البعد مؤكدة، ووسائل المحبة بين الملوك في كل يوم مجددة؛ والصلة والسلام على سيدنا ومولانا محمد عبده ورسوله، الذي نصره الله بالرعب مسيرة شهر وأيده وأعلى به منار الدين وشیده، وعلى آل وأصحابه الذين افتقدوا طريقه وسُؤددَه، صلاة دائمة مؤيده.

فإننا نوضح لعلمه الكريم، أن الله - ولـهـ الـحمدـ - جـعـلـ جـبـلـتـاـ الشـرـيفـ مـجـبـولـةـ عـلـىـ تـعـظـيمـ الـعـلـمـ الشـرـيفـ وـاهـلـهـ، وـرـفـعـةـ شـائـهـ، وـنـشـرـ إـعـلـامـهـ، وـمـحبـةـ أـهـلـهـ وـخـدـامـهـ، وـتـبـيـسـرـ مـقـاصـدـهـ، وـتـحـقـيقـ أـمـلـهـمـ، وـالـإـحـسـانـ إـلـيـهـمـ، وـالـتـقـرـبـ إـلـىـ اللـهـ بـذـلـكـ فـيـ السـرـ والعـلـانـيـةـ، فـإـنـ الـعـلـمـاءـ رـضـيـهـ عـنـهـمـ وـرـثـةـ الـأـنـبـيـاءـ وـقـرـةـ عـيـنـ الـأـوـلـيـاءـ، وـهـدـاهـ خـلـقـ اللـهـ فـيـ أـرـضـهـ؛ لـاـ سـيـمـاـ مـنـ رـزـقـ اللـهـ الـدـرـاـيـةـ فـيـمـاـ عـلـمـهـ مـنـ ذـلـكـ، وـهـدـاهـ لـلـدـخـولـ إـلـيـهـ مـنـ أـحـسـنـ الـسـالـكـ، مـثـلـ مـنـ سـطـرـنـاـ هـذـهـ الـمـاكـابـيـةـ بـسـيـبـهـ: الـجـلـسـ السـامـيـ، الشـيـخيـ، الـأـجـلـيـ، الـكـبـيرـ، الـعـالـمـ، الـفـاضـلـ، الـأـثـلـيـ، الـأـثـيـرـ، الـإـسـامـيـ، الـعـلـامـيـ الـقـدـوةـ، الـمـقـنـدـيـ، الـفـرـيـدـيـ، الـحـقـقـيـ، الـأـصـلـيـ، الـأـوـحـدـيـ، الـمـاجـدـيـ، الـرـلـوـيـ، جـالـ الـإـسـلـامـ وـالـمـسـلـمـينـ، جـالـ الـعـلـمـاءـ فـيـ الـعـالـمـينـ، أـوـحـدـ الـفـضـلـاءـ، قـدـوةـ الـبـلـاغـاءـ، عـلـمـةـ الـأـمـةـ، إـمـامـ الـأـئـمـةـ، مـفـيدـ الـطـالـبـينـ، خـالـصـةـ الـمـلـوـكـ وـالـسـلـاطـيـنـ عـبـدـ الرـحـمـنـ بـنـ خـلـدـونـ الـمـالـكـيـ. أـدـامـ اللـهـ نـعـمـتـهـ، فـإـنـهـ أـوـلـىـ بـالـإـكـرـامـ، وـأـحـرـىـ، وـأـحـقـ بـالـرـعـاـيـةـ وـأـجـلـ قـدـرـاـ، وـقـدـ هـاجـرـ إـلـىـ مـالـكـنـاـ الشـرـيفـةـ، وـأـثـرـ الـإـقـامـةـ عـنـدـنـاـ بـالـدـيـارـ الـمـصـرـيـةـ، لـاـ رـغـبـةـ عـنـ بـلـادـهـ، بـلـ تـحـبـبـاـ إـلـيـنـاـ، وـتـقـرـبـاـ إـلـىـ خـواتـرـنـاـ، بـالـجـلـوـهـ النـفـسـيـةـ، مـنـ ذـائـهـ الـحـسـنـةـ، وـصـفـاتـهـ الـجـمـيلـةـ، وـوـجـدـنـاـ مـنـ فـرقـ مـاـ فـيـ النـفـوسـ، مـاـ يـجـلـ عـنـ الرـفـضـ وـيرـبـيـ عـلـىـ التـعـدـادـ. يـاـ

مشتقة، وقلم الفتيا في هذا المصر طلق، وعنانها مرسل، يتجادب كل الخصوم منها رستاً، ويتناول من حافته شقّاً، يرrom به الفلح على خصميه، ويستظره به لارتفاعه، فيعطيه الفتيا من ذلك ملء رضاه، وكفاء أميته متبعاً إياه في شعاب الخلاف، فتعارض الفتاوى وتتناقض، وبعظم الشغب إن وقعت بعد نفود الحكم، والخلاف في المذاهب كثیر، والإنصاف متذر وأهلية الفتيا أو شهرة الفتيا ليس تميزها للعامي، فلا يكاد هذا المدى ينحسم ولا الشغب يتقطع.

قصدت في ذلك بالحق وكبحث أعناء أهل الهرى والجهل، ورددتهم على أعقابهم. وكان فيهم ملقطرون سقطوا من المغرب يشعرونون بمفترق من اصطلاحات العلوم هنا وهناك، ولا يتمنون إلى شيخ مشهور، ولا يعرف لهم كتاب في فن قد اخذوا الناس هزواً وعقدوا المجالس مثابة للأعراض ومانبة للحرم، فأرغمهم ذلك مني وملأهم حسداً، وحدقاً على، وخلوا إلى أهل جلدتهم من سكان الزوابا المتخلين للعبادة، ليشرون بها الجاه، ليجربوا به على الله، وربما اضطر أهل المخرق إلى تحكيمهم، فيحكمون ما يلقى الشيطان على المستهم، يترخصون به الإصلاح، لا يزعمهم الدين عن التعرض لأحكام الله بالجهل، فقطعت الحبل، في أيديهم، وأمضيت حكم الله فيما أجراوه، فلم يغروا عن الله شيئاً وأصبحت زواياهم مهجورة، ويتزرون التي يمتاحون منها معطلة، وانطلقوا برياطنون السفهاء في النيل من عرضي، وسوء الأحداثة عنى بمحخلن الإفك وقول الزور، ويشونه في الناس ويدسون إلى السلطان التظلم مني، فلا يصغي إليهم، وأنا في ذلك محاسب عند الله، ما منيت به في هذا الأمر، ومعرض فيه عن الجاهلين، وماض على سبيل سوي من الصرامة وقوفة الشكيمة، وتحري العدالة، وخلاص المخرق، والتتكب عن خطأ الباطل متى دعيت إليها، وصلابة العود عن الجاه والأغراض متى غمزني لامساها ولم يكن ذلك شأن من رافقته من القضاة فنكروه علي ودعوني إلى تبعهم فيما يصططلون عليه من مرضاة الأكبّر ومراعاة الأعيان، والقضاء للجاه بالصور الظاهرة، أو دفع الخصوم إذا تعددت، بناء على أن المحاكم لا يتعين عليه الحكم مع وجود غيره، وهو يعلمون أن قد تمالأوا عليه.

وليت شعري! ما عندهم في الصور الظاهرة إذا علموا خلافها، والتي تلقي يقول في ذلك: «من قضيت له من حق أنجبه شيئاً فإنما أقضى له من النار».

فأليت من ذلك كله إلا إعطاء العهدة حقها، والوفاء لها، ولن قلذنها، فاصبح الجميع على الباً ولن ينادي بالتألف مي

وشاھتها بالتفادي من ذلك، فابي إلا إمضاءه وخلع على بابوانه وبعث من كبار الخاصة من أقدوني بمجلس الحكم بالمدرسة الصالحة بين القصررين، فقمت بما دفع إلى من ذلك القام الحمود ووفيت جهدي بما أمني عليه من أحكام الله، لا تاخذني في الله لومة، ولا يزغبني عنه جاءه ولا سطوة مسوياً في ذلك بين الخصمين، آخذنا بحق الضعيف من المحكمين، معرضاً عن الشفاعات والوسائل من الجائزين جائحاً إلى الثابت في سماع البيانات، والنظر في عدالة المتضبين لتحمل الشهادات، فقد كان البر منهم مختلطاً بالفاجر، والطيب ملتبياً بالخيث، والحكام ممسكون عن انتقادهم، متجلazorون عما يظهرون عليه من هنائهم، لما يموهون به من الاعتصام بأهل الشوكة فإن غالبيهم مختلطون بالأمراء، معلمين للقرآن، وآئمة في الصلوات، يلبسون عليهم بالعدالة، فيظنون بهم الخير ويسقّمون لهم المحيظ من الجاه في تركتهم عند القضاء؛ والترسل لهم، فاعضل داؤهم، وفشت المفاسد بالتزوير والتداليس بين الناس منهم، ووقفت على بعضها فعاقبت فيه بموجع العقاب، ومؤلم الكمال وتلقي إلى العلم الجرح في طائفته منهم، فمنعتهم من تحمل الشهادة، وكان منهم كتاب الدواوين للقضاة والتوريق في مجالسهم، قد تدربروا على إملاء الدعاوى وتسجيل الحكومات، واستخدمو للأمراء فيما يعرض لهم من العقود يأخذون كتابتها، وتوريق شروطها، فصار لهم بذلك شفوف على أهل طبقتهم، وتوبيه على القضاة بجاههم يدرعون به مما يتوقعونه من عبيهم، لتعرضهم لذلك ب فعلاتهم، وقد يسلط بعضُ منهم قلمه، على العقود المحكمة فيوجد السبيل إلى حلها بوجه فقهى أو كتابى، وينادر إلى ذلك متى دعا إليه داعي جاءه أو منحة، وخصوصاً في الأوقاف التي جاوزت حدود النهاية في هذا المصر لكثرة عوالمه، فأصبحت خافية الشهرة مجهلة الأعيان، عرضة للبطلان، باختلاف المذاهب المنصورية للحكام بالبلد، فمن اختار فيها بيعاً أو عمليكاً، شارطوه وأجابوه مفتاتين فيه على الحكم الذين ضربوا فيه سد الحظر والمنع حماية عن التلاعيب، وفشا من ذلك الضرر في الأوقاف، وطرق الغرر في العقود والأملاك.

فعاملت الله في حسم ذلك بما آسفهم على وأخذدهم، ثم التفت إلى أهل الفتيا بالذهب، وكان الحكم منهم على جانب من الخبرة لكثرة معارضتهم، وتلقينهم الحصرم وفتياهم بعد نفود الحكم، وإذا ذيهم أصغر، في بينما هم يتشبّثون بأذىالطلب والعدالة، ولا يكادون إذا بهم ظفروا إلى مراتب الفتيا والتدريسي، فاقتعدوا وتناولوها بالجزاف، وأجازوها من غير مثرب ولا متقد للأهلية، ولا مرشح، إذ الكثرة فيهم باللغة، ومن كثرة الساكن

فراوينا الحمل، ورفاقهم من هناك إلى مكة ودخلتها ثانية ذي الحجه، فقضيت الفريضة في هذه السنة. ثم عدت إلى البيع فاقتربت به خمسين ليلة حتى تهيا لنا ركوب البحر، ثم سافرنا إلى أن قاربنا مرسي الطور، فاعتربتنا الرياح فما وسعنا إلا قطع البحر إلى جانب الغربي، ونزلنا بساحل القصير ثم بدرقتنا مع أعراب تلك الناحية إلى مدينة قوص قاعدة الصعيد فأرخنا بها أيام ثم ركينا في بحر النيل إلى مصر، فوصلنا إليها لشهر من سفرنا، ودخلتها في جاهي سنة تسعين وسبعين وسبعيناً وقضيت حق السلطان في لقائه، وإعلامه بما اجتهدت فيه من الدعاء له، فتقبل ذلك (مني) بقبول حسن، وأقمت فيما عهدت من رعايته وظل إحسانه.

وكنت لما نزلت بالبيع لقيت بها الفقيه الأديب المتنبي أبا القاسم بن محمد بن شيخ الجماعة، وفارس الأدباء، ومنفق سوق البلاغة، أبي إسحاق إبراهيم الساحلي المعروف جده بالطربين وقد قدم حاجاً وفي صحبته كتاب رسالة من صاحبنا الوزير الكبير العالم كاتب سر السلطان ابن الأهر صاحب غناء، الخطيب الذي أبي عبد الله بن زمرك، خاطبني فيه بنظم ونشر يتسوق ويدركه بهود الصحبة نصه:

سلوا البارق التنجي على عمل نجدي تسم فاستبكي جفوني من الرجد  
أجاد ربوعي باللوى، بورك اللوى وسح به صوب القمام من بعدي  
رويا زاجري الأطعan وهي ضواهر دعوا ترد هيمأ عطاشاً على نجد  
ولا تشقا الأنفاس منها مع الصبا فإن زفير الشوق من مثلها بعدي  
يراهما الهوى بري القداح وخطها حروفًا على صفح من القفر متند  
عجب لها تائي تجاذبى المسوى وما شرقها شرق ولا وجدها وجدى  
لن شاقها بين العتب وبارك مياه بفيء الظل للisan والبرند  
فما شاقني إلا بدور خدورها وقد لحن يوم الفبر في قصب ملد  
نكم في قباب الحي من شمس كلة وفي ذلك الأزار من قمر سعد  
وكم قد سلم قد سلم من لحظ أحمر وكم ذابل قد هز من ناعم القد  
خلدوا الخنزير من سكان رامة إنها ضعيفات كسر اللحظ تفتتك بالأسد  
سهام جفون من قسي حواجب يصاب بها قلب البريء على عمد  
ورورض جمال ضاع عرف نسيمه وما ضاع غير الورود في صفحة الخد  
ونرجس لحظ أرسل النعم لوزوا فرش بماء الورد روضاً من الورد  
وكم غصن قد عانت الغصن مثله وكل على كل من الشوق ويستدى  
قيبح وداع قد جلا لعيوننا محسن من روض المجال بلا عد  
رعى الله ليلي لو علمت طرقها فرشت لأنخفاف الطبي بها خدي  
وماشافي والطيف يرهب أنمعي ويسبح في بحر من الليل مزيد  
وقد سلم خفاف الذئابة بارق كما سل لمع الصقال من الغمد  
وهزمت محللة يد الشوق في الدجي فحل الذي أبرمت للصبر من عقدي

عننا، وفي النكير على أمة، وأسمعوا الشهود المتعذبين أن قد قضيت فيهم بغير الحق، لاعتمادي على علمي في الجرح، وهي قضية إيجاع. وانطلقت الألسن، وارتفع الصخب وأرادني بعض على الحكم بغضهم، فوققت وأغرروا بي الخصم، فتنادوا بالظلم عند السلطان، فجمع القضاة وأهل الفتيا في مجلس جعل للنظر في ذلك، فخلصت تلك الحكومة من الباطل خلوص الإبريز، وتبين أمرهم للسلطان، وأمضت فيها حكم الله تعالى إرغاماً لهم، فغدوا على حرد قادرين، ودسووا الأولياء السلطان وعظماء الخاصة، يبحرون لهم إهمال جاههم ورد شفاعتهم، موهين بأن الحامل على ذلك جهل المصطلح، وينفون هذا الباطل بعظامهم ينسبونها إلى، تبعث الخليل وتغري الرشيد، يستبرون حفاظهم على ويشربونهم البعضاء إلى، والله مجازهم ومسائهم.

فكثير الشعب علي من كل جانب، وأظلم الجسو بيبي وبين أهل الدولة، وووافق ذلك مصاري بالأهل والولد، وصلوا من المغرب في السفين فأصابها قاصف من الريح فغرقت، وذهب الموج وسكن والمولود، فعظم المصاب والجزع، ورجع الزهد، واعترضت على الخروج عن المنصب، فلم يوافقني عليه التنصيص من استشرته خشية من نكير السلطان ومسخطه، فوققت تداركيني الطرف الرياني وشلتني نعمة السلطان - أيده الله - في النظر بعين الرحمة، وتخلية سيلي من هذه العهدة التي لم أطق حلها، ولا عرفت - كما زعموا - مصطلحها، فردها إلى صاحبها الأول، وأنشطني من عقلاها، فانطلقت حيد الأثر مشيئاً من الكافة بالأسف والدعاء وحيد الثناء، تلحظني العيون بالرحة وتساجي الآمال في بالعودة وررت في ما كنت راتعاً فيه قبل من مراعي نعمته وظل رضاه وعنياته قائعاً بالعافية التي سلها رسول الله ﷺ من ربه عاكفاً على تدريس علم أو قراءة كتاب أو إعمال قلم في تدوين أو تأليف مؤملاً من الله قطع صيبة العمر في العبادة، ومح عوائق السعادة، بفضل الله ونعمته.

## السفر لقضاء الحج

ثم مكثت بعد العزل ثلاث سنين واعترضت على قضاء الفريضة فودعت السلطان والأمراء وزودوا وأعانتوا فوق الكفایة، وخرجت من القاهرة متصرف رمضان سنة تسع وثمانين وبسبعيناً إلى مرسي الطور، بالجانب الشرقي من بحر السويس، وركبت البحر من هناك عاشر الفطر ووصلتنا إلى البيع لشهر

وائلق خفاف الجوانس نسمة تسم مع الاصباح خاقنة السرد يينأ عن تسرى المطى سواهاماً عليهما، سهام قد رمت هد الفهد وهب على لف طي بروه احاديث اهداها الى الغور من مجده الى بيته كيماتزور معاها ابن بها جبريل عن كرم المهد سوى صاحب في الايك لم يدر ما الموى ولكن دعامي الشجون على وعد لأنك الذي مهما دجال ليل مشكل قدحت به للنور واربة الزند فهل عند ليلى نئم الله ليها بان جفونى ما تمل من السهد وحيث استقلت في ركب طيبة فانت تحى النفس في القرب والبعد وليله إذ وفى الحجج للمنى وقت لي التي منها ما شئت من قصد وإنى بباب الملك حيث عهدتني مدید ظلال الجاه مستحضر العقد فقضيت - منها فرق ما احسب - وبرد عناف صانه الله من برد اجهز بالإشاء كل كيية من الكتب والكتاب في عرضها جدي وليس سوى لحظ خفي غيله وشكوى كما ارافق الحمان من العقد نلوذ من السرى الإمام محمد بظل على نهر المجرة متى غفرت للهري بعدها كل ما جنى سوى ما جنى وقد المشب على فودي إذا فاض من عناء بحر سماحة وعم به الطوفان في النجد والوهاد عرفت بهذا الشيب فضل شبيبي وما زال فضل الصد يعرف بالضد ركنا إلى الإحسان في سفن الرجا بمور عطاء ليس تجزر عن مدد ومن نام في ليل الشباب ضلالة سيفوظه صبح المشب إلى الرشد فمن مبلغ الأمصار عني الوكة مغلقة في الصدق منجزة الرعد أما والهوى ما حدث عن سنن المدى ولا جرت في طرق الصباة عن قصد بأية ما أعطى الخليفة ربها مفاتيح فتح ساتها ساقى السعد تجاوزت حد العاشقين الألى قضوا وأصبحت في دين الهوى أمة وحدى دونك من روض الحمامد فتحة ثقوب إذا اصطف اللدى عن التد نسبت وما أنسى وفاني حلبي واقرب ربع القلب إلا من الوجد شاه يقول المسك إن ضاح عرفه أيامك من ند أيامك من ند إليك أبازيد شكرة رفعتها وما نانت من عمرو ولدي ولا زيد وما الماء في جوف السحاب مروقاً باطهر ذاتك في كتف المهد بعيشك خبرني وما زلت مفضلاً اعندك من شوق كمثل الذي عندي فكيف وقد حلتكم أسرابها الحالى وباهت بك الأعلام بالعلم الفرد فكم ثار بي شوق إليك مريح فظلت يد الأسواق تفتح من زندي وما الطل في ثغر من المهر باسم باصفي وأذكى من ثانى ومن ودي وصفق حتى الريح في لسم الريس وأشفق حتى الطفل في كبد المهد ولا البدر معصوبًا ساج تمامه باهير من ودي وأمير من حدي بقابللي منك الصباح بوجنة حكى شفقا فيه الحياة الذي تبدي ووصلها بقوله: سيدى علم الأعلام، كبير رؤساء الإسلام، مشرف حلة السيف والأقلام، جمال الخواص والظهوراء، أثير الدول، خالصة الملوك، مجتبى الخلفاء، نير أفق العلاء أوحد الفضلاء، قدوة العلماء، حجة البلغاء.

أيقاكم الله بقاء جيلاً، يعقد لواء الفخر، ويعلى منار الفضل، ويرفع عماد الجد، ويوضح معالم السُّؤدد، ويرسل أشعة السعادة، وفيض أنوار الهدى، ويطلق السنة الحامدة، وينشر أفق المعرف، ويعذب مورد العناية، ويعتَّ بغير النهاية ولا نهاية.

بأى التحيات أفتتحك وقدرك أعلى، ومطلع فضلك أوضح وأجلِّي، إن قلت تعية كسرى في السناء وتبع، فأثار لا يقتصر ولا يتبع، تلك تعية عجماء لا تبين ولا تبين، وزمرة نافرها اللسان العربي المبين، وهذه جهالة جهلاء، لا ينطبق على حروفها الاستعلاء، قد حما رسومها الجفاء، وعلى آثار دمتها العفاء، وإن كانت التعبات طلما أوجف بهما الركاب وقعق العrepid، ولكن أين يقعان ما أريد.

تعية الإسلام آصل في الفخر نسباً، وأوصل بالشرع سبيلاً، فالآولى أن تحريك بما حيا الله في كتابه رسله وآئياءه، وحيث به ملائكته في جواره أولياءه، فاقول:

السلام عليكم يرسل من رحمات الله غماماً ويفتقن من

وأذن لي في نسخ القصيدة المذكورة بالخط المشرقى لتسهل  
قراءتها عليهم ففعلت ذلك، ورفعت النسخة والأصل للسلطان،  
ورقراها كاتب سره عليه ولم يرجع إلى منها شيئاً، ولم يستجز أن  
نسخها قاتل رفاتها إلى السلطان، فقضاعت من يدي.

وكان في الكتاب فصل عرفني فيه شأن الوزير مسعود بن رحو المستبد بأمر المغرب لذلك العهد، وما جاء به من الانتهاض عليهم، والكفر ان لصنيعهم، يقول فيه:

كان مسعود بن رحو الذي أقام بالأندلس عشرين عاماً  
وبقيتنيك التعميم ويقد المدح واللهم، قد أجيزة صحبة  
ولد أبي عنان كما تعرفتم من نسخة كتب أنشائه بجمل الفتح لأهل  
الحضره، فاستولى على الملكه، وحصل على الدنيا، وانفرد ببريسه  
دار المغرب لضعف السلطان رحمه الله. ولم يكن إلا أن كفرت  
الحقوق، وحانظلت خلته السحوق، وشف على سواد جلدته سواد  
العقوق، وداخل من بستة، فانتقضت طاعة أهلها، وظنوا أن  
القصبة لا تثبت لهم، وكان قائدتها الشيخ البهème فل المصار ولحي  
القتال، ومحش الحرب أبو ذكريا بن شعيب، فثبتت للصدمة ونور  
للأندلس، فبادره المدد من الجبل ومن مالقة، وتواتلت الأمداد  
وخاف أهل البلد، ورجع شفاؤه ودخلوا القصبة. واستغاث أهل  
البلد بن جاورهم، وجاههم المدد أيضاً، ثم دخل الصالحون في  
رغبة هذا المقام، ورفع القتال، وفي أثناء ذلك غدروا ثانية،  
فاستدعى الحال إجازة السلطان المخلوع أبي العباس لتبارق القصبة  
به ويوجه منها إلى المغرب لرغبة (بني) مرین وغيرهم فيه، وهو  
ولد السلطان المرحوم أبي سالم الذي قلدكم ريسة داره، وأوجب  
لكم الرحمة على أوليائه وأنصاره. انتهى.

وبعده فصل آخر يطلب فيه كِتاباً من مصر يقول فيه:  
والمرغوب من سيدى أن يبعث لي ما أمكن من كلام فضلاء  
الوقت وأشياخهم على الفاتحة، إذ لا يمكن بعث تفسير كامل لأنى  
أثبتت في تفسيرها ما أرجو النفع به عند الله، وقد أعلمتكم أن  
عندى التفسير الذى أوصله إلى المغرب عنوان التجانى من تاليف  
الطيبى والسفر الأول من تفسير أبي حيان، وملخص إعرابه  
وكتاب المغنى لابن هشام، وسمعت عن بدأة تفسير للإمام بهاء  
الدين ابن عقيل ووصلت إلى بدأة من كلام أكمل الدين الأثري  
رضي الله عن جيئهم، ولكنى لم أصل إلا للبسملة، وذكر أبو  
حيان فى صدر تفسيره أن شيخه سليمان التقي أو أبا سليمان لا  
أدرى الآن صنف كتاباً فى البيان فى سفرین جعله مقدمة لكتاب  
تفسيره الكبير. فإن أمكن سيدى توجيهه لا يأتى انتهى.

الطروس عن ازهار الحامد كماماً، ويستصحب من البركات ما يكون على الذي أحسن من ذلك تماماً، واجدد السؤال عن الحال الحالية بالعلم والدين المستمدة من أنوارها سرج المهتدين، زادها الله صلاحاً وعرفها بمحاجة يتبع فلامحاً، وأقرر ما عندي من تعظيم ارتقى كل آونة شرفه، واعتقاد جميل يرفع عن وجه البدر كلفه، ونماء، انشر يد الترك صحفه، وعلى ذلك أيام السيد الملاك، فقد تشعبت علي في مخاطبتك المسالك، إن أخذت في تقرير فخرك العجمي، وحسبك الصمييم، فو الله ما أدرني بأي ثانية للفخر ترفع العلم، وفي أي بحر من ثناياك يسبح القلم، الأمر جلل، والشمس تكبر عن حلي وعن حلل، وإن أخذت في شكرة الفراق، والاستدعاء على الأسواق اتسع المجال، وحضرت الروية والارتفاع، فالأولى أن أثرك عنده اللسان تلعب بها رياح الأسواق وأسلة اليراع، تخضب مفارق الطروس بفتح الجبر المراق، وغيرك من تركض في مخاطبته جياد اليراع، في مجال الرقاع، مستوتلة على أمد الإبداع والاختراع، فإما هو بث يكبي، وفرقان يشككي، فيعلم الله حرصي عن أن أشافه من آثباتك ثغور البروق البواسم، وأن أحلك الرسائل حتى مع سفراء النواسم، وإن أجلتني غرر ذلك الجبين في معبا الشارق، ولهم البارق.

ولقد وجهت إليك جملة من الكتب والقصائد، ولا  
كالقصيدة الفريدة في تأيين الجواهر اللائي استأثر بهن البحر، قدس  
الله أرواحهم، وأعظم أجرك فيهم، فإنها أنافت على مائة وخمسين  
بيتاً، ولا أدرى هل بلغتك ذلك أم غاله الضياع، وغدر وصوله  
بعد المسافة، والذي يطرق لي سوء الظن بذلك ما صدر في مقابلته  
متنكم. فاني على علم من كرم قصدكم وحسن عهديكم.

ومن حين استقل نيركم بذلك الأفق الشرقي لم يصلني منكم كتاب، مع علمي بضياع اثنين منهما بهذا الأفق الغربي  
انتهى:

وفي الكتاب إشارة إلى أنه بعث قصيدة في مدح الملك الظاهر صاحب مصر، ويطلب مني رفعها إلى السلطان، وعرضها عليه بحسب الامكان، وهي علم، روى المهمزة ومطلعها:

اما مدعى منهله ام لؤلو لما استهل العارض الملاالي  
ويبعثها في طي الكتاب، واعتذر بأنه استتاب في نسخها،  
فكثبتت همزة روبيها الفاء، قال: وحقها أن تكتب بالواو لأنها تبدل  
بالواو وتسهل بين المهمزة والواو، وحرف الإطلاق أيضاً يسوقها،  
واوأ، هذا مقتضى الصناعة، وإن قال بعض الشيوخ: كتب الفاء  
على كل حال على لغة من لا يسهل لكنه ليس بشيء.

وأمله. وأتتم أيضاً من أهل العلم والجلالة، والنفصل والأصلة، وقد بلغتم بهذه البلاد الغاية من التوبه، والحظ الشريف النبي، لكن أراد الله سبحانه أن يكون ملائكتكم في تلك البلاد العظيمة ظهوراً، وتحدث بعد الأمور أمر، وبكل اعتبار، فالزمان بكم - حيث كتمـ مـيـاـهـ،ـ وـالـخـامـدـ جـمـوعـةـ لـكـمـ جـمـعـ تـاهـ.ـ وـلـماـ وـقـفـ عـلـىـ مـكـثـكـمـ إـلـىـ مـوـلـانـاـ السـلـطـانـ أـبـوـ عـبـدـ اللـهـ،ـ أـطـالـ اللـهـ الشـاءـ عـلـىـ مقـاصـدـكـمـ،ـ وـتـحـقـقـ صـحـيـحـ دـوـادـكـمـ،ـ وـجـمـيلـ اـعـتـقـادـكـمـ،ـ وـعـمـرـ جـلـسـهـ يـوـمـنـدـ بالـثـاءـ عـلـيـكـمـ،ـ وـالـشـكـرـ لـاـ لـدـيـكـمـ.

ثم ختم الكتاب بالسلام من كاتبه علي بن عبد الله بن الحسن مؤرخاً بصفر سنة تسعين وسبعينة وفي طيه مدرجة بخطه وقد قصر فيها عن الإجاده نصها: سيدى رضي الله عنكم وأراضكم، وأظفر بمناسكم بذواتكم

اعتذر لكم عن الكتاب المدرج هنا طيًّه بغير خطى فاني في ذلك الوقت مجال مرض في عني، ولكم العافية الراقيه، فيسعني سمحكم ورعاكم ليديكم شوقاً لما نزل في هذه الملة بالغرب من الهرج أحاطه الله، وأمن جميع بلاد المسلمين.

والملوجب أن الحصة المرجحة في خدمة أميرهم الواقع ظهر له ولو زبره ومن ساعده على رأيه إمساكها رهينة، وجعله في القيد إلى أن يقع الخروج لهم على مدينة سبعة، وكان القائد على هذه الحصة العلوج المسمى مهند، وصاحبته الفتى المدعى نصر الله وكثير التردد في القضية إلى أن أبرز القدر توجيه السلطان أبي العباس - توّلاه الله - صحبة فرج بن رضوان محصنة ثانية، وكان ما كان حسبما تلقيتكم من الركبان، هذا ما وسع الورقت من الكلام ثم دعا وختم:

ولئما كتبت هذه الأخبار وإن كانت خارجة عن غرض هذا التعريف؛ الكتاب لأن فيها تحقيقاً لهذه الواقعات، وهي مذكورة في أماكنها من الكتاب فربما يحتاج الناظر إلى تحقيقها من هذا الموضوع.

وبعد قضاء الفريضة رجعت إلى القاهرة محفوفاً بستر الله ولطفه، ولقيت السلطان، فتلقاني - أبده الله - بمعهود مرتمه وعياته وكانت فتنة الناصرى بعدها سنة إحدى وستين وسبعينة ولحقت السلطان النكبة التي مخصوصاً الله فيها وأقاله، وجعل إلى الخير فيها عاقبته ومالكه، ثم أعاده إلى كرسيه للنظر في مصالح عباده، فلطرقه القلادة التي ألبسها كما كانت، فأعاده إلى ما كان أجراه من نعكته، ولزمت كسر البيت متعملاً بالعافية لابساً برد العزلة، عاكفاً على قراءة العلم وتدرسيه لهذا المهد فاتح سبع

وفي الكتاب فصول أخرى في أغراض متعددة لا حاجة إلى ذكرها هنا. ثم ختم الكتاب بالسلام، وكتب اسمه: محمد بن يوسف بن زمرك الصربي، وتاريخه العشرون من محرم سنة تسع وثمانين وسبعينة.

وكتب إلى قاضي الجماعة بغرنطة أبو الحسن علي بن الحسن النبي:

الحمد لله والصلوة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسول الله يا سيدى وواحدى وذا وجهاً، ونبي الروح بعداً وقرباً أباكم الله وثوب سعادتكم سانع، وقر سعادتكم - كلما أفلت الأقمار - بازغ، أسلم باتم السلام عليكم، وأقرر بعض ما الذي من الأسواق إليكم، من حضرة غرنطة - مهدها الله - عن ذلك لكم يتضوع طيبة وشكراً لا يذوي - وإن طال الزمان - رطبيه قد كان بلغ ما جرى من تأخيركم عن الولاية التي تقلدتم أمرها، وتحمّلت مرها، فتمثلت بما قاله شيخنا أبو الحسن بن الجباب عند انفصال صاحب الشرف أبي القاسم، عن خطبة القضاة.

لامرجباً بالنائز الفارك إذ جهلت رفة مقدارك لو أنها قد أورتت رشدك ما برحت تعشو إلى نارك

نم تعرفت كيّنة انفالكم وأنه كان عن رغبة من السلطان المؤيد هنا لكم فرددت - وقد توهمت مشاهدتكم - هذه الآيات: لك الله يا بادر السماحة والبشر لقد حزت في الأحكام متلة الفخر ولكنك استعففت عنها تورعاً وتلك سبيل الصالحين كما تدري جربت على نهج السلامة في الذي تغيرته أبشر بامتلك في المشر وحققت بإن العلم ولاك خطبة من العز لا تفك عنها مدى العمر تزيد على مر المديدةين جدة وتسري النجوم الزاهرات ولا تستري ومن لاحظ الأحوال وازن يهـا لم يـرـ لـدـنـيـاـ الذـنـيـةـ منـ خـطـرـ وأمسـىـ لـأـسـوـاعـ الـلـاـيـاتـ نـابـاـ فـتـيـ نـكـيرـ أـنـ تـواجهـ بـالـكـرـ فـهـيـكـ بـهـيـكـ الـذـيـ أـهـلـهـ مـنـ الزـهـدـ فـيـهـ وـالـتـوـقـيـ مـنـ الـوـزـرـ وـلـاـ تـكـرـتـ مـنـ حـاسـدـكـ فـيـهـمـ حـصـيـ وـالـحـصـيـ لـاـ يـرـتـقـيـ مـرـقـيـ الـبـرـ وـمـنـ عـاـمـ الـأـقـوـامـ بـالـلـهـ مـخـلـصـاـ لـهـ مـنـ هـمـ نـالـ جـزـيلـ مـنـ الـأـجـرـ بـقـيـتـ لـرـبـ الـفـضـلـ تـحـمـيـ ذـسـارـهـ وـخـارـ لـكـ الرـحـمـنـ فـيـ كـلـ مـاـ يـجـريـ

إـيـهـ سـيـدـيـ رـضـيـ اللـهـ عـنـكـمـ وـأـرـاضـكـمـ،ـ أـطـبـتـمـ فـيـ كـاتـبـكـ فـيـ الشـاءـ عـلـىـ السـلـطـانـ الـذـيـ آتـمـ بـالـإـقـاءـ،ـ وـالـسـاعـدـةـ عـلـىـ الـانـفـصالـ عـنـ خـطـةـ الـقـضـاءـ،ـ وـاسـتوـهـبـتـ الدـاءـ لـهـ مـنـ هـنـاـ الـأـوـلـيـاءـ وـالـلـهـ درـكـ فـيـ التـبـيـهـ عـلـىـ الـإـرـاشـدـ إـلـىـ ذـلـكـ،ـ فـالـدـاءـ لـهـ مـنـ الـوـاجـبـ فـيـ استـقامـةـ الـأـمـورـ وـصـلـاحـ الـحـاصـةـ وـالـجـمـهـورـ،ـ وـعـنـدـ ذـلـكـ اـرـتفـعـتـ أـصـوـاتـ الـعـلـمـ وـالـصـلـاحـ بـهـيـذـ الـقـطـرـ لـهـ وـلـكـ بـجـمـيلـ الدـاءـ،ـ أـجـابـ اللـهـ فـيـكـ أـسـهـ وـأـجـلـهـ،ـ وـبـلـغـ كـلـ وـاحـدـ مـنـكـ مـاـ قـصـدـهـ

وجمالها، والحججة البالغة لله على كمالها، الذي رقاه في أطوار الأصفاء، وأدم بين الطين والماء، فجاء خاتم أنبيائنا وأرسالها، ونسخ الملل بشرعيته البيضاء فتميز حرامها من حلالها، ورضي لنا الإسلام ديناً، فاتم علينا النعمة بإكمالها.

والرضي عن الله وأصحابه غير برهن رحمة المساجدة وطلامها، ولبرهان ملامه المشهورة وأبطالها. وخير أمثلة أخرجت للناس، في توسطها واعتدالها، وظهور المداية والاستقامة في أحوالها، صلى الله عليه وعليهم صلاة تتصل الخيرات باتصالها، وتثال البركات من خاللها.

أما بعد فإن الله سبحانه لما أقر هذه الملة الإسلامية في نصايتها، وشفاها من أدوانها وأوصابها، وأورث الأرض عباده الصالحين من أيدي غاصبها، بعد أن باهلت فارس بتاجها، وعصابها، وخلت الروم إلى تماثيلها وأنصابها وجعل لها من العلماء حفظة وقواماً، ونجوماً يهتدى بها التابع وأعلاماً، يقربونها للدرية تبياناً وافتاءها، ويرسونها بالتدوين ترتيباً وإحكاماً، وتهنئياً لأصولها وفروعها ونظمها. ثم اختار لها الملوك برفعون عدها، ويفتيمون صغارها بإقامة السياسة وأوردها، ويدفعون بعزمهم الماضية في صدر من أرادها بكيد أو قصدتها، فكان لها بالعلماء الظهور والانتشار، والذكر السيار، والبركات المخلدة والأثار، وهذا بالملوك العز والفاخر، والصولة التي يلين لها الجبار، ويدل لعزة المؤمنين بها الكفار، وتجلل وجوه الشرك معها الصغار، ولم تزل الأجيال تداول على ذلك والأعصار، والدول تحفل والأنصار، والليل مختلف والنهر، حتى أظللت الإسلام دول هذه العصابة النصورية من الترك، الملتحقين بأتواه أستهم ظلم الضلاله والشك، القاطعين بتصالهم المرهفة علاقات المبن والإفك، المصيبيين بسهامهم النافذة ثغر الجبهة والشرك، المظاهرين سر قوله: «لا تزال طائفة من أمي» فيما يتناولونه من الأخذ والترك، ففسحوا خطوة الإسلام، وقاموا بالدعوة الخلافية أحسن القيام، وثيرها في أقصى التخوم من الحجاز والشام، واعتمدوا في خدمة الحرمين الشريفين ما فضلوا به ملوك الأنماط. واتقدعوا كرسى مصر الذي أقتلت له الأقاليم يد الاستسلام، على قدم الأيام، فزخر بها منذ دولتهم مجر العمران، وتجاوיבت فيها المدارس بترجيع المثاني والقرآن وعمّرت المساجد بالصلوات والأذان، تكاثر عدد الحصى والشهبان. وقامت المآذن على قدم الاستغفار والسبحان معلنة بشعار الإيمان، وازدان جوها بالقصر فالقصر والإيوان فالإيوان. ونظم دستها بالعزيز، والظاهر، والأمير، والسلطان. فما شئت من ملك يخفق العز في إعلامه، وتتوقد في ليل المراكب نيران الكواكب من أسته وسهامه،

وتسعين والله يعرفنا عوارف لطفه، ويد علينا ظل ستة، وينتم لنا بصالح الأعمال، وهذا آخر ما انتهيت إليه، وقد نجز الغرض مما أردت إبراده في هذا الكتاب، والله الموفق برحمته للصواب، والمادي إلى حسن المآب، والصلة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه والحمد لله رب العالمين.

## ولاية الدروس والخواص

أهل هذه الدولة التركية بمصر والشام معنيون - على القدم منذ عهد موالיהם ملوك بني أبوب - بإنشاء المدارس لتدريس العلم، والخرايق لإقامة رسوم الفقراء في التخلق بآداب الصوفية السننية في مطارحة الأذكار، ونواقل الصلوات. أخذوا ذلك عنمن قبلهم من الدول الخلافية، فيختظرون مبانيها ويقتلون الأراضي المغللة للإنفاق منها على طلبة العلم، ومترببي الفقراء. وإن استفضل الريع شيئاً عن ذلك، جعلوه في أعقابهم خوفاً على الذرية الضعاف من العيلة. واقتدى بستهم في ذلك من تحت أيديهم من أهل الرياسة والثروة، فكثرت لذلك المدارس والخواص بمدينة القاهرة، وأصبحت معاشاً للفقراء من الفقهاء والصوفية، وكان ذلك من محاسن هذه الدولة التركية، وأثارها الجميلة الخالدة.

وكانت لأول قدوسي على القاهرة، وحصلوا في كفالته السلطان، شغرت مدرسة بمصر من إنشاء صلاح الدين بن أبوب، وقفها على المالكية يتدارسون بها الفقه، ووقف عليها أراض من الفيوم تغل القمع، فسميت لذلك القمحية، كما وقف أخرى على الشاقعية هنالك، وتوفي مدرساً بها حيثُت، فولاني السلطان تدرسهها، وأعقبه بولابة قضاة المالكية ستة ست وثمانين وسبعين، كما ذكرت ذلك من قبل، وحضرني يوم جلوسي للتدرис فيها جماعة من أكبر الأمراء توريها بذكرها، وعناية من السلطان ومنهم مجاني، وخطب يوم جلوسي في ذلك الحفل بخطبة المم فيها بذكر القروم بما يناسبهم، وبوفي حقهم، ووصف المقام، وكان نصها:

الحمد لله الذي بدأ بالنعم قبل سؤالها، ووفق من هداه للشكر على منتها، وجعل جزاء الحسنين في محبتة، ففازوا بعظيم نواها. وعلم الإنسان الأسماء والبيان، وما لم يعلم من أمثالها، و Mizra بـ العقل الذي فضله على أصناف الموجودات وأجيالها، وهداه لقبول أمانة التكليف، وحمل أثقالها. وخلق الجن والإنس للعبادة، ففاز منهم بالسعادة من جد في امتثالها، ويسر كلاماً لخلقها له، من هداته نفسه أو إضلالها، وفرغ ربك من خلقها وخلقها وأرزاقها وأجيالها. والصلة على سيدنا ومولانا محمد نكهة الأكون

رجس الكفر بعد أن كانت النواقيس والصلبان فيه يمكن العقوبة من الأجياد. وصاحب الأعمال المتقدمة يسعى نورها بين يديه في يوم النداء، فاقامني السلطان -أيده الله- لتدرس العلم بهذا المكان، لا تقدماً على الأعيان، ولا رغبة عن الفضلاء من أهل الشان، وإنني موطن بالقصور، بين أهل العصور، معترف بالعجز عن المضاء في هذا القضاء، وأنا أرحب من أهل اليد البيضاء، والمعارف التسعة الفضاء، أن يلمحوا بعين الارتفاع، ويتمدوا بالصفح والإغضاء، والبضااعة بينهم مزاجة، والاعتراف من اللوم -إن شاء الله-. منجاه، والحسنى من الإخوان مرتجة. والله تعالى يرفع لولانا السلطان في مدارج القبور أعماله، وبلغه في الدارين آماله، ويعجل للحسنى والمقر الأسى، متقابله وماكه، ويديم على السادة الأمراء نعمته، ويحفظ على المسلمين بانتظام الشمل دولتهم ودولته، ويدعى قضاة المسلمين وحكامهم بالعون والتسييد، ويعتمنا بانفسنا آجالهم إلى الأبد البعيد، ويشمل الحاضرين، برضوانه في هذا اليوم السعيد، بهته وكرمه.

وافتض ذلك المجلس، وقد شيعتني العيون بالتجلة والوقار، وتراجعت الفنوس بالأهليات للمناصب، وأقمت على الاشتغال بالعلم وتدرسيه إلى أن سخط السلطان قاضي المالكية يومئذ نزعه من التزارات الملكية، فعزله واستدعاني للولاية في مجلسه، وبين أمرائه، فتفاقدت من ذلك وأبى إلا إمضاءه. وخلع على، وبعث معي من مجلسه يمقد عهد الحكم في المدرسة الصالحية في رجب ست وثمانين وسبعين، فقمت في ذلك المقام المحمود، ووفيت عهد الله في إقامة رسوم الحق وتحري العدالة حتى سخطي من لم ترضه أحكام الله، ووقع من شعب أهل الباطل والمراء ما تقدم ذكره.

وكنت عند وصولي إلى مصر بعثت عن ولدي من تونس، فمنعهم سلطان تونس من اللحاق بي اغتابطاً بمحاني، فرغبت من السلطان أن يشفع عنده في شأنهم، فأجاب، وكتب رسالة بالشفاعة فركبوا البحر من تونس في السفين، فما هو إلا أن وصلوا مرسى الإسكندرية، فعصفت بهم الرياح وغرق المركب بن فيه، وما فيه، وذهب الموجود المولود، فعظم الأسف، واختلط الفكر، وأعغاني السلطان من هذه الوظيفة وأراحي، وفرغت لشأنى من الاشتغال بالعلم تدريساً وتالياً.

ثم فرغ السلطان من اختطاط مدربته بين القصرين، وجعل فيها مدافن أهلها، وعين لي فيها تدريس المالكية، فأنشأت خطبة أقر بها في يوم مفتاح التدريس على عادتهم في ذلك ونصها:

الحمد لله الذي من على عباده، بنعمته خلقه وإيجاده،  
وصرفهم في أطوار استبعاده بين قدره ومراده، وعرفهم أسرار

ومن أسرة للعلماء تناول العلم بوعد الصادق ولو تعلق بأعنان السماء، وتثير سراحه في جوانب الشبه المذهبة الظلماء، ومن قضاة ياهرون بالعلم والسؤدد عند الاتماء، ويشتملون الفضائل والمناقب اشتغال الصماء، ويفصلون الخصومات برأي يفرق بين اللين والماء.

ولا كدولة السلطان الظاهر، والعزيز القاهرة، يعسوب العصائب والجماهير، ومطلع أنواع الغر الباهر، ومصرف الكاتب تزري بالبحر الزاخر، وتقوم بالحجارة للقسي على الآهله في المفاخر، سيف الله المتقصى على العدو الكافر، ورحمته المتكفلة للعباد باللطف السائر، رب التجان والأسرة والمساير، والأواوين العالية والقصر الأزاهري، والملك المؤيد ساليبيض البراتس، والرماد الشواجر، والأقلام المرتضعة أخلف العز في مهود المغار، والنبيض الرياني الذي فاق قدرة القادر، وسبقت به العناية للأواخر. سيد الملوك والسلطانين، كاشف أمير المؤمنين، أبو سعيد أمه الله بالنصر المصاحب، والسعد المزارز، وعرفه آثار عناته في الموارد والمصادر، وأراه حسن العاقبة في الأولى و سوره المنقلب في الآخر، فإنه لما تناول الأمر بعزائم وعزم، وأوى الملك إلى كنه العزيز وحزمه، أصاب شاكلاً الرأي عندما سدد من سهمه، وأوقع الرعايا في ظلل من أمره، وعدل من حكمه، وقسم البأس والجود بين حربه وسلمه، ثم أقام دولته بالأمراء الذين اختارهم باختيار الله لأركانها، وشد بهم أزره في رفع القواعد من بنيانها، من بين مصرف لعناتها، متقدم القدم على أعيانها، في بساط إيوانها، ورب مشورة تضيي جوانب الملك بلمعانها، ولا يذهب الصواب عن مكانها، ومنفذ أحكام يشق الحق في بيانها، ويوضع العدل من أردانها ونجي خلوه في الحسم الأعظم من شأنها، وصاحب فلس يفضي بالأسرار إلى الأسل الجرار، فيشيق الغليل بإعلانها. حفظ الله جميعهم وشمل بالسعادة والخيرات المبدأ المعادة تابعهم ومتبعهم.

ولما سبحت في الليل الأزرق، وخطوت من أفق المغرب إلى أفق المشرق، حيث نهر النهار ينصب من صفحه المشرق، وشجرة الملك التي اعتز بها الإسلام تهتز في دوحة المعرق، وأزهار الفنان تسقط علينا من غصنه المورق، وينابيع العلوم والفضائل تتدشينا من فراته المدق، أولوني عناية وتشريفاً، وغمروني إحساناً ومحروقاً، وأواسعوا بهم إيضاحاً، ونكتري تعريفاً، ثم أهلوني للقيام بوظيفة السادة المالكية بهذه الوقف الشريف، من حسنان السلطان صلاح الدين أيوب ملك الجلال والجهاد، وماجي آخر التثليث والرفض الخبيث من البلاد، ومظهر القدس الشريف من

أما بعد فإن الخلق عباد الله يكتفون بلطفة ورحمته، ويكتفون بفضله ونعمته، ويسرهم لأسباب السعادة بآداب دينه وشرعته، ويحملهم في العناية بأمورهم، والرعاية لجمهورهم، على مناهج سنته ولطائف حكمته. ولذلك اختار لهم الملوك الذين جبلهم على العدل وفطرته، وهذاهم إلى التمسك بكلمته. ثم فضلهم بما خوّلهم من سعة الرزق وبسطه واستثمار التمكّن في الأرض من قدرته، فتسابقوا بالخيرات إلى جزءه ومثيرته، وذهبوا بالدرجات العلى في وفور الأجر ومزيدته.

إن مولانا السلطان الملك الظاهر، العزيز القاهر، العادل الطاهر، القائم بأمور الإسلام عندما أعيى حملها الأكتاف، وقطب دائرة الملك الذي أططلع الله من حاشيته الأبدال وأثبت الأوتاد، ومنفق أسواق العز بما بذل فيها من جيل نظره المدخول والعتاد، رحمة الله الكافلة للخلق، ويهادى البسطوان بالأجل والرزق، وظلّه الراقي للعباد بما اكتفون من العدل والحق، قاصم الجبارية، والمغفي على آثار الأعاظم من القياصرة، وذوي التيجان من التابعية والأكاسرة، أولى الأقوال والأساورة، وحائز قصب السبق في الملوك عند المناصلة والماخرة، ومفهوم الأمور بإخلاصه إلى ولـي الدينـا والآخرة، مؤيد كلـمةـ المـوحـديـنـ، ورافع دعائم الدينـ، وظهير خلافة المؤمنـ، سلطـانـ المسلمينـ أبوـ سعيدـ. صدقـ اللهـ فيما يقتضـيـ من اللهـ ظـرـونـهـ، وجـعلـ النـصـرـ ظـهـيرـهـ، كماـ جـعلـ السـعـدـ قـرـيبـهـ، والعـزـ خـدـيـنهـ، وكانـ ولـيـ علىـ الـقـيـامـ بـأـمـرـ الـسـلـمـينـ وـمـعـيـهـ، وـبـلـغـ الـأـمـةـ فيـ اـنـصـالـ إـيـامـهـ، وـدـوـرـ سـلـطـانـهـ، ماـ يـرجـونـهـ منـ اللهـ وـيـؤـمـلـونـهـ. لما قـدـهـ اللهـ هـذـاـ الـأـمـرـ الـذـيـ اـسـتـوـىـ لـهـ عـلـىـ كـرـسيـ الـمـلـكـ، وـانتـظـمتـ عـقـودـ الـدـوـلـ فـلـيـاتـ الـأـيـامـ، وـكـانـ دـوـلـهـ وـاسـطـةـ السـلـكـ، وـجـمعـ عـلـيـهـ الدـوـلـ فـلـيـاتـ الـأـيـامـ، وـكـانـ بـلـيـاتـ الـمـرـمـينـ، وـالـدـنـيـاـ بـلـيـاتـ الـمـرـكـ، وـاجـرىـ لـهـ آـنـهـارـ مصرـ مـنـ الـمـاءـ وـالـمـالـ، فـكـانـ مجـازـهـ فـيـهـ بـالـعـدـلـ فـيـ الـأـخـذـ وـالـتـرـكـ. وـجـعـ عـلـيـهـ قـلـوبـ الـعـبـادـ، فـشـهـدـ سـرـهاـ بـعـجـبـهـ اللهـ لـهـ، شـهـادةـ خـالـصـةـ منـ الـرـبـ، بـرـيـةـ مـنـ الشـكـ. حتـىـ اـسـتـوـىـ مـنـ العـزـ وـالـمـلـكـ عـلـىـ المـقـامـ الـذـيـ رـضـيـهـ وـحـدـهـ. ثـمـ تـاقـتـ نـفـسـ إـلـىـ مـاـ عـنـ اللـهـ، فـصـرـفـ قـصـدهـ إـلـيـهـ وـاعـتـمـدـهـ، وـسـارـعـ إـلـىـ فـعـلـ الـخـيـراتـ بـنـفـسـ مـطـمـتـةـ، لا يـسـأـلـ عـلـيـهـ أـجـراـ ولاـ يـكـدـرـهـ بـالـنـةـ، وـاحـسـنـ رـعـایـةـ الـدـيـنـ وـالـمـلـكـ تـشـهـدـ بـهـاـ الـإـنـسـنـ وـالـجـنـةـ، لاـ، بلـ النـسـمـ وـالـأـجـنةـ. ثـمـ آـوـىـ الـخـلـقـ إـلـىـ عـدـلـهـ تـصـدـيقـاـ بـأـنـ اللهـ يـؤـرـهـ بـرـمـ الـقـيـامـةـ إـلـىـ ظـلـالـهـ الـمـسـتـجـةـ، وـتـافـسـ فيـ اـخـذـ الـمـدـارـسـ وـالـرـيـطـ لـتـعـلـيمـ الـكـتـابـ وـالـسـنـةـ، وـبـنـاءـ الـمـسـاجـدـ المـقـدـسـةـ بـيـنـ لـهـ بـهـاـ اللـهـ الـبـيـوتـ فـيـ الـجـنـةـ، وـالـلـهـ لـاـ يـضـيعـ عـلـىـهـ فـيـمـاـ أـظـهـرـهـ أـكـهـ.

إن ما انتجه قرائح همته وعنياته، وأطلعته آفاق عدله

توحيدـهـ، فـيـ مـظـاـهـرـ وـجـوـدـهـ، وـأـتـارـ لـطـفـهـ فـيـ وـقـائـعـ عـبـادـهـ، وـعـرـضـهـ عـلـىـ أـمـانـةـ الـتـكـالـيفـ لـيـلـوـهـ بـصـادـقـ وـعـدـهـ وـإـيـعادـهـ، وـيـسـرـ كـلـاـ لـمـ خـلـقـ لـهـ، مـنـ هـدـيـتـهـ أـوـ إـضـالـلـهـ، وـغـيـرـهـ أـوـ رـشـادـهـ، وـاستـخـلـفـ الـإـنـسـانـ فـيـ الـأـرـضـ بـعـدـ أـنـ هـدـاءـ الـنـجـدـيـنـ لـصـلـاحـهـ أـوـ فـسـادـهـ، وـعـلـمـهـ مـاـ لـمـ يـكـنـ يـعـلـمـ، مـنـ مـارـدـكـ سـمـعـهـ وـيـصـرـهـ وـالـبـيـانـ عـمـاـ فـوـادـهـ، وـجـعـلـ مـنـهـمـ أـنـيـاءـ وـمـلـكـاـ يـمـاـهـدـونـ فـيـ اللـهـ حـقـ جـهـادـهـ، وـيـثـابـرـونـ عـلـىـ مـرـضـاتـهـ فـيـ اـعـتـمـالـ الـعـدـلـ وـاعـتـمـادـهـ، وـرـفـعـ الـبـيـوتـ الـمـقـدـسـةـ بـسـبـحـاتـ الـذـكـرـ وـأـورـادـهـ.

والصلـةـ وـالـسـلـامـ عـلـىـ سـيـدـنـاـ وـمـوـلـاـنـاـ مـحـمـدـ سـيـدـ الـبـشـرـ مـنـ نـسـلـ آـدـمـ وـأـوـلـادـهـ، لـاـ. بـلـ سـيـدـ الـقـلـنـيـنـ فـيـ الـعـالـمـ مـنـ إـسـهـ وـجـنـهـ وـأـرـواـحـهـ وـأـجـسـادـهـ، لـاـ. بـلـ سـيـدـ الـمـلـاتـكـ وـالـنـبـيـنـ، الـذـيـ خـتـمـ اللـهـ، كـمـاـهـمـ بـكـمالـهـ وـأـمـادـهـ بـأـمـادـهـ، الـذـيـ شـرـفـ بـهـ الـأـكـوـانـ فـاضـاءـتـ اـرـجـاءـ الـعـالـمـ لـنـورـ لـادـهـ، وـفـصـلـ لـهـ الـذـكـرـ الـحـكـيمـ فـقـصـيـلاـ، كـذـلـكـ لـيـبـتـ مـنـ فـوـادـهـ وـأـلـقـىـ عـلـىـ قـلـبـهـ الـرـوـحـ الـأـمـيـنـ بـتـزـيلـ رـبـ الـعـالـمـيـنـ، ليـكـونـ مـنـ الـمـنـذـرـيـنـ لـعـبـادـهـ، فـدـعـاـ إـلـىـ اللـهـ عـلـىـ بـصـيرـةـ بـصـادـقـ جـدـالـهـ وـجـلـادـهـ وـأـنـزـلـ عـلـىـ النـصـرـ الـعـزـيزـ، وـكـانـ مـلـاـنـكـ الـسـمـاءـ مـنـ إـمـادـهـ، حـتـىـ ظـهـرـ نـورـ اللـهـ عـلـىـ رـغـمـ مـنـ رـغـمـ بـاطـفـانـهـ وـأـخـادـهـ، وـكـمـلـ الـدـيـنـ الـحـبـيـبـ فـلـاـ تـخـشـيـ وـالـحـمـدـ اللـهـ غـائـلـهـ اـنـقـطـاعـهـ وـلـاـ نـفـادـهـ، ثـمـ أـعـدـ لـهـ مـنـ الـكـرـامـاتـ مـاـ أـعـدـ فـيـ مـعـادـهـ، وـفـضـلـهـ بـالـقـامـ الـحـمـودـ فـيـ عـرـصـاتـ الـقـيـامـ بـيـنـ أـشـهـادـهـ، وـجـعـلـ لـهـ الشـفـاعةـ فـيـمـاـ اـنـظـمـ فـيـ أـمـةـ، وـأـعـصـمـ بـمـقـادـهـ.

والرـضـىـ عـنـ اللـهـ وـأـصـحـابـهـ، غـيـرـ رـحـمـهـ، وـلـيـوـثـ إـنـجـادـهـ، مـنـ ذـوـيـ رـحـمـهـ الـطـاهـرـةـ وـأـهـلـ وـدـادـهـ الـمـتـرـوـدـيـنـ بـالـتـقـوـيـ منـ خـيرـ اـزـوـادـهـ، وـالـمـرـاغـيـنـ بـسـيـوـفـهـ مـنـ جـاهـرـ بـكـابـرـةـ الـحـقـ وـعـنـادـهـ، وـأـرـادـ فـيـ الـدـيـنـ بـظـلـمـهـ وـإـلـحـادـهـ، حـتـىـ اـسـتـقـامـ الـمـيـسـ فـيـ دـيـنـ اللـهـ وـبـلـادـهـ، وـاـنـتـظـمـتـ دـعـوـةـ الـإـسـلـامـ أـقـطـارـ الـعـالـمـ، وـشـعـوبـ الـأـسـاـمـ، مـنـ عـرـبـهـ وـعـجمـهـ وـفـارـسـهـ وـرـوـمـهـ وـتـرـكـهـ وـأـكـرـادـهـ. صـلـىـ اللـهـ عـلـىـهـ وـعـلـيـهـ صـلـةـ تـوـذـنـ بـاتـصالـ الـحـيـرـ وـاعـتـيـادـهـ، وـتـوـهـلـ لـاـقـتـاءـ الـثـوابـ وـزـيـادـهـ، وـسـلـمـ كـثـيرـاـ، وـعـنـ الـأـنـثـاءـ الـأـرـبـعـةـ، عـلـمـاءـ الـسـتـةـ الـتـبـعـةـ، وـالـفـتـنـةـ الـمـجـبـأـةـ الـمـصـطـعـةـ، وـعـنـ إـمـامـاـنـاـ مـنـ بـيـنـهـمـ الـذـيـ حلـ الشـرـعـةـ وـبـيـهـ، وـحـرـرـ مـقـاصـدـهـ الـشـرـيفـةـ وـعـيـهـ، وـتـعـرـضـ فـيـ الـأـفـاقـ مـنـهـاـ وـالـمـطـالـعـ، بـيـنـ شـهـيـهـاـ الـلـوـامـعـ، فـرـيـنـهـاـ. تـكـتـةـ الـهـدـيـةـ إـذـاـ حـقـقـ مـنـاطـهـ، وـشـرـطـ التـحـصـيلـ وـالـدـرـاـيـةـ إـذـاـ روـعـيـتـ أـشـرـاطـهـ، وـقـصـدـ الـرـكـابـ إـذـاـ ضـرـبـتـ فـيـ طـلـبـ الـعـلـمـ آـبـاطـهـ، عـالـمـ الـمـدـيـنـةـ إـلـاـمـ هـذـهـ الـأـمـةـ الـأـمـيـنـةـ، وـمـقـبـسـ أـنـوارـ الـبـيـوـةـ مـنـ مـشـكـاتـهـاـ الـمـيـنـةـ، الـإـمـامـ مـالـكـ بـنـ أـنـسـ. الـلـهـ بـرـضـوـانـ، وـعـرـفـاـنـ بـرـكـةـ الـأـقـدـاءـ بـهـدـيـهـ وـعـرـفـانـهـ، وـعـنـ سـلـفـ الـمـؤـمـنـ وـالـمـهـتـدـيـنـ، وـتـابـعـهـمـ بـإـحـسـانـ إـلـىـ يـومـ الـدـينـ.

الحقائق الصوفية فرساناً، تصفح لهم أهل ملكته إنساناً إنساناً، وأشاد بقدرهم عنانية وإنساناً، ودفعهم إلى وظائفه توسيعاً في مذاهب الخير وافتانهاً. وعهد إليهم برياضة المريدين، وإفادة المستفيدين، احتساباً لله وقربانها، وتقبلاً لماهب الملوك من قومه واستياناً، ثم نظمي معهم تطولاً وامتناناً، ونעםة عظمت موقعها وجلت شأنها، أنا وإن كنت لقصور البضاعة، متاخرأً عن الجماعة، ولقدود الملة، عياً على هؤلاء الأئمة، فسجحهم يغطي ويلحف، وموهاب العفو والتتجاوز يمنع ويتحف. وإنما هي رحمة من مولانا السلطان - آيده الله - خصت كما عمت، ووسمت أغفال النكرة والإهمال وسمت، وكلت بها موهاب عطفه وجبره وقت، وقد يتنظم الدر مع المرجان، وتتبس العصائب بالتيجان، وتراضى المسومة العراب على مسابقة المجان، والكل في نظر مولانا السلطان وتصريفه، والأهلية بتأهيله والمعروفة بتعريفه، وقوام الحياة والأعمال بلطائف إحسانه وصنوفه، والله يوزعننا شكر معروفة، ويوفقنا للوفاء بشرطه في هذا الوقف وتتكليفه، ويخمي حاه من غير الدهر وصروفه، وفيه قرة العين في نفسه وبينه، وحاشيته وذويه، وخاصته ولتفيقه، عن الله وفضلة.

ثم تعازن العدة عند أمير الماخورية، القائم للسلطان بأمور مدرسته، وأغروه بصدقي عنها، وقطع أسبابي من ولائيها، ولم يكن السلطان إلا إسعافه فأعرضت عن ذلك، وشغلت بما أنا عليه من التدريس والتاليف.

ثم خرجت عام تسعه وثمانين وسبعمائة للحج، واقتضيت إذن السلطان في ذلك فاسعف، وزود هو وأمراؤه بما أوسع الحال وأرغده، وركبت بحر السويس من الطور إلى الينبع، ثم صعدت مع الحمل إلى مكة، فقضيت الفرض عامتها وعدت في البحر، فنزلت بساحل القصير، ثم سافرت منه إلى مدينة قوص في آخر الصعيد، وركبت منها بحر النيل إلى مصر، ولقيت السلطان، وأخبرته بدعاني له في أماكن الإجابة، وأعادني إلى ما عهدت من كرامته، وتفيظ ظله.

ثم شغرت وظيفة الحديث بمدرسة صلغتمش فولاني إياها بدلاً من مدرسته وجلست للتدريس فيها في حرم أحد وتسعين وسبعمائة، وقمت ذلك اليوم - على العادة - بخطبة نصها:

الحمد لله إجلالاً وإعظاماً، واعتباً لما حقق النعم والتزاماً، واقتباساً للمزيد منها وأغتناماً، وشكراً على الذي أحسن وتماماً، وسع كل شيء رحمة وإنعاماً، وأقام على توجيهه من أكونه وجوده آيات واضحة وأعلاماً، وصرف الكائنات في قبضة قدرته

وهدايته، ووضاحت شواهده على بعد مداه في الفخر وغايتها، ونجع مقاصده في الدين وسعايته، هذا المصنوع الشريف، والهيكل المهم البشرية ترتيبه ورصمه، لا بل الكلم السحرية تمثيله ووصفه وشمخ بطاولة السحب ومناولة الشهب مارنة العزيز وأنفه، وازدهى بلبوس السعادة والقبول من الله عطفه، إن فاجر بلاط الوليد، كان له الفخار، أو باهي القصر والإيوان، شهد له المحراب والمثار، أو ناظر صنعاء وغمدان، قامت مجده الآثار، إنما هو بهو ملؤه دين وإسلام، وقصر عليه تحية وسلام، وفضاء ريان ينشأ في جوهر للرحمة والسكنية ظلة وغمام، وكوكب شرق يضاحك وجه الشمس منه ثغر بسام، دفع إلى تشييد أركانه، ورفع القواعد من بنائه، سيف دولته الذي استله من قراب ملكه واتضاه، وسهمه الذي عجم عيدان كناته فارتضاه، وحسام أمره الذي صقل فرنذه بالعز والعز وامضاه، فارتضاه وحسام أمره الذي طالب غريم الأيام، بالأمل العزيز المرام، فاستوفى دينه واقتضاه، الأمير الأعز الأعلى جهركس الخليلي أمير الماخورية باصطبله المنبع. حرسه الله من خطوب الأيام، وقسم له من عنانية السلطان أوفر الحظوظ والسهام، فقام بالخطو الواسع، لأمره المطاع، وأغرى بها أيدي الإنقاذ والإبداع. واختصها من أصناف الفعلة بالماهر الصناع، ينتظرون في إجاده الأشكال منها والأوضاع، ويتناولون الأعمال بالهندام إذا توارت عن قدرتهم بالامتناع، نكان العبرى، - يفري الفرى، أو العفاريت، قدمت من أمارات. وكانتا حشرت الجن والشياطين، أو نشرت الظاهرة من الحكماء الأول والأساطين، جابوا لها الصخر بالأذواذ، لا بالرداد، واستنزلوا صم الأطواط على مطيا الأعود، ورفعوا سمكها إلى أقصى الآماد، على بعد المھوى من العماد. وغضروا من الوشى الأزهر، المضاعف الصدف والمرمر، ومانع اللجن الأبيض والذهب الأخر، بكل مسهم الحواشى حال الأبراد، وقدردو مساجد للصلوات والأذكار، ومcause للسبحات، بالعشنى والإبكار، ومجالس للتلاؤة والاستغفار، في الأصال والأسحار، وزوابا للتخلي عن ملاحظة الأسماع والأ بصار، والتعرض للفتوح الربانية والأنوار، ومدارس لقدر زناد الأفكار، ونتاح المعارف الأبكار، وصوغ اللجن والتضار، في محك القرائح والأ بصار. تنفجر بنتائج الحكمة في رياضه وستانه، وتتفتح أبواب الجنة من غرفه وإيوانه، وتقناد غر السوابق من العلوم والحقائق، في طلق ميدانه، ويصعد الكلم الطيب والعمل الصالح إلى الله من نواحي أركانه، وتتوفر الأجور لغاشيته محاسبة عند الله في ديوانه، راجحة في ميزانه.

ثم اختار لها من آئمه المذاهب الأربعية أعيانها، ومن شيوخ

الأمور، وصلاح الخاصة والجمهور، عين كلاماته، كما قلده الله رعایتها وأقام حکام الشريعة والسياسة يوسعون نطاق الحق إلى غایته، ويطلعون وجه العدل سافراً عن آیته. ونصب في دست النيابة من وثق بعده وسیاسته، ورضي الدين محسن إیالته، وأمنه على سلطانه ودولته، وهو الرؤوف - والحمد لله - بأماته، ثم صرف نظره إلى بیوت الله يعني بآیاتها وتأسیسها، ويعمل النظر الجميل في إشادتها وتقدیسها، ويقرض الله القرض الحسن في وقفاها وتحبیسها وینصب فيها البیث العلم من يؤهل له لوقافها ودوروها، فيضفي عليه بذلك من العناية أفسر لبوسها، حتى زدت الدولة بملکها ومصرها، وفاخرت الأئمّة بزمانها الزاهر وعصرها. وخضعت الأوّلین لإیوانها العالی وقصرها، فابتهج العالم سروراً بمکانها، واهتزت الأکوان للمفاخرة بشانها، وتکفل الرحمن لن اعتز بـ الإیمان، وصلح على يده الزمان، بوفور التوبّة ورجحانها.

وكان مما قد من به الآن تدریس الحديث بهذه المدرسة وقف الأمیر صرغتمش من سلف أمراء الترك، خفف الله حسابه ونقل في الميزان يوم يعرض على الرحمن كتابه، وأعظم جزاءه في هذه الصدقة الجبارية وثوابه، عناية جدد لي لباسها، وإشاراً بالنعمـة التي صححت قیاسها، وعرفت منه أنواعها وأجناسها، فامتلت المرسوم، وانطلقت أقيم الرسوم، وأشکر من الله وسلطانه الحظ المقسوم. وأنا مع هذا معترف بالقصور، بين أهل العصور، مستعذـيد بالله وببركة هؤلاء الحضور، السادة الصدور، أن يجمع بي مرکب الغرور، أو يلچ شیطان الدعوى والزور في شيء من الأمور. والله تعالى ينفع مولانا السلطان بصالح أعماله، ويعزـف الحسنى وزيادة الحظ الأسمى في عاقبته وماكـه، ويربه في سلطانه وبنيه وحاشيته وذويه قـرة عینه ورضي آماله، ويديم على السادة الأمراء ما خوـلهم من رضاـه وإقباله، ويفقظ المسلمين في هذا الأمر السعيد بدراـمه واتصالـه، ويسدد قصـاتهم وحكـامـهم لاعتـمـادـ الحقـ واعـتمـالـهـ من اللهـ وإـفـضـالـهـ.

وقد رأيت أن أثرر للقراءة في هذا الدرس، كتاب الموطأ للإمام مالك بن أنس، رضي الله عنه، فإنه من أصول السنن، وأمهاتـ الحديثـ، وهو مع ذلك أصلـ منـهـنـاـ الذيـ عـلـيـهـ مـدارـ مـسائلـهـ، وـمـنـاطـ أحـکـامـهـ، وإـلـ آـثـارـ يـرـجـعـ الكـثـيرـ منـ قـفـهـ.

فـلـنـتـحـ الـكـلـامـ بـالـتـعـرـيفـ بـمـؤـلـفـهـ رـضـيـ اللهـ عـنـهـ. وـمـکـانـهـ منـ الـأـمـانـةـ وـالـدـيـانـةـ، وـمـتـزلـةـ کـابـهـ الـمـوطـأـ منـ کـتبـ الـحـدـیـثـ. ثـمـ نـذـکـرـ الـرـوـایـاتـ وـالـطـرـقـ الـتـیـ وـقـتـ فـیـ هـذـاـ الـکـتـابـ، وـکـیـ اـتـصـرـ

الناسـ مـنـهـ عـلـیـ روـایـةـ بـیـحـیـیـ بـنـ بـیـحـیـیـ، وـنـذـکـرـ اـسـانـیدـ فـیـهـ، ثـمـ

ظـهـورـاـ وـخـفـاءـ وـإـبـجـادـاـ وـإـعدـامـاـ، وـأـعـطـىـ کـلـ شـيـءـ خـلـقـهـ ثـمـ هـدـاهـ إـلـ مـصـالـحـ إـلـامـاـ، وـأـوـدـعـ مـقـدـورـ قـضـائـهـ فـیـ مـسـطـورـ کـتابـ، فـلـاـ يـجـدـ عـیـصـاـ عـنـهـ وـلـاـ مـرـاماـ.

والصلة والسلام على سیدنا ومولانا محمد نبی الرحمة الـهـامـیـةـ غـیـاماـ وـالـلـحـمـةـ الـتـیـ أـرـاقـتـ مـنـ الـکـفـرـ نـجـیـعـاـ وـحـطـمـ أـصـنـاماـ، وـالـعـرـوـةـ الـوـثـقـیـ، فـازـ مـنـ اـخـذـهـ عـصـامـاـ، أـوـلـ الـتـبـیـنـ رـبـةـ وـأـخـرـهـ خـتـاماـ، وـسـیـدـهـمـ لـیـلـةـ قـابـ قـوـسـینـ إـذـ بـاتـ لـلـمـلـاـکـةـ وـالـرـسـلـ إـمـامـاـ، وـعـلـىـ آـلـهـ وـأـصـحـابـهـ الـذـینـ کـانـواـ رـکـنـاـ لـدـعـوـتـهـ وـسـنـاماـ وـحـرـیـاـ عـلـىـ عـدـوـهـ وـسـمـاماـ، وـصـلـوـاـ فـیـ مـظـاهـرـتـهـ جـلـداـ وـاعـتـاماـ، وـقـطـعـوـاـ فـیـ ذـاتـ الـلـهـ وـابـغـاءـ مـرـضـانـهـ أـنـسـاـ وـأـرـحـامـاـ، حـتـىـ مـلـاـوـاـ الـأـرـضـ إـيمـانـاـ وـإـسـلـامـاـ، وـأـوـسـعـواـ الـجـاحـدـ وـالـمـعـادـ تـبـکـیـتـاـ وـإـرـغـاماـ، فـاصـبـحـ تـغـرـ الدـینـ سـاماـ وـوـجهـ الـکـفـرـ وـالـبـاطـلـ عـبـوسـاـ جـهـاماـ. صـلـیـ اللـهـ عـلـیـهـ وـعـلـیـهـمـ مـاـ عـاقـبـ ضـیـاءـ ظـلـاماـ، صـلـةـ تـرـجـعـ الـقـبـولـ مـیـزانـاـ، وـتـبـرـیـءـ عـنـدـ اللـهـ مـقـاماـ.

والرضي عن الأنـمةـ الـأـرـبـعـةـ، الـهـدـةـ الـمـبـعـةـ، مـصـابـحـ الـأـمـانـ وـمـفـاتـیـحـ الـسـنـةـ الـذـینـ أـحـسـنـواـ بـالـعـلـمـ قـیـاماـ وـکـانـواـ لـمـتـقـنـینـ إـمـاماـ. أـمـاـ بـعـدـ فـیـانـ اللـهـ سـبـحـانـهـ تـکـفـلـ هـذـاـ الـدـینـ بـالـعـلـاءـ وـالـظـہـورـ، وـالـعـرـ الـخـالـدـ عـلـىـ الـظـہـورـ، وـانـسـاحـ خـطـهـ فـیـ آـنـاقـ الـعـمـورـ، فـلـمـ يـزـلـ دـولـةـ عـظـیـمـةـ الـأـثـارـ، غـزـیرـ الـأـنـصارـ، بـعـیدـ الصـیـتـ عـالـیـةـ الـمـقـدـارـ، - جـامـعـةـ بـمـحـاسـنـ آـدـابـ وـعـزـةـ جـنـابـهـ. معـانـیـ الـفـخارـ، مـنـفـقـةـ بـضـاعـ عـلـوـمـهـ فـیـ الـأـقـطـارـ، مـفـجـرـ بـیـانـیـاـ کـالـبـحـارـ، مـطـلـعـ کـوـاـکـبـهـ الـمـبـرـیـةـ فـیـ الـآـفـاقـ أـضـوـاءـ مـنـ النـهـارـ، وـلـاـ کـالـدـولـةـ الـتـیـ اـسـتـأـثـرـتـ بـقـبـلـةـ الـإـسـلـامـ وـمـنـابـرـهـ، وـفـاخـرـ بـحـرـمـاتـ اللـهـ وـشـعـائـرـهـ وـاعـتـمـدـتـ بـرـکـةـ الـإـیـانـ وـعـنـ طـاـرـهـ فـیـ خـدـمـةـ الـحـرمـینـ الشـرـیـفـینـ. بـالـلـیـتـینـ مـنـ أـسـبـابـ الـدـینـ أـوـاصـرـهـ، وـاعـتـمـلـتـ فـیـ إـقـامـ رـسـومـ الـعـلـمـ لـیـکـونـ مـنـ مـفـاـخـرـهـ، وـشـاهـدـاـ بـالـکـالـ لـأـوـلـهـ وـآـخـرـهـ.

وإن مولانا السلطان الملک الظاهر، العزيز القاهر، شرف الأـوـالـیـ وـالـأـدـاـنـ، وـرـافـعـ لـنـوـءـ الـعـالـیـ وـالـمـفـاـخـرـ، رـبـ الـبـیـانـ وـالـأـسـرـةـ وـالـمـانـبـ، وـالـجـلـیـ فـیـ مـیدـانـ السـابـقـینـ مـنـ الـمـلـوـکـ الـأـکـابرـ، فـیـ الـزـمـنـ الـغـابـرـ، حـاـمـلـ الـأـمـةـ بـنـظـرـهـ الـرـشـیدـ وـرـوـایـهـ الـظـافـرـ، وـکـافـلـ الـرـعـایـاـ فـیـ ظـلـهـ الـمـدـیدـ وـعـدـلـهـ الـوـافـرـ، وـمـطـلـعـ آـنـوارـ الـعـزـ وـالـسـعـادـ مـنـ أـقـهـ السـافـرـ، وـاسـطـةـ السـلـكـ مـنـ هـذـاـ الـظـاطـامـ، وـالـتـاجـ الـخـلـیـ فـیـ مـفـارـقـ الـدـوـلـ وـالـأـیـامـ، سـیدـ الـمـلـوـکـ وـالـسـلاـطـینـ، بـرـکـةـ الـإـسـلـامـ وـالـمـلـمـنـ، کـافـلـ أـمـیرـ الـمـؤـنـنـ، أـبـرـ سـعـیدـ. عـلـیـ اللـهـ مـقـامـهـ، وـکـانـاـ عـنـ الـأـمـةـ إـحـسـانـهـ الـجـزـيلـ وـأـعـامـهـ، وـأـطـالـ فـیـ السـعـادـ وـالـخـیرـاتـ الـمـبـدـأـ الـمـعـادـ لـیـلـیـهـ وـلـاـیـامـهـ، لـاـ اـوـسـعـ الـدـینـ وـالـلـلـكـ نـظـرـاـ جـمـیـلـاـ مـنـ عـنـایـهـ، وـأـنـاـ الـخـلـقـ فـیـ حـجـرـ کـفـالـتـهـ، وـمـهـادـ کـفـایـتـهـ، وـأـیـقـظـ لـتـفـقـدـ

وقد ألف الناس في فضائله كتاباً، و شأنه مشهور.

نرجع إلى الكلام على متن الكتاب.

واما الذي بعثه على تصنيف الموطأ فيما نقل أبو عمر بن عبد البر فهو أن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون، عمل كتاباً على مثال الموطأ، ذكر فيه ما اجتمع عليه أهل المدينة، ولم يذكر فيه شيئاً من الحديث، فأنني به مالك، ووقف عليه وأعجبه، وقال: ما أحسن ما عمل هذا! ولو كنت أنا الذي عملت لبدأت بالآثار، ثم شدلت ذلك بالكلام.

وقال غيره: حج أبو جعفر المنصور، ولقبه مالك بالمدينة، فاكرمه وفاوضه. وكان فيما فاوضه: يا أبا عبد الله لم يبق على وجه الأرض أعلم مني ومنك، وقد شغلتني الخلافة، فضع أنت للناس كاباً يتقدعون به، تجئت فيه رخص ابن عباس وشداد ابن عم، وطنه للناس. تطنة.

قال مالك: فلقد علمي التأليف، فكانت هذه وأمثالها من  
البواعث لمالك على تصنيف هذا الكتاب، فصنفه وسماه 'الموطأ'  
أي المسبوا.

قال الجوهري: وطئ بوطئ وطاعة، أي صار وطينا، ووطأته  
توطنة، ولا يقال: وطبة.

ولما شغل بتصنيفه أخذ الناس بالمدية يومئذ في تصنيف  
موظات، فقال مالك أصحابه: نراك شغلت نفسك بأمر قد شركك  
فيه الناس، وأين ببعضها فنظر فيه، ثم طرحة من يده وقال:  
ليعلمون أن هذا لا يرتفع منه إلا ما أريد به وجه الله، فكانوا يقتبسون  
تلك الكتب في الآبار، وما سمع لشيء منها بعد ذلك ذكر، وأقبل  
مالك على تهذيب كتابه وتوطنته، فيقال: إنه أكمله في أربعين سنة.  
وتلقت الأمة هذا الكتاب بالقبول في مشارق الأرض  
ومغاربها، ومن لدن صنف إلى هلم. وطال ثناء العلماء في كل  
عصر عليه، ولم يختلف في ذلك اثنان.

قال الشافعي، وعبد الرحمن بن مهدي: ما في الأرض  
كتاب بعد كتاب الله أنسع، وفي رواية أصح، وفي رواية أكثر  
صواباً، من موطاً مالك.

وقال يونس بن عبد الأعلى: ما رأيت كتاباً ألم في العلم  
أكثر صواباً من موطاً مالك.

وأما الطرق والروايات التي وقعت في هذا الكتاب، فإنه  
كتبها عن مالك جماعة نسب الموطأ إليهم بتلك الرواية، وقيل: موطأ  
فلان لراوين عنه.

فمنها موطن الإمام محمد بن إدريس الشافعى، ومنها موطن

اما الإمام مالك - رضي الله عنه - فهو إمام دار المحرجة،  
وشيخ أهل الحجاز في الحديث والفقه غير منازع، والمقلد المتبوع  
لأهل الأمصار وخصوصاً أهل المغرب.

**قال البخاري:** مالك بن أنس، بن أبي عامر الأصبهني،  
كتبه أبو عبد الله، حليف عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله  
القرشي التميمي ابن أخي طلحة بن عبد الله، كان إماماً، روى عنه  
يجيبي بن سعيد. انتهى كلام البخاري.

وَجْدَهُ أَبُو عَمَرِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَثْمَانَ وَيَقُولُ  
غَيْمَانُ بْنُ مَعْجَمَةَ مَفْتُوحَة، وَيَاءَ تَخْتَانِيَةَ سَاكِنَة، أَبْنُ جَشِيلَ بِجِيمِ  
مَضْسُومَةٍ وَيَاءَ مُثَلَّةَ مَفْتُوحَة، وَيَاءَ تَخْتَانِيَةَ سَاكِنَة، وَيَقُولُ: حَشِيلُ أَوْ  
خَشِيلُ بِهَاءَ مَضْسُومَةٍ مَهْمَلَةٍ أَوْ مَعْجَمَةٍ، عَوْضُ الْجِيمِ، وَيَقُولُ:  
حَسْلُ بِهَاءَ مَهْمَلَةٍ مَكْسُورَةٍ، وَسِينٌ مَهْمَلَةٌ سَاكِنَةٌ، أَبْنُ عَمَرَ بْنِ  
الْحَارِثِ، وَهُوَ ذُو أَصْبَحٍ، وَذُو أَصْبَحٍ بْنُ حَبْرٍ، وَهُمْ أُخْرَى  
يَحْصُبُونَ وَنَسَبُهُمْ، فَهُوَ حَبْرِي صَلِيَّيْهِ، وَقَرْشِيَ حَلْفَاً. وَلَدَ سَنَةٍ  
إِلَهِي وَتَسْعِينَ فِيمَا قَالَ أَبْنُ بَكِيرٍ، أَوْ أَرْبِعَ وَتَسْعِينَ فِيمَا قَالَ  
مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَدْدِ الْحَكَمِ، وَنَشَأَ بِالْمَدِينَةِ، وَتَنَقَّهُ بِهَا. أَخْذَ  
عَنْ رِبِيعَ الرَّأْيِ، وَابْنِ شَهَابٍ وَعَنْ عَمِّ أَبِي سَهِيلٍ، وَعَنْ جَمَاعَةِ  
مِنْ عَاصِرَهُمْ مِنْ الْتَّابِعِينَ وَتَابِعِيَ التَّابِعِينَ، وَجَلَسَ لِلْفَتَيَا وَالْحَدِيثِ  
فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ تَعَالَى شَابًا يَنْاهِزُ الْعَشْرِيْنَ، وَأَفَاقَ مُفْتَيَا بِالْمَدِينَةِ  
سَبْتَنَ سَنَةً.

وأخذ عنه الجم الغفير من العلماء الأعلام، وارتحل إليه من لأمصار من لا يحصى كثرة، وأعظم من أخذ عنه الإمام محمد بن دريس الشافعي، وإiben وهب، والأوزاعي، وسفيان الثوري، وإiben المبارك في أمثال هم وأنظار.

وتوفي سنة تسع وسبعين ومائة باتفاق من الناقلين لوفاته.

وقال الواقدي: عاش مالك تسعين سنة.  
وقال سحنون عن ابن نافع: توفى مالك ابن سبع وثمانين  
سنة.

ولم يختلف أهل زمانه في أمانته، وإنقاذه، وحفظه وثبته  
وروعه، حتى لقد قال سفيان بن عيينة: كنا نرى في الحديث  
لوارد عن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «تضرب أكباد الإبل في طلب العلم  
لا يوجد عالم أعلم من عالم المدينة» أنه مالك بن أبي

وقال الشافعي: إذا جاء الآخر فمالك النجم، وقال: إذا جاءك الحديث فمالك أمر المؤمنين.

بيجاية، ناصر الدين أبي علي، منصور بن أحمد بن عبد الحق المشدلي، عن الإمام شرف الدين محمد بن أبي الفضل المرسي، عن أبي الحسن علي بن موسى بن النقرات عن أبي الحسن علي بن أحمد الكتاني. قال الخزرجي والكتاني: حدثنا أبو عبد الله محمد بن فرج مولى ابن الطلاع، عن القاضي أبي الوليد يونس بن عبد الله بن مغيث بن الصفار قاضي الجماعة بقرطبة.

وحدثني به أيضاً شيخنا أبو عبد الله جابر عن القاضي أبي العباس أحمد بن محمد بن الغماز، عن شيخه أبي الربيع سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي، عن القاضي أبي القاسم عبد الرحمن بن حبيش، وأبي عبد الله محمد بن سعيد بن زرقون، شارح كتاب الموطأ، قال ابن زرقون: حدثنا به أبو عبد الله الخوارزمي، عن أبي عمرو عثمان بن أحمد القيجاطي.

وقال ابن حبيش: حدثنا به القاضي أبو عبد الله بن أصبحي ويونس بن محمد بن مغيث، قالا: قرأتاه على أبي عبد الله محمد بن الطلاع.

وقال ابن حبيش أيضاً: حدثنا به أبو القاسم أحمد بن محمد ورد، عن القاضي أبي عبد الله محمد بن خلف بن المرابط عن المقرئ أبي عمر أحمد بن محمد بن عبد الله المعافري الظلموني. قال القاضي أبو الوليد بن مغيث، والقيجاطي، والظلموني: حدثنا أبو عيسى يحيى بن عبد الله بن يحيى عن عم أبيه أبي مروان عبد الله بن يحيى عن أبيه يحيى.

وقال الظلموني: حدثنا أبو جعفر أحمد بن محمد بن حذير البزار، قال: حدثنا أبو محمد قاسم بن أصين، قال: حدثنا أبو عبد الله محمد بن وضاح، قال: حدثنا يحيى بن يحيى عن مالك، إلا ثلاثة أبواب من آخر كتاب الاعتكاف، أولها خروج المعنك إلى العبد فإن يحيى شرك في سماعها عن مالك، فسعدها عن زياد بن عبد الرحمن الملقب شبطرون عن مالك.

ولي في هذا الكتاب طرق أخرى لم يحضرني الآن اتصال سندي فيها.

فمنها عن شيخنا أبي محمد عبد المهيمن بن محمد الحضرمي كاتب السلطان أبي الحسن، لقيته بتونس عند استيلاء السلطان عليها، وهو في جلته سنة ثمان وأربعين وسبعين، وسمعت مجلسه، وأخذت عنه كثيراً، وسمعت عليه بعض "الموطأ" وأجازني بالإجازة العامة، وهو يرويه عن الأستاذ أبي جعفر بن الزبير، وعن شيخه الأستاذ أبي إسحاق الغافقي، وعن أبي القاسم القبورى، وجامعة من مشيخة أهل سبطة، ويتصال سنده فيه

عبد الله بن وهب، ومنها موطا عبد الله بن مسلمة القعنبي ومنها موطا مطرف بن عبد الله اليساري نسبة إلى سليمان بن يسار ومنها موطا عبد الرحمن بن القاسم رواه عنه سحنون بن سعيد ومنها موطا يحيى بن يحيى الأندلسي.

رحل إلى مالك بن أنس من الأندلس وأخذ عنه الفقه والحديث ورجع بعلم كثير وحديث جم، وكان فيما أخذ عنه موطاً. وأدخله الأندلس والمغرب، فأكب الناس عليه، واقتصروا على روايته دون ما سواها، وعلوا على نسقها وترتبها في شرحهم كتاب "الموطأ" وتفاسيرهم، ويشيرون إلى الروايات الأخرى إذا عرضت في أمكنتها، فهجرت الروايات الأخرى، وسائر تلك الطرق، ودرست تلك الموطات إلا موطاً يحيى بن يحيى، فبروايته أخذ الناس في هذا الكتاب لهذا العهد شرقاً وغرباً.

واما سندي في هذا الكتاب المتصل بيعيى بن يحيى فعلى ما أصنفه:

حدثني به جماعة من شيوخنا رحمة الله عليهم. منهم إمام المالكية، قاضي الجماعة بتونس وشيخ الفتيا بها، أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بن يوسف المواري، سمعته عليه منزلته بتونس، من أوله إلى آخره. ومنهم شيخ المستدين بتونس، الرحالة أبو عبد الله محمد بن جابر بن سلطان القيسي الراطي آشي، سمعت عليه بعضه، وأجازني بسائره. ومنهم شيخ المحدثين بالأندلس، وكبير القضاة بها، أبو البركات محمد بن محمد بن محمد ثلاثة من المحدثين ابن إبراهيم بن الحاج البلفيقي، لقيته بفاس سنة ست وخمسين وسبعينة من هذه المائة الثامنة، مقدمه من السفارة بين ملك الأندلس وملك المغرب. وحضرت مجلسه بجامع القرقيرين من فاس، فسمعت عليه بعضاً من هذا الكتاب، وأجازني بسائره. ثم لقيته لقاء أخرى سنة اثنين وستين وسبعين، واستقدمه ملك المغرب، السلطان أبو سالم ابن السلطان أبي الحسن للأخذ عنه، وكانت أنا القارئ، فيما يأخذنه عنه، فقرأت عليه صدراً من كتاب "الموطأ" وأجازني بسائره إجازة أخرى.

ومنهم شيخ أهل المغرب لعصره في العلوم العقلية، ومفيد جاعتهم، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلي، قرأته عليه بعضه، وأجازني بسائره، قالوا كلهم: حدثنا الشيخ العمر، أبو محمد عبد الله بن محمد بن هارون الطائي، عن القاضي أبي القاسم أحمد بن يزيد بن بقى، عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد الحق الخزرجي.

وحدثني به أيضاً شيخنا أبو البركات، عن إمام المالكية

الإسكندرية، وتلف الموجود والملوود، وعظم الأسف، وحسن العزاء، والله قادر على ما يشاء.

بالقاضي عياض، وأبي العباس العزفي صاحب كتاب الدر المنظم في المولد المظمم.

ثم خرجت عام تسعه وثمانين وسبعمائة لقضاء الفرض، وركبت بحر السويس من الطور إلى البينبع، ورفاقت الحمل إلى مكة، فقضيت الحج عامئذ، وعادت إلى مصر في البحر كما سافرت أولاً. وشعرت وظيفة الحديث بمدرسة صلغتمش، فولاني السلطان إياها بدلاً من مدرسته في حرم أحد وتسعين وسبعمائة، ومضيت على حالٍ من الانقباض، والتدرس، والتاليف، حتى ولاتي خانقاه بيبرس، ثم عزلي عنها بعد سنة أو أزيد، بسبب أنا ذكره الآن.

ومنها عن شيخنا أبي عبد الله الكrossi خطيب الجامع الأعظم بغزناطة، سمعت عليه بعضه وأجازني بسائره وهو يرويه عن الأستاذ أبي جعفر بن الزير عن القاضي أبي عبد الله بن بكار، وجامعة من مشيخة أهل الأندلس، ويتصل سنته فيه بالقاضي أبي الوليد الباقي، والحافظ أبي عمر بن عبد البر بستدتها.

ومنها عن شيخنا المكتب أبي عبد الله محمد بن سعد بن برال الأنباري شيخ القراءة بتونس، وعلمي كتاب الله، فرات عليه القرآن العظيم بالقراءات السبع، وعرضت عليه قصيدي الشاطي في القراءة، وفي الرسم، وعرضت عليه كتاب التصسي لابن عبد البر، وغير ذلك، وأجازني بالإجازة العامة، وفي هذه بالإجازة الخاصة، وهو يروي هذا الكتاب عن القاضي أبي العباس أحمد بن محمد بن الغماز، وعن شيخه أبي العباس أحمد بن موسى البطري بستدتها.

ومنها عن شيخنا الأستاذ أبي عبد الله محمد بن الصفار المراكشي، شيخ القراءات بالمغرب، سمعت عليه بعض هذا الكتاب بمجلس السلطان أبي عثمان ملك المغرب، وهو يسمى إياه، وأجازني بسائره، وهو يرويه عن شيخه محمد بن رشيد الهرمي السبكي عن مشيخة أهل سبطة، عبد الله محمد بن رشيد الهرمي السبكي عن مشيخة أهل الأندلس، حسبما ذكر ذلك مذكور في كتب روایاتهم وطرق أسايندهم، إلا أنها لم تحضرني الآن، وفيما ذكرناه كفاية والله يوفقاً لاجرين لطاعته وهذا حين أتيدي، وبالله أهنتي.

لما رجعت من قضاء الفرض سنة تسعين وسبعمائة، ومضيت على حالٍ من التدرس والتاليف، وتعاهد السلطان باللقاء والتخيصة والدعاء، وهو ينظر إلى بعين الشفقة، وبحسن الموعيد. وكانت بالقاهرة خانقاه شيدها السلطان بيبرس، ثمان ملوك الترك الذي استبد على الناصر محمد بن قلاون هو ورفيقه سلار وأنف الناصر من استبادهما، وخرج للصيد، فلما حاذى الكرك امتنع به، وتركهم و شأنهم، فجلس بيبرس على التخت مكانه، وكانت الناصر أمراء الشام من ماليك أبه، واستدعاوه للقيام معه، وزحف بهم إلى مصر، وعاد إلى سلطانه، وقتل بيبرس وسلامة سنة ثمان وسبعمائة. وشيد بيبرس هذا أيام سلطانه داخل باب النصر من أعظم المصانع وأحفلها، وأوفرها ربعة، وأكثرها أوقافاً، وعين مشيختها، ونظر لم يستعد له بشرطه في وفده، فكان رزق النظر فيها والمشيخة واسعاً لمن يتولاها، وكان ناظرها يومئذ شرف الدين الأشقر إمام السلطان الظاهر. فتوفي عند مصرفي من قضاء الفرض، فولاني السلطان مكانه توسيعة علي، وإحساناً إلى، وأقمت على ذلك إلى أن وقعت فتنة الناصري.

وانقض ذلك المجلس، وقد لاحظتني بالتجلة والوقار العيون، واستشرعت أهلي للمناصب القلوب، وأخلص التجي في ذلك الخاصة والجمهور، وأنا أنتاب مجلس السلطان في أكثر الأحيان، لتأدية الواجب من التوجية والمشافهة بالداعاء، إلى أن سخط السلطان قاضي الملوكية يومئذ في نزعة من التزارات الملكية، فأبقيه، وأخذه عن خطبة القضاة في رجب ست وثمانين وسبعمائة، ودعاني للولاية في مجلسه، وبين أمرائه فتفاديت من ذلك، وأبي إلا إ مضاه، وخلع على، وبعد الأمراء معه إلى مقعد الحكم بمدرسة القضاة، فقمت في ذلك مقام المحمود، ووفيت عهد الله وعهده في إقامة رسوم الحق، وتغري المعدلة، حتى سخطي من لم ترضه أحكام الله، ووقع في ذلك ما قدم ذكره، وكثير شغب أهل الباطل والمراء، فأغفاني السلطان منها لحول من يوم الولاية، وكان تقدمها وصول المخبر بغرق السفين الواصل من تونس إلى

صلاح الدين، وشغل بالجهاد وانتزاع القلاع والحاصون من أيدي الفرنج الذين ملوكها بالسواحل، وكان قليل العصابة، إنما كان عشرة من الكرد يعرفون ببني هذان، وهو قليلون، وإنما أكثر منهم جماعة المسلمين، بهمة الجهاد الذي كان صلاح الدين يدعوه إليه، فنظمت عصابته بال المسلمين، وأسمع داعيه، ونصر الله الدين على يده. وانتزع السواحل كلها من أيدي نصارى الفرنج، حتى مسجد بيت المقدس، فإنهم كانوا ملوكه وأفاحشوا فيه بالقتل والسيء، فاذهب الله هذه الرؤمة على يد صلاح الدين، وانقسم ملك بني أيوب بعده بين ولده وولد أخيه. واستفحلا أمرهم، واقسموا مدن الشام ومصر بينهم، إلى أن جاء آخرهم الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر أخي صلاح الدين، وأراد الاستكثار من العصابة لحماية الدولة، وإقامة رسوم الملك، وأن ذلك يحصل باخاذ الماليك، والإكثار منهم، كما كان آخرًا في الدولة العباسية ببغداد، وأخذ التجار في جلهم إليه، فاشترى منهم أعداداً، وأقام لتربيتهم أساتذة معلمين لحرفة الجندي، من الثقافة والرمي، بعد تعلم الآداب الدينية والخلقية إلى أن اجتمع له منهم عدد جم ينافر الألف، وكان مقيناً بأحواز دمياط في حماية البلاد من طوارق الفرنج التغلبين على حصنها دمياط. وكان أبوه قد اتخذ لنزله هناك قلعة سماها التصورية، وبها توفي رحمه الله، فكان نجم الدين نازلاً بها في مدفعية ساكني دمياط من الفرنج، فأصابه هناك حدث الموت، وكان ابنه معظم تورنشاه ثانياً في حصن كيما من ديار بكر وراء الفرات، فاجتمع الجندي على يعته، ويعشا عنده، وانتظروا.

وقطن الفرنج لشأنهم، فهجموا عليهم، واقتلوه فنصر الله المسلمين، وأسر ملك الفرنج ريد إفرنس، فبعثوا به إلى مصر. وحبس بدار لقمان، إلى أن فادوه بدمياط، كما هو مذكور في أخبار بني أيوب. ونصيرا للملك، وهذا اللقاء زوجة الصالح أيوب وأسمها شجرة الدر، وكانت تحكم بين الجندي، وتكتب على المراسيم، وركبت يوم لقاء الفرنج، تحت الصنائق، والجندي معدون بها. حتى أعز الله دينه، وأتم نصره. ثم وصل تورنشاه المعظم، فاقاموه في خطبة الملك مكان أبيه الصالح أيوب ووصل معه مالك يدلون بعثائهم منه، ولم يهم به اختصاصه، ومنه مكان، وكان رؤساء الترك يومئذ القائمون بالدولة من عهد أبيه وجده. أقطاي الجمدار وأبيك التركمانى، وقلاؤن الصالحي، فأنفوا من تصرفات مالك تورنشاه، واستعلاتهم بالخط من السلطان، وسخطوهم وسخطوه، وأجمعوا قتلها. فلما رحل إلى القاهرة اغتالوه في طريقه بفارسکو، وقتلوا، ونصبوا للأمر أبيك التركمانى منه، واستحدثوا

**فتنة الناصري وسيادة الخبر عنها بعد تقديم كلام في أحوال الدول يليق بهذا الموضع،**  
**ويطلعك على أسرار في تنقل أحوال الدول**  
**بالتدريج إلى الصخامة والاستيلاء، ثم إلى**  
**الضعف والاضمحلال، والله بالغ أمره**

وذلك أن الدول الكلية، وهي التي تتعاقب فيها الملوك واحداً بعد واحد، في مدة طويلة، قائمين على ذلك بعصبية النسب أو الولاء، وهذا كان الأمل في استيلائهم وتعليفهم، فلا يزالون كذلك إلى انقرضهم، وغلب مستحقين آخرين يتبعونه من أيديهم بعصبية التي يقتدون بها على ذلك، ويحوزون الأعمال التي كانت بايدي الدولة الأولى، يفضلون جانبيها عليهم على تفاضل الباس والرجولة والكثرة في العصابة أو القلة، وهم على حامل من الخشونة لمعانة الباس، والإقلال من العيش لاستصحاب حال البداءة، وعدم الثروة من قبل. ثم تنمو الثروة فيهم بنمو الجباية التي ملوكها، ويزين حب الشهوات للاقتدار عليها، فيعظم الترف في الملائس والمطاعم والمساكن والراقيب والممالك، وسائر الأحوال، ويتزايد شيئاً فشيئاً بتزايد النعم وتسع الأحوال أوسع ما تكون، ويقصر الدخل عن الخرج، وتفسيق الجباية عن أرزاق الجندي وأصولهم، ويحصل ذلك لكل أحد من تحت أيديهم، لأن الناس تتبع للوكلهم ودولتهم، ويراجع كل أحد نظره فيما هو فيه من ذلك، فيرجع وراءه، ويطلب كفأه خرجه بدخله.

ثم إن الباس يقل من أهل الدولة مما ذهب لهم من الخشونة، وما صاروا إليه من رقة الحاشية والتعم، فيتطاول من بي من رؤساء الدولة إلى الاستبداد بها غيره عليها من الخلل الواقع بها. ويستعد لذلك بما يبني عنده من الخشونة، ويعملهم على الإفلاع عن الترف، ويستأنف لذلك العصابة بعشيره أو من يدعوه لذلك، فيستولي على الدولة، ويسأخذ في دوانها من الخلل الواقع، وهو أحق الناس به، وأقربهم إليه، فيصير الملك له، وفي عشيره، وتصير كأنها دولة أخرى منهم كذلك إلى أن تفرض الدولة ما وقع في الأولى، فيستولي آخر منهم كذلك إلى أن تفرض الدولة بأسرها، وتخرج عن القوم الأولين أجمع. وتأتي دولة أخرى مبنية على عصابة هؤلاء في النسب، أو الولاء. سنة الله في عباده.

وكان مبدأ هذه الدولة التركية، أن بني أيوب لما ملوكوا مصر والشام، كما قصصناه عليك في أخبارهم واستقبل بها كبيرهم

فتقبض عليه، واستصفاه، وقتله، ونصب للملك محمد المنصور بن المظفر حاجي بن الناصر، وقام بالدولة أحسن قيام، وأغلى نفسه بالاستكثار من المال الملك، وتهذيبهم بالتربيه، وتوفير النعم عندهم بالاعطاء، والولايات، حتى، كما، منهم عدد لم تمهله الدولة.

ثم خلع المنصور بن المظفر لستين، ونصب مكانه للملك  
شعبان الأشرف بن حسین بن الناصر، فاقام على التخت وهو في  
كفالته، وهو على أوله في إعزاز الدولة، وإظهار الترف والثروة،  
حتى ظهرت مخايل العز والنعم، في المساكن والجيوش والمسالیک  
والزينة، ثم بطروا النعمة، وكفروا بالحقوق، ف Hutchinson عليه لما كان  
يتجاوز الحدود بهم في الآداب، فهموا بقتله وخلصوا نخيلاً لذلك في  
متصدיהם الشتوي، وقد بربوا له بخياماً وسلطانهم على عادتهم.  
ولما أحسن بذلك ركب ناجياً بنفسه إلى القاهرة، فدخلوا على  
السلطان الأشرف، وجاؤوا به على إثره، وأجازوا البحر، فقبضوا  
عليه عشي يومهم. ثم قتلوا في مجلسه عشاء. وانطلقت أيديهم  
على أهل البلد عمرات لم يعهدوها من أول دولتهم، من النهب  
والخطف وطرق المنازل والحمامات للعبث بالحرم، وإطلاق أعناء  
الشهور والبغى في كل ناحية، فمرج أمر الناس، ورفع الأمر إلى  
السلطان، وكثر الدعاء واللجاج إلى الله. واجتمع أكابر الأمر إلى  
السلطان، وفاوضوه في كف عادتهم، فأمرهم بالركوب، ونادي في  
جنده ورعيته بانطلاق الأيدي عليهم، والاحتياط بهم في قبضة  
القاهرة، فلم يكن إلا كالمح البصر، وإذا بهم في قبضة الأسر. ثم  
عمرت بهم السجون، وصندوا وطيف بهم على الجمال ينادي  
بهم، يلاغاً في الشهرة، ثم وسط أكثرهم، وتبع باللفي والحبس  
التغور القصبة، ثم أطلقوا بعد ذلك. وكان فيمن أطلق جاعنة  
منهم مجيس الكرك: فيه برقوق الذي ملك أمرهم بعد ذلك،  
ويركة الجوياني، والطبينا الجوياني، وجهركس الخلبي.

وكان طشتمر، دوادار يبلغنا، قد لطف محمله عند السلطان الأشرف، وولي الدوادارية له، وكان يؤصل الاستبداد كما كان سناهه يبلغنا، فكان يمتحن في ذلك بجمع هؤلاء المالكين الليغاويه من حيث سقطروا، يريد بذلك اجتماعهم عصبة له على هواه، ويغري السلطان بها شفافهاً ورسالة، إلى أن اجتمع أكثرهم بباب السلطان الأشرف، وجعلوه خدمة ابنه علـ. واـ، عمهـ.

فلمَا كثروا، وأخذتهم أريجية العز بعصيتهم، صاروا  
يشتطرون على السلطان في المطالب ويعتزرون بعصبية اليلغاوية.  
راعتم السلطان الأشرف عام سبعة وسبعين وسبعيناً على قضاء  
لفرض، فخرج لذلك خروجاً فخماً، واستتاب ابنه علياً على  
ملعنه وملكه في كفالة قرطاطي من أكابر اليلغاوية، وأخرج معه

هذه الدولة التركية كما شرحتها في أخبارها، وهلک بعده أیک ابنه على النصیر، ثم مولاه قظر، ثم الظاهر بیبرس البندقداری. ثم ظهر امر الططر، واستفحـل ملکـهم. وـزحف هـولـاـکـوـ بـنـ جـنـكـیـزـخـانـ منـ خـرـاسـانـ إـلـىـ بـغـدـادـ، فـمـلـکـهـاـ، وـقـتـلـ الـخـلـیـفـةـ المستحـصـمـ آخرـ بـنـ العـبـاسـ. ثـمـ زـحـفـ إـلـىـ الشـامـ، فـمـلـکـ مـدـنـهـ وـحـواـسـهـ مـنـ أـبـدـیـ بـنـ، أـبـوـبـ، إـلـىـ أـنـ استـوـعـهـ.

وجاء الخبر بأن بركة صاحب صرای شريکه في نسب جنكيزخان، زحف إلى خراسان، فامتنع اللذك وكر راجعاً، وشغل بالفتنة إلى أن هلك. وخرج قطز من مصر عندما شغل هو لا كرو بفتحة بركة، فملك الشام كلها، أمصاره ومدنها، وأصاره للتركموالي بيبي أیوب. واستفحلت دوله هؤلاء الماليك، وانصلت أيامها واحداً بعد واحد، كما ذكرنا في أخبارهم. ثم جاء قلاوون عندما ملك بيرس الظاهر منهم، فظاهر به، وأصهر إليه، والترف يومذا لم يأخذ منهم، والشدة والشکيمة موجودة فيه، وبالباس والرجولة شعار لهم، وهلك الظاهر بيرس، وابنه من بعده، كما في أخبارهم. وقام قلاوون بالأمر، فاتسع نطاق ملكه، وطال ذرع سلطانه، وقصرت أيدي الططر عن الشام بمهلك هو لا كرو، وولایة الأصاغر من ولده، فعظم ملك قلاوون، وحسنت آثار سياسته، وأصبح حجة على من بعده، ثم ملك بعده ابنه: خليل الأشرف، ثم محمد الناصر. وطالت أيامه، وكثرت عصباته من ماليكه، حتى كمل منهم عدد لم يقع لغيره. ورتب للدولة المراتب، وقدم منهم في كل رتبة الأمراء، وأواسع لهم الأقطاع والولايات، حتى توفرت أرزاقهم واتسعت بالترف أحواهم. ورحل أرباب البضائع من العلماء والتجار إلى مصر، فاوسعهم حباء وبرأ. وتناقضت أمراء دولته في اختيار المدارس والربط والخوازن، وأصبحت دولتهم غرة في الزمان، وواسطة في الدول. ثم هلك الناصر بعد أربعين وسبعيناً، فطفق أمراء دولته يتصبون بنبه للملك، واحداً بعد آخر، مستبدين عليهم، متخاصفين في الملك، حتى يغلب واحد منهم الآخر، فيقتله، ويقتل سلطانه من أولاد الناصر، وينصب آخر منهم مكانه، إلى أن انساق الأمر لولده حسن الناصر، فقتل مستبد شيخون، وملك أمره. والقى زمام الدولة بيد مملوكه يلغماً، فقام بها، ونافسه أقرانه، وأغروا به سلطانه، فاجمع قتله. وغنى إليه الخبر وهو في علوفة البرسيم عند خيله المرتبطة للذك، فاعتزم على الامتناع، واستعد للقاء. واستدعاه سلطانه، فتقاتل عن القدوم. واستشاط السلطان، وركب في خاصته إليه، فركب هو لمصادمته. وهاجم السلطان قتله، ورجع إلى القلعة، وهو في اتباعه، فلم يلقه بقسره، وأغرى به البحث

دمداش ويلبغا وبركة وبرقوق، إلى الاستقلال بالأمر ونغلبوا على سائر الأمراء، واعتلوهم بالإسكندرية. وفرضوا الأمر إلى يلبا الناصري، وهو يرونه غير خبير، فأشاروا باستدعاء طشتر، وبعثوا إليه، وانتظروا. فلما جاءه الخبر بذلك ظنها منية نفسه، وسار إلى مصر، فدفعوا الأمر إليه، وجعلوا له التولية والعزل وأخذ برقوق وبركة يستكران من المالك، بالاستخدام والجاح، وتوفير الأقطاع، إكتافاً لعصيبيهما، فانتصرت الوجه عن سواهما، وارتبا طشتر بنفسه، وأغراء أصحابه بالتوثب، ولما كان الأضحى في سنة تسع وسبعين وسبعين استعجل أصحابه على غير رؤية، وركبوا وبعثوا إليه فاحجم، وقاتلوا فانهزموا. وتقبض على طشتر، وحبس بالإسكندرية، ويعت معه يلبا الناصري، وخللت الدولة للأمرين برقوق وبركة من المازعين، وعمروا المراتب بأصحابهما. ثم كثر شغب التركمان والعرب بنواحي الشام، فدفعوا يلبا الناصري إلى النيابة محلب ليستكفوا به في تلك الناحية. ثم تنافس برقوق وبركة في الاستقلال، وأضمر كل واحد منها لصاحبه، وخشي منه، فقبض برقوق على بطانة بركة من عصابته ليخفيض بذلك جناحه، فارتاع لذلك بركة، وخرج بعصابته إلى قبة النصر ليواضع برقوقاً وأصحابه الحرب هنالك، ورجا أن تكون الدائرة له. وأقام برقوق بمكانه من الإصطبل، وسرب أصحابه في جوهرهم إلى محاولة أولئك. وأقاموا كذلك أياماً يغادرونهم ويراوحونهم ثلاثة، إلى أن عضرت بركة وأصحابه الحرب، فانقضوا عنه، وجيء ببركة، وبعث به إلى الإسكندرية، فحبس هنالك إلى أن قتله ابن عرام نائب الإسكندرية. وارتفع أصحابه إلى برقوق شاكين، فثارهم منه بإطلاق أيديهم في الصفة، فانتصروا منه بقتله في ساحة القلعة، بعد أن سرّ، وحمل على جمل عقايا له، ولم يقنעם ذلك، فاطلق أيديهم فيما شاؤوا منه، ففعلوا ما فعلوا.

وانفرد برقوق بعد ذلك بمحمل الدولة بنظر في أعطافها بالتهديد، والتسديد، والمماربة، والحرص على مكافأة الدخول بالخرج. ونقص ما أراض فيه بنو قلاوون من الإمعان في الترف، والسرف في العوائد وال النفقات، حتى صار الكيل في الخرج بالكميات الراجحة، وعجزت الدولة عن تحشية أحوالها، وراقب ذلك كله برقوق، ونظر في سد خلل الدولة منه، وإصلاحها من مفاسده، يعتقد ذلك ذريعة للجلوس على التخت، وحيازة اسم السلطان من أولاد قلاوون، بما أفسد الترف من، وأحال الدولة بسيبهم، إلى أن حصل من ذلك على البغيضة، ورضي به أصحابه وعصابته، فجلس على التخت في تاسع عشر رمضان من ستة أربع وثمانين وسبعين، وتلقب بالظاهر. ورتب أهل عصابته في مراتب الدولة، وسبعين

الخليفة والزاد، واشتغل الذين يعصر كذلك في طلب أرزاقهم من المتولين للحجاجية. وصار الذين مع السلطان إلى المكاشفة في ذلك بالأقوال والأفعال، وطشتر الدوادار يغضي عنهم بحسب وقت استبداده قد أذرف، إلى أن راغبهم السلطان بالزجر، فركبوا عليه هنالك، وركب من خيامه مع لفيف بن خاصته، فتضحوه بالليل، ورجع إلى خيالاته، ثم ركب المجن مساءً، وسار فصبح القاهرة، وعرض هو ولفيقه بقية النصر.

وكان قرطاي كافل ابنه على المنصور، حدث بينه وبين ناظر الخاص المقسي مكالمة عند غيب السلطان أخذته. وجاشت بما كان في نفسه، فأغرى عليه المنصور بن السلطان بالتوثب على الملك، فارتاح لذلك وأجا به، وأصبح يوم ثورة المالك بالعقبة، وقد أجلس عليه مكروره بباب الإصطبل، وعقد له الرأبة بالنداء على جلوسه بالتحت، وبينما هم في ذلك، صبحهم الخبر بوصول السلطان الأشرف إلى قبة النصر ليثبت، فطاروا إليه زرافات ووحدان، فوجدوا أصحابه ناماً هنالك، وقد تسلل من بينهم هو ويلبا الناصري من أكابر البليغاوية، فقطعوا رؤوسهم جميعاً، ورجعوا بها تسيل دماً. ووجوا لفقدان الأشرف، وتابعوا النداء عليه، وإذا بأمراً قد دلتهم عليه في مكان عرفة، فتسابقوا إليه، وجاؤوا به فقتلوه لوقته بخلع أكتافه، وانعدت بيعة ابنه المنصور. وجاء طشتر الدوادار من الغد بن يقى بالعقبة من الخرم، وخلف السلطان، واعتم على قتالهم طمعاً في الاستبداد الذي في نفسه، دافعوه وغلبوا وحصل في قضتهم، فخلعوا عليه بنيابة الشام، وصرفوه لذلك وأقاموا في سلطانهم. وكان أبنيك أميراً آخر من البليغاوية قد ساهم قرطاي في هذا الحادث وأشهر إليه في بعض حرمته، فاستسلم له قرطاي، وطمع هو في الاستيلاء. وكان قرطاي مواصلاً صبوره بغيره، ويستعرق في ذلك، فركب في بعض أيامه، وأركب معه السلطان عليه، واحتاز الأمر من يد قرطاي وصبره إلى صدق، واستقل بالدولة، ثم انتقض طشتر بالشام مع سائر أمراء، فخرج أبنيك في المساكير، وسرح المقدمة مع جماعة من الأمراء، وكان منهم برقوق وبركة المستوليان عقب ذلك، وخرج هو والسلطان في الساقية، فلما انتهوا إلى بلبيس، ثار الأمراء الذين في المقدمة عليه، ورجع إليه آخره منهزمًا، فرجع إلى القلعة. ثم اختلف عليه الأمراء، وطالبوه بالحرب في قبة النصر، فسرح المساكير لذلك، فلما فصلوا فر هو هارباً، وقبض عليه وثقف بالإسكندرية. واجتمع أمراء البليغاوية يقدمهم قطلقمص العلائي، ويلبا الناصري ودمداش اليوسفى وبركة وبرقوق، فتصدى

ساور صاحبه الناصري في المضي إليه وتأميه. وحيسوه في بعض قصور الملك وتناولوا في أمره، فأشار أمراء اليبغاوية كلهم بقتله، وبالغ في ذلك منطاش، ووصل نمير بنى منها بالشام للصحابة بينه وبين الناصري، فحضرهم على قتله، ومنع الجوباني من ذلك، وفاء بيمنه، فغلت صدورهم منه. واعتزموا على بعضه إلى الكرك، ودافعوا منطاشاً بأنهم يعيشون إلى الإسكندرية، فيعترضه عند البحر بما شاء من رأيه. ووثق بذلك، ف cellpadding له عند المرساة وخالفاً به الطريق إلى الكرك، وولوا عليها نابياً وأوصوه به، فأخفق مسعى منطاش، ودبر في اغتيال الدولة، وعارض في بيته. وجاهه الجوباني عائذاً فقبض عليه، وحبسه بالإسكندرية، وركب متضضاً، ووقف عند مدرسة الناصر حسن بمحاصر الناصري بالقلعة. واستجاش هو بأمراء اليبغاوية فدأهنا في إجابته، ووقفوا بالرميلة أمام القلعة. ولم يزل ذلك بينهم أيامًا حتى انقض جمع الناصري وخرج هارباً، فاعتراضه أصحاب الطريق بفارسكتون، وردوه، فحبسه منطاش بالإسكندرية مع صاحبه، واستقل بأمر الملك. وبعث إلى الكرك بقتل الظاهر، فامتنع النائب، واعتذر بوقوفه على خط السلطان وال الخليفة والقضاة. وبث الظاهر عطاءه في عامه أهل الكرك، فانتدب طائفة منهم لقتل البريدي الذي جاء في ذلك، فقتلوه، وأخرجوا الظاهر من عبسه فأصحرروا. واستائف أفاريق من العرب، واتصل به بعض ماليكه، وساروا إلى الشام. واعترض ابن باكش نائب غزة، فأوقع به الظاهر، وسار إلى دمشق، وأخرج منطاش العساكر مع سلطانه أمير حاج، وسار على التعبئة لي Mane الظاهر عن دمشق. وسبقه الظاهر فمنعه جسم نائب دمشق، فوافقه، وأقام محاصراً له. ووصل إليه كمشينا الحموي نائب حلب، وكان قد أظهر دعوته في عمله، وتجهز للقائه بعسكره، فلقيه وأزال عله، فقام له أئمه الملك. وبينما هم في الحصار إذ جاء الخبر بوصول منطاش بسلطانه وعساكره لقتالهم، فلقيهم الظاهر بشحوب، فلما تراءى الجموع، حل الظاهر على السلطان أمير حاج وعساكره فقضهم، وأنهزم كمشينا إلى حلب. وسار منطاش في اتباعه، فهجم الظاهر على تعبئة أمير حاج، فقضها، واحتاز السلطان، وال الخليفة والقضاة، ووكل بهم. واختلط الفريقيان، وصاروا في عياء من أمرهم، وفر منطاش إلى دمشق. واخترub الظاهر أختيه، ونزل على دمشق محاصراً لها. وخرج إليه منطاش من الغد فهزمه، وجمع القضاة وال الخليفة، فشهدوا على أمير حاج بالخلع، وعلى الخليفة بإعادة الظاهر إلى ملکه. ورحل إلى مصر فلقيه بالطريق خبر القلعة بمصر، وتغلب ماليكه عليها، وذلك أن القلعة لا خلت من السلطان ومنطاش والحامية، وكان ماليك

فقام وقاموا بها أحسن قيام، وإنقلب الدوالة من آل قلاوون إلى بر فوق الظاهر وبنيه. واستمر الحال على ذلك، ونافسه اليبغاوية - رقاوته في ولاه يبلغها. فيما صار إليه من الأمر، وخصوصاً يبلغها نائب حلب، فاعتزم على الانقضاض. وشعر به الظاهر فبعث باستدعائه، فجاءه وحبسه مدة، ثم رجعه إلى نيةة حلب، وقد وغر صدره من هذه المعاملة. وارتباً به الظاهر، فبعث سنة تسعين وسيعمائة دواهار للقبض عليه، ويستعين في ذلك بالحاجب. وانتقض، واستدعي نائب ملطيبة، وهو منطاش من أمراء اليبغاوية، وكان قد انتقض قبله، ودعا تواب الشام إلى المسير إلى مصر إلى على الظاهر، فأجابوه، وساروا في جملته، وتحت لوائه، وبلغ الخبر إلى الظاهر برقق، فأنخرج عساكره مع أمراء اليبغاوية من أصحابه: وهم الدواهار الأكبر يونس، وجهركس الخليلي أمير الأصطبان، والأتابكي إيمش، وأيدكار حاجب الحاجب وأحد بن يبلغوا استاذهم. وخرج الناصري من حلب في عسكره، واستنثر العرب والتركمان وأمراء الشام، ولما تراءى الجموع بناحية دمشق، نزع كثير من عسكر السلطان إليهم، وصدقوا الحملة على من بقي فانقضوا. ونجا إيمش إلى قلعة دمشق، فدخلها، وقتل جهركس، ويونس، ودخل الناصري دمشق، ثم أبعج المسير إلى مصر، وعميت أبااؤهم حتى أطلوا على مصر.

وفي خلال ذلك أطلق السلطان الخليفة من محبيه كان بعض الغواة أئمته عنه، أنه دخله شيطان من شياطين الجن، يعرف بقرط في قتل السلطان يوم ركوبه إلى الميدان قبل ملوكه بسنين، فلما صبح الخبر أمر بقتله، وحبس الخليفة سبعاً إلى تلك السنة، فأطلقه عند هذا الواقع، ولما وصل إلى قيطرة اجتمعت العساكر، ووقف السلطان أمام القلعة يومه حتى غشيه الليل، ثم دخل إلى بيته وخرج متذكرًا، وتسرب في غيابات المدينة، ويساكر الناصري وأصحابه القلعة، وأمير حاج ابن الأشرف، فأعادوه إلى التخت ولقيوه المصור. وبعثوا عن الأمراء الجبوسين بالإسكندرية، وكان فيما الطباغي الجوباني الذي كان أمير مجلس، وقبض السلطان الظاهر عليه، وحبسه أيامًا، ثم أطلقه وبعث نابياً على دمشق، ثم ارتفعت عنه الأقوال بأنه يروم الانقضاض، وداخل الناصري نائب حلب في ذلك، وأكده ذلك عند السلطان ما كان بينه وبين الناصري من المصادفة والمصالحة، فبعث عنه. ولما جاء حبسه بالإسكندرية، فلما ملك الناصري مصر، وأجلس أمير حاج بن الأشرف على التخت، بعث عنه ليستعين به على أمره، وارتباوا لغيبة الظاهر، وبالغوا في البحث عنه، فاستدعي الجوباني واستنتم له، واستحلله على الأمان، فحلف له وجاء به إلى القلعة بعد أن

السلطان عبسين هنالك في مطبق أعد لهم، فتاجروا في التسور منه إلى ظاهره، والتوب على القلعة والملك، فخرجوا، وهرب دوادار منطاش الذي كان هنالك معن كان معه من الحاشية. وملك ماليك الظاهر القلعة، ورأسهم ملوكه بطا وساس أمرهم، وانتظر خبر سلطانه.

فلمما وصل الخبر بذلك إلى الظاهر، أغذ السير إلى مصر، وتلقاه الناس فرحين مسرورين بعوده وجبره. ودخل متصرف صفر من سنة إحدى وستين وسبعين وسبعمائة، وولى بطا دواداراً، وبعث عن الأمراء المجريسين بالإسكندرية، وأعيتهم، وأعادهم إلى مراتبهم وبعث الجوياني إلى دمشق، والناصري إلى حلب كما كانا، وعادت الدولة إلى ما كانت عليه. وولى سودون على نيايته، وكان ناظراً بالخانقاه التي كنت فيها، وكان يقم علي أحوالاً من معاشراته فيما يزيد من الأحكام في القضاء أزمان كت عليه، ومن تصرفات دوادار بالخانقا، وكان يستبيه عليها، فوغر صدره من ذلك، وكان الظاهر ينتقم علينا عشر الفقهاء، فتاوى استدعاهما منطاش، وأكرها على كتابها، فكتباها، وورينا فيها بما قدرنا عليه. ولم يقبل السلطان ذلك، واعتبر عليه، وخصوصاً علي، فصادف سودون منه إجابة في إخراج الخانقا عي، فول فيها غيري وعزلني عنها. وكتبت إلى الجوياني باليات أعتبر عن ذلك بطالعه بها، فتناقل عنها، وأعرض عن مدة، ثم عاد إلى ما أعرف من رضاه وإنسانه، ونص الأبيات:

سيدي والظنون فيك جليلة  
لا تحمل عن جيل رايك ايني  
واصطنعني كما اصطنتع بأسدا  
لا تضعني فلست منك مضيئاً  
وأجنبي فالخطب عرض بنايه  
ولو اني دعا بنصري داع  
انه أمرى إلى الذي جعل الله  
واراه في ملكه الآية  
أشهدته عناية الله في التحيسن  
العزيز السلطان والملك الطا  
ومجير الإسلام من كل خطب  
ومديل العدو بالطعن النجلاء  
وشكر لأنسم الله يبني  
وتلطف في وصف حالى وشكوى  
وقل له والمقاتل يكرم من مثلك  
يا خوند الملوك يا معد الد

بالإتحاف والاستطراف والمكافأة في ذلك بالحمد الملوكية، فسنت لذلك طرائق وأخبار مشهورة، من حقها أن تذكر، وكان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق ثالث ملوك بني مرين، أهدي لصاحب مصر عام سبعمائة، وهو يومئذ الناصر بن محمد بن قلاوون، هدية ضخمة، أصحبها كريمة من كرائم داره، احتفل فيها ما شاء من أنواع الطرف، وأصناف الذخائر، وخصوصاً الخيل والبغال.

آخرني الفقيه أبو إسحاق الحسناوي، كاتب الموحدين بتونس، أنه عاين تلك المدينة عند مرورها بتونس، قال: وعددت من صفت البغال الفارهة فيها أربعمائة، وسكت عما سوى ذلك. وكان مع هذه المدينة من فقهاء المغرب، أبو الحسن التنسى كبير أهل الفتيا بتلمسان. ثم كاف الناصر عن هذه المدينة بأغلى منها وأحفل مع أميرين من أمراء دولته، أدرك يوسف بن يعقوب وهو يحاصر تلمسان، فبعثهما إلى مراكش للتزاهدة في محاسنها، وأدركه الموت في مغيهمه، ورجعا من مراكش، فجهزهما حافظه أبو ثابت المالك بعده، وشييعهما إلى مصر، فاعتبرضهما قبائل حسين ونهروهما، ودخلتا بجاهية، ثم مضيا إلى تونس، ووصل من هناك إلى مصر.

ولما ملك السلطان أبو الحسن تلمسان، اقتربت عليه جارية أليه أبي سعيد، وكانت لها عليه تربية، فأرادت الحج في أيامه وبعيتها، فاذن لها في ذلك، وبعثت في خدمتها ولها عريف بن جيبي من أمراء سعيد، وجماعة من أمراءه ويطاته، واستصحبوا هدية منه للملك الناصر احتفل فيها ما شاء. وانتقى من الخيل العناق، والمطابيا الفره وقمash الحرير والكتان، والصوف ومدبوغ الخلود الناعمة، والأوانى المتخذة من النحاس والفضخار المخصوص كل مصر من المغرب بأصناف من صنائعها، متشابهة الأشكال والأنواع، حتى لقد زعموا أنه كان فيها مكيلة من الآلى والخصوص، وكان ذلك وقر خس مائة بعير، وكانت عناق الخيل فيها خس مائة فرس، بالسرور الذهبية المرصعة بالجوهر، واللجم الذهبية، والسيوف الخلابة بالذهب والآلبي، كانت قيمة المركب الأول منها عشرة آلاف دينار، وتدرجت على الولاء إلى آخر الخمس مائة، فكانت قيمته مائة دينار. تحدث الناس بهذه المدينة دهراً، وعرضت بين يدي الملك الناصر، فاشترى إلى خاسكيته بانتهاها فنهبت بين يديه، وبروغ في كرامة أولئك الضيوف، في إنزالهم وقرائهم وإزواجهم إلى الحجاز وإلى بلادهم، وبقي شأن المدينة حينها يتجرأه الناس في مجالسهم وأسمارهم، وكان ذلك عام ثمانية وثلاثين وسبعين.

ولما فصل أرسال ملك المغرب، وقد قفسوا فرضهم، بعث

كيف بالخانقاه يقبل عني لا لذنب أو جححة مقوله  
بل تقلدتها شفاعةً هرمسه م شريف وخليفة مسدولة  
ولقد كنت آسلاً لسوهاها وسوهاها برعده أن ينبله  
وتروّقت للزمزان عليهما بعقود ما خلتها عمله  
أبلغن فصي فمثالك من يقدّ صدق فعل الحسنى من يتنمي له  
واغنموا من مثيري ودعائي قربة عند ربك مقبوله

وفي التعريض بسفره إلى الشام:  
واصحاب العز ظافراً بالأمانى واترك العصبة العدا مقوله  
وعاتمل في سعادة الملك الطا هر ان تمحو الأنى وتزيله  
وتبعيد الدنيا لأحسن شمال حين تضحي بسعده مثموله  
دابسا في الظعن والخيلوله واطلب النصر من سعادته بصحبك  
في جادى او زد عليه قليله وارتقب ما يجله بالأعادي صدق الله في الزمان مقوله  
وحذوه فالآحسن قبور المصطفى دائمًا ويرضى جيله  
ففقد كان يحسن الفال عند

## السعادة في المهادة والإتحاف بين ملوك المغرب والملك الظاهر

ثثراً ما يتعاهد الملوك التجارون بعضهم بعضًا بالإتحاف بطرف أوطانهم، للمواصلة والإعانة متى دعا إليها داع. وكان صلاح الدين بن أيوب هادي يعقوب المنصور ملك المغرب من بنى عبد المؤمن، واستجاش به باسطوله في قطع مدد الفرنج عن سواحل الشام حين كان معيناً بإرجاعهم عنها، وبعث في ذلك رسوله عبد الكريم بن متقذ من أمراء شيزر، فاكرم المنصور رسوله، وقدم عن إجابته في الأسطول لما كان في الكتاب إليه من العدول عن تحطيمه بأمير المؤمنين، فوجدها غصة في صدره منعته من إجابته إلى سؤاله، وكان المانع لصلاح الدين من ذلك كاتبه الفاضل عبد الرحيم البيساني بما كان يشاوره في أموره، وكان مقيماً لدعوة الخليفة العباسي بمصر، فرأى الفاضل أن الخلافة لا تعقد لاثنين في الملة كما هو المشهور، وإن اعتمد أهل المغرب سوى ذلك، لما يرون أن الخلافة ليست لقباً فقط، وإنما هي لصاحب الصبية القائم عليها بالشدة والحماية، والخلاف في ذلك معروف بين أهل الحق.

فلما انقرضت دولة الموحدين، وجاءت دولة بني مرين من بعدهم، وصار كباراً لهم ورؤساً لهم يتعاهدون قضاة فرضهم لهذة البلاد الشرقية، فيتعاهدهم ملوكها بالإحسان إليهم، وتسهيل طرقهم، فحسن في مكارم الأخلاق اتحال البر والمواصلة،

أصناف الهدية، فعاجلته المية دون ذلك، وولي ابنه أبو فارس، وبقي أيام ثم هلك، وولي آخره أبو عامر، فاستكمل الهدية، وبعثها صحبة يوسف بن علي الوارد الأول.

وكان السلطان الملك الظاهر، لما أبطأ عليه وصول الخيل من المغرب، أراد أن يبعث من أمرائه من يتنقى له ما يشاء بالشراء، فعن ذلك ملوكاً من ماليكه منسوباً إلى تربة الخليلي، اسمه قططوبغا، وبعث عني، فحضرت بين يديه، وشاورني في ذلك فواجته، وسألني كيف يكون طريقه، فأشرت بالكتاب في ذلك إلى سلطان تونس من الموحدين، وسلطان تلمasan من بني عبد السلام، وسلطان فاس والمغرب من بني مرین، وحمله لكل واحد منهم هدية خفيفة من القماش والطيب والقصي، وانصرف عام تسعه وستين وسبعين إلى المغرب، وشييعه كل واحد من ملوكه إلى مامنه، وبالغ في إكرامه بما يتعين. ووصل إلى فاس، فوجد الهدية قد استكملت، ويوسف بن علي على المسير بها عن سلطانه أبي عامر من ولد السلطان أبي العباس المخاطب أولًا. وأظلهم عيد الأضحى بفاس، وخرجوا متوجهين إلى مصر، وقد أضاض السلطان من إحسانه وعطائه، على الرسول قطلوبغا ومن في جنته بما أفرغونهم، وأطلق بالشكر استههم، وملا بالشأن ضمائرهم، ومرروا بتلمسان، وبها يومئذ أبو زيان، ابن السلطان أبي حمو من آل يغمراسن بن زيان، فبعث معهم هدية أخرى من الجياد براكيها، وكان يحوك الشعر، فامتحن الملك الظاهر بقصيدة بعنوان هديته، ونصحها من أوها إلى آخرها:

من الركائب سيرهن ديميل والصبر - إلا بعدهن - جيل ظعن بيل القلب حيث تميل يا لها الحادي رويدك إنها رفقاً من حلته فوق ظهورها الله آية النجم: شفاعة شهب بأفاق الصلور طلوعها في المروج السرور منها غادة فكانها قمر على غصن على ثارت مطاباً فشار بي الموى أومت لوديعي فطالب عبرتي دمع أغيب منه خوف رقيها وبح الحب وشت به عبراته لكنها قال عليه وقيل لصون جوهر دمعهن تذيل وتهبه أسد الشرى في خيسها تابى التغروس الضيم إلا في الموى يا باتنة الوادي وبنا أهل الحمى هل ساعة تصفين لي فاتول

الملك الناصر معهم هدية كفاء هديتهم، وكانت أصنافها حمل القماش من ثياب الحرير والقماش المصنوعة بالإسكندرية، تحمل كل عام إلى دار السلطان، قيمة ذلك الحمل خسون الف دينار، وخيمة من خيام السلطان المصنوعة بالشام على مثال القصور، تتسلل على بيوت للمراقد، وأواوين للجلوس والطبع، وأبراج للإشراف على الطرق، وأبراج أحدها جلوس السلطان للعرض، وفيها مثال مسجد بمجرابه، وعمده، وما ذنته، حرواظها كلها من خرق الكتان الموصولة بمحبك الخياطة مفصلة على الأشكال التي يقترحها المتذدون لها. وكان فيها خيمة أخرى مستديرة الشكل، عالية السمك، مخروطة الرأس، رجة النساء، تظل خمس مائة فارس أو أكثر، وعشرة من عتاق الخيل بالراكب الذهبية الصقلية، بحها كذلك، ومررت هذه الهدية بتونس، ومعها الخدام القائمون بتصب الأبنية، فعرضوها على السلطان بتونس. وعاينت يومئذ أصناف تلك الهدية، وتوجهوا بها إلى سلطانهم، وبقي العجب منها دهراً على الألسنة. وكان ملوك تونس من الموحدين، يتعاهدون ملوك مصر بالهدية في الأوقات.

ولما وصلت إلى مصر، وانصلت بالملك الظاهر، وغمزني بنعمه وكرامته كابت السلطان بتونس يومئذ، وأخبرته بما عند الملك الظاهر من الشوف إلى جياد الخيل، وخصوصاً من المغرب، لما فيها من تحمل الشدة والصبر على المتعب، وكان يقول لي مثل ذلك، وأن خيل مصر قصرت بها الراحة والتلعم عن الصبر على التعب، فحضرت السلطان بتونس على إتحاف الملك الظاهر بما يتقنه من الجياد الرائمة، فبعث له خمسة انتقاها من مراكبه، وحملها في البحر في السفين الوacial بأهلي وولدي، فغرقت بمرسى الإسكندرية، ونفت تلك الجياد، مع ما ضاع في ذلك السفين، وكل شيء بقدر.

ثم وصل إلينا عام ثلاثة وستين وسبعين شيخ الأعراب: العقل بال المغرب، يوسف بن علي بن غائم، كبير أولاد حسين ناجيا من سخط السلطان أبي العباس أحمد بن أبي سالم، من ملوك بني مرین بفاس، يروم قضاء فرضه، ويتوسل بذلك لرضى سلطانه، فوجد السلطان غابياً بالشام في فتنة منطاش، فعرضته لصاحب العمل. فلما عاد من قضاء فرضه، وكان السلطان قد عاد من الشام، فوصلته به، وحضر بين يديه، وشكأ به، فكتب الظاهر فيه شفاعة لسلطان وطنه بالمغرب، وحمله مع ذلك هدية إليه من قماش وطيب وقصي، وأوصاه بانتقاء الخيل له من قطر المغرب، وانصرف، فقبل سلطانه فيه شفاعة الظاهر، وأعاده إلى منزلته. وانتقم الحسول الرائعة لهاداة الملك الظاهر، وأحسن في انتقام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
 جلت محاسنها فأشوى غورها  
 بِقُبُولِ اللَّهِ الْكَلِمِ وَالْقَيْلِ  
 يَا مَسْعِدِي وَأَنْجِي الْعَزِيزِ وَمَنْجِدِي  
 وَمِنَ الْقُلُوبِ إِلَى هَرَاءِ ثَيْلِ  
 إِنْ كَانَ رَسْمُ الْوَدِ مِنْكَ مَذِيلًا  
 بِالْبَرِّ وَهُوَ بِذِيلِهِ مَوْصُولٌ  
 فَنَظِيرِهِ عَنْدِي وَلِيَسْ بِضَيْرِهِ  
 بِعَارِضِهِ وَهُمْ لَا تَخْيِلُ  
 وَلَكِالْدَّهْ بَخْلَوْدِهِ تَذَيْلٌ  
 وَدِيزِيدْ وَثَابَتْ شَهَادَبِهِ  
 وَإِلَيْكَهَا تَبَيكَ صَدْقَ مُودَتِي  
 صَحَ الدَّلِيلُ وَوَاقِفُ الْمَدْلُولُ  
 فَلَدِيكَ إِقْبَالٌ طَاهَ وَقَبُولٌ  
 إِنَّا بِذَاكَ الْجَلِسَ السَّامِي سَمَّ  
 دَامَ الْوَدَادُ عَلَى الْبَعَادِ مَوْصُولٌ  
 وَبَقِيتِي فِي نَعْمٍ لَدِيكَ مَزِيدَهَا  
 وَعَلَيْكَ يَضُفُّ ظَلَمَاهَا مَسْدُولٌ  
 ثُمَّ مَرُوا بَعْدَهَا بُونُسْ، فَبَعْثَ سُلْطَانُ تُونُسْ أَبُو فَارُسْ عَبْدُ  
 الْعَزِيزِ ابْنُ السُّلْطَانِ أَبِي الْعَبَاسِ مِنْ مُلُوكِ الْمُوحَدِينِ، هَدِيَةُ ثَالِثَةِ  
 اتَّقِيِّ لَهَا جِيَادُ الْخَيْلِ، وَعَزَّزَ بَهَا هَدِيَةُ السُّلْطَانِيَّنِ وَرَاءَهُ، مَعَ رَسُولِهِ  
 مِنْ كَبَارِ الْمُوحَدِينِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ تَافَرَاكِينِ، وَوَصَّلَتْ الْمَدَابِيَا  
 الْثَلَاثَ إِلَى بَابِ الْمَلْكِ الظَّاهِرِ فِي آخِرِ السَّنَةِ، وَعَرَضَتْ بَيْنِ يَدِيِّ  
 السُّلْطَانِ، وَانْتَهَى الْخَاسِكَةُ مَا كَانَ فِيهَا مِنَ الْأَقْمَشَةِ وَالسَّيْرَوْفِ  
 وَالْبَسْطِ وَمَرَاكِبِ الْخَيْلِ، وَحَلَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ تَلْكَ  
 الْجِيَادِ وَارْتَبَطَ الْبَاقِيَاتِ.  
 وَكَانَتْ هَدِيَةُ صَاحِبِ الْمَغْرِبِ تَشَتَّمِلُ عَلَى خَسْنَةِ وَثَلَاثَيْنِ  
 مِنْ عَتَاقِ الْخَيْلِ بِالسَّرْوَجِ وَاللَّجْمِ النَّهِيَّةِ، وَالسَّيْرَوْفِ الْمَحَلَّةِ،  
 وَخَسْنَةِ وَثَلَاثَيْنِ حَمَلًا مِنْ أَقْمَشَةِ الْحَرِيرِ وَالْكَتَانِ وَالصَّوْفِ وَالْجَلَدِ،  
 مِنْتَقَاءَ مِنْ أَحْسَنِ هَذِهِ الْأَصْنَافِ.  
 وَهَدِيَةُ صَاحِبِ تَلْمِسَانِ تَشَتَّمِلُ عَلَى ثَلَاثَيْنِ مِنْ الْجِيَادِ  
 مِرَاكِبُهَا مَرْمُوعَةٌ، وَأَحَمَالًا مِنَ الْأَقْمَشَةِ.  
 وَهَدِيَةُ صَاحِبِ تُونُسِ تَشَتَّمِلُ عَلَى ثَلَاثَيْنِ مِنَ الْجِيَادِ مَغْشَأَةٌ  
 بِرَاقِ الشَّيَابِ مِنْ غَيْرِ مَرَاكِبِ، وَكُلُّهَا أَنْبَقَ فِي صَنْعِهِ مُسْتَطْرُفٌ فِي  
 نَوْعِهِ، وَجَلِسَ السُّلْطَانُ يَوْمَ عَرَضَهَا جَلُوسًا فَخَمًّا فِي إِلْوَانِهِ،  
 وَحَضَرَ الرَّسُولُ، وَأَدْرَا مَا يَجِبُ عَنِ مَلُوكِهِمْ. وَعَالَمُهُمُ السُّلْطَانُ  
 بِالْبَرِّ وَالْقُبُولِ، وَانْصَرَفُوا إِلَى مَنَازِلِهِمْ لِلْجَرَایِاتِ الْوَاسِعَةِ، وَالْأَحْوَالِ  
 الْضَّخِمَةِ. ثُمَّ حَضَرَ وَقْتُ خَرْجِ الْحَاجِ، فَأَسْتَاذَنُوا فِي الْحَجَّ مَعَ  
 مَحْمُولِ السُّلْطَانِ، فَأَذْنَ لَهُمْ، وَأَرْغَدَ أَزْوَادَهُمْ. وَقَضَوْا حَجَّهُمْ،  
 وَرَجَعُوا إِلَى حَضُورِ السُّلْطَانِ وَمَهْوَدِ مَبْرَرِهِ. ثُمَّ انْصَرَفُوا إِلَى  
 مَوَاطِنِهِمْ، وَشَيْعَهُمْ مِنْ بَرِ السُّلْطَانِ وَإِحْسَانِهِ، مَا مَلَأَ حَقَائِبِهِمْ،  
 وَأَسْنَى ذَخِيرَتِهِمْ، وَحَصَلَ لِي أَنَا مِنْ بَيْنِ ذَلِكَ فِي الْفَخْرِ ذَكْرُ جَبِيلِ  
 بِمَا تَناولْتَ بَيْنْ هُولَاءِ الْمُلُوكِ مِنَ السَّعْيِ فِي الرَّوْصَلَةِ الْبَاقِيَةِ عَلَى  
 الْأَبْدِ، فَحَمَدَتِ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ.

أَرْتَاحَ شَوْقًا لِلْحَمْسِ وَأَمِيلَ  
 إِنَّ الصَّبَا لِصَبَابِيَ تَعْلِيلَ  
 مَالِيْ أَحَلَّا عَنْ وَرَدِهِ مَحْلَهِ  
 وَالْبَابُ لَيْسْ بَرْتَجَ عَنْ مَرْتَجَ  
 مَنْ لِي بِزُورَةِ رُوضَةِ الْمَادِيِّ الَّذِي  
 هُوَ أَمْدَ وَمُحَمَّدَ وَالْمَطْفَى  
 يَا خَرَّ مِنْ أَهْدِي الْمَدِيِّ وَأَجْلَ مِنْ  
 وَحْيِيْ مِنْ الرَّحْمَنِ يَلْقَيْهِ عَلَى  
 مَدْحَثَكَ آيَاتِ الْكِتَابِ وَبِشَرَتِ  
 صَلَةِ الصَّلَةِ عَلَيْكَ تَعْلُوْ فِي فَمِي  
 فَوْرِيْكَ الْمَأْهُولِ إِنْ بِأَصْلِيِّ  
 قَلْبًا تَجْبِكَ رَعِيْهِ مَسَاهُولَ  
 خَيْرَ الْوَرَى فَهُوَ النَّى وَالسَّوْلَ  
 إِنَّ الزَّرْمَانَ بِوَعْدِهِ لَبَخِيلَ  
 مَاهِمَا تَكْرَرُ ذَكْرُ الْمَعْسُولَ  
 قَلْبًا تَجْبِكَ رَعِيْهِ مَسَاهُولَ  
 خَيْرَ الْوَرَى فَهُوَ النَّى وَالسَّوْلَ  
 إِنَّ الْجَرَائِمَ حَلَهُنَّ تَقْيَيلَ  
 فَتَجَازَوْزَا أَنَا عَائِزَ فَأَقْبِلُوا  
 فَأَنْمَنَا وَالْمَرْجَى فَأَنْيَلُوا  
 وَالْقَلْبُ بَيْنَ حَوْلَهِ مَحْمُولَ  
 لَهُمْ بِلَغْ سَلَامَ سَمِيَّ  
 وَسَلَ إِلَيْهِ لَهُ اغْتَفَارٌ ذُوبَهُ  
 وَعَنِ الْمَلِيْكِ أَبِي سَعِيدٍ فَلَتَبَ  
 مَتَحْمَلُ اللَّهُ كَسْوَةَ يَتَهَ  
 سَعِيدَ الْمَلِيْكَ أَبِي سَعِيدٍ إِنَّهُ  
 فَلَهُمْ بَهْ نَحْوُ الرَّسُولِ وَصَوْلَ  
 سَلِكَ بَهْ نَامَ الْأَنَامَ وَأَنْتَ  
 فَالْمَلِكُ ضَخْمَ وَالْجَنَابُ مَؤْسَلُ  
 وَالْفَضْلُ وَالْعَطَاءُ جَزِيلُ  
 وَالْمَجْدُ أَكْمَلُ وَالْفَخَارُ مَؤْنَلُ  
 قَدْ عَادَ مَصْرُ عَلَى الْعَرَاقِ يَصُولُ  
 فَطَلَبَكَ مِنْ رَوْحِ الإِلَهِ قَبُولَ  
 سَلَسَلَةَ يَزْهَسِيَّ بِهَا التَّرْسِيلَ  
 غَيْرِيِّ، وَإِنَّ كَثْرَ الرَّجَالِ، كَفِيلَ  
 ضَاءَ الْمَدَادَ مِنْ الْوَدَادِ بِصَفَهَا  
 جَعَتْ بَشِيشَةَ فِي الْمَسْوَى وَجَبِيلَ  
 هِيَ لِلْإِخَاءِ الْمَرْتَضِيِّ تَكْمِيلَ  
 يَرْتَدَ عَنْهَا الْطَرْفُ وَهُوَ كَلِيلَ  
 رَاقِ الْعَبُونَ فَرِنْدَهُ الْمَعْسُولَ  
 مَاضِيِّ الشَّبَا لِصَبَابِهِ تَعْنُو الظَّبَا  
 رَوْيِ مَعَافِهِمَا بِمَصْرِ الْنَّيْلِ  
 فَأَجَلَتْ فِيهَا نَاظِرِيَ فَرِيَهَا

## ولاية القضاء الثانية بمصر

واعترموا على المضي إلى مصر. وكان السلطان لما انقضت جموع الأتابك، وسار إلى الشام، اعتمله في الحركة والسفر لخضد شوكتهم، وتفرق جمعتهم، وخرج في جاهد حتى انتهى إلى غزة، فجاءه الخبر بأن نائب الشام تنم، والأتابك، والأمراء الذين معه، خرجوا من الشام زاحفين للقاء السلطان، وقد احتشدوا وأوعزوا، وانتهوا قريباً من الرملة، فراسلهم السلطان مع قاضي القضاة الشافعى صدر الدين المنظري، وناصر الدين الرماح، أحد العلمين لشفاعة الرماح، يعذر إليهم، ويحملهم على اجتماع الكلمة، وترك الفتنة، وإجابتهم إلى ما يطلبون من مصالحهم، فاشتطوا في المطالب، وصمموا على ما هم فيه. ووصل الرسولان بخبرهم، فركب السلطان من الغد، وعيى عساكرة، وصمم لمعالجتهم، فلقاهم أثناء طريقه، وهاجهم فهاجروه، ثم ولوا الأدبار منهزمين. وصرع الكثير من أعيانهم وأمرائهم في صدر موكيه، فما غشهم الليل إلا وهم مصفدون في الحديد، يقدمهم الأمير تم نائب الشام وأكابرهم كلهم. ونجا الأتابك أتيمش إلى القلعة بدمشق، فألوى إليها، واعتقله نائب القلعة. وسار السلطان إلى دمشق، فدخلها على التعبة في يوم أغر، وأقام بها أيام، وقتل هؤلاء الأمراء المعتقلين، وكثيرهم الأتابك ذبحاً، وقتل نسم من بينهم خنقأ، ثم ارتحل راجعاً إلى مصر.

وكانت استاذت في التقدم إلى مصر بين يدي السلطان لزيارة بيت المقدس، فأذن في ذلك. ووصلت إلى القدس ودخلت المسجد، وتبركت بزيارته والصلوة فيه، وتعافت عن الدخول إلى القمامة لما فيها من الإشادة بتكليم القرآن، إذ هو بناء أمن النصرانية على مكان الصليب بزعمهم، فنكرت نفسها، ونكرت الدخول إليه. وقضت من سنتن الزيارة ونافتها ما يحيى، وانصرفت إلى مدفن الخليل عليه السلام. ومررت في طريقي إليه بيت لحم، وهو بناء عظيم على موضع ميلاد المسيح، شيدت القياصرة عليه بناء بسمطين من العمدة الصخور، متجلة مصطفة، مرقوماً على رؤوسها صور ملوك القياصرة، وتاريخ دوهم، ميسرة لم يتبني تحقيق نقلها بالترجمة العارفين لأوضاعها، ولقد يشهد هنا المصنع بعظم ملك القياصرة وضخامة دولتهم. ثم ارتحلت من مدفن الخليل إلى غزة، وارتحلت منها، فوافيت السلطان بظاهر مصر، ودخلت في ركبها أواخر شهر رمضان سنة اثنين وثمانمائة. وكان بصر فقيه من المالكية يعرف بنور الدين بن الحال، ينوب أكثر أوقاته عن قضاة القضاة المالكية، فحرضه بعض أصحابه على السعي في المنصب، وبذل ما تيسر من موجرده لبعض بطانة السلطان الساعين له في ذلك، فتمت سعيه

ما زلت، منذ العزل عن القضاء الأول سنة سبع وثمانين وسبعين، مكيناً على الاستغال بالعلم، تاليفاً وتدريساً، والسلطان يولي في الوظيفة من يراه أهلاً متى دعاه إلى ذلك داع، من موت القائم بالوظيفة، أو عزله، وكان يراني الأولى بذلك، لولا وجود الذين شغبوا من قبل في ثاني، من أمراء دولته، وكبار حاشيته، حتى انقضوا. وانتفت وفاة قاضي المالكية إذ ذاك ناصر الدين بن التنسى، وكانت مقیماً بالقیوم لضم زرعی هنالك، فبعث عني، وقدلني وظيفة القضاة في منتصف رمضان من سنة إحدى وثمانمائة، فجرت على السنن المعروفة مني، من القيام بما يجب للوظيفة شرعاً وعادة، وكان رحمة الله يرضى بما يسمع عني في ذلك. ثم أدركه الرفقة في منتصف شوال بعدها، وأحضر الخليفة والقضاة والأمراء، وعهد إلى كبير ابنته فرج، وأخواته من بعده واحداً واحداً، وآشدهم على وصيته بما أراد. وجعل القائم بأمر ابنه في سلطانه إلى أتابك أتيمش، وقضى رحمة الله عليه، وترتبت الأمور من بعده كما عهد لهم، وكان النائب بالشام يومئذ أمير من خاسكية السلطان يعرف بتنم، وسمع بالواقعات بعد السلطان فنص أن لم يكن هو كافل ابن الظاهر بعده، ويكون زمام الدولة بيده. وطبق سماسة الفتنة يغرون بذلك، وبينما هم في ذلك إذ وقعت فتنة الأتابك أتيمش، وذلك أنه كان للأتابك دواواداً غير يتطابق إلى الرئاسة، ويعرف على أكبر الدولة بهظه من استاذ، وما له من الكفالة على السلطان، فتقموا حالم مع هذا الدواواد، وما يسوهم به من الترفع عليهم، والتعرض لإهمال نصائحهم، فاغروا السلطان بالخروج عن ربة الحجر، وأطاعهم في ذلك، وأحضر القضاة مجلسه للدعوى على الأتابك باستغاثة عن الكافل، بما علم من قيامه بأمره وحسن تصرفاته. وشهد بذلك في المجلس أمراء أبيه كافة، وأهل المراتب والوظائف منهم، شهادة قبلها القضاة. وأذروا إلى الأتابك فهم فلم يدفع في شيء من شهادتهم، ونفذ الحكم يومئذ بفتح الحجر عن السلطان في تصرفاته وسياسة ملكه، وانقض الجمع، ونزل الأتابك من الإصطبل إلى بيت سكناه. ثم عاود الكثير من الأمراء نظرهم فيما أثروه من ذلك، فلم يروه صواباً، وحملوا الأتابك على تقضي، والقيام بما جعل له السلطان من كفالة ابنه في سلطانه. وركب، وركبوا معه في آخر شهر المولد النبوى، وقاتلهم أولياء السلطان فرج عشى يومهم وليلتها، فهزموهم، وساروا إلى الشام مستصرخين بالنائب تنم، وقد وقر في نفسه ما وقر من قبل، فبر وفادتهم، وأجاد صريحهم.

مشرقاً ببلاد البربر، من المغرب الأقصى والأوسط وأرض أفريقيا والإسكندرية وأرض التيه وفلسطين والشام، وعليه في الغرب بلاد الإفرنج كلها، وخرج منه في الشمال خليجان: الشرقي منها خليج القسطنطينية والغربي خليج البادقة، ويسمى هذا البحر البحر الرومي، والشامي.

ثم إن هذه السبعة الأقاليم المعمورة، تنقسم من شرقها وغيرها بصفتين: فتصفها الغربى في وسط البحر الرومي، وفي النصف الشرقي من جانبه الجنوبي البحر الهندى، وكان هذا النصف الغربى أقل عمارة من النصف الشرقي، لأن البحر الرومى المتوسط فيه، اتساع في آسياحه، فغمى الكثير من أرضه. والجانب الجنوبي منه قليل العمارة لشدة الحر، فالعمران فيه من جانب الشمال فقط، والنصف الشرقي عمرانه أكثر بكثير، لأنه لا ينبع في وسطه يزاحم. وجانبه الجنوبي فيه البحر الهندى، وهو متسع جداً، فلطف الهواء فيه بمحاجرة الماء، وعدل مزاجه للتكوين، فصارت أقاليمه كلها قابلة للعمارة، فكثر عمرانه. وكان مبدأ هذا العمران في العالم، من لدن آدم صلوات الله عليه، وتناслед ولده أولى في ذلك النصف الشرقي، وبات تلك الأمم ما بينه وبين نوح، ولم نعلم شيئاً من أخبارها، لأن الكتب الإلهية لم يرد علينا فيها إلا أخبار نوح وبني، وأما ما قبل نوح فلم نعرف شيئاً من أخبارها، وأقدم الكتب المتزللة المتداولة بين أيدينا التوراة، وليس فيها من أخبار تلك الأجيال شيء، ولا سيل إلى اتصال الأخبار القديمة إلا بالوحى، وأما الأخبار فهي تدرس بدوروس أهلها.

وأتفق الناسوبون على أن النسل كله منحصر في بي نوح، وفي ثلاثة من ولده، وهم سام، وحام، وياافت، فمن سام: العرب، والبربر، والبربريون، والسبايبيون، ومن حام: القبط، والكتمانيون، والبربر، والسودان، ومن يافت: الترك، والروم، والخزر، والفرس، والدلهم، والجليل.

ولا أدرى كيف صبح اختصار النسب في هؤلاء الثلاثة عند النسبانيين، فمن القل؟ وهو بعيد كما قدمناه، أو هو رأى تفرق هنم من انقسام جماعة المعمور، فجعلوا شعوب كل جهة لأهل نسب واحد يشتهرن فيه، فجعلوا الجنوب لبني سام، والمغرب لبني حام، والشمال لبني يافت. إلا أنه المتناقل بين النسبة في العالم، كما قلناه، فلنعتمد ونقول:

أول من ملك الأرض من نسل نوح عليه السلام، التسرود بن كعنان بن كوش بن حام ووقع ذكره في التسورة. وملك بعده عبر بن شالخ الذي ينسب إليه العبرانيون، والسريانيون، وهو النبي، وكانت لهم الدولة العظيمة، وهم ملوك بابل، من نبيط بن

## سفر السلطان إلى الشام ل الدفاع عن بلاده

في ذلك، وليس متصرف المحرم ستة ثلاث وثمانمائة، ورجعت أنا للاشغال بما كنت مشغلاً به من تدریس العلم وتاليفه، إلى أن كان السفر ل الدفاع عن الشام.

## سفر السلطان إلى الشام ل الدفاع عن بلاده

هؤلاء الطبر من شعوب الترك، وقد اتفق النسبة والموزخون على أن أكثر أمم العالم فرقتان، وهما: العرب والترك، وليس في العالم أمة أوفر منها عدداً، هؤلاء في جنوب الأرض، وهؤلاء في شمالها، وما زالوا يتباونون الملك في العالم، فسارة يملك العرب ويزحلون الأعاجم إلى آخر الشمال، وأخرى يزحلهم الأعاجم والترك إلى طرف الجنوب، سنة الله في عباده.

فلنذكر كيف انساق الملك هؤلاء الطبر، واستقرت الدول الإسلامية فيهم لهذا العهد فنقول:

إن الله سبحانه خلق هذا العالم واعتبره بأصناف البشر على وجه الأرض، في وسط البقعة التي اكتشفت من الماء فيه، وهي عند أهل الجغرافيا مقدار الربع منه، وقسموا هذا المعمور بسبعين أجزاء يسمونها الأقاليم، مبتدأة من خط الاستواء بين المشرق والمغارب، وهو الخط الذي تسامت الشمس فيه رؤوس السكان، إلى تمام السبعة أقاليم. وهذا الخط في جنوب المعمور، ونتهي السبعة الأقاليم في شماليه. وليس في جنوب خط الاستواء عماره إلى آخر الربع المكتشف، لإفراط الحر فيه، وهو يمتد من التكربين، وكذلك ليس بعد الأقاليم السبعة في جهة الشمال عماره، لإفراط البرد فيها، وهو مانع من التكربين أيضاً. ودخل الماء الحبيب بالأرض من جهة الشرق فوق خط الاستواء بثلاث عشرة درجة، في مدخل فسيح، وانساح مع خط الاستواء مغرباً، فمر بالصين، والهند والسندي واليمن، في جنوبها كلها. وانتهى إلى وسط الأرض، عند باب المدب، وهو البحر الهندى والصيني، ثم انحرف من طرفه الغربي في خليج عند باب المدب، ومر في جهة الشمال مغرباً باليمن وتهامة والمحاجز ومدين وإيله وفاران، وانتهى إلى مدينة القلزم، ويسمى بحر السرليس، وفي شرقه بلاد الصعيد إلى عذاب، وببلاد البجا، وخرج من هذا البحر الهندى من وسطه خليج آخر يسمى الخليج الأخضر، ومر شمالاً إلى الأبلة، ويسمى بحر فارس، وعليه في شرقه بلاد فارس، وكerman، والسندي، ودخل الماء أيضاً من جهة الغرب في خليج متضائق في الإقليم الرابع، ويسمى بحر الزقاق، تكون سعته هناك ثمانية عشر ميلاً. ومر

قام بها كاتمة وقبائل البرير، واستولوا على المغرب ومصر، ودولة بني العلوى بطرستان، قام بها الديلم وأخواتهم الجيل، ودولة بني أمية النائية بالأندلس، لأن بني العباس لما غلبوهم بالشرق، وأكثروا القتل فيهم، هرب عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك، ونجا إلى المغرب. ثم ركب البحر إلى الأندلس، فاجتمع عليه من كان هناك من العرب وموالي بني أمية، فاستحدث هناك ملكاً آخر لهم.

وأنقسمت الملة الإسلامية بين هذه الدول الأربع إلى المائة الرابعة. ثم انقرض ملك العلوية من طبرستان، وانتقل إلى الديلم، فاقسموا خراسان وفارس والعراق، وغلبوا على بغداد، وحجبوا الخليفة بها بني بوريه منهم. وكان بني سامان من أتباع بني طاهر قد نقلدوا عمارات ما وراء النهر، فلما فشل أمر الخلافة استبدوا بتلك التواحي، وأصاروا لهم فيها ملكاً ضخماً، وكان آخرهم محمود بن سفيكتين من موالיהם، فاستبد عليهم، وملك خراسان، وما وراء النهر إلى الشاش، ثم غزنة، وما وراءها جنوباً إلى الهند. وأجاز إلى بلاد الهند، فاتجع منها كثيراً، واستخرج من كنوزها ذخائر لم يعثر عليها أحد قبله.

وأقامت الملة على هذا النطء إلى انتصاء المائة الرابعة، وكان الترك متذبذباً للعرب، وأسلموا على ما بآيديهم وراء النهر، من كашغر، والصاغون إلى فرغانة، وولاهم الخلفاء عليها، فاستحدثوا بها ملكاً، وكانت بوادي الترك في تلك التواحي متتجعة أمطار السماء، وعشب الأرض، وكان الظهور فيهم لقيمة الغز من شعورهم، وهم الخوز، إلا أن استعمال العرب لها عرب خاماً المعجمة غيناً، وأدغمت واوها في الزاي الثانية، فصارت زاياً واحدة مشددة. وكانت رياضة الغز هؤلاء في بني سلوجوق بن ميكائيل، وكانت يستخدمون للملك الترك بتركستان تارة، وللملك ببني سامان في بخاري أخرى. وتحدث بينهما الفتنة، فتقاتلون من شاؤوا منهما، ولا تنقلب محمود بن سفيكتين على بني سامان، وأجاز من خراسان فنزل بخاري، واقتعد كرسبيهم، وتفضض على كبار بني سلوجوق هؤلاء، وحبسهم بخراسان. ثم مات وقام بالأمر آخره مسعود، فملك مكانه، وانتقض عليه بنو سلوجوق هؤلاء، وأجاز الغز إلى خراسان فملوكها، ولملوكها طبرستان من يد الديلم، ثم أصبحا وفارس، من آيدي بني بوريه، ولملوكهم يومئذ طغرايلك بن ميكائيل من بني سلوجوق، وغلب على بغداد من يد بني معز الدولة بن بوريه المستبددين على الخليفة يومئذ الطيع، وحجبه عن التصرف في أمور الخلافة والملك، ثم تجاوز إلى عراق العرب، فغلب على ملوكه، وأبادهم، ثم بلاد البحرين وعمان، ثم على

أشور بن سام، وقبل نبيط بن ماش بن إرم، وهم ملوك الأرض بعد الطوفان على ما قاله المسعودي. وغلبهم الفرس على بابل، وما كان في أيديهم من الأرض، وكانت يومئذ في العالم دولتان عظيمتان، للملك بابل هؤلاء، وللقطب مصر: هذه في المغرب، والأخرى في الشرق، وكانتا يتحللان الأعمال السحرية، ويغولون عليها في كثير من أعمالهم، وبرابي مصر، وفلاحة بن وحشية، شهدان بذلك. فما غلب الفرس على بابل، استقل لهم ملك المشرق، وجاء موسى صلوات الله عليه بالشريعة الأولية، وحرم السحر وطرقه، وغلب الله له القبط بإغراق فرعون وقومه.

ثم ملك بنو إسرائيل الشام، واحتلوا بيت المقدس، وظهر الروم في ناحية الشمال والمغرب، فغلبوا الفرس الأولى على ملوكهم. وملك ذو القرنين الإسكندر ما كان بآيديهم، ثم صار ملك الفرس بالشرق إلى ملوكهم الساسانية، وملك بني يوتان بالشام والمغرب إلى القياصرة، كما ذكرنا ذلك كله من قبل. وأصبحت الدولتان عظيمتين، وانتظمتا العالم بما فيه. ونمازع الترك ملوك فارس في خراسان، وما وراء النهر، وكانت بينهم حروب مشهورة، واستقر ملوكهم في بني أفراسياب.

ثم ظهر خاتم الأنبياء محمد صلوات الله عليه، وجمع العرب على كلمة الإسلام، فاجتمعوا له، **﴿لَرْأَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَتَ بَيْنَهُمْ﴾** وبشهده الله إليه، وقد أمر بالجهاد، ووعد عن الله بإن الأرض لأمنته، فزحفوا إلى كسرى، وقيصر بعد ستين من وفاته، فانتزعوا الملك من آيديهما، وتجاوزوا الفرس إلى الترك، والروم إلى البرير والمغرب، وأصبح العالم كله متقطعاً في دعوة الإسلام. ثم اختلف أهل الدين من بعده في رجوعهم إلى من ينظم أمرهم، وتشيع قوم من العرب فزعموا أنه أوصى بذلك لابن عممه علي، وامتنع الجماعة من قبول ذلك، وأبوا إلا الاجتهد في تعينه، فمضى على ذلك السلف في دولة بني أمية التي استحق الملك والإسلام فيها، وتناول الشيع بتشعب المذاهب، في استحقاق بني علي، وأبיהם يتعين له ذلك، حتى انساق مذهب من مذهبهم إلى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، ظهرت شيعته بخراسان، ولملوكها تلك الأرض كلها، والعراق بأمسره.

ثم غلبوا على بني أمية، وانتزعوا الملك من آيديهم، واستفحل ملوكهم، والإسلام باستفحاله، وتعدد خلاؤهم. ثم خامر الدولة ما يخامر الدول من الترف والراحة، ففشلوا. وكثير المازعون لهم من بني علي وغيرهم، ظهرت دولة لبني جعفر الصادق بالمغرب، وهم العبيديون بنو عبد الله المهدى بن محمد،

فاستولى على أمصار الشام التي كان هولاكو انتزعها من أيدي بني آيوب، واحدة واحدة، واستضاف الشام إلى مصر في ملوكه. ثم هدى الله أبا بن هولاكو إلى الإسلام، فأسلم بعد أن كان أسلام برقة ابن عممه صاحب التخت بصراء من بني دوشي خان على يد مرید من أصحاب شمس الدين كبرى، فتوطأ هو وأبواه بن هولاكو على الإسلام. ثم أسلم بعد ذلك بنو جقطاي وراء النهر، فانتظمت ممالك الإسلام في أيدي ولد جنكيز خان من المغول، ثم من الططر، ولم يخرج عن ملكهم منها إلا المغرب والأندلس ومصر والخجاز، وأصبحوا، وكأنهم في تلك الممالك خلف من السلاجوقية والغز.

واستمر الأمر على ذلك لهذا العهد، وانقرض ملك بني هولاكو بموت أبي سعيد آخرهم سنة أربعين من المائة الثامنة. وافتقت دولتهم بين عمال الدولة وقوابتها من المغل، فملك عراق العرب، وأذربيجان وتوريز، الشیخ حسن سبط هولاكو، واتصل ملكها في بيته لهذا العهد، وملك خراسان وطبرستان شاه ولی من تابعة بني هولاكو، وملك أصبهان، وفارس، بنو مظفر البردي من عمالهم أيضاً، وأقاموا بنو دوشي خان في مملكة صرای وآخرهم بها طقطمش بن بودی بک، ثم سما لبني جقطاي وراء النهر، وملوکهم أمل في التغلب على أعمال بني هولاكو، وبني دوشي خان، بما استفحلا ملکهم هنالك، لعدم الترف والتعم، فبقاء على البداءة، وكان لهم ملك اسمه ساطلش هلك لهذا العهد، وأجلسوا ابنه على التخت مكانه، وأمراء بي جقطاي جيئاً في خدمته، وكثيرهم تيمور المعروف بتمر بن طرغاي ققام بأمر هذا الصبي وكفله، وتزوج أمها، وเมده إلى مملك بني دوشي خان التي كانت على دعوتهما وراء النهر، مثل سمرقند، ومخاري، وخوارزم، وأجاز إلى طبرستان وخراسان فملکهما. ثم ملك أصبهان وزحف إلى بغداد، فملكها من يد أحد بن أوس.

وفر أحد مستجيرأ بملك مصر، وهو الملك الظاهر برقوق، وقد تقدم ذكره، فاجراه، ووعده النصر من عدوه. وبعث الأمير تم رسلاً إلى صاحب مصر، يقرؤن معه الولاية والاتحاد، وحسن الجوار، فوصلوا إلى الرحبة، فلقاهم عاملها، ودار بينهم الكلام فاعوحشوه في الخطاب، وأنزلهم، فييت جيئهم، وقتلهم. وخرج الظاهر برقوق من مصر، وجمع العرب والتركمان، وأنماه على الفرات، وصرخ بقطمش من كرسيه بصراء، فحشد ووصل إلى الأبواب. ثم زحف تم إلى الشام سنة ست وستين وسبعين وسبعينه وبلغ الراها، والظاهر يومذ على الفرات، فخاف تم عن لقائه. وسار إلى محاربة طقطمش، فاستولى على أعماله كلها، ورجعت

الشام، وبلاد الروم، واستوعب مالك الإسلام كلها، فأصارها في ملوكه، وانقضت العرب راجعة إلى الحجاز، مسلوبة من الملك، كان لم يكن لهم فيه نصيب، وذلك أعوام الأربعين والأربعين، وخرج الإفرنج على تقابيا بني أمية بالأندلس، فانتزعوا الملك من أيديهم، واستولوا على حواضر الأندلس وأمصارها، وضاق النطاق على العبيدين بالقاهرة بملوك الغز يزاهمون فيها من الشام، بمحمد بن زنكي وغيره من أبنائهم ومالكيهم، وملوك المغرب قد اقتعلوا ما وراء الإسكندرية، بملوك صنهاجة في إفريقية، والملثمين المرابطين بعدهم بالمغرب الأقصى والأوسط، والمصادمة المرحدين بعدهم كذلك، وأمام الغز والسلجوقية في ملك المشرق، وبنوهم وموالיהם من بعدهم إلى انتقاماء القرن السادس، وقد فشل ريح الغز، واحتلت دولتهم، ظهر فيهم جنكيز خان أمير المغل من شعوب الططر، وكان كاهناً، وجده النجر كاهناً مثله. ويزعمون أنه ولد من غير أب، فغلب الغز في المقارة، واستولى على ملك الططر، وزحف إلى كرسى الملك خوارزم. وهو علاء الدين خوارزم شاه، سلفه من موالي طغرل بك، فغالبه على ملوكه، وفر أمامه، واتبعه إلى بحيرة طبرستان، فنجا إلى جزيرة فيها، ومرض هناك ومات، ورجع جنكيز خان إلى مازندران، من أمصار طبرستان فنزلها، وأقام بها، وفي عساكره من المغل حتى استولوا على جميع ما كان للغز، وأنزل ابنه طولي بكرسي خراسان، وأبنته دوشيخان بصراء وبلاد الترك، وأبنته جقطاي بكرسي الترك فيما وراء النهر، وهي كاشغر وتركستان، وأقام مازندران إلى أن مات جنكيز خان ودفن بها، ومات ابنه طولي وله ولدان، قبلاً وهو لاكو، ثم هلك قبلاً، واستقل هولاكو بملك خراسان، وحدث بينه وبين برقة بن دوشيخان فتنة بالمنازعة في القانية، تحاربوا فيها طريلأ، ثم أقصروا، وصرف هولاكو وجهه إلى بلاد أصبهان، وفارس، ثم إلى الخلقاء المستبددين ببغداد، وعرق العرب، فاستولى على تلك التواحي، واقتصر ببغداد على الخليفة المستعصم، آخر بني العباس وقتلها، وأعظم فيها العيش والفساد، وهو يومذ على دينه من المجرمية، ثم تخذه إلى الشام، فملك أمصاره وحواضره إلى القدس، وملوك مصر يومذ من موالي بني آيوب قد استحوذوا ببركة صاحب صرای، فزحف إلى خراسان ليأخذ محجزة هولاكو عن الشام ومصر. وبلغ خبره إلى هولاكو فحد له ذلك، لما بينهما من المنافسة والعداوة، وكر راجعاً إلى العراق، ثم إلى خراسان، لدافعة برقة. وطالت الفتنة بينهما إلى أن هلك هولاكو سنة ثلاثة وستين من المائة السابعة، وزحف أمراء مصر من موالي بني آيوب، وكثيرهم يومذ قطز، وهو سلطانهم

مصر، وأصبح أهل دمشق متبحرين قد عميت عليهم الأنبا. وجاءني القضاة والفقهاء، واجتمعت بمدرسة العادلية، واتفق رأيهم على طلب الأمان من الأمير عمر على بيتهم وحرمهن، وشاوروا في ذلك نائب القلعة، فأبى عليهم ذلك ونكره، فلسم يوافقونه. وخرج القاضي برهان الدين بن مفلح الخبلي ومعه شيخ القراء بزاوية (....) فأجابهم إلى التأمين، وردهم باستدعاء الوجه والقضاة، فخرجوا إليه متذلين من السور بما صبحهم من التقدمة، فاحسن لقاءهم وكتب لهم الرقاع بالأمان، وردهم على أحسن الآمال، واتفقوا معه على فتح المدينة من الغد، وتصرف الناس في المعاملات، ودخول أمير يتزل بمحل الإمارة منها، ويملك أمرهم بعز ولايته.

وأخبرني القاضي برهان الدين أنه سأله عني، وهل سافرت مع عساكر مصر أو أقمت بالمدينة، فأخبره بمقامي بالمدرسة حيث كنت، وبتنا تلك الليلة على أهمية الخروج إليه، فحدث بين بعض الناس تشاجر في المسجد الجامع، وأنكر البعض ما وقع من الاستئامة إلى القول. وبلغني الخبر من جوف الليل، فخشيت البادرة على نفسي، ويكوت سحراً إلى جماعة القضاة عند الباب، وطلبت الخروج أو التسلل من السور، لما حدث عندي من توهمات ذلك الخبر، فأبوا علي أولاً، ثم أصخروا لي، ودلوني من السور، فوجدت بطانته عند الباب، ونابه الذي عينه للولاية على دمشق، واسميه شاه ملك، منبني جقطاً أهل عصابة، فحيثهم وحيوني، وفديت وفدوني، وقعد لي شاه ملك مركوباً، وبعث معه من بطانة السلطان من أوصلي إلية. فلما وقفت بالباب خرج الإذن بإجلاسي في خيمة هنالك تجاور خيمة جلوسه، ثم زيد في التعريف باسمي أني القاضي الملكي المغربي، فاستدعاني، ودخلت عليه بخيمة جلوسه، متكناً على مرفقه، وصحاف الطعام عمر بين يديه، يشير بها إلى عصب المغل جلوساً أمام خيمته، حلقاً حلقاً. فلما دخلت عليه فاختت بالسلام، وأولمت إيماءة الخposure، فرفع رأسه، ومد يده إلى قبليها، وأشار بالجلوس فجلست حيث انتهيت.

ثم استدعي من بطانته الفقيه عبد الجبار بن النعمان من فقهاء الختنية بخوارزم، فاقعده يترجم ما بيننا، وسألني من أين جئت من المغرب؟ ولم جئت؟ فقلت: جئت من بلادي لقضاء الفرض ركب إليها البحر، ووافت مرسي الإسكندرية يوم الفطر سنة أربع وثمانين من هذه المائة الخامسة، والمفرحتات بأسوارهم جلوس الظاهر على تخت الملك لتلك العشرة الأيام بعدها. فقال لي: وما فعل معك؟ قلت: كل خير، بمر مقدمي، وأرغد قراري،

قبائل المغل إلى تمر، وساروا تحت رايته. وذهب طقطمش في ناحية الشمال، وراء بلغار، متذمّراً بقبائل أروس من شعوب الترك في الجبال. وسارت عصابات الترك كلها تحت رايات تمر، ثم اضطرب ملوك الهند، واستصرخ خارج منهم بالأمير تمر، فسار إليهم عساكر المغل، وملك دلي، وفر صاحبها إلى كتبية مرسي بحر الهند، وعاشوا في نواحي بلاد الهند. ثم بلغه هنالك مهلك الظاهر برقوق بمصر، فرجع إلى البلاد، ومر على العراق، ثم على أرميتيه وأرزنكان، حتى وصل سيواس فخربيها، وعاد في نواحيها، ورجع عنها أول سنة ثلاثة من المائة التاسعة. ونزل قلعة الروم، فامتثلت، وتجاوزها إلى حلب، فقابلته نائب الشام وعساكره في ساحتها، فقضهم، واقتصر المغل المدينة من كل ناحية. ووقع فيها من العيث والهب والمصادرة واستباحة الحرم، ما لم يهد الناس مثله، ووصل الخبر إلى مصر، فتجهز السلطان فرج ابن الملك الظاهر إلى المدافعة عن الشام، وخرج في عساكره من الترك مسابقاً المغل وملتهم تمر أن يصدّهم عنها.

## لقاء الأمير عمر سلطان المغل والططر

لما وصل الخبر إلى مصر بأن الأمير عمر ملك بلاد الروم، وخرج سيواس، ورجع إلى الشام، جمع السلطان عساكره، وفتح ديوان العطاء، ونادي في الجندي بالرحيل إلى الشام، وكانت أنا يومئذ معزولاً عن الوظيفة، استدعياني دواداره يشكك وأرادني على السفر معه في ركب السلطان، فتجافت عن ذلك. ثم أظهر العزم على بلين القول، وجزيل الإنعام فاصحبني، وسافرت معهم متتصف شهر المولد الكريم من ستة ثلاثة وثمانين، فوصلنا إلى غزة، فأراحنا بها أياماً ترقب الأخبار، ثم وصلنا إلى الشام مسابقين الططر إلى أن نزلنا شقحب، وأسرينا فصيحتنا دمشق، والأمير تمر في عساكره قد رحل من بعلبك قاصداً دمشق، فضرب السلطان خيامه وأبنته بساحة قبة يلبغا. ويشن الأمير تمر من هاجمة البلد، فقام بمرقب على قبة يلبغا يرافقنا وزرقاء أكثر من شهر، تحاول العسكريان في هذه الأيام مرات ثلاثاً أو أربعاء، فكانت حرفهم سجلاً، ثم غيّر الخبر إلى السلطان وأكابر أمرائه، أن بعض الأمراء المتخسين في الفتنة يحاولون الحرب إلى مصر للثورة بها، فاجتمع رأيهم للرجوع إلى مصر خشية من انتصارات الناس وراءهم، واحتلال الدولة، بذلك ليلة الجمعة من شهر (....) وركبوا جبل الصالحة، ثم انطلقوا في شعبان، وساروا على شافة البحر إلى غزة، وركب الناس ليلاً يعتقدون أن السلطان سار على الطريق الأعظم إلى مصر، فساروا عصباً وجاءات على شقحب إلى أن وصلوا إلى

في الجانب الشمالي الشرقي، من أمة يادية أهل خيام، تغلب على المالك، وتقلب الدول، وتنستولي على أكثر المعمور. قلت: ومني زمنه؟ فقال: عام أربعة وثمانين تنشر أخباره، وكتب لي بعث ذلك الطبيب ابن رززير اليهودي، طبيب ملك الأفونج ابن أذفونش ومنجمه. وكان شيخي رحمة الله إمام المقولات محمد بن إبراهيم الآبلبي متى فاوضته في ذلك، أو سأله عنه يقول: أمره قريب، ولابد لك إن تراه.

وأما المتصوفة فكنا نسمع عنهم بالغرب ترقبهم لهذا الكائن، ويرون أن القائم به هو الفاطمي المشار إليه في الأحاديث النبوية من الشيعة وغيرهم، فأخبرني يحيى بن عبد الله حاذن الشيخ أبي يعقوب الباذسي كبير الأولياء بالغرب، أن الشيخ قال لهم ذات يوم، وقد انتقتل من صلاة الغداة: إن هذا اليوم ولد فيه القائم الفاطمي، وكان ذلك في عشر الأربعين من المائة الثامنة، فكان في نفسي من ذلك كله ترقب له.

فوقع في نفسي لأجل الرجل الذي كنت فيه أن أناوضه في شيء من ذلك يستريح إليه، وينأس به مني، ففاغنته وقلت: أيدك الله! لي اليوم ثلاثة أو أربعون سنة أتنى لقامك. فقال لي الترجان عبد الجبار: وما سبب ذلك؟ فقلت: أمران، الأول: أنك سلطان العالم، وملك الدنيا، وما اعتقاد أنه ظهر في الخليقة منذ آدم لهذا العهد ملك مثلك، ولست من يقول في الأمور بالجراف، فإني من أهل العلم، وأين ذلك فأقول:

إن الملك إنما يكون بالعصبية، وعلى كثرتها يكون قدر الملك، واتفاق أهل العلم من قبل ومن بعد، أن أكثر أسم البشر فرقتان: العرب والترك، وأنت تعلمون ملك العرب كيف كان لما اجتمعوا في دينهم على نبيهم، وأما الترك ففي مراجعتهم للمرؤ الفرس، وارتفاع ملوكهم أفراسياط خراسان من أيديهم شاهد بتصابهم من الملك. ولا يساوهم في عصبيتهم أحد من ملوك الأرض من كسرى، أو قيصر، أو الإسكندر، أو مختنصر، أما كسرى فكثير الفرس وملوكهم، وأين الفرس من الترك؟ وأما قيصر والإسكندر فملوك الروم، وأين الروم من الترك؟ وأما مختنصر فكثير أهل بلبل، والنبط. وأين هؤلاء من الترك؟ وهذا برهان ظاهر على ما ادعيته في هذا الملك.

وأما الأمر الثاني بما يحملني على تبني لقائه، فهو ما كنت اسمعه من أهل الحديث بالغرب، والأولياء، وذكرت ما قصصته من ذلك قبل. فقال لي: وأراك قد ذكرت مختنصر مع كسرى، وقيصر، والإسكندر، ولم يكن في عدادهم، لأنهم ملوك أكابر. ومحتنصر قائد من قواد الفرس، كما أنا نائب من نواب صاحب

وزودني للحج، ولما رجعت وفر جرابي، وأقمت في ظله ونعمته، رحمة الله وجراه. فقال: وكيف كانت توليه إياك القضاء؟ قلت: مات قاضي المالكية قبل موته بشهر، وكان يظن بي المقام الحمود في القيام بالروظفة، وتحري المعدلة والحق، والإعراض عن الجاه، فولاني مكانه، ومات لشهر بعدها، فلم يرض أهل الدولة بمكани، فاداروني منها بغيري جراهم الله. فقال لي: وأين ولدك؟ قلت: بال المغرب الجوانى كاتب للملك الأعظم هنالك. فقال: وما معنى الجوانى في وصف المغرب؟ قلت هو عرف خطابهم عناء الداخلى، أي الأبعد، لأن المغرب كله على ساحل البحر الشامي من جنوبيه، فالأتقرب إلى هنا برقة، وأفريقية، والمغرب الأوسط: تلمسان وببلاد زناته، والأقصى: فاس ومراكن، وهو معنى الجوانى. فقال لي: وأين مكان طنجة من ذلك المغرب؟ قلت: في الزاوية التي بين البحر الخريط، والخليج المسى بالزقاق، وهو خليج البحر الشامي، فقال: وسبته؟ قلت: على مسافة من طنجة على ساحل الزقاق، ومنها العتدة إلى الأندلس، لقرب مسافته، لأنها هناك نحو العشرين ميلًا. فقال: وفاس؟ قلت: ليست على البحر، وهي في وسط التلول، وكرسي ملوك المغرب من بين مرين. فقال: وسجل ماسة، قلت: في الحد ما بين الأرياف والرماد من جهة الجنوب. فقال: لا يقتضي هذا، وأحب أن تكتب لي بلاد المغرب كلها، أراضيها وأداتها وجباله وأنهاره وقراه وأمصاره، حتى كأبي أشاهدك. قلت: يحصل ذلك بسعادتك، وكتب له بعد انصرافه من المجلس لما طلب من ذلك، وأوיבعت الغرض فيه في مختصر وجيزة يكون قدر اثنى عشرة من الكواريس المنقوطة القطع. ثم أشار إلى خدمه بإحضار طعام من بيته يسمونه الرشتة، وبمحكمته على أبلغ ما يمكن، فحضرت الأواني منه، وأشار بعرضها علي، فمثلت قائمًا وتناولتها وشربت واستطببت، ووقع ذلك منه أحسن الواقع، ثم جلست وسكتنا، وقد غلبني الرجل بما وقع من نوبة قاضي القضاة الشافعية، صدر الدين المناوي، أسره التابعون لعسكر مصر. بشقحب، وردوه، فحبس عندهم في طلب الفدية منه، فأصابنا من ذلك وجل، فزورت في نفسي كلاماً أخاطبه به، وأنطلقه بتعظيم أحواله، وملكه. وكانت قبل ذلك بالغرب قد سمعت كثيراً من الحديث في ظهوره، وكان المنجمون المتكلمون في قرانات العلوين يترقبون القران العاشر في المائة المروائية، وكان يترقب عام ستة وستين من المائة السابعة. فلقيت ذات يوم من عام أحد وستين وسبعيناً مجتمع القرويين من فاس، الخطيب أبا علي بن باديس خطيب قسطنطينة، وكان ماهراً في ذلك الفن، فسألته عن هذا القران المتوقع، وما هي آثاره؟ فقال لي: يدل على شائر عظيم

أيدي النهاية على بيوت أهل المدينة، فاستوعبوا أنسيها، وأمتعتها، وأضروا الناس فيما يبني من سقط الأقمشة والخزفي، فاتصلت النار بجيتان الدور المدعمة بالخشب، فلم تزل تتقد إلى أن اتصلت بالجامع الأعظم، وارتفعت إلى سقفه، فسال رصاصه، وتهدمت سقفه وحوائطه، وكان أمراً يلغى مبالغه في الشناعة والقبح. وتصارييف الأمر يد الله يفعل في خلقه ما يريد، ويحكم في ملكه ما يشاء. وكان أيام مقامي عند السلطان قر، خرج إليه من القلعة يوم أمن أهلها رجل من أعقاب الخلفاء بمصر، من ذرية الحاكم العباسي الذي نصبه الظاهر بيبرس، فوقف إلى السلطان قر يسأله النصفة في أمره، ويطلب منه منصب الخلافة كما كان لسلفه، فقال له السلطان قر: أنا أحضر لك الفقهاء والقضاة، فإن حكموا لك بشيء أصنفك فيه، واستدعي الفقهاء والقضاة، واستدعاني فيهم، فحضرنا عنده وحضر هذا الرجل الذي يسأل منصب الخلافة، فقال له عبد الجبار: هذا مجلس النصفة فتكلم. فقال: إن هذه الخلافة لنا ولسفنا، إن الحديث صحيحة باتفاقنا، وإنما يقتضي الدين، يعني أمر الخلافة. وإنني أحق من صاحب المنصب الآن بمصر، لأن آبائي الذين ورثتهم كانوا قد استحقوا، وصار إلى هذا وغير مستند، فاستدعي عبد الجبار كلاماً منا في أمره، فسكننا ببرهان، ثم قال: ما تقولون في هذا الحديث، قال برهان الدين بن مفلح: الحديث ليس بصحيح. واستدعي ما عندي في ذلك فقلت: الأمر كما قلتم من أنه غير صحيح، فقال السلطان قر: فما الذي أشار الخلافة لبني العباس إلى هذا العهد في الإسلام؟ وشافهني بالقول، قلت: أيدك الله اختلاف المسلمين من لدن وفاة النبي ﷺ، هل يجب على المسلمين ولادة رجل منهم يقوم بأمرورهم في دينهم ودنياه، أم لا يجب ذلك؟ فذهب طافحة إلى أنه لا يجب، ومنهم الخوارج، وذهب الجماعة إلى وجوبه، وختلفوا في مستند ذلك الوجوب، فذهب الشيعة كلهم إلى حديث الرصبة، وأن النبي ﷺ أوصى بذلك لعلي، واحتلقو في تقلتها عنه إلى عقبه إلى مذهب كثيرة تشد عن الحصر. وأجمع أهل السنة على إنكار هذه الرصبة، وأن مستند الوجوب في ذلك إنما هو الاجتهاد، يعني أن المسلمين يجهدون في اختيار رجل من أهل الحق والفقه والعدل، يفرضون إليه النظر في أمرهم.

ولما تعددت فرق العلوية وانتقلت الرصبة بزعمهم من بني الحنفية إلى بني العباس، أوصى بها أبو هاشم بن محمد بن الحنفية إلى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، وبيت دعاته بمراasan. وقام أبو مسلم بهذه الدعوة، فملك خراسان والعراق، ونزل شيعتهم الكوفة، واختاروا للأمر أبا العباس السفاح ابن صاحب

التحت، وهو هذا، وأشار إلى الصفة القائمه وراءه، وكان واقفاً معهم، وهو رببه الذي تقدم لنا أنه تزوج أمه بعد أبيه ساطلش، فلم يلتفه هناك، وذكر له القائمون في ذلك الصفة أنه خرج عنهم. فرجع إلى فقال: ومن أي الطوائف هو مختصر؟ فقلت: بين الناس فيه خلاف، فقيل: من البط بقية ملوك بابل، وقيل: من الفرس الأولى، فقال: يعني من ولد منوشهر. قلت نعم هكذا ذكروا، فقال: ومن شهر له علينا ولادة من قبل الأمهات. ثم أفضت مع الترجمان في تعظيم هذا القول منه، وقلت له: وهذا مما يجعلني على ثني لقائه.

قال الملك: وأي القولين أرجح عنده في؟ فقلت: إنه من عقبة ملوك بابل، فذهب هو إلى ترجيح القول الآخر. فقلت: يعكر علينا رأي الطبرى، فإنه مؤرخ الأمة ومحدثهم، ولا يرجحه غيره، فقال: وما علينا من الطبرى؟ فحضر كتب التاريخ للعرب والعجم، وتناظرنا. فقلت: وأنا أيضاً أناظر على رأي الطبرى، واتبعنا بما القول، فسكت، وجاء الخبر بفتح باب المدينة، وخروج القضاة وفاء بما زعموا من الطاعة التي بذل لهم فيها الأمان، فرفع من بين أيدينا، لما في ركبته من الداء، وحمل على فرسه فقبض شكانه، واستوى في مركبه. وضررت الآلات خفافيه حتى ارتج لها الجلو. وسار نحو دمشق، ونزل في تربة منجك عند باب الجابية، فجلس هناك، ودخل إليه القضاة وأعيان البلد، ودخلت في جلتهم، فأشار إليهم بالانصراف، وإلى شاه ملك نائبه أن يخلع عليهم في وظائفهم، وأشار إلى بالجلوس، فجلسوا بين يديه. ثم استدعي أمراء دولته القائمين على أمر البناء، فأحضروا عرفاء البيان المهندين، وتناظروا في إذهاب الماء الدائر بمغير القلعة، لعلهم يعثرون بالصناعة على منفذ، فتناظروا في مجلسه طويلاً، ثم انصرقو، وانصرفت إلى بيتي داخل المدينة بعد أن استاذته في ذلك، فاذن في. واقمت في كسر البيت، وافتلت بما طلب مي في وصف بلاد المغرب، فكتبه في أيام قليلة، ورفعته إليه فأخذته من يدي، وأمر موقعه بترجمته إلى اللسان المغلي. ثم اشتدى في حصار القلعة، ونصب عليها الآلات من المجنائق، والنقوط، والعرادات، والنقب، فنصبوا لأيام قليلة ستين منجيقاً إلى ما يشكلها من الآلات الأخرى، وضاق الحصار بأهل القلعة، وتهدم بناوها من كل جهة، فطلبوا الأمان.

وكان بها جماعة من خدام السلطان وملته، فامهنت السلطان قر، وحضروا عنده. وخرب القلعة وطمس معالمها، وصادر أهل البلد على قناطير من الأموال استولى عليها بعد أن أخذ جميع ما خلفه صاحب مصر هنالك، من الأموال والظفر والخيام. ثم أطلق

إن شاء الله أوفي كنه قصتك. قلت: يأمر لي بذلك نائبك شاه ملك، فأشار إليه بامضاء ذلك، فشكرت ودعوت وقلت: وبقيت لي أخرى. فقال: وما هي؟ قلت: هؤلاء المخلفون عن سلطان مصر. من القراء، والموحقين، والدواوين، والعمال، صاروا إلى إيلاتك والملك لا يغفل مثل هؤلاء فسلطانكم كبير، وعمالاتكم متعدة، وحاجة ملوككم إلى المتصرين في صنوف الخدم أشد من حاجة غيركم، فقال: وما تزيد لهم؟ قلت: مكتوب أمان يستيمون إلي، ويعولون في أحوالهم عليه. فقال لكاتبته: اكتب لهم بذلك، فشكرت ودعوت. وخرجت مع الكاتب حتى كتب لي مكتوب الأمان، وختمه شاه ملك خاتم السلطان، وانصرفت إلى منزلتي. ولما قرب سفره واعتنم على الرحيل عن الشام، دخلت عليه ذات يوم، فلما قضينا العتاد، التفت إلى وقال: عندك بغلة هنا؟ قلت: نعم، قال: حسنة؟ قلت: نعم، قال: وتبعها؟ فأناشيرها منك، قلت: أيديك الله مثلي لا بيع من ملوك، إنما أنا أخدمك بها، ويأمثالها لو كانت لي، فقال: إنما أردت أن أكاففك عنها بالإحسان، قلت: وهل بقي إحسان وراء ما أحسنت به، أصطنعتني، وأحللتني من مجلسك عمل خراصك، وقابلتني من الكرامة والخير بما أرجو الله أن يقابلك بهم، وسكت وسكت وحملت البغة - وإنما معه في المجلس إليه ولم أرها بعد.

ثم دخلت عليه يوماً آخر فقال لي: أتسافر إلى مصر؟ قلت: أيديك الله، رغبي إنما هي أنت، وأنت قد أويت وكفلت، فإن كان السفر إلى مصر في خدمتك فنعم، وإلا فلا بغية لي فيه، فقال: لا، بل تسافر إلى عيالك وأهلك، فالثالثت إلى ابنه، وكان مسافراً إلى شقحب لمرياد دوابه، واستقفل يجادله، فقال لي الفقيه عبد الجبار الذي كان يترجم بيتنا: إن السلطان يوصي ابنه بك، فدعوت له، ثم رأيت أن السفر مع ابنه غير مستحسن الوجهة، والسفر إلى صندوق أقرب السواحل إليها أملوك لأمري، قلت له ذلك، فأجاب إليه، وأوصى بي قاصداً كان عنده من حاجب صفد ابن الداوداري، فودعه وانصرفت، وافتلت الطريق مع ذلك القاصد، فذهب عني، وذهبت عنه، وسافرت في جمع أصحابي، فاعتبرت جماعة من العشير قطعوا علينا الطريق، ونهبوا ما معنا، ونجينا إلى قرية هنالك عربياً. واتصلنا بعد يومين أو ثلاثة بالصبية فخلفنا بعض الملبوس، وأجزنا إلى صندوق، فاقتنا بها أياماً. ثم مر بنا مركب من مراكب ابن عثمان سلطان بلاد الروم، ووصل فيه رسول كان سفر إليه عن سلطان مصر، ورجع بجوار رسالته، فركبت معهم البحر إلى غزة، ونزلت بها، وسافرت منها إلى مصر، فوصلتها في شعبان من هذه السنة، وهي سنة ثلاثة وثمانمائة،

هذه الدعوة، ثم أرادوا أن تكون بيته على إجماع من أهل السنة والشيعة، فكانتوا كبار الأمة يومئذ، وأهل الحال والعقد، بالمحجاز والعراق، يشارونهم في أمره، فرق اختيارهم كلهم على الرضى به، فباع له شيعته بالكوفة بيعة إجماع وإصفاق. ثم عهد بها إلى أخيه المنصور، وعهد بها المنصور إلى بنيه، فلم تزل متناقلة فيهم، إما بعهد أو باختيار أهل العصر، إلى أن كان المستعصم آخرهم ببغداد. فلما استولى عليها هولاكو وقتلها، افترق قرابتها، ولحق بعضهم بمصر، وهو أحد الحاكم من عقب الراشد، فنصبه الظاهر بيبرس بمصر، بمقالة أهل الحال والعقد من الجندي والفقهاء. وانتقل الأمر في بيته إلى هذا الذي بمصر، لا يعلم خلاف ذلك. فقال لهذا الرافع: قد سمعت مقال القضاة، وأهل الفتيا، وظهر أنه ليس لك حق تطلب به عندي. فانصرف راشداً.

## الرجوع عن هذا الأمير تمر إلى مصر

كنت لما لقيته، وتذليلت إليه من السور كما مر أشار عليه بعض الصحابة من يخبر أحوالهم بما تقدمت له من المعرفة بهم، فأشار بأن أطرفه ببعض هدية، وإن كانت نزرة فهي عندهم متأكدة في لقاء ملوكهم، فانتسبت من سوق الكتب مصحفاً رائعاً حسناً في جزء مخدنو، وسجادة أنيقة، ونسخة من قصيدة البردة المشهورة للبربرصري في مدح النبي ﷺ، وأربع علىب من حلوة مصر الفاخرة. وجئت بذلك فدخلت عليه، وهو بالقصر الأبلق جالس في ليوانه، فلما رأيي مقلباً مثل قائمها وأشار إلى عن يمينه، فجلست وأكابر من الجقطية حفافي، فجلست قليلاً، ثم استدرت بين يديه، وأشارت إلى المدينة التي ذكرتها، وهي بيد خدامي، فوضعتها، واستقبلني، ففتحت المصحف فلما رأه وعرفه، قام مبارداً فوضعه على رأسه. ثم ناوته البردة، فسألني عنها وعن ناظمتها فأخبرته بما وقفت عليه من أمرها. ثم ناوته السجادة، فتناولها وقبلها. ثم وضع علب الحلوى بين يديه، وتناولت منها حرفنا على العادة في التأني斯 بذلك. ثم قسم هو ما فيها من الحلوى بين الحاضرين في مجلسه، وتقبل ذلك كله، وأشار بالرضي به. ثم حرمته على الكلام بما عندي في شأن نفسي، وشأن أصحابي لي هناك. قلت: أيديك الله لي كلام ذكره بين يديك، فقال: قل. قلت: أنا غريب بهذه البلاد غربتين، واحدة من المغرب الذي هو وطني ومنشأي وأخرى من مصر وأهل جيلي بها، وقد حصلت في ظللك، وأنا أرجو رأيك لي فيما يؤنسني في غربتي، فقال: قل الذي تزيد أفعله لك، قلت: حال الغربة أنسني ما أريد، وعساك - أيديك الله - أن تعرف لي ما أريد. فقال: انتقل من المدينة إلى الأردو عندي، وأنا

وطولي كان في قسمته أعمال خراسان، وعراقي العجم، والري إلى عراق العرب وبيلاد فارس وسجستان والستن، وكان أبناؤه: قبلاي، وهو لاكر ودوشي خان كان في قسمته بلاد قبچق، ومنها صرای، وبيلاد الترك إلى خوارزم وكان لهم أخ رابع يسمى أوکدای کیرهم، ويسمونه الخان، ومعناه صاحب التخت، وهو بمثابة الخليفة في ملك الإسلام. وانقرض عقبه، وانتقلت الخانية إلى قبلاي، ثم إلى بني دوشی خان، أصحاب صرای.

واستمر ملك الططر في هذه الدول الثلاث، وملك هو لاكر بغداد، وعراقي العرب، إلى ديار بكر ونهر الفرات. ثم زحف إلى الشام وملكتها، ورجع عنها، وزحف إليها بنوه مراراً، وملوك مصر من الترك يدافعونها عنها، إلى أن انقرض ملك بني هو لاكر أو عوام أربعين وسبعين، وملك بعدهم الشيخ حسن التوزن وبنوه، وافتلق ملوكهم في طوائف من أهل دولتهم، وارتفعت تقمتهم عن ملوك الشام ومصر. ثم في أعوام السبعين أو الثمانين وسبعين، ظهر في بني جقطاي وراء النهر أمير اسمه تيمور، وشهرته عند الناس تمر، وهو كافل لصبي متصل النسب معه إلى جقطاي في آباء كلهم ملوك، وهذا تمر بن طرغاي هو ابن عمهم، كفل صاحب التخت منهم اسمه محمود، وتزوج أم صرغمتش، ومد يده إلى مالك التتر كلها، فاستولى عليها إلى ديار بكر، ثم جال في بلاد الروم والهندي، واعاث عساكره في نواحيها، وخرب حصونها ومدنها، في أخبار يطول شرحها. ثم زحف بعد ذلك إلى الشام، فقتل به ما فعل، والله غالب على أمره. ثم رجع آخرًا إلى بلاده، والأخبار تتصل بأنه قصد سمرقند، وهي كرسيه.

والقوم في عدد لا يسعه الإحصاء، إن قدرت ألف ألف فغير كثير، ولا تقول: أقصى، وإن خيموا في الأرض ملؤوا الساح، وإن سار في كثائفهم في الأرض العريضة ضاق بهم الفضاء، وهم في الغارة والنهب والفتوك بأهل العمran، وابتلاهم بأنواع العذاب، على ما يحصلونه من فساتهم آية عجب، وعلى عادة بوادي الأعراب.

وهذا الملك تمر من زعماء الملوك وفراعتهم، والناس ينسبونه إلى العلم، وأخرون إلى اعتقاد الرفض، لما يرون من تفضيله لأهل البيت، وآخرون إلى انتقال السحر، وليس من ذلك كله في شيء، إنما هو شديد الفطنة والذكاء، كثير البحث واللجاج بما يعلم وما لا يعلم، عمره بين الستين والسبعين، وركبته اليمنى عاطلة من سهم أصحابه في الغارة أيام صباه على ما أحربني، فيجرها في قرب المشي، ويتناوله الرجال على الأيدي عند طول المسافة، وهو مصنوع له، والمملوك لله يوتيه من يشاء من عباده.

وكان السلطان صاحب مصر، قد بعث من بابه سفيراً إلى الأمير تمر إيجابة إلى الصلح الذي طلب منه، فأعقبني إليه. فلما تلقى رسالته رجع، وكان وصوله بعد وصولي، فبعث إلى مع بعض أصحابه يقول لي: إن الأمير تمر قد بعث معى إليك ثمن البغالة التي ابتعاك منك، وهي هذه فخذها، فإنه عزم علينا من خلاص ذمته من مالك هذا. فقلت: لا أقبله إلا بعد إذن من السلطان الذي يبعثك إليه، وأما دون ذلك فلا. ومضيت إلى صاحب الدولة فأخبرته الخبر فقال: وما عليك، فقلت: إن ذلك لا يجمل بي أن أفعله دون إطلاعكم عليه، فاغضى عن ذلك، ويعشا إلى بذلك المبلغ بعد مدة، واعتذر الحامل عن نقصه بأنه أعطيه كذلك، وحمدت الله على الخلاص.

وكانت حيثذا كتاباً إلى صاحب المغرب، عرفته بما دار بيبي وبين سلطان الططر تمر، وكيف كانت واقعته معنا بالشام، وضمنت ذلك في فصل من الكتاب نصه:

وإن تقضيتم بالسؤال عن حال الملوك، فهي بغير والحمد لله، وكانت في العام الفارط توجهت صحبة الركاب السلطاني إلى الشام عندما زحف الططر إليه من بلاد الروم والعراق، مع ملوكهم تمر، واستولى على حلب وحاة ومحص وبعلبك، وخر بها جيماً، وعاثت عساكره فيها بما لم يسمع أشنع منه. ونهض السلطان في عساكره لاستقاذها، وسيق إلى دمشق، وقام في مقابلته نحوًا من شهر، ثم قفل راجعًا إلى مصر، وتختلف الكثير من أمرائه وقبائله، وكانت في المخلفين. وسمعت أن سلطانهم تمر سأله عنى، فلم يسمع إلا لقاوته فخرجت إليه من دمشق، وحضرت مجلسه، وقابلني بغير، واقتضيته منه الأمان لأهل دمشق، وأقمت عنده خمساً وتلتين يوماً، أباياكه وأراوحه. ثم صرفي، وودعني على أحسن حال، ورجعت إلى مصر. وكان طلب مني بغلة كرت اركبها فأعطيته إياها، وسألني البيع فتألفت منه، لما كان يعامل به من الجميل، وبعد انصرافي إلى مصر بعث إلى بشمنا مع رسول كان من جهة السلطان هنالك، وحمدت الله تعالى على الخلاص من ورطات الدنيا.

وهؤلاء الططر هم الذين خرجو من المفازة وراء النهر، بينه وبين الصين، أعوام عشرين وستمائة مع ملوكهم الشهير جنكرخان وملك المشرق كله من أيدي السلاجوقية ومواليهم إلى عراق العرب، وقسم الملك بين ثلاثة من بنيه وهم جقطاي، وطولي، ودوشي خان:

فجقطاي كبيرهم، وكان في قسمته تركستان وكاشغر، والصاغون، والشاش وفرغانة، وسائر ما وراء النهر من البلاد.

### ولاية القضاء الثالثة والرابعة الخامسة بمصر

كت - لما أقمت عند السلطان غر تلك الأيام التي أقمت - طال مغبي عن مصر، وشيعت الأخبار عن الملوك، فقدم للوظيفة من يقوم بها من فضلاء المالكية، وهو جمال الدين الأقفيسي، غزير الحفظ والذكاء، عفيف النفس عن التصدي لحاجات الناس، ورع في دينه، فقلدوه متصرف جمادى الآخرة من السنة.

فلما رجعت إلى مصر، عدلوا عن ذلك الرأي، وبدا لهم في أمري، فولونى في أواخر شعبان من السنة. واستمررت على الحال التي كنت عليها من القيام بالحق، والإعراض عن الأغراض، وإنصاف من المطالب، ووقع الإنكار علي من لا يدين للحق، ولا يعطي الصفة من نفسه، فسعوا عند السلطان في ولاية شخص من المالكية يعرف بجمال الدين البساطي، بذل في ذلك لسعة داخلوه قطعة من ماله، ووجوهاً من الأغراض في قضائه. قاتل الله جميعهم، فخلعوا عليه أواخر رجب، سنة أربع وثمانمائة. ثم راجع السلطان بصيرته، وانتقد رأيه، ورجع إلى الوظيفة خاتم سنة أربع وثمانمائة، فأجريت الحال على ما كان. وبقي الأمر كذلك سنة وبعض الأخرى، وأعادوا البساطي إلى ما كان، وبما كان، وعلى ما كان، وخلعوا عليه سادس ربيع الأول سنة ست وثمانمائة، ثم أعادوني عشر شعبان سنة سبع وثمانمائة، ثم أدالوا به مني أواخر ذي القعدة من السنة ويد الله تصاريف الأمور.

## فهرس الآيات القرآنية



«إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُبَارِكَاتِ وَالْمُبَارَكُونَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَرَى» ..... ٣٤٨	«أَجْعَلْنِي عَلَى خَرَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِظُ عَلَيْمًا» ..... ٣٤٨
١٣٧ ..... «إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ» ..... ٥٢٥، ٢٢٣	«إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ» ..... ٥٢٥، ٢٢٣
٤٦ ..... «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْلَافِ النَّيْلِ وَالنَّهَارِ لِكَيْتَ لِأَرْزِي الْأَتَابِرَ» ..... ٦٦٣	«أَدْلُونَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ» ..... ٦٦٣
٧٤ ..... «إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَاهَرِينَ وَإِنَّا لَنْ نَذْخِلَهَا حَسْنَى يَخْرُجُوا مِنْهَا» ..... ٣٣٨، ١٣	«إِنَّمَا ذَاتُ الْعِدَادِ» ..... ٣٣٨، ١٣
٤٦٩ ..... «أَن لَا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يُشْرِقُنَّ وَلَا يُغَرِّبُنَّ وَلَا يَقْتَلُنَّ أَوْلَادَهُنَّ» ..... ٢٤٢	«إِنْتَرَى عَلَى الْعَرْشِ» ..... ٢٤٢
٧٢، ١٩٠، ١٦٢٢ ..... «إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ وَيَأْتُو بِخَلْقٍ جَدِيدٍ. وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ» ..... ٩٩، ١٠١	«أَطْبَعُوا اللَّهَ وَأَطْبَعُوا الرَّسُولَ وَأَرْزِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ» ..... ٩٩، ١٠١
٢٠٨١ ..... «إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً» ..... ٢٧، ٢٦	«أَغْنِي كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ تُمَدَّى» ..... ٩٨
٥٤، ٥٠ ..... «إِنَّا سَنَلْقَى عَلَيْكَ قُرْلَا لَقْبِلَا» ..... ٩٨	«أَنْحَسِبْنَا إِنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبْتَانِ» ..... ٩٨
١٧١٢ ..... «إِنَّا فَعَلْنَا لَكَ فَعْلًا مُبِينًا. لِيَعْلَمَنَّكَ اللَّهُ مَا تَقْدِيمُ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأْخِرُ وَيَعْلَمَنَّ بِعْتَمَةِ عَلَيْكَ رَوْهِنِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا. وَتَنْصُرَكَ اللَّهُ تَصْرِأً عَزِيزًا. هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَرْبَدُ دُؤُلَّا إِيمَانًا مُعَمَّلًا إِيمَانِهِمْ وَلَلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيَّمًا حَكِيمًا» ..... ٤٩٣، ٢٤٠	«أَفَرَأَيْتَ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلْقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ أَفَرَأَ وَرِبِّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلِمَ بِالْفَلَمِ عَلِمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ» ..... ٤٩٣، ٢٤٠
٥٨٨ ..... «إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمُؤْمِنَى» ..... ١١٤	«إِلَّا الَّذِينَ آتُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَاتَلُوا مَا هُمْ بِهِ أَعْلَمُ» ..... ٥٢٠
٩٠٤ ..... «إِنَّكَ لَا تَهْدِي مِنْ أَحْيَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مِنْ يَشَاءُ» ..... ٥٧٥	«أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ» ..... ١٦٧
٥٢٦ ..... «إِنَّكَ مَيْتَ وَإِنَّهُمْ مَيْتُونَ» ..... ١٣٢	«أَلَّا يَعْلَمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشُوْهُمْ فَزَادُهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسِبْنَا اللَّهَ وَنَعْمَلُ وَرِكْبِيلَ» ..... ١٣٢
٢٣٩ ..... «إِنَّا أَنَا يَشَرُّ مَثَلَكُمْ بُوْحَى إِلَيَّ أَنَا إِلَهُكُمْ إِلَّا وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَلَا تَسْتَفِرُوْهُ» ..... ٣٠٨	«إِنَّ اللَّهَ أَحَدُ اللَّهِ الصَّمَدُ» ..... ٣٠٨
٣٩٧ ..... «إِنَّا أَنَا رَسُولُ رَبِّكُوكَ لَأَهْبَطَ لَكَ غَلَامًا زَكِيًّا» ..... ٢٠١	«إِنَّ اللَّهَ أَنْحَى أَخْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُشَاهِيْدًا تَقْشِيرُ مِنْهُ جَلُودُ الَّذِينَ يَخْشُونَ رَبَّهُمْ» ..... ٣٠٨
٩٦٣ ..... «إِنَّا جَزَاءُ الَّذِينَ يُخَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ» ..... ١١٩	«إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَاقُ دُوْلُ الْقُوَّةِ الْمَيْتِينَ» ..... ١١٩
٧١٢ ..... «إِنَّا جَزَاءُ الَّذِينَ يُخَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا» ..... ١٦٧	«إِنَّمَا تَرَى إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمْ بِيَنْهُمْ» ..... ٥٧٩
٩٠٣ ..... «إِنَّا جَزَاءُ الَّذِينَ يُخَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَاعْغَلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنُورٌ رَحِيمٌ» ..... ١٢	«إِنَّمَا تَرَى إِلَى الَّذِينَ أَنْقَلَمُوكُوكَ بَعْدَ إِذَمَ ذَاتِ الْعِدَادِ» ..... ١٢
٢٤٠ ..... «إِنَّا عَلِمْنَاهُ عِنْدَ اللَّهِ» ..... ٥٢٥	«أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مُثُرَّ لِلْمُكَبِّرِينَ» ..... ٥٢٥
..... ..... «إِنَّمَا تَرَى إِلَى الَّذِينَ تَرَلَوْنَا مِنْكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّمَا اسْتَرْلَمُوكُوكَ» ..... ٥٢٣	«إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِيْنَ» ..... ٥٢٣
..... ..... «إِنَّمَا تَرَى إِلَى الَّذِينَ تَرَلَوْنَا مِنْكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّمَا اسْتَرْلَمُوكُوكَ» ..... ٧١، ١٠٤	«إِنَّمَا تَرَى إِلَى الَّذِينَ تَرَلَوْنَا مِنْكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّمَا اسْتَرْلَمُوكُوكَ» ..... ٧١، ١٠٤
..... ..... «إِنَّمَا تَرَى إِلَى الَّذِينَ تَرَلَوْنَا مِنْكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّمَا اسْتَرْلَمُوكُوكَ» ..... ٥٠٥	«إِنَّمَا تَرَى إِلَى الَّذِينَ تَرَلَوْنَا مِنْكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّمَا اسْتَرْلَمُوكُوكَ» ..... ٩١٢
..... ..... «إِنَّمَا تَرَى إِلَى الَّذِينَ تَرَلَوْنَا مِنْكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّمَا اسْتَرْلَمُوكُوكَ» ..... ٧٦٨	«إِنَّمَا تَرَى إِلَى الَّذِينَ تَرَلَوْنَا مِنْكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّمَا اسْتَرْلَمُوكُوكَ» ..... ٩١٢

٢١١	﴿سَنَةُ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَلَنْ تَجِدْ لِسْنَةَ اللَّهِ تَبَدِيلًا﴾	«إِنَّمَا النَّسْيَى زِيادةً فِي الْكُفَّارِ يُضْلِلُ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِجُلُونَهُ عَامًا وَسَخْرُونَهُ عَامًا لَيُوأْطِلُوْا عَدَةً مَا حَرَمَ اللَّهُ فِي جَلْوَاهُ مَا حَرَمَ اللَّهُ»
٤٧	﴿سَنَةُ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ وَلَنْ تَجِدْ لِسْنَةَ اللَّهِ تَبَدِيلًا﴾	«إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمِلَ عَيْنَ صَالِحٍ فَلَا شَانِلَ مَا لَيْسَ لَكَ بِعِلْمٍ»
٩٨	﴿صِرَاطُ الْغَنِيِّ الْخَيْرِيِّ اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾	«إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً»
١٧١٢	﴿طَسِّمْ بِكُلِّ آيَاتِ الْكِتَابِ الْمُبَيِّنِ﴾	«أَهْدَيْنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ»
٩٠٤	﴿طَسِّمْ بِكُلِّ آيَاتِ الْكِتَابِ الْمُبَيِّنِ تَنَوَّعَ عَلَيْكَ مِنْ تُبِّلِ مُوسَى وَفَرَغْنَةُ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ إِنَّ فَرَغْنَةَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شَيْئًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَيْكَ ابْنَاءَهُمْ وَيَسْتَخْبِي نَسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْفَسِيْبِينَ وَتُرِيدُ أَنْ تُنْهِيَ عَلَى الَّذِينَ أَسْتَضْعِفُوْا فِي الْأَرْضِ وَتَجْعَلَهُمْ أَيْمَةً وَتَجْعَلُهُمْ الْوَارِثِينَ وَتُمْكِنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَتُرِي فَرَغْنَةَ وَهَامَانَ وَجَنْوَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذِرُونَ﴾	«أَهْدَيْنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَعْنَمْتَ عَلَيْهِمْ عَيْنَ الْمُعْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الْضَّالِّينَ»
١٩٣	﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾	«تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ تَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عَلَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَقْيِّنِ»
٨٩	﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾	«تَهْنِي عَنِ النَّسْخَتَاءِ وَالْمُنْكَرِ»
٧٤	﴿فَإِذْهَبْ أَنْتَ وَرِبُّكَ فَقَاتِلَا﴾	«ثُمَّ إِنْ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا تَبَرَّأُوا مِنْهُمْ»
٦٧	﴿فَالْتَّهُمَّهَا فُجُورُهَا وَتَقْرَأْهَا﴾	«جَاءَ الْحَقُّ وَرَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَمُوقًا»
٣١٥	﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَأَنْتَيْ وَصَدَقَ بِالْحُسْنَى﴾	«جَعَلْنَاكُمْ خَلَافَ الْأَرْضِ»
٣١٥	﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَأَتَرَ الْحَيَاةَ الْلَّذِيَا﴾	«جَعَلْنَاكُمْ عَنْكُرُونَ»
٣٤٥	﴿فَبَشِّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَبِنَ رَزَاءِ إِسْحَاقَ يَغْتُرُبُ﴾	«حَسْنَى إِذَا بَلَغَ أَشْدَدَهُ وَتَلَغَ أَبْيَانَ سَنَةَ»
٢٤٢	﴿فَتَنَالَ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾	«حَسْنَى إِذَا بَلَغَ أَشْدَدَهُ وَتَلَغَ أَبْيَانَ سَنَةَ»
٤٤٤	﴿فَلَمَّا أَخْسَرُوا بَأْسَتْ إِذَا هُمْ مُنْهَا يَرْكَضُونَ﴾	«حَسْنَى بِرَدْوُكُمْ عَنِ دِينِكُمْ إِنْ دِينَكُمْ إِنْ أَسْتَطَعْنَا
١٥٩٥	﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾	«حَسْنَةٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةٌ تُطَهِّرُهُمْ وَتُرْكِيهِمْ بِهَا»
٢٣٤	﴿فَرِيزِلَ لِلْمُصْلِيْنَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾	«الْحَلَاقُ الْعَلِيمُ»
٣٠٨	﴿فَذَ فَصَلَنَا الْأَيَّاتِ﴾	«خِتَامَةُ مِسْكَنِكَ»
٢٢٣	﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرَهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾	«خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَمَةً أَنْتَيَانَ»
١١٤٩	﴿قُلِ اللَّهُمْ مَالِكُ الْمُلْكِ﴾	«خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا»
٦٢٢	﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾	«ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْغَنِيِّ الْعَلِيمِ»
٢٢٣	﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدُ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُواً أَحَدًا﴾	«رَبُّ اغْفِرْ لِي وَقْبَ لِي مُلْكًا لَا يَبْغِي لِأَخْدِي مِنْ بَعْدِي»
٧٧٤، ١١٠	﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُوْنَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُوْنَ﴾	«سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِيفُونَ»
١٥١	﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَرْجَهُ﴾	«سُخْرَ لَكُمُ الشَّمْسُ وَالقَمَرُ وَسُخْرَ لَكُمُ الْبَحْرُ»
٢٤٠	﴿كُلُّ مِنْ عَدِّ رَبِّنَا﴾	«سَنَةُ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِيَادَوْهُ»

﴿كُمْ تَرْكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعَيْنٍ﴾	٥٤٨
﴿كَمَا خَلَقْتُكُمْ أُولَئِنَّا﴾	٢٠٨
﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أَخْرَجْتَ لِلنَّاسِ﴾	٤٦
﴿لَا اقْسَمُ بِهَا الْبَلَدُ. وَإِنَّ حَلَّ بِهَا الْبَلَدُ﴾	٢٠٦٩
﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾	٩٣٨
﴿لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنْ عَلِيَّاً جَمِيعَةً وَقُرْآنَةً	
﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتِنَهُ ثُمَّ إِذَا عَلِيَّاً بَيَّنَهُ﴾	٢٥٠
﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نُجُوَاهُمْ﴾	٥٧٩
﴿لَيْسَ أَكْلَهُ الذَّنَبَ وَنَحْنُ عَصِيهِ إِنَّا إِذَا لَخَسِرُوْنَ﴾	٦٧
﴿لَيْسَ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمْ﴾	٢٢٣
﴿لِكُلِّ أَجْلِ كِتَابٍ﴾	١٤٩، ١٤٨
﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ﴾	٢٤٢
﴿لِنْ تَفْعَمُ أَرْحَامَكُمْ وَلَا أَوْلَادَكُمْ﴾	١٠٤
﴿لِيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾	٢٠٧٨
﴿لَزَ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قَلْوَاهُمْ﴾	٨٢
﴿لَزَ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قَلْوَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَتَ بَيْنَهُمْ﴾	٢١١٩
﴿لَزَ كَانَ فِيهِمَا إِلَهٌ إِلاَّ اللَّهُ لَرَسَدَتَا﴾	٨٧
﴿لَيْسَ كَمِيلُهُ شَيْءٌ﴾	٢٤٢
﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الَّذِينَ كَلُّهُ وَلَزَ كِرَةَ الْمُشْرِكُونَ﴾	٧٦
﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾	١٤
﴿مَا كَانَ مُحَمَّدًا أَبَا أَخْدِ مِنْ رُجَالَكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّنَ﴾	
﴿مَا نَسْخَنَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُسِّهَا ثَانٍ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾	٩٠٤
﴿الرَّهْ﴾	٢٢٤
﴿الصَّ﴾	١٦٧
﴿مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾	١٤١
﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحَكَّمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُشَتَّبَهَاتٍ﴾	١٦٨
﴿مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَخْدُرُونَ﴾	١٧١٢
﴿مِنْ أُمِّ الْكِتَابِ﴾	٢٤٠
﴿مُؤْمِنُ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحَكَّمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُشَتَّبَهَاتٍ فَمَا الَّذِينَ فِي قَلْوَاهُمْ زَيْغُ فَيَنْبَغِيُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفَتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّأْسُخُونَ فِي	
﴿وَإِنَّمَا تَخَافُنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَأَنْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءِ﴾	٥٠٣
﴿وَإِنْ أَذْرِي لَكُلَّهُ فِتْنَةً لَكُمْ وَمَنَعَ إِلَى حِينٍ﴾	٥٩٧
﴿وَإِنْ تَعْدُوا بِنَعْمَةِ اللَّهِ لَا تُخْصُّهَا﴾	١٧١٥
﴿وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَالْفَرَسَةَ مَا تَدْعُونَ﴾	١٦٧
﴿أَعْلَمُ بِقَوْلِكُمْ أَمْنًا بِهِ كُلُّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَكُّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابُ﴾	٢٤٠
﴿وَاتَّبَعْتَ مِلَّةَ أَبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾	٩٠٤
﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوْفَى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسْبَتْ وَمُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾	١٦٤٣
﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي. هَارُونَ أَخْرِي. اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي. وَأَشْرِكْ فِي أَمْرِي﴾	١١٩
﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطَّينِ كَهْيَةَ الطَّيْرِ يَأْذِنِي فَتَفَخُّ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا يَأْذِنِي﴾	٢٨٧
﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمَ الْقَوْاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْتَعْبِلُ﴾	١٧٧
﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرْدُلَهُ﴾	٧٥
﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ هَلَكَ قَرْيَةً أَمْنَسْنَا مُرْسَقَهَا فَقَسَقَرُوا فِيهَا فَعَنَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾	٧٥، ١٨٨
﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهَنَّمَ أَيْمَانِهِمْ لَيْلَنَ جَاهَهُمْ نَذِيرًا﴾	٦٦٣
﴿وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَقْبِلِينَ﴾	٧٦
﴿وَالَّذِينَ مِنْ بَنْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾	٣٢١
﴿وَالرَّأْسُخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ أَمْنًا بِهِ﴾	٢٤٠
﴿وَالْفَجْرُ﴾	١٣
﴿وَاللَّهُ أَخْرِجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَنْفُسَ﴾	٢٤٣
﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾	٢٠٢، ١٧٥
﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفَقَرَاءُ﴾	١٩٣
﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهَا مَنْ يَشَاءُ﴾	٨٢، ٧٩
﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهَا مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْهِمْ﴾	٩٦
﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مَعْقَبَ لِحَكْمِهِ﴾	٨٢، ١٨١
﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مِنْ يَشَاءُ بَغْيَرِ حِسَابٍ﴾	١٩٧
﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾	٦٣
﴿وَاللَّهُ يُعَذِّرُ الظَّالِمَيْنَ وَالنَّهَارَ إِذَا تَجَلَّ﴾	٨٩، ٧٦، ١٩٤، ١٩٠، ١٤٩
﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مِنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾	٤٨
﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِذَا يَعْشَى. وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّ﴾	٣١٥

١٠٣٨ ..... <b>أَن يَكُونُ لَهُمْ الْحِبْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ</b>	٩٤ ..... <b>وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاجِحِينَ</b>
١٧٢ ..... <b>وَمَا كَانَ لِنَهْدِي لَزْلًا أَنْ هَذَا نَالَ اللَّهُ</b>	٤٩٤ ..... <b>وَأَنْذِرْكُمْ عَذَابَكُلِّ الْأَنْجَرِينَ</b>
١٥ ..... <b>وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي</b>	١٧٠٨ ..... <b>وَتَرَكَكُمْ عَلَيْهِ فِي الْأَخْرِيْنَ</b>
٥٢٦ ..... <b>وَمَا مُحَمَّدٌ أَرَسُولُنَا فَدَ خَلَقَنَا مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ</b>	٢٤٠ ..... <b>وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْدَةَ</b>
٢٤٠ ..... <b>وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ</b>	٢٤٠ ..... <b>وَرَدَ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنْالُوا خَيْرًا وَكَفَى</b>
٢٣٩، ١٣١ ..... <b>وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَآخْلَافَ الْبَيْتِكُمْ وَالْوَالِانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَكَيْاتٍ لِلْعَالَمِينَ</b>	١٧٨٥ ..... <b>اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقَتَالُ</b>
٢٦٢ ..... <b>وَمِنْ شَرِّ النَّفَاثَاتِ فِي الْأَقْدَمِ</b>	٢٤٠ ..... <b>وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَجَدَّدَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةً رَبِّكُمْ خَيْرٌ مَا يَجْمِعُونَ</b>
٩٨ ..... <b>وَمَنْ لَمْ يَعْلَمِ اللَّهَ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ</b>	١٩٧ ..... <b>وَسَخَرْنَا لَكُمُ الْفَلَكَ</b>
٥٠ ..... <b>وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ</b>	١٩٣ ..... <b>وَسَخَرْنَا لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جِمِيعًا مِنْهُ</b>
١٠٥ ..... <b>وَمَنْ يُوقِّعْ شَخْصَهُ فَأَوْلَاهُمْ هُمُ الْمُفْلِحُونَ</b>	٩٠٤، ١٧٧٤ ..... <b>وَسَيَّلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَئِيْمَقْلَبَ يَقْلِبُونَ</b>
٨١١ ..... <b>وَبُرِيدَ أَنْ تُمْثَنْ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ</b>	٣٣٣ ..... <b>وَعِنْدَهُمُ الْأَوْرَاهُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ</b>
٦٧ ..... <b>وَمَدِينَةُ النَّجَدَتِينَ</b>	١٣٠ ..... <b>وَتَرَقَ كُلُّ ذِي عِلْمٍ</b>
٢١٥ ..... <b>وَهُمْ يَخْسِبُونَ أَهْمَهُ بَخْسِبُونَ صُنْعَاءَ</b>	٤٩٧ ..... <b>وَتَأْتِلُهُمْ حَتَّى لَا يَكُونُ فِتْنَةً وَيَكُونُ الدِّينُ كُلُّهُ لَهُ</b>
٢٤٢ ..... <b>وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ</b>	٩٤ ..... <b>وَقُلْ لِرَبِّ زَنْبِي عِلْمًا</b>
١٤٩ ..... <b>وَهُوَ الرَّاحِدُ الْقَهَّارُ</b>	٣٨١ ..... <b>وَقُولُوا أَتَنَا بِالنَّبِيِّ أُنْزَلَ إِلَيْنَا وَأُنْزَلَ إِلَيْكُمْ</b>
٤٣٧ ..... <b>وَنِيْا أَهْلَ الْكِتَابَ تَعَالَوْا إِلَى كَلْمَةٍ سَوَاءٍ بَيْتَنَا وَبَيْتُكُمْ أَلَا تَعْبُدُ إِلَّا اللَّهُ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَجَدَّدَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا أَيْمَانًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلُّوْنَا فَقُولُوا اشْهَدُوْنَا بِأَنَّا مُسْلِمُوْنَ</b>	٣٤٨ ..... <b>وَلَكِنَ الشَّيَاطِينُ كَفَرُوا بِعِلْمِ الْأَسْحَارِ وَمَا أُنْزَلَ عَلَى الْمَلَكِيْنِ بَيْنَ الْهَارِوْتِ وَتَارِوْتِ وَمَا يَعْلَمُانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فَتَّشَةٌ فَلَا تَكْفِرُ بِيَعْلَمُوْنَ مِنْهُمَا مَا يَعْرُفُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءَ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِصَارِبِيْنَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ</b>
٤٦، ٢٨٠ ..... <b>وَتَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُوْنَ</b>	٦٦٣ ..... <b>وَلَنْ تَجِدَ لِسْتَةَ اللَّهِ تَخْوِيلًا</b>
٥٠٩ ..... <b>يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آتَيْنَا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقَ</b>	١٧٧١ ..... <b>وَلَنْ شَاءَ رَبُّكُمْ مَا فَعَلُوهُ</b>
٥٢٠ ..... <b>يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آتَيْنَا إِنْ أَوْفُوا بِالْعَهْدِ</b>	٢٠٧٢، ١٧٧١ ..... <b>وَلَنْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَا سَكِنَتُهُ مِنَ الْخَيْرِ</b>
٩٣٩ ..... <b>إِنَّمَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مِنْ جِنَاحِكُمْ إِنَّمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُوْنَ</b>	٧٣ ..... <b>وَلَنْ لَوْلَا دَفْعَ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بَعْضًا لِيَغْضِبُ لِفَسَدِ الْأَرْضِ</b>
٢٠٨٣ ..... <b>يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آتَيْنَا عَلَيْكُمْ عَلَى حِزَارَةٍ</b>	٢٠٠ ..... <b>وَلَكِنَ اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِيْنَ</b>
١٣٣ ..... <b>يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شَعُورًا وَتَبَاعِلَ يَعْتَازِرُوْنَا إِنْ أَكْرَمْتُمْهُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْقَاصُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَيْرٌ</b>	٢٦٦، ٢٤، ٢٢٣ ..... <b>وَمَا أُوْتِيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا</b>
٥١٥ ..... <b>يُبَرِّدُ أَنْ يَغْصُنَ</b>	٢٤١ ..... <b>وَمَا تَوَفَّقِي إِلَّا بِاللَّهِ</b>
١٣٣ ..... <b>يُبَحِّنُ الْحَنْبَلَ بِكَلِمَاتِهِ</b>	١٤٥ ..... <b>وَمَا رَبُّكُمْ بِظَلَامٍ لِلْمُبَدِّدِ</b>
٥٩١ ..... <b>يُبَحِّكُمْ بِهِ ذَوَا عَذَلٍ مُنْكَمْ</b>	٥٠٠ ..... <b>وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا أَعْصَى اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَمْرًا</b>
٢٤٢ ..... <b>يُرَبِّدُ أَنْ يَغْصُنَ</b>	
٥٠٠ ..... <b>يَسْأَلُوكُمْ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٌ فِيهِ</b>	
٥١٨ ..... <b>يُمْتَنُونَ عَلَيْكُمْ أَنْ أَسْلَمُوْنَ</b>	

## فهرس الأحاديث والآثار



٤٧٠	إلم تكونوا ضلالاً فهذاكم الله بي، وعاله	٥٢٥	اتونى بدواء وقرطاس أكتب لكم كتاباً لا
٥١٤	إلم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله؟	١٠٠	الأئمة من قريش
١٣٦	أما بعد فقد بلغني أنك اتخذت منبراً ترقى به	٥١٣	أبدله الله بيديه جناحين يطير بهما في الجنة
١٦١	أمت أمت	٥٠١	لبشر يا أبي بكر فقد أتى نصر الله
٥٣١	إن إحداكم تستبيح كلاب الحواب	٣٤٠	أبر رغال
٥١٣	إن أصحابه قدر فالأمير جعفر بن أبي طالب،	٥١١	إثم الأكارين عليك تعيا محمله
٩٠٤	إن الله اختار لك في الكفر فجعل أباك أهون	١١٢	اجزوكم على الفتيا أجروكم على جرائم
٥٩٨، ١٠٤	إن الله أذهب عنكم عيبة الجاهالية وفخرها	١٦٧	أجلكم في أجل من كان قبلهم من صلاة
٢٢٥	أن تومن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم	٥٣، ٥٠	احياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهوأشدُه
٢٨٣	إن الشمس والقمر لا يخسفان لموت أحد ولا	٥٢٥	الأدنون من أهلي
	إن عبداً من عباد الله خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده	٥٥٥	إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا
٥٢٥	فاختار ما عنده	١٦٤	إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك
١٣٣	إن العجم لا يقبلون كتاباً إلا أن يكون محتوماً	٥١٢	اذهبا وأخبراه بذلك عني وقولا له: إن ديني
١٥٩	إن في أمري المهدى بخرج ويعيش خساً أو سبعاً أو	٥٩٨، ٥١٦	اذهبا فأنتم الطلاقاء
١٦٧	إن فيكم محدثين	١٧٩	أربعون سنة
٥٩	إن فيكم محدثين وإن منهم عمر	٣٥٠	ارموا يا بني اسماعيل فإن أباكم كان راماً
١٦٣	أن لا مهدى إلا عيسى	٥٢٣	إسمعوا قولى فاني لا أدرى لعلى
١٥٨	إن ما سكت عليه في كتابه فهو صالح	١٠٠	اسمعوا وأطيعوا وإن ولّى عليكم عبد حبشي ذو
٥١٢	إن هذا العظم يخبرني أنه مسوم	٢٨٣	أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي، فاما
٤٩٠	أنا ابن الذبيحين	٢١٠	أصل كل داء البردة
١٦٠	إنا أهل البيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا	٢٤٢	اعتقها فإنها مؤمنة
٥١٨	أنا على سفر ولو قدمتنا أتبناكم فصلينا لكم	١٠١	اقضاكم على
٤٩٩	أنا نقبيكم	٥١٧	اقطعوا عني لسانه فاتروا إليه المائة
٢٥٩	أنتم أعلم بأمور دنیاكم	٥٠٨	الا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم؟
٤٧٢	أنتم بنو آدم وآدم من التراب	٢٤٨	الا كل شيء، ما خلا الله باطل
٤٩٧	أنتم كفلاء على قومكم ككفالة الحواريين	٥٠	الا وانتي لا اعلم الا ما علمني الله
٥٠٥	أنصت	٥٢٣	اللهم اشهد
١٦٤	إنك لذوقينها	٤٩٥	اللهم أعز الإسلام بأحد العمرين
٢٤٤	إنكم ترون ربكم يوم القيمة، كالقمر ليلة البدر لا	٥٢٥	اللهم أعني على سكرات الموت
٦٠٩	إنما أذن لي بالقتال فيها ساعة من نهار، ثم عادت	٤٩٦	اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي
٥١٧	إنما أعطي قوماً حديثي عهد بالإسلام أثالفهم عليه،	٦٥	اللهم أمض لأصحابي هجرتهم ولا تردهم
٥٠٧	إنما أنت رجل واحد فخذل عننا إن استطعت	٥٠١	اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تبعد في
٧٢	إنما الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم	٢٠٤٣	اللهم بارك في وائل بن حجر وولده وولد
١٩٣	إنما لك من مالك ما أكلت فاقتفي، أو لبست	٢٢٢	الم آتكم بها بقضاء نقية؟ والله لو كان مرسى

٥٤..... خلط عليك الأمر .....	٩٨..... إنما هي أعمالكم ترد عليكم .....
١٦٤ ، ١٦٣ ..... خلع النعلين .....	١٦٥..... أنه يتزوج في الغرب .....
٨٣ ..... خلع النعلين في التصوف .....	٥٢٥..... إنهم كرسي وعليتي التي أويت إليها فاكرموا .....
٤٩٩ ..... خلوا سبيلها فإنها مأمورة .....	٥١..... إني أناجي من لا تناجرن .....
١١١ ..... خير الناس قرني ثم الذين يلونهم، مرتين، أو ثلثاً .....	٥٢٤..... إني رأيت البارحة في نومي أن في عضدي .....
٥٢٥ ..... دعوني على سريري في بيتي على شفير قبري ثم .....	٥٢٥..... أهلي .....
٥٢٥ ..... دعوني فاما فيه خير مما تدعوني إليه .....	٣٠٢ ، ٢٩٧..... أوتيت جوامع الكلم وانتصر لي الكلام .....
٤٩٩ ..... دعواها فإنها مأمورة .....	٤٧١..... أوصيكم بالأنصار إنهم كرسي وعيتي وقد .....
٥٦ ..... الرؤيا ثلاثة: رؤيا من الله، ورؤيا من الملك، ورؤيا .....	٥٩٥..... إياكم والمثلة .....
٢٥٠ ..... الرؤيا ثلاثة: رؤيا من الله، ورؤيا من الملك، ورؤيا .....	٢٤٢..... أين الله؟ .....
٢٥٠ ..... الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة .....	٥٢٣..... أيها الناس إسمعوا قولي فإني لا أدرى لعلى .....
٢٤٩ ..... الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من .....	٥٢٣ ، ٥١١..... بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله .....
٥٦ ..... الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له .....	٥١١ ، ٥١١..... بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى .....
٤٨٧ ، ٤٧٩ ..... رأيت عمرو بن حلبي يعبر قصبه في النار .....	٥٢٢..... بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب محمد .....
٥٢٥ ..... الرفيق الأعلى من الجنة .....	٥٢١..... بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من الله .....
٥٨١ ..... ستكون فتنة، القاعد فيها خير من القائم .....	١٦٧..... بعثت أنا والساعة كهاتين .....
١٦٣ ..... ستكون فتنة لا يسكن منها جانب إلا شاجر .....	٥٠٧..... بل أصنع لكم إني رأيت أن العرب رمتكم .....
٥٢٥ ..... سدوا هذه الأبواب في المسجد إلا باب أبي .....	١٦١..... بل منا، بنا يختتم الله كما بنا فتح، وبنا .....
٥١١ ..... السلام على من اتبع المهدى وأمن به أدعوك .....	٤٧٠..... بم تحكم في هؤلاء .....
١٦٣ ..... سيخرج من صلب هذا فتى يملا الأرض .....	٢٩٥..... تركت فيكم أمرين لن تصلوا ما عمسكت بهما: .....
٩٨ ..... سيروا على سير أضعفكم .....	٢١٠٦..... تضرب أكباد الإبل في طلب العلم فلا يوجد .....
٥٠١ ..... سيروا وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدى .....	٦٨..... تعلموا من أسابحكم ما تصلون به أرحاحكم .....
٥٠٢ ..... شاهت الوجه .....	٣٣٢..... تعلموا النسب ولا تكونوا كنبط السواد، إذا .....
١٦٤ ..... العالم في قورمه كالنبي في أمته .....	٥٨٩..... تقتله الفتنة الباغية .....
٧٧ ..... العامة على دين الملك .....	١٦٠..... غلا الأرض جوراً وظلاماً فيخرج رجل من عترتي .....
٢٢٤ ..... العبادات جعلت قرة عيني في الصلاة .....	٢٠٧٠..... ثني ولا يجعلها بيضة لديك .....
٢٢١ ..... علم لا ينفع وجهلة لا تضر .....	٣٣٦..... الشيب تعرب عن نفسها .....
١٦٤ ..... علماء أمري كائينه بني إسرائيل .....	١٥٨..... حتى يلي رجل من أهل بيتي .....
١١٤ ..... العلماء ورثة الأنبياء .....	٥٧٧ ، ١٥١ ، ١٣٩..... الحرب خدعة .....
١٦٢ ..... فإذا رأيتموه فباعوه ولو حبوا على الثلوج، فإنه .....	٤٧٠..... حكمت بمحكم الله من فوق سبعة أرقعة .....
٤٦٩ ..... فإن وفيتم فلكم الجنة وإن غشيتم من ذلك شيئاً .....	٢٠٥٦..... الحمد لله والشكر لله .....
٤٩٤ ..... فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد .....	٢١٠..... الحمية رئيس الدواء .....
٥٠٨ ..... فذلك إلى سعد بن معاذ .....	٩٣٠ ، ١٢٤٠ ، ١١٠٤ ، ١٠٧١..... حي على خير العمل .....
٤٨٩ ..... فضل عائشة على النساء كفضل الشريد على سائر .....	١٨٦..... الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تعود ملوكاً عوضاً .....

٦٦..... لا هجرة بعد الفتح	٥٤..... فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ،
٥١٢..... لا يقى دينان بأرض العرب	١٠٠..... فحملو القوم منهم
١٠٠..... لا يزال هذا الأمر في هذا الحي من قريش	١٥٩..... فيجيء إليه الرجل فيقول: يا مهدي أعطي
١٦٤..... لا يزال هذا الأمر قائماً حتى تقوم الساعة أو	١٥٩..... يحيث له في ثوبه ما استطاع أن يحمله
٢٣٤..... لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن	١٦١..... فيرد الله الناس إلى الفتنهم... الخ
١٣٣..... لا ينتشش أحد مثله	٥١٦..... قلت كما قال قوم موسى: أجعل لنا إلهاً كما لهم
٥٠٥..... لعن أظفرني الله بقريش لأمثلين بثلاثين منهم	٥٠٥..... قولوا له هو بيتنا وبينكم
٥٨٢..... لتقاتلته وأنت له ظالم؟	٥٠١..... القروم بين التسمعاته والألف
١٦٢..... لتملان الأرض جوراً وظلمأ، فإذا ملئت جوراً	٥٠٨..... قوموا إلى سيدكم
٢١٦..... لقد أوتني مزماراً من مزامير آل داود	٥٠..... كان مما يعالج من التنزيل شدة
٥٠٨..... لقد حكمت فيهم بحكم الله من فرق سبعة	٦٠..... كان نبي يخط، فمن وافق خطه فذاك
٤٩١..... لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلها	٦٥..... كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو
٥٠٦..... لقد قتلت قتيلين لأدينهما	٥١٣..... كلا إن الشملة التي أخذها يوم خبر من المقام
٥١١..... لكن ربي أمرني باغفاء لحيقي وغضن شاريبي لم	٣٢٢..... كلكم بتو آدم وأدَم من تراب
٢٤٩..... لم يبق من المبشرات إلا الرؤيا الصالحة يراها	٢٤٨..... كنت سمعه وبصره
١١٩..... لمعاناة نقل الجبال من أماكنها أهون على من	٢٤٦..... كنت كرتاً مخفياً فاحببت أن أعرف، فخلقت
١٦٧..... لن يعجز الله أن يؤخر هذه الأمة نصف يوم	٥٤..... كيف يائيك هذا الأمر؟
٥٠٨..... لو أتاني لاستغفرون له فاما بعدهما فعل فاما أنا	٢٢٣..... لا أذبحه
٤٩٤..... لو أخبرتكم أن العدو مصبهكم أو مسيكم	٢٢٦..... لا أعرف هذه، ولكن حدثني فلان
٢٩٥..... لو تعلق العلم باكتاف السماء لثالثة قرم من	٥١٥..... لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده
٤٧١..... لو شتمت لقلتم جنتنا طریداً فآويتك ومكذبأ	٢٢٣..... لا أوضعوا
١٠٥..... لو كان لي من الأمر شيء لوليته الخلافة	٥٠١..... لا بل هو الرأي وال الحرب
١٥٨..... لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم	٩٣..... لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن
١٥٨..... لو لم يبق من الدهر إلا يوم لبعث الله رجالاً من	١٥٨..... لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من
١٧٧..... لولا قومك حديث عهد بكفر لرددت البيت على	٦٦..... لا تردهم على أعقابهم
٥٧٨..... ليت شعرى أيتكن تنبحها كلام الحواب؟	٢١٠..... لا تزال طائفة من أمي
٥١٣..... ما أدرى باليهاما أنا أسر بفتح خير أم بقدوم	٣٨١..... لا تصدقو أهل الكتاب
٨٣، ٥١، ١٠٤..... ما بعث الله نبياً إلا في منعة من قومه	٢٢٢..... لا تصدقو أهل الكتاب ولا تكذبوا
١٦٤..... ما بين هذين وقت	١٩٩..... لا تقوم الساعة حتى تعود الزكاة مغرياً
٥٠٩..... ما خلات وما هو لها بخلق ولكن حبسها حايس	١٦٠..... لا تقوم الساعة حتى غلا الأرض جوراً
١٩٩..... ما دخلت هذه دار قرم إلا دخله الذل	٩٩٥، ١٦٨٢..... لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان
٧٤..... ما دخلت هذه دار قرم إلا دخلهم الذل	١٦٢..... لا تقوم الساعة حتى يخرج عليهم رجل من
٥١٥..... ما كان لنبي أن تكون له خائنة الأعين	١٦٤..... لا مهدي إلا عيسى
٥١٧..... ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم	١٦٣..... لا مهدي إلا عيسى بن مرريم

ما من نبي من الأنبياء إلا وأوتى من الآيات ما ما هذا يا حاطب؟ ..... ٥٢	نعم! إنه يبعث أمة واحدة ..... ٤٩٢
ما ينبغي لبني إذا ليس لامته أن يضعها حتى ..... ٥٠٤	نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن ..... ٥١٥
مالك يا ابن الخطاب؟ ..... ٤٩٥	نعم هو حق وهو من بني فاطمة ..... ١٥٩
المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ..... ١٣٧	هذا كتاب محمد ..... ٥٢٢
مثلي فيما قبل من الأنبياء كمثل رجل ابنتي ..... ١٦٤	هذا من سمع الكھآن ..... ٥٤
المدينة خير من مكة ..... ١٨٠	هذه عن عثمان ..... ٥١٠
مر في غزوة تبوك بقرى ثمود، فهى عن ..... ٣٤٠	هل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن ..... ٢٣٤
مرربع الخلق وإلى البياض والحمرة ..... ١٦٥	هلا ضربت عنقه! ..... ٥١٥
مرروا أبا بكر فليصل بالناس ..... ٥٢٥	هموا أكتب لكم كتاباً لن يتضروا بعده أبداً ..... ٦٩٣
مزق الله ملكه ..... ٥١١	وآمن بالله ورسله وأشهد أن لا إله إلا الله ..... ٥١١
المعدة بيت الداء ..... ٢١٠	واصدمه أول وهلة لا تكترث ..... ١٣٩
المعدة بيت الداء والجحية رأس الدواء وأصل ..... ٢١٠	والحسب هو أن يكون من قوم قديم نز لهم ..... ٧١
مفتون وكافر ..... ١٦١	والذي نفسى بيده لا تدعوني قريش اليوم إلى ..... ٥٠٩
من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ..... ٥٩٨	والذى نفسى بيده، ما أنت باسمع منهم لما ..... ٢٤٤
من رأى منكم منكراً فليغیره بيده، فإن لم ..... ٨٣	والرؤيا مدرك من مدارك الغيب ..... ٢٤٩
من قضيت له من حق أخيه شيئاً فإنما أقضى ..... ٢٠٩٦	والله لا أعلم إلا ما علمني الله وأن الناقة ..... ٥١٨
من كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى ..... ١٠٤	وقد بلغنى أن أقراً ما تكلموا في إمارة أسامة طعنوا ..... ٥٢٤
من كذب بالمهدي فقد كفر، ومن كذب ..... ١٥٨	وكان النبي ﷺ إذا اقتل من صلاة الغداة يقول ..... ٢٤٩
من كنت مولاً فعلي مولاً ..... ١٠١	ولا تكنبوا بهم ..... ٣٨١
من لم يزدبه الشرع لا أدبه الله ..... ٦٧، ٢٩٤	وما يدريك يا عمر؟ لعل الله اطلع على أهل بدر ..... ٥١٤
من مات يشهد أن لا إله إلا الله دخل الجنة ..... ٢٤٤، ٢٣٣	ومن أحياها ..... ٢٠٧٠
من محمد رسول الله ..... ٥٢٣، ٥١١	وهو أشد علي فيفص عني وقد وعيت ما قال ..... ٤٩٣
من ه هنا كذب النسابون ..... ٣٣١	ويبح عمارة تقتله الفتنة الباغية ..... ٥٨٢
من ياباعني على روحه وهو وصي وولي هذا ..... ١٠١	وبحك الم يان لك أن تعلم أني رسول الله؟ ..... ٥١٤
من يقتل كعب بن الاشرف؟ ..... ٥٠٣	ويلمه مسرع حرب لو كان له رجال ..... ٥١٠
المهدى من ولد فاطمة ..... ١٥٩	يا عماه لا أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو ..... ٤٩٤
المهدى متى أهل البيت أشـم الأئـفـ، أقـنـى أـجـلـ، ..... ١٥٩	يا فاطمة، أعملـي فـلنـ أغـنـيـ عنـكـ منـ اللهـ شـيـئـاـ ..... ١٧
المهدى متى أهلـيـ بـلـيـةـ ..... ١٦١	يا معـشرـ الأـنصـارـ ماـ الـذـيـ بـلـغـكـ عـنـيـ؟ ..... ٤٧٠
المهدى متى أـلـيـ الجـهـةـ أـقـنـىـ الـأـنـفـ يـمـلاـ الـأـرـضـ ..... ١٥٩	يا معـشرـ قـريـشـ وـيـاـ أـهـلـ مـكـةـ ماـ تـرـوـنـ أـنـيـ ..... ٥١٥
موـتـواـ قـبـلـ أـنـ تـمـوتـواـ ..... ٢٠٧٨	يا منـ يـخـلـيـ بـالـبـصـرـ، يـنـظـرـ فـيـ الـدـنـيـاـ، خـلـيـ منـ ..... ١٦٠
مـوـلـيـ الـقـرـمـ مـنـهـ ..... ٧١	يـخـرـجـ رـجـلـ مـنـ وـرـاءـ النـهـرـ يـقـالـ لـهـ الـحـارـثـ ..... ١٦٠
مـخـنـ وـلـدـ عـبدـ الـمـطـلـبـ سـادـاتـ أـهـلـ الـجـنـةـ أـنـاـ ..... ١٦١	يـخـرـجـ نـاسـ مـنـ الـمـشـرـقـ فـيـوـطـوـنـ لـلـمـهـدـيـ ..... ١٦٢
نـصـرـتـ بـالـرـاعـبـ مـسـيـرـةـ شـهـرـ ..... ١٤٠	يـقـتـلـ عـنـدـ كـنـزـكـ ثـلـاثـةـ كـلـهـمـ اـبـنـ خـلـيـفـةـ ثـمـ لـاـ ..... ١٦٢
	بـكـونـ فـيـ آخـرـ أـمـيـ، خـلـيـفـةـ يـعـثـرـ مـالـ حـثـرـ لـاـ ..... ١٥٩

يكون في آخر أمي خليفة يمشي المال حيث لا.....	١٧١٣
يكون في آخر الزمان.....	١٧١٣
يكون في آخر الزمان خليفة يقسم المال ولا.....	١٧١٣
يكون في آخر الزمان خليفة يقسم المال ولا يعده .. ١٥٩ ، ١٥٩.....	١٧١٥
يكون في آخر الزمان فتنة يحصل الناس فيها.....	١٦١
يكون في أمي المهدى إن قصر فسيح .....	١٥٩ ، ١٦٢
ينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق ينزل .....	١٦٥
اليوم انتصف العرب من العجم وبي نصروا .....	٤١٥
الروم انتصف العرب من العجم ونصروا .....	٤٥٩
اليوم انتصفت العرب من العجم وبي نصروا .....	٤٩١



## **فهرس المحتويات**



الفصل الأول: في أن أجيال البدو والحضر طبيعية ..... ٦٤	فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والإلزام لما يعرض
الفصل الثاني: في أن جيل العرب في الخلقة طبيعي ..... ٦٤	للمؤرخين من المغالط والأوهام وذكر شيء من
الفصل الثالث: في أن البدو أقدم من الحضر وسابق عليه ..... ٦٥	أسبابها ..... ١١
وأن الباذية أصل العمران والأمصار مدد لها ..... ٦٥	<b>الفصل الأول:</b> في طبيعة العمran في الخليقة وما
الفصل الرابع: في أن أهل البدو أقرب إلى الخير من أهل ..... ٦٥	يعرض فيها من البدو والحضر والتغلب والكسب
الحضر ..... ٦٥	والماعاش والصنائع والعلوم ونحوها وما لذلك من
الفصل الخامس: في أن أهل البدو أقرب إلى الشجاعة من ..... ٦٦	العلل والأسباب ..... ٢٣
أهل الحضر ..... ٦٦	<b>الباب الأول:</b> ..... ٢٧
الفصل السادس: في أن معاناة أهل الحضر للأحكام ..... ٦٦	المقدمة الأولى: في أن الاجتماع الإنساني ضروري ..... ٢٧
مفاسدة للباس فيهم ذاهبة بالمعنة منهم ..... ٦٦	المقدمة الثانية: في قسط العمran من الأرض والإشارة إلى
الفصل السابع: في أن سكنى البدو لا يكون إلا للقبائل ..... ٦٧	بعض ما فيه من البحار والأنهار والأقاليم ..... ٢٨
أهل العصبية ..... ٦٧	البحار ..... ٢٨
الفصل الثامن: في أن العصبية إنما تكون من الاتحام ..... ٦٨	الأنهار ..... ٢٩
بالنسبة أو ما في معناه ..... ٦٨	المقدمة الثالثة: في المعتدل من الأقاليم والمنحرف وتأثير
الفصل التاسع: في أن الصريح من النسب إنما يوجد ..... ٦٨	المواء في الوان البشر والكثير في أحواهم ..... ٤٦
للمتوحشين في القفر من العرب ومن في معناهم ..... ٦٨	المقدمة الرابعة: في أثر المواء في أخلاق البشر ..... ٤٨
الفصل العاشر: في اختلاط الأنساب كيف يقع ..... ٦٩	المقدمة الخامسة: في اختلاف أحوال العمran في الخصب
الفصل الحادي عشر: في أن الرئاسة لا تزال في نصابها ..... ٦٩	والجرع وما ينشأ عن ذلك من الآثار في أج丹
المخصوص من أهل العصبية ..... ٦٩	البشر وأخلاقهم ..... ٤٨
الفصل الثاني عشر: في أن الرئاسة على أهل المصيبة لا ..... ٦٩	المقدمة السادسة: في أصناف المدركون للغيب من البشر
تكون في غير نسبهم ..... ٦٩	بالفطرة أو بالرياضة ويتقدمه الكلام في الوحي
الفصل الثالث عشر: في أن البيت والشرف بالأصالة ..... ٧٠	والرؤيا ..... ٥٠
والحقيقة لأهل العصبية ويكون لغيرهم بالجاز ..... ٧٠	تفسير حقيقة النبوة ..... ٥٢
والشبه ..... ٧٠	أصناف النفوس البشرية ..... ٥٣
الفصل الرابع عشر: في أن البيت والشرف للمولى وأهل ..... ٧١	الروح ..... ٥٣
الاصطنان إنما هو بمواليهم لا بآنسائهم ..... ٧١	الكهانة ..... ٥٤
الفصل الخامس عشر: في أن نهاية الحسب في العقب ..... ٧١	الرؤيا ..... ٥٥
الواحد أربعة آباء ..... ٧١	الإخبار بالمخفيات ..... ٥٦
الفصل السادس عشر: في أن الأمم الوحشية أقدر على ..... ٧٢	فصل: [الإخبار بالكتائب قبل وفرعها] ..... ٥٧
التغلب من سواها ..... ٧٢	فصل: [إخبارُ الغيب عند المتصوفة] ..... ٥٩
الفصل السابع عشر: في أن الغاية التي تجري إليها ..... ٧٣	فصل: [التبجيم وخط المرمل] ..... ٦٠
العصبية هي الملك ..... ٧٣	فصل: [حسابُ الجملَ والزایرجة] ..... ٦١
الفصل الثامن عشر: في أن من عراقة الملك حصول ..... ٧٣	<b>الباب الثاني:</b> في العمran البدوي والأمم الوحشية
الترف وإنتماس القبيل في العجم ..... ٧٣	والقبائل وما يعرض في ذلك من الأحوال ..... ٦٤

الفصل الرابع: في أن الدولة العامة الاستيلاء العظيمة	الفصل التاسع عشر: في أن من عوائق الملك المذلة للقبيل
الملك أصلها الدين إما من نبوة أو دعوة حق ..... ٨٢	والانقياد إلى سواهم ..... ٧٤
الفصل الخامس: في أن الدعوة الدينية تزيد الدولة في	الفصل العشرون: في أن من علامات الملك التنافس في
أصلها قوة على قوة العصبية التي كانت لها من	الخلال الحميدة وبالعكس ..... ٧٤
عدها ..... ٨٣	الفصل الحادي والعشرون: في أنه إذا كانت الأمة وحشية
الفصل السادس: في أن الدعوة الدينية من غير عصبية لا	كان ملوكها أوسع ..... ٧٥
تم ..... ٨٣	الفصل الثاني والعشرون: في أن الملك إذا ذهب عن
الفصل السابع: في أن كل دولة لها حصة من المالك	بعض الشعب من أمة فلا بد من عوده إلى
والأوطان لا تزيد عليها ..... ٨٤	شعب آخر منها ما دامت لهم العصبية ..... ٧٦
الفصل الثامن: في أن عظم الدولة واتساع نطاقها وطول	الفصل الثالث والعشرون: في أن المتلوب مولع أبداً
أمدتها على نسبة القائمين بها في القلة والكثرة ..... ٨٥	بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه وملته وسائر
الفصل التاسع: في أن الأوطان الكثيرة القبائل	أحواله وعوانذه ..... ٧٧
والعصائب قلًّا أن تستحكم فيها دولة ..... ٨٦	الفصل الرابع والعشرون: في أن الأمة إذا غلت وصارت
الفصل العاشر: في أن من طبيعة الملك الانفراد بالجند ..... ٨٧	في ملك غيرها أوسع إليها الفنا ..... ٧٧
الفصل الحادي عشر: في أن من طبيعة الملك الترف ..... ٨٧	الفصل الخامس والعشرون: في أن العرب لا يتغلبون إلا
الفصل الثاني عشر: في أن من طبيعة الملك الدعوة	على البساط ..... ٧٧
والسكون ..... ٨٧	الفصل السادس والعشرون: في أن العرب إذا تغلبوا على
الفصل الثالث عشر: في أنه إذا تحكمت طبيعة الملك من	أوطان أوسع إليها الحرب ..... ٧٨
الانفراد بالجند وحصول الترف والدعة أقبلت	الفصل السابع والعشرون: في أن العرب لا يحصل لهم
الدولة على الهرم ..... ٨٨	الملك إلا بصيغة دينية من نبوة أو ولادة أو اثر
الفصل الرابع عشر: في أن الدولة لها أعمار طبيعية كما	عظيم من الدين على الجملة ..... ٧٨
للأشخاص ..... ٨٩	الفصل الثامن والعشرون: في أن العرب أبعد الأمم عن
الفصل الخامس عشر: في انتقال الدولة من البداوة إلى	سياسة الملك ..... ٧٩
الحضارة ..... ٩٠	الفصل التاسع والعشرون: في أن البوادي من القبائل
الفصل السادس عشر: في أن الترف يزيد الدولة في أولها	والعصائب مغلوبون لأهل الأمصار ..... ٧٩
قوة إلى قوتها ..... ٩١	الباب الثالث: في الدول العامة والملك والخلافة
الفصل السابع عشر: في أطوار الدولة واختلاف أحواها	والمراتب السلطانية وما يعرض في ذلك كله من
وخلق أهلها باختلاف الأطوار ..... ٩١	الأحوال ..... ٨١
الفصل الثامن عشر: في آثار الدولة كلها على نسبة	الفصل الأول: في أن الملك والدولة العامة إنما يحصلان
قوتها في أصلها ..... ٩٢	بالقبيل والعصبية ..... ٨١
الفصل التاسع عشر: في استظهار صاحب الدولة على	الفصل الثاني: في أنه إذا استقرت الدولة وتهدت فقد
قومه وأهل عصيته بالموالي والمقطعين ..... ٩٥	تستغني عن العصبية ..... ٨١
الفصل العشرون: في أحواز الموالي والمقطعين في الدول ..... ٩٥	الفصل الثالث: في أنه قد يحدث لبعض أهل النصاب
	الملكي دولة تستغني عن العصبية ..... ٨٢

الفصل الحادي والعشرون: فيما يعرض في الدول من حجر السلطان والاستبداد عليه .....	٩٦.....
الفصل الثاني والعشرون: في أن المغلبين على السلطان لا يشاركونه في اللقب الخاص بالملك .....	٩٦.....
الفصل الثالث والعشرون: في حقيقة الملك وأصنافه .....	٩٧.....
الفصل الرابع والعشرون: في أن إرهاف الخد مصر بالملك ومنشد له في الأكثر .....	٩٧.....
الفصل الخامس والعشرون: في معنى الخلافة والإمامية .....	٩٨.....
الفصل السادس والعشرون: في اختلاف الأمة في حكم هذا المنصب وشروطه .....	٩٩.....
الفصل السابع والعشرون: في مذاهب الشيعة في حكم الإمامة .....	١٠١.....
الفصل الثامن والعشرون: في انقلاب الخلاقة إلى الملك .....	١٠٤.....
الفصل التاسع والعشرون: في معنى البيعة .....	١٠٧.....
الفصل العاشر والثلاثون: في ولادة العهد .....	١٠٧.....
الفصل الحادي والثلاثون: في الخطط الدينية الخلافية .....	١١١.....
العدالة: .....	١١٤.....
الفصل الثاني والثلاثون: في اللقب بأمير المؤمنين وإنه من سمات الخلافة وهو محدث منذ عهد الخلفاء .....	١١٥.....
الفصل الثالث والثلاثون: في شرح اسم البابا والبطريرك في الملة النصرانية واسم الكرهن عند اليهود .....	١١٧.....
الفصل الرابع والثلاثون: في مرتب الملك والسلطان وألقابها .....	١١٩.....
الوزارة .....	١٢٠.....
الحجابة .....	١٢٢.....
الشرطة: .....	١٢٧.....
قيادة الأساطيل: .....	١٢٧.....
الفصل الخامس والثلاثون: في التفاوت بين مراتب السيف والقلم في الدول .....	١٢٩.....
الفصل السادس والثلاثون: في شارات الملك والسلطان الخاصة به .....	١٣٠.....
الخاتم: .....	١٣٣.....
الفساطيط والسياج .....	١٣٥.....
المقصورة للصلة والدعاء في الخطبة .....	١٣٥.....
الفصل السابع والثلاثون: في الحرب ومذاهب الأمم في ترتيبها .....	١٣٦.....
ضرب المصفاف وراء العسكر .....	١٣٧.....
وصية علي رضي الله عنه وتغريضه لأصحابه يوم صفين .....	١٣٩.....
الفصل الثامن والثلاثون: في الجباية وسبب قتلها وكثثرتها .....	١٤٠.....
الفصل التاسع والثلاثون: في ضرب المكروس أواخر الدولة .....	١٤١.....
الفصل الأربعون: في أن التجارة من السلطان مضرة بالرعايا وفسدة للجباية .....	١٤١.....
الفصل الحادي والأربعون: في أن ثروة السلطان وحاشيته إنما تكون في وسط الدولة .....	١٤٢.....
الفصل الثاني والأربعون: في أن نقص العطاء من السلطان نقص في الجباية .....	١٤٤.....
الفصل الثالث والأربعون: في أن الظلم مؤذن بخراب العمران .....	١٤٤.....
الفصل الرابع والأربعون: في الحجاب كيف يقع في الدول وأنه يعظم عند الهرم .....	١٤٦.....
الفصل الخامس والأربعون: في انقسام الدولة الواحدة بدولتين .....	١٤٧.....
الفصل السادس والأربعون: في أن الهرم إذا نزل بالدولة لا يرتفع .....	١٤٨.....
الفصل السابع والأربعون: في كيفية طرور الخلل للدولة .....	١٤٨.....
الفصل الثامن والأربعون: في اتساع نطاق الدولة أولًا إلى نهايتها ثم تصديقه طرورًا بعد طور إلى فتاء الدولة .....	١٥٠.....
واضح لها .....	١٥١.....
الفصل التاسع والأربعون: في حدوث الدولة وتبدلها كيف يقع .....	١٥١.....
الفصل العاشر والأربعون: في أن الدولة المستجدة إنما تستولي على الدولة المستقرة بالمطاولة لا بالمناجزة ...	١٥١.....
الفصل الخامسون: في وفور العمran آخر الدولة وما يقع فيها من كثرة الم૰تان والمجاعات .....	١٥٢.....
الفصل الحادي والخمسون: في أن العمran البشري لا بد له من سياسة ينظم بها أمره .....	١٥٣.....

الفصل السادس عشر: في حاجات الممولين من أهل الأ MCSAR إلى الملاحم والكشف عن ذلك ..... ١٥٧	الناس في شأنه وكشف الغطاء عن ذلك ..... ١٥٧
الفصل السابع عشر: في أن الحضارة في الأ MCSAR من قبل الدول وإنما ترسّخ باتصال الدولة ورسوخها ..... ١٦٦	الفصل الثالث والخمسون: في حداث الدول والأمم وفيه الكلام على الملاحم والكشف عن مسمى الجفر ..... ١٦٦
الفصل الثامن عشر: في أن الحضارة غاية العمran ونهاية عمره وأنها مؤذنة بفساده ..... ١٧٣	الباب الرابع: في البلدان والأ MCSAR وسائر العمران وما يعرض في ذلك من الأحوال وفيه سوابق ولوائح ..... ١٧٣
الفصل التاسع عشر: في أن الأ MCSAR التي تكون كراسى الملك تخرّب بخراب الدولة وانتقادها ..... ١٧٣	الفصل الأول: في أن الدول أقدم من المدن والأ MCSAR وأنها إنما ترجمة ثانية عن الملك ..... ١٧٣
الفصل العشرون: في اختصاص بعض الأ MCSAR ببعض الصنائع دون بعض ..... ١٩٠	الفصل الثاني: في أن الملك يدعى إلى نزول الأ MCSAR ..... ١٧٣
الفصل الحادي والعشرون: في وجود العصبية في الأ MCSAR وتغلب بعضهم على بعض ..... ١٩٠	الفصل الثالث: في أن المدن العظيمة والهيكلات المرتفعة إنما يشيدها الملك الكثير ..... ١٧٤
الفصل الثاني والعشرون: في لغات أهل الأ MCSAR ..... ١٩١	الفصل الرابع: في أن الهيكلات العظيمة جداً لا تستقبل ببنائها الدولة الواحدة ..... ١٧٤
الباب الخامس: في المعاش ووجوهه من الكسب والصنائع وما يعرض في ذلك كله من الأحوال ..... ١٩٣	الفصل الخامس: فيما يجب مراعاته في أوضاع المدن وما يحدث إذا غفل عن تلك المرااعة ..... ١٧٥
الفصل الأول: في حقيقة الرزق والكسب وشرحهما وإن الكسب هو قيمة الأعمال البشرية ..... ١٩٣	الفصل السادس: في المساجد والبيوت العظيمة في العالم ..... ١٧٦
الفصل الثاني: في وجوه المعاش وأصنافه ومذاهبه ..... ١٩٤	الفصل السابع: في أن المدن والأ MCSAR يألفون قافية المغرب قليلة ..... ١٨٠
الفصل الثالث: في أن الخدمة ليست من المعاش الطبيعي ..... ١٩٤	الفصل الثامن: في أن المباني والصنائع في الملة الإسلامية قليلة بالنسبة إلى قدرتها وإلى من كان قبلها من الدول ..... ١٨١
الفصل الرابع: في أن ابتغاء الأموال من الدفائن والكنوز ليس بمعاش طبيعي ..... ١٩٥	الفصل التاسع: في أن المباني التي كانت تختطفها العرب يسرع إليها الخراب إلا في الأقل ..... ١٨١
الفصل الخامس: في أن الجاه مفيدة للمال ..... ١٩٧	الفصل العاشر: في مبادئ الخراب في الأ MCSAR ..... ١٨١
الفصل السادس: في أن السعادة والكسب إنما يحصل غالباً لأهل الخضوع والتسلق وإن هذا الخلق من أسباب السعادة ..... ١٩٧	الفصل الحادي عشر: في أن تناقض الأ MCSAR والمدن في كثرة الرفء لأهلها ونفاق الأسواق إنما هو في تناقض عرمانها في الكثرة والقلة ..... ١٨٢
الفصل السابع: في أن القائمين بأمور الدين من القضاة والفتيا والتدريس والإمامية والخطابة والأذان ونحو ذلك لا تظمرون لهم في الغالب ..... ١٩٩	الفصل الثاني عشر: في أسعار المدن ..... ١٨٣
الفصل الثامن: في أن الفلاح من معاش المستضعفين وأهل العافية من البدو ..... ١٩٩	الفصل الثالث عشر: في قصور أهل البايدية عن سكني مصر الكبير العمران ..... ١٨٤
الفصل التاسع: في معنى التجارة ومذاهبه وأصنافها ..... ١٩٩	الفصل الرابع عشر: في أن الأقطار في اختلاف أحوالها بالرفق والفقير مثل الأ MCSAR ..... ١٨٤
الفصل العاشر: في أي أصناف الناس يتفعّل بالتجارة وأيهم ينبغي له اجتناب حرفها ..... ٢٠٠	الفصل الخامس عشر: في تأثير العقار والضياع في الأ MCSAR وحال فواندتها ومستغلاتها ..... ١٨٥

الفصل الحادي عشر: في أن الصنائع تكسب صاحبها عقلاً وخصوصاً الكتابة والحساب ..... ٢١٧	الفصل الثالث والثلاثون: في أن خلق التجار نازلة عن خلق الأشراف والملوك ..... ٢٠٠
الباب السادس: في العلوم وأصنافها والتعليم وطرقه وسائل وجوهه وما يعرض في ذلك كله من الأحوال ..... ٢١٩	الفصل الثاني عشر: في نقل التاجر للسلع ..... ٢٠٠
الفصل الأول: في أن العلم والتعليم طبيعي في العمارة البشرية ..... ٢١٩	الفصل الثالث عشر: في الاحتياط ..... ٢٠١
الفصل الثاني: في أن تعليم العلم من مجلة الصنائع ..... ٢١٩	الفصل الرابع عشر: في أن رخص الأسعار مضرة بالمخترفين بالرخيص ..... ٢٠١
الفصل الثالث: في أن العلوم إنما تكثر حيث يكثر العمارة وتعظم الحضارة ..... ٢٢١	الفصل الخامس عشر: في أن خلق التجارة نازلة عن خلق الرؤساء بعيدة من المروءة ..... ٢٠٢
الفصل الرابع: في أصناف العلوم الواقعية في العمارة لهذا العهد ..... ٢٢١	الفصل السادس عشر: في أن الصنائع لا بد لها من العلم ..... ٢٠٢
الفصل الخامس: في علوم القرآن من التفسير والقراءات ..... ٢٢٢	الفصل السابع عشر: في أن الصنائع إنما تكمل بكمال العمارة الحضري وكثرتها ..... ٢٠٢
الفصل السادس: في علوم الحديث ..... ٢٢٤	الفصل الثامن عشر: في أن رسوخ الصنائع في الأ MCSارات إنما هو برسوخ الحضارة وطول أمده ..... ٢٠٣
الفصل السابع: في علم الفقه وما يتبعه من الفرائض ..... ٢٢٦	الفصل التاسع عشر: في أن الصنائع إنما تستجاد وتكثر إذا كثرت طالبها ..... ٢٠٤
الفصل الثامن: في علم الفرائض ..... ٢٢٩	الفصل العشرون: في أن الأ MCSارات إذا قاربت الحرب انقصت منها الصنائع ..... ٢٠٤
الفصل التاسع: أصول الفقه وما يتعلق به من الجدل والخلافيات ..... ٢٣٠	الفصل الحادي والعشرون: في أن العرب أبعد الناس عن الصنائع ..... ٢٠٤
الفصل العاشر: علم الكلام ..... ٢٣٢	الفصل الثاني والعشرون: في أن من حصلت له ملكة في صناعة فقل أن يجيء بعدها ملكة في أخرى ..... ٢٠٥
الفصل الحادي عشر: في أن علم الحوادث الفعلية إنما يتم بالتفكير ..... ٢٣٧	الفصل الثالث والعشرون: في الإشارة إلى أهميات الصنائع ..... ٢٠٥
الفصل الثاني عشر: في العقل التجاري وكيفية حدوثه ..... ٢٣٨	الفصل الرابع والعشرون: في صناعة الفلاح ..... ٢٠٥
الفصل الثالث عشر: في علوم البشر وعلوم الملائكة ..... ٢٣٨	الفصل الخامس والعشرون: في صناعة البناء ..... ٢٠٥
الفصل الرابع عشر: في علوم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ..... ٢٣٩	الفصل السادس والعشرون: في صناعة النجارة ..... ٢٠٧
الفصل الخامس عشر: في أن الإنسان جاهل بالذات عالم بالكتسب ..... ٢٣٩	الفصل السابع والعشرون: في صناعة الحياة والخياطة ..... ٢٠٨
الفصل السادس عشر: في كشف الغطاء عن المتشابه من الكتاب والسنة وما حدث لأجل ذلك من طوائف السننية والمتبدعة في الاعتقادات ..... ٢٤٠	الفصل الثامن والعشرون: في صناعة التوليد ..... ٢٠٨
الفصل السابع عشر: في علم التصوف ..... ٢٤٤	الفصل التاسع والعشرون: في صناعة الطب وأنها تحتاج إليها في الحواضر والأ MCSارات دون البداية ..... ٢١٠
الفصل الثامن عشر: في علم تعبير الرؤيا ..... ٢٤٩	الفصل الثلاثون: في أن الخط والكتابة من عداد الصنائع الإنسانية ..... ٢١١
الفصل التاسع عشر: في العلوم العقلية وأصنافها ..... ٢٥١	الفصل الحادي والثلاثون: في صناعة الوراقة ..... ٢١٤
الفصل العشرون: في العلوم العددية ..... ٢٥٣	الفصل الثاني والثلاثون: في صناعة الغناء ..... ٢١٥

الفصل الحادي والعشرون: في تعليم الولدان واختلاف مذاهب الأمصار الإسلامية في طرقه ..... ٢٩٢	٢٥٥	الفصل الثاني والعشرون: في العلوم الهندسية ..... ٢٥٥
الفصل الأربعون: في أن الشدة على المتعلمين مضره بهم ..... ٢٩٣	٢٥٦	الفصل الثالث والعشرون: في علم الهيئة ..... ٢٥٦
الفصل الحادي والأربعون: في أن الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعلم ..... ٢٩٤	٢٥٩	الفصل الرابع والعشرون: في علم المنطق ..... ٢٥٦
الفصل الثاني والأربعون: في أن العلماء من بين البشر أبعد عن السياسة ومذاهبها ..... ٢٩٤	٢٦٠	الفصل الخامس والعشرون: في الطبيعتيات ..... ٢٥٩
الفصل الثالث والأربعون: في أن حلة العلم في الإسلام أكثرهم العجم ..... ٢٩٥	٢٦٠	الفصل السادس والعشرون: في علم الطب ..... ٢٦٠
الفصل الرابع والأربعون: في أن العجمة إذا سبقت إلى اللسان قصرت بصاحبها في تحصيل العلوم عن أهل اللسان العربي ..... ٢٩٦	٢٦١	الفصل السابع والعشرون: في الفلاحة ..... ٢٦٠
الفصل الخامس والأربعون: في علوم اللسان العربي ..... ٢٩٧	٢٦٤	الفصل الثامن والعشرون: في علم الإلهيات ..... ٢٦١
علم النحو ..... ٢٩٧	٢٦٤	الفصل التاسع والعشرون: في علوم السحر والطلسمات ..... ٢٦١
علم اللغة ..... ٢٩٨	٢٦٨	كيفية العمل في استخراج أجوبة المسائل من زايرجة العالم بحول الله متولاً عن لقيناه من القائمين عليها ..... ٢٦٤
علم البيان ..... ٢٩٩	٢٧٢	فصل في الاطلاع على الأسرار الخفية من جهة الارتباطات الحرفة ..... ٢٦٨
علم الأدب ..... ٣٠١	٢٧٤	فصل في الاستدلال على ما في الضمائر الخفية بالقوانين الحرفة ..... ٢٧٢
الفصل السادس والأربعون: في أن اللغة مملكة صناعية ..... ٣٠١	٢٧٥	الفصل الثالث والعشرون: في علم الكيمياء ..... ٢٧٤
الفصل السابع والأربعون: في أن لغة العرب لهذا المعهد مستقلة مغايرة للغة مصر وحير ..... ٣٠٢	٢٧٩	الفصل الحادي والثلاثون: في إبطال الفلسفة وفساد متحلها ..... ٢٧٥
الفصل الثامن والأربعون: في أن لغة أهل مصر والأمسكار لغة قائمة بنفسها للغة مصر ..... ٣٠٤	٢٨٢	الفصل الثاني والثلاثون: في إبطال صناعة النجوم وضعف مداركها وفساد غايتها ..... ٢٧٩
الفصل التاسع والأربعون: في تعليم اللسان المصري ..... ٣٠٤	٢٨٤	الفصل الثالث والثلاثون: في إنكار ثمرة الكيمياء واستحلال وجودها وما ينشأ من المفاسد عن اتحادها ..... ٢٨٢
الفصل الخامسون: في أن مملكة هذا اللسان غير صناعة العربية ومستنقية عنها في التعليم ..... ٣٠٥	٢٨٧	الفصل الرابع والثلاثون: في أن كثرة التأليف في العلوم عائقه عن التحصيل ..... ٢٨٤
الفصل الواحد والخمسون: في تفسير لفظة الذوق في مصطلح أهل البيان وتحقيق معناه وبين أنها لا تمثل غالباً للمستعربين من العجم ..... ٣٠٦	٢٨٨	الفصل الخامس والثلاثون: في المقاصد التي ينبغي اعتمادها بالتاليق وإلغاء ما سواها ..... ٢٨٧
الفصل الثاني والخمسون: في أن أهل الأمصار على الإطلاق قاصرون في تحصيل هذه المملكة اللسانية التي تستند بالتعليم ومن كان منهم أبعد عن اللسان العربي كان حصولها له أصعب وأعسر ..... ٣٠٧	٢٨٩	الفصل السادس والثلاثون: في أن كثرة الاختصارات المؤلفة في العلوم خلقة بالتعليم ..... ٢٨٨
الفصل الثالث والخمسون: في انقسام الكلام إلى في النظم والثر ..... ٣٠٨	٢٩٠	الفصل السابع والثلاثون: في وجه الصراع في تعليم العلوم وطريق إفادته ..... ٢٨٩
	٢٩٢	الفصل الثامن والثلاثون: في أن العلوم الآلية لا توسع فيها الأنوار ولا تفرع المسائل ..... ٢٩٢

الطبقة الثانية من العرب وهم العرب المستعربة وذكر أنسابهم وأيامهم وملوكيهم والإسلام بعض الدول التي كانت على عهدهم ..... ٣٤٩	الفصل الرابع والخمسون: في أنه لا تتفق الإجادة في فني النظم والنشر معًا إلا للأفلق ..... ٣٠٩
الخبر عن ملوك التابعة من حمير وأوليتهم باليمن ومصاير أمرهم ..... ٣٥١	الفصل الخامس والخمسون: في صناعة الشعر ووجه تعلمه ..... ٣٠٩
ملك الحبشة اليمن ..... ٣٥٦	الفصل السادس والخمسون: في أن صناعة النظم والنشر إنما هي في الألفاظ لا في المعاني ..... ٣١٣
غزو الحبشة الكعبة ..... ٣٥٧	الفصل السابع والخمسون: في أن حصول هذه الملكة بكثرة الحفظ وجودتها بجودة المفروظ ..... ٣١٣
قصة سيف بن ذي يزن وملك الفرس على اليمن ..... ٣٥٨	الفصل الثامن والخمسون: في بيان المطروع من الكلام والمعنى وكيف جودة المصنوع أو قصوره ..... ٣١٤
الخبر عن ملوك سبأيل من القبط والسريانيين وملوك الموصل وبنيني من الجرامقة ..... ٣٦٠	الفصل التاسع والخمسون: في ترفع أهل المراتب عن اتصال الشعر ..... ٣١٦
الخبر عن القبط وأولية ملوكهم ودولهم وتصاريف أحراهم والإسلام بنسبيهم ..... ٣٦٢	الفصل السادسون: في أشعار العرب وأهل الأمصار لهذا العهد ..... ٣١٧
الخبر عنبني إسرائيل وما كان لهم من النبوة والملك وتغلبهم على الأرض المقدسة بالشام وكيف تجددت دولتهم بعد الانفراط وما اكتفى ذلك من الأحوال ..... ٣٦٥	الموشحات والأزجال للأندلس ..... ٣٢٠
الخبر عن حكامبني إسرائيل بعد يروشع إلى أن صار أمرهم إلى الملك وملك عليهم طالوت ..... ٣٦٩	الموشحات والأزجال في المشرق ..... ٣٢٨
الخبر عن ملوكبني إسرائيل بعد الحكام ثم افتراق أمرهم والخبر عن دولةبني سليمان بن داود على السبطين يهودا وبنiamin بالقدس إلى انفراطها ..... ٣٧٢	خاتمة ..... ٣٢٩
الخبر عن افتراقبني إسرائيل منهم بيت المقدس على سبط يهودا وبنiamin إلى انفراطه ..... ٣٧٤	الكتاب الثاني: في أخبار العرب وأجيالهم ودولهم منذ بدء الخلقة إلى هذا العهد ..... ٣٣١
الخبر عن دولةالأسباط العشرة وملوكيهم إلى حين انفراط أمرهم ..... ٣٧٩	المقدمة الأولى: في أمم العالم واختلاف أجيالهم والكلام على الجملة في أنسابهم ..... ٣٣١
الخبر عن عمارة بيت المقدس بعد الحراب الأول وما كان لبني إسرائيل فيها من الملك في الدولتين لبني حشمناوي وبني هيرودوس إلى حين الحراب الثاني والجلورة الكبرى ..... ٣٨١	المقدمة الثانية: في كيفية وضع الأنساب في كتابنا لأهل الدول وغيرهم ..... ٣٣٥
ابتداء أمر انقطار أبو هيرودوس ..... ٣٨٦	القرول في أجيال العرب وأوليائهن واختلاف طبقاتهم وتعاقبها وأنساب كل طبقة منها ..... ٣٣٥
انفراط ملكبني حشمناوي وابتداء ملك هيرودوس وبنيه ..... ٣٨٩	برنامج بما تضمنه الكتاب من الدول في هذهطبقات الأربع على ترتيبها والدول المعاصرین من العجم في كل خلقة منها ..... ٣٣٧
الخبر عن شان عيسى بن مریم صلوات الله عليه في ولادته وبعثه ورفعه من الأرض والإسلام بشان	الطبقة الأولى من العرب وهم العرب العاربة وذكر نسبيهم والإسلام بملوكيهم ودولهم على الجملة ..... ٣٣٨

الخبر عن أنساب العرب من هذه الطبقة الثالثة واحدة وذكر مواطنهم ومن كان له الملك منهم ..... ٤٤٧	الخواربين بعده وكتبهم الأنجليل الأربعه وديانة النصارى بملته واجتماع الأقسه على تدوين شريعته ..... ٣٩٥
الخبر عن حير من القحطانية وبطونها وتفرع شعرها ..... ٤٤٧	الطبقة الأولى من الفرس وذكر ملوكهم وما صار إليه في الخلقة أحراهم ..... ٤٠١
الخبر عن قضاة وبطونها والإسلام يبعض الملك الذي كان فيها ..... ٤٤٩	الطبقة الثانية من الفرس وهم الكينية وذكر ملوكهم وأيامهم إلى حين انقاضهم ..... ٤٠٣
الخبر عن بطون كهلان من القحطانية وشعوبهم وأصال بعضها مع بعض وانقضائها ..... ٤٥١	الطبقة الثالثة من الفرس وهم الأشكانية ملوك الطوائف وذكر دولهم ومصاير أمرهم إلى نهايتها ..... ٤٠٧
الخبر عن ملوك الحيرة من آل المنذر من هذه الطبقة وكيف اتساق الملك إليهم من قبلهم وكيف صار إلى طيء من بعدهم ..... ٤٥٤	الطبقة الرابعة من الفرس وهم الساسانية والخبر عن ملوكهم الأكاسرة إلى حين الفتح الإسلامي ..... ٤٠٨
الخبر عن ملوك كندة من هذه الطبقة ومبداً أمرهم وتصريف أحراهم ..... ٤٦١	الخبر عن دولة يونان والروم وأنسابهم ومصايرهم ..... ٤١٦
الخبر عن أبناء جفنة ملوك غسان بالشام من هذه الطبقة وأوليائهم ودولهم وكيف اتساق الملك إليهم من قبلهم ..... ٤٦٣	الخبر عن دولة يونان والإسكندر منهم وما كان لهم من الملك والسلطان إلى انقاض أمرهم ..... ٤١٦
الخبر عن الأوس والخزرج أبناء قيلة من هذه الطبقة ملوك يشرب دار المجرة وذكر أوليائهم والإسلام يشان نصرتهم وكيف انفرض أمرهم ..... ٤٦٦	الخبر عن اللبنانيين وهم الكيتيم المعروفون بالروم من أمم يونان وأشياعهم وشعوبهم وما كان لهم من الملك والغلب وذكر الدولة التي فهم للقياصرة وأولية ذلك ومصايره ..... ٤٢١
الخبر عن بي عنان وأنسابهم وشعوبهم وما كان لهم من الدول والملك في الإسلام وأولية ذلك ومصايره ..... ٤٧١	الخبر عن فتنة الكيتيم مع أهل إفريقيه وغريب قرطاجنة ثم بناؤها على الكيتيم وهم اللبنانيون ..... ٤٢٢
الخبر عن قريش من هذه الطبقة وملوكهم عكة وأولية أمرهم وكيف صار الملك إليهم فيها من قبلهم من الأمم السابقة ..... ٤٨٦	الخبر عن ملوك القياصرة من الكيتيم وهم اللبنانيون ومبداً أمرهم ومصاير أحراهم ..... ٤٢٢
أمر النبوة والمigration في هذه الطبقة الثالثة وما كان من اجتماع العرب على الإسلام بعد الإباهة وال الحرب ... ٤٩١	الخبر عن القياصرة المتصرة من اللبنانيين وهم الكيتيم واستفعال ملوكهم بقططنيه ثم بالشام بعدها إلى حين الفتح الإسلامي ثم بعده إلى انقاض أمرهم .. ٤٢٩
المولد الكريم وبده الروحي ..... ٤٩٢	الخبر عن ملوك القياصرة من لدن هرقل والدولة الإسلامية إلى حين انقاض أمرهم وتلاشيه أحراهم ..... ٤٣٦
بده الروحي ..... ٤٩٣	الخبر عن التوط و ما كان لهم من الملك بالأندلس إلى حين الفتح الإسلامي وأولية ذلك ومصايره ..... ٤٤٣
هجرة الحبشة ..... ٤٩٤	الطبقة الثالثة من العرب وهم العرب التابعة للعرب وذكر أفاريقهم وأنسابهم وعمالاتهم وما كان لهم من الدول على اختلافها والبادية والرحالة منهم وملكيها ..... ٤٤٤
إسلام عمر بن الخطاب ..... ٤٩٥	
الأذى والاستهزاء ..... ٤٩٥	
الإسراء ..... ٤٩٦	
العقبة الأولى ..... ٤٩٦	
العقبة الثانية ..... ٤٩٧	

٥١٣.....	عمره القضاة.....	٤٩٨.....	المجزرة.....
٥١٣.....	غزوة جيش الأمراء أو غزوة مؤتة.....	٤٩٩.....	المواخاة.....
٥١٣.....	فتح مكة.....	٤٩٩.....	الغزوات.....
٥١٦.....	غزوة حنين.....	٤٩٩.....	غزوة الأبراء:.....
٥١٧.....	حصار الطائف.....	٥٠٠.....	غزوة براط:.....
٥١٨.....	غزوة تبوك.....	٥٠٠.....	غزوة العشيرة:.....
٥١٩.....	إسلام عروة بن مسعود ثم وفد ثقيف وهدم اللات.....	٥٠٠.....	غزوة بدر الأولى:.....
٥١٩.....	الروفود.....	٥٠٠.....	البعوث:.....
٥٢٣.....	حججة الوداع.....	٥٠٠.....	صرف القبلة.....
٥٢٣.....	العمال على التواحي.....	٥٠١.....	غزوة بدر الثانية العظمى والكبرى.....
٥٢٤.....	خبر العنسي.....	٥٠٢.....	غزوة الكرز.....
٥٢٤.....	أخبار الأسود ومسيلمة وطلحة.....	٥٠٢.....	غزوة السوريق.....
٥٢٥.....	مرضه للنبي .....	٥٠٢.....	غزوة ذي أمر.....
٥٢٥.....	وفاته للنبي .....	٥٠٣.....	نحران:.....
٥٢٦.....	خبر السقية.....	٥٠٣.....	قتل كعب بن الأشرف:.....
	الخبر عن الخلافة الإسلامية في هذه الطبقة وما كان منها		غزوة بني قينقاع:.....
	من الردة والفتورات وما حدث بعد ذلك من		سرية زيد بن حارثة إلى قردة.....
٥٢٧.....	الفتن والمحروب في الإسلام ثم الاتفاق والجماعة.....	٥٠٣.....	قتل أبي الحقيق.....
٥٢٧.....	ردة اليمن.....	٥٠٤.....	غزوة أحد.....
٥٢٩.....	بعث الجيوش للمرتدية.....	٥٠٥.....	غزوة حراء الأسد.....
٥٣٠.....	خبر طلحة.....	٥٠٥.....	بعث الرجيع.....
٥٣٠.....	خبر هوازن وسلمي وبني عامر.....	٥٠٦.....	غزوة بئر معونة.....
٥٣١.....	خبر بني تميم وسجاح.....	٥٠٦.....	غزوة بني النضير.....
٥٣٢.....	خبر البطاح ومالك بن نويرة.....	٥٠٦.....	غزوة ذات الرقاع.....
٥٣٢.....	خبر مسليمة واليامة.....	٥٠٦.....	غزوة بدر الصغرى -الموعد.....
٥٣٣.....	ردة الخطم وأهل البحرين.....	٥٠٧.....	غزوة دومة الجندل.....
٥٣٤.....	ردة أهل عمان ومهرة واليمن.....	٥٠٨.....	غزوة بني قريظة.....
٥٣٤.....	بعوث العراق وصلح الحيرة.....	٥٠٨.....	غزوة الغابة وذي قرد.....
٥٣٥.....	فتح الحيرة.....	٥٠٩.....	غزوة بني المصطلق.....
٥٣٦.....	فتح ما وراء الحيرة.....	٥٠٩.....	عمرة الحدبية:.....
٥٣٦.....	فتح الأنبار وعين التمر.....	٥١٠.....	إرسال الرسل إلى الملوك.....
٥٣٧.....	مطلوب وقعة دومة الجندل.....	٥١٢.....	غزوة خيبر.....
٥٣٧.....	الوقائع بالعراق.....	٥١٢.....	قدوم مهاجرة الجبشتة.....
٥٣٧.....	بعوث الشام.....	٥١٣.....	فتح ندك ووادي القرى.....

ولادة ابن عامر على البصرة وفتح فارس وخراسان .....	٥٦٥	بعث الشام .....	٥٣٨
ولادة سعيد بن العاص الكوفة .....	٥٦٦	وقعة مرج راهط .....	٥٣٨
غزو طبرستان .....	٥٦٧	خلافة عمر رضي الله عنه .....	٥٣٩
غزو حذيفة الباب وأمر الصاحف .....	٥٦٧	فتح دمشق .....	٥٣٩
مقتل يزدجرد .....	٥٦٨	خبر المثنى بالعراق بعد مسيرة خالد إلى الشام .....	٥٤٠
ظهور الترك بالشغرور .....	٥٦٨	ولادة أبي عبيد بن مسعود على العراق ومقتله .....	٥٤٠
بدء الانقضاض على عثمان رضي الله عنه .....	٥٦٩	أخبار القادسية .....	٥٤٢
حصار عثمان ومقتله رضي الله عنه وأتابه ورفع درجته ..	٥٧٢	فتح المدائن وجلواء بعدها .....	٥٤٧
بيعة علي رضي الله عنه .....	٥٧٦	ولادة عتبة بن غزوان على البصرة .....	٥٤٩
أمر الجمل .....	٥٧٧	وقة مرج الروم وفتح مدائن الشام بعدها .....	٥٤٩
انقضاض محمد بن أبي حذيفة بمصر ومقتله .....	٥٨٥	وقة اجنادين وفتح بيسان والأردن وبيت المقدس .....	٥٥٠
ولادة قيس بن سعد على مصر .....	٥٨٥	مسير هرقل إلى حمص وفتح الجزيرة وأرمينية ..	٥٥١
مباعدة عمرو بن العاص لمعاوية .....	٥٨٦	غزو فارس من البحرين وعزل العلاء عن البصرة ثم	
أمر صفين .....	٥٨٦	المغيرة وولاية أبي موسى .....	٥٥٢
أمر الحكمين .....	٥٩١	بناء البصرة والكوفة .....	٥٥٣
أمر الخوارج وقتلهم .....	٥٩٢	فتح الأهواز والسوس بعدها .....	٥٥٣
ولادة عمرو بن العاص على مصر .....	٥٩٣	مسير المسلمين إلى الجهات للفتح .....	٥٥٥
دعاء ابن الحضرمي بالبصرة لمعاوية ومقتله ..	٥٩٤	مجاعة عام الرمادة وطاعون عمواس .....	٥٥٥
ولادة زياد على فارس .....	٥٩٥	فتح مصر .....	٥٥٥
فرقابن عباس لعلي رضي الله عنهم .....	٥٩٥	وقة نهاؤند وما كان بعدها من الفترحات .....	٥٥٦
مقتل علي رضي الله عنه .....	٥٩٥	فتح همدان .....	٥٥٧
بيعة الحسن وتسليمه الأمر لمعاوية .....	٥٩٦	فتح الري .....	٥٥٨
دولةبني أمية .....	٥٩٨	فتح أذربيجان .....	٥٥٨
بعث معاوية العمال إلى الأمصار .....	٥٩٩	فتح الموصل الباب .....	٥٥٨
قدوم زياد .....	٦٠٠	فتح مرقان وجبل أرمينية ..	٥٥٨
عمال ابن عامر على الشغرور .....	٦٠٠	غزو الترك .....	٥٥٩
عزل ابن عامر .....	٦٠٠	فتح خراسان .....	٥٥٩
استخلاف زياد .....	٦٠١	فتح فارس .....	٥٦٠
ولادة زياد البصرة .....	٦٠١	خبر الأكراد .....	٥٦١
صوات الشام .....	٦٠٢	مقتل عمر وأمر الشورى وبيعة عثمان رضي الله عنه ..	٥٦١
وفاة المغيرة .....	٦٠٢	نقض أهل الإسكندرية وفتحها .....	٥٦٢
وفاة زياد .....	٦٠٥	ولادة الوليد بن عقبة الكوفة وصلح أرمينية وأذربيجان ..	٥٦٢
ولادة عبد الله بن زياد على خراسان ثم على البصرة ..	٦٠٥	ولادة عبد الله بن أبي سرح على مصر وفتح إفريقية ..	٥٦٣
العهد ليزيد .....	٦٠٦	فتح قبرص .....	٥٦٤

٦٣٠.....	عمارة المسجد.....	عزل الضحاك عن الكوفة وولاية ابن أم الحكم ثم النعمان بن بشير.....
٦٣٠.....	فتح السند.....	ولادة عبد الرحمن بن زياد خراسان.....
٦٣١.....	فتح الطالقان وسمرقند وغزو كش ونصف الشاش وفراغة وصلح خوارزم.....	بقاء الصوائف.....
٦٣١.....	خبر يزيد بن المهلب وإخوته.....	وفاة معاوية.....
٦٣٢.....	ولادة خالد القسري على مكة وإخراج سعيد بن جبير عنها ومقتله.....	بيعة يزيد.....
٦٣٢.....	أخبار محمد بن القاسم بالسندي.....	عزل الوليد عن المدينة وولاية عمرو بن سعيد.....
٦٣٤.....	فتح الحجاج.....	مسير الحسين إلى الكوفة ومقتله.....
٦٣٤.....	أخبار محمد بن القاسم بالسندي.....	مسيرة المختار إلى الكوفة وأخذها من ابن المطیع بعد وقعة كربلاء.....
٦٣٤.....	فتح مدينة كاشغر .....	٦٠٩ .....
٦٣٥.....	وفاة الوليد وبيعة سليمان.....	مسيرة ابن زياد إلى المختار وخلافة أهل الكوفة عليه.....
٦٣٥.....	مقتل قبية بن مسلم .....	٦١٠ .....
٦٣٦.....	ولادة يزيد بن المهلب خراسان.....	شأن المختار مع ابن الزبير .....
٦٣٦.....	أخبار الصوائف وحضار قسطنطينية .....	٦١١ .....
٦٣٧.....	فتح جرجان وطبرستان .....	مقتل ابن زياد .....
٦٣٨.....	وفاة سليمان وبيعة عمر بن عبد العزيز .....	٦١٢ .....
٦٣٩.....	عزل يزيد بن المهلب وجبيه والولادة على عماله .....	مسير عبد الملك إلى العراق ومقتل مصعب .....
٦٣٩.....	ولادة عبد الرحمن بن نعيم القشيري على خراسان .....	أمر زفر بن الحارث بقرقيسيا .....
٦٤٠.....	وفاة عمر بن عبد العزيز وبيعة يزيد .....	مقتل ابن حازم بخراسان وولاية بكير بن وشاح عليها .....
٦٤٠.....	احتياط يزيد بن المهلب ومقتله .....	ولادة المهلب حرب الأزارقة .....
٦٤٢.....	ولادة مسلمة على العراق وخراسان .....	ولادة أسد بن عبد الله على خراسان .....
٦٤٢.....	العهد لشام بن عبد الملك والوليد بن يزيد .....	ولادة الحجاج العراق .....
٦٤٢.....	غزوة الترك .....	وقوع أهل البصرة بالحجاج .....
٦٤٣.....	غزو الصعد .....	مقتل ابن مخنف وحرب الخوارج .....
٦٤٣.....	ولادة ابن هبيرة على العراق وخراسان .....	ضرب السكة الإسلامية .....
٦٤٤.....	ولادة الجراح على أرمينية وفتح بلنجر .....	مقتل بكير بن وشاح بخراسان .....
٦٤٤.....	ولادة عبد الواحد القسري على المدينة ومكة .....	مقتل مجير بن زياد .....
٦٤٤.....	عزل الحريشي وولادة مسلم الكلبي على خراسان .....	ولادة الحجاج على خراسان وسجستان .....
٦٤٥.....	وفاة يزيد وبيعة هشام .....	أبا يزيد ابن الأشعث ومقتله .....
٦٤٥.....	غزو مسلم الترك .....	بناء الحجاج مدينة واسط .....
٦٤٥.....	ولادة أسد القسري على خراسان .....	عزل يزيد عن خراسان .....
٦٤٦.....	ولادة أشرس على العراق .....	مقتل موسى بن حازم .....
٦٤٦.....	عزل أشرس .....	البيعة للوليد بالعهد .....
٦٤٧.....	عزل أشرس عن خراسان وولاية الجند .....	وفاة عبد الملك وبيعة الوليد .....
		ولادة قبية بن مسلم خراسان وأخباره .....

استيلاء قحطبة على الري ..... ٦٦٨	قتل الجراح الحكمي ..... ٦٤٧
استيلاء قحطبة على أصبهان ومقتل ابن ضباره وفتح نهاوند وشهرزور ..... ٦٦٨	وقعة الشعب بين الجند وخفاق ..... ٦٤٧
حرب السفاح ابن هبيرة مع قحطبة ومقتلهما وفتح الكرفة ..... ٦٦٩	ولاية عاصم على خراسان وعزل الجنيد ..... ٦٤٨
بيعة السفاح ..... ٦٦٩	ولاية مروان بن محمد على أرمينية وأذربيجان ..... ٦٤٨
مقتل إبراهيم ابن الإمام ..... ٦٧٠	خلع الحارث بن شريح بخراسان ..... ٦٤٩
هزيمة مروان بالزاب ومقتله بمصر ..... ٦٧١	ولاية أسد القسري الثانية بخراسان ..... ٦٤٩
بقاء الصوائف في الدولة الأموية ..... ٦٧٢	مقتل خاقان ..... ٦٥٠
عمال بي أمية على التواحي ..... ٦٧٣	وفاةأسد ..... ٦٥١
الخبر عن الخوارج وذكر أوليائهم وتكرر خروجهم في الملة الإسلامية ..... ٦٧٧	ولاية يوسف بن عمر الثقفي على العراق وعزل خالد ..... ٦٥١
خبر ابن الحر ومقتله ..... ٦٨١	ولادة نصر بن سيار خراسان وغزوه وصلح الصند ..... ٦٥٢
حروب الخوارج مع عبد الملك والحجاج ..... ٦٨٢	ظهور زيد بن علي ومقتله ..... ٦٥٢
حروب الصفرية وشبيب مع الحجاج ..... ٦٨٣	ظهور أبي مسلم بالدعاية العباسية ..... ٦٥٣
خروج المطرف بن المغيرة بن شعبة ..... ٦٨٧	وفاة هشام بن عبد الملك وبيعة الروليد بن يزيد ..... ٦٥٥
اختلاف الأزارقة ..... ٦٨٧	ولادة نصر للوليد على خراسان ..... ٦٥٦
خروج شوذب ..... ٦٨٨	مقتل بيجي بن زياد ..... ٦٥٦
خبر أبي حزة وطالب واسحاق ..... ٦٩١	مقتل خالد بن عبد الله القسري ..... ٦٥٦
الدولة الإسلامية بعد افتراق الخلافة ..... ٦٩٣	مقتل الروليد وبيعة يزيد ..... ٦٥٧
مبدأ دولة الشيعة ..... ٦٩٣	ولادة منصور بن جهور على العراق ثم ولاية عبد الله بن عمر ..... ٦٥٧
الخبر عن بني العباس من دول الإسلام في هذه الطبقة الثالثة للعرب وأولية أمرهم وإنشاء دولتهم والإسلام ينكت أخبارهم وعيون أحاديثهم ..... ٦٩٤	انتقاض أهل اليمامة ..... ٦٥٩
دولة السفاح ..... ٦٩٥	اختلاف أهل خراسان ..... ٦٥٩
حصار ابن هبيرة بواسطه ومقتله ..... ٦٩٥	أمان الحارث بن شريح وخروجه من دار الحارث ..... ٦٦٠
مقتل أبي مسلمة بن الخلال وسلامان بن كثير ..... ٦٩٦	انتقاض مروان لما قتل الروليد ..... ٦٦٠
عمال السفاح ..... ٦٩٧	وفاة يزيد وبيعة أخيه إبراهيم ..... ٦٦٠
الثار بالتواحي ..... ٦٩٧	مسير مروان إلى الشام ..... ٦٦٠
حج أبي جعفر وأبي مسلم ..... ٦٩٨	انتقاض الناس على مروان ..... ٦٦١
موت السفاح وبيعة المنصور ..... ٦٩٨	ظهور عبد الله بن معاوية ..... ٦٦٢
انتقاض عبد الله بن علي وهزيمته ..... ٦٩٩	غلبة الكرمانى على مرو وقتلته الحارث بن شريح ..... ٦٦٢
حبس عبد الله بن علي ..... ٧٠١	ظهور الدعاية العباسية بخراسان ..... ٦٦٣
وقعة الرواندية ..... ٧٠١	مقتل الكرمانى ..... ٦٦٤
	اجتماع أهل خراسان على قتل أبي مسلم ..... ٦٦٥
	مقتل عبد الله بن معاوية ..... ٦٦٥
	مسير قحطبة للفتح ..... ٦٦٧
	هلاك نصر بن سيار ..... ٦٦٨

٧٢١.....	انتقام خراسان ومسير المهدي إليها
٧٢٢.....	أمر بي العباس
٧٢٣.....	ظهور محمد المهدي ومقتله
٧٢٤.....	شأن إبراهيم بن عبد الله وظهوره ومقتله
٧٢٥.....	بناء مدينة بغداد
٧٢٦.....	العهد للمهدي وخليع عيسى بن موسى
٧٢٦.....	خروج أستاديسين
٧٢٧.....	ولادة هشام بن عمرو التغلبي على السند
٧٢٨.....	بناء الرصافة للمهدي
٧٢٨.....	مقتل معن بن زائدة
٧٢٩.....	العمال على التواحي أيام السفاح والمتصور
٧٢٩.....	الصوائف
٧٢٩.....	وفاة المنصور وبيعة المهدي
٧٣٠.....	ظهور الجبوش إلى طاهر ورجوعهم بلا قتال
٧٣٠.....	ظهور المقعن ومهلكه
٧٣٠.....	الولادة أيام المهدي
٧٣٠.....	العهد للهادي وخليع عيسى
٧٣١.....	فتح باريد من السند
٧٣١.....	حج المهدي
٧٣١.....	نكبة الوزير أبي عبد الله
٧٣٢.....	ظهور دعوة العباسية بالأندلس وانقطاعها
٧٣٥.....	غزو المهدي
٧٣٥.....	العهد لمارون
٧٣٥.....	نكبة الوزير يعقوب بن داود
٧٣٥.....	مسير المادي إلى جرجان
٧٣٦.....	العمال بالتواحي
٧٣٦.....	الصوائف
٧٣٨.....	وفاة المهدي وبيعة المادي
٧٣٩.....	ظهور الحسين بن علي بن حسن بن الحسن
٧٣٩.....	البسيط ومقتله
٧٤٠.....	حديث المادي في خلع الرشيد
٧٤٠.....	وفاة المادي وبيعة الرشيد
٧٤٠.....	خبر يحيى بن عبد الله في الديلم
٧٤١.....	ولادة جعفر بن يحيى مصر
٧٤٢.....	الفتنة بدمشق
	نصر بن
	شبيث
	الظفر بابن عائشة وإبراهيم بن المهدي
	انتقام مصر والإسكندرية
	العمال بالتواحي
	الصوائف
	وفاة المأمون وبيعة المتصم

٧٥٧.....	مقتل أتماش	٧٤٢ .....	ظهور صاحب الطالقان
٧٥٨.....	ظهور يحيى بن عمر ومقتله	٧٤٢ .....	حرب الزط
٧٥٨.....	ابتداء الدولة العلوية بطبرستان	٧٤٢ .....	بناء سامرًا
٧٥٩.....	مقتل ياغر	٧٤٢ .....	نكبة الفضل بن مروان
٧٥٩.....	بيعة المعتز وحصار المستعين	٧٤٣ .....	مارية بابل الخرمي
٧٦١.....	خلع المستعين ومقتله والفتن خلال ذلك	٧٤٥ .....	فتح عمورية
٧٦٢.....	أخبار مساور الخارجي	٧٤٦ .....	حبس العباس بن المأمون ومهلكه
٧٦٢.....	مقتل وصيف ثم بغا	٧٤٧ .....	انتقام مازيار وقتلها
٧٦٣.....	ابتداء دولة الصفار	٧٤٨ .....	ولاية ابن السيد على الموصل
٧٦٣.....	ابتداء دولة ابن طولون بمصر	٧٤٨ .....	نكبة الأشين ومقتله
٧٦٣.....	استقدام سليمان بن طاهر لولاية بغداد	٧٤٩ .....	ظهور المربع
٧٦٤.....	خبر كرخ أصبهان وأبي دلف	٧٤٩ .....	وفاة المعتصم وبيعة الواتق
٧٦٤.....	خلع المعتز ومرته وبيعة المهدي	٧٥٠ .....	وقعة بغا في الأعراب
٧٦٥.....	مسير موسى بن بغا إلى سامرًا ومقتل صالح بن وصيف	٧٥٠ .....	مقتل أحد بن نصر
٧٦٦.....	الصوائف منذ ولادة المنصور إلى آخر أيام المهدي	٧٥١ .....	الفاء والصادفة
٧٦٦.....	الولاة	٧٥١ .....	وفاة الواتق وبيعة التوكل
٧٦٧.....	أخبار صاحب الزنج وابتداء فنته	٧٥١ .....	نكبة الوزير ابن الزيارات ومهلكه
٧٦٨.....	خلع المهدي وقتلها وبيعة المعتمد	٧٥١ .....	انتقام إيتاخ ومقتله
٧٦٩.....	ظهور العلوية بمصر والكوفة	٧٥٢ .....	شأن ابن البغيث
٧٧٠.....	بقية أخبار الزنج	٧٥٢ .....	بيعة العهد
٧٧٠.....	مسير المولد لحرفهم	٧٥٢ .....	ملك محمد بن إبراهيم
٧٧٠.....	مقتل منصور الخلياط	٧٥٣ .....	انتقام أهل أربينية
٧٧٠.....	مسير الموفق لحرب الزنج	٧٥٣ .....	عزل ابن أبي دؤاد وولاية ابن أكثم
٧٧١.....	مقتل البحرياني قائد الزنج	٧٥٣ .....	انتقام أهل حصن
٧٧١.....	مسير ابن بغا لحرب الزنج	٧٥٣ .....	إغارة البجاء على مصر
٧٧١.....	استيلاء الصفار على قارس وطبرستان	٧٥٤ .....	الصوائف
٧٧١.....	استيلاء الصفار على خراسان وانقراض أمر بني طاهر	٧٥٤ .....	الولايات في النواحي
٧٧١.....	منها ثم استيلاؤه على طبرستان	٧٥٥ .....	مقتل التوكل وبيعة المنصور ابنه
٧٧٢.....	استيلاء الحسن بن زيد على جرجان	٧٥٥ .....	الخبر عن الخلفاء من بني العباس أيام الفتنة، وتغلب
٧٧٢.....	فتنة الموصل	٧٥٥ .....	الأولئك وتضليل نطاق الدولة باستبداد الولاية في
٧٧٢.....	حروب ابن واصل بفارس	٧٥٥ .....	النواحي من لدن المنصور إلى أيام المستكفي
٧٧٣.....	مبدأ دولة بني سامان وراء النهر	٧٥٦ .....	دولة المنصور
٧٧٣.....	مسير الموفق إلى البصرة لحرب الزنج وولاية العهد	٧٥٧ .....	وفاة المنصور وبيعة المستعين
٧٧٣.....	وقعة الصفار والمؤقت	٧٥٧ .....	فتنة بغداد وسامرا

٧٩٣.....	الولاية على الجبل وأصبهان .....	٧٧٤ .....	سيادة أخبار الزنج .....
٧٩٣.....	عود حдан إلى الطاعة.....	٧٧٦ .....	استيلاء الصفار على الأمواز .....
٧٩٤.....	هزيمة هارون الشاري ومهلكه .....	٧٧٦ .....	استيلاء الزنج على واسط .....
٧٩٤.....	خبر ابن الشيخ بأمد .....	٧٧٦ .....	استيلاء ابن طولون على الشام .....
٧٩٤.....	خبر ابن أبي الساج .....	٧٧٧ .....	موت يعقوب الصفار وولادة عمرو أخيه .....
٧٩٥.....	ابتداء أمر القرامطة بالبحرين والشام .....	٧٧٧ .....	أخبار الزنج مع أغرتيش .....
٧٩٥.....	استيلاء ابن سامان على خراسان من يد عمرو بن الليث وأسره ثم مقتله .....	٧٧٧ .....	استرجاع ابن الموفق ما غلب عليه الزنج من أعمال دجلة .....
٧٩٦.....	استيلاء ابن سامان على طبرستان من يد العلوى ومقتله .....	٧٧٨ .....	وصول الموفق لحرب الزنج وفتح المنية والمنصورة .....
٧٩٦.....	ولادة علي بن المعتضى على الجزيرة والتغور .....	٧٧٨ .....	حصار مدينة الخيث المختارة وفتحها .....
٧٩٦.....	حرب الأعراب .....	٧٨١ .....	استيلاء الموفق على الجهة الغربية .....
٧٩٦.....	تغلب ابن الليث على فارس وإخراج بدر إيه .....	٧٨٢ .....	استيلاء صاحب الزنج على الجهة الشرقية .....
٧٩٧.....	الولايات في التواحي .....	٧٨٢ .....	مقتل صاحب الزنج .....
٧٩٧.....	الصوائف .....	٧٨٣ .....	ولادة ابن كندةاج على الموصل .....
٧٩٧.....	وفاة المعتضى وبيعة ابنه .....	٧٨٣ .....	حروب الخوارج بالموصل .....
٧٩٧.....	استيلاء محمد بن هارون على الري ثم أسره وقتله .....	٧٨٤ .....	أخبار رافع بن هرثمة من بعد الحجاجي .....
٧٩٨.....	استيلاء المكتفي على مصر وانقراض دولة ابن طولون .....	٧٨٤ .....	معاضبة المعتمد للموفق ومسيرة ابن طولون وما نشأ من الفتنة لأجل ذلك .....
٧٩٨.....	ابتداء دولة بني حدان .....	٧٨٤ .....	وفاة ابن طولون ومسير ابن كندةاج إلى الشام .....
٧٩٩.....	أخبار ابن الليث بفارس .....	٧٨٥ .....	وفاة صاحب طبرستان وولادة أخيه .....
٧٩٩.....	الصوائف .....	٧٨٥ .....	فتنة ابن كندةاج وابن أبي الساج وابن طولون .....
٧٩٩.....	الولايات بالتواحي .....	٧٨٥ .....	أخبار عمرو بن الليث .....
٧٩٩.....	وفاة المكتفي وبيعة المقتدر .....	٧٨٦ .....	مسير الموفق إلى أصبهان والجبل .....
٨٠٠.....	خلع المقتدر بابن العتز وإعادته .....	.....	قبض الموفق على ابنه أبي العباس المعتمد ثم وفاته .....
٨٠١.....	ابتداء دولة العبيدين من الشيعة بأفريقية .....	٧٨٦ .....	وقيام ابنه أبي العباس بالأمر بعده .....
٨٠٢.....	وفاة الحبيب وإصاوه لابنه عبيد الله .....	٧٨٦ .....	ابتداء أمر القرامطة .....
٨٠٣.....	بيعة المهدي بسجلامة .....	٧٨٧ .....	فتنة طرسوس .....
٨٠٣.....	أخبار ابن الليث بفارس .....	٧٨٧ .....	فتنة أهل الموصل مع الخوارج .....
٨٠٤.....	قيام أهل صقلية بدعة المقتدر ثم رجوعهم إلى طاعة المهدي .....	٧٨٨ .....	الصوائف أيام المعتمد .....
٨٠٤.....	ولادة العهد .....	٧٩٢ .....	الولايات بالتواحي أيام العتز .....
٨٠٤.....	ظهور الأطروش وملكه خراسان .....	٧٩٣ .....	وفاة المعتمد وبيعة المعتمد .....
٨٠٥.....	غلب المهدي على الإسكندرية ومسير مؤنس إلى مصر .....	٧٩٣ .....	مقتل رافع بن الليث .....
٨٠٥.....	انتقام الحسين على ابن حدان بديار ربيعة وأسره .....	٧٩٣ .....	خبر الخوارج بالموصل .....
			إيقاع المعتمد ببني شيبان واستيلاؤه على ماردین .....

٨٢٦.....	وحشة الباسيري.....	٨٠٥ .....	وزارة ابن الفرات الثانية.....
٨٢٧.....	وصول الغزالى الدسکرة ونواحي بغداد.....	٨٠٥ .....	خبر ابن أبي الساج بأذربیجان.....
٨٢٧.....	ظهور ابن رائق ومسيره إلى الشام.....	٨٠٦ .....	خبر سجستان وكرمان.....
٨٢٧.....	وزارة ابن البريدي .....	٨٠٦ .....	وزارة حامد بن العباس.....
٨٢٧.....	مسير ركن الدولة إلى واسط ورجوعه عنها .....	٨٠٧ .....	وصول ابن المهدى وهو أبو القاسم إلى ابنه .....
٨٢٧.....	مسير يحكم إلى بلد الجبل وعوده إلى واسط واستيلاؤه عليها .....	٨٠٧ .....	بقية خبر ابن أبي الساج .....
٨٢٧ .....		٨٠٨ .....	بقية الخبر عن وزراء المقتدر .....
٨٢٨.....	استيلاء ابن رائق على الشام .....	٨١٠ .....	أخبار القرامطة في البصرة والكرفة .....
٨٢٨.....	الصوائف أيام الراضي .....	٨١١ .....	استيلاء القرامطة على مكة وقلعهم الحجر الأسود .....
٨٢٨.....	الولايات أيام الراضي والقاهر قبله .....	٨١١ .....	خلع المقتدر وعوده .....
٨٢٨.....	وفاة الراضي وبيعة التقى .....	٨١٢ .....	أخبار قواد الدليم وتغلبهم على أعمال الخليفة .....
٨٢٩.....	مقتل يحكم.....	٨١٤ .....	ابتداء حمل أبي عبد الله البريدي .....
٨٢٩.....	إمارة البريدي ببغداد وعوده إلى واسط .....	٨١٤ .....	الصوائف أيام المقتدر .....
٨٢٩.....	إمارة كورتكين الدليمي .....	٨١٥ .....	الولايات على النواحي أيام المقتدر .....
٨٢٩.....	عود ابن رائق إلى بغداد .....	٨١٧ .....	استيحاش مؤنس من المقتدر ومسيره إلى الموصل .....
٨٣٠.....	وزارة ابن البريدي واستيلاؤه على بغداد وفرار التقى إلى الموصل .....	٨١٨ .....	مقتل المقتدر وبيعة القاهرة .....
٨٣٠.....	مقتل ابن رائق وولاية ابن حдан مكانه .....	٨١٨ .....	خبر ابن المقتدر وأصحابه .....
٨٣٠.....	عود التقى إلى بغداد وفرار البريدي .....	٨٢٠ .....	مقتل مؤنس وبليق وابنه .....
٨٣١.....	استيلاء الدليم على أذربیجان .....	٨٢١ .....	ابتداء دولةبني بویه .....
٨٣١.....	خبر سيف الدولة بواسط .....	٨٢٢ .....	خلع القاهر وبيعة الراضي .....
٨٣١.....	إمارة تورون ثم وحشته مع التقى .....	٨٢٢ .....	مقتل هارون .....
٨٣٢.....	مسير التقى إلى الموصل .....	٨٢٢ .....	نكبة ابن ياقوت .....
٨٣٢.....	مسير ابن بویه إلى واسط وعوده عنها ثم استيلاؤه عليها .....	٨٢٢ .....	خبر البريدي .....
٨٣٢ .....		٨٢٣ .....	مقتل ياقوت .....
٨٣٢.....	قتل ابن البريدي أخاه ثم وفاته .....	٨٢٣ .....	مسير ابن مقلة إلى الموصل واستقرارها لابن حدان .....
٨٣٣.....	الصوائف أيام التقى .....	٨٢٣ .....	نكبة ابن مقلة وخبر الوزارة .....
٨٣٣.....	الولايات أيام التقى .....	٨٢٤ .....	استيلاء ابن رائق على الخليفة .....
٨٣٣.....	خلع التقى وولاية المستكفي .....	٨٢٤ .....	وصول يحكم مع ابن رائق .....
٨٣٤.....	وفاة تورون وإمارة ابن شيرزاد .....	٨٢٥ .....	مسير الراضي وابن رائق لحرب ابن البريدي .....
٨٣٤.....	استلاء معز الدولة بن بویه على بغداد واندراج أحكام الخلافة في سلطانهم .....	٨٢٥ .....	استيلاء يحكم على الأهواز .....
٨٣٤ .....		٨٢٦ .....	استيلاء معز الدولة على الأهواز .....
الخبر عن الخلفاء من بنى العباس المغلوبين لدولةبني بویه من السلاجوقية من بعدهم من لدن المستكفي إلى		٨٢٦ .....	وزارة ابن مقلة ونكبتها .....
		٨٢٦ .....	استيلاء يحكم على بغداد .....
		٨٢٦ .....	دخول أذربیجان في طاعة وشمير .....

٨٤٥.....	مقتل صمصم الدولة .....	التحق وما لهم من الأحوال الخاصة بهم ببغداد
٨٤٥.....	استيلاء بهاء الدولة على فارس .....	ونراحيها.....
٨٤٥.....	الخبر عن وزراء بهاء الدولة .....	خلع المستكفي وبيعة الطيع .....
٨٤٦.....	ولاية العراق .....	انقلاب حال الدولة بما تعدد في الجباية والقطع .....
٨٤٦.....	انقراض دول وابتداء أخرى في التراخي .....	دولة بنى حمدان مسيير ابن حمدان إلى بغداد .....
٨٤٦.....	ظهور بنى مزيد .....	استيلاء معز الدولة على البصرة .....
٨٤٦.....	فتنة بنى مزيد وبنى ذيبيس .....	ابتداء أمر بنى شاهين بالطيبة .....
٨٤٦.....	ظهور دعوة العلوية بالكوفة والموصل .....	موت الصهيري ووزارة المهلي .....
٨٤٧.....	وفاة عبيد الجيوش وولادة فخر الملك .....	حصار البصرة .....
٨٤٧.....	مقتل فخر الملك وولادة ابن سهلان .....	استيلاء معز الدولة على الموصل وعوده .....
٨٤٧.....	الفتنة بين سلطان الدولة وأخيه أبي الفوارس .....	بناء معز الدولة ببغداد .....
٨٤٧.....	خروج الترك من الصين .....	ظهور الكتابة على المساجد .....
٨٤٨.....	ملك مشرف الدولة وغبله على سلطان الدولة .....	استيلاء معز الدولة على عمان وحصاره البطائح .....
٨٤٨.....	الخبر عن وحشة الأكراد وفتنة الكوفة .....	وفاة الوزير المهلي .....
٨٤٨.....	وفاة مشرف الدولة وولادة أخيه جلال الدولة .....	وفاة معز الدولة وولادة ابنه مختار .....
٨٤٩.....	قدوم جلال الدولة إلى بغداد .....	عزل أبي الفضل ووزارة ابن بقية .....
٨٤٩.....	مسير جلال الدولة إلى الأهواز .....	الفتنة بين مختار وسبككين والأتراك .....
٨٤٩.....	استيلاء جلال الدولة على البصرة ثانيةً وانتزاعها منه .....	خلع الطيع وولادة الطائع .....
٨٥٠.....	وفاة القادر ونصب القائم .....	الصوائف .....
٨٥٠.....	وثوب الجندي بجلال الدولة وخروجه من بغداد .....	فتنة سبككين وموته وإمارة أفتakin .....
٨٥١.....	الصلح بين جلال الدولة وأبي كاليجار .....	نكبة مختار على يد عضد الدولة ثم عوده إلى ملكه .....
٨٥١.....	استيلاء أبي كاليجار على البصرة .....	خبر أفتakin .....
٨٥١.....	شغب الأتراك على جلال الدولة .....	ملك عضد الدولة بغداد وقتل مختار .....
٨٥١.....	ابتداء دولة السلجوقية .....	استيلاء عضد الدولة على ملك بنى حمدان .....
٨٥٣.....	فتنة قرواش مع جلال الدولة .....	وفاة عضد الدولة وولادة ابنه صمصم الدولة .....
٨٥٣.....	وفاة جلال الدولة وملك أبي كاليجار .....	نكبة صمصم الدولة وولادة أخيه شرف الدولة .....
٨٥٣.....	وفاة أبي كاليجار وملك ابنه الملك الرحيم .....	ابتداء دولة باد وبني مردان بالموصل .....
٨٥٤.....	مسير الملك الرحيم إلى فارس .....	وفاة شرف الدولة وملك بهاء الدولة .....
٨٥٤.....	مهادنة طغرل بك للقائم .....	خروج القادر إلى الطيبة .....
٨٥٤.....	استيلاء الملك الرحيم على البصرة من يد أخيه .....	فتنة صمصم الدولة .....
٨٥٥.....	فتنة ابن أبي الشوك ثم طاعته .....	خلع الطائع وبيعة القادر .....
٨٥٥.....	فتنة الأتراك .....	ملك صمصم الدولة الأهواز وعودها لبهاء الدولة ثم
٨٥٥.....	استيلاء طغرل بك على أذربيجان وعلى أرمينية والموصل .....	استيلاؤه ثانيةً عليها .....
٨٥٥.....	وحشة اليساري .....	ملك صمصم الدولة البصرة .....

وصول الغز إلى الدسكرة ونراحي بغداد.....	٨٥٦
استيلاء الملك الرحيم على شيراز .....	٨٥٦
وثوب الأتراك ببغداد بالبسيري .....	٨٥٦
استيلاء السلطان طغريلك على بغداد والخلعة والخطبة له .....	٨٥٦
القبض على الملك الرحيم وانتراض دولة بنى بويه .....	٨٥٦
انتقاض أبي الغنائم بواسط .....	٨٥٧
الرقة بين البسيري وقطلمش .....	٨٥٧
مسير طغريلك إلى الموصل .....	٨٥٧
فتنة نياں مع أخيه طغريلك ومقتله .....	٨٥٨
دخول البسيري بغداد وخلع القائم ثم عوده .....	٨٥٩
مقتل البسيري .....	٨٦٠
مسير السلطان إلى واسط وطاعة ديس .....	٨٦٠
وزارة القائم .....	٨٦٠
عقد طغريلك على ابنة الخليفة .....	٨٦٠
وفاة السلطان طغريلك وملك ابن أخيه داود .....	٨٦١
فتنة قتلمش والجهاد بعدها .....	٨٦٢
العهد بالسلطنة لملکشاه بن ألب أرسلان .....	٨٦٢
وزراء الخليفة .....	٨٦٢
الخطبة بمكة .....	٨٦٢
طاعة ديس ومسلم بن قريش .....	٨٦٢
الخطبة العباسية محلب واستيلاء السلطان عليها .....	٨٦٢
واقعة السلطان مع ملك الروم وأسره .....	٨٦٣
شحنة بغداد .....	٨٦٣
مقتل السلطان ألب أرسلان وملك ابنه ملکشاه .....	٨٦٣
وفاة القائم ونصب المقتنى للخلافة .....	٨٦٤
عزل الوزير ابن جهير ووزارة أبي شجاع .....	٨٦٤
استيلاء تشن بن ألب أرسلان على دمشق وإبداء دولته نفيه فيها .....	٨٦٤
سفارة الشيخ أبي إسحاق الشيرازي عن الخليفة .....	٨٦٥
عزل ابن جهير عن الوزارة وإمارته على ديار بكر .....	٨٦٥
خبر الوزارة .....	٨٦٦
استيلاء السلطان على حلب .....	٨٦٦
فتنة بغداد .....	٨٦٧
مقتل نظام الملك وأخباره .....	٨٦٧
وفاة السلطان ملك شاه وملك ابنه محمود .....	٨٦٧
ثورة برکيارق بملك شاه .....	٨٦٧
مقتل تاج الملك .....	٨٦٨
الخطبة لبرکيارق ببغداد .....	٨٦٨
وفاة المقتنى ونصب المستظر للخلافة .....	٨٦٨
أخبار تشن وانتقامه وحربيه ومقتله .....	٨٦٨
ظهور السلطان ملکشاه والخطبة له ببغداد .....	٨٦٩
إعادة الخطبة لبرکيارق .....	٨٦٩
المصال الأول بين برکيارق و محمد وقتل كوهابين والخطبة لحمد .....	٨٧٠
مصال برکيارق مع أخيه سنجر .....	٨٧٠
عزل الوزير عميد الدولة ابن جهير ووفاته .....	٨٧٠
المصال الثاني بين برکيارق وأخيه محمد ومقتل مؤيد الملك والخطبة لبرکيارق .....	٨٧١
استيلاء محمد على بغداد .....	٨٧١
المصال الثالث والرابع وما تخلل بينهما من الصلح ولم يتم .....	٨٧٢
الشحنة ببغداد والخطبة لبرکيارق .....	٨٧٢
استيلاء نياں على الري بدعة السلطان محمد ومسيره إلى العراق .....	٨٧٣
المصال الخامس بين السلطانين .....	٨٧٣
الصلح بين السلطانين برکيارق و محمد .....	٨٧٤
وفاة السلطان برکيارق وملك ابنه ملك شاه .....	٨٧٥
وصول السلطان محمد إلى بغداد واستباده بالسلطنة والخطبة ومقتل أياز .....	٨٧٥
الشحنة ببغداد .....	٨٧٦
وفاة السلطان محمد وملك ابنه محمود .....	٨٧٦
وفاة المستظر وخلافة المسترشد .....	٨٧٦
انتقاض الملك مسعود على أخيه السلطان محمود ثم مصالحته واستقرار جكرمس شحنة ببغداد .....	٨٧٧
انتقاض الملك طغل على أخيه السلطان محمود .....	٨٧٨
الفتنة بين السلطان محمود وعمه سنجر صاحب خرسان والخطبة ببغداد لسنجر .....	٨٧٨

انتقاض الملك مسعود على أخيه السلطان محمود والفتنة بينهما .....	٨٧٩
إقطاع الموصل للبريقى ومبادرتين لأبي الغازى ..... دولة بني خوارزم شاه .....	٨٧٩
خطبة بغداد لسليمان شاه ابن السلطان محمد وحربه مع السلطان محمد بن محمود .....	٨٨٠
حصار السلطان محمد بغداد ..... حروب المقتفي مع أهل النواحي .....	٨٨٠
وفاة السلطان محمد بن محمود وملك عمه سليمان شاه ثم أرسلان بن طغول .....	٨٨١
وفاة المقتفي وخلافة المستجود وهو أول الخلفاء المستبدین على أمرهم من بني العباس عند تراجع الدولة وضيق نطاقها ما بين الموصل وواسط والبصرة وحلوان .....	٨٨١
فتنة خاجة ..... إجلاء بني أسد من العراق .....	٨٨٣
ال الفتنة بواسط وما جرت إليه ..... مسير شملة إلى العراق .....	٨٨٤
وفاة الوزير يحيى ..... وفاة المستجود وخلافة المستضيء .....	٨٨٤
انتقاض الدولة العليرية بمصر وعود الدعوة العباسية إليها .....	٨٨٥
خبر يزدن من أمراء المستضيء .....	٨٨٦
قتل سنگاه بن أحد أخي شملة ..... وفاة قايماز وهره .....	٨٨٦
فتنة صاحب خوزستان .....	٨٨٦
قتل الوزير .....	٨٨٧
وفاة المستضيء وخلافة الناصر .....	٨٨٧
هدم دار السلطنة بغداد وانقراض ملوك السلجوقة .....	٨٨٧
استيلاء الناصر على النواحي .....	٨٨٨
نهب العرب البصرة .....	٨٨٨
استيلاء الناصر على خوزستان ثم أصبحان والري وهذدان .....	٨٨٨
عزل الوزير نصیر الدين .....	٨٨٩
انتقاض سنجق خوزستان .....	٨٨٩
انتقاض الملك مسعود على أخيه السلطان محمود والفتنة بينهما .....	٨٨٩
إقطاع الموصل للبريقى ومبادرتين لأبي الغازى ..... طاعة طغول لأخيه السلطان محمود .....	٨٨٩
أخبار دبیس مع المسترشد ..... نکة الوزیر ابن صدقه ولایة نظام الملك .....	٨٨٠
واقعة المسترشد مع دبیس ..... ولاية برتش شحنة بغداد .....	٨٨١
وصول الملك طغول ودبیس إلى العراق .....	٨٨١
الفتنة بين المسترشد والسلطان محمود ..... أخبار دبیس مع السلطان سنجق .....	٨٨٢
وفاة السلطان محمود وملك ابنه داود ثم منازعته عمومته واستقلال مسعود .....	٨٨٣
واقعة مسعود مع سنجق وهزيمته وسلطنة طغول .....	٨٨٣
مسير المسترشد لحصار الموصل .....	٨٨٤
مصاد طغول ومسعود وانهزام مسعود .....	٨٨٤
وفاة طغول واستيلاء السلطان مسعود .....	٨٨٤
فتنة السلطان مسعود مع المسترشد .....	٨٨٥
مقتل المسترشد وخلافة الراشد .....	٨٨٥
الفتنة بين الراشد والسلطان مسعود ولحاقه بالموصل وخلمه .....	٨٨٦
خلافة المقتفي .....	٨٨٦
فتنة السلطان مسعود مع داود واجتماع داود للراشد للحرب ومقتل الراشد .....	٨٨٦
وزارة الخليفة .....	٨٨٧
الشحنة ببغداد .....	٨٨٧
انتقاض الأعياض واستبداد الأمراء على الأمير مسعود وقتله إيهام .....	٨٨٧
انتقاض الأمراء ثانية على السلطان .....	٨٨٨
وزارة المقتفي .....	٨٨٨
وفاة السلطان مسعود وملك ملك شاه ابن أخيه محمود .....	٨٨٨
حروب المقتفي مع أهل الخلاف وحصار البلاد .....	٨٨٩
استيلاء شملة على خوزستان .....	٨٨٩

استيلاء منكلي على بلاد الجبل وأصبهان وهرب	٩٢٣.....
إيدغمش ثم مقتله ومقتل منكلي وولاية إغلمش	٩٢٤.....
ولاية حاقد الناصر على خوزستان	٩٢٥.....
استيلاء خوارزم شاه على بلاد الجبل وطلب الخطيبة له	٩٢٦.....
بغداد	٩٢٧.....
إجلاء بنى معروف عن البطانع	٩٢٧.....
ظهور التتر	٩٢٨.....
وفاة الناصر وخلافة الظاهر ابنه	٩٢٩.....
وفاة الظاهر وولاية ابنه المستنصر	٩٣٠.....
وفاة المستنصر وخلافة المستعصم آخر بنى العباس	٩٣١.....
بيغداد	٩٣١.....
الخبر عن الخلفاء العباسين المتصوريين بمصر من بعد انقراض الخلافة ببغداد ومبادئ أمورهم	٩٣٢.....
وتصارييف أحوالهم	٩٣٣.....
أخبار الدولة العلوية المراحة لدولة بنى العباس	٩٣٤.....
الخبر عن خروج الفاطميين بعد فتنة بغداد	٩٣٥.....
الخبر عن الأدارسة ملوك المغرب الأقصى ومبدأ دولتهم وانقراضها ثم تجددها مفترقة في نواحي المغرب	٩٣٦.....
الخبر عن صاحب الزنج وتصارييف أمره وأضمحلال دعوته	٩٣٧.....
الخبر عن دعوة الدليل والجبل من العلوية وما كان لهم من الدولة بطرستان للداعي وأخيه أولًا ثم للأطروش وبنيه وتصارييف ذلك إلى انقضائه	٩٣٨.....
استيلاء الصفار على طيرستان	٩٣٩.....
وفاة الحسن بن زيد وولاية أخيه	٩٤٠.....
مقتل محمد بن زيد	٩٤١.....
ظهور الأطروش العلوي وملكه طيرستان	٩٤٢.....
إمارة العلوية بطرستان بعد الأطروش	٩٤٣.....
الخبر عن دولة الأسماعيلية وبناؤها من العبيدين	٩٤٤.....
الخلفاء بالقبروان والقاهرة وما كان لهم من الدولة من المشرق والمغرب	٩٤٤.....
ابتداء دولة العبيدين	٩٤٤.....
وصول المهدى إلى المغرب واعتقاله بسجلماطة ثم خروجه من الاعتقال وبيعته	٩٤٤.....
استيلاء منكلي على الشام واستيلاؤهم عليه وحضارهم	٩٤٥.....
وصول الغز إلى الشام واستيلاؤهم عليه وحضارهم	٩٤٦.....
وفاة المستعلي وولاية ابنه المستعلي	٩٤٧.....
استيلاء الفرنج على بيت المقدس	٩٤٨.....
وفاة المستعلي وولاية ابنه الأمر	٩٤٩.....
هزيمة الفرنج لعساكر مصر	٩٤٩.....
استيلاء الفرنج على طرابلس وبيروت	٩٤٣.....
استرجاع أهل مصر عسقلان	٩٤٤.....
مقتل الأفضل	٩٤٤.....
ولاية ابن البطانجي	٩٤٤.....

الخبر عن دولة الهاشم مكة من بنى الحسن وتصاريف أحراهم إلى انقراضها ..... ٩٦٥	٩٤٥	مقتل البطائحي ..... مقتل الأمر وخلافة الحافظ .....
الخبر عن بنى قنادة أمراء مكة بعد الهاشم ثم عن بنى أبي ثور ..... ٩٦٦	٩٤٥	ولاية أبي علي بن الأنضل الوزارة ومقتله ..... قيام حسن بن الحافظ بأمر الدولة ومكره بائيه ومهلكه ..... وزارة بهرام ورضوان بعده ..... وفاة الحافظ وولادة ابنة الظافر ..... وزارة ابن مصال ثم ابن السلاط ..... مقتل الظافر وأخريه وولاية ابنه الفائز ..... وزارة الصالح بن رزيك ..... وفاة الفائز وولادة العاضد ..... مقتل الصالح بن رزيك وولاية ابنه رزيك ..... وزارة شاور ثم الفرغام من بعده ..... مسير شيركوه وعساكر نور الدين إلى مصر مع شاور ..... فتحة أسد الدين مع شاور وحصاره ..... رجوع أسد الدين إلى مصر وقتل شاور ووزارته ..... وفاة أسد الدين وولاية صلاح الدين الوزارة ..... حصار الفرنج دمياط ..... واقعة الخصيان وعمارة ..... قطع الخطبة للعااضد وانقراض الدولة العلوية بمصر ..... الخبر عن بنى ملوك المسيلة والزاب بدعوة العبيد ..... الخبر عن القراءطة واستبداد أمرهم وما استقر لهم من الدولة بالبحرين وأخبارها إلى حين انقراضها ..... ظهور ذكره ومقتله ..... خبر قرامطة البحرين ودولة بنى الجنابي منها ..... فتحة القراءطة مع المعز العلوى ..... ذكر المغليين بالبحرين من العرب بعد القراءطة ..... الخبر عن الإسماعيلية أهل الحصون بالعراق وفارس ..... والشام وسائر أمرهم ومصائرهم ..... خبر الإسماعيلية بالشام ..... بقية الخبر عن قلاع الإسماعيلية بالعراق ..... الخبر عن دولة بنى الأخيضر باليمنة من بنى حسن ..... الخبر عن دولة المسلمين من بنى الحسن مكة ثم بعدها باليمن ومبادئ أمرهم وتصاريف أحراهم ..... ٩٦٢
إمارة بنى أبي غبي عكة ..... ٩٦٧	٩٤٦	
الخبر عن بنى مهني أمراء المدينة النبوية من بنى الحسن ..... ٩٦٩	٩٤٦	
أوليائهم وفتح إمارتهم ..... ٩٧٠	٩٤٧	
الخبر عن دولة بنى الرسي أئمة الزيدية بصنعاء وذكر أوليائهم ..... ٩٧١	٩٤٧	
الخبر عن نسب الطالبين وذكر المشاهير من أعقابهم ..... ٩٧٤	٩٤٨	
الخبر عن دولة بنى أمية بالأندلس من هذه الطبقة ..... ٩٧٧	٩٤٨	
النازعين للدعوة العباسية وبداية أمرهم وأخبار ملوك الطوائف من بعدهم ..... ٩٧٩	٩٤٨	
مسير عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس وتجديده الدولة ..... ٩٨٠	٩٤٩	
بها ..... ٩٨١	٩٤٩	
وفاة عبد الرحمن الداخل وولاية ابنه هشام ..... ٩٨٣	٩٥٠	
وفاة هشام وولاية ابنه الحكم ..... ٩٨٤	٩٥٠	
وفاة الريض ..... ٩٨٥	٩٥٠	
وفاة الحفرة بطبلطة ..... ٩٨٦	٩٥١	
وفاة الحكم وولاية ابنه الحكم ..... ٩٨٧	٩٥٢	
وفاة عبد الرحمن الأوسط ..... ٩٨٨	٩٥٢	
وفاة عبد الرحمن الأوسط وولاية ابنه محمد ..... ٩٨٩	٩٥٣	
وفاة الأمير محمد وولاية ابنه المنذر ..... ٩٩٠	٩٥٤	
وفاة المنذر وولاية أخيه عبد الله ابن الأمير محمد ..... ٩٩١	٩٥٤	
أخبار الثوار وأولئك ابن مروان ببطليوس وأشبونة ..... ٩٩٢	٩٥٥	
ابن تاكيت بماردة ..... ٩٩٣	٩٥٥	
بقية خبر ابن مروان ..... ٩٩٤	٩٥٧	
ثورة لب بن محمد بسرقسطة وتبليطة ..... ٩٩٥	٩٥٧	
ثورة مطرف بن موسى بن ذي التون المواري بشنة بربة ..... ٩٩٦	٩٥٧	
ثورة الأمير ابن حفصون في يشت ومالقة ورندة واليس ..... ٩٩٧	٩٥٩	
ثوار إشبيلية المتعاقبون ..... ٩٩٨	٩٦١	
مقتل الأمير محمد ابن الأمير عبد الله ثم مقتل أخيه المطرف ..... ٩٩٩	٩٦١	
وفاة الأمير عبد الله بن محمد وولاية حافظه عبد الرحمن ..... ٩٧٠	٩٦٢	
الناصر بن محمد ..... ٩٧١	٩٦٢	

الخبر عن ابن أبي عامر صاحب شرق الأندلس من بنى ملوك الطوائف وأخبار الموالي العامريين الذين كانوا قبله وابن صمادح قاتله بالمرية وتصاريف أحراهم ومصائرها ..... ١٠٠٣	٩٨٨
الخبر عن بنى هود ملوك سرقسطة من الطوائف صارت إليهم من بنى هاشم وما كان من أوليائهم ومصائر أمرورهم ..... ١٠٠٣	٩٨٩
الخبر عن مجاهد العامری صاحب دانیة والجزائر الشرقية وأخبار بنيه ومواليهم من بعدهم ومصائر أمرورهم ..... ١٠٠٤	٩٩٠
الخبر عن ثوار الأندلس آخر الدولة اللامتونية واستبداد بنى مردنيش بيلنسية ومزاحتهم لدولة بنى عبد المؤمن من ألوها إلى آخرها ومصائر أحراهم وتصاريفهم ..... ١٠٠٥	٩٩١
الخبر عن ثورة ابن هود على الورجيين بالأندلس ودولته وأولية أمره وتصاريف أحراه ..... ١٠٠٧	٩٩٢
الخبر عن دولة بنى الأخر ملوك الأندلس لهذا العهد ومبدأ أمرورهم وتصاريف أحراهم ..... ١٠٠٨	٩٩٣
الخبر عن ملوك بنى آذوفنش من الجلالقة ملوك الأندلس بعد الغزو ولعهد المسلمين وأخبار من جاورهم من الفرغنة وال بشكتش والبرتغال والإسلام بعض أحراهم ..... ١٠١٤	٩٩٤
أخبار القائمين بالدولة العباسية من العرب المستبددين بالنزاري وبندا منهم بنى الأغلب ولاة إفريقية وأولية أمرورهم ومصائر أحراهم ..... ١٠١٨	٩٩٥
معاوية بن خديج ..... ١٠١٨	٩٩٥
عقبة بن نافع ..... ١٠١٨	٩٩٦
أبو المهاجر ..... ١٠١٨	٩٩٦
عقبة بن نافع ثانياً ..... ١٠١٨	٩٩٦
زهير بن قيس البلوي ..... ١٠١٨	٩٩٦
حسان بن النعمان الغساني ..... ١٠١٩	٩٩٦
موسى بن نصیر ..... ١٠١٩	٩٩٧
محمد بن يزيد ..... ١٠١٩	٩٩٧
إسماعيل بن أبي المهاجر ..... ١٠١٩	٩٩٧
يزيد بن أبي مسلم ..... ١٠١٩	٩٩٧
سيطرة الناصر باخته القاضي ابن محمد ..... ٩٨٨	٩٨٨
سيطرة الناصر بنى إسحاق المرواريين ..... ٩٨٨	٩٨٨
أخبار الناصر مع الثوار ..... ٩٨٨	٩٨٨
أخبار طليطلة ورجوعها إلى الطاعة ..... ٩٨٩	٩٨٩
أخبار الناصر مع أهل العدو ..... ٩٨٩	٩٨٩
أخبار الناصر مع الفرغنة والجلالة ..... ٩٩٠	٩٩٠
سيطرة الناصر بابنه عبد الله ..... ٩٩١	٩٩١
مبانى الناصر ..... ٩٩١	٩٩١
وفاة الناصر وولادة ابنته الحكم المستنصر ..... ٩٩٢	٩٩٢
وفاة الحكم المستنصر وبيعة ابنته هشام المزید ..... ٩٩٣	٩٩٣
أخبار المنصور بن أبي عامر ..... ٩٩٣	٩٩٣
المظفر بن المنصور ..... ٩٩٤	٩٩٤
ثورة المهدى ومقتل عبد الرحمن المنصور واقتراض دولتهم ..... ٩٩٥	٩٩٥
ثورة البربر وبيعة المستعين وفرار المهدى ..... ٩٩٥	٩٩٥
رجوع المهدى إلى ملكه بقرطبة ..... ٩٩٦	٩٩٦
هزيمة المهدى وبيته للمزید هشام ومقتله ..... ٩٩٦	٩٩٦
حصار قرطبة واقتحامها عنوة ومقتل هشام ..... ٩٩٦	٩٩٦
ثورة ابن حمود واستيلاؤه وقومه على ملك قرطبة ..... ٩٩٦	٩٩٦
عود الملك إلى بنى أمية وأولاد المستظهر ..... ٩٩٦	٩٩٦
عود الأمر إلى بنى حمود ..... ٩٩٧	٩٩٧
المعتمد من بنى أمية ..... ٩٩٧	٩٩٧
الخبر عن دولة بنى حمود التي أذلت من دولة بنى أمية بالأندلس وأولية ملوكهم وتصاريف أمرورهم إلى آخرها ..... ٩٩٧	٩٩٧
الخبر عن ملوك الطوائف بالأندلس بعد الدولة الأمورية ..... ٩٩٩	٩٩٩
الخبر عن بنى عباد ملوك إشبيلية وغربي الأندلس وعمن تغلبوا عليه من أمراء الطوائف ..... ٩٩٩	٩٩٩
أخبار ابن جهور ..... ١٠٠١	١٠٠١
أخبار ابن الأفطس صاحب بطليوس من غرب الأندلس ومصائر أمره ..... ١٠٠١	١٠٠١
أخبار بادييس بن حسون ملك غرناطة والبيرة ..... ١٠٠٢	١٠٠٢
الخبر عن بنى ذي التون ملوك طليطلة من الثغر الجسوني وتصاريف أمرورهم ومصائر أحراهم ..... ١٠٠٢	١٠٠٢

الخبر عن جزيرة إقريطش وما كان بها لل المسلمين من الملك على يد بنى البلوطى إلى أن استرجعها	١٠٢٠ .....	بشر بن صفوان الكلبى .....
العدو ..... ١٠٣٥ .....	١٠٢٠ .....	عبدة بن عبد الرحمن .....
أخبار اليمن والدول الإسلامية التي كانت فيه للعباسين والعبيدين وسائر ملوك العرب وابتداء ذلك وتصاريفه على الجملة ثم تفصيل ذلك على مدنه ومالكه واحدة بعد واحدة .....	١٠٢٠ .....	عبد الله بن الحجاج .....
دعوة زياد بالدعوة العباسية .....	١٠٢١ .....	كلثوم بن عياض .....
الخبر عن بنى الصليحي القائمين بدعة العبيدين باليمن الخبر عن دولة بنى زيد بزيادة موالى بنى زياد ومبادئه أمورهم وتصاريف أحواهم .....	١٠٢١ .....	حبيب بن عبد الرحمن .....
الخبر عن دولة بنى الزريع بعدن من دعوة العبيدين باليمن وأولية أمرهم ومصائرهم .....	١٠٢٢ .....	عبد الملك بن أبي الجعد الورمومي .....
أخبار ابن مهدي الخارجى وبنيه وذكر دولتهم باليمن و بدايتها وانقراضها .....	١٠٢٢ .....	عبد الأعلى بن السمح المغافرى .....
قواعد اليمن .....	١٠٢٣ .....	محمد بن الأشعث الخزاعي .....
الخبر عن دولة بنى حدان المستبددين بالدعوة العباسية من العرب بالموصل والجزيرة والشام ومبادئه أمورهم وتصاريف أحواهم .....	١٠٢٣ .....	عمر بن حفص هزارمرد .....
مبدأ لدولة ولولية أبي الهيجاء عبد الله بن حدان على الموصل .....	١٠٢٤ .....	يزيد بن حاتم بن قيسة بن المهلب .....
انتقاد أبي الهيجاء ثم الحسين بن حدان .....	١٠٢٥ .....	أنجوره روح بن حاتم .....
ولولية أبي الهيجاء ثانية على الموصل ثم مقتله .....	١٠٢٥ .....	ابنه زيادة الله .....
مسير الراضى إلى الموصل .....	١٠٢٧ .....	أنجورهما أبو عقال الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب .....
مسير المتقي إلى الموصل وولاية ناصر الدولة إمارة الأمراء .....	١٠٢٧ .....	ابنه أبو العباس محمد بن الأغلب بن إبراهيم .....
أخبار بنى حدان ببغداد .....	١٠٢٨ .....	ابنه أبو زيادة الله الأصغر بن أبي إبراهيم بن أحد .....
خبر عدل التحكيم بالرحبة .....	١٠٢٨ .....	أنجوره أبو الغرانيق بن أبي إبراهيم بن أحد .....
مسير المتقي إلى الموصل وعوده .....	١٠٣٠ .....	بقية أخبار صقلية .....
استيلاء سيف الدولة على حلب وحمص .....	١٠٣١ .....	إبراهيم بن أحد آخر أبي الغرانيق .....
الفتنة بين ابن حدان و ابن بوه .....	١٠٣١ .....	ظهور الشيعي بكتامة .....
استيلاء سيف الدولة على دمشق .....	١٠٣٢ .....	ابنه أبو العباس عبد الله بن إبراهيم أخي محمد أبي الغرانيق .....
الفتنة بين ناصر الدولة بن حدان وبين تكين والأتراك .....	١٠٥٢ .....	ابنه أبو مصر زيادة الله .....

انتهاض جحان بالرحبة ومهلكه ..... ١٠٥٢	انتهاض جحان بالرحبة ومهلكه ..... ١٠٦١
فتنة ناصر الدولة مع معز الدولة ..... ١٠٥٢	عدو بني حдан إلى الموصل ومقتل باد ..... ١٠٦٢
غزووات سيف الدولة ..... ١٠٥٢	مهلك أبي طاهر بن حدان واستيلاء بني عقيل على الموصل ..... ١٠٦٣
الفتنة بين ناصر الدولة ومعز الدولة بن بويه ..... ١٠٥٣	استيلاء الروم على عين زربة ثم على مدينة حلب ..... ١٠٥٣
انتهاض أهل حران ..... ١٠٥٤	ملك سعد الدولة بن حدان بخلب وولاية ابنه أبي الفضائل واستبداد لولو عليه ..... ١٠٦٣
انتهاض هبة الله ..... ١٠٥٤	انتهاض بني ميافارقين وأرمينة واستيلاء سيف الدولة عليها ..... ١٠٥٤
مسير معز الدولة إلى الموصل وحربه مع ناصر الدولة .. ١٠٥٤	انتهاض بني العالى ..... ١٠٦٤
حصار المصيصة وطرسوس واستيلاء الروم عليها ..... ١٠٥٤	مهلك أبي الدرداء وولاية أخيه المقلد ..... ١٠٦٤
انتهاض أهل أنطاكية ومحصن ..... ١٠٥٥	فتنة المقلد مع بهاء الدولة بن بويه ..... ١٠٦٤
خروج الروم إلى الشغر واستيلاؤهم على دارا ..... ١٠٥٥	القبض على علي بن المسيب ..... ١٠٦٤
وفاة سيف الدولة وعبس أخيه ناصر الدولة ..... ١٠٥٥	استيلاء المقلد على درقوا ..... ١٠٦٥
ولاية أبي العالى بن سيف الدولة بخلب ومقتل أبي فراس ..... ١٠٥٦	مقتل المقلد وولاية ابنه قرواش ..... ١٠٦٥
أخبار أبي ثعلب مع إخوته بالموصل ..... ١٠٥٦	فتنة قرواش مع بهاء الدولة بن بويه ..... ١٠٦٥
خروج الروم إلى الجزيرة والشام ..... ١٠٥٧	قبض قرواش على وزراه ..... ١٠٦٥
استبداد قرعويه بخلب ..... ١٠٥٧	حروب قرواش مع العرب وعساكر بغداد ..... ١٠٦٦
مسير أبي ثعلب من الموصل إلى ميافارقين ..... ١٠٥٧	استيلاء الغز على الموصل ..... ١٠٦٧
استيلاء الروم على أنطاكية ثم حلب ثم ملاذكرد ..... ١٠٥٧	استيلاء بدران بن المقلد على نصبيين ..... ١٠٦٨
مقتل تغور ملك الروم ..... ١٠٥٧	الفتنة بين قرواش وغريب بن معن ..... ١٠٦٨
استيلاء أبي ثعلب على حران ..... ١٠٥٨	فتنة قرواش وجلال الدولة وصلاحهما ..... ١٠٦٨
مصالحة قرعويه لأبي العالى ..... ١٠٥٨	أخبار ملوك القسطنطينية لهذه العصور ..... ١٠٦٨
مسير الروم إلى بلاد الجزيرة ..... ١٠٥٨	الوحشة بين قرواش والأكراد ..... ١٠٦٩
أسر المستقي وموته ..... ١٠٥٨	خلع قرواش بأخيه أبي كامل ثم عوده ..... ١٠٦٩
استيلاء بختيار بن معز الدولة على الموصل وما كان بينه وبين أبي ثعلب ..... ١٠٥٨	خلع قرواش ثانية واعتقاله ..... ١٠٧٠
عرد أبي العالى بن سيف الدولة إلى حلب ..... ١٠٥٩	وفاة أبي كامل وولاية قريش بن بدران ..... ١٠٧٠
استيلاء عضد الدولة بن بويه على الموصل وسائر ملوك بني حدان ..... ١٠٥٩	استيلاء قريش على الأنبار ..... ١٠٧٠
مقتل أبي ثعلب بن حدان ..... ١٠٦٠	حرب قريش بن بدران والبساسيي ثم اتفاقهما وخطبة قريش لصاحب مصر ..... ١٠٧٠
وصول ورد المنازع ملك الروم إلى ديار بكر مستجراً ... ١٠٦٠	استيلاء قريش الطاعة ..... ١٠٧٠
ولاية بكجور على دمشق ..... ١٠٦١	مقارنة نبال الموصل وما كان لقريش فيها وفي بغداد مع البساسيي وحبهما القائم ..... ١٠٧١
	وفاة قريش بن بدران وولاية ابنه مسلم ..... ١٠٧١

استيلاء مسلم بن قريش على حلب ..... ١٠٧٢	الخبر عن دولة بني مزيد ملوك الخلة وابتداء أمرهم ..... ١٠٧٨
حصار مسلم بن قريش دمشق وعصيان أهل حران ..... ١٠٧٢	وتصاريف أحواهم ..... ١٠٧٨
عليه ..... ١٠٧٣	وفاة علي بن مزيد وولاية ابنه دبيس ..... ١٠٧٨
حرب ابن جهير مع مسلم بن قريش واستيلاؤه على ..... ١٠٧٢	استيلاء منصور بن الحسين على الجزيرة الديبية ..... ١٠٧٨
الموصل ثم عودها إليه ..... ١٠٧٣	فتنة دبيس مع جلال الدولة وحرروبه مع قومه ..... ١٠٧٨
مقتل مسلم بن قريش وولاية ابنه إبراهيم ..... ١٠٧٣	الفترة بين دبيس وأخيه ثابت ..... ١٠٧٩
نكبة إبراهيم وتذمّر محمد وعلي أبا مسلم بعده على ..... ١٠٧٣	الفترة بين دبيس وعسكراً واسطاً ..... ١٠٧٩
ملك الموصل ثم استيلاء علي عليها ..... ١٠٧٣	إيقاع دبيس بمفاجأة ..... ١٠٧٩
عود إبراهيم إلى ملك الموصل ومقتله ..... ١٠٧٤	حرب دبيس مع الغز وخبطته للعلوي صاحب مصر ..... ١٠٧٩
ولاية علي بن مسلم على الموصل ثم استيلاء كربلا ..... ١٠٧٤	وعاودته الطاعة ..... ١٠٧٩
واتزاعه إياها من يده وانقراض أمر بني المسيب ..... ١٠٧٤	وفاة دبيس وإمارة ابنه منصور ..... ١٠٨٠
من الموصل ..... ١٠٧٤	وفاة منصور بن دبيس وولاية ابنه صدقة ..... ١٠٨٠
دولة بني صالح ..... ١٠٧٤	انتقض صدقة بن منصور بن دبيس على السلطان ..... ١٠٨٠
الخبر عن دولة بني صالح بن مرداش بحلب وابتداء ..... ١٠٧٤	بركيارق ..... ١٠٨٠
أمرهم وتصاريف أحواهم ..... ١٠٧٤	استيلاء صدقة على واسط وهبت ..... ١٠٨٠
ابتداء أمر صالح في ملك حلب ..... ١٠٧٤	استيلاء صدقة بن مزيد على البصرة ..... ١٠٨١
استيلاء صالح بن مرداش على حلب ..... ١٠٧٥	استيلاء صدقة على تكريت ..... ١٠٨١
مقتل صالح وولاية ابنه أبي كامل ..... ١٠٧٥	الخلف بين صدقة وصاحب البطحة ..... ١٠٨٢
مسير الروم إلى حلب وهزيمتهم ..... ١٠٧٥	مقتل صدقة وولاية ابنه دبيس ..... ١٠٨٢
مقتل نصر بن صالح واستيلاء الوزيري على حلب ..... ١٠٧٥	خبر دبيس مع البرسيقي ومع الملك مسعود ..... ١٠٨٣
مهلك الوزيري وولاية ثمال بن صالح ..... ١٠٧٥	فتنة دبيس مع السلطان محمود وإجلاؤه عن بغداد ثم ..... ١٠٨٤
رغبة ثمال عن حلب ورجوعها لصاحب مصر وولاية ..... ١٠٧٥	معاودته الطاعة ..... ١٠٨٤
ابن ملهم عليها ..... ١٠٧٦	مسير دبيس إلى الملك طغل ..... ١٠٨٥
ثورة أهل حلب بابن ملهم وولاية محمود بن نصر بن ..... ١٠٧٦	مسير دبيس إلى السلطان سنجر ..... ١٠٨٦
صالح ..... ١٠٧٦	فتنة دبيس مع محمود وأسره ..... ١٠٨٦
رجوع ثمال بن صالح إلى ملك حلب وفارار محمود بن ..... ١٠٧٦	مسير دبيس إلى بغداد مع زنكي وانهزامهما ..... ١٠٨٦
نصر عنها ..... ١٠٧٦	مقتل دبيس وولاية ابنه صدقة ..... ١٠٨٧
وفاة ثمال وولاية أخيه عطية ..... ١٠٧٦	مقتل صدقة وولاية ابنه محمد ..... ١٠٨٧
عود محمود إلى حلب وملكه إياها من يد عطية ..... ١٠٧٦	تغلب علي بن دبيس على الخلة وملكه إياها من أخيه ..... ١٠٨٧
مهلك نصر بن محمود وولاية أخيه سابق ..... ١٠٧٧	محمد ..... ١٠٨٧
استيلاء مسلم بن قريش على حلب من يد سابق ..... ١٠٧٧	أخذ السلطان الخلة من يد علي وعوده إليها ..... ١٠٨٨
وانقراض دولة بني صالح بن مرداش ..... ١٠٧٧	نكبة علي بن دبيس ..... ١٠٨٨
استيلاء السلطان ملك شاه على حلب وولاية أقسقر ..... ١٠٧٧	وفاة علي بن دبيس وانقراض بني مزيد ..... ١٠٨٨
عليها ..... ١٠٧٧	

وفاة الإخشيد وولاية ابنه أنورجور واستبداد كافور عليه ..... ١١٠٣	الخبر عن ملوك العجم القائمين بالدعوة العباسية في عمالك الإسلام والمستبددين على الخلفاء وبندا منهم ..... ١٠٨٩
واستيلاء سيف الدولة على دمشق ..... ١١٠٣	أولاً بدولة ابن طولون بمصر وبداية أمرهم ..... ١٠٩٢
وفاة أنورجور ووفاة أخيه علي واستبداد كافور عليه ..... ١١٠٣	ومصاير أحواهم ..... ١٠٩٣
وفاة علي بن الإخشيد وولاية كافور ..... ١١٠٣	الخبر عن دولة أحمد بن طولون بمصر وبنيه ومواليه بني طغج وابتداء أمرهم وتصاريف أحواهم ..... ١٠٩٤
وفاة كافور وولاية أحد بن علي بن الأخشيد ..... ١١٠٣	فتنة ابن طولون مع الموفق ..... ١٠٩٤
مسير جوهر إلى مصر وانقراض دولة بني طفع ..... ١١٠٣	ولاية أحد بن طولون على الشغور ..... ١٠٩٤
الخبر عن دولة بني مروان بديار بكر بعد بني حدان ..... ١١٠٤	استيلاء أحد بن طولون على الشام ..... ١٠٩٤
ومبادي أمرهم وتصاريف أحواهم ..... ١١٠٤	الخبر عن انتفاض العباس بن أحمد بن طولون على أبيه ..... ١٠٩٤
مقتل أبي علي بن مروان وولاية أخيه أبي منصور ..... ١١٠٤	خروج الصوفي والعمري بمصر ..... ١٠٩٥
مقتل مهد الدولة بن مروان وولاية أخيه أبي نصر ..... ١١٠٥	انتفاض برقة ..... ١٠٩٥
استيلاء نصير الدولة بن مروان على الراها ..... ١١٠٥	انتفاض لؤلؤ على ابن طولون ..... ١٠٩٥
حصار بدران بن مقلد نصبيين ..... ١١٠٥	مسير المعتمد إلى ابن طولون وعوده عنه من الشام ..... ١٠٩٦
دخول الغز إلى ديار بكر ..... ١١٠٥	اضطراب الشغور ووصول أحد بن طولون إليها ووفاته ..... ١٠٩٦
مسير الروم إلى بلد ابن مروان ثم فتح الراها ..... ١١٠٦	ولاية خاروبيه بن أحد بن طولون ..... ١٠٩٧
مقتل سليمان بن نصير الدولة ..... ١١٠٦	مسير خاروبيه إلى الشام وواقعته مع ابن الموفق ..... ١٠٩٧
مسير طغرل بك إلى ديار بكر ..... ١١٠٦	فتنة ابن كندة وابن أبي الساج والخطبة لابن طولون بالجزرية ..... ١٠٩٧
وفاة نصير الدولة بن مروان وولاية ابن نصر ..... ١١٠٦	عود طرسوس إلى إالية خاروبيه ..... ١٠٩٨
وفاة نصر بن نصير الدولة وولاية ابنه منصور ..... ١١٠٧	شهر المعتمد مع خاروبيه ..... ١٠٩٩
مسير ابن جهير إلى ديار بكر ..... ١١٠٧	مقتل خاروبيه وولاية ابنه جيش ..... ١٠٩٩
استيلاء ابن جهير على آمد ..... ١١٠٧	مقتل جيش بن خاروبيه وولاية أخيه هارون ..... ١٠٩٩
استيلاء ابن جهير على مifarقين وجزيرة ابن عمر ..... ١١٠٨	فتنة طرسوس وانتفاضتها ..... ١٠٩٩
وانقراض دولة بني مروان ..... ١١٠٨	ولاية طغج بن جف على دمشق ..... ١٠٩٩
الخبر عن دولة بني الصفار ملوك سجستان التغلبين ..... ١١٠٨	زحف القرامطة إلى دمشق ..... ١٠٩٩
على خراسان ومبادي أمرهم وتصاريف أحواهم ..... ١١٠٨	استيلاء المكتفي على الشام ومصر وقتل هارون وشيان ابنى خاروبيه وانقراض دولة بني طولون ..... ١١٠٠
استيلاء يعقوب الصفار على كرمان ثم على فارس ..... ١١٠٨	ولاية عيسى التوشزي على مصر وثورة الخليجي ..... ١١٠٠
وعودها ..... ١١٠٨	ولاية ذكاء الأعور ..... ١١٠١
ولاية يعقوب الصفار على بلخ وهرا ..... ١١٠٩	ولاية تكين الخزري ثانية ..... ١١٠١
استيلاء الصفار على خراسان وانتفاض أمر بني طاهر ..... ١١٠٩	ولاية أحد بن كيغلغ ..... ١١٠١
استيلاء الصفار على فارس ..... ١١٠٩	ولاية أحد بن كيغلغ الثانية ..... ١١٠٢
حروب الصفار مع الموفق ..... ١١١٠	استيلاء ابن رائق على الشام من يد الأخشيد ..... ١١٠٢
انتفاض الخجستاني بخراسان على يعقوب الصفار ..... ١١١٠	
وقيامه بدعاة بني طاهر ..... ١١١٠	
استيلاء الصفار على الأهواز ..... ١١١١	
وفاة يعقوب الصفار وولاية عمرو أخيه ..... ١١١١	

١١٢٠ ..... حرب سبجور مع ابن الأطروش	١١١١ ..... مسير عمرو بن الليث إلى خراسان لقتال الحجستانى
١١٢١ ..... خروج الياس بن إسحق	١١١٢ ..... حروب عمرو مع عساكر المعتمد ومع الموقن
١١٢١ ..... استيلاء السعيد على الري	١١١٣ ..... ولادة عمرو بن الليث على خراسان ثانيةً ومقتل رافع بن الليث
١١٢١ ..... ولادة أسفار على جرجان والري	١١١٤ ..... استيلاء بني سامان على خراسان وهزيمة عمرو بن الليث وحبسه ثم مقتله
١١٢٢ ..... خروج أولاد الأمير أحمد بن إسماعيل على أخيهم السعيد	١١١٣ ..... ولادة طاهر بن محمد بن عمرو على سجستان وكرمان ثم على فارس
١١٢٣ ..... ولادة ابن المظفر على خراسان	١١١٤ ..... استيلاء الليث على فارس ثم مقتله واستيلاء سبکري
١١٢٣ ..... استيلاء السعيد على كرمان	١١١٤ ..... انقراض ملك بني الليث من سجستان وكرمان
١١٢٣ ..... استيلاء ماكان على كرمان وانتقامه	١١١٥ ..... ثورة أهل سجستان بأصحاب ابن سامان ودعوتهم إلى بني عمرو بن الليث بن الصفار ثم عوردهم إلى طاعة أحمد بن إسماعيل بن سامان
١١٢٣ ..... ولادة علي بن محمد على خراسان وفتحه جرجان	١١١٤ ..... استيلاء خلف بن أحمد بن علي على سجستان ثم انتقامتهم عليه
١١٤٤ ..... استيلاء أبي علي على الري وقتل ماكان بن كالي	١١١٥ ..... استيلاء خلف بن أحمد على كرمان ثم انتزاع الدبلم لها
١١٤٤ ..... استيلاء أبي علي على بلد الجبل	١١١٥ ..... استيلاء طاهر بن خلف على كرمان وعوده عنها ومقتله
١١٤٤ ..... وفاة السعيد نصر وولادة ابنه نوح	١١١٥ ..... استيلاء محمود بن سبکتين على سجستان ومحو آثار بن الصفار منها
١١٤٥ ..... استيلاء أبي علي على الري ودخول جرجان في طاعة نوح	١١١٦ ..... الخبر عن دولة بني سامان ملوك ما وراء النهر القميين بها الدولة العباسية وأولية ذلك ومصادرها
١١٤٥ ..... انتقام أبي علي وولادة منصور بن قراتكين على خراسان	١١١٦ ..... ولادة نصر بن أحمد على ما وراء النهر
١١٤٦ ..... انتقام ابن عبد الرزاق بخراسان	١١١٦ ..... وفاة نصر بن أحمد وولادة أخيه إسماعيل على ما وراء النهر
١١٤٧ ..... عزل الأمير أبي علي عن خراسان ومسيره إلى ركن الدولة وولادة بكر بن مالك مكانه	١١١٧ ..... استيلاء إسماعيل على الري
١١٤٧ ..... وفاة الأمير نوح وولادة ابنه عبد الملك	١١١٧ ..... وفاة إسماعيل بن أحمد وولادة ابنه أحمد
١١٤٧ ..... مسير العساكر من خراسان إلى الري وأصفهان	١١١٨ ..... استيلاء أحمد بن إسماعيل على سجستان
١١٤٨ ..... وفاة عبد الملك بن نوح صاحب ما وراء النهر وولادة أخيه منصور	١١١٨ ..... مقتل أبي نصر أحمد بن إسماعيل وولادة ابنه نصر
١١٤٨ ..... مسير العساcker من خراسان إلى الري ووفاة شمشير	١١١٨ ..... انتقام سجستان
١١٤٨ ..... خبر ابن الياس بكرمان	١١١٩ ..... انتقام إسحاق العم وابنه الياس
١١٤٨ ..... انعقاد الصلح بين منصور بن نوح وبين بني بويه	١١١٩ ..... ظهور الأطروش واستيلاؤه على طبرستان
١١٤٩ ..... وفاة منصور بن نوح وولادة ابنه نوح	١١١٩ ..... انتقام منصور بن إسحاق العم والحسين والمروي

أخبار سبكتكين مع فخر الدولة بن بويه ..... ١١٣٦	عزل ابن سيجور عن خراسان وولاية أبي العباس تاش ..... ١١٢٩
وفاة سبكتكين وولاية ابنه إسماعيل ..... ١١٣٦	مسير أبي العباس في عساكر خراسان إلى جرجان ثم مسيرة إلى بخارى ..... ١١٢٩
استيلاء محمود بن سبكتكين على ملك أبيه وظفره بأبيه إسماعيل ..... ١١٣٦	رد أبي العباس إلى خراسان ثم عزله وولاية ابن سيجور ..... ١١٣٠
استيلاء محمود على خراسان ..... ١١٣٦	انتقضاب أبي العباس وخروجه مع ابن سيجور ومهلكه ..... ١١٣٠
استيلاء محمود على سجستان ..... ١١٣٧	ولاية أبي علي بن سيجور على خراسان ..... ١١٣٠
غزوة بهاطية والملاط وكوكبر ..... ١١٣٨	خبر فائق ..... ١١٣١
مسير ايلك خان إلى خراسان وهزيمته ..... ١١٣٩	استيلاء الترك على بخارى ..... ١١٣١
فتح بهيم نقارا ..... ١١٤٠	عزل أبي علي بن سيجور عن خراسان وولاية سبكتكين ..... ١١٣١
خبر الفريغون واستيلاء السلطان على الجوزجان ..... ١١٤٠	عود ابن سيجور إلى خراسان ..... ١١٣١
غزوة بارين ..... ١١٤٠	ظهور سبكتكين وأبنه محمود على أبي علي وفائق ..... ١١٣٢
غزوة الغور وقرسان ..... ١١٤٠	ومقتل أبي علي ..... ١١٣٢
خبر البشار واستيلاء السلطان على غرشستان ..... ١١٤٠	وفاة الأمير نوح وولاية ابنه منصور وولاية بكشزون على خراسان ..... ١١٣٢
وفاة ايلك خان وصلح أخيه طغان خان مع السلطان ..... ١١٤١	عود أبي القاسم بن سيجور إلى خراسان وخبيثه ..... ١١٣٢
فتح بارين ..... ١١٤١	انتقضاب محمود بن سبكتكين وملكه نيسابور ثم خروجه عنها ..... ١١٣٢
غزوة تبشير ..... ١١٤١	خلع الأمير منصور وولاية أخيه عبد الملك ..... ١١٣٣
استيلاء السلطان على خوارزم ..... ١١٤٢	استيلاء محمود بن سبكتكين على خراسان ..... ١١٣٣
فتح كشمير وقنج ..... ١١٤٢	استيلاء ايلك خان على بخارى وانقضاض دولة بني سامان ..... ١١٣٣
غزوة الأفغانية ..... ١١٤٣	خروج إسماعيل بن نوح بخراسان ..... ١١٣٣
فتح سومنات ..... ١١٤٣	الخبر عن دولة بني سبكتكين ملوك غزنة وما ورثوه من الملك بخارسان وما وراء النهر عن مواهيم وما فتحوه من بلاد الهند وأول أمرهم ومصائر أحراهم ..... ١١٣٤
دخول قابوس صاحب جرجان وطبرستان في ولاية السلطان محمود ..... ١١٤٤	فتح بست ..... ١١٣٤
استيلاء السلطان محمود على الري والجبل ..... ١١٤٤	غزو الهند ..... ١١٣٥
استيلاء السلطان محمود على بخارى ثم عوده عنها ..... ١١٤٥	ولاية سبكتكين على خراسان ..... ١١٣٥
خبر السلطان محمود مع الغز بخراسان ..... ١١٤٥	الفتنة بين سيجور وفائق بخراسان وظهور سبكتكين وأبنه محمود عليهم ..... ١١٣٥
افتتاح نرسى من الهند ..... ١١٤٦	مزاحفة سبكتكين وأيلك خان ..... ١١٣٥
وفاة السلطان محمود وولاية ابنه محمد ..... ١١٤٦	
خلع السلطان محمد ابن السلطان محمود وولاية ابنه الآخر مسعود الأكبر ..... ١١٤٦	
عود أصفهان إلى علاء الدولة بن كاكويه ثم رجوعها للسلطان مسعود ..... ١١٤٧	
فتح التيز ومكران وكرمان ثم عود كران لأبي كاليجار ..... ١١٤٧	
فتنة عساكر السلطان مسعود مع علاء الدولة بن كاكويه وهزيمته ..... ١١٤٧	

استيلاء الخطا على تركستان وبلاط ما وراء النهر	١١٤٨
عود أحد نواب تكين إلى المصيان	١١٤٨
افتراض دولة الثانية	١١٤٨
فتح جرجان وطبرستان	١١٤٨
إجلاء القارغالية من وراء النهر	١١٤٨
مسير علاء الدولة إلى أصفهان وهزيمته	١١٤٩
الخبر عن دولة الغورية القائمين بالدولة العباسية بعد بني سبكتكين وما كان لهم من السلطان والدولة	١١٤٩
استيلاء طفرلنك على خراسان	١١٤٩
مسير السلطان مسعود من غزنة إلى خراسان واجلاء السلجوقية عنها	١١٤٩
مقتل محمد بن الحسين الغوري وولاية أخيه الحسين شاه	١١٥٠
ثم أخيه شوري	١١٥٠
مقتل شوري بن الحسين وولاية أخيه علاء الدين ابن الحسين واستيلاؤه على غزنة وانتزاعها منه	١١٥٠
انتقاض شهاب الدين وغياث الدين على عمهم علاء الدولة	١١٥١
وفاة علاء الدولة وولاية غياث الدين ابن أخيه من بعده وتغلب الغز على غزنة	١١٥٢
استيلاء شهاب الدين الغوري على هاور ومقتل خسروشاه صاحبها	١١٥٢
استيلاء غياث الدين على هواره وغيرها من خراسان	١١٥٢
فتح أجرة على يد شهاب الدين	١١٥٢
حروب شهاب الدين مع المند وفتح دلهي وولاية قطب الدين أيك عليها	١١٥٣
مقتل ملك الغور محمد بن علاء الدين	١١٥٣
الفتن بين الغورية وبين خوارزم شاه على ما ملكه من بلاد خراسان	١١٥٣
غزو شهاب الدين إلى المند وهزيمة المسلمين بعد الفتح ثم غزوته الثانية وهزيمة المند وقتل ملوكهم وفتح أجير	١١٥٤
غزو بناوس ومقتل ملك المند ثم فتح بهنكر	١١٥٤
استيلاء الغورية على بلخ وفتthem مع الخطأ بخراسان	١١٥٤
استيلاء الغورية على ملك خوارزم شاه بخراسان	١١٥٤
فتح نهر واكد من المند	١١٥٤
إعادة علاء الدين محمد صاحب خوارزم ما أخذه	١١٥٤
الغورية من خراسان	١١٥٤
حصار هراة	١١٥٤
وفاة غياث الدين وإنفراد شهاب الدين بالملك	١١٥٤
استيلاء السلطان مسعود إلى غزنة والقت بالري والجبل ... عواد أحد نواب تكين إلى المصيان	١١٥٧
فتح جرجان وطبرستان	١١٥٧
إجلاء القارغالية من وراء النهر	١١٥٧
مسير علاء الدولة إلى أصفهان وهزيمته	١١٥٧
استيلاء طفرلنك على خراسان	١١٥٧
مسير السلطان مسعود من غزنة إلى خراسان واجلاء السلجوقية عنها	١١٥٧
هزيمة السلطان مسعود واستيلاء طفرلنك على مдан	١١٥٧
خراسان وأعمالها	١١٥٧
خلع السلطان مسعود ومقتله وولاية أخيه محمد مكانه ..	١١٥٧
مقتل السلطان محمد وولاية مودود ابن أخيه مسعود ....	١١٥٧
استيلاء طفرلنك على خوارزم	١١٥٧
مسير العساكر من غزنة إلى خراسان	١١٥٧
مسير المند لحصار هاور وامتناعها وفتح حصون أخرى من بلادهم	١١٥٧
وفاة مودود وولاية عمه عبد الرشيد	١١٥٧
مقتل عبد الرشيد وولاية فرزاد	١١٥٧
استيلاء الغورية على هاور وقتل خسرو شاه وانتفاض دوله بني سبكتكين	١١٥٧
الخبر عن دولة الترك في كاشغر وأعمال تركستان وما كان لهم من الملك في الملة الإسلامية بتلك البلاد	١١٥٧
وأولية أمرهم ومصائر أحراهم	١١٥٧
وفاة بقراخان وملك أخيه ايilk خان سليمان	١١٥٧
استيلاء ايilk خان على ما وراء النهر	١١٥٧
ثورة إسماعيل إلى بخارى ورجوعه عنها	١١٥٧
عبور ايilk خان إلى خراسان	١١٥٧
وفاة ايilk خان وولاية أخيه طغان خان	١١٥٧
وفاة طغان خان وولاية أخيه أرسلان خان	١١٥٧
انتفاض قراخان على أرسلان وصلحه	١١٥٧
أخبار قراخان	١١٥٧
الخبر عن طقماج خان ولده	١١٥٧
مقتل قدرخان صاحب سمرقند	١١٥٧
انتفاض محمد خان عن سنجر	١١٥٧
استيلاء السلطان سنجر على سمرقند	١١٥٧

قتنة الغورية مع محمد بن تكش صاحب خوارزم	١١٦٥
وحصار هرّة ثم حصارهم خوارزم وحروب	
شهاب الدين مع الخطأ	
حروب شهاب الدين مع بي كوكر والتراهية	١١٦٦
مقتل شهاب الدين الغوري وافتراق الملكة بعده	١١٦٧
قيام الذر بدعاوة غياث الدين محمود ابن السلطان غياث	
الدين	
مسير بهاء الدين سام إلى غزنة ومراته وملك بهاء الدين	
ابنه بعد غزنة	١١٦٧
استيلاء الذر على غزنة	١١٦٨
أخبار غياث الدين بعد مقتل عمه	١١٦٨
استيلاء خوارزم شاه على بلاد الغورية بمراسان	١١٦٩
استيلاء علاء الدين ثانياً على غزنة ثم انتزاع الذر إياها	
من يده	
انتقاض عباس في باميان ثم رجوعه إلى الطاعة	١١٧٠
استيلاء خوارزم شاه على ترمذ ثم الطالقان من يد	
الغورية	
خبر غياث الدين مع الذر وأبيك مولى أبيه	١١٧١
مقتل ابن حر米尔 واستيلاء خوارزم شاه على هرّة	١١٧١
مقتل غياث الدين محمود	١١٧٢
استيلاء خوارزم شاه على غزنة وأعمالها	١١٧٢
استيلاء الذر على هاور ومقتله	١١٧٢
الخبر عن دولة الدليم وما كان لهم من الملك والسلطان	
في ملة الإسلام ودولة بني بويه المتغلبين على	
الخلفاء على العباسين ببغداد وأولية ذلك	
ومصائره	
استيلاء معز الدولة بن بويه على الأهزار	١١٨٢
انتزاع وشمكير أصفهان من يد ركن الدولة ومسيره إلى	
واسط ثم استرجاعه أصفهان	١١٨٢
مسير معز الدولة إلى واسط والبصرة	١١٨٢
استيلاء معز الدولة بن بويه على بغداد واندراج أحكام	
الخلافة في سلطانه	١١٨٣
خلع المستكفي وبيعة المطبع وما حديث في الجباية	
والإقطاع	١١٨٣
مسير ابن حمدان إلى بغداد وانهزامه أمام معز الدولة	١١٨٤
استيلاء معز الدولة على البصرة والموصل وصلحه مع	
ابن حمدان	١١٨٤
استيلاء ركن الدولة على الري ثم طبرستان وجرجان	
ومسir عساكر ابن سامان إليها	١١٨٥

بداية بنى شاهين ملوك البطيحة أيام بنى بويه ..... ١١٨٥	استيلاء عضد الدولة على العراق ومقتل مختيار وابن أخيه على بلاد فارس مكانه ..... ١١٨٥
وفاة عماد الدولة بن بويه ولولية عضد الدولة ابن أخيه ..... ١١٩٤	استيلاء عضد الدولة على أعمال بنى حدان ..... ١١٩٥
وفاة الصimirي ووزارة المهي ..... ١١٩٥	إيقاع العساكر بيني شيبان ..... ١١٩٥
وصول ورد بن منير الطريق الخارج على ملك الروم ..... ١١٩٥	مسير عساكر ابن سامان إلى الري ورجوعها ..... ١١٨٦
استيلاء ركن الدولة ثانية على طبرستان وجرجان ..... ١١٨٦	استيلاء عضد الدولة على طبرستان وجرجان ..... ١١٨٦
دخول بنى حستويه في الطاعة وبداية أمرهم ..... ١١٩٦	إقامة الدعوة لبني بويه بخراسان ..... ١١٨٧
استيلاء عضد الدولة على همدان والري من يد أخيه فخر الدولة ولولية أخيهما مؤيد الدولة عليها ..... ١١٩٦	مسير عساكر ابن سامان إلى الري وأصفهان ..... ١١٨٧
استيلاء عضد الدولة على بلاد المكارية وقلعة سندة ..... ١١٩٧	خروج روزبهان على معز الدولة وميل الدليم إليه ..... ١١٨٧
وفاة عضد الدولة ولولية ابنه صمصام الدولة ..... ١١٩٧	استيلاء معز الدولة على الموصل ثم عودها ..... ١١٨٨
استيلاء شرف الدولة بن عضد الدولة على فارس ..... ١١٨٨	العهد لبختيار ..... ١١٨٨
وأقطاعها من أخيه صمصام الدولة ..... ١١٩٧	استيلاء ركن الدولة على طبرستان وجرجان ..... ١١٨٨
وفاة مؤيد الدولة صاحب أصفهان والري وجرجان ..... ١١٨٨	ظهور البدعة ببغداد ..... ١١٨٨
وعود فخر الدولة إلى ملكه ..... ١١٩٧	وفاة الوزير المهي ..... ١١٨٨
انتقاد محمد بن غام على فخر الدولة ..... ١١٩٨	استيلاء معز الدولة الثالث على الموصل ..... ١١٨٨
تغلب باد الكردي على الموصل من يد الدليم ثم رجوعها إليهم ..... ١١٩٨	استيلاء معز الدولة على عمان ..... ١١٨٩
استيلاء صمصام الدولة على عمان ورجوعها لشرف الدولة ..... ١١٩٨	وفاة معز الدولة وولاية ابنه مختار ..... ١١٨٩
خروج أبي نصر بن عضد الدولة على أخيه صمصام الدولة وانهزامه وأسره ..... ١١٩٩	مسير عساكر ابن سامان إلى الري ومهلك وشمكير ..... ١١٩٠
استيلاء القرامطة على الكوفة بدعاوة مشرف الدولة ثم انتزاعها منهم ..... ١١٩٩	استيلاء عضد الدولة على كرمان ..... ١١٩٠
استيلاء مشرف الدولة على الأهواز ثم على بغداد واعتقال صمصام الدولة ..... ١١٩٩	مسير ابن العميد إلى حستويه ووفاته ..... ١١٩٠
أخبار مشرف الدولة في بغداد مع جنده ووزرائه ..... ١٢٠٠	انتقاد كرمان على عضد الدولة ..... ١١٩٠
وفاة مشرف الدولة ولولية أخيه بهاء الدولة ..... ١٢٠٠	عزل أبي الفضل ووزارة ابن بقية ..... ١١٩١
وثوب صمصام الدولة بفارس وأخباره مع أبيه علي ابن أخيه مشرف الدولة ..... ١٢٠١	استيلاء عضد الدولة على الموصل ثم رجوعه عنها ..... ١١٩١
مسير فخر الدولة صاحب الري وأصفهان وهمدان إلى العراق وعوده ..... ١٢٠١	الفتنة بين الدليم والأتراك وانتقاد سبكتكين ..... ١١٩٢
مسير بهاء الدولة إلى أخيه صمصام الدولة بفارس ..... ١٢٠١	مسير مختار لقتال سبكتكين وخروج سبكتكين إلى واسط ومقتله ..... ١١٩٢
القبض على الطائع ونصب القادر للخلافة ..... ١٢٠١	استيلاء عضد الدولة على العراق واعتقال مختار ثم عوده إلى ملكه ..... ١١٩٢

استيلاء أبي كاليجار على جلال الدولة ..... ١٢١٠	شغب الأتراك على جلال الدولة ..... ١٢٠٢	رجوع المرصل إلى بهاء الدولة ..... ١٢٠٢
استيلاء أبي كاليجار على البصرة ثم على كرمان ..... ١٢١٠	أخبار ابن المعلم ..... ١٢٠٢	أخبار ابن المعلم ..... ١٢٠٢
قيامبني ديس بدعة أبي كاليجار ..... ١٢١١	استيلاء أبي كاليجار على واسط ثم انهزامه وعددها ..... ١٢٠٢	خروج أولاد مختيار وقتلهم ..... ١٢٠٢
استيلاء أبي كاليجار على واسط ثم انهزامه وعددها ..... ١٢١١	جلال الدولة ..... ١٢١١	استيلاء صماصم الدولة على الأهواز ورجوعها منه ..... ١٢٠٢
استيلاء محمود بن سبكتكين صاحب خراسان على بلاد الري والجل وأصفهان ..... ١٢١١	وفاة الصاحب بن عباد ..... ١٢٠٣	استيلاء صماصم الدولة على الأهواز ثم على البصرة ..... ١٢٠٣
أخبار الغز بالري وأصفهان وأعمالها وعددهما إلى علاء الدولة ..... ١٢١٢	وفاة فخر الدولة صاحب الري وملك ابنه مجد الدولة ..... ١٢٠٤	وفاة العلاء بن الحسن صاحب خوزستان ..... ١٢٠٤
استيلاء مسعود بن سبكتكين على همدان وأصفهان ..... ١٢١٣	مقتل صماصم الدولة ..... ١٢٠٤	مقتل ابن مختار بكرمان واستيلاء بهاء الدولة عليها ..... ١٢٠٤
والري ثم عودها إلى علاء الدولة بن كاكريه ..... ١٢١٣	استيلاء بهاء الدولة على فارس وخوزستان ..... ١٢٠٤	مسير ظاهر بن خلف إلى كرمان واستيلاؤه عليها ثم ارجاعها ..... ١٢٠٥
استيلاء جلال الدولة على البصرة ثم عودها لأبي كاليجار ..... ١٢١٣	وفاة عساكر بهاء الدولة معبني عقل ..... ١٢٠٥	حرروب عساكر بهاء الدولة معبني عقل ..... ١٢٠٥
وفاة القادر ونصب القائم للخلافة ..... ١٢١٣	الفتنة بين أبي علي وأبي جعفر ..... ١٢٠٥	الفتنة بين ابن مجد الدولة صاحب الري وبين أمه واستيلاء ابن خالها علاء الدين بن كاكريه على أصفهان ..... ١٢٠٦
وثوب الأتراك ببغداد بجلال الدولة بدعة أبي كاليجار ..... ١٢١٤	فترة بهاء الدولة وولايته ابنه سلطان الدولة ..... ١٢٠٦	وفاة عميد العراق وولاية فخر الملك ..... ١٢٠٦
ثم رجوعهم إلى جلال الدولة ..... ١٢١٤	استيلاء شمس الدولة على الري من يد أخيه مجد الدولة ورجوعه عنها ..... ١٢٠٧	وفاة بهاء الدولة وولايته ابنه سلطان الدولة ..... ١٢٠٦
استيلاء جلال الدولة على البصرة ثانية ثم عودها لأبي كاليجار ..... ١٢١٤	مقتل فخر الملك ووزارة ابن سهلان ..... ١٢٠٧	استيلاء ابن كاكريه على همدان ..... ١٢٠٧
إخراج جلال الدولة من دار الملك ثم عوده ..... ١٢١٤	انتقاض أبي الفوارس على أخيه سلطان الدولة ..... ١٢٠٧	انتقاض أبي الفوارس على أخيه سلطان الدولة ..... ١٢٠٧
فتنة بادسطفان ومقتله ..... ١٢١٤	وثرب مشرف الدولة على أخيه سلطان الدولة ببغداد ..... ١٢٠٨	وثرب مشرف الدولة على أخيه سلطان الدولة ببغداد ..... ١٢٠٨
مصالحه جلال الدولة وأبي كاليجار ..... ١٢١٥	استيلاء ابن كاكريه آخرًا بالملك ..... ١٢٠٨	استيلاء ابن كاكريه على همدان ..... ١٢٠٨
عزل الظهير أبي القاسم عن البصرة واستقلال أبي كاليجار بها ..... ١٢١٥	وفاة أبي القاسم المغربي لشرف الدولة ثم عزله ..... ١٢٠٨	وزارة أبي القاسم المغربي لشرف الدولة ثم عزله ..... ١٢٠٨
أخبار عمان وابن مكرم ..... ١٢١٥	وفاة سلطان الدولة بفارس وملك ابنه أبي كاليجار ..... ١٢٠٩	وفاة سلطان الدولة بفارس وملك ابنه أبي كاليجار ..... ١٢٠٩
وفاة جلال الدولة سلطان بغداد وولاية أبي كاليجار ..... ١٢١٦	وقتل ابن مكرم ..... ١٢٠٩	وفاة مشرف الدولة وملك أخيه جلال الدولة ..... ١٢٠٩
أخبار ابن كاكريه مع عساكر مسعود وولايته على أصفهان ثم ارجاعه منها ..... ١٢١٦	استيلاء جلال الدولة على ملك بغداد ..... ١٢٠٩	استيلاء جلال الدولة ..... ١٢٠٩
وفاة علاء الدولة أبي جعفر بن كاكريه ..... ١٢١٦	أشجار ابن كاكريه صاحب أصفهان مع الأكراد ومع الأصبهين ..... ١٢١٠	أشجار ابن كاكريه صاحب أصفهان مع الأكراد ومع الأصبهين ..... ١٢١٠
موت أبي كاليجار ..... ١٢١٨	دخول خفاجة في طاعة أبي كاليجار ..... ١٢١٠	دخول خفاجة في طاعة أبي كاليجار ..... ١٢١٠
ملك الملك الرحيم بن أبي كاليجار وموقعه ..... ١٢١٨		
الفتنة بين البساسيري وبني عقيل واستيلاؤه على الأنبار ..... ١٢١٩		
استيلاء الخارج على عمان ..... ١٢١٩		
الفتنة بين العامة ببغداد ..... ١٢١٩		
استيلاء الملك الرحيم على البصرة ..... ١٢٢٠		

الخبر عن بي شاهين ملوك البطيحة ومن ملوكها من بعدهم من قرابتهم وغيرهم وابندهاء ذلك ومصائره.....	١٢٢٩	استيلاء فلاستون على شيراز بدعة طغرليك ..... وقاعن البساسيري مع الأعراب والأكراد لطغرليك .....
مسير العساكر إلى عمران بن شاهين وانهزامها.....	١٢٣٠	فتنة الأتراك واستيلاء عساكر طغرليك على التواحي ..... الوحشة بين القائم والبساسيري .....
وفاة عمران بن شاهين وقيام ابنه الحسن مقامه ومحاربته عساكر عضد الدولة.....	١٢٣٠	وثوب الأتراك بالبساسيري ونهب داره ..... استيلاء طغرليك على بغداد والخليفة ونكبة الملك
مقتل الحسن بن عمران وولاية أخيه أبي الفرج.....	١٢٣١	الرحيم وانقراض دوله بني بوري ..... الخبر عن دولة وشمكير وبنيه من الجيل إخوة الدليم
مقتل أبي الفرج وولاية أبي المعالي بن الحسن .....	١٢٣١	ما كان لهم من الملك والسلطان بجرجان
استيلاء المظفر وخليع أبي المعالي.....	١٢٣١	وطبرستان وأولية ذلك ومصائره ..... استيلاء عساكر خراسان على الري والجبل وملك
وفاة المظفر وولاية مهذب الدولة .....	١٢٣١	وشمكير طبرستان ..... استيلاء الحسن بن الفيزان على جرجان .....
بعث ابن واصل على البطيحة وعزل مهذب الدولة .....	١٢٣١	رجوع الري لoshmكير واستيلاء ابن بوري عليها .....
عزل مهذب الدولة إلى البطيحة .....	١٢٣٢	استيلاء وشمكير على جرجان .....
وفاة مهذب الدولة وولاية ابن اخته عبد الله بن نسى ..	١٢٣٢	استيلاء ركن الدولة على طبرستان وجرجان .....
وفاة ابن نسى وولاية السراني .....	١٢٣٢	وفاة وشمكير وولاية ابن بهشتون .....
نكتة السراني وولاية صدقة المازياري .....	١٢٣٢	وفاة بهشتون وولاية أخيه قابوس .....
وفاة صدقة وولاية سابور بن المرزيان .....	١٢٣٢	استيلاء ركن الدولة على جرجان وطبرستان .....
عزل سابور وولاية أبي نصر .....	١٢٣٢	عودة قابوس إلى جرجان وطبرستان .....
عصيان أهل البطيحة على أبي كاليجار .....	١٢٣٣	مقتل قابوس وولاية ابنه متوجهر .....
استيلاء أبي كاليجار على البطيحة .....	١٢٣٣	وفاة متوجهر وولاية ابنه أنوشوان .....
ولاية مهذب الدولة بن أبي الخير على البطيحة .....	١٢٣٣	استيلاء المرزيان بن محمد بن مسافر على أذربيجان .....
ولاية نصر بن النفيسي والمظفر بن حماد من بعده على البطيحة .....	١٢٣٣	استيلاء الروس على مدينة برداة وظفر المرزيان بهم ...
إجلاء بني معروف من البطيحة .....	١٢٣٤	مسير المرزيان إلى الري وهزيمته وحبسه .....
الخبر عن دولة بني حسنيه من الأكراد القائمين بالدعوة العباسية بالدينور والصادقان ومبدأ		وفاة المرزيان وولاية ابنه خسنان .....
أمورهم وتصاريف أحراهم .....	١٢٣٤	مقتل خسنان وإخوته واستيلاء عمهم وهشودان على أذربيجان .....
وفاة حسنيه وولاية ابنه بدر .....	١٢٣٤	استيلاء إبراهيم بن المرزيان ثانياً على أذربيجان .....
حروب بدر بن حسنيه وعساكر مشرف الدولة .....	١٢٣٥	دخول الغز أذربيجان .....
مسير ابن حسنيه لخصار بغداد مع أبي جعفر بن هرمز ..	١٢٣٥	استيلاء طغرليك على أذربيجان .....
انتقاض هلال بن بدر بن حسنيه على أبيه وحربهما ..	١٢٣٦	
استيلاء ظاهر بن هلال على شهرزور .....	١٢٣٦	
مقتل بدر بن حسنيه وابنه هلال .....	١٢٣٦	
مقتل ظاهر بن هلال واستيلاء أبي الشوك على بلادهم ورياستهم .....	١٢٣٦	

مقتل إسماعيل بن ياقوتي ..... ١٢٤٨	الفتنة بين أبي الفتح بن أبي الشوك وعمه مهلهل ..... ١٢٣٧
وفاة المقaldi وخلافة المستظر وخطبته لبركيارق ..... ١٢٤٨	استيلاء نبال أخي طغرل بك على ولاية أبي الشوك ..... ١٢٣٨
استيلاء تشن على البلاد بعد مقتل أقسدر ثم هزيمة بركيارق ..... ١٢٤٨	وفاة أبي الشوك وقيام أخيه مهلهل مقامه ..... ١٢٣٨
مقتل تشن واستقلال بركيارق بالسلطان ..... ١٢٤٩	استيلاء سعدى بن أبي الشوك على أعمالهم بدعوة السلاجوقية ..... ١٢٣٨
استيلاء كريوبا على الموصل ..... ١٢٤٩	نكبة سرخاب واستيلاء نبال على أعمالهم كلها ..... ١٢٣٨
استيلاء أرسلان أرغون أخي السلطان ملك شاه على خراسان ومقتله ..... ١٢٤٩	بقية أخبار مهلهل وابن أبي الشوك وانتراض أمرهم ..... ١٢٣٩
ولاية سنجر على خراسان ..... ١٢٥٠	الخبر عن الدولة السلاجوقية من الترك ..... ١٢٤٠
ظهور المخالفين بخراسان ..... ١٢٥٠	غزوة السلطان ألب أرسلان إلى خلاط وأسر ملك الروم ..... ١٢٤٠
بداية دولة بنى خوارزم شاه ..... ١٢٥٠	فتنة قاروت بك صاحب كرمان ومقتله ..... ١٢٤١
استيلاء الإفرنج على أنطاكية وغيرها من سواحل الشام ..... ١٢٥٠	استيلاء السلاجوقية على دمشق وحضارهم مصر ثم استيلاء تشن ابن السلطان ألب أرسلان على دمشق ..... ١٢٤١
انتقاض الأمير أنز وقتله ..... ١٢٥١	سفارة الشيخ أبي إسحاق الشيرازي عن الخليفة ..... ١٢٤٢
استيلاء الفرنج على بيت المقدس ..... ١٢٥١	اتصال بني جهير بالسلطان ملك شاه ومسير فخر الدولة لفتح ديار بكر ..... ١٢٤٢
ظهور السلطان محمد بن ملك شاه والخطبة له ببغداد وحربه مع أخيه بركيارق ..... ١٢٥٢	استيلاء ابن جهير على الموصل ..... ١٢٤٣
مقتل البارسلاني ..... ١٢٥٢	فتح سليمان بن قطلمش أنطاكية والخبر عن مقتله ومقتل مسلم بن قريش واستيلاء تشن على حلب ..... ١٢٤٣
إعادة الخطبة ببغداد لبركيارق ..... ١٢٥٢	استيلاء ابن جهير على ديار بكر ..... ١٢٤٣
المصال الأول بين بركيارق ومحمد ومقتل كوهرين وهزيمة بركيارق والخطبة لمحمد ..... ١٢٥٣	استيلاء السلطان ملك شاه على حلب وولاية أقسدر عليها ..... ١٢٤٤
مسير بركيارق إلى خراسان وانهزامه من أخيه سنجر ومقتل الأمير داود جبشي أمير خراسان ..... ١٢٥٣	خبر الزفاف ..... ١٢٤٤
المصال الثاني بين بركيارق و محمد وهزيمة محمد وقتل وزيره مؤيد الملك والخطبة لبركيارق ..... ١٢٥٣	استيلاء السلطان ملك شاه على ما وراء النهر ..... ١٢٤٤
مسير بركيارق عن بغداد ودخول محمد وسنجر إليها ..... ١٢٥٤	عصيان سمرقند وفتحها ثانية ..... ١٢٤٥
قتل بركيارق الباطنية ..... ١٢٥٤	استيلاء تشن على حص و غيرها من سواحل الشام ..... ١٢٤٥
المصال الثالث بين بركيارق و محمد والصلح بينهما ..... ١٢٥٥	ملك اليمن ..... ١٢٤٥
انتقاض الصلح والمصال الرابع بين السلطانين وحصر محمد بأصفهان ..... ١٢٥٥	مقتل الوزير نظام الملك ..... ١٢٤٦
مسير صاحب البصرة إلى واسط ..... ١٢٥٦	وفاة السلطان ملك شاه وولاية ابنه محمود ..... ١٢٤٧
وفاة كريوبا صاحب الموصل واستيلاء جكرمش عليها ..... ١٢٥٦	منازعة بركيارق لأخيه محمود وانتظام سلطانه ..... ١٢٤٧
استيلاء سقمان بن أرتق على حصن كيما ..... ١٢٥٦	مقتل تاج الملك ..... ١٢٤٧
أخبار نبال بالعراق ..... ١٢٥٧	مهلك محمود ..... ١٢٤٧
	منازعة ألب أرسلان وأخباره إلى حين انهزامه ..... ١٢٤٧

ولادة أقستقر البرسي على الموصل ثم على واسط	١٢٥٧	ولادة كستكين النصيري شحنة بغداد وفتنته مع أبي العازى وحربه .....
١٢٦٩ ..... وشحنة العراق.....	١٢٥٨	المصادف الخامس بين بركيارق ومحمد .....
مقتل حيوس بك والوزير الشهيرمي .....	١٢٥٨	استيلاء ملك بن بهرام على مدينة عانة.....
١٢٦٩ ..... رجوع طغول إلى طاعة أخيه السلطان محمود.....	١٢٥٨	الصلح بين السلطان بركيارق ومحمد .....
مقتل وزير السلطان محمود.....	١٢٥٩	حرب سقمان وجكرمن الإفرنج .....
١٢٧٠ ..... ظفر السلطان بالكرج.....	١٢٥٩	وفاة بركيارق وولاية ابنه ملك شاه .....
عزل البرسي عن شحنة العراق وولاية برتش الركوي .....	١٢٥٩	حصار السلطان محمد الموصل .....
بداية أمر بني أقستقر وولاية عماد الدين زنكي على البصرة .....	١٢٥٩	استيلاء السلطان محمد على بغداد وخلع ملك شاه ابن أخيه ومقتل أياز .....
١٢٧٠ ..... استيلاء البرسي على حلب .....	١٢٥٩	استيلاء سقمان بن أرتق على ماردین لا موته .....
١٢٧٠ ..... مسير طغول ودييس إلى العراق .....	١٢٦٠	خروج منكيرس على السلطان محمد ونكبته .....
١٢٧١ ..... مقتل البرسي وولاية ابنه عز الدين على الموصل .....	١٢٦١	مقتل فخر الملك بن نظام الملك .....
١٢٧١ ..... وفاة عز الدين بن البرسي وولاية عماد الدين زنكي على الموصل وأعمالها ثم استيلاؤه على حلب .....	١٢٦١	ولادة جاوي سكاوو على الموصل وموت جكرمش .....
١٢٧١ ..... قدوم السلطان سنجر إلى الري ثم قدوم السلطان محمد إلى بغداد .....	١٢٦٢	مقتل صدقة بن مزيد .....
١٢٧٢ ..... وفاة السلطان محمود وملك ابنه داود .....	١٢٦٢	قدوم ابن عمّار صاحب طرابلس على السلطان محمد .....
١٢٧٢ ..... منازعة السلطان مسعود لداود ابن أخيه واستيلاؤه على السلطان بهذدان .....	١٢٦٢	استيلاء مرودد بن أبي شتكي على الموصل من يد جاوي .....
١٢٧٣ ..... هزيمة السلطان مسعود وملك طغول أخيه .....	١٢٦٣	مقتل مورود بن أنورتكين صاحب الموصل في حرب الإفرنج وولاية البرسي مكانه .....
١٢٧٣ ..... هزيمة السلطان داود واستيلاء طغول بن محمد على الملك .....	١٢٦٤	مسير العساكر لقتال أبي الغناري وقطلتفترين والجهاد بعدهما .....
١٢٧٣ ..... عود السلطان مسعود إلى الملك وهزيمة طغول .....	١٢٦٤	ولادة حيوس بك ومسعود ابن السلطان محمد علي الموصـل .....
١٢٧٤ ..... عود الملك طغول إلى الجبل وهزيمة السلطان مسعود .....	١٢٦٥	ولادة جاوي سكاو على فارس وأخباره فيها ووفاته ....
١٢٧٤ ..... وفاة طغول واستيلاء مسعود على الملك .....	١٢٦٥	وفاة السلطان محمد وملك ابنه محمود .....
١٢٧٤ ..... فتنة المسترشد مع السلطان مسعود ومقتله وخلافة ابنه الراشد .....	١٢٦٦	وفاة المستظاهر وخلافة ابنه المسترشد .....
١٢٧٤ ..... فتنة الراشد مع السلطان مسعود .....	١٢٦٦	خروج مسعود ابن السلطان محمد على أخيه محمود .....
١٢٧٥ ..... حصار بغداد ومسير الراشد إلى الموصل وخليعه وخلافة المقتني .....	١٢٦٦	خروج الملك طغول على أخيه السلطان محمود .....
١٢٧٥ ..... الفتنـة بين السلطان مسعود وبين داود الراشد وهزيمـة مسعود ومقتل الراشد .....	١٢٦٧	فتنة السلطان محمود مع عمه سنجر .....
١٢٧٦ ..... فتنة السلطان سنجر مع خوارزم شاه .....	١٢٦٨	استبداد علي بن سكمان بالبصرة .....
١٢٧٦ ..... استيلاء قراسنـقـر صاحب أذربيجان على بلاد فارس .....	١٢٦٨	استيلاء الكرج على نقلبيـس .....
	١٢٦٨	الحرب بين السلطان محمود وأخيه مسعود .....

ملك المؤيد أعمال قومس والخطبة للسلطان أرسلان	١٢٧٧	مسيير جهان دانكي إلى فارس.....
خراسان.....	١٢٨٦	هزيمة السلطان سنجر أمام الخطأ واستيلاؤهم على ما
إجلاء القارغالية من وراء النهر.....	١٢٨٦	وراء النهر.....
استيلاء ستر على الطالقان وغرستان.....	١٢٨٧	أخبار خوارزم شاه خراسان وصلحه مع سنجر.....
قتل صاحب هرة.....	١٢٨٧	صلح زنكي مع السلطان مسعود.....
ملك شاه مازندران قومس وبسطام ووفاته.....	١٢٨٧	انتقام صاحب فارس وصاحب الري.....
حصر عسكر المؤيد نسا.....	١٢٨٧	مقتل طغابرك وعباس.....
الحرب بين البهلوان وصاحب مراغة.....	١٢٨٧	مقتل بوazine صاحب فارس.....
ملك شملة فارس وإخراجه عنها.....	١٢٨٧	انتقام الأمراء على السلطان.....
ملك إيلدكز الري.....	١٢٨٧	وفاة السلطان مسعود وولاية ملك شاه ابن أخيه محمود
وفاة صاحب كرمان والخلف بين أولاده.....	١٢٨٨	ثم أخيه محمد من بعده.....
وفاة خوارزم شاه وولاية ابنه سلطان شاه ومنازعته مع أخيه الأكبر علاء الدين تكش.....	١٢٨٨	تغلب الغز على خراسان وهزيمة السلطان سنجر
وفاة الآتابك شمس الدين إيلدكز وولاية ابنه محمد البهلوان.....	١٢٨٨	وأسره.....
وفاة السلطان أرسلان بن طغول.....	١٢٨٨	استيلاء المؤيد على نيسابور وغيرها.....
وفاة البهلوان محمد بن إيلدكز وملك أخيه قزل.....	١٢٨٨	استيلاء اباياخ على الري.....
قتل قزل أرسلان قطلغ وولاية أخيه.....	١٢٨٩	الخبر عن سليمان شاه وحبسه بالموصل.....
قتل السلطان طغول وملك خوارزم شاه الري ووفاة أخيه سلطان شاه.....	١٢٨٩	فرار سنجر من أسر الغز.....
ملك الكرج الدويرة.....	١٢٨٩	حضار السلطان محمد بغداد.....
قتل كوجه بلاد الجبل وملك ايدغمشن.....	١٢٨٩	وفاة سنجر.....
قصد صاحب مراغة وصاحب إربل أذربيجان.....	١٢٨٩	منازعة سقير العزيزي للمؤيد ومقتله.....
وفاة السلطان محمد وولاية عمه سليمان شاه.....	١٢٩٠	فتنة الغز الثانية بخراسان وخراب نيسابور على يد المؤيد.....
ملك ابن البهلوان مراغة.....	١٢٩٠	استيلاء ملك شاه بن محمود على خوزستان.....
اتفاق المؤيد مع محمود الخان.....	١٢٨٤	وفاة السلطان محمد وولاية عمه سليمان شاه.....
الحرب بين عسكر خوارزم شاه والأتراك البرزية.....	١٢٨٤	وفاة المقتفي وخلافة المستجد.....
وفاة ملك شاه بن محمود.....	١٢٨٤	اتفاق المؤيد مع محمود الخان.....
قتل سليمان شاه والخطبة لأرسلان.....	١٢٨٥	الحرب بين إيلدكز وإنيانج.....
الحرب بين سنجر وأنسز خوارزم شاه.....	١٢٩١	الفتنة بنيسابور وتغريبها.....
انهزام السلطان سنجر من الأتراك الخطأ وملتهم ما		فتح المؤيد طوس وغيرها.....
وراء النهر.....	١٢٩١	الحرب بين المسلمين والكرج.....
وفاة أنسز وملك ولده أرسلان.....	١٢٩٢	

## فهرس المحتويات

مسير التتر بعد مهلك خوارزم شاه من العراق إلى أذربيجان وما وراءها من البلاد هنالك ..... ١٣٠٥	وفاة خوارزم شاه أرسلان وملك ولده سلطان شاه وبعده ولده الآخر تكش وملك طغان شاه بن المزيد ثم موته وملك ابنه سنجار شاه ..... ١٢٩٢
أخبار خراسان بعد مهلك خوارزم شاه ..... ١٣٠٦	وفاة ايلدكز وملك ابنه محمد البهلوان ..... ١٢٩٤
أخبار السلطان جلال الدين منكسرس مع التتر بعد مهلك خوارزم شاه واستقراره بغزنة ..... ١٣٠٦	وفاة ملك شاه بن خوارزم شاه تكش ..... ١٢٩٥
استيلاء التتر على مدينة خوارزم وتخربيها ..... ١٣٠٧	انهزام الخطأ من الغورية ..... ١٢٩٥
خبر آبانيغ نائب بخاري وتقلبه على خراسان ثم فراره أمام التتر إلى الري ..... ١٣٠٧	ملك خوارزم شاه تكين الري وبلاط الجبل ..... ١٢٩٥
خبر ركن الدين غورشاه صاحب العراق من ولد خوارزم شاه ..... ١٣٠٧	وفاة خوارزم شاه ..... ١٢٩٥
خبر غياث الدين تيرشاه صاحب كرمان من ولد السلطان خوارزم شاه ..... ١٣٠٨	استيلاء ملوك الغورية على أعمال خوارزم شاه محمد تكش بخراسان وارتجاعه إليها منه ثم حصاره هرة من أعمالهم ..... ١٢٩٦
أخبار السلطان جلال الدين منكسرس وهزيمته أمام التتر ثم عوده إلى الهند ..... ١٣٠٨	حصار شهاب الدين خوارزم شاه وانهزامه أمام الخطأ .. ١٢٩٧
أخبار جلال الدين بالهند ..... ١٣٠٩	استيلاء خوارزم شاه على بلاد الغورية بخراسان ..... ١٢٩٨
أحوال العراق وخراسان في إيلة غياث الدين ..... ١٣٠٩	استيلاء خوارزم شاه على ترمذ وتسليمها للخطا ..... ١٢٩٨
وصول جلال الدين من الهند إلى كرمان وأخباره بفارس والعراق مع أخيه غياث الدين ..... ١٣١٠	استيلاء خوارزم شاه على الطالقان ..... ١٢٩٩
استيلاء ابن آبانيغ على نسا ..... ١٣١٠	استيلاء خوارزم شاه على مازندران وأعمالها ..... ١٢٩٩
مسير السلطان جلال الدين إلى خوزستان ونواحي بغداد ..... ١٣١٠	استيلاء خوارزم شاه على ما وراء النهر وقتله مع الخطا وأسره وخلاصه ..... ١٢٩٩
أولية الوزير شرف الدين ..... ١٣١١	مقتل ابن حرمييل ثم استيلاء خوارزم شاه على هرة ..... ١٣٠٠
عودة التتر إلى الري وهمدان وبلاط الجبل ..... ١٣١١	استيلاء خوارزم شاه على بیروزکوه وسائر بلاد خراسان ..... ١٣٠٠
وقائع أذربيجان قبل مسir جلال الدين إليها ..... ١٣١١	هزيمة الخطأ ..... ١٣٠٠
استيلاء جلال الدين على أذربيجان وغزو الكرج ..... ١٣١٢	انتقاض صاحب سمرقند ..... ١٣٠٠
فتح السلطان مدينة كنجه ونكاحه زوجة أزيك ..... ١٣١٢	استلحام الخطأ ..... ١٣٠١
استيلاء خوارزم شاه على تفليس من الكرج بعد هزيمته إياهم ..... ١٣١٣	استيلاء خوارزم شاه على كرمان ومكران والستند ..... ١٣٠١
انتقاض صاحب كرمان ومسير السلطان إليه ..... ١٣١٣	استيلاء خوارزم شاه على غزنة وأعمالها ..... ١٣٠٢
مسير جلال الدين إلى حصار خلاط ..... ١٣١٣	استيلاء خوارزم شاه على بلاط الجبل ..... ١٣٠٢
دخول الكرج مدينة تفليس وإحراقها ..... ١٣١٤	طلب الخطبة وامتناع الخليفة منها ..... ١٣٠٢
أخبار السلطان جلال الدين مع الإسماعيلية ..... ١٣١٤	قسمة السلطان خوارزم شاه الملك بين ولده ..... ١٣٠٣
استيلاء حسام الدين نائب خلاط على مدينة خوي ..... ١٣١٤	أخبار تركمان خاتون أم السلطان محمد بن تكش ..... ١٣٠٣
واقعة السلطان مع التتر على أصفهان ..... ١٣١٥	خروج التتر وغلبهم على ما وراء النهر وفرار السلطان أمامهم من خراسان ..... ١٣٠٣
	إجفال السلطان خوارزم شاه إلى خراسان ثم إلى طبرستان وملوكه ..... ١٣٠٤

الروحنة بين السلطان جلال الدين وأخيه غياث الدين ..	١٣١٥
انتقام البهلوانية ..	١٣١٥
إيقاع نائب خلاط بالوزير ..	١٣١٦
فتورات الوزير بأذربيجان وأران ..	١٣١٦
أخبار الوزير بخراسان ..	١٣١٦
خبر بلبان صاحب خلخال ..	١٣١٧
تكرر السلطان للوزير شرف الدين ..	١٣١٧
وصول القفجاق لخدمة السلطان ..	١٣١٨
استيلاء السلطان على أعمال كستافي ..	١٣١٨
قدوم شروان شاه ..	١٣١٨
مسير السلطان إلى بلاد الکرج وحصاره قلاع بهرام ..	١٣١٨
مسير السلطان إلى خلاط وحصارها ..	١٣١٨
واقعة السلطان جلال الدين مع الأشرف وكبار	
وانهزامه أمامهما ..	١٣١٩
الحوادث أيام حصار خلاط ..	١٣١٩
وصول جهان بهلوان أزبك من الهند ..	١٣٢٠
وصول التتر إلى أذربيجان ..	١٣٢٠
استيلاء التتر على تبريز وكنجه ..	١٣٢١
نكبة الوزير ومقته ..	١٣٢١
ارتفاع السلطان كنجه ..	١٣٢١
واقعة التتر على السلطان بأمد ومهلكه ..	١٣٢١
الخبر عن دولة بني تشن بن آل أرسلان ببلاد الشام	
دمشق وحلب وأعمالهما وكيف تناوبوا فيها القيام	
بالدعوة العباسية والدعوة العلوية حين انقراض	
أمرهم ..	١٣٢٢
مقتل تشن ..	١٣٢٣
استيلاء رضوان بن تشن على حلب ..	١٣٢٣
استيلاء دقاق بن تشن على دمشق ..	١٣٢٤
الفترة بين دقاق وأخيه رضوان ..	١٣٢٤
استيلاء دقاق على الرجدة ..	١٣٢٤
وفاة دقاق وولاية أخيه تلناش ثم خلده ..	١٣٢٥
الحرب بين طغرkin والفرنج أشهراً ..	١٣٢٥
مسير رضوان صاحب حلب لحصار نصبيين ..	١٣٢٥
استيلاء الفرنج على أقامية ..	١٣٢٥
استيلاء طغرkin على بصرى ..	١٣٢٦
غزو طغرkin وهزيمته ..	١٣٢٦
انتقام طغرkin على السلطان محمد ..	١٣٢٦
وفاة رضوان بن تشن صاحب حلب وولاية ابنه آل	
أرسلان ..	١٣٢٧
مهلك لؤلؤ الخادم واستيلاء أبي الغازى ثم مقتل آل	
أرسلان وولاية أخيه سلطان شاه ..	١٣٢٧
هزيمة طغرkin أمام الإفرنج ..	١٣٢٧
منازلة الإفرنج دمشق ..	١٣٢٨
وفاة طغرkin وولاية ابنه بوري ..	١٣٢٨
أسر تاج الملك للديس بن صدقة وغكين عماد الدين	
زنكي منه ..	١٣٢٨
وفاة تاج الملك بوري صاحب دمشق وولاية ابنه	
شمس الملك إسماعيل ..	١٣٢٨
استيلاء شمس الملك على الحصون ..	١٣٢٨
مقتل شمس الملك وولاية أخيه شهاب الدين محمود ..	١٣٢٩
استيلاء شهاب الدين محمود على حصن ..	١٣٢٩
استيلاء عماد الدين زنكي على حصن وغيرها من	
أعمال دمشق ..	١٣٢٩
مقتل شهاب الدين محمود وولاية أخيه محمد ..	١٣٣٠
استيلاء زنكي على بعلبك وحصاره دمشق ..	١٣٣٠
وفاة جمال الدين محمد بن بوري وولاية ابنه مجرير الدين	
أنز ..	١٣٣٠
مسير الإفرنج لحصار دمشق ..	١٣٣٠
استيلاء نوري الدين محمود العادل على دمشق	
واقرارات بني تشن من الشام ..	١٣٣١
الخبر عن دولة قطلمش وبينه ملوك قونية وببلاد الروم	
من السلجوقيه ومبادي أمرهم وتصاريف	
أحوالهم ..	١٣٣١
استيلاء قليج أرسلان على الموصل ..	١٣٣٢
الحرب بين قليج أرسلان وبين الإفرنج ..	١٣٣٢
مقتل قليج أرسلان وولاية ابنه مسعود ..	١٣٣٣
استيلاء مسعود بن قليج أرسلان على ملطيه وأعمالها ..	١٣٣٣

الخبر عن بني سكمان موالي السلاجوقية ملوك خلاط	وفاة مسعود بن قليج ولاية ابنه قليج أرسلان الان
وبلاد أرمينية ومصير الملك إلى موالיהם من	فرسن .....
بعدهم وبمابي أمرهم وتصاريف أحوافهم ..... ١٣٣٩	مسير نور الدين العادل إلى بلاد قليج أرسلان ..... ١٣٣٣
وفاة شاه أرمن سكمان وولاية مكتمر مول أبيه ..... ١٣٤٠	مسير صلاح الدين لحرب قليج أرسلان ..... ١٣٣٣
وفاة مكتمر ولاية أقسقون ..... ١٣٤٠	قسمة قليج أرسلان أعماله بين ولده وتعاقبهم عليه ..... ١٣٣٤
وفاة أقسقون ولاية محمد بن مكتمر ..... ١٣٤٠	وفاة قليج أرسلان ولاية ابنه غياث الدين ..... ١٣٣٤
نكبة ابن مكتمر واستيلاء بلبان على خلاط وأعمالها ..... ١٣٤١	استيلاء ركن الدين سليمان على قونية وأكثر بلاد
أخبار الإفرنج فيما ملكوه من سواحل الشام وثغوره	الروم وفارغ غياث الدين ..... ١٣٢٤
وكيف تغلبوا عليه وباديته أمرهم في ذلك	وفاة ركن الدين ولاية ابنه قليج أرسلان ..... ١٣٢٥
ومصائره ..... ١٣٤١	استيلاء غياث الدين كسنجار على بلاد الروم من أخيه
استيلاء الإفرنج على معبرة التعمان ثم على بيت المقدس ..... ١٣٤٢	ركن الدين ..... ١٣٣٥
عساكر مصر وحرب الإفرنج مسير العساكر من مصر	مقتل غياث الدين كسنجار ولاية ابنه كيكاووس ..... ١٣٢٥
لحرب الإفرنج ..... ١٣٤٢	مسير كيكاووس إلى حلب واستيلاؤه على بعض أعمالها
إيقاع ابن الدانشمند بالإفرنج ..... ١٣٤٣	ثم هزتة وارتجاع البلد من يده ..... ١٣٣٥
حصار الإفرنج قلعة جبلة ..... ١٣٤٣	وفاة كيكاووس وملك أخيه كيغداد ..... ١٣٣٦
استيلاء الإفرنج على سروج وقيسارية وغيرهما ..... ١٣٤٣	الفتنة بين كيغداد وصاحب أمد من بني أرتق وفتح عدة
حصار الإفرنج طرابلس وغيرها ..... ١٣٤٣	من حصونه ..... ١٣٣٦
حصار الإفرنج عقلان وحروبهم مع عساكر مصر ..... ١٣٤٤	استيلاء كيغداد على مدينة أرزنكان ..... ١٣٣٦
استيلاء الإفرنج على جبيل وعكا ..... ١٣٤٤	فتنة كيغداد مع جلال الدين ..... ١٣٣٦
غزو أمراء السلاجوقية بالجزيرة الإفرنج ..... ١٣٤٤	مسير ابن أيوب إلى كيغداد وهزيمتهم ..... ١٣٣٦
حرب الإفرنج مع رضوان بن تشن صاحب حلب ..... ١٣٤٥	وفاة كيغداد وملك ابنه كتخرسو ..... ١٣٣٦
حرب الإفرنج مع عساكر مصر ..... ١٣٤٥	وفاة غياث الدين ولاية ابنه كيغداد ..... ١٣٣٧
حرب الإفرنج مع طفرجين ..... ١٣٤٥	وفاة كيغداد وملك أخيه كيكاووس ..... ١٣٣٧
استيلاء الإفرنج على حصن أقامية ..... ١٣٤٥	استيلاء التتر على قونية ..... ١٣٣٧
خبر الإفرنج في حصار طرابلس ..... ١٣٤٦	الفتنة بين عز الدين كيكاووس وأخيه قليج أرسلان
خبر القمىص صاحب الرها مع جاوي ومع صاحب	واستيلاء قليج أرسلان على الملك ..... ١٣٣٨
أنطاكية ..... ١٣٤٦	خبر عز الدين كيكاووس ..... ١٣٣٨
حروب الإفرنج مع طفرجين ..... ١٣٤٧	مقتل ركن الدين قليج أرسلان ولاية ابنه كتخرسو ..... ١٣٣٨
استيلاء الإفرنج على طرابلس وبيروت وصيدا وجبيل	استيلاء الظاهر ملك مصر على قيسارية وقتل البرنزاء ..... ١٣٣٨
وبانياس ..... ١٣٤٧	خلع كتخرسو ثم مقتله وولاية مسعود ابن عممه
استيلاء أهل مصر على عقلان ..... ١٣٤٧	كيكاووس ..... ١٣٣٩
استيلاء الإفرنج على حصن الأنبار وغيره ..... ١٣٤٧	ملوك قونية من بلاد الروم وملوكها من أبنائهم التتر ..... ١٣٣٩
مسير الأمراء السلاجوقية إلى قتال الإفرنج ..... ١٣٤٨	

اضطراب أبي الغازى في طاعته وأسره ثم خلاصه ..... ١٣٦١	١٣٤٨
استيلاء أبي الغازى على حلب ..... ١٣٦٢	١٣٤٨
واقعة أبي الغازى مع الإفرنج ..... ١٣٦٢	١٣٤٩
انتقام سليمان بن أبي الغازى بحلب ..... ١٣٦٣	١٣٤٩
واقعة مالك بن بهرام مع جوسكين صاحب الراها ..... ١٣٦٣	١٣٥٠
وفاة أبي الغازى وملك بيته من بعده ..... ١٣٦٣	١٣٥٠
وفاة عرتاش وولادة ابنه أبي بعده ..... ١٣٦٣	١٣٥٠
ولادة حسام الدين بولق أرسلان بن أبي الغازى بن أبي ..... ١٣٦٤	١٣٥١
وفاة بولق وولادة أخيه أرتق ..... ١٣٦٤	١٣٥١
مقتل البخش واستبداد أرتق المنصور واتصال الملك في عقبه ..... ١٣٦٤	١٣٥٢
دولة بني زنكي بن أفسقر الخبر عن دولة بني زنكي بن أفسقر من موالي السلاجوقية بالجزيرة والشام ..... ١٣٦٥	١٣٥٢
ومبادئ أمرهم وتصاريف أحوالهم ..... ١٣٦٧	١٣٥٢
ولادة زنكي شحنة بغداد والعراق ..... ١٣٦٧	١٣٥٢
ولادة عماد الدين زنكي على الموصل وأعمالها ..... ١٣٦٧	١٣٥٣
استيلاء الأتابك زنكي على مدينة حلب ..... ١٣٦٧	١٣٥٣
استيلاء الأتابك زنكي على مدينة حماة ..... ١٣٦٨	١٣٥٣
فتح عماد الدين حصن الأتارب وهزيمة الإفرنج ..... ١٣٦٨	١٣٥٤
واقعة عماد الدين مع بني أرتق ..... ١٣٦٨	١٣٥٤
حصول ديس بن صدقة في أسر الأتابك زنكي ..... ١٣٦٨	١٣٥٤
مسير الأتابك زنكي إلى العراق لظاهرة السلطان مسعود وأنهزامه ..... ١٣٦٩	١٣٥٥
مسير الأتابك عماد الدين إلى بغداد بابنه وأنهزامه ..... ١٣٦٩	١٣٥٥
واقعة الإفرنج على أهل حلب ..... ١٣٦٩	١٣٥٦
حصار المسترشد الموصل ..... ١٣٦٩	١٣٥٦
ارتفاع صاحب دمشق مدينة حماة ..... ١٣٦٩	١٣٥٦
حصار الأتابك زنكي قلعة آمد واستيلاؤه على قلعة التسور ثم حصار قلاع الحميدية ..... ١٣٧٠	١٣٥٧
استيلاء الأتابك على قلاع المكارية وقلعة كواشي ..... ١٣٧٠	١٣٥٨
حصار الأتابك زنكي مدينة دمشق ..... ١٣٧١	١٣٥٨
فتنة الراشد مع السلطان مسعود ومسيره إلى الموصل وخلمه ..... ١٣٧١	١٣٥٩
حصار الإفرنج مدينة صور ..... ١٣٤٨	١٣٦٠
أخبار مودود مع الإفرنج ومقتله ووفاة صاحب أنطاكية ..... ١٣٤٨	
أخبار البرستي مع الإفرنج ..... ١٣٤٩	
الحرب بين العساكر السلطانية والإفرنج ..... ١٣٤٩	
وفاة ملك الإفرنج وأخبارهم بعده مع المسلمين ..... ١٣٥٠	
ارتفاع صاحب الراها من الإفرنج ..... ١٣٥٠	
استيلاء الإفرنج على خرت برت وارتفاعها منهم ..... ١٣٥٠	
استيلاء الإفرنج على مدينة صور ..... ١٣٥١	
فتح البرستي كفر طاب وإنهزامه من الإفرنج ..... ١٣٥١	
الحرب بين طغريkin والإفرنج ..... ١٣٥١	
هزيمة صاحب طرابلس ..... ١٣٥٢	
فتح صاحب دمشق بانياس ..... ١٣٥٢	
استيلاء شمس الملوك على الشقيق ..... ١٣٥٢	
استيلاء الإفرنج على جزيرة جربة من أفريقيا ..... ١٣٥٢	
فتح صاحب دمشق بعض حصون الإفرنج ..... ١٣٥٢	
استيلاء الإفرنج على طرابلس الغرب ..... ١٣٥٣	
استيلاء الإفرنج على المهدية ..... ١٣٥٣	
استيلاء الإفرنج على بونة ووفاة رجار صاحب صقلية ..... ١٣٥٣	
ملك ابنه غليلم ..... ١٣٥٤	
استيلاء الإفرنج على عسقلان ..... ١٣٥٤	
ثورة المسلمين بسواحل إفريقيا على الإفرنج المتغلبين فيها ..... ١٣٥٤	
ارتفاع عبد المؤمن المهدية من يد الإفرنج ..... ١٣٥٥	
حصار الإفرنج أسد الدين شيركوه في بليس ..... ١٣٥٥	
حصار الإفرنج القاهرة ..... ١٣٥٦	
حصار الإفرنج دمياط ..... ١٣٥٦	
استيلاء الإفرنج على القسطنطينية ..... ١٣٥٦	
الخبر عن دولة بني أرتق وملكيتهم لماردين وديار بكر ومبادي أمرهم وتصاريف أحوالهم ..... ١٣٥٧	
استيلاء سقمان بن أرتق على ماردين ..... ١٣٥٨	
وفاة سقمان بن أرتق وولادة أخيه أبي الغازى مكانه بماردين ..... ١٣٥٨	
ذكر وصول الفرنج من الغرب إلى عكا ..... ١٣٥٩	
ذكر رحيل الفرنج إلى ناحية عسقلان وتخربيها ..... ١٣٦٠	

وفادة شاور وزير العاضد بمصر على نور الدين العادل	١٣٧١	غزاة عساكر حلب إلى الإفرنج .....
صريخاً وإنجاده بالعسكر مع أسد الدين شيركوه ...	١٣٨٠	حصار الأتابك زنكي مدينة حصن واستيلاؤه على
فتح نور الدين صافيتا وعرقة ومنجع وجعبر ..	١٣٨١	بغدوين وهزيمة الإفرنج واستيلاؤه على حصن ....
رحلة زين الدين نائب الموصل إلى إربيل واستبداد قطب	١٣٨١	مسير الروم إلى الشام وملتهم مراغة .....
الدين يملكه .....	١٣٨١	استيلاء الأتابك زنكي على بعلبك .....
حصار نور الدين قلعة الكرك .....	١٣٨١	حصار الأتابك زنكي مدينة دمشق .....
وفاة قطب الدين صاحب الموصل وملك ابنه سيف	١٣٨٢	استيلاء الأتابك على شهرزور وأعمالها .....
الدين غازي .....	١٣٨٢	صلاح الأتابك مع السلطان مسعود واستيلاؤه على أكثر
استيلاء نور الدين على الموصل وإقراره ابن أخيه سيف	١٣٨٢	ديار بكر .....
الدين عليها .....	١٣٨٢	فتح الراها وغيرها من أعمال الإفرنج .....
الوحشة بين نور الدين وصلاح الدين .....	١٣٨٢	مقتل نصير الدين جقري نائب الموصل ولولية زين
واقعة ابن ليون ملك الأرمن بالروم .....	١٣٨٣	الدين علي كجك مكانه بالقلعة .....
مسير نور الدين إلى بلاد الروم .....	١٣٨٣	حصار زنكي حصن جعبر وفنك .....
مسير صلاح الدين إلى الكرك ورجوعه .....	١٣٨٣	مقتل الأتابك عماد الدين زنكي .....
وفاة نور الدين محمود ولولية ابنه إسماعيل الصالح ..	١٣٨٣	استيلاء ابنه غازي على الموصل وابنه الآخر محمود على
استيلاء سيف الدين غازي على بلاد الجزيرة .....	١٣٨٤	حلب .....
حصار الإفرنج بانياس .....	١٣٨٤	عصيان الراها .....
استيلاء صلاح الدين على دمشق .....	١٣٨٤	محاصرة سيف الدين غازي لصاحب دمشق وهزيمة نور
استيلاء صلاح الدين على حصن وحمة ثم حصاره	١٣٨٥	الدين محمود للإفرنج .....
حلب ثم ملكه بعلبك .....	١٣٨٥	وفاة سيف الدين غازي وملك أخيه قطب الدين مودود ..
حروب صلاح الدين مع سيف الدين غازي صاحب		استيلاء السلطان محمود على سنجار .....
الموصل وغليبه إيهاد واستيلائه على بغدوين وغيرها		غزو نور الدين إلى أنطاكية وقتل صاحبها وفتح آفاميا ..
من أعمال الملك الصالح ثم مصالحته على حلب .	١٣٨٥	هزيمة نور الدين جوسكين وأسر جوسكين .....
عصيان صاحب شهرزور على سيف الدين صاحب		استيلاء نور الدين على دمشق .....
الموصل ورجوعه .....	١٣٨٦	استيلاء نور الدين على تل باشر وحصاره قلعة حارم ..
نكبة كمسكين الخادم ومقتله .....	١٣٨٦	استيلاء نور الدين على شيزر .....
وفاة الصالح إسماعيل واستيلاء ابن عمته عز الدين		استيلاء نور الدين على بعلبك .....
مسعود على حلب .....	١٣٨٦	استيلاء أخي نور الدين على حران ثم ارجاعها .....
استيلاء عماد الدين على حلب ونزوله عن سنجار		خبر سليمان شاه وجسه بالموصل ثم مسيره منها إلى
لأخيه عز الدين .....	١٣٨٧	السلطنة بهمنان .....
مسير صلاح الدين إلى بلاد الجزيرة وحصاره الموصل		حصار قلعة حارم وانهزام نور الدين أمام الإفرنج ثم
واستيلاؤه على كثير من بلادها ثم على سنجار ...	١٣٨٧	هزيمتهم وفتحها .....
استيلاء صلاح الدين على حلب وأعمالها .....	١٣٨٨	فتح نور الدين قلعة بانياس .....
نكبة مجاهد الدين قياماز .....	١٣٨٨	

١٣٩٥ .....	صلح الأشرف مع مظفر الدين ..... صاحبها ..... حصار صلاح الدين الموصل وصلاحه مع عز الدين
رجوع قلاع المكارية والزوزان إلى طاعة صاحب	
١٣٩٥ .....	الموصل ..... وفاة زين الدين يوسف صاحب إربيل وولاية أخيه
استيلاء صاحب الموصل على قلعة سوس ..... مظفر الدين افتهي ..... حصار عز الدين صاحب الموصل جزيرة ابن عمر	١٣٨٩ .....
١٣٩٥ .....	حصار مظفر الدين الموصل ..... مسیر عز الدين صاحب الموصل إلى بلاد العادل
انتقاض أهل العمادية على لؤلؤ ثم استيلاؤه عليهما ..... مسیر مظفر الدين صاحب إربيل إلى أعمال الموصل	١٣٨٩ .....
مسیر مظفر الدين صاحب إربيل إلى أعمال الموصل	بالجزيرة ورجوعه عنها ..... وفاة عز الدين صاحب الموصل وولایة ابنته نور الدين
وعوده منها ..... مسیر عماد الدين صاحب سنجر وولاية ابنته قطب	١٣٩٠ .....
١٣٩٦ .....	مسیر التر في بلاد الموصل وإربيل ..... وفاة عز الدين صاحب الموصل على نصبيين ..... هزيمة الكامل بن العادل على ماردين أمام نور الدين
١٣٩٦ .....	وفاة مظفر الدين صاحب إربيل وعودها إلى الخليفة ..... استيلاء نور الدين صاحب الموصل على نصبيين ..... صاحب الموصل وبني عمه ملوك الجزيرة
١٣٩٦ .....	بقية أخبار لؤلؤ صاحب الموصل ..... مسیر نور الدين صاحب الموصل إلى بلاد العادل
١٣٩٧ .....	وفاة صاحب الموصل وولاية ابنته الصالح ..... بالجزيرة ..... هزيمة نور الدين صاحب الموصل أمام معسكر العادل
الخبر عن دولة بني أيوب القائمين بالدولة العباسية وما	١٣٩١ .....
كان لهم من الملك مصر والشام واليمن والمغرب	وأولية ذلك ومصائره ..... مقتل سنجر شاه صاحب جزيرة ابن عمر وولاية ابنته
١٣٩٧ .....	محمود بعده ..... استيلاء العادل على الخبرور ونصبيين من أعمال
مسیر أسد الدين شيركوه إلى مصر وإعادة شاور إلى	صاحب سنجر وحصاره إيه ..... وفاة نور الدين صاحب الموصل وولاية ابنه القاهر
وزارته ..... وفاة أسد الدين ابن أخيه صلاح الدين	١٣٩٢ .....
مسیر أسد الدين ثانياً إلى مصر وملكه الإسكندرية ثم	واقعة السودان بمصر ..... وفاة القاهر وولاية ابنته نور الدين أرسلان شاه في كفالة
صلحه عليها وعوده ..... مقتول شاور ..... بدر الدين لؤلؤ ..... استيلاء عماد الدين صاحب عقر على قلاع المكارية	١٣٩٢ .....
١٣٩٨ .....	الوحشة بين صلاح الدين ونور الدين ..... والزوزان ..... مظاهره الأشرف بن العادل لللؤلؤ صاحب الموصل
استيلاء أسد الدين على مصر ومقتل شاور ..... وفاة نجم الدين أيوب ..... استيلاء قراقوش على طرابلس الغرب ..... استيلاء نور الدين توران شاه بن أيوب على بلاد التوبة	١٣٩٣ .....
١٣٩٩ .....	واقعة عمارة ومقتله ..... وصول الإفرنج من صقلية إلى الإسكندرية ..... واقعة كنز الدولة بالصعيد ..... استيلاء صلاح الدين على قواعد الشام بعد وفاة العادل نور الدين ..... هزيمة لؤلؤ صاحب الموصل من مظفر الدين صاحب
وفاة نجم الدين أيوب ..... استيلاء قراقوش على طرابلس الغرب ..... استيلاء نور الدين توران شاه بن أيوب على بلاد التوبة ..... ثم على بلاد اليمن ..... واقعة عمارة ومقتله ..... وصول الإفرنج من صقلية إلى الإسكندرية ..... واقعة كنز الدولة بالصعيد ..... استيلاء صلاح الدين على قواعد الشام بعد وفاة العادل نور الدين ..... إربيل ..... وفاة صاحب سنجر وولاية ابنته ثم مقتله وولاية أخيه ..	١٣٩٤ .....
١٤٠٢ .....	استيلاء عماد الدين على قلعة كواشي ولؤلؤ على تل ..... اغفر والأشرف على سنجر ..... ١٣٩٤ .....
١٤٠٣ .....	
واقعة عمارة ومقتله ..... وصول الإفرنج من صقلية إلى الإسكندرية ..... واقعة كنز الدولة بالصعيد ..... استيلاء صلاح الدين على قواعد الشام بعد وفاة العادل نور الدين ..... ١٤٠٣ .....	

اتفاق القمص صاحب طرابلس مع صلاح الدين	١٤٠٤	واقعة صلاح الدين مع الملك الصالح وصاحب
ومنابذة البرنس صاحب الكرك له وحضاره إيه	١٤٠٥	الموصل وما ملك من الشام بعد انهزامها .....
١٤١٣ ..... والإغارة على عكا .....	١٤٠٥	مسير صلاح الدين إلى بلاد الإسماعيلية.....
١٤١٣ ..... هزيمة الإفرنج وفتح طبرية ثم عكا .....	١٤٠٥	غزووات بين المسلمين والإفرنج .....
١٤١٤ ..... فتح يافا وصيدها وجبيل وبيروت وحصنون عكا .....	١٤٠٥	هزيمة صلاح الدين بالرملة أمام الإفرنج .....
١٤١٤ ..... وصول المركيش إلى صور وامتناعه بها .....	١٤٠٥	حصار الإفرنج مدينة حماة .....
١٤١٥ ..... فتح عسقلان وما جاورها .....	١٤٠٦	انتقام ابن المقدم بعلبك وقتها.....
١٤١٥ ..... فتح القدس .....	١٤٠٦	وقائع مع الإفرنج .....
١٤١٦ ..... حصار صور ثم صند وكرك والكرك .....	١٤٠٦	خرب حصن الإفرنج .....
غزو صلاح الدين إلى سواحل الشام وما فتحه من	١٤٠٦	الفتنة بين صلاح الدين وقليق أرسلان صاحب الروم ..
حصونها وصلحه آخرًا مع صاحب أنطاكية .....	١٤٠٧	مسير صلاح الدين إلى بلاد اليون .....
١٤١٧ ..... فتح جبلة .....	١٤٠٧	غزوة صلاح الدين إلى الكرك .....
١٤١٧ ..... فتح اللاذقية .....	١٤٠٧	مسير سيف الإسلام طغرkin بن أبوب إلى اليمن والبأ
١٤١٧ ..... فتح صهيون .....	١٤٠٧	عليها .....
١٤١٨ ..... فتح بكاس والشغر .....	١٤٠٨	دخول قلعة البيرة في إدلة صلاح الدين وغزوه الإفرنج
١٤١٨ ..... فتح سرمين .....	١٤٠٨	وفتح بعض حصونهم مثل الشقيف والغرر
١٤١٨ ..... فتح بريزية .....	١٤٠٨	وبيروت .....
١٤١٨ ..... فتح دريساك .....	١٤٠٩	مسير صلاح الدين إلى الجزيرة واستيلاؤه على حران
١٤١٨ ..... فتح بغراس .....	١٤٠٩	والبرها والرقة والخابور ونصيبين وسنجر وحصار
١٤١٩ ..... صلح أنطاكية .....	١٤٠٩	الموصل .....
١٤١٩ ..... فتح الكرك .....	١٤١٠	مسير شاهرين صاحب خلاط الدين لنجدته صاحب
فتح صند .....	١٤١٠	الموصل .....
١٤١٩ ..... فتح كرك .....	١٤١٠	واقعة الإفرنج في بحر السويس .....
١٤١٩ ..... فتح الشقيف .....	١٤١٠	وفاة فرنخشاه .....
محاصرة الإفرنج أهل صور لعكا والمرروب عليها .....	١٤١٠	استيلاء صلاح الدين على آمد وتسليمها لصاحب كيما ..
الواقعة على عكا .....	١٤١٠	استيلاء صلاح الدين على تل خالد وعتتاب .....
رحيل صلاح الدين عن الإفرنج بعكا .....	١٤١٠	استيلاء صلاح الدين على حلب وقلعة حارم .....
معاودة صلاح الدين حصار الإفرنج على عكا .....	١٤١١	غزوة بيسان .....
وصول ملك الألان إلى الشام ومهلكه .....	١٤١١	غزو الكرك وولاية العادل على حلب .....
واقعة المسلمين مع الإفرنج على عكا .....	١٤١١	حصار صلاح الدين الموصل .....
وفاة زين الدين صاحب إربل وولاية أخيه كوكبى .....	١٤١٢	استيلاء صلاح الدين على ميافارقين .....
وصول إمداد الإفرنج من الغرب إلى عكا .....	١٤١٢	قسمة صلاح الدين الأعمال بين ولده وأخيه .....
استيلاء الإفرنج على عكا .....	١٤٢٤	خرب صلاح الدين عسقلان .....
خرب صلاح الدين عسقلان .....	١٤٢٤	

وفاة المنصور صاحب حماة وولاية ابنه الناصر ..... ١٤٣٥	مقتل الملك الكتبي وملك الكتب الكندي مكانه ..... ١٤٢٥
مسير صاحب بلاد الروم إلى حلب وانهزامه ودخولها في طاعة الأشرف ..... ١٤٣٦	مسير الإفرنج إلى القدس ..... ١٤٢٦
دخول الموصل في طاعة الأشرف وملكه سنجار ..... ١٤٣٦	الصلح بين صلاح الدين والإفرنج ومسير ملك انكطاطرة إلى بلاده ..... ١٤٢٦
ارتفاع دمياط من يد الإفرنج ..... ١٤٣٧	وفاة صلاح الدين وحال ولده وأخيه من بعده ..... ١٤٢٧
وفاة الأوحد نجم الدين بن العادل صاحب خلاط ولاية أخيه الظاهر غازي عليها ..... ١٤٣٨	مسير العزيز من مصر إلى حصار الأفضل بدمشق وما استقر بينهم في الولايات ..... ١٤٢٧
فتنة معظم مع أخيه الكامل والأشرف وما دعت إليه من الأحوال ..... ١٤٣٨	حصار العزيز ثانيةً دمشق وهزيمته ..... ١٤٢٧
وفاة العظيم صاحب دمشق وولاية ابنه الناصر ثم استيلاء الأشرف عليهما واعتراض الناصر بالكرك ..... ١٤٣٩	استيلاء العادل على دمشق ..... ١٤٢٨
استيلاء المظفر بن المنصور على حماة من يد أخيه الناصر ..... ١٤٣٩	فتح العادل يافا من الإفرنج واستيلاء الإفرنج على بيروت وحصارهم تبنين ..... ١٤٢٨
استيلاء الأشرف على بعلبك من يد الأجد وإقطاعها لأخيه إسماعيل بن العادل ..... ١٤٣٩	وفاة طغتكين بن أيوب باليمن وملك ابنه إسماعيل ثم سليمان بن تقى الدين شاهنشاه ..... ١٤٢٩
فتنة جلال الدين خوارزم شاه مع الأشرف واستيلاؤه على خلاط ..... ١٤٣٩	مسير العادل إلى الجزيرة وحصاره ماردين ..... ١٤٢٩
مسير الكامل في إنجاد الأشرف وهزيمته جلال الدين أمام الأشرف ..... ١٤٤٠	وفاة العزيز صاحب مصر وولاية أخيه الأفضل ..... ١٤٢٩
استيلاء العزيز صاحب حلب على شيرز ثم وفاته وولاية ابنه الناصر بعده ..... ١٤٤٠	حصار الأفضل دمشق وعودته عنها ..... ١٤٣٠
فتنة كيقاد صاحب بلاد الروم واستيلاؤه على خلاط ..... ١٤٤٠	إفراج الكامل عن ماردين ..... ١٤٣٠
وفاة الأشرف بن العادل واستيلاء الكامل على مالكه ..... ١٤٤١	استيلاء العادل على مصر ..... ١٤٣٠
وفاة الكامل وولاية ابنه العادل بمصر واستيلاء ابنه الآخر نجم الدين أيوب على دمشق ..... ١٤٤١	مسير الظاهر والأفضل إلى حصار دمشق ..... ١٤٣١
أخبار الخوارزمية ..... ١٤٤١	حصار ماردين ثم الصلح بين العادل والأشرف ..... ١٤٣١
مسير الصالح إلى مصر واعتقال الناصر له بالكرك ..... ١٤٤١	أخذ البلاد من يد الأفضل ..... ١٤٣٢
وفاة شيركوه صاحب مصر وولاية ابنه إبراهيم المنصور ..... ١٤٤١	واقعة الأشرف مع صاحب الموصل ..... ١٤٣٢
خلع العادل واعتقاله واستيلاء أخيه الصالح أيوب على مصر ..... ١٤٤٢	وصول الإفرنج إلى الشام والصلح معهم ..... ١٤٣٢
فتنة الخوارزمية ..... ١٤٤٢	غارة ابن ليون على أعمال حلب ..... ١٤٣٢
أخبار حلب ..... ١٤٤٢	استيلاء العادل على العادل على خلاط ..... ١٤٣٢
فتنة الصالح أيوب مع عمه الصالح إسماعيل على دمشق واستيلاء أيوب آخرًا عليها ..... ١٤٤٢	غارات الإفرنج بالشام ..... ١٤٣٣
	غارات الكرج على خلاط وأعمالها وملكيهم أرجيش ..... ١٤٣٣
	استيلاء العادل على الخبر ونصيبين من عمل سنجار وحصارها ..... ١٤٣٣
	وفاة الظاهر صاحب حلب وولاية ابنه العزيز ..... ١٤٣٤
	ولاية مسعود بن الكامل على اليمن ..... ١٤٣٤
	وصول الإفرنج من وراء البحر إلى سواحل الشام
	ومسيرهم إلى دمياط وحصارها واستيلاؤهم عليها ..... ١٤٣٤
	وفاة العادل واقتسم الملك بين بنيه ..... ١٤٣٥

نهوض البحريبة بالغيث صاحب الكرك وانهزامهم ..... ١٤٥٣	مسير الصالح أيوب إلى دمشق أولاً وثانياً وحصار محص وما كان مع ذلك من الأحداث ..... ١٤٤٣
خلع المنصور علي بن أبيك واستبداد قطر بالملك ..... ١٤٥٣	استيلاء الإفرنج على دمياط ..... ١٤٤٣
استيلاء التتر على الشام وانقراض أمر بني أيوب ثم مسير قطر بالعساكر وارتجاعه الشام من أيدي التتر ..... ١٤٤٣	استيلاء الصالح على الكرك ..... ١٤٤٣
وهزيمتهم وحصول الشام في ملك الترك ..... ١٤٤٤	وفاة الصالح أيوب صاحب مصر والشام وسيد ملوك الترك بمصر وولاية ابنه تورانشاه وهزيمة الإفرنج وأسر ملوكهم ..... ١٤٤٤
مقتل المظفر وولادة الظاهر بيبرس ..... ١٤٥٤	مقتل المعظم تورانشاه وولاية شجرة الدر وفداء الفرنسيين بدماط ..... ١٤٤٤
انتقاض سنجار الحلبي بدمشق ثم أقوش البرلي بحلب ..... ١٤٥٥	استيلاء الناصر صاحب حلب على دمشق وبيعة الترك بمصر لموسى الأشرف بن أطسر بن المسعود ..... ١٤٤٥
البيعة للخلفية بمصر ثم مقتله بالخديبة وغانة على بد التتر والبيعة للأخر الذي استقرت الحالفة في عقبه ..... ١٤٥٥	صاحب اليمين وتراجعيهما ثم صلحهما ..... ١٤٤٥
بعض ..... ١٤٥٥	خلع الأشرف بن أطسر واستبداد أبيك وأمراء الترك بمصر ..... ١٤٤٥
فرار التركمان من الشام إلى بلاد الروم ..... ١٤٥٦	مسير الغيث بن العادل صاحب الكرك مع البحريبة إلى مصر وانهزامهم ..... ١٤٤٦
انتقاض الأشرفية والعزيزية واستيلاء البرلي على البير ..... ١٤٥٦	زحف الناصر صاحب دمشق إلى الكرك وحصارها والقبض على البحريبة ..... ١٤٤٦
استيلاء الظاهر على الكرك من يد الغيث وعلى محص بعد وفاة صاحبها ..... ١٤٥٧	استيلاء التتر على الشام وانقراض ملك بني أيوب وهللاك من هلك منهم ..... ١٤٤٦
هزيمة التتر على البير وفتح قيسارية وأرسوف بعدها ... ١٤٥٧	دولة الترك ..... ١٤٤٨
غزو طرابلس وفتح صفد ..... ١٤٥٧	الخبر عن دولة الترك القائمين بالدولة العباسية بمصر والشام من بعد بني أيوب وهذا المهد ومبادئي أمورهم وتصاريف أحواهم ..... ١٤٤٨
مسير العساكر لغزو الأرمن ..... ١٤٥٨	ذكر بيبرس البندقداري ..... ١٤٤٩
مسير الظاهر لغزو حصون الإفرنج بالشام وفتح يافا والشقيف ثم أنطاكية ..... ١٤٥٨	الخبر عن استبداد الترك بمصر وانفرادهم بها عن بني أيوب ودولة المعز أبيك أول ملوكهم ..... ١٤٥٠
الصلح مع التتر ..... ١٤٥٩	نهوض الناصر صاحب دمشق من بني أيوب إلى مصر وولاية الأشرف موسى مكان أبيك ..... ١٤٥١
استيلاء الظاهر على صهيون ..... ١٤٥٩	واقعة العرب بالصعيد مع أنطاكى ..... ١٤٥١
نهوض الظاهر إلى الحج ..... ١٤٥٩	مقتل أنطاكى الجامدار وفار البحريبة إلى الناصر ورجوع أبيك إلى كرسيه ..... ١٤٥٢
إغارة الإفرنج والتتر على حلب ونهوض السلطان إليهم ..... ١٤٦٠	فرار الأفرم إلى الناصر بدمشق ..... ١٤٥٢
فتح حصن الأكراد وعكا وحصون صور ..... ١٤٦٠	مقتل المعز أبيك وولاية ابنه علي المنصور ..... ١٤٥٢
استيلاء الظاهر على حصون الإسماعيلية بالشام ..... ١٤٦٠	
حصار التتر البير وهزيمتهم عليها ..... ١٤٦٠	
غزوة سيس وتخربيها ..... ١٤٦١	
إيقاع الظاهر بالتتر في بلاد الروم ومقتل البروانة بمدخلته في ذلك ..... ١٤٦١	
وفاة الظاهر وولاية ابنه السعيد ..... ١٤٦١	
خلع السعيد وولاية أخيه شلامس ..... ١٤٦٢	
خلع شلامش وولاية المنصور قلاون ..... ١٤٦٢	

وحشة الناصر من كافلية بيبرس وسلام ولحاقه بالكرك	١٤٧٨	انتفاض السعيد بن الظاهر بالكرك ووفاته وولاية أخيه خسرو مكانه	١٤٦٣
وخلعه والبيعة لبيبرس .....	١٤٧٨	انتفاض ستر الأشرف بدمشق هزيمته ثم امتناعه بصفهون.	١٤٦٣
انتفاض الأمير بيبرس وعد الناصر إلى ملوكه .....	١٤٧٨	مسير السلطان لحصار المرقب ثم الصلح معهم ومع ستر الأشرف بصفهون ومعبني الظاهر بالكرك .....	١٤٦٤
خبر سلام وماك أمره .....	١٤٧٩	واقعة التتر بمصص ومملك ابنه سلطانهم باشرها .....	١٤٦٤
انتفاض التواب بالشام ومسيرهم إلى التتر وولاية تذكر على الشام .....	١٤٧٩	استيلاء السلطان قلاوون على الكرك وعلى صهيون	
رجوع حماة إلىبني المظفر شاهنشاه بن أيوب ثم لبني الأفضل منهم وانقراض أمرهم .....	١٤٨٠	وفاة صاحب حماة .....	١٤٦٥
غزو العرب بالصعيد وفتح ملطية وأمد .....	١٤٨١	وفاة ميخائيل ملك القدسية .....	١٤٦٥
الولايات .....	١٤٨١	أخبار التوربة .....	١٤٦٦
العمائر .....	١٤٨١	فتح طرابلس .....	١٤٦٦
حجّات السلطان .....	١٤٨١	إنشاء المدرسة والمدارستان بمصر .....	١٤٦٧
أخبار التوربة وإسلامهم .....	١٤٨٢	وفاة المنصور قلاوون وولاية ابنه خليل الأشرف .....	١٤٦٧
بقية أخبار الأرمن إلى الفتح أليس ثم فتح سيسين وانقراض أمرهم .....	١٤٨٢	فتح عكا وتغريبها .....	١٤٦٨
الصلح مع ملوك التتر وصهر الناصر مع ملوك الشمال منهم .....	١٤٨٣	فتح قلعة الروم .....	١٤٦٨
مقتل أولاد بني ثمي أمراء مكة من بني حسن .....	١٤٨٤	مسير السلطان إلى الشام وصلح الأرمن ومكثه في مصياف وهدم الشوبك .....	١٤٦٨
حج ملك التكرور .....	١٤٨٤	مقتل الأشرف وولاية أخيه محمد الناصر في كفالة كتبغا .....	١٤٦٩
المجادل ملك اليمن .....	١٤٨٥	وحشة كتبغا ومقتل الشجاعي .....	١٤٦٩
ولاية أحد ابن الملك الناصر على الكرك .....	١٤٨٥	خلع الناصر وولاية كتبغا العادل .....	١٤٧٠
وفاة مرداش بن جوبان شحنة بلاد الروم ومقتله .....	١٤٨٥	خلع العادل كتبغا وولاية لاشين المنصور .....	١٤٧٠
وفاة مهنا بن عيسى أمير العرب بالشام وأخبار قومه .....	١٤٨٦	فتح حصرون سيس .....	١٤٧١
وفاة أبي سعيد ملك العراق وانفراط أمر بني هلاكر .....	١٤٨٨	مقتل لاشين وعد الناصر محمد بن قلاوون إلى ملوكه .....	١٤٧٢
وصول هدية ملك المغرب الأقصى مع رسالته وكريمه صحبة الحاج .....	١٤٨٨	واقعة التتر على الناصر واستيلاء غازان على الشام ثم ارجاعه منه .....	١٤٧٣
وفاة الخليفة أبي الريبع وولاية ابنه .....	١٤٨٩	وفاة الخليفة الحاكم وولاية ابنه المستكفي والغزارة إلى العرب بالصعيد .....	١٤٧٤
نكبة تذكر ومقتله .....	١٤٨٩	تقرب العهد لأهل الذمة .....	١٤٧٤
وفاة الملك الناصر وابنه أنور قبله وولاية ابنه أبي بكر ثم كجل .....	١٤٩٠	إيقاع الناصر بالتتر على شقحب .....	١٤٧٥
مقتل فرسون ودولة أحد بن الملك الناصر .....	١٤٩٠	أخبار الأرمن وغزو بلادهم وادعاؤهم الصلح ثم مقتل ملوكهم صاحب سيس على يد التتر .....	١٤٧٦
مسير السلطان أحد إلى الكرك واتفاق الأمراء على خلعه والبيعة لأخيه الصالح .....	١٤٩١	مراسلة ملك المغرب ومهاداته .....	١٤٧٧

حج السلطان الأشرف وانتقاض المالك عليه بالعقبة	ثورة رمضان بن الناصر ومقتله وحصار الكرك ومقتل
وما كان مع ذلك من ثورة قرطاي بالقاهرة وبيعة	السلطان أحد ..... ١٤٩١
الأمير علي ولـي العهد ومقتل السلطان إثر ذلك .....	وفاة الصالح بن الناصر وولاية أخيه الكامل ..... ١٤٩١
بعيـ طشتـرـ من العقبـةـ وـانـزـامـهـ شـمـ مـسـبـرـهـ إـلـىـ الشـامـ	مقتل الكامل وبيعة أخيه المظفر حاجي ..... ١٤٩١
وـتجـديـدـ الـبيـعـةـ لـلـمـنـصـورـ بـإـذـنـ الـخـلـيفـةـ وـتـقـديـهـ .....	مقتل المظفر حاجي بن الناصر وبيعة أخيه حسن الناصر
نكبة قرطاي واستقلال أبيك بالدولة ثم مهلكـهـ	ودولـتهـ الـأـوـلـ ..... ١٤٩٢
استبداد الأمـيرـينـ أـبـيـ سـعـيدـ بـرـقـوقـ وـبرـكـةـ بـالـدـوـلـةـ مـنـ	مقتل أرغون شـاهـ نـائـبـ دـمـشـقـ ..... ١٤٩٢
بعدـ أـبـيـكـ وـوـصـولـ طـشـتـرـ مـنـ الشـامـ وـقـيـامـهـ	نكبة بـيقـارـوسـ ..... ١٤٩٣
بـالـدـوـلـةـ ثـمـ نـكـبـتـهـ .....	واقـعـةـ الـظـاهـرـ مـلـكـ الـيـمـنـ بـعـكـةـ وـاعـتـقـالـهـ ثـمـ إـطـلاقـهـ ..... ١٤٩٣
ثـورـةـ أـنـيـالـ وـنـكـبـتـهـ .....	خلـعـ حـسـنـ النـاصـرـ وـوـلـاـيـةـ أـخـيـهـ الصـالـحـ ..... ١٤٩٣
ثـورـةـ بـرـكـةـ وـنـكـبـتـهـ وـاسـتـقـلـالـ أـمـيرـ بـرـقـوقـ بـالـدـوـلـةـ .....	انتـقـاضـ بـيقـارـوسـ وـاسـتـلـاؤـهـ عـلـىـ الشـامـ وـمـسـيرـ
انتـقـاضـ أـهـلـ الـبـحـيرـةـ وـوـاقـعـةـ الـعـساـكـرـ .....	الـسـلـطـانـ إـلـيـهـ وـمـقـتـلـهـ ..... ١٤٩٣
مقـتـلـ بـرـكـةـ فـيـ حـبـسـهـ وـقـتـلـ اـبـنـ عـزـامـ بـثـارـهـ .....	وـاقـعـةـ الـعـربـ بـالـصـعـيدـ ..... ١٤٩٤
وفـاةـ السـلـطـانـ الـمـنـصـورـ عـلـيـ بـنـ الـأـشـرـفـ وـوـلـاـيـةـ الصـالـحـ	خلـعـ الصـالـحـ وـوـلـاـيـةـ حـسـنـ النـاصـرـ الثـانـيـ ..... ١٤٩٤
أـمـيرـ حـاجـ .....	مـهـلـكـ شـيـخـرـ ثـمـ سـرـغـتـمـشـ بـعـدـ وـاسـتـبـدـادـ السـلـطـانـ
وـصـولـ أـنـسـ الغـنـانـيـ وـالـدـ أـمـيرـ بـرـقـوقـ وـانتـقـاضـهـ فـيـ	بـأـمـرـهـ ..... ١٤٩٤
الـأـمـرـاءـ .....	ثـورـةـ بـيـقاـ وـمـقـتـلـ السـلـطـانـ حـسـنـ وـوـلـاـيـةـ مـنـصـورـ اـبـنـ
خلـعـ الصـالـحـ أـمـيرـ حـاجـ وـجـلوـسـ بـرـقـوقـ عـلـىـ التـختـ	الـمـعـظـمـ حـاجـيـ فـيـ كـفـالـةـ بـيـقاـ ..... ١٤٩٥
وـاسـتـبـدـادـهـ بـالـسـلـطـانـ .....	انتـقـاضـ اـسـتـدـمـرـ بـدـمـشـقـ ..... ١٤٩٥
مقـتـلـ قـرـطـ وـخـلـعـ الـخـلـيفـةـ وـنـصـبـ اـبـنـ عـمـهـ الـوـاثـقـ	وـفـاةـ الـخـلـيفـةـ الـمـعـتـضـدـ بـنـ الـمـسـكـفـيـ وـوـلـاـيـةـ اـبـنـ الـمـوـكـلـ .. ١٤٩٥
لـلـخـلـافـةـ .....	خلـعـ الـمـنـصـورـ وـوـلـاـيـةـ الـأـشـرـفـ ..... ١٤٩٦
نـكـبـةـ النـاصـريـ وـاعـتـقـالـهـ .....	وـاقـعـةـ الـإـسـكـنـدـرـيـةـ ..... ١٤٩٦
إـقصـاءـ الـجـوبـيـانـيـ إـلـىـ الـكـرـكـ ثـمـ وـلـاـيـةـ عـلـىـ الشـامـ بـعـدـ	ثـورـةـ الطـوـرـيلـ وـنـكـبـتـهـ ..... ١٤٩٧
وـاقـعـةـ بـنـدـمـ .....	ثـورـةـ الـمـالـكـ بـيـقاـ وـمـقـتـلـهـ وـاسـتـبـدـادـ اـسـتـدـمـرـ ..... ١٤٩٧
هـدـيـةـ صـاحـبـ إـفـرـيقـيـةـ .....	وـاقـعـةـ الـاجـلـابـ ثـمـ نـكـبـتـهـ وـمـهـلـكـ اـسـتـدـمـرـ وـذـهـابـ
حـوـادـثـ مـكـةـ وـأـمـرـانـهـ .....	دـوـلـتـهـ ..... ١٤٩٨
انتـقـاضـ مـنـطاـشـ بـلـطـيـةـ وـلـاحـقـهـ بـسـيـواـسـ وـمـسـيرـ الـعـساـكـرـ	مـقـتـلـ قـشـمـ الـمـنـصـورـيـ بـحـلـبـ فـيـ وـاقـعـةـ الـعـربـ ..... ١٤٩٩
فـيـ طـلـبـهـ .....	اسـتـبـدـادـ الـجـائـيـ الـبـرـسـفيـ ثـمـ اـنـقـاضـهـ وـمـقـتـلـهـ ..... ١٤٩٩
نـكـبـةـ الـجـوبـيـانـيـ وـاعـتـقـالـهـ بـالـإـسـكـنـدـرـيـةـ .....	انتـقـاضـ الـجـائـيـ الـبـرـسـفيـ وـمـهـلـكـهـ وـاسـتـبـدـادـ الـأـشـرـفـ
فـتـنـةـ النـاصـريـ وـاسـتـلـاؤـهـ عـلـىـ الشـامـ وـمـصـرـ وـاعـتـقـالـ	بـمـلـكـهـ مـنـ بـعـدـ ..... ١٤٩٩
الـسـلـطـانـ بـالـكـرـكـ .....	اسـتـقـدامـ منـجـكـ لـلـنـيـابـةـ ..... ١٥٠٠
ثـورـةـ مـنـطاـشـ وـاسـتـلـاؤـهـ عـلـىـ الـأـمـرـ وـنـكـبـةـ الـجـوبـيـانـيـ	الـخـبرـ عـنـ مـالـكـ بـيـقاـ وـتـرـشـيـحـهـ فـيـ الدـوـلـةـ ..... ١٥٠٠
وـحـبـسـ النـاصـريـ وـالـأـمـرـاءـ الـبـيـقاـوـيـةـ بـالـإـسـكـنـدـرـيـةـ ..	
ثـورـةـ بـذـلـارـ بـدـمـشـقـ .....	

نزول الظاهر للمجاهد عن الدملوة ومقتله ..... ١٥٢٨	خروج السلطان من الكرك وظفره بعساكر الشام وحاصره دمشق ..... ١٥١٥
حج المجاهد علي بن المؤيد داود وواقعته مع أمراء مصر واعتقاله بالكرك ثم إطلاقه ورجوعه إلى ملكه ..... ١٥٢٨	ثورة المعتقلين بقوص ومسير العساكر اليهم واعتقالهم ..... ١٥١٦
ولادة الأفضل عباس بن المجاهد علي ..... ١٥٢٨	ثورة كمشيقاً بحلب وقيامه بدعرة السلطان ..... ١٥١٦
ولادة المنصور محمد بن الأفضل عباس ..... ١٥٢٩	ثورة أنيال بصفد بدعرة السلطان ..... ١٥١٧
ولادة أخيه الأشرف بن الأفضل عباس ..... ١٥٢٩	مسير منطاش وسلطانه أمير حاجي إلى الشام وانهزامهم ودخول منطاش إلى دمشق وظفر السلطان الظاهر بأمير حاجي والخليفة والقضاة وعدوه لملكه ..... ١٥١٧
الخبر عن دولة التتر من شعوب الترك وكيف تغلبوا على المالك الإسلامية وانتزوا على كرسى الخلافة ببغداد وما كان لهم من الدول المفترقة وكيف أسلموا بعد ذلك ومبداً أمرهم وتصاريف أحواളهم ..... ١٥٢٩	ثورة بكا والمعتقلين بالقلعة واستيلاؤهم عليها بدعرة السلطان الظاهر وعدوه إلى كرسيه بمصر وانتظام أمره ..... ١٥١٨
استيلاء التتر على مالك خوارزم شاه فيما وراء النهر وخراسان ومهلك خوارزم شاه وتولية محمد بن تكش ..... ١٥٣٠	ولادة الجوباني على دمشق واستيلاؤه عليها من يد منطاش ثم هزيمته ومقتله وولادة الناصري مكانه .. ١٥١٩
مسير التتر المغيرة بعد خوارزم شاه إلى العراق وأذربيجان واستيلاؤهم عليها إلى بلاد قفقاق والروس وببلاد الخزر ..... ١٥٣١	إعادة محمد إلى أستاذية الدار واستقلاله في الدولة ..... ١٥٢٠
مسير جنكيزخان إلى خراسان وتغلبه على أعمالها وعلى خوارزم شاه ..... ١٥٣٢	مسير منطاش ويعبر إلى نواحي حلب وحاصرها ثم مقارفة يعبر وحاصره عتاب ثم رجوعه ..... ١٥٢٠
إنفصال جلال الدين ومسير التتر في اتباعه وفراره إلى المهد ..... ١٥٣٢	قدوم كمشيقاً من حلب ..... ١٥٢١
أخبار غياث الدين بن خوارزم شاه مع التتر ..... ١٥٣٣	استقدام أيتمش ..... ١٥٢١
رجوع جلال الدين من المهد واستيلاؤه على العراق وكرمان وأذربيجان ثم زحف التتر إليه ..... ١٥٣٣	هدية أفريقية ..... ١٥٢٢
مسير التتر إلى أذربيجان واستيلاؤهم على تبريز ثم واقعتهم على جلال الدين يآمد ومقتله ..... ١٥٣٣	حصار منطاش دمشق ومسير السلطان من مصر إليه وفراره ومقتل الناصري ..... ١٥٢٢
التعريف بجنكيزخان وقسمة الأعمال بين ولده وانفراده بالكرسي في قراقروم وببلاد الصين ..... ١٥٣٤	مقتل منطاش ..... ١٥٢٣
ملوك التخت بقراقروم من بعد جنكيزخان ..... ١٥٣٦	حوادث مكة ..... ١٥٢٤
ملوك بني جنطاي بن جنكيزخان بتركستان وكاشغر وما وراء النهر ..... ١٥٣٧	وصول أحياء من التتر وسلطانهم إلى صاحب بغداد وستيلاؤه عليها ومسير السلطان بالعساكر إليه ..... ١٥٢٥
الخبر عن ملوك بني دوشي خان من التتر ملوك خوارزم ودست القفقاق ومبادئ أمرهم وتصاريف أحواളهم ..... ١٥٣٨	الخبر عن دولة بني رسول مولى بني أيوب الملوك باليمن بعدم ومبداً أمرهم وتصاريف أحواളهم ..... ١٥٢٦
	ثورة جلال الدين بن عمر الأشرف وحبسه ..... ١٥٢٧
	ثورة جلال الدين ثانياً وحبس المجاهد وبيعة المنصور أيوب بن المظفر يوسف ..... ١٥٢٧
	خلع المنصور أيوب ومقتله وعود المجاهد إلى ملكه ومنازعة الظاهر بن المنصور أيوب له ..... ١٥٢٧
	وصول العساكر من مصر مددًا للمجاهد واستيلاؤه على أمره وصلحة مع الظاهر ..... ١٥٢٨

الخبر عن بي ارتنا ملوك بلاد الروم من المغل بعد بني هلاكر واللام مبادي أمرهم ومصايرهم.....	١٥٥١	دوشي خان بن جنكيز خان .....
الخبر عن الدولة المستجدة للتركمان في شمال بلاد الروم إلى خليج القسطنطينية وما وراء لبني عثمان وإخوته.....	١٥٥٣	ناظو خان بن دوشى خان .....
الطبقة الرابعة من العرب المستعجمة أهل الجيل الناشئ لهذا العهد من بقية أهل الدولة الإسلامية من العرب .....	١٥٥٥	طرطرو بن دوشى خان .....
خبر آل فضل وبني منها منهم دولتهم بالشام والعراق ..	١٥٥٧	منكوتغر بن طغان بن ناظو خان .....
الخبر عن دخول العرب من بني هلال وسلمي المغرب من الطبقة الرابعة وأجيالهم هنالك ..	١٥٦٠	أزبك بن طغري باتاي بن منكوتغر .....
الخبر عن الأثيبي وبطونهم من هلال بن عامر من هذه الطبقة الرابعة .....	١٥٦٥	برديبك بن جانى .....
الخبر عن جسم الموطنين سائط المغرب وبطونهم من هذه الطبقة .....	١٥٦٨	مامى المتغلب على مملكة هراي .....
ال الخلط من جشم ..... بنو جابر بن جشم .....	١٥٦٩ ١٥٧٠	حروب السلطان غر مع طقطمش صاحب صرای .....
العاصم ومقدم من الأثيبي .. الخبر عن رياح وبطونهم من هلال بن عامر من هذه الطبقة الرابعة .....	١٥٧٠ ١٥٧٠	ملوك غزنة وباميان من بني دوشى خان .....
ال الخبر عن سعادة القائم بالسنة في رياح وسائل أمره وتصارييف أحواله .....	١٥٧٣	دولة بني هلاكر ملوك التتر كفور بن وخراسان ومبادي أمورهم وتصارييف أحوالهم .....
الخبر عن زغبة وبطونهم من هلال بن عامر من هذه الطبقة الرابعة .....	١٥٧٥	هلاكو بن طولي .....
بنو يزيد بن زغبة .....	١٥٧٥	أبغا بن هلاكو .....
بنو حصين بن زغبة .....	١٥٧٦	تكدار بن هلاكو ويسمى أحد .....
بنو مالك بن زغبة .....	١٥٧٧	أرغو بن أبغا .....
بنو عامر بن زغبة .....	١٥٧٩	كتخاتون بن أبغا .....
عروة بن زغبة .....	١٥٨٢	بيدو بن طرغاي بن هلاكو .....
الخبر عن المعلم من بطون هذه الطبقة الرابعة وأنسابهم وتصارييف أحوالهم .....	١٥٨٢	قازن بن أرغو .....
ذوو عبيد الله .....	١٥٨٣	خربيدا بن أرغو .....
الثعالبة .....	١٥٨٤	أبو سعيد بن خربندا .....
ذوو منصور .....	١٥٨٥	اضطرباب دولة بني هلاكو وانقسام الملك طوائف في أعمالهم وإنفراد الشيخ حسن ببغداد واستيلاء بنيه معها على توريز وما كان لهم فيها من الملك والدولة وابتداها ومصايرها .....
		١٥٤٧
		أوس بن الشيخ حسن .....
		مقتل إسماعيل واستيلاء حسين على بغداد ثم ارتجاعها منه .....
		١٥٤٨
		انتقام حسن واستيلاؤه على توريز وقتل حسين .....
		١٥٤٨
		انتقام عادل ومسيره لقتال أحد .....
		١٥٤٩
		مقتل الشيخ علي واستيلاء أحد على بغداد .....
		١٥٤٩
		استيلاء غر على بغداد وخلق أحد بالشام .....
		١٥٥٠
		الخبر عن بني المظفر البزدي المغلبين على أصفهان وفارس بعد انصرافه دولة بني هلاكو وابتداها أمورهم ومصايرها .....



الخبر عن ملطة وكزولة وهسكورة بني تصكي وهم إخوة هوارة وصنهاجة ..... ١٦٥٧	دولة الحسن بن علي ..... ١٦٣٥
الطبقة الثالثة من صنهاجة ..... ١٦٥٨	الخبر عن بني خراسان من صنهاجة الثوار بتونس على آل باديس عند اضطراب أفريقية بالعرب ومبدأ أمرهم ومصاير أحواهم ..... ١٦٣٥
الخبر عن الصامدة من قبائل البرير وما كان لهم من الدولة والسلطان بال المغرب ومبدأ ذلك وتصاريقه .. ١٦٥٩	الخبر عن بني الرند ملوك ققصة التائرين بها عند التبات ملك آل باديس بالقيروان واضطرابه بفتنة العرب ومبدأ دولتهم ومصاير أمرهم ..... ١٦٣٦
الخبر عن برغواطة من بطون المصامدة ودولتهم ومبدأ أمرهم وتصارييف أحواهم ..... ١٦٥٩	الخبر عن بني جامع الملاليين أمراء قابس لعهد الصنهاجيين وما كان لتميم بها من الملك والدولة وذلك عند فتنة العرب بأفريقية ..... ١٦٣٧
الخبر عن غماره من بطون المصامدة وما كان فيهم من الدول وتصارييف أحواهم ..... ١٦٦١	الخبر عن ثورة رافع بن مكن بن مطروح بطرابلس والقرياني بصفاقس على النصارى وإخراجهم واستبدادهم بأمر بلدتهم في آخر دولة بني باديس .. ١٦٣٨
الخبر عن سبتة ودولة بني عصام بها ..... ١٦٦١	الخبر عما كان بإفريقية من الشوار على صنهاجة عند اضطرابها بفتنة العرب إلى أن حاصل الموحدون . ١٦٣٨
الخبر عن بني صالح بن منصور ملوك نكور ودولتهم في غماره وتصارييف أحواهم ..... ١٦٦٢	الخبر عن دولة آل حماد بالقلعة من ملوك صنهاجة الداعية لخلافة العبيدين وما كان لهم من الملك والسلطان بإفريقية والغرب الأوسط إلى حين انقضائه بالموحدين ..... ١٦٣٩
الخبر عن حاميم النبي من غماره ..... ١٦٦٣	ملوك بني حبوس الخبر عن ملوك بني حبوس بن ماكسين من بني زيري من صنهاجة بغرنطة من عدوة الأندلس وأولية ذلك ومصايره ..... ١٦٤٣
الخبر عن دولة الأدارسة في غماره وتصارييف أحواهم .. ١٦٦٤	الطبقة الثانية من صنهاجة وهم المثلثون وما كان لهم بالغرب من الملك والدولة ..... ١٦٤٤
الخبر عن دولة بني حمود ومواليهم سبتة وطنجة وتصارييف أحواهم وأحوال غماره من بعدهم ..... ١٦٦٦	الخبر عن دولة المرابطين من لتونة وما كان لهم بالعدوين من الملك وأولية ذلك ومصايره ..... ١٦٤٥
الخبر عن أهل جبال درن بال المغرب الأقصى من بطون المصامدة وما كان لهم من الظهور والأحوال ومباديء أمرهم وتصارييفها ..... ١٦٦٧	الخبر عن دولة ابن غانية من بقية المرابطين وما كان لها من الملك والسلطان بناحية قابس وطرابلس وإجلابه على الموحدين ومظاهر قرافقش الغزي له على أمره وأولية ذلك ومصايره ..... ١٦٤٩
الخبر عن بني الهدي ودعوته وما كان للموحدين القائمين بها على يد بني عبد المؤمن من السلطان والدولة بالعدوين وإفريقية وبداية ذلك وتصاريقه. ١٦٦٨	رجوع الخبر إلى ابن غانية ..... ١٦٥١
الخبر عن دولة عبد المؤمن خليفة الهدي والخلفاء الأربع من بيته ووصف أحواهم ومصاير أمرهم ..... ١٦٧٠	الخبر عن ملوك السودان المجاورين للغرب من وراء هؤلاء المثلثين ووصف أحواهم والإسلام بما اتصل بنا من دولتهم ..... ١٦٥٤
فتح الأندلس وشونتها ..... ١٦٧٢	
فتح إفريقية وشونتها ..... ١٦٧٤	
بقية فتح الأندلس ..... ١٦٧٤	
بقية فتح إفريقية ..... ١٦٧٤	
أخبار ابن مردنيش التائز بشرق الأندلس ..... ١٦٧٥	
دولة الخليفة يوسف بن عبد المؤمن ..... ١٦٧٥	
فتنة غماره ..... ١٦٧٦	
أخبار الأندلس ..... ١٦٧٦	
الخبر عن انتقاض ققصة واسترجاعها ..... ١٦٧٧	
معاودة الجهاد ..... ١٦٧٧	

الخبر عن إمارة أبي محمد ابن الشيخ أبي حفص	١٦٧٧	دولة ابنه يعقوب المنصور .....
بأفريقيـة وهي أولـية أمرـهم بها .....	١٦٧٧	الـخبر عن شـأن ابن عـانية .....
وـقـيـعة تـاـهـرـت وـما كانـ منـ أـبـيـ مـحـمـدـ فـيـ تـلـافـيـهـا	١٦٧٩	أـخـبـارـهـ فـيـ الـجـهـاد .....
وـاسـتـقـاذـ غـنـائـهـا .....	١٦٩٨	الـخـبـرـ عنـ وـصـولـ اـبـنـ مـنـقـذـ بـالـمـدـيـةـ مـنـ قـبـلـ صـاحـبـ
وـاقـعـةـ نـفـوسـةـ وـمـهـلـكـ العـرـبـ وـالـمـلـمـشـينـ بـهـا .....	١٦٩٨	الـدـيـارـ الـمـصـرـيـةـ .....
الـخـبـرـ عنـ مـهـلـكـ الشـيـخـ أـبـيـ مـحـمـدـ اـبـنـ الشـيـخـ أـبـيـ حـفـصـ	١٦٨٠	دـوـلـةـ النـاصـرـ بـنـ الـمـنـصـورـ .....
وـلـوـلـيـةـ اـبـنـ عـبدـ الرـحـمـنـ .....	١٦٩٩	فـتـحـ مـيـرـوقـةـ .....
الـخـبـرـ عنـ لـوـلـيـةـ السـيـدـ أـبـيـ العـلـاـ عـلـىـ أـفـرـيـقـيـةـ وـابـنـ أـبـيـ	١٦٨١	خـبـرـ إـفـرـيـقـيـةـ وـتـغـلـبـ اـبـنـ عـانـيـةـ عـلـيـهـاـ وـلـاـيـةـ أـبـيـ مـحـمـدـ بـنـ
زـيـدـ مـنـ بـعـدـ وـأـخـارـهـمـ فـيـهـاـ وـاعـتـراـضـهـمـ فـيـ	١٦٨٢	أـبـيـ الشـيـخـ أـبـيـ حـفـصـ .....
الـدـوـلـةـ الـخـفـصـيـةـ .....	١٦٩٩	أـخـبـارـهـ فـيـ الـجـهـاد .....
الـخـبـرـ عنـ وـلـاـيـةـ أـبـيـ مـحـمـدـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ أـبـيـ مـحـمـدـ اـبـنـ	١٦٨٢	ثـوـرـةـ اـبـنـ الفـرـسـ .....
الـشـيـخـ أـبـيـ حـفـصـ وـمـاـ كـانـ فـيـهـاـ مـنـ الـأـحـادـاثـ .....	١٧٠٠	دـوـلـةـ الـمـسـتـصـرـ بـنـ الـنـاصـرـ .....
الـخـبـرـ عنـ لـوـلـيـةـ الـأـمـيـرـ أـبـيـ زـكـرـيـاـ عـبـدـ الدـوـلـةـ لـأـلـ أـبـيـ	١٦٨٣	الـخـبـرـ عنـ دـوـلـةـ الـمـخـلـوـعـ أـخـيـ الـمـنـصـورـ .....
حـفـصـ بـأـفـرـيـقـيـةـ وـرـافـعـ الـرـابـةـ هـمـ بـالـلـكـ وـأـلـيـةـ	١٦٨٣	الـخـبـرـ عنـ دـوـلـةـ الـعـادـلـ بـنـ الـمـنـصـورـ .....
ذـلـكـ وـبـدـايـهـ .....	١٧٠٠	الـخـبـرـ عنـ دـوـلـةـ الـمـؤـمـونـ بـنـ الـمـنـصـورـ وـمـزـاحـةـ بـحـيـيـ بـنـ
الـخـبـرـ عنـ اـسـتـبـادـ الـأـمـيـرـ أـبـيـ زـكـرـيـاـ بـالـأـمـرـ لـبـنـيـ عـبـدـ	١٦٨٤	الـنـاصـرـ لـهـ .....
الـلـؤـمـ .....	١٧٠١	الـخـبـرـ عنـ دـوـلـةـ الرـشـيدـ بـنـ الـمـؤـمـونـ .....
الـخـبـرـ عنـ فـتـحـ بـجـاـيـةـ وـقـسـطـنـطـيـنـيـةـ .....	١٧٠١	الـخـبـرـ عنـ دـوـلـةـ السـعـيدـ بـنـ الـمـؤـمـونـ .....
الـخـبـرـ عنـ مـهـلـكـ اـبـنـ عـانـيـةـ وـحـرـكـةـ السـلـطـانـ إـلـىـ بـجـاـيـةـ	١٦٨٦	الـخـبـرـ عنـ دـوـلـةـ الـمـرـتضـيـ بـنـ أـخـيـ الـمـنـصـورـ .....
وـلـوـلـيـةـ اـبـنـ الـأـمـيـرـ أـبـيـ بـحـيـيـ زـكـرـيـاـ عـلـيـهـاـ .....	١٧٠١	الـخـبـرـ عنـ اـنـتـقـاضـ أـبـيـ دـبـوـسـ وـتـغـلـبـهـ عـلـىـ مـرـاكـشـ
الـخـبـرـ عنـ سـطـرـةـ السـلـطـانـ بـهـرـوـرـاـ .....	١٧٠٢	وـمـهـلـكـ الـمـرـتضـيـ وـمـاـ كـانـ فـيـ دـوـلـتـهـ مـنـ الـأـحـادـاثـ ..
الـخـبـرـ عنـ ثـوـرـةـ الـهـرـغـيـ بـطـرـابـلـسـ وـمـاـلـ أـمـرـهـ .....	١٦٨٧	الـخـبـرـ عنـ هـسـكـوـرـةـ .....
الـخـبـرـ عنـ بـيـعـةـ بـلـنـسـيـةـ وـمـرـسـيـةـ وـأـهـلـ شـرـقـ الـأـنـدـلـسـ	١٦٩٠	الـخـبـرـ عنـ بـقـاـيـاـ قـبـائـلـ الـمـوـحـدـينـ مـنـ الـمـصـامـدـةـ بـجـيـالـ درـنـ
وـوـفـدـهـمـ .....	١٧٠٢	بـعـدـ انـقـاضـ دـوـلـتـهـمـ بـمـرـاكـشـ وـتـصـارـيفـ أـحـواـلـهـمـ
الـخـبـرـ عنـ الـجـوـسـيـ وـأـلـيـتـهـ وـمـاـلـ أـمـرـهـ .....	١٦٩٢	هـلـذـاـ الـعـهـدـ .....
الـخـبـرـ عنـ فـتـحـ تـلـمـسـانـ وـدـخـولـ بـنـيـ عـبـدـ الرـادـ فـيـ الدـعـورـةـ	١٦٩٢	هـرـغـةـ .....
الـخـفـصـيـةـ .....	١٦٩٢	تـيـنـمـلـ .....
الـخـبـرـ عنـ دـوـلـ أـهـلـ الـأـنـدـلـسـ فـيـ الدـعـورـةـ الـخـفـصـيـةـ	١٦٩٢	هـتـاتـةـ .....
وـوـصـولـ بـيـعـةـ إـشـبـيلـيـةـ وـكـثـيرـ مـنـ أـمـصـارـهـاـ .....	١٦٩٤	كـدـمـيـوـ .....
الـخـبـرـ عنـ بـيـعـةـ أـهـلـ سـبـتـةـ وـطـنـجـةـ وـقـصـرـ اـبـنـ عـبـدـ الـكـرـيمـ	١٦٩٤	وـرـيـكـةـ .....
وـتـصـارـيفـ أـحـواـلـهـمـ وـمـاـلـ أـمـرـهـ .....	١٦٩٥	الـخـبـرـ عنـ بـنـيـ يـدـرـ أـمـرـاءـ السـوـسـ مـنـ الـمـوـحـدـينـ بـعـدـ
الـخـبـرـ عنـ بـيـعـةـ الـرـبـيـةـ .....	١٦٩٦	اـنـقـاضـ بـنـيـ عـبـدـ الـمـؤـمـنـ وـتـصـارـيفـ أـحـواـلـهـمـ .....
الـخـبـرـ عنـ بـيـعـةـ اـبـنـ الـأـخـرـ .....	١٦٩٧	الـخـبـرـ عنـ دـوـلـةـ بـنـيـ أـبـيـ حـفـصـ مـلـوـكـ أـفـرـيـقـيـةـ مـنـ
الـخـبـرـ عنـ بـيـعـةـ سـجـلـمـاسـةـ وـاـنـقـاضـهـاـ .....	١٦٩٧	الـمـوـحـدـينـ وـمـبـداـ أـمـرـهـمـ وـتـصـارـيفـ أـحـواـلـهـمـ .....

الخبر عن بيعة مكناة وما تقدمها من طاعةبني مرین ...	١٧٠٧
ال الخبر عن مهلك الأمير أبي زكريا ولـي العهد بمکان إمارته من بجاية وتصيير العهد إلى أخيه محمد ..	١٧٠٧
الخبر عن مهلك السلطان أبي زكريا وما كان عقبه من الأحداث ..	١٧٠٩
الخبر عن بيعة السلطان أبي عبد الله المستنصر وما كان في أيامه من الحوادث.....	١٧٠٩
الخبر عن ثورة ابن عمه محمد اللحاني ومقتله ومقتل أبيه ..	١٧٠٩
الخبر عن الآثار التي أظهرها السلطان في أيامه ..	١٧١٠
الخبر عن فرار أخيه أبي إسحاق وبيعة رياح له وما قارن ذلك من الأحداث ..	١٧١١
الخبر عن بنى النعمان ونكباتهم والخروج أثرها إلى الزاب ..	١٧١١
الخبر عن دعوة مكة ودخول أهلها في الدعوة الحفصية ..	١٧١١
الخبر عن الوفود من بنى مرین والسودان وغيرهم ..	١٧١٦
الخبر عن مقتل ابن الأبار وسيقة أوليته ..	١٧١٦
الخبر عن مقتل اللياني وأوليته وتصاريف أحواله ..	١٧١٧
الخبر عن انتقاض أبي علي الملبياني بمليانة على يد الأمير أبي حفص ..	١٧١٧
الخبر عن فرار أبي القاسم بن أبي زيد ابن الشيخ أبي محمد وخروجه في رياح ..	١٧١٨
الخبر عن خروج السلطان إلى المسيلة ..	١٧١٨
الخبر عن مقتل مشيخة الدواولة ..	١٧١٨
الخبر عن طاغية الإفرنجية ومنازلته تونس في أهل نصرانيته ..	١٧١٩
الخبر عن مهلك رئيس الدولة أبي عبد الله بن أبي الحسين وأبي سعيد العود الرطب ..	١٧٢١
الخبر عن انتقاض أهل الجزائر وفتحها ..	١٧٢٢
الخبر عن مهلك السلطان المستنصر ووصف شيء من أحواله ..	١٧٢٢
الخبر عن بيعة الواثق يعني بن المستنصر وهو المشهور بالمخلوع وذكر أحواله ..	١٧٢٣
الخبر عن نكبة ابن أبي الحسين واستبداد ابن الحبير على الدولة.....	١٧٢٣
الخبر عن إجازة السلطان أبي إسحاق من الأندلس ودخول أهل بجاية في طاعته ..	١٧٢٣
الخبر عن خروج الأمير أبي حفص بالعساكر للقاء السلطان أبي إسحاق ثم دخوله في طاعته وخلع الواثق ..	١٧٢٤
الخبر عن استيلاء السلطان أبي إسحاق على الحضرة ...	١٧٢٤
الخبر عن مقتل الواثق وولده ..	١٧٢٤
الخبر عن ولایة الأمير أبي فارس ابن السلطان أبي إسحاق على بجاية بعهد أخيه والسبب في ذلك ....	١٧٢٤
الخبر عن ثورة ابن الوزير بقضطنطينة ومقتله ..	١٧٢٥
الخبر عن قيادة أبناء السلطان العساكر إلى الجهاد ..	١٧٢٦
الخبر عن صهر السلطان مع عثمان بن يغماسن ..	١٧٢٦
الخبر عن ظهور الدعي ابن أبي عمارة وما وقع من الغريب في أمره ..	١٧٢٦
الخبر عن انقضاض عساكر السلطان وتقويضه عن تونس ..	١٧٢٧
الخبر عن خاق السلطان أبي إسحاق بجاية ودخول الدعي بن أبي عمارة إلى تونس وما كان من أمره بها ..	١٧٢٧
الخبر عن استبداد الأمير أبي فارس بالأمر عند وصول أبيه إليه ..	١٧٢٧
الخبر عن زحف الأمير أبي فارس للقاء الدعي ثم انهزامه أمامه واستلحامه وإخواته في المعركة وما كان أثر ذلك من مهلك أبيهم السلطان أبي إسحاق وفار أخיהם الأمير أبي زكريا إلى تلمسان.	١٧٢٧
الخبر عن ظهور الأمير أبي حفص وبيعته وما كان على أثر ذلك من الأحداث ..	١٧٢٨
الخبر عن خروج الدعي ورجوعه واستيلاء السلطان أبي حفص على ملکه وغلبه ومهلكه ..	١٧٢٨
الخبر عن استيلاء العدو على جزيرة جربة وميرقة ومنازلته المهدية وأجلابه على السواحل ..	١٧٢٨

الخبر عن ثورة ابن الأمين بقسطنطينية وبيعة السلطان أبي عصيبة ثم فتح السلطان أبي البقاء خالد لها وقتلها ..... ١٧٣٦	ال الخبر عن استيلاء الأمير أبي بكر زكريا على الغر العربي بجایة والجزائر وقسطنطينية وأولية ذلك ومصائره ..... ١٧٢٩
الخبر عن حركة السلطان أبي البقاء إلى الجزائر ..... ١٧٣٦	ال الخبر عن حركة الأمير أبي زكريا إلى ناحية طرابلس ومتازلة عثمان بن يغمراسن بجایة في مغبى ..... ١٧٣٠
الخبر عن السلم وشروطه بين صاحب تونس وصاحب بجاية ..... ١٧٣٧	ال الخبر عن فاتحة استبداد أهل الجريد ..... ١٧٣٠
الخبر عن سفر شيخ الدولة بتونس ابن اللحياني لحصار جربة ومضي منها إلى الحج ..... ١٧٣٧	ال الخبر عن خروج عثمان ابن السلطان أبي دبوس داعيًّا لنفسه بجهات طرابلس ..... ١٧٣٠
الخبر عن مهلك السلطان أبي عصيبة وخبر أبي بكر الشهيد ..... ١٧٣٧	ال الخبر عن مهلك أبي الحسين بن سيد الناس صاحب بجاية وولاية ابن أبي جبي مكانه ..... ١٧٣٠
الخبر عن استيلاء السلطان أبي البقاء على الحضرة وأنفراه بالدعوة المحفصية ..... ١٧٣٨	ال الخبر عن خروج الزاب عن طاعة الأمير أبي حفص إلى طاعة الأمير أبي زكريا صاحب بجاية وانتظام بسكرة في عمله ..... ١٧٣١
الخبر عن بيعة ابن مني ليحيى بن خالد ومصادر أمره ..... ١٧٣٨	ال الخبر عن مهلك أبي عبد الله الفازاري شيخ المحدثين وال حاجب أبي القاسم بن الشيشي رؤساء الدولة بالحضرمة ..... ١٧٣١
الخبر عن بيعة ابن عمر وأولية ذلك ..... ١٧٣٨	ال الخبر عن مهلك السلطان أبي حفص وعهده بالأمر من بعده ..... ١٧٣٢
الخبر عن استيلاء السلطان على بجاية ومقتل ابن خلوف وما كان من الإدارة في ذلك ..... ١٧٣٩	ال الخبر عن بيعة السلطان أبي عصيدة وما كان على أثراها من الأحوال ..... ١٧٣٢
الخبر عن مهلك السلطان أبي بكر زكريا على الحضرة ..... ١٧٤٠	ال الخبر عن نكبة عبد الحق بن سليمان وخبر بنيه من بعده ..... ١٧٣٣
الخبر عن قドوم ابن غمر على السلطان بجاية ونكبة ابن ثابت وظافر الكبير ..... ١٧٤٠	ال الخبر عن مراسلة يوسف بن يعقوب سلطان بنى مرiven ومهاداته ..... ١٧٣٣
الخبر عن متازلة عساكر بن عبد الواد بجاية وما كان في أثر ذلك من الأحداث ..... ١٧٤١	ال الخبر عن مقتل هندي وفتح الكعب وبعثهم لأبي دبوس وما كان بعد ذلك من نكباتهم ..... ١٧٣٤
الخبر عن استيلاد ابن غمر بجاية ..... ١٧٤١	ال الخبر عن انتخاب أهل الجزائر واستبداد ابن علان بها ..... ١٧٣٤
الخبر عن سفر السلطان أبي يحيى بن اللحياني إلى قابس وتغافيه عن الخلافة ..... ١٧٤٢	ال الخبر عن مهلك الأمير أبي زكريا صاحب بجاية وبيعة ابنه الأمير أبي البقاء خالد ..... ١٧٣٤
الخبر عن نهوض السلطان أبي بكر إلى الحضرة ..... ١٧٤٢	ال الخبر عن سفارة القاضي الغربي ومقتله ..... ١٧٣٥
ورجوعه إلى قسطنطينية ..... ١٧٤٢	ال الخبر عن سفارة الحاجب ابن أبي جبي إلى تونس وتنكر السلطان له بعدها وعزله ..... ١٧٣٥
الخبر عن استيلاء السلطان أبي بكر على الحضرة وإيقاعه بأبي ضرية وفرار أبيه من طرابلس إلى المشرق ..... ١٧٤٣	ال الخبر عن حجابة أبي عبد الرحمن بن غمر ومصائر أمره ..... ١٧٣٥

الخبر عن شأن العرب ومهلك حزة ثم أجلاب بنيه على الحضرة وانهزامهم ومقتل معز وزيرهم وما قارن ذلك من الأحداث ..... ١٧٥٣	ال الخبر عن مهلك الحاجب ابن عمر بمجاية وولاية الحاجب محمد بن القالون عليها ثم الإدالة منه بابن سيد الناس ..... ١٧٤٤
الخبر عن مهلك الحاجب ابن عبد العزيز وولاية أبي محمد بن تافراكن من بعده وما كان على ثقته ذلك من نكبة ابن الحكيم ..... ١٧٥٤	ال الخبر عن إمارة الأمير أبي عبد الله على قسطنطينية وأخيه الأمير أبي زكريا على مجاهة وتولية القالون على حجابته ..... ١٧٤٤
الخبر عن شأن الجرید واستكمال فتحه وولاية ابنه أبي العباس عليه وولاية صاحب قابس أحمد بن مكى على جزيرة جربة ..... ١٧٥٦	ال الخبر عن استقدام ابن القالون والإدالة منه بابن سيد الناس في مجاهة ويظافر الكبير في قسطنطينية ..... ١٧٤٥
الخبر عن مهلك الوزير أبي العباس بن تافراكن ..... ١٧٥٧	ال الخبر عن ظهور ابن أبي عمran وفرار ابن القالون إليه .. ١٧٤٥
الخبر عن مهلك الأمير أبي زكريا صاحب مجاهة من الأنبياء وما كان بعد ذلك من ثورة أهل مجاهة بأخيه الأمير أبي حفص وولاية ابنه الأمير أبي عبد الله ..... ١٧٥٧	ال الخبر عن مقتل مولاهم بن عمر وأصحابه من الكعوب ..... ١٧٤٦
الخبر عن مهلك مولانا السلطان أبي بكر وولاية ابنه الأمير أبي حفص ..... ١٧٥٨	ال الخبر عن واقعة رغيس مع ابن اللحياني وزنانة وواقعة الشقة مع ابن أبي عمran ..... ١٧٤٦
الخبر عن زحف الأمير أبي العباس ولي العهد من مكان إمارته بالجرید إلى الحضرة وما كان من مقتله ومقتل أنجويه الأمرين أبي فارس عزوز وأبي البقاء خالد ..... ١٧٥٩	ال الخبر عن أجيالب حزة بابراهيم بن الشهيد وتغلبه على الحضرة ..... ١٧٤٧
الخبر عن استيلاء السلطان أبي الحسن على إفريقية ومهلك الأمير أبي حفص وانتقال الأنبياء من مجاهة وقسطنطينية إلى المغرب وما تخلل ذلك من الأحداث ..... ١٧٥٩	ال الخبر عن حصار مجاهة وبناء تيمزدكت وانهزام عساكر السلطان عليها ..... ١٧٤٧
الخبر عن ولاية الأمير أبي العباس الفضل على بونة وأولية ذلك ومصائره ..... ١٧٦٠	ال الخبر عن مهلك الحاجب المزوار وولاية ابن سيد الناس مكانه ومقتل ابن القالون ..... ١٧٤٨
الخبر عن بيعة العرب لابن أبي دبوس وواقفهم مع السلطان أبي الحسن بالقيروان وما قارن ذلك كله من الأحداث ..... ١٧٦١	ال الخبر عن ولاية الفضل على بوتة ..... ١٧٤٩
الخبر عن حصار القصبة بتونس ثم الإفراج عن القيروان وعنها وما تخلل ذلك ..... ١٧٦١	ال الخبر عن واقعة الرياس وما كان قبلها من مهلك الأمير أبي فارس أخي السلطان ..... ١٧٤٩
الخبر عن استيلاء الأمير الفضل على قسطنطينية وبمجاهة ثم استيلاء أمرائهم عليها ..... ١٧٦٢	ال الخبر عن مراسلة ملك المغرب في الاستجاشة علىبني عبد الواد وما يتبع ذلك من المصاهرة ..... ١٧٥٠
	ال الخبر عن حركة السلطان إلى المغرب وفراربني عبد الواد وتخريب تامرزدكت ..... ١٧٥٠
	ال الخبر عن نكبة الحاجب محمد بن سيد الناس وولاية ابن عبد العزيز وابن الحكيم من بعده ..... ١٧٥١
	ال الخبر عن فتح فقصة وولاية الأمير أبي العباس عليها ... ١٧٥٢
	ال الخبر عن ولاية الأمير أبي فارس بن عزوز وأبي البقاء خالد على سوسة ثم إضافة المهدية إليهما ..... ١٧٥٣
	ال الخبر عن وفاة الأمير أبي عبد الله صاحب قسطنطينية من الأنبياء وولاية بنيه من بعده ..... ١٧٥٣

الخبر عن زحف العساكر إلى تونس ..... ١٧٧٣	ال الخبر عن حركة الفضل إلى تونس بعد رحيل السلطان أبي الحسن إلى المغرب ..... ١٧٦٣
الخبر عن مهلك السلطان أبي إسحاق صاحب الحضرة ..... ١٧٧٤	ال الخبر عن مهلك الفضل وبيعة أخيه المولى أبي إسحاق في قنالة أبي محمد بن تافراكن وتحت استبداده ..... ١٧٦٣
ولوالية ابنه خالد من بعده ..... ١٧٧٤	ال الخبر عن حركة صاحب قسطنطينية إلى تونس وما كان من حجابة أبي العباس بن مكي وتصاريف ذلك ..... ١٧٦٤
الخبر عن فتح تونس واستيلاء السلطان عليها واستبداده ..... ١٧٧٤	ال الخبر عن وفادة صاحب بجاية على أبي عنان واستيلاؤه عليه وعلى بلده ومطالبه قسطنطينية ..... ١٧٦٥
بالدعوة الحفصية في سائر عمارات إفريقية ..... ١٧٧٤	ال الخبر عن حادثة طرابلس واستيلاء النصارى عليها ثم رجوعها إلى ابن مكي ..... ١٧٦٦
وممالكتها ..... ١٧٧٤	ال الخبر عن بيعة السلطان أبي العباس أمير المؤمنين ومفتتح أمره السعيد بقسطنطينية ..... ١٧٦٧
الخبر عن انتقاض منصور بن حمزة وأجلابه بالعلم أبي يحيى زكريا على الحضرة وما كان عقب ذلك من نكبة ابن تافراكن ..... ١٧٧٥	ال الخبر عن واقعة موسى بن إبراهيم واستيلاء أبي عنان بعدها على قسطنطينية وما مخلل ذلك من الأحداث ..... ١٧٦٧
الخبر عن فتح سوسة والمهدية ..... ١٧٧٦	ال الخبر عن انتقاض الأمير أبي يحيى زكريا بالمهدية ودخوله في دعوة أبي عنان ثم نزوله عنها إلى الطاعة وتصاريف ذلك ..... ١٧٦٨
الخبر عن فتح جربة وانتظامها في ملك السلطان ..... ١٧٧٦	ال الخبر عن استيلاء السلطان أبي إسحاق على بجاية وإعادة الدعوة الحفصية إليها ..... ١٧٦٩
الخبر عن استقلال النساء من الآباء بولاية الغور ..... ١٧٧٧	ال الخبر عن فتح جربة ودخولها في دعوة السلطان أبي إسحاق صاحب الحضرة ..... ١٧٦٩
الغربية ..... ١٧٧٧	ال الخبر عن عودة النساء من المغرب واستيلاء السلطان أبي العباس على قسطنطينية ..... ١٧٧٠
الخبر عن فتح قصبة وتوزر وانتظام أعمال قسطنطينية في طاعة السلطان ..... ١٧٧٧	ال الخبر عن وصول الأخ الأمير أبي يحيى بن زكريا من تونس وافتتاحه بونة واستيلائه عليها ..... ١٧٧١
الخبر عن ثورة أهل قصبة ومهلك ابن الخلف ..... ١٧٧٨	ال الخبر عن استيلاء الأمير أبي عبد الله على بجاية ثم على تدلس بعدها ..... ١٧٧١
الخبر عن فتح قابس وانتظامها في ملكة السلطان ..... ١٧٧٩	ال الخبر عن مهلك الحاجب أبي محمد بن تافراكن واستبداد سلطانه من بعده ..... ١٧٧٢
الخبر عن استقامة ابن مني وانقياده وما اكتفى ذلك من الأحوال ..... ١٧٨٠	ال الخبر عن استيلاء السلطان أبي العباس على بجاية وملك صاحبها ابن عمه ..... ١٧٧٢
الخبر عن انتقاض أولاد أبي الليل ثم مراجعتهم الطاعة ..... ١٧٨١	ال الخبر عن زحف أبي حمو وبني عبد الرواد إلى بجاية ونكثتهم عليها وفتح تدلس من أيديهم بعدها ..... ١٧٧٣
تغلب ابن يملول على توزر وارتجاعها منه ..... ١٧٨٢	
ولاية الأمير زكريا ابن السلطان على توزر ..... ١٧٨٢	
وفاة الأمير أبي عبد الله صاحب بجاية ..... ١٧٨٢	
حركة السلطان إلى الزاب ..... ١٧٨٣	
حركة السلطان إلى قابس ..... ١٧٨٣	
رجوع المتصر إلى ولايته توزر وولاية أخيه زكريا على نفطة ونفزاوة ..... ١٧٨٤	
فتحة الأمير إبراهيم صاحب قسطنطينية مع الدواودة ووفاة يعقوب بن علي ثم وفاة الأمير إبراهيم إثراها ..... ١٧٨٤	
منازلة نصارى الفرنج للمهدية ..... ١٧٨٤	
انتقاض قصبة وحضارها ..... ١٧٨٥	
ولاية عمر ابن السلطان على صفاقس واستيلاته منها على قابس وجزيرة جربة ..... ١٧٨٦	

الخبر عن آل زيري بن عطية ملوك فاس وأعمالها من الطبقة الأولى من مغراوة وما كان لهم بالغرب الأقصى من الملك والدولة ومبادئه ذلك وتصاريفه ..... ١٨١٦	وفاة السلطان أبي العباس وولاية ابنه أبي فارس عزوز. ١٧٨٦ الخبر عن بني مزنی أمراء بسكرة وما إليها من الراي ..... ١٧٨٧ الخبر عن رئاسة بني مسلول بتوزر وبني الحلف بنقطة وبني أبي المنيع بالحامة ..... ١٧٩١
الخبر عن بني خزرون ملوك سجلماسة من الطبقة الأولى من مغراوة وأولية ملوكهم ومصائره ..... ١٨٢١	الخبر عن بني مككي رؤساء قابس وأعمالها ..... ١٧٩٥ الخبر عن بني ثابت رؤساء مدينة طرابلس وأعمالها ..... ١٧٩٨
الخبر عن ملوك طرابلس من بني خزرون بن فلقول من أهل الطبقة الأولى وأولية أمرهم وتصاريف أحواهم ..... ١٨٢٢	الخبر عن زناتة من قبائل البرير وما كان بين أجيالهم من العز والظهور وما تناقض فيه وتعاقب فيهم من الدول القديمة والحديثة ..... ١٨٠٠
الخبر عن بني يعلى ملوك تلمسان من آل خزر من أهل الطبقة الأولى والإسلام بعض أحواهم ومصائرها ..... ١٨٢٥	الخبر عن نسبة زناتة وذكر الخلاف الواقع فيه وتعديده شعورهم ..... ١٨٠٠
الخبر عن أمراء أغمات من مغراوة ..... ١٨٢٦	فصل في تسمية زناتة ومعنى هذه الكلمة ..... ١٨٠٣
الخبر عن بني سنجاس وريفة والأغوات وبني ورا من قبائل مغراوة من أهل الطبقة الأولى وتصاريف أحواهم ..... ١٨٢٧	فصل في أولية هذا الجيل وطبقاته ..... ١٨٠٣
الخبر عن بني برنيان إخوة مغراوة وتصاريف أحواهم ..... ١٨٢٨	الخبر عن الكاهنة وقومها جراءة من زناتة وشأنهم مع المسلمين عند الفتح ..... ١٨٠٤
الخبر عن وجديين وواغمرت من قبائل زناتة ومبادئه أحواهم وتصاريفها ..... ١٨٢٩	الخبر عن مبتدأ دول زناتة في الإسلام ومصير الملك إليهم بالغرب وإفريقية ..... ١٨٠٤
الخبر عن بني واركلا من بطنون زناتة والمصر المنسوب إليهم بصحراء إفريقيا وتصاريف أحواهم ..... ١٨٣٠	الطبقة الأولى من زناتة ونبيها بالخبر عن بني يفرن وأنسابهم وشعورهم وما كان لهم من الدول بإفريقية والغرب ..... ١٨٠٥
الخبر عن دمّر من بطنون زناتة ومن ولـيـنـهـمـ بـالـأـنـدـلـسـ ..... ١٨٣١	الخبر عن أبي قرة وما كان لقوعه من الملك بتلمسان ومبداً ذلك ومصادرـهـ ..... ١٨٠٦
أولـيـةـ ذـلـكـ وـمـصـائـرـهـ ..... ١٨٣١	الخبر عن أبي يزيد الخارجي صاحب الحمار من بني يفرن ومبـداـهـ أمرـهـ معـ الشـيـعـةـ ومـصـادـرـهـ ..... ١٨٠٧
الـخـبـرـ عـنـ بـنـيـ وـمـانـوـاـ وـبـنـيـ يـلـوـمـيـ منـ الطـبـقـةـ الـأـلـىـ منـ زـنـاتـةـ وـمـاـ كـانـ لـهـ مـنـ الـمـلـكـ وـالـدـوـلـ بـأـعـمـالـ ..... ١٨٣٤	الـخـبـرـ عـنـ الدـوـلـ الـأـلـىـ لـبـنـيـ يـفـرـنـ بـالـمـغـرـبـ الـأـوـسـطـ وـالـأـقـصـىـ وـمـبـادـئـهـ أـمـرـهـ وـمـصـائـرـهـ ..... ١٨٠٩
أـخـبـارـ الطـبـقـةـ الثـانـيـةـ مـنـ زـنـاتـةـ وـذـكـرـ أـنـسـابـهـ وـشـعـورـهـ وـأـولـيـتـهـمـ وـمـصـائـرـهـ ..... ١٨٣٤	الـخـبـرـ عـنـ الدـوـلـ الـثـانـيـةـ لـبـنـيـ يـفـرـنـ بـسـلاـ مـنـ الـمـغـرـبـ ..... ١٨١٠
الـخـبـرـ عـنـ أـحـواـلـ هـذـهـ الطـبـقـةـ قـبـلـ الـمـلـكـ وـكـيـفـ كـانـتـ تصـارـيفـ أحـواـهـمـ إـلـىـ أـنـ غـلـبـواـ عـلـىـ الـمـالـكـ وـالـدـوـلـ ..... ١٨٣٦	الـخـبـرـ عـنـ أـحـواـلـ مـنـ زـنـاتـةـ وـذـكـرـ أـلـهـ الطـبـقـةـ الـأـلـىـ مـنـ زـنـاتـةـ وـمـاـ كـانـ لـهـ مـنـ الدـوـلـ بـالـمـغـرـبـ وـمـبـادـئـهـ ذـلـكـ وـتـصـارـيفـهـ ..... ١٨١٤

الخبر عن شان عثمان بن يغمراسن مع مغراوة وبني توجين وغليه على معاقلهم والكثير من أعمالهم ..	١٨٥٥	ال الخبر عن أولاد منديل من الطبقة الثانية وما أعادوا لقronym من مغراوة من الملك بوطنهم الأول من شلف وما إليه من نواحي المغرب الأوسط ..	١٨٣٧
الخبر عن متازلة بجابة وما دعا إليها.....	١٨٥٥	ال الخبر عن دولة أبي عبد الواحد من هذه الطبقة الثانية وما كان لهم بتلمسان وببلاد المغرب الأوسط من الملك والسلطان وكيف كان مبدأ أمرهم ومصائر أحواهم.....	١٨٤٢
الخبر عن معاودة الفتنة مع بني مرین وشأن تلمسان في الحصار الطويل ..	١٨٥٦	ال الخبر عن تلمسان وما تأدى إلينا من أحواهم من الفتح إلى أن تأثر بها سلطان أبي عبد الواحد ودولتهم ..	١٨٤٤
الخبر عن مهلك عثمان بن يغمراسن وولاية ابنه أبي زيان وانتهاء الحصار من بعده إلى غايتها ..	١٨٥٧	ال الخبر عن استقلال يغمراسن بن زيان بالملك والدولة بتلمسان وما إليها وكيف مهد الأمر لقومه وأصاروه تراثاً لبنيه ..	١٨٤٦
الخبر عن شان السلطان أبي زيان من بعد الحصار إلى حين مهلكه ..	١٨٥٨	ال الخبر عن استيلاء الأمير أبي زكريا على تلمسان ودخول يغمراسن في دعوته ..	١٨٤٦
الخبر عن حمو الدعوة الخففية من متازلة تلمسان ..	١٨٥٩	ال الخبر عن نهوض السعيد صاحب مراكش ومتازلة يغمراسن بجعل تامزز يزدكت ومهلكه هنالك ..	١٨٤٧
الخبر عن دولة أبي حمو الأوسط وما كان فيها من الأحداث ..	١٨٥٩	ال الخبر عن مما كان بينه وبين أبي مرین من الأحداث سائر أيامه ..	١٨٤٩
الخبر عن استزال زيرم بن حماد من ثغر برشك وما كان من قتلها ..	١٨٦٠	ال الخبر عن كائنة النصارى وإيقاع يغمراسن بهم ..	١٨٤٩
الخبر عن طاعة الجزائر واستزال ابن علان منها وذكر أوليته ..	١٨٦٠	ال الخبر عن تغلب يغمراسن على سجلamasة ثم مصرها بعد إلى إبالة بني مرین ..	١٨٥٠
الخبر عن حركة صاحب المغرب إلى تلمسان وأولية ذلك ..	١٨٦١	ال الخبر عن حروب يغمراسن مع يعقوب بن عبد الحق ...	١٨٥٠
الخبر عن مبدأ حصار بجابة وشرح الداعية إليه ..	١٨٦٢	ال الخبر عن شان يغمراسن مع مغراوة وبني توجين وما كان بينهم من الأحداث ..	١٨٥١
الخبر عن خروج محمد بن يوسف ببلاد بني توجين وحروب السلطان معه ..	١٨٦٢	ال الخبر عن انتزاء الزعيم بن مكن ببلد مستغانم ..	١٨٥٢
الخبر عن مقتل السلطان أبي حمو وولاية ابنه أبي تاشفين من بعده ..	١٨٦٣	ال الخبر عن شان يغمراسن في معاقدته مع ابن الأهر والطاغية على فتنة يعقوب بن عبد الحق والأحد بمحجزته ..	١٨٥٢
الخبر عن نهوض السلطان أبي تاشفين إلى محمد بن يوسف بجعل وانشريش واستيلائه عليه ..	١٨٦٤	ال الخبر عن شان يغمراسن مع الحلفاء من بني أبي حفص الذي كان يقيس بتلمسان دعورتهم ويأخذ قومه بطاعتهم ..	١٨٥٣
الخبر عن حصار بجابة والفتنة الطويلة مع المرحدين التي كان فيها حتفه وذباب سلطانه وانقراض الأمر عن قومه برهة من الدهر ..	١٨٦٥	ال الخبر عن مهلك يغمراسن بن زيان ولاية ابنه عثمان وما كان في دولته من الأحداث ..	١٨٥٤
الخبر عن معاودة الفتنة بين بني مرین وحصارهم تلمسان ومقتل السلطان أبي تاشفين بن أبي حمّ ..	١٨٦٦		
الخبر عن رجال دولته وهم موسى بن علي وبخي بن موسى وملوّاه هلال وأوليائهم ومصائر أمورهم واختصاصاتهم بالذكر لما طار من شهرتهم وارتفاع من صيتهم ..	١٨٦٨		

الخبر عن خروج أبي زيان بالقاصية الشرقية من بلاد حصين وتنبله على المدينة والجزائر ومليانة وما كان من الحروب معه ..... ١٨٨٠	الخبر عن انتزاع عثمان بن جرار على ملك تلمسان بعد نكبة السلطان أبي الحسن بالقيروان وعود الملك بذلك لبني زيان ..... ١٨٧٠
الخبر عن حركة السلطان عبد العزيز على تلمسان واستيلائه عليها ونكبة أبي حمو وبني عامر بالدومن من بلاد الزاب وخروج أبي زيان من تيطري إلى أجاء رياح ..... ١٨٨١	الخبر عن دولة أبي سعيد وأبي ثابت من آل يغمراسن وما كان فيها من الأحداث ..... ١٨٧٠
الخبر عن عودة السلطان أبي الحسن من تونس ونزوله بالجزائر وما دار بينه وبين أبي ثابت من الحروب ولحاقه بعد المذيعة بال المغرب ..... ١٨٧١	الخبر عن لقاء أبي ثابت مع الناصر ابن السلطان أبي الحسن وفتح وهران بعدها ..... ١٨٧١
نهزامهما وتشريدهما على سائر التواحي ..... ١٨٨٢	الخبر عن حربهم مع مغراوة واستيلاء أبي ثابت على بلادهم ثم على الجزائر ومقتل علي بن راشد بتنس على إثر ذلك ..... ١٨٧٣
الخبر عن عودة السلطان أبي حمو الأخير إلى تلمسان الكرة الثالثة لبني عبد الواد في الملك ..... ١٨٨٣	الخبر عن استيلاء السلطان أبي عنان على تلمسان وانقراض أمر بني عبد الواد ثانية ..... ١٨٧٤
الخبر عن رجوع أبي زيان ابن السلطان أبي سعيد إلى بلاد حصين ثم خروجه عنها ..... ١٨٨٤	الخبر عن دولة السلطان أبي حمو الأخير مديل الدولة بتلمسان في الكرة الثالثة لقومه وشرح ما كان فيها من الأحداث لهذا العهد ..... ١٨٧٥
الخبر عن أجلاب عبد الله بن صغير وانتهاص أبي بكر بن عريف ويعتهما للأمير أبي زيان ورجوع أبي بكر إلى الطاعة ..... ١٨٨٤	الخبر عن إفحال أبي حمو عن تلمسان أمام عساكر المغرب ثم عوده إليها ..... ١٨٧٥
الخبر عن وصول خالد بن عامر من المغرب وال الحرب التي دارت بينه وبين سويد وأبي تاشفين هلك فيها عبد الله بن صغير وإخوانه ..... ١٨٨٤	الخبر عن مقدم عبد الله بن مسلم من مكان عمله بدرعة ونزوعه من إيداله بني مرین إلى أبي حمو وتقليله إياه الوزارة ذكر أوليته ومصائر أموره ..... ١٨٧٦
وثبة أبي تاشفين بيهى بن خلدون كاتب أبيه ..... ١٨٨٧	الخبر عن استيلاء السلطان أبي سالم على تلمسان ورجوعه إلى المغرب بعد أن ول عليها أبي زيان حاقد السلطان أبي تاشفين وما آل أمره ..... ١٨٧٦
حركة السلطان أبي حمو على ثغور المغرب الأقصى ودخول ابنه أبي تاشفين إلى جهات مكتنسة ..... ١٨٨٧	الخبر عن قドوم أبي زيان حاقد السلطان أبي تاشفين ثانية من المغرب إلى تلمسان لطلب ملكها وما كان من أحواله ..... ١٨٧٨
نهوض السلطان أبي العباس صاحب المغرب إلى تلمسان واستيلاؤه عليها واعتصام أبي حمو بمصن تاجحوموت ..... ١٨٨٨	الخبر عن حركة السلطان أبي حمو على ثغور المغرب ..... ١٨٧٩
رجوع السلطان أبي العباس إلى المغرب واحتلال دولته ورجوع السلطان أبي حمو إلى ملكه بتلمسان ..... ١٨٨٨	الخبر عن حركة السلطان أبي حمو إلى مجاهة ونكبه عليها ..... ١٨٧٩

زناتة وانتظمت كراسى الملك بالعدوتين وأولية ذلك ومصائره ..... ١٩٠٢	تجدد المنافسة بين ولد السلطان أبي حمو ومحامرة أبي تاشفين بذلك لهم ولولاته ..... ١٨٨٩
الخبر عن امارة عبد الحق بن محيي المستقرة في بنية وإمارة ابنه عثمان من بعده ثم أخيه محمد بن عبد الحق بعدهما وما كان فيها من الأحداث ..... ١٩٠٢	خلع السلطان أبي حمو واستبداد ابنه أبي تاشفين بالملك واعتقاله إياه ..... ١٨٨٩
الخبر عن دولة الأمير أبي يحيى بن عبد الحق مديل الأمر لقومه بني مرiven وفاتح الأنصار ومقيم الرسوم الملوكية من الآلة وغيرها لمن بعده من أمرائهم ..... ١٩٠٤	خروج السلطان أبي حمو من الاعتقال ثم القبض عليه وتغريبه في السفين إلى المشرق ..... ١٨٩٠
الخبر عن انتفاض أهل فاس على أبي يحيى بن عبد الحق وظفره بهم بعد إيقاعه بيعمراسن وقومه باليسل ..... ١٩٠٦	نزول السلطان أبو حمو بمجاية من السفين واستيلاؤه على تلمسان وخلاف أبي تاشفين بالغرب ..... ١٨٩٠
الخبر عن تغلب الأمير أبي يحيى على مدينة سلا وارتفاعها من يده وهزيمة المرتضى بعدها ..... ١٩٠٧	نهوض أبي تاشفين بعساكر بني مرiven ومقتل السلطان أبي حمو ..... ١٨٩١
الخبر عن فتح سجلماسة وببلاد القبلة وما كان في ذلك من الأحداث ..... ١٩٠٨	مسير أبي زيان بن أبي حمو لخصار تلمسان ثم إجفاله عنها وخلافه بصاحب المغرب ..... ١٨٩١
الخبر عن مهلك الأمير أبي يحيى وما كان أثر ذلك من الأحداث التي تخضت عن استبداد أخيه يعقوب بن عبد الحق بالأمر ..... ١٩٠٨	وفاة أبي تاشفين واستيلاء صاحب المغرب على تلمسان ..... ١٨٩٢
الخبر عن فجاءة العدو مدينة سلا واستنقاذها من أيديهم ..... ١٩٠٩	وفاة أبي العباس صاحب المغرب واستيلاء أبي زيان بن أبي حمو على تلمسان والمغرب الأوسط ..... ١٨٩٢
الخبر عن منازلة السلطان أبي يوسف حضرة مراكش دار الخلافة وعنصر الدولة وما كان أثر ذلك من نزوح أبي دبوس إليه وكيف نبهه للأمر وكان مهلك المرتضى على يده ثم انتقض عليه ..... ١٩٠٩	الخبر عن بني ككي إحدى بطون بي القاسم بن عبد الواحد وكيف نزعوا إلى بني مرiven وما صار لهم بنواحي مراكش وأرض السوس من الرياسة ..... ١٨٩٣
الخبر عن وقعة تلاغ بين السلطان يعقوب بن عبد الحق ويعمراسن بن زيان باغراء أبي دبوس وتصريبه ..... ١٩١٠	الخبر عن بني راشد بن محمد بن بادين وذكر أوليائهم وتصاريف أحواهم ..... ١٨٩٤
الخبر عن السفارة والمهادنة التي وقفت بين السلطان يعقوب ابن عبد الحق وبين المستنصر الخليفة بتونس من آل أبي حفص ..... ١٩١٠	الخبر عن بني توجين من شعوب بني بادين من أهل هذه الطبقة الثالثة من زناتة وما كان لهم من الدولة والسلطان بالمغرب الأوسط وأولية ذلك ومصائره ..... ١٨٩٥
الخبر عن فتح مراكش ومهلك أبي دبوس وانقراض دولة الموحدين من المغرب ..... ١٩١١	الخبر عن بني سلامة أصحاب قلعة تاوزغوت ورؤسائهم بني يدللت من بطون توجين من هذه الطبقة الثانية وأوليائهم ومصائرهم ..... ١٨٩٩
	الخبر عن بني يرناتن إحدى بطون توجين من هذه الطبقة الثانية وما كان لهم من التغلب والإمسارة وذكر أوليائهم ومصائرهم ..... ١٩٠١
	الخبر عن بني مرiven وأنسابهم وشعوبهم وما تأثروا بالمغرب من السلطان والدولة التي استبعت سائر



- الخبر عن منازلة جبل الفتح واستئثار الأمير أبي مالك المسلمين به ..... ١٩٦٠
- الخبر عن حصار تلمسان وتغلب السلطان أبي الحسن عليها وانتهاه أمر بني عبد الرواد بهلك أبي تاشفين ..... ١٩٦١
- الخبر عن نكبة الأمير عبد الرحمن بنتيجه وتنبض السلطان عليه ثم مهلكه آخرًا ..... ١٩٦٢
- الخبر عن خروج ابن هيدور وتلبسيه بابي عبد الرحمن ..... ١٩٦٣
- الخبر عن شأن الجهاد وإزعاج السلطان ابنه الأمير أبي مالك واستشهاده ..... ١٩٦٤
- الخبر عن واقعة الملند والظفر به وظهور أساطيل المسلمين على أسطول النصارى ..... ١٩٦٤
- الخبر عن واقعة طريف وتحقير المسلمين ..... ١٩٦٤
- الخبر عن منازلة الطاغية الجزيرة، ثم تغلبه عليها بعد أن غاب على القلعة من ثغور ابن الأخر ..... ١٩٦٥
- الخبر عن شفاعة صاحب تونس في أولاد أبي العلاء ووصوهم إلى السلطان ..... ١٩٦٦
- الخبر عن هدية السلطان إلى ملك مالي من السودان الجاوريين للمغرب ..... ١٩٦٨
- الخبر عن إصهار السلطان إلى صاحب تونس ..... ١٩٦٨
- الخبر عن حركة السلطان إلى إفريقيا واستيلائه عليها ..... ١٩٦٩
- الخبر عن واقعة العرب مع السلطان بالقيروان وما تحملها من الأحداث ..... ١٩٧٢
- الخبر عن انتقاض الثغور الغربية ورجوعها إلى دعوة الموحدين ..... ١٩٧٤
- الخبر عن انتزاع أولاد السلطان بالغرب الأوسط والأقصى ثم استقلال أبي عنان بملك المغرب كله ..... ١٩٧٥
- الخبر عن انتقاض التواحي وانتزاع بني عبد الرواد بتلمسان ومغارواة بشلوف وتوجين بالمدية ..... ١٩٧٦
- الخبر عن رجوع أمراء الثغور الغربية من الموحدين إلى ثغورهم بجاية وقسطنطينة ..... ١٩٧٧
- ال الخبر عن انتزاع يوسف بن أبي عياد براكش وتغلب السلطان عليه ..... ١٩٤٧
- الخبر عن غزوة السلطان لمدافعة عثمان بن أبي العلاء ببلاد المحيط ومهلكه بطنجنة من بعد ظهوره ..... ١٩٤٨
- الخبر عن دولة السلطان أبي الربع وما كان فيها من الأحداث ..... ١٩٤٨
- الخبر عن مقتل عبد الله بن أبي مدین ..... ١٩٤٩
- الخبر عن ثورة أهل سبتة بالأندلسين ومراجعةهم طاعة السلطان ..... ١٩٥٠
- الخبر عن بيعة عبد الحق بن عثمان بعمالة الوزير والشيخة وظهور السلطان عليهم ثم مهلكه بعد ذلك ..... ١٩٥٠
- الخبر عن دولة السلطان أبي سعيد وما كان فيها من الأحداث ..... ١٩٥١
- الخبر عن حركة السلطان أبي سعيد إلى تلمسان أول حركاته إليها ..... ١٩٥٢
- الخبر عن انتقاض الأمير أبي علي وما كان بينه وبين أخيه من الواقعات ..... ١٩٥٢
- الخبر عن نكبة منديل الكثاني ومقتله ..... ١٩٥٣
- الخبر عن انتقاض العزي بستة ومنازلته ثم مصيرها إلى طاعة السلطان بعد مهلكه ..... ١٩٥٤
- الخبر عن استقدام عبد المهيمن للكتابة والعلامة ..... ١٩٥٥
- الخبر عن صریح أهل الأندلس بالسلطان ومهلك بطرة على غرناطة ..... ١٩٥٦
- الخبر عن شهر الموحدين والحركة إلى تلمسان على أثره وما تحمل ذلك من الأحداث ..... ١٩٥٧
- الخبر عن مهلك السلطان أبي سعيد عفا الله عنه وولاية ابنه السلطان أبي الحسن وما تحمل ذلك من الأحداث ..... ١٩٥٨
- الخبر عن حركة السلطان أبي الحسن إلى سجلماسة وانكفاء عنها إلى تلمسان بعد الصلح مع أخيه والاتفاق ..... ١٩٥٩
- الخبر عن انتقاض الأمير أبي علي ونهوض السلطان أبي الحسن إليه وظفره به ..... ١٩٥٩

- الخبر عن ظهور أبي حمو بنواحي تلمسان وتجهيز العساكر لدافنه، ثم تغلبه عليها وما تخلل ذلك من الأحداث ..... ١٩٩٠
- الخبر عن نهوض الوزير مسعود بن ماساي إلى تلمسان وتغلبه عليها ثم انتقام منه ونصبها منصور بن سليمان للأمر ..... ١٩٩١
- الخبر عن نزول المولى أبي سالم بجبل غمارة واستيلائه على ملك المغرب ومقتل منصور بن سليمان ..... ١٩٩٢
- الخبر عن خلع ابن الأحمر صاحب غرناطة ومقتل رضوان ومقته على السلطان ..... ١٩٩٣
- الخبر عن انتقام الحسن بن عمر وخروجه بتادلا وتغلب السلطان عليه ومهلكه ..... ١٩٩٤
- الخبر عن وفاة السودان وهديتهم وإغرابهم فيها بالزراقة ..... ١٩٩٥
- الخبر عن حركة السلطان إلى تلمسان واستيلائه عليها وإثارة أبي زيان حافظ أبي تاشفين بملكها وما كان مع ذلك من صرف أمراء الموحدين إلى بلادهم ..... ١٩٩٦
- الخبر عن مهلك السلطان أبي سالم واستيلاء حمو بن عبد الله على ملك المغرب ونصبها للملوك واحداً بعد آخر إلى أن هلك ..... ١٩٩٧
- الخبر عن الفتكة بين أنطون قائد العسكر من النصارى ثم خروج حمبي بن حمو وبني مرین عن الطاعة ..... ١٩٩٨
- الخبر عن وصول عبد الحليم ابن السلطان أبي علي من تلمسان وحضار البلد الجديد ..... ١٩٩٩
- الخبر عن قدوم محمد ابن الأمير أبي عبد الرحمن وبيعته بالبلد الجديد في كفالة عمر بن عبد الله ..... ٢٠٠٠
- الخبر عن تجهيز السلطان عبد الحليم وإختره إلى سجلماسة بعد الواقعة عليهم بمكتنasse ..... ٢٠٠٠
- الخبر عن قدوم عامر بن محمد ومسعود بن ماساي من مراكش وما كان من وزارة ابن ماساي واستبداد عامر بن محمد بـ مراكش ..... ٢٠٠١
- الخبر عن زحف الوزير عمر بن عبد الله إلى سجلماسة ..... ٢٠٠١٠
- الخبر عن بيعة العرب لعبد المؤمن وخروج عبد الحليم إلى المشرق ..... ٢٠٠٢
- ال الخبر عن نهوض الناصر ابن السلطان ووليه عريف بن حمبي من تونس إلى المغرب الأوسط ..... ١٩٧٨
- الخبر عن رحلة السلطان أبي الحسن إلى المغرب وتغلب المولى الفضل على تونس وما دعا إلى ذلك من الأحوال ..... ١٩٧٨
- الخبر عن استيلاء السلطان على سجلماسة ثم فراره عنها أمام ابنه إلى مراكش ثم استيلاؤه عليها وما تخلل ذلك ..... ١٩٨٠
- الخبر عن استيلاء السلطان على مراكش ثم انهزامه أمام الأمير أبي عنان ومهلكه بجبل متاتنة عقا الله عنه ..... ١٩٨٠
- الخبر عن حركة السلطان أبي عنان إلى تلمسان وإيقاعه بيبي عدو الرواد بـ تكاد ومهلك أبي سعيد سلطانهم ..... ١٩٨١
- الخبر عن شان أبي ثابت وإيقاع بيبي مرین به بـ بوادي شلف وتقپص الموحدين عليه بـ بيجاية ..... ١٩٨٢
- الخبر عن تملك السلطان أبي عنان بـ جمایة وانتقال أصحابها إلى المغرب ..... ١٩٨٢
- الخبر عن ثورة أهل بـ جمایة ونهوض الحاجب إليها في العسكري ..... ١٩٨٢
- الخبر عن الحاجب ابن أبي عمرو وما عقد له السلطان على ثغر بـ جمایة وعلى منازلة قسطنطينة ونهوضه لذلك ..... ١٩٨٣
- الخبر عن خروج أبي الفضل ابن السلطان بـ جبل السكسيوي ومكر عامل درعة به ومهلكه ..... ١٩٨٥
- الخبر عن انتقام عيسى بن الحسن بـ جبل الفتح ومهلكه ..... ١٩٨٥
- الخبر عن نهوض السلطان إلى قسطنطينة وفتحها ثم فتح تونس عقبها ..... ١٩٨٦
- الخبر عن وزارة سليمان بن داود ونهوضه بالعساكر إلى إفريقيا ..... ١٩٨٨
- الخبر عن مهلك السلطان أبي عنان ونصب السعيد للأمر باستبداد الوزير الحسن بن عمر في ذلك ..... ١٩٨٨
- الخبر عن تجهيز العساكر إلى مراكش ونهوض الوزير سليمان بن داود لـ حمـارـيـة عامـرـ بنـ مـهـمـدـ بنـ عـلـيـ ..... ١٩٨٩

الخبر عن نهوض ابن ماساي بالعساكر إلى سجل ماسة واستيلانه عليها ولحاق عبد المؤمن براكنش ..... ٢٠٠٢.....	الخبر عن نهوض ابن ماساي بالعساكر إلى سجل ماسة واستيلانه عليها ولحاق عبد المؤمن براكنش ..... ٢٠٠٢.....
الخبر عن انتقاض عامر ثم انتقاض الوزير ابن ماساي على أثره ..... ٢٠٠٣.....	الخبر عن انتقاض عامر ثم انتقاض الوزير ابن ماساي على أثره ..... ٢٠٠٣.....
الخبر عن نهوض الوزير عمر وسلطانه إلى مراكش ..... ٢٠٠٤.....	الخبر عن نهوض الوزير عمر وسلطانه إلى مراكش ..... ٢٠٠٤.....
الخبر عن مهلك السلطان محمد بن أبي عبد الرحمن وبيعة عبد العزيز ابن السلطان أبي الحسن ..... ٢٠٠٤.....	الخبر عن مهلك السلطان محمد بن أبي عبد الرحمن وبيعة عبد العزيز ابن السلطان أبي الحسن ..... ٢٠٠٤.....
الخبر عن مقتل الوزير عمر بن عبد الله واستبداد السلطان عبد العزيز بأمره ..... ٢٠٠٤.....	ال الخبر عن مقتل الوزير عمر بن عبد الله واستبداد السلطان عبد العزيز بأمره ..... ٢٠٠٤.....
الخبر عن انتزاع أبي الفضل بن المرول أبي سالم ثم نهوض السلطان إليه ومهلكه ..... ٢٠٠٥.....	ال الخبر عن انتزاع أبي الفضل بن المرول أبي سالم ثم نهوض السلطان إليه ومهلكه ..... ٢٠٠٥.....
الخبر عن نكبة الوزير مجسي بن ميمون بن المصمود ومقتله ..... ٢٠٠٥.....	ال الخبر عن نكبة الوزير مجسي بن ميمون بن المصمود ومقتله ..... ٢٠٠٥.....
الخبر عن حركة السلطان إلى عامر بن محمد ومنازلته بجبله ثم الظفر به ..... ٢٠٠٦.....	ال الخبر عن حركة السلطان إلى عامر بن محمد ومنازلته بجبله ثم الظفر به ..... ٢٠٠٦.....
الخبر عن ارتجاع الجزيرة الخضراء ..... ٢٠٠٧.....	ال الخبر عن حركة السلطان إلى تلمسان واستيلانه عليها وعلى سائر بلادها وفرار أبي حمر عنها ..... ٢٠٠٧.....
الانتقاض على بن زكريا شيخ المساكرة على الأمير عبد الرحمن وفتحه عولاً منصوراً ومقتل الأمير عبد الرحمن ..... ٢٠٢٠.....	ال الخبر عن اضطراب المغرب الأوسط ورجوع أبي زيان إلى بيطرى وأجلاب العرب بأبي حمر على تلمسان إلى أن غلبهم السلطان جيماً على الأمر واستوسق له الملك ..... ٢٠٠٩.....
اجلاب العرب على المغرب في مغيب السلطان بقريبه من ولد أبي علي وبأبي تاشفين بن أبي حمر صاحب تلمسان وجيء أبو حمر على أثرهم ..... ٢٠٢١.....	ال الخبر عن قدوم الوزير ابن الخطيب على السلطان بتلمسان نازعاً إليه عن سلطانه ابن الأحر صاحب الأندلس ..... ٢٠١٠.....
نهوض السلطان إلى تلمسان وفتحها وتغييرها ..... ٢٠٢٢.....	ال الخبر عن مهلك السلطان عبد العزيز وبيعة ابن السعيد واستبداد أبي بكر بن غازى عليه ورجوعبني مررين إلى المغرب ..... ٢٠١٣.....
إجازة السلطان موسى ابن السلطان أبي عنان من الأندلس إلى المغرب واستيلانه على الملك وظفره بابن عمته السلطان أبي العباس وإزعاجه إلى الأندلس ..... ٢٠٢٢.....	ال الخبر عن استيلاء أبي حمر على تلمسان والمغرب الأوسط ..... ٢٠١٤.....
نكبة الوزير محمد بن عثمان ومقتله ..... ٢٠٢٣.....	ال الخبر عن إجازة الأمير عبد الرحمن بن أبي يفلوسن إلى المغرب واجتماع بطورية إليه وقادهم بدعوته ..... ٢٠١٤.....
الخبر عن خروج الحسن بن الناصر بغمارة ونهوض الوزير ابن ماساي إليه بالعساكر ..... ٢٠٢٤.....	
وفاة السلطان موسى والبيعة للمتصدر ابن السلطان أبي العباس ..... ٢٠٢٤.....	
إجازة الواثق محمد بن أبي الفضل ابن السلطان أبي الحسن من الأندلس والبيعة له بفاس ..... ٢٠٢٥.....	

الخبر عن إدريس بن عثمان بن أبي العلاء وإمارته بالأندلس ومصاير أمره ..... ٢٠٣٩	الفترة بين الوزير ابن ماساي وبين السلطان ابن الأحمر واجازة السلطان أبي العباس إلى سبعة لطلب ملكيها واستيلاؤه عليها ..... ٢٠٢٦
الخبر عن إمارة علي بن بدر الدين على الغزاة بالأندلس ومصاير أمره ..... ٢٠٤٠	مسير السلطان أبي العباس من سبعة لطلب ملكه بفاس ونهوض ابن ماساي لدفاعه ورجوعه منهزاً ..... ٢٠٢٦
الخبر عن إمارة عبد الرحمن بن علي أبي يفلوسن ابن السلطان أبي علي على الغزاة بالأندلس ومصاير أمره ..... ٢٠٤١	ظهور دعوة السلطان أبي العباس في مراكش واستيلاء أوليائه عليها ..... ٢٠٢٧
التعريف بابن خلدون مؤلف هذا الكتاب ..... ٢٠٤٣	ولاية المنصور ابن السلطان أبي علي على مراكش واستقلاله بها ..... ٢٠٢٧
نشاته ومشيخته وحاله ..... ٢٠٤٦	حصار البلد الجديد وفتحها ونكبة الوزير ابن ماساي ومقتله ..... ٢٠٢٨
ولاية العلامة بتونس ثم الرحلة بعدها إلى المغرب والكتابة عن السلطان أبي عنان ..... ٢٠٥٥	وزارة محمد بن هلال ..... ٢٠٢٨
حدوث النكبة من السلطان أبي عنان ..... ٢٠٥٨	ظهور محمد بن السلطان عبد الحليم بسجله ..... ٢٠٢٩
الكتابة عن السلطان أبي سالم في السر والإنشاء ..... ٢٠٥٩	نكبة ابن أبي عمرو ومملكته وحركات ابن حسون ..... ٢٠٢٩
الرحلة إلى الأندلس ..... ٢٠٦٢	خلاف علي بن زكرياء بجبل المساكرة ونكبته ..... ٢٠٣٠
الرحلة من الأندلس إلى بجاية وولاية الحجابة بها على الاستبداد ..... ٢٠٦٥	وفادة أبي تاشفين على السلطان أبي العباس صريحة على أبيه ومسيره بالعساكر ومقتل أبيه السلطان أبي حمو ..... ٢٠٣٠
مشابعة أبي حمو صاحب تلمسان ..... ٢٠٦٧	وفاة أبي تاشفين واستيلاء صاحب المغرب على تلمسان ..... ٢٠٣٢
مشابعة السلطان عبد العزيز صاحب المغرب علىبني عبد الواد ..... ٢٠٧٥	وفاة أبي العباس صاحب المغرب واستيلاء أبي زيان بن أبي حمو على تلمسان والمغرب الأوسط ..... ٢٠٣٢
فضل الوزير ابن الخطيب ..... ٢٠٧٩	الخبر عن القرابة المرشحين من آل عبد الحق من الغزاة المجاهدين بالأندلس الذين قاسموا ابن الأحمر في ملكه وانفردوا برئاسة جهاده ..... ٢٠٣٣
العودة إلى المغرب الأقصى ..... ٢٠٨٨	الخبر عن موسى بن رحو فاتح هذه الرياسة بالأندلس وخبر أخيه عبد الحق من بعده وأبنه حمو بن عبد الحق بعدهما ..... ٢٠٣٤
الإجازة الثانية إلى الأندلس ثم إلى تلمسان واللحاق بأحياء العرب والمقدمة عند أولاد عريف ..... ٢٠٩٠	الخبر عن عبد الحق بن عثمان شيخ الغزاة بالأندلس ..... ٢٠٣٥
الفتنة إلى السلطان أبي العباس بتونس والمقام بها ..... ٢٠٩١	الخبر عن عثمان بن أبي العلاء من أمراء الغزاة المجاهدين بالأندلس ..... ٢٠٣٦
الرحلة إلى الشرق وولاية القضاء بمصر ..... ٢٠٩٤	الخبر عن رئاسة ابنه أبي ثابت من بعده ومصير أمرهم ..... ٢٠٣٧
السفر لقضاء الحج ..... ٢٠٩٧	الخبر عن يحيى بن عمر بن رحو وإمارته على الغزاة بالأندلس أولاً وثانياً ومبدأ ذلك وتصاريفه ..... ٢٠٣٨
ولاية المدروس والخواص ..... ٢١٠١	
ولاية خانقاہ بیرس، والعزل منها ..... ٢١٠٨	
فتنة الناصري وسياقه الخبر عنها بعد تقديم كلام في أحوال الدول يليق بهذا الموضع، ويطلعك على أسرار في تنقل أحوال الدول بالتدرج إلى الضخامة والاستيلاء، ثم إلى الضعف والاضمحلال، والله بالغ أمره ..... ٢١٠٩	

السعادة في المهادة والإنحصار بين ملوك المغرب والملك

الظاهر ..... ٢١١٤

ولاية القضاء الثانية بمصر ..... ٢١١٧

سفر السلطان إلى الشام لدافعة الططر عن بلاده ..... ٢١١٨

لقاء الأمير عمر سلطان المغل والططر ..... ٢١٢١

الرجوع عن هذا الأمير عمر إلى مصر ..... ٢١٢٤

ولاية القضاء الثالثة والرابعة والخامسة بمصر ..... ٢١٢٦

